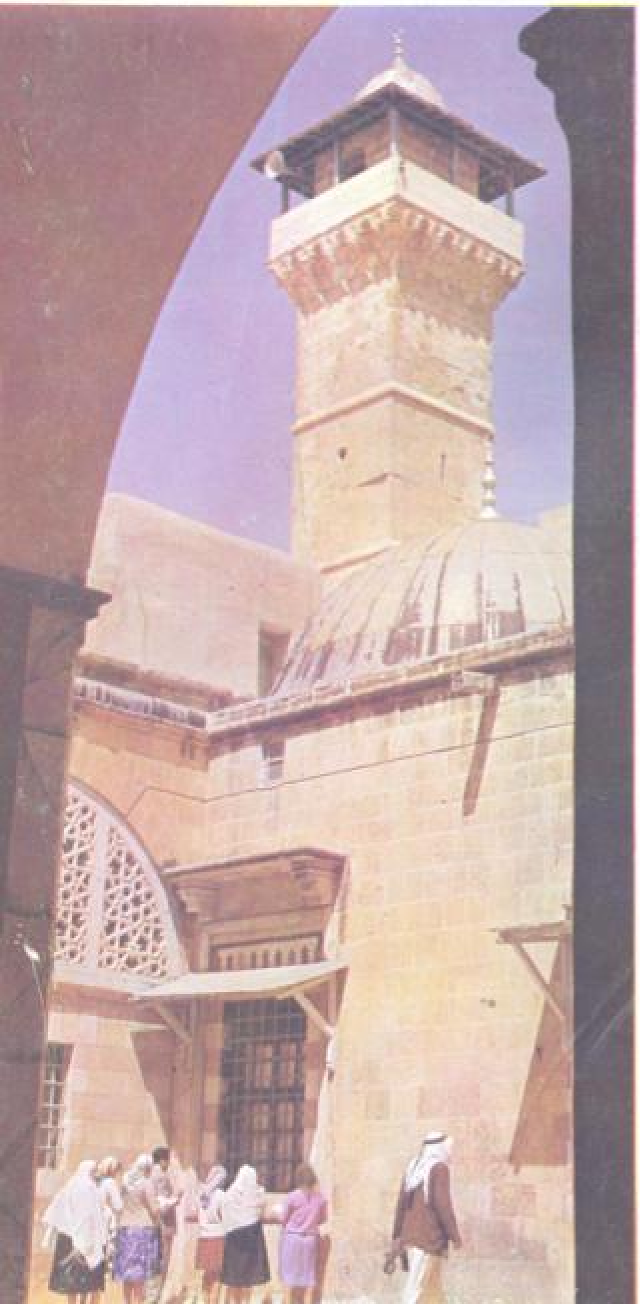
عدد ممتاز

العربي

العدد ٢١٨ - المحرم ١٣٩٧ - يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧





"تحية" في مهرجان قرطاج

الخليل ابراهيم أسيرا

هدية العدد
عالم الغد في الفضاء

ORIENT EKISHO QUARTZ

اوريـنت ... ثمرة تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز



إقرأ الوقت، حتى في الظلام الحالك

خلال الليل، اضئ وجه ساعتك بكبسة
زر. انها الساعة الرقمية المثلى.
اختر، من مجموعة ساعات اوريـنت
الأخاذة، الساعة الـتي تعكس
شخصيتك و رجولتك.

ORIENT اوريـنت

Tokyo, Japan

عزيزي القارئ

على طريق ملىء بالاحزان والجراح مشت امتنا ذلك العام الذى انقضى ، الهجرى والميلادى ٠ وشاءت المقـادير ان تتوقف مسيرة الآلام او تكاد مع نهاية العام ٠ ربما لتفتح الباب لمسيرة جديدة ، وآمال جديدة ، فى العام الجديد ٠

ولا يملك اى عربى الا ان ينشب اظافره متشبثا باى بارقة أمل لازاحة ذلك الكابوس الثقيل ، وبدء تلك المسيرة الجديدة ٠ ولا يملك أى عربى الا ان يبتهل الان الى الله من كل اعماقه ، ان تنطوى تماما صفحة الاحزان مع العام الجديد ، لتبدأ صفحة جديدة ، يعود فيها الى امتنا عقلها ووعيها ٠

لكن الابتهالات وحدها لن تجدى ٠ فلم تصنع أمة تاريخها او مستقبلها بالابتهالات والنوايا الطيبة ٠ لقد حفرنا طريـق الاحزان بأيدينا ٠ ولن نشق طريق الامل الا بايدينا ايضا ٠

ثمة صفحات مخجلة فى تاريخ الشعوب ، تلتصق بجبينها فى مراحل معينة ٠ وستظل احداث العام الذى انقضى هى ذروة تلك الصفحات فى تاريخ شعبنا العربى ٠ وسيظل جيلنا ، الذى كانت معارك اكتوبر مصدر فخر واعتزاز له ، موصوما ومدانا ما لم يكفر عما جرى فى عام ٧٦ ٠

ولان التاريخ لا يقف عند لحظة ، فان فرصـة التكفير ما زالت قائمة ، والساحة تتسع لبناء الكثير ، فـوق الخرائـب ورغما عنها ٠

ليته يصبح عام التكفير ٠

المحرر



حديث الشهر

١٩٧٦

سنة تركت وراءها

بقلم : أحمد بهاء الدين

● تميزت سنة ١٩٧٦ التى ودعتنا ، عن السنوات السابقة عليها ، فى ظاهرة واحدة هامة على الأقل ..

فالسنوات القليلة السابقة تميزت بأن اهم احداثها كانت تدور فى العالم الثالث . المشاكل الحادة تبدو فى معظمها نابعة من هذا العالم الثالث. سواء كان ذلك حربا فى فيتنام ، او صراعا فى الشرق الاوسط . او ازمة حول مادة استراتيجية يكاد يحتكرها العالم الثالث كالبترول . هذا فضلا عن الثورات والانقلابات .

كان الكتاب والمفكرون فى العالم المتقدم يصورون الامور على ان الدول الكبرى والدول الصناعية المتقدمة هى عنصر الاستقرار والامان فى العالم ، فى حين ان الدول المتخلفة او النامية ـ كيفما سميناها ـ هى مصدر القلق والاضطراب والصراع فى العالم ، بخلافاتها التى لا تنتهى . وعدم استقرارها الداخلى . وانها احيانا تجر الدول الكبرى الى مآزق تكاد فيها تلك الدول ان تتصادم . فضلا عن مشاكلها المزمنة من فقر وارتباك مالى ، واقتصادى ، وحاجتها الدائمة الى معونات ... الى آخره .

طبعا ، المشاكل التى تنشا فى العالم الثالث ما زالت تقع من حين الى



ا مذاقاً مراً

اخر ، وتفرض نفسها علي الاحداث • الحرب الاهلية في لبنان •ثورة انجولا والمواجهة التي كادت تقع فيها بين روسيا وامريكا • مشكلة روديسيا الملتهبة حاليا •وطبعاً ما زالت القضية الكبرى التي تهدد أمن العالم ومستقبله اكثر من اى حرب نووية •• وهي مشكلة ازدياد الدول الغنية غنى وازدياد الدول الفقيرة فقرا •• طبعا ما زالت هذه المشكلة هى أخطر المشاكل •

ولكن الملاحظة التي اريد ان اسجلها ، عن سنة ١٩٧٦ التي ودعناها او ودعتنا ، هي ان مصدر القلق والاضطراب الاساسي خلالها ، كان الدول الكبرى ، والعالم الصناعي المتقدم بوجه عام • وكانت ازماتها هي التي تشغل الصفحات الاولى للصحف ، ومشاكلها هي التي تثير عوامل القلق فى العالم •

منطقة الزلازل خلال سنة ١٩٧٦ كانت في الدول الكبرى وفي العالم المتقدم ••• ومنها كانت تنتشر الهزات بدرجات مختلفة الى سائر انحاء العالم ، بعكس الحال في السنوات السابقة •

وقد بدأت السنة في الواقع وفي الجو شيء ما يشير الى ذلك ••• كانت هناك الازمة الاقتصادية فى اوروبا وامريكا ومشاكل العملة

وارتباك النظام النقدى العالمى . لان عملات هذه البـــلاد هى لغة التجـارة والاقتصاد الـسائدة فى العالم حتى الآن ....

والامر الثانى الذى اشار فى اول الســنة المنتهية الى توقع الزلازل ، هى ان السنة بدأت وهناك زعامات هامة كانت مرشحة للاختفاء قبل ان تنتهى السنة ، لان اصحابها قد تخطوا سن السبعين ، بل ومعظمهم تخطوا سن الثمانين من العمر . ولان اصحابها ليسوا حكاما عاديين روتينيين فى بلادهم ، يذهب واحد ويجيء آخر دون ان تتغير امور كثيرة . بل انهم جميعا ممن يدخلون فى باب الشخصيات الاســتثنائية فى حياة بلادها ، والتى يعنى اختفاء اى شخصية منهم يعنى الكثير ، والمجهول ...

كان المرشحون هم ماوتسى تونج (٨٤ سنة) وتيتو (٨٢ سنة) وفرانكو (فوق الثمانين) وبريجنيف (على وشك السبعين) وشواين لاى (كان يقترب من الثمانين) .

وكان الكثيرون منهم مرضى ، امراضا تتراوح فى خطـــورتها او فى معرفتنا بخطورتها ...

والسبب الثالث لهذا الترقب الذى بدأ مع السنة الراحلة ، ان ١٩٧٦ كانت موعد انتخابات عامــة فى عدد من البــلاد ذات تأثير . كانت موعد انتخابات الرئاسة الامريكية وهى اهمها . وانتخــابات البرلمان فى المانيـا الغربية ، العمود الفقرى لاوروبا الغـــربية كلها . وانتخابات ايطاليا التى كان اشتراك الشيوعيين فى السلطة او عدم اشــتراكهم فيها ، معلقا على شعرة . وانتخابات البرتغال التى كان اختيارها لنوع الحكم بعد رحيـــل سالازار يشكل اهمية خاصة بالنسبة لاوروبا ، وكانت ستفصل بين الاستقرار او نشوب حرب اهلية فى هذا الطرف الاســتراتيجى من اوروبا . ونستبعد الانتخابات التى ينحصر تأثيرها داخل البلد الذى تجرى فيه كالسويد .

ووجوه عبرت سنة ٧٦

هكذا ، كان تقدم العمر والمرض بعدد من القادة المهمين الذين اسسوا نظما جديدة ، وبالتالى فهناك تساؤل عن درجة اســـتمراريتها بعد رحيل اصحابها ، وتوقع الانتخابات فى بلاد اخرى ذات تأثير ، كان معناه ان سؤالا ضخما كان مطروحا فى بلاد كثيرة هامة فى العالم المتقدم ، حول دوام السلطة السياسية القديمة او تغيرها . واذا تغيرت ففى اى اتجاه ؟

وقد امتد العمر بعدد من القادة الذين كان يخشى من ان اختفاءهم عن المسرح السياسى ، سوف يحدث آثارا تتعدى حدود البلاد التى يحكمونها .

امتد العمر بالماريشال تيتو ، رئيس اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية..

والمخاوف التى تثور حول احتمال ذهاب تيتو ، لها مســـتويات عدة ،



منها مخاوف على المستوى المحلي ،يثيرها القائلون بان القوميات السبع المتحدة في دولة يوغوسلافيا ، لها تاريخ طويل من الصراع ٠٠٠ وقد جرت العالم الى الحرب العالمية الاولى ٠ وان الصرب والكروات واهل الجبل الاسود واهل سلوفينيا وغيرهم ، ربما عادوا الى التفكك بعد اختفاء الرجل القوى والرمز القومي لهم جميعا ٠ خصوصا وان اللامركزية التي كان لا بد منها ازاء هذا الوضع السكاني المعقد ادت الى تفاوت مستويات المعيشة بين هذه الجمهوريات مما خلق درجة من التوتر بين سكانها ٠ وسيكون الامتحان الحقيقي لنجاح تيتو ـ كاى زعيم آخر ـ استمرار بقاء ما وضعه من نظام ٠ وهو ما يرجحه الاكثرون ٠

وعلى المستوى الدولي ، كان تيتو اول من تمرد على وحدة المعسكر الشرقي ، وذهب بعيدا في مجال عدم الانحياز ، وكتاب الغرب وبعض صناع السياسة فيه يتوجسون من ان يخلق اختفاء تيتو فراغا ، اما ان يشجع الاتحاد السوفييتي على « غزو » يوغوسلافيا، واما ان يسيطر عليها باتباعه في الداخل فتعود يوغوسلافيا دولة منحازة الى المعسكر الشرقي ٠

وليس أدل من انشغال بال الغرب بهذا الاحتمال ، واثره على موازين القوى في اوروبا والبحر الابيض ، من ان جملة قالها كارتر اثناء انتخابات الرئاسة الامريكية خلاصتها : « انه اذا غزت روسيا يوغوسلافيا فهو لا يرى في هذا امرا يهدد أمن امريكا ويستدعى تدخلها » ٠٠٠ تحولت هذه الجملة الى قضية من « اسخن » قضايا الصراع العنيف بين فورد وكارتر خلال الانتخابات ٠

كذلك امتد العمر ببريجنيف في الاتحاد السوفييتي ، ودخل سنة ١٩٧٧ وهو قابض على ناصية الامور في بلاده تماما ٠٠٠

وبالتالي فانه يمكن القول بأن سياسة الاتحاد السوفييتي لم تنطو خلال ١٩٧٦ على اى مفاجاة ٠ خصوصا سياسة الوفاق ـ والتعبير الادق هو التهدئة DETENTE ـ مع الولايات المتحدة الامريكية ٠ وكل الظواهر تدل على ان بريجنيف في مركز يسمح له بأن يكون خليفته في نفس الاتجاه ، بعد ان تخلص تقريبا من كل خصومه ٠

ولكن قادة آخرين من الوزن الثقيل ، قد اختفوا ٠٠٠٠

ومات فرانكو ، وكان على رأس المتوقع اختفاؤهم بحكم السن والمرض٠ والسيناريو الذى جرى في اسبانيا بعد وفاته لم يختلف ـ حتى الآن ـ عن توقعات المراقبين منذ سنوات ، رغم انه ينطوى على تحول كبير ٠

كان متوقعا ان يخلف فرانكو الملك الشاب خوان كارلوس الذى اختاره فرانكو وانتقاه بنفسه ، وتعهده في صباه وشبابه لكي يؤهله لهذا الحكم ٠

وكان متوقعا ان يبدأ الملك الجديد رحلة من التغيير ، ينتقل فيها باسبانيا من نظام فرانكو الفاشستي الى نظام ليبرالى ديمقراطى اقرب شبها

واوثق نسبا بالنظم السائدة في غرب اوروبا ، التى تمثل اسـبانيا عمقها الاستراتيجى الهام ازاء المعسكر الشرقى من جهة ، وفى نقطة التقاء المحيط الاطلنطى بالبحر الابيض من جهة اخرى •

والمدقق في دراسة هذا الموضوع ، سوف يقتنع ان فرانكو كان يتوقع حتمية هذا التحول بعد مماته • بل كان يرغب فيه •

كان يتوقعه لانه مهد له بالتاكيد باختيار خليفته ،وبالسماح له بالايحاء بهذا الميل لديه والوعد المرتقب ، حين كان ما زال حيا وقابضا على ناصية الامور • وكان يرغبه في تقديرى ، ولكنه كان يعرف ان تحقيقه صعب فى حياته ، لان وجوده هو شخصيا كان حاجزا بين اسبانيا وغرب اوروبا • فهو يمثل لها ايام الحرب الاهلية الاليمة التى مهدت للحرب العالمية الثانية المدمرة• وهو يذكر غرب اوروبا ايضا بكل ما لقيته على يد النازية والفاشية ، بصفته الرمز الباقي لهذا النظام بعد النهاية التى لقيها هتلر وموسولينى • لقد فتح ابواب اسبانيا خلال حياته للغــرب الى اقصى حد ، ولكن اوروبا لم تفتح ابوابها له •

على ان المقاومة فى الداخــل ما زالت عنيفة • ومن يذكرون جراح الحرب الاهلية ما زالوا على قيد الحياة • وحين سافر الملك في اول رحلة الى فرنسا ،نشبت معارضة عنيفة ضد هذه الزيارة للدولة التى كانت مقرا لخصوم فرانكو ، حتى اضـطر الملك الى اختصار مـدة الزيارة الى ثلاثة ايام • فالمواجهات بين النظام القديم والنظام الذى يراد له ان يولد ، سوف تتكرر ••• واسبانيا بالتالى معرضة لان تكون منطقة زلازل خلال السنة الجديدة• وان كانت قوة جذب غرب اوروبا ، والسوق الاوروبية المشـتركة بالذات ، سوف يكون لها اثر كبير في ترجيح كفة على كفة فى هذا الصراع • وهو دور تلعبه اوروبا وامـريكا صراحة فى اسـبانيا ، كما لعبته صراحة في البرتغال قبل ذلك • وكما كسبت اوروبا معركتها ضد اليسار المتطرف في البرتغال ، فهى تامل فى ان تكسب معركتها مع اليمين المتطرف فى اسبانيا ••

على ان الزلزال الاكبر ، وقع فى الصين •••

وكان الاحداث هناك كانت على موعد غريب مع الطبيعة ••••• فى بلاد لعبت الطبيعة دورا كبيرا فى آلامها التاريخية العميقة •••

لقد وقع فيها زلزال ـ بالمعنى الجـيولوجي الحقيقى ، وليس مجازا ، ادى الى موت اكثر من مليون انسان ، وكان اعنف زلزال شهده العالم منـذ عشرين سنة •••

ثم توالت الزلازل وكانها على موعد ••••

لقد مات « تشو ـ ته » ، ابن الاقطـاعيين ، ومدمن الافيون ، الذى حولته الاحداث الى ان يكون اقدم رفاق ماوتسى تونج، واكبر قادتها العسكرين جميعا ، والذى خاض معارك في حجم الصين ، تتحارب فيها الجيوش بالملايين من الجنود ••• ورغم انه كان قد تجاوز التسعين ، واعتزل النشاط اليومى، الا انه كان له وزن كبير حين تتأزم الامور وتحتدم الصراعات بين الرفاق •





ثم مات شواين لاى ، انبغ رفاق ماوتسى تونج ، وذراعه السياسى،واقدم مفاوض كان على قيد الحياة فى العالم ، اذ ظل يمسك بزمام سياسة ماوتسى تونج مع القوى الاخرى ، داخلية وخارجية طيلة اربعين سنة كاملة ٠ ورئيس وزراء الصين منذ استوى ماو على السلطة سنة ١٩٤٩ دون انقطاع حتى مات ٠ اى رئيس الوزراء الذى يدير شئون ٨٥٠ مليون انسان لمدة سبع وعشرين سنة متواصلة فوقاته لقوته الذهنية والفكرية الحادة ومرونته الفائقة، كان « واجهة الصين » ازاء العالم الخارجي ، من نيويورك الى جنيف الى موسكو وباريس الى قلب افريقيا السوداء ٠

وقد كانت الادلة كثيرة على عنف الصراع على السلطة مع شيخوخة ماو، وتفاقم مرض «باركنسون» المدمر فى جسده ٠ ولكن هذه الصراعات انكشفت حدتها حين مات شواين لاى ، فحدثت اول مظاهرات معادية للسلطة ، غير موجهة من الحزب ، بل تلقائية ٠ بين من كانوا يؤيدون خط شواين لاى ، ومن كانوا يؤيدون الخط المتطرف الذى ترعاه علنا اقرب الناس الى ماو ، وهى زوجته ٠٠٠٠

ولا شك ان الـ ٨٥٠ مليون صينى مروا فى فترة حيرة عجيبة ٠٠ ازاء احد الطلاسم الصينية الضخمة فى ضخامة الصين ، المعقدة مثل تعقيدها ٠

وبلد لغته تتكون من خمسة الاف حرف ٠٠ لا يمكن قراءته بسهولة ٠

ثم هوى العمود الاكبر ، اذ مات ماوتسى تونج نفسه بعد وقت قصير، وانسحب عن الصين ظله المباشر الذى كان يطغى على كل شىء ٠

وتحرك آخر من اختاره ماو رئيسا للوزارة ـ هوا كو فينج ـ بسرعة٠ ففى ايام كانت ارملة ماوتسى تونج وزوجته لاربعين سنة ، وثلاثة غيرها من اهم قادة الصين ، كانوا كلهم مقبوضا عليهم ، ومبتورين عن اى سلطة فى البلاد ٠ وكما كانوا يسيرون ويحركون مظاهرات بالملايين ايام الثورة الثقافية ، يرعبون بها اعتى الزعماء القدامى ، سيرت ضدهم مظاهرات بالملايين تلعنهم وتطالب برؤوسهم وتصفهم باحط الصفات ٠

لغز الصين يزداد تعقيدا

وصار اللغز اكثر تعقيدا ٠٠٠

فالحاكم الجديد غير معروف للعالم ٠ ما عمره ؟ ما هى بلدته ؟ ما هو تاريخه ؟ ما هى حقيقة ميوله ؟ ٠٠٠ كلها تكهنات تقصر عن النفاذ الى دهاليز الحزب التى سار فيها حتى وقع عليه الاختيار فى الظرف المواتى بالنسبة له ٠٠٠

وبالتالى فالاسئلة كثيرة ٠٠٠٠

هل هو الحاكم الفعلى ؟ ام انه الواجهة التى تخفى قوى اخرى ، خصوصا الجيش ؟ ٠٠٠

وهل هو من مدرسة الذين يعترفون بحقائق الحياة التى مـن ضمنهـا ضرورة الانفتاح على المعرفة العلمية الاجنبية ٠والاعتراف بدرجة من الحوافز المادية فى حياة الناس وما الى ذلك ؟ ام هو من مدرسة الذين يرون ان الحماس والتطهر وتغيير الانسان هى عوامل التقدم فى بلد له ضخامة الصين وضخامة مشاكله ٠

والسؤال الاكبر ، هل يعقد الصلح آخر الامر مع الاتحاد السوفييتى ، بعد ان ذهب المبشر الاكبر « بالثورة المستمرة » وبات ممكنا ان تضع الثورة اوزارها ، ام انه سيواصل اعتبار روسيا العدو الاول ، حتى قبل امريكا ؟٠٠٠ ام سيحاول الاستفادة من تنافس الاثنين ليعطى الصين اكبر فرصة للتطـور الداخلى ؟

حتى الآن يبدو وكان « التنين » الصينى الضخم يتلفت حوله ، متفحصا بعينيه ما حوله من حيوانات ووحوش يراها اقل منه جدارة ٠ ولكنه لم يتحرك بعد اى حركة تنم عن خطواته المقبلة ٠

الأمر الثانى الذى كان المراقبون يرصدونه خلال سنة ١٩٧٦ ، وان كان قد جاء فى اواخرها ، هو ان سنة ١٩٧٦ كانت سنة انتخابات عامة فى اكثر من موقع هام من الدنيا ٠٠٠

واذا اخذنا هذه الانتخابات بالترتيب الزمنى ، فســوف نجد ان اول انتخابات عامة استرعت الانظار كانت فى اوروبا الغربية : البرتغـال ، ثم ايطاليا ، ثم السويد ، ثم المانيا ٠٠٠ مع بقاء انجلترا دائما على حـافة بين اجراء انتخابات عامة فى اى لحظة وبين عدم اجرائها ٠

وكانت التكهنات حول هذه الانتخابات ، اذا اردنا اجمالها ، مع تفاوت الظروف فى كل بلد ، تدور كلها حول احتمالات رجحان كفة اليسار او كفة اليمين ٠٠٠٠

ولكن يمكن القول انه ـ مع اختلاف النتائج بسبب الظروف المحلية فى كل قطر ، وبسبب اختلاف ترجمة كلمة اليسار واليمين من بلد الى بلد ـ يمكن القول ان النتائج العامة تشير الى ان الرأى العام فى غرب اوروبا آثر موقف الاعتدال : الاحتفاظ بالمكاسب الجديدة من تامينات وضمانات للناس واعانات للفقراء وقطاع عام بشكل او بآخر ، مع الاحتفاظ بأسس الاقتصاد الحر ، والنظام البرلمانى المتعدد الاحزاب ٠٠٠٠

هكذا ، بعد ان بدا للناس ان الحزب الشيوعى فى ايطاليا يكاد يكسب المعركة ، كسبها الحزب الديمقراطى المسيحى ، ولكن بنسبة اقل ، وبتفاهم غير معلن على ان يكون للمعارضة دور فى التشاور مع الحكومة ازاء القرارات الاساسية ٠ بعـد ان اوشكت ايطاليا على الافـلاس تحت ضغط التناقضات والاضطرابات الاجتماعية ٠٠٠

وفى البرتغال فاز مرشح الرئاسة المعتدل ، القريب من الوسط ٠٠٠٠

وفى المانيا الغربية ، فاز هلموت شميدت وحزبه ، ولكن باغلبية اقل من السابقة ٠٠ مرة اخرى فى اتجاه اكثر وسطا ٠٠



وفي السويد خرج الحزب الاشتراكي من الحكم بعد ٤٤ سنة متواصلة صاغ فيها حياة السويد كما هي معروفة الآن • ولكن الذين جاءوا الى الحكم تعهدوا بابقاء الاسس السابقة ، دون التزيد فيها ، ومع التركيز بدرجة اكبر على حرية الفرد •

وفي مصر ، جرت اول انتخابات برلمانية عامة وحرة ،وهي تجربة جديدة اذا وضعناها في اطار ظروف مصر ، او ظروف العالم العربي ، او ظروف العالم الثالث كله •

انتصار الجديد في أمريكا

على ان اهم انتخابات كان الناس يترقبونها معظم العام ، هي انتخابات رئاسة الولايات المتحدة الامريكية ••• وكان العالم ـ خارج امريكا نفسها ـ لديه اسباب كثيرة ، لهذا الاهتمام •••

فالمجتمع الامريكي معقد التركيب جدا ، • ودستوره قائم على وجود قوى توازن بعضها بعضا : الكونجرس • المحكمة الاتحادية العليا • رئاسة الدولة • فضلا عن القوى الاخرى الواقعية : اجهزة الاعلام وسيطرتها الساحقة على المواطن •قوة الشركات الكبرى التيتوازن ميزانية الشركة منها ميزانية دولة متقدمة متوسطة الحجم • وقوى الضغط العنصرية واشهرها الصهيونية • وأصوات كتل كبيرة من المهاجرين الذين لم يذوبوا تماما بعد كالايطاليين والبولنديين •• الى آخره •

ورغم ذلك ، فالرئيس الامريكي له في الواقع سلطات واسعة الي اقصى الحدود • وقد استغل رؤساء امريكا في التاريخ القريب هذه السلطة للالتفاف حول نص الدستور وروحه • واشهر مثل ان الدستور يحرم على الرئيس اعلان الحرب على بلد الا بموافقة الكونجرس • ولكن ايزنهاور ثم كنيدي صعدا مساهمة امريكا فيحرب ضد فيتنام تحتاسم ارسال خبراء ، ثم افتعلجونسون بعدهما حادث خليج التونكين ، زاعما ان قاربا فيتناميا هاجم حاملة طائرات امريكية ، وتحت ستار الدفاع عن النفس ارسل الى فيتنام نصف مليون جندي، أي دخل حربا شاملة كاملة دون اذن الكونجرس الصريح •

وكشف الستار بعد فضيحة ووترجيت عن مصادر قوة للرئيس الامريكي لم تكن معروفة للعامة • بأجهزة التصنت والتجسس واقتحام البيوت وكل ما سهلته المخترعات الحديثة من تسهيلات للدولة في وضع الفرد تحت قبضتها العاتية •

واعقبت فضيحة ووترجيت ، فضيحة شركة لوكهيد للطيران ،التي امتدت الرشاوي التي تدفعها من النواب الامريكين اليرئيس الوزراء في اليابان ، الى زوج ملكة هولندا ، غير ما تم التستر عليه •

كل هذا احدث رد فعل عنيف لدى الشعب الامريكي ضد طريقة ممارسة السلطة • وضد كل ما يصدر عن العاصمة واشنطن • وعادت الروح الأمريكية الفردية القديمة التي اسست الدولة الى الظهور بشدة •وعلى هذه الموجة خرج من المجهول رجل غير معروف خارج ولايته ، يحترف زراعة الفول السوداني ، اسمه جيمس كارتر ، يعلن ترشيح نفسه للرئاسة • وبسرعة مذهلة يكتسح الانتخابات التمهيدية ، ويصبح مرشح حزب الاغلبية التقليدية في امريكا •

وكما ان «هوا كو فينج» تربع على كرسي رئاسة الصين ، وهو مجهول الهوية لاسباب تتصل بسرعة الحياة السياسية في الصين • اقترب كارتر بسرعة من مقعد رئاسة امريكا ، في مجتمع مفتوح ، ولكنه ايضا مجهول الهوية ، اي ان حقيقة ارائه ومواقفه ظلت محل غموض وحيرة حتى يوم الانتخاب •

وفي نفس الوقت اشتدت الحملة على هنري كيسنجر كمهندس لسياسة امريكا الجديدة منذ ثماني سنوات • هوجمت سياسة « التهدئة » بشدة حتى قرر فورد اسقاط الكلمة من كل خطاباته ، ولو خلال المعركة الانتخابية • وهوجمت سياسته في « التعادل مع روسيا » في القوة العسكرية ، من داخل الحزب الجمهوري الذي يمثله فورد • وهو الموقف التقليدي لهذا الحزب • وهوجمت سياسته في الشرق الاوسط من اتجاهين مختلفين : اتجاه يهاجمه لانه لا يقف مع اسرائيل بما فيه الكفاية (!) واتجاه يهاجمه لانه تصدى لتفكيك قضية الشرق الاوسط الى اجزاء بدلا من التوجه رأسا الى الحل الشامل • وحاول فورد ان يهدىء حزبه باشارات غير صريحة ، الى انه اذا فاز فلن يحتفظ بهنري كيسنجر • وان كان لم يسقطه تماما من حسابه ، مما اوحى بانه قد يحتفظ به ، بعد ان يضمن الفوز •

كان كارتر يمثل الروح الامريكية المغامرة ، التي تحكم على المرشح من خلال «انطباعها عن شخصيته» بفعل التليفزيون واللقاء المباشر واجهزة الاعلام •• والرغبة في التجديد •

وكان فورد يمثل اهم ،لا الذكاء ،ولا الالمعية ،ولكن الاجتهاد، والاعتدال والتاني والسمعة الحسنة ، وعدم الطموح الى استخدام سلطات اوسع مما يعطيها له الدستور ••

وجاءت نتيجة الانتخابات لصالح كارتر ، ربما تعبيرا عن رغبة الناخب الامريكي في التجديد ، وضيقه بالاطارات والوجوه المتداولة منذ زمن من بين صانعي السياسة الامريكية •

••

على اننا ، اذا اخذنا بما قلناه في صدر هذا الحديث ، من ان سنة ١٩٧٦ تميزت بان العالم الصناعي المتقدم هو الذي كان مركز الاضطراب ، والمصدر للمشاكل الى بقية انحاء العالم ، فان اخطر ما صدره هذا العالم المتقدم وما لا يزال يصدره حتى الان ، هو : الازمة الاقتصادية ••••

الكساد ، والانكماش ، والتضخم المالي معا •••

البطالة . وارتفاع الاسعار وفوضى سوق النقد الدولية وعدم استقرار اسعار العملات التى هى العملات الاساسية فى العلاقات المالية الدولية ·

وهذا الموضوع يستحق بحثا قائما بذاته · ولكن لا شك ان كل قارئ يتابع تفاصيله ويرى اثاره كل يوم · فهو السمة الطاغية على المستوى العالمي طوال سنة ١٩٧٦ · وقد بدأت سنة ١٩٧٧ وهو ما يزال علامة الاستفهام الكبرى حول قدرة هذا العالم على الاستقرار ، او احتمال تدهوره الى اضطرابات دولية اوسع مدى واشد عنفا ·

على انه يمكن القول ـ فى مقام الاجمال مرة اخرى ـ ان العالم الغربى الصناعى المتقدم بوجه عام ، يعانى من عدة امور اساسية :

الأمر الأول : أنه بعد انقضاء العلاقات الاستعمارية الصريحة ، وبعد توزع مراكز القوة بين انحاء مختلفة من العالم ، ما زال عاجزا عن ان يؤقلم نفسه على الواقع الجديد للعالم · ولذلك نجد ان اخطر ازمة اقتصادية تعصف باكبر الامبراطوريات المنقرضة وهى انجلترا ···

الامر الثانى : ان ثمة اتجاها بين شعوب هذه الدول الى ان تعيش فى مستوى اعلى من مستوى مواردها · وان النظم السياسية تبدو عاجزة او متخلفة عن الانماط الجديدة التى يمكن ان تضبط هذا الاتجاه ·

الامر الثالث : ان هذه الدول التى اطلقت العنان للتقدم بمعناه العلمى والتكنولوجى ،بدأت تفقد السيطرة على توجيه هذا التقدم ،بل وكبح جماحه اذا اقتضى الامر ··· فبرزت تساؤلات هامة اخذت تشغل اذهان المفكرين المستقبليين عن معنى التقدم نفسه · وهل التقدم فى خدمة الانسان ام صار الانسان فى خدمة التقدم · فهل امتلاك الاسرة لسيارتين بدلا من سيارة واحدة هو سبيل السعادة · ام ان سعادة الفرد لم تعد معيار التقدم · وهل مئات الآلاف من ملايين الدولارات التى انفقت فى السباق للوصول الى القمر والمريخ كانت جديرة بهذا الهدف ، ام انه تنفيس للصراع بين العمالقة ، كان ممكنا توجيهه الى ابحاث علمية اخرى تحارب الجوع ، وتضاعف الانتاج الزراعى ، وتحقق الوفرة لكوكب يتزايد عدد سكانه بشكل مذهل وفى مناطقه الفقيرة بالذات ·

واذا كانت الفكرة العامة ان سنة ٧٦ تميزت بان صداع العالم جاء من الدول المتقدمة ، فليس معنى ذلك ان كل شئ كان هادئا فى سائر بلاد الدنيا ··

فنحن العرب على الأقل عشنا سنة ١٩٧٦ تظلل حياتنا سحابة كثيفة سوداء ، وتورق فى نفوسنا ـ كما يقول الشاعر ـ ادغال حزينة ·· من حرب لبنان الأهلية ، التى لم تترك خيرا عربيا الا وقد امتلأ مرارة وألما وشعورا ولو مبهما بالذنب · وان كانت تلك المأساة قد بدت وكان فصولها توشك على النهاية ، مع نهاية سنة ١٩٧٦ ·

··· ولنأمل ان تجئ سنة ١٩٧٧ علينا وعلى العالم ، ولو بخير قليل!

●●

احمد بهاء الدين

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 218 JANUARY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

« نزهــة العقــل الذكــى »

الذكاء والمعلومات وسرعة البديهة على الصفحات
رحلة جديدة للعربي في كل شهر مع اختبارات
١٧٩ ـ ١٨٣ ·

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائـر ٢٫٥ دينار · المغـرب ٢٫٥ درهم · اليمـن ٢٫٥ ريال · ليبـيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : للاشـتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع على العنوان التالي : دولة الكويت ـ ص · ب ٤٧٠٦ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي



الهجرة

حركة نحو المستقبل

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

هذا الحديث مع مطلع العام الهجري الجديد ١٣٩٧ . وهو تاريخ يستوقف النظر ، فبعد ثلاث سنوات ، ينتهي القرن الرابع عشر الهجري . ويبدأ الخامس عشر . وقد تداعى العالم الاسلامي خلال عامنا هذا ، ممثلا في مؤسساته الكبرى ، الى احتفالات ترقى الى جلال هذه الذكرى ، ولا تقتصر على لقاءات وكلمات تقليدية .

وسبق هذا احتفالات في عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٨م) كانت بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، ارتبطت في ذهني بمفهوم الهجرة .

وكان من قدر الله ، ان احضر هذه الاحتفالات في سري لانكا (سيلان) ممثلا للحكومة المصرية ، وامضيت في هذه الزيارة نحو اسبوعين زرت خلالها مراكز التجمع الاسلامي في الجزيرة ،وهي منتشرة على سواحلها الاربع ، وعلى سهولها وجبالها .

ولا زلت اذكر يوم الزيارة الاول ، وكان برنامجا حافلا ، بدأنا فيه من كولمبو ـ العاصمة ـ وتابعنا زيارتنا الى كيلانيا وكاندى ، ثم اخذت السيارة تصعد بنا الطريق مع الليل الى ، نوارا ـ ايليا ، (اي زهرة الجبل) ، لا نسمع على طول الطريق الا صوت خرير المياه تتفجر به العيون ، او تتدفق به الروافد . وتزداد البرودة مع الارتفاع



وتضيع الثار الجو الحار الرطب الذي تركناه وراءنا في كولمبو ٠٠٠حتى وصلنا الى غايتنا مع انتصاف الليل ، نستدفيء في حجراتنا ونستعين بالشاي الساخن على عناء الرحلة الطويلة ٠٠٠

كنا ظهرا في كيلانيا ومن برنامج الاحتفال ان تلقي بنات صغيرات نشيدا اسلاميا ـ باللغة العربية ـ فيه مدح للمصطفى عليه الصلاة والسلام :

الخضرة حولنا في كل مكان ، الجبل يرتفع في عمق المنظر حتى تغيب ذوائبه في السحب العالية ، البنات في ثيابهن البيضاء الكاسية ، تبدو منها الوجوه والايدي ،كانهن زهور بيضاء وسط الخضرة صوت النشيد طفولي بريء تحس تموجاته كانها اجنحة طيور نورانية ٠

تذكرت ابنتي الصغيرتين ،رايتهما ـ بعين قلبي ـ بين المنشدات في الصف امامي ، بين الجميع ملامح متشابهة : الايمان بالله وحب رسوله (ص)٠ من فوق الجبال وعلى ضفاف الانهار ومن قلب الصحراء وجوف الغابة يتجهون جميعا الى البيت العتيق ويحنون الى المدينة المنورة حيث هاجر الرسول (ص) واقام قاعدة الاسلام الاولى ٠

ورايت امانة التوحيد والاخاء الانساني ، وديعة غالية ، يسلمها جيل الى جيل ، ويحملها ساكن السهل الى ساكن الجبل وراعي الابل الى ملاح السفن ٠ ومع نهاية كل رحلة ، تبدأ رحلة جديدة، في هجرة مستمرة بالحق لا تنقطع ٠

الذين هاجروا بالحق الى مشارق الارض ومغاربها ٠٠٠

الذين حملوه الى الجزائر القصية والعالم الجديد ٠٠٠

الذين نقلوا مبادئه الى لغات هذه الشعوب جميعا ٠٠٠

الذين عاشوا به وجعلوا من حياتهم نموذجا حياله ٠٠٠

الذين طوروا وسائل الدعوة اليه،لتعيش عصرها، وتكشف مستقبلها ٠

كل اولئك مهاجرون ، تتحقق بهم روح الهجرة، في حركتنا الدائمة نحو المستقبل ٠

كانت هذه المعاني تدور في نفسي وانا اسمع صوت الصغيرات في كيلانيا ٠٠ هناك مع السفوح الخضراء من جبال سري لانكا ٠٠ وانا احاول ان احبس دموعا توشك ان تفيض من عيني مع الرذاذ الخفيف المتساقط ٠

وكنت احس لحظات انني لست في هذه الارض ٠٠ وكان اصوات مديح المصطفى (ص) تاتي من افق اعلى ، او ترفعنا الى افق اعلى ٠٠

وتوقفت الزهور البيضاء عن النشيد في ختام حنون ، ودعيت الى الحديث ، فكان عن قصة الايمان وهجرته من قلب الجزيرة العربية حتى وصل الى هذه القلوب الطاهرة ، وكم من الاباء والابطال المجهولين حملوا امانته حتى اعاننا على هذا اللقاء ٠٠ وواجبنا نحو ابنائنا في رعايتهم بالعلم والايمان والاخلاق والاخذ بيدهم على طريق المستقبل ٠٠

الايواء والانطلاق

ونعود الى الهجرة فى نظرة تحليلية تبدو بها جوانب من حكمة الرسول (ص) فى اختيار دار الهجرة ٠٠ لقد سبق له أن دعا أصحابه الى الهجرة الى الحبشة قائلا :

- لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ٠ وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه ٠

فهجرة الحبشة - بنص الحديث الشريف - مؤقتة ٠ هى محدودة الهدف والمدة : هجرة ايواء لمجموعة من المسلمين ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه ٠

وفى هذا تختلف اختلافا جوهريا عن الهجرة الى المدينة، عندما قال للانصار فى بيعة العقبة :
- أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ٠

ولهذا الموقف مسئولياته التى أدركها الانصار من أول الامر ٠ وقد يؤدى الى حروب من أجل ذلك ٠ تعاهدوا مع الرسول على الوفاء بحق الاسلام وحمايته والبقاء فى المدينة معا بعد النصر ٠

ويعود القوم فى بيعة العقبة الاخيرة ، الى تاكيد ذلك وزيادة ، يقول عنها عبادة بن الصامت، احد نقباء الانصار :

- بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب على السمع والطاعة ٠ فى عسرنا ويسرنا ، منشطنا ومكرهنا ، واثرة علينا ، وان لا ننازع الامر أهله ٠ وان نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم ٠

سيدعون الى الله وسيلقون عداوات على طريق الحق ، وقد يضطرون الى رفع سيوفهم دفاعا عن ذلك الحق ، وصيانة لقاعدة الاسلام فى المدينة ، وحماية لانفسهم ونسائهم وذراريهم ٠ وكل ذلك كان ٠

فرق كبير بين الهجرة الى الحبشة والهجرة الى المدينة ٠ فهنا فى قلب الجزيرة العربية ، يمكن ان تقوم للاسلام قاعدة ، ينزل فيها القرآن العربى المبين ، ويتابع مسيرته من نفس الارض التى سعدت بالوحى أول مرة ٠

كان من الممكن ان تكون الهجرة الى الطائف حيث ثقيف وقوتها ٠ وقد قصدها الرسول (ص)، فرده أهلها ردا غير جميل ٠

وقد عرض نفسه على القبائل٠٠ ولكن العرض كان غريبا فى أرض الوحى ٠

من اجل ذلك ما ينبغى أن ننظر الى الهجرة « كخروج » من مكة : كمجرد ترك موطن الى مكان آخر ٠ ولكنها « حركة محسوبة » : فينبغى ان تتوفر فى دار الهجرة الجديدة ، مميزات مكانية وبشرية تجعلها قاعدة صالحة لانطلاق الاسلام ٠

وبعبارة اخرى نستطيع القول : ان الهجرة كانت من الجزيرة العربية الى الجزيرة العربية ٠ كانت هجرة داخلية ، فى موطن كبير اختاره الله لنزول وحيه وختام رسالاته بمجيء الاسلام ٠

وكانت لدار الهجرة الجديدة قوة جذب ، حلت بها محل الحبشة فى الايواء فعاد من هاجر اليها ليسكن المدينة ، وليعمل فيها مع العاملين ، وليتخذ منها سكنا وحصنا وقاعدة ينطلق منها الاسلام على صعيد عالمى يحمل به رحمة الله المهداة ٠ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ٠

العلم والايمان

والهجرة اذا كانت حركة محسوبة نحو المستقبل وانطلاقا الى آفاق جديدة ، فقد كانت لقاء متوازنا بين التخطيط العلمى كادق ما يكون التخطيط، والايمان بالله أعمق ما يكون الايمان٠

والذين شاركوا فى نجاحها لهم مسئولياتهم من الناحية الموضوعية ، وتوقيت أدائها ، وطريقة هذا الاداء ، وتنسيق أداء هذه الجهود ٠٠ كل اولئك فى اطار علمى واضح المعالم تظلله رعاية الله وحفظه .

المصطفى (ص) المهاجر يحتاج فى رحلته الى :

- صحبة تعرفه مواقع القبائل وتؤنسه ٠

- دليل يعرف الطرق ٠

- راع يعنى بالرواحل وليكون فى عون الرسول

(ص) وصاحبه . ومن هؤلاء تكون الركب المبارك.

ابو بكر له معرفته بالقبائل والانساب . عبد الله بن أريقط دليل ماهر . عامر بن فهيرة اردفه ابو بكر وراءه ليكون في خدمتهم .

ولكن قبل هذه الرحلة كانت استعدادات ومسئوليات محددة .

ولنلجأ فيها الى طريقة « تقدير الموقف » نطرح السؤال أو المشكلة ونرى الاجابة ..

❋ ان الرسول (ص) يعيش في مكة وهو محل ثقة القوم رغم العداوات من أجل الاسلام . يحاربونه ويثقون فيه . يكذبونه ويضعون عنده ودائعهم . فاذا ما هاجر فمن يرد الودائع ؟

ج ـ ان رد الودائع اساسي . فهو الصادق الامين وحاشاه ان يخون امانته . واقرب الناس اليه ابن عمه علي بن ابي طالب فلينم في فراشه ليلة الهجرة وليرد الودائع بعد هجرة المصطفى (ص) وليلحق به بعد ذلك .

❋ ولكن أيخرج الى المدينة مباشرة ، أم يختار مكانا قريبا يأوي اليه بعض الوقت ؟ واذا اختار فما أهم مواصفات المكان ؟

ج ـ كان أمامه أن يتجه الى الغرب نحو الساحل ثم يتابع سيره شمالا حيث الطريق أمامه ممهد ولكنه مكشوف . وكان أمامه ان يتجه شمالا حيث الهدف المقصود ولكنه سلك طريقا ثالثة :

لقد اتجه الى الجنوب الشرقي ، وهو آخر وجه يظن أعداؤه انه اتجه اليه ، واختار مكانا وعرا صعب المرتقى ، وهو ـ في الثالثة والخمسين من عمره . وتقول بعض الروايات ان اقدامه دميت على الطريق ..

❋ هو في الغار يحتاج الى تتبع الموقف في مكة فمن يقوم بذلك ؟

ج ـ ان عبد الله بن ابي بكر : يقضي سحابة يومه بين القوم يسمع ما يقولون ، ويعود الى الغار مساء ليقدم الى الرسول (ص) « تقريرا يوميا » عن مكة . وينطلق في الصباح الباكر الى مكة .

وما شان الطعام ؟

ج ـ تكفلت به اسماء بنت ابي بكر . تعد الطعام وهي حبلى متم وتذهب به الى الغار

❋ ان العرب مهرة في قص الاثر .. وهذا عبدالله بن ابي بكر واخته يقطعان الطريق بين مكة والغار !!

ج ـ كان على عامر بن فهيرة ، راعي ابي بكر ، أن يروح الى الغار ويعفي بماشيته على آثار عبدالله واسماء وليحلب للرسول من البانها مايشاء . فالتغطية على الآثار مكفولة ، كما ان الطعام والاخبار مكفولان .

❋ اذا كانت هذه خطوط الاتصال بمكة ، فما خط الاتصال بالمدينة ؟

ج ـ كان عبدالله بن اريقط يرعى الرواحل ويستطيع عامر بن فهيرة وهو راع مثله ان يلقاه ليخبره متى يحضر برواحله الى فم الغار ..

ارأيت كيف ان كل صغيرة وكبيرة من أمر الهجرة كانت محسوبة وبدقة . فاذا بذل الانسان هذا الجهد كله ، وقصر الجهد عن بلوغ الغاية ادركته رحمة الله ترعاه في امره .

❋ ولكن ما دور الايمان هنا ؟

ج ـ ادرك القوم فم الغار حتى احس بهما الرسول (ص) وصاحبه وابو بكر يقول : لو نظر احدهم الى موضع قدميه لرآنا . والرسول الكريم يطمئنه كما جاء في سورة التوبة « لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

❋ والطريق الى المدينة ؟

ج ـ لك ان تقسمه الى ثلاث مراحل : الاولى مرحلة الغار والثانية سلوك الطريق الساحلي مع تجنب الجادات المطروقة . والثالثة الطريق الجبلي مع اختيار اماكن غير مطروقة وان كان فيها بعض أخطار ، أعانهم الله عليها بهداية من حاولوا اعتراض طريقهم فيها من غير قريش.

صورة الهجرة تخطيطا وتنفيذا هي توازن بين الايمان والعلم .. والايمان في جوهره علم . والعلم : انت تسلك سبيله مؤمنا بان الله امرك

بهذا . وما اعمق قول الله « انما يخشى الله من عباده العلماء » العلماء اهل خشيته ، وكلما ازدادوا علما ازدادوا اقترابا من ربهم . العلم الذي يسجد به العالم في محاريب الكون ايمانا بخالقه ، وشكرا لنعمه ، واحساسا ببديع صنعه.

صناعة المستقبل

ان الذين قاموا بالهجرة قبل الرسول (ص) ومعه ومن بعده الى المدينة ، بذلوا جهودهم من اجل صناعة مستقبل الاسلام . وعندما جاءوا المدينة وجدوا امامهم مشكلات متنوعة :

ـ هناك توحيد الصف الاسلامي وتاكيد معاني الاخاء فيما بين المهاجرين والانصار ، وفيما بين قبائل الانصار وبخاصة الاوس والخزرج .

ـ هناك جيوب المنافقين ولها روابطها مع قبائل المدينة الكبرى وقبائل اليهود .

ـ هناك اعادة التنظيم الاقتصادى في المدينة : مشكلات الربا . توزيع الثروات . الزكاة . التكافل .

ـ هناك حماية المدينة داخليا وخارجيا واعداد القوة الضاربة اللازمة لذلك .

ـ هناك العلاقات السياسية على مستوى الجزيرة مع قريش وشيوخ القبائل وعلى المستوى الدولى مع دول الفرس والروم ..

كثيرة كانت مشكلات المستقبل ، فوراء الهجرة من مكة الى المدينة ، هجرة دائمة من الحاضر الى المستقبل بحيث لايصبح المستقبل مجرد تكرار للحاضر وانما صعودا به ليقابل مشكلات الحياة المتجددة .

فروح الهجرة تجديد وانجاز في اطار العقيدة التي امرنا ربنا ان نقيم وجوهنا لها .

وتقتضى منا مع عالمنا الاسلامي المعاصر ان نتعاون في بناء مستقبله على وضوح ، ارجو ان اتناول بعض معالمه في احاديث مقبلة .

ولكن اود ان اقول :

ان نمط العالم الاسلامي يمتاز بتنوع يدعو الى التكامل والتعاون . وان نواته ـ ممثلة في العالم العربي ـ تعكس هذه الصورة :

اليد العاملة . رؤوس الاموال . الخبرة الفنية. الارض الزراعية . المراعي. الثروة المعدنية. الطاقة ..كل اولئك متوفر اذا نظرت الى العالم الاسلامي في وحدته الكبرى . وفي كل قطر من اقطاره مصدر من مصادر التطوير .

ونمط الاقطار الاسلامية اذا نظرنا الى كل منها على حدة ، يختلف عن نمط الوحدات السياسية الكبرى ، كالولايات المتحدة الامريكية او الاتحاد السوفيتي او الصين .

واذا كان غرب اوروبا بكل امكاناته يسعى الى التعاون الوثيق بسوق اوروبية مشتركة ، ورغبة في انشاء برلمان اوروبي وخطوات متتابعة في هذه السبيل ، فليكن من اهدافنا ان نخطط لهذا التعاون الاسلامي الكبير لنستقبل به القرن الخامس عشر الهجرى ، ولنحاول مع توفر مصادر القوة فيه ، في هذه الحقبة من الزمن ان نجعل منه نهضة كالتي شاهدها الاسلام في القرن الرابع الهجرى مثلا ..

واعلم ان مشروعات تستهدف هذا الغرض النبيل قدمت في لقاءات وزارية للمؤتمر الاسلامي، وغيره من المؤتمرات التي عقدتها جامعات اسلامية .. ولكن الذي نحتاج اليه ، ان تتبلور هذه المشروعات في خطط واضحة المعالم ، متتابعة المراحل ممكنة التنفيذ .

وسيكون لهذا العمل اثر كبير على الاوضاع العالمية . فالسلام في الاسلام له قداسته . هو من اسماء الله الحسنى . والحضارة الاسلامية بطبيعتها ـ تحارب القهر والاستغلال وامتصاص ثروات منتجي المواد الخام ، او الخضوع لمن يحاولون ان يجعلوا من العلم سلعة او سلاحا..

ودخول هذه الاخلاقيات بقوة في التكوين الحضارى العالمي سيكون في ميزان الخير والسلام ..

فهل نستطيع ان نهاجر بحاضرنا الى هذا الغد ؟ هذا هو المأمول .. وبه نستطيع ان نحقق روح الهجرة في حركتها الواعية الصاعدة الى المستقبل . ■■

الكويت ـ عبد العزيز كامل



رسالة الشهر

العرب في لندن

● تحدثت صحافة الغرب والشرق عن العرب في لندن بمناسبة نزوح الكثيرين الى العاصمة البريطانية في فصل الصيف ، ويعلم الجميع ماذا قالت الصحافة الغربية ، وكيف قدمت العربي في صورة الاحمق والساذج والجاهل ... الى اخر الاوصاف التي الصقت بالعرب ، ولم يمر اسبوع دون ان تذكر في مقال او تحت صورة او في تعليق على رسم كاريكاتوري . والمؤسف ان الصحافة العربية تناقلت ما كتبته صحف الغرب ، وشاركت بدرجات متفاوتة في حملات التشهير التي شنتها تلك الصحف لاهداف واغراض يعلمها الكثيرون .

وهذه الظاهرة تحتاج الى وقفة ، ذلك ان العربي في التراث الغربي وفي كتب المدارس التي تدرس للنشء هو هذا الجاهل الاحمق والساذج ، راكب الجمل ، ذو الزوجات الاربع، والمتوحش دائما ... ومنذ الحروب الصليبية وحملة الحقد والكراهية تشن ضد العرب بصيغ مختلفة وفي قوالب متغيرة . ولا يمكن ان ينفصل هذا الموقف الاخير للصحافة الغربية عن تلك الجذور القديمة في الضمير الغربي .

ولا بد ان نعترف صراحة بان بعض اثرياء العرب ينتهجون في العواصم الاوروبية سلوكا يسيء الى الامة العربية ، وقد يشينها احيانا . ولكن هؤلاء ليسوا هم كل العرب بكل تاكيد . واذا اخترنا انجلترا مثلا فلا بد ان نتذكر ان هناك علماء وخبراء عرب لا يمكن انكار قيمتهم ودورهم ، وهناك طلاب وباحثون يشرفون وطنهم الكبير . وهناك عمال يكافحون من أجل لقمة العيش ويسهمون في الاقتصاد الانجليزي اسهاما حقيقيا .

هؤلاء هم القاعدة العربية العريضة في انجلترا اما الاخرون الذين يفدون كل صيف ويفعلون ما يفعلون فهم استثناء دائما .

ونحن نفهم ان تغالط الصحافة الغربية وتتعمد اخفاء معالم الصورة الحقيقية للعرب في لندن - ولكن ما لا نفهمه على الاطلاق هو ان تنساق الصحافة العربية وراء تلك الحملة، وتشارك في التشهير بالعرب .

(يا رجال الاعلام العرب ، كفانا ظلم الغرب لنا ، فلا تضاعفوا احساسنا بالمرارة ،وتظلمونا انتم أيضا) .

الدكتور عبد الكريم الألوسي
برمنجهام ـ انجلترا

الاشتراك في مجلة العربي

● تصلنا كل يوم رسائل من القراء يطلب اصحابها الاشتراك في مجلة العربي ، وقد ازدادت هذه الرسائل بعد احداث لبنان وعدم تمكنهم من الاشتراك عن طريق الشركة العربية للتوزيع هناك ..

ولحل هذه المشكلة ، وحتى تعود الاوضاع الى طبيعتها في لبنان ، فقد قررت الشركة العربية للتوزيع ان تسند مهمة تلقي طلبات الاشتراك الى وكيلها في الكويت ـ صندوق بريد ٤٧٠٦ ،على ان يكتب المرسل على غلاف المظروف « اشتراكات العربي » .

ثمن اختلاف العرب

● عندما عادت روح التضامن الى العرب استطاعوا أن يصلوا الى اتفاق بشأن لبنان ··· واستطاعوا الى حد كبير أن يوقفوا نزيف الدم فوق أرضه· هل يعلم الزعماء العرب كم دفع لبنان بسبب استمرار خلافاتهم · أى أعداد من البشر قتلوا فى أسوأ مجزرة فى تاريخ العرب الحديث ··· وأى خراب حل بهذا البلد الذى كان مفخرة كل عربى ·

هل يعى العرب الدرس مستقبلا ويدفنون خلافاتهم بسرعة ، ويضمدون جراحهم على الفور ، حتى لا يقتل شعب عربى اخر ·· وحتى لا يفتح مزيد من العدود مع عدونا الاول اسرائيل ·

هل نتعلم ونعتبر ؟

باسم ابراهيم علم الدين ــ اربد الاردن

أين محمود دوريش ؟

● اين الشاعر الفلسطينى محمود درويش ؟ ··· وما مصيره بعد الذى جرى فى لبنان ؟ لماذا لم نسمع له صوتا بينما شعبنا يذبح فى المخيمات هناك ؟

أبو طارق الفاروقى ــ الموصل ــ العراق

ــ محمود درويش حى يرزق · لكننا لا نعلم له مقرا الآن · وصوته سمعناه فى قصيدته الغاضبة الاخيرة « أحمد الزعتر » التى كتبها اثناء حصار المخيم الكبير . وقال فيها :

أحمد الآن الرهينة
تركت شوارعها المدينة
واتت اليه
لتقتله
ومن الخليج الى المحيط ،ومن المحيط الى الخليج
كانو يعدون الجنازة
وانتخاب المقصلة

ونشر محمود درويش قصيدته فى مجلة فلسطين الثورة عدد منتصف أغسطس (آب) · وما دام الشاعر يكتب . فمعنى ذلك أنه لا يزال يتنفس·

عن أمل مرضى الفصام

● تعليقا على مقال الدكتور درى عزت « امل جديد لمرضى الفصام ·· » المنشور بالعدد ٢١٤ أود أن أوضح النقاط الآتية : ــ

الذى لا شك فيه أن الامراض النفسية بوجه عام لا زالت تنالمرتبة ثانوية مناهتمام المسئولين فى كل العالم العربى ، ومعرفة الاطباء غير النفسيين بالامراض النفسية قليل فما بالك بمعلومات الجماهير عن هذه الامراض · وأستطيع أن أقول فى أمان للجماهير أن أكثر من نصف المترددين على عيادات الاطباء فى عالمنا العربى أسباب أمراضهم نفسية ليس الا ··· ولجماهير الاطباء غير النفسيين اقول لهم يقينا لو افتتحنا مستشفيات جديدة للامراض النفسية فستمتلىء بالرواد فى لحظة عين · أى أن هناك عشرات المرضى النفسيين فىالمجتمع لعدم توفر المستشفيات والامكانيات · وأخيرا أقول للمسئولين فى عالمنا العربى أن النهضة الصحية فى اى بلد عربى هى أيضا بمقدار ما لدى هذه الدولة من رعايةللصحة النفسية ، فلا يمكن أن نفصل النفس عن الجسم وكلاهما يؤثر فى الآخر ·

بخصوص الانذارات الحسنة للمرضى نسى الكاتب أن عمر المريض عامل مهم فى هذه النقطة غير المحددة فظهور المرض فى الاطفال وكبار السن انذار سىء للمرضى اما ظهور المرض بعد سن البلوغ فقد يكون انذارا حسنا بالاضافة الى العوامل التى ذكرت بالمقال ·

بخصوص العلاج بالصدمات الكهربائية للفصام ·· من غير المعقول أن نستعمل علاجا لا نعرف حتى الآن طريقة تاثيره فى مرض لا نعرف عن أسبابه الكثير وعلى ذلك فلا اتفق مع الكاتب على أن لهذا العلاج دورا كبيرا فى علاج الفصام ·



أبيات للزهاوى لا للرصافى

● في مسابقة العدد (٢١١) من العربي سالتم عن شاعر عراقي اتهم بالتقلب السياسى ودعا الى تحرير المراة فقال فى ذلك : ـ

مزقي يا ابنة العراق الحجابا — واسفرى . فالحياة تبغى انقلابا
مزقيه . وأحرقيه بلا ريـ — ـث فقد كان حارسا كذابا

وذكرتم انه توفى بالشلل سنة ١٩٣٦ ، ثم وضعتم اسماء شخصيات ثلاثة ، هى الرصافى ، والزهاوى والشبيبى ، ليعدد المتسابقون واحدا منها ، هو المقصود فى الجواب • ولكنكم فى العدد (٢١٤) الذى اخرجتم فيه اجوبة هذه المسابقة ـ ذكرتم ان الشاعر المقصود هو الرصافى ، مع ان الوقائع التى ذكرتموها لا تنطبق الا على الزهاوى•

عمر عبد الرحمن البار ـ جدة ـ
المملكة العربية السعودية

ـ الصواب ما قالهنا السيد عمر ، ونحن نشكر له ولمن وافونا بمثل رسالته عنايتهم بما تنشره مجلتهم (العربى) وعنايتهم بان لا تنشر الا الصواب ، ونزيد هنا أن الزهاوى كان أجهر شعراء العراق صوتا بالدعوة الى تحرير المراة متابعا فيها المصلح الاجتماعى المصرى قاسم أمين الذى كان رائد هذه الدعوة فى البلاد العربية ، واكبر دعاتها بكتابيه « تحرير المراة » والمراة الجديدة » وقد أيده كثير من الادباء شعراءوكتابا، وللزهاوى فى هذا الموضوع شعر كثير (انظر ديوان الزهاوى الكامل ـ طبعة دار العودة ـ بيروت) وقد احتمل أصحاب هذه الدعوة بسببها كثيرا من البلاء فصبروا على الاذى • كما نشير الى أن معنى الحجاب الذى أنكروه هو ابقاء المراة رهينة البيت لا تشارك فى اى عمل خارجه ولو للتعلم أو كسب الرزق مع حاجتها وحاجة بيتها الى ذلك، والسفور الذىطلبوه هو تحصيل حقوقها الاجتماعية كما وضعها الاسلام لتكملة انسانيتها ، مع التزام شريعته وآدابه •

ويستعمل علاج الصدمات الكهربائية فقط فى حالات الفصام التصلبى •

العلاج النفسى كما وصفه الكاتب غير مستحب فى بداية المرض وقد يضر اكثر مما يفيد فى مريض فقد اتصاله بالواقع وافكاره مليئة بالضلالات والهلوسة أما فى حالة تحسن حالة المريض فيكون العلاج النفسى سطحيا •

بخصوص الوقايةمن المرض ،نظرا لعدم معرفتنا باسبابه فخط المقاومة الاول لا زال مجهولا •••

اما خط المقاومة الثانى فهو ياتى بمعرفة الاهداف السكانية المعرضة للمرض Target Populat.ons مثل المهاجرين من الارياف الى المدن او من البدو الى الحضارة او من مجتمع مغلق الى مجتمع مفتوح أو مجتمعات المدينة والتصنيع ، وايضا الشباب فى سن المراهقة بازماتها والنساء فى سن الحمل وبعد الولادة وفى سن الياس والاشخاص أصحابالشخصية الفصامية ومرضى الصرع واصابات الراس • ذلك فضلا عن ان تتبعالمصابينالذين شفوا منالمرض والذين تحت العلاج وكافة وسائل العلاج الاجتماعى هو خط مقاومة ثالث لهذا المرض •

ومع أن عنوان المقالة « أمل جديد لمرضى الفصام » فقد شعرت بان الكاتب لم يوجه للقراء اين الامل واستطيع أن اقول : نعم هناك امل مشرق من هذه الابحاث الدائرة فى دأب فى الشرق والغرب عن وجود اسباب حيوية Bi logical لهذا المرض من مناعية Autoim..une وكيماوية Brochemical وعدوية Mfeetive وعضوية ومع أن هذه الابحاث لا زالت فى مرحلة البداية فالبشرية كلها فى انتظار النتائج •••

دكتور حلمى احمد يوسف
أستاذ الامراض النفسية المساعد
بكلية الطب ـ جامعة الرياض

خدعونا فقالوا « ان للبنان وضعا خاصا »

● رجال السياسة اللبنانية والعربية صرفوا جهدا جهيدا لاقناع الشعوب العربية طيلة السنوات الماضية بان لبنان لا يمكن ان يكون دولة من دول المواجهة ·· لماذا ؟ لان له وضعا خاصا لا يمكنه من ذلك ·· وكدنا ـ نحن الشعوب العربية ـ نصدق هذا ··

الى ان جاءت الحرب اللبنانية الاخيرة التي وصفها الرئيس اللبناني « بالشريرة » فكلفت الشعب العربي اكثر من خمسين الف ضحية ،وضعف هذا العدد من الجرحى ··· اما الخراب الاقتصادي، فحدث عنه ولا حرج ··

ونتساءل بعد هذا ·· لو ان لبنان لم يعط هذا الوضع الخاص ، وبقي دولة من دول المواجهة مع « اسرائيل » وخاض غمار حرب معها ··· سواء اكانت حرب عصابات او حربا نظامية ··· وخسر هذه الارواح في قتاله معها ·· فكم كان هذا القتال سيكلف اسرائيل من الضحايا والخراب ؟!

وهل كان بمقدور « اسرائيل » بقضها وقضيضها ان تقتل وتخرب في لبنان اكثر مما خربته هذه الحرب « الشريرة » ومن قبلها حرب سنة ١٩٥٨ ·

نحن نعلم ان اسرائيل قد استغلت هذه الفرية التي اسموها « الوضع الخاص للبنان » ··واقامت معظم صناعاتها في مدنها ومستعمراتها المتاخمة لحدود لبنان ·· من حيفا ·· حتى راس الناقورة ·· مطمئنة الى ان الخطر سوف لا ياتيها من لبنان ·· لان ارباب الحل والربط فيه ، قالوا بان له « وضعا خاصا » ···

والآن هل يتعظ اللبنانيون والعرب ،بان ما اسموه وضعا خاصا ، انما كان فرية جرت عليهم الخراب والدمار ·

اوليس من الخير للبنان واللبنانيين والعرب ·· ان يعود لبنان بعد النهوض من كبوته ·· ليكون دولة من دول المواجهة مع اسرائيل ··

اليس هذا اشرف بكثير من ان يقتل اللبناني اخاه ·· ؟!

عثمان عبد المعطي الخطيب ـ عمان ـ الاردن

عن عشيقة هتلر

● نشرتم في زاوية طرائف غريبة العدد ٢٠٥ انه كان للفوهرر ادولف هتلر عشيقة قبل ايفا براون هي ابنة شقيقته · كيف سمحتم لانفسكم بنشر مثل هذا الكلام الذي تروجه الصحافة الصهيونية لتشويه وجه هتلر ؟

مصطفى أحمد نفاع ـ عمان ـ الاردن

ـ ما نشرناه عن هتلر كان تسجيلا للتاريخ،وهو ما لا نملك تغييره حتى ولو كان مشينا · ولا نريد ان نقع في محظور كتابة التاريخ بحسب هوى كل منا · أما وجه هتلر فقد شوهه الرجل بما فعله· اما اساليب الصحافة الصهيونية ودسائسها فلم تعد خافية على احد ·

اغرب القضايا

● تعودنا ان نقرا على صفحات العربي اغرب القضايا والقصص البوليسية · ولكن هذه المادة اختفت منذ شهور ··· أين هي ؟

السيد علاء ـ كلية حقوق المنصورة ـ مصر

ـ نرجو أن تجد ما تبحث عنه في أعداد قريبة قادمة ·

السعر لم يرتفع

● ارتفع سعر مجلة العربي في العراق الى ١٥٠ فلس · وليس هذا تصرفا فرديا يقوم به الباعة ، ولكنه تصرف من قبل « الدار الوطنية » وهي مؤسسة حكومية · وذلك اننا وجدنا العربي منذ العدد ٢٠٩ تحمل على غلافها ختما للدار الوطنية يشير الى أن السعر ١٥٠ فلس ·

ما مدى صحة هذا الاجراء !

محمود الكبيسي

العراق ـ كبيسه

ـ سعر المجلة لم يرتفع ، ولكنه ثابت كما هو منشور مع كل عدد ١٢٠ فلس · واذا صح أن الدار الوطنية رفعت السعر ، فان ذلك يعد تصرفا خاطئا نرجو أن يصحح ·

الحوار المقطوع بين العرب والعرب

من أين يبدأ؟



بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

■ من القضايا العامة ما لا يستطيع صاحب لرأى ان يتناوله بالحديث مرة او مرتين ٠٠ ثم ينتقل الى غيره زاعما انه اعذر بما قال ٠٠ وادى امانة الكلمة بما كتب ٠٠ وحدد موقفه والبته على ملأ من الناس ٠٠ ذلك أن الامر فى قضايا الامم والشعوب ليس امر موقف يتخذه الكاتب ، او رأى يسجله ٠٠ وانما هو مشاركة ومسئولية والتزام بالتغيير عن طريق الكلمة ٠٠ لذلك فان اعادة القول والالحاح به فى مثل تلك القضايا لا يمكن أن يكون تكرارا يتحرج منه صاحبه ٠٠ وانما هو

اصرار على التذكير بما ينبغي ، والتزام اخلاص ـ لا فكاك منه ـ بمواصلة السعى من اجل التغيير ٠٠

ومن القضايا التي مسها وانغمس فيها هذا القلم مرات من قبل قضية الحوار بين العرب ٠٠ ضرورته ٠٠ ومنهجه٠٠ وموضوعاته الرئيسية ٠ ولولا احساس غامر وقوى بان ضرورة هذا الحوار تزداد يوما بعد يوم ، وان الحاجة الى ارساء منهجه على قواعد واصول يلتزم بها الاطراف جميعا ـ حاجة اساسية تشتد هي الاخرى يوما بعد يوم ٠٠

ولولا الايمان بان القضايا التي تنتظر ان يتناولها هذا الحوار قضايا حيوية ومصيرية تتصل مباشرة بتامين مصالح العرب جميعا في يومهم هذا، وفي غدهم القريب ومستقبلهم البعيد ٠٠لولا ذلك كله ٠٠ لرددت القلم عن هذا الموضوع الشائك الدقيق ولصرفته الى احاديث اخرى ادنى مدخلا وايسر مخرجا واقل اثارة لعواصف الاختلاف٠٠٠

ـ ولكن الامة العربية تعيش مرحلة من تاريخها عامرة بالحركة وبالحياة ، زاخرة ـ لذلك ـ بالمشاكل والعقبات والازمات ٠٠ بالغة التاثير على عصرها وعلى مستقبل ابنائها ، ولكنها تخوض ذلك كله فيما يشبه الصمت٠٠ فالقضايا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لا تطرح ـ بين الاشقاء العرب ـ على بساط البحث ٠٠ ولا تلتقي حولها عقول وقدرات القادة والرؤساء والعلماء ٠٠في جهد مخطط منظم يكفل لدراستها القدر الضروري من العناية والجدية والاستمرار ٠٠

ـ والاختلافات الموضوعية القائمة بين ظروف البلدان العربية المختلفة ٠٠في تركيبها السكاني وبنيتها الاجتماعية ، ونظامها السياسي وعمقها الحضاري ، وفي ثروتها ونظامها الاقتصادي ،ثم في علاقاتها الدولية والخارجية ٠٠ كل ذلك يمارس ويتطور بدوره فيما يشبه الصمت ٠٠ ولا يلقى الحديث عنه ترحيبا كبيرا ، مع ضرورة رصده وتسجيله وفهمه وانطلاق الحوار منه ٠٠٠

ـ والمشاكل العارضة التي تطرأ بين الدول العربية المختلفة ، اختلافا حول موقف تكتيكي ،او تعارضا في المصلحة بين بلدين ، او تنافسا على التاثير في مجال عربي او دولي ٠٠ هذه المشاكل تعالج باسلوب التراشق الاعلامي من بعيد ٠٠ ولا تعالج ـ للاسف ـ بالحوار الموضوعي من قريب٠٠

ومنهج التعامل بين اجهزة الاعلام العربية منهج تدانى هو اقرب ـ في حقيقته ـ الى غياب المنهج ٠٠ اساسه الدفاع المطلق المنفعل عن الذات ، وتبرير كل ما يصدر عنها ٠٠ والنقد المطلق للغير ـ وان كان عربيا ـ واتهامه وتجريحه في كل ما يصدر عنه ٠٠٠

ـ والموضوعات الرئيسية التي ينبغي ان يدور حولها الحوار تكاد كثير من الاقلام ان تتجنبها ، ويقلقها الحرج والاحتراس المفرط ما تتناوله بها اقلام اخرى ٠٠

فالعلاقات العربية مع الكتل السياسية الرئيسية في العالم والاثار الاجتماعية والثقافية للانفتاح الاقتصادي والسياسي على الغرب او على الشرق ومنهج التعامل مع اسرائيل والصهيونية العالمية٠

وقضية الوحدة العربية ٠

كل تلك الموضوعات الحيوية لا تنال من « الحوار العربي » الا اهتمامات متفرقة متباعدة لاتجمعها خطة ولاتوجهها رؤية استراتيجية موحدة ٠

وتكاد الاقلام ان تتجنبها ٠٠ ويقلقها الحرج والاحتراس المفرط ما تتناولها به اقلام اخرى٠٠

وهكذا ٠٠ لا الحوار العربي يبدا بالسرعة الواجبة والاهتمام الذي يتناسب مع ضرورته٠٠

ولا منهجه يتفق عليه بين الاطراف العربية حرصا عليه وضمانا لاستمراره ، وحفاظا على الود ان يفسده اختلاف الراى في المسائل العارضة او الجزئية ٠

لذلك كله كانت العودة الى حديث « الحوار العربي » امرا مفروضا وكان الالحاح عليه ، والدعوة في اصرار الى طرق ابوابه وفاء بالتزام عربي قومي ٠٠

والسؤال الذي يلح على كثيرين من المؤمنين بوحدة الامة العربية والمدركين للترابط العضوي الوثيق بين مصالحها ومشاكلها وافاق مستقبلها هو : لماذا لا يبدأ الحوار العربي ؟ ولماذا ينصرف العرب عنه الى حوارات اخرى مع اطراف غير عربية ، بعيدة في اوروبا وامريكا وافريقيا والعالم الاشتراكي ؟

الجواب عن ذلك قائم في احتمالين :

اولهما : ان تكون بعض الاطراف العربية في سعيها الى الاصلاح الداخلي في اقاليمها ، وفي اندفاع بعضها الى تدعيم كيانها المستقل الوليد، وفي توفير مقومات الاستقلال والاكتمال الذاتي له، قد ذهلت عن البعد القومي الطبيعي ليحركها ،وهو بعد لم تعد تمليه شعارات ولا نظريات سياسية ، بقدر ما تؤكده كحقيقة موضوعية ارتباطات المصالح على المدى القريب والبعيد على السواء ٠٠وضرورات توفير الكفاءة والاقتصاد في مشروعات التنمية والتعمير والتصنيع ، كما صارت تمليه اعتبارات الامن والدفاع المشترك عن الكيان الحضاري والاقتصادي لهذه الاقطار العربية ٠

وفي ظل هذه الغفلة عن البعد القومي للعمل الاصلاحي لا تظهر الحاجة بالوضوح الكافي الى ادارة حوار عربي ٠٠ ذلك ان الحوار قد ارتبط في اذهان كثير من الاخوة العرب بمرحلة الكلام والشعارات وهي مرحلة لا يريدون العودة اليها ابدا بعد ان ذاقوا حلاوة العمل والانجاز في ميادين التجارة والاقتصاد والتعمير ٠٠

الثاني : ان كثيرا من الساسة والقادة العرب يشفقون على انفسهم وعلى الامة العربية كلها من عواقب الحوار ، ويتصورونه مدخلا الى مزيد من الخلافات ٠٠ ويؤثرون لذلك ان يحافظوا على ما بقي من الود ٠٠ وما بقي من مظاهر التعاون ٠٠ ان هؤلاء يفضلون استمرار ابواب الحوار مغلقة٠٠ حتى تظل الفتنة نائمة لا يوقظها ـ بالحوار ـ احد ٠٠

انني اريد ان اصل من ذلك الحديث كله الى تقرير حقيقتين والى التقدم ـ بعد ذلك ـ باقتراحات ثلاثة محددة :

الحقيقة الاولى :

ان مستقبل العرب لا يمكن تامينه ـ بحال من الاحوال ـ في غيبة تخطيط استراتيجي ينبغي ان يبدأ بغير ابطاء ٠٠ وذلك رغم كل ما يبدو من مظاهر القوة الاقتصادية والسياسية القائمة اليوم في العالم العربي ٠٠ ويكفي ان اشير ـ توكيدا لهذه الحقيقة ـ الى الملاحظات التالية :

ا ـ ان موقف العرب من الدول الكبرى لم يعد موقفا موحدا ، ولم يعد كذلك موقفا متسقا توزع فيه الادوار ٠٠

وهذا يعني ان اطرافا عربية عديدة يمكن ان تستخدم ـ بوعي او بغير وعي ـ في لعبة السياسة العالمية للدول الكبرى ويمكن ـ بذلك ـ ان يتفتت الكيان العربي من ناحية وزنه الدولي ،وان تتهاتر سياسات الدول العربية المختلفة نتيجة توزعها ـودا وارتباطا ومصالح ـ بين دول كبرى مختلفة ٠

ب ـ ان الاستراتيجية العربية في مواجهة الكيان الصهيوني لم تعد هي الاخرى واضحة ولا محددة٠٠ بل شغلت عنها الخلافات التكتيكية حول انسب المواقف المرحلية او الجزئية ٠٠ وفي هذا الخلاف تمسكت بعض الاطراف بالمبادىء المثالية المطلقة ، وشغلها الواجب عن الممكن ، واغفلت اثر المتغيرات العديدة التي طرأت على الصورة العربية وصورة المنطقة كلها خلال عشرين عاما ٠

وتعلقت اطراف اخرى بالممكن وحده ، اما لارتباطها الوثيق ومسئوليتها المباشرة عن ايجاد حل لمشاكل الواقع والمستقبل القريب ،واما لضغوط داخلية عديدة تجعل انتظار الافضل والامثل ـ من زاويتها ـ تجميدا للموقف لا تحتمله اوضاعها ٠٠ وبين هذين المنطقين ضاعت الاستراتيجية الموحدة ، وصار الصراع العربي الاسرائيلي يدار ، في الاعم الاغلب ـ من خلال رؤى متباينة ، ومواقف اكثرها

ردود افعال غير مدروسة ،او افعال تعكس النزاعات العربية الداخلية اكثر مما تعكس موقفا واضحا مدروسا في الصراع العربي الاسرائيلي ٠٠

جـ ـ ان قضية التنمية وان احتلت حقيقة جانبا كبيرا من اهتمام كل العرب المعاصرين ، الا ان التخطيط المتكامل البعيد المدى لا يزال في شانها املا يراود المؤمنين بوحدة الامة العربية ، والمدركين لمخاطر نفاد المخزون من النفط تحت الرمال العربية، او مخاطر اكتشاف مصدر للطاقة يحل تدريجيا محل ذلك النفط المخزون ٠٠ ويحول دون [illegible] التخطيط التكاملي ، ان المصالح الاقتصادية كثيرا ماتبدو متعارضة في المدى القصير ، بين بلاد تريد أن تقطع طريق التنمية قفزا بغير ابطاء ، سباقا مع الزمن، ولحاقا بالدول المتقدمة التي عرفها العرب واختلطوا بها خلال معاملات البيع والشراء ومعاملات استيراد الخبرة وتوظيف الخبراء ، او خلال جولات السياحة والتعليم وتسويق المنتجات ٠٠ وبلاد عربية اخرى تعيش ازمة قلة الموارد وكثرة السكان واستنزاف الموارد في معارك الدفاع عن ارض العرب ومصالحهم وكيانهم الحضاري كله ٠٠ وهي لذلك محتاجة الى المال السائل ، وان كانت غنية بالموارد البشرية وبالخبرة الفنية التي تعد ـ كالمال السائل تماما ـ عنصرا ضروريا من عناصر التنمية وتوفير الرخاء٠٠

الحقيقة الثانية :

ان ادارة الحوار حول هذه الموضوعات كلها ينطوي فعلا على مخاطر جسيمة ، في غيبة الاتفاق على منهج موضوعي للحوار ٠٠

وقضية المنهج وان بدت للبعض قضية فلسفية او شكلية الا انها في الواقع حجر الزاوية بالنسبة للحوار ٠٠

وان مما تعلمناه من حضارة الانجلو سكسونيين ان الضمانات الشكلية والاجرائية لاي موضوع لا تقل اهمية ولا خطورة عن الضمانات المقصودة اساسا بالحماية والتامين ٠٠ فحرية الكلمة مثلا وحرية الاجتماع ، مهما نصت عليها الدساتير واعلانات الحقوق تظل شعارا فارغ القيمة اذا استطاعت الحكومات ان تجر مخالفيها السياسيين الى محاكمات صورية مجردة من الضمانات الاجرائية في التحقيق والاتهام وتوقيع العقاب ٠ كذلك فان الاقدام على المفاتحة والمكاشفة والحوار يظل محفوفا بالمخاطر الكثيرة في غيبة الاتفاق على منهج له يؤمن موضوعيته ، ويضمن استمراره ، ويضبط اصول ممارسته ضبطا يستقر في التقاليد العربية ٠٠ وغيبة هذا المنهج هي المسئولة ـ في تقديري ـ عن تدهور الحوارات التي بدات حول عدد من قضايا العرب المصيرية ٠٠ والذي ادى الى قطع تلك الحوارات وانهائها في معظم الحالات، كما ادى في حالات اخرى الى تحوله لمساجلات ومهاترات ضاع فيها الود ، وحلت محله الجفوة والقطيعة ٠٠ في ضوء هاتين الحقيقتين ، ضرورة الحوار ، وضرورة الاتفاق على منهج سليم له ، أتصور ان البداية الطبيعية لاستئناف الحوار ـ العربي ـ محتاج الى المراحل التالية :

اولا : ان تتبنى جامعة الدول العربية الدعوة الى مؤتمرات علمية او ندوات للخبراء والعلماء المتخصصين لطرح ومناقشة الاستراتيجية العربية تجاه القضايا الرئيسية التي عرضنا لها ٠٠ ان من شان هذه الندوات ان تحتل قضية الاستراتيجية مكانها الضروري في رؤية واهتمام الساسة والقادة وصانعي القرارات ، وذلك بتسليط الاضواء عليها من ناحية ، وطرح البدائل المختلفة في شانها من ناحية اخرى ، وتوفير زاد من المعلومات والحقائق التي نفترض ـ وهما ـ انها متاحة لكل صانعي القرارات في الدول العربية ، على قدم المساواة٠ ان توحيد مصادر المعرفة والتقدير وعرض البدائل عرضا موضوعيا تكفله الطبيعة العلمية لهذه الندوات من شانه ان يوسع دائرة الارضية المشتركة حول موضوعات العمل الرئيسية عند الساسة والقادة العرب ٠كما ان من شانه ان ييسر اللقاء حولها حين يجتمع القادة والساسة والرؤساء ٠

ثانيا : ان يضاعف الكتاب والمثقفون عنايتهم بضبط اصول الجدل وقواعد الحوار وآدابه ،وان يطالبوا اجهزة الاعلام في الدول العربية المختلفة بالتزام تلك القواعد والاداب ، وان تهجر الى غير رجعة اسلوب الاثارة وحملات التجريح التي

يتوهم البعض انها تقوى نظاما على حساب نظام او تعين حاكما عربيــا على حاكم عربي آخر ·· والحقيقة ان كل الانظمة العربية من ضحاياها ،وان كل الحكام العرب منها على خطـر عظيم ·· وغير معقول – مثـلا – ان يجلس الاقتصاديون العرب والوزراء العرب والعلماء العرب ، يبحثون اوجه التعاون والتكامل والتنسيق فيما بينهم ، ثم تخرج الاذاعات والصحف العربية محملة بالوانمن قوارص الكلم وفنون التجريح والسـباب ، بالغة في ذلك – احيانا – مبلغا منالهبوط والتدنييصدم الضمير العربي ويخدش فـي احيان كثيرة شعور الحيـاء العربي ·· ثم هي – بعد ذلك – تنتقل من موقف الى موقف ، ومن نقيض الـى نقيض ، مستهينة بذكاء المواطن العربي ومستخفة بحقه في ان يقيم كيانه العقلي والنفسي على اساسالثقة والتصديق واحترام الذات ··

ان اساليب التدليس الاعلامي لم تعد سرا على احد ، ولم تعد ممارستها فنا ينفرد به احد دون احد ··· واسلحتها كلها قد صـارت متداولة ومعروفة : تحريف للكلم عن مواضعه ··

وتجريح بالحق وبالباطل على السواء ··

وشحن للنفوس بالضغينة والبغضاء ··

وحجب لكل حقيقة ، او جزء من الحقيقة يستفيد منه الطرف الاخر ·· وتسقط للعورات والعثرات، وتضخيم لها ··

واساءة ظن وتاويل لكل ما يفعله الاخرون ··
كل ذلك متاح وميسور ··

ولكنه في حق الامة ومصالحها وفـي مستقبل التضامن العربي كله جريمة لا تغتفر·· «وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » ·

ثالثا : ان يتجدد لدى الساسة والقادة الالتفات الى أهمية الدور المنوط بهم·· واهمية التقائهم في فترات متقاربة ومنتظمة ·· وهذا الضمانالذى يبدو شكليا هو في تقديري واحد من اهم ضمانات الحوار العربي والعمل العربي المشترك ، فالقادة والساسة بشر ، تؤذيهم كلمات التجريح ،وتسخطهم عبارات النقد الذى لا يتحرى الانصاف ، ويعقد علاقاتهم – ومعهم علاقات شعوبهم – طوال فترات القطيعة والابتعاد ··

ان الذين يلتقون دوريا ، او في فترات منتظمة متقاربة لن يعز عليهم ان يطووا شقة الكثير من خلافاتالاجتهاد والتكتيك ،وان يقربوا – تدريجيا – من نظرهم الاستراتيجي في كل قضايا المصير ·

وبعد ··

فان الامل في المستقبل العربي واسع وكبير ·· ولكن الطريق اليه محفوف بالمخاطر والمزالق ··

والقضايا المصيرية التي تحتاج الى عمل عربي مشترك لايمكن انتترك نهبا لعزلة المعتزلين،او غفلة الغافلين ، او خوف الخائفين مـن النظـر والبت والحوار ··

كمـا انها لا يجوز – مطلقا – ان تترك نهبـا لمحترفي التهجم والتجريح وايغار الصدور شفاء لامراض بعض الصدور ··

وليس هذا بحثا في ضرورة الحوار ، بقدر ما هو نداء للكتاب والمثقفين ، وللساسة والقـادة واولي الامر أن يختصروا الطريق ، وان يبدأوا الحوار العربي ثم لا يقطعوه ·· وان يلتزموا في ادارته وممارسته منهج الموضوعية واتساع الصدر للاختلاف في امور – هيبطبيعتها وحيويتها ـميدان طبيعي للاختلاف ··

وسيظل هذا القلم – مع اقلام اخرى كثيرة – يردد هذا النداء··لا يمل من تكرار··حتىتستجيب له اقلام وعقول ، وتهوى افئدة ، وتبدأ جهود ·· واذكر – قبل ان اضع القلم عن هذه الكلمات – حكاية رمزية يرويها عميد الادب العربي الراحل الدكتور طه حسين عن معلم للقران كان يستهل دروسه كل يوم بتلاوة قوله تعالى : « اذا زلزلت الارض زلزالها ·· » حتى ضاق به بعض السامعين وراجعوه قائلين : متى تغادر حديث الزلزلة ايها الاستاذ ، فاجابهم قائلا « اغادره حين تغادر قلوبكم مكانها ■■

جامعة الكويت – **احمد كمال ابو المجد**



لو أردنا للثقافة العربية

بقلم : الدكتور على الراعى

« ان اللغة العربية فى خطر • والكتابة الصحيحة بها توشك أن تكون فنا بائدا • ونحن لا نفعل شيئا لكى نواجه هذا الخطر • بل ان الصحف التى كان لها الفضل يوم ظهورها فى تبسيط اللغة وتخليصها من أكداس المحسنات البديعية وايصال معانيها للناس فى أسمى صور •• هذه الصحف أخذت تسىء بدورها الى اللغة » •

■ تقف الثقافة العربية اليوم فى مفترق الطرق • طرق كلها حافلة بالمغانم والاخطار معا• فمن جهة ، لم يحدث فى تاريخ العرب من قبل ان تخلص لهم كل هذا المال وما يعنيه من قوة ، ونفوذ وامكان لتغيير مجرى الاحداث • ومن جهة ثانية لم يحدث ان اختلف العرب كل هذا الاختلاف على أشياء أساسية ، اذا لم يتم الاتفاق عليها فقل على العرب ، وليس على الثقافة العربية وحدها ، العفاء •

هناك مثلا اجماع على أن هذه أمة واحدة • يؤيد هذا الاجماع بقعة فسيحة من الارض تمتد من الخليج الى المحيط • تتحدث لغة واحدة ، وتتبع تقاليد متشابهة ، ويربط بينها مصير واحد ، ويهددها كذلك عدو واحد •

وقد كنا نلقن قديما ان الامة هى ارض مشتركة ولغة واحدة،وتاريخ واحد وهذا كله موجود فى حالة الامة العربية • فلماذا اذا هذا الخلف الشديد بين حكومات الدول العربية ؟ لماذا تقف الجزائر موقف الحذر من المغرب ؟ ولماذا تتحفز كل من مصر وليبيا الواحدة بازاء الاخرى ؟ وما معنى أن يقتل السلاح العربى المواطن العربى فى لبنان الى غير هذا من مشاهد دامية تتقطع لها نياط القلوب •



مستقبلاً !

السبب – في رأيي – في كل هذا الخلاف هو ان العرب قادة وحكومات وشعوبا لم يحسموا أمرهم في مسائل كثيرة بالغة الحيوية. لم يقرروا بعد : أهم يعيشون في الربع الاخير من القرن العشرين ، أم انهم يعيشون فيه بالجسد فقط ، اما عقولهم فتنتمي الى عشرات القرون الى الوراء .

ان العرب يركبون افخر انواع الطائرات وبعضهم لهم طائرات خاصة تنقلهم الى اين يشاءون في ساعات. وهم يديرون قرص التيليفون فيتصلون في دقائق بلندن او باريس أو غيرهما من عواصم العالم .

وفي بيتهم من متاع الحضارة الحديثة ما يزري بخيال كثير من القصص الخيالية . وهم يلبسون اللباس العالمي خارج بلادهم . وكذلك تفعل نساؤهم وبناتهم . وبناتهم خاصة شديدات التحمس للعلم والتعليم بوصفهما سلاحا في معركة نحو التطور . تشعر المرأة ان لا مناص من أن تخوضها .

والعرب – بعد هذا – اعضاء نشيطون في المنظمات العالمية المختلفة . وما أن تستقل من دولهم واحدة الا ويكون همها الاول الانضمام الى منظمة الامم المتحدة وفروعها المختلفة. كما انهم – كعرب – من انشط الناس في حضور المؤتمرات والاشتراك في المهرجانات والمناسبات الاجتماعية والرياضية المختلفة .

لماذا – اذن – يتخلف لدى كل عربي مخلص ان هذا النشاط كله مظهري صرف . وان بعضه مقصود به التباهي . وان البعض الاخر لا يعامل المعاملة الجادة التي يستحقها ؟

ناخذ مثلا قضية محو الامية . وهي القضية المحورية التي ينبغي ان تدور حولها الجهود للنهوض بالامة العربية ودفعها دفعا من حياة القرون الغابرة الى حياة القرن العشرين .

تتعثر الجهود في هذا الميدان الهام تعثرا واضحا ومخجلا . وبدلا من ان ينقص عدد الاميين يزداد عددهم عاما بعد عام ، بفضل ازدياد نسبة المواليد . ومن النكت المعروفة في مصر ان جهاز محو الامية ينبغي ان يسمى جهاز نحو الامية ، اى انه لا يمحو الامية ، بل ينحو نحوها !

والاسباب التي تساق لتفسير الامية وازديادها عاما بعد عام هي الاسباب التقليدية المعروفة : قلة الاعتمادات المالية ، قلة المكافات المبذولة للمعلمين ، ميل الاطفال الى الهرب من الدروس والانطلاق الى حياة يرونها ارحب والذ .. الخ .

غير ان هذه – في رأيي – أسباب واهية كلها. واهية لانه لا تصميم واضح وراءها على قطع داء الامية بخطط واضحة فعالة ، مثلما تفعل – مثلا – هيئة الصحة العالمية حيث تقرر ان تحدث مرض الجدري فتعمل في هذا السبيل عاما بعد عام الى ان تتوج جهودها بالنصر ، فتعلن اعلانا حضاريا رائعا تقول فيه للعالم : الان قضينا على وباء الجدري !

من الواجب ان تعامل الامية في بلادنا العربية معاملة الوباء ، فتوضع خطة متعددة المراحل على مستوى الوطن العربي لاستئصال شأفة هذا الوباء بوصفه أكبر عامل مفرد يودى بالامة الى التأخر والانتكاس .

ويساعد في انجاح هذه الحملة على الامية ان ترتبط بحملة مماثلة لتحديد النسل في البلاد العربية التي تعيش مشكلة الانفجار السكاني .. وهنا سوف نصطدم بالفكر التقليدي المتحجر الذي يرى في الماضي كل ما هو جميل وخير . ولا يرى في الحاضر الا تشويها لهذا الماضي الجميل . ومن لم ينفق كل جهده في محاولة جر الامة عشرات القرون الى الوراء .

تنبأ ارنولد توينبي في أحد كتبه بنشوء نظام اجتماعي وسياسي يحكمه التكنوقراط : أي الفنيون والخبراء في مختلف اتجاهات الحياة • وقال توينبي أن هذا النظام لن يكون ديموقراطيا أو ليبراليا ، بل سيكون تحكميا تتحكم فيه الاحصاءات والبيانات • فاذا كانت موارد دولة ما لا تحتمل الا عددا معينا من السكان ، فان كل فرد قابل للانجاب في هذا النظام ستعطى له بطاقة أشبه ببطاقة التموين ، بمقتضاها يسمح له بعدد محدد فقط من الاولاد ، ان تعداه ، حسب ذلك عليه جريمة تدخله السجن •• !

هذه النظرة التي قد تبدو للبعض متطرفة ، مغالية في التشاؤم ، قد تصبح قريبا حقيقة رهيبة واقعة • وعلماء التغذية ـ على أية حال ـ يتحدثون من زمن عن مجاعة موشكة ، موعدها الثمانينات اي بعد سنوات قليلة من الان •

فتنظيم الاسرة وتعليم الافراد أمران هامان جدا لو كان يراد للامة العربية ان تبقى على قيد الحياة ـ مجرد البقاء على قيد الحياة ، والا فان مصيرها لن يختلف عن مصائر أمم كثيرة انقرضت وبادت كل اثارها •

فاذا افترضنا أن العرب قد شرعوا في محو الامية وتنظيم النسل بنجاح ، حق لنا ان ندعوهم الى شيء اخر يثبت اقدامهم ويعطيهم مكانا مرموقا بين الدول• وهذا الامر هو حسن استخدام الثروة الطائلة التي خلصت لهم من باطن الارض على شكل ذهب اسود ، لاقامة دولة عربية عصرية حقا •

لقد فعل هذا في مصر محمد علي الكبير حين استورد من أوروبا الناهضة كل من يستطيع مساعدته على اقامة دولة عصرية : انشئوا له الطرق والكباري والقناطر والجسور والمدارس والشوارع والجيوش والمدارس العسكرية والفنية ومدارس التمريض وكل ما يكون الدولة العصرية حقا • فعل الرجل هذا ولم يكن له الا النزر اليسير من الثروة الطائلة التي هي من نصيب العرب الان •

فلماذا لا يفعل العرب هذا كله ، وهم قادرون على أكثر منه ؟

السبب في هذا ان الوحدة العربية لا تزال حكمة تقال ، وحين تعرض فرصة مواتية لاقامة الوحدة العربية في أي من أجزاء الوطن العربي تنهال عليها السكاكين ، وتتفجر في وجهها القنابل والمدافع ، ويكون بين الايدي التي تسارع الى القضاء عليها ايد عربية كثيرة !

لنواجه الواقع المر اذن ، ولنعترف بان بعض العرب لا يريدون الوحدة العربية ، وانهم قانعون وراء حدودهم ، راضون بجزئيتهم ، أعمالا للمبدا القائل : نصف رغيف اكله وحدي ، خير من رغيف كامل يشاركني فيه الغير !

وهؤلاء العرب ليس من مصلحتهم الوحدة أيضا لانها تهددهم بقيام نظام للحكم يقوم على الديموقراطية والشورى ، واعتبار الفرد ، بدلا من وشائج القربى ومصلحة الاسر وروابط المصاهرة •

ومع ذلك فما لم يقم الحكم الديموقراطي العصري في بلاد العرب كلها ، فلن يكون هناك مجال لامة عربية تتعدى سنواتها ما بقي من القرن العشرين •

ان هذا الحكم الديمقراطي هو الذي سيكافح الامية ، وهو الذي سيطلق العقل العربي من أساره ، وهو الذي سيفصل في قضية طال نقاشها وهي : هل نتخذ التراث بقضه وقضيضه اسلوب حياة لنا ، أم ننتقي منه ونختار ما يصلح لزماننا ومكاننا ؟ هل نعتقد مع البعض ان الارض مسطحة وان الانسان لم تطأ قدماه ارض القمر أم نؤمن حقا وفعلا بانتصارات العلم وما تمثله من حضارة لم يعد يجوز أن نعتبرها غازية مدمرة لان في امكاننا دائما ان نحسن استخدامها لمصلحتنا ، مهما كان مصدرها ؟

ان تعلم القراءة والكتابة هو الذي سيطلق صوت الملايين الخرساء التي لا تكتب ـ بسبب اميتها ـ ولا تجد من يكتب لها أما لانه لا يعرفها فينظر اليها نظرة سطحية ، أو لانه يتجاهلها بوصف أنها اقل من ان تحظى بالاهتمام •

ولقد قلت في مقال سابق لمجلة العربي(١) ان الثقافة العربية هي في الواقع ثقافتان متنافرتان، لا أمل لهما في الالتقاء الا بشروط : ثقافة الملايين بما فيها من اخطاء وتحيزات واوهام وجهل وحكمة وحقائق تخلصت للعربي الشعبي عبر القرون · وثقافة القلة المنعزلة التي تدور حول نفسها ولا يهمها الا أمور حياتها · وقلت اذ ذاك انه لا أمل أمام الثقافة العربية الا اذا منحت الفرصة للملايين ليشاركوا في صنع ثقافة حقة لهم، ويدخلوا على ثقافة الاقلية الحيوية والبهجة والطزاجة وصدق الرؤية التي كثيرا ما تفتقدها هذه الثقافة ومن ثم يكون في امكان الملايين ــ ايضا ــ ان يستمتعوا بأجمل وأعمق ما في ثقافة القلة من نتاج بعضه شامخ ورائع ومفخرة للانسانية·

وقيام الوحدة العربية على أسس ديموقراطية كفيل بان تلتحم الثقافتان : وتصبحا ثقافة قومية بالفعل تتشابه وتتمايز هنا وهناك حسب الاحوال السائدة في البلاد العربية الواحدة . فيكون في هذا نكهة خاصة لكل ثقافة عربية محلية ، وتصبح الثقافة كالنساء الجميلات : كل مليحة بمذاق·· !

ويرتبط بمستقبل الثقافة العربية ايضا قدرة اللغة العربية على الانتشار · ونحن نعرف طبعا ان لغتنا غير منتشرة في العالم ، لاسباب تاريخية، كاضطهاد الاستعمار الغربي لها قرونا طويلة ، ولاسباب أخرى بعضها من صنع أنفسنا · فقد رفضنا المرة بعد المرة ان نيسر اللغة العربية نحوا وصرفا وكتابة على الناشئين وعلى الراغبين في تعلمها من الاجانب ·

والنتيجة المرة لكل هذا ان اللغة العربية توشك ان تكون كاللغات البائدة يعرفها أهلها بصعوبة ويكتبونها بصعوبة . فاذا ما فارقوا مقاعد الدرس او سنوات الدراسة ارتدوا اميين كارهين كل الكره لهذه اللغة الجميلة ·

اما الاجانب الراغبون في تعلم العربية فان حظهم ليس أحسن من أبناء المدارس . والآن يقوم موقف خطير حقا : فالعالم كله راغب في تعرف المزيد عن العرب ، ونسبة من جامعاته ومعاهده تدرس الادب واللغة العربية كيما تطلع على ما ينشيء ادباؤنا وفنانونا من أدب . فاذا جاءوا ليطلعوا على هذا الادب وجدوا معظمه غثا من ناحية الاسلوب ، منبت الصلة بالتراث العظيم للادب العربي ، غير معبر الا عن احلام واشواق صانعيه وحدهم ·

ان اللغة العربية في خطر · والكتابة الصحيحة بها توشك ان تكون فنا بائدا . ونحن لا نفعل شيئا لكي نواجه هذا الخطر · بل ان الصحف التي كان لها الفضل يوم ظهورها في تبسيط اللغة وتخليصها من اكداس المحسنات البديعية وايصال معانيها للناس في أسهل الصور ــ هذه الصحف اخذت تسيء بدورها الى اللغة باخطاء كثيرة ترد في صلب المقالات وفي العناوين الفرعية، بل وفي العناوين الرئيسية ــ وبعض محرريها يصطنع لنفسه اسلوبا غريبا مليئا بالالفاظ الدراجة والاخطاء ، وهو يتعمد ان يدخل الجملة على الجملة على الجملة في غير جمال ولا منطق زاعما ان هذه هي شخصيته في الكتابة ·· وبهذا يقدم للنشء بل ولزملائه من الصحفيين أسوأ ما يحتذى عن مثل ·

ان مجهودا رئيسيا ينبغي ان يتم لتبسيط قواعد اللغة ورسم حروفها ، حتى يستطيع النشء ان يستوعبها وحتى تكون أداة طيعة لنشر ثقافتنا العربية في الخارج ــ الثقافة التي نطمع في ان تكون لنا . اذا امنا حقا وصدقا باننا امة واحدة . وان ثروات هذه الامة ينبغي ان تنفق فيما يعود على جميع العرب بالخير ، وبما يتيح لهم ان ينتقلوا من مركز المستهلك المعجب بالاعيب الحضارة ، الى موقف الشريك الجاد ، الذي يرى انه لا حق له في ان يستهلك شيئا لم يسهم في صنعه : الشريك الصانع ، والزارع والمهندس والمقيم . وليس الجالس على الوسائد المريحة يعرض عليه السماسرة ما لذ وطاب فيشتري لعبا وترهات يدفع فيها ــ في الواقع ــ ليس ثروته وحسب ، بل ومستقبل امته أساسا · ■■

جامعة الكويت ــ علي الراعي

---

(١) العربي العدد مايو ١٩٧٦ (صفحة ١٥) مقال بعض همومنا الثقافية ·

هل الخلاف

■ ان الشقاق وليد الانانية، والانانية طبع غريزى فى الانسان ،وجماح هذه الانانية لا يكبحها الا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية ، والايمان الدينى أو القومى أو الوطنى العميق ·

ففى كل أمة من أمم الأرض ، وفى كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب فى نفوسهم الانانية على العوامل التى ذكرناها آنفا ، ولكن الرأى العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الانانية وانتشارها بين الناس ·

غير أنه يأتى أحيانا فى كل أمة من أمم الارض بعض الادوار من التاريخ ، تضعف فيه هذه القوى الوازعة ، فتنفلت الانانيات من عقالها ، وتتضاءل تأثيرات الرأى العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدى الى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس ·

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث فى كل أمة ·

وليس فى طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الامم فى هذا المضمار·

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقادا جازما ، بأن طبائع الامم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور ، وقد صدق من قال : « ان من يتوهم الاستقرار فى طبائع الامم ، كمن ينشد البقاء فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما ترمى حجرا فيها » ·

فأن الماضى لا يقيد الحال تقييدا مطلقا وتحقق الوحدة والاتفاق فى الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال. كما أن حدوث التفرقة والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل ·

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيرا ، وأن نقلع عن الالتفات الى الوراء دائما · فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الاقدمين ، ولا أن نسعى لالقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا ـ على وجه خاص ـ أن نستسلم الى دواعى الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الامة ولمجرى تاريخها العام ·

لا ريب فى أن حالتنا الحاضرة سيئة للغاية ، والنكبات التى منينا بها أخيرا كانت فى منتهى الفظاعة، كما أن الاخطار التى تهدد مستقبلنا عظيمة جدا

غير أنه يجب علينا أن نعلم العلم اليقين أن أسباب ذلك لا تعود الى طبائع أمتنا ، ولا الى ماضينا البعيد ، بل إنما تعود الى أخطائنا نحن ·

انى لن أحاول فى هذا المقام أن أحلل وأسرد الاسباب التى أدت الى نكباتنا الاخيرة واستوجبت فشلنا الاليم ، ولن أبحث عن الاشخاص الذين يجب



قدر العرب؟

ساطع الحصرى
(١٨٨٠ ـ ١٩٦٨)

أن يعتبروا مسئولين عن هذا الفشل وتلك النكبات· ومع هذا سأقول بلا تردد: أن أهم الاسباب ـ فى نظرى ـ هو : بقاؤنا بعيدين عن تفهم وتمثل روح العصر الذى نعيش فيه ، وتقصيرنا فى التسلح بسلاح العلم الحقيقى ·

غير أنى أرى أن هناك سببا اخر ربما كان أبعد أثرا وأشد خطرا من كل ذلك : هو ضعف ايماننا بقضايانا القومية ، وعدم اقدامنا على معالجة تلك القضايا بعزم وحزم ·

اننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية، ونحشدها لتحقيق هدفنا الاسمى، بل انما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وايمان عميق،فأضعنا بذلك فرصا كبيرة وانتهينا الى فشل ذريع ·

واستطيع أن أقول : ان الايمان القوى العميق بامكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوبا بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوما بالامل الذى لا يقهر ···

هذه هى أهم ما يترتب علينا من واجبات بعد هذه النكبات ·

أقول هذا وأنا ألمح معالم الخور والقنوط بادية على معظم الوجوه ، وهمسات الشك والاعتراض منتشرة فى كل الجهات ···

نعم ، انى أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك ادراكا تاما وشعورا عميقا وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألما شديدا ·

ومع هذا أرى من حقى أن أسأل بدورى : ألم تبتل أمم كثيرة بنكبات مثل هذه، بل وأشد منها ؟ فهل كانت نكبة بروسيا والمانيا بعد واقعة «ينا» ـ مثلا ـ أقل هولا وفظاعة من نكبتنا الحالية ؟ ومع ذلك ألم يستطع الالمان أن يتخلصوا من آثار هذه النكبة ؟

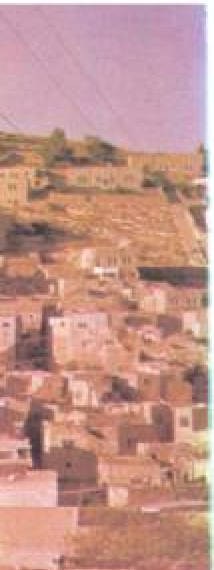
وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا ـ قبل قرن واحد من يومنا هذا ـ أقل خطرا من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة ـ عقب انحلال المؤتمر المذكور ـ « أن الالمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم ؟ » ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « اين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة » ومع كل ذلك . ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة ممن حضروا مؤتمر فرنكفورت الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط الى انفسنا · ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل الى حدها الاقصى الا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاما الا عندما يؤدى الى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ··

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة واتمام الفشل ·· بالاستسلام الى القنوط والخور ···

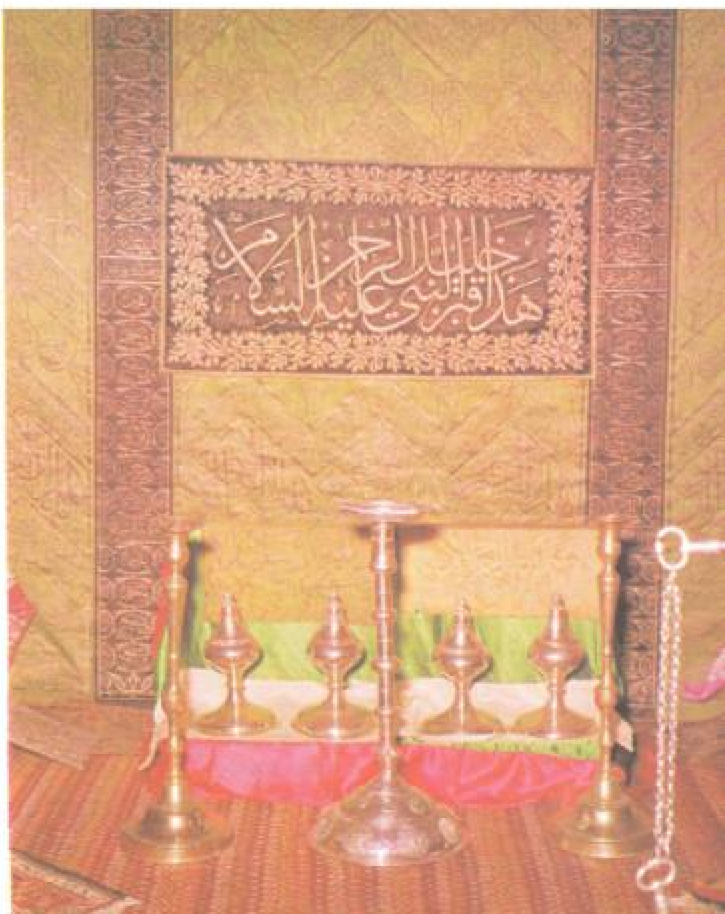
■■

الخليل ابراهـ

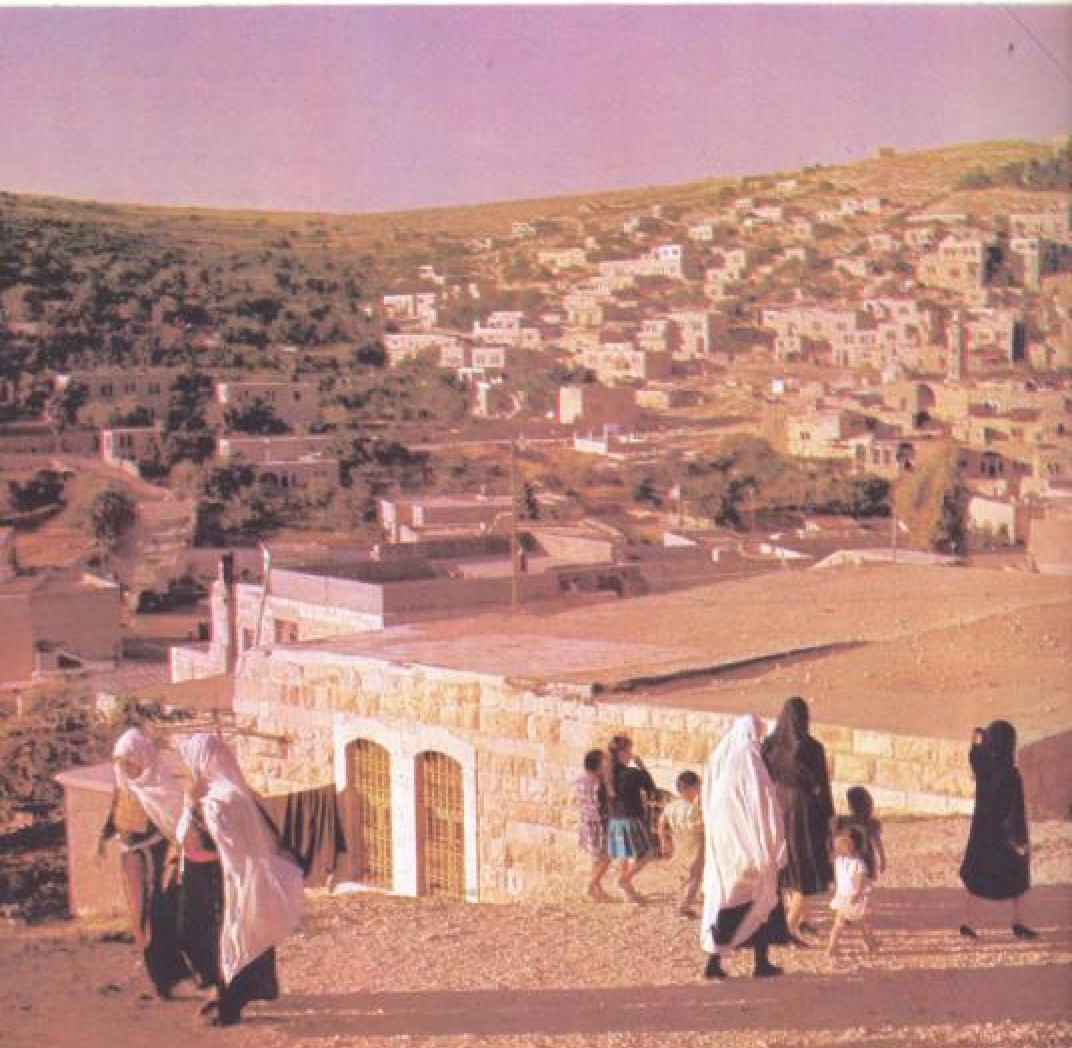


« من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر ابي ابراهيم »

« حديث شريف »



يم .. أسيراً



قبر الخليل ابراهيم والمدينة الاسيرة · القبر جدد منذ مائة عام ·

■ يكاد الصدام الدموى بين العرب والاسرائيليين فى مدينة الخليل ان يصبح بابا اسبوعيا ثابتا فى الصحافة العربية والعالمية • ذلك انه ما من اسبوع يمر الا وتشهد هذه المدينة التى تضم قبر ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام ، صداما بين العرب اصحاب الارض منذ الازل ، وبين قوات الاحتلال والمستوطنين الاسرائيليين ، «لطامعين فى الارض ، القادمين من الكتب القديمة ، على حد تعبير الشاعر الفلسطينى محمود درويش •

لم تكتف اسرائيل باحتلال المدينة ، ومصادرة الحياة فيها عام ٦٧ • ولكنها ذهبت الى ابعد من ذلك بكثير ، عمدت الى تهويدها بالكامل ، وتحويل الحرم الابراهيمى الشريف الى معبد يهودى !

ذلك كله على مسمع ومرأى من العالم الاسلامى كله ، والضمير العالمى الذى يقف موقف المتفرج من جريمة ترتكب كل يوم، ويعلن عنها بكل وسائل الاعلام ، وتستخدم فيها اكثر الأساليب استغفالا واستخفافا بعقول البشر •

منذ وقع قبر الخليل ابراهيم فى أسر الاسرائيليين عام ١٩٦٧ ، والدعاوى تتردد عن ان المدينة كانت مقرا للملك داود قبل كذا الفسنة، وانه اقام فيها سبع سنوات وستة اشهر (!!!)

استنادا الى مثل هذه «العجج» ، والى خرافات بغير حصر ، تتحدى العقل الانسانى وتسخر منه ، تمضى اسرائيل فى خطة تهويد المدينة ، وتهويد الحرم الشريف ذاته ••

وهكذا تتحول الخرافة الى حجة تبرر طرد شعب من ارضه ، ومسخ تاريخ امة باسرها ، وانتهاك حرمة ارض مقدسة منذ عرف التاريخ المكتوب •

ولأن اسرائيل هى الفاعل الاصلى • فكل شيء مقبول ومعقول • الخرافة تصبح منطقا • والوهم يصبح حقيقة • والهدم يصبح تعميرا • والقتل يصبح مشروعا ومباحا ، بل مطلوبا « لمقتضيات الأمن » !!

واذا كان ما جرى فى فلسطين سيظل وصمة عار فى تاريخ هذا العصر ، وشهادة تدين اجياله وحضارته ، فان ماجرى ويجرى فى الاراضى المقدسة هو تجسيد حى لتلك الوصمة •

الجريمة التى تشهدها القدس ، والتى لحقت بالمسجد الاقصى يعرفها الجميع ، وسكت عنها الجميع •

والجريمة التى تتم فى الخليل ، والتى يسكت عنها الجميع ايضا ، هى موضوعنا هذه المرة •

والمسافة بين المدينتين ــ القدس والخليل ــ لا تتجاوز ٢٠ ميلا • ولكن القصة التى تجرى فى كلتيهما واحدة ، مع اختلاف طفيف فى التفاصيل •

لا يسجل تاريخ مدينة الخليل دورا ملموسا لليهود فى اى مرحلة ، باستثناء فترة الانتداب البريطانى التى امتدت ٣١ عاما ، بين سنتى ١٩١٧ و ١٩٤٨ • فى هذه الفترة بدأت احلام الصهيونية العالمية تنشط وتستيقظ • وبدأ المخطط الذى وضعه المؤتمر الصهيونى الاول فى آخر القرن التاسع عشر ، يدخل حيز التنفيذ •

ذلك انه طبقا للاحصاء الرسمى لعام ١٩٤٥ ، والنكبة على الأبواب ، كانت نسبة عدد اليهود فى قضاء او محافظة الخليل هى واحد فى الالف من مجموع سكانها • وما يملكونه فيها اقل من ٣ فى الالف بالنسبة لمجموع مساحتها •

وبعد نكبة سنة ٤٨ ، واعلان تقسيم فلسطين ، سمحت دول الغرب مع الولايات المتحدة باغتصاب نصف مساحة قضاء الخليل ، ولكن المدينة ذاتها نجت من الاغتصاب •

وكانت الحركة الصهيونية قد بدأت تمهد للزحف على المنطقة فى السنوات الاخيرة للانتداب البريطانى • فاقامت خمس مستعمرات فى نطاق

● « اما الخليل وما جاورها فانها بلاد الله المرجاة • كثيرة القمح والكروم والزيتون وجميع اصناف الخضراوات • واغنامها تلقح مرتين كل عام • ونحلها يبنى خلاياه فى صخور جبالها الجميلة ، المكسوة سفوحها بما لا يحصى من الأشجار المثمرة ، كالزيتون والتين والخرنوب والتفاح ••• ليس تحت السماء مكان يعدل هذه البقعة » •

الراهب الروسى « دانيا » ١١٠٦م



جندى صهيونى يقف خلف أحد المصلين المسلمين فى الحرم الابراهيمى

قضاء الخليل ،عرفت باسم مجموعةكفار عتصيون· اربع مستعمرات منها بنيت على طريق القدس ــ الخليل ، فى موقع يبعد مسافة ١٣ كيلو مترا عن مدينة ابى الانبياء ، ومثلها عن مدينة بيت لحم · اما المستعمرة الخامسة فهى تحمل اسم غالعون ، واقيمت الى جوار قرية زيتا التى تدخل فى نطاق قضاء الخليل ايضا ·

واثناء حرب ٤٨ ، استخدمت المستعمرات الاربع الاولى فى قطع الطريق بين القدس والخليل ، فهاجمها العرب ودمروها · لكن اسرائيل اقامت بديلا عنها بعد التقسيم ١٨ مستعمرة فوق القرى العربية التى دمرتها ، وطردت سكانها منها ·

وظلت اسرائيل تضع عينها على مدينة الخليل· فاقامت فى عام ٦١ بالقرب منها مستعمرة كبيرة فوق تل عراد ، فى مكان بلدة عراد العربية الكنعانية القديمة · وحملت المستعمرة نفس الاسم Arad وانتهى بناء المستعمرة فى سنة ٦٥ · وضمت فى البداية ٩٠٠ يهودى ، ارتفع عددهم اخيرا الى ٢٧٠٠ · وانشا اليهود فى المستعمرة مصنعا للغاز الطبيعى ، وآخر بتروكيماوى لانتاج الفوسفات ·

كل ذلك تمهيد لما هو قادم ·

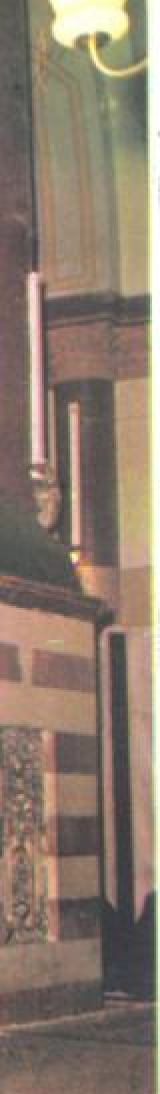
ثم سنحت الفرصة بعد هزيمة يونيو ٦٧ ، فاستولت اسرائيل على قضاء الخليل كله ، بما فيه مدينة ابى الانبياء،وهو يضم ٣٥ قرية كبيرة، و ١٠٩ من القرى الصغيرة ·

ولم تضع سلطات الاحتلال الوقت ، بل سعت حثيثا من اجل تحقيق حلم الصهيونية القديم : تهويد الخليل بعد تهويد القدس ، وتثبيت دعائم دولة اسرائيل ·

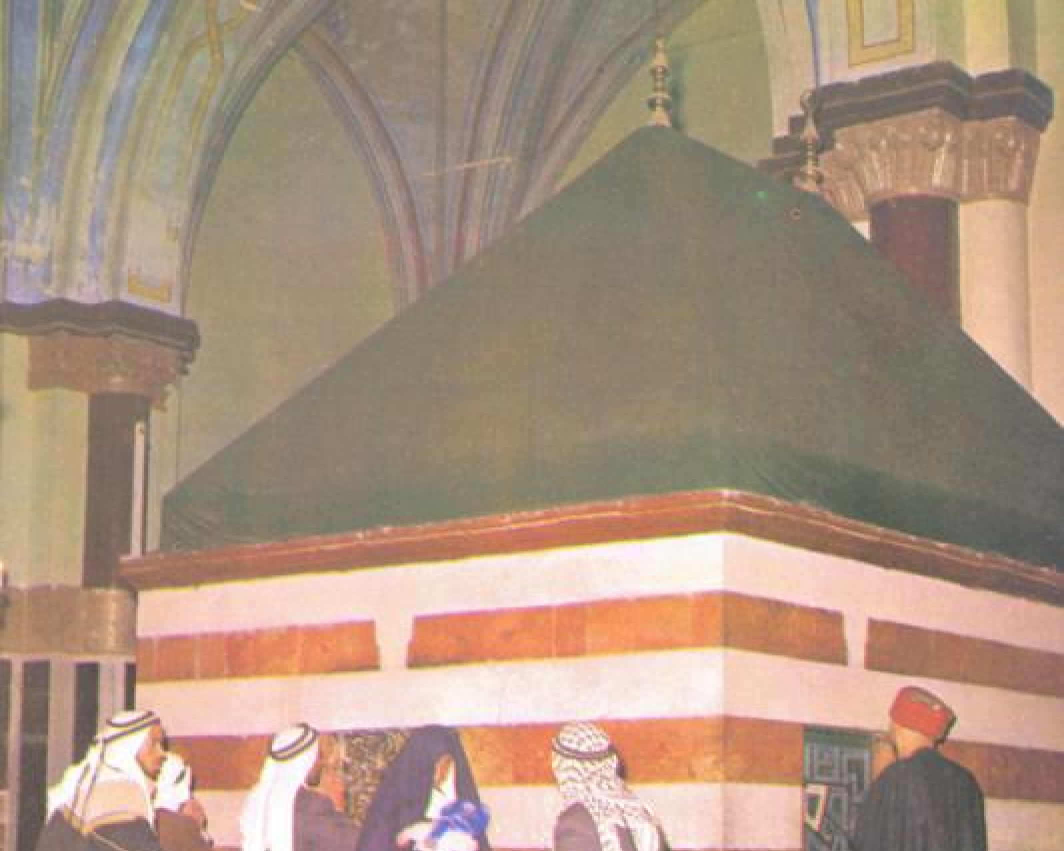
صار خليل الله ابراهيم اسيرا · واصبح قبره العتيد فى قبضة الصهيونية· ورفرف علم اسرائيل لاول مرة فى التاريخ فوق مدينة الكروم والزيتون ·

فرصة لا تعوض

بعد الاحتلال العسكرى ، بدأت اسرائيل تنفذ مخططاتها ·







السور الضخم الذى يحيط بالحرم الابراهيمى والذى يصل طول الحجر الواحد منه الى سبعة أمتار ، وتحته شجرة البلوط العتيدة التى قيل أن النبى ابراهيم سكن تحتها ، وقد أسندت الى مجموعة من الاعمدة لتحميها من السقوط ٠ ثم ضريح لاحد الانبياء وبعض المسلمين حوله يبتهلون ويتبركون ٠

في العام ذاته ـ ٦٧ ـ بدأت اسرائيل في اقامة ثلاث مستعمرات جديدة ، على انقاض المستعمرات التي هدمت في حرب ٤٨ • اى ان اسرائيل عادت الى نفس المكان بعد ١٩ عاما لتبني مستعمراتها التي هدمت • اقامت في المنطقة مستعمرة تحمل نفس الاسم القديم : كفار عتصيون، ثم مستعمرة عين تسوريم ، والمستعمرة الثالثة تحمل اسم ألون شابوت •

وفي مدينة الخليل سعت السلطات الاسرائيلية الى اقامة ضاحية يهودية بها ، على نمط الحي اليهودي الذي بنته في الناصرة •وبالفعل استقدمت عائلات يهودية عديدة ،استقرت بجوار مقر الحاكم العسكري للخليل ، وامام الرفض العربي العارم للتسلل الاسرائيلي الى قلب البلدة ، اضطرت سلطات الاحتلال الى نقل هذه العائلات الى ٢٥٠ بيت اقيمت في اطراف المدينة •

وكان مفهوما في البداية ان هذه الاسر اليهودية اخرجت من الخليل حلا لمشكلة تواجدهم وسط العرب في الخليل ، ولكن تبين فيما بعد ان المخطط ابعد من ذلك بكثير •

تبين ان هذه بداية مؤامرة جديدة لبناء مدينة يهودية كاملة تحل محل مدينة الخليل العربية الاسلامية •

ومن الكتب القديمة ، جاءوا بالحجة والدليل!

قالوا ان هذا التل الكبير ، الذى استولوا عليه وصادروا ٢٥٠٠ فدان للعرب فوقه ، كان مقرا لقرية اربع القديمة ، اصل مدينة الخليل ، الذى يرجع الى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ـ كذا !! ـ وقد ذكرت القرية في العهد القديم ، وكانت الهدف الذى قصده ابو الانبياء ابراهيم •

والى جانب محاولة الاستعاضة عن مدينة الخليل بمدينة اخرى فان المحاولات مستمرة ، بحذر بالغ لتهويد الحرم الابراهيمي ذاته •

ـ امتد العدوان والانتهاك الى داخل الحرم الشريف ، فوضع الاسرائيليون خزانة كتب في داخله ، ملئوها بالكتابات الاسرائيلية والصهيونية • واكثر من ذلك ، وضعوا لافتات على اضرحة الانبياء باللغة العبرية ، حتى يعطى الزائر انطباعا ان هذا المسجد الاسلامي هو كنيس يهودى •

ـ تسربت معلومات اخيرة من مخطط لانشاء كنيس لليهود ملاصق للدرج المؤدى الى الحرم الشريف •

هذه هي اجراءات اسرائيل التي عرفت حتى الآن، في مؤامراتها على الاماكن المقدسة • وهي تعتمد في الاساس على تطويع الحقائق التاريخية ، وافتعال احداث ووقائع ليس لها اصول مجهولة من العسير اثباتها او نفيها ، ذلك ناحية •

ثم هي تعتمد من ناحية اخرى على غفلة الرأى العام العالمي ، وصمت العالم العربي والاسلامي وعجزه عن التصدى لهذه المؤامرات ، حتى على المستوى الاعلامي •

وقبل هذا وذاك ، فاعتماد اسرائيل على القوة المسلحة ، من الهراوات الى المدافع الثقيلة والمجنزرات ، ثابت في كل وقت • وبهذه القوة الغاشمة تواجه قوات الاحتلال كل مقاومة يبديها الشعب العربي في الخليل ، الذى يقف وحيدا ، اعزل ، يحاول ان يحمي الحرم الشريف من الغارة الخبيثة التي استهدفته •

رحلة مع التاريخ

بالتاريخ يلوحون دائما ••

لنبحث اذن في التاريخ المكتوب عن مكان اليهود في تلك البقعة المقدسة ، بغير افتعال اولي للحقائق وتطويعها •

فمن الثابت تاريخيا ان الخليل من اقدم مدن العالم • فهي بنيت بعد فترة وجيزة من بناء الاهرام في مصر • وهذا ما اكدته نتائج عمليات التنقيب عن الآثار التي اجرتها في منطقة الخليل بعثة جامعة يوتاه الامريكية التي رأسها البروفيسور فيليب هاموند • اثبتت دراسات هذه البعثة ان تاريخ المدينة يعود الى اكثر من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، اى انها بنيت منذ اكثر من ٥٥٠٠ سنة•

لكن اسم الخليل اقترن بالمدينة في عصور متقدمة ، فقد كانت تدعى في الاصل « قرية اربع » ـ التي تحاول اسرائيل احياءها الآن ـ نسبة الى بانيها أربع ، العربي الكنعاني وهو كبير قبيلة العناقيين التي سكنت المنطقة في ذلك الزمن السحيق ، ولم تكن لها علاقة باليهود او اليهودية •

وفي العهد القديم ان مدينة صوعن المصرية (المعروفة الآن باسم صالحجر في دلتا مصر) بنيت بعد قرية « أربع » بسبع سنين • والمعروف ان صوعن هذه وجدت على الاقل منذ عهد الاسرة السادسة (٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥) ق•م •



موقع ديار خليل الله ابراهيم من فلسطين المحتلة

وفي أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وفد الى « قرية أربع » ابراهيم عليه السلام قادما من الحجاز • وسكن تحت أشجار البلوط في شمالها ، وهناك من يقول ان احدى هذه الشجرات باقية الى الان •

وفي تلك الاثناء توفيت زوجته « سارة » (ومعناها أميرة) ، وعندئذ دفنها سيدنا ابراهيم في مغارة « المكفيلة » التي تشير كتب التاريخ الى ان الخليل ابراهيم اشتراها هي وحقلها من شخص يدعى عفرون بن صوحر الحثي •

وبعد سارة توفي الخليل ابراهيم ، فدفن في المغارة ذاتها •

وبعده توفي ابنه اسحق وزوجته رفقة ، فدفنا الى جوار ابي الانبياء •

كذلك دفنت في المغارة ايضا لينة زوجة سيدنا يعقوب •

وفي العهد القديم ان يعقوب كان قد توفي في مصر ، الا أن أهل الطب حنطوا جثته وجاء بها يوسف واخوته الى قرية أربع ، ودفنوه في مغارة المكفيلة •

ولما مات يوسف في مصر حنطت جثته • وعندما خرج اليهود من مصر بقيادة سيدنا موسى ، نقلوا الجثة معهم ودفنوها بالقرب من نابلس • ويقال أن جثته نقلت بعد ذلك الى قرية « اربع » •

وعندما حط اليهود رحالهم في المنطقة ، شهدت تطورا جديدا ، ومثيرا •

دخل قائد يهودي اسمه يوشع البلاد ، واخذ يدمر ويحرق ويقتـل • وانهزمت أمامه قبائـل العناقين العربية ووهب يوشع قرية اربع الى واحد من رفاقه يدعى « كالب بن يفنه » وغير كالب هذا اسم قرية أربع التي ظلت تعرف به مدة ١٤ قرنا ، واطلق عليها اسم « حبرون » وهو أحد أولاده • وحبرون هذه كلمة عبرانية معناها « العصبة » أو الرابطة •

عندما حكم داود

ولمترروايات متعددة حول احداث الفترة التالية• تقول أرجحها أن العناقين تمكنوا من العودة الى قرية اربع وغيرها من مدنهم الجبلية • الا ان اليهود تغلبوا عليهم بعد ذلك ، واتخذ داود بن سليمان « حبرون » مقرا له لمدة سبع سنوات وستة أشهر • ولما استولى داود على يبوس (القدس) انتقل اليها •

سبع سنوات وستة أشهر فقط ، هي التي قضاها الملك داود في تلك المنطقة ، منذ ذلك الزمنّ السحيق ، بينما العرب هم سكانها واهلها على مدار التاريخ ، ومع ذلك تدعي اسرائيـل ان لها « حقا » في تلك الارض المقدسة •

وفي العهـد الرومانـي ، في سنـوات حكم الامبراطور يوستيفانوس (٥٤٧ ـ ٥٦٥م) اقيمت

منبر الحرم الابراهيمي الشريف الذى نقله الى الحرم صلاح الدين الايوبي من ثغر عسقلان بفلسطين بعد تخريب الثغر بواسطة الصليبيين . المنبر مصنوع من أفخر أنواع الاخشاب ، ومطعم بالعاج ، ومصنوع في عصر الدولة الفاطمية المصرية .





الدرج المؤدى الى الحرم ، والذى يحاول الاسرائيليون بناء كنيس لهم ملاصق له .



دكة المؤذنين التى يعلوها حاجز حديدى والتى تقوم على عمد رخامية مصنوعة بدقة ، وقد بناها السلطان صلاح الدين الايوبى . ويجانبها قبة فوق مدخل الغار ، أمر ببنائها السلطان محمد الناصر بن السلطان قلاوون .

كنيسة على مقبرة ابراهيم وعائلته • لكن الفرس هدموها في غاراتهم التي شنوها عام ٦١٤م • وبقيت كذلك الى أن دخل العرب المسلمون « حبرون » •

وفيما يبدو ، فان الخراب الذي لحق بالخليل بسبب غارة الفرس كان كبيرا ، حتى أن اسم « حبرون » لم يذكر في الفتوحات الاسلامية •

وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار المسلمين الى مقام جد الانبياء ابراهيم • فرمموا ما سمحت لهم الظروف بترميمه ، وشيد الامويون سقف الحرم الحالي والقباب التي فوق مراقد ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما •

وفي العصر العباسي فتح الخليفة المهدي ـ ثالث الخلفاء العباسيين ـ باب السور الحالي من جهة الشرق ، وبنوا له المراقي الجميلة من ناحيتي الشمال والجنوب • وأمر الخليفة المقتدر بالله ببناء القبة التي على ضريح يوسف عليه السلام •

في قبضة الصليبيين

لكن الحال لم يستمر طويلا على هذا المنوال ، فقد سقطت الخليل بأيدي الفرنجة في عام ١٠٩٩م ، ـ ٤٩٢ هـ أيام الحروب الصليبية •

واهتم الصليبيون بتحصين المدينة لموقعها الجغرافي الهام ، حتى صارت تتحكم في كل المنطقة المحيطة بها • حولوها الى قلعة واطلق عليها اسم قلعة « القديس » ابراهام (ابراهيم) وحاول المسلمون ان يستردوا مدينة الخليل في عام ١١٠٧م، زاحفين اليها من عسقلان •وكادوا يستولون عليها، الا ان بلدوين الاول ملك بيت المقدس الفرنجي تمكن من ردهم •

وبعد حوالي نصف قرن من حكم الفرنجة ، اصبحت الخليل مركزا لابرشية ، ثم بنيت كنيسة على موقع الحرم الابراهيمي في عام ١١٧١م •

ولما استرد صلاح الدين الايوبي الخليل اثر معركة حطين الشهيرة (عام ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م) حول الكنيسة الى مسجد ، هو الان الحرم الابراهيمي الشريف • ونقل اليه منبر عسقلان الذي كان المستنصر بالله الفاطمي قد امر بصنعه عام ٤٨٤هـ• وما زال هذا المنبر قائما الى اليوم •

غير ان الصليبيين واصلوا محاولاتهم لغزو المنطقة•وكانت آخر غاراتهم على الخليل تلك التي حدثت في ربيع عام ٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م ،الا ان الناصر داود ابن شقيق صلاح الدين تمكن من ردهم ،وبقيت الخليل عربية اسلامية •

ومع ذلك لم تسلم الخليل من محاولات الغزو • ذلك ان المغول وصلوا بغاراتهم الى غزة والخليل، بعد ما دمروا بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين عام ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م ، ثم تطلعوا الى الشام ، فدفعوا بجيوشهم اليها ،وقتلوا وسلبوا ونهبوا الكثير • الا ان انتصارات « قطز » في عين جالوت عام ٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م ، وضعت حدا نهائيا لهذه الغارات •

بصمات المماليك

وطوال تلك الفترة ، ظلت الخليل مدينة عادية، يعظمها المسلمون ، لكنهم لم يشغلوا انفسهم بتوفير مظاهر الفخامة والترف لمسجدها وقبورها ، وكانوا في ذلك ملتزمين الى حد كبير بالتصور الاسلامي الدقيق والصحيح •

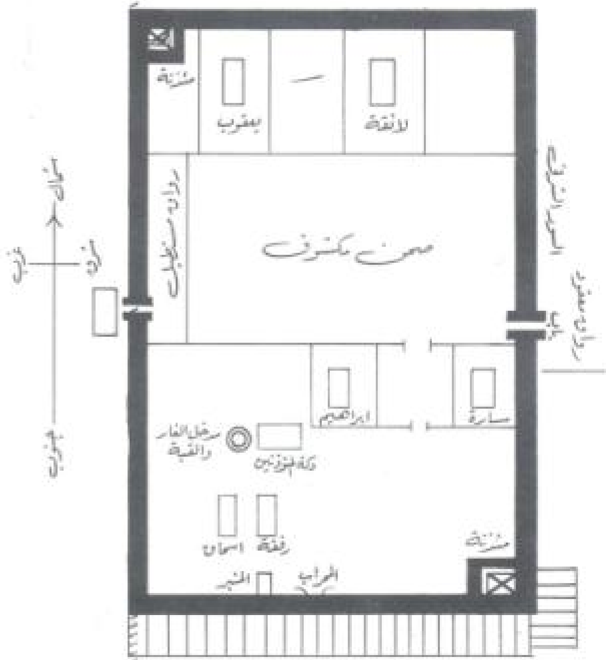
لكن هذه الصورة تغيرت تماما في عهد المماليك• ذلك انه بعد حكم الدولة الايوبية ، ظهرت الى الوجود دولة المماليك التركية والشركسية التي دامت حوالي ثلاثة قرون •

وخلال هذه القرون الثلاثة ترك المماليك بصمات واضحة على مدينة الخليل ، والحرم الابراهيمي الشريف ، حتى وصف عهد المماليك في فلسطين بأنه (من ازهى عصورها التاريخية) اهتم المماليك بتوفير مظاهر الفخامة والابهة للاماكن المقدسة ، ودور العبادة • تماما كما اهتموا بتثبيت الكثير من العادات والتقاليد الجديدة على العرف الاسلامي، المولد وحفلات الافطار وانشاء القباب فوق القبور، وانشاء المساجد فوق قبور الاولياء ، الى آخر تلك المظاهر الجديدة على الاسلام •

ومن العهد المملوكي ، انتقلت الخليل مع بقية مناطق الشام الى الحكم العثماني •

وقد استولى العثمانيون على الخليل عام ١٥١٧م ، كما استولوا على بقية الشام على اثر معركة«مرج دابق»الشهيرة • واستمر حكم العثمانيين اربعة قرون،بعده جاء الاحتلال البريطاني لفلسطين، الذي تستر وراء لافتة الانتداب ، وامتد من عام ١٩١٧ الى سنة ٤٨ ، عام النكبة •

طوال فترة الحكم العثماني ، كانت الخليل مدينة مزدهرة ، زراعيا وصناعيا وتجاريا ، فقد اشتهرت الخليل بصنع الصابون وغزل القطن وصنع الزجاج في معملها الوحيد بسوريا • وذلك فضلا عن مزروعاتها العديدةمن عنب وزيتون وقطن وغابات•



● زار الرحالة العربى الشهيرابن بطوطة مدينة الخليل فى القرن الثامن الهجرى ، وكتب يقول : سافرت من غزة الى مدينة الخليل ، صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما .وهى مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار ، حسنة المنظر ،عجيبة المخبر ، فى بطن واد ، ومسجدهاانيق الصنعة ، محكم العمل ، بديع الحسن، سامى الارتفاع ، مبنى بالصخر المنحوت ، فى احد اركانه صخرة ، احد اقطارها سبعة وثلاثون شبرا .. وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس . فيه . قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات اللـه على نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور ازواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام،محكمة العمل الى مسلك ضيق يفضى الى ساحة مفروشة بالرخام ، فيها صور القبور الثلاثة . ويقال انها محاذية لها ، وكان هناك مسلك الى الغار المبارك . وهو الآن مسدود . وقد نزلت بهذا الموضع مرات .

... وغابت الشمس !

ومع العهد البريطانى ، بدأت الشمس تغيب عن فلسطين .

بدات المؤامرة التى انتهت بالتقسيم فى عام٤٨ وشهدت سنوات الانتداب سلسلة من الاضطرابات التى فجرت الموقف بين العرب اصحاب الارض واليهود الطامعين فى الأرض .

وتوالت السنوات ، والاضطرابات لم تتوقف ، لان المؤامرة كانت تدبر فى الظلام ...

وجاء الصدام العلنى ، وانكشفت خطط الصهيونية العالمية ، فى حرب ١٩٤٨ ، ثم بتقسيم فلسطين واعلان قيام دولة اسرائيل .

وكان حظ الخليل ان تخت من حدود الدولة المزروعة غصبا وبالاكراه ، فوق ارض فلسطين . واصبحت تحت حكم الاردن ، الى ان حلت هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

فى صباح الخميس ٨ يونيو استولت القوات الاسرائيلية على الخليل ، وبدأ فصل جديد ـ مثير وماساوى ـ فى تاريخ المدينة البطلة .

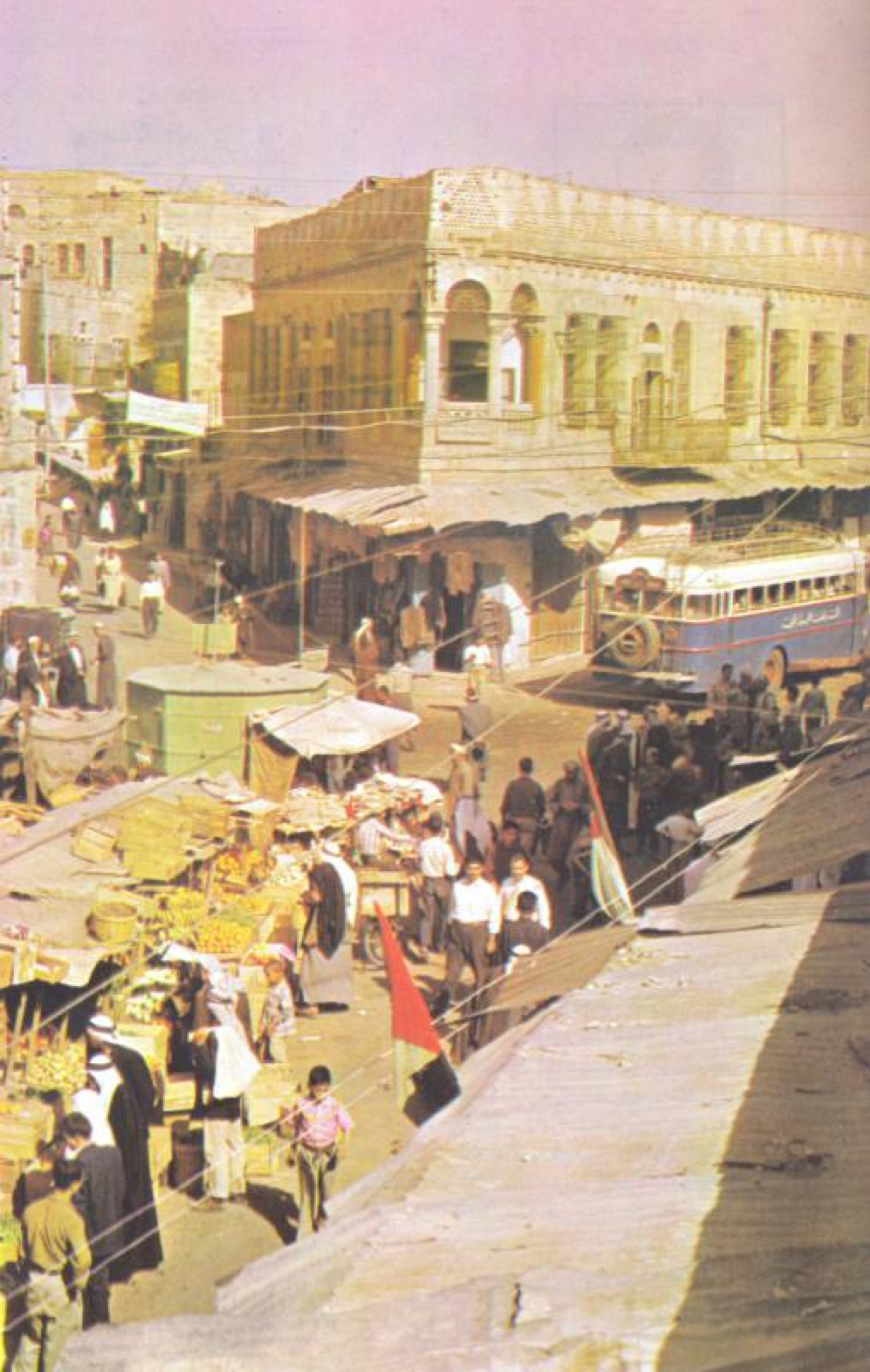
ولازالت مشاهد هذا الفصل التعس تمضى امام الجميع .

هذه هى وقائع محنة الخليل ، التى هى جزء لا يتجزأ من محنة فلسطين . والوقائع تؤكد حقيقة لا ينكرها اى منصف ، هى ان اسرائيل اغتصبت فلسطين وانتهكت الاماكن المقدسة بقوة السلاح وحده . بفوهات المدافع دخلت ، وليس من باب التاريخ باى حال .

حياة المدينة من الداخل ، الطابع الاسلامي يؤكد بصماته في كل موقع والسوق يموج بالحركة ، لكن المخططات الاسرائيلية تخبيء الكثير لتغيير ملامح المنطقة كلها ٠

نماذج من المصنوعات الزجاجية التي اشتهرت بها الخليل منذ مئات السنين ٠ كانت المدينة رائدة في تلك الصناعة التي توارثتها عائلات كثيرة أبا عن جد ٠





● هدية العربى ●

عالم الغد.. في الفضاء



فون براون

■ الغد الذى نتصوره اليوم ويعيشه ابناؤنا واحفادنا بعد ثلاثين او خمسين عاما او اكثر او اقل .. هذا الغد الذى يتسابق العلماء الان على تصويره لنا وعلى التنبؤ بما سيحمله من مفاجئات لانسان القرن الحادى والعشرين .. كيف يكون شكل الحياة فيه ؟ !

لقد حملت لنا السنوات العشر الاخيرة مفاجئات علمية مثيرة ، اكبر بكثير مما تصورها خيال الانسان العادى .. ولكنها اقل ، في الوقت نفسه بكثير ، مما يتصوره العلماء الذين غزوا الفضاء وحطوا على القمر ، وانطلقوا من بعده يبحثون عن محطات جديدة في الكون الواسع الى كوكب المريخ والى ماوراءه .. يقول العالم الالمانى فون براون « ابو الصواريخ » : « غدا ستنطلق سفن الفضاء حاملة مجموعات من البشر الى المستقبل ! وهذه « الكبائن » الصغيرة التى تحشر فيها رواد الفضاء حشرا فتحملهم معها الى العالم المجهول ، هي نقطة البداية .. اما النهاية فلن تجيء ابدا .. فهى انطلاقة لن تتوقف ، واذا توقفت فليس معنى هذا اننا قد انتهينا من تجاربنا وابحاثنا .. معنى التوقف في تجارب العلماء ومغامراتهم في الفضاء هو الانتظار عند محطة جديدة والهبوط فوق سطح كوكب جديد .. تماما كما تتوقف الطائرة في المطارات لينزل منها ركاب ويصعد اليها اخرون .. اما رحلة العلماء في الكون فهى ماضية في طريقها ولن تهدأ .. »

ماذا وراء غزو الانسان للفضاء ؟

يقول العلماء : « اننا نبحث عن اسرار هذا الكون الذى نعيش فيه والذى لم يتوصل اليه انسان من قبل .. نبحث عن الحياة في الكواكب .. ونبحث عن التكوين الجيولوجى لهذه الكواكب ! ان الارض هذا الكوكب الصغير الذى نعيش على سطحه اليوم قد ضاق او اوشك عن استيعاب الاعداد الهائلة من البشر الذين يقدر عددهم فى سنة ٢٠٠٠ (اى بعد اقل من ربع قرن) بما يزيد على سبعة الاف مليون من البشر ، وهو ضعف تعداد سكان العالم اليوم ! فاذا كانت ثروات الارض لا تكفى سكانها اليوم ، فكيف بها بعد هذه الفترة القصيرة من عمر الانسان ؟ !

قد نغزو البحار ونبحث فى اعماقها عن مزيد من الرزق ، وقد نحول صحراواتنا الى واحات ناكل خيراتها .. ولكن مع هذا ستبقى الملايين من الافواه الجائعة تطلب المزيد !

من هنا كان اهتمام العلماء بالفضاء والكون .. ومن هنا كان اهتمام « العربى » بتقديم هديته للقراء عن انجازات الفضاء وعن الكبسولات او « الكبائن » كما اسماها فون براون التى ستصبح سفنا تنقل اهل الارض فى رحلات طويلة الى الفضاء بحثا عن حياة جديدة ورزق جديد .. وهى أمنية البشرية فى مطلع كل عام منذ ان عرفنا طريقنا الى الفضاء ، ومنذ ان بدا هذا الكون الفسيح من حولنا يصبح فى متناول يد الانسان ! ■■

م٠ن

لا نعتقد ان هناك موضوعا حير الباب الكتاب وشغل من التفكير قديما وحديثا قدر ما شغله موضوع الطوفان فى عهد نوح عليه السلام ٠



سؤالان يثيران حيرة العلماء :

أين سفينة نوح ؟ وما هى حكاية

الطوفان ؟

بقلم : الدكتور أمين محمود عبدالله

■ لقد اثارت تلك الملحمة الكبرى اهتماما واسعا فى الثقافات القديمة ، اذ ما من ثقافة كانت تخلو من حكاية تروى عن الطوفان العظيم فيما يروى من حكاياتها المأثورة او قصصها المتوارثة، او الفولكلور ٠ وظلت هذه الملحمة تلح على تفكير الباحثين المحدثين وتدفعهم الى بذل الجهد من اجل تحقيق هذا الحدث الجلل : اين ومتى وكيف وقع ٠

ومن اهم هذه المحاولات تلك الحفائر التى قام بها (جورج سمث George smith ـ من المتحف البريطانى ـ فى أوائل هذا القرن فى موقع (نينوى) القديمة ، حيث استطاع ان يجمع اللوحات المهشمة فى هذه الحفائر ، وان يستنطق بالتالى ما عليها من كتابات ويترجمها معانى متكاملة ٠ وكان اهم ما دون على هذه اللوحات ملحمة (جلجاميش G.Igamish) ٠وقد عرف بعد ذلك ان هذه اللوحات كانت جزءا من مكتبة مشهورة جمعها واسسها الملك (آشور بانيبال) حوالى ٧٠٠ ق٠م٠ لقد عثر جورج سمث على حوالى ٢٠٠٠ لوحة من هذه المكتبة القديمة تضمنت

فيما تضمنته ملحمة تشير الى احداث وقعت قبل عهد ذلك الملك بالاف السنين تلك هي ملحمة جلجاميش .

ان الاحداث التي تحكيها تلك الملحمة هي من الغرابة بحيث اعتبرها بعض مؤرخي العصور الماضية جزءا من الفولكلور . وقد ظهرت اول ترجمة للقصة مكتوبة باللغة الاغريقية ، وقام بنقلها من اللوحات الطينية حوالي ٢٧٥ ق.م. كاهن يدعى (بيروسوس Berossus) . وهناك نسخة اخرى من هذه الملحمة وجدت في ارض ما بين النهرين Meso potamia ، وهي نسخة اقدم من نسخة آشور بانيبال ويرجع تاريخها الى عهد (حامورابي) ملك بابل حوالي ١٨٠٠ ق.م. وهناك ترجمة اخرى للقصة نقلها المصريون القدماء الى لغتهم الخاصة عن النص المسماري القديم .

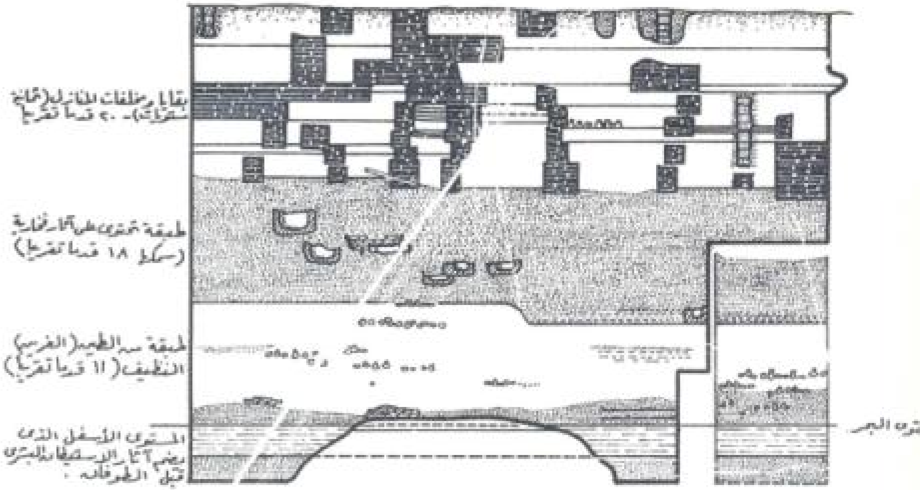
تراث شعب قديم

ولم يدع اكتشاف نسخة حامورابي بالاضافة الى نسخة آشور بانيبال ادنى شك في ان القصة كانت اقدم بكثير من عهدي كلا الملكين . فلقد كانت تلك الملحمة جزءا من تراث شعب قديم جدا هو الشعب السومري الذي كان يستوطن الجزر التي ظهرت في المناقع بعد ان غيضت المياه . وقد قام جدل عنيف وطويل بين الكتاب حول هذا الموضوع، واصبح من المعتقد الآن ان هذه القصة ترتبط بفيضان عظيم حقيقي وقع حوالي ٤٠٠٠ ق.م. وادى الى محو شعب سومري قديم من الوجود . ولا بد ان يكون هذا الطوفان من النوازل الكبرى والكوارث العظمى ، والا لما استطاع ان يستحوذ على خيال الشعوب وان يترك هذا الاثر العميق في تفكيرهم طوال القرون .

وقد جاء في قصة (جلجاميش) ان من بين الذين وقعت لهم تلك الكارثة العظمى شخصا يدعى (اتنا بشتيم Utnapisht'm) . ويقول جلجاميش في ملحمته : انه كان يتوق الى معرفة سر الخلود ، ولهذا خرج مرتحلا مغامرا للبحث عن جده القديم المعمر (اتنا بشتيم) ليساله عن هذا السر . وعندما اهتدى اليه اخذ يقص عليه تلك الملحمة التي كتبت على اللوحات الطينية : ـ « كنت اعيش في مكان يعرف باسم (شرباك Shurruppack) . وكنت من اخلص المؤمنين بالالة (ايا Ea) . وعندما اقتضت ارادة الالهة ابادة النوع البشري أنذر الاله (ايا) عباده بقوله : (يا أهل شرباك : اهدموا مساكنكم واصنعوا الفلك .دعوا الاموال وانبذوا الثروات . احتقروا الممتلكات . انقذوا حياتكم. اجمعوا بذور جميع الكائنات الحية في السفينة). وبنيت السفينة فكانت مساحتها ٢٠٠ قدم مربع وارتفاعها ٢٠٠ قدم والواحها مثبتة بالبيتومين. كانت مكعبة الشكل ذات مظهر عجيب . استخدم في بنائها مقادير عظيمة من الخشب والقار . وكانت مكونة من سبع طبقات كل منها مقسم الى سبع مقاصير . وكان لها باب وعدة كوى » .

الرعب في آداد

ويستمر (اتنا بشتيم) يروي ما حدث من اهوال ، وجلجاميش يستمع اليه : « ولقد اخذت اراقب ما يحدث من اهوال . ان الرعب في (آداد) بلغ ذروته ، بعد ان حول كل ما كان مضيئا الى ظلام دامس . لقد دمرت الارض الشاسعة . ولمدة يوم كامل جعلت العواصف والاعاصير تزمجر ، مستجمعة قواها كلما واصلت الهبوب . وقفت على الخلائق كما لو كانت معركة . لم يعد أحد يرى الآخر . ولم يكن من الممكن رؤية الناس من فوق . واستمر هبوب الرياح ستة ايام وست ليال ، والعواصف الجنونية تكتسح الارض . وعندما جاء اليوم السابع بدا البحر في الهدوء ، وهدأت العاصفة وتوقف الطوفان . وغاضت المياه . ونظرت الى الطقس ، لقد حل السكون وعاد النوع البشري الى الطين .واصبح الصعيد مستويا كسطح ممهد. وعندما فتحت كوة السفينة سقط ضوء النهار على وجهي ، فانحنيت بشدة وجلست اجهش بالبكاء والدموع تنهمر على وجهي . واستقرت السفينة عاليا على جبل نيزير Nisir . لم تكن هناك اية حركة ، واخذت يمامة واطلقت سراحها ؟ فطارت بعيدا ولكنها عادت ، ثم اخذت غدافا (غرابا أسود) فاطلقته . لقد طار الغراب بعيدا . وكانت المياه قد تناقصت .الغراب يحوم وينعب ولا يعود . ثم اطلقت جميع الكائنات الى الخارج في اتجاه الرياح الاربع. وقدمت قربانا ».



قطاع رأسى يمثل طبقات منطقة حفائر الطوفان
في موقع مدينة (أور) القديمة

وقد ورد ذكر الطوفان بعد ذلك فى سفر التكوين حيث قيل ان (نوحا) امتثل لامر الله ببناء السفينة ،فجعل طولها ٣٠٠ ذراع ، وعرضها ٥٠ ذراعا ، وارتفاعها ٣٠ ذراعا (اى نحو ٦٠٠ قدم ، ١٠٠ قدم ، ٦٠ قدما على التوالى) ٠ وجاء فى سفر التكوين ان الرياح اخذت تعصف ودمرت الفيضانات والاعاصير الارض ،لم اوشكت (الاربعون يوما) على النهاية عندما فتح نوح نافذة سفينته التى صنعها ٠ واستقرت السفينة على جبل نيزير ٠

سفينة نوح

اما القرآن الكريم فقد تناول هذا الحدث الجسيم واجمل قصته فى بلاغة معجزة فى قوله تعالى فى سورة هود : « واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ٠ واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ٠ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٠ فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ٠ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما امن معه الا قليل ٠ وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ٠ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن من الكافرين٠ قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٠ وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » ٠

كما ورد ذكر الطوفان ومصدره فى سورة القمر فى قوله تعالى : « ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ٠ وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر ٠ وحملناه على ذات الواح ودسر ٠ تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر » ٠

وظهرت نتيجة لذلك ايضا بعض الاجتهادات التى تفسر كيفية حدوث الطوفان ،ومنها ما ذهب اليه « وليم ويستون William Whiston » (١٦٦٧ ــ ١٧٥٢ م) من أن الطوفان مرتبط بحادث فلكى وقع للارض عام ٢٣٦٥ او عام٢٣٤٩ قبل الميلاد ٠ وقد جعل « وليم ويستون » هذا الحادث اساس نظرية جديدةله عن الارض ،مصورا بذلك السبب الطبيعى لطوفان نوح ٠ وخلاصة هذا الحادث الفلكى ــ حسب نظرية « وليم

ويستون » ـ ان احد المذنبات A. Comet مر بالقرب من الارض ، ونتج عن قوة جذبه لها ان اعتصرها ، فاتخذت شكل البيضة ، وترتب على ذلك ان تمـزقت قشرة الارض فاندفعت المياه الجوفية خارجة منها ، وحينئذ اتصلت هذه المياه الارضية بالمياه المنهمـرة على الارض من ذيل المذنب الذى اخذت ابخرته تستقر حول النـواة المحترقة حسب جاذبيتها النـوعية مكونة طبقات متتابعة من السائل الثقيل والماء والتراب •

ما بعد الطوفان

ولنا ان نتساءل بعد ذلك : هل هذه القصص تدور حول طوفان معين بالذات ، او انها تشير الى فيضانات مختلفة تفصل بينها ازمان طويلة ؟

ان المرجح لدى العديد من الـكتاب ان تماثل الروايات يبعث على الاعتقاد بتطابق الاحداث وان رويت بصيغ مختلفة وتناولت اسماء متباينة •

ثم نتساءل ايضا : هل غمر الطوفان العظيم جميع الارض ، او انه اغرق ارض ما بين النهرين فقط ؟ وهل كان ذلك الحدث الجلل نهاية الارض المستنقعية المليئة بالجزر وبداية تكوين الارض اليابسة الصلبة بين النهرين ؟

وعندما هدات العاصفة وغيض الماء : هل كان ثمة من المواد الرسوبية ما كان كافيا لتكوين تربة ذات سمك ثمانية اقدام من الغرين ـ وهو سمك تربة ارض الجزيرة ـ وكافيا بالتـالى لان يدفن مدن ما بين النهرين ويدفع بالساحل جنوبا فى الخليج ؟

ان الاجابة على هذه التساؤلات جميعا تكمن فى ذلك الكشف الخطير الذى قام به العالم الاثرى البريطانى « ليونارد وولى Leonard Woolley » عندما كان يعمل فى حفائر مدينة « اور Ur » القديمة بين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٣٠ : ففى سـنة ١٩٢٩ كان قد تجمع لديه كثير من المعلومات من تلك الحفائر تنتظر التصنيف والفهرسة • وقـد قامت زوجته « كاترين وولى Katherine Woolley » بجهد كبير فى معاونته •

فى تلك السنة كان شاغل « وولى » الوحيد هو تحقيق موقع مدينة « اور » القديمة وكانت الفجوة والسرداب اللذان تم حفرهما فى الربوة



الواقعة فى هذا المكان يزيد اتساعهما على ٢٠٠ قدم،ويبلغ عمقهما ٤٠ قدما ، ومع ذلك فان حدود الموقع لم تكن قد بلغت بعد • ثم اتضح بعد ذلك عندما اوغل الرجال فى الحفر نحو وسط الموقع وجود جبانة كبيرة فى ضواحى موقع مدينة اور • وكانت معظم المواد التى ازيلت من الحفر عبارة عن انقاض ونفايات تمثل بقايا الامم الغابره التى تعاقبت على هذا المكان • وكانت هذه البقايا توجد فى شكل طبقات متتالية امكن تمييزها بوضوح • وكما هو متوقع فان كل طبقة تمثل مدينة اور فى حقبة من الزمن ، وكل مرحلة منها قامت على انقاض مرحلة اخرى •

هياكل بشرية

ولكـن (ليونارد وولـى) لم يكن قـد نسى الاكتشاف البطولى الذى قام به (جورج سمث) والنصوص الاثرية التى عثر عليها والتى رغم الاختلافات بينها وتفاوتها فى القدم تتفق فـى مضمونها العام وهو الاخبار عن قصة طوفان عظيم وقع فى ازمنة غابرة • كذلك فان شيئا هاما يتصل بهذه الطبقة الطينية النظيفة قد ازعج وولى واثار دهشته •

لقد لاحظ أن هذه الطبقة الطينية لاتاخذ شكلا طباقيا ، وان مستواها كان اعلى من مستوى الارض السبخة الاساسية المحيطة بها والتى قامت عليها الاكواخ المصنوعة من عيدان القصب والطلح •

واستمر الرجال في الحفر قدما بعد آخر ومازال الطين نظيفا من اى اثر • وبينما كانت الفئوس والمعاول تتعمق فى الطين النظيف كان هناك تساؤل عام : اذا كانت هذه الارض ، كما اثبتت الظاهرات المكتشفة الاخرى ، قد نشأت من المناقع، فكيف ومتى جاءت هذه الطبقة الطينية المرتفعة الى هذا المكان •

لقد كان (وولى) على حق حين اخذ يتابع شكه حتى يقطعه باليقين • لقد انتهت طبقة الطين فجأة على عمق احد عشر قدما • ولكن شيئا منهلا قد حدث ، أثار دهشة بالغة لدى جميع العمال الذين نظروا في ارتياع الى (ليونارد وولى) : ذلك انه عند هذا العمق بدأت طبقات اخرى من الآثار والانقاض والهياكل البشرية فى الظهور مرة اخرى •

لقد اخذ الجميع يعودون بذاكرتهم الى الماضى البعيد ، الى مدينة اور التى ازدهرت حتى سنة ٣٢٠٠ ق•م • ولكن مستوى الارض الاساسى الذى قامت عليه لم يكن قد تم التوصل اليه والتحقق منه بدقة • اما (وولى) فقد اغرق فى التفكير حيث كانت تشغله طبقة الطين النظيف ذاتها • لقد كان يشعر باقتناع ماذا كانت تعنى هذه الطبقة الطينية ، ولكنه أمر رجاله بالحفر فى اتجاهات مختلفة على بعد عدة مئات من الياردات فقد كانت هذه الطبقة ممتدة على مساحة واسعة للغاية • وكان اسفلها طبقات من الاطلال والانقاض تنتمى الى حقب اخرى من الزمن• فما هذا اللغز المحير، وماذا يخفى وراءه ؟

لقد كانت المستويات العليا من هذه الطبقة الطينية ذات لون داكن ، ومكونة من مواد اكثر تفككا • اما المستويات الوسطى وهى صلب الطبقة فكانت افتح لونا واكثر تماسكا ولايمكن ان تكون الا نتيجة ارساب حادث من تدفق ماء منهمر بمقادير هائلة • ثم تعود المستويات السفلى من الطبقة الطينية فتصبح مرة اخرى اشد قتاما وتحتوى على مواد مختلفة •

لقد كانت الكارثة التى كانت تحكى عنها تلك الطبقة الطينية كارثة مروعة حقا ، اذ لابد ان مدينة (اور) نفسها ، وجميع المدن والقرى المعاصرة لها والقريبة منها ، قد دفنت تماما تحت هذه الطبقة • لقد اختفى كل شيء فيها ولم يترك الرا• اكتسحته العواصف المروعة والامطار المنهمرة والفيضانات المدمرة التى انصبت بشكل مفاجيء فاحدقت بالارض اليابسة واغرقتها • لقد جرفت هذه الرياح والامطار والفيضانات مقادير هائلة من الرواسب من المرتفعات المحيطة كافية لدفن كل مظاهر الحياة تحت طبقة من الطين ذات سمك ثمانية اقدام •

أربعة آلاف سنة ق•م•

ان قصة الطوفان المرتبطة بنوح عليه السلام والفلك الذى صنعه لهى قصة قديمة حقا تعود على الارجح الى نحو ٤٠٠٠ ق•م• وهذا تاريخ مدينة أور فى طورها الاول •

ومن المعتقد ان سفينة نوح التى انشاها للنجاة بنفسه وبمن آمنوا معه قد استقرت فى النهاية فى الجبال التى تقع الى الشمال من العراق • ومن المعتقد ان يكون جبل (أرارات) – ربما كان هو ماذكر فى القرآن الكريم باسم (الجودى) وذكر فى بعض الكتب المقدسة الاخرى وفى ملحمة جلجاميش باسم جبل (نيزير) فى تركيا – هو الجبل الذى استقرت عليه سفينة نوح بعد سكون العاصفة وغيضان الطوفان •

وقد اتعب الباحثون انفسهم فى البحث عن هذه السفينة دون ان يصلوا الى شيء ، ومازالت القصص بشأنها تستهوى المكتشفين لمواصلة البحث • وقد ادعى بعضهم انه وجد قطعا من الخشب المشكل فى تلك الجبال الخالية من الاشجار، وادعى البعض الاخر انه وجد صخرة لها شكل السفينة • ومع ذلك فان دليلا قاطعا على وجود سفينة او بعض منها مازال بعيد الاحتمال • اما الدليل القاطع فقد قام فعلا على وقوع اعنف فيضان فى تاريخ الانسان• هذا الدليل الذى يتمثل فى الطبقة الطينية التى عثر عليها (ليونارد وولى) والتى تغطى آثار المستوطنات البشرية القديمة فى موقع مدينة (أور) العاصمة السومرية القديمة •

■■

امين محمود عبدالله
استاذ الجغرافيا المشارك بكلية الاداب
جامعة الملك عبدالعزيز – جده

الفرقعة

● بعض الناس ـ اذا لوى عنقه بخفة او بسرعة خرج من التواء فقراتها صوت ، يسمى فى الفصيحة «فرقعة» وكذلك يسمى الصوت الذى يخرج من اصابع اليد او الرجل عند غمزها او شدها ، وفرقعة اصابع اليدين مكروهة فى الصلاة كما ذكرت كتب الحديث والفقه ·

والفعل « فرقع » يستعمل فى الغالب لازما ، فيقال : « فرقع الرجل باصابعه » أو « فرقعت الاصابع » كما يستعمل متعديا ، فيقال « فرقع الرجل اصابعه » اى غمزها او شدها ، فكان هذا الصوت ·

وفى رحلة ابن بطوطة ـ عند كلامه على اهل مكة ـ يذكر من عاداتهم يوم الجمعة ان الخطيب يقبل للخطبة ، وقد لبس ثوبا اسود ، « وبين يديه (امامه) احد القومة (الحراس) فى يده « الفرقعة » وهى عود فى طرفه جلد دقيق مفتول ، ينفضه فى الهواء ، فيسمع له صوت عال ، يسمعه من بداخل الحرم وخارجه ، فيكون اعلاما بخروج الخطيب ، ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر » ·

ونقول : أن هذه البدعة الصلفة قد بطلت الآن ، فلم نشهدها نحن ولا غيرنا عند زيارات الحرم ، ولا ندرى متى كان ظهورها ، ولا بطلانها ·

ولا نجد فى المعاجم هذا المعنى لكلمة «الفرقعة» فى دلالتها على الاداة التى تحدث هذا الصوت، دون دلالتها على الصوت نفسه ، ونحن نعدها فصيحة ، فهى مجاز مرسل من باب اطلاق المسبب على السبب وتسميته باسمه ، او اطلاق العمل على اداته وتسميتها باسمه وامثلته فى الفصيحة كثيرة، ولا سيما فى المفعول المطلق، ونيابة اداة الفعل عن مصدره، وعكس هذا الباب فى المجاز المرسل فصيح ايضا ، اى اطلاق السبب على المسبب او النتيجة وتسميتها باسمه ، وامثلته فى الفصيحة كثيرة ايضا ·

ونحن فى الدارجة اليوم نطلق كلمة «الفرقعة» على انواع كثيرة من الاصوات الانفجارية ،منها الصوت الذى يحدث من حك اصبع الابهام بالاصبع الوسطى او السبابة سريعا ، كمانرى من بعض الراقصات وغيرهن للتطريب ، او عند لفت نظر شخص او تنبيهه على امر ، او عند انفجار الهواء من شىء ملىء به كاطارات السيارات والانابيب وبالونات الاطفال ونحوها ، او انفجار اى غاز اخر من محبسه ، او قصف المدفع ، ودوى الرعد ·

ومع شيوع السيارات وغيرها من الاليات فى مدننا اليوم لم تزل فيها بقايا من الحوذية : اصحاب عربات الركوب التى تجرها الخيل ، ولكل حوذى سوط ذو طرف طويل مفتول دقيق من خيوط قوية ، فاذا ما اراد ان يستحث خيله على السير او السرعة يهش بالسوط عليها،فاذا نفضه فى الهواء خرج منه صوت ، وهو يكفى لتنبيه خيله لتنطلق (بدلا من جلدها بطرف سوطه اللاهب المبرح) ونحن نسمى هذا الصوت «فرقعة»

ولم يزل أهل الريف يستعملون اداة اشبه بهذا السوط ، ولكنها اضعف منه مادة وفتلا ومسا ، وهم ـ لرخاوتها ـ يسمونها « الرخو » (على وزن «دلو») وهى حبل طويل مفتول من الليف ، غليظ المقبض دقيق الطرف، ينفضونه فى الهواء فيحدث فرقعة ، ليهشوا به على حيواناتهم فتمضى فى ادارة الطواحين او السواقى ، او لسوقها فى الطريق .

وعندهم « المقلاع » وهو مفتول من ليف غالبا، يملاون كفه العريضة فى وسطه بصغار الحصى ، ثم يديرونه بسرعة فاذا افلتوا احد طرفيه

انطلقت الحصيات على الطيور الواقعة فى زروعهم، وانطلقت فرقعة من طرفه المرسل ،وهذه وتلك تكفى لازعاج الطيور القريبة والبعيدة حتى لا تفسد ثمراتهم بالاكل او النقر ، ولابد ان تكون الحصيات صغارا حتى لايؤذى وقعها الزروع او الثمار الضعيفة • وقد كان هذا المقلاع قديما من ادوات القتال ، اذ توضع فى كفة العريضة الحجارة ولا سيما المسننة ، فاذا اصابت العدو آذته بشدة وقد تقتله ، وبالمقلاع قتل داود عليه السلام عدوه جالوت او جليات كما جاء ذلك مفصلا فى كتاب العهد القديم ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا القتل ولم يذكر اداته •

كل هذه الاصوات الانفجارية تسمى فى الدارجة « فرقعة » ونحن نعدها فصيحة ، على سبيل المجاز التشبيهى ، جنسا ونوعا ، فانها اصوات كجنس الاصوات التى تحدث من الاصابع عند غمزها او شدها ، وهى تشبهها نوعا فهى مثلها انفجارية ، بل هى اشد انفجارا • والمجازات ـ مرسلة وتشبيهية ـ مما يسر التعبير، ويزيد اللغة مرونة وسعة ، وهذا من الظواهر العامة فى اللغات •

البعيد .. والأبعد

■ حين ننفر من شخص ، ثم نضطر الى ان نذكره فى حديثنا بالدارجة نقرن اسمه بكلمة « البعيد » او « الابعد » وهو وصف اقرب الى الدعاء عليه بالسوء ، واذا كان هذا الشخص امرأة قلنا مثلا : « البعيدة فلانة » ، او « فلانة البعيدة حدث لها ، او حدث منها كيت وكيت » • وكل هذا عربى فصيح فى اشتقاقه واستعماله •

فلقد كان اسلافنا العرب اذا احبوا شخصا او شيئا دعوا له بالقرب ، او ما فى معناه ، ليمتعوا انفسهم بعشرته ، فيقولون مثلا : قربه الله ، او قرب داره ، او يقولون : « لا أبعده الله » ، او « لا يبعد » ، بل كانوا يقولون ذلك احيانا عند الموت ، وهو ادوم بعد واقساه ، والى ذلك يشير مالك بن الريب المازنى فى قصيدته التى رثى بها نفسه ، حين أحس بدنو أجله مسموما من حية نهشته ، وتذكر ما سيقوله أصدقاؤه عند موته ، فقال :

يقولون : « لا تبعد » ، وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد الا مكانيا ؟

اما اذا نفر العرب من شخص او شىء فانهم يدعون عليه بالبعد او البعاد ، وما فى معناه فيقولون مثلا : « بعدا له » ، او « باعده الله » ، او « أبعده » ، اى حرمه او منعه الخير ، او أبعده الله عنا وأبعد شره• وقد يقول العرب : « لا قربه الله » ،او « لا قرب داره » ،ومن ذلك فى القرآن الكريم : « بعدا للقوم الظالمين » ومن شعر المتنبى فى صباه ـ وقد بدأ الشيب يعبث بمفرقه ـ قوله يصف ضيقه بهذا الشيب :

ضيف ألم برأسى غير محتشم
السيف أحسن فعلا منه باللمم
أبعد ، بعدت بياضا، لا بياض له
لانت اسود فى عينى من الظلم

والعرب تصف البغيض بانه « البعيد » و « الابعد » كشأننا فى الدارجة ، ومنه ما ذكره مختار الصحاح : « كب الله الابعد لفيه » اى القاه على وجهه • ومن معانى البعد والبعاد : الهلاك واللعن ، وهو يشبه قولنا فى الدارجة : فلان الهالك ، او الملعون ، وكلها تتداخل وتتقارب فى المعنى ، ولكن الوصف « بالبعيد والأبعد والبعيدة » ادخل فى التهذيب من كلمة « الهالك والهالكة ، والملعون والملعونة ، واللعين واللعينة » وهذا ايضا انسب لادب الاسلام والسنة النبوية ، فحسبنا ممن ننفر منه ابعاده عنا دون هلاكه،وينسب الى النبى عليه السلام انه كان فى ركب ، فسمع رجلا يلعن مطيته ،لانها اتعبته ،فقال عليه السلام: « لا يصحبنا ملعون » ، ومن قوله ايضا « ليس المؤمن بطعان ، ولا لعان ، ولا فاحش، ولا بذىء »• وفى كلمتى الهلاك واللعنة قسوة وجفاء ، ولا شىء من ذلك فى الوصف بالبعاد او المباعدة •

محمد خليفة التونسى



اكثر قراء العربية يعرفون كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى كتبه عن رحلته الى فرنسا بعنوان « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ٠٠ وقليلون هم الذين قرأوا كتاب الشدياق ، « كشف المخبا عن تمدن اوروبا »

الشدياق فى أوروبا

(١٨٠٥ – ١٨٨٧ م)

بقلم : ابراهيم عوض

■ هو أحد رواد النهضة العربية الحديثة ، وقد كان صاحب شخصية قوية استطاع ان يشق بها طريقه من الفقر الشديد الى الغنى ، ومن خمول الذكر الى الشهرة العريضة ، حتى ذاع صيته فى العالم الاسلامى كله عندما اصدر صحيفة (الجوائب) ٠ كذلك استطاع ان يكون لنفسه ثقافة واسعة عميقة متعددة الجوانب فى ان ، تبدت فيما خلفه من كتب فى أدب الرحلات ، وفى الدراسات اللغوية التى برع فيها وبلغ مدى بعيدا ،وفى السيرة الذاتية ،اذ صور لنا شخصيته ووصف حياته فى كتاب من ابدع واظرف ما كتب فى التراجم الشخصية هو (الساق على الساق) ٠٠ بالاضافة الى كثير من المقالات التى عالج فيها شتيتا من القضايا السياسية والاجتماعية والحضارية وغيرها ، والقصائد التى يبدو انها لم تطبع حتى الآن فى ديوان ٠

عرف الشدياق رحمه الله الفقر المر فى بداية حياته ، فاشتغل بنسخ الكتب لاغنياء القراء ، فلم تكن المطبعة قد انتشرت فى ذلك الوقت ٠ كذلك حاول العمل تاجرا متجولا بين البلدان والقرى ، ولكنه لم يرتح اليه ، ولم يصب منه ما يبتغى من رزق ٠٠ واشتغل ايضا بتدريس اللغة

العربية بمدارس الامريكان في مالطة ، وعمل بعد ذلك مساعدا للدكتور (لي) الانجليزي في ترجمة التوراة الى اللغة العربية • وقد كفلت له الوظيفتان الاخيرتان مستوى مريحا من المعيشة، غير انه استطاع أن يحرز بعد ذلك ثروة وصيتا، وبخاصة حين استقر في الاستانة ، وانشا صحيفة الجوائب التي نالت شهرة عالمية ، وكانت لسان الخليفة العثماني ، وحملت على كتفها الدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاوروبية الاستعمارية •

كانت شخصية الشدياق من الشخصيات الخصبة ذات الاغوار الرحيبة البعيدة القرار • ولا شك ان بعض هذا راجع الى الظروف التي اكتنفت حياته ، كالفقر الذي علمه الاعتماد على نفسه ، ومجالدة شدائد الحياة ، والانتصار عليها •• وكالاسفار الكثيرة التي رأى فيها مصر ومالطة وفرنسا وانجلترا وتونس وتركيا ، واطلع على احوالها ، وتنبه لما بينها من مفارقات ، وعرف اسباب تخلفنا عن الاوروبيين والسبيل الى لحاقنا بهم • وقد ساعده على هذا كله ثقافة واسعة عميقة ،وخاصة في التاريخ والاديان والاجتماعيات واللغويات •

وهي شخصية قلقة طلعة تحب التنقل ، وتكره الجمود والركود في مكان واحد ، وتتمرد على المالوف ان لم تقتنع به وتطمئن اليه، مما يتطلب في احيان كثيرة الجراة وصلابة النفس : لقد ترك الشدياق مذهبه الماروني الذي ورثه عن اسرته وتحول الى البروتستانتية غير مبال بما كان يسود الحياة الدينية آنذاك من تعصب مفرط عنيف ، وفي تونس (وكانت سنه اثنين وخمسين عاما) اعتنق الاسلام وتسمى باسم احمد بعد ان كان يدعى (فارسا) ، ويذكر بعض مترجميه انه كان مهيا النفس من قبل للدخول في الاسلام ، ثم جاءت مناقشاته مع شيخ الاسلام في تونس فقطعت الشك باليقين • كذلك جمعت شخصية الشدياق بين حرارة العقل والقلب ، فقد كان ذا غرام بالقراءة والتاليف ، الا ان ذلك لم يمنعه ان يتذوق الحياة ، وكانت امراته تعرف منه ولعه بذكر النساء ،وتغار من شعره الغزلي، كما كان الشدياق يحب التفنن في الطعام ، وكانت عيناه يقظتين دائما لكل ما يقع من حوله ، ومن ورائهما ذاكرة واعيـة ، وقدرة على الملاحظة الدقيقة اللاقطة •

كان الشدياق يمور بحرارة الحياة ، ويتفطن لمواطن الفكاهة في الاشياء والاحداث والاشخاص، مما يدل على نفس قوية تقدر على استنباط السرور واشاعة البهجة ، وان استخدمت سلاح التهكم الواخز • لقد سخر الشدياق من الغباء الانساني ، وجلافة الذوق ، وضيق الافق ، والتعصب الذميم ، وصب سوط تهكمه على الجهلاء والمتنطعين ، وقد خالط ذلك شيء من المجانة عابه عليه قوم وغفره له قوم آخرون •

وكتابه (كشف المخبا عن تمدن اوروبا) سجل لرحلته الى فرنسا وانجلترا التي بدأها من مالطة في الثاني من سبتمبر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة والف للميلاد ، وهو ـ ان كان قد تكلم عن صقلية ومارسيليا ـ لم يتلبث عندهما الا قليلا، وجعل مدار كتابه على الريف الانجليزي ولندن وباريس ، فلم يترك شاردة ولا واردة مما رآه او قرأه متصلا بذلك الا سجلها تسجيلا مفصلا دقيقا : وصف البيوت وطلاءها ، وكيف يعيش الناس فيها ،وما تحوي من أثاث وحجرات ،ووصف الطعام والوانه وطرائق طبخه ،وما احبه او عافه منها ، ووصف الشوارع والمعارض والمتاحف ووسائل المواصلات ونظام سيرها ، ووصف الجو وملامح الناس والوان سحنهم ، كذلك تناول العادات الاجتماعية ،وتقاليد القوم في التزاور والحفلات •• الخ ، اذ كان الشدياق يهدف ان يعطي لابناء قومه صورة واضحة امينة للاوروبيين والحضارة الاوروبية ، فاول سبيل الى اللحاق بعدوك والتفوق عليه هو ان تعرفه • والاوروبيون انفسهم لم يستطيعوا ان يهزمونا ويحتلوا بلادنا الا بعد ان درسونا دراسة شاملة مستقصية ،وهم ما زالوا يدرسوننا حتى الآن من مختلف جوانب حياتنا نفسيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، وسياسيا،

والاقتصادية ، واخلاقيا ، ويرقبون التطور الذى يطرأ على كل جانب منها ، وتأثر حياتنا به .. الخ .

والكتاب ـ وان بلغ الثلاثمائة صفحة تقريبا (من القطع الكبير) ـ يشد قارئه اليه بما فيه من حيوية الوصف لهذه الدنيا الغريبة على صاحبه ،وحتى بعد مرور اكثر من مائة سنة على هذه الرحلة فانها ما زالت قادرة على شد الانتباه واثارة العقل والعواطف والخيال ، فهي تصف اوروبا منتصف القرن التاسع عشر ، ولا شك ان اوروبا قد تغيرت كثيرا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .. ومن ثمة اهمية الكتاب : انه يفتح الباب امام المقارنة بين اوروبا الشدياق واوروبا الحالية ، وكيف تغيرت بها الاحوال ، وما المعنى التاريخي والحضاري لهذه التغيرات ، وما يشير اليه ذلك من اننا قادرون على ان نتغير ونتطور كما فعل الاوروبيون ، لو كسرنا ما بقي من اغلال الجمود والكسل النفسي والعقلي المتفشي الذى يمنع نبض حياتنا ان يسرع بالمقدار اللازم كي نصل الى مستوى من التحضر اقوى وارقى .

وهذه صورة من مارسيليا في ذلك الوقت :

« هي وسخة الحارات والاطراف ، لكنها بهية الحوانيت والديار ، مبلطة الطرق ، وليس في ديارها مراحيض ، وانما يجمعون اقذارهم في وعاء الى ان يأتي رجل معه عجلة وعليها برميل كبير ، فيناولونه الوعاء ، فيفرغه في البرميل ، وما يجمعه فيه فانه يبيعه لتدميل الارض ، ولا اعرف مدينة اخرى بهذه الصفة ، ومنهم من يقذف بالاقذار امام البيوت ليلا ، فلهذا يشم الماشي في اكثر طرقها رائحة كريهة » . فهل ظلت مارسيليا على هذه الصورة الكريهة ؟ بالطبع لا .

والقارىء بلا شك يلاحظ هذا التصوير الدقيق الذى لا يفوته شيء في المنظر الا سجله (العربة المكونة من عجلة وبرميل كبير ـ الاوعية ومناولتها لصاحب العربة وافراغها في البرميل .. الخ). والشدياق ـ كما هو ظاهر ـ لا يتحرج من وصف شيء ولا من ذكره ، ان لغته صريحة ، وقلمه امين، وليس ذلك من مجافاة الذوق ، بل العكس هو الصحيح ، لانه يريد من هذا التصوير ان يبغض الينا القذارة ، ويصفي اذواقنا .

والكتاب كله يجرى على هذا المنوال ، الا عندما يدع الشدياق خبرته المباشرة ، ويستشهد بما في الكتب من حوادث تاريخية او احصاءات ، فان القارىء يفتقد هذه الحيوية والحرارة ، ويشعر بحركة الاسلوب تبطيء ، مما يسبب له كثيرا من السأم .. ان الكاتب حينئذ يستبدل باللغة الادبية لغة الارقام والتاريخ ، وشتان ما بين اللغتين .

وفي الرحلة لفتات تهكمية بارعة ، وبخاصة على المستشرقين الذين يتصدون لدراسة تاريخنا ولغتنا وديننا وعاداتنا ، رغم انهم لم يستكملوا عدة البحث ، فيقعون في اخطاء شنيعة تجرهم اليها في احيان كثيرة رغبتهم في التحذلق والظهور في لباس العلماء المحققين الذين فهموا كل شيء ، واحاطوا بكل شيء علما .

وهذه صورة ساخرة تبين كيف ان ضيوف الانجليز لا يجدون في مادبهم الكرم والبهجة اللذين يجدهما ضيوف الشرقيين :

« وعند صف ادوات الشاى تقوم الست ايضا، وتجلس في الصدر ، وتسأل من حضر :

ـ هل تريد ان تشرب شايا ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : اتشربه مع السكر ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : ومع الحليب ؟

فيقول : نعم ان شئت !

فتقول : وتأكل نصف هذه الكعكة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

فتقول : وربع هذه الفالوذة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

وكلما اكرمته باحدى هذه المركبات قال : انى اشكرك » .

فاى بخل هذا الذى يتعامل ـ بين الارقام الصحيحة ـ بالكسور ، وكسور الكسور !

وماذا هذا التشريف المتكرر كلما (اكرمت) ربة البيت ضيفها بنصف او ربع او ثمن شيء من هذه الالطاف وكأنها خروف !

على ان فكاهة الشدياق ليست من اللون الفلسفي العميق ، انها تتصل بالواقع اتصالا مباشرا . فيها التفات الى نواحي النقص في الاشياء والاشخاص ، وفيها الثقة بالذات ،وفيها اللذع ، ولكن ليس فيها هذا التعمق وراء اسرار الحياة ، حتى يصل المتألم الى الالم العبقري

الذي يحاول ان يغطي عليه بالفكاهة والضحك ، كما تجد عند المازني مثلا .

والكتاب ممتلىء بالحكايات يؤكد بها المؤلف اراءه وانطباعاته ، والنفس البشرية تميل الى القصص وتطلبه ، ولا شك ان ذلك باعث على النشاط والمضي في القراءة .

ان هذه الحكايات تزيد الرحلة حيوية ،وتقربها من حلاوة السمر وما فيه من عفوية وتلقائية . ومن هذه التلقائية ظاهرة الاستطراد ، وهي في مثل هذا الكتاب غير معيبة ،لانه ليس بحثا علميا يراعي فيه التنظيم والتماسك .

ولغة الكتاب لغة سهلة مسترسلة ، ليس فيها سجع ولا محسنات لفظية ، لكنه راوح فيها بين النثر والشعر ، فهو حينا بعد حين يستشهد ببيت او اكثر له او لغيره ، مما يناسب السياق. والمراوحة بين النثر والشعر في التاليف القديم كانت شيئا مقبولا ، بخلاف الامر الآن ، فالكتابة العصرية تمضي نثرية خالصة ، الا في الندرة الشديدة التي تعد في حكم المعدوم .

والفاظه وجمله عليها طابعه واضحا اشد الوضوح ، وقد اعانه على هذا ـ بالاضافة الى تمرسه باللغة ، واتساع معرفته بها ، وعمق تذوقه لها ـ انه كان احد رواد الكتابة في العصر الحديث ، ومن ثم كان عليه ان يشق طريقه التعبيري بنفسه غالبا ، دون ان تتردد على قلمه التعبيرات المحفوظة . ومن الفاظه (الحافلة)اى العربة التي تجرها الخيول وتنقل الركاب داخل المدينة ، و (العاجلة) اى العربة ، (والجعل) وهو الأجر ،و (المضمار) وهو خط سير الحافلة، و (الشفعة) اى النصيب . اما تراكيبه فيمكننا الاجتزاء بهذه الامثلة عليها : (نهروا اليها نهرا) بدل : شقوا ، و (سقطت شفعتك) اى ضاع عليك نصيبك ، و (ترجمة بعين الالفاظ والتراكيب) وذلك مقابل ما نسميه الآن « ترجمة حرفية » ، وهو يسمى رب الدار (السائد) وربة الدار (السدة) . واحيانا يكتب اللفظ الاجنبي كما هو ، مثل (السيتي) اى المدينة الصغيرة و (البانك) اى المصرف ، و (البوسطة) اى البريد .

وقد كانت له ترجمات لكثير من هذه الاسماء لم يكتب لها الشيوع والبقاء مثل (الوقائع اليومية) للصحيفة .

ان لغة الشدياق ليس فيها ادنى كلفة ، الا ان هناك شيئا من الصعوبة في متابعتها ،ويرجع ذلك اولا الى خلو الكتاب من علامات الترقيم ، فقد طبع منذ نحو مائة سنة ، فلا تجد فيه فاصلة ولا علامة استفهام ولا غيرها من العلامات التي تعين على فرز الجمل بعضها عن بعض ، فلا تختلط وتشوش ذهن القارىء ، كما يرجع ثانيا الى أنه يتكلم كثيرا عن اشياء لا تقع في دائرة خبرة معظم القراء ، كاسماء الاطعمة والمشروبات الغربية : (الهرطمان ـ الهندباء ـ جذر القوة ـ السيلقون ـ السرنج ـ النطرون ـ عود برازيل .. الخ) .

واخيرا لا بد ان ننبه الى ان الشدياق رغم انه عالم ضليع في اللغة ، واديب ومفكر كبير ، فان ذلك لم يمنعه من الخطأ بين الحين والآخر ، فهو يقول مثلا : (لا بد وان) وتصويبه : لا بد ان ، او لا بد من ان .. وهذا الغلط الشائع (رغم ان الامر كذا الا انه كذا) والصحيح : رغم ان الامر كذا فهو كذا . وهذا ليس مأخذا كبيرا ، فالكمال لم يكتب لواحد من البشر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه اليه ، ومحاذرة الوقوع فيه . ■■

ابراهيم عوض

■ كنت دائما اتوق لأن ارى الدنيا بعيني العجوزين ، فلما رأيتها ، ادركت انني لم اعد انتمي اليها !

« سومرست موم » في عيد ميلاده الثمانين

هجرة الطيور



الطير المهاجر.. زائر القطب

٥ الاف ميل يقطعها الطائر ... هل هي هربا من الصقيع .. ام لاستمرار الحياة والتناسل ؟ ان نجوم السماء .. ترشد طيور الهجرة .. الى اوكارها .. وتمدها بالمعلومات . ولكن اعمدة التليفزيون .. واسلاك البرق .. وجبال الألب .. وصيادى الطيور يتآمرون على رحلات الهجرة .

دراسة اعدها :

وجدى رياض



■ غيرت الطيور المهاجرة الى مصر والقادمة من القطب الشمالي وأوروبا طريقها هذا العام ... ولم تعد الارض المصرية منطقة جذب للطيور المهاجرة من صقيع اوروبا ... ولم يعد مثلث الخصب العظيم ـ الدلتا ـ كافيا لجذب ال ٢٢ الف طير . ولم تستقبل الشباك النايلون المنصوبة على طول الساحل الشمالي هذا الموسم اكثر من ٦٠٠٠ طير مهاجر ، وبالتحديد ٦٢٢٠ طير اعياه التعب وهدته الرحلة الطويلة .. وقاوم الرياح الغربية التي كانت هدفا مستمرا فيالبحر الابيض المتوسط لاول مرة هذا العام محاولا الوصول الى بر مصر لينعم بالدفء ... وليحافظ على جنسه من الانقراض .. قبل رحلة العودة فى الربيع القادم ... الى موطنه الأصلى فى اوروبا ليبنى عشه ، وهناك تنتظر الاناث التى سبقت بصفارها عودة الذكور ، ومع افراح الربيع ، ومع عودة الذكور من رحلة المخاطر ... تبيض وتفقس الاناث ومظاهر الفرح مستمرة وزغاريد استمرار الجنس والبقاء تنطلق منبين الاغصان... ورائحة التجاذب الجنسى تعطر الاوكار ..

ان هذه الظاهرة العلمية ... التي حملها الينا هذا الموسم ـ شدت انظار العلمـاء في مراكز ابحاث هجرة الطيور في كل وسـط اوروبا .. وكانت علامة مميزة امام الباحثين في مركز ابحاث هجرة الطيور في قرية بهيج التي تبعد ٥٨ كيلو مترا غرب الاسكندرية على طريق الساحل الشمالي الغربي ... تلك القرية التي ترسـم مع لوحة الصحراء الغربية الصفراء بقعة خضراء اصبحت مع الايام مهبط رحلات الطيور المهاجرة بعد رحلة ـ حتى الآن ـ يحاول العلم جاهدا تفسير بعض غموضها .

حياة ... في ربيع دائم

ومن الاجتهادات التي حاولت الاقتراب من هذه الظاهرة ان طيور الشمال مرهفة الحس والاعصاب ...او بمعنى ادق ان ٥٥ جنسا من طيور الشمال تحب ان تنعم بربيع دائم فتهجر اوكارها عندما يحل شتاء اوروبا القـارس وعندما ينسج الدلج السحاب الاسود الداكن المسافر من القطب وعندما تنكمش ساعات النهار .. تحمل الاناث صـغارها الى الجنوب بحثا عن الدفء ومن خلفها الذكور في جماعات كبيرة ، وفي بلاد الدفء تنعم الاناث وصغارها بالجو الدافيء ... وعندما يحل الصيف في مصر .. ويلهب حر الصـحراء عيون الطير يترك عشه ويرحل بالصغار ـ الذين بلغوا ـ في الطريق الى اوروبا مرة اخرى حيث الربيع ...

ولكن الامر المؤكد ان هجرة الطيور .. لا تفسر على انها رحلات سياحية ...

رحلة تدريب طولها ٢٠٠٠ ميل

والبعض الاخر من علماء الطيور يحاول تفسير ظاهرة الهجـرة ... على انها رحلة شاقة .. تتدرب فيها صغار الطيور على مشقة السـفر فتحمل الاناث صغارها في رحلة الـ ٢٠٠٠ ميل من اقصى الشمال ... الى الجنوب الى القارة الافريقية حيث تعبر القارة الاوروبية كلها والبحر الابيض وبسرعة تتراوح ما بين ٧٠ الى ٨٠ ميلا في الساعة ، وعلى ارتفاعات شاهقة متفادية ابراج التليفزيون واسلاك البرق وهواة الصيد ... وحيث يطل مثلث الخصب ـ الدلتا ـ بعد زرقة البحر ... فتنحرف قليلا الى الصحراء ... حيث قرية بهيج الخضراء فتهبط لاهثة في احضـان شباك النايلون الامريكية الصادة واليابانية الصنع .

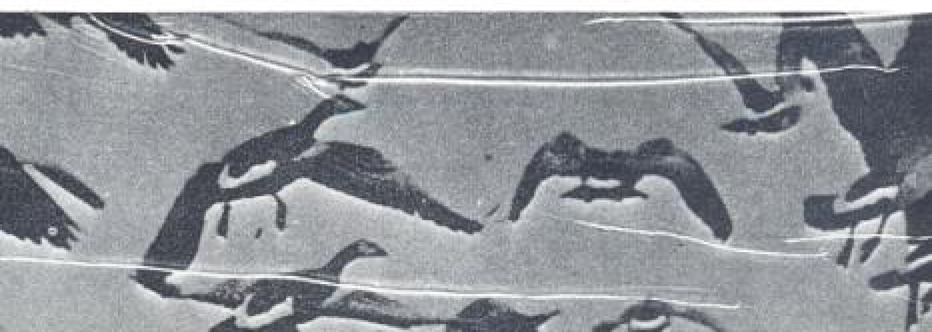
وبمجرد هبوط الطير ... تبدأ مرحلة علمية طويلة وفق ٨ خطوات لعمل ارشيف علمي يحمل بين طياته كل اسرار الطيور التي زارت الارض المصرية ..

طيور اوروبا .. تهجر بلادها !

وثمة اجتهاد ثالث يقول ان هدف الرحلة من اجل البقاء .. بمعنى البحث عن الطعام ...بعد ان حجبت حبات الثلج المتساقط والامطار الارض فقطعت كل سبل العيش والبحث عن الطعام .

وتصبح مهمة البحث عن الطعام لصغار الطيور المهاجرة مهمة شاقة تجعل الطيور قلقة على صغارها وعلى اطعامهم ... كما ان الاوكار تصبح غير صالحة للسكنى والمعيشة والحركة ...

وسألنا المسئول عن مركز ابحاث هجرة الطيـور المهندس شريف توفيق عن مصير طيور اوروبا في الشتاء ... فرد بسرعة قائلا ... وليس معنى ذلك ان اوروبا تعيش شـتاءها بلا طيور ... فليست كل الطيور مستعدة للهجرة ... وليست كل الطيور تملك جهاز حساسية مرهف مثل السمان والغفير ... ولهذا السبب وحده تهاجر طيور وتتاقلم اخرى مـع الجو .. تماما مثلما يملـك البشر ... من اجهـزة حس .. يؤقلمها حيثما امكن .



عبور البحر ١٠ مرات!

أما الرأى الرابع فيقول ••• ان رحلات الهجرة المؤقتة •• تهدف الى « كمال » نمو أجسام الطيور قبل بلوغها ••• والذى يرجح كفة هذا الرأى أن متوسط عدد رحلات الطيور المهاجرة لا يقل عن ١٠ رحلات ما بين الشمال البارد والقطب ••• وبين الجنوب الدافىء وخط الاستواء •• يقطع فيها الطائر فى كل رحلة ما لا يقل عن ٢٠٠٠ميل ••• صحيح هناك علاقة ما بين طول جناح الطير ووزنه وطول رحلته ••• بدليل ان طائر الغضير وزنه لا يزيد عن ٧ جرامات ••• وقدرته وطاقته لا تتحمل لرحلة طيران تبدأ من فنلندا وتنتهى على الشاطىء الدافىء ••• فى مصر ••• بينما طائر السمان ••• فان وزنه ما بين ٨٠ الى ١٠٠ جرام •• ويأتى طائرا من الاتحاد السوفيتى ويتوغل الى الجنوب حتى السودان ••• ثم يعود الى بلاده عن طريق تركيا ••• من نفس خط وادى النيل •

وثمة طيور تعبر البحر لاكثر من ٢٠ مرة مثلما اكد طير « مالك الحزين » فى عبوره للبحر المتوسط ••

ومنذ أن بدأ متحف سميثونيان Smithsonian فى نيويورك رحلة البحث وراء هجرة الطيور ••• فقد وقع اختياره على القاهرة وقامت حدائق الحيوان فى مصر بالاشراف على الفكرة على حد تعبير الدكتور محمد عبد المنعم وكيل الحدائق ، ولكن العمل والجهد الحقيقى يقوم به قسم متخصص فى وحدة الابحاث الطبية الامريكية بالعباسية ـ النمرو ـ وهو اختصار لكلمة وحدة الابحاث الطبية للبحرية الامريكية N.A.M.R.O ••• حيث تم اختيار قرية بهيج فى الصحراء الغربية لتكون مركزا لاستقبال الطيور المهاجرة •

وموسم الطيور المهاجرة يبدأ من ١٥ اغسطس تقريبا ••• ويمتد حتى اواخر نوفمبر تقريبا••• بداية موسم الخريف ••• ومعه ينتقل جهاز البحث من العباسية الى الصحراء الغربية •••فى انتظار زائر الخطر، من الطيور المهاجرة •

وعادة تزورنا طيور من جنسيات مختلفة ••• وكان زوار هذا الخريف من الطيور من الاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفنلندا ،وفرنسا، والمانيا الديموقراطية ،والمانيا الاتحادية، وهولندا، والمجر ، وبولندا ، ورومانيا ، والسويد ، ويوغوسلافيا • صحيح كل هذه الدول تمثل جنسيات الطيور ، ولكن ليست بالضرورة تمثل الانواع • وفى كل موسم يزور مصر حوالى ٥٥ نوعا من الطيور •

بطاقة شخصية لكل مهاجر

والسؤال اذا كانت انواع الطيور تعرف من شكلها مثل المنقار او الاجنحة او الارجل ••• فكيف التعرف على جنسيتها ؟!

والواقع ان هناك بطاقة شخصية دولية معروفة يحملها كل طائر •• مثل جواز السفر الذى يحمله الانسان المهاجر ••• ومن خلال البطاقة الشخصية يمكن التعرف على جنسية الطير ، وبالاتصال ببلده ••• تأتى المعلومات كاملة •

وبطاقة الطير الشخصية عبارة عن دبلة من الالومنيوم •• يحملها الطير حول قدمه ••• وفيها جنسية البلد القادم منها •• والدبل انواع ومقاسات عددها ستة •• كل دبلة حسب حجم رجل الطائر ••

وعند اصطياد الطير ••• ورفع رقم الدبلة او الدبلة نفسها من حول قدمه تبدأ مرحلة الاتصال المباشر مع بلد هذا الطير من خلال الارقام التى يحملها •• وتعود الرسالة من بلده تحمل يوم اطلاقه وسنة الاطلاق •• وخطى الطول والعرض، ثم تبدأ مرحلة اخرى جديدة ••• بتصنيف الطير وتحديد صفات الريش ونوعه وجنسيته وحالته



الصحية التي عثر عليها .. ومكان العثور عليه، ويحمل بطاقة فيها كل هذه المعلومات مدونة ...

دبلة الخطوبة

وعلى حد تعبير المهندس الزراعي شريف توفيق مدير المركز ـ ان البحث لا يتوقف عند هذا الحد .. ولكنه يمتد في رحلة تبدأ من أول الساحل الشمالي الغربي ـ من قرية بهيج ـ وحتى السلوم نلتقي مع الاعراب ونستلم منهم الدبل ..والطيور .. بعد توزيع صناديق صغيرة من النايلون يحملون فيها الصيد ... ثم تبدأ خط سير آخر على طول وادي النيل حتى النوبة نجمع فيها البطاقات الشخصية الخاصة بطيور الهجرة .. أو بمعنى اخر نبحث عن الدبلة الالومنيوم التي عقدت خطوبة بين مصر وكل طائر مهاجر اليها .

ولهذه الدبلة عدة معان ... فهي جاسوس يبوح بأسرار حركة الطير وهجرته .. فعندما تصطاد القاهرة الطائر المهاجر اليها .. توقع معه اتفاقا من جانب واحد .. يعقد فيها خطوبته الى مصر .. وتحمل الدبلة في رجله اسم حديقة حيوان مصر .. ورقم الدبلة وحجمها .. وعندما ينطلق الطير في رحلاته وجولاته ..وعندما يلتقطه مركز ابحاث في اى مكان في العالم يبلغ مركز ابحاث مصر بالعثور على الطائر الذي حمل الدبلة المصرية .. وهنا تتشابك خيوط المعرفة والبحث عن سكة الطائر ـ وهنا تبدأ مراكز البحث في كشف سر حركة الطير الى هنا أو هناك ... هل هو الغير .. أم الانجاب .. أم الضوء .. أم الحرارة .. أم الجو .. أم هي رحلات لطيور لا تحب القيود مثل طائر السمان . ذلك الطائر .. الذي يعبد حريته ... فاذا ما حبسه أحد في قفص يضرب عن الطعام ويصاب بعصبية شديدة ويموت منتحرا من أجل حريته ، وربما يرجع فشل كل حدائق الحيوان في العالم الاحتفاظ بطائر واحد من السمان الى ذلك .

عشاق السمان يبحثون عنه

وقد شدت هجرة الطيور ومتابعة اخبارها انتباه مراكز البحث العلمي في العالم ... واكثر ما شد من الطيور السمان ... هذا الطائر الذي



يتمتع بجنسيتين .. ولا يتمتع بوطن واحد ـ حياته حريته .. وكل عام تستورد أوروبا ما بين ٢ الى ٣ مليون طائر ... هو الطبق المفضل في خريف وشتاء اوروبا ..وقد تساءلت أوروبا هذا العام بالاخص عن سر اختفاء السمان ...وخرجت علامات التعجب وراء اختفائه ... وضياعه !

وفي كلية الزراعة بجامعة القاهرة .. كانت علامات التعجب تحاول ازاحة الستار عن هذا السر كله ..

فقد طرح البحث العلمي المشكلة كلها من أولها لآخرها .. وجاء الدكتور فريد استينو ـ ٢٩ سنة ـ مدرس الانتاج الحيواني بزراعة القاهرة وادخل السمان معمل الابحاث وتبين من سلوكه داخل القفص ...انه حساس جدا للضوء والحرارة ... عصبي المزاج .. يحب الحرية .. غبي التصرف ولكنه فلكي بطبعه وبغريزته ... فقد علمته الغريزة وحب الاستمرار والبقاء أن يتعلم الهجرة من خلال حركة النجوم والقمر ..

مهاجر تحت الظلام

كيف ... ؟!

يجيب الدكتور فريد استينو وهو يجمع أوراقه ويفضها من حقيبة السفر بعد غيبة اربع سنوات في جامعة جورجيا بالولايات المتحدة الامريكية.. للحصول على الدكتوراه في «السمان..والوراثة»

التى خلقت من هذا الطائر حكايات واساطير بسبب رحلاته المثيرة ..

يضحك الدكتور فريد وهو يجيب على السؤال قائلا .. صحيح .. السمان طائر تعلم الفلك.. يرحل تحت الظلام .. ويقف على شاطىء البحر الأبيض بعد رحلة طويلة عبر جبال وغابات أوروبا ...أثناء النهار ، ولكنه أثناء عبوره البحر يحتاج الى بوصلة بحرية ... ويقف السمان على شاطىء البحر الابيض ينتظر جنوح الظلام ... وبمجرد ظهور اول نجمة فى السماء .. ينطلق فوق سطح الماء فى جماعات كبيرة وهو يحدد طريقه عبر نجوم الجنوب متجها الى القاهرة بالدرجة الاولى فى رحلة تستغرق ١٠ ساعات ، ويا حبذا لو كان القمر ساطعا ... فهو أسهل دليل لاسراب السمان ... وخصوصا لصغار السمان وضعاف الصحة منهم وهم عادة الذين يهجرون الاوكار قبل هجرة السمان البالغ .. لانها لا تحتمل برد أوروبا ..

وقد اجريت تجربة علمية طريفة لتاكيد غريزة هجرة الطيور على مطاردة النجوم فوضعت الطيور المهاجرة فى احدى القاعات وأعد رجال الفلك صورة كاملة لحركة النجوم فوق البحر الابيض ـ ولشهر كامل ـ واضاءوا السماء الصناعية ... وأسدل الظلام الصناعى ... وبدأت عمليات رصد الطيور وهى داخل هذه القاعة ... فتبين أن وجه الطيور دائما فى اتجاه الجنوب على نفس وضع الشاطىء الشمالى للبحر المتوسط ..

وبالبحث ظهر أن الطائر نفسه غبى فهو يطير أثناء النهار فوق أوروبا محددا طريقه بالجبال والغابات . ولكن كيف يحدد طريقه فوق البحر المفتوح بلا اى علامات ترشده ... ولذلك اذا غامرت بعض اسراب الطيور وارادت الهجرة أثناء النهار فعادة تفقد طريقها ... والذى يؤكد صحة هذه النظرية ... ما اعلنته مراكز أبحاث هجرة الطيور فى شرق البحر الابيض ـ اسرائيل ولبنان وتركيا وسوريا ـ عن وجود طائر مهاجر فى غير الاوقات المتعارف عليها ... وأحيانا كثيرة تهاجر اسراب الطيور مع غروب الشمس فى طريقها الى مصر مسترشدة بالنجوم ولكن الذى يحدث أن تتحرك الغيوم والسحب المنخفضة فى اتجاه البحر وتختفى النجوم فتضل طريقها .. وتسقط فى قبرص او ليبيا او المغرب ... واذا ما هب اعصار على البحر الابيض فانه يطيح بهذه الاسراب وتموت غرقا...

يبقى اذن أن مشكلة طيور الهجرة هى الضوء والحرارة ... فعندما يطول خريف أوروبا ويقصر نهاره وتقل درجة حرارته... يهاجر من اوكاره الى مناطق الدفء والعكس صحيح . والذى يدعم هذا الراى بحث الدكتور فريد فى تجربته فى المعمل ... عندما اشترى ١٦٠ زوج من طائر السمان ، وزن الواحد ٩٠ جراما ووزن خصية الذكور ٢٠ ملليجراما ووزن مبيض الاناث ٥٠ ملليجراما .. وحمل كل طائر ١٠٪ من وزنه دهونا ..

وقسمهم الدكتور فريد الى مجموعتين ، الاولى تعرضت لدرجة حرارة ما بين ٢٥ الى ٣٥ درجة مئوية ... وتعرضت لضوء صناعى لمدة ٢٤ ساعة كل يوم ... والمجموعة الثانية تعرضت لضوء النهار العادى ـ فى شهر أكتوبر ونوفمبر ـ كما تعرضت لنفس درجة حرارة الجو ..

وتقول دفاتر حسابات التجربة ... بعد الوزن .. أن المجموعة الاولى قفز وزن الانثى فيها الى ١٣٠ غرام ، والذكر الى ١١٠ غرام ، وارتفعت نسبة الدهون الى ٢٥٪ ... وبلغ وزن المبيض ١٥٠٠ ملليجرام اى زاد ٣٠ ضعفا ، والخصية ٥٠٠ ملليجرام .. اى بزيادة ٢٥ ضعفا .

اما المجموعة الثانية والتى تعرضت للجو العادى فلم تحدث اى زيادة فى وزن المبيض او الخصية باستثناء نسبة الدهن التى زادت ٥٪ فقط ..

والدلالة فى هذه التجربة أن الجو الحار والنهار الطويل هما احدى علامات التاثير المباشر فى الغدد التناسلية لطيور الهجرة مما لها الاثر فى التناسل ... وحتى نفس هذه التجربة أجريت على البشر فى جنوب وشمال امريكا وظهر أن بلوغ الجنس يتاخر فى الشمال عنه فى الجنوب .. لبرودة الجو ..

.. ان هجرة الطيور .. شدت مراكز أبحاث العالم لدراسة سلوكها والامراض التى تحملها عبر القارات ..وكل سنة تصرف ملايين الدولارات فى العالم ... من أجل الوصول الى الحقيقة ..

■■

وجدى رياض

طرائف عربية



سببت فأوجعت

● أسر معاوية بن ابي سفيان يوم صفين رجلا من اصحاب على بن ابي طالب، فلما اقيم بين يديه قال معاوية : « الحمد لله الذى امكن منك ». قال : « لا تقل ذاك فانها مصيبة » ، قال معاوية : « واية نعمة اعظم من ان يكون الله اظفرني برجل قتل فيساعة واحدة جماعة من اصحابى ، اضربا عنقه ». فقال الاسير : « اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ، ولكن قتلنى فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ماهو اهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت اهله » فقال: قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت فى السب ودعوت فابلغت في الدعاء ، خليا سبيله ».

حلم

● كان ابو دلامة شاعرا فصيحا وماجنا مليحا ، قيل انه دخل ذات يوم على الخليفة المنصور وانشده :

« انى رأيتك فى المنا
م ، وانت تعطينى خيارة
مملوءة بدراهم
وعليك تأويل العبارة »

فقال له المنصور : « امض فاتني بخيارة املؤها لك دراهم ودنانير » ، فذهب ابو دلامة الى السوق ، واحضر اعظم دبّاءة (قرعة) توجد هناك ، فقال له المنصور، « ما هذا » ؟ قال : يلزمني الطلاق من زوجاتي الاربع ان كنت رأيت الادباءة ، ولكنى نسيت فلما رأيت الدباءة فى السوق ذكرتها » .

بكاء وبكاء

● بعد غزوة بدر الكبرى ناحت قريش على قتلاها ثم قالوا :لاتفعلوا ذلك فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم ، وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من اولاده زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود ، والحارث بن زمعة، وكان الاسود يحب أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة فى الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : أنظر هل احل النحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى ابكى على ابى حكيمة « يعنى زمعة » فانجوفى قد احترق ،فلما رجع الغلام قال: انما هى امرأة تبكى على بعير لها اضلته فقال الاسود :

اتبكى ان يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود
« والبكر الفتي من الابل » .

اسكافي

● قيل ان احد القضاة ترك نعله عند اسكافي ليصلحه ، وكان القاضي كلما ذهب الى الاسكافي يطلب منه نعله يقول له : « تعال بعد ساعة ... » ثم يمسك النعل ويضعه في الماء تمهيدا لاصلاحه ، وتكرر هذا العمل من الاسكافي عدة مرات فقال له القاضي : « ياهذا تركت لك النعل لتصلحه لا لتعلمه السباحة ».

خطأ ، جهل ، عناء

● حكي ان أحد ملوك فارس خرج يوما للنزهة ، فلقيه أحد الحكماء ، فسأله عن احزم الملوك فقال : « من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، واعرب لسانه عن ضميره ولم يختدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه ». فقال الملك : « لا ، بل احزم الملوك من اذا جاع اكل ، واذا عطش شرب ، واذا تعب استراح » ثم قال الملك : « علمني من حكمتك ايها الحكيم » قال : « احفظ عني ثلاث كلمات » قال : « هات » ، قال : « صقلك لسيف ليس له جوهر من طبعه ــ خطأ ، وبذرك الحب في الارض السبخة ترجو نباته ــ جهل ، وحملك الصعب السير على الرياضة ــ عناء ».

يدعوه للمبارزة فيؤاكله

● حكى أبو دلامة قال : أتي بي الى المهدى وانا سكران فحلف ليخرجني في حرب ، ثم أخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الخوارج ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : « أما والله لو تحتي فرسك ، ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه » . فضحك روح المهلبي وقال : « والله لادفعن ذلك اليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك » ، ثم نزل من فرسه ونزع سلاحه ، ودفعه الي ، وهنا برز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة فقال روح : « اخرج اليه ياأبا دلامة » فقلت : « انشدك الله في دمي أيها الامير » . قال : « والله لتخرجن » ، فقلت : « انا والله جائع يا أمير ، فمر لي بشيء آكله » ، فأخرج لي رغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف .

فلما رآني الخارجي أقبل نحوي ، وعيناه تتقدان ، فقلت له : « على رسلك ياهذا ، اتقتل من لا يقاتلك ؟ » قال : « لا » قلت : « اتقتل رجلا على دينك ؟ » قال : « لا ، فاذهب عني الى لعنة الله » قلت : « لاافعل او تسمع مني » قال : « قل » ، قلت : « هل كانت بيننا عداوة ؟ » قال : « لا والله » قلت : « ولا انا ، ووالله لا أكن لك الا جميل الرأى » قال : « ياهذا ، جزاك الله خيرا » ثم ان الفارس استعد للانصراف من الميدان فقلت له : « ان معي زادا احب أن آكله معك لتتأكد المودة بيننا » قال : « فافعل » فتقدمت اليه حتى اختلفت اعناق دوابنا واقتربت انفاسنا ، وأكلته حتى شبعنا والناس قد غلبوا ضحكا ثم انصرف وانصرفت .

قصة قصيرة

أبو عوف

بقلم : الدكتور حسين مؤنس



■ بعد جهد شاق وصلت السيدة نادية ارملة المرحوم المهندس عبدالمجيدحسن الغطيب الى الدور الثامن من مجمع المصالح الحكومية ٠

كانت قد وصلت الى المجمع الساعة الثامنة والنصف صباحا ٠ قالوا لها ان من يريد ان يقضى مصلحة فى هذا المجمع ينبغى أن يبكر بالحضور ، وخاصة اذا كان يريد ان يقابل « ابو عوف » بك مدير عام التشهيلات ـ اى الانجازات ـ فى ذلك المجمع الضخم ٠

عند دخولها ردهة المجمع ـحيث السلالم والمصاعد ـ وجدت دنيا تموج بمن فيها موجا ٠ خلية نحل لا تستقر فيها نحلة فى مكانها ٠ ناس لا يعلم عددهم الا خالقهم يتدافعون ويتزاحمون وبيد كل منهم اوراق لايدرى ماذا يصنع بها وامراة بدينة جالسة ارضا وامامها اوراق الدمغة وعلب الكبريت ٠ نساء تسحب كل منهن طفلا فى كل يد من يديها وطفلا على كتفها ، وفى ذيلها يمسك طفل رابع يبكى وهو يتعثر فى سيره متشبثا بالغيط الرفيع الذى يربطه بالامان ٠ واحدة منهن تسال كل من يمر بها فى بلاهة: اين سجلات المحكمة ؟اين سجلات المحكمة ؟ لا أحد يسمع ولا أحد يجيب ٠ كل امرىء هنا بيلواه مشغول ٠ اخيرا يقفز اليها انسان قميء زرى الهيئة يلبس جلبابا وسترة وطربوشا مهلهلة كلها :

ـ مالك ياست ؟ ماذا تريدين ؟

ـ سجلات المحكمة يابنى

ـ اى سجلات ؟

ـ خذ اقرا

وناولته الاوراق التي بيدها ، فنظر فيها وهز راسه هز العالم بكل شيء ، ثم قال : قصدك ادارة سجلات المحكمة ، تفضلي معي ٠

وسار خطوتين ، وتبعته ، ثم توقف وقال :

ـ ولكن هذه فيها خمسون قرشا ٠٠

فضربت على صدرها في فزع وقالت :

ـ يامصيبتي يابني ، والله ما معي الا خمسة وعشرون ٠٠

ـ لا باس ٠ من اجل العيال ٠ هاتي الخمسة والعشرين ٠ نخدم لوجه الله

وسار ٠ وسارت خلفه المراة تحمل وتجر نصف قبيلتها ٠ النصف الثاني يلعب هناك في الحارة والمصعد معطل ٠

ووسط يوم الحشر هذا وقفت السيدة نادية ضائعة ٠

واقبل عليها واحد من المتخصصين في الصيد في هذا الزحام ٠٠

ـ نعم ياست ، اي خدمة

ـ اريد مقابلة ابو عوف بك

ـ ياخبر ! ابو عوف بك قفزة واحدة ٠٠

ـ لماذا ؟ وماذا يكون ابو عوف هذا ؟

ـ كل شيء هنا ياست ، كل شيء ٠٠٠ تريدين منه شيئا ؟

ـ كان صديق زوجي ٠ معي له توصية ٠٠

ـ انعم واكرم ، انعم واكرم

ـ واين هو ؟

ـ في الدور الثامن والمصعد معطل



ووقفت صامتة تنظر اليه •خيل اليها انها تنظر في صورة مهزوزة • كان انسانا هزيلا يلبس بنطلونا وقميصا وحذاء من القماش لا لون له • يبدو ان لونه كان في الماضي السحيق ابيض • بين شفتيه الغليظتين سيجارة وفي صدر جيب قميصه علبة سجائر وقلم حبر جاف وكانت هي سيدة في الاربعينات الاولى•كل مافيها يتحدث عن•سعة وحياة راضية •كانتحليتة بيضاء البشرة حسنة التقاطيع، بالمقياس المصرى الغالب كانت جميلة وبنت عز • كانت ترتدي ملابس ارملة شابة « حديثة » فقد توفي عنها زوجها من عام وثلاثة شهور • هذه المدة القصيرة علمتها ان تعتمد على نفسها في شئونها• كل من يقدم اليها معاونة يريد شيئا من المال او شيئا من الجمال •

قالت : وما العمل الان ؟ السائق مضى بالسيارة الى السوق ولن يعود قبل ساعتين •

ـ وماذا تريدين يا ست • قد يكون المطلوب شيئا بسيطا نستطيع ان نقضيه دون ان تصعد لثمانية ادوار •

كانت امراة حازمة • بعد دقيقة قالت :

ساصعد السلم

ـ لثمانية ادوار ياست ؟

ـ احسن من الوقوف في هذا الزحام الي الغروب

وسارت تشق طريقها بين الجموع الى السلم

وتردد بعض الشيء ، ثم تبعها وهو يردد :عملية كهذه خير من الف

وشيئا فشيئا ، وبعد وقفات طويلة في كل دور وصلت الدور الثامن •

وقال الرجل والسيجارة بين شفتيه :

احسنت ياست

ونظرت اليه بشيء من الاستياء وقالت :

ترفع السيجارة من فمك عندما تتكلم

ورفع السيجارة من فمه وقال :

مكتب ابو عوف بك من هنا ياست هانم

وتقدمت لتنقر على الباب ، فاسرع وقال :

الدخول لابو عوف بك من غرفة مكتبه حيث السكرتارية والسكرتير •• من هنا ياست • من هنا

ونظرت الى يسارها فرات باب المصعد • والمصعد فيه وعلى بابه رجل • حسب انها تريد ان تدخل فنهض وقال : لا ياست • هذا المصعد محجوز لابوعوف بك •

ـ انه ليس معطلا ••

ـ هذا مصعد ابو عوف بك ياست •• حضرتك ••

وقبل ان يتم كلامه كان الشاب قد فتح لهاباب غرفة السكرتارية وقال : تفضلي ياست •

وتنقلت اعين من في المكتب الى الست • كانت ثمانية اعين • اربعة منها مغطاة بنظارات سوداء •• الغرفة فسيحة ونصف نظيفة فيها اربعة مكاتب • ثلاثة يجلس اليها رجال والرابع تجلس اليه بنت عجوز سمينة شديدة السمرة وحيلى • على عينيها احدى النظارتين السوداوين • على راسها باروكة • فروة خروف اسود يبدو انها اصطادتهوسلخته واكلته ووضعتفروته فوقراسها• كانت تمضغ لبانة،وتكتب على الالة الكاتبة باصبع واحدة •

من خلف المكتب الرئيسي نهض شاب طويل نحيل يلبس بنطلونا وقميصا نظيفين • كان وجهه طويلا معروقا تضفي عليه النظارة السوداء شيئا من البشاعة • اهم ما يميزه كتلة شعر راسه الاسود الحالك المهوش • هذا شعر لا تنفع فيه فرشاة ولا مشط ، لا تنفع فيه الا مكنسة كهربائية •

وقال الشاب الذي صعد معها واسمه « امام »:

هذا شعراوى بك مدير المكتب

وبدا بوضوح أن شعراوى بهر بالجمال ومظهر العز ، فهب واقفا وخرج من مكانه ، واقبل على السيدة وقال :

اهلا وسهلا بالست ، سيادتك ••

ـ حرم المرحوم المهندس عبدالمجيد الخطيب

ـ تشرفنا ياست ، تشرفنا •• تفضلي

واشار الى كرسي عليه تراب كثير • ترددت بعض الشيء ثم اخرجت منديلا نفضت به التراب وجلست •

وقال امام :

حضرتها معها خطاب توصية لابو عوف بك

قالت : ليس معي خطاب توصية ، قلت عندي توصية ••

فسارع شعراوى يقول :

لايهم ياسيدتي •• مستعدون لكل خدمة • اوامرك

ـ كما قلت لك • اريد مقابلة ابوعوف بك

ـ ابو عوف بك لم يات بعد ، ولكن ما هي الخدمة المطلوبة • ربما استطعنا قضاءها لك دون انتظار قدومه •



ـ اريد شهادة حياة

فتنظر اليها شعراوى وبقية هيئة المكتب نظرة تساؤل وحيرة ، وقال شعراوى :

ولكن ياست ، لا يوجد شيء اسمه شهادة حياة .. هل استطيع ان افهم ماذا تريدين بشيء من التفصيل

ـ قصدى انني لكي اقبض معاش المرحوم زوجي لا بد من شهادة حياة اول كل سنة ، ونحن الان فى يناير ، فضحكوا وهزوا رؤوسهم ، وقال شعراوى :

اه فهمت : شهادة بقاء على قيد الحياة .. ربنا يعطيك طول العمر ياست .. هذه مسالة بسيطة جدا لا تحتاج الى ابو عوف بك كله .. مسالة روتين تنتهي فى نصف ساعة . استريحي ياست ، استريحي .. نستطيع ان نقدم شايا او قهوة ياست ؟

ثم نظر الى « امام » وقال له بازدراء :

وانت . تفضل من هنا الان . سنقوم بالواجب

ونظرت الى « امام » وقالت فى رياسة :

انتظر على الباب . فقد احتاج اليك .

وسره هذا التقدير فابتسم لنفسه ومضى كما امرته

وقال شعراوى مخاطبا احد مساعديه فى المكتب

ـ اخ مجدى ، وحياة ابيك تعمل لها الشهادة ، ونوقع عليها نحن الاثنان

فقال مجدى ، وكان رجلا فى الاربعينات المتاخرة مكتنز الوجه يتكلم بصوت مبحوح من فرط التدخين ، يخرج من تحت شارب سميك يحيط بفمه من ثلاث جهات كانه هلال مقلوب

ـ لا مؤاخذة ياستاذ شعراوى .. اذا كان ابو عوف بك سيصدق على الشهادة ، فاحسن ـ اعضاء مكتبه لا نستطيع عملها .. هذه تعليمات ابو عوف بك نفسه .

اتصل انت بالتليفون مع احد المكاتب هنا وتذهب الست الى هناك لعملها ، ثم تعود الينا لتقدمها لابو عوف بك للتصديق ..

ـ عندك حق .. هذه هي الطريقة ...

وبكل كبرياء وبشعور خفى فى اثبات وجوده امام هذه السيدة التى لم تتاثر قط بشاربه الهلالى قال :

هذه اصول الشغل كما تعلمناها ...

وفكر شعراوى ثم رفع سماعة التليفون وادار رقما ثم قال بعد قليل :

بركات بك .. صباح الخير ، شعراوى معك مكتب ابو عوف بك ، اهلا بك يافندم .. والله عندنا هنا السيدة حرم المرحوم ، وتوقف ونظر اليها فقالت :

المهندس عبدالمجيد الخطيب وكيل ادارة المشروعات بوزارة الاشغال سابقا ..

واستطرد شعراوى يقول بالتليفون :

ـ .. حرم المرحوم الباشمهندس عبدالمجيد الخطيب .. انها تريد شهادة بقاء على قيد الحياة .. انت عارف .. ستاتى اليك ، هذه تعليمات ابو عوف بك .. تعمل لها الشهادة وحياة اولادك وتعودالينا للتصديق .. متشكر جدا يابركات بك .. الست تاتيكم الان ..

ووضع السماعة ، ثم نظر الى مساعده الثاني وكان شابا ، وقال له :

ـ عبد اللطيف ، تروح مع الست الى مكتب التوثيق عند بركات بك فى الدور الرابع كما تعلم ، قل لهم يعملوا لها الشهادة ويوقعوا عليها ويختموها ثم تاتى بها الينا .

وبدا على الشاب كانه فرح بهذه المهمة ، فترك الجريدة ونهض . وقامت نادية وحياها اعضاء المكتب ورافقها شعراوى الى الباب .

خارج الباب وجدت « اماما » اخرج السيجارة من فمه وابتسم ، اصبحت ماليتها مكونة من اثنين . سار عبداللطيف امامها يدلها على الطريق

وبعد ان خرجت نظرت الفتاة العجوز ذات الفروة من خلف نظارتها السوداء الى شعراوى وقالت : الان انت تصرفت تصرفا خاطئا ياسيد شعراوى

ـ لماذا لا سمح الله ...



وكان لا بد له من أن يتادب معها فهي اخت زوجة شقيق ابو عوف بك

ـ لانك تعرف ان خالي ابوعوف ـ وهكذا كانت تسميه ـ يهمه دائما ان يتكلم بنفسه مع الشخصيات المحترمة مثل هذه السيدة، وانت تعرف انه موجود..

ـ اعرف انه موجود ، ولكنه مشغول الى الساعة العاشرة . اليست هذه تعليماته ؟

ـ لا .. ليست هذه كل تعليماته ...

ـ المقصود .. هذا ماحصل ..

في الدور الرابع من المبنى الضخم وقفت السيدة نادية ووراءها حاشيتها المكونة من « الولد » امام و « الاستاذ » عبداللطيف عضو مكتب ابو عوف بك .

على باب الغرفة لافتة تقول : غرفة التوثيق.. فتح عبد اللطيف الباب ودخل ودعا السيدة البيضاء المليئة التي تلبس الحداد « الحديث » الى الدخول. لاول ما دخلت تطلعت عيون ثمانية موظفين قابعين على مكاتبهم كانهم كهنة في اجتماع المجلس الكهنوتي الاكبر . تعمد عبد اللطيف اقفال الباب في وجه امام حتى لا يدخل ، ولكنه كاي فار تسلل من الباب ودخل .

واتجه عبد اللطيف الى بركات بك رئيس مجلس الكرادلة وحياه تحية معطرة بعطر مكتب ابو عوف ورد بركات التحية باحسن منها ، لا لهذا الهلفوت، بل لابو عوف بك

والناس ياأخي في هذه الدنيا مقامات ،ثم قال عبد اللطيف :

السيدة نادية حرم المرحوم المهندس عبد المجيد الخيطب تريد ان تعمل شهادة بقاء على قيد الحياة ، وقد راى ابو عوف بك أن خير من يعمل هذه الشهادة هو سيادتك .

ونظر بركات الى السيدة واستوقف نظره شعرها الكستنائي الفاتح اللامع يطل على جبينها من طرحة الحداد . كاد يسهو عن نفسه ،ولكنه تدارك وقال:

لا مؤاخذة ياست .. تفضلي .. تفضلي اقعدي .

وجلست السيدة ووضعت ساقا على ساق بكل حشمة ورغم ذلك فقد اتجهت عيون بقية الكرادلة الى هذا القطب المغناطيسي الذي ملا الحجرة عطرا.

ثم نظر بركات الى عبد اللطيف وقال :

ـ الست تريد شهادة بقاء على قيد الحياة ..؟ حسنا . بكل سرور . تريد لهذا اولا شهادة ميلاد الست . وثانيا شهادة وفاة الزوج

فقال عبد اللطيف :

ـ وما لزوم شهادة ميلادها .. هل هي تطلب وظيفة .. ؟

فتحمس بركات ووقف وقال : اسمع ياأخي .. انت تعرف ان كل اجراء حكومي يتعلق بالافراد يبدأ بشهادة الميلاد ...

ـ معذرة يابركات بك ولكن هذه مسالة تختلف تماما عما تفكر فيه ،هذه سيدة نعرفها جيدا ونريد لها شهادة بقاء على قيد الحياة .

ـ يامحترم .. اذا لم اطلع على شهادة الميلاد فكيف اعرف انها موجودة .. ؟

فاحتد عبد اللطيف وقال :

كيف تعرف .. ؟ ياأخي هذه هي امامك بلحمها وشحمها .

وانزعجت الست نادية لكلمة شحمها فهي رغم كل شيء تخلو من الشحم تماما .

واحتد ايضا بركات وقال : بلحمها وشحمها او بعظمها ودمها .. لا اهمية لذلك عندنا .. ان القواعد الحكومية تقول ان الانسان لا يكون موجودا الا اذا وجد على الورق اولا . وكون الست موجودة امامنا لا يعني انها موجودة رسميا . وتدخل امام وقال :

معها البطاقة الشخصية ...

ـ البطاقة الشخصية لا تكفي

ـ ياأخانا هذه وثيقة رسمية تقول ان الانسان موجود ..

ـ نعم ، موجود في تاريخ استخراجها ، اما بعد ذلك فهي لا تثبت الوجود .

ـ ياأستاذ بركات ، هذه البطاقة الشخصية خلقت لاثبات الوجود ،وفي كل مكان .. في المصالح الحكومية ، في المصارف ، في المحاكم هي الفيصل الذي لا ينازع أحد ..

فقال بركات : اسمع ياحضرة .. لنفترض ان رجلا مات اليوم فهل بطاقته الشخصية تثبت انه موجود .

ـ ياسيدي نحن لا نقول البطاقة الشخصية تؤكد وجود حاملها ، والست موجودة وها هي ، وبطاقتها الشخصية تؤكد لك انها هي هي ..

ـ ياأخي لا تقل لي انها موجودة .. قلت لك ان الشيء الاول الذي اطلبه هو شهادة الميلاد ، هل هذه مسالة غير مفهومة ؟ سيادتها تستطيع ان تذهب الى

ادارة الاحوال الشخصية فى الناحية التى ولدت فيها وتستخرج مستخرجا من شهادة الميلاد فى ربع ساعة لم تعود ..

فقالت السيدة :

ـ ياحضرة .. انا مولودة فى السيالة مركز الدر محافظة اسوان فهل اذهب الى هناك واستخرج الشهادة واعود فى ربع ساعة .

ـ ياسيدتى مع فائق الاحترام ليس ذنبى انك ولدت فى السيالة مركز الدر محافظة اسوان .. كان يمكنك ان تولدى فى مكان اقرب، وان اللوائح هى اللوائح ، وانا لا استطيع ان احرر شهادة بقاء على قيد الحياة لانسانة غير موجودة .

ووجد عبد اللطيف انه امام صخرة لن يزحزحها الشيطان نفسه ، فقال للسيدة :

لا عليك ياست .. تفضلى ، سنبلغ ابو عوف ليتخذ ما يرى من الاجراءات .

ونهضت واخذت طريقها الى الباب وراء حاشيتها وعندما كانت عند الباب قال بركات :

لا تنسوا شهادة وفاة الزوج ..

فعادت اليه الست محتدة وقالت :

ومالك ياحضرة بشهادة وفاة الزوج ! هل نطلب منك شهادة بوفاة زوجى او بحياتى انا ... فرق قلب بركات ،وخرج من وراء مكتبه واقبل عليها كالمعتذر وهو يقول :

لا تؤاخذينا ياست ، كلنا نعرف المرحوم زوجك الباشمهندس عبد المجيد الخطيب ـ عليه الف رحمة ونور ـ ولكنك تعرفين أن الحكومة شىء والدنيا شىء . الحكومة ورق ، كل اعمال الحكومة ورق ، وبدون ورق لا حكومة ولا وجود . الوزير نفسه وزير بورقة عليها امضاء وختم . بدون هذه الورقة وبدون هذا الامضاء وذلك الختم لا يكون الوزير وزيرا .. لنفترض ياسيدتى ان رياسة الدولة قالت لرجل من الناس شفهيا : عينتك وزيرا للزراعة مثلا دون ان يصدر مرسوم بذلك فهل يصبح الرجل وزيرا .. ؟ هؤلاء ياسيدتى اطفال لا يعرفون فى امور الحكومة شيئا، وعندما اطالب بشهادة الميلاد انا اعرف بماذا اطالب. ثلاثون سنة على مكاتب الحكومة علمتنا ذلك..وعندما اطالب بشهادة وفاة المرحوم فانا اعرف لماذا اطالب بها .. حلمك معى : كيف اطالب لك بمعاش والمرحوم زوجك لم يمت .

وضحك الكرادلة،اما السيدة فلم تلحظ التناقض فيما قال بل احتدت وقالت :

ـ وفى هذا ايضا تشك .. ياحضرة ان معى

ـ سركى ـ المعاش وها هو (واخرجته من حقيبة يدها)وكنت اتسلم به المعاش طوال الاشهر الماضية، ولكنهم قالوا لى انه لا بد من اثبات الوجود فى اول كل عام لكى يستمر المعاش ..

ففتح الرجل عينيه وابتسم ابتسامة المنتصر وقال :

ـ اذن اتفقنا .. قد اتساهل فى شهادة وفاة الزوج ، لان هذا السركى قد يكفى ـ اقول « قد » لا تنسى ذلك ، ولكن اثبات الوجود لا يكون الا بشهادة الميلاد ..

وفتحت الباب وخرجت ومن ورائها حاشيتها . وخارج الباب ، اشعل امام سيجارة وقال :

حلمك ياست .. اصل الاخ عبد اللطيف يعمل فى مكتب ابو عوف بك ، وهو مكتب محترم يعرف الاصول ، ولكنه لا يعرف ان العمل هنا لا يجرى على الاصول .. فبهت عبد اللطيف ، وقالت الست نادية :

لا افهم ..

ـ قصدى ان هذا الدور كله ـ والكلام بيننا فئة عشرين قرشا .. حلمك ياست ، لا مؤاخذة ياأخ عبد اللطيف الدنيا مقامات ، وهذا المبنى مقامات وفئات . وكل هذا الدور ،اى كل موظفى هذا الدور فئة عشرين قرشا ، يعنى امضاء اى موظف هنا بعشرين قرشا .فى الدور الاعلى ـ وستصعد اليه بعد ذلك الامضاء بخمسة وعشرين قرشا ، الدور كله وبلغتنا نحن اولاد الكار والصنعة ـ فئة ربع جنيه .. تسمحى تعطينى الطلب .

ـ ستعود الى بركات ...

ـ لا .. لا لزوم لبركات ..سادخل هذه الغرفة، واشار الى غرفة عليها لافتة تقول: «ادارة التسجيل» فلى فيها واحد « معرفة » . ياست ثمانية موظفين، الواحد بعشرين ، المجموع ١٦٠ قرشا ومحسوبك وعبد اللطيف فالمجموع جنيهان .

وامتعض عبد اللطيف لحشر اسمه مع امام فقال:

انا لا ...

فاسرع امام وقال :

آه ، صحيح ، انت من الدور الثامن .. فئة اخرى .. لا باس ياست .. هاتى جنيهين وساتيك بالورقة ممهورة من ثمانية موظفين .

وقال عبد اللطيف محتجا :

اسمع ياأخي ..

وقاطعته السيدة قائلة :

لاباس ياسيد عبد اللطيف ، نريد ان ننتهي .. هاهما الجنيهان والورقة ..

واخذ امام النقود والورقة وغاب عشر دقائق فحسب وعاد بها ممهورة بثمانية امضاءات وختم بنفسجي جميل . وتناولتها السيدة ونظرت باعجاب الى هذا اللاانسان الذى اصبح فجأة فى نظرها انسانا ، وقالت له : الان نصعد الى مكتب ابوعوف بك ..

قال ، وقد شعر ان كرامته عادت اليه :

لا مؤاخذة ياست ، بعد التوثيق ، لا بد من التصديق ، فى الدور الخامس .. تفضلوا معي

واخرج سيجارة واشعلها ومشى فى هيئة المنتصر تتبعه الست ومن خلفها عبد اللطيف الذى انحدر الى مرتبة « لا انسان » .

فى الدور الخامس وهو دور يمتاز بقلة السكان لان موظفيه اعلى درجة .

وفى السلم الوظيفى فى هذا المبنى كلما علت الادوار ارتفعت مراتب الموظفين وقل اختلاطهم بالجمهور ، وبالتالى قلت فائدتهم له ، وبالتالى ايضا زادت رواتبهم . الرواتب هنا لا على قدر العمل والفائدة بل على قدر قلة العمل وقلة الفائدة . هنا تاتي المسائل مصفاة وموثقة لكي يصدق عليها .

وتلفت امام يمنة ويسرة ثم سال نفسه : فين ياولد ياامام حمدى بك ؟ آه فى الغرفة اربعمائة وشيء .. تعالوا ، ومضى يقرا اللافتات ، ثم توقف امام غرفة تحمل لافتة : مكتب تصديق التوثيق .. واراد ان يدخل فنهض له فراش كان مشغولا فلم يفطن اليه وقال الفراش :

لا احد هنا ياحضرة ..

ـ واين اذن حمدى بك والسادة اعضاء المكتب

ـ البكوات يفطرون الان . ممنوع الدخول حتى يفرغ الافطار .. الا ترى النور الاحمر ياحضرة..

ـ لا أرى نورا احمر ..

ونظر الفراش وقال :

ـ آه نسيت أن اشعل النور .

ودخل ، واضاءت لمبة كهربائية حمراء صغيرة فوق الباب ، وقال الفراش :

ـ صدقت الان ان البكوات مشغولون ..

ـ ولكن ياسيدى الفراش ..

فصاح الفراش : ياأخي حرام عليكم ، حتى الاكل تحرمونه عليهم ، اليسوا بشرا من لحم وعظم مثلك ومثلي . كيف تريدهم ان يعملوا دون طعام ..

ـ ومتي يفرغون باذن الله من طعام العافية ..

ـ عندما يطلبون الشاى والقهوة ...

ـ يعني بعد نصف ساعة ..

ـ من باب الاحتياط اعمل حسابك على ساعة. ساعة ونصف .

وجلس مكانه ، وفى ضوء المصباح الاحمر المغطى بالتراب عاود النوم ...

ونظر امام الى السيدة وعشر الحشم الثاني ثم قال :

لا عليكم .. نذهب الى زهدى بك .. انه فى الحجرة التى بعد هذه بحجرتين ، هنا ـ وسار بهم، ووقفوا على باب غرفة تحمل لافتة تقول : مكتب توثيق التوثيق ..

هنا ـ لحسن حظه ـ لم يكن هناك فراش ولا حاجب ، فدخل متلصصا ، فوجد غرفة واسعة يسودها الصمت ، على المكاتب ـ وعددها سبعة ـ جلس سبعة موظفين يقراون الصحف . وفجأة ظهر الفراش الذى لا مفر منه . كان فراشا الطف من الاول واحسن هيئة ، قال :

يا حضرة ... ماذا تريد ؟

ـ زهدى بك ...

قال الفراش : تعال خارجا لحظة . زهدى بك هنا وها هو ذا على المكتب الكبير ، ولكنه الان يقرا الجريدة ، زهدى بك والسادة اعضاء المكتب يقراون الجرائد الان ، وهم يقسمون العمل بحساب بينهم ، انظر ...

ومن شق الباب نظر الثلاثة : امام والست وعبد اللطيف ، وقال الفراش :

ـ انظر ها هم يقراون الصحف بنظام وترتيب كل واحد له اختصاص : انظر .. اهرام ، اخبار ، جمهورية ، اهرام ، اخبار ، جمهورية .

ـ وهذا السابع .. ؟

ـ تقصد عبد الهادى افندى

ـ هذا اسمه .. ؟

ـ هذا جديد وثانوية عامة فقط ، اختصاصه جريدة المساء ، لانها تصدر بعد الظهر اولا ثم هي نحيفة الحجم ...

الا يمكن قراءة الصحف فى غير المكاتب ، خارج وقت العمل مثلا :

- سبحان الله يا أخي ، اين المفهومية ٠ ان الصحف تظهر فى الصباح لكى تقرا فى الصباح اى فى المكاتب ٠ ولو كانوا يريدون ان يقراها الناس بعد الظهر لخرجت بعد الظهر ٠

ثم ، ما فائدة قراءة جرائد الصباح بعد الظهر. خذ مثلا الوفيات ٠ كيف تقرا اخبارها بعد الظهر فتضيع على الناس فرصة العزاء وتشييع الجنازة. الان فقط قام مدير المكتب زهدى بك بتبليغ السيد وكيل الوزارة خبر وفاة خال ابنة عمة السيدة حرمه ٠ بالامس ابلغنا الاستاذ رحمى المستشار القانونى بمكتب السيد الوزير بتاريخ الذكرى الخامسة لوفاة والد ابن خالة الست حرمه ، وتلقينا شكرا رسميا على ذلك ٠٠ هنا مكتب عمل منظم وحيوى لكل السادة الافراد العاملين من اكبر كبير الى اصغر صغير ٠٠

- ومسالة دراسة الصحف هذه تاخذ وقتا طويلا ٠٠

- يعنى كلك نظر ٠٠٠

- آه ٠٠ فهمت ٠٠

واختلى الثلاثة للمداولة وقال امام : كما قلت لكم ، هذا الدور فئة ربع جنيه وسمعها الفراش الذكى فقال :

لامؤاخذة ٠٠ نسيت غلاء المعيشة ٠ انتم تعرفون ان الاسعار فى زيادة ، والناس لا بد أن يعيشوا والمرتبات كما تعلمون٠٠ خذ مثلا، زهدى بك هذا كبيرهم ، تصدق بالله ؟ مرتبه اربعة وخمسون جنيها واثنان واربعون قرشا وتسعة مليمات ٠

ايجاربيته وحده ثمانية عشر جنيها ، ومصاريف المدارس ٠٠

فقاطعه عبد اللطيف : ولكن المدارس مجانية ٠

فقال الفراش :

سبحان الله يا حضرة ٠٠ والدروس الخصوصية ٠٠ اتعرف ماذا ياخذ مدرس الرياضة فى الساعة ؟

جنيها ونصف وحياتك ٠ ولا يعطى اقل من درسين فى المرة ٠ اضرب جنيها ونصف فى اثنين فى ثلاث مرات فى الاسبوع فى ثلاثة اولاد ! احسبها سيادتك ٠٠



والانجليزى شرحه ، والاجتماعيات واللغة العربية ٠٠ هذا كله وسيادته لم ياكل ولم يشرب، لا هو ولا العائلة المحترمة ٠٠٠ اصل محسوبك يقوم بمهمة وزير المالية للسادة هنا ٠٠ انا اعرف كل شيء ٠٠ ليست هناك اسرار ، هذه ارقام والارقام لا تكذب ٠٠٠ تسمح ياحضرة تقسم اربعة وخمسين جنيها واثنين واربعين قرشا ولا لزوم لقسمة المليمات التسع - على هذه النفقات ٠٠٠

- والخلاصة ٠٠٠

- الفئة زادت الزيادة القانونية ، بحسب ارتفاع الاسعار ٠٠ بالله العظيم ثلاثا ان زكى بك ، وهو الرابع من اليمين الى الشمال هو المختص بدراسة لائحة الاسعار الرسمية كل يوم كما تنشر فى الصحف وتعلن فى الاذاعة ٠٠

- وهل عندكم هنا ركن استماع ايضا

- هذا فى البيوت يا حضرات ٠ الستات اختصاصهن الاستماع ، البكوات القراءة ٠٠ نحن ناس نعمل يا رجل ، نعمل بذمة وعلى اصول ٠٠ قلت لك أن رحمى بك يرى ان الظروف تستدعى رفع الفئة ٠٠٠

- فوق الخمسين قرشا ٠٠ ؟

- طبعا وربما اصدر قرارا بذلك يسرى مفعوله من الغد ٠٠ تصدقون بالله ؟ انتم محظوظون اذ اتيتم اليوم قبل ان ترفع الفئة الى ستين او سبعين قرشا ٠٠

وقال عبد اللطيف محتجا :

هذا كلام فارغ ٠٠ لنذهب الان الى المكتب وتبلغ ابو عوف بك ٠٠٠

فقال الفراش :

- ابو عوف بك فى الدور الثامن ٠٠ ؟

- نعم وانا من مكتبه ٠٠٠

- ولا مؤاخذة يا حضرة ، يظهر ان شعراوى بك لم يبلغك ان الفئة ارتفعت عندكم من امس ٠٠ لم تصدقنى عندما قلت لك ان هنا مركز الاستعلامات ٠٠

فقالت السيدة :

هذه رشوة يا حضرة ٠٠

فقال الفراش اللبيب :

لا باس ولا مؤاخذة ، هذه ليست رشوة ٠ الرشوة هى ان واحدا ياخذ فى السر ودون علم الباقين ٠٠ اما عندما ياخذ الجميع وفى وضح النهار فان المسالة تصبح نظاما ٠ وقولى لى من

فضلك : واحد يتقاضى خمسين جنيها في الشهر ، ومصروفاته مائة ، من اين يكمل الباقي ٠٠ ؟

ـ من الجمهور ؟

ـ اظن ان هذا هو المعقول ٠ المسألة ليست مسألة رشوة ، انها « تعاون » ، تعاون منظم ٠ الحكومة تدفع شيئا والجمهور يدفع شيئا وتسير المركب ، معقول هذا ام غير معقول ؟

وبعد لحظة صمت ، ادار بصره في الجماعة وقال :

هاتوا الورقة واربعة جنيهات من فضلكم ٠

وقالت السيدة :

ـ لماذا اربعة جنيهات ، اليس العدد سبعة ٠٠

ـ ومحسوبك ؟ لا يدخل في « التعاون » ؟

ـ آه ٠٠ صحيح

وقال امام :

ـ اذن اجعليها ثمانية ونصف ٠٠

وقال الفراش :

ـ واليك ؟

واشار الى عبد اللطيف ٠٠

ـ لا ٠٠ البيه من الدور الثامن ٠٠ فئة اخرى ٠٠

ـ لا مؤاخذة يا سعادة البيه ٠ لم آخذ بالي٠٠

فقال عبد اللطيف في تواضع :

ـ لا داعي للمؤاخذة ٠٠ ما دامت المسألة « تعاون » فلاكن معكم ٠٠ لتكن خمسة جنيهات

وتنهدت السيدة الصعداء وقالت :

ـ امري لله ٠٠ لنتخلص من هذه المشكلة ٠٠٠

واخذ الفراش الجنيهات الخمسة ودخل فغاب خمس دقائق ، ثم خرج بالورقة مذيلة بسبعة امضاءات اخرى وختم بنفسجي جميل ، وناول كلا من عبد اللطيف وامام نصيبه من التعاون ٠٠٠

وقال امام :

ـ الان الى مكتب ابو عوف بك ٠

على غير العادة لم يكن الهدوء مخيما على مكتب سكرتارية ابو عوف بك ٠ كان هناك صخب وضجيج وصوت رجل يصيح ، دهش عبد اللطيف للامر ، وتقدم وفتح الباب ودخل ٠ في وسط الحجرة كان هناك رجل بلدي في حوالي الخمسين من عمره ٠ كان يبدو عليه الفقر والغلب ، ولكنه كان خارج نفسه ، اعصابه افلتت منه وتحول الى مخلوق غاضب ٠ عندما دخلوا كان يقول :

قولوا لي : انا حي ام ميت ؟ ان كنت حيا فلا بد من الغاء شهادة الوفاة ، وان كنت ميتا فليس معي ما ادفن به وعليكم ان تدبروا الامر ٠

وقال شعراوي مهدئا :

مالك ايها الرجل ؟ اعساك جننت ٠ اخفض صوتك ، ابو عوف بك لا يحب هذه الشوشرة ٠ واذا ظللت على ذلك فلن ينفعك شيء ، وسياتي البوليس ويلقيك خارجا ٠٠

ـ لا يستطيع ٠٠ ليس في الدنيا احد يستطيع ذلك ٠٠

ـ لماذا ، هل انت فوق القانون ؟

ـ لا يا سيدي ، لاني ميت ٠

ـ كيف تكون ميتا وهذا صوتك يدوي كالرعد٠

ـ اذن انظر في شهادة الوفاة التي بين يديك ٠٠ من اسبوعين وانا احارب هذه الورقة ولا استطيع التخلص منها ٠ في كل مكان يقولون لي انني ميت ، اقول لهم : يا ناس كيف اكون ميتا وها انا امامكم ؟ فيقولون : اذهب واعمل عملية شطب لشهادة الوفاة هذه ٠٠ انقل نفسك من قائمة الاموات الى قائمة الاحياء ٠٠ من الاخرة الى الدنيا ٠

ونظر الى الست وامام وعبد اللطيف وقال :

ـ هل سمعتم بهذا يا خلق ؟ اكون حيا ويقولون لي انني ميت ، ويسخرون مني ويقولون انقل نفسك من الاخرة للدنيا ٠٠ هل هذا معقول ! هل سمعتم بانسان انتقل من الاخرة الى الدنيا ٠٠٠ اليست هذه حاجة تجنن ؟

وقالت السيدة :

هدىء اعصابك يا عم ، نريد ان نفهم ما هي الحكاية ٠٠

فقال الرجل باعلى صوته وبلهجة غاضبة بل مجنونة ، ونظراته تتنقل في عجلة من شخص لشخص

ـ اصل الحكاية ياست ٠٠

وقاطعته السيدة قائلة :

ـ اجلس يا عم ٠٠ اجلس ٠٠ هات كرسيا يا امام ٠٠ وهات له ماء ، كوب ماء ، واتى الكرسي وكوب الماء ، وشرب الرجل وجلس ، واخذ نفسه ثم قال للجالسين :

واحد منكم يعطيني سيجارة ٠

وسارع امام فاعطاه سيجارة واشعلها له ، وقفز الرجل الى السيدة وقال :

ـ الله يعمر بيتك ياست ! اول ابن آدم اقابله



من عشرة ايام ‥ شوفي ياست ‥ الحكاية انني يوم الثلاثاء قبل الماضي ، يعني بعد العيد الصغير بستة ايام اردت النهوض من فراشي لاذهب للعمل فشعرت بدوار ٠ نهضت رغم ذلك ، ثم غبت عن الوجود ٠ يقولون انني وقعت على الارض ٠ عندما فتحت عيني وجدت نفسي ممددا على خشبة باب ورجل يغسلني ،قلت : ماذا جرى ياناس ‥ هل انتم تغسلونني ام ماذا تعملون‥ وروع الرجل الذي كان يغسلني وجرى وهو يصيح : الميت صحا ‥ الحقوني ‥ الحقوني ‥ كنت ارتعد من البرد يا سيدتي وصرخت ‥ اعطوني شيئا البسه ، فلم يصغ لي احد ، ثم دخلت علي الملعونة امراتي زكية وصاحت : ماذا جرى ؟ يا مصيبتي ‥ الرجل صحا وقام من الموت ! صرخت صئوت ! وهل انا مت ؟ قالوا :نعم مت من ساعتين ، وابلغنا حكيم الصحة فكتب شهادة الوفاة وصرح بالدفن ـ تصوري ياست ، لا هو اتي ولا هو راني ، وانما هو ابني الذي افسدته هذه الحرباء علي ، انه اسرع وابلغ مكتب الصحة وشيخ الحارة ‥ انهم جميعا ضدي ، لانني وزكية ـ لعن الله اليوم الذي رايتها فيه ـ شركاء في الفرن ، وهي تريد ان تطردني من زمان وتنفرد به مع الولد ‥ لم ادر ما افعل ‥ شيخ الحارة قال لي اذهب الى مكتب الصحة وصحح الواقعة واثبت وجودك ‥ لم استطع يومها ، كنت متعبا جدا ٠ كان البرد قد اهلكني، وكانت بنت الشياطين تريد ان تدفنني بالحياة ‥

وسكت قليلا ليستجمع انفاسه ، ثم عاد يقول:

بعد يومين ذهبت الى مكتب الصحة ‥ قال لي الباشكاتب : خلاص ياعم امين ، سننظر في الموضوع لان البيه الدكتور لا يستطيع الغاء شهادة وفاة صدرت من يومين وسجلناها في الدفتر واخذت رقما ‥٠

قلت : ولكن الدكتور لم يكشف علي ٠ ولا راني ميتا ‥٠

ـ اسمع يارجل ، انت مجنون وليس لدينا وقت لامثالك ٠ ماذا تريد ؟ ان يذهب البيه

الدكتور في داهية ! تقول انه كتب شهادة الوفاة دون ان يراك ٠

ـ اي والله يا سعادة البيه ‥ كلهم قالوا انه ما اتي ولا راني ، اسالوا كل اهل الحارة‥

هنا دخل شيخ الحارة وقال :

ـ اسمع يا عم امين ‥ ما ذنب سعادة البيك الدكتور حتى تدخله في هذه القضية ؟ سعادة البيك قام بواجب ، اتى الى البيت وانا معه ، وكشف عليك كشفا تاما وتاكد من ان قلبك وقف وكتب الشهادة وناولها لابنك ، لقد رايت ذلك بعيني والله العظيم ثلاثا وما لاحد يمين علي ٠

ـ انت يا عبد التواب يا شيخ الحارة ، ياشيخ النصابين رأيت الدكتور يكشف علي ؟

ـ لقد اقسمت بالله العظيم ثلاثا يارجل ! نعم كشف عليك بالسماعة امام عيني ‥ وصمت المسكين قليلا ، ثم عاد يقول :

وتدخل ـ الله يستره ـ عم رجب الخضري ، جاري وصاحبي وعشرة سنوات طويلة وقال لشيخ الحارة :

اسمع ياعبد التواب ياحمزاوي ‥ الطبيب لا اتي ولا رآه ماذا تريدون؟تقتلون الرجل وهو حي‥ سبحان الله ‥ قم معي ياأخي امين، لا بد من الغاء شهادة الوفاة : وقال باشكاتب الصحة :

اسمع، يامجنون انت يارجب ياخضري ، نحن امام احد امرين: اما ان يموت هذا الرجل اويفصل سعادة البيه الدكتور من وظيفته ٠٠٠

فقال رجب الخضري :

نحن لا يهمنا ان يفصل الدكتور من وظيفته ، المهم ان يرفع اسم هذا الرجل من قائمة الوفيات حتى يستطيع هذا الرجل ان يعود الى فرنه ويواصل حياته ٠

ـ وما الذي يمنعه من الذهاب الان الى الفرن وممارسة عمله كان شيئا لم يحدث ‥

فقلت انا : كيف وقد اخذت بنت الشياطين امراتي زكية شهادة الوفاة وذهبت بها الى القسم واستصدرت امرا باغلاق الفرن حتى يتم الفصل في التركة ٠

قالت الست :

ـ ولكن شهادة الوفاة معك ‥

ـ ضربتها بعد ذلك واخذتها منها ، وذهبت لالغيها ٠ مكتب الصحة رفض تماما فطردوني من هناك ،وفي قسم البوليس سخروا مني وقالوا لي:

« هات ما يثبت انك صحوت بعد الموت » ٠ومن يومها الى الان وانا حائر ضائع بين المكاتب لي اسبوع كامل في هذا المبنى ٠ طالع نازل ، نازل طالع ،وكل مكتب يحيلني الى الاخر، واخيرا قالوا لي ليس هناك الا ابو عوف بك ٠ هو كل شيء هنا ٠٠ هو ـ الله يستره ـ سيصدر امرا بالغاء شهادة الوفاة ، ويامر العساكر بان ياتوا معي ويفتحوا الفرن لازاول عملي ٠٠٠

فقال شعراوى : ابو عوف بك غير موجود يارجل٠

فقالت الست :لا ،انه موجود ياسيد شعراوى٠٠!

فاسرع اليها شعراوى واخذها جانبا وهمس في اذنها :

ـ لا تدخلي في هذا الموضوع ارجوك ٠ هذه المسالة تعني ابو عوف بك شخصيا ٠ وفرن هذا الرجل يقع خلف العمارة الجديدة التي يبنيها ابو عوف بك ٠ وقد قمنا بالتفاوض مع ارملته ـ امراته اقصد ـ وابنه بصفتهما الورثة الشرعيين لشراء الارض لتوسيع العمارة ،وقبضت الست زكية مائتي جنيه على الحساب لكي تزوج ابنها ٠٠

ووقفت السيدة ذاهلة والرجل ينظر اليها نظرة كلها ثقة وامل وفي هذه اللحظة دق جرس ، فنهض عبداللطيف ودخل غرفة ابو عوف بك ، ثم خرج وقال : تفضلي ياست ٠ فسارت وفي يدها الورقة ذات الامضاءات والاختام ٠٠٠

المكتب فسيح وانيق فاخر الاثاث ٠ مكتب ابوعوف بك طوله ثلاثة امتار وعرضه متران ، وخلفه الى يسار ابو عوف بك شباك واسع ٠

ونهض ابوعوف بك واقبل يحيي ضيفته ووجهه كله مشرق ، وصلعته تلمع ، وعيناه تضحكان خلف نظارته السميكة ٠ كان رغم قبح هيئته رجلا انيقا محترم الهيئة ، تزيده قامته المديدة احتراما ٠٠

ـ تفضلي ياست ، تفضلي ٠٠ اهلا وسهلا ، خطوة عزيزة ٠٠ الباشمهندس المرحوم عبدالمجيد بك كان صديقي ٠٠ تفضلي ٠٠

وجلست على الكرسي امام المكتب فنهض واقفا واشار الى الاريكة الكبيرة وقال :

ـ هنا اريح ٠٠ هنا نستطيع ان نتكلم ٠٠

قالت : لا ٠٠ هنا كويس ٠٠

فعاد الى مكانه وقال :

لا مؤاخذة ٠٠ هؤلاء الاولاد اتعبوك ٠ انهم لا يفهمون شيئا ، ما كان ينبغي ان يرسلوك الى اي مكتب آخر ٠٠

ـ المهم ٠٠ ها هي الورقة ، كل ما ينقصها تصديقك وختمها ٠٠

فتناول الورقة واخذ يتفرج عليها وضحك وقال :

ما هذا كله ٠٠ هذا كلام فارغ ٠٠ لقد عملت لك الشهادة بمجرد ان علمت انك هنا وها هي موقعة ومختومة ٠٠ هؤلاء الاولاد متعبون جدا ٠

وتناولت شهادة اثبات الوجود في قيد الحياة وقراتها ثم وضعتها على المكتب امامها ثم قالت :

ـ هكذا ياابو عوف بك ٠٠ يوم كامل واناجري واصعد واهبط في هذا المبنى لاحصل على ورقة تعمل في خمس دقائق !

ـ انني اسف جدا ياست ـ قلت لك انني لم اعلم ، وارسلت ابحث عنك ٠٠

قالت : اظن انني انصرف الان ٠٠

ووقفت ، فنهض واسرع يقول :

لا يمكن ٠٠ لم تشربي شيئا ٠٠ لا بد ان تاخذي شيئا ٠٠ المرحوم عبدالمجيد بك كان صديقي ٠٠ نحن معارف ٠٠ نحن اهل ٠٠

ـ شكرا ٠٠

فاخرج منديلا ومسح صلعته ، ثم نظارته ثم قال : لقد تاسفت لما جرى ، وقلت : سيدة محترمة مثل حرم الباشمهندس عبدالمجيد بك الخطيب لا يمكن ان تظل وحدها على هذه الصورة ٠٠ انت تربن ما قاسيت من التعب بسبب ورقة تافهة كهذه ٠٠ ماذا تعملين باتري في العمارة التي خلفها لك المرحوم ؟ لا بد انك متعبة وحيرى ٠٠٠ قصدي٠٠ انك في حاجة الى رجل يقف الى جانبك ، رجل قوى مثل المرحوم يعرف كيف يساير الدنيا ٠٠ لهذا كنت اريد ان أتحدث معك ٠٠ هنا في المكتب لا يمكن ان نتحدث كما نريد ٠٠ نستطيع ان نحدد موعدا ونتحدث ، عندك في البيت او عندي ٠٠ انظرى ٠٠ هاتان العمارتان البيضاوان وراء تلك الحديقة ،انهما لي ، وعندي في الدور التاسع من العمارة شقة جميلة استعملها مكتبا ومكان استقبال للاصدقاء الاعزاء اولاد الناس ٠٠ اذا وافقت ، يمكننا ان نتقابل هناك ٠

ـ لماذا ؟

ـ قلت لك ٠٠ انت في حاجة الى من يساعدك في ادارة اعمالك ٠٠ والحقيقة انني افكر في ذلك منذ وفاة المرحوم عبد المجيد بك ٠٠

نهضت واقفة ، وذهبت الى النافذة ونظرت ثم

اشارت الى العمارتين وقالت :
ـ هاتان ملكك ؟
ـ وعندى ثالثة فى وسط البلد .
ـ ورابعة لا ادرى اين ومعذلك تريد ان تستولى على فرن الرجل المسكين عم امين .
ـ لقد عملنا عقدا مبدئيا مع الورثة ، وقبضوا المقدم ..
ـ والرجل حى .. !
ـ هذا ليس شانى ..
ـ شانك ان تستولى على اموال الناس وتبنى عمارات ، بالحلال بالحرام ، لا يهم .. اسمع يا ابو عوف بك ... من الساعة الثامنة صباحا وانا هنا فى هذا المبنى الكبير . عندما دخلت فى الصباح كنت انسانة محترمة أتت تطلب شهادة فى غاية التفاهة فانظر ماذا فعلت انت ورجالك بى . كل دقيقة مرت على كنت افقد جزءا من انسانيتى واحترامى لنفسى . لست وحدى فى ذلك فهناك الوف مثلى تائهون فى هذا المبنى الرهيب يبحثون عن حقوقهم التىتبتلعونها انتم هنا ..عندما دخلت المبنى فى الصباح رأيت منظرا عصر قلبى عصرا: امراة تجر اسرة كاملة وتهيم على وجهها بينالناس باحثة عن حقها فى مكان لا تعرفه ، ثم اخذها شيطان ومضى لا ادرى الى اين .. وفى مكتبك هذا لعب بى من تسميهم الاولاد كانتى كرة بين ارجلهم، وهبطت وصعدت لا أدرى كم مرة .. فى كل مكتب ناس محترمون مثلك على مكاتب مثل هذه ياكلون اموال الناس لقاء امضاءات واختام انت نفسك تسخر منها .. اتيت اولالنهار ارجو اثبات وجودى وفى النهاية وبعد هذه البهدلة كلها لم يعد لى وجود اصلا .. هذه الشهادة التى تفضلت على بها ليست شهادة اثبات وجود ، انها شهادة وفاة بالضبط كهذه التى تعذبون بها عم امين الفران.. ولم يكفك هذا ايها السيد المحترم .. تحدثنى عن عماراتك وشقتك التى هىمكتب وصالوناستقبالات وتدعونى للحديث ..فيم نتحدث ياابو عوف بك..؟ عز عليك ان اخرج ببقية من كرامتى ، فاردت ان تدوسها ايضا ؟ لقد قلت لى ساعة دخولى اننىبنت ناس.. فهل فىالدنيا انسان ليس ابن ناس؟ نعم هناك ..هناك فىنظركم ناساولاد ناس وناساولاد كلابمثل تلك المسكينة التائهة مع اولادها تبحث عن حق لن تجده أبدا ، لان ابو عوف آخر اكله كما تريد انت ان تاكل فرن المعلم امين والرجل حى .. اننا كلنا اولاد كلاب فى نظركم..انتم فقط الناس اولاد الناس .. فى هذا المبنى الف ابو عوف كلهم مثلك ومثل البكوات الكثيرين الذين رأيتهم مقسمين الى فئات ،ياخذون الرشوة ويسمونها تعاون ،ومثل هذا الطبيب الذى حكم بموت رجل دون ان يراه.. ما أتعسنا معكم .. اننى ماضية الان لانجو بالبقية الباقية من انسانيتى وكرامتى .. فى المرة القادمة ، عندما احتاج شيئا سابعث كلبا لياخذ لى حقى . مع الكلاب لا ينفع الا الكلاب .. ثم اخذت الشهادة وقالت : على الاقل معى اثبات باننى لا زلت على قيد الحياة .. ثم انى دفعت ثمنها غاليا ..
وخرجت ..

واستقبلها عم امين الفران ، وقال :
ـ وانا ماذا اعمل ؟
ـ لاشىء ياعم امين .. انت رجل ميت ولاامل لك فى الحياة او فى استرداد الفرن . امرك‌لله.. لن تستطيع عمل شىء .. اذا لم يقتلك ابوعوف هذا سيقتلك ابوعوف آخر .. انت وانا وكل المساكين الذين يجرون وراء حقوقهم محاصرون، محكوم عليهم بالموت ..فى كلناحية هناك ابوعوف .. انهم الوف .. الوف ..

ولم يفهم الرجل كثيرا مما قالت ، ولكنه فتح فمه فى يأس وقال :

لن اخرج من هنا حتى الغى هذه الشهادة او اقتله .

ـ لن تستطيع .. اذا قتلته نهض‌مكانه ابوعوف آخر .. تعال معى .. انا فى حاجة الى بواب.. لابد أن تخرج وتهرب بنفسك من هنا ..سيقتلونك قطعا ليثبتوا ان الورقة التى فى يدك صحيحة.. متى يارب نثبت نحن الكلاب اننا آدميون .. ثم سألت : هل وصل السائق ؟ ..
ـ انا هنا يا ست ..

ـ خذ هذا المسكين معنا ،سيعمل بوابا او سائسا فى الجراج .. لا تخف منه ، انه ميت وشهادته بيده .. انه احسن حالا منا .. نحن امواتبلا شهادات وفاة ..

ومضت ومن خلفها السائق وخلفه العم امين الفران وشهادته بيده . ■■

حسين مؤنس

مُوسيقَا مِنَ الذّاتَ

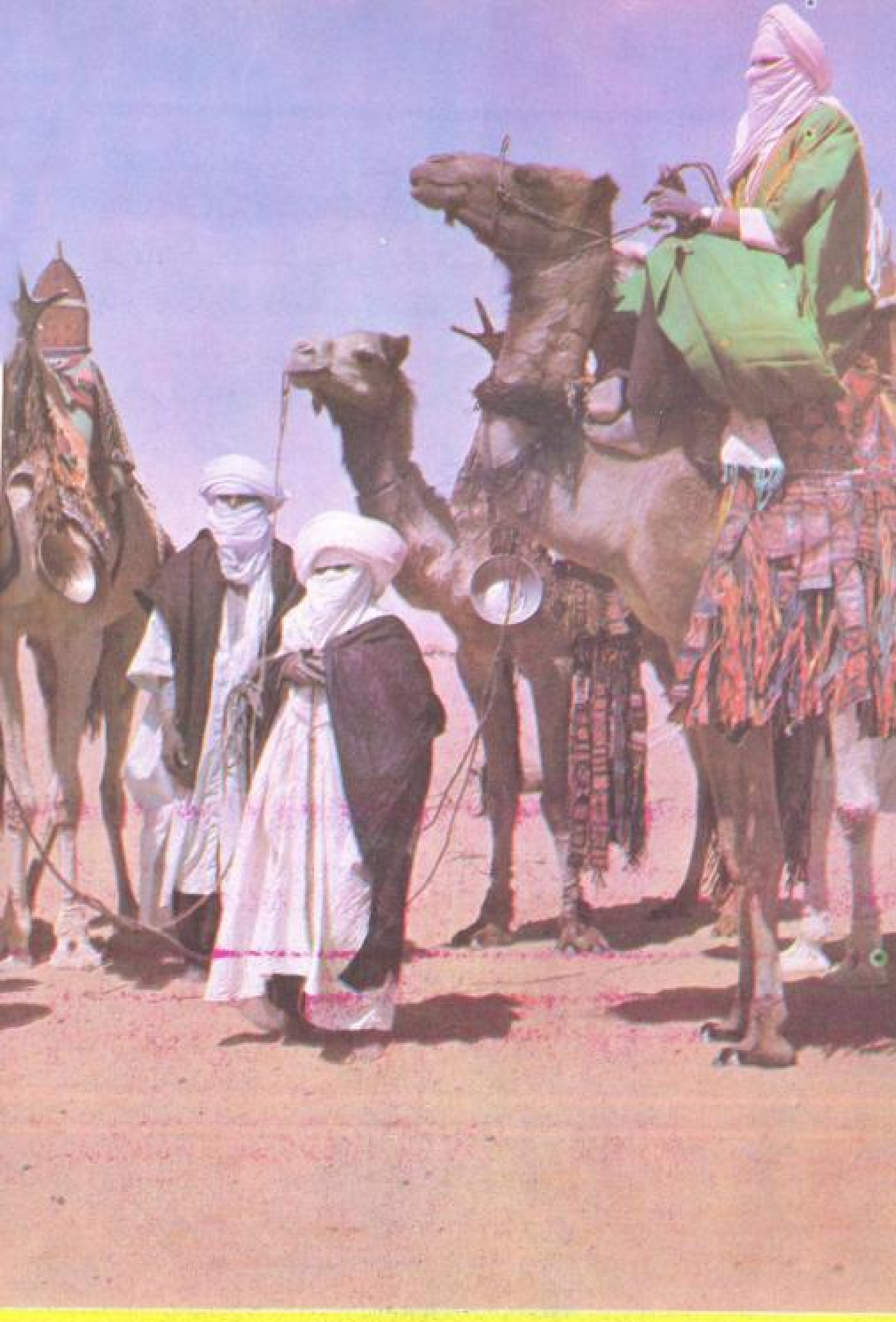
للشاعر

محمود حسن اسماعيل

■ . . وماذا ستَكتُبُ عنِّي ، إذا غِبتُ يَوماً ؟
وماذا ستَحكي لِدُنياكَ عن سِرِّ فَنِّيَ !
. . وماذا ستَروِي عن النّايِ . .
لمّا تَراهُ حزيناً بلا أيِّ دمعٍ ! بِلاَ أيِّ لحنٍ !
. . أتَعرِفُني ؟
أينَ مِفتاحُ بابي ؟
وأينَ الطّريقُ إلى جنّتي ، أوْ يَبابِي ؟
وأينَ الحَدائقُ ؟ أينَ الحرائقُ ؟
أينَ الحقائقُ . . مصلوبةً بينَ عصري وَبيتي ؟
وأينَ اختِلاجاتُ روحِي ،
وأطيارُها حائماتُ السُّفوحِ ؟ . .
تَجيءُ ، وتَمضي ، وترنُو ، وتُفضِي ،
وفي فَمِها السِّرُّ . . هَيهاتَ يُفضِي ! !
. . أتَعرِفُ ماذا تريدُ ؟
وماذا بها مِنْ أحاسيس وَمَضى ؟
. . أتَعرِفُ أيّانَ عادَتْ ؟
. . أَلِلنُّورِ ؟ أمْ للدُّجَى في متاهات أرضي ؟
وما هِيَ هذِي الخَمائلُ في قاعِ نَفسِي ؟
وما ذلكَ السِّحرُ ؟
مَنْ شَبّهُ في فَراديسِ كأسِي ؟
. . أتَعرِفُ . . كيفَ انسِلالُ الرُّؤى من خيالي ؟
وكيفَ انصِهاري بلَحنِيَ عندَ اشتِعالِي ؟
. . أتَعرِفُ . . كيفَ انكشافي لعُمقِ الوجودْ ؟
وأيَّ القُوى حطّمَتْ لي جميعَ السُّدودْ . . . . . ! !
. . أتَعرِفُ كيفَ امتدادي بناري لِربِّي ؟

وكيفَ احتدادى ورَفْضي لأشْواق قلْـبي ؟
وكيفَ التَّناقُضُ يَجْتاحُ ذَاتى ، ويَمْضِي بَعيداً ،
ليَرْتادَ شيئـاً أحسُّ به في زمانى شَرِيـداً ! !
يُنادِي علَىَّ ، وأخْشـى صَـداهُ ،
وأهْوىَ لِقَـاهُ ، غريبـاً جديـداً . .
. . أتعرف ما في كِيانى ؟ وَعُمْقِىَ ؟ سِرٌ غريبْ !
تَخَطَّى العُصـورَ ،
وفاتَ الدُّهورَ . . إلى سرِّ روْضٍ عجيـبْ
بِهِ الزهرُ يَسْكَرُ ! والعطرُ يَسْهَرُ !
والليـلُ داعٍ يَتُـوبْ
ومن غيْرِ ذنبٍ يمُدُّ اليَدَيْنْ
ويَرْفع لله تسْبيحَتَـيْنْ !
وقد أحتَويهِ ، وأنسابُ فِيهِ ،
ويَبْقَى بَعيدَ المَدَى عن خيالى وجَفْـنى ؛ ؛
فلاَ أنَا منهُ ، . . ولا هُو مِنِّى . .
ولكنَّنَـا نغْمَةٌ فوْق غُصْـنِ . .
بلاَ أىِّ طَـيْرٍ ،
بِلا أىِّ نَـبْرٍ ،
تُغَرِّدُ لِلرّوح في جَوِّها المُطْمَئِنْ !
. . أتعرفُنى بعْدَ هـذا ؟ . .
وتُدْرِكُ ماذا أُغَنّـى !
. . أنا مِنْ سمائى وأرضى ، قُطُوفـى ،
ومِن ثَوْرة الرُّوح للرُّوحِ لَحْـنى !
وأحرَقْتُ ذاتى لِضَوْءِ التُّـرابِ ،
وغَنَّيْتُـه العُمْـرَ . . .
. . . ماذَا تُرِيدُونَ مِنِّى ! !





هؤلاء الرجال الملثمون فقدوا وظيفتهم التقليدية ٠٠فوقفوا مع جمالهم يتطلعون الي الفراغ الكبير المحيط
المعلـــوم فى مدارس « غات » ٠٠ العاصـــــمة الروحية للطوارق ، التى يشهد مجتمعها تطوراً جذرياً ٠٠ انه

• اعرف وطنك أيها العربى •

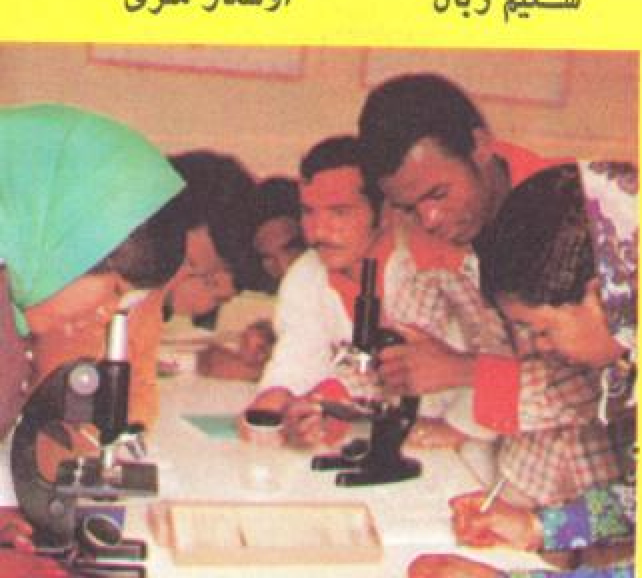
حياة جديدة للطوارق

أخيرًا : حضارة القرن العشرين
تطرق أبواب عاصمتهم الروحيّة
"غـــات"

استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
اوسكار مترى





بهم .. بينما عكف أولادهم على تلقى احدث
ينتقل من حياة الترحال الى الاستقرار .

■ فى محاولة لايقاظ مدننا العربية المتباعدةعن مراكز التجمع التقليدية ، بدات حضارة القرن العشرين تدق بعنف أبواب هذه المدن تدعوهاللاستيقاظ من سباتها العميق ٠٠ العقيم !

و « غات » واحدة من هذه المدن النائية تقبعبعيدا عن الاضواء وسط بحر الرمال ، فى اقصى الطرف الجنوبي الغربي من التراب الليبى ٠٠انها العاصمة الروحية للطوارق ٠٠سادة الصحراء الكبرى ونبلائها ٠٠ حياتهم تعتمد على الجمل ،يجلسون فوق سنامه بكبرياء وانفة ملتحفين بلباس قطنى داكن الزرقة ، ولثام كثيف على الوجه لاترى منه الا عينين فقط !

المشهد يبعث الرهبة والاحترام ، انهم ينتمون الى زمن آخر غير زماننا ، وعالم غامض يختلف عن عالمنا ٠٠

وهذه ليست اول مرة نلتقى فيها مع الطوارق، فقد سبق ان قدمنا على صفحات العربى منذ ١١ سنة « طوارق الجزائر » ٠٠ واليوم نعود لنقدم « طوارق ليبيا » والاسلوب الجديد الذى خططوه لحياتهم ٠

الطوارق في ٤ دول

لقد مزقت الحدود الدولية قبائل الطوارق الى اربعة أجـزاء ٠٠ نصف مليون يعيشـــون في



« تصل ٠٠ أو لن تصل ٠٠ » هذا هو الـسؤال الذى يردده سكان غات فى كل مرة ينتظرون فيها وصول الطائرات الى مطارهم الترابى٠٠ وقد بدأ العمل فى تشييد مطار حديث كبير٠٠

جمهوريتى النيجر ومالي و ١٩ الفا فى الجزائر و ٢٠ الفا فى ليبيا ٠٠ وما زال نحو ٦٥ الفـا ـ من مجموع الطوارق ـ يعيشـــون هائمين فوق ارض صحراوية جبلية تزيد مساحتها على مليون و ٢٠٠ الف كيلو متر مربع !!

اما الآخرون فقداستقروا فيالمدن والتجمعات٠٠

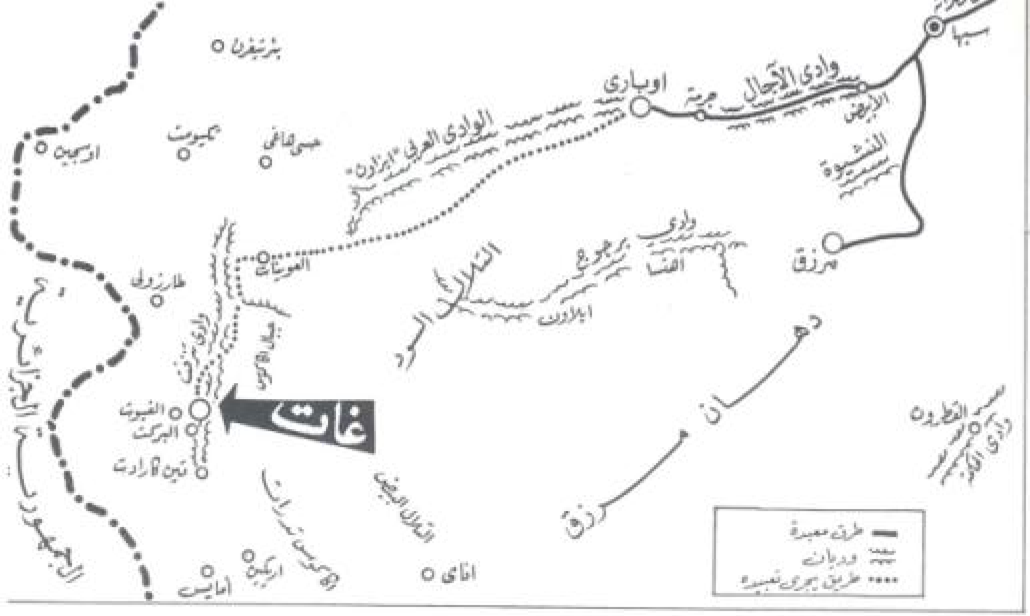
استقر وتنعم !

وفى « غات » كون الطوارق مجتمعهم الخاص الذى يمر حاليا بفترة انتقال صعبة : من حياة الجرى وراء الجمال ،الى حياة الهدوء والاستقرار ٠٠ ان الاغراءات المطروحة امام الطوارق اكبر من أن يقاوموها ٠٠ الحكومة تقدم للعائلة : منزلا وحظيرة ماشية ، وستة هكتارات (٦٠ الف متر مربع) من الارض المستصلحة المزروعة ، وتقول لكل منهم : « هذا كله ملك لك ، اســـتقر فيه وتنعم ، واترك حياة البداوة والتنقل المرهقة٠٠ لقد حان الوقت كى تستريح ٠٠ وهذه المدارس فتحناها خصيصا لتعليم ابنائك ونومهم وطعامهم مجانا ٠٠ وهؤلاء الاطبـــاء جئنا بهم من اجل معالجتك بأحدث الاســاليب ، بدلا من أن تكوى جسمك بالنار ، وتخلع ضرس طفلك عند الحداد ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ » مغريات كثيرة عديدة كلها اقيمت من اجل استقرار طوارق ليبيا ٠٠

الحراطون والامينوكال

والواقع ان المجتمع التقليدى للطوارق اصيب٠٠ بازمة تفكك منذ ان تدفق الذهب الاســود فى ليبيـا ٠٠

فالحراطون (المزارعون) الذين كانت تقع على اكتافهم كل الاعمال الصعبة ،فى المجتمع الطارقى، تركوا السادة واتجهوا للعمل فى المزارع الحكومية





موقع غات الفريد كواحة في الطرف الصحراوى الجنوبي الغربي من الاراضي الليبية ، جعلها نقطة التقاء للقادمين من النيجر وتشاد ومالي ·· وتبعد غات نحو ٦٢٠ كيلو متر عن غدامس و ١١٣٠ كيلو متر عن طرابلس ·· وترتفع عن سطح البحر بنحو ٧٨٠ متر·· ولا توجد طرق معبدة توصل اليها ، ويجرى حاليا تعبيد الطريق الموصل من اوباري الى غات ، وطوله ٣٦٠ كيلو متر ·· ومما يذكر ان هناك مشروعا لربط مدينة مصراته بمدينة سبها بواسطة السكة الحديدية ··

··وهجر الشباب الطارقي خيامه وحياته التقليدية ، وارتدى اللباس الاوروبي وذهب ليعمل موظفا في مدن البترول والدوائر الحكومية ·· وجاء حق الانتخاب فانكسر النظام الطبقي القاسي ، واصبح الجميع متساوين ·· لا فرق بين « اميتوكال » ولا « امراد » ولا حراط !!

طوارق ·· وتوارك !

والطوارق يكرهون كتابة اسمهم بالتاء « توارك » ، لانها – كما يقول ابن خلدون – مشتقة من الترك ، فقد تركوا الحق في الصدر الاول للاسلام ·· اما كلمة طوارق ، ومفردها طارقي ، فهي مشتقة من الطروق ، اى الاتيان ليلا ونهارا ·· ولكن هذا الاسم يتحرف باللغة الطارقية ليصبح « ايموشاغ » ومعناها المستقلون او الاشراف ··

التيفيناغ والتماحاك !

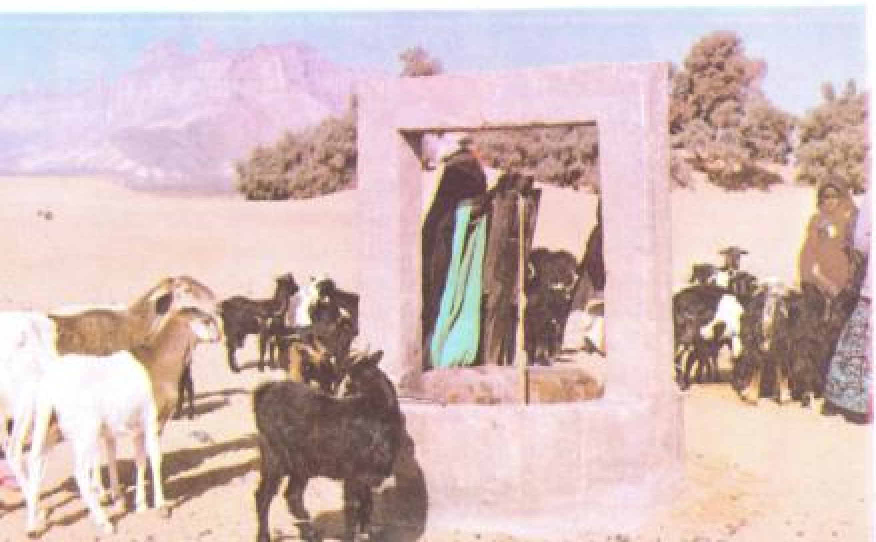
ولغة الطوارق الموحدة هي التي ساعدت على بقاء الترابط والوحدة فيما بينهم ·· انهم يتحدثون ويتفاهمون بها ، رغم بعض التفاوت في اللكنة بسبب التباعد ·

ويطلق على هذه اللغة اسماء مختلفة من بلد الى آخر ، لكنها تعرف باسم التماحاك ، وهي لغة تخاطب تكتب بحروف « التيفيناغ » ، وعددها ٢٥ حرفا ، تضاف لها عدة حروف مركبة ··

والغريب في هذه الحروف انها لا تكتب ملتحمة ، وكتابتها ممكنة من اى اتجاه تريد ·· من اليمين لليسار او من اليسار لليمين ·· من اسفل لأعلى او من أعلى لاسفل !!

ويتحتم على كل فتاة طارقية نبيلة ان تتقن كتابة التيفيناغ التي تعتبر من اقدم حروف الكتابة في شمال افريقيا ·







الى اليمين : لعب الملح الصخرى دورا كبيرا فى حياة الطوارق ·· كانوا يصدرونه بكميات كبيرة لبلاد السودان الغربى ، عن طريق قوافل الجمال التى كانت تضم اكثر من الف جمل ·· اذ يعتقد أبناء الدول الافريقية بان هذا الملح يحتوى على العديد من الفـــوائد الصحية ·· اما اليوم فاصبحت الارض الصخرية التى تحتوى على هـذا الملح بالقرب من كاف الجنون ، مهملة لا يقصدها احد الا مرة واحدة فى السنة ·· فى ليلة القدر يجمعـــون فيها الملح الصخرى وينقلونه الى المنزل ·· للتبرك ، والعلاج من بعض الامراض الخفيفة ·

الى اسفل : ثلاجة الصحراء ·· قربة من جلد الماعز مربوطة فى الشجرة تحت الظلال ، يوضع بداخلها المـــاء المخصص للشرب حتى يبرد ·!!



الى اليمين : بئر الماء هى أثمن ما فى الوجود بالنسبة لابن الصحراء ·· وخلال الحروب كانوا يغطون ابار المياه للتمويه على الاعــداء الذين كانوا يردمونها ·· والمرأة الطارقية فى الصحـراء هى التى ترعى الماعز ، وتحمـــل الماء من البئر ، وتجمع الحطب وتحلب النـــاقة ، وتربى الاطفال !! حياة شاقة مرهقة بدأت تتبدل معافتتاح فرع جمعية نهضة المرأةفى غات·

والواقع انه لن تمر بضع سنوات حتى تندثر هذه الابجدية ·· لن يكون هناك احد يستطيع كتابتها ·· وستاخذ طريقها الى النسيان مثل عشرات اللغات القديمة المندثرة !!

اما تاريخ الطوارق ، فلم يهتم احد بتدوينه الا الفرنسيين الذين اوصلوه الى عام ١٨٦٠ وقبلها ظلام ·· وان كان بعضهم يؤكد انهم احفاد الجرمنتيون سادة الصحراء فى العصرين الافريقى والرومانى ··

شيخهم يجمع الاطفال !

« ان نقطة التحول فى حياة الطوارق يجب ان تبدأ مع اطفالهم ·· » **هذا ما قاله لنا احد المسئولين فى التربية ، الذى كان ينطلق مع الحاج احمد الطارقى شيخ الطوارق فى قافلة سيارات للتجول مدة ثلاثة ايام على مخيمات الطوارق المتناثرة عند سفوح الجبال ، يقنعون الاهالى باهمية التعليم ويعودون ومعهم عشرة اطفال تقريبا فى كل مرة ··**

وتتسلم ادارة المدرسة هؤلاء الاطفال ، تقدم لهم الملابس والطعام والنوم فى الاقسام الداخلية بالمدرسة ·· ويبكى الاطفال فى البداية ··ولكنهم سرعان ما يتعودون ·· ولا يعود الواحد منهم يرغب فى العودة الى مخيمه ، حتى فى الاجازات الرسمية !

بعض حروف التيفيناغ التى تكتب بها لغة الطوارق ·· وبجانبها ما يقابلها بالعربية واللاتينية ··



٩٥ استاذا و ١٧٠٠ تلميذ

وفى حديث مع امين مراقبة التعليم فى غات ، الاستاذ محمد خود جبريل ، قال لنا: « انهم اطفال اذكياء جدا ، فرغم عدم اجادتهم للعربية ، الا ان ذكاءهم يجعلهم يفوقون ابن المدينة سريعا ··

« لقد اصبح التعليم الزاميا فى البلاد ، ولا يوجد تلميذ فى المدينة من سن ٦ الى ١٢ سنة خارج المدارس ·· ونتيجة لهذا النظام ارتفع عدد التلاميذ فى غات من ٤٥٠ تلميذ الى ١٧٠٠ تلميذ ، والمدرسة الوحيدة اصبحت ٩ مدارس ·

« اننا فى المدارس نعلم المنهج الرسمى ، ولا نعلم الطارقية او الهوسا ·· انهما لهجتان محليتان يتعلمهما الطفل من حديثه مع والديه فى المنزل » ··

والتعليم فى غات مختلط وصل حتى المرحلة الاعدادية ، يتولى التدريس فيه ٩٥ استاذا عربيا : من ليبيا ومصر وفلسطين وموريتانيا والسنغال ··

توعية المرأة

« اما الفتاة فكانت لا تتجاوز فى تعليمها المرحلة الابتدائية ، وبعدها تتزوج ·· » **وتنطلق السيدة الديناميكية فاطمة ضو رئيسة الجمعية النسائية فى غات فى حديثها عن المرأة فتقول :**

« كانت المرأة مثل البقرة الحلوب ·· تخدم وتعمل بكل جهدها ·· لا تستطيع الجلوس بمنزلها من كثرة اعمالها فى الحقل · وسوق النساء حيث تقوم بعمليات البيع ·· لم يكن لها اى حق الا العمل بينما الرجل جالس يتفرج ·· اما اليوم فقد دخلت فرع الجمعية النسائية تتعلم الاشغال اليدوية والتدبير المنزلى وكيفية رعاية طفلها ، وتتعلم القراءة والكتابة فى المساء ·· ودخلت الاتحاد الاشتراكى ، وانتخبت فى لجنة البلدية فى « غات » وهى اعلى لجنة مسئولة فى المنطقة ·· واهم ما نحتاجه هو التوعية ·· توعية المرأة فى كل المجالات ·· »

المدينة الراقصة

وعادات الزواج فى « غات » ما زالت على اسلوبها المعقد القديم ، الا ان الفتى اصبح من



فاطمة ضو ٠٠ السيدة التي تقع على اكتافها مهمة النهوض بالمرأة الطارقية وتوعيتها ٠٠ وتراها هنا تخطب في حفل عيد الطفل بنادي الطليعة الذي يعتبر كل السكان ـ بحكم القانون ـ اعضاء منتسبين فيه ٠٠ ان الشباب في غات يمر حاليا بفترة ذهبية من عمره ، لا يعكرها سوى شعوره بأنه يعيش مجهولا في مكان بعيد عن مركز الثقل في وطنه الكبير !

حقه اختيار شريكة حياته ، يخطبها وسنها ١٣ سنة ، وينتظرها حتى تبلغ السادسة عشرة ليتزوجها في احتفالات صاخبة تشل حركة البلد في الليل ، وتغلق محلات سوق النساء ابوابها لمدة عشرة ايام ٠٠ فالكل مشغول بحضور الحفلات الليلية التي تستمر حتى الفجر ٠٠

حفلات متعاقبة مكلفة تبدأ بثلاثة ايام قبل الدخلة و ٧ ايام بعدها ٠٠ العريس يدعو كل اهل المنطقة للعشاء ٠٠ قصعات الاكل ترسل للمناطق المجاورة ٠٠ تلال من الكسكسي واللحوم ٠٠ وفي ليلة الدخلة يقدم العريس لعروسه سكينا حادة داخل جراب من النحاس المزخرف ، لا تفارقها في تحركاتها « حتى لا تصاب بمس من الجن » !

ومن اللطيف أن أهل « غات » يفتخرون بان مهر العروس عندهم يتراوح بين ١٠٠ و ٥٠٠ دينار فقط ، عملا بالحديث الشريف : اقلهن مهرا اكثرهن بركة ٠٠

الا أن حفلات الزواج التي تذبح فيها الخراف والجمال يوميا ، تجعل الاسرتين مكبلتين بالديون لعدة اعوام تالية !!

مشكلة عامة

ان الزراعة هي عماد الحياة الاقتصادية في المنطقة ٠٠ زراعة بدائية هزيلة ، زادها تدهورا هجرة الفلاح لعمل افضل ، تاركا المزارع القليلة تشكو نقصا كبيرا في اليد العاملة ٠٠

انها ليست مشكلة « غات » وحدها ، بل مشكلة ليبيا كلها فالارض الصالحة للزراعة في كل انحاء الجمهورية الليبية مساحتها ١٤ مليون هكتار



الانطباع الذى يخرج به الزائر لمنطقـــة غات ، هو انها تمر بكل ادوار التطور مرة واحدة ، حتى الصحراء يعملون على تحويلها من ارض جدباء الى جنة خضراء ·· يحفرون الابار فيتدفق الماء غزيرا من الاعماق ،وتتحول التربة الموحشة الى مزارع خضراء زاهية ، تنتج القمح بالذات لكسر حلقة الاحتكارات الدولية له (**الصورة السفلى**) ·· لقد تطورت نظرة الطوارق الى الاعمال المهنية ، فتحولوا فى مشروع غات الزراعى الى فلاحين نشيطين ، يتدربون تحت اشراف مهندســـين زراعيين عـرب ، ينتجــون مختلف انواع الخضراوات من الارض التى جعلوها طيبة بســـواعدهم وتعبهم (**الصورة اليسرى**) ·· لقد نجحت تجربة زراعة الصحراء تماما فى غات ··ويبدأ العمل حاليا فى اقامة منازل على الاراضى المستصلحة وتقسيمها الى قسائم مساحة كل منها ٦ هكتارات اى ٦٠ الف متر مربع·· لتوزيعها علىعائلات الطوارق·





(الهكتار = ١٠ الاف متر مربع) لا يزرع منها الا ٣ ملايين هكتار فقط ٠

وكانت نسبة العاملين في القطاع الزراعي ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في البلاد ، انخفض الى النصف ، اى ٣٧٪ في عام ١٩٦٧ ٠

٧٠٠ مليون دينار للزراعة

ولكن ايرادات النفط الخيالية استطاعت ان تعوض هذا النقص بسهولة جدا ٠٠ الا ان المسئولين يصرون على تحقيق الاكتفاء الذاتى محليا ٠٠

وتحقيقا لهذا الغرض خصصوا ٧٠٠ مليون دينار ليبى في الخطة العشرية من اجل النهوض بالزراعة فقط ٠٠ وكان نصيب غات في المرحلة الاولى ١٢ مليونا من اجل مشروع استصلاح الاراضى ٠٠

هدية لكل اسرة !

واتجهنا الى منطقة المشروع ٠٠ انه مشروع يفوق الامكانات البشرية ، طموح كبير هدفه تحقيق الاكتفاء الذاتى من الخضروات والحبوب واللحوم والاعلاف لمنطقة غات !!

انهم يعملون على استصلاح قطعة صحراوية موحشة ، مات فوقها ثلاثة من أهالى غات عطشا منذ ٥ سنوات بينما المياه كانت تحت اقدامهم مخزونة لا يدرون عنها شيئا !!

لقد اندفعت المياه غزيرة من الابار الارتوازية لتروى الفي هكتار من الارض ، يجرى تقسيمها الى مزارع مساحة كل منها ٦ هكتارات ٠٠ في كل منها مسكن وحظيرة اغنام وارض مزروعة باول محصول، لتقديمها هدية لنحو ٣٣٠ اسرة طارقية ٠

٦٠ او ٢٠ الف متر ؟

ما من شك ان هذا المشروع رائع جميل ٠٠ولكن الموضوع يحتاج الى وقفة تامل ومراجعة ٠٠ فهذا الطارقى الطيب النبيل وجدناه يعيش عند سفوح الجبال في تجمع لا يتعدى العشرين شخصا ٠٠ يعيش ليومه ، قانعا بحياته مع اسرته حول بئر ماء





يأتى الطوارق فوق جمالهم الى مشروع غات الزراعى ، يشهدون الاعمال التى تجرى هناك ويتعجبون من كيفية تحويل الارض الموحشة الى ارض طيبة ٠٠ ويقفون طويلا يتحدثون مع اخوانهم الذين يتدربون على الماكنات الحديثة الكبيرة تحت اشراف مهندسين عرب ٠

يزرع بضعة امتار من الارض.. انه يهاب الاقتراب من المدينة ومشاريعها الضخمة ..هذا الرجل القانع يصاب بالحيرة عندما يعطى ٦٠ الف متر مربع (٦ هكتارات) من الارض.. ماذا سيفعل بها، ومن سيزرعها له ؟

ان اعادة تحديد مساحة الارض بهكتارين ، اى ٢٠ الف متر مربع لكل اسرة ، هو اكثر من كاف لانه بهذا الاسلوب يمكن ان يزيد عدد العائلات الطارقية المستقرة الى الف عائلة بدلا من ثلثمائة! عائلات كثيرة ستشعر بدفء أكبر ، وباطمئنان زائد فى حياتها المستقرة الجديدة ، عندما تجد نفسها وسط مجموعة كبيرة من العائلات ..

مياه عمرها ٣٠٠٠ سنة !

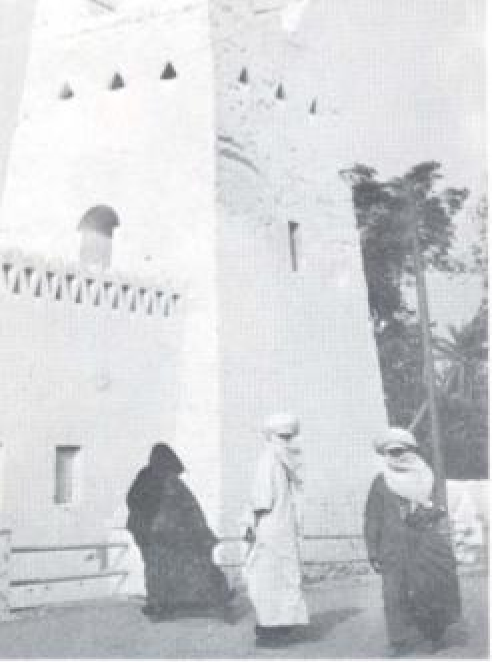
ولكن هل التوسع فى تعمير الصحراء خطة حكيمة ؟ . الا يمكن لهذه المياه الجوفية ان تنضب فى يوم ما من فرط تزايد الاستهلاك ، فتزول الواحات ، وتدفن تحت الرمال المتحركة ؟

وسألنا احد الخبراء الاجانب العاملين فى حقل المياه الجوفية فى غات عن رأيه فقال : « الامطار فى منطقة غات شحيحة لاتتعدى سنتيمترين فى السنة والمياه الجوفية فيها مخزونة عمرها ٣٠٠٠ سنة ، اى انها من أواخر الامطار التى هطلت على المنطقة قبل ان تصبح صحراء .. وبقيت هذه المياه مخزونة كما هى فى جوف الارض يأخذ منها الناس قدر حاجتهم فقط.. اما اليوم فقد تضاعف عدد السكان وسوف يتضاعف مرات ومرات.. والمشاريع الزراعية كبيرة طموحة متدفقة .. وحرام ان نبعثر هذه المياه الثمينة غير المتجددة .. »

مياه فى كل مكان

ولكن أهل غات لا يشاطرون هذا الخبير رأيه ، فهم يقولون ان المياه موجودة بكميات كبيرة تحت ارضهم .. ويؤكدون كلامهم بقولهم : « ان المياه الجوفية لا تعرف حدودا سياسية .. وجيراننا الملاصقين لنا فى الجزائر اكتشفوا حقلا للمياه الجوفية مساحته تعادل مساحة فرنسا ، وعمقه ٥٠٠ متر ، ويضم اكثر من ١٢ الف مليون متر مكعب من الماء .. وفى منطقة الكفرة ، شرق ليبيا ، اكتشفوا مياها جوفية تعادل فى كمياتها المياه المتدفقة من نهر النيل لمدة ٢٠٠ سنة !!

كل هذه المياه عن يميننا ويسارنا ، تؤكد لنا ان عمليات المسح الشامل سوف تثبت وجود المياه الجوفية بكميات كثيرة جدا تحت ارضنا ! »



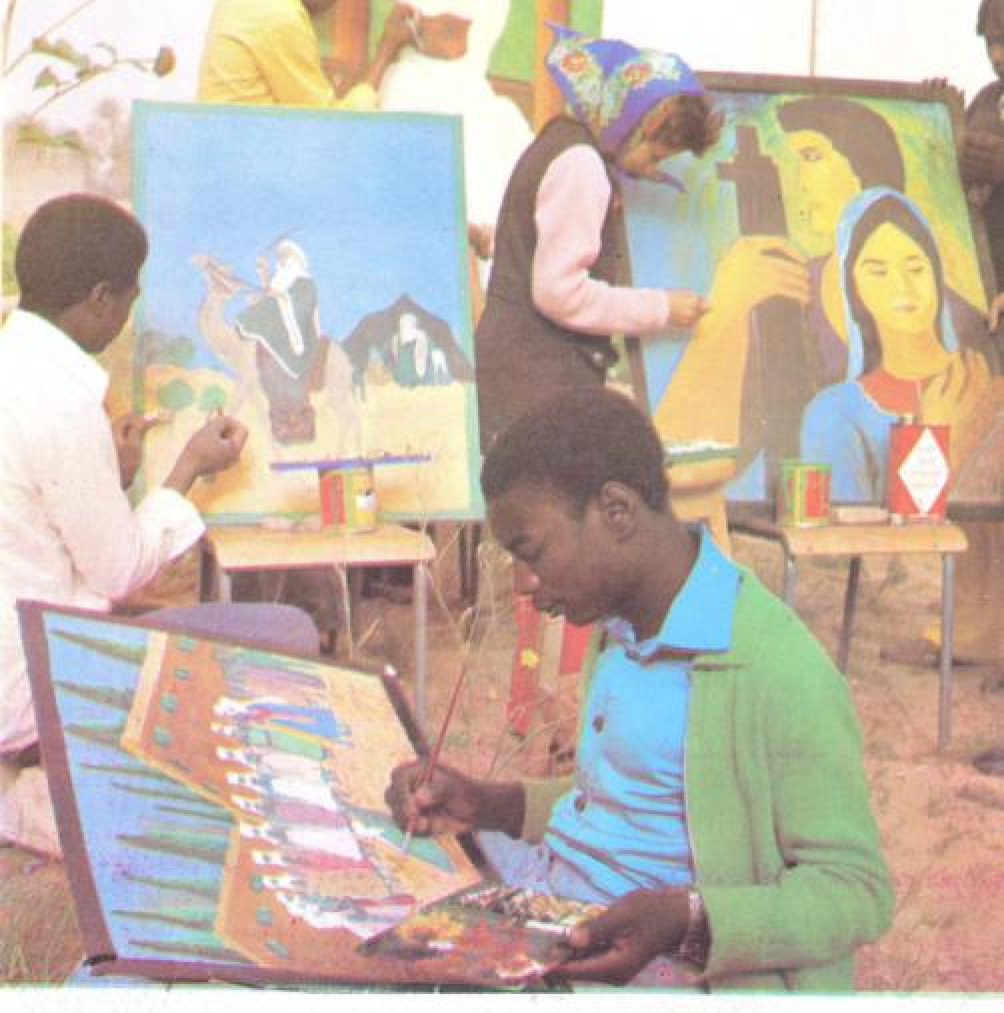
يقع المسجد العتيق فى قلب غات القديمة ، والمئذنة التى فى الصورة هى مئذنة جامع تاقلقد ، الواقع عند اطراف المدينة القديمة.

التاريخ على جانبى الطريق

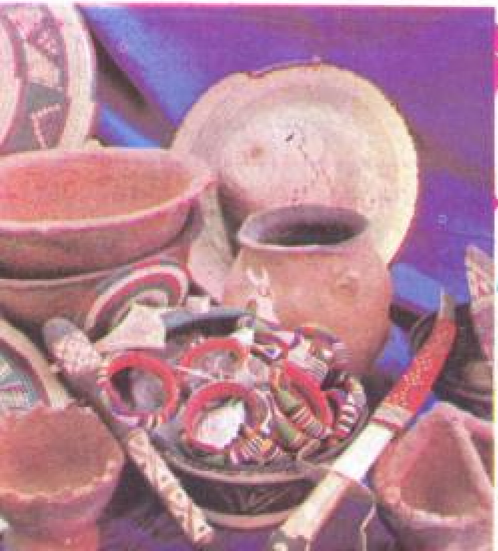
ان المياه الجوفية المتدفقة جعلت من غات واحة.. خضراء وسط بحار الرمال وموقعها الفريد وسط الصحراء الكبرى جعلها محطة للقوافل منذ قديم الزمان ... وقصة المنطقة ترويها بقايا العظام المتناثرة على الطرق القديمة .. هنا بقايا عظام الوف الجمال والعبيد .. وهناك جثث المستكشفين والرحالة ..وهنا عظام الجنود الاتراك والفرنسيين والايطاليين .. وفى الطرف الاخر بقايا السيارات الكبيرة الملوثة ببقع النفط !!

لماذا توقفت القوافل الكبيرة ؟

لقد اشتهرت «غات» بانها نقطة الاستراحة والتموين للقوافل الصحراوية الكبيرة المكونة من



الطوارق فنانون بالسليقة ٠٠فمنذ اقدم العصور رسموا لوحات على جدران كهوف تاسيلي ، ملونة بطلاء احمر لماع وكأنها صبغت به بالامس فقط ٠٠ واليوم يقوم الاحفاد برسم لوحات في حديقة المدارس ، مستوحاة من البيئة المحلية ،ومن الشعور العربي الدافق نحو فلسطين السليبة ٠٠ تحت اشراف مدرسين محليين وعرب ٠





في ليلة الزفاف يقدم العريس لعروسه ،سكينا حادا ٠٠ داخل جراب نحاسي ،لا يفارقها في تحركاتها طوال الاسبوع ،حتى لا تصاب بمس من الجن » ٠٠ لقد ساعدت هذه العادة القديمة، القائمة حتى اليوم ، على استمرار الصناعة التقليدية المعدنية المعتمدة على النحاس والفضة ، والتي اشتهرت بها غات من قديم الزمان ٠٠ كان كل صانع يقيم في منزله يصنع ما يريد ، ومع مرور الزمان تدهورت هذه الصناعة وانخفض عدد الصناع في غات الى ١٢ صانعا فقط !٠٠ وحتى لا تندثر هذه المهنة اقامت وزارة الصناعة مركزا للتطوير ، امدته بالالات والمعدات والخامات اللازمة ، ليعمل فيه الصناع تحت اشرافها ٠٠ وفي الصورة بعض هؤلاء الصناع :: بابا سيدي احمد ،الامين محمد عمر ، احمد المهدي ٠٠ يعملون في صناعة مختلف انواع السيوف ٠٠ اما المرأة فتقوم بدور آخر في الصناعة التقليدية ، فهي تحول سعف النخيل والطين الى صحون واطباق جميلة ، ومن الخرز الملون والجلود تصنع العقود والاساور الرائعة ، التي تباع في مختلف مدن الجمهورية الليبية (الصورة اليمنى)



لا بد من حل مشكلة الماء قبل التوسع في بناء غات الجديدة .. وهذا لم يمنع من اقامة حي تادرمت الجديد الذي يضم المستشفى ، ومحطة الكهرباء ، والمساكن الحديثة والشعبية ..

الفي جمل ، والتي كانت تنطلق من تمبكتو (بجمهورية مالي حاليا) الى غات وغدامس ، حتى طرابلس ، حاملة معها تبر الذهب ، وسن الفيل والمصنوعات الجلدية ، والصمغ والشمع.. التي كانت تنقل بحرا من طرابلس الى اوروبا.

كانت الرحلة الصحراوية تستغرق خمسة شهور ..وحياة الطوارق كانت تعتمد على هذه القوافل، يتقاضون منها الاتاوة عندما تمر باراضيهم .. وازدهر هذا التبادل التجاري الاوروبي الافريقي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر،ثم بدأ يتقهقر في نهاية القرن السادس عشر عندما اكتشف العالم الجديد .

واتجه نشاط التجار الاوروبيين نحو امريكا.. ومع نهاية القرن التاسع عشر اصبحت تجارة القوافل شبحا لما كانت عليه في العصور السابقة ، فكانت نهايتها لاسباب عدة منها : اضطراب الامن على طول الطريق .. ونجاح الانجليز والفرنسيين في السيطرة على انهار النيجر والفولتا والسنغال ، وتحويلهم تجارة الرقيق الاوروبية من طرابلس الى موانيء غانا يصدرون منها بضاعتهم البشرية الى العالم الجديد ..

دماء فوق الرمال

ومع اندثار القوافل الصحراوية التجارية ،ظهرت قوافل جديدة صغيرة كانت تنطلق على نفس الطريق التجاري القديم ..قوافل المستكشفين الاوروبيين ، التي غالبا ما كانت تنتهي بمآس دموية يقتل فيها افراد البعثة جميعا !..

واشهر هذه المآسي،مأساة الميجور لنج البريطاني، الذي انطلق عام ١٨٢٥ من طرابلس قاصدا تمبكتو، وبعد مروره على « غات » سقط بايدي الطوارق، الذين تركوه مضرجا بدمائه في النزع الاخير فوق



الميجور لنج

الرمال ، ولكن قبيلة عربية مرضته وانقذته من الموت ، فواصل سفره لمسافة ٤٠٠ ميل في أسوأ الصحاري حتى وصل الى تمبكتو ، ومكث فيها شهرين بدأ بعدهما رحلة العودة . ولكن اناسا مجهولين اغتالوه في الطريق وقطعوا رأسه .. وهكذا اصبحت ايما ، ابنة القنصل البريطاني في طرابلس ، التي احبها حبا جنونيا ، ارملة قبل أن تصبح عروسا !!

هذه قصة واحدة من قصص عشرات المستكشفين الذين فقدوا حياتهم بحثا عن خفايا الصحراء ..

ثورة وهروب وعودة !

ومع بداية هذا القرن العشرين تبدلت الصورة واصبحت القوافل العربية هي المسيطرة على الطرق ..قوات تركية دخلت غات عام ١٨٧٤ وخرجت منها بعد ثورة الاهالي ، لتعود وتحتلها ثانية بقوات اكبر ، حتى جاء الإيطاليون في اغسطس ١٩١٤ وتتكرر القصة .. الاهالي يقومون بثورة



باب الغير فى غات القديمة ٠٠ وللمدينة اربعة ابواب كانت تغلق سابقا ٠٠ وفى حى تعرفت القديم منازل مقفلة منذ قرون مضت ، يعتقد الاهالى بوجود كنز فى داخلها يحرسه الجان!

---

٠٠ الايطاليون يهربون ليعودوا ثانية بقوات اكبر، ولا يتركون غات الا عام ١٩٤٣ امام زحف قوات فرنسا الحرة المتقدمة منبحيرة تشاد لتحتل غات٠٠ ولم ترحل فرنسا الا عام ١٩٥٦ لتاخذ غات مكانها الطبيعى بين مدن ليبيا المستقلة ٠٠

متاعب المدينة ٠٠

وبعد منتصف هذا القرن استيقظت الصحراء وافرغت ما فى جوفها من ثروات نفطية ومعدنية ، وحلت السيارات الضخمة مكان الجمال على طرق القوافل التقليدية ٠٠

ولا توجد طرق معبدة توصل الى « غات » حتى اليوم . وطريق اوبارى الوعر هو طريق العذاب الوحيد . كل اصحاب السيارات يتخوفون منه لوعورته فيضاعفون اسعار النقل ،فترتفع الاسعار فكل شىء ياتى الى غات عبر هذا الطريق ٠٠حتى الماكولات ٠٠

وطبقهم المفضل هناك هو « البازين » ويصنع

● حياة جديدة للطوارق

من عجينة دقيق القمح المحمرة ، وفوقها عدس اسود ، وقرع احمر وصلصة الطماطم باللحم ٠٠

وحول طبق عامر من البازين جلسنا نستمع الى رئيس لجنة بلدية غات الاخ احمد حسين سالم يحدثنا عن متاعب مدينتــه قائلا : متاعبنا هى الطريق والماء ٠٠ والطريق بدأ العمل فى تمهيده وسيمتد ٣٦٠ كيلو متر حتى «اوبارى» ٠٠ اما الماء فناقص حاليا وقد حفرنا حتى عمق ٤٥٠ متر ولم نجده . اننا لسنا متخوفين من الماء فعلى مسافة ٦٠ كيلو مترا فقط تقع منطقة تهلا الغنية بآبار المياه، ونضع حاليا التصاميم لمد الماء من تهلا٠

« والبناء فى غات متوقف حتى ندرس مشروع المجارى . ولا يمكننا ان نبنى لنكسر فيما بعد٠٠

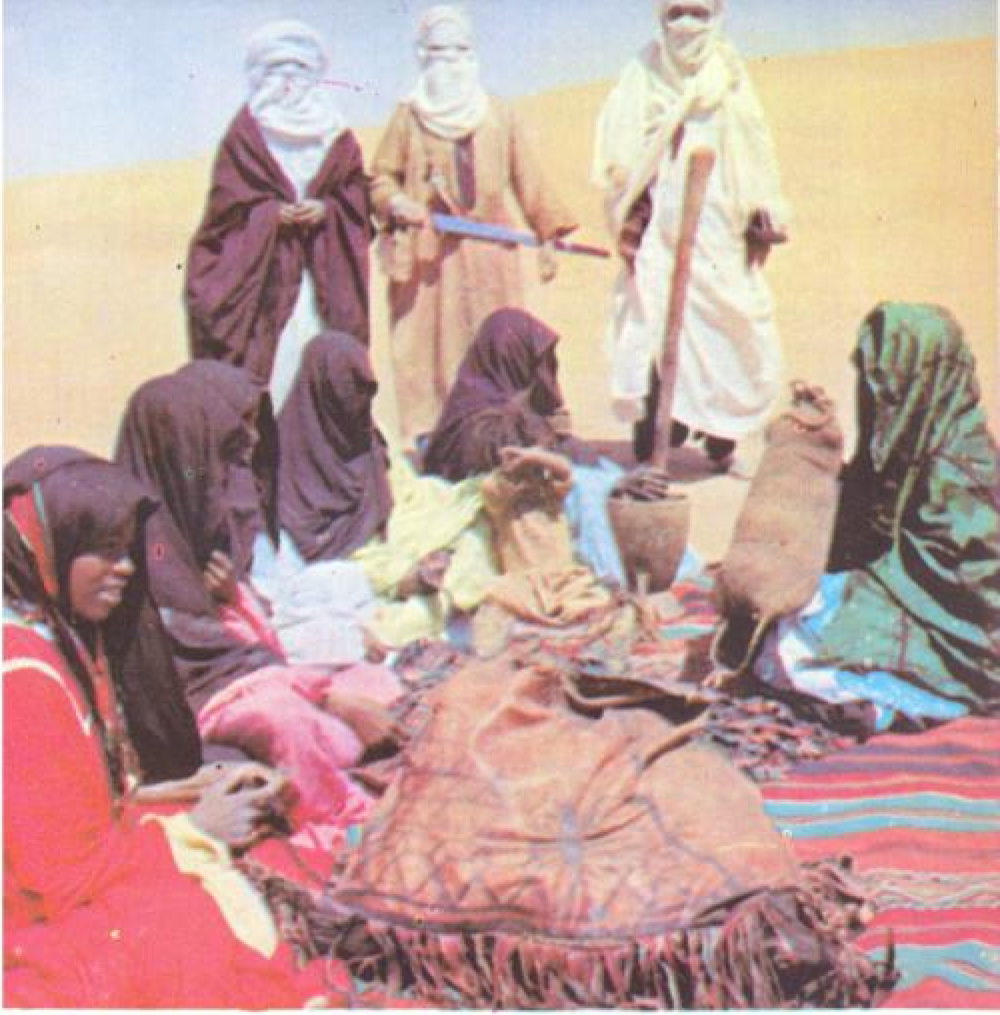
« ان مقومات السياحة كلها متوفرة فى المنطقة ٠٠ البحيرات الصحراوية الفاتنة ٠٠على مسافة ٢٠ كيلومترا ورسوم الانسان الاول على مسافة ١٢ كيلومترا ٠٠ ان عدد سكان غات حاليا ٤٠٠٠ نسمة وسكان المنطقة كلها ٩٠٠٠ نسمة ٠

« ان مستقبل غــات يتجه نحو الزراعة ثم الصناعة ٠٠ اما المعادن فاحتمالاتها كبيرة جدا٠٠ فالخبراء يقولون دائما ان وجود الملح معناه وجود النفط من تحته ٠ ونحن عندنا الملح !! »

الملح فى ليلة القدر

والملح فى غات يستخرج من السهل الممتد تحت جبل الجن ٠٠ لقد لعب الملحدورا كبيرا فى التبادل التجارى مع افريقيا الغربية، أما اليوم، وبعد أن توقفت تجارة الملح الصخرى ، فلم يعد احد يذهب لجمع هذا الملح الا فى ليلة القدر اى فى ٢٧ من رمضان من كل عام . تخرج النسوة بجموع غفيرة الى منطقة الملح . يستخرجن كتلا منه ، وبعد تنظيفه من الرمال العالقة به ينقله الرجال معهم الى المسجد عند صلاة العصر ، ثم يعودون به الى المنزل للتبرك واستعماله علاجا لبعض الامراض!

والطوارق يتمتعون بشجاعة فائقة لا يخافونمن اى شىء « محسوس »٠٠اما الحديث عن الجن والفال والخرافات . فهذا شىء اخر !! ان الواحد منهم يرتدى الاحرزة والاحجبة بالجملة . لتحميه من « جمهورش وابنيه باريما وجلاديما » .الساكنين ـ حسب اعتقاده ـ فى جبل الجن الموجود عند مدخل المدينة على طريق اوبارى الرئيسى !



حول مشروع غات الزراعي ، تجمع الطوارق خارج خيامهم يزاولون اعمالهم اليدوية انتظارا لتوزيع نتائج المشروع عليهم ..

الى اليسار : كانت الفتاة « تمشي » الى الحداد ليخلع لها ضرسها ..اما اليوم فيقوم الدكتور شكيب شريدي بعلاج اسنان الطوارق وتراه هنا يعالج « تاتا بتوري منته » .. ولكن مشكل الاسنان في غات يكمن في الماء الذي ينقصه الفلور ، واكل الحلويات والتمور في الليل ، دون غسيل الاسنان !!





المرأة هي المرأة .. تعشق الذهب والفضة حتى ولو كانت في غات ! وهذه هي فاطمة احمد عبدالله احمد ترتدي ملابسها الجميلة وحليها الذهبية والفضية الكثيرة .. ان النساء الطارقيات سافرات ، بينما الرجال هم المحجبون !!



الى اليمين : ٦٠ قضية تعرض شهريا على القاضى شعبان رجب حمد المماى فى غات الذى يحكم فى جميع انواع القضايا ، فيما عدا جرائم القتل حيث ينقل الجانى بالطائرة الى مدينة سبها لمحاكمته. والدية الشرعية هى ١٢٠٠ دينار. اما عن قتل الحيوان ودمه فهى ٣٠ دينارا عن الخروف و ٢٠٠ دينار من البقرة المحلية ، و ٤٠٠ دينار من البقرة الايطالية !

السمك الطائر ..

ان انعدام الطرق مع غات جعل من الطائرات وسيلة المواصلات الرئيسية ... عندما يسمع الاهالى ازيزها يهرعون للمطار الصغير لاستقبالها. ويوم وصولنا ، كان اليوم يوم ريح فلم يسمع صوت الطائرة ، .. ، وفى كل اسبوع تهبط فى مطار غات الرملى طائرتان تحملان ٣ طن من اللحم والاسماك ، التى اصبح ابن البلد يعرفها ويحبها، و١٤ الف بيضة و ٢٠٠ كيلو جبن ابيض ، كل هذا يأتى الينا فى شركة التسويق ،تبيعه للاهالى باسعار محددة للتخفيف من حدة الغلاء .. ولكن مشكلتنا ان الطائرة لا تأتى بانتظام ، فنضطر للبيع فى حدود الموجود ،

هذا ماقاله لنا ابو بكر بلال عيسى مشرف فرع غات لشركة التسويق ..

السفر بسيارتين !

وعدم انتظام مواعيد الطائرة يسبب ازعاجا كبيرا لاهل غات .. كما سبب لنا متاعب اكبر .. ففى رحلة العودة كنا نتراهن على الطائرة : ستصل .. او لا تصل ؟الواقع انها لم تصل ،وكان لا بد من سفرنا ، ولم يكن هناك من وسيلة الا ركوب سيارة لاندروفر والانطلاق بها صوب سبها مرورا بالعوينات واوبارى ..

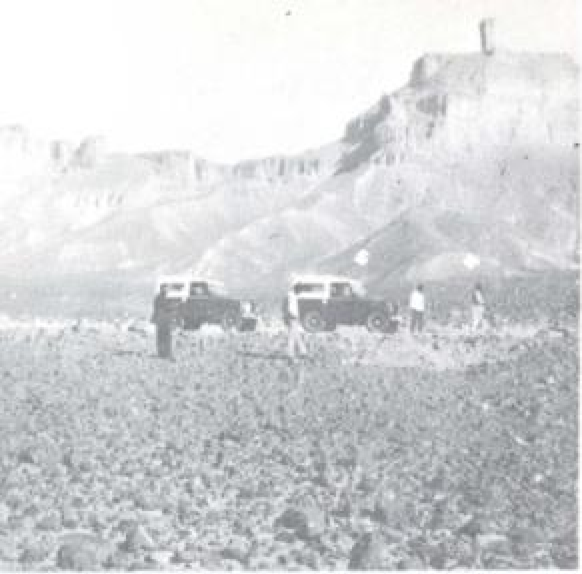
ولكن الاخ احمد حسين سالم رئيس لجنة بلدية غات ، اعترض وصمم على عدم سفرنا الا فى فجر اليوم التالى حتى يتمكن من اعداد سيارتين ، لان الطريق وعر جدا ، فاذا تعطلت واحدة ركبنا الثانية ..

طريق العذاب

ومع اشراقة الفجر انطلقنا فى السيارتين ،ومررنا من تحت ظلال كهف الجنون..ونظرنا اليه فوجدناه قطعا مسننة حادة تتلاعب ظلال الشمس عليها فتخلق منها اشكالا متنوعة .. كان سائقنا يقود السيارة بسرعة وكانه يريد ان يرحل من هذه النقطة فى اقرب

الى اسفل : القلعة التى تشرف على منازل غات القديمة ، شيدها العثمانيون ، وهدمها الايطاليون ، ثم اعادوا بناءها قبل أن يحتلها الفرنسيون فى الحرب العالمية الثانية ، اما اليوم فهى من الآثار المهجورة المهملة ..





الى اليسار : يعتقدمعظم الطوارق بان جمهورش وولديه باريما وجلاديما،وهم من الجن ، يسكنون في هذا الجبل !! والقصص التي يتناقلونها منهم كثيرة متعددة ٠٠ وقد جاءت بعثة من جامعة بنغازى ابدلت اسم الجبل من « كاف الجنون » الى كاف الامان ولكن الاهالي ما زالوا غير مقتنعين بالاسم الجديد .

●

وقت ٠٠ وانطلقنا وسط كثبان الرمال ٠٠ وكلما زمجر محرك السيارة سارع سائقنا بالضغط على الازرار الصفراء والحمراء فتعاود السيارة القفز فوق التلال ، لتقلعنا من مقاعدنا ، فتصطدم رؤوسنا بسقف السيارة التي يقودها سائقنا كما لو كان يقود الجمال ! غير عابيء بالحفر او الاعشاب او التلال !!

كنا نسير في واد تنزوفت الجاف بين سلسلتي جبال اكاكوس (٤٠٠٠ قدم) وجبال تاسيلي (٦٠٠٠ قدم) التي اكتشفت في مغائرها اروع اللوحات التي رسمها الانسان الاول منذ ٧ الاف سنة ٠٠ لقد قلبت هذه اللوحات بروعتها ودقة خطوطها ، والوانها الزاهية حتى اليوم النظريات العلمية عن الانسان الاول ٠٠ رسوم لعرباتتجرها الخيول وحيوانات متنوعة وتوضح انهذه الصحراء كانت خصبة ماهولة بالفيلة ومختلف الحيوانات حتى القرن الاول الميلادي ٠٠ بل حتى اوائل هذا القرن كان الفرنسيون يصطادون النعام الكبير في المنطقة ٠٠ لقد اهلك الصيادون من طوارق واجانب ، حيوانات الصحراء ، وقتلوا اكثر من احتياجاتهم ، واقتلعوا الاعشاب والاشجار للتدفئة وتركوا الصحراء عارية ٠٠

كانت هذه الافكار تراودنا عندما توقفت السيارة فجاة وتحقق ما توقعه الاخ احمد حسين،فقد اصيب موتور سيارتنا وفشلت جميع المحاولات لاصلاحه، ورفض السائق متابعة الرحلة بسيارة واحدة واصر على رجوعنا الى غات ٠٠

بعد ٢٥ قرنا من هيرودوتس !

لقد زار المؤرخ الاغريقي الشهير هيرودوتس هذه المنطقة في القرن الخامس قبل الميلاد ،وكتب يقول: « رياح الجنوب جففت الابار ، وكل الاراضي الزراعية اصبحت بدون ماء ٠٠ ففكر القادة في اتباع اسلوب جديد للدفاع ضد هجوم الرياح الجنوبية، واثناء عبورهم للرمال دفنت الرياح الناس كلهم»!

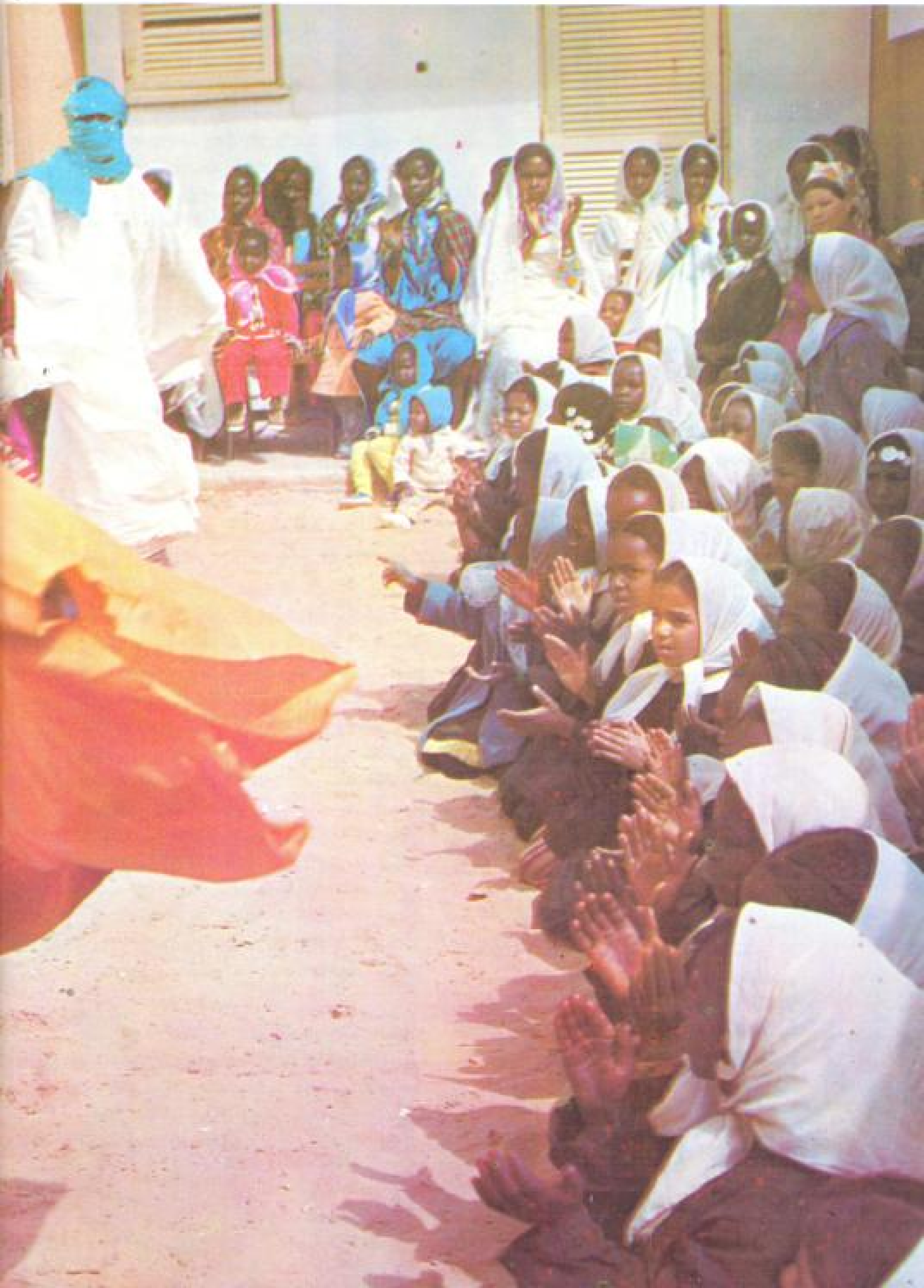
واليوم وبعد ٢٥ قرنا من زيارة هيرودوتس ، نجد شعبا آخر يبحث عن اسلوب جديد ليصمد امام رياح الجنوب والرمال المتحركة ٠٠ لقد حقق انتصارات جبارة في هذا المضمار ، جعلته ينطلق من خطوط الدفاع الى الهجوم على الصحراء نفسها ، يحول رمالها الصفراء المتحركة الى اراض خضراء يانعة !

والعقبات التي تصادفهم في عملهم ، ليست عقبات تقنية او ادارية او مالية ، بقدر ما هي عقبات اجتماعية ونفسية : كيف نحول نبلاء الصحراء الى مواطنين عاديين ؟

ان سادة الصحراء القدامى يجلسون اليوم بالساعات ملثمين صامتين تحت اشعة الشمس ٠٠ عيونهم سارحة حائرة ٠٠ لقد فقدوا وظيفتهم التقليدية ، وانطفا عالمهم الصحراوى بانهيار اقتصادهم المعتمد على الجمل ، فاصبحوا وجمالهم من الماضي الجميل المجيد الذي تروى قصصه لاولادهم واحفادهم قبل النوم !

سليم زبال

عندما اتيحت فرصة الانفتاح للطارقي ، انطلق وابدع ٠٠ وهؤلاء بعض الطلبة بملابسهم الفلكلورية الملونة





يؤدون رقصة التحدى الطارقية العريقة.

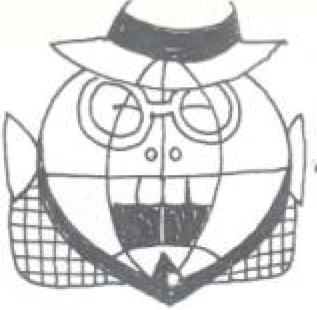


لحم محمر بالسمن ، وبيض مسلوق وفول سوداني يقدمها الطارقي في جلسة الشاى .. اما الوان التيكامست ، اى الجلباب الفضفاض واللثام الكثيف ،فتخضع لمزاج الشخص.

الى اسفل : « رات » أو « غات » القديمة .. منازل متلاصقة يحيط بها سور له اربعة ابواب ، تؤدى الى الاحياء الاربعة بالمدينة .وحول هذه المدينة امتدت المباني الحديثة .



طرائف



هواية عالم كبير !

● توماس اديسون (١٨٤٧ ـ ١٩٣١) العالم الامريكى الشهير الذى سجل رقما قياسيا فى عدد المخترعات الحديثة التى قدمها للبشرية حتى قيل انه ابتكر وصمم ما يزيد على الالف اختراع . كان يقضى كل يومه ، ليله ونهاره فى معمله وسط بحوثه وتجاربه .. فقد كانت المخترعات حياته وهوايته !

ولكن هذا العالم الكبير كان له هواية اخرى ، فقد كان يشعر بضعف شديد امام دعوة اطفاله اليه ، لمشاركتهم فى العابهم ، بل انه كثيرا ما كان يشاهد واقفا وراء نافذة معمله ، ينتظر لحظة خروجهم الى حديقة البيت ، فلا يكاد يراهم ويسمع صياحهم ، حتى يترك معمله وينضم اليهم فى مارياتهم فى القفز والجرى ولعب الكرة ! فقد كان اديسون يعشق كل شىء يتصل بحياة الاطفال وهواياتهم ، ويجد متعة كبرى فى مشاركتهم ركوب الدراجات والذهاب معهم الى الشاطىء لصيد السمك ، وبقيت هذه الهواية تلازمه حتى بلغ السبعين ، عندما أحس ان ساقيه الهزيلتين قد عجزتا عن حمل جسمه ، فاقتنع نفسه بالاكتفاء بممارسة هوايته الأصيلة ، ولكنه لم يكف يوما عن مراقبة احفاده من وراء النافذة وفى صدره حسرة على الشباب الذى ولى !

جلس اليه ابنه تشارلز يوما يقول له : « الا تجد حرجا يا ابى ، وانت



العالم الكبير ، فى مشاركتنا العابنا الصغيرة ؟ »

وقال اديسون : « بل اجد متعة يا بنى .. متعة حرمت منها فى طفولتى ! »

ـ ومن الذى حرمك منها ؟

ـ ناظر المدرسة الذى فصلنى من مدرسته لاننى كنت تلميذا خائبا !

ـ وماذا فعل بك والداك ، وكيف تعلمت ؟

الملكة العذراء !

● اليزابيث الاولى ، ملكة بريطانيا (١٥٣٣ ـ ١٦٠٣) . جلست على العرش وهى فى الخامسة والعشرين ، وبقيت جالسة على عرش الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس مدة ٤٥ عاما أعطت فيها كل حبها لبلادها .. حتى الزواج كانت تنفر منه وتهرب منه فلم يكن عندها وقت لمجرد التفكير فيه .. كنت تقول امام الحاح المقربين اليها فى البلاط الملكى ، بأن تختار لنفسها زوجا : « يكفينى فخرا ان يكتبوا على قبرى عندما اموت .

أجنبية

ـ لقد افتتحت لى امى مدرسة فى بيتها ٠٠ كانت هي معلمتي وزميلتي ومربيتي ٠٠ وكنت اقضى فى « مدرستها » النهار بطوله . ولكن جدتك يا بنى كانت تكره اللعب !

المراة في حياة كيث!

● جيلبرت كيث شسترتون (١٨٧٤ ـ ١٩٣٦) المؤلف القصصى الانجليزى ، بدأ حياته صحفيا ، وكان يكتب لمجلة « لندن نيوز » المصورة ، ويخصها دون سواها بمقالاته فى الفن والادب والسياسة والنقد ٠ ولكن حياة الناس ومشاكلهم كانت اكثر ما يثير اهتمامه ، وأحوال المراة بصفة خاصة، فقد كان يعطف عليها ويدافع عن حقوقها ، وكان يصفها دائما فى تلك الكلمات التى عاشت معه فى قصصه ومؤلفاته ومقالاته ، قال عنها : « انها النصف الافضل » فهى أمي وامك ، واختي واختك ٠٠ وهى الزوجة وهى الام ٠٠ وهى الابنة ٠٠ اليست هذه هى المراة التى ظلمتها كل المجتمعات وقست عليها ؟!

وعندما اصدر كيث كتابه « دراسات فى حياة واعمال تشارلز ديكنز وروبرت براونتج » قالوا يسألونه : « لقد امتلأت تلك الحقبةمن الزمن ، وما قبلها وما بعدهابمشاهير الكتاب والشعراء ٠٠ لماذا ديكنز وبراونتج وحدهما ؟ »

وقال كيث : « لقد وجدت فيهما نفسى ٠٠ الاول وقف مدافعا عن المراة المغلوبة على امرها ٠٠ حتى تلك التى اضطرت امام قسوة الحياة ان تبيع جسدها !

« أما براونتج ، فقد كان شاعرا رقيقا ٠٠ وسوف تعيش اعماله من بعده لقرون طويلة مقبلة ٠٠ ولكننى اعتقد ان اعظم عمل قام به هذا الرجل الفنان، هو قصة حبه الخالد للفتاة المريضة المسكينة اليزابيث باريت ٠٠ لقد احبها من خلال ما كانت تكتبه بدمها ودموعها من شعر هز كيانه هزا ٠٠ فقد كانت تعيش اسيرة حب والدها لها وخوفه عليها ٠٠ فلما لقيته ،قامت من فراشها ، فامسك بيدها واصبحت له زوجة واما لاطفاله ، وقدمت اروع اعمالها فى حياتها الجديدة مع الرجل الذى اعطاها قلبه وحبه وكل ما يملك ! »

هنا ترقد اليزابيث التى حكمت بريطانيا عذراء ، وماتت عذراء ! »

وقالت فى مناسبة أخرى : « انني افضل ان اتسول بلا زواج ، على ان اكون ملكة متزوجة »

كانت تفخر بطبيعة الحال بمستعمراتها التى تزداد رقعتها اتساعا عاما بعد عام ، ولكن مصدر فخرها الاعظم هو انها عاشت فى تلك الحقبة من الزمن التى انجبت شكسبير عملاق الأدب الانجليزى !



قاعة مبنى البنك الجديد ، التي صممت
يتوافدون كل صباح لانهاء معاملات





• استطلاع الكويت •

العملة في الكويت لها قصة طويلة

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب

وفق احدث طراز معماري يكفل السلامة والامن لمثل هذه المؤسسة الهامة ،ويبدو فيها بعض المراجعين الذين
مؤسساتهم الاقتصادية .. اما الى اليمين فتبدو مجموعة من العملات القديمة . (تصوير : أوسكار متري)



■ رجال من الشرطة ، ورشاشات ، وحالة طوارىء دائمة ، واحتياطات امنية كبيرة وعيون ساهرة ويقظة تراقب الداخل والخارج من مبنى البنك المركزى فى الكويت ، المشيد على طراز القلاع التاريخية القديمة ، وبداخل هذا المبنى لا ترى غير اوراق النقد تتداولها الايدى بحذر تعدها وتحقق فى صلاحيتها ثم تشعل لها الضوء الاخضر للنزول الى الاسواق تارة ، أو يأتى الضوء الاحمر ، فيأمرها بالوقوف ويصدر الحكم عليها بعد ذلك بالاعدام حرقا ..

وقصة العملة الكويتية طويلة وشيقة ، تعاقبت عليها العصور ، وتداخلت فصولها على مر الزمن حتى وقفت عند المحطة الاخيرة فاسدل الستار عنها بعد أن بقى الدينار لغة التعامل الوحيدة فى الكويت .

كيف كانت بداية القصة ؟

يعود تاريخ اول عملة نقدية عرفتها الكويت الى نحو ٢٠٠ سنة قبل الميلاد، اذ اشرقت الشمس على ولادة تلك العملة التى عثر على بعضها بين اطلال جزيرة فيلكا ، وكان الوجه الاول للقطعة النقدية يحمل صورة انطيوخس الثالث حاكم الامبراطورية السلوقية ما بين ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق.م أما الوجه الثانى فقد نقش عليه صورة الاله ابوللو ، حامى الاسرة السلوقية . كما عثر بين اطلال الجزيرة ذاتها على قطع اخرى من النقود مسكوكة من نفس مادة العملة السلوقية تقريبا ، لكنها تحمل صورة البطل هرقل ، وعلى الوجه الثانى الاله زيوس ، وهى نقود مسكوكة باسم الاسكندر الاكبر ـ وتداول سكان جزيرة فيلكا هذه العملات خلال الحكم السلوقى لجزيرتهم.

ازدهار وانتعاش فى القرين

وتعاقبت السنوات متتالية ، بعد الفترة الاولى، وشاع صيت « القرين » وهو اسم الكويت القديم ، كمركز تجارى عن طريق التجارة البحرية الممتد بين اوروبا والهند واتخذت « القرين » يومها محطة لاستراحة القوافل ودوابهم قبل مواصلة رحلتها من الهند الى اوروبا عبر بغداد وحلب ، وانطلق ابناء الكويت فوق سفنهم المتواضعة تمخر باشرعتها عباب البحر الى سواحل افريقيا واليمن وساحل مالابار بالهند ، وجزيرة جاوة الاندونيسية ، يبتاعون ما يحملونه من لؤلؤ ـ ويجلبون الاخشاب والارز والبضائع فى رحلة الاياب ـ كل هذا بالاضافة الى انتقال مقر شركة الهند الشرقية من البصرة الى الكويت عام ١٧٩٣م جعل التجارة تعيش بازدهار وانتعاش ، تنوعت العملات المتداولة وسهل التعامل فيها ..

الليرة العثمانية .. والريال المجيدى

ولا نستغرب اذا علمنا ان هناك اكثر من عملة اشتهرت واستعملت فى تلك الحقبة من الزمن ـ فكانت الليرة العثمانية ، والريال المجيدى الفضى وما يتبعه من بشلق وبارة ، وكان ايضا الجنيه الانجليزى فالريال الفرنسى ، وهو الاسم الذى يعرف به ريال الملكة تيريزا الفضى ـ اما « القواريف » وهى العملة الايرانية الفضية ، فكانوا يطلقون عليها اسماء « ابو دبيلة » للقطعة

محمد توفيقى
مدير ادارة التخطيط

د . محمد بدوى
مدير المكتب الفنى

محمد القاضى
مدير ادارة البحوث



غير المنتظمة الشكل ٠ و « الشرفي » للقطعة المنتظمة الشكل اى الدائرية ، والى جانب « الفوارين » كانت ايضا الشاهية عملة ايرانية نحاسية اقل قيمة من « الفوارين » ومن العملات التى كانت مستعملة « البرقشية » نسبة الى برقش حاكم مسقط وبعدها الروبية الهندية ٠

اختفاء ٠٠ واستقرار للروبية

يقول احد المخضرمين من ابناء الكويت عن كيفية دخول الروبية الى اسواق الكويت وتداولها بين الناس يقول ، ان احد التجار الكويتيين باع ذات مرة كمية من اللؤلؤ فى اسواق الهند وجلب معه اعدادا هائلة من الروبيات الهندية ، كان من نتائجها دخول هذه العملة الى البلاد واستقرارها فيها ، هذا الامر كان حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى وتقلص نفوذ الدولة العثمانية ، اذ بدا الارتباط التجارى بين الكويت وشركة الهند الشرقية ، وهو الارتباط الذى ادى الى اختفاء العملات القديمة المتنوعة التى كانت متداولة فى الكويت ٠٠

نقد كويتى مستقل

كانت اول محاولة لاصدار نقد كويتى مستقل خلال حكم الشيخ عبدالله الصباح الثانى عام ١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م اذ أمر المغفور له الشيخ عبدالله ، بسك عملة خاصة نحاسية ، حفر عليها كلمة « كويت » وكذلك حفر عليها تاريخ السك ١٨٨٦ م وامضائه ، وبقى تداول هذه العملة لفترة قصيرة ، حيث سحبت بعدها من الاسواق ٠ ثم فكرت الحكومة بعد هذا السحب ، واثر ازدهار الكويت عام ١٩٥٠ م ، باصدار عملة جديدة مستقلة ، لكنها تراجعت عن فكرتها بعد ان رات واقتنعت بقوة النقد الموجود يومهـا ، وتمتعه بمركز ثابت بين العملات الاخرى فى العالم ٠٠

خطوات هندية ٠٠ لاستبدال الاوراق القديمـة

وظلت الروبية الهندية هى العملة الوحيدة فى الكويت ، حتى مايو ١٩٥٩ م ، حيث صدر اعلان من الحكومة الهندية اوضحت فيه ما تعانيه من قلق متزايد لما تكبدته من خسائر فى الاحتياطى من نقدها الاجنبى ، نتيجة التصدير غير الشرعـى



وجهان لاول عملة ضربت فى الكويت ، فى عهد الشيخ عبدالله الصباح الثانى احد الوجهين كتب عليه عبارة ضربت فى الكويت ١٣٠٤هـ توافق ١٨٨٦م ويحمل الوجه الاخر توقيع الشيخ عبدالله الصباح ٠

للاوراق النقدية الهندية الى منطقة الخليـج العربى ، وبكميات تزيد زيادة فاحشة عـن حاجة تلك المنطقة ، ثم استبدالها بالجنيـه الاسترلينى ـ ومن اجل علاج هذا الامر ، فقد اتخذت الحكومة الهندية خطوات لاستبدال الاوراق المتبادلة آنذاك باوراق نقدية جديدة ـ وهكذا تم استبدال اوراق المائة روبية الزرقاء باوراق خضراء زاهية ـ واوراق العشر روبيات ذات اللون الارجوانى باوراق حمراء قانية ـ واوراق الخمس روبيـات الخضراء استبدلت هى الاخرى باوراق برتقالية ٠٠

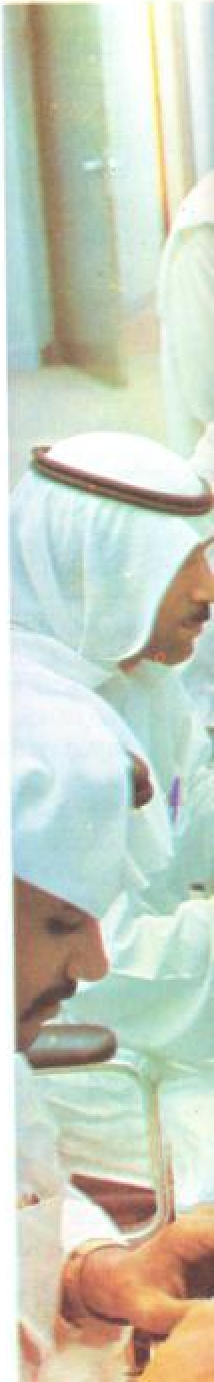
وجاء الدينار ٠٠ ومعه مجلس النقد

لم تستمر العملة الجديدة السابقة طويلا ، ودفعت الى التفكير باصدار نقد كويتى وطنـى مستقل ، وفى ١٩ اكتوبر ١٩٦٠م صدر المرسوم الاميرى رقم ٤١ لسنة ١٩٦٠ م بقانون النقد الكويتى الذى نص على جعل الدينار وحدة للنقد الجديد وبموجبه كانت ولادة مجلس النقد الكويتى

خلف ابواب مغلقة « بالازرة » الخاصة ، يجتمع مجموعة من موظفي البنك المركزي لحساب الاوراق التالفة ومعرفة كمياتها قبل ذهابها الى الفرن كل هذه الاجراءات تتم تحت اشراف مكاتب حسابات تعينها الحكومة ..







قبل ان تذهب المبالغ التالفة الى الحريق ، توضع تحت هذه الالة التى
تقوم بثقبها استعدادا للدخول الى الفرن (الصورة الى اعلى) ·
وهنا ·· داخل هذا الفرن الغازى ، يوضع اكثر من مليونى دينار كويتى
كل عام ، بعد ان تسحب من التداول لاستهلاكها ، وفى لمحة بصر ووسط
العيون المتطايرة ، تتحول كل هذه المبالغ الى رماد (الصورة الى اسفل) ·



الذى حمل مسؤولية اصدار النقد الكويتي ـ فغادر البلاد فى عام ١٩٦١ م وفد حكومى كويتي الى الهند للتباحث مع وزارة المالية فيها من اجل استرداد الروبيات التى سيتم سحبها من التداول فى الكويت بعد مولد الدينار الجديد ـ وبدات فى ابريل عملية استبدال روبيات الخليج الهندية بالدينار الكويتي ٠

وفى عام ١٩٦٨ م ، تاسس بنك الكويت المركزى وباشر اعماله فى ابريل ١٩٦٩ م ، حالا بذلك مكان مجلس النقد الكويتي ٠

نتعامل مع البنوك

وتحدث الينا السيد محمد توفيقي ، مدير ادارة التخطيط ، عن تعامل البنك المركزى فى النقد الكويتي فقال ٠٠ الكل يعلم ان البنك المركزى هو بنك الحكومة ، وكذلك هو بنك البنوك ، ومن هذا المنطلق فان تعاملنا مع البنوك المحلية يكون نيابة عن الحكومة واضاف قائلا ، والبنك تكمن مهمته فى اصدار النقد وهى مهمة انيطت بالبنوك المركزية منذ منتصف القرن الـ ١٩ وهو الذى يقوم بتوزيعها على البنوك المحلية٠ كما اننا نحدد المبالغ المطلوبة للدولة حسب دراسات الوضع الاقتصادى ونتائجها ٠٠واستطرد مدير ادارة التخطيط فى البنك المركزى بقوله ـ اما فيما يتعلق باوراق النقد المزيفة ، فان التعاون مع وزارة الداخلية قائم وحسب تنسيق كامل،فتعطى الوزارة كل مواصفات النقد الحقيقى الصالح للتداول ، وعلى ضوئه تقوم بالكشف عن اى ورق مزيف ٠

غطاء من الذهب

وقال الدكتور محمد بدوى ، فى حديثه عن علاقة الذهب بودائع البنك ، ان النقد المصدر وكذلك ما لدى البنك من ودائع تحت الطلب لا بد وان يقابله غطاء من الذهب ، يسمى غطاء النقد ، وهو غطاء يتكون من عدة عناصر من بينها الذهب ، وفى الحقيقة والحديث لا يزال للدكتور بدوى ، ان وجود الذهب فى الغطاء هو مجرد بقايا ولاء او امتداد لقاعدة الذهب القديمة حيث كان النقد المصدر لا بد ان يكون مغطى تغطية كاملة برصيد ذهبى ، وفى الوقت الحاضر ، لا تعتبر كثرة او قلة نسبة الذهب فى الغطاء دليلا على قوة النقد او ضعفه اذ اصبحت قوة اى نقد ومتانته واستقراره تؤثر فيها عوامل اخرى وهى وجود فائض فى ميزان المدفوعات للدولة واستمرار هذا الفائض ،كذلك فان كبر حجم اقتصاد الدولة وكبر حجم طاقتها الانتاجية وايضا عدم وجود قيود على تحويل النقد الى العملات الاخرى ، وما يسمى بحرية التحويل، بالاضافة الى الاستقرار السياسى فى الدولة ، هذه العوامل كلها والتى هى المعايير الحقيقية لمتانة النقد فى اى دولة تعتبر متوفرة بالنسبة للنقد الكويتي ٠٠

التوسع الاقتصادى ٠٠والضغوط التضخمية

ولادارة البحوث فى البنك المركزى الكويتي دور كبير فى مراقبة تطور النقد ودراسة اوضاعه وتطوراته ، وقد حدثنا مدير الادارة السيد محمد القاضى عن سعى ادارته فى اعداد هذه الدراسات فقال : انطلاقا من دور الادارة ومسئولياتها فقد سعينا الى دراسة الاقتصاد الكويتي دراسة علمية ، ومتابعة التطورات التى تحدث فى كافة القطاعات خاصة المصرفى منها ، واضاف ، لقد شد اهتمامنا فى الاونة الاخيرة التطورات الاقتصادية المتلاحقة على الصعيدين العالمى والمحلى التى ترتب على بعضها احراز بعض الضغوط والمشاكل ، فنظرا للتوسع الملحوظ فى



مع كل صباح يأتى مندوبو البنوك المحلية الى البنك المركزى لانهاء معاملات بنوكهم





اسم السلطان ، سلطان احمد شاه قاجار ، مكتوبا على « القران » وهي من العملات الفضية التي تداولتها الكويت ٠ اما الى اسفل فتبدو عملة « الشاهية » النحاسية وهي اقل قيمة من « القران » .

حجم النشاط الاقتصادي المحلي وبالنظر الى محدودية عوامل الانتاج الاخرى عدا رأس المال، فقد ادى التوسع المتزايد في حجم النشاط الاقتصادي الى نشوء ضغوط تضخمية ، تمثلت في ارتفاع الاسعار وتكاليف البناء بشكل خاص ، وهذا امر طبيعي عائد الى هذا التوسع الذي لم يقابله من الناحية الاخرى توفر في القوى العاملة وادوات الانتاج الاخرى والمواد اللازمة باستثناء التصاعد في اسعار الاراضي الذي كان بالامكان التحكم فيه او على الاقل الحد من معدلات ارتفاعه .

اقتصادنا .. شديد الانكشاف

وتطرق مدير ادارة البحوث السيد محمد القاضي الى التطورات الاقتصادية العالمية وانعكاسها على الوضع الاقتصادي الكويتي فقال : انه بالنسبة للاقتصاد المحلي ، فانه يتاثر كثيرا بالتطورات الاقتصادية العالمية ، حيث ان اقتصادنا يتسم بانه من النوع شديد الانكشاف ، وهذا يتضح من حجم التعامل التجاري والمالي الكبير مع العالم الخارجي، فاي اضطرابات تحدث في اسواق العملات الاخرى تنعكس على الكويت بالنظر الى كون الكويت واحدة من الدول المستثمرة بالاسواق العالمية ــ كما ان الاضطراب في اسعار الصرف او التخفيض لاسعارها او تخفيض العملة من جانب دولة اجنبية رئيسية يترتب عليه خسارة للمودعين الكويتيين سواء هيئات رسمية او أفراد عاديين ــ ومن هنا يتضح ان مصلحة الكويت على المستوى الخارجي تكمن في تحقيق اكبر قدر من الاستقرار في الاوضاع الاقتصادية العالمية ٠ وبالتالي تسقط تلك الاتهامات التي اثيرت من قبل بعض الاطراف والتي اتهمت الدول النفطية بانها من وراء او من اسباب الاضطراب في اسواق النقد العالمي ، اذ ان تدهور الاوضاع الاقتصادية للدول الاجنبية وبالذات الدول الصناعية من شانه ان يفرز آثارا ضارة على اقتصادياتنا .

مليون دينار تحرق سنويا

وخلف ابواب ذات مقابض « اوتوماتيكية » لا تفتح الا بطرق لا يعرفها الا بعض العاملين بالبنك،يوجد قسم حصر الاوراق المالية التالفة،انها الاوراق التي تداولتها الايدي حتى ابلتها،وبداخل هذا القسم توجد مجموعة من الشباب الكويتي يقومون بعد هذه الاوراق كل يوم وحصرها لياتي مكتب التدقيق والحسابات المكلف من قبل مجلس الوزراء ، ويقوم بتدقيق كمية الاوراق ، ثم تؤخذ الى آلة « التثقيب » وبعدها الى الفرن تحت حراسة مشددة من قبل العاملين بالقسم ، حيث تتحول جميعها الى رماد في لحظات قليلة امام تطاير العيون وتحسرها وتقدر كميات هذه الاوراق المحروقة كل عام بمليون دينار ، جميعها تتحول الى ركام .

هذه قصة العملة الكويتية ، وحكاية البنك المركزي وعلاقته ودوره في حفظ وسلامة الوضع الاقتصادي الكويتي .. انه دور يحتاج الى متابعة ويقظة من نوع خاص .. فالهزات الاقتصادية ايا كان حجمها ، تخلف اضطرابا في ربوع الدولة .. والبنك المركزي هو القادر على تلافي هذه الهزات بالدراسات والحلول والاقتراحات .

يوسف الشهاب



نحن نخاف الشيخوخة لماذا؟

بقلم : منير نصيف

■ مع اليوم الاول من العام الجديد مثل كل عام، ينتابنا احساس غريب .. لقد كبرنا عاما . انقضى عام من عمرنا .. وعام كامل من حياة الانسان ليس شيئا بسيطا . لان رحلة العمر على الارض قصيرة .. !

ولكن ماذا يعني هذا الوقت الذى يمر بنا ،والذى تعلمنا كيف نحسبه باليوم والشهر والسنة ؟ نحن نقول انه وقت يمر من اعمارنا ويقترب بنا شيئا فشيئا من الشيخوخة ... وبعد الشيخوخة تكون نهاية رحلة العمر !

ولكن أهل العلم يفلسفون الحياة بصورة اخرى، وهى فلسفة لا تخفى علينا ،فنحن نقرأ عنها ونسمع بها . ولكن قلما توقفنا يوما عند هذه الفلسفة التى يقولون بها .. كيف فلسفوا الحياة . وماذا قالوا ؟ قالوا : ان اعمار الناس لا تقاس بالسنين، فهذه الصفحات التى نطويها مع صباح كل يوم باسمائها وارقامها ، لا تعني شيئا .. انها مجرد نظام وضعناه نحن بايدينا ،نحدد به حياتنا وعلاقتنا بهذا الكون الواسع من حولنا وكل مايجرى فيه !

قالوا ان الاعمار ساعات ..وان الاعمار مسافات ومقاييس . وكلها من صنعنا نحن . وقد بذلنا من الجهد والعلم ما بذلنا فى سبيل التوصل الى هذا النظام الدقيق الذى يحكم حياتنا . وينبىء بكل ظاهرة فى الارض والسماء . ويحدد موعد لقائنا بها على مدى فصول السنة الاربعة ! هكذا حول الانسان الحياة البسيطة الى آلة معقدة . قال ايمرسون . فيلسوف امريكا عنها : « انها الحضارة التى ازعجتنا واقضت مضاجعنا . ولكن هل كنا نستطيع أن نعيش بغير قياس للزمن ؟؟ ما ابغض ما صنعته وتصنعه بنا تلك المؤشرات الدقيقة التى تذكرنا دائما بشىء تمتينا لو اننا نسيناه ! » .

ولكنهم عادوا اخيرا يقولون : « ان عمر الرجل هو ما يشعر به .. حيويته . نشاطه . اقباله على عمله . واخيرا قدرته على التركيز والتفكير ! اما



المرأة فيختلف الحال معها كثيرا ٠٠ فعمر المرأة عينيها وفي نضارتها وجمالها ٠٠ ! »

شباب دائم

وقد يبقى الرجل شابا حتى بعد ان يبلغ منتصف العمر او يتجاوزه وحتى وهو يخطو الى الشيخوخة ٠٠ وما اكثر الشيوخ الذين عاشوا شبابا ٠٠ وقد تبقى المرأة هي هي ، نفس المرأة التي تعيش في شباب دائم لا يذوي ٠٠ حتى عندما تبلغ سن اليأس .وبعد ان تتجاوزه ٠٠ فجمال المرأة لا يخبو ٠٠ انه ينضج تماما مثلما يحدث للفاكهة ، ولكنه لا يذبل ولا يجف ٠٠ فالمرأة الجميلة تبقى جميلة مهما تقدم بها العمر ٠٠ وقد تصنع السنون بوجهها وعينيها ما تصنع ٠٠ ولكنها لا تستطيع ان تمحو جمالها او تخفيه تماما ، ان مسحة منه تبقى واضحة على هذا الوجه تحكى قصته مع الزمن !

ولكن من منا لا يفزع عندما يحس انه يقترب من الشيخوخة ؟ المرأة تخفي عمرها . وتحاول دائما ان تصنع بوجهها ومظهرها ما يجعلها تبدو اصغر من سنها ٠ وهذه المحاولات في حد ذاتها شيء مقبول . ولكن بشرط الا يصاحبها ذلك الشعور بالخوف والقلق !

والرجل بدوره ٠٠ انه واحد من اثنين ٠٠ فاما ان يستسلم لأعراض الشيخوخة التي بدأت تزحف الى جسمه كله ٠٠ واما ان يحاول ان يقف على قدميه ويفتح النوافذ ويستقبل الحياة .ويبتسم لها. وكأنه يبدأ من جديد !

موم يحكي تجربته !

دعي سومرست موم الكاتب الانجليزي الكبير الذي اثرى المكتبة بفكره ومعرفته . الى حفل اقامته الصحفية المعروفة الزا ماكسويل في باريس ٠٠ ووصل موم الى الحفل .ولم يكن في حاجة لأن تقدمه صاحبته الى المدعوين . وفجأة وجد الرجل نفسه محاطا بعشرات الفتيات والشبان الذين راحوا يتسابقون على الفوز بتوقيعه على اي شيء يحملونه او يرتدونه ٠٠ واحس الكاتب الكبير بانه يختنق . فخرج الى الشرفة باحثا عن نسمة هواء بارد تملأ صدره . ويجفف بها عرقه ٠٠ وفي الشرفة وقعت عيناه على سيدة انيقة بلغت منتصف العمر او تجاوزته . وكانت تجلس امام آنية من الزهور. وقد سرحت ببصرها وفكرها بعيدا . حتى انها لم تحس به . وهو يقترب منها ويحييها : « اسعدت مساء ياسيدتي ؟ارجو الا اكون قد ازعجتك في خلوتك٠٠ اسمحي لي ان اقدم نفسي اليك ٠٠ انا !».

ولم يكمل موم حديثه . فقد قاطعته السيدة بابتسامة رقيقة . وقالت : « انني اعرفك يامستر موم ٠ ومن منا لم يقرأ لك ويعيش معك في كتبك ومؤلفاتك . انت رجل مشهور ياسيدي !».

ـ هل تسمحين لي بالجلوس معك ومشاركتك رحلتك ٠٠ من الواضح انك قد ابتعدت كثيرا ٠٠ كثيرا جدا عن جو الحفل الذي ملأ المكان صخبا وضجيجا ٠٠ !

ـ يسعدني هذا ٠٠٠!

الشباب ٠٠ مستقبل !

وتحدثنا ٠٠٠ وكان حديثنا هادئا طويلا امتد الى ما قبل منتصف الليل بقليل ٠٠ لم يقطعه الا صوت

صاحبة الحفل ، وهي تقترب منهما وترجوهما ان ينتقلا الى حيث تجمع المدعوون حول مائدة الطعام!».

كتب موم يصف هذه السيدة التي التقى بها وخصها دون سائر المدعوين والمدعوات بحديثه طوال السهرة ، قال : « لقد كان في صوتها دفء ، وفي حديثها حياة ، وفي عينيها أمل ·· لم تحدثني عن شبابها الذي ولى ، ولا عن حياتها في الخريف ·· وانما كان حديثها عن المستقبل الذي ينتظرها ·· المستقبل السعيد الذي سينقلها الى العيش وسط ابنائها واحفادها ، بعد ان مات زوجها وترك لها احلى الذكريات ·· ان رحيل زوجها ورفيق عمرها، لم يكن نهاية وانما كان بداية بالنسبة لها ·· انها ستسافر لتقيم مع اسرتها الكبيرة ، ولكنها لن تكون عالة عليهم ·· سوف تفتتح مدرسة صغيرة للاطفال وستطلق عليها اسم زوجها ، وستنقل كل ما لديها من علم ومعرفة الى رؤوس هؤلاء الصغار ! ».

عودة الى المدرسة

من اين لها بهذه المعرفة ، وهي التي انقطعت عن الدرس والتحصيل منذ ان تخرجت في الجامعة قبل اكثر من ثلاثين عاما ؟ سوف تعود الى الكتب تقرا فيها وتغرق منها ·· سوف تعود الى شبابها ·· !

تماما كما عاد سومرست موم نفسه الى شبابه وكان قد جاوز عامه السبعين ·· يومها قال : «لقد عشقت الاسفار والرحلات ··· وجلت العالم كله من اقصاه الى اقصاه ··ورأيت الدنيا ولقيت الناس وانا شاب ، واليوم اجد نفسي اقترب من الشيخوخة وامنيتي ان ارى الدنيا بعيني العجوزين ·· ترى هل حدث لهما ما حدث لي ؟

وحزم موم الذي قضى حياته كلها يكتب لنفسه ولملايين القراء، حتى آخر لحظة فيها ـ حزم حقائبه وراح يطوف الدنيا برا وبحرا وجوا ·· وعاد ليكتب واحدة من اروع قصصه « حد الموسى » ·· وهي قصة « شاب » كان يبحث عن المعرفة في الشرق الواسع بغموضه وسحره ·· لقد كان موم يكتب قصة حياته هو ·· حتى الشاب الذي اختاره بطلا لقصته كان مصابا بعاهة مثله تماما ·· فقد كان الكاتب يعاني من التأتأة ،فنقلها الى الشاب بطل القصة في ساقه، فجاءت احدى ساقيه اطول من الاخرى ·· فكان يمشي وهو يعرج ··· تماما كما اصيب هو بالعيرة وهو يحاول ان يختار بين دراسة القانون ودراسة الطب ، فاختار الاخيرة ليكون اقرب الى الناس وقلوبهم وآلامهم ··

★ ★ ★

ان الشيخوخة احساس سيكولوجي اكثر منها احساس فسيولوجي ·· حقيقة ان الجسم يضعف والطاقة تقل والخلايا تاخذ في الضمور ، ولكن قد تمر كل هذه التغيرات الاساسية وكانها شيء عادي، اذا احس المرء ان بقاءه ووجوده وحياته نفسها ما زالت عاملا نافعا في المجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه ·· فلا شيء يقتل الرغبة في الاستمرار ويجسم الشعور بالشيخوخة ويقعد الانسان عن العمل ،اكثر من احساسه بأنه قد اصبح عضوا عاطلا او اصبح عالة على من يعيشون معه !

شيخ مريض

يروي الدكتور سمايلي بلانتون العالم النفساني المعروف قصة الشيخ الذي حبس نفسه في حجرة نومه ، واغلق النوافذ واسدل الستائر وراح ينتظر ساعة رحيله بعد ان احيل الى التقاعد في سن الخامسة والستين ، وقد الم به كل انواع الآلام والامراض المعروفة وغير المعروفة ·· او هكذا خيل له ،وفشلت كل جهود الاطباء في اخراجه من عزلته ووحدته ومرضه ··

ثم جاء يوم ، صحا فيه الشيخ على صوت صخب وضجيج يملأ البيت ·· ولاول مرة منذ ان اختار العزلة والمرض ، فتح الشيخ باب غرفته يستطلع الامر ، فاذا به يفاجأ بكل ابنائه واحفاده يلتفون حول كعكة كبيرة جاءوا بها من اجله ، فقد كان اليوم هو عيد ميلاده ·· وامتلأت عيناه بالدموع ، وهو يراهم يقبلون عليه ويمطرونه بالقبلات ويتمنون له عمرا طويلا سعيدا ···

ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما تقدم اصغر احفاده وامسك به من يده وقاده في هدوء ليرى هدية عيد ميلاده التي ساهم في شرائها كل ابنائه واحفاده! ووقف الشيخ مذهولا ·· لقد كانت الهدية-التي اختاروها له « دراجة » ·· نفس الدراجة التي كان يهوى ركوبها في شبابه -!

عودة الى الحياة

وركبها ·· ركب « عجلة الشباب »··وخرج الشيخ من عزلته ، ونسي مرضه ، وعادت اليه الحياة وعاد

الى الحياة ٠٠ كان يصحو في ساعة مبكرة من صباح كل يوم ، ويسرع الى دراجته الجديدة يطوف بها في شوارع القرية الصغيرة التي عاش فيها كل سني عمره ، واحس بالشباب يعود اليه من جديد٠

ولكنه توقف يوما وسأل نفسه : « ولكن ماذا قدمت للناس ؟ ما الذي استطيع ان اقدمه لهذا المجتمع الصغير في قريتي ؟

وكانت تحية اهل القرية له وترحيبهم به في الصباح كلما مر بهم تضاعف من هذا التساؤل الحاحا عليه !

ولم يطل تفكيره ،اسرع يتقدم الى احدى شركات انتاج وتوزيع الالبان على المنازل ، وقدم نفسه مع دراجته : « انني اقوم برحلتي الصباحية كل يوم على اية حال ٠٠ فلماذا لا اشارك في توزيع زجاجات اللبن على الناس في بيوتهم ؟ »

وثبت الشيخ الصندوق الممتلىء بزجاجات اللبن في المقعد الخلفي لدراجته ، وانطلق في عمله الجديد ٠٠ كان يتوقف عند ابواب المنازل ويضع زجاجة اللبن على السلم الخارجي ، ثم يمضي في طريقه حتى نهاية المطاف ٠٠ فاذا فرغ الصندوق من الزجاجات قفل راجعا من حيث اتى ٠

وفي طريق العودة كان يقف مرة اخرى ، ويتأمل تلك الوجوه الصغيرة البريئة ٠٠ وجوه الاطفال وهم يحتسون اقداح اللبن الذي حمله اليهم ٠٠ وكان صدره يمتلىء بسعادة غامرة ٠٠

ولم تنته رحلته مع الدراجة وزجاجات اللبن واطفال القرية ، الا عندما احس ان قلبه الكبير الذي امتلأ بحب الناس والحياة ، لم يعد قادرا على الاستمرار في عمله ٠٠ وعندما مات هذا « الشيخ الشاب » ، كان قد جاوز التسعين !

شباب دائم ٠٠ كيف ؟

يقول بلانتون : « ان الحياة المليئة بالعمل ، الحياة الحافلة بالنشاط والاهتمامات والهوايات٠٠ الحياة التي يشعر خلالها الانسان مهما بلغ من العمر ، ان ساعات النهار لم تعد تكفي ما يقوم به من اعمال من اجل نفسه ، ومن اجل الآخرين ٠٠ هذه الحياة هي اعظم دواء لوقف زحف آثار الزمن ٠

لقد كان الفيلسوف الفرنسي هنري لويس برجسون يعشق القراءة ، فكان يمضي ساعات نهاره يقرأ ويقرأ ٠٠ لم يفرغها قرأ في كتبه ومؤلفاته٠٠ الى ان تقدم به العمر ، ولم يعد بصره قادرا على القراءة والكتابة عندما تجاوز عامه الثمانين !

وعندما طلبوا اليه ان يستريح ٠٠ صاح فيهم والغضب يملأ وجهه : « كأنكم تريدون لي الموت٠٠ لقد اصبحت سجينا في بيتي ، فلا تحبسوا عقلي٠٠ فقد يشيخ الجسد ويضعف البصر ٠٠ اما العقل فيبقى حيا متقدا باحثا عن المعرفة ! لا تحرموني من لذة البحث ٠٠ اقرأوا انتم على كل جديد ، حتى اشعر انني ما زلت اعيش شبابكم بفكري وقلبي ! »

■■

منير نصيف

■ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الامير اذا تجسس على الناس أفسدهم ٠

■ مانازعني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث خصال، ان كان فوقي عرفت له قدره ، وان كان دوني أكرمت نفسي عنه وان كان مثلي تفضلت عليه ٠

(الاحنف بن قيس)

■ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم ، ومن عفو الى مقدرة ٠

(عمر بن عبد العزيز)



رجال من الصف الثاني

فرات بن حيان

خبير مسالك الصحراء

بقلم : احمد عادل كمال

«لان كل تركيز الكتاب انصب على تقديم الصف الاول من الصحابة ، وهي عناية استحقوها بغير شك ، فان جيلا ثانيا من المسلمين الذين عاشوا الى جوار النبي (ص) وبعده كاد ينسى ويسقط من ذاكرة الكثيرين • وهذه محاولة لالقاء الضوء على واحد من ابناء ذلك الجيل » •

■ مسرح الاحداث صحراء مترامية من الرمال الصفراء تتوه فيها الابصار تمتد نحوا من الفي كيلو متر من الشرق الى الغرب ، واكثر من ذلك من الجنوب الى الشمال ، تتخللها بعض الجبال في نجد وفي الحجاز • وهي جبال جرداء لا زرع ولا نبت فيها الا القليل النادر من نبات الصحراء •

من أجل ذلك اعتمد بدو الصحراء على الترحال وراء قطرات المطر ، فحيثما انهمرت نبت الكلا ورعت عليه الشاة والابل • ولذلك ايضا كانت حروب ومعارك وايام في تنافس على مهاطل القطر بين تلك القبائل المشتركة في تلك الحياة القاسية• حتى الحواضر القليلة التي تبعثرت هنا وهناك في شكل واحات كانت فقاعات جغرافية على تلك الرمال مثل خيبر ويثرب ومكة والطائف واليمامة وغيرها وكان حتما على اهلها أن يجدوا وسيلة الاتصال فيما بينها وبالعالم الخارجي والا استحالت الى مجاهل •

تلك القبائل كان عليها أن تتحرك فما كانت قطرات الغيث لتاتيها حيث تقيم ، فكانت القوافل • كيف كانت تتحرك تلك القوافل ؟ انها بدون ريب ماكانت تخوض غمرات المجاهل والجفاف والا القت بايديها الى التهلكة وسعت الى حتفها بظلفها • ولكن المؤرخين والجغرافيين القدامى يحدثوننا عن مسالك ودروب ••• لم تكن طرقا ممهدة ، ولكن الادلاء كانوا يعرفونها ويسلكونها تتبعا لمواطن الماء التي كانت بمثابة محطات على الطريق تنزل اليها القافلة فتروى افرادها وتشرب أبلها وتتزود

لترحل من جديد الى مرحلة اخرى . كانت الحاجة ملحة لظهور نوع من الرجال يدلون القبائل ويرشدونها ، يعرفون طرق الصحراء ومساربها .

وصاحبنا الذى نقدمه اليوم هو واحد من أبرز هؤلاء الخبراء بمسالك الصحراء وجبال جزيرة العرب ، كان له دور كبير وجهد مذكور وجهاد مشكور فى قمع الردة وفى حركة الفتح الاسلامى، بل كان من الصف الثانى فى القيادات الحربية لهذه الحركة المباركة . هو الصحابى الجليل فرات ابن حيان العجلى . وهو كما تدلنا نسبته ينتمى الى بنى عجل وهم احدى قبائل بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب من ذلك الشعب الكبير « ربيعة » بن نزار بن معد بن عدنان . وكانت منازلهم من البحرين على ساحل الخليج العربى جنوبا فتمتد شمالا الى صحراء الابلة تجاه شط العرب ثم تستمر بحذاء نهر الفرات وعلى حافة الصحراء الى الحيرة ثم الى هيت جنوب خط عرض ٣٤ شمالا .

وصاحبنا فرات ـ رضى الله عنه ـ قد استمد اسمه بلا ريب من ذلك النهر . والفرات فى اللغة معناها العذب . فاذا اجتزنا الفرات شمال ذلك الغط دخلنا الى مواطن بنى تغلب والنمر وقد كانت بينهم وبين بكر بن وائل حرب فى الجاهلية ظفرت فيها تغلب بقوم من بكر فاحرقوهم بالنار . وسوف يكون لذلك ذكر فى حادث لاحق حين يخرج فرات غازيا فى الفتوح .

قبل اسلامه

وصاحبنا هو فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حبة بن ربيعة بن صعب بن عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل الربعى البكرى العجلى . كان حليفا لبنى سهم من قريش . فاذا كانت ديار قومه حيث يرحلون بين البحرين وهيت . فلسنا نجد تعليلا لقدومه مكة وتحالفه مع بنى سهم الا انه كان افضل استثمار فى عصره لمواهبه كدليل.

وحيث لم يكن فى شبه الجزيرة زراعة ولا صناعة . فلم يكن هناك سوى التجارة عمل .وما التجارة ؟ انها مبادلة .. مقايضة .. ولولا القوافل ما كانت تجارة . ولولا « الدليل » ما برحت قافلة ولا وصلت . وعلى ذلك نستطيع القول ان عمل الدليل كان اهم عمل فى جزيرة العرب بل العمل الحيوى دون مبالغة .

لقد اختص الله قريشا برحلة الشتاء والصيف للتجارة حيث كانت مكة بواد غير ذى زرع فقامت حياتها على التجارة فيمابين اليمن والشام والحيرة. كانت اكبر تجارة بجزيرة العرب فى عصرها فلا غرو ان تستعين باكبر خبراء الطرق والمسافات .قال ابن حبان « كان فرات من أهدى الناس بالطرق».

وأول ما يطالعنا من أخبار فرات بن حيان ما رواه عدى بن حاتم ، قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اقطع فرات بن حيان العجلى ارضا باليمامة . ويذهب عز الدين بن الاثير الى ان ذلك كان بعد أن أسلم وحسن اسلامه وفقه فى الدين وكرم على النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا باليمامة تغل ٤٠٠٠ درهم .

ولما وقعت غزوة بدر خافت قريش بعدها ان تسلك طريقها الذى كانت تسلك الى الشام والتى كانت تمر قريبا من المدينة فيما بينها وبين ساحل البحر الاحمر ، وقد كان الرسول يرسل دورياته وسراياه تجوب تلك الافاق بحثا عن قوافل قريش . ولم تكن لقريش ان تحيا بدون تجارتها. وفى العام التالى كانت موقعة احد بهدف الانتقام لقريش من هزيمتها يوم بدر ، ولعل ان تكون هزيمة المسلمين فى أحد قد أعادت فتح الطريق لقافلة مكة الى الشام من عامها ذاك . فلما استدار العام وجاء موعد بدر الاخرة جلس أبو سفيان وصفوان بن أمية وسادات قريش يتداولون أمرهم . قالوا « قد عور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا فما ندرى كيف نصنع باصحابه وهم لايبرحون الساحل . وأهل الساحل قد وادعوهم ودخلت عامتهم معه . فما ندرى أين نسكن . وان اقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس اموالنا فلم يكن لها من بقاء، وانما حياتنا بمكة على التجارة الى الشام فى الصيف والى اليمن فى الشتاء » .

دليل قريش

وكل يقدح ذهنه .. اهتدى أحدهم الى اقتراح . فقال زمعة بن الاسود « أنا ادلكم على رجل يسلك بكم الطريق النجدية .. لو سلكها مغمض العينين لاهتدى ! » . وأعجب صفوان بالفكرة

فبادر يتساءل « من هو ؟ حاجتنا الى الماء قليل ، انما نحن شاتون » قال زمعة « فرات ابن حيان » • فدعوه فاستأجروه فخرج بهم في الشتاء على خلاف عادتهم أن تكون رحلتهم الى الشام صيفا • ولقد طمأنهم فرات بقوله « طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد فانما هي أرض نجد وفياق » •

خرج مع القافلة ابو سفيان بن حرب بنفسه ومعه فضة كثيرة وكانت عظم تجارتهم . كما خرج صفوان بن أمية بآنية الفضة • ولكن •• الحذر لا يغني من القدر • فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر القافلة اذ كان يتابع امرها من المدينة • كان المسار المرسوم للقافلة ان تخرج من مكة شمالا بشرق الى ذات عرق ومنها الى غمرة (وهي منهل من مناهل طريق مكة الى نجد وتقابل طريق المدينة الى نجد) ثم الى القَرَدة (وهو ماء في نجد بوادي الرمة بين الربذة وغمر تهامة أسفل من وادي الثلبوت وهو واد بين منازل طيء وذبيان يتصل بوادي الرمة)• ومنها تتجه القافلة الى بطن عالج (وهي رمال البادية التي تمتد مسيرة أربعة أيام بين فيد والقريات••وهي دومة الجندل وسكاكة والقارة)• ثم تنحدر يسارا الى الغور ـ غور تهامة ـ فتطلع الى الشام •

وحدد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توقيته ، وحدد المكان الذي تفاجىء فيه قواته القافلة ، واختار ماء القَرَدة بنجد لذلك • في هذا المكان تكون القافلة قد قطعت مسافة بعيدة بعدت بها عن مكة وتكون قد تجاوزت المدينة • وتمت الكبسة في شهر جمادى الاخرة من السنة الثالثة من الهجرة وقد صادف ذلك شهر فبراير ٦٢٤م • كانت السرية مائة مقاتل من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قائدها زيد بن حارثة • واعترضت العير على ماء القَرَدة في طلوع مفاجىء أذهل رجال القافلة ففر أبو سفيان وصفوان ومن معهما من القرشيين • ووقعت القافلة في قبضة المسلمين ووقع معها فرات بن حيان في الاسر •

كيف استطاع ابو سفيان ومن معه الفرار ولم يستطعه فرات ؟ لعل فراتا كان الهدف الاول من الهجوم حتى اذا فقدت القافلة دليلها ومرشدها كان سقوطها أمرا واقعا • ولعل فراتا قد آثر البقاء مع القافلة باعتباره مسئولا عنها كما كان يفعل بعض قباطنة السفن الغارقة حين يؤثرون الغرق معها على النجاة • أيا ما كان فقد أخذ فرات مع القافلة الى المدينة • وكان دخولها المدينة مثيرا لسرور المسلمين وافراحهم فانشد حسان بن ثابت قصيدة طويلة قال فيها :

اذا سلكت للغور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك
فان نلق في تطوافنا والتماسنا
فرات بن حيان يكن رهن هالك

اسلام فرات

ولعلنا نفهم من قول حسان ان فراتا كان مقضيا عليه بالهلاك . فقد كانت له في المعركة بين المسلمين والمشركين قيمة استراتيجية وهي امكانية السلوك بقوافل قريش أعالي الصحراء وكسر الحصار المضروب عليها • ولكن فراتا أعلن اسلامه •

افيحقن مثل هذا الاعلان دمه ؟ ان شريعة الاسلام تأخذ بالظاهر ولا تطلب النبش عن القلوب • والظاهر أن فراتا قد أسلم وأنه قد أعلن ذلك • وأن لدليل القوافل بحكم طبيعته وشخصيته ما يؤيد هذا الظاهر . فان عمله ينطوي على مسئولية جسيمة عن أموال القافلة ومعاش القبيلة التي تمتلكها . ومسئولية عن أرواح افراد القافلة • ولم نطلع على اي خبر عن تيه وقع لقافلة بجهالة دليلها أو ضياع حدث لها بتغريره • وكما انه عمل ينطوي على أعلى درجات المسئولية فانه من الجانب الاخر يبث الثقة في صاحبه • وقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فرات اعلانه فقال لاصحابه « ان منكم رجالا نكلهم الى ايمانهم . منهم فرات ابن حيان » • ولا ريب ان اكتساب صحابي في مواهب فرات الى جانب المسلمين كان خيرا من اعدامه • لقد كان فرات يهجو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنه عاد بعد اسلامه يمدحه •

وتفيد الاخبار ان فراتا حسن اسلامه وانه هاجر الى المدينة واعتبرها داره وانه صحب رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها ولم يزل يغزو معه ما بقي من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما توفى انتقل فرات الى مكة فنزلها.

دليل حروب الردة

وجاءت الى المدينة وفود القبائل تعلن اسلامها وتدخل في دين الله أفواجا .

وجاء وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب فأعلنوا اسلامهم ثم عادوا الى اليمامة . وجلس أبو هريرة وفرات بن حيان والرجال بن عنفوة في مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قاموا . فقال « لضرس احدهم في النار أعظم من (جبل) أحد . وان معه لقفا غادر » . فبلغهم ذلك فجزعوا وخاف كل منهم ان يكون موضوع النبوءة حتى ارتد مسيلمة وادعى النبوة وأرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجال الى بني حنيفة ليثبتهم على الاسلام في وجه تلك الردة . غير أنه انحاز الى مسيلمة وايد دعواه أنه قد أشرك في النبوة غير ان قريشا لا يعدلون ! فكان أشد فتنة على بني حنيفة من مسيلمة .

حينذاك خر أبو هريرة وفرات بن حيان ساجدين لله شكرا ان نجوا من ذلك المصير . لقد كان على بني حنيفة باليمامة رئيسان، مسيلمة وثمامة ابن اثال . وكان مسيلمة أشد نفوذا وسطوة . وفي حين ارتد مسيلمة ثبت ثمامة على اسلامه وبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرات ابن حيان اليه في شأن قتال مسيلمة وقتله . ولكن الروايات لا تسعفنا بعد ذلك عن مال تلك الوفادة وتفاصيلها . وانتقل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الرفيق الاعلى وتولى أبو بكر أمر الردة حتى قضى عليها .

وبعث أبو بكر جيوشه لمحاربة المرتدين فكان منها جيش العلاء بن الحضرمي الى البحرين للقضاء على ردة عبد القيس من بكر بن وائل . وكان مع العلاء خير دليل ومرشد الى تلك البلاد .. فرات بن حيان . فانها بلاده . واذ مر هذا الجيش باطراف اليمامة في طريقه الى البحرين لحق به ثمامة بن أثال ومن ثبت على اسلامه من بني حنيفة فانحازوا اليه . وسار العلاء بدلالة فرات فقاتل المرتدين في جواثا وهزمهم حتى لم يفلت منهم أحد ثم سار الى القطيف وكان بها جمع من العجم فهزمهم وانسحب من أفلت منهم الى الخط على ساحل البحر وانحاز اليهم مرتدو ربيعة . وبعد قتال على ساحل البحر فروا أمام العلاء الى جزيرة دارين . ولكنه عبر وراءهم وطلع عليهم الجزيرة فاحتواها . كل ذلك برشده الى مسالكه فرات بن حيان ويقاتل معه .

لقد بدا فرات حياته دليلا « تجاريا » للقوافل يقود التجار في مسالك الصحراء مقابل أجر . ولكنه الان وقد أسلم . وعم الهدى جزيرة العرب وتغير تبعا لذلك المناخ العام لتلك البيئة . نجد فراتا قد تحول من دليل تجارى الى دليل «حربي» للجيوش والحملات . أما رزقه فلعله صار يعتمد على غلة الارض التى اقطعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باليمامة أو بالبحرين بالاضافة الى نصيبه من غنائم الحرب .

وفي فتح العراق

وانتهت الردة وبدأت الفتوح . وكان لبكر ابن وائل سهم وافر في فتوح العراق .

وسار فرات مع جيش الصحابة والتابعين يقودهم خالد بن الوليد . كان فرات في المقدمة التى قادها القائد العظيم المثنى بن حارثة الشيباني . ومع مطلع العام الثاني عشر للهجرة اكتسح هذا الجيش غربي الفرات في أربعين يوما من الابلة على شط العرب الى الحيرة بعد ان هزم الفرس وحلفاءهم من العرب العملاء في سبع مواقع مظفرة . وأرغم عرب الحيرة على قبول الصلح وعلى اداء الجزية بعد انهزام الفرس عنهم . ثم عبرت قوات المسلمين نهر الفرات فطهرت العراق الجنوبي كله حتى شطان دجلة من قبضة المجوس وكان فرات بن حيان يعمل تحت قيادة المثنى ويقوم بدوره كدليل بالاضافة الى دوره القيادي الوسيط كركن من أركان ذلك الجيش .

واستمرت الحملة في زحفها شمالا تطهر غرب الفرات في قطاعه الاوسط وتخوض معارك استولت في اثرها على الانبار وعين التمر . وحين اتجه خالد الى دومة الجندل ليفتحها بقى فرات مع

المثنى بالعراق للامساك بما تم فتحه حتى يعود خالد .. وعاد ليواصل الفتح فخاض خمس معارك اخرى بلغ بها خط عرض ٣٦ شمالا . ولكن ابا بكر أمر خالدا ان ينتقل بنصف جيشه من العراق الى الشام حيث كانت فتوح الشام تستدعى ذلك ، وكان عليه ان يترك نصف الجيش الاخر بالعراق تحت قيادة المثنى بن حارثة .

واجرى خالد قسمة الجيش فاستأثر بأبطال الصحابة وترك للمثنى اعدادهم من سواهم . واعترض المثنى على القسمة واصر على أن يكون له نصيبه من الصحابة المغاوير . وأمام هذا الاصرار ترك له خالد نخبة منهم حتى أرضاه فكان فرات بن حيان في مقدمتهم . وفي هذا شهادة من خالد ومن المثنى بقيمة فرات في ذلك الجيش ومنزلته عند القائدين العظيمين . وسار خالد الى الشام فاحس الفرس بضعف المسلمين بعد أن انخفض جيشهم الى النصف وخرجوا في عشرة آلاف ليردوه عن العراق ولكن المثنى لقيهم في بابل وكال لهم الهزيمة .

ولقى أبو بكر ربه وبعث عمر بحشد جديد الى العراق اسند قيادته الى أبى عبيد بن مسعود الثقفى فانضم الى جيش المسلمين بالعراق . وانتصر أبو عبيد على جيوش الفرس في النمارق وفي السقاطية ثم في باقسيانا ، ولكنه لقى لاول مرة في حرب العراق هزيمة منكرة في معركة الجسر في شهر شعبان ١٣ هـ . وخرج جيش المسلمين من المعركة مثخنا بالجراح بعد ان فقد ثلثيه .

وعاد المثنى يقود قوات المسلمين بالعراق بعد ان وصلتها امداد اخرى واستطاع بعد شهر واحد ان يرد الهزيمة للفرس في معركة البويب فاباد جيشا لهم قوامه مائة الف . حينذاك انفتحت ارض العراق من شماليها الى جنوبيها امام قوات المسلمين . وإذ كانت قوات المسلمين قليلة العدد الى حد بالغ لا يسمح بوضع حاميات لاحتلال الارض فقد عمد المسلمون الى بعث سرايا الى شتى الاعماق لتشن غاراتها الخاطفة لتغتم وتبث الرعب في اوصال الاعداء، وتعود لتدعهم غير آمنين . وقطع المسافات يحتاج الى ادلة مرشدين.

ويبرز من بين سطور المصادر صاحبنا فرات بن حيان الدليل الركن يغير مع المثنى على الخنافس ثم على سوق بغداد ، ثم يستخلفه المثنى على الانبار في حين يقوم هو ببعض جولاته ويعود اليه ليبعثه مع عتيبة بن النهاس (العجلى ايضا) في غارة الى عمق بعيد من اعماق الجزيرة ... الى صفين . ويفر سكان الجزيرة من بنى تغلب والنمر امام هذه الاغارة ، ويتعقبهم فرات وعتيبة على رأس قوة من بنى عجل ويحصرانهم على شاطىء النهر ثم يرمون بهم في الماء فكانوا يصيحون « الغرق الغرق » وكان فرات وعتيبة يذكران قومهما غلبة تغلب على بكر بن وائل في الجاهلية التى اشرنا اليها في صدر المقال حين احرقوهم في غيضة من الغياض وكان امرهما « تغريق بتحريق » .

أدعوى الجاهلية ؟

كانت لعمر عيونه في جيوشه ، وما لبثت التفاصيل ان بلغته ، فتوقف امام هذا الخبر « تغريق بتحريق » ! ماذا ؟ ايدعوان بدعوى الجاهلية ؟ وهل استحالت الفتوح في سبيل الله الى انتقام لايام الجاهلية ؟ وبعث عمر في طلب المتهمين فرات وعتيبة الى محاكمة عاجلة من محاكمات الحرب في المدينة . واجرى معهما تحقيقا فاجابا بانهما قالا ما قالا على سبيل المثل .. لقد انتصرنا عليكم بعد ان اسلمنا وآمنا واغرقناكم كما كنتم تنتصرون في الجاهلية وتحرقون اعداءكم ... واوضحا انهما لم يقولا ما قالا على وجه طلب الثأر لايام الجاهلية .

ومرة اخرى ـ مع فرات بن حيان ـ يجد عمر ان الامر متعلق بنوايا القلوب وان لنا من ذلك الظاهر وليس بمقدور البشر النبش عما اكنت القلوب . واستحلفهما عمر انهما ما ارادا الا المثل واعزاز الاسلام ، فحلفا فحكم ببراءتهما واعادهما الى العراق مع سعد بن ابى وقاص حيث كان يعد حملة جديدة هى اكبر حملة لفتح العراق واسقاط ملك بنى ساسان .

بدأت مسيرة العودة الى العراق في شهر شعبان ١٤ هـ . وطلب عمر من سعد قبل ان يبدأ المعركة ان يوفد وفدا الى يزدجرد الثالث

ملك فارس يدعوه الى الاسلام وان يتخير اعضاء ذلك الوفد من ذوى الحسب والمنظر والمهابة والرأى والفكر ، فكان فرات بن حيان واحدا منهم وكان اميرهم النعمان بن مقرن المزنى ولعل هذه الوفادة على ذلك الاساس من الاختيار ترسم لنا الاطار العام لشكل فرات وشخصيته .

وادى الوفد مهمته ولم يستجب يزدجرد بل ردهم ردا قبيحا وهو يلوح بقتلهم . وظننا بفرات وهو يذهب الى هذه المهمة ويعود انه غلبت عليه مهنته فهو يدرس الطريق الى المدائن ويحفظه ويرصد معالمه . وخرج جيش المجوس مائة وعشرين الف مقاتل لملاقاة المسلمين بالقادسية وانجلت المعركة عن هزيمة ساحقة للفرس . واذن عمر لجيش المسلمين ان يزحف الى المدائن فسار على نفس الطريق الذى سلكه فرات والوفد حين قدموا على يزدجرد . وسقطت المدائن .. ثم سارت منها ثلاثة جيوش للمسلمين فكان صاحبنا فرات فى الجيش الذى سار بحذاء دجلة شمالا الى تكريت ففتحها بعد حصار ثم سار الى الموصل ونينوى ففتحهما واقتسموا المغانم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم . هذا الجيش كان يقوده صحابي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبدالله بن المعتم ، وكانت مقدمته من بني عنز بن وائل وميمنته من بني ذهل بن وائل وميسرته من بنى عجل بن بكر ابن وائل ، هذه الميسرة كان يقودها فرات بن حيان وكان ذلك اختيارا من عمر امر به سعد ابن ابى وقاص . وبعثوا باخبار هذا الفتح مع الحارث بن حسان الذهلى الى عمر كما بعثوا الانفال وهى خمس الغنائم مع من يؤتمن عليها ويستطيع ان يبلغ بها المدينة ، مع فرات ابن حيان .

مزقت جيوش المسلمين امبراطورية المجوس . واقام المسلمون اكبر حاضرة لهم فى الكوفة فكانت قاعدة حربية كبرى متقدمة ينطلقون منها الى آفاق أبعد . تلك الكوفة أقاموها احياء كل حى تسكنه قبيلة ، ونزل فرات الكوفة وكانت له فيها ذرية وابتنى بها دارا فى حى بنى عجل . تلك الدار يبدو أنها كانت كبيرة مشهورة حتى يذكر الرواة عن الفتنة التى وقعت عام ٦٧ هـ زمن المختار بن ابى عبيد الثقفى أن بعضهم انهزم وبلغ فى فراره دار فرات بن حيان .

وتم فتح الجزيرة فيما بين دجلة والفرات شمالى العراق عام ١٧ هـ فولى عمر عليها الوليد بن عقبة . ولكن عرب الجزيرة لم يقبلوا الاسلام واستمروا على نصرانيتهم . واراد الوليد ان يحملهم على الاسلام فابوا وكتب الوليد بذلك الى عمر فاجابه « انما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها الا الاسلام » . وكانوا ذوى انفة وعنجهية ، وقال الوليد شعرا يدل على ضيقه بهم ، وتخوف عمر ان يفرغ صبر الوليد فيبطش بهم ، فعزله وولى على الجزيرة من هو اطول منه بالا فى غير ضعف واكثر صبرا وسماحة ... صاحبنا فرات بن حيان ومعه هند ابن عمرو الجملى ، ثم لا نجد بعد ذلك فى بطون المصادر خبرا عن فرات .

ولم نتبين كم من العمر بلغ فرات فى اى مرحلة من مراحل حياته الحافلة بالنشاط ، وبعبارة اخرى لم نقف على تاريخ مولده او متى جاء الى الحياة ولو على وجه التقريب . وكما لم نر الرجل وهو يجىء كذلك لم نره وهو يذهب . فلم نجد فى اى مصدر متى توفى فرات ابن حيان ولا فى اى ارض مات .

ولقد روى فرات احاديث عديدة روى عنه ابنه احمد كما روى عنه حارثة بن مضرب العبدى من رواة الكوفة وقيس بن زهير والحسن البصرى ، فكانت احاديث فرات امتداد لحياته .

واذا كان لنا ان نعتبر بفرات فان ابرز ما نأخذه عنه أن نتعلم وان نكتسب من الخبرات اللازمة لنا فى حياتنا ما نسبق به الامم ، وان نسعى وان نكد ونكدح وان نرحل فى هذا السبيل ، فلا يعلم الا الله كم من الاف الاميال قطع فرات بن حيان لاكتساب خبرته ولخدمة امته . ■■

احمد عادل كمال

قبل أن تتهم طفلك ..

بقلم : الدكتور نبيه غبره

ليس كل طفل متاخر فى دراسة هو طفل غبى أو كسول كما ينعته معظم الناس •

فالتاخر عرض له أسباب كثيرة ومعظمها بيئية تربوية • والقليل منها ينجم عن النقص العقلى أو الامراض النفسية أو الجسمية •

■ أسباب التاخر فى التحصيل المدرسى كثيرة. فالنقص العقلى الناجم عن اى سبب من الاسباب والامراض النفسية والجسمية واضطراب حالة السمع أو البصر ، كلها تحدد مقدرة الطفل على التحصيل والتعلم • كما أن الطفل الذى يصادف صعوبات شديدة فى سنى الدراسة الاولى ، قد يتلكأ فى السنين التالية • كما أن بعض الحوادث العائلية التى تسبب له الحزن ، والقلق ـ من جراء تخاصم الابوين مثلا ـ تؤثر ولا شك على قدرة الطفل على المتابعة والدراسة • كما أن التاخر قد يكون نوعا من العقاب الذاتى ، أو لسوء التربية المنزلية وفقدان الحنان والمحبة •

اذا فليس كل طفل متاخر فى دراسته هو طفل غبى أو كسول كما ينعته معظم الناس • فالتاخر عرض له أسباب كثيرة ومعظمها بيئية تربوية • والقليل منها ينجم عن النقص العقلى او الامراض النفسية او الجسمية •

لذا كان لا بد فى كل حالة تاخر من فحص الطفل فحصا طبيا دقيقا يشمل الجسم واختبار الذكاء والمقدرة على القراءة وفحص السمع والبصر .وبعد التاكد من سلامتها جميعا لا بد من اجراء تحريات دقيقة لمعرفة الطريقة التى يعامل بها من قبل أهله ومدرسيه • وكثيرا ما يجد الطبيب معاملة شاذة او موقفا منحرفا من قبل الاهل أو المدرسين تضعف الاحترام المتوازن المتبادل ما بين الطفل ومربيه ، وهذا الاحترام شرط اساسى فى نجاح التعلم والتطور الطبيعى • وعندها لا تكون المعالجة الصحيحة الا بتعديل الوضع ومعاملة حكيمة لتصحيح نظرته الى نفسه ونظرة ذويه والمشرفين عليه نحوه • ومن اكثر المواقف المنحرفة شيوعا عند الاهل والتىسنخصها بالبحث. طلب الكمال من الطفل ، والافراط فى انتقاده ، والافراط فى الخضوع لرغباته ، والاغداق عليه ، والاهمال والنبذ وعدم الثقة والمعاقبة • ولنر تباعا ما هى هذه المواقف وكيف تؤثر على تحصيل الطفل الدراسى :

طلب الاكمل :

يقصد بذلك طلب الاهل من ابنهم الصغير سلوكا معينا هو فوق مستواه الطبيعى ـ فى

... بالغباء والكسل !!



لبسه ونظافته، وترتيبه ونظامه ، وطعامه وشرابه، وسلوكه الاجتماعي ، وغير ذلك ، وعدم رضاهم عنه اذا لم يستطع ذلك • فهذا الوضع يرهق الطفل ويجعله دائم الانشغال لتحقيق المستوى المطلوب • وعدم تمكنه من الوصول الى هذا المستوى قد يجعله يشعر بالخيبة ونقص القدرة الذاتية فينتقص من قدر نفسه ، وهذا كله يودى به الى الوهن وقلة الانتاج في كل شيء، بما في ذلك التحصيل الدراسي • وفي المدرسة اذا ما طلب الاهل من طفلهم بالحاح تحصيل الدرجة الاولى او أن يكون من الاوائل كما يحصل في كثير من الاحيان وكان ذلك دون استطاعته براحة ويسر ، فان فشله في تحقيق هذه الاهداف الصعبة يشعره ايضا بالخيبة وانه طفل غير جيد ولا قيمة له ، مخيب لامال أهله• ويستفحل الشعور بالنقص شيئا فشيئا حتى يشل امكانات الطفل ، فتراه يجد ويكدح ويقرأ الساعات الطويلة ولكن دون اية فائدة •

الافراط في انتقاد الطفل :

فالاهل هنا يوجهون ابنهم المرة تلو المرة في كل امر من الامور، دون الاكتراث بميوله ورغباته مع حقه بشيء من الحرية في التصرف والمبادرة ، وهم يحثونه على مزيد من الدراسة وعلى التركيز على نوع معين من الدراسة والمواد للحصول على درجات متفوقة • وتفاعل الطفل العادي تجاه سلوك الاهل هذا هو الاضطراب والتشوش الذي قد يؤدي الى العصيان والمقاومة الى حد فعل عكس ما يطلب منه . فاذا ما كان طلب الاهل السهر الساعات الطويلة على الدراسة لتحصيل العلامات العالية ، فقد يتخذ الطفل سبيل المماطلة والتثاقل فهو يمسك بالكتاب ويقلب الصفحات لكنه لا يقرأ برغبة واقبال . وقد يصبح كثير الشرود والنسيان متباطئا ، هذا اذا لم يعلن رفضه للدراسة صراحة •

الخضوع لرغبات الطفل :

اذا استمر الاهل في الخضوع لرغبات طفلهم ، رغم كبره ، ودون اعتبار لاحتياجاته الحقيقية ، وظلوا يسارعون في تلبية طلباته ويوافقون على تصرفاته الصبيانية دون وضع الحدود المناسبة والمتدرجة في الوقت الذي يجب عليه أن يتعلم

ويدرك وجوب التقيد بهذه الحدود ، وان يعكسها على نوازعه الداخلية وهذا يحصل ابتداء من السنة الثانية من العمر ، فكما يتعلم وجوب الحد من طلباته وتصرفاته وان يصبر على شيء من الحرمان فانه يتعلم عندئذ بشكل تلقائي وعفوي ان يصبر على نوازعه الداخلية • والا ـ اى في حال الخضوع المفرط له أو ـ تدليله ـ فانه لا يستطيع تكوين عادة أو ملكة تحديد تصرفاته تجاه الاخرين وتجاه نوازعه أو ميوله الداخلية • اى انه ينشأ انانيا مستعبدا لرغباته وأهوائه وهكذا يذهب هذا الطفل الى المدرسة وليس عنده الاحترام الكافي أو الاستعداد لكي يحترم أنظمة المدرسة والصف الضرورية للتعليم • وباعتباره عبدا لاهوائه فانه لا يدرس الا قليلا وبدون رغبة• فهو لم يتعلم محبة الاعمال والنشاطات المنتجة البناءة •

الاغداق على الطفل :

يغدق الاهل على الطفل كثيرا دون النظر الى احتياجه الحقيقي ، وهذا السلوك يودى بالطفل الى الملل ، وعدم معرفة قيمة الاشياء ، وبالتالى فانه يفقد اللذة في تحصيلها • وفقدانه اللذة في تحصيل الاشياء يسرى الى المعلومات والمعارف التى تقدم له بالمدرسة • وذلك لان التعلم يحتاج الى بذل الجهد ، وهو لم يتعود بذل الجهد في تحصيل اى شيء ، ويتوقع ، من حيث لا يشعر، ان يقدم له العلم على طبق من الفضة ايضا •

الاهمال

عندما يهمل الاهل ابنهم في طفولته ولا يعطونه الوقت والانتباه الكافيين لمساعدته ومشاركته في لعبه وتعلمه • فانه يحرم من لذة مشاركتهم له وبالتالى فانه لا يتعلم ، ويصعب عليه ان يتعلم فيما بعد ، عقد صداقات أو علاقات منتجة وثابتة مع الاخرين • وانعدام وجود العلاقات الجيدة مع الكبار التى يتعلم منها الطفل وضع الحدود اللازمة لتصرفاته الابتدائية بصورة عفوية طبيعية تجعل منه شخصا متبعا للهوى ، غير مراقب لتصرفاته • وهذا يتجلى في المدرسة اذ يكون سلوك هذا الطفل غير نظامى ، فهو مشاغب لا يعرف الانضباط • هذا ولا يخفى ان الانضباط أمر ضرورى للدراسة ، فالتلميذ بحاجة الى ان يلزم نفسه باوقات معينة للجد والدراسة • هذا فضلا عن كون التعلم لا يتاتى في الصغر خاصة الا عن طريق اناس آخرين فاذا لم يتعود الطفل انشاء الصداقات العاطفية مع الاخرين • ومنهم لا يشعر بقيمة اى علاقة مع الاخرين• ومنهم أولئك الذين يقومون على تدريسه وبالتالى يكون تلقيه عنهم ضعيفا وغير مجد •

النبذ

قد يصدق أن ينبذ الاهل طفلهم لسبب من الاسباب فلا يشعر الطفل ان له مكانا في عائلته ويصبح أسيرا لمشاعر المرارة والعداء والقلق كما انه يصاب بمركب النقص لانه يعتقد أنه لا يستحق القبول من قبل أهله وبالتالى لا يستحق القبول من قبل نفسه • ولا يتوقع هذا الطفل بالطبع ان يكون مقبولا من الاخرين طالما انه نبذ من قبل أهله • فهذا كله يضعف قدرة الطفل على عقد صلات طيبة مع الاخرين ، ويضعف قدرته على التعلم بصورة مباشرة وغير مباشرة •

عدم الثقة بالطفل :

عندما يبدو للاهل ان ابنهم سيكون فاشلا وينعتونه بالصفات الرديئة ويذمونه بمناسبة وغير مناسبة، نرى ان الطفل ينجذب بصورة لا شعورية نحو هذه الصفات وينمو عنده الشعور بالنقص • ويلاقى هذا الطفل صعوبات كبيرة في المدرسة فاهله لا يتوقعون منه الا الفشل ، فهو منجذب نحو السقوط الذى يخافه• لدرجة انه قد يضطرب ان اظهر له احدهم ثقته به ، وقد يحصل هذا الشيء من المدرس فان أوحى المدرس للتلميذ بانه غير جيد فانه ولا بد واجدا صعوبة في تحصيله وتعلمه ، وهذه قاعدة عامة فان دعى طفل بسارق أو قذر أو كذاب ، فانه يشجع على سلوك هذا السبيل أو ذاك •

المعاقبة :

كثيرا ما يجد الاهل متنفسا لعدوانيتهم في اطفالهم فيقبلون عليهم شتما وضربا زاعمين ذلك انه من التربية • وغالبا ما تجد ان هؤلاء الاهل

قد نشأوا هم أنفسهم في وسط يجد القسوة على الاطفال جزءا لا يتجزأ من التربية الجيدة • وسلوك الطفل الطبيعي تجاه هذه التربية الخاطئة وكأنه يطلب المزيد من المعاقبة مع شعور الخوف وحب الانتقام • وحيث أن الطفل يرى نفسه هدفا لغضب اهله فانه يشعر بانه غير محبوب ولا مقبول من قبلهم • وهذا يؤدي الى الشعور بالنقص وبالتالي يتلكأ الطفل في تحصيله المدرسي • وقد يكون سلوكه في المدرسة تجاه معلمه كسلوكه في المنزل وكأنه يثير المعلم لمعاقبته • واذا عرفنا ان التحصيل الجيد يحتاج الى علاقة ودية طيبة ما بين المعلم والطفل تبين لنا كيف يتأخر التحصيل عند وجود الشعور العدائي ما بين المعلم والتلميذ•

المعالجة :

عندما يكون هناك مرض جسمي أو نفسي فلا بد من معالجة السبب ، وعندما يكون هناك تأخر عقلي فلا بد من معاملة الطفل على هذا الاساس، ووضعه في مدارس خاصة • وأما ان كان السبب هو ضعف أو فقدان الاحترام المتوازن المتبادل ما بين الاهل والطفل ، بسبب وجود أحد المواقف المرضية السابقة ، فلا بد عندئذ من تعديلها • وذلك يكون باجراء عدة جلسات ما بين عائلة الطفل والطبيب لمعرفة السبب ثم بيان كيفية تأثيره ، ثم العمل على تعديله • ولكن قد يكون الامر من الصعوبة بمكان وخاصة في حال الاهمال أو النبذ أو المعاقبة الشديدة ، وهنا ينصح في البلاد الغربية تغيير بيئة الطفل بتربيته في معاهد أو بيوت خاصة أو الحاقه بمدرسة داخلية •

هذا وان لم تبدأ المعالجة الا في وقت متأخر وكان من المتعذر انقاذ السنة الدراسية فلا بأس من اعادة السنة ، أو مساعدة الطفل في دورة صيفية ان أمكن ، اذ القضية المهمة هي تصحيح موقف الاهل ، وايجاد الاحترام المتبادل سواء في البيت أو في المدرسة • فان كان الاهل يطالبون ابنهم بما هو فوق طاقته ، فيجب افهامهم بأن يكونوا أكثر واقعية ، وان يراعوا مقدرة الطفل وسنه • وان كان هناك افراط في انتقاد الطفل وتوجيهه وملاحقته ، وهذا كثيرا ما يرافق العلة السابقة ، فيجب افهام الاهل بأن يكفوا عن ملاحقة ابنهم ، وان يخففوا الوطأة عنه ، حتى يتحرر من ضغط القلق ، وان يمتنعوا نهائيا عن الاستهزاء به وعن استعجاله • واذا ما كانت هناك دلائل على حدوث أو بدء حدوث مركب النقص عند الطفل ، فيرشد الاهل بأن يقولوا لابنهم : كفى عندما يبدأ بانتقاص نفسه أو الاعمال التي يقوم بها • وانه بالامكان تعليم الطفل بشكل مباشر لطيف بأن يكون صديقا لنفسه ، دونما توبيخ او انتقاص • واذا ماشعر بعدم القدرة أوالنقص عند القيام بالاعمال المدرسية فالاحسن ان يستريح قليلا ليعاود بعد برهة بعد أن يستشعر ثقته بنفسه •

وان كان الطفل نزوانيا نتيجة خضوع اهله الزائد السابق له ، واصبح يغضب ان لم تلب طلباته ، فلا بد من ارشاد اهله بوضع حد لتصرفاته بالشكل المناسب وذلك بأن يحرم من الجلوس مع افراد العائلة ، وان يرسل الى غرفته في كل مرة يشتط فيها عن الحد المعقول حينما يتعدى على حقوق الاخرين أو يغضب • على ان يسمح له بالعودة عندما يشعر بأن بامكانه ان يسلك سلوكا جيدا وأن لا يعتدي على احد •

وان كان أصل العلة في الافراط في الكرم ، فهنا يكون العلاج بفرض عمل منزلي على الطفل يشارك فيه مع بقية افراد العائلة ، على ان يكون العمل معقولا ، وان لا يتعارض مع اوقات اللعب، وأوقات الدراسة • وعلى الاهل أن يتحملوا اعتراض الطفل على العمل ، ولكن عليهم أن يصروا على تنفيذه • وان لا يعطى من المال الا مايسد حاجته • وان كان كبيرا وتيسر له عمل يدخر منه بعض المال فلا بأس أيضا فهذا اجراء علاجي جيد •

ومع أن الاهل يوافقون على القواعد التربوية السابقة ،ويعترفون بوجوب وجود الاحترام المتبادل مع طفلهم ،فانهم واجدون صعوبة كبيرة في التعود على الطرق الجديدة ، وقد يأخذ ذلك بعض الوقت لانهم ينجذبون بحسب عاداتهم الى طرقهم المألوفة القديمة ، وقد يرتدون اليها بين الفينة والفينة. لذا فانهم بحاجة الى تأكيدات الطبيب وتشجيعه على المثابرة والمحافظة عليها ، وانهم سيتعودون الطرق الجديدة ، ويجدون فيها الراحة المنشودة •

■■

دمشق — نبيه غبره

لغز كارتر رئيس امريكا الجديد !

● بعد أيام سيسكن البيت الابيض الامريكي رئيس جديد .ما الذى يعنينا منه ؟ !

« عربى »

ـ الذى يعنينا نحن العرب من السياسة الامريكية فى المقام الاول هو المواقف المعلنة وغير المعلنة للبيت الابيض والكونجرس الامريكى تجاه الشرق الاوسط ونزاعنا مع اسرائيل . وهو نزاع طال امده منذ أكثر من ثمانية وعشرين عاما عندما قامت (اسرائيل) . فى قلب الوطن العربى ‥ وما ترتب على قيامها من تشريد شعب واحتلال ارض بقوة السلاح وبتأييد من العديد من دول العالم الكبرى والصغرى على السواء ‥

وفى الولايات المتحدة الامريكية حوالى ستة ملايين يهودى نشط عدد كبير منهم فى الدعوة لاسرائيل والمطالبة بمزيد من الحماية والرعاية لها من خلال المناصب الرئيسية التى يشغلونها فى الهيئات والمؤسسات الرسمية والاهلية ‥ انهم دعاة الصهيونية !

ومنذ اللحظة الاولى التى اعلن فيها جيمى كارتر الرئيس الامريكى المنتخب . اعتزامه ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة . وهو يبذل كل ما فى وسعه من جهد لكسب اصوات اليهود واستمالتهم. وكان يعرف طريقه تماما ‥ فقد راح يعمل طبقا لخطة مدروسة ومرسومة ‥ سياسته تجاه اسرائيل اذا قدر له ان يدخل البيت الابيض ‥ ثم المال والدور الكبير الذى يمكن ان يلعبه اذا انفق وانفق بسخاء على المؤسسات الصهيونية واخيرا علاقته الشخصية بالزعماء الصهيونيين ‥

اما موقفه من قضية الشرق الاوسط واسرائيل. فقد ارجأ اعلانه لحين ‥ وبدأ فورا بالاتصال باصحاب النفوذ الصهاينة . القريبين منه . والبعيدين ‥ وكانت الرسائل الشخصية هى وسيلته . وفيها راح يؤكد لهم ولاءه للقضية الاسرائيلية بل انه ذهب الى ابعد من هذا فقد وقع اختياره على احد زعمائهم وعينه مستشارا له ومديرا لشئون اليهود !

وعندما بدأ حملته الانتخابية فى الصحف . اتجه بكليته الى تلك المجلات والجرائد التى يمتلكها اليهود فى مختلف انحاء الولايات المتحدة ‥ ووقف بجانبه يؤيده ويشد من أزره العديد من الزعماء اليهود بمدينة اتلانتا بولاية جورجيا فى الجنوب . الذين راحوا يؤكدون للناخب الامريكى تلك العلاقة الوثيقة التى كانت وما تزال تربط بين كارتر بوصفه حاكما لهذه الولاية . وبين كبار الشخصيات اليهودية . وكيف انه ـ اى كارتر ـ كان يختار من بينهم دائما معظم الذين يشغلون المناصب الرئيسية فى الولاية !

وقد اعلن كارتر موقفه من اسرائيل وقضية الشرق الاوسط . فى مدينة اليزابيث بولاية الينوى . عندما قال فى خطابه الذى اعده مسبقا فى شهر يونيو من العام الماضى وسط تصفيق وحماس جمهور الناخبين الذين جاءوا يستمعون اليه : « ان بقاء اسرائيل ليس مسألة سياسية ‥ انه واجب أدبى لا مفر منه ولا سبيل الى تجاهله ! » .

ثم توجه كارتر بالنقد الشديد الى هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق بسبب الطريقة التى اتبعها فى معالجة السياسة الخارجية الامريكية . وكيف انه حولها الى مسألة شخصية تكتنفها السرية ‥ بما فى ذلك سياسة الخطوة



بعد الخطوة التي بدأ بها في الشرق الاوسط ٠

وقد فسرت مجلة تايم الامريكية التي نقلت موقف كارتر هذا من قضية الشرق الاوسط ، ووصفته بانه من مؤيدي اسرائيل الاقوياء ٠٠ فسرت هذا الموقف المعلن في خطابه بانه دعوة الى عقد مؤتمر على غرار مؤتمر جنيف الذي لم يستمر طويلا عقب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ٠٠ ثم قالت المجلة ان كارتر لم يشر على اية حال بشيء على الاطلاق الى النتائج التي قد تترتب على فشل مثل هذا المؤتمر ٠٠ وقد اعترف كارتر في خطابه « بان للفلسطينيين حقوقا ، وانه لا بد من الاعتراف بهذه الحقوق » ٠

هذا هو موقف الرئيس الامريكي الجديد الذي سيحتفل بتنصيبه يوم ٢٠ يناير الجاري ، بوصفه الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية ٠٠ واول رئيس لامريكا من الجنوب وهو اليوم في الثانية والخمسين من عمره ، وهو اب لثلاثة اولاد وبنت واحدة ما زالت طفلة في السابعة !

وقد بدأ حياته السياسية في عام ١٩٦٢ ، اما قبل ذلك فقد كان ضابطا مهندسا في البحرية الامريكية تخصص في الطاقة الذرية ٠

ويقول كارتر انه عرف الهزيمة مرة واحدة في حياته عندما رشح نفسه للمرة الاولى لمنصب حاكم ولاية جورجيا في عام ١٩٦٦ ، ولكنه لم يستسلم ٠٠ فما كادت نتيجة الانتخابات تعلن حتى بدأ يستعد للمعركة الانتخابية القادمة لنفس المنصب الذي خسره امام منافسه ! وفاز به بالفعل في عام ١٩٧٠ ٠

اما انتخابات الرئاسة الامريكية ، فيقول اصدقاؤه والمقربون اليه انه بدأ يستعد لها منذ اكثر من اربع سنوات ٠٠ واما شخصيته فتتميز بالغموض والذكاء ٠٠ وهو رجل عنيد ، لا يطلب النصح ، ولا يعمل بنصيحة احد ويعتمد على نفسه في اتخاذ كل القرارات التي تتصل بحياته ومستقبله هو واسرته وربما ايضا سياسة بلاده ، ثم هو بعد هذا رجل جاد في عمله يحافظ على مواعيده، ولكن اغرب ما فيه هو تلك الابتسامة التي يرسمها احيانا على وجهه ، فلا احد يستطيع ان يعرف ما تخفيه هذه الابتسامات وراءها ٠

لقد نشأ كارتر في ريف الجنوب، وهو رجل متدين ينتمي الى طائفة « المعمدانيين » المسيحية ، ومحافظ في الوقت ذاته شأنه في ذلك شأن كل اهل الجنوب ، ولعل هذين العاملين الاخيرين هما اللذان دفعا حاخام اليهود ارثر هرتزبرج رئيس المؤتمر اليهودي الامريكي الى ان يقول : « ليس هناك زعيم يهودي وطني واحد يستطيع ان يقول ان جيمي كارتر صديقي ! » ٠

نحن العرب ما موقفنا من رئيس امريكا الجديد ؟ في هذه المرحلة المبكرة ، ورغم ما قيل عن مواقف الرجل من قضيتنا الكبرى ، لا نستطيع ان نحدد موقفنا منه ! فكل ما نشر وينشر في صحفنا انما هو نقل عن صحفهم هم في الغرب وفي امريكا بصفة خاصة ٠

ولكن تبقى بعد هذا حقيقة ثابتة لقد قال كارتر انه لم يلتق يوما بزعيم عربي واحد ! وهذا صحيح ، فقد كان الرجل القادم من اعماق الجنوب بعيدا بعض الشيء عن الصورة وعن مركز الاحداث٠ ولكنه رآها وعاش احداثها في عام ١٩٧٣ ٠٠ العام الذي سمع فيه العالم كله صوت العرب عسكريا واقتصاديا وسياسيا خلال حرب اكتوبر وما بعدها ، عندما رفضت اسرائيل ان تنصت لصوت العقل ٠

موقفنا اليوم لا يمكن ان يتجاوز موقف الانتظار والترقب ٠٠

(م ٠ ن)

في مواجهة الكوليرا ٠٠

● ماهي حكاية الكوليرا التي ظهرت اخيرا في المنطقة العربية ، وكيف يمكن ان نتجنب هذا الوباء ؟

ـ تتوطن الكوليرا منذ القدم في الهند وبخاصة

فى دلتا نهر الجانج وشرق باكستان وبنجلاديش وكانت تنتشر الى البلدان المجاورة حتى يكتسح الوباء العالم بأسره ٠

وفى عام ١٩٤٧ ، اجتاح المرض القطر المصرى وتسبب فى وفاة عشرين الفا من بين ثلاثةوثلاثين الف اصابة ٠ ثم ظهر الوباء بعد احد عشر عاما فى تايلاند . وهنا تكاتف العلماء لوضع حد للخسارة الكبيرة فى الارواح وساعدهم فى ذلك قرارات كانت لها دوافع سياسية دعمت هذا المجهود العلمى ٠

وبمتابعة تنقل المرض نجد انه وصل الى افريقيا والشرق الاوسط فى عام ١٩٧٠ ، روسيا فى عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ وامتد الى تشيكوسلوفاكيا ثم اسبانيا وفرنسا والبرتغال حتى السويد وبريطانيا ٠ ولقد تغيرت النظرة العامة الى المرض ولم يصبح وكأنه لعنة من السماء تصيب الخلق. انما ثبت انه مرض اجتماعى وان وصفه بانه مرض محجرى (او كاراتينى) (١) كان تجنيا على الواقع وهو الان مرض يخضع للوائح الدولية وذلك ربما زاد الموقف تعقيدا ٠فبالرغم من ان منطوق اللوائح كان هينا لينا بازالة مصادر العدوى او فحص عينات من وسائل المواصلات القادمة من المناطق الموبوءة فان تطبيق هذا البند قد اتصف باجراءات شبه بوليسية وقيل عنها تعسفية فى بعض المناقشات ، وهذه التصرفات ادت الى خسائر مادية جسيمة سواء على الصعيد التجارى او السياحى كما ادت بالدول التى تظهر فيها الاصابات الى اخفاء الحقائق ٠

وقد ثبت انه لا اللوائح الدولية ولا شهادات التحصين ضد الكوليرا ولا الاجراءات التعسفية قد ادت الى اى دور فى مكافحة انتشار الكوليرا

(١) (المربى) نسبة الى كاراتينا ،ومعناها اربعون ، لان المرضى كانوايحجرون اربعين يوما ٠

الاسبرنتو ، احدث اللغات العالمية

● سمعت عن لغة « الاسبرنتو »وانتشارها فى الغرب ، حتى صارت لغة عالمية . فالى اى شعب تنتسب هذهاللغة ، وما السبب فى انتشارها ، وهل تصير فى المستقبل لغة تتكلمهاكل الشعوب الى جانب لغاتهم القومية او بغيرها ؟

ـ مع ازدياد تواصل الشعوب ـ بسبب الرحلات بينها للغزو او التجارة او الاسترزاق او مجرد الاطلاع ـ اشتد شعورها جميعا بالحاجة الى لغة واحدة عامة للتفاهم فى غير لغاتها الاصلية التى يتفاهم بها افراد كل شعب فيما بين بعضهمو بعض. وكثير من اللغات فى بعض العصور القديمة كانت فى عصرها اشبه باللغة العالمية بين الشعوب المتجاورة فى منطقة خاصة واسعة . ومن ذلكمثلا اللغة الارامية فى بضعة القرون السابقة للميلاد، واللغة اليونانية بعد فتوح الاسكندر المقدونى ، واللغة الرومانية فى عصر سيادة الرومان ، ثم اللغة العربية بعد فتوح الاسلام وامتداد نفوذه السياسى والحضارى بين الصين والمحيط الاطلسى واخر لغتين قوميتين يمكن اعتبارهما عالميتين منذ قرنين هما الفرنسية والانجليزية ٠

وكل لغة من هذه اللغات وغيرها تنتسب الى شعبها الذى ظهرت فيه ، وهو صانعها خلال قرون طويلة ، وأما « الاسبرنتو » فليست كذلك ، بل هى من عمل فرد ، هو الدكتور الروسى « زمنهوف Zemeā » وهى ـ فيما نعلم ـ أحدث اللغات، فقد ظهرت سنة ١٨٨٧ ،وانتشرت فى اوروبا وامريكا على مدى واسع ، وهى تستمد جذورها من اللاتينية ومن المعروف بين اللغويين انها اسهل لغة ،لقلة جذورها ، وسهولة الاحاطة بها ، حفظا ،ولقلة قواعدها النحوية واطرادها ، دون اى شذوذ،وعلى وفق قواعدها الصرفية القليلة يسهل الاشتقاق من

وانتقالها من بلد الى آخر • وثبت ايضا ان تجميع المعلومات الاكاديمية دون تطبيقها لن يفيد فى أعمال المكافحة وان السياسة الحكيمة هى اعلام الشعوب بأن الكوليرا ليست وحشا مفترسا كما صورت لهم من قبل وانها مرض كأى مرض آخر يمكن الوقاية منه بأقل قدر من العناية والنظافة الشخصية . وأن مريض الكوليرا نفسه ليس شرا للتهرب منه بل ان علاجه يعتبر ناجحا وسهلا واكثر فعالية اذا قورن بغيره من علاجات أخرى لامراض أخرى نتقبلها بسهولة •

بعد وضوح الرؤية دوت صيحة أحد العلماء وهو (أجين جانجاروزا) يلوم القوم على تشنجاتهم ازاء مجابهة هذا المرض مما أطلق عليه « هستريا الكوليرا » التى تصيب بعض البلدان وربما تذكى نارها صيحات الصحف وانتقاداتها لمواقف الحكومات ونشر الوعى الكامل عن طبيعة المرض وطرق الوقاية منه •

والمعروف ان الكوليرا تتسبب من جرثومة واوية الشكل تنتقل من براز مريض أو حامل للجرثومة الى طعام شخص لديه استعداد خاص للاصابة • ولا تنتقل الكوليرا بالملامسة ولا بوسائل المواصلات كالسيارات ولا بسبب الاختلاط فى الاسواق العامة • والجرثومة شديدة الحساسية للعوامل الجوية وهى لاتنتشر بطريق الهواء •

وعندما تصيب الكوليرا شخصا لديه استعداد لها فان حموضة المعدة تقتل الجرثومة . والاكل المطبوخ والمشروبات الساخنة فى الغالب امنة خالية من العدوى . واذا قارنا الجرعة المرضية التى يمكن أن تصيب الشخص السليم بغيرها من الجرعات الجرثومية لامراض أخرى وجدنا فى حالة الكوليرا انها يجب أن تكون أربعة أضعاف الجرعة الجرثومية لمرض الدوسنتاريا وضعف الجرعة الجرثومية لمرض مثل التيفود •

وفى يقينى ان الالتزام بمراقبة نظافة الايدى وغسلها بالماء والصابون وغسل ما يؤكل طازجا ولو بالماء الجارى وحده يكفى لمنع أى اصابة •

جذورها ، ثم هى تكتب كما تنطق ، فالجهد فى تعلمها دون الجهد فى تعلم أى لغة سواها •

واصحابها (الاسبرنتيون) كأشد المبشرين الدينيين حماسا فى نشرها عالميا ، ولهم بها مجلات ومطبوعات كثيرة ذائعة ، كما انهم يتفقون كثيرا مع بعض المجلات الشهيرة لتفرد جانبا لتعليمها ، ولهم مؤتمرات سنوية تخف أو تشتد تبعا للاحوال العالمية . وقد يبلغ المؤتمرون فى بعضها من شتى اقطار العالم اكثر من ثلاثة آلاف ، وهم يؤلفون بها ويترجمون منها واليها ، وحقوق الترجمة فى الغرب محفوظة لا كما هى حالها عندنا ، ولهذا لا يسمح الاسبرنتيون بترجمة شىء من لغتهم الا مع اصله الاسبرنتى بجانب الترجمة وقد نجحوا فى حمل عصبة الامم سنة ١٩٢٧ على الاعتراف بها ، وما زالوا يلحون على هيئة الامم المتحدة للاعتراف بها ، ولو اكتفوا فى البداية ان يتكلم بها بعض مندوبى الامم ، فيفهم عنهم بعض الآخرين •

ومع زيادة التواصل بل التلاحم بين كل شعوب العالم الى حد لم يعهد مثله قبل ، ظهر شعورها القوى بالحاجة الماسة الى لغة واحدة مشتركة للتفاهم بينها ، ومع ان « الاسبرنتو » اسهل اللغات واهلها ذوو نشاط جم لا نرى انها ستكون فى اى يوم لغة عامة لكل الشعوب ، الى جانب لغاتهم القومية فضلا لغتهم الوحيدة ، بل لن تكون لغة المثقفين منهم حتى الكبار ، لا باهمال لغاتهم ولا الى جانبها ، فان لغة كل شعب هى ديوان ثقافته وتاريخه الطويل ، وهى جزء من حياته الاجتماعية كأنها بعض الاجهزة العضوية فى الجسم الحى فلا يسهل التفريط فيها بغيرها او مع لغة اخرى بجانبها • ومهما يبلغ من انتشار لغة فلن تجتث اللغات القومية ، وان استعين بها للتفاهم بين ذوى اللغات المختلفة ، كما أن العالم لا يمكن ان تحكمه دولة واحدة مهما تبلغ من الجبروت ، بل نتوقع ان تنقسم لغة الاسبرنتو فى المستقبل كما انقسمت عقب ظهورها ببضع عشرة سنة ، وستبقى حاجة الشعوب المتلاحمة الى لغة أو أكثر للتفاهم ، وستكون هذه اللغة لغة الشعوب التى هى أوسع ثقافة وبخاصة حين تكون اوسع نفوذا •

(م • خ • ت)

النساء

فى الصفحات الأولى

خلال سنة ١٩٧٦

■ فى كل دقيقة من كل يوم يقع حدث فى مكانما يتحول الى خبر تتلقفه وسائل الاعلام فى جميع أنحاء العالم وتصنع منه قصة لاشباع رغبة القراء . وبعض الذين يصنعون الاخبار يثيرون ضجة قد تكون اكبر من حجم الخبر واحيانا اخرى يكون الخبر من الضخامة بحيث توالى وسائل الاعلام متابعته لاسابيع وربما شهور .

وقد تميز عام ١٩٧٦ بكثرة عدد النساء اللواتى صنعن أخبارا شغلت الصفحات الاولى للصحف والمجلات شهورا طويلة .. وفى مجالات متعددة ومتناقضة .

- ارملة ماوتسى تونج تدبر انقلابا مع موت زوجها ، فيقبض عليها ، يقال انها فى السجن .. او انها اعدمت بالفعل ..
- ايزابيلا بيرون تعزل عن الحكم .
- سيلفيا المضيفة الالمانية الحسناء تغزو قلب ملك شاب وتتربع على عرش السويد .
- الاميرة مارجريت تنفصل عن زوجها وتقع فى غرام شاب يصغرها بعشرين عاماً .
- باتريشيا هيرست حفيدة مليونير الصحافة تسرق بنكا وترتكب ١١ جريمة .
- لاول مرة تعين امرأة مديرة لجامعة السوربون الفرنسية العريقة .
- بربارا ولتوز ابنة التلفزيون الامريكى المدللة تمضى عقدا بخمسة ملايين دولار .
- الريك مينهوف زعيمة منظمة ارهابية فوضوية بالمانيا تنتحر فى سجنها .

ارملة ماوتسى تونج

واخطر امراة صاحبة اعجب قصة ، شغلت العالم هذه السنة كانت ارملة ماوتسى تونج .فهذه المراة التى باعها اهلها الفقراء، الى احد كباريهات شنغهاى، وعملت راقصة زمنا، هربت خلال الحرب الاهلية ، والتحقت بقوات ماوتسى تونج.

وكان ماوتسى تونج متزوجا . وكان الطلاق



بينهم امرا غير مقبول . ولكنه طلق زوجته ليتزوج الراقصة السابقة . التي انجبت له بنتين . وظلت زوجته حوالي اربعين سنة حتى مات .

وكان ماوتسي تونج خلال الحرب والمطاردة قد اضطر الي ترك طفلين له مع بعض الفلاحين ولم يعرف مصيرهما بعد ذلك حتى مات . هل عاشا ؟ هل تحولا الي فلاحين لا يعرفان اباهما ؟ هل ماتا في الحرب الاهلية ؟

وقيل ان الحزب اشترط على ماو حين تزوج شيانج شنج اشترط عليه ان تترك العمل السياسي ولا تتدخل فيه ابدا . وقد تم هذا . ولكن اسمها بدا يظهر مع بداية مرض ماو وضعفه . فصارت مشرفة على الثقافة . وكرهها كل المثقفين لقسوتها وتطرفها الشديد ورفضها لكل ابداع فني خارج عما كانت تعتبره انه تفكير ماوتسي تونج . فلما جاءت الثورة الثقافية لعبت فيها دورا كبيرا . وكانت زعيمة الجناح المتطرف . وقيل انها تريد ان تطرد بذلك كل القادة القدامى . حتى يخلو لها الجو بعد موت زوجها . فتنفرد بحكم ثمانمائة مليون انسان .. اى ربع سكان العالم !

ويبدو ان شيئا من هذا قد حدث . فالراجح انه قد قبض عليها بسرعة ـ وهذا دليل على درجة خطورتها بعد موت زوجها بأيام . ولا احد يعرف هل هي حية في السجن بتهمة التآمر أم انها قد أعدمت بالفعل ؟

ايزابيلا بيرون
تعزل عن حكم الارجنتين
وتصبح سجينة قلعة المسيلور !!

اما ايزابيلا بيرون فيبدو انها لم تنجح في ادارة دفة الحكم مثلما كانت قديرة على التحكم في حركاتها الايقاعية عندما كانت راقصة كباريه .

لقد استطاعت ماريا ستيلا مارتينيد . وهو الاسم الحقيقي لايزابيلا . ان تغزو قلب جوان بيرون رئيس جمهورية الارجنتين حين كان في المنفى وبينهما ٣٠ سنة من فارق السن . ولكنها فشلت في غزو قلب الشعب الارجنتيني عندما دفع بها القدر الي ان تصبح رئيسة لجمهورية الارجنتين . فلم يمض على توليها رياسة جمهورية الارجنتين

سوى عام واحد بعد وفاة زوجها مساء الاول من شهر يوليو عام ١٩٧٤ الا وبدات القلاقل تخيم على الجو السياسى فى الارجنتين •

لقد وقفت ايزابيلا بمفردها تواجه الصعوبات التى مرت بها الارجنتين والتى كادت تدفعها الى هاوية الافلاس • بل ان حالة البلاد تفاقمت بتصاعد عمليات العنف السياسى بين اليسار واليمين •

ورغم ان ايزابيلا جاءت الى الحكم بمبايعة احزاب الارجنتين على اختلاف اتجاهاتها الا انها بدات تواجه المشاكل منذ اليوم الاول لتوليها منصب رئيسة الجمهورية • فقد تزايدت موجة العنف وتصاعدت معدلات الاغتيالات ، وارتفعت نسبة التضخم الى ٦٠٠٪ • وتزايد معدل البطالة •

وتجمعت ضدها كل العناصر التى اصابها الضرر فى ظل سياستها حتى اطاحوا بحكمها •

ان ايزابيلا الان معتقلة وتواجه احتمال محاكمتها بتهمة اساءة استخدام اموال خزانة الدولة وقد تخلى عنها مساعدوها ومعاونوها حتى ان بعضهم ابدوا استعدادهم للشهادة ضدها • وبذلك تكون ايزابيلا قد تحملت وحدها نتيجة التدهور الذى اصاب الارجنتين بعد ان تخلى عنها المسئولون الحقيقيون عن الفساد الذى استشرى فى المجتمع الارجنتينى والذين شاركوها فى الحكم •

ويبدو ان سقوط ايزابيلا أسقط معه « البيرونية » التى كانت ممثلة اساسا فى اتحادات العمال التى انقلبت بدورها على ايزابيلا عندما ضربت عرض الحائط بالحركة البيرونية التى فجرها الزعيم بيرون بافكاره التقدمية وزوجته الاولى «ايفا بيرون» التى كانت معبودة الجماهير • لقد ضمت هذه الحركة اكثر قطاعات الشعب تأثيرا وظلت اكثر الحركات السياسية فى الارجنتين قوة حتى دمرتها ايزابيلا •

وقد حاول الزعماء الوطنيون فى الارجنتين قبل ذلك ارغام الرئيسة ايزابيلا على الاستقالة وذلك بتهديدها باثارة فضيحة حولها تؤدى الى احراجها وبالتالى الى تنازلها عن الحكم • وقد ترددت اشاعات بان ايزابيلا وضعت مبلغ ٦٠٠٠٠ دولار تبرعات لجمعيات خيرية فى حسابها الخاص ووقائع اخرى تدينها بسوء استخدام سلطاتها لمصالحها الخاصة والبطانة التى تحوطها •

وقد قابلت ايزابيلا هذا التهديد بأن اكدت بشكل قاطع فى رسالة قصيرة بالتليفزيون انها لا تعتزم الاستقالة •

وعلى ذلك تقدم ممثلو المعارضة فى البرلمان بمشروع قانون يطالب بتقديم ايزابيلا بيرون للمساءلة البرلمانية بسوء ادارتها للحكم •

وبدات حركة التمرد تاخذ شكلا رسميا بتمرد القوات الجوية وانتشرت موجة التمرد بين رجال الجيش الى أن وقع الانقلاب العسكرى الذى قامت به القوات المسلحة يوم ٢٤ مارس الماضى وظلت ايزابيلا سجينة قلعة « الميسدور » منذ ذلك الوقت •

وفى الوقت الذى هوى فيه نجم رئيسة جمهورية شهد العالم صعود مضيفة المانية لتتربع على عرش السويد : انها سيلفيا الحسناء •

سيلفيا : المضيفة الالمانية التى غزت قلب الملك

وفى ميونيخ كانت بداية قصة حب ملك السويد ••

ففى الوقت الذى اهتز العالم فيه لحادث ميونيخ الشهير حين اختطف فدائيون فلسطينيون رياضيين اسرائيليين واحتفظوا بهم كرهائن حتى تفرج اسرائيل عن بعض المعتقلين فى سجونها ، وبين اصداء الحدث الذى وقع اثناء الدورة الاولمبية فى ميونيخ عام ١٩٧٢ والنهاية التعسة التى جاءت





نتيجة المناورة الاسرائيلية . والتى أسفرت عن مقتل المختطفين والرهائن معا . بدأت قصة حب بين ملك السويد كارل جوستاف والمضيفة الحسناء سيلفيا سومرلاث .

لقد وقع اختيار المسئولين عن الدورة الاولمبية على سيلفيا . من بين ١٥٠٠ مرشحة . كرئيسة للمضيفات اللاتى أوكلت اليهن مهمة استقبال كبار الشخصيات . وقد شاء القدر أن تكون سيلفيا فىاستقبال الملككارل جوستاف. وبمجرد ان قدمت له باقة زهور عند وصوله الى ميونيخ دعاها الى تناول الغداء معه .

ويبدو أن ملك السويد الذى يبلغ ٣٠ عاما وقع فى حب سيلفيا التى تبلغ ٣٢ عاما من اول نظرة . ومنذ ذلك اليوم بدأ العاشقان يتناولان العشاء سويا تحت اسم مستعار .

وعاد الملك جوستاف الى السويد وقد تركقلبه فى المانيا وكان يحادث سيلفيا بالتليفون كل صباح .

بمجرد اعلان خبر خطبتها الى الملك جوستاف رحب بها الشعب السويدى بحرارة وخاصة فى اول مرة يقدمها الملك الى شعبه عندما ظهرا سويا من شرفة القصر الملكى وقد لف الملك ذراعه حول سيلفيا وقدمها للحشد الذى احاط بالقصر قائلا « هذه هى ملكتكم » .

الاميرة مارجريت تنفصل عن زوجها
وتقع فى غرام شاب يصغرها
بعشرين عامـا

وانفصال الاميرة مارجريت عن زوجها له قصة اخرى .. فيبدو أن الاميرة مارجريت رغم بلوغها ٤٥ عاما ما زالت تلك المرأة الرومانسية التى تتعطش الى المغامرة العاطفية. لقد اعلنت مؤخرا انفصالها عن انطونى أرمسترونج جونس الذى لقب عقب زواجه منها باللورد سنودون . وذلك بعد سنوات طويلة من الخلافات . وقد وقع هـذا الانفصال بعد ١٦ عاما من زواجهما .

ولم تعد مارجريت تلك الاميرة سجينة قصر بكنجهام التى سبق لها من عام ١٩٥٥ ان أثارت العالم بقصة غرامها والتى كانت فى غض شبابها تصطدم بعقبات ناجمة عن انتمائها الـى الاسرة المالكة والتى كانت تسكب الدموع بلا جدوى كلما حالت تقاليد الاسرة دوناشباع نزواتها الغرامية. وكانت كلمـا ابدت حـركة تمرد سرعان مـا يتم السيطرة عليها .



كما انها لم تعد تلك الفتاة المتعالية العصبية التى اتكفات على نص اعده رئيس الوزراء تتعهد بمقتضاه ان تتخلى علانية عن فكرة الزواج من الكابتن بيتر تاونسند ذلك الطيار الوسيم الذى لعب بلبها فى شبابها ،واحد ابطال معركة بريطانيا فى الحرب العالمية الاخيرة .

فمارجريت اليوم امراة امتلات بالمرارة..ولا يمكن للمرء ان يصدق وهو يراها انها اخت الملكة ، ان نظراتها اصبحت تشع قسوة كما ان وجهها بدا وكأنه يعكس رغبة فى الانتقام . قد تكونمارجريت قد نسيت حرمانها من ذلك الضابط الذى اختارته زوجا ولكنها مازالت تتذكر الاهانة التى تعرضت لها فى ارغامها على الرفض علنا ضد ارادتها .

ولذلك فقد انتقمت من كل الناس ، من اختها صاحبة الجلالة الملكة التىكانت تحسدها دائما على العرش الذى تجلس عليه ومن انطونى ارمسترونج جونس الذى اصبح اللورد ستودون ومن انجلترا باسرها ، بل ومن نفسها ايضا وكما قال سيتيك « ان اى انتقام هو فى الواقع عقاب يفرضه المرء على نفسه » .

ان منظر الاميرة مارجريت بقامتها الممتلئة وهى تتأبط ذراع رودى الشاب الفارع الطول النحيف الذى يصغرها بحوالى ٢٠ عاما يبدو غريبا . وتعتقد بعض الدوائر المتصلة بالقصر الملكى البريطانى بان ما بين الاميرة مارجريت ورودريك ليولين اكثر من مجرد صداقة كما يدعيان .

انه انتقامها من التقاليد !

المليونيرة باتريشيا هيرست ..

هل سطت على البنك ــ بوعيها ؟

اما قصة باتريشيا هيرست المليونيرة والوريثة لثروة دار نشر « هيرست » فما زالت تحير المجتمع الامريكى حتى بعد ان صدر الحكم عليها اخيرا بالسجن سبع سنوات . فهل قامت عصابة « جيش التحرير السيمبيونى » بعملية غسيل مخ لباتريشيا حتى تشترك معهم فى سرقة البنك وغيرها من الجرائم التى وصلت الى ١١ جريمة سطو وخطف وسرقة؟ ام انها كانت بكامل ارادتها ووعيها وهى تسرق البنك ؟

وبمعنى آخر هلكانت باتريشياتحمل اصلا بذور التمرد ضد عائلتها ومجتمعها كوريثة لاحد اكبر المليونيرات واكبر اصحاب الصحف وجاء حادث اختطافها ليفجر فيها الرغبة الدفينة فى التمرد والمغامرة ، أو ان ما عانته اثناء سجنها وتهديدها المستمر بالقتل اذا لم تستجب لاوامر العصابة الغى ارادتها وجعلها ترضخ لمطالبهم وهىمسلوبة الارادة ؟

لقد امتنعت باتريشيا عن الاجابة على ٤٨سؤالا وجهت اليها خلال المحاكمة وذلك استنادا الى

مادة في القانون الامريكي تبيح للمتهم ان يحمي نفسه من التورط في كلام قد يضره .

وطوال المحاكمة ظلت باتريشيا ترفض الادلاء باي معلومات عن شريكيها اللذين ظلا على قيد الحياة من مجموعة العصابة الذين فضلوا ان يموتوا وهم يقاتلون رجال البوليس على ان يسلموا انفسهم . اما الشريكين اللذين بقيا على قيد الحياة فهما وبليام هاريس وزوجته اميلي .

ولكن بمجرد ادانتها ، غيرت موقفها واعلنت انها ستقدم كل عون لرجال الامن والقضاء كشاهد اثبات لمساعدتهم في محاكمة اميلي ووبليام هاريس .

والمعبر حقا هو شهادةالشهود فيقضية باتريشيا فبينما قالت امها انها كانت مثال الابنة الوديعة المطيعة المتفاهمة مع اسرتها قبل وقوع حادث الاختطاف فان خطيبها صرح في لقاء له معستيفن ويد محرر « النيوز ويك » قائلا : « ان السبب في ابعادي عن المحاكمة ان محامي عائلة هيرست يخشى ان تكون اجاباتي ضارة بالمتهمة » ويقول « لو سئلت مثلا هل كنت تدخن المخدرات مع باتريشيا ؟ او هل كانت تكره عائلتها ؟ أو هل كانت ثورية ؟ كنت ساقول نعم ردا على هذه الاسئلة . فكل ذلك كان صحيحا ... لقد كانت تشعر انه شيء فظيع ان تنتمي الى عائلة هيرست بل انها كانت تختنق عند سماع أوامر عائلتها . لقد اعتادوا ان يحذروها ويتحكموا في تصرفاتها حتى ضاقت ذرعا بالحياة معهم .

وقد قال بعض اصدقائها انها كانت ثورية ومتمردة وثائرة على اسرتها وعلى مجتمعها وكانت لديها النزعة والقابلية للقيام باي عمل جنوني .



وكانت لها علاقات جنسية منذ كان عمرها ١٥ سنة .

وزعمت باتريشيا خلال المحاكمة انها اشتركت في سرقة البنك وهي تحت تهديد العصابة التي اختطفتها ، وانها لم تكن تعرف كيف تستخدم السلاح الذي تحمله بل زعمت انها كانت تجهل ما اذا كان هذا السلاح فارغا او محشوا بالرصاص .. ولكن الشهود من موظفي البنك قالوا انها اطلقت عدة رصاصات في الهواء بطريقة بارعة لكي تحمي ظهر افراد العصابة ، كما نبهت احد افراد العصابة الى وجود شخص في مدخل البنك فاطلق عليه الرصاص على الفور في حين انه كان في وسع باتريشيا ان تطلق النار على العصابة وتهرب وتلجا الى البوليس .

ولذلك فالنقطة التي حاول اثباتها محامي اسرة هيرست كوسيلة وحيدة لانقاذها هي القول بانها قد تعرضت لعملية « غسيل مخ » . وكانت باتريشيا قد ذكرت في التحقيق الطريقة الوحشية التي اختطفت بها في ٤ فبراير عام ١٩٧٤ وكيف وضعها مختطفوها في دولاب طوله نحو مترين وعرضهمتر لعدة ايام وهيمعصوبة العينين ومكممة الفم ومقيدة اليدين . واضافت انه لم يحدثها احد سوى شخص يدعى « سانك » وهو الذي جاء لها بجهاز تسجيل وأمرها بتسجيل الحديث الذي قالت فيه لاسرتها انها ستقتل ان لم تستجب اسرتها لمطالب مختطفيها . وقالت باتريشيا في المحكمة انه حينما رفعت العصابة عن عينيها شعرت وكانها قد تناولت عقار الهلوسة . فقد بدا كل شيء حولها مشوها وهي ترى مختطفيها مسلحين بالمسدسات وتسمع تهديداتهم بقتلها اذا حاولت الهرب او رفضت الرضوخ الكامل لاوامر العصابة . واكد لها بعض افراد العصابة ان اسرتها تخلت عنها وانهم لن يدفعوا الفدية ولا يكترثوا بمصيرها . كما ان مكتب التحقيقات الفيدرالي يطاردها وسوف يقتلها اذا ما قبض عليها . وبعد عدة اسابيع من هذه المعاملة اصبحت باتريشيا في حالة صحية ونفسية سيئة .

ونتيجة للضغوط والتهديدات المستمرة والحبس والوحدة والاحساس بالذعر بدات وريثة المليونير تشعر وكانسحابة تغطيعقلها وانها تفقد صوابها تدريجيا . وذكرت باتريشيا ان من اكثر العوامل

التي كانت تدفعها الى الجنون هو ما ردده افراد العصابة من ان اسرتها عرضت مكافاة قدرها ٥٠ الف دولار لمن يقبض عليها حية او ميتة !

وقالت باتريشيا ان كل الاحداث التي اعقبت سرقة البنك والتي انتهت باعتقالها في سبتمبر ١٩٧٥ تبدو غامضة وكانها مغلفة بالضباب ٠ واضافت انها لم تستيقظ من عالم الرعب الا بعد ان عانقها والدها ووالدتها وشقيقاتها في سجن سان ماتيو ٠

وفي حين يستبعد بعض الاخصائيين النفسانيين ان تكون باتريشيا قد تعرضت لعملية « غسيل مخ » فان آخرين يقولون انها تعرضت لضغط رهيب جعلها تضع حياتها في كفة والتعاون مع العصابة في كفة اخرى ٠٠٠

امرأة تدير جامعة السوربون
لاول مرة منذ ٧٠٠ عام

لقد تعاقب على ادارة السوربون ، الجامعة الفرنسية العريقة ، عشرات من الاساتذة الرجال وذلك منذ نشاتها في القرن الثالث عشر ٠ ولاول مرة في تاريخ جامعة السوربون (٧٠٠ عام) يتم تعيين امراة مديرة للجامعة ٠

اسمها هيلين اوريلار وتعتبر مرجعا في الحضارة البيزنطية ، ويبدو انها تكافح للجمع بين دورها كزوجة وام ، ودورها كباحثة واستاذة وكاتبة واخيرا كمديرة للجامعة تقوم على الاشراف وادارة الحياة الاكاديمية في السوربون ٠

ان الاستاذة هيلين التي تم انتخابها لمنصبها الجديد في ١٢ فبراير من هذا العام ٠ فرنسية من أصل يوناني ، زوجة وام لطفلة عمرها ١٢ عاما ٠ وتتحدث الفرنسية بطلاقة بالاضافة الى اليونانية والانجليزية والالمانية والايطالية والتركية ٠

وقد ولدت هيلين في اثينا في ٢٩ اغسطس ١٩١٦ ودرست آثار منطقة الشرق الاوسط في العصور الوسطى والتاريخ اليوناني قبل ان تستقر في فرنسا عام ١٩٥٠ ٠ وهي حاصلة على اكثر من دكتوراه ، واحدة في الادب ، واخرى في التاريخ ، وقد صدر لها ٦٠ بحثا في موضوعات مختلفة ٠ كما ساهمت في كتابة الفصول الخاصة بالامبراطورية البيزنطية في دائرة المعارف البريطانية ٠

وعندما سئلت ما هو عمل مديرة السوربون قالت :

« معالجة المشاكل اليومية » ٠ ولعدة اسابيع تمثلت المشكلات اليومية في اضرابات الطلبة ومحاولتهم الاستيلاء على مباني الجامعة والاحتماء بها نتيجة اشتباكاتهم مع قوات البوليس ٠

والسيدة اوريلار مسئولة عن ٣٠٫٠٠٠ طالب وطالبة و ٧٠٠ استاذ وحوالي ٢٠٠٠ من الضيوف المحاضرين وكذلك بعض الجنرالات المحالين للمعاش والذين يعطون محاضرات في الاستراتيجية العسكرية وبعض الصحفيين المحررين الذين يلقون محاضرات في الصحافة ٠

وبالاضافة الى ذلك فهي تشرف على المشروعات الجديدة للجامعة مثل توسيع مساحة المكتبة واقامة كافيتريا لخدمة ١٠٫٠٠٠ طالب ٠

واخيرا فهي ترأس اجتماعات مجلس الجامعة الذي يشرف على ادارة السربون ٠ ويتكون المجلس من ٢٦ استاذا و ٢٠ طالبا وستة ممثلين عن هيئة ادارة الجامعة و ٢٠ شخصا من خارج الجامعة يمثلون وزارتي الداخلية والخارجية واهم الاتحادات والمنظمات ٠

وتقول مديرة السوربون ان الخلافات بين الاساتذة ليست سياسية بقدر ما هي خلافات بين « المتخصصين » والذين يدعون الى وضع برامج دراسية تعد الطالب ليكون « صالحا لمواجهة الحياة » ٠

وترى السيدة اوريلار ان القلق الذي يعاني منه الطلبة يرجع الى امكانيات ايجاد عمل بعد التخرج ٠

وتبدأ السيدة اوريلار عملها الساعة الثامنة والنصف صباحا فتذهب الى مكتبها وتظل تعمل حتى السادسة مساء ٠

وعندما سئلت كيف تستطيع أن تفي بالتزاماتها في العمل والبيت والمجال الاجتماعي نظرت الى زوجها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وقالت : لم اكن استطيع ان اجمع بين كل هذه الالتزامات لو لم اكن سعيدة ٠ فالعمل يحتاج الى تركيز واذا كان لدى مشاكل عائلية لما استطعت ان افعل شيئا ٠ ولكنني اشعر بالامان ٠

بربارا المذيعة تصبح نجمة بمليون دولار !

اما مقدمة البرامج الشهيرة من شبكة التليفزيون الامريكى « ان - بى - سى » بربارا (٤٤ سنة ، مطلقة ، لها ابنة واحدة) فقد حققت هذه السنة رقما قياسيا فى مرتبات العاملين باجهزة الاعلام .

فقد تعاقدت مع شبكة « اى - بى - سى » على تقديم برنامج اخبارى مسائى لمدة ساعتين مقابل مليون دولار فى السنة ولمدة خمس سنوات .

لقد كانت بربارا تقدم برنامجها الصباحى اليومى تتخلله الاعلانات التجارية وذلك مقابل ٤٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا بالاضافة الى عدد من الامتيازات مثل تزويدها بسيارة خاصة بسائقها وكوافير خاص وسكرتير خاص .

لقد ادخلت بربارا انقلابا فى حياة الامريكيين عندما جعلتهم يجلسون امام شاشات التليفزيون فى الصباح بدلا من المساء .. واعتاد جمهورها ان يستيقظ مبكرا لكى يشاهد برنامجها الذى كان يبدأ من السابعة حتى التاسعة صباحا ،



وذلك طوال فترة الـ ١٥ سنة الماضية حيث تقدم فيه متنوعات تتضمن أخبارا ولقاءات متعددة .

وقد اشتهرت بربارا فى احاديثها بالاسئلة المحرجة واحيانا الاستفزازية من النوع الذى يحب المشاهد ان يسمع الاجابة عليها، فمثلا عندما تولى فورد الحكم طلبت منه ان يعقب على وصف ليندون جونسون له بانه لايستطيع ان يمشى ويمضغ اللبان فى وقت واحد .كما سألت زوجة جونسون عن شهرة زوجها فى مجال المغامرات العاطفية ، وسألت ارملة ايزنهاور عن ادمانها الخمر .

وفى لقاء تليفزيونى مع سبيرو اجنيو النائب السابق لنيكسون لم ترحم بربارا الرجل الذى افل نجمه بعد تورطه فى فضيحة رشوة ودار بينهما الحوار الساخن التالى :

اجنيو : اعتقد انه من المحرج ان تسألى رجلا مثلى عمره ٥٧ عاما فى شئون عاطفية .

بربارا : ولكنك تناولت الجنس فى كتابك .

اجنيو : لم يكن هذا هدفى .. بل انى قرأت العديد من الكتب الجنسية لكى اتمكن من الكتابة فى هذا الموضوع. ومع ذلك هل يقبل رئيس شبكة التليفزيون التى تعملين فيها ان يظهر فى برنامجك هذا لكى يحكى لنا تفاصيل حياته الجنسية .

بربارا : انى لم اسألك عن حياتك الجنسية ، كما ان رئيسى فى التلفزيون لم يصدر كتابا . ولو حدث والف كتابا فى الجنس لما ترددت فى سؤاله..

اجنيو : انى أشك فى ذلك ..

هى : هل تناولت الجنس فى كتابك بناء على طلب الناشر ؟

هو : كلا ولكنى نقلت بعض العبارات عن كتب اخرى تتحدث عن الجنس .

هى : بعد كل ما حدث لك هل تشعر انك فى حالة سلام مع نفسك ؟

وعند هذا السؤال تلعثم نائب الرئيس السابق مثل التلميذ الذى يرتبك فى امتحان صعب .. فى حين امسك ملايين المشاهدين انفاسهم وهم يتابعون على شاشة التليفزيون هذا الاسلوب الاستفزازى الذى اشتهرت به بربارا فى لقاءاتها العديدة مع محدثيها والذى جعل منها اشهر مقدمة برامج .

انتحار الريك مينهوف ـ في سجنها ..

ومن احداث ٧٦ ايضا انتحار الريك مينهوف في الثامن من شهر مايو الماضي في سجن ستامهين بشتوتجارت . وقال أحد الحراس انها كانت تكتب على الالة الكاتبة حتى العاشرة مساء الليلة السابقة لاكتشاف انتحارها . واضاف ان الورقة التي تركتها لا تتضمن سبب انتحارها .

وكانت الريك مينهوف (٤١ عاما) قد حوكمت مع ثلاثة ارهابيين آخرين اعضاء بمنظمة « بادر ـ مينهوف » الارهابية بتهمة تنظيم موجة من تفجير القنابل واطلاق الرصاص في المانيا الغربية وذلك في اوائل السبعينات ، مما أسفر عنه مقتل اربعة جنود امريكيين وضابط بوليس واصابة العشرات بجروح .

وقد اتهمت مينهوف وزملاؤها بانهم الرؤوس المدبرة لهذه الجمعية الارهابية ، وبانهم مولوا الحركات الارهابية بحوالي ٠٠٠ر١٠٠ جنيه استرليني حصلوا عليها من عمليات سطو على البنوك وكذلك من سرقة السيارات !

وقد كانت هذه ثاني مرة تحاكم فيها مينهوف ، فقد حكم عليها قبل ذلك بتهمة ارتكاب اعمال ارهابية ، وفي المرة الثانية قبض عليها بسبب هجومها على مكتبة سجن بالمانيا الغربية لتهريب « اندياز بادر » الذي كان يمضي مدة عقوبته لقيامه بعملية سطو على محل في فرانكفورت .



واختفى كل من مينهوف وبادر . ثم ظهرا مرة اخرى في المانيا الغربية على رأس تنظيم اطلقوا عليه « الجيش الاحمر » ومهمته تحرير مجتمع المانيا الغربية عن طريق معركة مسلحة . واستمرت هذه المعركة عامين عاني منها الشعب الالماني من العمليات الارهابية ، وقد امكن القبض عليها وحكم عليها بالسجن لثمانية اعوام .

ومنذ اربع سنوات استطاع البوليس القبض على الرؤوس المدبرة وحاكمهم وسجنهم . غير ان البوليس ذكر أن هناك آخرين من أعضاء التنظيم الارهابي ما زالوا يمارسون نشاطهم .

وعقب اذاعة خبر انتحار مينهوف وضعت سلطات بون وغيرها من مدن المانيا الغربية قوات الامن في حالة تاهب خوفا من حدوث اضطرابات من جانب مؤيدي مينهوف انتقاما لموتها في السجن ،حيث انهم لن يصدقوا انها ماتت منتحرة .

وفعلا انفجرت حوادث العنف في اليوم التالي لانتحار الريك مينهوف وخرجت جماعات من الارهابيين تدمر المحلات في شوارع فرانكفورت .

ومما زاد من عنف حركة الموالين لمينهوف ان شقيقتها قالت: « انها قالت لي انها لن تنتحر ابدا ! وقالت اذا ما اذيع اني انتحرت في سجني فلتعلمي اني قتلت » .

وكان لانتحار مينهوف اصداء في جميع انحاء العالم . فقد انفجرت قنبلة خارج مكتب سياحي الماني . وقد اعلنت منظمة تطلق على نفسها « مركز هولجر مينز المعادي للامبريالية » مسئوليتها عن الحادث . وقد انفجرت قنبلة اخرى في زيوريخ ، ولطخ منزل سفير المانيا الغربية « بكوبنهاجن » ، وحطمت قنبلة معهد جوتة « بتولوز » وهاجم المتظاهرون في برشلونه مكاتب شركة هوكت للكيماويات التابعة لالمانيا الغربية .

وفي باريس وقع ١٤ كاتبا ومفكرا ـ من بينهم سيمون دي بوفوار وبول سارتر ـ على بيان يعربون فيه عن استنكارهم للنهاية المأسوية لمينهوف وطالبوا بوضع نهاية للاسلوب العنيف الذي يعامل به المساجين في المانيا .

نائلة توني

دعوة الى مراجعة كتابي : "حديث الاربعاء" و".." في الشعر الجاهلي"



إنصافاً لطه حسين

بقلم : سعيد الافغاني

في الذكرى الثالثة لوفاة طه حسين ، تفسح « العربي » المجال لدعوة تلقتها من الباحث الاديب السوري الاستاذ سعيد الافغاني، ينادي فيها باعادة النظر في كتابي « حديث الاربعاء » و .. « في الشعر الجاهلي » . وهو في مقاله هذا يسجل انطباعات شخصية عن فقيد الأدب العربي . ننشرها كما هي .

■ يشهد الرعيل الاول من أئمة الادب في عصرنا : مصطفى صادق الرافعي واحمد أمين وطبقة كل منهما أن الدكتور طه حسين قوي الاساس في العربية سليم النشأة فيها ، مكنته ثقافته الازهرية وملكته الخاصة أن يتذوق بلاغة أدبها غاية التذوق . حين يملي خواطره حول نص أدبي او على هامشه يأتي بكل بديع . وحدثني غير واحد من نابهي طلابه (القدماء) أن دروسه في الادب أعلى كثيرا من دروسه في تاريخ الادب ، لافتقار الثانية الى ادوات لم تتح له . اذ كان اعتمادها جميعا على الباصرة.

وهيهات أن يكون المعاونون له (ماجورين او متطوعين) بديلا منها في حال من الاحوال ٠

من هنا كانت كتبه ومقالاته في تاريخ الادب خالية من الخلق والاضافة الحقة ٠ وبعضها كان اشبه بسنحات الخواطر يزينها باسلوبه العاطفي، وبيانه الحلو ، وتكريراته وتاكيداته وسائر خطابياته ، وهي على كل حال بعيدة عن مقومات البحث ومعطيات البراهين ٠

لذلك لم يكن غريبا ان يقرر الدكتور طه حسين حكما في يوم ، ثم يحلو له بعد مدة طويلة او قصيرة ، حكم آخر يبطل به الاول ، وكثيرا مايؤيد اليوم أمورا يرجع عنها غدا في مثل الحرارة التي كان أيدها بها ، وهو في الاقرار والالغاء حافز سوانح وبدوات ، لا وثائق ولا براهين ٠ اضف الى ماتقدم المزاج العاطفي المتحول أبدا بين الرضى والغضب ٠٠ تدرك ماينبغي أن يحتاط به القارىء لنفسه حين يطالع آثار هذا النموذج من الادباء ، لاسيما حين يعرضون لنقد آثار غيرهم،فلا يقبل احكامهم الا بعد تجريدها من الآثار العاطفية ، وعرضها على مقاييس موضوعية ٠ وتشتد الحاجة الى هذا التحرز وتلك المناعة حين يتسلح هذا الناقد الاديب ببيان (أزهري) اصيل رائع مثل بيان طه حسين ٠

قبيل زيارتي للقاهرة سنة ١٩٤٧ ، كلفني وزير المعارف السورية آنذاك ، « ابلاغ الدكتور طه حسين رغبة الجامعة السورية في استضافته شهرا لالقاء بعض المحاضرات في كلية الآداب » ، فاتصلت به هاتفيا ، وفي الموعد المتفق عليه استقبلني في داره بالزمالك ، وكان عنده اثنان من الاساتذة احدهما ـ فيما أذكر ـ المرحوم الشاعر عبد الرحمن صدقي ، ودار الحديث عن سورية فاثنى طه حسين على عنايتها باللغة والادب٠٠وقبل أن أشرع فيحديث موضوع الزيارة أبدى استغرابه (من تفكير مسؤول سوري في اسناد رياسة الجامعة السورية الى المرحوم الدكتور منصور فهمي ، وان هذا المنصب اداري لا يصلح أن يتولاه غير سوري) ، لم افاجأ بالملاحظة ، لاني كنت أعرف قبل هذا أن الدكتور منصور فهمي لا يخف على قلب طه حسين ، فصرفت الحديث عن الرجل وناقشته في المبدأ قائلا : «ان العرف السوري يجعل الاقطار العربية في مثل هذا وحدة » وذكرت له أن عددا كبيرا من العراقيين والاردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والليبيين والتونسيين والجزائريين اسندت اليهم مهام جسام في أول عهدنا بالاستقلال سنة ١٩٢٠ على عهد الملك فيصل بن الحسين رحمه الله ٠٠ » فقاطعني بقوله « انتم ـ السوريين ـ معروفون بمثاليتكم في العقيدة العربية وتطبيقكم لها عملا » ٠ الا انه ـ فيما بدا لي ـ لم يرتح الى مخالفتي له فيما رأى ٠

ثم عرضت عليه التكليف (موضوع الزيارة) فسر جدا ، ولم يكتم طربه ، وقال : « انه سعيد جدا أن تشرفه سورية بهذا التكليف » ٠ ولما ذكرت له أن المحاضرات المطلوبة لا تقل عن العشر، ويرجى اعلامنا بموضوعاتها قال : « ان الموضوع مختمر جاهز وسيدور على ما يلي » :

كنت قررت في كتابي (حديث الاربعاء) ان الحجاز كان يصدر المجون الى البلاد العربية على عهد الدولة الاموية ، وانه كان يعج بشعراء المجون ، وبالقيان والمغنيات والمتماجنين والمخنثين والرقيق ، وما الى ذلك ، وان القيان المحسنات كن يتعلمن الغناء والضرب بالعود على أساتذة الغناء والعزف المشهورين بالحجاز ، حتى اذا أتقن الصنعة تغالى الامراء والاثرياء من جميع الاقطار في شرائهن من النخاسين وحملوهن الى أوطانهم ٠٠ وان كتاب الاغاني تكفل بتصوير ذلك كله ٠٠ أما الآن(١) فقد تبين لي أن ذلك كله (كلام فارغ) وان مصدر المجون الحقيقي حينئذ كان بلاط الامويين في دمشق لا حواضر الحجاز ٠٠ الخ » ٠

لم أستغرب رجوع طه حسين عن رأي له مشهور مسجل في كتاب واسع الذيوع ، متعدد الطبعات ،

---

(١) كان مضى على صدور الطبعة الاولى من(حديث الاربعاء) عشر سنين كاملة ، اذ صدرت من مكتبة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٣٧م ٠

فذلك شان المنصفين • لكني كنت أحب ـ كما كان قد سجل هذا الخطا حتى اخذ به كثير من السطحيين ـ أن يسجل رجوعه عنه في كتاب او صحيفة ذائعة ، فذلك أحوط لبراءة ذمته واقوم لحق العلم عليه •

في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورته الحادية والاربعين (عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) استمعنا الى بحث رصين عن المرحوم الدكتور طه حسين وقد مضى على وفاته عام كامل ، ألقاه الدكتور محمد أحمد خلف الله ، وعقب عليه عدد من الزملاء الاعضاء ، منهم الاستاذ محمد أحمد الحوفي ، وكان تعقيبه شهادة اداها بان طه حسين رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي ، وهو الزعم الذي أدار كتابه (في الادب الجاهلي) على تاييده ، وسمع منه هذا الرجوع غير واحد من الاساتذة ، ثم جاء دوري في ابراء ذمتي من امانة في عنقي ، فاخبرتهم برجوعه أيضا عن حكمه السابق (في حديث الاربعاء) كما قلت • وعلى هذا لم يعد يصح في شرع الامانة والعلم الاعتماد عليهما ولا أن تنسب اليه ما فيهما من احكام على انها آراؤه ، بعد أن رجع عنها •

لئن تخلى طه حسين عن خطا الاحكام في كتابيه (حديث الاربعاء) و (في الشعر الجاهلي) ، ان ما فيهما من عذوبة البيان والعماسة لانتهاج منهج ما في البحث ، مستمر الاثر ـ فيما اقدر ـ حتى سنوات قادمات الى أن يقل في القراء ـ لا سمح الله ـ متذوقو بلاغة العرب من ذوي النشاة اللغوية الاصيلة وعشاق البيان الصافي الجميل •

شعرت بعد كتابة ما تقدم بحافز ملح في الرجوع ثانية ـ بعد أعوام طويلة جاوزت الاربعين ـ الى مقدمتي الكتابين ، فظهر لي أن الرجل ـ رحمه الله ـ كان أمينا غاية الامانة في أداء ما في نفسه الى الناس ، لكن كثيرا من الناس يقرؤون في غير اناة ولا روية • لقد حذرهم هو نفسه من الاعتماد على ما أصدر من أحكام ، واعترف لهم ـ في غير غمغمة ـ بحاجة بحوثه الى اعادة النظر ، لكن الببغاوين اتباع كل جديد رائج في غير تبصر ولا اعمال عقل ، لا يتلبثون في قراءة ولا يتوقفون لتفهم ، بل يمضون في اتخاذ آراء من هنا وهناك فيضلون ويضلون •

جاء في مقدمة الطبعة الثانية من (حديث الاربعاء) ص (د) قول طه حسين :

« اني اعرف من عيوبي ونقائصي اكثر مما يعرف الناقدون لي ، والناعون علي ، وكم اتمنى ان تتيح ظروف الحياة لي من الفراغ ما يمكنني من ان أظهر رايي في نفسي وفي اثاري مفصلا ، اذن لرأى الناس من ذلك عجبا •• » وقد فعل ذلك ـ رحمه الله ـ شفاها ، على ما مر بك آنفا في احكامه السابقة من كتابيه (حديث الاربعاء) و (في الشعر الجاهلي) • بل ذهب أبعد من ذلك وهو يبدي ويعيد ويكرر ، محذرا من الاتكاء على ما املى من فصول في (حديث الاربعاء) لانه أرسلها احاديث في صحف سيارة لا تمهل الكاتب ان يتروى ويبحث ، وقرر مؤكدا حاجتها الى اعادة النظر والى بذل جهد وعناية ، لقد نعت هذه الفصول بقوله الصريح الصادق :

« فلست تجد فيها الفكرة القوية الواضحة المتحدة التي يصدر عنها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم واسفارهم ، بل أنا اذهب الى ابعد من هذا فاحدثك في غير تحفظ ولا احتياط اني مهما اكن قد تكلفت في هذه الفصول من جهد ومشقة فاني لم اعن بها العناية التي تليق بكتاب يعده صاحبه ليكون كتابا حقا ، انما هي فصول تنشر في صحيفة سيارة ليقراها الناس جميعا فينتفع بقراءتها من ينتفع ، ويتفكه بقراءتها من يتفكه ، ولم يكن بد لكاتبها من ان يتجنب التعمق في البحث والالحاح في التحقيق العلمي ، اذ كانت الصحف السيارة لا تصلح لمثل هذا • ولقد يكون من الحق علي لنفسي والادب ولقراء هذه الفصول ان اعترف باني ما كتبت منه فصلا الا وانا اعلم انه شديد النقص « محتاج » الى استئناف العناية به والنظر فيه •• » .

لقد كان على الذين يصدرون عن اقواله واحكامه ويقررونها على طلابهم ان يقفوا ـ على الاقل ـ عند حكمه هو نفسه على ما صدر عنه ، فيحققوا ما قال هو انه يحتاج الى تحقيق ، ويمحصوا ما اقر هو انه يحتاج الى تمحيص • اما ان ينسبوا اليه احكاما اخذوها من الفصول التي كتبها من غير الاحتياط الذي احتاطه هو نفسه حين كتبها فجرح جبار ، وظلم أن ان يوضع له حد •

ان الذي حداني على كتابة ما تقدم امران :

اولهما امانة في عنقي علي ابراء ذمتي منها ، اديتها لوجه الحق.وقد ذهب الرجل لقاء ربه ، فحق علي ان اشهد بما سمعت منه ، وقد قمت بذلك في مؤتمر المجمع ـ كما اسلفت ـ بعد ان ادى الدكتور الحوفي شهادته برجوع طه حسين عن رايه ايضا في انتحال الشعر الجاهلي • لكن ذلك كان منا في مجلس محدود ، وبيئة خاصة قليلة جدا بعدد افرادها ، وان عظمت كفاياتها واعيده هنا على نطاق اوسع •

والامر الثاني ما نشرته مجلة (دعوة الحق) (٢) التي تصدرها وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف في المملكة المغربية بعنوان (راى طه حسين في الشعر الجاهلي) وهو تلخيص مدرسي لكتابه (في الشعر الجاهلي) . ولا ريب في انك علمت الان ان في العنوان ظلما لطه حسين بعد ان رجع عن رايه ، وليت الكاتب اشار الى السنة التي راى فيها طه حسين ذلك الراى فقال : « راى طه حسين سنة ١٩٢٦ في الشعر الجاهلي » •

خمسون عاما مضت على راى رآه ، عورض فيه ، والفت في الرد عليه كتب (موضوعية) جيدة (٢) افيجوز في شرعة الحق والانصاف ان نظن ان طه ـ بعد هذا كله ، طوال تلك الاعوام التي قاربت الخمسين ، قد ظل جامدا على رايه الذي راه في اول شبابه بعد كل ما بينوا له ؟ فاين حصافته اذا ، واين فهمه وانصافه ، وكل الذين عرفوه شهدوا له بهذه الفضائل الثلاث ؟! وهي شهادة حق •

هذا ما رايت واجبا بيانه بعد اطلاعي على ما نشر في تلك المجلة الرفيعة ، انصافا للحقيقة ، وابراء للذمة ، وانقاذا لمن يضع هذين الكتابين في ايدى طلابه ، وهو لا يعرف ان مؤلفهما رجع عما فيهما رجوعا قاطعا لما نضج وبرىء من فتنة لفت النظر واثارة الضجيج • وحق على تاريخ الادب ان يشيد بفضيلته في التصحيح كما كان ندد بتورطه في شبابه بتحمسه لراى غير نضيج •

لدعوة الحق الخلود ، ولعامليها التحية ، وعلى طه حسين الذى انصف نفسه قبل ان تنصفه ـ رحمة الله •

سعيد الافغاني

---

(٢) العدد الخامس من السنة السابعة عشرة(المحرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م) ص ٧٦ •

(٢) عد الكاتب هنا تسعة كتب ، منها :

ـ النقد التحليلي لكتاب الشعر الجاهلي للاستاذ محمد احمد الغمراوى

ـ الشهاب الراصد للاستاذ محمد لطفي جمعه ـ صدر عام ١٩٢٦ م

ـ نقض كتاب (في الشعر الجاهلي) للشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر فيما بعد ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٥ هـ •

ـ محاضرات في بيان الاخطاء التي اشتمل عليها كتاب (في الشعر الجاهلي) للشيخ محمد الخضرى ـ نشرت في مجلة القضاء الشرعي •

ـ نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) لمحمد فريد وجدى • بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر ـ اكتوبر ١٩٢٦ م •

ـ نقض مطاعن في القران الكريم للشيخ محمد عرفة •

ـ (الشعر الجاهلي) والرد عليه لمحمد حسين عدا ردود كثيرة نشرت في صحف ومجلات مختلفة•


نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS–McCANN
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

أنباء الطب والعلم

مسماع طبى حديث

● طالما استغرب الكثيرون السماعة التى درج علـى استعمالها الأطباء فـى فحوصهم ، وبخاصة فحص نبض المريض· فهى ليست بالقدر الكافى من الحساسية، وقد يتعذر عليها التقاط النبضات الضعيفة فى المريض ، فيحسبه الأطباء ميتا ، وهو لا يزال على قيد الحياة · وقد حدث ذلك فعلا فى المدة الاخيرة ، واعتبر مريضـان فى عداد الأموات ، وذلك فى أعقاب نوبة قلبية حادة كانا قد تعرضا لها · ولكنهما لم يدفنا··وذلك بفضل المسماع الالكترونى الحديث (انظر الصورة) ·

اذ جرى فحص المريضين بهذا الجهـاز الجديد ، الذى تم صنعه فى امريكا مؤخرا

خطر الجراد قادم

● تشير آخر التقارير التى وردت على مركز ابحاث الحشرات الضارة فيما وراء البحار ، وهو مركز معروف فى لندن ·· تشير الى ان الجراد الصحراوى لم يختف نهائيا كما ظن البعض ، وانه يعد العدة حاليا وينذر باجتياح مناطـق واسعة من آسيا وأفريقيا ـ بما فيها البلاد العربية· وذكرت تلك التقارير ان حشودا كبيرة من هذا الجـراد قد شوهـدت فى الهنـد والباكستان وجنوب غرب الجزيرة العربية اما صغاره فقـد شوهدت هى الأخـرى بجموع هائلة فى الصومال · فالظروف المناخية السائدة فى هذه المناطق كانت وما زالت ملائمة جدا لنمو الجراد وتكاثره·

فأمطار السنة الماضية الموسمية ،وكذلك الامطار الغزيرة التى هطلت فى شتى مواطن الجراد ، فى الصيف والشتاء ، كانت من بين تلك الظروف التى ساعدت على تزايد هذه الحشرة على نطاق وبائى خطير·ومما يذكر هنا ان زوجا من الجراد يستطيع انجاب ٧٥٠٠ جرادة فى سنة واحدة ،

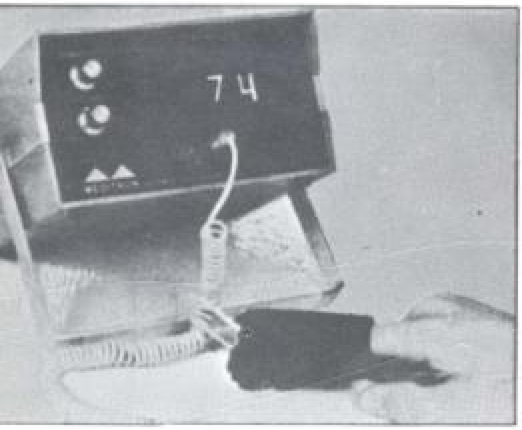
المناطق التى ينذر الجراد باجتياحها



حتى ولو تلفت اكثر بيوضه ،ولم ينج منها الا العشر فقط !! ويذكر ايضا ان بيض الجراد الذى يدفنه فى التراب لا يفقس الا اذا كانت التربة رطبة بالقدر الكافى ·

وصغار الجراد لا تقل كثيرا عـن كبيره من حيث الأضرار التى تستطيع الحاقها بالمزروعات ·· ومهما يكن فهى لا تحتاج الا لبضعة اسابيع لتستكمل نموها وقدرتها على انزال تلك الأضرار بكاملها ·· ولا تـقل عن السرعة التى تنتقـل بها حشود الجراد من مكان الى مكان ، فهى سرعـة خارقة حقا وقد بلغت المسافة التى تمكن الجراد من قطعها فى غضون ثلاثة اسابيع ما يزيد على ٣٠٠٠ كيلومتر !!

واذا بهذا الجهاز الحساس يكتشف نبضاتهما الضعيفة ، فيبقى على حياتهما ، ويحول دون انهائها قبل الأوان ٠



وقد امكن تطوير هذا الجهاز ، الذى اطلقوا عليه اسم فيتال واحد Vital 1 بنفس التكنولوجيا التى طوروا بها الالآت الحاسبة والعقول الالكترونية ٠٠ وهو يعتمد على مجسات صغيرة توصل بأطراف اصابع المريض ، وذلك لرصد نبضه فى الأوعية الشعرية Capillaries ٠ ويقوم كمبيوتر الجهاز بعد ذلك بحساباته الخاصة ، ويحدد عدد النبضات فى الدقيقة الواحدة ٠٠٠ وتعلن النتيجة على نحو ما ترى فى الصورة مرة كل ثمانى نبضات ٠٠٠

« ارجل العنكبوت ٠٠ » للسيارات

● كانت الجنازير الوسيلة الوحيدة التي يلجأ اليها سائق السيارة ليتمكن من السير بسيارته على الطرق الثلجية او الجليدية ٠ ولعلها كانت الوسيلة المثالية ، لولا اعتراضين اساسيين ٠٠٠ اولهما هو ان الجنازير لا تركب على الدواليب الا حين الحاجة ٠٠ ولا يخفي ما يترتب على تكريبها حينئذ من مشقة وعناء ٠٠ فقد تكون الثلوج في تساقط مستمر ٠ وقد تكون الطريق مزدحمة بالسيارات بحيث يصعب التوقف فيها ويتعذر تركيب الجنازير ٠

اما الاعتراض الثانى فالضرر الذى قد



تلحقه هذه الجنازير بالاطارات من جهة ، وبالطريق المعبد بعد ذوبان الثلج والجليد من جهة ثانية ٠ لا عجب اذن ان أولى العلماء هذه المشكلة اهتمامهم ونجحوا آخر الامر في اختراع وسيلة اخرى جديدة تغنى عن تلك الوسيلة القديمة ٠

والاختراع الجديد امريكى ، وهو جهاز قوامه لوالب (زمبلكات) فولاذية قوية ، ومتصلة بقاعدة متينة بشكل القرص (انظر الصورة) ٠

ويركب هذا الجهاز فى اسفل السيارة وبالقرب من الدولاب ، ويثبت ليبقى فى مكانه كأى جزء من اجزاء السيارة الاخرى٠ وعند الحاجة يضغط السائق على الزر المحرك لهذا الجهاز ، فيهبط وترتكز لوالبه على الارض ، فتصبح كأرجل العنكبوت تعتمد عليها السيارة في سيرها بدلا من الدواليب ٠ وتستمر الامور على هذا الحال حتى اذا اجتازت السيارة الطريق الثلجية ضغط السائق على الزر المحرك ثانية فيرتفع الجهاز الى وضعه الاصلي ، وتعود السيارة الى السير على دواليبها كالعادة ٠

مهرجان قرطاج

استطلاع بقلم وعدسة

محمد حسني زكي

من أجل مستقبل أفضل للفن السابع !



من أوروبا ، من بقية انحاء العالم ومن افريقيا بصفة خاصة جاءوا الى المهرجان .. لقد أيد جمهور السينما الرأى القائل بأن الجماهير اليوم اصبحت اكثر وعيا واكثر ثقافة فهي ترفض الافلام التافهة التي تحشر العدد الكبير من الممثلين وتخاطب الغرائز . لقد قال جمهور السينما كلمته .. ان الافلام التجارية البحتة التي يجرى انتاجها لغرض تجارى فحسب ، في طريقها الى الزوال .



فندق « البحيرة » اقامت فيه الوفود ويتميز بهندسته الفريدة،فقد بني على هيئة هرم مقلوب ، شهدت ابهاؤه وجوعا من كل لون ، سمراء وشقراء، ولكن الازياء الشعبية (الفلكلورية) استطاعت ان تخطف الاضواء في جو من الاخاء والمودة .. لقد كان هذا طابع المهرجان .



صاحب قصة « عرس الزين » الكاتب السوداني الطيب صالح، انه فنان يحاول التعبير من خلال قصصه عن مجتمعه ويكتب باحساس عميق عن الحياة في السودان،لقد سجل بقلمه صورة حية لهذا المجتمع في قصته التي اختارها خالد الصديق المخرج الكويتي الصاعد وصورها للسينما .

■ لم يكن مهرجانا فحسب بل كان تظاهرة ثقافية سياسية ، اجتماعية وفنية ٠٠ كل هذه العناصر اجتمعت في هذا المهرجان الذي قصدنا اليه وفي رؤوسنا نفس الصورة ٠٠ الصورة التي حدثت وتحدث منذ عشرة أعوام مع مولد فكرة « مهرجان قرطاج السينمائي » ٠

لم يكن مجرد منافسة على الفوز بجائزة احسن فيلم بين الدول العربية والافريقية ٠٠ بل كان ندوة ثقافية تحت عنوان عريض هو « السينما والادب والتراث الشعبي » ، وكان ايضا معرضا للكتب والنشرات والصحف والمجلات التي تتحدث عن الفن السابع ٠٠ وكان أخيرا مناقشة فكرية حادة حول ماهية السينما والدور الذي يجب ان تلعبه في معالجة مشاكل الانسان المعاصر ٠

وفي اطار المهرجان اجتمع اتحاد السينمائيين العرب وكذلك اتحاد النقاد العرب وقالوا كلمتهم فيما يسمى المهرجان اليهودي الدولي الاول للسينما والتيلفزيون ، الذي أقيم في اكتوبر من العام الماضي في « القدس المحتلة » ٠٠ واعلنوا أن ذلك المهرجان من تسميته يؤكد الطابع العنصري للسياسة الصهيونية ، وطالبوا بالعمل بكل الوسائل للكشف عن وجهه الحقيقي ورفضه ومقاطعته من كل السينمائيين في العالم٠

وكان أخيرا حفلة لتكريم فنان فلسطيني قضى نحبه وهو يحمل « الكاميرا » يسجل احداث لبنان الدامية ، تماما كما يموت الجندي في ساحة القتال ٠٠ هو الشهيد هاني جوهرية ، وعرضت على الشاشة « بكرة » الشريط التي وجدوها في الكاميرا عند استشهاده ٠٠ وأعلنت الشركة التونسية للتنمية والانتاج السينمائي رصد جائزة باسم الشهيد لاحسن فيلم يتعرض للقضية الفلسطينية ، كما قررت اطلاق اسمه على احدى دور السينما الكبرى في تونس ٠

لم لا ننسى أن المهرجان احتوى على عروض خاصة للسينما النيجيرية وسينما أمريكا اللاتينية وافلام حركات التحرر العربية والافريقية وافلام السينمائيين التونسيين الهواة ٠٠

كان مهرجان قرطاج كل هذا وأكثر ٠٠ ولنبدأ القصة من أولها ٠٠

لقد افتتح المهرجان بشريط خارج المسابقة وكان الشريط هو « زائر الفجر » شريط مصري له مغزى سياسي من اخراج المرحوم ممدوح شكري ويدين المخابرات المصرية لصلاحياتها وسلوكها وتصرفاتها تجاه فئات عديدة من المجتمع ، وذلك في الفترة قبيل هزيمة يونيو ١٩٦٧ وكان ذلك من خلال قصة صحفية قتلتها المخابرات بأسلوب خبيث ، حاصرتها بالخوف والارهاب وهي تعلم انها مريضة بالقلب ، الى أن ماتت ، ولما اكتشفت الشرطة الجريمة ، عندما حاولت البحث عن الجاني وجدت نفسها تسير في طريق مسدود ، فحفظت القضية ٠٠ لانها لا تستطيع تقديم جهاز المخابرات للمحاكمة ، وخلال عرض الشريط كان واضحا انه اقتطعت منه بعض المناظر مما أخل الى حد ما بسياق القصة ٠٠

ثم توالت في الايام التالية عروض الافلام المتسابقة ٠٠ وقد كان المستوى العام لمعظم الافلام متوسطا ، ان لم يكن دون المتوسط ـ وليس هذا رأيي وحدي وانما كان رأى معظم النقاد الذين حضروا المهرجان ٠

فرصة ضاعت

نعم فرصة ضاعت حقا على المهرجان وعلى فيلم كان الناس ينتظرونه في المهرجان ، انه فيلم « عرس الزين » عن قصة للاديب السوداني المعروف « الطيب صالح » ، اخرجها المخرج الكويتي الشاب « خالد الصديق » ٠٠ كان من المقرر ان يفتتح المهرجان به وكان الناس في شوق لمشاهدة أبطال القصة الرائعة وقد حركهم الصديق في صور حية على الشاشة ٠٠ ولكن للاسف الشديد لم يصل الفيلم فقد تأخر وصوله من معامل لندن ٠٠ وصرخ خالد الصديق أسفا على ضياع هذه الفرصة تماما كما كان يصرخ « الزين » بطل قصة عرس الزين « يا أهل الحلة ٠٠ يا ناس البلد ٠٠ عزة بنت العمدة كاتلا لها كتيل ٠٠ الزين مكتول في حوش العمدة » ٠٠ هكذا كان يصيح الزين دائما بلهجته السودانية المحلية ، عندما تعجبه فتاة من حسان البلد ٠٠ وتصيب قلبه سهام الحب فيملته بهذه الطريقة٠٠ اما خالد الصديق فقد قتلته دموع « نعمة » بطلة الفيلم وقد خاب أملها ٠ ويقول الصديق باللهجة الكويتية « حسافة » أي يا خسارة ٠٠ ولعرس



المخرج الكويتي الشاب خالد الصديق وبجانبه « تحية » بطلة عرس الزين بينما ظهر البطل في الصورة (تحت) ·



الزين قصة تروى ·· ولكن قبل أن أحكيها لكم اتوقف لنكمل حديثنا عن مهرجان قرطاج ··

قرطاج

وقرطاج هذه مدينة أثرية حمل المهرجان اسمها، انها ضاحية تقع على بعد عشرة كيلو مترات من تونس العاصمة ·· اسستها عام ٨١٤ قبل الميلاد الاميرة الفينيقية عليسه واحرزت هذه المدينة شهرة واسعة وأصبحت مركز اشعاع لحضارة وضاءة ، اعتمدت على التجارة المزدهرة ولكن مدينة تونس الحالية ما لبث أن ورثت أمجادها ·· ويحاول التونسيون اليوم أن يعيدوا اليها هذه الامجاد الغابرة فعملوا على احياء ذكرى قرطاج امام الجيل الجديد فاطلقوا اسمها على مطارهم الدولي، ويقيمون في صيف كل عام مهرجانا مسرحيا يحمل اسمها ، كما يقيمون هذا المهرجان السينمائي مرة كل عامين ، وهذه دورته السادسة وقد اطلقوا عليها « أيام قرطاج السينمائية » ·

ويعد هذا المهرجان مرآة تعكس صورة نمو الفن السابع وتطور ابداع الفنان السينمائي في البلاد العربية والافريقية ، بالاضافة الى دول العالم الاخرى ·· فتلتقي فيه تجارب الدول المتقدمة مع تجارب الدول الناشئة التي تحاول ان تتلمس طريقها وان تبحث لنفسها عن اسلوب جديد تتميز به في الفن والصناعة السينمائية · وهو ايضا يلقي الضوء على حياة الناس في افريقيا والبلاد العربية ومشاكلهم واحلامهم وطموحهم ، كما يتيح الفرصة للقاءات تتم بين رجال السينما والنقاد والصحفيين من مختلف دول العالم ·

وخلال عشرة ايام ·· عرضت تجارب عديدة في مسابقة الافلام الروائية الطويلة ، تنافست ثماني عشرة دولة عربية وافريقية على شاشة قاعة « الكوليزيه » الفسيحة الفخمة ، بحوالي عشرين شريطا ،كل بلد منها يعرض ما يعتقد انه افضل ما توصل اليه الانتاج السينمائي فيها ، وفي مسابقة للافلام القصيرة تنافس ايضا سبعة عشر شريطا ·

تونس اجمل !!

وكنا نحن ضيوف المهرجان تنتابنا الحيرة بين الجلوس في قاعات السينما ، التي تناثرت في شارع بورقيبة وما حوله لمشاهدة ما تقدمه من افلام جاءوا بها من كافة انحاء العالم ·· وبين أن نتجول في المدينة الجميلة ، مدينة تونس بمساجدها واسواقها



خلال عشرة ايام مرت تجارب عديدة في مسابقات الافلام الروائية الطويلة والافلام القصيرة التسجيلية • وكانت هناك برامج اخرى •• منها ندوة حول « الادب والسينما والتراث » •• اشترك فيها الشاعر الشعبي المصري عبد الرحمن الابنودي « فوق » كما اقيمت عدة حفلات في المساء كان من بينها رقصات شعبية (تحت) قدمتها فرقة الرقص الشعبي النيجيرية ، وكان عرضا شيقا جديدا نقل لنا دقات الطبول من قلب القارة السوداء الى شمالها ، والصورة الى اليمين وجه جديد انها الفنانة « سعاد امين» اول فتاة ليبية تقوم بدور في اول فيلم ليبي « الضوء الاخضر » اشتركت به ليبيا في المهرجان •





وفنادقها ومساكنها ، والتي تعتبر كنزا من كنوز الفن الاسلامي والعمارة الاسلامية ، لقد كانت تونس اكثر جاذبية وجمالا ٠٠ فالافلام المعروضة كما سبق وان قلت كانت دون المستوى الذى كنا نتوقعه ٠ ويتضح لنا عندما نستعرض عشرات الافلام التى شاهدناها ان السينما العربية والافريقية تعيش فى مازق ٠٠ ففيلم «السفراء» الفائز على جائزة المهرجان الاولى والذى اشتركت به تونس واخرجه المخرج التونسي الناصر القطارى وهو يروى محنة العمال المهاجرين الى فرنسا ، الذين يقاسون صنوفا من الاضطهاد والتفرقة العنصرية ومن الاعتداء على اجسادهم وكرامتهم ٠٠وابرز الشريط مشكلة الانتماء الفكرى والدينى كما ابرز مشكلة هؤلاء المهاجرين الاجتماعية ، عندما يتزوجون باجنبيات وتكون النتيجة اطفالا مزدوجى اللغة حائرين بين دين الاب ودين الام ٠٠ وقد كانت اللغة فى الجزء الاخير من الفيلم حائرة ايضا بين فرنسية غير مستقيمة وبين لهجات جزائرية وتونسية ٠٠ ويطرح الفيلم حلا لهؤلاء العمال المظلومين بان يتحملوا مسئولية مصيرهم بتكوين « لجان الدفاع الذاتي » ٠٠ وينتهي الفيلم حيث يتقدم العمال الذين اقتيدوا الى احد مخافر الشرطة بسبب اشتراكهم فى احدى المظاهرات ٠٠ يتقدمون جماعة ، محاصرين لرجال الشرطة ،الذين كانوا يسالون كل واحد منهم على انفراد :

ما هى مهنتك ؟ وما هى جنسيتك ؟

فيرد العمال فى صوت واحد ٠٠

« سفراء ! نازحون سفراء نازحون » فتتقهقر الشرطة ٠

ونفس مشكلة المهاجرين هذه يطرحها الفيلم الجزائرى « فرنسا الاخرى » للمخرج على غالم وكذلك الفيلم الموريتانى « الجنسية مهاجر » للمخرج الموريتانى سيدناى سوخونا وهو ايضا يركز على ماساة العمال المهاجرين من خلال تجربته الذاتية ٠ وقد منح الجائزة الثالثة ٠٠ ويتضح من كثرة الافلام التى تعالج قضية المهاجرين انها مشكلة تهم الناس فى الشمال الافريقى ٠٠ كما تهم هؤلاء العمال البالغ عددهم فى فرنسا وحدها اربعة ملايين ومائتى الف وهم يمثلون اداة اساسية فى جهاز الانتاج والاقتصاد الفرنسى ٠ فهم يبنون منزلين من كل خمسة ويرصفون كيلو مترا من كل كيلو مترين من مجموع الطرقات المرصوفة ، وينتجون سيارة من كل اربع سيارات ٠٠ ومع كل هذا فهم اناس مطاردون محرومون من المساواة بنظرائهم الفرنسيين ،وعلى ذلك ليس بغريب ان يفوز فيلمان من ثلاثة طرحا مشكلة واحدة ٠٠ سبق ان طرحت فى افلام اخرى ٠٠ ومعروف ان الفيلم الفائز بالجائزة الاولى فى الدورة السابقة هو فيلم « عمال عبيد » ويعالج نفس القضية ٠

مناقشات حادة

لكن الجديد المشوق فى افلام قرطاج انها كانت افلاما تبعث المناقشات الحارة الملتهبة فى دار « ابن رشيق » فى اليوم التالى لعرضها ،ويطول النقاش وتختلف وجهات النظر ويرتعد بعض المخرجين من مواجهة الجمهور المثقف الواعي ،وقد تعرض مخرج الفيلم الليبى « الضوء الاخضر » الى هجوم ومناقشة قاسية على مدى ساعتين وكذلك مخرج الفيلم المصرى « جنون الحب » فالنقاد

المناقشات الحادة التى كانت تلتهب حرارتها فى دار « ابن رشيق » هى السمة البارزة لمهرجان قرطاج ٠٠ فقد كان المخرج يجلس فى صدر القاعة ، فى اليوم التالى لعرض فيلمه ويدور الحوار بينه وبين الجماهير والنقاد ٠٠٠ ويطول النقاش ٠٠ وتختلف وجهات النظر ٠





منظر من فيلم «السفراء» الحائز على جائزة المهرجان الاولى .. ويروى محنة العمال المغتربين من الشمال الافريقى فى اوروبا .

يرفضون الافلام التجارية التى تقدم عالما مبهرجا زائفا والتى تعمل على نشر الافكار الخاطئة وتقدم الجمال المبالغ فيه . ولكنهم يريدون افلاما ذات مغزى اجتماعى عميق يتناول مشاكل الناس ويعالج قضاياهم ..ويطلبون من المخرج ان يتخذ له موقفا من مشاكل العصر الذى يعيش فيه .. ولقد عبر عن هذه الاراء المحكمون الدوليون عند توزيع الجوائز بقولهم .. ان ايام قرطاج السينمائية ليست كغيرها من المهرجانات السينمائية ، انها تريد انتحال نظرة واضحة فى شأن السينما وهى ان هذا الفن اداة فعالة فى خدمة الجهاد المشترك، الذى يخوضه هذا الجزء الشاسع من العالم المسمى بالعالم الثالث . واذن على السينما ان تساعد تلك الشعوب التى آن الاوان لان تقود مصيرها على اساس الوعى بذاتها ومقوماتها ومشاكلها الراهنة .. ان ايام قرطاج السينمائية تلقى على الواقع الاجتماعى منظارا واعيا وتوحى ، ان لم يكن بحلول ، فعلى الاقل بالتفكير الناقد الذى يؤدى من ذلك الواقع الاجتماعى الى الحلول المرموقة .

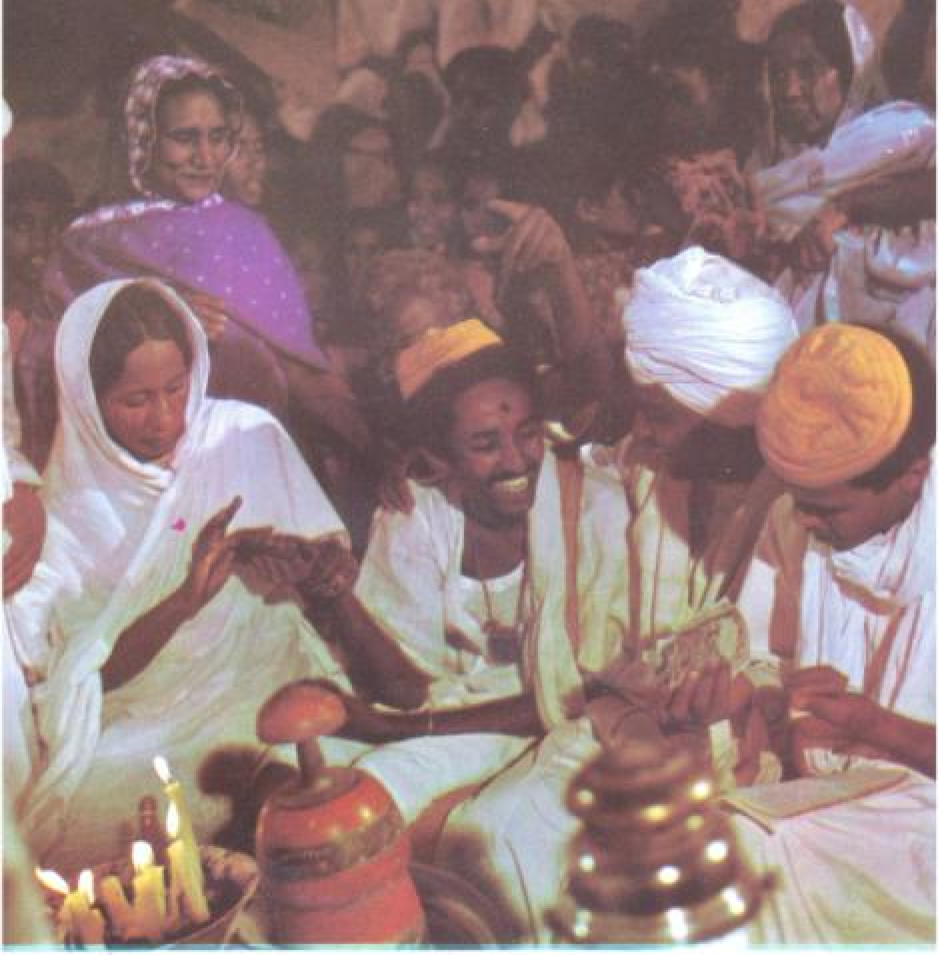
واللجنة تأسف لقلة الافلام التى تعبر عن اهداف المهرجان فى هذا العام وتعزو هذا الى الظروف الحالية التى تحيط بتوزيع وانتاج الافلام فى الاقطار العربية والافريقية .

ولهذه الاسباب رأت لجنة التحكيم انه من الاجدى ان تسند جوائز للافلام المقدمة فى اطار المهرجان ، لا على اساس جدتها ولكن على اساس اندراجها فى الاتجاه الذى يحاول بعث سينما وطنية مستقلة تستجيب لمطامح الشعوب العربية والافريقية .

● ونذهب الى رئيس الهيئة المشرفة على المهرجان نسأله عن كيفية اختيار الافلام التى تدخل المسابقة فيجيبنا الطاهر فيقة قائلا : « هناك لجنة اختيار تونسية تستعرض الافلام وتختار منها حسب قواعد متفق عليها .. منها ان تكون افلاما هادفة تطرح باسلوب درامى مشكلات الشعوب العربية والافريقية ،وان تكون معبرة عن مجتمعاتها باحساس عميق بواقعها ، خادمة لتنميتها وتقدمها ،عاكسة للقيم الحضارية الخلاقة التى ترسبت فى وجدان هذه الشعوب عبر تاريخها الطويل المليء بالنضال والكفاح والبطولات ، كما تكشف للجماهير الطريق الى حياة افضل .. كل ذلك فى صيغة فنية مبدعة تدخل البهجة الى النفوس وتبث فى قلوب الناس الحماس لحركة الحياة .

ولكنى اجد نفسى بالرغم منى وقد اعترضت حديث رئيس اللجنة المشرفة على المهرجان قائلا..

لقد عرضت افلام دخلت المسابقة غير ذات قيمة ولا تحمل شيئا جديدا ولا تنطبق عليها هذه القواعد



ثلاثة مناظر في فيلم « عرس الزين » الذى لم يقدر له ان يراه المهرجان « حسافة » .





واتضح ذلك عند مناقشتها وبرد فعل الجماهير تجاهها فيجيب بقوله :

ـ هذه مسالة ارجو ان نوضح موقفنا منها كهيئة تونسية منظمة للمهرجان ٠٠ غايتها النهوض بالسينما العربية والافريقية ٠٠ فالسينما فى هذه البلاد مازالت فى المهد ماعدا « مصر » فلها تاريخ سينمائي قديم ٠٠ ولذلك لا نستطيع ان نقوم بعملية فرز دقيقة فلا ناخذ الا جيد الجيد ونترك البقية علما بان اكثر هذه الافلام مقدمة منهيئات شبه رسمية هى التى تشرف على تنمية السينما فى بلادها ، واعتقد انه من المفيد ان نترك هذه الهيئات تعرف رد فعل جمهور دولي عربيوافريقي وهم مجموعة من النقاد والصحفيين والسينمائيين والمثقفين نترك هؤلاء يقولون رايهم ٠٠ ولا يمكن ان يتهموا بالتحيز وبانهم مغرضون فهم ليسوا باجانب ، بدلا من ان نقوم نحن لجنة الاختيار التونسية برد الفليم قائلين للدولة الشقيقة صاحبة الفليم ٠٠ ان ماارسلتموه لنا لا قيمة له فيصبح الفليم ضحيتنا نحن وربما كنا لم نحسن التقييم، اعتقد انه افضلان نترك الفيلمللجماهير والنقاد ولجنة التحكيم الدولية ليقولوا رأيهم ، فقد يكون ذلكحافزا لهيئات السينما فىهذه الدول ان تغير سياسة الانتاج الى الطريق الصحيح ٠

● وأساله عن رايه فى المستوى العام للافلام التى عرضت فى المهرجان ويجيب الاستاذ طاهر قيقة قائلا : مستوى الافلام فى جملتها هو مستوى متوسط ـ فى رأيى الشخصي ـ والمهرجان عموما يعكس صورة للوضع السينمائي فى العالم العربي والافريقي ٠٠ لقد بذلنا جهدنا وبعد اتصالات متعددة استغرقت مدة سنتين كاملتين ٠٠ كان هذا هو المحصول ٠٠ ولسنا راضين عنه ٠٠ وهذا هو الانتاج فى هذه الفترة ومعنى ذلك ان الانتاج السينمائي يجتاز فترة صعبة فالمهرجان مراة للحالة التى وصلت اليها صناعة السينما فى البلاد العربية وافريقيا ٠

السينما والادب والتراث الشعبى

وفى اطار المهرجان ايضا اقيمت ندوة استمرت ثلاثة ايام فى دار الثقافة « ابن خلدون » كان موضوعها « السينما والادب والتراث الشعبى » شاركت فيها بالدراسات والبحوث والمناقشة مجموعة من الادباء والمثقفين والشعراء الشعبيين وطرحت امامهم للبحث عدة موضوعات منها :

❊ تصور الواقع عند الاديب والشاعر الشعبى ورجل السينما ٠

❊ كيفية تحويل المادة الروائية الى مادة سينمائية ٠

❊ البحث فى تطوير مادة التراث الى ما يناسب الحقيقة التاريخية والمفاهيم الحديثة ٠

❊ التعبيرالعربي الافريقيبين اللفظ والمفاهيم الحديثة ٠

❊ مدى تاثير التكنية السينمائية ومشاكل صناعتها فى الحد من المخيلة الشعبية أو الادبي فى الرائها ٠

ولقديدا لاول وهلة ان الندوةذات طابعاكاديمي تقليدى ، الا ان ماحدث خلال المناقشات ومن خلال الحوار الذى جرى بين مقدمى الدراسات وبين جمهور المثقفين ان اثيرت عدة قضايا واجمع

اقيم فى اطار المهرجان معرض للمنشورات السينمائية من كتب ومجلات ونشرات باللغة العربية وباللغات الاجنبية وقد اقبل عليها الجمهور يتصفحها ويقرأ عن سينما الدول النامية ٠



الحاضرون على ضرورة التعرض للتراث والعودة اليه والاستفادةمنهوالبحث عنخير السبللاستلهام هذا المنهلالثرى لكى يمدالسينما بمادة غزيرةذات قيمة انسانية وغنية .. ونادوا ان الاوان قد ان لكى نعود الى تاريخ حضارتنا ونستعرضانجازاتها العلمية والفكرية . فتاريخنا منبع اصيل يعيش فى ضمير الشعوب مهما بعد الزمن وفيه خلاصة تجربة العصور هذا الى جانب تجربة عصرنا الذى نعيش فيه ، ومكتباتنا عامرة بمناهل كثيرة من كتب الادب القديم من تاليف رجال عباقرة مثل الجاحظ والمعرى وبديع الزمان الهمذانى والرجوع الى هذا التراث الادبى يثرى افكارنا ويؤكد اصالتنا .. وخصوصا والقصة الحديثة المعاصرة، التى يعتمد عليها السينمائيون ما زالت تبدوعليها السمات الغربية مما يجعلها تبتعد عن واقعنا وحاضرنا .. ونادوا بان يكون هناك تعاون بين الادباء والسينمائيين تتاكد من خلاله شخصيتنا فى الانتاج السينمائى فيعبر عن روحنا وواقعنا .

بس يابحر
وعرس الزين

ونعود الى « عرس الزين » ومخرجه خالد الصديق .. وهو اول مخرج سينمائى كويتى قدم اول فيلم روائى كويتى حقق نجاحا كبيرا وحاز فيلمه الاول « بس يابحر » على تسع جوائز دولية وان كان هذا النجاح قد اسعده الا انه زاد من همومه اذ عليه ان اقدم على عمل اخر ان يكونفى مستوى سابقه ان لم يتفوق عليه ..

وبعد معاناة فى البحث عن قصة تتفق معالخط الذى انتهجه لنفسه فى تقديم افلام ذات مستوى، استقر رايه على قصة « الطيب صالح » الذى كان من الصعب اقناعه ولكن مشاهدته لفليم « بس يا بحر » كانت عاملا مساعدا فى قبول الكاتب الكبير على تسليم قصته لهذا المخرج الصاعد .. وقد كانمن راىالكاتب انه منالصعب على مخرج غير سودانى ان يخرج قصة عرسالزين .. بقى ان نشاهده ويشاهده معنا صاحب القصة لنحكم عليه ..

ويسافر المخرج مع قافلة فنانى الفيلم الى السودان ويقضون هناك شهورا طويلة ، ويمر عليهم الوقت هناك وهم فى مغامرات واقعية .. فى الصحراء الشاسعة والغابات بحيواناتها وزواحفها وعقاربها .. حيث كان الزين يعيش ويتغنى بجمال الحسان اللواتى فتلن قلبه .. كان الزين مشغولا بمغامراته العاطفية بينما مخرج القصة وابطال الفيلميتعرضون للموتعطشا وجوعا .. فمغامراته لم تقف عند هذا الحد .. بل لقد تعرضت« ديكورات الفيلم » نفسه ومنشاته ومعدات التصوير للغرق عند فيضان النيل .. وللتلف والضياع بسبب « الهبوب » الرياح الشديدة التى تثير الغبار .

ونقول معه بدورنا « حسافة » فلم تعد من نتيجة جهدى..لقد نسيت معاناتى .. وسوف انسى متاعبى واسعد حقا عندما يرى معى المتفرجون نتيجة هذا العمل الذى امضيت اكثر من عامينابذل فيه الجهد والعرق وحدى فلم يقف بجانبى سوى ابطال الفيلم وسط الادغال ووحوشها واعاصيرها .. « حسافة » .

ونقول معه بدورنا « حسافة » فلم تعد من المهرجان« بصورة لعمل سينمائى جيد ولكنعزاءنا ان مهرجان قرطاج كان فرصة للقاء الفكر من اجل مستقبل افضل للفن السابع .

■■

محمد حسنى زكى



الطاهر فيقة رئيس الهيئة المشرفة على مهرجان قرطاج يقول : « مستوى الافلام فى جملتها هو مستوى متوسط والمهرجان يعكس صورة الوضع السينمائى فى العالم العربى والافريقى .. » وفى رأيه ان الانتاج السينمائى يجتاز فترة صعبة .



«فيليشايف»

إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليبس

مجموعة "فيليشايف" ٩٠ - سوبر الجديدة لا تزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان مختلفة جذابة.

من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو "فيليشايف اكسكلوسيف" المثلث الرأس حيث بالامكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات "فيليشايف" الأخرى "الرشارجيل" المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرة وأيضاً

هناك ماكينات "فيلشايف" المتممة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.

ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولا ريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليبس بطريقة متواصلة.

وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليبس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوماً

● خرافات
اقتصادية شائعة

مشكلتنا ليست في التخلف ولكن .. في ازدواج الشخصية

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

■ يحكى أن طفلا ولد ولادة طبيعية تماما ٠ كان بصحة جيدة ويتنفس بطريقة مرضية الا ان وزنه عند الميلاد كان اقل من الوزن المعتاد ٠ الكل كان يعرف أنه تجب بالطبع تغذيته ، وربما باكثر مما يغذى به غيره ، ولكن الكل كان يعرف ايضا ان هذا يجب أن يتم بحذر ودون عجلة .الا أبويه الاحمقين٠ فقد عرضاه على طبيب اكثر حماقة اخذ يتحدث عن خطورة الحال وانه لا بد من اتباع كافة السبل لكي يصل الطفل الى الوزن « المالوف » ٠ وصدقه الابوان وراحا يشحنان جسم الطفل بعدد لا نهائي من الادوية والحقن ، ويخضعونه لصور لا نهاية لها من العلاج ، بعضها يتعارض مع البعض الاخر ٠ وانتهى الامر بان زاد وزن الطفل فعلا مع مرور الايام حتى كاد يصبح مساويا للوزن المالوف في مثل سنه ، ولكن اعتلت صحته وتشوه جسمه ولم يعد على الاطلاق طفلا طبيعيا ٠ وحتى كتابة هذه السطور، لا زال الطفل ، فيما اعلم، يزوره الطبيب بانتظام لتقديم علاج جديد يحاول به تصحيح اثر علاج قديم ٠

هذا الطفل هو مايسمى بالبلاد المتخلفة ،والابوان هما حكامها وقادة الراى فيها ، والطبيب الاحمق هو اقتصاديو التنمية المعاصرون (والهيئات الدولية المشتغلة بالتنمية) ٠

ففي يوم مـا كانت بلادنا بخير ٠ كـانت مدننا صغيرة ولكنها كانت اكثر نظافة وهدوءا مما هي عليه اليوم ٠ لم نكن نعرف الكهرباء ولكن هذا لم يمنع متعلمينا مـن انتاج ثقافة افضل ممـا ننتجه

اليوم ، كما كانت لدينا وسائل أبسط من الثلاجة الكهربائية لتبريد الغذاء . ولم تكن قد اعتدنا بعد تخزين الغذاء أياما ٠لم نكن نعرف السيارات ولكن أعمالنا وأصدقاءنا ومعارفنا كانوا على مقربة منا تكفي للوصول اليهم مسيرة بضع دقائق ٠ لم تكن لدينا مصاعدكهربائية ولكننا أيضا لم نكن نتصورها، اذ أن مبانينا لم تكن تتكون من اكثر من طابقين او ثلاثة ٠ كان معدل الوفيات مرتفعا حقا ، ولكن كان الموت في نظرنا امرا طبيعيا كسقوط الاوراق في الخريف ٠

كنا فقراء حقا ، ولكننا كنا اقل جشعا ، وعلى كل حال فان احدا لم يقل قط أن الطفل الذى ولد قليل الوزن لا تجب تغذيته ، ولكن كان من الواجب أن يتم ذلك بحذر ودون عجلة ٠ ولكن الذى حدث هو أننا باسم القضاء على الفقر شوهنا كل مظاهر حياتنا دون أن نقضي عليه ، وباسم الفقراء زدنا الاغنياء تخمة ، وباسم ملء بطون الجياع قمنا باستيراد السيارات الامريكية ٠

لا بد اذن أننا ارتكبنا خطأ جسيما من البداية ٠ والخطأ في اعتقادى كان في تشخيص المرض ووصف المشكلة ٠

اذ فلنفترض أن شخصا هبط على الارض من كوكب آخر ، وكانت اول دولة يزورها هي من ذلك الجزء من العالم المسمى بالعالم الثالث أو المتخلف، ولم تكن قدمه وطئت بعد اية دولة من دول اوروبا او امريكا الشمالية أو غيرها من دول العالم « المتقدم » فما الذى سيكون أول ما يسترعى انتباهه؟ وما هى الصفة الاساسية التى سينعت بها مجتمعا كالمجتمع الهندى أو المصرى أو النيجيرى ؟ ٠ من المؤكد انه لن يصفها بانها بلاد « منخفضة الدخل » اذ انه حتى اذا افترضنا أنه راح يجوب القرى دون المدن ، ورأى كيف يسكن الفلاح المصرى وماذا يأكل ويلبس ،فانه لا يمكن أن يصف القرية المصرية بأنها « متخلفة » او « منخفضة الدخل » ، اذ أن هذا يفترض مقارنتها بمستويات اخرى من المسكن والمأكل والملبس لم تدخل بعد في دائرة تجاربه ٠

ومن ناحية اخرى فانه ليس من المؤكد على الاطلاق أنه سوف يصف الحياة في المدن في نفس هذه البلاد بأنها « متقدمة » ، فانه حتى بفرض اعجابه بما قد يراه في بعض أحياء هذه المدن من نظافة ونظام وانخفاض في كثافة السكان وسهولة في العيش ، فانه سيرى في أحياء أخرى من نفس المدن عكس ذلك تماما ٠ انه قد يجرى مقارنة بين نمط الحياةفي بعض أحياء من المدن وبين بقية أحياء نفس المدن وبقية أجزاء الدولة ، ومن المؤكد أن بعض مظاهر الحياة في تلك الاحياء التى تسميها نحن بالراقية سوف تستثير اعجابه ، ولكن من المؤكد أيضا أن كثيرا من مظاهر الحياة في هذه الاحياء نفسها ، لن يرى فيها ذلك الزائر الغريب اى مظهر من مظاهر الرقي ،بل سيقابلها على الارجح بالحياد وعدم الاكتراث ٠ فوسائل الترفيه في المدينة لن يرى فيها ما يفضل بالضرورة وسائل الترفيه في القرية ، والزى الاوروبى لن يبدو له علامة من علامات التقدم ، والعمارات السكنية الضخمة قد يهوله حقا حجمها ولكنها لن تبدو له بالضرورة افضل من بعض بيوت القرى ذات الطابق الواحد ، والسيارات في الطرق قد تروعه سرعتها ولكنه قد يتساءل عن جدواها ٠ وقد يستغرب حقا للفارق بين ما تتمتع به المرأة من حرية الاختلاط في بعض أحياء المدن وبين قلة هذه الحرية في أحياء أخرى او في القرى ، ولكنه لن يتسرع في الحكم بما اذا كان هذا او ذاك أفضل ٠ وقد يسره منظر الجامعة في المدن الكبيرة وانهماك الطلاب في الاستماع الى المحاضرين ، ولكنه قد يفضل التروى ، قبل أن يعبر عن اعجابه ، حتى يعرف بالضبط مضمون ما يقال لهم ٠

من المؤكد على كل حال أن خلاصة حكمه في نهاية زيارته لاحدى دول العالم الثالث لن تكون أن هذه الدولة متخلفة أو متقدمة ، منخفضة او مرتفعة الدخل ، بل سيكون اول ما ينعتها به على الارجح، انها بلاد مزدوجة الشخصية : مزدوجة الاقتصاد والحضارة والثقافة ٠فاذا افترضنا أن سأله سائل من هذه

الدولة عن أولى مشكلاتها بالانتباه ومحاولة العلاج فان من المؤكد ايضا انه لن يوصى بمزيد من التنمية، بل محاولة القضاء على هذا الانفصام في الشخصية، وتحقيق درجة أكبر من الانسجام بين اجزائها .

لقد جرت عادة كتاب التخلف والتنمية على اعتبار هذه الازدواجية مجرد « خصيصة » من خصائص البلاد المتخلفة ، مع اعتبار المميز الاساسي لهذه البلاد هو انخفاض متوسط الدخل . والذى أريد أن أطرحه للمناقشة هو أن تحديد مشكلة هذه البلاد بانها منخفضة الدخل من قبيل الخطأ في تشخيص المرض ، وانه طالما استمررنا في الاعتقاد بان مشكلتنا هي ان نقضى « على التخلف » وانخفاض متوسط دخل الفرد ، أو أن نصبح دولة « عصرية» أو ان نلحق بعصر التكنولوجيا ،فلا أمل في الشفاء . وانما مشكلة هذه البلاد الحقيقية هي الازدواجية في الاقتصاد والثقافة ، ولا أمل في أى تقدم حقيقى ما لم تشخص المشكلة على هذا النحو .

وليس الامر مجرد سفسطة لغوية ، فالمعياران ليسا متساويين . بل ان استبدال معيار الازدواجية بمعيار مستوى الدخل له عدد من المزايا التى لايمكن الاستهانة بها . فهو أولا يعفينا من الاعتذار الذى اعتاد الاقتصاديون تقديمه عند الاخذ بمعيار متوسط الدخل ، عن اهمال قضية توزيع الدخول .فالتفاوت في الدخول داخل المجتمع الواحد يدخل في صميم الازدواجية .

وهو ثانيا يحل للاقتصاديين مشكلة تصنيف تلك البلاد عالية الدخل التى لا يثور شك في انها أقرب الى البلاد الفقيرة في طبيعة مشكلاتها منها الى البلاد الصناعية . فمشكلة تلك البلاد هى انها تعانى من درجة عالية من الازدواجية .

وهو ثالثا يحل لنا مشكلة احتكار الاقتصاديين لقضية تقدم العالم الثالث ، ويضع حدا للشكوى من ان المشكلة ليست اقتصادية فقط . فالتفاوت في مستويات الدخل والتكنولوجيا السائدة بين قطاع واخر وبين منطقة واخرى داخل المجتمع الواحد ليس الا جانبا واحدا من جوانب الازدواجية ، وليس هو باشدها خطرا .

وهو رابعا يلفت نظرنا الى حقيقة اساسية يحجبها التركيز على انخفاض متوسط الدخل . هذه الحقيقة هي أن كلا من دول العالم الثالث لا تضم في الواقع مجتمعا متجانس المطامح والاهداف، بل يضم بين جانبيه قطاعا اقرب في سلم قيمه وثقافته الى العالم الصناعى منه الى بقية أجزاء المجتمع . وافتراض « المجتمع الواحد» من شانه أن يعمينا عن اثر هذا القطاع (المنتمى اسما والغريب فعلا) في تحديد اهداف المجتمع ككل واخضاعه لنمط معين من انماط التقدم .

ان من المدهش ، والطريف أيضا ، أن نلاحظ أن الاحصائى الذى يشرع في حساب متوسط الدخل لدولة تعانى من درجة عالية من الازدواجية، كثيرا مايعبر عن ضيقه من صعوبة تقدير عدد السكان وحجم الدخل في هذه البلاد . اما السكان والدخل في المدن وفي القطاع الصناعى الحديث فامرهما هين ، فالاحصاءات متوفرة نسبيا ، والناس هناك يدركون أهمية الاحصاء وقادرون على ملء الاستمارات . أما في القطاع الاخر ، فليس من السهل اخضاع الناس للتعداد ، وهم ياكلون «للاسف » ماينتجون ولا يبيعونه ، وهم شديدو الشك في رجال التعداد (وهل لاحد أن يلومهم على ذلك ؟) اذ انهم لا يدركون ،بسبب قلة المتعلمين فيهم ، منافع الاحصاء الجمة وضرورته للتنمية (تنمية القطاع الحديث طبعا) .

والذى لم يخطر ببال الاحصائى قط أن ما يعتبره مجرد صعوبات احصائية ليس الا انفصاما تاما بين مجتمعين ينتسبان الى عالمين مختلفين . كما انه لم يخطر بباله أن حل المشكلة لا يكمن في اجراء «تقدير تقريبى » لسكان القطاع المسمى بالتقليدى ودخله، بل هو في اعادة النظر في تشخيص المشكلة من اساسها .

■■

الكويت ـ جلال احمد امين

اعترافات قلب مجنون

تاليف : ادجار آلن بو

■ اقول الحق : انا عصبي ! عصبي جدا ، جدا • عصبي عصبية رهيبة ، فلماذا تزعم انت انني مجنون ؟ المرض ارهف حواسي ، ولكنه لم يعطلها ، ولم يصبها باية بلادة • لا سيما حاسة السمع التي كانت حادة • سمعت كل شيء مما يدور في السماء وفي الارض ! سمعت أشياء كثيرة في جهنم • فكيف اذن تزعم انني مجنون ؟! انصت ! بل انتبه جيدا : كم انا عاقل وهادئ، وانا اقص عليك قصتي كلها •

من المستحيل ان اقول لك كيف اندست الفكرة في عقلي منذ البداية ،لكني ادركت يوما ان تلك الفكرة قد تلبستني وتسلطت عليّ ليلا ونهارا ، كشهوة لا مثيل لها • لقد احببت الرجل العجوز• انه لم يضرني ابدا • لم يمسني يوما باهانة • لم أطمع في ماله • أعتقد أن السبب هو : عينه• أجل ، هذا هو السبب • عينه عين نسر ممتقعة ، زرقاء، تعلوها غشاوة ،عندما تسقط عليّ وتتفرس فيّ يبرد دمي واتثلج رعبا ، ورويدا رويدا اتخذت قراري ، قررت ان انزع روح ذلك الرجل العجوز من جسده ، ورأيت في ذلك راحة لنفسي وخلاصا لها من تلك العين الى الأبد •

لهذا السبب ، انت تتصور أنني مجنون • المجانين لا يدركون شيئا ، ولكنك سترى، سترى كيف انني تصرفت خفية بحكمة ، بحذر ، بتبصر ، وكنت اكثر رحمة بالعجوز طوال الاسبوع السابق لقتله !

ففي كل ليلة • قبيل منتصف الليل ، كنتُ اسحب مزلاج بابه وافتحه • اه : كنت افتحه بتؤدة تامة ! ومن خلال شق كاف لادخال راسي كنت اضع في ظلام حجرته فانوسا • وكان كل شيء معتما ، معتما تماما،ما من بصيص واحد•كنت أدس رأسي• اه ، انك كنت تضحك لو لمحتني وانا ادس رأسي كنت افتح الباب ببطء ، بمنتهى البطء ، كيلا ازعجه وهو يغط في نومه • وكان دس رأسي كلها خلال ذلك الشق الضيق ••• يستغرق مني ساعة كاملة ، وذلك حتى أتمكن من رؤيته راقدا على سريره • ها : ايمكن ان يكون الشخص المجنون على هذا القدر من الحكمة والتدبر ؟! حينئذ ، حين تكون رأسي قد تسللت تماما الى

حجرته ، كنت ادير مشعل الفانوس ليخبو الضوء، كنت أديره بحذر ، بحذر بالغ ، (اذ كانت مفصلاته تصرف صريفا خافتا) ، كنت اديره حتى يسقط شعاع نحيل من الضوء فوق عين النسر تماما •

ظللت اقوم بهذا العمل طوال سبع ليال مديدة ، كل ليلة قبيل منتصف الليل • لكني وجدت العين مقفلة ، ولم يكن لها ذلك التاثير • لم يكن ذلك العجوز هو الذي ينغص على حياتي ويثير هياجي ، بل كانت هي تلك العين الشيطانية •

وفي كل صباح ، عندما يملأ الدنيا نور النهار، اعود بقلب ثابت الى حجرته ، واتحدث اليه بشجاعة ، واناديه باسمه بنبرة رقيقة من اعماق قلبي ، واسائله كيف امضى ليلته !

فانت ترى اذن ان الرجل لا بد ان يكون في



الحقيقة ذا عقل ثاقب حتى يشتبه في أنا الذى اتسلل اليه ، واطل عليه في أثناء رقاده كل ليلة، في منتصف الليل ٠

وفي الليلة الثامنة ، كنت أكثر حـذرا وأنا أفتح باب حجرته ٠ وكان عقرب دقائق الســاعة يدور بسرعة أكثر من سرعة دقات قلبي ٠

لم أشعر مطلقا ـ من قبل ـ بمدى ما شعرت به في تلك الليلة من القدرة على الدهاء ٠

استطعت باقتدار فريد أن أكبح جماح شعورى بالتفوق ٠ كنت أفتح الباب قليلا قليلا ، ولم يكن يخطر في باله أو أحلامه سر أفعالي أو أفكارى ٠

وفي الحقيقة : ضحكت في سريرتي من الفكرة، وربما يكون قد سمعني ، لأنه تحرك فجأة فــوق سريره ، كأنما قد استبد به الفزع ٠ وربما تظن الآن انني قد تراجعت ، لا ! لم أتراجع ٠ وكانت حجرته حالكة ، سوداء سواد القار ، مدلهمـــة الظــلام ٠ (لأن مصاريــع النوافذ كــانت مقفلة باحكام خوفا من اللصوص) ٠

وبناء على ذلك ، استطعت أن أوقن أنه لم ير شق الباب الذى ظللت أدفعه بثبات ، بثبات راســخ ٠ وأدخلت رأسي ٠ وما أن شرعت في تسديد شعاع الفانوس نحو عينه لاسقاطه فوقها ، حتى انزلق ابهامي فوق المحبس الصفيحى ،فارتج العجوز على سريره وصاح :

ـ « من هناك ؟! »

ظللت ساكتا ٠ لم أنبس بكلمة واحدة ٠ ظللت هكذا جامدا لمدة ساعة كاملة لا أحرك عضلة واحدة ٠ وفي نفس الوقت لم أسمعه وهو يعود



الى هجوعه · كان ما يزال جالسا في السرير ، يرهف مسامعه ·

كان ذلك يحدث ليلة بعد أخرى ، فكنت أنا ايضا انصت الى دوران عقارب الساعة على الحائط ! وفي تلك الليلة ، في تلك اللحظة ، سمعت انة خافتة · فادركت انها حشرجة الرعب القاتل · لم تكن انة الم او حزن · اوه ! لا ! انها غصة مختنقة صادرة من اعماق روح مترعة بالهلع طافحة بالذعر !

اقول : ادركت في الحال هذا الصوت جيدا · ادركت ما شعر به الرجل العجوز ، ولقد اشفقت عليه ، رغم انني ضحكت في سريرتي · ادركت أيضا انه كان مستيقظا منذ حدوث الجلبة الطفيفة الأولى ، عندما تقلب في سريره ·

ومنذ تلك اللحظة ، تملكته مخاوفه · وظل عبثا يزعم لنفسه ان خوفه لا مبرر له كان يقول لنفسه : « انه ليس غير هرير الريح في المدخنة ·· وقد يكون مجرد مروق جرذ فوق الأرضية ·· أو مجرد صفير صرصار ! »

حاول أن يجد لنفسه من تلك المبررات عزاء او تسرية : لكنه ادرك انه يحاول عبثا ! وان محاولاته جميعا ذهبت سدى! جميعها ذهبت سدى! فالموت لا شك قد دنا منه ، وواجهه متسللا في عطافه القاتم وظله الختال ، واحتوى الفريسة ! انه التأثير المفجع للطيف غير المحسوس الذي جعله يشعر بوجود رأسي داخل حجرته رغم انه لم ير ولم يسمع شيئا ·

ولما كنت قد انتظرت فترة طويلة، بصبر وجلد، ودون أن اسمعه يعود الى نومه ، فقد قررت أن افتح الباب عن فرجة ضئيلة جدا · وفتحته · ولا تستطيع أن تتصور باى اقتدار خفي فتحت تلك الفرجة · وسرعان ما انبثقمنها ـ اخيرا ـ شعاع كاب وحيد كخيط العنكبوت · وسقط بكامل بهرته فوق عين النسر التي كانت جاحظة · جاحظة باتساع · وفار دمي غضبا عندما رشقتها بنظرة مني · نظرة متفرسة · رأيت العين بوضوح كامل · كانت شاحبة الزرقة ، تعلوها غشاوة شوهاء اللجت نخاع عظامي · ولم أر شيئا آخر في وجهه او في شخصه ، لذلك ادرت الشعاع ، وكانني مدفوع بغريزتي وسلطته باحكام وتركيز فوق تلك البؤرة الملعونة !

والآن ، الم اقل لك ان جنوني الذي توصمني به ، ليس اكثر من رهافة في حواسي ؟ ! اقول لك الان ان صوتا خافتا مكتوما متلاحقا تناهى الى سمعي كدوران ساعة مدفونة في كوم من القطن · وكنت اعرف ايضا ذلك الصوت جيدا · انه : دقات قلب الرجل العجوز التي اثارت غضبي ، فكانها دقات طبول تستحث الجندي للاقدام بجسارة · لكني تمالكت نفسي وظللت جامدا · تنفست بصعوبة وامسكت بالفانوس دون نامة او حركة · كنت احاول اختبار قدرتي على ابقاء الشعاع مسلطا ـ بكل ثبات ـ تماما فوق العين · وخلال ذلك تزايدت دقات قلبه الشيطاني · تلاحقت اسرع فاسرع وثانية بعد ثانية ، علا طنينها ، اعلى فاعلى · ولا بد ان رعبه قد طفح به وبلغ مداه · نعم كان يعلو ويعلو كل لحظة ! اتصغي اليّ جيدا ؟ لقد قلت لك انني عصبي · هكذا انا : عصبي · وفي تلك الآونة الهامدة ، في هداة الليل ، في لجة السكون الرهيب الذي يغرق ذلك البيت العتيق، كانت تلك الجلبة الغريبة تثير فزعي الى حد لا استطيع التغلب عليها · ولكني مع ذلك ، وبعد مضي دقائق ، تمالكت نفسي واستقمت جامدا ، وان كانت دقات القلب قد تعالت وتعالت ، حتى خطر لي انه لا بد سينفجر · فتملكني قلق جديد مبعثه ان الطنين حتما سيسمعه جار من الجيران ! اذن ، لقد حانت منية العجوز ! فتحت الفانوس صارخا صرخة عالية ، ووثبت داخل الحجرة · فشهق شهقة واحدة لا اكثر · وفي لحظة واحدة سحبته ، جررته الى ارضية الحجرة ، وقلبت السرير الثقيل فوقه · ثم ابتسمت فرحا لان الفكرة ـ عند هذا الحد ـ قد تم تنفيذها · لكن القلب ظل لعدة دقائق يدق دقات مكتومة · لكنها على اية حال ، لم تكدرني ، فلم تكن تسمع من خلال الحائط · وبعد هنيهة همد القلب تماما ، ومات العجوز ، ورفعت السرير وفحصت الجثة ، نعم ، مات الرجل موتا اكيدا · وضعت يدي فوق القلب لعدة دقائق ، لم يكن به نبض ، كان ميتا موت الجماد ، ولم تعد عينه تزعجني ·

اذا كنت ماتزال تظنني مجنونا ، فان ذلك لن يخطر لك على بال عندما اصف لك ما اخذته في اعتباري من تحفظات عاقلة واحتياطات حكيمة خاصة باخفاء الجثة · مضى الليل ، فمضيت انا اعمل

بخفة ، لكن في سكون ٠ فاول كل شيء : قطعت اوصال الجثة ، فصلت الراس وبترت الذراعين والساقين ، ثم نزعت من خشب الارضية ثلاثة الواح ودسست كل تلك الأعضاء المبتورة في احشاء الحفرة ، ثم اعدت الألواح مكانها بمهارة ودقة بحيث لاتستطيع عين انسان ـ ولا حتى عينه هو ـ ان تلمح شيئا واحدا يبعث على الريبة ٠ لم يبق شيء ليغسل ٠ لم يبق اى اثر ، ولا اية بقعة دم ٠ لقد كنت فطنا يقظا لكل ذلك ٠ لملمت كل شيء ، وسددت الباب الذى ياتيني منه الريح لأستريح ! ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠٠ وعندما انجزت فعلتي تلك ، كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، وكانت الدنيا ما تزال غارقة في ظلام كظلام منتصف الليل ٠ وما ان دقت الساعة هناك حتى تناهت الى سمعي طرقات على الباب الخارجي المشرف على الشارع ٠ فهبطت الدرج لافتحه بقلب راض نشوان ـ وهل يوجد ما يدعو للخوف الآن ؟ ! ٠٠

دخل ثلاثة رجال ٠ قدموا لي انفسهم ، برقة ودماثة، على انهم ضباط شرطة ـ جاءوا يستطلعون الأمر ، اذ ان احد الجيران قد سمع صرخة اثناء الليل ٠ وارتاب في ان لعبة خبيثة قد حدثت ـ فاودع بلاغه في قسم الشرطة الذى انتدب هؤلاء الضباط لتفتيش المنزل ٠ ابتسمت ٠ فماذا يخيفني الآن ؟ استقبلت الرجال بترحاب ٠ قلت لهم ان الصرخة التي سمعت ، انما كانت صرختي انا اثناء كابوس انتابني ٠ وذكرت لهم ان الرجل العجوز غائب لسفره الى الضواحي ٠

وقاموا بتفتيش جميع ارجاء المنزل ٠ تركتهم يفتشون وينقبون بعناية ٠ واخيرا قدتهم الى حجرته واطلعتهم على كنوزه ومدخراته المحفوظة في حرزها المامون ٠ وفي فورة ثقتي بنفسي ، احضرت لهم مقاعد في داخل حجرته ، والححت عليهم ان يستريحوا هنا مما عانوا من مشقة ، بينما كنت انا مفعما بجراة وحشية وذلك لشعورى اليقيني بانتصارى التام ٠

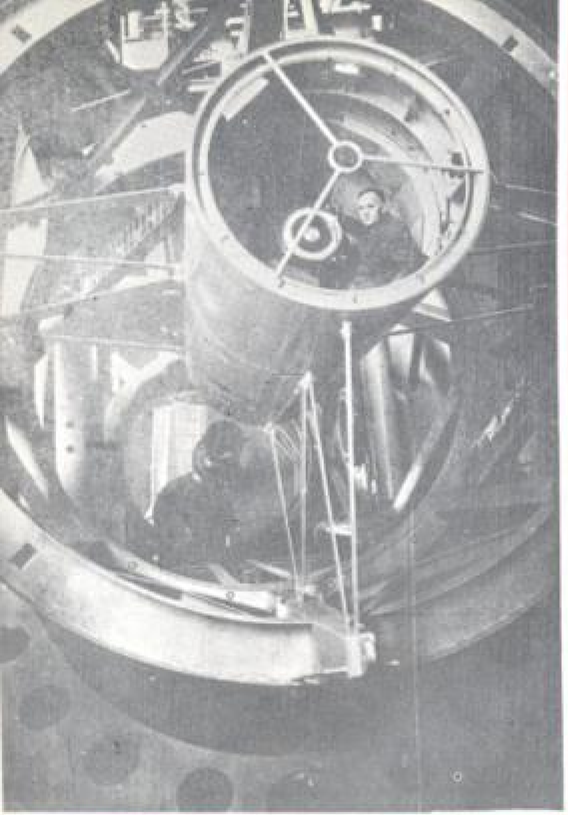
وضعت مقعدى تماما فوق الموضع الذى تستكين في جوفه جثة الضحية ٠ اطمان ضباط الشرطة، اذ اقنعهم سلوكي الفريد ، جلسوا ، كانوا يسالون وكنت اجيب بمرح ٠

وراحوا يثرثرون بكلام مالوف ، لكني ، بعد قليل احسست اني اشحب ، وتمنيت ان يغادروا البيت ، وشعرت بصداع في راسي ، وكان جرسا يطن ويرن في اذني! لكنهم ظلوا جالسين يثرثرون ٠ وتضاعف الطنين وتلاحقت دقاته فاشتد شعورى بها ٠ وانطلقت اشاركهم الحديث تخلصا من ذلك الشعور ٠ واخيرا ، ما لبثت ان اكتشفت ان ذلك الطنين لم يكن داخل اذني ٠ لا شك ، انني شحبت شحوبا بالغا انذاك ! لكني انطلقت اتحدث بسهولة ويسر ، وبصوت جهورى ٠ ومع ذلك ، تضاعف الصوت ـ فماذا في مقدورى ان افعل ؟ ! لقد كان الصوت خفيضا ، مكتوما ، متلاحقا ٠ انه كدقات ساعة مدفونة في كوم من القطن ٠ شهقت شهقة واحدة ، وبرغم ذلك ، لم يسمع ضباط الشرطة شيئا ٠ تحدثت بسرعة اكثر ، وبتدفق محموم ،لكن الجلبة تضاعفت باطراد عنيد ٠ قمت وجادلتهم في امور تافهة بصوت زاعق ، وانا الوح بيدى واومئ بعنف ٠ لكن الطنين تضاعف اكثر ٠ لماذا لا يريدون الانصراف ؟! رحت اخطو فوق الارضية خطوات واسعة ثقيلة ـ وكان وجودهم المرصود يثيرني لاغضب ، لكن الطنين تضاعف اكثر واكثر ٠ آه ! ياربي ! ماذا يمكن أن افعل ؟ أرغيت ، ازبدت ، هذيت ، وانفلت لساني بالسباب ! وطوحت بالمقعد الذى كنت اجلس عليه ، فراح يتارجح ويئز فوق خشب الأرضية ٠ لكن الطنين المكتوم تلاحق متصلا وبسرعة اكثر ، وارتفع اعلى ! واعلى واعلى : ولكن الرجال مايزالون يثرثرون بسرور ويبتسمون اكان يحتمل انهم لم يسمعوا ؟ ! ياربي يا قدير لا ! ! لا بد انهم سمعوا !لا بد انهم ارتابوا ـ لقد عرفوا ! ـ كانوا يسخرون من رعبي ! ـ هذا ما ظننته وما زلت اظنه ٠ لكن اى شيء كان بلاشك افضل من ذلك العذاب ! جعلوا مني هزاة ، اى شيء كان يمكن أن يحتمل ويطاق الا ذلك ! انني لم استطع أن احتمل تلك الابتسامات الخداعة اكثر مما احتملت وشعرت أن لا فكاك من الصراخ او الموت ٠

والآن ـ مايزال الطنين مستمرا ايضا ـ انصت أعلى ! وأعلى ! وأعلى ! صرخت فيهم :

ـ « ياأوغاد ! كفى خداعا ! اني اعترف بالفعلة اخلعوا الألواح الخشبية ! ارفعوها انها هنا ٠٠ هنا ٠٠ انها دقات قلبه المخيف ! » ٠ ■■

ترجمة : حسني محمد بدوى
(الاسكندرية)



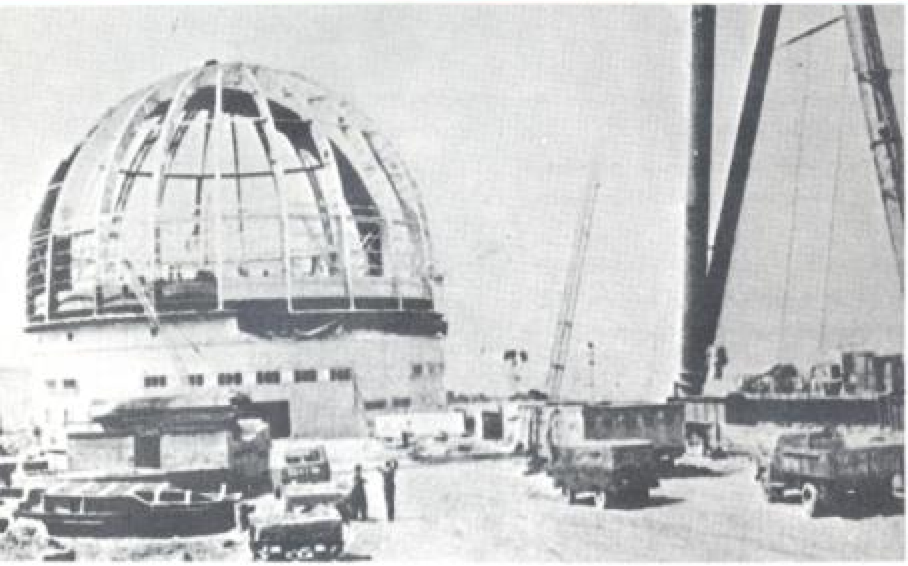
هذه العيون الجبارة التي ترقب السماوات

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

رغم أن المئات من العيون الارضية الهائلة تسلط ليل نهار على السماوات ، وتحمل الى العلماء طوفانا هائلا من المعلومات ، فلم نقرأ من مجلد الكون العظيم الا فقرة صغيرة لا تكاد تشفي غليلنا الى المعرفة بهذا الفضاء الضخم .

تليسكوب جاليليو المتواضع لا تزيد قوته عن قوة العين البشرية الا بعدة مرات .





عالم الفلك الشهير « هيوبل » وهو يجلس داخل تليسكوب جبل بالومار الجبار . فهذا التليسكوب يرى الكون بكفاءة اقوى من كفاءة العين البشرية بحوالى ٧٥٠ الف مرة ٠ (الصورة الى اليمين) بينما تمكن الاتحاد السوفييتى من اقامة مرصد على أحد جبال القوقاز ويستطيع هذا التليسكوب رصد ما فى الكون بكفاءة اكبر من كفاءة العين البشرية بمليون مرة ٠ (الصورة الى أعلى) ٠

■ ما اكثر ما يخفى على الحس والبصر والفؤاد ، حتى لكأنما الانسان يعيش على هوامش حقائق ليس لها من قرار ٠

فالانسان لا يرى الا ظواهر الامور، اما بواطنها فعنه محجوبة ، اذ لو تجلت له تلك الامور على حقيقتها، لعرف مقدار جهله بما كان وما هو كائن وما سيكون !

والواقع ان الانسان فى ذلك معذور ، فحواسه قاصرة عن رؤية العوالم المثيرة التى تمتد امامه بغير حدود ، كما ان عقولنا محدودة فيما تفكر وتستوعب . واحيانا قد لايسعفنا الخيال ــ مجرد الخيال ــ فى تصور يقرب لنا جوهر الكون ، وطبيعة الوجود ، فلا نكاد نعرف بداية من نهاية، وكأنما نجرى فى حلقة مفرغة يستوى فيها اولها واخرها « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » !

اذهب الى الخلاء فى ليل مظلم خال من الغيوم، وتطلع بعينيك الى السماء ، وحاول أن تحصى بصرك المحدود ما ينتشر امامك من نجوم ،عندئذ لا ترى الا عدة الاف من بقع ضوئية تتناثر هنا وهناك فى غير نظام ظاهر ٠

لكن ٠٠ لا يجب أن تخدعنا عيوننا : فمن وراء هذه البعثرة والتشتت نظام باطن لايتجلى لنا الا بعيون غير عيوننا ٠٠ هى عيون المناظير الفلكية او التليسكوبات الجبارة التى توضح للعين البشرية القاصرة ما خفى عليها من اكوان تضن بمعرفة عظمتها على العقول ٠

ثم قد ترى بعينيك فى السماوات غلالات اشبه بالغيوم او الدخان الخفيف . وما هى بغيوم ، ولا دخان بل هى اكوان من وراء اكوان من وراء اكوان ٠٠ كرر هذا ملايين المرات !

لقد خسىء البصر ٠٠ بصرنا ، وتجلت لعيون العلم عظمة السماوات وما طوت ، والاكوان وما حوت لم خسئت عيون العلم ، لانها ــ بدورها ــ ما زالت قاصرة عن أن ترينا مدى اتساع ملكوت

الله في اكوانه المترامية الى مالا نهاية ٠٠«ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا، وهو حسير » !

عندما صنع جاليليو لنفسه أول منظار فلكي ، ونظر به الى السماء في ليلة من ليالي عام ١٦٠٩ ، وقف دهشا ، ونظر ماخوذا ، وتمتم بكلمات مبهمة ، وكانما هو يخاطب بها خالق هذه الاكوان ٠٠ ولا شك أنه كان يعبده وقتها عبادة صامتة ، ولهذا كتب خطابا الى صديق له ينبئه فيه بما لم تره عين بشرية من قبل ٠

يقول جاليليو في خطابه « لشد ما أنا ماخوذ بروعة ما أرى ٠٠ ومدين لله بما وهبني لكي أكشف عن هذا الابداع العظيم الذي لم يظهر لكل الاجيال السابقة » ! ٠٠ ثم نراه يختم خطابه بقوله « ولا شك أن الله مغتبط لفرحتي بما رأيت » !

ويكتب جاليليو في مذكراته « فيما وراء النجوم التي تراها عيوننا ، حشد آخر تعز على العين رؤيته ، ولو استعنت على ذلك بتليسكوبي ٠٠ ان حشود النجوم لكثيرة ٠٠ كثيرة جدا ، لدرجة يصعب تصديقها » !

وعندما يرى الانسان ــ لأول مرة ــ منظرا فريدا انقشعت عنه الغشاوة التي تحجبه عن عينيه ، يراه وكانما هو بمثابة طفل تبهره لعبة جميلة ٠٠ وكذلك كان جاليليو أمام السماوات التي تطلع اليها بمنظاره الجديد ٠٠ والواقع أن كل العلماء كذلك أمام كل كشف مثير

لو أن جاليليو قد بعث الى الحياة هذه الايام ، وتطلع الى الكون بالمناظير الفلكية الحديثة ، لتمنى الموت على الحياة ، أو ربما حلت به صدمة قاتلة تريحه من حياة تختلف تماما عن تلك التي عاشها في بداية القرن السابع عشر ٠

فمنظار جاليليو الذي تطلع به الى روعة السماوات وبديع صنعها ، لم يكن ــ في الحقيقة ــ الا منظارا بدائيا لا تزيد قوته عن قوة العين البشرية الا بثلاثة أضعاف ٠٠ قارن ذلك بالمناظير الحديثة التي تستطيع أن ترى الاكوان المترامية بقوة تفوق قوة أبصارنا باكثر من ٧٥٠ الف مرة !

ورغم أن العين البشرية خلق عظيم، واداة رائعة الا أنها ــ مع ذلك ــ ما زالت عينا قاصرة،فهي ــ مثلا ــ لا تستطيع أن تقرب البعيد جدا لنراه على حقيقته ، ولا أن تكبر الصغير جدا ، لنكشف عن مضمونه وطبيعته ٠

والواقع أننا لا نرى الا أقل القليل، حتى ما نراه ينطوي على خداع كثير ٠٠ فعندما ترقب نجوم السماء ، وتراها مكدسة ببقع صغيرة لامعة في غير نظام ظاهر ، فاعلم أن العين تخدعنا ، فمن وراء هذه البعثرة نظام بديع قام على أساس ، وسار بقانون ، وخضع لنواميس الكون التي لا يرى فيها العلماء خللا ولا فروجا ٠

وانت عندما تنظر الى النجوم ، فتراها على هيئة بقع ضوئية ، فاعلم أن العين تخدعك مرة أخرى لانها قاصرة عن أن تطلعك على حقيقة ما تنظر فالبقعة الواحدة قد تكون اكبر من أرضنا بعشرات الملايين من المرات ومئاتها ٠

وانت عندما تتجول بعينيك في أرجاء السماوات، فترى ازدحاما وتكدسا ، وكأنما النجوم لا تفصلها عن بعضها الا مسافات تقدر بالاشبار والأمتار ، فاعلم أن تلك خدعة جديدة من خداع البصر ،لان المسافات التي تفصل النجوم تقدر بملايين الملايين من الاميال ٠٠ الخ

لو أننا اعتمدنا على عيوننا ،لما تجلت لنا روائع الخلق العظيم الذي تزخر به الارض والسماوات٠٠ اذ لو تطلعت الى ما في الكون بعين غير عيني رأسك ، لرأيت ثم رأيت كونا عظيما ، وفضاء رهيبا ، ونظاما بديعا ، وأحداثا كثيرة ما يزال العلماء في أسرارها حائرين ، ولخالقها خاشعين «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»٠

لقد بدأت عيون العلم بداية متواضعة ، ولكنها رغم بساطتها وبدائيتها ، قد أوضحت لنا الكثير مما خفي على أبصارنا ٠٠ والانسان بعقله العظيم وشغفه باكتشاف المزيد ، وتوقه لازاحة الغموض عن الاسرار الهائلة التي تمتد أمامه بغير حدود ــ كل هذا وغيره قد دفعه دفعا لكي يطور أفكاره ، وهذه تنعكس على تطوير أجهزته وأدواته ٠٠ فالتطور حياة ، والركود موت !

علينا الان أن نقفز قفزة من القرن السابع عشر حيث كان يعيش جاليليو بمنظاره الفلكي المتواضع، الى النصف الثاني من القرن العشرين ٠٠ لكن ليس معنى ذلك أن هناك فجوة كبيرة بين عصر جاليليو وبين عصرنا الذي نعيش فيه ، بل العكس هو الصحيح ، فالعلم بمثابة نبتة صغيرة تغذيها



نحن ننظر الى صورة أكوان .. من وراء أكوان تفصلها ملايين السنوات الضوئية، وتحتوى البقعة منها على ملايين وبلايين النجوم .

عصارة العقول البشرية بالافكار ، وبها تنمو شجرة المعرفة ، ثم نراها تتفرع هنا وهناك ، لتصبح وارفة الظلال دانية الثمار .. فما من ورقة ولا ثمرة ولا فرع يمتد فيهذه الشجرة، شجرة المعرفة، الا ووراءها عقول تزيدها تناسقا ونضارة وانتشارا، لكن ضيق المجال هنا يحول بيننا وبين اظهار حقيقة الفكر الانساني فى نظرته الى أمور الكون فى مختلف العصور ، ثم كيف طور هذا الفكر من خلال جهد الايام ، وعرق الاجيال ، حتى وصل الى هذه المرحلة التى تبدو لنا فيها شجرة العلم فى سمو وارتفاع .. لكنها مع ذلك ، ما زالت دون ما نبغى .. فما خفى كان اكثر واعظم واروع من كل ما كشفته الاجيال السابقة والحالية .

فالكون المرصود ما يزال غامضا اشد الغموض، كما انه اغرب من كل ما يمكن ان يطوف بخيال البشر، مهما يكن هذا الخيال خصيبا . كما ونوعا .

لقد كان الظن السائد ان تقدم العلوم وتطورها سيزيد من معرفتنا ، ويقربنا من الحقيقة العظمى الخالدة ، لكن العكس هو الصحيح ، اذ كلما تعمقنا فى طبيعة الكون والحياة ، تفتحت أمامنا المتاهات ، وعلامات الاستفهام ، حتى بدا لنا كانما معرفتنا تتضاءل امام طوفان هائل من المجهول الذى يمتد امامنا الى ما لا نهاية .

فالكشوفات العظيمة التى حققها العلماء فى السنوات العشر الماضية جعلت الكون يبدو امامنا بصورة أقل ادراكا وفهما لعقولنا الحائرة ، فهو يختلف اختلافا جوهريا عن الصورة التى انطبعت فى اذهان علماء النصف الاول من القرن العشرين، ودعك اذن من تصورات الاقدمين عن هذا الكون المثير ، وما حكوا حوله من اساطير .

ولا شك ان السنوات العشر او العشرين القادمة ستطور مفهومنا أكثر عن هذه السماوات الواسعة المترامية ، لكنها ـ فى الوقت نفسه ـ ستوضح لنا جهلنا الكبير بما هو كائن وما سيكون، ولدى العلماء الان من اجهزة الرصد الحساسة ما يؤهلهم لفتح نافذة هائلة للنظر من خلالها الى اعماق الكون ، ورؤية ما فيه من احداث لو اننا اطلعنا عليها ، أو رأيناها رؤية العين ، لوجفت القلوب ، وخشعت النفوس ، وزاغت الابصار!

نحن نسمع عن الانتصارات العظيمة التي حققها الانسان في غزو الفضاء، وما زلنا مبهورين بالتقدم العلمي الجبار الذي استطاع ان يرسل بعثة من وراء بعثة الى القمر ، ثم على سطحه المهجور يخطو نفر من البشر ، ويومها قال من لا يعلم : لقد بدأ الانسان يسيطر على الفضاء ، لكن من يعلم ، يتساءل ويقول : اى سيطرة تقصدون ، وأى فضاء تتصورون ؟

ومن يعلم خير ممن لا يعلم ، وهو - رغم علمه - يدرك ضخامة ما يجهل ، وقد يردد بخشوع لقوم لا يعلمون أو يعلمون « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » !

نعم .. اى سيطرة واى فضاء هذا الذي غزوناه حتى ولو كان ذلك في اقمار صناعية تطوف مجاهل المجموعة الشمسية ؟

الواقع اننا لم نذهب بعيدا ، ولم نتجول في الفضاء الا قليلا ، ولم نكتشف من الكون الا نزرا يسيرا وما غزوناه لا يعتبر شيئا مذكورا !

فالمسافة التي قطعها الانسان ليغزو القمر مسافة تبدو لنا بمعاييرنا الارضية انتصارا عظيما ، فبيننا وبين القمر « مشوار » سماوى لا يقل عن ٢٤٠ الف ميل .. مسافة لا شك هائلة ، لكنها بمعايير الكون شيء جد متواضع .

والمسافات الكونية لا تقاس عادة بالاميال ولا بالكيلومترات ، فليست لهذه في عقولنا مغزى ولا معنى ، لان الارقام الضخمة ستصبح فيما وراء حدود العقل والخيال ، ولهذا دعنا نقيسها بالثانية الضوئية ، وهذه تستخدم كوحدة من وحدات قياس الابعاد الكونية ، وتساوى المسافة التي يقطعها شعاع من الضوء في الفضاء ، هذا وسرعة الضوء ثابتة دائمة ، وهي تساوى ١٨٦ الف ميل في الثانية .

فالمسافة بيننا وبين القمر ثانية واحدة وثلث ثانية ضوئية لا غير ، وبيننا وبين الشمس ٥٠٠ ثانية ضوئية ، لكن المسافة بيننا وبين أقرب نجم بعد شمسنا تقع في حدود ١٤٠ مليون ثانية ضوئية ، والواقع ان الشمس تعتبر نجمنا الذي تطوف حوله كواكب تسعة ومنها ارضنا ، لكن حافة الكون التي امكن رصدها تبعد عنا اكثر من ٤٠٠ مليون بليون ثانية ضوئية ، ثم انها ما زالت تجرى وتبتعد عنا في فضاء الله الفسيح بسرعة خيالية ، ففي كل ثانية تنطلق اجرامها بسرعة تصل الى ٥٠ الف أو ١٠٠ ألف ميل ويزيد !

قارن اذن الثانية وثلث الثانية الضوئية التي تفصلنا عن القمر ، بهذه الارقام التي تفصلنا عن اقرب نجم بعد الشمس ، ثم عن أبعد نجم أو مجرة تنطلق هناك بعيدا .. بعيدا .. عند حافة الكون المرصود الذي يبعد عنا بمقدار ستة آلاف مليون سنة ضوئية !

هذه اللمحة السريعة عن المسافات الكونية توضح لنا ان ذهابنا الى القمر بانفسنا أو تجسسنا على كواكب المجموعة الشمسية بالاقمار الصناعية التي تنطلق نحوها في شهور وسنوات ، ليس - في واقع الامر - غزوا للفضاء ، بل قل انه شوط ضئيل لا يتعدى عدة سنتيمترات في شوط كبير يبلغ طوله ملايين وبلايين الاميال !

صحيح ان العين البشرية تستطيع ان ترقب وترى نجوما ومجرات تبعد عنها عشرات ومئات وآلاف السنوات الضوئية ، لكنها مع ذلك لا تقدم لنا الا صورة جد متواضعة ، فماذا لو تضاعفت قوة ابصارها الى عشرة آلاف أو مائة الف ، أو ربما مليون مرة ؟

لو أن ذلك قد حدث ، فلا شك اننا سنرى الكون اكثر وضوحا بمئات الالاف من المرات ، وهذا بالضبط ما تفعله المناظير الفلكية ، فهي بمثابة عيون كونية ترقب وتكتشف وتوضح ما لا تستطيعه العين البشرية ، كما أنها - بمساعدة أدوات العلم والتكنولوجيا الحديثة - أوضحت لنا شيئا عن طبائع هذا الكون الغريب ، ومكاننا فيه ، وماذا نعني بالنسبة له،وما هو قدرنا ومسيرتنا واتجاهنا على هذه السفينة الكونية التي تنطلق بنا جميعا في فضاء الله الفسيح .. ونعني بتلك السفينة كوكب الارض !

السماوات الآن - وكما أوضحتها لنا عيون التليسكوبات أو المناظر الجبارة - ليست نجوما ولا مجرات تنتشر في فضائها اللانهائي ، بل هناك عوالم من وراء عوالم من وراء عوالم .. الخ

كما أن نجوم السماوات وأجرامها ليست أجساما تشع بالأضواء الخافتة التي تراها العين كلما اظلم الليل ، بل هناك في الواقع « سيل » منهمر من اشعاعات مختلفة تتسلط على كوكبنا ليل نهار ،

لكن عيوننا لا ترى منها الا نزرا يسيرا ، ومع ذلك فان عيون المناظير الفلكية قد كشفت عن عيوننا غشاوة هائلة ، وأوضحت لنا أن الاجرام السماوية تستخدم لغات شتى ، وهي قطعا غير لغاتنا التي نستخدمها ، بل جاءت على هيئة موجات كهرومغناطيسية ، وكأنما كل موجة تحكي لنا قصة مثيرة ، وتضع أمام عقولنا حقائق غريبة ما كانت تتجلى لنا يوما من خلال حواسنا .

هذه اللغات الموجية الواصلة الينا من مجرتنا أو من المجرات الاخرى التي تبعد عنا بعشرات ومئات الملايين من السنوات ، أو من تلك التي تصل من أعماق الكون في عدة الاف الملايين من السنوات الضوئية .. هذه اللغات الخاصة جدا أجبرت العلماء على أن يتحدثوا عن السماوات فوق البنفسجية ، أو تحت الحمراء أو الرونتجينية (أي التي تبعث أشعة أكس) أو الجامية (أي التي تبعث أشعة جاما ذات البأس الشديد) ، أو العادية (ذات الضوء المعروف لعيوننا) .. الخ

هذه اللغات المختلفة تعني أشياء كثيرة ، تشير الى أحداث رهيبة ، لو أننا اطلعنا عليها ، أو اقتربت منا ، لرأينا فيها ما تنفطر له النفوس ، وتنخلع من هوله الافئدة .. لكن ذلك ليس له هنا مجال ، وقد نعود اليه في دراسة أخرى قادمة .

دعنا اذن نقدم نبذة مختصرة عن تلك العيون الكونية التي ترينا مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر !

بدون التعرض لانواع المناظير الفلكية أو التليسكوبات،دعنا نقدم هنا أعظمها بناء وتشييدا، وأشدها تعمقا وكشفا لعجب الكون ، ولنذكر منها اثنين : أحدهما في الولايات المتحدة الامريكية ، والثاني في الاتحاد السوفييتي .

أما الذي في أمريكا فمقام على جبل عال اسمه بالومار بولاية كاليفورنيا ، وأهم ما في هذا التليسكوب هو عينه الزجاجية أو مرآته المقعرة العاكسة الضخمة التي يبلغ قطرها خمسة أمتار أو تزيد قليلا ، ومساحتها ١٩٦ الف سنتيمتر مربع (أو ما يعادل ٢٠ مترا مربعا) ، ويبلغ وزن هذه العين ١٥ طنا ونصف طن ، ويحملها هيكل متحرك من الصلب وزنه ٤٥٠ طن ، ورغم هذه الكتل الهائلة ، فانت تستطيع أن تحركها بسهولة وفي اتجاهات شتى - بضغط من يدك .

هذه العين الهائلة تعتبر احدى التحديات الجبارة التي واجهها العلماء والفنيون في القرن العشرين اذ كان من المقرر أن تصنع من كتلة واحدة مصهورة من زجاج « البيركس » يبلغ وزنها ٤٥ طنا ، على أن توضع على هيئة « كعكة » زجاجية داخل فرن خاص ، ثم تبرد تدريجيا ، الا أن المختصين قد عدلوا عن هذه الفكرة ، اذ أن عملية التبريد البطيء جدا (حتى لا تحدث كسور أو شروخ) سوف تستمر تسع سنوات كاملة ، وحتى بعد هذا الوقت الطويل ، فان أحدا لا يضمن النتائج

وجاءت العلماء فكرة بديلة ، فمن الممكن صب ٢٠ طنا من المصهورات الزجاجية في هيكل خاص من الصلب ، ومبطن بألواح من مادة السيليكا ، وعندما قاربت العملية على الانتهاء تحطم جانب من الهيكل ، وانساب الزجاج المنصهر كبحر هادر ، وضاعت الجهود سدى .

ولم يفقد العلماء الامل ، وبدئت المحاولات من جديد ، وبتصميمات أكثر كفاءة ، وتم صب هذه الكتلة الكبيرة في عام ١٩٣٤ ، ثم وضعت المرآة في فرن خاص ، واستمرت عملية التبريد عاما كاملا ، وفي أثناء ذلك حدث زلزال وفيضان، ووجفت القلوب، وكاد جهد الاعوام يضيع ويتبخر، ولكن الله سلم .

بعد أن بردت المرآة ، استمر الفنيون في عملية تسوية وصقل استمرت أكثر من أحد عشر عاما ، أزيل فيها ٥ر٤ طن من الزجاج ، واستخدم في العملية أكثر من ٣٠٠ طنا من مواد الصنفرة والتجليخ والكشط والصقل ، بحيث لا يتجاوز الخطأ في سمك هذه الكتلة الضخمة جزئين من مليون جزء من البوصة !

وأخيرا وبعد عشرين عاما من محاولات مضنية ، وأوقات عصيبة ، وأموال طائلة ،واتقان في الصناعة بلغ حد الهوس ، بدأت أضخم عين تنظر من خلال نافذة واسعة من الارض ، الى ملكوت الله في السماء ، ورأى الانسان لاول مرة أجراما تسبح على مسافات تبعد عنا ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣٦ ميل (أي ٣٦ الف مليون مليون مليون ميل) ، أو ما يعادل ستة الاف مليون سنة ضوئية !

وظل هذا المرصد الفلكي المقام على جبل بالومار بكاليفورنيا متربعا على العرش سنوات طويلة ، وكان محط انظار علماء الفلك والطبيعة الكونية ولا يزال ، الى أن جاء الاتحاد السوفييتي واعلن انه بصدد اقامة اكبر مرصد فلكي في العالم . وطبيعي أن أهم ما في المرصد يتركز دائما في العين أو المرآة التي يمكن أن تجمع الموجات الضوئية الضعيفة القادمة من أعماق الكون

وبالفعل تمكن الاتحاد السوفييتي من صنع « عين » كونية يبلغ قطرها ستة امتار ، ووزنها ٧٠ طنا (قارن ذلك بعين جبل بالومار السابقة ـ فقطرها خمسة امتار ، ووزنها ١٤,٥ طنا) ،واقيم هذا المرصد على جبل سيميرود روكي ، وهو واحد من سلسلة جبال القوقاز ، ويصل ارتفاع هذا المرصد فوق سطح البحر الى حوالى ٢٠٨٠ متر

ولقد انتهى الفنيون من صب هذه المرآة في عام ١٩٦٧ ،ووضعت في مكانها بالمرصد في اكتوبر عام ١٩٧٠ ، وثبتت على هيكل يبلغ ارتفاعه ٢٤,٣٨ مترا (اى بارتفاع بناية مكونة من حوالى ثمانية طوابق) ووزنه ٨٥٠ طن ، وتبلغ قوة هذا التليسكوب درجات يصعب تصديقها ، اذ انه بالامكان ان يكشف وجود شمعة لو انها وضعت في الفضاء على ارتفاع من الأرض يبلغ ٢٤ الف كيلو متر ، ويقال ان هذا التليسكوب يستطيع أن يرصد ما في الكون بكفاءة اكبر من كفاءة العين البشرية بمليون مرة !

ولقد أعلن العلماء حديثا عن عين فلكية أخرى مصنوعة من مادة الكوارتز الشديدة الصلابة ، وهى اكفا بكثير من العيون الكونية التى سبقتها من حيث الجودة والدقة ومدى اتساع الرؤية على مسرح السماوات .. فصورة فوتوغرافية واحدة يقدمها هذا التليسكوب للعلماء لقطاع محدد في السماء تزيد في مضمونها ٤٠ مرة عن مضمون اية صورة أخرى لاكبر التليسكوبات الضوئية .

صحيح أن هذه الاداة الجديدة أصغر من تليسكوب جبل بالومار بامريكا ، وجبل سيميريد روكى بالاتحاد السوفييتي ، لكنها اكفا منهما في الكشف عن بعض الغموض الذى لايزال يجابه العلماء في هذا الكون الغريب .

ورغم أن المئات من هذه العيون الارضية الهائلة تتسلط ليل نهار على السماوات ، وتتقبل انباءها المثيرة .. بالضوء تارة ، وبالموجة تارة أخرى ، ورغم انها تحمل طوفانا هائلا من المعلومات ، وتكومها أمام العلماء ، لتصبح أكداسا فوق اكداس .. رغم كل هذا ، فلم نقرأ من مجلد الكون العظيم الا فقرصغيرة لا تكاد تشفي غليلنا الى المعرفة الاصيلة بهذا الفضاء الضخم الذى يمتد أمام عيوننا بدون حدود ، ويتراقص في عقولنا وخيالنا ، فلا نعرف من أين بدات البداية، ولا الى اين ستنتهى النهاية

وماذا أوضحت هذه العيون الجبارة من أنباء حديثة ومثيرة ؟

آه .. هذا موضوع اخر ، قد تكون له دراسة قادمة .

عبد المحسن صالح

■ ويل لكل من يتصور انني اصبحت شيخا عجوزا ضعيف البنية .. فانا املك لسانا اقوى من اساطيل الامبراطورية !

« جورج برناردشو »

■ ان هذا القرن الذى ندخل اليه ، يمكن ان يكون ، بل يجب ان يكون قرن الرجل العادى .

« هنرى والاس » ٩٤٢



طبيب الأسرة

زيادة ضربات القلب وتقطعها

● بدات أشعر بظاهرة غيرمالوفةفي دقات قلبي ، تتمثل في زيادة دقاته ٠٠ فتملكني الخوف٠٠واعتراني الوهم ٠٠ فهل اجد عندكم علاجا يهدىء خوفي ؟

ــ قبل ان نبحث في القلب والأسباب التي تؤدي الى زيادة ضرباته او تقطعها مع عدم انتظامها ، لابد ان نبحث عن اسباب خارج القلب تؤدي الى ذلك وهي عديدة ٠٠ فمرض القلب يمكن تشخيصه من اعراض وعلامات اخرى ٠٠ كذلك عن طريق تخطيط القلب واشعة القلب،وهي في معظم الحالات واضحة ٠٠ ولكن الذي يحير المرضى هو كيف يكون القلب سليما مع ان النبض غير طبيعي ٠٠٠ وهناك نسبة كبيرة ، تكون هذه الظاهرة موجودة فيها ، دون مرض بالقلب ، وعلى رأسها الاضطرابات النفسية والخوف من مرض بالقلب ٠٠ وهو مرض القلب الوهمي ٠٠ ويعتبر من أصعب الأمراض علاجا من ناحية المريض ٠٠ فقلما يقتنع المريض بذلك، وتراه يحتار ويحير معه الأطباء ٠٠ يذهب كل يوم الى طبيب ٠٠ ففي هذه الحالة لابد من التركيز على حالة المريض النفسية وعلاجها ٠

وتزداد ضربات القلب في حالات فقر



الدم الشديد ، او في الحميات وارتفاع درجة الحرارة ، او في حالات الضعف الشديد ، وفي دور النقاهة من مرض مزمن ٠٠ وفي حالة زيادة افراز الغدة الدرقية المعروف بالتسمم الدرقي ٠٠وفي حالات الاجهاد الشديد ، والسمنة المفرطة وغير ذلك ٠٠

وربما يكون مع هذه الزيادة في

سل العمود الفقرى

● يشكو صديقى من الام شديدةفي ظهره ، يصاحبها ارتفاع في درجة الحرارة ، وقد عرض نفسه على طبيباخصائى ،فقال له : انت مصاب بسل العمود الفقرى ... فما هو هذا المرضوما اسبابه وعلاجه ؟

ـ ان سل العمود الفقرى يحدث نتيجة لالتهاب يصيب الفقرات في العمود الفقرى بواسطة ميكروب السل الذى يصله عن طريق الدم ، وتكون المنطقة الظهرية من العمود الفقرى اكثر اصابة ، ويصحب الاصابة اولا آلام ظهرية شديدة ، مع ارتفاع في درجة الحرارة وعرق غزير .. وهذا المرض لا يستجيب لمركبات الاسبرين كما هو الحال في الآلام الروماتيزمية .. بل تزداد حالة المريض سوءا وتتدهور يوما بعد يوم .. ويستمر الألم في الظهر دون ظهور أى تغير في اشعة الظهر،وذلكلعدة شهور .. واذا ظهرت تغيرات في الأشعة فتكون في تهتك وتغير المسافات بين الفقرات يصاحبها في بعض الحالات خراج حول الفقرات ، واذا انهارت الفقرات وحدثت المضاعفاتاثر الضغط على النخاع الشوكى والأعصاب الطرفية ، نتج عن ذلك الشلل النصفى الأسفل وشلل الأعصاب المصابة وما يتبع ذلك بن آلام فيالمنطقة التى تحدها ، او ضعف فى العضلات التى تغذيها ..

وهذا المرض يصيب صغار السن والشباب مما يجعل له سيىء الاثر خصوصا لو حدثت مضاعفات ادت الى تأثير على حركة المريض .

والعلاج المبكر فى هذه الحالات واكتشاف المرض فى مراحله الأولى يؤثر على مآل المرض ، فاذا عولج بالأدوية الخاصة بالسل ، مع عدم حركة الجزء المصاب والتغذية الكافية ، لأدى ذلك الى نتيجة حسنة دون التأثر الشديد بالمرض ..على أن يكون العلاجلفترة طويلة ربما تمتد لسنةاو سنتين حسبحالة كلمريض .

وفى الحالات الشديدة التى تؤدى الىضغط على النخاعالشوكى او الأعصاب ربما استعانالطبيب المعالجبجراحالأعصاب لرفع هذا الضغط خوفا من حدوث الشلل ، على ان يكون ذلك فى الوقت المناسب اما اذا تأخر هذا ، فربما ادى المرض الىشلل دائم لا يرجى له علاج .

الضربات عدم انتظام ايضا ، والمعروف بتقطع الضربات ..

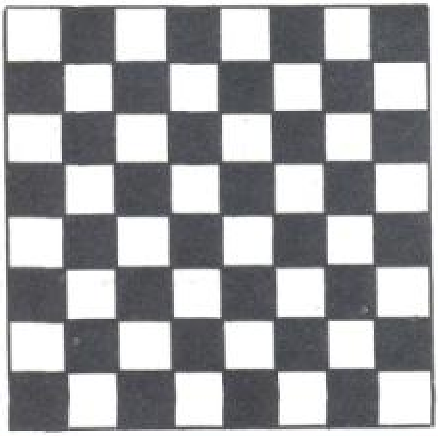
وزيادة الغازات فى المعدة والقولون، تضغط على القلب من الخارج وتسبب زيادة في ضربات القلب او تقطعها ،لذا وجب الانتباه الى ذلك والابتعاد عن الأطعمة التى تزيد من غازات الأمعاء كالبصل والثوم والفجل والمياه الغازية وغيرها .

ومن الأسباب التى تزيد من ضربات القلب او تقطعها الاكثار من شرب المنبهات كالقهوة والشاى والدخان والمشروبات الروحية .. والأدوية التى تزيد من ضربات القلب كمركبات الافدرين والادرنالين التى تستعمل في مرض الربو الشعبى ، ومركبات التيروكسين التى يستعملها البعض فيانقاص الوزنوغيرذلك

على انه لابد ان نذكر الأمراض المتعددة التى تصيب القلب وتسببزيادة في ضرباته مثل هبوط القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وامراض شرايين القلب ، وامراض صمامات القلب ، وامراض عضلات القلب كماهو الحال في روماتيزم القلب او مرض الدفتيريا وغيرها من الامراض التى تضعف من عضلات القلب عند الأطفال .

نزهة العقل الذكي

حرب الملكات



في الشطرنج ، ان لم تكن تعرف ، تتحرك الملكة اي عدد من المربعات افقيا او راسيا او قطريا (في الاتجاه المائل) ٠ والملكة يمكنها أن تاسر ملكة اخرى ، اذا ما صادفتها فوق مربع يقع في طريق الملكة الاولى ٠

هل تستطيع ان ترتب ثماني ملكات على رقعة الشطرنج، بحيث لا يمكن ان تاسر اي ملكة منها ، ملكة اخرى ؟

● ألعاب سريعة ●

بالقلم الرصاص



حاول أن تخترق جميع أجزاء هذا الشكل التي بين النقط ، بخط واحد متصل ، وبحيث لا تمر على الخط الذي ترسمه مرة ثانية ، أو تقطعه ٠

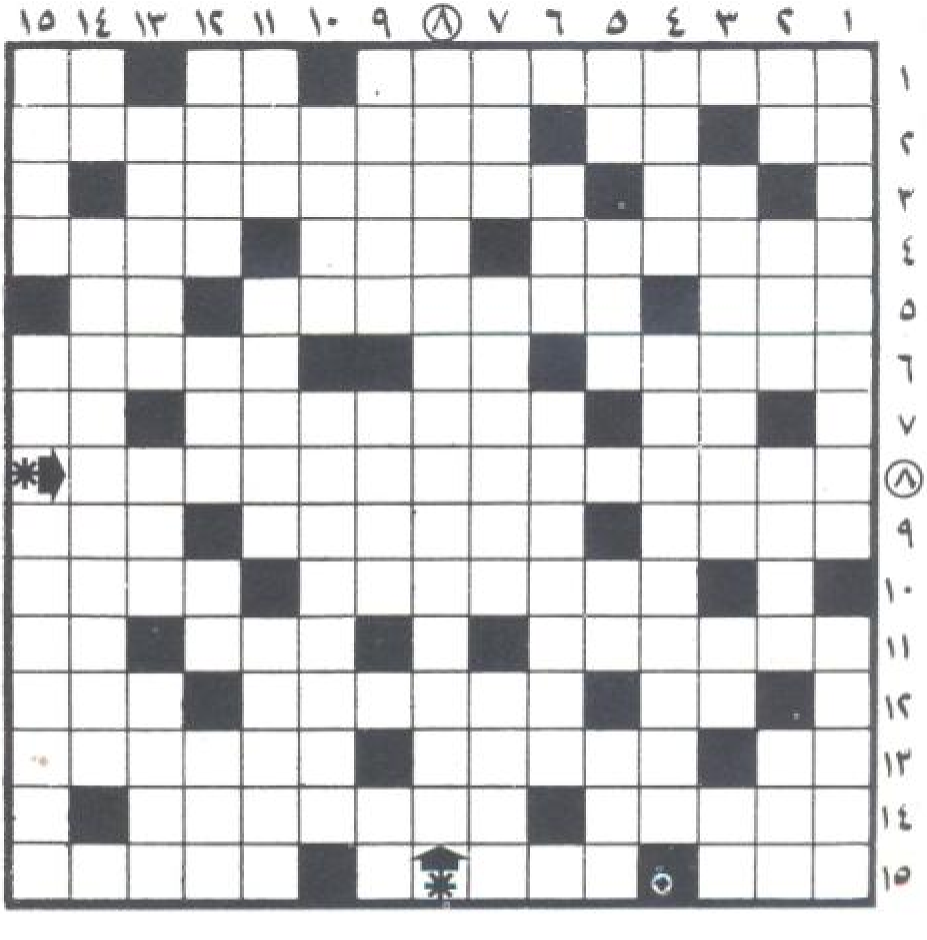
● مسابقة ●

اثنتان فى واحـــدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، أمكنك أن تتعرف على الشخصيتين فى (٨) أفقيا، و (٨) رأسيا.

فى (٨) أفقى ، ستجد اسم صحابى معروف .

فى (٨) رأسى ، ستجد اسم علم من أعلام الموسيقى العربية .



الكلمات الافقية :

(١) فى الذرة – غطاء الطبق – حرف استفهام ٠
(٢) حرف جر – حرفان متشابهان – عالم بصريات عربي من القرن الحادى عشر الميلادى ٠
(٣) للتفسير – مؤلف رواية « دون كيشوت » ٠
(٤) نوع من الاشجار – حاجة – أوشكت ٠
(٥) من الثمار – ينافقها – حرف استفهام ٠
(٦) من معالم الطبيعة الجغرافية حول الانهار – نصف كلمة (قيود) – سرونا ٠
(٧) نصف كلمة (نلوم) – احد سيارات المجموعة الشمسية – بحر ٠
(٨) صحابى معروف ٠
(٩) بارى – ترشدانه – بغير ٠
(١٠) تستهل بها التلاوة – فايض ٠
(١١) فى الوجوه – أعترف – للنداء ٠
(١٢) حرفان متشابهان – طيور جارحة – استيقظ ٠
(١٣) عبودية – شهر ميلادى – نوع من الاشجار ٠
(١٤) وحدة قياس طولية – من أشهر أمراء النمسا وساسة أوروبا في القرن الثامن عشر ٠
(١٥) خبر – اقترب – قطيعة ٠

الكلمات الراسية :

(١) رائد الكوميديا الاغريقية ومؤلف مسرحية « الضفادع » – دولة آسيوية ٠
(٢) جوهر – فى الوجه – شجاع – من أعضاء الجسم ٠
(٣) نوع من الطائرات الحربية – من علامات الموسيقى – حرف استفهام ٠
(٤) تبغى – من المملكة الحيوانية ٠
(٥) حرفان متشابهان – حرف استفهام – للتمنى – قرء ٠
(٦) عون – تفاؤل ٠
(٧) آلة موسيقية – رائد الهندسة التقليدية – عاصمة بيرو ٠
(٨) من أعلام الموسيقى العربية ٠
(٩) تشردن كراهية – مسقط مياه – اكتمل ٠
(١٠) أهتم – أوبرا للموسيقار العالمى فاجنر ٠
(١١) عملة نقدية أوروبية – ابسطه – حجة ٠
(١٢) تمزق – ايراد – احسان – جدول فلكى يضبط حركة الكواكب ٠
(١٣) يعفو – يحرمه الدين – آتيه ٠
(١٤) غزير – مؤلف قصة « روبنسن كروزو » ٠
(١٥) وفاة – من الاقارب – العبيد ٠

● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يســأل :

من يتزوج حكمت جبران ؟

السيد جبران له من الابناء ولدان وبنتان ، الا انه قد اختار لهم أسماء يصعب أن تعرف اذا ما كانت أسماء اناث أم ذكور ، وهى : أمال، وحكمت، واحسان ، وبدر ٠

السيد وديع ، أحد جيران السيد جبران ، كان له هو الآخر ولدان وبنتان ٠٠ وللمصادفة الغريبة ، كان قد اختار لهم نفس الاسماء ٠

مع مرور الوقت ، توطدت الصداقة بين العائلتين ، فأصبح كل فرد من أبناء السيد جبران ، مخطوبا لفرد من أبناء السيد وديع ، ومع هذا لم يحدث أن كان لاى خطيب ، نفس اسم خطيبته ٠

وقد بلغنى أن الآنسة احسان جبران مخطوبة للابن الذى يحمل نفس اسم خطيبة الابن بدر وديع ٠ وكذلك علمت أن الآنسة حكمت وديع أكبر سنا من خطيبها ٠

السؤال الذى يحيرنى الآن : من الذى سيتزوج حكمت جبران ؟ ٠

أديب عربي راحل

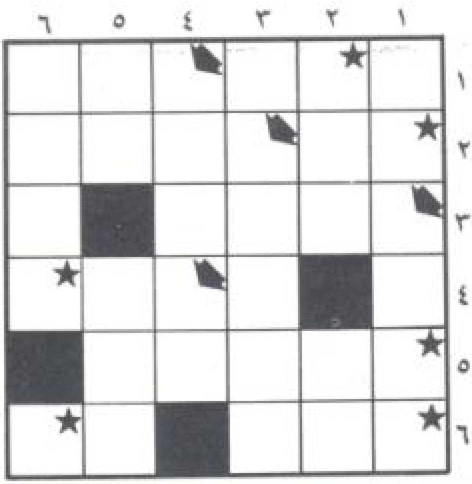
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة • انقل بعد ذلك الحروف التي في مربعات يوجد بها السهم ، ورتب هذه الحروف بحيث تصنع الاسم الاول لكاتب وأديب معروف راحل • ثم انقل الحروف التي في المربعات الموجودة بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب الاديب المذكور •

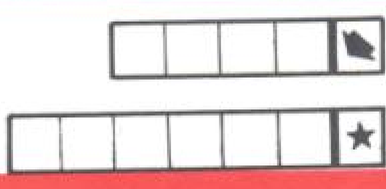
الكلمات الافقية :

(١) أمريكي اخترع المصباح الكهربائي •
(٢) عاصمة دولة في جنوب أوروبا •
(٣) يشتغلون بالمصنع •
(٤) برّاق •
(٥) زهور ذات رائحة جميلة •
(٦) وحدة قياس الزمن وفي بعض الحيوانات ـ للنداء •

الكلمات الرأسية :

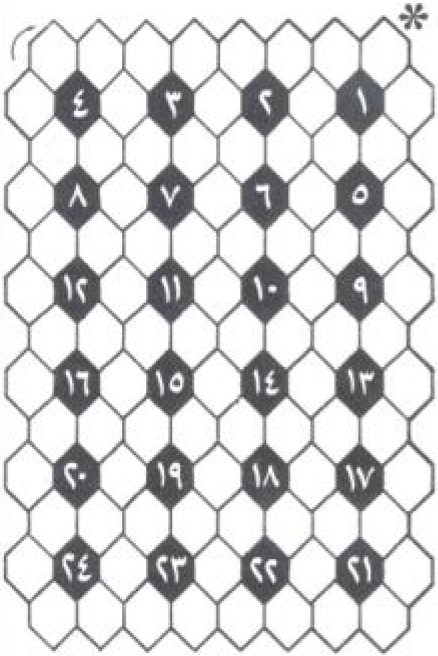
(١) قطر عربي آسيوي •
(٢) استحكامات عسكرية للحماية من قذائف العدو ـ نصف كلمة (هتلر) •
(٣) يهتمون •
(٤) وقود من مستخرجات البترول •
(٥) نصف كلمة (شجون) ـ مسافة أو بعد •
(٦) تفزع •





عش النحل

الكلمات ذات الستة الحروف التي نعطي معانيها فيما يلي ، توضع حروفها في الخلايا المحيطة بالارقام المناظرة ، في اتجاه حركة عقارب الساعة (وفقا لما يشير اليه السهم) . والحرف الاول من الكلمة الاولى ، يوضع في الخلية المشار اليها بالزهرة .



(١) من المضادات الحيوية .
(٢) مدينة مقدسة بفلسطين .
(٣) توجد في النبات المتسلق .
(٤) نوع من الاشجار يقترن بعمل من أعمال المنفلوطي .
(٥) رقصة اوروبية قديمة .
(٦) وحدة قياس كهرباء .
(٧) الحين او الوقت المناسب .
(٨) الدافع والمشجع للنشاط .
(٩) قضية العرب الاولى .
(١٠) نتعاون على الحياة .
(١١) نوع من الزواحف يشبه السحالي .
(١٢) حدود القطر الملامسة للبحر .
(١٣) يمتدحنا .
(١٤) وحدة موسيقية تتضمن سلما موسيقيا كاملا .
(١٥) حاضرة متوفرة .
(١٦) بديهيات منطقية نقبلها بلا برهان .
(١٧) ولاية امريكية بها مدينة لاس فيجاس الشهيرة .
(١٨) من مستلزمات العيد الاضحى .
(١٩) خبرته ومعرفته بالعمل .
(٢٠) تجيء اليهم .
(٢١) دولة افريقية عاصمتها بورتونوفو .
(٢٢) الماجن .
(٢٣) عالم عربي عرف بلقب « جالينوس العرب » .
(٢٤) يحتقره .

مسابقة العربي

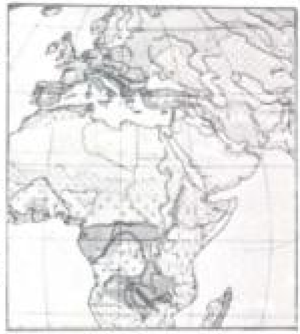
١٢ سؤالاً



■ الجزر في العالم ٠٠ غالبيتها تحولت الى جزر سياحية عالمية٠٠ اما جزرنا العربية فغالبيتها العظمى تكاد تعيش نسيا منسيا ، حتى اسماؤها نكاد نجهلها ، ولا نعرف منها غير تلك التي تقع مقابل شواطيء بلدنا ٠٠ وهذه المسابقة عن الجزر عامة ، والمطلوب منك الاجابة على عشرة اسئلةمنها لتفوز بواحدة من الجوائز المالية ومجموعها ١٠٠ دينار ٠

١ـ مصيرة ٠٠ اسم جزيرة عمانية استراتيجية الموقع، طولها ٤٠ ميلا وعرضها ١٢ ميلا ٠٠ البحر من حولها هائج مائج تكثر بهالتيارات والصخور الخطرة ٠٠ لذلك اصبحت قاعدة جوية تم الجلاء عنها اخيرا ، فاين تقع هذه الجزيرة الهامة :

الخليج العربى ـ بحر العرب ـ البحر الاحمر ٠



٢ ـ استراليا هى الجزيرة القارة ، والى جنوب هذه الجزيرة الرئيسية الكبيرة توجد جزيرة استرالية صغيرة مساحتها ٢٦ الف ميل مربع يعيش فوقها نحو نصف مليون نسمة ٠٠ وهذه الجزيرة هي :

تاسمانيا ـ بورنيو ـ كارولين ٠

٣ ـ في شهر يونيو من عام ١٩٧٦ أعلن قيام جمهورية فتية تتكون أراضيها من مجموعة ٩٢ جزيرة صغيرة ، مجموع مساحاتها ٩١ ميلا مربعا ، يعيش فوقها اكثر من ٦٠ الف نسمة ٠٠ انتاجها الرئيسي هو جوز الهند الىجانب اشجار القرفة والفانيليا وغيرها ٠٠ وعاصمتها اسمها فيكتوريا ، فما اسم هذه الجمهورية الجديدة الواقعة فى المحيط الهندى ؟

مورشيوس ـ سيشيل ـ ريوثيون ٠



٤ـ فى مدخل مضيق هرمز جنوب الخليج العربى ، تقع جزيرة رفيعة طويلة٠٠ حكمها العرب فترة من الزمن واطلقوا عليها اسم الجزيرة الطويلة ٠٠ وقد تبدل اسمها اليوم واصبحت تعرف باسم :

جزيرة قشم ـ جزيرة خراسان ـ جزيرة قمران ٠

٥ ـ فى البحر المتوسط العديد من الجزر منها : البليار ، وكورسيكا ، وكريت وسردينيا ، ومالطة ٠٠ فهل تعرف الجزيرة المستقلة بينها ، والى أى من هذه الدول تنتمى كل منها ؟

تركيا ـ اليونان ـ اسبانيا ـ ايطاليا ـ فرنسا ٠

٦ ـ مقابل ميناء اللاذقية السورى توجد جزيرة اشتهرت منذ التاريخ القديم، ما اسم هذه الجزيرة ؟

كريت ـ قبرص ـ ارواد ٠

٧ـ بانضمام فلسطين الى جامعة الدول العربية ارتفع عدد اعضاء الجامعة الى ٢٢ عضوا ٠٠ وهناك عضو عربى واحد اراضيه عبارة عن مجموعة جزر صغيرة ، **فما اسم هذه الدولة العربية ؟**

عـــن الجزر وجوائـز ١٠٠ ديـــنار



٨ ـ فى جنوب خليج قابس بتونس تقع جزيرة تونسية ساحرة هى جزيرة جربة، ولكن هناك مجموعة جزر سياحية تونسية اخرى تقع شرق مدينة صفاقس التونسية ، وهذه الجزر اسمها :

جزر الرأس الاخضر ـ جزر قرقنة ـ جزر المرجان •

٩ ـ اى الجزر يمكن اعتبارها اكبر جزيرة فى العالم بعد استراليا •

سيريلنكا ـ جرينلند ـ مدغشقر •

١٠ ـ فى مواجهة شاطىء مدينة الكويت توجد جزيرة عامرة اشتهرت باثارها الاغريقية القديمة ، فقد اقام فيها جنود الاسكندر الاكبر بعد عودتهم من غزوتهم للمشرق •• وهذه الجزيرة هى :

فيلكا ـ بوبيان ـ وربة •



١١ ـ « فرموزا » اسم كان يطلق على جزيرة تقع على مسافة ١١٠ اميال شرقى الصين •• احتلتها اليابان بعد الحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٥ واعيدت كمقاطعة الى الصين عام ١٩٤٥ ، وبعد ان سيطر الشيوعيون على الصين لجا شيانج كاى تشيك رئيس حكومة الصين فى ذلك الوقت الى فرموزا عام ١٩٤٩ ، واطلق على فرموزا وعلى ٧٨ جزيرة محيطة بها اسما جديدا ••

فما هو هذا الاسم ؟

١٢ ـ اربع جزر تكون دولة واحدة تقع فى مدخل مضيق موزمبيق الشمالى •• غالبية سكانها من اصول عربية •• واسم هذه الجمهورية :

جمهورية جزر مالديف ـ جمهورية جزر القمر ـ جمهورية جزر الرأس الاخضر •

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة •

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح •

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى •

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٨ » •

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر مارس (آذار) ١٩٧٧ •

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز •

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا • **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا • **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير •

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير •• وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع •

كوبون مسابقة العدد ٢١٨

نتيجة مسابقة العدد ٢١٥

الفهد الصياد أسرع الحيوانات

■ قامت مسابقة العدد ٢١٥ على اسئلة علمية عن الحيوان ومملكته ، وغالبا ما تحتاج الأسئلة العلمية الى اعمال فكر وبحث فى الكتب العلمية المعتمدة للوصول الى الاجابة الصحيحة وعدم الاعتماد على الذاكرة والتخمين ، لذلك كثرت اخطاء المشتركين فى هذه المسابقة وتناقصت بالتالى رسائل المشتركين فى المسابقة ٠

ونورد فيما يلى نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة:

١ ـ اسرع الحيوانات الارضية هو الفهد الصياد٠
٢ ـ انثى العقرب تلد ٠
٣ ـ يستخرج العنبر من الحيتان ٠
٤ ـ كان العرب يطلقون على جزر الكنارى اسم جزر الخالدات ٠
٥ ـ يستطيع الجمل ان يشرب ٦٠ لترا من الماء دفعة واحدة ٠
٦ ـ الجزء الذى يعشق الناس اكله من الضفادع هو الأرجل ٠
٧ ـ تستعمل البقرة ذيلها فى طرد الذباب والحشرات المؤذية عنها ٠
٨ ـ تقع مسئولية بناء بيت العنكبوت على الأنثى فقط ٠
٩ ـ عدد بيض انثى التمساح فى كل مرة يتراوح بين ٣٠ ـ ٦٠ بيضة ٠
١٠ ـ تستخدم الأسماك زعانفها بديلا عن الأيدى والأقدام لحفظ توازنها فى الماء ٠

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : غازى فهد الأحمد /الكويت

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :كاميليا الشوا /حلب/سوريا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمدجعفر سلمان المطوع /المنامة البحرين

٨جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سليمان ناصر عودة /القاهرة /مصر
٢ ـ حيدر محمد المقرى /صنعاء /اليمن
٣ ـ رائد محمد فيصل حسن /جدة /السعودية
٤ زياد احمد محمد ابو شنب /الزرقاء /الاردن
٥ ـ جمال صالح محسن كرمدى /المنصورة /اليمن الديمقراطى
٦ ـ عبد الرحمن بشارة سبهان /بغداد /العراق
٧ ـ ماجد احمد عبد الله /دبى /الامارات
٨ ـ صالح البطاح الخزى /برايتون /انجلترا





دودج - فارغو - ميتسوبيشي

ارسلوا هذا الكوبون بالبريد الآن

الاسم:

الشركة:

العنوان:

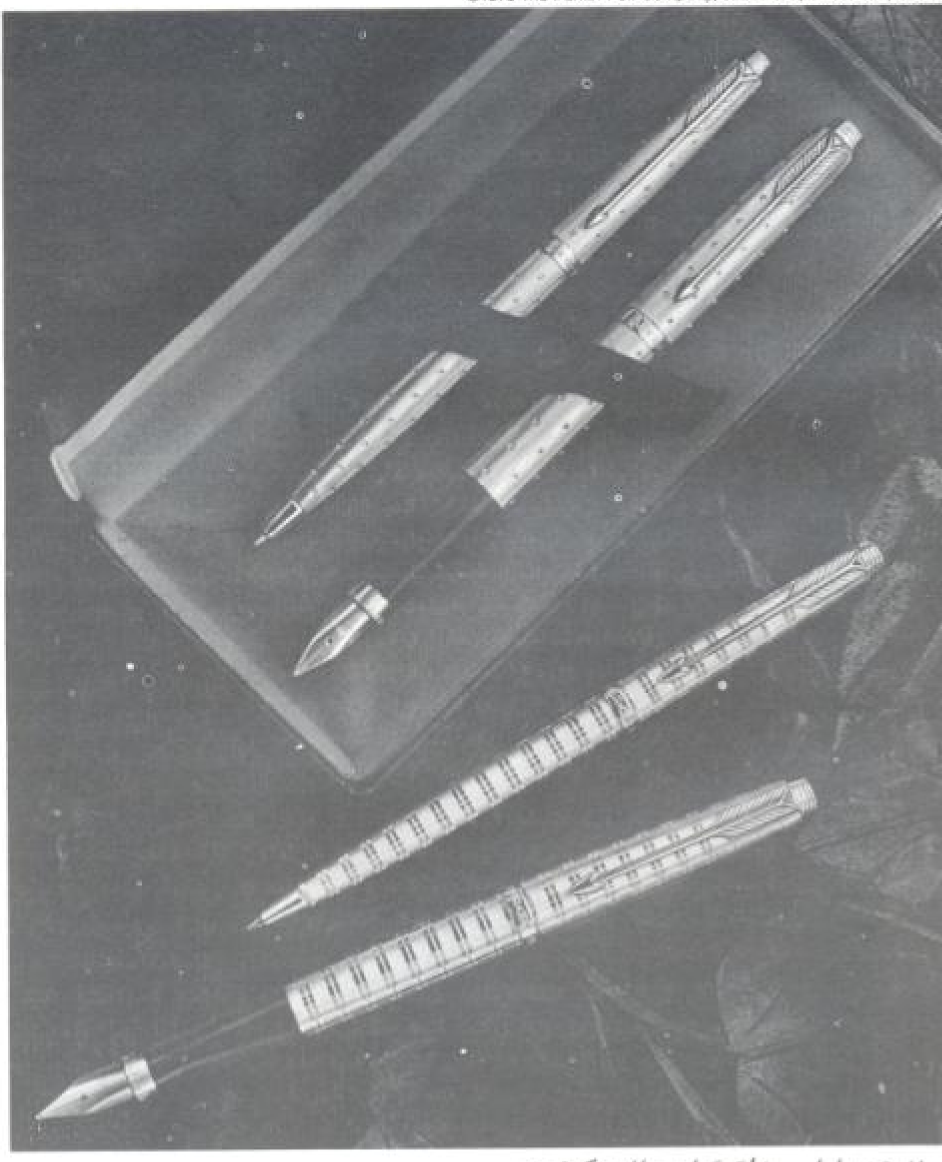
المدينة:

البلد:

ارسلوا هذا الكوبون لتحصلوا على اسم وعنوان اقرب موزع لشركة كرايسلر انترناشونال، وما يلزمكم من معلومات عن السيارات ومواصفاتها.

شاحنات خفيفة ☐ شاحنات متوسطة ☐ شاحنات ثقيلة ☐ باصات ☐ يرجى التأشير

Mr. J. Cooper Chrysler International S.A. 17, Old Court Place, London, W.8. England ALA. 2

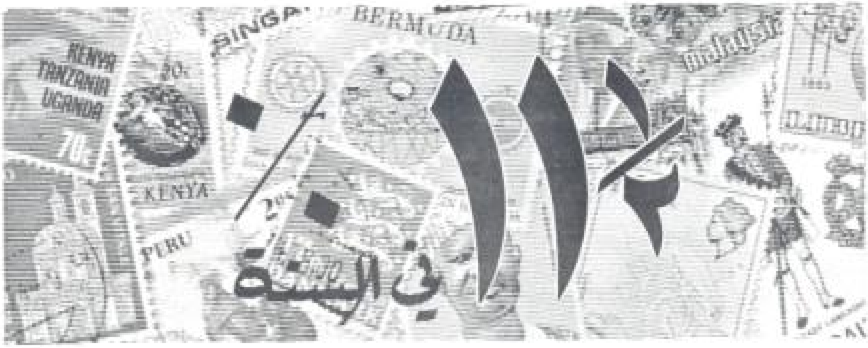


للهدايا ... المجوهرات التي تكتب

هذه هدايا تعتزون بها مدى الحياة،
فهي معادن ثمينة طوعت بدقة ومهارة لتصبح أدق
أدوات الكتابة في العالم.
فكل أسطوانة وكل غطاء قد نحته ونقشه ببالغ
الجهد والإتقان حرفيون بارعون، فهو في الواقع تحفة رائعة.
ويسرنا أن نقدم لكم تشكيلة «بلاس فندوم» من
أطقم باركر لأقلام الحبر والحبر الجاف في
ستة نقوش متميزة مغطاة بقشرة سمكها
١٠ ميكرون من الذهب من عيار ١٦ قيراطاً أو
بأربعة نقوش بقشرة من الفضة سمكها
٢٠ ميكرون. كل منها واضح الأناقة...
وكل منها يبعث على الطمأنينة لأنه باركر.

إن الطقم الذهبي الظاهر أعلاه يعرف باسم
«بيرليه». أما الطقم الفضي فاسمه «ايكوسيه». وإذا
يهمكم أيضاً فإن أقلام حبر بيروس لينة وأقلام
الرصاص المزودة بخرطوشة متوفرة بنقوش منسجمة.
وواضح أن طقم من تشكيلة «بلاس فندوم» يشكل
هدية رائعة. والواقع أن إهداء مثل هذا الطقم يتطلب
خلقاً رفيعاً نادراً.
فإذا اعتدت رأيت استسلمت للإغراء فاشتريت
لنفسك طقماً فإنك
ستكون في
صحبة ممتازة
للغاية.

PARKER
أكثر الأقلام رواجاً في العالم



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال لهو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال لهو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي لهي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

١١½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٢٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢٪ لمدة محددة، سنة واحدة. ١١½٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة أيضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٢½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢½٪ في السنة لمدة سنة واحدة. ١٢٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة ايضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع كل ½ سنة.

للحصول على كامل المعلومات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central

Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

G182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٥٩ مليون جنيه استرليني.

Registered Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ١٢٣٥٨٥

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٧٧

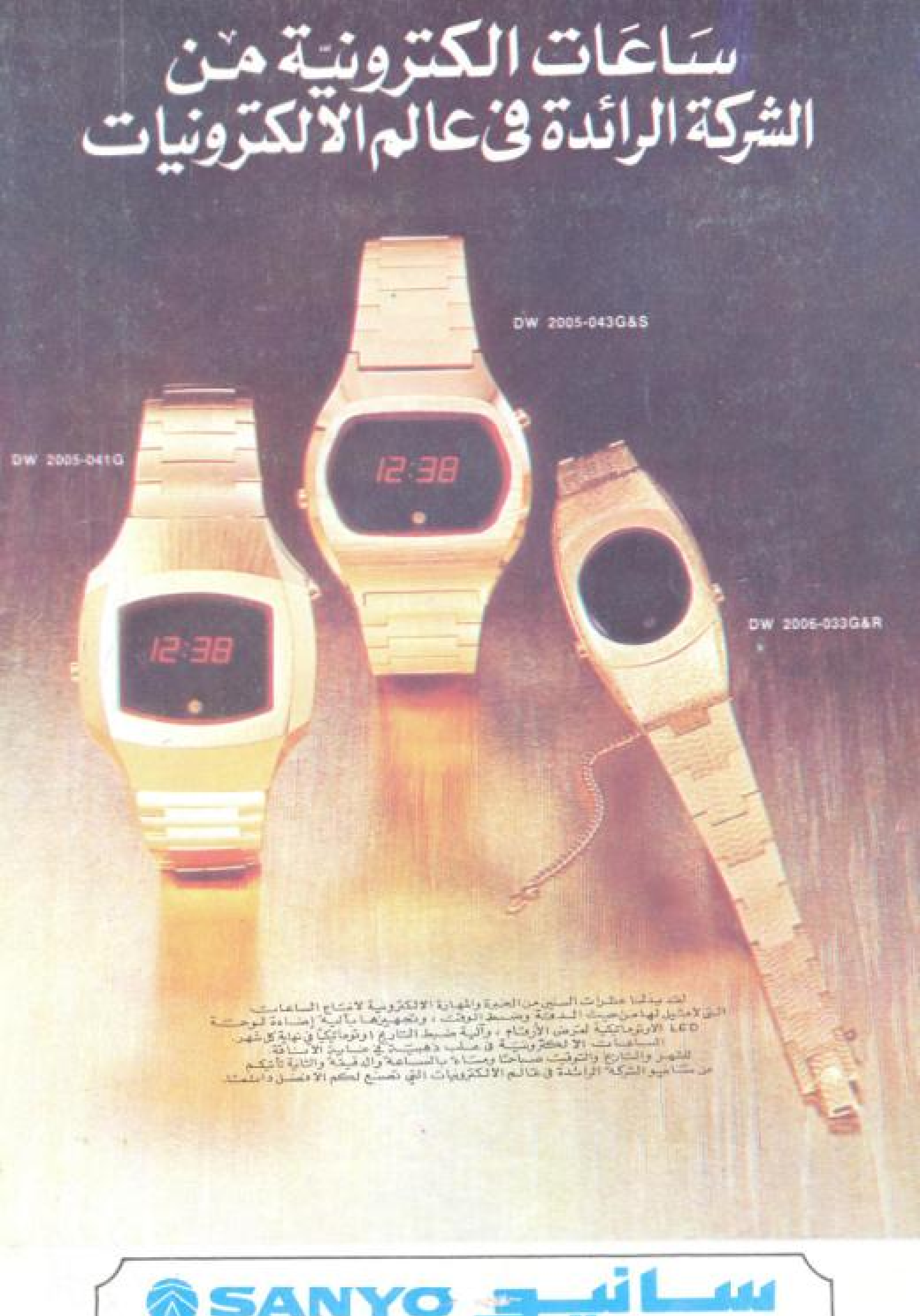
٨٨

يوليوس قيصر

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : د. محمد عوّاد العسيلي
مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافي



التشكيلة التي تجعل شيفروليه
سيارة رقم واحد في أمريكا
أي من هذه هي سيارتك رقم ١ ؟
شيفروليه لديها كل سيارة يمكن لأي رجل أن يتوق إليها .. في معرض
الوكيل بمنطقتك . تفضل بزيارته لترى سيارتك رقم ١
CHEVROLET
GM
جياد ١٩٧٧ الأصيلة من جنرال موتورز
شيفروليه - قسم من مؤسسة جنرال موتورز


ساعات الكترونية من
الشركة الرائدة فى عالم الالكترونيات
DW 2005-043G&S
DW 2005-041G
DW 2006-033G&R
لقد بذلنا عشرات السنين من الخبرة والمهارة الالكترونية لانتاج الساعات
التي لا مثيل لها من حيث الدقة وضبط الوقت ، وتجهيزها بآلية إضاءة اللوحة
LED الاوتوماتيكية لعرض الأرقام ، وآلية ضبط التاريخ اوتوماتيكياً في نهاية كل شهر
الساعات الالكترونية في علب ذهبية في غاية الأناقة
للشهر والتاريخ والتوقيت صباحاً ومساءً بالساعة والدقيقة والثانية تأتيكم
من سانيو الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات التي تصنع لكم الأفضل دائماً
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العربي

العدد ٢١٩
صفر ١٣٩٧هـ
فبراير
(شباط) ١٩٧٧

« سعاد » وانطلاقة جديدة للمسرح في الكويت (ص ١١٨)



لاول مرة : الاقمار الصناعية تكشف كل ثروات الارض العربية (ص ٧٠)



في عيد الاستقلال

عندما تحتفل الكويت بعيد استقلالها هذا الشهر ، فانها تطــوى صفحة من تاريخهــا الحافل وتبدأ صفحــة جديدة ، تواصل من خلالها مسيرة الاستقلال التي انطلقت على دربها منذ ١٦ عاما ٠

وستظل الكويت الدولة والتجربة ، نموذجا يجسد العديد من القيم التي يعتز بها الانسان العربي ٠ ذلك أن الكويت لم تكن بلدا منتجا للنفط فحسب ،على أهميةهذا العنصر وخطورته، ولكنها ايضا كانت ساحة للعديد من الممارسات النابضة بالحياة والحركة ، التي عكست بصدق مشاعر الانسان العربي بمعاناته وطموحاته ٠

فعلى الصعيد القومي وقفت الكويت ، حكومة وشعبا ، في الطليعة الملتزمة ٠ وادت بالعمل قبل القول دورها بصورة مشرفة يعتز بها كل عــربي ٠ لــم تتخلف عن واجب ، بل كانت لها مبادراتها التي اسهمت بصــورة فعالة في دعم الصف العربي وخدمة قضاياه ٠

ولن نذهب بعيدا ، فان تركيب المجتمع الكويتي بصورته الراهنة يعكس بقســمات بارزة لا تخطئها عين ، الوجه العربي للكويت ، حتى صارت كما يقولون بحق : وطن كل العرب ٠

وعلى الصعيد المحلي ، فقد استطاعت الكويت الدولة أن تبنى نفسها ، وتقف على قدميها ، وتقطع شوطا بعيدا في اتجاه البناء والتعمير ورفاهية المواطن ، خلال ســنوات معــدودة ٠ واستطاعت الكويت التجربة أن تشد الانتباه بممارساتها الخصبة عبر مراحلها المختلفة ، وعلى تعدد صيغها ٠

ولا يسعنا ،ونحن نقف علىعتبات عام جديد من الاستقلال، الا أن نعبر عن ثقتنا وتفاؤلنا بالمستقبل ٠ باستمرار المســيرة وتقدمها ، مسيرة الكويت الدولة ، والكويت التجربة ٠

لان البناء الصحي للذات سيظل هو حجر الزاوية في بناء مستقبل عربي مشرق ٠

■■

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

عروبة :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

انت تسال :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 219 FEBRUARY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر





صورة الغلاف •• فن وعلم ••

● اما الفن فتجسده سعاد عبد الله النجمة اللامعة التى اضفت على المسرح فى الكويت مسحة جديدة بادوارها التى تميزت بالعمل الجاد ••
واما العلم فيتمثل فى هذا العمل التكنولوجى الكبير الذى يجرى الان فوق ارضنا العربية •• فلاول مرة تصبح ثرواتنا المدفونة في باطن الارض بين ايدينا بفضل جهود المركز العربى للاستشعار من البعد ••
وكل عمل جاد ، للعمل الجاد سند •• (اقرأ ص ١١٨ و ص ٧٠) •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات • للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص • ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى •

محاولات «صد»...

الغـ

لست ادرى بالضبط اى « غزو حضـــارى » تحدث عنه وزراء الثقـافة العرب ، فى اول اجتماع لهم فى الاردن ، وتنادوا للحديث عنه ، وللبحث ـ بالتأكيد ـ فى وسائل التصدى له ، ودرء مخاطره ، عن الامة العربية ٠٠٠

٠٠٠لست ادرى بالضبط ، لان الصحف ووسائل الاعلام مع الاسف لم تعطنا صورة كاملة عنه ٠

وبالتالى ، فمع الترحيب الشديد بان نفكر لاول مرة ـ ! ـ فى ايجاد تنسيق ثقافى بين البلاد العربية ، فاننى لا اريد ان اظلم وزراء الثقافة بان انسب اليهم ، ربما ما لم يقولوه او يفكروا فيه ٠ ولكن لان الامر مهم جدا على اى حال ، فهو يحتاج الى هذه الوقفة ، ويحتاج الى كـل الفكر العربى فـى بحثه ، وليس الى وزراء الثقافة العرب وحدهم ٠٠٠

واغلب الظن انهم بحثوا موضوع « الغزو الحضارى » من زاويته الثقافية او الفكرية فحسب ٠ ولعل هذا هو اختصاصهم ٠ ولكن « الغزو الحضارى » اوسع من ذلك بكثير جدا ٠ وقبل ان نسميه « غزوا » ، ونتأثر بالمعنى المباشر للكلمة ، ونشرع فورا فى اقامة المتاريس من حولنا لصد هذا « الغزو » ،علينا ان نفهم بالضبط ٠٠٠ حتى نعرف كيف يمكننا ليس « صده » ، والصد وحده امر سلبى ، ولكن كيف يمكننا « مواجهته » و « التعامل معه » ٠

فى البدء يجب ان نتذكر ان الغزو الحضـــارى ـ وفى صــورة مخففة التأثير الحضارى ـ امر عرفته الانسانية خلال عصورها جميعا ٠ الجمـــاعة



● صحيح هناك غزو حضارى تتعرض الأمة العربية له • ولكن الحديث عن « صد » هذا الغزو أمر غير وارد وغير ممكن • وانما المطلوب شىء آخر تماما •

ـزو الحضارى!

بقلم : أحمد بهاء الدين

الانسانية المتقدمة تؤثر على الجماعات الاقل منها تقدما بصورة او باخرى• ان لم يكن فى الفكر والثقافة ففى القانون وطرق الحكم • او فى عادات الملبس والمأكل • او فى اى اسلوب من اساليب الحياة ، بل وحتى عندما تنتصر امة ما ، بالقوة العسكرية ، على امة اعرق منها تقدما ، تتأثر الامة المنتصرة بالامة المهزومة عسكريا ، ولو فى اشياء اخرى بالغة الاهمية •

لقد حطمت الامبراطورية الرومانية ، مثلا ، حضارة الاغريق ، ولكن تأثر روما بحضارة الاغريق ، كان عميقا لدرجة ان حضارة روما صارت الى حد كبير امتدادا لحضارة اليونان القديمة •

ولو نظرنا الى قصة نزول الاسلام ثم انتشاره السريع المذهل ، لوجدنا ظاهرة متشابهة ومختلفة • فقد خرج اهل الجزيرة العربية غير مزودين بأى شىء الا بايمانهم ، وطلبهم للجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، والمبادىء الانسانية التى جاء بها الاسلام • وبهذا وحده هزموا وحطموا امبراطوريات عريقة ، مثل امبراطورية الفرس وامبراطورية بيزنطة ، ثم لم تلبث الحضارة الاسلامية ان تأثرت بالكثير من انماط حياة الذين هزمتهم • فى الثياب • فى الطعام • فى اساليب تنظيم الدولة وادارة الحكم • اثرت وتأثرت • وكان عصر قوتها الكبرى ايام الخليفة المأمون هو اعظم عصور الترجمة فى الفلسفة والعلوم والآداب عن الحضارات الاخرى • كانت قد صارت من القوة الحضارية ومن الثقة بنفسها بحيث لم تخش هذه الترجمة ، بل اقبلت عليها فى نهم شديد ، لانها كانت قادرة على استيعابها وتجاوزها ، وليس الاستسلام لها

او الخضوع امامها • فالحضارة الاسلامية لم تصبح امتدادا لحضارات فارس وبيزنطة كما حدث لروما مع اليونان القديمة • ولكنها كانت حضارة جديدة تماما ، كانت هي صاحبة التأثير الاكبر ، ومصدر « الغزو الحضاري » ، وان كانت قد تأثرت ودرست واستوعبت ما سبقها من حضارات •

ولكننا الآن ـ في هذا المجال ـ امام وضع يختلف تماما عن كل ما سبقه في مجال الغزو الحضاري •

وضع جديد تماما ، يختلف في امرين أساسيين :

الأمر الأول : ان ساحة التأثر او التعرض للغزو الحضاري هذه المرة هي العالم بأكمله • الكرة الارضية كلها • بسبب ما نعرفه من تقدم وسائل الاتصال والانتقال • حتى صار العالم كما قال « مارشال ماكلوهان » : قرية كبيرة واحدة •

الأمر الثاني : ان الحضارة الاوروبية (وامريكا وروسيا على السواء استمرار لها) ، وهي الحضارة الغازية ، لا تقدم للعالم دينا سماويا ، ولا رسالة روحية سامية ، ولكنها تقدم حضارة وقيما مادية في الدرجة الاولى ، مهما صاحبها من افكار وفلسفات ونظم ، ما زالت محل نزاع ، لتنظيم هذه الحضارة المادية •

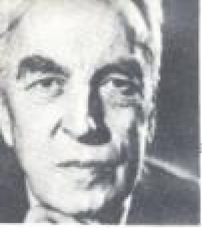
حين خرج المسلم من صحرائه الى الدنيا الواسعة لم يكن يحمل الا القرآن وسيفه !

الآن تهجم الحضارة الحديثة باسلحتها ، وأفكارها ـ حسب جهة الغزو ـ وأنماط حياتها وطعامها وعلاقاتها • تهجم بطائرات لا بد ان نركبها وبضائع لا بد ان نشتريها •وأفلام لا بد ان نراها على شاشات السينما والتليفزيون• تصل بهجومها حتى حجرة نوم الفرد في أبعد مكان ، تطل باغراءاتها عليه من شاشة التليفزيون الملون ، فتؤثر فيه من حيث لا يشعر ، في كل نواحي حياته، توحي له بما ياكل وما يشرب وما يحب ، وما يكره ، وترسم له طموحاته وتحدد له أحلامه التي يجب ان يسعى اليها ، وتشرح علاقاته بزوجته وبناته وأولاده •

فالهجوم الحضاري المعاصر ، هجوم ساحق ماحق ، تهب رياحه من كل اتجاه ، وتتسرب ذرات ترابه من خلال اكثر النوافذ والابواب اغلاقا واحكاما• تحمله الى أنحاء الدنيا الكتب والصحف والسفن والطائرات •• وتحمله أمواج الاثير ، التي لا يمكن منعها ولا الحيلولة دون ان يلتقطها اى انسان ، في اى مكان ، بجهاز « ترانزيستور » صغير ، لا يتجاوز حجم الكف الواحدة •

وهناك من يتصورون ان « صد هذا الغزو الحضاري » ممكن • وهناك من ينادون بذلك ، مكتفين في حديثهم هذا عادة بالعموميات ، والعبارات الانشائية ، دون ان يقولوا لنا : كيف ؟

ولو نظرنا الى الواقع ، ولم ندفن رءوسنا في الرمال ، فاننا نجد ان



توينبي

« صد » هذا الغزو الحضارى ، والاحتماء منه ، مستحيل ٠٠٠ لأنه كما قلت يدخل من الف باب وباب ، ويتسلل مع الريح ، ويطير على امواج الاثير ٠٠٠

لقد « احتمت » دولة اليمن ، مثـلا ، فى فترة من الفترات من هـذه الحضارة بالعزلة الكاملة ٠ ويروى المؤرخ الفيلسوف الراحل ارنولد توينبى فى احد كتبه ، انه ناقش ، قبل ثلاثين سنة ، احد حكام اليمن فى ذلك الوقت عن هذا الموقف ، فقال له : انه لا يريد من حضـارة الغرب شـيئا يعدى بلاده ٠٠ « لا الويسكى ولا البرلمانات » ! ٠٠فهو رأى الحضارة الحديثة بكل حسناتها وشرورها ، ووجد انه لا بد من المنع الشامل ٠٠٠ وكانت النتيجة ما نعرف ٠

واليوم ٠٠ لا يوجد احد فى منجاة عن « الغزو الحضارى » الا بعض قبائل العرايا فى وسط افريقيا ، وقبائل « البابوا » فى جزر جنوب شرق آسيا ، وحتى هؤلاء ، اكتشف العالم وجودهم ٠ وثارت مناقشة منذ سنوات، طريفة واليمة ، بين من رأوا ضرورة تمدينهم بالتدريج ، ومن رأوا الابقاء عليهم كما هم ،نموذجا حيا مستمرا لانسان العصور الاولى ٠٠أى كالاحتفاظ بانواع بعض الحيوانات وحمايتها من الانقراض !

بعد ذلك ، لنأخذ نموذج اى بلد ، كائنا ما كان ، على الكرة الارضية، يريد أن يحيا بشكل أو بآخر ٠

انه بالتأكيد سوف يحتاج ـ مهما ضيق على نفسه ـ الى اشياء اساسية من العالم الصناعى المتقدم ٠ طائرات مدنية ٠ سيارات ٠ معـدات لرصف طرقه ٠ درجة من التصنيع والآلات ٠ مطبعة وورق وجريدة ٠٠ مواد بناء ٠٠ اجهزة راديو تلتقط انباء العالم كله ٠٠ الى آخر السلسلة حسب درجة رخاء كل بلد ٠٠٠

ومع هذا كله سوف يرى الناس ويسمعون وسوف تقوم مدن ٠ والمدن ـ حتى لو سكنها أهلها فقط ـ غير الريف والبادية ٠ بمعنى انها تغير انماط الحياة ٠ الاسرة الكبيرة مثلا تتحول الى اسر صغيرة بحكم المسـاكن الحديثة الضيقة ٠ عادات الاكل والملبس تتغير ٠ المدارس تفتـح ٠ تعرض الأبنـاء لمؤثرات غير البيت ، بل وغير المدرسـة ، يحدث أثره فى عقلياتهم وطريقة تفكيرهم ونوع تطلعاتهم ٠ ولكن مع هذا كله يأتى الأجانب كخبراء لا مفر منهم ، ولا مفر من تأثيرهم فيمن يحتكون بهم، والدولة ذاتها لا بد أن ترسل ابناءها الى الخارج لكى يتعلموا ادارة هذه الامور فى شتى مناحى الحياة ٠٠ وبالتالى يتعرضون لكل الغبار الذرى المتساقط من جو الحضارات السائدة فى البلاد التى يذهبون اليها ٠ ويعودون الى بلادهم مشبعين بدرجات متفاوتة بهذا الغبار ، ناشرين له من حولهم ٠

هذا تصوير بسيط ومتواضع لحظ اقل البلاد شأنا وابعدها موقعا ،من

وجوه التعرض للغزو الحضارى المعاصر • وقد ذكرت بعض الاولويات التى لا مفر منها • ولم اذكر ما يحدث فعلا من اضعاف اضعاف ذلك • فاين المفر من هذا الغزو ؟ وكيف يمكن « صده » ، بمعنى احكام الابواب والنوافذ دونه؟ وما بالنا اذا كنا نحن العرب بالذات لسنا شعبا بدائيا ، ولا نقع على هامش الدنيا ، بل اننا أمة تتوسط العالم جغرافيا واســـتراتيجيا ، ووثيقة الصلة بمصالح عالمية كبرى ، ولها اكثر من ماض واكثر من تراث • ولها سابق عهد بانوار الحضارة والمعرفة والاحتكاك بالعـــالم والنصر والهزيمة والاحتكاك بالحضارات الاخرى وتحديها ؟

اين المفـــر ؟

وهل يمكن ـ كما يظن البعض ـ ان الحضـــارة الغــازية ، يمكن « تعقيمها » عند الحدود ، كالشخص الذى يجب ان يحمل شهادة تطعيم ضد الكوليرا ، بحيث تدخل الحضارة دون « أمراضها » •• ؟

هناك طبعا اشياء يمكن ايقافها عند الحدود بهذا المعنى • ولكن هناك ما يعتبر جزءا لا يتجزأ منها بحيث لا يمكن معالجتها بأى مصل كان • كأثر الانتقال الى المدن الكبرى فى تكوين العلاقات الأسرية ،او كأثر برامج الاذاعة الملتقطة عبر موجات الاثير •

اذن ، فما العمل ؟ •••

ان الانغلاق مستحيل ، لأن معناه ان ندير ظهـــورنا للحياة ، ونعتزلها تماما • ثم انه حتى لو اردناه فهو غير ممكن لاننـــا اذا اعتزلنا الحياة فان ديناميكية الحياة المعاصرة لا تعتزلنا وليست مستعدة لذلك • واسباب عملها مع غزونا حضاريا كثيرة• فهى اما ـ عقائديا ـ تريد أن تنشر بيننا مذاهبها، واما ـ تجاريا ـ تريد أن تبيع فى اسواقنا بضائعها • واما ـ اقتصادية ـ فهى تستورد او تشترى او تحصل على ما لدينا من خامات تريدها •

اذن ، فما العمل ؟ ••

يجب فى البداية ان نستبعد من لغة القول عندنا عبارة « صد الغزو » الحضارى ، لما توحى به من معنى ســلبى ، انغلاقى ، وغير ممكن تحقيقه • وانما من الانسب ان نستخدم فى هذا العنوان « مواجهة التحدى الحضارى والتعامل معه » •

وليس الامر طبعا تغيير جملة بجملة ، او عنوان بعنـــوان • واهمية العنوان ليست الا فى ان يعطينا ـ نفسيا وذهنيـــا ووجدانيـــا ـ المؤشر الصحيح ، الى الاتجاه الصحيح •

مواجهة التحدى الحضارى والتعامل معه معناه :

* ان نفتح عقولنا تماما للتحديات الحضارية بكل صورها • يجب ان نقرأ كل شىء ، ونسمع كل شىء ، ونناقش كل شىء • ويجب ـ فى الجانب المادى ـ ان نتعلم وندرس كل فروع المعرفة الحديثة ،واستخداماتها التطبيقية،

العملية ، ابتداء من السلاح العسكرى وانتهاء الى السلع التى تسهل حياة المواطن فى العصر الحديث •

فى الجانب المادى ، لا يكفى ان نكون « مشترين » فقط • انما يجب ان نتقن الفنون والعلوم المتصلة بجوانب الحضارة المادية ، وهو الجانب الطاغى ، حتى نطوعها لارادتنا ، ونشارك فى التحكم فيها • واننا لنرى امامنا كيف اقبلت اسرائيل مثلا على جانب العلوم الالكترونية ،علوم المستقبل بالذات • فركزت عليها ، حتى استطاعت ان تكون منتجة لأجهزة التحكم والتصويب المطلوبة الآن فى كل قطاع •• وبالتالى استطاعت ان تصنع الطائرة الحربية ، والصواريخ الصغيرة ، والزوارق البحرية ، وبعض انواع الطوربيد • وعلى نطاق اوسع ، رأينا كيف عكفت اليابان على دراسة كل علوم الحضارة ، ثم لم تلبث ان تفوقت ، وسبقت •

وفى الجانب الفكرى ، لا يجوز ان يكون هناك امام مراكز البحث والجامعات والمعاهد جدار ، ولا ان يكون هناك ممنوع •

واذا اتفقنا على هذا المبدأ الاولى العام ، فانه بعد ذلك يظل لنا دائما حق الانتقاء ، فى كافة المجالات ،فقد تضطر دولة ازاء ظروفها الاقتصادية ان تحظر استيراد سلع كمالية معينة مثلا •• ولكن السلع هى نتاج العلم وليست العلم ذاته •• وحظر استيراد السلعة او تحديده لا يعنى حظر استيراد العلم نفسه او تحديده •

※ ولكن اذا فتحنا صدرنا وفكرنا للحضارة الحديثة ، فمن اين يأتى عنصر المقاومة لما هو ضار منها او غير مناسب لنا ، ومن اين تأتى الحصانة ؟

هذا يقودنا الى الركن الثانى اللازم والضرورى من اركان « مواجهة التحدى الحضارى والتعامل معه » •

هذا الركن الثانى قد تفتقده بلاد نامية غيرنا ، ليس لها تراث ، ولكن فى حالتنا بالذات ، فان لنا فى ارضنا جذورا ضاربة الى اعماق بعيدة جدا، من الدين ، والتراث ، والتاريخ ، والعادات والتقاليد •

ان عملية احياء هذه الجذور ، هى هذا الركن الثانى • هى سلاحنا الحقيقى فى مواجهة « تحديات الحضارة » • السلاح الاعمق والاقوى من سلاح الانغلاق بجدرانه الواهية التى لا تمنع شيئا •

هذه الجذور الضاربة الى اعماق بعيدة فى ارضنا،قد طال بها الجفاف• لم تشرق عليها الشمس ولم يرو عطشها الماء منذ ازمان وازمان •

لا شيء يجعل هذا كله يورق من جديد ، الا تعريضه لضوء البحث والمناقشة والاجتهاد • فيتجدد شباب الشجرة الوارفة كلها • تسقط منها الأوراق الميتة التى علقت بجوهر تراثنا فى عصور الاضمحلال والظلام •وتزهر الغصون والأوراق الاصيلة ، المليئة بالحياة •

هذا الاحياء المستنير المتفتح الواعى ، هو الذى سيجعل الحصانة من



ابن خلدون

بعض أمراض الحضارة كامنا في كل نفس ، وجزءا من تكوين مجتمعنا الذهني والنفسي • حصانة لا تقاس اليها ابدا حصانة مصطنعة من الابواب والنوافذ المغلقة ، ودفن الرءوس في الرمال ، في عصر تتسرب فيه ذرات الحضارة ـ كما قلنا ـ على موجات غير مرئية من الاثير •

ولكي ننتقل من مجال التعميم الى مجال التخصيص والتحديد • خصوصا وان الحديث قد بدأ باجتماع وزراء الثقافة العرب ، وفي رعاية المنظمة العربية للثقافة والفنون والعلوم ، فان هناك مثلين محددين ، ارى انه من الضروري ان يرى كلاهما النور ، وهما يعبران ـ كمجرد نماذج ـ عما أقصد اليه •••

في مجال الاحاطة بكل عناصر المعرفة الحديثة ، ماذا نجد ؟

نجد انه ليس لدينا الا دور للنشر ، قامت اساسا كعمل تجاري ، وهذا حقها • فهي تختار الكتب التي تتوقع رواجها • والتي لا تكلفها كثيرا ،فتقبل عليها تترجمها وتطرحها في الاسواق • وهناك حكومات تنافس دور النشر الفردية في هذا الاسلوب •

ولكن المطلوب في مجال الترجمة ، أمر آخر تماما ، لو يتم فانه لن يقل قيمة عن فتح عشر جامعات ضخمة باكملها •



دستويفسكي

ان الشاب في انجلترا ـ مثلا ـ يشب فيجد كل أمهات الكتب ، كتب النصوص الاساسية ، موجودة ميسرة له في لغته حتى ولو كانت مكتوبة في اصلها بالالمانية او الفرنسية او الروسية ••• ولغات اخرى كثيرة ، انه سيجد فكتور هيجو بالانجليزية مثل شكسبير تماما ، وفلسفة شوبنهاور وكانت الالمانية بالانجليزية ، مثل فرانسيس بيكون • ودستويفسكي الروسي في لغة شارلز ديكنز • ولا استطيع ان اضرب امثلة بكتب سائر العلوم • المهم انه لا يجد ان اللغة عقبة في طريق توغله في العلم الذي يختار وفي سن مبكرة • هذا يجده الطالب والباحث الامريكي والانجليزي والفرنسي والالماني والروسي • ومنذ سنوات كانت اليابان قد ارسلت شابا الى القاهرة يقضي سنوات لتعلم اللغة العربية بهدف اساسي هو: ترجمة «ابن خلدون» الى اللغة اليابانية •



شكسبير

في بلادنا العربية لا نجد هذا • لا يحيط بهذا الا احد اثنين • اما ذلك الذي تفرق وارسلته بلده الى بعثة في الخارج، وهو نوع نادر في عدده • او ذلك الشديد الاصرار ، الذي يقضي سنوات لاتقان لغة اجنبية واحدة ليعرف كنوزها وفكرها ، عن طريق مباشر •

وقدناديت كثيرا بان هناك الف كتاب أساسي ـ مثلا ـ في شتى العلوم والفنون ، يجب أن يجدها الشاب العربي في لغته • وترجمة هذه الكتب تكلف كثيرا • نعم • ولكنها حتى على المستوى التجاري ستكسب • لانها هي



ديكنز



هيجو

الكتب التي ستقرؤها الاجيال مئات السنين. وهي مع ذلك تكلف اقل من مباني كلية جامعية واحدة ! ولكن أثرها ـ كما قلت ـ يفوق اقامة عشر جامعات جديدة !

ولو فعلت وزارات الثقافة او التربية العربية ـ مجتمعة ـ هذا الجهد ، لحققت قفزة هائلة في استيعاب شبابنا لجوهر الحضارة ، في سن مبكرة ، سن التشبع وما قبل الابداع وقبل بلوغهم سن التعب والعقم .

انتقاء الترجمة حاليا ـ مما يغرق الاسواق ـ يتم اما لاغراض تجارية، او سياسية ، او غيرها . لان هذا الجهد المطلوب ، نقل الحضارة الحديثة الى اللغة العربية مرة واحدة والى الابد ، يحتاج الى جهد اخر ، ودافع آخر ، وأسلوب اخر في الانتقاء ...

وبالمقابل ، في باب احياء التراث ...

مرة اخرى ، نجد احيانا بعض جهود مشكورة . ولكنا نجد على الاغلب ان نشر التراث أخذ طابع التجارة . او طابع عدم التمييز. فكل كتاب مرت عليه السنون وعلاه التراب ، فهو تراث ، يعاد تحقيقه ونشره على الناس . في حين ان هذه عملية يجب ان تتم من خلال انتقاء شديد ، يفرق بين السمين والغث ، بين فكر عصور النهضة وبين فكر عصور التخلف ، فتاوى عهود العدل وفتاوى عهود الزلفى والملق والانتفاع ، فالى جانب الواجب الاصلى وهو أن نفهم ديننا وتراثنا على وجهه الصحيح،فاننا نريده غذاء نفسيا وعقليا قويا ، يواجه به شبابنا رياح « الغزو الحضارى » يستوعبونها ويستخدمونها ، فلا تجرفهم ولا تستخدمهم ...

يبقى الركن الثالث الذى لا يتجزأ فى ضرورته ، عن الركنين السابقين معا .. وهو ، ضرورة البحث عن اجابة ما ، لسؤال هام ، وهو : اى صيغة حضارية نريد الوصول اليها ، ونراها مناسبة لنا ، ونساهم بها فى الحضارة الحديثة الانسانية بوجه عام ؟ ...

سؤال ليس من السهل الاجابة عليه ، وبالتالى لا نتوقع انيجيب عليه اجتماع وزراء ، او مؤتمر مفكرين ، ولكن الاجابة قد تأتى اذا طرحنا أولا السؤال على الذهن العربى العام ، واذا نجحنا فى ان نجعله يشغل بال كل القيادات فى بلادنا ... بالمعنى الواسع للقيادات .. اى القيادات السياسية والفكرية والعلمية والفنية .

وهو سؤال حاولنا ان نطرحه فى مجلة « العربى » فى اعداد كثيرة .. من زوايا مختلفة .. اقتصادية او اجتماعية .. ولا بد ان نمضى فى طرحه ، والالحاح عليه ، وفتح باب المناقشة فيه ...

فمن ناحية ، لاشك ان للحضارة الحديثة امراضها ، التى ظهرت فى

المجتمعات المتقدمة والتي يبحث فيها اصحابها انفسهم ويبحثون لها عن علاج · فقيام المدن الضخمة المزدحمة ، خلق ظروف الحياة غير الصحية ،ونشر انواعا جديدة من العنف والجريمة ، وقيام الصناعات بلا تخطيط جنى على البيئة ولوثها ·· وترك وسائل الاعلام لعنصر الربح أفسح المجال للاباحية ولاشكال عديدة من الانحلال · فمن واجبنا اذن ان لا نبدأ كما بدأوا وننتهي تماما الى ما انتهوا اليه · انما علينا ان نفيد من الدروس ·

ومن ناحية اخرى · فان عددا كبيرا من العلماء يطرحون سؤالا هاما : هل التنمية المادية كما حدثت في الغرب هي المعنى الوحيد « للتقدم » · وهل على دول العالم الثالث ان تسلك نفس الطريق ، وتخضع نفسها لنفس الضرورات ، حتى تصبح متقدمة ، ام ان هناك ترجمات اخرى لمعنى التقدم ، وانماطا اخرى للحياة ؟

مناقشة لن أتوسع فيها هنا · فالمقصود فقط مجرد الاشارة اليها ، في مجال الحديث عن كيفية « مواجهة التحديات الحضارية » باكثر من سلبية تعبر « ضد الغزو الحضاري » الذي يوحي بسياسة انغلاق،وبنفسية الحياة في مدينة محاصرة ، في حماية أسوار عالية ، وهي حتى بهذه السلبية لن تقوى على صد اى غزو حضاري ···

·· وبمناسبة الغزو الحضاري

يابانيون يطبعون العربية دون معرفتها !

منذ سنوات بعيدة ، كنت في رحلة الى اليابان ···

والتقيت هناك بشاب صحفي فلسطيني اسمه الاستاذ عمر طه · كانت قد ارسلته جريدة « الانوار » اللبنانية الى طوكيو ، في مهمة صحفية · ولكن الحياة هناك راقت له · وقال لي انه قرر البقاء في اليابان · وتزوج فتاة يابانية · وكان لي خلال اقامتي نعم الرفيق ، بحكم معرفته ـ المبدئية في ذلك الوقت ـ بالبلد ، ولغتها ، وعاداتها ···

ومرت سنوات طويلة ···

ــ ومنذ بضعة شهور تلقيت منه رسالة من اليابان ، مكتوبة على الة كاتبة باللغة العربية ، ومعها كتاب اعلامي بالغ الاناقة عن اليابان ، مطبوع باللغة العربية ايضا ···

وفي الرسالة يذكرني بلقائنا القديم في طوكيو ، ثم يقول : « ·· لقد امضيت حتى الآن عشرين سنة في اليابان بالتمام والكمال·واعمل حاليا رئيسا لتحرير دار نشر وطباعة باللغة العربية هي الوحيدة في اليابان · والكتاب المرفق واحد من مطبوعاتنا · وقد تستغرب اذا ما علمت ان منضدي الحروف

لدينا لا يعرفون شيئا من لغتنا • ومع ذلك ليس هناك ما يعتبر مستحيلا في دنيا العلم والطباعة بالعقل الالكتروني•فقد حولنا الساعة الى احرف عربية، وكذلك فعلنا بالنسبة للحاسبة الصغيرة والكبيرة • واخيرا وليس آخرا بالمبرقة الاولى باللغة العربية••واذا اتيتفسوف تعجبكامور اهمواكثر مدعاة للدراسة والتقييم • بل ان السكرتيرة التي تطبع هذه الرسالة لا تعرف لغتنا العربية ! ثم ان الآلة الكاتبة العربية هـــذه من صنع ياباني ، فتامل ! والله الموفق ، مع اطيب التمنيات ومزيد من النجاح »

مطابع باللغة العربية يعمل عليها عمال يابانيون لا يعرفون اللغـة ؟

آلة كاتبة عربية تعمل عليها سكرتيرة يابانية لا تعرف اللغة • وهـذا وذاك في طباعة انيقة ليس فيها غلطة واحدة ؟

اولا : كيف يكون ذلك ؟ ! انني اعترف ان معلوماتي ـ او فلاقل خيالي ـ العلمي المحدود لم يفهم من هذه السطور شيئا • وقد وجدت ان خيالي هذا يستوعب هبوط مركبة فضائية على المريخ ولا يستوعب قيام عمال يابانيين بطباعة كتب بلغة عربية لا يعرفونها ! واننى لاتمنى على الاستاذ عمر طه ان يرسل لي وللقراء مزيدا من الشرح للعملية • او فليفعل ذلك احد مهندسي الطباعة عندنا الذين اعتقد ان فيهم بالتاكيد من يعرف شيئا عن ذلك !

ثانيا : ماذا أبقى العلم الحديث للانسان ؟

اذا كانت مراكز العلم والتكنولوجيا المتقـــدمة فى العـــالم ، قــد سيطرت ـ وتزداد سيطرة ـ علـى سكان هذا العـالم فـى ثيابهم وطعامهم ، والاذاعات التي يسمعون ، والافلام التي يرون ، وسيطرت على ما يركبونـه من سيارات او طائرات ، وما يستخدمونه من اجهزة اتصال ، او سلاح ، وحتى انتاج المواد الغذائية • في اى ارض ، وفي اى طقس ••• فقد كان باقيا لكل شعب من خصوصياته شيء أساسي على الاقل ، هو : لغته القومية !

فالكتاب العربى مثلا لا بد أن يطبع في بلد عربي ، او اذا طبع في بلد اجنبي فبايد عربية ، او أيد درس أصحابها اللغة العربية • المهم ، ان اصحاب اى لغة تظل لهم ميزة على غيرهم ولو في هذا المجال •

ولكن ، ها هو العلم يقتحم حتى هذه الخصوصية ويطوعها له • أي صار ممكنا ان نجد بلدا اجنبيا يتفـــوق علينا ويسبقنا في طباعة مـــؤلفاتنا ، وافكارنا ، وتراثنا ، ويصدرها الينا ، دون ان يكون في حاجة الى ان يعرف شيئا عن لغتنا !

اليس هذا وحده كافيا لان يشعرنا « بصدمة حضارية » عنيفة ؟ اليس كافيا لان يشعرنا بالعصر الذى نعيش فيه ؟ وبتفاهة ما نضيع فيه وقتنـا ، ومواهبنا ، واموالنـا ؟

■■

احمد بهاء الدين

ترجمة الماضى إلى

محمد عبده



ازرا باوند

صموئيل جونسون

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ ماذا نصنع لنعيش بماضينا في حاضرنا ؟هذا هو السؤال الذى طرحناه على أنفسنا الف مرة ، وحاولنا الجواب الف مرة ، ولا أحسبناقد انتهينا الى صيغة واحدة يرضى عنها الماضى والحاضر معا ، ودليل ذلك قريب ، وهو اننا الى يوم الناس هذا نجد بيننا من لا يزال يتشكك فى العلم وقيمته وفى العقل الانسانى وقدرته •

شاء لى الله أن يصلنى منذ وقت قريب كتابان فى يوم واحد ، أحدهما لكاتب مرموق ولامع وذى جذب شديد لجماهير القراء والسامعين والمشاهدين ـ السامعين للراديو والمشاهدين للتلفزيون ـ والآخر لمؤلف لم اكن قد سمعت باسمه ، لكننى استنتجت من قوة عبارته انه لا بد أن يكون ذا وزن فى محيطه الخاص ، وأما الكاتب الاول فقد أراد بكتابه أن يقول أن العلم « يتبجح » (هذه هى اللفظة التى استخدمها) وان الحياة المثلى هى فى التصوف ، وأما الكتاب الثانى فقد أراد صاحبه أن يقول ان الارض لا تدور ، وان كل ما يقوله العلم غير ذلك فهو خطأ وضلال ، ومن الاسانيد التى اعلن انه ارتكز عليها فى الوصول الى تلك النتيجة ، الآيات الكونية فى القرآن الكريم •

فاذا كان المناخ الثقافى الذى نتنفسه ، قد أمكن أن يفرز لنا مثل هذه الكتب ، وأستطيع ان أجزم بان احد الكتابين السابقين ـ على الاقل ـ قد بيعت منه عشرات الالوف من النسخ ، أى انه كان غذاء تطلبه النفس العربية فى يومنا ، فلا بد ـ اذن ـ ان يكون المثقفون العرب بعيدين بعدا شاسعا عن أن تكون لهم صيغة ثقافية واحدة تجمع بينهم ، ودع عنك أن تكون هذه الصيغة الواحدة مما يدمج الماضى فى الحاضر دمجا عضويا متكاملا ، لان الحاضر أساسه علم وصناعة ، وها قد اقبل الوف القراء على من يقول لهم ان



الطهطاوى



الخيام



الجاحظ

حاضر

العلم يتبجح ، ولست ادرى كم منهم قد اقبل كذلك على قراءة من جاء ليزعم لهم ان الارض لا تدور ٠

ماذا نصنع ؟

ولكنى برغم ذلك كله ما ازال أسال : ماذا نصنع لنعيش بماضينا فى حاضرنا ؟ وما زلت أعتقد فى أنه سؤال لبث مطروحا علينا منذ قرن ونصف قرن : كان هو السؤال الذى طرحه رفاعة الطهطاوى والذى طرحهالشيخ محمد عبده، والذى طرحه المفكرون والادباء خلال الفترة التى أعدها بحق عصرا للتنوير ، وأعنى بها عشرينات هذا القرن وثلاثيناته ، وما نزال نطرحه الى يومنا ، جادين مرة هازلين مرة ، نطرحه بشىء من العمق مرة وبكثير من الضحالة مرات ٠

وهاأنذا أتناوله اليوم من زاوية جديدة ، لعل فيها ما يقربنا مما نريد ، فلقد طاف بفكرى ان يكون المطلوب شيئا من « الترجمة » الحضارية ، فكما أن عملية الترجمة تحول النص المترجم الى صورة جديدة مع احتفاظها بمعنى النص كاملا ، فكذلك قد تكون عملية التحول التى نريدها ، اذ ان لدينا ما يشبه النص الذى نتشبث بان يظل لبه مصونا من العبث ، لكننا فى الوقت نفسه نريد له ان يتخذ صورة جديدة مقروءة لمن يعجز عن قراءته فى صورته الاصلية ٠

وما ان طافت هذه الخاطرة بفكرى ، حتى رأيت ان تكون خطوتى الاولى فى تناول الموضوع ، نظرة فاحصة بعض الشىء لعملية الترجمة نفسها، لعلها تضىء الطريق ٠ وكان أول ما ورد الى ذاكرتى عندئذ عبارة كنت قرأتها لكاتب هندى ، قال فيها ان للترجمة تقليدا طويلا راسخا فى الفكر العربى ، وكان ذلك منذ عصر المأمون حين انشأ « بيت الحكمة » فى بغداد ليقوم على ترجمة التراث اليونانى من فلسفة وعلم، ولم تكن الهند كذلك ـ كما قال هذا الكاتب الهندى ـ اذ لبثت الثقافة الهندية طوال عصورها محرومة من مثل هذه الروافد ، ولم تاخذ فى فتح أبوابها للترجمة الا منذ القرن التاسع عشر ٠

فلا بأس اذن ـ بالنسبة الينا نحن العرب ـ فى ان يكون النموذج الماثل فى عملية الترجمة معيارا يقاس اليه ، غير أن الترجمة ليست كلها على غرار واحد ، وان اتفقت على أن تكون دائما

امينة بقدر المستطاع على المضمون المراد نقله من حالة الى حالة ، فهنالك — اولا — الترجمة التى تلتزم النص جملة جملة ، واكاد اقول كلمة كلمة لولا أنى أعلم ان ذلك محال ، وتلك هى الترجمة التى تكون فى النصوص العلمية او ما يشبهها ، فها هنا لا مناص من تتبع الاصل كما هو ، فلا يجوز للمترجم ان يضيف اليه من عنده، ولا أن يحذف منه ما لا يتفق مع هواه ، انه قد يجد فى العبارة الاصلية تكرارا ، وعندئذ ينبغى له أن يورد مثل هذا التكرار فى ترجمته ، او قد يجد فيها ما يظنه سخفا او خطأ ، فلا يجوز له أن يحول السخف الى جمال يتبرع به ، ولا ان يصحح الخطأ بصواب من عنده ، وهنا نذكر عبارة قالها الدكتور جونسون — الاديب الانجليزى فى القرن الثامن عشر — اذ قال : لا تحاول قط يا سيدى ان تتفوق على من تترجمه .

وليس هذا النوع من الترجمة الحرفية — كما يقولون — هو ما نعنيه اذ نتساءل هل يمكن ، وكيف يمكن ان « نترجم » تراثنا ترجمة حضارية، بمعنى أن نحافظ على عبيره فى حياة معاصرة ؟ اقول ان هذا النوع من الترجمةليس هو ما نعنيه، لانه لو كان الامر كذلك ، لاعدنا القديم نفسه بلا تغيير ، سوى أن نحول المخطوط — مثلا — الى مطبوع ، أو أن نحول المطبوع الى مطبوع ومشروح ، أو أن نغير الورق الاصفر الى أبيض ناصع مصقول .

صورة أخرى للترجمة

لكن للترجمة صورا أخرى، منها ترجمة الشعر من لغته الاصلية الى لغة أخرى ، صحيح ان الرأى مجمع على أن ترجمة الشعر مستحيلة، الى الدرجة التى أراد بها الشاعر الامريكى « روبرت فروست » أن يعرف (بتشديد الراء) الشعر ، فلم يجد خيرا من قوله انه هو ذلك الجزء من الكلام الذى يستعصى على الترجمة ، وها هو ذا الجاحظ فى أول الجزء الاول من كتابه «الحيوان» يقول عن الشعر وصعوبة ترجمته : « الشعر لا يستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه ، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب ... وقد نقلت كتب الهند ، وترجمت حكم اليونانية ، وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسنا ، وبعضها ما انتقص شيئا ، ولو حولت كلمة العرب (التى هى فى اشعارهم) لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن ، مع انهم لو حولوها لم يجدوا فى معانيها شيئا لم تذكره العجم فى كتبهم » .

ومع ذلك فقد شهد تاريخ الاداب العالمية ترجمات للشعر ، ترجم شكسبير الى لغات كثيرة، وترجمت الياذة هومر الى الانجليزية (وغيرها) على أيدى فحول الشعراء ، وكان منهم «بوب» و «تشابمان» ، وترجم الخيام ترجمات ذائعة الصيت ، كترجمة فتزجرولد لها ، فلنقف هنا وقفة متأنية ، باحثين عن جوهر الترجمة عندما تكون نقلا للشعر من لغة الى لغة ، لاننا نلمح فى مثل هذه الترجمة شيئا هاما مما نريد تحقيقه عند « ترجمتنا » الحضارية التى تضع تراثنا فى اطار جديد ، هو اطار العصر الحاضر بكل ما فيه من علوم وتقنيات (تكنولوجيا) وأجهزة الكترونية وغيرها .

ماذا يصنع مترجم الشعر ؟ انه بالبداهة لا ينقل عن النص كلمة كلمة، بل هو لا ينقله جملة جملة ، انما هو ينقله — على أحسن الفروض — مقطوعة مقطوعة ، ولقد كان لى فى ذلك خبرتان: احداهما عندما قرأت الترجمة الانجليزية لرباعيات الخيام — ترجمة فتزجرولد — فقد وجدت عندئذ شيئا لم أكن أعرفه من قبل، ولا توقعت حدوثه ، وهو أن المترجم كان يعيد ترجمة المقطوعة الواحدة أحيانا ليظفر لنفسه بصورة ترضيه ، فكم عجبت يومئذ حين رأيت المقطوعة الواحدة فى صورها المختلفة عند هذا المترجم الواحد ، توشك الا تكون هى هى المقطوعة ذاتها ، فالشاعر الانجليزى فى ترجمته للشاعر الفارسى ، كان أقرب الى من يحول الخبز واللحم فى طعامه الى دماء تجرى فى عروقه ، فهذه الدماء هى فى الحقيقة « ترجمة» لما كان أكله من لحم وخبز ، وهكذا كان أمره مع الرباعيات ، لقد شربها شربا وخلطها بذاته خلطا ثم أخرجها كائنا جديدا ، وكان هذا الكائن الجديد هو رباعيات الخيام ولم يكن هو رباعيات الخيام فى ان واحد ، ها هنا تكون الترجمة خلقا جديدا ، لكنها فى الوقت نفسه هى هى الاصل الذى هى ترجمته ، انها أقرب الى ما يصنعه النحل وهو يحول الزهر الى عسل ، منها الى النمل الذى يدع طعامه مخزونا كما وجده .

محاولة لترجمة شعر العقاد

واما الخبرة الثانية التي اشرت اليها ، فكانت حين اردت (في الاربعينات وانا في انجلترا) ترجمة شيء من شعر العقاد ،وكان ذلك اول الامر في مناسبة ثقافية اقتضت ان اعرض على الناس نموذجا من الوجدان العربي الجديد ،فترجمت شعر العقاد شعرا انجليزيا ،فعرفت بالمعاناة كيف ان الامر هنا يحتاج الى شيء من الهضم واعادة التشكيل .

ان مترجم الشعر لا غنى له عن تقمص الشاعر الذي يترجمه في لحظات ابداعه الشعرى ،لتجيء الترجمة حاملة نفس الروح التي بثها الشاعر في شعره . فلا علينا بعد ذلك ان يتغير اللفظ من اصل الى صورة، وفي هذه المناسبة من الحديث اذكر انني ـ منذ نحو خمسة عشر عاما ـ وقد كنت حينئذ عضوا في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة ، وكان مقرر اللجنة هو العقاد ، واردنا ان ننهض بمشروع ترجمة مختارات من الشعر العربي الى لغات اوروبية مختلفة ، ونيط بي امر الترجمة الى الانجليزية فعن لي ان أتصل بالشاعر « ازرا باوند » وهو في منفاه في ايطاليا ايامها ، واستطعت الحصول على عنوانه والمعروف ان « ازرا باوند » ترجم الى الشعر الانجليزى شعرا شرقيا من اليابان والصين ، فأرسلت اليه اعرض عليه ان نرسل اليه صورة نثرية دقيقة لما نريد ترجمته من الشعر العربي الى شعر انجليزى ، ليضطلع هو بصياغتها في شعر انجليزى ، فارسل الرجل الى يوافق من حيث المبدأ ، ولكنه يشترط ان نسجل له الشعر العربي المراد ترجمته على شرائط ، ليسمعها وهي مقروءة بالعربية، حتى يمتلىء بالنغم العربي قبل ان يترجم ، ضمانا لدقة النقل الادبي من لغة الى لغة .

ان امانة الترجمة في الشعر لا يقصد بها دقة التوافق والتطابق بين نص لغوى ونص لغوى آخر، بل يقصد بها قبل ذلك وبعد ذلك دقة التلاؤم عند المترجم بين الترجمة ونفسه ، فما ليس له في نفسه صدى، يستحيل ان تجيء ترجمته شعرا كما كان في اصله شعرا ، فالترجمة في الشعر هي اشبه شيء بالتصوير الفوتوغرافي عندما يكون المصور فنانا ، لاننا نستطيع القول ان هناك ثلاث درجات في التصوير : التصوير الفوتوغرافي الصحفي ـ اذا صح هذا التعبير ـ يتلوه التصوير الفوتوغرافي الفني ، ثم يتلوه التصوير الفني الذى ليس له اصل يراعيه ،ففي ترجمة الشعر يكون امامنا اصل لا بد من مراعاته ،لكننا في الوقت نفسه اذ نراعيه ونأخذه في الاعتبار الاول ، لا نتقيد بتفصيلاته مادمنا نحافظ له على روحه وجوهره . ان مترجم الشعر انما يضع لنا طريقة استجابته للشعر الذى يترجمه ، ولا يهمه ان يضع لنا صورة طبق الاصل منه، وهذه هي «الامانة» المطلوبة في هذه الحالة فهي ليست الامانة الشكلية المتحجرة المقيدة ، ولكنها الامانة بعد ان دبت فيها الحيوية حتى لا تكون القطعة المترجمة كالجثة الهامدة . ولقد قال في ذلك فتزجرولد ـ مترجم الخيام الى الانجليزية ـ قال في ذلك « ان لم تكن ذاكرتي قد اخطأت نسبة القول الى قائله : انني اوثر عصفورا حيا على نسر محنط » .

ونعود بعد هذه السياحة الطويلة في ترجمة الشعر ، الى موضوعنا الاصلي :

رؤوس ثلاثة !

كيف نعيش بماضينا في حاضرنا ؟ والان اقدم الجواب : اننا نفعل ذلك بمثل ما يعيش مترجم الشعر قصيدة الشاعر الاصلي ولكنه يعيشها في لغته هو التي يترجم اليها ، حاول ان ترسم لنفسك هيكلا تخطيطيا عاما للحياة عند اسلافنا ، فكيف تراها ؟ اما انا فاراها حياة تتركز اساسا في رؤوس ثلاثة : خليفة وفقيه وشاعر ، وبعد ذلك تجيء مناشط الناس من تجارة وصناعة وملاحة بالبحر وانتقال في البر وحروب الخ الخ ، لكن الاقطاب التي تدور حولها الرحى هي هؤلاء ،فكيف نترجم هذا الهيكل ترجمة شعرية ؟

لم تعد رئاسة الحكم الى خلافة ، ولكنها ـ اذا سايرت عصرنا ـ رئاسة تعتمد على جماعة من الفنيين في مناحي الحياة ، فهم مهندسون واقتصاديون وزراعيون وما الى ذلك ، وليس هذا التغيير مقتصرا على الشكل ، بل هو ضارب الى الجذور ، لانه اذا كان الخليفة يغير حاشية من

التكنوقراطيين ، فهؤلاء التكنوقراطيون اليوم بغي ابهة الخلافة ، فالامر هنا امر علم وتطبيقه ،وليس العلم في حياة عصرنا « متبجحا » كما قال الكاتب العربي الذى اشرت اليه في اول المقال ، بل هو من حياتنا اليوم في صميم الصميم ،او ينبغي ان يكون كذلك .

كان الخليفة والى جانبه الفقيه يعملان معا على ضبط السلوك ضبطا ترضى عنه قواعد الاسلام ، وهذا شيء كان ولا بد أن يكون وان يظل كائنا ، لكن الذى يتغير في « الترجمة » الحضارية هو ان وظيفة « الحكومة » لم تعد محصورة في هذا الاطار ، بل امتدت لتشمل كل نواحي النشاط البشرى من اقتصاد الى صحة وتعليم ، الى تنظيم وسائل التسلية في اوقات الفراغ ، وان امتداد نطاق الحكومة الى هذا المدى الشامل ، ليطرد اطرادا دقيقا في عصرنا مع غزارة العلم وما يصحب العلم من تقنيات .

الفنون بمعناها الحديث

واما دور الشاعر في حياة اسلافنا فهو يلخص دور الفنون كلها بمعناها الحديث : الشعر والموسيقى والتصوير والنحت والعمارة وسائر ما يصاحبها من فروع ، فلو ترجمنا الهيكل الحضارى القديم الى هيكل حديث ، قلنا انه في مكان الخليفة والفقيه والشاعر ، اضع العالم والمشرع والفنان ، وبديهي ان العالم لن يكون عالما الا بعلم عصره ، وان المشرع لن يكون مشرعا الا اذا اخذ في اعتباره حياة عصره ، وان الفنان لن يكون فنانا الا اذا امتص رحيقه من زهرات عصره ، على ان هذا الثلاثي العصرى الجديد ، سيكون له من تراثه الاصيل اطار عمله كله ، وهو اطار قوامه اللغة العربية اداة للتعبير ، وقواعد الدين واصوله اساسا للتشريع . ■■

زكي نجيب محمود .

■ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى .

(قرآن كريم)

■ مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

(حديث نبوى)

■ صن عقلك بالحلم ومروءتك بالعفاف ونجدتك بترك الخيلاء وجهدك بالاجمال في الطلب .

(ربيعة بن عبد الرحمن)

■ اذا أحببت أخا في الله فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحدا ، فربما أخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .

(معاذ بن جبل)

■ احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوسا واللئام أصبر أجساما .

(اردشير بن بابك)

درس في الصحافة

● اسقط في يد الصحفي عندما علم ان القطار الذى يقله ، ويقل معه زعيم العصابة التى سطت على البنك ، سوف يقطع المسافة من مدينة مونتجومرى الى مدينة ريتشموند بلا توقف ••• ماذا يصنع لكى يضمن وصول قصته الى رئيس التحرير ، قبل وصول القطار •••

ولم تطل حيرته •• اسرع يجلس الى الآلة الكاتبة التى يحملها الصحفيون معهم •• وراح يكتب قصة اعترافات الجاني من جديد في عشر نسخ ••• وما كاد ينتهي من كتابتها حتى وضع كل نسخة منها في مظروف وارفق معها ورقة مالية من فئة المائة دولار •• وكتب على المظروف من الخارج « هناك مائة دولار داخل هذا المظروف ، وهى لمن يعثر على هذه الرسالة •• وكل ما هو مطلوب منك ان تطلب رقم كذا تليفونيا وتملى هذه القصة المرفقة بالكامل على رئيس التحرير •• وسوف تسجل عاملة التليفون اجر المكالمة على ادارة الصحيفة •• »

وفتح الصحفي نافذة القطار ، وراح ينتظر •• وظهرت المحطة الاولى التى كان من المقرر ان يقف عندها القطار •• والقى باول مظروف ، وسط الركاب الذين ازدحموا على الرصيف في انتظار توقفه •• ثم راح يفعل نفس الشيء في بقية المحطات ، حتى نفدت الرسائل العشرة !

وعندما وصل القطار اخيرا الى ريتشموند في صباح اليوم التالي ، وجد قصته منشورة بالخط العريض على الصفحة الاولى •• واسرع يقابل رئيس التحرير الذى استقبله مهنئا على نجاحه •• ثم قال يسأله : « وكم كلفتك هذه المهمة ؟ »

ـ ولكن الصحفي لم يجب ، فقد سارع يسأله بدوره :

« كم عدد الذين اتصلوا بك تليفونيا ليملوا عليك قصتى ؟ »

ـ عشرة •• نعم عشرة على ما اعتقد !

ـ اذن فقد استحقوا جميعا المكافأة التى دفعتها لكل منهم •• لقد كلفتني المهمة اذن الالف دولار التى دفعتها لى لتغطية نفقات رحلتى ••

ولكن ، قبل ان يترك الصحفي مكتب رئيس التحرير ، كان يحمل ضعف هذا المبلغ ، مكافأة له على هذا السبق الصحفي الذى حققه ، وعلى حسن تصرفه ••

الفائزون بالمسابقة

★ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عبد السميع احمد عثمان ـ القلعة / القاهرة / مصر •

★ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : فاطمة المصباحي ـ بات / انجلترا •

★ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمد عبد الله دويب ـ دبى / الامارات العربية •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الله حسن بونا / الهند •

٢ ـ حاج احمد عدنان ـ زير / المانيا الغربية •

٣ ـ امينة محمد احمد ـ الدوحة / قطر •

٤ ـ حافظ عبد اللطيف طارش ـ تعز / اليمن الشمالي •

٥ ـ احمد عبد الله صدقة ـ لحج / اليمن الديمقراطي •

٦ ـ احمد صبحي جركس ـ اللاذقية / سوريا •

٧ ـ محمد يوسف حبيب ـ الفروانية / الكويت •

٨ ـ عبد الامير عبد الصاحب عباس ـ البصرة / العراق •

كثيرون من الناس لا يكادون يعرفون ان البرتغال كانت في يوم من الايام بلدا عربيا اسهم في حضارة الاسلام وكتب في سفر امجاده صفحات مشرقة لم يفلح الجهل والتعصب والعتو الاستعماري في طمس معالمها التي لا تزال باقية حتى اليوم .

البرتغال الإسلامية

قبل أن تتحول إلى دولة استعمارية
ظلت البرتغال بلداً اسلامياً عربياً ٥ قرون

بقلم : الدكتور محمود على مكى

■ تؤلف البرتغال شريطا طويلا يمتد بحذاء السواحل الغربية المطلة على المحيط الاطلسي من شبه جزيرة ايبريا . وهي تقاسم اسبانيا ذلك الركن الذي يقع في الطرف الجنوبي الغربي من القارة الاوروبية .

ولم تكن البرتغال تؤلف كيانا سياسيا مستقلا عندما طرق المسلمون ابواب شبه الجزيرة ، وانما كانت في ظل القوطيين جزءا من الولاية الغربية التي كان الرومان يسمونها « لوزيتانيا «Lusitania (وهو اسم تعرفه المصادر الاندلسية في صورة « لجدانية ») . وما زال البرتغاليون يستخدمون هذا اللفظ عند الحديث عن بلادهم حينما يريدون ان يثبتوا لانفسهم عراقة في التاريخ .

وكانت ولاية « لوزيتانيا » هذه اقصر مناطق شبه جزيرة ايبريا ، واقلها نصيبا من التحضر ، ولا نكاد نعرف من تاريخها في عهد الرومان الا تلك الثورة العنيفة التي قام بها ضد حكم روما زعيم بدائي يدعى « برياتو Viriato » وتسميه المصادر العربية « برياط » . وقد استطاع هذا الرجل ان يقض مضاجع حكام روما طوال ثماني سنوات (بين ١٤٧ و ١٣٩ قبل الميلاد) حتى دبروا له مكيدة قتل فيها بايدي بعض انصاره . ومن مفارقات القدر الغريبة ان البرتغال التي استهلت تاريخها القديم بثورة ضد الاستعمار الروماني قد انتهت الى ان تصبح واحدة من اعتى الدول الاستعمارية واشدها سطوة !

ونعرف بعد ذلك من اخبار « لجدانية » فى ظل حكم القوط انها ظلت دائما نزاعة الى الثورة • ثم دخل الاسلام شبه جزيرة ايبّريا على يد القائد العظيم طارق بن زياد فى سنة ٩٢ / ٧١١ ، ولم تمض شهور علىنزوله فى الجبل الذىحمل اسمه الى اليوم حتى احتل طليطلة عاصـــمة الدولة القوطية • وفى السنة التالية عبر موسى بن نصير الى الاندلس ، واثر استكمالا للفتح أن يسلك طريقا أخرىّ من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية ، ومنها الى ماردة قاعدة غرب الاندلس ، ثم توغل فى نواحى الشمال الغربى مطاردا فلول القوط ، وهناك على مقربة من بازو Vizeu ، (فى شمال البرتغال) لقى لذريق آخر ملوكهم مصرعه •

وكان العرب هم الذين اطلقوا اسم «برتغال» على شمال هذه المنطقة ، سموها باسم المدينـــة الواقعـــة على مصب نهر الدويرة فى المحيـــط الاطلسى ، وهو تعريب لاسمها اللاتينى القـديم Porto - cale وقد اختصر هذا الاسم فاصبح Porto (الميناء) ، بينما اصطنع البرتغاليون الاسم الذى اطلقه العرب على المنطقة الشمالية فوسعوا دلالته الى بلادهم كلها بدلا من الاســـم القديم « لوزيتانيا » •

البرتغال منذ الفتح العربى حتى عصر الخلافة

منذ ان استقر حكم المســـلمين فى الاندلس اصـــبحت الارض التى تقوم عليهـــا الان دولة البرتغال موزعة بين الولايات الاندلسية الغربية : الاشبونة (لشبونة الحالية) ، وشـــنترين ، وقلنبرية ، وباجة ، وشلب ، واكشونبة • ويذكر المؤرخون أن أبا الخطار الكلبى عامل الاندلس ـ حينما فرق جنوده على الكور الاندلسية فى سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ـ انزل جنـــد مصر بهـــذه الولايات الغربية ولا سيما كورتى باجة واكشونبة (أى الشطر الجنوبى من البرتغـــال) ، وذلك للتشـــابه بين البيئة الطبيعية لهاتين الولايتين وارض مصر • ولهذا درج الاندلســـيون على تسميتهما بمصر الاندلس • وكان معظم العرب الذين نزلوا بتلك الكور الغربية ينتمون الى قبائل زهرة وثقيف من العرب العدنانيـــة ، والى اوس والقبائل الحضرمية من عرب اليمن • كما ساكن هؤلاء عدد من القبـــائل البربرية من صنهاجـــة وكتامة ونفزة ومصمودة وهوارة • وقد بقى الكثير من اسماء هؤلاء ماثلا حتى اليوم فى اسماء مدن البرتغال وقراهـــا • ونذكر من اهم المدن التى انشاها المسلمون البربر مدينة قصر ابى دانس ، وكانت اقطاعا لبنى دانس بن عوسجة (وهم بطن من قبيلة مصمودة) • وقد ســـميت بعد ذلك « قصر الملح » ، واسمـــها البرتغالى الحالى Alcacer do Sal ليس الا ترجمة حرفية للاسم العربى •

على أن امتزاج هذه العناصر لم يتم دائما فى سهولة ويسر ، ولهذا لم تخل حياة البرتغـــال الاسلامية خلال القرنين الاولين من ثورات عنيفـــة كان من أخطرها ثورة ابن مروان الجليقى ابتداء من سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) وكان من المولدين ، اى من اسرة عجمية اعتنقت الاسلام • وكانت له وقائع كثيرة مع جيوش الامارة الاندلســـية خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى • وابن مروان هذا هو منشىء مدينة بطليوس (عاصـــمة الولاية الغربية الاسبانية المتاخمة للبرتغال) وقد اصبحت عاصمة لدولة شبه مستقلة اورثها منبعد لابنائه حتى اعادها الى الطاعة الخليفة الاندلسى العظيمعبد الرحمن الناصر فىسنة ٣١٧ (٩٢٩)• ومن بين المدن التى انشاها ابن مروان ايضا بلدة تقع الان فى داخل البرتغال على مسافة قليلة الى شمال غربى بطليوس ، وهى لا تزال تحمل حتى اليوم اسم « مروان » (بالبرتغالية Marvao) وان كان البرتغاليون يجهلون اليوم اصل هـذا الاسم •

البرتغال فى ظل الخلافة

وتلك الثورات والحروب التى استمرت طوال القرن الثالث الهجرى جعلت كثيرا من المسلمين يهجرون المناطق الشمالية من غربى شبه الجزيرة، خاصة وانها كانت منـــاطق جبلية وعـرة نزرة الخيرات ، واخذوا ينبسطون فى السهول الواقعة بين مدينـــة قلنبرية Coimbra ، والســـواحل الجنوبية ، اما المنطقة الواقعة حول حوض نهر

الدويرة Douro ، والممتدة الى الحدود الشمالية للبرتغال الحالية ، اى نحو ربع مساحة هذا القطر تقريبا ، فقد ظلت ارضا خلاء تتعاورها جيوش المسلمين والجلالقة ، اذ كانت هى الثغر الفاصل بين مملكة الاسلام ودار الحرب • على ان المسلمين قد اخطأوا باهمالهم هذا الشريط العريض ، اذ ان نصارى جليقية عملوا بالتدريج على سكناه والاستيطان فيه ومحاولة الامتداد الى ما وراءه من ارض المسلمين • وقد استطاع المنصور بن ابى عامر فى أواخر القرن الرابع استرجاع كل هذه الارض من حوض الدويرة الى نهر المنية Rio Minho ، ولكن بصورة مؤقتة عارضة •

وعلى كل حال فقد عرف خلفاء بنى امية ابتداء من عصر الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر لدين الله اى على طول القرن الرابع كيف يحافظون على هذه الولاية الغربية من دولتهم ، واجتهد عمالهم فى نشر الامن والسهر عليها ، ووجهوا همهم الى تعمير هذه البقاع واستغلال طاقاتها ومواردها الطبيعية حتى أصبحت من اغنى ولايات الاندلس بعد أن ظلت على عهد الرومان والقوط مجدبة مهجورة •

وما اكثر ما تحدثنا المصادر الجغرافية الاندلسية عن النهضة الزراعية الكبيرة فى هذه البلاد ، وعن مهارة أهلها فى استنباط غروس وثمار كانت مضرب المثل فى ايامها • يقول احد الكتاب ان من خواص مدينة شنترة Cintra (على مقربة من الاشبونة) أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوما من زراعتهما ، وان فيها تفاحا يبلغ محيط الواحدة منه ثلاثة اشبار او اكثر • اما العمران فقد وجه عمال بنى امية عنايتهم للتفنن فى بناء حصونها وقصورها • وكان فى موانئها الكبرى مثل الاشبونة وشنترين Santarem ، وشنتمرية Sorta Maria دور للصناعة وانشاء السفن التجارية والحربية ، ومرابض للاسطول الاندلسى الذى جعل من خلافة قرطبة اقوى دولة بحرية فى المحيط الاطلسى فضلا عن البحر المتوسط •

البرتغال تحت حكم بنى الافطس

غير أن هذه الدولة الشامخة لا تلبث أركانها ان تتقوض مع مطلع القرن الخامس الهجرى ، وتنطلق افاعى الفتنة والحروب الاهلية ، وتسقط الخلافة ، ويستبد بولاياتها ومدنها اولئك الامراء الضعاف الذين يدعون فى التاريخ باسم « ملوك الطوائف » ، وترى هذا التراث العظيم الضخم ينتقل الى ايد سفيهة مبددة ، لم تعرف كيف تحسن الحفاظ عليه •

ويقع هذا الجانب من غرب الاندلس (اى ما يقابل معظم البرتغال الحالية والولاية الاسبانية الغربية التى تدعى Extremodura) من نصيب اسرة بربرية الاصل من قبيلة مكناسة هى اسرة بنى الافطس ، ويتعاقب ملوكهم هناك ، وكانوا كغيرهم من ملوك الطوائف مخلدين الى تناحرهم وتنازعهم ، مغرقين فى لذاتهم على حساب رعاياهم المساكين ، وان كان الحق يقضى بأن نعترف لهم برعايتهم للآداب والعلوم والفنون ،بل ومشاركتهم فى التاليف فى الوان منها ، ونشير من بين ملوك هذه الاسرة بوجه خاص الى محمد بن عبد الله الملقب بالمظفر ، وقد حكم المملكة من قاعدته فى بطليوس بين ٤٣٧ و ٤٥٦ (١٠٤٥ – ١٠٦٣) ، وكان اديبا واسع الثقافة الا انه كان مفرطا مضيعا للحزم ، ففى آخر ايامه سقطت مدينة قلنبرية Coimbra فى ايدى النصارى ضيعها احد قواده ، ولم يكن منه الا ان قتل هذا القائد بعد أن لجأ اليه فارا ، ولكنه لم يبذل اى جهد فى سبيل استرداد المدينة • وآخر ملوك بنى الافطس هو عمر المتوكل الذى حكم بين سنتى ٤٦٠ (١٠٦٧) و ٤٨٧ (١٠٩٤) حينما قتله المرابطون •

المرابطون فى البرتغال

واشتد البلاء على الاندلسيين ، وتمكن ملك قشتالة الاذفونش (الفونسو السادس) من الاستيلاء على طليطلة سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) ،

وبدأ يفرض الجزية على كبار ملوك الطوائف من امثال المعتمد بن عباد ملك اشبيلية والمتوكل ابن الافطس ملك بطليوس وغيرهما ، وحينئذ لم ير هؤلاء بدا من الاستجابة لمطالب شـعوبهم فى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين الذى كان قد اقام فى المغرب دولة كبرى تحكم بتعاليم الاسلام وتقوم على الجهاد ، ولهذا فقد دعوا بالمرابطين • ورأى ابن تاشفين ان يلبى نداء هؤلاء الاخوة فى الدين، فاجتاز البحر واسـتطاع الحاق هزيمة كبرى بالفونسو السادس فى معركة « الزلاقة » على مقربة من سهل بطليوس ، وكان ذلك فى السنة التالية لسقوط طليطلة • على ان السـلطان المجاهد لم يتمكن من جنى ثمار انتصاره العظيم ، لان حلفاءه من ملوك الطوائف لم يلبثوا ان عادوا الى تنافسهم وتناحرهم القديم ، ولم يحاولوا ان يصلحوا من أمورهم أو يلتفتوا الى رعاياهم • وهكذا اضطر فى النهاية الى خلعهم جميعا ، واذعن بعضهم لما طلب اليه من الانخلاع عن السلطة ، فابقى على حياتهم ونفاهم ، وقاوم بعضهم وحاولوا استصراخ النصارىفلم يكن هناك بد من مناشبتهم القتال • وكان من بين هؤلاء المجلبين فى الفتنة عمر المتوكل ملك بطليوس والغرب ،فقتله المرابطون فى سنة ٤٨٧ (١٠٩٤)•

ومنذ ذلك الوقت اصبحت مملـكة بطليوس القديمة ولاية فى دولة المرابطين العتيدة التى امتدت على عدوتى البحر المتوسـط • وبذل المرابطون جهدا مضنيا فى سـبيل الحفاظ على الاسلام فى هذه البلاد ، وما أكثر ما دار من معارك بينهم وبين خصومهم ، وما اكثر من فقدوا من رجال ومن قواد فى هذه الحروب ،ولا سيما فى غرب الاندلس الذى اشـتدت عليه ضربات القشتاليين • بل ان سلاطينهم كانوا يباشرون الحرب بانفسهم وقد خاض آخرهم تاشفين بن على معارك متتالية فى غرب الاندلس ما بين سنتى ٥٢٩ و ٥٣٩ هـ (١١٣٥ ـ ١١٤٤ م) ، وهـى معارك لم تهزم له فيها راية • وبفضل هذا الجد بقيت ارض الاسلام هناك على حالها ، لم تكد تنتقص حتى خبا نجم المرابطين ، اذ اندلعتعليهم وهم فى غمار هذه المعارك ثورة محمد بن تومرت المهدى فى جبال السوس ، فاذا بهم يحاربون فى جبهتين ، ولا تلبث دولتهم الشامخة ان تنهار فى سنوات قليلة كان لم تغن بالامس •

فترة الطوائف الثانية

وبرث الموحدون ما بقى للاسلام فى الاندلس ، ويجتهد خلفاؤهم فى الدفاع عن هذه البلاد كما دافع عنها المرابطون من قبل ولكن ضربات المسيحية كانت قد ازدادت ضراوتها ، والحـرب الصليبية كانت على اشدها فى الشرق والمغرب على السواء• وكان المثل السيىء الذى ضربه ملوك الطوائف قد عود زعماء مـدن الاندلس على الاثرة والفوضى والاستبداد ، فلم تكد علائم الضعف والانحلال تبدو على دولة المرابطين حتى اقبل هؤلاء الزعماء يخبون فى الفتنة ويوضعون ، وراح بعضهميصطنع الولاية ، ويمخرق على العامة بادعـاء الهداية ، مثل احمد بن الحسين بن قسى ، وكان من احدى قرى شلب Silves بدا حياته متزهـدا متصوفا يعكف على كتب الغزالى ورسائل اخوان الصفا ، ويتتلمذ علىائمةالتصوف،وهو يظهر غير ما يبطن، ويدعـو الى الفتـنة ، ويطمـع فى السلطان ، حتى اذا امكنته الفرصة وثب على قلعة مرتلة Mertola ، ونادى بنفسه سلطانا ، وكاتب اهل يابرة Evora ، واهل شلب ، ومن الغريب انهم استجابوا له ، وانفتق على المرابطين بابن قسى هذا خرق واسع كان بداية لذهاب ريحهم • وقد اغتر به الموحدون فنصبوه واليا على بلدة شلب، فاذا به يكشف القنـاع عن وجهه ، ويداخـل النصـارى ، ويفطن أهل البلد الى خيـانته ، فيثورون به ويقتلونه فى سنة ٥٤٦ (١١٥١) •

مولد دولة البرتغال

ولعل اسوأ نذير بقرب نهاية الاسلام فى تلك الجهات من غرب الاندلس هو أن السنوات الاخيرة من حكم اول خلفاء الموحدين عبد المؤمن بن على (ت ٥٥٨ / ١١٦٣) هى التى شهدت مولد دولة البرتغال وظهورها على مسرح التاريخ •

وكانتالمنطقة الصغيرة الواقعة حولحوضالدويرة الى حدود جليقية ـ وهى التى تضم مدن قلنبرية

وبازو وبراقره Braga ـ تؤلف « قومسية » اي ولاية صغيرة يحمل صاحبها لقب « قومس » (كونت) ، تابعة لمملكة قشتالة Castilla وكان الفونسو السادس فاتح طليطلة قد اقطع ابنته غير الشرعية تيريسا Teresa ، ـ عند زواجها ـ هذه الولاية ، ولكن على شرط تبعيتها هي وزوجها لعرش قشتالة • الا ان تيريسا وزوجها استغلا اضطراب الاحوال بعد وفاة الفونسو بغير وريث ذكر ، فعملا على الاستقلال بالامارة الجديدة التي اطلق عليها اسم عاصمتها القديمة « برتقال » Portugal ، ثم قام ابنهما الفونسو انريكز Alfonso Henriques (« ابن الريق » في المصادر الاندلسية)ـوهو الذي ولي حكم البرتغال بين سنتي ٥٣٢ و ٥٨١ / ١١٣٨ ـ ١١٨٥ ـ بتوسيع املاكه جنوبا على حساب المسلمين • وكانت اشد ضربة تلقاها المسلمون على يديه هو استيلاؤه على شنترين Santarem ثم على الاشبونة Lisboa في سنة ٥٤١ / ١١٤٧ • ولما اشتد ساعده بعد هذه الانتصارات رأى نفسه جديرا بان يتلقب ملكا • وتزايد طموحه بعد ذلك فواصل حملاته على مدن المسلمين الواقعة في حوض وادي آنه Guadi وكان اكبر بلاء صب على بلاد المسلمين من قبل رجل من رجاله يدعى جرانده Giraldo ويلقبه البرتغاليون Sem Pavor (اي الذي لا يخاف) لجرأته وتهوره ، وكان مغامرا مرتزقا وضع نفسه في خدمة المسلمين تارة وفي خدمة النصارى تارة، واستخدمه ابن الريق اخيرا فاوقع بمدن المسلمين ضربات شديدة قاسية •

البرتغال في ظل الموحدين

ولم يكن الخليفة الموحدي الجديد يوسف بن عبد المؤمن ليقف مكتوف اليدين ازاء تدهور احوال الاندلس ، ففي سنة ٥٦٤ (١١٦٩) اوقع قواده اول هزيمة كبيرة بالملك البرتغالي وبقائده سم بافور • وفي سنة ٥٦٩ (١١٧٤) قاد اخ الخليفة ابو حفص عمر حملة مظفرة وطيء فيها اراضي البرتغال وليون واستعاد كل ما خسره المسلمون جنوبي وادي التاجة Rio Tojo •

وفي سنة ٥٧٩ (١١٨٣) هيأ الخليفة حملة تعد من اكبر الحملات التي اضطلع بها خليفة مسلم ، اذ بلغ عدد جنوده فيها اكثر منمائة الف، وكان يريد ايقاع ضربة ساحقة بالبرتغاليين ، وتوجه يوسف بن عبد المؤمن على رأس هذه الحملة الى شنترين ، فضرب الحصار على المدينة ، وكانت خطته ان يسترجعها ثم يسترد الاشبونة ، غير ان سوء الحظ لازم المسلمين هذه المرة ، فاذا بالخليفة يمرض ، فيامر بتقويض المعسكر ورفع الحصار بعد اربعة ايام ، وتدركه منيته وهو محمول على محفة في الطريق الى يابرة في صيف سنة ٥٨٠ (يوليو ١١٨٤) • ويخلفه ابنه يعقوب المنصور اعظم سلاطين الموحدين ، فيعد عدته بدوره لمواصلةالجهاد الذي بدأه ابوه •

وفي تلك الاثناء توفي ابن الريق اول ملوك البرتغال وخلفه ابنه شانجه الاول Saucho I (حكم بين ٥٨١و٦٠٧/١١٨٥ـ١٢١١) ، فرأى ان يبادر المسلمين بالهجوم ، واتفق ان عددا كبيرا من المحاربين الصليبيين الانجليز والالمان كانوا قادمين من فلسطين بعد ان اوقع بهم البطل صلاح الدين الايوبي هزيمة حطين (في ٥٨٣/١١٨٧) ، فدعاهم الملك البرتغالي للاشتراكفي هذه الحرب الصليبية ضد مسلمي الغرب ، ووجه بهم مع خيرة جيوشه الى مدينة شلب ، فحاصروها حصارا شديدا ، وقطعوا عنها الماءحتى اضطرت المدينة الباسلةالى الاستسلام بعد اربعة اشهر من المقاومة فيسبتمبر ١١٨٩ (٥٨٥هـ) وقام الصليبيون في اهلالمدينة بمذبحة دامية تجلى فيها حقد الموتور ومرارة المهزوم •

وفي سنة ٥٨٧ (١١٩١) تحرك يعقوب المنصور من اشبيلية ، فاستولى على قصر ابي دانس ، ثم توجه الى الاشبونة وفتح عددا من الحصون المحيطة بها ، فدمرها وسواها بالارض ، ومن هناك توجه الى شلب فانتزعها عنوة من ايدي البرتغاليين ثم كرر المنصور حملاتهالمظفرة علىممالك النصارى وتوج انتصاراته في سنة ٥٩١ (١١٩٥) بالفتح العظيم الذي قدر له على الائتلاف النصراني في موقعة الارك Al r os المشهورة •

غير ان هذا العهد الكريم استنفد قوى الدولة الموحدية ، فاذنت شمسها بالمغيب بعد وفاة المنصور

وولاية ابنه محمد الناصر • وحاول هذا بدوره ان يكرر حملاته على الممالك النصرانية فى شبه الجزيرة ، فحشد جيشا ضخما لم يلبث ان حلت به الهزيمة المنكرفى المعركة المعروفة باسم « العقاب» سنة ٦٠٩ (١٢١٢) • وكانت هذه المعركة بعيدة الاثار فى مستقبل الاسلام فى الاندلس ، اذ انهارت دولة الموحدين بسرعة ، وتفرقت كلمتهم ، وتكالبت على بقايا مملكتهم الاندلسية دول اسبانيا المسيحية والبرتغال • ولم ينتصف القرن السابع الهجرى حتى تهاوت كل القواعد الاسلامية فى الغرب واحدة بعد الاخرى ، وان كان اهلها قد ابلغوا العذر وابراوا الذمة، فانهم لم يسلموا شبرا من الارض الا بعد ان خضبوه بدمائهم ودماء اعدائهم •

البرتغال المسيحية

وهكذا يبدا تاريخ البرتغال المسيحية على انقاض الولايات الغربية من الاندلس منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى • ولعل المقاومة العنيفة التى واجههم بها المسلمون هناكهى التى ملات قلوب ملوك البرتغال غلا وحقدا على الاسلام ، وان كان ما ورثوه ايضا من حضارة المسلمين هو الذى جعل بلادهم تصل فى مدى قصير الى ان تصبح من اولى الدول البحرية فى العالم •ففى أواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر حكم البرتغال جوان الاول (١٣٨٣–١٤٣٣) • وفى عهد هذا الملك قام ابنه الامير انريكى المعروف باسم الملاح بانشاء مدينة مخصصة للدراسات البحرية والخرائطية فى شقرش Sagres فى اقصى الطرف الجنوبى الغربى من الولاية التى مازالت تحمل اسمها العربى Algarve (الغرب) ، وكان الهدف من هذه الدراسات هو التمهيد للتوسع فى القارة الافريقية ابتداء من بلاد المغرب المجاورة ، الا أن البرتغاليين حينما اصطدموا بالمغاربة الذين الحقوا بهم الهزيمة بعد الهزيمة وجهوا اهتمامهم الى بلاد اخرى بعيدة• وبهذا بدا التاريخ الاستعمارى للبرتغال :شرعوا اولا فى الاستيلاء على بعض الجزر القريبة مثل جزر ماديرا Madaira والازورس Azores ثم شخصوا بابصارهم الى افاق بعيدة ، ففتحوا نحو نصف امريكا الجنوبية (البرازيل) واستولوا على اجزاء شاسعة من افريقيا (انجولا وموزمبيق وغينيا) واحتلوا قواعد فى الهند والهند الصينية والصين من القارة الاسيوية • ولم يات القرن السادس عشر حتى اصبحت البرتغال واحدة من أعتى الدول الاستعمارية •بل ان شرهم امتد الى منطقة الخليج العربى،فاستولوا فى اوائل ذلك القرن على البحرين وعلى مناطق من عمان ومن ايران ، وان كان بقاؤهم هناك لم يطل • على أن الغريب هو ان هذه الدولة الصغيرة قد استطاعت التشبث ببعض هذه المستعمرات حتى اليوم ، واغرب من ذلك أن تلك الامبراطورية العريضة التى احرزتها البرتغال والتى بلغت مساحتها فى وقت ما اكبر من مساحة البرتغال نفسها اكثر من مائة مرة لم تفدهم بشيء • ولا يدرى المرء فيم انفق البرتغاليون خيرات هذه البلاد التى طالما انتهبوها واستاثروا بها دون اهلها ، فقد وصلوا الى القرن العشرين وهم افقر بلاد اوروبا واكثرها نصيبا من التخلف والامية ! ••

الحضارة الاسلامية البرتغالية

بسط الاسلام كلمته على معظم البرتغال الحالية على طول خمسة قرون ونصف ، وهى فترة طويلة كان للمسلمين فيها على رقعة هذه الارض منجزات جليلة كثيرة ، غير ان مؤرخى البرتغال درجوا – الا قلة منصفة منهم – على تجاهل هذه الحقبة الطويلة• والغريب انهم يتحدثون عن بداية تاريخهم فى ظل الرومان ، مع ان البرتغال بقيت تابعة للرومان ثم القوط نحو ثمانية قرون ونصف لم تسمع خلالها بشخصية واحدة لها قيمتها من الناحية الحضارية او الثقافية ، على حين اخرجت البرتغال الاسلامية مئات من الشخصيات الفذة التى تعتز بها الحضارة الانسانية والتى تمثل فى تاريخ الفكر معالم مشرقة مجيدة •

وقد اشرنا من قبل الى ما قام به المسلمون من جهود عمرانية وما انشئوه من مدن وقرى جديدة ومن قصور وحصون واسوار مازال الكثير منها قائما حتى اليوم،والى العناية التى اولوها الزراعة فى السهول الممتدة على احواض الانهار الثلاثة التى تصب فى البرتغال (الدويرة والتاجة ووادى



خريطة تبين موقع البرتغال من شبه جزيرة ايبيريا



البرتغال الإسلامية

انه) حتى اصبحت هذه المناطق من اغنى جهات شبه الجزيرة واوفرها حاصلات • اما الثقافةفيطول بنا الامر لو عمدنا الى استعراض من نبغ في هذه الارض من اعلام الاداب والفنون والعلوم •

وقدكان للبرتغاليين المسلمين اهتمام باللغة العربية ودراساتها • فالادريسي يسجل في جغرافيته ان اهل شلب كان كلامهم بالعربية الصريحة وان اهل قراها فصحاء يقولون الشعر بل ويرتجلونه • وهذه منزلة سامية لا نكاد نعرفها لمدينة اسلامية اخرى • وقد تركت العربية آثارها في نسبة هائلة من مفردات اللغة البرتغالية ، بل ان هذه النسبة تزيد على مثيلتها من اللغة الاسبانية ، ونلاحظ ان نطق البرتغاليين لتلك الكلمات اقرب الى الاصول العربية من النطق الاسباني •

اما الادب فقد كانت له نهضة عظيمة منذ ايام الخلافة • ومن اعظم شعراء القرن الرابع يوسف ابن هارون الرمادي ، وهو ينتسب الى قرية رمادة احدى قرى شلب ، وقد اتصل بالمنصور بن ابي عامر وكان من شعرائه ، وكان احد المتفننين في الشعر وفي الموشحات التي ابتكرها الاندلسيون • وعلى عهد الطوائف نبغ كثيرون من شعراء هذه المنطقة منهم عبدالرحمن بن مقانا الاشبوني صاحب القصيدة المشهورة في مدح الخليفة العلوي ادريس بن يحيى العالي :

ومنها هذه الابيات التي يذكر انها استطارت الخليفة طربا :

وكأن الشمس لما اشرقت
فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علي
بن حمود امير المؤمنين
كتب الجود على ابوابه :
ادخلوها بسلام آمنين
انظرونا نقتبس من نوركم
انه من نور رب العالمين

واشهر شعراء الطوائف ممن ينتمون الى البرتغال الاسلامية هو ابوبكر محمد بن عمار الشلبي الذي يصلح مثلا لمحنة الاخلاق في عصر الطوائف فقد كان رفيقا للمعتمد بن عباد في صباه ، فلما وصل هذا الى الامارة قربه ورفعه حتى صار وزيره الاثير لديه ، ولكن الطموح اعمى بصره ،فحاول

ان ينفرد بالسلطان ، ودبر المكايد والدسائس لسيده حتى هوت به قدمه ، وسيق الى المعتمد مقيدا ذليلا ، فقتله رفيق صباه بيده في سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) • وعلى كل حال فقد كان الشاعر مبدعا يشهد بذلك قوله يستعطف المعتمد في محنته الاخيرة:

سجاياك ان عافيت اندى واسجح
وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح
وان كان بين الخطتين مزية
فأنت الى الادنى من الله تجنح
اقلنى بما بينى وبينك من رضا
له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم
فكل اناء بالذى فيه يرشح

ومن يابرة نبغ في هذا العصر ايضا عبدالمجيد ابن عبدون الذي كان من أيسر محفوظه كتاب الاغاني وقد طارت شهرته بمرثية لبني الافطس واخر ملوكهم عمر المتوكل :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

وقد كان من ملوك بني الافطس من جعل الثقافة والتاليف همه ، منهم محمد بن عبدالله المظفر وهو والد عمر المتوكل مرثي ابن عبدون ، وهو صاحب موسوعة كبرى في الادب والتاريخ والاخبار في نحو مائة مجلد ، وقد عرف هذا الكتاب الضخم باسم مؤلفه : « المظفرى » • ومن مؤلفي الموسوعات الادبية ايضا علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢/١١٤٨) الذي يقول عنه الاديب الحجازي «العجب انه لم يكن في حساب الاداب الاندلسية انه سيبعث من شنترين قاصية الغرب ، ومحل الطعن والضرب ، من ينظمها قلائد في جيد الدهر ، ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر » وهو يشير بذلك الى مؤلفه الضخم «الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» الذى يعد من اجمل موسوعات الادب الاندلسي واحسنها تاليفا •

وفي علوم اللغة والنحو يكفى أن نشير الى شخصية الاعلم الشنتمرى يوسف بن عيسى (ت ٤٧٦/١٠٨٢) امام النحاة في عصره ، وهو صاحب الشروح المشهورة لشواهد كتاب سيبويه وللقصائد الست الجاهلية ولديوان الحماسة لابي تمام ولديوان المتنبي • وشروحه هذه تعد من خير ماكتب في ميدانه • وهناك ايضا ابن السراج الشنتريني محمد بن عبد الملك ، وقد آثر الانتقال عن وطنه فاستقر بمصر سنة ٥١٥ (١١٢١) وكانت له حلقة بجامع الفسطاط ، وله كتب كثيرة في الادب والعروض نشر بعضها •

ونشير في النهاية الى نهضة الدراسات الجغرافية والملاحية في البرتغال الاسلامية • وكان ذلك ثمرة للعناية التي اولاها المسلمون منذ عهد الامارة الاموية للموانيء الغربية ولما انشئوه فيها من دور للصناعات البحرية والحربية • ويسجل التاريخ ان اول محاولة لخوض المحيط الاطلسي (بحر الظلمات) واستكشاف ما قد يكون وراءه من يابسة انما كان منطلقها من الساحل البرتغالي في ظل المسلمين • ونعني بها تلك الحملة التي قام بها فتى يدعى خشخاش البحرى : خاطر بنفسه هو وجملة من فتيان قرطبة في اوائل القرن الثالث الهجرى ، فركبوا مراكب توغلوا بها في البحر ، ثم عادوا فاتوا بغنائم واسعة • وقد ولى خشخاش البحرى هذا قيادة الاسطول الاندلسي حينما هاجم النورمنديون (الفايكنج) سواحل الاندلس ، ومازال يقاتلهم حتى استشهد رحمه الله في سنة ٢٤٥ (٨٥٩) •

ولم تكن هذه هي المحاولة الاخيرة ، اذ نسمع فيما ساقه « الادريسى » عن خبر « الفتية المغررين » وكانوا ثمانية رجال كلهم ابناء عم ، خرجوا من « الحمة » (الجزء البحرى من مدينة الاشبونة وهو لا يزال يحمل اسمه العربي Alfama) ، وابتنوا مركبا أعدوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ثم دخلوا البحر ، فجروا فيه مدة ثلاثة وعشرين يوما ووصلوا الى جزر كشف البحث عن انها لابد ان تكون جزر ازورس ثم جزر كفارياس •

وهكذا فتح هؤلاء المسلمون الطريق امام البرتغال لكى تصبح في طليعة الدول البحرية • فالاستكشافات التي قام بها البرتغاليون بعد ذلك في اواخر القرن الخامس عشر انما يرجع الفضل فيها الى ماتعلموه على ايدى هؤلاء البحريين المسلمين • ■■

الكويت ـ **محمود علي مكي**

رحل اندريه مالرو عن عالمنا في شهر نوفمبر الماضي، مخلفا وراءه سجلا عظيما وحافلا بالعطاء والمجد . وهذه بعض صفحات من سجل مالرو .

اندريه مالرو.. بعد رحيله!

بقلم : الدكتورة سامية احمد أسعد

■ مات اندريه مالرو . مات رجل يعتبر كما تعتبر مؤلفاته التي خلفها لنا اصدق صورة لبلاده وعصره . وعلى حد قول الناقد الادبي لجريدة « لوموند » الفرنسية « نستطيع ان نقرأ مغامرة هذا القرن في حياة مالرو ومؤلفاته .. هذا القرن الذي اضطر ان يقيم عظمة الانسان على العدم الذي سحقه » .

ولد اندريه مالرو في باريس ، عام ١٩٠١ في اسرة متواضعة ، وتربى في جو نسائي صرف ، حيث كان ابوه قد انفصل عن امه . ولم تكن طفولته طفولة سعيدة . ومن ثم كانت هذه الجملة وهي من اول الجمل التي تطالعنا في « اللامذكرات » : « ان الكتاب الذين اعرفهم — تقريبا — يحبون طفولتهم ، اما انا فاكرهها . لم اعرف كيف اخلق نفسي الا قليلا ، هذا اذا كان خلق الذات يعني التآلف مع هذا الفندق الذي لا يؤدي اليه طريق ، والمسمى بالحياة .. » وكما لفظ طفولته لفظ مالرو شبابه : « لا احب شبابي ... فالشباب عبور الى التخلف .. » وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ، عاشها مع زملائه وكأنها مغامرة وحلم .

ومن الكتابات التي تأثر بها : الفرسان الثلاثة ، وروايات فلوبير وبلزاك ، وهيجو . واحب مالرو الكتب حبا جما ، وكانت هي المدرسة التي قصر الاختلاف اليها ، بعد توقفه عن الدراسة . لا تقصر عندها المتاحف ، والمعارض الفنية ، والمسارح ، ودور السينما ، والموسيقى ، والنزهة في باريس وضواحيها ، من اهم احداث هذه الفترة . اختلافه الى مدرسة اللغات الشرقية التي لم يدرس فيها اللغة بقدر ما احب الآثار . مما جعله ، بعد زواجه الاول عام ١٩٢١ ، يسعى الى ان يكلف بمهمة اثرية رسمية في كمبوديا . وكانت الرحلة قام بها مالرو مدفوعا بحاجته الى المال — كان قد افلس ، وفقد كل ماله وما لزوجته في البورصة — من ناحية ، وحبه للجمال والمغامرة من ناحية اخرى .. وتوغل وزوجته وصديقه في الغابة الكمبودية ، بحثا عن معبد صغير كان قد قرأ عنه ، فعمد الى نقش يقطع اجزاء منه ، وبيعها الى احد تجار العاديات . وكان له ما اراد .. وما لم يرده .. القبض عليه واتهامه بالسرقة وتقديمه للمحاكمة . لكن الحكم صدر مع ايقاف التنفيذ .

ودعنا من هذا الحديث الذي قد يطول بنظر القارئ ، تاركا لي اللقاء العابر لاهم مرحلة مالرو ، الفنان والانسان الذي عاش كافة احداث عصره ، ولكن منها خاصة ، ولعب فيها دور الشاهد او الممثل ، سواء توارى ام ظهر للجمهور .

تزوج مالرو ثلاث مرات ، وفقد اثنان من اولاده في حادث سيارة وهم في ريعان الشباب . قام برحلات الى عديد من البلدان ، منها الصين ، وشبه الجزيرة العربية التي راح يبحث فيها عن عاصمة مملكة سبأ ، والمانيا ، والاتحاد السوفيتي ، وعاش



الحركات الثورية التي كانت الهند الصينية مسرحا لها فيما بين ١٩٢٣ ـ ١٩٢٧ ، واشترك فيها كما اشترك في كثير من المعارك الفعلية . وبعد عودته من بلاد الشرق ، حارب كلا من الهتلرية والفاشية وشارك في الحرب الاهلية الاسبانية ، الى جانب الجمهوريين حيث كان مسئولا عن الطيران الاجنبي، وكان له دور فعال فـي الكفاح ضـد فرانكو . جند عام ١٩٣٩ ، ووقـع في الاسر عام ١٩٤٠ ، لكنه تمكن من الهرب بعد الهدنة ، واشـترك في المقاومة ، وقاد فرقة الالزاس ـ لورين الشهيرة ، اثناء الحـرب التي خاضتها فرنسـا دفاعا عن اراضيها ثم عين وزيرا للاسـتعلامات (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) ، واصبح عضـوا في الحركة المسماة « تجمع الشـعب الفرنسي » (١٩٤٧) ، ووزيرا للشئون الثقافية (١٩٥٩ ـ ١٩٦٩) واسس معهد شارل ديجول (١٩٧١) ، وكان قد عين عضـوا في مجلس ادارة المتاحف الفرنسية منذ عام ١٩٥١ هذا هو الجانب الذي يجب ان يستلفت النظر في حياة مالرو ، وان اختلفت الاراء .

ولقد اختلفت فعلا اثناء حياته ، ولسوف تزداد اختلافا بعد مماته . ولنذكر انه ظل الى جوار الجنرال ديجول ، منذ ان التقى به ، ولم يفارقه لحظة واحدة . وكانت علاقتهما اقرب الى الصداقة منها الى علاقة وزير برئيس جمهوريته . ممـا جعل الكثيرين يتساءلون : كيف يصمت مالرو الذي ساند الثوار في الهند الصينية واسبانيا ، ازاء الهجمة الامبريالية الامريكية على فيتنام ، واستمرار اعمال القمع الوحشية في الجزائر ؟

مالرو والتاريخ

عرف مالرو المجد في حياته كما لم يعرفه الا القليلون من ابناء جيله . فلقـد اهدته جامعة سيراكوز الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٥ . كما اهدته جامعة اكسفورد الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٧ . كتب الرواية وتالق فيها ، وخلف لنا ست روايات، واربعة مقالات ، ومؤلفات عن الفن ، وفيلما ماخوذا عن روايته « الامل » وفاز بعدة اوسـمة ، منها « الليجيون دونور » الفرنسي . هذا وتعد رواياته علامة بارزة على طريق هذا اللـون من الروا

الادب . ولا شك أن اثنتين منهاعلى الاقل « قدر الانسان » الحائزة على جائزة جونكور عام ١٩٣٣، و « الامل » ، وهما مترجمتـــان الى العربية ـ معروفتان للقارىء العربي . ولسوف يظل مالرو ذلك الكاتب الذيحطم اطار الرواية البورجوازية، وادخل فيها التاريخ ، وكل ما يطرحه من اسئلة. وتاثر جيلان على الاقل بفهـوم الواقع الاجتماعي والفلسفة العملية في مجال الادب ، فجاء ، وعلى هذا النحو. واذا كان لا بد من البحثعن أسلاف لمالرو ، في هذا الصدد ، امكننا ان نذكر نيتشه، ودستويفسكي خاصة . فشـخصيات « الجريمـة والعقاب » او « الاخوة كارامازوف » ، شأنها شأن شخصيات مالرو ، تمثل خير تمثيل ـ من خـلال الرواية ـ الجوانب المختلفة للمغامرة الانسانية .

صور مالرو فيرواياته احداثا اصبحت تاريخية، الان .كل واحد منكتبه علامة على طريق التاريخ: ثورات الصين ، حرب اسـبانيا ، الحرب العالمية الثانية . ويجد القارىء فيكل كتبه صورا عنيفة قاسية للاحداث الكبرى التي هزت عصر مالرو ، عصرنا . والتاريخ عند كاتبنا ليس مجرد عرض، او مجـرد قدر . لان كل حدث من احداثه يتيح فرصة للاختيار . والاحسـاس بالدور الايجابي الذي يمكن انيلعبه الانسان لا يفارق الشخصيات، حتى في احرج اللحظات . دليل ذلك ، على سبيل المثال ، الاسم الذي اطلقه الكاتب على الرواية التي صور فيها هزيمة الجمهـوريين الاسبان : « الامل » . ويقول ج . بيكون أن « مالرو مرتبط بالتاريخ باحساس غريزي ، يكاد يكون عضويا ». ومن هنا ، كان اعجاب مالرو بالافـكار المحددة تاريخيا ، والرواية التي تعبر عن الجزء الزمني من الانسان ـ بلزاك ، ديكنز ، تولستوي ... ـ والرسم ، ذلك الفن الذي يكشـف عن الزمان ، مباشرة . ولا يفضل مالـرو التاريخ لانه يتيح للفنان فرصة اللعب بالالوان الصارخة المتعددة،بل يفضله لانه مكان البطولة الطبيعي ، فضلا عن ان الانسان لا يستطيع أن يحيا بمنأى عن التاريخ .

الحل : الفعل والعمل

يرى مالرو أن مصير الانسان لا يحتمل . ومع ذلك ، على الانسان أن يجعله محتملا . هكذا لا يستسلم مالرو لمصيره كانسان كتب عليه الزوال، واهون عليه أن يفقد الحياة عن ان يرى في حدود الانسان عجزه عن تغيير وجه العالم . ونراه ،منذ اول كتاباته ـ خاصة « اغراء الغرب » (١٩٢٧) ، حيث نقرأ حوارا بين شـاب شرقي وآخر غربي مغترب ـ يفكر في الوسيلة التي يمكن بها مـلء الفراغ الروحي الذي تركه القرن التاسـع عشر في اوروبا . وينتهي الى الحل الاوحد : الفعـل والعمل . يقول تشن في « قدر الانسان » : « يجد الانسان الهول في نفسه ، دائما ، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا » . ويقول كيو : « الموت اسهل ، اذا لم نمت بمفردنا ». ولا يعني كل هذا الالتجاء الى الثورة ، وانما اعطاء الفعـل قيمة قد تكون ميتافيزيقية . واذا بالغنـــا في الامر ، قلنا ان الامل في ترك « علامة صغيرة على وجه الارض »، والمغامرة ، يمكن أن يكونا هدفا ، في حد ذاتهما ، كما كانا هدفا لفانيك المستشرق الذي راح يجوب غابات كمبـوديا بحثا عن « الطــريق الملكي » (١٩٣٠) . وفي « الغزاة » (١٩٢٨) . يتحول جارين الى اداة لانه لا يجد لوجوده معنى ، فهـو لا اخلاقي ، لا اجتماعي ، لا ديني . وتكمن قوته في وضعه انعدام وعيه في خدمـة شيء آخر غير مصلحته الخاصة . وعندما يحـاول أن يعيد الى الجائعين البؤساء ثقتهم بانفسهم ، يمتلىء اعزازا وفخرا بكونه انسانا . وانه لشرف عظيم انيتحدى الانسان وجوده العابث في هذا العالم بمفرده .

لكن تشكيل الانسان لقدره لا يكفي للتغلب على القلق . ولا يقابل مأساة الموت الا شيء واحد : الاخوة ، اخوة الكفاح . لذا كتب مالرو «الامل» ، حيث يستطيع الفرد انيتجاوز حدود ذاته وينساها، سعيا وراء المستقبل المجهول . لكن ، مهما فعل الانسان ، لا يمكنه التغلب على اليأس ،نهائيا. يقول برجيه ، بطل رواية « اشـجار الجـوز في التنبورج » (١٩٤٨) ـ التي احرقها الجستابو ولم يبق الا الجزء الاول منها ـ ، ساعة احتضاره: « ما الذي يفعله الانسان على وجه الارض ، يا للعبث الباهر ! » يقول هذا بعد أن ادى واجبه على اكمل وجه .

في الحرب والفن

بحث مالرو عن الاخوة في الحرب ، لكنه لم يجد

الا جزءا منها فقط . فراح يبحث عنها في عالم الفن ، بعد أن انتهت الحرب راح يسال الاعمال الرائعة التي خلفتها لنا مختلف الحضارات عن سر الحياة ، ويجرى الحوار تلو الحوار ، بينها . الا أن القرون الغابرة لا ترد ، اللهم الا بصدى اسئلتنا . لذا ، راح مالرو يسال المعاصرين ، اولئك الذين يصنعون التاريخ . وكانت هذه اخر نقطة تحول في حياة مالرو .

ولنتوقف لحظة ، في هذا الطريق الطويل الذى قطعه مالرو ، عند الأعمال الرئيسية التي خلفها لنا ، بادئين « بالغزاة » . قيل عن هذه الرواية انها افضل روايات كاتبنا جودة ، ووصفت بانها ريبورتاج سريع سيىء التكوين . يتلخص الموضوع في ان الاضراب العام قد تقرر في مدينة كانتون ، بايعاء من جارين «لم الاضراب ؟ لطرد انجلترا من هونج كونج ، بتخريب هذا الميناء ، وحمل الشركات الاوروبية علىهجره ،مما قد يقضي علىالامتيازات الدولية ، في شنغهاى وغيرها . لا يؤمن جارينالا بالأفعال ، ولا ينظر الى الماركسية على انها دين، او حتى علم ، بل على انها مجرد منهاج لتنظيم العواطف العمالية » . اما الارهابي هونج ، فعرف البؤس ، وتحرر منه ، لكنه لم ينس صورة العالم الذى يخلقه ، عالم قاس ،صبغته الوان الحقد العاجز . ويقول في هذا الصدد : « لا يوجد الا جنسان : البؤساء ، والاخرون » . هذا ولم يعلن جارين الحرب علىالمجتمع البورجوازى والراسمالى فحسب ، بل أعلنها على كل المجتمعات ،ايا كانت . وفي النهاية ، يلتقي بقضية الغاية والوسيلة . فعندما ينفذ حكم الاعدام في هونج ، يدرك انهم سيستبدلونه حتما باخر ، هو ايضا ، عندما تزول الحاجة اليه . ربما كان هذا الاخر اقل فاعليه ، لكنه سيكون اكثر طاعة ، حتما . وتنتهي الرواية بانتصار الثورة الصينية على القوات المعادية . لكن ، عندما يغادر جارين الصين وهو يحتضر ، يتساءل عنالمعنى الذى سيتخذه انتصاره . عندما سئل مالرو عن البطلالذى يفضله في هذه الرواية قال : « يهمني جارين ... على المستوى الانساني فقط .. فهل يظل محتفظا بالمشاعر الاساسية التي تجعل الانسان عظيما ، في رأيي ، خاصة رفقة السلاح ، والصداقة بين الرجال ، من ناحية اخرى، يمثل جارين ، الى درجة عالية ، المعنى المأساوى للعزلة الانسانية .

• افضل رواياته

ويرى البعض ان « قدر الانسان » افضل روايات مالرو . وانهم لعلى حق الى حد كبير ، لانالمؤلف يجمع فيها بين كل الموضوعات التي سبق له معالجتها وموضوع الاخوة الذى سيسيطر من الان فصاعدا على المؤلفات اللاحقة . تبدأ احداث « قدر الانسان » في شنغهاى في مارس ١٩٢٧ . يسيطر « جنرالات الشمال » ، الموالين للقوى الراسمالية الاجنبية ــ ويمثلها رجل الاعمال فيرال على المدينة . ولا ينتظر كل من النقابيين ، والارهابيين ، والمناضلين وصول قوات «الكومنتنج» التي تضم القوى الوطنية الجمهورية بقيادة تشنج كاى تشك ،لا ينتظرونها لانهم لا يعرفون الاالقليل عن الخط العام للحزب . لذا نراهم وقد اخذوا المبادرة ، وبداوا العمل . وعندئذ ، تمر امامنا وكانها على شريط سينمائي سلسلة من الوجوه والشخصيات : كاتوف الذى عاصر الثورة الروسية (١٩١٧) وهمرلتش الذى لايتمكن من المشاركة بسبب زوجته واولاده البؤساء ، وتشن الذى يود ان يتغلب على القلق بالثورة والافعال العنيفة ، وكيو جيزور ، زوج الدكتورة ماى ، الذى يحارب باسم مثل محددة . اما جيزور ، المثقف الشيوعي ، والاب الروحي لكل من تشن وابنه ، فيسيطر في قلق على المجموعة . تصور الرواية في سلسلة من الاحداث المتلاحقة ، الافعال والاعمال المختلطة التي تقوم بها مختلف الجماعات التي تستولى على المدينة . ومن اشهر الصفحات تلك التي يامرفيها تشنج كاى تشك ــقائد القوى النظامية ــالجماعات الثورية بتسليم سلاحها ، او تلك التي يقرر فيها تشن ــ وقد تملكتهروح البطولة اليائسة ــان يؤكد ذاته ، وان يموت بالقائه قنبلة تحت سيارة تشنج كاى تشك ، الذى يفلتمع ذلك من الموت . اوتلك التي نرى فيها كل ابطال الرواية وقد القت بهم عمليات القمع في السجون التي لا يخرج منها المرء الا لكي يحرق حيا .

و « الامل » (١٩٣٧) كتاب يطرح قضية الغاية

والوسيلة . صراحة . تقول احدى شخصياته « ما فائدة الثورة ،اذا لم يتحتم عليها تحويل الانسان الى آخر افضل منه ؟ » وترد عليها اخرى قائلة : « لا يمكن فهم العقل الا على انه فعل . فالسمو، والكمال الأخلاقي ، قضايا فردية لا تلتزم بهـا الثورة » يتمثل الصـراع هنا في المنافسة بين الشيوعيين والفوضويين ، ويقضي الفريق الأول على الفـريق الثاني . ويقول مالرو هنا ان معنى الثورة لا يكتمل الا اذا دعمته كرامة الانسان ، وحريته من الذل والمهانة . ولا يكفي ان تكـون القضية عادلة ، بل لا بد لها من ان تنتصر : « لا توجد الا طريقة واحدة للقتال ، الا وهي الخروج منه منتصرا » . ولكي يظل للأمل معنى ، يجـب تنظيم الحرب ، لأنها فن اولا وقبل كـل شيء » . والجمهوريون الاسبان لم يعرفوا كيف يحولـون حماسهم الثوري الى نظام ثوري . ومن ثم كانت هزيمتهم . هذا وتختتم « الأمل » الجزء الأول من حياة مالرو ، اي الجزء الذي شهد نهاية تجربته الثورية .

المحطة الأخيرة : اللامذكرات

لن نتحدث هنا عن كتابات مالرو في مجال الفن والابداع ، في كل من « اصـوات الصمت » و « المتحف الخيالي » ، وغيرهما . ولا يعني صمتنا نحن انكار اهمية هذه الأعمال التي تعد من افضل ما كتب مالـرو . ونختتم قـولنا الحـديث عن « اللامذكرات » (١٩٦٧) ، آخر مؤلفات مالرو ، خاصة انها ترجمت الى العربية ، واصبحت في متناول يد القراء . واذا كان الكاتب قد اختار هذا العنوان الغريب فلكي يؤكد ان كتابه ابعد ما يكون عن السيرة الذاتية . لقـد قال عنه انه « كتابه الحقيقي » . وقارن بينه وبين « البحث عن الزمان المفقود » للروائي مارسيل بروست . في «اللامذكرات »تمتزج الحقيقة بالخيال ،والتجربة الحية بالحلم . والمادة الخام بالفن الذي يحولها الى شيء آخر . وفيها نرى مالرو وقد كسـا وجهه بالأقنعة المختلفة تارة ،وكشف عنه تارة حتى اننا ، نحن القراء ، كثيرا ما نتساءل : من الذي يتكلم ، مالرو ام أحد ابطاله ؟ واين الحقيقة من الخيال ؟ ونلهث وراء الكاتب ، عابرين القرون والقارات ، ملتقين بكبار شخصيات القرن العشرين . والغريب ان هذا الكتاب الذي يخترق القرن العشرين كالسيف قوبل بالصمت من قبـل الساسة والمؤرخين على السواء . او يمكن ان نقول انهم اخـذوا كلمة اللامذكرات على انها اللاحقيقة ؟ ونسوق هنا جزءا من حديث دار بين مالرو والزعيم ماوتسي تونج في اغسطس ١٩٦٥ :

ـ ماو : هل ذهبت الى ينان ؟

ـ مالرو : نعم ، ورايت المغارات . وفهمت لماذا كسبتم الحرب . فالمغارات تعبر عن الشجـاعة والصرامة ....

ـ ماو : عرف الشعب الفرنسي كيف يسقـط الملكية !

ـ مالرو : لم اصبح جنود العام الثاني للثورة جنودا لنابليون ... كيـف استطعتم بث روح الشجاعة هذه في جنودكم ؟

ـ ماو : كنا متساوين فيما بيننا ، وكنا نعطي الأرض للفلاحين .

ـ مالرو : اهو الاصلاح الزراعي ؟

ـ ماو :وما هو اهم منه ،الممارسة الديمقراطية.

ـ مالرو : وهكذا كسبتم المعارك . لكن تشنج كاي تشك كان يسيطر على المدن ..

ـ ماو : اما نحن فراهنا على الشعب الصيني، على الأغلبية ... »

ما من احد يستطيع ان يقرر ما اذا كان هذا الحديث زائفا ام لا ؟ فالشاهدان عليه قد رحلا.. في ذات العام ، تاركين بصماتهما على قرننـا العشرين .. وشاء قدر مالرو ، اكثر من تحدث عن الثورة الصينية ان يرحل بعد ايام من وفاة قائد الثورة الصينية .... ماو ! ■■

د . سامية أحمد أسعد

كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية/بغداد



معاملة العربي لزوجته

للامير عبد القادر الجزائري

كان الامير عبد القادر الجزائري من رواد المقاومين لجيوش فرنسا عقب هجومها على الجزائر في سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، وقد خاض عدة معارك ضدهم خلال نحو سنتين ، رشحته لان يبايعه الجزائريون اميرا عليهم ، وظل يقاوم الفرنسيين كرا وفـرا حتى هزمهم في عشرات المواقع ، وبعد خمس عشرة سنة ٠ اضطر ـ بعد نفاد قواته ـ الى قبول قضاء الله في التسـليم اليهم بعد شروط عرضها عليهم فقبلوها ، وقد ترك الجزائر الى منفـاه في محرم سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م)

وكان من كبار قواد فرنسا الذين حاربهم وحاربوه « الجنرال دوماس » الذي صار بعد ذلك من المعجبين بالامير ونبل سيرته في حربه وسلمه ، واتخذه صديقا ، وقد وجه اليه في منفاه عشرين سؤالا يستوضح فيها شبهات عرضت له في شان معاملة المسلم العربي للمرأة ، ولا سـيما الزوجة ، معاملة غير حسنة ، على خلاف ما يعاملها به المسيحي الغربي من معاملة حسـنة ، وقد اجابه الامير عنها اجوبة شافية مشرقة ، وكان من بين اسئلة الجنرال الاسئلة الآتية :

السؤال

بلغنا عن العرب : أن أحدهم ، لا يحترم زوجته، ولا يحسبها الا كخادمة له ٠ولا يشاورها ٠ولا يقربها ، الا عند قضاء شهوته ٠ ولا يعتـد بكلامها ٠ ونحن عندنا : الامر بخلاف ذلك ٠ فتشاور المرأة على كل شيء ٠ وهي رئيسة البيت ٠ وكيف بالعرب ، يؤخرون المرأة عن كل الامور ؟ !

الجواب

الأمر ، على خلاف ما سمعتم ٠ فان المـرأة ، لها حرمـة عظيمة ، عند العرب ٠ وذلك ، أنهم يحبون النساء كثيرا ٠ ومن لازم المحبـة ، الاحترام ٠ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أكرم النساء ، الا كريم ٠

ولا أهان النساء ، الا لئيم » • وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لاصحابه : « خيركم ، خيركم لامرأته • وأنا : خيركم لنسائي » • وقال بعض حكماء العرب : يلزم الرجل ، أن يفعل مع امرأته كل شيء يحببه اليها ، حتى يكون هو ، أحب الناس اليها • وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرفع امرأته على يديه ،حتى تركب على البعير• وكان أمير المؤمنين معاوية ، يقول: « النساء ، يغلبن الكرام من الرجال • ويغلبهن اللئام منهم • » وكان الاحنف التميمي ، من سادات العرب ، يغضب لغضبه : مائة ألف سيف لا يسألون عن سبب غضبه • فاذا أراد حربا ، تقول العرب : غضبت زبراء !! يعنون امرأته (١) • لانه • كان يمشي على رأيها • وكان الخليفة هارون الرشيد يقول : « أريد القرب من زوجتي ، أم جعفر ، وأهابها • وأهاب الجلوس على فراشها » ، تعظيما لها !! وكان ابنه المأمون كذلك ، يروى عنه ، في هذا المعنى ما هو أعظم منه ، مع كونه سلطان أهل الارض • وفي ذلك يقول :

« عجبا يهاب الليث حد سناني ... وأهاب سحر فواتر الأجفان !!
ما لي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن ، وهن في عصيان ؟ ! »

وكان نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يراجعنه في الكلام ، ويصبر اكراما لهن !! وأنا ، عبد الله ، كانت ابنة عمي ، تغضب على • وتواجهني بما يكره ، وأصبر لها !! وفي حقها قلت من قصيدة :

« وأخضع ذلة ، فتزيد تيها ... وفي هجري ، أراها في اشتداد !!
فما تنفك عني ذات عز ... وما أنفك ، في ذلي ، أنادي
ومن عجب ، تهاب الاسد بطشي ... ويمنعني غزال عن مرادي ؟ ! »

وقولكم : « وزوجها لا يشاورها » • اعلم : أن العرب ، يحبون النساء محبة عظيمة • ويطلقون لهن التصرف في البيت ، بحيث تكون المرأة في بيتها مثل الحاكم ، الذي أطلق له التصرف في الرعية، ولا يخاف تعقبا في حكمه !! ولا بد للرجل ، أن يشاور زوجته ، في أمور بيته• ويسلم لها شئونها ، لتهتم بها ، وتدبرها • ومن عادة العرب، أن يجتمع العيال الكثير ،في البيت الواحد الى عشرين نفسا وأكثر • وتحكم في جميع العيال امرأة واحدة • وتدبر لهم أمورهم • وكان في عيال والدي ـ رحمه الله ـ أكثر من ستين نفسا • ووالدتي هي التي تحكم فيهم ، وتنظر في أمورهم ، من أكل وكسوة ، وغير ذلك • ووالدي لا يدخل في شيء من ذلك • وانما يمتثل أمرها : وأما الامور ، التي هي خارجة عن البيت ، وهي من وظائف الرجال ، فالعرب يكرهون مشاورة المرأة فيها • لان الغالب على النساء ، الجبن والبخل • وهما من أحسن صفاتهن ومن أقبح صفات الرجال • اذ المدح والمزايا ، لا ينالها الرجل ، الا بالشجاعة والسخاء • والنساء ، لا يشرن بشيء ، فيه اتلاف النفس والمال • قال بعضهم •

(١) وكانت جارية له (العربي)

لا يبلغ المجد ، الا سيد فطن لما يشق على الايام ، فعّال
لولا المشقة ، ساد الناس كلهم الجود يفقر ، والاقدام قتّال

السؤال

نساء المسلمين ، لا يدخلن المساجد للصلاة • وأما نساء النصارى ، فيدخلن الكنائس ، ويتعبدن مع الرجال •

الجواب

ان شرع الاسلام ، ما نهى النساء ،عن دخول المساجد • ولا منعهن عن الصلاة فيها • وكانت النساء ، في زمان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلين معه في المسجد الشريف • وكان يقول لاصحابه – رضى الله عنهم : – « لا تمنعوا اماء الله ، من مساجد الله » فيجوز للنساء : الخروج الى المساجد ، والصلاة فيها ، ليلا ونهارا • لكن بشروط • منها ، أن لا تكون المرأة متطيبة ، بطيب له رائحة ، يشمها الرجال • ومنها ، أن لا تكون متزينة بشيء من أنواع الزينة • ومنها ، أن لا يكون لها خلاخل ، يسمع صوتها الرجال • ومنها ، أن لا تكون مختلطة بالرجال • بل تكون منفردة عنهم • ومنها ، أن لا تكشف وجهها ، اذا كانت شابة جميلة ، يعشقها ، من رآها من الرجال • وبهذه الشروط ، كانت النساء يخرجن الى المسجد ، ويصلين مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – • فاذا انعدم شرط واحد من هذه الشروط ، حرم على المرأة ، الخروج الى المسجد • وكان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) شديد الغيرة • وكانت زوجته ، تخرج الى الجامع ، فى الليل والنهار ، لاجل الصلاة • ولم يقدر ، على منعها ظاهرا ، لنهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن منع النساء ، من الخروج الى المساجد – كما قلنا – فعمل الحيلة فى منعها • وذلك ، أنه تعرض لها فى طريق الجامع ، فى ليلة مظلمة ، وقبض يده على ثديها ، ولم تعرفه !! فكانت بعد ذلك ، لا تخرج ، فيقول لها : لم لا تخرجين الى الجامع ، لتصلى فيه ؟ فتقول : لا أخرج • فقد فسد الزمان • ظنا منها : أن الذى تعرض لها ، وقبض على ثديها ، رجل أجنبى •

السؤال

يقال : ان المسلمين ، يمنعون نساءهم ، من الدخول الى المساجد ، اذا كن صغيرات وجميلات، ولا يمنعونهن من السفر الى الحج •

الجواب

قد ذكرنا لكم : أنه لا يجوز منع النساء ، عن الدخول الى المساجد بالشروط التى قدمنا ذكرها • وأما تسريحهن الى الحج ، فلا تسافر المرأة الى الحج ، الا اذا كان معها زوجها • أو رجل محرم لها ، وهو الذى يحرم عليه ، أن يتزوج بها شرعا : كابنها وأبيها وعمها وأخيها وخالها وابن اختها وابن أخيها • وأما اذا لم يكن معها زوجها ، ولا محرم ، فلا تحج • ولا يلزمها حج ، ولو كان عندها مال كثير •



تنمية اقتصادية ..

للدكتور جلال احمد أمين

● من أسوا ما قدمه لنا الاقتصادى الحديث من افكار فكرة « الرفاهية الاقتصادية » . فهذه الفكرة تفترض ان رفاهية الانسان شيء قابل للتجزئة ، اذ كما ان هناك رفاهية اقتصادية فلا بد ان يكون هناك ايضا رفاهية روحية واخرى اجتماعية او سياسية .. الخ . وهى تفترض ان من الممكن زيادة ما يستهلكه المرء من سلع وخدمات (وهذه هى الرفاهية الاقتصادية) دون ان تتاثر جوانب حياته الاخرى : الاجتماعية والنفسية والخلقية . وحيث ان الاقتصادى افترض امكان ذلك ، فقد افترض ان من الممكن زيادة رفاهية الناس بزيادة استهلاكهم المادى وحده ، ومن ثم راح يبحث عن وسائل زيادة هذا الاستهلاك ويرشدنا الى اسرع الطرق الى « التنمية » التى عرّفها تعريفا ضيقا هو مجرد الزيادة فى السلع والخدمات .

ولعله لا يعادل فكرة « الرفاهية الاقتصادية » فى القبح والتضليل الا فكرة او عبارة مثل « الصحة البروتينية » لو كان قد قدر لعلماء التغذية ان يقعوا فى مثل هذا الخطا . فكما توحى عبارة « الصحة البروتينية » بان صحة الانسان قابلة للتجزئة وانها لا بد ان تتغير فى نفس اتجاه تغير عامل واحد من عواملها (هو استهلاك البروتين) كذلك « الرفاهية الاقتصادية » ، فانها تفترض خطا ان رفاهية الانسان لا بد ان تزيد بزيادة ما يستهلكه الانسان من سلع وخدمات . والحقيقة ان اقتناء مزيد من السلع (كاستهلاك مزيد من البروتين) لا بد ان يحدث اثارا «جانبية» قد تضر بالرفاهية (أو الصحة) بدلا من ان تزيدها ويظهر هذا على الاخص عندما تكون السلع مستوردة من حضارة غريبة لم يقم المجتمع المستهلك لها بابتداعها بنفسه ، كما يظهر بوجه خاص كلما زاد الفارق المادى والحضارى بين الدول المنتجة لهذه السلع والدول المستهلكة لها ، ففى هذه الاحوال يكون من الارجح ان تؤدى زيادة السلع الى تغير اعمق فى جوانب الحياة غير المادية ، دون ان يكون هذا التغير ايجابيا بالضرورة .

ذلك ان كثيرا من السلع التى تقوم الدول المتقدمة صناعيا بانتاجها لا يمكن ان يتم الاستمتاع به الا فى ظل انتشار نمط من انماط القيم الاجتماعية هو النمط السائد فى المجتمع الغربى الذى قام بابتداع هذه السلع . فما لم تسد فى المجتمع الذى يتلقى هذه السلع نفس القيم الغربية من سيادة النزعة الفردية او الاباحية أو روح التنافس على الاستهلاك فان هذا المجتمع قد لا يجد فى سلع الغرب اى مصدر للرفاهية . فما لم يقبل المجتمع مثلا ان يستقبل الابن أو البنت لدى بلوغهما سنا معينا بسكن خاص ، وما لم يقبل ان تتفكك العائلة على



أم هزيمة حضارية

النحو السائد فى الغرب لما ظهرت الحاجة الى تزويد الشباب بمساكـن مستقلة والى الآف من السلـع الاخرى التى ليس لها منوظيفة الا التخفيف من شعور الفرد بالوحدة • وما لم يقبل المجتمع ، كقيمة من القيم ، ضرورة تلبية اية نزعة او رغبة قد تخطر ببال احد افراده ، وما لم يقبل المجتمع ان يعتبر الاكبر والاكثر مرادفا للافضل لما ظهرت الحاجة الى هذا التنوع الهائل فى مختلف السلع التى تنتج استجابة لهذه النزعات • كذلك فانه فى مجتمع لا يعلق نفس الدرجة من الاهمية على التغير المستمر بلعلى العكس يحتلفى نظره عنصر الاستقرار والاستمرار مرتبة عالية فى سلم القيم، لا يصبح التغير المستمر فىانماط السلع الاستهلاكية ولا تصبح وسائل المواصلات المفرطة فى السرعة مصدرا من مصادر الرفاهية •

ان نفس القول ينطبق ايضا على مجتمع تختلف قيمه عنقيمالمجتمع الغربيفيما يتعلق بمايعتبر اساس ما يتمتع به الفرد من احترام وتبجيل من المحيطين به ، وما يعتبر مصدرا للتامين ضد الشيخوخة او المرض ، او ما يعتبره افضل السبل لتربية الاطفال او فيما يعلقه من اهمية على اشبـاع الحاجـات الحاضرة بالنسبة للحاجات المستقبلة او على التقليل من الجهد العضلى بالنسبة لتخفيف التوتر النفسى الناتج من الحضارة الالية •• الخ •فمتى اختلف المجتمعان فى اى وجه من هذه الوجوه فان السلع والخدمات التى تولد مزيدا من الرفاهية لاحدهما قد لاتولد اى قدر من الرفاهية للمجتمع الاخر •

خلاصة القول ان القدرة على التمتع بالسلع والخدمات التى يبتدعها مجتمع معين تفترض ان يغير المجتمـع قيمة وعاداته بحيث تتفق مـع قيم وعادات المجتمع الذى ابتدعها ، كما ان اخضاع المجتمع الفقير لاستهلاك هذه السَلع قبل ان تتغير قيمه وتقاليده هو اقصر طريق لاجباره على التخلى عن ثقافته وقيمه الخاصة •

ان من الطريف حقا ان نلاحظ التناقض الذى يقع فيه الاقتصادى الغربى الحديث ، اذ تجده من ناحية ، وهو يناقش موضوع الرفاهية يرفض القطع بان تحقيق مزيد من المساواة فى توزيع الدخل لا بد ان يؤدى الى زيادة الرفاهية ، فهو يقول انه منالمستحيل ان نقارن بين النفعالعائد على الفقير والضرر الواقع على الغنى من اعادة توزيع الدخل على اساس ان كلا من الغنى والفقير هو فى نظره عالم مستقل بذاته من القيم والميول والرغبات • بينما نجد الاقتصادى الغربى وهو يتناول موضوع التنمية يفترض وكانه من قبيل المسلمات ان ادخال السلع الغربية الى البلاد الفقيرة لا بد ان يؤدى الى ارتفاع مستوى الرفاهية فى هذه البلاد متجاهلا

اندخول هذه السلع من شانه تمزيق النسيج الاجتماعي والثقافي لهذه البلاد ويحل محل القيم السائدة فيها قيما وتقاليد غريبة تماما عليها •

اضف الى ذلك انه كلما زادت القدرة الانتاجية للدول المتقدمة صناعيا كلما اتجهت هذه الدول اكثر فاكثر الى انتاج سلع تافهة الاثر في رفع مستوى الرفاهية •

فالقطار والدراجة تتبعهما السيارة الخاصة ، وهذه تتلوها سيارة اكثر فاكثر سرعة ، واكبر فاكبر حجما • وآلة الحلاقة البسيطة تتلوها آلة الحلاقة الكهربائية ، والصحيفة الصباحية تتلوها صحيفة اخرى عند الظهر واخرى مسائية والآلة الفوتوغرافية تصبح عديمة القيمة ما لم تجلب لصاحبها الصورة في الحال ، ومشروب القهوة يجب ايضا ان يصبح مشروبا آنيا ••• الخ انكل هذه السلع قد يبدو الاقدام على انتاجها في الدولة المتقدمة صناعيا وكانه مجرد تبديد للموارد فيما لا طائل وراءه ، اما القيام بانتاجها او استهلاكها في دولة لم تنجح بعد في تلبية حاجات السكان الاساسية فهو امر قد يبعث على الضحك او على البكاء حسب المزاج الشخصيلكل منا •

وهناك نوع اخر من السلع ما قد يؤدي وظيفة حقيقية في الدولة المتقدمة صناعيا ولكنه لا يحقق اية وظيفة على الاطلاق في الدولة الفقيرة ، فمنذ نحو مائة عام اضطر الخديوي المصري تحت ضغط شركة بريطانية كانت تبحث عن اسواق لتصريف معدات السكك الحديدية الى التعاقد مع هذه الشركة لمد خط للسكك الحديدية بين القاهرة والسويس لم يكن الاقتصاد المصري في حاجة اليه• واليوم تقدم الدول الفقيرة على اقتناء الات حاسبة الكترونية قبل ان تتوافر لديها كمية كافية من البيانات الدقيقة ، بل ودون ان تكون لديها حاجة الى مستوى رفيع من الدقة في المعلومات • وهكذا ايضا تصر الدولة الفقيرة متاثرة بنصائح الخبراء الاجانب على ان تنفق مبالغ طائلة على اعداد ما يسمى « بدراسات الجدوى » لتقييم ما يعرض عليها من مشروعات ، في الوقت الذي لا يحتاج الامر الى اكثر من حس سليم لادراك ان المشروع محل الدراسة اما لا غنى عنه ، او لا طائل على الاطلاق من ورائه ، او تتعاقد الدولة المتخلفة تحت ضغط بائعي الاسلحة على تزويد جيشها باحدث الاسلحة استعدادا لحرب لا يمكن ان تقوم•

ان جزءا كبيرا من المنتجات الجديدة التي تخرج من مصانع الغرب اليوم لا تقوم في الواقع باشباع حاجات انسانية جديدة بل ليست اكثر من وسائل جديدة لاشباع حاجات قديمة ، ومن المشكوك فيه ان كفاءتها في اشباع هذه الحاجات هي اكبر مما حلتمحله من سلع اللهم الا اذاصدقنا الاقتصادي الغربي الذي يسوى بين وجود طلب على السلعة ووجود اشباع حقيقي• كذلك فانكثيرا مما يقدمه الغرب الى بلاد العالم الثالث على انه اضافة الى ما تحتويه سلتهم من سلع وخدمات ليس في الواقع اكثر من احلال سلة من السلع والخدمات محل سلة اخرى • فوسائل الرياضة الغربية الحديثة مثلا ، التي كثيرا ما تتطلب ادوات باهظة الثمن ليست الا بديلا للنشاط الطبيعي الذي يقوم به اغلب الناس في مجتمع فقير دون ان يتحملوا في سبيله اية نفقة ، والتيار الذي لا ينقطع من المعلومات التي لا جدوى منها تعويض ناقص عن فراغ روحي ، والطب النفسي بديل سيء عن الصلات الاجتماعية الوثيقة ••• الخ •

ان الغزو الغربي لاقتصاديات وثقافة بلادالعالم الثالث هو بالضبط ما حدث ولا زال يحدث منذ ان رفع شعار تنمية هذه البلاد ، واطلاق اسم التنمية على هذا الغزو وتسمية الدول الخاضعة باسم الدول النامية هو مثال من اسوأ ما يمكن ان يقدم من امثلة على الاستعمال الفاسد للغة وعلى تسمية الاشياء بغير اسمائها • ولكن ان نذهب الي حد وصف تلك المجتمعات الرافضة او المقاومة لهذا الغزو او التي لا ترضخ له بالسرعة الواجبة بوصف الدول المتخلفة ، فهذا هو منقبيل عدم الاكتفاء بايقاع الاذى بل واضافة الاهانةاليه•

ان التصور الغربي للتنمية فيه من الظلالوضيق الافق ما في التصور الغربي لفكرة الكفاءة efficiencyفتصور التنمية على انها مجرد الزيادة في الناتج يتضمن تجاهلا لحقيقة اساسية وهي ان الزيادة في الناتج لا بد ان تصاحبها تغيرات في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية بحيث يستحيل القطع بناء على ما يحدث للناتج القومي وحده بان النتيجة لا بد ان تكون دائما نتيجة مرغوبا فيها • فاذا كان هذا صحيحا ايا كان المجتمعالذي تحدث فيه زيادة الناتج فهو صحيح على الاخص

اذا كانت هذه الزيادة ووسائلها تاتي الى المجتمع من مجتمع غريب عنه .

اذن فتقديم النصح الى بلد فقير بان يمضى قدما بزيادة انتاجه على النمط الغربى بصرف النظر عما ينتج عن ذلك من آثار على حياته الاجتماعية والثقافية له من الخطر ما لتقديم علاج الى مريض وان كان يشفيه من المرض الذى يراد علاجه فانه يترك فى الجسم امراضا اخرى . ان من الممكن ان نصف العلاج فى الحالين « بالكفاءة » طالما التزمنا بتعريف ضيق للكفاءة مؤداه النجاح فى تحقيق الغرض الخاص الذى يوجه اليه العلاج دون اعتبار لاى آثار اخرى قد تنتج عنه . بنفس المنطق اذن توصف الطائرة بانها اكثر كفاءة طالما انها تسير بسرعة اكبر ، ويوصف نظام المصنع بانه اصبح اكثر كفاءة اذا اصبح قادرا على انتاج المزيد بنفقة اقل ، بصرف النظر عن الآثار النفسية والاجتماعية التى قد تصاحب هذا « التقدم » فى الحالين .

ان اصطلاحا « كالتنمية » من حيث انه يوحى بالاشارة الى هدف يستحق السعى من اجله ، فانه يجب اذن ان يعرف على نحو من شانه ان يدل على تقدم لاشك فيه فى رفاهية المجتمع ككل ، وليس على مجرد الزيادة فى السلع والخدمات ولا على ارتفاع فى مستوى المعيشة المادية لفئة ضئيلة من هذا المجتمع . فاذا كان الذى يحدث بالفعل ليس اكثر من زيادة فى الانتاج المادى تستاثر بها الصفوة ، وخلق شعور بالسخط لدى بقية فئات المجتمع ، بل وتغذية شعور مستمر بالحرمان حتى لدى افراد هذه الصفوة نفسها ، واغراق المجتمع فى كميات من السلع التى لا حاجة به اليها ، ودفع المجتمع الى التخلى عن قيمه الخاصة وتقاليده ، وافقاد افراده ادنى شعور بالثقة بالنفس واحترام الذات ، واذا كان كل هذا يحدث نتيجة لعملية قهر مادى او نفسى من قوى خارجيـــة ، اذا كان هذا هو الذى يحدث بالفعل فى بلاد العالم الثالث فانه يجب قطعا ان يطلق عليه اسم اخر غير التنمية .

بل وحتى تسمية هذا الذى يجرى فى العالم الثالث باسم التحديث Modernisation يجب ايضا ان نرفضه ، فهو يتضمن تنازلا من جانبنا بالاعتراف لتجربة الغرب الخاصة بعالمية وعمومية لا تستحقهما ، فليس تكرار التجربة الغربية فى النمو هو الطريق الوحيد لتحديث المجتمع وتطويره ، والاعتراف بذلك ليس اقل من اعلان من جانبنا بالافلاس التام .

ان الذى يحدث فى دول العالم الثالث ، برغم كل ما يقوله الاقتصاديون ووثائق الامم المتحدة ، ليس تنمية ولا تحديثا ، وانما هو لا اكثر ولا اقل من مواجهة درامية بين حضارة الغرب وحضارات مغايرة ، هذه المواجهة التى تدفع الحضارات الاضعف بسببها ثمنا فادحا . ان من غير المستغرب ان نرى الكتاب الذين ينتمون الى الحضارة الغالبة يطلقون على هذه المواجهة اسماء تعكس تعصبهم لثقافتهم ، كما تعكس شعورهم بالتفوق ، فيسمونها بالتنمية والتحديث ، مهما كانت نتائجها بائسة بالنسبة لدول العالم الثالث ، ولكن ان ترضخ دول العالم الثالث نفسها لهذا الاستعمال ، وتقبل ان تسمى محنتها بهذه الاسماء فهذا هو الاستسلام والتخاذل الكامل .

اننا لكى ندلل على ان الانضواء فى فلك التجربة الغربية فى النمو ليس هدفا يستحق العمل من اجله لا نحتاج الى ان نبين انه ليس فى هذه التجربة شىء على الاطلاق مما يستحق الاقتباس والتطبيق ، ولو كانت التجربة الغربية فقيرة حقا الى هذا الحد لكان الامر مدعاة لدهشة لا حد لها . وانما الذى يستحق التساؤل حقا هو هل من اجل ان تحقق دول العالم الثالث لنفسها مستوى لائقا من الغذاء والكساء والمسكن ، ومن اجل ان تكتسب معرفة كافية بالعالم ، هل يتعين على هذه الدول حقا ان تذهب الى الحد الذى ذهبت اليه الدول الصناعية فى تنمية المدن وتلويثها ، وفى تنمية البيروقراطية ووسائل الحرب ، وفى التنكر لله ومعاداة الطبيعة وتمزيق العائلة ، بل وفى اكتساب ما لا طائل تحته من معلومات ؟

ان اثارة العالم الثالث لهذا النوع من التساؤلات اليوم لا يجب ان يعتبر محض صدفة ، فالعالم الغربى يمر اليوم بمرحلة من الحساب العسير للنفس ، ومن الشك فيما اعتبره سنوات طويلة من قبيل البديهيات ، وانه ليصبح من دواعى الاشفاق حقا ، الا نقتنص نحن ابناء العالم الثالث هذه الفرصة لنقوم بعملية مماثلة من مراجعة لحساباتنا ، على امل ان نكتسب من جديد ثقة لم يكن هناك اى مبرر لفقدانها . ■■

جلال أحمد أمين





● كتب رئيس التحرير في عدد ديسمبر الماضي مقالا عـن « المثقفون والسلطة »٠٠٠وقد عقب عليه الدكتور محمد الرميحي بالمقال التالي ٠

السُلطة والمثقفون

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الاستاذ بجامعة الكويت

■ حديث الشهر الذى كتبه الاستاذ/ احمد بهاء الدين رئيس تحرير العربي فى ديسمبر (كانون الاول) الماضي، والذى دار حول« المثقفون والسلطة فى البلاد العربية » اثار فى نفسى شعورا بان هذا الموضوع يجب الا يبقى حبيس حديث شهر في مجلة عربية ، وانما يجب على كل من يهمه تقدم الشعوب العربية ان يساهم فى نقاشه ٠

لقد كان العنوان الذى اختاره الاستاذ احمد بهاء الدين فى رايي يحتاج الى تحديد ، حتى يمكن الولوج الى المناقشة بشكل موضوعى بدل الدخول فى عموميات قد تسيء الى الفكرة المطروحة عوضا عن خدمتها بشكل ايجابى ٠ وانطلاقا من ذلك ، فان مفهوم « المثقفين » فى مجتمعاتنا العربية وبين شعوبنا ما زال مفهوما غامضا لم يحدد بعد ،وحتى ماطرقه الكاتب حول هذا المفهوم فى مقالته السابقة تشابكت فيه المعاني ، فتراوح المفهوم بين العنصر الانساني الفني المتخصص ،او الحاصل على تدريب مهني عال او متوسط ،او اهل العلم والخبرة،وبين اهل الفكر والراي والعلم ، كما ، فى مجال آخر، فرق الكاتب بين مستخدمي ومتخذي القرار السياسي فى السلطة ، وبين من يملكون المعلومات العلمية لقيادة ذلك القرار ، واسمى الاولين بالمثقفين ، والاخرين بالسياسيين ٠ كما اشار بالتحديد الى ان « الحكم او السلطة بمعناها القيادي والسياسي



في البلاد العربية

امور لها مواصفات لا تتوفر عادة للمفكر او المثقف الفني » .

من المنطلقات السابقة ، يتبين لنا ان الاستاذ احمد قد طرح الموضوع في عمومياته ، ومن الواجب تحديد خصوصياته او محاولة ذلك على الاقل .

فالمثقف في فهمنا هنا ، هو كل رجل او امراة حصل او حصلت على درجة من العلم النظري او العلمي مما يؤهله او يؤهلها الدخول في جزئيات او عموميات المشكلات الاجتماعية والسياسية المطروحة في اجواء شعب عربي مخصص ، او الشعوب العربية ككل ، وهو بالتالي ذلك الشخص الذي يستطيع ان يعمل فكره بحثا من حلول افضل للمشكلات الآنية او المستقبلية التي تواجه مجتمعه سواء كانت علمية او اجتماعية او سياسية .

والمثقفون والمفكرون ، بهذا المعنى ، من واجبهم ان يشاركوا في بناء تصور مستقل لمستقبل افضل عما هو عليه واقع الشعوب العربية الحالية في المجالات السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية او العلمية او الاستراتيجية .

اذا اتفقنا على هذا الاطار في تحديد المفهوم ، فانه من الواضح ان يكون اتجاه تفكير المثقف او المفكر العربي ـ مهما اختلفت الاجتهادات ـ هو الرد على سؤال مركزي مفاده : ما هي السبل الاسلم والاسرع في انتشال الشعوب العربية من مستنقع التخلف؟ والذي تظهر بوضوح معالمه الدالة عليه ، ومنها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اجتماعي. والرد على التساؤل حول : اي شكل من اشكال المجتمعات المتطورة ، نريد الوصول اليه مع الاخذ بعين الاعتبار خصوصية مجتمعاتنا العربية وثقافاتها؟

اذا كان «التخلف» بمعناه المجرد يصعب التعرف عليه ، فان مظاهره واضحة لا تخطئها العين الفاحصة ، منها المستوى المعيب في نسبة المتعلمين بالقياس الى غير المتعلمين ، ومنها كذلك استمرار الاحتلال العسكري الاجنبي (الاسرائيلي) والذي زادت رقعته سنة بعد سنة ، ومنها ايضا الاختلال الرهيب في توزيع الثروة سواء على مستوى الشعب العربي الواحد او الشعوب العربية مجتمعة، ومنها عدم استغلال الامكانات الهائلة الزراعية والصناعية لدى هذه الشعوب العربية .

اذن فملخص هدف المثقف والمفكر العربي مهما كان انتماؤه هو الاجابة او ضرورة الاجابة على هذه التساؤلات المركزية في محاولة لحل المعادلة والتي طرفاها : الانتاج الاجتماعي لدى الشعوب العربية ، والايديولوجية التابعة لهذا الانتاج . هذان الطرفان اللذان لا ينسجم طرفاهما الاخر مع الاول في الوقت الراهن لدى مجمل الشعوب

العربية ، مما ينتج عنه تجميد قسري داخلي لمجمل التطور المرغوب فيه الذي به يمكن حل بعض المشكلات الاساسية .

ومن الضروري الاشارة الى ان هناك اطرافا مسئولة عن التجميد القسري والمستمر لهذه المعادلة خاصة الطرف الاخر وهو الايديولوجية بمعناها العام ، في حين ان طبيعة التحولات الحادثة في الانتاج الاجتماعي للشعوب العربية تضغط بشدة على الثوب الضيق الذي تتصفه هذه الايديولوجية من قيم وافكار وثقافة ، والذي هو مشدود شدا قسريا ـ نتيجة « دعم السلطة » ـ على جسم الانتاج الاجتماعي المتنامي .

وهنا ندخل الى بيت القصيد وهو دور السلطة او مجموع السلطات العربية وعلاقتها بمنشأ المشكلات التي طرحنا بعضا من مظاهرها في السابق واخرى اكثر جذرية وتشعبا .

وحتى يمكن تحديد البعد الزمني لما يسميناه التجميد القسري الذاتي للايديولوجية السائدة ، تمييزا له عن التجميد القسري الخارجي ـ الاستعمار باشكاله ـ لا بد من النظر الى التاريخ الحديث للشعوب العربية .

لقد وجدت السلطة العربية نفسها بعد الحرب العالمية الثانية في مجمل الاقطار العربية تصل الى دفة السفينة وهي ليست مؤهلة للقيادة ولا تعرف البحر الذي تجرى فيه سفينتها ، بصرف النظر عن الاشكال المختلفة للسلطة .

فالسلطة التقليدية احيانا وصلت الى دفة الحكم ، او تسلمت هذه الدفة في اجواء عاصفة دون ان تتدرب عليها ، فقد كان وجودها صورة مظهرية في بلدانها تلك ، وكذلك السلطة (الثورية) احيانا تقفز الى الحكم بين ليلة وضحاها فلا تصدق هي نفسها انها وصلت اليه ، ودون اعداد سابق . كما هو المقامر المتوقع الخسارة فاذا هو يربح كل ما على الطاولة من ذهب ومال ورءوس بشر ، فيبدأ التصرف بها كتصرف الاطفال في لعبهم ، ومن هنا اذن ، نجد ان اول صراع يتم هو محاولة حفاظ اولئك الناس (السلطويين) على السلطة ـ لمجرد انها سلطة ـ دون هدف محدد واضح ، مع صراع المعاناة الذي يقع على عاتق المثقفين والمفكرين مرة اخرى مهما اختلفت اجتهاداتهم .

يستمر بعدها اندلاع الصراع الجانبي وتكون نتيجته طبعا لصالح اصحاب السلطة .. اما عن طريق ارهاب المخالفين ووصمهم بكل ما يوجد من كلمات سلبية في القاموس السياسي او عن طريق اغراء البعض فتكون مهمتهم هي تزيين قرارات السلطة بديكورات ملونة يشع منها الضياء .

ولان الفئة الثانية التي تسقط في المغريات ليست محور حديثنا الان ، فان الفئة الاولى والتي تعتقد بان (انقاذ النقد لاهداف الشعوب العربية خير الف مرة من تدمير المديح لتلك الاهداف) هي الفئة الاكثر تعرضا لمعاداة السلطة على الارض العربية وفي مجمل شعوبها ، سواء اكانت تلك الفئة سلفية ، او تتبنى الاسلوب الاوروبي للتحديث ، او تلك المحافظة على الاصالة مع التطوير ، تحارب هذه الفئة مباشرة او من وراء حجب ، ومن المنع المباشر لما تقول وتنشر ، الى التصفية الجسدية في حالات اخرى وبتارجح بين ذاك وهذا السجن والتشريد والحرمان من الرزق .

ان هذا الصراع ، كما قلنا ، الغلبة فيه للسلطة ، هي التي تملك وتوزع وتامر فتطاع ، وما يملك الآخرون الا الانجراف او التقوقع او الحرمان فتتحول اهداف الحياة للافراد والجماعات من الحياة الى الجماعة ، وبها الى الحياة الى النفس فقط ويتحول الوعي بالوجود الاجتماعي الى وعي محدود بالذات ورغائبها الانسانية التي لا تنتهي ، وتضيع مشكلة المجتمع في متاهات مشكلات الافراد .

وفي ربطنا هنا بين الفرد والمجتمع ، واتجاهنا الى التشديد على دور المجتمع ، نبتعد عن الفكرة المطروحة بان المفكر كشخص فرد ، او المثقف كشخص فرد ، يستطيع ان يغير الى الافضل في مجتمعاتنا العربية ، هذه النظرية تبين ان الفرد مهما اعطى من قدرات لا يستطيع ان يغير • هي اذن الجماعة ، من خلال نشاط ووعي افرادها ، التي تستطيع ، بلا جدال ، التأثير في مجريات التغير •

ولان الجماعة بحد ذاتها ــ والمجتمع ــ نظريا تختلف فيه مصالح المجاميع المكونة له ، نجد ان المفكرين والمثقفين لدى الشعوب بعامة يتصفون بانتمائيات عرضية ، اولئك الذين يعبرون عن مصالح الجماعات السائدة ،فهم رائجون ومنتشرون وغير محظور فكرهم ، بعكس اولئك الذين يعبرون عن مصالح الجماعات الاوسع والتي لها مصلحة حقيقية في التغيير الى الافضل •

ونتيجة للارتباط الوثيق بين الفرد والجماعة ، وبين الفكرة وتنفيذها •• نجد انه من طبيعة الاشياء في هذه المجتمعات ، ان تحارب السلطة المفكر والمثقف والذى يقول بعكس ما تدعو اليه مصالحها ، والعكس صحيح • وهذا سائد حتى في المجتمعات التي تدين بالحرية والديمقراطية الليبرالية •

ومن المؤسف حقا ، انه حتى الان لم تظهر الدراسات الجادة والعميقة ، حول طبيعة تركيب المجتمعات العربية المعاصرة ، وكل ما لدينا من مادة هي اما شذرات متفرقة لبعض المجتمعات العربية والتي لا يمكن التعميم فيما وصلت اليه، او دراسات تاريخية قد تصدق تعميماتها الى حد ما على مراحل تاريخية سابقة •

مع هذا التحفظ فاننا يمكن ان نقول ان الاستبداد الذى هو طبيعة السلطة الشرقية لا زال بعض من مظاهره عالقة لدى سلطات المجتمعات الشرقية بما فيها العربية ، كما ان طبيعة ظاهرة الدولة الحديثة تجلب معها بالضرورة شكلا من اشكال الفرز الاجتماعي ، الا ان هذا الفرز له خصوصيات وجوهر المجتمعات العربية التي تلعب فيه مؤسسة القبيلة والعائلة الممتدة «دور الحاجز» في مرحلة الانتقال التي تمر بها المجتمعات العربية في هذه الفترة التاريخية • وهذا مرتبط ايضا بطبيعة الانتاج الاقتصادى والاجتماعي الذى هو في غالبيته انتاج زراعي رعوى مع تصنيع محدود تهيمن عليه روابط اجتماعية زراعية رعوية مع قيم مجتمعات صناعية تنمو في المدن •

هذه الخصوصية للمجتمعات العربية جعلت من علاقة المثقف المفكر بالسلطة تختلف عن مثل هذه العلاقة في المجتمعات الصناعية الغربية او الشرقية •

فالرئة التي يتنفس منها الفكر العربي قد اغفلت لفترة غير قصيرة ولم يتبين حتى الان معالم المستقبل بهذا الخصوص •

تبقى اذن المناداة بالديمقراطية كشعار وتنفيذ صحيح ، علها تكون الحل الحقيقي لما يعاني منه المفكر العربي كممثل لمصلحة الاغلبية في المجتمع، على اساس تطبيقها بشكل عقلاني وعلمي تحدده قوانين ثابتة ومحترمة من الجميع • كي تتفاعل الافكار باحثة عن طريق اسلم لتقدم الشعوب العربية • كما ذكر استاذنا عبد الرزاق البصير في احدى مناقشاته في ندوة « ازمة التطور الحضارى » فقد قال : (اود ان اقول ان افضل مناخ للخصوبة الفكرية وافضل مدرسة للشعب هو الديمقراطية التي تبيح للانسان ان يقول ما يريد عن نفسه • وقد يكون في هذا كثير من المساوىء ، ولكنه مع ذلك مدرسة تربي الشعب تربية سياسية) •

بدون هذه الديمقراطية لدى الشعوب العربية فستظل علاقة السلطة بالمثقفين والمفكرين وغيرهم في المجتمع علاقة غير صحية • ■■

دكتور محمد الرميحي

تعليق على مقال :

بعث الدكتور عبدالعال الصكبان الى « العربي » بهذا المقال ، تعليقا على ما كتبه رئيس التحرير في حديثه الشهري تحت عنوان « الوحدة عندنا وعندهم »

هل تتحقق الوحدة الاقتصادية العربية ؟

بقلم : الدكتور عبد العال الصكبان

الامين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية.

■ لقد اغفلت صحافتنا برغم دورها المجيد في خدمة قضايا العرب القومية ـ متابعة تجربة عربية نامية ، كان تاريخ مولدها يعاصر تقريبا بدء تجربة السوق الاوروبية المشتركة . واقصد بذلك تجربة الوحدة الاقتصادية العربية . ان هذه التجربة العربية التي جذبت اهتمام قلمك العربي في النصف الاول من الستينات والتي وقفتم بجوارها في مقالاتكم المنشورة وبصفة خاصة في جريدة « اخبار اليوم » القاهرية . هذه التجربة العربية ، قد تطورت في صمت عبر السنوات ، ومنذ عام ١٩٦٥..

وبرغم الظروف العربية فلقد اظهرت تجربة الوحدة الاقتصادية العربية ان الدول العربية في حاجة الى العمل معا في ميادين الانتاج والتطور الاقتصادي .. ومثلا عندما تحققت خطوات لتسهيل حركة التجارة بين بعض الدول العربية ـ الاعضاء باتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ـ حدث ونمت التجارة حجما وقيمة بين هذه الدول ، وهو ما تسجل معالمه بالارقام تقارير مجلس الوحدة الاقتصادية.

وفي الحقيقة فان الهدف الذي نسعى اليه الان ، وهو تحرير التجارة بين الدول العربية ، لم يكتمل بعد ، فمازال ينتظر خطوات من دول عربية اخرى لم تعلن بعد التزامها به ، ودول عربية اخرى ما زالت تفكر في الموافقة عليه اصلا .. ولكن ما تظهره التجربة يوضح لنا بالارقام ان الوضع العربي يتطور الى مزيد من النتائج الاقتصادية الملموسة والمرغوب فيها اذا ما تم العمل العربي في اطار تنظيمي ، وفي اتجاه اهداف محددة ..

وبالنسبة لتجربة الوحدة الاقتصادية العربية فان تطور التبادل التجاري ـ استيرادا وتصديرا ـ بين الدول التي التزمت بأحكام السوق العربية المشتركة ، لا يعني فقط ما تظهره الارقام من تطور وانما يعني ان هناك فرصا مؤكدة لبناء وحدة اقتصادية عربية ، وقيام وضع عربي متكامل في

الوحدة

مجالات الانتاج والعمالة والشئون المالية ، وهو وضع يمكن الدول العربية ليس فقط من مواجهة الضغوط الاقتصادية وانما هو وضع يحل مشكلة من مشكلات التنمية وهى وجود السوق الكبير الذى يستوعب انتاج المشروعات ذات الانتاج الكبيروالتى تقام حاليا فى كثير من الدول العربية .

والواقع ان تجربة الوحدة الاقتصادية العربية لا تتحرك من خلال طريق واحد وهو طريق تحرير التجارة بين الدول العربية .. انها ترى ان الدول العربية فى حاجة الى التنمية اساسا ، اى الحاجة الى تغيير هياكل اقتصاد الدول العربية من وجود مجتمعات زراعية تقليدية او مجتمعات تصدير للمواد الخام والطاقة الخام الى مجتمعات ذات تكوين اقتصادى متكامل ومتطور ومتوازن ويلائم صيغةالعصر الذى يتطلب وجود القوى الاقتصادية الكبرى .

ان لدى العرب القدرة على التطور اقتصاديا وماليا وتكنولوجيا الى وضع القوة الكبرى فىهذه المجالات . وبشرط اساسى مسبق وهو : التطور فى اطار وحدوى يجمع بينها .

وفىهذا الاطار الاشملفان مجلسالوحدةالاقتصادية العربية قد اتخذ قرارا يعتبر كنقطة تحول فىتاريخ العمل العربى الوحدوى على المستوى الاقتصادى .

ففى ٢٧ مارس عام ١٩٧٣ اصدر المجلس قرارا يحدد برنامج عمل فى المرحلة الراهنة .

وهذا البرنامج يتضمن العمل على تحقيق عدةاهداف تبدا بالعمل على التحرير الكامل للتبادل التجارى بين الدول الاعضاء كاساس . ولكنبالنسبة للمستقبل كان القرار التاريخى بالعمل على تنسيق الخطط الانمائية والمشروعات بيندول المجلس .. وكاسلوبمناساليب تنفيذ هذاالبرنامج حدد المجلس صيغة المشروعات المشتركة العربيةكاداة من ادوات تنفيذ التكامل الاقتصادى العربى.. وايضا اقامة اتحادات تجمع الصناعات العربيةالموجودة بالفعل ، وبحيث تحل مشاكل انتاجها وتسويق منتجاتها فى اطار التعاون .

وحتى عام ١٩٨٠ سيقوم خبراء التخطيطالعربوضع برنامج متطور ومتدرج لتحقيق هدف التنسيق بين خطط التنمية فى الدول العربية . بحيثيتحقق التنسيق الفعال بينها وعلى المستوى القومى مع عام ١٩٨١ . وهنا جوهر التجربة الجديدة التىتشغل اهتمامالامانةالعامة لمجلسالوحدة الاقتصادية العربية والتى تسعى لتجنيد الطاقات العربية مناجل تحقيقها .

ولقد اطلت التوقف،ولكن كنت اقول لنفسى وانااقرا سطور مقالكم : ان ما جاء فى هذا المقال يصور الظروف التى تحيط بالتجربة العربية ..انها فى حاجة الى التطور وهذه مهمة الخبراء .. ولكن هل تساعد حلول الخبراء كثيرا لو لم يعلمبها الجميع ويتحمسوا لها عقلانيا ويدركوا اهمية هذا البديل المنظم للاهتمامات المتفرقة ؟ انالاقتناعالعام بمبررات الطموح الكامن وراء توقيع الدول العربية لاتفاقية الوحدة الاقتصادية يحتاج الىمتابعة ، متابعة تطورات العمل الاقتصادى العربى وقيام مناقشات وتبادل الاراء واضافة فكرةالوحدةالاقتصادية الى دائرة اهتمامات الرأى العام العربى . ● ● ●

الدكتور عبدالعال الصكبان

شعر من الوطن المحتل
مهداة الى جموع المغتربين

الروض المهجور

على أي الغصون تحط ... يا طائر أيامي ؟
فهذا عمره عام ... وذاك اقل من عام !
وتلك براعم ، أخشى ... سقوط البرعم النامي ..
متين الجذع قد أودى ... به الاعصار قدّامي ..
شظاياه هنا انتثرت ... حطاما .. تحت اقدامي !
فما في الروض من غصن ... سوى المترنح الظامي ..
غصون .. لا ظلال لها ... ولا خطرات أنسام !
مبعثرة كآمالي ! ... مشوهة كأحلامي ..
على أي الغصون اذن ... سأشدو عذب أنغامي ؟

* * *

لماذا قد ملأت القلـ ... ـب أوهاما .. بأوهام ! ؟
وعشت بهذه الدنيا ... غريبا بين اقوامي ..
ينابيع الهوى جفّت ... فما ظمئي بنمّام !
ولا روحي بتائقة ... ولا قلبي بحوّام !
ولا عيني بمبصرة ... سوى أطياف آلام ......
حمامات الهوى ناحت ... فهاج النوح الهامي
وطارت .. لم تعد ، هجرت ... فضاء الروضة الدامي !



فما أمضت كما أمضيـ ـت فيه بهيج ايامى
ولا صليت ... كما صليـ ـت فى محرابه السامى
نسيناه .. نسينا الرو ض من عام الى عام ..
وضِعنا فى دروب الكو ن .. ضِعنا دون المام !
غشينا كل مأدبة ملوثة .. كأيتام !
تراكم فوقنا النسيا ن ، حاصرنا باحكام ...
وجس قلوبنا الالحا د الفاها كاصنام ..
فحل بها .. عزيز الجا ر فى دعة واكرام !
اذن ايتها الافا ق لا تتقى بأقسامى ..
وياهمجية الاقدا م دوسى كل اعلامى ! !
وأنت مخرف التـ اريخ ، ياأجرم هدام ..
كفاك تفاخرا بالامـ س ، فهو رفات احلام

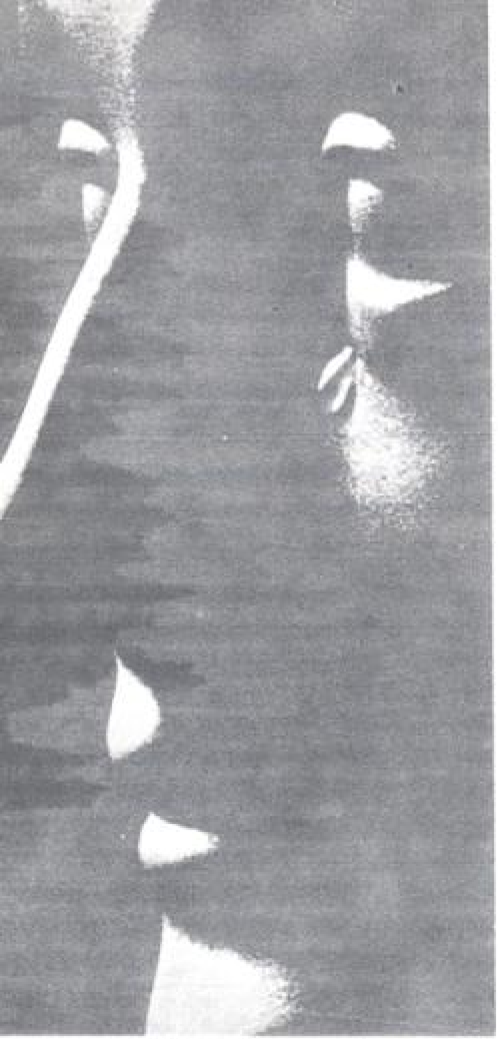
★ ★ ★

لقد كنا أباة الضيـ م .. كنا خير أقوام ...
ونحن اليوم قطعان تساق لنصل لخثام !
ونحن اليوم اوهام مسلحة بأوهام !
« رويدك » قال لى قلبى .. رويدك أيها الرامى ..
عهدتك دائما تبكى وتشكو جرحك الدامى
فما يبكيك ؟ ! « قلت » العيـ ش فى قهر وارغام
فمن سلب الى نهب الى كيد واجرام !!
فقال : « متى ستسعد ، عشـ ت اعواما لاعوام
شقيا مثخن الاحسا س مصلوبا لاعدام ؟ »
فقلت : « متى ارى بلدى عزيزا .. شامخ الهام ..
متى تأتى طيور الامـ ن تملأ روض احلامى ! »

خالد نصرة
الضفة الغربية للاردن

مرض الاكتئاب أو.. المرض النفسي

بقلم : الدكتور درى حسن عزت



الانقباض النفسى

يبلغ الانسان في عصرنا هذا منتصف العمر فيتطلع خلفه الى درب الحياة الذى سلكه ، يتامل المشاق التى كابدها والصعاب التى جابهها ، والمعارك التى اضطرته الظروف فى احيان كثيرة ان يخوضها والمواقف الصاخبة التى وجد نفسه فى وسطها ، عليه ان يواجهها ويتعامل معها ، بقدر ما ناله من حظ او خير فى هذه الحياة ، وما استطاع ان يحقق من اهداف وامال طالما سعى ان تتحقق ، فيجد انه قد نال النزر اليسير ، وانه لم ينجز الا القليل مما صبا اليه وتطلع • وان عليه ما زال ان يكابد وان يشقى وان يعمل ويتحمل من الاعباء المتجددة والمتكاثرة ابدا •

وينظر الى الامام مستشفا المستقبل ، فيجد ان العمر قد طوى نصفه المثمر المفعم بالنشاط والنتاج وان شيخوخة فى انتظاره ، يمر اليوم دافعا له اليها ومقربا اياه لها • وتتراءى له ما فى هذه المرحلة الاخيرة من عمر الانسان من امراض وضعف وعجز ، فكم بدأ يسمع ان فلانا من زملائه اصابه مرض السكرى ، واخر من اقرانه دهمه مرض القلب او الضغط او تصلب الشرايين ، وغيرها الكثير مما يتزعزع لها عند سماعه بها ويرى لها الضحايا من المعارف والاقارب والاصدقاء • يتوقف انسان العصر على درب الحياة ويتامل فتتجسد امامه ازمة الوجود الانسانى بما فيها من مواقف حياتية معقدة تتنازعه فيها المخاوف والصراعات وقلة الامان فى الحاضر وعدم الاطمئنان الى المستقبل ، فيلمس فى الحياة

عبثية ولا جدوى ، يفتقد فيها المعنى ويقيم منها الهدف ، فتنتابه الوساوس والهواجس وتتسلط عليه الافكار التشاؤمية والنظرة السوداء فيقع فريسة للهموم والاحباط والانقباض •

مرض الاكتئاب Depressive Illness او الانقباض النفسي هو حالة مرضية نفسية غالبا ما تصيب الانسان بعد منتصف العمر ، يعاني منها النساء اكثر من الرجال بنسبة حوالى ٣ـ٢ وله اعراض تظهر على الجسم وفي السلوك والتفكير والمزاج Mood •

وتوجد عوامل مختلفة كل واحد منها يساهم بقدر في احداث المرض بحيث ان محصلة تفاعلها جميعها مع بعضها البعض تحدد ظهور الاعراض المرضية• ومن هذه العوامل :

١ ـ الوراثة : بينما يحدد مدى انتشار هذا المرض بين السكان بشكل عام بحوالى ٣٪ ، نجد ان نسبة انتشاره بين اقرباء المريض ككل هي ١١٪ وبين الاخوة الاشقاء ٢٣٪ وبين الاخوة غير الاشقاء ١٧٪ وبين التوائم اكثر من ٥٠٪ وهذه الارقام تشير الى ان للوراثة اثرا في احداث المرض •

٢ ـ العمر : ان لمرحلة العمر التي يمر فيها الانسان دورا هاما • اذ ان مجموعات معينة من الاعمار Age groups يكون الانسان خلالها اكثر تعرضا من غيرها للمعاناة من المرض ، فمثلا العمر الوسيط Middle age عندما يبلغه المرء وبالاخص اذا كان طموحا ذا تطلعات وامال ويجد انه لم يحقق كل ما كان يامل فيه ، وان انجازه في الحياة اقل مما كان يقدر ، فتنتابه الهواجس وتدهمه الافكار وتؤرقه المقارنات كما ذكرنا في اول المقال • فاذا كان عنده الاستعداد الكامن للمرض ظهرت عليه الاعراض المرضية •

كذلك سن الشيخوخة يعاني عندها المرء من شعور بالعزلة والوحدة والعجز والضعف ، يضاف الى ذلك الاحساس بدنو الاجل والخوف من الموت عند السماع بمن توفوا من الاصدقاء والاقرباء ، هذه الاحاسيس والتوقعات المزعجة تجعل هذه المرحلة مثلا حيا للظروف التي يمكن ان يتعرض خلالها الانسان للاكتئاب •

سن المراهقة

مرحلة المراهقة تعتبر دائما فترة عصيبة في حياة كل انسان • فالمراهق تتنازعه الافكار والعواطف والاحاسيس والمواقف المتضاربة • فهو لم يكتمل بعد رجلا وفي نفس الوقت لم يعد مثلما كان طفلا • يراقب التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على جسمه بقلق وانزعاج مشوب بفرح وترقب وفضول • وكثيرا ما يقع المراهق ضحية للنصائح المتناقضة من الكبار ويعاني من تصرفاتهم المعاكسة تجاهه مما يعزز عنده الشعور بالحيرة والقلق •كذلك يكون على المراهق ان يخطط في هذه المرحلة من السن لمستقبله ويتحمل عبء الاختيار سواء للدراسة او العمل • كل هذه الدوامة من المواقف المضطربة وما يصاحبها من عواطف مضطربة تجعل المراهق اكثر عرضة في هذه السن للمعاناة من الاكتئاب •

عوامل فسيولوجية

النساء في فترة الحمل والنفاس والرضاعة نظرا للاضطرابات والتغيرات الهرمونية التي تطرأ على اجسامهن خلال هذه الفترات تجعلهن عرضة للاكتئاب خلالها • وكذلك سن الياس عند المرأة Menopause وما يصاحبه من انقطاع الطمث وما يحمله هذا من اشارة واضحة على توقف

وزويتا الفم تتهدلان ويقطب الجبين • والعينان تنظران الى اسفل •



وظيفة المرأة الرئيسية وهي الخلق والاضافة الى الاجيال البشرية مما يولد عندها ضغوطا نفسية وازمة مفاهيم Existential crisis وجودية تعرضها للاكتئاب •

عوامل كيمائية حيوية

حديثا تركزت الابحاث العلمية على دور الامينات الحيوية Biogenic amines ودورها في احداث الاكتئاب • والامينات الحيوية التي نعنيها هي الادرينالين Epinephrine والنور ادرينالين Norepinephrine والسيروتونين Serotonin اذ يحدث اضطراب كمي في تمثيلها فينتج عنه انخفاض في تركيزها في بعض خلايا نسيج المخ ، وهذه النظرية الكيمائية الحيوية هي الاساس في العلاج الحديث بالعقاقير الخاصة ضد الاكتئاب كما سنتناوله بتفصيل عند ذكر العلاج Anti depressant medications .

عامل الشخصية والبناء الجسمي

الاشخاص الاكثر تعرضا للاكتئاب High risk groups لهم صفات معينة وسمات شخصية مميزة • فهم يوصفون بانهم هيابون وغير مقاديم ، يعانون من الاحساس بعدم الامان وعدم الاستقرار ، بهم صرامة في المعايير الاخلاقية والمقاييس الاجتماعية • وعندهم الميل الى الدقة والتطلع الى الكمال • ياخذون انفسهم بالشدة والحزم ويعتنقون الاراء الجامدة لا يحيدون عنها• وبعضهم تجدهم كثيري التردد والتريث والخوف ، زائدي الحساسية للنقد لا يتقبلونه ، لكن في نفس الوقت عندهم القدرة على التدبر والرغبة في الانجاز • يشعرون بالحاجة المستمرة للاحترام والحب والانتماء ـ يعانون كثيرا من تقلبات المزاج Mood swings ويسهل عليهم تكوين وخلق الصداقات توصف بنيتهم بانها ربعة Pyknic ذات اطراف قصيرة وعنق غليظ وبطن كبير •

عوامل اجتماعية

القلق المستمر على الرزق والتكسب وعدم الاطمئنان للمستقبل وما يمكن أن ياتي به للفرد من رزايا ، والشعور بالوحدة كما في البلاد ذات الشتاء الطويل القاسي أو العزلة الاجتماعية كما يحدث لبعض الاقليات ، كذلك فقدان الامل في تحسن الاحوال المعيشية حاليا أو في المستقبل تكون كل هذه الاحوال في مجموعها ظروفا مناسبة مسببة لحالات كثيرة من الاكتئاب المزمن •

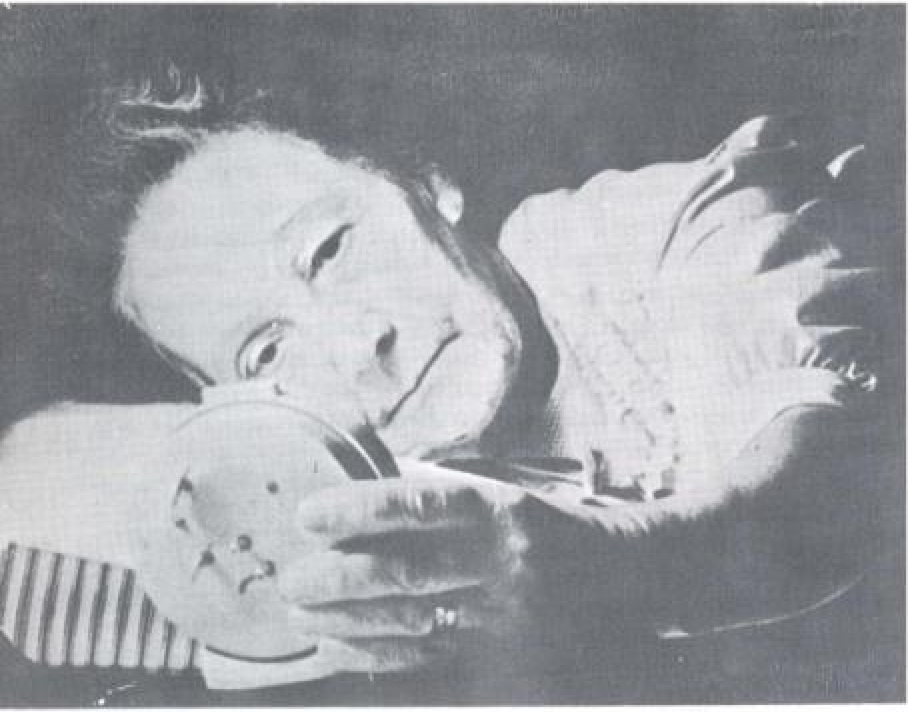
أعراض المرض

● ● اضطراب المزاج/ Mood Disturbance

يشعر من يعاني منهذه الحالة المرضيةباحساس غريب لا يقدره ولا يعرفه تماما الا من شعر به قبلا ومر بهذه التجربة الانسانية المضنية •احساس يشبه الحزن الشديد ،لكنه متصل ومستمر وعميق، لا يعرف له سببا ظاهرا معينا مباشرا واضحا يعزو اليه هذا الشعور ويفسره به • هذا الشعور الغريب بالحزن الشديد المستمر لا يتاثر بمجريات الامور أو الاحداث الخارجية فلا يخفف من حدته مواساة من صديق ، أو تعاطف من قريب ،شعور يحمله المريض في قلبه ووجدانه الما وتعاسة ويمكن أن تصاحبه نوبات من البكاء الصامت • ومن طبيعة هذا الشعور بالكآبة أن تخف وطاته قليلا بينما يمر الوقت أثناء النهار فيشعر المريض بتحسن نسبي ظاهري قرب الضحى بينما هو لاه بشئون يومه • لكن في الواقع أن الشعور بالكآبة يكون موجودا وأساسيا في العمق • وبمرور النهار واقتراب الليل يزول هذا التحسن السطحي الظاهري ويرد مزاج المريض الى هوة الكآبة • وهذه الظاهرة تعرف بالتغير النهاري في شعور الكآبة • Diurnal Variation of Depressive

● ● اضطراب النوم/ Sleep Disturbance

يستطيع المريض عندما يذهب لفراشه أن يبدأ النوم لكنه لا يستطيع أن يستكمله حتى الصباح• فيستيقظ في منتصف الليل تعبا مرهقا ، لم ترحه فترة النوم القصيرة التي تمكن أن ينام خلالها ، ويحاول النوم ثانية فيفشل ويظل مستيقظا قلقا خائفا منقبضا ، يمر عليه الوقت ثقيلا بطيئا ، يرقب خلاله انتهاء ليل لا ينتهي ، ويترقب حلول نهار لا يحل • وعند ظهور الضوء الاول للنهار يصل المريض الى حال من الكآبة والياس وكانه يقول « وهذا يوم آخر يجيء » على أن اعيشه وأعاني فيه من الحياة ، اذ انه يرى الحياة عبئا ثقيلا لا طعم لها ولا متعة فيها ،



يمر الوقت بطيئا ٠٠ ليل لا ينتهي ونهار لا يحل ٠

زهد وملّ منها ٠ وفي مثل هذه اللحظات من التعاسة والياس يكون الضيق على اشده ومحاولة التخلص من الحياة بالانتحار خطرا حقيقيا ٠

● ● اضطراب النشاط الحركي/ Psychomotor Disturbance

تقل حركة المريض البدنية وتتسم بالبطء Psychomotor Retardation فهو منحني الجسم قصير الخطوات عند المشي ، قليل الكلام عزوف عن المجتمعات لا يشارك في المحادثات ، واذا سئل عن شيء أجاب بعبارة مقتضبة او ربما بكلمة واحدة لكي لا يطيل حديثا لا رغبة له فيه ولا قدرة له عليه ٠

ترتسم على وجهه علامات الكآبة وتنعكس عليه صورة الانقباض الداخلي ، فالوجه لا تظهر عليه التعبيرات العاطفية المتغيرة المتجددة ، التي تظهر على وجه الانسان الطبيعي ، اذ أن عضلات التعبير الوجهي تكون بطيئة جامدة لا تعبر الا عن حالة الكآبة الثابتة الدائمة ٠ كما إنه يلاحظ تدلي زاويتي الفم الى اسفل وتجعد عضلات الجبهة وتكورها على هيئة حرف الهجاء اليوناني اوميجا Omega face ~ وتنظر العينان الى اسفل تنبئان عن معنى الياس وفقدان الامل ٠ وفي حالات اخرى وبالاخص مع كبار السن ، يكون المريض في حالة عدم استقرار Restless لا يسكن في مكان واحد ويقوم بتحركات لا هدف منها ٠ ويتقلقل ويتململ باضطراب Agitated ويعصر في يديه بلا داع ظاهري Hand wringing وهذه احدى علامات القلق الشديد ٠

● ● اضطراب التفكير/ Thought Disturbance

يكون التفكير بطيئا Retardation of Thinking ويفقد الذهن القدرة على تولد الافكار بسرعة فاذا انشغل بموضوع يظل على ذلك مدة طويلة ويصعب عليه الانتقال الى غيره وبالتالي يفقد القدرة على التركيز والمتابعة مما يؤثر في كفاءة العمل ويسبب للمريض المتاعب الوظيفية ٠

وبجانب هذا تتسلط على المريض افكار غريبة ومعتقدات غير حقيقية فيميل الى التقليل من شأن

نفسه Self depreciation والى لوم النفس واتهامها Self accusation بارتكاب جرائم متوهمة يعتقد انه يستحق عليها الجزاء ويزداد عنده الشعور بالذنب Guilt feelings وبالتالى الرغبة فى تلقى العقاب . فيضطرب فيه التفكير ويفقد القدرة على اصدار الاحكام السليمة على الاشياء والمواقف فيتعمق عنده الياس ويزداد الخوف والقلق ، كذلك يركز المريض اهتمامه فى بدنه ويفرط فى القلق على صحته Hypochondriasis فيجسم الاعراض البسيطة ويتوهم الاعراض الخطيرة .

فاى الم عارض بالصدر يفسره على انه مرض خطير بالقلب . والامساك الذى يعانى منه يعتقد جازما انه بسبب سرطان الامعاء . وصداع بسيط يتصوره ورم بالمخ . وهكذا يقع فريسة الاعتقاد فى امراض متوهمة واعراض كاذبة . فيتردد على الاطباء فى كافة التخصصات وتعمل له الفحوصات الطبية المعقدة وربما عمليات جراحية لا يستفيد منها . . فيضيع وقت طويل وينفق مال كثير حتى تتكشف اخيرا طبيعة هذه الشكاوى وما وراءها من انقباض نفسى . كما تفقد الالوان عند المريض بريقها المعهود Loss of vividness of colours فتبدو له باهتة . وينشا عنده احساس بحدوث تغير ما فى البيئة المحيطة به لكنه لا يدرك كنهه تماما وكانه لا يستطيع التعرف على الاماكن المالوفة له Derealisation ، وكذلك حدوث تغير ما فى جسمه وشخصيته وكانه يفتقد عضوا من اعضاء جسمه او الشعور بانه يفتقد نفسه Depersonalisation

أعراض أخرى

بجانب ما سبق يفقد المريض الشهية للطعام فينقص وزنه وينحل جسمه ، كذلك تقل عنده الرغبة فى النشاط الجنسى Decreased Libido فتقل الممارسة الجنسية او تقف تماما لانعدام القدرة نتيجة فقدان الرغبة . كما تقل القدرة على النشاط العام ويشعر بالتعب بسرعة عند بذل أيسر مجهود جسمانى والام متعددة ومتنقلة فى كافة انحاء الجسم ، ويهمل فى مظهره الخارجى فيبدو رثا مشعثا متهدلا ـ هذا مجمل لاعراض مرض الاكتئاب المتعارف بتسميته الاكتئاب الداخلى Endogenous Depressoin وبالطبع لا يشترط ان تكون كل هذه الاعراض حاضرة ظاهرة فى كل حالة او بنفس الحدة والشدة .

فمثلا بطء الحركة يكون بسيطا فى حالات وفى اخرى يكون شديدا جدا لدرجة ان المريض لايتحرك اطلاقا، وهذا ما يحدث فى حالات الاكتئاب الشديدة المعروفة بغيبوبة الاكتئاب Depressive Stupor وهذا ينطبق على بقية الاعراض الاخرى فالشعور بفقدان البهجة فى الحياة يؤدى فى بعض الحالات الى الملل والضيق والزهد فى النشاط والمشاركة . وفى حالات اخرى يكون من الشدة بحيث يفقد المريض كل طعم للحياة ويراها عبئا يثقل كاهله يوما بعد يوم للدرجة التى يصمم على التخلص منها ، فيحاول الانتحار وربما ينجح فى المحاولة . كذلك نظرة الانسان الى موقفه فى الحياة وشعوره بالسعادة والاكتفاء . يتاثر بالمقارنة والتطلع . وعامل النسبية هنا له دخل كبير فى التقدير . فنحن نقدر ان صاحب المليون رجل سعيد مكتف لاتؤرقه الحاجة ولا يشغل باله قلق بمستقبل وربما غبط على حاله الرغدة . لكن كثيرا ما يكون لصاحب المليون هذا تقدير مختلف ، فيرى انه فى موقف الضعيف العاجز لا يقوى على المواجهة او المنافسة امام صاحب الملايين الكثيرة . ويشعر ان المليون لا يكفيه للشعور بالاطمئنان والاكتفاء فيظل يسعى ويلهث وراء اهداف كسراب تضنيه، لا يصل اليها ابدا، فيشعر باحساس الاحباط وبالتالى الانقباض وهكذا دواليك فى سائر المواقف الحياتية التى يمر فيها البشر .

يوجد ايضا نوع اخر من الاكتئاب يجدر بنا الاشارة اليه وهو النوع المسمى بالاكتئاب التفاعلى Reactive Depression وفى هذا النوع يمكن التعرف على حادث محدد واضح فى حياة المريض يؤخذ كسبب مباشر لحالة الاكتئاب التى تعتبر تفاعلا له . فالفشل فى الزواج وقطع العلاقات العاطفية والخسائر المادية فى المضاربات المالية فى التجارة، وفقدان الوظيفة والرسوب فى الامتحانات هى امثلة لما يمكن ان تسبب حالة الاكتئاب التفاعلى واعراض هذه الحالة هى الشعور بالحزن لكن هذا لا يكون مستمرا او شديدا كما فى نوع الاكتئاب الداخلى ولا تحدث ظاهرة

التغير النهارى فى المزاج المذكورة سابقا ٠ واضطراب النوم يحدث فى اول الليل ٠ اذ يحاول الشخص النوم فتتضارب فى راسه الافكار حول متاعبه ، فيارق لفترة ينام بعدها حتى الصباح فلا توجد هنا ظاهرة الاستيقاظ المبكر ٠ كذلك فى حالة الاكتئاب التفاعلى لا يلوم الشخص نفسه ولايشعر بالذنب ولا يتهم الذات بل يميل الى لوم الاخرين ويعتبرهم مسئولين عن حالتـه ٠ كما ان افتقاد البهجة فى الحياة وافكار الياس والتشاؤم وفقدان الامل نادرا ما توجد وان وجدت فهى ذات طبيعة مؤقته ٠ وعموما تتحسن حالة الاكتئاب مع مرور الوقت ويتكيف الانسان مع متاعبه المسببة لها ٠

وحالات الاكتئاب التفاعلى لا تعتبر بشكل عام حالات مرضية ٠ بل هى تفاعل طبيعـى لمتاعـب حقيقة ولا تتناول بالعلاج الا اذا طالت مدتها بعض الشىء او كانت اعراضها حادة نسبيا بحيث تجعل الانسان غير قادر على القيام باداء واجباته اليومية العادية ٠

ولكى لا نخلط بين الاكتئاب الداخلى والاكتئاب التفاعلى ـ اى بين حالة مرضية وحالة آخرى تعتبر فى حدود ما هو طبيعى احب ان ابين بوضوح ان المرء اذا بلغ من العمر منتصفه وتعداه بقليل وبدا يشعر بتغير فى مزاجه وقلة نشــاطه بدون سبب واضح مباشر يمكن ان يعزى اليـه هـذا الاختلاف ، ويعانى من اعراض الاستيقاظ المبكر من النوم قبل الفجـر ، مع شعور مستمر بالكآبة والانقباض يتحسن قليلا عند ضحى النهار ويرد ثانية الى حدته عند قرب حلول الليل ، مع فقدان الشهية للطعام ومصاحبة الافكار التشاؤمية ونظرة الاستخفاف بالحياة وتوهم الامراض فهو يعانى من مرض الاكتئاب ، ويحتاج بكل تاكيد لعلاج طبى نفسى نشيط ٠ وتتناول طبيعة المرض وتطـوره وانذاراته ومضاعفاته وطرق علاجه فى مقال لاحق باذن الله ٠ ■■

الكويت ـ درى حسن عزت
اخصائى الطب النفسى

■ ان مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام اذا لقيته، وان تدعوه بأحب الاسماء اليه ، وأن توسع له فى المجلس ٠
(عمر بن الخطاب)

■ ابذل لصديقك كل المودة ، ولا تبذل له كل الطمأنينه ، وأعطه من نفسك كل المواساة ، ولا تفضى اليه بكل الاسرار ٠
(على بن ابى طالب)

■ قيل لعبد الحميد الكاتب : أيما أحب اليك أخوك أو صديقك ؟ قال انما أحب أخى اذا كان صديقى ٠

■ الاخوان على ثلاث طبقات : فاخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم أبدا ، وهم اخوان الصفاء واخوان كالدواء يحتاج اليهـم فى بعض الاوقات ، وهم الفقهاء ، واخوان كالداء لا يحتاج اليهم أبدا وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم ٠
(الخليفة المأمون)

■ ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن: لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة٠
(لقمان الحكيم)

هؤلاء "الدكاترة" ..!

هو وباء جديد أصاب أمتنا فيما يبدو اسمه « الدكتره » !

الكل يريدون أن يصبحوا دكاترة • العلماء والباحثون والفقهاء والشيوخ والفنانون ، وايضا الوزراء وكبار المسئولين • جميعا اصابهم « المس » ، وشاركوا في السباق المحموم من اجل الفوز باللقب بكل وسيلة ، مشروعة ام غير مشروعة •

صار هذا الصك هو جواز المرور الى الحياة العامة ، بل شرط القبول والتقدير عند الناس ، واحيانا شرط الترقي في سلم الادارة الحكومية • حتى رأينا أن بعض الذين لم يحصلوا على الصك،عجزا او كسلا،لم يترددوا في ان يضيفوه الى اسمائهم في زحمة المولد • وعلى من يعترض او يتنبه ان يثبت العكس •وصارت الصحف تمنح اللقب وتضيفه الى اسماء بعض الشخصيات العامة ، على اعتبار انهم مادامو مشهورين ، ومهمين ، فلا بد أن يكونوا دكاترة • كما انه من غير المعقول أن يبلغ هؤلاء مراتب الشهرة وصدارة المنصب دون أن يكونوا دكاترة !!

وقد رأينا أخيرا ان احد السلاطين الذين يتزعمون طائفة اسلامية مشهورة في عالمنا القريب ، عندما أراد ان يقدم نفسه الى العالم العربي اضاف الى اسمه لقب « دكتور » بعد ما جاوز السبعين من عمره ، وصار طابور الالقاب الذي يسبق اسمه هو جناب السلطان العلامة الدكتور مولانا الاكبر فلان الفلاني ••

وثمة قصص محزنة ومبكية وراء هذا الذي يجري • « دكتوراه التصدير » التي اصبحت بعض جامعات اوروبا وامريكا تمنحها لمن يشاء ـ ويدفع طبعا ـ من العالم العربي . تسهيلات وتنزيلات تثير الدهشة ، تقدم ارضاء لرغبات بعض العرب لاسباب سياسية وغير سياسية • وما دام العالم العربي هو الذي يعاني وهو الذي اراد ، فماذا يضير تلك الجامعات ؟•

وما يحدث وراء الكواليس في اعداد « رسائل » الدكتوراه ، ومناقشتها واجازتها بتقديرات تصل الى مراتب الشرف ، هذا الفصل حافل ايضا بالقصص المحزنة والمبكية •

لكننا مع ذلك لانريد ان نتعرض لتلك الجوانب ، لانها ليست جوهر قضيتنا ومناقشتنا من ناحية ، ثم أن الله امر بالستر اذا وقع البلاء ، من ناحية اخرى •

نحن ملتزمون اذن بمبدأ « الستر » ، مشغولون بالبلاء ذاته !

لماذا هذا التهالك على اقتناء اللقب ؟

الحيثيات بغير عد او حصر : لان الدكتوراه صارت المفتاح السحري ، وجواز المرور ـ كما قلنا ـ الى مراتب التقدير والتقدم •

لانه في غيبة فرصة الحكم على الناس بكفاءاتهم ، فلا مفر من الحكم عليهم بشهاداتهم•

لان معيار قيمة الفرد عندنا اختلف • لم يعد بمقدار ما يؤديه من عمل ، ولكن بقدر ما يحدثه من ضجيج ، وما يثيره الضجيج من اصداء •

لان بيارقنا واعلامنا المرفوعة ، اصبحت اضعاف اضعاف اعمالنا المرصودة •

لان سحبا قاتمة تجمعت في سماء عالمنا العربي ، ودفعت الى سطح الحياة فيه بأشباه المثقفين والادعياء ، فاختاروا طريق الشهادة ـ الاسهل ـ ليثبتوا وجودهم ، وزرعوا بذلك قيما جديدة وشاذة في مجتمعاتنا •



لان المؤسسات السياسية فشلت فى ان تفرز قيادات تقنع الجماهير ، فصارت تفتعل قيادات من المؤسسات العلمية • قيادات مسلحة بالشهادة ليس الا •

لان الشكل يسبق المضمون ويتفوق عليه فى اعماق العربي ، منذ غرامه بالشعر والقافية واحترافه التلاعب بالالفاظ ، واغراقه فى السجع والمحسنات البديعية •

لاننا توقفنا عن العطاء للعالم ، واشهرنا افلاسنا فى عصور التدهور والانحطاط ، فبحثنا عن صكوك غفران جديدة •

لان اخر صورة للعربى امام نفسه وامام العالم هى : انه انسان يعيش فى اللفظ باكثر مما يعيش فى الفعل •

فى البدء خرجت الدكتوراه من الكنيسة • من التخصص فى العلوم الدينية •

الان صارت الدكتوراه تعنى فى العالم المتقدم ان الباحث اصبح فى مقدرته ان يمضى فى البحث بغير اشراف او توجيه • تعنى انه يستطيع أن يبدأ رحلة البحث المنفرد •

لكن الدكتوراه اصبحت تعنى عندنا — حتى فى المؤسسات العلمية — ان رحلة البحث انتهت • تعنى ان تطوى الاوراق وتغلق الكتب ، وتجف الاقلام ، وتبدأ رحلة اكل العيش !

فى اوروبا وامريكا لم تعد الدكتوراه شرطا للتدريس فى الجامعات او الجلوس على مقاعد الاستاذية فى المؤسسات والمعاهد العلمية • مؤلفات الشخص وابحاثه — معرفته باختصار — اصبحت هى مؤهلة لشغل موقع القيادة العلمية •

جدية البحث واستمراره والقدرة على الابتكار والاضافة هى المؤهلات المطلوبة فى استاذ الجامعة •

ومن هذا الباب تربع العديد من الباحثين العرب على مقاعد الاستاذية فى الجامعات الاجنبية ، رغم انهم لم يحصلوا على شهادة الدكتوراه • ويعلم الله اى مصير كان ينتظرهم لو انهم بقوا بيننا •

اخشى ان نظلم الكثيرين من الباحثين الجادين فى بلادنا العربية ، اذا عممنا هذا الكلام واخذناه على اطلاقه •

اخشى ايضا — للسبب ذاته — ان نظلم الكثيرين من ابناء امتنا العربية ، الذين حصلوا على شهادات الدكتوراه بعد جهد وعناء شديدين •

اخشى اخيرا ان نسىء فى غمرة حماسنا وانفعالنا الى علماء عرب ، يشرفون اوطانهم وامتهم حيثما ذهبوا ، ولا يزالون يسهمون بجهد ملموس فى مختلف فروع المعرفة الانسانية •

لكننى اتحدث عن التهالك على اللقب وابتذاله •

اتحدث عن اهدار العلم فى سبيل الضحك •

اتحدث عن الوباء والبلاء الذى حل بامتنا فى اخر الزمان ، كانما لم يعد يكفيها ما بها من امراض واحزان •

حتى لا تضم ساحة العلم الى السيرك الكبير ! !

فهمى هويدى

عاش شاباً ١٧٠ عاماً!

ركن الاسرة والمرأة



■ ماذا تعنى الشيخوخة ؟

المعمرون يقولون انها ضعف ووهن وكسل وزهد فى الحياة ، او هى رحلة طالت اكثر مما توقعوا لها ، او هى محطة وقفوا على رصيفها ينتظرون القطار الذى سيقلهم الى نهاية المطاف ، ولكن القطار لم يصل ، او لعله وصل ولكنه مر بهم دون أن يتوقف ، فطال انتظارهم ، ومع الانتظار الطويل ، اصابهم الملل ، وتمنوا لو انهم لحقوا به ،ليخلصهم مما هم فيه من الم الوحدة !

هكذا صور الفيلسوف الامريكي وليام جيمس الشيخوخة ، عندما قال انها تبدأ مع بداية الشعور بان الوقت قد حان لكى نستسلم لهذا الاحساس الذى ينتابنا فى سن معينة ، باننا لم نعد ننتمى الى هذا المجتمع الذى ينبض بالحياة من حولنا ، فنلزم فراشنا وننتظر الموت !

ولكن العلم يقول غير هذا ٠٠ انه لا يعترف بالسن ولا يضعها العلماء فى اعتبارهم ، فهى فى رأيهم ليست اكثر من مجرد عدد من الاعوام يضاف الى عمر الانسان ، ولعلها الشىء الوحيد الذى يميز الرجل المسن او المرأة التى تقدم بها العمر، عن الشباب .

ان الشيخوخة في رأيهم هى ببساطة أن صاحبها كان هناك لفترة أطول ٠٠ الفرق بين الاثنين ٠٠ بين هؤلاء وهؤلاء هو هذا الشعور الداخلى ، وموقف كل منهما تجاه الحياة ونظرته اليها وتجاوبه معها ! ان المرض وحده ، ولا نعنى بالمرض ، اعراض الشيخوخة التى قد تظهر مبكرة او قد لا تظهر على الاطلاق حتى اخر لحظة من حياة الانسان على الارض ٠٠ وانما نعنى به المرض الخطير الذى يعجز الطب عن علاجه ٠٠ والذى يتعرض له المعمرون دون الشباب نتيجة عوامل عدة ٠٠ فى مقدمتها الحالة النفسية السيئة التى هم عليها او التى استسلموا اليها ٠٠ هذا المرض هو العامل الوحيد الذى يمكن ان يكون خطا فاصلا بين الشيخوخة والشباب ٠٠ ومعه لن يفوتهم القطار الذى وقفوا ينتظرونه ، وتصوروا ان انتظارهم له على رصيف الحياة قد طال !

كتاب جديد

يقول الدكتور اليكس كومفورت ، فى كتابه الجديد « السن المناسب «A Good Age» ، ان مواقفنا التقليدية تجاه هؤلاء الذين تقدم بهم العمر ، هى السبب وراء هذا الشعور المخيف الذى يملأ قلوب



العجائز : وهو يهاجم تصرفاتنا معهم وطريقة معاملتنا لهم ، ثم يقول : « يجب أن نتذكر دائما انه اذا لم يكن العمر قد تقدم بنا الآن بالفعل ، فان عجائز المستقبل سيكونون من بيننا نحن ! »

ثم يقول الدكتور كومفورت أن معظم المعمرين الذين جاوزوا السبعين ، من النساء، ذلك لان المرأة أطول عمرا من الرجل،فهى اقل عرضة للانفعالات واكثر ميلا للشعور باللامبالاة ، والمرأة المسنة فى الظاهر هى تلك السيدة العجوز التى كسا الشيب شعر رأسها ، وركنت الى الخمول ، فلم يعد لديها عمل تؤديه ولم تعد تطالب احدا بشىء ، حتى اقرب الناس اليها بين افراد أسرتها ·· وهى قد تصبح عالة عليهم وعلى المجتمع،وقد تهرب من نفسها ومن حياتها الخاملة وتلجأ الى « بيوت العجائز » تقضى فيها ماتبقى لها من عمر فى هدوء بعيدا عن الابناء والاقارب الذين ضاقوا بها أو الذين تصورت انهم لم يعودوا يحتملونها حتى فى صمتها ووحدتها

النهاية السعيدة

هل هذه هى النهاية ؟

ان هذه النهاية هى التقليد الذى هاجمه الدكتور كومفورت فى كتابه ، وطالب بتغييرها ، والبحث عن نهاية سعيدة لحياة كانت سعيدة ، وهو يقول ان فى وسعنا ، نحن وحدنا ان نضع بأيدينا هذه النهاية السعيدة لحياتنا على الارض ··

كيف ؟

عندما وقفت كوكو شانيل مصممة الأزياء الفرنسية الشهيرة ، التى مازالت ثياب النساء ومستحضرات التجميل والعطور تحمل اسمها حتى اليوم ، عندما وقفت تعلن انها قد قررت التقاعد فى عام ١٩٣٨ ، قال الذين عرفوها « مسكينة » ·· فقد تقدم بها العمر،ولم تعدقادرة على ادارة «امبراطوريتها الجميلة الشاسعة ! » ولم تكن كوكو وقتها قد جاوزت عامها الخامس والخمسين ··

عودة الى الشباب

وانقضت سنوات طويلة ، وفجأة وفى عام ١٩٥٤ فوجئت دور الأزياء فى باريس بسيدة انيقة مازال وجهها يحمل بقية من جمال ،تظهر فى محلات شانيل ولم تكن هذه السيدة سوى « كوكو » نفسها التى عاشت فى عزلة بعيداعن الناس لاكثر من ستةعشر عاما ، قبل أن تكتشف انها و« الشباب على موعد» من جديد ، فخرجت من عزلتها ، وعادت الى الحياة منتصرة ، وكانت يومها قد جاوزت عامها الحادى والسبعين ! وقد بقيت تتربع على هذا العرش الذى بنته بيديها حتى بلغت الثامنة والثمانين !

قال الكاتب يحدثنا عن هذا الاكتشاف الذى اعاد الشباب الى امرأة بلغت منتصف العمر او جاوزته عندما آثرت أن تختفى عن عيون الناس ، قال : لقد وجدت السيدة شانيل انها افتقدت فى وحدتها وعزلتها أربعة أشياء ·· افتقدت العمل النافع المثمر الذى اعطته شبابها ،فاعطاها الشهرة والصيت الذائع ، وافتقدت الكرامة التى كانت تتمتع بها وهى تقف على قدميها وتشمخ بانفها بين صديقاتها وزميلاتها فى العمل الكبير الذى بدأته من اجلهم ومن اجلها ·· وافتقدت المال الضائع الذى تركته صاحبته لغيرها يتصرف فيه كيف شاء ·· وافتقدت اخيرا نفسها ! او ليست هذه كلها اشياء يتطلع اليها الناس فى مختلف مراحل حياتهم !

شباب في السبعين

وعندما بدأت الدكتورة «ماريون ميد» الاخصائية في تاريخ الشعوب رحلتها الى غينيا الجديدة للقيام بدراسة ميدانية لتقاليد وعادات شعب هذه البلاد كانت قد جاوزت عامها الثاني والسبعين ، وكانت هذه الزيارة هي الثانية من نوعها التي تقوم بها لهذه المنطقة ، فقد زارتها للمرة الاولى عندما كانت شابة في الثانية والعشرين من عمرها اي منذ نصف قرن على وجه التحديد ..

ومر عامان على الرحلة الدراسية الثانية التي قامت بها مارجريت الى غينيا الجديدة عندما سافرت بعثة تليفزيونية الى نفس المكان، ودفعهم فضولهم الى البحث عن آثار اقدام الدكتورة مارجريت ، وبعد أسبوع واحد ، وجد افراد البعثة انفسهم يجلسون على الارض وهم يلهثون ! ماذا وجدوا ؟

لقد اكتشفوا ان ما حققته هذه السيدة وما قامت به من عمل وما انجزته من دراسات خلال سبعة أيام فقط من رحلتها الطويلة ، قد ارهق رجالا لم يصلوا بعد الى نصف عمرها !

وعندما عبرت ماريون هارت الاطلنطي وحدها بطائرة صغيرة ذات محرك واحد في العام الماضي كان عمرها في ذلك الوقت ٨٤ عاما ! .. لم تكن الطائرة جديدة عليها فهي قد تعلمت الطيران منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت .. ولكن الجديد هو عودتها الى هذه الهواية ، وفي هذه السن المتقدمة ثم النجاح الذي حققته و ذي اثار يومها دهشة الشباب والشيوخ على السواء !

الحساسيه للسن

هذه القصص وغيرها كثير مما ساقه الدكتور اليكس كومفورت في كتابه ، اراد ان يدلل بها على أمرين ، الاول، اننا نحن الذين نصنع بانفسنا هذا المعمر الهزيل الضعيف الذي يعيش منزويا في ركن من البيت لا يحس بأحد ، ولا يحس به احد .. ثم اننا نحن الذين نصنع منه الشيخ العجوز بتصرفاتنا نحوه وموقفنا منه .. لقد أطلق كومفورت على هذه التصرفات والمواقف وصفا جديدا اسماه Ag.sm ، او الحساسية الزائدة للسن .. وقال انها أشبه ما تكون بالعنصرية ، وهي في الحالتين نزوة اساسها الخوف التقليدي ، او الخوف الذي لا يستند على اساس مقبول او معقول! هل صحيح أن المرأة تعمر اكثر من الرجل ؟ ربما ولكن التاريخ مليء ايضا بقصص رجال عمروا وعاشوا حياة طويلة مليئة بالانتاج والفكر والعمل في الشرق والغرب على السواء .. كتاب ومفكرون وعلماء واساتذة في كل فرع من فروع العلم والمعرفة ..

وقد توقف الانسان عند سن المائة او دونها قليلا.. فنحن قلما نسمع عن امرأة او رجل عاش بعد المائة الا فيما ندر .. فان هو تجاوزها ، كان ذلك حدثا استحق التسجيل !

عاش ١٧٠ عاما

الى ان طالعتنا الصحف في شهر سبتمبر من عام ١٩٧٣ بخبر تناقلته وكالات الانباء ،وهو خبر وفاة معمر روسي مسلم عن ١٦٨ عاما ! وقد دفعت هذه الظاهرة الغريبة بعض العلماء الانجليز الى القيام بدراسة جادة ، بحثا عن هذا الاكسير العجيب الذي اكتشفه هذا المعمر فاطال عمره الى ضعف متوسط عمر الانسان او اكثر ..

ونشرت احدى الصحف البريطانية قصة هذا المعمر ، وهي قصة طويلة احتلت عدة صفحات في عددين متتاليين .. ثم النتائج التي توصلوا اليها بعد دراستهم لهذه الحياة الطويلة النادرة !

ان اسم هذا الشيخ العجوز هو شيرالي مسلموف وكان فلاحا يزرع التفاح في قرية صغيرة من قرى جبال القوقاز ، بجمهورية اذربيجان ، التي قضى فيها عمره كله دون ان يفكر يوما في مغادرتها .. لقد ظل مسلموف يرعى التفاح في المزرعة التي اقامها بيديه منذ قرن كامل من الزمان حتى آخر لحظة من حياته الطويلة !

وسام لمسلموف

كيف كانت حياة هذا الرجل ؟

وعندما نقلت وكالات الانباء السوفيتية نبأ رحيله ، قالت تحدثنا عن الرجل : « لقد كان يمشي كما تعود أن يفعل دائما بين التلال ، لمسافات طويلة كل صباح .. اما عدد ابنائه فقد بلغ عند وفاته

٢٣ ولدا وبنتا وعشرات من الاحفاد وابناء الاحفاد وابناء ابنائهم ! وقيل انهم بلغوا اكثر من مائتين!

وفى عيد ميلاده الواحد والستين بعد المائة ، فلندوه وساما ، تقديرا للجهد الكبير الذى قام به طوال هذه الاعوام فى زراعة الفاكهة ٠ وظهر مسلموف فى مؤتمر صحفى ، ولم يكن هناك مفر من ان يسأله الصحفيون عن سر حياته الطويلة السعيدة ، بعد ان وقف ينقل اليهم رأى الاطباء الذين فحصوه ، وكيف انهم اجمعوا على انه يتمتع بصحة ممتازة ٠

حياة هادئة

وقال الرجل : « لقد وضعت لنفسى قاعدة كنت اسير عليها طول حياتى ٠٠ وهى الا اتعجل الامور ابدا ! » ولا شك انه نجح ، فهو لم يتعجل الموت وربما نسى الموت فى غمرة هذه الحياة الطويلة الحافلة !

وقال مسلموف يكمل حديثه : « اننى اصحو من نومى مع شروق الشمس فى كل صباح واودى صلاة الفجر ، واتبع « رجيما » خاصا فى غذائى واعمل عدة ساعات فى حقول التفاح ! »

لقد اصبح مسلموف نجما فى الاتحاد السوفيتى بعد ظهوره فى فيلم سينمائى عن المعمرين فى اذربيجان، وشاهد الفيلم مئات الالوف ، ومنذ ذلك الوقت وقبل وفاته ببضع سنوات ، اصبح عيد ميلاد مسلموف حدثا كبيرا حيث كان الالوف من ابناء هذه الجمهورية السوفيتية والجمهوريات القريبة والبعيدة يفدون الى القرية الصغيرة ليشاهدوا المعمر الحيف بلحيته الطويلة وتقاطيع وجهه التى تحكى قصة طويلة مع الزمن ! انه لم يذق الخمر فى حياته ولم يعرف التدخين ، وكان يعشق الطبيعة وركوب الخيل والمشى ، رياضته المفضلة التى لم يتخل عنها حتى اخر أيام حياته ٠٠ وكان العمل بعد هذا عبادته ٠٠ كان يعمل ويعمل ولا يشعر بالتعب ابدا ٠٠

النهاية ٠٠

وعندما اقتربت النهاية فى شهر سبتمبر من عام ١٩٧٣، كان مسلموف قد احتفل لتوه بعيد ميلاده الثامن والستين بعد المائة ٠٠ يومها احس المعمر العجوز بتعب غير عادى لاول مرة فى حياته ٠٠ فقصد الى فراشه فى هدوء ليستريح ٠٠ ولكنه لم يجد الراحة التى ينشدها ٠٠ لقد الح عليه التعب ولم يستطع ان يترك فراشه ٠٠ ولاول مرة ايضا لم يذهب مسلموف الى حقل التفاح الذى لم يفترق عنه يوما ٠٠ واثار عدم ظهوره بين الاشجار جزع الابناء والاحفاد ٠٠ فاسرعوا اليه والتفوا حول فراشه وراحوا يتهامسون وفى عيونهم دموع صامتة ٠٠ كانوا يعرفون ان النهاية قد جاءت ٠٠ وعندما هدأت انفاس الجد الكبير ، لم يقل احد منهم انه مات ٠٠ لقد وجدوا كلمات اخرى يعبرون بها عما يرونه امامهم ٠٠ ان الروح قد تركت هذا الجسد الذى ظل يقاوم الفناء لاكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ٠٠ لقد ذهبت عنه وتركته ليستريح!

كل هذا واكثر ٠٠

هل هى الطبيعة بكل ما تحمله الينا من قسوة ودفء ؟

هل هى بساطة العيش والبعد عن عقد الحياة العصرية ؟

هل هو الهواء النظيف الذى نملأ به رئتينا كل صباح ؟

هل هى الحالة النفسية الطيبة التى يكون عليها الانسان فى بيته وعمله ؟

هل هو العمل ، والعمل المثمر الذى يملأ قلوبنا وصدورنا بجدوى الحياة وقيمتها ونفعها بالنسبة لنا وللآخرين ؟

هل هو حب الحياة ذاتها وحب الناس وكل ما يتصل بنا وبحياتنا من قريب او من بعيد ؟

انها كل هذا واكثر من هذا ٠ انه فن الحياة وكيف نتعلمه ٠

هذه هى النتيجة التى توصل اليها العلماء بعد دراستهم لحياة مسلموف وغير مسلموف من الرجال والنساء الذين امتد بهم العمر وعاشوا حياة مليئة بالعمل والفكر والانتاج ! ■■

(م٠ن)

أنت تسأل ونحن نجيب

آخر قاعدة أجنبية

فى الوطن العربى تختفى الشهر القادم

● سمعنا عن جزيرة مصيرة.. وعن موقعها الاستراتيجى الهام ، وان فيها قاعدة عسكرية أجنبية .. وللاسف لم نجد أية معلومات عن هذه الجزيرة فى مختلف الكتب والمراجع ، فهل يمكنكم اعطاءنا فكرة عامة منها ؟

سالم العمرى/الموصل

– جزيرة مصيرة هى جزيرة عمانية تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من سلطنة عمان .. وهى جزيرة طويلة رفيعة .. طولها ٤٠ ميلا وعرضها غير منتظم الشكل ، ولكنه يبلغ فى المتوسط ١٢ ميلا ..

تنظر اليها من الجو فتجدها جزيرة رملية ، فى طرفها جبل صغير يفصل بين مطارها الحربى الكبير وبين بلدة أم الرصاص ، حيث يعيش نحو ٤٠٠٠ صياد عمانى داخل بيوت من سعف النخيل .

والخليج الذى يفصل مصيرة عن الارض الام خليج ضيق يطلق عليه الاهالى اسم « ترعة مصيرة » لان مياهه اللازوردية اللون ، ضحلة العمق تكثر بها الشعاب المرجانية التى تمنع السفن الكبيرة من المرور .. وتحتضن جزيرة مصيرة فى وسطها الغربى جزيرة اخرى صغيرة يطلق عليها اسم شفا ..

وشعاب المرجان والصخور المختفية تحت المياه هى التى حددت مستقبل هذه الجزيرة ، فاستحالة جعلها قاعدة بحرية ، جعل أنظار قادة سلاح الطيران البريطانى يتنبهون الى أهميتها فى عام ١٩٣٠ ويقيمون عليها مهبطا للطائرات فى عام ١٩٣٢ بعد الاتفاق مع سلطان عمان ..

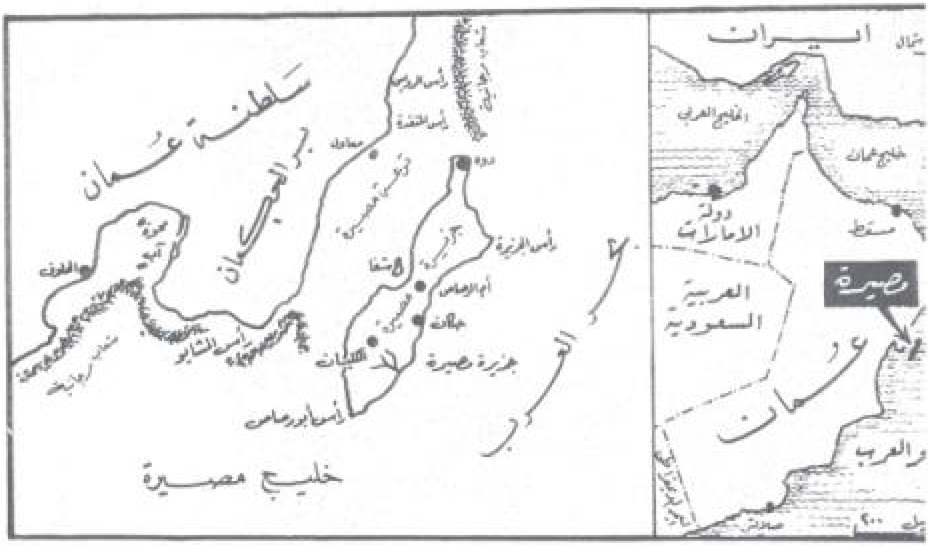
وبرزت أهمية موقع جزيرة مصيرة خلال الحرب العالمية الثانية ، فعندما كانت مصر مهددة بالسقوط فى أيدى قوات المحور ، أقام الحلفاء جسرا جويا للامدادات يصل بين الهند ومصر ، واختاروا مطارى جزيرة مصيرة وصلالة ليكونا نقطة التموين فى وسط هذا الجسر .

وفى عام ١٩٥٨ وقعت بريطانيا اتفاقية مع السلطان السابق سعيد بن تيمور تنص على اقامة قاعدة جوية حديثة فى الجزيرة .. تضم مدرجين: واحد طوله ٨٢٠٠ قدم يسمح باقلاع أضخم القاذفات المعروفة الى اليوم ، والثانى طوله ٧٠٠٠ قدم ..

وقد استعمل هذا المطار بشكل مكثف كبير خلال الحرب ضد ثوار ظفار .. ولكن فى الايام العادية تتم فيه نحو ١٢ عملية اقلاع وهبوط .

وقد اثيرت حول هذه القاعدة الجوية أحاديث كثيرة ، فهى تقع فى المنطقة الساخنة اى ضمن القواعد الاستراتيجية فى المحيط الهندى ، والسيطرة عليها تعنى وضع كل منطقة الخليج والجزيرة العربية وسواحل الهند فى مرمى نيران المتمركز فيها . لهذا فكرت الولايات المتحدة فى الحصول على تسهيلات فى الجزيرة وتناقلت الاذاعات العالمية الخبر ، ولكن جميع اجهزة الاعلام العمانية سارعت بتكذيبه .

وفى يوم ١٩ يوليو ١٩٧٦ صدر بلاغ عمانى بريطانى يعلن ان جلاء كتيبة سلاح الطيران



البريطاني سيتم عن جزيرة مصيرة وعن مطار صلالة في ٣١ مارس من عام ١٩٧٧ وتضم هذه الكتيبة نحو ٥٢٩ عسكريا بريطانيا •• ان اخلاء قاعدة مصيرة يمثل الجلاء عن اخر قاعدة بريطانية في الشرق الاوسط •• واغلاق هذه القاعدة سيقلل من مرونة حركة الغرب تجاه تحركات قطع البحرية الروسية في منطقة المحيط الهندي ••

الا ان وجود القاعدة الغربية الجديدة في ديجو جارسيا سيعوض من هذه الخسارة •• ان عودة هذه الجزيرة كاملة الى الوطن الام ، تعطي العرب نقطة ارتكاز في غاية الاهمية ، وتجعلهم اصحاب كلمة مسموعة عند الحديث عن حزام الامن في منطقة المحيط الهندي ••

(س • ز)

الرئيس الامريكي ••
لم لا ينصب أثر انتخابه ؟

● من المعروف أن الرئيس الامريكي ينتخب في أوائل شهر نوفمبر ولكنه لا ينصب الا في ٢٠ يناير •• اي بعد انتخابه بنحو شهرين ونصف الشهر •• فما الحكمة في ذلك وما الفائدة التي يتوخونها من عدم تنصيب الرئيس الجديد حين انتخابه او بعد ذلك بوقت قصير ؟

ـ هذه الفترة التي تفصل بين موعد انتخاب الرئيس الامريكي الجديد وموعد تنصيبه ، وهي تبلغ نحو عشرة اسابيع ، لا حكمة فيها ولا فائدة ترجى منها ••فهي فترة فراغ في السلطة وتصريف شئون الدولة • وصلاحيات الرئاسة يحجم عن مباشرتها الرئيس القديم ، لقرب خروجه من البيت الابيض ، ويمتنع عن مباشرتها الرئيس المنتخب ، لانه لم يصبح رئيسا بعد • ولو ذكرنا ان هذا الشلل يستمر طيلة شهرين ونصف الشهر لادركنا ما يمكن ان يؤدي اليه خلال ذلك من



ابراهام لنكولن

مخاطر واضرار . وحسبك أن ولايات الجنوب ، في تاريخ الحرب الاهلية الامريكية التي قامت قبل قرن ونصف ، انفصلت عن ولايات الشمال وعن حكومة الاتحاد سنة ١٨٦١ ، في فترة الفراغ التي اعقبت انتخاب الرئيس ابراهام لنكولن .وقل مثل ذلك في نظام المصارف الذي انهار سنة ١٩٣٣ بسبب فترة الفراغ التي سبقت تنصيب الرئيس روزفلت .

ويتساءل المرء بعد هذا عن الاسباب التي حدت بالامريكيين الى سن قانون يعاني من كل هذه المآخذ ...

الرد على هذا السؤال يقتضي منا العودة الى الوراء قليلا .. الى ما قبل قرنين من الزمن . فقد وضعوا الدستور الامريكي انذاك ووضعوا ضمنه قانون الانتخابات الذي نص على فترة الفراغ التي ذكرنا . ولم يكن لديهم اي باعث على ذلك سوى اعطاء الوقت الكافي لنقل نتائج التصويت من شتى الولايات ولضمان وصولها الى العاصمة في الوقت المناسب .

ذلك ان السيارة والطائرة لم تكن قد اخترعت بعد ، في اواخر القرن الثامن عشر . ولما كانت الخيل هي واسطة النقل الوحيدة كان لا بد لواضعي الدستور أن ياخذوا بعين الاعتبار الوقت الذي تحتاجه الخيل لقطع المسافات الطويلة التي تفصل بين شتى الولايات والعاصمة . من ثم كانت المواعيد المتباعدة التي نص عليها قانون الانتخابات في الولايات المتحدة الامريكية ، وكانت فترة الاسابيع العشرة التي لا مفر من انقضائها قبل تنصيب الرئيس المنتخب .

ولعلك تعجب بعد هذا للابقاء على هذا القانون البالي ، وذلك في الولايات المتحدة بخاصة وهي الدولة التي عرفت بتقدمها واشتهرت باقبالها على التجديد ..

على أن ما ذكرنا ليس المأخذ الوحيد الذي يعاني منه قانون الانتخاب الامريكي . ولعل اخطر ما يذكر في هذا الصدد أن هذا القانون الذي يبدو للكثيرين وكأنه رمز الديمقراطية في بلاد الديمقراطية لا يتسم بالديمقراطية من قريب ولا من بعيد ..

فالامريكيون الذين يتوجهون الى صناديق الاقتراع في اوائل شهر نوفمبر لا ينتخبون رئيسهم الجديد كما يظن ، بل ينتخبون الناخبين المكلفين بانتخاب الرئيس . انهم ينتخبون ما يعرف في امريكا بكليات الناخبين .. وقد بلغ مجموع اعضاء هذه الكليات جميعها ، بما فيها منطقة كولمبيا ، ٥٣٨ عضوا .. وينص القانون على أن تجتمع هذه الكليات في ١٣ ديسمبر وتنتخب احد المرشحين للرئاسة الامريكية بالاكثرية .. اكثرية صوت واحد اذا اقتضى الامر .. اي ان المرشح الذي يظفر بـ ٢٧٠ صوتا من اصوات تلك الكليات يفوز برئاسة الولايات المتحدة الامريكية .

وهكذا يتضح أن انتخابات الرئاسة التي جرت في أوائل شهر نوفمبر كانت انتخابات غير مباشرة، وبمثابة تمهيد لانتخابات الرئاسة النهائية التي جرت في ١٣ ديسمبر . ويتضح ايضا ان القول بفوز المستر جيمي كارتر بعد انتخابات نوفمبر مباشرة كان سابقا لاوانه ، واقرب الى التنبؤ او الاستنتاج منه الى تقرير الواقع. فقد بدا مؤكدا بنسبة ٩٩٪ او تزيد أن المستر كارتر هو الذي سيفوز بالرئاسة في ١٣ ديسمبر حين اظهرت نتائج انتخابات نوفمبر ان الحزب الديمقراطي – حزب المستر كارتر – قد حصل على الاكثرية المطلوبة ، ٢٧٠ مقعدا في كليات الناخبين .

اما قولنا بان هذا اسلوب في الانتخاب لا يتسم بالديمقراطية فمرده الى النتائج العكسية التي يمكن ان يؤدي اليها ..وان كان ذلك مجرد احتمال مستبعد .. فقد يمنى المواطنون الامريكيون بخيبة امل حين تظهر نتائج انتخابات ١٣ ديسمبر ويتبين لهم ان المرشح الفائز بالرئاسة ليس المرشح الذي سعت الى انتخابه اكثريتهم في اوائل شهر نوفمبر .. وقد حدث ذلك في التاريخ الامريكي مرتين سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٨٨ .. حين انتخب المرشح الديمقراطي او الجمهوري خلافا للتوقعات ولانتماءات الناخبين الحزبية ..

ونسأل بعد هذا كله .. لم لا يقدم الامريكيون على تعديل قانون انتخابهم .. وقد كشفت الاحداث عن عيوبه .. والسؤال وجيه للغاية وهو ما زال قائما بالرغم من أن مشروعا لتعديل هذا القانون وضع على بساط البحث في الكونجرس قبل بضع سنوات ..

(ي . ز)



أندريه مالرو ٠٠ وحرية الانسان !

■ كل ما قرأناه في الصحف والمجلات العربية عن الكاتب الفرنسي الكبير أندريه مالرو الذي رحل عن هذا العالم في شهر نوفمبر من العام الماضي ، يوحي بأن هذا الكاتب ، لم يكن رجلا عاديا ٠٠ ماذا كان اذن ؟ وما الذي يميزه عن بقية الكتاب ؟

(٠٠٠٠٠)

ـ عندما ينزل الكاتب الى الشارع ويختلط بالناس ويعيش الاحداث الكبرى ويشارك في صنعها ويجرى وراءها ، ويجاهر برأيه فيها ويسجل هذا الرأى في كتبه ومؤلفاته ٠٠ عندما يفعل هذا واكثر من هذا ، فهو ليس كاتبا عاديا ٠٠ وقد كان مالرو هذا الرجل ٠٠ بل كان عدة رجال في رجل واحد ٠٠ كان كاتبا وكان سياسيا وكان مغامرا ومقاتلا ٠٠ وكان فيلسوفا وفنانا !

قال عنه الجنرال ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة ، وبطل المقاومة الفرنسية عندما اجتاحت جيوش هتلر فرنسا من اقصاها الى اقصاها : « كنت اسمع عن اعماله البطولية ، وكنت اتوق الى لقائه ! لقد كنت أرى فيه منافسا لي ، ربما لانه كان اقرب لمركز الاحداث ٠٠ لقد كنت انا رمز المقاومة ، اما مالرو ، فقد كان المقاومة ذاتها ! »

وعندما علم ديجول ـ وكان وقتها في لندن ـ بأن «الكولونيل بيرجيه» وهو الاسم الذى اشتهر به مالرو وهو يقود المقاومة داخل فرنسا ضد قوات الاحتلال النازى قد وقع في قبضة الجستابو لاول مرة في تولوز ، بكى ، كما يبكى الاطفال !

ولكن مالرو ما لبث أن عاد الى سلاحه يشهره في وجه الالمان ، وينظم اضخم حركة للمقاومة داخل الارض المحتلة ٠٠ فقد هرب « الكولونيل » من المعتقل !

وكان اللقاء اخيرا بين ديغول ومالرو في عام ١٩٤٥ ، وقال ديجول يومها : « اخيرا التقيت برجل ٠٠ رجل طالما اثار اعجابي عن بعد ! » وكان هذا اليوم هو بداية تلك الصداقة الطويلة التي توطدت بين الرجلين على مر السنين ، خلال حكم ديجول القصير لفرنسا عقب الحرب مباشرة ، ثم طوال فترة حكمه الطويلة في ظل الجمهورية الخامسة ،

والتى دامت لاكثر من احد عشر عاما ، أسند اليه فيها منصب وزير الثقافة .

وعندما عاد ديجول الى مذكراته يسجل فيهـا خواطره ، كتب عن صديقه وزميل كفاحه مالرو يقول : « على يمينى ، كنت اجد ، وسوف اجد دائما اندريه مالرو .. ان وجـود هذا الصديق العبقرى الذى يمتلىء حماسا لمصيرنا الشـامخ بجانبى ، يشعرنى دائما باننى محـاط بقوة ليس من السهل سحقها » .

ولم تكن ثورة مالرو ومقاومته للاحتلال النازى لبلاده وليدة اللحظة التى كان يعيشها فى ذلك الوقت داخل فرنسا الاسيرة .. فقد ولـد مالرو نفسه اسيرا .. عاش طفولته بين دنترك وكاليه فى شمال فرنسا تحت رحمة ثلاث نساء .. امه التى انفصلت عن والده بالطلاق ، وجدته لامه وعمته!

ولعل ايمانه بالانسان وحريته ، وتفانيه فى العمل من اجل مجد فرنسا وعظمتها ، هما من أهم العوامل التى اثرت فى حياة هذا المفكر الكاتب الفنان !

ومن أجل هذا دافع عن الثوار فى الهند الصينية وعن ثورتهم ، وضد فرنسا نفسها .. وكان رأيه دائمـا انه لا يمكـن أن تكون الـدولة العظمى ، عظيمة حقا ، وهى تستعبد شعبا وتحتل ارضه وتقيم مجدها فوق اشلاء ابنائه !

ومن اجل هذا ايضا هاجم مالرو شيانج كاى تشيك وانضم الى قوات ماوتسى تونج فى ثورته الكبرى .. وسافر الى اسبانيا ليشارك فى الدفاع عن الجمهورية الاسبانية ضد اعدائها خلال الحرب الاهلية .

وعندما ثار شعب الجزائر مطالبا بالاستقلال عن « فرنسا الام » كان مالرو اول من وقف بجوار الرئيس الفرنسى ، وهو يعلن قراره التاريخى بمنح الجزائر الاستقلال بعد تلك الحرب المـريرة الطويلة التىاطاحت فىالنهاية بالجمهوريةالفرنسية الرابعة ، ومهدت لقيام الجمهورية الخامسةبرئاسة صديقه وزميل كفاحه الجنرال ديجول.. يومها قال « هكذا بقيت فرنسا الام ، اما ! » .

وعندما هدد جنرالات فرنسا فى الجزائر بغزو باريس بجنود المظلات لاسقاط حكومة ديجول بسبب استسلامها لمنطق الثورة والقوة ، سارع مالرو بالدعوة الى مواجهة حركة الجنـرالات بالقـوة المسلحة . وقرن الوزير دعوته بالعمل ، فاسرع يرتدى بدلته العسكرية ويسـتقل سيارة مصفحة توجه بها الى قصر الاليزيه .. ووقف أمام ديجول يؤدى التحية العسكرية ويطلب اليه ان يسمح له بقيادة القوة التى ستكون فى استقبال حملةالغزو التى يقودها جنرالات فرنسا الذين اعلنوا العصيان والتمرد !

هذا الكاتب الانسان الذى عاش مدافعا عـن الحرية ، كان شبح الموت يخيم على حياته ، طوال سنوات عمره ، فقد مات من حوله كل الذين احبهم مات ابوه منتحرا فى عام١٩٣٠وقتل شقيقاه لوالده كلود ورولاند فى عام ١٩٤٥ ، وقتل ولداه فىحادث سيارة فى عام ١٩٦١ !

ولم يكن رحيله الاخير ، هو محاولة الموت الاولى لوضع نهاية لحياة هذا الرجل الكبير .. فقد اوشك مالرو أن يلفظ انفاسه الاخيرة فى عام ١٩٧٢ .. ولكنه قام من رقدته ، فقد كان مازال فى الاجل بقية ، وجلس يكتب مؤلفه « لازارى » Lazare ، الذى حاول أن يكتشف فيه رائحة الموت وصدر الكتاب فى عام ١٩٧٤ .

لقد اثرى مالرو المكتبة العصرية بعدة مؤلفات « الرجل الهش فى الادب » .

لقد اثرى مالرو المكتبة العصرية بعدة مؤلفات من بينها « الغزاة » والمملكة الخرافية » والطريق الملكى » «وقدر الانسان» ، و « الامل » وغيرها.. أما حياته هو فقد اثرتهـا الاحداث التى عاشها والقضايا التى دافع عنها وتحمس لها !

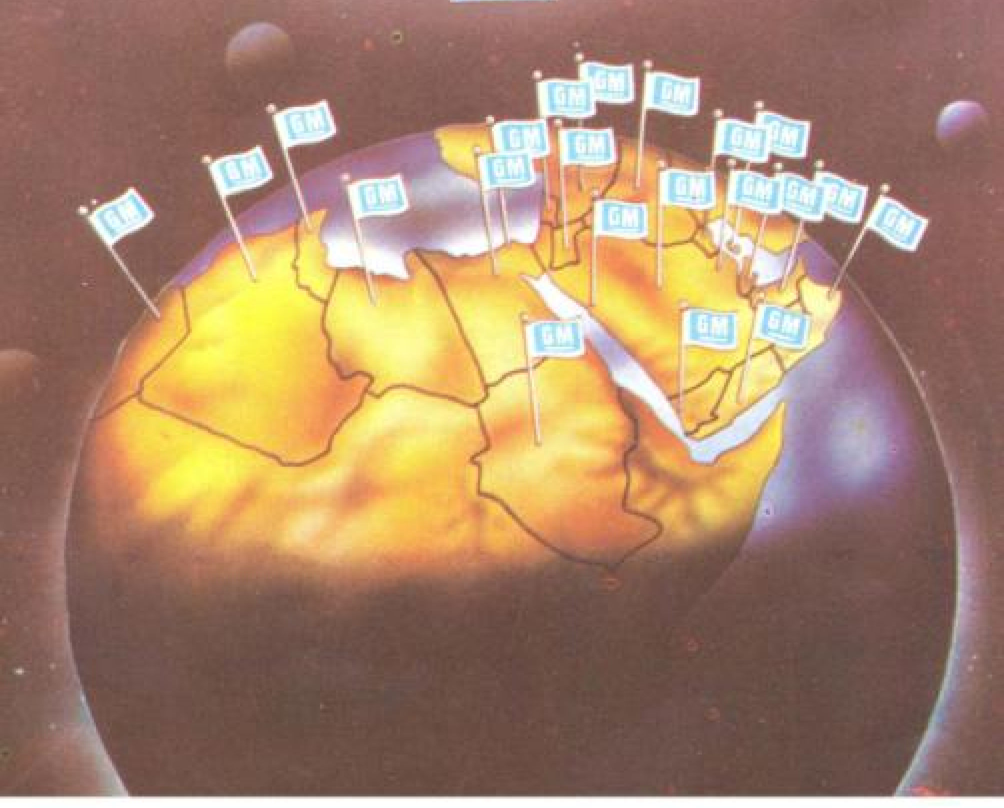
كان مالرو يكره الموت ويخافه .. وكان قلبه يحترق تماما مثل السيجارة التى لم تكن تفترق عن شفتيه لحظة واحدة، حتى قيل انه ادمنالافيون ولم يستطع أبدا ان يتخلص من هذا الادمان القاتل الذى لجا اليه لينسى ..ينسى ما رآه بعينيهوسجله بقلمه من صور الموت فى ميادين القتال .. ولينسى انه هو والموت على موعد .. ولكن متى؟ وكان يقول « مسكين هذا الانسان .. فهو الحيوان الوحيد فى هذه الدنيا الذى يعرف انه سيموت ! »

(م ٠ ن)

دلائل قاطعة على ارتباطنا الوثيق بالعالم العربي

في قلب كل مركز من المراكز الهامة بالشرق الأوسط تدل
اللافتة التي يعرضها بائع جنرال موتورز في
واجهته على التزام مؤسسة جنرال موتورز القاطع والطويل
الأجل، بتزويد السيارات الجديدة الرائعة التي تنتجها كل عام
إن هذه الثقة المحلية في منتجات شركة واحدة، وفي إبداعها الهندسي المتفوق
الأنيق، وفي الخدمات ووفرة قطع الغيار التي تقدمها للزبون
فيما بعد الشراء، هي ليست وليدة اليوم، بل عدة سنوات يمكنك
أن تحكم في مستقبل شركة منتجة للسيارات بماضيها. إن شركة جنرال
موتورز تمتد جذورها الآن عميقاً في العالم العربي،
وهدفها هو تعزيز روابطها به على الدوام.

GM



طرائف اجنبية



محراب فولكنر !

● الكاتب القصصى الامريكى الكبير وليام فولكنر(١٨٩٧ ـ ١٩٦٢) الذى فاز بجائزة نوبل للاداب تقديرا لقصته « المحراب » Sanctuary ، كان من اعظم كتاب القرن العشرين ٠٠ وكان يحب الحياة وينفعل لها ويسجل احاسيسه وخواطره فى مذكراته التى اخفاها عن عيون الناس ٠ وكان بعد هذا زوجا وأبا لفتاة واحدة ٠٠ وقد اعطى اسرته كل حبه وماله !

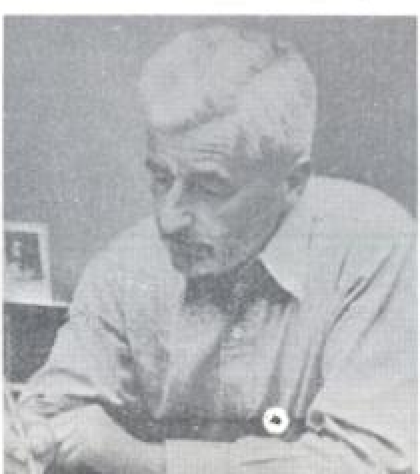
هكذا عرف الملايين فولكنر ، ولكن قليلين هم الذين عرفوا الجانب الاخر من حياة الكاتب الكبير ٠٠ الى أن ذاعت قصته منذ اسابيع قليلة عندما صدر كتاب جديد بعنوان « الجنتلمان العاشق » ، كتبته سيدة جاوزت عامها التاسع والستين،واسمها مينا كاربنتر وايلد ٠٠ !

من هى هذه السيدة ؟ انها عشيقة فولكنر ٠٠ المرأة التى التقى بها فى عام ١٩٣٥ ، عندما كانت هى كاتبة نصوص للسينما ٠٠ وكان الكاتب الكبير فى بداية الطريق من اجل لقمة العيش ، ومن اجل قدح من الخمر يملأ به جوفه وينسيه همومه ومتاعبه!

لقد روت مينا فى كتابها قصة غرام فولكنر بها ، وكيف عاش هذا الحب الذى ربط بين قلبيهما لاكثر من ثمانية عشر عاما ٠٠ « كان يصطحبنى الى المحال التجارية الرخيصة ويشترى لى شريطا ألفه حول شعر رأسى ، او « بطة » من البلاستيك احملها معى الى الحمام وارقبهاتسبح امامى وانا اغتسل ! »

لقد بقى حبنا سرا لا يعرف عنه احد شيئا ٠٠حتى زوجته استيل التى كانت تعيش بعيدا عنه مع ابنتهما فى بيت الاسرة بولاية مسيسيبى ، لقد تزوجها فى عام ١٩٢٩ ولم تفترق عنه الا عندما كان يأتى الى هوليود للقائى ٠٠ الى ان وضع الموت نهاية لقصة حبنا وقصة زواجه التى دامت ٣٣ عاما عندما رحل فولكنر فى عام ١٩٦٢ !

ترى هل كانت حياته مع مينا هى « محرابه » الذى فاز من أجله بجائزة نوبل ؟ !



امام مرآة فردى !

● الموسيقار الايطالى جيسيبى فردى (١٨١٣ ـ ١٩٠١) صاحب اوبرا عايده الشهيرة ، كان نائبا فى وقت من الاوقات فى البرلمان الايطالى .. غير ان دوره كمشرع ، لم يكن يعجبه او يروق له فى قليل او كثير .. فكان يهرب من جلسات البرلمان ليتفرغ لموسيقاه ويعطيها المزيد من وقته !

الى أن جاء يوم قصد فيه فردى الى المجلس النيابى ، تحت الحاح زملائه ، وفجأة وجد نفسه وسط معركة كلامية حادة بين اثنين من النواب .. وحار الفنان الكبير ،ماذا يفعل ؟ واخيرا أخرج من جيبه بضع وريقات صغيرة وراح يسجل عليها انطباعاته عن هذه المناقشة الحامية !

وعندما هدأت العاصفة ، عاد فردى الى اوراقه ليرى ماذا صنع فيها .. وانقضت عدة دقائق قبل أن يدرك الموسيقار نفسه سر هذه الخطوط والدوائر التى رسمها بقلمه على الورق .. لقد حول المناقشة الى مقطوعة موسيقية ! وافلتت منه ضحكة عالية،ثم مالبث ان لملم اوراقه، وترك مبنى البرلمان .. وعاد الى بيته يعزفها !

وفى اليوم التالى تلقى رئيس المجلس رسالة خاصة تقول : « اننى ادعوكم للحضور الى بيتى والاستماع الى هذا اللحن استوحيته من مجلسكم الموقر ومناقشاتكم .. لقد القى الجيران البيض الفاسد وثمارالطماطم على باب بيتى ونوافذه عندماسمعونى اعزفه ! من اجل هذا رأيت ان اقدم استقالتى ، فلا اريد قطعا أن انهى حياتى الفنية على هذا النحوالقبيح! لقد رأيتكم امام مرآتى ، وياهول ما رأيت ! »

هوجو والبؤساء !

● فيكتور هوجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) شاعر فرنسا واديبها الكبير ، مؤلف رواية البؤساء ، التى استوحى موضوعها من الفقر والحرمان ، كان يعيش مع ابطال قصصه .. فقد كان يعرفهم ويحس بالامهم واحزانهم !

لقد كتب هوجو قصته «البؤساء» فى اواخر ايام حياته .. ولكنه يقول ان بطلها « جان فالجان » الذى سجنوه لان يده امتدت الى رغيف خبز يملأ به معدته ، هذا المسكين البائس ، كان يعيش مع الاديب الكبير منذ طفولته.. لقد كان يراه ويعطف عليه ويقتسم معه ما يحمل من نقود ، الى ان اختفى الرجل يوما ، فجلس الصبى فى غرفته يبكى !

لقد ظهرت لهوجو عشرات الاعمال قبل ان يمسك بقلمه ويكتب قصته الخالدة « البؤساء » التى ترجمت الى عدة لغات وقرأها الملايين .. فلما سألوه : « لماذا الان ؟ » قال : « كنت ابحث لها عن خاتمة .. ان صورة صاحبى لم تغب عن مخيلتى لحظة واحدة طوال الاعوام التى كنت اكتب فيها لنفسى وللناس فلما وجدتها ، جلست اكتبها بدموعى » !

ـ وكيف وجدتها ؟

ـ فى فتاة مسكينة ، طرقت باب بيتى ذات ليلة باردة تطلب طبقا من الحساء الساخن .. لقد بكت وانا اقدمه لها ، فلما سألتها ، قالت : لقد مات ابى على قارعة الطريق وهو يبحث عن لقمة يملأ بها معدته ! وقد جعلت منها ابنة لصاحبى الفقير الذى فقدته فى صباى ! ولكنها لم تمت مثله .. فقد كتبت لها الحياة !



صورة عامة للمعمل الفضائي

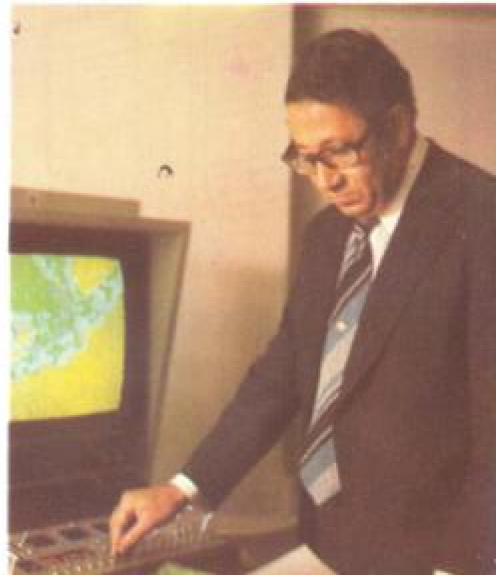
اعرف وطنك ايها العربي

من أجل مستقبل أفضل وحياة أكثر رفاهية

المركز العربي للإستشعار من البعد

استطلاع بقلم : منير نصيف

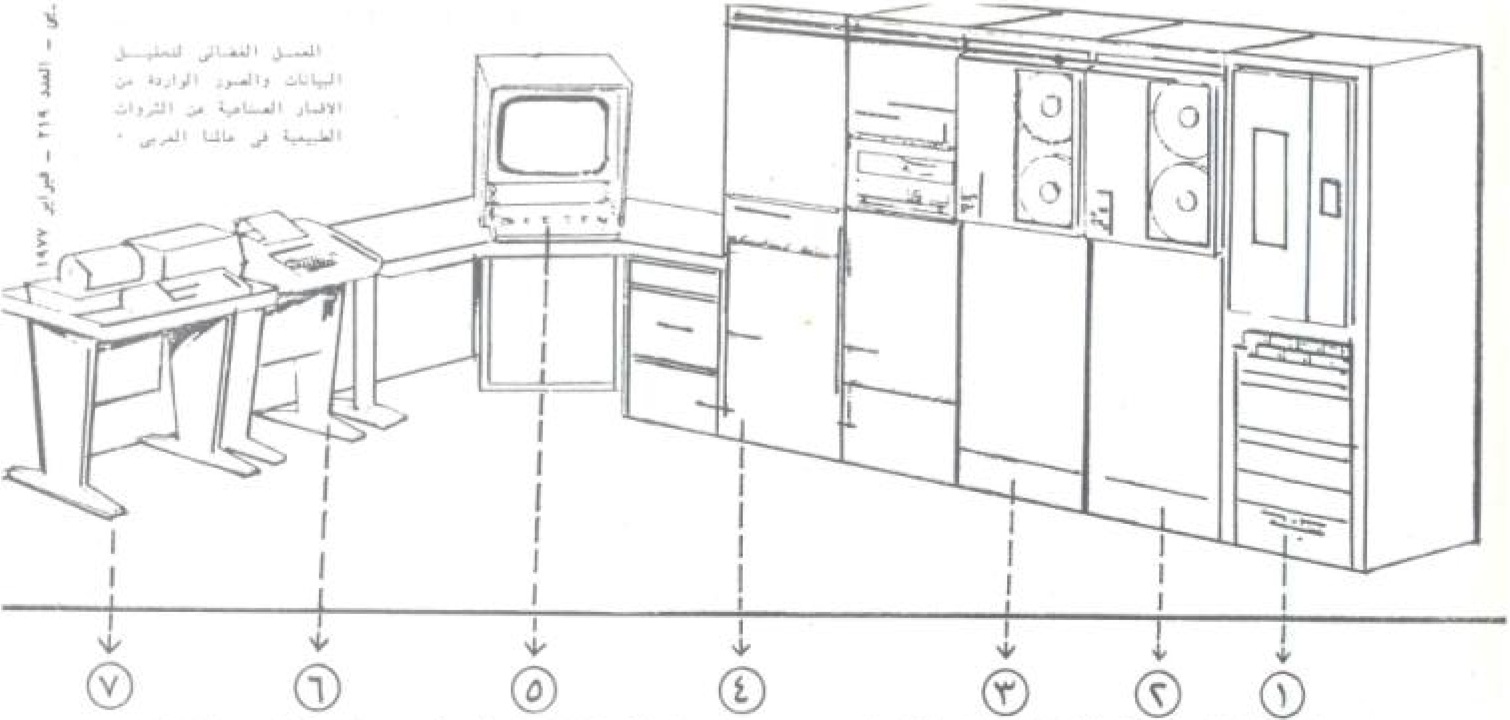
تصوير : حسن الصفار



الدكتور محمد عبد الهادي مدير المركز العربي للاستشعار من البعد .. اول مركز من نوعه في العالم العربي امام جهاز العرض التليفزيوني.

الجيولوجيون في مقر المركز اثناء قيامهم بتقسيم وتحليل الصور التي يستقبلونها من الاقمار الصناعية ..





العمل الفعلي لتحليل البيانات والصور الواردة من الاقمار الصناعية عن الثروات الطبيعية في عالمنا العربي ·

١ – جهاز لعرض الشرائط الالكترونية المغناطيسية المشبعة High Density Digital والتي يتم الحصول عليها من جهاز المسح الالكتروني الجوي في ١١ قناة مختلفة في نفس الوقت . ويتم تحويلها الى صور مرئية على شاشة اتساعها ١٩ بوصة مثل شاشة التليفزيون · ويمكن ان يقوم الجهاز بتكبيرها في الحال وعرضها بالوان مختلفة حسب نوعية البيانات التي يتطلبها العمل وكذلك تسجيلها بعد ذلك على صور ملونة بمقاييس رسم مختلفة حتى يمكن استخدامها بواسطة الفنيين والاخصائيين

والبيانات وتحليلها بواسطة وحدة حساب مركزية (Central Processing unit) تبعا لبرنامج التشغيل والهدف المحدد لدراسة الصور المعروضة بالاجهزة السابقة · كما يقوم بتسجيل هذه المعلومات على شرائط الكترونية خاصة حتى يسهل استعادتها في اى لحظة وفى اى غرض محدد للتطبيقات العملية في شتى الميادين المختلفة ·

٥ – شاشة العرض التليفزيوني للصور التي يتم تحويلها من الشرائط الالكترونية المغناطيسية سواء من الطائرة HDDT او من الاقمار الصناعية CCT وجهاز تصنيف المعلومات والبيانات حسب الغرض

■ عندما تحدث الكاتب الانجليزى الكبير هـ٠ ج ولز عن المستقبل ، وتنبأ بما سيحمله هذا المستقبل من مفاجئات للانسان ، قال :

« أتمنى أن يأتى اليوم الذى يسخر فيه العلماء علومهم لخير البشرية ونفعها » ٠

وقد كان العلم فى تنبؤات ولز ، سيارة وطائرة وقنبلة هائلة تفتك بالملايين وكانت أمنيته وهو يتنبأ بانشطار الذرة أن يموت قبل أن يجيء هذا اليوم ٠٠ ولكنه عاشه ورأى ما صنعته القنبلة الذرية بمئات الالوف من البشر فى هيروشيما وناجازاكى ٠

ورحل ولز عن هذا العالم فى عام ١٩٤٦ اى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية والدنيا من حوله خراب ودمار وافواه جائعة مشردة ٠

ولكنه لم يتخل يوما عن ايمانه بالانسان ٠٠ نفس الانسان الذى صنع هذا السلاح المدمر المخيف ٠ قال وهو يودع العالم الذى كان يئن تحت وطأة الالم والخوف والقلق : هذا الانسان نفسه هو الذى سيسخر هذا السلاح الرهيب ويطوعه من أجل خير الانسانية ورفاهيتها » ٠

نبوءة تتحقق

وتحققت نبوءة ولز ، ولكن بعد رحيله بسنوات وسنوات ٠٠ استخدم العلماء الذرة فى الاغراض السلمية ٠ وتطور العلم تطورا سريعا هائلا ٠٠ وغزا الانسان الفضاء ، وانطلقت السفن تحمل المعدات والرجال الى الكواكب فى هذا الكون اللانهائى من حولنا ٠٠ ووصلوا الى القمر وهبطوا على سطحه ، وهم يمضون اليوم فى تجاربهم ومحاولاتهم للوصول الى المريخ ٠ والى ما هو أبعد من المريخ ٠٠ انها الثورة التكنولوجيه التى يعيشها انسان القرن العشرين ٠٠ ثورة من اجل البشرية وخيرها ورفاهيتها ٠

وعندما يكون الحديث عن رفاهية الانسان ،تجد نفسك مشدودا اليه شدا ٠٠ فانت تستمع باهتمام وتسأل وتستفسر ، وتحاول ان تفهم بقدر ما تسمح لك به قدراتك ٠٠ ذلك لانك تشعر بالانتماء الى هذه الاسرة الدولية الكبيرة ٠٠ ولانك فرد من أفرادها ٠

والحديث عن العلم قد يبدو بسيطا مفهوما للعقل العلمى ، ولكنه قد يكون معقدا بعض

٢ و ٣ ـ جهازان لاستعراض الشرائط الالكترونية الخاصة للحاسبات الالكترونية Cmputer Compatqle Tapes والمجمة بواسطة محطات الاستقبال الارضية لصور الاقمار الصناعية الامريكية المتخصصة فى مسح موارد الثروة الطبيعية (ارتس Eris ولاندسات Landsat) ، لوتقوم بتحويلها الى صور فضائية مرئية فى اربعة مجالات طيفية مختلفة للضوء العادى والاشعة تحت الحمراء، وذلك باللونين الابيض والاسود وبالوان مختلفة وبتفصيل هائل لاتراه العين البشرية المجردة من الصور العادية للاقمار الصناعية ٠ كما تقوم هذه الاجهزة ايضا بفصل المعلومات المختلفة المستقاة من هذه الصور الالكترونية وتصنيفها ٠

٤ ـ جهاز حاسب الكترونى خاص لهذا المعمل حيث يقوم بتخزين المعلومات

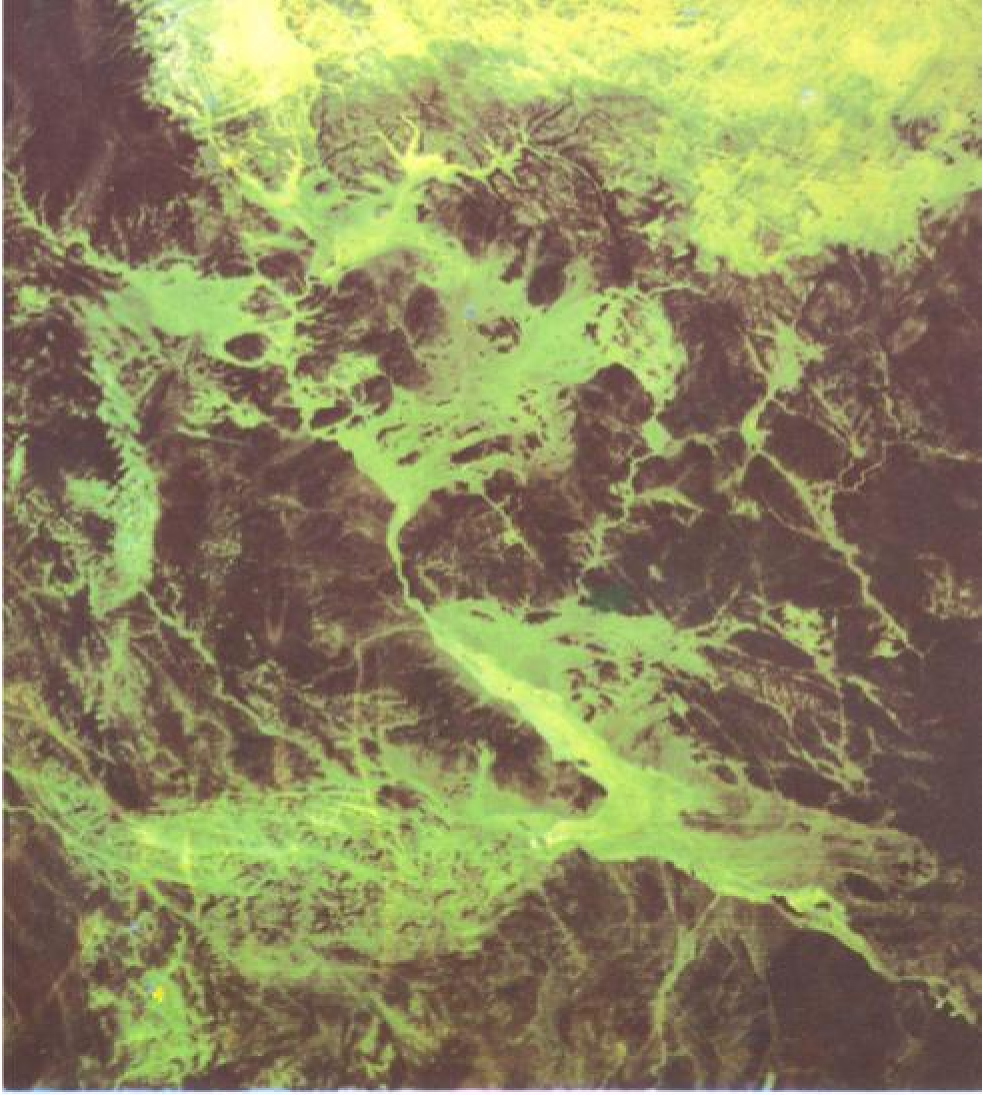
٦ ـ جهاز للتحكم فى النداء الالي حيث يمكن للفنيين العاملين فى المعمل بضغط ازرار خاصة على هذا الجهاز طلب اى صورة الكترونية او بيانات او معلومات خاصة باى جزء من الاراضى العربية والتى تكون مسجلة على الشرائط المغناطيسية للاقمار الصناعية او طائرات الاستطلاع ، كما يمكنهم ايضا طلب اى نوعية مصنفة او معالجة من البيانات المختزنة على الشرائط من واقع هذه الصور ٠ ويقوم الحاسب الالكترونى بمراجعة هذه الشرائط وتغذية شاشة الرؤية بهذه الصور والبيانات فى الحال حيث يتم اظهارها بالوان مختلفة ٠

٧ ـ جهاز للطبع الفورى للصور بالالوان التى تظهر على شاشة العرض التليفزيونية ٠



صورة مجمعة في مجال الاشعة تحت الحمراء المحيطة بالبحر الميت ويبدو فيها امتداد فالق خليج العقبة شمالا الى بحيرة طبرية ٠

في الموقع وداخل الخيام التي ضربوها في الصحراء ، وجمعوا فيها ادواتهم ومعداتهم ، يقوم الجيولوجيـون بدراسات متنوعة على الطبيعة ٠٠ وفي هذه الصورة **(الى اليسار)** رسام جيولوجي اثنـاء عمله في نقل وتكبير منطقة محددة ظهرت على احدى الصـور التي تستقبل من القمر الصناعي ، والتي تكشف عن طبيعة الارض وما تحـويه في جوفها من ثروات ٠ (العمل الميـداني على الصفحتين القادمتين) ٠



صورة مجمعة فـي ثلاثـة مجالات
ضوئيـــة توضح بعض الانـــواع
المتبـــاينة من الصخور النـــارية
والمتحولة حولوادى الحمض بالمملكة
العربية السعودية .



لأول مرة.. خيرات الأرض وثرواتها بين يدي الانسان

الشيء للفرد العادي الذي لا تربطه بهذه البحوث والتجارب علاقة من بعيد أو من قريب .

مع عالم مصري كبير

وهذا الاحساس الاخير ، هو ما شعرنا به ، ونحن نجلس الى واحد من علمائنا العرب الكبار من ريف مصر الذين نفخر بهم ونعتز بجهودهم ، فهو عضو عامل في هذه الثورة التكنولوجية التي نعيشها اليوم ونقرا عنها ونرى آثارها في حياتنا اليومية ، حتى ونحن بعيدون عنها وعن الرجال الذين يصنعونها ويشاركون في تطويرها .

انه الدكتور محمد عبد الهادي ، استاذ الهندسة المدنية بجامعة ولاية أوكلاهوما الامريكية ، ومدير المركز الفضائي العربي في الوطن العربي كله من محيطه الى خليجه .

التقينا به في مقر عمله بالمركز في القاهرة ، عاصمة مصر .. وعندما ذهبنا اليه ليحدثنا عن العمل الكبير الذي يشرف عليه ، لم يكن في اذهاننا سوى صورة غير واضحة المعالم ، جمعناها مما كنا نقرؤه في الصحف العربية والمجلات العلمية المتخصصة وغير المتخصصة .. فلم نكن ندرك حتى لحظة هذا اللقاء حجم هذا العمل ، ولا طبيعته ، ولا نعرف شيئا عن النتائج التي توصل اليها ، ولا أهميتها بالنسبة للانسان سواء كان يعيش فوق هذه الارض العربية أو في أي منطقة أخرى من العالم .

الاستشعار من البعد

وبدأ الدكتور عبد الهادي يتحدث ، ولعله أحس بما كان يدور في أذهاننا من تساؤلات ، قال : « أود أولا وقبل أن أمضي معكم في الحديث عن هذا المركز الفضائي الذي استطاع بفضل جهود العاملين فيه ، ومساندة المؤسسات والهيئات المعنية في مصر وفي الولايات المتحدة الامريكية ، أن يحقق نجاحا كبيرا في استخدامهذه التكنولوجيا المتقدمة منأجل رفاهية وخير الامة العربية كلها.. أود أن أشرح لكم قبل كل شيء معنى هذا التعبير « الاستشعار من البعد » ومدلوله لانه في رأيي في حاجة الى تفسير وتبسيط .

« الاستشعار من البعد هو استخدام طرق متعددة لدراسة ظاهرة أو موقف معين من مسافة بعيدة دون الحاجة الى الاقتراب أو التلامس مع هذا الموقف أو هذه الظاهرة » .

« ولقد هيأ الله سبحانه وتعالى للانسان ـ ولكثير من الكائنات الحية ـ وسائل وأجهزة طبيعية غاية في الاعجاز للاستشعار من البعد ، فحاسة البصر وحاسة الشم وحاسة السمع في الانسان هي كلها وسائل متنوعة للاستشعار من البعد ودراسة مواقف معينة من مسافات بعيدة باستخدام أجهزة طبيعية تتلقى الموجات الضوئية أو الموجات الصوتية أو بانتقال جزئيات وذرات من مواد كيماوية من مصدرها الى هذه الاجهزة الطبيعية للاستشعار .

قدرات الانسان

ثم يقول الدكتور عبد الهادي : ولكن لهذه الأجهزة الطبيعية للاستشعار من البعد في الانسان قدرات معينة وامكانيات محدودة ـ فمثلا عين الانسان لا تستطيع أن ترى الاشياء الا عند وجود موجات ضوئية في أطوال معينة منعكسة من على هذه الاجسام أو اذا اصبحت هذه الاجسام ذاتها مشعة في المجالات الضوئية التي تدخل في نطاق قدرات حساسية العين البشرية ، وبالتالي لا يرى الانسان في الظلام الكامل ـ وكلمة الظلام الكامل هنا كلمة مجازية ـ فانه لا يوجد شيء اسمه الظلام الكامل ، وانما قد لا تتوفر الموجات الضوئية بالاطوال والذبذبات المحددة التيتستطيع العين البشرية ان تحس بها ، ولكن توجد موجات ضوئية ويوجد ضوء خارج هذا النطاق المرئي لا تستطيع العين البشرية ان تشعر به ـ ، وكذلك الاذن وحاسة السمع عند الانسان لها قدرات محدودة على التقاط الموجات الصوتية في نطاق أطوال موجات وذبذبات معينة وما زاد أو قصر عن ذلك لا تشعر به ، وأيضا بالنسبة لحاسة الشم أو تمييز ذرات من مواد كيماوية معينة معلقة في الهواء فلا بد ان تكون بتركيز معين حتى يستطيع الانسان ان يشعر بها .



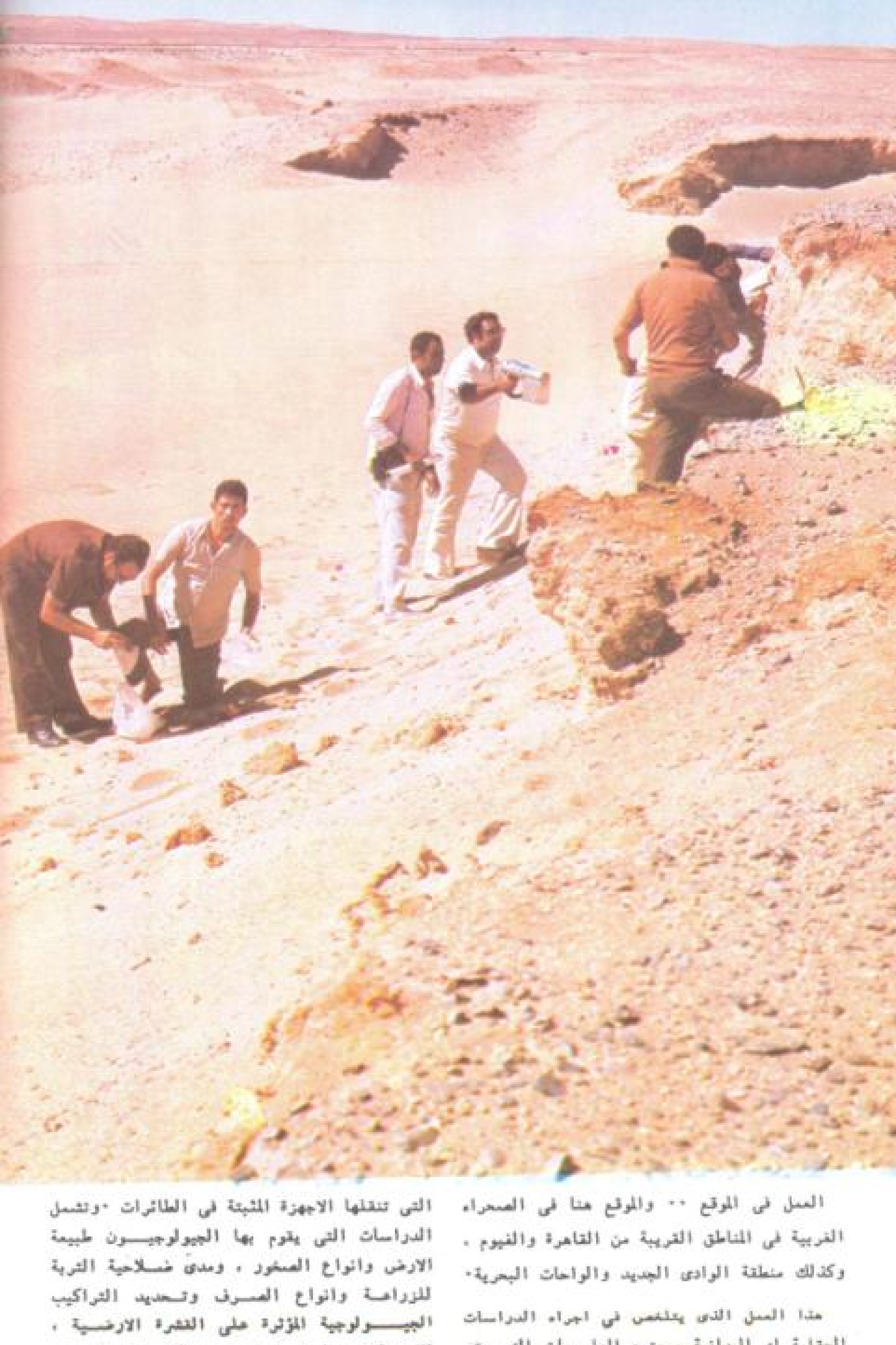
خريطة العالم العربي (هدية العربي) امام الباب المؤدي الى المعمل الفضائي .. ان مشروع الاستطلاع الجوي والاستشعار من البعد يشمل الاراضي العربية كلها من المحيط الى الخليج ..

« ومنذ الحرب العالمية الثانية ـ وما اتضح خلالها من الاهمية الكبرى لعمليات الاستشعار من البعد فى التخطيط والتنفيذ ومتابعة العمليات العسكرية على جميع الجهات ، فقد بدأ التنافس بين الدول الكبرى لتطوير وسائل الاستشعار من البعد سواء عن طريق محطات ومعدات أرضية او عن طريق وضع هذه الاجهزة فى طائرات خاصة للاستطلاع الجوى ، واخيرا فى الاقمار الصناعية التى تدور حول الارض على ارتفاعات كبيرة » .

فى عصر الفضاء

« وتقديرا للاهمية البالغة التى يلعبها علم الاستشعار من البعد ـ فى الوقت الحالى ـ فى تقديم معلومات لا سبيل الى الشك فى صحتها ودقتها عن أماكن متعددة فوق سطح الارض .. معلومات يتوقف على نتيجة دراستها استراتيجية الحرب والسلام وتوازن القوى فى العالم .. فان هذا العلم قد تقدم تقدما هائلا فى السنوات الاخيرة ولم يصبح مقتصرا على الوسائل البدائية للتصوير من بعد مثلا ، وهو سجل لما يمكن ان تراه العين البشرية بامكانياتها المحدودة ، بل اصبح هذا العلم واصبح لهذه الوسائل قدرات وامكانيات تمثل غاية ما وصل اليه العلم الحديث من تقدم ، وخاصة مع دخول العالم الى عصر الفضاء » .

« واصبحت هذه الوسائل تتضمن استخدام خاصية الاهداف والاشياء المختلفة على سطح الارض لعكس الاشعاعات غير المرئية ـ مثل الاشعة



العمل فى الموقع .. والموقع هنا فى الصحراء الغربية فى المناطق القريبة من القاهرة والفيوم ، وكذلك منطقة الوادى الجديد والواحات البحرية.

هذا العمل الذى يتلخص فى اجراء الدراسات الحقلية او الميدانية ، يتبع المعلومات التى يتم استخلاصها من القراءة والتحليل العلمى لصور الاقمار الصناعية او صور الاستشعار من البعد التى تنقلها الاجهزة المثبتة فى الطائرات .وتشمل الدراسات التى يقوم بها الجيولوجيون طبيعة الارض وانواع الصخور ، ومدى صلاحية التربة للزراعة وانواع الصرف وتحديد التراكيب الجيولوجية المؤثرة على القشرة الارضية ، للاستفادة منها فى تحديد اماكن تواجد المياه الجوفية ، والخامات المعدنية كالحديد والنحاس وغيرها .





وقد كانت هذه الدراسات الميدانية وهي الطريقة التقليدية في البحث والتنقيب عن ثروات الارض وخيراتها تتم في الماضي وحدها دون الاستعانة بالنظرة الشاملة والدقيقة التي وفرتها لنا الوسائل الحديثة للمركز العربي للاستشعار من البعد .. اما الان فقد اصبحت هناك مرحلتان تسبقان الدراسات الميدانية ،الاولى ، وهي مرحلة استقبال الصورة التليفزيونية الالكترونية من الاقمار الصناعية المتخصصة ،والثانية الاستكشاف من الطائرات على ارتفاعات مختلفة بواسطة الاجهزة الحديثة للاستشعار التي تحملها الطائرات وتلتقط بها صورا لمناطق معينة يتم اختيارها من الصور الاولى ، واخيرا تجيء مرحلة التحقيق والدراسة الميدانية وجمع المعلومات على الطبيعة بالوسائل التقليدية .

تحت الحمراء واستخدام موجات الرادار وموجات اللاسلكي بعد ارسالها من اجهزة خاصة ، سواء من على سطح الارض او محمولة على طائرات ، الى هذه الاهداف واستقبالها وتسجيلها بعد انعكاسها . وكذلك تتضمن هذه الوسائل الحديثة استخدام خاصية الاشعاع الذاتي للاجسام المختلفة على سطح الارض للاشعة تحت الحمراء طويلة الموجات فتقوم اجهزة خاصة باستقبال هذه الاشعة وتسجيلها وعرضها بطرق مختلفة. ولهذه الوسيلة الاخيرة قدرات هائلة على الاستكشاف والاستشعار ودراسة المواقف من مسافات بعيدة فى الليل أو النهار وبدون الحاجة الى اى اضاءة على الاطلاق بل ولهذه الوسيلة الاخيرة القدرة على الكشف عن بعض الظواهر الموجودة تحت سطح الارض وعلى اعماق كبيرة، أو المغطاة بالاشجار والاعشاب وأيضا فى ظلام الليل الدامس » .

القصة من بدايتها

قلنا للاستاذ الدكتور محمد عبدالهادى : هل لكم ان تحدثونا عن قصة هذا المركز ، وكيف وأين ومتى بدأت ؟

قال : « لقد بدأ المركز نشاطه فى عام ١٩٧١ على أساس اتفاقية ثنائية بين أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا فى جمهورية مصر العربية وجامعة ولاية أوكلاهوما بالولايات المتحدة الامريكية وبتمويل من الجامعة المذكورة والمؤسسة القومية الامريكية للعلوم NSF (1) وبالتعاون مع عدة مراكز بحثية أمريكية ووكالة بحوث الفضاء والملاحة القومية الامريكية NASA (2) ، وذلك بناء على مشروع برنامج علمى تقدمت به » .

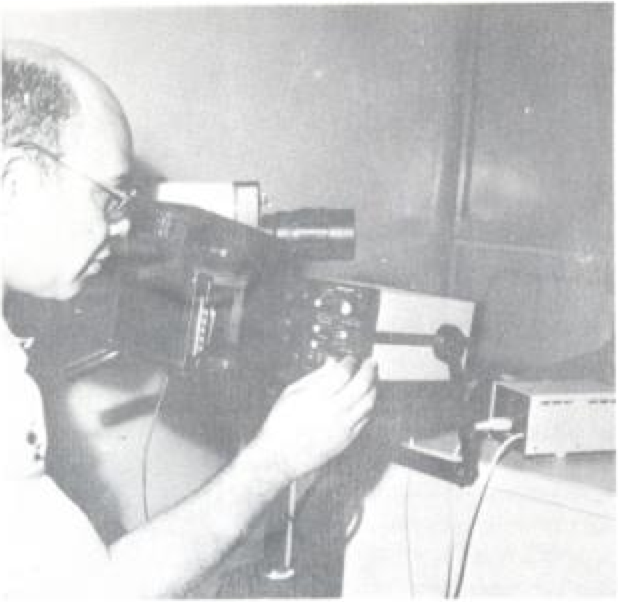
« ويهدف المركز أساسا الى ادخال التكنولوجيا الحديثة للاستشعار من البعد باستخدام الصور الالكترونية للاقمار الصناعية الامريكية المتخصصة وكذلك الصور والسجلات الالكترونية من طائرات الاستطلاع الجوى والاجهزة الارضية وذلك فى اغراض المسح الجيولوجى وحصر موارد الثروة المعدنية والطبيعية والمياه الجوفية وحصر المحاصيل الزراعية والمشاركة فى مشروعات التخطيط الهندسية والعمرانية وانشاء الانفاق وشق القنوات وفى مختلف التطبيقات الصناعية .

دور الخبراء

« وتتوفر لدى المركز العربى للاستشعار من البعد بالقاهرة كافة المعلومات التى تسجلها أجهزة التصوير الالكترونية من الاقمار الصناعية ارتس ERTS (3) ولاندسات LADSAT (4) عند مرورها فوق الاراضى العربية ـ على هيئة شرائط الكترونية مغناطيسية وذلك من محطات الاستقبال الخاصة بهذه الاقمار . ويقوم الخبراء المتخصصون بالمركز بدراسة وتحليل المعلومات من هذه الشرائط بواسطة أجهزة حديثة فى المعمل الفضائى الجديد M-DAS (5) الذى تمت اقامته حديثا بمقر المركز فى اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بالقاهرة ، والذى يعتبر أول معمل فضائى متقدم فى هذا المجال فى منطقة الشرق الاوسط وأفريقيا واوروبا . كما تتوفر ايضا لدى المركز طائرتان للاستطلاع الجوى مجهزتان بأحدث اجهزة الاستشعار من البعد المختلفة مثل أجهزة المسح الحرارى بالاشعة تحت الحمراء وأجهزة التصوير الجوى المتعددة الاطياف والمسح المغناطيسى والمسح الاشعاعى . كما وصلت حديثا للمركز أحدث الاجهزة العالمية للاستطلاع الجوى من الطائرات M^2S (6) والتى يتم التصوير الالكترونى بها من ارتفاعات مختلفة فى احدى عشرة قناة مختلفة فى مجالات ضوئية مختلفة متضمنة المجالات الضوئية المرئية والاشعة تحت الحمراء القريبة والاشعة الحرارية تحت الحمراء طويلة الموجات ، وذلك فى نفس الوقت عند الطيران فوق أى منطقة . ويتم تسجيل المعلومات من هذه الاجهزة فى طائرات الاستطلاع على شرائط الكترونية مغناطيسية ثم ترسل بعد ذلك الى معمل التحليل الارضى M-DAS ليتم تحويلها الى صور متعددة

---

(1) National Science Foundation.
(2) National Aeronautics and Space Administration.
(3) Earth Resources Technolgy Satellite.
(4) Land Satellite.
(5) Multispectral Data Analysis System.
(6) Modular Multispectral Scanner.



كاميرا الكترونية للتصوير بالاشعة تحت الحمراء ، وهناك نوعان من هذه الكاميرا ،هذا النوع المتقدم يحصل على هذه الصورة بالاشعاع الذاتي الصادر بحكم طبيعة الحرارة الذاتية من الاجسام دون ان يكون بالجهاز نفسه اى مصدر اشعاعي ، كما انه لا يحتاج الى اى اضاءة على الاطلاق • وبالتالى يمكن للجهاز ان يحصل على صورة واضحة ، وفى حالات الاظلام الكامل سواء من الارض او من الطائرات ، ولهذا النوع من الاجهزة تطبيقات هامة جدا فى مجالات مسح موارد الثروة الطبيعية وخاصة فى الكشف عن المياه الجوفية. ومياه الينابيع العذبة تحت مياه البحار والخلجان ، مثل الخليج العربى ، والعديد من التطبيقات فى المجالات الطبية والصناعية والكشف عن الجريمة •

يمكن بواسطتها دراسة الظواهر الجيولوجية السطحية والعميقة والكشف عن الثروات الطبيعية بتفصيل كبير عند اجراء عمليات الكشف التفصيلى بعد مرحلة المسح الاقليمى الشامل » •

العاملون فى المركز

« ويقوم باجراء الدراسات والبحوث بالمركز مجموعة كبيرة من كبار العلماء والاساتذة المصريين المتخصصين فى مجالات الهندسة الكهربائية والعلوم الطبيعية والجيولوجيا والجيوفيزيقا والزراعة والتربة والهندسة المدنية وغيرها • وهؤلاء العلماء تم تدريبهم تدريبا فنيا متقدما على تطبيقات هذه التكنولوجيا الحديثة للاستشعار من البعد والاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع ، وهم يمثلون قطاعات هامة فى جمهورية مصر العربية مثل الجامعات والمركز القومى للبحوث ومعهد القياس والمعايرة وهيئة الطاقة الذرية ووزارة الزراعة واستصلاح الاراضى وتعمير الصحارى ووزارة الرى ووزارة الاسكان والتعمير ومحافظة القاهرة وشركات البترول المصرية وشركات التعمير وهيئة المساحة المصرية • وتساهم القوات الجوية المصرية بمجموعة من الطيارين المهرة والفنيين المتخصصين فى تشغيل وصيانة الطائرات الخاصة بالمركز •

« كما يتعاون المركز مع بعض الهيئات الامريكية المتخصصة مثل معهد الاستشعار من البعد بجامعة ولاية ساوث داكوتا ومعهد بحوث مصادر الطاقة بجامعة ساوث كارولينا بالولايات المتحدة الامريكية » •

مشروعات المركز

قلنا : « ما هى المشروعات التى تم الانتهاء

(البقية على صفحة ٨٣)

منها ، والمشروعات التي ما زال العمل يجرى من أجل تنفيذها واتمامها ؟ »

قال الدكتور عبد الهادى : « لقد انجزنا الكثير من المشروعات وفى مقدمتها المسح الجيولوجي السطحي والعميق لمنطقة قناة السويس ، وربط خواص القشرة الارضية بالتركيب الجيولوجي لعمق ١٠٠ متر تحت سطح القناة ، ودراسة تفصيلية لموقف المياه الجوفية عند المواقع المقترحة لانشاء الانفاق تحت القناة ـ وذلك باستخدام طائرات الاستطلاع المزودة بالاجهزة الحديثة للاستشعار من البعد والتحقيق الحقلى لنتائج تفسير الصور والسجلات والاشراف على حفر ٤٠ بئر اختبار عميقة فى المنطقة الممتدة من بور سعيد الى السويس وعلى شريط يمتد بعمق عشرة كيلومترات على كل من جانبى قناة السويس » .

« كذلك انتهينا من دراسة جيولوجية اقليمية واحتمالات المياه الجوفية لمنطقة الوادى الجديد التى تغطى مساحة قدرها ١٠٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع بالصحراء الغربية وذلك باعداد خرائط جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية مع التحقيق الحقلى لها على الطبيعة .

كما انجزنا دراسة اقليمية لتحديد مصادر جديدة لخامات الحديد فوق منطقة تبلغ مساحتها ١٠٠ر٠٠٠ كم٢ بين الفيوم والواحات البحرية بالصحراء الغربية المصرية وذلك من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية والتحقيق الحقلى حيث تم اعداد خرائط اقليمية جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى ،كما تم تحديد مناطق لاحتمالات تواجد رواسب اقتصادية لخامات الحديد ذات اولويات للدراسة التفصيلية بهذه المنطقة .

كما انتهينا ايضا من المشروعات التالية :

ـ دراسة خصائص التربة وتصنيفها فى سبع مناطق مختارة بمنطقة تخطيط الاسماعيلية وسهل جنوب بور سعيد بمنطقة قناة السويس وتحديد صلاحيتها للاستزراع .

ـ دراسة الجيولوجيا وموقف المياه الجوفية بمنطقة تخطيط الاسماعيلية على قناة السويس من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية حيث تم اعداد خرائط اقليمية جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى كما تم تحديد مواقع اولويات للدراسة التفصيلية بهذه المنطقة .

ـ دراسة هيدوجيولوجية وهيدرولوجية تفصيلية للموقع المقترح لانشاء نفق بمنطقة القنطرة تحت قناة السويس .

ـ دراسة اقليمية جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى وتقييم موقف المياه الجوفية بالساحل الشمالى الغربى لجمهورية مصر العربية لمنطقة تغطى مساحة قدرها ٨٥ر٠٠٠كم٢ وذلك من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية والتحقيق الحقلى . وقد تم تحديد مناطق أولويات للدراسات التفصيلية لتحديد صلاحيتها للاستزراع .

ـ دراسة اقليمية شاملة لشبه جزيرة سيناء التى تغطى مساحة قدرها ٦٥ر٠٠٠كم٢ من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية وتقييم موقف المياه الجوفية واحتمالاتها واعداد خريطة عامة للتوزيع المحتمل للثروة المعدنية والمواد الانشائية .

ـ دراسة جيولوجية تفصيلية لمنطقة جبل المقطم بالقرب من القاهرة وذلك باستخدام طائرات الاستطلاع الجوى المجهزة بالاجهزة الحديثة للاستشعار من البعد والتحقيق الحقلى لها على الطبيعة حيث تم اعداد خرائط تفصيلية حديثة جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى للمنطقة .

ـ دراسات جيولوجية تفصيلية وموقف المياه الجوفية بمنطقة الدخيلة ـ غرب الاسكندرية وذلك باستخدام طائرات الاستطلاع الجوى المجهزة بالاجهزة الحديثة للاستشعار من البعد والتحقيق الحقلى لها على الطبيعة .

مشروعات تحت التنفيذ

ومضى الدكتور عبدالهادى يكمل حديثه ، ومع تكملة الحديث ، راح يعدد لنا المشروعات التى مازال العمل يجرى فيها الآن فى مصر وفى خارج مصر من وطننا العربى . قال : هناك المشروعات الاقليمية بجمهورية مصر العربية وهى :

ـ دراسة القشرة الارضية بمنطقة منخفض توشكا التى تغطى مساحة قدرها ١٠٠ر٠٠٠ كم٢ فى جنوب جمهورية مصر العربية وذلك باعداد خرائط جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحى وتقييم موقف المياه الجوفية من الصور الالكترونية

المجمعة من الاقمار الصناعية وما يتبعها من تحقيق حقلي .

ـ والمسح الجيولوجي لمنطقة منخفض القطارة بالصحراء الغربية المصرية من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع . وتتم هذه الدراسة بالتعاقد مع المؤسسة المصرية العامة للكهرباء بوزارة الكهرباء ويتضمن هذا المشروع مرحلتين ، الاولى لاجراء الدراسات الاقليمية لمساحة قدرها ٩٤٠٠٠ر كم٢ بمنطقة منخفض القطارة وما يتاخمها وذلك من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية والتحقيق الارضي لاعداد خرائط اقليمية للصرف السطحي والتراكيب الجيولوجية والتكاوين الصخرية المختلفة بالمنطقة. أما الثانية فهي لاجراء الدراسات التفصيلية اللازمة لبعض المناطق التي يتم تحديدها من نتائج المرحلة الاولى وذلك باستخدام أجهزة الاستطلاع الالكترونية بالطائرات والدراسات الحقلية بالمنطقة وتحديد المعاملات الهيدرولوجية للطبقات الحاملة للمياه ، وكل ما يتعلق بها .

ـ ودراسات تفصيلية لمواقع احتمال تواجد خامات الحديد بمنطقة الفيوم ـ الواحات البحرية في الصحراء الغربية المصرية وذلك بواسطة طائرات الاستطلاع والدراسة الحقلية الشاملة مع اجراء التحاليل المطلوبة والتقييم الاقتصادي لرواسب خامات الحديد التي تم تحديد مواقعها في المرحلة الاولى للدراسة الاقليمية التي قام بها المركز من قبل .

ـ ودراسة خصائص التربة السطحية وتقييم امكانات المياه الجوفية في المنطقة بين الواحات البحرية وواحة الفرافرة بالصحراء الغربية المصرية وهي تغطي مساحة قدرها ٦٠٠٠٠ر كم٢ مع اجراء دراسة للجيولوجيا الاقليمية واختيار المناطق التي يلزم اجراء دراسات تفصيلية لها من اجل عمليات التوسع الزراعي بالصحراء الغربية وذلك باستخدام الصور الالكترونية للاقمار الصناعية وأعمال التحقيق الحقلي اللازمة .

ـ ودراسات تفصيلية جيولوجية وتركيبية وتقييم موقف المياه الجوفية لبعض مناطق استصلاح الاراضي بالساحل الشمالي الغربي لجمهورية مصر العربية والتي تم تحديد مواقعها في المرحلة الاولى للمشروع بالدراسة الاقليمية التي قام بها المركز من قبل .

مشروعات قومية وعالمية

وقال الدكتور عبد الهادي : ولكن هناك ايضا مشروعات قومية وعالمية يقوم بها المركز الان ومن بعضها :

ـ دراسة قومية لاعداد خرائط جيولوجية وتركيبية وللصرف السطحي وتصنيف التربة واستخدام الاراضي لمنطقة مشروع قناة جونجلي التي تغطي مساحة قدرها ١٦٥٠٠٠ر كيلو متر مربع من مناطق اعالي النيل بجمهورية السودان الديموقراطية وذلك باستخدام الصور الالكترونية للاقمار الصناعية المتخصصة في دراسة ومسح موارد الارض الطبيعية. وسوف يتعاون مع المركز المصري للاستشعار من البعد بالقاهرة في تنفيذ هذه الدراسة كل من وكالة بحوث الفضاء والملاحة الجوية القومية الامريكية (ناسا NASA) ، والمؤسسة القومية للعلوم الامريكية NSF ومعهد الاستشعار من البعد RSI بجامعة ولاية ساوث داكوتا وكلية الهندسة بجامعة ولاية أوكلاهوما OSU بالولايات المتحدة الامريكية .

ـ اعداد دراسة عن امكانيات استخدام الطرق الحديثة للاستشعار من البعد والاستطلاع الجوي من الصور الالكترونية للاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع لدراسة موقف المياه الجوفية بالساحل الشمالي الشرقي لافريقيا وشبه الجزيرة العربية.

وتتم هذه الدراسة بالتعاقد مع برنامج البيئة التابع لهيئة الامم المتحدة بالتعاون مع ١٣ دولة عربية وذلك لتقديمه الى المؤتمر الدولي لوقف زحف الصحراء الذي سينعقد خلال عام ١٩٧٧ في نيروبي بكينيا .

ـ دراسة لمشروع مبدئي بخطة العمل المقترحة لبدء تنفيذ مشروع لاستخدام تكنولوجيا الاستشعار من البعد وتطبيقاتها العملية في دولة قطر .

وتجرى هذه الدراسة بالاتفاق مع كلية التربية بدولة قطر منذ اوائل عام ١٩٧٦ .

ـ استخدام طرق الاستشعار من البعد وتفسير الصور الالكترونية للاقمار الصناعية في تطوير نظام لجمع المعلومات عن المحاصيل الزراعية بدول

وحديث عن المستقبل

استكمالا لهذه الجهود ، فقد تقرر اقامةوسيلة استقبال مباشرة بانشاء محطة خاصةللاستقبال منصور الاقمار الصناعيةالمتخصصة فى مسح موارد الثروة الطبيعية ـ فى منطقة أو منطقتين من العالم العربى للاستقبال المباشر من هذه الاقمار المتخصصة تضمن تغطية كاملة لاراضى العالم العربى وتضمن الحصول على هذه البيانات بالسرعة اللازمة بدلا من الانتظار للحصول على هذه البيانات من محطات الاستقبال خارج المنطقة العربية ، والتى لا تغطى العالم العربى كله ، بالاضافة الى ضمان استقبال البيانات عن الاراضى العربية حتى فى حالة توقف بعض أجهزة التسجيل على القمر الصناعى .

ولذلك اهمية خاصة فى التطبيقات التى لها اهمية خاصة بالنسبة لعامل الوقت مثل التطبيقات الزراعية والبيئية.

وهناك جهود تبذل حاليا لاشتراك مصروالمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى لانشاء محطة مشتركة تغطى هذاالجزء من العالم العربى ، وتشمل حدود تركيا شمالا ..

منطقة الشرق الاوسط . وتجرى هذه الدراسة بالاتفاق معقسم الاحصاء بمنظمة الغذاء والزراعة التابعةلهيئة الامم المتحدةمنذ منتصف عام ١٩٧٦.

.. أمنية تتحقق

هل انتهى الحديث عن انجازات المركز العربى للاستشعار من البعد .. وعن قصة انتقال هذه الابحاث التكنولوجية المتقدمة الى الوطن العربى؟ لا ، فقد نسينا البداية .. نسينا ان نحكى قصة الاستاذ العربى بجامعة ولاية أوكلاهوما معالارض التى ينتمى اليها ويرتبط بها .

يقول الدكتور عبد الهادى : « ان شعورى بالانتماء الى مصر والى الامة العربية كواحد من أبنائها .. هذا الشعور لم يفارقنى لحظة واحدة منذ ان سافرت للخارج .. الى اوروبا والولايات المتحدة الامريكية دارسا ، وباحثا ، ثم استاذا منذ أكثر من عشرين عاما .. كانت أمنيتى أن أصنع شيئا لبلادى ، وأنا أعيش هذا السباق فى ميدان العلم والتقنية .. ان أنقل دراساتى وبحوثى وتجاربى الىهذه المناطق النامية فى أمتنا العربية ..

« ثم حانت الفرصة أخيرا .. وتحققت أمنيتى .. اننى مدين بالكثير للرجال الذين أخلصوا فى خدمة بلادهم .. الذين شغلوا يوما وما زالوا يشغلون المناصب القيادية فىمصر ..هؤلاء الذين التقيت بهم خلال زياراتهم للولايات المتحدة ، والذين مدوا الى أيديهم من مواقع عملهم فى مصر ، وقدموا كل ما لديهم من امكانيات متاحة وغير متاحة من أجل تحقيق هذا الامل .. ومن أجل توفير حياة أفضل ومستقبل اكثر رفاهية واشراقا فى الوطن العربى كله من أقصاه الى أقصاه .. من أجل المشاركة والافادة من الثورة العلمية والتكنولوجية التىتعيشها الدول المتقدمة من حولنا .

« لست وحدى فى هذا .. فهناك العديد من العلماء الذين يشاركون اليوم فى تقدم البشرية ورفاهيتها خارج حدود أرضهم وبلادهم .. انهم يتطلعون بدورهم الى اليوم الذى ينقلون فيه تجاربهم وخبراتهم الى الارض التى تمتد فيها جذورهم وترتبط بها ، ولن يكون هذا اليوم ببعيد » .

■■

منير نصيف



« ومن الآثار السلبية التى يحدثها العقاب البدنى فى تنشئة الأطفال ، انه يتدخل فى نمو وتطور الضمير عندهم . فالضرب المتكرر يزيل مسألة الشعور بالذنب عند الاطفال والافراد . اى ان الضرب هو الثمن الذى يدفعونه مقابل اخطائهم ، ويشعرون بعدها أنهم أحرار فى تصرفاتهم »



سؤال كل بيت :

كيف نربى

بقلم : الدكتور كمال دوانى

■ ان شخصية الطفل هي حصيلة الارث البيولوجي والارث الاجتماعي . مايرثه بيولوجيا يتعلق بامكانات النمو والتطور والاستعداد للتكيف . وما يكتسبه اجتماعيا يتعلق بخصائص الشخصية وانماط سلوكها واتجاهاتها . فالمعاملة التى يتلقاها الطفل لها علاقة كبيرة بصفاته وقدراته وتكوين ذاته . وعلى سبيل المثال ان الطفل الذى يلقى الاهتمام والاحترام والاعتبار لحاجاته النفسية والاجتماعية يكوّن الذات الايجابية ، بينما الطفل الذى يلاقى الرفض والنقد المستمر والحرمان غالبا ما يكون شعورا بالنقص نحو ذاته ويكون شعورا سلبيا نحو الآخرين .

السلوك وكيف نعلمه للطفل

والسؤال الرئيسى الذى يطرحه علماء النفس السلوكيون هو : كيف يعلّم السلوك ؟

والتأكيد على هذا السؤال لا يعنى انكار وجود السلوك الفطرى عند الوليد ، ولا يعنى اهمال العوامل الوراثية واثرها على السلوك البشرى .



أطفالنا ؟

انما يعنى انهم جعلوا السلوك المتعلم المحور الأساسى لانه سلوك ظاهر يمكن ضبطه ودراسته دراسة علمية مبنية على الحقائق المادية ،وذلك للابتعاد عن الاسلوب المبنى على مفاهيم عامة مجردة غير محددة • فالسلوك المتعلم هو السلوك الذى يكتسبه الطفل من خلال تفاعله مع البيئة • واكتساب سلوك معين يتم عن طريق عملية التعزيز المباشرة وغير المباشرة ، والمقصودة وغير المقصودة لذلك السلوك • فاذا سئل كيف تعلم الطفل ان يضرب ؟ يفترض ان يكون الجواب بأن الطفل قد حصل على ثواب ما مقابل هذا السلوك• والثواب هنا يكون بمثابة تعزيز لتكرار السلوك ،والثواب الذى يعزز النمط السلوكى قد يكون ماديا او معنويا • فالابتسامة ثواب ، وقطعة الحلوى ثواب، القرش ثواب ، الجائزة ثواب ، الثناء ، الموافقة ، احتضان الطفل فى مواقف معينة وكثير غيرها تعتبر تعزيزات تدفع الطفل او الفرد ان يطور انماطا معينة من السلوك •

فالقاعدة هنا انه اذا احدث مثير ما استجابة

معينة وتلا هذه الاستجابة نوع من التعزيز يزداد الاحتمال في ان تقوى العلاقة بين المثير والاستجابة وان تتكرر تلك الاستجابة في كل مرة يظهر فيها المثير • وعندما ترتبط الاستجابة بالمثير تصبح الاستجابة شرطية •

ووضع سكنر نظرية التعلم الشرطي على أساس المثير والاستجابة • فالتعزيز الذي يتبع الاستجابة يقوي الرابط بين المثير والاستجابة • فاذا قال الطفل « ماء » وهو في حالة عطش، واعطيناه الماء نكون بهذا قد عززنا كلمة « ماء » • واذا اعطي الطفل الماء فقط عندما يستعمل عبارة « من فضلك » يعني هذا تعزيز لعبارة « من فضلك »، اى تقوى العلاقة بين المثير (العطش) والاستجابة (من فضلك) • والذي عزز هذه الاستجابة « اعطاء الماء » • وهذا ما يعزز الدافع الذي يدفع الطفل الى استعمال عبارة « من فضلك » • وهذا ينطبق على تعزيز الاستجابات غير المرغوبة• فاذا لم نعط مثلا ما يحتاجه الا عندما يغضب ويصرخ ويهدد ، معنى هذا اننا نعزز عنده مثل هذا السلوك ، اى نشجع الطفل على ان يسلك سلوك الغضب والصراخ والتهديد كلما اراد الحصول على شيء •

الاعتراف بالخطأ

واذا اخطأ الطفل ثم اعترف بخطئه واعتذر وقبل الاعتذار دون ان يعاقب فهذا يعد تعزيزا للسلوك الحسن وعدم معاقبته يعتبر تعزيزا لاستجابة الاعتذار •

واذا نظرنا الى تنشئة الطفل الاجتماعية نجد انها ترتكز على مجموعة من المثيرات والحوافز المستمدة من ثقافة المجتمع وتقاليده ومعتقداته • ويرى اصحاب نظرية التعلم الاجتماعي ان هناك تشابها كبيرا في عمليات التعلم لاطفال يتفاوتون في الصفات العقلية والجسمية وغيرها • ويعزى ذلك الى التشابه في الخبرات والممارسات التي يتعرض لها الاطفال في بيئتهم • فالبيئة الاجتماعية وانماطها السلوكية التي يتفاعل معها الاطفال هي عبارة عن مؤثرات متشابهة الى حد ما • والنمط الذي يكتسب فيه الاطفال مهاراتهم الاجتماعية متشابهة كذلك في البيئة الواحدة منذ البداية • فقد تتم عملية الفطام في بعض المجتمعات والثقافات بواسطة وضع الفلفل الحار على ثدى الام ، وفي ثقافة اخرى تتم بطريقة تدريجية تحوّل الطفل من الرضاعة الى اطعامه بالملعقة • وهذا ما يتبع في نقل المهارات الاجتماعية الاخرى ، فاما ان تكون الطريقة تدريجية وترغيبية او فورية وقاسية •

وفي المجتمعات التي تخضع فيها التنشئة الاجتماعية للضغوط القاسية والفورية يتعرض الطفل الى فترات صعبة تحدث فيها انواع مختلفة من سوء التكيف • ويميز عالما النفس : «وايتنج» و « تشايلد » بين نوعين من ردود الفعل التي تؤدي الى التنشئة الاجتماعية : الاول يسمى بالتثبيت الايجابي ، والثاني يسمى بالتثبيت السلبي • فاذا اعتمدت عملية الفطام مثلا على التثبيت الايجابي يرتبط الطعام باثارة سارة للطفل ، واذا اعتمدت على التثبيت السلبي ، اي الفورية والقسوة ، يرتبط الطعام باثارة القلق •والتثبيت السلبي في التنشئة الاجتماعية يرتبط ارتباطا هاما بوجود توضيحات ومبررات لكثير من الامراض النفسية وغيرها من الخصائص غير السوية التي ينشأ عليها الاطفال •

ان هناك دلائل تشير الى ان التثبيت السلبي نمط من الانماط السائدة في التنشئة الاجتماعية في مجتمعنا• ويتبع هذا الاسلوب لتثبيت الانماط السلوكية المرغوبة عند الاطفال وتعويدهم على الامتثال لاوامر الكبار ونصائحهم دون اقناع او دون ادراك الطفل لأسباب هذا الامتثال •

الاسلوب السلبي

ومن ابرز هذه الاساليب اسلوب العقاب البدني المتكرر • ويستخدم هذا الاسلوب ، سواء في البيت او في المدرسة ، في حالة الغضب ، او عند فشل الوسائل الأخرى في ايقاف الطفل او حتى الشاب عن الاستمرار بتصرف سيء غير مرغوب •

وتشير البحوث المتعلقة بهذا الموضوع الى ان الضرب وغيره من انواع العقاب البدني يعلم الصغار اتباع السلوك السلبي في مواقف

مختلفة ، ويعلمهم كذلك ان يضربــوا عندمــا يغضبون ، او عندما لا يتمكنون من تحقيق احدى حاجاتهم او رغباتهم (١) ٠

ومن الاثار السلبية التى يحدثها العقاب البدنى فى تنشئة الاطفال ، انه يتدخل فى نمو وتطـور الضمير عندهم ٠ فالضرب المتكرر يزيل مســالة الشعور بالذنب عند الاطفال والافراد ، اى ان الضرب هو الثمن الذى يدفعونه مقابل اخطائهم ، ويشعرون بعدها انهم احرار فى تصرفاتهم ٠

ويصبح الضرب بالنسبة اليهم كدين مستحق تدفع اقساطه كلما اساءوا التصرف ٠ ويبدو ان الصفعة من اساليب العقاب البدنى الشائعة فـى مجتمعنا ٠ والصفعة لا تكون مؤلمة بقدر ما تكون وسيلة للاخضاع والاذلال ٠ والطفل الذى يتعود على الصفعة يرفع يده فوق وجهه كلما تعـرض لاى تهديد ٠ ويستعمل هذا العقاب كوسيلة لتاكيد سلطة الاباء او المعلمين وفرض الخضوع الفورى لهم ٠ والطاعة التى تنتج عن هذا الاســلوب التاديبى لا تكون نتيجة الحب والاحترام بقدر ما تكون نتيجة الخوف (٢) ٠

ولهذا الاسلوب آثار عميقة فى تكوين شخصية الفرد ٠ ومن هذه الاثار ان ينشا الفرد على عدم الصراحة والصدق ، وان يعتاد على التمويه فى سلوكه الاجتماعى او ان يحمل شخصية مزدوجة٠

التعليم فى المدارس والجامعات

ويظهر التثبيت السلبى فـى تعليم الاطفـال والتلاميذ ببعض الطرق والاساليب التعليمية التى نمارسها فى المدارس وحتى فى الجامعات او من شانها ان تثبت المعلومات فى اذهان التلاميذ بطرق تلقينية ٠

اذ يخضع التلميذ الى التركيب المعرفى الجاهز والمعد للحفظ بدلا من ان يكون متحررا بعقله ، يكتسب المهارات التى تكتشف بها الافكار ويبحث عن المعلومات ويستنتج منها ويعمم ٠ومعلم المدرسة غالبا ما يهدف الى اعطاء معلومات وحل مشكلات قد خطط لحلها من قبل ٠ ويتعزز هذا الاتجاه فى التلميذ عن طريق الامتحانات والعلامات ،فالتلميذ المثالى هو التلميذ الذى يفكر كما يفكر المعلم ويحفظ ما يقوله او يطلبه المعلم ٠ فالتلميذ المثالى على هذا الاساس هو التلميذ السلبى ٠ واساليب الامتحانات التقليدية الشائعة فى مدارسنا تخلق وضعا مصطنعا عندما يطلب من التلميذ ان يعيد سرد بنود معينة من المعلومات فى وقت معين ٠وقد يقال ان ما يقاس ليس مقدار المعلومات بل طريقة التفكير ، لكن هذا الفرض لا سند لــه ٠ فالاتجاه السائد فى التعليم والامتحانات يشجع التلميذ على الاعتقاد بان عليه ان يقلد معلميه حتى ينجح ، فيسرد ما علموه بدلا من ان يظهر قدرتـه علـى التحليل والخلق والابداع ٠

ويشير برايمر وباولى فى كتابهما « الاهدار التربوى مشكلة عالمية » (٣) والصادر عن منظمة اليونسكو الى ان العامل الرئيسى الذى يسبب الاهدار التربوى فى البلدان الناميـة (كاعادة الصفوف او فصل التلاميذ الراسبين) يعود الى الطرق المتبعة فـى الامتحانات ، اذ انها طـرق تقليدية تقتصر وظيفتها على تصنيف التلاميذ الى ناجحين وراسبين بدلا من ان تستخدم كوسيلة تقويم ارشادية ترشد التلميذ لتحسين تعلمه والمعلم لتحسين تعليمه ٠

ويبدو ان الطرق التعليمية التى تبالـغ فـى تاكيدها على تخزين المعلومات الجاهزة بواسطة الكتب المقررة ، تجعل المعلم هو المحور فى العملية التعليمية التعلمية ، وتجعل التلميذ فى موقف المستقبل للمعلومات ٠ هذه الطرق لا تجد تعزيزا يدفـع التلميذ علـى الدراسـة الا الخوف مـن الامتحانات ٠

عامل الخوف وأثره

لكـن ليس الهـدف من هــذه الــورقة تحليـل العملية التعليميـة التعلميــة وانمــا

1. Haim Ginott, Between Parent and Child, Avon Publishers, New York, 1971,P. 126.

(٢) هشام الشرابى ، مقدمات لدراسة المجتمع العربى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٥٠

(٣) برايمر وباولى ، الاهدار التربوى مشكلة عالمية ، ترجمة صادق عوده ، مكتب التربية والتعليم الدولى ، اليونسكو ، باريس ، ١٩٧١ ، ص٦٨ ٠

الهدف هو الكشف عن بعض اساليب التثبيت السلبي التي تستخدم في تربية الاطفال. الكشف عن بعض الجوانب التي تؤثر على شخصية الفرد تأثيرا سلبيا وتشجع على قولبة هذه الشخصية بقالب لا يتلاءم مع الكثير من الاهداف التربوية التي ننشدها ونتمنى ان تظهر في سلوك ابنائنا ٠

اننا ننشد في ابنائنا ان ينشأوا على الشعور بتحمل المسئولية لكننا نتبع اساليب في البيت والمدرسة لا تحرمه من تنمية هذا الشعور فحسب بل تشجعه على الهروب من تحمل المسؤولية ٠ تعتقد العائلة ان شعور الطفل بالمسئولية قد يأتي عن طريق تعويده على المساهمة في العمل البيتي وشؤون العائلة ٠هذه المساعدة قد تفيد الابوين ولكنها لا تفيد الطفل في تنمية الشعور بالمسؤولية . لانه لا بد وان ينتهي الامر باتباع الابوين طرق الالحاح والاجبار واحيانا العقاب مما يجبر الطفل على القيام بمسؤولياته لا بدافع الشعور بالمسؤولية انما بدافع الخوف من عدم تنفيذ الاوامر ٠ والحقيقة البسيطة هنا ان المسؤولية لا تفرض بل تنمو من الداخل . تغذى وتوجه بالقيم التي يكتسبها الطفل من الكبار ٠ قد يكون الطفل مؤدبا يحافظ على نظافته ونظافة غرفته ويقوم بواجباته لكنه في نفس الوقت يتخذ قرارات غير مسؤولة ٠ مثل هذه الظاهرة تنشأ عند الصغار الذين يتعودون دائما على تلقي التعليمات ولا يتمتعون بالفرص التي توفر لهم حرية التفكير وحرية الاختيار والتمييز ٠

اما في المدرسة فلا يختلف الجو كثيرا ٠ فالتلميذ قلما يمنح الفرص الملائمة لتحمل المسؤولية لان التلميذ . في معظم الحالات يستمع الى معلمه ويسمع . لا يفكر «كيف يعرف» بل يفكر ماذا يعرف لا يبحث ويكتشف بل يستقبل المعلومات الجاهزة . لا يجرب ويختبر بل يلاحظ ويحفظ كي يختبر ٠

ان مثل هذه المواقف التعليمية لا تحرم التلميذ فرصة تحمل المسؤولية فحسب ، بل تفقده الثقة بنفسه وتشجعه في كثير من الاحيان على التقليد والاعتمادية ــ اي الاعتماد على الغير ٠ بالاضافة الى ذلك ان مثل هذا الجو التعليمي يخلق للمعلم مشكلة من اصعب المشاكل التي يمكن ان يواجهها في مهنة التعليم الا وهي مشكلة الانضباط في غرفة الصف ٠

العقاب الايجابي

لا يقصد هنا انكار اهمية العقاب ٠ ان العقاب امر ضروري لكنه يمكن ان يكون ايجابيا ٠ والعقاب الايجابي يمكن ان يكون درسا للتلميذ من نوع آخر. او ان يكون وسيلة لمساعدة التلميذ على العمل والدراسة ضمن امكانياته وميوله ٠ لكن العقاب ليس انتقاما ، وليس وسيلة للتحقير الجسدي والمعنوي ، وليس وسيلة لهدر طاقة التلميذ او وقته ٠

ان هذا المناخ التعليمي وما يخلفه من شعور عدائي وما يترتب عليه من آثار نفسية سيئة تنعكس على تنشئة التلميذ الاجتماعية ليعتبر تثبيتا سلبيا لتقويم سلوك التلميذ ٠

وفي ضوء هذه الملاحظات السابقة الذكر والمستمدة من واقع مجتمعنا عن تربية الطفل وما تحمله من سلبيات في البيت والمدرسة لا غرابة في ان ينشأ الطفل عدوانيا في سلوكه واعتماديا في تفكيره ٠ ولا غرابة كذلك في ان نلاحظ في مجتمعنا الشخص الذي عندما يتحدث يؤذي الآخرين او يستغبيهم ، وعندما يناقش ينفعل ويتهجم، وعندما ينتقد يسخر ويستهزئ، وعندما يغضب يثور ويهدد او يشتم او يضرب ٠ كما ونلاحظ في كل يوم الشخص الذي لا يثق بذاته ولا يعتمد عليها حتى في اتخاذ ابسط القرارات ٠

ان مثل هذه الخصائص الشخصية يكون اساسها مجموعة من الاستجابات التي تعززت وتكرر تعزيزها خلال مراحل الطفولة وكونت انماطا من السلوك الظاهر ٠

السلوك العدواني عند الاطفال

يعرف السلوك العدواني على انه سلوك تهدف استجابته الى ايذاء الآخرين ٠ والايذاء قد يكون جسديا او شعوريا او ايذاء في الممتلكات ٠ اما الغضب والعصبية والضغينة وغيرها من الانفعالات التي تنعكس على سلوك الفرد الظاهر فتسمى بالشعور العدائي المقيد ٠

وتشير الدراسات النفسية الى ان الآباء الذين

يحملون سلوكا عدوانيا ينتقل هذا السلوك الى ابنائهم • ومثل هؤلاء الاباء يبدو انهم يشجعون ابناءهم على التصرف العدواني تجاه افراد غير افراد العائلة •لذلك يعتبر علماء النفس ان التقليد مصدر من المصادر الهامة التي تعلم الاطفال السلوك العدواني •

ويقصد بالتقليد ان يتعلم الطفل انماطا سلوكية عن طريق مراقبته الآخرين • ومجال التقليد يصنف الى نوعين : مجال الحياة الحقيقية ـ تكون فيه نماذج حقيقية يقلدها الطفل ، كالاب والام والمعلم وغيرهم• والمجال الرمزي حيث يتأثر الطفل بالنماذج الرمزية التي تقرأ عنها في الكتب والمجلات او يلاحظها في السينما والتليفزيون او يسمعها في الراديو •

وقد نوقش السلوك المقلد من قبل عدد كبير من السيكولوجيين في نظريات المثير والاستجابة (نظريات الاشراط) • ووجد دولارد وميللر(٤) ان السلوك المقلد يمكن ان يعزز • كالأم التي تمتدح ابنها الصغير لأنه قلد سلوكا مرغوبا قام به الاخ الكبير•

وقد قام باندورا ورفاقه (٥) بعدة تجارب لتبيان اثر التعزيز او العقاب على عملية التقليد • وقد توصل « باندورا » من تجاربه العديدة ، الى ثلاث نتائج هامة :

١ـ ان السلوك الذي يتبعه ثواب ،يزداد الاحتمال في تقليده •

٢ ـ ان حالات الاثارة الانفعالية تبدو مشجعة على تقليد السلوك •

٣ـ وقد اقتنع « باندورا » ان الافعال والانماط السلوكية التي تنقل وتوصف بواسطة الافلام والصور والقصص الشفوية تعد مثيرات فعالة لاكتساب الطفل مجموعة من الاستجابات التي تكون انماطا من السلوك •

٤ـ والنتيجة الهامة التي تستخلص من تجارب باندورا ورفاقه هي ان تجارب الطفل وخبراته في البيئة تشجع ، بدرجة عالية ، على التقليد ، اذا تميزت بالحرمان من الثواب ، والشعور بالفشل ، والشعور بعدم تقدير الذات ، والاعتمادية •

الاحباط كمصدر للسلوك العدواني

وهناك مصدر آخر لتكوين السلوك العدواني عند الطفل • وهذا المصدر هو عندما يتعرض الطفل الى حالات الاحباط • والاحباط هو منع استجابة هادفة من الحدوث •اي انه حالة من الشعور بالفشل تصيب الفرد عندما يواجه موانع تمنعه من تحقيق دافع او رغبة او حاجة • وهذه الموانع قد تكون بيئية او شخصية كعجز في قدرة الفرد نفسه • وهناك عوامل كثيرة قد تمنع السلوك العدواني من الظهور ولكن سرعان ما يظهر هذا السلوك عندما تسبقه حالة من حالات الاحباط ، والسبب في ذلك ان عامل الاحباط يعزز السلوك العدواني لان مثل هذا السلوك يخفف او يزيل الشعور بالاحباط • وفي كثير من الاحيان يعزز الآباء سلوك ابنائهم العدواني الناتج عن الاحباط • يحدث هذا عندما يحصل الابناء على حاجاتهم ورغباتهم بطريقة الصراخ والغضب والثورة • وحصولهم على حاجاتهم بهذه الطريقة يعتبر تعزيزا لسلوكهم العدواني • ولكن في حالات اخرى يعاقب الطفل على سلوكه العدواني ، كالحالات التي يحطم فيها شيئا في البيت أو يؤذي اخاه الاصغر • نلاحظ هنا ان الطفل عندما يبدي سلوكا عدوانيا يعاقب عليه احيانا ويثاب احيانا اخرى • هذا التناقض لا يساعد على تعزيز استجابات الطفل السليمة • وكثيرا ما نلاحظ في مجتمعنا ان الطفل يلاقي عقابا على سلوكه العدواني عندما يكون موجها نحو افراد عائلته ولكنه يلاقي تعزيزا لهذا السلوك عندما يكون موجها نحو الناس الآخرين •

وتجدر الاشارة هنا الى ان الكلام عن السلوك العدواني وآثاره السلبية لا يقصد به أبدا ان نربي الاطفال على المسالمة والخنوع • فالطفل يحتاج الى درجة من السلوك العدواني الى الحد الذي يستطيع به ان يدافع عن نفسه وحقوقه • والصفات الايجابية مثل الجرأة والشجاعة والصراحة صفات نطمح بها وننشدها في تربية اطفالنا • ولكن صفات السلوك العدواني غير المرغوبة تختلف

(٤) بالدوين ، مرجع سابق ، ص ٤٢٨ •

(٥) نفس المرجع ، ص ٤٢٩ •

بمصادرها وطرق نشاتها وانماطها عن تلك التي تنشدها .

والسلوك الآخر الذي ينتج عن اساليب تربيتنا وتنشئتنا الاجتماعية هو السلوك الاعتمادي . والاعتمادية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعدوانية ، لا بل الاسباب والعوامل التربوية التي تشجع على السلوكين هي تقريبا واحدة ، وظروف التنشئة الاجتماعية التي تساعد على خلقهما متشابهة . فالاب الذي يقسو على طفله ويضربه كي يخضعه لطاعته دون اقناع لا يربي فيه الاتجاهات العدوانية فحسب بل يشجعه على ان يعتمد عليه . والمعلم الذي يتبع الاسلوب التعسفي في تعليم التلاميذ ويحرمهم من فرصة التعبير عن شعورهم وافكارهم ويهددهم في الامتحانات والعلامات لا يخلق فيهم شعور الكراهية والتنافس البغيض والحقد والحسد فحسب بل يدفعهم الى الاعتمادية في التفكير .

السلوك الاعتمادي

يعتمد الطفل على أمه فيزيائيا منذ الولادة وفي سن مبكرة جدا يعتمد عليها نفسيا وانفعاليا . لان الام هي التي توفر لطفلها حاجاته الاساسية . وبالتالي هي التي توفر له الراحة الجسمية والنفسية . وفي الظروف الطبيعية تبقى الاعتمادية قوية في مرحلة الطفولة المبكرة ثم تنحدر تدريجيا في مراحل الطفولة اللاحقة حتى يصبح الفرد مستقلا ومعتمدا على نفسه . ويظهر اعتماد الطفل النفسي والانفعالي واضحا عندما يبدأ بالبحث عن الاهتمام والانتباه . ومن خلال شتى الاستجابات التي يتلقاها من أهله ، وخاصة من أمه ، يعزز الطفل شعور الاعتمادية . وشدة الاهتمام الذي يتلقاه الطفل يعزز فيه الحاجة الملحة الشديدة الى طلب هذا الاهتمام .

والمهم في الامر ان مشاكل الاعتمادية تبدأ بالتطور عندما يشعر الطفل ان بعض الاستجابات التي سبق ان لاقت تعزيزا قد تعرضت للاهمال . كان تتجاهل الام طفلها عندما يبكي لسبب غير معقول . وقدرة الطفل على التمييز بين ما يستحق الاهتمام وما لا يستحق تتوقف على المعاملة الذكية التي يلقاها من الام . وبمساعدة الام يصبح بمقدور الطفل ان يميز بين الافعال التي تلقى موافقة الام او عدمها . وهذا ما يجعل الام الوسيلة الفعالة لتعليم الطفل القوانين الضرورية للحياة الاجتماعية .

والتحول التدريجي من الاعتمادية الى الاستقلالية عند الطفل يتوقف على الفرص التي توفرها له الام . لكن الابطال الفوري لتعزيز السلوك الاعتمادي يعد تحولا صعبا بالنسبة للطفل . وهذا ما يدفع الطفل الى اتباع سلوك العنف للحصول على حاجاته ورغباته التي اعتاد عليها من قبل . واتباع مثل هذا السلوك قد يدفع الوالدين الى استخدام وسائل العقاب . او قد ينجح الطفل في الحصول على ما يريد بطرق العنف وسوء التصرف والصراخ . وفي كلا الاسلوبين تعزيز للميل العدواني والسلوك الاعتمادي .

أما الاسلوب التعليمي الذي يخضع له الاطفال فيساهم الى حد بعيد في تنمية سلوكهم الاعتمادي. ان المعلم التسلطي باتجاهاته واسلوب تعليمه يكبل عقول التلاميذ ويحد من نموهم الذهني . حيث يصبح عقل التلميذ اداة ترديد وحفظ بدلا من ان يكون وسيلة تحليل ومعرفة ونقد . كما ويصبح اداة للتقليد بدلا من أن يكون طاقة للخلق والابداع .

أما فيما يتعلق باعتمادية الصبي واعتمادية البنت فتشير بعض الدراسات (٦) الى ان الصبي في المجتمع العربي اكثر اعتمادية من البنت . والسبب في ذلك لا يعود الى ان البنت تتمتع بحرية اكثر من الصبي بل يعود الى الاهتمام الزائد الذي يعطى للصبي على حساب البنت ، وهذا ما يفسح المجال للفتاة في ممارسة الاعتماد الذاتي وتطوير قدراتها الذاتية . وهناك بعض الدلائل ايضا تشير الى ان الفتاة العربية التي تتاح لها فرصة الدراسة في الخارج تستطيع ان تظهر اعتمادا ذاتيا وتحملا للمسؤولية اكثر من الشاب العربي . ■■

عمان ـ **كمال دواني**
كلية التربية ـ الجامعة الاردنية

(٦) الشرابي ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

أنباء الطب والعلم

مملكة أيبلا ظهرت فى سوريا

● اكتشف علماء الآثار ـ وفى طليعتهم عالمان ايطاليان شهيران واستاذان بارزان بين اساتذة جامعة روما ـ اكتشفوا آثار مملكة (ايبلا · Ebla) ذات الحضارة الكنعانية السامية ، وقد سادت هذه المملكة، قبل حوالى ٤٠٠٠ سنة ، وفى منطقة واقعة بين مدينتى حماة وحلب ·

اما موقع الاكتشاف فكان على وجه التحديد (تل مرديخ) ، الواقع على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا الى الجنوب من حلب ·· ولعل اهم ما عثروا عليه فى هذا المكان حتى الآن هو مجموعة اللوحات الصغيرة ، وقد بلغ عددها ١٥٠٠٠ لوحة · فالكتابات التى تحملها هذه اللوحات تروى لنا قصصا على جانب كبير من الخطورة ·· فهى تروى قصة الطوفان وقصة الخلق ···

وبلغ من خطورة هذا الاكتشاف ان طار احد اساتذة جامعة مشيجان الى روما فور سماعه النبأ ، وهو الدكتور دافيد فريدمان الشهير باختصاصه فى الحفائر والآثار التوراتية ·· وقد وضع مذكرة عن خطورة ذلك الاكتشاف تقع فى ١٥ صفحة · ومما جاء فى هذه المذكرة قوله : « لا ريب فى ان صفحة جديدة قد فتحت فى تاريخ الشرق الادنى ··· ولا ريب فى أن هذه الصفحة ستبقى مفتوحة الى حين » ·

والمعروف ان الكنعانيين ساميو الاصل ، وقد خرجوا من شبه الجزيرة العربية ليستقروا فى فلسطين وسوريا ولبنان والاردن وغيرها من بلدان الشرق الادنى، حيث اقاموا ممالك مختلفة فى المنطقة وازدهرت حضارتهم فيها اعتبارا من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، اى قبل مجيء بنى اسرائيل الى فلسطين ·· وقد بلغت الحضارة الكنعانية مستوى عاليا من الرقى · فهى ذات فضل فى تطوير الكتابة وحروف الهجاء ان لم نقل فى ابداعهما · وهى ذات فضل ايضا على اكثر شعوب المنطقة ، بمن فيهم اليهود ··

★★★

قنـــاة السويس لم تعد عائقـا مائيا ··

● ما كنا لننشر هذا النبأ لو لم تكشف النقاب عنه صحيفة الديلى ميرور البريطانية الواسعة الانتشار ، وذلك فى عددها الصادر فى ٢٢ اكتوبر الماضى ·

ويتلخص ما ذكرته الصحيفة فى ان الحكومة المصرية قررت نهائيا القيام بتنفيذ مشروع نفق قناة السويس ·· وهو النفق الذى ينوون شقه تحت قاع القناة فيسهل على السيارات المدنية والآليات العسكرية الانتقال الى شبه جزيرة سيناء ·

وسيبلغ هذا النفق ، كما تقول الديلي ميرور ، ٣٠ قدما عرضا ، وميلا ونصف الميل طولا • ذلك انه سيمتد من بلدة السويس في الاتجاه المعاكس ، مع انحراف نحو الجنوب حتى يصل الى الشط • ويشمل النفق اربعة شوارع ويتسع لشتى السيارات المدنية والمصفحات والدبابات والصواريخ •• الخ ••• لا عجب اذن ان حرص المسئولون على ان يكون مسار هذا النفق منحنيا او متعرجا ، وان يكون مدخله — وكذلك مخرجه — بالغ الامتداد بحيث ينطلي امره على العدو ، فلا يسهل عليه اكتشافه وضربه •••

وتؤكد الصحيفة البريطانية ان عقد التنفيذ قد وقع وان الالتزام ظفرت به مجموعة من الشركات البريطانية وسيكلف حوالي ٣٠ مليون جنيه استرليني ويستغرق العمل فيه ثلاث سنوات •

بقي ان نشير ، الى ان ماقصدت اليه الديلي ميرور من نشر هذا النبأ لم يكن مجرد احاطة القراء بما تقوم به مصر من اعمال مدنية او دفاعية مشروعة في منطقة القناة •• فقد استهدفت الصحيفة الشهيرة اثارة القراء على مصر التي «باتت تهدد اسرائيل وامن اسرائيل» على حد قول الصحيفة البريطانية •• ووجهت اللوم ضمنا الى الشركات البريطانية التي اخذت على عاتقها مساعدة مصر في اعمالها العدائية ضد اسرائيل •

وتذكر الصحيفة البريطانية ، بل الصهيونية ، ان النفق الذي بدأ العمل فيه هو الأول من خمسة تنوي مصر شقها في المستقبل القريب •

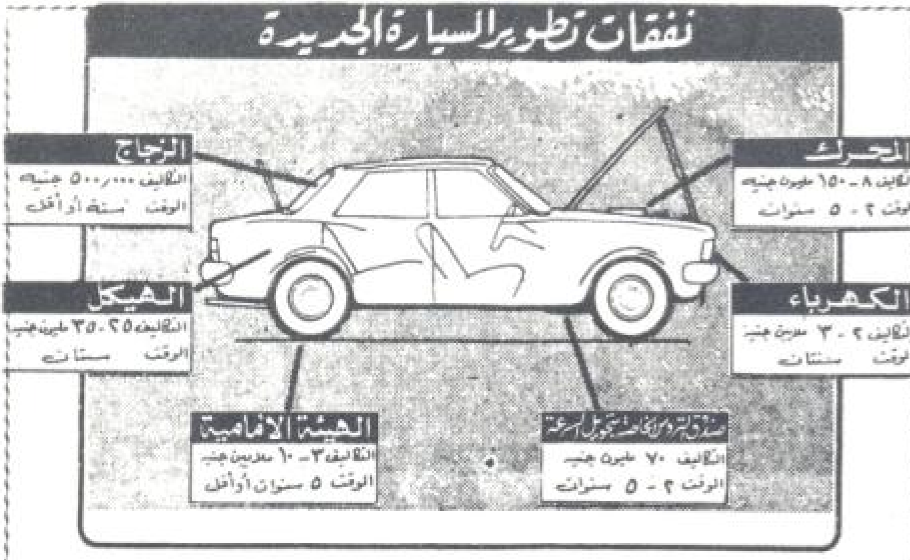
قرد له أمان :
أمه الاصلية
وام ثانية حملته ووضعته

● عمليات الزرع ، زرع القلوب والكلى وغيرها ، اصبحت مألوفة ولا تثير في النفس مشاعر العجب او الدهشة •• بخلاف عملية الزرع الجديدة الرائدة التي نجح في اجرائها العلماء الأمريكيون مؤخرا ••• عملية زرع الاجنة — اجنة القرود • فقد تمكنوا من نقل الجنين القرد من بطن امه الأصلية الأولى وزرعه في رحم قردة ثانية اصبحت بمثابة ام ثانية له •

وقد اجرى هذه العملية ، التي نشرت تفاصيلها مجلة العلم (Science) في شهر يونيو الماضي اجراها فريق من العلماء العاملين في مؤسسة سان انطونيو للبحوث والثقافة في تكساس •

وكانت البداية في ربيع سنة ١٩٧٥ حين انتزع العلماء المعنيون البويضة الملقحة من الأم الأولى ، وذلك في غضون خمسة ايام من تلقيحها • فهذه فترة تكون البويضة فيها ماتزال عائمة في الرحم ، ويسهل انتزاعها نظرا لأنها لم تكن قد التحمت بعد بجدار الرحم •

وزرع العلماء تلك البويضة الملقحة في جدار رحم قردة أخرى اختاروها من نفس الفصيلة — البابون — لتكون الأم الثانية • وقد راعوا في اختيارها ايضا التوافق بينها وبين الأم الأولى ، من حيث موعد أباضتها (Ovulation) وهكذا ضمنوا استعداد رحم الأم الثانية لاستقبال الجنين وتقبل الجسم الغريب •



قد تعرف ثمن السيارة
ولكنك لاتعرف شيئا عن ثمن تطويرها ٠٠ !

● لقد ألفنا السيارات بحيث لم نعدنشعر بأى عجب تجاهها ٠٠ ولكن التقرير التالى ، الذى نشرته صحيفة الصنداى تايمز البريطانية المعروفة ، يفرض عليك ذلك العجب فرضا ٠٠٠ العجب للمبالغ الطائلة التى تنفق فى سبيل تطوير سيارة جديدة ، والتى قد تبلغ بمجموعها ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى ٠٠ نعم ٣٠٠ مليون، تنفق من اجل التوصل الى طراز جديد ٠٠

والرسم المرفق يفصل لك هذه النفقات بحديها الأعلى والأدنى ، ويعطيك فكرة عن المدة الزمنية التى تقتضيها جهود التطوير هذه ٠ فمحرك السيارة مثلا يحتاج لتطويره الى ١٥٠ مليون جنيه وحوالى خمس سنوات ٠٠٠ هذا اذا كان التطوير المطلوب تجديدا جذريا يبدأ من الصفر ٠٠ وقل مثل ذلك فى هيكل السيارة ٠٠ فتطويره يحتاج الى نحو سنتين وحوالى ٢٥ ـ ٣٥ مليون جنيه ٠٠

ومضى ١٧٤ يوما ، واكتمل نمو الجنين المزروع ، وتم الوضع فى ٥ سبتمبر ١٩٧٥ ، وذلك بواسطة عملية قيصرية عمدوا اليها تحاشيا للمضاعفات٠

والخطورة فى زرع اجنة القرود انما تتمثل فى الشبه الفسيولوجى بين القردة وبنى الانسان ٠٠ وبالتالى فى امكانية احراز النجاح فى عمليات زرع اجنة الانسان ، بحيث تستطيع الأم ان تعهد بحمل جنينها الى امرأة اخرى نظرا لمشاغلها او بسبب عجزها جسديا عن اكمال الحمل ٠

بقلم : عدنان حمدان

■ حينما يكون الحديث عن الرواية البوليسية.فلا مناص من ذكر « اجاثا كريستي » كاعظم كتاب هذا اللون من الادب ، في العصر الحاضر بلامنازع ٠

واني اعتبر هذه المقالة سطور نعي حزينة علىهذه المراة الخلاقة ، التي ودعت القلم في الثاني عشر من كانون الثاني عن خمسة وثمانين عاما ،واثر مرض ران عليها لشهرين ثقيلين ٠
وكانت قبل رحيلها بخمسة اعوام قد احتفلتبعيد ميلادها الثمانين ، وذلك في الاسبوع الماثل بين العاشر والسادس عشر من تشرين الاول(اكتوبر) عام (١٩٧٠) ، في لندن ٠

ولادتها

ولدت السيدة (كريستي) عام (١٨٩٠) فيبريطانيا ابان عهد الملكة « فكتوريا » مِنْ أب انكليزي وام امريكية ٠

واني اذ اذكر العهد بالذات فلأشير الى انالانكليز في العهد الفكتوري هذا ، وما سبقه وما تلاه بفترة ليست بالوجيزة ، كانوا ينظرون الىالقلم النسائي نظرة امتعاض وازدراءُ متوازيين، ولا يرون مكانا للمراة غير بيتها بل غير مطبخها،بدون مبالغة (١) ، حتى ان كثيرا من نوابغالفكر النسائي رحن يصدرن كتاباتهن وقصصهنواشعارهن تحت اسماء رجالية مستعارة كيما يجدن لنتاجهن سبيلا الى النور ٠وليس ادل على هذا من السيدة التي انتحلت اسم « جورج اليوت » كعنوان لرواياتها : (سايلس مارنر) و (اطفال روث) و (قديشة) وغيرها (١) ٠

رائدة الرواية البوليسية المعاصرة

اجاثا كريستي

في هذا الدجى المذوب لكل اشعاع فكرينسائي دلفت « أجاثا » روائية بوليسية بقي نجمهايتالق ويلمع حتى اضحت ـ كما ذكرنا ـ اعظم روائيي البوليسيات ، واخذت شهرتهاتتسع صعدا واحتضن

(١) حسب تقييم راديو لندن لتلك الفترة فياحدىسلسلاته الثقافية لعام ١٩٧٠ ٠



رائدة
الرواية البوليسية
المعاصرة

اجاتا كريستي

رواياتها الاقبال الهائل من لدن قرائها المطردين سعة ونهما حولها ، حتى ترجمت الى عدة لغات ، منها اللغة العربية ، واخذت تنفد بملايين النسخ ، وقيل ان احداهن قد نفدت بمليون نسخة في ستة اسابيع ! وهناك اخبار « ملايينية » عن نقاد رواياتها ، وهي بلا شك لا تخلو من عنصر الغلو المؤطر لكل ذي شان في كل الميادين ، لكن الاتفاق معقود – كما يقال – على ان « كريستي » قد ربحت من جرائم القتل ما لم تربحه امراة غيرها اطلاقا .

صداها في قمة الحكم

لم يقتصر صدى « اجاتا » على الشارع ، لان الراى الشائع يحصر الرواية البوليسية في الاطار الشعبي فقط ، بل انها استحوذت على اهتمام مستويات مختلفة من القمة الى الشارع ، فنجد ان « اني لاعجب كل الاعجاب بمقدرتها على كتمان

« اني لاعجب كل الاعجاب بمقدرتها على كتمان

سر الجريمة في رواياتها فلا تفشيه الا في اللحظة المناسبة التي تختارها لذلك » .

ويساويه « انتوني ايدن » – رئيس الوزراء البريطاني ابان ازمة السويس – في هذا الاعجاب والاهتمام !

الباعث الاول

من سمات الدراسات الحديثة انها تستقرىء المعطيات الابداعية للشاعر والفنان والروائي والمفكر ، لتصل الى الجذور الاولى ، او الى نقطة البدء ، على وجه الدقة وبذا تعود كرةاخرى ، وهنا تبدأ صياغة الحكم النقدي على تلك المعطيات .

وحين تكون « اجاتا » في قمة من قمم الادب ، وهي قمة الرواية البوليسية ، اذن فهي جديرة باستقراء اثارها الكتابية وصولا الى « نقطةالبدء » في حياتها الادبية .

تشير الوثائق التي تتطرق « لاجاتا » هذه ، الى انها في ليلة ما باردة جدا ، حتى انها لم تنج من ذلك البرد فاصيبت به مما اضطرها الى ملازمة امها في غرفتها تحاميا منه . وفي تلك الغرفة طلبت منها امها – وهي امريكية كما ذكرنا – ان تكتب قصة لتسلي نفسها ، وكان هدف الام ابعاد شبح الخوف من البرد عن ابنتها الصغيرة ، وفعلا كتبت الطفلة « اجاتا » قصة ، لم يصلنا منها سوى وصفها بانها « بسيطة » ، لكن اهميتها تكمن في اذكائها تلك الجذوة التي صارت اليوم مشعلا وضاء في ميدان الرواية .

اذن فتلك القصة البسيطة كانت البشير بافتتاح حياة جديدة (لاجاتا) ادخلتها نادي مشاهير الادباء في التاريخ .

ضياع تلك القصة ، نصا ، يدل على انها مزقتها ، وهذا شان الكبار من اصحاب الكتابة ، لان النتاج الاول لا بد ان يكون « ساذجا » فاذا ما نشره صاحبه في اي فترة من حياته ، كان رصيدا عليه لا له ، وبذا يصبح ثغرة في صرحه .. وبناء على ذلك يعمد هؤلاء الى اتلاف النتاجات الاولى حتى لا تنشر في غفلة من اصحابها ، فقد تمتد اليها ايدي الوراث فتنشرها بحسن نية او بسوئها .

خطوات اخرى

ونهدت « كريستي » الفتاة في محاولاتها ، مرتقية الروابي اعلى فاعلى ، وهي تكتب فتنشر البعض الاقل وتتلف البعض الاخر وهو الاكثر ، حتى ظهرت لها اول رواية بوليسية لاقت اهتماما لا باس به من القراء الانكليز ، وذلك عام (١٩٢٠) ، اي عندما بلغت « اجاتا » الثلاثين من عمرها .

نقطة تحـول

ويمكن اعتبار هذه الرواية نقطة تحول في حياة « اجاثا » الكتابية في جوانب ثلاثة ، الاول هو رسوخ قدم الكاتبة اذ تلمست طريقها بين الجمهور ووضعت السبيل امامها لكيفية الطرح الروائي ، وهنا يمكنني القـول بانها تخلصت من مـرحلة (التمزيق) او (الاتلاف) لكثير مما تكتب فقد بات مدادها ثابتا عصيا على المحو .

اما الجانب الثاني فهو تشكل جمهور متنام ينتظر باستمرار ما ينتجه هذا الانبثـاق الجديد المعروف بـ « اجاثا كريستي » .

ويولد الجانب الثالث من الثاني ، وهو بروزها كاتبة متخصصة في الرواية البوليسية . من هذه الولادة الجديدة ــ وللاديب ولادتان عادة ــ انطلقت « اجاثا » تكتب بثقة وتؤدة متلازمتين متفاعلتين حتى سقط القلم من يدها ، تاركة لنا تسعين رواية بوليسية وسبع عشرة مسرحية (٢) . قيـل فيما بيع منها ، من ملايين ومـلايين ، وان كنت اسف ان تكون المقايسة في (كم بيع ؟) و (اين بيع ؟) ، لان لاعلام دور التوزيع ولبـاقتها اثرا ليس بالمحدود في رفع كمية المباع من السـلع ، واكثر دور التوزيع تعتبر الكتاب « سـلعة » لا غير ! !

جولة في بعض رواياتها

من رواياتها البوليسـيـة ، رواية بعنــوان « جريمة قتل اعلنت » ، وثانية بعنوان « جريمة في الريف » .وفي هذه الاخيرة بل فيكل رواياتها تجد نفسك مشدودا اليالرواية لا تكاد تنقل نفسك عنها ، لاهثا وراء تلمس النتائج التي اخــذت اهميتها وتطورها الخطير يزيدان من لهفتك الى ادراك الهدف الذي تسير صوبه القصة .

هذا من جانب ومن الجانب الاخر تجد الكاتبة بارزة بهيمنتها على الرواية فهي تطرح « ذاتها » بكل ما اوتيت من مكنة ودربة منتحلة اسم احـد ابطالها ، فتطغى على القصة وتحتكرها لها ، كل ذلك بشكل لا يولج الى نفس القاريء اي ملل او استهجان .. ولناخذ مثلا روايتها « جريمة في الريف » اذ تتخذ من الانسة « كارولي شبرد » اسما تتسـمى به هي وتمضي تحته تمثـل اهم الادوار ، وبه اخذت تنتزع الاعترافات من جميع الابطال الاخرين للدلالة على حنكتها الفائقة ، ونفاذ بصيرتها المذل .. واخيرا توصلها الى حل عقدة الجريمة والتوصل الى خيوطها الخفية في حين ان (كارولي) قابعة في بيتها وان في القرية رجال قضاء وبوليس وفيها طب عدلي ومختبرات تحليلية .كل تلك عجزتعن اظهار خفايا الجريمة، لتاتي (كارولي) فتضع لمساتها على الصميم .

ونلاحظ ــ من بين ما نلاحظه في الرواية ــ ان « اجاثا » تموه على القاريء بروزها تحت اسم « كارولي » ، بان تسمى حب الاطلاع الطـاغي عند هذه الانسة ، « فضولا » على حد تعبير اخيها الطبيب الذي وقع عليه التكليف بفحص (الجثة) التي دارت عليها رحى الرواية ، فهي تقول على لسان الدكتور « جيمس شبرد » اخي « كارولي شبرد » .. عن اخته : « .. هي فضولية مشغوفة بحب الاستطلاع ، واعجب ما في امرها ان الاخبار تسعى اليها وهي جالسة في عقـر دارها ، ومع اني لم استطع ان احدد على وجـه اليقين تلك المصادر التي تستقي منها الاخبار ، فلا يخالجني شـك في ان لديها (قلم مخابرات) خاصا بها وحــدها ، قوامه لفيف من الخدم والبـائعين المتنقلين ! » .

وقد تجد في الرواية هذه ، اشخاصا اخـرين يبرزون على غيرهم لكن البطلة « كارولي » تظل هي بطلة الابطال حتى توصد الرواية ابوابها ، ويقال : سلام !

(٢) هذان الرقمان اذاعهما راديو القاهرة ليلةوفاتها ، في حين اعلن راديو لندن في اكتوبر ١٩٧٠ ان رواياتها بلغت الاربعين ، حين احتفالهابعيد ميلادها الثمانين ، والفارق كبير بين الرقمين كما يلاحظ .

رائدة
الرواية البوليسية
المعاصرة

اجاتا كريستي

« الموت ياتي في النهاية »

هذا عنوان احدى روائع رواياتها ، وقد استقت مادتها خلال رحلتها مع زوجها الى آثار مصر القديمة . وهناك وقعت ملاحظتها على الواح طينية دونت عليها خطابات مصرية من عهد الاسرة الفرعونية الحادية عشرة تعود الى سنة (٢٠٠٠) ق ٠ م كانت قد عثرت عليها البعثة الاثرية الموفدة الى مصر سنة (١٩٣٠) من متحف «متروبوليتان» للفنون في نيويورك ، في مقبرة فرعونية تجاه « الاقصر » . وهذه الخطابات تتضمن جرائم وقعت في عائلة مصرية كانت تعيش في (طيبة) في ذلك الحين وقد وجدت « اجاتا » في ضالتها هذه مادة غزيرة لقصة تاريخية مثيرة ٠

وتمتاز هذه (الرواية) عن سابقاتها بالمفاجئات المتهالة سراعا ، وبالحبك المتين وصفا وحوارا حتى كانها تنقل القارىء عبر الفي سنة قبل الميلاد ليرى تلك الاسرة تجوس ديارا وتحكم بلادا . يضاف الى ذلك طابع الغرام الهادىء الدافىء فيها ٠

في الثمانين

واذ تحتفل السيدة بعيد ميلادها الثمانين عام ١٩٧٠ ، نراها تقدم هدية لقرائها وهي رواية جديدة بعنوان « مسافر الى فرانكفورت » Passenger to Francfort ،وقد استهوت افئدة قرائها الانكليز وظهرت نقدات تبرزها على ما سلفها من اعمال «كريستية» في ميدان الرواية٠

نهجها الفريد

تعتبر الكاتبة قاصة بوليسية بالفطرة حيث انها لم تنتحل ، في كل رواياتها ، لشخوصها الفلسفة ولا الغوص الفكري او العمق الادبي ، وانما تجد للخيال اجواءه الرحبة حيث تلتقي بالحلقات الجاسوسية الرهيبة وبالعصابات المتمرسة في الجريمة ، وهناك يزكم المخدر انفاسك . وتلاحظ الاغراء والتنويم المغناطيسي والسرقة الماهرة ،في حين تلتقي،بين الفينة والفينة برجال الخير وتقف امام الهمم الجبارة التواقة الى شيوع الفضيلة ، وعلى اية حال فانك تتنقل في اية رواية شئت من رواياتها بين الغرائز البشرية المتباينة المعروفة لكل ذي لب بصير ٠ ولا ريب أن هذه الموهبة الفذة هي التي ربعت « اجاتا » على عرش الرواية البوليسية وهي التي دعت زعماء الانكليز البارزين امثال«آتلي» و « ايدن » للاعراب عن اعجابهم بها ، وهو الذي حدا بالملكة « ماري » حين بلغت الثمانين ، أن تطلب تضمين شيء من تاليف « كريستي » في الحفلة التي وضعت فيها كعكة عيد ميلاد الملكة ، فكان من السيدة أن وضعت ـ خلال يومين ـ قصتها « الفئران الثلاثة العمياء » هدية لتلك المناسبة ٠

« المصيدة » رواية خالدة

بعد انتهاء عيد ميلاد الملكة شرعت السيدة « اجاتا » في كتابة مسرحية « المصيدة » مستنبطة اياها من روايتها « الفئران الثلاثة » السابقة ، حيث لاقت رواجا كبيرا خاصة على خشبة المسرح، حيث لا تزال تعرض وبنفس الاقبال منذ ثلاثة وعشرين عاما ، لتظهر الان على مسرح « السانت مارتن » قرب ميدان الطرف الاغر في لندن ٠

تطور رواياتها

من يتتبع جذور عمر كريستي وبيئتها ووضع المرأة انذاك ،يحسب انهذه العجوز العتية العمر،

ذات فكر رث تستمده من تقاليد الارواح البوالي اللواتي مررن عليها وتاثرت - كما أثرت - بها، لكنه سرعان ما يفجا بضد ماتخيل وحسب . فهي عصرية دائما تواكب ما يجد وتعكس مواكبتها تلك على ما تكتب ، ودليل بسيط على ذلك يجلي ما نذهب اليه ، فقصتها « مسافر الى فرانكفورت » التي ظهرت سنة ١٩٧٠ كما قلنا ، قد ضمنتها حوادث اختطاف الطائرات وهي حوادث اشتهرت في تلك الفترة .

مكانتها الادبية

ان ما ذكرناه من مكانة كريستي العالية ، متات من اخذها في عالمها ذاته ، وهو « الرواية البوليسية » ، اما حين ناخذها في الميدان الاشمل وهو « الادب » فحين ذلك لا توضع « آجاتا » في مصاف الشهيرات في الادب العالمي ، لانهن اديبات عالجن الادب معالجات فكرية وخضن ميادين الفلسفة والاجتماع بقلم نفاذ ، اما صاحبة الذكرى ،فهي قاصة بوليسية ، وليس لهذا اللون الروائي الى الان نصيب يذكر لدى نقاد الادب ، فهو مايزال رهينا بالرواج الشعبي حسب .

زيجتها

خلال الخمسة والثمانين عاما التي خلت ، تزوجت السيدة « آجاتا » مرتين فقط ، كان الزواج الاول قد انهار بعد مدة قصيرة من بدئه، وكان زوجها ضابطا صغير الرتبة هو الذي ظلت تحمل لقبه حتى موتها ، اي « كريستي » ، لان اسمها الحقيقي هو « اجاتا ميلر » .

والى هذا الفشل في الزيجة ، يعزو البعض سبب اختفاء السيدة امدا طويلا توارت فيه تماما . حتى عثر عليها في أحد الفنادق المجهولة مستعيرة اسما غير اسمها ، وفي ذلك الحين راحت الصحف تملق كمادتها على هذا الاختفاء بانه من وسائل الاعلام لانتشار رواياتها ،وهذا ظلم لان اختفاءها حل وهي تتمتع بمرموق الشهرة لدى الجمهور المثقف ، وليس ادل على ذلك من قلق روادها عليها واهتمامهم الشديد باحوالها حينما اختفت فشرعوا ببحث دءوب ومضن عنها حتى اكتشفوا مقرها ، وان لم تخل مثل هذه الحوادث من تالق اسمي لاصحابها .

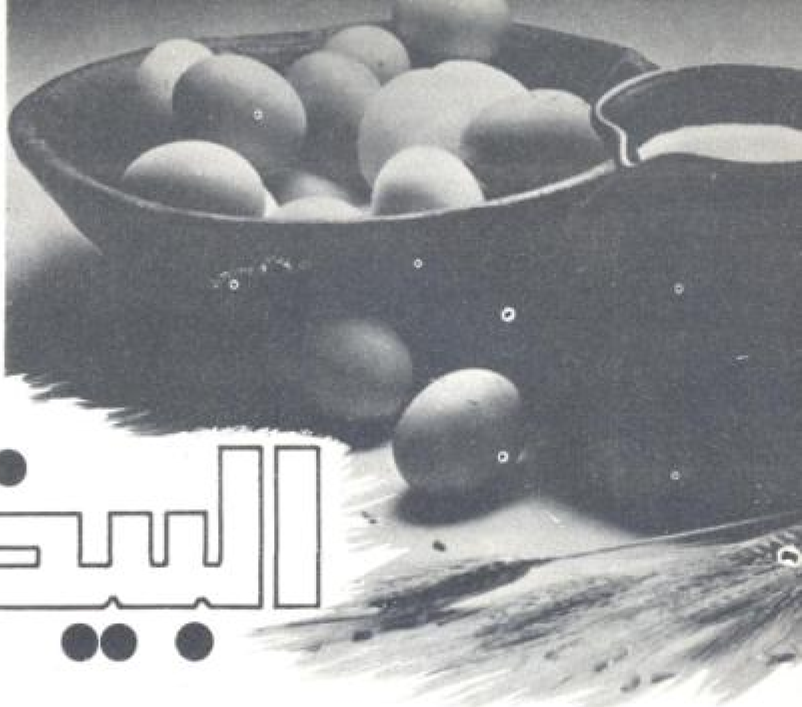
اما زيجتها الثانية فقد اقترنت بالاستاذ « ماكس مالوان » احد ائمة الحفريات الاثارية البارزين ، والعالم المتخصص بالاثار الشرقية بجامعة لندن ، وقد تشربت الكاتبة عنه حب الحفريات وشغفت بالاثار القديمة حتى اصبحت هوايتها الاثيرة لديها ، والتي تقضي بها اوقات ما بعد الانكباب على الكتابة .

وطبيعي أن يكون زوجها - بحكم عمله - كثير السفر الى الشرق الاوسط للقيام بحفريات واكتشافات خاصة باثار قدماء المصريين والاشوريين والبابليين وغيرهم ،وغالبا ما كان يصطحبها معه في جولاته تلك . وقد ذكرت سلفا أن روايتها « الموت ياتي في النهاية » قد استقتها من احدى جولاتها مع زوجها في « طيبة » احدى مناطق الاثار المصرية المهمة . وقد زارت معه مناطق الاثار في كل من العراق وسوريا الى جانب زياراتها لمصر الاثارية - وذلك قبل الحرب العالمية الاولى - اما مصر فقد زارتها سنة « ١٩٣٠ » .

اما بعد الحرب فقد عين زوجها مستشارا للشئون العربية في الحكومة البريطانية وهو الى سنة - ١٩٧٠ - كان يعمل مراسلا متجولا لمجمع عربي للغة العربية .

وحين تحتل الرواية البوليسية كرسيا في النقد الادبي ، ستحتل السيدة كريستي موقعا أروع ، فتكون رائدة هذا الميدان وصاحبة القدح المعلى فيه .

كربلاء - العراق - عدنان حمدان



البيض

رفيق الإنسان في الطفولة والشيخوخة

بقلم : حسان بدر الدين الكاتب

■ من الاسئلة التي يتساءلها عامة الناس•• البيضة من الدجاجة •• ام الدجاجة من البيضة ؟

وللاجابة على هذا السؤال لا بد من العودةالى الاصل الحقيقي لهذا الموضوع •• فالدجاجة هي الاصل والبيضة ناتجة عنها فهي وسيلة تكاثر لها •• والحقيقة ان الدخول في مثل هذا النقاش السفسطائي هو من قبيل التضليل وخلط السبب بالمسبب •• ولقد استطاع الانسان على مر العصور ان يدجن دجاج الغابة وان يحمله على تخصيص كل وقته لانتاج البيض حتى بات المتوسط السنوي لانتاج الدجاجة العادية هو مائتي بيضة على الاقل ، ورغم هذا فان احدا ما لم يتمكن من وضع حل مؤكد لمشكلة تكون الجنين في البيضة حتى اصبح تجار البيض يختارون البيض غير المخصب من الدجاج الصغير لتفادي تلك المشكلة • فالحرارة المرتفعة هي اهم الاسباب المؤديةالى حدوث تلك الاختلافات الكبيرة داخل البيضة ، سواء كانت البيضة مخصبة ام لا ، وهذه حقيقة عرفها تجار البيض فعمدوا الى جمعه اربع مرات يوميا ، ووضعه بسرعة في سلال من السلك داخل غرف التبريد ، قبل أن يضعوه في صناديق التعبئة والتصدير ، بعد اجراء الفحص اللازم له ، للتأكد من أنه خال من الشوائب التي تثير نفور المستهلك •

ولكن المختصين بفحص البيض كثيرا مايخطئون مما يؤدى الى سخط المستهلكين الذين تقع البيضة غير السليمة فى ايديهم ، وتبذل الان جهود كبيرة لصنع اجهزة بسيطة ورخيصة تعتمد على تعريض البيضة للنور وسط محيط مظلم ليستعملها تجار البيض ويتاكدوا من خلو البيض من بقع الدم والشوائب الاخرى التى كثيرا مايفاجا المستهلك بوجودها • ويعتقد أن الوراثة لها دور هام فى وجود بقع الدم فى البيض ، وهناك انواع من بيض الطيور تظهر فيها بقع الدم اكثر من غيرها . فما هى هذه البقع . ولماذا تظهر فى البيضة ؟ ••• قد يحدث أثناء تكون البيضة نزف دموى يؤدى الى وجود بقعة من الدم يتراوح حجمها مابين راس الدبوس او ملء ملعقة صغيرة من الدم نراها فى الاح او الزلال . مع أن هذا لايسبب اى ضرر على الاطلاق للمستهلك ، فانه يثير نفوره من البيضة كلها دون أن يفيد فى ازالة هذا النفور علمه ان اية شريحة لحم ياكلها تحتوى على كمية من الدم أكثر مما وجده فى البيضة . فوجود الدم فى البيض لايعنى بالنسبة للمستهلك سوى شيء واحد : ان فى البيضة جنينا ، لا اكثر ولا أقل •

ويمكن القول بان الدجاج يتناول نوعا واحدا من الغذاء ، لينتج بعده بيضا ذا قشر ابيض او أصفر او مائل الى السمرة • اما لون الاح (البياض) داخل البيضة ، فيتقرر وفق كمية الخضراوات التى تتناولها الدجاجة . وكان هناك اعتقاد سائد بان الاح الذى يميل الى اللون القاتم يشير الى ان الطائر الذى انتجه قد اكثر من تناول الخضر وبالتالى اودع البيضة مقادير اكثر من الفيتامين (آ ـ A) ، ولكن الراى السائد اليوم ان من المفضل عدم الاعتماد على البيض كمصدر لذلك الفيتامين • ومن الضرورى ان نشير هنا الى حقيقة علمية ثابتة وهى ان الاختلافات الكبيرة التى تقع فى تركيب البيضة من الداخل ليس لها ادنى تأثير على لون قشرتها . وهذه ناحية هامة يجب ان لاتغرب عن بال المستهلك الواعى •

أما اسباب تلك الاختلافات فلا علاقة لها ـ فى نظر الطبيعة ـ بان انسانا مايريد الحصول على مادة اساسية فى صنع كعكة لذيذة ، او طبق شهى ، لان الاساس الذى تقيم عليه الطبيعة انتاجها للبيض هو ـ بجملة واحدة ـ الرغبة فى انتاج طائر ، بوساطة بيضة مخصبة • ان البيضة المخصبة تحتاج الى حرارة مقدارها (١٠٤•) فهرنهايت ، اى مايقرب من حرارة الدجاجة نفسها . فاذا رقدت الدجاجة الام على البيض مدة ثلاثة اسابيع فقست البيضة واخرجت الى الدنيا دجاجة جديدة• على ان جرثومة الحياة لا تنتظر الحضانة فى الغالب ، فان حرارة تصل الى (٦٨) درجة فهرنهايت مايعادل (٤٠) درجة مئوية وايام الصيف كفيلة بتوفيرها ـ كافية لكى يبدأ الجنين بالتكون . ونستطيع بعد ثلاثين ساعة فى مثل هذه الحرارة ان نميز خفقان قلب الجنين الذى لن يفقس فى مثل هذه الظروف رغم حاجته الى مجال اوسع للحياة •

ان تكون البيضة هو ـ فى ذاته ـ قصة مثيرة تشهد بعظمة الخالق وبديع تكوينه •• فمنذ نزول المح (الصفار) من مكان تجمعه ودخوله الى قناة البيض (قناة فلوبيوس) تجرى عمليات تجمع واضافة مستمرة طوال الطريق • فالاح عبارة عن طبقات مركزة من مادة الغذاء التى يمتصها الجنين قبل خروجه من البيضة • ويحتوى الاح على مواد دهنية . وعلى ليفيتين Levetin وليستين Lecethin وفيتالين Vitallin وكوليسترو Cholesterow . بالاضافة الى المادة الملونة •• وجميع مركبات الحديد والفوسفور • والمح اى الصفار اكثر مافى البيضة من غذاء لانه يحوى اكثر المواد الحيوية الضرورية لغذاء الانسان، ومادتا الحديد والفوسفور موجودتان بشكل عضوى سهل الهضم والتمثل . وتداركهما عن طريق هذه المادة الغذائية اجدى وانفع من جميع مركبات

الحديد والفسفور المختلفة الاسماء . وعلاوة على ذلك فمح البيض يحوي اكثر انواع الفيتامينات المعروفة : آ ، ب ، ث ، د ، هـ .

اما المادة الطافية على سطح المح فهي حويصلة النطفة ، ومهما اديرت البيضة فانها تبقى على السطح ، ويمكننا تميزها عند فتح البيضة الطازجة على شكل بقعة ضاربة للبياض ، وان كان وجودها لايعني ان البيضة مخصبة بالضرورة، اذ لايمكن معرفة قدرة البيضة على الاخصاب من عدمها الا عند بدء عملية التفريخ ، ومتى تمكن العلم من معرفة مدة قدرة البيضة على الاخصاب قبل بدء العملية ، فان ذلك معناه انقلاب كامل في اسلوب بيع وشراء وتفقيس البيض ، مما يوفر اموالا طائلة تهدر الان على غير طائل بانتظار ان تقدم البيضة نفسها دليلها الحاسم مخصبة ام لا .

ان الزلال او الاح الذي يوجد في البيضة هو نتيجة ترسبات تحدث خلال مرور المح في الجزء العلوي الضيق من قناة فلوبيوس (قناة البويضات) وهذا الزلال يشكل الماء نسبة ٨٥٪ منه . وتكون الطبقات المترسبة الاولى كثيفة وعلى شكل زلالي مفتول كالنوابض لابقاء المح في مركز البيضة ، ولحمايته من التلف في حال تعرض البيضة لهزات عنيفة ، واذا كان البعض يظن ان هذه الطبقة الخيطية شوائب معيبة في البيضة فهذا الظن خاطىء ، لانها ليست ـ كما ذكرنا ـ الا جزءا من الزلال كثيفا بعض الشيء .

ونلاحظ أن الطبقة الثانية اقل كثافة من الاولى وتختلف عنها في أنها خالية من المادة الغرائية التي تسبب كثافة الطبقة الاولى ، ثم تليها طبقة كثيفة اخرى ثم طبقة غير كثيفة ، ثم غشاء رقيق . ويشغل الاح (البياض) معظم جوف البيضة .. وكلما تقادم على البيض تبخر الماء من الاح بسبب تمدد مسام القشرة وتخرب الطبقة الرقيقة الواقية . ويوم ولادة البيضة يكون الاح مالئا لجوفها والفراغ معدوما وفي خلال الاسبوع الاول يبدأ تشكل الجيب او الحويصلة . وتقع الحويصلة الهوائية في الجزء الاكبر من البيضة، فاذا كانت البيضة طازجة صعبت رؤيتها ،وكلما تقادم العهد عليها فقدت جزءا من رطوبتها فيزداد حجم الحويصلة الهوائية . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نعرف عمر البيضة من حجم الحويصلة الهوائية فاذا وضعت البيضة في الماء مع قليل من الملح وكانت الحويصلة الهوائية كبيرة طفت البيضة على السطح وهذا معناه ان البيضة قديمة ، أما اذا رسبت البيضة كان معنى ذلك ان البيضة طازجة لان الحويصلة الهوائية صغيرة .. وعند اختبارك للبيض تاكد من أن وجود بقعة دم صغيرة في الاح ليست ـ قطعا ـ دليلا على فساد البيضة ، اما اذا تعدت الاح الى المح فيفضل الا تتناول تلك البيضة ، اما اختلاط الاح بالمح فليس فيه مايضير الاكل وان كان لا يثير شهيته لتناول البيضة .

أما الروائح وربما العطور ـ التي قد نجدها في مذاق البيضة فليست الدجاجة هي المسئولة عنها كما قد يعتقد البعض وانما البيضة نفسها هي المسئولة اذ تمتص تلك الروائح مما يحيط بها في السوق او البراد تماما كما يحدث في الحليب او القشدة ، كما ان لطعام الدجاجة اثرا بسيطا جدا فيه .

ولكي نعرف عمر البيضة بالدقة تذاب ملعقة ملح صغيرة في كوب ماء كبير ، فان غاصت البيضة الى القاع فهي حديثة لم يبلغ عمرها عشرة ايام ، وان سبحت فعمرها دون العشرين يوما ، وان طفت على وجهه فقد جاوزت ثلاثة اسابيع .

والقسم الاخير هو القشر ويتكون من فحمات الكلس والمانيزا وليس له فائدة غذائية تذكر . ولا تزن القشرة اكثر من عشر وزن البيضة الكاملة . وفي القشرة مسامات كثيرة . ولكن هذه المسامات مغطاة بطبقة هلامية رقيقة تحول دون نفوذ الهواء والجراثيم الى داخل البيضة .وزوال هذه الطبقة يستدعي فساد البيضة .لذلك فكثرة لمس البيض ونقله او غسله بالماء ومسحه ، يسبب زوال الطبقة الهلامية فدخول الجراثيم ففساد محتوى البيضة . ويفسد البيض ايضا اذا وضع في الامكنة الرطبة .

• والبيض والحليب من اهم الاغذية واكثرها غنى بالفيتامين (د) . وفي كثير جدا من الحالات يرافق هذا الغذاء الانسان في مختلف مراحل حياته من طفولته حتى شيخوخته . ونظرا لغنى البيض

بالاملاح المعدنية وقلة مردوده الحرارى فانه يوصف لمن يتبعون نظاما خاصا لتقليل الوزن ، الا ان تناول البيض مع الجبن والقشدة والسكر يفقده خاصيته تلك نظرا لاحتواء الاغذية الاخرى على قدرة حرارية عالية •

ويلاحظ مما تقدم فائدة البيض كمادة غذائية حيوية لان جميع عناصره قابلة للامتصاص وسهلة التمثل وهو يعادل اللحم فى قوة غذائه، بل يفوقه بوجود بعض عناصر غير موجودة فى اللحـــوم واسهل انواعه هضما النوع المسمى (نيمبرشت) والنوع المسلوق اسهل هضما من المقلي ،ويتحمل الرضيع البيض ، وتتقبله معدته كمادة مقوية غذائية عندما يبلغ الشهر التاسع من عمره •

ومع كل ذلك يجب ان لا يؤخذ القول بفائدة البيض اطلاقا فيتهالك كل انســـان على تناوله بقصد التقوية فلهذه المادة الغذائية مضار كما لها فوائد• ويجب أن لايقسر المرء نفسه على شرب البيض ان كانت تعافه معدته ، فكسرة خبز مع بعض زيتونات تؤكل بنهم وشهية ادعى للصحة وافيد من اتخام المعدة بمواد تمجها الامعاء، وتتقزز منها النفس • وليست العبرة فى تناول الاطعمة بالكم بل بالــكيف ، فالاكثـار من اية مـــادة ، يسبب ارهاق المعدة واتعابها ، ويربك الكبد ويزعجها ، وقد يؤدى الى تفـــخات وتخمـرات ينقلب معها الطعام سما زعافا •

ويحـذر المصابـون بامراض الكبـد وتصلب الشرايين والذين يشكون حصاة المرارة والمصابون بالتهابات الكلى من أكل البيض لان هذه المـادة الغذائية تعمل عندئذ فى اجسامهم تخريبا وتنكيلا! وقد جـاء فى احدى الاحصـاءات الامريكيـة ان استهلاك الفرد العادى من البيض يبلغ (٤٠٧) بيضات فى العام ، يقابل هذا المعدل (٣٥٠) بيضة سنويا منذ عشر سنوات ، ويمكن القول ان نسبة ارتفاع استهلاك البيض سائدة فى بلاد العالم كله ، نظرا للتوسع فى انتاجه ، والتفنن فى حفظه وتسويقه • ولما كانت الحرارة هى الد اعداء البيض ، فيجب علينا حفظه دائما فى وسط بارد ، وقد عرف فلاحونا ذلك بالتجربة فاعتادوا على حفظ البيض داخل طبقات من التبن الجاف الذى يقيه شر الرطوبة والحرارة ، ويحول دون تمزق الطبقة الهلامية التى تغلفه ، اما عندما نبتاعه فيجب ان نضعه فى البراد فورا •

وقد اتبعت طريقـة لحفظ البيض فى الشرق بواسطة تكليسه ٠٠ وترتكز هـذه الطريقة على وضع البيض المراد حفظه فى ماء الكلس مدة من الزمن تكفى لترسيب ذرات الكلس الدقيقة على القشر فتسد المسامات • وبذلك يؤمن من دخول الهواء والجراثيم الى محتوى البيضة ، ولكن هذه الطريقة تجعل القشر قاسيا قليل المرونة يتشقق ويتكسر فى حالة سلق البيض ، وقد عرف ذلك ــ بالخبرة والمران ــ طباخـو المطاعم ، لذلك فهم يتعمدون اجراء ثقوب صغيرة بالدبوس على القطب الكبير للبيض المكلس قبل وضعه بالماء فيحولوا بهذا دون تكسره وتشققه •

والخلاصة ان البروتين الموجود فى البيض ، هو نفسه البروتين الموجود فى اللحم والحليب ويزيد البيض فى مزاياه انه حاو لمقدار من الحديد اكثر مما يحتوى الكلس من الكلسيوم • ولدن مخزون الحليب من الكلسيوم أكثر مما هو فى البيض ، وهنا يجدر بنا ان نشير الى خطأ شعبى شائع ، يجعل كثيرين يعمدون الى سحق قشور البيض وتناولها كسفوف ظنا منهم انهم بذلك يتناولون « كلسيوم » مركزا ، والواقع ان الكلسيوم الذى تحتوى عليه قشرة البيضة غير قابل للتمثل والهضم، وليست له فائدة سوى حفظ البيضة من العوامل الخارجية •

وانه منذ فجر التاريخ والبيض يتمتع باهتمام الانسان واحترامه وثقته ٠٠ يستوى فى ذلك بيض السلحفاة او بيض الدجاج البرى • فلقد كان البيض غذاء رئيسيـا من اغذيـة الانسان على مختلف مستوياته الذى كان يلتهم ما يصل اليه منه دون فكرة مسبقة عما يحويه أو تمييز فى الفـوارق بين نوع ونوع • والى جانب غرض التغذية كان الانسان القبلى يحيط البيض بمسحة من الصوفية ، فنان العراقون يعتبرونه ثمرة من اصدقائهم الحيوانات ذات الريش ، وكانت بعض معتقداتهم واديانهم تكرسه كرمز من رموز الحياة•

■■

دمشق ــ حسان بدر الدين الكاتب

المصــــدَرُ

هــل يثنى ويجمع ؟ ومـتى ؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ ليس فى تاريخ ادبنا العربى شاعر أثير حوله من العواصف الغبراء بالحق وبالباطل ما اثير حول شاعرنا الكبير ابى الطيب المتنبى ، او امتحن مثله بكثرة الخصوم والحساد ، وتتبعهم له بالطعن والكياد ، ومن أسباب ذلك عبقرية شعره وصلابة شخصيته ، واستعلاؤه فى سلوكه، ثم تغنيه فى جملة قصائده بعلو نفسه وفوفان شعره مفتخرا متحديا .

وقد عاش فى أخريات حياته العاصفة المأساوية سنوات فى مصر الى جوار كافور ، الحاكم المطلق للدولة الاخشيدية التى كانت تشمل مصر وأقطارا اخرى . وحدث خلال ذلك أن بنى كافور لنفسه وحاشيته قصرا باذخا ، فلما انتقل اليه جاءه شعراؤه ــ كعادة أمثالهم مع أمثاله ــ فهنئوه وعظموا عمله ومجدوه الا شاعره الأثير المتنبى فقد لزم الصمت، حتى اضطر كافور الى استدراجه بالعتاب اللين فنظوله قصيدته الرائعة التى بدأها متواضعا فى انفه ، واعتذر اليه عن تاخر تهنئته بعذرين يشرفانهما معا ، مودته لكافور واستقلاله كل بناء فى جانب مجده : فقال فى مطلعها : ــ

انمـا التهنـئـات لـلاكـفـاء
ولـمـن يـدنـى مـن البـعـداء
وأنا منك لا يهنىء عضـــو
بالمسرات سائـر الاعضـاء
مستقل لـك الديار وان كـا
ن نجومـا آجـر هـذا البناء

وبعد أن مدحه خلال القصيدة ، وفخر فيها بنفسه كعادته ختمها بقوله : ــ

وفؤادى من الملـوك وان كا
ن لسانى يرى من الشعراء

بين المتنبى ولغوى فى مجلس كافور

قيل : ان أحد خصوم المتنبى فى المجلس بادر بتخطئته فى مطلع القصيدة ، لقوله « التهنئات » واحتج بان « تهنئة » مصدر والمصدر لايجمع . وما أسرع ما انقضت عليه « القارعة » من حيث لا يحتسب هو أو أحد من أهل المجلس ، فان المتنبى ــ احتقارا له ــ لم يتجه اليه بالخطاب ، بل اتجه الى من حوله وسأل « أليس هذا الرجل مسلما ؟ » فدهشوا لهذا السؤال العجيب ، اذ ما العلاقة بين اسلام الرجل ، وتخطئته لكلمة التهنئات ؟ واكد المتنبى القول بسؤال اخر يشير الى الجواب « ألا يقرأ هذا الرجل التشهد فى صلاته ؟» ولتوضيح هذا الجواب العاسم المسكت، نشير الى ان الصلوات المفروضة على المسلم خمس فى اليوم ، تتكرر فيها قراءة التشهد ، مرة فى الصبح ومرتين فى كل من الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أى تسع مرات فى الصلوات المفروضة وحدها ثم تتكرر قراءته فى كل صلاة من النوافل (الزوائد) التى تقل او تكثر يوميا فى نهار او ليل . والتشهد يبدأ هكذا « التحيات لله ..» وقد جمعت فيه « تحية » ــ وهى مصدر ــ على « تحيات » كما جمع المتنبى « تهنئة » ــ وهى مصدر أيضا ــ على « تهنئات » فحجة الخصم

داحضة . وتخطئته دليل جهل أو غفلة . وتعجله بها دليل خفة لا تليق بمن يكون فى هذا المجلس الملوكى الرفيع الذى يجمع طائفة من أولى البصائر . فالخصم المعترض ليس أهلا ليتبوأ مكانا فى هذا المجلس،لخفته ، ولجهله أو غفلته·

عبرة لأولى الالباب

واذا كان الظن بالرجل هنا أنه فى اعتراضه لم يؤت من جهله بالتشهد ،وفيه كلمة « التحيات » – فلا شك أنه اتى من غفلة ، لانه لم يقف عند كلمة «التحيات» ليعرف أولا انها جمع «تحية» . وتحية مصدر . فيفطن الى أن بعض المصادر قد تجمع ولو احيانا . فاذا جمع أمثالها لم يكن ذلك خطأ . وليعرف ثانيا أن قول بعض علمائنا « ان المصادر لا تثنى ولا تجمع » قول يحتاج الى مراجعة وتفصيل . لانه غير مطرد فى كل مصدر، وهكذا يزل بعض العلماء عن جهل أحيانا ، وعن غفلة احيانا . ولا يلجأ العلماء الامناء الى المغالطة ولو فى الخصومات . لانهم طلاب حق . والحق فوق كل البشر . فاذا ظهر كان العلماء اسرع الناس خضوعا له وترحيبا به ، ولو أبطل آراءهم السابقة ·

وانما يزل العلماء لتقصيرهم فى استقراء ظواهر الحياة فيما نصبوا انفسهم له من مجالات المعرفة ، ولتسرعهم فى وضع القواعد استنباطا من بعض الظواهر مع جهلهم بظواهر أخرى . أو لانهم يمرون على الظواهر وهم عنها معرضون . ولو انتبهوا اليها وتاملوها لم تعجزهم معرفة سلوكها وخصائصها فى يسر او جهد . فالجهل والغفلة يعرضان للعلماء وغير العلماء وان كان لايستوى هؤلاء وهؤلاء ·

ونحن–علماء وغير علماء–لانحيط معرفه ولاخبرا بكل الكلمات والتراكيب والنظم ونحوها من ظواهر فى اللغة التى نتكلمها مهما نتوسع فى الاطلاع عليها ، وان تكن لغة الام او اللغة الام ، ومثلنا كمثل خصم المتنبى هنا ، ولكن دون خصومة ·

فاننا فى حياتنا اليومية نقرا ونسمع ، بل نتكلم ونكتب عشرات بل مئات من الكلمات التى هى جموع مصادر ومع ذلك نسلم بقاعدة أن المصادر لا تثنى ولا تجمع . وكان من الافضل ان نتامل هذه الامثلة التى تعد بالمئات فى الفصيحة – ونحن نمر عليها يوميا – لنعرف ما فى هذه القاعدة من خطأ او صواب . واقل مانعرف انها قاعدة غير مطردة،لخروج مئات الامثلة عنها . وهذا كاف للحكم بانها لا تخلو من خطا . وان كانت – كما سنبين هنا – لا تخلو من صواب ·

ولكى نمضى فى طريق الصواب الى مسالة المصدر تثنية وجمعا ،جوازا أومنعا ،علينا ان نحاول جمع ما نستطيع من أشتاتها . ومقاربة أغوارها . ولكن علينا هنا التزام الايجاز والتبسيط اللذين يناسبان هذه العجالة كدأبنا فى هذه الصفحات اللغوية ·

ما المصـدر ؟

بعض الاسماء تدل على اشياء محسوسة ، او تدخل فى حيز الحس ، مثل : نجم . غصن . اسد . رجل . ويسمى كل منها « اسم ذات » وبعض الاسماء تدل على معان تدرك بالعقل المحض (١) مثل : فتح . خروج . جمال . شجاعة ويسمى كل منها « اسم معنى » . او المصدر . فالمصدر يدل على حدث مجرد . غير مقيد بزمانه ولا مكانه . ولا هيئة حدوثه او مرات حدوثه . ولا على من أحدثه او اتصف به . ولا من وقع الحدث عليه . فهو مطلق من كل القيود والعلاقات . ولهذا يسمى فى بعض اللغات الاخرى بما يدل على « المطلق » او اللامحدود مثل فى infinitive فى الانجليزية . و Infinitif فى الفرنسية (٢) ·

(١) لا عبرة هنا بما أثير من خلاف حول ما اذاكان لهذه المعانى وغيرها من الكليات – وجود فى الخارج . أو لا وجود لها الا فى الذهن وهذاالخلاف قديم منذ افلاطون وارسطو حتى الوجوديين فى العصر الحاضر ·

(٢) انظر « صفحة لغوية » عنوانها « المصدرالصناعى » · مجلة العربى ١٩٣ فى ديسمبر١٩٧٤

انواع المصادر

المصدر ثلاثة انواع: اصلي ، وميمي ،وصناعي وكل منها (٣) ياتي على اوزان كثيرة لا يعنينا هنا بيانها .

١ ـ فالمصدر الاصلي يدل على معنى ، ولا علامة له لفظية ،ومن امثلته : نصر ، تجارة ، جلوس ، عفاف ، عروبة ، زئير ، نضارة ، بصر.

٢ ـ والمصدر الميمي يدل على معنى ، وعلامته زيادة ميم في اوله على حرف فعله ،ولهذا يسمى « ميميا » ، مثل مسعى ، ومسعاة (والاصل«سعى») ومندم ، ومندمة (والفعل « ندم ») ومفاز (الماضي « فاز ») فيقال « مسعاك حميد واشكر لك مسعاتك و« ندمت ولات ساعة مندم » و « الظلم مندمة » و « ان للمتقين مفازا » .

٣) والمصدر الصناعي يدل على معنى ،وعلامته زيادة ياء مشددة وتاء تانيث في آخره على الكلمة التي يصنع منها ، ولذلك يسمى صناعيا ،وهو يصنع من كلمات ذات انواع شتى عربية وغير عربية ، ومن امثلته : جاهلية ، عبقرية ،وجودية هرقلية دكتاتورية ، رومانسية .

واذا نظرنا الى دلالة المصدر على الحدث المجرد من شتى القيود والعلاقات لم نجد ما يدعو الى تثنيته او جمعه ، لانه شامل الدلالة على معناه مطلقا ، ومن هذا الوجه كان قول علمائنا « ان المصدر لا يثنى ولا يجمع » قولا صحيحا .

ودعما لحجة علمائنا بحجة من قبيلها تشير الى ان العرب استعملوا بعض الاوصاف كانها مصادر، فلم يثنوها ولم يجمعوها ، فكل منها يبقى على صيغته الاولى مفردا سواء كان الموصوف مفردا او مثنى او جمعا ، مذكرا او مؤنثا ، مثل صديق ، وقريب ، وجديد ، فيقال هو صديق ، وهي صديق ، وهما ، او هم ، او هن صديق، فلا مطابقة بين الصفة والموصوف في العدد ولا الجنس ، ومن امثلة ذلك في القران الكريم « ان رحمة الله قريب من المحسنين »ولم يقل«قريبة» وقول شاعرنا كثير عزة :

« الا ليت ايام الشباب جديد
ودهرا تولى ـ يا بثين ـ يعود

ولم يقل « جديدة » وليست الضرورة الشعرية هي السبب ، لان ذلك جائز في النثر ايضا ، كما وضحنا ذلك هنا مع كلمة صديق . وتفسير علمائنا لهذه الظاهرة هو ان هذه الكلمات جاءت على وزن المصدر ، فتعامل مثله ، وان لم تكن مصادر .

المصدر ، مفعولا مطلقا

ولكن لننظر الى المصدر من وجهة اخرى ، هي تنوعه وتكرار حدوثه ، ويحسن بنا هنا ان نستانس بما تعلمناه في درس المفعول المطلق ليزداد الامر وضوحا ، فنحن نعرف ان ما يسمى « المفعول المطلق » مصدر يذكر بعد الفعل لسبب من ثلاثة :

١ ـ تاكيد فعله ، مثل : شرحت القصيدة شرحا .

٢ ـ بيان نوعه : مثل شرحت القصيدة شرحا واضحا ، أو مطولا ، أو أدبيا ، أو لغويا ، او شرحتها شرح الادباء ، أو شرح اللغويين .

٣ ـ بيان عدده (مرات حدوثه) ، مثل : شرحت القصيدة شرحين ، أو شروحا ثلاثة ، والمصدر اذا كان مؤكدا لفعله كان هو « المطلق » حقا ، فلا وجه لتثنيته أو جمعه ، ولكنه حين يكون مبينا لنوعه أو عدده لم يكن هو « المطلق » بل يكون مقيدا بنوعه أو عدده ، وهذا يدل على أن لهذا المصدر اكثر من نوع ، واكثر من مرة ، فكلا هذين المصدرين ـ اذن ـ قد خرج من الاطلاق والشمول الى التقييد والتحديد ، وتنوعه وتعدده يجعلانه قابلا للتثنية والجمع .

اسم المرة واسم الهيئة

ونعود لنتذكر درسا آخر نعرفه ، هو « اسم المرة واسم الهيئة » لنكون اوسع احاطة بموضوع المصدر تثنية وجمعا ، وأولهما يسمى « اسم المرة » لدلالته على وقوع الحدث مرة واحدة (وهو يصاغ من الافعال الثلاثية والرباعية

(٣) سنأتي هنا على نوعين اخرين من الاسماء ،هما « اسم المرة » و « اسم الهيئة » وعلماؤنا يسمون كلا من هذين النوعين مصدرا ، وهي تسمية غير دقيقة ، أو تجوزية ، كما ستبين .

والخماسية والسداسية (٤) والثاني يسمى اسم الهيئة ، لدلالته على الهيئة أو الصورة التي وقع بها الحدث (وهو لا يصاغ الا من الفعل الثلاثي) فاحدهما مقيد بعدد ، وثانيهما مقيد بهيئة ، ومع ذلك يعتبر علماؤنا كلا من هذين الاسمين مصدرا وهي تسمية غيردقيقة ، نحن نقبلها مع فيها من تجوز ، مادامت مصطلحا شائعا . ولكن لا بد من معرفة ما فيها من مجاوزة لتعريف المصدر ، حتى لا تختلط علينا التعريفات وحدود دلالتها ، فتقع في متاهات ، ولا يعنينا هنا أن نذكر كيف يصاغ كلاهما من فعله.ونكتفي بتحليل مثال واحد لكل من الاسمين ، لاستكمال وجهتنا في الموضوع ٠

مثال اسم المرة « جلست جلسة » أي واحدة ، و « حضرنا جلستين في الندوة » و « عقدت المحكمة جلسات عدة ، أو جلسات أربعا » و « كانت لنا على الشاطىء جلستان أو جلسات عدة ، (كلها بفتح الجيم) ،فعدد الجلسات محدد في بعض هذه الجمل ، وبعضها غير محدد ولكنه يدل على جمع ٠ ومثال اسم الهيئة « جلس الطفل جلسة الخائف » و « لكل امرىء جلستان : جلسة عمل وجلسة راحة » ، ولهذا الشاب جلسات ثلاث : ملائكية وحيوانية وشيطانية » ٠ (كلها بكسر الجيم) فكل من الاسمين قدلنى وجمع بحسب عدد مراته ، وتنوع هيئاته ، والمصدر في كل ذلك قد خرج عن اطلاقه وشموله ، فصار مقيدا محدودا ، وهذا ما يبرر تثنيته وجمعه ٠

استعمال المصدر كأنه مشتق

وكثيرا ما يستعمل المصدر كأنه مشتق (اسم فاعل أو صفة مشبهة مثلا) ، فيبقى هذا المصدر على افراده (اتباعا لاصله) ، أو نثنيه ونجمعه اذا ساغ حين يكون موصوفه مثنى او جمعا (اتباعا لقاعدة « مطابقة الصفة للموصوف عددا) فنقول في الحالة الاولى : القاضي عدل ، والقاضية عدل ، أي عادلة ، وكذلك « القاضيان أو القاضيتان ، أو القضاة أو القاضيات - عدل » ، ونقول في الحالة الثانية القاضي او القاضية عدل ، والقاضيان او القاضيتان عدلان،والقضاة أو القاضيات عدول٠

ومثال آخر للحالة الاولى : « الطبيب رحمة » أي رحيم ، « والطبيبة رحمة » أي رحيمة ، وكذلك « الطبيبان أو الطبيبتان أو الاطباء أو الطبيبات - رحمة » ، ومثال آخر للحالة الثانية : الطبيب أو الطبيبة رحمة ، والطبيبان أو الطبيبتان رحمتان ، والاطباء أو الطبيبات رحمات ٠

وقد مثلنا هنا لمصدرين : احدهما مذكر (عدل) والاخر مؤنث (رحمة) وكلاهما في الامثلة استعمل كالمشتق في الدلالة على الوصف٠

دلالة المصدر على ما حدث لا على الحدث

ويتصل بما تقدم أن المصدر قد يستعمل في الدلالة على ما حدث لا على الحدث ،او على المعمول لا العمل ، فيفقد مصدريته في الدلالة ، وان بقي على حاله لفظا ، وهذا ما يسميه علماؤنا «استعمال المصدر اسما » مثال ذلك كلمة « غرس » فهي مصدر يدل على معنى ذهني في قولنا « غرست الشجرة غرسا » ولكنها اسم ذات يدرك بالحس حين نقول : « الشجرة غرسي » أي مغروسي ، أو الشيء الذي غرسته ، ومثل ذلك من المصادر المتحولة : « بناء » للشيء المبني ، و « رسم » للشيء المرسوم ، و « اعانة » للمعونة و « رواية »للمروي ، و« قول ، مقال ، مقالة » للشيء المقول ، و « علم » للمعلوم ، ومن هنا يجوز تثنية كل اسم من هذه الاسماء وجمعه ، فيقال : في الحديقة غرسان ، أو « غروس » ونقول اخيرا : علم علمان علوم ، لان المعلومات تتنوع فمعلومات جغرافية ، وثانية تاريخية ، واخرى حسابية ، أو هندسية ، أو كيميائية ، أو فلكية ،

ولكن كيف يثنى المصدر ويجمع ، وكذلك اسم المصدر ؟ الجواب يحتاج الى صفحة مستقلة ٠

■■

محمد خليفة التونسي

---

(٤) نكتفي هنا بذكر بعض الامثلة لاسم المرة من كل نوع من هذه الافعال : فتح فتحة ، أقدم اقدامة ، انعطف انعطافة ، استبشر استبشارة ،ومن السهل تثنية كل اسم هنا ، فنقول : فتحتين، اقدامتين ، انعطافتين ، استبشارتين ، وكذلك يجمع كل منها جمع مؤنث سالما ، لانه مختوم بتاء التأنيث ، فنقول : فتحات ، اقدامات ، انعطافات،استبشارات ٠

فارس المحبّر

ضِرار بن الأزوَر

بقلم : احمد عادل كمال

هو صحابى شاب من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفارس من المجاهدين المعدودين في سبيل الله ، وبطل من قادة الوحدات المحاربة من المسلمين في حروب الردة وفي فتوح العراق والشام . كان فذا في بطولته حتى نسجت من حوله الخرافات والاساطير كما فعل القصاص بسيرة عنترة بن شداد العبسي وأبي زيد الهلالي . كذلك كان ضرار شاعرا مطبوعا يترنم شعره بانتصاراته وبطولاته ، وكان له حصان من مشاهير خيل العرب اسمه المحبّر فكان يقال لضرار « فارس المحبّر » .

■ هو ضرار بن الازور (وهو مالك) بن اوس ابن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن اسد بن خزيمة . واكثر النسابين على أن ضرارا كان يكنى أبا الازور وبعضهم يكنيه أبا بلال ، وليس يعنينا هذا في شيء أكثر من أنه كان لضرار ولدان على الاقل ، الازور وبلال ولكننا لا نعرف عن اى منهما شيئا . كذلك لا نعرف عن زوجه سوى ما حفظه لنا قوله حين وفد على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقالت جميلة شتتنا
وطرحت أهلك شتى شمالا

اما اخته خولة بنت الازور المذكورة كثيرا فى كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدى مقترنة ببطولات اخيها الاسطورية ، فنذهب الى انها شخصية خيالية بحتة والى انها لم يكن لها وجود ، فقد تقصينا عن اى ذكر لها فى تاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ وتاريخ فتوح الشام وتاريخ دمشق وفتوح البلدان والطبقات الكبرى واسد الغابة والاصابة والاستيعاب وعيون الاخبار والمعارف وغيرها من المراجع فلم نقف لها فيها على اى ذكر . وفى رواية عنها فى هذا الكتاب « فتوح الشام » أن اباهما قتل بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيه ايضا على لسان خالد بن الوليد أن اباه وجده قتيلا فى المعركة ، ويبدو أن هذا وذاك ايضا غير صحيح فلم نقف بين اسماء الصحابة على الازور بن اوس او مالك بن اوس .

صحبته واسلامه

قال البخارى وابن حيان وابو حاتم وابن حزم: له صحبة . فقد اجتمعت بنو أسد على ان يرسلوا

وفدا الي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبعثوا الحضرمي بن عامر وضرار بن الازور وابا مكعت وسلمة بن حبيش ومعهم قوم من بني الزنية (والزنية) هي سلمى بنت مالك بن غنم بن دودان ابن اسد ام مالك بن مالك ولذلك يقال لولده بنو الزنية .وحضرمي منهم .ويذكر ابن القيم انهم كانوا عشرة فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ٠ فلما جاءوا المدينة كان حضرمي هو متحدثهم ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس مع اصحابه في المسجد ٠

قال : يامحمد ، انا اتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء (مجدبة) ولم ترسل الينا ، ونحن منك تجمعنا خزيمة ٠ نحن احلاس الخيل ، حمانا منيع ونساؤنا مواجد (يحببن ازواجهن) وابناؤنا انجاد امجاد ٠

فدعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الاسلام فقالوا : « نسلم على ان صدقات اموالنا لفقرائنا وان استنت بلادنا (اجدبت) رحلنا الى غيرها » ٠ فاسلموا وبايعوا ٠ وانزل الله فيهم قوله من سورة الحجرات « يمنون عليك ان اسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين»٠

وسالهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « افيكم من يقول الشعر ؟ » فانشده الحضرمي



ابياتا كانها لم تعجبه فقال له « تعلم القران » · وكان ضرار ثريا في قومه وكان له حين قدم على رسول الله الف بعير برعاتها ، فاخبره بما خلف وراءه وقد تركه كله ، وقال يارسول الله قدقلت شعرا · وكان - صلى الله عليه وسلم - يحب سماع الشعر الجيد فقال « هيه » · قال ضرار :

خلعت القداح وعزف القيا
ن والخمر اشربها والثمالا

وكري المحبر في غمرة
وجهدي على المسلمين القتالا

وقالت جميلة شتتنا
وطرحت اهلك شتى شمالا

فيارب لا اغبنن صفقتي
فقد بعت اهلي ومالي بدالا

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « ماغبنت صفقتك ياضرار » ·

والابيات تعني ان ضرارا كان له قبل اسلامه نصيب من الميسر والنساء وادمان الخمر حتى الثمالة وشدته على المسلمين ، وانه باسلامه قد ترك ذلك كله رغم معارضة جميلة - التي لا نراها الا ان تكون زوجته - اعترضت بانه شتت اهله وفرقهم بترك منازل قومه وهجرته الى المدينة ·

بطل حروب الردة

استقر ضرار في المدينة اذن ، حتى انتقل النبي - صلى الله عليه وسلم - الى الرفيق الاعلى ، ثم اندلعت حروب الردة ، عندئذ وجدنا ضرارا فارسا مبرزا في اهم تلك الجيوش التي اخرجها ابو بكر من المدينة فاضطلع باكبر قدر من مسئولية قمع ذلك التمرد ·· كان ضرار في جيش خالد بن الوليد وتردد ذكره في عملياته مرارا ·

كان على ذلك الجيش ان يتولى تصفية الردة في بني طيء حلفاء بني اسد ، ثم في بني اسد قبيلة ضرار ثم لدى جيرانها من بني تميم ثم في بني حنيفة · واستطاع عدي بن حاتم ان يرد طيئا عن ردتها بدون قتال فانحازت الى خالد وساروا جميعا الى بزاخة حيث هزموا طليحة بن خويلد زعيم ردة بني اسد · وكان لضرار اخ يسمى عبد الرحمن ، يقيم ببلاد قومه وقد ثبت على اسلامه فانشد قصيدته التي مطلعها

قد قلت للمرء الشقيق ضرار
طال البكاء لفرقة الانصار

ومما يدلنا على مكانة ضرار في جيش خالد ان مهلهل بن زيد الخيل الطائي ارسل اليه والجيش في الطريق الى منازل بني اسد يقول له « في حال محاربة طليحة - ان طليحة دهمكم - فاعلمني فان معي حد العرب ونحن بالاكثار بحيال فيد » · وسار ضرار مع خالد حتى اعاد الامن والسلام الى ربوع بني اسد واقتص ممن نكل بالمسلمين ·

ثم ساروا الى بطاح بني تميم حيث تزعم ردتها مالك ابن نويرة ، ولكنهم وجدوا مالكا قد عدل عن حركته وفض جموعه والقى السلاح ، فبث السرايا فلقيت سرية ضرار بن الازور مالكا فاسره وجماعة معه · اتى ضرار خالدا بهؤلاء الاسرى فوقع ذلك الحدث الذي اثار عمر بن الخطاب على خالد وما زال يثير الجدل بين الكتاب من حين الى اخر ، فقد ضرب عنق مالك بن نويرة · ولن نتفرع في مقالنا هذا عما ثار حول هذا الحادث ولكن نكتفي بالقول ان خالدا كان صاحب الامر بقتل مالك وهو الذي تحمل مسئوليته امام الله وامام ابي بكر ثم امام التاريخ ، واختبأ او كاد اسم ضرار بن الازور ، فقد كان ضرار هو الذي اسر مالكا وهو الذي ضرب عنقه بيده انفاذا لامر خالد ، يمكن القول ان ضرارا انما كان جنديا ينفذ امر قائده ولا شان له بصوابه او خطئه وانه لو فتح الباب لكل جندي كي يناقش مايصدر له من اوامر لما تحركت جيوش ولا خاضت معارك · نعم ··· ولكننا نجد من جند خالد من قد اعترض واشتد في نقده حتى ترك خالدا في جيشه وعاد الى المدينة يشكوه الى الخليفة · ونذهب في هذا الشان الى ان ضرارا كان يهوى هوى خالد وجميع الاخبار تشير الى ان الرجلين - بالاضافة الى زمالة السلاح ورفقة الجهاد في سبيل الله - كانا صديقين حميمين تلازما فلم يفترقا الى اخر مانعرف من اخبارهما المعتمدة ·

وانطلقا ·· ضرار وخالد نحو مسيلمة الكذاب فكانت موقعة عقرباء باليمامة هي اعنف معارك حروب الردة قاطبة · كان لمسيلمة التفوق العددي وكان في دياره وبين حصونه ، وكان يبدا المسلمين بالهجوم فاذا كر المسلمون صمد معه اصحابه وقتلوا

دونه . واستشهد مئات من الصحابة ومن حفاظ القرآن حتى خيف على القرآن الضياع بضياع حفاظه بعد تلك المعركة ، فكانت من اسباب جمع القرآن على عهد ابي بكر .

متى توفي ضرار

وهنا تذهب بعض الروايات الى أن ضرارا قد استشهد في هذه المعركة . نقل هذا كثير من الرواة عن الواقدي .

ولكن بين ايدينا اليوم كتاب « فتوح الشام » المنسوب الى الواقدي يمتلىء بالاقاصيص الاسطورية عن ضرار بن الازور في فتوح الشام التي كانت في ترتيبها الزمني بعد حروب الردة ومعركة اليمامة، بل ان هذا الكتاب يذهب الى اشتراك ضرار في فتح مصر .

وهناك اقوال اخرى عن وفاة ضرار ، فان المؤرخ موسى بن عقبة يذهب الى استشهاد ضرار في معركة اجنادين ويصححه ابو نعيم . وقال ابوعروبة الحراني انه نزل حران ومات بها . ويقول آخرون انه شهد اليرموك وفتح دمشق . وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى فيمن نزل الكوفة من اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان انشاء الكوفة بعد فتح العراق .

ولا شك انه امر عجيب أن يكثر الخلاف حول تاريخ ومكان وفاة علم من اعلام الفتوح مثل ضرار . ونحن لا نميل الى الاخذ بالروايات المنقولة عن الواقدي والتي تجعل وفاته استشهادا باليمامة ،ولا الى تلك المنسوبة الى كتاب فتوح الشام وتذهب به الى دخول مصر ، ولعل اوثقها واقربها الى العقل ايضا ان يكون قد استشهد باجنادين . ولكن هذه الدراسة حول ضرار بن الازور تثير مسالة اخرى من الاهمية بمكان عند النظر في مصادر تاريخ الفتوح الاسلامية ، تلك هي صحة او عدم صحة نسبة كتاب فتوح الشام المتداول اليوم الى الواقدي، ليس هنا مجال هذا البحث وقد يكون لنا اليه عودة.

فرية داحضة

وفي رواية اخرى ان خالد بن الوليد بعث ضرارا في سرية فاغارت على حي من بني اسد فاخذت فيما اخذت من السبايا امرأة جميلة ، فسأل ضرار اصحابه أن يهبوها له ففعلوا فوطئها ثم ندم فذكر ذلك لخالد ، فقال له خالد « قد طيبتها لك » يعني انه جعلها من نصيبه وسمح له بها . فقال ضرار « لا حتى تكتب الى عمر » فكتب ، وجاءه الجواب من عمر « ارضخه بالحجارة » يعني ان يقيم عليه حد الزنا ، فجاء الكتاب وقد مات ضرار فقال خالد « ما كان الله ليخزي ضرارا » .

ولسنا نشك في افك هذه الرواية وافترائها ، فان ضرارا لم يقم باي اغارة على بني اسد تحت قيادة خالد بن الوليد الا في حروب الردة ، وقد كانت هذه في عهد ابي بكر ، فلم يكن ضرار ليطلب ولا لخالد ان يكتب الى عمر وابو بكر هو الخليفة !

وفي حكاية اخرى انه كان مع ابي جندل بن سهيل واصحابه حين شربوا الخمر بالشام فسألهم ابو عبيدة فقالوا قال الله « فهل انتم منتهون ؟ » ولم يعزم . فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فكتب اليه عمر « ادعهم ، فان زعموا انها حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم. » فسألهم فقالوا انها حرام فجلدهم .

في فتوح العراق

ومع اشراقة عام ١٢ هـ اجتاز جيش خالد الحدود الجنوبية للعراق فتصدت له على الفور الحاميات الفارسية المرابطة هناك ، وكال المسلمون الهزيمة للفرس وللقبائل العربية الموالية لهم وهم يتقدمون في مسايرة الفرات من كاظمة على خليج العرب الى الحيرة . وفي الحيرة كانت حصون اربعة ينظر بعضها الى بعض ، فكان الحصن الابيض يدافع عنه بنو طيىء، وقد وكل خالد امره الى ضرار بن الازور، كما وكل حصن العدسيين الى ضرار بن الخطاب الفهري وحصن بني مازن الى ضرار بن مقرن المزني، ثم كان حصن ابن بقيلة فوكل امره الى المثنى بن حارثة .

وكان ضرار بن الازور اول من شن الهجوم على الحصن الذي اسند اليه امره وكان اصحاب الحصن يدافعون بالرمي من اعلى جدرانه ولكن رماة ضرار اجبروهم على خفض رؤوسهم في حين شن غاراته على ما في خارج الحصن ، وفعل سائر الامراء مثل

فعله حتى طلب القسيسون والرهبان من أهل الحصون النزول على ارادة المسلمين ففعلوا • كان اياس بن قبيصة الطائي هو امير الحيرة المعتمد من كسرى فارس وكان في الحصن الابيض فخرج الى ضرار مستسلما يطلب الصلح فارسله ضرار الى خالد ، كما خرج من كل حصن رئيسه وصالحوا خالدا على اداء الجزية ودخلت امارة الحيرة في سلطان المسلمين • واستمر تساقط معاقل المجوس حتى شملت العراق الجنوبي الى شطان دجلة ،وعقد اهل تلك الجهات معاهدات صلح مع المسلمين على اداء الجزية والدخول في ذمة المسلمين وحمايتهم •

وعلى ذلك قسم خالد ماتم فتحه الى سبعة اقسام لكل قسم حامية تقوم بامره ، فكان ضرار بن الازور على اقليم بانقيا من المراكز الامامية بسواد ما بين دجلة والفرات ،ووقعت في اقليمه بعض الاشتباكات الحامية جرح فيها ضرار وسجل ذلك شعرا فقال:

ارقت ببانقيا ومن يلق مثل ما
لقيت ببانقيا من الجرح يارق

واستطاع خالد ان يحرر جميع غرب الفرات من كل سلطان فارسي ، ثم امره أبو بكر فاتجه بنصف جيشه الى الشام ، فكان ضرار ممن عبر صحراء السماوة في تلك المغامرة المشهورة حيث بدا نشاطه في فتوح الشام اكثر ظهورا ولكن تختلط فيها الحقيقة بالاسطورة والواقع بخصب الخيال • ونود ان تفرق هنا بين ما رواه الطبري وابن عساكر نقلا عن سيف بن عمر وما رواه الازدي والبلاذري وبين ما انفرد به كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدي فان ما يذكره الاولون عن ضرار بطولات معقولة اما ما ينفرد به هذا الكتاب الاخير فهو يشتمل على مبالغات ظاهرة واخبار منقوضة •

في فتوح الشام

حين قدم خالد من العراق الى الشام نزل بصرى من ارض حوران ، فلما اطمان المسلمون خرج اليهم خمسة الاف من الروم يقودهم درنجار • فصف خالد قواته وجعل على ميمنته رافع بن عمير الطائي وعلى ميسرته صاحبنا ضرار بن الازور وعلى المشاة عبدالرحمن بن حنبل الجمحي ، وقسم فرسانه الى قسمين فجعل على قسم منها المسيب بن نجبة الفزاري وعلى القسم الثاني مذعور بن عدي العجلي • وبدا الروم هجومهم فشدوا على المسلمين شدة صمدوا لها ، فعادوا الى مواقفهم ،ثم اعادوا الهجوم مرة اخرى فثبت لهم المسلمون •• فلما ارتدوا الى مواقفهم شد خالد بالمسلمين عليهم فازالهم عن مواقعهم ودفعهم الى الوراء حتى اعتصموا باسوار مدينة بصرى وسالوا المسلمين الصلح فقبلوا منهم •

وتتوالى الاخبار من تولية ضرار مسئوليات هامة في المعارك الكبرى ،فكان على فرسان المسلمين في تحركهم من دمشق الى فحل في مستوى قادة اكبر منه على قطعات اخرى ، مثل خالد بن الوليد على المقدمة وابي عبيدة بن الجراح على الميمنة وعمرو ابن العاص على الميسرة وعياض بن غنم على المشاة في حين بقي يزيد بن ابي سفيان على قوة في دمشق • وكانت فحل من كبريات انتصارات المسلمين على الروم •

وفي اليرموك اوفد المسلمون وفدا الى اخي هرقل وكان هو الذي يقود جيش الروم ليكلموه قبل المعركة • وضم الوفد ابا عبيدة بن الجراح ويزيد ابن ابي سفيان دون أن يكشفا عن شخصيتهما والحارث بن هشام وابا جندل بن سهيل بن عمرو ، وجميعهم من سادات قريش ، وكان معهم ضرار بن الازور •• وفي الرواية ان الروم كانوا يجلسون على الحرير وارادوا أن يجلسوهم معهم فابوا •

ثم نشبت المعركة واشتد وطيسها وتقدمت فرسان الروم تدق اسفينها في قلب جيش المسلمين نحو مركز قيادتهم المتمثل في فسطاط خالد بن الوليد •ونادى عكرمة بن ابي جهل من يبايع على الموت ؟ فبايعه اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فيهم فارسنا ضرار بن الازور • لم تكن تلك الصيحة ولا ما اسفرت عنه من بيعة من قبيل التظاهر ، فقد كان الموقف اخطر من أن يحتمل استعراضا ، انها الالوف من الفرسان المدرعين تحدث ثغرة لدى المسلمين وتوشك أن تحدد مصير المعركة لصالحها ، فمن بايع انما بايع على موت لا ريب فيه او كاد • وصدق المبايعون ما عاهدوا الله عليه فثبتوا امام فسطاط خالد يقاتلون في صبر واصرار حتى جرحوا جميعا، فمنهم من قتل ومنهم من برىء ، وقد برىء ضرار من جراحته •

■■

القاهرة ـ احمد عادل كمال



«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليپس

مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة لا تزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان مختلفة جذابة.
من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث بالإمكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى «الرشارجيل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرة وأيضاً

هناك ماكينات «فيليشايف» المتممة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.
ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولا ريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليپس بطريقة متواصلة.
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليپس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.

PHILIPS

فيليپس الأفضل لكم دوماً

طرائف عربية



احسنا ما صنعت ؟

● دخل ابو سفيان بن حويطب على ابى بكر الصديق فى مرض الموت ،فوجد عينيه تذرفان ٠ فقـال له : « يا خليفة رسول الله ٠٠٠ اما كنت اول من اسلم ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار ، فصدقت هجـرتك ، وحسـنت نصرتك ، ووليت فاحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم» فقال ابو بكر : « احسـنا ما صنعت ؟ » قال ابو سفيان بن حويطب : نعم والله ٠ قال ابو بكر : « انى اشكر الله على ذلك ولكن لا يمنعنى ذلك من أن استغفره» ٠ قال ابو سـفيان بن حويطب : « فما خرجت حتى مات ابو بكر رضى الله عنه » ٠

من توكل على الله كفاه

● دخل احد الصحابة مسجدا ليصلى، فاستوقف نظره طفل لم يتجـاوز الحادية عشر من عمره يصلى بكل خشوع ، فلمـا فرغ الصبى من الصلاة تقدم منه الصحابى وساله : « ابن من انت يا هذا ؟ » فـرد عليه الصـبى قائلا : « انى يتيم فقدت أبى وامى » ٠ قال الصحابى : اترضى أن تكون لى ولدا ؟ فقـال الطفل : « هـل تطعمنى اذا جعت ؟ » قال الصـحابى : « نعـم » ، قال : « وهل تسـقينى اذا عطشت ؟ » قال الصحابى : « نعـم » ٠ قال : « وهل تكسونى اذا عريت ؟ » قال الصحابى : « نعم » قال الطفل : « وهل تحيينى اذا مت ؟ » فدهش الصحابى وقال: « هذا ما ليس اليه سبيل » فاشاح الصغير بوجهه وقال : « اذن اتركنى للذى خلقنى ثم يرزقنى ثم يميتنى ثم يحيينى» فانصرف الصحابى وهو يقول : « لعمرى من توكل على الله كفاه » ٠

احسنت اليكم

● قال احـد الاعـراب يوما لاولاده ، والله لقد احسنت اليكم قبل ان تولدوا صـغارا وكبارا قالوا : اننا عرفنا انك احسـنت الينا صغارا وكبارا فكيف احسنت لنا قبل ان نولد ٠ قال : تخيرت لكم من الامهات من لا تعيرون بها ٠

مزقوهـا

● رفع صاحب الخبر الى المأمون « انا اصبنا – يا أمير المؤمنين – رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة ، وفيها تهديد ووعيد ، وبعضها عندنا محفوظ الى ان يأمر امير المؤمنين فيها بأمره » فكتب المأمون الى صاحب الخبر رسالة جاء فيها « هذا أمر ان اكبرناه كثر غمنا به ، واتسع خرقه علينا ، فمر اصحاب اخبارك متى وجدوا مثل هذه الرقاع أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها فانهم اذا فعلوا ذلك لم يظهر لها أثر ولا عين » .

ثلاث فى ثلاث

قال الحسن بن سهل : قرات فى هذا الكتاب : ثلاث لا يصلح فسادهن بشيء من الحيل ، العداوة بين الاقارب ، وتحاسد الاكفاء ، والركاكة فى العقول . وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة فى العلماء ، والقنوع فى المستبصرين ، والسخاء فى ذوى الاخطار . وثلاث لا يشبع منهن ، الحياة والعافية والمال ، وثلاث تبطل مع ثلاث ، الشدة مع الحيلة، والعجلة مع التانى ، والاسراف مع القصد .

تلطف

● حج ابو جعفر المنصور مرة فقال للربيع وزيره : « ابغنى فتى من أهل المدينة ظريفا عالما بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدى بديار قومى ، واريد الوقوف عليها » . فالتمس له الربيع فتى من اعلم الناس بالمدينة ، وأعرفهم بظريف الاخبار وشريف الاشعار، فعجب المنصور منه وكان يسايره احسن مسايرة ويحاضره أزين محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب الا على وجه الجواب ،فاذا سأله اتى بأوضح دلالة ، وافصح مقالة ، فاعجب به المنصور غاية الاعجاب وقال للربيع : « ادفع اليه عشرة الاف درهم »، وكان الفتى المدنى محتاجا الى هذه النقود ، ولكن الربيع تشاغل عنه ، ولم يعطه شيئا مما امر له المنصور ، فاضطر الفتى المدنى الى الاقتراض من بعض اصدقائه .

وحدث أن اجتاز مع المنصور دار عاتكة بنت يزيد فقال : « يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذى يقول فيه الاحوص :

يا بيت عاتكة الذى اتغزل
حذر العداء به الفؤاد موكل »

فقال المنصور فى نفسه : « ما هاج منه ما ليس هو طبعه ، من ان يخبر بما لم يستخبر عنه ، ويجيب بما لم يسأل عنه ؟ » ثم اقبل يردد ابيات القصيدة فى نفسه الى ان بلغ الى آخرها وهو :

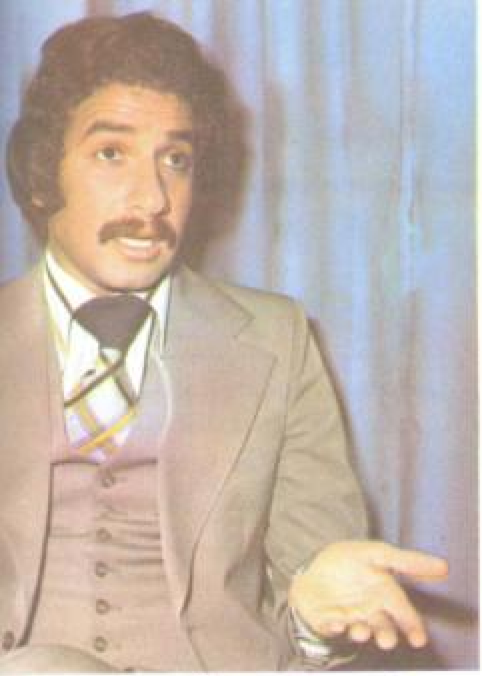
« واراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذق اللسان يقول ما لا يفعل »

(مذق اللسان = كذب فيه او مزج الجد بالهزل) .

فدعا المنصور وزيره الربيع وقال له : « هل دفعت للمدنى ما امرنا له به ؟ » فقال أخرته‌عنه علة كذا يا أمير المؤمنين. قال : « اضعفها له وعجلها » .



حياة الفهد •• ام خالد او « الجدة » في مسرحية السدرة اجادت دورها وابدعت •



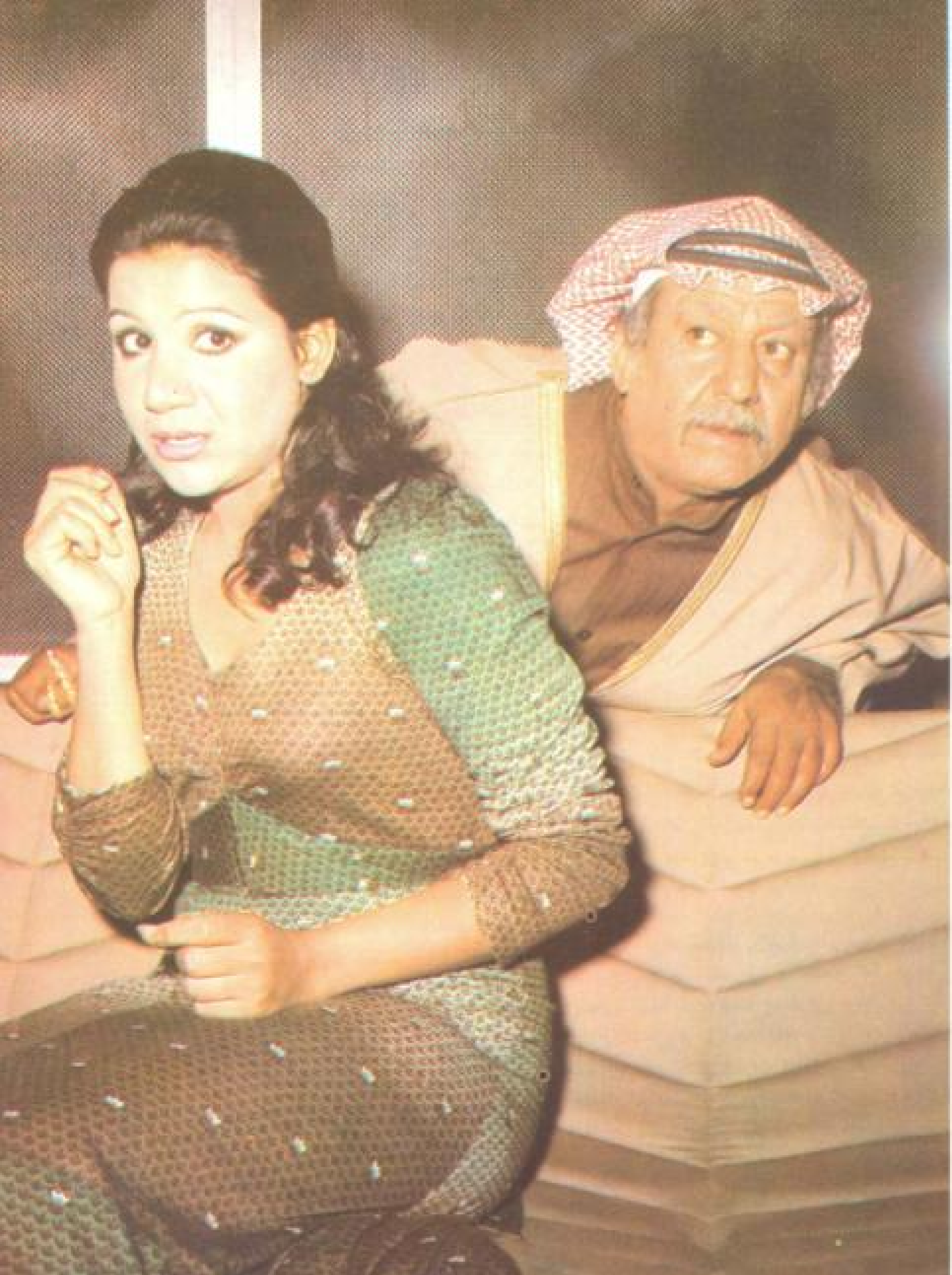
محمد المنصور •• الابن « المنقذ » ، ومدير المؤسسة التي اخذت بايدي المتهورين والمعذبين ••

المسرح

ظاهرة متطورة في حياة الكويت

بقلم : الدكتور علي الراعي





مشهد من المسرحية •• على خشبة المسرح وراء الممثلين ، الشجرة القوية الصامدة •• « السدرة »

محمد المنيع « الجد » ابو خالد ، مع سعاد عبد الله ، النجمة اللامعة ، والفتاة التى قامت بدور زوجة الابن •• ادت دورا رائعا •

تصوير : طالب الحسيني

اصبحت الحركة المسرحية ظاهرة هامة، نامية ، في حياة الكويت الثقافية • وقد طلبت « العربي » من الدكتور على الراعي كتابة تقييم لهذه الظاهرة من خلال اول مسرحيتين بدأ بهما الموسم •

والدكتور على الراعي حصل على الدكتوراه من انجلترا عن مسرح برناردشو وكان استاذا للادب الانجليزى والدراما في جامعة القاهرة ، ثم رئيسا لمؤسسة المسرح في مصر ، وهو يرأس قسم الادب الانجليزى في جامعة الكويت حاليا •

■ ما نراه الآن من نشاط مسرحي في الكويت يثير الانتباه ويدعو الى التفاؤل معا • وقد تعمدت أن استخدم عبارة : « نشاط مسرحي » عوضا عن « مسرحيات » لانني أنتوي أن اتحدث في هذه المقالة عن الظاهرة المسرحية عامة ، في بلد فتي كالكويت ، واحاول أن ابين للقارىء أن المسرح في هذا الجزء من العالم العربي قد اخذ ـ بالفعل ـ يشق طريقه في الحياة اليومية ، وفي نفوس الناس ، وفي سلوكهم وعاداتهم اليومية •

ومنذ سنوات كثيرة والكويت تحلم بالمسرح ، مشاركة في هذا باقي اجزاء الوطن العربي ، في المشرق والمغرب على حد سواء • ولكن الكويت لم تكتف بالحلم ، بل سعت ـ حثيثا ـ الى تحقيقه عاما بعد عام •

فالى جوار النشاط المسرحي الذى سبق ، وواكب ، واستمر بعد قيام معهد المسرح الاول ، والمعهد العالي للمسرح ، وبسبب هذا النشاط اخذ مفهوم المسرح كعمل فني جاد ، يستحق الاحترام والتقدير يتبلور في نفوس المسرحيين ومتفرجيهم بشكل واضح ، وبدأت عبارة : « الموسم المسرحي » تاخذ معنى قريبا مما لمثيلاتها في سائر العواصم المسرحية القريبة التى سبقت الكويت بسنوات كثيرة في مجال المسرح •

وعلى وجه التحديد استقر في نفوس المشتغلين بالمسرح جميعا أن عملهم لم يعد نشاطا اختياريا اوتطوعيا • لهم أن يبذلوه ، او أن يغضوا عنه النظر ، بل اصبح « خدمة عامة » كسائر الخدمات ، هم مطالبون بها قبل الجمهور وقبل الدولة ايضا ـ وطبعا ، واولا ـ قبل انفسهم ايضا •

من أجل هذا بدأ المسرحيون في الكويت ياخذون انفسهم ماخذ الجهد •

ظاهرة الاستمداد

انتقلوا من مرحلة الطواعية الى مرحلة الالتزام • وبدأ هذا الانتقال على وجه الخصوص ـ في السنوات الثلاث الاخيرة ، حين التفتت الفرق المسرحية الكويتية الى ظاهرة لم تستغن عنها حركة مسرحية واعية في يوم من الايام ، لا في اوروبا ولا في امريكا ولا في اسيا ولا في وطننا العربي ، الا وهي ظاهرة الاستمداد ـ اى الاستعانة بتراث الغير ، وتجارب الغير في ميادين المسرح جميعا : التاليف والتمثيل والاخراج • وببساطة فان المسرح في الكويت لم يعد الطفل المدلل الذى يقول لابويه العطوفين : « انا وحسب » بل اصبح الفتى الناضج الذى يتلفت حواليه ويقول : « أين غيرى » ليلعب « ـ اى يمثل ـ معي ؟ »

ومن ثم ، جعلت الفرق المسرحية الكويتية تستعين بالنص العربي ، تقدمه كما هو ، او ببعض اضافات ، كما حدث في حالة : « على جناح التبريزى وتابعه قفه » للكاتب المصرى : الفريد فرج ، أو تطوعه لاجواء الكويت كما كان الحال في مسرحية : « السلطان الحائر » ، لتوفيق الحكيم التى قدمت بعنوان ملك للبيع •

وافاد المسرحيون الكويتيون في العام الماضي وفي هذا العام من جهود مخرجين مسرحيين مرموقين لاخراج مسرحيات مكونة مثل « اربعة في واحد » التى أخرجها أحمد عبد الحليم في العام الماضي ، ومثل مسرحية : « السدرة » التى أخرجها كرم مطاوع في الموسم الحالي •

ومسرحية « السدرة » ، كعمل فني ، وكتجربة ، ومعاناة ، وردود افعال تستحق مني أن أبدا

بالحديث عنها ضمن نشاط الموسم المسرحي الحالي ، فانها تحمل معها اكثر من معنى ، وتثير اكثر من تساؤل ، وتبشر وتنذر معا !

محاولة كبيرة الطموح

ولا اكون امينا مع نفسي ولا مع مهنتي وقرائي جميعا اذا لم اقل انني – منذ بداية الاعلان عن هذه المسرحية – قد اشفقت على المسرح الكويتي وعلى متفرجيه من محاولة كبيرة الطموح ، مثل هذه المحاولة • فهذه – على قدر معرفتي بتاريخ المسرح الكويتي – هي أول مرة تؤخذ فيها مسرحية عالمية ذات مستوى واضح ثم تكوت ، ويختار لها واحد من المع المخرجين العرب على امتداد الوطن العربي ، ويمثل فيها نخبة من اقدر الممثلين الكويتيين ، وتقبل فرقة مسرحية خاصة ان تخوض تجربتها الصعبة دون عون كبير من احد •

هذا اذن هو « الحدث الكبير » الذي طال انتظارنا له في المسرح الكويتي : ان يشعر هذا المسرح بانه نما وظهرت له عضلات ، واصبح قادرا على أن يركب الصعب •

وكل بلد عربي أو غربي فعل هذا او فعل شيئا قريبا منه لينجح في اثبات وجوده • في انجلترا مثلا وفي عشرينات هذا القرن قدم مسرح الريبيرتوري في مدينة برمنجهام مسرحية لبرنارد شو قلما تمثل ، ليس فقط لانها مليئة بالافكار المتالقة والخيال المجنح اللذين تالفهما في مسرحيات شو ، وانما ايضا لانها خمس مسرحيات متجانسة تلي الواحدة منها الاخرى وتكملها ويستلزم الامر عرضها على خمس ليال متوالية • وفيها يستعرض برنارد شو تاريخ البشرية من عهد آدم وحواء ويصور أحلامه وتطلعاته لمستقبل الانسان حتى العام ٣٢٫٠٠٠ بعد الميلاد !

ان عسر هذه المسرحية ، وما استلزمته من جهد وقع عبئه على المخرج والممثلين والجمهور معا ، لم يحل دون خروجها الى النور ، فاصبح اخراجها علامة واضحة على قدرات المسرح البريطاني بكل أطرافه المتعددة ، ورغبة في الاقتحام الذي هو أساس التقدم ، لا في أمور الحياة العادية وحدها وانما في الفن أيضا ، وربما في الفن قبل كل شيء !

تموت الاشجار واقفة

من اجل هذا وضعت اشفاقي في جيبي وذهبت اشاهد مسرحية السدرة ، التي كوتتها فرقة : المسرح الكويتي عن الاصل الاسباني الذي كتبه اليخاندرو روكاسونا ، أحد كتاب المسرح الاسباني المعاصرين وعنوانها في الاصل : « تموت الاشجار واقفة » •

وتحكي المسرحية عن مؤسسة انشاها الدكتور حمد ، وجعل رسالتها الاخذ بايدي المعذبين والمقهورين والمحرومين ، ليس فقط ماديا ، وانما روحيا ايضا •

الى هذه المؤسسة تلجا شابة تعسة انقذتها المدرسة في الليلة السابقة من الانتحار • كما يلجا اليها ايضا « فهد » العجوز الذي وقع في مازق انساني خطير يتعذر عليه الخروج منه بمفرده، وهو لهذا في حاجة الى عون من المؤسسة•

قد كان لفهد هذا حفيد هو كل ما بقي له ولزوجته الشيخة من ذرية •

واسرف الجد في تدليل حفيده ، حتى اندفع هذا في طريق الرذيلة غير متلبث • ويضبطه الجد ذات يوم وهو يسرق ماله ، فيطرده من البيت شر طردة ، وبهذا ينفسح طريق الاجرام امام الحفيد – واسمه في المسرحية وليد – وينضم الى احدى عصابات الاجرام في أمريكا ويقع في قبضتها تماما •

وتمضي السنون، فيلاحظ الجد ان زوجته تذوى – تموت ببطء – في غياب حفيدها – فيقرر ان يخلق لها اسطورة جميلة تعيش عليها • يقول لها أن حفيدها قد ندم على ما جنت يداه ، فانصلح حاله ، وعاد الى دراسته ونجح فيها وتخرج في الجامعة بعد أن درس فن العمارة ، واصبح مهندسا ناجحا •

القدر يتدخل

وياخذ الجد يزور رسائل مزعومة تاتي للجدة من حفيدها وتبشرها بكل خير فقد افتتح المهندس مكتبا للعمارة ، وتزوج من فتاة جميلة •

غير أن القدر يتدخل فيعكر صفو الجدين : « اذ سرعان ما تصل برقية من الحفيد الحقيقي المجرم



كرم مطاوع .. المخرج الذى قدم لنا « السدرة » وقدم معها عملا فنيا منضبطا ومتناغما ارتفع بالممثل والمخرج والجمهور (الى اليسار) ، وحسين الصالح الممثل القدير الذى اخذ على عاتقه مهمة اعداد المسرحية فشارك فى الوصول بها الى مفهوم الجمهور.ومعهما احلام محمد الممثلة التى قامت بدور سكرتيرة مدير المؤسسة !







صقر الرشود مخرج مسرحية « متاعب صيف » ٠قدمها مسرح الخليج العربى٠٠ وهى تعالج مشكلة يعانى منها مجتمعنا العربى ٠٠ يلهو الفارغون فى المسرحية بكل ما هو تافه وفارغ ٠٠ انهم يتسلون ولكنهم فى تسليتهم يحطمون اعصاب الغير ٠٠ والصورة (الى اسفل) لمنصور المنصور مساعد المخرج فى التمثيلية التى انتهت بتحطيم كل شىء فوق رءوس الفارغين ورءوس الجمهور ٠







ما أسهل أن يكون الانسان تافها •• فى هذه الصور الثلاث•• يتجسد المعنى الذى ذهب اليه المؤلف والمخرج فى « متاعب صيف » ، وهو معنى لا يمت الى واقع الحياة فى الكويت القديمة بصلة •• بالامس كان عملا وكفاحا من أجل العيش والرزق •• واليوم شباب يشكو الفراغ ، وهو حائر ضائع لا يعرف كيف يملأ وقته بالعمل المثمر الجاد ••

تنبىء بقرب وصوله • والجد لا يدرى ماذا يفعل ازاء هذا الموقف الصعب • ومن ثم يلجأ للمؤسسة التى سلفت الاشارة اليها •

وتضع المؤسسة خطة مدروسة تقضى بان يتقمص مديرها الشاب شخص الحفيد المهندس الناجح ، وان تقوم الفتاة التى انقذتها مؤسسته من الموت بدور الزوجة الجميلة • ويتم تنفيذ الخطة بنجاح تام ، وتسعد العجوز ايما سعادة ، حتى يفاجأ الجميع ذات يوم بالحفيد الحقيقى يظهر فيما بينهم• لم يمت غرقا كما كانت الانباء قد اذاعت ، لانه لم يركب الباخرة التى غاصت فى اليم !

وهو اليوم يطالب الجد بمبلغ طائل من المال، والا حطم الاسطورة على رأس مؤلفيها ،ودفع بالجدة الى الموت ، لا يبالى •

وتعرف الجدة بالحقيقة كاملة ، وهنا يأتى الموقف الانسانى العظيم والشجاع فى المسرحية ـ ان الجدة ترفض الحفيد الحقيقى ، من دمها ولحمها ، لانه يشع ومجرم وكاذب ومناف لكل ما هو انسانى، وتطرده من البيت ، لوتتقبل الحفيد الذى خلقته الاسطورة وزوجته الحنون التى شاركت عبء تمثيل الكذبة البيضاء ••

ويكون واضحا لنا حين تشرف المسرحية على الانتهاء ، ان الجدة موشكة على الموت • ولكن :ماذا يهم ؟ لقد انتصر فى الانسان اجمل ما فيه ـ قدرته على مواجهة الصعب ، والسمو على الواقع البشع، الذى ترفضه روحه ، تعلقا بما هو اجمل وانبل : الحلم الجميل الذى تسعى الانسانية الى تحقيقه •



لعب الديكور دورا هاما فى مسرحية «السدرة» فقد كان جديدا .. كذلك حركات الممثلين على المسرح ، فقد كانوا يتحركون برشاقة ..وكانت حركاتهم كلها محسوبة ..

حمل عبء هذه المسرحية النبيلة كوكبة من المع فنانى المسرح فى الكويت : قامت سعاد العبد الله بدور الفتاة والزوجة وقام محمد المنصور بدور مدير المؤسسة الذى يوافق على تمثيل الكذبة لانقاذ الجدة ، كما قام محمد المنيع بدور الجد وقامت حياة الفهد بدور الجدة . وقد ابدع الجميع فى اداء ادوارهم .

نقطة تحول فى مسرح الكويت

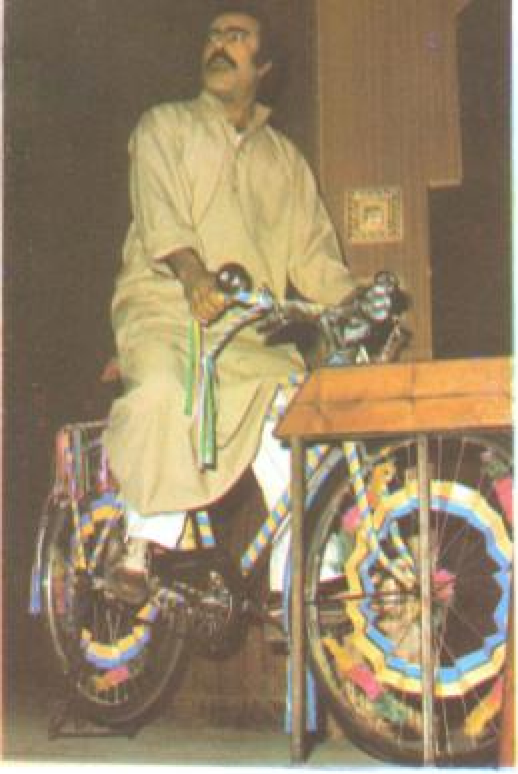
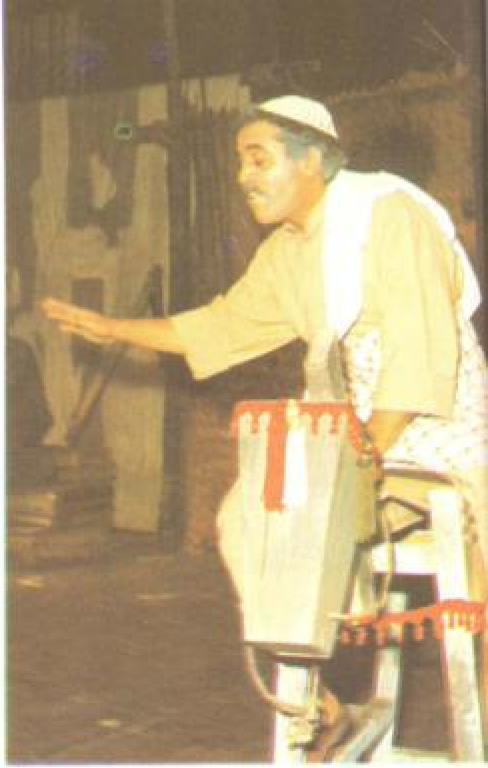
اما الاخراج فقد اضطلعت به يديا المخرج كرم مطاوع القادرتان ، فقدم لنا عملا فنيا منضبطا ومتناغما ، ارتفع بالممثل والمخرج والجمهور معا ، مما دفع الناقد وليد ابو بكر فى صحيفة الوطن الكويتية الى اعتبار : « السدرة » نقطة تحول فى مسرح الكويت .

وقدم مسرح الخليج مسرحية لافتة للنظر من تاليف الكاتب القصصى الكويتى الشاب « سليمان الخليفى » واخراج الفنان المسرحى الطموح صقر الرشود ، وهى مسرحية « متاعب صيف » .

والمسرحية تسعى الى اظهار تعاسة جماعة من الناس يقتلهم الملل ، ويمضهم الخواء الروحى ، فيعبثون باى شىء ، وبكل شىء ، الى أن تعن لهم فكرة تكوين فرقة مسرحية لمجرد قتل الوقت . وهنا يصطدمون جميعا بالمشاكل التى يعرفها المشتغلون بالمسرح فى الكويت من قلة النصوص الجيدة ،



في متاعب صيف اشترك عبد الله الحبيل ومحمدالسريع وعبد الرحمن العقل وخالد العبيد وهيفاء عادل ومنصور المنصور وحميد السلمان في تقديمصورة للفراغ الذييعيشونه ويعيشه معهم كثيرون ٠٠ نفخوا البالونات كما يفعل الاطفال وراحوايسمعون صوت خروج الهواء في بلاهة ٠٠ وركبوا الدراجات المزوقة واطلقوا أجراسها ، وحملوامراتبهم وناموا فوقها على الارض ٠٠ لقد نجحوا في شد الجمهور الي تفاهة هذه الاعمال التييقومون بها من أجل ملء وقتهم الضائع ٠٠ مشكلة في حاجة الى علاج ٠


وقدرة العنصر النسائي ، وتنازع العاملين في الفرقة المسرحية الواحدة على الاختصاصات.. الخ

واخيرا تثبت الاحداث ان الصعوبات اقوى بكثير من هؤلاء الناس الفارغين الواهني العزم ، فيلقون بكل شيء على خشبة المسرح : الملابس ، وادوات التنكر والمهمات المسرحية .. كلها تتكوم امامنا رمزا للضياع والهوان .

هذا المشهد الاخير ، مضافا اليه المشهد الاول في المسرحية . وفيه يلهو الفارغون بكل ما هو فارغ : احدهم ينفخ بالونة ويروح يسمع خروج صوت الهواء منها في سعادة بلهاء ، والثاني يحرك « بيدال » دراجته المزوقة ذات النفير والجرس وما اليه من ادوات الازعاج التي يتسلى بها الفارغون ، ويحطمون بها اعصاب الغير ، والثالث يحمل معه مرتبة ويضعها على الارض ثم يحركها في كل اتجاه وينام ويقوم بعد كل تغيير لا يقر ابدا على حال ـ هذان مشهدان كانا من اكثر المشاهد اثرا في نفس المشاهد .

ولكن ثمة خطا رئيسيا وقعت فيه المسرحية وهو عدم قدرة النص على ان يجدل موضوعيها الواضحين : الفراغ ، وصعوبات العمل المسرحي في الكويت ، في ضفيرة فنية واضحة ومتسقة .

ماذا تعنى المسرحية

من اجل هذا خرج كثير من الناس وهم يقولون : ماذا تعنى المسرحية وماذا يراد لنا ان نستقبل منها ؟

ان الرغبة في الجرى وراء الجديد والالحاح على ان يصدم النص شعور الجمهور ويبقيه يقظا دائما ، قد اساء الى المسرحية الى درجة واضحة . فلم تنتفع كثيرا لا بجهد المخرج ، ولا بجهد المؤلف .

ومع ذلك يبقى لجميع من اشتركوا فيها فضل المحاولة . وعلى كل حال ، فان طريق الفن طويل ، ولا باس من التجربة وراء التجربة فعن طريق التجارب يتعلم الجميع من فنانين ومؤلفين ومخرجين ونظارة .

حمل جهد التمثيل في المسرحية الفنانون : عبد الله الجميل ومحمد السريع وعبد الرحمن العقل ، وخالد العبيد وهيفاء عادل ومنصور المنصور وحميد السلمان ، فادوا ادوارهم جميعا بكل ما اوتوا من قدرة واخلاص .

وحين تصل هذه الكلمات الى قراء « العربي » ستكون مسرحية جادة اخرى قد ظهرت لمتفرجي الكويت ، وهي مسرحية « مغامرة راس المملوك جابر » للكاتب السوري المعروف سعد الله ونوس ، يخرجها احمد عبد الحليم لفرقة المسرح الشعبي .

ويكون المسرح الكويتي بهذا قد مضى قدما في سياسة الاستمداد ، التي تعنى في نهاية الامر : الامتداد ـ الامتداد للفن المسرحي الكويتي والفن المسرحي العربي معا .

وهذا شيء ينبغي لفناني المسرح الكويتيين ان يرحبوا به . وعليهم كذلك ان يرحبوا بالمنافسة الجادة الشريفة التي تقدمها مسرحياتهم وليسمعوا معى هذه الحكاية :

في اوائل الستينات كنت اتولى رئاسة مؤسسة فنون المسرح والموسيقى التابعة لوزارة الثقافة في مصر . وذات صباح استدعاني وزير الثقافة ليقول لي وهو بادي الانزعاج : ان التليفزيون المصري يزمع انشاء عشر فرق مسرحية تعهدت له بتقديم مائتي مسرحية في العام . فماذا يكون موقف مؤسستك من هذا الخطر الداهم .

ويومها قلت للوزير في هدوء : سيدي الوزير : ينبغي ان يكون موقفنا من فرق التليفزيون هو موقف تجار الشاى من عبواتهم المختلفة وعلاماتهم المتباينة . لقد قرر هؤلاء ذات يوم ان يرفعوا شعارا واحدا ضمنوه اعلانا موحدا اشتركوا جميعا في صياغته وهو : « اشربوا الشاى » ! فضمنوا بهذا ان تتاصل في وجدان الناس عادة شرب الشاى .

ونحن في المسرح ينبغي أن نضع ايدينا في ايدى فرق التليفزيون الوليدة هذه ونقول لمتفرجينا : اذهبوا الى المسرح » !

كذلك ـ في رأيي ـ ينبغي ان يكون موقف فناني المسرح الكويتيين من كل عمل جاد يقدم في بلادهم . فالعمل الجاد للعمل الجاد سند ! ■■

على الراعى



في محراب الليل

« والليل اذا سجى .. »
قرآن كريم

■ سكونُ الليل، يـا ربِّـي   صفاءٌ شاع في دَرْبـي
وروَّى مهجـتي بالنـو   ر والإيمـان والحـب

* * *

رأيت الليل – حين سجى   ووشّى الكون بالشُّهُب
جمالاً ، فيه سِرٌّ منك   فوق العقل ، ياربـي

* * *

رأيتُ الليل حين سرى   على مَهْدٍ من العُشْب
وغاب الساحرُ الفضيُّ   في عُشٍّ من السُّحُب

* * *

فكان الكونُ في عيني   وفي سمعي . وفي قلبي
صلاةٌ حرة الاعمـا   قِ في محرابك الرَّحْب

* * *

ومرت نسمةٌ عذرا   ءُ فوق المنهل العذب
فنادى البلبلُ المسحو   رُ : يا أللهُ .. يا ربي

* * *

نداءٌ هائم النغمـا   تِ ، ملءُ الشرق والغرب
يضم الروحَ في رفقٍ   كضم الهُدْب للهُدْب ■■

الاسكندرية – **عبد العليم القباني**


نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS–McCANN
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

• قصة قصيرة •

انفصام

بقلم : احمد عادل

نادوا : ياشيخ طاهر .. ياشيخ طاهر .. لم اكن شيخا ولا طاهرا لكننى لبيت النداء . تركت الفراش قفزا وهبطت اليهم معجلا .

ـ ما الخبر ؟

ـ الشيخ داود . البقية فى حياتك .

كدت اقول لهم وهل تستحق وفاته الا الفرحة. لكنهم اشجوا . مالى انا ؟ !

هممت بالعودة بعد ان ولى الفضول . فتحلقونى ومنعونى

ـ الجنازة امام الباب ..



ـ دعوني اغير ثيابي ..

ـ الميت لا ينتظر . تعال للصلاة ..

حملوني حملا ، وطاروا بي ، وبالنعش ، الى المسجد .

وفي المسجد وجدت جمعا غفيرا على غير العادة. وفي وسطه اجتمعت حلقة . وقد تصدرها الشيخ داود بعينين تقدحان شررا .

ـ هاكم اللص ..

فتحولت الى عشرات الاعين المستنكرة . وهتف الشيخ :

ـ المحكمة وجبت ..

فقام خادم المسجد واذن بانعقادها . وانتهرني الشيخ :

ـ اقعد ياولد ..

جلست في وسط الحلقة متململا متلفتا . اتحاشى النظرات واقبع بعيدا عن متناول الايدي.. ولوح الشيخ داود بسبحته ، وقال مقررا :

ـ الوقائع قليلة ، ولن تعطلنا عن الصلاة . تفضل ياشيخ موسى .

فقام شيخ الكتاب . وتعمد في قيامه ان يركلني بقدمه . وكانت كتفه مائلة من اثر جلسته . فقال من فم متهالك الاسنان :

ـ المسالة ان هذا الولد قد ارتكب جرما ابشع من القتل والعن من الزنا ..

فعلت اصوات ، واضطربت رؤوس في همهمات وتمتمات .

وقال قائل :

ـ تقدم يامولانا .

فسرت خافض الراس ، بدفعات منهم لا بخطوات مني . حتى وجدت نفسي فجاة امام النعش .وقد سجوه تجاه القبلة .

ـ ياأخواني ..

لكنهم اشاروا علي بان تكون المرثية بعد الصلاة.

ـ ياأخواني ..

لكنهم شغلوا بتسوية الصفوف والاستغراق . كيف بالله أؤمهم وانا لست على طهور ؟!

واذ انا في حيرتي وقد بلل العرق جبهتي همس في اذني صوت :

ـ حاذر ان تقع في البطلان !

تشبثت بعبارته .

ـ بالطبع . هذا ما كنت اود ان اعلنه .

فمال علي حتى لفحتني انفاسه . وانا لا اجرؤ ان انظر اليه .

كيف تصلي على ميت وانت لا تعرف له راسا من قدم ؟ !

بدلا من ان تدفعني الدهشة الى ان احدق فيه. وجدت بصري يتحول تلقائيا الى النعش ..

ـ آه . هاكم . ثمة شيء غريب امامكم . كيف لم تفطنوا له من قبل ؟

علت اصوات . واضطربت رؤوس وتمتمات .

ـ الا ترون ما أرى ؟

ـ وماذا ترى ؟

رفعت يدي على الفور فسكنت الهمهمات والتمتمات . واشرأبت الاعناق .

ـ صلوا على النبي ..

فهدروا جميعا بالصلاة .

ـ اليس كل شيء بالاصول ؟

ـ طبعا ..

ـ اليس من الاصول الصلاة على الميت ؟

ـ طبعا ..

ـ اليس من اصول الصلاة على الميت ان يلزم الامام رأسه ؟

ـ طبعا ..

فصمت .

ـ فهل من الاصول ان يكون هناك ميت براسين؟!

انبعثت الضجة من جديد ، وتزاحم الناس على النعش يتحققون . كانت هناك هامتان بيضاوان مزركشتان في طرفيه .

ـ سبحان الله !

ـ لا اله الا الله ..

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ..

ـ هذه معجزة وايم الله !

ـ كرامة من كراماته

ـ شيء لله ياسيدى ..

وتعالت الاصوات وتداخلت العبارات ، وانتشر الناس حلقات . وقلبوا الصفحات .

ـ هذا شيء لم يرد فيه ذكر .

ـ ناخذ الامور باوساطها ، يلزم الامام وسطه..

ـ هذا فقط عند الصلاة على النساء ..

ـ لا عجب ان يكون الشيخ داود براسين،فهو حجة في شئون الدارين !

فتداعت اصوات جريئة .

ـ الله يرحمه .. وسعت ذمته الدين والدنيا !

ـ سمعت والله اعلم انه كان يتعاطى المغيبات. فلا بد ان يكون قد احتفظ براس احتياطي ليبدو فائقا عند اللزوم !

ـ بل كان له وجهان . ولا بد للوجهين من راسين !

ـ اقول لكم الحق . انه كان يحمل راسا منهما على كفه . فيجاهر برايه ويجاهد بنفسه . اما الراس الاخر فلاشغاله الخاصة !

ـ الحق اقول لكم ان هذا سره الباتع .

اسالوا الحانوتى . فربما كان المرحوم يحتاط انيسلبه رأسه !

وصاح صوت جاد :

ـ انتظروا ياقوم .. حتى نستفتى اهل الراى والذكر ..

وقبل ان يخطر على بال احدهم ان يستفتى الامام ، عجلت الى الباب ، فوجدته مسدودا بالحشود ، والاسئلة تتواتر بغير حدود .فهممت الى باب الميضاة فوجدته مغلقا من دون الناس ، وعليه حراس .

وقال الشيخموسى،وصف اسنانهالاسفليميلالى السقوط :

ـ لن يستطيع الفرار فالابواب جميعاموصدة!

وسرعان ما اعادونى وانا احاول التملص ، فجاءت رفسة من قدمى فى وجه الشيخ داود . فصاح مغيظا وهو يشد لحيته :

ـ الله يلعنك فى كل كتاب !

وطرحونى فى الحلقة . فلملمت نفسى وسطها وانا اقيس المسافات ، لاحاذر الدفعات والركلات .

وقال قائل ، يتعجل الانصراف :

ـ حكم مولانا ..

فلمعت عينا الشيخ ببريق عنيف ، وهتف :

ـ وحدوا الله ..

فتعالى التوحيد وهمست به شفتاى من غير وعى . وبصرى معلق بشفتيه ، لكنه سكت دهرا ثم قال :

ـ الجرم شنيع ..

ـ والحكم ؟

ـ نستفتى اهل الراى والذكر . ونحبسه فى شرفة الاذان ، بلا طعام أو شراب ، حتى يأتينا اليقين والله المستعان .

وطرت الى المئذنة لائذا مستعيذا ، مضيت صعدا ، الدرجات ملتوية ضيقة لكننى مضيت صعدا . ولم أجد منفذا لشرفة الاذان الا اننى مضيت التف مع الدرجات والهث مع استدارة الجدار . وشعرت بدوار ثم نظرت الى ساعتى فالفيتنى قد تجاوزت الساعة فى الصعود ولا أثر بعد لمنفذ . وقد تباعدت البداية حتى تلاشت معالمها ، وامتدت النهاية ولم تظهر بوادرها . وخلت اننى قد قطعت نصف الطريق الى السماء فجلست على احدى الدرجات منهكا . ماذا يا ترى فعلوا بالشيخ ذى الرأسين ؟ ألم يفهم احد ان يصلوا عليه من الجانبين ! وضحكت عندئذ اذ تخيلته النبن . قد صف أحدهما عكس الاخر كما توضع الاحذية فى صناديقها الرأس مكان القدم والقدم مكان الرأس . ولعله عاش على هذا النحو بشطرين ، دون ان يدرك أحد ذلك الا بعد ان مات . افكانوا يريدون له ان يموت مرتين ؟!

وعدت اصعد والهث . والجدار والدرجات لا تكف عن الانحناء والالتفاف . وشعرت باختناق ،

فاندفعت صوب الجدار أبحث عن ثغرة للهواء • لكن ها هي ذي الشرفة قد لاحت أخيرا • ومن ورائها سماء تبدو قريبة • تسمح بالخروج الى الضياء • اندفعت اليها بلا توان • وبدلا من ان انزوى فيها سبقتني قدماى • فتدليت منها وصحت باعلى صوتي مرتفعا بالاذان : حي على البيان • انا ولد عبد الرحمن • سارق القرآن في رمضان•

وجاء الي خادم المسجد سرا بكسرة • فبللتها بدموعى السخينة حتى طريت • فجعلت اتبلغ بها، وانا اكاد أرد كل لقيمة منها بغصة • وانزوى الخادم يرقبنى مشفقا • فما لبث ان مصمص بشفتيه وقال : يعلم الله يا بنى ان قلبي معك • فما كنت لتسرق المصحف المذهب من شيخك وتبيعه بقروش قليلة لولا تضورك • ولعمرى انك اليوم جائع كما كنت بالامس • فهل يا ترى يظللون يحكمون بتجويعك حتى تسرق مصاحف الدنيا جميعا؟!

فما لبث ان اشرق موكب وعلت صيحات ، فقال الخادم : ابشر قد جاءت الفتوى • ثم تعالى على النداء فعجلت بالهبوط اليهم قبل ان يصعدوا الى• ولاح الشيخ داود في مقدمتهم على رأس الدرج : جهما صارما معقد العينين كالعادة • فارتعدت لمرآه • وتساءلت في سرى من غير ان أبوح بأمرى : أبراءة ؟ لكن نظرته كانت تحمل نذرا لادانة • فاندفعت متلمسا سبيل الفرار في غير استكانة • ودفعته دفعة سقط على اثرها من رأس الدرج مكسور الاضلع مشجوج الهامة •

وعلت اصوات واشتد الطلب • فقلت لا معدى عن النزول تماما بعد ان أشرفوا على • فاندفعت طالبا النفاذ باى ثمن • فصاح احدهم عند نهاية الدرج : ابشر قد جاءت الفتوى • فصحت من فورى : ابراءة ؟ وهممت ان اقول لهم انني لم اقتله ، فقد عاش ، وان مات اليوم فرغم سقطته بالامس عاش • لكن نظراتهم كانت اعجل من اى اجابة ، اذ كانت تطل منها البشرى والاستجابة •

وانطلقت الزغاريد لكن النعش كان لا يزال مسجى • ألم يصلوا عليه بعد ؟ فما لبث ان أشرق موكب وعلت صيحات • فقلت أتسلل خلال هذه الضجة وابتغى منفذا بين جمهور الباب ـ لكنهم دفعونى فجاة وهم يتجهون بأبصارهم نحو الباب ، ناهين عن الاقتراب ، ولائذين بالاعتاب •

ـ الشيخ طاهر ، الشيخ طاهر ••

واقبل شيخ مهيب فرمقنى بنظرة تانيب • ثم بادر الى النعش فجلس قبالته ، واقبلوا على فرفعونى الى أعلى ـ ايجوز ان يكون هناك امامان ؟! بالله دعونى لست على طهور • لكنهم حملونى • ثم هموا بى الى الميضاة فخلعوا عنى الثياب • لا باس ساغتسل بنفسى فاتركونى • لكنهم غسلونى ، ودثرونى ، ثم حملونى • لا باس ساصلى بكم الان ، ان كانت هذه مشيئتكم فانزلونى• لكنهم مضوا بى الى جوار الشيخ • فرفع طاقة النعش فجاة فالقونى ! وما لبث ان هتف في عجلة:

ـ الان قد صحت الفتوى بالصلاة على الثين • فباسم الله الله اكبر !

وقبل ان افيق •• تصاعدت الاصوات مع صوت الامام بتكبيرة الاحرام •

احمد عادل

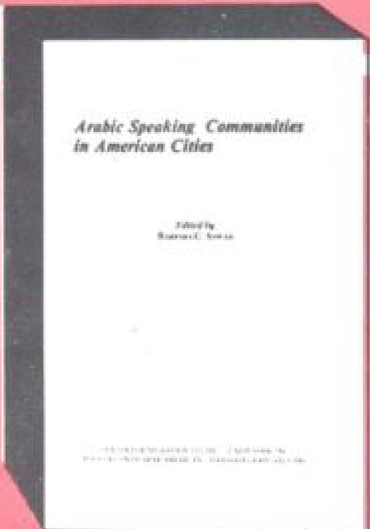
■ قال مجاعة بن مرارة الحنفى لابى بكر الصديق : « اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور • »

■ الملك والدين اخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ،فالدين أس، والملك حارس ،فما لم يكنله أس فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع •

(على بن أبى طالب)

• كتاب الشهر •

العرب في امريكا



Barbara Aswad

"ARABIC SPEAKING COMMUNITIES IN AMERICAN CITIES"

New York. Center for Migration Studies 1974, p p 192

باربره أسود

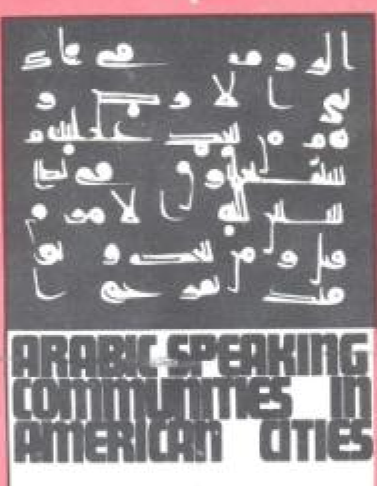
المجتمعات التى تتكلم العربية فى المدن الامريكية :

نيويورك مركز دراسات الهجرة
١٩٧٤ ـ ص ص ١٩٢

عرض وتعليق :

الدكتور اياد القزاز

استاذ مشارك في علم الاجتماع
في جامعة ولاية كاليفورنيا ـ ساكرمنتو



■ قليل من علماء الاجتماع الذين يدعون الى نظرية البوتقة الاجتماعية التي بموجبها تذوب مختلف الخصائص والسمات الحضارية للاقليات لتكون معا حضارة خاصة ذات اطار معين ٠ كذلك تدعو قلة منهم الى نظرية التامرك Americanization والتي تدعو جميع الاقليات لتتخلى عن خصائصها وسماتها الحضارية وتبنى

الحضارة الانكلوسكسونية • بينما نجد العكس في الوقت الحاضر •

ان معظم علماء الاجتماع يدعون الى ما يسمى بنظرية الحضارة التعددية Cultural Pluralism او الحضارة الجمعية التي بموجبها تحتفظ كل اقلية بخصائصها الحضارية ضمن اطار حضاري عام •

ويعتبر عقد الخمسينات من هذا القرن نقطة تحول في اعتزاز هذه الاقليات بشعورها الاثني او العرقي Ethnic ، فبدل ان تعمل هذه الاقليات على صهر خصائصها في بوتقة عامة تعمل حاليا على الحفاظ والاعتزاز بانماطها الحضارية وهي دائما فخورة بهذه الخصائص • وهناك دراسات عديدة حول موضوع الاقليات كتبت من قبل الباحثين في عقدي الخمسينات والستينات منها كتاب سانون « الاقليات في امريكا » المطبوع ١٩٧٢ ، ويتمان « الاقلية والاغلبية » المطبوع ١٩٧١ ، وندشتين « الغريب » المطبوع ١٩٧٠ ، وملتين ينجر « الاقلية في المجتمع الامريكي » المطبوع ١٩٦٥ •

كل هذه البحوث لعبت دورا كبيرا في موضوع الاقليات في علم الاجتماع ، ورغم نمو هذا الشعور بالاقليات نجدها لم تتطرق اغلبها الى الاقلية العربية في الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك باعتقادي اسباب عديدة منها :

١ ـ ان حجم الجالية العربية صغير جدا اذ يتراوح ما بين ثلاثة ارباع المليون الى المليون ونصف ومعظمهم منتشرون في جميع ارجاء الولايات المتحدة ، ومنهم قلة متمركزة في كاليفورنيا ، ميشجان ، الينوي ونيويورك • ولذلك فان هذه الاقلية غير ظاهرة للعيان •

٢ ـ لعهد قريب لم يحصل افراد الجالية العربية على مراكز عليا حساسة تجلب الانتباه •

٣ ـ ان الصراع العربي الاسرائيلي لعهد قريب لم يشجع علماء الاجتماع على دراسة هذه الاقلية واحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خشية ارتباطهم بها قد يؤدي الى وصفهم باللاسامية Anti-Semitic.

٤ ـ ان الكثير من علماء الاجتماع في امريكا ينتمون الى الديانة اليهودية وقد ادى هذا الى عدم تشجيع الطلبة على اختيار الاقلية العربية موضوعا لدراستهم •

ولكن اتضح في الاونة الاخيرة ان عدم الاهتمام بالجالية العربية بدأ بالاضمحلال والتلاشي وبدات تظهر في السنوات الاخيرة بعض الكتب والمقالات عن الجالية العربية مثل كتاب عبده الخولي « عن المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية » المنشور عام ١٩٦٦ ، وكتاب باربره اسود « عن المجتمع العربي في المدن الامريكية » المنشور عام ١٩٧٤ والذي هو موضوع هذا العرض ، بالاضافة الى ذلك ان هناك عددا لا بأس به من اطروحات الماجستير والدكتوراه قد كتبت عن نفس الموضوع•

ويمكن تفسير هذا الاهتمام في السنوات الاخيرة بما يلي : ـ

١ ـ تمكن بعض افراد الجالية العربية من البزوغ والوصول الى اماكن حساسة ومهمة في مختلف مجالات الحياة في الولايات المتحدة ، ونضرب على سبيل المثال لا الحصر الاشخاص التالية •

الشيخ جيمس ابو رزق ـ من اصل لبناني ـ انتخب شيخا في مجلس الشيوخ الامريكي البالغ عدده (١٠٠) شيخ عن ولاية داكوتا الجنوبية ، والنائب جيمس ابو نور الذي انتخب لتمثيل مقاطعة من داكوتا الجنوبية ، والنائب ابراهيم كاظم الذي انتخب لتمثيل احدى المقاطعات من ولاية تكساس ، والنائب وديع دده ـ من اصل عراقي ـ الذي انتخب لتمثيل مقاطعة ساندياجو في ولاية كاليفورنيا ، ورالف نادر ـ من اصل لبناني الذي اشتهر بجهوده ودفاعه عن المستهلكين ضد اصحاب المؤسسات الصناعية الكبرى ، وفاروق الباز ـ من اصل مصري ـ الذي اشتهر بابحاثه عن الفضاء ، والزعيم روبرت كوتيت اول زعيم في الجيش الامريكي من اصل لبناني ، وبيتر بلاتي الكاتب السينمائي المشهور الذي كتب عدة روايات آخرها exoc ، واخيرا الممثل عمر الشريف ـ من اصل مصري ـ والممثل الكوميدي داني توماس ـ من اصل لبناني •

فمثل وجود هذه الطاقة البشرية الخلاقة وغيرها ادى الى بزوغ الجالية العربية في الولايات المتحدة الامريكية والذى دعا الى الاهتمام بها من قبل الشعب المحيطبهم بما فيهم علماء الاجتماع.

٢ ـ أخذ الصراع العربي الاسرائيلي في السنوات الاخيرة طابعا جديدا مما شجع الكثير من افراد الجالية على تنظيمانفسهم في جمعياتونواد للتأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة المتحيزة لاسرائيل والعمل على نشر المعلومات الصحيحة عن العالم العربي ، ومن هذه الجمعيات اتحاد الخريجين العرب الامريكية » والتى يرمز لها بالحروف AAUG ، نشأت هذه الجمعية في عام ١٩٦٧ بعد حرب حزيران، وتضم هذه الجمعية الامريكان من اصل عربي ، ومن المهام التيتؤديها هذه الجمعية هي طبع المؤلفات والمقالات عن العالم العربي وعقد المؤتمرات السنوية وآخر مؤتمر لهذه الجمعية عقد في تشرين الاول من عام ١٩٧٥ في شيكاغو ، وقد حضر المؤتمر اكثر من الف شخص والقيت فيه ما لا يقل عن خمسين محاضرة في مختلف المواضيع التى تتعلق بعملية التنمية والتطور في العالم العربي . كما ان الجمعية بالاشتراك مع مركز الوثائق في جامعة مينسوتا تعمل على جمع ما امكن من الحصول عليه من الوثائق والمؤلفات والصحف التى تتعلق بالجالية العربية .

٣ ـ لقد ظهر في السنوات الاخيرة فئة كفوءة من علماء الاجتماعمن اصلعربي وقد اتخذ هؤلاء العلماء من الجالية العربية كأساس لدراستهم العالية وبذلك نجد ما لا يقل عن عشرين اطروحة ماجستير ودكتوراه قد كتبت عن الجالية العربية من قبل هؤلاء الباحثين .

ان الكتاب الذى هو موضوع هذا العرضيمثل اضافة مهمة للبحوث القليلة عن الجالية العربية في الولايات المتحدة الامريكية وان المشرفة على هذا الكتاب هي دكتورة في علم الانثربولوجية وقد مارست التدريس لعدة سنوات في جامعة وين في مدينة ديترويت من ولاية ميشجان كما انها الفت عدة كتب ومقالات عن العالم العربي .

ويضم الكتاب تسعة فصول بالاضافة الى مقدمة وقائمة بالكتب التى كتبت عن الجالية العربية ومعظم الذين كتبوا الفصول هم اما علماء اجتماع او انثربولوجى ، ستة منهم يدرسون في جامعة وين ايضا في مدينة ديترويت ومعظمهم من اصل عربي او مرتبط مع العرب عن طريق الروابط الاسرية ، ومعظم فصول الكتاب تتعلق بالجالية العربية في مدينة ديترويت حيث تضم هذه المدينة عددا لاباس به من العرب يقدر باكثر من سبعين الف شخص ، بالاضافة الى توفر عدد غير قليل من الدراسات السابقة عن العرب ، وتعتبر جامعة وين من الجامعات الاوائل في دراسة هذا الموضوع اذ انها عملت على التشجيع على دراسة الاقليات في ديترويت بما فيها الجالية العربية ، وقد اضافت مشرفة الكتاب خارطة تبين توزيع الجالية في المدينة وقد اتضح ان تسعين بالمائة من أفراد الجالية العربية هذه ينتمون الى الديانة المسيحية وان معظم فصول الكتاب تتعلق بهم . ولكن اغلب الدراسات تناولت المهاجرينالاوائل الذين هاجروا الى الولاياتالمتحدة الامريكية فياوائل العشرينات.

ومن المواضيع الهامة التى اكد عليها الباحثون في معظم دراساتهم هى محاولة المهاجرين اعادة بناء انماطهم الحضارية في وطنهم الجديد وهم بهذا يظهرون فشل كثير من الفرضيات النظرية التى قدمها علماء الاجتماع الحضريين والصناعيين والذين اكدوا في الماضي على ان الحياة الحضرية والصناعية تؤدى الى اضعاف الانماط السلوكية التقليدية كما في العائلة الممتدة Extended Family ويبدو أن اعادة بناء الانماط التقليدية في الوطن الجديد يحقق Fulfil ، وظائف هامة منها ، ان هذه الانماط تساعد المهاجرين الجدد من القدرة على مواجهة الصعوبات في الظروف الجديدة المعقدة والتهيؤ لها Adjus حيث انهذه الانماط الحضاريةتزودهم بالاستقرار والراحة وتخفف عنهم حدة التوتر والقلق لما يواجهونه من ضغوط بيئية جديدة، كذلكتساعدهم في كيفية الحفاظ على احترام ذاتهم مبنية على اسس غير الاسس المستعملة في المجتمع الجديد

(ص ٧٧) وخير مثال على ذلك هو دراسة لوريل ويجل Laurel wigle ، (ص ١٥٥ ـ ص ١٦٨) عن المجتمع الاسلامي العربي في ميشجان . ففي هذه الدراسة تعطى الدكتورة ويجل عدة ادلة وبراهين عن كيفية محاولة افراد هذا المجتمعاعادة بناء عدة انماط سلوكية تقليدية واهمها ظاهرة العائلة الممتدة والزعامة .

فالظاهرة الاولى تمثل احدى الخصائص الهامة للحياة الريفية في العالم العربي حيث انها تقوم في البيئة الجديدة بعمل يشبه دائرة الاستخدام Employment Agency ، اى انها تعمل على مساعدة وايجاد اعمال للاقارب . ففي دراستها اكد ثمانون بالمائة من العينة التي درستها على انهم اعتمدوا على اقاربهم في حصولهم على عملهم الاول . كما ان العائلة الممتدة تساعد المهاجرين على تفهم الانماط السلوكية الجديدة المرتبطة بالعمل . ان مثل هذه الامور مهمة جدا وخاصة اذا ما تذكرنا مشكلة اللغة والتي يعاني منها الكثير من المهاجرين الجدد (ص ١٥٧) .

كذلك نفس الشيء بالنسبة الى منظمة الزعامة والتي تتصف بها الكثير من القرى العربية فقد اعيد بناؤها في هذا المجتمع من جديد . فمثلا عندما نجد احد افراد المجتمعيحتل مرتبة اجتماعية عالية في المجتمع وبحكم مركزه يكون كحلقة وصل بين المجتمع والمؤسسات الحكومية .

اما دراسة ماري سنجستوك Mary Sengstock عن العراقيين المسيحيين في مدينة ديترويت (ص ٢١ ـ ٣٨) فتعطينا صورة اخرى عن عملية اعادة بناء الانماط السلوكية التقليدية .

ففي هذه الدراسة تؤكد المؤلفة على الترابط والتساند الوثيق بين العائلة الممتدة والاعمال الاثنية العرفية ethnic occupation ، فنجد معظم افراد هذا المجتمع يملكون محلات بقالة كليا او جزئيا ، ويؤكد اصحاب هذه المحلات على ان اعمالهم اسهل واكثر نفعا اذا ما اتحدوا مع اقاربهم ، وبنفس الوقت يؤدى هذا الترابط العملي الى تقوية العائلة الممتدة عن طريق ضمان اعمال للاقارب الذين يرغبون في الهجرة من الوطن الام (ص ٢٧) . وبهذا الضمان يصبح هؤلاء المهاجرون ادوات اقتصادية نافعة وليست عوائق اقتصادية . بالاضافة الى ان عدم معرفة اللغة الانكليزية بين المهاجرين الجدد لا تكون عائقالهم لان باستطاعتهمالتخاطب بلغتهمالاصلية مع اقاربهم الذين يعملون معهم وبنفس الوقت يساعدونهم على تعلم اللغة وترجمة الامور المهمة لهم .

ان أهم دراسة في الكتاب من الناحية النظرية والتطبيقية هي البحث عن المهاجرين من مدينةرام الله في فلسطين المحتلة وقد كتب هذا البحث الدكتورجارلسسوانوليليسابا(ص٨٥ـ١١٠)وتحاول هذه الدراسة مناقشة اربعة نماذج نظرية مثالية تتعلق بتكييف المهاجرين لظروفهم البيئية الجديدة وهذه النماذج هي :

١ ـ الجزيرة الاثنية التيتتصف بالاكتفاء الذاتي Self Sufficient ، مثل مجتمع الامش Amish

٢ ـالقرية الاثنية التيتتصف بالقرب الجغرافي والعلاقات الاجتماعية الوثيقة ولكنها تعتمد على العلاقات الاقتصادية في الخارج .

٣ ـ الجماعة الاثنية المنظمة حول الكنيسة او اى ناد اجتماعي .

٤ ـالجمهور الاثنيالذى هو عبارةعن مجموعةمن الافراد المنتشرين في كل مكان ولكنهم مرتبطونمع بعضهم الاخر عن طريق الانماط السلوكية التقليدية .

وقد اكد مؤلفا هذا البحث على ان المهاجرين من رام الله الى حد كبير يشبهون الجماعة الاثنية، ان هؤلاء المهاجرينمنظمون حولنادى رامالله ولهذا النادى فروع متعددة فيجميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية ، كما أن النادى يصدر مجلة خاصة به تطبع في مدينة ديترويت لتسهل الاتصالات بين افراد الجالية (ص ٩٤) .

ان هذه الجالية تعكس بعض الخصائص التي تختلف عن الجاليات العربية الاخرى التي نوقشت في هذا الكتاب .

واهمالاختلافات هيان المهاجرينمن رامالله اكثر قدرة على التكيف البيئي والاندماج في الوطن

الجديد ، كما انهم على علم ودراية وخبرة بالمؤسسات الغربية في وطنهم الاصلي ، كذلك يتصف هؤلاء المهاجرون بثقافةعالية اذا ما قورنوا بالمهاجرين العرب الاخرين ويرجع سبب هذا الاختلاف الى مايلي :

١ ـ ان مدينة رام الله لاتبعد اكثر من عشرة اميال عن مدينة القدس وقد ساعد هذا الموقع الجغرافي على الاختلاط مع الحجاج القادمين من الغرب لزيارة القدس (ص ٨٩) ، كما ان منظمة Quaker قد انشات مدرستين واحدة للاولاد واخرى للبنات في القرن التاسع عشر عام ١٨٨٩ لتعليم اطفال هذا المجتمع،ومعظم مدرسي هاتين المدرستين هم من بريطانيا،وقد ساعد هذا على تعريف افراد مجتمع رام الله بالعادات والتقاليد الغربية بالاضافة الى انه خلال عهد الانتداب الانكليزي عمل معظمهم في دوائر حكومة الانتداب مما زاد احتكاكهم بالغرب .

وتوضح دراسة هذا المجتمع ان(٧١٪)من العينة التي درسها الباحثان يجيدون اللغة الانكليزيةقبل هجرتهم الى الولايات المتحدة وبسبب المستوى الثقافي العلمي والخبرة نجدهم منتشرين في كثير من الوظائف الادارية والحرفية Profession (ص ١٠٧) .

ومن الجوانب الطريفة التي تطرقت لها هذه الدراسة ، هو ان احد اسباب هجرة الافراد من رام الله هو رغبتهم في الحفاظ على تقاليدهم وانماطهم السلوكية التي تعرضت للهجوم من قبل المهاجرين اليهود الى فلسطين،وقد ازدادت حدة هذه الهجرة بعد احتلال اسرائيل لهذه المدينة اي بعد حرب عام ١٩٦٧ ، والهجرة الى الولايات المتحدة هي احدى طرق المحافظة الى حد ما على هوية المجتمع .

النقد والتعليق

يعاني الكتاب من بعض النقائص ويمكن تلخيص هذه النقائص بمايلي :

١ ـ ان معظم الدراسات في هذا الكتاب هي دراسات وصفية غير تحليلية وقسم قليل من كاتبي هذه الدراسات حاولوا ربط دراساتهم بالنظريات الاجتماعية او مقارنة دراساتهم بالدراسات الاخرى عن الاقليات في ديترويت ، فالقارىء قلما يعثر خلال هذا العرض على اي مقارنات توضح نقاط التشابه والاختلاف بين عملية التاقلم للمهاجرين العرب والاقليات الاخرى .

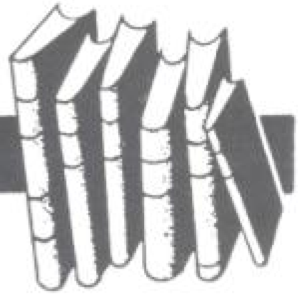
٢ ـ ان معظم الدراسات والبحوث الواردة في الكتاب غير مفصلة لطرق البحث التي استعملت لجمع المعلومات عن الجالية العربية وكل ماقيل عن طرق البحث هو أن مؤلف الدراسة كذا قد استعمل طريقة الاستبيان او المشاركة او كليهما لجمع المعلومات ، كما أن معظم الدراسات تتعلق بافراد عينة صغيرة الحجم لاتتعدى الخمسين شخصا ، بالاضافة الى ذلك لم تلحق هذه البحوث بنسخةمن الاستبيان خاص بهذه الدراسات بل اشاروا الى بعض الاسئلة التي استعملت في الدراسة ، كما ان التحليل الاحصائي في جميع الدراسات هو من النوع البسيط العام الذي يستعمل النسب المئوية ولا نجد أثرا لاستعمال اي اختبارات احصائية اخرى بما فيها

Statistical test of Significance.

٣ ـ مما لاشك فيه أن اضافة ملحق بالكتاب يتعلق بالبحوث والدراسات المتوفرة عن الجالية العربية هو شيء مفيد وضروري ، ولكن مع الاسف نجد عدة هفوات ونقائص في هذا الكتاب واهمها عدم احتوائه على كثير من الدراسات الهامة السابقة مثل دراسة هارولد بداسلي « استمرارية الانماط السلوكية لمجتمع اسلامي في كندا » المنشور في مجلة العالم الاسلامي ، كانون الثاني عام ١٩٦٩، ودراسة عبده الغولي عن « الزواج بين المسلمين في العالم الجديد » المنشور في المجلة العالمية لعلم اجتماع العائلة عام ١٩٧١ ، ودراسة الدكتور عبد الجليل الطاهر عن العربة والاغتراب وعملية التمثيل لدى الجالية العربية في شيكاغو المنشور في مجلة كلية الاداب والعلوم في بغداد مجلد (١) سنة ١٩٥٦ (ص ٥٤ ـ ٦٥) .

ويعتبر هذا الكتاب بالرغم من هذه النقائص والهفوات من الاضافات الجديدة الجيدة الى المكتبة الصغيرة عن الجالية العربية في الولايات المتحدة الامريكية . ■■

كاليفورنيا ـ اياد القزاز



من الكتب التي وصلتنا

دعوة الى تعريب العلوم فى الجامعات

المؤلف : الدكتور احمد مطلوب .

الناشر : دار البحوث العلمية / الكويت .

● رسالة فى نحو مائة صفحة من القطع المتوسط ، مضمونها واضح من عنوانها «دعوة الى تعريب العلوم فى الجامعات » قدمها مؤلفها الى ندوة التعريب فى طرابلس / ليبيا سنة ١٩٧٥ ، وقد مهد لدعوته بخلاصة لتاريخ التعريب عندنا ، منذ بدأت الترجمة فى العصر العباسى بل قبله ، واتجاههم فى ذلك الى تعريب الكلمات الاجنبية أو ترجمتها بكلمات عربية ، وما كان لاسلافنا من جهود ضخمة فى نقل العلوم الى العربية ثم التاليف فيها بالعربية ، مع التوسع فيها ، حتى استوعبت كل معارف الحضارات السابقة ، وصارت لغة الثقافة العالمية .

ثم اشار الى ان التدريس فى الجامعات بالعربية قضية قومية ، ثم هو دافع الى التقدم الثقافى ، ثم هو عامل على انتشار الثقافة بين الجماهير ، واننا بدانا منذ القرن الماضى ننمى لغتنا ونطورها ، ونضع المصطلحات العلمية لكل باب جديد فى المعرفة بفضل جماعة من الرواد ،وما اصاب هذه النهضة من نكسات ، ثم ما كان أخيرا من استقامة هذه النهضة على طريقها حتى اليوم، فصارت العلوم كلها تدرس فى كثير من كلياتنا الجامعية بلغتنا ، لا بلغة اجنبية ، ويشير المؤلف الى الوسائل العلمية التى تمكننا من تطوير لغتنا، ومنها المجاز ، والاشتقاق ، والاقتراض ، والنحت، والارتجال ، والتوليد ، والقياس .

اللغة العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى

المؤلف : الدكتور مازن مبارك .

الناشر : دار النفائس / بيروت .

● رسالة فى سبعين صفحة من القطع الصغير ، تضم محاضرات تتناول التعريب فى الوطن العربى تدريسا وتاليفا ومصطلحا ، وفيهايوضح المؤلف صلاح اللغة العربية للتاليف فى الموضوعات العلمية والمحاضرة بها فى اعلى المستويات الثقافية ، وذلك ما يستطيعه المختصون اذا عزموا امره وكانوا على بصيرة باللغة ، لا بد فى ذلك من تعاون المختصين فى اللغة والمختصين بالعلوم الاخرى ، فعلى اللغويين ان يدركوا مشاكل العلميين وييسروا لهم مهمتهم ، ويطلعوا على ارائهم فيما يدرسون ، دون أن يتجاهلوا مشاكلهم فى التاليف العلمى ، اذ لا مفر لنا من التوسع فى هذا التاليف .

وهذه القضية قومية ، فكثير من دول العالم قد اتخذت لغتها لغة للتعليم العالى فيها ، ثم اننا لو اخترنا لغة اجنبية لهذا التعليم ، لا بد ان تكون واحدة ، فكيف ننتفع بالعلماء الذين درسوا العلوم بلغة اجنبية اخرى ، ثم ان الاقتصار على هذه اللغة الواحدة – لو اخترناها – يطبعنا بطابع اهلها ، كما يحرم شعوبنا من الاستفادة بما كتب فى غيرها من اللغات ، وليست دعوة الكاتب الى اتخاذ اللغة العربية هنا دعوة الى اهمال اللغات الاجنبية او التهوين من شانها جملة فى التدريس العالى، اذ لابد للمثقف من اتقان لغة أجنبية .

شلل الاطفال

المؤلف : الدكتور راجى عباس التكريتى

الناشر : مكتبة المثنى / بغداد

● رسالة فى نحو (٧٠) صفحة من القطع المتوسط تبحث فى « شلل الاطفال » الذى يعد من اوسع الامراض واشدها وبالا . بدات الرسالة بنبذة فى تاريخ هذا المرض منذ عصر الفراعنة ثم خلال نهضة العرب الذين سموا هذا المرض « الاسترخاء » ثم ايام النهضة الاوربية الحديثة ، حين بدأ البحث فى امراض الاطفال ، ومنها الشلل سنة ١٧٦٥ ، ثم توالى البحث حتى الآن لدراسته وعلاجه بوسائل مختلفة ، وقد تتبع المؤلف انتشار المرض فى العالم ، ومجال الاصابة به ، وطرق انتقال عدواه ، ووسائل المناعة منه. كما وضح طبيعة هذا المرض واعراضه ومضاعفاته. ومايحدث للمريض خلال الاصابة به ، ووسائل شفائه منه ، وقد ذيل الرسالة بمصادرها العربية والانجليزية .



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

تورم الثدى

● انا سيدة فى الخامسةوالعشرين من عمرى ، وقد لاحظت بطريق الصدفة وجود ورم صغير فى ثديى الأيمن •• ومنذ ذلك الوقت وانا اشعر بخوف شديد ، فماذا افعل ؟

(•••••)

ان اى تورم فى الثدى يستدعي منك مراجعة الطبيب فورا ، ويجب ان يؤخذ الأمر بجدية ، فربما كان هذا الورم شيئا بسيطا ، ولكن ربما كان شيئا يستحق العلاج ••

وتستطيع كل سيدة او انسة بأن تفحص ثدييها بنفسها مرة كل شهر ، ويستحسن ان تفعل ذلك بعد انتهاء العادة الشهرية •• وذلك بأن تقف امام المرآة ، وان تلاحظ اى تغير فى حجم الثدى او فى شكل الحلمة او اتجاهها • فاذا لاحظت اى شيء غير عادى وجب عليها أن تبادر بعرض نفسها على الطبيب الذى سيقوم بفحصها فحصا دقيقا •• وقد يجرى لها فحصا ميكروسكوبيا لأى سائل يخرج من الحلمة أو فحصا بالاشعة السينية للثدى Mammography •• وفى حالة الشك تجرى عملية لازالة الورم ، واثناء العملية يفحص الورم فحصا ميكروسكوبيا سريعا بعد تجميده وصبغه Frozen section وبعد الفحص الميكروسكوبى يمكن للطبيب ان يقرر ما اذاكان الورم حميدا اوخبيثا•

ففى حالة الأورام الحميدة او حالات الاورام الناتجة عن الاضطرابات الهرمونية يكتفى بازالة الورم ، أما فى حالة الاورام الخبيثة فيزال الثدى والغدد الليمفاوية التى توجد تحت الأبط وذلك لضمان عدم انتشار المرض •• وربما احتاجت المريضة بعد ذلك للعلاج بواسطة الأشعة العميقة Radiotherapy او بعض الأدوية او الهرمونات المناسبة •

والشيء المهم بالنسبة للاورام ، هو سرعة التشخيص والعلاج ••• ولقد اثبتت الأبحاث التى اجريت على اورام الثدى الخبيثة ان نسبة الشفاء قد تصل الى ٨٥ فى المائة اذا شخصت وعولجت فى اول ظهور الورم • وهناك حالات اجريت لهن عمليةاستئصال اورام خبيثة من الثدى منذ عشرين او ثلاثين عاما ، وهن ما يزلن يعشن فى حالة طبيعية جدا ••

ومن الجدير بالذكر انه أجريت فى العام الماضى عمليات استئصال ثدى زوجة الرئيس الأمريكى فورد ، وكذلك زوجة نائبه روكفلر ، وقد نشر اخيرا بحث فى المجلة الطبية البريطانية يقرر انه بعد نشر انباء هذه العمليات،فان عدد السيدات اللائى عرضن انفسهن على الأطباء لفحص الثدى قد تضاعف فى الولايات المتحدة ، مما امكن معه اكتشاف عدد من حالات السرطان المبكر بالثدى •

الزواج وفصائل الدم

● انا شاب مقبل على الزواج ، وقد سمعت انه في بعض الحالات قد لا يتوافق دم الزوج مع دم الزوجة ، مما قد يؤثر على الاطفال في المستقبل ... فكيف يكون ذلك ؟

(.....)

ــ من المعروف ان الدم ليس فصيلة واحدة بل هو فصائل .. ولكل شخص فصيلة دم .. ومن اهم انواع فصائل الدم ، فصائل A B O . ومعرفة هذه الفصائل له اهمية كبيرة في حالات نقل الدم . فنقل الدم الى شخص من شخص ذي فصيلة مختلفةيؤدي الى عواقب وخيمة قد تودي بحياة الشخص المعطى له الدم . ومن فصائل الدم الهامة توجد فصيلة الـ Rh ، وهذا اختصار لكلمة Rhesus Monkey وهو نوع من القرود اكتشفت فيه هذه الفصيلة لاول مرة . وقد وجد بالبحث ان ٨٥ بالمائة من الاشخاص ايجابيين لـ Rh (+ Rh) اى ان كريات دمهم الحمراء تحمل هذه الفصيلة ، وبلازما الدم عندهم لا تحمل اجساما مضادة لهذه الفصيلة .. وقد وجد ان ١٥٪ من الاشخاص سلبيين لهذه الفصيلة ، اى ان كريات دمهم الحمراء لا تحمل هذه الفصيلة .. وفى هذه الحالة اذا اخذت كريات حمراء تحمل هذه الفصيلة لجسم هذا الشخص فان جسمه يفرز مواد مضادة لها فى بلازما الدم .

فاذا حدث ان تزوج شخص ايجابى لهذه الفصيلة + Rh من زوجة سلبية لهذه الفصيلة ــ Rh ، فانه عند حدوث الحمل ، قد يرث الجنين صفة الايجابية من أبيه ويصير ايجابيا + Rh . ونتيجة اتصال الدورة الدموية بين الام والجنين ، فهذا يؤدى الى تكوين اجسام مضادة من دم الام ضد كريات الدم الحمراء للجنين، وهذه الاجسام المضادة تنتقل خلال المشيمة الى الدورة الدموية للجنين .. وتؤدى الى تكسر كرات الدم الحمراء للجنين .. وتكسر كرات دم الجنين يؤدى بدوره الى اصفرار الجنين ، وقد يؤدى الى فقر دم شديد .. مما يؤثر على مخ الجنين ومن ثم الى وفاته ..

وتكوُن الاجسام المضادة فى دم الام يستغرق مدة طويلة ، لذا ، قد ينجو الجنين فى اول حمل ، لكن الجنين فى الحمل الثانى وما بعده يتأثر كثيرا ..

مما تقدم،يتضح ان تحليل دم المقبلين على الزواج ضرورى جدا ، وبالتالى عدم زواج الشخص الايجابى لهذه الصفة من زوجة سلبية لها .



أكزيما الوجه

● أصيب طفلى الرضيع باكزيمافى وجهه مما جعله كثير الحكاك والعصبية ، فما اسباب هذه الاكزيما٠٠وكيف اجنبه اياها ٠٠ وهل ستشفى نهائيا ام تستمر معه فى الكبر ؟

(٠٠٠٠٠)

— ان الطفل الرضيع تكون بشرته رقيقة وحساسة ، ولذلك فمن السهل ان تتاثر بأية مؤثرات خارجية مثل الرياح الشديدة والغبار ، وكذلك التغير المفاجىء فى درجة الحرارة ، واستعمال الدهونات والزيوت واستعمال الملابس الصوفية او النايلون على الوجه فى الشتاء للتدفئة٠٠ كل هذه العوامل قد تؤدى الى حدوث حساسية واكزيما فى وجه الطفل الرضيع عادة بعد عمر الشهرين ٠٠ لذلك ينصح بتجنب هذه المؤثرات ٠



وربما تحدث الاكزيما فى وجنتى الطفل نتيجة حساسية لبعض المأكولات ، كالسمك والبيض والقمح والبازلا (البسلة) واللوز وحليب البقر ٠

كذلك يجب الانتباه فى حالة وجود حيوانات أليفة فى المنزل مثل القطط والكلاب ، حيث ان الشعر المتطاير منها قد يؤدى الى هذا النوع من الحساسية ٠٠ونجد ايضا ان مخدات الريش فى البيت من الأسباب الشائعة التى تؤدى الى حدوث اكزيما على الوجه خاصة بين الاطفال ، وقد تمتد هذه الاكزيما الى جفون العين بينما لاتصل الى باقى انحاء الجسم لبعدها عن المخدة ٠

وهناك اسباب اخرى تحدث الاكزيما فى الأطفال مثل الاسبرين والمهدئات التى تعطى للطفل بسبب بكائه المستمر او شعوره بالمغص مثلا ٠

لذا ، فاننا ننصح بتجنب جميع هذه المسببات،ومنع استعمال الاطعمة المذكورة اعلاه ، ويمكن الاستعاضة عن البيض والقمح والأرز والشعير والذرة مثلا ،وفى حالة الغاء الحليب يمكن استعمال ماء الفول للتغذية ٠

ولمعرفة نوع الاكل المسبب لهذه الاكزيما يمكن اتباع طريقة الاستبعاد ، وتسمى Elimination diet وذلك بمنع الاطعمة التى نشك أنها تسبب الاكزيما ، ثم ندخل كل مادة غذائية تدريجيا على حدة فى اكل الطفل لرؤية مدى تأثيرها ، وما اذا كانت هي السبب فى وجود الاكزيما ام لا ، حتى نصل لمعرفة الغذاء المسبب للاكزيما ٠

كذلك يمكن عمل اختبارات حساسية الجلد لمعرفة المادة المسببة فنتجنبها ٠٠ ويلاحظ انه من المفضل ان تكون حجرة الطفل خالية من السجاد ومخدات الريش والصوف والحيوانات ٠

وعادة تشفى الاكزيما مع نمو الطفل وخاصة اذا عرفنا السبب وأزلناه ٠٠الا انه عند التسنين يمكن ان تعود الاكزيما ثانية ٠

■■

حوار القراء

● رسالة الشهر ●

غرباء في بلاد العرب

تتحدث صحفنا ومجلاتنا كثيرا عن العلماء العرب الذين برزوا وشغلوا مواقع علمية مرموقة في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، وهؤلاء جميعا يبعثون فينا روح الفخر والاعتزاز بغير شك • لكن ، الم يسال احد لماذا يذهب هؤلاء العلماء الى الغرب وامريكا ، ولماذا لا يتجهون الى عالمنا العربي ؟

السبب في رأيي ان هـؤلاء الاوروبيين والامريكيين ابعد نظرا منا ، بل واكثر ذكاء وفطنة • انهم يفتحون الابواب على مصاريعها لهؤلاء العلماء ، يغرونهم ويشجعونهم ، ويوفرون لهم كل ما يحتاجونه من امكانيات علمية ومادية •

اما عندنا ، فالعربي في غير بلده اجنبي ، حتى ولو كان في بلد عربي اخر • نعم اجنبي! ثمة الوف مغتربون في انحاء العالم العربي ، يسهمون في بنائه وتنميته ، ولكننا نعامل كالاجانب ، ثمة قيود على التعامل مع المرافق الحكومية كالمدارس والمستشفيات مثلا ، وقيود اخرى على استثمار الاموال • بل وهناك احياء نمنع من السكن فيها لاننا اجانب ، واحيانا يمنع ابناؤنا من الزواج من بنات اهل البلد الاصليين • وذلك فضلا عن قيود الاقامة والكفالات التي تطلب منا ، والتفاصيل كثيرة ومحزنة ، وكلها تؤكد تلك الحقيقة ، وهي ان العرب صاروا غرباء في بلاد العرب •

وليس هذا وحده هو الذي يحزننا ، لان هناك ما هو ادهى وامر • فرغم ان عالمنا العربي يعاني من التخلف ، ويعيش في جزء منه في حالة ضيق اقتصادي وفقر مدقع ، رغم هذا كله فان اموال العرب بملايينها التي يتحدث عنها العالم كله ، تذهب الى حيث تستثمر وتشارك في تنمية ورفاهية اوروبا ، وامريكا ، حيث « الاجانب » الحقيقيون •

وهي مفارقة غريبة ومضحكة • في ناحية يعتبر العربي اجنبيا في البلد العربي الاخر • وعندما يشق المال العربي طريقه الى بلاد الاجانب ، تسقط ـ بقدرة قادر ـ من عداد هؤلاء الاجانب !

خبرونا بالله عليكم : هل نحن عرب أم اجانب ؟ !

فيصل عسيري / جدة

الرياضة جريمة

● في بعض بلاد وطننا العربي تعتبر ممارسة الفتاة للرياضة جريمة لا تغتفر ، على اعتبار انها تدخل في باب العبث الذي يفسد الانسان • وقد قالت لي احدى قريباتي ممن يعشقن الرياضة انها لا تستطيع ان تمارس الرياضة ، كما انها لا تستطيع مشاهدة مبارياتها •• « ولو حدث ذلك فانني ساصبح طريدة المجتمع ، غريبة عن اهلي ، واقاربي وحتى زميلاتي » ••

اليست الرياضة هواية شريفة وتساميا مطلوبا لطاقات الانسان وغرائزه •• بل ووسيلة متقدمة للتربية والاعداد القويم للبشر • اكتبوا هذا الكلام من فضلكم حتى يقتنع الناس في عالمنا بان رياضة الفتاة ليست جريمة !

مصدق عزت اغا

جامعة حلب / كلية الهندسة

عن املنا فى الوحدة

● فى حديث الشهر الذى طرح فيه الاستاذ احمد بهاء الدين موضوع الوحدة العربية وقارن بين ما يجرى فى البلاد العربية وما يجرى فى دول اوروبا، فى هذا المقال تناول رئيس التحرير عناصر الوحدة: اللغة والتراث، لكنه لم يتحدث عن الدين الاسلامى الذى فى ظله تـوحدت الأمة الاسـلامية وصنعت حضارتها العظيمة • اننى اؤكد لكم ان هذه الوحدة لن تتوثق الا فى ظل الاسلام •

محمود نوفل/كلية الصيدلة

كراتشى/باكستان

ـ اليس الدين جزءا من تراثنا العظيم ؟

هذه الثروة المهدرة

● قرات مقالا فى مجلة فرنسية ذكر فيه كاتبه انه استطاع قراءة الجريدة فى الليل وهو جالس فى سيارته ، على ضوء لهيب النيران الهائلة المشتعلة فى غاز النفط على امتداد طريق طويل فى بلد عربى • ترى هل اصبحنا من الغفلة بهذا القدر، ولماذا لا نستغل هذه الثروة العربية المهدرة ؟

احمد سالم بافباش/عدن

الحضارمة : مهاجرون ابدا

● لـماذا لا تكـتـبون عن الحضارمة وما ادوه للعروبة والاسلام طوال قرون عديدة • لقد كان هؤلاء الحضارمة هم الذين حملوا الاسـلام الى شواطىء آسيا وافريقيا ، واسسوا مجتمعات كاملة هناك تنطق باللغة العربية وتدين بالاسلام • بل انهم استقروا فى تلك البلاد وشاركوا اهلها فى السراء والضراء • وقاتلوا ضد محاولات الغزو والاستعمار ، كما حدث فى اندونيسيا التى يعيش فيها حوالى نصف مليون حضرمى • ان اهل حضرموت قد غيروا وجهتهم الان بعد وضع قيود على الهجرة ونظم الدخول فى البلدان الآسيوية والافريقية ، واتجهـوا الى المملكة العـربية السعـودية ودول الخليج العربى •• انهم مهاجرون دائما ،ومشاركون فى بناء المجتمع ورفاهيته اينما حلوا •

سالم عبيد الهندى

جاكرتا/اندونيسيا

انقذونا فى موريتانيا

● ما يحدث فى موريتانيا يجب ان يعرفه العرب ويبادروا الى اتخاذ موقف يصد موجات الفرنسة والتبشير التى نعانى منها • والتى لا يمكن الا ان توصف بانها مؤامرة على بلادنا • هنا حملة مستمرة للتشكيك فى عروبة شعبنا ودينه، هنا اتجاه ساحق لمحو اللغة العربية والتعلق بكل ما هو مستورد • خصـوصا اللغة الفرنسية • فصحيفة « لوموند » الفرنسية ترسل بالمجان لمن يطلبها ، بينما ليست امامنا اية فرصة لقراءة صحيفة عربية • وبالمجان ايضا ترسل الى بيوتنا كتب التبشير •

ان الاسلام يهاجم بانه قرين التخلف وسببه ، ولا نجد من يرد او يشـرح الحقيقة • ان العالم الاسلامى غائب عما يجرى فى موريتانيا ، مكتفيا وراضيا باسمها المعلن فقط : الجمهورية الموريتانية الاسلامية ••

هل يتحرك احد لينقذ عروبتنا وديننا •• ؟

فاطمة بنت محمد ادباى

اكجوجت/موريتانيا

توزيع « العربى »

● العربي تاخر وصولها الينا ستة اشهركاملة، هل هذا معقول ؟

بنمعطى عبد الله
مكناس/المغرب

●مجلتكم لا تصلنا في موعدها اول كل شهر ، وكثيرا ما تتاخر الى منتصف الشهر • بل حدث انها تاخرت اكثر من شهر كامل هذا العام • علما باننا لسنا في اوروبا او امريكا ، نحن على بعد ثلاث ساعات بالطائرة من الكويت • هل نامل في ان تصل المجلة الى ايدينا في موعدها ؟

على احمد على
محرم بك/الاسكندرية

● لا عجب انيشكو القراء في الاردن او ليبياو اوروبا من صعوبة الحصول على مجلة « العربى »، طالما انني في (البصرة) التي تعتبر اقرب بلد للكويت اعاني صعوبات جمة في الحصول على عدد منها ••

فالى متى سيستمر هذا الحال ؟

زهير احمد موسى
البصرة/العراق

ـ توزيع المجلة ـ مثل الاشتراك فيها ـ صادف عدة صعوبات خلال احداث لبنان • وهذا الموضوع محل دراسة الان ، هدفها هو ضمان وصول المجلة الى قارئها اول كل شهر • ادعوا لنا بالتوفيق !

متطوعون لجيبوتي

●قرانا في العدد الاخير لمجلة « العربي » ان احد الاخوان تطوع لتدريس اللغة العربية في جيبوتي استجابة لنداء صدر من هذه البقعة العربية الافريقية • ونحن اربعة من المغاربة في السنة السابعة ادبي (بكالوريا)ونرغب في التطوعللمساهمة في اداء هذه الرسالة •

ابو صلاح ـ شوكت
لوب ـ كمال

عنواننا هو : البيضاء/المغرب
٢٢ شارع جمال دولنكلورى موزكون

« اقتلوا •• العربى » ••

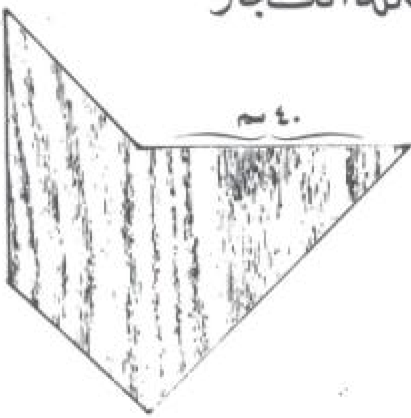
●لماذا بالله عليكم هذا الحقد الذى يكنه الاوروبيون للعرب ، حتى قالت الملكة ايزابيلا قولها الشهير : حاربوا الافريقي وتعقبوا العربي في عقر داره • ثم قالت : اذا وجدتم العربي والأفعى فاقتلوا العربي ودعوا الأفعى، فهذهسمومها تزول ••

مومنا عبد الرحيم
وجدة/المملكة المغربية

ـ هذا الحقد الأوروبى من مخلفات الفكر الذى ساد منذ عدة قرون ، خلال سنوات الحروبالصليبية عندما كان ملوك اوروبا وامراؤها يحرضون جندهم وشعوبهم على غزو بلاد المسلمين وهدم حضارتهم العظيمة • وقتئذ اراد هؤلاء الملوك ان يوسعوا ممالكهم ، وبدافع من التعصب الجاهل ارادوا ان يحطموا هذا الدين الآخذ في الانتشار ،واستخدموا لتحقيق اهدافهم كل سلاح ، حتى زرعوا بذور الحقد في قلوب الأجيال التي توارثتهم ، وشوهوا صورة العربى والمسلم في اعماق المواطن الأوروبى •

نزهة العقل الذكي

مشكلة النجار



عثر النجار على قطعة الخشب المرسومة مع هذا ، بنفس الشكل والابعاد المبينة ٠ واستطاع بقطع خطين مستقيمين فقط ، ان يصنع منها قرص مائدة مربعة طول ضلعها ٤٠ سم ٠

هل تستطيع ان ترسم هذين الخطين ؟

• بالعقل فقط •

أستاذ نبيل يسأل :

أين جلس سرور بالنسبة لسعاد ؟

مشكلة صادفتني في عيد ميلاد ابني ٠٠ كيف سيجلس الاولاد والبنات حول المائدة المستديرة التي توسطتها كعكة عيد الميلاد الكبيرة ٠ هشام وبهجت أصر كل منهما على أن يجلس بين اثنتين من الفتيات المدعوات ٠ لكن جيلان أصرت على رفضها الجلوس الى جوار هشام لسبب لا أدريه ٠ وطلب تميم أن يجلس الى جوار أمينة ، فاستجابت لطلبه وجلست الى يمينه ٠ وبينما كنت أحاول أن أجد حلا لهذه المطالب المتشابكة ، بادر كل من سرور وسعاد بالجلوس الى المائدة ومدا ايديهما الى الكعكة الكبيرة ٠

اخيرا، تمكنت من تلبية طلبات ورغبات الجميع ، فالمكان الذى اختاره كل من سرور وسعاد ، لم يمنع تحقيق طلبات الاخرين ٠

هل يمكنك أن تعرف أين جلس سرور بالنسبة الى سعاد ؟

اثنتان فى واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، امكنك أن تتعرف على الشخصيتين فى (٨) أفقيا ، و(٨) رأسيا .
فى (٨) افقيا ستجد اسم وزير وعالم ومفكر عربى من القرن العاشر الميلادى ، وفى (٨) رأسيا ستجد اسم صحابية وابنة عم للرسول عليه الصلاة والسلام .

الكلمات الافقية :

(١) تجدها فى الذرة ـ فى علم الاحياء .
(٢) كاتب ومصلح اجتماعى انجليزى ومؤلف « يوتوبيا » . ـ من اشهر فلاسفة الاندلس .
(٣) للتفسير ـ قذف ـ عاصمة فولتا العليا .
(٤) تسعد ـ تتعبهم .
(٥) مدرسة فكرية وفلسفية ـ اللغة .
(٦) طاغية شهير راحل (معكوسة) ـ البحار ـ من الالوان .
(٧) من اجزاء الدراع ـ نصف كلمة (قنوت) ـ رمز رياضى ـ خلق .
(٨) وزير وعالم ومفكر عربى من القرن العاشر الميلادى .
(٩) ضمير ـ تسلوا ـ تجدها فى كلمة (دراية) .
(١٠) سواكم ـ نصف كلمة (نحاس) ـ يجيب ـ غير ناضج .
(١١) من المحاصيل الزراعية ـ فى الزجاجة .
(١٢) وقع الخطا على الارض ـ سباق اولومبى قديم ـ نصف كلمة (غروب) .
(١٣) يترفعان ـ نهلك ـ توشك .
(١٤) القنوط ـ اوعية .
(١٥) العطر ـ تجدها فى السمكة .

الكلمات الراسية :

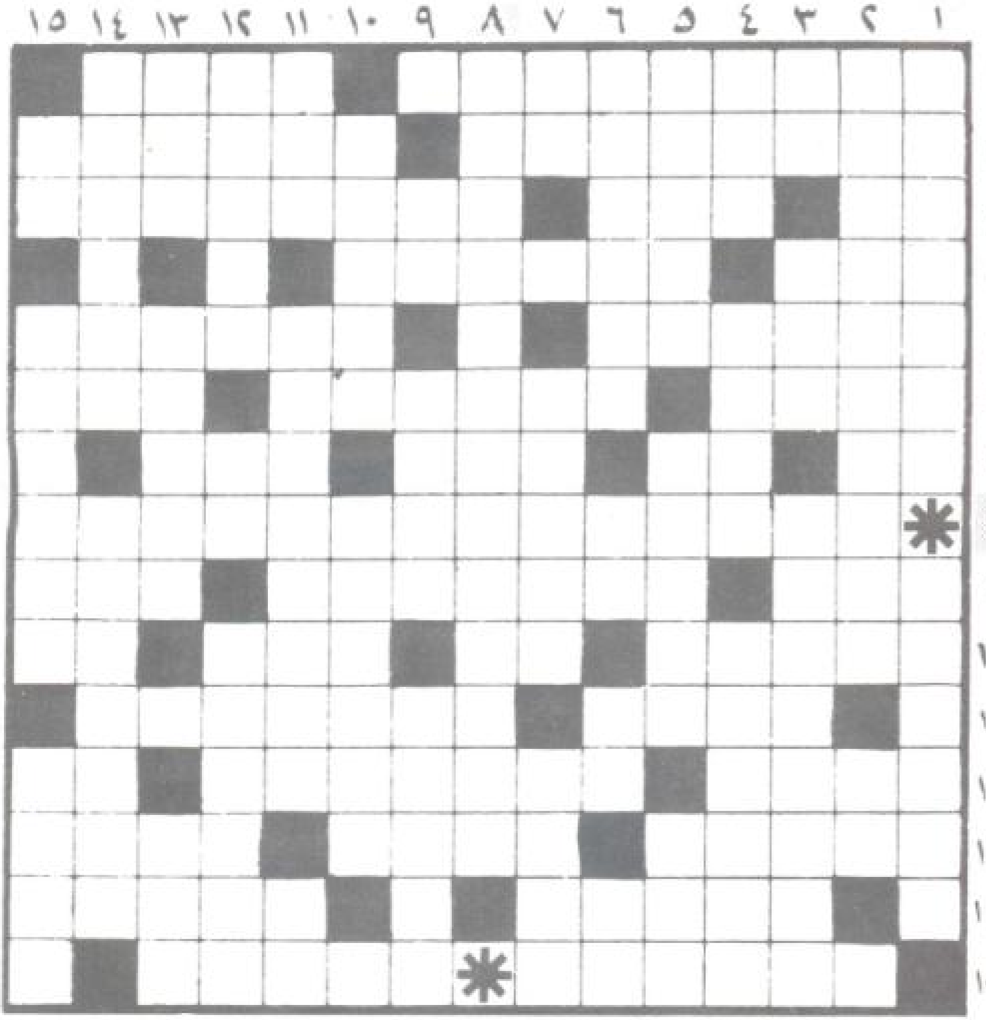
(١) زعيم ومصلح آسيوى راحل ـ مدينة مغربية اشتهرت بكوارثها .
(٢) عالم كهربائى ايطالى شهير من القرن الثامن عشر ـ نصف كلمة (بعيد) .

أشجار .. وأرقام

اربع شجرات زرعت على خط مستقيم فى اقصى اليسار عندما تقف فى مواجهة الشجرات الاربع توجد شجرة صفصاف ، تليها شجرة حور ، ثم شجرة خوخ ، وفى اقصى اليمين شجرة برتقال ، المسافة بين شجرة الصفصاف وشجرة الخوخ تبلغ مرة ونصف قدر المسافة بين شجرة الحور وشجرة البرتقال .

والمسافة بين شجرة الصفصاف وشجرة الحور تزيد ١٦٫٥ مترا عن المسافة بين شجرة الخوخ وشجرة البرتقال . وكذلك المسافة بين شجرة الصفصاف وشجرة البرتقال تبلغ ضعف المسافة بين شجرة الحور وشجرة الخوخ .

هل يمكنك أن تحدد المسافات بين الشجرات الاربع ؟



(٣) حرف استفهام ـ حكت ـ أوبرا لفاجنر.

(٤) آلة ايقاع شرقية ـ من المواد الغذائية الرئيسية ـ عاصمة أفريقية .

(٥) صورني ـ فرعون مصرى شهير ـ ظلم.

(٦) لمعانها ـ نصف كلمة (زواج) ـ حرفان متشابهان ـ للتفسير .

(٧) نصف كلمة (نوال) ـ حكيم اختصه القرآن بسورة عقدت على اسمه ـ أحبك .

(٨) صحابية وابنة عم للرسول عليه الصلاة والسلام .

(٩) لفظة ألم ـ من الاقارب ـ عاصمةبوليفيا.

(١٠) أشجار كثيرة ملتفة ـ من أنواع المحار.

(١١) خبر ـ الاسم الاول لفنان عبقرى من عصر النهضة الايطالي ـ حرفان متشابهان .

(١٢) في الساعة ـ أجاب ـ زعيم اليعاقبة في الثورة الفرنسية .

(١٣) من الأشجار ـ طريقه ـ حرف أبجدي.

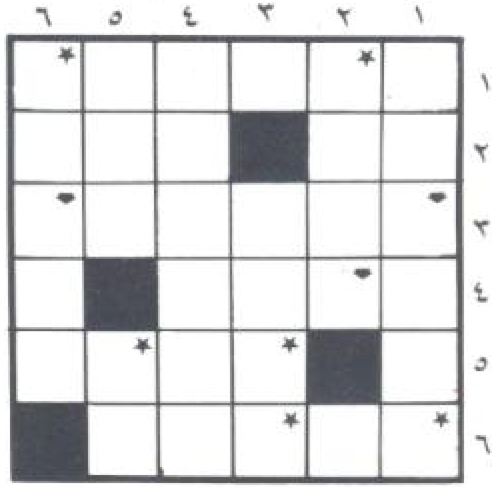
(١٤) تحمسان ـ عاصمة بورتوريكو .

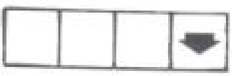
(١٥) من المقامات الموسيقية ـ ينتسب الى احدى الدول الافريقية ـ سمين .

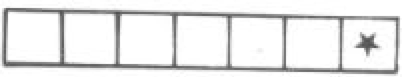
• النجمة والسهم •

مدينة عربية مقدسة

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة • أنقل بعد ذلك الحروف التي في المربعات الموجود بها الاسهم،ورتب هذه الحروف بحيث تصنع الكلمة الاولى من اسم مدينة عربيةمقدسة• ثم انقل الحروف التي في المربعات التي توجد بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع الكلمة الثانية من اسم المدينة •







الكلمات الأفقية :

(١) واقعة في السنة الخامسة الهجرية رد بها المسلمون حصار أهل قريش للمدينة •

(٢) اله شهير عند الفراعنة ـ من أهم اعضاء الجسم •

(٣) جزيرة شهيرة بالمحيط الهادى الجنوبي•

(٤) يستخدم في القضاء على الحشرات •

(٥) اهدمه •

(٦) فارس من الصحابة أسلم بعد الهجرة، وولاه عمر بن الخطاب على المدائن •

الكلمات الرأسية :

(١) الهة الصيد والغابات عند الاغريق •

(٢) من افرازات الجسم الطبيعية •

(٣) عشق شديد •

(٤) تكبلها •

(٥) أرشدت ـ وعاء لبعض السوائل •

(٦) وحدة بشرية •

● من التاريخ ●

القطعة القافزة

هذه اللعبة قادمة من الصين ، ضمن مجموعة من الالعاب المسلية التي تكشف عن الذكاء وتشجعه • اللعبة تحتاج الى رقعة كالمبينة بالشكل ، تتضمن ١٧ مربعا ، وثماني قطع بيضاء ، وثماني قطع سوداء ، توضع في أماكنها كما هو موضح • وهدف اللعبة ان تتبادل القطع البيضاء والسوداء أماكنها في أقل عدد من الحركات ، وحركة أى قطعة تكون :

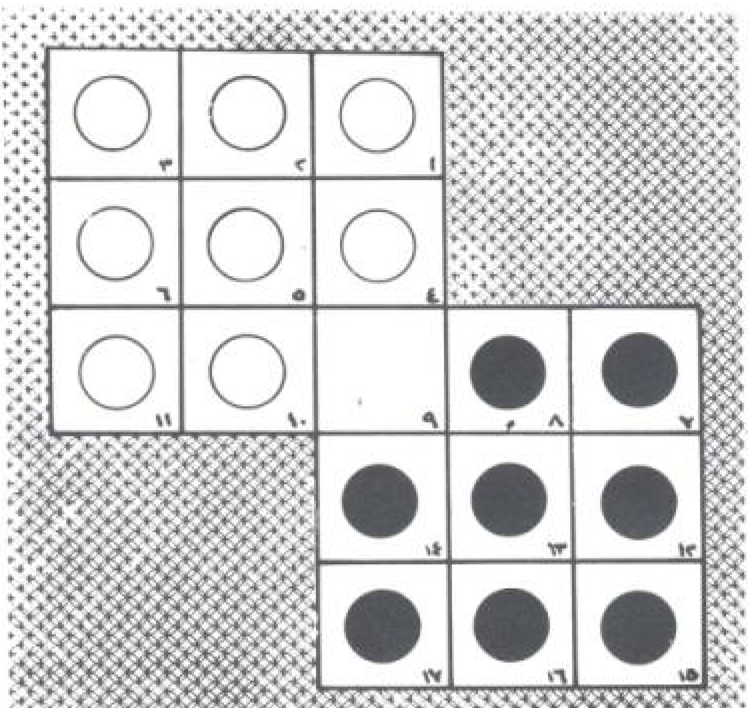
(١) من مربع الى المربع الخالي الى جواره •

(٢) قفزة فوق قطعة مجاورة الى المربع الخالي الذى يليها ، والقفزة تكون اما فوق قطعة من نفس اللون ، أو قطعة من اللون الآخر •

(٣) حركة أى قطعة تكون اما رأسية أو أفقية (غير مسموح بالحركة القطرية المائلة) •

(٤) القطع البيضاء تتحرك الى اليمين أو الى أسفل فقط • والقطع السوداء تتحرك الى اليسار أو الى أعلى فقط •

أما الارقام المكتوبة داخل المربعات فهي موجودة فقط للاهتداء بها عند الرجوع الى حل اللعبة •



أين صدرت أول صحيفة باللغة العربية ؟

■ لم تدخل المطابع الى اقطارنا العربية الا بعد مضى اكثر من ٢٥٠ سنة على اكتشاف اسلوب الطباعة بالحروف المتفرقة في اوروبا .. ومن وحي الطباعة والصحافة نقدم مسابقة هذا العدد .. والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة على ستة اسئلة على الاقل لتفوز بواحدة من الجوائز المالية التي مجموعها ١٠٠ دينار .

١ ـ « التنبيه » هو الاسم الذى اطلق على اول صحيفة عربية ظهرت فى العالم.. وكانت تحتوى على اربعة ابواب من بينها اخبار اوروبا واسيا ، ومختلف أساليب الفنون والعلوم .. وكان صدور « التنبيه » يوم ٢٦ نوفمبر (تشرين ثاني) من عام ١٨٠٠ على يد :

الاباء البيض فى بيروت ـ نابليون بونابرت فى القاهرة ـ السلطان عبد الحميد في حلب .

٢ ـ اول مطبعة عربية هى التى جلبها احد البطاركة في اوائل القرن الثامن عشر ، حيث طبعت اول كتاب هو « المزامير » عام ١٧٠٦ ولكنها توقفت عن العمل بعد طبع عشرة كتب بسبب ارتفاع تكاليف الطباعة ، على ما يبدو .. ففى اى المدن اقيمت هذه المطبعة الاولى : حلب ـ بيروت ـ القاهرة .

٣ ـ « الوقائع المصرية » هى اقدم الصحف المصرية التى ما زالت تصدر حتى اليوم منذ تاريخ تاسيسها في عهد محمد على باشا عام ١٨٢٨ ، وفى مطلع عهدها تولى نخبة من كبار الكتاب رئاسة تحريرها أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد فارس الشدياق والشيخ محمد عبده .. وهى اليوم الجريدة الرسمية لجمهورية مصر العربية .. وهناك فى مصر جريدة يومية يقل عمرها عن عمر « الوقائع المصرية » بنحو ٥٠ سنة .. وقد احتفل فى العام الماضى بذكرى مرور ١٠٠ سنة على مولد هذه الجريدة اليومية الكبيرة .. فما اسمها ؟

٤ ـ تطورت الصحافة فى المملكة العربية السعودية ، مع تطور العهود التى تعاقبت على البلاد .. فاول جريدة ظهرت عام ١٩٠٨ أيام العهد العثمانى ، وكانت تصدر من مكة المكرمة وتحمل اسم « الحجاز » .. وفى العهد الهاشمى ظهرت أربع صحف .. وفى عهد ال سعود الحالى مرت الصحافة بثلاث مراحل ، من صحافة الافراد التى زاد عددها حتى بلغت ٤٠ صحيفة ، مما أوجب الانتقال الى المرحلة الثانية سنة ١٩٥٩ وهى مرحلة ادماج الصحف لتصدر فى كل مدينة صحيفة واحدة قوية .. وفى عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) رات الحكومة ان يقتصر حق اصدار الصحف على مؤسسات صحفية أهلية .. عدا بعض المجلات الادبية التى استثنيت من نظام المؤسسات .. فهل يمكنك التعرف الى الصحف السعودية من بين الاسماء التالية :

العلم ـ الجزيرة ـ المجاهد ـ الدعوة ـ الحوادث ـ عكاظ ـ اليمامة ـ الرياض ـ المدينة ـ الندوة .

٥ ـ « كاظمة » هو اسم اول مجلة كويتية طبعت فى الكويت عام ١٩٤٨ وكان يرأس تحريرها الاستاذ « أحمد السقاف » اما اول مجلة كويتية ، فقد كانت تطبع خارج الكويت ، وكان يصدرها المؤرخ الكويتى عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨ وكان اسمها : الكويت ـ العربى ـ الاسرة .



السلطان عبدالحميد





٦ ـ أما الصحافة المغربية فتاريخها مثير مختلف ٠٠ اذ ظهرت اول صحيفة فى مدينة « سبتة » باللغة الاسبانية عام ١٨٢٠ وفى « الرباط » ظهرت اول صحيفة باللغة الفرنسية عام ١٩١٢ وفى « طنجة » ظهرت اول صحيفة باللغة الفرنسية عام ١٨٣٤ ٠٠ كانت الصحف تظهر حسب تقسيمات الاحتلال الاسباني والفرنسي للمغرب ٠٠ في مليلية ٠٠ فاس ٠٠ الدار البيضاء ٠٠ تطوان ٠٠ أما اول جريدة باللغة العربية أنشاها رجل وطنى فى المغرب فهى جريدة « الطاعون » أصدرها الشيخ محمد الكتانى فى فاس عام ١٩٠٦ ويصدر اليوم في المغرب العديد من الصحف والمجلات العربية ، الى جانب صحيفتين يوميتين عربيتين هما :

(الاخاء ـ اليقظة) ـ (اليعسوب ـ النحلة) ـ (العلم ـ الانباء)

٧ ـ لعبت الصحافة العربية ، المطبوعة فى بلاد المهجر الامريكي دورا كبيرا فى حركة ازدهار الادب والشعر العربى هناك ٠٠ وقصة صحافة المهجر فيها الكثير من الجهد الشخصي والتعب الفردى ٠٠ونتيجة لهذا الاتجاه كانت الصحف تموت بموت اصحابها !! اما حصر الصحف العربية فى المهجر فعملية صعبة ان لم تكن مستحيلة بسبب كثرتها الهائلة ، فمثلا كان للعرب فى البرازيل فقط اكثر من مائة صحيفة ومجلة ٠٠ ومنذ حوالى خمس سنوات اغلقت صحيفة « الهدى » العربية ابوابها فى نيويورك وهى اقدم الصحف العربية في امريكا اذ كانت تصدر هناك بانتظام منذ عام ١٨٩٨ عندما اسسها المرحوم :

نعوم مكرزل ـ جبران خليل جبران ـ ميخائيل نعيمة ٠

ـ جوتنبرج ٠٠ الرجل الذى اخترع الطباعة بالحروف المتفرقة ، وكانت التوراة اول كتاب طبعه فى مطبعته حوالى عام ١٤٥٠ وقد ظفر جوتنبرج بلقب من القاب الشرف على اختراعه هذا ٠٠ وفى مدينة منتز توفى أبو الطباعة الحديثة عام ١٤٦٨ وكانت جنسيته :

الالمانية ـ الفرنسية ـ النمساوية ٠



الرشيد



جبران



جوتنبرج

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٩ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول ابريل (نيسان) ١٩٧٧ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

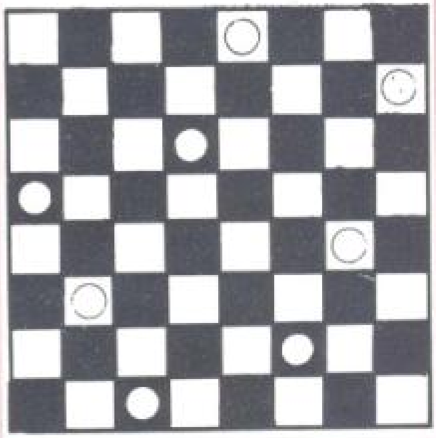
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الثانية ٢٠ دينارا ٠ الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ٠

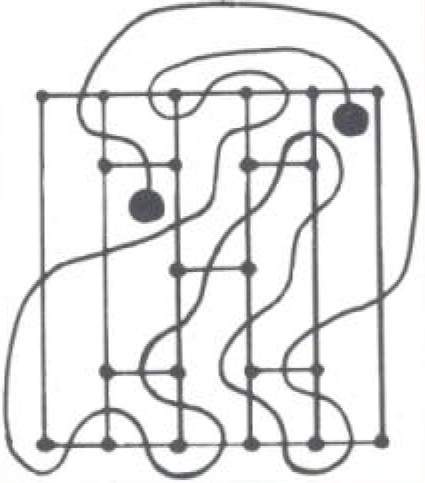
كوبون مسابقة العدد ٢١٩

حلول .. نزهة العقل الذكى المنشورة فى عدد يناير

حرب الكلمات



بالقلم الرصاص



حل : عش النحل



استاذ نبيه يسال :
من يتزوج حكمت جبران ؟

من المعلومات المعطاة يمكننا ان نستنتج التالى:

(١) حكمت وديع انسة ٠

(٢) الانسة احسان جبران ليست مخطوبة للابن بدر وديع ٠ ولما كان من غير المعقول ان تكون مخطوبة للانسة حكمت وديع ٠٠ فخطيبها يجب ان يكون الابن امال وديع ٠

(٣) من هذا ينتج ان الابن بدر وديع يجب ان يكون خطيب الانسة امال جبران ٠

(٤) ومن هذا يكون حكمت جبران ذكرا ، ولما كان من غير الممكن ان يتزوج حكمت وديع ، فيجب ان يكون خطيب الانسة احسان وديع ٠

النجمة والسهم

الكاتب والاديب العربى الراحل هو :

عباس العقاد

الكلمات الافقية : اديسون ـ لشبونة ـ عمال ـ لامع ـ الورد ـ قرن ـ يا ٠

اثنتان في واحدة

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	(٨)	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
م	ك	■	ن	ش	■	ت	ا	ن	و	ر	ت	ك	ل	ا	١
م	ت	ى	ه	ل	ا	ن	ب	ا	■	ر	ر	■	ب	ر	٢
ا	■	س	ت	ن	ا	ف	ر	ى	س	■	ى	ا	■	ى	٣
ت	د	ا	ك	■	ب	ر	ا	■	ن	ا	ذ	ن	ف	س	٤
■	ا	م	■	ا	ه	ن	ه	ا	د	ى	■	ت	و	ت	٥
ا	ن	ح	ر	ف	■	■	ى	ق	■	ن	ا	ى	د	و	٦
م	ى	■	ى	ر	ت	ش	م	ل	ا	■	ل	ن	■	ف	٧
◆	ى	ر	ع	ش	ا	ل	ا	ى	س	و	م	و	ب	ا	(٨)
ا	ل	ب	■	ه	ن	ا	ل	د	ت	■	س	ف	ا	ن	٩
ل	د	ا	ب	■	ه	ل	م	س	ب	ل	ا	■	س	■	١٠
ا	ى	■	ر	ق	ا	■	و	■	ش	و	م	ر	ل	ا	١١
ق	ف	ا	■	ر	و	ق	ص	ل	ا	■	ى	ى	■	ى	١٢
ن	و	ف	ز	ى	ز	■	ل	ى	ر	ب	ا	■	ق	ر	١٣
ا	■	ح	ى	ن	ر	ت	ى	م	■	ر	ت	م	ل	ا	١٤
ن	ا	ر	ح	ه	■	م	◆	ا	ن	د	■	ا	ب	ن	١٥

(٨) أفقيا :

أبو موسى الاشعري

صحابي ، أحد الحكمين مع عمرو بن العاص ، اللذين رضي بهما علي ومعاوية في تحكيم اذرح بعد صفين .

(٨) رأسيا :

ابراهيم الموصلي

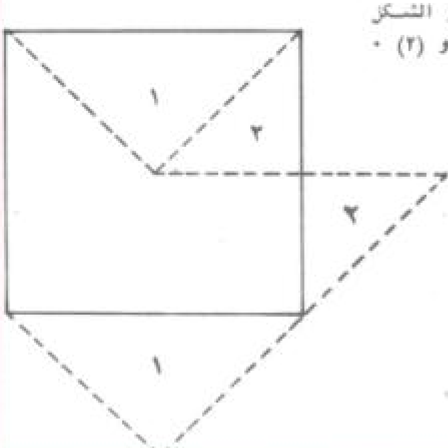
من أشهر موسيقيي العرب . ولد بالكوفة وتوفي في بغداد . فارسي الاصل . برع في الغناء والعزف على العود . حظي بمنادمة المهدي والهادي والرشيد واشتهر بعده ابنه اسحق الموصلي .

حلول

عدد فبراير

(٦) مشكلة النجار :

الحل بعد القطع كما في الشكل وتغيير وضع القطعتين (١) و (٢) .



(٧) أشجار ... وأرقام :

المسافة من شجرة الصفصاف الى شجرة الجوز ٢٢ مترا .

المسافة من الجوز الى الخوخ ٢٧٫٥ مترا .

المسافة من الخوخ الى البرتقال ٥٫٥ مترا .

(١) اثنتان فى واحدة :

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	ك	ت	ر	و	ن	ا	ت	■	ن	ب	ا	ت	■
٢	ت	و	م	ا	س	م	و	ر	■	ا	ب	ن	ر	ش	د
٣	ا	ى	■	ر	م	ى	■	و	ا	ج	ا	د	و	ج	و
٤	ت	س	ر	■	ن	ص	ن	ى	ه	م	■	و	■	ع	■
٥	و	ج	و	د	ى	ه	■	ب	■	ا	ل	ل	س	ا	ن
٦	ر	ل	ت	ه	■	ا	ل	ن	و	ت	ى	■	ب	ن	ى
٧	ك	ف	■	و	ت	■	ق	ت	ا	■	و	ر	ى	■	ج
٨	٥	ا	ب	ن	ح	ز	م	ا	ل	ا	ن	د	ل	س	ى
٩	ا	ن	ا	■	ت	و	ا	ل	د	و	ا	■	ه	ا	ر
١٠	غ	ى	ر	ك	م	■	ن	ح	■	ى	ر	د	■	ن	ى
١١	ا	■	س	م	س	م	■	ا	ل	س	د	ا	د	ه	■
١٢	د	ب	ى	ب	■	م	ا	ر	ا	ت	و	ن	■	و	ب
١٣	ى	ع	ف	ا	ن	■	ن	ث	ب	ر	■	ت	ك	ا	د
١٤	ر	■	ا	ل	ى	ا	س	■	ا	■	ا	و	ا	ن	ى
١٥	■	ا	ل	ا	ر	ى	ج	٥	ز	ع	ا	ن	ف	■	ن

الافقى : ابن حزم الاندلسى • عالم عربى ولد وعاش فى الاندلس ،كتب فى الفقه والادب والاخلاق والفلسفة والسياسة والمنطق والتاريخ • وكان معهذا وزيرا وابن وزير، ومن أصحاب الجاه الواسع اشهر كتبه كتاب «الفصل فى الملل والاهواء والنحل» وكتاب « طوق الحمامة » و « رسالة المفاضلة » •

الرأسى : اروى بنت الحارث •• صحابية وابنة عم الرسول عليه الصلاة والسلام • اشتهرت بفصاحتها وكانت عنيفة فى خلافاتها مع معاوية ومروان وابن العاص ، لمحاولاتهم التنكيل باهل البيت •

(٢) القطعة القافزة :

يتم تحريك القطع وفقا للقواعد المذكورة من المربعات ذات الارقام التالية على التوالى:

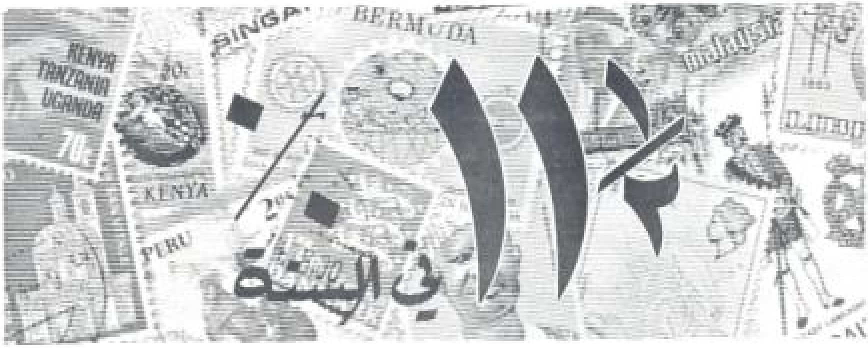
٨ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ٩ ـ ١٤ ـ ٤ ـ ١
٩ ـ ١٧ ـ ١٦ ـ ٨ ـ ٩ ـ ٧ ـ ١٢ ـ ١٤
٤ ـ ٥ ـ ١٠ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١١ ـ ٩ ـ ٧
١٥ ـ ١٦ ـ ٨ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ٤ ـ ٦ ـ ١١
٩ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ٢ ـ ١ ـ ٩ ـ ١٧ ـ ١٤
٤ ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ٩ •

(٣) النجمة والسهم :

بيت المقدس •

(٥) أين جلس سرور بالنسبة الى سعاد :

لنبدأ بتميم وقد جلست أمينة الى يمينه، وحيث أن هناك ثلاث فتيات فقط ، وحيث أن بهجت وهشام طلبا أن يجلسا بينهن ، فلا بد أن يجىء الى جانب أمينة بهجت أو هشام ، وهو بالضرورة هشام ، والا اضطر الى الجلوس الى جوار جيلان التى رفضت ذلك• فتجىء سعاد الى يمين هشام ، وبعدها يجىء بهجت ثم جيلان • يبقى بعد ذلك المكان الخالى بين جيلان وتميم الذى يحتله سرور ، ويكون التتابع كالآتى : تميم ـ أمينة ـ هشام ـ سعاد ـ بهجت ـ جيلان ـ سرور • ويجلس سرور على بعد ٣ مقاعد على يمين سعاد •



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال لهو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال لهو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي لهي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

١١½٪ في السنة — حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٢٪ في السنة — وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢٪ لمدة محددة، سنة واحدة. ١١½٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة أيضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٢½٪ في السنة — حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢½٪ في السنة لمدة سنة واحدة. ١٢٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة أيضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع كل ½ سنة.

للحصول على كامل المعلومات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central
Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

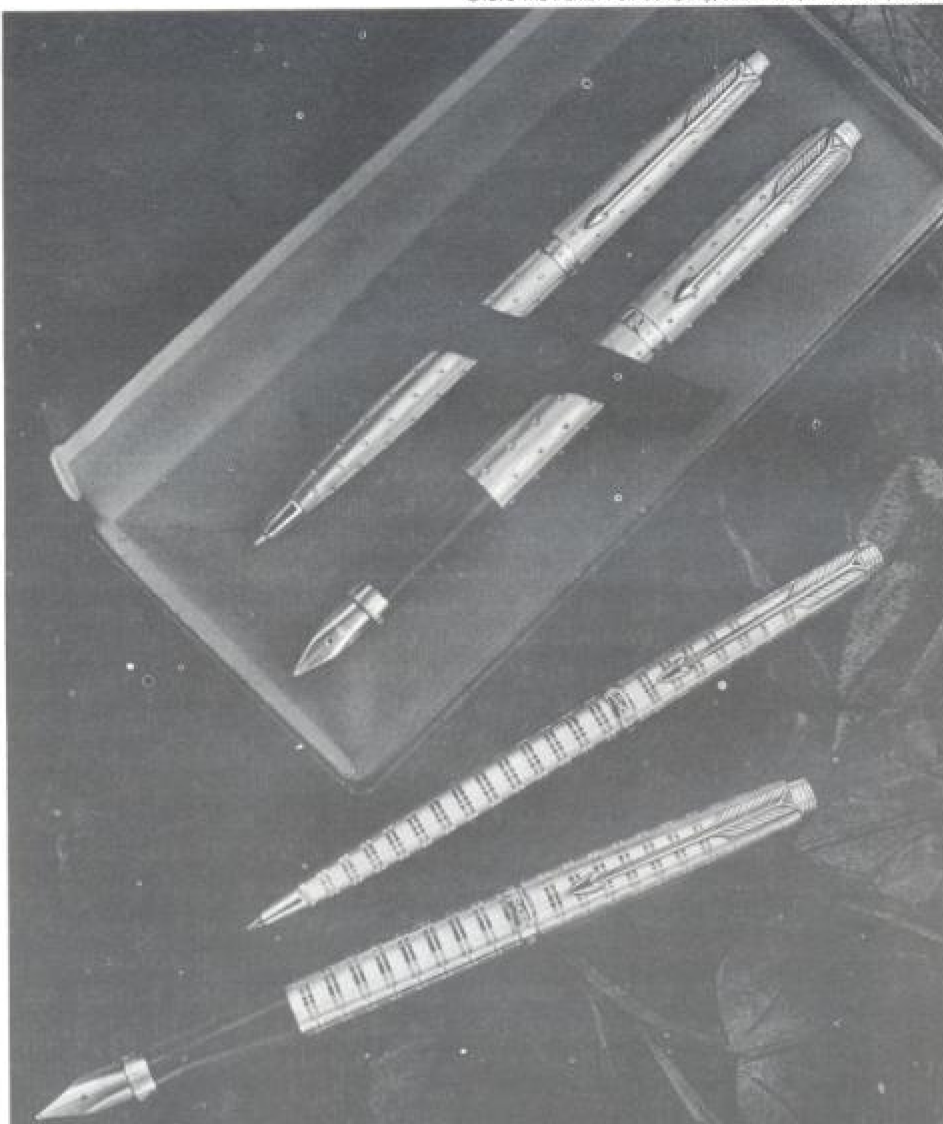
الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

G182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٥٩ مليون جنيه استرليني.

Registered Office: Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England



للهدايا ... المجوهرات التي تكتب

هذه هدايا تعتزون بها مدى الحياة ،
فهي معادن ثمينة طوعت بدقة ومهارة لتصبح أدق أدوات الكتابة في العالم .
فكل أسطوانة وكل غطاء قد نحته ونقشه بالغ الجهد والإتقان حرفيون باريسيون ، هو في الواقع تحفة رائعة .
ويسرنا أن نقدم لكم تشكيلة « بلاس فندوم » من أطقم باركر لأقلام الحبر و الحبر الجاف في ستة نقوش متميزة مغطاة بقشرة سمكها ١٠ ميكرون من الذهب من عيار ١٦ قيراطاً أو بأربعة نقوش بقشرة من الفضة سمكها ٢٠ ميكرون . كل منها واضح الأناقة ...
وكل منها يبعث على الطمأنينة لأنه باركر .

إن الطقم الذهبي الظاهر أعلاه يعرف باسم بيرليه . أما الطقم الفضي فاسمه ايكوسيه . وإذا يهمكم أيضاً فإن أقلام حبر سيروس لينة وأقلام الرصاص المزودة بخرطوشة متوفرة بنقوش منسجمة
وواضح أن طقماً من تشكيلة « بلاس فندوم » يشكل هدية رائعة . والواقع أن إهداء مثل هذا الطقم يتطلب خلقاً رفيعاً نادراً .
فإذا حدث ورأيت استسلمت للإغراء فاشتريت لنفسك طقماً فإنك ستكون في صحبة ممتازة للغاية .

PARKER
أكثر الأقلام رواجاً في العالم

مِنَ المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول فبراير ١٩٧٧

٨٩

• الفينيقيات
• المستجيرات

تأليف : يوريبيديس
ترجمة وتقديم : اسماعيل البنهاوى
مراجعة : د . عبداللطيف أحمد على


SERIES
CANTER
FARGO
COLT
CHRYSLER
0 SERIES

نادي شاحنات كرايزلر العالمي يتوسع ويزدهر

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا، ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة.. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي.

الشاحنات التي نصنعها في مختلف انحاء العالم.. في الولايات المتحدة، وبريطانيا، واسبانيا، واليابان، يسلم العالم كله برقي تصميمها واتقان هندستها. شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم. من سيارات التوزيع الخفيفة الى الشاحنات الجبارة.. ومن الباصات الصغيرة الى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق المعبدة.

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي.

ارسلوا الكوبون بالبريد ومرحبا بكم في
نادي كرايزلر



كرايزلر
انترناشونال

دودج - فارغو - ميتسوبيشي



پونتياك
الطريق معرضها
GM
PONTIAC
جياد ١٩٧٧ الأصيلة من جنرال موتورز


ساعات الكترونية من
الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات
DW 2005-043G&S
DW 2005-041G
DW 2006-033G&R
لقد بذلنا عشرات السنين من الخبرة والمهارة الالكترونية لابتداع الساعات
التي لامثيل لها من حيث الدقة وضبط الوقت ، وتجهيزها بآلية إضاءة اللوحة
LED الاوتوماتيكية لعرض الأرقام ، وآلية ضبط التاريخ اوتوماتيكياً في نهاية كل شهر
الساعات الالكترونية في علب ذهبية في غاية الأناقة
للشهر والتاريخ والتوقيت صباحاً ومساءً بالساعة والدقيقة والثانية تأتيكم
من سانيو الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات التي تصنع لكم الأفضل دائماً
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العربي

العدد ٢٢٠ ـ ربيع الأول ١٣٩٧ ـ مارس (آذار) ١٩٧٧

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

تعمير لبنان

•

المؤامرة على فلسطين قبل هرتزل بـ ٥٠ عاما

•



● اعتدنا طوال السنوات التي مضت أن نخاطب في هذا المكان قراء « العربي » قبل كتابها لكننا سوف نستأذن هذه المرة في أن نعكس الاية ، فنخاطب - للحظات - الذين يكتبون « للعربي » قبل الذين يقرأونها •

ذلك أن بريد « العربي » متخم دائما بسيل لاينقطع من المدد ، وهو ما يسعدنا ويحيرنا في الوقت ذاته • نسعد باستمرار تدفق البريد لانه يعني ببساطة شديدة أن الجسر بيننا وبين المواطن العربي قائم ويتدعم يوما بعد يوم • ويحيرنا لاننا لا نجد الحيز الكافي لنشر هذا الذي نتلقاه ، وفيه جيد كثير ، يستحق ان نفسح له المجال ، لكن ظروفا معجزة تحول بيننا وبين تحقيق هذا الذي نتمناه •

مثلا : المقالات المطولة والمسهبة التي هي في حقيقتها ابحاث او فصول في كتب،هذه المقالات نترددفي نشرها كما هي لان ذلك يخل بالتوازن المطلوب في المجلة • واذا اختصرت فقد يخل ذلك بالبناء الاساسي للموضوع • بينما الحجم الامثل للمقال هو ما بين ٢٠٠٠و٢٥٠٠ كلمة ، اي حوالي ٥ صفحات فولسكاب في حالة الطباعة على الالة الكاتبة •

مثلا : الموضوعات الهامة التي يعالجها كتاب لا يقدمون انفسهم لنا وللقراء،بينما نحن لا نعرف عن تخصصاتهم شيئا،بل حتى لا نعرف عناوينهم • الامر الذي يجعلنا نتردد - ايضا - الف مرة ، ونحجم عن نشر مثل هذه الموضوعات في الغالب ، درءا لمخاطر ومحاذير كثيرة•

مثلا : الرسائل التي نتلقاها بغير توقيع ، او ممهورة بالاحرف الاولى للاسم ، تلك ايضا نحجم عن نشرها ، لان الوضع الطبيعي ان يسجل كل صاحب رسالة اسمه وعنوانه ، ومن حقه أن يطلب عدم ذكر اسمه ، ونحن ملزمون مهنيا بالاستجابة لرغبته ، لكن من حقنا ايضا ان نعرف من هو •

ومعذرة اذا كنا قد اقتطعنا هذه المساحة لكي نخاطب الذين يكتبون الى « العربي » • وحسب قرائها ان لهم كل صفحات المجلة منذ مولدها قبل ثمانية عشر عاما •

لكننا نخشى أن يكون هذا الاعتذار في غير موضعه ، لان الكتاب الحقيقيين - وهم الذين نخاطبهم - هم في الاصل والاساس قراء ايضا!

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

لغة وآداب :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 220 March 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

بعد المحنة ..

● تعمير لبنان .. متى يبدأ وكيف ؟ ان البلد الجريح يبحث عن الدواء ، ان عملية اعادة البناء لا بد أن تبدأ على الفور .. انه بناء اجتماعي وسياسي واقتصادي .. انه بناء دولة من جديد (اقرأ الاستطلاع ص ٣٦) .

انت تسأل :

تاريخ :

ركن الاسرة والمرأة :

شعر :

كتب :

قصص وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٥ر٢ دينار . المغرب ٥ر٢ درهم . اليمن ٥ر٢ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

العالم كله ضد.. الوحدة

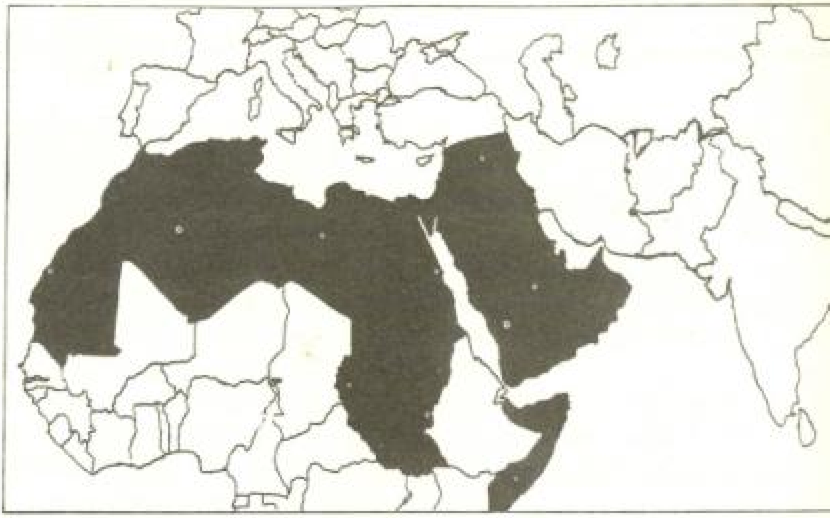
بقلم : أحمد بهاء الدين

● عندما تفضل الاخوة المسئولون عن تنظيم الموسم الدبلوماسي السنوي في دولة الامارات بدعوتي لالقاء محاضرة افتتاح الموسم.. اختاروا لي موضوعا ، غاية في الصعوبة وغاية في السهولة .. وهو موضوع الوحدة العربية ..

واعترف بانني لم انتبه الى هذا المأزق ، من اول وهلة ، الوحدة العربية، لقد طال شوقي الي الاستماع الى هذه الكلمة ، لقد شعرت وشعر غيري ،ان هذه الدعوة التي نشأنا عليها ، قد نسيها الناس ، وطمستها كثبان الايام .

المأزق من ناحية في ان عنوان الوحدة العربية في حد ذاته واسع جدا . متشعب جدا . لا يمكن الاحاطة به في محاضرة ، ولا في كتاب ، فالغوص في الحديث ، تحت هذا العنوان الواسع ، كالقبول بالسباحة في بحر لا قرار له ولا ساحل يحده ، ولا مرفأ نرسو فيه .

والمأزق من ناحية اخرى ، هذا الشعور الذي تحدثت عنه . الم تخمد الجذوة



العربيـة !

تحت وطأة الاحداث ؟ ألم تتبدد اعظم فكرة فى اخطر سكرة ؟ ألم يمل الناس من الحديث عن شىء لا يتحقق ؟ الم يتعب سكان السفينة التائهة من طول انتظار الوصول الي مرفأ ، اى مرفأ ؟

ماهو الجديد الذى يمكن ان يقال ، لا يعرفه الناس ، عن الوحدةالعربية؟

ماهى الحجج الجديدة التى يمكن ان تساعد للاقناع والناس مقتنعة كل الاقتناع ، وقد ينقصها اى شىء الا الاقتناع بهذه القضية بالذات ؟ ...

لا اظن ان المواطن العربى،فى اىمكان،،فى حاجة الىمعرفةاو الىاقتناع وفهم ، بل ان الشىء الوحيد الذى لا يفهمه المواطن العربى فى قضيةالوحدة العربية ، هو : لماذا لم تتحقق هذه الوحدة بعد ؟ .. والسؤال الوحيد لديه هو : ماذا ننتظر ؟ ما الذى يجعل الاقليمية قادرة على البقاء على قيدالحياة، سواء بين الاقطار العربية المختلفة او احيانا داخل القطر العربى الواحد . من الذى يعرقل الاتحاد والاندماج هنا فى دولة الاتحاد ، نحن او غيرنا ؟ من الذى يجعل الاخوة يقتتلون فى لبنان ، نحن ام غيرنا ؟ من الذى يوجدخلافات على الحدود بين اقطار عربية .. احيانا على امتار قليلة..نحن ام غيرنا؟اين هذا مما كان يملأ قلوبنا من ايمان قديم ، بأنه يكفى ان ينسحب الاستعمار ،

ويرفع يده الغليظة عنا . حتى تتحقق الوحدة ، متوالية متعاقبة ، جارفة في سبيلها اي عقبة حقيقية او مصطنعة ؟

تلك في تقديري ، هي الاسئلة التي قد تطوف بعقل المواطن العربي او تؤرق ضميره ، حول قضية الوحدة العربية •

الوحدة العربيةتجاوزت مرحلة التعريف••وتجاوزت مرحلة التبشير•••

من اجل هذا ، كان لابد ان احاول ان اختار بندا واحدا من البنود التي تندرج تحت عنوان «الوحدة العربية» او ان أحدد عنوان الحديثبعضالشيء، وقد خطر لي أن يكون « الوحدة العربية ازاء العالم » •

خطر لي هذا العنوان «الوحدة العربية ازاء العالم» ، لان لدي قضية اريد ان اقولها تحت هذا العنوان • قضية لعلنا نعرفها ولكننا احيانا ننساها ، قضية لعلها ترد على بعض هذه التساؤلات التي ذكرت انها تطوف بعقل المواطن العربي وتزعج ضميره •••

أريد أن اقول في بساطة وصراحة وايجاز : ان العالم كله ضد الوحدة العربية !!

نعم !••العالم كله ضد الوحدة العربية • اقول هذه دون ادني رغبةفي الاثارة او المبالغة او اعطاء انفسنا أهمية اكثرمما يجب • وابادر ايضا فأسجل انني لست من الذين يحبون أن يروا الاشباح والمؤامرات وراء كل فشل يصيب قدمهم • ولست من الذين يستسهلونالحياة بتعليقالمسئولية على اقرب شماعة• كالاستعمار او خلافه • كلا •

انما اقول هذا بكل مسئولية وعقلانية • واقوله وانا مؤمن في نفس الوقت أن كون العالم كله ضد الوحدة العربية ليس معناه انها مطلب مستحيل• ولذلك ربما كانت الصيغة الاكثر توازنا واكتمالا ان اقول : العالم كله ضد الوحدة العربية • ولكن هذا لا يمنع العرب ـ لو ارادوا ـ من تحقيق وحدتهم•

واذا كنت اركز ، على نقطة واحدة ، وهي معارضة العالم بوجه عـام لقضية الوحدة العربية ، فانما احاول ان اوضح بـذلك ان الوحـدة العربية أخطر واهم بكثير جدا مما يظن البعض • فهي ليست كلمات جميلة ، ولا هدفا سهلا ، ولا تتحقق باتفاقات هزيلة ، ولا بقبلات بين رؤساء الدول ، وانما هي تحتاج الى نضال ، وصبر ، وعمل ، ودهاء ،وعيون مفتوحة على كل مناورة خارجية ، وكل شرك منصوب •

●●

ولكن ، لماذا ؟ •••

لماذا يكون العالم كله ضد تحقيق أمنية عزيزة على امة من الامم ، كالامة العربية ؟ •••

لا يمكن طبعا ، في هذا الحديث ، الا أن نقف عند ما يمكن أن نسميه الاسباب الرئيسية ، اذ لا يتسع المجال لان ندخل في كل التفاصيل •••

واول نقطة تستوقفنا هنا ، هي أن السياسة الدولية بوجه عام ، وعلى مر العصور ، كانت تكره قيام الكيانات الضخمة الكبيرة ، فما قام منها انما قام اما بحد السيف ، واما لتوفر ظروف مساعدة كثيرة •

ينسبوناليوم الى كيسنجر انهصاحب سياسةاقامة الاستقرارفي العالمعلى

أساس من «التوازن الدولي» • ويقول اخرون أن كيسنجر لم يكن فى هذا الا تلميذا للسياسى النمساوى « ميترنيخ » الذى برز فى الامبراطورية النمسوية عقب حروب نابليون، والذى حقق اطول مدة من السلام فى أوروبا التى كانت تتحارب باستمرار ، عن طريق « التوازن الدولى » •

ولكن قبل كيسنجر ، وقبل ميترنخ، كان معروفا ان انجلترا ، كانت أحد أسس سياستها الخارجية دائما ، هي إقامة نوع من التوازن الدولي خصوصا في اوروبا القريبة منها • كانت سياسة انجلترا وما تزال أن لا تقوم في اوروبا دولة مسيطرة على بقية القارة ، بأى نوع من السيطرة ، لان في نمو مثل هذه القوة ما يهدد مصالحها في اهم منطقة بالنسبة لها • نابليون لم يطلب معاداة انجلترا ، هتلر لم يطلب معاداة انجلترا ، ولكن انجلترا كانت دائما اذا بدت قوة صاعدة جمعت الاخرين فى تحالف ، لحصر هذه القوة ، واعادتها الى حجمها •ولاتذهب انجلترا الى الحرب وحدها ابدا، وحين نقرأ تاريخ اى حرب، ونجد طرفا من المحاربين يسمى «الحلفاء» ، فلا بد أن نجد فيه انجلترا • تلك كانت فلسفتها التى حكمت بها العالم اكثر مما حكمت باسطولها • حين كانت الامبراطورية العثمانية توشك أن تهزم روسيا القيصرية ،كما فى حروب القرم وغيرها ، كانت تصنع تحالفا من سائر قوى اوروبا يقف مع روسيا ضد الامبراطورية العثمانية • وحين اوشك محمد على الكبير الزاحف من مصر الى الشام أن يهدد الامبراطورية العثمانية ، جمعت تحالفا آخر وفيه روسيا ضد محمد على لابقاء التوازن بينه وبين الخليفة العثماني • وفي وجه نابليون جمعت روسيا والنمسا والمانيا • وفى وجه غليوم الثانى سنة ١٩١٤ ثم هتلر سنة ١٩٣٩ جمعت روسيا وفرنسا وامريكا وسائر اوروبا ، فهى لم تحارب مثلا سنة ١٩٣٩ لان هتلر هاجم بولندا • بل لانه بعد أن ابتلع النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا ثم بولندا صار تركه خطرا يهدد بتحول المانيا الى تلك القوة الكبرى التى تهدد التوازن المحسوب •

وعادة ، القوى الكبرى فى اى عصر ، المستفيدة من الوضع الدولى القائم ، هى التى يهمها ابقاء التوازن كما هو •• وهى التى تعارض قيام قوى كبرى جديدة الى جانبها ••

والقوى الكبرى تعبير لن استخدمه هنا بالمعنى العسكرى فحسب • ولكن بالمعنى الاقتصادى ايضا ، الذى هو الهدف المهم فى الحقيقة ،ومحور الصراعات الدولية عبر معظم العصور •

وما هى سياسة المعاهدات والتحالفات منذ قديم الازل ؟ انها اما معاهدة بين طرفين قويين ، تمنع الصراع بينهما ، حتى لا يستفيد من تناحرهما طرف ثالث ، او تحالف بين دولتين او اكثر لاحتواء او اتقاء خطر قوة اخرى تشكل تهديدا مشتركا بالنسبة لاطراف التحالف •

واذا كنت ضربت مثلا سريعا موجزا بانجلترا ، فلأنها كانت هى الدولة الاقوى والاعرق والامهر سياسيا فى العالم ، خلال الاربعة قرون الماضية تقريبا • فهى النموذج الاكبر ، وان كان قد حل محلها غيرها • فى عالم اليوم •

وليس هناك ما هو اكثر فعالية فى الحيلولة دون قيام قوة جديدة كبيرة،

او في تدميرها ، من عملية تقسيمها او تفكيكها • وهنا ايضا نعرض لاسلوب تعرفه السياسة الدولية جيدا •

فالولايات المتحدة الامريكية ، القوة الكبرى في عالم اليوم • قامت بمساعدة ظروف كثيرة ، ابسطها بعدها البعيد عن اوروبا في عصر لم يكن العلم فيه قد تقدم بعد ، بل انها قامت في غفلة عن العالم القوى ، في وقتها اوروبا كانت مشغولة بحروبها وثوراتها ، واحدا لا يتوقع ان تتحول تلك الارض الفضاء الى الكيان الضخم • حتى أن الولايات الاثنتى عشرة التى بدأت في امريكا كانت احيانا تشترى ولاية بأكملها من فرنسا او من غيرها بما يساوى ٢ او ٣ مليون دولار •

القوة الكبرى الثانية ، روسيا القيصرية ، وخصوصا عندما بدأت تتحول الى الاتحاد السوفيتي ، جرت هجمات انجليزية وامريكية وبولندية كثيرة في محاولة لتفكيكها خلال فوضى الثورة وضعفها •

والنموذج الماثل امامنا المانيا • فالشعب الالماني هو اكبر الشعوب عددا في قلب اوروبا • وله صفات عريقة في القوة والانتظام جعلته دائمـا قابلا للتفوق ماديا وصناعيا وعسكريا • لذلك ظلت كل دول اوروبا الكبيرة المحيطة تمنع المانيا من التوحد وتجعلها دائما دويلات وامارات صغيرة ، حتى وحدها بسمارك كما نعرف بمزيج من القوة والدهاء • ولما تكرر خطر المانيا مرتين في الحربين الاولى والثانية ، كان الحل الذى اتفق عليه الجميع ،شرقا وغربا، هو تقسيم المانيا •وحتى الان ربما كانت امريكا وحدها التى لا تعارض توحيد المانيا لان خطرها سيكون موجها الى روسيا • وسيؤثر على وضع كل المعسكر الشرقى في شرق اوروبا،ولكن فيما عدا امريكا فان كل دول اوروبا بلا استثناء، شرقية وغربية ، تريد أن تبقى المانيا مقسمة الى دولتين • فالمانيا في الواقع بشعبها الكبير ، المتقدم ، القوى ، او لانها كذلك ، لم تعش دولة موحدة اكثر من حوالى سبعين سنة فقط !

مثل آخر يستحق ان يكون موضع دراسات عـديدة وما زالت كثير مـن اسراره مطوية وهو انهيار الامبراطورية العثمانية •

لا نملك في هذا المجال ، الا ان نتحدث عن خطوط عريضة جدا • ولكنها تكفى لانها تتصل بسياق حديثنا •••

كانت الامبراطورية العثمانية مكروهة بغير شك من دول ذلك العصر وامبراطورياته القوية ، روسيا القيصرية • امبراطورية النمسا • فرنسا • انجلترا ، وكان يكفي لكراهيتها انها كانت تجسد المد الاسلامي •وتدمير بيزنطة نهائيا • واحتلالها لمناطق يعتبرها الاخرون أولى بهم ، خصوصا البلقان كله ، حتى قلب اوروبا • وانها من ناحية اخرى تشغل بقعة بالغة الاهمية ، هـي نقطة الوصل بين الشرق والغرب •خصوصا بعد ان انفتحت مستعمرات الشرق لصناعة الغرب وتجارته •

كانوا لا يكفون عن التآمر ضدها • والعمل على ضعضعتها وتخريبها من الداخل • والحصول على امتيازات في قلبها هنا وهناك • وبث الفتن الدينية والعنصرية في ارجائها • وفي بعض المذكرات القديمة وخطابات قناصل تلك الدول الكثير والرهيب ، مما يشير الى ذلك •



ميترنيخ هتلر بسمارك

وفى نفس الوقت ، كانوا اذا وجدوا ان الامبراطورية العثمانية ، مهددة بحركة تجديدية من داخلها ، يسارعون الى الوقوف الى جانب الباب العالى • ويساهمون فى توطيد سيطرته • لماذا ؟ كانوا يريدون ان تبقى الامبراطورية كما سموها رجل اوروبا المريض ، وكانوا يريدون للرجل المريض الموت ولكن فى الساعة التى تناسبهم والظروف المواتية لهم ، حتى يقتسموها هم ، فلا تستعيد صحتها او تسترد شبابها مع حجمها الضخم الكبير • هكذا تحالفت اوروبا كلها مثلا ضد محمد على الكبير الذى كان يمثل قوة فتية نامية فى اهاب الامبراطورية العجوز ، وهكذا تحالفت نفس الدول على خداع الثورة العربية بعد ذلك فى الحرب العالمية الاولى ، موهمة لها انها ستحقق أملها فى استقلال المشرق العربى موحدا ، بينما كانوا قد وقعوا بالفعل معاهدة سايكس بيكو لتقسيم المشرق العربى الى دول وتفاهموا بالفعل مع الحركة الصهيونية لاعطائها فلسطين • وهذا ما كان •

• • • • • • • •

اذن فالذى نستخلصه من هذه الامثلة • • • ان هناك حقيقتين قديمتين جديدتين ، من حقائق السياسة الدولية ، وهما مقاومة ظهور أى قوة جديدة من قبل القوى القائمة لانها تربك التوازن القائم ، وتقلل من فعالية القوى القديمة ، وان التقسيم او الابقاء على عوامل الانقسام احد اهم الاسلحة التى تستخدم لتحقيق هذا الغرض فى كل زمان ومكان •

• • فاذا كانت هذه من القواعد الاساسية فى لعبة الامم • • فلست ادرى لماذا نعتبرها غير موجودة بالنسبة لنا ، ولماذا لا نتوقع ان يكون مجرد احتمال قيام قوة عربية كبرى فيه ما يثير مقاومة الاخرين ؟ خصوصا وان الأمر فى حالتنا اشد • اى انه فوق هذه القواعد العامة للعبة السياسة الدولية ، هناك اشياء خاصة بنا تجعلنا يجب ان نتوقع مقاومة اشد ، وما هو سوف اصل اليه بعد قليل •

ففى حدود القواعد العامة ايضا للعبة الامم ، ما يجب علينا ان نفصله ونستوضحه قليلا • • •

فنحن نقول العالم ضد الوحدة العربية بوجه عام • ولكن العالم يتكون من دول ومعسكرات ، وهى دول يمكن تقسيمها او تصنيفها تصنيفات مختلفة • وكل نوع او صنف منها قد يكون له رد فعل مختلف •

فمن ناحية القوة ، بكل معانى القوة عسكرية واقتصادية وعلمية وعددية ، نجد عندنا :

اولا ــ دولتان كبريان • هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى • مثل هاتين الدولتين لا يمكن ان نتصور ان تتقبل احداهما ببساطة فكرة قيام دولة او كيان او كتلة قوية متراصة مترابطة ممتدة من المحيط الى

الخليج • وهنا نأتي الى بعض تلك الصفات الخاصة بالوحدة العربية والتي تجعل القبول بها اصعب • فهذه الرقعة ليست في اى مكان من الارض • ليست في امريكا الجنوبية اوفى استراليا ، انها في قلب العالم • تشرف على الخليج، والمحيط الهندي ،وتحكم البحر الاحمر كله، ولها نصف شواطىء البحر الابيض المتوسط وتطل شواطئها على المحيط الاطلنطي ، والامر الجديد انه صار لديها اكبر واهم مخزون عالمي لاهم سلعة استراتيجية في العالم وهي البترول • أليس التعامل معهذه الدول فرادى اسهل مائة مرة من التعامل معها ككل واحد؟••

اذا ارادت روسيا طريقا الي البحار الدافئة فهي لا بد ان تفكر فيها ، واذا ارادت امريكا ان تحمي طرق تجارتها الدولية وتجارة معسكر الغرب والشريان الذى يمد اسرائيل بالحياة فلا بد ان تفكر فيها • وبالنسبة للطرفين فالتفكير في هذا الكيان موحدا هو بالتأكيد فكرة مرعبة وكابوس مزعج •

وبعد الدولتين الكبيرتين تأتي الدول الصناعية المتقدمة في اوروبا او كندا او اليابان ، وهي ليست بعيدةعنتلك الدولتين الكبيرتين وبالتالىليست بعيدة عن ردود فعلهما ، فضلا عن اسباب خاصة باوروبا بالذات ، سوف اعرض لها بعد قليل •

ثم هناك الدول النامية ، وقد تكون مقاومتها للفكرة اقل أو هي غير قادرة على مقاومتها وان كان يمكن ان نتصور انها لا تتحمس لها •

ثم الدول الاشد فقرا ، وهي بند جديد في جدول الدول دخل القاموس الدولي ، ولكنها لا تختلف كثيرا عن المجموعة السابقة •

تقسيم او تصنيف اخر ، يمكن ان نصنف به الدول الى دول مجاورة وقريبة منا ، ودول بعيدة عنا ، هنا ايضا ربما نجد دول امريكا الجنوبية لا يزعجها كثيرا قيام وحدة عربية في اى صورة من الصور • اما الدول المجاورة للحدود العربية او التي تشترك مع الدول العربية في بحار واحدة ، فهي بالغريزة وبالطبيعة ، شأن كل دول العالم،لا تحب تعاظم قوة الجار القريبولا ترتاح مستقبليا اليها • فهي لا بد ان تكون في صف المقاومين لها ، ما امكنها ذلك •

تقسيم ثالث ، يمكن ان نصنفبه الدول الي دول ترى ان رسالتها في خدمة نفسها ومصالحها فحسب • ودول ترى ان لها فوق ذلك رسالة عالمية ، تتخطى حدودها ، وهذه ايضا تصطدم بنا • فروسيا مثلا ترى ان لها فوق وضعها كدولة كبرى دورا آخر في نشر المذهب الماركسي الذى ترى انه النظام المناسب لعالم الغد • والغرب يرى ان لديه رسالة يسميها الحضارة الغربية المسيحية ، بكل مقوماتها التي نعرفها ، ومعظم الاحزاب في اوروبا الغربية اسمها Christian Democratic هذا هوالاسم الذى تطلقه الكتبعلى مجموعة القيم التيارتبطت بقيام الحضارة الغربية ونشوئها •وفي هذا المجال، يرى الاثنان ، ان العالم العربي يخلق لهما مشكلة • فهو ليس ارضا عارية من حضارة متكاملة سابقة ، وعالمية الرسالة ايضا ، وهي الحضارة العربية الاسلامية ، ومن الطبيعي ان ينظرا الينا في القليل نظرة تنافس او عدم ارتياح ، لان اى بلد له حضارة شرقية لا بد ان تؤثر في نمط تقبله حتى للدعوات الجديدة • فالماركسية مثلا ، بنت الحضارة الغربية ، لم تنقلب الى



محمد علي كيسنجر

لون جديد ، منافس ، مختلف ، حاد في اختلافه ، الا في الصين ، لانها بدورها كيان ضخم ذو حضارة شديدة الخصوصية ، ولا احد يعرف الي اين ستنتهي التجربة هناك ، ولكن احدا لم يكن يتصور ان مشكلة روسيا العظمى سوف تكون مع الصين !

تقسيم رابع ، يمكن ان نصنف به الدول، الي دول لها معنا سابق تاريخ واحتكاك ، ودول ليس لها معنا مثل هذا التاريخ .

فهناك ، مثلا الدول الافريقية ، او بالتحديد الحزام الافريقي الذي يلي الشمال العربي الافريقي مباشرة .هنا نجد منطقة مختلطة ، مناطق مسلمة ومناطق مسيحية ومناطق وثنية . مناطق يجري في عروق اهلها الدم العربي بوضوح ، ومناطق زنجية خالصة ، فتلك كانت نقطة الالتقاء ومعبر الهجرة والتجارة والتعامل ايام المد العربي . وفي تلك المناطق يوجد حب للعرب ، اول من نقلوا لهم تاريخيا انوار الحضارة ، وفيه كراهية مصدرها ما يقال عن تجارة الرقيق ، وهي نقطة حاول الاستعمار الاوروبي ان يغذيها هناك حتي يقيم حاجزا بيننا وبينهم . وان كانت مساعدة العرب لحركات التحرر الافريقي في القرن العشرين قد ازالت الكثير من اثر تلك التركة ، الا ان بعضها قائم .

وهناك جار آخر ، ذو اهمية خاصة ، هو جارنا الشمالي ، الذي يفصل بيننا وبينه البحر الابيض المتوسط او بالاحرى يجمع بيننا وبينه البحر الابيض ، وهو اوروبا .

ولا اريد ان اعيد هنا ما كتبته في مجلة « العربي » ــ عدد اغسطس ١٩٧٦ تحت عنوان « نحن نعيش الحرب الصليبية العاشرة » .. من استعراض شامل للحروب الصليبية ، كمواجهة بين حضارات استمرت قرونا ، وتركت آثارا عميقة لدى الجانبين ...

ولكن العبرة العامة ، ان « اوروبا قوية » كانت تحب ان ترى دائما عالما عربيا ضعيفا . لان عالما عربيا موحدا كان يعني اضعاف اوروبا .

والظروف السياسية والاقتصادية تغيرت بالطبع . ولكن الرواسب لا تموت بسهولة . وقد يهم الاوروبيون بترولنا . ولكن قد تزعجهم وحدتنا على وجه اليقين .

.. وبعد ، فانني اقول هذا كله لا لبث اليأس من قضية الوحدة العربية ، ولكن لكي أنبه العرب جميعا الي اننا حين نفكر في الوحدة ، بأي شكل وعلى اي مستوى ، فنحن نفكر في مشروع من اخطر مشروعات التاريخ كله ! وعلى هذا المستوى يجب ان يكون التفكير فيه .. والعمل من اجله . ●●

احمد بهاء الدين



نظرة الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

■ كان الكون كله قريبا من الرسول عليه الصلاة والسلام • واذا كان الله قد جمع له فى اصحابه اجناس البشر من العرب والروم والفرس ، والاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعفاء •• فقد طوى له الزمان والمكان فى الاسراء والمعراج :

طوى له المكان فاسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وعرج به الى السموات العلى •

وطوى له الزمان فلقى الانبياء ، وجمعته معهم صلاة ، ودارت أحاديث • وشهد من غيوب الله ما يرتبط بالماضى وما يرتبط بالمستقبل •• وعاد بعد ان رأى من آيات ربه الكبرى •

وبهذا الفضل الالهى ، كان خاتم الانبياء والمرسلين هو « الانسان الكونى » •

واذا ما عدت الى القرآن الكريم وجدت فيه صورة اخرى من اللقاء بين الانسان والكون :

فالله يقص علينا احسن القصص • يعلمنا بدء الحياة ومسارها ، وانه خلق لنا السماوات والارض ، واسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وارسل الينا رسله مبشرين ومنذرين • والى ربنا نعود فى يوم تجد فيه كل نفس ما عملت محضرا• ففى القرآن معالم قصة الوجود واضحة : اين أنت من الكون ؟ وأين الكون منك ؟ وانظر الى صور من تتابع فضل الله فى قوله : « ألم نجعل الارض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا ، وجعل الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا ، ان يوم الفصل كان ميقاتا » (النبأ : ٦ ـ ١٧) •

واسأل نفسك : هل يصف الله لك الكون الكبير ، أم تحس انه يصف لك بيتك الذى تعيش فيه ؟ وانت بهذا فى وجود صديق •



الى .. الكون

ولنحاول ان نرى كيف يؤكد الرسول (ص) هذه النظرة فى نفس المسلم :

فى الصـــلاة

وانت تحس هذه النظرة الكونية في الاسلام فى عباداته ومعاملاته : ولنبدأ بالوضوء للصلاة والتطهر للعبادة •

يقول الرسول (ص) : الطهور شطر الايمان (رواه مسلم عن ابى مالك الاشعرى) •

ويقول (ص) : من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جســـده حتى تخرج من تحت اظفاره • (متفق عليه عن عثمان) •

وما الوضوء ؟ انه عبادة تســـتخدم فيها ماء طاهرا تغسل به اعضاء محددة من جسمك ، هى ـ عمليا ـ وسائل اتصالك بالعالم من حولك •

وما مصدر الماء ؟ انه هذا الكون من حولك : من ماء المطر أو العيون أو الانهار أو البحار •
وانت : حين تجمع هذا الماء بين يديك ، انما تجمع جزءا من هذه الطبيعة حولك • جزءا طاهرا تمر به على اجزاء من جسمك • وكانك تصافح الكون من حولك عن طريق هذا الماء •• وكان لهذا الماء معك حديث ونجوى : انه طاهر فكن طاهرا• انه يسبح بحمد ربه فكن انت مسبحا بحمد ربك•

ولنتامل هذا الحديث الذى أمامنا : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره » • ليس الامر فى الوضوء حسيا فقط ، وانما هو عبادة كاملة ، لها جانبها الحسى والمعنوى فى ذات الوقت • عبادة انت تذكر فيها فضل الله عليك وتستغفره مما اجترحت من اثم • وتدعو ربك حين تتم وضـــوءك ، ان يجعلك ويجعلنا من التوابين والمتطهرين •

وكذلك التيمم : أنت به تقصد الصعيد الطيب تمسح به وجهك ويديك • وما وضع اليد على الصخر أو على أديم الارض الطيبة ؟• انه اتصال بهذا الكون الكبير ، وتذكر الارض : ننبت منها، وتثوى فيها ، ونخرج منها ، وبقدرة الله التى خلقت هذا كله وجعلته مسبحا بحمده ، ولـــكن لا نفقه تسبيحه ، وان كان كل قد علم صـلاته وتسبيحه •

وتقف للصلاة متجها الى القبلة من أى مكان انت فيه • وبهذا تتخطى حدود المكان من حولك لتقف على نقطـــة من محيط دائرة كبيرة ، يقف عليها الالف والالاف من اخوانك المؤمنين ، ليـــلا ونهارا ، متجهين الى البيت العتيق •

وتستطيع أن ترى منها دوائر صغيرة بعينيك ، اذا ما ذهبت الى مكة ، وصليت مع اخوانك هناك دوائر دوائر حول الكعبة •

وتؤمن وانت فى صـــلاتك التى تعلمتها من أشرف الخلق (ص) « صلوا كمـا رايتمونى اصلى » ، ان كلمتك المؤمنة قادرة على ان تجد الى ربها سبيلا •

ماذا يحدث للكلمة الطيبة ؟ ان ربنا يعلمنـا فيقول « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (فاطر : ١٠)

حركة الشفتين وخفقة القلب الطاهر ، تستطيع ان تصعد الى السماوات العلى ، وان تسجل عند الله « في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة ، كرام بررة » (عبس : ١٣ ـ ١٦) •

في الصلاة تجد نفسك في لقاء مع الكون : انت مع ربك • الارض مع السماء • الكلمة مع الجزاء • الدنيا مع الاخرة • مكانك مع الكعبة •

وفي الصلاة أنت مرتبط بظواهر كونية : من طلوع الفجر الى شروق الشمس وزوالها وطول ظلها وغروبها الى غسق الليل •

وهذا الرباط الكوني في الصلاة ، متلازم مع رباط بالانسان تعلو به منزلة صلاة الجماعة ، والسعي الى المساجد •

في الصوم

وينطبق ذلك على الصوم ايضا : فمواقيته يحددها هلال رمضان ويعلمنا الرسول (ص) فيقول : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين » •

(متفق عليه عن أبي هريرة) •

وفي يومك انت مرتبط في عباداتك بحركة الشمس سحورا وامساكا وصوما وافطارا وقيام ليل • لا تتدخل ارادة بشرية في ذلك • وتحس انك واخوانك ، في مشارق الارض ومغاربها ، تؤدون عباداتكم مرتبطين باهلته ، تعلمون بها عدد السنين والحساب ، وبشمس تجرى لمستقر لها •

في الحج

والحج لقاء بين شعائر ومواقيت ناخذها عن رسولنا ، وجاءت من قبله لخليله ابراهيم عليه السلام •

والحج بدوره لقاء بين الانسان والانسان ، ولقاء بين الانسان والكون :

هذا اول بيت وضع للناس • وهؤلاء اخوتك جاءوا وقد تساقطت عنهم حواجز اللون والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية •

وهذا حجر له كرامته نستلمه ، ونحن نعلم انه حجر لا يضر ولا ينفع ، وأحجار أخرى نرجمها في « منى » بأحجار صغيرة نجمعها من المشعر الحرام•

وما الذى يميز حجرا عن حجر ليكون هذا مجال تقبيل ، وذلك مجال رجم ؟ هذا داخل في بناء الكعبة ؟ وذلك تصوير للشر ؟

وانت في هذا متبع ومعتبر ومعظم لشعائر الله •

وتستطيع أن تتابع العبادات لتجد فيها هذا الترابط القوى بين الانسان والكون ، ترابطا يجعل نظرة الانسان الى الكون ، نظرة المودة ، ومن فيه من الناس أهله ، وما فيه من الثمرات رزق ، للمحتاج فيه نصيب •

الزكـاة

ويقودنا هذا الى كلمة عن الزكاة •• والزكاة زيادة ونماء • والعطاء ظاهرة نقص ، ولكن :

ماذا تقول في الزارع حين يضع في الارض بذوره ؟ ان الحبوب التي عنده تنقص أول أمرها، فجزء منها اصبح في باطن الارض ، ولكنه مطمئن الى نمائها بعد هذا ، وان هذه البذرة ستكون سنابل وثمارا •

والاسلام يعلمنا ان تكون ثقتنا بالله اكبر • وأن ما نغرسه فيارضالخير ينمو ويزكو ويرتفع• وأن قلوب العباد وحاجات المحتاجين ، هي ارض طيبة ،دعانا ربنا الى انتضع فيها بعض البذور• وحددت لنا السنة المطهرة الانصبة التي نقدمها الى الخير ، مما يفيض عن حاجتنا مع حساب الجهد المبذول فيها •

فاذا كانت الزراعة واستخراج المعادن وصيد البر والبحر تعاملا مع ما خلق الله من خيرات ، فانالزكاة رباط اجتماعي واقتصادى يذكرنا دائما بخالق هذه الخيرات ، الذى جعل عبادا يختبرهم في ان يملكوا ، وعبادا يختبرهم في انهم لا يملكون ، لينظر منا اينا احسن عملا وشكرا •• وفرض على الجميع السعي ما استطاعوا ،وجعل الارض مجال ذلك في قوله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في

مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك: ١٤ ـ ١٥) ٠

النبات والحيوان

وان الصداقة مع الكون ، كما رايناها مع الشمس والقمر والماء والصخر ، نراها ايضا مع النبات والحيوان ٠

١ ـ فاذا كان الحيوان للركوب والحمل والقتال، فما ينبغى ان يتخذ تسخيره فيما لا يجدى ٠ وفى هذا يقول المصطفى (ص) « لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر ٠ فان الله تعالى انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، وجعل لكم الارض ٠ فعليها فاقضوا حاجاتكم » ٠ (ابو داود عن ابى هريرة) ٠

٢ ـ ونهانا عن التسلى بالتحريش بينها فى حديث رواه الترمذى عن ابى عباس ٠(والتحريش اغراء بعضها ببعض) ٠

٣ ـ وتصل به الرقة الى أن يقول « لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة » (ابو داود عن زيد ابن خالد) ٠

٤ ـ ويامر أصحابه أن يعيدوا الى حمّرة (عصفور) فرخها ، عندما راها تفرّش (اى ترفرف باسطة جناحيها قرب الارض) ويقول لهم « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها » (ابو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه) ٠ وتامل تعبيره النبوى الكريم : من فجع هذه بولدها ؟

٥ ـ وينهانا فى الغزو عن أن نقطع شجرة الا لطعام ، كما ينهانا عن الاسراف فى الطعام ويدعونا الى القصد فى ذلك كله ٠

البيت الكبير

ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينظر الى الوجود نظرة حب يتعمق منها الى ما فيه من بديع صنع الله ٠ ولم تكن حياته صراعا مع هذا الوجود او تحديا له ٠

انه بشر من خلق الله ٠ وهذا الكون من خلق الله ٠ هو مسبح بحمد ربه ٠ وهذا الكون مسبح بحمد ربه ٠ والله اعطى الانسان العقل والفكر وحرية الاختيار ٠ وهذا الكون تحكمه قوانينه ٠ والانسان خليفة الله على هذه الارض ٠ وله خلقها وخلق السماوات ٠

وعلى هذا لا نجد فى الاسلام ولا فى توجيه الرسول لنا الا حب الكون والانسان ٠

الكون هو بيتنا الكبير ٠ الناس كلهم أخوة ٠ الحياة عمل واختبار ٠ نعمل فى الحياة دون اخلاد اليها ٠ نقوم بحق خلافة الله فيها ٠ ما جاء من رزق اشتركنا فيه ٠ لا تفرقة بسبب اللون أو العنصر او الوضع الاجتماعى او الاقتصادى ٠

حاجة عالمنا الى هذه النظرة

وتختلف هذه النظرة المحبة الودود ، عن نظرات اخرى رات فى الكون مجال صراع وعداوة ،وصلت الى تدمير مقومات غير قليلة فى بعض بيئاته :

وانظر ـ كمثال ـ الى ما حدث فى افريقية منذ عهد الكشوف الجغرافية فى أواخر القرن الخامس عشر ومطالع القرن السادس عشر ٠٠ وراجع ما حدث فيها عندما اصطدم الفكر المحلى بالفكر الوافد حول رأس الرجاء الصالح من البرتغال ، ومن جاء بعدهم من المستعمرين ٠٠

لقد وجدوا ـ كما يقول بازيل دافيد سون ـ مدنا تموج بالحضارة والتقدم ٠ وشهدوا آلات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل ، يستخدمها اهل البلاد فى تنقلهم بين شواطىء شرق افريقية والشواطىء العربية والاسيوية ٠ وشهدوا صلات ود باركها الاسلام وحث عليها ٠ وهى صلات يمكن ان نردها تاريخيا ـ فيما بين الجزيرة العربية وشرق افريقية ـ الى ما قبل الاسلام ٠

وجاءت مع الاستعمار مطامع ضارية ، تضرب بالمخلب ، وتنهش بالناب ، وتشعل النيران فى المدن العامرة ٠ وبدلا من مشاعل الحضارة التى كانت قائمة فى هذه الاجزاء ، ارتفعت السنة اللهب ، وغطى دخانها الاسود وجه الحياة ٠٠ وغاب اندلس الشرق عن انظار التاريخ ٠

نحو اربعين مدينة اقامها العرب ما بين مقديشو

في الشمال وكلوا الجزيرة في الجنوب ، كشفت عنها بحوث وحفريات علمـاء الاثار •• ولنرجع - كمثال - الى ما كتبه - فريمان جرنفل عن هذه المواقع •• اطلال بقيت ، نمت حولها المراعي والاشجار وازالت منها احداث التاريخ وهطـول الامطار وجريان السيول ما ازالت •• ولكن المعول الاكبر الذى حطم هذه المواقع ، واليد الباطشة التي حركته كانت عن طريق رأس الرجاء الصالح •• وأي رجاء صالح جاءنا عن هذه الطريق ؟

هذه النظرة المدمرة لم تنظر الى مقومات هذه البيئة نظرة حب ، ولا مودة ، وتلك ان تقارن بين هذا الدمار الذى شهده شرق افريقية في اندلسه المفقود ، وبين العمار الذى شهدته شبه جزيرة ايبيريا عندما عبرها المسلمون من عرب وبربر ، واقاموا فيها الاندلس المولود •• ترعاه مبادىء ارتضاها رب الناس للناس ، حبا وبرا ،وشهدت بها ارض الاندلس حضارة عاد الاسبان اخيرا ، وبعد قرون ،يضمون ما بقى من اجزائها، بعضها الى بعض ، ويرون فيها - بحق - صفحة رائعة من صفحات امجادهم بها يعتزون • ورأوا ان العقول التى ابدعت هذه الحضارة كانت لقاء بين دماء عربية واسبانية ، وتوجيهات من رب الناس الى الناس ،ربهم الذى خلقهم جميعا •• واذا ما كان العرب والبربر قد حملوا مشاعل هذه الحضارة عابرين بها مضيق جبل طارق فان ازدهارها كان في الاندلس : فوق ارضها وتحت سمائها ساهمت فيه عقول ابنائها ، وتحركت ايديهم يعملـون ، غذتها دماء تستمد من رافدين أحدهما من الارض التى يعيشون فيها ، والثاني من الارض التي جاءوا منها •• نهر طويل ينبع من مهبط الوحى في الجزيرة العربية ويصب في الاندلس •

عودة

وشيئا فشيئا رأينا كيف اخذ العـالم يثوب الى مضمون هذه النظرة الاسـلامية ، الى هذا التطبيق الذى يحترم الانسان والكون ، والذى يرى في مكونات البيئة الطبيعية والحضارة عطايا الهية ، ينبغي ان نقابلها بالشكر لا بالجحود •

وقد تكون هذه العودة اكثر ظهورا في ميدان المحافظة على مقومات البيئة منها في المحافظة على الانسان ، رغم الـكثير الذى يقال عن حقوقه ؟ ولكن العودة الى حب هذا الكون والمحافظة عليه، ومحاربة مظاهر الدمار والتلوث فيه ، والنظـر البعيد الى مستقبله ، والنظرة الشاملة اليه •• كل اولئك مما يباركه الاسلام ويسعى اليه •

هذه المقـاومة لزحف الصـحراء على ارض المراعي والزراعة ••

هذا الحرص على الشـواطىء من اخطـار التاكل ••

هذه العناية بمستوى الخصـوبة في الارض الزراعية ••

هذه العنـاية برفع مستوى الانتاج الزراعي باختيار واستنبات بذور اقوى واشـد مقاومة للآفات •

نماذج ونماذج اذا كان غيرنا يسـعى اليها ، من اجل رفع مستوى الحياة المادية ، دون ربطها باصولها الدينية ، فما أحرانا ونحن نسعى اليها بدوافع الدين والحياة ، ان تكون لنا مساهماتنا الايجابية في هذا المجال •

مشاركة

وان ايماننا بهذه النظرة التى يوجهها الينا ديننا وعاش بها رسولنا ، يفرض علينا الا تظل قوانا حبيسة الاماني ، وانما علينا ان نطبق هذه النظرة في جامعاتنا ومعاهد بحثنا ومختبراتنا ، فتكون كلها - عمليا - معـابد علم ، تعبر عن ايماننا ، بمزيد من الفكر والعمـل والانتاج • وتضيف الى الجهود العالمية في عمار الحيـاة وصداقة الكون ومكوناته ، ما نسـتطيع به ان نتقدم على طريقنا الصاعد حيث يلتقى الايمان بالعلم والعمل • ■■

عبد العزيز كامل



كنيسة نوتردام

اناقة ضرورية

بقلم :
الدكتور حافظ الجمال ✻

■ هل أبدأ بحكاية • ان هذا ممكن دوما • والحكاية هي انني دعيت كما يدعى كل الناس ، لسهرة في بيت صديق • وكان ما قدم للضيافة شيئا حلو المنظر على كل حال : اناء بيضوي ، ناعم ، فيه قطعة من الكاتو ، مطعمة بالبوظة ، وحولها بعض حبات الكرز ، على سبيل الزخرفة • وأمسك الملعقة بيدي ، واقتطع منها ما هو بحجم اللقيمة الاولى • فاذا بي أجد تحتها ورقة • ولكن لم الورقة هنا ؟ لم انهم بادىء ذي بدء • ولكن اللقيمة الثانية اثارت استغرابا أكبر : اذ ظهر فيها ما يشبه المقطع المكتوب « مو » فما هي هذه الـ « مو » يا ترى ؟ وتتابعت اللقيمات فاذا بي ارى على الورقة مقطعا مكتوبا اخر هو « رو » ثم مقطعا ثالثا هو « كو » ، وانكشف السر كله • اذ لقد جيء بالضيافة من محل موروكو المعروف • ولما كان هذا حريصا على الدعاية لمحله • فقد فطن الى أن وضع ورقة عليها اسم محله ، وعنوانه ، سيثير انتباه كل ضيف تقدم له الضيافة من عنده ، وسيقسم هذا مباشرة يمينا بالله ، انه سيقدم هو بدوره لكل ضيوفه الاخرين ، ضيافة من هذا النوع ، لايحلو مذاقها فحسب ، بل يكون فيها ما يسترعي الانتباه

✻ الدكتور حافظ الجمال هو استاذ سابق بالجامعة السورية ، وسفير لبلاده في عدة دول اوروبية ، ويرأس الان اتحاد الكتاب العرب بسوريا •

في كل لقيمة ، حتى يستطاع اخيرا كشف السر ، وحزر « الحزيرة » بقراءة المقاطع المتتابعة ، مرة بعد اخرى ... اى بقراءة : مو ـ رو ـ كو. ويا للسعادة بهذا الاكتشاف العظيم !

وفكرت قليلا ، وتساءلت : ايمكن لرجل فيه بعض الذوق ، أن يستثمر ضيوف الناس ، فيختلس الدعاية لنفسه ، من وراء ظهورهم ؟ وهل من واجبنا ان نستخدم ضيوفنا كادوات للدعاية ؟ الحقيقة أني شعرت ، خلال بعض اللحظات ، أن الغاية الاولى او الغاية كلها هي تلك الضيافة . اما انا الضيف ، الانسان ، كبيرا أم صغيرا ، عظيما أم غير عظيم ، فانى لست الا الوسيلة . ووسيلة لماذا ؟ وسيلة لاستهلاك روائع موروكو . فما اعظم الغاية ، وما أتفه الوسيلة !

وهذه قصة اخرى : ان بعض الناس يموتون كل يوم . وينعون بصورة تقليدية معروفة : تبدأ باية ما ، مثل : انا لله وانا اليه راجعون ، أو ما يشبهها . تليها اسماء الناعين من اقرباء الفقيد وانسبائه ، يأتي بعدها اسم الفقيد ، والتفاصيل الضرورية الاخرى . ولكن صاحب المطبعة لا ينسى أن يحتفظ لنفسه بهامش خاص ، اخر ورقة النعي ، يكتب فيه أشياء من النوع التالى : ليلا ـ نهارا . مكتب المطبعة العصرية.

شارع رامي .... طباعة ـ قهوة مرة ـ قراءة قران ـ موائد كراسي

ومرة اخرى ، يحيل الطابع « الميت » واهله ، وحرمته ، وكرامته . والحزن عليه ، ومشاركة الاحياء ، العاطفية ، لاهله وذويه ، الى مجرد وسيلة . ولكن وسيلة لماذا ؟ انها وسيلة استهلاك للطباعة ، والقهوة المرة ، والموائد والكراسي ، كان هذا الاستهلاك ، هو الغاية ، وكان المستهلك ، الانسان ، الذى جعله الله فى أحسن تقويم ، هو مجرد وسيلة . فليمت هذا الانسان ، وليمت الكثيرون بقدر ما يشاءون . اذ كلما كثر موتهم تتالت المنافع على صاحب مكتب المطبعة العصرية ، أحسن الله اليه ، وزاد من امثاله .

واتساءل فى نفسى : اليس هذا الخلط بين مستويات مختلفة من القيم ، بعضها فى الدرك الاسفل ، والاخر يعانق السماء ، برفعته وقداسته ، مما يميز الشعوب المتخلفة جملة ، لا شعبا معينا منها؟ وكان الجواب سهلا جدا : ان كنيسة نوتردام في باريس (وقل مثل ذلك فى كل كنيسة اخرى غيرها) بنيت في اعماق القرون الوسطى من عام ١١٧٧ حتى عام ١٣٧٥ تقريبا . ولم تنشا فى عهود متقدمة حضاريا ، بل في عهود ممعنة فى التخلف ، وعاصرته اربعة أو خمسة قرون اخرى ، اى حتى أواخر القرن السابع عشر على الاقل ، ان هذه الكنيسة لم تغلف كمساجدنا ، كلها تقريبا ، بحوانيت ودكاكين من سائر الجهات والواجهات ، على ما هى الحال فى المسجد الاموى . مثلا ، على الرغم من انها تقع فى وسط المدينة ، وفى تماس مباشر مع كل الاسواق التجارية التقليدية . اترانا وحدنا الذين نحتاج الى المال ، للانفاق على بيوت الله ، والقيام بامورها أم نحن والاخرون سواء فى هذه الحاجة ، ولو ان كنيسة نوتردام أو الفاتيكان غلفا بالحوانيت والمتاجر ، لعاد ذلك عليهما بربح كبير جدا . فلم نزهت بيوت الله هناك عن التجارة ، وفصل فيها بين الدين والدنيا ، ونحن لا نكاد نجد مسجدا من مساجدنا الا وفى جانبيه باعة الخضار ، والجوارب ، والاحذية ، ولماذا لا تعفى أبواب المساجد نفسها من الاعلانات التجارية على الاقل ، لتدع المؤمنين يدخلون الى مساجدهم بهدوء ، ويفرغون لصلواتهم وعباداتهم، تاركين الدنيا ، مؤقتا وراء ظهورهم ؟ او ليست هذه الظاهرة ، شبيهة جدا بظاهرة الضيافة ، من عند موروكو ، او بظاهرة الاعلان عن تاجير الكراسي ، وتهيئة القهوة المرة ، واقامة الموائد والموائد من مكتب المطبعة العصرية ، على ورقة نعي الموتى ؟ وتختلف مستويات الهبوط والصعود، من ظاهرة الى اخرى ولا ريب . ولكنها جميعا تاتلف فى صفة مشتركة تجمع بينها ، وهى الهبوط من قيمة كبيرة الى قيمة صغيرة ، او لا قيمة ، ومن السماء الى الارض ، او من الغاية الى الوسيلة . واكثر من ذلك أن سلم القيم ينعكس تماما ، فتصبح اللاقيمة قيمة ، والسماء أرضا ، والوسيلة غاية واكثر من ذلك

كله ايضا ، أن هذا الخلط وهذا العكس يتمان بصورة لا شعورية تماما ، حتى لكان احدا لايشعر بهما ، ولا يفاجأ ، ولا تقوم في نفسه اية بادرة من بوادر الاستغراب • واذا وجد من يستغرب ذلك ، قليلا او كثيرا ، وجد انه هو الرجل المستغرب • او الغريب الاطوار ، او المريض في حساسيته • فكان اللاطبيعي هو الطبيعي والغريب هو المالوف ، واللامعقول هو المعقول •

ومما لا ريب فيه أن في وسع الانسان أن يجد امثلة كثيرة على هذا النوع من القلب ، والعكس لقيم الاشياء ، والهبوط من الاعلى الى الاسفل لا على هذه الاصعدة البسيطة نسبيا ، والقليلة الخطورة على كل حال ، بل على اصعدة اخرى ، ترقى خطورتها الى مستوى صبغحياتنا بصباغ خاص ، ندرك معه أن « التخلف » هو الشيء الطبيعي الذى لا بد منه في مثل هذه الظروف وأن التقدم هو الامر الغريب • وبتعبير آخر : ليس العجب ، ان ينشيء هذا القلب لقيم الاشياء ، كل صور التخلف ، ولكن العجب أن يخطو بنا خطوة واحدة على طريق التقدم ••

ونذكر على سبيل المثال ان السلطان عبد المجيد الذى ارتقى عرش الخلافة بعد زمن طويل من شعور الناس ، بان الدولة مريضة ، وانها بحاجة ماسة الى مسايرة العصر ، والسير في ركابه ، اصدر خطا همايونيا يستجيب به لحاجة هذا الاصلاح • وقد عرف هذا الخط الهمايوني، باسم خط كلخانة نسبة الى الساحة التى اعلن فيها هذا المرسوم الملكي •وكانت براعة الاستهلال فيه : أن السلطان يمنح رعيته الامان على الحياة والعرض والمال • وبطبيعة الحال فقد كانالسلطان سعيدا ، بخطوته التقدمية هذه ، ظانا انه اتى بالمعجز من الامور •وتخطى اعظم الصعاب ، وحقق نصرا لا مثيل لـه • ولهذا فانه دعا العظماء والوجهاء والسفراء الى شهود الحفل ، والاستماع الى خطه الهمايوني ، ليزدادوا به اعجابا ،ويدعوا له بطول البقاء •

ولكنالمتامل الذى يحلل هذا الكلام ، لا يستطيع الا ان يستخلص منه مباشرة أن السلطان كان يملك من الناس حياتهم ، واعراضهم ، ومالهم، وأن هذه كلها حق من حقوقه ، وها هو الان يتنازل عنها ، لطفا منه ، وامعانا في الكرم • ولعلها ساعة رضى ، حصل فيه الشعب من سلطانه ، على مثل هذا السخاء ، ترى الا يمكن أن تتلوها، مرة ما ، ساعة غضب ، يسترد بها السلطان ما كان قد منحه لرعيته ؟

ومع ذلك فان هذه المنحة ظلت حبرا على ورق، ولم يستفد منها احد • ذلك ان الادارة العثمانية التياعتادتالتصرف بحياةالناسواموالهمواعراضهم لم تستجب مطلقا للسلطان • وظل سلوكها على ما كان عليه • وكان ينبغى لتمام المنحة • أن يصدر كل ذى سلطة ، مرسوما مماثلا يمنح فيه الرعية التى حوله ، مثل ما منحها السلطان • ويبدو انهلم يكن هنالك الا « ساحة كولخانه » واحدة،لم يستطع الولاة والمتصرفون والقائمقامون، والقيادات المختلفة ، ان تتصرف بها ، لمثل الغاية التى استخدمها السلطان من أجلها •

ومن جهة اخرى ، فان الانسان ليتساءل :مادامت حياة الناس ، واعراضهم ، واموالهم ، من حق السلطان في الاصل ، فلماذا لايكون طعام الناس، وشرابهم ، ولباسهم ، من حق السلطان ايضا ؟ ولم لم يفكر السلطان باصدار خط همايوني آخر ، يمنح فيه الرعية مثل هذه الحقوق ؟

الواقع ان قلب القيم ، او عكسها شيء واضح جدا في هذا الخط الهمايوني • ذلك ان الاصل هو أن « الرعية » هي التى تختار السلطان لحماية « قيمها » واستخدام القوة الجمعية ، لرعايتها ، والحفاظ عليها ، وليس من المالوف أن تختار الرعية سلطانا ليجردها من حقوقها ، ويعتدىعلى حرماتها ، ويعبث بمقدساتها ، ويتصرف كما يريد بحياتها واعراضها ومالها ، وبتعبير آخر : ان الاصل المعقول ، لاختيار كل سلطان ، او سلطة، هو حرص الناس على من يرعى لهم حقوقهم ، ومقدساتهم ، ويقوم لهم بامرها ،اى أن يكون خادما للرعية • ولهذا أطلق العرب اسم « جحش القوم » على سيد القوم ، من حيث انه يحمل اثقالهم ، ويذب عن حياتهم ، ويحميهم من أعدائهم ، ولكن عملية القلب هذه ، جعلت خادم القوم ، سيدهم ،

وسادة القوم ، خدمته • وهنا أيضا تنقلب القيم، فيصبح الدنيء منها هو الرفيع والرفيع منها هو الدنيء •

وخطوة اخرى ، الى الامام ، وسوف نجد أن في وسعنا ، ببعض التعميم ، أن نقول : ان عملية قلب القيم ، وعكسها ، يجب أن تكون هي الاصل، لا في الامور التي اشرنا اليها فحسب ، بل في كل الامور الاخرى ، اذ لا يمكن ان تتم صور القلب هنا وهناك وفي قطاعات ضخمة من حياة الناس، الا اذا كانت شائعة في المجتمع ، منتشرة فيه • ولولا ذلك لما خطر ببال هذا البائع ، أو ذاك الطابع أن يقوم بمثلها في القطاع الذي يسيطر عليه •ولولا الخوف من الاطالة ، لأشرنا الى صور كثيرة من هذا القلب ، على كل صعيد ، غير أن الذي يغنينا عن ذلك كله هو ان هذا القلب يصل دوما الى النتيجة نفسها • فالانسان فيه هو الذي يصبح الاداة والوسيلة • اما الربح ، او المنفعة ، فهما اللذان يصبحان الغاية • وبتعبير آخر : ان الانسان هو الذي « يشيأ » اي يصبح شيئا بين الاشياء ويفقد وجوده ، ككيان يملك شعورا ، ويجد أن غاية وجوده هي في نفسه ، لا في خدمة ما هو ادنى منه • وكل شيء في هذه الدنيا ، قد سخر للانسان ، وجعل في خدمته ، فاذا بنا نجعل من الانسان شيئا من الاشياء ، نسخره هو الآخر ، للقيام بخدمات ، وارواء رغبات وتلبية حاجات •

ولكن من هو المسخر الأول والاخير ؟ ليست الاشياء طبعا هي التي تسخرنا لخدمتها ، بل أن « آخرين » أو «اناسا متميزين» هم الذين يسخرون سائر الناس لحاجاتهم ، والقيام بخدمتهم • وليس في ذلك من باس لو أن هذه الحاجات والخدمات « قيم » نؤمن بها جميعا ،ويشترك المسخِّر والمسخَّر في تقديسها والعمل من اجلها ، لكن الذي يحدث دوما هو أن منافع بعض المتميزين الصغيرة ،ومآربهم الشخصية المسكينة ، المقابلة للقسم الادنى من نفوسهم ، اي لغرائزهم وانانياتهم ، هي التي تسخر كل الآخرين لتلبيتها ، وسد حاجتها ، كان المسخِّر والمسخَّر قد اصبحا معا ، على مستوى واحد • اذ ان كلا منهما تنازل عن أسمى ما في نفسه ، واصبح ادنى ما فيها ، واستخدم وجوده ، وشعوره ، وضميره ، للقيام بعبء « أحقر » ما في نفسه • و « اصغر » مافيها ، الا ان المسخر تنازل عن ذلك بارادته طوعا لا كرها ، وتنازل المسخر مكرها لا بطلا • وشتان بين استلاب الذات بفعل « الذات » واستلاب الذات بحكم اكراه الاخر •وما دام الاول يضحي تلقائيا باكرم ما في نفسه لحساب ادنى ما فيها • فيقينا لم تكن التضحية سهلة جداء الا لان « الذات » لم تكن غنية بما عليها أن تضحي به ، وفقيرة بما تضحي من اجله • بل لقد ضحت «بانبل ما فيها »لحساب «ادنى ما فيها »، لان ذلك القسم الانبل كان شيئا تافها لا يقام له وزن ،ولا يؤبه لوجوده ، اذا قيس بالادنى والاحقر • وهكذا فان « أدنى ما في وجود المسخر » قد فرض سيادته على كل الاخرين ، ليهبط بهم مرة اخرى الى الادنى ما فيهم •

لا ريب أن عملية قلب القيم ، الشائعة جدا ، في المجتمعات المتخلفة ، خطيرة الآثار الى أبعد الدرجات ، ذلك انها الوسيلة المثلى لتعميق التخلف ، بدلا من زيادة التقدم ، والامعان في الصغار • بدلا من الطموح الى السمو • ولئن وجد من يقول : ان كل مجتمع يعترف بالقيمة التي يمنحها للفرد ، فيجب أن نقول : ان كل مجتمع ينكر قيمة الفرد ، ويشيئه ، ويقلبه من غاية الى وسيلة ، لن يكون مجتمعا قائما ، الا بمعنى واحد ، وهو انه قائم فقط ، لكي يحل كيانه ، ويقضي على وجوده •

ومن هنا كانت بعض صور الاناقة التي اشرنا اليها في مقدمة هذا الحديث ، ضرورية حتما لا لاننا لانستطيع غض النظر عنها ، بحملها على محمل « العامية الشائعة » في بعض الاوساط الهامشية ، ولكن لانها قد تكون قرينة على شيوع عملية قلب القيم ، ورد عاليها الى سافلها ، ولا شك ان المجتمعات متخلفة او متقدمة ، لالف سبب أو سبب • ولكن من المستحيل مع ذلك الا يكون راس هذه الاسباب ، رد الانسان من مستوى الغاية الى مستوى الوسيلة ، والعبث بوجوده قيمة وكرامة ووجودا • ■■

دمشق ـ حافظ الجمال

نتيجة مسابقة العدد ٢١٧

طولون في فرنسا

■ قامت مسابقة العدد ٢١٧ من «العربي» على مجموعة من الاسئلة المتنوعة عن اسماء مدن ورجال يوجد بينها تشابه واضح لفظي او مكاني، وفي نفس الوقت هناك فروق واضحة بينها • ولقد كانت في مجموعها سهلة ميسرة، لذلك استطاع اغلب المشتركين أن يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة كما أن عدد المشتركين بالمسابقة كان في زيادة ملحوظة، وفيما يلي نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء من حالفهم التوفيق ففازوا بجوائز المسابقة :

١ – طولون ميناء حربي كبير يقع في فرنسا •

٢ – الجبل الاخضر يقع في سلطنة عمان •

٣ – برشلونة هي مدينة اسبانية تطل على البحر المتوسط ، أما لشبونة فهي عاصمة البرتغال وتطل على المحيط الاطلسي •

٤ – جامع القيروان يقع في مدينة القيروان بالجمهورية التونسية ، اما جامع القرويين فهو في مدينة فاس بالمملكة المغربية •

٥ – بحر الغزر يسمى اليوم بحر قزوين •
بحر القلزم يسمى اليوم البحر الاحمر •
بحر الظلمات يسمى اليوم المحيط الاطلسي •

٦ – بحر الغزال ، وبحر الجبل ، رافدان من روافد النيل •• اما بحر العرب فهو البحر المتاخم لجنوب شبه الجزيرة العربية ، وهو جزء من مياه المحيط الهندي •

٧ – ميناء صور يقع في سلطنة عمان •

٨ – العين مدينة تقع في امارة ابو ظبي بدولة الامارات العربية •

٩ – طبرقة ميناء سياحي جميل يقع في تونس •

١٠ – طنطا مركز السكة الحديد تقع في جمهورية مصر العربية ، اما طنجة فهي ميناء دولي شهير يقع في المملكة المغربية ، اما طهطا فتقع جنوب جمهورية مصر العربية •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :علي صالح عون – عدن / اليمن الديمقراطي

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها:مليكة فايلي – البويرة / الجزائر •

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فازت بها:فاطمة يوسف عزالدين – بيروت / لبنان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ – حسين محسن آل طالب – مطرح – سلطنة عمان •

٢ – محمد عبدالله جاسم آل ضيف – القطيف/السعودية •

٣ – سمير عبدالله صالح – نابلس/الضفة الغربية •

٤ – احمد رامي مفتي – اللاذقية/سوريا •

٥ – عبدالعزيز سالم محمد الخشاش – الفحيحيل/الكويت •

٦ – احمد عز الدين ابراهيم – القاهرة/مصر •

٧ – حسين علي الاشول – الدوحة/قطر •

٨ – عيسى حيدر عبدالله – خورفكان – الامارات العربية • ■■



السلطان عبد الحميد

المؤامرة على فلسطين

بقلم : الدكتور محمد حسن الزيات

يفند الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الاسبق في هذا المقال دعوى أن احتلال اليهود لفلسطين كان بسبب اضطهادهم في اوروبا • ويؤكد مستندا الى شواهد تاريخية عديدة، أن المؤامرة لها جذور قديمة ، وان الهدف منها كان فصل سوريا وفلسطين عن مصر، وان الذين رشحوا فلسطين موطنا لليهود كانوا من غلاة البريطانيين ولم يكونوا من اليهود !

■ اجتمع المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل السويسرية في صيف عام ١٨٩٧ ، ثمرة لجهاد قام به وثابر عليه الصحفي النمسوي الشاب « تيودور هرتزل » الذي قام بتنظيم المؤتمر وتوجيه اعماله ، واستصدر بعد ثلاثة أيام من انعقاده اول قراراته واهمها وهو تحديد هدف الحركة الصهيونية بانه « انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يحميه القانون العام » وقد اختار المؤتمر كلمة « وطن قومي » بدلا من كلمة دولة تحاشيا لاثارة شكوك السلطان العثماني الذي كانوا يحرصون على عدم اغضابه . والذي كان القرار الثاني للمؤتمر هو ارسال برقية شكر اليه • على أن هرتزل نفسه كان يعرف ماذا يريد ، وقد سجل في مذكراته ، بعد انفضاض المؤتمر مباشرة ، قوله : « لو أنني اردت أن الخص وقائع المؤتمر في عبارة واحدة لقلت : انني في بازل قد وضعت اساس دولة اليهود » •

كان هرتزل قد لقي من المصاعب والمتاعب بسبب ديانته اليهودية في بلاده النمسا ما لقي ، وكان قد شهد في باريس ، بصفته الصحفية ،



محمد على باشا



هرتزل

بدأت قبل هرتزل بنصف قرن

أشهر محاكمات القرن التاسع عشر وهي محاكمة اليهودى الفريد دريفوس الذى اتهم وحوكم بتهمة الخيانة العظمى • بينما اشتبهت الحكومة الفرنسية فيه واتهمته وحاكمته .. — في رأى دريفوس — بسبب ديانته اليهودية • وكذلك استقر في يقين هرتزل أن بنى ديانته لن يجدوا الامن والعدل في أوروبا المسيحية ، وانهم لا بد أن يتركوها الى ارض يكونون هم فيها السكان والحكام ، فتصبح لهم ملاذا ودولة ، ولم يكن هرتزل عند ذاك مهتما بان تقوم هذه الدولة على أرض فلسطين ، فقد فكر في اوغندة وفكر في الارجنتين ، بل أن واحدا من اصدقائه اليهود نصح بالا تقام هذه الدولة — ان اتيح لها أن تقام — في فلسطين أبدا ، فان فلسطين في رأيه تقوم على ملتقى قارات ثلاث ، وهذا المركز الاستراتيجي جدير أن يجرها جرا الى صراع دولي هي في غنى عنه •

بهذا السرد السريع يبدو أن اضطهاد الكثرة المسيحية في اوروبا لمن كان يعايشها من اليهود كما لو كان هو الدافع الاول للحركة التي بدات بقرار مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ واستمرت خمسين عاما كاملة حتى تم — في عام ١٩٤٧ — تقسيم فلسطين بقرار من منظمة الامم المتحدة الناشئة عندما قامت فعلا ، في فلسطين ، دولة اليهود •

وهكذا جرت العادة على أن نورخ للحركة الصهيونية مبتدئين بمؤتمر بازل عام ١٨٩٧ ،ذاكرين اسم هرتزل على انه نبي الدولة اليهودية وصاحب فكرة انشائها •

مصالح الامبراطورية أولا

والذى يريد مقالنا هذا أن يبينه هو ، اولا ، أن فكرة الدولة اليهودية قد وجدت وعرضت قبل انعقاد مؤتمر بازل باكثر من خمسين عاما ، وهو، ثانيا ، أن اصحاب الفكرة لم يكونوا من اليهود المضطهدين أو غير المضطهدين ، ولم يكن هدفها ايجاد حل لمشكلة اليهود في اوروبا ولا الحرص على توفير الامن والاستقلال لهم ، بل أن الدعوة اليها

صدرت عند ذاك من احـد عمال الامبراطـورية البريطانية من المسـيحيين ، حرصا على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والاسـتراتيجية للامبراطورية ،ولذلك تعين انتقوم الدولة اليهودية على ارض فلسطين دون سواها ، لان المطلـوب بقيامها – على طريق الهند – لم يكن الا ضمان استقرار واستمرار نفوذ الامبراطورية البريطانية فى منطقة يتزايد اهتمامها وكذلك يتزايد اهتمام الدول الاوروبية الكبرى بها ، وهى منطقة المشرق العربي •

كان محمد على باشا قد عرف مصر ودرس بعض امورها من قبل أن يثبت في عام ١٨٠٥ واليا عليها، ولقد أطال ، بعد ولايته ، النظر فى احوالها ،فى تاريخهـا ، فى حاضرها وكذلك فى امكانياتها ، وفي السنة التى كان يفتتح فيها مشروع القناطر الخيرية الكبير الاهمية فيتنظيم الرى والزراعةفى دلتا النيل ، قال انه « لا شك أن مصر كانت فى قديم الزمان سيدة ممالك العـالم وعلمها الذى تهتدى به ، اما الان فقد اخذت اوروبا هذه المكانة» لم اضاق فى جسـارة رجل شرقى خلا من عقد النقص التى فرضها التفوق الحضارى الاوروبي – بل ولا يزال يفرضها – علىالكثيرين منمواطنيه، قال « وانى لآمل أن يأتى يوم تنهض فيه الـى مكانتها الاولى فى التمدين والعمران وما هـذه الدنيا الا صعود وانخفاض » •

كان والى مصر يرى بوضـوح اهميتـها فى منطقتها وكان يرى – بنفس الوضوح – اهمية المنطقة ، منطقة المشرق العربى فى العالم ، ولقد مد سلطانه على الحجاز ونجد فى عام ١٨١٨ وعلى السودان فى ١٨٢٣ ثم الى الشام فى ١٨٣٣ وبهذا اجتمع المشرق العربى تحت لوائه •

وهدد هذا الكيان العربى الجديد توازن الدول العظمى فاسرعت تتباحث وانتهت فى مؤتمر لندن ١٨٤٠ الى التعهد للسلطان بالتصدى لمحمد على، وتصدت له فعلا مجتمعـة ، وطالبت بريطانيا أن تكون شبه جزيرة سيناء حدودا قصوى لسلطانه •

ضرب الاسطولان الانجليزى والنمسوى بيروت• اشعل عملاء الانجليز (ونحن سنتعرف الى واحد منهم فى هذا المقال) اشـعل هؤلاء العملاء نار الثورة فى سـوريا • وصل جزء من الاسـطول البريطانى الى الاسكندرية واخلى محمد على بلاد المشرق العربى مرتدا الى شبه جزيرة سيناء ،وفى فبراير عام ١٨٤١ صدرت الاوامر الشاهانية ،التى اخرجت اقاليم المشرق العربى عن حكم محمد على، والزمته حدود وادىالنيل وسرحت قواته العسكرية برية وبحرية حتى تصبح ولا قبل لها بالخروج من ارض الوادى •

بداية المؤامرة

وقبل أن يتم للدول ذلك كله ، كانت تفـكر متفرقة ومجتمعة فى مستقبل المشرق بعد ان يخليه محمد على • ومذكرات الدول ودراساتها محفوظة، ولكن هذا ليس وقت ولا مكان عرضها او دراستها ولكنى حريص مع ذلك ، على أن أشير الى مذكرة منها ، هى المذكرة التى وجهتها الحكومة الروسية فى اكتوبر ١٨٤٠ الى حكومة بروسيا وان الخص ما جاء فيها •

جاء فى المذكرة انه تتردد اخيرا فى اوروبا – وخاصة فى فرنسـا – آراء مختلفة وغالبـا متضاربة حول الاجـراءات التى يجب على الدول العظمى المتدخلة فى امور « المشرق » أن تتخذها فى الوقت الحاضر لكى تحقق الهدف الذى حاول الصليبيون فى حروبهم الطويلة والدامية تحقيقه فلم يفلحوا •• وقد عرض مشروع باقامة دولة مسيحية فى فلسطين ، وان كان هـذا المشروع لم يناقش مناقشة جدية ، ••• وعرضت فكرة احياء منظمة فرسان القبر المقدس ليعهد اليها بحماية المقدسات ••• بل ان هناك افرادا فكروا فى أن يدعوا اليهود المتفرقين فى مختلف بلاد العـالم للعودة الى مدينة سليمان •••

ونحن نشير الى هذا الجزء من المذكرة لاسباب اهمها ان الخطط العديدة المتضاربة التى ارادت الدول العظمى ان تمنع بها عـودة الترابط بين بلاد المشرق العربى تحت اى ظروف جديدة بعد أن تمكنت من تحطيم الكيان العربى الذى تكون تحت لواء محمـد على ، فتعرض – بين ما تعرض من وسائل تحقيق ذلك – أن تحتل الدول الاوروبية سوريا احتلالا مباشرا مستمرا ، كما تعرض من الحلول البديلة أن يدعى اليهود « للعودة » الى فلسطين •• على أن الدول لم تتمكن من الاتفاق على اى حل من هذه الحلول فاتفقت على اعادة سوريا الى الباب العالى •

وقد تأمل احد الموظفين البريطانيين المقيمين في المنطقة وهو « الضابط البريطاني المقيم في دمشق » (١) ما حدث ، فكان من دواعي اغتباطه وسروره أن يفصل بين سوريا وفيها فلسطين وبين مصر ، ولكن كان من دواعي اسفه وأساه، أن اوروبا عجزت عن فرض سلطانها المباشر او غير المباشر على البلاد ، وانها اعادتها الى حكم السلطان ، وقد عبر هذا الضابط عن شعوره وعن اقتراحاته في رسائل كتبها من دمشق وبيروت بين عامي ١٨٤١ و ١٨٤٣ ، وليس من المعروف لنا الان، هل عرض هذا الضابط المقيم افكاره التي وردت في هذه الرسائل على حكومته او على اى جهاز من اجهزتها ، وتلقى توجيهات بشأنها ام لا • وان كنا طبعا نميل الى الاعتقاد بانه لم يعمل الا بتوجيهات من حكومته ، وقد حفظت رسائل هذا الضابط في سجلات مجلس ادارة نواب اليهود البريطانيين (٢) وهي رسائل لا اعتقد انه قد سبق نشرها في العالم العربي ، وهي على التحقيق لم تلق حظها من الدراسة والتفكير حتى الان •

كان اسم الضابط هو الكولونيل تشارلس هـ• تشرشل ، وقد وجه رسائله الى رئيس مجلس ادارة نواب اليهود البريطانيين في ذلك الوقت وهو السير موسى مونتفيوري •

وقد عبر تشرشل في رسائله عن قلقه لان تزايد ضعف السلطنة العثمانية قد يؤدى في المستقبل الى انتفاضة شعوب المنطقة واتحادها ، ولا شك انه كان من الواضح لديه أن المنطقة ــ لو تمكنت من هذه النهضة وهذا الاتحاد ــ لاصبحت قوة لا بد أن يحسب لها حسابها ، وكان الكولونيل تشرشل يرى أن اوروبا قد حققت هدفا سلبيا باخراج مصر من الشام ولكنها عجزت عن تحقيق الهدف الايجابي وهو اقامة حكم فيها لا يتصور أن يعود للاتحاد مع مصر او غيرها من الاقاليم ، وقد عادت سوريا الى حكم العثمانيين ،والكولونيل تشرشل يوقن «بأن هذه البلاد (سوريا وفلسطين) يجب أن تستنقذ من قبضة حكامها الجهلة والمتعصبين•• ان موكب الحضارة يجب أن يتقدم وعناصر رخائها التجارية المختلفة يجب أن تنمى ••• ولن يحدث هذا تحت الحكم البالي المتعسف ، حكم الاتراك او المصريين ، وفي كلمة واحدة أن سوريا وفلسطين لا بد ان توضع تحت الحماية الاوروبية وان تحكم بروح واسلوب الادارة الاوروبية ـ وسيتم ذلك حتما في آخر الامر ••• »

تحريك يهود بريطانيا

ولكى يتم ذلك ، اتجه الكولونيل تشرشل الى يهود بريطانيا • ففي الخطاب الذى وجهه الى سير موسى مونتفيورى رئيس مجلس ادارة نواب اليهود البريطانيين بعد صدور الاوامر الشاهانية التي اخرجت مصر من الشام بشهرين فقط، اى في يونيو ١٨٤١ ، يرجو تشرشل أن تكون رسائله السابقة قد وصلت سالمة ، ثم يقول : ليست اخفى عليك رغبتي الشديدة في أن ارى مواطنيك يتحركون لاعادة وجودهم باعتبارهم شعبا (مستقلا) وانا اعتقد أن ذلك أمر يمكن تحقيقه تماما بشرطين : الاول أن يبدأ اليهود انفسهم بتبني هذه الحركة بالاجماع وفي كل مكان ، والثاني هو أن تساعدهم الدول الاوروبية • ان على اليهود انفسهم أن يبدأوا ، على زعمائهم أن يتصدروا هذه الحركة، عليهم أن يجتمعوا ، وان ينسقوا فيما بينهم ، وان يتقدموا بالشكاوى ، يجب أن يحدث ذلك في بلاد اوروبا كلها وفي وقت واحد • ليست هناك حكومة اوروبية واحدة يمكن أن تغضبها مثل هذه التظاهرات والاجتماعات العامة •

وستكون النتيجة أن يبرز بروز السحر عنصر جديد بين عناصر « دبلوماسية المشرق » ولن تستطيع دول اوروبا أن تتجاهل هذا العنصر اذا تبناه مواطنوك من اغنياء اليهود ذوى النفوذ •ان ذلك لن يثير الاهتمام فقط بل سوف يحقق النتائج• انكم لو وجهتم مواردكم لاحياء سوريا وفلسطين فلن يكون هناك شك في أن هاتين البلدين ستعيدان اليكم استثماراتكم بربح وفير ، ولن يكون هناك شك في انكم ستنتهون بالحصول على السيادة على فلسطين على الاقل •

وفي نفس هذا الخطاب الذى يدعو فيه الضابط البريطاني بالحاح الى أن يقوم اليهود بحركات واستثارات في كل مكان ، يتعهد هو نفسه بان يبدأ

(1) Resident Office at Damascus.

(2) Board of Deputies of British Jews.

حركة في منطقة عمله ! فسيبدأ بنفسه اعداد بعض العرائض وتوزيعها وتوقيعها من اليهود المقيمين في سوريا باعتبار ذلك جزءا من حملة الاثارة التي يدعو اليها •

وقد مرت شهور طويلة بعد هذه الرسالة واليهود البريطانيون والاوروبيون لايتحركون، فكتب الكولونيل رسالة اخرى بتاريخ ١٥ اغسطس عام ١٨٤٢ ، يلح في دعوته نفسها ويقرنها هذه المرة باقتراح محدد هو أن يتصل المجلس اليهودي في بريطانيا بيهود اوروبا ليقدم باسمهم واسمه عريضة الى الحكومة البريطانية تطالب بارسال مندوب خاص الى سوريا تكون مهمته الوحيدة توفير الرعاية والحماية لليهود المقيمين فيها ، على أن تحدد مهمات وسلطات هذا المندوب بالاتفاق ما بين وزارة الخارجية البريطانية وبين اللجنة اليهودية التي تقدم الاقتراح • ويوضح تشرشل صراحة أن هذا التعيين سيكون اعترافا بان اليهود الانجليز والاوروبيين يمثلون يهود سوريا الذين سيوضعون بهذا الشكل تحت حماية بريطانيا وبالتالي فانه لابد أن يكون لليهود الانجليز وغيرهم وتكون لبريطانيا كلمة فيما يجرى في سوريا او لها لانه لابد سيمس اليهود من سكانها •

ونلاحظ أن الكولونيل تشرشل يؤكد للسير موسى أن اليهود لو تقدموا بهذا الطلب فان نتائج هذا التقديم ستسرهم حتما ، كما يوضح له أن الطلب يجب أن يقدم عن طريق شخص يحدده وهو (الايرل اوف ابردين) •

وفي وقت معاصر لارسال هذه الرسائل وبالتحديد في شهر يوليو عام ١٨٤١ وصل الى لندن مبعوث للحكومة الالمانية هو البارون بونسون في مهمة خاصة ذكر انها تتعلق بالاتفاق على تسهيلات لشراء الاراضي في فلسطين لعدد من المسيحيين واليهود الالمان الذين يريدون الاقامة فيها ، وقد قابل هذا البارون يوم ١٩ يوليو ١٨٤١ اللورد بالمرستون وخرج من المقابلة ليكتب الى زوجته قائلا « هذا يوم عظيم ! لقد نجحت في اقناع لورد بالمرستون بالمبدأ ، ولقد ارسل فعلا توجيهاته الى السفير البريطاني في تركيا ليسعى لدى السلطان •••• وفي اكتوبر القادم سيعين سفير بريطاني جديد في تركيا وهو البيشوب الكسندر المولود في بوسلو في بروسيا والمسيحي حاليا على مذهب الكنيسة البريطانية ولكنه « يهودي الجنسية » وقد كان استاذ للغة العربية واللغة العبرية في انجلترا لمدة عشرين عاما فيما يسمى الان بكلية الملك King's College ، وهكذا يبدأ العمل باذن الله لاعادة انشاء اسرائيل » ! •

مشكلات التنفيذ

ان المشروع الذي فصله الكولونيل توماس تشرشل الضابط البريطاني في دمشق عام ١٨٤١ و١٨٤٢ والذي كان موضع مباحثات سرية بين المبعوث الالماني وبين الوزير البريطاني في عام ١٨٤١ ، يوضح الخطوات التي كان مطلوبا أن تكرس انفصال سوريا وفلسطين خاصة عن المشرق العربي وقيام الدولة اليهودية في فلسطين على الاقل • لقد اقترح تشرشل على اليهود أن يثيروا من المظاهرات ما يبين للعالم أن هناك مشكلة يهودية تتطلب حلا وعندئذ فان الحل سيكون جاهزا وهو استعمار اليهود لفلسطين ، ولما كانت فلسطين جزءا من الاراضي العثمانية فلا بد أن يبدأ هذا الاستعمار بشكل لجوء بعض اليهود الى ارض عثمانية ليعيشوا فيها رعايا للسلطان بضمانات من انجلترا وغيرها من الدول ، ولا بد لذلك من الحصول في اول الامر على رضا السلطان ، على أن الخطوة التالية ستكون أن تمين انجلترا هؤلاء اليهود على استقلالهم بدولتهم كما يؤكد لهم الكولونيل تشرشل •

ان التأييد الاوروبي لاولئك المستعمرين ثم لدولتهم مضمون لان قيام هذه الدولة وبقاءها قوية سيظل ضروريا للحيلولة دون قيام تجمع جديد في المنطقة يهدد موازين القوى الدولية من جديد كما هددها محمد علي • كما أن في وسع بريطانيا والدول الاوروبية أن تطمئن الى اخلاص الدولة اليهودية لانها ستكون في حاجة دائمة الى تأييدها لتعيش منيعة في الوسط الذي سوف تقوم فيه •

وهذا الاستعمار سيحتاج الى تمويل ، ولكن هذا التمويل يسير على يهود العالم ، وهم لن يقدموه تبرعا بل استثمارا وفي المنطقة من الثروات والامكانيات ما هو جدير بأن يضاعف مع مرور الزمن هذه الاستثمارات •

بتاريخ ٨ نوفمبر ١٨٤٢ أبلغ سير موسى مونتفيوري قرار المجلس اليهودي للكولونيل تشرشل فما أن المجلس واثق من أن تحقيق نوايا تشرشل الطيبة

ستكون له فوائد جمة ولكنه يعتقد أن مثل هذه المبادرة تتجاوز صلاحياته ، والمجلس مستعد على كل حال للنظر والاشتراك اذا اهتم بها يهود الدول الاخرى جميعا ٠

جاء الرد قصيرا وفاترا ، وكان رد تشرشل عليه هو الشكر وانه سيظل على كل حال تحت الامر ٠

انتهت هذه الحركة ، وكان تطور الاحوال في العالم العربي داعياً الى انتهائها في اغلب الامر، فان نهضة محمد على احبطت والكيان العربي تمزق وكان الناظر السياسي يستبعد أن تقوم لمصر او للعرب قائمة خطيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،ولذلك لم تتحرك الصهيونية ولاالدعوة الى انشاء الدولة اليهودية حتى جاء هرتزل في اخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين٠

والمهم ـ فيما يخص هذا المقال ـ ان نتبين أن التفكير والتدبير لاقامة دولة يهودية في فلسطين لم يصدر في اول امره عن اليهود ، ولم تكن مناسبته البحث لهم عن ملجا من الاضطهاد ،ولكنه صدر عن غلاة البريطانيين وكانت مناسبتهضرورة فصل سوريا وفلسطين عن مصر والحيلولة دون انضمامها تحت حكم واحد يضم دول العرب ٠

وليس هذا المقال بحثا تاريخيا بطبيعة الحال ، والهدف من ابراز هذه الحقائق ليس مجرد الاضافة الى وقائع التاريخ المعلومة ، وانمـــا اردت أن اتعمق دراسة المشكلة التي نعيشها لنكون علىهدى من اصولها الىجانب علمنا بتطوراتها وبما وصلت اليه ٠

واذا كان بعض اليهود من الصهيونيين قدتقبلوا وتحمسوا لاقامة دولة اسرائيل ، ثم زادوا فارادوا توسيع رقعتها واستغلال موقعها وزيادة منعتها ، فهذا كله واضح ، ولكن لعل من الخير أن ندرك ايضا ان الدول العظمى كانت لها مصالح توافقت وتتوافق معهذه المصالح ، وهذه المصالح ستبقىمن العوامل الاساسية التي تشكل سلوكها فيما تسميه اليوم بازمة الشرق الاوسط ٠ ■■

القاهرة ـ محمد حسن الزيات

■ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ، والله غنى حليم ٠
(قرآن كريم)

■ البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس ٠
(حديث نبوي)

■ أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم ٠
(الامام علي)

■ ليست الاحلام في حال الرضا انما الاحلام في حال الغضب
(مسكين الدارمي)

■ مازينت النساء بشيء كأدب بارع ، تحته لب ظاهر ٠
(هند بنت المهلب بن ابي صفرة)

■ لا اليأس مجد ، ولا الامـــال نافعة
اخبث بعيش على الحـالين مذموم
(ابراهيم عبد القادر المازني)



العلم في الكتب والفن في الأصابع

■ سألت مستر نورمان دوط ، وكان استاذ جراحة المخ والاعصاب في جامعة ادنبره ومستشفاها الملكي سنة ١٩٣٨ ، بل لعله كان الرائد الاول لهذه الجراحة هناك ‥ وكان مستر دوط هذا عصاميا، تعلم الطب – على باهظ نفقاته – من كد يديه ٠ وحين اصبح طبيبا ذهب الى الولايات المتحدة على نفقته الخاصة ، وتتلمذ هناك على « كوشنج » الاب الروحي لجراحة المخ والاعصاب في العالم ، وكان من انبغ تلاميذه،وقد ساعدته على هذا النبوغ اصابع اشبه ما تكون باصابع الفنان ‥

سألت الاستاذ دوط ، وانا اودعه ، بعد ان اجرى لي جراحة ناجحة في الدماغ ‥‥ وكان يحيط به خمسة من مساعديه اثنان منهم اجانب ، والثلاثة الباقون انجليز ‥

سألته : هل يمكن ان تقبل مبعوثا مصريا ، تمنحه اجازة الزمالة لكلية الجراحين الملكية بادنبره، مع التخصص في جراحة الدماغ والاعصاب ؟
وتبسم دوط ، ونظر الى مساعديه واجاب :

– انني لا أعرف من مساعدي الخمسة هؤلاء ، واحدا تهمه هذه الزمالة ، الا أن تاتي اليه عفوا، وما اكثر ما تاتي منقادة الى الشخص الموهوب ‥‥
قلت :

– لسوء الحظ انها عندنا احدى المؤهلات الاساسية ، للتعيين في اقسام الجراحة ، باى وظيفة من وظائف التدريس ٠

قال : غريب منكم جدا – انتم المصريين – ولعكم هذا بالدرجات ! ‥ ان هذه الدرجة التي تتكلم عنها لا تعني أكثر من ان صاحبها حفظ كتاب الجراحة عن ظهر قلب ، ومارس الجراحة في بلده فترة من الزمان ، ولكنها لا يمكن ان تسبغ عليه الموهبة ،



بقلم : الدكتور سعيد عبده

او تمنحه اصابع الجراح الفنان ، او تهب له عبقرية الانامل ، التى تعمل فى هذا المجال كانامل الموسيقار على اصابع « البيان ، Piano » .

وكان منطقة من القوة ومن البساطة بحيث كاد يخرسنى عن التعليق ، لولا أن تمالكت نفسى وقلت :

ـ وماذا لو كان الشخص المبعوث اليك للتخصص حاصلا على درجة الزمالة ؟

قال :

ـ يكون موضع ترحيب ما دام يستوفى الشروط التى اتطلبها من مساعدى .. ان جراحة المخ ولدت فى بلادكم ، وليس احب الى من رد بعض الجميل الى واحد من سلالة هؤلاء العمالقة القدماء !

قلت وما تلك الشروط ؟

قال ان يمكث المبعوث معى فترة من الزمن اطمئن فيها الى مهارة يديه ، ودقة انامله ، فان ارضانى ابقيته معى عامين او ثلاثة اعوام حتى اطمئن الى انه نال من الخبرة والنضج والمران ، ما يمكن ان يؤتمن معه على حياة الاخرين .

قلت : الا تكون هذه فترة طويلة لتدريب جراح كامل التاهيل ؟

قال : هى كذلك فعلا ، ولكنى اجد نفسى مسئولا عن كل طبيب اجيزه للعمل فى جراحة الدماغ والاعصاب .

قلت : وهل يحصل بعد ذلك على درجة ؟

قال وفى تعبير وجهه لمحة من التافف :

ـ انى لا أمنح درجات ، ولكنى اعطى شهادة بالمدة التى قضاها معى المرافق ، وفى اعتقادى انها تغنى عن كل الدرجات !

وانتهى حديثنا عند هذا الحد ، ولكن الموضوع نفسه لم ينته ، اذ لم البث ان عدت الى القاهرة حتى اتصلت بالمغفور له الدكتور على ابراهيم باشا عميد كلية الطب ، وكانت الكلية الوحيدة فى مصر فى ذلك الحين ،ورويت له الحديث ،وكانت بينى وبينه مودة ، ولم يكن بالكلية حينئذ قسم لجراحة المخ والاعصاب ،كالموجود فيها الان ،وظننتها فرصة ذهبية لتمهيد الطريق لانشاء مثل هذا القسم الهام ...

وذكرت الاستاذ العميد برجاء رجوته فيه ذات يوم اثناء مرضى بالام عصب الحس فى شق وجهى الايمن .. ان ينقذنى من هذه الالام التعسة ،باجراء جراحة لى فى الدماغ ، فقال لى يومئذ : اسمع يابنى ؟ لا انا ولا احد من زملائى الجراحين هنا ، مارس هذه الجراحة قط ، ولا جرؤ على القيام بها ، فلا تكن اول مريض نتعلمها فيه ! .. ان هنا استاذا اجنبيا يزعم انه يجربها ، فاسال الدكتور عبد الله الكاتب عن مصير اصحاب الجراحات الثلاث التى اجراها فى هذا المجال ! .. وشعرت يومها بخيبة امل شديدة،عادت الى خاطرى بصورتها المؤلمة ، وانا احدث الاستاذ العميد عن امكان ارسال واحد من زملاء كلية الجراحة الملكية بلندن او بادنبره للتخصص فى جراحة الدماغ والاعصاب .

ولم يكد علي باشا يستمع هذا الاقتراح حتى قهقه ضاحكا وقال :

ـ ان عليك ان تقنع واحدا من هؤلاء الزملاء ، وعيادة كل منهم تدر عليه مئات الجنيهات في الشهر الآن ، ان يهجر عيادته ، ويضيع من عمره عامين او ثلاثة اخرى ، يمكن ان يصبح خلالها نصف مليونير !

قلت ولماذا لا يرسل في هذه المهمة مبعوث ناشيء ، دون ان تشترطوا عليه الحصول على درجة الزمالة ، ليعين مدرسا حين يعود ؟

قال وهو يتململ وكأنما ينبهني الى ان الحديث قد طال :

ـ ان شخصا مثل هذا ـ حتى لو كان نورمان دوط نفسه ، لايمكن ان يقنع قانون الجامعة الحالي ، بتعيينه في وظيفة مدرس ، بله الترقية الى وظيفة استاذ ، مطلوب منه ان ينشيء قسما ويمنح درجات .

وافحمني ....

تذكرت هذه الاحاديث وانا راقد في سرير بمستشفى قصر العيني سنة ١٩٤٧ ، انتظر اجراء جراحة لي لاستئصال الزائدة الدودية ، ولم اكن اعرف في اي قسم من اقسام الجراحة بالمستشفى اقيم ، فقد دهمتني بوادر التهاب هذه الزائدة وانا سائر ليلا في الطريق ، فغيرت وجهتي ، واتجهت الى المستشفى رأسا ، واسلمت نفسي لاول نائب من نواب الاقسام الجراحية صادفته ، فوضعني تحت الملاحظة حتى الصباح .

وفي الصباح لم يبق ثمة اي شك في التشخيص ، فاتصل النائب باستاذ القسم ، داعيا اياه ، ليجري لي جراحة الاستئصال .

وخلال ذلك جاءني رئيس الممرضين بالقسم ، وكان يعرفني ، وكان التمريض حتى ذلك الحين ، ما زال بعضه ـ بعد ان كان كله على التقريب ـ في ايدي ممرضين من الرجال ، فقال لي وعلى وجهه كل مظاهر الفزع :

ـ الا تعرف من سيجري لك الجراحة ؟

قلت : كلا

قال : انه الاستاذ فلان !

قلت مخلصا : وماذا في ذلك ؟ (ان الاستاذ ، كان زميلا لي فوق انه زميل لكلية الجراحين الملكية في لندن) .

قال الرجل في ذعر وضيق :

ـ يده ! ..يده يادكتور قليلة البركات .. انه لم يجر جراحة لاحد وسلم ، ان لم يمت اصيب بعاهة ، وان لم يصب ظل طريح الفراش عدة اسابيع !

وغاظتني هذه اللهجة يتحدث بها ممرض عن استاذ ، ولكني عزوتها لحسن النية ، والرغبة في الخير ، فصحت به :

ـ اذهب لحالك .. ولا تكن كغراب البين !

ودخل علينا الغرفة زميل كان يعمل بقسم الامراض بالكلية (الباثولوجيا) ثم اصبح فيما بعد استاذا لقسم الامراض بجامعة عين شمس ، فلما ادرك سبب صياحي قال لي :

ـ لقد نصحك ! .. وانت من حقك ان تطلب مورو باشا او المنياوي باشا او عبد الله الكاتب بك ، وما على احد منهم من حرج ان يجري لك الجراحة في اي قسم من الاقسام .

قلت بعناد : لن اطلب احدا .. وليكن مايكون ! وجاء طبيب الامتياز بالقسم ، وكان تلميذا لي ، وادلى بدلوه في هذا الحوار العجيب فقال :

ـ ان العميد كان هنا البارحة ، وكان يحقق في امر مريض وفد على المستشفى ليستأصل ورما في الغدة الدرقية بالعنق ، فاستأصل له الاستاذ الورم ، واستأصل معه اعصاب الحنجرة ، واصبح المريض اخرس ..

واضاف زميلي في قسم الامراض :

ـ الا تذكر الجثة التي قمت انت بتشريحها في العام الماضي اثر جراحة لفتق مزدوج .. فوجدت ان المريض لم يفقد الحياة فحسب ، ولكنه فقد كذلك قبيل فقدانها قدرته على ..

قلت : لا تكمل ... ارجوك ، اني اعتزمت في نفسي امرا ولن يقوم باجراء الجراحة لي غير هذا الاستاذ .

قال : انك مجنون !

قلت : قد اكون ، ولكني اومن بالله ، وبان لكل

اجل كتابا ، واذا كانت نهايتي على يديه فليكن ما اراده الله •

قال : ولكن الله امرنا الا نلقي بايدينا الى التهلكة •••

قلت :ومن ادراك اني شديد الحرص على الحياة؟

وانقطع الحديث بدخول طبيب التخدير •

ونمت فلم اصح الا على وجه زميلي في قسم الامراض •

سالته وانا لما ازل في بقية من غياية التخدير :

ـ الم يحضر الاستاذ بعد ؟

قال : لقد انتهت الجراحة وكتب لك عمر جديد•

فضحكت قائلا : ولقد ذهبت توقعاتكم جميعا ادراج الرياح !

قال : كانت نجاتك معجزة ••• ان الجراحين يستاصلون الزائدة الملتهبة من قطع في جدار البطن لا يزيد على بضع سنتميترات •• اتدرى كم بلغ طول جرحك ؟

قلت : لا أريد أن أعرف ••

قال : وبدلا من ان يدخل في بطنك اصبعين يستخلص بهما الزائدة الملتهبة في رفق ، ضرب قبضة يده كلها في بطنك ، وبمنتهى العنف ، وكأنه يلاكم الزائدة الملتهبة ، ويريد ان يصرعها بضربة قاضية ، فشهقت شهقة خلت ان روحك صعدت الى السماء •

قلت : انك ترى انها لا زالت على الارض !

قال : وهل تعلم •• ؟

قلت : حسبك •• لا اريد ان اعلم شيئا ، ان كل ماينتهي بخير ، خير •• فدعني بالله لانام •

الله يعلم اني لم اصدق اكثر ما قالوه في هذا الاستاذ ، فالناس حين يتحدث بعضهم عن بعض يسرفون ، ويبلغ الاسراف قصاراه حين يكون للحقيقة ظل فيما يقولون •• وحتى تلك الجثة التي تحدث عن صاحبها زميلي في قسم الامراض ، لم تترك يوم تشريحها في نفسي ، اثرا اعمق مما كان غيرها يترك ، مما يكشف عنه التشريح من اخطاء الاطباء •• وما كان اكثر ما تكتم المشرحة من مثل هذه الاسرار !

بيد ان هذا التبرير انهار كله بعد شهر واحد ، حين سمعت ان العميد تلاقى مع هذا الاستاذ في جلسة طويلة ، سرية ، واستحلفه على القران الكريم الا يمسك في حياته مبضعا ، وان ينقله نظير ذلك الى قسم اخر من اقسام الفروع الجراحية الجديدة التي لا مجال فيها لاستعمال المقص والسكين •••

ونقل الاستاذ بالفعل الى هذا القسم الجديد، وفتح الله عليه ، فنجح نجاحا باهرا فيه •

وعاودتني يومئذ كلمة الاستاذ دوط وخلاصتها ان زمالة كلية الجراحين الملكية تصبح مجرد ورقة اذا لم يؤت صاحبها انامل فنان •

وادركت حينئذ لماذا كان الاستاذ آرثر برنارد شو ـ وهو ابن عم جورج برنادر شو الكبير ـ وكان اعظم استاذ رأس قسم الباثولوجيا في كلية طب القاهرة في الثلاثينات ، وكان هو من قدمني الى نورمان دوط •• ادركت لماذا كان يسال كل مرشح للعمل مساعدا فنيا في قسمه، ان كان قد عمل عملا يدويا في حياته : نساجا مثلا او ساعاتيا او اسكافا او عاملا في اصلاح السيارات •• وكان يفسر سؤاله هذا لمن يستغربونه بان تحضير شرائح الانسجة



للفحص الميكروسكوبي يحتاج لنفس اللمسة الفنية التي تحتاج اليها انامل الجراح !

وادركت اكثر واكثر ٠٠ سفاهة الطريقة التي نحشر فيها الطلاب في كلية الطب حسب مايحصلون عليه في امتحان الثانوية العامة منمجاميع الدرجات ٠٠ ان هذا الحشر ، وعلى هذا الاساس قد يصلح في كلية نظرية ، اما في الكليات العملية ،وبخاصة في كلية يتعامل طلبتها وخريجوها معالموت والحياة، ومع المقص والسكين ، فما اكثر ماتنتهي اعلى مجاميع الدرجات باتعس المآسي في الحياة ٠

وادركت فوق هذا وذاك لماذا اجد في وجهيفرقا كبيرا بين جراحتي دماغ متشابهتين ، تنعكس آثار كل منهما على جانب بذاته منجانبي وجهي ،الاولى هي التي اجراها لي الاستاذ دوط سنة ١٩٣٨ ،وقد مرت بدون ادنى مضاعفات غير متوقعة ، والثانية اجراها جراح آخر في ادنبره سنة ١٩٥٠ بعد ان تقاعد الاستاذ دوط ،فكدت افقد في اعقابها الحياة، ولما نجوت كدت افقد احدى عيني لولا لطف الله ، وخرجت في النهاية بفقد الحس بالقبلة في نصف فمي ، كما فقدت معظم السيطرة على هذا النصف اثناء الطعام ٠٠ ولكن الجراحة مع ذلك نجحت من حيث الغرض الذي كنا نتوخاه انا والجراح ٠٠٠ وهو تهذيب الالم المبرح العنيد ، لقد كان الفرق بين الجراحتين كالفرق بين « خبطة المعلم » الفنان ، وضربة الفاس في يد فلاح نصف غشيم !

ان الاستاذ دوط ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بدأ حياته صبي تجار،واستمر يعمل فيهذه الحرفة، حتى جمع منها ما اعانه على دخول كلية الطب ، ثم ساعده بعد التخرج فيها علىالسفر الى الولايات المتحدة ، والتخصص في جراحة الدماغ والاعصاب، ولم يكن يانف البتة من الزهو بهذه الفاتحة المتواضعة لحياته العصامية ، ويقول اني مدين لها بالكثير مما صادفت في حياتي من شهرة ونجاح ٠

لقد كانت آخر كلماته لي :

ـ هل يمكن ان تؤدي لي جميلا لا انساه !

قلت للرجل الذي لم ياخذ مني قرشا عنالجراحة التي اجراها لي ، في ذات الوقت الذي اخذ فيه على نفس الجراحة خمسة الاف جنيه استرليني من احد تجار الماس في افريقيا الجنوبية ٠٠ الرجل الذي نزللي عنحجرته الخاصة حين لم يوجدمكان لي في القسم الذي يشرف عليه ٠٠

قلت :

ـ لك الامر وعلى الطاعة ٠

قال : لقد قمت بهذه الجراحة لعدة آلاف من المرضى، وحتى الان لم استطع ان استخلص رأيا محددا عن نتائج استئصال عصب الحس في الوجه ـ جزء منه ، فهل لي ان اعتمد عليك في كتابة تقرير نصف سنوي ، لمدة عامين ، عما يسميه معظم المرضى « بشبح » العصب الذي مات ٠٠ ماهو ، وما اوصافه ، والى متى يدوم ، وما هي الوسائل التي يستعين بها عليه المريض ؟ لقد اخبرني «شو» انك كاتب وطبيب ٠٠ فهل تقوم لي بهذا العمل « الجليل » !

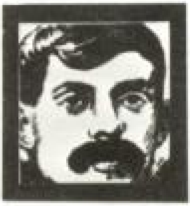
لقد ذهلت من هذا الطلب المتواضع الذي حرصت على الوفاء بـه ، متذكرا على الدوام ان سحر « دوط » لم يكن في انامله وحدها ، ولكنه كان كذلك في العقل الذي لم يترفع عن طلب العلم ، حتى وهو في اعلى قمة من قمم المجد والنبوغ ٠

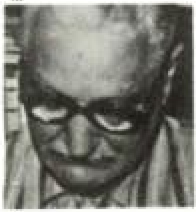
■■

د ٠ سعيد عبده



مقالات فى كلمات


قاسم امين


عباس العقاد

- الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأى ، ونشر كل مذهب ، وترويج كل فكر ·

(قاسم امين)

- الشاعر الذى لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف ·

(عباس محمود العقاد)

- أأحب قوما لم يحبوا ربهم   الا لفردوس لديه ونار

(ابن الرومى)

- ما أكثر القيود التى تربط الانسان بالدنيا ، ولكن اعجبها جميعا قيد الامل ·

(تاجور)

- تسلية الانسان نفسه اولى له وانفع من الانقباض والغم

(ديوجين)

- لا يصلح النفس انكانت مدابرة   الا التنقل منحال الى حال

(ابو العتاهية)

- حين يحل فى نفوسنا معنى قدسى رفيع فانه يقوينا على اقتحام معارك العالم ، وحين تذكر اصغر الواجبات بعلاقتنا بالله لا يلبث الارضى ان يصير فى تقديرنا سماويا ، والزمانى ابديا ، كان حياتنا كلها حياة فى الله ·

(مكس مولر)

- تأخرت استبقى الحياة، فلم اجد   لنفسى حياة غير ان اتقدما

(الحصين بن الحمام المرى)

- اذا لزم النقد ، فلا يكون الباعث عليه الحقد ، ولكن موجها الى الاراء بالتمحيص لا الى الاشخاص بالتنقيص ·

(محمد البشير الابراهيمى)

- الشك فى الاصدقاء ادعى الى الخجل من الانخداع بهم ·

(لارشفوكو)



■ في السنوات الماضية ، عندما كنت أمر ببيروت ، كان ينتابني حزن شديد لانني كنت افتقد فيها الوجه العربي للبنان. لكن مشاعر الحزن تحولت هذه المرة الى فجيعة وأسى لا يوصف، لانني لم أجد لبنان ذاته . كما أن المستقبل المرئي لا يبشر بقرب مولده .

تعمير لبنان

استطلاع بقلم : فهمي هويدي

بيروت تستعد لمشوار التعمير . يتخلصون من الانقاض، ويبيعونها « بالكيلو » (فوق) ـ البيع والشراء على الرصيف جنبا الى جنب مع الخراب في ساحة البرج (الى اليمين) ـ يحرقون النفلات والبقايا (الى اليسار) .





قبل الذى سيجرى ، دعونا نتذكر في البدايةحصيلة بعض الذى جرى • تحولت لبنان الى انقاض قدرت خسائرها باربعة بلايين دولار •وسقط تحت الانقاض ٦٠ الف شهيد ، و ٢٠٠الف جريح ، غير عدد يصعب حصره من المشوهين •وخلفت الحرب ١٠٠ الف يتيم ، بينما طردت مليون و ٣٥٠ الف مواطن خارج لبنان • حدث.لك خلال قتال استمر ١٩ شهرا ، رفع فيه جانب شعار « التغيير » وظلت الخريطة كما هى •ورفعطرف آخر شعار « السيادة » وظلت الاوضاع كما هى • وكان يامل الطرفان ان يخرجا على اسوأالفروض بنتيجة « لا غالب ولا مغلوب » ، لكنحتى هذا الهدف لم يتحقق ، فقد صار الكل مغلوبا !

وعلى حد تعبير المفكر اللبناني الدكتور حسن صعب ، فقد تحول الوطن الى مسخ غريب وبالغ الشذوذ • صار لبنان اللادولة ، واللاعروبة ، واللاديمقراطي • صار شيئا يستحيل تصوره ، وبالتالي يستحيل وصفه •

فى البدء كان الهدف هو محاولة البحث عن « لبنان الجديد » • ذلك ان اكثرنا يظن ان لحظة الميلاد قد حانت • فالحرب انتهت رسميا • والقوات العربية ماضية فى « الفصل بين المتحاربين » • والمساعدات العربية والاجنبية فى الطريق • وغدا يبنى ما دمر • ويتم تشغيل المصانع ، ولا بد بعدئذ ان ينهض مركز المال والتجارة •• ويعود الامر الى شرايين لبنان •وما فات مات !

بهذه البساطة يطرح اكثرنا القضية • وبهذا التفاؤل يرى اكثرنا المستقبل ، عندما نطل على لبنان من الخارج • من اخبار الصحف ونشرات الاذاعات وتصريحات المسئولين •

غير اننا نغالط انفسنا ، بل نرتكب جرما فادحا اذا بسطنا القضية الى هذا المدى • ومثلما كانت حرب لبنان هى من اكثر صفقات التاريخ خسارة، فان هذا التبسيط يعد انسياقا وراء اكثر الاوهام خداعا •

من الداخل تختلف الصورة تماما، وتختلف معها المقاييس والحسابات ، والتنبؤات أيضا •

من الداخل يظل الحديث عن لبنان الجديد ضربا من الحدس والتخمين • يظل املا بعيد المنال يراود الذين يحلمون بوطن مستقر ومتحضر • اولئك الذين مازالوا يسالون : كيف يمكن تثبيتالتعايش الدائم والراسخ بين اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ،.من خلال صيغة عادلة تجعل من لبنان وطنا لا شركة مساهمة ، ولا عقدا ينتهى بانتهاء العمل به ، او باخلال احد اطرافه ، مما يؤدى الى ثورة تتكرر كل عشرين او ثلاثين سنة ، كما حدث حتى الآن ؟

الاجابة الموضوعية للسؤال معروفة • وليست المشكلة فى الجهل بها ، ولكن المشكلة الحقيقية ، بل المعجزة الحقيقية ، هى كيف تطبق الاجابة ، ويلتزم بها الجميع فى صدق واخلاص •

لبنان الجديد الذى نحلم به لن يولد الا اذا تغيرت الخريطة السياسية والاجتماعية للدولة ، وهى حقيقة لا يختلف حولها احد ، لكن طريق التغيير ملىء بالالغام والاشواك •• والسدود •

ولبنان الجديد الذى نحلم به لن يولد الا اذا تمت تسوية مشكلة اخرى جوهرية اعتبرت من الاسباب الرئيسية لانفجار الصراع وتصعيده ، وهى المشكلة الفلسطينية • وتلك ايضا حقيقة لا يختلف حولها احد • لكن الحديث عن التسوية الان ما زال تائها فيسراديب السياسة والسياسيين، فى المنطقة وفى الدول الكبرى •

لهذا – اكرر فان الحديث عن لبنان الجديد لا يخلو من حدس وتخمين ، ومتاهات لا أول لها ولا آخر •

مشكلة الامن اولا

الحديث عن تعمير لبنان – اذن – هو الممكن الان ، رغم ان الفصل بين قضيتى التعمير وبناء لبنان الجديد فيه قدر من التعسف والافتعال • ورغم ان الفصل بين تخريب لبنان والمخططات

المرسومة لتعتيم المنطقة كحلقة في مسلسل غامض لم تتكشف ابعاده بعد ، هذا الفصل لا يخلو ايضا من التعسف والافتعال ٠

تعمير لبنان لا بد أن يسبقه استقرار الامن ٠ هكذا يقول الرئيس سركيس ورئيس الوزراء وكل مطلع على ما يجرى في الساحة اللبنانية ٠ذلك انه من الامور البديهية أن احدا لن يرمم بيتا ، او محلا تجاريا كما أن احدا لن ينشيء مشروعا او يستثمر مالا ، بل ان احدا لن يخرج للشراء ، ما دام الشعور السائد أن الرصـاص ينهمر في اى وقت ، وان حواجز الموت جاهزة للعمل في ثوان ٠ وان طريق الجحيم ما زال مفتوحا ٠

والمشكلة في قضية الامن أنه لا يتحقق بمجرد الاعلان عن استقراره في الصحف ٠ او الاطمئنان الى وجود قـوة ردع عربية ، او حتى التاكد من سحب الاسلحة الثقيلة من المتحاربين ٠ المشكلة أن الامن شعور داخلي ٠ احساس لا يصنع بقرار، ولكنه ينمو ببطء وتدرج ٠ اختفت مشاهد الموت والرعب هذا صحيح ٠ ولكن الخوف يعشش فيكل قلب، والحذر عند اكثر الناس تفاؤلا٠اما الامن، أما الثقة والاسترخاء فلن يكون الا في ظل لبنان الجديد الذى نحلم به ، في ظل بناء ثابت الاركان لا تقوضه رصاصة ٠في ظل وطن بالمعنى الصحيح٠

الم اقل لكم أن الفصلبين قضيتي التعمير وبناء لبنان الجديد فيه قدر من التعسف والافتعال ؟!

عندما يستقبلك الخوف

يستقبلك الخوف عندما تجتاز حدود لبنان ٠ بل حتى قبل الوصول الى الحدود ٠

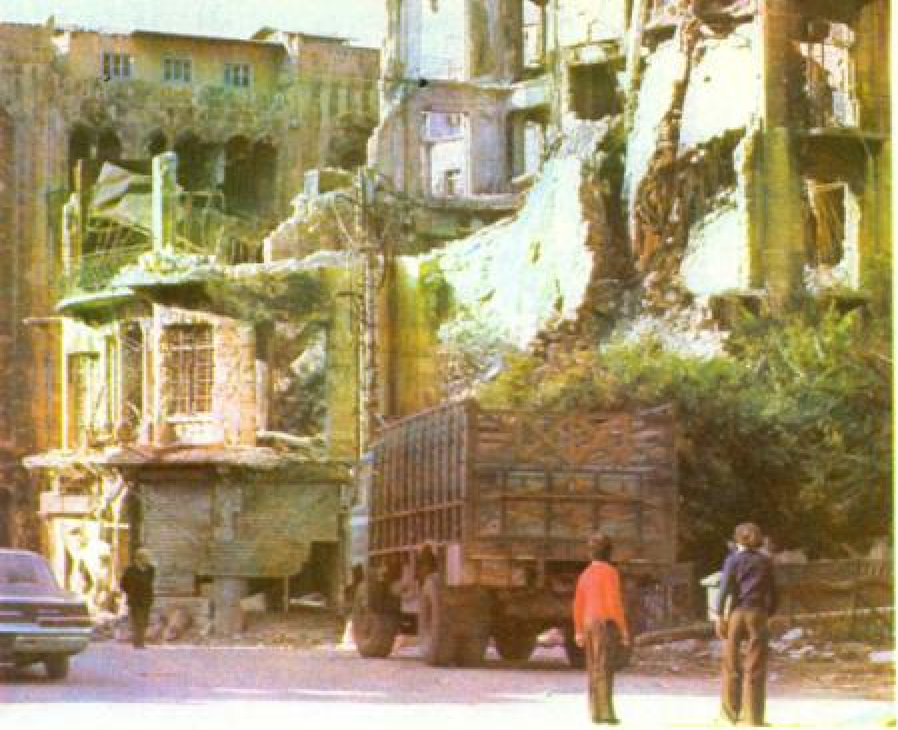
من دمشق كانت رحلتي الى لبنـان ، لان كل الطائرات المتجهة الى بيروت كانت محجوزة لثلاثة اسابيع مقبلة٠ ذهبت الى « مركز انطلاق سيارات الاجرة الى لبنان والاردن » في قلب دمشق باحثا عن «تاكسي» ٠ وفوجئت بان بعض الركاب يريدون الذهاب الى مناطق محددة في بيروت ، وليس الى المكان المتعارف عليه كمحطة اخيرة منذ زمن وهو



شـباب الجيل الجديد يطالع ما فعله الجيل الذى سبقه ٠

ساحة البرج ٠ وفهمت أن هؤلاء الركاب يرفضون النزول في ساحة البرج لانها تدخـل في نطاق بيروت الغربية (التي كانت تحت سيطرة القوى الوطنية والتقدمية) ٠ ويصرون على ان يتوجهوا مباشرة الى بيروت الشرقية حيث منطقة القـوى الانعزالية اثناء الحرب ٠ وسائقو التاكسى في كل منطقة ما زالـوا يترددون كثيرا في الذهاب الى المنطقة الاخرى ٠ وبعضهم يرفض «المخاطرة» تماما ٠ انه الخـوف منذ اللحظة الاولى ٠ انها الحواجز التي رفعت من الشوارع وبقيتفي اعماق الناس ٠

تتوقف ١١ مرة قبل أن تصل الى قلب بيروت، امام مراكز قوات الردع ٠ نظرة سريعة الى داخل السيارة ، وقراءة عيون ركابها ، والاطلاع على



من المشاهد الشائعة في بيروت الان، منظر اللبنانيين العائدين من الخارج وهم يطوفون بانحاء المدينة · بعضهم يبحث عن سكنه واثاث بيته · وبعضهم يتأمل ما جرى ، ولا يكاد يصدق · والنتيجة واحدة في الحالتين ، فجيعة وصدمة ، واحيانا دموع اسى وندم ·

سمعت واحدا منهم يضرب كفا بكف ويقول باللهجة اللبنانية وهو يتطلع الى اثار الدمار : شو عملنا بحالنا ؟ ولا شو ؟

لقد راحت السكرة ، وجاءت الفكرة!





الهوية احيانا ، ثم يسمح لك بالمرور ، مودعا بالعبارة التقليدية : « يعطيك العافية » .

تشم رائحة البارود . وتقترب من موكب الانقاض ، وتقرأ المعركة على الجدران . كلمات الخيانة . الاستسلام. الجبناء . العملاء . الشهيرة في القاموس السياسي العربي ، قاسم مشترك لا تخطئه العين .

تقرأ ايضا اسماء حركية من وحي الاحداث : ابو الجماجم . ابو الموت . ابو قذائف . ابو طعام .

يفزعك المشهد في ساحة البرج .

تتذكر كوارث الطبيعة ، تستعيد اسماء اشهر رسل التخريب والدمار في التاريخ . تعرف كيف تكون هناك مدينة للموت او للاشباح . لا تصدق انه كانت هنا حياة دافقة . كانت الساحة مركزا للتجارة والمواصلات لا يهدأ .

تكتشف بعد قليل أن الصورة مكررة في ساحة الشهداء وشارع المصارف . والشياح وعين الرمانة . وميناء بيروت ، وكل مناطق « التماس » بين الفريقين . يقولون لك أن المحلات التجارية الكبرى كانت في مقدمة ما دمر ونهب ، تعبيرا عن البعد الاجتماعي للصراع . وان كل الاسواق التجارية نهبت عن آخرها . يثير انتباهك على الفور أن هناك محلات كبرى ما زالت على حالها لم تمس. يبتسمون من حولك ويقولون أن أصحاب هذه المحلات « دفعوا » للجماعات المتقاتلة . الوف الليرات دفعها بعض الراسماليين الكبار لقادة تلك الجماعات ، حتى لا تخرب محلاتهم . قيمة السلع التي في المتجر ، وقيمة المتجر ذاته ، قبضها بعض « القادة » مقابل تلك الحماية .

اكذوبة الحضارة

تفاجأ بعد قليل بان هناك هولا اكبر . تسمع قصصا يشيب لها الوجدان عما جرى في منطقتي المسلخ والكارنتينا . تتمنى - من الهول - أن لو اقتصر الامر على النسف والتدمير والقتل . تكاد تسد اذنيك حتى لا تسمع قصص التشويه والتمثيل بالجثث . الاحياء قبل الاموات ، والاطفال قبل الكبار .

يتذكرون التفاصيل كادنما المأساة حدثت هذا الصباح .

تسأل : لماذا ، وكيف ، ومتى ، تراكم هذا المخزون الهائل من الحقد الاسود ؟

وتسقط تحت قدميك اكذوبة انه كانت هنا حضارة .

لا تفيق من الذهول وانت تتجول في بيروت ، يحاولون رفع الانقاض. يمدون السلالم والرافعات الخشبية لتصل الى مواقع القذائف والصواريخ . كثيرون يبحثون عما تبقى من منازلهم . لا الاثاث طبعا ، فقد نهب اكثره . ولكن الجدران والنوافذ والابواب . كثيرون يقفون امام الانقاض ولا يستطيعون حبس دموعهم . عندئذ تكتشف أنه ما زالت في بيروت دموع . وان مخزون الحزن لم ينفد .

تكتشف أيضا أن الحزن مزروع في كل العيون. وان الذين عاشوا المأساة اصابتهم الشيخوخة جميعا . شابت رءوسهم ، وزحفت التجاعيد الى وجوههم ، بينما اصابعهم ترتعش وهم يقدمون لك سيجارة او فنجان قهوة .

حتى لهو الاطفال صار غريبا . صارت « الحواجز » هي لعبة الكثيرين منهم . يقفزون امامك فجاة ، ويسدون الطريق بعصا طويلة ،ثم يسألون : هويتك . تعال معنا . ترتبك ولا تفهم. فقد كانت رحلة الموت والتمثيل تبدأ هكذا . وكان بعض هؤلاء قبل شهور يحملون الكلاشنكوف ويقفون وراء المتاريس . كانوا قتلة وهم بعد في سن الثانية او الثالثة عشرة . ينفجرون ضاحكين عندما تتعثر ولا تجد ما تقوله .

الارقام تتكلم ..

تجسد الارقام مأساة خراب لبنان ..

التقدير الرسمي للخسائر التي نجمت عن الحرب

هو ٤ بلايين دولار · اى حوالى ١١ بليون ليرة لبنانية ·

تتضح الصورة اكثر اذا اقتربنا من بعض التفاصيل · يقول تقرير جمعية التجار الى الرئيس سركيس « ان الحرب القذرة اصابت القطاع التجارى اصابة مميتة · فقد تهدمت واحرقت ٦ الاف مؤسسة تجارية فى بيروت ، بلغت خسائرها ٤ مليارات ونصف مليار ليرة » ·

تقرير لجنة تطوير مرفا بيروت يقول ان خسائره التى ترتبت على تدميره بلغت ٥٥ مليون ليرة ، وان قيمة البضائع المحروقة والمسروقة من المرفا ٢ مليار و ٥٠٠ مليون ليرة · وما سرق من المستودعات قيمته مليار ليرة · وان الدمار فى المرفا اصاب : ٢٠٠ مستودع ، ٣٢٣ آلية ، و ٥٠٠ مقطورة ·

وزارة التصميم وبنك الانماء الصناعى قدرا قيمة خسائر قطاع الصناعة بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ و ٨٠٠ مليون ليرة ·

رئيس عملاء بورصة بيروت يقول انه خلال عمليات نهب بعض البنوك سرقت اسهم « لحامله » قيمتها ٢٠٠ مليون ليرة ·

خسائر مديرية البرق والبريد والهاتف ١٣٥ مليون ليرة · الكهرباء والمياه ١٠٠ مليون ليرة · مصلحة النقل المشترك ٢٧ مليون ليرة بينها ٧ ملايين قيمة ١٥٠ اتوبيس احرقت واستخدمت كمتاريس اثناء القتال ·

وهكذا لم ينج قطاع من الخراب والخسائر ، وكلها بالملايين ·

وحتى نستوعب هذه الارقام ، فمن الضرورى أن نقف قليلا امام الخريطة الاقتصادية للبنان ككل·

ذلك ان الاقتصاد اللبنانى يقوم اساسا على الخدمات ، التى تشكل ٦٠ ٪ من نسبة الدخل القومى · تحتل التجارة نصفها ، والخدمات المصرفية حوالى ١٥٪ ، وكان هذا القطاع ـ الخدمات ـ هو اكثر ما اصيب بالضرر نتيجة للقتال ·

النسبة الباقية من الدخل موزعة بين الزراعة والصناعة والسياحة ·

الزراعة منيت بخسائر شديدة فى الربيع الماضى خلال التحركات العسكرية فى وادى البقاع ، ولكنها سرعان ما عادت كما كانت · واستانفت التصدير بالشاحنات عبر دمشق الى دول الخليج العربى ·

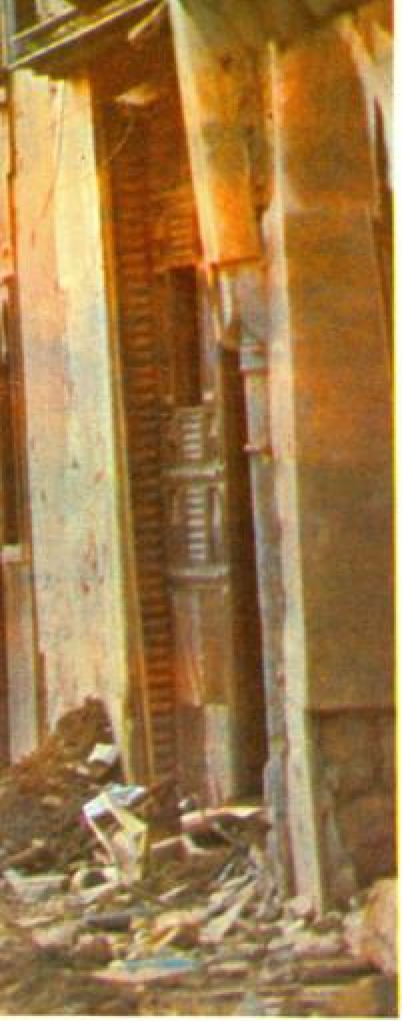
الصناعة : استمرت المصانع التى تعمل فى المناطق «الامنة»بنصفطاقتها اغلب فترة القتال·الاانالكثير منها توقف عن العمل ، اما بسبب القصف ، او بسبب انقطاع الماء والتيار الكهربائى · او لان الاطراف المتقاتلة احتلتها و «تمترست » فيها ، كما يقولون · ولم يخل الامر من عمليات نهب وسرقة ·

اما قطاع السياحة فلا محل للحديث عنه ، لانه كان اول القطاعات التى اصيبت بالشلل ، ليس مع بدء القتال ، ولكن منذ لاحت نذره فى الافق ·

واذا كان ميناء بيروت قد توقف الا ان ميناء جونيه التى كان يرشحها الانعزاليون عاصمة لهم ـ ظهر الى الوجود ، وازدهر طوال القتال · حتى اطلق على المدينة بعد شهور قليلة من القتال انها اصبحت هونج كونج الشرق · كل سلعة مفتوحة امامها الابواب بغير قيود ولا رسوم ولا قانون ،وهو ما تعاظمت بسببه عمليات التهريب الواسعةالنطاق بينما القتال عنيف والدماء تملأ شوارع بيروت ·

والى جانب جونيه ، فقد دبت الحياة ايضا فى مينائى طرابلس وصيدا ، وقد كانتا تحت سيطرة الفريق الاخر ·

ومن ناحية اخرى،فقد افرزتفترة القتال تركيبا جديدا فىلبنان لا يمكن تجاهله ·فريق هجر الارض وفريق هجر الوطن كله طلبا للحماية (وهؤلاء تقدرهم الارقام الرسمية بمليون و٢٥٠ الفشخص) وفريق ثالث اما ترك القرى طواعية ليستوطن فى حماية « جماعته » ، بتعبيرهم ، او أجبر علىترك موقعه لاسباب متعلقة بخطط التقسيم الخفية ، كما حدث بالنسبةلسكان منطقتى الكارنتيناوالمسلخ·



بعض البدايات المتواضعة للعودة الى الحياة· ازالة الركام ، وترميم واجهة محل تجارى · بينما الصورة الثالثة تسجل جانبا اليما من المأساة · ام وابنتها هربتا اثناء القصف · لجأتا الى المجهول ثم عادتا أخيرا لمواجهة الحقيقة ، التى تقول ببساطة شديدة انه لم يعد هناك بيت !

الى جوار الانقاض جلست الام ووقفت الابنة تطل بعيون شاردة على المستقبل ، بينما حقيبة الملابس ملقاة على الارض ·

هذا المصير يواجه الوف اللبنانيين العائدين ، فى الوقت الذى يهدد فيه البعض بالعودة الى استخدام السلاح مرة اخرى · وكأن ما جرى لم يكن فيه الكفاية !







التقسيم الواقعي والرسمي

ورغم أن قضية التقسيم لم تعد مثارة على سطح الحياة اللبنانية الآن ،الا أن أحدا لا ينكر أن هناك تقسيما واقعيا حدث ٠

الحرب كرست واقع التقسيم ٠ عمقت المرارة والحقد ، وتركت جروحا لا تندمل بين الفريقين ٠ حدث التقسيم في الجيش والشرطة والمصانع ودواوين الحكومة والجامعات والمدارس٠ هناك محاولات لمعالجة هذه التصدعات ، لكن عمق الجراح يفسدها اولا باول ، فضلا عن ان هؤلاء الذين يطالبون بالعمل في مواقع واحدة ــ فصل دراسي او مصنع او ديوان وزارة ــ هؤلاء جميعا كانوا يتصيدون بعضهم بالرشاشات قبل شهور٠كان كل منهم مستعدا لان يمثل بجثة « زميله » اذا وقع بين يديه ، بل انه ما من واحد من هؤلاء الا وقتل له اخ أو أب او قريب ، على يد هذا الزميل الذى يفترض انه سيجلس الى جانبه ،ويعملان اويدرسان سويا ٠

ارواح القتلى تحلق في كل مكان ، ودوافع الثار لا تحتاج الى تدليل ٠ وذلك كله يصنع حاجزا سميكا من المرارة والدم والاشلاء ، يدعم الروح الانقسامية ويعززها ٠

والنتيجة ان الموظفين في بيروت الشرقية لا يذهبون الى بيروت الغربية والعكس٠وان كل فريق سحب ابناءه من المدارس التى تقع في منطقة الفريق الاخر ٠ ونفس الشيء حدث في المصانع ٠ وهناك فكرة يشجعها بعض اساتذة الجامعة ، لتقسيم الجامعة ٠ ويقاومها تيار قوى ٠ ولا احد يعرف اى التيارين سيسود ٠

ويسجل الدكتور ادمون نعيم مدير الجامعة مخاوفه فيقول أن عودة الطلاب الى فصولهم الان قد يفتح الباب لمجازر انتقام بشعة ،لان هؤلاء الطلاب حاربوا بعضهم البعض ، وكل يعرف من كان قاتله من الطرف الاخر ٠

حتى الاعلام الرسمي الذى قيل انه توحد ، صورته غريبة وشاذة ٠ فهناك ٦ محطات اذاعة للفرقاء مازالت موجودة ٠ بينها محطتان فقط اعتبرتا نظريا « اذاعة لبنان » ، وهما محطة الصنايع ،وقد كانت محطة الاذاعة الاصلية ، وتحت سيطرة القوى الوطنية ٠ ومحطة عمشيت ، وكانت محطة تقوية ، وتت سيطرة القوات الانعزالية ٠

كل محطة لها مذيعوها وبرامجها ، والمسئول الرسمي عنها ولكنهما تتبادلان اذاعة نشرات الاخبار ٠ وقد تم التنسيق النسبي بينهما بحيث يبدأ الارسال من محطة الصنايع بالقرآن الكريم ثم الترانيم الكنسية لمدة اسبوع ، ثم يبدأ الارسال في الاسبوع التالي من محطة عمشيت بالترانيم ثم تلاوة القرآن الكريم ٠٠ وهكذا !

خطوات التعمير ٠٠

والعمل ؟

لان حجم المأساة اكبر مما نتصور ، وآثارها اعمق مما نتصور ٠ ووجوهها متعددة وعناصرها شديدة التشابك ، فانه كان من الصعب حتى تحديد نقطة البدء ٠

كيان الدولة ومقوماتها ووثائقها ، ذلك كله كان مفقودا ٠ رئيس الوزراء ذاته لم يكن له مقر ،بعد أن هدمت رئاسة الوزراء ٠ في دوادين كثيرة لم يكن هناك مكان للموظفين ، ولا سجلات ولا اوراق٠ ولولا انهم عثروا بالصدفة على نسخة من قوائم « النفوس » ، لما عرف اللبناني من غيره ٠ خصوصا وان كل فريق كان يصدر من جانبه جوازات سفر لمن يشاء ، حتى اضطرت اغلب الدول العربية الى عدم الاعتراف بجوازات السفر اللبنانية الصادرة في عامي ٧٥و١٩٧٦ ٠

لذلك كان لابد أن تكون البداية هي « ترميم » الادارة ذاتها ٠ واقول ترميم لان الوقت لا يحتمل اكثر من ذلك ٠ فحل مشكلة الادارة ــ خصوصا فيما يتعلق بالتوزيع الطائفي لمناصب الحكومة ــ مرتبط بالمشكلة الاكبر « لبنان الجديد » ٠ ثم ان



السيارة مقلوبة والاثاث متناثر في العراء والرجاليلملمون ما تبقى في محاولة لبدء الحياة الجديدة.

الموظفين الحكوميين الذين ينتسبون الى كل من فريقي الصراع ، ما يزال كل منهم مستعدا للعودة الى العمل في منطقته•بعد سلسلة النداءاتالملحة التي وجهتها اليهم الوزارات عبر الراديو •

بعد ان تقف اجهزة الادارة على قدميها ،حتى ولو كانتا مصطنعتين • تنشط عملية التعمير • ولرئيس الوزراء اللبناني الدكتور سليم الحص رأى في قضية التعمير سجله في بيان الوزارة ، وكان قد فصله في دراسته لاحياء الاقتصاد اللبناني ، عندما كان رئيسا للمصرف الوطني للانماء • ومن ابرز آرائه في هذا الصدد :

● ان القطاع الخاص ـ أساس اقتصاد لبنان ـ غير قادر على ان يقوم من كبوته بموارده الذاتية ولابد عندئذ من تدخل الدولة بالمساعدة اوالاقراض من خلال البنوك مثلا •

● انالدولة بظروفها الراهنةعاجزةعن انتؤدى هذا الدور لصالح القطاع الخاص• لانها ـ الدولة ذاتها ـ بحاجة الى الامدادات المالية من الخارج لترميم واعادة بناء المرافق العامة المتضررة ، كشبكات الكهرباء والماء والطرقات والمواصلات والمرفا والمطار ، وكذلك المباني العامة وتجهيزاتها• وقد تحتاج الى المساعدات الخارجية لتغطية العجز المرتقب في الموازنة العادية خلال السنوات الثلاث الاولى •

● ان مباشرة عملية اعادة البناء ينبغي ان تتم فورا وعلى وجه السرعة ، ، حتى بغير انتظار لوضع خطط شاملة ومتكاملة • خصوصا وان المشاكل الاجتماعية الناجمة عن الحرب لا تحتمل الانتظار باى حال ، مثل مشكلات البطالة والتموين والسكن •

● فيالوقت ذاته ـ وبينما اعادةالبناء مستمرة ـ يبدأ وضع خطة شاملة ومتكاملة للتعمير ،اعادة بناء القطاع الخاص • اعادة بناء المرافق العامة والمؤسسات الرسمية • تصحيح وضع الخزينة •

●وما دامت الدولة هيالتي ستدير دفة التعمير وتموله ـ اعتمادا على المساعدات والقروض


UNAL



لا احد يصدق ان هذه هي الروشة ٠٠ الشارع الهادىء الجميل ، تحولت ارصفته الى صفوف طويلة من المتاجر التي تنافس « سوق سرسق » ٠اكثر الذين هدمت محلاتهم لم يجدوا الا رصيف الروشة ملاذا لهم ٠



كلنا تذكر معارك حي الفنادق ، التي راحت ضحيتها اكبر فنادق بيروت ٠ هيلتون ، وفينيسيا، وهوليداي ان ٠٠ وغيرها ٠ وفي الصورة احد اللبنانيين وقد جلس في مواجهة فندق سان جورج ليصطاد ٠٠ ربما كان يهرب من الواقع ! ٠

شارع الحمرا في قلب بيروت لم يصبه الكثير، ربما لان كبار اصحاب المحلات التجارية « دفعوا » مقابل حماية متاجرهم ، او لانه كان قريبا من البنك المركزي ، الذي وضع تحت حراسة مشددة ومكثفة ، بسبب وجود رصيد لبنان من الذهب فيه ٠ الذي تغير في شارع الحمرا أن ارصفته امتلأت ببضائع بعض التجار الذين هدمت محلاتهم في ساحة البرج ، ثم مسحة الحزن والكآبة التي تطالعك في وجوه كل رواده ٠

الخارجية ـ فتلك فرصتها للتدخل وتصحيح الاوضاع الاقتصادية • بحيث تمتنع عن القيام بعمل يعيد وضعا اقتصاديا شاذا الى سابق عهده •

● اذا حلت مشكلة التمويل ، واذا انشئت الاجهزة الادارية اللازمة لادارة عملية التعمير باسم الحكومة، فيخشى ان تتعثر الخطا بسبب نقص العناصر البشرية اللازمة للتنفيذ المادى • ذلك ان قطاع البناء فى لبنان كان يعتمد اساسا على الايدى العاملة السورية ، وهؤلاء اعرضوا عن العمل فى لبنان بسبب محنته • لذلك لا مفر من توجيه العمال اللبنانيين العاطلين الى هذا المجال ، وتنظيم دورات تدريبية مجانية وسريعة على المهن التى تتطلبها عملية الاعمار • (تضاعف اسعار مواد البناء ٣ مرات بعد وقف القتال مباشرة) •

★★★

تتحدث دراسة الدكتور الحص عن فترة «السنوات العشر الاولى» لتنفيذ البرنامج • وهو تقدير واقعى الى حد كبير ، يعبر عن ادراك حقيقى لحجم المشكلة • لان التعمير ـ مرة اخرى ـ يحتاج الى امن • والامن لن يستتب الا فى ظل صياغة جديدة للواقع اللبنانى • وتلك الصياغة لن تولد الا بعد حل المشكلة الاجتماعية والسياسية للبنان وتسوية مشكلة الفلسطينيين •

متى يجيء الحل ؟

الله وحده يعلم • وما اعلمه فقط ـ وما رايته بعينى ـ هو ان عناصر التوتر فى بيروت ما زالت قائمة كما هى • •

اى مستقبل ينتظر لبنان ، ويراد لامتنا ؟

■■

فهمي هويدي

■ لا تظن بكلمة من احد سوءا ، وانت تجد لها من الخير محتملا •

(الامام على)

■ يبرون عظمى ، وهمي جبر أعظمهم
شتان ما بيننا فى كل ما سبب
أهوى بقاءهم جهدى ، وأكثر ما
يهوون ان اغتدى فى حفرة الترب

(عمرو بن معد يكرب الزبيدى)

■ من علمنى حرفا فهو ابى مدى الحياة •

(مثل صينى)

■ اذا غامرت فى شرف مروم — فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى امر حقير — كطعم الموت فى امر عظيم

(المتنبى)

■ حسبما تهيىء فراشك يكن رقادك •

(مثل روسى)

مكان الإرادة الإنسانية في .. فكر الاسلام السياسى

بقلم : الدكتور محمد عمارة

■ فى كثير من الاحيان يبلغ الغلط بين الامور المتمايزة نفس النتائج التى يبلغها الجهل او تعمد التضليل ! .. واحد نماذج هذا الغلط ما نقرأ ونسمع عنه من نتائج يتوصل اليها نفر من العاملين والمشتغلين بالدراسات الاسلامية السياسية ، عندما يقررون أن نظرية الاسلام السياسية تختلف ، جوهريا ، مع الديمقراطية السياسية ، لان الديمقراطية هى حكم الشعب والامة ، والسلطة فيها للشعب ، على حين أن السلطة فى الاسلام ـ كما يقول ـ هى لله سبحانه وحده ، اذ هو الحاكم والحاكمية له ، ولا حاكم الا الله ..

وهذا النفر من المشتغلين بالدراسات الاسلامية يصنفون نظام الحكم الاسلامى مع نظم الحكم « الحتمية » غير « الارادية » ، لان النظم الارادية تجعل للارادة الانسانية القول الفصل فى تاسيسها وتطويرها ، على حين يسلب الاسلام ـ فى رأيهم ـ هذا الحق من الامة ، ويجعله خالصا لله سبحانه وتعالى ..

وهم ، بقولهم هذا ، يجعلون صاحب السلطة السياسية فى النظام الاسلامى ـ الحاكم ـ وكيلا عن الله ـ سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا ـ لان الحاكم هو فى النهاية منفذ شريعة ومطبق قانون ، وهو فى عمله هذا انما ينوب عن صاحب السلطة الاصلى فى المجتمع ، فاذا قلنا ان السلطة لله ، كانت دينا ووحيا ، ومن ثم كانت سلطة دينية ، وكان متوليها حاكما « بالحق الالهى »

ونائبا عن الله ، وخليفة له وظلا ! ••• اما اذا قلنا ـ كما هو الحال فى الفكر الديمقراطي ـ بان صاحب السلطة الاصلى هو الشعب ، كان متوليها نائبا عن الامة ووكيلا ، او شبه وكيل ، وكان مسئولا امام الامة التى لها الحق فى محاسبته ومراقبته ، وعزله ان هو اخل بشروط عقد البيعة والتفويض والاختيار ••

واذا كان اسلافنا قد قالوا : ان حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ! ، فنحن نستاذنهم فى التخلى عن حكمتهم هذه ، فنحسن الظن بمرامى هذا النفر من المشتغلين بالدراسات الاسلامية ، ونقول ان الذى اوقعهم فى هذا التشخيص لفكر الاسلام السياسى هو الغلط ، وليس الجهل او تعمد التضليل ! ••

كل النظم ارادية

ذلك ان تقسيم النظم السياسية التى عرفتها وتعرفها البشرية الى :

ا ـ نظم حتمية ، لا مكان فيها لارادة الانسان ••

ب ـ ونظم ارادية ، تقوم على الارادة الانسانية ، وتتاسس على مبدأ : ان الامة هى مصدر السلطات ••ثم القول بان الاسلام هو من النوع الاول ، لان الحاكم فيه هو الله ، وليس الانسان •• ان هذا التقسيم غير واقعى ، ومن ثم غير صحيح •• ذلك ان السلطة فى اى مجتمع من المجتمعات ، وفى ظل اى نظام وتحت اى فلسفة ، انما هى فى النهاية ، وبصرف النظر عن الصيغ والشعارات ، بل وبرغم هذه الصيغ والشعارات ، فى يد بشر يمارسون التشريع ، والقضاء ، والتنفيذ ••• وحتى لو تصورنا المجتمع الاسلامى الذى يتحدث عنه هذا النفر من الباحثين ، والذى يعلن حكامه :ان الحكم لله ، لا للامة •• فاننا سنجد انفسنا امام بشر يمارسون سن القوانين ، بالاجتهاد ، والحكم بموجبها ، والقيام على تنفيذها •• مع ادعائهم انهم وكلاء عن الله ، مصدر السلطة والحكم ، وليسوا وكلاء عن الامة •• فهم بشر يحكمون ، رغم القول بان الله هوالحاكم ، ولا حاكم سواه •••وكل الجديد فى هذا الامر ـ اذا جاز ان يسمى ذلك جديدا ـ اننا سنكون عندئذ قد عدنا بعقارب الساعة الى فلسفة (الحكم بالحق الالهى) ، على النحو الذى عرفه الفرس ايام كسرى ، وروما زمن قيصر،واوروبا فى عصور الظلام؟!••ولن يقلل من سوء مثل هذا النظام وخطر مثل تلك الفلسفة السياسية القول بان الحاكم ملتزم بالشريعة ، لان العدول عن مبدأ : (الامة مصدر السلطات)، سيحرر الحاكم ،بدرجات متفاوتة ،من قيد تستخدمه الامة للحيلولة دونه ودون الشطط والاستبداد ، كما سيفتتح له الطريق كى يضفى على نفسه قداسة دينية وسلطة ربانية تتنافى تماما مع روح الاسلام ••وهذه قضية قد حسمها التطور السياسى للمجتمعات البشرية ، بصرف النظر عن العقائد والنظم والفلسفات ، ولقد دفعت البشرية ثمنا باهظا من التضحيات كى تتخلص من مثل هذه الفلسفات فى نظم الحكم •• والتاريخ العربى والاسلامى شاهد على الثمن الذى دفعه المسلمون عندما سادت فيهم ـ رغم تعاليم دينهم الحنيف وروح شريعته ـ مثل هذه الفلسفات •

فالنظم السياسية لا تنقسم الى : حتمية ، وارادية •• لانها دائما وابدا ارادية ، لانهاسلطة فى يد بشر ، لهم ارادة تحكم تصرفهم فيما لديهم من سلطات ، ولكنها تتفاوت وتختلف فى ضيق او اتساع دائرة الارادة الانسانية ••• فقد تكون ارادة فرد ، او حزب ، او طبقة،او تحالف طبقات واحزاب •• كما تتفاوت فى الاطلاق او التقييد لارادة الانسان ـ ثمهى تتفاوت فى الانحياز للفكر المدنى او ادعاء قداسة الكهنوت ، فالسلطة التى تؤمن بان الامة هى مصدر السلطات ، تحدد ان الحاكم فيها نائب عن الامة التى توليه وتراقبه وتعزله اذا اخل بشروط الولاية ، على حين ان السلطة التى يزعم اربابها ان الحاكم فى السياسة والاقتصاد هو الله سبحانه وتعالى ، تحدد انها تحكم باسم الله ونيابة عنه ، لا عن الناس •• فالتقسيم الحقيقى للنظم هو :

ا ـ نظم تحكم او تتحكم تحت ستار الحق الالهى••

ب ـ ونظم تفصح عن ان الحاكم بشر ، ينوب عن البشر فى سياسة المجتمع وحكمه ، وان الامة هى مصدر السلطات •

معنى الحاكمية لله

وهؤلاء النفر من المشتغلين بالعمل والدراسات في الحقل الاسلامي يمعنون في افتعال التناقض بين ان تكون السلطة للامة ، وبين ان يكون الحكم لله سبحانه وتعالى ، وسبيلهم الى ذلك : الخلط بين امور لا تقبل الاختلاط .. بل ويرتبون على مقدماتهم الفاسدة :الحكم بكفر كل من يجعل مصدر السلطة السياسية لغير الله ! .. فيقولون ،مثلا: « انه ان كانت السلطة التي يستند اليها المرء ، لاتباعه قانونا من القوانين او نظاما من النظم ، سلطة الله تعالى ، فالمرء لا شك في دين الله عز وجل،واما ان كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك ، فالمرء في دين الملك ، وان كانت سلطة العائلة او العشيرة أو جماهير الامة ، فالمرء لا جرم، في دين هؤلاء ! » (١)

فهم هنا يضعون سلطة جماهير الامة نقيضا لسلطة الله ، ويحكمون بكفر من يحيا ، راضيا ، في مجتمع تكون فيه الامة مصدر السلطات ! ..

ولقد نسى هؤلاء الباحثون الاسلاميون انالحديث في الفكر الاسلامي عن « حق الله » ، انما يعني « حق المجتمع » ، وان القول بان «المال مال الله » معناه ان « المال مال الامة والمجتمع»،ومن ثم فان الحديث عن « حكم الله وسلطانه » انما يعني ،في السياسة، « حكمالامة وسلطانها » ... فلا تناقض هنا بين ان يكون الحكم لله،وبين ان تكونالسلطة السياسية والحكم في المجتمع الاسلامي لجماهير المسلمين .. واكثر من هذا ـ فان هذا النفر من الباحثين المسلمين قد استشهد ، في تاسيس فكره، بما لا يشهد له ، ومن ثم بنى قاعدة نظريته ـ (الحاكمية لله) ـ بتفسيره هذا ، على غير اساس ..

فهم قد اشتقوا « حاكمية » الله سبحانه ، من مصطلح « الحكم » ظانين ان القران ، ومن ثمفكر الاسلام السياسي ، يستخدم مصطلح « الحكم » للدلالة على النظام السياسي ، على حين أناغلب الاستخدامات القرانية لهذا المصطلح واردة بمعنى « القضاء » والفصل في المنازعات ، وبمعنى « الحكمة » .. فعيسى عليه السلام لم يبن دولة ولم يكن حاكما سياسيا ولا صاحب نظام من نظم الحكم ، ومع ذلك فلقد آتاه الله (الحكم) بمعنى الحكمة ، اذ يقول : (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لي ..) (٢) .. ونبى الله يحيى لم يكن حاكما سياسيا ولامؤسس دولة ونظام حكم ،ومن باب اولى لا يتصور منه شيء من ذلك وهو صبي، ومع ذلك فلقد آتاه الله (الحكم) وهو صبي ، اى « الحكمة » فيقول : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا ..) (٣) .. ولوط لم يكن حاكما ، حسب فهمنا لمصطلح « الحاكم »، ومع ذلك فلقد آتاه الله (حكما وعلما) (٤).. اى حكمة وعلما .. وموسى عندما قتل المصرى ، ثم فر من شرطة فرعون مصر ، لم يؤسس دولة يحكمها ، ومع ذلك فهو يتحدث عن ان الله وهب له « الحكم » (ففررت منكم لما خفتكم ، فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) (٥) ..

فالحكم ، كمصطلح قرآني ، لا يعني الحكم بالمعنى الذى تستخدمه اليوم في الدراسات السياسية ، ومن ثم فان اشتقاق « حاكمية » الله، بمعنى الحاكمية في النظم السياسية من هذا المصطلح انما هو تاسيس على غير اساس !

ويزيد هذا الامر تاكيدا تلك الحقيقة التى سيطالعها ايباحث اذا هو ذهب ليبحث عن المصطلح الذى استخدمه القران ، والادب السياسي في صدر الاسلام ،للتعبير عنالسياسة ونظام الحكموالسلطة العليا في المجتمع الاسلامي .. لان هذا البحث سيكشف لنا ان مصطلح « الامر » وليس مصطلح « الحكم » هو الذى استخدمه القرآن للدلالة على هذا المبحث ..

فالامر مصطلح ذو صلة «بالائتمار» اى التشاور والشورى ، التى هي فلسفة « الحكم » في الاسلام ومنه سمى الحاكم بـ « الامير » .. والقادة بـ « اولى الامر » .. ومن هنا جاء قوله سبحانه : (يا ايها الذينامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

---

(١) ابو الاعلى المودودى (المصطلحات الاربعةفي القرآن) ص ١٢٥ (والنقل عن مجلة المسلم المعاصر ص ١٥٧ ، ١٥٨، عدد ٤ سنة ١٩٧٥ م .

(٢) آل عمران ٧٩ (٣) مريم : ١٢ (٤) الانبياء : ٧٤ (٥) الشعراء : ٢١

واولى الامر منكم) (٦) وقال : (وامرهم شورى بينهم) (٧) ، كما قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (وشاورهم فى الامر) (٨) ..

وعند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ،تحدث ابو بكر الصديق عن السلطة العليا فى المجتمع فقال : « ان محمدا قد مضى لسبيله ، ولا بد لهذا الامر من قائم يقومبه » (٩) .. وعندما اقترب به الاجل قال، من بين ما قال : «وددت انى يوم سقيفة بنىساعدة قذفت هذا الامر فى عنق احد الرجلين ـ اى عمر وابى عبيدة ـ فكان اميرا وكنت وزيرا .. ووددت انى كنت سالت رسول الله فى هذا الامر ، فلا ينازع الامر اهله .. ووددت انى سالته : هل للانصار فى هذا الامر نصيب فنعطيهم اياه .. » (١٠) ولما اراد العهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب قال للصحابة : « تشاوروا فى هذا الامر ، ثم وصف عمر بصفاته ، وعهد اليه واستقر الامر عليه .. » (١١) .

وفى اول خطبة لعمر بعد خلافته قال : « ليعلم من ولىهذا الامر من بعدىأنه سيريده عنهالقريب والبعيد » (١٢) وفى موطن آخر يقول : « ان هذا الامر لا يصلح الا بالشدة التى لا جبرية فيها ، وباللين الذى وهن فيه .. » (١٣)

ويتحدث على بن ابىطالب عن أن موتالرسول قد اعقبه « ان تنازع المسلمون الامر من بعده ..» (١٤)

وبعد على يخطب ابنه الحسن فى اهل العراق فيقول : « اما والله لو وجدت اعوانا لقمت بهذا الامر اى قيام .. » (١٥)

ويكتب معاوية الى الحسن فيقول : « .. فادخل فى طاعتى ، ولك الامر من بعدى .. » (١٦) اى لك الخلافة من بعدى على المسلمين .

فمصطلح « الامر » لا « الحكم » هو المصطلح الذى استخدمه القرآن ، واستخدمته السنة ، وجرى استعماله فى الادب السياسى على عصر صدر الاسلام ، تعبيرا عن نظام الحكم فى المجتمع .. ومن ثم فلا اساس لاشتقاق الحاكمية الالهية ، من مصطلح « الحكم » والقول بانها تعنى السلطةالسياسية العليا والوحيدةفىمجتمعالاسلام.

وبزيد قولنا هذا تاكيدا ، وايضا يزيد منطق هذا النفر من الباحثين الاسلاميين تهافتا ، ان استشهادهم علىموقفهم ،من كتب التراث الاسلامى لا يشهد هو الاخر لموقفهم هذا ! ..

فهم ينقلون قول الامام الغزالى فى كتابه (المستصفى من علمالاصول):«الحاكم هوالشارع.. ولا حكم الا لله ، وانه لا حكم للرسول ولا للسيد على العبد ولا لمخلوق على مخلوق،بل كلذلكحكم الله تعالى ووضعه ،لا حكم غيره.. واما استحقاق نفوذ الحكم فليس الا لمن له الخلق والامر ، فانما النافذ حكم المالك على مملوكه ، ولا مالك الا الخالق ، فلا حكم ولا أمر الا له ، اما النبى صلى الله عليه وسلموالسلطان والسيدوالاب والزوج فاذا امروا او اوجبوا لم يجب شىء بايجابهم ،بل بايجاب الله تعالى طاعتهم .. فالواجب طاعة الله تعالى وطاعة منأوجب اللهتعالى طاعته ..» (١٧)

والخطأ فى الاستشهاد بكلمات الامام الغزالى مرده الى الاستشهاد بها على غير ما كتبت له : ..فحديث الغزالى فى(المستصفى)عناصول الفقه، وليست الامامة ولا نظام الحكم من هذه الاصول ، فلا مجال للاستشهاد عليها بهذه الكلمات ، اذ الموضوع هنا هو « الاحكام الشرعية الثابتة لافعال المكلفين ... كالوجوب والحظر والاباحة والندب والكراهية .. » (١٨) الخ .. اى التكاليف ،

(٦) النساء : ٥٩ (٧) الشورى : ٣٨ (٨) آل عمران : ١٥٩

(٩) الشهرستانى (نهاية الاقدام) ص ٤٧٩تحقيق الفرد جيوم . طبعة بدون تاريخ وبدون مكان للطبع . (١٠) المسعودى (مروج الذهب) جـ ١ ص ٥١٨طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م

(١١) نهاية الاقدام ص ٤٧٩ (١٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ ق ١ ص ١٩٧

(١٣) المصدر السابق ج٣ ق١ ص٢٥٠ (١٤) نهج البلاغة ص٣٥٢ طبعة دار الشعب ،القاهرة .

(١٥) د . احمد صبحى (نظرية الامامة لدىالشيعة الاثنى عشرية) ص٣٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م (١٦) المرجع السابق ص ٣٢٠

(١٧) (المستصفى من علم الاصول) جـ١ ص٨٣،٨ طبعة القاهرة الاولى سنة ١٣٢٢ هـ .

(١٨) المصدر السابق جـ١ص٥،٤

وهذه الحاكم فيها هو الله ، والحاكمية فيها لله وحده ٠٠٠اما نظام الحكم فمكانه كتب الفروع ،وهو ليس من الاصول حتى نستشهد عليه بالنصوص الواردة في موضوع علم الاصول ٠

فسلطة « الحاكمية الالهية » في علم الاصول ، ليست هي « السلطة التشريعية » في السياسة ونظم الحكم وقوانين المجتمع ،كما فهم الذين خلطوا الاصول بالفروع ، فانتقلوا بالسياسة ونظام الحكم الى اطار اصول الدين (١٩) ٠٠٠ وبعد قليل سياتي الحديث ، بل وحديث الامام الغزالي نفسه، الذي يبدد مبررات الخلط في هذا المقام ٠

ثم ٠٠ ان تاريخ الفكر الاسلامي يدلنا على ان اول من قال بفكرة « الحاكمية لله » في السياسة ونظم الحكم ،كانوا هم (الخوارج) عندما اعترضوا على « التحكيم » بين على ومعاوية في « صفين » فلقد كانوا يرون ـ مثل على بن ابي طالب ـ ان معاوية بن ابي سفيان وصحبه هم« الفئة الباغية» التي نص القرآن على قتالها حتى تفيء الى امر الله ، ومن ثم رفضوا « تحكيم » البشر و « حكمهم » في امر ورد فيه نص القرآن الكريم ،فصاحوا صيحتهم الشهيرة : (لا حكم الا لله) ، حتى لقد سموا (بالمحكمة)٠٠ولقد كان تعليق الامام على بن ابي طالب على قولهم هذا : « انها كلمة حق يراد بها باطل ! » (٢٠) ، لانهم أرادوا فرض « حاكمية الله » في السياسة ، وهي امر لا بد لممارسته من بشر ،حتى ولو وردت في بعض قضاياه نصوص!

طبيعة السلطة في النظم الاسلامية

وبعض الباحثين الاسلاميين يخشى ان يؤدى القول بان للارادة الانسانية دورا في صنع النظم السياسية والاقتصادية ، ان يؤدى القول بذلك الى جعل النظام الاسلامي ، في السياسة ، نظاما وضعيا ؟!

ونحن نقول لهؤلاء الباحثين : ان الاسلام ،كدين، وباركانه الخمسة التي بنى عليها ، وبكتابه المعجز، وبسنته التشريعية التي بلغ بها الرسول عليه افضل الصلاة والسلام تفصيلات ماأجمله الوحي٠٠ ان ذلك كله « وضع الهي » ، وليس لمؤمن ان يدعي ان شيئا من ذلك هو من « وضع الانسان » ٠٠ لكن الاسلام ، كدين ، لم يحدد للمسلمين نظاما محددا للحكم ، لان منطق صلاحية الدين الاسلامي لكل زمان ومكان يقتضي ترك النظم المتجددة قطعا بحكم التطور للعقل الانساني الرشيد ، يصوغها وفق مصلحة المجموع ، وفي اطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي قررها هذا الدين ٠٠ فهو مثلا ، قد دعا الى الشورى ، والعدل ،ومنع الضرر والضرار ، وعلى المسلمين ان يصوغوا لمجتمعاتهم نظم الحكم التي تقربهم من تحقيق هذه المثل العليا ٠٠ ولذلك كان الدين واحدا في كل مراحل التطور البشري ، ولدى كل الرسل ، بينما تعددت الشرائع تبعا لتطور المجتمعات واختلاف البيئات وتعدد الرسالات ٠٠ فالدين عند الله الاسلام ٠٠ والقرآن قد جاء مصدقا لما بين يديه ٠٠ ولا يحق لنا ان نقول: الدين الموسوي ، او الدين العيسوي ، او الدين المحمدي ، بينما يحق لنا ان نقول الشريعة الموسوية، والشريعة المحمدية ٠٠ فالدين الذي بعث الله به محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، هو دين الانبياء الذين سبقوه ، اما شريعته فهي ناسخة للشرائع التي سادت في مجتمعات سبقت مجتمع الاسلام ٠

اما زعم هذا النفر من الباحثين الاسلاميين وجود نصوص قرآنية ونبوية حددت احكام السياسة ونظمها ، فهو زعم لا يوجد في القرآن والسنة ما يشهد له ،كما انه زعم غريب اذا نحن عرضناه على تراث الائمة والمفكرين المسلمين في هذا المجال ٠٠

فشيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) يقرر ان السياسة الشرعية مرجعها في القرآن آية طلبت من الامراء اداء الامانات والحكم بالعدل ، وآية طلبت من الرعية الطاعة لاولي الامر اذا هم ادوا الامانات وحكموهم بالعدل (٢١) ٠٠ اما تفاصيل نظم الحكم وعلوم السياسة ونظرياتها في الاسلام فهي تراث ،وثمرات اجتهاد بشري محكوم بقواعد الدين العامة ومثله العليا ٠٠

---

(١٩) هاني احمد الدرديري (التشريع بين المفكرين الاسلامي والدستوري) ص١٦ ـ ١٨ طبعة القاهرة ١٩٧٦م

(٢٠) (نهج البلاغة) ص ٦٥ ٠

(٢١) السياسة الشرعية ص ١٥ ، ١٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ م ٠

ونحن نعتقد ان صمت القرآن الكريم عن تفصيل الحكم والسياسة للمسلمين هو موقف الهي مقصود، لانه هو الموقف الذى التزمه الدين الحنيف حيال كل ما عهد به الى عقل الانسان وارتبط بالامور المتطورة المتغيرة التى تستعصى نظرياتها على الثبات ٠٠ والا فهل يعقل عاقل ان يضن القرآن على نظم الحكم بآيات تساوى ما جاء به عن بقرة بنى اسرائيل ؟! ٠٠ انها حكمة الحكيم العليم ٠٠

واذا كان لا بد من المزيد من النصوص والاستشهادات على هذه القضية الهامة ، فاننا نذكر ،مثلا ،قول الدكتور عبد الرزاق السنهورى، الذى يحدد فيه علاقة الشريعة الاسلامية بالكتاب والسنة ، اى بالدين ، ونصيب « الوضع البشرى » الذى جاء ثمرة لفقه الفقهاء فى هذه الشريعة ٠٠ يقول الدكتور السنهورى : « ان الكتاب والسنة هما المصادر العليا للفقه الاسلامى ٠ وقد قصدت بالمصادر العليا ان اقول : انها مصادر تنطوى فى كثير من الاحيان ، على مبادىء عامة ترسم للفقه اتجاهاته ، ولكنها ليست هى الفقه ذاته ، فالفقه الاسلامى هو من عمل الفقهاء ، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدنى (٢٢) ٠٠

فهذا التحديد الدقيق لمكان الشريعة من الدين، ولمكان الفقه الاسلامى من الشريعة الاسلامية هو الذى عبر عنه ، كما سبق واشرنا ، المفكرون المسلمون الذين بحثوا مكان السياسة والامامة ونظام الحكم من الدين ، فقالوا : انها مستخرجة من « الرأى » ، وليس من الكتاب والسنة ٠

وقبل الدكتور السنهورى قال امام مجتهدى الاسلام فى العصر الحديث ، الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) : « ان تفصيل طرق المعيشة والحذق فى وجوه الكسب ٠٠ مما لا دخل للرسالات السماوية فيه ، الا من وجهة العظة العامة ، والارشاد الى الاعتدال فيه ، وتقرير ان شرط ذلك كله ان لا يحدث ريبا فى الاعتقاد بان للكون الها ٠٠ وان لا ينال احدا من الناس بشر ٠٠٠ ان الدين لم يعلم المسلمين التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة فى البيت ، ولكنه اوجب عليهم السعى الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية ، واوجب عليهم ان يحسنوا فيه ، واباح لهم الملك ، وفرض عليهم ان يحسنوا المملكة ٠٠ وكل ما يمكن للانسان ان يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ، ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم ، واهمال للمواهب والقوى التى وهبه الله اياها ليصل بها الى ذلك ٠٠ وقد ارشدنا نبينا ، صلى الله عليه وسلم، الى وجوب استقلالنا دونه فى مسائل دنيانا ٠٠ اذ قال (ما كان من امر دينكم فالى ، وما كان من امر دنياكم فانتم اعلم به) ٠٠ » (٢٣)

الاستفادة بالتجارب الانسانية

ونحن اذا لم نؤمن باحترام الفكر الاسلامى لارادة الانسان ، وارادة الامة ، فى بناء نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادارية ، وضعنا انفسنا فى صدام تام وحاد مع كل وقائع وحقائق تاريخنا الاسلامى وتشريعاته فى هذه الميادين ٠٠ فالاسلام يدعو المؤمنين به الى تأسيس نظمهم الدنيوية بارادتهم الحرة ووفق مصلحتهم الاجتماعية ، وفى اطار مبادئه العامة ووصاياه الكلية ، كما يدعوهم الى النظر والاستفادة من كل التجارب الانسانية ،سواء منها تجارب السابقين الاولين او اللاحقين المتاخرين ، وبصرف النظر عن عقائد اصحاب هذه التجارب الانسانية ومذاهبهم٠٠ وتاريخ الفكر والتشريع الاسلامى اعظم شاهد فى هذا المقام

فعمر بن الخطاب استفاد واسترشد فى « تدوين الدواوين » بتجارب الفرس المجوس والروم النصارى فى هذا المجال (٢٤) ٠٠ ولقد عارضه نفر من الصحابة فى ادخال هذه النظم المستحدثة التى لم يسبق لها فى الاسلام نظير ، ومن الذين

---

(٢٢) مجلة (المسلم المعاصر) ص ٧٨ عدد ابريل سنة ١٩٧٥ م (وهى تنقل عن كتابه (مصادر الحق) منشورات معهد البحوث والدراسات العربية) ٠

(٢٣) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده جـ ٣ص ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، دراسة وتحقيق دكتور محمد عماره طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م ٠ (٢٤) (طبقات ابن سعد) جـ٣ق١ص٢١٢،٢١٦ ٠

عارضوا : عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب•• فالذى قرر ونفذ هنا : ارادة انسانية اجتهدت لمصلحة الامة ، فى مواجهة ارادة انسانية كانت ترى الابقاء على النظام القديم ••

❊ وبعد الفتوحات الكبرى لمجتمعات الزراعة باحواض الانهار ، اراد عمر بن الخطاب وضع نظام ضريبى للارض الزراعية ، فوقع الاختيار على النظام الذى وضعه كسرى انو شروان (٥٧٩م) وهو النظام القائم على اساس « المساحة » ، وظل المسلمون على هذا النظام حتى العصر العباسى ، عندما استبدلوه بنظام يقوم على «المقاسمة»•• بل لقد ظل اسم هذا النظام فى فكرنا وتراثنا شاهدا على ذلك ، فكانوا يسمونه : (وضائع كسرى) ، اى التشريع الذى وضعه كسرى وتواضع الناس عليه فى عصره ! •• ولم يقل احد لعمر ابن الخطاب ، يومئذ انك تستلهم مصادر غير اسلامية ، و «تضع » بارادتك البشرية نظما ، على حين ان الاسلام له فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والادارة نظم حتمية لا مجال فيها لارادة الانسان ؟ ! •• لم يقل احد ذلك •• لان اغلب ما لدينا من تراث اسلامى فى السياسة والاقتصاد والادارة ان هو الا ثمرة للاجتهاد الذى ابدعه المسلمون مسترشدين فى ذلك بالعقل ، كي يحققوا المصلحة الدنيوية والاخروية ، اللتين كانتا ولا تزالان ، غاية الدين والرسل والرسالات •

ان الذين يقولون باشتمال الوحى على نظام سياسى واجتماعى واقتصادى وادارى للمجتمعات المسلمة ، وانه ما علينا الا التنفيذ والتطبيق لهذا النظام الحتمى ، الذى لادخل فيه لارادة الانسان ووضعه ، سيصلون شاءوا ام لم يشاءوا ، الى تعطيل ملكة العقل فى الابداع ، وهم بذلك يتنازلون عن ميزة هامة تميز بها الاسلام وامتاز عن الرسالات التى سبقته •• وكما يقول الامام محمد عبده ، فان هذا الراى الغريب هو ما انتهت اليه السلطة الكهنوتية الكاثوليكية الاوروبية فى العصور الوسطى عندما زعمت « ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر فى المعاش والمعاد••» (٢٥) •• على حين علمنا الاسلام ان « هداية الدين هى الهداية الرابعة التى وهبها الله الانسان، بعد هداية الحواس ، الوجدان ، والعقل •• » (٢٦) •• فجميعها هدايات الهية ، وهبها الله للانسان كي يستعين بها جميعا ويصل بواسطتها الى الغاية التى استهدفها الدين والانبياء والرسل والمصلحون والثوار ، الا وهى سعادة الانسان ، وتحقيق الرشد والاستقلالية اللائقين بخلافته عن المولى سبحانه فى عمارة الكون وزخرفة الكوكب الذى يعيش فيه ••

ان التدين لايعنى التنكر للعقل وبراهينه ، والايمان بالنصوص المروية لا يتجافى مع مراعاة المصالح المتجددة والمتطورة بتجدد الحياة وتطورها •• والاسلام ، كما نفهمه ونؤمن به ، يدعونا للنظر فى سنن الله وقوانينه الكونية التى تحكم تطور الحياة والمجتمعات ، ويطلب منا الاستفادة فى امور دنيانا بكل ثمار العقل الانسانى ، سواء فى الاقتصاد او الاجتماع او السياسة او الادارة •• الخ •• الخ•• بصرف النظر عن عقائد اصحاب هذه النظريات والوانهم واجناسهم واوطانهم ، وبصرف النظر عن العصر الذى ظهرت فيه هذه النظريات والعلوم••

ومرة اخرى نقف ، ونطلب من الداعين الى نظام حتمى ، لا مجال فيه لارادة الانسان ، بعد تغليفه بغلاف دينى، ان يقفوا معنا امام هذه الكلمة الجامعة من كلمات الشيخ محمد عبده التى يقول فيها :« لو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ، وياخذهم باحكامه ، لرايتهم قد نهضوا ، والقرآن فى احدى اليدين ، وما قرر الاولون وما اكتشف الاخرون فى اليد الاخرى ، ذلك لاخرتهم وهذا لدنياهم ،وساروا يزاحمون الاوروبيين فيزحمونهم! » (٢٧) •

ان فى ديننا وتراثنا طاقات خلاقة لازالت وستظل صالحة للعطاء فى معركة امتنا من اجل الحرية والتقدم والوحدة وليس فى تراث الاسلام السياسى ما يتعارض مع المبدأ الذى تؤمن به جماهير امتنا وتناضل فى سبيل سيادته ، وهو ان تكون هذه الامة ، دائما وابدا ،مصدر السلطات • ■■

محمد عمارة

---

(٢٥) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده جـ ٣ ص٢٩٣ •

(٢٦) المصدر السابق • جـ٥ ص ١٨٢ •

(٢٧) المصدر السابق جـ٣ ص٢٥١ ، ٢٥٢ •

للمناقشة
للمناقشة
للمناقشة

التفتيش

البعض يفضلونه منهجا للبحث عن الحقيقة : اسقاط المنطق والموقف ، والتفتيش في الضمائر ٠لا يهم ماذا تقول وتفعل ،ولكن المهم ـ من وجهة نظر اصحاب هذا المنهج ـ هو النية والاهداف الخفية ٠ليست العبرة بالظاهر ،فالسذج وحدهم هم الذين ينخدعون بالظواهر، ولكن العبرة بما تطويه تحت جناحيك ٠ بما تتكتمه وتتستر عليه في اعماق اعماقك ٠

هم يتركون كل ما هو معلوم ، ويحمل كل منهم مصباح ديوجين ليبحث عن الحقيقة في المجهول ٠ وعلى مشقة الرحلة ومخاطرها ، فانهم يتمتعون بقدرة هائلة على الغوص في عالم المجهول والامساك بالنيات ٠ والقاء القبض عليها ٠

ومن هذا الباب يحررون شهادات الايمان والكفر والولاء والاصالة والتبعية والتقاعس والتجاوب والتخريب ٠٠ الى اخر تلك الصفات والنوايا التي كنا نظن ان الله وحده اعلم بها ٠

وللامانة نقول ان هذه الصكوك جاهزة دائما ، ينقصها فقط تحرير الاسم والعنوان والتوقيع ، والاعتماد من الجهاز المختص ٠

وللانصاف نقول ان اصحاب هذا المنهج يؤكدون دائما انهم يرحبون بكل حوار ، ويفتحون الاذرع لكل مناقشة ، بشرط واحد بسيط ـ جدا في الحقيقة ـ يتصل بمواقع اطراف الحوار ٠ مسالة جغرافية لا اكثر ٠ ذلك ان اصول المنهج لا تحتمل حوار يجري فوق ارضية مشتركة (يسميها السذج المصلحة العامة) ، بحيث تتصارع الحجج بين الانداد ، ويكشف كل طرف اوراقه في مواجهة للرأي بالرأي الاخر ٠ولكن الحوار الامثل ينبغي أن يتم في صورة مغايرة٠ طرف فوق منصة الادعاء ، يوجه الاتهام ويطالب بتوقيع اقصى العقوبة ٠ وطرف اخر في القفص يرد التهمة ، وله مطلق « الحرية » في محاولة تبرئة نفسه ٠

بهذه الصيغة يتم الحوار الذي يرحبون به ،وهو ما يصفه بعض الخبثاء والمغرضين ـ لاحظ انهم ادرى بالنيات ـ بانه « محاكمة » !

والدقة ايضا نقول ان اخواننا هؤلاء ليسوا مخترعين لهذا المنهج ولا حتى مجددين فيه ٠ فهو قد جرب واستخدم من قبل ، وكان مفعوله اكيدا في اشاعة الخوف والارهاب ٠ ورواده الاوائل دخلوا التاريخ ،ولكن من منافذه الخلفية،عبر تلك الشقوق التي يتسلل منها الاشرار واعداء الانسان دائما ٠ وسجلت كتب التاريخ كل ما فعلوه،ولكن في صفحات قاتمة وحزينة، ما زالت تهز ضمير الانسان وتثير خجله ٠

لم اصدر التاريخ حكمه ،وصرنا نعرف عصر التفتيش في الضمائر بانه على قمة عصور الظلام التي تردت فيها البشرية ٠

حدث ذلك في القرون الوسطى ٠ باسم محاربة « الزيغ في العقيدة » انشئت محاكم التفتيش في ايطاليا والمانيا وفرنسا ، ثم اسبانيا بعد ذلك ٠ وباسم المحافظة على سلامة العقيدة الكاثوليكية اهدرت ادمية البشر،واستخدمت «الدواوين المقدسة» كافة الوسائل لقراءة افكار « المذنبين » ، من التحريات السرية الى اعترافات الناس امام القسس وكان « الاحبار الموقرون » يصدرون احكام القتل والحرق ومصادرة الاموال على هؤلاء ٠ وقبل التنفيذ ينبغي ان يؤدي المتهم رسوم الايمان « الاوتودافي » بحيث يرتدي الثوب المقدس ، ويوضع حبل حول عنقه ، وشمعة في يده ، ويمر على الكنيسة ليكفر عما فعل ، او ما لم يفعل (!) ٠٠٠ وكان

في الضمائر !



جاليليو



ابن رشد

دستور ديوان التحقيق يجيز محاكمة الموتى والقائين الذين يشتبه في ايمانهم وتصدر الاحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم ، مثل الاحياء تماما • فتصادر اموالهم ، وتقام لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق ، او تنبش قبورهم وتستخرج رفاتهم لتحرق ايضا !

وكان « الانجاز » الذي حققته هذه المحاكم هو انها خلال ١٨ عاما ـ في الفترة من ١٤٨١ الى ١٤٩٩ ـ حكمت باحراق ١٠ آلاف و ٢٢٠ شخصا وهم احياء • كما حكمت على ٦ آلاف و ٨٦٠ بالشنق بعد التشويه • وعلى ٩٧ الف و ٢٣ شخصا بعقوبات اخرى مخففة !

●

بعد خمسة قرون ، يعود البعض في ايامنا الى اسلوب قراءة الافكار ومحاكمة النيات والتفتيش في الضمائر •

تحاول ان تقول رايا ، فيجيئك الرد اتهاما !

لااحد يسال ماذا تريد • لا احد يناقش ما تقول ، او يحاول ان يتثبت من صحة اسانيدك وحججك •ولا احد يقيم ما تفعل • ولكنك تتلقى على الفور شيئا لا يمكن ان يخطر لك على بال • يجتمع « الاحبار المقررون » في لحظة ثم يصدرون حكمهم : مخرب • مشرك • كافر •

لا احد يستخدم عقله ومنطقه • ولكن الايدي السحرية الجبارة التي تملكها « الدواوين المندمجة » تمتد الى اعماقك • تفتش وتقلب الاوراق وتشخص الحالة وتقدم الحكم الى « الاحبار » ، ولا بد ان يكون بالاعدام والحرق ، السياسي والادبي !

وعبر التاريخ العربي ، كان اشهر اسلحة تصفية الخصوم هو التشكيك ، بالحق او بالباطل • التشكيك في الايمان،والتشكيك في الولاء، (دعك من نوع ثالث شهير في الشارع العربي وهو التشكيك في الرجولة) •

كان التشكيك في الايمان هو السلاح الامضى عندما كان الناس يعبدون الها واحدا ، سبحانه • وبرز سلاح التشكيك في الولاء عندما تعددت الالهة على الارض !

وقضية التشكيك في الايمان هي الاكثر قابلية للمناقشة الان ، لانها الاكثر تحديدا ، كما ان الفكر الاسلامي الصحيح له موقف واضح منها كما سنرى • بينما التشكيك في الولاء ـ رغم انه مرفوض كاسلوب ـ الا انه يحتاج الى بحث مطول يبدا بالتساؤل : الولاء، لمن؟ وكيف ؟

وتلح علينا قضية التشكيك في الايمان في هذه المرحلة بوجه خاص ، بعد ان استخدم هذا السلاح في معاركنا السياسية والفكرية • كانما لم يكتف اصحاب هذا المنهج بالاعدام الدنيوي ، السياسي والادبي ، لكنهم صاروا يطاردون اصحاب الراى المخالف في الاخرة،حتى يلقي بهم في الجحيم !

ونحن نقول ابتداء ان هذا المنهج ، فضلا عن كونه علامة تخلف فاضحة ، فهو ايضا بمثابة اشهار للافلاس • هو اعلان عن الضعف والعجز الفكري ، لان القاء الاتهام في الحوار الفكري لا يظهر الا في غيبة الحجة •

ولنذكر ان المشركين عندما عجزوا عن ان يصدوا دعوة النبي محمد عليه السلام الى عبادة الله وحده، ورفض عبادة الاوثان ،والمساواة بين البشر ••عندما لم يجدوا مايقولونه،

لجأوا الى نفس الاسلوب • قالوا عنه « ساحر او مجنون » .كما يروى لنا القرآن الكريم •

ولنذكر ان محاكم التفتيش ظهرت فى مناخ مماثل • عندما احست الكنيسة بان سلطانها مهدد امام بشائر العلم والفكر الفلسفى • عندما عجزت عن التصدى بالمنطق والحجة لما يقوله تلاميذ ابن رشد وتلاميذ تلاميذه الذين انطلقوا من جنوب فرنسا وايطاليا.وكان رجال الكنيسة والمتحالفون مع الاقطاع يرددون دائما « ان الجهالة أم التقوى ! » •

لقد قرر مجمع « لاتران » امام هذا الزحف المستنير أن يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد ، واعتبر الدومينيكان لعنة ابن رشد واتباعه نوعا من العبادة والقربى الى الله ! • هؤلاء انفسهم هم الذين حكموا بالكفر على « برونو » الذى قال بوحدة الوجود • واحرقوا جاليليو الذى قال بدوران الارض حول الشمس • واقرانهم فى مجمع سلامانك هم الذين وهم ايضا الذين عارضوا استخدام الحقن تحت الجلد • وقالوا ان تخدير المرأة لتخفيف الامها اعتبروا كريستوف كولومبس « مخالفا لاصول الدين » ، عندما ذهب يستكشف العالم الجديد• اثناء الولادة يصيبها باللعنة ، لان سفر التكوين يقول للمرأة في اصحاحه الثالث : بالوجع تلدين اولادا !

سيف الجلاد هو البديل دائما • واطلاق سهم الكفر والمروق هو الحل الاسرع للخروج من مازق العجز والافلاس •

●

تعالوا نرى اذن كيف حسمت قضية الايمان والكفر فى التاريخ الاسلامى منذ قرون••

عندما ذهب اسامة بن زيد يروى للرسول عليه السلام قصة المشرك الذى نطق بالشهادتين عندما رآه يصوب سهمه نحوه ، ولكن اسامة لم يبال وقتله • استمع الرسول الى القصة وسأله معاتبا : هل فحصت قلبه ؟ وفى « سيرة ابن هشام » ان اسامة بن زيد ظل نادما على ما فعل طوال حياته •

أراد النبى أن يقول له ، ولغيره ، ان الرجل اذا نطق بالشهادتين فهو مسلم • ولا يملك أحد على وجه الارض أن يحكم بكفره •

وهذا ما فعله على بن أبى طالب ، عندما رفض أن يوصف الخوارج بانهم كفار ، رغم أنهم شهروا السلاح فى وجهه ، وقال لمن حوله : بل هم مسلمون •

ومن اصول الاحكام الشرعية انه « اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ـ مرة اخرى : مائة وجه ـ ويحتمل الايمان من وجه واحد ، (واحد فقط) •• حمل على الايمان ، ولا يجوز حمله على الكفر » •

وفى كتابه « الفتاوى الشرعية » ، يرفض ابن تيمية وصف من اعلن اسلامه بانه كافر، ويقول أن التكفير هو أول بدعة فى الاسلام •

والامام الغزالى يذهب الى ابعد من ذلك • يقول فى كتابه « احياء علوم الدين » ان الشك فى الايمان كفر •

والى ابعد وابعد ، تذهب الفتوى التى نشرها الامام الشاطبى ضمن كتابه « الموافقات»• تقول الفتوى ان المهم فى تقييم المرء هو موقفه المرئى والملموس ، وليس قناعاته ومعتقداته، ونصها ان : « الكافر العادل افضل من المسلم الجائر ، لان الاول عليه كفره ولنا عدله ، والثانى له اسلامه وعلينا جوره » •

ماذا يقول احبارنا المقررون ؟؟

■■

فهمي هويدى



اذا فقد الطفل شهيته لاسباب مرضية فالطبيب يعالجه . اما اذا كان الطفل سليما وفقد شهيته فامه هى طبيبه الوحيد .

مشكلة تشغل كل بيت :

عندما يفقد الطفل شهيته !!

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ من المشاكل الكبرى التي تشكو منها كثير من الامهات هي مشكلة فقد الشهية عند الطفل . ولا يجوز أن تلام الام على ذلك . فان فقد الشهية عند الطفل من الامور المهمة التي ينبغي أن تعطى اهمية كبرى ، لا لان الموضوع ـ اجمالا ـ فيه من الخطورة ما يخشى منه دائما ، بل لان بعض الامراض قد تكمن وراء بعض حالات فقد الشهية .

فقد يسبب فقد الشهية عند الطفل ، في بعض الحالات ، الضعف العام والهزال ، وفقر الدم وهذه بدورها تؤدي الى فقد الشهية ايضا ..فيدور الامر ـ حينئذ ـ في حلقة مفرغة. وقد يؤدي الامر الى التأثير على نمو الطفل . كذلك فان الطفل الهزيل يكون هدفا سهلا ، ومرتعا خصبا ، لكثير من الامراض الانتانية ـ تصيبه وتفتك به ـ لقلة مقاومة جسمه الهزيل الضعيف لها .

لهذا كله ، فان الامر يتطلب الاهتمام لمعرفة السبب بعد دراسة الحالة واستقصائها والسعي لمعالجتها .

وثمة اسباب مرضية متعددة لفقد الشهية عند الطفل ..

ـ فالحميات ، والامراض الحادة ، والامراض الانتانية ، كلها تسبب فقد الشهية ـ بصورة مؤقتة ـ عند الطفل ، كالانفلونزا ، وذات الرئة ، وحمى التيفوئيد، وحالات الاسهال الشديد ، والحصبة وغيرها .

ـ كذلك فان الاصابة ببعض الطفيليات ، التي تسبب للطفل فقر الدم والضعف ، والهزال ، من ديدان وغيرها ، تسبب بدورها فقد الشهية التي تزيد الحالة عند الطفل سوءا على سوء .

ـ والامراض المزمنة ، سبب مهم من أسباب فقد الشهية عند الطفل ايضا ، كما في حالات التدرن بانواعه ـ وامراض الكلى ، وامراض القلب المزمنة ، وامراض الدم ، ونحو ذلك .

عند الطفل السليم

والذي يعنينا هنا ليس فقد الشهية عند الطفل المريض • فان ذلك من الامور التي تعطى فيها الاهمية لمرض الطفل نفسه وليس لشهيته • أما فقد الشهية عند الطفل السليم الجسم ـ السالم من الامراض والافات ـ فهو ما يعنينا هنا خاصة •

وقبل الخوض في الموضوع ، ينبغي ان ننوه هنا عن وجود بعض الحالات عند الطفل يخيل للام معها أن الطفل مصاب بفقد الشهية ، وهو في الحقيقة ليس كذلك •

ـ فالشهية عند الطفل قد تختلف من يوم لاخر، فيرى الطفل ذا شهية طيبة في بعض الايام ، فهو ياكل ما يقدم له ، بل ويزيد احيانا على ذلك فيطلب منه المزيد • وقد تقل شهيته ـ اياما أخرـ فلا يعود ياكل طعامه كله ، فيخيل للام أن طفلها مصاب بفقد الشهية او ما يسببه ذلك • ان هذه الحالة ـ زيادة الشهية يوما وقلتها يوما اخر ـ قد تحدث عند الكبار ايضا ، وليس فيها ما يؤذي او يضر • وليس في الكبار من لم يجرب ذلك مرة او مرات ، فلا يعير الامر التفاتا •

ـ وقد يقبل الطفل على أنواع معينة من الطعام ـ يحبها ويستسيغها ـ فيلتهمها التهاما ، ويعزف عن أنواع أخرى منها ، فتعافها نفسه فلا يقربها • فيخيل للام أن طفلها « لا ياكل » طعامه •

ـ وقد يكون الطفل صحيحا سالما ، وشهيته للطعام سليمة • ولكن الام تقارن طفلها بطفل اخر من ذويها ـ في مثل سنه مثلا ـ تراه ياكل بشهية كبيرة ، فترى طفلها ـ بالمقارنة معه ـ ليس ذا شهية طبيعية كاملة •

ان اكثر اسباب فقد الشهية عند الطفل السليم هي اسباب بسيطة يمكن تلافيها وتجنبها ، اذا ما عرفت الام أسبابها ، واطلعت على دوافعها ، من غير أن تلجأ لاستشارة الطبيب •

ـ قد تتبع الام عادات خاطئة عند تغذية طفلها • كاعطاء الطفل وجبات متعددة ، باوقات متقاربة ، رغبة منها في حصول الطفل على وزن أكبر ، وصحة أفضل : •• فيتسبب عن ذلك بعض اضطرابات الهضم التي تسبب فقد الشهية عند الطفل •

ـ وهناك بعض الحالات النفسية المهيجة للطفل، كالخوف والرعب ، والغيرة ، والحزن الشديد ، والفرح الشديد ، والقلق النفسي الناشيء من جو البيت ، او المدرسة ،، كلها قد تسبب فقد الشهية• وعلى الام ان تعمل على ازالة كل اثر من اثار التهيج النفسي من طفلها قبل جلوسه الى مائدة الطعام بوقت كاف •

ـ ان التعب والارهاق من مسببات فقد الشهية عند الطفل • فاللعب قبل الطعام ـ خاصة اذا كان من نوع عنيف كالركض ـ يتعب الطفل ويرهقه ، فيفقد شهيته للطعام • لذا فان على الام أن تستدعي طفلها قبل الطعام بمدة كافية ، فتنصحه بالذهاب الى الحمام ، وغسل يديه ووجهه ، والتهيؤ لتناول الطعام • وذلك بالجلوس ـ براحة واطمئنان ـ مع بقية افراد العائلة •

ـ كذلك يجب ان يراعي وضع الطفل ، وراحته عند جلوسه الى المائدة • اذ ينبغي أن يكون كرسي الطفل ملائما ومريحا ، وكذلك المائدة نفسها • كما ينبغي الانتباه الى الصحون ، والملاعق ، والاكواب ،لئلا تكون غير ملائمة للطفل،أو مزعجة له ، فينزعج من ذلك ، وتعاف نفسه الطعام •

ـ ومن ناحية اخرى ، قد لا يجد الطفل وقتا كافيا لتناول طعامه ، اما بسبب عجلة افراد العائلة في تناول طعامهم، أو عجلته هو نفسه• مما يسبب له بعض الارتباكات التي تفقده ـ بدورها ـ شهيته للطعام •

ـ كذلك فان الطعام كلما كان مظهره لطيفا جذابا ، وطعمه شهيا ، ورائحته زكية ، وطريقة عرضه مغرية جذابة ، كلما اقبل الطفل على تناوله بشغف اكبر ، وشهية افضل • ولا تنسى الام ان تتفهم ما يحبه طفلها من وجبات ، وما يسيغه من طعام فتعمل على الاكثار من اعداده له • فاذا ملّ تناوله ـ على مر الايام ـ تعمل على اعداد ما يحبه من طعام اخر ، فان لديها من تنوع الطعام ، وتعدد اصنافه ، ما يغنيها عن الحيرة ، ويجعل امامها اختيار نوع الطعام سهلا ميسورا •

ـ ولا يفوتن الام ـ عند جلوس طفلها الى المائدة ـ ان يكون جو الطعام بهيجا سارا ، تتخلله احاديث لطيفة مسلية ، وتبعد عن الاحاديث المؤسفة والمؤلمة، او القذرة للنفس ، ونحو ذلك •

ـ كما يجب ان يعامل الطفل ، وهو على المائدة، معاملة الكبار • فلا يلام على خطأ يرتكبه • فلا يوبخ مثلا ـ اذا سقط من يده شيء من ادوات

المائدة ـ كالملعقةمثلا ـ او بعض الطعام ، او غير ذلك • كما ان شهيته للطعام يجب ان تحترم ، فلا يلح عليه ، ولا يجبر ، على تناول نوع معين من الطعام دون اخر ، او الاكثار منه مثلا • حتى يشعر الطفل بانه عضو فى العائلة مثل بقية اعضائها الذين هم اكبر منه سنا •

ـ ويجب ان تدرك الام ان اكتساب عادات الغذاء، وتناول الطعام عند الطفل يجب ان يكتسب بتجربة الطفل نفسه ، فلا يجب ان تتدخل الام فى ذلك ، الا فى بعض التوجيهات والنصائح التى تخص اداب المائدة واصولها •

فقد الشهية العصبي

وهذه مشكلة كثيرا ما تختلقها الام نفسها • وذلك بان تقوم بالضغط على طفلها ، والالحاح عليه ، بتناول وجبات طعامه ، والتحكم فى نوعيتها وكميتها ، واوقاتها• فاذا رفض الطفل ذلك ، او مانع فيه ، تضطرب الام ، وتبدو عليها سيماء القلق واللهفة • وتروح تشكو الى زوجها ، وصديقاتها ـ امام الطفل ـ ما تلاقى من شقاء وماتعانى من تعاسة وبلاء ، خوفا على طفلها مما هو عليه من فقد الشهية و « عدم الاكل » ! وما تخشى ان يؤدى اليه ذلك من نتائج وخيمة •ثم تاخذ ولدها ـ مرات عديدة ـ فتزور به عيادات بعض الاطباء ، فتشكو من فقد ولدها للشهية ، وعدم تناول طعامه ، وانه قضى عدة ايام بدون ان « ياكل او يشرب » ، ومن غير ان « يذوق » شيئا من الطعام •• وانه« سوف يموت من الجوع» ••وهكذا كل ذلك والطفل يسمع ويرى ! فيطلع على امر كان يجهله قبل هذا ، وهو ماله من منزلة كبيرة ، واهمية عظيمة عند امه ويكتشف فيها نقطة من نقاط الضعف عندها ، فيزداد تعنتا وجبروتا ليلفت اليه الانظار ، وليحصل على قدر اكبر من المحبة والرعاية ، والاهتمام ، فتنغلق شهيته للطعام اكثر من ذى قبل •

ولعلاج مثل هذه الحالة ، يجب اولا ان تعتقد الام بخطل سلوكها ، وخطا تصرفاتها • وان تستطيع ضبط عواطفها ، والتحكم باعصابها ومتى ما تم ذلك فان امر العلاج يصبح سهلا ميسورا •

ـ تكف الام عن الالحاح على طفلها بتناول طعامه ، كما تكف عن الشكوى من فقد طفلها لشهيته امام الطفل او فى غيابه • وتحاول ان تنسى الموضوع بعد ان تطمئن من الطبيب عن عدم وجود سبب عضوى من اسباب فقد الطفل لشهيته •

ـ تضع الام الطعام امام الطفل فى موعد تناول الطعام • فان لم يتناول منه شيئا ، او انه قد تناول منه شيئا قليلا ، ترفع الطعام عنه بطريقة اعتيادية هادئة ـ لا باسف ولا بغضب ـ فاذا طلب الطفل ـ بعد مدة ـ بعض الطعام ، تفهمه الام ـ ببساطة وبلهجة اعتيادية خالية من الغضب اونحوه ـ انه لا يستطيع ان يتناول طعاما اخر حتى موعد الوجبة القادمة للطعام • فاذا تكرر ذلك ـ واعصاب الام هادئة ونيتها صادقة ـ فسيتغير الامر الى عكس ما كان عليه قبل ذلك ، فيصبح الطفل هو الذى يطلب الطعام ، ويجرى وراءه • فتزول الحالة ، وترجع شهية الطفل الى ما هى عليه عند بقية اقرانه ، وربما افضل من ذلك •

ـ ولتحذر الام ـ كل الحذر ـ من اجبار طفلها على تناول طعامه ، او ما تقدمه له من كميات كبيرة منه ، فان ذلك سيصيب الطفل بعسر الهضم ، وما ينتج عنه من اضطرابات هضمية كثيرة ، كتجمع الارياح المزعجة فى البطن والتقيؤ احيانا ، واستفحال امر فقد الشهية للطعام ، واضطرابات الامعاء ، ونحو ذلك •

ـ ونود هنا ان نذكر الام بانها لابد ان تكون قد اطلعت على حالة بعض العائلات التى تضم عدد كبيرا من الاطفال ـ خاصة العائلات المتوسطة وما دون المتوسطة ـ والضجة التى تقوم حول مائدة الطعام ، من تزاحم وتسابق ، وكيف ان الاطفال يتزاحمون فيما بينهم للحصول على اكبر كمية من الطعام • كذلك فاننا نذكرها :

كيف ان الام فى العائلة ذات الطفل الواحد ، تحمل وحدها مشقة التوسل لطفلها ، وعناء التضرع اليه ، ان يرحمها فيتناول طعامه • وقد تفقد اعصابها فتهدده ، بل وتضربه ، حتى ياكل طعامه!

ان على الام ان تحذر **مثل هذه التصرفات** ، وان تتجنبها ، فلن تجنى من ورائها غير النصب والتعب ، وان تجرب ما نصحنا به ، فترى حل المشكلة سهلا ميسورا • ■■

الكويت ـ **محمد صادق زلزلة**

البكتاشية ...

انتسبوا للإسلام
وأعفوا أنفسهم
من كل التكاليف والعبادات

بقلم : محمد موفاكو

المستشرق اليوجوسلافي

لم يتح للبكتاشية أن تنتشر في العالم العربي ، كما انتشرت في مناطق اخرى ، ولذا بقي الاحتكاك بها نظريا ولم يتخذ طابعا حياتيا . الا أن هذا لايعني أن البكتاشية لم تحظ بطوائف من المهتمين والمهاجمين والمدافعين في الشرق العربي . علينا أن نضيف هنا أنه ، لاعتبارات عديدة ، سيكون خط الدراسة متوجها الى البانيا ، المكان الذي يمكن اعتباره مهدا وقبرا للبكتاشية في امتدادها البلقاني .

■ اذا تركنا الحديث هنا لمؤرخ ، اكتفى بتسمية نفسه « احد علماء القسطنطينية » ، ليحدثنا عن البكتاشية ، سنجد ان اى بكتاشي قد يجد صعوبة في التعرف الفورى على بكتاشيته . فالبكتاشية عند هذا المؤرخ هى « اكبر الطوائف المشغولة باضلال المسلمين » ، كذلك فان البكتاشية « ليست شيعية بل مشركة ، ولما لم تستطع اضلال اليهود والنصارى اشتغلت باضلال المسلمين » ويؤكد هذا المؤرخ على أن البكتاشية هى امتداد للحركة القرمطية ، وان أحد رجال هذه الحركة المسمى « على الاعلى » هبط تكية الحاج بكتاش الولى فى الاناضول وتلبسه او البسه عقيدته زورا وبهتانا .

ماسبق ليس الا عينة من تفاسير جاءت لاحقة للتصفية التى حلت بالبكتاشية فى القرن ١٩ فى تركيا . ان ذلك الذى يمكن تسميته بالتطعيم النظرى ، الذى جاء البكتاشية من الخارج لا يحتاج ، الى رد . لقد كان هذا مجرد نموذج لما حدث آنذاك فى اوساط الطوائف المتمردة . ولن



كاتب المقال الدكتور موفاكو ترلي بنفسه تصوير دراويش البكتاشية ، وفي هذه الصورة يحتج احدهم على تصويره •

يكون من المتاح هنا تتبع خطوط هذا التطعيم النظري من الخارج ، وانما سنحاول فقط ـ في انتظار فرصة اخرى ـ ان نتابع ماطرا على جناح الحركة البكتاشية من تطورات ، لدى اقتحامها لوسط بشري جديد ونقصد الوسط الالباني في البلقان •

البكتاشية انتقلت الى البلقان ، بعد انتقال الاسلام واستقراره في هذه المنطقة من العالم • ولكي نستطيع أن نتفهم النمو اللاحق للبكتاشية هنا ، علينا أن ناخذ في عين الاعتبار جملة من الظروف التي احاطت بدخول الاسلام الى البلقان• فالاسلام الذي تغلغل هنا لم يكن نقيا ، بل مجملا ومشوبا بترسبات طارئة ، علقت به خلال مسيرته الى البلقان • كذلك فان الاسلام فتح البلقان دينا ودولة واستوطنه دينا ودولة • وهذه المسافة بين دين ـ ودولة كانت مصونة • فالمركز كان يرى في كل معارضة للدولة هي رفض لدين الدولة المعلن • وهذا الموقف ستجد البكتاشية نفسها فيه حين تتحول الى حركة معارضة • واخيرا ، فان الاسلام تغلغل في منطقة حبلى بالالام والصراعات، منطقة تبحث عن مهدي يفك لها آلامها • وجاء الاسلام ليحمل معه شحنة من عالم آخر ، زرعت الشك فيما هو سائد ، وساهمت في ابراز موجة جديدة الى السطح •

هذه الموجة جاءت تحت ضغط التماسات والاحتكاكات بين تيارات تمثل شتى الشيع والنحل وتحولت ،كامتداد لهذا الوسط او كانقلاب عليه، الى تربة صالحة لانعاش ايديولوجية تصالحية ، تستند الى ما هو سائد وترفض ما هو سائد • في مثل هذا يشار الى حركة مصطفى بركليجي ١٤١٥ ، تلك التي كادت ان تسيطر على البلقان، والتي اراد منها صاحبها نبذ التشيع بين الناس، والغاء الملكية الفردية ، واشاعة كل ما يحيط بالانسان ما عدا النساء • كذلك تجدر الاشارة الى حركة راهب كوستور في القرن ١٧ ، اي في القرن الذي بدا فيه انتعاش البكتاشية في البلقان • لقد نادى هذا الراهب بدين تصالحي بين الاسلام والمسيحية ، يعتمد على خليط منتخب ومتجانس من الديانتين • الا ان هذه الدعوة جوبهت برفض الطرفين ، اللذين حاول توحيدهما• فقد كفرته الكنيسة من ناحيتها وطردته من حظيرتها ، كما أن السلطة التركية لم تتقاعس عن مقاومته وملاحقته •

هذه الظروف تتيح لنا أن نتفهم كيف أن البكتاشية ، حين انتقلت الى البلقان ، وجدت وسطا مهيئا للاحتفال بها •

لقد انتشرت البكتاشية في البانيا كما لم تنتشر في اي مكان في البلقان او في العالم • ويرتبط دخول البكتاشية الى البانيا بشخصية غريبة هي سرسم علي ديديا S.A. Ledj. الالباني الذي عاش في نهاية القرن ١٥ وحتى منتصف القرن ١٦ • وتشير المعلومات الى انه كان وزيرا للسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) الا انه انسحب من البلاط في لحظة زهد، واعتنق البكتاشية ليعيش بعدها كدرويش في تكية الحاج بكتاش الولي • وفي عام ١٥٥٠ أصبح الشيخ الاكبر في هذه التكية قبل أن يتوفى في عام ١٥٦٩ . وقد اوصى بكل ثروته لبناء تكية في مسقط رأسه الالباني في تيتوفا Titova

الا أن هذه البكتاشية ، التي تسربت الى البانيا في منتصف القرن ١٦ ، كانت مجرد امتداد للبكتاشية في طورها التركي ، الذي تبدى منذ القرن ١٣ في الاقاليم المتاخمة للحدود في الاناضول ، حيث تعايشت هناك الوثنية والمسيحية بالاضافة الى دخول الاسلام اللاحق • وقد بقيت البكتاشية مادة خام لفترة من الزمن في البانيا ، اذ انها لم تتعد التلويح بالثار الشيعي لعلي بن ابي طالب وذريته ، وبالمقابل خلت تعاليمها من اية ميول ضد المسيحين او ضد الاديان الاخرى ، مما ادى الى ان تكون التكايا البكتاشية مفتوحة لكل انسان •

اضافة الى ذلك ، قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الخاصة ، فقد أحلت العضو من تأدية التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرها ، كما حللت له شرب الخمر وغيره من المحرمات • وفي مقابل هذا اقامت البكتاشية تكاليفها ومؤسستها الخاصة بها ، التكية ، التي خلت من وجود القبلة • فاجتماعات الذكر والتذكير للمراتب المختلفة ، التي تنوب عن الصلاة ، كانت تتخذ شكل الدائرة ، بحيث يقابل كل انسان وجه انسان آخر • وفي هذا يحتج البكتاشيون على الاتجاه الى قبلة معينة « اذ ليس لك افضل من ان تقابل او توجه ذاتك نحو انسان آخر » • وعلى ما يبدو ، لقد شجعت هذه الامور بالاضافة الى مناداة البكتاشية بوحدة الوجود ، على دخول قطاع من المسلمين ، ذلك الذي بقيت فيه رواسب المسيحية حيث وجدوا في البكتاشية حلا نوعيا يمكنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة واسلامهم المعلن •

مع هذا بقيت البكتاشية مجرد اتجاه اخواني لم يقترب بعد من السلطة ومشاكلها • الا ان البكتاشية سرعان ما ستشهد تطورا حاسما في العقد الثالث من القرن ١٩ ، ذلك الذي شهدت فيه البكتاشية تحولا حاسما في اتجاهين : سقوطا في تركيا وانبعاثا في البانيا •

ويرتبط انبعاث البكتاشية في هذه المرحلة بوجه الباني بارز هو البابا كمال الدين شميمي Babaj Qemaludin Shemimi ، ويذكر عنه انه كان استاذا في مدرسة سنية قبل أن يتحول للبكتاشية • وقد عاش لفترة في تكية الحاج بكتاش ثم عاد مع رفيق له الى مدينة كرويا Kruja الالبانية ، حيث اقاما هناك تكية للتبشير وقد تجولا بعدها طولا وعرضا في البانيا للتبشير بالبكتاشية ، قبل أن يحالفه الحظ في البانيا الجنوبية • حين اعلن علي باشا تبلانا A. P. Tepelana بكتاشيته على يد كمال الدين •

ويمكن أن يؤخذ اعتناق علي باشا للبكتاشية على كونه يشكل انعطافا ذا مغزى بالنسبة للبكتاشية في تطورها اللاحق الايديولوجي والتنظيمي • فمن المعروف أن علي باشا كان قد نجح ، على غرار معاصره محمد علي باشا في مصر ، في توطيد ادارة محلية تعترف بسلطته في البانيا الجنوبية والوسطى ، ومن ثم دخل في صراع مع السلطة التركية لانتزاع اعتراف من اسطنبول بالكيان الالباني • وربما يكون علي باشا قد وجد في البكتاشية ، التي تنادي بالثار الشيعي من السلطة التركية ، احتياطا له يمكنه من أن يعلن حربا قومية ودينية في آن واحد ضد اسطنبول • ومن هنا يمكن اعتبار علي باشا اول من استثمر البكتاشية في خدمة الميل القومي الالباني الذي يهدف الى الانفصال عن تركيا• ومن الطبيعي حينئذ ان تشهد البكتاشية تفتحها الالباني في عهد علي باشا ، اذ نجد ان التكايا البكتاشية اخذت من حينها تغطي المدن الالبانية هنا وهناك في البانيا الجنوبية اولا ، ومن ثم صعودا نحو الوسط والشمال • وقد هدف هذا الانتشار اذن الى تشكيل قاعدة شعبية مناهضة للسلطة التركية •

الا ان علي باشا هزم اخيرا في ١٨٢٢ أمام الجيوش التركية التي احاطت به من كل جانب ، وقد اعقب هزيمة علي باشا قيام السلطان التركي باجراء تصفية عنيفة للبكتاشية • وعلى حين أن تصفية البكتاشية جاءت قاصمة في تركيا ، تمكنت البكتاشية في البانيا من أن تنقذ نفسها بالتجائها الى الجبال ، قبل أن تعود ثانية مستغلة ضعف السلطة التركية •

لقد ادى بطش السلطة التركية بالبكتاشية في البانيا الى صدع عميق بين الطرفين ، اذ ان تكفير السلطة التركية للبكتاشية ، واعتراضها على انتساب البكتاشية للدين الرسمي

للدولة وبالتالى مقاومتها للبكتاشية اينما كانت، دفع بالبكتاشية الى ان تجد نفسها في المعارضة ، بل وفي زعامة المعارضة ، التى استعادت من حينها زمام المبادرة للمقاومة الطويلة للوجود التركي ٠ لقد ادى هذا أيضا الى ان تشهد البكتاشية تفتحا البانيا،بحيث تتميز به تماما عن البكتاشية التركية. وقد جاء هذا التحول في لحظة اخذ فيها الحس القومى الالبانى يطغى على كل شيء ، مع وضوح خطر تقسيم وابتلاع الاراضى الالبانية ٠

لقد انتج هذا الشعور بالخطر جيلا جديدا من البكتاشيين ، الذين ارتبطت مصالحهم اكثر فاكثر بحركة الاستقلال القومى ، وبالتالى ارادوا للبكتاشية ان تاخذ قلبا وقالبا البانيين ، كى تتمكن من قيادة حركة الاستقلال القومى ٠ ومن هذا الجيل يمكن الاشارة الى الاخوة فراشرىFrasheri (نعيم ـ سامى ـ عبدل) ٠

لقد عمل نعيم فراشرى (١٨٤٦ ـ ١٩٠٠)كثيرا على اقناع الآباء البكتاشيين في أن الالبانيين بحاجة الى شيخ أكبر البانى يتلقى منه الآباء تعاليمهم، لا أن يذهبوا الى تكية الحاج بكتاش التركية لكى ينالوا من هناك التوجيهات والتعليمات ٠ كذلك فان ن ٠ فراشرى ساهم فى اعطاء الايديولوجية البكتاشية امتدادا اجتماعيا ، يتناول ما هو متعلق من المشاكل الاجتماعية ، بحيث يسمح بتحول البكتاشية الى ايديولوجية معاصرة لوقتها ، الى ايديولوجية الثورة البرجوازية القومية ٠

اما عبدل فراشرى Abdul Frasheri فقد حاول من ناحية اخرى ان يضمن للبكتاشية وجودا فى زعامة الانتفاضة المسلحة التى كانت على وشك ان تنطلق مع عام ١٨٧٨ ٠ وقد ادى اقتراب انعقاد مؤتمر برلين حينئذ الى تعاظم الخوف من ابتلاع جديد للاراضى الالبانية ،ولذلك عقد زعماء الحركة القومية تحالف بريزرن Lidhja E Prizrenit فى ١٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٨ لدرء خطر التقسيم ٠ وقد زار ع ٠ فراشرى بعد انفضاض جلسة ١٠ حزيران عددا من التكايا البارزة ،وتمكن بمساعدة بابا علوش من استمالة غالبية الآباء البكتاشية الى ايديولوجية معاصرة لوقتها ، الى الانضمام للانتفاضة المسلحة ٠

وقد ساهم ايضا سامى فراشرى (١٨٥٠ـ١٩٠٣) بدوره فى تحويل البكتاشية عن سكتها الضيقة ، وبالتالى فى تعبئتها بمادة ايديولوجية جديدة ، تمثل فى روحها تطلعات البرجوازية الالبانية الناهضة ٠ويبدوهذا فى كتابس ٠ فراشرى الشهير « البانيا :ماذا كانت وما هى اليوم وكيف ستكون؟» ١٨٩٧ ، الذى اراده س٠ فراشرى أن يكون برنامج عمل لحركة الاستقلال القومى ٠ ففى هذا الكتاب تبدو بكتاشية سامى الالبانية التى امتصت منها الان الروح الدينية ، فى الفصل المتعلق بتنظيم الاديان فى البانيا المقبلة ٠فى هذا الفصل يستعرض س ٠ فراشرى تنظيم الاديان ، حيث ينتهى الى أن يربطها بوزارة المعارف أو العدل ، ويضيف س ٠ فراشرى فى موضع آخر أن رؤساء الاديان فى البانيا ، أى المفتى الاكبر للمسلمين والبطريرك للارثوذكسيين ورئيس الاساقفة للكاثوليكيين « سيكونون موضع احترام ، ولكن لن يتدخلوا الا فى امور العقيدة » ٠

لقد كدنا نغفل هنا ان هذا التطور الايديولوجى للبكتاشية الالبانية ، جاء موازيا لتطور آخر لحق البكتاشية ، فى امتدادها الالبانى ، من الناحية التنظيمية ، فالبكتاشية ، فى طورها التركى ، لم تكن اكثر من اخوانية ، على حين أن البكتاشية ، فى تفتحها الالبانى ، ستتحول الى حزب سياسى له تطلعاته فى سبيل سلطة ودولة خاصة به ٠ ولقد كان من الطبيعى أن تتخذ البكتاشية هنا طابع الحزب المراتبى ، الذى تتدرج فيه رتبة العضو ودرجته تبعا لاقدميته ونسبة ولائه والتزامه ٠ وقد اتخذ تدرج المراتب هنا الشكل التالى : عاشق ـ محب ـ درويش ـ مجرد (متفرغ فى التعبير الحزبى الحديث) ـ بابا ـ خليفة ـ مساعد الشيخ الاكبر ـ الشيخ الاكبر ٠

ولقد دخلت البكتاشية هنا بعد اكتمال تطورها الاولى ، فى معركة اخرى لتوضيح ذاتها ، الا وهى معركة اللغة والابجدية ٠ لقد اتخذت البكتاشية منذ البدء موقفا صارما فيما يتعلق بالتمسك باللغة الالبانية وعدم استبدالها بالتركية ٠ كذلك فان البكتاشية ساهمت بدورها فى معركة اختيار الابجدية الالبانية ٠ والمثير أن الآباء البكتاشيين رحبوا لفترة بالابجدية العربية ، الا انهم عادوا

وانقلبوا عليها وطالبوا عوضا عن ذلك بالابجدية اللاتينية . وبقوا متمسكين باصرار على ذلك الى ان سادت الابجدية اللاتينية، وقد تم هذا طبعابعد التطور الايديولوجي الذي لحق البكتاشية هنا والذي رأيناه سابقا .

وعلى نطاق اخر ، تمكنت البكتاشية ان تزيد درجة نفوذها بعد قيامها بالتعاون مع حركة « تركيا الفتاة »، في اتجاه قلب السلطان عبدالحميد الثاني . وقد كان هذا التعاون مرشحا للبروز وذلك للتقارب بين الحركتين ، ولا سيما ان بعض زعماء « تركيا الفتاة » (طلعت باشا ـ احمد رضا ..) كانوا ينتمون الى البكتاشية .

ولكن مع هذا الانتصار الذي حققه الطرفان في ثورة ١٩٠٨ ، فان البكتاشية ستجد نفسها مقصرة عن الوصول الى الامساك بالسلطة واستخدامها لصالحها .وفي جملة ظروف لاحقة عصفت بالبانيا، اندفعت كافة القوى السياسية الالبانية ، ومن جملتها البكتاشية ، الى ان تصيغ تحالفا سريعا اعلنت بواسطته استقلال البانيا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ ، ذلك الذي بقي معلقا الى ان اعترفت به الدول الكبرى في ١٣ يوليو (تموز) ١٩١٣ .

ومع أن الدستور المؤقت لم يتناول صراحةوضع البكتاشية في البانيا ، الا ان الخط الدستوري الذي نتج عن مؤتمر لوشني Lushnje ١٩٢٠ اعترف بالبكتاشية كطائفة مستقلة . وقد سن حينئذ هذا المؤتمر تقليدا يقضي بانشاء مجلس اعلى يحمل مهام رئاسة الدولة ، وقد نص هذا التقليد على انتخاب اربعة اعضاء يمثلون الطوائف الاربعة المعترف بها في البانيا وقتئذ : الطائفة الاسلامية ، البكتاشية ، الكاثوليكية ، الارثوذكسية . والاحصائية الوحيدة التي في ايدينا تشير الى ان عدد البكتاشيين ، غداة هذا الاعتراف ، وصل الى ٣٠٠ الف . اي ما يعادل ٢٥٪ من سكان البانيا في ذلك الوقت . ■■

محمد موفاكو
استاذ في فرع الاستشراق
جامعة برشتنا ـ يوجوسلافيا

■ الاحتفاظ بالزوج في هذه الايام وظيفة تستغرق من المرأة كل وقتها !

« هيدا هوبر »

■ ما اشبه هذا الرجل الذي ملأه الغرور بالديك الذي ظن ان الشمس لم تشرق هذا الصباح الا لكي تسمع صياحه !

« جورج اليوت »

■ رجل واحد يحمل رأسا فوق كتفيه ، افضل من مائة رجل بلا رءوس !

« الملكة اليزابيث الاولى »

■ قبل الزواج يقضي الرجل ليلته ساهرا يفكر في شيء قالته خطيبته ، وبعد الزواج يغلبه النعاس قبل ان تنتهي زوجته مما تريد ان تقول له !

« هيلين رولاند »

■ الحب فن ، مثل كل الفنون الاخرى ، في حاجة الى خبرة .

« ليدي كارولين لامب »

الاستعمار الثقافى

علال الفاسى

ارتبطت هموم علال الفاسي بكل هموم قومه العامة فى المغرب منذ شبابه الباكر ،فكان فيهم شاعرا واديبا وناقدا ، ثم صار مصلحا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا ، وكان له الاف من خيرة المريدين والانصار المخلصين ، نهجوا نهجه وقادوا حركة الاصلاح معه وبعده وهو كاحرص الزعماء على الاسلام والعروبة ،كما انه من اشد الداعين الى حرية الفكر ، لاعتقاده - اسلاميا - ان العقل اهل لهداية الانسان فى شتى وجهات الحياة (توفى سنة ١٩٧٥) .

يعرف المستعمرون كما يعرف غيرهم ان القوة لا دوام لها ، وان التحكم فى الشعوب واستغلال خيراتها لا يؤثر شيئا اذا احتفظت الامة بكيانها المعنوى ووجدانها الخاص ، والامم لا تتكون الا من الافراد وبقدر ما يحتفظ اشخاص الجماعة بخصائصهم الاعتقادية ومميزاتهم الثقافية بقدر ما تسلم الامة من الفناء ولو طال امد استعمارها واشتد بها مكر اعدائها .

يعرف المستعمرون كل هذا ويقدرونه، ولذلك يبذلون كل ما يستطيعون من جهة لانتهاز فرصة احتلالهم لبلاد ما للعمل على اقرار نفوذهم الروحى وسيطرتهم الثقافية ، فهم لا يفتأون ينشرون لغتهم ويبشرون بدياناتهم ويدعون لحضارتهم ويبثون اساليب حياتهم وأشكال تقاليدهم عساهم ان يخلقوا من البلاد المستعمرة امة على صورة بلادهم ويجعلون من افرادها اشخاصا مماثلين فى الفكر وفى الاتجاه لما عليه المستعمرون .

وقد نجح الاستعمار البريطانى فى خلق امم كثيرة على غرار بريطانيا ثقافة ولغة ودينا وذهنية ، وبذلك استطاع الانجليز ان يحفظوا مركزهم المعنوى فى كثير من مستعمراتهم السابقة التى أصبحت تعتز بتبعيتها السكسونية، ولو عادت الانكليز وطالبت باستقلالها عنهم ، ولم ينجح الانكليز فى ارلندا فقد احتفظت بلغتها وثقافتها الخاصة بها ولذلك فهى لم تقبل السير فى فلك الانجليز على الرغم مما جره لها ذلك من عزلة ومن عناء .

ان الاستعمار الثقافى يرمى الى محو الثقافة المحلية اولا بالقضاء على الدين او تأويله بالاساليب التى تتفق مع رغبة الاستعمار ، وبالقضاء على

الفكر القومي المستقل عن كل اعتبار خارج عن مصلحة الوطن ومصلحة الجماعات التي تعيش فيه • واحلال الثقافة الاجنبية محل ذلك كله لجعل الشعب المفتوح ذا صبغة تستمد كل روائها واثرها من عناصر الحياة التي يختارها المستعمر ويريدها • فاشكال الحكم ومواد التشريع واجراءات القانون والتشريعات ومظاهر الرسميات والالبسة وكل شيء يجب ان يكون صورة طبق الاصل لما هو قائم في الوطن الوالد كما يقولون • وكل ذلك يقوم على اساس ان مقاييس السمو يجب ان تصبح في نظر الشعب المستعمَر هي ما قام به المستعمرون في بلادهم وما اختاروه لانفسهم • وان المأساة عميقة ، انها غرس الاعتقاد بقوة المستعمر وتركيز مبدأ امتيازه علينا • انها محو لانسانيتنا وتحقيق لانسانية الدولة المستعمرة •

واذا نحن نظرنا للبلاد العربية بهذا الاعتبار يمكننا ان نقول ان الاستعمار الثقافي نجح الى حد كبير في تحقيق اهداف الدولة الاستعمارية في بلادنا • فبرامجنا الثقافية ، وقوانيننا ، واساليب حياتنا ، كل ذلك على غرار ما رأيناه عند المستعمرين • اخذناه جميعا دون بحث ولا تمحيص ، تقديسا منا للغالب وقوته • وظهرت آثار ذلك كله في افكارنا وفي اتجاهاتنا، ففي سياستنا الخارجية لا نستطيع ان نفكر ولو في خلواتنا بحياة مستقلة تماما عن اطار ما يسمونه « العالم الحر » اي عالم الانكليز والاميركان • ولو رجعنا لانفسنا لقلنا اي فرق بالنسبة الينا بين عالم يقوم على هذه الحضارة الفرنسية التي استعمرتنا ؟ الم تكن الديمقراطية في بلادنا غرسا للاحتلال الاوروبي ؟ ولو استعمرت بلادنا « لا قدر الله » دولة فاشية او شيوعية اما كنا نصبح بعد عشرات السنين متأثرين في افكارنا بمظاهر الاشتراكية او النازية ؟ لم لا نعتبر الجميع بالنسبة الينا سواء ؟ وفي حياتنا الداخلية لم نعد نستطيع التفكير في موضوع ما ، الا بناء على أصول جاء بها اليمين او اليسار الاوروبي،ولن تسمع منا الا ان الشعوب المتمدينة تفعل كذا او كذا ،لقد تنازلنا عن كل تفكير حر ، وكل نظر صحيح ، ولم نعد نعتبر الاشياء الا بمقياس الغرب ، وهكذا وقعنا في استعمار ثقافي عبّد روحانيتنا وقضى على كياننا •

لا تحسبوا انني من الجامدين الذين يرفضون الاقتباس من الغرب او يريدون العودة الى حياة الغاب ، ولكنني من الذين لا يريدون تجديد الجمود من الذين لا يريدون ان نعبّد أنفسنا لثقافة اجنبية عنا مطبوعة بطابع الدول التي استعمرتنا ، اريد ان نكون من العرب الذين اقتبسوا من كل العالم ثم صهروا ما اقتبسوه وبلوروه في هذه الحضارة العربية الاسلامية التي ورثناها، يجب ان نعرف اننا مجموعة شعوب خاصة ، لها ماضيها المجيد ، ومثلها العليا، ومبادئها في الفكر ، وطرائقها في النظر ، واساليبها في الحياة ، وانه لا يصح لها ان تتنازل عن كل ذلك ، لتستحل عوضا عنه مثل المستعمر وطرائقه وأساليبه ، والا قضينا على انفسنا بالفناء المعنوي ، والتبعية الفكرية وذلك شر من تبعية الاجسام •

ان في مقدمة مثلنا العليا هذه الروح الاخوية التي تربط بين مسلم



الشرق ومسلم الغرب ، والتي تجعل من الذى ينطق العربية عربيا ولو كان من اصل حبشي ، وذلك ما يعني الابتعاد عن كل الاقليميات او السلاليات • فلو اخلصنا لمثلنا الاعلى ، أكنا نجد صعوبة في تحقيق وحدة هذه الدول العربية اولا ضمن ولايات عربية متحدة كمقدمة لوحدة اسلامية كبرى ؟ لو اخلصنا لمثلنا ما كنا نسمح لانفسنا بالتفكير الوطني الضعيف الذى يجعل مصلحتنا الخاصة اسمى من مصلحة العرب اجمعين واحرى من مصلحة جميع المسلمين ؟ واذا كنا لا نخلص فمن اين جاءنا الفكر المحدود في الوطن المحدود• اليس ذلك من أثر الثقافة الغربية التي وجهتنا نحو الخطأ الذى سارت فيه اوروبا • نعم ايها الاخوان ان اوروبا استمرت متحدة الف عام كامل تحت قيادة البابا ، حتى اذا تكون الاصلاح البروتستانتي ونشأت القوميات الضيقة ـ تفرقت اوروبا دولا وجماعات ، واصبحت تتحارب فيما بينها ويتكتل بعضها ضد بعض ، وذلك ما يريد الفكر الغربي المتسرب الينا، ان يخلقه فينا، يريد ان يوسع اسباب الفرقة بينناحتى نتحارب فيما بيننا تماما كما يفعل الاوروبيون، لان ثقافتهم تريد ان تجعل منا رسما على صورتهم •

وان أهم طابع امتازت فيه طرائقنا في الحياة هو حب العدل وتقديسه الى اعلى درجات القدس ، ولكننا اليوم نعتبر العدل شيئا شكليا ، فالاجراء والحيل هي وحدها التي تهيمن علينا ، لان ذلك ما تعلمناه من اساليب الغرب القانونية ، واخلاقنا كانت تقوم على الصدق والوفاء اما اليوم فقد علمتنا اساليب الغرب ان كل ما ليس بقانون فليس بخلق •

فالاستعمار الثقافي اذن اخطر علينا من كل استعمار ولن نتحرر منه الا اذا صممنا العزم على العودة لانفسنا وهدم كل ما بثه المستعمر في اعماقنا وفي اوطاننا والا اذا قبلنا ان نمتحن كل شيء تعودناه ، ثم البداية في البناء من جديد •

ان اليوم الذى تفكر فيه الامة العربية تفكيرا عربيا يقوم على العقل الصحيح وحده دون تقليد ولا اقتداء للاجنبي هو اليوم الذى نتحرر فيه نهائيا من ربقة الاستعمار •

علال الفاسي

قصة قصيرة

مصرى

بقلم : زينب صـادق

■ قالت لى عاملة التليفون : « أن هناك رجلا يريد محادثتى .. » اسم الرجل من بلدى . احمل له رسائل وهدية . الاهل يبحثون دائما عن مسافر الى بلد الغائب يعرفونه ليحملوه رسائل وهدية .. اعتذرت للرجل عن عدم اتصالى به مباشرة عند وصولى . وقال : « انه يقدر انشغال الفرد عندما يصل الى بلد غريبة » .عزمنى على تناول الشاى معه واسرته وتمضية نزهة الاحد المسائية معهم .قال : «انه سيحضر بسيارته لاذهب معه » . سالنى : «ان كان معى مصريون اخرون؟»

قلت : « اربعة » .قال : « يمكننى ان اصحب معى فردا واحدا » .

وجدت زميلتى تصفف شعرها . سالتها ما اذا كانت تريد أن تذهب معى فى نزهة الاحد المسائية مع مصرى واسرته . هللت للفكـرة وقالت بفرحة طفولية : « اننا لا بد سنذهب مع ابن بلدنا الى ملهى ليلى ونرقص ونقضى على هذا الملل الطويل المسمى بالليل الاوروبى » .

فى الموعد نزلت وزميلتى لننتظر الرجل بجوار باب المسكن الذى ننزله . سالنا احد زملائنـا الثلاثة : اين نحن ذاهبتان ؟! قالت زميلتى بثقة « اننا ذاهبتان مع صديق من بلدنا لنزهة يوم الاحد المسائية » .قالتها بمعنى أننا لسنا فى حاجة الى صحبتهم . فهم يتركوننا كثيرا لمصاحبة بنات اوروبا ولم نعد نهتم بخروجهم .

قال زميلنا : « انه يتمنى لنا سهرة مفيفة .. »

جاء الرجل فى موعده تماما . وكانت سيارته كبيرة مما جعلنى اتعجب انه لم يدع سوى اثنين . ابتسمت ، انها العادات الاوروبية .

جلست فى المقعد الامامى بجانبه . وجلست زميلتى فى المقعد الخلفى ..

اسمر . شعره مجعد اسود تتخلله شعيرات بيضاء .متوسط القامة .ملامحه مصرية . قال : « انه يسكن فى ضاحية بعيدة الى حد ما » . قال: «ان معظم الاوروبيين يفضلون السكن فى الضواحى بعيدا عن ضوضاء المدينة . والرجل الاوروبى يعتقد انه كلما بعد مكان عمله عن مكان مسكنه يكون هذا مريحا لاعصابه وافضل لصحته » . وبدأ الرجل يحكى لنا تاريخ حياته . ربما ليسلينا فى الطريق الطويل . وربما ليتحدث فقط بلغتنا . او ليقول لنا انه بالرغم من اغترابه وتقليده الرجل الاوروبى فى اختيار مسكنه البعيد عن المدينة فهو مصرى .

وكنت اعرف شيئا من خلفية حياته التى بدأ يحكيها لنا .

كان زعيما وطنيا . وافلت باعجوبة من السجن فى عهد الملكية .. وقرر اهله أن يرسلوه الى الخارج ليكمل تعليمه بعيدا عن المظاهرات والشغب والسجن وتضييع المستقبل .

كان الولد الوحيد بين خمس بنات فلم يرض الاهل أن يضيع مستقبل الولد . انتهى من دراسته الجامعية وعاد بعد الثورة سعيدا بتحقيق اماله الوطنية . لكن حكومة الثورة وجدت وطنيته متطرفة . وافلت باعجوبة ثانية من السجن وعاد الى اوروبا ليكمل دراسته العليا .

لم عمل • احب • تزوج • وانجب اربعـــة • ابنين وبنتين • كان قد قرر مع زوجته ان ينجبا اثنين فقط • ابنا وبنتا • فى المرة الاولى انجبا ابنين فى بطن واحد • وقالت الزوجة : « انها تريد بنتا » فانجبت بنتين معا •

ضحك • وضحكنا •

قال الرجل بشىء من الحزن «انه لم يعد يجازف ويفكر فى العودة الى بلدنا • ماذا لو منعـوه من الخروج • ماذا لو انتهزوا فرصة عودته وسجنوه• ماذا لو حرم من اطفاله • واصبح يكتفى بسماع اخبار بلده من بعيد • ومن ابناء وبنات مثلنا عندما نذهب للدراسة او العمل او السياحة » • وتهدج صوته وهو يقول • « وحشتنى بلدى » •

قالت زميلتى ـ « وهل انت هربت من السجن مثلا فتخاف ان يعيدوك اليه ؟!»

استعاد حيوية صوته وقال لها :

ـ فرق كبير بين كلمة هربت وافلت • هربت تستعمل اذا كنت فعلا مسجونا ودبر هربى باى طريقة •

افلت معناها انه كانت هناك نية لاعتقـالى وشعرت بها فافلت منها •• وقد استعملت كلمة افلت فى حديثى •• الا تعرفين اللغة العربية ••

قالت زميلتى ، ويبدو انها تضايقت فايقظت عقلها لترد عليه :

ـ اذا كانت هناك كما تقول نية لاعتقالك وشعرت بها فكيف استطعت السفر ! وفى مثـل هذه الحالات توضع اسماء من يريدون اعتقالهم فى قائمة سوداء توزع على المطارات والموانىء البحرية وايضا مصلحة الجوازات •

ضحك الرجل بعصبية وقال :

ـ فى هذه الحالة أكون قد هربت فعلا •

لم نظر فى ساعته وقال : اننا سنتأخر عن موعد الشاى وستغضب زوجتى • سألته زميلتى « لماذا لا يسرع » • فقال : « ان قوانين المرور تحدد السرعة فى كل طريق وهو لا بد ان يسير تبعـا لها •• »

وقد لاحظت كيف يحترمون القوانـين فى هذه البلاد ، لكن يبدو ان الرجل الغريب يحرص على تنفيذها أكثر مما يحرصون هم •• وكانت المسافة طويلة فعلا الى ان وصلنا الى ضاحية اشبه بالقرية •

صعدنا الى منزله • دخلنا خلفه الى شقته وخلعنا معاطفنا لنعلقها بجانب الباب علـى



الطريقة الاوروبية • وظهرت زوجته الاجنبية وهي تقول موجهة الكلام اليه بلغة بلدها :

- مصري ••لقد تاخرت ••واعتقد انك سرحت وانت تقود السيارة او كنت تحكي لهما تاريخ حياتك •

تقدمت منا تسلم علينا • قلنا اسمينا حتى نعفي الرجل من عملية التذكر • جلسنا في حجرة المعيشة خلف مائدة صغيرة معدة باكواب الشاي واطباق الحلوى • وجاء الولدان والبنتان • ملامحهم مثل امهم اوروبية • تحدثنا• زميلتي وانا عن بلدنا • والزوجة من حين لاخر تملأ لنا الشاي وتقدم الحلوى وتسال « مصري » ان يشرح لها ما نقوله او تساله ان يقوم ليحضر لنا مزيدا من الماء الساخن للشاي • وقد رايت تصرف الرجل الاوروبي في بيته لكن « مصري » يفعل اكثر مما يفعله الاوروبي :

قال - « زوجتي تناديني بالمصري • واختصارا تقول •• مصري • واشتهرت هنا باسم مصري لا احد يعرف اسمي الحقيقي من أهل الضاحية »•

وابتسم بشيء من العصبية وقال :

- « زوجتي احبت مصر من حكاياتي عنها •ومن الصور • ومن احاديث الاصدقاء ابناء بلدي الذين يحضرون هنا •• مثلكما » •

قالت الزوجة - « اعرف مصري منذ خمسة عشر عاما • ومنذ ذلك التاريخ وهو يعدني بزيارة مصر ، لكن دائما تصادفنا اشياء تعطلنا • اولا عدم امكانية السفر المادية • ثم جاء الابنان • وقال مصري انه يريد بنتا • ثم جاءت البنتان • وعادت مرة اخرى عدم امكانية السفر المادية ••»

تبادلت مع زميلتي نظرة • ووقف « مصري » معلنا عن بداية نزهة الاحد •• ارتدينا معاطفنا وتعجبت مع زميلتي • لماذا الاطفال سيخرجون معنا ؟!

في جو رمادي قاتم نزلنا في طريق مثل الزراعة في قرى ريفنا سرنا • الترعة نصف جافة والارض عطشى • والعائلات في البلدة يسيرون مثلنا في الطريق المقفر • يصحبون الاطفال والكلاب ويحيون بعضهم بعضا ، منظرهم ذكرني بمنظر الاجانب وهم يتركون بلدنا قبل حرب « ٦٧ » • انقبضت نفسي لهذه الذكرى • كان منظر الاجانب وهم يغادرون بلدنا يثير تساؤلي ويقبض قلبي •كانهم كانوا يقولون لنا : « لتهدم بيوتكم على رؤسكم • مالنا ومالكم •• اردتم التحدي •• فموتوا وحدكم » • خيل الى ان سكان القرية في هذا الجو الرمادي القاتم اشباح ، وجوههم بيضاء ، ابتساماتهم باردة • والمصري شبح اسمر اللون يتحدث بلغتهم • يتصرف مثلهم• اطفاله مثل اطفالهم لا يعرفون كلمة عربية • ومع ذلك فهو شاذ وسطهم •

همست زميلتي لي - يا خبر اسود •• هل هذه نزهة الاحد ؟!

همست لها - لا يبدو في المكان شيء مما كنا نتوقع •

همست لي - دعوة زميلنا علينا اصابتنا •

ابتسمت • ووقفت أتامل المنظر •

مثل صورة من الصور الكلاسيكية القديمة • الجو قاتم •• ساكن • والزرع صامت •

تخيلت نفسي بطلة في احدى الروايات الكلاسيكية ، خرجت بفستانها الطويل في هذا المكان لتقابل حبيبها تختبيء خلف الاعشاب عندما تسمع صوتا • وياتي حبيبها من بعيد مناديا اسمها• وفي حركة راقصة رشيقة تجري اليه ويحتضنها•• وعندما بدأت أتخيل الحبيب الذي يشاركني هذه « اللقطة » ناداني مصري لالحق بهم • لارى « جراج » سيارته الذي صنعه بيديه • قال ان أهل البلدة صنعوا « جراجات » سياراتهم بايديهم وهو لم يشذ عنهم فصنع « جراج »سيارته ايضا• مررنا امام « جراج » مفتوح في داخله قارب بخاري ورجل وزوجة يعملان • وقف « مصري » يشرح لنا ماذا يفعل الرجل كاننا في متحف وهو يحكي قصة كل قطعة اثرية •

- « هذا الرجل يقوم بصناعة قارب بخاري كل شتاء ويبيعه في اول الصيف ويعيش من ثمن بيعه ويصنع غيره وهكذا •• وزوجته تساعده كما ترون •• »

نظرت حولي في هذا الجو الرمادي • قرية بعيدة عن البحر والبحيرات ورجل يصنع فيها قاربا • شكل القارب غريب وهو مكان السيارة في « الجراج » • شكل المصري غريب مثل القارب •• ليس في مكانه •

امام الجراج كانت طفلة في عربة اطفال ملتفة

بقطاء من الصوف • قالت لى الطفلة وهى تشير الى ما يصنعه ابوها :

ـ هذا قارب •

ابتسمت لها •

قالت ـ هذا قارب ابى ••

قلت ـ هذا جميل ••

ابتسمت الطفلة • واخترق صوتها الرقيق هذا الصمت القاتم ليبدده فى نغمة فرحة وهى تشير الى عروسة فى يدها •

ـ هذه عروسة •

ابتسمت لها •

قالت ـ هذه عروستى انا ••

قلت ـ انا اعمل فى مصنع عرائس •

قالت ـ عندك عرائس كثيرة ؟

ـ نعم •• هل احضر لك واحدة ••

قالت وهى تحتضن عروستها ـ هذه عروستى انا ••

ربت على رأسها •كانت النغمة الحلوة الوحيدة وسط قتامة وضباب هذه القرية • التفت الى اطفال المصرى ••كانوا يستمعون الى حديثنا ولم يشتركوا • ولم يبتسموا •

احتوانى شعور مبهم بالاستمتاع بكل ما يحيطنى بالرغم من قتامته •

قال مصرى ـ « عائلات البلدة يخرجون هكذا فى نزهة الاحد بعد تناول القهوة والشاى والحلوى • اما الشبان والفتيات فيذهبون الى الحانة ليشربوا ويرقصوا ويحلموا بالمستقبل » •

كانت نبرات صوته حزينة قاتمة عندما تحدث ، ولاول مرة الاحظ تجاعيد وجهه •

قلت سارحة كانى احدث نفسى :

ـ وانت يا مصرى ما هى احلامك ؟

التفت الى كانه فوجىء بسؤالى • وقال :

ـ احلامى لم تتحقق تماما كما اردتها ••احلامى كانت فى بلدى ••

لم ابتسم هذه الابتسامة العصبية وقال :

ـ وهل يوجد انسان تتحقق احلامه تماما ؟!

همست لى زميلتى ـ ليتنا نذهب الى الحانة ••

نظر الرجل فى ساعته وقال انه سيوصلنا كما جاء بنا • وقالت زميلتى ان المسافة بعيدة وقد قطعها مرتين واننا سنعود فى « المترو » •وافقت على كلامها ولم يعترض المصرى • اخذت الزوجة الاطفال بعد أن سلموا علينا وسارت الى المنزل• وجاء « مصرى » معنا الى محطة « المترو » •

قال ـ اشكر لكم هذه الزيارة والهدية التى حملتموها لى من اهلى وقبلوا ارض مصر نيابة عنى ••

قالت زميلتى ـ « الذى يريد ان يقبل شيئا يأتى اليه ويفعل هذا بنفسه » •

قال ـ «طبعا سافعل هذا يوما•• هل تشكين فى مصريتى ؟!»

وعندما جلست امام زميلتى فى « المترو »

قالت ـ كاذب ••كيف يشتاق الى بلدنا وهو قد اصبح مثلهم تماما •ليس مثل اهل هذه البلاد بل مثل اهل هذه القرية •• »

لم ارد أن اتحدث واتناقش معها ، واقول انه لم يصبح مثل اهل هذه البلاد وفى الوقت نفسه لم يعد مصريا • لم ارد أن ادافع عنه ولا أن اوافق على رأيها • صمت •• نظرت خلال زجاج نافذة « المترو » الى الاضواء التى تنير الطريق مثل الطريق الزراعى •• اضواؤه باهتة من رطوبة الجو الساكن البارد •

صورة اخرى من الصور الكلاسيكية القديمة • تخيلت نفسى بطلة احدى الروايات الكلاسيكية القديمة خرجت فى عربة يجرها حصانان لتقابل حبيبها الذى ينتظرها بشوق وقلق • فى هذا الطريق الزراعى ذى الاضواء الضبابية الباهتة يلمح الحبيب العربة ويفرح انها جاءت • ويصعد ليجلس بجانبها ويقول لها عن قرار مفاجىء••• انيهربا معا • تفرح للقرار ويغيبان فى قبلة •

وعندما بدات اتخيل الحبيب الذى يشاركنى هذه « اللقطة » •

قالت زميلتى ـ لا تقولى لزملائنا عن خيبة املنا فى نزهة الاحد•• لابد أن تتخيل حكايات جميلة••» ابتسمت وانا اقول :

ـ « كل ما تخيلت حكايات قديمة كلاسيكية لا تصلح ان احكيها » •

نظرت الى بدهشة متسائلة ••وكان من الصعب ان احكى •

قلت ـ « تشغلنى حياة « مصرى »•• ■■

زينب صادق

مسابقة
العربى

بدوى الجبل من هو ؟



* مسابقة هذا العدد تشتمل على ثمانية اسئلة متنوعة ‥ تنقلك من العلم والاقتصاد الى الجغرافية والشعر ‥ والمطلوب منك معرفة الاجابات الصحيحة على كل الاسئلة ‥ ومعظم الاجابات يمكنك انتجدها بين سطور المقالات التىنشرت فى اعداد العربى خلال عام ١٩٧٦ .

١ ـ نتيجة استغلال مياه نهر الفولجا ، تناقصت المياه بكميات كبيرة فى بحر او بحيرة يتقاسمها الاتحاد السوفيتى وايران ‥ وينوى الروس تفجير نحو ٢٥٠ قنبلة نووية لتحويل مياه بعض الأنهار عن مجراها الطبيعى لتصب فى ذلك البحر المغلق واسمه :

البحر الاسود ـ بحر قزوين ـ البحر الميت .

٢ ـ تاج محل فى خطر ‥ هذا ما اعلنته مجموعة من خبراء علم البيئة العالميين‥ وهذا الاثر التاريخى الذى يعتبر من عجائب الدنيا ، بنى من المرمر الناصع البياض بدقة تجعلك تحسبه من صنع الجن لا الانس ‥ ومأساة هذا الاثر ان ما بين ١٠ و ٤٠ ميكروجرام من ثانى اكسيد الكبريت تترسب سنويا على مرمره الناصع نتيجة للدخان ومخلفات المصانع التى انتشرت قرب تاج محل الذى اقامه الامبراطور شاهجهان لزوجته الملقبة :



نورجهان ـ ممتاز محل ـ شهرزاد .

٣ ـ بدوى الجبل لقب اطلقه صاحب جريدة «الف باء» الدمشقية على شاعرمقلق اصبح وزيرا ‥ وقد عاش شاعرنا انضر سنوات حياته فى تشرد واغتراب وتساؤل متى الاياب ‥ وهو يوقع قصائده ومقالاته حتى اليوم باسم بدوى الجبل الذى اشتهر به وعرف به ، وكاد الناس ينسون اسمه الحقيقى :

سليمان العيسى ـ محمد سليمان الاحمد ـ محمد عبده عزام .



٤ ـ اكبر السدود المائية فى السعودية ، اقيم فى مضيق بين جبلين وملتقى لخمسة اودية جبلية ،والبحيرة التى ستتكون عند السد تبلغ سعة مخزونها ٧١ مليون متر مكعب من الماء ، وهكذا زادت مساحة الارض المروية ريا دائما بحوالى ٨ الاف هكتار ‥ وهذا السد الذى انتهى العمل فيه عام ١٩٧٠ هو :

سد الظهران ـ سد الهفوف ـ سد جيزان .

٥ ـ من العشرين الف نوع من النحل الموجود على الارض امكن ترويض اربعة انواع منها على نطاق واسع ، وكل هذه الانواع تعيش فى مستعمرات وفق نظام اجتماعى معقد يعتمد على التباين الطبقى : الملكة والشغالات والذكور ‥ والملكة عبارة عن ماكينة ‥ ترى ماذا تنتج هذه الماكينة :

عسل ـ شمع ـ بيض .

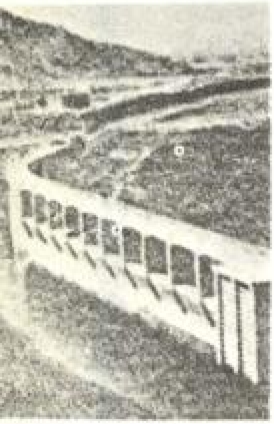
و٧ أسئلة أخرى وجوائز مائة دينار

٦ ـ نعم ، كان رجلا مؤمنا عميق الايمان ومسلما حريصا على التزام الفضائل ما تيسر ذلك ·· ولكنه كان اولا وقبل كل شيء رجل دنيا : يحب الحياة ويطلب المال والجاه والنساء ·· اما الذى يميزه فهو شوقه العظيم الى المجهول ·· يريد أن يرى كل شيء ويجرب كل شيء ·· انه ماركو بولو العربى ·· رحلاته استمرت ٢٨ سنة و ٤ شهور ، قطع خلالها نحو ٧٥ الف ميل ··

فمن هو هذا الرحالة العربى الشهير الذى توفى عام ١٣٦٩ ؟

٧ ـ جاليليو جاليلى احد عظماء الطليعة العلمية ، عندما اقترب اجله ، كان قد تحول الى هيكل انسان،ومع ذلك بقى يناضل مع غوامض الكون حتى آخر لحظةفى حياته ، بعد ان خلد اسمه بصنعه :

الميكروسكوب ـ التلسكوب ـ البوصلة ·



٨ ـ مؤسسة عربية تضم ١٤ دولة عربية توفر الضمان والتعويض والتامين لرءوس الاموال العربية ضد المخاطر غير التجارية ، اى ضد المصادرة والتاميم وفرض الحراسة ، ونزع الملكية والاستيلاء الجبرى ·· وتضمن المؤسسة كذلك للمستثمر العربى امواله حتى فى حالة الثورات والاعمال الحربية او العسكرية ··

وهذه المؤسسة العربية الفريدة من نوعها فى عالم معاصر اسمها :

ـ الصندوق العربى للانماء الاقتصادى و الاجتماعى ·
ـ صندوق النقد العربى ·
ـ مؤسسة ضمان الاستثمارات العربية ·

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ·
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ·
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
● مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٠ » ·
٤ ـ آخر موعد موصول الاجابة الينا فى الكويت اول مايو (ايار ١٩٧٧ ·



الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كيتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا · الجائزة الثانية ٢٠ دينارا · الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ·· وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع · ■■

كوبون مسابقة
العدد ٢٢٠

طرائف عربية

كلميه

● حكي أن عائشة بنت طلحة غضبت على زوجها مصعب بن الزبير يوما، فاشتد ذلك عليه وشكا امره الى خاصته ، فقال له أشعب : « ما هي جائزتي عندك ان هي رضيت عليك ؟ » قال مصعب : « اعطيك عشرة الاف درهم » . واتى اشعب الى عائشة وقال : « تفضلي بكلام الامير ، فقد استشفع بي عندك ، واجزل لي العطية ان انت كلمته » . قالت : « لا سبيل الى ذلك يا اشعب ، اذهب من حيث اتيت » . وانتهرته فقال : « جعلت فداك كلميه حتى اقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعي الى ما عودك الله من سوء الخلق » . فضحكت عائشة وقامت من توها وصالحته .

مكذوب عليك

حكي ان عبد الله بن رواحة – شاعر النبي عليه السلام – ابتاع جارية رومية وكتم ذلك على امرأته ، ولكن بعض اصحابه ابلغها بخبر زواجه ، فالتمست كونه عندها وأخبرت بذلك ، فلما جاءها في ذلك اليوم قالت له : « يا ابن رواحة بلغني انك ابتعت جارية وتزوجتها ، وانك الساعة خرجت من عندها ، وما احسبك الان الا جنبا ؟ » قال : « لا ، أنني لم افعل ذلك ، وان الوشاة يحاولون التفريق بيننا » . قالت : « سوف اختبرك الآن اقرأ بعض آيات من القرآن » . فسكت هنيهة ، ثم قال وهو يوهمها ان هذا من القرآن وهو ليس من القرآن بشيء :

« شهدت بان وعد الله حق
وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد
ملائكة الاله مقربينا »

فقالت : « اما اذ قد قرأت لي ما تيسر لك فقد علمت انك مكذوب عليك » .

صيام الليل !

● دخل احد الحمقى على الخليفة هارون الرشيد في احدى الليالي وهو ياكل ، فقال له الرشيد : « هل لك في العشاء ؟ » فاجابه : « اني صائم يا أمير المؤمنين » . فسأله الرشيد : « امواصل انت ؟ » اي انه يصوم يومه وليلته حتى يمسي ، فقال : « لا ، ولكني وجدت صيام الليل اسهل من صيام النهار » .

الوسيلة الى الاشراف

● حكى أن مروان بن الحكم قال لابن ابى عتيق : « انى والله مشغوف ببغلة للحسن بن على ، وانى خجل أن أساله أن يهبها لى » فقال له ابن ابى عتيق : « فان دفعها اليك، اتقضى لى حوائجى ؟ » وكان مروان يومئذ أميرا على المدينة ، فلما اجتمع الناس عنده فى العشية أخذ ابن ابى عتيق يذكر مآثر قريش ومفاخرها وامسك عن ذكر مآثر الحسن بن على ، فلامه مروان بن الحكم ، وقال : أما تذكر أولية ابى محمد ، وهو سيد شباب اهل الجنة ، وله فى هذا ما ليس لاحد ». فقال ابن ابى عتيق : « انما كنا فى ذكر الاشراف ، ولو كنا فى ذكر الانبياء لقدمنا أبا محمد أى الحسن » فلما خرج الحسن يركب البغلة تبعه ابن ابى عتيق فقال له الحسن وهو يبتسم : الك حاجة ؟ قال : نعم ، ذكرت البغلة ؟ فنزل الحسن ودفعها اليه .

رسول امين

● كان ابو السائب المخزومي كثير الطرب وله فكاهات مذكورة واخبار مشهورة ، وكان اشراف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه وحلاوة طربه ، قيل أن سليمة الشاوبية كانت تعشق افلح مولى الزهريين ، فأتاها يوما ابو السائب فقال : « حدثينى ، هل اتاك من حبيبك رسول ؟ » قالت : « لا » . قال : « فهل قلت فى ذلك شعرا ؟ » قالت : « نعم » ، ثم انشدته :

الا ليت لى نحو الحبيب مبلغا ... يبلغه التسليم ثم يقول
سليمة نضو ما ترجى حياتها ... من الشوق والشوق الشديد تقول
تعالج احزانا وتبكى صبابة ... وانت لما تلقاه منك جهول

(نضو = هزيلة)

فقال ابو السائب : « انا والله رسولك اليه » ، فحفظ الشعر ، وتوجه نحو افلح فى يوم صائف شديد الحر ، فلقيه رجل من الانصار فقال : « يا ابا السائب ، من أين اقبلت ؟ » قال : « من عند سليمة الشاوبية » قال : « والى اين تريد ؟ » قال : « اريد افلح مولى الزهريين ابلغه رسالتها » . قال : « افى مثل هذا الوقت؟» قال : « اليك يا ابن اخى ، فان الجنة حفت بالمكاره ، وما عبد الله الا بالصبر على ما ترى » .

بار بامه

● قيل للامام على بن الحسين المعروف بزين العابدين رضى الله عنه : « انك من ابر الناس بامك، فلماذا لا تاكل معها فى صحفة واحدة ؟ » فقال : « انى اخاف والله ان تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فاكون قد عققتها » .

الفوسفات

سلاح عربي جديد في المستقبل

الطاقة سلاح هذا العصر والغذاء سلاح الغد القريب

بقلم : زياد محمود ابو غنيمة

في العالم العربي نصف فوسفات العالم ،وتلك ثروة ضخمة يهدرها العرب للأسف البالغ ٠٠ يصدرونه خاما ويستوردونه مخصبات بستة أضعاف الثمن للطن الواحد ، بينما بأيدينا ان نصنعه ، ونوفر للتربة الزراعية أهم عناصر اخصابها ، ولشعوبنا كل ما تحتاجه من غذاء ٠

■ يورد البروفسور يوجين بفليدر،في الكتاب الوثائقي « موارد الارض » Earth resources احصائية طريفة لتطور الزيادة في عدد سكان العالم فيقول :

« ان عدد سكان العالم في العصر الحجري قبل ثمانية الاف عام تقريبا لم يكد يتجاوز مليونا ونصف المليون ، وفي بداية العصر البرونزي أصبح خمسة ملايين ، وفي السنة الاولى لميلاد المسيح عليه السلام ، كان عدد سكان العالم قد بلغ حوالي مئتين وخمسين مليونا ، وبعد ألف وسبعمائة عام تقريبا تضاعف عدد سكان العالم ، فاصبح حوالي خمسمائة مليون ، ثم عاد فتضاعف مرة اخرى ، ولكن بعد مئة وخمسة وخمسين عاما ، فاصبح عام ١٨٤٨ حوالي ألف مليون » ٠

وتشير الاحصائيات المعتمدة الى ان عدد سكان العالم يكاد يبلغ الان حوالي ثلاثة الاف وستمائة مليون ٠

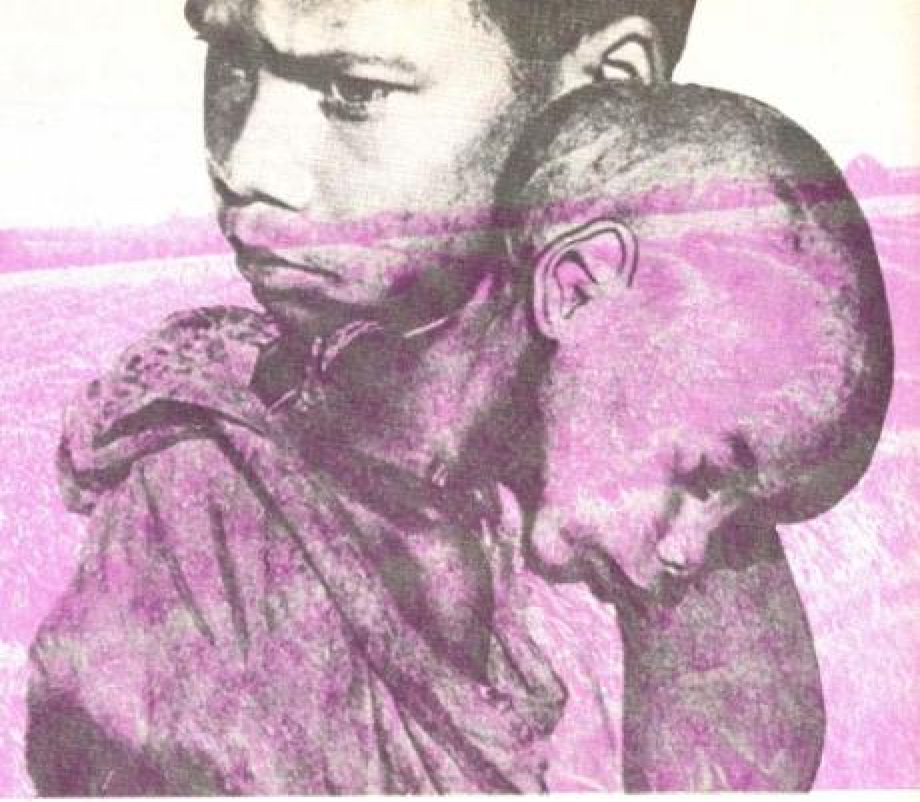
أما الغد ٠٠

اما الغد ، ولا يعلم الغيب الا الله ، فان تقديرات خبراء الامم المتحدة تقدر عدد سكان العالم في نهاية هذا القرن ، بحوالي ستة الاف وخمسمائة مليون ، ذلك مجرد تقدير ، الله وحده أعلم بمدى صوابه ، أو خطئه ٠

والانسان ، منذ أن يبدأ رحلة الحياة بارادة الله في رحم امه علقة لا بد له من الغذاء يتداركه من جسم امه ، فاذا اذن الله له برؤية النور ، نزل من بطن امه وهو يصرخ صرخات ، لا أخالها ، لو تترجم الى كلمات الا انها تعني ٠٠ غذائي ٠٠ غذائي ٠٠ غذائي ٠

وكوكبنا الذي فوقه نعيش،ومن موارده نقتات، تكاد المياه تشغل معظم سطحه ، أن حوالي ٧١ بالمئة من مساحة كوكبنا تغمرها المياه ، أنهارا ، وبحارا ، ومحيطات ، فلا يبقى من مساحته أرضا يابسة الا ٢٩ بالمئة فقط ، يقدرها المتخصصون بمئة وخمسين مليون كيلومتر مربع ، نصفها سهول قطبية جرداء ، وغابات ، وجبال ، وقمم تكسوها الثلوج على مدار الايام ، وانها على حالها هذا ، كجيش مجرد من السلاح ، لايؤمل منه تحقيق رجاء ٠

اما ما تبقى من أرض صالحة للاستغلال ، فلا يكاد يزيد عن ٧٥ مليون كيلو متر مربع ، نصفها



تشغله المراعي ، فلا يبقى من ارض كوكبنا ما يصلح للزراعة الا حوالي ٥ر٣٧ مليون كيلومتر مربع ، مطلوب منها أن تواجه خطر المجاعة الذى يتهدد البلايين المتزايدة من الافواه الفاغرة .

ليس العجز في موارد الكون

ان الذين يرفعون أصواتهم محذرين من كارثة مجاعة تهدد الانسانية ، يخطئون، اذ ينسبون الخطر الى عجز موارد الكون عن الوفاء بما تستقيم به حياة البلايين المتزايدة من الافواه من غذاء .

ان كوكبنا ، بسمائه ، وأرضه ، وبما فيه من ماء ، وهواء ، وتربة ، وما يتفرع عن هذه المقومات الحياتية الاساسية من مقومات اخرى ، يكتنز ما كان يكفى ، وما سيظل يكفى ، كل خلق الله .

الارض هي الخطوة الاولى

ان الامر المنطقى يفرض أن تكون الارض هي الخطوة الاولى في منطلق رحلة البحث عن الغذاء، والارض أو على الاصح ، تربة الارض ، تكاد تنوء اليوم وهيتحاول أن تفى بمقومات الحياة من غذاء للبلايين المتزايدة من الافواه ، ليس لانها غي قادرة على ذلك ، وانما لان هناك قصورا في استغلالها ، باعظم انتاج ، ولكى نفعل ذلك ، لا بد من انتهاج سبيلين متوازيين في اعادة تقييم طرق استغلال تربة ارض كوكبنا .

- اتجاه ، نحو استصلاح مزيد من الارض البور الجرداء .
- واتجاه ، نحو زيادة مردود انتاج الارض المستغلة حاليا .

ولا بد لنجاح هذا الاتجاه ،وذاك من التوسل بكل معطيات العلم والتقنية التى يسرها الله ، لا لنقهر بها الطبيعة ، والارض جزء منها ، كما يظن البعض جهلا بل لنحتال بها فى استغلال موارد الكون الطيعة لليد التى تمتد اليها بالجهد الجسماني ، حرثا وسقاية ، ورعاية ، ثم ، بمعطيات العلم والتقنية في هذا المجال وفى مقدمتها ، المخصبات اى الاسمدة ، طبيعية كانت أو صناعية .

لماذا المخصبات

انك لو دققت الفكر في عملية زراعة الارض، واستنباتها ، لاذهلك ان تجدها اقرب ما تكون الى عملية الحمل التي تمارسها الانثى .

ان تربة الارض هي الرحم الذي يحتضن بذرة النبات كما تشكل عناصر الازوت ، والفوسفور ، والبوتاسيوم .N. P. K العمود الفقري لوجبة الغذاء التي تقدمها التربة للنبات ، ترفدها عناصر اخرى تتفاوت اهمية وحاجة من نبات لاخر ، ومن تربة لاخرى ، وهي الكلسيوم ، والمغنيزيوم والكبريت ، والحديد ، والمنغنيز ، والنحاس ، والزنك ، والبورون ، والموليبدنيوم ، والكلور .

والهواء والماء مبذولان باستمرار ، وتجدد ، لا يخشى معه عليهما نفاد ، اما الغذاء، غذاء انسان ، او نبات ، او حيوان فهو بقدر معلوم ، لا يتجدد تلقائيا كالهواء والماء ، وانما يتجدد بالسعي ، والجهد ، للكشف عن موارده ، واستغلالها .

وكما ان المراة القوية البنية، المنتظمة التغذية، تكون اقدر على انجاب نسل قوي ، كذلك التربة القوية البنية ، المنتظمة التغذية ، تكون اقوى على استنبات ثمرات قوية ، يانعة ، باكبر مردود ، فاذا كان نصيب التربة من عناصر غذائها التي ذكرناها ناقصا ، ضعيفا ، كان نسلها من النبات ضعيفا ، هزيلا .

من هنا تبرز اهمية المخصبات ، انها ترفد التربة الضعيفة بالمقويات التي تعيد نسبة تواجد عناصر غذائها الى ما يجب ان تكون عليه من وفرة ، وقوة ، ضمانا لمردود من النبات اقوى ، واجزى .

اليوم .. والغد

قرات في العربي « العدد ٢٠٠ تموز ١٩٧٥ ، جمادى الثانية ١٣٩٥» مقالا للدكتور عبدالوهاب علام يعالج فيه مشكلة الغذاء ،كتب فيه :« انه اذا كانت السيادة في هذا العقد لازمة الطاقة ، فان ازمة الغذاء ستسود العقد القادم» ،ثم يخلص الى القول : « ان الغذاء سيكون سلاح المستقبل القريب ، الذي قد يوفر لمالكه التحكم في العالم باسره بوجه عام ، وفي الدول الفقيرة والنامية بشكل خاص » .

ذلك كلام لا يعتريه شك، فلئن كانت الطاقة، والنفط مادتها الاساسية ، سلاح عصرنا هذا ، فان الغذاء ، والمخصبات بعض مادته الاساسية ، سيكون سلاح غدنا القريب .

والمخصبات الاصطناعية انواع رئيسية ثلاثة ، مخصبات ازوتية او نيتروجينية قوامها عنصر الازوت « النيتروجين » ، ومخصبات بوتاسية قوامها عنصر البوتاسيوم ، ومخصبات فوسفاتية قوامها عنصر الفوسفور .

المخصبات الفوسفاتية

تشغل المخصبات الفوسفاتية مكانا مرموقا في عالم المخصبات ، ويزداد الطلب عليها بل الالحاح في طلبها يوما بعد يوم .

ولا تكون المخصبات الفوسفاتية بغير خامات الفوسفات ، انها مادتها الاساسية ، فهي ، اذن، تكتسب اهمية متزايدة ، كمادة رئيسية ، لا غنى عنها ، يتسلح بها الانسان في معركته من اجل المزيد من انتاج الغذاء للبلايين من الافواه المتزايدة ، لحظة بعد لحظة .

فاذا كان الغذاء سيكون سلاح الغد القريب ، فان خامات الفوسفات ستكون بعض ذخيرة هذا السلاح .

في وطننا العربي نصف فوسفات العالم

ووطننا العربي الذي يكتنز اضخم مدخرات النفط في العالم ، كذلك فانه يكتنز حوالي خمسين بليون طن متري من خامات الفوسفات ، والبليون في لغة الارقام يساوي الف مليون .

ان هذه المدخرات العربية منخامات الفوسفات تكاد تشكل نصف ما تم اكتشافه من مدخرات الفوسفات في العالم كله .

وينبغي ، ان نشيع بسرور وتفاؤل ، الى ان معظم الدول العربية ، قد بدات فعلا في تنفيذ برامج جديدة ، بايد عربية ، لتحديث الدراسات السابقة وتركيزها من جهة ، والقيام بدراسات جديدة بهدف التوسع في عمليات التنقيب عن خامات الفوسفات العربي من جهة اخرى .

لماذا المخصبات

انك لو دققت الفكر في عملية زراعة الارض، واستنباتها ، لاذهلك ان تجدها اقرب ما تكون الى عملية الحمل التي تمارسها الانثى .

ان تربة الارض هي الرحم الذي يحتضن بذرة النبات كما تشكل عناصر الازوت ، والفوسفور ، والبوتاسيوم N. P. K. العمود الفقري لوجبة الغذاء التي تقدمها التربة للنبات ، ترفدها عناصر اخرى تتفاوت اهمية وحاجة من نبات لآخر ، ومن تربة لاخرى ، وهي الكلسيوم ، والمغنيزيوم والكبريت ، والحديد ، والمنغنيز ، والنحاس ، والزنك ، والبورون ، والموليبدنيوم ، والكلور .

والهواء والماء مبذولان باستمرار ، وتجدد ، لا يخشى معه عليهما نفاد ، اما الغذاء، غذاء انسان ، أو نبات ، او حيوان فهو بقدر معلوم ، لا يتجدد تلقائيا كالهواء والماء ، وانما يتجدد بالسعي ، والجهد ، للكشف عن موارده ، واستغلالها .

وكما ان المرأة القوية البنية، المنتظمة التغذية، تكون اقدر على انجاب نسل قوي ، كذلك التربة القوية البنية ، المنتظمة التغذية ، تكون اقوى على استنبات ثمرات قوية ، يانعة ، باكبر مردود ، فاذا كان نصيب التربة من عناصر غذائها التي ذكرناها ناقصا ، ضعيفا ، كان نسلها من النبات ضعيفا ، هزيلا .

من هنا تبرز أهمية المخصبات ، انها ترفد التربة الضعيفة بالمقويات التي تعيد نسبة تواجد عناصر غذائها الى ما يجب ان تكون عليه من وفرة ، وقوة ، ضمانا لمردود من النبات اقوى ، واجزى .

اليوم .. والغد

قرات في العربي » العدد ٢٠٠ تموز ١٩٧٥ ، جمادى الثانية ١٣٩٥« مقالا للدكتور عبدالوهاب علام يعالج فيه مشكلة الغذاء ،كتب فيه :« انه اذا كانت السيادة في هذا العقد لازمة الطاقة ، فان ازمة الغذاء ستسود العقد القادم» ،ثم يخلص الى القول : « ان الغذاء سيكون سلاح المستقبل القريب ، الذي قد يوفر لمالكه التحكم في العالم باسره بوجه عام ، وفي الدول الفقيرة والنامية بشكل خاص » .

ذلك كلام لا يعتريه شك، فلئن كانت الطاقة، والنفط مادتها الاساسية ، سلاح عصرنا هذا ، فان الغذاء ، والمخصبات بعض مادته الاساسية ، سيكون سلاح غدنا القريب .

والمخصبات الاصطناعية انواع رئيسية ثلاثة ، مخصبات ازوتية او نيتروجينية قوامها عنصر الازوت « النيتروجين » ، ومخصبات بوتاسية قوامها عنصر البوتاسيوم ، ومخصبات فوسفاتية قوامها عنصر الفوسفور .

المخصبات الفوسفاتية

تشغل المخصبات الفوسفاتية مكانا مرموقا في عالم المخصبات ، ويزداد الطلب عليها بل الالحاح في طلبها يوما بعد يوم .

ولا تكون المخصبات الفوسفاتية بغير خامات الفوسفات ، انها مادتها الاساسية ، فهي ، اذن، تكتسب اهمية متزايدة ، كمادة رئيسية ، لا غنى عنها ، يتسلح بها الانسان في معركته من اجل المزيد من انتاج الغذاء للبلايين من الافواه المتزايدة ، لحظة بعد لحظة .

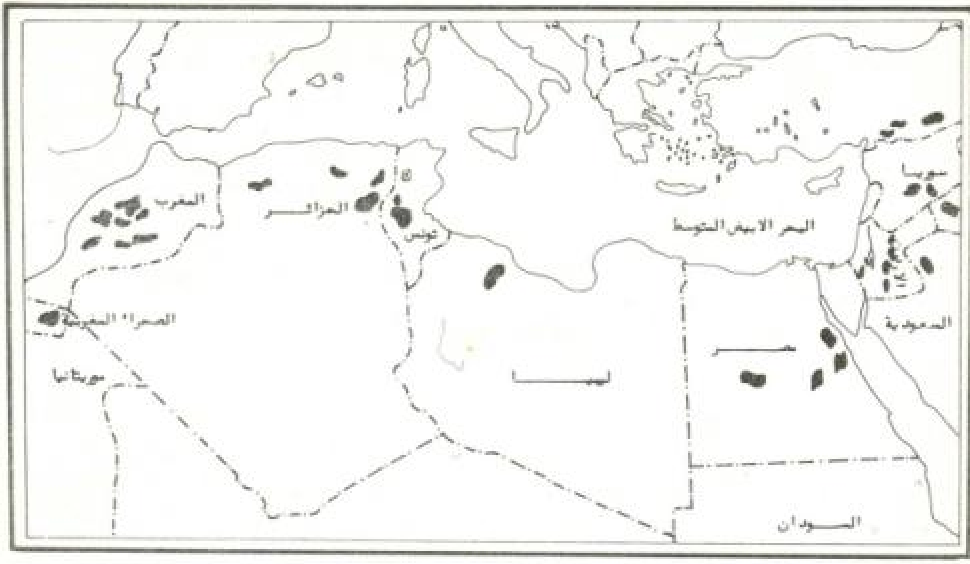
فاذا كان الغذاء سيكون سلاح الغد القريب ، فان خامات الفوسفات ستكون بعض ذخيرة هذا السلاح .

في وطننا العربي نصف فوسفات العالم

ووطننا العربي الذي يكتنز اضخم مدخرات النفط في العالم ، كذلك فانه يكتنز حوالي خمسين بليون طن مترى من خامات الفوسفات ، والبليون في لغة الارقام يساوي الف مليون .

ان هذه المدخرات العربية من خامات الفوسفات تكاد تشكل نصف ما تم اكتشافه من مدخرات الفوسفات في العالم كله .

وينبغي ، ان نشير بسرور وتفاؤل ، الى ان معظم الدول العربية ، قد بدات فعلا في تنفيذ برامج جديدة ، بايد عربية ، لتحديث الدراسات السابقة وتركيزها من جهة ، والقيام بدراسات جديدة بهدف التوسع في عمليات التنقيب عن خامات الفوسفات العربي من جهة اخرى .



خارطة توضح امتداد حزام مدخرات خامات الفوسفات العربي ابتداء من اقصى المغرب العربي في موريتانيا وحتى العراق وسوريا في اقصى المشرق العربي

وحدة الوطن العربي

في عام ١٩٧٤ ، انعقد في جدة في المملكة العربية السعودية المؤتمر العربي الثاني للثروة المعدنية ، وكان طبيعيا ، ان تستأثر خامات الفوسفات العربي بقسط كبير من اهتمام المؤتمر، والمؤتمرين •

واذ يلقى المرء نظرة سريعة على الجزء الخاص بمدخرات الفوسفات العربي في المجلد الذي اصدره المؤتمرون بعد ارفضاض مؤتمرهم ، يكاد يذهله ان يرى ان خامات الفوسفات العربي تنتشر على شكل حزام متناسق ينتظم عشرات المكامن الفوسفاتية ، ابتداء من موريتانيا في اقصى المغرب العربي ، وحتى العراق وسوريا في اقصى المشرق العربي •

ارايت الى انتشار اللغة العربية فوق كل الارض العربية ، بدولها العشرين •• ؟

ان خامات الفوسفات العربي ، تكاد تنتشر تحت كل الارض العربية ، كانتشار اللغة العربية فوقها •

فاذا كانت اللغة العربية احدى المظاهر الحضارية التي تؤكد وحدة وطننا العربي ،اليس من حق خامات الفوسفات العربي ، ان تكون احدى المظاهر الجغرافية والاقتصادية ، التي تؤكد ايضا ، وحدة الوطن العربي •

الحزام العربي لخامات الفوسفات

يبدأ الحزام العربي لمكامن خامات الفوسفات من عدة مواقع في سلسلة جبال اطلس ،المتوغلة داخل موريتانيا ، ليتجه من هناك نحو المغرب ، حيث تتركز خامات الفوسفات في عدة مكامن اهمها مكامن اولاد عبدون Aulad abdon ،ومسكالا Meskela ، وغنتور Gantour ، وابن جرير ، والصحراء المغربية •

ومن المغرب العربي ، يتقدم الحزام باتجاه الجزائر ، حيث تتركز خامات الفوسفات في عدة مكامن اهمها مزايطة Mosaitah ، وكويف Kuwaif ، فجبل عنق Jabal onck ، الذي يمتد باتجاه وسط تونس وجنوبها ليغطي منطقة تمتد

اكثر من ثمانين كيلومترا ، تتركز فيها عدة مكامن لخامات الفوسفات اهمها المندرة El mondara ، ورديف Redeyf ومتلوى Metlaoui وشرقا فى قفصة ، وشمالا فى القصرين ، وقلعة جردة ، وسى نصر الله .

ثم يتجه الحزام نحو ليبيا ، حيث تشير الدراسات الى وجود خامات للفوسفات فى جنوب غربى مصراته ، وشرقى مزيده .

ومن ليبيا ، يتجه الحزام نحو مصر ، حيث تغطى خامات الفوسفات مناطق واسعة اهمها ابو طرطور ، والواحتان الداخلة والخارجة ، ومنطقة فوسفات وادى النيل الممتدة من المحاميد حتى ابو حمد ، فمناطق البحر الاحمر ، التى تمتد من سفاجة فالحويطات فالحمراوين فالقصير .

ومن مصر ، يتجه الحزام نحو الصومال ،حيث تتركز خامات الفوسفات فى مكامن منطقة مودو – مودو على بعد ٣٥ كم شمال غرب بشراكابا .

ومن الصومال ، يتجه الحزام ، قاطعا البحر الاحمر ، الى السعودية ، حيث تتركز خامات الفوسفات فى المنطقة الشمالية للسعودية فى عدة مكامن اهمها طريف والجوف وسكاكا .

ومن السعودية يمتد الحزام نحو الاردن ، وفلسطين ، ليغطى فى الاردن مساحات شاسعة من المناطق ابتداء من الشيدية فمرورا بالحسا وحتى الرصيفة قرب العاصمة عمان ، ويغطى فى فلسطين مساحات كبيرة من صحراء النقب .

ويواصل الحزام اتجاهه نحو سوريا ، حيث تتركز خامات الفوسفات فى عدة مكامن اهمها التدمرية ، ومكمن الشرقية ، ومكمن خنيفيس .

ومن سوريا ، يتشعب الحزام باتجاه العراق ولبنان ، حيث تتركز خامات الفوسفات فى العراق بمكمن عكاشات فى منطقة الرطبة بالصحراء الغربية ، وفى لبنان حيث اكتشفت بعض خامات الفوسفات فى المناطق المجاورة لسوريا شرقا .

وتشير دراسات جيولوجية الى ان الحزام العربى لخامات الفوسفات يواصل اتجاهه من العراق نحو مناطق الخليج العربى ، حيث توجد بعض الدلائل على وجود خامات للفوسفات هناك .

وطننا العربى
الاول تصديرا ، والثانى انتاجا

ان وطننا العربى ، أنتج عام ١٩٧٤ ، قرابة الثلاثين مليونا من الاطنان المترية من خامات الفوسفات ، فهو اذن ، يستأثر بالمرتبة الثانية فى مجال الانتاج ، بعد الولايات المتحدة الامريكية ، التى بلغ انتاجها حوالى ٤١ مليونا ، وقد صدر من خامات الفوسفات التى انتجها ، فى عام ١٩٧٤ ، مايزيد على ٢٦ مليونا من الاطنان المترية ، فهو اذن ، يستأثر بالمرتبة الاولى فى مجال التصدير لخامات الفوسفات ، بين مناطق العالم الاخرى المنتجة لها .

ان الدولة الاولى انتاجا واعنى الولايات المتحدة الامريكية ، هى الدولة الاولى استهلاكا، اى تصنيعا ، لخامات الفوسفات التى تنتجها ، تليها فى ذلك ، الدولة الثالثة انتاجا ، واعنى الاتحاد السوفياتى .

.. والاخير ، تصنيعا لخامات الفوسفات

وننظر فى استهلاك الوطن العربى من خامات الفوسفات التى ينتجها فتصعقنا حقيقة مؤلمة .

ان وطننا العربى لا يستغل ، اى لا يصنع ، من خامات فوسفاته التى ينتجها ، الا النزر اليسير ، اما الجزء الاكبر من انتاجه ، فيهدره ،تصديرا ،لدول وشعوب فى انحاء شتى من العالم ، تصنعه ، وتستخرج منه مخصبات ،تزيد بها عطاء تربتها ، فتزداد،من بعد ، هيمنتها على سلاح الغد القريب ، الغذاء .

ويذهلك ان تعلم ، ايها العربى ، ان وطننا العربى وهو الاول فى تصدير خامات الفوسفات، يستورد ما يحتاجه من مخصبات فوسفاتية،من نفس تلك الدول، باسعار باهظة ،يكاد يزيد ثمن الطن الواحد منها ، عن ثمن ستة اطنان نبيعها لها من خامات فوسفاتنا .

لقد اجهدتنى الحيلة ، ان اجد مبررا ، يتستر به العرب فى اهدارهم لثروة ضخمة من خامات فوسفاتهم يصدرونها بثمن بخس ، ثم يعودون ، ليستوردوا نفس تلك الخامات ،مصنعة ،باضعاف الثمن الذى تقاضوه .

ان لم تكن الاستكانة سبب ذلك ، فهو الجهل، وان لم يكونا معا ، فهو قصر النظر ، وانبهام الرؤية •

وهل يشبع البطون الا الغذاء ••

ان أمم العالم اليوم تخوض سباقا ،شرسا ،نحو المستقبل الافضل ، وليس افضل من مستقبل تكون فيه البطون شبعانة ، وليس أسوأ من مستقبل تكون فيه البطون خاوية •

هيهات ، هيهات ، هيهات ••

ان المعدة الخاوية ، لا يخمد سورة جوعها ، الا الغذاء •

فاذا شبعت المعدة ،رست قاعدة المستقبل الافضل، ومضت العقول ، من بعد ، ترسي اركان المستقبل الافضل الاخرى ، ثقافة ،وحضارة ، وعقيدة ، وفنا، الخ •

اما المعدة الخاوية ، فهي تكبل العقل ، عقل صاحبها ، ان يفكر بغيرها ، فلا يكون اذ ذاك لصاحب المعدة الخاوية حاضر يرضاه ،بله أن يكون له مستقبل افضل يرتجيه ؟

انه ، من هنا ، كان الغالب ، وكان المغلوب ، والغالب ، دوما ، هو صاحب المعدة الشبعانة ، والمغلوب ، ابدا ، هو صاحب المعدة الخاوية ، والماضي ، والحاضر ، خير شاهد ، على ما أقول•

فلنكن غالبين لا مغلوبين ••

ان امة العرب ، تخوض منذ عقود ،معركة وجود• والعرب ،يفرحهم ،انهم يتزايدون عددا ،يوما، بعد يوم •

واعداء العرب ،يفرحهم ،كذلك،ان يتزايد العرب افواها ومعدا خاوية ، يوما بعد يوم •

ونحن نرى ، في تزايد اعدادنا، سورا يحمينا، من نوائب الايام ونكباتها ، وذلك قال حسن حثنا عليه رسولنا عليه الصلاة والسلام » •

ولكن ازدياد عددنا كثرة ، ينبغي ان يسايره ، باتجاه مواز ، ازدياد في انتاج الغذاء الذي يشبع هذه الافواه ، والا ، كانت الطامة الكبرى ، وتحقق فينا حلم أعدائنا ،ان نصبح أمة من اصحاب المعد الخاوية ، فترتعش الايدي أن تضغط على زناد ، فتكون الهزيمة ، ونصبح أمة من المغلوبين •

لا تهدروا هذه الثروة

ولكي لا يحدث هذا ، اندفع ، عبر العربي • اناشد كل المسئولين في كل بقعة تنتج الفوسفات في وطننا العربي ، ان يتوالبوا ، لاجتماع سريع، يضعون فيه خطة مدروسة ، موحدة ، تهدف الى الحد من اهدار خامات الفوسفات العربي بثمن بخس ، وانتهاج سياسة جديدة ، عمادها ، ان يتم تصنيع خامات الفوسفات العربي كلها ، أو على الاقل ، معظمها ، واستغلال ناتج هذه السياسة التصنيعية من مخصبات فوسفاتية ، في اثراء عطاء تربتنا من الغذاء ، ليجد كل فم عربي جديد حظه من الغذاء وفيرا ، كافيا ، شافيا ، باذن الله •

ثم ، لا بأس ، اذا فاضت حاجة التربة العربية عن شيء من هذه المخصبات ، أن تصدرها ، لدول وشعوب اخرى،بأثمان مجزية ،وبشكل يخدم قضايا امتنا ، ومعركتها المصيرية ، فتكون بيدنا سلاحا جديدا ، يرفد سلاح نفطنا العربي •

ولا يقولن قائل : ذلك هدف تنوء دون تحقيقه امكانات امتنا ، ذلك كلام هراء ، هراء •

المال لا ينقصنا ، والعقول والكفاءات العربية تملأ الاصقاع ،ولا صعوبة في استقطابها ،والتقنية او ان شئت قل : الفن الصناعي ، معروض في سوق الدنيا لكل من يدفع الثمن ،واننا لاقدر الامم على دفع ذلك الثمن •

وبعد

فقد اردت بهذه الصفحات ان اشد انتباه العرب، مواطنين ، ومسئولين ، الى ثروة ضخمة تكتنزها ارض وطنهم العربي من خامات الفوسفات •

وأردت ان اشد انتباه المسئولين المباشرين عن هذه الثروة العربية الضخمة ، الى ضخامة مسئوليتهم ، أمام الله الذي وهبهم هذه الثروة ، ان يستغلوها حيث يجب ان تستغل ، سلاحا اخر ، يرفد سلاح النفط ، في معركة هذه الامة ، عقيدة، ووطنا •

الا ، قد بلغت ، اللهم ، فاشهد • ■■

الاردن ـ زياد أبو غنيمة



السعادة

كيف نصنعها وننعم معها بالحياة !

بقلم : منير نصيف

■ ما السعادة ؟

متى نشعر اننا سعداء .وما الذى يبعث بهذا الشعور الى نفوسنا؟

سؤال تقليدي نتوقف عنده كثيرا ، ثم لا نلبث أن نحس بعجزنا عن العثور على اجابةمحددة له!

فالسعادة نفسها كلمة غير محددة المعالم ..وهى فى الوقت نفسه ـ شعور نسبى ، تختلف كثيرا فى تعريفه.وفى شرح اسبابه ودوافعه.فانت اليومسعيد، ولكنك لاتعرف لماذا انت سعيد . انك تشعر بميل شديد الى الخروج عن تزمتك المالوف .. تريد ان تضحك .. تريد ان تداعب كلمن تلقاه فى طريقك الى عملك فى الصباح او فى عودتك الى بيتك .. وقد يلازمك هذا الشعور عدة ساعات وربما عدة أيام ، وقد يفارقك وتفارقه قبل أن تنعم بهذا المذاق الحلو للحياة ..

ما الذى حدث ؟ لماذا انت سعيد اليوم على غير عادتك ؟ ماذا رايت ؟ بماذا شعرت وانت تقفز من فراشك نشيطا لترتدىملابسك وتستعد للذهابالى عملك ؟ لا أحد يدرى ، ولا حتى انت نفسك لانك قلما توقفت لتسال نفسك ، فى غمرة هذه السعادة الجارفة التى تحس بها ، لماذا انا سعيد ؟ لانك لو فعلت ، فربما وجدت نفسك تعود مرة اخرى نفس الرجل العابسالذى مل الحياة ورتابتها ..من اجل هذا يطلق المرء ، رجلا كان ام امرأة لاحاسيسه العنان ، فهو يضحك ، وربما ارتفع صوته بالغناء او الصفير ، وهو يستعيد تلك الالحان الجميلة التى طالما طرب لها وملأت قلبه وصدرهفى يوم قريبا كان ام بعيدا !

كيف نسعد بحياتنا ؟

ويحاول العلماء ، وهم لا يكفون عن محاولاتهم فى سبر اغوار النفس البشرية ، والتوغل بعلمهم الى اعماقها ، للتعرف على الاسباب التى تتحكم فى سلوكنا وتحولنا الى اناس سعداء ..

فنحنتعرف لماذانشعربالقلقوالسأموالارتباك!فهذه كلها ردود فعل لاحداث صادفتنا فى حياتنا اليومية او نتيجة لعلاقتنا بالناس وتصرفاتهم .. ولكننا لا نعرف كيف نسعد انفسنا ..

ولا بد لنا هنا من وقفة نضع معها خطا فاصلا وعريضا بين المزاج وبين الاسباب الحقيقية التى تتحكم فى مشاعر الانسان واحاسيسه ومواقفه وسلوكه فى الحياة ؟ ويرى علماء النفس ان المرء يستطيع أن يجد طريقه الى السعادة التى ينشدها فى حياته ، اذا عرف مقدما ما الذى يسعى اليه وينشده ،ثم كيف يعمل فى سبيل بلوغ هذا الهدف! ولقد كانهذا هو رأى البروفسور ماسلاو احد كبار



اساتذة علم النفس الامريكيين الذى قال بان المزاج انما هو هذا الشعور المتقلب الذى لا يخضع لظروف واحوال معينة ·· اما السعادة فهى شعور موجود · وملموس ، ينعم به كثيرون لانهم عرفوا الطريق اليه ·· هؤلاء السعداء لا يختلفون عنا اختلافا جذريا ، ولكن ربما كان الشىء الوحيد الذى يميزهم عن بقية الناس ، هو تلك القدرة التى يتمتعون بها على أن يستغلوا طاقاتهم الى اقصى الحدود ، وان يصنعوا بانفسهم ، كل ما ارادوه لها ، دون أن يشغلوا اى جزء من وقتهم فى اى عمل آخر ،يبتعد بهم عن الهدف الذى رسموه لانفسهم فى الحياة ·

ثم يقول ماسلاو ، أن قبولنا لانفسنا ، وتقبلنا لطبيعتنا ولحظنا وقدرنا بلا خجل ، وبلا قلق ·· والعمل بعد هذا داخل اطار شخصيتنا وقدرتنا على الخلق والابتكار ·· كل هذه عوامل اساسية من شانها أن تسعدنا وان تقضى على اى شعور آخر قد ينتابنا بالخوف من المستقبل !

قصة زوجة سعيدة

ويروى البروفسور ماسلاو قصة السيدة التى وجدت نفسها فجأة تعيش فى مجتمع من الزوجات العاملات ·· انها لم تتلق من التعليم الا قدرا يسيرا لا يؤهلها لشغل اية وظيفة عامة ·· كانت كل صديقاتها وجاراتها يعملن ·· كانت حياتهن كلها بعيدة عن البيت ، وكان عملهن يشغل كل وقتهن تقريبا ·· من الصباح حتى المساء !

اما هى فقد كانت زوجة وربة بيت واما لطفلين صغيرين اكبرهما فى السابعة ·· وكانت قانعة بحياتها فى البيت ·· يخرج زوجها الى عمله فى الصباح ، ويذهب الطفلان الى مدرستهما ، وتبقى هى فى البيت الذى كان عملها فيه يستغرق كل وقتها ·· وكانت سعيدة !

الخلق فى الوحدة

ولعل شعورها الواضح بالسعادة هو الذى أثار تلك التساؤلات التى كانت تبدو فى عيون صديقاتها، وهن يبادلنها تحية الصباح عندما تخرج لتودع زوجها واطفالها وتلوح لهم بيدها حتى تختفى السيارة الصغيرة التى تقلهم وتتأكد انهم لم يعودوا يرونها ! ·· كانت جاراتها يشفقن عليها من الوحدة التى كانت تعيش فيها وراء جدران بيتها بعد أن ينصرف اهل الحى كله الى اعمالهم ومدارسهم ، ويتركونها وراءهم !

اما هى فقد كانت تنعم بكل لحظة من تلك الساعات الطويلة التى كانت تقضيها فى بيتها او فى السوق القريبة التى كانت تقصدها خلال ساعات النهار ، لتشترى منها حاجياتها ··

كيف كانت تقضى وقتها ·· ماذا كانت تصنع بنفسها وبالبيت الصغير الذى حولته الى مملكة خاصة بها تضم احب الناس الى قلبها ؟

ولم تطل حيرة الجيران امام هذه التساؤلات التى كانت تدور فى رءوسهم وتبدو فى نظراتهم التى كانت تحمل معان كثيرة فيها حيرة وفيها فضول واشفاق ! فقد جاء اليوم الذى احتفلت فيه جارتهم بعيد زواجها ، ودعت الاصدقاء الجيران لمشاركتها – هى وزوجها – هذه المناسبة السعيدة !

وجاءوا جميعا بدافع حب الاستطلاع ، تلك

الغريزة المتاصلة في النفس البشرية ٠٠ كم تمنوا ان يروا بيت جارتهم من الداخل ٠٠ ترى ماذا سيجدون فيه ، وماذا اعدت لهم في هذه المناسبة السعيدة ٠

اصالة وعبقرية

وكانت المفاجاة ، عندما وقفوا جميعا في وسط القاعة الصغيرة يتمنون لسيدة البيت وزوجها عيدا سعيدا ٠٠ كانت عيونهم في جولة دائمة لا تهدأ محورها سيدة البيت ، ومجالها كل شيء يحيط بها في كل ركن في كل مكان ٠٠واذهلهم ما رأوا ٠٠ لقد كان كل شيء ينم عن ذوق رقيق ٠٠ هل يمكن ان تكون هي وحدها قد صنعت هذا كله؟ الفستان الجميل الذي وضعت جسمها فيه ٠٠اللوحات الرائعة التي تزين الجدران ٠٠الاواني النحاسية والفضية التي وضعتها صاحبتها في رشاقة حيث يجب ان تكون! كانت اصالتها وعبقريتها وقدرتها على الابتكار محور حديث المدعوين في تلك الليلة ٠٠ ودعتهم الى المادبة التي حفلت باطباق الطعام الشهي ٠٠ وحدث ما يحدث دائما امام كل طعام لذيذ ٠٠ لقد بدأ الحديث يخف ٠٠ وتركزت الانظار على الوان الاطعمة التي ازدحمت بها المائدة الطويلة !

اما الرجال ، فقد اكلوا واستمتعوا بكل طبق قدمته لهم مضيفتهم ٠٠ ولكن قصتهم مع الطعام اللذيذ ، ومع جارتهم الطيبة ، ومع زوجاتهم لم تنته ٠٠ فقد كان لها بقية اثناء الحفل ، وبعد ان عادوا الى بيوتهم ٠٠ « اننا لم نتذوق طبقا واحدا شهيا من تلك الاطباق التي امتلات بها مائدة جارتهم منذ زواجنا ! » قالوها في صدق وصراحة اثارت غيرة الزوجات ولو انهن حاولن ان يخفين الحرج الذي احسسن به وراء ابتسامة رقيقة !

عمل ٠٠ وعمل !

اما هي ، صاحبة الحفل ، فلم تسكرها المجاملة، فقد قالت في تواضع وبساطة : « لا تنسوا انني زوجة متفرغة لبيتي ٠٠ وربما كان هذا هو السبب الذي جعلني اقتنع بان صنع طبق من الحساء اللذيذ ، قد لا يقل نفعا عن رسم لوحة جميلة ازين بها جدار البيت ! »

يقول البروفسور ماسلاو انه لم يلتق يوما في حياته برجل سعيد او بامرأة سعيدة ،الا واكتشف ان وراء هذه السعادة التزاما كاملا بعمل او قضية تستهدف صالح ونفع المجتمع ٠٠ ان مثل هؤلاء السعداء يحملون رسالة في الحياة ، والسعادة الحقيقية بالنسبة لهم ، هي مزيج من العمل والشعور بالواجب في الوقت نفسه ٠٠ ان شعور المرء بان لديه عملا لا بد له ان يؤديه يقوده الى الاحساس بقيمته ونفعه ٠٠ وهذا الاحساس هو السعادة بعينها !

ثم يتحدث البروفسور ماسلاو بعد هذا عن موقفنا من الحياة بكل ما تحمله من اسرار ومفاجات ٠٠ ويقول ان السعداء بيننا هم هؤلاء الذين عودوا انفسهم على العيش مع المجهول دون ان ينتابهم ذلك الشعور الذي يسيطر على الكثيرين منا ٠٠ الشعور بالخوف او بالخطر الذي يتهدد حياتهم في الغد ، قبل ان يجيء ! وبعض هؤلاء السعداء يميلون بطبعهم الى كشف هذا المجهول ويرفضون تقبل الحقائق الثابتة ٠

البحث عن المجهول

وفي محاولة كريستوفر كولومبوس في البحث عن المجهول اصدق تعبير عما ذهب اليه ماسلاو في معرض شرحه لنظرياته ٠٠لقد اجمع معظم العلماء الذين عاصروه على ان الارض مسطحة ٠٠ وكان من الممكن ان ياخذ كولومبوس برأيهم ، طالما انه لا يجد امامه رأيا آخر يمكن ان يستند اليه في رفض نظريتهم الخاطئة ٠٠ لقد كان يميل الى الاعتقاد بعكس ما ذهبوا اليه ٠٠ ان الارض في رأيه كرة هائلة وليست ارضا مبسوطة ، كما ارادوا ان يصوروها له ٠٠وركب البحر٠٠وانطلق في رحلته الطويلة بقاربه الشراعي الكبير مع مجموعة من اصدقائه الذين عرفوا البحر واسراره ٠٠ وكانت وجهته جزر الهند الشرقية ولكنه انطلق في اتجاه الغرب ٠٠ في الطريق المضاد تماما ، وفي رأسه هذا الخط الدائري الذي لا بد ان يصل به في النهاية الى الجزر القابعة في الشرق ٠٠ اليست هذه هي ابعاد الكرة ٠٠ تبدأ من نقطة وتدور حولها فلا تلبث ان تجد نفسك وقد عدت اليها ٠٠ لا بد ان يصل الى هدفه اذن ! وثار اصدقاؤه البحارة عليه، وكادوا يفتكون به بعد ان

طالت غيبتهم عن الارض التي يبحثون عنها واستبد بهم الجوع والعطش .. اما هو فقد كان واثقا من انه سيصل، ووصل، ولكن الى جزر اخرى بعيدة عن الشرق .. وما زالت تحمل اسم جزر الهند التي تصور انه قد وصل اليها فعلا، ولكن في الغرب بدلا من الشرق !

السعادة الحقة !

وعندما يكون الحديث عن السعادة التي ينشدها الناس في حياتهم .. نرى المجال قد اتسع لترديد العديد من الاسباب التي لا تمت الى السعادة الحقة بصلة .. فتسمع من يقول انها في المال .. وتسمع من يؤكد انها في النجاح والشهرة والجاه .. ولكن الواقع يقول غير هذا، فكم من اثرياء تمنوا ان يقدموا كل ثرواتهم مقابل ان يعيشوا لحظة واحدة في سعادة .. وكم من اناس بلغوا القمة، فتمنوا لو انهم عادوا الى السفح مرة اخرى ليذوقوا طعم السعادة !

يرى ماسلاو ان السعادة ليست في شيء من هذا كله .. وانما هي في اشياء ابعد واعمق من هذه القشور بكثير .. انها شعور داخلي يملأ النفس، فتجعل صاحبها يفلسف الحياة بطريقته الخاصة، فهو مثلا لا ينظر الى حياته بمنظار وردي، او بمنظار اخر حالك السواد .. انه يرى كل ما حوله، كما هو حتى لو كان يختلف تماما عما اراده لنفسه من آمال واحلام .. انه لا يشكو من شيء، وانما يتقبل كل شيء على علاته، ثم يحاول بعد هذا ان يجعل منه ما يريد .. وهناك اشياء ثابتة لا تتغير .. فهو مثلا لا يستطيع ان يغير من طبيعة الماء لانه ماء ولا يمكن ان يتحول الى عسل .. وهو لا يستطيع ان يغير من صلابة الصخور .. لانها صلبة لا يمكن ان تلين بين يديه .. ولا يستطيع بعد ذلك ان يفعل شيئا ازاء منافسه الذي فاز بجدارة في اختبار صعب للفوز بمنصب كبير جديد ! فهم كما ذكرنا اناس يتقبلون الحياة بكل حقائقها الثابتة، ولكنهم يقفون معترضين على بعض نظرياتها التي قد يرون فيها رايا مخالفا !.

زوجة لرجل ناجح !

وهو يختتم حديثه معنا بقصة الزوجة الشابة التي جاءته يوما تشكو اهتمام زوجها العالم بعمله، اكثر من اهتمامه بها ! وقال ماسلاو :

« اذا تعلمت ياسيدتي ان تتخلصي من شعورك بخيبة الامل في زوجك، فقد عرفت كيف تسعدين نفسك، وتسعدينه ! »

ـ كيف ؟

ـ اذا تاخر عن موعد الغداء مثلا .. لا تحاولي ان تذكريه بالمواعيد، وكيف يجب عليه ان يحترمها !

« واذا ترك الحفل الذي دعيتما اليه وخيرك بين الانصراف معه الى معمله لان هناك عملا هاما لم يتمه بعد، وبين البقاء مع اصدقائك حتى ينتهي الحفل ! اذهبي معه وثقي انه في حاجة اليك لكي تقفي بجانبه ! لان عمل زوجك اهم من اي حفل، واهم من كل هؤلاء الاصدقاء ! »

« واذا قضى عطلة نهاية الاسبوع التي كنت تنتظرينها، بين تجاربه واختباراته في معمله، فلا تثوري وتلعني حظك العاثر، لانك سوف تضطرين الى الغاء رحلتك الى الريف، التي قضيت كل ايام الاسبوع ترتبين لها ! اذهبي معه وعاونيه حتى يشعر انه لا يقف وحده .. وان عمله هذا من اجلك انت ايضا .. ومن اجل اسرته » ..

« تعلمي كيف تكتسبين القدرة على احترام وتقدير عمله، فالمشاركة هي السعادة بعينها ! »

معنى الحياة

ان بعض الناس يجدون السعادة في ابسط الاشياء .. فاللحظات القصيرة التي يقضونها في قراءة الصحيفة في الصباح، او في المشي في حديقة البيت وسط الزهور، او في زيارة الاصدقاء، والحديث معهم، او في الوقوف عند الغروب وتامل الشمس وهي تغوص في الافق .. هذه الاشياء الصغيرة تملأ نفوسهم وصدورهم غبطة وسرورا لانها تذكرهم دائما ببهجة الحياة !

ان بعض اسباب السعادة نصنعها بايدينا .. وبعضها قائم وموجود من حولنا .. والفرق بين هذه وتلك هو نفس الفرق بين عملنا في الحياة وبين فهمنا لمعنى وصور الحياة .. ■■

منير نصيف



حين يقول المجرم المحترف :

«« الجريمة مهنتى »»

اسلوب العيش الحرام في عالم الشر والرذيلة

بقلم : الدكتور عدنان الدورى

« هوة سحيقة تفصل بين عالم الفضيلة والعيش الكريم وبين عالم الرذيلة والعيش الحرام »

■ قبل سنوات عديدة كان التليفزيون الامريكى يعرض حلقات تليفزيونية (شبه وثائقية) مثيرة تحت عنوان « الجريمة لا تجدى نفعا » Crime does not pay تتناول كل حلقة حياة احد المجرمين المعروفين فى عالم الجريمة السفلى The Underworld حيث تنتهى حياته اما بالاعدام بالكرسى الكهربائى او بالقتل اثناء مطاردته او بالسجن مدى الحياة .

كنت يومها طالبا (ادرس للدكتوراه فى علم الجريمة) واقوم ببحث علمى ميدانى على مجموعة من السجناء فى سجن واشنطن العاصمة D.C. Reformatory بضاحية لورتون بولاية فرجينيا ، وقد قرر الاستاذ دونالد كلمر Clemmer ، المدير العام لمصلحة سجون العاصمة آنذاك ، ان يعرض بعض حلقات هذا المسلسل التليفزيونى على جماعة مختارة من السجناء المحترفين فى السجن المذكور ، وقد كلفت آنذاك كباحث اجتماعى ان اقوم برصد ردود فعل السجناء الذين كانوا يشاهدون هذه الحلقات التليفزيونية وتسجيل انطباعاتهم الشخصية بعد نهاية عرض كل حلقة بهدف مناقشتهم فى جدوى الجريمة أو عدم جدواها .

والى هنا كانت هذه الفكرة علمية رائدة وكان الهدف اصلاحيا لا غبار عليه ، اذ كان القصد ان



يرى المجرمون باعينهم النهاية الواقعية السيئة التى تنتظر من يحترف الجريمة او يتخذها اسلوبا للحياة • ولكن الغريب في الامر أن جاءت نتيجة هذه التجربة الفريدة من نوعها مخيبة لآمال المخططين لها ،حيث ظهر ان ردود فعل المجرمين الذين شاهدوا هذه الحلقات لم تتعرض الى موضوع جدوى الجريمة او عدم جدواها بقدر ما اتاحت الفرصة لمناقشة وتحليل اوجه النقص والتقصير فى اسلوب اوتكاب الجريمة وتنفيذ تفاصيلها وكيفية مواجهة الاخطاء فى المستقبل ، وكان لسان حال كل منهم يقول بانه لو اتيحت له مثل تلك الفرصة لتصرف بشكل اكثر حكمة وتبصرا وباسلوب اكثر دقة وتنظيما ،ولذلك فقد ضاعت العبرة المقصودة من وراء هذه التجربة وضاعت معها الاهداف المنشودة فى عملية الاصلاح والتقويم •

هذه الفئة المختارة من المجرمين يطلق عليهم علماء الجريمة مصطلح «المجرمون المحترفون Professional Criminals » ويختصرون هذا اللقب بلفظة اهل السجن وفي عالم الاجرام بثلاثة حروف هي Pro اى « المحترفون » فمن هؤلاء المحترفون وكيف ومتى تصبح الجريمة حرفة او مهنة او وسيلة من وسائل العيش ؟

الاحتراف Professionalization يعني التخصص بعمل معين بشكل مهنة او حرفة بهدف كسب معاش دائم • وهذا يعتمد على بعض عناصر اساسية ابرزها توفر بعض الخبرة العملية والمهارة الفنية الى جانب بعض القيم والمتعارفات المهنية المتصلة باسلوب العمل فى اطار المهنة • ومن هنا قد تصبح الجريمة مهنة احيانا اذا توفرت فيها عناصر تكوين المهنة ،ويصبح المجرم محترفا اذا اتخذ من مهنة الجريمة عملا دائما واسلوبا من اساليب العيش •

احتراف الجريمة

والواقع ان موضوع احتراف الجريمة بدأ ينال اهتمام علماء الجريمة منذ عام ١٩٣٧ حين طلع « ادوين سذرلاند Sutherland » ، استاذ علم الجريمة السابق بجامعة شيكاغو ، بدراسته الرائدة حول «اللص المحترف The Professional Thief ويظهر ان دراسة ظاهرة الجريمة كمهنة او حرفة تعكس النظرة الاجتماعية المعاصرة لمفهوم الجريمة بوصف انها «نظام سلوكى Behaviour System يشكل وحدة متكاملة من الافعال والعادات والقيم والتقاليد والعلاقات الاجتماعية ، الامر الذى يخرج الجريمة من اطارها التقليدى كسلوك فردى لتصبح سلوكا جمعيا يقوم على روح التضامن الجماعى ، وبهدف تحقيق اسباب الانتماء والقبول الى عالم الجريمة السفلى • ومن خلال مثل هذا الاطار الاجتماعى برزت بعض انواع الجرائم لتصبح حقولا علمية جديدة لدراسة موضوع احتراف الجريمة •

السرقة مهنة قديمة

على ان هذا القول لا يعني بحال من الاحوال ان احتراف الجريمة ظاهرة جديدة ينفرد بها هذا العصر دون غيره،بل ان مهنة السرقة من الظواهر الاجتماعية القديمة التي عرفتها مجتمعات قديمة ذكرها الكثير من المؤرخين لتاريخ الجريمة • ففى كتاب ظهر فى عام ١٨٣٨ للكاتب الانجليزى « توماس رايت

Wright « بعنوان « الملكة اليزابيث وعصرها » يحدثنا هذا الكاتب ان مدرسة لتدريب النشالين وجدت في مدينة لندن منذ عام ١٥٨٥ ، وكان المتدربون يستخدمون بعض الدمى البشرية وقد علقت عليها اجراس خاصة تستخدم لتنبيه السارق في حالة ارتكابه اى خطا فني في عملية النشل • كما يذكر كاتب انجليزى اخر هو «فرانك ايدلوت Aydelott » في كتاب له بعنوان «المحتالون والمتسكعون في عصر اليزابيث» صدر عام ١٩١٣ ان حرفة السرقة في انجلترا ترجع في تاريخها الى عام ١٦٠٠ حيث كان لاصحاب هذه الحرفة تقاليد مهنية معروفة ولغة خاصة واساليب فنية دقيقة وشعور جماعي بالتضامن والولاء• والواقع ان علم الاجرام المعاصر يزخر اليوم بالعديد من الكتب والدراسات العلمية التى عالجت موضوع الاجرام المحترف، كما وهناك العديد من القصص والروايات والاعمال الادبية الرائعة التي تناولت حياة الجريمة والمجرمين بشكل او باخر •ولكن ماهي ابرز الانماط الاجرامية الشائعة في حقول الجريمة المحترفة والتي تشكل التخصصات الاجرامية المعاصرة بوجه عام ؟ ويمكن ايجازها على النحو التالي :

١ ـ السرقة بالسطو على المنازل وسرقة المخازن وسرقة العمارات السكنية ، وهذه تنصب على النقود وعلى البضائع على السواء ، وهي تشتمل على تخصصات فرعية معينة كالتخصص بسرقة الشقق وسرقة المخازن التجارية وسرقة الخزانات الحديدية بانواعها واساليبها المختلفة ، وغالبا ما ترتكب هذه السرقات من خلال تنظيم جماعي وتوزيع العمل بين اشخاص مجموعة معينة •

٢ ـ سرقة ارصفة الموانيء ومستودعات ومحطات السكك الحديدية وسيارات شحن ونقل البضائع وغالبا ما ترتكب هذه السرقات من خلال مجموعات منظمة •

٣ ـ سرقة معروضات المخازن Shoplifting وهذه جرائم يرتكبها المحترفون بشكل انفرادى في الغالب •

٤ ـ السرقة بالنشل Pickpockets وهذه تشتمل على تخصصات فرعية متعددة وتقوم على درجة كبيرة من التنظيم وتوزيع الاعمال والاختصاصات • وتنفذ هذه الجرائم من قبل مجموعات يتولى كل شخص من افراد المجموعة عملا معينا بالذات تنتهي مهمته بعد القيام به • ففي عملية نشل الاشخاص يقوم احد افراد المجموعة بتحديد مكان النقود لدى الضحية ، ويقوم شخص آخر بتوجيه انتباه الضحية نحو وجهة اخرى تفقده عنصر اليقظة والانتباه ، ويقوم آخر بعملية نشل النقود وتسليمها الى شخص اخر وهذا بدوره يقوم بتسليمها الى شخص آخر كما يقوم شخص آخر بمهمة الوقاية والحماية في حالة التعرض لخطر القبض • وقد يبرز التخصص الفني الدقيق في عملية النشل حيث نجد من يتخصص بسرقة الجيوب الداخلية العليا وآخر في الجيوب الداخلية السفلى او في الجيوب الصغيرة الظاهرة ، وهناك من يتخصص بقطع الملابس بآلة حادة ، وهناك من يتخصص في سرقة السكارى أو سرقة رواد المسارح والملاهي الليلية ، ومنهم من يتخصص في سرقة رواد وسائل النقل العامة ، ومنهم من يستخدم منديلا او صحيفة لاخفاء حركة يديه اثناء قيامه بعملية النشل الى غير ذلك من الوسائل والاساليب الاخرى •

٥ ـ سرقة السيارات اومحتوياتها وغالبا مايكون ذلك من قبل جماعات متخصصة يسهم كل فرد في المجموعة بدور محدد في العملية المطلوبة •

٦ ـ السرقة بالتهديد باستخدام العنف او القوة كسرقة المصارف والمتاجر أو السلب في الطريق العام وغالبا ما يتم تنفيذ هذه السرقات من خلال مجموعات ذات تنظيم خاص •

٧ ـ التزوير وتصريف الشيكات المسروقة بانواعها المختلفة . وغالبا ما ترتكب هذه الجرائم من قبل تنظيمات اجرامية صغيرة او كبيرة وباسلوب دقيق يجمع بين الدقة الفنية وتوزيع الاختصاصات والعمل في بعض المدن والاقطار •

٨ ـ النصب والاحتيال Confedence Games وتعتبر هذه الجرائم من اقدم الانماط الاجرامية المحترفة في تاريخ المجتمعات البشرية ، وتتم هذه الجرائم باساليب فنية دقيقة ومهارات شخصية واستعدادات شخصية معينة . وقد تختلف هذه الاعمال باختلاف المناطق الحضرية •

٩ ـ المجرم الذى يشكل غطاء السرقة The Fence وهو الذى يقوم باخفاء الاموال المسروقة وتهيئة المكان والزمان المناسبين للتصرف فيها ، ولعل مثل

هذا الشخص يشكل اطار المنفعة المادية لجريمة السرقة اذ تنعدم مثل هذه المنفعة بدون ايجاد الوسائل للافادة من المواد المسروقة ٠

تلك هي بعض الانماط الاجرامية الشائعة في عالم الاجرام المحترف ، وقد يضيف بعضهم انماطا اجرامية اخرى كالقتل المحترف والخطف المحترف بهدف الحصول على فدية مالية كبيرة ، ولكن مثل هذه الانماط بدأت تفقد اهميتها بعد اختفاء الكثير من انماط الاجرام المنظم الذى يقوم على العنف ، اذ لا شك ان القاتل المحترف غالبا ما تنتهى حياته الاجرامية لدى اول تجريم او ادانة يتعرض لها في حياته الاجرامية حيث ان عقاب جريمة القتل قد يكون الاعدام أو السجن مدى الحياة ٠

شخصية المجرم المحترف

والان ،ما هي الخطوط العامة التى ترسم شخصية المجرم المحترف وكيف تتبلور عناصر هذه الشخصية الاجرامية المحترفة ؟؟

الواقع ان هناك كثيرا من الآراء والفرضيات التى عالجت هذا الموضوع ، وسنحاول هنا ان نبرز اهم السمات المشتركة التى ذكرها بعض الباحثين الذين تناولوا تحليل شخصية المجرم المحترف من خلال دراساتهم الميدانية المختلفة وذلك بصورة موجزة على النحو التالى :

١ ــ شعور المجرم المحترف بالتميز والعلو على طبقة المجرمين الهواة او اولئك الذين يفتقرون الى عناصر الخبرة والمهارة وقواعد العمل .كما ويحتقر المجرم المحترف اولئك الذين يعمدون الى العنف والعدوان أو ارتكاب جرائم الايذاء البدنى .ولذلك لا يستخدم المجرم المحترف العنف الا عند الضرورة القصوى وبحد ادنى ٠

٢ ــ قبول حكم القانون كجزء لا يتجزأ من مخاطر المهنة ٠ فالحبس لدى المجرم المحترف واقع مؤلم تفرضه مخاطر المهنة ، ولذلك فان المجرم المحترف يكون سجينا نموذجيا في المؤسسات العقابية، فهو يشعر بالقبول والرضى ودفع ضريبة المهنة بحد ادنى من المتاعب والمشكلات السلوكية التى تطيل فترة غيابه عن عمله ٠

٣ ــ يتميز المجرم المحترف بالانفراد بتخصص واحد في حقل واحد من حقول الاجرام ، وقلما ينتقل المجرم المحترف من جريمة الى اخرى لان ذلك من شان الهواة وحدهم ، ولذلك فهو يفخر دائما باسلوبه ومهارته المهنية ولا يتردد في وصف نفسه ومهنته بقدر كبير من الفن والمهارة ، وقد تبرز مهارة احدهم في خبرة معينة حيث تشيع منزلته في مجتمع الاجرام السفلى ٠

٤ ــ ولعل ابرز ما تتميز به الشخصية الاجرامية المحترفة هو ما يؤكده الباحثون من وجود ذلك الاطار المعنوى الذى يربط حياة المجرم المحترف بنظرة اجرامية، غايتها تبرير العمل الاجرامي بشكل يحقق لصاحبه بعض التوافق النفسى والوجدانى مع حياة الجريمة ٠ فقد لا يجد المجرم المحترف في عمله الاجرامي اكثر مما يلمسه في المجتمع التقليدى من ممارسات لا اخلاقية تحت ستار العمل المشروع حين يكون الهدف كسب المال بطريق استغلال الآخرين ٠ فالمجرم المحترف يفترض سوء القصد وفساد الطوية في كل شخص ، ولذلك فان المعيار الذى يميز بين العمل الاجرامي وغير الاجرامي هو في قدرة الشخص على تضليل العدالة والعيش على هامش القانون،والقدرة على تجنب الوقوع في قبضة القانون ٠ونظرة كهذه تضع المجرم المحترف في صراع مستمر مع العالم التقليدى ٠ فهو لا يحترم من قوانين هذا العالم الا بالقدر الذى لا يتعارض مع نشاطه الاجرامي ، وفيما عدا ذلك يريد الغير كل الخير للمجتمع الذى يعيش عليه لانه كلما زادت رفاهية هذا المجتمع زادت منافعه وتضاعف استغلاله٠ فهو يعتقد بأن هناك طائفة من الاشخاص لا مفر من استغلالهم وان الكثير من الضحايا يستحقون مثل هذا الاستغلال بشكل او باخر ٠

٥ ــ والمجرم المحترف ينتمى الى عالم الجريمة السفلى ، لانه العالم الذى يحقق له بعض اسباب الامن والطمانينة والتقدير والحب والقبول ،ولذلك فهو يخلص لجماعته بكل اسباب الطاعة والولاء والامانة ٠ وهكذا يعيش المجرم المحترف في اطارين اخلاقيين متناقضين يكون في احدهما منتميا ومتوافقا وفى الآخر لا منتميا متمردا ٠ وقد لا ينعزل المجرم

المحترف عن عالمه التقليدي انعزالا تاما حيث يحتفظ له باصدقاء وعلاقات طيبة ولكنها ذات طبيعة نفعية صرفة ، اذ لا فرق لديه بين الصديق الذي ينفعه عند الحاجة وبين الضحية التي يعيش على استغلالها، ومن هنا فان علاقاته بالعالم التقليدي ذات طبيعة محدودة وبنوعية خاصة كتعامله مع احد المحامين الذين يهرع اليهم لطلب المشورة القانونية عند الضرورة •

كيف يصبح المجرم العادي محترفا

تلك عملية تطورية طويلة وتنشئة اجرامية خاصة تختلف باختلاف الاشخاص وباختلاف الظروف والمتغيرات الشخصية والبيئية المتصلة بهم • ولكن المجرم المحترف لا يصبح كذلك بين يوم وليلة • انه عالم غريب لا يدخله الا من خلال ارضيات مناسبة ذات عناصر معينة •وقد يدخل المهنة بعض المحترفين من باب شرعي كالطبيب الذي تقربه ظروف المهنة فيتحدر نحو اجراء عمليات الاجهاض غير المشروعة من خلال تنظيمات اجرامية معينة • وقد ينحدر الصيدلاني المختص للعمل في تنظيمات اجرامية لتوزيع وتداول بعض العقاقير المخدرة • الا ان عملية الانتقال الى عالم الجريمة السفلي لا تتم دائما بمثل هذه الطريقة الاستثنائية السريعة ، فهي انتقال تام من عالم تقليدي واسلوب عيش تقليدي الى عالم اجرامي واسلوب عيش اجرامي يقوم على الشر والرذيلة واستغلال الآخرين ومخالفة القانون • وهذا يحتاج الى تهيئة خاصة• وارضية مناسبة لقبول هذا الانتقال • فالغالب ان المجرم المحترف لا يصبح كذلك الا بعد اجتيازه مرحلة ابتدائية تضع قدميه على اول السلم الاجرامي ، ثم يتدرج صعودا الى قمة الاحتراف الذي تنقطع عنده غالبية صلاته التقليدية بالعالم التقليدي ، وهذا يتطلب خضوع الشخص الى مجموعة متكاملة من التحولات النفسية والوجدانية والاخلاقية والاجتماعية التي تسهل للمحترف قبول حياة الجريمة كاسلوب من اساليب الحياة ،وعندها تكتمل حلقات ما يعرف بالشخصية الاجرامية • وربما تبدو مسألة التمييز بين المجرم المحترف وغير المحترف من الامور اليسيرة حين يكون المعيار عامل الاحتراف كاساس لعملية التمييز او التصنيف العلمي احيانا •

ولكن الواقع ان المجرمين المحترفين قلة قليلة يصعب تشخيصها وفق معيار علمي محدد لتحقيق اهداف البحث العلمي السليم • ففي المؤسسات العقابية عدد غير قليل من المجرمين العادين Recidivists الذين يدخلون السجن مرة بعد اخرى ، ولكن هذا لا يعني انهم يحترفون الجريمة وفقا للسمات والخصائص التي ذكرناها سالفا •

وفي دراستي الميدانية لنموذج من المجرمين العائدين استخرجت من مجموع (٢٠٧) من المجرمين العائدين الذين ارتكبوا ثلاث جنايات فاكثر في حياتهم الاجرامية ، وبعد تطبيق معيار دقيق يتكون من (٢١) نقطة لتشخيص المجرم المحترف لم اجد سوى (٢٣) مجرما يمكن اعتبارهم من المحترفين • وهذه لا شك نسبة ضئيلة بين مجموع السجناء البالغ عددهم (١٩٨٥) سجين في سجن واشنطن العاصمة خلال السنوات ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠ •وقد ظهر ان غالبية هؤلاء المحترفين يتميزون بنسبة ذكاء تفوق نسبتها في سواهم من السجناء الآخرين ، وان جرائمهم كانت اكثر تخصصا • وكان اسلوبهم في ارتكاب الجريمة اكثر دقة واوضح مهارة وتخطيطا، وان ٩٤٪ منهم لا يميلون الى استخدام العنف اثناء ارتكاب جرائم السرقات • هذا الى جانب الكثير من الخصائص الاخرى التي لا مجال لذكرها في هذا المقال •

وبعد •• فتلك جولة قصيرة في عالم غامض غريب هو عالم الجريمة السفلي الذي يشكل المجرمون المحترفون ابرز عناصره وهيكله •• وهم يشكلون فئة قليلة بين مجموع المجرمين في كل زمان وفي كل مكان ، ولكنها ظاهرة خطيرة في اهميتها عميقة في دلالاتها ، اذ هي تمثل تلك الهوة السحيقة التي تفصل بين عالم الفضيلة والعيش الكريم وبين عالم الرذيلة والعيش الحرام • فالمجرمون المحترفون حصيلة تنشئة اجتماعية خاطئة قد يصعب تداركها اليوم بمعطيات العلم ومنهج البحث العلمي في ميادين التقويم والاصلاح •ورب جولة جديدة لعلوم الانسان والسلوك الانساني قد تفتح للباحث العلمي ابوابا جديدة لكشف المزيد من اسرار النفس البشرية وخفاياها • ■■

جامعة الكويت ـ د • عدنان الدوري

أنباء الطب والعلم

المعمرون في جورجيا لا ياكلون الخبز !

● اشتهرت ولاية جورجيا السوفياتية بكثرة المعمرين بين سكانها • فالكثيرون منهم تزيد اعمارهم على المائة عام • وقد قام احد العلماء السوفيات بدراسة واسعة لهذه الظاهرة الغريبة التي انفردت بها جورجيا في الاتحاد السوفياتي ، وذلك بقصد الوقوف على سرها وتحديد العوامل الكفيلة بتحقيق الاعمار المديدة •

وشملت تلك الدراسة ١٥٠٠ نسمة من سكان جورجيا تتراوح اعمارهم بين ٨٠ سنة و١٣٨ سنة • وتضمنت فيما تضمنت ان المعمرين من أهل تلك الولاية غالبا ما يكونون نحاف الاجسام • ذلك ان الطعام الذي يتناولونه قليل الوحدات الحرارية نسبيا ، اقل من الحد الادنى الذي يوحي به الاطباء • وهم لا ياكلون الخبز ويستعيضون عنه بكعك الذرة او القمح الفطير المعد بدون خميرة • ويفضل هؤلاء المسنون الخضراوات على اللحوم ويأكلون الجبن بكثرة وكذلك لبن الزبادي والحليب القليل الدسم •

وتجدر الاشارة الى ان ٨٦٪ من اولئك المعمرين من سكان الجبال و ٦٠٪ منهم من العمال الذين كانوا يزاولون اعمالا يدوية او جسدية في شبابهم وظلوا يمارسونها ولو باعتدال في شيخوختهم • وقد توقف اكثر هؤلاء المسنين عن التدخين وهم في الستين او السبعين من العمر •

بقي ان نذكر ان عددا من الامراض الخطيرة الشائعة في هذا القرن العشرين لايعرفها معمرو جورجيا من قريب ولا من بعيد • ونذكر من تلك الامراض على سبيل المثال :

امراض التاجية Coronary Illnesses
تصلب الشرايين Arteriosclerosis
وارتفاع ضغط الدم

مخاطر اللوالب

● اللوالب وما اليها من وسائط منع الحمل التي توضع داخل الرحم (I.U.D.) قد تكون هي الاخرى سببا في تشويه الاجنة تشويها يشبه ما احدثه عقار (الثاليدومايد) قبل حين •

فقد وضع الدكتور هربرت بري H.Barrie ، وهو احد كبار العاملين في مختبر الابحاث المتصلة بطب الاطفال ، Paediatric في مستشفى شيرنج كروس في لندن — وضع تقريرا وافيا حول الموضوع نشرته له مجلة الطب البريطانية B.M.J في عددها المؤرخ ٢٨/٢/١٩٧٦ •

ويشرح الدكتور بري في تقريره حالتين

أنباء الطب و العلم

ولدفيهما الطفلان باطراف قصيرة ومشوهة · وكان كلا الطفلين فاقدين لعظام الساقين وكذلك للاصابع ·· وهذا تشويه غريب جدا بل يعتبر فى حكم الشواذ ·· ولا يعرف له مثيل باستثناء ما نسب الى الثاليدومايد من اثار على الاجنة قبل حين ·· والسبب فى كلتا الحالتين هو اللولب الذى لجأت اليه الام بقصد منع الحمل ··

هذا واللوالب ، كما هو معروف ، لا تضمن عدم الحمل ضمانا تاما · ويقدرون نسبة من يحملن بالرغم من اللوالب ١:٥ ، أضف الى ان الحمل فى مثل هذه الحالات مصيره فى الغالب الاسقاط Miscarriage · هذا اذا لم يكن حملا Ectopic أى فى قناة فالوى خارج الرحم، او كان حملا قصير الاجل· لذلك ينصح الاطباء بازالة اللولب فى مثل هذه الحالات باسرع وقت ممكن ·

وجدير بالذكر أن هذه هى المرة الاولى التى ينسب فيها الى اللوالب تشويه فى الاجنة والمواليد على غرار ما احدثه الثاليدومايد ·

الابادة والانقراض فى اسرائيل

● انقرض فى اسرائيل ، وفى غضون ال ٣٠ سنة الماضية ١٪ من نباتاتها · وقد جاء ذلك نتيجة للتنمية السريعة التى أخضعت لها الارض ، وللجهود الناجحة والمتزايدة لاستغلال الموارد الطبيعية · والنسبة المذكورة تغطى ٢٦ صنفا من النباتات كانت موجودة فى فلسطين قبل الاستعمار الصهيونى ولا وجود لها فى الوقت الحاضر ·

واهتم بالامر الدكتور D.Dafn والدكتور M.Agami ، وهما استاذان فى الجامعة العبرية ، فطالبا بضرورة العمل على وقف موجة الانقراض هذه ، ووجوب حماية البيئة حماية فعالة فى المستقبل ·

وقد كتب الاستاذان مقالا فى مجلة Biological Conservation عددا فيه اصناف النباتات المنقرضة ·· واغلب هذه النباتات كانت تنمو فى البحيرات والمستنقعات وعلى ضفاف الانهار ··وقد تم انقراضها تبعا لاعمال الاستصلاح التى قامت بها اسرائيل ··

من تلك الاعمال اعمال تجفيف المستنقعات بمافيها بحيرة الحولة،ومشاريع الرى الواسعة النطاق والتحكم بالغدران والينابيع ·· اضف الى ذلك أن تلوث الماء فى نهرين اثنين على الاقل قدتسبب بانقراض بعض تلك النباتات ·

آفاق جديدة

● الدكتور لستر ساكس Lester sacks طبيب امريكى من اطباء الاسرة فى مدينة لوس انجلس · وقد درس فن الوخز بالابر فى الولايات المتحدة وفى لندن · وبلغ من تمرسه فى هذا الفن أن ابتدع طريقة جديدة فى الوخز تضمن الى حد كبير معالجة البدانة والادمان على التدخين والكحول ، وكذلك الادمان على تعاطى الادوية ·

وقوام الطريقة الجديدة الثقوب التى يحدثها الدكتور ساكس فى اذن المدمن او البدين وذلك بواسطة جهاز خاص صنعه لهذا الغرض · ويتم الوخز بالقرب من مواقع الوخز الحساسة المعروفة لدى الخبير بفن وخز الابر ·· وتبقى الابرة الجراحية حيث يضعها الطبيب فى الاذن لمدة ما بحيث يلجأ المريض الى تحريكها فى كل مرة يشعر فيها بالدافع الى



فى فن الوخز بالابر ..

الخمر او السيجارة او الاسراف فى الاكل ..

أما كيف تعطي هذه الطريقة اثرها فالدكتور ساكس نفسه لا يعرف ذلك .. فأثرها العلاجى مجهول ، كأثر الوخز بالابر العلاجى عامة .. وهو مجهول كما لا يخفى . الا أن نتائج الطريقة الجديدة معروفة ، ويمكن ايجازها على النحو التالى :

البدانة : ٧٥٪ من الذين عولجوا بهذه الطريقة فقدوا نحو ٤٠ ــ ٥٠٪ من وزنهم .. ونصف هؤلاء حافظوا على وزنهم الجديد حتى بعد اقتلاع الابر من اذانهم ..

التدخين : ٦٠٪ لم يعودوا يدخنون سوى ٤ ــ ٥ سجاير فى اليوم وقد بلغ تدخينهم من قبل حوالى ٤٠ سيجارة يوميا .. والكثيرون منهم تخلوا عن التدخين نهائيا .

الكحول : ٤٠٪ من ١٥٠ مدمن حدوا من شربهم الخمرة بمعدل النصف ثم لحق بهم ٣٠٪ بعد ستة شهور من اجراء التجربة .

الصلة بين الخمر وفقدان الرجولة

● كشفت التجارب العلمية التي اجريت مؤخرا عن صلة مباشرة ووثيقة بين الكحول وبين فقدان الرجولة . ونخص بالذكر من هذه الدراسات تلك التي قام بها فريق من علماء مدرسة جبل سيناء الطبية .. وهي مؤسسة في نيويورك ، اشتهرت بأبحاثها وتجاربها العلمية والطبية ..

اختار هؤلاء العلماء لتجاربهم احدعشر رجلا من المدمنين على الخمر .. اثنان منهم من المدمنين المزمنين Chronic Alcoholics والتسعة الآخرون من المدمنين الاجتماعيين Social Drinkers واستغرقت التجربة شهرا كاملا ، سمح اثناءه للجميع بتناول كميات كبيرة من الكحول بمعدل ٢٢٠ جرام كحول خالص يوميا

وفي غضون يوم او يومين من بداية ذلك الشهر نقصت كمية هرمون الرجولة Testosterones الموجود في الدم في رجال الفئتين جميعا ... واستمر النقصان حتى لم يبق من هذا الهرمون في دمهم سوى ٣٠ ــ ٥٠٪ من الكمية الأصلية ...

ولم تقف الأضرار عند هذا الحد ... فقد اثبتت الفحوص بعد ذلك نقصانا فى افراز هرمون التستسترون من قبل الخصيتين .. هذا الى جانب ما تعرضت له الغدة النخامية من قصور ، وقد نقصت افرازاتها التى تحتاج اليها الخصيتان . وقد ظهرت هذه الاعراض الاخيرة فى فئة المدمنين المزمنين بخاصة .

ويشير العلماء الى اثر الكحول السام على الخصيتين . ويرجحون ان هذا الأثر هو الذى سبب الكثير من التغيرات التى ذكرنا .. على الأقل في فئة المدمنين المزمنين .. ويؤكد العلماء كذلك ان التلف الذى تحدثه الخمرة في الكبد هو المسئول عن احداث بقية تلك الثغرات .

إلـى ولـدى ..

■ أنا قادمٌ لك ، يا بـنى — وحق طُهرك لا تـنم
لا تحرمنّ أباك من — فمك الشهىّ اذا ابتسم
حلواك تلك أضمُّها — في لهفةٍ بيدىّ ضـم
أسعى اليك ، وكلُّ خا — فقة بجنبى تضطرم
فلعلنى ألقى صبا — حك يملأ الدنيا نغم
فأطيرَ من فرحى وأنـ — سى الهمّ ، أنسى كلّ همّ
فلكم تعبتُ ، وكم شقيـ — تُ ، وكم شبعت من الالم !
وعلى نِداك الحُلوِ تر — تاحُ الجِراحُ وتلتئم

***

عوّدتنى حبـاً حلمـ — ت به ،وكم عزّ الحلْم
قضيّتُ عمرى أبتغيـ — ه، ولم أصبْ إلا الندم
كم ذقتُ فيه من العذا — ب،وكم صبرت ،وكم،وكم
وتبعتُه ، حتى يئسـ — تُ،وقلتُ:إن الحبّ وَهْم

***

ثم استمعتُ إليك تد — عونى،وتلثغُ فى الكلِم
فسمعت أقدر ناثر — وسمعت أبلغَ من نظم
جاوزت ما نطق اللسا — ن ، وخفت ما كتب القلم
وسكتَّ عن عى ، ولـ — كن كل ما تبغى فُهِم
عيناك أفصحُ فى الحديـ — ث المشتهى من كل فم
والحبُّ عندك آيةٌ — من صنع وهاب النعَم
فيه من الرحمن : من — فردوسه الأعلى نَسَم
كم من لقاء منك ، أحـ — يا من حياتى ما انعدم
أحييتَ لى قلبا إلى الـ — أشواق والنجوى نَهِم
ألقاك بين يدىّ ، أشـ — رب من لمَاك ، وألتهم
وأطيل ضمّك ، لست أشـ — بَع منك ، من شفتيك لثم

قُبُلاً تفيض بما يُـــذا ... ق ، وما يُحَسّ ، وما يُشَم

***

وتروح تحكـى لى حكـا ... يات النهار المنصـرم
وتعثّــرُ الكلمـات فـى ... فـمك الشهى المبتـسِم
نغَمٌ على سمعى ، أتـــد ... رى ، يا حياتى ، ما النغم ؟
شيء تدور لـه الـرءو ... س ، وتستريح ، وتنسجم
ونَهمٌ ، لا تقوى خُطـا ... كَ على المسير المنتظم
وتروح تعثُـر بالأثـا ... ث ، تحيد عنه ، وتصطدم
وفرشتُ قلبي كـي تسيـ ... ـر تدوسُ فيـه بالقدم
أقسمتُ أنك لـو فعلـ ... ـتَ لما وجدتُ له ألم

***

قرّب إليّ ، بنيّ ، حنـ ... ـوَ رُضاب مبتسمك الشهى
واسكبْ على ظمـئى إلى ... عينيك من شفتيـك رِىّ
واغسلْ جِراحـاتِ السنيـ ... ـن ، وقسوةَ الزمن العتىّ
أنا ، يـا بنيّ عـلى الجـرا ... ح طويتُ هذا القلب طـىّ
الناس كم خدعوا ، وكـم ... غدروا ، وكم كذبوا علىّ
حتى الوفاءُ بذلتـــه ... فارتدّ نكرانـاً إلىّ
إن الــذى قدّمتـــهُ ... ورفعتُ موضعه الدنـىّ
جحدَ الجميـل ، وراح عن ... عيني ، إلى طرْفٍ خفـىّ
أسعى اليه – وكيف أبـ ... ـلغه – وموضعه قصـىّ ؟
فرحٌ بما يلقى ، وهـل ... يدرى الحلى عن الشجىّ ؟
لمـا تسلق عـودَه ... وافاه معدنه الـردىّ
حاولت أكرهُه ، فلـم ... أفلحْ ، وأسقط في يدىّ
إنى أحب الناس ، يـا ... ولدى ، ولو حقدوا علىّ ■■

محمد التهامى



قرحة المعدة والاثنى عشر المشكلة والحل!

بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ ليس غريبا ان يتمنى انسان اليوم ، لو انه عاش بالامس قبل ان تظهر وتترعرع المدنية الحديثة ، وما جلبت معها من امراض جديدة اوزيادة في نسبة الأمراض التى كان يعانى منها • فبقدر ما تعطى من اسباب الرفاهية والبذخ نراها تسلب من الانسان اعز ما يملك وهو صحته • وها هى ذى الأمراض التى يسببها التوتر العصبى، او يساعد على ظهورها واستفحال امرها تزداد يوما بعد يوم • وتطالعنا الاحصائيات العالمية كل يوم عن مدى انتشار هذه الامراض •

وقرحة المعدة والاثنى عشر من هذه الامراض ، بل انها تحتل مركز الصدارة فيها •

لماذا تحدث قرحة المعدة والاثنى عشر ؟

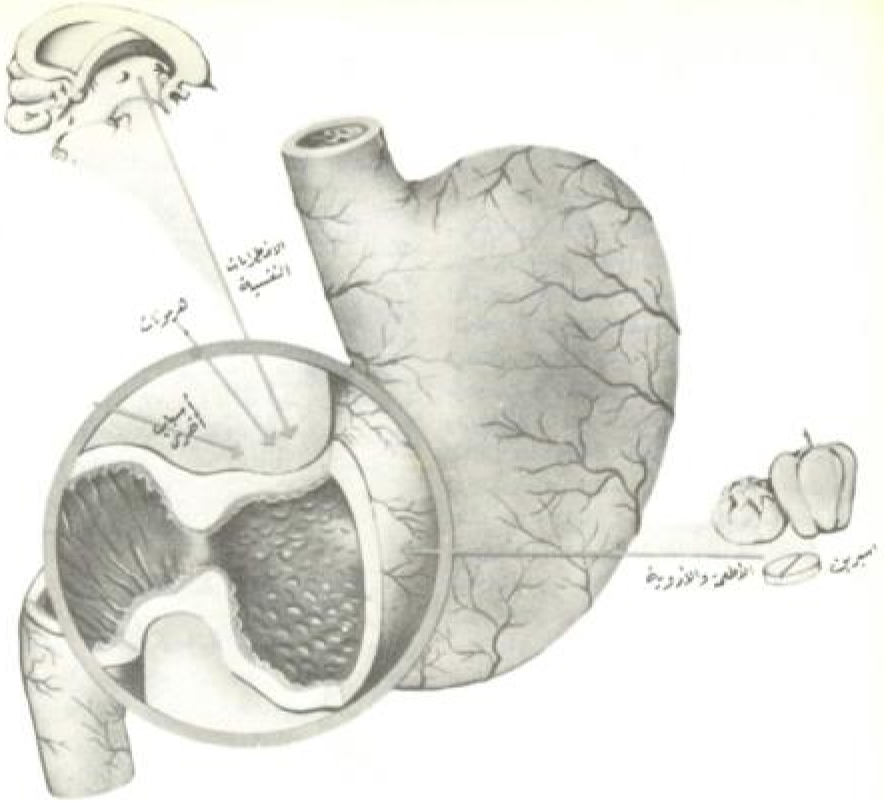
نحن نعلم ان المعدة والاثنى عشر مبطنة من الداخل بغشاء مخاطى ، من خصائص خلاياه انها لا تتأثر بالمادة الحمضية والخمائر التى تفرزها ما دامت هذه الخلايا صحيحة وسليمة • اما اذا ضعفت هذه الخلايا بان قلت نسبة الدم الذاهبة اليها كما يحدث في امراض انسداد الشرايين او تصلبها ، او تعرضت لاصابات اثرت على فعاليتها، او وجود مواد داخل الجسم ، تسبب نقصا في حيويتها ، كل هذا يجعلها تقف عاجزة امام الحامض والخمائر فتتآكل وربما يكون هذا التآكل سطحيا وسريعا مما يسبب التقرحات الحادة ، او يزداد بمرور الوقت عمقا واتساعا فيكون القرحة المزمنة. وهناك من يعتقد انه اذا زادت نسبة الحامض في المعدة او الاثنى عشر سبّب ذلك ضعفا في النشاط المخاطى ونتج عن ذلك حدوث تقرحات بالمعدة والاثنى عشر •

وهناك عوامل عدة تساعد على حدوث القرحة في المعدة والاثنى عشر منها :

اولا : العوامل النفسية ، ولها ـ كما اسلفت ـ اثر كبير في احداث القرحة ، وهناك اعتقاد بان كثرة الحامض الذى يفرز مع الاضطرابات النفسية هو السبب في اشعال فتيل القرحة ، والبعض يعتقد ـ بعد دراسات ـ ان ذلك يساعد على اتساع القرحة وتعمقها ، وتحولها الى حالة مزمنة •

ثانيا : يعتقد البعض ايضا ان العامل الوراثى له دخل في حدوث قرحة المعدة والاثنى عشر ، فهناك عائلات تزداد نسبة حدوث القرحة بها ولعل ذلك يرجع الى وجود نقص في المواد التى تقى الغشاء المخاطى وهذا يجعلها عرضة للتقرح • ولقد وجد ان نسبة قرحة الاثنى عشر تزداد بين هؤلاء الذين تكون فصيلة دمهم فصيلة (O) اى صفر •

ثالثا : تأثير بعض هرمونات الجسم ، تلاحظ زيادة نسبة حدوث القرحة بين الرجال على ما هى في النساء وهى نسبة تتراوح بين ١ : ٤ الى ١ : ١٠ ، هذه الزيادة حدت بالكثير من العلماء ان يفكروا في ان هرمون الاستروجين Estrogen



لا بد ان له علاقة في وقاية الغشاء المخاطى من التقرح ، ويعزز ذلك القول تقارب النسبة بين الرجال والنساء فى سن اليأس عندما تقل نسبة هذا الهرمون فى الدم ․․ ولقد وجد كذلك ان الهرمون الذى تفرزه الغدة الكظرية التى فوق الكلى والمعروف باسم جلوكوكورتيكيد Glucocorticoid

اذا زاد فى الجسم زادت نسبة افراز الحامض وبالتالى سبب تقرحا فى الغشاء المخاطى ، والمرضى الذين يستعملون هذا الهرمون او اى مشتق من مشتقات الكورتيزون معرضون لتقرحات بالمعدة والاثنى عشر ․ وتختلف الآراء فى ذلك من ان هذا الهرمون يظهر ويساعد على اتساع قرحة تكون موجودة قبل تعاطى الهرمون أو زيادته فى الجسم ․ ومما يؤكد هذه الظاهرة وتأثير هذا الهرمون ان المرضى الذين يعانون من نقص فى هذا الهرمون فى مرض اديسون Addison او فى مرض الغدة النخامية التى تؤثر على الغدة الكظرية بالتالى ، نجد ان نسبة افراز الحامض تقل وبالتالى لا تحدث لهم اى تقرحات ، وكذلك لوحظ ان نسبة المرض تزداد فى المرضى الذين يعانون من ورم او زيادة فى افراز الغدة بجوار الدرقية والتى يتسبب عنها زيادة نسبة الكلسيوم فى الدم والذى بالتالى يرفع من افراز هرمون الجاسترين Gastrin الذى يزيد افراز الحامض ․

رابعا : وجود أمراض تساعد على حدوث القرحة : واهمها مرض تشمع الكبد أو تليف الكبد ، والتهاب المفاصل الشبه روماتيزمى ، مرض تمدد الرئتين والتهاب البنكرياس المزمن ، ويرجع ذلك الى انه فى حالة تليف الكبد لا تقوى خلاياه على درء خطر مادة الهستامين Histamin على الخلايا التى تفرز الحامض ، وبالتالى تزداد كمية الحامض التى تفرز ويتعرض الغشاء المخاطى للخطر ․ وفى حالة تمدد الرئتين فان الغشاء المخاطى يحتقن وتقل نسبة اوكسجين الدم الذاهبة اليه ، فيكون ضعيفا امام الحامض وبالتالى تتآكل خلاياه وتكون القرحة․ وفى حالة التهاب البنكرياس المزمن فان الخمائر التى تفرز من البنكرياس تقل وهى قلوية ، وبذلك تترك المجال فسيحا للحامض يعبث بخلايا الغشاء المخاطى المبطن للاثنى عشر وتكون القرحة ․․ وما زالت الاسباب التى تؤدى الى زيادة نسبة القرحة فى أمراض الشبه روماتيزمية

مجهولة الا ان الاحصائيات تذكر هذه الظاهرة ٠

خامسا : دور بعض العقاقير والاطعمة فى حدوث القرحة أو المساعدة على ظهورها واتساعها : مما لا شك فيه ان هناك بعض العقاقير التى تزيد فى حدوث قرحة المعدة ويتصدر هذه العقاقير الاسبرين ومشتقاته ، ومركبات الكورتيزون ، ومركبات البيوتازلودين والاندوسيد ، والكولشيسين ، وبعض العقاقير الاخرى وكذلك وجد ان الاطعمة التى تحتوى على كميات كبيرة من التوابل والمشروبات الروحية والتدخين والمياه الغازية ، والقهوة ، والشاى المركز ، كلها تساهم فى حدوث القرحة او المساعدة على حدوثها ٠

أعراض قرحة الاثنى عشر

تتميز اعراض قرحة الاثنى عشر بأنها ـ فى بادىء الامر ـ تظهر فى بعض الاوقات وتختفى فى بعضها ، بل تزداد فى شهور معدودة من السنة وتختفى أو تقل فى البعض الاخر ، ثم انه ما تلبث ان تقل فترات اختفاء الاعراض ، وتتقارب حتى يصبح المريض يشكو معظم الاوقات من هذه الاعراض ٠ ولقد وجد انه فى حوالى ٢٠٪ من الحالات تأتى المريض مضاعفات قرحة الاثنى عشر كالتنزيف منها أو الانثقاب دون ان يكون قد اشتكى من أعراض تذكر ٠

وكذلك بعض المرضى بالقرحة لا تظهر عليهم أية أعراض للمرض مع انه يوجد تقرحات بالاثنى عشر ٠

واهم عرض يشكو منه المريض هو الالم فى منطقة أعلى البطن ـ هذا الالم يوصف بأوصاف عدة ـ يكون تارة على هيئة « حرقة » أو تقلص شديد ، أو الشعور بعدم الراحة بعد تناول الطعام ٠ أو ألم شديد عند الجوع ٠ وهذا الالم سرعان ما يزول بتعاطى الطعام ، أو تعاطى أية مادة قلوية ، كبيكربونات الصودا مثلا ٠ ويبدأ ظهور الالم بعد تناول الطعام بساعتين أو ساعتين ونصف الساعة ويزداد فى الليل وربما أيقظ الالم المريض من نومه ٠ والسبب الرئيسى لحدوث مثل هذا الالم هو تعرض القرحة لكميات كبيرة من الحامض الذى تفرزه المعدة ٠

على انه فى بعض الحالات تظهر أعراض اخرى غير الالم ، كالاحساس بالحموضة ، أعلى البطن ، وصعودها الى أعلى الى ان تصل الى الفم ، وربما صحب ذلك غثيان أو الشعور بالقىء ، وفى بعض الحالات الاخرى يحس المريض وكأن سائلا يخرج من أعلى البطن الى فمه وتزداد هذه الاعراض اذا كانت القرحة مصحوبة بضعف فى العضلات التى تسد فتحة المرىء فى المعدة فتكون فى معظم الاحوال مفتوحة وتتلقى الحامض والسوائل من المعدة فتندفع الى الصدر حتى تصل الفم ، وفى بعض الحالات تأتى المريض أعراض القرحة كحالات انسداد فتحة البواب وما يتبع ذلك من اعراض ، أو انثقاب القرحة وخروج محتويات المعدة الى البريتون وما يتبع ذلك من أعراض اخرى ، أو النزف من القرحة على هيئة تقيؤ مادة بنية او خروج مادة مثل « القار » الزفت من فتحة الشرج ٠

وفى صغار السن تكون الاعراض مختلفة فى الحدة ، وربما حضر صغير السن وهو فى حالة انثقاب للقرحة أو نزف منها ، بل ان الالم الذى يشكو منه فى بعض الحالات يزداد بتعاطى الطعام عكس ما يشكو منه كبير السن ٠

على انه اذا اصيب الجزء الثانى من الاثنى عشر بقرحة ، أو كانت القرحة عند فتحة البواب ، تميزت الاعراض هنا بالغثيان والقىء وفقدان الشهية ونقص فى الوزن وتقلصات شديدة بعد تعاطى الطعام مباشرة ، وهى أعراض لا نراها فى قرحة الجزء الاول من الاثنى عشر ٠ اذ انه من الملاحظ فى هذه القرحة ان وزن المريض يزداد نظرا لتعاطيه كميات كبيرة من الطعام للتغلب على الالم الذى يعانى منه ٠

واذا حدث التصاق فى القرحة مع البنكرياس الذى يوجد خلف المعدة نجد ان المريض يشكو من الام شديدة فى أعلى البطن وينتشر هذا الالم الى ظهره ، ويستمر هذا الالم لفترات طويلة ٠

ومن هذه الاعراض التى أوضحتها ، وما تظهره الاشعة اللازمة ، يمكن للطبيب ان يشخص قرحة الاثنى عشر ٠

العـــلاج

ويعتمد العلاج فى قرحة الاثنى عشر على ركيزتين قويتين حتى ينجح ، ويكون له الاثر الفعال ، والا اضطر المريض فى النهاية الى ان يسلم أمره للتدخل الجراحى ٠

والركيزة الاولى هو التقيد بنوع الطعام مع الراحة النفسية والجسمانية .

ونوع الطعام يشكل مشكلة في مريض القرحة ، فهذا المريض يستسيغ هذا الطعام ويكره ان يرى ذلك النوع من الوجبات حتى انه في بعض المراكز المتخصصة وجد انه لا بد ان تعالج مشكلة الطعام مع كل مريض على حدة ، ويعطى ما يحبه من طعام شريطة الابتعاد عن الاطعمة التي تسبب زيادة في حامض المعدة ، وهي الحمضيات ، والتوابل ، والشاى ، والقهوة ، والاطعمة الدسمة او المشبعة بالحلوى ، والمشروبات الروحية ، والغازية .. واذا وجد المريض بعد ذلك من الطعام ما لا يمكنه ان يستسيغه او يسبب له آلاما في معدته تركه من تلقاء نفسه وجرب غيره .. ولقد وجد مثلا ان هناك من المرضى ما لا يمكنه ان يشرب اللبن الحليب لانه يسبب له انتفاخا بالبطن ، وفي هذه الحالة يمكنه مثلا ان يستعمل اللبن الحليب في الاطعمة المختلفة لما له من تاثير فعال على الحامض كاستعماله في الكسترد او المهلبية وغيرها ، ولقد وجد كذلك ان الوجبات الصغيرة كل ساعتين احسن بكثير من تقليل الحامض في المعدة ، مع وجبة صغيرة قبل النوم .

والراحة النفسية هامة اذ ان للعامل النفسي اثرا كبيرا على التئام القرحة ، واذا كان لا بد من استعمال المهدئات فلتكن بكميات قليلة خوف تاثر الغشاء المخاطي بها .

والراحة الجسمانية واجبة اذا كانت الام القرحة مبرحة ، اذ ان العمل في هذه الحالة لا يساعد على تحسن الحالة ، بل ربما سبب مضاعفات للمريض ، وكم من مريض اهمل هذا الامر ودخل المستشفى وهو في حالة يرثى لها من الالم او انفجار في القرحة او نزف بها ، وتكون الراحة لمدة اسبوعين او اكثر حسب حالة كل مريض ومدى تقدم الحالة .

العقاقير التي تستعمل في قرحة الاثنى عشر

لقد وجد بالبحث ان العقاقير المضادة لحموضة المعدة يستمر مفعولها لمدة ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة اذا اعطيت قبل تناول اى طعام ، ولكنه يستمر مفعولها لساعات عدة بعد تناول الطعام بساعة ، لذا يجب استعمالها بعد تناول الطعام بساعة ، اذ ان الطعام في هذه الحالة هو الذي يقوم بمتع تفاعل الحامض الشديد مع الغشاء المخاطي ، والمضاد للحامض المثالي ما زال بعيد المنال ، اذ ان بعض هذه العقاقير يسبب امساكا شديدا ، وبعضها يسبب اسهالا شديدا ، واحسنها هو الذي يحتوى على مادة كربونات الكلسيوم ، اذ انه وجد انه احسنها في التغلب على زيادة الحامض في المعدة. والواقع انه كل يوم يمر تظهر مضادات للاحماض كثيرة ، وكلها تدور في فلك واحد هو محاولة التقليل من مفعول الحامض على الغشاء المخاطي ، على ان يترك الطبيب للمريض مدى استساغته للمضاد الذي يقرره الطبيب .

والعقار الاخر الذي يستعمل هو الذي يؤثر على العصب الحائر وبالتالي يقلل من كمية افراز الحامض . وهذا العقار ايضا يظهر على اشكال مختلفة . والمهم فيه ان لا يكون له مضاعفات جانبية ويكون مفعوله اكيدا وبكميات قليلة. واهم هذه العقاقير هو مركبات البروبانثين Probanthin ومركبات البلادونا . على انه ما زال لهذه العقاقير مضاعفات كالشعور بجفاف الفم والحلق ،(زغللة) العينين، التباطؤ في التبول ،وربما سببت احتباس البول عند كبار السن ، وتسبب أيضا امساكا وفي بعض الحالات خمولا شديدا وقلة في التركيز واختلاط الامور ، ويحدث هذا كذلك في كبار السن ، لذا يجب عدم استعمالها في المسنين خصوصا اذا كانوا يعانون من تضخم في البروستاتا أو ارتفاع الضغط في العينين . ويستمر استعمال هذه العقاقير ما دام هناك نشاط في القرحة لم يقف استعمالها حسب رأى الطبيب .

والسؤال الذي يتردد دائما على السنة مرضى قرحة الاثني عشر ، هو : الى متى ساستمر على هذا النوع من التحمية في الغذاء والدواء ، لقد ضقت ذرعا بهذا الغذاء الخالي من التوابل ، الغير دسم ، الخالي من الالياف ، وتعدد هذه الوجبات التي لا أجد مبررا لها ، ثم هذا الدواء الذي يؤذيني طعمه ومفعوله .

والاجابة على هذه الاسئلة ، ترتكز على المشاهدات ومدى التئام القرحة ، فلقد وجد ان هذا يستدعي أسابيع بل وفي بعض الحالات شهورا، ويرجع ذلك الى اختلاف اتساع وعمق القرحة ،

ووجد ان متوسط مدة العلاج والتقيد به لا بد وان يستمر على الاقل شهرين الى ثلاثة شهور • وهناك الاحتمال على ان تنشط القرحة بعد التوقف عن العلاج خصوصا اذا اندفع المريض الى ما كان عليه من طعام يزيد من نسبة الحامض او استئنافه التدخين بكميات كبيرة ، أو تعاطي المشروبات الروحية والغازية بكميات تؤثر على القرحة • واذا حدث وان نشطت القرحة لا بد ان يعود المريض الى ما كان عليه من علاج لمدة شهرين او ثلاثة حسب حالته •

ويستانف العلاج كذلك اذا أحس المريض بان حالته العصبية ليست على ما يرام ، أو انه من الممكن ان يتعرض لان تنشط القرحة مرة ثانية وفي هذه الحالة يكرر العلاج لمدة اسبوعين او ثلاثة حسب شعوره بحالته •

والبعض يرى انه لا بد من استعمال العقاقير التي تؤثر على العصب الحائر ، لفترات طويلة جدا اذ ان هذا يقلل من حدوث نكسة ، ونشاط في القرحة • والبعض لا يحبذ استعمالها لهذه الفترات لما لها من مضاعفات جانبية •

والعلاج الناجع للقرحة في الاثنى عشر يعتمد اعتمادا كليا على مدى تعاون المريض وتقيده بالعلاج ، واستشارته لطبيبه عندما يعن له امر من الامور يؤثر على هذا العلاج • وكم من مريض اهمل فيهذا وكانت النتيجة انتعرض للمضاعفات، او ان العلاج الدوائي لم يجد معه نفعا ، وحينئذ يكون لا ملجا الا اجراء العمليات الجراحية له •

العلاج الجراحي

وهذا العلاج يوصف لقلة من الحالات ، ونلجا اليه في حالات وجود مضاعفات فيالقرحة ،كانفجار القرحة وانثقابها ، او عندما يحدث منها نزف شديد لا يمكن التغلب عليه بالعلاج الدوائي ، او في حالات ما اذا سببت القرحة انسدادا في اول جزء من الاثنى عشر نتج عنه تضخم في المعدة ، وتوقف الغذاء عن سيره الطبيعي ، وكذلك عندما تفشلجميع الوسائلالدوائية ،ووجد ان المريضمن الصنف الذي عاد لا يتحمل دواء ،وحالته النفسية في تدهور مستمر ، ولو ان هذا الصنف من المرضى يخشى عليهم من ان تجرى لهم العملية الجراحية لما لنفسيتهم من تاثير علىنتائج التدخل الجراحي•

وما زال الجراحون يحاولون لايجاد العملية المثالية حتى لا يتكرر حدوث القرحة، والتي مازال احتمال تكرارها يتراوح بين ٣ ـ ٨٪ وتبلغ نسبة الوفاةمناجراء العملية ١ ـ٣٪فيالمراكز المخصصةفي اجراء هذهالعمليات،كما انه مازالت هناكمضاعفات تنتج من اجراء العملية اهمها الاسهال ، وما يتبع ذلك من مضاعفات نقص الغذاء الذي يصل الى خلايا الجسم ،والاحساس بالهزال والضعف الشديد بعد تناول الطعام وتكرار القيء من آن الى آخر• هذا علاوة على مايحدث في هذه العملية كاي عملية اخرى ، من نزف وصدمة ، والتهابات مع التصاقات داخل البطن •

من هذايظهر جليا انالتجوء الىالتدخلالجراحي في حالة قرحة الاثنى عشر صعب ، صعب على المريض من جهة ، وصعب على الجراح من جهة اخرى ، لذا كان الحذر ومحاولة الابتعاد عن اجراء العملية الا عند الحاجة القصوى •

قرحة المعدة

وهي اقل حدوثا من قرحة الاثنى عشر بنسبة ١ : ٤ • وتكثر في الرجال عنها في النساء بنسبة ٣ر٥ : ١ ويمكن ان تصيب الاشخاص في اى سن لكن نسبة الاصابة تزداد ما بين سن الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين بزيادة عشر سنوات عن قرحة الاثنى عشر • ولقد وجد ان ٢٠ ٪ من المصابين بقرحة المعدة مصابون كذلك أو اصيبوا بقرحة الاثنى عشر •

واعراض قرحة المعدة تختلف عنها في قرحة الاثنى عشر ، اذ ان هناك عددا ليس بالقليل يعاني من قرحة المعدة ،ولا يحس باى عرض ،وتكتشف القرحة مصادفة او ان المريض يحضر للمستشفىوهو يعاني من مضاعفات قرحة المعدة ، وفي هذه الحالة اما من نزف شديد، او انفجار ، او انثقاب فيالقرحة، وتظهر الاعراض في بعض الحالات على هيئة سوء هضم او انتفاخ في اعلى البطن ، او الشعور بالقيء بعد تناول الطعام ، او حرقان في اعلى البطن، او تقلصات يحسها المريضمن آن الىآخر• وليس من طبيعة قرحة المعدة ان تحدث الما اثناء الليل كما هو الحال في قرحة الاثنى عشر ، ولكن هذه الاعراض تستمر لفترات طويلة ولا تاخذ شكلا

خاصا ، وهي تاتي على فترات وتنقطع كلية في فترات اخرى • على انه في حالات عدة تكون شكوى المريض واضحة وهي الشعور بالغثيان والميل الى القيء وفقدان الشهية ، والقيء من آن الى آخر •

وللتاكد من وجود قرحة بالمعدة ، لا بد ان تفحص بواسطة المنظار الخاص بها ، وعمل الاشعة الملونة الخاصة ، وفي كثير من الاحيان تؤخذ عينات منها للتاكد من انها من النوع الحميد ، اذ ان بعض هذه التمرحات تكون من النوع السرطاني ، أو تتحول بمرور الوقت الى هذا النوع ، لذلك يمكن معرفة ذلك في وقت مبكر حتى يمكن للجراح المعالج ان يسلك الطريق الخاص بكل عمليه ، اعني اذا كانت القرحة حميدة أو خبيثة •

على ان هناك من الاسباب ما يوحي الى الطبيب الفاحص ما يمكنه ان يفرق بين القرحة الحميدة والاخرى الخبيثة ، اذ ان الاشعة الملونة يمكنها ذلك في ٨٠ ـ ٨٥٪ من الحالات، والفحص بالمنظار يوحي بذلك في ٨٠ ـ ٩٠٪ من الحالات ، ثم فوق ذلك فحص العينة التي تؤخذ من المعدة ، ووجود خلايا سرطانية بها، ثم قياس كمية الحامض الذي تفرزه المعدة.اذ انه في بعض الحالات يكون الحامض قليلا أو ينعدم وجوده ، ثم بعد ذلك ياتي دور العلاج ومدى استجابة القرحة له •• في القرحة الحميدة يقل حجم واتساع القرحة ، بعد العلاج بأسبوعين أو ثلاثة ، بينما لا يلاحظ ذلك في القرحة السرطانية أي الخبيثة •

العـــلاج

والعلاج هنا لا يختلف كثيرا عنه في قرحة الاثنى عشر من اتباع الطريقة الخاصة في تناول الطعام ، مع الابتعاد عن كل الاطعمة التي تهيج القرحة ، وتزيد من افراز الحامض المعدي • ثم تعاطى الادوية التي تقلل من تأثير الحامض ، الا انه في حالة قرحة المعدة لا تعطى الادوية التي تؤثر على العصب الحائر كالاستزانيل او البروبانثين ، أو البلادونا ومشتقاتها •• اذ ان ذلك يؤخر في ان تفرغ المعدة ما بها مما يجعل مدة تعرض القرحة للحامض طويلة وبالتالي لا يساعد على التئامها، بل انه في بعض الحالات تزيد هذه المركبات من افراز هرمون الجاسترين Gastrin الذي يساعد على افراز الحامض •

وفي حالة قرحة المعدة لا بد ان يقضي المريض اسبوعين أو ثلاثة على الاقل بالمستشفى ، اذ ان ذلك يساعد على التئام القرحة سريعا ، وفوق ذلك لا بد ان تجرى للمريض الفحوصات الدقيقة التي شرحتها انفا للتاكد من ان القرحة حميدة أو خبيثة •• ولا يفوتني هنا ان انوه بأن المركبات المستخلصة من « العرقسوس » لها تأثير على التئام قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر، وهناك بعض المراكز تستعمل هذه المركبات على نطاق واسع •

ويمكن استعمال هذه المركبات ، على ان تلاحظ المضاعفات التي تحدث منها كحدوث تورم في الجسم وفقدان ملح البوتاسيوم بكميات كبيرة ، والتي لا بد ان تضاف الى العلاج •

العلاج الجراحي

ويكون التدخل الجراحي عند حدوث مضاعفات في القرحة من نزف شديد فيها أو انفجارها ، أو حدوث انسداد في مجرى المعدة ، وعدم تحسن حالة القرحة بعد العلاج الدائم والمنتظم لمدة ستة أسابيع اذ ان ذلك يعني ان القرحة ربما لا تكون حميدة ، والاسراع في اجراء العملية يساعد على عدم انتشارها اذا كانت سرطانية ، وتترك نوعية العملية للجراح المختص • اذ ان كل مريض يحتاج الى عملية خاصة تتلائم وحالته ، وتقيه من المضاعفات التي تحدث واهمها عودة ظهور القرحة مرة ثانية •

ولا يفوتني في ختام هذا المقال ان انوه باهمية الدور الذي يقوم به مريض القـرحة وحرصه الشديد على اتباع النظـام الخاص بالعلاج ، وحسن استماعه لنصائح طبيبه حتى يقي نفسه حدوث المضاعفات الخطيرة التي تحدث ، او خوف انهيار العلاج الدوائي ، والاستعانة الحتمية بالتدخل الجراحي الذي يحاول كل من المريض والطبيب تلافيه ، وما أسوأها من حالة ان يصاب جاهل وعنيد بقرحة المعدة او الاثنى عشر ، فلا يستجيب لامر طبيبه ، ولا يحس بمسئولية تجاه نفسه • ■■

الكويت ـ د • محمد ابو شوك

أنت تسأل ونحن نجيب

فشلت الحبوب في منع الحمل
وكانت الجراحة سبيلا الى تحديد النسل...

● قرأنا في بعض الصحف ان الصين تقوم بحملة واسعة لتحديد النسل عن طريق الجراحة ـ فهل هذا صحيح ؟ وما هي هذه العمليات الجراحية التي تجريها ؟

ـ الحملة التي تساءلنا عنها حملة هامة وعلى جانب كبير من الخطورة .. فهي فريدة في العالم وقد بلغت من الاتساع واظهرت من التحدي في معالجة مشكلة تكاثر السكان ما يجعلها اقرب الى الثورات الاجتماعية منها الى الحملات . فهي اذن جديرة بكل اهتمام . فهي تستهدف تحديد النسل وتعمل على اعقام الذكور وتعطيل قدرتهم على الانجاب، لا بواسطة حبوب منع الحمل أو اللوالب، أو ما الى ذلك من وسائط وانما بالجراحة .. بعمليات الاعقام الجراحية التي يجرونها على أوسع نطاق ممكن .. بيد أن الدولة التي قامت وما زالت تقوم بهذه الحملة ليست الصين ، وانما هي الهند .

فالهند مزدحمة بالسكان وتعاني من تكاثرهم بما ينذر باقتراب الكارثة .. كارثة انفجار السكان .. فقد بلغ تعداد الهنود وفق اخر الاحصاءات ٦٢٠ مليون نسمة .. ولم يزد عددهم قبل ٢٥ عاما على ٣٥٠ مليون نسمة ، وسيتضاعف حتى يبلغ ١٠٠٠ ـ ١٢٠٠ مليون في مطلع القرن الواحد والعشرين. ويتكاثر الهنود بنحو ٣٥٫٠٠٠ نسمة كل يوم .. اوما يزيد على مليون نسمة كل شهر ..وحسبك ان الزيادة السنوية في عدد سكان الهند تعادل مجموع سكان قارة استراليا كلهم : ١٣ مليون نسمة !

ولعل النسبة المئوية لهذه الزيادة أكثر دلالة على الخطورة من مقدارها . فهي تبلغ ٢٫١٪ أو ٢١ في الالف سنويا .. وهذا المبلغ هو صافي رصيد المواليد (٣٥ في الالف) بعد طرح الوفيات (١٤ في الالف) .

بقي أن نذكر أن ثلاثة ارباع سكان الهند يعيشون في الارياف .. حيث تجسدت روح الهند، كما قال المهاتما غاندي.. فهم موزعون على القرى البالغ عددها نحو ٥٦٠٫٠٠٠ قرية .

لا عجب اذن ان فشلت الحكومة الهندية في مساعيها الاولى لتحديد النسل . وقد قامت بتلك المساعي عن طريق المجالس العائلية التي انتشرت في طول البلاد وعرضها ... والتي سلكت سبيل النصح والارشاد .. نصح الاباء والامهات باستعمال احدى وسائط منع الحمل المعروفة . حينما اقتضت كثرة الاولاد ذلك . وظلت الامور على تلك الحال ، حتى شهر ابريل الماضي ، حين اختارت حكومة دلهي عملية الاعقام الجراحية سبيلا لتحديد النسل بدلا من وسائط منع الحمل العادية ، وقررت اللجوء الى القوانين والمضي في اجراء تلك العملية على اوسع نطاق ممكن . وهكذا كانت الحملة بل قل الثورة الاجتماعية التي سبقت الاشارة اليها . وظهرت المخيمات والمراكز الطبية في شتى انحاء البلاد واصبحت عملية الاعقام الجنسي في متناول الجميع .



سنجاى غاندى ابن رئيسة وزراء الهند

والظاهر ان هذه العملية فى غاية البساطة ، بدليل ان اجراءها لا يستغرق سوى دقائق معدودة، فهى تتم ، كما يقول اهل الخبرة ، بقطع انبوبة رفيعة فى جسم الرجل تسمى الاسـهر Vas deference .. هى انبوبة الحيوانات المنوية .. التى تنتقل هذه الحيوانات بواسطتها لتصب فى السائل المنوى . فقطع الانبوبة اذن يحول دون وصول تلك الحيوانات الى المنى، ويحول بالتالى دون وصولها الى الزوجة وتلقيح البويضة.

والظاهر ايضا ان عملية الاعقام هذه لا تنال من قوة الرجل الجنسية ولا من لذته .. فهى تعطل قدرته على الانجاب فحسب .. وتعطلها موقتا .. بدليل ان فى وسع الرجل اجراء عملية معاكسة ، يعاد فيها وصل الانبوبة الرفيعة ، فيسترد الرجل سابق قدرته على الانجاب .. وذلك فى دقائق معدودة ايضا ..

ومهما يكن من امر هذه العملية فانها ، كما لا يخفى ، تتنافى والتقاليد وتتعارض والمعتقدات وينفر منها الذكـور والاناث على حد سواء . فاجراؤها على نطاق واسع مهمة عسيرة جدا وتتطلب جهودا جبارة ، لاسيما وان القوانين الخاصة بها قوانين تشجيعية غير الزاميـة ، تنص على منح المكافات ولا تنص على انزال العقوبات .. وقد بلغت تلك المكافات ١٥٠ روبية (= ٨ر٧٠ جنيه)، اذا كان الرجل الذى يجرى العملية ابا لولدين او اقل ، ومائة روبية اذا كان عدد الاولاد ثلاثة ، وسبعين روبية اذا بلغ عددهم اربعة او يزيد .

من هنا يتجلى الدور الخطير الذى قام به سنجاى غاندى ، ابن رئيسة الوزراء الثانى (٣٠ سنة) فسنجاى هذا هو رئيس اتحاد الشباب وقد اضطلع هو ورفاقه باعباء تطبيق تلك القوانين التشجيعية، والعمل من اجل تعميم عمليات الاعقام الجنسية .. ويشيد المسؤولون بجهود سنجاى ويؤكدون انه حقق لحملة تحديد النسل نجاحا باهرا لم يكن فى الحسبان . وهم يجمعون بعد ذلك على ان ابن رئيسة وزراء الهند مفطور على القيادة والزعامة.

وتفيد آخر التقارير ان مجموع ما اجروه من عمليات اعقام خلال سنة ١٩٧٦ بلغ ٧ ملاييـن عملية . وهذا رقم كبير جدا ويؤيد الشعور ، اذا هو صح اصلا ، ان حملة تحديد النسل فى الهند تعتمد على الضغط الى حد كبير .

ى.ز

النفط لم يعد السلعة الوحيدة التى تصدرها الكويت

● كلنا نعرف ان النفط هو السلعة الوحيدة التى تصدرها الكويت .. فما هى السلعة الرئيسية التى تستوردها الكويت .. وهل يمكنكم تزويدنا بفكرة سريعة عن حركة التجارة الخارجية للكويت ، ومن هى اهم الدول التى تستورد منها ، والتى تصدر اليها ؟

احمد السرغينى
دمشق ـ سوريا

ـ سؤالك فى الواقع هو مجموعة اسئلة .. واما قولك ان النفط هو السلعة الوحيدة التى تصدرها الكويت فصحته ان النفط هو السلعة الرئيسية التى تصدرها الكويت ، ولكنها ليست الوحيدة كما ستوضحه لك :

فى عام ١٩٧٥ انخفضت قيمة صادرات الكويت الى ٢٦٦٣ مليون دينار كويتى ، بعد ان كانت قد وصلت الى ٣٢١٥ مليون دينار خلال عام ١٩٧٤.

ويرجع السبب فى هذا الانخفاض الكبير فى قيمة الصادرات الى سياسة الكويت النفطية التى تعمل

على تحديد وتخفيض كميات انتاج النفط ، للمحافظة على ثروة البلاد من جهة ، ومواجهة ضغوط ومناورات الدول الكبرى المستوردة لهذه المادة ..

وقد بلغت قيمة صادرات نفط الكويت ومشتقاته ٢٤٩٢ مليون دينار خلال عام ١٩٧٥ أى ما نسبته ٩٣ر٥٪ من مجموع صادرات البلاد ..

والى جانب النفط صدرت الكويت مصنوعات محلية اخرى مختلفة مثل اليوريا ، وغاز الامونياك والابنية الجاهزة ، وسلفات النشادر ، والانابيب المعدنية، والصودا الكاوية، والروبيان (الجمبرى) والدهانات والحديد الخردة ..

اما اهم الدول التي تم التصدير اليها ،فكانت بالترتيب التالي والقيمة بملايين الدنانير : اليابان : ٦٧٩ ـ فرنسا : ١٥١ ـ البرازيل : ١٣٠ـ تايوان : ١١٩ـ ايطاليا : ٨٦ـ ايرلندا : ٨٠ ـ سنغافوره : ٦٤ ـ استراليا : ٥٦ ـ الفلبين : ٤٦ .

اما واردات الكويت فبلغت قيمتها ٦٩٣ مليون دينار خلال عام ١٩٧٥ اى بزيادة ٥٢٪ عن قيمة الواردات عام ١٩٧٤ والتى لم تتجاوز قيمتها٤٥٥ مليون دينار ..

وتحتل وسائل النقل المختلفة ولوازمها ،المرتبة الاولى من حيث الكم النقدى لواردات الكويت ، فقد استوردت البلاد من وسائل النقل هذه وقطع غيارها خلال عام ١٩٧٥ ما يقارب ١٤٥ مليون دينار .

واحتلت المواد والالات الانشائية المركز الثاني بين الواردات ، اذ بلغ مجموع ما استورد منها نحو ١١١ مليون دينار .

والمرتبة الثالثة فى الواردات احتلتها المواد الغذائية ، التى استورد منها ما قيمته ١٠٧ مليون دينار ..

اما اهم الدول التى استوردت منها الكويت فى عام ١٩٧٥ فكانت بالترتيب التالى ، والقيمة بملايين الدنانير الولايات المتحدة ١٢٥ ـ اليابان ١١٢ ـ المانيا الغربية ٧٩ ـ بريطانيا ٧١ ـ ايطاليا٣١ ـ فرنسا ٢٣ ـ اسبانيا٢٠ ـ الهند ١٥ـ لبنان ١٥ ـ هولندا ١٤ ـ الصين ١٤ ـ تايوان١٢

س . ز

السيد جمال الدين الافغاني

● سمعت محاضرة موضوعهاجمال الدين الافغاني واثره فى الاصلاح ، تلتها اسئلة ، منها سؤال عما اذاكان هذا المصلح افغانيا او ايرانيا ، فلم اسمع قولا يستريح اليه الرأى ، فما الصواب فى اصله ؟

احمد القاضي ـ ديترويت / امريكا

ـ من اوضح الادلة على عظمة انسان انتتنازعه اكثر من امة ، لتعده كل بين مفاخرها ، وكثير من العظماء قد وقع التنازع فى قوميتهم ومنهم هذا المصلح العملاق السيد جمال الدين الذى يتنازعه الافغانيون والايرانيون ، مما يثير البلبلة فى انتسابه .

ونحرص هنا على تقرير ان العظماء امثال « السيد » ابطال انسانيون او عالميون اولا ، ثم هم من وطن خاص او ملة معينة او عصر محدود ، لانهم باعمالهم المجيدة فوق كل انتماء ، اذ يؤدون خدماتهم الانسانية للعالم كله من حيث يريدون ويقدرون ، ومن حيث لا ارادة ولا تقدير لمايعلمون ويعملون ، ولو قصروا خدماتهم على وطن او ملة او عصر دون سواه ، اذ سرعان ما ينتشر فضلهم فيناله كثير بعدهم وان جهلوا مصدرهواسم صاحبه ، وفي ذلك يستوى كل العظماء ايا كان المجال الذى نشطوا فيه ، من انبياء وفلاسفة وشعراء وعلماء وادباء ومكتشفين ، فهم انسانيون اولا ، وان كانوا من هذا الوطن او الملة او العصر، كانما وقعت عليهم القرعة هنا او هناك ، فهم اهل انتماء معين فى الظاهر لكنهم ينتمون الىالانسانية كلها في تاريخها وان نسيت منهم الاسماء ،فلا احد ولا طائفة ولا عصر اولى بهم من سواه الا بمقدار تقديره لشخصياتهم وفضلهم العام . وهذا التصحيح لازم التوضيح قبل كل كلام وبعده ، والجهل به او الغفلة عنه تضر ولا تفيد .

ونلتفت الان الى الجواب المستطاع ، فنشير الى ان السيد ليس من بيت خامل فى وطنه فيكون انتسابه عرضة للاختلاق عليه ، بل كان منبيت معروف ومعظم فى منطقته داخل حدود افغان حتى الان ، وهى منطقة « كنز » احدى مناطق كابل ،

هل هو من اصل ايرانى ؟

ويستفاد من اقواله عن نفسه واقوال مريديه الذين عاشروه وسمعوا منه انه السيد جمال الدين بن السيد صفر ، ويمتد نسبهم الى السيد محمدبن على الترمذى الذى يعد من كبار المحدثين والفقهاء والصوفية المشهورين ، ومن ثم يرتفع نسبه الى الحسين بن على ، سبط النبى عليه السلام ،ومن هنا لقب السيد فى اسمه واسماء آبائه لانهم من ال البيت ، وعشيرته فى منطقة كنز من ابرز العشائر الافغانية واعلاها مكانة ، تستمد ذلك من اسباب ثلاثة : نسبها الشريف ، وكثرتها مع القوة ، وتمكنها من السيادة فترة على بعض مناطق الافغان على العرش فى مطلع القرن التاسع عشر، هذه المنطقة قبل مولد جمال الدين بنحو ثلاثين سنة ، وكان ذلك خلال الفتن والحروب بين امراء الافغان على العرش فى مطلع القرن التاسع عشر، وقد ضاع استقلالها على يد دوست محمد خان الذى كان من اقوى القواد وانشطهم فى تلك الحروب ...

ومعروف ان السيد ولد فى هذا البيت الافغانى النسيب ، وتعلم دروسه هناك فى صباه ، وان كان قد اتم علومه الاسلامية والعربية ومعارفه العصرية متنقلا بين افغان وايران حتى بلغ الثامنة عشرة ، ولكى يزداد من العلوم العصريه كانت الهند مفتوحة امامه الى جواره يحتلها الانجليز ،وينشطون اكبر نشاطهم فى نشر الفتن بين امراء افغان ليتمكنوا من ضمها الى امبراطوريتهم التى كانت « لاتغيب عنها الشمس » ولما عاد من الحج سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) خوّض بكل طموحه وهمته ، وحمية طبعه وعنفوان شبابه فى غمرات الفتن القائمة بين امراء افغان ، وكلهم راغب فى التسلط على عرشها ، ويستوقف النظر هنا انضمامه الى محمد اعظم (وهو اخو دوست محمد خان الذى اضاع على عشيرة جمال الدين استقلالها) وبفضل ما كان لجمال الدين من جاه بيته وعشيرته الى جانب نبوغه بوأه هذا الامير منصب الصدارة فى حكومته ، حتى اذا انهزم هذا الامير هجر السيد موطنه الى الهند فرحبت به ، ولكنه رحل الى مصر. وكل ذلك يؤيد افغانيته ، وصدق نسبته المشهورة « الافغانى » .



جمال الدين
الافغانى

اما نسبته الى ايران (او بلاد العجم ، كما كانت تسمى يومئذ) فمصدرها احتكاكه بسياستها ، واشتراكه فى تولى وزارتها ، واقوال بعض تلاميذه انه ولد فى اقليم همذان بفارس او ولد فى افغان ولكن من ابوين فارسيين ، ثم ادعاء حكومة العجم انه من رعاياها ، فعندما ذهب السيد الى مصر اقام فيها فعلم كثيرا من النجباء بين اهلها وغير اهلها ، وعلى راسهم خليفته الاكبر محمد عبده ثم نفى منها فترة بين البلاد الاوروبية حتى استقر فى روسيا وتجول فى بلادها وكان كثير الرحلة فى البلاد الاسلامية والاوروبية لدراسة احوال شعوبها ، حتى يتمكن من مهمته وهى انهاض البلاد الاسلامية والربط بينها ثقافيا وحضاريا. ثم رحل الى بلاد الالمان ، وفى ميونيخ لقيه ناصر الدين (شاه العجم) ، وطلب منه العودة الى طهران ليوليه الوزارة ،وقيل ان هذه هى المرة الثانية التى يلى فيها الوزارة هناك ، وقد انتهى امره هناك بالخروج منها الى البصرة مغضوبا عليه مهانا ، مما جعله ينقم على الشاه ويندد بسياسته، وشرع السيد يتجول فى البلدان وهو يندد بسياسة الشاه ، ويحرض على قتله لا مجرد خلعه ،لتفريطه مع الاجانب فى سياسة بلاده ، وهذا حمل حكومة الشاه على التفكير فى المطالبة بتسليمه اليها حيث يكون ، بحجة انه من رعاياها ، حتى تتمكن منه . وقد سئل السيد نفسه عقب طرده هذا ، حين وصل الى البصرة : « أافغانى هو ام ايرانى؟» فامتعض من السؤال واجاب ، بل انا افغانى ، ولكن حكومة الشاه تلفق نسبتى الى ايران ، لكى يتسنى لها المطالبة بتسليمى اليها اذ بدا لها ذلك.

وكل هذا وهذا يجعلنا نرجح ــ ان لم نقطع ـ بانه افغانى الموطن والمولد والنشأة والتعلم والمنصب ، وان يكن تولى الوزارة يوما فى ايران ، فقد كان تولى بعض الناس اى منصب حكومى فى غير بلده امرا شائعا مقبولا يومذاك بين المسلمين ، والامثلة على ذلك غير قليلة .

(م.خ.ت)

قصة من

الأدب الافريقى المعاصر



الصّداق

بقلم الروائية الافريقية مينى ستين

ترجمة : حسين القبانى

■ جلست الحسناء كيزويني منحنية على نفسها، مطرقة الرأس ، فبدا جسدها الاسود المستدير كثمرة ضخمة من ثمار التوت الناضج • كانت ساكنة مشدودة الاعصاب وكان الاحساس بالمذلة والعار يموج فى أعماق نفسها ويرغمها على الاطراق براسها أمام الجميع • وكان ثمة قمر خفيض يرسل أشعته الشاحبة من سماء افريقية ذهبية الشفق ، وفى منتصف دائرة جلس القرفصاء شيوخ القبيلة ، جنبا الى جنب ، وقد ران عليهم جو من الشعور بالاهمية بما استمدوه من المناسبة أو من ارتداء كل منهم جلد ماعز يغطى به نصف جسمه الاسفل •

ان مينى ستين راوية قصص اكثر منها كاتبة •• انها تؤلف قصصها وترويها فى النوادى للكبار والصغار •• والجميع يعجبون ويطربون لما تقصه عليهم بصوتها الجميل والقائها البديع . وقد قامت برحلة الى أوروبا وامريكا وروت قصصها فى مكبرات أجهزة الاذاعة ، وهذه احدى القصص التى روتها وتلقفتها بالترجمة مجلة « قصص عالمية » والهدف التى تسعى اليه مينى ستين هو اقامة الدليل على سوء نوايا الاستعمار الابيض ومحاولاته الابقاء على الرجل الافريقى فى غيابات الجهل والتأخر حتى لا يطالب بحقه فى الحياة • وقد وقعت أحداث هذه القصة فى أحد نجوع نياسالاند بأفريقيا الجنوبية •

وانبعث من النار صرير أرسل فى الجو شررا ، وتكسرت أعواد الحطب المشتعل وهى تزداد اشتعالا وتزيد من دائرة الضوء حولها ، وكانت النار قد أوقدت فى حفرة وسط نصف الدائرة التى جلس فيها شيوخ القبيلة • وكان ثمة صف من شبان النجع واقفين فى مواجهة نصف الدائرة •• وبالاشارة من اصبع الماكولو ــ ساحر النجع ــ تحرك هؤلاء الشبان باجسامهم السوداء اللامعة ، وراحوا يسيرون ببطء حول النار •• ولما أتموا الدورة الاولى حولها ، حفر الساحر خطا على جذع شجرة قريبة •• وكان على الشبان ــ اثناء دورانهم حول النار ــ أن يقفزوا فوق جذع شجرة ملقى على العشب الاصفر •• وفى الدورة الثانية ازدادت سرعتهم فتحول الى جرى خفيف •• وكان



على كل منهم ان يتجنب التعثر فى جذع الشجرة الملقى بجوار حفرة النار ٠٠ وكان أهل النجع جميعا قد احتشدوا وراء هذا المشهد فى دائرة كبيرة ، يرقبون ما يجرى فى صمت ورهبة ويركزون انظارهم على الشبان ، الذين بلغ عددهم خمسة عشر شابا ٠

وظل الشبان يدورون ، وفى كل دورة تزداد سرعتهم ، ويزداد حرص كل منهم على القفز فوق الجذع بلا تعثر ٠٠ لان الشاب الذى يتعثر فى الجذع سيكون هو الآثم الجانى الذى اعتدى على كيزوينى الحسناء ، ومرغ شرف ابيها فى التراب!

والماكولو ـ الساحر ـ يرفع عقيرته ببعض التراتيم وهو يضرب قوقعة كبيرة باخرى فى نغم رتيب ٠ وكلما فرغ الشبان من دورة حول النار سجلها بخط على جذع الشجرة القريب منه ٠

وكان الساحر رجلا عجوزا طويل القامة نحيل الجسم يضع على كتفيه جلد اسد ، وبجانبه رمح طويل ، وعلى راسه قلنسوة ترتفع منها ريشات من ديك برى ٠ وكان شاباني والد الحسناء كيزوينى قد هرع اليه قبل هذه المراسم بثلاثة ايام يشكو اليه ما لحقه من عار ٠ قال له مولولا:

ـ ان كيزوينى ابنة زوجتى الثانية جلبت على العار بسبب علاقتها بشاب لا أعرفه رغم أنها مخطوبة لموليتوى الشاب الذى عاد أخيرا من عمله فى مناجم الماس ٠

ـ وهل دفع لك الشاب صداق ابنتك يا شاباني؟

ـ نعم ٠٠ دفع لى لورين جميلين اصبحت أزهو بهما فى النجع كله ٠٠ فهذه أول مرة امتلك فيها ثورين جميلين !

فنقر الماكولو الساحر بأصابعه المعروفة على صندوق خشبى بجواره ثم قال بصوت مهيب :

ـ ان هذا أمر خطير ، فالتقاليد تحتم عليك أن تعيد الثورين الى خاطب ابنتك اذا قرر فسخ الخطبة ٠

ـ نعم ٠ نعم ٠٠٠ اننى اعرف هذا ٠٠ ولهذا جئت اليك ٠

وهنا قال الساحر : ولكن اذا عرفنا الآثم الجانى ، فربما استطاع موليتوى أن يظهر تفوقه عليه ويهزمه فى معركة حرة وبذلك يسترد شرفه ويقبل الاستمرار فى اجراءات الزواج من ابنتك٠

ـ لقد جلدت كيزويني جلدا شديدا حتى سالت الدماء من جسدها ٠٠ ولكنها رفضت باصرار ان تذكر اسم الشاب الذي تبادله الحب ٠ ولهذا جئت اليك يا ماكولو لتتصل بارواح اجدادها حتى يكشفوا لنا عن شخصية ذلك الآثم المجهول ٠

فقطب الساحر ما بين حاجبيه وقال وهو يتناول كيس القواقع التي تكشف له الغيب :

ـ ان المراسم في هذه الحالة معروفة ٠٠ ولكنها تحتاج الى مال يا بني ٠

ـ انا اعرف يا أبي ٠

ـ ان الارواح تطالب بكيس كامل من القمح ٠٠

ـ كيس كامل يا أبي !

فقال الساحر بحدة :

ـ أهو كثير على الارواح يا شاباني !

وارتعد شاباني قائلا :

ـ لا لا ٠٠ مطلقا ٠٠ لسوف أحضر لـك مقدم الاتعاب غدا عند شروق الشمس !

وكان شاباني يرقب الشبان الدائرين حول النار ويتذكر ما حدث ، لقد قال ذات ليلة وهو جالس مع زوجاته يتناول عشاء من القمح المهروس،

ـ كيزويني ٠٠ لقد جاءني خاطب لك يا ابنتي٠

واطرقت الفتاة برأسها ولم تجب ٠٠ وعاد هو يقول :

ـ ولسوف يتم الزواج عندما تنضج زراعة الشعير ٠

وشعرت كيزويني بجفاف حلقها ، وكانت تدرك ان الشعير سوف ينضج خلال اسابيع معدودة ٠

وانتظر أبوها ان تسأله عن اسم الخاطب ولكنها ظلت صامتة ٠ كانت تعرف انه لا جدوى من السؤال ٠ وكان حبيبها شتيكانا شابا في اولى مراحل الشباب ، فلم تتح له فرصة ادخار المال اللازم لشراء ثور او ثورين ليقدمهما صداقا لها٠ ومن ثم لم يكن يهمها اسم الخاطب الذي تقدم لها ٠٠ لان كل الذي تهفو اليه ان تتزوج من حبيبها ٠

وكان قلبها مثقلا بالحزن وهي تمضي بعنزاتها في اليوم التالي الى المكان الخفي الذي اعتادت ان تلتقي فيه بحبيبها شتيكانا بين التلال ، ولما تلاقيا ، ظلا صامتين برهة ، بينما كانت شمس الاصيل ترسل أشعتها الحامية وتغلف كل شيء حولهما بضوء باهر ٠ واخبرته بما حدث ٠ واختلط الخوف بالغضب في نبرات حديثه وهو يقول :

ـ ان خاطبك هو موليتوى ٠٠ كان دائما يفخر بانه سيخطبك عندما تحين له الفرصة ،انه يشبه الضبع حين يضحك ٠

وقالت كيزويني لنفسها وهي ترنو الى شتيكانا « كم يبدو جميلا في غضبه »

وأردف شتيكانا قائلا :

ـ كما أن حلمات أذنيه مقرطمة كآذان النسوة ٠

ـ انه ليس من اختياري ٠

ـ ولكن في مقدوره أن يقدم الصداق المطلوب٠ انه يمتلك مالا ٠

فردت قائلة بسرعة :

ـ ان أبي هو الذي سيأخذ الصداق ٠٠ لا أنا٠

وكشر شتيكانا عن اسنانه التي لمعت في وجهه الابنوسي ، وانطلق في عبارات ينفس بها عـــن ضيقه وتمرده واحزانه وآلام قلبه ٠

وقالت هي لنفسها : « لماذا يجلدني بلسانه ولا ذنب لي فيما حدث » ، يمكننا أن نهرب ٠٠

ـ الى أين ؟

ـ الى المدينة !

وهزت كيزويني رأسها وقالت في شيء مـن الخوف والرهبة :

ـ لا ٠٠ لا أستطيع الحياة هناك ٠٠ يقولون ان علينا أن نحبس أقدامنا في قوالب من الجلد ، وأن نغطي أجسامنا بالاقمشة والبطاطين ٠٠

فقال محاولا اغراءها : ولكن فيها أيضا كثيرا من العقود الملونة ٠٠ الخرز البراق الملون ٠٠ انك تتمنين دائما أن تظفري بعقد من الخـرز الملون ٠٠ سوف اشتري لك عقدا هناك ٠

فشردت عيناها بنظرات حالمة وقالت : يمكنك أن تشتريه لي وتأتي به الى هنا ٠٠

واسقط في يد شتيكانا ٠٠ وهز كتفيه قائلا : لم يبق لنا من أمل الا في الثبات عندما يطلبوننا للدوران حول النار عشر مرات لمعرفة الجاني ٠

ولمعت عيناها وهى تقول : بل الزوج الحبيب يا شتيكانا ..

وكانت الام اول من ادرك حالة كيزوينى عندما ظهرت عليها اعراض الحمل ، ولذلك قالت لها ذات ليلة وهى تضع الاوانى الفخارية أمام كوخها: هل نسيت ابنتى ان شرف الفتاة هو اعظم ما تعتز به فى حياتها ؟

وكانت الام امرأة متخمة متهدلة الصدر كبيرة البطن . وقد اردفت قائلة وهى تكظم غيظها :

ـ ألا تشعرين بالعار فى النجع ؟ لقد بدأوا يتقولون بأننا لم نحسن تربيتك ، وتمنت الفتاة ان تلقى بنفسها فى احضان امها وتفضى اليها بذات نفسها ، وتخبرها بأن أهل النجع قوم غاشمون ظالمون . ولكنها لم تستطع . ووثبت امها زاقفة وقالت فى اهتياج : أى رجل يمكن أن يقدم صداقا من الثيران لفتاة فاقدة الشرف ؟

واقبل والدها فى تلك اللحظة . وان كيزوينى لتتذكر ـ وهى جالسة مطرقة الرأس ما نالها من عذاب على يدى والدها .. تتذكر الاهيب السياط المصنوعة من جلود البقر وهى تنهال على جسدها حتى انبثقت الدماء من مواضع كثيرة من ظهرها وجانبيها . ولكنها صمدت للتعذيب وأبت أن تذكر اسم الحبيب الذى خفق له قلبها وأصبحت امنيتها الوحيدة فى الحياة ان تعيش معه زوجة .

واختلست النظرات الى الشبان الخمسة عشر الدائرين حول النار ، كل منهم يحاول جاهدا ألا يتعثر فى جذع الشجرة . والتقت نظراتها فى لمحة خاطفة بنظرات شتيكانا ، وكان الشاب يصر على أسنانه ويمضى مع اقرانه فى عزم وتصميم .. لشدما فزعت كيزوينى حين علمت أن أباها قرر اجراء مراسم الدوران حول النار لمعرفة الجانى.. كانت تخشى ان تنكشف الحقيقة ويقع حبيبها شتيكانا ضحية بين يدى الخاطب الثائر موليتوى .

وكان رجال النجع المتفرجون على هذه المراسم ينظرون فى رهبة وخشوع لما يجرى . كان كل منهم يعلم أن له ولدا بين هؤلاء الشبان .. واذا لم يكن ابنه فهو ابن أخيه أو ابن اخته .. وقال أحدهم :

ـ ان هذا كله ناتج من ترك البنات يعملن فى الحقول وفى المراعى .

وقال العجوز زيمبو : لعل الجانى غير موجود بين هؤلاء الخمسة عشر .

ثم أردف قائلا : ولعل ان يكون الجانى شابا من النجع المجاور .

وقال ثالث : ترى هل سيتزوج موليتوى الفتاة اذا لم يظهر الجانى .

وقال زيمبو : لسوف نضحك عاليا اذا خسر شاباني الثورين .. انه لم يكف لحظة عن التفاخر والزهو منذ حصل عليهما .

وقال الراعى أمالاندى : ما قيمة البنات اذا لم يستطع الآباء أن يحصلوا على الثراء من زواجهن.

وكان موليتوى لا يحول عينيه عن كيزوينى . وكان باعتباره صاحب الحق ، جالسا فى مواجهتها على يسار الساحر ، أما الوالد شاباني فكان جالسا على يمينه . ولم يكن موليتوى يدرى فى تلك اللحظات هل هو يكره الفتاة أم يزداد حبا لها ، كان يفكر فى السنوات التى قضاها عاملا فى مناجم الذهب،وفى اشواقه الدائمة نحو فتيات نجعه وفى الصداق المناسب للزواج من أجمل فتاة فى هذا النجع . ولما استطاع أخيرا أن يدخر ثمن ثورين كبيرين ، عاد الى النجع يحمل بعض الهدايا من البطاطين والاقمشة الملونة . وما كاد أن يرى كيزوينى وهى عائدة من الجدول تحمل جرة الماء على رأسها حتى ادرك أنها الزوجة المنشودة .. ولم يتوان عن الذهاب الى أبيها ليخطبها .

ولكنه لم يلبث ان فوجىء بأن كيزوينى تحب شابا غيره ، وانها فقدت طهارتها .

وراح يتأمل الشبان الخمسة عشر بنظرات محمومة يفكر فيما سيفعله بالجانى ؟ هل يبصق على وجهه بعد أن يضربه ضربا عنيفا ، هل يقتله .. هل يحتقره ويترك كيزوينى له بعد ان يسترد الثورين اللذين دفعهما صداقا لها ؟

ولكن .. لماذا لم تكشف الارواح عن الجانى ؟ ان الدورة التاسعة قد بدأت . ولم يبق بعدها

غير دورة واحدة ؟ فهل تتم الدورات العشرة دون ان يعرف من هو الجانى ؟ !

هل قررت الارواح ان تحميه ؟ !

ولكن لا .. ان موليتوى لن يخدع بسهولة .. انه قادر على أن يظفر بحقه حتى لو أرادت الارواح أن تحمى غريمه !

وراح يحدق النظر فى وجوه الشبان الخمسة عشر وهم يقومون بالدورة التاسعة فى اعياء وخوف . وفجاة لمح نظرة متبادلة بين شتيكانا وكيزوينى .. اذن فهو شتيكانا بلا أدنى شك .. ان وجهه المضطرب ينم عن حقيقة ما يحاول اخفاءه .. وقرر موليتوى ان يفعل شيئا ليكشف أمره .

وتناول حجرا مسنونا كان بالقرب من يده .. وانتظر فى تحفز حتى يصبح شتيكانا بالقرب منه عند الدورة .. وأحس ان الارواح تساعده عندما مرت غيمة صغيرة على وجه القمر فى اللحظة المناسبة ، وقذف بالحجر الى ساق شتيكانا وهو يقترب من جذع الشجرة .

وصاح الجميع عندما سقط شاب أمام جذع الشجرة .

ـ الجانى .. الجانى .. لقد كشفت الارواح أمره .

وتنهد الساحر فى عمق وارتياح .. كان يخشى أن تنتهى الدورات دون ان يظهر الجانى ، فيتضاءل نفوذه بين أهالى النجع . ولكن .. حمدا لارواح الاجداد لقد كشفت أخيرا عن الجانى .

ونهض الشاب المتعثر من سقطته بين سكون الجميع .. وكان شابا قمحيا طويل الاذنين قريب الشبه من العنزة . وكانت الدماء تنثال من ساقه المصابة بالحجر المسنون . وكان الشاب يسمى بيجوانا . وكان يبدو ذاهلا شارد النظرات وهو ينهض من سقطته .

وتنهد شتيكانا بارتياح .. كان يدور فى الحلقة وراء بيجوانا مباشرة وهكذا اخطأ موليتوى فى التصويب فاصاب بالحجر الشاب الذى يسبقه .

وارتفعت عن الجميع عبارات متضاربة .. ليس من المعقول ان تسلم كيزوينى الحسناء نفسها الى شاب قمحى دميم مثل بيجوانا .. انه شاب أبله .. ولكن .. من يدرى ان المرأة لغز غامض .. وان ما تظنه عنزا قد يغدو أسدا !

ولكن .. لا .. ان الجميع يعرفون كيف حاول بيجوانا كثيرا ان يلفت اليه أنظار الحسناء كيزوينى ، ولكنها كانت تصده دائما .. وبلا رحمة .. ولما تقدم لخطبتها رفضه أبوها..وكذلك رفضته هى .. نعم .. انه ليس الجانى اطلاقا.. لا شك ان الارواح أرادت أن تخفى سر الجانى لسبب ما ..

وانصت الساحر الى هذه الاقوال المتضاربة ، ثم اصدر فى النهاية حكمه ، فقال فى وقار :

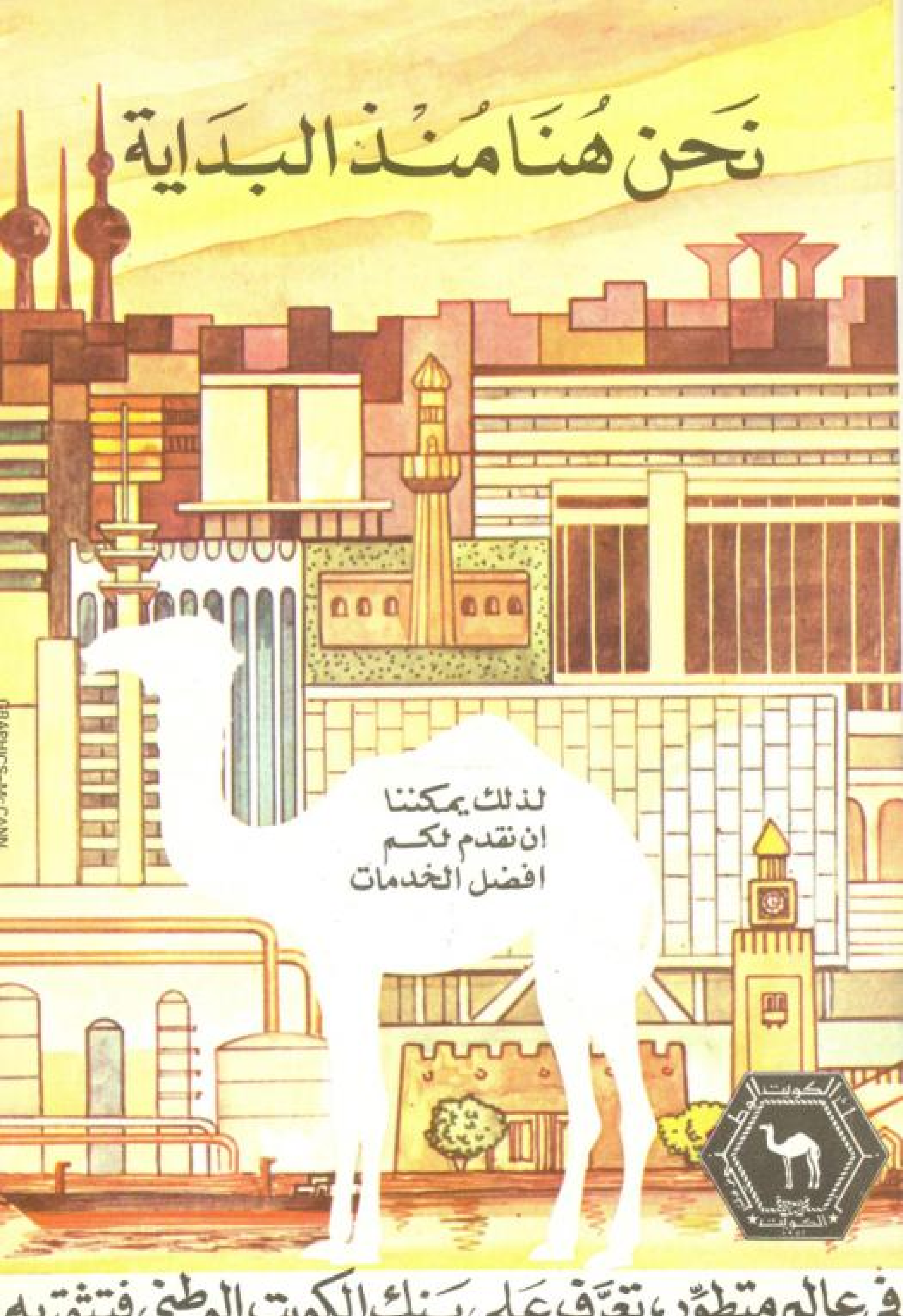
ـ موليتوى .. يا بنى .. لقد أرادت الارواح أن تقدم لنا علامة .. انها تقرر بانه لا يوجد هناك جان ولا آثم .. ومن حقك الان أن تتم اجراءات الزواج أو تسترد الثورين .

وران السكون على الجميع فى انتظار اجابة موليتوى .. وكان الشاب يتمنى لو استطاع ان يستمر فى اجراءات الزواج ، ولكنه كان يعلم ان أهالى النجع سينظرون اليه باحتقار دائما .. ومن ثم هز كتفيه وقال : اننى انسحب واطالب بالثورين ..

ورقص قلب كيزوينى .. ورفعت رأسها أخيرا ونهضت واقفة فى اعتداد . حقا لسوف يغضب ابوها لضياع الثورين منه . ولكنه سوف يرضى أن يقبل شتيكانا زوجا لها عندما يتقدم لخطبتها.. ولن يساله حسب التقاليد عن السبب الذى يجعله يتقدم للزواج منها .. ولن يطلب منه أيضا أن يقدم ثورين صداقا ، وانما سيقبل ما يقدمه له حتى لو كان كيسا من القمح .

وسيعرف أهالى النجع الحقيقة عندما يتقدم شتيكانا للزواج منها ، ولكنهم سيبتسمون ويهزون رءوسهم فى رضى لان ارواح أجدادهم أبت الا ان تجمع بين الحبيبين فى كوخ واحد حتى لو كان الزوج لا يملك الصداق الكبير . ■■

ترجمة : حسين القبانى



فِي عالمٍ متطوِّر، تعرَّف علَى بَنك الكويت الوطني فتثِق به

طرائف

وسام فوق صدور الرجال !

● جورج صاند (١٨٠٤-١٨٧٦) الكاتبة والمؤلفة الفرنسية، التي حملت اسم الرجال ، حتى تجد اعمالها طريقها الى النور ، بعد ان فشلت تماما في ان تقنع اصحاب الصحف ودور النشر ،ان المرأة ايضا تستطيع ان تكتب ، كانت صديقة للموسيقار العالمي « شوبان » ·· وكانا يلتقيان خلال زياراته القصيرة احيانا ، الطويلة احيانا ، لباريس · وكانت تحكي له متاعبها ، وكان يحكي لها مشاكله مع الحياة ·· وكانت جورج صاند او ارماندين لوسيل اورور ، وهذا هو اسمها الحقيقي ، تجد راحة كبرى ، وهي تجلس الى صديقها الفنان وتروي له آخر انباء المتاعب التي تصادفها مع الرجال ، وهي تحاول ان تشق طريقها بقلمها الى دور النشر والصحف ··

وفي احدى الامسيات ، دعا شوبان صديقته ارماندين الىحفلاقيم تكريما له في الاكاديمية الفرنسية للفنون ·· وصفق الجمهور طويلا ، عندما وقف الموسيقار الكبير واتجه الى البيانو ليعزف احدى مقطوعاته التي اوصلته الى المجد ·· ووقف رئيس الاكاديمية يقدم شوبان للمدعوين بقوله : « هذا هو شاعر الموسيقى ! »

وما كاد الموسيقار ينتهي من العزف حتى دوى التصفيق مرة اخرى ·· وانحنى شوبان بقامته يرد التحية ، واتجه الى السلم الخشبي استعدادا للنزول ، ولكنه ما لبث ان توقف وكأنه تذكر شيئا ·· وفجأة مد ذراعه مشيرا الى حيثكانت تجلس ارماندين، ودعاها الى الصعود الى المسرح ·

وجاءت الفتاة في اضطراب واضح وقد كست حمرة الخجل وجهها ، وهي لا تدري ، ماذا ينوي ان يصنع بها ، امام هذا الجمهور الكبير !

وتكلم شوبان ·· قال : لقد قال عني صديقي أنني « شاعر الموسيقى » ·· اسمحوا لي ان اقدم لكم « موسيقى الشاعر » ·· نعم لقد كانت هذه الفتاة التي تحاول ان تشق طريقها باظافرها هي ملهمتي ! انني ادعو كل سيدة في هذا الحفلان تقرأ ما كتبته ارماندين!

كارليل ومثله العليا !

● توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) ، الكاتب الاديب الاسكتلندي، كان يقدس المبادىء والمثل ، وقد انعكست شخصيته في معظم كتبه ومؤلفاته،واشهرها«الثورة الفرنسية»، « الماضي والحاضر » وغيرهما ·· ولكن كانت له فلسفة خاصة في الحياة ومثلها ·· وكأنه يتشكك في نفسهوفي قناعته !

قال يوما : « انه شيء يدعو الى



توماس كارليل

أجنبية

ومضت سنوات وسنوات ، قرأ فيها السيدات والرجال على السواء كل اعمالها ولكن باسم رجل ، وعندما اكتشفوا ان جورج هو ارماندين ، اقاموا لها تمثالا ‥ وكتب اليها صديقها القديم شوبان يقول : « انتماؤك الينا كان وساما فوق صدر كل رجل ! »



شوبان

الاسف ‥ ولكنه الحقيقة بعينها ! وهى حقيقة مؤلمة محزنة معا ، عندما نجد فى كل مرة نتحدث فيها عن هدف نبيل وبطلاقة مقنعة تثير اعجاب المستمعين ، اننا انفسنا قلما سعينا الى هذا الهدف فى حياتنا الخاصة ، رغم كل الحماس الذى كنا نتحدث به امام الناس من اجل حملهم على بلوغه ‥ ولكن هذه هى طبيعة البشر !

« ولعل اصدقنا هو ما سعى الى هدفه النبيل اولا ، ثم نقل تجربته الى الناس ليستفيدوا منها ويفيدوا ، فلنبدأ بانفسنا اذن قبل ان ندعو غيرنا الى الى ان يحذو حذونا ! » .



النضوج عند جيفرسون !

● توماس جيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦) الذى شارك فى الثورة الأمريكية ، وتولى رئاسة الولايات المتحدة ، ووضع وثيقة الاستقلال عن الامبراطورية الام ، كان يؤمن بان النضوج السياسى وراء كل انتصار تحققه الامم فى مسيرتها عبر التاريخ!

قالوا له : « وكيف تنضج الشعوب ؟ »

قال جيفرسون : « عندما يقف المرء يتأمل نفسه فى المرآة ، ثم يفاجأ بانه لم يعد يرى تلك الصورة التى تعود على رؤيتها ‥ وانما وجد فى مرآته عشرات من الصور التى تمر به فى حياته كل يوم ‥ فينسى نفسه وينصرف بكليته الى تلك الاحداث التى يعيشها !

« وعندما تتحول المرآة التى طالما طالع فيها وجهه كل صباح الى نافذة مفتوحة يطل من خلالها على الدنيا الواسعة من حوله ‥ عندئذ فقط يدرك الرجل انه قد كبر ونضج !

« وهكذا السياسة ‥ انها المراهقة والنضوج ‥ او المرآة والنافذة ‥ والمراهق ينظر الى نفسه ، أما الرجل الناضج فينظر الى كل ماحوله وما يحيط به من تفاصيل ‥ وما الشعوب ‥ اليست هى مجموعات من البشر ‥ فاذا تحولت كل المرايا من حولهم الى نوافذ مفتوحة ‥ فقد نضج افرادها ! »

استطلاع الكويت

المدارس المتحركة آخر صيحة في التعليم



● طالبتان بالزي الشعبي بينما طلائع الجيل الجديد « حصة » (لهو بريء) (تحت) والى اليسار ثلاث طالبات في مختبر للطبيعة .

استطلاع : يوسف الشهاب

تصوير : اوسكار متري





من واحدة فقط الى ٣٥٤ مدرسة :

■ الفصول المتحركةهي آخر ما ادخلته الكويت من وسائل التعليم الحديث • لقد أصبح التلاميذ هم الذين يذهبون الى المدرس وليس العكس كما هو معروف • ورغم أن التجربة ما زالت موضع الاختبار - وفي نطاق محدود - فان الهدف منها استخدام كافة الوسائل التعليمية الحديثة المتوفرة بالمدارس ، والتي يصعب نقلها من فصل الى آخر • فضلا عن اتاحة الفرصة لاستيعاب عدد اكبر من التلاميذ •

ويقول الاستاذ حسن زغلول ناظر ثانوية الدعية - احدى مدرستين تطبقان النظام الجديد - المدرسة صممت أساسا لاستيعاب الف طالب ، وفي ظل النظام الجديد استطعنا أن نستوعب ١٣٦٩ طالب •كذلك فان هذه التجربة تقضي على الملل والضيق الذي قد يواجهه الطالب من خلال بقائه بالفصل طوال فترة الدوام المدرسي •

وعن نتائج تطبيق التجربة قال ناظر الدعية ان لكل تجربة جديدة ثغرات ، منها مثلا - في حالتنا هذه - المشقة التي يتحملها الطالب عندما ينقل كتبه بين فصل وآخر ، وقصر الوقت اللازم لتنقل الطالب بين فصله والفصل الاخر - وثمة جهد يبذل الان للقضاء على هذه الثغرات بعد دراستها ووضع الحلول المناسبة لها ، استعدادا للعام الدراسي الجديد الذي سيطبق فيه نظام الفصلين الدراسيين لاول مرة في المرحلة الثانوية•

وكانت الكويت قد اتجهت - في محاولة تطوير التعليم بها - الى تكليف المعلمات بالتدريس في المرحلة الابتدائية ، بعد أن كان التدريس بهذه المرحلة مقصورا على الرجال وحدهم • ويصف السيد يعقوب غنيم وكيل وزارة التربية هذه الخطوة - التي ما زالت تحت التجربة ولم تعمم بعد - بانها « اتباع للاسلوب العصري في رعاية التلاميذ في هذه المرحلة » • وحتى الان - كما يؤكد الوكيل - فان التجربة ناجحة الامر الذي يفتح الباب للتوسع فيها مستقبلا •

تعزز هذا الرأي ناظرة مدرسة الضاحية النموذجية السيدة أنيسه عبد الصمد، التي تقول:

ان التجربة تعطي الطفل في المرحلة الابتدائية نوعا من النظام والدقة والتنظيم في حياته • فالمدرسة تختلف عن المدرس في اهتمامها بشكل اكثر من حيث الدقة واسلوب الحياة المدرسية والترتيب في الادوات الدراسية، هذا الشيء الذي تهتم به المدرسة ينعكس على الطالب في داخل المدرسة ، ثم أن المناخ المدرسي عندما تكسوه روح المودة والعطف من المدرسات الى التلاميذ الصغار •

وتؤكد الناظرة « ان هذه التجربة نجحت عندنا ولله الحمد بفضل التعاون الجاد والطاعة من التلاميذ لمدرساتهم » •

علم البلاد ، يرفع كل صباح في مدارس الكويت ، فيقف الجميع احتراما له ، الصورة لصفوف من المرشدات يتأهبن لرفع العلم •





تهتم مدارس الكويت بالمناهج العلمية ، لخلق جيل علمي ، وهذه الصورة لاربع طالبات في مختبر الكيمياء ، وقد ذهبت كل واحدة منهن تقوم بدورها في خطوات التجربة ٠

رحلة التعليم

ورحلة التعليم في الكويت لها قصة طويلة ٠

فتقول كتب التاريخ انه في عهد المغفور له الشيخ مبارك الصباح شيدت أول مدرسة في البلاد وكان ذلك عام ١٩١٢ عندما قام ثلاثة من الكويتيين هم المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى ، والمرحوم الشيخ ناصر المبارك والمرحوم ياسين الطبطبائي بالحث على تاسيس المدرسة المباركية، ورغبوا الجمهور في الانفاق عليها ، فاسست في بداية امرها على انقاض بيت كبير ، وكانت ميزانيتها على المؤسسين لها ـ وجمع لتلك المدرسة ما يزيد على ثمانين روبية من المحسنين الذين شعروا بقيمة التعليم وضرورة تشجيعه ـ واقتصر التعليم في هذه المدرسة بعد افتتاحها في ١٣٢٠هـ، على القرآن الكريم واللغة العربية والحساب ، لم



ثروة الكويت البترولية من أهم المواد الدراسية في المدارس ، الصورة لعدد من الطالبات امام شكل نموذجي لمراحل اكتشاف البترول ، وامامهن مدرستهن تقوم بالشرح .



كان تكوين اول مجلس للمعارف بالكويت من ١٢ عضوا هم : الشيخ يوسف بن عيسى ، احمد خالد المشاري ، يوسف الحميضي ، عبدالله الصقر ، مشاري الحسن، سلطان الكليب، سليمان العدساني، نصف اليوسف ، محمد الغانم ، يوسف العدساني، مشعان الخضير وابراهيم النصف ، وكان دور هذا المجلس تنظيم التعليم في البلاد ، وخطت الكويت اول خطواتها للتمكين للنهضة التعليمية، فاستقدمت اول بعثة من فلسطين لتنظيم المدارس وزادت الرغبة في استيفاد المعلمين والمعلمات اللازمين للمدارس من انحاء الوطن العربي •

وبدأ موكب التعليم بالمدارس يخطو مع الزمن في البلاد ، فاسست في عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢١م المدرسة الاحمدية ، وسميت باسم حاكم البلاد انذاك ، المغفور له الشيخ احمد الجابر ، وكان بناؤها على نفقة عدد من وجهاء الكويت منهم الحاج حمد الصقر ، الشيخ يوسف بن عيسى ، الحاج احمد الحميضي ، الحاج احمد الفهد الخالد، السيد عبد الرحمن النقيب ، الحاج مشعان الخضير، والحاج مرزوق الداود ، والاديب سلطان الكليب الذي كان له الدور الكبير في جمع التبرعات والترغيب لها ، وقدمت المدرسة الاحمدية للكويت نتاجا جيدا من جيل الكويت المتعلم في ذاك العصر •

وكان طبيعيا ان يكون لليتامى وابناء الفقراء ، نصيب في التعليم وسط ظروف قاسية كانت تعيشها الكويت ، وانطلاقا من ذلك تأسست عام ١٩٢٤ م مدرسة لهؤلاء الاطفال سميت مدرسة السعادة •

١٠ مدرسين •• و ١٥٠ طالب

وشكت الكويت كثيرا من قلة العاملين في سلك التدريس في المدارس الثلاث السابقة ولم يكن هناك غير عشرة مدرسين من ابناء الرعيل الاول للكويت ، يقومون بتدريس مائة وخمسين طالبا ،



واستمر هذا الحال حتى عام ١٩٤٠ م حيث ادرك المسئولون ضرورة اصلاح اساليب التعليم وتوسيع دائرة « المعارف » آنذاك ، وبشكل يتناسب مع حاجة البلاد وطموحاتها ، فكانت الخطوة الاولى فى هذا السبيل باحضار اساتذة من ذوى الكفاءات العربية لتساهم فى تعليم ابناء الكويت •

وزاد اهتمام الدولة بالتعليم مع مرور الزمن• وشعرت بضرورة اقامة المدارس فى المدن والقرى جنبا الى جنب لياخذ كل مواطن حقه من التعليم والرعاية ، وكان بالكويت عام ١٩٣٦/١٩٣٧ م مدرستان ـ يبلغ عدد الطلاب بها ٦٠٠ طالب وعدد مدرسيها ٢٦ مدرسا ، اما فى عام ١٩٤٦/١٩٤٧م فقد بلغ عدد المدارس الابتدائية ١٢ مدرسة ، وواحدة للمرحلة الثانوية واخرى مهنية ويبلغ



من أهداف التجربة النموذجية رعاية الاطفال وتعويدهم على النظافة والدقة ، ليشعر الطفل خلال مرحلته الابتدائية بعطف الامومة فى المدرسة ايضا ، والصورة لمدرّسة تداعب طفلا وتمده بالرعاية والحنان فى هذه التجربة الجديدة •

●●

زودت فصول المدارس بكل ما هو حديث وضرورى للتعليم ، فاقبل جيل الكويت ينهل من ينابيع المعرفة ، وهذه الصورة لاحد فصول الطالبات وقد وقفت طالبة ارتدت الحجاب لتجيب وتستفيد •

عدد الطلاب فى كافة هذه المدارس ٣١٠٠ طالب و ٩٨٥ طالبة ، واستمرت عملية الزيادة فى مدارس الدولة مع زيادة الاقبال عليها من جانب الابناء حتى عام ١٩٥٥/١٩٥٦م حيث وصل عددها الى ٥٦ مدرسة منها ٣٢ مدرسة للبنين و٢٠ مدرسة للبنات بالاضافة الى اربع مدارس فى الخارج ـ وجميع ابنية هذه المدارس ملك للدولة، شيدت على احدث طراز ووفق الاساليب الهندسية الحديثة تمشيا مع متطلبات المناخ التعليمى •

اربع مراحل للتعليم

وفى الكويت اربع مراحل للتعليم يطوفها الطالب قبل الجامعة وهى : رياض الاطفال وهى مرحلة اعداد الطفل وتعويده على الحياة المدرسية ، ولا يقبل فى هذه المرحلة الا من يلغ من العمر خمس سنوات ، ومدة الدراسة فى هذه المرحلة ثلاث سنوات،وفى آخر احصائية اصدرتها وزارة التربية للعام الدراسى ١٩٧٦/١٩٧٧ م يلغ عدد الرياض فيها ٥٦ روضة فيها ٦١٠ فصول ،ومجموع الاطفال فيها ١٤٥٤٤ من الجنسين بينهم ٧٥٩٩ طالب و٦٩٤٥ طالبة ، ويقوم على تعليم كل هؤلاء ١٩١ من المدرسات ،ثم المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها اربع سنوات •ويبلغ عدد مدارس الدولة الان من هذه المرحلة ١٣٥ مدرسة للجنسين تشتمل على ٣٣٣٢ فصل دراسى ، اما عدد الطالبات والطلبة فيها فيبلغ ١٠٥٧١٤ ، منهم ٥٦٣٣٠ من الطلاب و٤٩٣٨٤ من البنات •

وتتولى التدريس ٦٢٣٤ من المدرسات والمدرسين• اما المرحلة المتوسطة ففى البلاد الان ١١٣ مدرسة يبلغ عدد طالباتها وطلبتها ٧٧٢٤٩ يتوزعون على ٢٥٦٤ فصل ويزيد عدد الطلاب عن الطالبات ب ٨٢٧٠ طالب ، ويقوم بتدريس هذا العدد ٥٢٣١ مدرسة ومدرس ، بينهم ٢٦٨٢ من المدرسين و٢٥٤٩ من المدرسات •

ثم المرحلة الثانوية التى يجتازها الطالب الى الجامعة ، ويبلغ عدد المدارس من هذه المرحلة ٥٠ مدرسة تضم ١٢٧٥ فصل ، وعدد الطالبات فى المدارس الثانوية ١٨ الفا فى حين يبلغ عدد الطلاب ١٩٥٦٨ تلميذ واسرة التدريس بالثانوية تبلغ ٣٦١٣ من المدرسات والمدرسين • ■■

يوسف الشهاب



أدوات لكل سيدة
تعتني بجمالها
من فيليبس
الاعتناء بالجمال ضرورة تزداد أهميتها كل يوم، لذلك سهلت فيليبس هذا الأمر على كل سيدة فأوجدت لها صالونًا مصغرًا مكتملًا في علبة «بيوتي ست» الحاوية على ماكينة حلاقة نسائية ناعمة «لايدي شايف» كهربائية مع مختلف أدوات تستبدل عليها من الفراشي وأدوات المساج كذلك أوعية مستحضرات التجميل كل ذلك في علبة أنيقة فاخرة مستديرة الشكل سهلة النقل بالسفر. هنالك أيضًا ماكينات الحلاقة النسائية «لايدي شايف» المتنوعة التصميم الجذابة والمكتملة بحدين لتأمين إزالة الشعر كليًا وبطريقة ناعمة من على الجلد. كما يوجد أيضًا سشوارات، مع قبعة وعامود أو تلك التي تستعمل باليد، وأدوات لتحديد الشعر (هير تريمر)، فراشي كهربائية، لمبات لحمامات الشمس ولمبة انفراقيل الشهيرة ... الخ. إنها مجموعة فيليبس الضخمة التي تشمل كل شيء تحتاجه السيدة للحفاظ على مظهرها الجذاب. هذه المنتوجات مصممة بكل حذاقة ودقة ومصنوعة بكل اتقان واعتناء يمكنك الاتكال عليها كليًا كما تنتظرينه من شركة ذات خبرة واسعة وتقنية عالمية التي تمتاز بها فيليبس. الخدمة مؤمنة متى تحتاجينها أينما كنت.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دومًا

إيسوزو - شاحنات في خدمة العالم كلّه

ايما تشتد البيئة قسوة وتزداد الأراضي وعورة ... إن كانت هناك مهمة يجب القيام بها. فإنك تجد شاحنات ايسوزو منهمكة بها. وذلك بأقل ما يمكن من الإزعاج أو القلق. وبأكبر قسط ممكن من الكفاءة التي يعتمد عليها. والأداء المتقن. والاقتصاد في النفقات.

يوجد موديل من ايسوزو مثالي لكل غرض ... من سيارة «البيك آب» الخفيفة كي. في - ٢٠ المتعددة الاستعمالات والقادرة على احتمال الأعباء الثقيلة. الى وحدة الجر الجبارة في. بي. آر ذات الدفع بالعجلات الأربع والقوة الكافية لسحب مقطورة محمّلة من فئة ١٥ طنا. كما يوجد موديل لأية عملية بين هذين. جميعها متوفرة إما بأجساد اختصاصية مركّبة في المصنع. أو بمقصورة القيادة والشاسي فقط.

تفضّلوا بزيارة وكيل ايسوزو في منطقتكم وتعرّفوا على هذه الشاحنات التي أخذت تغزو العالم .. انها ستجعل أشغالكم أهون وأيسر.



ايسوزو تي اكس دي وزن الشاحنة بكامل الحمولة ١٢٠٠٠ - ١٢٣٠٠ كيلوغرام



ايسوزو بيك آب كي. في - ٢٠. وزن السيارة بكامل الحمولة ٢٢٣٨ كيلوغرام



ايسوزو إلف - متوفرة ايضاً بشاسي طويل. وزن السيارة بكامل الحمولة ٣٣٠٠ - ٥٨٠٠ كيلوغرام

GM ISUZU إيسوزو

دكتاتور الأدب الانجليزى

صموئيل جونسون

Dr. SAMUEL JOHNSON

بقلم : جمال الكنانى

ولد فى بيت امتلأ بالكتب ٠٠ وعشق الأدب ، ووضع اول قاموس فى اللغة الانجليزية ٠٠ قال فى تعريفه « للقرصان » بأنه لص بحار ، ولص كتاب ٠٠ قال يرد على مديح لأعماله ، بعد ان أصبح اسمه على كل لسان : « لو ان اهتمامك بمؤلفاتى جاء مبكرا لكان عملا طيبا ٠٠ ولكنه جاءنى بعد ان اصبحت من الشهرة ما يجعلنى فى غنى عنه !! »

■ من غير المحتمل ان تجد من بين من حاموا حول الادب الانجليزى ولو من بعيد ، شخصا واحدا لا يعرف شكسبير او لم يسمع او يقرأ او يتمثل بقول للدكتور جونسون ٠٠ فصمويل جونسون لاشك عملاق بجسمه وادبه وحديثه ودعابته ونقده وقاموسه٠٠وهو عملاق فى كل ناد اسسه اواشترك فيه ٠٠ فهو بغير منازع اشهر محدث عرفه الادب الانجليزى ٠٠ وهو الذى يقول : ليس من واجب


كان معلماً متغطرساً
لم ينج من لسانه
عدو أو صديق



GM

المحدث ان يخلق عالما افضل لان طبيعة الحوار والجدل تتيح للمحدث ان يبالغ ويغالط ويحاج ، حتى لقد يضطر احيانا ان ينتصر للخطأ !!

صفته

وانت ، على الرغم مما فى الدكتور جونسون من خصائص وخصال غريبة ، اذا واجهته لاتملك الا ان تعترف انك تقف امام عبقرى لانظير له ، يتميز بطلاقة سحبانية وحكمة لقمانية ، فهو يتخير من الكلمات اوضحها وادقها وارشقها وافواها ، ينطقها جميعا بصوت ضخم بطىء النبرات متزن الاداء غنى التعابير دسم الخيال ، يحكم كلامه منطق سليم ، ويبدعه خيال خصب ، ويغذيه بحر كامل من المعرفة والمعلومات العامة •• وصفه صفيه وصديقه بوزويل Boswell ، فقال « هو كمناخ جزر الهند الغربية ، ساطعة شمسه ، نامية خضرته ، غزيرة اعشابه ، حلوة فاكهته ، الا ان حرارة هذا المناخ تولد احيانا رعدا وبرقا وزلازل مزعجة »••• ذلك لان الدكتور جونسون كان يستعمل فى جدله كل انواع الاسلحة اللفظية ، فاذا فشل ، لجأ الى شىء من القحة والهجوم العنيف •• وفى ذلك قال الشاعر الانجليزى جولد سميث Coldsmith ، لو انه – اى جونسون – استطاع ان ينطق صغار السمك لتكلمت بلغة كبار الحيتان •• فجونسون لم يكن معلما فحسب بل كان معلما متغطرسا يفرض رأيه على غيره ، ولم ينج من لسانه عدو او صديق •• واستطاع بوزويل Boswell ، ان يعلل ذلك تعليلا منطقيا بعد ان عرف جونسون حق المعرفة فقال « ان هجوم جونسون على اصدقائه انما يرجع الى قلق دفين فى نفسه هو ، فهو يمشى وفى جوفه شعور بعصيان مسلح ، وما تفجراته هذه الا مدافع تطلق طلبا للنجدة » ••••

مرضه طفلا وصبيا

ولد صمويل جونسون عام ١٧٠٩ فى بيت ابيه وكان وراقا ، وادركت الاسرة ان الوليد مصاب بسل غدد الرقبة وهو مرض كان يعرف اذ ذاك باسم « شر الملك The King's Evil » ، وهو الخنازيرية ، وكان الناس تعارفوا انه لا يبرأ الا بلمسة ملكية ، فحملت الام ابنها وهو فى الثالثة، فى عام ١٧١٢ ، الى لندن وهناك شملته الملكة آن Ann، بعطفها ولمست عنقه باناملها •• ولكن المرض كان عنيدا عناد جونسون نفسه ، فلم يشف المريض من دائه ، ولم يأبه سل الغدد بانامل الملكة آن، بل ما ان بلغ صمويل سن ١٢ حتى ظهرت عليه اعراض اول نوبة من نوبات المرض النفسى او العصبى الذى لازمه حياته ، وهو الشعور بالانقباض Depression ، وكان اذ ذاك يعرف باسم « الملاخوليا » Melancholy وقد عاوده هذا المرض بشدة عام ١٧٦٤ حتى بلغ به الياس مبلغه فقال : انى اضحى باى طرف من اطرافى يبتره الجراح لو انى استطيع ان استعيد مرحى»••

فى مدرسته الثانوية ، ثم جامعة اكسفورد

تلقى جونسون تعليمه الثانوى فى احدى مدارس « الاجرومية »Grammar، حيث تعلم اللاتينية واليونانية ، ثم خدم فترة فى دكان ابيه ، التحق بعدها بكلية بمبروك Pembroke، بجامعة اكسفورد•• ولكنه لم يتم تعليمه فيها نظرا لفقره •• وقد تحدث الدكتور ادامز Adams ، احد زملائه فى اكسفورد وصديقه الوفى فيما بعد ، فوصفه ايام دراسته بانه كان محبوبا مدللا من كل من كانوا حوله •• وانه كان مرحا طروبا قضى فى الجامعة اسعد ايام حياته •• على ان جونسون عارض ذلك فى عنف وقال:» كنت مجنونا نزاعا الى القسوة•• كنت فقيرا فحاولت ان اشق طريقى مستعينا بما اعرف من ادب اللغة وما املك من روح دعابة ولذا تجاهلت كل قوة وانكرت كل سلطة » ••

مؤلفاته

ويعز على الخيال ان يتصور مخلوقا آخر غير الدكتور جونسون يستطيع بمفرده خلال ايام حياته ان يؤلف قاموسا اعتبر مرجعا لمدة قرن كامل ، ثم يصدر مؤلفا عن شكسبير يعتبر مرجعا من مراجع النقد ، ولعله اول من قال عن شكسبير « انه كان احرص على ان يسر اكثر منه على ان يعلم ، حتى بدا وكانه يكتب بغير هدف اخلاقى •• فهو يتنقل بشخصياته ، غير مكترث ، بين الخطا والصواب ، ثم يصرفهم بعد ذلك غير آبه ، ويترك ما يخلفون وراءهم من مثل لتعمل بمحض الصدف » •• ويؤرخ فوق ذلك لعدد من فحول الشعراء منهم ملتون ، ويصدر الصحف ،

ويحرر المقالات ، ويزين النوادي بطريف حديثه وحلو حواره وطلي فكاهته ..

قاموسه

على ان اسم جونسون قد اقترن اكثر ما اقترن بقاموسه الذي جمع فيه ٤٠٫٠٠٠ كلمة وفسر فيه مختلف المعاني لكل كلمة من هذه الكلمات .. وقال في ذلك « عكفت على عملي هذا وقرات لكتابنا ، اقتبست من كتاباتهم ما يفسر كلمة او تعبيرا .. »

وقال في مقدمة هذا القاموس .. « لعله مما يشبع حب الاستطلاع عند البعض ان يعلموا ان هذا القاموس الانجليزي قد كتب باقل عون من العلماء ، وبغير رعاية من العظماء .. وانه لم يكتب في ظروف تفرغ وئيد هادىء او حماية اكاديمية .. ولكن كتب وسط المقلقات والمنغصات، في الحزن والمرض » .

ولا يفوتنا في هذا الصدد ان نشير الى بعض ما اشتهر به هذا القاموس من تفاسير غلبت عليها طبيعة جونسون ، وصبغها تحيزه .. فلقد عرف الناس عنه مثلا انه لا يمالىء اهل اسكتلندا ، فلما عرضت له كلمة Oats - الشوفان - عرفها بانها حب تاكله الخيل في انجلترا ، وهو قوام حياة الناس في اسكتلندا .. على ان جونسون نفسه كاد يذهب ضحية تحيزه وتزمته في تعاريفه التي اودعها قاموسه اذ انه كان قد فسر كلمة Pension (معاش - مرتب تقاعد) بانها اجر يعطى لاجير حكومي لقاء خيانة الاجير لوطنه .. ففي عام ١٧٦٢ وقع ما ليس في الحسبان وراى الملك ان يمنح الدكتور جونسون معاشا او راتب تقاعد Pension ، قدره (٣٠٠) جك في السنة.. وحار جونسون وأسقط في يده .. فهو من ناحية فقير معدم ، ومن ناحية قد سجل معنى هذا الراتب في قاموسه!..وبادر صديقه رينولدز Reynolds الى نجدته اذ انه سائد اللورد بيوت Lord Bute ممثل الملك لما اكد لجونسون ان المنحة لا يقصد بها ما قد يفعل جونسون مستقبلا لخدمة الحكومة ولكنها جزاء على ما قدم للادب فعلا من خدمات .. وشكر جونسون صديقه كما شكر اللورد بيوت فقد خلصاه من ورطة عار كان يمكن ان يلحقه بسبب قاموسه !! ولا غرو ان جونسون هو صاحب القول المأثور « اذا لم يكون الانسان صداقات جديدة ، وهو يقطع رحلة الحياة ، فسرعان ما يجد نفسه وحيدا ، وعلى المرء يا سيدي ان يحتفظ بصداقاته في حالة طيبة من الاصلاح والصيانة ! »



جيمس بوزويل

صديق عمره بوزويل

والحديث عن جونسون لا يجوز الا اذا تضمن اشارة الى صداقته لرفيق عمره بوزويل Boswell الذي قابله بطريق الصدفة في دكان كتبي يوم ١٦ مايو١٧٦٣ في حي كوفنتجاردن Covent Garden وهو حي سوق الخضر والفاكهة في لندن ، فكان هذا اللقاء العارض صداقة تعتبر من اشهر الصلات التي سجلها التاريخ بين اديبين .

كان بوزويل ، وهو الابن الاكبر للورد اوكنلك Lord Auchinlech احد قضاة اسكتلندا قد نزل الى لندن ينهل من علمها ويعب من ملذاتها ونعيمها، وفي عزمه ان يتعرف على عدد من مشاهير الادباء اولا ، وان يصبح هو نفسه مؤلفا مشهورا .. وكان بوزويل قد قرا ما كتب جونسون في صحيفة رامبلر Rambler ، وقرر في نفسه ان يتصل بجونسون .. وقد رحب جونسون بهذه الصداقة

الجديدة واطمأن الى ما لمس فى بوزويل من رقة واخلاص ، فكانا يلتقيان بعد ذلك فى الشهر نوادى لندن ويخرجان معا للنزهة على ضفاف نهرها الجميل • وسعد كل منهما بصداقة الاخر ، وكان بوزويل دائم الدفاع عن جونسون والاعجاب بكل ما يعمل ، ولعله وجد ما يروى ظمأه ، لما علم ان صديقه جونسون ـ وكان مريضا ـ صمد لهجوم اربعة من قطاع الطرق ، هاجموه ليلا فانهال عليهم ضربا بهراوته الضخمة واحتمل ما كالوا له من ضربات حتى وصلت النجدة •• والمعروف ان بوزويل اتخذ من هذه الواقعة مادة لحديثه اياما واسابيع ••

زواجه

وتاريخ الادب سجل كذلك لرحلة قام بها الدكتور جونسون فى صحبة بوزويل الى الجزر الواقعة فى الشمال الغربى لاسكتلندا •• وحديث هذه القصة ممتع طويل لا يتسع المقام لسرده ، بقى ان نشير فى ايجاز الى زواج الدكتور جونسون من « تيتى Tetty » وهى اليزابث بورتر Elizabeth porter فى خريف عام ١٧٣٥ •• وكانت تيتى هذه ارملة واما لاطفال ثلاثة ، بل كانت تصلح اما لجونسون نفسه اذ انها تكبره سنا بعشرين سنة •• ومع ذلك قال جونسون عن هذا الزواج انه كان زواج حب متبادل •• على انه لم يعقب منها خلفا •• بل

ولقد قيل ان تيتى هجرت مضجعه بعد فترة قصيرة من الزواج ولزم كل منهما غرفة نوم خاصة به •

ولد جونسون كما قلنا فى بيت ملىء بالكتب •• فقد كان ابوه وراقا والف هو الكتب ليكسب قوت يومه ، وقرا الكتب بنهم ـ رغم عشاه ـ ليوسع افق معرفته ، وقال فى آخر ايامه عن الكتب انها لا تعلمنا غير فن الحياة •• لم عرف القرصان بقوله : هو لص البحار ، او اى لص ، وخاصة الكتبى او الناشر الذى يستولى على كتب غيره ••

وسيظل اسم الدكتور جونسون مقترنا بقاموسه الذى ما ان صدر حتى اعلن اللورد تشستر فيلد Chesterfield « ان جونسون هو الدكتاتور المطلق الذى يتربع على عرش اللغة الانجليزية » •• فما كان من جونسون الا ان رد عليه بخطاب يعتبر آية من آيات النثر الانجليزى جاء فيه :

« لو ان ما اعرت مؤلفاتى من اهتمام جاء مبكرا ، لاتسم عملك بالطيبة ، ولكنك مطلت الى ان اصبحت لا آبه به ولا استطيع ان انتمع به ، وسوفت حتى احتوتنى وحدة تعجزنى عن ان أسر بمدحك الى احد ، وحتى اصبحت من الشهرة ما يجعلنى فى غنى عنه » • ■■

جمال كتانى

■ اذا أكلت لتعيش فانت انسان •• ولكن اذا كنت تعيش لتأكل فانت خنزير !

« اليزا اكتون »

■ السلطة لا تعنى شيئا ، الا اذا اقترنت بثقة الشعب فى صاحب السلطان •

« كاترين العظمى »

■ انه يشتغل بالسياسة •• وقد امضى اجمل سنى عمره محاولا ان يجعل من هذا العالم الذى نعيش فيه مكانا آمنا للاغبياء !!

« تانسى بويد »



طبيب الأسرة

الربو الشعبي .

● مضى على اكثر من ثلاث سنوات اعاني من سعال شديد ، وبعد ان راجعت عدة اطباء تبين لي اني مصاب بمرض الربو الشعبي ، فما هي اسباب هذا المرض ، وما علاجه ؟

ـ الربو الشعبي مرض يصيب الشعيبات الهوائية التي تحتوى على عضلات مهمتها التحكم في دخول وخروج الهواء من والى الحويصلات الهوائية ·· وفي حالة مرض الربو الشعبي تتعرض هذه العضلات وما يبطنها من غشـــاء مخاطي الى انقباض شديد بها ، مع احتقان الغشاء المخاطي مما يصعب على الهـــواء ان يخرج من الحويصلات بسهولة ·· فيتجمع بداخلها ·· ويضطر المصاب ان يبذل جهدا شديدا، وبكافة الطرق ، ليخرج هذا الهواء المحجوز او المختزن داخل الرئة ··· مستعملا كل عضلات صدره ·· ويجلس الجلسة التي تمكنه من التغلب على خروج الهواء ، ويسعل سعالا شديدا ، لعل ذلك يمكنه من ان يخرج بعض البصاق المتجمع داخـــل الشعيبات ·· فتنفتح قليلا ليتمكن الهواء من الخروج ·

وهناك اسباب عدة تجعـــل العضلات تنقبض ويحتقن الغشـــاء المخاطي المبطن لهذه الشـــعيبات الهوائية ، واهم تلك الاسباب هي : الحساسية ·· فقد يشـــم الانسان رائحة تهيج الغشاء المخاطي وتجعل العضلات تنقبض ، وذلك باندفاع مـــادة الهستامين في الدم نتيجة لهذه الحساسية ·· والحساسية قد يكون مصدرها تناول طعام مثل البيض او السمك او اللبن او بعض انواع الفاكهة ، كالمانجو مثلا ، او الحساسية من الاتربة او من تغيرات الجو · او الحســـاسية من تعاطي بعض انواع الادوية مثل الاســـبرين او بالحقن مثل البنسلين ·



وسبب آخر هام هو التهاب الشعيبات الهوائية بواسطة ميكروب او فيروس يأتى من اعلى الجهاز التنفسى عندما يصاب الانسان مثلا بزكام فسرعان ما ينتشر ويؤثر على كل الجهاز التنفسى بما فى ذلك الشعيبات الهوائية ، ومن ثم تحدث نوبة الربو .

وقد تعترى الشخص اضطرابات نفسية تؤدى الى مثل هذه النوبات .. فلقد لوحظ ان اى اضطراب فى الحالة النفسية، كالمعاملة السيئة مثلا للطفل ، او معاملة الزوج للزوجة بقسوة ، او فشل فى عمل من الاعمال ،او صدمة نفسية او عاطفية، كلها تسبب نوبات ربو شديدة .

من هنا يتضح ان تعدد الاسباب يقف عقبة كأداء في طرق العلاج ، فلا بد من التوصل الى السبب ثم العلاج .. وحتى نتوصل الى ذلك فلا بد من علاجات مختلفة لهذا المرض ، هذه العلاجات التى لا تعد ولا تحصى للتغلب على الحساسية او مساعدة العضلات على الارتخاء ، او التخفيف من احتقان الغشاء المخاطى ، او تحسين حالة المريض النفسية ..وغير ذلك من الادوية والتى تفيد فى بعض الاحيان او لا تفيد .. وهذا كله يعتمد على استجابة المريض لها .. وهل وفق الطبيب في معرفة السبب واصابة الهدف للتغلب عليه .

النحافة .. هل هى مرض؟



● ولدت نحيفا .. هكذا قالت لى امى .. وبلغت مبلغ الشباب ، وما زلت نحيفا .. رغم اننى لا اشكو من مرض ظاهر ..هل من سبب لنحافتى؟

ـ النحافة في حالات كثيرة تكون وراثية .. وما دام الجسم سليما ، واعضاؤه تعمل بانتظام فلا خوف على النحيف ..

وكم فحصت نحيفين لا يزيد وزن الواحد منهم عن ٣٥ ـ ٤٠ كيلو جراما .. ومنهم من جاوز السبعين من العمر ، دون ان اجد بهم امراضا تذكر .. ويتمتعون بصحة جيدة اللهم الا بعض انحرافات فى صحتهم العامة من آن الى آخر كأى شخص آخر ..

والنحافة ترجع الى عدة اسباب ،اهمها ان الجسم ليس بمقدوره ان يختزن المواد الدهنية ، فلا يزداد الوزن ، وتحرق معظم الاغذية التى يتعاطاها الشخص .. رغم انه يأكل بكميات كبيرة ..اكثر من الذين يعانون من السمنة المفرطة ... ويلاحظ كذلك انه فى بعض الاشخاص النحيفين يزداد الوزن بعد الزواج مثلا .. وذلك يرجع الى تغير في هرمونات الجسم .. وتكيفها للوضع الجديد .. على ان الواجب يقضى بأن يفحص النحيف جسمه .. فلعل هناك مرضا مختفيا يمكن علاجه .. فيتغلب بالتالى على نحافته .

ويجب على من يلاحظ نقصانا مطردا في وزنه ان يراجع الطبيب ليقوم بفحصه



فحصا دقيقا ٠٠ فهنـاك من الامـراض العديدة ما يكون سببا فى نقص الوزن٠٠ مثل انعدام الشهية للأكل لاسباب نفسية او مرضية ، مثل مرض البول السكرى ، وتسمم الغدة الدرقية ٠٠وامراض الجهاز الهضمى المختـلفة بما فى ذلك امراض الكبد ٠ وكذلك امراض الجهـاز البولى والتنفسى ٠٠ والامراض الخبيثة ٠٠ فكل هذه الامراض تجعـل المريض والطبيب يفكران فى نقصان الوزن والنحافة الطارئة ٠٠ مما يستدعى الفحص الشامل الدقيق، بما فى ذلك عمل التحاليل اللازمة والاشعة المختلفة حتى نصل الى اصل المرض وعلاجه ان امكن وبالتالى علاج النحافة ٠

ركوب السيارة والدوار

لاحظت مؤخرا ، انني اصاب بدوار كلما ركبت وسيلة من وسائل النقل الحديثة ٠٠ فما السبب يا ترى ٠٠ وهل هي ظاهرة مرضية ؟

ـ الدوار عند ركوب السيـارة او القطار ، او المركب فى البحر او الطائرة يرجع سببه الى اضطراب فى القنوات شبه الدائرية داخل الاذن الداخلية ٠٠ ويلاحظ ذلك فى الشباب كثيرا ، فى حين ان الاطفال او المسنين لا يعانون من هذه الظاهرة ٠٠ ولقد وجد ان حركة السائل داخل هذه القنوات تتأثر بالحركة المتغيرة، كصعود السيارة وهبوطها او كثرة انحناءات الطريق ، او هياج موج البحر عند ركوب السفن ، او المطبات الهوائية فى الطائرة٠



وعنـدما يحدث ذلك ، تتأثر حركة العينين فلا تستقر على وضع مما يجعل الصور المرئيـة متذبذبة كذلك ، ويتأثر الجهاز العصبى اللاارادى ، فيعرق الشخص ، ويقل نبضه ، ثم تتأثر المعدة ويحدث الغثيان والقيء فى بعض الحالات٠

ويزداد هذا التأثر مع الارهـاق ، او الاضطرابات النفسية ، على ان هذا يقل حدوثه تدريجيا بمرور الوقت وبتعود الشخص ـ كما هو الحال فى البحـارة الجدد ، او سـائقى السيـارات ـ واذا استمرت الحالة لفترة طويلة ، فيستحسن ان تؤخذ اقراص درامامين Dramamine او افومين Avomine على اننا نلاحظ انه فى بعض الحالات يكفى مجـرد اغماض العينين او وضع نظارات سوداء لتقليل حدوث مثل هذا الدوار ٠

وكذلك تعاطى كميات قليلة من الطعام تكون سهلة الهضـم ٠٠ واهمها المـواد النشوية او السكرية يسـاعد على عدم حدوث مثل هذا الغثيان ٠ ■■

WHO'S RUNNING AMERICA?
INSTITUTIONAL LEADERSHIP IN THE UNITED STATES

THOMAS R. DYE

كتاب يكشف حقائق مجتمع الصفوة الذى يفرز القادة فى امريكا •

من الذى يحكم امريكا؟

تلخيص وعرض : سلامة احمد سلامة

■ لاسباب عديدة ، سيظل نظام الحكم فى امريكا ، ليس بمعناه الدستورى ، ولكن بما يحتويه من عناصر القوة المؤثرة ، ومصادر النفوذ السياسى التى تشارك من قريب أو بعيد فى صنع القرار وتوجيهه أيا كان ، من الامور التى تثير الاهتمام فى العالم كله ، بحكم الحيز الذى تشغله امريكا اقتصاديا وسياسيا وحضاريا فى عالمنا اليوم •

وربما بدا للكثيرين أن « الواجهة السياسية » لعملية صنع القرار فى ظاهرها ، مقصورة على هذه المجموعة من كبار المسئولين فى الحكومة الامريكية المنتخبة تحت اسم اى رئيس من الرؤساء او فى اجهزتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ممثلة فى الوكالات التابعة للحكومة الفيدرالية ، او فى الكونجرس بمجلسيه : النواب والشيوخ ، او فى المحكمة الامريكية العليا ••

غير أن علماء السياسة والباحثين لا يكتفون بالوقوف عند هذه « الواجهة السياسية » الظاهرة

للعيان ، بل ذهب عدد من الدراسات والكتب التى ظهرت خلال الاعوام الاخيرة ، الى محاولة كشف القناع عن حقيقة القوى التى تحكم امريكا ، والقيادات الظاهرة والخفية فيها ، ومصادر قوتها واشكال سيطرتها على المجتمع الامريكي ،والوسائل التى تصل بها الى تشكيل الاجهزة الحاكمة وتحريكها فى الاتجاه الذى تريد والى اى حد تتعارض او تتساند او تتركز هذه القوى •

وآخر هذه الكتب واحدثها هو كتاب « من الذى يحكم امريكا » ، الذى قام بدراساته وتحليلاته جيل من شباب الباحثين واساتذة الجامعة • واكثر ما يميز هذا الكتاب عن غيره انه لم يخرج نتيجة منحة قدمت له من جهة عامة او خاصة ، ولم تنفق على اصداره مؤسسة من المؤسسات العلمية او شبه العلمية ، ولكنه يوشك أن يكون جهدا علميا خاصا •• حاول ان يسمي الاشياء بمسمياتها ، وان يسمي الاشخاص بأسمائهم،وهو مايجعله مختلفا عن كتب اخرى شبيهة فى هذا المجال• ولئن كان هذا الكتاب قد ظهر قبل أن تتضح معالم التغيير الاخير فى الرياسة الامريكية ـ بفوز كارتر بمنصب الرياسة ـ الا انه يلقى ضوءا قويا على كثير من العوامل المحركة وراءه •

دور الصفوة ••

والاساس النظرى الذى يستند اليه هذا الكتاب هو انه فى كل المجتمعات •• المتقدمة والمتاخرة ، الشمولية والديمقراطية ،الرأسمالية والاشتراكية، يوجد اشخاص قليلون او معدودون هم الذين يمارسون السلطة باوسع معانيها ، يتساوى فى ذلك أن تكون ممارسة السلطة باسم الشعب او فى غيبة عنه ، وهذه المجموعة المحدودة التى تشكل حياة الناس وتقرر مصائرهم ، هى « الصفوة » التى تمثل وظيفة ما فى النظام الاجتماعى تنبع عن حاجة تقتضيها الضرورة • ومن ثم فان السلطة او النفوذ هنا ، لا ينسب الى اشخاص بعينهم ، بل ينسب الى تنظيم اجتماعى او بمعنى أصح الى قدرة شخص ما على السيطرة على تجمع ما من خلال تبوئه لدور محدد فى هذا التنظيم • فالصفوة بهذا التعريف • مجموعة من الناس يملكون القدرة ـ من خلال التنظيمات القائمة او المؤسسات المشروعة ـ على التوجيه والادارة ، ووضع البرامج والسياسات والسيطرة على المنشات والمؤسسات الكبرى فى الدولة •

وقد قيل من قبل الكثير عن هؤلاء الذين يحتلون قمم السلطة فى المجتمع الامريكي ،وتحدث الكثيرون عن « الطبقة الحاكمة » و « المؤسسة الليبرالية » و « المركب العسكرى الصناعى » و « الاغنياء وما فوق الاغنياء » وما الى ذلك من تعبيرات تشير الى هذه المجموعات باعتبارها هى التى تملك النفوذ والقوة • ولكن هذه التعبيرات لا تستند الى تعريف دقيق لمعنى النفوذ والقوة • لان النفوذ أمر لايمكن لمسه او حصره بل هو تعبير شديد المراوغة • غير أن التعريف الذى يمكن التعامل من خلاله لتحديد معنى السلطة او النفوذ او القوة يمكن أن نجده فى « هؤلاء الاشخاص الذين يحتلون مراكز القمة على رأس المؤسسات الكبرى فى بناء المجتمع الامريكي » • لانهم هم الذين يملكون تقرير كل شيء : عن الحرب والسلام ، عن الاجور والاسعار، عن الاستهلاك والاستثمار ، عن العمالة والانتاج، عن القانون والنظام ، عن الضرائب والخدمات ، عن العلم والتعليم ، عن الصحة والمرض ، عن الحياة ووقت الفراغ ••وذلك كله منخلال سلطتهم فى التوجيه والادارة ، ووضع البرامج والسياسات، وتحديد الانشطة المختلفة فى المؤسسات والوزارات والتعليم والقوانين وكافة هذه الاوجه•

ومن بين اكثر من ٢٠٠ مليون مواطن امريكي يوجد نحو من ٥٠٠٠ شخص يحتلون قمم السلطة فى اعلى المناصب على رأس هذه الاجهزة والمؤسسات •• فى البنوك والشركات الضخمة وشركات التامين وشبكات الاذاعة والتليفزيون والصحف والجامعات والمؤسسات الخيرية والمدنية ، والبيت الابيض والكونجرس والجهاز البيروقراطى فى الحكومة الفيدرالية وفى المؤسسة العسكرية والشركات القانونية التى تضم كبار المحامين ••

وفى مجتمع معقد كامريكا يصبح السؤال المطروح بحثا عن مصادر النفوذ والقوة هو : من هم هؤلاء الاشخاص ؟ •• كيف وصلوا الى قمم السلطة ، وما مدى حجم هذه السلطة وماذا يصنعون بها ! ••هل هذه السلطة مركزة او مشتتة ؟ وما علاقات اصحابها بعضهم ببعض ، هل هى علاقة تصارع او تعاون ؟

وتتوزع السلطة فى المجتمع الامريكى بين ثلاثة قطاعات مختلفة ، تنحصر فى عدد محدود من المؤسسات الضخمة التى تتركز فيها الاغلبية الغالبة من موارد الثروة • هذه القطاعات هى : قطاع الشركات والمؤسسات • وقطاع الحكومة • وقطاع الرأى العام •

فى قطاع الشركات والمؤسسات : تتركز القوة الصناعية فى امريكا بين يدى ١٠٠ مؤسسة عملاقة تسيطر على اكثر من نصف مجموع الارصدة الصناعية ،وذلك من بين ٢٠٠ الف شركة ومؤسسة صناعية • واكبر خمس مؤسسات عملاقة من هذه المائة ، لانها تملك وحدها ١٠٪ من مجموع الارصدة الصناعية الامريكية هى : اكسون (ستاندرد اويل ـ نيوجيرسى) ، وجنرال موتورز ، وتكساكو ، وفورد موتورز ، وجالف اويل •

وفى مجال النقل والمواصلات والخدمات :يزداد التركيز بصورة اشد ، اكثر من نصف الارصدة فى هذا المجال تملكه ٣٣ مؤسسة ، تقف على رأسها شركة التليفون والتلغراف الامريكية • AT

وفى عالم المال يسيطر ٥٠بنكا كبيرا (من ١٣٠٠) على نصف مجموع الارصدة المالية فى امريكا ،يقف على رأسها : بنك امريكا ، فيرست ناشيونال سيتى، تشيز مانهاتن •

وفى شركات التامين : ثلثا الارصدة التامينية فى أيدى ١٨ شركة (من ١٧٩٠) بينها شركتان هما متروبوليتان وبرودنيتال تملكان اكثر من ٢٥٪ •

والذين يسيطرون على هذه الامبراطوريات الضخمة للصناعة والمال والتامين ينحصر عددهم فى ٣٥٧٢ شخص فقط ، يحتلون مناصب رؤساء مجالس الادارة والمديرين • هم الذين يقررون ماذا يجرى انتاجه ، وكيف ، وحجم الانتاج وتكلفته ، وعدد العاملين فيه واجورهم • وكيف توزع السلع والخدمات • واى انواع التكنولوجيا يجب تطبيقها وتطويرها • وحجم المكاسب والارباح • وحجم القروض واسعار الفائدة ••• وما يسمى بنفوذ حاملى الاسهم فى هذه المؤسسات هو مجرد وهم قانونى ،لان حملة الاسهم لايوجهون هذه السياسات ولا يملكون تغيير المديرين والرؤساء وكل ما فى وسعهم أن يفعلوه هو أن يبيعوا اسهمهم اذا لم يعجبهم الحال • بل ان هؤلاء الرؤساء والمديرين هم الذين يختارون من يخلفهم فى مناصبهم •

ومن الامثلة على بعض الشخصيات التى تتولى رياسة هذه المؤسسات : دافيد روكفلر ، وريتشارد كنج ميللون ، امورى هيوتون ، هنرى فورد ، ايلمود باترسون ••

اما فى قطاع الحكومة : فان اصحاب النفوذ والسلطة هم هؤلاء الذين يحتلون مراكز قيادية فى الاجهزة البيروقراطية المدنية والعسكرية للحكومة• ويبلغ عددهم ٢٨٦ شخص ، يضمون فيما بينهم الرئيس الامريكى ونائبه والوزراء ووكلاء الوزارات ومساعديهم ، ومستشارى البيت الابيض ورؤساء اللجان فى الكونجرس وكبار اعضاء حزب الاقلية فى اللجان المختلفة بالكونجرس ، ورئيسا الاغلبية والاقلية للحزبين الديمقراطى والجمهورى • وقضاة المحكمة العليا التسعة ، واعضاء مجلس الاحتياط الفيدرالى ،واعضاء مجلس المستشارين الاقتصاديين يضاف اليهم اعضاء الجهاز العسكرى ـ كبار المسئولين المدنيين فى وزارة الدفاع وكبار الجنرالات والادميرالات ورئيس هيئة الاركان المشتركة والقواد ونوابهم فى اسلحة الطيران والبحرية والجيش •

وتكتسب الدوائر الحكومية نفوذها من حجم الانفاق الذى يصل الى ثلث مجمل الانتاج القومى الامريكى • يحظى فيه الانفاق العسكرى بنسبة تصل الى ٣٦٪ ، ومن هنا فان المركب العسكرى الصناعى الذى كثر الحديث عنه لايحظى بذلك النفوذ الضخم الذى ينسب له عادة • ويبدو ذلك ـ حقيقة بسيطة ، هى أن ال ١٠٠ مؤسسة الكبرى فى امريكا التى اشرنا اليها، لا تعتمد فى عقودها العسكرية الا على ١٠٪ من مبيعاتها او دخلها •

اما كبار الموظفين فى الجهاز البيروقراطى الحكومى ، فان أهميتهم تنبع من أن الرؤساء لابد ان يعتمدوا فى ادارة دفة الحكم على مجموعة من « الرجال الجادين » • ذلك أن مهارة المرشح للرياسة فى جمع الاصوات الانتخابية لا تعنى بالضرورة قدرته على الحكم • ويتم تجنيد كبار هؤلاء الموظفين من دوائر الصناعة او البنوك (مثل جورج شولتز وزير الخزانة) او من رجال الجامعات (كيسنجر وشليزنجر) أو من شركات القانون (دالاس ، روجرز ، سيروس فانس)

او من الجهاز الادارى ذاته (اليوت ريتشاردسون ـ جوزيف سيسكو) ٠

ثم يأتى بعد ذلك هؤلاء الذين يسهمون ماليا فى الحملات الانتخابية ، وهم فى العادة يمثلون رباطا قويا بين مراكز الثراء فى المؤسسات الضخمة وبين النظام السياسى ٠٠ وثلث المساهمين ماليا فى الحملات الانتخابية رؤساء ومديرون لمؤسسات وبنوك وشركات كبرى ، والثلث الاخر من الاسر الغنية الوارثة التى تساهم عادة فى المؤسسات الاقتصادية ، والثلث الاخير من أفراد ذوى دخول كبيرة فى الطبقات العالية الدخل من الطبقة الوسطى ٠

● وقطاع الرأى العام هو القطاع الثالث ، الذى تمثل الصفوة فيه بأفراد يحتلون المراكز العليا فى أجهزة الاعلام من تليفزيون واذاعة وصحافة ، وفى الشركات القانونية الكبرى ، وفى المؤسسات الخيرية الرئيسية ، وعدد محدود من الجامعات المشهورة ، ثم بعض الهيئات والجمعيات المدنية والثقافية ٠ ويبلغ مجموع الاشخاص الذين يحتلون المناصب الرئيسية فيها ١٥٥٨ شخص٠

والذين يسيطرون على شبكات التليفزيون الثلاث الرئيسية فى امريكا :ABC , NBC, CBS يعدون من اقوى الناس نفوذا فى البلاد ٠ حيث يعتبر التليفزيون المصدر الرئيسى للمعلومات بالنسبة للاغلبية العظمى من الشعب ٠ يتلاعبون من خلال نهر متدفق من المعلومات على عواطف الناس ومشاعرهم ، ويملكون تركيز الانتباه على موضوع او مشكلة او تجاهلها ٠ وقد نجح التليفزيون ـ بعد أن كشف الوجه الحقيقى للحرب فى فيتنام ـ فى اخراج ليندون جونسون من البيت الابيض ، وساعد ايضا مع الصحافة فى اخراج نيكسون بفضيحة ووترجيت ٠ يضاف الى هذه الشبكات الثلاث ، صحف : نيويورك تايمز ، ومجموعة مجلة التايم ، ومجموعة واشنطن بوست ونيوزويك، ثم وكالتا الانباء الرئيسيتان اسوشيتدبرس ، ويونايتدبرس و١٠ مجموعات لصحف يغطى توزيعها ثلث مجموع توزيع الصحف الامريكية ٠ ويقف على رأس هذه المجموعة من اجهزة الاعلام والصحافة ٢١٣ رئيس ومدير ٠

وتأتى بعد ذلك ١٢ جامعة وكلية تسيطر على ٥٤٪ من جميع المنح الدراسية التى تقدم فى مجال التعليم العالى ٠ وتحتل من حيث سمعتها مركزا مرموقا ،ويبلغ مجموع رؤساء هذه الجامعات وامنائها ٦٥٦ شخص ٠

اما المؤسسات الخيرية مثل مؤسسة فورد فونديشن ، وروكفلر فونديشن ، فان نفوذها يكمن فى قدرتها على توجيه كثير من مصادر الثروة الخاصة والمنح المقدمة من الشركات للانفاق على ابحاث ونشاطات موجهة سياسيا ٠ ويبلغ عدد هذه المؤسسات ١٢ مؤسسة تملك ٤٠٪ من الارصدة ٠ ومجموع رؤسائها والمهيمنين عليها ١٢١ شخص ٠ ويلاحظ أن رؤساء هذه المؤسسات وامنائها ـ شأنها فى ذلك شأن الجامعات السابق ذكرها ـ يحتلون مراكز رئيسية فى الشركات والمؤسسات الاقتصادية والصناعية التى تقوم بالتمويل ٠ وهؤلاء الاشخاص انفسهم يتكررون مرة اخرى فى مناصب الاشراف والتوجيه فى مجالس ادارات المتاحف الكبرى ، وجماعات التخطيط السياسى المعروفة : مثل مجلس العلاقات الخارجية، ومعهد بروكنجز ولجنة التنمية الاقتصادية ٠ وهى جماعات ـ كما سنرى ـ تمارس نفوذا هائلا فى عمليات التجديد والتخطيط السياسى والاقتصادى٠

وينضوى تحت هذا النوع من الاجهزة الصانعة للرأى العام شركات المحامين الكبرى ولا يزيد عددها على ٣٠ مكتبا او شركة تتركز فى واشنطن ونيويورك تضم ١٧٦ شخص من عمالقة المحامين والقانونيين الذين يعدون من الشخصيات العامة، ويكسبون نفوذهم من تمثيلهم القانونى لكبرى المؤسسات والشركات الامريكية ٠ وكثيرا ما يعهد اليهم بمهام قومية ، مثل سيروس فانس الذى مثل الولايات المتحدة فى محادثات فيتنام فى باريس ٠ وسوف نجد أن معظمهم من خريجى احدى هذه الجامعات المشهورة التى اشرنا اليها : هارفارد ، ييل ، شيكاغو ، ستانفورد ، كولومبيا ، كورنيل ، برنستون ٠٠ الخ ٠

مدى التداخل بين القيادات

من مجموع هذه الشخصيات ، التى تجلس على

القمة فى المناصب العليا لهذه الاجهزة والمؤسسات فى القطاعات الثلاث ، تتكون الصفوة الحاكمة فى امريكا • وتكشف الدراسات التى اجريت عن هذه الشخصيات ، أن تكوين الصفوة الحاكمة فى امريكا لا يتخذ شكلا هرميا ، تتدرج فيه القيادات من القمة الى القاعدة ، اى ان الـ ٥٤١٦ شخص الذين يجلسون فى القمة لا ينحصرون فى عدد اقل يمثل قمة عليا واحدة • كما أن البناء لا يتخذ فى الوقت ذاته شكلا تتعدد فيه قمم القيادة ، كل قمة تمثل قطاعا مختلفا للحياة ، مع تداخل محدود او معدوم فى السلطة عبر قنوات منفصلة • ولكنه خليط من الصيغتين • فهذه الالاف الخمسة من المناصب القيادية يشغلها ٤٠٠٠ شخص تقريبا ، مما يدل على وجود تركيز بدرجة ما فى السلطة • اى ان هناك ما يقرب من ٢٠٪ من هؤلاء الاشخاص يحتلون منصبين او اكثر • وبعضهم يصل عدد المناصب التى يشغلها الى سبعة مناصب، وهؤلاء يعدون من الشخصيات العامة الواسعة النفوذ ، مثل دافيد روكفلر رئيس مجلس ادارة بنك تشيز مانهاتن ومدير امبراطورية روكفلر الواسعة النطاق التى تسيطر على عدد من شركات البترول والبنوك والتامين والخطوط الجوية والعقول الالكترونية وصناعات الحديد والصلب • والذى يمتد نفوذه بحكم المؤسسات الخيرية والثقافية والهبات والمنح الدراسية والجامعية التى يقدمها ، الى مجالات التعليم والقانون والثقافة واجهزة الحكومة • وقد وصف هذا الرجل بانه الوحيد الذى يعتبر منصب الرياسة الامريكية بالنسبة له هبوطا الى اسفل •

واذا اردنا أن نضرب مثالا اخر بواحدة من الشخصيات التى برزت أخيرا فى منصب رسمى وهو سيروس فانس الذى اختير وزيرا للخارجية فى حكومة الرئيس كارتر •• فقد كان يشغل منصب الشريك الرئيسى فى واحد من اكبر مكاتب المحامين «سمبسون ثاشر وبارتليت» ، ويشغل مع ذلك منصب المدير فى عدد من الشركات : بان امريكان ، اتينا للتامين على الحياة ، آ٠ ب٠ م للعقول الالكترونية ، وهو عضو بمجلس العلاقات الخارجية ، والصليب الاحمر الامريكى ومؤسسة روكفلر ، واحد امناء جامعة شيكاغو •

ويلاحظ أن معظم الشخصيات التى شغلت منصب وزير الخارجية فى الآونة الاخيرة ، جاءت من مجموعة روكفلر •• دالاس ، دين راسك ، كيسنجر •

وقد لا يحدث التداخل فى شغل المناصب العليا فى الحكومة والمؤسسة العسكرية • ولكن التداخل يكون على اشده فى المؤسسات التعليمية والثقافية والخيرية والشركات الصناعية والمالية والاقتصادية، والى جانب مجموعة روكفلر توجد مجموعات مماثلة تشع نفوذها على كثير من اوجه الحياة الامريكية ، مثل مجموعة فورد ودى بونت وميللون، وان بقى اخطرها شانا مجموعة روكفلر •

واذا كانت الاراء قد اختلفت كثيرا حول امكانية الرجل الامريكى العادى فى الصعود الى القمة• حيث تؤكد بعض الاراء أن الاغلبية العظمى من المناصب القيادية يتم اختيارها من الطبقات العليا ومن اصحاب الدخول العليا من الطبقة الوسطى ، التى تتقارب فى قيمها ومبادئها وثرائها وتعليمها وعضويتها لنوادى الصفوة • تذهب اراء اخرى الى ان المجتمع الامريكى هو مجتمع الفرص المفتوحة المتساوية ، اذا توفر للشخص من المواهب والمهارات والخبرة القدر الكافى •

غير ان الدراسة التحليلية التى اجريت على الذين يحتلون بالفعل هذه المناصب على مر فترة معقولة من السنوات ، تثبت ان القادمين من اسفل السلم الاجتماعى لا تزيد نسبتهم فى المناصب القيادية عن ٣ ٪ ، وعلى العموم فان الصفة الغالبة على هؤلاء الذين يحتلون القمة ، انهم من طبقات ثرية ، من سكان المدن ،تخرجوا فى جامعات خاصة مشهورة ، من اصل انجلو ساكسونى ، ومن البروتستنت البيض طبعا •

والطريف أن المراة الامريكية رغم كل ما تثيره حولها من ضجة لا تمثل غير ٣٪ من المناصب الهامة فى الادارة العليا ، وذلك على الرغم من ان ٤٠٪ من النساء الامريكيات يزاولن مهنة ما •

وتزداد النسبة هبوطا للصاعدين من القمة من بين السود ، حيث لا يزيد عددهم في الخمسة الاف منصب قيادي عن اصابع اليد الواحدة • وقد وصلوا اليها من خلال تدرجهم فيمناصب حكومية•

الصراع والاجماع في القمة

قد تختلف الاراء ايضا حول مدى واهمية الصراع والخلاف في الرأى بين القيادات ، باعتبارها سمة مميزة للديمقراطية ، تجعل السياسات اكثر استجابة لمطالب القاعدة العريضة من الجماهير ، وتجعل للجماهير تاثيرها في ترجيح كفة سياسة على اخرى باختيارها لمجموعة القيادات الاكثر حدبا واقترابا من مصالحها • غير أن الثابت ـ من خلال فحص شامل لمواقف الصفوة الحاكمة في امريكا وممارساتها السياسية ـ أن هناك اطارا واسعا من الاجماع بين القيادات ، يدور حول مجموعة من القيم الاساسية والاهداف التي لا خلاف عليها والتي تتمثل فيما يطلق عليه اسم « المؤسسة الليبرالية » • اما الخلاف فيما عدا ذلك • فهو على الاساليب والوسائل •

وتشير الاستطلاعات التي اجريت بين القيادات وشاغلي المناصب العليا بغضالنظر عنانتماءاتهم الى اى من الحزبين الديمقراطي أو الجمهوري ، الى الاجماع على السياسات التالية :

تحسين العلاقات مع الدول الشيوعية • الحد من الالتزامات والتورطات العسكرية الامريكية في الخارج • القضاءعلى المظالم الاجتماعية والتفرقة العنصرية • مضاعفة الجهود المبذولة في حماية البيئة من التلوث • المساواة في الاجر بين الرجل والمرأة • تاييد نظام الاقتصاد الحر واعتبار الربح حافزا اساسيا ، مع الاستعداد لانفاق جزء من أرباح المؤسسات على برامج الاصلاح الاجتماعية • مزيد من التعاون العالمي في مجالات التبادل التجاري والتكنولوجي •

اما الخلاف فينحصر في عدد قليل من القضايا المحدودة الاثر ، والتي تنصب على الوسائل كما أسلفنا مثل :

العلاوة الممنوحة لشركات البترول تعويضا لها عن استنزاف البترول • سيطرة الاجهزة الفيدرالية أمسيطرة الاجهزة المحلية علىالمشروعات والبرامج الاجتماعية • الى أى مدى يجب أن تصل ضرائب الدخل • الاجراءات الخاصة بمكافحة التضخم والركود الاقتصادي والحد من البطالة •

غير أن هناك من الدلائل ما يشير الى انقسام في الصفوة الحاكمة من نوع آخر •• انقسام يفصل بين الصفوة الغنية القادمة من الجنوب والغرب• الذين يطلق عليهم أوصاف «الكاوبويز» أو « الاغنياء الجدد » أو « أبناء حزام الشمس » (أى الولايات الجنوبية) ، وبين هؤلاء القادمين من الاسر الغنية الكبيرة في الشرق والشمال أو ما يطلق عليهم اسم « اليانكيز » أبناء المؤسسة الشرقية الليبرالية •

الطائفة الاولى من الصفوة حصلت على ثروتها بعد الحرب العالمية الثانية من عمليات البحث عن البترول ومن صناعات الفضاء وما اقترن بها من الصناعات الحربية والعقول الالكترونية ، والثروة العقارية •• وكلهم أبناء الولايات الجنوبية الممتدة من كاليفورنيا الى تكساس الى فلوريدا •• ومعظمهم رجال من صنع انفسهم ، حصلوا على ثرواتهم وصعدوا الى القمة بكدهم وعرقهم • يؤمنون بالفردية والمنافسة والخشونة في المعاملة ، وتنعكس هذه الصفات على آرائهم السياسية •

أما الطائفة الثانية من « اليانكيز » أبناء المؤسسة الشرقية ، فقد تمتعوا بالثروة والنفوذ عبر أجيال عديدة ، أو تسلقوا الى مراكز القيادة ببطء وتدريجيا ، ليشغلوا معظم المراكز الهامة فيالمكاتب القانونية الكبرى والشركات والمؤسسات والبنوك • وهم ـ في ظنهم ـ أكثر مدنية واحساسا بالمسئولية المدنية والحريات المدنية • وينظرون الى « الكاوبويز » القادمين من الجنوب باعتبارهم ثلة من المغامرين والمقامرين والمضاربين•

وما زال « اليانكيز » يحتلون جانبا كبيرا من

قمم السلطة والنفوذ فى أمريكا • وعندما وصل الى منصب الرياسة الامريكيةرئيسان ذوى روابط قوية بالكاوبويز. من أبناء الجنوب ، وهما جونسون ثم نيكسون ، تحالفت قوى المؤسسة الشرقية الليبرالية لاخراجهما من السلطة عنوة• وفى كلتا الحالتين لعب هؤلاء الذين يحتلون منهم مواقع السلطة فى أجهزة الاعلام والصحافة والتليفزيون دورا هاما فى اخراج جونسون بسبب حرب فيتنام ، وفى اقالة نيكسون بسبب فضيحة ووترجيت • مما يؤكد تزايد أهمية الظاهرة الاعلامية فى بناء الصفوة الحاكمة فى أمريكا •

والخلاصة التى تنتهى اليها هذه الدراسة عن الصفوة الحاكمة فى امريكا ، تتمثل فى « تصور » او « نموذج » لعملية صنع السياسات او صنع القرارات فى امريكا يختلف عن التصور السائد فى كثير من الاذهان • فالرئيس الامريكى والاجهزة المحيطة به من مستشارين وكونجرس واجهزة قضائية وحكومية • او ما يطلق عليه وصف « صانعى السياسة عن قرب » • ليسوا فى واقع الامر هم الذين يصنعون السياسات او يقررونها • ولكنهم رغم نشاطهم الظاهر للعيان مجرد نافذة امامية او « واجهة سياسية » لا تمثل غير المرحلة الاخيرة من عملية معقدة ، تتشكل فى ثناياها تفاصيل السياسات القوية الامريكية •

ان كل تجديد او انعطاف او تغيير فى السياسة الامريكية يبدو للعين الخارجية وكانه قد حدث فجاة فى مكاتب البيت الابيض او دهاليز الكونجرس، يبدا فى حقيقة الامر من المنابع الاصلية الاولى التى تمول الابحاث والخطط والدراسات • وتمويل هذه الدراسات ياتى ــ كما اسلفنا ــ من المؤسسات والشركات الكبرى التى توجه اموالا مخصصة لبحوث معينة الى المؤسسات العامة والجامعات ومجموعات التخطيط السياسية •

ويلاحظ هنا مرة اخرى أن كبار المسئولين فى هذه المؤسسات والشركات ، يجلسون كاعضاء فى جماعات التخطيط والبحث والجامعات يحددون كيف، وفى اى الوجوه ، وعلى اى الدراسات تنفق هذه الاموال (مثل مجلس العلاقات الخارجية ، معهد او مؤسسة بروكنجز ــ لجنة التنمية الاقتصادية ــ مؤسسة راند للابحاث ــ معهد هادسون ••) •

كما يلاحظ ايضا ان جماعات البحث والتخطيط هذه تضم دائما شخصيات كبرى تتربع فى قمم السلطة ، تمثل الحكومة والشركات والمؤسسات الصناعية والبنوك والصحافة ورجال القانون ، للتوصل الى تصور جماعى حول المشكلة المطروحة ايا كانت والخطط اللازمة لحلها • وحينئذ ، فانه فضلا عن اشتراك اجهزة الاعلام بممثلين عنها فى مرحلة التخطيط والدراسة ، فانها تتولى بعد ذلك المرحلة التالية •• مرحلة اعداد الراى العام داخل امريكا وخارجها للتغيير المطلوب احداثه • ثم تاتى بعد ذلك مرحلة اللجان الخاصة التى يشكلها الرئيس او التى يتم تشكيلها على مستوى الحكومة او الكونجرس بمثابة دعم اضافى • او بمثابة لمسة جمالية ، لتقرر وتؤكد مرة اخرى ما انتهت معاهد الابحاث ومجموعات التخطيط من قبل الى تاكيده • وتظهر امام هذه اللجان عادة عينات نمطية من المجتمع الامريكى تدلى بآرائها وشهاداتها ••ممثلون من العمال ، وعن السود ، وعن الطلبة ، وعن المراة •• الخ تعبىء كلها التاييد الجماهيرى اللازم للسياسات الجديدة ، منعكسة كلها على شاشات التليفزيون وفى تعليقات الصحف•

ويأتى دور « صانعى السياسة عن قرب » فى المرحلة النهائية ، لوضع هذه السياسات فى صورتها التشريعية •• وفى صورة قوانين وقرارات ولوائح • تبدو فيها المناقشة والمنافسة والمساومة، والاغراء والتهديد،والهجوم والدفاع،لتؤكد صيغة « التعدد » فى النظرية السياسية الامريكية • ولكن هذا كله يحدث بعد أن يكون جدول اعمال السياسة الجديدة قد استقر ، وتحددت ملامح التغييرات الاساسية فيها • ولا يعنى هذا ان المرحلة النهائية من « صنع السياسة عن قرب » مرحلة غير هامة ، ولكنها تميل فى اغلب الاحوال الى التركيز على « الوسائل » وليس على «الاهداف»•

■■

سلامة أحمد سلامة

علماء العرب والسرطان

● نشرت مجلة «العربي» – عدد ديسمبر/٧٦ – في باب « انباء الطب والعلم » : « ان مركز الأبحاث الميكروبيولوجية في بورتون بانجلترا يقوم بابحاث عن استخدام انزيمي الجلوتامينيز والاسبارجينيز وتاثيرهما على نمو السرطانات تحت اشراف ف.هـ.ويد .. «وانه ليشرفني ان اذكر ان مثل هذه الأبحاث كانت قد اجريت بادئ ذي بدء في الولايات المتحدة الامريكية بكلية طب سان فرانسيسكو تحت اشراف ، الدكتور دافيد جرينبرج بالاشتراك مع اثنين من الباحثين العرب المصريين.. وكنت انا واحدا من هذا الفريق ، واستطعنا تحضير انزيم يقوم بعمل كلا الانزيمين من بكتريا خاصة امكن تحضيرها .. في الوقت الذي كان فيه عدد من الباحثين يعمل في هذا المجال ، واستطاعوا تحضير الانزيم من مصادر مختلفة .. وقد نشرت جميع هذه البحوث في المجلات المتخصصة مثل مجلة Cancer Research .

ذلك يؤكد ان علماء العرب لهم باع في مجال البحوث العلمية يقف جنبا الى جنب مع علماء العالم بل اننا سبقناهم في هذا المجال بحوالي احد عشر عاما ، عندما تهيأت لنا الظروف والامكانيات والمناخ العلمي المناسب .

د. محمد فريد الأسمر
استاذ الكيمياء الحيوية/كلية طب عين شمس – القاهرة

العرب وليس غيرهم

● اثناء عملي المدرسي في الريف اليمني ، كنت القي درسا في العلوم حول مرض الجدري وطريقة التطعيم ضده وادوارد جنر مكتشف الطعم، عندئذ قيل لي ان الاهالي يختزنون كميات من جراثيم الجدري في زجاجات وعلب صغيرة .. واستوضحت الأمر ، فاخبرني طبيب شعبي ، وهم كثر في البوادي والأرياف العربية ، انه يتم الحصول على تلك الجراثيم من صديد وقيح الأشخاص المصابين بالمرض مباشرة ، ثم يحفظونه ويطعمون به ابناءهم واقاربهم في حالة عدم ظهور وباء الجدري. وقد افاد هذا الشخص وهو يبلغ نحو التسعين من العمر « ان هذه الطريقة متعارف عليها من عهد اجداد اجدادنا » .

انه لمن العيب ان نعلم ابناءنا كيف ينسون الاعتزاز بحضارتهم ، واني اناشد المهتمين والمتخصصين في هذا المجال البحث والاستقصاء للحقائق ، لعلهم ينسبون هذا الاكتشاف للعرب وليس لادوارد جنر .

عبد الرحمن عمر بفلح
سيئون/اليمن الديمقراطي

« هؤلاء الدكاترة »

● اضافة الى ما كتبه فهمي هويدي تحت عنوان « هؤلاء الدكاترة » ، اقول ان بعض الجامعات الامريكية الغت شهادة الدكتوراه في فروع معينة. مثل العمارة مثلا . لان التجربة العملية تفيدفيها اكثر من البحث الاكاديمي . هذا فقط لعلم اللاهثين وراء اللقب .

مروان عبد القادر
نيوجيرسي – الولايات المتحدة الامريكية

.. وتعمير مناطق المسلمين بالفلبين؟

● عندما يوقع اتفاق الحكم الذاتي بين حكومة الرئيس ماركوس وجبهة تحرير مورو ، التي تقود ثورة مسلمي الفلبين ، يبقى سؤال كبير يشغلنا ويؤرقنا ، ومن حقنا ان نطرحه على اخواننا العرب ، وعلى المسلمين في كل مكان . السؤال هو : ما هو دور العالم العربي والاسلامي في تعمير منطقة الجنوب ، بعد الخراب الذي حل بها طوال سنوات الحرب الست ؟

ان الحرب الدائرة منذ عام ٧١ قد خلفت وراءها دمارا في كل مكان ، في المدارس والمستشفيات والمساكن والمساجد ، فضلا عن الاف المشردين الذين تركوا بيوتهم ولجأوا الى المعسكرات والجبال ، او الذين تركوا الوطن كله وانتقلوا الى ولايتي صباح وساراواك جنوبي ماليزيا .

ولاننا نظن ان اغلب المسلمين والعرب لا يعرفون شيئا عن بلادنا ، الا ما تتناقله وكالات الانباء عن القتال ، فانني اقول ان بلادنا مليئة بالموارد والخيرات . ولعل هذا هو احد الاسباب الرئيسية التي اثارت الاطماع فيها من جانب الشماليين . في بلادنا مساحات هائلة مزروعة بالموز وجوز الهند والاناناس والشاي والارز ، فضلا عن الاخشاب ، ومناجم القصدير والذهب . كل اسباب الرخاء متوفرة ومع ذلك فقد ظل شعبنا تعيسا وفقيرا . كنا نعتبر مواطنين من الدرجة الثانية . ولذا كانت ثورتنا .

لقد شكل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فريق عمل سياسي زار الفلبين وبذل جهدا في طريق التسوية السياسية ، توج بمباحثات طرابلس في ليبيا ، التي مهدت للاتفاق الذي سيوقع في اوائل هذا الشهر (مارس - آذار) .

لماذا لا يكون فريق عمل اقتصادي يدرس اوضاعنا وامكانية الاسهام في استثمار مواردنا الوفيرة ، والمشاركة - بالتالي - في تنمية وتعمير المناطق الاسلامية في جنوب الفلبين .

اننا نعلم ان العالم العربي لديه شواغله العديدة ، من تعمير لبنان الى تسوية ازمة الشرق الاوسط . ولا نعرف بالضبط في اي ترتيب يمكن ادراج مشكلتنا .. ونحن ندرك ان العالم العربي قد تحرك بمسئولية في الحل السياسي ، ونتمنى ان يباشر نفس المسئولية في التنمية الاقتصادية . ولا نريد ان يبذل العرب هذا الجهد ويعود السلام الى جنوب الفلبين ، ثم تزحف الشركات الاوروبية والامريكية لتجني الثمار وتستغل خيرات بلادنا .

هل يمكن ان يفكر العالم العربي والاسلامي في هذه القضية قبل فوات الاوان ؟

عبد الله كبير

عضو قيادة جبهة تحرير مورو
مندناو - جنوب الفلبين

شمس الله وشمس العرب

● اخطأتم في مسابقة العدد ٢١٠ ، عندما ذكرتم اسم كتاب بعنوان « شمس الله تسطع على الغرب » للمستشرقة الالمانية المعروفة زيجريد هونكة . ان الترجمة الحقيقية لاسم الكتاب هي « شمس العرب تسطع على الغرب » ولكن الذين ترجموا اسمه اسقطوا اسم العرب لغرض في نفوسهم لا يخفى عليكم .

نزار سكر / دمشق

اعجاز القرآن

● اقترح ان تخصص مجلة « العربي » صفحة او صفحتين للبحث في موضوع اعجاز القرآن .. ولا يخفى عليكم ان القرآن الكريم يحوي بين دفتيه الكثير من اسرار الكون التي تعد سبقا للقرآن في بعض الامور والظواهر العلمية للكون والحياة .

سيف الدين اشقر
اللاذقية - سوريا

حوار القراء

عتاب الى « العربي »

● ارسل الينا السيد « محمد علي راضي المظفر من المعقل ـ البصرة ـ العراق » قصيدة بعنوان (باسرة العربي) يحييها فيها ، ويعاتبها على عدم نشرها ما ارسل اليها من نتاجه ، ويطلب منها ان تشجع الناشئين ، ومن اصلح ابياته :

ان كانت « العربي » للعربي فلـ
ـتنشر نتاجا من فـؤاد ذائب
ان كانت « العـربي » فيها مارب
لـسواي ، لـي فيها كثير مارب
ان كانت « العربي » للعـربي لم
يقبل لها عـذر بـرد مطـالب

ونحن نقول للاخ المظفـر ولغيره : ان مجلة العربي مفتوحة لكل من يجيد الكتابة بلغة العرب، ولو لم يكن عربيا ، وهي تشكر تحيته ، وتقبل عتابه ، وترضى حسابه ، ولو انها ترخصت في حساب نفسها بنشر كل ما يرسل اليها لحاسبها القراء على تهاونها . ولذا لا بد من المراجعة والانتقاء . واذا كان من واجبنا ان ننشر ، فمن واجب من يطلب نشر عمله ان يجيده . وكم ناشيء فرح بنشر عمله في حينه ، فلما كبر واستوى ندم على نشره ، وود لو يتبرأ منه ، ونتمنى « الظفر » القريب للسيد «المظفر» ، وله منا تحية وسلام .



اغنية الاطلال

● انا معجب باغنية « الاطلال » التي تغنيها سيدة الغناء العربي ام كلثوم . ارجو نشر نبذة عن صاحبها ناجي وشعره ، وقصة هذه الأغنية

خالد جاسم هاني/العراق

ـ ناظم القصيدة هو الدكتور ابراهيم ناجي ، وقد كتبنا نبذة في العدد ٢٠٩ (نيسان/ابريل/٧٦) عرفنا فيها بحياته وشعره ونزعته الفنية ، وذكرنا ان له عدة دواوين نشر بعضها في حياته ،وجمعت بعد وفاته في مجلد واحد عنوانه « ديوان ابراهيم ناجي » اصدرته دار العودة في بيروت سنة ١٩٧٣

وقد قلنا في نبذتنا تلك ، انّ « اكثر عرائس غزله من المشتغلات بالفنون ونحوهن ، فهن قريبات بعيدات » وعروس الاطلال واحدة منهن ، كانت تشتغل يومئذ بالفن ، وهي تعيش الآن فيشيخوخة واهنة . ويقول الشاعر فيالتعريف بقصة قصيدته « هذه قصة حب عاثر ، التقيا فتحابا ، ثم انتهت القصة بانها هي صارت اطلال جسد ، وصار هو روح ، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت » ومن هنا سماها « الاطلال » .

النظام ... والتقدم

● سمعنا عن القوانين الصارمة التي وضعتها الكويت من اجل تنظيم المرور والزام الجماهير باتباع قواعده ، وذلك عن طريق فرض عقوبات تتضمن الغرامة ذات القيمة المرتفعة والحبس . ولا نعرف ماذا حققت التجربة حتى الآن ، ولكننا في العالم العربي نحتاج الى العديد من مثل هذه القوانين الصارمة التيتربي الناس علىالانضباط والنظام . فبغيرها لن يتقدم الانسان العربي .

جعفر عبد الله
الخرطوم بحري / السودان

الحياة على المريخ

● ذكرتم فى العدد ٢١٦ من « العربى » ما يلى :

... ومع ثبوت وجود الماء على المريخ وتصاعد غاز الاوكسجين من العينات ووجود ثانى اوكسيد الكربون فى جوه ، فان الصورة الغالبة لشكل الحياة على هذا الكوكب هى وجود نباتات طفيلية فى تربته . ونتيجة للتمثيل الكلوروفيلى لها فان غاز ثانى اوكسيد الكربون يتصاعد منها .

ولى تعليق على هذا الكلام .. فنحن نعنى بالنباتات الطفيلية تلك النباتات من مثل الجراثيم او الفطور وغيرها ، وهى تعيش على حساب مضيف حيوانى او نباتى ولا تستطيع صنع موادها بنفسها فتاخذها من الكائنات الاخرى جاهزة .. ونعنى بالتمثيل الكلوروفيلى اسلوبا تقوم به النباتات الخضراء ، وهى غير طفيلية مطلقا ، تبنى موادها بنفسها ، فهى بوساطة الكلوروفيل تمتص الاشعة الشمسية وتثبت غاز ثانى اوكسيد الكربون والماء وتصنع منها المواد الكربوهيدراتية ، وهى بذلك نباتات ذاتية التغذية .

ولم يثبت العلم الى الآن وجود اى نوع آخر من الحياة فى الكواكب الاخرى ، واذا وجد فستكون له قواعده وقوانينه الخاصة ، انما لن يخالف القواعد والقوانين الموجودة على سطح الارض حتما .

ان تعبير الكاتب المتعلق بوجود نباتات طفيلية يشير طبعا الى وجود كائنات اخرى على سطح المريخ مضيفة لتلك النباتات الطفيلية . وحتما فان كشف الكائنات المضيفة تلك او الاعتقاد بوجودها سيكون اسهل بكثير من الكشف او الاعتقاد بوجود النباتات الطفيلية التى عناها الكاتب .

ومن جهة اخرى فان ما ذكره الكاتب من ان الكائنات الطفيلية تقوم بعملية التمثيل الكلوروفيلى هو خطا فى المفاهيم الاساسية . فمجموعة الكائنات الطفيلية ، والاخرى التى تقوم بعملية التمثيل الكلوروفيلى مختلفة عن بعضها تماما كما اوضحنا .

اما قول الكاتب : ونتيجة للتمثيل الكلوروفيلى لها فان غاز ثانى اوكسيد الكربون يتصاعد منها ، فهو خطا ايضا .. والصحيح هو انها تمتص غاز ثانى اوكسيد الكربون ويتصاعد منها الاوكسجين .

د. عدنان قشلان

استاذ مساعد فى جامعة حلب ـ سوريا

اضراب غير معلن

● الا تلاحظون اننا فى المجتمع العربى مستهلكون ولسنا منتجين على الاطلاق . حتى المواد الخام التى لدينا وفى مقدمتها البترول والقطن والفوسفات وغيرها ، هذه المواد تصدرها « خاما » الى اوروبا والولايات المتحدة ، لتعيدها الينا سلعا نستهلكها باضعاف اسعار تصديرها .

ان نظرة سريعة على واردات الدول العربية من اوروبا وامريكا واليابان تصيب الواحد منا بالذهول . كل ثروات العرب ضائعة فى الاستهلاك ، فيما ناكله ونلبسه ونقتنيه من سيارات وثلاجات ومكيفات .

ان خطورة هذا الاسلوب تكمن ليس فقط فى انه يبدد ثروات العرب فى غير الاتجاه الصحيح ، ولكن ايضا فى انه يربى المواطن العربى تربية خاطئة ، بحيث ينشأ ليكون انسانا مستهلكا وليس منتجا على الاطلاق .

اننى اكاد اتصور ان هناك اضرابا غير معلن عن العمل فى العالم العربى . الكل شريك فيه دون ان يدرى ، والكل سيكون ضحيته فى المستقبل .

نريد ان ننفض هذا الاضراب ونعمل ، فلا مكان للقاعدين والمستهلكين فى عالم الغد .

د . امجد السامرائى

ساوث هامبتون ـ انجلترا

نزهة العقل الذكى



العاب سريعة :

خمسة من واحد

● هل تستطيع تقسيم المربع المرسوم الى خمسة اجزاء ، بحيث تحصل فى النهاية بعد اعادة ترتيب هذه الاجزاء ، على شكل يضم خمسة مربعات متساوية المساحة ·

اثنان فى واحدة

● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد فى (٨) افقيا اسم عالم طب وكيمياء عربى شهير ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم غازى شهير فى التاريخ·

الكلمات الافقية :

(١) دولة افريقية ـ من افراد مملكة الحيوانات الاولية ·

(٢) الاسم القديم لفرنسا ـ تدويف ·

(٣) غير طاهر ـ تخمنون ـ نصف كلمة (رماح) ·

(٤) كبير الهة آشور ـ شاعر انجليزى حارب فى صفوف اليونان ضد الاتراك ·

(٥) لذنا ـ اشتبك معنا فى القتال ·

(٦) مخلوقات سفلية ـ تساوى ـ نرسلك ·

(٧) تجدها فى (همس) ـ عاصمة عربية ـ اغراض ·

(٨) عالم طب وكيمياء عربى شهير ·

(٩) نداء شائع ـ من اجزاء الجهاز الهضمى محمود العقاد ·

(١٠) مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ـ يلعب ·

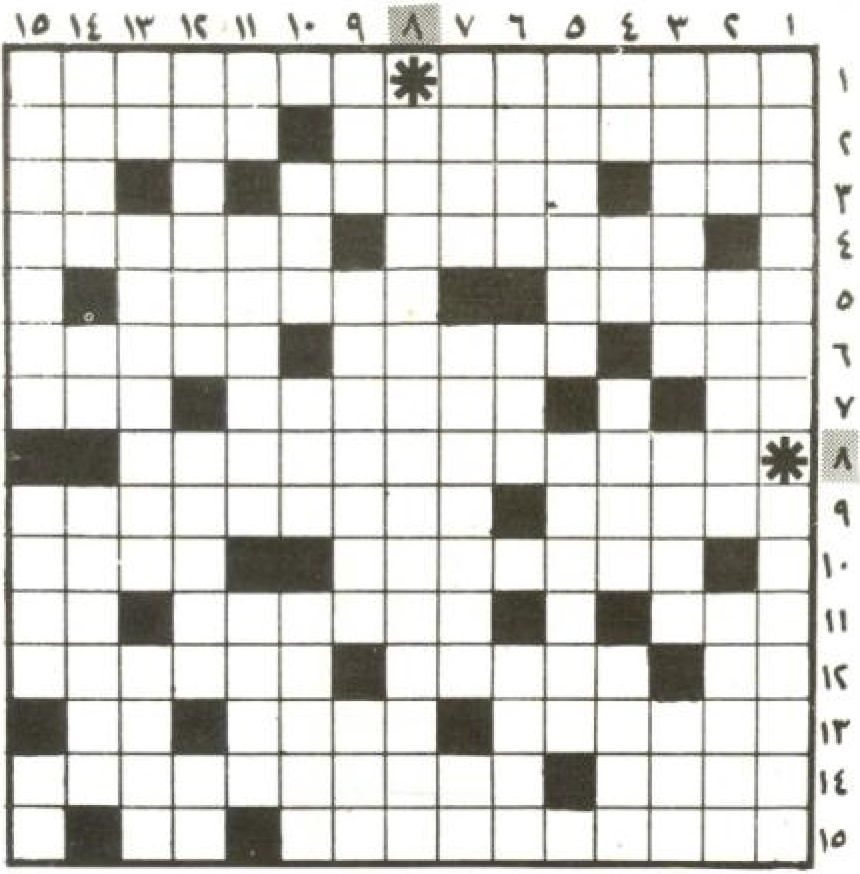
(١١) فرد ـ اخمدها ـ نصف كلمة(اجوع)·

(١٢) لفظة ضيق ـ فى الخيمة ـ رسام فلمنكي شهير من القرن السابع عشر ·

(١٣) عشق الذات ـ نجحت ـ نصف كلمة (راجت) ·

(١٤) يشرب ـ من أعمال الكاتب نجيب محفوظ ·

(١٥) من أشهر اعمال تشارلز ديكينز ـ عاشق ·



الكلمات الرأسية :

(١) فيلسوف اسلامى شهير ظهر فى غرناطة ـ دولة اوروبية على حوض البحر الابيض .

(٢) من أحوال الماء ـ شاركه همومه ـ من الثمار .

(٣) من الزهور العطرية ـ من الاسماء الحسنى ـ حدث .

(٤) رغب ـ حرف نصب ـ فى البداية ـ انجد .

(٥) قاطعات ـ معرض يقام كل سنتين .

(٦) يكفر ـ كلمة (عكا) مبعثرة ـ منحت .

(٧) أصبح ـ الاعلام ـ نصف كلمة (يوسف) .

(٨) غازى شهير فى التاريخ .

(٩) نداء شائع ـ من اجزاء الجهاز الهضمى ـ من أدوات الفلاح .

(١٠) تتفوق ـ اغراض ـ عطلت .

(١١) قادم ـ قطعة ملابس ترتديها المرأة فى وسطها ـ تجدها فى كلمة (تقوله) .

(١٢) خط استحكام عسكرى دفاعى شهير فى الحرب العالمية الثانية ـ موسيقار عربى عاش فى الاندلس فى القرن الهجرى الثانى ـ حرفان متشابهان .

(١٣) نصف كلمة (يجيب) ـ رسام شهير من عصر النهضة الايطالى ـ يختبر .

(١٤) من دول القارة الامريكية ـ جواهر ـ جرح كرامتى .

(١٥) فى أعلى الاجسام ـ تختصر ـ نظير .

● من التاريخ

برج هانوى

● هذه اللعبة قادمة من الشرق الاقصى ، حيث الرصيد الكبير من الصبر والحكمة . ويقال أن هذا الشكل من اللعبة ، تبسيط شديد للعبة الاصلية التى يمثلها فى بنارس بالهند ، « برج براهما » .

يمكنك أن تعد نموذجا لهذه اللعبة ، يتكون من لوحة أفقية ، مثبت بها ثلاثة أعمدة رأسية ، وعلى أحد هذه الاعمدة ، توجد خمسة أقراص مثقوبة ، متناقصة فى قطرها ، وبحيث يكون القرص الاسفل هو الاكبر ، ويليه القرص الذى يصغره مباشرة ، حتى تصل الى القرص الاصغر على القمة .

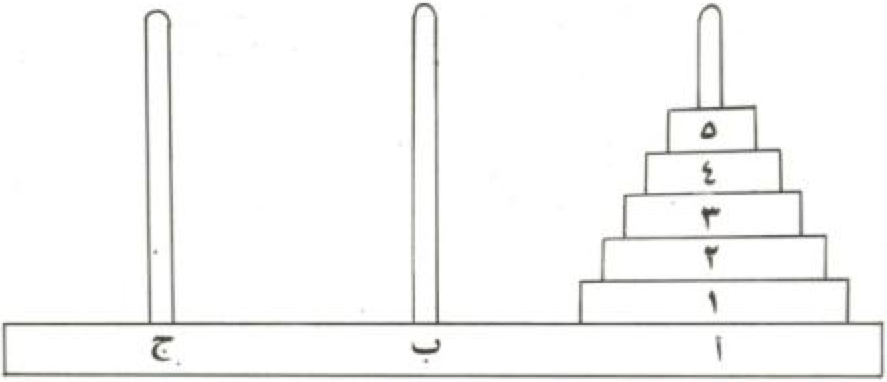
المطلوب نقل هذه الاقراص المثقوبة من هذا العمود الى عمود آخر ،وبحيث يبقى للاقراص ترتيبها الاول . هذا بشرط : أن تحرك قرصا واحدا فى كل مرة ، وبحيث لا يستقر أى قرص فوق قرص أصغر منه ، فى أى مرحلة من مراحل نقلها .

على سبيل التوضيح : نفرض أن عدد الاقراص ثلاثة فقط ، وليس خمسة ، أكبرها رقم ١ ، ثم رقم ٢ ، وأصغرها رقم ٣ . وأن الاعمدة هى أ ، ب ، ج ، وأن الاقراص حول العمود أ . يكون الحل على الوجه التالى :

٣ الى ج ـ ٢ الى ب ـ ٣ الى ب ـ ١ الى ج ـ ٣ الى أ ـ ٢ الى ج ـ ٣ الى ج . وهذا يعنى أن اقتصار اللعبة على أقراص ثلاثة يقتضى ٧ حركات .

والان ، حاول مع الاقراص الخمسة ، لنرى بعد كم حركة ستتمكن من نقل الاقراص كلها من العمود أ الى عمود آخر بنفس الترتيب ، مع التزام الشروط الموضحة .

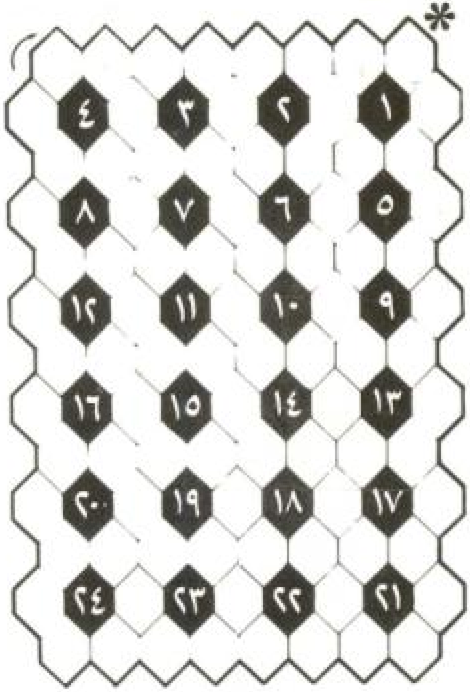
ملوحظة : هناك قاعدة تفيد فى تسهيل الحل . اذا افترضنا أن الاعمدة أ ، ب ، ج ، تصنع رءوس مثلث ، وكانت الحركة الاولى للقرص رقم ٥ العلوى فى اتجاه عقارب الساعة ، احرص على أن تكون حركة الاقراص ذات الارقام الفردية فى اتجاه عقارب الساعة، وحركة الاقراص ذات الارقام الزوجية ضد حركة عقارب الساعة ، وذلك فى كل حركة تقوم بها .



اللعب بالحروف :

عش النحل

الكلمات ذات الستة الحـروف التى نعطى معانيها فيما يلى ،توضع حروفها فى الخلايا المحيطة بالارقام المناظرة ،وفى اتجاه عقارب الساعة (كما هو موضح بالسهم) • والحرف الاول من الكلمة الاولى ، يوضع فى الخليـة المشار اليها بالزهرة •



(١) من الخلفاء الراشدين •

(٢) قطر عربى •

(٣) جزيرة شهيرة فى المحيط الهادى الجنوبى •

(٤) كاتب مسرحى روسى شهير راحل •

(٥) من امارات الخليج •

(٦) من انواع الخط العربى•

(٧) أباغته •

(٨) أسالكم •

(٩) لقب مؤلفة رواية « جين اير » •

(١٠) تجاوز الحد •

(١١) أوراق رسمية معتمدة•

(١٢) البالغ •

(١٣) شهر ميلادى •

(١٤) الحفل الريفى •

(١٥) تندمون •

(١٦) قربته •

(١٧) ملبى •

(١٨) من أشهر أعمال طـه حسين •

(١٩) تتكون منها الكلمة •

(٢٠) عاصمة البانيا •

(٢١) نعبره •

(٢٢) أحلامه •

(٢٣) من الحرفيين •

(٢٤) اللغة •

● النجمة والسهم ●

شاعر عربي راحل

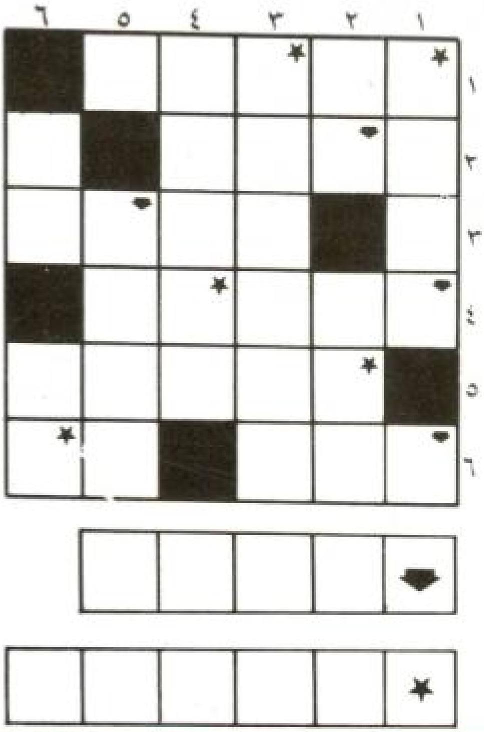
● ابدأ اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة،بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي يوجد بها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربي راحل ، ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم،ورتبهالتصنع لقب ذلك الشاعر ·

الكلمات الافقية :

(١) عاصمة دولة آسيوية ذات تاريخ ·
(٢) طائر مغرد ·
(٣) انثى ·
(٤) عاصمة بوليفيا ·
(٥) متدفق ·
(٦) صفة ـ حرف نفي الاستقبال ·

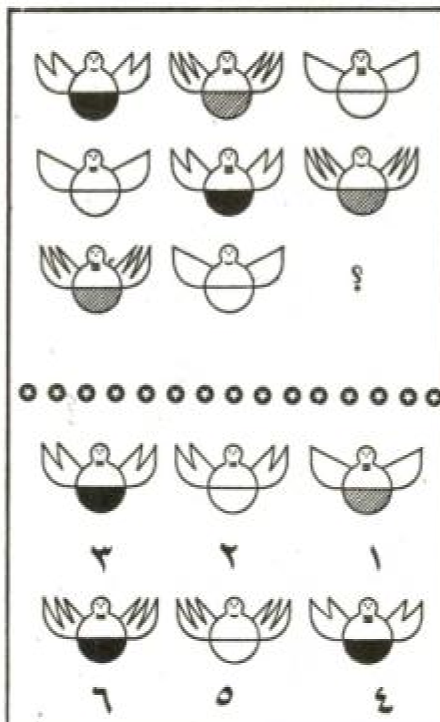
الكلمات الرأسية :

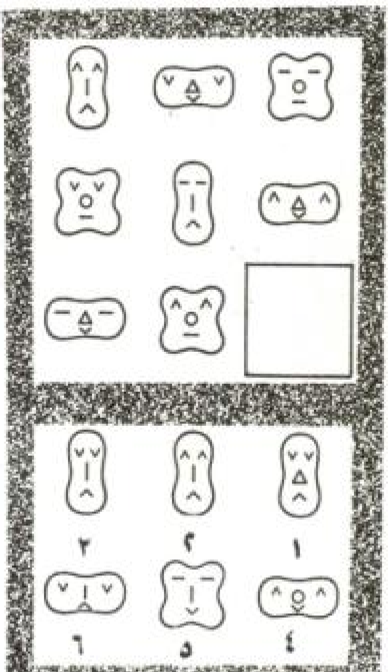
(١) آلات ايقاع ·
(٢) حرف استفهام ـ رجاء ·
(٣) قادة سفن ·
(٤) من الاحجار الكريمة ·
(٥) ينمحي ·
(٦) حرفان متشابهان ـ من الحبوب ·



حاول أن تعرف

من ملاحظة العلاقة التي بين الاشكال فى كل صف من الصفوف الافقية الثلاثة ، حاول أن تعرف ايا من الاشكال ذات الارقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •





● من ملاحظة العلاقة بين الاشكال فى الصفوف الافقية الثلاثة ، حاول أن تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحتل المربع الفارغ • يمين الصف الثالث •

● للعقل فقط ●

استاذ نبيه يسأل من هو نائب رئيس الجمعية

● قال رئيس الجمعية لضيفه الصحفي « ان جمعيتنا ، أشبه بالاجتماع العائلي ، فاعضاؤها خمسة فقط وكلهم من الاسرة ، وقد وزعت علينا المناصب القيادية في مجلس الادارة،ما عدا احدنا الذي لم تبق له اية وظيفة •

الاستاذ داود هو والد زوجتي • والسيدبسام هو زوج شقيقتي • كما ان نائب رئيس الجمعية ينوي أن يتزوج ابنة عمي • وزوجة السيد منير هي شقيقة سكرتير الجمعية • وأرجو ان تقبل العشاء معنا اليوم ، لنتحدث عن نشاط الجمعية وأهدافها•سيكون معنا على العشاء أمين الصندوق والسيد منير والسيد بسام » •

قبل الصحفي الدعوة ، واستفاد كثيرا من لقاء العشاء ذلك • وفي اليوم التالي ، أصر ثلاثة من أعضاء النادي على دعوته لتناول الغداء معهم • وكان من بينهم السيد سامي الذي التقى به لاول مرة ، ثم السيد جلال والسيد بسام •

هل يمكنك أن تحدد اسم الشخص الذي يشغل وظيفة نائب رئيس الجمعية •

« الحل »

(١) الرئيس ليس هو داود أو بسام او منير ، كما انه ليس سامي (الذي كان حاضرا العشاء • اذا فالرئيس هو جلال •

(٢) أمين الصندوق ليس هو منير او بسام ، وليس جلال ، ولا سامي (الذي كان حاضرا العشاء) • وعلى ذلك فامين الصندوق هو داود •

(٣) منير ليس أمين الصندوق ، ولا الرئيس ، ولا السكرتير (فهو متزوج من أخت السكرتير) ، ولا نائب الرئيس (فنائب الرئيس لم يتزوج بعد) اذا فهو الذي بلا وظيفة •

(٤) بسام متزوج فهو ليس نائب رئيس الجمعية ، ويكون هو السكرتير •

(٥) يبقى ان سامي هو نائب رئيس الجمعية•

الحلول

برج هانوي

في حالة الاقراص الخمسة يكون عدد الحرك
المطلوبة ٣١ حركة ، على الوجه التالي :
٥ الى ب – ٤ الى ج – ٥ الى ج – ٣ ١
ب – ٥ الى أ – ٤ الى ب – ٥ الى ب – ٢ ١
ج – ٥ الى ج – ٤ الى أ – ٥ الى أ – ٣ ١
ج – ٥ الى ب – ٤ الى ج – ٥ الى ج – ١ ١
ب – ٥ الى أ – ٤ الى ب – ٥ الى ب – ٢ ١
أ – ٥ الى ج – ٤ الى أ – ٥ الى أ – ٢ ١
ب – ٥ الى ب – ٤ الى ج – ٥ الى ج – ٣ ١
ب – ٥ الى أ – ٤ الى ب – ٥ الى ب •

عش النحل :

الحل كما هو مبين بالشكل •



١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
ا	ب	ى	م	ا	ل	ا		ا	ى	ب	و	ى	ث	ا	١
ل	ى	ج	ا	ت		ل	ا	غ	ل	ا	د	ا	ل	ب	٢
م	ر		ج		ن	و	س	د	ح	ت		س	ج	ن	٣
ن	و	ر	ى	ا	ب		ك	و	د	ر	ا	م		ب	٤
ا		ا	ن	ل	ز	ا	ن			ا	ن	ى	و	ا	٥
ك	د	ف	و	ن		ل	د	ا	ع	ت		ن	ا	ج	٦
ب	ر	ا		ط	ا	ب	ر	ل	ا		ا		س	ه	٧
		ى	ز	ا	ر	ل	ا	ر	ك	ب	و	ب	ا		٨
ت	ا	ى	ر	ق	ب	ع	ل	ا		ى	ل	ا	ه	ا	٩
و	ه	ل	ى			و	م	ى	ر	ن	ا	س		س	١٠
ج	ا		ا	ه	ع	م	ق	ا		ا		ط	س	ب	١١
ز	ن	ى	ب	و	ر		د	ت	و	ل	ا		ف	ا	١٢
	ت	ج		ت	ق	ف	و		ه	ى	س	ج	ر	ن	١٣
ن	ى	ر	ص	ق	ل	ا	ن	ى	ب		ع	ر	ج	ى	١٤
د		ب	ص		ت	س	ى	و	ت	ر	ف	ى	ل	ا	١٥

اثنتان فى واحدة :

(٨) افقيا : ابو بكر الرازى • حجة الطب فى اوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادى ، واعظم اطباء القرون الوسطى • وضع اكثر من ٢٢٠ مؤلف فى الطب والكيمياء ، اشهرها « سر الاسرار» فى الكيمياء ، و«الحاوى» و«المنصورى» فى الطب •

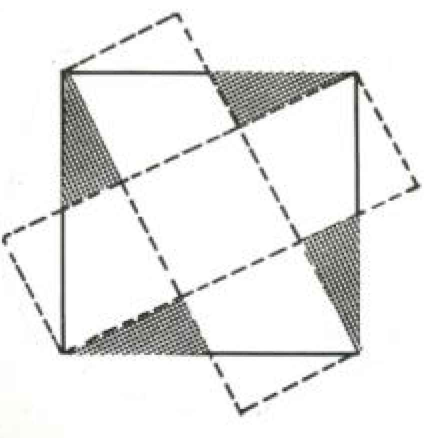
(٨) رأسيا : اسكندر المقدونى • تلميذ أرسطو ، خلف اباه فيليب وصمم على فتح امبراطورية الفرس ، فانتصر عليهم فى ابسوس ، واستولى بعد ذلك على صور ومصر وأسس الاسكندرية عام ٣٣٢ ق•م• ، ويعتبر من أعظم الغزاة وأشجعهم •

حاول ان تعرف :

الشكل المطلوب هو رقم ٣ (عندنا ثلاثة أشكالا للوجه ، وثلاثة انواع للانوف ، والحواجب والافواه • وكل شكل من هذه الاشكال لا يتكرر فى صف واحد) •

حاول أن تعرف

الشكل المطلوب هو رقم (٣) : عدد الاجنحة ٢ ، النصف الاسفل أسود ، تحت الراس خطان •



شاعر عربى راحل :

خليل مطران •

الظهار : اوجاع الظهر

المؤلف : الدكتور راجي عباس التكريتي
الناشر : مكتبة المثنى / بغداد .

● هذا الكتاب (٣٥٠) صفحة من القطع الكبير ، تناول فيه مؤلفه «الظهار» اى « اوجاع الظهر » على اختلاف انواعها واسبابها ، وبسط القول في كل منها قليلا ، بحيث جعل فهمها قريبا الى القارىء العام ، وقد شجعه على اظهاره – كما قال في المقدمة – انتشار هذه الاوجاع التي تقلق المرضى ، وتحير الاطباء في تشخيصها وعلاجها . وكان يريد اولا اخراج فكرته في كراسة ، ولكنه وجد – انقاذا للمرضى والاطباء من حيرتهم – ان يتناول الموضوع ببعض التفصيل ، ليرشد بملاحظاته المريض والطبيب ، فجاء كتابه مستوعبا لكل جزء في الظهر ، فوضحه ووضح ما يطرأ له من امراض ، مع بيان اسباب كل مرض واعراضه ، وقد ذكر في هوامش كتابه كل مراجعه الاختصاصية وهى كثيرة .

صفحات من التطور التاريخي لتعليم الفتاة في الكويت

تاليف : مريم عبد الملك الصالح
الناشر : مكتبة دار الفكر – الكويت .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث موضوعا لم يطرق من قبل وهو التطور التاريخي لتعليم الفتاة بالكويت ، وصاحبة هذه الدراسة مارست التعليم منذ بدايته هنا ، فهى المعلمة الكويتية الاولى ، وهذه الصفحات تصور في امانة حالة التعليم التى كانت سائدة في الكويت قبل عصر النهضة .

والمؤلفة تروى بصدق وامانة ودقة – تطور تعليم الفتاة في الكويت قبل عام ١٩٥٠ وهى الفترة التى عاشتها وعاصرتها متعلمة ومعلمة ، وقد قسمت المؤلفة كتابهاقسمين رئيسين أولهما تعليم الفتاة حتى عام ١٩٣٨م وهو يتناول التعليم القديم الذى كانت تمارسه « المطوعة » ثم تطور قليلا الى « الملاية » ، وقد اعطتنا المؤلفة صورا لما كانت تمارسه كل من المطوعة والملاية ونظام التعليم عندهما ثم حالة الدارسات وزيهن وطرق تلقيهن الدروس عن المطوعة والملاية وحفلات الختام والموالد وغيرها واسماء المطوعات والملايات .

اما القسم الثاني من الكتاب فيتناول التعليم الحديث اى منذ عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٥٠ وتدرجه وتطوره وشروط الانتساب اليه ودور الدولة في تدعيمه وتقويته .

تلقيح فهوم اهل الاثر في عيون التاريخ والسير

تاليف : الامام عبد الرحمن بن الجوزى
الناشر : مكتبة الاداب – الجماميز – القاهرة .

● هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة ، وهو اشبه بموسوعة اسلامية مختصرة في سيرة النبى عليه السلام وسير صحابته وتابعيه وخلفائه من الراشدين والامويين والعباسيين حتى الخليفة الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦٢٩ هـ ، قبل سقوط بغداد في يد التتار بثلاثين سنة . ومما يمتاز به هذا الكتاب انه يذكر الرجال والنساء الذين عرفوا باسمائهم وحدها دون اسماء آبائهم معها ، والصحابة الذين اشتهر كل منهم بنسبته الى ابيه او قريبه دون معرفة اسمه او كنيته ، وقوائم باسماء رواة الحديث الذين نقل عنهم البخارى ومسلم واصحاب غزوة بدر ، ومن نزلوا من الصحابة في البلاد المفتوحة ، لكل طائفة منهم قائمة على حدة وقوائم بطبقات أهل الاخبار والقصص والتفسير سواء كان من الصحابة والصحابيات وغيرهم . ولم يفته بيان خلقهم وخلقهم وصفاتهم وصورهم وكناهم والبارز من اعمالهم ، ثم هو يتكلم عن القابهم وانسابهم واولادهم وازواجهم وتاريخ مولدهم ووفاتهم . ثم يذكر الاحاديث التى تدور عليها ابواب الفقه وعدد الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ■■

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٧

٩٠

لكل عالم هفوة

تأليف : الكسندر استروفسكي
ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية محمد
مراجعة : د. سمية محمد عفيفي



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥



شاحنات كرايزلر
تفهم لسانكم كل الفهم

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا . ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة .. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي .

الشاحنات التي نصنعها في مختلف أنحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وإسبانيا ، واليابان ، يسلم العالم كله بدقة تصميمها وإتقان هندستها . شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة إلى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة إلى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرقات المعبدة .

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي .



دودج - فارغو - ميتسوبيشي



فجر جديد ينبثق لمحبي السيارات
أولدزموبيل ١٩٧٧
GM
جياد ١٩٧٧ الأصيلة من جنرال موتورز


ساعات الكترونية من
الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات
DW 2005-043G&S
DW 2005-041G
DW 2006-033G&R
لقد بذلنا عشرات السنين من الخبرة والمهارة الالكترونية لانتاج الساعات
التي لا مثيل لها من حيث الدقة وضبط الوقت ، وتجهيزها بآلية إضاءة لوحة
LED الاتوماتيكية لعرض الأرقام ، وآلية ضبط التاريخ اوتوماتيكيا في نهاية كل شهر
الساعات الالكترونية في علب ذهبية في غاية الاناقة
للشهر والتاريخ والتوقيت صباحا ومساء بالساعة والدقيقة والثانية تأتيكم
من سانيو الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات التي تصنع لكم الافضل دائما.
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العربي

العدد ٢٢١ ـ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ ـ ابريل (نيسان) ١٩٧٧ م

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



العقل البشري
والعقل الالكتروني !

رحلة في مليون
مخطوط عربي ضائع

ميثاق غير مكتوب
في مجتمع الحيوان !

عزيزي القارئ

● كان شهر مارس هو شهر المطبعة بغير منازع • طوال الشهر كانت عيوننا عليها ، وقلوبنا مع العاملين فيها ، وآمالنا معلقة على نتيجة السباق الذى يجرى داخلها • ذلك أننا تلقينا خلال الشهور الاخيرة عديدا من البرقيات والخطابات وشركات التوزيع التى تطلب المزيد من اعداد «العربى» فى مشرق وطننا العربى ومغربه ، وتلقينا شكاوى من ان اعداد العربى تباع فى السوق السوداء ، وتختفى فور وصولها • وزاد على ذلك أننا تلقينا خطابات اخرى من بعض الدول الاوروبية والولايات الامريكية تطلب كميات متفاوتة من اعداد العربى لتوزيعها •

ورغم أن سعادتنا كانت غامرة بما تلقينا من رسائل وعرض، وحتى بما تلقيناه من شكاوى ، الا أن ألمنا كان شديدا لاننا لسنا فى موقف يسمح لنا بتلبية كل هذه الطلبات والرغبات •

لقد كان المطلوب زيادة عدد النسخ المطبوعة من المجلة ،وكانت المشكلة التى تحول دون تحقيق هذا المطلب هى ان المطبعة مثقلة بأعباء جسيمة ، ومسئولة عن طباعة مواد لا حصر لها لجهات كثيرة فى الكويت، وكلها ارتباطات لها اهميتها •ومن الطبيعى ازاء هذا كله ، وبعد أن وصلت المطبعة الى حالة التشبع ، ان تعتذر عن بذل اى جهد جديد ، ايا كانت مبرراته وضروراته •

ورغم هذا كله لم نفقد الامل • جرت اتصالات فى اتجاهات مختلفة ، كان هدفها توضيح الموقف للمسئولين عن المطبعة ، ووضع الحقيقة أمامهم • ولم تستغرق مناقشاتنا طويلا حتى اسفرت عن اتفاق لزيادة المطبوع من المجلة بنسبة ٢٠٪ ابتداء من شهر ابريل •• وكان ذلك يعنى ان تتحمل المطبعة والعاملون فيها عبئا اضافيا ، كانوا فى غنى عنه • لكنهم مع ذلك التزموا بالاتفاق ، وبذلوا فوق طاقتهم حتى تكون العربى فى ايدى اكبر عدد يطلبها من القراء ، فى اليوم الاول من الشهر •

واذا كان هذا الهدف قد تحقق فى اول ابريل ، استجابة لرغبة الوف القراء فى داخل الوطن العربى وفى خارجه ، فالفضل الحقيقى فى ذلك لايرجع الينا • ولكن اصحاب الفضل هم اولئك الجنود المجهولون • الذين ادوا واجبهم بامانة واخلاص، وهو مايشجعنا على ان نطلب منهم فى المستقبل •• المزيد ! ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 221 APRIL 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● على صفحات هذا العدد رحلة مع فنان مصرى عربى هو عبدالغنى ابو العينين الذى يسجل بريشته وبتصميماته الديكورية العديد من ملامح الحياة المصرية ، الشعبية بوجه خاص ، وصورة الغلاف تمثل احدى اللوحات التى رسمها الفنان لاهل النوبة جنوبى اسوان ، قبل أن تغطيها مياه السد العالى .

(انظر ص ١١٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٣٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٣٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

نحو .. نظرية أمن

جبهات الهجوم علينا

● لست احب أن يظن القارىء العزيز ، اننى انظر الى المستقبل العربى نظرة قاتمة ، وانني لذلك أحب أن اطلع عليه أول كل شهر بحديث ملؤه التحذير والنذر .

كلا . اننى على العكس متفائل بالمستقبل العربى . متفائل باليقظة الشاملة فى الضمير العربى العام . متفائل بالتطلعات العربية حتى وان كانت متعجلة . متفائل بالامكانيات المتاحة للامة العربية ماديا وبشريا ، مهما شابها من فوضى او سوء استعمال او اهدار .

واذا كنت أميل الى جانب التحذير ، فانه لهذا السبب ذاته . فلو كانت الامة العربية كمية مهملة ، او كانت ارضها عاقر ، او عقلها غافل .. او خالية من التطلعات .. اذن لما اهتم بها فى العالم أحد ، ولما تربص بها عدو ، ولا احاطت بها اطماع .

ولكن بقدر امكانيات الامة العربية الواسعة ، وبقدر طموحاتها المشروعة، وبقدر ما لها من سابق تاريخ يثبت قدرتها على النمو والقوة والابداع، بقدر ما علينا أن نتصور المخاوف التى تثيرها هذه الامور لدى الآخرين . وما يمكن أن ترتبه هذه المخاوف والتوقعات لديهم من سياسات ..

بقلم : أحمد بهاء الدين

عربية شاملة

تتزايد .. ونحن لا نتحرك بالسرعة الكافية

من اجل ذلك فانني لست احب أن ينام المواطن العربي على حرير من الرضا عن النفس ، والاطمئنان الى المستقبل .

اننا مازلنا نعيش في عالم لا تسوده السلوكية الاخلاقية ، ولا قواعد القانون الدولي . ولا مبادىء العدالة الانسانية . نحن نعيش في عالم سيظل زمنا طويلا تحكمه شريعة الغاب ، والظفر والناب .

واذا كانت بعض العلاقات الدولية تبدو اكثر « تشذيبا » مما مضى ، فهذا مظهر فقط . وتغير في الاساليب لاغير . الاساليب غير المباشرة اليوم أخطر مائة مرة من الاساليب المباشرة . المواجهات المباشرة كانت على الاقل ظاهرة للعيان ، اما اليوم فأسلحة الفتك بدولة ما او بمجتمع ما ، ليست فقط محصورة في الاسلحة والجيوش ، ولكن لها اسلحة اخرى ما خفي منها هو الاعظم . ابتداء من افساد الذمم والضمائر على مستويات عالمية . الى تأليب عناصر الفتنة والتخريب بأيد مجهولة خفية . الى الايقاع بين الاخوة والجيران . الى اثارة الحروب المحلية التي يستفيد منها طرف ثالث بعيد . دون ان تتلوث يداه .

ورجوعا الى ما سبق أن قلته في هذه الصفحات ، واكرره ، من أن ثمة حربا صليبية شاملة ـ بالمعنى الحديث ـ تشن حاليا على العالم

العربى ، فانه لا بد الى التنبيه الى بعض مظاهر مانتعرض له بالفعل ، وما يمكن أن يكون مقدمة لاشياء اكبر واخطر،فى المستقبل القريب...

خصوصا وانه لا بد أن يسجل المرء ، مع الاسف ، ان كثيرا من دولنا ومجتمعاتنا والتيارات الفكرية لدينا ، تقع في بعض هذه الشراك المنصوبة ، دون أن تراها ...

ان العالم الاجنبى ، خصوصا قواه المؤثرة والفاعلة عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، يهمه بوجه عام أن ينشغل العالم العربى بنفسه ، بصراعاته وخلافاته ومشاكله بشتى أنواعها ، وان يمزق نفسه بنفسه، بحيث تتعطل فاعليته تماما ، على الاقل لمدة تتراوح فى حساباتهم بين العشر سنوات والعشرين سنة المقبلة ، حسب تقديراتهم للفترة اللازمة اما لاستنفاد النفط ، واما لانهاء دوره الاستراتيجى كسلاح فعال بظهور المصادر البديلة للطاقة ، ولاجهاد الامة العربية خلال هذه الفترة بوجه عام ، بحيث تكون فترة ارهاق واستنزاف وتمزق وضياع ، ولا تكون فترة بناء وتعمير وتنوير ووضع اسس القوة العربية الذاتية لقرون عديدة مقبلة .

والزوايا التى يمكن معالجتها كثيرة .

ولكن لننظر مثلا الى الحدود العربية ، او الجبهات التى على الحدود العربية . فقبل ظهور قوة البترول وتعاظمها . وقبل ظهور امكانية التضامن العربى عسكريا كما حدث فى حرب اكتوبر . وقبل التزام العرب بمساعدة بعضهم البعض بالمال والمواد الاستراتيجية والسلاح ...

قبل هذا كله ، وطوال ربع قرن ، كانت « الجبهة » الوحيدة التى تشغل بال « الامن العربى » ـ فضلا عن الحق المسلوب ـ هى جبهة اسرائيل ...

الان ماذا نرى ؟ ...

جبهة اسرائيل اتسعت ، واستشرت ، وتفاقم خطرها ...
..«ثم هناك جبهة الخليج»..وقد بدات السفن الحربية الاجنبية تسبح فيها من حين لآخر ، ولا يمر يوم دون مئات المقالات فى صحف العالم عن المخاطر المحتملة فيها ..

.. ثم جبهة « باب المندب » والبحر الاحمر بوجه عام .

فالدول الكبرى تسعى الى اقامة قواعد عسكرية على مقربة من مدخل البحر الاحمر الجنوبى ... واسرائيل ذاتها تجرب بعض قطعها البحرية ، وتحصل على طائرات تصل الى هناك .. وصار على من يفكر فى الامن العربى أن يكرس اهتماما كبيرا بأمن البحر الاحمر ...

.. « ثم جبهة افريقيا » ... فى المشاكل التى تتعرض لها حدود السودان،المطلة على تسع دول افريقية،ومحاولات تقسيمه وتمزيقه..

فالجبهات المعرضة زادت.وتعددت . والتحرشات توالت . او فى القليل ارهاصات هنا وهناك تشير بأن مداخل العالم العربى ومفاتيحه الجغرافية ، صارت محل اهتمام واضعي الاستراتيجيات الاجنبية ، الامر الذى يفرض على واضعي الاستراتيجيات العربية أن يضعوا هذه الامور الاضخم ، والاوسع ، فى حساباتهم الجديدة ، بما يلقيه هذا عليهم من أعباء بشرية ومالية ضخمة .

وحين نتأمل هذه الجبهات التى انفتحت علينا ، وقد ينفتح غيرها غدا ، نجد ان الامة العربية باتت فى اشد الحاجة الى نظرية أمن جديدة ، والى استراتيجية موحدة شاملة للامن القومى العربى كله .

وحين اقول نظرية أمن عربية جديدة ، او«استراتيجية أمن قومي» شاملة .. فلا يجب أن ينصرف الذهن الى المعنى العسكرى وحده .

ان العنصر العسكرى هو جزء واحد فقط من اجزاء كثيرة تتكون منها « الاستراتيجية » . فاستراتيجية الامن تشمل سياسة الدفاع العسكرى ، وسياسة الاقتصاد ، وسياسة التعمير ، وسياسات اخرى كثيرة ....

الاستراتيجية مثلا تفترض وجود حد أدنى من التنسيق السياسى ازاء العالم .

والاستراتيجية تفترض دراسة « مخارج » البترول العربى،وغيره من الثروات الهامة جدا التى يطغى عليها البترول حاليا كالفوسفات والكبريت ، بحيث تتنوع هذه « المخارج » وتتوفر لها البدائل ، بما يحتاجه ذلك من مشروعات ...

والاستراتيجية تفترض رسم سياسات لملء الفراغات الجغرافية الحدودية للعالم العربى .. بتعميرها واسكان الناس فيها ....

والاستراتيجية تفترض ربط اجزاء العالم العربي بشتى انواع المواصلات ، ليس بالطائرات وحدها ، ولكن بالطرق البرية والسكك الحديدية ، حتى تترابط شرايين الوطن العربي ترابطا ينعكس على صحته في حالات السلم والخطر على السواء •••

وهكـذا •••

وهذا يجرنا الى زاوية اخرى من زوايا الهجمة الشاملة المتنوعة المصادر والاغراض ، على الامة العربية ••

تلك هى الهجمة ، او الهجمات ، من الداخل •••

انني من اشد الرافضين لفكرة القاء اللوم دائمـا على الغـير ، وبالتالي اعفاء انفسنا من المسئولية ••

ولكن هذا لايجب أن يقودنا الى سذاجة تجعلنا ننكر أن ثمة أيد اجنبية كثيرة تتحرك بشتى الوسائل المعقدة ، لاحـداث انـواع من الصراعات الداخلية فى بلادنا •••

•• والا ، فكيف تقبل عقولناأن نجد في هذه الظروف بالذات جيوشا عربية تواجه جيوشا عربية ••• على حدود بين اقطـار شقيقة ••• فى اكثر من مكان من الوطن العربى ؟

•• وكيف تقبل عقولنا توالي الفتن ، باشكال شتى ، من حروب اهلية الى درجات اقل ، فى سلسلةمنالاقطار العربية فىهذه الظروف نفسها ؟

••• وكيف تستريح ضمائرنا ، ونحن نرى ما نرى ، أى أن ما هو أشد هولا قد يكون كامنا فى طريقنا ، وان لم يتبين لنا ذلك بعد ؟ •••

ان خطة اسرائيل في التوسع تقوم فى الدرجة الاولى على اساس تمزيق الكيان العربى من الداخل ••

والاساليب المؤدية لذلك كثيرة جدا ، وليست مباشرة بالطبع ، ولكن لها مسارب خفية تصل الى استخدام بعض العرب ضد بعضـهم وهم لا يعرفون ••

ولاسرائيل حلفاء اقوياء فى هذا المجال ، فى القارات الخمس !

فمتى تقف الحرب الاهلية العربية نهائيا ؟

والا فكيف يمكـن ، قبل ذلك ، الحـديث جـديا ، عن نظرية امن عربية جديدة ؟

••

احمد بهاء الدين

حينما يصبح التلفزيون عالمياً !

بقلم : الدكتور علي الراعي

■ في زحمة الاخبار الكثيرة التي تطرق اذاننا واسماعنا على مدار الساعةضاع خبر صغير طريف اذاعه تليفزيون الكويت في احدى امسيات شهر يناير الماضي ٠

يظهر الخبر صورة جهاز استقبال تليفزيوني صغير في حجم الكف أو اصغر ، يعمل بالبطارية العادية، توصلت الى انتاجه احدى الشركات البريطانيةبعد سنوات من البحوث والتجارب ، فحققت بهذا حلما طالما راود الكثيرين : تليفزيونا متنقلا،يعمل،مستقلا عن مصادر الكهرباء ، او بطاريات السيارات الثقيلة الوزن ٠

ليس هذا نبأ عاديا من انباء «التوفوتيه» ولكنه بشير بتطور كبير ومثير في عالم الاذاعة المرئية ، سوف يكون بمثابة الفصل الثاني من الثورة الكبرى التي استحدثها ظهور راديو الترانزيستور في حياة الملايين ٠

ولنتصور معا ما يمكن ان يحدث لو انتقلت برامج التليفزيون الى الاماكن النائية ، فاصبح في امكان الملايين في الحقل والشارع والسيارة والسوق والواحات الصحراوية والجزر البحرية النائية ان يلتقطوا برامج المحطات التي تبث في اماكن تواجدهم ٠

اي امل للملايين يمكن ان يحمله هذا الابتكار الهام ؟ برامج محو الامية التي كانت حتى الان تبث لمن لديهم كهرباء، فقط فلا تصل ابدا الى اكثر الناس احتياجا لها ، يمكن من الان فصاعدا ان توجه للملايين الصامتة عبر تليفزيون البطارية الصغيرة ٠ الاخبار المصورة والبرامج العلمية والثقافية ، والتمثيليات والمسرحيات والاحداث الرياضية الهامة يمكن الان ان تصل الى الجميع بسهولة ٠ الاحتكار الثقافي الذي كانت تتمتع به العواصم والمدن الكبيرة سينهار من اساسه ، مع كل مرحلة من مراحل انتاج هذا الجهاز الجديد الفريد ٠فلا ريب أن ثمنه المرتفع سوف ينخفض مع زيادة الانتاج ، وشاشته الصغيرة قد تكبر شيئا ما بحيث تصبح مشاهدة البرامج اقل انهاكا للعين ٠ فاذا اضيف لهذا كله امكانية انتاج اجهزة من هذا النوع تستقبل الاذاعات الملونة ، فقد كملت القصة فصولا ، واصبح كل ما في العاصمة الكبرى من متاع فكري وفني واجتماعي في جيوب الملايين ٠

اهذا تطور للخير ام لعكسه ؟

سؤال يطرح دائما لدى ظهور كل جديد ، وهو اليوم اشد الحاحا علينا ، وخاصة في حقل الاذاعة المرئية ، تلك الوسيلة العاتية من وسائل التعبير التي تتهيأ يوما فيوم الى ان تضم العالم من اطرافه اذا اصبح التليفزيون عالميا : اي اذا امكن انتاج جهاز يستقبل برامج المحطات العالمية بمساعـــدة الاقمار الصناعية ، فستصبح الارض بالفعل ملكا للناس اجمعين •

وسيتعذر اخفاء الانباء او تشويهها او التدليس فيها • وسيزداد اقتراب الناس من فكر جيرانهم وثقافتهم فيصبح من العسير ان يساقوا لحروب لا مغنم لهم فيها ، ولا قضية تحملهم على خـــوض غمارها •

اما الفنون فستعرف ازدهارا لم تر له مثيلا من قبل : تصوروا ان يكون موسم الباليه من موسكو ولينينغراد طوع اشارة من ازرار ،وان تكون مسارح بريطانيا وفرنسا وامريكا ملكا خاصا لمن يعنى بتتبعها ؟ وان تكون اوبرا فينا في بيتك ،وموسيقى المانيا في حجرتك ؟ وان تستطيع انت ارسال فنك وثقافتك عبر الاثير الى اماكن لم تكن تحلم بان يتردد فيها صوتك ، ويتالق فكرك ؟

ويزيد من قدرة الفنون على الانتشار في عهد التليفزيون العالمي ، ذلك الجهاز الفريد الــذى اخذ ينتشر الان،جهاز التسجيل من شاشة التليفزيون على اشرطة الكاسيت • فما تراه سوف يبقى • وكان الرومان الاقدمون يقولون : ما يكتب يبقى • فالان نحن نقول : ما يسجل يخلد •• !

وسوف يستطيع من يشاء ، ومن تمكنه قدرته المالية ، ان يسجل ويستبقي ويسترجع ما يشاء من فنون العالم وانبائه واحو له ،فتقوم بهذا مجموعات « اهلية » من حفظة الفنون ، تبقى للتراث ما قد يفوت دور الحفظ الوطنية تسجيله والاحتفاظ به، على نحو ما حدث في مصر في الاربعينات حين قام الثرى المصرى الهاوى محمد خميس بتسجيل صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت لحسابه الخاص ، في وقت كانت فيه الاذاعة المصرية تخاصم الشيخ فيابى عليها بدوره ان يسجل قراءاته الفريدة للقرآن الكريم ،

ان الازدهار الفنى الذى اعنيه يتلخص في كسب الالوان الفنية المختلفة لجماهير تعد بمئات الملايين•

وقد حدث شيء من هذا في حقل غزو الفضاء ،حين قام التليفزيون ـ الذى اصبح عالميا لمدة دقائق بفضل الاقمار الصناعية بنقل هبوط اول انسان على القمر، فقد شاهد هذا البرنامج التليفزيونى جمهور قدر بستمائة مليون نفس !

وليس ما يمنع ـ في المستقبل غير البعيد ـ من ان تكسب الاحداث الفنية الهامة ، مثل المهرجانات والمؤتمرات الثقافية ، والعروض الفنية الناجحة ، نفسها جمهورا يعد بعشرات الملايين • وهو كسب لا تقتصر اهميته على الاعداد وحدها ،وانما تتركز هذه الاهمية في ان العمل الفنى المذاع على هذا النطاق العالمي يحدث اثره دفعة واحدة وفي وقت موحد في جماهير متباينة منتشرة في طول الارض وعرضها •اى انه يفعل فعله في الجماهير في دقائق، بينما هو الان يحتاج السنين الطوال والسفر المضني والمال الكثير كي يحصل على هذا الاثر او بعضه ، ثم يفوته مع هذا ان يكون الاثر مركزا في وقت صغير موحد ،أى يفوته ان يكون الاثر عاملا موحدا، رابطا بين الناس على اختلافهم •

وتعالوا ننظر فيما يمكن للتليفزيون العالمي ان يحدثه من الرقي الفنون والاداب بشيء من التفصيل•

هل يختفى الكتاب وتحل الصورة محله ؟

هل يكف الناس عن الذهاب الى السينما والمسرح ومعارض الفنون التشكيلية ، ويكتفون بمشاهـدة كل هذا على الشاشة الصغيرة ؟

لقد سبق ان طرحت هذه الاسئلة حين قامت السينما • قال المتشائمون اذ ذاك انها سوف تقضى على المسرح •

وحين ظهرت الاذاعة الصوتية وتليت فيها نشرات الاخبار قال متشائمون اخرون ان في هذا قضاء على الصحافة •

ويوم ظهـر التليفزيون قــال متشائمون غيرهم على السينما السلام !

ومن حسن الحظ ان ايا من هذه النبوءات لـم يتحقق • فالكتب لا تزال تصدر بمئات الالوف كل عام ما بين شرق العالم السياسى وغربه • ولم تستطع الصورة ان تصرف الناس عن عادة القراءة،

بل لعلها كتوضيح للمادة المكتوبة وتزيين لها ، قد حببت الناس في القراءة واقتناء الكتب •

ثم ان الثورة التكنولوجية التي يشهدها العالم الان لا تعمل في جانب واحد فقط ، ولا هي متحيزة لفن دون فن • فالكتب الشعبية ذات الغلاف الرقيق قد كستها الصناعة الحديثة اللون والغلاف الاملس اللطيف ،وزادت من قدرة ذلك الغلاف على الصمود للزمن• وبهذا اصبح الكتاب الشعبي رخيصا وجميلا معا ، وصار بهذا موضع رضا اعداد اكبر من الناس •

اما السينما فقد قبلت التحدى الكبير الموجه لها من التليفزيون ، فابتكرت الشاشة العريضة والافلام الفاتنة التلوين ، وراحت تصول وتجول في انحاء العالم وفي ارجاء التاريخ بحثا عن الموضوعات التي تجتذب المتفرج من دفء بيته ومن مقعده الوثير •

غير ان المسرح هو الذي البت القضية التي اسعى الى لفت النظر اليها ، وهي ان قيام فن جديد ، أو مد رقعة وسيلة ما من وسائل التعبير الفني لا يعني - بالضرورة - اندثار فن اخر ، أو هبوط عدد المتعاملين مع وسيلة فنية قائمة • والدليل على هذا ان عدد المتعاملين مع الاذاعة الصوتية لم ينقص بما يوازي عدد من يشاهدون الاذاعة المرئية • ان الوسيلتين تتعايشان وكثيرا ما نغلق جهاز التليفزيون وننصرف - مرتاحين - الى جهاز الراديو ، الذي يريح بعضا من اعصابنا بالاقتصار على التعبير بالصوت •

اما المسرح فانه في عصر وسائل التعبير العاتية: السينما والاذاعتين الصوتية والمرئية - قد استغل الميزة الواضحة التي له على كل وسائل التعبير الاخرى وهي : انه فن حي • فن حاضر • فانه يشترط لكي يقوم اصلا ان يمثل فيه الفنانون بلحمهم ودمائهم وأصواتهم وارواحهم ، وان يشهد هذا التمثيل متفرجون مجتمعون لهذا الغرض ، قد خرجوا من بيوتهم كي يشاهدوا العرض ولا شيء اخر •

أى ان المسرح ينفرد ، في هذا العصر البالغ التعقيد الالي ، الذي يخاطب فيه الفرد دائما من وراء حجاب أو بالوساطة من خلال الشاشتين الصغيرة والكبيرة ، او من وراء الميكروفون او الاسطوانة او شريط التسجيل - ينفرد المسرح من بين كل وسائل التعبير هذه بانه يجعل للفرد دورا• يطلب منه المشاركة، اما بالحضور وحسب او بالحضور والاسهام في التمثيل ، او بالحضور والتعليق على العرض واصدار الحكم عليه كما تسمح به الاتجاهات الحديثة من فن المسرح •

انه فن يحيل الفرد من متفرج صامت تصب في اذنيه أو عينيه المادة المقدمة ، فيتقبلها في سلبية او يرفضها في سلبية اخرى، الى متفرج صاح واع مشارك ، كذلك الذى نجده في ساحات كرة القدم •

فالتليفزيون الواسع الانتشار عن طريق اجهزة الترانزيستور ، او التليفزيون العالمي عن طريق الاقمار الصناعية يمكن ، وينبغي ان يكون بركة تحل على الناس ، فتهون عليهم حياتهم ، وتفيدهم وتزيد من ثرائهم الروحي ، وتجعل عالمهم الكبير هذا عالما صغيرا • تجعله بالفعل قرية عالمية ! لقد سبق للتليفزيون ان ابتدع نظاما جديدا في الحملات الانتخابية في بلاد الغرب - امريكا خاصة - حين اعطى اهمية كبرى للمرشح التليفزيوني الذى يستطيع ان يصمد للكاميرا ، ويسطع في ضوء الكشافات الكبرى ، ويقتحم على الناس بيوتهم من خلال الشاشة الصغيرة ، حتى اصبح هذا كله لونا رئيسيا من الوان التقدم للناخبين •

وفي بلاد اخرى قام نوع من الاتصال المباشر بين الحكومة وافراد الشعب عن طريق ميكروفون الاذاعة، وسيطر هذا الاتصال على ما عداه من اساليب الحكم، حتى ابتدع له الانجليز تعبيرا جديدا في اللغة هو : « الحكم عن طريق الميكروفون » • ففي المناسبات الكبرى ، يلجأ الحاكم الى الميكروفون ليتصل به مباشرة بالناس متخطيا بذلك ما يكون قائما في بلاده من مجالس نيابية ، وساعيا الى ان يؤثر في الشارع ،حتى يضغط الشارع بدوره على المجالس النيابية •

والتليفزيون العالمي خليق بان يفعل هذا واكثر منه دائما لصالح الشعوب • لا غرو ان بعض الحكومات تحاربه محاربة شديدة وتؤخر اليوم الذى يصبح فيه حقيقة واقعة •

غير انه آت ولا ريب • فلم يستطع احد قط ان يقف في وجه التاريخ ! • ■■

الكويت - د• على الراعي

إلى الذين يرفضون..

التغيير

قائلين..

حسبنا ما وجدنا

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

■ هذه احدى المقولات التي سجلها القرآن الكريم عن المشركين من أهل مكة .

لقد كانوا حين يدعوهم محمد عليه الصلاة والسلام الى اعتناق دعوته الجديدة - الدعوة الاسلامية - ويطالبهم بممارسة الحياة على أساس مما تشتمل عليه من معتقدات دينية ومبادىء اخلاقية وقيم اجتماعية ومعايير سلوكية ، يتبينون في الحال أنه انما يدعوهم الى احداث تغييرات جذرية في الآراء والمعتقدات وفي التقاليد والعادات وفي القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية ، التي توارثوها عن الآباء والاجداد ، ومضوا في حياتهم اليومية وحياتهم العامة على أساس منها . ومن هنا راحوا يقولون له هذه المقولات التي سجلها القرآن الكريم عنهم .

قالوا له : هذا ما وجدنا عليه اباءنا .

وقالوا له : انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون .

وقالوا له : حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا .

وقالوا له غير ذلك مما يؤكد معارضتهم له وثباتهم على ما توارثوه عن الآباء والاجداد من أراء ومعتقدات .

والقرآن الكريم لم يسجل ذلك عن مشركي قريش وحدهم ، وانما سجله ايضا عن الاقوام الذين سبقوهم ممن بعث الله فيهم انبياء وأرسل اليهم مرسلين ، يدعونهم الى جديد يحسن أن تمارس الحياة اليومية والحياة العامة على أساس منه .

لقد سجل القرآن الكريم عن هذه الاقوام المقولات التالية :

قالوا: اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا.

قالوا : يا صالح ، لقد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، اتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟

قالوا : يا شعيب ، أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ؟

وهذا الحرص من القرآن الكريم على تسجيل هذه المواقف من المشركين المكيين ومن سبقهم انما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم انما يستهدف ابراز ظاهرة اجتماعية هي أنه عند كل حركة من

عليه آباءنا

حركات التجديد تبقى هناك فئات ثابتة على القديم ولا ترغب فى تغييره ، ولا ترضى عنه بديلا ·

هذه الفئة هى فئة المتخلفين المتمثلة فى الذين بقوا على يهوديتهم عند نبوة عيسى عليه السلام· وفى الذين بقوا على يهوديتهم وعلى مسيحيتهم بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ·

وكان الناس قديما يسمون هذه الفئات المتخلفة بالتقليديين ، ويسميهم الناس اليوم بالرجعيين ·

مع التغيير والتجديد

والقرآن الكريم لا يرضى عن مواقف التخلف هذه ـ اى لا يرضى عن التقليدية والرجعية ، وانما يرضى للناس تمثل الجديد والايمان به وممارسة الحياة على اساس منه ·

وعدم رضاء القرآن الكريم عن هذه المواقف يتبين لنا من ذلك الحوار الذى اراد القرآن الكريم لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يقيمه مع المشركين من اهل مكة بتوجيه من القرآن ذاته ·وهذا الحوار يعتمد على اساسين من الفكر الاجتماعى لا يزال معمولا بهما حتى الآن ·

ويتمثل الاساس الاول فى القيام بعمليات تقييم للقديم او للموروثات الثقافية لبيان مدى قدرتها على دفع الناس الى ممارسة الحياة على أساس سليم ·

وعمليات التقييم هذه تستند الى المعايير المستمدة من المنطق العقلى أو من الهداية الدينية· فالقديم الذى لا يستمد مقوماته من الحقائق العلمية التى هى نتاج عقلى ، أو من الحقائق الدينية التى هى هداية دينية لا يحرص عليه ابدا ويجب تغييره اى استبداله بغيره ·

ودليل هذا أن القرآن الكريم قد طلب الى محمد عليه الصلاة والسلام أن يواجه المشركين بهذه المقولة الموضوعة فى اسلوب الاستفهام الانكارى·

او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون؟

اى هل من المنطق فى اى شىء أن يمضوا فى الحياة على اساس مما توارثوه عن الاسلاف حتى ولو كان هؤلاء الاسلاف يمارسون حياتهم على اساس من القيم غير المستمدة من العلم ومن الدين·

ان هذا لايليق بالانسان فى اية حالة من الحالات·

ان قبول الجديد فى مثل هذا الموقف هو المنطق العقلى ، او هو المنطق الدينى ·

اما الاساس الثانى فيتمثل فى عملية تقييم الجديد لبيان مدى امتيازه عن القديم ، وكونه أقدر منه

فى دفع الناس الى ممارسة الحياة بأساليب افضل واكمل •

والقرآن الكريم هو الذى يدلنا على هذا حين يطلب الىمحمد عليه الصلاة والسلام ان يرد على المشركين من اهل مكة مقولتهم بقوله تعالى : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم •

ان هذه الفقرة تشير الى أن الجديد فيه فضل هداية • وانه من هنا يكون الايمان به ، وممارسة الحياة على اساس منه •

فالقديم لا يستبقى لانه قديم ، والجديد لايقبل لانه جديد ، وانما يستبقى كل منهم لما فيه من مصلحة ونفع للعباد •

والقديم قد يعتز به من حيث انه تراث ، ومن حيث انه من معالم الحضارة التى يفخر بها الانسان ويعدها من الامجاد ، وليس يلزم أبدا أن تمارس الحياة على اساس منه بعد أن انتهى ذلك الدور الذى كان يلعبه فى الحياة •• انه ان يلتزم به فى مثل هذه الحالة يصبح عقبة فى سبيل الحياة ويدفع بالانسان الى ذلك الموقف الذى لا يحمد ـ موقف التقليديين او موقف الرجعيين •

أسباب النصر

والحوار الذى سجله القرآن الكريم فيما بين المشركين مناهل مكة من جانب ومحمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن الكريم ذاته من الجانب الاخر كان لا بد من أن ينتهى او يبلغ غايته •

وانتهاء الحوار يكون فى العادة بانصراف المتحاورين كل فى سبيله مع ثباته على ما هو عليه ومن غير تراجع عنه ، او يكون بتسليم احد المتحاورين بوجهة نظر الاخر ـ الامر الذى يتحقق معه بلوغ الحوار غايته •

وما حدث فى امر محمد عليه الصلاة والسلاممع المشركين هو انتصاره عليهم بدخولهم فى الاسلام، وممارستهم حياتهم اليومية وحياتهم العامة على اساس من مبادئه الدينية وقيمه الاخلاقية ومعاييره السلوكية •

وهذا النصر الذى حققه محمد عليه الصلاة والسلام فى هذا الميدان كانت له عوامله الثقافية والاجتماعية المتمثلة فى عدم قدرة الناس جميعا على ان يحدثوا التغييرات الجذرية فى ميادينالاراء والمعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والقيم الاجتماعية والمعايير السلوكية ، فى وقت واحد وبمقادير متساوية •

ان التفاوت هناهو الظاهرة الثقافية او الظاهرة الاجتماعية• فقد يقبل بعض الناس علىالتغييرات ويعرض الاخرون عنها ، والذين يقبلون والذين يعرضون يتفاوتون فيما بينهم فى المدى الذى يذهبون اليه فى التغيير او يقفون عنده فى الثبات على القديم •

والقرآن الكريم يمضى على أن انتصار الجديد على القديم هو الظاهرة الدينية • فالنصر دائما للانبياء ومن صدقهم وآمن بما جاءوا به من معتقدات ومبادىء وقيم •

انا لننصر رسلناوالذين آمنوا فىالحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد •

وهذا التاكيد بالنصر من القرآن الكريم انما يقوم على اساس ان المولى سبحانه وتعالى لايبعث الانبياء ولا يرسل المرسلين الا على فترات يكون فيها الاعداد النفسى للانصراف عن القديم قد تم، ويكون فيها الاستشراف لتقبل الجديد قد وجد • والذى يؤكد هذا من امر محمد عليه الصلاة والسلام ان المشركين من اهل مكة كانوا يتطلعون الى ان يبعث الله فيهم نبيا او يرسل رسولا • كما كان البعض منهم قد تخلص مما عليه قومه من اراء ومعتقدات ومن تقاليد وعادات •

كانوا يتطلعون الىأن يبعث الله فيهم نبيا رسولا وذلك هو قوله تعالى: واقسموا باللهجهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم •

كان البعض منهم قد انصرفوا عنالقديم واخذوا يبحثون عن اراء ومعتقدات أخرى يحددون بها حياتهم بممارستهم الحياة على أساس منها ـ وهم جماعة المتحنفين الذين كانمنهم محمد عليهالصلاة والسلام •

جاء فى القرآن الكريم ، قل اننى هدانى ربى الى دين قيم ملة ابيكم ابراهيم حنيفا هو الذى سماكم المسلمين •

مراكز القوى فى مكة

وقبول اهل المدينة للديانة الجديدة فى سهولة ويسر انما يرجع الىأن تهيئة الجو النفسىلاحداث

تغييرات جذرية كان قد تم بفضل وجود الاديـان السماوية بصورة واضحة فـي المدينة ، وبفضل تاثيرها على المجتمع المدنى • اما فى مكة فلم يكن الامر كذلك ، وانما كان على العكس من ذلك •
لقد كان فى مكة من مراكز القوى ما لم يكن فى المدينة •

كانت مكة هى المدينة المقدسة وفيهـا الكعبة التى يحج اليها الناس ، وهى المركـز الرئيسى لعبادة الاوثان •

وكان فى مكة الاغنياء المترفون الذين كانـوا يقولون فيما حكى القرآن عنهم ، نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين •

وكان اهل مكة على هذا الاساس اكثر رفضا للتجديد باحداث التغييرات الجذرية من اهل المدينة ـ لكن هذا الرفض لم يستمر الا حين •

لقد قبل أهل مكة الجديد بعد تلك الانتصارات الباهرة التى حققها محمد عليه الصلاة والسـلام ـوبخاصة فتح مكة ذاته •

لقد كان فتح مكة هو الايذان باعتناق العرب جميعا لهذا الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من جديد •

لقد توقف العرب حين توقف اهل مكة ، واقبل العرب جميعا حين اقبل اهل مكة ، وسجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا •

والعقبات التى قامت فى سبيل الدعوة الجديدة تتمثل فى نوعين من الناس من المشركين •

النوع الاول هم رجال الدين الذين كانوا يحرصون الحرص كله على أن تبقى مقاليد الامـور فـى ايديهم باعتبارهم اقدر الناس علـى الاتصـال بالالهة والتعرف على رغباتها • انهم لا يقبلون أن يفقدوا مكانتهم هذه بين الناس •

أما النوع الثانى فهم الاغنياء الاقوياء الاشداء الذين تطالبهم الدعوة الجديـدة بالتنـازل عـن امتيازاتهم التى لا تتفق والعدل السماوى •

انهم الاخرون يرفضون من أجل الابقاء على مكانتهم الاجتماعية • وامتيازاتهم فى الحياة • غير أن ذلك كله لم يثبت امام الجـديد الذى ما وجد الا من اجل هداية الناس الى الحق والعدل والخير العام •

وصدق الله العظيم حين يوجه محمدا عليه الصلاة والسلام الى أن يقول للرجعيين التقليديين المتمسكين بالقديم : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليـه اباءكم •

ان الواجب أن نهتدى بهدى القرآن فى موقفنا الحالى من التنمية الواجبة •

ان هدى الله هو الهدى •

والسـلام •

■■

القاهرة محمد احمد خلف الله

■ الحـــرب أول ما تـــكون فتيــة
تســـعى بزينتهــا لـــكل جهـــول

حتى اذا استـعرت ، وشـــب ضرامها
عادت عجـــوزا ، غـــير ذات خليـــل

شمطـــاء ، جزت رأسها ، وتنكـــرت
مـــكروهة للشـــم والتقبيـــل

(عمرو بن معد يكرب الزبيدى)



العقل البشرى والعقل الالكترونى

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

■ كان خيال الادباء والفنانين يسبق كشوف العلماء على مدى عصور التاريخ • وليس فى هذا ما يدعو الى العجب ، اذ ان الاديب او الفنان لا يصور فى عمله حلم يقظة فحسب ، وانما يعبر عن امان بشرية عزيزة ، ويلخص ما يتوق الانسان فى قرارة نفسه الى تحقيقه • وحين تحدثت الاساطير والاعمال الادبية والفنية عن تلك الاجنحة التى يحلق بها الانسان كالطيور ، او عن البساط السحرى الذى يتنقل به عبر السماء من بلد الى اخر ، كانت فى واقع الامر تضع الهدف امام علماء المستقبل ، وترسم لهم الطريق الذى كان الانسان يتوقع منهم ان يسلكوه •

ولقد كان الانسان منذ اقدم العصور يحلم بظهور الات تعفيه من الجهد وتحل محله فى المهام الشاقة وحين كان يسرف فى احلامه ، كان يتخيل نوعا من الانسان الصناعى ، لا مجرد الة صماء ، يكون له عبدا مطيعا •

وكانت لهذا التصور مظاهر متعددة : فالقصص الشعبى كان يتحدث عن المارد او العفريت الذى يظهر من القمقم ، او بعد لمس « خاتم سليمان » ، او « خاتم الملك » ، ليحقق للانسان اصعب امانيه وابعدها منالا • وهذا القصص متفائل ، وتفاؤله امر طبيعى لانه خيال مبنى على الاعتقاد بالسحر ، وعالم السحر ليس فيه حقائق صلبة تقاوم الامانى والرغبات ، ولا يقف فى وجهه شىء ، ومن هنا كان كل شىء فيه ممكنا •

اما المظهر الاخر فهو احدث عهدا ، وفيه يرتكز الخيال على اساس من العلم والواقع الاجتماعى ، ولذا كان فى معظم حالاته اميل الى التشاؤم • فقد انبهر الانسان بالالة الى حد انه بدأ يتصور

بخياله انواعا منها تنقلب على الانسان وتتمرد عليه ، حتى تسيطر فى النهاية على العالم وتقضى على عصر الانسان • واخذ الادباء وبعض المفكرين يبدون فزعا حقيقيا من ذلك العصر المحتمل ، الذى يسيطر فيه على العالم حديد جامد ، وتختفى فيه سيطرة الانسان عندما تقهره الات ذات قوة جبارة، لتضيع القيم الانسانية ، ويختفى الحب والجمال ، ويسود نظام‌رتيب صارم لايعرف الرحمة‌ولاالعطف•

ثم سار الخيال خطوة اخرى فى هذا الاتجاه، فتصور هذه الالة على هيئة انسان يتدخل العلم فى صنعه ،ولكنه يضفى عليه قوة تفوق قوةالبشر بكثير ، فيتمرد هذا الانسان العلمى او الالى على صانعه ، ويهدم كل شىء ببطشه وجبروته • وكانت قصة « فرانكنشتين » ، التى اخرجت منها ــ منذ الثلاثينيات ــ افلام سينمائية كثيرة ، من اوضح امثلة ذلك الفزع الذى يتملك البشر من تطور قدرات الانسان وتقدمها الى الحد الذى يجعلها تنافسه هو ذاته وتسحقه آخر الامر •

ومنذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ،اصبح هذا الحلم حقيقة واقعة ، وان كان الواقع ــ كما يحدث دائما ــ قد اختلف عن الخيال الممهد له اختلافا غير قليل • وكان رائد هذا التطور الحاسم عالما نمساويا كبيرا هو « نوربرت فينر Norbert Wiener » ، الذى وضع اسس علم جديد هو « السيبرنطيقا Cybernetics » • وكانت الفكرة الاساسية فى هذا العلم هى دراسةالوظائف التى يقوم بها الجهاز العصبى للانسان ، والتى تتيح للانسان ان يعدل افعاله ويعيد توجيهها وفقا للمواقف المختلفة ، ويكون جهازا متكاملا يقوم باصدار الاوامر لنفسه وتنفيذ هذه الاوامر واختبار نتائجهافى‌الوقت ذاته، وعلى اساس هذه‌الدراسات يمكن تطبيق المبادىء المستخلصة منها على الالات، فتكون نتيجة ذلك ظهور نوع جديد كل الجدة من الالات •

ذلك لان الالات التى كانت تستخدم حتى ذلك الحين‌كانت‌فى‌حاجةدائمةالى‌اشراف‌الانسان‌وتوجيهه• فهى قد ظلت طوال هذا الوقت تمثل طرفا واحدا فى علاقة ثنائية لا يمكن ان تنفصم ، هى « الالة ــ الانسان » • اما الكشف الجديد فقد انتج نوعا جديدا من الالات ، هى تلك التى تصحح مسارها بنفسها ، وتعطى لنفسها ما يلزم من التعليمات والتوجيهات ، وتتبادل مع نفسها الاوامروالتنفيذ، كما يحدث للانسان حين يشعر بالعطش مثلا ، فيامر العقل العضلات‌بالتحرك نحو الماء ، ويصحح مساره اذا لم يجد الماءفى موضعه ، ويعطى‌لنفسه الامر بالاكتفاء اذا احس بان ظماه قد ارتوى •

هذا النوع الجديد من الالات ، الذى يتميزعن كل الانواع السابقة بانه تخلص من ثنائية « الالة ــ الانسان » وجعل الالة مكتفية بنفسها اكتفاء شبه تام فى اداء عملها هو الذى اتاح ،لاول مرة فى تاريخ البشرية،استخدام الالات استخداما ذهنيا او عقليا ، بعد أن كانت تقتصر على توفير الجهد البدنى والعضلى للانسان ، فهى تقوم بدلا منه بكثير من العمليات التى لم يكن احد يتصور ان من الممكن اداءها الا بواسطة العقل البشرى وحده • وهكذا ظهرت العقول الالكترونية ، التى تعد انقلابا حاسما فى تاريخ العلم والتكنولوجيا •

وتؤدى العقول الالكترونية وظيفتين متميزتين ،وان كانتا مترابطتين فيما بينهما :

فهى من جهة تغنى العقل الانسانى عن القيام بعمليات كثيرة مجهدة او طويلة • فاذا لم يكن الانسان قادرا على ان يحسب بالسرعة والدقة الواجبة ، واذا لم يكن وقته وجهده يسمح له بان يتابع المعلومات المتوافرة بالفعل ،فان فى استطاعة العقل الالكترونى أن يساعده مساعدة هائلة فى هذا الصدد • وهنا تكون مهمة ذلك العقل هى‌أن يكمل قدرات موجودة بالفعل ، ولكن على نطاق اضيق ، فى العقل البشرى • ولكن فى استطاعة العقل الالكترونى القيام بعمليات يعجز العقل البشرى عن ادائها بقواه الخاصة ، كاصدار احكام فى مواقف شديدة التعقيد ، او القيام بحسابات فيها متغيرات كثيرة تفوق طاقة اى ذهن بشرى ،كما هى الحال فى الحسابات المتعلقة بتوجيه سفينة فضائية الى المريخ ، حيث المسافات هائلة ،وحيث ينبغى عمل حساب حركة الارض ، بنوعيها ،وحركة المريخ ، والكواكب الواقعة بينهما ، وجاذبية كل منها ، وغير ذلك من العوامل المعقدة •

وفى وسعنا ان نشبه هذا التطور الذى طرأ على تكنولوجيا العقول الالكترونية بالتطور الذى طرأ على الالات المادية العادية •فهذه الالات كانت

فى البداية تستهدف توفير طاقة الانسان الجسمية، والاقلال من مجهوده ، وزيادة سرعة الافعال التى يقوم بها عادة ببطء ، اى انها كانت تكمل قدرات موجودة بالفعل ، ولكن على نطاق ضيق ، لدى الانسان • وفى مرحلة تالية اصبحت تتولى عن الانسان اعمالا يستحيل عليه القيام بها : فتمكنه مثلا من التخلص من الجاذبية الارضية ، وهى عملية تستحيل اصلا على الجسم البشرى •

ولكن هل اخترع الانسان العقل الالكترونى ليكون نسخة مطابقة لعقله • مع مزيد من القدرة والفعالية ؟ ان الكثيرين ، وخاصة من ذوى النزعات الادبية ، يتصورون هذا ، ومن هنا كان خوفهم وتشاؤمهم • فما دامت العقول الالكترونية مشابهة للعقول البشرية ،ولكنها اقوى منها بمراحل، فسوف يأتى الوقت الذى ينسحق فيه الانسان تحت اقدام الالات الجبارة • ولقد لاحظ بعض العلماء ان فئة من العقول الالكترونية المتقدمة تبدى فى سلوكها نوعا من « التلقائية » ، ولا تتصرف وفقا للبرنامج الموضوع لها بالضبط ،ووجدوا فى ذلك بادرة لتمرد هذه العقول على صانعيها • والى فى هذا الصدد سؤال هام هو : اذا كان المبدا الذى قامت على اساسه هذه العقول هو دراسة الجهاز العصبى للانسان (وضمنه المخ) ومعرفة الطريقة التى تحدث بها الافعال وردود الافعال داخل هذا الجهاز المعقد ، واذا كانت اشباه الموصلات (الترانزستورات) التى تصنع منها هذه العقول تزداد صغرا ودقة يوما بعد يوم ،وتؤدى فى الوقت نفسه اضعاف العمليات التى كانت تقوم بها نظائرها الاكبر حجما فيما مضى ، اليس لنا ان نتوقع مجيء يوم تصنع فيه عقول الكترونية فيها اشباه موصلات اقرب ، فى حجمها ونوع العمليات التى تقوم بها ، الى خلايا المخ البشرى ؟

وعندئذ الن تقوم هذه العقول بتصرفات تلقائية مشابهة لتلك التى يقوم بها الانسان ؟

على أن هذا التساؤل يفترض مقدما ان الانسان يريد ان يصنع عقولا الكترونية محاكية له ، وهذا افتراض غير صحيح ، ومن المشكوك فيه جدا ان ينفق الانسان جهده وماله فى سبيل غاية كهذه • فكل ما يريده الانسان من العقول الالكترونية هو أن تساعده فى القيام بالاعمال المعقدة ، وان تقدم اليه خدمات فعالة ، فى الميدان الذهنى ، لا يستطيع ذهنه القيام بها ، او تستغرق منه وقتا وطاقة لا حدود لهما اذا اراد ان يتولاها بنفسه•

وعلى سبيل المثال فان ذاكرة الانسان ، مهما كانت قوتها ، محدودة النطاق ، وقدرتها على الاستيعاب والاختزان تقف عند حدود لا تتعداها• ومن هنا فان العقول الالكترونية تسدى الى العلم خدمة كبرى اذ تقدم الى الانسان « ذاكرة صناعية » ، تستوعب من المعلومات ما لا تستوعبه الوف العقول البشرية مجتمعة ، وتقدمها الى الباحث كلما احتاج اليها فى ثوان معدودات ،مع ترتيبها وتصنيفها بحيث لا تقدم منها الا ما يتعلق بالموضوع الذى يريد بحثه •

والعامل الذى جعل من الضرورى الاستعانة بمثل هذه « الذاكرة الصناعية » ، هو ذلك التضخم الهائل فى كمية المعلومات التى اصبح من الضرورى استيعابها فى العصر الحاضر • فعصرنا هذا ليس فقط عصر « الانفجار السكانى » ، بل هو ايضا عصر « الانفجار المعرفى » او « انفجار المعلومات » كما يسميه الكثيرون • وكمية المعلومات التى تتراكم تتزايد بمعدل تتضاعف سرعته على الدوام ،وبدرجة يعجز عن استيعابها اى عقل بشرى ،حتى لو اقتصر على ميدان ضيق من ميادين التخصص • ويرى الباحثون أن كمية المعلومات المتوافرة تتضاعف ، فى العصر الحاضر ، فى فترة تتراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة ، وستظل هذه الفترة تتناقص بالتدريج كلما زاد التقدم العلمى • وقد اصبح عدد الكتب والمجلات العلمية التى يفترض فى المتخصص ان يكون قد اطلع عليها ،من الضخامة بحيث يعترف الجميع بان الوسائل التقليدية ، كالقراءة الدائمة ، لاتكفى الا لاستيعاب قدر ضئيل جدا منها ،فضلا عن الصعوبات التى يواجهها الباحث فى تحديد اماكن الابحاث التى تهمه فى ميدانه الخاص • كل هذه العمليات يؤديها بدلا منا العقل الالكترونى ،ويقدم المعلومات المطلوبة ، دون غيرها، بكفاءة ودقة بالغة ، فيعفى العالم من مواجهة تلك التلال الهائلة من الابحاث التى كان يتعين عليه ، فيما مضى ، ان يبحث بينها عما يريد ، ويضمن له بذلك الا يضيع وقته سدى ، والا يكرر بحثا سبق ان قام به غيره فى مكان ما •

واذن فالعقول الالكترونية لا « تكرر » العمليات التى يقوم بها العقل البشرى ، بل « تكملها » ،

وذلك عن طريق توسيع نطاق القدرات الموجودة بالفعل في عقولنا ، وعن طريق اعطاء هذه العقول قدرات جديدة •ومهما ارتقت هذه العقول الصناعية، فستظل على الدوام ادوات يستخدمها الانسان ولن تكون نسخة مكررة منه •

ومن جهة اخرى فان تلك العقول تشترك مع كل الة يصنعها الانسان في صفة اساسية ، هي أنها لا تؤدي عددا كبيرا من الوظائف التي تسير في شتى الاتجاهات ، بل تؤدي عملية واحدة ، او مجموعة مترابطة من العمليات ، وان كانت تؤديها على نحو يفوق اداء الانسان لها الى حد هائل • ولو افترضنا وجود « الة شاملة » ، تقوم بكل شيء يستطيع الانسان القيام به ، لما استطاعت ان تتفوق على الانسان نظرا الى تعدد اختصاصاتها وتعقد تكوينها • واقصى ما يمكنها القيام به هو ان تحاكي الانسان محاكاة شوهاء • ولا شك ان لدينا من البشر اعدادا كافية ، بل اعدادا فائضة تجعلنا في غير حاجة الى صنع الات تحاكيه !ولذلك فان العقل الالكتروني سيظل دائما مختلفا عن العقل البشري في انه يتخصص في عمليات معينة ، يؤديها على نحو شديد الاتقان ، فيوسع بذلك من نطاق قدرات الانسان الى ابعد حد •

واخيرا ، فمن الخطا الاعتقاد بان هذه العقول الالكترونية ، مهما تطورت ، ستدخل في « حرب » مع الانسان ، وتسعى الى سحقه والسيطرة على العالم بدلا منه ، لان هذه كلها عيوب بشرية ترجع الى ظروف اجتماعية محددة ، ومن الممكن التغلب عليها اذا تغيرت هذه الظروف • ولذلك فاننا لا نرى معنى لقيام الانسان بعملية « اسقاط » لشروره الحالية على الالات التي يخترعها ، سوى ان هذا الاسقاط من عمل ضمير مثقل بالشعور بالذنب •

★ ★ ★

وهنا يتعين علينا ان نجيب عن السؤال الحاسم الذي اثاره ، لاول مرة في تاريخ البشرية ، وجود نوع اخر من العقل البشري ، له قدرات تتجاوز قدراتنا ،في نواح معينة ، الى حد يفوق الوصف • فهل سيظل العقل الالكتروني ، في المدى البعيد ، ينفع الانسان ، ام انه سيلحق به اضرارا ربما تكشف بعضها الان ، وربما لن تظهر على حقيقتها الا في المستقبل ؟

من المعروف أن نواتج العلم والتكنولوجيا ، التي بدت في اول امرها عظيمة الفائدة ، والتي اقبل عليها الانسان تحدوه امال عريضة في أن يسيطر بواسطتها على الطبيعة وعلى ظروف حياته بافضل صورة ممكنة ، قد انقلبت عليه فيما بعد ، وظهرت لها ــ بعد طول استخدامها ــ اضرار لم تكن تخطر على بال • وحسبنا أن نشير ، بايجاز شديد ، الى مشكلات البيئة التي اصبحت تحتل مكان الصدارة في اهتمام كثير من الدول المتقدمة• فهذه المشكلات لم تتولد الا نتيجة للتقدم الهائل في التكنولوجيا • وقد كانت في البداية بمثابة « الاعراض الجانبية »التي تنتاب المريض اذا تعاطى دواء معينا ، والتي لا يابه لها المريض كثيرا لان كل ما يحرص عليه هو الشفاء ، ولانه يعلم جيدا أن هذا الدواء الذي يتعاطاه فعال فيهذه الناحية• ولكن قد ياتي وقت تستفحل فيه هذه الاعراض الجانبية ، وتهدد بظهور امراض اخرى قد تكون أخطر من المرض الاصلي ذاته • وهذا بالضبط ما حدث في مجال البيئة في العقدين الاخيرين : اذ أن التكنولوجيا الشديدة التقدم ، التي كفلت للانسان في البلاد الصناعية حياة استهلاكية مترفة، فظهرت لها « اعراض جانبية » بعضها شديد الفتك ، كتلوث الغلاف الجوي والانهار والمحيطات والمحاصيل الزراعية ، وازدياد الضجيج والتوتر العصبي ، وارتفاع نسبة الاشعاعات الضارة ، وانعدام الجمال من البيئة ،الى اخر هذه الاعراض التي اخذ ضررها يستفحل حتى اصبح البعض يتمنى لو لم تكن التكنولوجيا قد تقدمت الى الحد الذي يجلب كل هذه الاضرار •

ومثل هذا يمكن أن يقال عن العقل الالكتروني• فالبعض يرى أن هذا العقل المساعد للانسان يمكن أن يلحق بملكاتنا العقلية اضرارا وخيمة ، اذ يعودنا على التكاسل والاعتماد على « الالة » في كثير من العمليات العقلية • ووجهة نظر هؤلاء المعترضين هي ان الباحث كان قبل عصر العقول الالكترونية يعتمد على عقله في كل شيء ، وكان يجري به كل ما يحتاج اليه من عمليات ذهنية • وصحيح انهذا كان يستغرق منه وقتا طويلا.ولكنه

كان تدريبا مفيدا للذهن وشحذا لقواه وارهافا لذكائه . اما حين تترك هذه العمليات للعقل الالكتروني ، فمن الممكن ان يعلو الصدأ عقولنا ، او على الاقل ان تعتاد « الترف » في العمليات العقلية ، وتنسى تلك المشقة وذلك العناء الذي انتج سلسلة طويلة من العباقرة ، ابتداء من نيوتن حتى اينشتين .

هذا الاعتراض مشابه للاعتراض المألوف على وسائل المواصلات الحديثة . فالسيارة الخاصة ، مثلا ، قد عودت الانسان الراحة ، واعفت الانسان من الجهد الذي يبذله في قطع المسافات الطويلة ، ولكن الفائدة الكبيرة التي جنيناها قد ادت في احيان غير قليلة الى اضرار لا يستهان بها ، تتمثل في تلك المجموعة من الامراض ، الناجمة عن عدم تدريب الجسم البشري بالاستعمال . وليس من المستغرب أن تجد الاطباء ينصحون كثيرا من اصحاب السيارات الخاصة بالسير على اقدامهم مسافات طويلة ، اى بان يتركوا التكنولوجيا الحديثة جانبا ـ الى حين ـ ويعودوا الى عهد ماقبل التكنولوجيا ، حتى يتجنبوا الاضرار الناجمة عن وسائل الراحة الحديثة . وبالمثل يعتقد البعض ان حلول التكنولوجيا محل الانسان في الامور الذهنية يعود الانسان الكسل العقلي ، ويجعله عاجزا عن القيام بكثير من العمليات التي كان اجداده يقومون بها في سهولة ويسر ، لان اذهانهم كانت في حالة تدريب مستمر .

ولكن ، ما هو نوع التدريب الذي تعفينا منه العقول "الالكترونية"؟ انها في الواقع تعفينا من القيام بالعمليات « الآلية » . وهنا يكمن الرد الحاسم على الاعتراض السابق . فهذه العقول هي ، قبل كل شيء « حاسبات » Computers . وصحيح انها اعقد كثيرا ، واقدر كثيرا ، من الالات الحاسبة العادية ، ولكن نوع العمليات التي تقوم بها يدخل حتى الان ، في نطاق العمليات الآلية ، مهما كان تعقيدها . وقد استخدمت تعبير « حتى الان » لكي اترك مجالا للاحتمال الذي ياخذه البعض ماخذ الجدية ، واعني به ظهور « اجيال » من العقول الالكترونية تكون لديها القدرة على نوع من التصرف المستقل ، او من السلوك التلقائي . ولكننا حتى الوقت الراهن لا ناخذ من العقول الالكترونية الا ما اعددناها من اجله . ولا بد لنا من «تغذيتها» بالمعلومات والبيانات حتى تقوم بالعمليات المطلوبة منها .

ولو نظرنا الى المسالة من وجهة نظر العالم ، لوجدنا ان هذا العالم يرحب كثيرا بوجود جهاز يتولى عنه عمليات حفظ المعلومات وتبويبها واستعادتها بالطريقة المناسبة . وفي البلاد التي لا تستعين بالعقول الالكترونية ، يضيع جزء كبير ، وربما الجزء الاكبر من وقت الباحث وجهده في مثل هذه العمليات الآلية ، فهو يفتش عن المراجع ، ويقرؤها ، ويلخصها ، ويرتب ما استمده منها ، ثم ينتقي فيما بعد ما يريد الاستعانة به منها ، وفقا لنوع البحث الذي يقوم به . ولقد كانت البلاد المتقدمة تتبع ، قبل عصر العقول الالكترونية ، نظاما وسطا ، اذ تكون للباحث او الاستاذ الجامعي « سكرتيرة » متخصصة يصل مجهودها الى حد البحث في المراجع عن اى موضوع يطلبه منها الباحث ، وتقديمه اليه جاهزا ، بحيث لا يكون امام الباحث الا القيام بعملية « التاليف » الابداعي . كما عرف تاريخ الفن حالات مماثلة ، كان فيها الفنان الكبير ـ منذ عصر النهضة الاوروبية ـ يستعين بعدد من التلاميذ في « ورشة » فنية ، ويضع لهم التصميم الابداعي العام ، ويترك لهم ملء التفاصيل الصغيرة التي لا يصح ان يبدد طاقته فيها .

على أن العمليات الآلية تؤدى ، في الميدان العلمي ، بكفاءة تامة عن طريق العقل الالكتروني . ولا شك أن العالم المتخصص لو اتيح له أن يوفر كل الوقت والطاقة التي كان يبذلها في تلك العمليات ، لامكنه أن يتفرغ للتفكير الابداعي الى حد لم يكن متاحا على الاطلاق للاجيال السابقة من العلماء . فالمبدأ المطبق هنا هو مبدأ حماية العقل البشري القادر على انجازات ضخمة ، من تبديد طاقته الخلاقة في امور يمكن انجازها عن طريق جهاز آلي .

ومن ناحية اخرى فان البحوث العلمية اصبحت في وقتنا الحالي تقتضي من الجهد الذهني ، ومن تركيز الملكات العقلية ، قدرا يفوق بكثير ما كان يحتاج اليه العالم فيما مضى . فالباحث يحتاج الى استيعاب كمية ضخمة من المعلومات ، ومتابعة مرهقة للابحاث الاخرى التي يتزايد عددها يوما بعد يوم ، وقدرة على كشف المجالات الجديدة التي يمكن

ان تكون ميدانا لبحث لم يقم به احد من قبل • وطريقة البحث ذاتها تزداد تعقيدا على الدوام ، لان العلم يتوغل الى مستويات اعمق واعقد كلما تقدم الى الامام • ومن هنا اصبح العقل البشرى فى حاجة الى مزيد من المرونة ، والى قدر متزايد من الطاقة •وفى مثل هذه الظروف تكون الاستعانة، بالعقول الالكترونية امرا لا مفر منه لكى تتاح لعقل العالم القدرة على مواجهة مايقوم به من تفكير مرهق ، وما يتصدى له من ظواهر متزايدة التعقيد•

★★★

بقى امامنا ، قبل ان نختم هذا المقال ، سؤال اخير ، له عندنا اهمية خاصة • فما الذى ينبغى ان يكون عليه موقفنا ، فى العالم العربى ، من هذه القوة الجديدة التى اكتسبتها العقول البشرية فى البلاد المتقدمة بفضل العقول الالكترونية ؟

لقد اصبح من المعايير التى يقاس بها تقدم اى بلد، فى عالمنا المعاصر ، عدد العقول الالكترونية التى يستخدمها ، ونوعها • وليس هذا راجعا الى ان استخدام هذه العقول الجديدة دليل على «العصرية» فحسب ، بل ان السبب الحقيقى هو ان التوسع فى استخدامها يعنى ان العقول البشرية ، فى هذه البلاد ، تستثمر طاقاتها على افضل وجه ، وتنتج فى مختلف الميادين انتاجا ابداعيا متفوقا • اى ان هذا المعيار ، وان بدا فى ظاهره متعلقا « بعدد الالات» ،هو فى حقيقته معيار انسانى ،لانه يستهدف فى النهاية ان يعرف مدى استثمار بلد معين لامكانات العقول البشرية فيه •

وحين نتوصل الى استخدام العقول الالكترونية على نطاق واسع ، وهو امر لا مفر من حدوثه عاجلا او اجلا (وكلما عجلنا به كان ذلك افضل) ـ حينئذ سيكون لزاما علينا ان نهيىء عقول اجيالنا الجديدة لعصر العقل الالكترونى ، وتربى فيها الصفات اللازمة لمواجهة هذا العصر بنجاح • وهذا امر لا يتحقق الا باعادة النظر فى نظمنا التعليمية من اساسها • ذلك لان نظمنا الحالية لن تتلاءم مع هذا العصر ،ولو ظللنا متشبثين بها لما تمكنت العقول الصناعية من ان تحدث فى عقولنا الطبيعية اى تغيير ، ولما افدنا شيئا من هذا التطور الرائع فى قدرات الانسان •

فنظمنا التعليمية تقوم كلها على تدريب ملكة واحدة للعقل البشرى ، هى ملكة الذاكرة،اذ اننا نطلب الى التلاميذ ان « يحفظوا » المعلومات ، ونقيس قدرتهم على الحفظ قبل اية قدرة اخرى • ومنذ اولى مراحل التعليم الابتدائى حتى آخر مراحل التعليم الجامعى ، يرتكز النظام التعليمى باكمله على قدرة الطالب على الاستيعاب ، والمتفوقون فى نظرنا هم اصحاب الذاكرة الاقوى ، او اصحاب القدرة على ملء ذاكرتهم بالمعلومات واستعادة هذه المعلومات حرفيا كلما طلب اليهم ذلك • وهذه كلها معايير للتفوق ينبغى ان تختفى نهائيا فى عصر العقل الالكترونى •

ولو شئنا الدقة لقلنا اننا لم نكن فى حاجة الى الانتظار حتى عصر العقول الالكترونية من اجل تغيير هذه النظم • ففى اعتقادى انه منذ وقت ظهور الطباعة ، اعنى منذ خمسة قرون ، اصبح من المنطقى ان تتغير نظم التعليم على نحو يؤدى الى الاستغناء عن ابداء كل هذا الاهتمام بالقدرة على حفظ المعلومات • فهذه القدرة كانت مطلوبة فى عصر المخطوطات ، اعنى فى العصر الذى لم يكن يوجد فيه من الكتاب الواحد سوى نسخة او عدد قليل من النسخ المكتوبة باليد ، والتى يصعب الوصول اليها ، ومن هنا كان من الطبيعى ان يكون مقياس العلم هو قدرة الشخص على اختزان المعلومات فى ذهنه • ولكن منذ اللحظة التى اصبح من الممكن فيها صنع عدد كبير من نسخ الكتاب الواحد ، ونشرها على نطاق واسع ، اخذت الذاكرة تخلى مكانها لملكات اخرى ، لان الكتب ـ وماصحبها من مراجع وقواميس ـ هى ذاكرة البشر، وهى فى متناول ايدينا كلما شئنا ان نكتسب علما•

ولكننا فى العالم العربى ، لم ندرك دلالة هذا التحول الحاسم فى طريقة نشر العلم ، وظل المثل الاعلى للانجاز التعليمى فى نظرنا هو ان يكون عقل المتعلم مجموعة كتب متحركة ، وضاعت خمسة قرون كان العالم العربى قبلها هو السباق الى المعرفة ، واصبح فى نهايتها متخلفا عن ركب التقدم ، وذلك لاسباب من أهمها اننا لم نعرف كيف نستثمر عقولنا البشرية على افضل نحو •

على أنه اذا كانت فرصة اصلاح نظمنا التعليمية

قد ضاعت ، منذ عهد بعيد ، عند التحول من عصر الكلمة المحفوظة الى عصر الكلمة المطبوعة ،فان ضياع هذه الفرصة مرة اخرى عند الانتقال الى عصر العقول الالكترونية سيكون كارثة بحق. ذلك لان هذه العقول الالية ، كما قلنا من قبل، تقوم بعمل « ذاكرة صناعية » اكمل واوسع نطاقا الى حد هائل من ذاكرة الانسان • وهنا تصبح ملكة الذاكرة من اقل الملكات الذهنية اهمية • وفي مقابل ذلك فان ماقلناه من قبل عن توفير هذه العقول لطاقتنا الذهنية واعفائها لها من العمليات الالية لكي تتفرغ للاعمال الابداعية ، يوحي لنا بنوع الملكات التي لابد ان تحتل مكان الصدارة في العصر الالكتروني : فلكي يواجه اي مجتمع مشكلات هذا العصر بنجاح ، يتعين عليه ان يربي في اجياله الجديدة ملكات الابداع والابتكار ، والقدرة على الجمع والتركيب والتاليف، وعلى مواجهة المواقف الجديدة والظروف غير المتوقعة • وهذا يحتاج الى تغيير شامل في الفلسفة التي تبنى عليها نظمنا التعليمية ،بحيث تتخلى عن السعي الى تنمية ملكة التذكر والحفظ، وتركز جهودها على رعاية القدرات الخلاقة في عقل الانسان •

فهل فكرنا ، نحن العرب ، في هذا التغيير الحاسم ، الذي يحتمه عصر العقول الالكترونية ، في طريقتنا في تربية الاجيال الجديدة بحيث تصبح قادرة على معايشة زمانها والوصول بامتها الى مستوى البلاد العصرية ،ام ان هذه الفرصة ستضيع بدورها ، وسنظل في عصر الصواريخ والعقول الالكترونية نعلم ابناءنا كيف يكررون المعلومات حتى يحفظوها عن ظهر قلب، ونختبرهم على طريقة « قل ما تعرفه عن •• » ؟ هل سنتعهد في عقول ابنائنا ملكات عقيمة كالتذكر والاستعادة ، ام ملكات خلاقة كالذكاء وحسن التصرف ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال هي التي ستحدد جانبا هاما من مصير امتنا في القرن المقبل ،وهي التي ستقرر ان كنا سنعرف كيف نتخذ من العقل الالكتروني اداة لخدمة العقل البشري وزيادة قدراته، ام اننا سنفقد القدرة على استخدام العقلين معا•

■■

فؤاد زكريا

■ الناس من يلق خيرا قائلون له   مايشتهي ، ولأم المخطيء الهبل

(بشار بن برد)

■ لا يصلح النفس ، ان كانت مدابرة ،
الا التنقل من حال الى حال

(ابو العتاهية)

■ الايمان لا يعار ، واليقين لا يستعار ، ولا بد من اقتناع شخصي يستند اليه ، لانه لا أحد يحيا او يموت بدلا من غيره •

(مكس مولر)

■ اذا كنت في حاجة مرسلا   فارسل حكيما ، ولا توصه
وان سُر أمر عليك التوى   فشاور حكيما ، ولا تعصه

(الزبير بن عبد المطلب ، عم النبي)

"أرواد" جزيـــرة ســـورية

■ قامت مسابقة العدد ٢١٨ على اسئلةحول الجزر العربية فى وطننا العـربى الكبير والتى يجهل المواطن العربى الكثيرمنها لانها بقيت مجهولة لم تستغل سياحيا او تجاريا ، كمـا أن اجهـزة الاعـلام تجاهلتها كلية فصارت هذه الجزر نسيا منسيا ، ومع ذلك استطاع القراء الـذين اشتركوا بالمسابقة أن يجيبوا على الاسئلة اجابات لا بأس بها وان يتعرفوا على تلك الجزر العربية •

ونورد فيما يلى نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ تقع جزيرة مصيرة فى بحر العرب •

٢ ـ الجزيرة التى تقـع جنـوب استراليا هى تسمانيا •

٣ ـ الجمهورية التى قامت فى المحيط الهندى والتى عاصمتها فيكتوريا هى جزيرة سيشل •

٤ ـ الجزيرة التى كان يطلق عليها قديما اسم الجزيرة الطويلة والتى تقع عند مدخل مضيق هرمز هى جزيرة قشم •

٥ ـ تنتمى جزر البليار الى اسبانيا وجزيرة كورسيكـا الى فرنسا ، وكـريت الى اليـونان وسردينيا الى ايطاليا ، اما الجزيرة المستقلة فهى جزيرة مالطة •

٦ ـ الجزيرة التى تقابل ميناء اللاذقية السورى هى جزيرة ارواد •

٧ ـ الدولة العربية التى تتكون اراضيها من مجموعة جزر هى دولة البحرين •

٨ ـ الجزر السياحية التى تقع شرق مدينة صفاقس التونسية هى جزر قرقنة •

٩ ـ اكبر جزيرة فى العالم بعد استراليا هى جرينلند •

١٠ ـ الجـزيرة التى تـواجه الكـويت والتى اشتهرت باثارها الاغريقية القديمة هى جزيـرة فيلكا •

١١ ـ الاسم الذى اطلق على جزيرة فرموزا و ٨٧ جزيرة محيطة بها هو تايوان •

١٢ ـ الجمهورية التى تتكون من اربع جزر عند مدخل مضيق موزمبيق هى جمهورية جزر القمر •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بهـا حميد رشيد ياسين ـ بغداد / العراق •

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :نائل صبحى درويش الطريقى ـ عمان / الاردن •

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :حسن جعفر محمد صالح ـ الخرطوم / السودان •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ اسماعيل بغدادى ـ صور / لبنان •

٢ ـ محمد احمد محسن المقداد ـ صنعاء/اليمن•

٣ ـ روضه راغب طاهر محمود ـ الجابريـة / الكويت •

٤ ـ احمد حسن العوامى ـ المنطقة الشرقية / السعودية •

٥ ـ زهير موسى ـ دمشق / سورية •

٦ ـ الزين على ـ باتنة / الجزائر •

٧ ـ حسين محمد جندية ـ القاهرة / مصر •

٨ ـ محمود اسماعيل هلال ـ مسقط / عمان •

بحثاً عن الأصالة في :

مليون من المخطوطات الضيعة

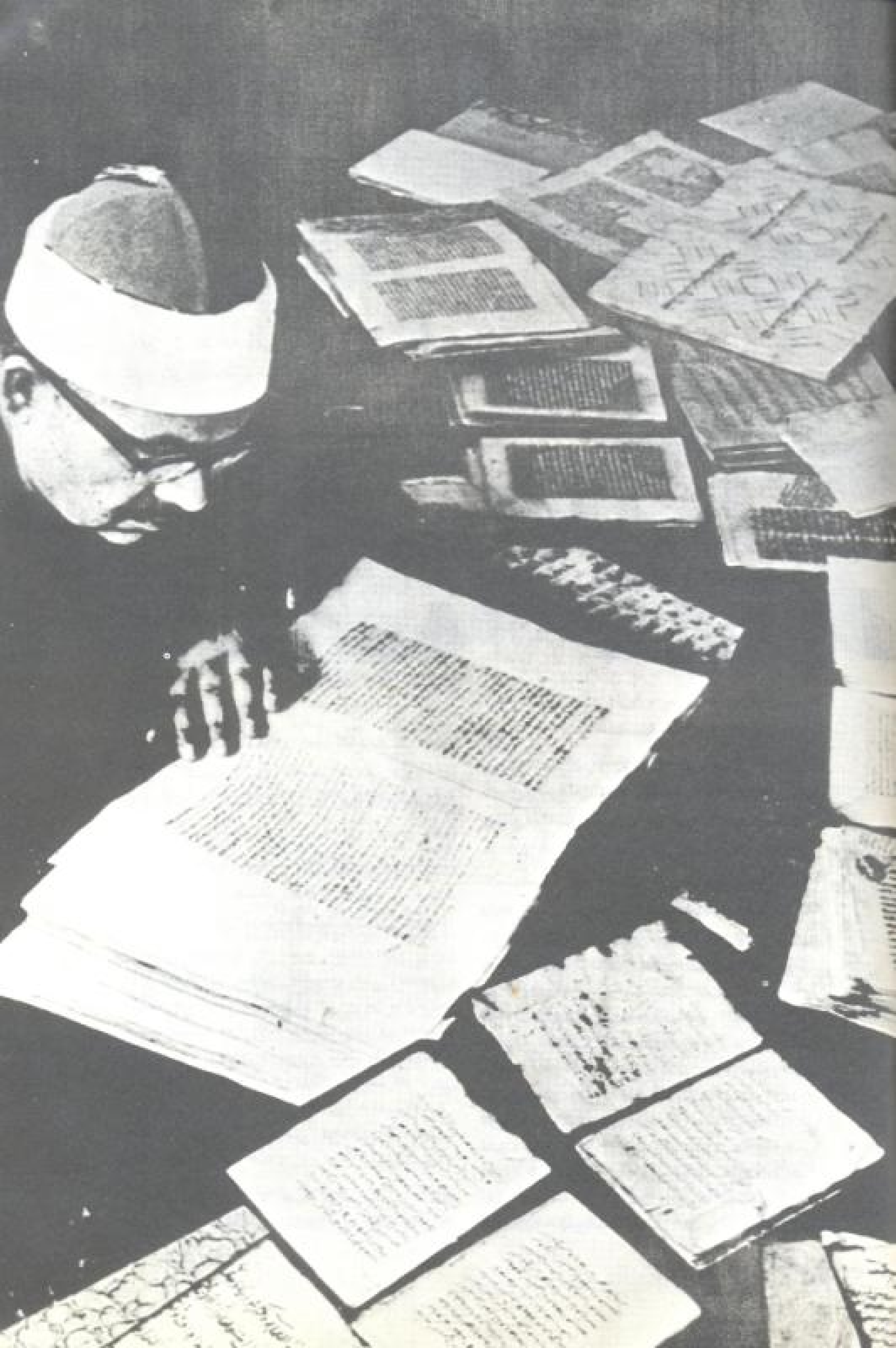
تحقيق المخطوطات مهمة شاقة وكل ما حقق حتى الان ١٠٠ الف مخطوط من مليون مخطوط في كل انحاء العالم .

بقلم :
مكرم محمد احمد



مخطوط عربي قديم في بسلم النبات .





■ ما بين الفترة والاخرى ، يثور في أدمغة مثقفينا العرب ، ذلك السؤال الدهري العويص اين الاصالة ؟ اين التزييف ؟ أين الحقيقة في أعماق انساننا ، وما الذي تدركه وتعيه من هذه الاعماق وما الذي ما زالت تعشى عنه حتى الان أنوار افكارنا .

غير أن المشكلة على خطورتها ، كثيرا ما كانت تغور بكل أبعادها ـ تحت وطأة نقاشنا البيزنطي ـ فراغا حلزونيا كدوامة ، وتعاودنا سهولة الرغبة في التصنيف ، وننقسم بحماس الكلمات الى مجددين وتقليديين . مجدددون يرفضون القديم باكمله بالرغم من انهم قد لا يعرفون عنه الكثير ، وتقليديون تجمدت قدراتهم عن اخصاب هذا القديم او احياء جوهره .. ويعجز عقلاؤنا عن ان يصلوا بين النقيضين همزة الوفاق ، وتبقى المشكلة قائمة لكنها في الاغلب محصورة في حوار مثقفين ـ وربما يكون نتاجها الاجتماعي الوحيد ، اثراء جديدا لفن الكلاموجيا ـ هذا الفن الذي يبدو اننا قد اصبحنا ننشده لذاته .

ومع ذلك فان السؤال الذي قد يبدو في بعض الفترات شاغل المثقفين وحدهم يكتسب في فترات اخرى لاحقة ، خطورة أعم ، ربما خلال المحن الكبرى أو الاختيارات الصعبة ان السؤال الذي كان يمثل مجرد حيرة مثقفين قلقين اكثر مما ينبغي ، يصبح عندئذ تساؤل الجميع ، تساؤل كل فرد وتساؤل الامة باكملها وتتجاوز المشكلة اطارها المعهود ، لا تصبح عندئذ مجرد تباين عقلي لاجتهادات مثقفين منقسمين على أنفسهم ، يعيشون في أبراج من قش او ابراج من عاج وانما تصبح المشكلة حيرة الامة باكملها بحثا عن العصرية المستلبة .. ونعود . نعود ، نفتش في ذواتنا ، ننبش في التاريخ ، في الكتب الصفراء ، في المخطوطات المضيعة ، في الاغاني القديمة ، في العادات الصغيرة بل وحتى في حكايات الجدات بحثا عن الاصالة .

أعتقد أننا قد جربنا جميعا شيئا من مرارة تلك الحيرة ، في أعقاب ما تكشفت عنه نكسة حزيران ولكن هل يمكن أن نكون موجودين هذا الوجود الكثيف تاريخيا ، الممتد جغرافيا ومع ذلك يضيع داخلنا الانسان ، ويلتبس علينا فهم الذات ، هل يمكن بالفعل أن تخفى عن الانسان حقيقته الى هذا الحد المريب ؟! .. نعم يمكن ! عندمايزور التاريخ ، وتضيع الاجتهادات العاقلة في زخم الهوس الديموجاجي الجمعي ، او عندما تعبر خيل التتار الغازية جسر المخطوطات الغارقة في نهر دجلة ! أو تقع قبضة الحكم في يد ضعاف يرون امنهم في اغتيال الثقافة ، .. واخيرا عندما يحاصر الانسان هذا الحصار الكثيف من أجهزة الاعلام تصوغه على هوى أصحاب المفاتيح .

ذات يوم ـ والرواية لسارتر ـ اقترب بول فاليري من النافذة ستما ، وسال وبصره تائه في شفافية لوح زجاج ـ هل من وسيلة لاخفاء الانسان ، كان أندريه جيد حاضرا واجاب الرجل بكل الايجاز « جميع الوسائل صالحة في الجزائر» ، كان الاحتلال الفرنسي يمارس عملية استلاب واسعة للذات الجزائرية ، يسعى من خلال مشروع مبرمج الى محو الشخصية الثقافية للامة ، وفي كل أفريقيا كان المستعمر يسعى الى استلاب لغة السكان الوطنيين وعاداتهم وتراثهم حتى في الفن والماكل والملبس ، ليعطيهم عوضا عنها حاجاته هو التي يطمئن اليها ، وفي مصر اقام النظام الاستعماري مع دخول البريطانيين ـ بالقصد وبالعناية ـ نظامين للتعليم نظام مستحدث اقامه دانلوب المفتش الانجليزي لنظارة المعارف ، ونظام آخر هو النظام الذي كان قائما قبل مجيئهم ـ في أروقة الازهر وتحت ظلال عمده ، نظامان ، متعارضان، نظام جديد يفتقد جذور الماضي وتراثه وتقتصر فلسفته عند حدود تعزيز ادارة البلاد موظفين مطيعين ، ثم نظام قديم يضرب جذوره في العمق ولكن عصور الركود وتآمر المستعمر افقداه كل قدرة على مواجهة مطالب العصر ـ وما زالت مصر تعاني حتى الان من هذه الازدواجية غير المبررة في نظامها التعليمي، والان تعاود اسرائيل نفس المحاولة في الارض العربية المحتلة ، تزور الشخصية التاريخية للقدس القديمة ، تحول بين



ترميم المخطوطات: مهمة ضرورية لحفظ التراث.

السكان العرب وبين ثقافاتهم الوطنية ، تمسخ هذه الثقافات ، تزورها ، تغير مناهج الدراسة، تدلس شواهد التاريخ ، لكي تفصم كل عرى يمكن ان تصل بين السكان العرب وهويتهم الحقيقية .

.. معنى الكلام ، ان المستعمر يعي ويدرك ان نجاحه وطول أمده واستمرار نفوذه ، انما يرتهن بمقدار ما يستطيع تغييره من قيم الامة وثقافتها ، ان المستعمر لا يستولي على الاملاك الوطنية فحسب ، انه يقوم في نفس الوقت بعملية منظمة لنهب وتجريد القيم الثقافية للامة ، يحاول تغريب ذاتها من الداخل ، يسعى لاجتثاث اصالتها .. فاذا لم يستطع فعلى الاقل ان يبقي على هذه الثقافة الوطنية للامة في حالة احتضار مستمرة .. الوسائل في ذلك كثيرة تتدرج من بربرية الغزاة الطغاة الذين يدمرون الثقافة بالعنف وبالحريق وبالاغتيال – اينما حلوا – الى الخطط العصرية الذكية المرسومة بجهد خبراء ومتخصصين وعلماء في الهندسات النفسية للجموع ..وتتحول الثقافة الوطنية بفعل ذاك الغزو البربري او تلك المؤامرة المتحضرة الى ثقافة جامدة مغلقة على نفسها بعد أن كانت في الماضي حية ومتفتحة ، تصبح كاوراق قديمة ضاع اوانها .

وليس صدفة أن الثقافة العربية بل والثقافة الاسلامية في جوهرها الحقيقي – بل وثقافة المشرق كله قد تعرضت جميعا مع اكتمال ملامح العصر الاستعماري الى عمليات تغريب وتشويه مستمرة – وربما كانت الثقافة العربية هي اكثر الثقافات معاناة – ابتداء من حرائق تيمور لنك لمكتبات بغداد ومخطوطاتها الى حريق المسجد الاقصى .

ان عالمنا العربي الراهن . مواجه الان ليس بفعل التحدي الاسرائيلي وحده ،وانما ايضا بفعل تحديات اخرى مصاحبة بضرورة الاجابة الواعية على هذا السؤال العويص ، أين الاصالة ، اين

التزييف .. غير أن استخلاص الشخصية الثقافية للامة واعادة بنائها عملية لا تتم فجاة ، على النحو الذى يمكن أن يتم خلاله العثور على خبيئة قيمة خلال حفريات أثرية قديمة ، انها لا تتم من خلال الارتداد التلقائي الى كل قديم ، وانما الاصالة جهد تحصله الامة وتبلغه خلال عملية تنوير شاملة لا تتوقف فقط عند مجرد البحث عن التراث القديم ، بل تمتد الى مناقشة هذا التراث وفرزه .

ومن هنايكتسب السؤالمسئولية اكبر وتخصيصا أدق ، ليصبح أى قديم نرث وأى قديم نهجر، أى تجديد نقبل وأى مستورد نخاف ، أيهما يعني المزيج الصحيح والاضافة البنائة وأيهما يمثل التلقيح الكاذب ، الذى يعني في حقيقته النفى التدريجي لحقيقة الانسان .

وبدون ذلك يلتبس المعنى الحقيقي للاصالة بنوع من آلية الارتداد والنكوص الى كل قديم والتى تبدو أعراضها واضحة على الامة خلال أزماتها المصيرية وآلية النكوص والارتداد الى كل قديم لا تمثل فيالحقيقة سوى الارتداد السلبي لحيرة الانسان وعجزه ازاء الواقع المتصادم .

ليس من سبيل اذن اذا كنا نريد أن نقبض على اصالتنا المضيعة او التى نظن انها مضيعة سوى أن نفتش فيتراثنا ، أن نبحث فيمخطوطاتنا المبعثرة في أرجاء العالم كله وأن تتبع عملية التفتيش المستمرة عملية فرز واعية لهذا التراث.

مخطوطاتنا القديمة مبعثرة في كل أرجاء العالم والخبراء يقدرون عدد المخطوطات العربية التى لم تتم دراساتها بعد باكثر من مليون مخطوط ، في استانبول ½ مليون مخطوط نزحها الولاة العثمانيون من عواصم العالم العربي والاسلامي أيام الخلافة . في شمال أفريقيا ٢٠٠ الف مخطوط ما زالت تحتفظ بها مكتبات القيروان وفاس القديمة . في مصر وقبل خمسة أعوام فقط كان للصدفة وحدها فضل الكشف عن كنز من ٤ الاف مخطوط ظلت لاكثر من ٦٠٠ عام حبيسة قبو مظلم في أطلال المدرسة المتبولية في دمياط ، ثم تبع ذلك الكشف عن ثروة مخطوطية قيمة كانت مهملة منذ مئات السنين في أحدى حجرات الجامع الاحمدى بطنطا والتقديرات تقول أن في مصر ٨٠ الف مخطوط لم تتم دراستها بعد ، في موريتانيا ١٠٠ الف مخطوط . في الجامع الكبير بصنعاء عثرت احدى البعثات المصرية التى زارت اليمن بعد سقوط الامام على أكداس من المخطوطات القيمة القديمة ، كانت تشكل الجزء الاكبر من مكتبة الجامع الكبير ، في تريم قرية صغيرة من قرى حضرموت ـ كانت يوما ما منارة اشعاع تضاهى الازهر ، وتقوم بنفس دوره في شرق اسيا ـ ترقد هناك ثروة مخطوطية هائلة ، ونسبة لا باس بها من هذه المخطوطات ما زالت في حوزة أسرة الكاف ، أحدى أسرات حضرموت العريقة .. في الاتحاد السوفيتي ٨٠ ألف مخطوط ورثتها روسيا القيصرية عندما مدت نفوذها اليالممالك الاسلامية وسطاسيا بمراكزهاالعلمية الذائعةالصيت.طشقند وسمرقند وبخارى . ومن اجل هذه المخطوطات استقدم الاتحاد السوفيتي عام ١٨١٠ الشيخ محمد عياد الطنطاوى أول أستاذ للغة العربية في جامعة بطرسبورج « لينتجراد » والذى عمل في دراسة هذه المخطوطات حتى وافاه الاجل عام ١٨٦١ تاركا هناك مخطوطا فريدا عن رحلته من طنطا الى الاتحاد السوفيتي . ولقد افادت دراسة هذه المخطوطات السوفييت وزادت منمعارفهم الجغرافية عن وسط اسيا والقوقاز ، وقد يكون من المفيد أن نعرف أن من أوائل المخطوطات التى ترجمت الى الروسية « القانون » في الطب لابن سينا والاثار الباقية للبيرونى وارشادات البحرية لاحمد ابن ماجد البحار العربي الذى رافق فاسكوداجاما في رحلته الاولى الى الهند .

تلك هى الكنوز التى بقيت من حضارة ظلت تتزعم العالم ٥ قرون متصلة في القوة والنظام وبساطة الملك والتشريع الانساني الرحيم ، حضارة سخية تلقت عنها اوروبا علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء والرياضة فضلا عن



في معهد المخطوطات الشرقية في لينتجراد، حيث يوجد ٨٠ الف مخطوط عربي ورثتها روسيا القيصرية بعد سيطرتها على وسط آسيا الاسلامية .

•• كان المتاجرون وادعياء الدين وخصوم المعرفة العلمية وانصار الجمود يطاردون العلم والمعرفة هناك ، وكانوا يشكون ـ مثلما يشكو اليوم البعض منا ـ كانوا يشكون من شبابهم الذى لم يعد يعرف علما ولا ادبا غير علوم العرب وادابهم والذين يقبلون بنهم على دراسة المعارف العربية •• ولقد أستطاع هؤلاء ان ينقلوا الى اوروبا ثمار الثقافة العربية وكنوزها، نقلوا « النجوم الزاهرة » لابن البيطار الذى يعتبر اشمل مخطوط طبى ، ونقلوا مخطوطات ابراهيم ابو مروان بن زهر ـ المعروف فى العالم الاوروبى باسم افن زور وتحليلاته الطبية فى الناسور ودرن الامعاء والشلل البلعومى ونقلوا موسوعة (التعريف) التى كتبها كبير جراحى العالم الاسلامى ابو المحاسن والتى ظلت حتى عهد قريب لا يصل الى مائة عام المرجع الاعلى فى الجراحة ونقلوا « رسالة الاسطرلاب » التى كتبها الزرقانى والتى يقول عنها ول ديورانت فى كتابه تاريخ الحضارة انها زادت معارف اوروبا فى الفلك الى الضعف وثبتت الاعتقاد بكروية الارض ونقلوا « معجم البلدان » لياقوت الحموى والذى شمل اكمل المعلومات الجغرافية فى ذلك الوقت والذى حوى مجموعة من الخرائط لم يكن هناك أتم ولا اوسع ولا اكثر تفصيلا منها حتى ذلك العصر • كما نقلوا مخطوطات حسن المراكش فى الرياضة والتى تضمنت جداول غاية فى الدقة فى حساب الزوايا ورسائل الطوسى فى حساب المثلثات ، ونقلوا ميزان الحكم لابى الفتح ـ عالم الطبيعة الذى استطاع فى هذا الوقت المبكر ان يصل الى قوانين الرفع وحساب الكثافة النوعية لكثير من المواد الصلبة والسائلة ، •• نقلوا كل هذه الكنوز من قرطبة الاسلامية وحدها التى بقيت حتى القرن الثانى عشر اعظم مركز علمى فى العالم •

سالت معدلى :

ربما تضىء الان دراسة بعض المخطوطات جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

فنون عديدة كفنون الطعام والشراب وصنع العقاقير والادوية • والنسيج والورق وتجليد الكتب ، وطرق الحديد وصهر الزجاج وتنسيق الحدائق •• ومن خلال تلك المعرفة الواسعة التى غطت كل مناحى الحياة دخلت اوروبا عصر النهضة الذى شكل الركيزة الاساسية لعصر الانقلاب الصناعى •

هذا الانتشار الجغرافى لتلك الثروة المخطوطية الهائلة يكشف بالفعل عن عمق التاثير الذى احدثته الثقافتان الاسلامية والعربية فى الفكر الانسانى المعاصر • ومثلما شهدت نهاية القرن التاسع عشر نمو حركة البعثات من مصر والبلاد العربية الى باريس ثم لندن طلبا للمعرفة وسعيا للتحديث شهد القرن الثانى عشر حركة نشيطة من البعثات التى كانت تضم ابناء ملوك وامراء اوروبا الى مراكز الثقافة العربية الزاهرة ايامها •• وفى مقدمتها قرطبة والشبيلية •

لعصور الازدهار السالفة وربما تكون اكثر من مفيدة في تحقيق وقائع التاريخ والمجتمع ، ولكني لست على يقين من ان المخطوطات الاخرى المتعلقة بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب يمكن ان تشكل في عصرنا الراهن اية فائدة حقيقية .. ان احدا لا ينكر الاثار الضخمة لهذا التراث العلمي على حضارة الغرب وتفكيره ، ولكن حضارة الغرب قد تجاوزت الآن ذلك التراث .. والعلم في النهاية نسق متكامل علينا ان ناخذه بالمستحدث منه لا ان نعود الى بدايات فات اوانها .. ما حاجتنا اذن الى ان نلوى الاعناق نحو معارف تقادمت في مخطوطات يعود احدثها الى ٥ قرون مضت ؟ !

رد قائلا : ان قضيتنا الاولى اننا لا نعرف بعد كنه هذه المخطوطات ومانشر وحقق من مجموع الثروة المخطوطية العربية لا يزيد حتى الآن عن ١٠٠ الف مخطوط من مليون مخطوط ، وهكذا فان الجزء الاكبر من تراثنا مازال سرا مغلقا يصعب ان نحكم عليه هذا الحكم المسبق ، اننا ايضا ومع التقدير لكل الجهود التي تبذل في هذا المجال لم نستطع حتى الآن ان نستكمل الفهرسة الكاملة لتلك المخطوطات المبعثرة في كل ارجاء العالم ، ومازال فهرست ابن النديم الوراق العربي الذي حصر اهم المخطوطات العربية على عصره في القرن الرابع الهجري هو اكمل فهارس المخطوطات القديمة حتى الآن ، وليس لدينا بعد فهرست ابن النديم سوى فهرست اخر متواضع « كشف الظنون » الذي كتبه في زمن متاخر نسبيا حاجي خليفة التركي الاصل ، ثم جاء بروكلمان المستشرق الالماني المعروف فانشا فهرسا ثالثا لعدد من المخطوطات التي تابعها .. ولكننا مازلنا حتى الآن نفتقد الفهرست الكامل .. ثم ان القضية ليست فقط في المعارف العلمية التي تحويها هذه المخطوطات وانما في الطريق الذي ادى الى هذه المعارف التي اتسمت بالرغم من اوانها المبكر بالعلمية والتجريبية قبل ان ياتي هيوم الفيلسوف الانجليزي بمذهبه التجريبي بـ ٤ قرون على الاقل . القضية في المناخ الذي ادى الى هذا الازدهار والقيم الثقافية التي سادت تلك المجتمعات ومكنتها من انجاز هذه الثروة الضخمة .

ان علينا ان نعرف بعد ذلك كله انه لم يزل لهذا التراث اهميته القصوى في التعرف على ذواتنا فالمخطوطات العربية مازالت تمثل جهدنا الاكبر وعمرنا الطويل على طريق المعرفة لسبب بسيط وهو ان المطبعة العربية دخلت عالمنا العربي متاخرة ٤ قرون كاملة عن اوروبا ، عندما جاءت الى مصر لاول مرة مع الحملة الفرنسية .. وحتى مطبعة الحملة الفرنسية ظلت مشغولة باوراق الحملة واوامر صارى عسكر ، واذا جاز لنا ان نؤرخ لاول مطبعة نقلت وسائل حفظ المعرفة العربية من المخطوط الى الكتاب بشكله العصرى الذي نعرفه فلعلها تكون مطبعة الطوبجية التي انشاها محمد على في طره .. هناك عصور باكملها ليس غير المخطوط وحده يستطيع ان يضيء جوانبها ومن هنا تتضاعف اهمية المخطوطات العربية .

واخيرا فان هذا الجهد الذي مازال البعض منا يتشكك في جدواه حتى الآن قد سبقتنا اليه مراكز علمية كثيرة ، بدات نشاطها مع حركة الاستشراق التي نشطت اول ما نشطت في المانيا كجزء عندما كان يتقاسم فيه النفوذ كل من بريطانيا وفرنسا ، وبالرغم من ذلك فلقد كان هناك مستشرقون عظام ادوا خدمات جليلة الى التراث العربي ، وكان هناك ايضا الكثيرون الذين لم يكونوا في الحقيقة سوى سماسرة يجوبون البلاد العربية من اجل نزح مخطوطاتها الثمينة والنادرة . ومع تزايد اهتمام اوروبا بالمشرق زادت عملية نزح وتهريب المخطوطات الى الخارج عن طريق تجارة سرية روجت لها عصابات دولية خطرة كان مجال نشاطها شمال افريقيا ومصر والعراق ، عصابات نافست في خطورتها عصابات القناصل الاجانب التي استباحت الاثار المصرية واعلنت فيها النهب والتخريب حتى تمكنت من نقل المنها بينما نواظر مصر غافلة نائمة .

يبقى بعد ذلك سؤال اخير : لماذا ظلت الثقافة العربية لـ ٥ قرون متصلة ، اكمل الثقافات واشملها ، قبل ان يلحق بها الدمار بسبب جحافل الغزاة ويصيبها الركود بسبب تامر المستعمر ..

ان الاجابة على هذا السؤال تكشف في الحقيقة عن درس بالغ الاهمية بالنسبة لقضية التراث والاصالة .

والواقع ان الثقافة العربية ظلت طوال ذلك الامد على ازدهارها لانها رفضت الجمود والانغلاق ، لقد كانت الثقافة العربية الوريث الحقيقى بل الوحيد لكنوز الثقافة اليونانية • وقد استطاع المثقفون العرب فى ظل حكام مستنيرين ان يزاوجوا مزاوجة خلاقة بين الثقافتين ، مزاوجة كان من ثمارها الاولى نشأة علم الكلام الذى كانت له اثاره الخطيرة على اعلاء مكانة العقل فى التفكير الاسلامى •

والواقع الى حد كبير ايضا ان المعرفة تنهض باستنارة الحكام وتذوى بطغيانهم وجمودهم ، •• وعندما كانت قرطبة الاسلامية جامعة العالم كله حتى القرن الثانى عشر كان واليها الحكم ابن عبد الرحمن يبعث الرسل لشراء المخطوطات من كل الاقطار حتى انه بعث بالف دينار من الذهب الى ابى الفرج الاصفهانى ليرسل اليه المخطوط الاول من كتاب الاغانى •• وكان الخليفة المأمون هو الذى يشرف بنفسه على مكتبة بغداد الشهيرة التى انفق عليها اكثر من مليون جنيه • ويحكى لنا أبو عبدالله ياقوت الجغرافى الاسلامى الاشهر انه عندما سافر الى مرو ـ فى خراسان قبل أن يدمر التتار مكتباتها الحافلة يحكى لنا ياقوت انه وجد فيها ١٠ مكتبات يرعاها الوالى ، وكانت احداها تحتوى على ١٢ الف مجلد ـ وفى تلك المكتبة قضى أبو عبد الله ياقوت ٣ سنوات يقرأ مخطوطاتها الجغرافية قبل أن يتم كتاب معجم البلدان ، وكان المنصور والمتوكل يرسلان الرسل الى القسطنطينية بحثا عن مخطوطات اليونان القديمة وبهذه الطريقة وصل كتاب اقليدس فى الهندسة الى أيدى العرب •

ومن هنا يمكن لنا ان نقول انه ليس يكفى لكى نقبض على أصالتنا ان نستدير الى القديم، ان الاصالة جوهر تحصله الامة وتبلغه خلال عملية تنوير شاملة لا تتوقف فقط عند مجرد البحث عن التراث بل تمتد الى مناقشة هذا التراث فى جو تتلاشى فيه هراوات غير المستنيرين، فى جو يدع الف زهرة تتفتح ، فى حوار مفتوح لا يغلقه الارهاب او الهوس الديموجاجى • ■■

مكرم محمد احمد

أغير كنيتى فى اليوم مرتين • !

● قدم الخليفة المهدى المدينة بعد أداء فريضة الحج لزيارة قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحدث أن خرج فى ليلة الى مسجد الرسول مستخفيا ليصلى، فبينما هو كذلك اذ جاء مدنى فقام الى جانبه يصلى ، فلما قضى صلاته قال للمدنى : « أجاء هنا خليفتكم » فقال المدنى : «نعم ، فعل الله به وفعل وأراحنا منه »، وجعل يدعو على المهدى وانصرف، ثم خرج المهدى الى فسطاطه فلقى الربيع، فقال : « يا ربيع جلس الى جانبى البارحة مدنى فما ترك دعاء الا ودعا به على » فقال : « أتعرفه ؟ » قال : « نعم ،اذا رأيته ! » ثم ركب المهدى للرحيل واجتمع أهل المدينة يودعونه ، فوقعت عينه على الرجل ، فقال للربيع : « ألا ترى الرجل الذى صفته كذا وكذا ! »قال : «نعم» • قال : « هو ذاك صاحبى الذى رويت لك قصته » ، فأمر به الربيع فأخذ ، ومثل أمام المهدى ، فقال له المهدى : « يا هذا هل أسأت اليك قط ؟»قال : «لا» ، قال : « فهل لك مظلمة تطالبنى بها » • قال : «لا» قال : « فمادعاؤك على ، حين صليت الى جانبى ؟» فقال المدنى : « فديتك ، والله ، وعتق ما أملك ، وامرأتى طالق ، ان لم أكن أغير كنيتى فى اليوم مرتين وثلاثا »فضحك المهدى وأحسن صلته •



نظـــرة
على الميـــناء
والبـحر

الإنســـان والـــراديو

بقلم : عباس أحمد

هذه المقالة تحاول أن تشرح بلغةعلمية ولكن غير تقنية بعض الرموز التي نراها على لوحة وميناء تشغيل جهاز الاستقبال الاذاعي مثل الـ FM وال AM الخ ٠٠ والتي نادرا ما نفكر فيها او نحاول فهمها على الرغم من الفة استعمالنا لها ٠

كذلك تحكي لنا قصة اعظم اكتشاف ظهر في العصر الحديث، وهو الراديو، وكيف يمكن لهذه النعمة الباهرة ، أن تنقلب الى طاقة مدمرة ٠

وتطمح هذه المقالة أخيرا ـ الى ازالة تراب الاعتياد والالفة عن عالم الراديو لنرى بعض جوانبه العلمية ، اغرب من الخيال واقرب الـى الشعر ولعلنـا أن نتدبـر أمـره ، ونتجه بـه الاتجـاه الصحيح ٠

صندوق الراديو السحرى للموسيقى

في سنـة ١٩٥١ ـ وكنت قد التحقت بالعمـل باذاعة القاهرة منذ سنة ونصف ـ كلفت باذاعة « اوبريت » من مسـرح احدى المطربات الشهيرات في ذلـك الوقت ٠ وبين الفصل الأول والثاني ـ بعد أن نقلت الارسال الى الاستديو لتقديم نشرة الاخبار ـ ذهبت الى المطربة ـ لمعرفة مزيد من المعلومـات عن « الاوبريت » ٠٠٠ وفوجئت بهـا غاضبة لانى نوهت في تقديمى لحفلها الغنائي بصغر مسرحهـا ، مع أنى اوردت ذلك في سيـاق المديح لا التجريح ٠

وتذكرت لعجبى أن ذلك التنويه لم يات الا في





ماركوني

عن تقديمي للحفل ، حينما كانت واقفة بين الكواليس تهم بالدخول الى خشبة المسرح .

فكيف استمعت الى كلامي لاخر حرف ؟

وكان بين يديها علبة صغيرة أنيقة ـ ظننتها في أول الامر حقيبة يدها ، لكنها لم تلبث أن أدارت فيها زرا لامعا ... فانسابت الينا نشرة الاخبار . وكانت هذه أول مرة أرى فيها « الترانزستور » . لقد أصبح هذا الصندوق الصغير الذى نسميه «الراديو» شيئا مالوفا، نحمله في جيوبنا، ونذهب به الى الفراش ، وفي ليالي الشتاء الباردة ندسه معنا تحت اللحاف . لقد ذهب عنه « السحر » الذى وصف به حين سمى أول مرة . كان اسمه الكامل « صندوق الراديو السحرى للموسيقى » . اطلقه عليه في مطالع هذا القرن احد الصناع المهرة العاملين باللاسلكي . ولم تكن الاذاعة بمعناها المعروف ـ قد وجدت لان المستمعين ، كانوا افرادا، مهما كثروا لا يكونون جمهورا ، وكان أغلبهم من عمال اللاسلكي انفسهم ، الذين يقومون بصناعة اجهزة الاستقبال الخاصة بهم ، وباصدقائهم من هواة المستمعين . وكانت الرخصة التى صدرت بانشاء أول اذاعة في العالم سنة ١٩١٦ باسم محطة ال KDKA في بتسبورج بالولايات المتحدة الامريكية . وان كان الباحثون يشكون في ان هذه المحطة ـ كانت اذاعة بمعناها المتواضع عليه الان .

ولقد سقطت عن هذا الاسم ايضا كلمة «صندوق» لانه بالفعل كان صندوقا في حجم سحارة الكتب ، وكان الاستماع اليه بالسماعات لان مكبرات الصوت لم تكن قد اخترعت بعد .

يقول «أسبينول» في كتابه التعليمي الشيق « انتاج برامج الراديو » .

(أما الاستديوهات فهي حجرات المكاتب غطيت جدرانها بالستائر الكثيفة لمنع الاصوات الخارجية ، ولم يكن هناك شيء من لوحات المزج، ولا ميكروفونات مغناطيسية ، ولا لاقطات الصوت الكهربائية « Pick-ups » ، وليس هناك بالتاكيد تسجيل للشرائط ، وكان لا بد ان نرج الميكروفونات قبل استعمالها كما نرج زجاجة الدواء ...) .

لاحظوا ان كل هذه الاشياء ، أصبح أولادنا يتناولونها ويستعملونها الان بمهارات معقولة وشائعة في حياتنا اليومية . نحن نلعب بال FM (تت) وال AM (تس) ونلعب بالموجة القصيرة والمتوسطة ، ونسجل على شرائط مغناطيسية ونضبط العيون الالكترونية للحصول على خواص صوتية احسن . كل هذه العمليات أصبحت في عاداتنا واليات حركتنا ، دون أن يخطر على بالنا ، أن نسال ، ما هذا الذى نقوم به ؟ .

لم يعد الراديو اذن ساحرا ، ولا صندوقا ، وكذلك ، لم تعد الموسيقى هى اهم المواد التى يذيعها ، اذ سرعان ما برهن على انه مجال الاتصال الجماهيري الاول (بين الصحافة والتليفزيون ووسائل الاتصال الاخرى) في نقل الاخبار .. اولا باول، او حتى وقت حدوثها . وهذا لا يسلب الراديو انه الاول أيضا في اذاعة الموسيقى وفي القاء الشعر، المهم ان الموسيقى ـ لم تعد وحدها خير مواده المذاعة، وسقطت بالتالي من اسمه الرباعي حيث لم يبق منه الا كلمة « راديو » .

والراديو من الناحية الدارجة ـ يطلق فعلا على جهاز الاستقبال الاذاعي ويطلق ايضا على مبنى

الاذاعة ككل • ولكنه يعني من الناحية التقنية البحتة، نظاما للاتصال لا يحتاج الى وسط مادي• ويستخدم أمواجا كهرومغنطيسية ذوات ترددات تتراوح بين ١٠ كيلو سيكل و ٣٠ مليون كيلو سيكل في الثانية •

ان هذا الانسان ـ الذي تراه دائما يمشي وسط الزحام ـ ويحمل الراديو قرب اذنه ••• مفتوحا على الموسيقى أو مباريات الكرة •• انما يحمل جهاز اتصال بالعالم يدخل بواسطته في نظام محكم لحركة الموجات الراديوية • انه يمارس شيئا لم يمارسه انسان قط قبل القرن العشرين • ان سمعه يمد فعلا عبر العالم ، وصوته أيضا •• بل ان سمعه يمد عبر الكون • وصوته كذلك • ولكن كيف حدث هذا ؟ ! •

محاولة لرؤية عالم غير مرئي

كان القرن التاسع عشر قرن اختراعات عظيم ـ فالقاطرة البخارية والتلغراف والتليفون والتصوير الآلي والصور المتحركة والسيارة والطائرة والراديو ـ وأمبوبة الصورة ـ (الخاصة بالتليفزيون) •• كل ذلك كانت له بوادره وارهاصاته في ذلك القرن • ولقد أصبحت أسماء العلماء ماركوني وفولتا ووات وأمبير وموريس وهيرتز الخ الخ •• من كلمات اللغة المعتادة في أي ورشة صغيرة من ورش الراديو •

ولأواخر ذلك القرن ـ ظلت أسرع وسيلة وأبعدها للاتصال هي التلغراف والتليفون السلكيان• الاسلاك مغطاة بالعوازل لصيانتها تمتد في باطن الارض وعبر الانهار والبحار والمحيطات ••• آلاف الاطنان من الاسلاك ••• تمتد فوق اعمدتها الخشبية لتكون شبكة كثيفة فوق امريكا واوروبا•• ومراكز المستعمرات ••• الثورة الصناعية في اوروبا وحركتها الاستعمارية تفتح لها الاسواق البعيدة في الهند ومصر• الاتصال البعيد السريع المؤثر، ضرورة من ضرورات العصر •وكان العالم الامريكي صامويل مورس سنة ١٨٣٥ ـ قد استطاع ان يصل الى استخدام النبضات الكهربائية لاقامة نظام الاشارات التلغرافية المعروفة (النقطة والشرطة)، يرسلها عبر الاسلاك ، بما تفرضه على الاتصال من حدود وتكلفة باهظة ، وفي أواخر القرن ، كان العلماء عاكفين على تحقيق حلم غريب ، هو نقل الاشارة الصوتية عبر الهواء • كتب السير وليم كروكس ـ معلقا في سنة ١٨٩٢ خلال صحيفته نصف الشهرية اللندنية ـ على تجارب فاراداي وهيرتز يقول :

(ها هنا ••• يتكشف امامنا عالم جديد مدهش•• هذه الامكانة الغريبة المحيرة للتلغراف بلا سلك ، وبلا أعمدة ، وبلا « كابلات » ، وبلا كل التكاليف الباهظة التي نتحملها الآن •• ان هذا لم يعد مجرد حلم لفيلسوف جانح الخيال) •

واستطاع ماركوني فعلا أن يبرهن عمليا ـ في سنة ١٨٩٦ ـ على أن هذه الامكانة حقيقة ••• وكان ذلك امام هيئة من العلماء ورجال الاسطول• ولا بد ان كان من بين الاعضاء من يتحفظ او يحقد على ماركوني هذا العالم الشاب الذي ما يزال في ميعة الشباب (٢٢ سنة) ولكنه واصل جهده الخارق وتمكن في سنة ١٨٩٨ ـ من أن يرسل الاشارة الصوتية عبر الهواء مسافة ٨٦ ميلا ،وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ ، أرسل اشارة بحرف S (س) عبر فضاء الاطلنطي •

ان الراديو ـ بحق ـ هو ثمرة اكتشاف السماء• ان عالمنا ••• ليس فقط عالم الارض ••• لأن الكون من حولنا ـ مليء أيضا بالخدمات والطاقة•• التي يمكن تسخيرها لخدمة الانسان• ولعلنا نذكر ان من خواص الموجة الراديوية ، انها ليست في حاجة الى وسيط تنتقل خلاله ، وان ترددها هائل يصل الى ٣٠ كيلو سيكل في الثانية ، ان هذه الموجات كامنة حولنا ، منذ الازل ، ومن بينها موجة ، اسمها « الموجة الحاملة » هي المختصة بحمل الاشارة الصوتية او الموجة الكهربائية الصادرة من الميكروفون والتي تحتوي على كل الكلام او الموسيقى او الاصوات •

وبسرعة الضوء (نحو ١٨٦ الف ميل في الثانية) تجري الموجة الحاملة بما تحمل وتذهب في كل الاتجاهات ، لتصل الينا في في أجهزة الاستقبال حيث تفض الرسالة ـ وتتحول مرة اخرى ••• الى ما كانت عليه امام الميكروفون •

واذا فتحنا القواميس العلمية ـ لنعرف بالضبط ماذا تعني الموجة الحاملة ، وجدنا أنها موجة كهرومغنطيسية غير مضمنة ، تستخدمها محطات

الارسال للراديو والتليفزيون على تردد خاص بها. لاحظوا كلمة « غير مضمنة » كان هذه الموجة قد اعدت خصيصا منذ الازل ، لكي تتضمن شيئا . وهذا هو الواقع فعلا . انهـا هي التي تتضمن الاشارة الصوتية أو البصرية ، وتجعل الراديو والتليفزيون ممكنين ـ ان عملية التحميل أو التضمين هذه ـ التي يقوم بها المهندسون في محطات الارسال ،تعتبر من أعجب واغرب العمليات الالكترونية التي لولاها لما قامت الاذاعة . انها تسمى « التعديل » Modulation والتي نجـدها مختصرة في حرف M (ت) على لوحات اجهزة الاستقبال . ان عملية التعديل تعني تحميل موجة خصيصة موجة أخرى . لان الموجة العاملة تتعدل أو تغير شكلها على حسب الموجة الصوتية الكهربائية .

ويقول الباحثون لتقريب الموضوع الى تصورنا ان الموجة العاملة « تتزوج » أو تنحت نفسها فوق « الموجة الاخرى » او كان الموجة العاملة مظروف ينطوي حول خطابه « ويحرزه » .

كذلك فان الموجة العاملة ـ كأي موجة اخرى لها تردد Frecquency عرفنا مقداره من قبل،وتراه مختصرا على لوحة الراديو بحرف « F » (ت) ، ولها ايضا سعة Amplitude وتختصر كذلك في حرف A (س) . وهي تعني قوة الموجة أو عزمها . ان في الموجة ذبذبات وفيها ايضا قوة خاصة بها . وكلنا نعرف بالتجربة أن الاستماع للموسيقى على الـ FM، (تت) حيث تحدث عملية التعديل اصلا على الخصائص الترددية للموجة .. خير من الاستماع اليها على الـ AM (تس) حيث تحدث عملية التعديل اصـلا على خصائص قوة الموجة أو سعتها . والتعديل في التردد بالنسبة للموسيقى خصوصا الاوركسترالية منها ـ يعني اننا نحاول بقدر الامكان ان لا تفلت منا رنة قوس أو صدى طبلة في اخر الاوركسترا.. وذلك بملاءمة ترددات الموجة لتشمل كل الترددات مهما دقت ورقت ـ الصادرة من الاوركسترا .

ان موسيقانا اذن ـ وكلماتنا واصوات حياتنا داخل البيوت وخارجها ، لا تلبث بعد صدورها ، ان تدخل في عالم اخر . انها لا تذهب هباء ولا تتبدد ، بل تهز الهواء من حولنا في ذبذبات محسوبة تماما على اساس ما في اصواتنا من علو وانخفاض وخصائص مميزة كثيرة ـ وهي هنا تسري بسرعة معقولة (١١٠٠ قدم في الثانية). نستطيع ان ندركها عمليا ... حينما نقف بصدد جبل ، او قرب بئر ، وننادي على شيء .. فيرتد الينا الصوت في وقت محسـوس . والصـوت الطبيعـي ـ مهمـا ارتفـع حتى صـار رعـدا أو انفجارا هائلا ـ فانه محدود القوة في الانتشار ـ فاكبر الانفجارات أو الرعود تظل اصواتا محلية قاصرة على الاماكن القريبة التي حدثت فيها .

ولكن هذه الذبذبات التي تحدثها الاصوات في الهواء اذا صادفت ميكروفونا ، فان الحال يتغير تماما . انها تهز فيه غشاء معدنيا رقيقا محاطا بمجال كهرومغنيطي، فتتحول بنفس خصائصها الى موجات كهربائية .ان هذا الغشاء يشبه طبلة الاذن التي نستقبل بها الذبذبات الهوائية التي تحدثها الاصوات فنسمعها . ولكن الميكروفون هنا لايسمع. انه يقوم فقط بتحويل الذبذبات الهوائية المساوية للصوت الى موجات كهربائية حافظة للصوت ايضا . وتمضي هذه الموجات الصوتية الكهربائية ـ في المعتاد ـ خلال اسلاك ، تحت ظروف خاصة من العناية والتقوية الى محطات الارسال ، حيث تحتويها الموجات العاملة ، وتنطلق بها في كل اتجاه بسرعة الضوء ، عبر آلاف الاميال ، وعبر العوائق مهما كانت في الارض او في الجو ،لتصل بها الى أجهزة الاستقبال الصغيرة بين أيدينا .

ان صوتك وانت في الكويت ـ اصبح اقرب الى اذني .. مما لو كنت معي في بيتي بالقاهرة .. ولكن في الحجرة الاخرى ...ولقد ذكر لي بعض تلامذتي ـ الذين يقطنون قرب الجامعة ـ انهم يسمعون دائما دقات ساعة الجامعة في الراديو ، قبل أن يتهادى اليهم صوتها الطبيعي من خلال النافذة .

ان يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ سيظل يوما مشهودا في تاريخ الاكتشافات العلمية الحديثة ـ فلقد مهد لانطلاق الصوت من عقاله ومن محليته ، فاصبح من الممكن تحريكه بسرعة الضوء .واصبح من الممكن ايضا تحريكه خلال الفراغ....بعد أن

كاد الصوت لا يسرى بالضرورة الا خلال وسط مادي (الهواء او الماء او الجوامد) •

واننا في الحقيقة لنجنى ثمرة هذه المعجزة العلمية الفذة • في كل مرة نمد فيها يدنا ونفتح الراديو لنستمع الى صوت بعيد • ولكن هذا الاكتشاف العلمي العظيم ـ مهما كان ـ لا تكمل قيمته الا بما يحمله ذلك الصوت البعيد من قيم• ان الراديو يدخل كمصدر اساسي في حياة الانسان الحديث ـ للاخبار والترفيه ، ثم التفسير وتكوين الرأي والاتجاه • انه يأتي بعد الصحافة المحدودة الانتشار بطبيعتها ـ وبالمقارنة بهـ ليتخطى عوائق الزمان والمكان وايضا عوائق أمية القراءة والكتابة • ومن هنا يأتي خطره •

راديو الاتصال وراديو الانفصال

لقد استغلت الاشارة اللاسلكية في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) • استغلالا واسعا • وخرج رجل الشارع في اوروبا عقب الحرب معظم الوجدان كسير القلب ، وكانت التجارب الاذاعية تمضي قدما في الولايات المتحدة الامريكية حتى بلغت شكل اذاعة ما سنة ١٩١٦ كما ذكرنا • ولم تلبث ان تعالت الصيحات في أوروبا مطالبة بمزيد من الديمقراطية للمشاركة في الحكم ، وبمزيد من معرفة الاخبار التي كانت الصحف ما تزال هي وسيلتها الاولى ، والتي لايطلع عليها بطبيعة الحال الا الفئات القليلة التي تعرف القراءة والكتابة.كان الناس يريدون أن يعرفوا ماذا تفعل حكوماتهم وماذا تدبر ، حتى لا يجدوا انفسهم مساقين مرة أخرى الى اقتتال ومعارك لا يعرفون أهدافها وكنهها ، وكان كثير منهم قد انتزع من أرضه أو من ورشته الى ميدان القتال في بلاد لا يعرف عنها حتى مجرد جغرافيتها• واين هي من وطنه الاصلي •

واننا لاننسى قصة الكاتب العظيم «ستيفان زفيج» عن الاسير الروسي الذي التقط من البحر قرب الشواطيء الفرنسية ،وهو بين الحياة والموت • وظل بعد ان تمالك قواه يحاول الهرب ، ويجري في الشوارع في اتجاه الشرق، ظنا منه أنه سرعان ما سيجد «روسيا» وطنه ، عبر البحيرة التي يمكنه اجتيازها سباحة • وكان آلاف من عمال اللاسلكي الذين خاضوا الحرب قد سرحوا ، وبدأوا يطالبون بالعمل في مجالات تخصصاتهم •• واصبح انشاء الاذاعات حاجة ملحة اقتصاديا وسياسيا في نفس الوقت • وبالفعل في سنة ١٩٢٠ كانت الاذاعة قد بدأت في كثير من دول العالم الصناعية •

انهذه النشأة «للراديو» واضحة المعالم والسمات انه طاقة ضخمة لتدعيم الاتصال بين البشر • لقد وجد الراديو اصلا ـ من الناحية الاجتماعية ـ تحقيقا لمطلب الديمقراطية والحرية والسلام والمنفعة ••• وكان رجل الشارع يطالب به ليس فقط ليستمع ، وانما ايضا ليسمعه الاخرون ، وبذلك يشارك في تقرير مصيره •

ولكن يبدو أن النشأة الصالحة ليست عاصما مطلقا من الانحراف •• أو يجب علينا بالاحرى أن نقول أن طاقة الراديو • بين أيدينا ـ ان وجهناها للخير اتجهت ، وان وجهناها للشر اتجهت ايضا • ذلك انه حينما قامت الحرب العالمية الثانية كان الراديو ضالعا فيها بكل ما اوتي من قوة الشباب واليفاعة• وقد تمثل هذا الاستغلال السلبي لطاقة الراديو في اذاعة هتلر ـ التي اصبحت نموذجا للراديو الاسود ••• راديو الانفصال والتسلط والسيطرة •

لقد حدث ذلك ـ ويحدث الان في كثير من اذاعات العالم ـ نتيجة لان تنظيم حركة الموجة العاملة في الاتصال يقتضي وجود مركز لهذا التنظيم ـ هو محطة الاذاعة•والمفروض ان محطة الاذاعة بمهندسيها ومذيعيها ومخرجيها ورجال ادارتها الخ ••• هم الذين يهيئون أحسن الظروف للاتصال••اي لاتصال الناس ـ والافكار بالتالي ـ بعضهم ببعض ، ومن هنا فقط تصبح الموجة العاملة ـ موجة عاملة مع طبيعتها من حيث انها تذهب وتجيء ، وتنتشر في كل الاتجاهات الجغرافية على السواء الشرق والغرب والشمال والجنوب •

ولكن يحدث في بعض الاحيان ان رجال محطة الاذاعة لا يقومون بذلك الدور ، وانما يقومون

فقط بتوظيف الموجة العاملة لحسابهم الخاص او لحساب من يسيطرون عليهم.

ان الراديو الهتلرى قام بذلك . اصبحت الموجة العاملة فيه تسرى فى اتجاه واحد .. من فلسفة هتلر ونظامه الى الشباب الالمانى . اصبح الترفيه (الموسيقى والاغانى والتمثيليات الخ ...) والاخبار والتفسير او الاتجاه ، كلها تتدفق من مصدر واحد لتكون رويدا رويدا ، وجدانا خاصا متجانسا ذا عقيدة واحدة ، التكامل فيها ينبع من توحدها وتفردها ، لا من تصارعها وجدليتها مع العقائد الاخرى .

انطاقةالراديو اذنيمكنانتكونللسيطر فوالتسلط يقول هادامونسكى احد مساعدى هتلر الاذاعيين [اننا محصورون فى نطاق طاقة تتميز بقوة خارقة .. لا تقف دونها حدود المدن ولا تصدها الابواب المغلقة . انها قوة تقفز عبر الانهار والجبال والبحار ، وهى قادرة على اخضاع الشعوب تحت سيطرة روح قوية واحدة) .

ولا مفر من مواجهة الواقع . ان الاذاعات فى كل انحاء العالم بنظمها الثلاث الاساسية التجارى والحكومى وشبه الحكومى (اى التى تديرها هيئات لها استقلال ذاتى ، وتعتمد فى انفاقها على تمويل المستمعين لها) انما تمثل النظام السياسى والاجتماعى لدولها .

ولكن صمام الامان ، يأتى فى الحقيقة من مقدار ماتتيحه كل اذاعة من التغذية الارتدادية Feed back لما تقدمه من برامجها .فليس من مهمة الاذاعة ان ترسل برنامجها فحسب ، ولكن يجب ايضا ان تعرف رد فعله لدى المستمع ، وتطور عملها دائما على هذا الاساس . ان هذه الاحالة المتبادلة المستمرة.. بينالمرسل (الاذاعة) والملتقى (المستمع) هى التى تضمن المحافظة على محطة الاذاعة ... فى علاقة متنامية وفعالة مع مجتمعها ... ان المتلقى يصبح هنا . ـ هو ايضا المرسل . ويصبح الراديو مجال اتصال حقيقى بين الناس .

لقد اصبحت وسائل الاتصال الجماهيرية (الراديو والتليفزيون والسينما والصحافة) هى مصادرنا للترفيه والاخبار والتفسير او تكوين قوة الاتجاه . ان خطورتها من غير شك انها تسهم اسهاما اساسيا فىتكوين وجدان الانسان المعاصر - وكنا فى العصور القديمة والوسطى والحديثة الى اوائل القرن العشرين ـ نستقى هذه العناصر المكونة لوجداننا ـ بشكل مباشر . نتلقى الحكايات من اجدادنا وأمهاتنا ، ونتلقى الاغانى والتمثيل من فرق الممثلين الجوالين ، ونتلقى الاخبار من السوق ، يأتى الينا بها جندى عائد من ميدان القتال او تاجر قادم من بلاد بعيدة .

وها هنا صلة حية متدفقة.مليئة بكل التفاصيل الانسانية من القوة والضعف والحنان والسخرية والتلقائية والصدق والخيال والاصالة . ان ردود افعالنا وتغذيتنا الارتدادية المباشرلمصادر الترفيه والاخبار والتفسير ، وهم معنا وجها لوجه ـ هى التى تكون الشكل الانسانى للاتصال .

يقول دالاس سميث فىبحثه القيم ملاحظات على نظرية الاتصالات ضمنكتاب علم اجتماع الاتصالات (انه كلما قل امكان التغذية الارتدادية ، كلما قل بنقس النسبة عنصر الانسانية فى الاتصالات).

وعلينا اذن لكى نعوض ـ عنصر الانسانية فى المواجهة المباشرة ـ الذى فقدناه بتوسط وسائل الاتصال بيننا وبين مصادر تكوين وجداننا ـ أن نعنى عناية خاصة بفتح كل السبل امام التغذية الارتدادية . ان دراسة المستمعين دراسة علمية، وابتكار قوالب البرامج الملائمة لهم ولظروفهم المعيشية ، وجذبهم هم انفسهم لمخاطبة بعضهم البعض .. والاكثار من البرامج التى يشارك الجمهور فى بنائها .. ودراسة رسائلهم دراسة جادة ، وتوعيتهم المستمرة بقيمة هذا الصندوق الصغير (الراديو) وخطره .. ان هذا كله .. هو بعض ما تصبح به الاذاعة اذاعة انسانية ، يتعادل فيها الارسال والاستقبال بنفس القيمة .

■■

عباس أحمد

الاسلام والحضارة

■ الاسلام دين انساني عام ، أو دين عالمي كما نقول في اصطلاح العصر الحديث ، يخاطب الأمم جميعا فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون أو اللغة ، فكل انسان في جوانب الارض أهل لان يأوى الى هذه الاخوة الانسانية حيث شاء وحين يشاء .

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

« وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » .

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة سنة ، وهكذا أعلنها النبي عليه السلام وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم الابرار في صدر الاسلام ، ولم يمض ربع قرن من التاريخ الهجرى حتى قامت بينات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الانسانية الاسلامية ، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الاقوام والسلالات ، ولم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عداد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون ، عرب وفرس وترك وهنديون وصينيون وأفريقيون من السود والاثيوبيين .

هذه هي البينة العلمية الواقعية على « عمومية » الدين ، وهي بينة ينفرد بها الاسلام بين الأديان الكتابية وغير الكتابية ، وينبغي أن ننظر اليها من وجهتها الصحيحة لنعرف حقا انها مزية قد انفرد بها الاسلام .

ان دينا من الاديان الاخرى لم يكسب أمة ذات كتاب عريقة في الحضارة ، وانما كانت الاديان مقصورة على العصبية القومية أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الاصنام وما يشبه الاصنام من رموز القوى الطبيعية .

فالموسوية قصرت دعوتها على العبريين أو اليهود ، ولما قام المكابيون ليكرهوا قبائل البادية على قبول الشعائر اليهودية كانت هذه القبائل وثنية مغرقة في الجهالة ، وكان المكابيون يؤمنون بالاله «يهواه» ملكا تجب له الطاعة على رعاياه ، وكانوا من أجل هذا يسمون أمراءهم رؤساء كهان ولا يسمحون لهم بلقب الملك وشاراته ومراسمه ، فاكراه القبائل على قبول سلطان« يهوا » انما كان عندهم بمثابة الخضوع السياسي الذى يلزم الاجانب والغرباء كما يلزم أبناء الأمة وأهل السلالة .

والبرهمية ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية ، فنجحت في تحويل الوثنيين اليها في الصين واليابان ، ولم تحول اليها قط أمة ذات كتاب .

والمسيحية حولت اليها الرومان وغيرهم من الغربيين أو الشرقيين ، ولكنهم كانوا جميعا من الوثنيين الذين وقفوا عند خطوات الدين الاولى ، ولم يجاوزوها الى عقائد أهل الكتاب .



الانسانية

للاستاذ عباس محمود العقاد

اما الاسلام فقد حول اليه على خلاف ذلك أعرق الامم في الحضارة وفي الايمان بالعقيدة الكتابية . فاسلمت فارس وأسلمت مصر ، وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ في تاريخ الحضارة ، وأولاهما كانت تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخير على الشر وخلود الروح ، وثانيتهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواءها في العالم القديم .

هذه المزية ينفرد بها الاسلام بين جميع الديانات ، وهي آية العالمية والصلاح لدعوة الامم جميعاً ، سواء منها الامم المعرقة في الحضارة والدين أو الامم التي لم تبلغ بعد مبلغ الارتقاء في التحضر والاعتقاد .

ان هذه الحقيقة خليقة أن تذكر على الخصوص في عصرنا الحديث ، لاننا سمعنا فيه أناسا من المبشرين يعترفون بغلبة الدعوة الاسلامية في أواسط القارة الافريقية ويسلمون انها نجحت حيث لم ينجحوا ، وشاعت بغير تبشير حيث يخفقون بعد التبشير سنوات ، ولكنهم يعتذرون لانفسهم بعذر يقبلونه ولا يقبله الواقع : وهو موافقة الاسلام للقبائل المتأخرة بطبيعته وانه قريب المأخذ عند « البدائيين » من سلالات القارة السوداء ! وليس أصلح لتفنيد هذا العذر من تلك الحقائق التي اثبتها التاريخ او من تلك المزية التي انفرد بها الاسلام بين الاديان ، فدخلت في دعوته أعرق الامم حضارة بعد خلاصها من الوثنية الاولى عدة قرون ، ولم يحصل ذلك قط في تاريخ دين .

وتزداد هذه الحقائق ثبوتا ووضوحا كلما رجعنا الى تاريخ الدعوة الاسلامية بين البلاد الآسيوية ، فانها لم تعتمد على القتال ولم تعتمد على التبشير بقدر اعتمادها على القدوة الحسنة والامثلة العملية . فلا تذكر الوقائع الحربية الى جانب العدد الذي دان بالاسلام من أهل الهند والصين والملايا ، وعدتهم نحو مائتي مليون . وكل ما يرويه التاريخ عن القتال بين المسلمين وغيرهم في تلك الارجاء فانما حدث بعد أن أصبح المسلمون معدودين بالملايين وانما هو في جميع الاحوال قتال سياسة وليس بقتال اكراه على الدين .

ان الوقائع العلمية هي الشهادة للاسلام بالصفة الانسانية العالمية ، ولا حاجة بالدين الى شهادة أخرى متى ثبت له من تاريخه الاول انه يضم اليه شعوبا من جميع السلالات والعقائد ، ومن جميع الاطوار في الحضارة والمعيشة البدائية ، وان كتابه يخاطب الناس كافة ، ويوجه الرسالة الى كل سامع .

هذه العلامة الانسانية باقية في صميم الاسلام يواجه بها الحضارة العصرية كما واجه بها حضارات العصور الاولى ، وهي التي صبغت تلك الحضارات بالصبغة الاسلامية ، وهي التي جعلت تاريخ العالم من القرن السادس للميلاد الى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر الاسلامي والآداب

الاسلامية ، ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك لأن الاسلام فقد « خاصته » التى لازمته عدة قرون ، ولكنهما انفصلا لان المسلمين تخلفوا عن الركب ، وأصبحوا « غير مسلمين » الا باللقب والعنوان .

يقول المؤرخ « توينبى » ان المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : احداهما يسميها النزعة الهيرودية وينسبها الى هيرود ملك اليهود الذى قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان فى السكن والملبس والمعيشة ، والأخرى نزعة الغلاة وينسبها الى نساك اسرائيل الذين كانوا يصرون على القديم وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ولو أراد الاستاذ « توينبى » أن يتوسع فى الامثلة لعمم القــول على الطبيعة الانسانية في مواجهة كل حديث ومقابلة كل تغيير .

فالهوادة والتشدد طبيعتان فى النفس البشرية تبرزان فى كـل عصر وتتقابلان أو تتناقضان أمام كل دعوة ، وقد ظهرت هـاتان الطبيعتان فى طوائف المسلمين منذ الصدر الاول للاسلام ، فكـان منهم أبـو ذر الغفارى المتقشف المتنسك كما كان منهم الصحابة الذين اقبلوا على معيشة الحضـر واليسار ، وقال المسعودى عن بعضهم « ان الثمن الواحد من متروك الزبير بلغ بعد وفاته خمسين الف دينار ، وانه خلف الف فرس وألف أمة ، وان غلة طلحة من العراق بلغت الف دينار كل يوم،وان عبدالرحمن بن عوف كان على مربطه الف فرس وله الف بعير وعشرة آلاف من الغنم،وان منهم من بنى دورا بالحجاز والشام والاسكندرية » الى آخر ما روى من أخبار تغلب فيها المبالغة على التقدير الصحيح .

ونحن فى العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الاوروبية بالنزعتين معا أو نتوسط بينهما تارة مع المحافظة وتارة مــع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحـافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعا كانت على اختلافها الذى نشهده اليوم فى تاريخ كل دعـوة ومواجهة كل تغيير ، فهى طبيعة الناس لا تتبدل ولا تختلف مع الازمنة بغير الصور والاشكال ، وحسبنا أن نرى فى الاسلام متسعا لها مع الحضارة العصرية كما اتسع لها مع الحضارات الأولى ، فانما يغنى المسلمين من الاسلام ان يظل كما كان عقيدة انسانية عامة ، وان يكون الانسان مسلما حقا حين يتشـدد ومسلما حقا حين يترخص ، فلا يقطعه الاسلام عن زمنه ولا عن مزية من مزايا حضارته ومعارفه وصناعاته ، ولا يكون المسلم الحق غريبا مع حضارة الغرب الحديث وهو لم يكن غريبا مع حضارة الفراعنة والفرس والروم .

لقد كان الاسلام عقيدة « انسانية » ودعوة عالمية يوم تقطعت الاسباب بين الأمم وتمزقت الانساب بين بنى آدم وحواء ، فاليوم ، والدعوة الانسانية على كل لسان ، خليق بالاسلام أن يجعلها فى كل قلب وأن ينفذ بها الى كل ضمير .

■■

عباس محمود العقاد

ذكريات مع الشاعر :

علي محمود طه

"المهندس"



بقلم : أكرم زعيتر

قلت للشاعر جميل الزهاوى : هل يخلف علي محمود طه شاعرنا احمدشوقى؟ فقال : وما يدريك لعله يفوقه على الرغم من تحامل طه حسين عليه .

■ فى خريف سنة ١٩٣٣ ، ذات يوم ، لقيت الاديب الفلسطينى الكبير الاستاذ خليل السكاكينى فى شارع (باب الخليل) فى القدس واعلمته اننى اهم بالسفر الى دمشق وبغداد لرثاء فيصل ابن الحسين فى اربعينه باسم استقلاليى فلسطين فقال : « هلم الى مقهى (الصعاليك) » وذلك ما كان يطلقه على مقهاه الاثير ، وسالنى ونحن فى الطريق الى المقهى : « هل قرات مجلة الرسالة؟ هل قرات رثاء الشاعر علي محمود طه فيصلا ؟

« ولم نكد نجلس ويبادر صاحب المقهى الى احضار (نارجيلة) الاستاذ حتى اخذ السكاكينى يتلو من الرسالة :

تألــق كـــالبرقة الخـــاطفة
وجلجـل كالرعـــدة القـــاصفة

مبيــن مــن الحـــق فى صــوته
صدى البطش والـرحمة الهاتفة

يطيـر على صهـوات السحـــا
ب ويمشى على اللجـة الراجفـة

وبنشوة الماخوذ بالنظم الرائع يتلوه صوتحنون جذاب سمعته يشدو بوقع النعى :

ومصطبحيــن هــوت كــأسهم
حطامـا على الشفـة الـراشفة

افاقوا على حلم رائع
كأن بهم فزع الآزفة

يردون بالشك سوت اليقيـ
ـن وتصدقه الاعين المدارفة

وأتم صاحبنا تلاوة القصيدة ، وقد حمدت له ان لفت نظري الى هذا الشاعر الموهوب ، ورحت اتتبع ما ينظم ، وارتله معجبا .

وحدث في صيف ١٩٣٥ ان اقيم فيبغداد حفل تابيني لشاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي، وكنت في الحضور ، حريصا على الاستماع الى الشاعر جميل صدقي الزهاوي الذي كنت القاه في بغداد في مقهاه الاثير (امين) وقد جاء يتوكا على عصاه ، في جسم متهافت ، يصارع العلل ويناجز الأدواء ، وقد رافقه فتيان حرصا ، حين شرع يلقي قصيدته على ان يمسكا بذراعيه امساك الشفيق الذي يحاذر ان تجمع العاطفة بالشاعر المترجرج ، فيحاول أن ينهض وهو لا يقوى على الوقوف، فيصيب جسمه الذيترافدت عليه الاسقام اذى شديد .. وبصوته المتهدج القى الزهاوى قصيدته وقد انتهاها صارخا :

يابلبل الشعراء ما لك صامتا
من بعد تغريد لك مشجن

قد سرت قبلي للردى مستعجلا
ولعلني بك لاحق ولعلني !

وردد : ولعلني بك لاحق ولعلني .. وهنا احسست ان شاعرنا ينعى نفسه ، فحرصت فيالبوم التالي على زيارته مودعا ، وكنت مزمعا على مغادرة بغداد الى فلسطين .. ولا اتحدث الان عن تلك الزيارة الوداعية الاخيرة المفاضة ، ولكنني اذكر فيها قوله : « .. واغلب الظن ان عليمحمود طه المهندس سيخلف شوقي .. انه يعجبني .. » فقلت في دهشة : « ايخلف شوقي ؟ » قال : « وما يدريك لعله يفوقه على الرغم من تحامل طه حسين عليه .. » .

اللقاء الاول

واشتهيت بعد ذلك ان القى على محمود طه لاخبره برأى الزهاوى فيه، ولكن تطاوحت بيالنوى بعد الثورة الفلسطينية الكبرى .. الى ان كان لقاؤنا الاول خريف سنة ١٩٤٦ في القاهرة .. وافضنا في الحديث .. وقلت له : « أعلمت ان الشاعر جميل صدقي الزهاوى يرى انك ستخلف شوقي؟ ذلك ما سمعته باذنيمنه ». فاستنار وجهه وتطلقبشرا واستزادني القول فيتفصيل ما احملت ..ورايتني وقد ارتفع التكلف بيننا اساله : هل تدعى اسرتت « المهندس » ؟ قال : « كلا .. انني مهندس حرفة » ..فقلت : « ان ذلك لا يسوغ ان يكونتوقيعك عليمحمود طه المهندس..حسبالشاعر الكبير اسمه ! » فقال مبتسما : « اليس في الشعر هندسة ؟ كان بول فاليرى يقول : انني اهندس الشعر حين انظمه ». فقلت : «انني يا صديقياري في (المقطم) احيانا قصائد لشاعر يوقع مع اسمه « الكيمياني » ! فاعرض عن قراءة شعره .. » قال: « ولكن الشاعر بشعره لا بلقبه ! » فاجبت : « هل تجد مسوغا لشوقي انيوقع :« احمد شوقي المحامي» ولحافظ ابراهيم « مدير دار الكتب » ولخليل مطران « مستشار الفرقة القومية » ؟ » وهنا اوما الى بيده « كفى .. كفى يا صديقي لن ترى « المهندس » في توقيعي بعد اليوم .. ثم ماذا ؟ هات ماعندك » ! » قلت : « انأحمد شوقي الذى (انزل المتنبي عنعرشه) ، كما يقول استاذنا فارس الخوري ، لم يكن شاعرا مصريا فحسب ، بل شاعر العرب والاسلام ،نظم في سوريةثلاث قصائد خالدات ورثى زعيمها فوزي الغزي ، مجد بطل طرابلس برقة الشهيد عمر المختار .. رثى ابا الثورة العربية الحسين بن علي ، رثى زعيم مسلميالهند مولانا محمد علي حين دفن في جوار الاقصى ، وناهيك بما نظم عن قضايا الاسلام روعة وابداعا.. انه لم يتبوأ مكانته لمحض ابداعه ولكن لانه كما قال هو :

كان شعري الغناء في فرح الشر
ق وكان العزاء في أحزانه »

وهنا رايته ينبسط الي ويقول : « شوقي .. شوقي .. من كشوقي في شعراء العربية ، انه الذي قلت فيه :

ألهم الشعر أصفريه فرقا
في فم الدهر كوثرا ومدامة

سلسبيل من حكمة وبيان
تجر الله منهما الهامه

على انني ياصاحبي رثيت فيصلا الاول وغنيت بشعري كفاح المجاهدين في فلسطين والمغرب ودوت صيحتي في ذكرى تصريح بلفور المشؤوم في العام المنصرم ، وحييت مفتي فلسطين الاكبر حين ظهوره في مصر ..وهل قرأت قصيدتي في استقبال الملك عبدالعزيز آل سعود في القاهرة مطلع هذه السنة ؟ وقد قلت فيها عن الجامعة العربية :

وليس لها من قوة غير ألسن
واقلام كتاب وسحر بيان

وماذا يفيد الرأي لا سيف عنده
وماذا يصيب القول يوم طعان ؟

على البأس فابنوا ركنها وتدبروا
بمستقبل من حولها متفاني

قلت : « طابت انفاسك .. ومع ذلك مزيدا من هذه الروائع .. » وتواعدنا اللقاء في مقهى الاميركيين اصيل اليوم التالي .. وهناك استنشدته المطرب المرتج من شعره ، واهدى الي « الملاح التائه » و « ارواح واشباح » و « اغنية الرياح الاربع » وقد زهيت بما كتبه عبارات التقدمة... وتوثقت بيننا آصرة اخاء ..

في ذكرى ميسلون

وعدت الى دمشق ، ولم تكد تمضي ايام حتى تلقيت منه رسالة يومىء فيها الى تأثير اجتماعاتنا في نفسه .. وارفقها بقصيدة عن بطل ميسلون يوسف العظمة قدمها تحية الشعر الى دمشق المستقلة ، وقد اختتمها بقوله :

يا يوسف العظمات غرسك لم يضع
وجناه اخلد من نتاج قرائح

قم لحظة وانظر دمشق وقل لها
غاد الكمي مع النفير الصادح

ودعاك يا بنت العروبة فانهضي
واستقبلي الفجر الجديد وصافحي

ونشرت القصيدة في الصحف الشامية وكتبت اليه عن تأثيرها في مشاعر الناس ..

وكان همي حين اعتمرت القاهرة في مطلع سنة ١٩٤٧ ان التقي الصديق الشاعر، فعدته، في مسكنه بشارع سليمان باشا وكان يشكو « النمباجو » .. وانشدت ثانية بقصيدته في ميسلون .. ثم قلت : « .. وقريبا تحتفل سورية بالذكرى الاولى لعيد الجلاء فما الرأي في قصيدة للمهرجان ؟ قال : « قد لا اقوى على الشخوص الى دمشق فهل تفضل علي بالقائها انت ؟ » فقلت : « حبا وكرامة » قال : « اذن تأخذها معك حين تعود الى دمشق » .. ثم قال : « غدا يقام في الاوبرا حفل تأبين للامير شكيب ارسلان وسأتحامل على نفسي فألقي فيه قصيدتي .. » .. ورافقته الى الحفل وتلا قصيده ووصف الامير شكيب :

شيخ يدب على عصاه وقلبه
متوثب الآمال والآلام

يطوي الثمانين الوضاء مليئة
بمواكب للذكريات ضخام

وجلائل للمأثرات مواثل
وجحافل للحادثات جسام

وعاد من الحفل الى سريره ، وحين ازمعت العودة الى دمشق هتفت به اسأله عن صحته ،وعن قصيدته في الجلاء فاجاب انها في الاعداد فاذا ابل من مرضه القاها بنفسه في المهرجان في السابع عشر من نيسان ، والا ارسلها الي لاتلوها باسمه. وشاع في دمشق اعتزام الشاعر تحية سورية بقصيدة يتلوها بنفسه ولكن حدث قبل الموعد المنشود ، وفي ايام شم النسيم ، ان فجعت مصر بوفاة الزعيم الوفدي صبري باشا ابو علم، وكان موضع تجلة شاعرنا الوفدي فابرق الي يعتذر عن تخلفه عن الحضور ثم شفع برقيته بقصيدة حملها الي رسول وفيها يقول مخاطبا دمشق :

هنأت باسمك تحت الشمس احرارا
يندي هواك على هاماتهم غارا

دمشق يا بلد الاحرار أي فتى
لم يمتشق فيك سيفا أو يخض نارا

لولا مصاب دهى الوادى فشب به
نارا وهاج النسيم العذب اعصارا

وروع الامة الغلباء في رجل
شدته قوسا وسلت منه بتارا

لولاه كان اليك البرق راحلتي
اطوى به الجو آفاقا واقطارا

وفى مطلع ايار تلقيت من الشاعر رسالة تحية وشوق يقول فيها : « ... اشكر الله على نعمائه بعد ابلالى من المرض الذى احتجزنى فى مسكنى زهاء الثلاثة اشهر وها انذا اخرج الى الحياة بهذه القصيدة التى اردت بل احببت ان تشاركنى فى قراءتها انت والمعجبون ببطلنا العظيم فوزى القاوقجى .. وارجو ان يكون قد وفق شاعرها الى تصوير هذه الشخصية الكريمة ..» وعنوان القصيدة « عودة المحارب » حيا بها الشاعر القائد الثائر العائد الى وطنه ومما قال فيها :

وبايع في شبيبته المنايا
فعادت منه وادرأت حمامه

ووثب الخيل افراس الامانى
الى خطر تعشقه ورامه

يصف البيض والسمر العوالى
ويرقب فى فم الدهر ابتسامه

واعتصرت بيت القاوقجى احمل اليه القصيدة فحدثت عن نشوته ولا حرج .. وكنت مزمعا الشخوص الى القاهرة فى طريقى الى امريكا اللاتينية للدعوة الى قضية فلسطين واستنهاض همم المغتربين لظاهرتها فحملت للشاعر جواب الثائر .. وفيه يقول : « .. ففى كل بيت روح معركة او صدى حق ناقم او صورة نضال باسل ، وهذا الشعر العبقرى اجدر به ان يدخر ليوم الفصل .. يوم المعركة الكبرى لانقاذ فلسطين كلها .. يومئذ يقول شاعرنا الكبير ما يشاء .. » وساعة وصولى الى القاهرة هرعت الى الشاعر وسلمته الجواب .. فنشر فى البلاغ الاسبوعى وفى الرسالة ..

وظللنا نتساقى كئوس المودة المحض ونتبادل الرسائل .. حتى قضى نحبه فى نهاية صيف ١٩٤٩ ففقد الادب الشاعر ، وفقدت الصديق الاثير . رحمه الله .

بيروت ـ اكرم زعيتر

قلن .. فى « الحب والزواج » !

- ليس هناك ثروة فى الدنيا تعادل « ثروة الحب » .

« مارى كوريللى »

- « الزواج » ، اجمل تذكار للحب !

- الحب « مطلب » و « رغبة » ، والزواج « غزو واخضاع » ، والطلاق « تحقيق واستجواب » !!

« هيلين رولاند »

- بعد أن رأيت وجوه صديقاتى العابسة فى الزواج ، قررت أن استبدل الموسيقى والضحك بالرجل الذى كان من المحتمل أن يصبح زوجا لى !

« الزا ماكسويل »

فى عصر سقوط الكلمة !

لنعترف : لقد انتهى العصر الذهبى للكلمة . لم تعد الكلمة كافية لاستيعاب تطورات العصر ومتغيراته . فقد تجاوزها الواقع وفرغها من مضمونها .لم تعد ايضا وسيلة للتعبير عن الحقيقة ، ولكنها صارت فى أغلب الاحوال قناعا يدارى الحقيقة ويزيفها . لم تعد سهما ينطلق فيفجر موقفا أو يحسمه ،بل تحولت الى سلاح طيعومستانس . لقد كسرت شوكتها وقلمت اظافرها ، واصبح توظيفها سهلا مثل حيوانات السيرك !

تعالوا نستعرض حياتنا ومعتقداتنا،ونختار منها اى موقف،دينى أو سياسى أو اقتصادى او اجتماعى ، ونسأل : كم من المعانى يخطر ببالنا اذا عبرنا عن هذا الموقف بكلمة . وهل تستطيع الكلمة الان أن تقوم بدور الموصل الجيد بين مايرتبط بها فى اعماقنا ، وبين ماهو حادث فعلا ؟

ان كلمة مسلم كانت تعنى شيئا واحدا منذ ١٤ قرنا . كانت تعنى ذلك الانسان الذى يؤمن بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ويفهم القرآن كما انزل وكما قدمه النبى للبشرية ، بسلوكه وشروحه ومواقفه .

الآن اختلف معنى الكلمة . لم تعد تعنى كلمة مسلم نفس الموقف الواحد المباشروالقاطع، بعد أن تعددت المذاهب والملل ، ورفعت راية الاسلام فوق معتقدات واجتهادات لا اول لها ولا آخر . خصوصا فى تلك المناطق الاسيويةالتيوصل اليها الاسلام متأخرا ، فاختلط بمعتقدات محلية كثيرة ، من بوذية الى هندوكية ومزدكية ، وحتى مسيحية . وما تردده طوائف القاديانية والاسماعيلية والبهائية والبهرة . ذلك كلهيؤكد أن هناك الكثير مما هو منسوب للاسلام الان ، غريب عن ذلك الاسلام الذى عرفته البشرية منذ ١٤ قرنا .

ولا نريد ان نقلب كل صفحات الماضى ، والحاضر ، لندلل على تعدد واختلاف الفرق والجماعات التى تحمل اسم الاسلام ،بالحق او بالباطل ، الامر الذى لم يعد كافيا معه ان نستخدم كلمة مسلم وحدها ، بل ينبغى ان نسأل ايضا : مسلم كيف ؟

ثم تعالوا نقف امام بعض الكلمات المتداولة فى حياتنا ، والتى تفجر الكثير من المعارك السياسيـة والفكريـة بغير مبرر ٠ مثـلا : الديمقراطية ، اليمين ، اليسار ، الاشتراكية ، الراسمالية ٠٠ ماذا تعنى هذه الكلمات الان ؟ لقد صار كل منها بمثابة ثوب فضفاض يتسع للعديد من الاراء والاتجاهات والمواقف ، الحقيقية والمزيفة ، المتقاربة والمتضاربة ٠

هل هناك حكم الان على وجه الارض لايقـول انه يمارس الديمقراطية ؟ نحن نعرف ديمقراطية اثينا ، ونتذكر الديمقراطيات المباشرة فى المقاطعات السويسرية القديمة.ولا تزال كلمة الشورى ترتبط فى اذهاننا بالعديد من الصور الباهرة والمضيئة فى المراحل الاولى من التاريخ الاسلامى ٠٠ نعرف هذا كله عن الماضى وندرك أن الكلمة وقتئذ كانت تشير الى واقع محدد وواضح الملامح ٠ ولكننا نتوه الان ونصاب بالعجز التام عن الفهم امام ديمقراطيات هذا العصر ٠٠ ألم يكن هتلر يتمسح فى الديمقراطية ويرأس حزبا يحمل اسم « الوطنى الاشتراكى » ؟

اليمين واليسار ٠ يتراوح اليمين بين حكم العصابات وحكم المحافظين ، والمسافة شاسعة بين الحكمين ٠ أما اليسار فرايته مرفوعة فوق الف اتجاه والف مذهب ، حتى لم يعد هناك مفكر واحد قادر على أن يشير باصبعه الى فريق محدد ويقول هذا هو اليسار ٠ واذا تابعنا الاتهامات التى يتبادلها الشيوعيون فيما بينهم ، الصينيون والسوفيت مثلا ، ثم اذا تأملنا ما يقوله الذين ينتمون الى اليسار الجديد ، الذين يحكمون « بتكفير » كل صور اليسار التى نعرفها ، من يمين اليسار الى يسار الوسط الى يسار اليسار ، ويتهمونهم بخيانة الانسان والعصر ٠٠ اذا قرانا ما يقوله هؤلاء جميعا ، فاننا سنصاب بالدوار والدهشة فى آن واحد ٠

وهى نفس الدهشة التى نشعر بها ونحن نقرأ أن الحزب الشيوعى الايطالى اقر تجميد الاجور منذ اسابيع ، ووقف بذلك ضد مطالب البروليتاريا فى ايطاليا ، بعد أن اصبح شريكا فى السلطة الامر الذى فجر موجة هائلة من السخط فى اوساط النقابات العمالية والشباب ، وخرجت صحفهم تسأل : اذا كان هذا هو موقف احدى فرق اليسار ، فهل يختلف فى شيء عن موقف احزاب اليمين ؟

نفس الشيء يقال عن الاشتراكية والراسمالية ٠ لقد صارت كل من الكلمتين تعنى خطوطا عامة وعريضة ٠ لكن أيا منها لم تعد تعنى موقفا مباشرا ، قاطعا وواضحا ٠ لم تعد الاشتراكية تعنى على طول الخط ـ مثلا ـ الملكية العامة للدولة ، ولم تعد الراسمالية تعنى على طول الخط الحرية الكاملة لراس المال ٠ اصبح هناك قدر من انسحاب الدولة فى المجتمعات الاشتراكية ، والتركيز على ملكية وسائل الانتاج فقط ٠ وعلى الجانب الآخر اصبحت هناك اتجاهات متزايدة الى تدخل الدولة فى حركة راس المال٠

وصارت هناك اشتراكية فابية ، واشتراكية علمية (ماركسية) ، واشتراكية اسلامية واشتراكية تنبع من « الواقع الخاص » لدول العالم الثالث ٠ ولم تعد الماركسية تعنى عند البعض قوانين حتمية لحركة المجتمع ، ولكنها اصبحت منهجا فى التفكير والتحليل ٠٠ وهكذا٠

لقد حدث تطور فكري وحضاري هائل طرح احتياجات واجتهادات وتساؤلات بلا حصر ، لم يعد يكفي معها ان تعبر الكلمة عن موقف • ولم نستطع نحن ان نتابع حركة التطور ،فظلت الكلمات ترتبط في اذهاننا بحقائق وقوانين طرات عليها متغيرات كثيرة ، بينما نحن مستغرقون في تأمل عالمنا وقيمنا القديمة •• ربما •

ايضا تغيرت خريطة الصراع • فلم يعد الصراع العالمي الان يدور بين مذاهب ومبادىء واديان كما كان حتى منتصف القرن العشرين ، لكنه يدور حول المصالح القومية اولا واخيرا• الامر الذى ينبغي الا نستغرب معه صدام الصين مع الاتحاد السوفيتي ، وهما ينتميان عقائديا الى معسكر واحد • وتعاون الصين مع عدوها التقليدى امريكا •وتعاون بعض الدول الاسلامية مع اسرائيل •• الى آخر تلك الشواهد •

ثم ان هناك التطور الهائل فـي وسائل الاتصال والاعلام ، وتقدم فنون التأثير علـى عقول الناس • حتى اصبح في مقدور اجهزة الاعلام ان تقنع الناس بان الابيض اسود والعكس، وان الملاك شيطان والعكس •ورأينا وسمعنا كيف تمارس اجهزة الاعلام عملية تزوير الحقائق وتطويعها لخدمة مخططات موضوعة • سياسية او غير سياسية • وكيف تمضي محاولات انتهاك الكلمة وتوظيفها لخدمة الاقوى او الاغنى •

●

في البدء كانت الكلمة،هذا صحيح • كانت حقائق الحياة محدودة ، وكان فكر الانسان محدودا ، وكانت البشرية في طفولتها الاولى • وعندنا ـ العرب ـ كانت الكلمة تلعب دورا اخطر ،حتى لم يجد ابو العلاء المعري غير الشعراء وصناع الكلمة ليصور بهم اهل الجنة واهل الجحيم ، وملأ ابن شهيد وادي الجن في (التوابع والزوابع) بالشعراء والكتاب •

لزمن طويل عشنا حضارة الكلمة ، ولا مفر امامنا ، بعد كل التطور الذى اصاب حياة الانسان وفكره،وبعد الانتهاكات المستمرة لحرمة الكلمة،ليس امامنا الا ان نتجاوز عن الكلمة لنرصد الموقف ونتابعه •

لا بد ان ننتقل من حضارة الكلمة الى حضارة الاداء ، كما يقول استاذنا الدكتور زكي نجيب محمود •

دعك مما يقال ويسجل على اللافتات وفي المذكرات والعرائض والمواثيق ، فذلك لـن يقودك الى الحقيقة باي حال • لقد صار « الموقف » هو مفتاح تلك الحقيقة •

دعني اتعرف على موقفك ، وبعد ذلك ـفقطـ استطيع ان اقول لك من انت ، وما هي هويتك • وليكن معيار المفاضلة هو المواقف ذاتها ، وليس حلو الكلام وبليغ العبارة •

هل تجنينا على الكلمة وظلمناها ؟

ربما ، ذلك ان جانبا من المشكلة لا يكمن في الكلمة ذاتها ، ولكنه في الذيـن يستخدمونها ، في الذين يؤجرونها مفروشة لكل من يملك مالا أو سلطة •

العيب فينا ، لا بد ايضا ان نعترف •

فهمي هويـدى

رد على مقال (محاولات "صد الغزو الحضارى")



بقلم : جلال احمد امين

■ فى حديث الشهر للأستاذ احمد بهاء الدين الذى نشر فى عدد فبراير ١٩٧٧ من مجلة العربي، حمل الكاتب بشدة على القائلين بضرورة تصدى العرب للغزو الحضارى الغربي ومحاولة وقفه ، وقال ان المطلوب ليس هو « صد » هذا الغزو وانما « مواجهته والتعامل معه » .

وفيما يلى بعض الاسباب التى اعتقد أنها تبرر محاولة « صد » هجوم الاستاذ أحمد بهاء الدين على موقف اعتقد فى سلامته .

١ ـ يقول الكاتب أن « الغزو الحضارى ـ وفى صورة مخففة ، التاثير الحضارى ، أمر عرفته الانسانية خلال عصورها المختلفة » . مريدا بذلك أن يشير الى ان تفاعل الحضارات وتاثر بعضها ببعض أمر طبيعي وحتمي ، واذا كان هذا قد حدث دائما فى الماضى فلا جدوى من محاولة منعه فى الحاضر .

ومن المناسب هنا أن نميز بين الغزو والخضوع من حضارة لاخرى وبين مجرد التاثر ، وان ننسب ما يحدث الان للحضارة والثقافة العربية الى النوع الاول . فالمشاهد والذى لا يمكن انكاره ان العرب يتنازلون يوما بعد يوم وتحت تاثير « انفتاحهم » الذى لا ضابط له على المجتمعات والحضارة الغربية ، عن كثير من عاداتهم وقيمهم ومميزاتهم الخاصة تحت الضغط المادى والقهر النفسى وحدهما دون ان يكون لهذا مبرر يرجع الى ان القيم والعادات الحديثة أكثر مناسبة لظروف حياتهم أو الى الاقتناع الحر بان هذه العادات تمثل مرحلة « اعلى » من مراحل التطور . فلننظر مثلا الى ما يحدث للموسيقى

نعم
لابد من صد..
الغزو الحضارى

العربية المعاصرة تحت تاثير التقليد الاعمى للموسيقى الغربية ومحاولة « تطعيم » موسيقانا بالجمل الموسيقية الغربية المقتبسة تحت شعار المعاصرة والتقدم. او فلننظر الى ما تعانى منه اللغة العربية من اهمال وعبث بقواعدها نتيجة لفقدان ثقتنا بانفسنا ، الى حد ان اصبح من دواعى الفخر لبعض شبابنا اعلان ضعف معرفتهم بقواعدها .

وقل مثل ذلك على تضحيتنا باسلوبنا الخاص فى المعمار والماكل والملبس دون أى مبرر لذلك من ظروف بلادنا الجوية او الاقتصادية .

هناك اذن فارق جوهرى بين التاثر المقترن باحترام النفس وبين الخضوع الناتج عن مجرد الافتتان بالقوة المادية او محاولة المغلوب تقليد الغالب أيا كانت درجة التفوق الحقيقية للغالب او المغلوب .

٢ ـ يشير الكاتب بحق الى ان عصر ازدهار الحضارة العربية كان فى نفس الوقت « اعظم عصور الترجمة فى الفلسفة والعلوم والاداب عن الحضارات الاخرى » مريدا بذلك الاشارة الى أن ازدهار حضارة من الحضارات لا يعنى بالضرورة انغلاقها بل قد يقترن بانفتاحها على غيرها من الحضارات . وهنا ايضا علينا ان نميز بين ترجمة وترجمة وبين انفتاح واخر . فكثير مما بذل من جهد لترجمة الاعمال الفلسفية اليونانية كان الباعث الاساسى اليه هو تدعيم العقيدة الاسلامية وليس اضعافها وذلك بالرد على حجج وآراء تتعارض مع الاسلام او تختلف معه . وكانت الترجمة تقترن او لا تلبث أن يضاف اليها من الشرح والرد ما ينتهى باغناء العقيدة والفكر الاسلامى لا افقاره. وكل هذه مرده ان المترجم كان ينظر الى الحضارة التى يترجم عنها نظرة الواثق من تفوقه عليها . فاين هذا من موقف المترجم العربى المعاصر الذى لا يميز بين الغث والسمين ، والذى تشله عقدة النقص عن اية محاولة للرد على الخصوم ، او

الذى يلجا فى احسن الاحوال الى اتخاذ موقف المعتذر محاولا بيان ان لديه مثل ما لدى الغرب، وان فى الاسلام «اشتراكية» ودعوة الى «الحرية» تماما كما فى الفكر الغربى . وان العرب ليسوا اقل « تقدمية » عن غيرهم ... الخ . دون ان يخطر ببال الناقل عن الغرب ، سواء كان مترجما او مؤلفا ، ان من الممكن ان يكون لدى العرب من مقومات الابداع ما يسمح لهم بتقديم مساهمة جديدة تماما لا يمكن تصنيفها تحت اى مذهب من هذه المذاهب . فاذا لم يكن هذا الذى نعن فيه خضوعا لغزو ثقافى حضارى يتعين صده ، فماذا يكون ؟

قد يوافق الاستاذ احمد بهاء الدين على كل هذا ويقول مع ذلك ان العيب ليس فى الاتصال بحضارة الغرب او فى الانفتاح الكامل عليها وانما هو فى الموقف النفسى للعربى المعاصر ، الذى يجعله يقلد حيث يجب الابداع وينهار حيث يجب ان يصمد . ولكن السؤال هو : كيف يمكن ان نحمى العربى المعاصر من مزيد من الانهيار النفسى والانقياد لحضارة طاغية الا بنوع من انواع الانغلاق ؟ كيف يمكن ان نامل ان يتخلص العربى من « عقدة الخواجة » فى الوقت الذى تنهال عليه وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون فى كل ساعة من ساعات النهار ملقنة اياه مفاتن السلع الغربية وان السبيل الوحيد للحياة الهانئة هى فى تقليد النمط الغربى للحياة ؟ كيف يمكن ذلك ومفهوم التنمية والتقدم الذى يطرح علينا صباحا ومساء لا يخرج عن ان يكون تكرارا للمفهوم الغربى للتقدم؟

ان الدعوة الى الانفتاح قد تكون مفهومة ومرغوبا فيه فى ظروف مجتمع لم يفقد ثقته بنفسه ولم يفقد قدرته على الابداع ونجح بالفعل فى ارساء اسس تقدمه الاقتصادى المستقل . فى مثل هذه الظروف يكون مزيد من الاحتكاك بحضارات قوية شاحذا لمزيد من التقدم. اما اذا كان المجتمع يمر بفترة شبيهة بتلك التى يمر بها المجتمع العربى اليوم ، من اختلال الصحة وفقدان الثقة فلا علاج الا باغلاق الكثير من النوافذ والابواب .

٣ ـ فاذا لم يكن هذا « الغزو الحضارى » مرغوبا به فهل صحيح ان صده مستحيل ؟

يؤكد الاستاذ احمد بهاء الدين ذلك بقوله ان الحضارة الحديثة تهجم علينا « بطائرات لا بد ان نركبها وبضائع لا بد ان نشتريها ، وافلام لا بد ان نراها ... فالهجوم الحضارى المعاصر هجوم ساحق ماحق تهب رياحه من كل اتجاه ، وتتسرب ذرات ترابه من خلال اكثر النوافذ والابواب اغلاقا واحكاما » .

اما ان هجوم الحضارة الغربية علينا هو هجوم ضار لا هوادة فيه ، فهو امر لا شك فيه وان كان مؤسفا للغاية، لكن هذا لا يعنى على الاطلاق انه لم تعد لدينا حيلة لصده . فقد يفهم المرء توجيه مثل هذا القول الى بلاد ذات حضارات ضعيفة او موغلة فى القدم فلا تملك ما يمكن ان تنافس به الفكر الغربى ، اما لانها لم تنتج فى يوم من الايام حضارة زاهرة كالحضارة العربية، او لان ما انتجته من حضارة قد بعد به العهد الى الحد الذى لا تجد فيه الامة اجابة على ما تثيره اهم معضلات العصر الحديث من اسئلة . ولكن الامة العربية ليست بهذه ولا تلك. فانهيار الامة العربية امام حضارة الغرب لا يرجع الى اكثر من مائتى عام ، ولا زالت القيم والعادات العربية متاصلة بقوة فيما لا يقل عن ثلاثة ارباع السكان ممن لم يعرفوا بعد سكنى المدن . ولا زال العرب على استعداد لاستعادة ثقتهم بانفسهم لدى عودة بعض الامل اليهم فى تغيير ظروفهم الى الافضل . ولعل هذا هو تفسير التخوف والشك المستمرين لدى السياسى او رجل الاعمال الغربى اذا ما جاء دور التعامل مع العرب وتفسير وصف الغربيين لنا باننا « لا يمكن التنبؤ بما يمكن ان نصنعه فى الغد » .

واذا كانت شعوب افريقيا تحاول هى نفسها صد الغزو الحضارى الغربى وحماية ثقافتها الخاصة، مع انجازاتها الحضارية المحدودة نسبيا ومع تفرق قبائلها ، ومع ان مثقفيها لا يزالون يكلمون بعضهم البعض (بل ويفكرون) بالانجليزية او الفرنسية،

فما أجدرنا نحن العرب بذلك بحضارتنا الخصبة وحيوية لغتنا ومع ما نتمتع به من درجة عالية من الانسجام بين أفرادنا واقاليمنا .

٤ ـ ويلوم الاستاذ احمد بهاء الدين الداعين الى « صد الغزو الحضاري » بانهم يكتفون في حديثهم بالعموميات دون ان يقولوا لنا « كيف ؟ » وأود ان اشير الى ان الذين ينبهون الى خطر الغزو الحضاري والاستسلام له يربحون نصف الجولة على الاقل اذا استطاعوا ان يشيعوا في الناس من جديد الشك بان هذه الحضارة القادمة ليست بالضرورة اكثر تفوقا من حضارتهم ، وان القيم الغربية ليست بالضرورة اكثر دلالة على التقدم والرقي من قيمهم . واذا كان الانهزام امام الحضارة الغربية هو في المقام الاول هزيمة نفسية فان اولى خطوات النجاح في صد الغزو الحضاري لا بد ان تتجه الى محاولة استعادة ثقة الناس بانفسهم . والمنطق هنا قد يكون اضعف الاسلحة . فكما اننا لم نفقد ثقتنا بانفسنا لاسباب منطقية فاننا كذلك لن نستعيدها بالاسباب المنطقية وحدها .

ان اهم سلاح تستخدمه اليوم الشركات المسماة بمتعددة الجنسيات في غزو اسواقنا ليس هو السلاح الاقتصادي او السياسي (وان كانت تستخدم هذين السلاحين ايضا) بل هو سلاح نفسي وثقافي . انها تنجح في اخضاع مستهلكينا لا لانها تستطيع الانتاج بنفقة اقل او لانها تقدم انتاجا اجود ولكن لانها دائبة الالحاح على ان منتجاتها هي دليل الرجل والمرأة والطفل الى الحياة العصرية . انها تدرك تمام الادراك انها اذا ارادت ان تبيع فعليها ان تهزمنا نفسيا أولا . ومن ثم فان السلاح المضاد الذي يجب استخدامه ضدها ، اذا اردنا حماية استقلالنا الاقتصادي والسياسي ، يجب ان يكون في الاساس سلاحا ثقافيا ايضا .

بل اني سوف اذهب الى حد القول بان مشكلة اسرائيل بالنسبة للبلاد العربية ليست في نهاية الامر أقل ولا أكثر من مشكلة حضارية وثقافية . فلا الاقتصاديون ولا السياسيون ولا العسكريون بقادرين وحدهم على تقديم الحجة الفاصلة ضد وجود اسرائيل كجزء مقتطع من الوطن العربي .

وليس الخطر الاساسي هو خطر غزو المنتجات او رؤوس الاموال الاسرائيلية لاقتصادياتنا ، بل ولا هو احتلال جزء من الارض العربية قسرا دون حق بل ان الخطر الاساسي حضاري بالدرجة الاولى ، اذ يمثل الاستسلام لاسرائيل استسلاما في مواجهة ثقافة وحضارة غازية ليست الا امتدادا لثقافة وحضارة الغرب . ان احتلال آبار البترول في سيناء مثلا قد يكون من الممكن تعويضه باكتشاف حقول بترول جديدة في مناطق اخرى ، ولكن الذي لا يمكن تعويضه هو ما يمكن ان تفقده البلاد العربية من سيطرتها على مصيرها واستقلال ارادتها وحرية الاختيار بين ما يلائمها ولا يلائمها .

٥ ـ اما عن السؤال كيف يمكن التصدي للغزو الحضاري ؟ فاعتقد اننا لن نستطيع الاجابة عليه الا اذا ميزنا ابتداء بين الجوانب الانسانية العامة في الحضارة الغربية ، اي التي تمثل تقدما انسانيا لا شك فيه ، والجوانب التي لا تزيد عن ان تكون مجرد تعبير لثقافة خاصة ، هي الثقافة الاوروبية ثم الامريكية ، عن نفسها . واغلب ظني ان كثيرا مما نعتقد انه من مظاهر التقدم الانساني في الحضارة الغربية ليس اكثر من « تطبيقات » خاصة افرزتها ثقافة بعينها هي ثقافة المجتمع الاوروبي (او الامريكي) وليس لها صفة العمومية او الصلاحية الشاملة في كل زمان ومكان . فعلى سبيل المثال : ان اختراع الطائرة او السيارة ، الذي يشيع الظن بانه من مظاهر التقدم الانساني بوجه عام ، يستند حقا الى تقدم علمي وتكنولوجي لا شك في وجوب اعتباره كسبا انسانيا خالصا ، ولكن السؤال الذي يتعين طرحه هنا هو : الى اي مدى كان « تطبيق » هذا التقدم العلمي والتكنولوجي ذلك التطبيق الخاص الذي أسفر عن اختراع الطائرة او السيارة ، متأثرا بقيم المجتمع الاوروبي وتطلعاته واهدافه المتميزة عن تطلعات غيره من المجتمعات ؟ أو بعبارة أخرى : الى اي مدى كان من الممكن (أو من المستحيل) لمجتمع آخر ذي ثقافة مغايرة ، ان يحقق نفس التقدم العلمي او التكنولوجي دون ان يؤدي به الى اختراع الطائرة او السيارة بل الى اختراعات اخرى قد تكون اكثر جدوى في

نظره ؟فاذا كان هذا ممكنا فما هو اذنوجه الضرورة في ان يؤدى قبولنا لما هو انساني في الحضارة الغربية التي تبني ما هو خاص بها ومتميز ؟

ان هذا التمييز هو الجدير بان يدلنا على المعيار الواجب الاتباع فيما « ننفتح » عليه او نصد الابواب دونه • فنحن لا نغلق الباب امام نتاج العقل الانساني وتقدمه سواء كان مبدعه غربيا او شرقيا ، ولكننا نوصد الابواب امام منتجات يريد البائع الغربي او الشرقي بيعها لنا على انهـ ثمرات التقدم الانساني وهي ليست اكثر من افرازات طموحه الخاص او حتى ، في كثير من الاحيان ، اعراض أمراضه الخاصة •

٦ ـ كذلك فانه في سبيل الاجابة على السؤال: كيف يكون تصدينا للحضارة الغازية (او كيف يكون « تعاملنا معها » اذا اراد الاستاذ بهاء) لعل من اول ما يتبادر الى الذهن هو ماذا علينا ان نصنع في ميدان التعليم •فاذا كان جيلنا قد اصيب بهذا المرض العضال ، وهو التخاذل النفسي ، فلعلنا نستطيع ان نفعل شيئا لانقاذ ابنائنا او احفادنا من نفس المرض • ولاضرب مثلا بما يحدث في تعليم الاقتصاد الذى اعرفه اكثر مما اعرف غيره ، ولا أشك في ان ما يصدق عليه يصدق على سواه• فمنذ نحو اربعين عاما ، قامت صفوة من اساتذتنا الاجلاء (من أوائلهم الدكتور عبد الحكيم الرفاعي طيب الله ثراه) مدفوعين باحترام العلم واحترام النفس في نفس الوقت ،بادخال المفاهيم والنظريات الاقتصادية الى بلادنا بلغة عربية سليمة ، وكان لدى هذه الصفوة درجة كافية من الالمام بحقيقة مشاكلنا واختلافها عن مشاكل الغرب ، منشأ هذه النظريات ، جعلتهم يمارسون حرية الاختيار بين ما يعرض علينا وما لا يعرض ، وكانت هناك محاولات جدية لتناول النظريات الاقتصادية الغربية تناولا نقديا • ولم يجد استاذ جليل كالمرحوم محمد بك صالح غضاضة في أن يكتب المقال تلو المقال ،في تحليل افكار ابن خلدون الاقتصادية (او « احيائها» كما يقال اليوم) وفي حث تلاميذه على المقارنة بينها وبين الفكر الغربي الحديث علما بأن مساهمة العرب في علم الاقتصاد كانت من اقل مساهماتهم في العلوم الانسانية شأنا •واذا كان هذا الجهد قد شابته في بعض الاحيان عاطفية مبالغ فيها فان القائمين به لم يكونوا ، على الاقل ، ينظرون الى التراث نظرتهم الى شيء ميت يحتاج الى احياء كما ننظر اليه اليوم •

اما الان فانت تقرأ المقال او الكتاب لاقتصادي عربي فتجد ان كثيرا مما تقرأ هو خليط مشوش من افكار ترجمت ترجمة سيئة وقد لا تكون لها اية علاقة بما يجرى في مجتمعنا ، وترى المترجم او المؤلف الاقتصادى العربي (وقد كاد يزول الفرق بينهما) يحرص على ان يقرن كل كلمة عربية بمقابلها الاجنبي حتى حينما تكون الكلمة العربية كافية تماما ، وكأنه يعلن امام قارئه المسكين والضعيف في اللغات الاجنبية ، « انني استطيع ان اقرأ ما لا تستطيع ». فاذا تطرق الاقتصادى العربي الى موضوع التنمية نجده ينقل دون تردد ما اطلقه الغرب علينا من أوصاف املتها عليه نظرته المتعصبة والضيقة ، فنحن بلاد « متأخرة » حينا ، «ومتخلفة» حينا « ونامية » حينا ثالثا ، على حسب ما يرى الكاتب الغربي في وقت من الاوقات من دواعي اللياقة والادب • وهدفنا يحدد بانـه هو اللحاق بمستوى المعيشة في الولايات المتحدة ، لان هذا هو ما يراه الكاتب في الولايات المتحدة مناسبا، ونتهم بالقدرية (والمقصود هو الايمان بالله) ، وباذلال المرأة (أى الى التمسك بعفة المرأة وبقوة الروابط العائلية) على زعم أنّ التنمية (أى اللحاق بمستوى الحياة الامريكية) تتطلب عكس ذلك ••• الخ •

ودون ان اترك ميدان التعليم ، هل يرضى واحد منا، ممن لديهم أى تقدير لما كانت وما يمكن ان تقوم به مؤسسة كالازهر في المحافظة على تراثنا وسلامة لغتنا ،بما حدث له من « تطوير » مؤداه الاصرار على ان يدرس الطالب العلوم العصرية الى جانب اصول الفقه ،والاصرار على ان يكون عمداء كليات الازهر من حاملى الدكتوراه من الجامعات الاجنبية؟

فاذا لم يكن كل هذا غزوا حضاريا يتعين «صده» فماذا يكون ؟ وهل من الصعب حقا على القائمين بامر التعليم فينا ان يعيدوا النظر في مناهجه على نحو يسمح لنا باستعادة ذاكرتنا وباعادة تقييم ما نقرأ ونكتب ونلقن ؟ ■■

د • جلال احمد امين

اعداد : يوسف زعبلاوى

آخر ما ابتكروه

ن وسائل منع الحمل

● هذه وسيلة جديدة مبتكرة لمنع الحمل .. وقد أثارت من الاهتمام ما جعلها موضوع دراسة دولية ، وموضوع تجارب قام بها أحد مستوصفات رعاية الاسرة فى بريطانيا .

ولعل الوسيلة الجديدة أشبه بالموالب منها بالحبوب ، وأقرب الى الاجهاض منها الى منع الحمل بالمعنى الدقيق . فهى أداة توضع داخل الرحم فىأعقاب الجماع ، وفى غضون خمسة أيام من وقوعه .. والمقصود هنا ليس الحيلولة دون تلقيح البويضة وانما منع البويضة الملقحة عن الالتصاق بجدار الرحم .. فلا تلبث المرأة التى تضع هذه الاداة أن يأتيها الحيض..دون أنتعرفان كانتقد حملت أم لا .. أما ضرورة التقيد بشرط الايام الخمسة التى تعقب الجماع ، فمرده الى أن البويضة تكون أثناءها عائمة ، غير ثابتة ، ويسهل القضاء عليها ..

وقد جربوا هذهالواسطة تجربة محدودة بمعدل امرأتين فى الاسبوع .. ولما أصابوا النجاح فيها عمدوا الى تجربتها على أوسع نطاق وذلك فى مستشفى مارى ستوبس M. Stobes فى لندن .

وتجدر الاشارة الى أن هذه الوسيلة الجديدة ليست الاولى التى تستهدف منع الحمل وتستعمل بعد الجماع ، لا قبله .. فهناك حبوب الهرمونات المكثفة .. التى يلجأون اليها فى حالات الاغتصاب .. وهناك أيضا طريقة شفط الدم فى حالة تأخر الحيض .. الا أن الواسطة الجديدة تمتاز على ما سواها فى أنها بلا آثار جانبية .. هذا بالطبع اذا استعملت فى غضون الخمسة الايام التى تعقب الجماع .. أما اذا تأخر استعمالها عن ذلك فقد تسبب للمرأة نزيفا أثناء فترة الحيض .

جهاز لاسلكى جديد

يضمن النجدة السريعة للمسافرين

● لم يكد هذا الاختراع يظهر فى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى ولاية مساتشوستس بالذات ، قبل خمس سنوات ، حتى انتشر فى عدد من الولايات ..

وبخاصة فى فلوريدا وألينوى .. وتمس الحاجة الى هذا الجهاز حيث طرق السفر الطويلة النائية التى قد يقطع فيها المسافر مئات الكيلومترات دون أن يصادف

أنباء الطب و العلم



احدا ، والتي قد يتعرض فيها الى وعكة صحية أو تتعطل سيارته بسبب خلل فني .. فيصبح عرضة للصوص وقطاع الطرق أو على الاقل للبرد والعطش ، ينتظر رحمة الله بمرور مسافر آخر قد يتوقف لنجدته وقد يمر به سريعا مر الكرام ..

ويعمل الجهاز الجديد لدى رفع غطائه وضغط ذراعه الى أسفل .. عندئذ تظهر أزراره الاربعة ، وقد خصص كل منها بنوع من الخدمات التي قد يحتاج اليها المسافر في تلك الاماكن الموحشة .. فأحد هذه الازرار خاص بالخدمات الميكانيكية المتصلة بالسيارة ، والثاني خاص بشرطة النجدة .. والثالث متصل بالاسعاف الطبي .. أما الرابع فخاص بالغاء الطلبات .. ولا يحتاج المسافر الى أكثر من الضغط على الزر المناسب ليحصل على الخدمات المناسبة في الوقت المناسب .. ويتم ذلك على النحو التالي :

يبدأ الجهاز بتوليد الكهرباء ، لدى الضغط على أحد أزراره .. ويعمل التيار الكهربائي المولد على تشغيل جهاز ارسال لاسلكي يعمل على موجة (F.M.) وما أسرع ما يطلق هذا الجهاز اللاسلكي المرسل اشاراته الى أحد مراكز النجدة ، وهي مراكز متنقلة على الطرق النائية ومجهزة بكل ما تتطلبه تلك الخدمات .. والاشارات واضحة بحد ذاتها ولا تحتاج الى تفسير .. فهي تدل لا على نوع الخدمة المطلوبة فحسب ، وانما على المكان الذي انطلقت منه أيضا . ولا تكاد تمضي

وخزوا الابر فيما تحت الركبة ....
فخففوا آلام المعدة أو قضوا عليهـــا

● يبدو ان الاوساط الطبية في الغرب بدأت تولي الوخز بالابر ثقتها أو على الاقل اهتمامها ... فقد نشرت المجلة الطبية البريطانية في عددها الصادر في ٨ يناير ١٩٧٧ تقريرا عن التجارب التي اجراها قسم العلاج النفسي في جامعة ادنبره والتي أثبتت صدق ما يدعيه اهل الصين في ان الوخز بالابر في نقاط معينة من جسم الانسان كفيل بتغيير الاحساس تغييرا جذريا في اجزاء اخرى من ذلك الجسم بعيدة عن تلك النقاط الاولى . فقد وخزوا الابر في اماكن محددة من الذراع والساق .. فادى ذلك الى التخفيف كثيرا من الالام التي كانت تعاني منها المعدة ....

واليك فيما يلي التفاصيل ....

شملت التجارب ١٢ متطوعا تراوحت اعمارهم بين ١٨ ـ ٣٢ سنة .. وتأكد الاطباء من سلامة الحس فيهم جميعا قبل

ثلاثون دقيقة على الضغط على أحد تلك الازرار حتى تصل النجدة .

وقد شاع استعمال هذا الجهاز في الولايات المتحدة ، ولا عجب . ففي ولاية ماساتشوستس وحدها يوجد منه ٨٥٨ جهاز حملت من طلبات النجدة ما بلغ بالمتوسط ٢٠٠ طلب في اليوم الواحد .. ومع أن عدد هذه الاجهزة في ولاية الينوى لم يزد على ١٦٥ جهاز .. الا أن عدد الطلبات التي أرسلتها هذه الاجهزة بلغ ٣٨٧٢ طلب في غضون السنة الماضية .

وتجدر الاشارة الى أن أكثر تلك الطلبات كان متصلا بخدمات السيارات ، وان حوالى ١٠٪ منها استدعت شرطة النجدة .

بقى أن نذكر أن ثمن جهاز النجدة الجديد هذا لا يجاوز ٢٠٠٠ دولار في بلده ، وقد يقل عن ذلك كثيرا لاغراض التصدير ..

ولو ذكرنا ما في عالمنا العربي من طرق طويلة وموحشة لحسبنا أن جهاز الانقاذ هذا انما ابتكر خصيصا لصالح المسافرين على طرقنا العربية .. ولعل المستقبل القريب كفيل باقبال السلطات المعنية في بلادنا على اقتنائه .

وخز الابر في اجسامهم وفي مواقع من الذراع والساق غير ذات موضوع في الطب الصينى . ثم وخزوا ابرا أخرى في موقعين من المواقع التي يحددها خبراء وخز الابر الصينيون ... في الموقع المسمى في الصينية Ho — Ku ويقع في اليد فيما بين الابهام والخنصر ، والموقع المسمى Tsu — San — Li ويقع تحت الركبة قليلا .... وحسبنا القول ان هذه التجارب اثبتت عمليا ما كان يدعيه اهل الصين دائما ... وهو ان وخز الابر تحت الركبة يؤثر على نحو مباشر في منطقة المعدة فيحد من الامها أو يقضى عليها .

آلـة جديـدة
ستروق للشيب والشبان
على السواء

● يبدو اننا نقف على ابواب ثورة جنسية بالغة الخطورة .. ومحور هذه الثورة الة مبتكرة يتعاون على تطويرها عالم مختص في الشئون الجنسية ، من كاليفورنيا ، وشركة بريطانية للصناعات الالكترونية .

اما وظيفة هذه الالة فهى تدريب الرجل على بلوغ الذروة الجنسية في معزل عن القذف .. أي أن هذه الالة تعمل على الفصل بين القذف والارتواء الجنسي وقد كانا في نظر العلماء متلازمين .. بل قل عملية واحدة ... وهكذا يصبح تكرار اللذة في متناول الرجل ، يحصل عليه ثلاثا او رباعا أو أكثر من ذلك دون أن يكلفه مزيدا من جهد وطاقة .

اما الفضل في ابتكار هذه الالة فيعود الى طبيبة ، هي الدكتورة مينا روبنز Dr. Mina Robbins . وقد كشفت النقاب عن ابتكارها هذا في المؤتمر الدولي للشئون الجنسية الذى عقد في مونتريال ـ كندا ـ في مطلع شهر نوفمبر الماضى . وما لبثت الدكتورة مينا أن أثارت اهتمام الاطباء الحاضرين بحيث احاطوا بها وراحوا يمطرونها بالاسئلة عن التها .

وتجدر الاشارة الى ان الدكتورة روبنز اتخذت من كتابات ماسترز وجونسون Masters & Johnson الاساس النظرى لابحاثها . والعالمان المذكوران يعتبران رائدين في الابحاث الجنسية العملية .. وهما اللذان اكدا منذ البدء ان ذروة اللذة الجنسية والقذف عمليتان فسيولوجيتان منفصلتان .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الالة الجديدة معدة للاستعمال المؤقت ... فالرجل يستعملها لفترة ما ، يكتسب اثناءها التدريب أو المران المطلوب ، ويتوقف عن استعمال الالة بعد ذلك .



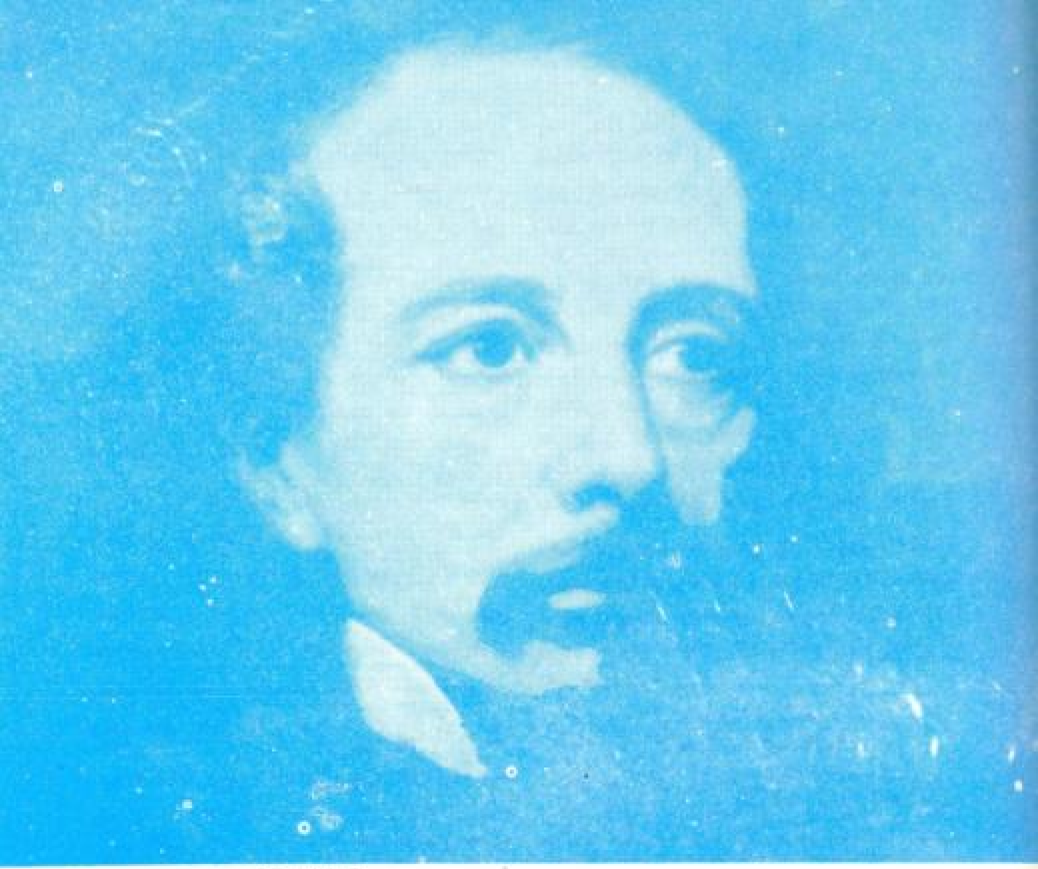
هذه الشموع.. ما الذى يشعلها لتضئ لنا الطريق؟

بقلم : منير نصيف

■ ما الذى يصنع العبقرية ؟ هل هناك عوامل معينة لها تاثيرها فى تكوين شخصية المفكر والعالم والمصلح فى اى مجال ؟

يقول المشتغلون بعلم النفس أن العبقرية تولد معالصرخة الاولىللطفل وهو يستقبل الدنيا ٠٠ولكن هناك ظروفا خاصة تسهم فى ظهور هذه المواهب الكامنة ٠٠ فالتجارب التى يمر بها الانسان خلال مراحل نموه ومعاركه معالحياة وصورها واسرارها، تلعب دورا اساسيا فى تكوين شخصيته وتحديد اهدافه وتنمية مواهبه ٠٠

يقول رالف والدو ايمرسون ، « ان تجارب الحياة هى المدرسة الاولى ٠٠ والتجارب القاسية اكثر تاثيرا على النفس من التجارب السعيدة ٠٠ فالاولى تترك بصماتها عميقة فى نظرة الانسانالى الحياة ٠٠ ان الحرمان هو اعظم مدرسة تغذى الموهبة وتبلور العبقرية فى السنوات الاولى لحياة الطفل على الارض . فهو الذى يدفعه الى التفكير والبحث والتساؤل عنالاسباب التى جعلته مختلفا عن بقية الاطفال من امثاله ٠٠ وهذا الحرمان قد ياتى فى مراحل متاخرة ، وهنا يكون اثره اشد وقعا واكثر ايلاما ٠٠ فالشعور باننا نفتقد شيئا هاما وحيويا فىحياتنا ٠٠ والاحساس باننا اقلمن الاخرين او لسنا مثلهم ٠٠ هذا الشعور يخلق فينا رغبة قوية فى العمل وفى بذل مزيد من الجهد ٠ لتعويض هذا النقص !ومع العمل والكفاح والمثابرة يجد الانسان نفسه ، وتجد النفس اخيرا هذا المنفذ الذى كانت تبحثعنه للانطلاق الى آفاق جديدة ٠٠ وهكذا تولد الموهبة اذا لم تكن قد ولدت معالطفل ومعصرخاته الاولى !



تشارلز ديكنز

من واقع التجربة مع الحياة

ثم يقول ايمرسون : « ولكن يجب الا نغفل مدرسة اخرى لها دورها ولها تأثيرها ايضا على شخصية المرء في أى مرحلة من مراحل حياته سواء جاءت مبكرة أم متاخرة .. هذه المدرسة تتمثل في الانسان الذى يؤمن بنا ويشجعنا ويدفعنا .. ولو أن هذا العامل الاخير لم يكن قائما في حياة كل رجل وامرأة دخلا التاريخ .. فكثيرا ما يصنع الانسان نفسه بنفسه وفى ظروف سيئة وتحديات اكبر منه ومن قدرته على مواجهتها !

ولعل ايمرسون الشاعر الفيلسوف الامريكي ، قد وصل الى هذه النتائج التي نقلها الينا في كتبه من واقع تجربته هو مع الحياة .. فقد مات ابوه قبل أن يتم الاسبوع الثالث من عمره .. وكان اصغر اخوته الخمس .. وعرف مرارة الفقر والحرمان في طفولته العاثرة .. اما ذلك الانسان الذى آمن به ودفعه وشجعه وامسك بيده وهو يخطو في خوف وتردد ، فقد كان ناظر المدرسة الصغيرة التى تلقى فيها علومه بمدينة بوسطن الامريكية بولاية ماساتشوستس !

شاعر فى الثامنة

لقد سمع ناظر المدرسة ، الطفل رالف يقرض الشعر قبل ان يبلغ الثامنة ، فلما اتم تعليمه الثانوى امسك بيده ،وذهب به الى جامعة هارفارد، واصبح رالف ايمرسون طالبا في اقدم واول جامعة في الولايات المتحدة الامريكية .. وكان عمره في ذلك الوقت من عام ١٨١٧ لايتجاوز الرابعة عشرة!

الا ان دراسته الجامعية مالبثت ان اضطربت امام الحاح المادة ، فقد كانت نفقات التعميم باهظة، واضطر رالف ان يقطع دراسته ويعمل هو في التدريس ، حتى اذا ما جمع مبلغا من المال عاد يستأنف دراسته من جديد ، ويغرف من العلم غرفا حتى تخرج ، واصبح واحدا من اشهر فلاسفة بلاده وشعرائها .. كان ناظر المدرسة اذن ، الانسان، الذي وقف وراء ايمرسون وحدثنا عنه الفيلسوف في كتبه !

تماما كما كان بيير كوري وراء زوجته ماري ومعها في كل بحوثها ، حتى توصلا الى اكتشافها للراديوم .اول خطوة في هذا الطريق اللانهائي الذي لم يتوقف فيه العلماء لحظة واحدة في محاولاتهم لكشف اسراره ووقف انتشار السرطان، «غول» هذا القرن الذي حقق فيه الانسان المعجزات، ولكنه وقف عاجزا امام قهره !

الام .. مدرسة

ثم كانت الام هي الانسانة التي وقفت بجانب توماس اديسون العالم الامريكي الذي اضاء الظلمة لاول مرة في التاريخ في القرن التاسع عشر .. مخترع الكهرباء و ١٣٠٠ اختراع آخر !

ولو انهذه الام اقتنعت بما قاله مدرسو اديسون عندما فصلوه من المدرسة واعادوه الى بيته لانه تلميذ غبي خائب لا يصلح لتلقي العلم .. لو ان الام استسلمت لهذا «الحكم بالاعدام» على ولدها الصغير لحرم العالم من اعظم مخترع انجبته امريكا .. ولكنها لم ترضخ ولم تستسلم لانها كانت تؤمن بابنها .. فحولت بيتها الى مدرسة خاصة ، كان طفلها هو التلميذ الوحيد فيها ، وتولت هي مهمة تعليمه وتربيته ، ولكنها قبل أن تفعل ، ذهبت الى المدرسة التي فصلوا طفلها منها لتقول لمدرسيه : «لقد ارتكبتم اكبر خطا في حياتكم !» الى هذا الحد كانت الام تؤمن بان طفلها الصغير الذي لم يكن قد جاوز السادسة بعد من عمره ، لا يمكن ان يكون غبيا ، لانه طفلها !

والامثلة عديدة ..

ولكن ما اكثر ايضا الذين عرفوا طريقهم وحدهم ..

واكثر منهم الذين وقفوا يتلفتون حولهم فلم يجدوا الا الصعاب والعقبات والاشواك تملأ هذا الطريق تحت اقدامهم .. وبالرغم من هذا فقد مضوا في مسيرتهم الصعبة ، يتعثرون حينا ، ويخطئون الهدف احيانا ، ويسقطون على الارض ، فلا يلبثوا أن يقوموا منسقطتهم وهم اكثر عنادا واصرارا حتى يبلغوا نهاية الشوط .. تماما كما يفعل الفارس الذي امتطى ظهر جواد جامح !

من بين هؤلاء .. او في مقدمة هؤلاء ، الكاتب الانجليزي الكبير تشارلز ديكنز .انه احد الذين عناهم ايمرسون عندما قال : «وكثيرون هم هؤلاء الذين صنعوا انفسهم في ظروف سيئة وتحديات اكبر منهم !»

عاش من اجل غيره

ان حياة ديكنز تعتبر نموذجا للرجل الذي عاش من اجل غيره .. فقد كان يعرف تماما ما الذي يريده ، وما الذي سوف يصنعه بنفسه .. وجاءت هذه المعرفة في وقت مبكر من حياته .. مع اول صدمة عاناها وهو يطفيء التتيعشرة شمعة فيعيد ميلاده !

لقد كان ديكنز انسانا ، احب كل الناس .. الذين عرفوه ، والذين لم يعرفوه ، الا من خلال ما كان يقوله وينادي به ويسجله بقلمه في كتبه ومؤلفاته .. فقد كان ناقما ساخطا على مساوىء المجتمع الذي عاش فيه فراح يعمل لاصلاحه ، حتى استبد به الاعياء ، والتعب ، فاحترقت شمعة حياته القصيرة .. التي لم تدم لاكثر من ثمانية وخمسين عاما .. لقد احرقها هو بيديه واعصابه وفكره.. احرقها من كلتا طرفيها ، ولكنها كانت من اعظم الشموع التي اضاءت القرن التاسع عشر ، وما زالت تضيء لنا الطريق .. وما اندرها شموع تلك التي بددت الظلام قبل ديكنز وبعد ديكنز حتى اليوم !

عرف طريقه الى بيت الشاعر كيتس الذى وصل الى القمة ثم اختطفه الموت قبل ان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وسعى اليه وهو راقد على فراش المرض قبل رحيله باسابيع قليلة ، وكان ديكنز وقتها فى التاسعة ٠٠ ومد الشاعر الكبير يده المريضة يصافح الصبى الذى جاء يحمل اليه باقة من الزهور ! ولكن ما كاد تشارلز الصغير يلمس بيده الاصابع الباردة ، حتى هرول مسرعا الى الخارج ، والدموع تملأ عينيه !

كتب فيما بعد يصف هذا اللقاء قال : « لم اكن اصدق أن العمالقة ايضا يتعذبون ٠٠ ما اقسى الحياة مع المرض ! »

كان الصبى الصغير يعرف كيتس ويقرأ شعره، فقد كانت القراءة هوايته ، وكان يجد فى مكتبة مدير المدرسة الصغيرة بمدينة شاثام مائدة عامرة يغرف منها غرفا !

بداية الاحزان

ولم يكن ذهاب الشاعر جون كيتس هو آخر متاعبه ٠٠ فقد كان هذا اللقاء بينه وبين الموت لاول مرة هو بداية احزانه فقط ٠٠ اما الصدمة التىاحاقتبه وافقدتهالرغبة فىالحياة والاستمرار، فقد كانت تلك التى واجهته فى نفس اليوم الذى وقف فيه وسط اصدقائه وزملائه فى المدرسة يحتفل بعيد ميلاده الثانى عشر !

فى هذا اليوم وقف تشارلز الصغير يبكى٠٠ واجفل اصدقاؤه وهم يقتربون منه حاملين معهم الهدايا التى جاءوا بها اليه ٠٠ واستبدت به الحيرة وبهم! وفجأة رفع منديله وراح يجفف به دموعه وقال وهو يكاد يختنق : « غدا ساكون وحدى ٠٠ لن اذهب معكم الى المدرسة ٠٠ فقد اختارت لى امى طريقا اخر ٠٠ سنسافر الى لندن ، وسنترك بيتنا لنبدأ حياة جديدة هناك ! »

من اجل هذا بكى الصبى ٠٠ فقد كان ذهابه الى المدرسة الصغيرة بمدينة شاثام بمقاطعة كنت ، هو حياته كلها ٠٠ وعاودته رائحة الموت التى ملأت انفه فى بيت كيتس !

انه لن يذهب الى المدرسة بعد اليوم ٠٠ لن يرى الغرفة الكبيرة التى يجلس فيها صديقه السيد جايلز مدير المدرسة ٠٠ لن يمد يده الى الكتب التى ازدحمت بها الارفف الخشبية وينتقى من بينها ما شاء لكى يجلس بدوره فى هدوء فىاحد اركانها يلتهم بعينيه وعقله كل ماحوته صفحات الكتاب من علم ومعرفة ، تماما كما يمتص الاسفنج الماء٠٠ لقد انتهى هذا كله ولن يعود !

وجاءت الاسرة الى لندن ، وفى رأس الصغير تلك الكلمات الحلوة التى وقف مدير المدرسة يودعه بها : « انت صبى موهوب يابنى ٠٠ وسوف يكون لك مستقبلا عظيما ! »

حياته مع الفئران !

لم يكن تشارلز يعرف كثيرا عن اسباب هذا التغيير المفاجىء فى حياة اسرته ٠٠ ولكن الذى حدث بعد ذلك فسر له امورا كثيرة كانت خافية عليه ٠٠ لقد افلس والده ، وكان لابد له من ان يلتحق بعمل ، باى عمل يكسب من ورائه شيئا يقدمه لاسرته لمعاونتها على مواجهة مطالب الحياة ٠٠وارسلته امه الى مصنع صغير لتعبئة زجاجات الصباغة ٠٠ واحس بشقاء وهو يرى الفئران تعيش معه وتمرح وتحوم حوله وهو واقف يؤدى عمله فى هذا المكان الرطب ٠٠ شعر بانه لم يعد يختلف كثيرا عنها ٠٠ كان يقف طويلا ويتاملها وهو منهمك فى احكام اغلاق زجاجات الصباغة ولصق البطاقات عليها٠٠ونشأت بينه وبين الفئران صداقة ، فكان يتقاسم معها طعامه من الخبز الجاف وقطع السجق !

ومر اسبوعان على عمله فى هذا المكان المقيت الذى يبعد عنبيت اسرته الجديد فى لندن مسافة طويلة كان الصبى يقطعها مشيا على قدميه فى ذهابه وايابه ، مقابل شلن واحد ، هو كل اجره اليومى عنهذا العمل مع الفئران من الصباححتى الى ما قبل غروب الشمس بقليل .

ثم كانت الصدمة الثانية التي بقيت ذكراها تطارده طول حياته ، وكأنها شبح يعذبه ويحرك قلمه وسلوكه وتصرفاته مع الناس .. فكان يجلس الى مكتبه بعد أن اصبح صحفيا ثم كاتبا، ويكتب ويكتب .. كان يخاطب ضميره احيانا .. وضمير المجتمع في اغلب الاحيان ..

مولد كاتب كبير

عند عودته الى بيت اسرته في مساء ذلك اليوم ولد تشارلز ديكنز الكاتب عندما علم أن والده قد دخل السجن لانه لم يستطع أن يسدد مبلغ اربعين جنيها دينا عليه !

وحاولت الام أن تعيش وحدها معتمدة على نفسها وجهدها في كسب قوت يومها .. ولكنها ما لبثت ان كفت عن محاولتها ، وذهبت لتعيش مع زوجها في سجنه !

وانقضت ثلاثة اشهر قبل أن يلتئم شمل الاسرة الصغيرة مرة اخرى .. فقد خرج ديكنز الاب من سجنه وذهب هو وزوجته ليعيشا مع ولديهما تشارلز وفاني .. ولكن الابن كان قد اختار طريقه .. لقد ترك البيت وخرج ليبدأ رحلته مع الحياة!

ولم تكن رحلة طويلة، ولكنها كانت شاقة مليئة بالعمل والكفاح .. وعندما بدأ الناس يقرءون لهذا الكاتب الكبير، احسوا انهم امام عمل غير عادي لانسان اعلن الحرب على هذا المجتمع في العصر الفيكتوري بكل مساوئه .. كانت كتاباته اشبه بمظاهرة سلمية ضخمة تنادي بالاصلاح ، سلاحها السخرية والعاطفة المتاججة .

ديكنز الانسان

كان ديكنز يزور السجون وملاجىء الايتام ثم يعود من زياراته ليجلس ويكتب عن حظائر الخنازير التي يعيش فيها هؤلاء الآدميون ! الى أن شهد يوما تنفيذ حكم الاعدام شنقا في احد الميادين العامة !

وكتب عن « مسرح القتل » الذي يشد هذا العدد الهائل من المتفرجين !وكانت صرخة حملتها صحيفة التايمز البريطانية في رسالة وقعها بامضائه ..

واسكت الصحيفة بالصيحة القوية التي اطلقها الكاتب الشاب وبدأت اعنف حملة ما لبثت أن انتهت بالغاء تنفيذ عقوبة الاعدام في الميادين العامة !

حتى نساء الليل «هؤلاء اللواتي يبعن اجسادهن» رفض ديكنز أن تكون هذه هي نهايتهن ، فقد اسس لهن بيتا «جمع فيه كل امرأة غير قادرة على الكسب الشريف ، وفي هذا البيت تعلمت النساء الزراعة والفلاحة ، واصبحن زوجات صالحات للمزارعين القادمين من المستعمرات !

مؤسسة عامة

كان ديكنز يتمنى ان يتزوج « ماريا » ، فينوس الصغيرة التي عرفها واحبها وهو شاب في السابعة عشرة من عمره .. ولكنه صدم عندما فضلت عليه شابا آخر بناء على نصيحة والدها .. وتزوج امرأة غيرها انجبت له عشرة اطفال .. ثم طلقها لانه ضاق ذرعا بها، ولانه كان يؤمن، وهو ايمان كان يزداد قوة كلما تقدمت به السن، بانه لا يمكن أن يبقى منتميا الى اسرته الصغيرة فقط ، لانه ينتمي الى المجتمع الكبير كله من حوله .. فهو « مؤسسة عامة » !

وعندما استقبلته الملكة فيكتوريا في قصر باكنجهام بعد أن قرأت « دافيد كوبر فيلد » ،التي صور فيها جانبا من حياته ، قالت تخاطبه : « انت اعظم كاتب انجبته بريطانيا ! »

ومات ديكنز في نهاية يوم طويل من العمل وهو جالس امام مكتبه يضع اللمسات الاخيرة في قصته « ادوين دروود » .. في هذا المساء كان حول مادبة عشاء اقيمت تكريما له .. وفجأة سقط ديكنز ومات .. مات من الشهرة ، ودفن في كنيسة وستمنستر حيث يرقد عظماء بريطانيا وساستها الكبار وكتابها امثال تشارلز ديكنز ..

ما الذي صنع ديكنز ؟! الحرمان .. وحب الناس والحياة .. والضحك من الاعماق .. والسخرية من القدر ، ولقد احب ديكنز هذه الانفعالات الانسانية .. فاعطاها للناس في كل كتبه ومؤلفاته ! ■■

منير نصيف



ميثاق غير مكتوب في مجتمع

الحيوان

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

■ بدون فلسفة أو لف أو دوران ، تقدم لنا الحياة مفهومها للاشتراكية ممثلة في الحيوان ، لكن علينا أن نسارع ونقول بان الحياة لم تستعن ببعض بنود اشتراكية الانسان لتطبقها على بعض مخلوقاتها في دنيا النبات والحيوان ، اذ ليس ما وضعه الانسان من نظريات ومبادئ واجتهادات بذات فائدة تذكر في عالم الحيوان ، فهناك فرق هائل بين اشتراكية حيوانية وانسانية، فالاولى نظام حياة من صنع اله حكيم ، والثانية من وضع بشر مجتهدين ، ولا وجه للمقارنة بين ما جاء به الله وما جاء به الانسان !

وقواعد الاشتراكية ونظمها بين المخلوقات قد ظهرت قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، ولهذا فان اشتراكية الحيوان ذات جذور جد قديمة ، ولقد قامت على أساس ، وسارت بميثاق ، لكن « مواثيق »

الحيوانات غير مسجعة ، ولا مكتوبة ، ولامنطوقة، ومع ذلك فتطبيق بنودها بين أصحابها من بني الحيوان أكثر دقة وأعظم كفاءة مما قد يظن الانسان .. فما أكثر مواثيقه التي تنقض ، وعهوده التي لا تحترم !

لكن الامر مع الحيوان شيء اخر مختلف ، اذ ان نقض الميثاق «غير المكتوب» يشكل خطورة على استمرار حياة الانواع ، لكن الاشتراكيين من بني الحيوان قد عمروا على هذا الكوكب عشرات ومئات الملايين من السنين ، لان اشتراكيتهم طبيعية .. لا وضعية ، بمعنى أنها محكومة بقانون طبيعي ، وسائرة على هدى ناموس شريعته : لا تفرقة ولا تدليس ولا استثناءات ولا خداع .. ومن هنا قد يظهر لنا الفرق بين القانون الطبيعي ، والقانون الوضعي ، فهذا الاخير قابل للتغيير والتبديل والضحك على « ذقون » البسطاء والعامة !

واشتراكية الحياة ـ ببساطة ـ هو تحالف او مشاركة بين كائنين أو أكثر ، ولكل كائن منهم طريقة حياة تختلف عن طريقة حياة الاخرين، فقد يكون أحدهما على هيئة فيل عظيم ، والاخر على هيئة طائر صغير ، أو قد يكون أحد النوعين كابوريا أو سرطان بحر ، والاخر دودة لا حول لها ولا قوة ، أي أن الاشتراكية أوالمشاركة هنا ليست بين أفراد النوع الواحد كما هو الحال في الانسان ، بل نراها تتوزع بين كائنات لا تتشابه في المزاج ولا السلوك ولا طبيعة الحياة ، ومع ذلك ، فالتفاهم بينها قائم ،والود دائم ، والتعالي ممنوع ، والتفاخر بالحسب والنسب وقوة الجسد غير موجود !

ولا تظنوا بعد ذلك ان الاشتراكية الحيوانية مجموعة من المحفوظات والمذاهب والفلسفات والمتاهات ، بل هي افعال وسلوك وتجاوب وتفاهم من أجل رفاهية وحياة وأمان الكائنين اللذين ارتضيا هذه الظاهرة البيولوجية المثيرة .. ثم ان كليهما يخاف على صاحبه ، فمبدأ اشتراكية الحياة عندهما ـ في أغلب الاحيان ـ هو مبدأ : خذ وهات .. اي بلغتنا نحن خذ حقك ، واعطني حقي .. ولا تظلمني ، ولا اظلمك .. فرفاهيتي تعود عليك بالرفاهية ، وفقرك يزيد فقري ، أو على قدر العمل ، يكون الجزاء .. الخ

« والاشتراكيون » في عالم الحيوان كثيرون ، وهم ـ في الواقع ـ يؤلفون صفحات مشرقة ومثيرة في قاموس الحياة الضخم البديع . ونحن لانستطيع أن نقدم كل ما في هذا القاموس الهائل من صور هذا التعاون او المشاركة بين بعض أنواع من تلك الكائنات ، بل يكفي هنا فقط أن نلتقط ما نراه مناسبا في هذا المجال .

جهاز انذار حي !

لو أسعدك الحظ بالتجول في الغابات الاستوائية الافريقية ، فقد تسمع من بعيد صرخة طائر ، ثم قد تتبع الصرخة صرخات ، وقد لا يجذب هذا الامر انتباهك ، ومع ذلك فهو بمثابة صفارة الانذار التي تلتقطها اذن الكركدن أو وحيد القرن ، فيبدأ في اتخاذ الاجراءات المناسبة ، لكي يحافظ على حياته من هذا الخطر القادم .

قصة الصيحة والاستعداد بسيطة للغاية ، لكنها مع ذلك توضح لنا سر تلك المعاهدة غير المكتوبة بين طائر وخرتيت .. فكلاهما قد أنس لصاحبه . وكلاهما عرف ما له وما عليه، ولقد خرج الخرتيت من بطن أمه ، ولديه غريزة وحنين نحو هذا الطائر ، أو كأنما قد وضعت له في ذاكرته معلومة تجعله يتقبل طائره قبولا حسنا ، فلا يغشاه ولا يطرده ، كما أن الطائر ـ واسمه نقار الخرتيت ـ قد يفقس من بيضته ، وهو يعرف ضالته ـ أي هذا الحيوان الشرس الضخم الجثة ، السميك الجلد والبشرة . فالواقع أن عائلة هذا الطير قد استمرت في مشاركة فعلية لعائلة هذا الخرتيت من زمن يقدر بملايين السنين ، دون أن تغل أي من العائلتين بشروط الميثاق غير المكتوب !

فصيحة الطائر تحذر الخرتيت من أي خطر قادم ، ثم ان نظر الخرتيت ليس على ما يرام ، كما أنه لا يستطيع ان يكتشف عدوا يأتيه من خلفه ، اللهم الا اذا دار بجسمه الضخم دورة كاملة ، وهو لا يستطيع أن يقضي حياته في اللف والدوران ، حتى يتجنب الاعداء ، ولهذا كان الطير نعم المنذر ونعم الحارس ، فللنقار عينان حادتان ترقبان الافق البعيد ، كما أنه يستطيع ان يحط على أعالي الاشجار ، ويكتشف الميدان من مسافات بعيدة ، فاذا رصد انسانا

أو أسدا أو نمرا ، زعق على غرتيته بأن البلاء قادم ، وعليه أن يستعد حتى لا تأتيه المصيبة بغتة ، فيروح في خبر كان !

والطائر لا يفعل ذلك من أجل خاطر عيون الغرتيت الضيقة المنفرة . ولا يقدم له خدمات مجانية لوجه الله ، فليست هذه واردة في بنود الاشتراكية الحيوانية ، انما الوارد هو : خدمة بخدمة ٠٠ فالحياة أخذ وعطاء ٠٠ على الاقل بين افراد هذا المجتمع الحيواني !

اذن ٠٠ فلينزل الغر ضيفا آمنا على جسم الغرتيت ، وليتجول فوق ظهره ، وليدخل اذنه وليقفز على رأسه ، وليتقدم نحو شفتيه ، وليمتط قرنه ٠٠ الخ ، اى كأنما جسمه الضخم المقيم مباح كله لمنقار طائر النقار الصغير ، ولا بد للطائر من رزق ميسور ، فما أكثر أنواع الحشرات التي تلتصق على بشرة هذا الحيوان الكبير ، وما أسرع تكاثرها ، وما أسعد الطائر بها وبطعمها ، وكأنما هي مزرعته المفضلة التي تعطيه لحما طازجا لا يشقى في الحصول عليه كشقاء البشر في الطوابير !

أضف الى ذلك أن طائرنا هذا اكفأ عملا ، وأعظم أداء ، واضمن نتيجة من كل ادارات مكافحة الحشرات التابعة لاية وزارة من الوزارات، فبدون مبيدات أو حمامات أو تمشيط ، تكون على الطائر نظافة الغرتيت ،والنظافة صحة ،وهي من الايمان ، ان كان للغراتيت ايمان على اية حال !٠

ولا تحسبن أن صيحة الخطر هذه شيء بسيط ، بل هي بالنسبة للحيوان وثيقة تأمين على الحياة قد لاتقدر بثمن ، فحياة الغابة وعرة قاسية خطرة ، وصيحة واحدة قد تنقذ وقد تفقد ، فشعارهم في غاباتهم « من لا يأخذ حذره ، فلا يلومن الا نفسه » !

ومن هنا يستطيع الغرتيت أيضا أن يغفو ويرتاح على حساب جهاز انذاره الحي ـ نعني نقار الغرتيت ، وما اجمل أن يغفو المخلوق في جو يشعر فيه بشيء من أمان ، وما أتعسه في غير ذلك ٠

اذن فعناصر هذه الاشتراكية الغرتيتية ـ العصفورية هي : أمان في الحياة ، مقابل طعام ونظافة وخلو من طفيليات ، وتلك بلا شك أهم لديها من المال والجاه والمناصب والعضوية في اللجان وغير ذلك مما يصدع أدمغتنا دون أن نصل الى نتيجة تطور حياتنا ـ لا بعمل ولا بكلام !

سر صيحات الطيور

وليس الغرتيت ونقاره وحدهما أصحاب فكرة « خذ أمانا ، وأعطني طعاما » ، بل هنا في الوانع أجناس من الحيوانات وطيور شتى ٠٠ وكل حيوان يعرف شريكه،ويحفظ صيحته،ويستلطف نقرته ، ويسعد بوجوده في مجاله ، فهو العين الحارسة التي ترقب أرض معركة يتربص كل من فيها بمن فيها ، فمن غمضت عيناه ، انتقل الى رحمة مولاه !

فللأفيال أجهزة تحذير أو انذار مبكر تتمثل في نوع آخر من الطيور ، والغريب أنها اذا وقفت على ظهره كانت أنظارها متجهة في عكس اتجاه بصره ، فهو يرى أمامه من ناحية ، وهي ترى له من الناحية الاخرى التي لايستطيع أن يراها ، فاذا رأى أو رأت ، بدأ الحذر ، لمواجهة الخطر ٠

وللجاموس الوحشي الفائق القوة طائر وديع يشبه « أبا قردان » المصري الذي يعيش على التقاط الديدان والحشرات من الارض،ولهذا اعتبروه عندنا صديق الفلاح ، واعتبروه عندهم صديق الجاموس ، ويبدو انه يستطعم ما يعيش على جلد الجاموس أكثر مما يستطعم مما يجمع من الارض، وأبو قردان الجاموس ـ تمييزا له عن أبي قردان المصري ـ يقف في نوبة حراسة ، بينما فحل الجاموس قد راح في اغفاءة ، فصفارة الانذار الحية موجودة على ظهره ، وهذا يدعو للأمان والاطمئنان !

ويبدو أن الغزال الوحشي أيضا لم يخل من الحشرات ، فاستضاف على جسمه بعض الرفاق٠٠ نصف دستة منهم تكون حرسا خاصا ٠٠ بعضها مشغول بالحراسة ، والبعض الاخر يسعى على جنده ، باحثا عن رزقه ، والغزال لايظهر أنفة ولا اعتراضا ، بل نراه يقف وقفة المعتز بشركاء الحياة في السراء والضراء على السواء ٠

اذن ٠٠فكثير من صيحات الطيور في الغابات، ليست في الواقع الا تنبيها لاصحاب هذا المذهب الاشتراكي الحيواني من خطر قادم ٠

طبيب اسنان التمساح

ولننتقل الان من الاحراش والغابات الى شواطيء بعض الانهار والبحار ـ فعلى شاطيء مشمس يستلقي تمساح في استرخاء تام ، وقد فتح فمه الواسع فتحة هائلة لم نكن ندري معناها ولا مغزاها ، وفجأة ـ ونحن نرقب الامور بحذر بالغ ـ ينطلق من داخل فمه طائر صغير كالصاروخ وهو يملأ الدنيا صياحا وتغريدا عاليا مثيرا ، وفي الوقت ذاته يندفع التمساح الى الماء كسهم مارق ٠٠ فلم نعد نرى الطير ولا التمساح ٠٠ترى ماهي العلاقة القائمة بين تمساح مفترس ،وبين طائر وديع يسكن داخل فمه المفتوح ؟

الواقع ان طائرنا هذا هو « طبيب الاسنان » الطبيعي للتمساح ، او اذا لم تعجبك هذه الملاحظة ، فلتعتبره فرشاة الاسنان الحية او السواك الذي يأكل ماعلق باسنان التمساح من بقايا طعام بعد وجبة دسمة او غير دسمة ، وطبيعي ان الزبون مهما كان متوحشا لايستطيع ان يخون طبيبه الصغير ، ولا ان يمزح معه مزاحا ثقيلا، فيبلعه مثلا بعد انتهاء المهمة ، او يخنقه اذا لم يعجبه علاجه ٠٠ فلاشيء من هذا يحدث في عالم التماسيح والعصافير والجاموس ، ولا يعرف هذه المتناقضات الا اصحاب العقول !

اذن ، فهناك معاهدة مشتركة لتبادل المنفعة ، فيأخذ التمساح جلسة لتنظيف اسنانه ، ويحصل الطائر على مافيها من طعام ، وزيادة في رد الجميل ، وحسن الاستقبال ، فقد أخذ الطائر على نفسه عهدا ، ان رأى شرا يحيق بالتمساح ، انذره بصيحة « مدروسة » ٠٠ ولقد رأنا الطائر الصغير من الداخل ، فحسبنا شرا،وكان ماكان٠٠ فطار هذا في الهواء ، وغاص ذاك في الماء !

ثلاثي اشتراكي

ولنتوجه الان الى احد شواطيء البحار ، وبين الشعب المرجانية نتجول قليلا ، فنرى منظرا عجيبا ٠٠ المنظر يتكون من تشكيلة فريدة ٠٠ سرطان بحر (كابوريا) يلبس صدفة كبيرة حلزونية ، وبها يمشي ويتجول ، وفوق الصدفة حيوان هلامي يعرف باسم شقائق النعمان ، ومع هذا الثلاثي غير المتجانس دودة تبرز من مقدمة الصدفة ، تراها معلقة فوق أرجل السرطان ٠٠ الكل ينعم بالاشتراكية والحياة ٠٠ عدا الصدفة بطبيعة الحال ، فهي هيكل لكائن مات ، ولا اشتراكية للاموات !

ترى ٠٠ ماقصة هؤلاء اذن ؟

هذا النوع من سرطانات البحار ذو صدفة رخوة لاتتحمل المزاح الثقيل للكائنات البحرية الجائعة ، ولهذا يبحث السرطان له عن درع أو بيت يقيه ، فيجد صدفة مناسبة ماتت صاحبتها ، وتركتها خاوية على عروشها ، فيدخل فيها ، ومع ذلك ، فالامر لا يدعو للاطمئنان حتى داخل هذا السكن الصلب ، فربما جاءته مصيبة وسحبته من ارجله ، واخرجته صاغرا ، ليصبح لقمة شهية ٠٠ عندئذ قد يهديه تفكيره الى وضع احد شقائق النعمان الملتصق على الصخور فوق محارته ، او قد يكون شقائق النعمان هذا ـ لحسن الحظ ـ قد سكن فوق الموقع المهجور قبل أن يأخذه السرطان سكنا ، فلا يكلفه مشقة في فصله وتثبيته ، ولا يحمله نصبا ، وبهذه العناصر الثلاثة يتكون مجتمع اشتراكي بسيط بدون عقد ولا شعارات ولا أهواء ٠

فسرطان البحر هو الذي يصطاد اساسا ، وعندما يأكل فريسته ، تنساب منها بقايا طعام تذهب الى شقائق النعمان ، فيأكل من نفس مائدة صاحبه ، اما الدودة الصغيرة ، فتحصل ايضا على نصيب مقابل عمل متواضع ، اذ تعلمنا هذه الكائنات انه بقدر العمل ، يكون الاجر ، صحيح أن الدودة تسكن وتتنقل وتحتمي مجانا ، لكنها أيضا تقوم بعمل من أجل صالحها، ومن أجل الصالح العام ، وعملها تنظيف البيت من بقايا الطعام ، أي انها تكنسه ، وتلقي بما كنست في بطنها ، وتحمد على ذلك ربها !

وما فائدة شقائق النعمان اذن ؟

انه يحمل ترسانة صاروخية تتكون من أسلحة دقيقة كالابر . وفي كل مادة ابرة سامة او مهيجة . فاذا اقترب كائن من هذا « الشلالى الاشتراكي » . انطلق السلاح ، وفعل المباح ، فيرتد العدو مذموما مدحورا ، أو قد يقع صيدا سهلا ، فيصبح رزقا مشتركا ، اضف الى ذلك أن شقائق النعمان هذا كسيح ، ووجوده مع السرطان يهيىء له سياحة مجانية من مكان الى مكان ، وقد يحل به المقام فى بيئة غنية بالطعام، فيأكل ما يناسبه ، وقد يشارك صاحبيه فى لقمة عيش طالما اذلت بعض نفوس البشر !

رحلة مع براغيث الماء

لكن ⋅⋅ قف ⋅⋅ فما هذا الذى يجرى هناك بجوار صخرة تحت الماء ؟ ⋅⋅ هل هى سمكة مريضة أم مخدرة بحيث لا تقوى على الحركة ؟ الواقع انها سمكة اسمها « الراس » ، وهى فى مهمة «اشتراكية»مع برغوثين من براغيث الماء الاشتراكية ، ونحن هنا لا نمزح ، لان البراغيث أنواع : فهناك برغوث طفيلى ، ذو دخل طفيلى، فهو يأخذ الخير ، ويعطى الاذى ، وبراغيث البشر من هذا النوع ، لكن برغوث سمكة الراس اشتراكى أبا عن جد ، فمذهبه هذا موجود منذ عشرات الملايين من السنين ، ولا يزال ⋅⋅ ومهمته مع السمكة أن يفيدها وتفيده ⋅⋅ فالبرغوث يقوم بدور«الماشطة» فى حمامات سلاطين زمان ، أو بدور «الكوافير» فى أيامنا العصرية ، والعملة المتداولة بينهما ليست مالا ولا استلطافا ، فما يفيد المال لمن لا يعرف قيمته ؟ ⋅⋅ وما يفيد الاستلطاف بين نوعين مختلفين تمام الاختلاف ، اللهم الا اذا استطعنا أن نستوعب أن هناك استلطافا بين انسان وبومة ، أو بين حمام وبطة ؟!

لا يجب علينا اذن أن نقيس معايير المخلوقات بمعاييرنا ، فما قد يسعدنا قد يشقى غيرنا ، وما قد يشقينا ، قد يسعد غيرنا . فلقد جاء كل مخلوق لما هو له ميسر ، ولقد يسرت الحياة البرغوث لسمكة ، لا ليمتص دماءها ، بل ليدور حول رأسها ، ويتمسح بعينيها ، ويتجول بين خياشيمها ، ويدغدغ زعانفها ، ويدلك بشرتها . وقد يجد جرحا أو قرحة فيعالجها ، وقد يتقابل مع طفيل يلتصق ببشرتها ، فيزيله ويأكله ⋅⋅ وبالاختصار فان هذا البرغوث المائى بمثابة الممرض والطبيب والمدلك ⋅⋅ « والكوافير » اذا اردت ، وهو لا يزال يعتنى بالسمكة ، وهى لا تزال ترحب به ، وكأنما هى بوجوده نشوانة ، وبلمساته ولهانة ، حتى تخرج من تحت فمه الدقيق نظيفة من غير سوء ، وكأنما شعارها « النظافة من الايمان» ⋅⋅ و « درهم وقاية خير من قنطار علاج » !

وما هى أتعاب البرغوث الاشتراكي ⋅⋅ أو ما هو الثمن الذى حصل عليه لقاء هذا العمل الكبير ؟ لقد اكل وشبع وهو تحت حماية قوة سمكية اكبر واعتى ، ثم أن على بشرة سمكة الراس افرازات وطفيليات ونسيج قديم يستحق الازالة ، او ربما قرح له فيها مداواة وتنظيف واستطعام ، ثم ان الحياة لم تترك مخلوقاتها تحت رحمة الاقدار ، بل طوعتها لتخدم بعضها بعضا ، ولولا هذه الخدمات التى تتوم فى الخفاء بين الكائنات ، لانتشرت بينها الامراض ، ولوقعت فريسة أعداء أكبر وأعتى ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل لا زالت الحياة تسعى فى طريقها بقوة هادرة دافقة لا تعرف المداهنة ولا الضعف ، فالضعيف تلقيه من على عاتقها غير آسفة ، وتنطلق بالاقوياء فى كل آن وحين !

تلك هى اذن لقطات سريعة ومختصرة من اشتراكية الحياة او تلك المشاركة البيولوجية التى أرست قواعدها بين بعض مخلوقاتها ، وكلما تعمقنا فى أساسيات الخلق ، وجوهر الحياة ، كلماظهرت لنا ضحالةنظرياتنا ، وسطحيةافكارنا!

ويا اشتراكية الحيوان ⋅⋅ لقد ظلمناك ⋅⋅ اذ قارنا بينك وبين اشتراكية يدعيها الانسان، فانت تجسيد لفكرة وأسلوب حياة ، لكن ويا اشتراكية الحيوان ⋅⋅ لقد ظلمناك ⋅⋅ كلاما ⋅⋅ وما ارخص الكلام !

ومعذرة يا اشتراكية الحيوان ⋅⋅ ويا براغيث الاشتراكية أيضا ! ■■

الاسكندرية ــ د ⋅ عبد المحسن صالح

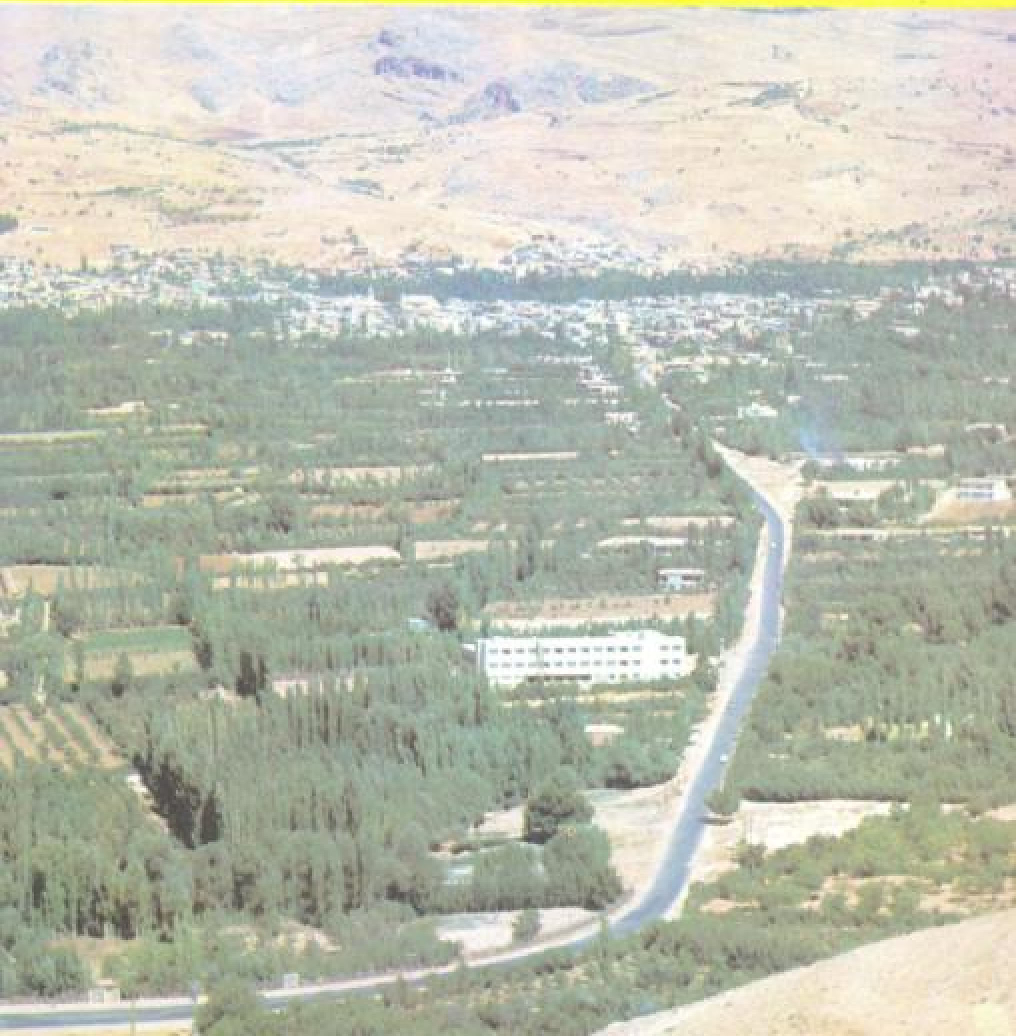
المياه المعدنية مورد جديد فى البلاد العربية

المياة المعدنية فى سورية

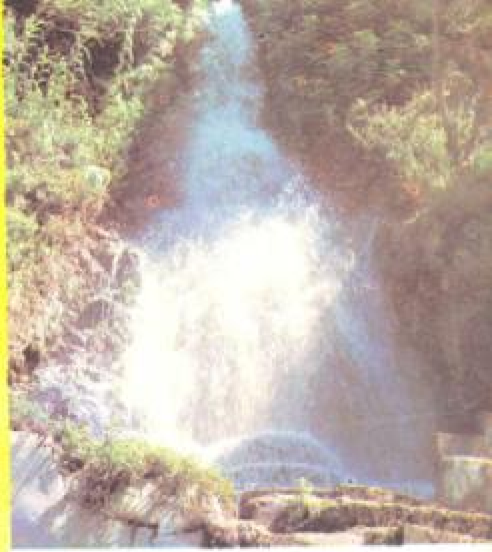
تفجرت ينابيعها قديماً واُخذوا ابتعبئتها حديثاً

بقلم : يوسف زعبلاوى تصوير : اوسكار مترى

سهل الزبدانى الرحب كما يبدو من شرفات معامل التعبئة فى بقين

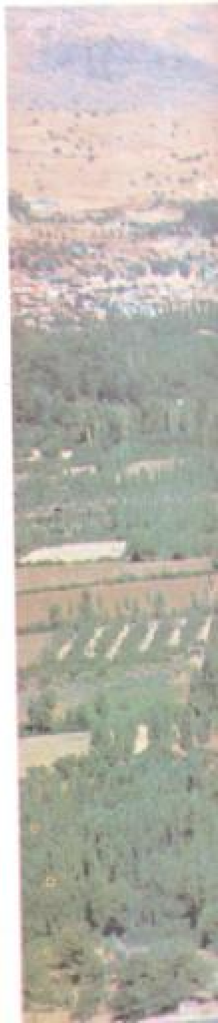


اكبر الشلالات التي تمر بها على طريق دمشق/بيروت وانت في طريقك الى بقين ٠٠ انه يقع في الربوة ، وفي مقهى ابو شفيق ، اقدم مقاهيها ٠٠ والمدهش في منطقة الغوطة الغربية (الربوة ــ دمر ــ الهامة) انها تحتفظ ببرودتها المنعشة حتى في اواخر ايام السنة التي لا تفلت من حرارتها المصايف المرتفعة بما فيها بلودان ٠٠٠



هذه هي عين بقين القديمة ٠٠٠ تتدفق مياهها كالسبيل ، عند مدخل مطعم ومنتزه بقين الشهير ، ويتجمع حولها الصغار والكبار لا لشربها فحسب، وانما للعودة ببعضها الى البيت ، الى من مست حاجتهم الى تلك المياه ٠





بدأت المياه المعدنية تتفجر في أكثر من ارض عربية ، وبدأت الزجاجات المعبأة بها تسافر الى كل مكان . وهذه رحلة الى آخر بلد التفتت الى هذه الثروة ، سوريا ، وحديث عن الجدال الدائر حول القيمة العلاجية للمياه المعدنية .

■ بدأت المياه المعدنية تظهر في كل مكان من الارض العربية ، وبدأت الزجاجات تحملها الى كل مكان ، بدأت في الجزائر والمغرب وتونس ، حيث كان الاحتلال الفرنسي ، لان فرنسا اكثر الدول اهتماما وتقدما في صناعة هذه المياه ...

ثم ظهرت مياه « صحة » و « نعص » في لبنان

ثم مياه « جلفا » في الخليج .. في عجمان...

ثم ظهرت مياه معدنية في الشارقة ...

وفي مصر حديث عن تعبئة مياه « حلوان » ...

وسافرنا الى سوريا فاستطلعنا معامل تعبئة المياه المعدنية فيها وقد ظهرت هذه المعامل مؤخرا في « بقين » و « والدريكيش » .

نبع بقين

بلغ ايجاره السنوي الاول ٢٥٠ ليرة سورية

وساقتنا الصدفة الى اوثق الناس صلة بنبع بقين .. الى الدكتور عبد الوهاب القنواتي .. احد مؤسسي جامعة دمشق ، وصاحب اول مصنع للادوية في سورية .. والدكتور عبد الوهاب مد الله في عمره ، يبلغ الخامسة والثمانين ، ولكنه يتمتع بقدر من صفاء الذهن وقوة الذاكرة يغبطه عليه الكبار والصغار .. وقد اشتهر بخفة دمه ودعابته منذ صباه .. لقد زرنا العالم الجليل في بيته ورحنا نستمع اليه وهو يحدثنا ويقول « كان ذلك في سنة ١٩٢١ حين جاءني ابو اليسر عابدين وهو يقول « احزم امتعتك يادكتور .. فالدواب جاهزة والمؤن واللوازم حاضرة وكل شيء معد للرحلة رحلة بقين ! ..

« وابو اليسر كان احد طلابي القدامى اياما كنت ادرس الكيمياء في جامعة دمشق (وكان اسمها انئذ : مدرسة الطب العثمانية) ، وقد اكمل تحصيله وتخرج طبيبا .. ولكنه انصرف الى تدريس الشريعة في كلية الطب ...

« واخذنا طريق دوما ، المتجه شمالا فغربا ، ومررنا ببرزه فقرية التل فقرية منين ثم وادي حلبون فافره فالهريرة .. وعثرنا على الينابيع في اكثر هذه المواقع ووجدناها طيبة المذاق هاضمة لا سيما في افره والهريرة ..

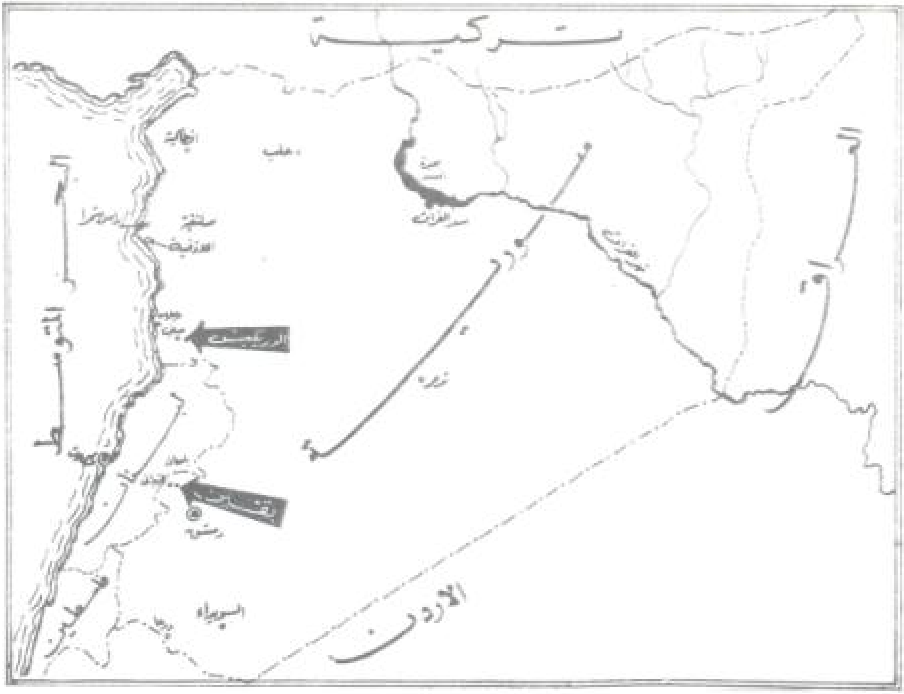
« ووصلنا اخيرا الى بقين ووجدنا فيها شجرة جوز كبيرة وارفة .. ووجدنا تحت ظلال تلك الشجرة نبع ماء .. ولم نكن نعرف عن ماء ذلك النبع شيئا .. الا اننا ما لبثنا أن اكتشفنا أن مياهه مدرة بنسبة ١:٣ فالمرء يدر بمقدار كاسين اذا هو شرب من ماء بقين كاسا واحدة فقط ..

« وحللت بعد ذلك ماء بقين تحليلا وافيا ونشرت هذا التحليل في صحيفة « المقتبس » اليومية التي كان يصدرها في دمشق في تلك الايام (١٩٢١) المرحوم محمد كرد علي .. ، وبلغ من اقبال الناس على شراء العدد الذي نشر فيه التحليل ان نفدت نسخه بسرعة .. مما اضطر اصحاب المقتبس الى اعادة طبع ذلك العدد ثلاث مرات ..

« واعقب اقبال الناس على شراء ذلك العدد اقبالهم على شرب مياه بقين نفسها .. فقد استطابوا مذاقها .. وسعوا الى فوائدها الصحية .. وطمعوا الى منافعها العلاجية .. فراحوا يعبون من ماء ذلك النبع عبا ..



ومحدثنا الدكتور عبد الوهاب القنواتي .. له من العمر ٨٦ عاما ومن الاحفاد ٣٩ حفيدا .. وله ايضا اربعة من احفاد الابناء .. واولاده الثمانية (٣ فتيات) كلهم دكاترة .. وقد درج على مكافأة كل من يحصل على الشهادة العليا من ابنائه بمكافآت ثلاث : سيارة وشقة وعروس ..



وهنا توقف الدكتور قنواتي عن الكلام ٠٠واطرق قليلا ثم رفع رأسه وهو يضحك ٠٠ ولما سألناه عن السبب ، قال :

« تذكرت الحفلة التي اقيمت في جامعة دمشق في تلك الاثناء ٠٠ سنة ١٩٢١ ٠٠ حقا لم يكن لها اي صلة بمياه بقين ٠٠ ولكني تذكرتها على كل حال . وقد اقيمت احتفالا بتنصيب الامير فيصل ابن الشريف حسين ، ملكا على سوريا ٠٠ ولما كنت من خطباء تلك الحفلة وكان الامير ينوي حضورها ، عمدت الى اعداد تجربة كيماوية لطيفة اجريتها اثناء الاحتفال ٠ فقد مددت اربعة انابيب من غرفة مجاورة الى قاعة الاحتفال والى منصة الخطباء بالذات ٠٠ ووضعت في الغرفة المجاورة وعند فوهات الانابيب من المواد ما من شأنه ان يحدث تفاعلا كيماويا مصحوبا بشعلات تخرج من فوهات الانابيب الاخرى الموجودة في قاعة الاحتفال ٠ ونجحت في جعل تلك الشعلات الاربع ملونة بالوان العلم العربي الاربعة ٠٠

« وضغطت الزر في اللحظة التي بدات خطابي فيها واذا بالشعلات المضيئة الزاهية تخرج من فوهات الانابيب : بيضاء وخضراء وسوداء وحمراء ٠٠

« واظهر الملك فيصل اعجابه بالبادرة فسأل احدهم عن مرتبي الشهري ٠٠ فلما عرف انه ١٥ ليرة ذهبية امر بمضاعفته ضعفين ٠٠ » .

وختم الدكتور عبد الوهاب قنواتي حديثه بنوادر لطيفة . وقد شمل بعضها اولاده الثمانية ، وكلهم دكاترة الى ان قال :

« ومن طريف ما اذكر عن شجرة الجوز التي اكتشفنا نبع بقين في ظلها ٠٠ انها سرعان ما اجرت بقصد اقامة مقهى او متنزه في ظلها والى جانب نبعها ٠ وبلغت قيمة ايجار شجرة الجوز ونبعها في بادىء الامر ٢٥٠ ليرة سورية في السنة ٠٠ وقد تضاعفت بعد حين حتى بلغت ١٢٠٠ ليرة سورية ٠٠

وخرجنا من منزل الدكتور قنواتي وتوجهنا الى بقين ٠٠ ولكن لا عن طريق دوما فبرزه وانما عن طريق دمشق/بيروت ٠٠

وما لبثنا ان وصلنا بقين ٠٠ فوجدنا النبع الغزير ووجدنا المقهى . ولكننا لم نجد شجرة الجوز الوارفة ٠٠٠ ولا بد ان تكون قد توارت بين الاشجار التي بلغ من كثرتها وكثافتها ان حالت دون تسرب اشعة الشمس الى المقهى ٠

ولا ندري ما مبلغ ايجار هذا المقهى الحالي ٠٠ لا سيما بعد ان جددوا بناءه ٠٠ وتزيينه ٠٠ ولا نستغرب لو بلغ الف ضعف ما بلغه سنة ١٩٢١ ٠٠

وتقع بقين في منطقة الزبداني المعروفة برحابتها وخيراتها . والشهيرة بمصايفها ٠٠ ففيها يقع مصيف بلودان المرتفع (١٥٠٠ متر) . الممتاز بطقسه المنعش الجاف . ومصيف الزبداني ، عاصمة

هذه هي غرفة التعبئة ، أهم الاقسام في معامل تعبئة المياه في بقين (وفي الدريكيش ايضا) . قوامهاثلاث الات كلها مذوتةوتعمل تلقائيا .. الالة النافخة التي تراها في صدر الصورة .. وهي كما ترى مستديرة الشكل تنفخ الهواء المعقم الى داخل القوارير فيعقمها .. وهي تعمل بحركة لولبية لطيفة لا يمل المرء مشاهدتها .. والة تعبئة الماء التي تراها في العمق .. وهي مستديرة الشكل ايضا .. تصب الماء المعدني تلقائيا في القوارير المعقمة .. فلا تلبث هذه ، وقد امتلأت بالماء ، واحكم اغلاقها بالسدادات ، ان تنتقل على الحزام الناقل الى قسم التغليف . اما الالة الثالثة في غرفة التعبئة فهي الة التغذية .. التي لا تراها في الصورة . وغرفة التعبئة هذه تشبه غرفة العمليات في المستشفيات .. فهي معقمة بكل ما فيها ومن فيها .. ودخولها محظور على غير العاملين فيها .

يعتز الزائر العربي حينما يرى، وهو يطوف فـي معامل التعبئة فـي بقين والدريكيش .. ان العاملين في هذه المعامل ، من مهندسين وعمال ، كلهم عرب .. ويزداد اعتزازا حينما يرى بينهم مهندسات كيماويات ، كهذه الحسناء ، وحينما يتجلى لـه المستوى الرفيـع الـذي امكن تحقيقه بالرغم من عدم وجود الخبراء الاجانب ..



احد المهندسين الكيميائيين العاملين في مختبر معامل بقين .. بل قل مختبريها .. المختبر الجرثومي والمختبر الكيميائي (والفيزيائي) ... وكلا المختبرين مجهزان باحدث الاجهزة ، وقد شملت هذه جهاز الكشف عن الجراثيم .B.O.D ، والمرشحات الجرثومية ، والحواضن الكهربائية (الجرثومية ايضا) وشملت أجهزة المختبر الكيماوي الجهاز الخاص لقياس تركيز المركبات والشوارد المعدنية Spectrophotometer وجهازا آخر مثله للفحوص الميدانية ، وهو اشبه ما يكون بمختبر متنقل .. وشملت ايضا جهاز الامتصاص الذري Atomic Absorption ، وغير ذلك . وقد لا يمضي زمن طويل حتى يصبح مختبـر معامل بقين مختبر الـدولة الاول .





المنطقة (المحافظة) ذات الطقس المعتدل ٠٠ وفيها يقع المصيفان الشقيقان مصيف مضايا ومصيف بقين.

وفي المنطقة نبعان غير نبع بقيـن ٠٠ نبـع بردى ونبع ابو زاد ٠٠ وهما رائعان من حيث جمال موقعهما ومناظرهما ٠٠ ومياههما طيبـة المذاق الا انها ليست معدنية كمياه نبع بقين .

نبع الدريكيش ومنطقتها السياحية المغمورة

وتوجهنا الى الدريكيش ومضينا في رحلة لطيفة قطعنا فيها نحوا من ٢٥٠ كيلو متر في حوالـى ساعتين ونصف الساعة ٠٠ قضينا اكثر من نصفها على اوتوستراد دمشق/حلب ٠٠

ووصلنا الى الدريكيش ٠٠ وتوجهنا الى معمل تعبئة المياه المعدنية فيها ٠٠ فوجدنا مدير المعمل النقيب يوسف رجب في انتظارنا ٠٠ وهو مظلي قديم فقد احدى ذراعيه ، في احدى معارك حرب رمضان المباركة .

واول ما استرعى انتباهنا في بلدة الدريكيش تجمع الناس في احد مقاهيها ، ووقوف الكثيرين



غرفة متواضـعة في مظهرها طموحة فـي وظيفتها ٠٠٠ انها غرفة نبع المياه المعدنية الخاصة بمعامل بقين ٠٠ بل قل غرفة البئر او المضخة التي تضخ تلك المياه من مكمنها وترفعها الى سطح الارض ، ثم تدفعها الى المعامل ٠٠ وذلك عبر الانابيب ٠٠ اما المنطقة الواسعة الخالية التي تحيط بهذه الغرفة فهي حرم النبع ٠٠

منهم خارج المقهى ينتظرون دورهم ٠٠ وما اسرع ما عرفنا ان سبب هذا التجمع لم يكن عرسا من الاعراس ٠٠ او حفلة من الحفلات ٠٠ بل كان مياه الدريكيش المعدنية ٠٠ فهذا مقهى قديم ، يتدفق فيه ماء نبع الدريكيش القديم ٠٠ وقد درج الناس على الاقبال عليه على نحو ما رأينا منذ القديم ايضا ٠٠٠

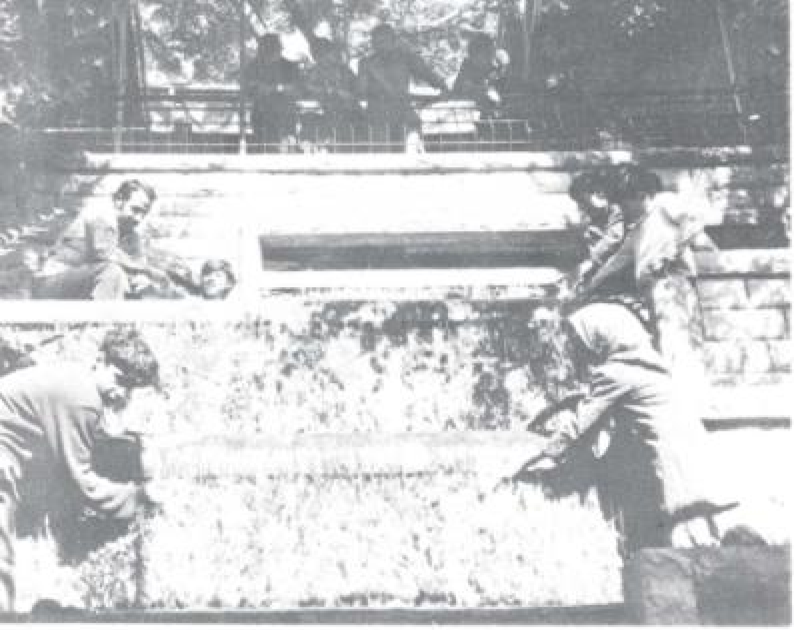
واصطحبنا النقيب في جولات في المنطقة ، فعجبنا اشد العجب لكثرة مافيها من مواقع جميلة ومعالم ومناظر رائعة ٠٠ ولقلة ما يعرفه السوريون وغير السوريين عن هذه المنطقة المغمورة ٠٠

ومنطقـة الدريكيش غنية ايضا بالينابيـع ٠٠ فحيثما ذهبت ترى عيون الماء اوعلى الاقل تسمع خريرها ٠٠ وقد عـدوا منها في موقع واحد فقط ٣٦٠ ينبوع ٠٠ ذلك هو جبل متى الذي لا يبعدعن البلدة سوى ١٢ كم ، والذي انبسطت قمته حتى كادت ان تصلح لانشاء المطارات والمنتزهات رغم ارتفاعها الذي لايقل عن ١٢٠٠ متر .

على اننا نذكر للسيد النقيب يوسف فضلا آخر غير تلك الجولات ٠٠ فقد جمعنا بعدد من رجال الفكر والقلم في المنطقة ، كان في طليعتهم الاستاذ حامد الحسن ، اديب الدريكيش وشاعرها المعروف ، الذي امتعنا باحاديثه وروى لنا فيما روى قصة اكتشاف فوائد مياه الدريكيش الصحية وخصائصها العلاجية اذ قال :

« اكتشفت خصائص مياهنا سنة ١٩٢٧/١٩٢٨ ايام الانتداب ، والفرنسيون هم الذين اكتشفوها ٠٠٠ ومازلت اذكر المستشفى الذي اقاموه في الدريكيش وسموه « المدرسة » في بادىء الامر ٠٠ وقد استعملوه فعلا لاغراض التدريس طوال سنة ٠٠ ولكنهم اتخذوا منه بعدها مقرا لادارتهم ٠٠ »





اشتهر متنزه ومطعم بقين الحديث بروعة مناظره البعيدة والقريبة كهذا الشلال البديع الذى يكاد يتوسط السفح الذى يشغله المتنزه ..واشتهر ايضا بالوان طعامه الشهية.. فتة الحمص وغيرها... الا ان اكثر ما اشتهر به مياه بقين المعدنية التى تستقبل رواد المتنزه عند مدخله ..

« غيران منافع مياه الدريكيش بقيت سرا محتكرا.. ولم يعرف بها احد من أهل المنطقة حتى تسنى لاحد الطلاب العرب ، وكان يدرس الطب فى فرنسا ، أن يكتشف ذلك السر .. فقدعثر فى بعض المراجع العلمية على تصنيف للمياه المعدنية المعروفة فى العالم ، وشمل هذا التصنيف فيما شمل ، مياه الدريكيش ... لا عجب اذن ان اختار الطالب العربى المذكور موضوع المياه المعدنية عامة ومياه الدريكيش بخاصة ، موضوعا لرسالته الجامعية.

معامل التعبئة
عمادها الخبرات والكفاءات العربية

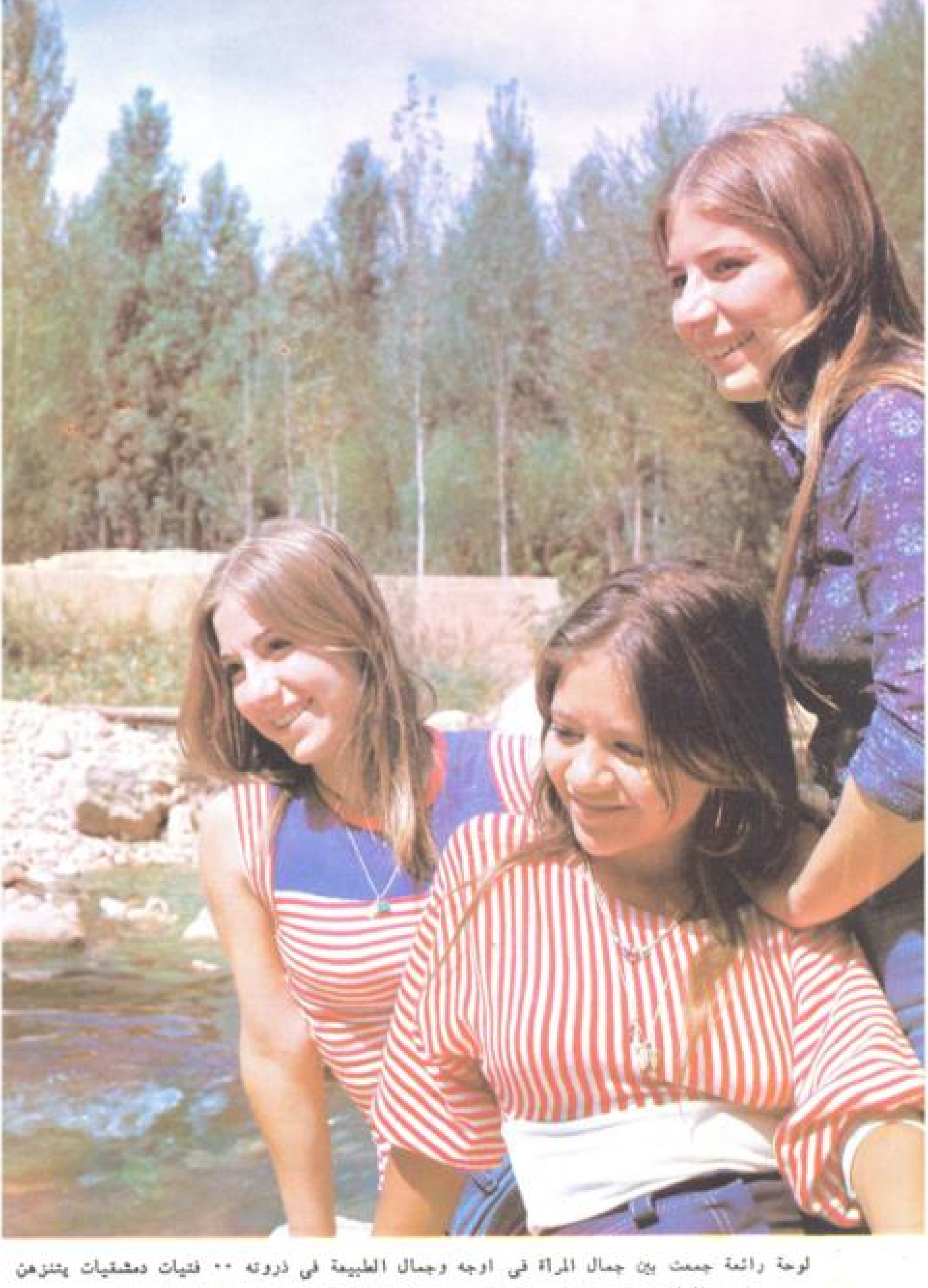
واول مالاحظناه فى معامل التعبئة فى كلا المنطقتين اعتمادهما الكلى على الخبرات والقدرات العربية وخلوهما من الخبراء الاجانب .. ولاحظنا ايضا ان الانتاج وسير العمل فى المعملين لم يتاثر تبعا لذلك ، لا من حيث المستوى ولا من حيث الكمية.. فالمهندسون والخبراء العرب هنا يؤدون واجبهم ويقومون باعمالهم على اكمل وجه ممكن .

ثم لاحظنا الشبه الكبير بل التطابق بين المعملين معمل بقين ومعمل الدريكيش..فالبناء الخارجى فى كليهما واحد..شكلا ولونا وحجما..وهو عبارة عن هيكل معدنى استوردوه شبه جاهز ويشغل مساحة ٤٥٠٠ متر مربع .. وكذلك عدد المهندسين والعاملين .. فهو متقارب فى المعملين ويبلغ نحو ٩٠ عنصرا .. اما الانتاج فقد بلغ فى بقين نحو ٥٠٠٠ صندوق × ١٢ قارورة × ١,٥ لتر يوميا ويوشك أن يبلغ مثل ذلك فى الدريكيش ... وقل مثل ذلك فى الاقسام .. فهى أربعة فى كل من المعملين : قسم صنع العبوات (وهى قوارير بلاستيكية ، كما هو معروف) وقسم تعبئة الماء وقسم التغليف ثم المخبر .

ولو انت دققت النظر فى الاعمال التى تقوم بها هذه الاقسام لوجدتها واحدة فى المعملين ، ولوجدتها تهدف الى غايتين .. الاولى ، تعبئة القوارير بالماء المعدنى .. والغاية الثانية ،ضمان وصول ذلك الماء الى المستهلكين ماء نظيفا عقيما سائغا .. تماما كما هو فى مكمنه .. ولا يخفى ماتنطوى عليه هذه الغاية من خطورة .. فالماء المعدنى لا يفيد ، بل انه يضر اذا كان ملوثا ولم يكن ماء نظيفا عقيما .

والمخبر هو القسم المختص الذى يقوم بتلك الاعمال الكفيلة بتحقيق هذه الغاية الثانية . واعماله هذه اما تحاليل واما اعمال تعقيم .. وتحاليله اما فيزيائية او كيماوية او تحاليل جرثومية .

ويجرى المهندسون المختصون هذه التحاليل الجرثومية على ماء النبع مرة فى اليوم .. ولكنهم

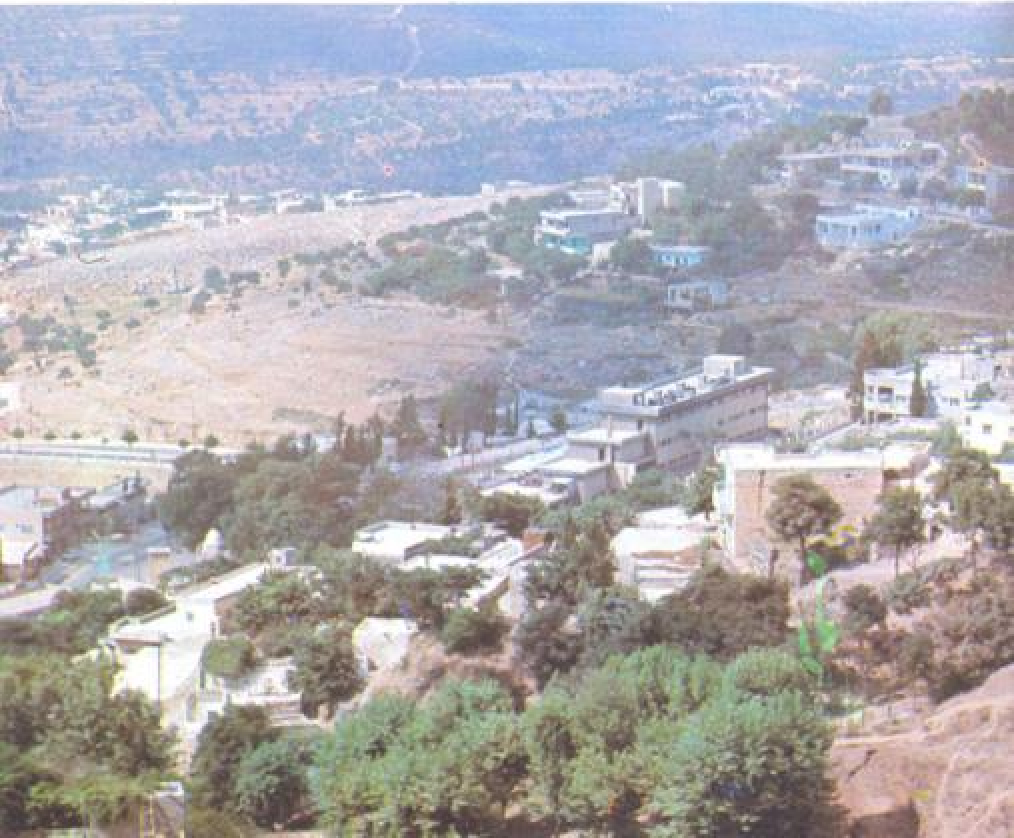


لوحة رائعة جمعت بين جمال المرأة في اوجه وجمال الطبيعة في ذروته ·· فتيات دمشقيات يتنزهن في « الهامة » حيث يتفرع عن نهر بردى فروعه المختلفة : يزيد وطورو الخ ··

الدريكيش بلدة جميلة جدا ومصيف ممتاز · ولعل الحل المثالي لمشاكلها هو في اقامة جمعية تعاونية للاسكان فيها ··· على أن تعطي الاولوية في الانتساب الى هذه الجمعية لغير اهل الدريكيش من المواطنين ·



الفنادق السياحية منتشرة في سورية ٠٠ وهي حديثة البناء والطراز ورحبة وتتوفر فيها أهم شروط الراحة ٠ والدولة هي التي قامت ببناء هذه الفنادق وانفقت في سبيلها ما انفقت ٠٠ وقد كلفها فندق الدريكيش الذي نرى في الصورة ـ حوالي نصف مليون ليرة سورية ٠٠ وذلك أيام الرخص وقبل ظهور موجة الغلاء ٠



يجرونها على الماء العبا في القـوارير ، والمعـد للبيع او التصدير ، مرة كل ساعتين ٠٠وما لـم تثبت هذه التحاليل الجرثومية المتواصلة ان الماء العبا نظيف وعقيم ١٠٠٪ فان المخبر يحظر خروج انتاج ذلك اليوم من المعمل بل يامر باتلافه ٠٠ وقرار المخبر في هـذا الصدد مطلق ونهائـي ٠٠

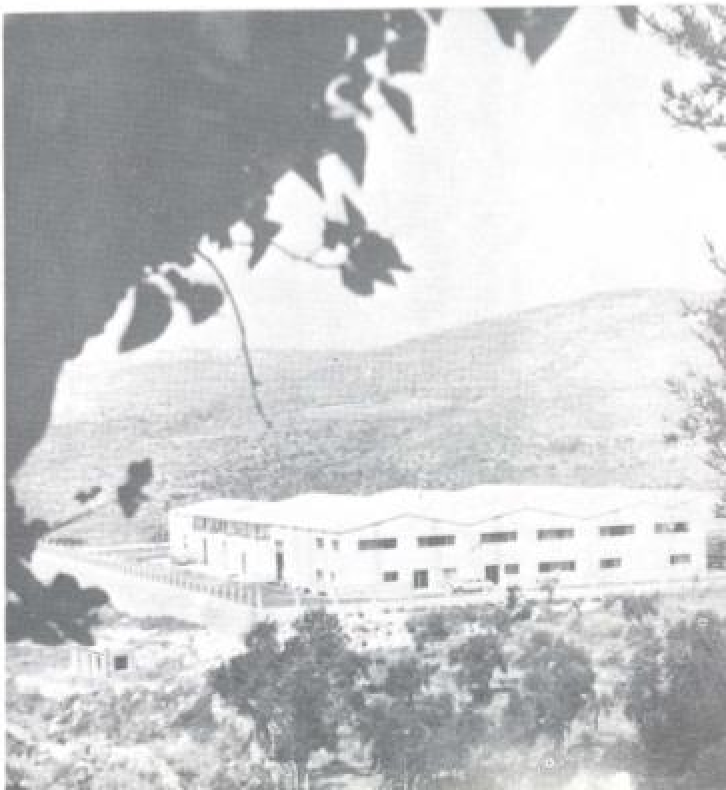
على ان المخبر لا يكتفي باجراء التحاليل بل يقوم ايضا باعمال التعقيم ٠٠ فهو في حرب دائمة ضد الجراثيم الضارة ٠٠ يكافحها ويقضي عليها بشتى الوسائل وبخاصـة بالمادة المعقمـة الفعالـة (الكلورامين ـ ت) ٠

وتشمل اعمـال التعقيم اكثر مـا تشمل غرفة التعبئة ٠٠ حيث تملأ العبوات بالماء المعدني وتغلق ٠٠ فهم يعقمون الان هذه الغرفة وارضهاوجدرانها ويعقمون جوها والعاملين فيها يوميا وباستمرار٠ لا غرابة اذن حظروا دخول هذه الغرفةعلى غير العاملين فيها ولا غرابة ان بدت لك هذه الغرفة وانت تنظر ايها من خارج زجاجها وكانها غرفة عمليات في احد المستشفيات ٠٠٠٠

وتشمل اعمال التعقيم ايضا خطوط الانابيب التي يتدفق فيها الماء المعدني من النبع الى المعمل ٠٠ فهم يعقمون هذه الانابيب مرة في الاسبوع على الاقل ٠

وتجدر الاشارة هنا الى ان نبعي معامل التعبئة في بقين والدريكيش همـا غير النبعين القديمـين اللذين الف الناس الشرب من مائهما ٠٠٠ فنبع معامل التعبئةخاص بها وليس في مقدور احد ان يشرب منه فهو نبع جوفي وماؤه تضخ الى سطح الارض ضخـا ٠٠ فهو اشبه بالبئر منـه بالنبع بمفهومه القديم ٠٠ ثم انه يقع في مكان بعيد عن التجمع السكانـي بخلاف النبع القديم ٠٠ وقـد سيجوا المنطقة الواسعة التي تحيط بهـذا البئر وبغرفة مضخته ، وحرمـوا دخولهـا على كـافة المخلوقات ، حرصـا على وقايتها مـن كل اسباب التلوث ٠ فاصبحت تعرف بحرم النبع ٠

على ان ثمة فرقا واحدا بين نبع معمل الدريكيش ونبع معمل بقين ٠٠ فالاول يقع ضمن طبقة بازلتية بالغة العمق ٠٠ ومياهه مقطوفة من هذه الطبقة ٠٠ وذلكقبلمرورهابالطبقات الاخرى الكلسيةالتيتزيد من عسر الماء وقساوته ٠٠ لا غرابة اذن ان كانت



معامل الدريكيش لتعبئة الميـاه المعدنية ، كمـا تراها ، من الخارج ٠٠ ولا يفوتنا ان تذكر ان هذه المعامل تدفع أتاوة لبلدية الدريكيش تبلغ قرشين مـن كل قارورة معباة بالماء وتخرج الى الاسواق ٠ وهي ضعف الاتـاوة التـي تدفعها معامل التعبئة في بقين٠٠



هذه هي لجنة استثمار المياه المعدنية التي صدر القرار بتشكيلها في الشهر الرابع من سنة ١٩٧٣.. ونرى في صدرها رئيسها سيادة اللواء الركن غازي ابو عقل والى يمينه اعضاؤها وهم : الدكتور محمد هواري مدير المخابر في مستشفى المواساة بدمشق . سيادة العقيد سعيد حمامي مدير معامل ادوية الديماس فالمهندس اكرم شبيب المدير الفني فالدكتور فارس شقفه استاذ الجيولوجيا في جامعة دمشق . ثم يليه السيد محمد انور اديب رمو مدير معامل بقين .

مياه الدريكيش فريدة في قلة قساوتها وهي لا تزيد على ١٠ درجات فرنسية ..!

ولم يكن العثور على هذا المقطف الممتاز بالامر الهين ..فقد اقتضى دراسات مكثفة وابحاثا ميدانية واسعة .. غطت منطقة بلغت مساحتها ١٥٠ كيلو متر وشملت عددا كبيرا من الينابيع الجوفية المحتملة جاوزت ٤٠٠ نبع .. وتعاقبت التحاليل لمياه هذه الينابيع ، وتلاحقت التجارب ، حتى وقع الاختيار على النبع الحالي . ومما يبعث على الاعتزاز حقا ان المهندسين والخبراء الذين قاموا بهذه الدراسات والابحاث ، كانوا كلهم عربا ، وقد عملوا تحت اشراف الدكتور فارس شقفه ..

لجنة استثمار المياه المعدنية
جاز أن نسميها
لجنة استثمار الكفاءات العربية

وشعرنا بالحاجة بعد ذلك الى الرجوع الى الخلفيات ، وقد اطلعنا على المنجزات .. فالصورة التي حملناها عن المعملين – معمل بقين ومعمل الدريكيش – تبقى ناقصة مالم نلم بالجهود التي سبقت قيام المعملين .

واجتمعنا بلجنة استثمار المياه المعدنية .. وهي الجهة المسئولة التي تولت اعمال انشاء المعملين وتشرف حاليا على سير العمل فيها .. واجتمعنا برئيسها اللواء غازي صبحي ابو عقل (وكان برتبة عميد حين اجتمعنا به) .

واتسع صدر السيد العميد لاسئلتنا .. وراح يحدثنا عن الخلفيات ، ويقول :

« التفكير في استثمار المياه المعدنية في سوريا قديم .. قدم عهد الاستقلال .. ولكن ظروفا مختلفة حالت دون تحقيق الفكرة .. حتى كانت السبعينات ..

« لو كانت نقطة البدء في الملاحظة التي ابداها السيد رئيس الجمهورية حين قال : « لم لا تعبئون مياه بقين ، لتصبح في متناول الجميع ، وتصدر الى اخواننا في الخليج وغير الخليج .. » .

وسارت الامور بعد ذلك في سرعة كبيرة .. تشكلت لجنة استثمار المياه المعدنية في شهر ابريل ١٩٧٣ ، واستكملت البحوث والدراسات في غضون شهور قليلة .. ثم كانت اعمال البناء التي استغرقت سنة واحدة فقط ... (ديسمبر ١٩٧٤ – ديسمبر ١٩٧٥) ، واعقبها اعمال تركيب الالات التي تمت في غضون ثلاثة شهور .

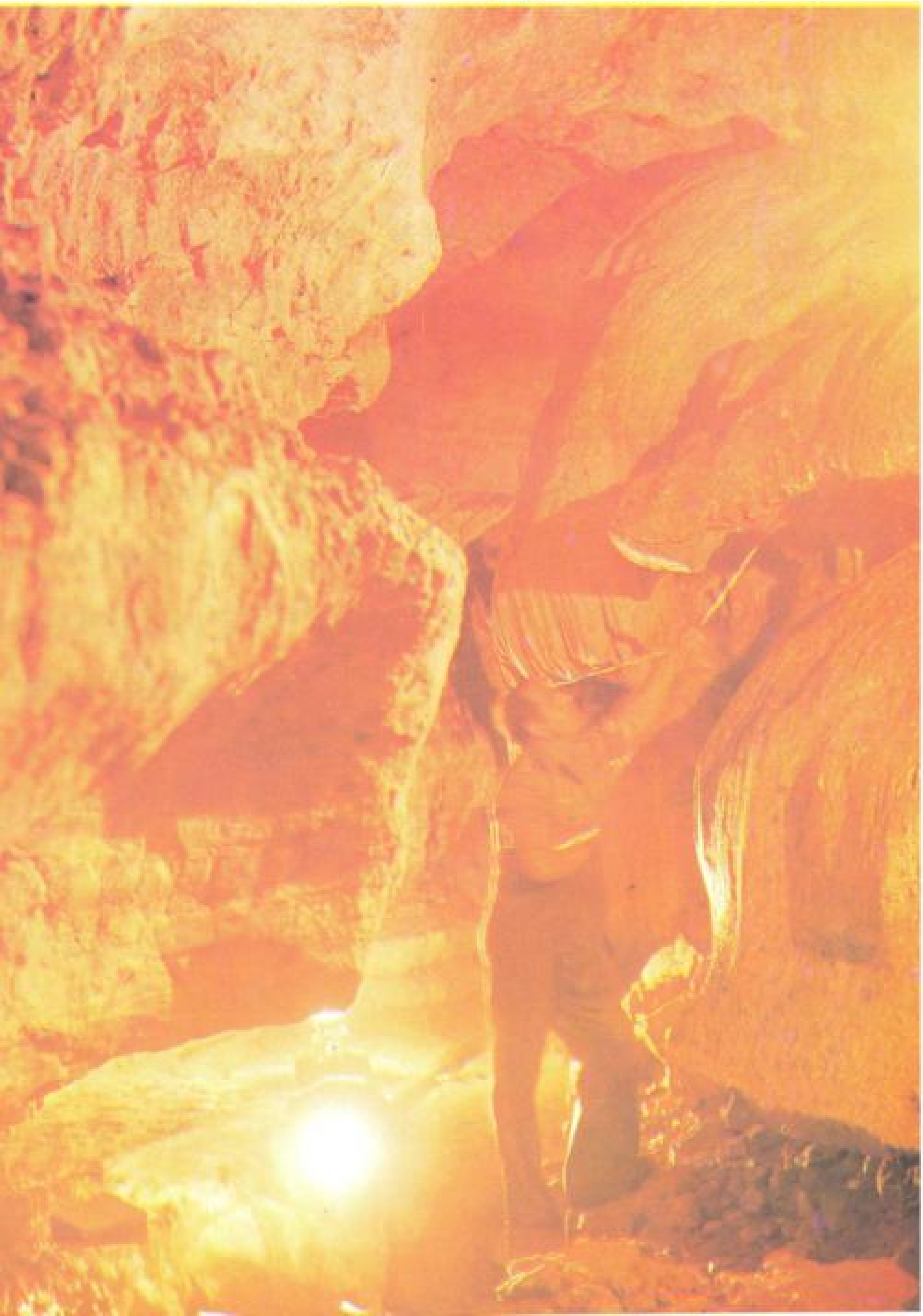
وتابع اللواء حديثه قائلا :

« وقررنا الاعتماد على انفسنا وكفاياتنا ما امكن وعدم اللجوء الى الخبرات الاجنبية الا عند الضرورة .

وهكذا حصرنا تعاوننا بشركة ايفيان الفرنسية وقصرناه على الزيارتين السنويتين اللتين يقوم بهما احد خبراء هذه الشركة الى معاملنا ، وذلك لمراقبة الجودة والتأكد من ان الانتاج ما زال يحتفظ بمستواه .. وتنتهي مهمة هذا الخبير بوضع التقارير .. وقد كانت تقاريره حتى الان مرضية ..

وسألنا عن التوسع المرتقب في المعملين فرد العميد قائلا :

مدخل مغارة بمحصر (بيت المحصر) ويظهر فيه النقيب يوسف رجب مدير معامل الدريكيش ٠٠والمغارة واسعة وتحتضن نبعا غزيرا حولها الى بحيرة. لذلك كان التجول فيها وفي ظلمتها مغامرة ممتعة ٠٠





صافيتا ، اقرب المدن الى الدريكيش ، عدد سكانها يقارب ١٨ ـ ٢٠ الفا ٠٠ وقلعتها التي تبدو لك واضحة من بعيد قلعة صليبية ،واقام فيها صلاح الدين الايوبي اثناء قيامه بتطهير المنطقة ،وقد سماها « البرج الابيض » ٠

يستأثر نهر قيس بالقسط الاوفر من مواقع المنطقة الجميلة ٠٠٠ ولكن في منطقة الدريكيش مواقع أخرى عديدة لا تقل عن نهر قيس روعة ٠٠ وعيون الوادي ، وهي المصيف الجميل المعروف بكثرة ينابيعه ، لا تبعد عن الدريكيش الا كيلو مترات قليلة ٠٠٠



« لن يمضي زمن طويل حتى يبدأ تشغيل الالات الجديدة الموجودة حاليا في قسم صنع القوارير البلاستيكية في كلا المعملين ـ معمل الدريكيش ومعمل بقين ٠٠ وبذلك ستتضاعف طاقة هذا القسم وتتضاعف معه طاقة المعملين ككل ٠٠

« هذا فيما يتصل بتعبئة المياه المعدنية الا اننا ننوي اقامة صناعات اخرى ثلاث ملحقة بمعامل التعبئة ٠٠ صناعة المياه الغازية (الغازوز) في بقين وصناعة عصير الفاكهة في الدريكيش ٠٠ اما الصناعة الثالثة فهي صناعة غاز الفحم في الدريكيش ايضا ٠٠ وقد وصلت الان هذه المصانع وتم تركيبها وستبدأ الانتاج في مستقبل قريب جدا٠

المياه المعدنية
هل تشفي حقا وتغني عن اجراء العمليات الجراحية ؟

يعجب المرء لكثرة ما اطلقه السلف من اسماء على الناقة والفرس والسيف والكلا وبيت الشعر وغير ذلك مما اتصل بحياتهم من اشياء ٠٠ ولو وقفت هذه التسميات عند الالفاظ لما اثارت في النفس اي اعجاب ٠٠ ولكنها تتعدى صناعة اللسان وتقترب كثيرا من العلم بما تنطوي عليه من تحديدات وتمييزات ٠٠ ويصدق هذا على الماء فيما يصدق عليه من اشياء ٠٠

يقول الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية: « اذا كان الماء نتنا لا يشربه احد فهو آسن ٠٠٠ واذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو اجاج ٠٠٠ واذا كان فيه شيء من العذوبة ويشربه الناس فهو شريب ٠٠ اما اذا كان دون ذلك في العذوبة ولا يشربه الناس الا عند الضرورة وقد تشربه البهائم فهو شروب ٠٠ واذا كان الماء عذبا فهو فرات ٠٠ واذا كان سهلا سائغا متسلسلا في الحلق من طيبه فهو سلسل وسلسال ٠٠٠ واذا جمع بين الصفاء والعذوبة والبرودة فهو زلال ٠٠ » وهذا قليل من كثير مما اورده الثعالبي في باب الماء ٠٠

وعلى كثرة ما اورد فاننا لم نعثر فيه على ذكر للماء المعدني ٠٠ هذا الماء الذي كثر الاقبال عليه في المدة الاخيرة والذي كثر الحديث لا عن فوائده الصحية فحسب وانما عن خصائصه العلاجية وقدرته على الشفاء من الامراض ايضا ٠٠٠

اما الفوائد الصحية فلا خلاف عليها ، حسب الظاهر ، بدليل رواج المياه المعدنية المتزايد في الاسواق ٠٠ فهي هاضمة ومدرة ٠٠ وفي بعض الاحيان مضادة لحموضة المعدة ومفيدة في بعض حالات احتقان الكبد والكليتين ٠٠ بيد ان الماء المعدني لا يعود بكل هذه الفوائد على كل من يشربه ٠٠ فقد تشعر انت ببعضها ويشعر غيرك ببعضها الاخر ٠٠ وذلك تبعا للاجسام واختلاف حاجاتها ٠٠ بل انك قد لا تشعر بشيء من تلك الفوائد ٠٠ وحسبك في تلك الحال انك تشرب ماء نظيفا عقيما ٠٠ وذلك في وقت انتشر فيه التلوث حتى اصاب الكثير من مياه الشرب العادية ٠٠ فالماء المعدني ماء شريب على كل حال ، والماء الشريب لا يمكن ان يسبب ضررا ،كما يقول الخبير الفرنسي نيتار ٠٠٠٠ علما بانه قد يعود عليك ببعض تلك الفوائد ٠٠

★ ★ ★

وينسب الكثيرون الى المياه المعدنية خصائص علاجية مختلفة ٠٠٠ فهي تشفي ، كما يؤكدون ، مما قد يعاني منه الانسان من رمل وحصى ٠ وقد سمعنا قصصا كثيرة في هذا الصدد ٠ نذكر منها ، على سبيل المثال ، قصة الفتى (٨ سنوات) الذي كان يعاني من حصاة استقرت في كليته ٠ وقد روى لنا هذه القصة الدكتور قنواتي ، طبيب عائلة الفتى الذي نصحه بماء بقين ٠٠ وما لبث الفتى ان تخلص من تلك الحصاة ومن آلامها المبرحة ٠٠ ثم اخذ الدكتور لكلية الفتى صورة بالاشعة فوجدها سليمة وخالية تماما من كل شائبة ،ووجدها تقوم بوظيفتها خير قيام ٠

وتجدر الاشارة الى سجل قيم قديم احتفظت به بلدية الدريكيش منذ مطلع الستينات ٠٠ ووجدنا في ذلك السجل مذكرات او اعترافات كثيرة خطها اصحابها بايديهم ، واكدوا فيها اثر مياه الدريكيش الحاسم في شفائهم ٠

ونخص بالذكر من هذه الاعترافات اعترافا للاستاذ بديع حقي ، احد كتاب العربي القدامى ، وسفير سوريا الحالي لدى دولة غانا ٠٠٠ وقد قال في اعترافه :

« لقيت الامرين من حصاة سببت لي مغصا كلويا



جانب من بلدة الدريكيش كما يبدو من شرفة الفندق السياحي ٠٠والبلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ١٢٠٠٠ نسمة ولا ترتفع اكثر من ٦٠٨ امتار فوق سطح البحر ٠٠ ولا تبعد اكثر من ٣٦ كم من شواطيء وبلاجات مدينة طرطوس ٠٠ ومن ثم كان طقسها المعتدل جدا ٠٠ فالحرارة فيها لا تزيد على ٣٠ درجة في فصل الصيف والثلوج التي تكاد تكسو كل ما حولها في فصل البرد لا تمتد الى الدريكيش الا نادرا ٠

متصلا منذ امد بعيد ٠٠ وقد جئت الدريكيش فافادتني مياهها العذبة الطيبة في انزال هذه الحصاة ٠٠٠ .

وعجبنا لتلك القصص ورحنا نتحرى حقيقة هذه الخصائص العلاجية التي ينسبونها الى المياه المعدنية٠٠الخ ٠٠ ولم يطل بنا البحثحتى اتضحت لنا بعض الحقائق وتجلت بعض المذاهب ٠٠ واول ما يذكر في ذلك اثر الماء نفسه ، وبمعزل عن املاحه ومحتوياته ، والقدرة على طرح الرمل والحصى انما يعزوها الكثيرون الى الماء من حيث هو ماء ٠٠ معدنيا كان ام غير معدني ٠

ثم ان الاملاح المعدنية التي تدخل في تركيب الماءالمعدني بشكل اوباخر ،واهمها الصوديوم والكلسيوم والحديد والمغنيزيوم ، ذات قيمة كبيرة لجسم الانسان ، كما هو المعروف ٠ فهي تولد فيه مناعة ضد الامراض وتعود عليه بفوائد كثيرة تفوق كل ما يعزى الى الفيتامينات ٠٠ ولعل الكثير من هذه الفيتامينات لا يفيد شيئا اذا اخذ بمعزل عن الاملاح المعدنية ٠

اضف الى ذلك ان ما تحتويه المياه المعدنية من تلك الاملاح انما تحتويه بالمقادير الملائمة والنسب المتوازية التي تتطلبها صحة الانسان ٠٠ ذلك ان املاح المياه المعدنية املاح طبيعية غير مصنعة ، دخلت في تركيب الماء بفعل الطبيعة على مر الدهور ٠٠فالماء المعدني ماء مطر رشح عبر الصخور الى باطن الارض ٠٠ واذاب في طريقه من املاح تلك الصخور ما اذاب ٠٠ ثم اكتسب المزيد منها وهو في حوضه الجوفي ، وعلى مضي الزمن ٠

الا ان بعض العلماء يعتقدون ان قدرة المياه المعدنية على الشفاء انما تكمن في المغنيزيوم فهو في نظرهم الحلقة المفقودة في عدد كبير من الامراض التي طالما حيرت الاطباء ، وقد كان موضع بحوث ودراسات كثيرة منذ مطلع الخمسينات زاد عددها على ٢٠٠ بحث ٠٠

وتذهب فئة اخرى الى ان سر المياه المعدنية انما يعزى لما قد تحتويه من الراديوم او غيره من المواد المشعة بمقادير قليلة ٠ وياخذ الدكتور قنواتي بهذا الراي ، وقد ثبتت له صحته بفحص ماء بقين بواسطة جهاز خاص بالكشف عن المواد المشعة ، كانت احضرته معها احدى البعثات الامريكية ٠

ومهما يكن من امر فان قدرة الماء المعدني على الشفاء محدودة ٠٠ فثمة انواع من الحصى وهي الانواع الاوكسالية Oxallic ، تستعصي على المياه جميعا ولا سبيل الى التخلص منها الا بالجراحة ٠ ■■

يوسف زعبلاوي

من روّاد "الرواية الجديدة" في فرنسا

ميشيل بوتور

MICHEL BUTOR

بقلم: الدكتورة سامية أحمد أسعد

لسنوات طويلة، عاش القارىء العربي مع رواد الفكر والأدب الغربي في القرن الماضي واوائل القرن الحالي، حتى حجبت اسماء الرواد جيلا جديدا ظهر بعدهم. لم يكتب عن هؤلاء في العالم العربي، ولم تترجم اعمالهم. وهذا واحد من ابرز النجوم الصاعدة في الادب الفرنسي الحديث:

■ ولد ميشيل بوتور Michel Butor في شمال فرنسا، في ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٦. وجاء به والده الى باريس وهو في الثالثة. وكان للاب ميول فنية واضحة. ومن ثم، شب الابن على حب الفن وبحث القضايا الفنية ومع هذا، اخذ حظه من الثقافة التقليدية في المدارس. ومما يذكر أن الاب كان مولعا بفن الحفر على الخشب، فعلم ابنه حب العمل المثابر الدقيق، الذي يفترض نوعا من الصراع مع المادة ذاتها. ولقد مهدت هذه الفنون لبعض التغييرات التي ادخلها بوتور في فن الرواية. كما ان الابن كان مولعا بالعزف على الكمان منذ التاسعة. ازاء كل هذا، هل

يمكن ان نقول ان بوتور كتب الرواية رغم انفه، بينما كان يود ان يكون رساما او موسيقارا ؟ الواقع انه ادرك ، وهو في الثامنة عشرة ، انه لا بد من اداء الامتحانات واختيار مهنة ما •فدرس الادب ، والفلسفة ، وتتلمذ على ايدي بعض كبار المفكرين انذاك أمثال جاستون باشلار وجان وول •ووجد عندهم ما كانت تصبو اليه نفسه عندما هجر فن الرسم ، وجد الحياة ، والفكر ، والتجربة ••• وفي عام ١٩٥٠ ، عمل مدرسا للغة الفرنسية في مدينة المنيا ، في صعيد مصر • وفي العام التالي، ذهب الى مانشستر ثم انتقل الى اليونان ، ومنها الى جنيف • وكثيرا ما كان يطلب منه القاء بعض المحاضرات • فكان يؤثر الحديث عن الرواية• ومن بعد ذلك ، كتب هو الرواية ، ووضع فيها كل ما تلقاه من علم وفن ، وكل متطلبات احلامه ، خاصة الدقة التي تتميز بها الرياضيات والموسيقى• ولكي نفهم بوتور الروائي ، يجب ان نقول شيئا عن الموضوعات التي كان يختارها عندما كان يطلب منه القاء بعض المحاضرات • سواء تحدث عن جويس ، او كير كجارد ، او قصص الاطفال ،كان يحيا دائما عالما لا يتضح معناه مباشرة• فالقارىء لا يفهم جويس من اول قراءة لكتاباته •وكيركجارد حير النقاد والمفسرين ، اذ لا بد من البحث عن المعنى الحقيقي والعاطفي ، والرمزي ، والروحي، لمؤلفاته الاسطورية •

رؤية جديدة للواقع

يرى بوتور ان الرواية لوحة معقدة التركيب لا ينتهي المرء من فهم بنائها الخفي ابدا ، وانها تطرح ذات القضايا التي يطرحها فن الرسم للرسام • عندما يذكر الروائي واقعا معينا ، لا يستطيع ان يفعل ذلك دون شيء من المغالطة • اذ يبقى دائما بعض الغموض ، هامش يفصل بين الحقيقة والرمز • هذا الغموض هو ما كان يهمله الروائي التقليدي الذي يروى كل شيء بالتمام والكمال ، وكأنه يفهمه فهما لا جدال فيه • اما بوتور، فيهمل ما يمكن أن يقوله الروائي عن الواقع ، ليهتم بما لا يستطيع ذلك الروائي تثبيته في شكل مرئي ملموس ، اي بما يظل موضع بحث• والمقصود به هو مواجهة الانسان للواقع أو مواجهته بالمعرفة عامة والعمل الفني خاصة، وهو لا ينظر الى الاشياء نظرة واضحة كاملة ، ولا يعمد الى التفسير، بل يولي كل اهتمامه لمحاولة التفسير، لعجزنا عن فهم الواقع ذاته • وبوتور الذي ولد في عصر يئست فيه الرواية من نفسها ، لا يرى في الفن الروائي وصفا للواقع ، بل سلسلة من المعادلات الرمزية التي تحاول تعريف ذلك الواقع • وبوتور الفيلسوف الفنان لا يتجه في الرواية ، الى مادتها او موضوعها ، بل الى رؤية الكاتب فيها •

والطريقة التي يبني بها بوتور رواياته لا تمليها النزعة الى الاصطناع ، بل تفرض نفسها على الكاتب فرضا • لقد خاض الجيل الذي ينتمي اليه بوتور ، كما خاض بوتور نفسه ، تجربة واحدة ، جعلته يشعر بضرورة استبدال الرواية التقليدية السهلة البالية بشكل اخر اصعب واكثر تعقيدا ، شكل ينحو نحو الفنون المعاصرة الاخرى ، خاصة الفنون التشكيلية ، والموسيقى، والفكر الفلسفي، بل والعلمي •

وروايات بوتور اوضح واغنى مثال لتغير الرؤية عند الروائيين الجدد • وتتميز ثلاث منها، بالذات ، بموقعها بين الرواية التقليدية والرواية الجديدة • فهي تحتفظ من حيث الشكل ، بالسرد والوصف • ويستطيع القارىء أن يقرأها كما يقرأ روايات فلوبير وبلزاك ، لانه يشعر ان الكاتب يعمد في آن واحد الى مزيد من الدقة والى الحركة البطيئة • هذه الروايات الثلاث هي «ممر ميلانو » (١٩٥٤) ، و « البرنامج » (١٩٥٦)، و « التغيير » (١٩٥٧) ، وتظهر فيها نوايا تجدها، لكن بشكل اخر ، في مؤلفات الكاتب اللاحقة •••

في هذه الروايات الثلاث •• موضوع حديثنا ـ يبدأ بوتور راويا لا يدخل القارىء في متاهات لا حصر لها ، وينتهي فنانا طليعيا • وهو يعد واحدا من ادق الكتاب المحدثين الذين لا ينظرون الى الرواية على انها مجرد سرد يخضع للتقاليد السائدة ، بل يرون فيها شيئا اشبه بالقصيدة واداة للبحث • ولا يعني هذا انه لا يهتم بتصوير واقع عصره الانساني ، والنفسي ، والاجتماعي • فضلا عن انه واضح النوايا والاساليب ، ولا يحاول أن يبهر جمهور المتحذلقين بالابداع الزائف• وكما قلنا ، تمثل روايات بوتور نزعة عامة نشأت ثم تطورت تدريجا في القرن العشرين وتأكدت في السنوات الاخيرة ، الا وهي تلك التي تطلب من

الرواية ، لا ان تصف الواقع كما كان يفعل روائيو القرون الثلاثة السابقة ، وانما ان تعيد النظر في طريقتنا المعتادة للنظر الى هذا الواقع، ومن ثم ، لا تحلله ، وانما تحلل تفسيرنا له ٠

عمارة « ممر ميلانو »

في « ممر ميلانو » ، يصور بوتور حياة السكان في احدى العمارات الباريسية ، في فترة زمنية محددة من السادسة مساء الى آخر الليل ٠ يصور لنا حياتهم ، والطريقة التي يلتقون بها احيانا ، وعندما يشرع المرء في قراءة هذه الرواية ، لا يشعر بالغربة ، وانما يشعر انه يدخل ، شيئا فشيئا ، في عالم واقعي معقد ، وان بدا مألوفا، وتسير الرواية في خطين ، التزم بهما الكاتب في مؤلفاته اللاحقة : الاهتمام بالواقع من ناحية ، وطريقة استكشافه ، وبنائه ، والايحاء به ، من ناحية اخرى ٠

تعيش في العمارة المطلة على ممر ميلانو جماعة من الناس يلتقون ، ويكادون يتلامسون ، لكنهم لا يعرفون بعضهم بعضا ٠ ويتعرف القارىء عليهم من خلال عمليات السرد المتوازية التي تكاد تحول الرواية الى « قطاعات جيولوجية » من المجتمع الباريسي ٠ ونحس ان الكاتب يهتم اهتماما خاصا بالقضايا التكنيكية التي تطرحها معالجة مثل هذا الموضوع ٠ في لقطات متتابعة ، نتعرف على الاسر التي تقطن العمارة : عائلة رالون المكونة من ارملة وولديها ـ وهما من الرهبان ـ ، وعائلة موتيي العديدة الافراد ، وعائلة فرتيج البورجوازية، فيما عدا هؤلاء يسكن العمارة رجل غريب الاطوار، وعائلة من الرسامين ، لكل واحدة من هذه الخلايا الاسرية حياتها الخاصة واحداثها الخاصة المؤثرة فيها ٠ تستقبل كل منها بعض الضيوف ٠ ولكي يعطينا الكاتب احساسا حقا بالحياة الجماعية ، يبحث عن وسيلة للاتصال بين هذه الاسر او هذه الطوابق المختلفة فيتخيل ان آل فرتيج يحتفلون بعيد ميلاد ابنتهم العشرين ، وانهم يدعون ، بهذه المناسبة ، آل موتيي وآل رالون ٠ وهكذا نشأ احساس بالحياة المعقدة المفعمة بالحركة ، كاننا امام خلية نحل عامرة ٠ يتمثل فن بوتور عندئذ في عملية المونتاج ، بحيث لا يبدو مشهدا اطول او اقصر من اللازم ، وبحيث تتابع المشاهد دون ان يفتر اهتمام القارىء او يفقد عنصر المفاجأة والتشويق ٠ وبالتالي ، يتحول انتباه القارىء عن مادة الرواية ليتركز على براعة الراوي ٠ ويقول البيريس : اذا بحثنا عن الشخصية الرئيسية ،في هذه الرواية ، وجدنا انها الكاتب نفسه ، المحرك الرئيسي لكل الخيوط ٠

ويصور بوتور « الواقع الانساني » هنا على نفس المستوى الذي كان يقف عنده بلزاك في رواياته ،اى انه يقدم لنا الشخصيات بكل ما يحيط بها من تفاصيل وديكور : المظهر الخارجي، الطباع، التاريخ الاسرى والاجتماعي ، البيئة ، الخ ٠٠٠، وفقا للتقاليد التي ارستها الرواية النفسية ٠ وكما كان يفعل بلزاك ، يجعل بوتور الشخصيات تواجه بعضها بعضا ، ويقدم لنا المعلومات الخاصة بمسلكها والعلاقات بينها ، الخ ٠٠ كل شيء اذن، في رؤية المؤلف ، واقعي بحت : المادة ، الطريقة ، الاسلوب ، اللهم الا نقطة واحدة : بناء هذه الرؤية والهدف الذي ترمي اليه ٠ فالرواية الواقعية او النفسية تستند الى الحكاية ، وتهدف الى تصوير مجتمع ما او نفسية ما ٠ اى انها تطرح سؤالا يجعل شوق القارىء لا يخبو لحظة واحدة ، حتى تاتي الاجابة عليه ، في الخاتمة٠٠ ففي رواية بلزاك « اوجيني جرنديه » ، التي يصور فيها الكاتب شخصية البخيل خليفة هرباجون، يلح على القارىء سؤال واحد : هل تتزوج اوجيني وتفلت من سيطرة ابيها ؟ لكننا لا نجد شيئا كهذا في « ممر ميلانو » عندما تقيم الأسرة التي تقطن الطابق الرابع حفلة ، لا نتساءل عما اذا كان قريب الأسرة التي تقطن الطابق الثاني سيتمكن من الذهاب اليها ام لا ٠ فاحداث الرواية لا تخضع للتكنيك الدرامي ٠ حتى عندما تنتهي الحفلة ، ويطرأ حادث عنيف ـ جريمة قتل تروح ضحيتها فتاة شابة ـ يطرأ صدفة دون ان تمهد له الاحداث السابقة او ترتبط به٠ لا تقوم هذه الرواية اذن على القصة ، بل على وصف حفلة تقام في عمارة من ستة طوابق ٠ هنا يكمن عنصر الابتكار في « ممر ميلانو » ٠ واذ ينهج هذا النهج ،يسير بوتور في اثر روائيين مثل بروست وجول رومان، ويسعى الى تقديم صورة كاملة متكاملة لهذه الجماعة ومصيرها ، صورة تبين البشر وكانهم قطع تحركها يد خفية على لوحة الشطرنج ،وتخلف فينا احساسا بان قانون الصدفة وحده هو الذي يحكم حياة الجماعة٠

وكل شيء في « ممر ميلانو » يكاد يكون «تكوتيا»، مثلما في لوحات عصر النهضة . تؤكــد هــذا الخواطر التى يتبادلها سكان الطابق الخامس ، وهم من الرسامين : « لا شك انك رأيت ، في قاعات « اللوفر » المصرية ، هذه المقبرة الصغيرة المغطاة بالرسومات ... انظر الى هذه الطيور التى تدير رءوسها هنا وهناك ، واجسام البحارة فى المراكب المتتابعة ، وحاملات القرابين ... ان فنان بنى حسن ينقلنا من الراقصة الى المحارب ، بحركة واحدة مستمرة .. لكن .. مزج اللحظات المتتابعة لمختلف المعارك ، جعل مجموعات الوجـوه تترابط ... » وينتقل القارىء من طابق الى آخر ، ومن شخصية الى اخرى ، بحركة واحدة مستمرة . هنا ، تتضح العلاقة الوثيقة بين بناء الرواية وبناء اللوحة . وتدل كتابات بوتور عن الرسامين ـ مثل موندريان والكرافاج ـ على ان خياله قريب من خيالهم .

فرنسى فى لندن

وتسير رواية بوتـور الثانية « البرنامـــج » (١٩٥٦) في نفس الاتجاه الذى ســارت فيهـا سابقتها . فهي خالية من الأحداث ، ظاهريا على الاقل . اذ انها وصف دقيق لما يدور في نفس جاك ريفيل ، موظف البنك الذى ذهب للتدرب لمدة عام فى مدينة بليستون الانجليزية . الموضــوع اذن موضوع واقعى بحت . تقوم بدور الراوى الشخصية الرئيسية ، جاك ريفيل . كل شيء في الرواية واضح وضوح النهار ، لكن ، شيئا فشيئا ، ودون أن يشعر المرء ، يتحول السرد والوصف من البساطة والواقعية الى لغز مبهم . ويفرض عليه ، شيئا فشيئـا ، احساس بـأن الواقع هو اكثر الامـور غموضا بالنسبة للانسان .

ما هو هذا الموضوع الواقعى ، بالضبط ؟ يصل فرنسى لا يعرف الا القليل من الانجليزية ، ليلا ، حاملا حقيبته ، الى مدينة انجليزية يسودها الصمت، والغموض ، مدينة غريبة هائلة . ويهيم على وجهه فيها ، ولا يجد فندقا ، فيعود ادراجه يائسا الى محطة القطار . وبعد ان يمضى الليل جالسا على احد المقاعد ، يواجه المدينة الغريبة التى سيعمل فيها عاما كاملا . وعندما يطلع النهار ، يذهب الى مقر عمله ، حيث يكدّ تسعة من الموظفين المساكين ، طيلة ايام الاسبوع . وترسله الشركة الى فندق كئيب . هكذا تبدأ الرواية ، واقعية ، بطيئة ، بحياة يومية رتيبة ، خالية من الاحداث ، يحياها البطل بين العمل وغرفته والمطعم . ويصف بوتور كل شيء بمنتهى الدقة ، مما يجعل الواقع اكثر قسوة واثارة للقلق . وبطريقة ما ، يمكن ان نقول ان موضـوع الرواية يتمثل في الصراع بين الرجل والمدينة : « كنت احس ان فى بليستون قوة معادية لى ... » واذ يســتولى على ريفيل شعور بالوحدة والملل ، يتملكه حب الاستطلاع في ساعات فراغه ، ويشعر بالرغبة فى النفاذ الى قلب المدينة ، وفهمها ، والوقوف على اسرارها ، ان كان لها اسرار . وبالفعل ، تنفتح له ابواب هذه الاسرار ، ويتصدع الحاجـز الزجاجي الذى كان يقف حائلا بينه وبين المدينة . وذلك عندما يتصادف ان يشترى رواية بوليســية ، ويزور كاتدرائية المدينة . عنوان الرواية البوليســية « جريمة بليستون » ، وهى تتحدث عن اخ قتــل اخاه في كاتدرائية بليستون ، تحت النافذة الملونة التى تصور قتل قابيل لهابيل .. وتبدو الجريمة الخيالية وكأنها تستعيد ذكرى الجريمة التاريخية. وتتحول المدينة فى نظر ريفيل ، من الكآبة الى الاثارة والغموض . ويسترشد البطل بالكتاب فى جولاته . فيزور الاماكن التى عاش فيها كل من الضحية ، والقاتل ، والمخبر ، ويجلس على المائدة التى جلسوا حولها لتناول الطعام . هكذا تزدوج القصة ، قصة بوتور ، وقصة الرواية البوليسية ، ونشهد مجموعة من المصادفات التى تمتزج الى أن يغزو الخيال الواقع ، اى حياة ريفيل فى بليستون. وتتحول المدينة ذات الجدران الكئيبة الـى غـابة مسحورة . ويتضح ان بوتور يخفى تحت الرواية الواقعية ، المتقنة ، الدقيقة ، رواية اسطورية . القصة اذن اشبه بمتاهة تطارد فيها الشخصيات بعضها بعضا . والمتاهة هنا تشمل كلا من الزمان والمكان . لان بوتور فى هـذا السرد الدائرى ، لا يستعمل التكنيك المعتاد ، اى التسلسل الزمنى للاحداث التى يعيشها ريفيل فى بليستون ، على مدى عام كامل . بل لجأ الى المذكـرات اليومية المكتوبة بلغة المتكلم . الا ان هذه المذكرات لا تبدأ الا بعد انقضاء الاحداث بعدة شهور، اى ان ريفيل ينقل الماضى ويعود اليه انطلاقا من الحاضر . هكذا نعيش مع البطل فى زمنين متداخلين ، الحاضر يلقى الضوء على الماضى . والماضى يلقى الضوء

على الحاضر •وتستخدم « البرنامج » بناء الرواية البوليسية ،الذى يظهر بعدا جديدا داخل الرواية• فالمذنب ، فى الرواية البوليسية يكتشف حتما ويقتل • والسرد فيها لا يعكس سلسلة من الاحداث انعكاسا مستويا ، بل يعيد بناء الرواية ، بزمانها ومكانها • وهذا ما يعمد اليه بوتور فى روايته• فهو يرفض الحاضر ، الزمن التقليدى للرواية البوليسية ، ولا ينظر اليه الا من خلال الماضي ، وبالعكس • وهذا اقرب الى الواقع ، لان كل لحظة من الوعي مزيج من الماضي والحاضر • الرواية البوليسية "تحمل على التقاء لحظتين من الزمان ، الجريمة وعقابها ، ونقل الاحساس بالارتباط الحتمي بينهما الى القارىء" • ولا ننسى ان قصة الجريمة لا تظهر الا من خلال حياته الحالية فيها•

« التغيير » ب ١٦ لغة

اما « التغيير » التى نال عنها الكاتب جائزة رينودوه عام ١٩٥٧ ، فترجمت الى ست عشرة لغة اجنبية • قلنا ان بوتور يرى فى الرواية محاولة لتفسير الواقع المعقد •وهو واقع خارجي ،جماعي، موضوعي ، يصعب النفاذ اليه • ويتمثل كما رأينا، فى عمارة او مدينة ، او فصل مدرسى •مرة واحدة فقط ، حاول بوتور ان يطبق منهجه هذا على مجال آخر من مجالات استكشاف الرواية ، ما يمكن ان نسميه « واقع داخلى » فالتغيير ، ظاهريا ، مونولوج يتامل فيه البطل ماضيه ، وحاضره ، ومشروعاته المستقبلة، خلال الاربع والعشرين ساعة التى يقضيها فى القطار المسافر من باريس الى روما • تقوم هذه الرواية ،كسالفتيها •على وحدة المكان • والمكان هنا مكان مغلق ، احدى عربات السكك الحديدية ، لكنه مجرد اطار لحلم المسافر• والرحلة ، فى حد ذاتها ، شاشة تعكس المستويات المختلفة لحياة البطل • حتى ان احد النقاد قال ان تاملات ليون دلمون ــ البطل ــ شكل من اشكال تصريف الافعال • وليون دلمون رجل فى الاربعين يدير فى باريس مكتبا للآلات الكاتبة الايطالية • وهو متزوج من امراة بورجوازية رزق منها بثلاثة اطفال•وفى روما ، حيث الفرع الرئيسي للشركة، يتعرف على سيسيل ، التى تعمل سكرتيرة للملحق العسكرى الفرنسي، والتى تحن دائما الى باريس• وعندما تبدا الرواية ،نرى ليون فى عربة من عربات الدرجة الثالثة ، لانه سافر هذه المرة على حسابه الخاص ، لكي يقنع سيسيل باللحاق به في باريس ، بعد تطليقه لزوجته • وكما نراه اسير عربة القطار ، نصبح ، نحن القراء ، اسرى افكاره ووعيه ، خاصة أن الراوى يتحدث بلغة المخاطب• هذه الرحلة بالنسبة له ، زمان ضائع ، بين اللحظة التى قرر فيها ، وهو فى باريس ، هجر زوجته من اجل عشيقته، واللحظة التى يصل فيها الى روما• فى هذه الفترة ، يتم التحول او « التغيير » • ها هو ذا يرى وصوله الى روما • لكن هذا الغد المستقبل يوقظ ذكرى آخر لقاء بينه وبين سيسيل فى روما ، منذ اسبوع ، قبل اتخاذه القرار •وتفد صور اخرى : نزهتهما فى روما ، وفى باريس • وتوقظ صورة الزوجة ذكرى الرحلة التى قام بها معها ، فيما مضى ، فى روما ••• بينما ظن انه نسيها ! هكذا تلتقى روما التى زارها دلمون مع سيسيل مع روما التى اكتشفها مع زوجته ، قبل ان يتسلل الملل الى حياتهما • وتختلط صور روما بصور باريس ، ويختلط البشر ، وتختلط الاماكن، حتى ان دلمون يقول : « لا ينبغى التفكير فى هذه الرحلة الماضية مع سيسيل فى باريس ، لا ينبغى التفكير الا فى الغد وفى روما ••• » ويواصل دلمون رحلته الرتيبة ، حتى تتداخل ذكريات ترجع الى فترات مختلفة من حياته •حول هذه الذكريات ، تتركز احداث هذه القصة العادية: الزوج ، والزوجة ، والعشيقة • وبالرغم من الانعكاسات المتعددة ،والازمنة المختلطة او المتجاورة، لا يضل القارىء السبيل ابدا • وفى هذه الصور، وهذه الذكريات ، تكمن « احداث الرواية » ، اذا جاز التعبير • فالراوى لا يفكر ، ولا يقارن بين زوجته وعشيقته ، بل يجعل احداث حياته الماضية تتفاعل ،وتختلط ،وشيئا فشيئا ، يتضح «الحل»• لقد تغير القرار الذى كان قد اتخذه في باريس : « التخلى عن مشروعك بشكله الاصلى الذى كان يبدو لك واضحا متينا ، التخلى عن هذا الوجه المضيء لمستقبلك ••• حياة يملؤها الحب والسعادة فى باريس مع سيسيل » • ويدرك دلمون انه لن يرى سيسيل غدا ، بل سيعود ادراجه الى باريس، والى زوجته • لكنه يشعر انه « ضاع فى غابة •• ولا يعرف الى اين يسير ، ولا يعثر على الطريق الذى قاده اليها » • وجدير بالذكر ان هذه التاملات ، محور الرواية ، لا تبنى رواية نفسية،

لان دلون لا يفكر ابدا في الدافع الى افعاله او افعال الآخرين • ويتم التعبير عن كل شيء بالصور ـ ذكريات كانت ام مشروعات مستقبلة ـ والرؤى• لان دلون يحس بالمكان اكثر مما يحس الانسان • لقد احب روما التي زارها مع سيسيل ، وكانتله نقطة الانطلاق الى الحلم والخيال • واذا انتقلت سيسيل الى باريس ، فقدت روما وفقدت سيسيل سحرها • والصراع ، في الواقع ، صراع بين مدينتين ، روما وباريس ، اكثر منه صراع بين الاهواء والعواطف • ويبدو وجه كل من سيسيل والزوجة شاحبا الى جوار المدينتين اللتين ترمزان اليهما ، وتولدان سحر الذكرى والخيال •

في الجيل الذي ظهرت فيه « الرواية الجديدة » باتجاهاتها المختلفة ، كان بوتور الفنان الذي عبر عن الرواية الروائية والجمالية للعالم ، التي تكونت لدى الانسان في الفترة التالية لكل من اينشتين ، وبيكاسو ، وموندريان ، وجويس ، وباشلار ، الخ •••• كان الروائي الذي اهتم ببناء الرواية ، اولا وقبل كل شيء ، تماما كما كانت مسرحية بيرندللو « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » دراسة لطريقة تركيب المسرحية ، وكما كان فيلم فيلليني « ٨½ » قصة فيلمتجري محاولة اخراجه تحت انظار المتفرج • لم يحاول بوتور معرفة الواقع ، بل عمد الى دراسة تلك المعرفة دراسة نقدية • ولم يخلق مادة روايته ، بل درس وجرب كل الاشكال التي يمكن ان تتخذها الرواية• اى انه فعل ما يفعله الفيلسوف عندما يحدثنا عن نظرية المعرفة بدلا من ان يصف لنا العالم : «يوجد في رواياتي تفكير في الرواية ••• واعتبر الرواية اداة الوعى •• وكبار الكتاب المحدثين يتقدون انفسهم جيدا » • ورأى ان الرواية هي المكان الفصل لدراسة الطريقة التي يبدو بها او يمكن ان يبدو بها الواقع ، لذا ، كانت مختبرا للسرد •••• » ■■

د • سامية أحمد أسعد

الجامعة المستنصرية ـ بغداد

■ اذا أراد الله بأمة خيرا جعل يقظتها على ايدى اعدائها •

(البشير الابراهيمي ، الجزائري)

■ لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

(جميل بثينة)

■ الهوى يجعل أعقل الناس حمقى ، ويمنح الحكمة لاشدهم حماقة •

(لارشفوكو)

■ ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب ـ فقد ظن عجزا

(الخنساء)

■ طالما لقيت ناسا يتنافسون في المزاح والسخرية ، ولم ار منهم من ينافس غيره في السبق الى الفضيلة •

(ديوجين ، الفيلسوف)

■ أيها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدى العباد

(عمران بن حطان ، الخارجي)

السرطان

عدو البشرية رقم "١"

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

هذا الغـــول الذى وقف الطب عاجزا عن قهره ! هل يأتي اليوم الذى يتم فيه القضاء عليه بعد أن قضى على المـــلايين من البشر ٠

■ ليس السرطان مرضا جديدا ، فهو معروف منذ القدم ، ولم تزد نسبة الاصابة به كثيرا عن ذى قبل ، ولكن وســـائل التشـخيص الحديثة ، كالاشعة ومنظار المعدة ، ومنظار المثانة ، ومنظار الشعب الرئوية ، والتحليل الباثولوجي والتقدم الجراحى قد اظهر ان المرض شائع ، وتبلغ نسبة ضحاياه ١٠٪ من مجمـــوع وفيات الـذين تزيد اعمارهم عن ٣٥ عاما ٠

وليس هناك سن معينة للاصابة بالسرطان ، ولكن توجد انواع تفضل اعمارا خاصة ٠ وبوجه عام ، تنتقى السركوما Sarcoma ضحاياها من بين الشباب ، وتنشب الكارسينوما Carcinoma اظفارها في اجسام الكهول ٠

وتكثر اصابة الاناث بسرطان الثـدى والرحم والمبيض فى حين يصـاب الذكـور بنسبـة اكبر بسرطان القناة الهضمية ٠

وقد بحثت الدكتورة سـلاى Sley ، اثر الوراثة في هذا المرض، واختارت الجرذان لاجراء تجاربها نظرا لصغر حجمها ، وسـهولة تشريحها وقصر اعمارها ، مما يمكن الباحث من مشاهدة سلالات عديدة منها ، وظهران من بين ٣٠٠٠٠ اصابة تجريبية في الجرذان ، توجد ٤٠٠٠ اصابة في الجيل الاول من نسلها ، وبمتابعة البحـوث لاجيال عديدة منها ، على ضـوء نظرية مندل ، ثبت بطريقة قاطعة انه ليس للوراثة اثر يذكر في السرطان ٠٠٠ وكل ما هنالك انه توجد حالات مرضية وراثية يمكن تحولها الي سرطان ٠٠مثال ذلك تكون سرطان القولون على زوائده الوراثية٠

طفيل ناقل للمرض

وتدرجت البحوث عام ١٩١٧ ، وكان من نتائجها ثبوت امكان تطعيم حيوان بخلايا سرطانية مستاصلة من حيوان آخر ، مما يبعث على الظن بوجـــود ميكروب او طفيل ناقل للمرض ٠

ولقد وجد فيبجر Febiger مصادفة طفيلا خيطى الشكل مصحوبا بسرطان المعدة فى الجرذان التي قام بتشريحها ٠٠ فتتبـــع هذا الطفيل ، واكتشـــف الحشرات التي يعيش فيـها وينتقل بوساطتها ، ولكن البحوث الاخيرة التي تتلخص في اطعام الجرذان على الحشرات المحتوية على

الطفيل المذكور لم تؤيد فيبجر فيما ذهب اليه ٠

اما الجهود المتواصلة التى بذلت فيالكشف عن ميكروب او فيروس فقد باءت بالفشل ، اذ ثبت ان الميكروبات العديدة التى يكتشفها الباحثون بين اونة واخرى ليست خاصة بالسرطان ولكنها دخيلة عليه ٠

وهناك نظرية اساسها ان نقص الفيتامينات فى اخر مراحله يهيج الاغشية المخاطية ، ويعتقد البعض ان سرطان المعدة قد ينشأ لهذا السبب ٠

ولوحظ منذ عهد غير بعيد ، ان حقن هرمونات المبيض تخفف الام سرطان البروستاتا اليحد امكان الاستغناء عن حقن المورفين التى يحتاجها المريض لتسكين حدة الالم ، كما ان حقن هرموناتالخصية عندما تعطى لانثى فانها تزيل العوامل المهيئة لسرطان الثدى ، مما يدعو الى الاعتقاد بوجود علاقة ما بين منشا السرطان واضطراب الهرمونات٠

بيولوجيـة الخلية

وقد عكف بعض العلماء على دراسة بيولوجية الخلية ، وكيفية نموها وتكاثرها ، فوجد ان هناك فارقا رئيسيابينالخلية العادية والخليةالسرطانية، فالاولى تنموفى الوسط الهوائى Aerobic والاخرى تنمو فى الوسط اللاهوائى ولكن تقدم الابحاث فى هذا الفرع اثبت ان الخلية فى حالة الانقسام السريع تستطيعان تستعمل الطريقة اللاهوائية ، وظهر كذلك ان خلايا شبكية العين العادية تنمو بالطريقة اللاهوائية ايضا ٠

ووضع كوبنهايم Copenheim نظرية تكون السرطان على بقايا خلايا جنينية ، ولكن ذلك لايفسر طريقةنمو وانتشار مختلف انواعالسرطان٠

ومتى تعددت الاراء وكثرت النظريات حول تاويل مرض معين ، فمعنى ذلك ان السبب الحقيقى لايزال مجهولا ٠

غير ان هناك عدة مشاهدات تسترعى النظر وتبعث على التفكير ٠٠ ففى منطقة كشميريضع الاهالى وعاء فخاريا مملوء بالفحم المتقد بين الفخذين للتدفئة ٠ وفى هذا الموضع بالذات يتعرضون دائما للاصابة بالسرطان ٠

وفى انجلترا يصاب عمال تنظيف المداخن باورام خبيثة فيمواضع ثابتة ٠ ويتعرض الذينيستعملون الغليون الفخارى فى التدخين لسرطان الشفة ، ويلاحظ كثيرا ان الحصوات سواء كانت فى المرارة اوالكلى او المثانة تهيىء الطريق لتكوينالسرطان فى هذه الاعضاء ٠

كما يصاب عمال مصانع صبغة ازرقالميثيلين Methylene blue بسرطان المثانة ، وبسبب كذلك التعرضغير المنتظملاشعة اكس كثيرا منالاصابات السرطانية ٠ وينشا سرطان اللسان عن اسنان تالفة او طقم معدنى غير ملائم ٠

ويتضح من كل ذلك ان التهيج المستمر للجلد او الاغشية قد يسبب سرطانا ، سواء كانالعامل فى ذلك ميكانيكيا اوكيميائيا اوحراريا ٠

وقد تمكن العالمان اليابانيان « ياماجيوا » و « اشيكاوا » Yamajewa & Echikawa من تكوين اورام سرطانية فى الحيوانات باستعمال مركبات كيميائية اهمها الانثراسين والبنزابيرين Anthracene & Benzapyrine ٠

نشاة السرطان

وينشا السرطان فى الاصل موضعيا ، ثميتشعب بعدئذ ٠٠ ومن هـذا كانت ضرورة التشخيص المبكر ٠ ليكون هناك محل للعلاج الجراحى ٠

ويتوقف اختيار الجراحة او الراديوم اوكليهما معا فى الحالات القابلة للعلاج على نوع السرطان ومدى انتشاره ٠

وقد اتبعت الدول الراقية نظام الفحصالجماعى كل ثلاثة شهور ، لاستئصال العوامل المهيئة للسرطان فى الوقت المناسب ٠

وقد امكن بواسطة الفحص بالاشعة لمجموعات كبيرة من العمال معرفة سرطانات مبكرة فى الرئة واورام امنة ، لو طال اهمالها لتحولت حتماالى اورام خبيثة ٠

وكثيرا ماتكون شكوى المريض فى المراحلالمبكرة تافهة لا تتناسب والسبب الخطير لها ، كان يشكو مريض سرطان المعدة بمجرد عسر هضم او انيميا او ان تكون الشكوى كحة عادية ٠٠ والسبب سرطان فى الشعيبات الرئوية ٠

وقد يلحظ المريض وجود بواسير ويسعى

لعلاجها ويتبين من الفحص ان البواسير ثانوية لسبب اولى خطير هو سرطان المستقيم .

وتضيف البلهارسيا المتوطنة في مصر وغيرها من البلدان في الشرق العربي عاملا مهيئا هاما لتكون سرطان المثانة .

والى جانب مسكنات الالم والمقويات العامة ، يتوافر الان عدد من العقاقير ان لم تكن تمنح شفاء للسرطان ، فانها تهيىء تحسنا مؤقتا للاورام التي يتعذر استئصالها جراحيا ، وتستعصى على العلاج بالتعرض للاشعة .

ويعتمد البحث في هذا المجال ، على وجود فروق بين الخلايا العادية والخلايا السرطانية ، وبالاستفادة من هذه الفروق ينبثق الامل في اكتشاف عقار يقتل الخلايا السرطانية ، ولايؤثر على خلايا الجسم العادية .

لا مقاومة للسرطان !

ويجب الا يغرب عن البال ، ان الصعوبة الكبرى هي عدم وجود اية قوى دفاعية طبيعية في الجسم ضد السرطان ، ففي حالات مبيدات الميكروب ومركبات السلفا ، يكفي ان يقضي العقار على ٦٠٪ من الميكروبات مثلا ، وتتكفل قوى الجسم الدفاعية الطبيعية بالباقي ، اما في ادوية السرطان فانه لو قضى العقار على ٩٩٫٩٪ من الخلايا السرطانية ، فان اية خلية سرطانية تتخلف تكفي لعودة المرض من جديد .

ولا يمكننا اعطاء جرعات كبيرة بقصد ضمان القضاء على جميع الخلايا السرطانية ، فان ميكانيكية مفعول هذه العقاقير ان اعظم اثرها يقع على الخلايا وهي في ذروة انقسامها . وهي تفيد من السرعة الفائقة التي تنقسم بها الخلايا السرطانية ، فتفتك بها وحدها ، ولكننا لو زدنا جرعة العقار ـ ضمانا لعدم تخلف خلايا سرطانية تتاثر وتضمحل خلايا النخاع العظمى التى هى مصنع كريات الدم الحمراء لانها اسرع خلايا الجسم انقساما ، لو زدنا اكثر تتاثر وتذوى خلايا الجسم العادية .

أمل جديد في الشفاء

ولئن عجز العلم للان في الكشف عن علاج حاسم للسرطان او التعرف على كنهه فالامل وطيد في ان الابحاث القائمة على قدم وساق في مختلف ارجاء العالم سيعقد الظفر لها يوما ، نرجو ان يكون قريبا وخاصة بعد اكتشاف عقاقير لها اثار فعالة في بعض انواع السرطان ، وان تكن معرضة للانتكاسات اذ ان القوى الدفاعية في الجسم لاتساعد هذه العقاقير مطلقا ـ كما سبق ان اوضحنا ـ اذ تقف عاجزة امام المرض ، وعليه تعتبر هذه الادوية فتحا جديدا في عالم الطب واهمها الكورتيزون والنيترومين Nitromin والتيم Tem والميليران Myleran اما دواء ميتو تريكسات Methotrexate فهو يشفي نهائيا الكوريو كارسينوما Chorio-Carcinoma لانه السرطان الوحيد الذى ينشا عن خلايا تتبقى من الجنين ، ولذا فهو دخيل على الجسم ، وهذا يفسر استجابته للدواء لدرجة تمام الشفاء .

وتلافي العوامل المهيئة للسرطان ، هو السلاح الوحيد الذى امكن العلم ان يزودنا به حتى اليوم لمحاربة هذا الداء الوبيل . ويضاف الى ذلك تقدم الوعي الصحي ، والعمل على استقراء اسباب اى عارض غير طبيعي مهما كان تافها ، والسعى الى العلاج المبكر حثيثا . ■■

القاهرة ـ ابراهيم فهيم

■ ولقد رأيت الشر بيـ ـن القوم تبدؤه صغاره
فلو انهم يأسونه لتنهنهت عنهم كباره
(مسكين الدارمي)

■ ما أشد فطام الكبير .
(مالك بن دينار الاسدى)



طبيب الأسرة

نقل الاعضاء من شخص لاخر

● نقرا عن عمليات نقل الاعضاء من شخص لاخر فما اهمية هذه العمليات وهل تجرى حاليا فى العالم العربى ؟

ـ عمليات نقل الاعضاء تستعمل لنقل عضو سليم الى شخص مريض بسبب مرض هذا العضو عنده . مثال ذلك نقل الكلية من شخص سليم الى مريض مصاب بهبوط فى الكليتين ،وكذا نقل القلب الى مريض مصاب بهبوط فى القلب نتيجة لتصلب شرايين القلب وتعدد الجلطات فيه .

وفى الحقيقة أن أول عمليات نقل الاعضاء أجريت على قرنية العين وهى الجزء الشفاف من العين الذى يمر من خلاله الضوء. ففى بعض الحالات المرضية تفقد القرنية شفافيتها فيفقد الشخص البصر وفى هذه الحالة يمكن نقل جزء من قرنية سليمة بدلا من الجزء المعتم . وتؤخذ القرنية السليمة من عين توفى صاحبها حديثا . وفى الخارج يتبرع الكثيرون بقرنيات عيونهم قبل الوفاة وتحتفظ هذه القرنيات فى بنك العيون لنقلها للمحتاجين وعمليات نقل القرنية تجرى كثيرا فى العالم العربى .

ومن أكثر عمليات نقل الاعضاء انتشارا عملية نقل الكلية فتؤخذ كلية سليمة من شخص (يوجد للشخص العادى كليتان ويمكن أن يعيش الشخص حياة طبيعية بنصف كلية) الى شخص مصاب بتلف فى الكليتين . والمشكلة فى مثل هذه العمليات أن جسم الشخص المتلقى للكلية يعاملها كجسم غريب اذ أن تاثير نظام المناعة بالجسم قد يؤدى الى تلف أنسجة الكلية المنقولة ، لذا فانه يشترط لنجاح مثل هذه العمليات تشابه أنسجة الشخصين من الناحية المناعية . وهذا التشابه يكون موجودا فى التوائم ويكون موجودا بدرجة أقل فى الاقارب . لذا يجب قبل عمليات النقل هذه عمل بحوث على أنسجة عدد من الاقارب الراغبين فى التبرع والمريض لاختيار أقربهم تشابها لانسجة المريض . وفى نفس الوقت يعطى المريض الذى يتلقى الكلية علاجا لمدة طويلة بأدوية تضعف نظام المناعة بالجسم لكى لا يرفض جسم المريض الكلية مما يؤدى الى تلفها . وطبعا هذه الادوية المضعفة للمناعة لها تاثير سيىء على جسم المريض حيث أنها تقلل من مناعته ضد الامراض . وعمليات نقل الكلى أجريت فى بعض البلاد العربية . والمهم فى هذه العمليات هو المعامل التى تجرى فيها المقارنة بين أنسجة المتبرع والمتلقى .

وقد أجريت بعض العمليات لنقل القلب (يؤخذ القلب من شخص توفى حديثا فى حادث ويكون سليم القلب) فى جنوب أفريقيا بواسطة الدكتور برنار ولكن الغالبية العظمى من هذه الحالات لم يكتب لها النجاح وتوفى المريض بعد مدة قد تصل الى عام .



تضخم الغدة الدرقية

● انا سيدة فى الثلاثين من العمر ، احسست بورم فى منتصف الجزء الاسفل من رقبتى ، مع ضعف فى شهيتى للطعام، وعندما راجعت الطبيب اخبرنى بانى مصابة بتضخم الغدة الدرقية التسممى ٠٠ فهل لى ان اعرف شيئا عن هذا المرض ؟

ـ الغدة الدرقية Thyroid gland هى غدة كبيرة من الغدد الصماء (أى أنها تفرز هرموناتها مباشرة فى الدم) توجد فى منتصف الجزء الامامى الاسفل من العنق ٠

وتضخم الغدة الدرقية التسممى أو مرض جريفز Thyrotoxicosis Graves' dis هو حالة ازدياد فى نشاط هذه الغدة فتفرز كميات كبيرة من هرمون الغدة الدرقية ٠٠ وأسباب حالة ازدياد النشاط هذه غير معروفة على وجه الدقة حتى الان ٠٠ ونتيجة لذلك تتضخم محدثة ورما ملحوظا فى منتصف الجزء الامامى الاسفل من العنق ٠ ويحدث للمريض عدة أعراض منها جحوظ فى العينين ، وهذا الجحوظ قد يكون شديدا ٠٠ كما يفقد المريض شهيته للطعام ويشعر بازدياد فى دقات القلب ، وعصبية شديدة ٠٠ كذلك يلاحظ على المريض نقص فى وزنه وعدم احتماله للجو الحار ٠

وتجرى للمريض بعض البحوث لمعرفة درجة نشاط الغدة الدرقية ٠٠ وفى الحالات البسيطة فانه يمكن العلاج بواسطة الادوية التى تحد من نشاط هذه الغدة ٠٠ وفى حالات أخرى يعالج المريض باعطائه مادة اليود المشع الذى يتجمع فى الغدة الدرقية مما يحد من نشاطها ٠

أما فى الحالات التى لا تستجيب للعلاج الطبى ، فتجرى عملية جراحية لازالة الجزء الأكبر من هذه الغدة المتضخمة مع ترك جزء صغير منها لكى يؤدى الوظائف الطبيعية لهذه الغدة ، ولا يخفى أن الغدة الدرقية هى الغدة المهيمنة على كل التفاعلات الحيوية فى الجسم ، واذا ما أزيلت كلها ، فان هذا يؤدى الى هبوط شديد فى التفاعلات الحيوية مما قد يؤثر على الحياة ذاتها ٠

طنين الاذن

● أعانى من طنين فى الاذن ٠٠ما سببه ؟

ـ طنين الاذن هو سماع أصوات فى احدى الاذنين أو فى الاذنين معا ـ وفى بعض الاحيان يكون هذا الطنين مستمرا وفى أحيان أخرى يكون متقطعا ويحدث من أن الى آخر ويكون مقلقا أثناء الليل، وربما أثر على السمع بدرجة كبيرة مما يسبب اضطرابا نفسيا وكآبة شديدة فى بعض الحالات ٠

ولطنين الاذن أسباب عديدة ، فربما كان ذلك راجعا لوجود شمع فى صماخ الاذن الخارجية ، او التهاب فى قناة استاكيوس ـ أو التهاب فى الاذن الوسطى ٠

وفى كبار السن يكون السبب راجعا الى قلة الدم الذى يغذى الاذن الداخلية كما يحدث فى حالات فقر الدم الشديد ،

أو تصلب الشرايين أو ارتفاع ضغط الدم ـ وكذلك اذا حدث تكلس داخل أجزاء الاذن الداخلية • على أن هناك من الادوية ما يسبب طنينا فى الاذن مثل الاسبرين اذا أخذ بكميات كبيرة ومادة الكينين ومشتقاتها •

وهناك أسباب أخرى نادرة تصيب الجهاز العصبى بما فى ذلك العصب الثامن الذى يحمل حس السمع الى المخ • وأى اضطراب فى هذا الطريق يكون مصحوبا بنوع من الطنين يختلف من وقت الى آخر ، بل وفي بعض الاحيان يسبب هلوسة في السمع ـ أي يسمع المصاب أصواتا لا وجود لها • من ذلك يتضح أنه من الضرورى فحص المريض المصاب بطنين الاذن فحصا دقيقا ليعرف السبب ويعالجه •

الماء الابيض فى العين

● قال لى الطبيب ان عينى مصابة بالماء الابيض رغم أن الحالة مضى عليها ما يقرب من ثلاث سنوات ونصف، انني لا اشكو من الم فيها وكل الذى اشكوه هو ضعف فى الابصار فقط •• فما سبب هذه الحالة •• وهل من علاج لها ؟

ـ فى منطقة البؤبؤ داخل العين توجد « عدسة العين » وقد تحدث بها « كاتركتا او ما يسمى بالماء الابيض ، الساد » وقد يكون سبب ذلك :

١ ـ خلقيا ، اذ يولد الطفل بها وهذا بسبب مرض الام فى أثناء الاشهر الاولى من الحمل وخاصة مرضها بالحصبة الالمانية •

٢ ـ ونوع قد يتسبب كمضاعفات بعد اصابة العين ببعض الامراض • كقرحة فى قرنية العين وخاصة التى تسبب فتحة بها أو التهاب القزحية أو ارتفاع ضغط العين « الجلوكوما » أو بعد ضربة على العين أو بعد نزيف داخل العين أو باحدى مضاعفات بعض أمراض الجسم مثل مرض البول السكرى أو بعض أمراض الغدد •

٣ ـ نوع يصيب بعض الناس عند الكبر •

أعراضه :

لا يشكو المريض فى العادة من اى الم ، بل يشعر بنقص تدريجي في الابصار قد يصل الى حد لا يعدو أن يرى المريض خيال الشيء أمام عينيه • وقد يشكو المريض او أهله من وجود نقطة بيضاء فى منطقة البؤبؤ قد تكون كبيرة بحيث تملؤه كله ولا يرى من البؤبؤ غيرها ،وفى هذه الحالة تكون الرؤية ضعيفة جدا •

تشخيصه :

يتم بمعرفة الطبيب اخصائي العيون حيث يستطيع معرفة نوع العتمة وهل هى فى كل العدسة او انها فى جزء منها وهل هى من النوع الثابت الذى لا يزيد مع الوقت ولا تؤثر على النظر الا بدرجة بسيطة •

علاجه :

١ ـ اذا كان هذا الماء لا يؤثر على النظر بدرجة كبيرة بحيث لا يعوق صاحبه عن مزاولة أعماله فيمكن ترك المريض على حاله ومساعدته بنظارة طبية اذا كانت تحسن النظر •

٢ ـ اذا كانت هذه العتمة كبيرة تؤثر على النظر بحيث تعوقه عن القيام باعماله فيمكن استخراجها بعملية جراحية بسيطة • وبعدها يستعمل المريض نظارتين احداهما للمسافات البعيدة والاخرى للقراءة • اما بالنسبة لحالة صاحب هذا السؤال فلم يوضح لنا ان كانت هذه النقطة نتجت بعد مرض بالعين او ضربة عليها كما لم يذكر لنا عمره وهل تزيد مع الوقت أم لا • وهى ليست من النوع الخلقى حيث أن السائل يقول انها لم تنشا الا منذ ثلاث سنوات ونصف معه ، فاذا كانت حالته من النوع الذى لا يزيد مع الوقت والرؤية بها متوسطة كما ذكر فيستحسن تركها بدون عملية • واذا ما زادت هذه العتمة واصبحت الرؤية ضعيفة جدا فيمكن استخراجها بعملية جراحية، ولكن لا يستطيع لبس نظارة طبية عادية بعد العملية لان العين الاخرى سليمة ولكنه يستطيع لبس عدسة لاصقة او وضع عدسة مصنوعة من مادة خاصة داخل العين مكان العدسة المعتمة بعد استخراجها •





موقع الشطرنج في التراث الشعري العربي

بقلم : زهير أحمد القيسي

■ حفل تاريخ العرب بالمآثر الحضارية المنوعة من علم وادب وفن ، ومن فلسفة ورياضيات ، فصار ما حققوه في هذه المجالات جزءا اساسيا في بناء الحضارة الانسانية . ومن مآثرهم التي قل ما استثارت اهتمام العرب انفسهم ـ وان احتلت لدى علماء العالم ومؤرخيه موقعا متميزا ـ اسهامهم الفريد في الشطرنج الذي صار يقال له بحق انه هدية العرب الى العالم !

وللشطرنج اصل وتاريخ وتراث ، وما قيل عنه في اغلبه مأخوذ من كتابات العرب ، اذ ان اعظم مؤرخين للشطرنج في العالم وهما موراي البريطاني والفرباخ السوفياتي قد اعتمدا على كتب المؤلفين العرب حينما ارادا ان يحددا للشطرنج تاريخا ولاصوله جذورا ، ومن ذلك ما كتبه المسعودي في « مروج الذهب » « ومعادن الجوهر » مشيرا الى ان الدنيا لا تنال الا بالجد والعمل، قال : « ان ملوكا حكماء من ملوك الهند اخترعوا الصناعات ووضعوا اصول العلوم ، وكان اولهم البرهمن وثانيهم البهبود ،وفي ايامه اخترع النرد وثالثهم دبشليم ورابعهم بلهيت ، وله الف صصة بن داهر كتاب (طرق جنكا) وفيه جعل «الشاطورنجا» على صورة الادميين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات ومراتب على صور البروج » ، وحينما اعقبه شيرام الملك اراد مكافأة الحكيم صصة ، فطلب صصة طلبا « متواضعا » وهو ان توضع له حبة قمح على المربع الاول من الرقعة ثم تضاعف ! واستهان الملك بالطلب ، وعند التنفيذ تبين ان صصة قد طلب ما مقداره ١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥ حبة ، اي ما يعادل محصول الكرة الارضية من القمح لو زرعت جميعها بعد تجفيف بحارها وتسوية جبالها لمدة ٦٠٠٠ عام !

وهكذا فان منشأ « الشاطور نجا » كان في

الهند ، وهكذا سميت باللغة السنسكريتية فى حدود المائة الميلادية الخامسة ومنها انتقل الى فارس ايام الملك اردشير ، وربما كان اصل اسم شاطور نجا هو (جاتورانكا) اى لعبة الحرب ، قال الزمخشري : ان ملوك الهند كانوا حكماء لا يرون القتال وسفك الدماء فوضعوا الشطرنج ، وكانوا اذا تنازع ملكان فى كورة اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا فى موضع الحرب بالشطرنج فالغالب منهما استولى على ما وقع عليه النزاع فيه من غير قتال وسفك دماء ..

وابان الفتح الاسلامي لفارس ايام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عرف العرب الشطرنج ومارسوه ، فصار منذ ذاك جزءا من حياتهم الفكرية وما زال كذلك حتى اليوم ، فالفوا فيه الكتب وصنفوا فيهالمصنفات ونظموا فيهالقصائد، ووضعوا فيه المنصوبات والمسائل ، وسموه بلسانهم شطرنج ، وقالوا ان كسر الشين فيه اجود ليكون بوزن جردحل وهو الكبير الضخم من الابل .

وقد حفل ديوان الشعر العربي بمئات القصائد الشطرنجية ، مثل :

ولاعبتها الشطرنج خيلي ترادفت
ورخي عليها دار بالشاه بالعجل

وهو مما نحله المتاخرون من شعر لامرىء القيس :

ومنه ما هو للشاعر المعروف صفي الدين الحلي وفيه يقول :

قد ملكنا فهات نلعب الشط
رنج كيما اريح قلبي وعيني

فصففنا الجيوش بيضا وسودا
واعتبرنا تقابل العسكرين

فابتدأني بدفعه بيدق الفر
زان من حرصه على نقطتين

فنقدت الفرزان مع بيدق الصد
ر وسقت الفيلين فى الطرفين

ثم ضايقته فلم يبق للشا
ه على رغمه سوى بيتين .

ثم صحت : « اعتزل » فشاهك قد ما
ت بلا مرية وقد حل ديني ! »

ويصح اعتبار هذه الابيات دستا شطرنجيا كامل التفاصيل لا وجود لمثيل له فى ايما شعر من شعر الامم االاخرى بشهادة مؤرخ الحضارة العظيم ويل ديورانت .

وفى النقائض الشعرية المشهورة بين جرير والفرزدق ، تبادل الشاعران الهجاء مستعملين تعابير شطرنجية ، قال الفرزدق :

ونحن اذا عدت تميم قديمها
وانت لتدعى بيذق فى البياذق

فرد عليه جرير بقوله :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا
اذ مهر جعثن مثل أجر البيذق

وقد استعمل العرب كلمة بيدق وبيذق لجندى الشطرنج معربا عن (بيداك) وهو جندى المشاة بالفارسية .

ومن جميل ما جاء على لسان الملك النعمان فى قصة الجارية « شركان » من روائع تراثنا الاصيل فى كتاب الف ليلة وليلة عن الشطرنج قوله :

حضرت شطرنج من أهوى فلاعبني
بالبيض والسود لكن ليس يرضيني

كأنما الشاه عند الرخ موضعه
وقد تفقد دستا بالفرازين

وهنا نجد تعابير شطرنجية واضحة ، فالشاه هو ملك الشطرنج ، والرخ هو القلعة ، وتسمى الطابية ، وهي عند الانكليز روك ، وينظر فيها الى الرخ وهو الطائر العربي الاسطوري ، ولمناعة هذا وسموق طيرانه فقد قيل للقلعة المنيعة(روك)، اما الفرازين فهي جمع (فرزان) او فرز ، وهو وزير الشطرنج اليوم ويسمى لدى الاوروبيين بـ (الملكة)

وقد سخر الشاعر محمد بن شرف القيرواني من بعض ابناء عصره – قبل الف عام من يومنا هذا – فقال :

خلت الرقاع من الرخا
خ وفرزنت فيها البيادق

وتسابقت عرج الحمير
ر فقلت من عدم السوابق



ويصور هذان البيتان بدقة قانونا من قوانين الشطرنج التي لا تزال قائمة متبعة ، وهي ان البيدق اذا وصل الى الصف الثامن من الرقعة مجتازا خطوط الاعداء دون ان يقتل ، فان من حقه ان يصبح فرزانا اى وزيرا !!

ومن جميع ما وصدناه من شعر العرب في الشطرنج - وهو كثير خصب - أبيات قراناها منسوبة الى الشاعر على بن الجهم ، وان نسبها البعض الى الخليفة العباسي المامون ، وكان بذاته شطرنجيا متفوقا :

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين ألفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا
من غير أن ياثما فيها بسفك دم

وكان العرب يصنعون رقعة الشطرنج ذات المربعات السوداء والبيضاء من قطعة جلد او ادم، ويسمونها الجوارحية .

وينسب للمامون أيضا هذان البيتان ، وفيهما مضمون فلسفي جليل :

انظر الى لاعبى الشطرنج يجمعها
مغالبا ثم بعد الجمع يرميها

كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها
حتى اذا مات خلاها وما فيها

ولكى نخرج عن دائرة استخدام الشطرنج كاداة تعبير فلسفية في الشعر ، ناتى الى ابيات شاعر عابث محب للمرح والمتع الحسية هو السرى الرفاء الموصلى الشاعر المعروف :

وفتية زُهر الآداب بينهم
أبهى وأنضر من زهر الرياحين

راحوا الى الراح مشى الرخ وانصرفوا
والراح تمشى بهم مشى الفرازين

وقد كنى بذلك عن ثبات اقدامهم صاحين ، فهم كالرخاخ ثباتا وعن أوبتهم مترنحين كالفرازين تذبذبا ، وهو معنى بديع لا يدانيه فى بداعته

ولا عبثه غير قول الشاعر ابى بكر الصنوبرى الحلبى المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة :

شربنا في بساتين
على تلك الرياحين

فطورا بالهواوين
وطورا بالاجاجين

فلما ان مشى فينا
مشينا كالفرازين

وقد يتخذ الشاعر من الاصطلاحات مادة للنقد الاجتماعى كقوله :

اذا تلاقى الفيول وازدحمت
فكيف حال الرخاخ فى الوسط

وقد يتخذ منها مادة للسخرية من صعود نجم من لا همَّ له من الناس :

يا بيدق الرخ فى أطراف رقعته
لقد تفرزنت لما قلت القطع

لان من قواعد الشطرنج قديما وحديثا ان بيدق الرخ فى طرف الرقعة اقل البيادق حظا فى الترقى والفرزنة ، لسهولة محاصرته وقطعه ، لضيق مجال تحركه !

وقد أدرك الزهو الخليفة العباسى ابن المعتز ذات يوم وكان شطرنجيا بارعا فخاطب رسيله - أى نده فى الشطرنج بقوله :

قل للشقى وقعت فى الفخ
اودت بشاهك ضربة الرخ

ثم اعتذر اليه عن وصفه بالشقى ، فاحسن الاعتذار .

وقد تتحكم كلمة شطرنج فى قافية شعر ما فتجنى على بلد باسرها ، كما حدث لمدينة بوشنج التى ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، قال الشاعر ابو الفضل الهروى :

اذا سقى الله أرض منزلة
فلا سقى الله أرض بوشنج

كأنها فى اشتباك بقعتها
- أخربها الله - نطع شطرنج

ومما يصور الموقع الفريد الذى تبواه الشطرنج فى تاريخ العرب ان شاعرا مثل (ابى الحسن

صاحب البريد) عندما اراد ان يصف دارا للوزير الاديب المشهور الصاحب بن عباد ، فاستعمل اصطلاحا شطرنجيا يشي بمكانة هذا الفن في مجتمع ذاك العهد ، قال مفتتحا قصيده :

دار على العز والتأييد مبناها
وللمكارم والعلياء مغناها

وقال مختتما اياه :

وهذه وزراء الملك قاطبة
بيادق لم تزل من بينها الشاها

وقد قال الشاعر الكبير ابو الحسن علي بن الياس الامير في دولة بني سامان الاسلامية ـ مما رواه عنه الثعالبي في تتمة اليتيمة ـ مفاخرا بنفسه وفروسيته وعزه ونعمته :

ان شئت تعلم في الآداب منزلتي
وانني قد غذاني العرب والعجم

فالطرف والقوس والاوهاق تشهد لي
والسيف والطرس والشطرنج والقلم

فانظر كيف وضع الشطرنج مع السيف والقلم والقوس والطرس جنبا الى جنب تعرف اهمية اتقان هذا الفن النبيل في حضارة العرب والمسلمين قديما .

ومن بدائع الشعر العربي ـ مما لم يسبق الى مثله في الحسن والظرف ـ على حد قول صاحب يتيمة الدهر (القصيدة الشطرنجية) لشيخ شعراء العصر وواسطة عقد ندماء « الصاحب » قصيدة ابي القاسم عمر بن ابراهيم الواساني العراقي ، وفيها كل ما يدل على حذقه بالشطرنج وتفوقه في احسانها واللعب بها ، ومنها :

والتقى العسكران في حومة النقـ
ـع على اسود على اسود تحوم

فاختلطنا وجال في الحرب فرزا
ني وقال الكمي من لا يخيم

ثم نادى شاهي برخيه كرا
ليس بعد الوقوف الا الهجوم

وكشفت الغراء من وجه رخي
فغراء الحمام وهو مليم

ولشتان بين خيلي في الغي
وخيل صراطها مستقيم

وقد وصف فيها الشاعر بدقة عجيبة ما يسمى اليوم في علم الشطرنج الحديث بالاشتباك وانتشار القطع وهجوم الرخ والكشف وتخبط الخيل عند محاصرتها وسيطرتها في مجال حركتها وهو وصف حي دقيق، ومنه وامثاله استنبط قانون الشطرنج العالمي المعترف به اليوم رسميا .

اما اخلد روائع الشطرنج في الشعر العربي فهي دون شك ارجوزة ابن الهبارية المشهورة ، وهي ملحمة تاريخية فلسفية صور فيها الصراع التاريخي بين السلاجقة والبويهيين في العراق ابان القرن الخامس الهجري فهي وثيقة سياسية اصيلة في اطار شطرنجي ، وابن الهبارية هو الشريف ابو يعلى محمد بن محمد العباسي البغدادي الهاشمي صاحب كتاب (الصادح والباغم) المعروف ، ومن ارجوزته هذه قوله على لسان الفيلسوف الهندي وهو يحاج النردشيري (أي صاحب النرد) الفارسي :

شطرنجنا لمثل هذا وضعا
أول فن في العلوم اخترعا

وفضله باد بغير مين
ما أوضح الصبح لذي عينين

يا أيها الانسان كن في الدنيا
كلاعب الشطرنج واتبع المنى

فان من رموزها لو يعتبر
لاعبها بأمرها ويفتكر

فالحين في الاهمال والتجوز
والحزم كل الحزم في التحرز

انظر وفكر ابدا في العاقبة
فانها عن المقول غائبة

ان اعتضاد الشاه بالفرزان
موعظة في السر للسلطان

ليتقي في الخطب بالوزير
مفوضا اليه في الامور

لا تحقرن راجلا في الفيلق
فربما غلبته بالبيدق

اضعفه ما استطعت ان ضعفه
يدني وان طال مداه حتفه

وهي ارجوزة طويلة تنوف على ۲۰۰ بيت



وهي زاخرة بعلم الشطرنج ومفاهيمه من اهمال وتجوز وحزم وتحرز واعتضاد واتقاء وتفويض واصفاق وفداء ودفع وقائم وعقد وفتح و. د .. فما اعظم تراث العرب في الشطرنج الذى حسبنا منه هذه الارجوزة وحدها .

ولعل أروع شهادة شعرية شطرنجية عربية هي تلك التي قالها الشاعر العربي الفيلسوف ابو العلاء المعري مما أثنى به على أحد الشطرنجيين مشبها اياه بابي بكر الصولي المؤرخ والاديب والكاتب والشطرنجي المعروف وخدين الخليفة العباسي الراضي بالله ، وهي أبيات لها دلالتها التي استخرج منها الباحثون ان ابا العلاء كان على عماه يحسن الشطرنج ، وليس ذلك بدعا ، فقد ذكر المؤرخون ان حماد البصري من أبناء القرن التاسع الهجري كان أعمى وله حذق بالشطرنج وقد ذهب الى الشام ونزل بالبادرائية ولعب بالشطرنج مع خمسة أبطال قدموا اليه من دمشق والقاهرة وحلب والحجاز فغلبهم جميعا وكلهم مبصر ، وهو ضرير !! قال المعري في « سقط الزند » :

قل لترب الاداب في كل فن
وحليف الندى وحرب العذول

ايها اللاعب الذى فرس الشطـ
ـرنج همت في كنه بالصهيل

من بياريك والبيادق في كفـ
ـك يغلبن كل رخ وفيل

تصرع الشاه في المجال ولو جا
ء مردى بالتاج والاكليل

لطف رأى يستاسر الملك الاعـ
ـظم بالواحد الصغير الذليل

انت فوق الصولي في هذه الخلـ
ـة مرزد في غيرها بالخليل

فما اروع هذه الابيات وما اعظم دلالتها على المكانة التي احتلها الشطرنج في الفكر العربي والحضارة العربية ولا تنضب جعبة الشعر العربي في الشطرنج فهي غزيرة خصبة معطاءة ، ومما رصدناه فيها وهو مما لم يسبقنا اليه سابق شرقيا كان او غربيا ، قديما او حديثا او معاصرا ، قول الشاعر مهيار الديلمي في الشطرنج وهو مما نحا فيه منحى فلسفيا ورمى فيه مرمى سياسيا وعسكريا :

ومؤمر بين الرجال مقدم
في الارض وهو مدبر مأمور

باق يخاف الحتف وهو متى يمت
فله معاد عاجل ونشور

ويسير ما سار الجيوش امامه
ويقودها فيقيم وهو يسير

كثرت منازله وضاقت طرقه
فكأنه بمكانه مأسور

ولم يعدم الشطرنج من يتخذه من الشعراء مادة للغزل الحسي كالشاعر المعروف بالنور الاسعردي :

أمييت اذ لاعبت بالشطرنج من
أهوى فابدى خده التوريدا

وغدا لفرط الفكر يضرب راحة
بقطاعه لما انثنى مجهودا

فطفقت انشده هناك معرضا
وجوانحي فيه تذوب صدودا

رفقا بهن فما خلقن حديدا
او ما تراها اعظما وجلودا !

كما لم يعدم من يلغز فيه ويمتحن ذكاء الناس به :

يا ذا النهى ما اسم له حالة
يحار فيها الذهن والفكر

له حروف خمسة انما
ثلاثة منها هي الشطر (١)

وغير نادر في شعرنا من يتخذ الشطرنج طريقا للسخرية كابي القاسم البغدادي :

(١) العربي : يقصد كلمة « شطرنج »فحروفها خمسة ، والثلاثة الاولى هي « شطر » .

يـــا من اذا مـــا جاءني زائرا
سعـــى برجليـــه الـــى الحتـــف

امـــا تـــرى رخ يـــدى جائـــلا
وشـــاه اذنيـــك علـــى الكشـــف

وهناك شعراء اخرون يعبرون عن طموحهم بتعابير شطرنجية مثل القاضي الفاضل صاحب مدرسة النثر العربية المسماة باسمه :

يا مرصة الـذل في استيطان مولده
اراك فيمـــا يصـــد الفتـــى كسلانا

سر في طـلاب المعالي تعـلُ مـرتبة
كم بيـدق صـار ـ لما سـار ـ فـرزانا

ولا نريد ان نتعسف على الشعر العربي في امور الشطرنج فنتغاضى عمن هجاه وهزأ منه كقول القائل :

تفرســـت بالشـــطرنج حتى عرفتها
فان صـح رأيي فهـي بالـروعة المقتـل

ورغم قلة هذا الضرب من ضروب الشعرونذرته ونزارته فاننا لا نرد عليه الا بقولة ابن المعتز الخليفة الشاعر وهي ابيات سائرة ذائعة شائعة:

يـــا عـــائب الشطرنـــج مـــن جهلـــه
وليـــس فـــى الشطرنـــج مـــن بـــاس

فى فهمهـــا علـــم وفـــى لعبهـــا
شغـــل عـــن الغيبـــة للنـــاس

وتشـــغل الهـــائم من حـــزنه
وصاحـــب الكـــاس عـــن الكـــاس

وصاحـــب الحـــرب بتدبيـــره
يـــزداد فى الشـــدة والبـــاس

واهلهـــا فـــى حســـن تدبيرهـــم
مـــن خيـــر أصحـــاب وجـــلاس

وبعد ، فاننا لم نتناول في هذا البحث غير جانب يسير من تراث العرب الادبي الغزير فـي الشطرنج وهو جانب الشعر او بعضه ، ممـا يعطي لهذا الفن موقعا حقيقيا قمينا بالاحترام بين صنوف العلوم والفنون العربية في تاريخنا الزاخر .. ولا عجب ـ اذن ـ ان يعترف علماء اجلاء مثل غوستاف لوبون وهونكة وبروكلمان بالعبقرية العربية في علم الشطرنج ويقرون ان هذا الفن ـ لولاهم ـ لما عرفه العالم بأسره، بحيث صار له اليوم ابطال عالميون يحملون فيه درجات علمية عالية مثل (ماستر) و (جراند ماستر) و (انترناشنال جراند ماستر) اي استاذ ، واستاذ كبير ، واستاذ عالمي كبير ، وهي في وزنها العلمي تعادل درجة الدكتورية فـي علم الطب والفلسفة والطبيعة والاداب وغيرها من العلوم الحية ... فعسى ان يكون هذا المقال حافزا لنا لتطوير تراث امتنا العربية الشطرنجي كيما نرى اعلام شعوبنا العربية اليوم وهـي ترف عاليا بين اعلام شعوب العالم في مباريات الشطرنج الدولية فنستعيد مجدا اصيلا ونحيي تراثا باذخا ونبعث مفاخر عظيمة . ■■

بغداد ـ زهير احمد القيسي

■ اذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجـــوم

فطعم المـــوت في امر حقير
كطعم الموت في امر عظـــيم

(المتنبي)

■ الامم المقاتلة تستعد للحرب في المدرسة ، كما تستعد لها في مصانع السلاح والذخيرة .

(برتراند راسل)

■ الف ريال لا تشترى ضحكة واحدة .

(مثل صيني)

من القصص التركي

كيف قبضوا.. على حمدى الفيل* ؟

للكاتب التركى الساخر : عزيز نسين

■ بعثت مديرية امن استانبول ببرقية عاجلة الى جميع مديريات الامن خارج المدينة هذا نصها :
« .. لقد تمكن المحتال الخطير ، ومن اصحاب السوابق المدعو حمدى الفيل من الهرب ، منتهزا فرصة استسلام اثنين من افراد شرطتنا لاغفاءة قصيرة ، نجمت عن سهرهما المتواصل طوال ثلاثة ايام وثلاث ليال ، امضياها فى حراسة مبنى كوخ المراقبةالذى يتواجدان فيه «بكل يقظة وانتباه..»

« .. والمحتال الخطر ، ذو السوابق فى الخامسة والثلاثين من عمره ، فارع القامة ، وزنه ٢٠٠

---

* فازت هذه القصة بالجائزة الاولى ـ بالميداالذهبية ـ فى مسابقة دولية عامة للقصص الساخرة كانت قد اقيمت فى ايطاليا فى حينها . (المترجم)



كيلو غرام ، له ضرس محشو فى فكه الاعلى، وثنية مكسوة ذهبا في فكه الاسفل من الجهة اليسرى ، يرتدى ثيابا غامقة ذات خطوط ، ذو وجه مستدير، مكتنز ، وعينين في لون القهوة ، اشقر اللون ، وقد تساقط شعر راسه الى حد ما .. .. »

« .. ولقد تبين لنا من التحقيقات والتعقيبات والتدقيقات ان حمدى الفيل قد لاذ بالفرار فعلا .. ففى حالة مروره على احد المخافر فى محافظتكم او فى احد الاقضية التابعة لها ، وكذلك عند اتصاله باحد رجال الشرطة للسؤال عن الطريق ، او الاستفسار عن بعض العناوين، نرجو التفضل بابلاغه اننا مازلنا نترقب عودته بفارغ الصبر ، ونامل منه ان لا يطيل من فترة انتظارنا له ، بل ان يبادر الى الحضور فى مديرية امن استانبول فى وقت مناسب ، خال من الزحام ، بغية تسليم نفسه الينا .. » .

ملحوظة : صورة المحتال الخطر حمدى الفيل الشمسية، مرفقة .

فى محطة للقطار باحدى المحافظات ، يجرى هذا الحوار بين اثنين من رجال الامن :

ـ رمضان ! .. ياأخى !.. ذاك الرجل ! .. الذى يحتسى السحلب .. انه حمدى الفيل ...لا اشك في ذلك ابدا !.!

ـ هم م م!... ثمة تشابه!..



هات صورته ! .. يبرز رمضان صورة شمسية ، ويناولها زميله .

ـ ... ليست له ! .. رمضان ! .. هذه صورتك انت ! ..

ـ التقطت لي في العيد الماضي ... كيف ؟..

ـ لطيفة ! .. ولكن كان عليك ان تبتسم قليلا.. انت ابحث لي عن صورة حمدي الفيل هذا !..

يخرج رمضان من جيبه طائفة من الصور الشمسية ثم ينثرها بين يديه ..

ـ هذه صورة ولدي ! .. هذه لقطة تذكارية لي عن ايام الجندية ! . هذه .. ؟ ؟ محمود ! ... هذه الصورة لمن .. ؟

ـ تلك ؟ .. ربما (علي الدخان) مهرب الحشيشة ! ..

ـ ... هذه صورة (صبحي) فار الفنادق ... لقد اختلطت الصور ، بعضها ببعض ..

ـ رمضان ! .. انت اوجد لي صورة حمدي الفيل ! ..

محمود ورمضان يتفحصان الصور معا بحثا عن صورة حمدي الفيل ..

ـ محمود ! .. اسرع .. هوذا الرجل قد فرغ من احتساء السحلب ، ولعله يتهيأ الان للهرب !..

ـ انظر ! ... كيف يجيل عينيه فيما حوله ؟..

ـ وجدتها ! .. انها صورته على اية حال .. هو نفسه بالذات ! ..

يتقدمان الى الرجل الذي اشتبها في امره .

ـ ايها المواطن ! .. هل لك ان تقف على قدميك لحظة ؟ ..

تنتقل نظراتهما بين الرجل والصورة غير مرة .

ـ آ ـ آه !! .. ويحك يارمضان ! .. الصورة لا تشبهه ! ..

ـ دع المفوض يراه كذلك ! .. ربما هو يشبهها ! ..

ـ ايها المواطن ؟ .. هيا ! .. امش ! ستأتي معنا الى المخفر ..

★★★

سوق عامة في محافظة اخرى .. اثنان من موظفي الامن يتحادثان ..

ـ شكري ! .. اخي ! .. كم هو معيب ان نلهث منذ الصباح المبكر وراء هذا المدعو حمدي الفيل لم نرجع بخفي حنين ؟

ـ ذاك الرجل ! .. قد يكون هو نفسه ..

ـ محتمل ! .. لنسأل ! ..

يتقدمان الى الرجل ..

ـ ايها السيد ! .. ما اسمك ؟ ..

ـ مصطفى !

ـ يهمس احدهما في اذن الاخر :

ـ يقول مصطفى ! ..

ـ اتراه قائلا حمدي ؟ .. انه يكتم اسمه الحقيقي !

ـ ويزعمه انه يستطيع خداعنا

ـ ايها السيد ! .. هل ترافقنا قليلا ؟ ..

★★★

في مقهى باحدى المحافظات يدور هذا الحديث بين اثنين من رجال الامن :

ـ نهار امس ! .. قبضت على ثلاثة حمدي الفيل .. ولكن المفوض لم يعجبه اي منهم ! ..

ـ يبدو ان مفوضنا هذا حنبلي اكثر من اللزوم .. ها .. ها .. ها ..

هس ! ! خفض من صوتك ! ذاك الرجل الذي يشرب الشاي ! اياك ان تثير شكوكه ... فقط!.. انظره بموخرة عينك ! ..

ـ قد والله انه هو نفسه ! .. هو بعينه ! ..

ـ في الاوراق التحقيقية ان حمدي الفيل ،ضخم الجثة ، بدين ، وهذا ضئيل نحيل اشبه بهيكل عظمي ..

ـ اصابه الهزال يا اخي ! .. اما تعلم كم هو منهك ، شاق ، ان يقضي المرء بياض نهاره وسواد ليله طريدا . شاردا ، هائما على وجهه في البراري والجبال ؟ .

ـ انت محق ! .. ولكن ياأخي هذا كث الشعر فاحمه،وفي التقارير الرسمية،ان حمدي قد تساقط جانب من شعر رأسه ! ..

ـ ربما يضع (باروكة) على رأسه ! امعانا في اخفاء هويته ! ..

ـ صدقت ! .. لم وقوفنا اذن ؟ .. نقبض عليه ! ...

يقتربان من الرجل

ــ ماأسمك ؟ ..

ــ حمدى ! ..

يتبادلان بينهما نظرات ذات مغزى ، ثم يبتسمان ابتسامة تنم عن الرضا والاطمئنان .

ــ هلم الى المخفر ! ..

ــ لماذا ؟ .. ماذا جرى ؟ ..

ــ ستعلم ذلك فى المخفر ! ..

★★★

فى احدى المحافظات ، وعلى الطريق الاسفلت الذى لا يتعدى طوله فى العادة اكثر من كيلومترين خارج المدينة فى معظم مدن الاقاليم ، يستوقف اثنان من رجال الشرطة احد المارة :

ــ افتح فمك !! ..

ــ لا يوجد فى فمى شىء ! ..

ــ ولهذا السبب نفتحه ! ..

يفتح الرجل فاه ، فيتأمل الاثنان معا اسنان الرجل ، ثم يقول احدهما للاخر :

ــ انظر فى الاوراق التى معك ! .. كم سنا تنقصه ؟ ..

ــ ثلاث ! .. وفى فكه الاعلى ضرس محشو ، وفى فكه الاسفل من الجهة اليسرى ثنية مكسوة ذهبا ! ..

يبدأ الشرطى فى تعداد اسنان الرجل .

ــ واحدة ... اثنتان ... ثلاث .. اربع .. خمس ... هيه !! .. لا تتحرك ! .. انك تشوش على ... واحدة .. اثنتان .. ثلاث .. اربع.. خمس ... اربع وعشرون .. له اربع وعشرون سنا ..

ــ اربع وعشرون ؟ .. انت يا هذا ! .. كم هو عدد اسنانك ؟ ..

اتعرف ذلك ؟

ــ انا اصلا اسنانى كلها صناعية .. وليس فى فمى حتى ولا سن واحدة حقيقية ، وقد تكسرت اربع منها عندما اكلت كوز ذرة ! ..

ــ هل فى الاوراق مايشير الى اسنان صناعية؟..

ــ كلا ! .. لم يرد فى الاوراق شىء من ذلك!..

ــ انهم نسوا ذلك ! .. انه هو نفسه .. هو بالذات ! ..

ــ ايها السيد تعال معنا ! ..

ــ الى اين ؟

الى المخفر ! .. امش ! ..

★★★

اخذت مئات البرقيات تنهال كل يوم على مديرية امن استنابول من شتى مديريات الامن فى المحافظات ..

« جوابا عن برقيتكم المرقمة .. كذا .. والمؤرخة فى كذا :

لقد تم القبض على اربعة عشر حمدى الفيل ممن يرتدون ثيابا غامقة ذات خطوط ، وعلى ثمانية اخرين لهم ثنايا مكسوات ذهبا .. فبلغ بذلك مجموع عدد المقبوض عليهم اربعة عشر حمدى الفيل .. نرجو اعلامنا اذا كان هذا المقدار كافيا فى حد ذاته ام انه ينبغى لنا مواصلة البحث ، او التوقف عنه ... مع الاحترام »

« ... جوابا عن برقيتكم السامية المرقمة .. كذا .. والمؤرخة فى كذا :

لقد تم القبض على (درزينتين) حمدى الفيل فى محافظتنا تتفاوت اوزانهم بين ١٨٠ و ٢٢٠ كيلو ، وذلك نظرا لعدم دقة الميزان القبانى الموجود لدينا ... وهم كلهم ذوو عيون فى لون القهوة الامر الذى لا يدع مجالا للشك فى انهم جميعا حمدى الفيل بالكمال والتمام .. وقد بدىء بتسفير حمدى الفيل هؤلاء فعلا .. واذا كان ثمة حمدى الفيل اخرون قد تواروا عن الانظار لحد الان ، فنحن جادون فى البحث عنهم وسوف نقوم بتسفيرهم تباعا .. نعرض ذلك مع الاحترام ... »

البرقية التى بعثت بها مديرية امن استانبول الى مديريات الامن فى المحافظات الاخرى :

« .. بالنظر الى امتلاء جميع الاماكن الخالية المتوفرة لدينا ، فقد ارتؤى الاكتفاء بالعدد الموجود باليد من حمدى الفيل فى الوقت الحاضر ... نرجو عدم القاء القبض على اى حمدى الفيل اخرين ، والتوقف عن البحث عنهم حتى اشعار اخر .. مع الشكر .. » .

هامش : تم القبض على حمدى الفيل الفار .

ترجمة : أحمد مصطفى الخطيب

الاعظمية ــ العراق



● من أدب المغرب

القرويون

وأثرهم فى الحركة الأدبيّة

بقلم : الدكتور احمد عبدالرحمن عيسى

■ فى مطلع هذا القرن كان شوقى وحافظ ومطران ، وسائر الرواد الاوائل من شعراء مصر وسوريا ولبنان والعراق ، تتجاوب اصداؤهم فى العالم العربى ، وتتلقف الآذان كل ما يهتفون به من قليل او كثير • وكان المغرب العربى (مراكش) دوحا بغير بلابل ، او على الاصح كانت بلابله زُغب الحواصل ، تعيش على ما ينحدر اليها من ماء الشرق وثمره •

كان شعراء المغرب وادباؤه يعيشون فى دنيا غير دنيا القرن العشرين ، ينظمون الشعر فى الاطلال والدمن ، ويحدون الناقة ، ويمضغون الشيح والقيصوم ، ويمتحون من الآبار بدلاء المحاكاة والتقليد •

الصحافة فى المغرب

وكانت الصحافة العربية فى المغرب حينذاك ، لم تزل شيئا خفيف الوزن ، لا يعدو ان يكون بضع صفحات مصفوفة بالحروف العربية ، محلاة بقصائد من الشعر العباسى ، او الانتاج الادبى فى مصر والشام والعراق ، فمثلا جريدة «السعادة» التى تصدر مرتين فى الاسبوع بالرباط ـ ورئيس تحريرها وديع كرم اللبنانى ـ كانت تحاول أن تبعث وعيا أدبيا فى المغرب بوسائل تشجيعية ، فتنشر دعوة تقول فيها (عدد ٢٠ مايو ١٩١٤) :

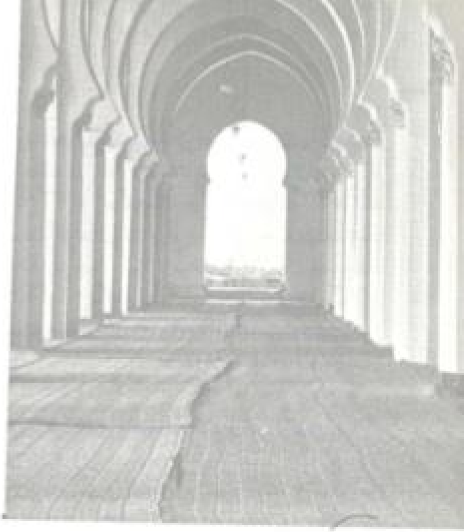
« إلى الادباء •• نرجو من الادباء الشعراء تشطير البيتين الآتيين ، وقد جعلنا للمجيد جائزة قدرها مائة فرنك ، والبيتان هما :

فان تسأليني كيف أنت . فانني
جليد على ريب الزمان صليـــب
جهيـد عـلى الا ترى بى كآبـة
فيشمت واش . أو يسـاء حبيب

وينهض الشعراء المشطرون ، فتنشر الجريدة خمسة تشطيرات ، عثرت عليهافى اعدادها التالية، ويبدو منها جميعا روح التمرين والتهجى • وهكذا بدأ الشعراء ، اما الكتاب فلم يكونوا قد ظهروا بعد ، اذ لم تكن الكتابة الادبية ذات موضوع ولا غرض فى ذلك الوقت • وان كتب أحدهم فانما كان ينحت شيئا يشبه مقامات الحريرى فى أعقد صورها اللغوية ، وقد خلا من روحها الفكاهية، وملاحتها الشهية •

نعم لم يكن هناك أدب للحياة ، او فى خدمة الحياة ، كما هو الآن ، وانما هى نزعات ذهنية ، وهوايات عشوائية ، وتجارب بدائية ، لم تستقر على مذهب او ترتسم لها شخصية • ولكن روح التطور التى حملها اليهم ادباء الشرق الحديث ،

★ انظر نبذة عن القرويين مجلة العربى/العدد ٢٠٧ ص ١٢٣



الشعـراء القـرويون رواد اوائل ظهـروا فى طلائع هذا القرن ، وفتحـوا افاقا جديدة فى الشعـر المغربى ، ومهـدوا الطريق امام الشعراء المحدثين .

وتتابع الاحداث الدامية على تراب المغرب، واتجاه المغاربة من جديد نحو الطرف الاخر من العالم العربي ـ هذه كلها فتحت الطريق لظهور مدرسة القرويين .

شعراء القرويين

اهتم شعراء القرويين بتقليد المشارقة، فلدوهم فى نقل معركة الحياة الى جو القصيدة ، واتجهوا الى الموضوعية في الادب ، فاخذ الادب المغربى العصرى يرى النور ويتنفس من هواء الناس . ومن هنا نهض شعراء القرويين . نهضوا ـ على قدر جهدهم ـ بارسال تلك النفثات التى صورت جوانب الحياة عندهم ، وعبرت عنها فى اطار تقليدى بحت. فهؤلاء الشعراء يتناولون موضوعاتهم، وهم يدورون فى فلك المحاكاة والتقليد . تقرأ لهم فكانك تفتح صفحة من ديوان البارودى او محمد عبد المطلب ـ ولكن شتان ما بين الجانبين ـ شعر عصرى النزعة ، وان تحدث عن تعليم البنت المغربية ، آسي وان هتف بالحرية .

ولكن شعراء القرويين بالرغم من ذلك ، هم الرواد الاوائل للحركة الادبية فى المغرب الحديث (مراكش) ، فقد لمسوا كثيرا من أدواء المجتمع المغربى وعلله ، وراحوا يعبرون عنها على قدر امكاناتهم العامة والخاصة .

نشا شعراء القرويين في فاس وتلقوا العلم فى جامعة القرويين الدينية بها ، ومن لم ينشا منهم فى فاس او لم يتعلم في جامعة القرويين ، فقد تقمص روح القرويين ، وانطبع بطابعها، ودار فى فلكها ، وجرى مع نجومها .

وهؤلاء الشعراء القرويون ينقصهم التجويد فى الاسلوب الشعرى ، او بمعنى ادق : التنطس والتانق . تقرأ لهم وانت مستريح او كالمستريح. وسرعان ما تصدمك كلمة يراد بها تكميل الكلام على طريقة الناشئين من هواة الشعراء ، مع ان انفاس الشاعر منهم وتدفق احساسه وتمكنه من لغته ، كل ذلك يبدو لك واضحا وانت تتابعه ، حتى ليخيل اليك انه فى امان من هذه الكبوة ، كبوة التكميل ، أو عدم الاحتفال بالتانق فى التعبير.

قرات لشعراء القرويين فاعجبنى منهم ما تشعر به فى شعرهم من الاباء وقوة الشخصية واعـزاز الوطن والدين واللغة ، ويبدو أن هذا القبس من اثار الحركة السلفية ، حركة التجديد الدينى على يد جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب ، هؤلاء الائمة الافذاذ الذين تاثـر بهم القرويون أشد التاثر ، وكانوا أمناء فى بث مذهبهم السلفى فى أعماق المغاربة وضمائرهم ، لا سيما المتفقهين منهم ، كما يبدو من ناحيـة اخرى تاثرهم بحركة الاصلاح التجديدى فى تركيا.

تواكب شعراء القرويين فى مسيرتهم ، فكانـوا كثرة كاثرة ، اذكر منهم ـ وهم الذين عشت معهم فى أدبهم ـ هؤلاء الشعراء : محمد المهدى الحجوى، ومحمد أبو جندار ، ومحمد الناصرى ، وأبو عبد الله محمد بن محمد السليمانى ، ومحمد عـلال الفاسى ، وعبدالكريم سكيرج ، ومحمد القـرى، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد المختار السوسى ، وعبد المالك البلغيثى ، وعبد الاحد الكتانى ، وعبد الله جنون ، وعبد القادر حسن ، وعبـد

الرحمن حجي ، والحسن الداودي ، ومن لف لفهم ودار في فلكهم .

وشعراء القرويين متعصبون للثقافة العربية الاصيلة ، يحملون حملتهم دائما على شعراء المدرسة الحديثة وشعراء المدرسة التبعية وهم المغاربة الذين ينتجون أدبهم باللغة الفرنسية . ولو ذهبنا نتتبع هيامهم في اودية الشعر وخمائله لوجدناهم في كل واد وسامر .

تحدثوا في جمال الطبيعة ـ وجمالها في المغرب أسر فتان ـ وتحدثوا في الاصلاح الاجتماعي ، وتعليم البنت ، وقاوموا موجة الطرق الصوفية ـ « جماعة المتمشيخين » كما كان يسميهم المغفور له محمد الخامس ـ وسجلوا نفثاتهم في الوطنية والتحرير والمقاومة ، وامتد بهم الحنين الى مصر ، وجمعية الشبان المسلمين بها ، والازهر ، ودار العلوم ، واندمجوا في حرب الجزائر كما كانوا يندمجون في حرب الريف ، وكتبوا أصدق الشعر في المنفى ، كما كتبوا ونظموا في التوسل برسول الله (صلوات الله عليه) ومجدوا اللغة العربية أعظم تمجيد .

الشاعر الحجوى

ولعل أبدع ما قرأت لهم في وصف جمال الطبيعة ما قاله الشاعر « محمد المهدى الحجوى » في قصيدته « وقفة على البحر » وفيها يمزج عاطفته بنظرات فلسفية عن الكون والحياة . جاء في تلك القصيدة :

سلاما ، وهل يُهدَى السلام إلى البحر
نعم ، من وَلوع بالخيال وبالشعر
أناجي من الاكوان سرَّ شعورها
وأنطقه ، والبحر من ذلك السر

وهي قصيدة رائعة يرقى بها الى الصف الاول بين شعراء القرويين ، وان كانت فيها هنات وقعت في بعض الابيات ، بعضها يرجع الى الوزن ، والآخر الى اللغة .

الشاعر محمد الناصرى

وللشاعر محمد الناصرى وقفة على شاطيء الخلد « وادى الرقراق » آية الطبيعة في الجمال السرى اللماح . يقول الشاعر :

راق العشيُّ على أبي رقـــراق
ورقـــا ، ورقَّ بمائـــه الرقـــراق
وصفا الزمان ، وتم أنسُ جميـــعنا
وسقاك من خمـــر المسرة ساقِ
والنهر ينساب انسياب الأَيْمِ فـــى
لمعـــانه ، وصفـــائه الـــبراق

الى اخر هذه القصيدة التي لم انفعل بها ، فان الشحنة العاطفية التي يلقيها وادى الرقراق في الاحساسات والمشاعر ، لهي اشد وأعنف من أن يرتفع الى عالمها مثل هذا الشعر .

الشاعر السليماني

والربيع في المغرب اشبه ما يكون بالموشحات الاندلسية في عبقها واريجها العاطفي ، جو روحاني هائم يدعو اليه الشاعر السليماني أبو عبد الله محمد فيقول فيه :

بزغ الصباح فقـــم بنـــــا
نقضـــى أُوَيْقَات الســـرور
ودعت دواعـــى الانس في الـــ
أرجـــاء باهـــرة السفـــور
وأتى الربيع مبشـــــرا
وهو المقدَّم في الشـــهور
فالروض باكـــرَه الحيـــا
والغُصنُ منظـــره نضـــير

والقصيدة سهلة ولكنها راكدة السطح خاوية الاعماق .

الصوفية والصوفيون

وكانت موجة الطرق الصوفية في المغرب ـ قبل اصلاحات المغفور له الملك محمد الخامس ـ موجة عنيفة جبارة ، فقد كثرت وتقاربت وتباعدت تلك « الزوايا » التي يقبع فيها هؤلاء « الفقراء » ، وقد لبسوا الصوف الخشن ، وتقشفوا وجاهدوا انفسهم ، وتعددت اسماؤهم ما بين العيساوية ، والحمدوشية ، والمليانية ، والرجالية ، والكتانية ، ولعب هؤلاء

الصوفية «الضعفاء» دورا خطيرا في معترك السياسة ايام الاستعمار ، فقد تحالف هذا الاستعمار مع اذنابه الرجعيين على ان يتخذوا من هؤلاء الصوفية «مخالب قطط» ، فقضوا اولا على اصحاب المذاهب الصحيحة منهم ، ثم عمدوا الى الدجالين فامدوهم بالمال والتاييد الادبي ، لكي يمكنوا لخرافاتهم من السيطرة على عقول العامة وسواد الشعب ، وقد وضعوا قيادته في ايديهم .

هاجمهم شعراء القرويين ، وتناولوهم بالنقد اللاذع المر . يقول الشاعر محمد علال الفاسى :

وكنتُ أرى تحت العمائم حاجة
فما هى إلا أن يدوم المرتب

وما اشبه هذا بما ينسب الى الشيخ محمد عبده اذ يقول :

ولكن دينا قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم

والشاعر محمد المهدى الحجوى يوسعهم هجوما وتجريحا ، فيقول :

فرّقوا الدين ، وكانوا شيعاً
كل تفريق إلى الحشر يئول
فلذا « مسبحة » ينشرها
مرشدا ، وهي خناقٌ للعقول
ولذا « زاويةٌ » يدعو لها
ولهذا نغمات وطبول
حاربوهم بسلاح العلم . لا
تتقوهم . حاربوا كل جهول

والشاعر الفنان « عبد الكريم سكيرج » الذى برع فى الخط والتصوير الى جانب موهبته فى الشعر ، يحمل على هؤلاء المتصوفة فيقول :

ما في الزوايا خبايا بينهم وجدت
بل في الزوايا رزايا عند من عقلوا
تكاثرت في نواحي القطر وانتشرت
على اختلاف شيوخ عندهم «وصلوا»

الشعراء القرويون والمراة

ثار شعراء القرويين على جهل «البنت» وحرمانها من مناهل الثقافة والعلم ، واستجابوا لدعوة قاسم امين فى مصر ، فقد كانت بنات الكبار والاثرياء يتعلمن القرآن والدين فى البيت على يد الفقهاء المغاربة . واما بنات الشعب فكن يتعلمن الخياطة والتطريز والغزل والنسيج ، وكانت البنت لا تعد الا لتكون زوجة لا تقابل غير زوجها واولادها . قال عبد الكريم سكيرج على لسانها :

لو بعتني قومي بتربيتي ارتقت
رتبي التي عندى يتم كمالها
أو بالجهالة ظن قومي عفتي ؟
والناس أقرب للخنا جهالها

الشعراء القرويون والمجتمع

والاصلاح الاجتماعى هدف من أهداف هؤلاء الشعراء ، فقصيدة « الجمعية الخيرية » لشاعر الحمراء : محمد بن ابراهيم تعبير عن هذه النزعة الحديثة ، ولعلها صورة صادقة من حياة هذا الشاعر الذى اصطفاه البؤس المادى حتى جر عليه البؤس الادبى ، فلولا غلطته الكبرى بارتمائه فى احضان الجلاوى « باشا مراكش » لفتح الشعب له ذراعيه ونادى له بامارة الشعر فى المغرب الحديث . ولعل فى حياته اوجها كثيرة من الشبه لحالة شاعر البؤس فى مصر « عبد الحميد الديب» وقد اشتهر من قصائده ، قصيدة « البرغوث » ، وقصيدة « المطعم البلدى » وهما من محفوظات المغاربة . يقول فى الجمعية الخيرية :

كيف المآل إذا تكون الحالُ
بالجوع تقضي نسوةٌ ورجال
هذا أبو الايتام خلفك سائلاً
وأبو اليتامى دأبه التسآل

ولو قال « ام الايتام » لكان اصح من « ابو الايتام » ولكنه اسرع فقال :

آه لأرملة تقود صغارها
والدمع من أجفانهم هطال
ظلت تطوف على الاكف بهم ، وما
أجداهم الإدبارُ والاقبال

وشاعر الحمراء وان لم يتناول شعره بالتجويد اللفظي ، فان فيضان العاطفة وشفافية الروح ورقة القلب التي عمرت بها هذه القصيدة ، كانت تصويرا لحالة صارخة في المجتمع حينذاك ، كما أن سلطان البديهة الفياضة والقريحة السخية كان يعجل هذا الشاعر عن أن يعود الى شعره بالتعديل ، ولعل بديهته في الشعر كانت امتدادا لبديهته في النكتة وسرعة الخاطر ، اذ كان في هذه الناحية مثل حافظ ابراهيم وعبد العزيز البشري وأحمد نجيب الهلالي ، وله مساجلات في النكت الادبية مع فقيدة الفن أم كلثوم حينما زار مصر سنة ١٩٣٥ .

حنين القرويين الى مصر

وشعراء القرويين كان يطول حنينهم الى مصر ، وتعددت قصائدهم في هذا الحنين .

يقول شاعر الحمراء :

أحنُّ إلى مصر ، وما أنا من مصر
ولكن طيرَ القلب أعرفُ بالوكر
فلولا هواها عاصفٌ بحشاشتي
لما كنت في قُطر وأصبحت في قطر
لَىَ اللهُ ، يا مصر العزيزة عندما
أفارق مصراً ، تاركَ القلب في مصر

وللشاعر عبد الملك البلغيثي قصيدة عن مصر جاء فيها :

قومٌ بهم للدين أية نهضة
وبهم غدا لذوى الضلال صدودُ
قوم بهم يحيا السلامُ وأهله
وعليه تخفق بالفخار بنود

ويقول في رثاء الزعيم المصرى «سعد زغلول» وهو يصور سطوته السياسية من قصيدة طويلة :

كنتَ الفصيح خطابُه ويراعُه
تفرِى الرءوس ، وما لديك حديد

والشاعر محمد المكي الناصري نظر الى الموضوع من زاوية اخرى اذ جاشت نفسه باغنية جميلة يتغنى فيها بالمغرب، وهو في مصر، وقلبه في المغرب مقيم :

أنا في مصر ، وقلبي
ابدا ، ثَمَّ مقيمُ
أن يَهِمْ بالنيل قوم
فبِودْيانى أهيم
تلك أوطاني ، وهذا
وطن « المصرى » الكريمُ
كم يسليني صديقٌ
من بنى مصر حميم

الشعراء القرويون واللغة العربية

عانى شعراء القرويين مما يعاني منه الشعب المغربى من هجوم العجمة على اللغة العربية التي يقدسها ويعتبرها من صميم كيانه . ولم تكن هذه العاطفة الذاتية لديهم الا تيارا متجدد الجريان ، ينتظم مشاعر الشعب عامة ، فقد لمست حنينهم الى اليوم الذى يعيدون فيه عروبة المغرب ، فالشعب هناك يريد التعريب القومي ، لا التعريب الادارى الذى لم يظفر منه الشعب هناك الا بالخيبة ، يقول الشاعر محمد المختار السوسى في اللغة العربية في قصيدة طويلة :

وأى لسان ارتضيه لنشرها
وألسننا صيغت من العجمات
تركنا بها كنْزا ثمينا ، فأقبلت
على غيرِ الافكار مبتدرات

ويبدو تاثر هذا الشاعر بقصيدة حافظ ابراهيم الشهيرة في اللغة العربية ، وهي على نمطها في الغرض والوزن والقافية وصدق العاطفة ، ولكن قصيدة حافظ من الجوهر الصافي الرنان ، ويكفينا من الشاعر المغربي صدق العاطفة .

وهذا الصدى يتجاوب معه شعراء القرويين تجاوبا حقيقيا ، بل يتخذونه مذهبا يصدون به اندفاعات المتفرنسين . نقرا للشاعر محمد القرى قصيدته « زفرة على اللغة العربية » وفيها يردد

انفاس حافظ ابراهيم أيضا :

هم خذلوك خذلان العـــداة
وهم نبذوك نبذا كالنــواة

الشعراء القرويون والذود عن الحمى

أما صوت التحرير ، والتمرس بروح الكفاح ، والذود عن الحمى ، والغضبة المضرية ، وشكيمة الفروسية التى عرف بها المغاربة أحفاد طارق بن زياد الصنهاجي الزناتي ، فقد حفل بها شعر القرويين، سجلوا ذلك في شعر التحرير والمقاومة، وفي حرب الريف ، وحرب الجزائر ، وفي المنفى السياسى الذى ابتلى بهفريق منهم • يقول الحجوى فى قصيدته « اندفاعات » •

حرام على الحر الخضوعُ إلى الـرق
حرامٌ ، وأرض الله واسعة الطُّرُق
وأعظم آمال البـلاد رجالُهـا
وأصدقهم من قام يدعو إلى الوَفق
يقدس للاوطان كلَّ حقوقهـا
ويَفْدِى مناها بالتغرب والشنق

أما حرب الريف ، تلك المنطقة الشمالية من المغرب ، فقد كانت مسرحا لبطولة محمد بن عبد الكريم الخطابى فى ثورته على الاسبان ، وتوجيه ضربة قاصمة لهم سنة ١٩٢٥ وبخاصة معركة « انوال » فقد نال منهم حينذاك ما لم تستطع فرنسا أن تناله فى مواقعها البحرية معهم • هذه الحرب خلقت ابطالا تحدث عن كفاحهم شعراء القرويين ، وان لم يرتفع الى مستوى المعركة منهم سوى الشاعر « ابو عبد الله محمد السليمانى » ولعل سر القوة التى تكمن فى قصيدة هذا الشاعر يرجع الى أن هذه الحرب جاءت امتدادا لنزعته التحررية ورسالته فى النضال الوطنى الذى افنى فيه زهرة شبابه •

واتسعت نظرة القرويين الى معنى الوطن العربى الكبير فهتفوا بتحرير الجزائر كما هتفوا بتحرير المغرب ، يقول علال الفاسى :

بنى الجزائر هبوا من رُقاد كـم
ولتستضيئوا بنور أزهر الشُّهُب

وكانت هذه القصيدة قبل أن تندلع ثورة الجزائر على الفرنسيين « ثورة المليون شهيد »

شعر المنفى

وقد اصطلى شعراء القرويين بنيران العدو المستعمر باعتبارهم من الرواد الاوائل للحركة الاستقلالية • فظهر لهم ما يسمى « شعر المنفى » ولعل زعيمهم فى ذلك هو الشاعر محمد علال الفاسى فى قصائده من « الجابون » ، ومن شعر المنفى قصائد المختار السوسى من « الغ » ومن «اغبالوا نكردوس» ، وقصائد عبد القادر حسن •

يقول علال الفاسى فى قصيدته « اطياف الربيع المغربى » وهو فى منفاه بالجابون سنة ١٩٣٨ :

أخلاى ، قد شطَّ المزارُ ، وإننى
بقيت بعيداً عنكم متفـردا
اعيش غريبا في بلاد غريبـة
على ، وما ابقى بها الدهر مسعـدا

وقد صهرت حياةالمنفى نفسعلال الفاسي، فصدر عنه في هذا الصدد أبلغ ما قاله من الشعر ، حتى ليعتبر من معالم الادب المغربى الحديث • وفى المنفى يتوسل الشاعر عبد القادر حسن بالرسول صلوات الله عليه فيقول من قصيدة :

ياسرَّ هذا الكون يانور الدجـى
يا علـةَ الاضمار والأظهـار
ارجو ، وأرجو ، لا حدود لمطلبى
وحماك أوسعُ ما يوْم السـارى

ولبعض الشعراء القرويين مجالات أخرى فى حب الحياة ، والاستمتاع بها كما يشاء الحى أن يحيا ، وهذا لا شك واد من أودية الشعراء حيث يهيمون•

هؤلاء هم شعراء القرويين ، رواد أوائل حملوا عصاهم السحرية على قدر طاقتهم ، فطرقوا بها الابواب التى فتحت للاجيال الجديدة مسارح الحركة الادبية • ■■

د • احمد عبد الرحمن عيسى
كلية اللغة العربية بالرياض

الباهر في الجبر
للسموأل المغربي

تحقيق

صلاح حامد ورشدي راشد

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ السموأل بن يحيي بن عباس المغربي ، رياضي وطبيب ، ولد بالمغرب ، وسكن بغداد مدة ، وانتقل الى فارس ، ومات بالمراغة باذربيجان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م) .

ابن أبي أصيبعة يقول :

يقول عنه ابن ابي اصيبعة ، كان فاضلا في العلوم الرياضية ، عالما بصناعة الطب ، واصله من بلاد المغرب ، وسكن بغداد مدة ، ثم انتقل الى بلاد العجم ، ولم يزل بها الى آخر عمره ، وكان ابوه ايضا ، يشدو شيئا من علم الحكمة .

والبغدادي يقول :

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي قال : هذا السموال شاب بغدادي ، كان يهوديا واسلم،ومات شابا بمراغة، وبلغ من العدديات مبلغا لم يصله أحد من زملائه ، وكان حاد الذهن جدا ، بلغ من الصناعة الجبرية الغاية القصوى،وقام بديار بكر واذربيجان وله رسائل في الجبر والمقابلة ، يرد فيها على ابن الخشاب النحوي ، وذلك ان ابن الخشاب كان معاصره ، وكان لابن الخشاب مشاركة في الحساب ونظر في الجبر والمقابلة .

وابن القفطي يقول :

وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي ، ان السموال اتى الى المشرق وارتحل منه الى أذربيجان وخدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة المراغة واولد اولاده هناك وسلكوا طريقته في الطب ، وارتحل الى الموصل وديار بكر ، وأسلم فحَسُنَ اسلامه وصنف كتابا في اظهار معايب اليهود ، وكذب دعاويهم في التوراة ، ومواضع التدليل على تبديلها واحكم ما جمعه ذلك ومات بالمراغة قريبا من سنة سبعين وخمسمائة .

سبق العرب في الرياضيات واصالتهم فيها

وفي الحق ان من الصعوبة بمكان، ونحن نعرض كتاب الباهر في الجبر، ان نؤرخ التاريخ الصحيح

للرياضيات عند العرب ، وان كنا نسلم بسبقهم فيها وبخاصة في الحساب والجبر،وذلك لان النصوص الرياضية التي خلقها العلماء العرب في العصر الوسيط ، ما زالت مغمورة في مختلف مكتبات العالم ولم ينشر منها الا النزر اليسير ، بالرغم من جهود مؤرخي الرياضيات ، وبخاصة تلك التي بدأت في القرن التاسع عشر • فالاجابة عن السؤال عن اصول الرياضيات العربية مستحيلة قبل معرفة هذه النصوص معرفة كاملة جيدة،وكثيرا ما يتحول السؤال عن هذه الاصول عند بعض مؤرخي الرياضيات الى سؤال عن الاصالة لا يمكن حسمه•فكثير من المؤرخين الاجانب يعتبرون العلماء العرب مجرد نقلة للعلم الاغريقي • وان اعترف المنصفون بفضل العرب في هذا المجال،ومن هؤلاء من يقرأون في اعمال العرب منجزات ديكارت Descartes وليبنتز Leibnitz ان لم يكن نيوتن N wton نفسه •

للسموأل ٨٥ مؤلفا

ويذكر الصفدي في الوافي ان للسموال خمسة وثمانين مؤلفا ، نذكر منها هذا الكتاب « الباهر في الجبر » ، الذي نعرضه في هذا الحديث ، ثم الزاهر في الجبر ، وشرح لكتاب ديوفنطوس الاسكندراني ورسالة في التحليل والتركيب ، ورسالة الموجز في الحساب ، والتبصرة في علم الحساب ، وكتاب آخر في الحساب الهندي ، ورسالة الى ابن الخشاب في مسائل حسابية جبر ومقابلة ، والكافي في حساب الدرهم والدينار ، وقصيدة في حساب اليد ، وكتاب في اعجاز المهندسين ، وكتاب المثلث القائم الزاوية ، وكشف اغوار المنجمين ، والمفيد الاوسط في الطب ، ونزهة الاصحاب في معاشرة الاحباب،والمنير في مساحة الجواهر المختلطة لاستخراج مجهولها ، وكتاب افحام اليهود (نشرة بركلمان سنة ١٩٦٤ نيويورك) وغير ذلك كثير •

كتابه في الجبر

واذا رجعنا الى الجبر وهو الموضوع الاساسي في كتاب الجبر ، وجب ان نفرق بين منهجين اساسيين لنمو هذا العلم عند العرب ، الاول تطوير الجبر بالهندسة ، وذلك باستخدام الاشكال الهندسية لاستخراج جذور بعض المعادلات ، والثاني هو تطبيق الحساب على الجبر ، وتوسيع مفهوم العدد بمحاولات غير مباشرة ، وعلى هذا النهج تتضح الفكرة الاساسية في تاريخ الجبر،الا وهي استقلال العمليات الجبرية عن التمثيل والتصور الهندسي •

وينبغي ان نذكر فضل محمد بن موسى الخوارزمي على علم الجبر في كتابه « الجبر والمقابلة » الذي يقول عنه استاذنا المرحوم الدكتور مشرفة ،صحيح انه كانت هناك معلومات جبرية متناثرة قبل الخوارزمي ، ولكنا لم نعثر على كتاب واحد يشبه كتاب الخوارزمي،ويقول : كان لا بد ان تنتقل هذه المعلومات المتناثرة الى عبقري كالخوارزمي لكي ينسقها ويعلمها للناس اجمعين •

ولا بد ان نذكر كذلك ان ابن الفتح ، وابا كامل والكرجي ، والخيام،قد اقروا كلهم بعد الخوارزمي، ان وحدة الموضوع الجبري هي في عمومية العمليات الرياضية لا في عمومية الكائنات الرياضية،فهذه الاخيرة يمكن ان تكون خطوطا هندسية او ارقاما عددية • أما العمليات فهي التي يحتاج اليها لرد مشكلة او معادلة او بمعنى ادق لوضعها في صورة احدى المعادلات القانونية التي اوردها الخوارزمي، وكملها الرياضيون من بعده ، او تلك التي تلزم لايجاد حلول خاصة تدعى عادة بالدساتير اوالصيغ، وهكذا اصبح الجبر علم المعادلات ، وظل على هذه الصورة حتى اواخر القرن الثامن عشر حتى لاجرانج Lagrange • ولئن كانت بذور هذا التصور للجبر قد بدأت عند الخوارزمي فقد اكثر اللاحقون من استخراج كل ما تحمله من معان ، واظهروا كل ما تكنه من افكار • فعمر الخيام يعرف الجبر بانه علم المعادلات ، ولا يتردد الطوسي في ان يضع المعادلات في عنوان كتابه عن الجبر •

كتاب الباهر في الجبر مخطوط ومصور

وللسموال كتب عديدة في الرياضيات ، ولكن مخطوطة كتاب الباهر في الجبر موجودة في مكتبة ايصوفيا تحت رقم ٢١١٨ ، ومصورة بمعهد الوثائق

والمخطوطات في الجامعة العربية بالقاهرة وتقع في ١١٦ ورقة وانتهى من نسخها سنة ٧٢٥ هـ • والخط جيد والحروف غير منقوطة •

يقول السموال انه جمع في هذا الكتاب اصول صناعة الجبر والمقابلة وبرهن على ما لم يجد احدا برهن عليه ، وكمله باعمال مبتكرة واشكال مبتدعة غير ما كان في ايدي الناس من هذه الصناعة ، وعلل فيه ما زعم فيثاغورس انه ادركه بطريق الوحي ، وجاء به صفوا متزها من التمويهات والشوائب • ويقول لم نخلط كلامنا بكلام من تقدمنا ، وان كنا نسبنا الى اقدم من نقل ذلك عنه ، وقسمناه الى اربع مقالات : تنفرد كل واحدة منها بمعنى ، فمهدنا في المقالة الاولى الطريق الى التصرف في المجهولات بجميع الادوات الحسابية كما يتصرف الحاسب في المعلومات والتزمنا البراهين على جميع قضاياه ، وضمنا المقالة الثانية من الاصول التي تنحل بها المسائل الجبرية ويستعان بها على اخراج المجهولات مما لا يخفى شرحه على من تقدمه الاطلاع على ما الف الناس في ذلك •

واستقصينا في المقالة الثالثة الكلام على حساب المقادير الصم ، والتصرف فيها بابواب الحساب حتى جعلنا المنطق والاصم عند متفهمها سيان، ثم ختمنا الكتاب بمقالة رابعة في تقاسيم المسائل، لنقف منها على نوعية كل مسالة ترد ، وما تصلح ان تسمى به ، ولا غناء لمتفهم عن علم عشر مقالات من كتاب الاصول لاقليدس •

يقول السموال ـ وقد اظهرت بعض كراريس هذا الكتاب عند فراغي من شطره، الرجل من مشايخ العلم والدين ، هو الامام ناصر الدين ابراهيم الباكوهي رحمه الله ، وكان من الراسخين في العلوم المعقولة والمنقولة فاستعظم امر الكتاب ، وذهب في الاعجاب به كل مذهب ، وسالني تفويض تسميته اليه ، فاجبته الى ذلك فسماه «الباهر» ، وعهد الى بصيانته لانه وجد قريحتي قد سمحت به على غرة الحداثة والسن تسعة عشر ، فبدأت بمعاملته بوصيته ، واستدمت صيانته الى ان انتشر من تاليفاتي في هذه العلوم ما لا يتيسر لي احصاؤه كثرة • وكثر التشفع من الاخوان الي في ابرازه، وسرى من حبه قبل اخراجه ما يكفل اعزازه فاسعفت كرمهم عليه •

وتختص المقالة الاولى من الباهر في المقدمات والضرب والقسمة والنسبة واستخراج الجذور وهي خمسة ابواب الاول في مقدمات يحتاج اليها والثاني في الضرب وفيه فصلان الاول في ضرب العدد المفرد والثاني في ضرب العدد المركب والثالث في القسمة وفيه فصلان الاول في قسمة المقادير المفردة والثاني في قسمة المقادير المركبة• والرابع في النسبة وفيه فصلان الاول في كيفية النسبة والثاني في نسبة المقادير التي يعبر عنها ملفظ القسمة ، والخامس في الجذور الاول في استخراج جذور الاعداد المعنومة الصورة المفردة ، والثاني في اخذ جذور الاعداد والمقادير المركبة المعلومة الصورة كما تختص المقالة الثانية من الباهر في استخراج المجهولات وهي خمسة ابواب : الاول في ان صناعة الجبر والمقابلة جزء من صناعة التحليل والثاني في المسائل الست الجبرية ، ثلاث في المسائل المفردة الجبرية وثلاث اخرى في المسائل المقترنة والثالث في الاستقراء ، والرابع في براهين هندسية يستعان بها على استخراج المجهولات العددية والخامس في الباب الجامع المعروف بالخطائين فيما يعتقده قسطا بن لوقا في ذلك •

والمقالة الثالثة من الباهر في المقادير الصم وهي التي لا جذر لها وفيه جملتان الاولى في اربعة ابواب والثانية في ستة ابواب • ويختم المؤلف كتابه بالمقالة الرابعة وهي في تقسيم المسائل وهي في ثلاثة ابواب الاول في المسائل الواجبة والثاني في ذكر المسائل التي يقال لها الممكنة والثالث قول على المسائل الممتنعة •

وبعد : فهذا عرض موجز لكنه شامل لكتاب الباهر في الجبر ، رأينا ان نعرف المختصين به ، وان نشكر في الوقت نفسه القائمين على تحقيقه، كما نشكر وزارة التعليم العالي السورية التي قامت على نشره وان نعرف الاجيال الصاعدة بهذا التراث العلمي العربي ، وان نصحح بذلك تاريخنا العلمي ، حتى تعرف هذه الاجيال دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية العالمية ، والله ولي التوفيق •

■■

عبد الحليم منتصر


نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به
GRAPHICS–McCANN



رحلة
فنان
عربى

ابو العينين..

بين الصحافة والمسرح والفن الشعبى

بقلم : راجى عنايت

■ اختار الاصعب .. لم يشأ أن يركن الى الاشكال التقليدية فى التعبير التى شب ليرى اساتذته وزملاءه يلتزمونها .. أحس أن الاساليب التقليدية لم تعد تؤدى دورها المطلوب، وانه لا بد من الاعتماد على وسائل اتصال جديدة تحمل فنه الى جماهير اوسع .

كانت الصحافة من أول الميادين التى انطلق فيها ،ساعيا الى تحقيق الشكل الجميل الذى يصنع المادة فى اكمل صورها ، وآملا فى أن يرسخ فى وعى الجماهير ذوقا فنيا رفيعا . بذل جهدا فى ذلك الميدان لم يكن بالجهد الهين السهل ، بل جاء فى مواجهة استنكار من الوسط الصحفى الذى لم يكن يتصور علاقة بين الشكل والمضمون الصحفى، وان مهمة تنسيق المجلة او الصحيفة من الامور الثانوية التى يمكن أن توكل الى عامل من عمال المطبعة . وعندما نجح فى مهمته، واصبح الاخراج الصحفى وظيفة معترفا بها ، تتفرغ لها هيئة كاملة فى كل مجلة وجريدة ، بدأ يتطلع من حوله الى مجال جديد للتحدى ... وكانت خطواته الرائدة فى مجال الديكور المسرحى ، منتزعا الحرفة من ايدى الاجانب الذين كانوا يحتكرونها، معطيا المثل على ما يحققه الفنان المصرى من اصالة فى هذا الميدان .

الا أن تفرده الحقيقى كان اساسا فى مجال

● شاقة ومرهقة رحلة الفنان المبدع في عالمنا العربي . ومشكلته ليست في معاناته الشخصية فقط ، ولكنها ايضا في تلك الظروف التي تدفعه دائما لان يحارب في أكثر من جبهة ، ليشق طريقه ويثبت وجوده . والفنان عبد الغني ابو العينين واحد من هؤلاء الفنانين المحاربين .



الاهتمام بالحلى والاكسسوارات لا يقل أهمية عن الزي الشعبي ذاته ..

الفن الشعبي ، وبخاصة مجال تصميم الازياء لرقصات فرق الفن الشعبي . وهو منذ أن بدأ جهده في ذلك المجال ، صمم عشرات الازياء المسرحية الشعبية ومازال حتى يومنا هذا يضيف كل عام جديدا على ما سبق أن قدمه ، فيحظى انتاجه باعجاب الجمهور والمختصين في الداخل وفي جميع الدول الاوروبية والاسيوية والافريقية التي تزورها الفرقة القومية للفنون الشعبية .

وهو مع تصديه لهذه السلسلة من التحديات تراه هادئا صامتا يسمع كثيرا ، وينطق اقل القليل .. انه الفنان عبد الغني ابو العينين .. او ابو العينين كما يطلق عليه اصحابه وزملاؤه.

الدجاج .. والبيانولا

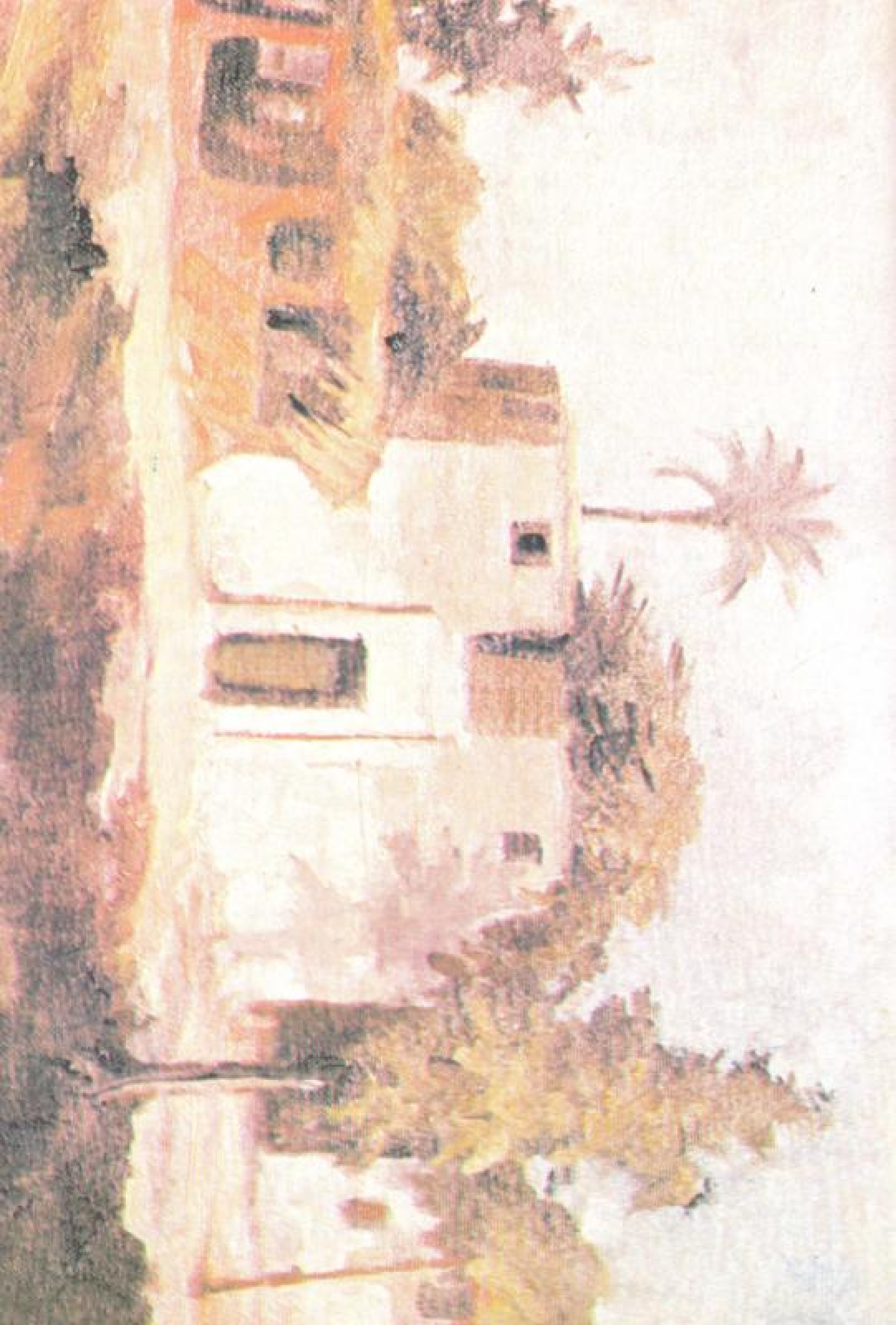
ولد في مستهل عام ١٩٢٩ لاب يعمل مديرا للتفتيش بالمجالس الحسبية ، يستهلك عمله الرسمي أقل وقته .. ويمضي اغلب حياته متنقلا بين هواياته العديدة التي كان يلذ له أن يمارسها في بيته الهادىء بحي مصر الجديدة الذي لم يكن على صورته الحالية من التعمير والازدحام التي تراه عليها اليوم . تلك الهوايات التي اثرت تاثيرا كبيرا على حياة فناننا .

وصبينا ما زال يذكر ساعات العذاب التي كان يعانيها كلما هم والده باجراء تجربة من تجارب



موكب شعبي قاهري من ايام المماليك، ينطق بكل معالم هذه الحياة ، وتقاليدها التي ما زالت بصماتها باقية الى الان .

منظر ريفي من اعمال التصوير للفنان ابو العينين، تبدو فيه الطبيعة المصرية الفريدة في معالمها ، والمتكررة في ٤ الاف قرية مصرية .



التصوير الفوتوغرافي ، فيجلسه جامدا على كرسي ، يحاول بآلة التصوير البدائية التي كانت لديه أن يحصل على افضل النتائج .. وما زال يذكر ايضا فرحته التي تنسيه ساعات العذاب تلك ، عندما يقف مع والده في الحجرة الكاملة الاظلام الا من مصباح احمر ضعيف ، يرقب معالم الصورة وهي تتضح شيئا فشيئا داخل محلول الاظهار الكيميائي ..

كما يذكر صبينا الساعات الطويلة التي كان يقضيها مستمتعا وهو يراقب والده ، يعد ادوات كتابة الخط العربي ، وامشق الخطوط العربية بما فيها من نماذج جميلة ، استعدادا لكتابة لافتة فنية تتضمن حكمة من الحكم او آية قرآنية .

وفي الساعات القليلة التي كان والده يذهب فيها الى عمله ، كان صبينا يمضي وقته في مراقبة الدجاج الذي تحتشد به « العشة » في ركن من اركان الحديقة الصغيرة التي تحيط « بالفيلا » الحجرية التي يسكنونها .. وقد يفتر حماسه لمراقبة الدواجن فينطلق الى خارج « الفيلا » لاحقا بالفنان الشعبي الذي يحمل «البيانولا» على ظهره متخيرا انسب المواقع لتقديم عرضه ، حيث يتجمع الاطفال ، فينزل الالة المزوقة بالصور الاجنبية من فوق ظهره ويسندها على العامل الذي لا يفارقه ثم يدير ذراع الالة لتنطلق الالحان الجميلة التي يصاحبها ايقاع دف تحمله ابنة الفنان ، وتتراقص به ، ثم تستخدمه بعد ذلك في جمع النقود من المشاهدين .

وما أن ينفض السامر ،حتى يمضي صبينا باحثا عن دكان احد الحرفيين يتابع عمله بما فيه من مهارات تبدو كشيء من السحر في عين صبينا .. نجار .. او منجد ممن يعد الحشايا والوسائد .. او سباك يصوغ الاوعية من رقائق الصفيح .

هكذا مضت حياة الصبي عبد الغني حتى بلغ سن الدراسة فالحق بمدرسة الزيتون الابتدائية التي كان يمضي اليها على قدميه ذهابا وايابا .

التمرد على التصوير الفوتوغرافي

في المدرسة الابتدائية ، كانت احب المواد اليه، مادتي الرسم والاشغال اليدوية ، وكان هذا النشاط يستوعب ساعات الدرس كاملة ، ويمتد في كل اوقات فراغه بالمدرسة ، ثم يتصل بعد عودته الى البيت .

وتابع والداه باعجاب نشاطه في تكبير صور الزعماء والقادة مستخدما اقلام الفحم الاسود ، ومعتمدا على نسخ المجلات المتراكمة في البيت والتي كان والده يحرص على شرائها وتجميعها.

وعندما انتقل الى المدرسة الثانوية كان من حسن طالعه أن مدرس الرسم في مدرسة مصر الجديدة الثانوية ، الفنان المزخرف الراحل محمد لبيب خريج مدرسة الفنون الجميلة العليا . وكان يقضي اغلب وقته في حجرة الرسم فتوطدت صداقته باستاذه ، وبدأ يتعرف على معالم الفن بشكل اكثر تحديدا .. دراسة الفن وكيف تكون .. جهد الفنان .. انماط الفن .. وصلاحيات الخلق الواسعة التي تتاح للفنان التشكيلي .

هنا .. تمرد في البيت على التصوير الفوتوغرافي .. فلم يعد ذلك الصبي المطيع الذي يجلس على مدى الساعات امام عدسة والده .بل ان تمرده أخذ شكلا اكثر جراة واحتجاجا ، فراح يرسم الشوارب والنظارات للصور الفوتوغرافية التي يعتز بها ابوه ، رغم ما يلقاه من عقوبة على مثل ذلك العمل .

وفي المدرسة ، تفتح له مجال جديد مبهر .. عالم المسرح ، ذلك العالم الذي بقي مؤثرا على خيال الفنان فارتبط به وانتج له عندما تهيات الظروف المناسبة . اما في ذلك الوقت فقد كانت مشاركته بالتمثيل في الفرقة التي كان يدربها الاستاذ محمد يوسف والد الاذاعي الراحل عبدالوهاب يوسف صاحب الاعمال الاذاعية الناجحة. وبلغ من فرط حماس فتانا وحرصه على التجويد أن حظي باعجاب مدربه ، فكان يستعين به في أداء الادوار الصعبة بالمدارس الاخرى التي يشرف على تدريب فرقها التمثيلية .

واخذت هواية التمثيل تستولي عليه ،مما دفعه الى تكوين فرقة تمثيلية وهو ما زال بعد طالبا في المدرسة الثانوية ..فرقة كاملة تقدم مسرحيات الفنان الراحل نجيب الريحاني على مسرح كازينو بمصر الجديدة .

بين الزخرفة والسينما

وفى المساء بعد أن ينتهى من انجاز واجباته المدرسية كان الفتى ، يمضى الساعات الطوال مفرجا المجلات العديدة التى يحتفظ بها ابوه فى (سحاحير) ضخمة .. مئات المجلات، يقلبها ويقرأ فيها ويتأمل ما بها من صور ورسوم، وتشغلهطويلا العلاقات التى بين الكلام المطبوع وما يجاوره او يتخلله من خطوط وصور ورسوم .

ولكنه سرعان ما ينسى هذه الخواطر ، ويتوقف عن نشاطه المسرحى بكازينو مصر الجديدة ، عندما يلتحق بكلية الفنون الجميلة ،بتشجيع من استاذه محمد لبيب . يتقدم الى امتحان القبول ضمن ٢٨٥ متقدم ، فينجح ٢٦ ، يكون هو من بينهم .

يمضى سنته الاعدادية بكلية الفنون الجميلة التى تسبق التخصص،مبهورا بالوان التعبير المتباينة التى يدرسها، تارة يجرب التصوير واخرى ينهمك فى تجسيد تمثال من النحت وثالثة يغيب فى لوحة زخرفية تأسره موسيقاها .. لا يكتفى بما يدور فى مرسم السنة الاعدادية ، بل يروح يجوب باقى المراسم فى اقسام التصوير والنحت والحفر والزخرفة والهندسة المعمارية .

وينتهى العام ،ويبدأ استعداده للامتحان بحماس شديد ، وفى يوم اختبار النحت ، وهو فى الحافلة التى تنقله من مصر الجديدة الى وسط المدينة يقع حادث لهذه الحافلة فيصاب بجروح فى ظهره وتتمزق ملابسه ، ويكون حزنه للتخلف عن الامتحان ، اقوى من آلامه التى يعانى منها .

وهكذا تضيع عليه فرصة اختبار النحت،ولا يظهر اسمه بين اسماء الناجحين ، الى أن يدخل الدور الثانى فى مادة النحت رغم نجاحه بتفوق فى المواد الاخرى .

ينسى فتانا هذه التجربة المريرة عندما يلتحق بالسنة الاولى من قسم الزخرفة بناء على تشجيع من استاذه بالمدرسة الثانوية الذى كان يرى ان موهبته الاولى تتضح فى مجال الرسوم الزخرفية. وفى هذه السنة يلتقى بالاساتذة الذين كان يسمع عنهم من كبار الفنانين .. عبد السلام الشريف، مفيد جيد ، مظهر ، بيكار ، البابلى ، والحسين فوزى .

وكالعادة ، لا يحقق اشباعه الكامل بمجال واحد للتعبير ، فنراه يستغل فترات فراغه بالكلية ، ليتجه الى استديو مصر ، حيث يلتقى بصديق والده ، الاستاذ الفنان محمد خورشيد ، ليتابع مراحل انتاج فيلم « السبع افندى » وقد بهرته الديكورات الضخمة التى يقيمها العمال لتصوير المشاهد ، ثم يهدمونها فى يوم لاحق لبناء الديكورات الجديدة .. ينتهز فرصة انشغال العمال ويروح يتأمل التصميمات التى وضعها فنان الديكور ، معجبا بالطريقة التى تتحول بها هذه التصميمات الى انشاءات ضخمة عالية .

ولا يقتصر بقاؤه فى الاستديو على اوقات تشييد الديكور ، بل تدفعه هواية التمثيل القديمة الى حضور أيام التصوير متابعا ما يجرى من حوله ، شادية وقد اخذ "الماكير" يضع لمساته على وجهها بين اللقطات ، الفنان الراحل سعيد ابو بكر وهو يطلق نكاته فيضحك لها الجميع . وذات يوم ، يصور المخرج مشهدا لبائع العقاقير الشعبية فى الريف ، وكان قد اختير لهذا الدور شاب من خريجى معهد التمثيل . وحاول المخرج أن يحصل من الشاب على الاداء المطلوب دون جدوى ، فاستغنى عنه وصرفه.

واخذ المخرج يتطلع حوله ، فرأى فتانا يرقب ما يجرى فى فضول ، فطلب منه أن يتقدم لاداء هذا الدور .. وبلا تفكير اندفع يؤدى الدور بنجاح شهد به كل من حضر تصوير هذه اللقطة .

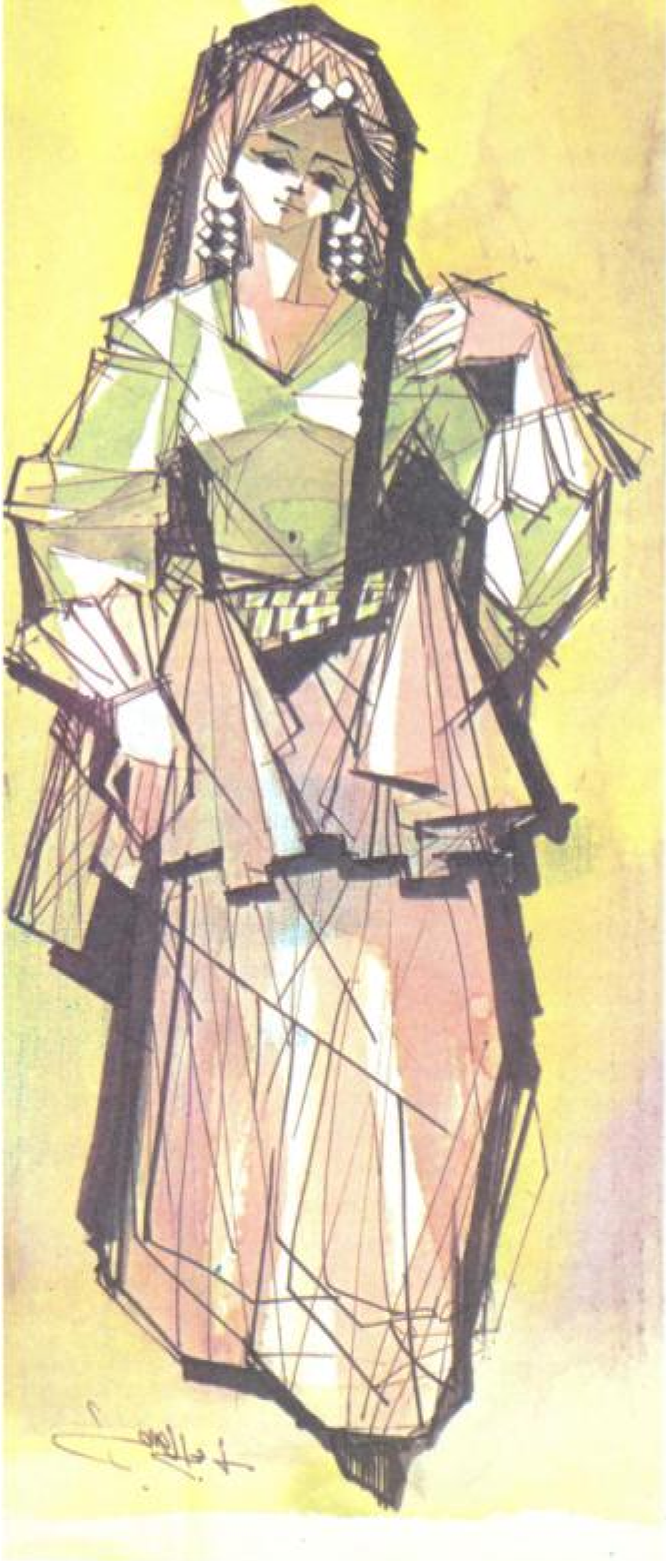
على ابواب الوعى

غير أن السينما والاستديوهات ، كانت نزوة من نزوات الشباب ، لم يكتب لها أن تستمر . ففى ذلك الوقت ، عام ١٩٤٨ بدأت حرب فلسطين ، فاثارت اهتماما سياسيا لديه ولدى زملائه فى الكلية ، واصبحت متابعة الصحف لمعرفة ما يجرى فى انحاء العالم ضمن اهتماماتهم . وقام ابو العينين بتصميم ملصق حائطى تحت شعار « ارض العرب للعرب » ، لقى اهتماما شديدا ، وقامت الكلية بطبعه وتعميمه . وكانت لهذه التجربة اهمية خاصة الرت على مستقبل الفنان ، اكدت له اهمية الوعى السياسى والاجتماعى لدى الفنان ، واظهرت له اهمية البحث عن وسائل اخرى غير اللوحة والتمثال يعتمد عليها الفنان فى الوصول









رقصة « الدحية » أزياء شعبية من تصميم أبو العينين .

التصميم الاصلى لزى شعبى. رقصة من رقصات الفرقة القومية للفنون الشعبية .

رقصة « النزاوى » صمم ازياءها أبو العينين أيضا .

تصميم لديكور وازياء فصل « زينة النساء » من مسرحية حلاق بغداد لالفريد فرج .

الى جماهير اوسع وتكون قادرة على تعميق الذوق الفني لدى هذه الجماهير .

واذا كان الاستديو السينمائي قد فقد بريقه عند فناننا ، فانه لم يفقد اهتمامه بالعمل المسرحي ، او يفقد متعته بالوقوف على تلك الخشبة امام الجماهير المرتقبة ، فالى جانب الدراسة التى كان يجتازها بتفوق ونجاح ملموس،كان ينظم الحفلات ويشارك فى التمثيليات ويقدم المنوعات التى كانت تحظى باقبال الاساتذة قبل الطلبة .

وخلال سنوات الدراسة ، بدأت صلته الاولى بالصحافة كمحترف ،فانضم الى جريدة النداء يرسم اعلاناتها ، ويشارك فى نفس الوقت زملاءه فى اصدار الاعداد الاولى من مجلة الغد .

وعندما ينهيدراسته بكلية الفنون الجميلة بتفوق تعرض عليه الكلية العمل كمعيد بها ، فيعتذر ، خاصة وان البعثات الخارجية التى كان يتيحها ذلك المنصب ، توقفت فى ذلك الحين . لم يكن يستهويه العمل المحدود بين حوائط الكلية ، كان يريد أن يصلبفنه الى اوسع الجماهير لا أن يقصر نشاطه على عدد محدود من الطلبة والاساتذة .

عندما يتحقق الهدف

بدأت حياته العملية كرسام بالمتحف الزراعى ، لكنها لم تتصل لاكثر من شهرين،حيث تم تعيينه مدرسا بمدرسة مصر الجديدة النموذجية ، ورغم نجاحه فى ذلك العمل ، ورغم ان اللوحات العديدة الفخمة التى انجزها التلاميذ باشرافه ما زالت تشغل حوائط المدرسة ، فقد كان متاكدا من أن طريق حياته لا يمر فى هذا الاتجاه . وكان العزاء الوحيد فى تلك الفترة هو عمله كمسئول عن اخراج الصفحة الاجتماعية بجريدة المصرى . ثم اسفاره الى فينيسيا بايطاليا لحضور معرض البينالى العالمى .

وتحل اللحظةالحاسمة عندما تنقلهوزارة التربية والتعليم الى مدرسة الرمل الثانوية بالاسكندرية، فيقدم استقالته ، ويحترف العمل سكرتيرا لتحرير مجلة روز اليوسف .،

فى روز اليوسف ،تطول اقامة ابو العينين وتمتد حتى عام ١٩٦٢ ، فقد وجد أخيرا العمل الذى يحقق اهدافه القديمة ، والذى يستطيع عن طريقه أن يصل بفنه الى جمهور واسع.كانت روزاليوسف بالنسبة لابى العينين حياة كاملة ، تستوعب ساعات نهاره وليله ، ومن خلال روز اليوسف استطاع ابو العينين ان يحدث تغييرا جذريا فىالصحافة المصرية. استطاع أنيخرج روز اليوسففى ثوب جميل، وان يرسى بين الصحف والمجلات قواعد الاهتمام بالشكل الصحفى ، الشكل الجميل الذى يكون فىخدمة المادة الصحفية ، يؤكد طبيعتها ويسهل على القارىء متابعتها . واستطاع ابو العينين الى جانب ذلك، بحكم وظيفته ، ان يخلق داخل المجلة جوا اسريا يتحمس لعمله الذىبدأ يكسب حماس العاملين بها.

ولم يقتصر ابو العينين فى مهمة ترقية الذوق العام للجمهور على جهده فى اخراج روز اليوسف، بل اخذ يحرر باب « نصف حياتك فى المنزل »بمجلة صباح الخير التى تصدر عن الدار ، ساعيا الى تقديم افكار عملية لتجميل البيت المصرى .

وعندما اتت جهود ابو العينين ثمارها، ليسفقط فى روز اليوسف ، ولكن فى معظم الجرائد والمجلات المصرية ، فاصبح الاهتمام بالشكل الصحفى واخراج الصحيفة من المهام الاساسية التى يتخصص فيها اكثر من فنان ، عندما حدث ذلك ، بدأ يتطلع من حوله لتحقيق ذاته فى مجالات فنية اخرى .

فى عالم المسرح

كان الديكور المسرحى فى ذلك الوقت احتكارا فى يد مجموعة من الاجانب وبخاصة الايطاليين . وعندما اتيحت له فرصة المشاركة فى هذا الميدان، اثبت ابو العينين قدرة الفنان المصرى وتميزه بالاحساس المحلى الذى قد لايتوفر للفنان الاجنبى. فقام بتصميم ديكورات مسرحية « قهوة الملوك » للطفى الخولى ، ومسرحية « سيما اونطه » لنعمان عاشور ، ففتح بذلك بابا واسعا للفنانين المصريين فى هذا المجال .

وعندما عرض عليهبعد ذلك العملكمدير لمركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة ، تردد ابو العينين طويلا .. فلم يكن من السهل عليه أن يهجر حياة الصحافة التى عاشها لفترة طويلة ، ومن ناحية اخرى كان الفن الشعبى بقيمه الزخرفية

الاصيلة يستهويه ، وعمله كمدير لمركز الفنون الشعبية ، الذى يقوم بجمع وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية ، سيتيح له أن يعيش فى عالم يهواه ..

ينتهى به الامر الى قبول المنصب ، ويشجعه على هذا القرار ، تكوين الفرقة القومية للفنون الشعبية فى ذلك الحين ، واسناد مهمة تصميم ازياء الرقصات الشعبية اليه . وقد تحمس لهذه المهمة الاخيرة اكثر من حماسه لوظيفته الاصلية ، حيث انها كانت تجمع بين اهتمامه بالفن الشعبى المصرى وبين هوايته القديمة للمسرح .

وهكذا مضى ابو العينين يصمم الازياء الخاصة بفرقة الفنون الشعبية عاما بعد عام ، ونجح فى ان ينتزع اعجاب الجماهير التى كانت تتزاحم على عروض الفرقة بالداخل والخارج ، واستطاع ان يصنع من الزى الشعبى بطلا يصفق له الجمهور.

وعندما يستقيل ابو العينين من عمله كمدير لمركز الفنون الشعبية ، راجعا الى ميدانه القديم، ميدان الصحافة ، ليعمل كمستشار فنى لدار التحرير التى تصدر جريدة الجمهورية وجريدة المساء بالاضافة الى عدد من المطبوعات الدورية الاخرى ،عندما يحدث هذا ،تبقى صلة ابو العينين بالفرقة القومية للفنون الشعبية ، فما زال حتى يومنا هذا يصمم ازياء الرقصات الشعبية لكل برنامج جديد .

ولعل سر نجاح الفنان ابو العينين فى هذا المجال ، يرجع بالاضافة الى موهبته ، الى فهم باصول هذه الحرفة ، لذا نراه لا يكتفى بوضع التصميمات ، بل يشرف بنفسه على التنفيذ ، حتى يضمن ان تظهر الازياء على المسرح محققة لرؤيته الفنية ، ومن ناحية اخرى ، حتى يضمن ان تتوفر فى الزى الشعبى المسرحى الاشتراطات الضرورية التى تخدم ظروف العمل المسرحى وتسهل على الراقص اداء حركاته ، وتناسب ظروف الاضاءة الصناعية التى يظهر فيها الزى ، وقبل هذا وذاك ان يحتفظ الزى بعد تطويره بالروح الاساسية للزى الاصلى .

هكذا تمضى حياة الفنان عبد الغنى ابو العينين لتشبع ارهاصات الطفولة كلها ، فتصبح حياته مزيجا من مجموعات المجلات التى كان والده يحتفظ بها فى صناديقه الضخمة ، ومن لوحات الفحم للشخصيات العالمية ، ومن عرض عازف البيانولا الشعبى ، ومن مهارات الحرفيين الذين كان يمر على محالهم يتأمل مراحل عملهم ، ومن حياة المسرح التى عاشها فى كازينو مصر الجديدة .

■■ راجي عنايت

■ لا يحسن الناس يوما أجر سادتهم
وانما يحسنون الاجر للخدم

(عباس محمود العقاد)

■ لا يغرنك المرتقى السهل ، اذا كان المنحدر وعرا .

(قاسم امين)

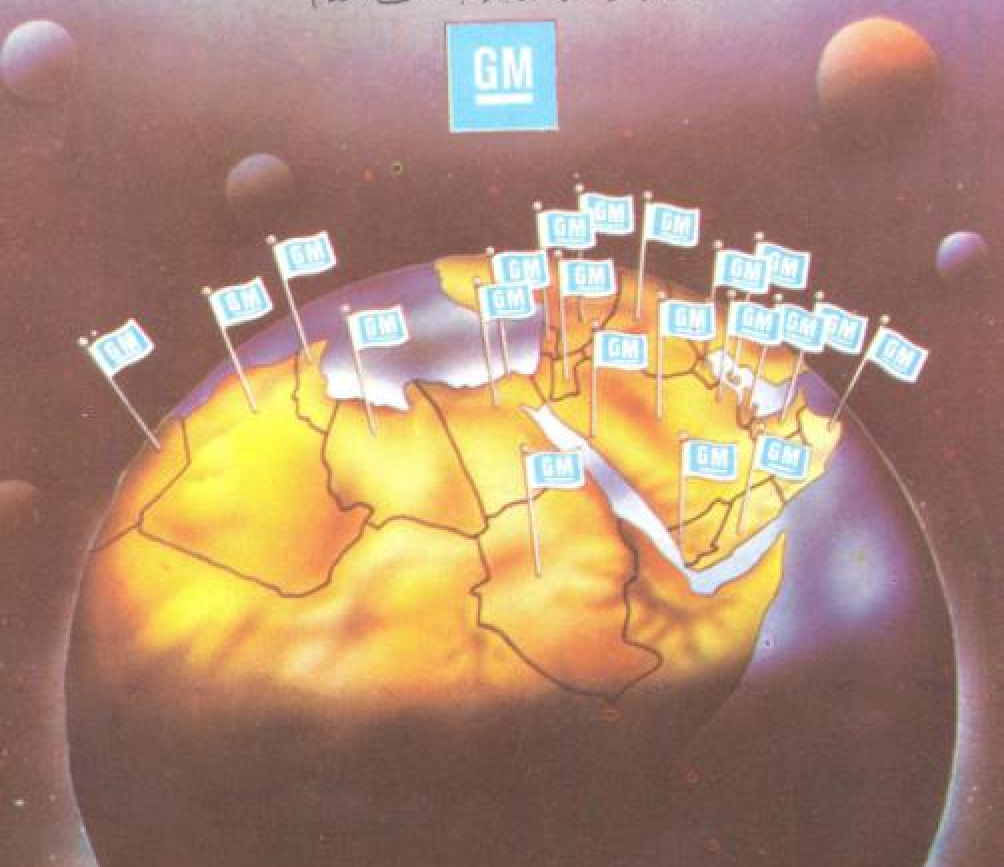
■ قد افعل الشيء لا ابغي به أملا ولا ابالي الورى ماذا يقولونا
همى ضميرى،فان ارضيته فعلى رأى العباد سلام المستخفينا

(ابراهيم عبد القادر المازنى)

■ شر ما يبتلى به الشبان تربيتهم على الفخر ، وخير من ذلك تربيتهم على الادب ، وتعويدهم على فعل ما يليق .

(زينون الرواقى)


هاي فاي فيليبس
معه تحيا الموسيقى في كل وقت
مع فيليبس يمكنك اليوم الاستماع
الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها
العالية والخافتة واضحة كل الوضوح
وكأنك أمام الفرقة الموسيقية.
ذلك بفضل مكبرات الصوت هاي فاي
الجديدة والفريدة التي تصحح
نفسها بنفسها الكترونيا لتستمر
باعطائك ذات النقاوة للحن
الذي يستهويك سماعه.
هذا الاختراع الجديد يدعى موشينال فيدباك
وهو أساس لمجموعة فيليبس الثورية
هذه الحصول على الكمال في
موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك
إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود
جبارة متواصلة. إنك تحصل دائما مع
فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق
كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع
لكل قطعة من اجهزة ومعدات فيليبس
مهما كانت.
اطلب من وكيل فيليبس المعتمد
تجربة مجانية فهي أكبر برهان.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوما





طرائف عربية

المنصور ونديمه أبو دلامة

● دخل الشاعر أبو دلامة على الخليفة العباسي المنصور، وكان أبو دلامة قد وضع بين اصبعيه خرقة بيضاء ، فقال له المنصور : « ما خبرك يا أبا دلامة ؟ » فقال : « ولدت لي البارحة صبية ، وقد قلت فيها ·

فما ولدتك مريم أم عيسى ... ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد ولدت لأم سوء ... يقوم بأمرها بعل لئيم »

فضحك المنصور وقال : « والان ماتريد ، يا أبا دلامة ؟ » قال : « ملء هذه الخرقة دنانير ودراهم أستعين بها على تربيتها » · فقال المنصور : « املئوها دراهم » ففتحوها فاذا هي رداء رقيق كبير ، فلما ملئوه استوعب نحو عشرة آلاف درهم ·

سنن عبد المطلب

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الاسلام : حرم نساء الآباء على الابناء ، فأنزل الله قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ووجد كنزا فأخرج منه الخمس، وتصدق به فأنزل الله قوله « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه ·· الاية» ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج، فأنزل الله قوله « أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الاخر ؟ ·· الاية » وسن في القتل مائة من الابل فأجرى الله عز وجل ذلك في الاسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبدالمطلب سبعة أشواط· فأجرى ذلك في الاسلام ·

لم أمر بجهنم

● قال البحتري : كنت عند المتوكل يوما وكان بين يديه «عبادة» المضحك ، فامر به فالقي في بعض البرك أيام الشتاء ، فابتل وكاد يموت بردا ، ثم اخرج من البركة ، وامر بكسوته ، وجعل في ناحية من المجلس فقال المتوكل : « يا عبادة كيف أنت ؟ » قال : « يا امير المؤمنين جئت من الاخرة » · فقال له : « كيف تركت اخي الواثق ؟ » قال : « لم أمر بجهنم » ، فضحك المتوكل وامر له بصلة ·

لا تفلح أبدا

● قال رجل يوما للجماز الشاعر: « يا أبا عبد الله ، أنا رجل جامد العين ، فلو مات أبي أو أصيبت أمرتي بكاملها بنكبة ، ما بكيت أبدا، ولكنني إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح بكيت حتى يغمى علي ، فعلام يدل هذا ؟ » فقال : يدل على أنك لا تفلح أبدا .

أقوى الناس

● مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوم يتسابقون في رفع حجر كبير فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : « نعرف بذلك أشدنا وأقوانا » . فقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم » . قالوا : « بلى يا رسول الله » . قال : « أشدكم وأقواكم الذى إذا رضى لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس بحق» .

عقاب الوالى

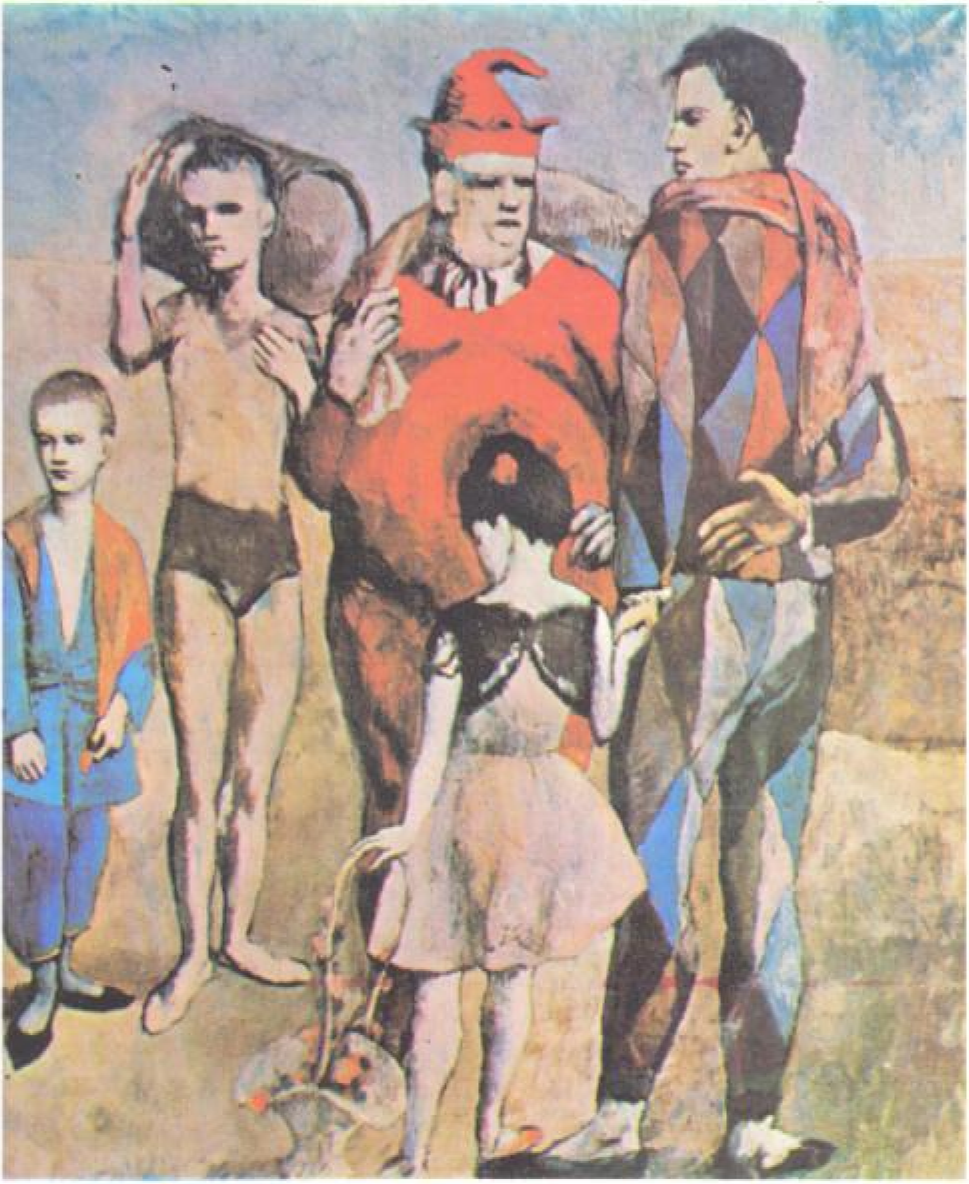
● حين كان أبو موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ واليا على الكوفة ، غضب على أحد السوقة من رعيته ، فجلده عشرين سوطا ، وحلق رأسه، فشكا الرجل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة فقال عمر : « لان يكون الناس كلهم على صراحة هذا الرجل أحب الى من جميع ما أفاء الله على . » وكتب الى ابى موسى الاشعرى : « سلام عليك ،أما بعد ، فان فلانا أخبرني بما كان منك فان كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فاقعد له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وان كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك » .

فلما قدم الرجل على أبى موسى قال له الناس : « أعف عن الامير . » فقال الرجل : « لا والله ، لا أدعه لاحد من الناس » فقعد أبو موسى كما قال عمر ، ليقتص منه الرجل ، فرفع رأسه الى السماء وقال : « اللهم اشهد انى قد عفوت عنه » .

أجرة الخليفة

● حينما ولى عمر بن الخطاب الخلافة استشار الصحابة رضى الله عنهم فى أجر عمله ، فقال له على بن أبي طالب : « لك غداء وعشاء » فأخذ عمر بذلك وعندما سئل عن حقه في بيت المال قال : « ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف » . ففرضوا له حلة للشتاء وحلة للصيف .وراحلة للحج والعمرة ، ودابة يقضى بها حوائجه ويستخدمها فى جهاده .

ولما علم عمر يوما أن غلامه سقاه لبن ناقة من مال المسلمين الذى هو مال الله سبحانه وتعالى انزعج كثيرا وقال له :ويحك لقد سقيتنى نارا .



عائلة مهرج السيرك "لبيكاسو"

رسمها عام ١٩٠٥

■ « بابلوبيكاسو » الذي ولد عام ١٨٨١ وتوفى عام ١٩٧٣ ، هو ابن الرسام الاسبانى المغمور « دون جوزيه رويز » الذي كان مدرسا للرسم ٠٠ وكان الأب يرسم لوحات لأوانى الزهور والحيوانات الاليفة والفاكهة لكى يبيعها ويكمل بثمنها ما يفى بحاجات اسرته ٠٠ وكان بيكاسو يقول عن لوحات ابيه : « انها تصلح تماما لتزين حجرة الطعام » .

وعندما ظهرت مواهب بيكاسو وهو دون العاشرة من العمر اهتم به أبوه ، وراح يغريه بالرسم ويعلمه القواعد المدرسية والاكاديمية فى الفن لكى يبيع لوحات ابنه ويرفع بثمنها دخل الأسرة .

فى البداية اهتم الفنان الطفل بالطيور والحيوانات الاليفة ، وكانت عبقريته مبكرة ، وعندما بلغ الثالثة عشرة عشق مصارعة الثيران التى اشتهرت بها اسبانيا ، وكان أول رسم نفذه الفنان بفن الحفر « جرافيك » وقام بطبعه بنفسه يصور أحد مشاهد مصارعة الثيران ٠٠ ولم يفطن الفنان الصغير الى ما تعدله الطباعة من قلب للصورة ،فظهر المصارع وهويقاتل الثور بيسراه٠٠ فسماها بيكاسو لوحة « المصارع الاشول » .

كانت رسوم بيكاسو عن هذه الرياضة الاسبانية تجد رواجا شديدا ، فكان يقول ساخرا : « الناس يتصورون انني ارسم هذه اللوحات بعد مشاهدتي حفل مصارعة الثيران ٠٠ والواقع اننى اقوم برسمها قبل الحفل لاشترى تذكرة الدخول ٠٠ » .

وقد سافر بيكاسو لباريس واستقر بها عام ١٩٠٤ وعاش فى حى الفنانين « مونمارتر » ،وظهر حبه لحياة السيرك والحيوانات الأليفة من ذلك التاريخ ، فكان مرسمه فى« مونمارتر » يضم الكثير من الطيور الأليفة والملونة والقطط والكلاب والحيوانات المحنطة والجماجم والهياكل العظمية وكأنه متحف للحيوان ، وكان يقول لاصدقائه : « كم اتمنى أن تكون عندى معزة حقيقية ونمر حى ٠٠ » .

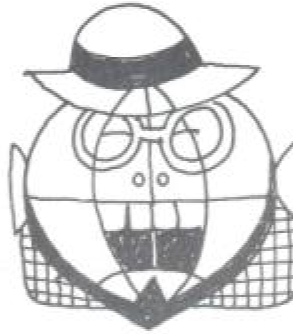
وذات صباح اكتشف بيكاسو ان سيرك « ميدرانو » قد نصب خيمته الكبيرة بالقرب من مرسمه ٠٠ فصار يذهب اليه كل يوم سواء فى ساعات العرض او فى خلال اوقات الراحة ، ليرسم الحيوانات والمدربين ولاعبى السيرك والمهرجين خلال تدريباتهم ، وكانت نتيجة هذا النشاطمجموعة شهيرة جدا من اللوحات التى لا تقل اهمية وشهرة عن اللوحات لتى رسمها الفنان الفرنسى « ديجا » عن راقصات الباليه خلال تدريباتهم والتى تسجل حركاتهم خلف الكواليس .

ولقد كانت شخصية « مهرج السيرك » اكثر الشخصيات التى انجذب اليها بيكاسو ، ورسمها عشرات المرات وفى مختلف الاوضاع والحالات بما فى ذلك لوحة « عائلة مهرج السيرك » التى تصور رحيل العائلة خلال تنقل السيرك من مكان الى اخر ٠٠ وهنا يركز على الجانب الانسانى فى حياة المهرج الذى يسعد الاطفال والكبار ويقوم بدور هام عند ظهوره بين فقرات العرض فى حلبة السيرك مقلدا اللاعبين وناثرا البسمات والضحكات طوال فترة ظهوره ، مهما كانت التعقيدات والاحزان التى تثقل كاهله خارج حلبة العرض . وقد قال عنه بيكاسو : « اننى لم اجد شخصية اكثر انسانية وفى نفس الوقت يطحن فيها الانسان مثل مهرج السيرك ٠٠ انه الشخص الذى تتجمع فيه بمعجزة اقسى المتناقضات » .

وقد بلغ تاثير شخصية مهرج السيرك على بيكاسو الى حد انه عندما ولدت زوجته « جاكلين » ابنه منها واراد ان يرسمه عندما بلغ الثالثة من العمر ، رسم بيكاسو ابنه فى ملابس مهرج السيرك بصورة طبيعية ليس فيها اى تحوير او تشويه،فلما سألوه عن سبب اتباعه هذا الاسلوب الذى كان قد هجره منذ زمن طويل ، اجاب : « انه ابنى ، وليس هناك من يستطيع ان يشوه ابنه بيديه » . ■■

صبحى الشارونى

طرائف أجنبية



.. بلا قلب !

● بيير كاردان الرجل الذي يتحكم في ملابس المرأة وازيائها ويحرك باصابعه اكبر امبراطورية لتصميم ملابس النساء ، في مبنى ضخم بشارع فوبورج سان اونوريه في باريس .. عرف الحرمان في طفولته عندما اضطر ابواه تحت وطأة الفقر الى النزوح من فينيسيا مسقط رأسه الى العاصمة الفرنسية بحثا عن العيش والرزق!

سألوه : « متى بدأ ولعك بتصميم ازياء النساء ؟

وروى كاردان الذي يعيش اليوم في شقة انيقة تطل على نهر السين في قلب باريس ، قصة هذه الهواية التي جعلت منه واحدا من اشهر الرجال في العالم عند المرأة على الاقل ، قال :

« كنت في الثامنة من عمري عندما كنت اذهب الى المدرسة مع بنت الجيران التي كانت تصغرني بعامين ، وكانت صديقتي الصغيرة لا تفترق لحظة واحدة عن « عروستها » التي اهدتها اليها امها ! .

« وفي احد الايام سقطت العروسة في الوحل واتسخ فستانها الجميل ، وجلست صديقتي على الرصيف تبكي! وعدت الى بيتي مسرعا ، وفتحت دولاب ملابس امي واخذت احد فساتينها القديمة ، وحملت معي مقصا وخيطا وابرة صغيرة .. وعلى الرصيف الذي كانت صديقتي ما زالت تجلس فوقه تبكي رحت اصنع لعروستها اول فستان .. لقد صممته وحكته بيدي»!

وانقضت سنوات طويلة قبل ان

شـومان ،

● كتب روبرت شومان الموسيقار العاطفي يصف قسوة الحياة : « ما اعظم آلمي .. حتى الموت الذي سعيت اليه لأضع حدا لعذابي ، لم يرحمني .. فقد انقذوني منه واعادوني لآلامي مرة اخرى ! »

لقد وصل شومان (١٨١٠ – ١٨٥٦) ، الى القمة عندما اصبح واحدا من اشهر عازفي البيانو في عصره ،ولكن الاصابع التي طالما الهبت مشاعر الناس وجعلت قلوبهم تخفق بالحب ، ما لبثت أن احترقت ،وترك شومان البيانو ، ولكنه لم يهجر الموسيقى !

قال عن هذه الفترة الحزينة من حياته القصيرة : « حاولت أن اكتب وامضى في الكتابة والتاليف ، ولكن اصابعي كانت تؤلمني ، فلما عجزت .. وقفت وراء الابواب استمتع بالانغام العذبة .. ولكنني لم اقو على حبس دموعي فبكيت عندما سمعتهم

مــــع الألم !

يعزفون موسيقاى ! »

لقد اصيب شومان المسكين بانهيار عصبي وحاول أن يضع نهاية لحياته ولكنهم اسعفوه ولم يمت !

وعندما عاده الطبيب في اليـوم التـــالى ، كان المســكين قد اصيب بالجنون ، وفى مستشفى الامـــراض العقلية التى شــهدت نهاية حياته القصيرة بعد عامين فقط من محاولة انتحاره ، مر شومان بلحظات تأمـل فى الحياة وصل فيها الى القمة ٠٠ ولكنها كانت لحظات قصيرة لم تتسع لاكثر من ترديد بضع كلمات نقلوها عنه وما زالت تعيش مع موسيقاه حتى اليوم قال : « عظيم هذا الانسان فى عمله وخلقه وابتكاره ٠٠ ولكن اعظم منه هو الانسان الذى يعرف أن ساعته قد اقتربت ، فيجلس فى هدوء ينتظر لحظة الرحيل ! »

ورحل شومان عن عمر قصير لم يدم لاكثر من ستة واربعين عاما !

يتلقى كاردان دعوة من الكاتب الفرنسى الكبير جان كوكتـو لتصـميم ملابس الممثلات اللواتى سيظهرن فى قصته « الجمال والوحش » Beauty and the Beast ، التـى كـان يجـرى تصويرها للسينما فى عام ١٩٤٦ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة !

انه ما زال حتـى اليوم يحتفظ « بعروسة » صديقته الصغيـرة، اما صاحبتها ، فقد اختفت من حياتـه عندما علمت انه ليس لها مكان فـى قلبه وانه قرر ان يعيش حياته اعزب بلا زواج ، وهو اليوم فى الرابعـة والخمسين من عمره !

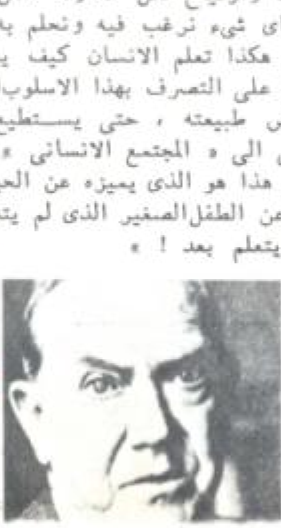
ان اسعد لحظات حياته هى تلك التى يقضيها مع تصميم جديد للمرأة التى لم تستطع ان تقتحم حياته ابدا !

القناع
وطبيعة الانسان !

● جراهام جرين المؤلف القصصى والكاتب المسرحي المعــروف ، كرس قلمه وفكره لتصوير الصراع بين الخير والشر ، وكان يؤمن بأن وجوه الناس ٠٠ كل الناس ، ليست سـوى اقنعة زائفة تخفى وراءها حقيقة نفوسهم ! ثم يقول جرين :« نحن جميعا ممثلون ٠٠ والحياة من حولنا مسرح كبير ، ولا يستطيع المرء أن يقف على خشبة هذا المسرح ، ويمشى عليهـا ويختلط بالممثلين ويواجـه الجمهور ، الا اذا تقمص شخصية جديدة كل يوم وكل ساعة بحيث تناسب الظروف والمكان والزمان التى يجد نفسه يعيش فيها !

ويقول جـرين : « ان اى تصرف يصدر عنا فى المجتمعات التى ننتمى اليها ، هو تصرف أبعد ما يكون عن طبيعتنا كبشر! لاننا اذا تركنا انفسنا على الطبيعة لفعلنـــا بالضبط نفس الشيء الذى يفعله الحيوان او الطفـل الصغير الذى ينطلق بسرعة ليخطف اى شيء ، وكل شيء تشـتهيه نفسـه ! فالطبيعة هى غضب وصراخ اذا سبقنا غيرنا الى شيء كنا نتوق لامتلاكه ، ورضا وارتياح لكل محاولة تصل بنا الى اى شيء نرغب فيه ونحلم به !

« هكذا تعلم الانسان كيف يدرب نفسه على التصرف بهذا الاسلوب الذى يناقض طبيعته ، حتى يسـتطيع أن ينتمى الى « المجتمع الانسانى » ٠٠ ولعل هذا هو الذى يميزه عن الحيوان ٠٠ وعن الطفل الصغير الذى لم يتدرب ولم يتعلم بعد ! »



قصة
قصيرة

البديل

بقلم ربيع ديب

■ منذ رآها لاول مرة وهو يتساءل ما الذي يجذبه اليها بالذات .. فقد اقتحمت حياته دون اية مفاجأة ..ومنذ اللحظة الاولى ادرك ان قاسما مشتركا حتى قبل ان يكتشف ذلك فعلا ـ يجمع بينهما .. ولذلك مضى اللقاء الاول ، منذ شهر ، وكانه يلتقيها للمرة الالف : الوجه الصغير يكاد ان يكون مالوفا لديه ، واليد القلقة وهي تقبض بعصبية على المنديل ، وحبيبات العرق على الانف الصغير .. كل ذلك يكاد ان يكون مالوفا ، وهو احس باستمرار ان حدثا ما سيحدث .. حدثا لابد على اية حال ان يحمل اليه نوعا من التورط والالم .. وفي كل يوم ـ خصوصا حين يلتقي بها ـ كان يشعر ان سدين قد ارتفعا : سد بينه وبينها ، وسد بينه وبين زوجته .. ولكنه اندفع في التجربة كالمحم... لا يستطيع دفعا لهذيانه .

كان الوجه مالوفا الى درجة لا تصدق .. وحين التقاها اليوم في السيارة بدت له وكانها لاصقة باحشائه من الداخل .. والسيارة بانسيابها المتعشرج فوق الاسفلت طغت على خفقان القلب والصوت الواهن العذب ، وهي الى جانبه تكاد تلتصق به .. وخلال الدقائق التي تلت تخلى دون ارادة منه عن العادة التي لازمته طيلة السنوات الثلاثين . متابعة الدنيا بعينيه وهي تندفع الى الخلف وكانها تنفلت من نوافذ السيارة . وفي الطريق الى قلب المدينة جرى الحديث عاديا وعائليا وفي عينيها كان يقرأ الحيرة والالم وكانها تترجم مشاعره .. وحين لفظتهما السيارة على احد ارصفة المدينة فوجيء بنفسه يدعوها الى فنجان قهوة وبها تقبل الدعوة دون تردد .

اندفع امامها يرتقي السلم اللولبي الى الطابق العلوي من الكافتيريا . ومع انه لم يجرب احساس الفارس فوق الجواد ، فقد خيل اليه انه يرتقي الدرجات على صهوة جواد .. كان مزهوا وسعيدا وقلقا .. اجتاز الرواق واهتدى الى طاولة بين انظار الفضوليين المنتشرين في الكافتيريا ..وهي استقرت قبالته وبدت عليها امارات التجلد ومغالبة الانفعال .. كانت تحاول ان توحي بالهدوء ..وران الصمت لحظات ظنها ستطول، وراح يبحث عن مدخل للحديث كمراهق قليل التجارب .. وحين امتد الصمت داهمه الشعور بانه يسرق وبانه جبان .. يسرق لحظات سعادة كان يعتقد انها ـ رغم كل شيء ـ ملك للزوجة، ويخشى ان يعترف امامها بالسرقة..

بدت له اليدان المتكومتان فوق الطاولة ملاذا ومهربا من الكآبة التي التهمت هنيهة السعادة .. ...ا اليه انه ...ي... على احتواء هاتين اليدين



بكفيه الغليظتين •• ولكنه استمر هناك يستند الى مسند المقعد الجلدى محافظا على المسافة بين الايدى الاربع •• وعلى الانف الصغير انبثقت ثلاث حبيبات من العرق صغيرة ومثيرة، والشفة الصغيرة ترتعش باحثة ، ربما ، عن كلمة مناسبة •• قال هو :

– فرصة سعيدة ••

– ••••

– اعتقد اننى قلت ذلك ونحن فى السيارة •• فرصة سعيدة ••

–••••

ظلت صامتة ، وهو احس عبارته فارغة من اى معنى • ولكن كان لا بد ان يفتتح الحديث • ان يعثر على موضوع يشحن به الوقت الممنوح ••ولا يدرى كيف داهمه الاعتقاد بالقدرة على الحديث اليها ساعات طويلة •• ولكن من اين يبدأ •• وفى الذهن صورة الزوجة والبيت ،والزواج غيرالشرعى الا من وثيقة زواج رسمية هى كل ما يشير الى الشرعية ••وثيقة تسقط الان كقطرات قهوة تسقط على ظاهر الطاولة وتندلق على الارض ••والايدى الاربع محمومة شيقة تسعى ، وهى لاصقة باطراف الطاولةفى جمودها البائس ، لان تلتقى ••

واتى النادل بالقهوة ، ثم ابتعد دون ان يترك اى اثر فى النفس •• ووجد هو الفرصة لان يبتسم لها ، وان يستقبل ابتسامتها بفرح طفولى طارئ، •• قال لنفسه ان عليه ترجمة مشاعره النامية مع



الزمن الى كلمات دالة وقاطعة وليحدث بعد ذلك ما يحدث . ففي الوجه الصغير المألوف بوادر رضا وتجاوب .. وما يحتم أن يحدث ذلك الشيء المورط والمؤلم .. ولا يدرى كيف واتت يديه الشجاعة بحيث انزلقت فوق الطاولة واحتضنتا يديها دون ان تبدى اية حركة تنم عن رضا او نفور .

قال :

ـ أشعر انني أعرفك منذ الاف السنين ..

ـ....

ـ غالبا ما خطر لى أن أقول لك ذلك ..

وفى تلك اللحظة سحبت يديها .. وارتعشت اهدابها وكأنها تشرع في البكاء :

ـ أشعر انني اغتصب حقا من حقوق الغير .. قالت هى .. ونظر هو الى خاتم الزواج في يده وكأنه يكتشف وجوده للمرة الاولى..ولكن كيف.. كيف يحدث ان يداهمها شعور مشابه.. أن تتبدى لها ـ كما تبدت له ـ فكرة السرقة والاغتصاب ؟.

سخر في سره من البلاهة القمينة بمراهق .. قال دون اقتناع :

ـ اننا لا نسرق أحدا ..

ـ ليكن لقاؤنا عاديا .. أرجوك ..

ـ ولكننا التقينا متفاهمين كما يبدو ..

ـ ولكن ..

ـ لعلنا قلنا اشياء كثيرة دون أن ندرى ..

ـ ولكن ..

ـ هاتى يديك ..

ـ لا ..

وجذبت يديها الى الخلف .. بدت مذعورة .. وهو طارد اليدين الهاربتين باصابعه المشرعة الى الامام بتوسل :

ـ اريد ان اقول اشياء كثيرة اختزنتها منذ ان تعارفنا ..

ـ لا يمكن ذلك .. ارجوك ..

بدت قبيحة وهى تتوسل .. وانهمر الدمع في أحشائه :

ـ تبدين كئيبة .. لنتصارح ..

ـ ستؤلمك الصراحة ..

ـ أرجو الا يكون ذلك ..

ـ قلت ستؤلمك .. ولنغادر الان ..

ـ لن نغادر ..

ـ ارجوك ..

وقبضت بعصبية على محفظة يدها .. وهو حاول جاهدا جذب اليدين اليه .. ولكنه اكتشف ان من حوله اعينا فضولية غفل عنها ولم تغفل .. تراجع الى الخلف ولم يزايله الشعور بأن حدثا ماسيحدث قال :

ـ لا تؤلميني ..

وبدا صغيرا أكثر مما ينبغى .. وهى اهتز صدرها تحت وطأة بكاء خافت مفاجىء .

ـ لا تبك أرجوك.. لنتصارح.. هاتى يديك..

وعادت تجذب يديها الى الخلف .. خيل اليه أن عذابا أزليا يعصف بالصدر المهتز قبالته وأن عليه محو العذاب .. ولكن أى عذاب هذا ؟.قال :

ـ أشعر أننا متفاهمان .. وأن رابطة معينة ستجمعنا ..

تقلصت عضلات وجهها ، وشفتها السفلى ارتعشت متألمة :

ـ ولكنني أشعر أنك مجرد بديل ..

وصمتت .. كادت أن تحتوى وجهها بيديها لتجهش . ولكن كان في الكافتيريا فضوليون . وهو اهتز كيانه .. والصفعة كانت مؤلمة .. كيف يحدث ان يكون بديلا ؟ . كيف ؟ ..

نظر الى الوجه الصغير بغرابة . وفى داخله انهمرت الخيبة والهزيمة .. تلفت حواليه باحثا عن النادل ويده تبحث في جيبه عن ثمن القهوة..

■■

شحيم ـ لبنان ـ ربيع ديب



كتب الشهر

الحنين لم يعد كما كان

تاليف الممثلة الفرنسية سينوريه

تقديم : مصطفى درويش

● « الحنين لم يعد كما كان » ذكريات بلا حنين املتها سيمون سينوريه سيدة الشاشة الفرنسية على موريس بونز الاديب الفرنسي ·· واخرجتها المطابع الفرنسية في مجلد من اربعمائة صفحة ·

وفي ذكرياتها تتكلم الممثلة الفرنسية الكبيرة عما مر بحياتها الحافلة خلال نصف قرن من عمر الزمن ·· تتكلم بفهم وحكمة نادرا ما نجد لهما مثيلا في اهل « الفن السابع » عن الحرب والسلام·

من خروشوف ونيكسون ٠٠ عن الحب والواجب ٠٠ عن رسالة الفن ٠٠ عن الانتماء والوفاء ٠٠ وعن اشياء اخرى كثيرة من بينها قصتها هي وزوجها « ايف مونتان » مع مارلين مونرو وزوجها الاديب الشهير ارثر ميللر التى تبدأ على ساحل المحيط الهادي في العشة رقم ٢١ بفندق بيفرلي هيلز بهوليوود عندما اكتشفت صاحبة الذكريات ان جارها في العشة رقم ١٩ هو « هوارد هيوز » اغنى رجل فى العالم ، وان جارتها في العشة رقم ٢٠ هي الشقراء نجمة الاغراء مارلين مونرو اكثر نساء العالم شهرة وتالقا وتنتهي فى ٥ من اغسطس سنة ١٩٦٢ بالخبر الذى اهتز له البرق ٠٠ انتحار النجمة الاعظم ٠

اما لماذا آثرت النجمة الانتحار وهي في القمة ٠٠ لماذا فضلت الموت على الحياة ٠٠ فايسر الجواب على هذا السؤال هو ما قيل عن فشلها فى اغراء « ايف مونتان » ! وليس من شك ان هذا الجواب غير مقنع ٠٠ ويخيل الى ان هناك جوابا اخر قد يكون فيما كتبته « سينوريه » عن علاقتها هي و « مونتان » بمارلين و « ميللر » وعن علاقة النجمة المنتحرة بالوسط السينمائي في هوليوود ٠٠ بالشركة التى احتكرت استغلال ما عندها من جمال وشعبية ٠٠ بالنظام الامريكي الذى لم ينس لها تعلقها « بارثر ميللر » وقت الاضطهاد الماكرثي له ووقفتها الى جانبه في محنته ٠

وسينوريه فى ذكرياتها تحدثنا عن « مارلين » لا بوصفها اسطورة او ملصق اعلاني وانما باعتبارها جارة وانسانة فنانة حملت الكثير من العذاب ٠٠ تقص علينا من انبائها ما يثير فينا الكثير من الرثاء لها والعطف عليها لانها تقصه بكثير من الصراحة ومن الحب ٠

ولنبدأ من النهاية

تليفون الموت

فى احدى امسيات شهر اغسطس سنة ١٩٦٢ تكلم « مونتان » من باريس مع « سينوريه » وكانت فى مدينة تولوز تتناول العشاء مع « كلود بينوتو » و « كوستا جافراس (مخرج فيلم « زد ») فلما انتهت المكالمة وعادت الى المائدة قالت لهما باقتضاب « مارلين ماتت » ٠

« كنت حزينة ٠٠ ولم اكن مندهشة ٠٠ وبعد نصف ساعة اخطرني مدير الفندق بانه رفض نزول بعض الصحفيين من باريس فى فندقه بعد ان سالوه عني واين اقيم ٠٠ وحتى اليوم اكرر الشكر لهذا السيد ٠٠ فقد جنبني المشاركة فى عودة حملة الاعلام على نطاق عام حول مسالة تافهة زادت فيها الصحافة وعادت قبل ذلك بسنتين ٠٠ »

ومن المؤسف حقا ان هذه الصحافة التى لم تهتم بنا نحن الاربعة « مارلين ، مونتان ، ميللر وانا » الا لتلبسنا ادوارا لم تستشر فى اداتها ٠٠ فى مسرحية لم نقراها ـ هذه الصحافة نفسها لم تحاول ان ترانا من الداخل نحن الاربعة سكان العشة رقم ٢٠ ورقم ٢١ ٠٠ كيف ، كنا نعيش معا لمدة اربعة شهور ٠

فلو كانت قد حاولت لما وجدت بيننا الشقراء التى تهوى تحطيم الاسر السعيدة ٠٠٠ ولا الفتى الوسيم « الفوبعط » ٠٠ ولا الفار الذى لا يعيش الا فى المكتبات ٠٠ ولا الزوجة الرائعة التى صانت كرامتها ٠٠ هذه الصفات التى اسقطتها علينا فيما بعد ٠٠

ومن المؤسف ايضا ان « ارثر ميللر » الذى احمل له كل الود كتب بعد الموت مسرحية « السقوط » ٠

انا لست « نورمان ميللر » ٠٠ انا اريد ان اتكلم عن انسانة عرفتها ٠٠

ولعل اهم ما تكلمت به « سينوريه » عن هذه الانسانة التي عرفتها قبل ان ينطفىء نجمها بالانتحار ويكشف بعض الشيء عن الاسباب التى دفعت بها الى اختيار الانتحار هو هذه القصاصات من القصص التى احاول ان احكيها كما كتبتها صاحبة الذكريات ٠

واعود من النهاية الى البداية ٠

النجمة المعتزلة

لم يكن عند « مارلين » ذكريات طيبة عن مهنة التمثيل التى احترفتها فاحرقتها ٠٠ لم يكن عندها ما تقوله من حواديت المهنة ٠٠ الضحك المجنون مع الزملاء ٠٠ الاحضان المسموعة بعد مشهد احس المشتركان فيه باتقان ادائه ٠٠ كل هذا كان غريبا



مارلين مونرو

ارثر ميللر



عليها ٠٠ لم يكن عندها من لحظات السعادة كممثلة سوى بعض لقطات امام عدسة المصور الفوتوغرافي « افيدون » وهي تقلد جميع كواكب الثلاثينات متخذة اشكالا واوضاعا تجعل منها « مارلين ديتريش » او « جريتا جاربو » او «جين هارلو» وهكذا٠

وعن هذه اللقطات كانت تتحدث وهي تكاد تطير من السعادة ، كما يتحدث الممثلون عن اعز ما مر بهم من تجارب اثناء تصوير مشاهد لهم في اهم ما لعبوا من افلام ٠

ومن ملاحظات صاحبة الذكريات عن « مارلين » انها لم تكن تغادر عشتها ابدا الا اذا ذهبت الى عملها بالاستديو في الصباح الباكر « الخامسة والنصف » فاذا ما عادت اليها بعد انتهاء العمل لم تتحرك منها حتى في ايام السبت والاحد ٠

لم تكن تخرج الا لاداء العمل الذي لم تحمل له كثيرا من الحب٠٠لم تحبه كثيرا ، لان نفرا من الناس الذين مروا على حياتها نجح في ان يزين لها انها تصلح لاي شيء فيما عدا شيئا واحدا ، هو ان تكون ممثلة ٠٠ وانها بدونهم او بدونهن لا تستطيع حتى ان تنطق عبارة « ستمطر » نطقا صحيحا ٠٠ والمأساة انها صدقتهم وهذا كلفها ثروة طائلة ٠٠ كلفها حياتها٠

وشيء اخر في حياتها دفعت ثمنه غاليا هو انها بدات نجمة صغيرة في مدينة انفقت اموالا طائلة لتصنع منها نجمة اعظم ٠ وكان البعض يحبونها « مارلين » النجمة ، الناشئة الشقية اللعوب ٠٠ فلما تحولت الى نجم معبود كرهوها وقسوا عليها٠٠ ولهذا فضلت ان تبتعد ٠٠ ان تعتزل الناس ٠

مارلين ضد المكارثية

وهنا تقف « سيتوريه وقفة قصيرة لتتكلم عن شيء اشد خطرا حدث «لمارلين» ومن اجل الكلام عنه « يجب ان ارجع الى الدردشة حول نار المدفأة الصناعية مع جاري كاتبنا وزوجها زميلي ارثر ميللر وهو يحكي كيف انتشلته مارلين من مستنقع المكارثية سنة ١٩٥٥ ٠٠ كيف رافقته متخفية الى واشنطن حيث كان عليه ان يقف امام لجنة النشاط

المعادي لامريكا متهما٠٠كيف اختبأت عند محاميه٠٠ كيف اشتمت الصحافة رائحة (الشقراء) في المدينة فحاصرت المبنى الذي يقيم فيه المحامي ٠٠ كيف تلكأت في الظهور حتى تعود الى سيرتها الاولى قبل ان تكون نجمة ٠٠ اي تعود مارلين،كيف ظهرت امام للالمانمة صحفي من صنف القرش المفترس كما هو مطلوب منها ٠٠ كما اسطورتها ٠٠ مدللة هامسة ٠٠ لعوب ٠٠

الانتصار بالصمود

وامام مبنى المحامي ٠٠ وعلى رصيف هذا الشارع من واشنطن استنكرت على « القروش » تدخلهم في شئونها ٠٠ محاسبتها على حبها لرجل احبته لانه محترم طيب وشريف وبالتالي فلماذا وباسم من يجبروه في هذه اللحظة ان يظهر بمظهر المتهم امام محكمة مهرجة معروف عن قضاتها الميل الى الفاشية ٠

وبهذه الكلمات وضعت مارلين مصيرها في الميزان٠ فاما ان تتحول حياتها الى حطام ٠٠ واما ان يرد الاعتبار ،وعلى الملا ، الى رجل ملعون ، جواز سفره مسحوب منه ٠٠ اعماله المسرحية لا تعرض ، ولا تنشر ٠ وانتصرت مارلين بوقفتها التي كانت ايذانا ببداية نهاية الماكرثية ٠ .

راعي الغنم

وقد استاء من هذه الوقفة سبيرو سكوراس كبير شركة فوكس ٠٠ هذا الرجل الذي تفاخر امام خروشوف اثناء زيارته لاحد استديوهات الشركة قائلا ٠ :

« انظر الي يا سيادة الرئيس ٠٠ كنت راعي غنم فقير في اليونان ٠٠ والان اراس ٣٥ الف عامل ، هذه هي امريكا ٠٠ هل هناك ما هو افضل؟»

ليسمع من خروشوف هذا الرد الضاحك « اما انا فكنت راعي غنمفقير في اوكرانيا واراس الان مائتي مليون مواطن ٠٠هذا هو الاتحاد السوفيتي!!»

وكما باء بالفشل راعي الغنم اليوناني امام راعي الغنم الاوكرايني ، فشل امام « مارلين » لما هددها بانها لو استمرترسميا في حب «ميللر» فان الدعاية الباهظة التي صنعت منها نجمة ستتحرك اجهزتها بلا رحمة في الاتجاه المعاكس لتهدم كل ما بنته ٠

واذا بالشقراء المتمردة تتحداه بهذه الكلمات٠٠

« اهدمني وستذهب الى الدنمرك »

واغلب الظن ان كبير « فوكس » اشرف على بعض عمليات جس نبض لاتجاهات الراى العام تبين له منها ان مصالح الشركة مع استمرار الاستثمار في السلعة النجمة ، التي ما تزال قلوب الجماهير متعلقة بها حبا ٠

وهكذا ، وبفضل وقفة « مارلين » استرد « ميللر » جواز سفره ، وحقه في ان يكون مواطنا عاديا ، له ما للناس وعليه ما عليهم ٠

انهم يقتلون الجياد

ورغم ان فارق السن بين « سيشوريه » و « مارلين » لم يكن كبيرا فان قارىء ذكريات « الحنين ٠٠ يحس ان ما بين الممثلة الفرنسية والنجمة الامريكية اقرب ما يكون الى علاقة ام حنون بابنة تائهة ٠

« كانت تطلب منى ان احكي لها حواديت من حياتي لا تختلف احداثها سواء اكانت عادية ام هزلية ام مما تضطرب لها القلوب عما يحدث للممثلين في كل بلاد العالم،حواديت جوهرها المشاركة الرائعة كما حواديت المدرسة لما كنا صغارا ٠

ويبدو ان اول لقاء لها بهذه المشاركة كان مع « مونتان » ٠٠ وهذا يفسر الكثير مما حدث لها بعد ذلك ، كانت تطلب منى ان احكي لها قصصا٠٠ وكان ان حكيت لها « المتوحشة » و « الغراء »،جميع ما كتب عن فتيات مسرح « انوى » لانى كنت اعتقد انها صنعت لتمثل ادوارهن ٠٠ هذا ما لاحظته من معاشرة كل يوم ٠٠ كانت تعاني مثلهن من نفس المخاوف ٠٠ تقاسي نفس المرارة ٠

وفي ذات ليلة حكيت لها « انهم يقتلون الجياد » ونصحتها بشراء حقوق هذه القصة التي

كنت اعرفها جيدا لانى قمت بتمثيلها فى الاذاعة سنة ١٩٤٦ عندما كنت حاملا فى كاترين ..

وفى هذه الليلة وبينما هى تستمع الى « سينوريه » تحكى « انهم يقتلون الجياد » كان مونتان فى حجرته يذاكر الجمل التى عليه ان يرددها امام الكاميرا صباحا . وكان ميللر زوجها بعيدا فى ايرلندا لمدة اسبوع يتباحث مع المخرج « جون هوستون » حول سيناريو « الضائعين الفيلم الذى انتهت به حياتها نجمة على الشاشة .

وقريبا من الساعة الحادية عشرة اطل «مونتان» برأسه من غرفته ليقول لهما انه سينام .

عقب ذلك ، وما ان انتهت « سينوريه » من حكاية « قتل الجياد .. » الا ونصحت « مارلين » بالذهاب الى الفراش حتى تستطيع ان تستيقظ مبكرة .. ولكنها تشبثت بسماع قصة اخرى .

« واحسست اننى مع طفلة تهاب الظلام .. تسعى ما وسعتها الحيلة الى تاجيل لحظة اطفاء النور »

وانتهى الحاح « سينوريه » بان انتصحت « مارلين » فقبلتها وذهبت الى عشتها لتنام وحيدة فى الظلام .

بروفة انتحار

وحوالى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى تكلم « مونتان » من استديو الشركة مع زوجته فى العشة ليقول لها ان « مارلين » لم تحضر الى الاستديو .. وان سائق سيارتها قد انتظرها كعادته امام باب عشتها منذ الساعة الخامسة والنصف صباحا .فلما لم تظهر صعد السلالم وطرق باب المطبخ ثم طاف حول العشة وطرق الباب الامامى ثم تسكع قليلا فيما يحيط بها من حدائق .. والقى نظرة فاحصة على نوافذ العشة .. فلما الح عليه الياس عاد الى الشركة .. ومنذ الساعة الثامنة و « شركة فوكس » تحاول الاتصال بالعشة ولا احد يجيب .

والان الشركة خائفة .. الكل خائف .

وطرقت سينوريه بدورها باب جارتها .. ثم نادت عليها .. فاذا ما استمر الصمت وطال ،اصابها هى الاخرى الخوف .. ولكن سرعان ماطمانتها عاملة التليفون .. العشة حقا لا تجيب .. الا ان هناك طلب اتصال تليفونى من داخلها .

الرسالة

وزفت « سينوريه » البشرى الى زوجها الذى عاد الى العشة رقم ٢٠ بعد ثلاثة ارباع الساعة.. وبمساعدتها خط بالانجليزيةرسالة الى « مارلين » بهذه الكلمات القليلة « فى استطاعتك ان تفعلى ما تشائين بسبيرو سكوراس بفوكس .. بكل المنتجين فى هذه المدينة .. ولكن عندما تفضلين السهر بدلا من النوم لتسمعى الحواديت التى تحكيها لك زوجتى لانك قررت الا تستيقظى فى الصباح .. والا تذهبى الى الاستديو..فلتعذرينى .. ولا تدعينى اعمل الساعات والساعات وانت قد نويت الامتناع عن العمل .

انالست فظا .. انا زميلك .. ونزوات الفتيات الصغيرات لا اسعد بها ابدا .. سلام »

ومن تحت باب « مارلين » القى الزوجان بالوريقة التى تحمل الرسالة بحيث يبقى نصفها داخل العشة ، والنصف الاخر خارجها .

ولم يمر وقت طويل الا وكانت الوريقة باكملها قد اختفت فى الداخل .

وانتظرت سينوريه مع زوجها رد فعل النجمة الحبيسة .

فلما طال الانتظار قرر « مونتان » الغداء مع زوجته فى احد مطاعم المدينة ، ثم ذهبا معا الى السينما ومنها الى العشاء فى مطعم اخر . وعند العودة توقعت « سينوريه » ان بجدا رسالة من « مارلين » ملقاة من تحت الباب .. غير ان توقعها خاب .

من ايرلندا الى هوليوود

فلما اقتربت الساعة من الحادية عشرة مساء وكانت فى الفراش مع زوجها ــ اذا بجرس التليفون يدق..

والمتكلم من ؟ « مستر ميللر » من دبلن بايرلندا٠٠ وبعد الاسف على ايقاظهما رجاهما قائلا

« اذهبا واطرقا ٠٠ مارلين وراء الباب حكت لي كل شيء ٠٠وهي لا تعرف كيف تتصرف ،و،كان ان خرجت وطرقت فوجدت بإذراعي بنتا تنتحب،وهي تردد »انا سيئة٠٠انا سيئة٠٠انا سيئة٠٠لن اكررها ٠٠ هذا وعد » وفي هذه الاثناء كان «مونتان» يربت برفق على شعرها وهو يقول « حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ حاولي ان تحضري في الميعاد باكر صباحا ٠٠ » !! وهذه القصة

توقفت تماما عن حكايتها من بعد موتها ٠ او كنت لا احكيها الا لمن اعرف انهم لن يضحكوا لسماعها٠

والان اقول اني لم استطع ان اسالها متى قررت الا تنزل وتستقل العربة التى تنتظرها ، متى بدات تتغلف بالصمت ٠٠ بالموت الزائف بالفناء ٠

الاضراب ثم الموت

لن اعرف ابدا كم من الوقت بقيت جالسة بلا حراك وراء الباب قبل ان تقرر قراءة رسالتنا التى كانت خيطا وفيا مع الخارج ٠٠٠ خيطا لا بد انها ظلته مقطوعا طوالهذا اليوم طالما انها ظلت عاجزة بمفردها عن ان تصل ما بين طرفيه ٠

والشيء المحقق بعد ذلك ان هذا الخيط قد انقطع نهائيا منذ خمسة عشر عاما ٠٠ وقد كنت اتمنى الا اقف عند الموت ٠٠ بل ان اقف عند لحظة اخرى من سيرة النجمة الراحلة تفيض بالحياة ، لحظة ان توقفت هوليوود عن العمل ٠٠ ولماذا ؟

لان نجومها من جارى كوبر الى جريجورى بك ومن اليزابث الى مارلين مونرو اضربوا جميعا وبلا استثناء ٠٠٠ ولكن الضرورات تبيح الوقوف عند موت النجمة ٠٠ ■■

مصطفى درويش

تطوير الاعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الاسلامية

تأليف الدكتور سامى حسن احمد حمود
الناشر دار التراث ٢٢شارع الجمهورية/القاهرة٠

● استهدفت هذه الدراسة بيان الاسس النظرية والتطبيقية للعمل المصرفي اللاربوى بصورة تلائم المتطلبات والاحتياجات المعاصرة ، وهو امل عزيز على نفوس الكثيرين ممن يتوقون لرؤية المؤسسات المصرفية اللاربوية وهى تقوم بدورها في سبيل التلاقى العادل بين راس المال والعمل ، بما يساعد على الاسهام في التنمية والبناء ٠

لقد واجهت الحياة الاسلامية ما يشبه التحدى ، وهو ذلك النوع المتطور من الاعمال المصرفية التى واكبت النهضةالاوروبية الحديثة ،مما خلق نوعا من التناقض في منجزات التنمية في معظم البلاد الاسلامية ، واتهم المجتمع الاسلامي بانه مجتمع تسيطر عليه السلبية،وتنقصه القدرة على التجاوب والانطلاق في مجال الاخذ باسباب التقدم في هذه الحياة ٠

لذلك تطلع الناس نحو العلماء والمفكرين الاسلاميين ، املين أن يجدوا لديهم ما يخلصهم من الحيرة ، فراح نفر من هؤلاء العلماء يبدون ارائهم في هذه المعاملات المستجدة ، وقامت محاولات جادة لمعرفة المواطن التى تتعارض الاعمال المصرفية فيها مع الشريعة الاسلامية كخطوة اولى في سبيل تطويع هذه الاعمال ،والتوفيق بينها وبين الشريعة الغراء، وتلمس المسالك المختلفة لاخراج الفوائد وما في حكمها من نطاق الربا المحرم ، وذلك باعتبار أن قضية الربا تشكل العقبة الكبرى التى حالت دون تقبل المجتمعات الاسلامية للاعمال المصرفية الحديثة برضا واطمئنان ٠

وقد شهدت الساحة العربية في عدد من الدول الاسلامية مولد مؤسسات مختلفة ،تجمع بينها وحدة الهدف في التخلص من اساليب التعامل المالى

المبني على النظام الربوي ،منها بنك ناصر الاجتماعي في جمهورية مصر العربية وقد نصت المادة الثالثة من عقد تأسيسه على أن البنك لا يجوز أن يتعامل مع الغير بنظام الفائدة أخذا او عطاء ، وكذلك في الاردن قامت مؤسسات مالية مهمتها ادارة وتنمية اموال الايتام بطريق استثمارها بالوسائل التي لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وكذلك في دبي قام بنك دبي الاسلامي ونصت المادة الرابعة من نظامه الاساسي على أن يباشر البنك اعماله على غير اساس الربا وما هو في حكمه ، واخيرا مشروع البنك الاسلامي للتنمية وقد اسهمت فيه ثلاث وعشرون دولة اسلامية ، وهو بنك دولي يهدف الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الاعضاء ، والمجتمعات الاخرى وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية •

جبابرة العقل البشري

تاليف : كريم الشيخ اسماعيل آل كاشف الغطاء

الناشر : جامعة الامام كاشف الغطاء/النجف الاشرف/العراق •

● كتاب يقع في جزئين يتناول بالدراسة والبحث تراجم وافية لمجموعة من العباقرة الذين خدموا البشرية ، وغيروا مجرى التاريخ البشري، فهذه العقول الجبارة التي ابدعت وخلقت سعادة الانسان وقهرت شقاءه ، استطاعت ان تخترق كثيرا من العجب والحواجز ، وتنفذ الى كثير مما كنا نعجز عن تحليله وتاويله ، وان مظاهر هذا النبوغ كانت اعمالا علمية راسخة في الرياضيات والكيمياء والطبيعيات وعلم الحياة تجلت في حياة هؤلاء العباقرة •

ولا شك ان كل اختراع او اكتشاف او تفكير علمي سليم هو تعبير عن النزوع الانساني الابدي الى الاصلح ورغبة ملحة للوصول الى الكمال ،وان هؤلاء الذين خدموا البشرية وغيروا مجرى حياة الانسان لا شك انهم جبابرة العقل البشري •

وقد قسم المؤلف كتابه الذي يتكون من جزئين الى ثلاثة فصول ، ففي الفصل الاول دراسة عن العلماء امثال ليوناردو دافنشي ، وجان هنري فابر، والبرت ابراهام مايكسلون ، وسيجموند فرويد ، وجوستاف ايفل ، ولويس برايل • اما الفصل الثاني فدراسة للمخترعين امثال صموئيل موريس وماركوني ، وجورج وستنجهاوس ، والكسندر جراهام بل ، اما الفصل الثالث فيختص بدراسة المكتشفين امثال جاليليو جاليلي ، واسحاق نيوتن، والفرد نوبل ، وتشارلز جوديير •

جامع القرويين
المسجد والجامعة بمدينة فاس

تاليف : الدكتور عبد الهادي التازي

الناشر : دار الكتاب اللبناني بيروت/لبنان -

● يقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات كبيرة يعطينا صورة للحياة العلمية والاجتماعية والحضارية العامة في مدينة فاس بوجه خاص ، وفي المغرب بوجه عام ، وقد حاول المؤلف اظهار ما تبقى من هذه المظاهر الحضارية القديمة في عصرنا الحديث،فربط الماضي بالحاضر وقدم لنا عملا كاملا لهذه المؤسسة الجامعية العلمية التي كانت ولا تزال مركز اشعاع علمي وديني وسياسي في بلاد المغرب الاسلامي •

لقد ظلت جامعة القرويين بعيدة عن التيارات العاتية التي غيرت من معالم عواصم المشرق بغداد ودمشق والقاهرة ، فاحتفظت من اجل ذلك بكل ملامحها ، فما تزال بها الى الآن آثار من عهد الادارسة الفاتحين ، وآثار من فترات تنافس الفاطميين والامويين ، وآثار من ايام الزناتيين ودولة المرابطين والموحدين •

فجامع القرويين يضم اقدم صومعة ثبتت حتى الآن ، وعلى التصميم نفسه الذي خط لها منذ أحد عشر قرنا ، كما ضمت وفوق خزانتها العلمية ومكتبتها الاحمدية من عيون المخطوطات ونوادر الموضوعات ونفائس العلوم ، ما كان حديث المجالس في وقتها ،وهي تبين مدى ازدهار الحركة الفكرية في المغرب ، كما كان لعلماء المغرب طريق خاص بهم في التاليف غير ما كان معروفا لزملائهم في المشرق •وهذه الناحية تصور الشخصية المغربية خير تصوير •

كما عدد المؤلف اسماء اولئك المشايخ من العلماء الذين عرفتهم فاس ، وحلق عليهم طلبة القرويين ، ومن هذه الشخصيات المغربية التي لمعت اسماؤها بالمشرق ابن عربي ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والمقري، ثم ذكر المؤلف الفضليات

من نساء فاس اللاتي كن يقصدن الاروقة الخاصة للتعليم او التعلم .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة أبواب على وفق الترتيب الزمني للعصور التي مر بها جامع القرويين ، وكل باب مقسم الى خمسة فصول ، وقد تضمن كل فصل عددا من الموضوعات الاساسية ، كما ذيل المؤلف كل باب من ابوابه الثلاثة بملحق يضم ترجمة مائتين وخمسين شخصية من أهم الشخصيات التي كانت لها صلة بالقرويين ، كما ضم الكتاب قسما للرسوم والوثائق والصور التوضيحية .

وقد اعتمد المؤلف في تاليفه هذا على عدة مراجع قديمة مغربية ، كما اعتمد كذلك على ما يسمى بالمغرب (بالحوالات الحبسية) اى حجج الوقف ، وهي تلك الاوراق التي تروي واردات القرويين والتزاماتها يضاف الى ذلك المخطوطات والنوادر المغربية ، وهو ما كتبه طلبة القرويين القدامى وممن هاجروا من تلك الديار تعطينا الصورة التاريخية والفكرية الصادقة عن معالم القرويين ثم ما كتبه بعض الاجانب من تاريخ فاس وجامعة القرويين .

عباقرة الفن
واعلام مدارس الفن المعاصر

تاليف : كريم الشيخ اسماعيل آل كاشف الغطاء

الناشر : جامعة الامام كاشف الغطاء/النجف الاشرف/العراق .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تاريخ فن النحت والرسم في الغرب حديثا ، فهو يترجم لطائفة من عباقرة الفن واعلام المدارس المعاصرة ورواد المذاهب الفنية الحديثة ، والواقع ان الفنان لا يستغني عن قوة روحية يستمد منها وعيه ويهتدي بهديها في تفكيره ويستضيء بنورها اثناء عملية الخلق والابداع ، كما انه يحتاج لحافز معنوي يمكنه من التامل في الحياة واستجلاء غوامضها وتمثيل الظواهر والمرئيات وما يكتنفها من غوامض واسرار ، وهذا الحافز يلتمسه الفنان عند الله في احساسه الديني او عند المراة او يستمد عناصره من اعتداده بنفسه وثقته بعبقريته وشدة احساسه بكبريائه الشخصية وهذه هي مصادر الوحي عند الفنانين ، ولا ريب انها جميعا وثيقة الاتصال بجوهر النفس والحياة ، فحب الله والاحساس الديني يدفع الى التطهير والسمو ، وحب المراة يكشف عن اسرار الجمال ، وحب النفس او الشعور بالكبرياء يدفع الى توكيد الشخصية البشرية وبسط سيادة العقل الانساني على الحياة .

السلوك المهني للاطباء

المؤلف : الدكتور عباس راجي التكريتي

الناشر : مكتبة المثنى / بغداد .

● كتاب في نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، يجدد فيه المؤلف تقليدا ماثورا في تراثنا العربي الاسلامي ، هو تاليف الرسائل والكتب لبيان « آداب » الطوائف على وفق ماتملي عليها حرفتها او وظيفتها الاجتماعية في معاملة الآخرين، ومن امثلة ذلك اداب الامراء ، او الفقهاء ، او العلماء ، او الصناع ، او الفرسان ، او المتعلمين، وفي تراثنا من ذلك ثروة وافرة .

وهذا الكتاب من هذا الطراز يبين ماينبغي ان يكون عليه سلوك الاطباء بمقتضى مهنتهم وهي « الطب » ومسئولياتهم تجاه انفسهم ، وتجاه كل من يتصل بعملهم في المجتمع بحكم «المهنة» . وقد جعله المؤلف خمسة وثلاثين فصلا ، في كل فصل اقسام على وفق موضوعاته الفرعية ،وقد تناول بايجاز في الفصول الثلاثة الاولى موضوع «الأخلاق» بعامة في الحضارات القديمة والحديثة، والفضيلة والرذيلة ، واخلاق الفرد واخلاق الطبيب ، ثم مضى في بقية الفصول يوضح الموضوع الخاص بكتابه ، فوضح مسئولية الطبيب ، واليمين الطبية ، ونواميس الطبيعة والحياة ، والقوانين الدينية والاخلاقية والوضعية، والقواعد العامة لمزاولة مهنة الطب ، والالتزامات العامة للطبيب ، واجور الاطباء ، وتاميم الطب ، واللجان الطبية،وعلاقات الطبيب والمريض ،واسرة الاطباء ، والعلاج العقاقيري والجراحي ، والاجهزة الطبية والقواعد الجراحية ، ومشكلات العقم والاسقاط والحمل المتاخر والولادة ، ومشاكل الجنس عند الرجل والمراة ، والامراض النفسية ، والتجارب الطبية على الانسان ، وعلاقات الطبيب باهله ، وبزملائه ، وبالسياسة والدعاية،وبالقانون والشرطة . ثم ختم المؤلف كتابه بذكر مصادره العربية (٧٠) والاجنبية (١٧) .

■■

● رسالة الشهر ●

محنة اليهود الشرقيين في اسرائيل

انا شاب عربي فلسطيني من قرية تسمى طيرة بنى صعب اعيش مع غيري تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ ٠ ورغم ان عام ١٩٦٧ كان عام هزيمة لنا نحن العرب الا انه ايجابية واحدة لا تنكر ،وهذه الايجابية هي لقاؤنا معبقية اخواننا ابناء فلسطين جميعا٠ ورغم اننا اصبحنا في فلسطين تحت كابوس الاحتلال الاسرائيلي الا ان التواصل بيننا قد جدد العزم فينا على ان نفعل شيئا لخلخلة هذا الجسم الغريب : اسرائيل ٠

ولا اغالي اذا قلت ان تفكيك هذه الدولة ليس بالامر العسير ٠٠ والتفكيك الذي اعنيه لا دخل للسلاح فيه ٠ انما هو تصحيح لوضع خاطيء غفلنا عنه نحن العرب سنوات طويلة ٠وهذا التفكيك يتم اذا نجحنا في حمل اليهود الذين اتوا من اقطار عربية للعودة الى مواطنهم ٠٠ والذي لفت نظري الى هذا الموضوع هو حنين هؤلاء اليهود للعودة فعلا ٠ هذا الحنين الذي لمسته جياشا في صدور الآف ممن قابلتهم وتحدثت معهم ٠٠ وطبعا لا يجهر بهذا الحديث منهم جاهر ٠٠ولكنهم يظهروه لمن يطمئنون اليه٠ والسبب في ذلك هو خطورة مثل هذه الهجرة المضادة ـ لو تمت على الكيان الاسرائيلي ٠

وانا ادعوكم لسماع نموذج من حديث جرى بيني وبين العديد من هؤلاء الشرقيين ٠ قال لي احدهم وهو يهودي من العراق : التمييز هنا في اسرائيل قائم بشكل واضح ٠٠ فسكان اسرائيل ـ كما تعلمون ينقسمون الى طائفتين او فئتين ٠٠ فهناك « الاشكناز » اى اليهود الذين قدموا من امريكا واوروبا ٠٠ وهناك « السفارديم » وهم اليهود الذين جاءوا من البلاد العربية ـ ونسبة السفارديم حوالي ٦٥٪ من سكان اسرائيل ٠٠ ويتابع محدثي فيقول : ان الاشكناز يعاملوننا وكاننا من كوكب اخر٠٠ فنحن نعامل معاملة من الدرجة الثالثة ٠٠ ولم نكن نتصور اننا سنكون كالمنبوذين عندما زينت لنا الدعاية الاسرائيلية فضائل الهجرة الى فلسطين وترك البلد الذي عاملنا معاملة سواء ٠٠ وبغداد لها في قلبي منزلة مقدسة ٠٠ففيها ولدت وفيها ولد اولادي ٠

هناك لنا اصدقاء ولنا املاك ٠٠ كنا نعيش في بحبوحة نعمل في مختلف الحقول ٠ اما هنا فلا توكل الينا الا الوظائف الدنيا التي يتافف الاشكناز من العمل فيها ٠ ليتني لم انطلق وراء هذا السراب الذي اسموه اسرائيل،ليتني بقيت هناك ٠٠ في بغداد ٠

تكررت الاحاديث مع كثيرين من اليهود الشرقيين الذين التقيت معهم ٠٠ وان انس لا انس قصة يوسف اسحق اليهودي الذي اتى من ليبيا والذي يعمل جرسونا في المطعم الذي اتردد عليه كلما زرت يافا ٠٠ كان يحدثني همسا بهمومه ٠٠ امن اجل ان اكون جرسونا جئت الى هنا وتركت النعيم الذي كنت اعيش فيه هناك في بنغازي ايام كانت معي ثروة واملك عمارة من ثلاثة طوابق ٠٠ ليتها تعود تلك الايام الحلوة ٠٠ ليتني اعود لليبيا الحبيبة ٠

امام هذه الاحاديث الكثيرة التي سمعتها بدأت افكر في الامر جديا وعرفت ان هناك تشريعات

صدرت عن حكومات الدول العربية خلاصتها السماح لليهود الذين غادروا منذ عام ١٩٤٨ بالعودة ، ولكن هذه التشريعات لم تعرها اجهزة الاعلام فى العالم العربى الاهمية التى تستحقها ، وكان الواجب ان تصل هذه القرارات او القوانين الى اذن كل يهودى شرقى .. وقد عرفت ان بعض اليهود قد رحل عن اسرائيل سرا وعاد الى البلد الذى اتى منه .. لان القيود التى تفرضها السلطة الاسرائيلية هنا تمنع من نشر هذه الحقائق .

وانا اهيب باعلامنا العربى ان يركز على هذه القرارات والقوانين لتصل الى كل يهودى شرقى هنا ، فنفوسهم مهيأة للرحيل عند اول فرصة .. ولكن علينا نحن العرب ان نزرع الاطمئنان فى هذه النفوس ونفسح لها المجال كى تعود الى المجتمع الذى اتت منه .

مخترع لغة الاسبرانتو

● ذكرتم فى باب انت تسال ونحن نجيب ــ العدد ٢١٨ من العربى ان مخترع لغة الاسبرانتو هو الدكتور زمنهوف ولما كنت من المهتمين بدراسة هذه اللغة .. واعتمادا على ما بين يدى من مصادر اسبرنتوية واهمها كتاب حياة زمنهوف لمؤلفه Edmond Privat المنشور من قبل دار النشر الاسبرنتوية المتحدة فى بريطانيا وكتاب اخر تحت عنوان « كيف نتعلم الاسبرانتو » لمؤلفه الدكتور نصيف اسحق .. فقد تبين لى من خلال مطالعاتى ان الدكتور زمنهوف مخترع الاسبرانتو هو بولندى الجنسية وليس روسيا حيث ولد فى ١٥ كانون الاول من عام ١٨٥٩ لابوين بولنديين فى مدينة بيالستوك من عائلة فقيرة فى حى كانت تعيش فيه جاليات من رعايا اوروبا الشرقية .. وكان والده يعمل مدرسا للغات فى نفس المدينة .. وما ان اكمل الطفل دراسته الابتدائية حتى انتقل والده الى العاصمة وارسو وفيها التحق زمنهوف بمدرسة ثانوية حيث ظهر هناك فى معرفة اللغات .. وعندها فكر فى لغة عالمية .. بيد ان والده رفض فكرته ومزق له كافة كتبه .. لرغبته فى ان يرى ولده طبيبا .. وفعلا ارسله الى موسكو ليدرس الطب فيها وكان ذلك عام ١٨٨٧ .

وفى موسكو جمع زمنهوف كل مايتعلق بلغة الاسبرانتو ونشره بين زملائه .. واخذ يعمم فكرته هذه ــ اللغة الجديدة ــ واصدر مع زملائه الذين امنوا بفكرته مجلة جامعية وكان يذيل افتتاحياته فيها بتوقيع D-ro EsPeranto اى الطبيب الامل .

عادل حموده هانى

العراق

ابن بطوطة ولد فى طنجة

● فوجئت وانا اقرا مقال الدكتور حسين مؤنس عن ابن بطوطة فى العدد ٢١٣ من العربى بقوله : « ان ابن بطوطة انطلق فى رحلته من مدينة بنغازى التى هى مسقط رأسه .. » وما دام ان المصدر الرئيسى لحياة ابن بطوطة هو كتابه (تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار) اذ يقول ابن بطوطة فى مقدمته (وكان خروجى من طنجة مسقط راسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب عام ٧٢٥ هـ الى بيت الله الحرام)

وقد لاحظت ان الدكتور حسين مؤنس قد ختم مقاله الذى نشره عن ابن بطوطة فى العدد ٢١٥ بتاكيد هذه الحقيقة .

محمد اية حمادى

الرباط ــ المغرب

كروية الأرض

● في معرض اجابتكم على سؤال حول تاريخ القول بكروية الارض ودورانها في عدد يوليو / ٧٦ ، لمست نقصا يمس النظرية الكوبرنيكية في المدة ما بين ارستاخوس وكوبرنيكوس ودليلي على ذلك ما يأتي :

١ ـ ان ارستاخوس ليس هو الذي اعلن النظرية القائلة بدوران الارض بل يرجع ذلك الى الفلكي سيلوكيدس (١٥٩ق٠م٠) وهو من اهل سلوقيا التي كانت قائمة على شاطيء دجلة (سلمان باك حاليا) ويذكر برتراندرسل في الجزء الاول من تاريخ الفلسفة الغربية ان الفلكي المذكور تلقى اقوالا مبهمة من ارستاخوس لا تدل دلالة قاطعة على تصور محدد لدوران الارض ٠

٢ ـ كذلك فان دوران الارض حول نفسها كان معروفا عند العرب وقد كان الجدل حوله دون ان تصلنا عنه تفاصيل كافية الا ان الجويني ـ امام الحرمين ـ قد اشار بصراحة في كتابه (الشامل في اصول الدين) الى ان هناك قوما زعموا ان الارض كرة متتابعة الدوران ٠٠ واعلن رفضه ـ على عادة رجال الدين ـ لهذه الفكرة قائلا ان لديه ادلة على بطلانها ،وذكر المستشرق الايطالي نللينو في كتابه (علم الفلك عند العرب) ان ابا سعيد السجزي صنع اسطرلابا صممه على اساس ان الشمس ثابتة والارض متحركة ٠٠ والى هذا اشار البيروني رغم توقفه في مسالة دوران الارض حول الشمس التي افترضها ابو سعيد السجزي ، يقول بدوران الارض حول نفسها ٠٠ وقد وردت حكاية تشيع الى ذلك حدثت في مجلس السلطان مسعود ،وهو راعي البيروني ، الا ان السلطان ارتاع لقول البيروني بان الارض تدور فامره بالسكوت وعدم تكرار امثال هذه الاقاويل ٠

اذكر كل هذا اتماما للفائدة ٠

هادي العلوي

بكين ـ الصين الشعبية

● انت تسأل ٠٠ ونحن نجيب ●

كم تبقى من :
عمر النفط ٠٠ والغاز ٠٠ والفحم ؟

● يقولون أن النفط مصير العرب ٠٠ فالى أي حد يستطيع النفط الصمود أمام الاستهلاك العالمي ٠٠ وهل ستصاب الطاقة الاخرى مثل الفحم والغاز بالنضوب كذلك ؟؟

محمد اللمسي ـ تونس

ـ سيصبح النفط المتوفر أكثر ندرة عند نهاية الثمانينات أو أوائل التسعينات ، وسينضب كليا في الاعوام التي تلي ذلك !! فالخبراء يعتبرون أن النفط والغاز هما من أكثر مصادر الطاقة (التي لا تتجدد) قابلية للنضوب ٠

هذا ما تذكره منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط في نشرتها الشهرية، التي تتابع معلوماتها بقولها : « ومن المتوقع ان يستمر عمر احتياطي النفط الموجود اليوم في العالم في ضوء الانتاج الحالي ـ لمدة تقل عن أربعين عاما ! » ٠ اما الغاز فسوف يستمر لفترة تتراوح بين ٣٩ و ٤٩ عاما أخرى ٠٠ بينما يتراوح عمر احتياطي الفحم ـ في ضوء الانتاج الحالي ـ بين ١٩٥ و ٢٨٦ عاما٠

ان نضوب النفط ـ الذي يبدو حاليا نتيجة لاستعماله كمصدر للطاقة في الاقتصاد العالمي ، يمثل خطرا كبيرا على الاقطار النامية المصدرة للطاقة ٠٠ فالنفط ، ليس هو الوسيلة الطبيعية الرئيسية للانماء الاقتصادي والاجتماعي لهذه الاقطار فقط ، بل انه يمثل أيضا مستقبلها من حيث ضرورته لدعم هذا الانماء ٠

من هذا يتضح أن استجابة الدول النامية ـ التي تصدر المواد الخام غير المتجددة ـ تمثل تضحية كبرى من جانب هذه الدول ، لاجل خدمة البشرية والاقتصاد العالمي ٠٠

ترانسكاى : مؤامرة باسم الاستقلال
حلقة من مسلسل تقسيم الشعوب والاوطان !

● جاء فى الاخبار ان حكومة جنوب افريقيا قد منحت الاستقلال لمنطقة فى اراضيها ‥ وقد شجبت الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية هذا التصرف ‥ فما هى قصة هذه الارض ، واين تقع ؟

صالح السعد ـ عدن / اليمن

ـ يحاول حكام جنوب افريقيا العنصرية ، ابتكار مختلف اساليب الدهاء للتخلص من السخط والادانات والاستنكارات الدولية الموجهة ضد سياستهم · وآخر ما توصل اليه تفكيرهم اقامة تسع دويلات صغيرة تقتطع اراضيها من اراضى اتحاد جنوب افريقيا ‥ وتمنح هذه الدويلات نوعا من الاستقلال الذاتى لتكرس القبلية والفرقة ، كما ينصب على رأس هذه الدويلات بعض العملاء والتابعين ·

والدويلة الجديدة التى اعلنوا استقلالها هى منطقة ترانسكاى Transkei وعاصمتها اومتاتا Umtata واول رئيس لها هو كيزر ماتنزيما ، الذى بدا حكمه بتعيين شقيقه وزيرا للعدل والداخلية ‥

وبعد الاستقلال مباشرة اى فى منتصف ليلة ٢٥ اكتوبر ١٩٧٦ انزل علم جنوب افريقيا ، وارتفع مكانه علم ترانسكاى بالوانه الحمراء والبيضاء والخضراء ‥

وتضم الدويلة الجديدة مليون نسمة من ابناء الاكزوسس من قبائل البانتو ، ولا يزال مليونان وربع منهم يعيشون فى اراضى جنوب افريقيا ، وهؤلاء اسقطت عنهم حكومة بريتوريا جنسية جنوب افريقيا ليلة اعلان استقلال ترانسكاى ، وطالبتهم بحمل جنسية الدويلة الجديدة ، لانهم لم يعودوا من ابناء جنوب افريقيا !! هكذا وبجرة قلم حرموا ابناء البلد من ارضهم ·

ان جنوب افريقيا تهدف من سياستها الجديدة الى منح الاستقلال لاضيق مساحة من الارض ، يعيش فوقها اكبر عدد من الافريقيين السود ·

وتطبيقا لهذه السياسة الخبيثة ، وبعد اعطاء الدويلات التسع استقلالها ، سيتبقى لجنوب افريقيا ٨٧٪ من الارض الغنية بالماس والذهب واليورانيوم ومختلف المعادن الثمينة ‥ مع ازاحة ملايين الافارقة وجعلهم ابناء دول اخرى ‥

وفى تصريح لرئيس ترانسكاى الجديد الذى بدأ اعماله بالقبض على جميع العناصر المعارضة ، قال فى دفاعه عن استقلال ترانسكاى :« ان مليون اسود قد عادت اليهم كرامتهم ، واصبحت لهم دولتهم المستقلة ، يعيشون فيها دون اية تفرقة عنصرية ‥ ان فى دولتنا الجديدة سيعيش الابيض والاسود على حد سواء ، ولن يكون فيها مكان للتفرقة العنصرية ‥ وانا اعجب من الذين يعترضون على استقلالها ، ولماذا سكتوا عندما اخذت ليستو استقلالها عام ١٩٦٦ وعدد سكانها اقل من مليون نسمة ، وعندما استقلت سوازيلند عام ١٩٦٨ ، وعدد سكانها نصف مليون نسمة ».

لم يتحدث الرئيس الجديد عن الوطن الذى مزق ، ولا عن المؤامرة التى بدا تنفيذها ·

(س · ز)



نزهة العقل الذكي

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يونيو (حزيران) ١٩٧٧ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم عالم عربي لغوي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم قائد من ابطال الفتوحات الاسلامية .

الكلمات الافقية :

(١) مسرحية شهيرة لبرنارد شو ـ من أئمة الاسلام .

(٢) جسم سماوي مفيد في الملاحة ـ لارضية الحجرات .

(٣) من انواع النسيج ـ يتفاخر ـ رمز رياضي .

(٤) في نول النسيج ـ دفعه ـ تبصر .

(٥) من الانبياء ـ نائي ـ من المكاييل .

(٦) نصف كلمة (قريب) ـ من رواد المسرح العربي .

(٧) من اجزاء القلب ـ لين ـ كلمة (سيارة) مبعثرة .

(٨) عالم عربي لغوي شهير .

(٩) من طيور الزينة ـ في القصيدة .

(١٠) تلاحقت انفاسه ـ سيء الخلق ـ حزب سياسي في الثورة الفرنسية .

(١١) نصف كلمة (نفيس) ـ آلة موسيقية وترية ـ حفظ (معكوسة) .

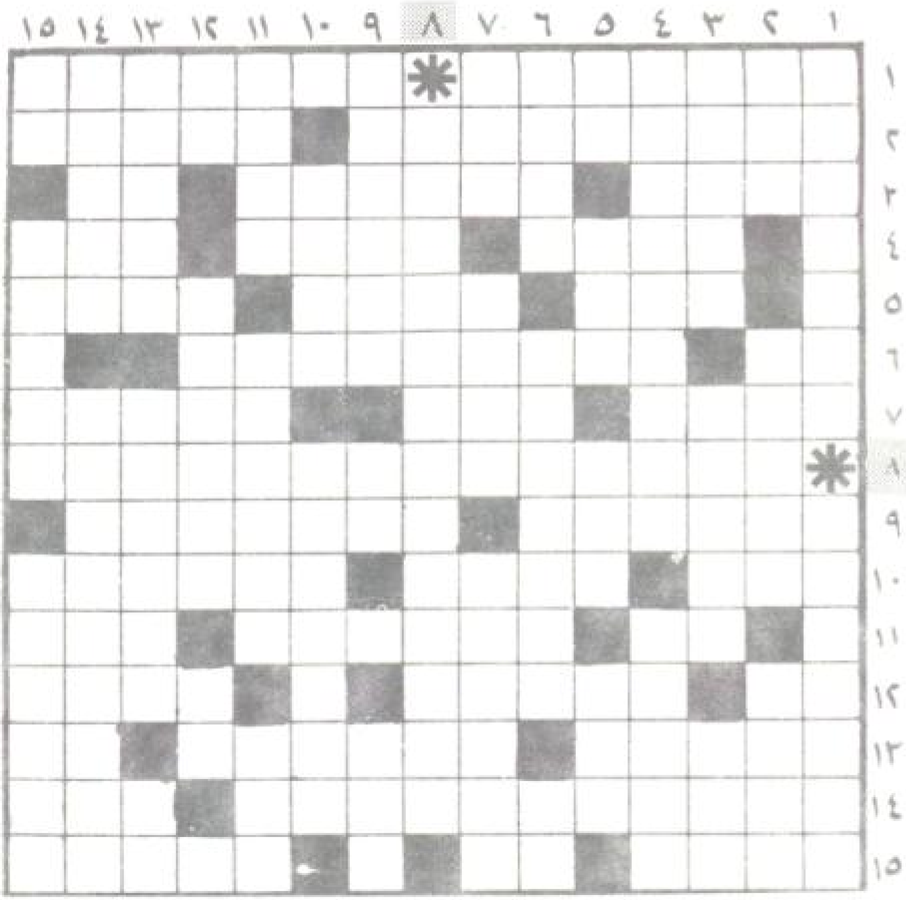
(١٢) عس (معكوسة) ـ من الخلق الحسن ـ اراضي منبسطة .

(١٣) من اشجار الفاكهة ـ يسعرها ـ نصف كلمة (نفرح) .

(١٤) عازف اورج مصري شهير (معكوسة) ـ جميل الطلعة .

(١٥) حيث يجري النهر ـ لمس ـ عند الحداد .

كوبون مسابقة العدد ٢٢١



الكلمات الرأسية :

(١) ملك آشوري عظيم ـ شبه جزيرة اسيوية .

(٢) لواب ـ تعطل ـ عسانا .

(٣) صفة مكروهة ـ ينقبن ـ دس .

(٤) آخر ملوك روما القدماء ـ من انواع الخط العربي .

(٥) عظم ـ على شاطىء البحر ـ حشرات ـ ابصر بطرف العين .

(٦) قريب الوقوع ـ شكل هندسي منتظم ـ حرف نفي .

(٧) ثبت ـ من الاسماك ـ نحات اغريقي صنع تمثال زيوس احد عجائب الدنيا السبع .

(٨) قائد من ابطال الفتوحات الاسلامية .

(٩) تزرع به النبتة ـ للتعريف ـ ترشد .

(١٠) سكنت حركتهن ـ فرنسي من أعظم علماء الفلك والرياضة في القرن ١٨ .

(١١) له نفس الملامح ـ مذهب اسلامي بالسعودية ـ كلام خفيض .

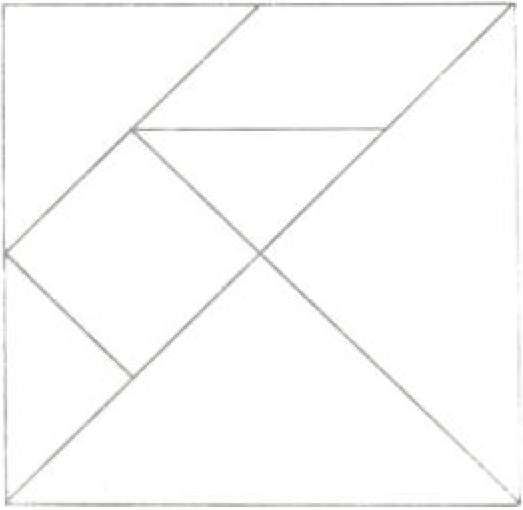
(١٢) للتعريف ـ ظواهر جوية طبيعية ـ نصف كلمة (صائر) .

(١٣) من أعلام الموسيقيين الالمان ـ مساحة مكشوفة ـ مناص .

(١٤) من المجموعة الشمسية ـ يتخذونها عقيدة .

(١٥) نصف كلمة (ذكية) ـ ينافس ـ من الاحياء المائية .

من التـاريخ :



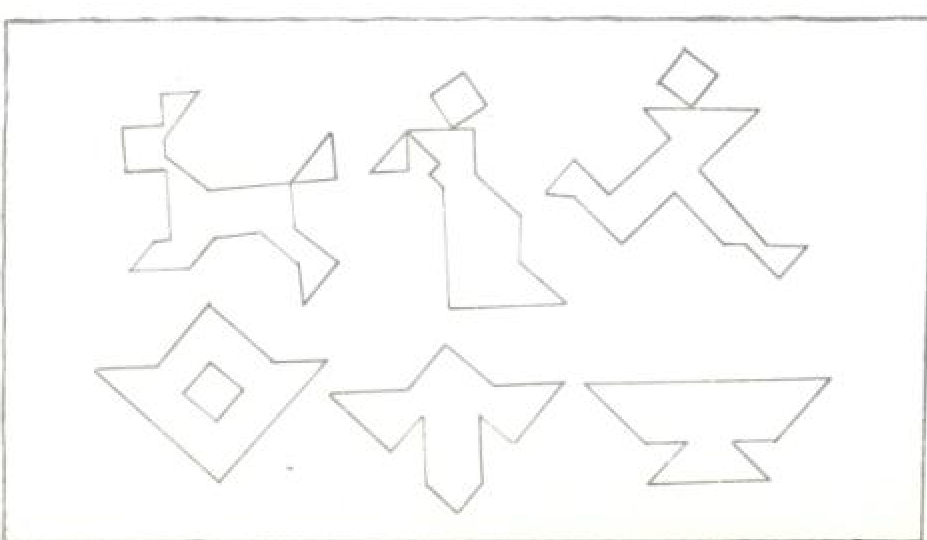
تانجرام

تانجرام ، أو المربع الصينى ، يعتبر من أقدم الالغاز التى يطلق عليها الالغاز الميكانيكية • عرفت فى الصين باســم « تشى تشياو تو » ، ومعناها (المشروع الذكى للقطع السبع) • وقد شاعت هذه اللعبة فى أوروبا عند مطلع القرن التاسع عشر ، ويقال انها كانت اللعبة المفضــلة عند نابليون فى منفاه •

ويمكن الحصول على اجزاء هذه اللعبة بقطع مربع مرسوم على ورق مقوى ، بالطريقة المبينة بالرســم المرفق ، بحيث تحصل على القطع السبع اللازمة •

مطلوب منك أن تصنع من هذه القطع : (١) مثلث قائم الزاوية ومتساوى الساقين ، (٢) مستطيل ، (٣) متــوازى أضلاع • وعليك فى كل مرة أن تســتخدم القطع السبع كلها •

وبالقطع السبع يمكنك أن تصنع فى كل مرة شكلا من الاشكال المرسومة مع هذا • بل يمكنك أن تبتكر اشكالا أخرى تتحدى بها من معك •



النجمة والسهم :

نجم كوميدى عالمى

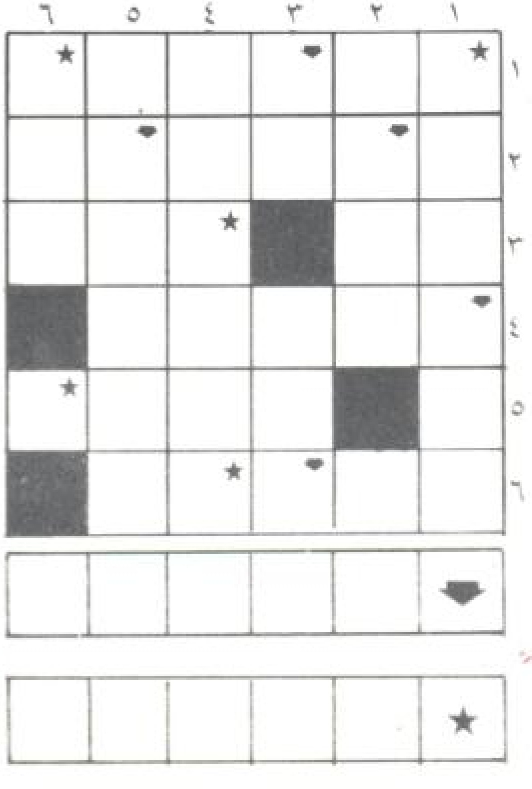
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى يوجد بها السهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لنجم كوميدى عالمى • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ورتبها لتصنع لقب ذلك النجم •

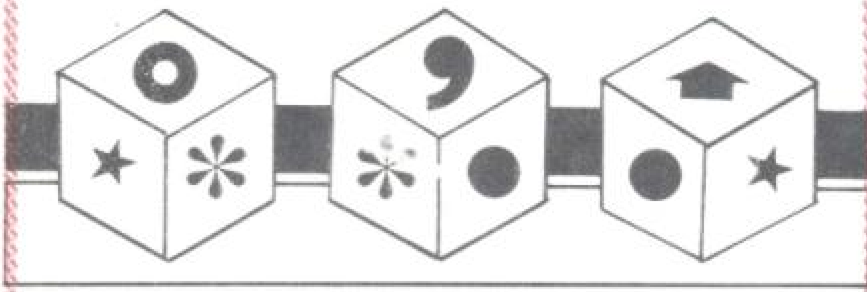
الكلمات الافقية :

(١) شاعر روسى كتب أوبرا « بوريس جوردينوف » •
(٢) نوع من الصخور •
(٣) مقام موسيقى ـ حصيف •
(٤) يقربه •
(٥) من معالم السمنة •
(٦) يبحثان على السام •

الكلمات الراسية :

(١) من العناصر الكيميائية •
(٢) من أجزاء الجهاز الدورى •
(٣) جذب ـ نتعب •
(٤) من الامراض الوبائية •
(٥) يهتمون •
(٦) رعونة •





١ ٢ ٣

الوجوه الستة

عندنا ثلاث قطع من النرد (زهر الطاولة) ، العلامات التى على كل وجه من الوجوه الستة لكل واحد منها، متطابقة مع الآخرين (أو لنقل انه نرد واحد نراه من ثلاث زوايا مختلفة) والعلامات التى على كل نرد هى : السهم ـ الفصلة ـ الحلقة ـ النجمة ـ الدائرة ـ الزهرة ٠

قارن بين كل زوج من القطع الثلاث، وبهذا تستطيع أن تجيب على الاسئلة التالية حول الاوجه التى لا تراها من كل نرد :

(١) ما هو الرمز الذى يقابل رمز الزهرة ٠

(٢) ما هو الرمز الذى يقابل رمز الدائرة ٠

(٣) ما هو الرمز الذى يقابل رمز النجمة ٠

(٤) ما هو الرمز الذى على الوجه الاسفل للشكل رقم (١) ٠

(٥) ما هو الرمز الذى على الوجه السفلى للشكل رقم (٢) ٠

(٦) ما هو الرمز الذى على الوجه السفلى للشكل رقم (٣) ٠

ملحوظة : لاحظ اى رمز يظهر فى شكلين ، واستنتج الرموز التى فى الاوجه الملاصقة لهذا الوجه ٠ ثم من هذا ، استنتج الوجه الذى لا يلامس الوجه الذى يظهر عليه الرمز ، اى الوجه المقابل ٠

أستاذ نبيه يسأل :

من هو صاحب الغراب الفائز بالجائزة الثانية ؟

فى مسابقة لتربية الطيور ،جرت فى العام الماضى ، كان أعجب ما فى الموضـــوع ، أن الذين فازوا بالجوائز الاولى والثانية ،يحملون نفس أسماء الطيور التى تقدمـوا بها الى المسابقة : وهم السيد غراب ، والسيد بلبل، والسيد هدهد ، والسيد حمام ، والســـيد صقر . وقد كسب كل منهم الجائزة الاولى فى تربية طائر لا يتطابق مع اســـمه ، كما كسب كل واحـــد منهم الجائزة الثانية فى تربية طائر آخر ، وايضا لا يتطابق اســـم الطائر مع المتسابق .

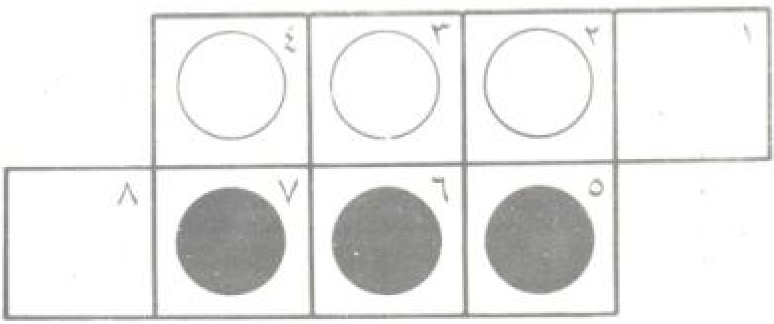
والسيد صقر ، فاز بالجائزة الاولى فى تربية الحمام ، ثم بالجائزة الثانية فى تربية الهدهد . بينمـا كسب الجائزة الاولى فى تربية الغراب ، ذلك الســـيد الذى له نفس اسم الطائر الذى كسب به الســـيد بلبل الجائزة الثانية .

فمن صاحب الغـــراب الذى فاز بالجائزة الثانية .

حركة واحدة فى كل مرة

المطلوب فى هذه اللعبة أن تتبادل القطـع البيضاء والسوداء مواقعها ، بحيث تصـــبح القطع السوداء فى ٢ ، ٣ ، ٤ . والبيضاء فى ٥ ، ٦ ، ٧ . بحيث يكون تحريك القطع البيضاء والسوداء على التوالى ، بيضاء ثم سوداء ثم بيضاء وهـكذا . مســـموح لك بالحركة فقط الى المربع الخالى المجاور لاى قطعة ، وغير مسموح لك بالقفز فوق قطعـة مجاورة . ويمكنك أن تحرك أى قطعة افقيا ورأسيا وقطريا (أى فى الاتجاه المائل) .

هل تستطيع أن تتم هذا فى سبع حركات فقط ...



مربع الأرقام السحرى

من أقدم الكتب المعروفة كتاب صيني يسمى « يبه كنج » ، ويرجع تاريخه الى ثلاثة آلاف سنة مضت ، والمربع السحرى للارقام هو أحد موضوعات هذا الكتاب • وفي القرون الوسطى، اعتبر الاوروبيون هذا المربع السحرى اداة لاتقاء الحسد وطرد الارواح الشريرة •

هل تستطيع أن تصل الى سر المربع السحرى ، باعادة ترتيب الارقام من ١ الى ٩ داخل المربعات بحيث يكون مجموع الارقام ١٥ سواء في الصفوف الافقية أو الاعمدة الراسية ، أو في الاتجاهين القطريين (من أحد زوايا المربع الى الراس المقابل) •

١	٢	٣
٤	٥	٦
٧	٨	٩

الحلول

حل المربع السحرى

٦	١	٨
٧	٥	٣
٢	٩	٤

٢	٧	٦
٩	٥	١
٤	٣	٨

نجم كوميديا عالمى :

شارلى شابلن

الوجوه الستة :

من ملاحظة ٢ ، ٣ نجد أن الزهرة يجيء الى جوارها النجمة والحلقة والفصلة والدائرة • فلا بد أن الزهرة يقابلها السهم• وبنفس الطريقة يمكن اثبات أن الدائرة يقابلها الحلقة • وأن النجمة يقابلها الفصلة وهكذا يمكننا أن نصل الى الاجابة على الاسئلة •

من هو صاحب الغراب الذى فاز بالجائزة الثانية

(١) المتسابق الذى حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب ، لا يكون السيد غراب (لتطابق الاسم) ، ولا يكون السيد هدهد (لان السيد صقر قد حصل على الجائزة الثانية فى تربية الهدهد ، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون السيد بلبل قد حصل على نفس الجائزة) ، ولا يكون السيد بلبل (والا يكون قد حصل على الجائزة الثانية فى تربية البلبل) ، ولا السيد صقر (فقد حصل على الجائزة الاولى فى تربية الحمام) • فالسيد حمام حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب •

(٢) صاحب الغراب الذى فاز بالجائزة الثانية : ليس هو السيد صقر (لانه حصل على الجائزة الثانية فى تربية الهدهد) ، ولا السيد بلبل (الذى حصل على الجائزة الثانية فى تربية الحمام) ، ولا السيدحمام (الذى حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب) ، ولا السيد غراب (لتطابق الاسم) •

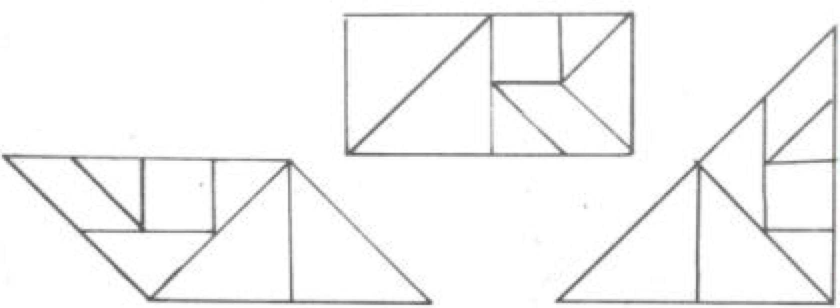
(٣) من هذا كله : يكون السيد هدهد هو صاحب الغراب الفائز بالجائزة الثانية •

حركة واحدة فى كل مرة

من بين الحلول العديدة لهذه اللعبة اليك هذا الحل :

٢ الى ١ ، ٦ الى ٢ ، ٤ الى ٦، ٧ الى ٤ ، ٣ الى ٧ ، ٥ الى ٣ ، ١ الى ٥ •

حل تانجرام



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٧٧

١/٩١

من الأعمال المختارة

جون ملنجتون سنج - ١

• ظل الوادي • الراكبون إلى البحر • زفاف السمكري

تقديم : يونا ايلس فرمور

ترجمة : د. أحمد السيد النادي

مراجعة : د. عبد الله عبد الحافظ متولي

أين تجدين كل ما تحتاج إليه الأم الحامل ورضيعها وأطفالها حتى سن العاشرة ؟

في كتالوج الربيع المجاني الجديد من

Mothercare

Mothercare تخصص عالميا في كل ما تحتاج إليه الأم الحامل ورضيعها وأطفالها حتى سن العاشرة .

ولكن كل شيء ؟

ملابس الحاملات ولوازم الحضانة .

ملابس جميلة وأنيقة من جميع الأنواع .

لعب صغيرة ظريفة . لعب كبيرة . لعب تعليمية .

مجموعة فريدة من مستلزمات الأطفال .

لوازم الحضانة . يحتفظ Mothercare بالمحافظة على زجاجات الرضاع صحية ونظيفة .

فرش السرير . لوازم تنظيف الأطفال . كراسي دفع باليد .

والقائمة لا نهاية لها !

أطلبي الآن في طلب كتالوجنا الملون الجديد في ٢٢٨ صفحة ، واكتشفي عالم Mothercare بنفسك !

ستجدين كل شيء مصمم بالرعاية والعناية التي أكسبت Mothercare شهرة عالمية .

ونحن نعتقد أنك سترضين عن كل شيء تطلبينه . وإذا كان هناك مالا يحظى برضائك ، فإننا سنعيد لك النقود بسرور .

ولتذكري أن أسعار [illegible] الزهيدة تتيح لك فرصة لا مثيل لها للتسوق في الخارج .

إن كتالوجنا متاح باللغة الإنجليزية فقط [illegible] سهل عليك استخدامه وطلب البضائع [illegible] رقم ٤ باللغة العربية [illegible] مع الكتالوج .





Mothercare بالبريد



مجانا

ارسلي الآن في طلب كتالوج Mothercare الملون الجديد لربيع وصيف ١٩٧٧ الذي يقع في ٢٢٨ صفحة .

To Mothercare Limited, Department QA, P.O. Box 145, Cherry Tree Road, Watford, Herts, WD2 5SH, England

BLOCK LETTERS PLEASE

NAME

ADDRESS

COUNTRY

نرجو كتابة البيانات في هذه البطاقة باللغة الإنجليزية .



SERIES
EXTRA HEAVY DUTY TRUCKS
COLT
CHRYSLER
CANTER
FARGO
SERIES

نادي شاحنات كرايزلر العالمي يتوسع ويزدهر

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا، ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة.. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي.

الشاحنات التي نصنعها في مختلف انحاء العالم.. في الولايات المتحدة، وبريطانيا، واسبانيا، واليابان، يسلم العالم كله برقي تصميمها واتقان هندستها. شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم. من سيارات التوزيع الخفيفة الى الشاحنات الجبارة.. ومن الباصات الصغيرة الى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق المعبدة.

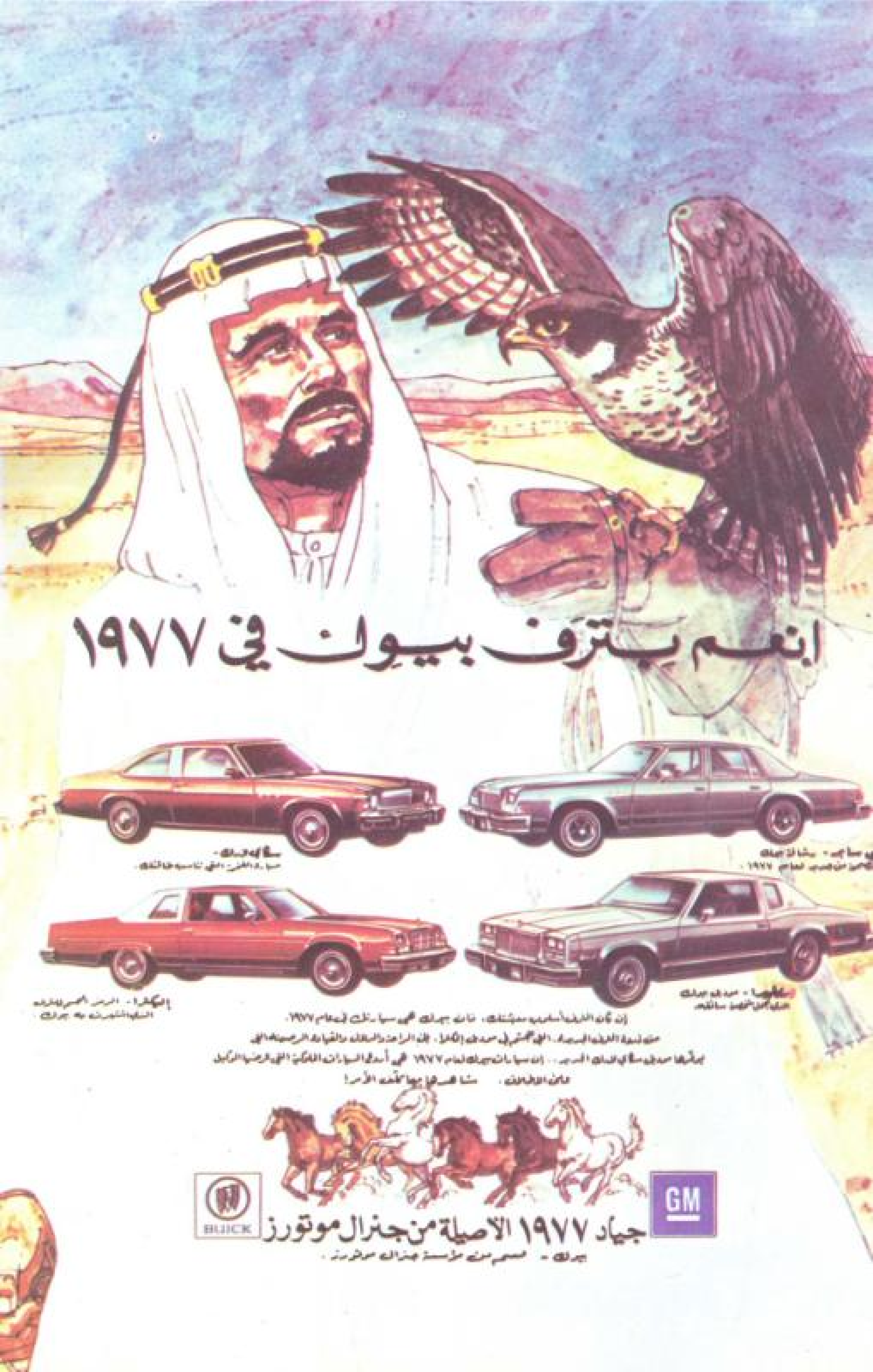
اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي.

ارسلوا الكوبون بالبريد ومرحبا بكم في نادي كرايزلر



كرايزلر انترناشونال

دودج - فارغو - ميتسوبيشي


انعم بترف بيوك في ١٩٧٧
GM
BUICK
جياد ١٩٧٧ الأصيلة من جنرال موتورز



SANYO سانيو

ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العدد ٢٢٢ - جمادى الاولى ١٣٩٧ - مايو (ايار) ١٩٧٧

العربي

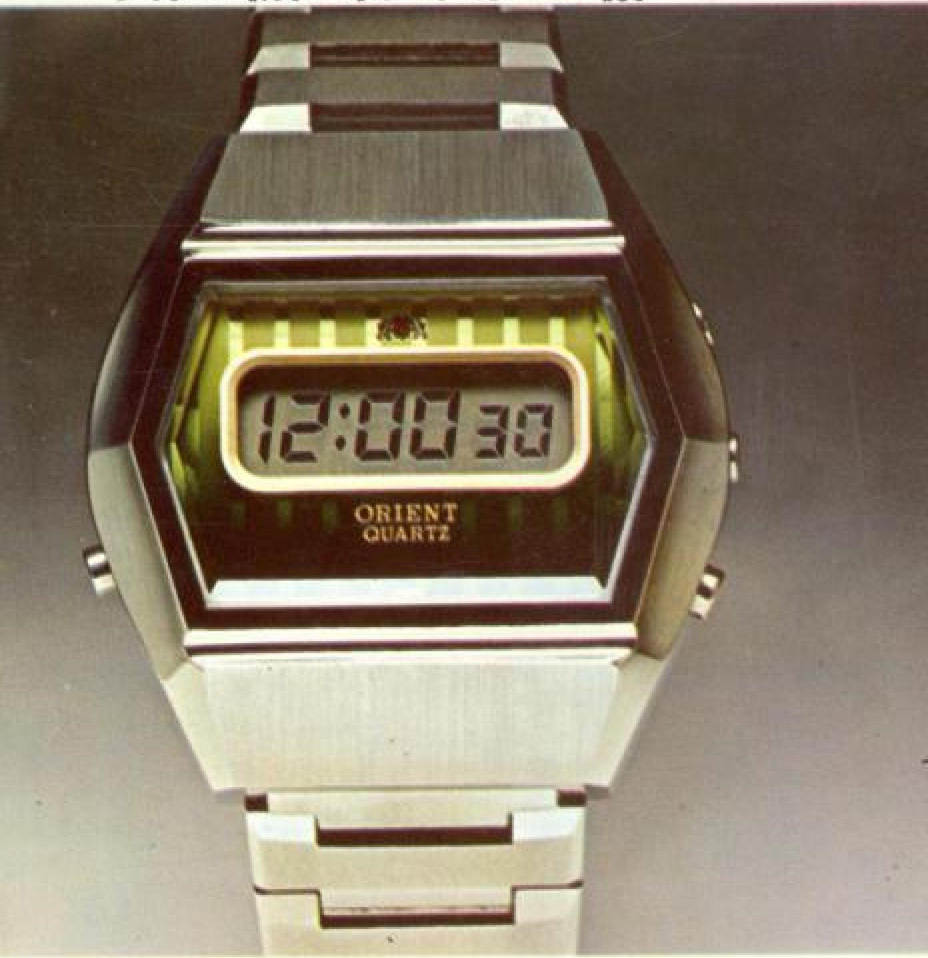
جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

صقلية : المسلمون مروا من هنا !



ORIENT EKISHO QUARTZ

اورينت ... ثمرة تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز



إقرأ الوقت، حتى في الظلام الحالك

خلال الليل، اضئ وجه ساعتك بكبسة
زر. انها الساعة الرقمية المثلى.
اختر، من مجموعة ساعات اورينت
الأخاذة، الساعة التي تعكس
شخصيتك و رجولتك.

ORIENT اورينت

عزيزي القارئ

● لا يزال عالمنا العربي يعاني في داخلـه من مشكلة العـزلة الثقافية ، وهي تاخذ طابعا اكثر وضوحا في علاقات دول المشرق والمغرب العربي • وللانصاف نقول انهم في المغرب العربي يعرفون عنا ثقافيا اكثر مما نعرف نحن عنهم • وكتاب المشرق اسماؤهم محفوظة ومؤلفاتهم متداولة هناك ، بينما كتاب المغرب نادرا ما نجد لهم اعمالا في مكتباتنا في المشرق العربي ، باستثناء بعض انتاج الكتاب الجزائريين الذي وصل الينا مترجما عن الفرنسية !

ثمة اسباب تاريخية ادت الى ذلك ، في مقدمتها حرص الاستعمار الفرنسي على اقامة هذا الجدار العاجز بين المشرق والمغرب ، لكننا اذا طرحنا السؤال الآن فلن نجد مبررا لاستمرار تلك العزلة • وستشير كل أصابع الاتهام الينا في مسئولية هذا الواقع المؤسف •

ان اقامة جسر ثقافي دائم بين المشرق والمغـرب ، هو مسئولـية أساسية لكل مؤسساتنا الثقافية ، لانه يعبر عن أبسط معـانى تعبير « الوطن العربي الواحد » ، الذي نرفعه شعارا في كل مناسبة •

من هنا تنبع اهمية اقامة الاسابيع الثقافية بين الدول العربية ، وبينها المبادرة الكويتية الى اقامة اسبوع ثقافي في تونس وآخـر في القاهرة ، والمبادرة الجزائرية لاقامة اسبوع ثقافي في الكويت •

ليتنا نكرر هذه اللقاءات الثقافية على مدار العام ، حتى لا يظـل اللقاء بين المشرق والمغرب مقصورا على فرق كرة القدم وحدها ! ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

فلسفة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

أدب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 222 MAY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● هل بقي من صـــقلية العربيــة والاسلامية ، بعد مضي حوالي ٩ قرون على انتهاء الحكم العربي في الجزيرة ؟ لقد ذهبت بعثة العربي الى صقلية تبحث عن اجابة لهذا السؤال ، وتتتبع الآثار والتأثيرات التي خلفها المسلمون والعرب هناك · وكانت الاجابة التي عثرت عليها هي ان كـل الآثار صقلية نورماندية الاصـل والهوية ، لكنها تتحدث بلسان عربي فصيح !

(انظر الصفحات من ٢٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائـر ٢٫٥ دينار · المغـرب ٢٫٥ درهم · اليمـن ٢٫٥ ريال · ليبيـا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص · ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ·

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ·

الأخلاق والسياسة.. ومعركة

بقلم : أحمد بهاء الدين


مكيافيلى

● السياسة والاخلاق ؟ ...

الم يحسم هذا السؤال منذ اقدم العصور ؟ ...

هل هناك من نازع ـ او ينازع ـ فى أن الاخلاق فى السياسة ، هى « المصلحة » ؟

الم يحدثنا « ابن المقفع » عن هذه الامور ، سواء برموز كتابه « كليلة ودمنة » أو بصراحة عباراته فى « الادب الكبير والادب الصغير» قبل قرون وقرون ؟ ....

..الم يأت بعد ذلك «مكيافيلى » فى كتابه « الامير » لكي يجعل الدس ، والمخاتلة او القسوة والتحايل ، كلها فى ميدان السياسة « فضائل » يجب ان يتحلى بها الحاكم ، اذا أراد حقا أن يكون حاكما ؟..

الم يعرف القاموس السياسي الحديث ، وما زال يعرف ، تعبير Raison D'etat ، واقرب ترجمة له « سبب يتصل بمصلحة الدولة العليا » ، يقبل فى تفسير اى عمل يقدم عليه « رجل الدولة » ويكون « غير اخلاقى » بالمعنى السائد لكلمة اخلاق ؟



حقوق الانسان

ثم ٠٠ الا يزال الاغتيال ، والانقلاب ، والشراء بالمال ، من الاساليب التى تجرى ممارستها امام اعيننا الى الان ، فى عالم اليوم ، مبررة بالاهداف السياسية التى يراد تحقيقها ؟ ٠٠٠

●

٠٠ طبعا ، لا شك أنه قد دخل « بعض التحسن » على علاقة الاخلاق بالسياسة ، عبر آلاف السنين من التقدم الانسانى ٠٠ بحكم تغير معنى « المصلحة »

٠٠ كانت « المصلحة » التى من اجلها تصبح التضحية بالاخلاق مسألة طبيعية ، مقبولة ، هى مصلحة « الحاكم » بالمعنى الفردى ٠

٠٠ ثم تطورت الامور فاصبحت « المصلحة » فى هذا المجال تعنى مصلحة « الدولة » اى الاطار الممثلة فيه الجماعة الانسانية ٠٠

٠٠ ثم تطورت الامور مرة اخرى فصارت « المصلحة » المقبولة فى هذا المجال هى مصلحة « الشعب » ٠



زخاروف

ولم تكن كل « نقلة » في هذا المجال تؤدى الى اختفاء ماكان قبلها تماما · كلا · فنحن اليوم مثلا نعيش في عالم واحد ، ولكن الشعوب او المجتمعات الانسانية ، تعيش في قرون مختلفة ، بل ومتباعدة جدا، من حيث نظم الحكم،والقيم السائدة،وحقوق المواطن ··الى آخره· وبالتالى « فالمصلحة » ـ بمعنى انصرافها الى مصلحة الفرد ، او الدولة ، او الشعب ، تعيش بتفسيراتها الثلاثة في عالم واحد ، وفي اقطار متجاورة ·· استطاع العلم الحديث أن يختصر الزمن بينها جغرافيا ، فلا يبعد قطر عن قطر اكثر من ساعات بالطائرة ، ولكنه بحساب القيم السائدة تفصل بين القطرين عدة قرون !

●

ولكن ، ما هى مناسبة الحديث عن الاخلاق والسياسة ؟ ···

وهل هى مجرد محاولة لاعمال الفكر فى بحث نظرى ؟ ···

كلا ! ···

ولكن الولايات المتحدة الامريكية ـ اقوى دولة فى العالم واكثرها تاثيرا في حياة عالم اليوم بخيرها وشرها ـ وصل الى مقعد الرئـاسة فيها ، فجاة وعلى غير توقع ، سياسى مجهول ، هو جيمي كارتر · جاء على موجة فحواها انه اخلاقي اكثر مما هو سياسى ، او هو سياسى غير « سياسى » · بل ولم يتردد احيانا خلال معركته الانتخابية من التلميح الى انه يتصرف بناء على رسالة نزلت عليه من السماء ، وان هناك علاقة خاصة بينه وبين الرب !

وبعد أن تولى جيمي كارتر الرئاسة بالفعـل ، اراد أن يثبت وبسرعة ، ان ما كان يقوله خلال الانتخابات لم يكن دعاية فقط · فلم يلبث أن قام بعدة تحركات وتصرفات وتصريحات ، تركت ردود فعل متباينة ···

استقبل فى البيت الابيض « بوكوفسكي » احد المتمردين الروس، بعكس ما فعل جيرالد فورد حين رفض مقابلة « سولجينتسين » حتى لا يسيء الى سياسة التهدئة بين روسيا وامريكا ···

ثم ارسل خطابا شخصيا منه الى «زخاروف» العالم الذرى السوفيتي وزعيم المتمردين في الاتحاد السوفيتى ، بما يعنى تأييده فى نضاله ضد السلطة السوفيتية وقوانينها ...

وقد رد بريجينيف الرجل الاول في روسيا علي ذلك ردا عنيفا في خطاب علني اعلن فيه أن روسيا لن تقبل اى نوع من التدخل فى شئونها الداخلية . وانه ليس من حق دولة ان تعلم دولة اخرى كيف تدير امورها الداخلية .

وحين ذهب سيروس فانس وزير خارجية امريكا الجديد فى اول رحلة له الي موسكو ، واجهه بريجينيف بضرورة تسوية هذه القضية اولا . ولعلهم تعمدوا أن تتحطم مهمته الاولى تماما في موسكو، حتي يقضوا علي الفكرة التي رددها كارتر من ان الروس لن يضحوا بفوائد الوفاق ونزع السلاح ، من اجل تصريحاته !

وحتي لايقال عن كارتر - وقد قيل طبعا - ان الامر ليس امر مبادىء واخلاقيات انسانية بقدر ما هو سلاح جديد من اسلحة الحرب الباردة ، تحدث عن بعض البلاد « المحسوبة » علي امريكا . واعلنت حكومته ان مساعداتها الاقتصادية والعسكرية سوف تدخل فى اعتبارها من الان نوع النظام الداخلي ودرجة القمع والعدوان علي حقوق الانسان في اى قطر . الامر الذى جعل بلادا مثل البرازيل والارجنتين ترفض اى مساعدة من امريكا . طالما هى مقرونة باحكام ليست امريكا هى الجهة التى تصدرها .

وذهب كارتر الى الامم المتحدة ليلقى خطابا تقليديا ، اعتاد أن يلقيه كل رئيس امريكي جديد . وفي هذا الخطاب اعلن عن مبدأ بالغ الاهمية . قال ما خلاصته : أن كل الدول الاعضاء في الامم المتحدة قد وقعت علي وثيقة اعلان حقوق الانسان . وانه من تلك اللحظة لا يعتبر انتهاك دولة ما لهذه الوثيقة فى بلادها امرا داخليا خاصا بها . بل انه امر يهم العالم كله .

●

مبدأ ، فيما اعتقد ، صحيح تماما ...

وحجته ، فيما ارى ، يجب أن تكون مقبولة في عالم اليوم . والا ، فما معنى المؤسسات الدولية ، والمواثيق الدولية ، والكلمات الواردة فيها . والخاصة بحقوق الانسان !

وذلك طبعا بشرط ان لا يكون « حقا يراد به باطل » ، كما يحدث كثيرا في عالم السياسة .

وبالتالى فان الاسئلة - ونحن امام وقائع حياة ولسنا في مجال بحث نظرى - تبقى كثيرة . وقد جاءت من العالم كله . ومن داخل امريكا ذاتها . حول كارتر . ودوافعه ..



كارتر

هل هو ساذج ؟
هل هو صادق ؟
هل يستهدف مكاسب داخلية سياسية فحسب ؟
هل يستطيع أن يمضى الى آخر الشوط ؟

ثم ٠٠ هل هذه السياسة ، التي سماها الكاتب الامريكي الاول جيمس رستون،ساخرا ، باسم « سياسة الفم المفتوح »،هي السياسة المثلى لتحقيق هذا الغرض ، اذا كان هذا الغرض جديا ؟ ٠٠

طبعا ٠ هناك سوابق في امريكا وغير امريكا للساسة المثاليين ٠ كان « وودرو ويلسون » الرئيس الامريكي الذى دخل ببلاده الحرب العالمية الاولى مثاليا ،حين اعتقد انها الحرب التيستكون آخر الحروب٠ وحين دعا الى انشاء « عصبة الامم » ٠ وحين وجد أن السياسة هي السياسة ، قرر عدم دخول امريكا فى عصبة الامم ٠

وكان فرانكلين روزفلت ـ اعظم رؤساء امريكا ـ مثاليا ايضا٠٠

ومن الاسئلة التي ستبقى مثلا معلقة : لو كان انجاز صنع القنبلة الذرية قد تم فى عهده ، هل كان يلقيها على هيروشيما ، قاتلا مائة الف ، كما فعل ترومان ؟

دفاع ترومان ـ الاخلاقى ـ انه بقتل مائة الف نسمة ، اوقف حربا لو استمرت لقتل فيها مليون ٠٠٠

ولكن ، الم يكن ممكنا ، مثلا ، مجرد اخطار اليابان بالسلاح الرهيب الجديد وانذارها باستخدامه ، لكى تستسلم كما فعلت ؟ وهل واردا أن يسلك روزفلت هذا الطريق ، لو انه لم يمت قبل انجاز القنبلة الذرية بقليل ؟

على اى حال ٠ لقد مات روزفلت وهو مصمم على تاييد تصفية المستعمرات القديمة ، ولكن بقى بعده تشرشل وغيره واستغرقت تصفية الاستعمار ربع قرن زيادة ، ومات وهو يعمل لسياسة الوفاق بين الشرق والغرب ، ولكن الحرب الباردة انطلقت بعده ٠ ومات وهو يرفض اقامة دولة اسرائيل فى فلسطين لانه كان اقوى من اى فئة فى بلاده ، وكان مدركا لمستقبل المنطقة العربية وخطورتها ، ولكن ترومان كسياسي صغير آثر الرضوخ للقوى الانتخابية الداخلية،ولو خلق بذلك احدى اعقد مشكلات العالم ومآسيه ٠

٠٠ ولعل هذا الاستطراد قد اخرجنا قليلا عن مجرى الحديث ٠

●

طبعا ، قضية احترام حقوق الانسان ، ليست قضية سهلة ، بل انها اعقد القضايا على الاطلاق ٠ ولربما تحل معظم مشاكل البشرية ـ اذا امكن ذلك ـ قبل ان تحل هذه القضية ٠ وقبل أن يحظى كل انسان ، فى كل بلد ، وتحت كل نظام ، باحترام حقوقه ٠


ويلسون

لقد نزلت الاديان كلها ٠وجوهر رسالتها احترام حقوق الانسان٠

وقد زعمت الثورات والمذاهبوالايدولوجيات كلها ،انها انماتريد احترام حقوق الانسان ٠

ومع ذلك ، فلو اردنا تلخيص تاريخ البشرية كله ، لوجدنا ان السمة الغالبة فيه ، هى عدم احترام حقوق الانسان ٠٠٠

وابسط الاسباب الداعية لذلك ،تصور كل مجتمع انسانى لما يرى انه احترام لحقوق الانسان ٠ ولما يرى انه حقوق الانسان ٠

ثقافة الغرب واوروبا السياسية كلها ، تقول ان اثينا كانت مهد الديمقراطية ، وانها ما تزال النموذج الفذ الذى لا يتكرر ٠

ولكن اثينا ـ بساستها وفلاسفتها ـ لم يجدوا فى تقسيم الشعب الى احرار وعبيد ، وبالتالى قصر حقوق الانسان على الاحـرار دون العبيد ، لم يجدوا فى ذلك اى تعارض مع ديمقراطية اثينا ٠

والجاهلية ، قاومت دعوة الاسلام اعنف مقاومة ، بسبب ما يدعو اليه الاسلام ، وبدا لهم انه امر بالغ الغرابة والشذوذ ، وهو محاربة الرق ٠ لطول ما اعتاد المجتمع هذا الوضع ٠٠٠

فالمجتمع نفسه ، حتى بحكمائه وعقلائه ٠ قد يرى فكرة حقوق الانسان فى صورة نراها اليوم غريبة وبالغة الغرابة ٠٠٠

وقد احتاج الامر الـى دهور طويلة ، ورسالات مـن السماء ، وثورات على الارض،حتى تطور مفهوم حقوق الانسان ٠٠وايضا ليس لدى الجميع ٠٠٠

ثم ان هناك عنصرا اخـر ، داس حقوق الانسان عبـر التاريخ باقدامه ، وهو صراع الحياة العنيف ٠٠٠

كان فى البدء صراع افراد ٠٠ ثم صار صراع قبائل ٠٠ ثم صار صراع شعوب وامم ٠٠ حتى صار الصراع دوليا ٠٠ فالحروب عالمية٠٠ والمذاهب المتصارعة ترى ان مجالها العالم كله ٠٠ والازمات المالية او الاقتصادية او حول السلع الاساسية ، ازمات عالمية ٠٠٠

وتحت هذه العناوين الواسعة بالطبع ، تندرج مئات الانواع من الصراع ، مما يعرفه الجميع ٠٠٠

صراع لا يعرف الرحمة ٠٠٠

وما يهمنا من هذا التاريخ هنا،هو مرة اخرى كيف ان اقسى المظالم كانت ترتكب باسم « حقوق الانسان » واحيانا باقتناع مـن المرتكبين انفسهم ٠٠

كان الشعب يستعمر شعوبا اخرى ويمتص ثرواتها ٠ وكـان الشعب الحاكم يرى فى رجله الذى يحقق له هـذا بطـلا ٠ كان بطلا بالنسبة له ٠ فهو يوفر له مستوى عال من المعيشة ، على حساب شعوب



روزفلت


شو

اخرى • وكان هذا مقبولا « اخلاقيا » لدى الشعوب المستفيدة •••وكان المعترضون على هذا هم الشواذ •••

كان الساسة ورجال الدولة يعرفون ما يفعلون •••

فحين كان نابليون يحلم باحتلال مصر ،ثم بالقفز الى الهند التى يحكمها الانجليز، قال لخلصائه : «سنفاجئهم،لصوص يهاجمون لصوصا اقل منهم جراة ! » ويفوزون بالجائزة •••

وكان هناك من المفكرين من يبررون هذا ويفلسفونه • فاستعمار اوروبا لآسيا وافريقيا كلها ، عاش اجيالا يحمل اسم «عبء الرجل الابيض » • وكان هذا مقبولا اخلاقيا • فالانسان هو الرجل الابيض • اما استغلال الاسود والاسمر فكان امرا مقبولا •

ومعظم تماثيل « الابطال » و « العظماء » التى تملأ ميادين اوروبا مثلا هى تماثيل غزاة ، او طغاة ، او مستعمرين •• ولكنهم عند شعوبهم ابطال •••

وكان المعترضون قليلون ••

كانت انجلترا ، وهى اكبر امبراطورية ، تسمى وما تزال « ام الديمقراطية فى العالم » ولكن برناردشو كان يقول : ان كلمة الديمقراطية يتغير معناها بمجرد ان تترك الجزر البريطانية وتعبر المحيط !

وهذا صحيح • فالديمقراطية للانجليز • تغذيها وتجعلها ممكنة الموارد المستنزفة من شعوب اخرى • ولكن كان هذا مقبولا اخلاقيا على الاقل لدى « الشعوب الراقية » ! •••

كانت انجلترا تفخر بثورتها التى أرست قواعد الديمقراطية • وفرنسا تفخر بثورتها التى حققت شعارات الحرية والاخاء والمساواة • ولكن ثورة من هذا النوع ، فى اى مستعمرة تابعة لهما ، كان لا بد من قمعها فورا، وبكل عنف •

وكان لهذا المنطق كله صحافته ، وثقافته ، وكتابه ، وفلاسفته •

اما المسحوقون ، فلم يكن لهم شىء من هذا • لم يكن لهم صوت يسمع • ولا فكر يقرع الآذان • لانه لم يكن لهم مدافع ولا بوارج ولا طائرات ••••

وقد تغير الكثير من هذا بحركات التحرر فى العالم التى ادت الى استقلال كل شعب تقريبا •••

وصار هناك برلمان عالمى اسمه الامم المتحدة ، يفترض ان لكل شعب فيه له صوت كأى شعب اخر ، مهما كان لونه او عدده ،او قوته••

ولكن هذا بالطبع ما زال بعيدا عن الواقع بكثير • وان كان المستضعفون فى الارض يكسبون كل يوم ارضا جديدة •

وكان طبيعيا بعد حقوق الشعوب ، ان تبدأ وتتسع معركة حقوق الافراد ، حقوق الانسان ٠

●

وحين نلقي نظرة على العالم ٠نجد ان كل شعب يحاول ان يخوض في بلده ، معركته الخاصة ، من اجل كسب حقه في حقوق الانسان٠٠٠ وان كان هذا الصراع ليس داخليا دائما ٠ فالقوى الخارجية ذات التأثير،ما زالت تتحالف مع القوى المحلية المتخلفة،لاطالة اجل استبدادها، اذا كان هذا يناسب تلك القوى الخارجية لسبب او لآخر ٠

وقد مر زمن ، قريب ،ساد فيه الصراع المذهبي واختلفت المذاهب بالتالي خلافا حادا حول تعريف حقوق الانسان ، او على الاقل على أولويات حقوق الانسان ٠

مذاهب تقول : الحرية فحسب ٠ وبعد ذلك فليتصارع الناس ليأخذ كلٌ ما يستطيع ٠

ومذاهب تقول : لقمة العيش اولا ٠ وحقوق الانسان الاجتماعية ٠٠٠ التحرر من الجوع ومن البطالة ومن عدم المساواة ٠٠ هى حقوق الانسان الاساسية ٠

ولكن التيار السائد ، والذى يتحول مع الزمن فى تقديرى الى موجة عارمة فى كل مكان وتحت كل نظام هو : الخبز مع الحرية ،العدل مع الكرامة ، وبغير ذلك يظل حق الانسان ناقصا ٠

وفى هلسنكى ، منذ ما يقرب من سنة ، اجتمع اقطاب المعسكر الشرقي والمعسكر الغربى ٠ وفي محاولة معقدة لتكريس الامر الواقع الذى اسفرت عنه الحرب العالمية الثانية من تقسيم لاوروبا وتثبيت الاوضاع الدولية بينهما ، وقعا على معاهدة شملت بنودا سياسية كثيرة، ومن بينها نصوص عن حقوق الانسان ، كأساس لسياسة الوفاق ٠

وفي بلجراد ، بعد شهر ، يجتمعون مرة اخرى لمراجعة ما تم فى شأن التزام كل طرف فى هذه المعاهدة ٠

●



كنيدى

وفجأة ، شن كارتر حملته دفاعا عن « المعترضين » فـى الاتحاد السوفيتي ، وهاجم فى الوقت نفسه جوهر النظـام السوفيتـى ٠٠٠

وقد بدأ الامر ٠٠٠ اثناء حملته الانتخابية للفوز بالرئاسة ٠٠

وتفسير هذه الظاهرة قد يكمن فى امريكا نفسها ٠٠٠

ففى خلال الجيل الذى سبق وصول كارتر الى الحكم ، تعرضت امريكا ـ اقوى دول العالم ـ لامتحانات صعبة ، خـرج منهـا الشعب الامريكي ، والضمير الامريكى ، مثخنا بالجراح ٠٠٠

لقد اغتيل رئيس للجمهورية (جون كنيدى) ٠ وخرج خليفته من الرئاسة (ليندون جونسون) تحت ضغط نقمة عارمة من الشعب بسبب حرب

فيتنام ٠وطرد رئيس ثالث (نيكسون) بتهم اعتداء على حقوق الانسان في امريكا وتجسس على الافراد واخفاء جرائم ٠ وخرج نائب رئيس (اجنيو) بتهمة رشوة صريحة٠واغتيل مرشح للرئاسة على وشك الانتصار، (روبرت كنيدى) ٠واغتيل زعيم حركة تحرير السود (مارتن لوثر كنج) ٠

وصاحب هذا كله حرب فيتنام ٠ حين استخدمت امريكا قوتها العسكرية الهائلة في محاولة سحق شعب صغير فقير في فيتنام دون جدوى٠ ومرة اخرى نجد في رواسب بعض النفوس ان ضرب «الصفر» وتدميرهم، او «اعادتهم الى العصر الحجرى» كما قال قائد طيران امريكى ، أمر مباح لانهم « صفر » فلم يكن متصورا ان فظائع حرب فيتنام يمكن ان تقع فى بلد اوروبى مثلا ٠

وصاحب هذا كله كشف ادوار رهيبة للمخابرات الامريكية في تنفيذ انقلابات ، واسقاط حكومات ،واغتيال زعماء٠٠٠ ثم جاءت موجة الفضائح المالية ٠ وسيل اعترافات الشركات الكبرى برشوة اكبر الشخصيات من اليابان شرقا الى هولندا غربا ٠٠

وهذا كله وقع وارتكب في اكبر « مجتمع مفتوح » واصيب الضمير الامريكي بجرح دام عميق وصارت كلمة السياسة كلمة قذرة ، وحقوق الانسان نكتة ٠ وادرك كارتر الموجة ، فخرج من المجهول ، رافعا راية الفضيلة ٠ وسخر الساسة منه ، لكن الرأى العام اعطاه مقعد الرئاسة ٠

وكانت احد تعهداته التى ارضي بها المواطن العادى ، هى الطهارة واحترام الانسان ،وحقوقه ، وحمل نفس الرسالة الى ماوراء الحدود٠٠

وفي بلاد المعسكر الشرقى جماعات من الرافضين ، او المطالبين بحريات اكثر ، بعد ان حققت تلك المجتمعات التقدم المادى المطلوب ، وصارت تجد ان من حقها ان تحظى بالقسم الاخر من حقوق الانسان وهو الحرية ، فالتقط كارتر ورقة تأييدهم ، كسلاح يبرر دعوته « التبشيرية » ويقلب معركة الدعاية ضد المعسكر الاخر ، ويعطى الامريكى من جديد شعورا برسالة عالمية هى الدفاع عن حقوق الانسان ولو فى اماكن بعيدة ٠

●

ومهما كان الامر فيما يتعلق بدوافع كارتر ، او بأساليبه ، او بردود فعل المعسكر الاخر ٠

فالقضية فى ذاتها ـ مجردة من اعتبارات الصراع الدولى ـ عادلة ٠ وقد تتحول الى قضية العصر ٠ والامتحان الحقيقى سيكون حين يتبين اذا كانت مجرد سلاح جديد فى الحرب الباردة ، او اذا كانت الدعوة سوف تعم ، فلِمَ تثور امريكا لمنع مواطن فى روسيا من السفر وتسكت عن اختفاء الآف فى تشيلى او فى غيرها !



نيكسون

ولمَ يرفع كارتر راية حق تقرير المصير ، ويسكت على طرد اسرائيل للفلسطينيين من ديارهم واحتلال ارضهم بالقوة !

وهل حقوق الانسان مطلب يرفع شعاره حيث يلائمه هذا ، وينكسه حيث لا يلائمه احترام حقوق الانسان ·

واذا كان لا بد ان تشغلنا امور انفسنا كما تشغلنا امور الانسانية· فان المواطن العربي في كل مكان من انحاء الوطن الكبير ، لديه الكثير مما ينتقده في حياته · ولديه الكثير من اسباب الشكوى في كثير من مجالات فقدان حقوق الانسان ·

ولكن هنا ايضا · وصلت الشعوب العربية الى مرحلة من النضج، صار لا بد معها ان يكون تاكيد حقوق الانسان فيها امرا اساسيا ، ولا مجال للتساهل فيه ·

ان انعدام هذه الحقوق في اماكن ، وضعفها في اماكن ، هو علة العلل · واساس كل داء · وسبب كل بلاء في ظروفنا العربية الراهنة ·

ولا بد ان يتحمل كل من تسمح له ظروفه ومكانته وثقافته جانبا من مسئولية تاكيد هذا المعنى · ونشره فيما حوله ·

ان التعذيب الجسدي ، او السجن بدون قضاء ، او منع ابداء الراي اذا كان سليما ، او رفض فكرة تبلور ارادة الشعب باي صورة من الصور ، ان هذه كلها اشياء لا بد ان تزول ·

ان زوالها اهم في معركة التقدم من استيراد احدث الالات واقامة احدث المباني ، فقد كان التقدم دائما رهنا بالانسان، وشعوره بكرامته، وبحريته العقلية · فهو ان عجز عن استخدام فكره وعن ممارسة كرامته، فقد عجز عن ممارسة ما يجعل الانسان انسانا ·

ان حقوق الانسان التي رات النور يوما مع مشرق الاسلام في هذه الارض ، لا بد ان يعود لها بريقها من جديد مهما كانت الفلسفات والادعاءات ·

وبغير الاحترام الكامل الخالي من اي تحفظ لحقوق الانسان العربي لن نخترق الحلقة المفرغة من التخلف ومن المآسي ومن شتى انواع الاحباط التي تكاد تزهق روح الانسان العربي · مهما حاولت بعض الماديات من تغطية ذلك لبعض الوقت ·

ان معركة حقوق الانسان على المستوى العالمي ستكون معركة اخر هذا القرن واول القرن القادم ·

وعلينا ان نكون من المناضلين فيها ···

لانفسنا اولا ·

وبعد ذلك لغيرنا ···

احمد بهاء الدين

مواجهة مع عناصر الجمود

في الفكر الاسلامي المعاصر

د ٠ احمد كمال ابو المجد

■ يبدو ان الحوار المنظم بين اصحاب الافكار التي عاشت ازمانا طويلة في تناقض شديد وسوء ظن متبادل قد اضحى سمة بارزة من سمات عصرنا ، ولعل ذلك من آثار ما ولدته التجربة الطويلة مع الصراع الساخن والمعارك المستمرة من اقتناع بعدم جدواها ، خصوصا في عالم الفكر والاعتقاد ٠٠

فمن حولنا حوارات عربية عديدة اسفرت عن لقاءات عند منتصف الطريق احيانا ، وعند مواقع بعض الاطراف احيانا اخرى ٠٠ وفي مواقع اخرى حددتها اطراف خارج دائرة الحوار احيانا ثالثة اخرى ٠٠ وقد شاركت في هذا الحوار اطراف تبادلت الاتهام والخيانة والانحراف سنوات طويلة، وجعلت خصومة بعضها مع بعض جزءا ثابتا من اجزاء برنامجها المعلن ٠٠

وفي اطار الفكر الاسلامي ، والحركات التي تنتمي اليه ، فان الحوار قائم على اشده بين تيارات عديدة متداخلة احيانا ، ومتناقضة احيانا اخرى ، تتوزع فكر المسلمين ومشاعرهم وولاءهم، وتشد كثيرين منهم الى معارك جانبية تشتد ضراوتها احيانا اكثر مما تشتد ضراوة الصراع بين التيار الاسلامي بروافده المختلفة ، وبين تيارات اخرى وحركات تنازعه وتناقضه في اسسه الكبرى وقيمه العليا ٠٠٠

وحسبنا هنا ــ قبل ان نبدأ المواجهة التي اعلناها في عنوان هذا البحث ــ ان نلقي نظرة سريعة على اهم هذه التيارات المعاصرة ، وان كان بعضها قديما ضاربا بجذوره في تاريخ الاسلام وحضارته :

(أ) فهناك تيار « محافظ » يفسر السلفية بانها التزام ما انتهى اليه الاولون من السلف من آراء ومواقف واحكام ، لاينكر جواز الاختيار بينها ، ولكنه يرى في تجاوزها تجاوزا للاسلام، وابتداعا فيه ، وفتحا لابواب الهوى ، وتحكيما للعقول في الشريعة وقد جاءت حاكمة للناس لا محكومة بعقولهم واهوائهم ٠

(ب) وهناك تيار صوفي ، يرى ان مشكلة المسلمين في قلوبهم وليست في عقولهم ، وان اقبال المسلمين على الدنيا وتزاحمهم مع الامم على ثمرات الارض هو اساس الفساد ، وهو

لذلك يدعو الى الايغال فى العبادة ، والى الزهد فى الدنيا كلها ، ويهون كثيرا من قيمة العقل ، وينقل كثيرا من اتباعه من هذا العالم الذى تحكمه السنن وتضبط حركته النواميس الى عالم غامض تختلط فيه - ولو بحسن نية - الحدود الفاصلة بين اداب السلوك واخلاقيات الايمان ، وبين المنهج الغيبى الخالص الذى يضع اقدام اصحابه على طريق قد لايسلم من الخرافة وتلبيس الحقيقة بالوهم ..

(جـ) وهناك فريق ثالث - لايزال يرفع راية الاسلام بيده - ولكنه مع ذلك يثور على اوضاع المسلمين كلها ، وينطلق الى ما يعتبره تحررا من قيود التراث كله ، واخذا بثمرات العقول كلها، ولايرى مخرجا من الواقع المرير الذى يعيشه اكثر المسلمين سوى ان نحذو حذو الغرب (والغرب هنا يشمل الغرب والشرق معا) فيما ياخذ وما يترك ، وفيما يقول وما يفعل .. وقد يجاوز هذا الفريق حدود الاسلام ومبادئه الاساسية وقيمه الكلية .. ويظـــل مع ذلك متمسحا بشعاراته ومصطلحاته ...

(د) وهناك من وراء ذلك اخلاط من الحركات ترفع لواء العمل للاسلام ، منها ما يشغله ليلا ونهارا شعار « العودة لتطبيق الشريعة » « والحكم بما انزل الله » ومنهم من يجعل الوصول الى « الحكم » بمعنى الوصول الى السلطة السياسية والاستيلاء عليها ، ويتصور قيام « الحكومة المسلمة » بهذا المعنى الالى الساذج نهاية لمشاكل المسلمين ، وتحقيقا للمثل الاعلى فى العمل من اجل الاسلام .

ويتسع وقت كثير من هذه الحركات لكل ضروب المناورات السياسية والحزبية ، التى تقبل العمل الانقلابى احيانا - ولكنه قلما يتسع للاجابة العلمية المحددة عن وسيلة « الحكم بما انزل الله» وضرورة الاعداد لتطبيق الشريعـة قبـل رفع لوائها ... وقد يرى بعض هؤلاء أن يستولوا على السلطة اولا .. ثم يفكروا وينظروا ثانيا..

(هـ) ومن وراء اولئك جميعا اجيال ضخمة هائلة من الشباب - والكهول ايضا - مؤمنة بعقيدة الاسلام ، مبصرة لنظرته الكلية الى الحياة والخلق والانسان .. مدركة لدورها فى ترشيد حياتها وحياة الدنيا من حولها .. وفى تعمير الكون واستخدام العقل لتحقيق هذا التعمير .. ولكن هذه الاجيال تحاصرها المحاذير والسيوف المسلطة من هذه الفرق المتناحرة التى يترصد بعضها ببعض .. ويستولى عليها - فى احيان كثيرة - نوع من الحيرة والعجز عن تحديد الاتجاه فتبقى فى مكانها تتلفت باحثة ، او تخطو خطوة هنـــا وخطوة هناك دون ان تندفع بطاقتها الهائلة الى طريق مرسوم .

٧ قضايا للمناقشة

وقد اعتاد هذا القلم ان يخوض - مع اقلام كثيرة - فى الحوار الدائر بين هذه التيارات كلها ، ولكنه - هو الاخر - كان يخوض بحساب دقيق ، وبرفق مبالغ فيه ، وحرص على تجنب غضب اطراف تملك من اسلحة التخويف الفكرى صنوفا والوانا ورصيدا هائلا .

ولكن الاحساس المتزايد بشدة حاجة الدنيا من حولنا الى الاسلام بعقيدته الصافية ، ونزعته الانسانية السمحة ، وما يقيم عليه حياة الفرد والجماعة من توازن يبعث السكينة ، وانسجام مع الكون ونواميسه يقتلع كثيرا من اسباب الفصام والقلق وهما أخطر افات العصر ، وافدح تبعات السرعة الهائلة التى تم بها اختراق العاجز بين الحاضر والمستقبل بثورة صناعية تتزايد سرعتها بمتوالية هندسية رهيبة .. هذا الاحساس مقرونا برؤية تعاظم موجة تمرد الجيل الجديد من شباب الاسلام على استمرار هذه المعارك العقيمة بين اصحاب هذه التيارات ، ولهفته على أن يجد الطريق الذى يحفظ عليه قيمه الاسلامية العليا ، ويطلق فى نفس الوقت طاقاته وقدرته على العطاء والابداع ... هذان الامران معا .. وضعا حدا للصبر ، ونهاية للتردد .. وآذنا بمرحلة جديدة فى الحوار الاسلامى .. توضع فيها النقاط فوق الحروف ، ولايعبأ فيها الكاتب بارهاب المرهبين ولمز اللامزين، ويرتفع فيها فوق صخب اولئك جميعا قول الله تعالى : « وتخشى الناس والله احق ان تخشاه »

والحروف التى اريد ان اضع فوقها النقاط بارزة واضحة فى هذه الحلقة الاولى من حلقات المواجهة، احرف سبعة ، تكتمل بها - فيما ارى - معالم تيار اسلامى هو الغالب فى صدور جيل باكمله

من الشباب ، تحدثه به نفسه ، ويخافت به خشية الاتهام بالابتداع والضلال والخروج والمروق الى اخر هذه الصيحات التي يقذف بها في وجهه سدنة فكر متخلف يحملون سعة الاسلام على ضيق افقهم ويحملون سماحته على ضيق صدورهم ويلوون وضوح مبادئه المستقيمة لتلاقي التواء مزاجهم وطبعهم.

اولا : ان اقامة احكام الاسلام في عصرنا تحتاج الى اجتهاد عقلي كبير ، وللعقل سبيل الى ذلك لا يسع عاقلا انكاره . فالنصوص ـ قرآنا وسنة ـ محدودة متناهية ، والحوادث متجددة غير متناهية.. وحركة الزمن سنة من سنن الله ، وحركة التشريع لملاقاة تلك الحركة أمر من أمر الله..وخلود الاسلام وصلاحية شريعته لكل زمان ليست سرا ولا خرقا لنواميس الحياة تحار فيه الالباب .

وانما هو خلود مستمد من قدرة الشريعة على هذا التجاوب ، ومن اشتمالها على ادوات الحركة ومقومات التجدد .. وما فتح الباب للاجتهاد بالاجماع والقياس وطلب المصلحة ، واعتبار العرف ، الا هداية الى أبواب هذه الحركة ، ومدخلا لتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد ، وتثبيت ما ينفع الناس . وباطل ما شغبوا به ، جدلا فاسدا ، ولعبا بالالفاظ ، من أنه لا مدخل للعقل في التشريع ، لان الحكم لله وحده ، وحق التشريع لا يملكه احد سواه ، ودخولا في طاعته واعترافا بحاكميته .. باطل ذلك بالعقل ، وبالنقل المتواتر ، وبما تدل عليه بداهات الامور .. باطل بالعقل لما قدمناه من تناهي النصوص وتجدد الحوادث .

وباطل بالنقل الثابت في حديث معاذ حين ولاه النبي (ص) قضاء اليمن وسأله عما يفعل اذا عرض له قضاء .. وافترض عليه السلام ان امورا سوف تعرض لمعاذ في اليمن لا يجد لها حلا في كتاب الله ولا في سنة رسوله عليه السلام ، ولذلك اقره على اجتهاده اجتهادا لايقصر فيه وأعلن أن "لك مسلك من رسول رسول الله يرضى عنه الله ورسوله ..

وباطل بما تواتر من اجتهاد النبي (ص) ، واجتهاد الصحابة .. اجتهادا في التفسير حين يوجد النص ، وبحثا عن الحكم حين لا يسعف النص ..

والاجتهاد الذي نحتاج اليه اليوم ، ويحتاج اليه المسلمون ، ليس اجتهادا في الفروع وحدها .. وانما هو اجتهاد في الاصول كذلك .. وكم من مسألة تواجه المسلمين اليوم فاذا بحثوها واعملوا الجهد طلبا لحكم الاسلام فيها افضى بهم بحثهم الى وقفة مع الاصول .. فقد يكون سندها حديثا ضعيفا لا يعرفون ما يصنعون به .. وقد يكون مصدرها اجماعا سكوتيا يعارض حديثا ضعيفا .. أو قياسا يأخذ به فريق ويرده اخرون وليس ما تردده الكثرة الغالبة من المعاصرين من امتناع في الاجتهاد في الاصول الا التزاما بما لا يلزم ، وتقصيرا في بذل الجهد بحثا عما ينفع الناس . وما قبلته هذه الكثرة من كلام الامام الشاطبي في كتاب « الموافقات » من أن أصول الشريعة كلها قطعية (ومن ثم لا يسوغ الاجتهاد في شأنها) يحتاج الى وقفة تأمل ومراجعة ، لان الامر أخطر وأجل من أن يسلم فيه لفقيه مهما علا قدره . وقد استدرك على ذلك غير واحد من العلماء الثقاة كالامام الشوكاني ، والقاضي ابو بكر الباقلاني ، وتابعهم في هذا الاستدراك كثير من المحدثين والمعاصرين ..

التصوف والتراث

ثانيا : الاسلام نظام للحياة ، مبني على ظواهرها ، محكوم بنواميسها ، مردودة أحكامه الى العلل المنضبطة التي تدركها العقول وأحكامه تدور مع هذه العلل ، ولا تنفصل عنها . ولو انفصلت لذهبت الرحمة ، وسقط العدل ، واستحال التكليف .. وليس للاسلام باطن يستأثر به أقوام دون أقوام .. الا أن تكون تجربة روحية ذاتية من حق أصحابها ان يخوضوها وان يتذوقوا ثمارها ـ في صمت وتواضع ـ دون أن يشغبوا على جماهير المسلمين بحديث عنها كله رموز واشارات، تضر ولا تنفع ، وتضل ولا تهدي ، وتهتز بها في عقول المسلمين وضمائرهم الموازين .. والقول بغير هذا يتعارض مع توجيه الرسالة الاسلامية للناس كافة ، وتيسير القرآن للذكر ليعمل به الناس ، ومخاطبة لاولي الالباب .. ان التصوف جزء من تراث الاسلام ، وتاريخه وسير رجاله جزء من تاريخ الاسلام وحضارته .. نبه قلوبا

لاهية ، وذكر كثيرا من عقول ناسية .. وادب كثيرا من اتباعه باداب الاسلام . وهو ـ حين يلتزم بالكتاب والسنة ـ رافد جليل من روافد العلم الاسلامي ، ولكنه يوشك أن يكون رافدا للقلة والخاصة الذين يحسنون الموازنة بين حقوق العقل وحقوق القلب .. وبين عموم الشريعة وخصوص الوجد الذي يلقاه سالك على طريق معرفة الله بالقلب . ولكن الشطط فيه كثير .. والمزالق خطيرة وامتزاج الخرافة فيه بالحقيقة واقع لا معنى للمكابرة فيه .. وآثاره السلبية حين يصل الى العامة حقيقة تاريخية أخرى لا يليق بمنصف أن يشكك فيها .. والاسلام الذي ينبغي أن نقدمه للاجيال من شبابنا هو اسلام الحركة والقوة والصحو والاخذ بالاسباب .. الاسلام الحي الذي جسده النبي (ص) بسيرته واقواله .. والذي تابعه فيه الصحابة من أمثال عمر رضي الله عنه ، والذي كان اذا تكلم اسمع، واذا مشى اسرع ، واذا ضرب في الحق أوجع ، والذي كان الناسك حقا ..

ثالثا : ما يسميه كثير من الناس « بالتراث » ويدعون الى المحافظة عليه والالتزام به حرصا على الاصالة ، يحتاج الى ضبط وتحديد وبيان لمكوناته .. ووزن لموقعها من الاسلام وموقع الاسلام منها . فالتراث تعبير غامض يشير الى النتاج الحضاري للامة منذ اكتملت لها مقوماتها. وتراث الامة الاسلامية ، على تنوعه واختلافه باختلاف الزمان والمكان هو مزيج من أمرين : من روح الاسلام ومبادئه ونصوصه وتوجيهاته .. ومن أمور لا تتناهى عددا من ظروف البيئة وخصائص الشعوب والامكنة وملابسات الحوادث .. والالتزام بهذا كله (بجملته تلك ، وبحالته تلك) التزام بما لا يلزم ، وتوسيع ـ غير جائز لرقعة الاسلام باضافة ما ليس منه .. وتعبد بما لا قدسية له .. وتثبيت لما لا حاجة لاحد في تثبيته ، ومن هنا اقول مع القائلين اننا نحتاج الى فرز التراث من ناحية وتجاوزه من ناحية أخرى : نفرزه لنعرف ما يعد منه اسلاما ، وما يعد من عامة أحوال الناس وظروف الزمان والمكان ..

ونتجاوزه لان من حق كل جيل ـ بل من واجبه ـ ان تكون له تجربته ، وان يثرى بها النصوص ويثريها بالنصوص غير مقلد وهو قادر على الاجتهاد.

وحتى اذا انتقلنا من عموم لفظ التراث ، الى خصوص « الفقه » الذي يجمع أحكام الاسلام في العبادات والمعاملات فاننا نؤكد من جديد ضرورة التمييز بين الشريعة والفقه ، فالشريعة هي الجزء الثابت من احكام الاسلام ، الثابت في النصوص القطعية في ورودها ودلالتها،والفقه تفسير الرجال لهذا الجزء الثابت المستمد مباشرة من النصوص القطعية ، وقياساتهم عليه ، واجتهادهم فيما لا نص فيه ، وترجيحهم بين ما بدا تعارضه من الادلة ، وهو اجتهاد بشر ، يتفقون ويختلفون ، وقلما يجتمعون ، وخطؤهم وصوابهم ليس تشريعا ولكنه يعكس خط كل واحد منهم من المعرفة بالوقائع ، ومصادر الاحكام ، وقواعد التفسير ، واصول الترجيح كما يعكس ظروف الزمان والمكان .. ويعكس ـ بعد ذلك كله ـ رايه ورؤيته للقيم والمصالح والاعتبارات .. وهو في ذلك كله يرمز الى الجزء المتغير من تراث الاسلام .. وباطل قول من قال ان الاول لم يترك للاخر شيئا .. فقد ترك له عالما كاملا غير عالمه ، ودنيا غير دنياه .. وتجربة جديدة لا تغنى عنها تجربة قديمة . فتلك أمة قد خلت .. ولا « تسالون عما كانوا يفعلون » .

والنصوص في تطبيقها على الوقائع لا بد أن يحدد معناها لغة واصطلاحا وان يعرف سبب نزولها ، وظروف تطبيقها ، اذ هي لا تنفك عن ذلك كله أبدا..ومهما قال الاصوليون من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهذا أيضا لا يؤخذ بغير مناقشة .. فكم من فعل للنبي صلى الله عليه وسلم (وافعاله (ص) نوع من أنواع السنن) جاء مرتبطا باطار موضوعي معين ، معالجا لظروف قائمة ثابتة وعارضة ، ومن هنا لا يستغنى مجتهد عن معرفة ذلك كله والتامل فيه.

والنبي (ص) بشهادة القرآن وحكمه الذي لا يرده كلام فلاسفة ولا متكلمين ، « بشر مثلنا يوحى اليه » . والوحي اليه (ص) هو جميع القرآن ، وبعض ما صدر عنه (ص) من قول او فعل او تقرير .. وليس كل ما صدر عنه من هذه الاحوال الثلاثة وحيا يوحى ، فهذا ايضا باطل بالعقل وباطل بالنقل .. فبشريته (ص) حاضرة

في سيرته حضور نبوته .. وهو باطل بالنقل لقوله (ص) « انما انا بشر مثلكم ، فاذا امرتكم لشيء من رايي فانما انا بشر » وهو هو الحديث الذي تقول فيه رواية مسلم « انتم اعلم بشئون دنياكم » .. ومن الحق والانصاف لعلماء الاسلام ان نذكر كثيرا من الناسين ، انهم فرقوا ـ بعبارات مختلفة ـ بين ماهو تشريع من اقوال الرسول (ص) وافعاله وما هو دون ذلك ، ذاهبين تارة الى التفريق بين ما هو من العادات ، وما هو من العبادات ، وذاهبين تارة اخرى الى بيان ما فعله (ص) اجتهادا منه، تحقيقا لمصلحة جزئية يومئذ، وليس من الامور اللازمة لجميع الامة » . ولقد قسم الامام القرافي المالكي تصرفات النبي (ص) الى اربعة انواع : تصرفات بالرسالة ، واخرى بالفتيا ، وثالثة بالقضاء ، ورابعة بالامامة .

ومن هذا يتضح ان المجتهد لايستغني ابدا عن معرفة مايحيط بالنص من ظروف وما استند اليه من وقائع ، وبغير هذه المعرفة يكون تطبيق النصوص على الوقائع الجديدة امرا محفوفا بالصعوبة البالغة واحتمال مجانبة الصواب .. ولقد جوّد غيرنا ممن ياخذون بالنظام المعروف بنظام السوابق القضائية كثيرا من ادوات هذا الفن ، مبينين انه لفهم حكم (قضائي) من الاحكام لابد من ضبط منطوقه ، وحيثياته ، وذلك بعد ضبط «الوقائع» التي اتصل بها ذلك المنطوق ... فاذا جدت قضية جديدة « اعملوا النظر اولا في وقائعها وملابساتها وربما اكتشفوا في تلك الوقائع مايميزها عن وقائع السابقة الاولى ، فخالفوا بينهما في الحكم ، وتوقفوا عن اعمال السابقة ، واجتهدوا من جديد ... ولانرى باسا ولا الما في محاولة التعرف على ما وصلوا اليه في ذلك وما صاغوه من معايير وضوابط .. الى جانب ماتوصل اليه علماؤنا في هذا الميدان الدقيق .

ولافتة الحكم الاسلامي

رابعا : انه ان كان الاسلام نظاما شموليا بحكم وحدة مصدره ، وترابط قيمه واحكامه ، وبحكم وحدة الكيان الانساني الذي يتعامل معه .. واذا كانت هذه الشمولية تجعل منه دينا ودولة، وعقيدة ونظاما كما يقال بحق .. فان هذا لايعني بالضرورة انه فصل احكام بناء الدولة ودقائق نظام الاقتصاد .. ولن ينقص من هذه الشمولية بحال ان يكتفي بتقرير المبادىء الاساسية التي تتصل اتصالا مباشرا بالقيم العليا التي جاء لنشرها وتثبيتها بين الناس كقيم العدل والحرية والمساواة بين الناس ، وتقديم الخير والاحسان ، وافشاء الود والسلام ، وتعميق الروابط بين الانسان والانسان وتربية العقول وتحريضها على التامل في الكون واستكشاف الجديد من خباياه ..

ولكنه لايشغل نفسه بتفاصيل يمكن ان تهتدي اليها العقول وهي تطلب مصالحها وتجتهد في هذا الطلب ... او بجزئيات تتساوى ـ وان اختلفت ـ في مدى ارتباطها بالمبادىء الاساسية والقيم العليا للاسلام . ومن هنا فان الدفاع الاعمى مثلا عن صورة من صور الحكم السياسي حملت يوما من الايام اسماء اسلامية ورفعت لافتات « الحكم الاسلامي » انما يدخل في باب التعصب ولا يدخل في باب الاعتصام .. ذلك انه لا حكم اسلامي الا ما قام على الشورى ، وما اقام العدل وما ساوى بين الناس ، وما نصر الضعفاء، وقام بحقوق ذوي الحاجات .. حاكما بينهم ـ في ذلك كله بما انزل الله ـ وعماد ما انزل الله «العدل» و « القسط » الذي قام عليه امر السماوات والارض ..

وليعلم هؤلاء كذلك ان التجربة الانسانية لا ترفض لمجرد انها تمت في ارض غير اسلامية او تحت راية غير اسلامية .. وان هذا لايكفي وحده لرميها رمية مسبقة قاطعة بانها تجربة « جاهلية» !! فالحق هو الحق ، والحكمة ضالة المؤمن ، والحضارات قيم ومبادىء من ناحية ونظم وادوات لخدمة هذه القيم والمبادىء من ناحية اخرى .. فاذا جوّد شعب من الشعوب نظاما واستحدث اداة اكبر كفاءة واعظم قدرة على خدمة الاهداف ،ففي وسع المسلمين ان ياخذوا بها، مادامو يسخرونها في النهاية لخدمة الحق والخير والهدى وسائر القيم التي كان بها الاسلام اسلاما . « ونعم المال الصالح للرجل الصالح » ، ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله.

خامسا : والاسلام لايضع اصحابه في صراع مع الحياة ، والمسلم الحق لا يكره الناس والدنيا

، ولايقضى عمره في معركة وهمية مع قواها ونواميسها ، وانى له ذلك وهي صنع الله الذى احسن كل شيء خلقه ثم هدى ، وانى له ذلك وهي - دون الاخرة - دار العمل ، وارض الابتلاء .. ثم كيف يكون هذا موقف المسلم فيها ، وقد اسبغ الله عليه فيها نعمه ظاهرة وباطنة .. وخلق له مافيها جميعا ، ثم دعاه الى تعميرها... واحب منه - بين ذلك - ان يرى اثر نعمته عليه، وعلمه ان دعاء المسلمين الصالحين ان يقولوا « ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة » ثم ان هذه الدنيا قبل ذلك كله هى ارض النبوات ، ومهبط الرسالات ، وطريق الابرار والصالحين والشهداء والصديقين .

ثم لماذا ، والتزاما باى شريعة ، يعيش المسلم عمره فيها متغصا معقدا محزونا معسرا على نفسه وعلى الناس تملؤه الشكوك والريب والمخاوف والظن السيء بالنفس وبالناس وبالحياة كلها..

واين هذا السمت المريض النكير من سمت النبى (ص) الذى وصفته ام المؤمنين عائشة فقالت: « كان (ص) هينا لينا بساما ، وكان ارق الناس » واين هذا الموقف العدوانى الحاقد الذى تضيق به صدور كثير من الشباب من حولنا من موقف النبى (ص) الذى كان من دعائه المأثور : اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ..

ان موقف المسلم من الدنيا قضية هامة فى ايامنا هذه .. وهى الباب الاول لما نراه من انحراف جماعات عديدة من الشباب .. فهم يبدأون بالعزلة وفى العزلة يلقنون كراهة الحياة ،وكراهة الناس ..ويقيمون فى انفسهم حربا باردة مع مخالفيهم، وبعيدا عن نور المعرفة واشراقات السماحة تصدر الاتهامات السهلة بالتكفير على مخالفيهم .. وقد تتحول الحرب الباردة مع هؤلاء المخالفين الى حروب ساخنة .. تنطلق فيها فتنة مدمرة .. ان الموقف النفسى من الحياة هو المدخل لهذه المشكلة كلها وان كان ينطوى كذلك على عنصر فكرى يتمثل فى فساد التاويل للنصوص ، وهو فساد ظهر مثله فى صدر الاسلام ووصفه الامام الجليل ابن القيم بقوله « من سوء فهمهم للقران .. ظنوا انه يوجب تكفير اهل الذنوب .. » ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه اول بدعة ظهرت فى الاسلام ، فكفر اهلها المسلمين واستحلوا دماءهم واموالهم ..»ثم يقول:«وسموا دارهم دار هجرة ، وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب » .

ومن العجيب المؤسف ان جماعات من حولنا تجمع مئات من الشباب على هذه الجهالات المدمرة ، وتستخدمهم وقودا للوثات فى العقول او امراض فى الصدور،والدول الاسلامية تكتفى بان تسلط عليهم اجهزة الامن والنظام تتعقب لمرات انحرافهم ،دون ان تعالج الامر فى منبعه واصله بتصحيح الموقف النفسى للشاب المسلم من الدنيا التى تحيط به .

عن اليسار واليمين

سادسا : والمسلمون لا يملكون أن ينسحبوا من ساحة الصراع الاجتماعى والسياسى الدائر حولهم بين قوى القهر والاستغلال .. وقوى التقدم والعدل .. واذا كان اصحاب المذاهب المعاصرة قد اطلقوا عليه وصف الصراع بين اليمين واليسار فلا اظن المسلم المعاصر مضطرا الى اختيار واحد من هذه المصطلحات المحملة بما لا اخر له من خصائص هذه المذاهب وملابسات ذلك الصراع .. والاولى ان يظل الاسلام ، باسمه وسمته وصبغته «اسلاما» وكفى ..

ولكن لا بد من موقف فى القضية نفسها ..

ومن عجب ان كثيرا من الكتاب المسلمين الذين تحرجوا من استعمال لفظ اليسار وقبول شيء مما يقول به دعاته .. لم يتحرجوا من استعمال لفظ اليمين والانضمام علانية الى اصحابه ..

ان المسالة - فى تقديرنا - تحكمها حقيقتان :

الاولى : ان الاسلام - رغم كل محاولات التوفيق والتلفيق - لا يمكن ان يقبل تفسيرا ماديا ملحدا للحياة وللتاريخ ، كما انه يرفض تفسير الحياة كلها على اساس الصراع ، وان كان المسلم المنصف لا يملك انكار دور الصراع فى دفع حركة الحياة .. كما لا يستطيع المسلم ان ينكر الصراع المنطقى بينه وبين اى نظام شمولى يحاول الحلول محله فى تفسير الحياة وتنظيم علاقات الناس فيها.. ومن هنا كان الصراع التقليدى بين دعاة الاسلام

ودعاة الماركسية ، وهي مذهب واتجاه من مذاهب اليسار ••

الحقيقة الثانية : انه ، في الموضوع ، فـان نصوص الاسلام تتظاهر على محاربة الاستغلال وتوكيد قيمة العدل الاجتماعي ، والاعلاء من قيمة العمل ،والثورة على كل الاوضاع ـ مهما استقرت اذا كانت تنطوي على الظلم والفساد ، واذا كانت تحرم العاملين ثمرات عملهم ، وتنحو بالمجتمع كله نحو زيادة غنى الاغنياء وفقر الفقراء •••

فالاسلام بهذا المعنى في قلب الجهود المتضافرة من اجل التقدم والعدل •• يصدر في موقفه هذا عن معركته الخالدة مع الظلم والطغيان ••ومعركته الخالدة الاخرى في استثمار ـ قوى الكون وتعمير الارض بما ينفع الناس ••

والحقيقتان السابقتان ينبغي أن تظلا متميزتين في عقل المسلم المعاصر وقلبه •• فلا يحمله رفضه للمادة الملحدة •• على أن يقف الى جانب خصومها حتى فيما يعارض روح الاسلام ومبادئه وجوهـر دعوته كلها •• ولكن ذلك واقع ـ للاسف المر ـ في حياتنا المعاصرة ، حتى وقف كثير من المسلمين الى جانب الظالمين على حساب المظلومين ، والى جانب الامر الواقع ـ ولو كان ظلما وعدوانا ـ على حساب الجهاد من اجل التغيير ، والى جانب الجمود والمحافظة والتقليد •• على حساب الحركة التي امر بها الاسلام لنقل الناس ـ ما امكن ـ الى خير مما هم عليه في امورهم كلها ، : يقول ابن القيم رحمه الله : « والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكملتها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، والنبي (ص) دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كـان عليه بحسب الامكان » •

نحو تيار جديد

سابعا : والمواجهة التي بدأناها لا تقف عند حد الفكر وحده ، وانمـا تتناول كـذلك الحركـات والمؤسسات العـاملة في حقل الاسلام أو باسم الاسلام •• فهذه الجماعات والمؤسسات لا يجوز أن تترك هكذا في هـذا الشتات العجيب •• يحارب بعضها بعضا،بل يكاد ينقطع بعضها لمحاربة البعض، يشرد منها ما يشرد •• وينقطع من ينقطع،ويظلم ويقهر من يظلم ويقهر •• في عصر يتقارب فيه اصحاب النظر المتشابه والمصالح المتكاملة ليكونوا «تيارا» قويا قادرا على الصمود في معركة الاعاصير العملاقة والصدام المدمر بين المتنافسين ••

افلا يستحق الاسلام من هذه الجماعات والحركات والمؤسسات وقفة صدق ـ لله وللمسلمين ـ تطرح فيها هذه القضايا وامثالها •• بعيدا عن حمى تبادل الاتهام بالكفر والزيغ والضلال ••

والذين يجاهدون ـ كل على طريقته ـ حتى تكون الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا ، او المصدر الرئيسي الوحيد للتشريع في بلاد المسلمين •• الا يجد هؤلاء حاجة ليجلسوا معا ويفكروا معا ، ويبحثوا معا تظلهم سماحة الاسلام ، وخصوبة حضارته ، ورحابة قاعدته الذهبية : « من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطأ فله أجر واحد » •

افلا تستحق كل هذه القضايا جدالا بالتي هي احسن بالكلمة الطيبة ، والاجتهاد الذي تحوطه الضمائر اليقظة والعقول المتفتحة ، والنفوس الجسـورة القادرة على التجديد بما ينفع الناس ••

الا يعلم الذين يتخلون عن تبعات هذا الحوار ، والذين يشفقون على انفسهم من عواقب المواجهة والصدام مع عناصر التخلف والجمود والانحراف في كل فكر اسلامي معاصر •• الا يعلمون ان جيلا باكمله من شباب الامة العربية والاسلامية يقف على حافة هذه المواجهة ويريد ان يطرق ابوابها•• تحيط به الحيرة ويتملكه الاحساس بالضياع وسط افذاذ من العلماء والحكماء يتكلمون لغة غير لغته، ويناقشون مشاكل غير مشاكله ••

وبعد••فلم يكن ما سطرت هذه المرة مجرد دعوة الى الحوار ، ولكني اردت به أن يكون خطوة اولى على طريق المواجهة مع التخلف والجمود والعزلة•• مواجهة كان يسعني أن اجنب نفسي عواقبها •• ولكن السيل قد بلغ الزبى ،وبلغت كثير من القلوب الحناجر ، وضـاقت ـ علم الـلـه ـ اكثـر الصدور • ■■

الكويت ـ احمد كمال أبو المجد



بعدما تضاعف

سعره ٨ مرات

أزمة البن العالمية إلى أين ؟

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ كان البن موضع اهتمام كبير فى المدة الاخيرة· فقد ارتفعت اسعاره فجاة ، وكان ارتفاعها فاحشا لم يسبق له مثيل · وشعر الكثيرون بحب الاستطلاع، وتساءلوا عن العوامل التى ادت الى ذلك الارتفاع المحموم ، وتساءلوا ايضا عما اذا كان ذلك الارتفاع سيستمر طويلا ·· بحيث يضطرون الى الاقلاع عن شرب القهوة ، هذا المشروب المنعش الذى الفوا شربه صباح مساء ·· لدى النهوض من النوم ، وبعد وجبات الطعام·· والذى بات مشروب الضيافة الاول لدى العرب اجمعين ·

الغلاء الفاحش

بدات اسعار البن فى الارتفاع منذ مطلع السبعينات وفى سنة ١٩٧٢ بالذات ··· شانها فى ذلك شان سائر السلع ··· فقد اجتاحت الاسواق العالمية موجة غلاء وتضخم شملت كافة مواد الغذاء والبناء والخشب والورق والاقمشة الى اخر ما هنالك ،ودفعت اسعارها الى الارتفاع دون استثناء ···

وفجاة وفى منتصف شهر يوليو ١٩٧٥ انطلقت اسعار البن تقفز وترتفع ارتفاعها المحموم ·فقد بلغت فى ١٩٧٥/٧/١٥ وفى بورصة لندن بالذات ٥٠٠ جنيه استرلينى للطن الواحد ·· ولكنها قفزت بين ليلة وضحاها حتى أصبحت ٨٥٥ جنيه للطن فى غضون أيام معدودة ، وفى ١٩٧٥/٧/٢٠ بالتحديد · ومضت أسعار البن بعد ذلك تتصاعد حتى بلغت ٢٩٠٠ جنيه فى أواخر ١٩٧٦ ·· ثم وثبت بعد ذلك الى ٤٠٠٠ جنيه فى نهاية شهر

فبراير الماضي ، ومعنى هذا انها تضاعفت ثمانية اضعاف اى ٨٠٠٪ فى غضون عشرين شهرا • وهذا ارتفاع قياسي لم تبلغ مثله أسعار البن • ولا حتى فى سنة ١٩٥٣ حين بلغ سعر البن ١٠٠٠ جنيه للطن ، بقيمة الجنيه انذاك ، اى ما يقارب (٣٠٠٠) جنيه بقيمة الجنيه الحالية •

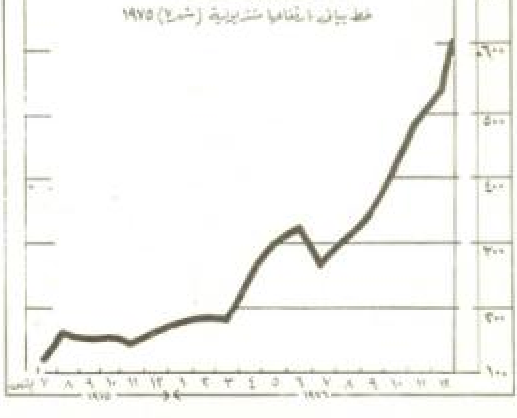
ولو وقفت اسعار البن عند هذا الحد لهان الامر •• ولكن الدلائل تشير الى انها ستستمر فى الارتفاع وانها قد تبلغ ١٠ر٠٠٠ جنيه للطن الواحد فى مستقبل غير بعيد • هذا بالطبع اذا لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الطلب على البن والحد من ارتفاع اسعاره •

الاسباب الظاهرة

واول ما يذكر من اسباب غلاء البن كوارث الطبيعة، وقد تلاحقت وجاءت على نحو من التوقيت يبعث على العجب •

ففى ليلتى ١٧ يوليو و ١٨ يوليوسنة ١٩٧٥ ضرب الصقيع مزارع البن فى البرازيل فقضى على ثلاثة ارباع محاصيلها •• اى ما يعادل ربع محاصيل البن العالمية بمجموعها •• وهكذا هبط انتاج البن البرازيلى من ٢٦و٤ مليون كيس فى سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ الى ٦ر٤ مليون كيس سنة ١٩٧٥ -٧٦ • لا عجب اذن ان قفزت اسعار البن البرازيلى فجأة من ٥٠٠ - ٨٥٥ جنيه الطن ،كما سبق ان ذكرنا •

ثم كان الجفاف والفيضان فى كولمبيا ••الدولة الثانية فى انتاج البن •• وقد حلت هذه الكارثة فى النصف الثانى من سنة ١٩٧٦ فذهبت بنحو



مليونى كيس من محصول البن الكولمبى ••واسهمت فى رفع اسعاره فى الاسواق العالمية •

وتبع ذلك الهزة الارضية التى ضربت جواتيمالا فى امريكا الوسطى فقضت على جانب من محصول البن فيها •• ، والبركان الذى ثار على حدود زائير وروانده فى افريقيا•وقد تسبب هذا البركان بتلف ما لا يقل عن مليون كيس •• وادى الى مزيد من ارتفاع اسعار البن •

وتجدر الاشارة الى الحرب الاهلية فى انجولا والظروف الخاصة فى اوغندا •• وقد جاءتمواسم البن فى القطرين ضعيفة تبعا لتلك الاحداث ، او ان شئت الكوارث البشرية ••

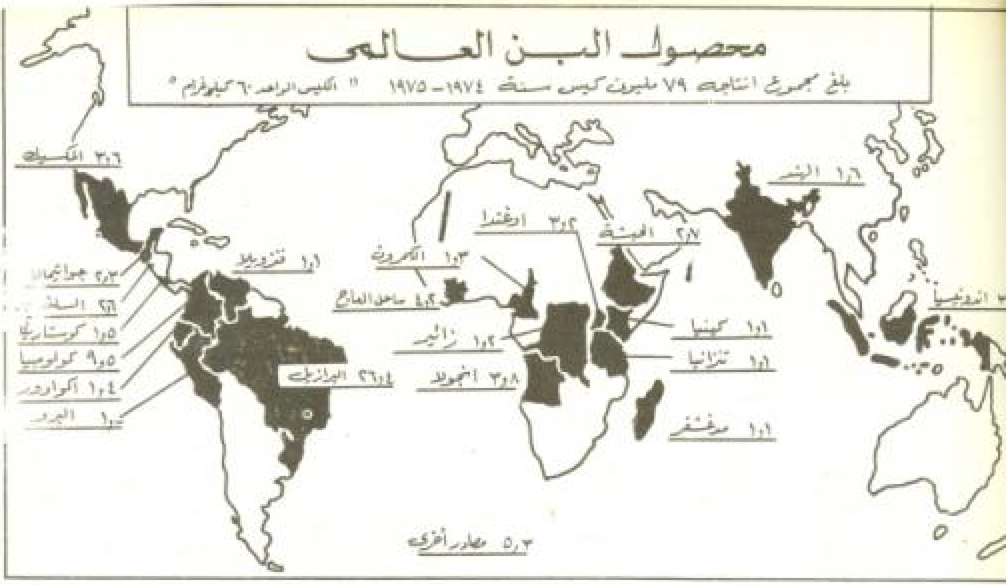
وهكذا نقصت محاصيل البن العالمية من ٧٩مليون كيس سنة ٧٤ - ٧٥ الى ٦٢ مليون كيس سنة ٧٥ - ٧٦ ونقصت بالتالى كميات البن المتداولة فى اسواق التصدير والاستيراد من ٥٥ مليون كيس الى ٧ر٤٤ مليون كيس •

وغنى عن البيان ان هذا النقصان الذى تسببت به الكوارث محدود ولا تكاد تبلغ نسبته ٢٠٪ •• ولا يمكن ان يفسر ارتفاع اسعار البن بنسبة ٨٠٠٪ •• لابد اذن من وجود اسباب اخرى لغلاء البن الفاحش •

اسباب اخرى

البرازيل هى دولة البن الاولى بلا نزاع •• وهى الدولة التى تهيمن على اسواقه الدولية وتتحكم باسعاره العالمية،وذلك لتفوقها لا فى انتاج البن فحسب ولكن فى تخزينه ايضا • ويقدر البعض مخزون البن فى البرازيل بما يعادل محصول سنتين او يزيد • فان قصر المحصول وحد من سيطرتها على الاسواق رجعت الى المخزون واستردت هيمنتها واتخذت ما يناسبها من الاجراءات •

وحسبك الضريبة التى فرضتها البرازيل على تصدير البن •• وقد بلغت فى بادىء الامر ٤٠ دولارا على الكيس الواحد ثم تضاعفت حتى بلغت ١٠٠ دولار على كل كيس •• اى ما يزيد على دولار ونصف الدولار عن كل كيلوغرام!!وفيما كانت تؤكد السلطات البرازيلية المعنية ان لا قصد لها من هذه الضريبة سوى الحفاظ على مخزون البن لصالح المستهلكين والحيلولة دون تسربه الى



التجار الجشعين كانت اسعار البن تزداد ارتفاعا يوما بعد يوم بسبب تلك الضريبة بالذات ٠٠ وحذت حذو البرازيل سائر الدول ٠٠٠ وارتفعت ضريبة تصدير البن في الهند الى ١٣٠٠٠ روبية على الطن ٠ ٠وكانت لا تجاوز ٣٠٠ روبية قبل حين :

اضف الى ذلك ان البرازيل لم تكشف النقاب عن كميات البن المخزونة لديها ٠٠٠ بل انها عمدت الى التكتم ٠٠٠ وراحت تشترى البن على نطاق واسع من مصادره المختلفة ٠٠ ولا يخفى ما يؤدى اليه هذا وذاك من تكهنات ومضاربات كفيلة بتزايد الطلب على البن ومضاعفة اسعاره ٠٠

ومهما يكن من امر فان سنة ١٩٧٦ التى شهدت هبوط محصول البن في البرازيل الى الحضيض ، شهدت في الوقت نفسه ارتفاع دخل البرازيل من البن الى القمة ٠٠ فقد بلغ ٣٥٠٠ مليون دولار ٠٠ اى نحو اربعة اضعاف ما كان عليه سنة ١٩٧٤ ، حين بلغ المحصول ذروته ٠ وسيبلغ هذا الدخل ٤٣٠٠ مليون دولار فى السنة الحالية ٠

على ان لارتفاع اسعار البن اسبابا اخرى لاتنيقى الاسباب النفسية او الوهمية ، ونذكر من هذه الاسباب على سبيل المثال الشائعة التى انتشرت عن تفشى مرض الصدا (Rust) في مزارع البن في كافة دول امريكا اللاتينية ٠٠ فقد ارتفعت اسعار البن ارتفاعا ملحوظا بسبب هذه الشائعة ولم تعد الى سابق عهدها حتى بعد ان ثبت للجميع شطط تلك الشائعة ٠٠٠

كذلك انخفضت اسعار البن انخفاضا كبيرا (٥٠٠ جنيه للطن) عشية عيد رأس السنة الميلادية ، وذلك حين شاع خبر المقاطعة ، مقاطعة شرب القهوة،وقد قررتها آنذاك جمعيات المستهلكين فى الولايات المتحدة ٠٠٠

البن فى الاسواق العالمية

من اطرف ما يذكر عن البن انه حديث العهد فى الاسواق الدولية ٠٠ فقد تاخر دخوله الى هذه الاسواق حتى القرن السابع عشر ٠ ومع ذلك فقد حقق البن من الاهمية والخطورة في القرنين الماضيين ما لم يحققه الشاى وغيره من المشروبات في قرون عديدة ٠ فالبن يأتى فى الطليعة بين سلع التجارة العالمية ٠٠ من حيث القيمة ، قيمة محاصيله ٠٠

ويلاحظ فى احصائية الخريطة ، وهى تمثل سنة الذروة ١٩٧٤ـ٧٥، ان انتاج البن موزع بين ثلاث قارات ـ امريكا (الوسطى والجنوبية) وافريقيا واسيا ٠٠ وان نصيب دول امريكا اللاتينية من مجموع الانتاج العالمي هو اكبر نصيب (نحو ٥٠ مليون كيس) ، وان حصة البرازيل من هذا المجموع هى حصة الاسد ٢٦،٤ مليون كيس ٠ ويلاحظ ايضا ان كولمبيا تحتل المرتبة

الثانية فى انتاج البن فى العالم ، ومع ذلـــك فان محصولها لم يجاوز ٩٫٥ مليون كيس ٠٠ اى اقل من نصف محصول البرازيل ٠

وافريقيا هى القارة الثانية من حيث انتاج البن فى العالم ، وقد بلغ محصولها فى الاحصائية نحو ٢٠ مليون كيس ٠ وساحل العاج هى الدولة الافريقية الاولى انتاجا للبن (٤٫٢ مليون كيس) تليها انجولا (٣٫٨ مليون كيس) ، فاوغندا (٣٫٢ مليون كيس) ٠

اما آسيا فلا يزيد مجموع محاصيلها من البن على ٥٫٤ مليون كيس ٠٠ وهى كمية ضئيلة جداء كما لايخفى ، لاسيما وان آسيا كانت قارة البن الاولى قبل حين ، وتجدر الاشارة الى ان اسواق البن العالمية ليست انتاجا وتصديرا فحسب وانما هى استيراد واستهلاك ايضا ٠ لذلك ادرجنا مع هذا الكلام احصائية البلاد المستوردة للبن ٠٠

وغنى عن البيان ان امريكا الشمالية وبخاصة الولايات المتحدة هى الدولة الاولى من حيث استيراد البن ٠٠ وهى تحتل بين مستوردى البن مثـــل المرتبة التى تحتلها البرازيل بين منتجيه او تزيد ٠٠ وقد بلغت قيمة ما استوردته من البن ٧٥٠٠ مليون دولار خلال سنة ١٩٧٦ ـ ٧٧ ٠٠ لا عجب اذن ان كان فى استطاعة الولايات المتحـدة الامريكية ان تلعب دورا فعالا فى ازمة البـــن العالمية ٠٠

زراعـة البـن
سبب آخر من اسباب غلائه

يرجع الكثيرون ان اسعار البن المرتفعة ستواصل ارتفاعها حتى سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ٠ ذلك ان صقيع البرازيل سنة ١٩٧٥ لم يضرب ثمر البن فحسب بل اتلف اكثر من نصف شجره ايضا ٠٠ مما اضطر اهل البرازيل الى استبدال اشجار البن التالفة باخرى جديدة ٠٠ ولكن شجر البن لا يكتمل نموه بسرعة ، فهو يحتاج الى ثـلاث سنوات على الاقل ليصبح شجرا مثمرا ٠٠ ويحتاج الى سنتين اضافيتين ليعطى محصـولا ذا قيمـة تجارية ٠ لذلك كانت محاصيل البن المتوقعة فى البرازيل ، مقدرة كالتالى :

١٩٧٦ ـ ٧٧	٦ ملايين كيس
١٩٧٧ ـ ٧٨	١٥ مليون كيس
١٩٧٨ ـ ٧٩	٢٠ مليون كيس
١٩٧٩ ـ ٨٠	٢٤ مليون كيس

ولذلك ايضا ستستمر اسعار البن فـــى الارتفاع حتى سنة ١٩٧٩ ، نظرا لقلة العرض وزيادة الطلب ٠ هذا اذا لم تتعرض اشجاره فى البرازيل او غيرها الى كوارث اخرى جديدة ، وعندئذ يتضاعف ارتفاع اسعاره ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان اشجار البن او شجيراته ذات اوراق خضراء عميقة الخضرة ، وزهـــور بيضاء رائحتها زكية كالياسمين ، وثمار خضراء فى البداية ، تصبح حمراء لدى نضجها فـــى غضون ٧ ـ ٩ شهور ٠

وثمار البن هذه هى التى تهمنا ٠٠ فحب البن الذى نصنع منه القهوة يوجد فى داخلها ،والثمرة الواحدة تحتوى فى الغالب على حبتين ولكنها تحتوى احيانا على حبة واحدة ٠٠ وهذه حالات نادرة ترتفع فيها قيمة البن وتتضاعف اسعاره ٠

وتقطف ثمار البن باليد ٠٠ وكانت تترك فى الماضى حتى تسقط على الارض تلقائيا او بهـز الشجر برفق ٠ وتخمر الثمار بعد قطفها امـــا بالطريقة المبتلة او الطريقة الجافة ٠٠

والبن اصناف ، نذكر منها البن الطرى (Mild) والبن القاسى (Hard) والبن الطرى هو المفضل فى الاسواق العالمية ٠

على ان للبن اصنافا رئيسية ثلاثة هى الارابيكا والروبستا وبن ليبريا ٠٠

هكذا يقطفون ثمار البن ، لاحظ طول شجرة البن بالمقارنة مع طول قامة الانسان ٠



واصناف الارابيكا هي الاجود .. وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى بلاد العرب ... بلادها التي انتقلت زراعتها منها الى سائر بلاد العالم. فقد كانت هذه الاصناف وقفا خالصا على اليمن.. زراعة وتجارة . منذ البداية وحتى القرن السابع عشر .

ولم تنتقل شجرة بن الارابيكا الى جزيرة سيلان الا سنة ١٦٥٨ ثم الى جزيرة جاوه وغيرها من اندونيسيا سنة ١٦٩٦ . ومضى عشر سنوات او يزيد قبل ان تنتقل شجرة البن الى دول امريكا اللاتينية .. والى البرازيل بالذات وقد انتقلت اليها سنة ١٧٢٧ .

لا عجب اذن ان كانت اصناف الارابيكا تزرع في القارات الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا .. الا انها اكثر انتشارا في الاخيرة .

والارابيكا اصناف عديدة متفاوتة الجودة .. اشتهر منها ما تنتجه جامايكا في منطقتها المعروفة بالجبل الازرق وما تنتجه البرازيل في منطقة بارانا . الا ان الاصناف اليمنية كمخا والجمه .. مازالت في القمة .. اذا وجدت.. واشجار الارابيكا صغيرة نسبيا (١٥ قدما بالمتوسط) ويحرص الزراع على تهذيبها وتشذيبها لابقائها صغيرة ليسهل عليهم قطف ثمارها .

اما الروبستا .وهي دون الارابيكا جودة فتستعمل في صنع القهوة الفورية . وشجرة الروبستا اكبر حجما من شجرة الارابيكا وقد يبلغ طولها ٤٠ قدما . وهي شجرة افريقية صميمة وموطنها الاصلي الكونجو .

ويأتي بن ليبريا في المرتبة الدنيا من حيث الجودة .

على ان هذه الاصناف الثلاثة تتفق في شيء واحد على الاقل .. ذلك هو بطء نموها وحاجتها الى ٣-٥ سنوات لكي تعطي محصولا تجاريا مجديا . فهي اذن تشترك في العمل على اطالة امد ازمة البن العالمية وارتفاع اسعاره ..



اثر القهوة في الاجسام

القهوة مشروب عجيب حقا .. فهي لا تسمن ولا تغني من جوع ، واثرها اللطيف المنبه ليس خيرا من اثر غيرها من المشروبات .. ومع ذلك فقد بلغ عدد الذين يتناولونها بمقادير تفوق ما يشربونه من غيرها من المشروبات ، نحو ١٥٠٠ مليون نسمة .. اي ثلث سكان العالم .. هذا بالرغم من ان البن لم يدخل الاسواق العالمية الا في القرن السابع عشر .. فما سر القهوة اذن وما هي حقيقة اثرها ؟

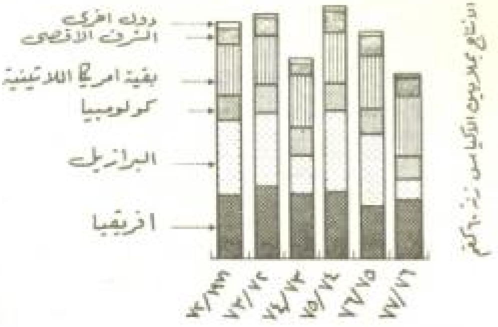
القهوة مشروب منبه ومدر .. ويعزى اثرها للكافئين .. المركب الفعال بين محتوياتها .. على ان الكافئين هذا ليس وقفا على القهوة ، كما قد يوحي بذلك اسمه ... فهو يوجد في الشاي والكاكاو والمتة والكوكاكولا بمقادير متفاوتة .

وتختلف نسبة الكافئين في القهوة تبعا لانواعها المختلفة .. فهي تتراوح بين ٨ر - ٥ر١٪ في اصناف الارابيكا وتبلغ ما بين ٦ر١ - ٥ر٢٪ في اصناف الروبستا .

والكافئين مادة من اشباه القلويات Alkaloids .. تحدث هي وسائر القلويات الاخرى الموجودة في القهوة ، اثارا فسيولوجية في جسم الانسان .. في جهازه العصبي ودورته الدموية .. ومن شانها ان تنشط الدماغ وتضيق الاوعية الدموية السطحية التي في الجلد فتزيد الضغط الدموي الشرياني ..

محاصيل البن العالمية

صعودها وهبوطها فى شتى مناطق انتاجه



ويوصف الكافئين ـ او القهوة ـ للذين يعانون من بعض الامراض ٠٠ الا ان الاسراف فى شرب القهوة غالبا ما يزيد حموضة المعدة ويحدث توترا فى الاعصاب واثارة فى القلب ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان فى القهوة محتويات اخرى غير الكافئين ٠ ففيها الزيت الطيار وهو الذى يكسبها نكهتها الخاصة ٠٠ وفيها الزيت غير الطيار وهو الذى يسبب الزنخ الذى يصيب البن المحمص المطحون ، اذا طال الزمن عليه ٠ وتحتوى القهوة فضلا عنذلك الجلوكوز والدكسترين والبروتين ٠

على أن للقهوة اثرا فى النفوس غير اثرها فى الاجسام ٠٠ لا سيما فينا نحن العرب ٠

فالقهوة مشروب عربى صميم وقد انتشرت فى العالم العربى منذ اكثر من اربعة قرون ٠ وما اسرع ما اصبحت القهوة مشروب العرب الشعبى، فضلا عن مشروب الضيافة فظهرت دور القهوة (المقاهى) ، فى مكة المكرمة والقاهرة واستانبول وسائر المدن ٠٠

ثمرة البن من الداخل



وتجدر الاشارة الى أن المتصوفين اقبلوا فى القرن العاشر الهجرى على شرب القهوة نظرا لما لمسوه من اثرها فى التنبيه والتنشيط وطرد النعاس ٠

وتجدر الاشارة ايضا الى ان القهوة تسببت بفتنة وقد افتى بتحريمها الفقهاء عدة مرات وذلك بسبب ما وجدوه من شبه بينها وبين الخمرة ، وبسبب ما شاع فى دور القهوة من فساد ٠٠

لم لا تقاطع القهوة ٠٠ !

لعل الدور الذى تستطيع أن تلعبه الولايات المتحدة الامريكية فى ازمة البن العالمية لا يقل شانا عن دور البرازيل ٠٠ فبينما تستطيع هذه أن تتخذ من الاجراءات ما يكفل المزيد من ارتفاع اسعار البن ، وذلك لانها دولة البن الاولى انتاجا وتخزينا ٠٠ فان فى مقدور الولايات المتحدة ان تسلك سبيلا يضمن الحد من غلاء البن ، ما دامت هى دولة البن الاولى استيرادا واستهلاكا ٠٠

ولقد اولت حكومة واشنطن ازمة البن الحالية اهتمامها منذ البداية ٠ اذ شكل الكونجرس الامريكى لجنتين اثنتين لدراسة غلاء البن وتحديد اسبابه الحقيقية ، الاولى فى اواخر سنة ١٩٧٥، والثانية فى اواسط سنة ١٩٧٦ ٠

والظاهر ان الكونجرس لم يجد فى تقريرى اللجنتين ما يبرر اتخاذه اى اجراء فى هذا الصدد٠

(ولا ندرى ان كانت اللجنة التى شكلها مجلس العموم البريطانى للغاية نفسها والتى سترفع تقريرها فى شهر حزيران يونيو المقبل ، ستنجح حيث فشلت اللجنتان الامريكيتان) ٠

ومهما يكن من امر فان الامل فى تخفيض اسعار البن لا يعلقونه على التقارير والدراسات وانما

على ما عمدوا الى تنفيذه ، فى مستهل هذه السنة من مقاطعة للقهوة واضراب عن شربها ٠

واول ما يذكر عن هذه المقاطعة انها عمل فردى (اختيارى) وليست اجراء حكوميا كما قد يظن البعض ٠ فقد حثت جمعية شئون المستهلكين فى



كان البن وقفا على اليمن ، تجارة وربما زراعةايضا ، قبل القرن السابع عشر ٠٠ وكان على تجار اوروبا ـ اذا هم ارادوا استيراد البن ـان يسافروا الى اليمن ويتوجهوا الى احدى موانئه التى كانت تتعاطى تجارته ، وبخاصة مخا ٠٠واللوحة القيمة التى تراها فوق هذا الكلام انما تمثل بعض التجار الفرنسيين وهم يعقدون صفقات البن فى احدى موانىء اليمن ٠٠٠ هذا فى الأمس الذى مضى وانقضى٠٠اما اليوم فلاتجارة ولا تصدير وقد استبدلوا البن بالقات ٠٠ فحلت النقمة محل النعمة !!

نيويورك على الاقلاع عن شرب القهوة او بالاقل على عدم الاسراف فيه ٠

وبادرت المسز جوجنهايمر مفوضة تلك الجمعية الى اعطاء القدوة ٠٠ اذ كانت تشرب ١٤ فنجانا من القهوة يوميا واصبحت تكتفى بفنجان واحد فقط ٠٠ وحذا حذوها الكثيرون من اعضاء الجمعية ٠

ومن طريف ما يذكر هنا ان الكثير من الشركات التجارية التى تستورد البن او التى تبيعه فى الاسواق الامريكية على نطاق واسع راحت تؤازر جمعية المستهلكين فى مساعيها لمقاطعة القهوة ٠ وقل مثل ذلك فى مطاعم نيويورك وغيرها ، وقد عمد الكثير منها الى حسم ١٠٪ أو يزيد ، من قائمة حساب العميل الذى يمتنع عن شرب فنجان القهوة بعد الوجبة ، جريا على العادة ٠

وتشير التقديرات الى ان هذه المقاطعة قد حدت من استهلاك البن فى الولايات المتحدة بنسبة ٢٠٪ ٠ الا ان الاحصاءات التى تبين تاثير ذلك على استيراد البن لم تظهر بعد ٠

ولا نعرف متى تظهر ، فى منتصف السنة او فى اخرها ٠٠ واغلب الظن ان هذه الاحصاءات المرتقبة ستؤدى الى انخفاض فى اسعار البن ٠٠ وان كان من الصعب تقدير نسبة هذا الانخفاض او تحديد امده ٠٠٠ فان من المؤكد الا يكون كبيرا جذريا بحيث تعود اسعار البن الى سابق عهدها٠٠ فهذه العودة لا سبيل اليها الا بزيادة العرض وتكاثر كميات البن المعروضة فى الاسواق ٠

■■

التخلف وليس العروبة

مشغولون نحن جدا بقضية تغيير اللافتات والازياء . احيانا ندعو الى التغيير ونلح عليه ، حتى نذهب الى حد ادانة الواقع وتعبئة جماهيرنا ضده . ثم تمتد يد التغيير فلا تتجاوز اللافتة والزى . لا تتجاوز الواجهة .

المضمون لا يهم . الوظيفة الحقيقية لا تهم . الشكل هو الاهم ، اذا توفرت فيه مظاهر «الابهة» والعظمة ، وصار براقا وجذابا ولافتا للانظار ،فقد تحقق الغرض ، وتم المراد من رب العباد !

تعالوا نتلفت حولنا ، ونرصد محاولات التغيير التى جرت وما زالت تجرى فى وطننا الكبير ، لنستكشف كيف والى اين تمضى هذه المحاولات .وتعالوا نتذكر حال مؤسساتنا المختلفة سياسية كانت ام دستورية ، أم اقتصادية واجتماعية ، كم حملت من أسماء ، وكم رفعت فوقها من لافتات ، وكم غيرنا من هياكلها وابنيتها ، ثم ماذا تغير فى جوهرها .. ماذا سنجد ؟

اذا تكلمنا عن القاعدة لا الاستثناء ، فسوف نتبين اننا نبدو أحيانا كما لو كنا « مثاليين » جدا ، عن غير قصد منا . ننشد التغيير لذاته ،التغيير للتغيير ، وليس للتطوير والتقدم.لا سمح الله !

سوف نتبين اننا نحاول دائما ان نفرغ المضمون فى الشكل . لا نكتفى بالاسماء ، ولكن يجب ان يكون الاسم مقرونا بصفات متعددة ، حتى ينطق بكل شىء ، ثقة فى ان الواقع لن يعبر تماما عما ننشده ، أو لن ينطق بشىء على الاطلاق ، نتحدث مثلا عن ثورة فى الادارة . فنسميها الادارة العلمية ، ثم « نغير » مرة فتصبح الادارة العلمية الديمقراطية . « ونغير » مرة ثالثة فتصبح الادارة العلمية الديمقراطية الاشتراكية ، وفى موجة « تغيير » جديدة نعلن ان الثورة الحقيقية قد حان موعدها ، وان الادارة سوف تسلم الى الجماهير ، وانها من الان فصاعدا ستحمل اسم الادارة العلمية الديمقراطية الاشتراكية الشعبية . وبعد هذا كله تظل مشكلة الادارة كما هى .. وهكذا !

سوف نتبين اننا نحاول ان نبدأ من الصفر ، بحجة اننا معلمون للبشرية وصناع للتاريخ واننا سبقنا الاولين والاخرين ، ثم بعد ذلك نهدم ابنية موجودة بالفعل ، ولا نقيم شيئا يذكر ، لاننا نلغى تجارب غيرنا .

سوف نكتشف اننا ـ فى أحيان أخرى ـ نسارع الى التغيير فى الشكل ، لمجرد ان نمتص طموح وحماس الراغبين فى تغيير المضمون .

ثم نتبين فى النهاية اننا نتعاطى مشروبا واحدا فى أوان متعددة ، كما يقول المثل الانجليزى ، واننا نعدو كثيرا ولا نتقدم خطوة واحدة للامام !

***

البعض يقول ان هذه سمة عربية أصيلة ، وان العرب منذ قديم الزمان يعنيهم المظهر لا المخبر . يقولون : انظروا كيف كان العرب يتسابقون فى الفصاحة والبلاغة ، وكيف كانوا يتفاخرون بالاصول والانساب . أليست هذه كلها مظاهر وأشكال ؟

والشعر العربى القديم منذ عرفناه أليس فى حقيقته سباقا فى هندسة الالفاظ وتزويقها ،

للمناقشة

للمناقشة
للمناقشة

وضبطها على ايقاع وسجع معلوم · الم يكن سوق عكاظ هو أول ساحة لاستعراض العضلات اللغوية عند العرب ·

ولماذا نذهب بعيدا ، فالفن العربى او الاسلامى دون غيره من الفنون الفرعونية والهندية واليونانية، الا يقوم أصلا على اشكال هندسية مجردة ،خطوط ومربعات وزوايا ودوائر · ماذا تقول هذه الخطوط والاشكال ؟ ـ يسالون ثم يجيبون ـ هى تكوينات صماء ، قد تكون جميلة وفريدة فى ذاتها، لكنها لا تعبر عن شيء على الاطلاق · هى اشكال بغير مضمون ·

ملحوظة :

ينسى هؤلاء ان الكلام كان بضاعه رائجة فى العالم القديم ، حتى عند الرومان واليونان · وينسون ايضا ان السبب الاساسى فى لجوء الفنان العربى أو المسلم الى التعبير عن نفسه بالخطوط والاشكال الهندسية هو شبهة التحريم ألتى الصقت بفن التصوير بالذات، استنادا الى حديث نبوى بهذا المعنى قصد به قطع الطريق على مظاهر الشرك والوثنية فى الايام الاولى للاسلام ·

***

هل هى سمة عربية فعلا ؟

الواقع يجيب بالنفى · وتعالوا مرة أخرى نمد أبصارنا الى ما يجرى فى بعض دول اسيا وافريقيا ، وعندئذ سنجد نفس المشكلة ·

فقد قرأنا جميعا منذ أسابيع انباء مولد « امبراطورية » جديدة فى أفريقيا ، هى فى الحقيقة دولة متواضعة ما زالت تقف فى صف الدول النامية · ثم توالت الانباء تروى لنا تفاصيل عديدة عن الاستعدادات التى تجرى لتنصيب امبراطورها الاول ، من تاج يعد فى اوروبا الى أزياء وطقوس وتقاليد توضع لتنسجم مع البناء الامبراطورى ، الذى وصف بانه « عصر جديد » ·

وربما تعى ذاكرتنا تجربة دولة افريقية أخرى ·صدرت فيها التعليمات بارتداء أزياء معينة ، على اعتبار ان هذه خطوة لازمة « للتغيير » الاجتماعى·

ايضا نعلم جميعا ان « الاسد الذى لا يقهر »و « القائد المعلم » و «بطل الابطال الفذ الفريد» و « الزعيم الذى لا يؤتمن غيره » ، هذه الاوصاف التى تقترن باسماء الزعماء شائعة فى القارتين · وهو ما يعيد الى أذهاننا ألقاب ريتشارد قلب الاسد والصدر الاعظم والباب العالى والدائرة السنية !

وقد رأيت فى بعض دول جنوب شرق اسيا مظاهر أخرى مما نظن أنه من أمراض مجتمعاتنا العربية وحدها · زرت مقرا لمنظمة « عالمية »للتضامن الاسلامى ، واكتشفت انها جمعية متواضعة ترعى أيتام المسلمين ! واثار انتباهى اسم « اكاديمية العلوم والفنون الحديثة » ، وعندما سالت مرافقى عنها قال مبتسما : ان لدينا منها الكثير · فهى مشروع تجارى أقامه أحد المدرسين ويمنح شهادات بلا قيمة لكل من هب ودب من الدارسين ، وتابعت مشروعا « للبناء والرخاء » صحبته حملة اعلامية ضخمة اشترك فيها رئيس وزراء احدى الدول الاسيوية ، ثم تبين فيما بعد انه مشروع وهمى ورطه فيه بعض الوزراء والسماسرة ، وباعوه للناس وقبضوا هم الثمن · وقابلت « سلاطين » فى بعض المقاطعات الاسلامية ، أقرب الى العمد ومشايخ القرى فى

بلادنا • وغاية ما يمارسونه من صلاحيات« السلطنة » هو توقيع عقود الزواج والطلاق ، والاشراف على طهور الاطفال !!

ولن نسوق امثلة من الواقع السياسى ، حيث المحاذير كثيرة ، خصوصا وان النماذج المتوفرة لدينا من المجالات الاخرى فيها الكفاية •

هى ليست اذن سمة عربية على الاطلاق ، ونحن نظلم انفسنا كثيرا اذا استخدمنا هذا السلاح الخطر ، الذى يرد كل نقائص مجتمعنا الى كونناعربا او مسلمين ، لان ذلك يقودنا الى نتيجة اخطر هى ضرورة التخلى عن العروبة والاسلام ،كعلاج وحيد لامراضنا التى نشكو منها •

وهذا ما فعله كمال اتاتورك فى تركيا ، عندماتصور ان طريق بلاده الى التقدم ينبغى الا يمر بمحطتى العروبة والاسلام ، فقرر ان يقطع كل علاقة لبلاده بهما ، وان يحول الاتراك الى اوروبيين « وخواجات » !

واصدر اتاتورك قراراته الشهيرة بتحريم استخدام اللغة العربية، وكتابة التركية بالحروف اللاتينية ، ومنع ارتداء « الطربوش » ، وحث الناس على ارتداء القبعة وبقية الملابس الاوروبية، ومنع الاذان من فوق المساجد ثم الغى كلمة« الله » من قسم النواب ، حتى صار العضو يقسم « بشرفه » فقط !

ثم ماذا كانت النتيجة ؟

لقد مضى نصف قرن ولم يتحقق حلم اتاتورك !

ان التخلف ليس له جنسية أو دين • وهى كذبة كبرى ان نتصور للتخلف بطاقة دون فيها امام الاسم « عربى » وامام الديانة « مسلم » •

واسنا بحاجة الى ان نعيد الى الاذهان صورا مما قدمه العرب والمسلمون لتراث الانسانية وحضارتها •يكفى ان نذكر ان هارون الرشيد عندما اهدى الساعة التى صنعها العرب الى شارلمان امبراطور الفرنجة ، كان أديبا وشاعرا بينما كان الامبراطور يرسم اسمه بصعوبة • وان جامعة كامبردج البريطانية كانت تشترط حتى القرن التاسع عشر ، أن يكون دارس العلوم والطب والهندسة ملما باللغة العربية •

ولنتأمل لحظة ما كتبه بترارك وهو من آباء الادب الايطالى فى القرن الرابع عشر للميلاد ، ومن المبشرين بالنهضة الاوروبية •• لقد كتب الرجل يقول لقومه : انتم تتوهمون انه لن ينبغ احد بعد العرب (!) لقد نافسنا اليونان وتفوقنا عليهم ، ونافسنا كل الشعوب والامم ، ومع ذلك تقولون لن ننافس العرب • هل اصيبت عبقرية الطليان بالعقم ؟

وهى سخرية من القدر بغير شك ، ان يشعر العربى منذ ١٤ قرنا بالتفوق على غيره ، ويحثه الاسلام على « التواضع » وقبول المساواة مع« العجم » ، على اعتبار انه « لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » • ثم تدور دورة الزمن ويتحول شعور التفوق عند العرب انفسهم الى عقدة « التدنى » ، ونسمع من يقول ان نقائصنا وامراضنا سببها العروبة والاسلام !

★★★

التخلف هو القضية وهو الهدف الذى ينبغى ان نصوب اليه كل سهام التغيير ومحاولاته هو المرض الحقيقى وكل ما نشكو منه هى أعراض له •

من ينتشلنا من هذا التخلف ؟

فى احدى قصائده قال شاعر الباكستان محمد اقبال ، سألنى ربى : هل يعجبك حال هذا العالم؟ قلت لا ، قال : غيره اذن •

كيف ؟ •• تلك مناقشة اخرى •

■■

فهمى هويدى



عصرنا من فلسفته

بقلم الدكتور زكي نجيب محمود

أهم المذاهب الفلسفية التي يتقاسمهاعصرنا ، اربعة : الوجودية ، والمادية الجدلية والبراجماتية ، والتحليل ،وان توزيع هذه المذاهب الاربعة ليوشك أن يكون توزيعا جغرافيا ، بمعنى أن كل مذهب منها يتركز فى اقليم جغرافى بذاته ، ثم يشع منه الى ما عداه ،فالوجودية في غربي اوروبا ، والمادية الجدلية في شرقيها ، والبراجماتية في الولايات المتحدة الامريكية ، والتحليل فى بريطانيا .

على أن العالم ليس كله اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، فهناك قارات اخرى باكملها ، لكنها من الناحية الفكرية الفلسفية احدى اثنتين: فاما جاءتها الغزوة من اوروبا وامريكا وهى فيما يشبه الخلاء من ناحية الفكر الفلسفي ،واما جاءتها تلك الغزوة لتجد بين ظهرانيها تراثا خصبا عريقا، ففى الحالة الاولى انفرد الفكر الغازى فلم يحدث فى نفوس الناس وعقولهم ازمة ولا ما يشبه الازمة، واما فى الحالة الثانية فقد انقسم المثقفون قسمين احدهما جلس ليجتر ماضيه ، وآخر جاهد ليجد لنفسه مخرجا ، تارة بدمج الشعبتين فى حياة واحدة ما استطاع الى ذلك من سبيل ، وتارة اخرى باغلاق صفحات الماضى ليتفرغ للوافد الجديد .

وغنى عن البيان اننا نحن الامة العربية من

الطراز الثاني ، اعني الطراز الذي جاءته الفلسفة الغربية المعاصرة وهو على امتلاء ثقافي بما ورثه عن اسلافه ، لكنه انشق على نفسه شطرين ،فبينما تجد فريقا منه لايكاد يعي من فكر عصره خردلة ، مكتفيا بموروثه الفني ، تجد فريقا آخر قد اتاحت له الفرصة أن يلم بفكر العصر قليلا او كثيرا ، فتاخذه الحيرة كيف يوفق في راسه بين طارف وتليد .

واذا نحن أخذنا الدراسة في جامعاتنا العربية نموذجا يوضح موقفنا من فلسفة العصر رفضا او قبولا ، وجدنا اقسام الدراسة الفلسفية في تلك الجامعات تضع الشرائح الزمنية التاريخية جنبا الى جنب ، تضعها متجاورة وهي في حياد كان الامر لا يعنيها ، ففي هذه الفرقة الدراسية تدرس الفلسفةالاسلامية،وفي،تلك‌الفرقة الدراسية تدرس الفلسفة الحديثة او المعاصرة ،ماخوذةمن مصادرها الغربية ، فيخرج دارس الفلسفة من الجامعة وهو ما يزال في الحيرة نفسها : هل يحاول التوفيق او لا يحاوله ؟ واذا حاوله فكيف يكون ذلك ؟ ولقد شهدت في حياتي اعواما اشتد فيها الصراع بين اساتذة الفلسفة الذين انيط بهم تدريس الفلسفة الغربية ، فكان كل منهم يتعصب لتيار غربي دون تيار ، وكان هذا التيار او ذاك هو من نتاجنا نحن، وانعكاسا لحياتنا نحن ، ثم كان هذه التيارات الغربية الاربعة يناقض بعضها بعضا تناقضا يجعل المتقبل لاحدها رافضا بالضرورة للثلاثة الاخرى ، وكان أجدر بنا أن نتبين الامر على حقيقته ، وهي ان العصر الذي أنبت تلك التيارات الفلسفية المختلفة انما هو عصر واحد ، ذو حضارة واحدة، وانها لتكون مفارقة عجيبة ، لو أن هـذا العصر الواحد يتمزق في مذاهب متعارضة في اسسها وجذورها .

ولقد كنت لسنوات طوال مخطئا بين مخطئين ، لانني كنت بدوري اتعصب لتيار فلسفي معين ، على ظن مني بان الاخذ به يقتضي رفض التيارات الاخرى ، لكنني اليوم ـ مع ايماني السابق باولوية فلسفة التحليل على ما عداها من فلسفات عصرنا ـ اومن كذلك بان الامر بين هذه الاتجاهات الفلسفية انما هو امر تكامل في نهاية الشوط ، وليس هو امر تعارض او تناقض ، فكل مذهب من المذاهب الاربعة الرئيسية التي تسود العصر ، يسال سؤالا غير الاسئلة التي تطرحها على نفسها بقية المذاهب ، والتناقض لا يكون الا اذا كان السؤال المطروح واحدا عند الجميع ، لكن الاجابة عند هذا تجيء نافية للاجابة عند ذاك ، فالمذاهب الفلسفية الاربعة التي اشرنا اليها ، ان هي على وجه الجملة الا اجابات اربع ، لا على سؤال واحد بعينه ، بل هي اجابات مختلفة عن اسئلةمختلفة، عنى كل مذهب منها بسؤال ، واولاه اهتمامه ،دون الاسئلة الثلاثة الاخرى ، بحيث لايكون معنىذلك انه بالضرورة رافض لمشروعية الاسئلة الاخرى ، او رافض للاجابة التي اجيب بها عنتلك الاسئلة.

وعلى سبيل التشبيه : افرض ان اربعة اشخاص اختلفت ميولهم واستعداداتهم ، نظروا الى سجادة يفحصونها ، فاهتم احدهم بالرسوم التي ظهرت على سطحها ، من حيوان ونبات وزخارف وغير ذلك ، بينما اهتم الثاني باللون متسائلا ان كان مصدر الصبغة كائنات عضوية ام كان مصدرها تركيبات كيماوية ، واما الثالث فقد وجه عنايته الى نوع الصوف وطريقة نسجه ، وطفق الرابع يبحث عن موطن الصناعة ماذا كان : اكان اصفهان ام كان شيراز؟ فهل يحق لنا ان نقولعن هؤلاء الاشخاص الاربعة انهم « متعارضون » متناقضون متقاتلون الى آخر هذه الحالات العراكية التي تصورناها نحن دارسي الفلسفة في الجامعات العربية بين مختلف الاهتمامات التي ظهرت في التيارات الفلسفية المختلفة في اوروبا وامريكا؟

ولنبدأ بما شئنا من هذه التيارات الاربعة ، التي هي:الوجودية،والمادية الجدلية ،والبراجماتية ، والتحليل ، التي قلنا انها هي الاتجاهات الفلسفية الاساسية في عصرنا الراهن ، اقول : لنبدأ بايها شئنا ، لنرى ماهو لب رسالته ؟ثمننتقل منه الى مواقف اصحاب الاتجاهات الاخرىمتسائلين: هل هم بحكم اتجاهاتهم تلك رافضون لتلك الرسالة في لبها وصميمها ، او ان الاصح هو ان يقال عن هؤلاء جميعا انهم اختلفوا فياهتماماتهم وفيمحاور ارتكازهم ، مع استعداد كل منهم لقبول ما انتهت اليه افكار الاخرين فيما جعلوا اهتمامهم له ؟

وليكن المذهب الوجودي هـو نقطة ابتدائنا : اليست رسالته في جوهرها هي حرية الانسان ؟

ان الانسان ـ بناء على هذا المذهب ـ هو الذي يصنع نفسه ويشكلها عن طريق القرارات التي

يتخذها لنفسه بنفسه ، فليس هو بذي حقيقة مقطوع بها مقدما ، ليسير على طريق مرسوم له ولا صلة له فيه ، اذ لو كان كذلك لما كان له اختيار فيما يفعل وما يكف عن فعله ، لكن سبل الاختيار مفتوحة امام الانسان في كل لحظة من حياته ، بل ان هذا الاختيار واجب مفروض على الانسان اذا اراد لانسانيته ان تتحقق ، اما اذا ترك سواه ليختار له ، ولا يكون له الا ان يطيع ، فانه عندئذ يكون بمثابة من اهدرت آدميته ، لانه يكون قد حول نفسه من الحالة الانسانية التي تريد وتختار ، الى حالة الاشياء الجوامد ، او الى حالة النبات والحيوان .

تلك هي رسالة الوجودية ، ليس فيها ما يرفضه مذهب من المذاهب الثلاثة الاخرى ، وكل ما في الامر ، هو ان تلك المذاهب الثلاثة لم تجعل حرية الانسان ـ بذلك المعنى المحدد لها ـ موضوع سؤالها ، ولقد تجد من الفلسفات ما يرفض الوجودية من حيث الاساس ، كالمذاهب المثالية التي تجعل ماهية الانسان سابقة على وجوده الفعلي ، لكنها فلسفات نبتت في عصور اخرى غير عصرنا ، واقول ذلك عنها دون ان اريد لهذا القول ان يتضمن انها اقل اهمية او اكثر اهمية من الاتجاهات الفلسفية التي انبتها هذا العصر الذي نعيش فيه .

وامام رسالة المذهب الوجودي في حرية الاختيار وحرية القرار بالنسبة الى الانسان ، قد يسال سائل : اليس هنالك من القيود ما يقيد تلك الحرية عند الانسان ؟ الا تتقيد ـ مثلا ـ بما يقتضيه منطق العقل حتى لا تصبح كحرية المجنون ؟ لنفرض ان مسافرا قرر السفر من مصر الى اوروبا ليقضي بعض شانه ، الا تتقيد حرية ارادته تلك بوسائل الانتقال المتاحة وبالقدرة المالية والصحية وغير ذلك مما يملكه او لايملكه ؟ او افرض فرضا اخر وهو ان انسانا اراد ان يقسم مائة دينار على اربعة اشخاص بالتساوي ، تلك هي ارادته الحرة ، لكن هل تكون له كذلك حرية ناتج القسمة ، وهو ان يكون نصيب كل فرد من هؤلاء الاربعة خمسة وعشرين دينارا ؟ ان ارادته مهما بلغت من حريتها ، لا بد لها من الانصياع الى قوانين الرياضة وقوانين الطبيعة ، وله بعد ذلك ان يتحرك بارادته الحرة داخل اطار هذه القوانين .

لا ، بل انه وهو يتخذ لنفسه قراره الحر بارادته الحرة ، مضطر ان يصوغ ذلك القرار في لغة يفهمها الناس ، ولما كانت اللغة ليست من صنعه الخاص ، فهو مضطر الى التزام المفردات اللغوية وطرائق التركيب اللغوي التي تواضع عليها الناس ، ليفهموا عنه ما اراد وما قرر ، والا لما احدث في العالم الخارجي الاثر الذي اراد ان يحدثه بقراره ذاك الذي اختاره حرا .

فاذا سال سائل عن مدى الضوابط التي يفرضها منطق العقل فرضا ، اي تفرضها قوانين العلوم الرياضيه والعلوم الطبيعية ، بل وتفرضها كذلك لغة العلم ولغة التفاهم ، كان ذلك السائل باحثا عن جواب لن يجده الا عند من عنى بفلسفة التحليل ، لانها فلسفة توجه اهتمامها الرئيسي نحو تلك الضوابط ، فتحاول ان تستخلص الصور المنطقية الخالية من مضموناتها ، لعلها ترى في وضوح انواع العلاقات التي تربط اطراف الفكرة الواحدة ربطا يفيدنا في توليد النتائج ، فاذا كان المشتغل بفلسفة التحليل لا يرفض حرية الانسان كما وصفتها الفلسفة الوجودية ، فان المشتغل بالفلسفة الوجودية من جهته لايرفض ان تضطلع فلسفة التحليل بتحديد الضوابط التي لامناص من التزامها عند عرض افكارنا ، اذ الفلسفة الوجودية وان لم توجه اهتمامها الى ضوابط الافكار في اطارها الصوري ، فهي لا تتنكر لها ولا ترفضها ، كما ان الفلسفة التحليلية وان لم توجه اهتمامها الى اركان الحرية الانسانية عندما تريد وتفعل ، فهي لا تتنكر لها ولا ترفضها .

على ان صور المنطق والرياضة وقوانين العلوم وقواعد اللغة المفهومة ذات الدلالة ، ليست هي كل القيود التي تقيد حرية الانسان المتمثلة في فاعليته اذ هو يريد ويختار وينفذ بالفعل ، فهنالك بالاضافة الى ذلك قيود الاهداف ، لان الذي يسير على طريق حياته بلا اهداف يتصورها ويحددها ليعمل على تحقيقها ، هو المجنون وحده ، واذا كان ذلك كذلك في حياة العقلاء ، فماذا تقول البراجماتية غير هذا ؟ ان البراجماتية قيدت دلالة الفكرة المعينة بمقدار تحقيقها لهدفها ، فاذا قلت عن فكرة ما انها بغير هدف محدد تقصد اليه وترسم معالمه ، كنت كمن لا يريد ان يفرق بين عاقل ومجنون ، واذا كان فيلسوف الوجودية وهو منغمس في

البحث عن حرية الانسان ، لم يوجه اهتمامه كذلك الى تحليل الافكار الصحيحة تحليلا يقيدها بالاهداف التى تتحقق بوساطتها على ارض الواقع الفعلي ، فليس معنى ذلك انه ـ اى فيلسوف الوجودية ـ يرفض هذا الذى تقوله البراجماتية ، كما ان البراجماتي لم يكن ليرفض ما يقوله الوجودى عن صنع الانسان لنفسه باختياراته الحرة التي يمارسها فى المواقف التى تعرض له فى مسيرة حياته .

هنالك ـ اذن ـ قيود تحد من اطلاق الحرية الوجودية ، دون ان تنتقص من صميمها ، فلقد ذكرنا قيود العقل بمنطقه ، وقيود الوسيلة اللغوية التى نتفاهم بها حتى لا تذهب اقوالنا عبثا مع الريح ، وهنالك قيود الاهداف التي لا بد منها لتهتدى بها الحرية الانسانية اذ هي تريد وتختار، ونريد الان ان نضيف الان قيدا آخر ، هو قيد الظروف المادية التى تحيط بنا عند الاختيار وارادة الفعل ، فماذا يجدينا من حرية لا تضع فى اعتبارها ظروف الواقع وضروراته ؟ انها لو فعلت ذلك كانت هى حرية الحالمين ! نعم ، اننا احرار فى تقرير ما نريد فعله ، لكن هذا القول يفقد معناه اذا كان هذا التقرير نفسه لا تواتيه العوامل المادية المحيطة بنا ، وهى العوامل التى تتيح لنا ان نحول ما اخترناه وما اردناه ، الى واقع نحياه، وذلك هو جانب مما تقوله الفلسفة المادية الجدلية.

هكذا نرى ان المذاهب الفلسفية فى عصرنا حين اختلفت ، فهى انما اختلفت فى الجانب الذى تكون له اولوية النظر عند كل منها، دون أن تكون الجوانب المتعددة متعارضة فيما بينها ، بل هى جوانب يكمل بعضها بعضا ، ونستطيع أن ناخذ بها جميعا ـ وكدت اقول انه لا بد أن ناخذ بها جميعا ـ فى وقت واحد : اذ لا تعارض هناك بين ان نقر للانسان بحريته (وتلك هى الفلسفة الوجودية) وان نبين لتلك الحرية ضوابط المنطق لتلتزم حدودها (وتلك هى الفلسفة التحليلية) وان نشترط لها كذلك التزام الاهداف المراد تحقيقها (وتلك هى البراجماتية) مدخلين فى حسابنا دائما ضرورات الواقع المادى الذى سنجرى على ارضه تحقيق اهدافنا (وتلك هى المادية الجدلية) .

ولنضرب لهذا التكامل بين مذاهب الفلسفة الاربعة التى تسود عصرنا ، مثلا يوضحه : افرض اننا امام عبارة يقول بها صاحبها « ان العمل على تحقيق القومية العربية واجب محتوم» ثم اردنا الوقوف عند هذه العبارة ننظر اليها من الزوايا الفلسفية الاربع ، فماذا نقول ؟ اننا اذا بدأنا النظر من زاوية الفلسفة الوجودية ، بحثنا عن العلاقة بين هذه العبارة وقائلها ، لنرى ان كانت عنده بمثابة القرار الاصيل الذى اصدره بنفسه ولنفسه ، حتى اذا ما وجدناها كذلك كان قائلها ملتزما فعلا بالعمل على تحقيقها ، اما اذا وجدناها عبارة لم تصدر من ذات قائلها ، بل امليت عليه من خارجه ، فانها عندئذ تفقد قيمتها من حيث دلالتها على حرية القائل ومسئوليته الخلقية ازاءها .

فاذا انتقلنا الى زاوية الفلسفة التحليلية ننظر منها الى العبارة المذكورة ، كان من أهم مايلفت نظرنا فى مفرداتها لفظتا « واجب محتوم » لانهما من الالفاظ التى لا تسمى اشياء بذواتها ،فماذا تعنى ياترى ؟ من الذى اوجب ومن الذى حتم ؟ انهما لفظتان تحملان معنى الامر ، فمن ذا الذى أمر ؟ ، هل ثمة من سلطان خارجي يفرض علينا هذا الواجب ، فان كان فما هو ؟ ... وهكذا يركز فيلسوف التحليل جهوده فى توضيح امور كهذه تجرى فى كلام الناس دون أن يتنبهوا الى مدى غموضها .

ثم ننظر نظرة ثالثة ، هى نظرة الفيلسوف البراجماتي ، فلا نجد ما يدعونا الى معارضة شيء مما قاله الوجودى عن ضرورة ان تنبثق الارادة من صميم الذات التى تريد لنفسها وتقرر لنفسها، ثم لا نجد مايدعونا الى معارضة شيء مما قاله فيلسوف التحليل فى توضيح الغوامض التى تكتنف الفاظنا ، اذ القول الواضح فى معناه ادعى الى رسم الطريق فى دنيا الفعل ، لكننا ننظر من الزاوية البراجماتية الى عناصر الموقف الراهن ، وفى الطريقة التى يمكن ان يعاد بها ترتيب تلك العناصر ، ليخرج لنا من ترتيبها الجديد موقف جديد ، هو « القومية العربية » كما اردناها بادىء ذى بدء .

وتبقى لنا بعد هذا كله زاوية رابعة ننظر منها الى العبارة السالفة الذكر ، هى زاوية المادية الجدلية ، فاذا كانت القومية العربية المنشودة غير متحققة الان ، فذلك لعوائق مادية اعترضت قيامها كالظروف الاجتماعية او الاقتصادية او غير ذلك من ظروف ظهرت فى مراحل التاريخ ، ولا سبيل الى

تحقيق القومية العربية الا اذا ازلنا تلك العوائق من الطريق ، لاننا اذا ما افتعلنا تلك القومية افتعالا ، مع بقاء العوامل التى عارضت قيامها فسرعان ما تعود تلك العوامل نفسها لتفعل فعلها من جديد ٠

زوايا اربع كما ترى ، يكمل بعضها بعضا اكثر جدا مما ينقض بعضها بعضها ، فلكل منها سؤال يراد الجواب عنه يختلف عن الاسئلة الثلاثة الاخرى التى تطرح عند الزوايا الاخرى ، فالسؤال عند الوجودية هو : من ؟ والسؤال عند التحليل هو : ما المعنى ؟ والسؤال عند البراجماتية هو : ماالهدف والسؤال عند المادية الجدلية هو : كيف حدث وكيف يتغير ؟ ٠٠٠ وكلها اسئلة ضروريةللموقف الواحد ٠

على انى اشعر بعد هذا كله بسؤال خامس ، يلح على عقلى الحاحا الى ان يجد له جوابامقنعا، وهو : انهذه المواقف الاربعة التى تنقسم فيما بينها عصرا واحدا – هو عصرنا الراهن – لا بد أن تلتقى جميعا عند جذر واحد والا لتمزقت وحدة العصر وفقد طابعه الذى يميزه ويجعله عصرا يجيء حلقة فى سلسلة العصور ، فماذا عسى أن يكون ذلك الجذر الواحد المشترك ؟ جوابى (وهو جواب شخصى ، يستطيع من شاء أن يصححه بما شاء) هو ان ذلك الجذر المشترك فى فلسفات عصرنا ،هو التصور الذى يجعل الانسان محورا يديرنفسه ولا يدار من خارجه : فهو الذى يقرر بنفسه لنفسه (وجودية) وهو الذى يوضح بنفسه لنفسه(تحليل) رهو الذى يضع لنفسه الاهداف ابتغاء تحقيقها (براجماتية)، وهوالذىيتلمس عوائق السيرليزيلها (مادية جدلية) واذن فالمحور الفلسفى الرئيسى لعصرنا هو النظرة الانسانية التى تجعل منالانسان مبدأ وغاية ،وتجعل هذهالحياة هى الاولىوالاخيرة٠

لكن هذه النظرة لا تلتئم مع الوقفة الاسلامية العربية التئاما كاملا لان هذه الوقفة الاسلامية العربية من شأنها ان تجعل هذه الحياة مرحلةاولى لها ما بعدها منحياة آخره ،ها هناتكمنالمشكلةامام الفيلسوف العربى المسلم – اذا وجد – فيكون سؤاله الخاص هو : كيف اضيف البعد الخامس الى الابعاد الاربعة التى ذكرناها مميزة لعصرنا ؟ وبالاجابة عن سؤال كهذا ، يمكن للانسان المسلم العربى ان يحيا عصره وتراثه معا ٠ ■■

د ٠ زكى نجيب محمود

■ وقد يجمع الله الشتيتين ،بعدما يظنان كل الظن ان لاتلاقيا٠

(مجنون ليلى)

■ لا فرق بين من يفشى سرا أوتمن عليه ، ومن يختلس مالا أودع عنده ٠

(قاسم امين)

■ تخطى النفوس على العيان ، وقد تصيب على المظنة ٠

(محمد بن مخلد)

■ ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى قوة للقوادم

(بشار بن برد)

لا أفهم

■ لا أفهم كيف تدور اللعبةُ إثْر اللّعبة في لبنان !
وتصير الرقعةُ سطحا احمر تغرق في دمه الالوان
تتشابه فيها احجارُ الفرزان بأحجار الفرسان
واللاعب من خلف الأوهام ينسق ألعاب الشيطان
لا أفهم كيف يغل الجرح ، ويُلْقى الزيتُ على النيران
ويغذّى البغض ، فينتحر الايمان ، وتقتتل الاديان
في أرض سلام كانت تربط بين الشّيخة والرهبان
ان نادى في دير انجيل لبى في المسجد قرآن
لا أفهم كيف الحقد يفجره الاخوان على الاخوان
لا أفهم كيف يجن المرء فتسمل اصبعه الاجفان ؟
كيف المجنون يجر على جنبيه الخنجر في اطمئنان ؟
ويدكُّ البيت فيهوى السقف عليه وتنقضُّ الجُدران
لا أفهم كيف تدور اللعبة اثر اللعبة في لبنان !

***

لا أفهم – ياأحفاد صلاح الدين . ويا نسل الابطال !
لا أفهم كيف بدور العز تخلف حصباء الاوحال
أيلام الجد على الميراث ؟ أم الاحفاد على الأهمال ؟
لو كان صلاح الدين تنبأ بالعقبى لخصى الاطفال
مائة المليون وما ادراك ! رجال ؟ ام اشباه رجال ؟
ارحامٌ تُدفع للاذلال ، وارض تنبت للامحال
حِملٌ قد ناء به التاريخ ، وعبء تثقله الاجيال
لا أفهم كيف تصرفنا الاهواء ، وتدفعنا الاحوال





للشاعر التونسى : احمد اللغمانى

فاذا الفرقى تجتث من الاعماق فتنفصل الاوصال
وإذا اسياف غزاة الدنيا تصبح مائعة الانصال
لا أفهم كيف الامة صارت نهب العابث والدجال
مزقا تتآكل ، اشلاء كى تهدى لذئاب الادغال
لا أفهم ! يا احفاد صلاح الدين ، ويانسل الابطال !

***

لا أفهم – يا لبنان – لماذا لم يقتلنا – بعدُ – العار ؟
مازلنا نفخر بين الناس بأنّا الصفوة والاخيار
مازلنا مثل المخبولين نفاخر بالمجد المنهار
يكفينا ان لنا فى السيرة أكثر من بطل مغوار
قد ركَز الراية في اقسى الاطوار وفي اقصى الاقطار
يكفينا ما تحكى الاطلال . وما تروى صحف الاسفار
مازلنا – يا لبنان – صغارا نخطر في ازياء كبار
مازلنا نمتهن التمثيل ونتقن توزيع الادوار
كصغار الحي إذا خاضوا ميدان الحرب أمام الدار
حُزَمُ الاعواد بنادقهم . وذخيرتهم كوم الاحجار
ونقيم الكون ونقعده بشعار يرفع اثر شعار
الوحدة والتكتيل ، ودعم الصف ، لقهر الاستعمار
وتدلُّ فضائحنا انا كنا لاعادينا انصار
لا أفهم كيف تدلينا وتهاوينا لأحطِّ قرار
لا أفهم – يا لبنان – لماذا لم يقتلنا – بَعْدُ – العار ؟ ■■



لغز

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح *

ماهو النوم بالضبط ؟ ••
ومن أين ينشأ ؟ ••
وكيف ينتهي ؟

الواقع أن هناك بحوثا كثيرة قد أجريت على هذه الظاهرة ، لتكشف أسرارها ، وتجيب على تلك الاسئلة او غيرها ، لكن أحدا لم يتوصل الى جوهـر حقيقتها ، وكل التفسيرات والنظريات التى قدمها العلماء لم تتفق على رأى واحد ، لكنهم اتفقوا جميعا ـ كما نتفق نحن أيضـا معهم ـ على أن النوم هو أعظم منح الطبيعة فى استعادة النشاط للأبدان المنهكة !

لكن ذلك ليس تفسيرا ، انما هو تقرير لحالة محـددة ، فلم يستطع احـد أن يعلـل لنا لماذا يصاب الانسان ـ الذى يضطر لليقظة (أو يتطوع لها بغرض الدراسة) ما بين ٣٠ـ٦٠ ساعة ـ لماذا يصاب بنوع من التغير النفسى والذهنى ، كان تعتريه حالة من الهلوسة أو فقدان الذاكرة أو حتى الشخصية ، او ان يفسر لنا لماذا تستطيع الاغنام والمواشى ان تستمر فى نشاطها بدون نوم أو بنوم قليل .. ورغم هذه اليقظة الطويلة ، فان عملية الهضم المعقدة عندها قد تستفيد من يقظة الحيوان ، وتصبح اكثر فائدة له وحيوية •

والذى يريد أن يقدم لنا نظرية محددة فى طبيعة النوم ، فلابد أن تكون هذه النظرية صالحة فى التطبيق ـ ليس على الانسان فحسب ، بل على معظم الكائنات،بداية من الفراشة والسمكة والنحلـة والقوقع ، حتى الطير والفار والحصان والقرد والانسان •

وهل تنام الحيوانات كما ننام ؟

بالتاكيد نعـم ، لكن هناك ما ينام فترات أطول من الانسان ، ومنها ما ينام فترات اقصر، ثم ان هناك تجارب كثيرة اجريت على الحيوان أثناء نومه ، علها ـ اى التجارب ـ توضح لنا جزءا من الصورة الغامضة ، لكن دعنا لا نستبق الحوادث ، ولنعد الآن الى النوم ، لنرى ماذا قال فيه الفلاسفة والعلماء •

قصة هندوكية !

لقد عرف الفلاسفة الاوائل ان النوم درجتين مختلفتين ومميزتين : نوم خفيف ونوم عميق ، ومع ذلك فهناك قصة هندوكية قديمة تشير الى حالات ثلاثة تتعاقب على العقل البشرى •• الحالةالاولى « فيزوانارا » اى اليقظة ، وفيها يكون الانسان واعيا لما يدور حوله ، ويستخدم لذلك حواسه ، والحالة الثانية « تيجازا » ، اى النوم الحالم ، وفيها يصبح الانسان واعيا لأحلامه التى تتناول ما مربه من أحداث الماضى ، والحالة الثالثـة « براجنا » اى النوم العميق الذى لاتتخلله أحلام، وهى غاية السعادة للعقل ، ففيه ـ اى هذا

* استاذ علم الكائنات الدقيقة ورئيس شعبةالميكروبيولوجيا الصحية بكلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية فى جمهورية مصر العربية •

النوم المثير

النوع من النوم ـ يغلف اللاوعي كل أفكاره ومعلوماته . وعندئذ تختفي كل الانطباعات الدقيقة من ذهنه أو عقله ٠

لكن ذلك كلام يحمل بذور الفلسفة . أكثر مما يحمل حقائق العلم . وسيتبين لنا ذلك فيما بعد ٠

فالدراسات الحديثة والدقيقة في الكائنات الحية التي تتمتع بقسط من النوم أوضحت لنا بعض الحقائق الهامة ـ بعضها معروف ،والبعض الآخر لايمكن معرفته الا من خلال أجهزة علمية حساسة تتجسس على أمخاخنا أو أمخاخ الحيوان، وتسجل ما يجرى فيها من انفعالات ، وهذه تتحول، الى موجات،والموجات الى تسجيلات،والتسجيلات يقوم بها جهاز خاص يعرف باسم رسام المخ الكهربائي٠٠

هذا بجوار قياسات بيوكيميائية وفسيولوجية وما شابه ذلك ٠

فكلنا يعرف ان من ظواهر النوم غياب الافعال او الاعمال الارادية ، واختفاء الشعور بعالمنا المحسوس ،وما قد يصاحب النوم من احلام وشخير (احيانا) ، او ما قد يصاحب هذه الأحلام من رؤى مفزعة يطلقون عليها اسم الكابوس٠٠ الخ.لكن ذلك ليس كل ما في الأمر . فهناك تغيرات هامة في بناء الغذاء وهدمه ، وفي سرعة النبض ، وضغط الدم ، ودرجة الحرارة ، والاستجابة العصبية للمؤثرات الخارجية ، وما يتبع ذلك من فعل ورد فعل ٠٠ الخ ٠

في الانسان والحيوان !

كل هذه التغيرات تحدث ، في أغلب الاحيان ، بصورة دورية ومنتظمة ، خاصة في عالم الحيوان، او عالم الانسان القديم نسبيا او الذى يعيش الان بعيدا عن المدينة ، ذلك أن أضواء المدنية الحديثة قد تدخلت في هذه الدورة اليومية المنتظمة ، فحيث كان أجدادنا القدامى يستكينون في كهوفهم أو في بيوتهم عندما تغرب الشمس، ويقبل الليل ، نرى أحفادهم العصريين ـ أى نحن وما يتبع ذلك من أجيال قادمة ـ قد كسرت هذه القيود ، وأحيانا ما يكون نهارهم ليلا ، وليلهم نهارا . وربما يؤثر هذا الخلل في الدورة الطبيعية للنوم واليقظة في نصيب الانسان من القلق والتوتر العصبى اللذين اصبحا القاسم المشترك الاعظم في أمراض المدنية ، وما تبع ذلك من أطنان من الحبوب المهدئة والمنومة التي قد تكون بدورها أخطر من القلق والتوتر !

ثم ان هناك بعض نباتات خاصة تنطوى على نفسها ، وتغلق أوراقها ، وتتدلى أغصانها ، عندما تغيب الشمس ، وتبقى هكذا على حالها طول الليل ، فاذا أقبل الصباح ، دبت فيها الحيوية والنشاط ، فتتفتح الاوراق والزهور ، وتستقيم الاغصان ، وتتخلى عن الانطواء ، وهذه الدورة ـ التى تشبه النوم واليقظة عند الانسان ـ تتم بشكل منتظم ، لكننا لا نستطيع ان نقول ان النبات ينام ليلا،ويستيقظ نهارا كما يفعل الانسان والحيوان ، بل الاحرى بنا ان نقول ان هناك تغيرا ملحوظا في نشاط النبات الحيوى بين ليل ونهار ، فهو أيضا ـ اى النبات ـ يغلق كثيرا من مفاتيح الميكانيكية البيولوجية التى تتم في أنسجته ، ويغير في وظائف اعضائه بما يتناسب مع الليل ، ثم يعود لفتحها في الصباح من جديد وهكذا ، وهناك تجارب كثيرة تؤكد ان النباتات تتبع نظاما خاصا يشير الى التزامها بما تلتزم به الكائنات الاخرى ٠٠ اى فترة نشاط ، تتبعها فترة خمول ، لكن هذا موضوع متشعب وطويل ، ولا مجال له هنا ٠

ومعظم الحيوانات التي نعرفها ـ أو لا نعرفها ـ تنام كما ينام الانسان ، الا ان نومها يختلف

في عمقه وسطحيته عن نومنا ، رغم أن ميكانيكية النوم واحدة بين الانسان والحيوان ، فالقطط مثلا تنام فترات أطول من الانسان ، لكن معظم نومها عميق ، وقد تتخلله فترات من النوم السطحي ، وهكذا يختلف الوضع بين نوع من الحيوان وبين نوع اخر ، ومع ذلك ، فكلما هبطنا درجات سلم التطور الى الحيوانات الاقل شانا من الانسان ، تقل عندها فترات النوم حتى لتبدو لنا وكأنما النوم يتلاشى عندها تماما ، ومع ذلك ، فلا زالت هذه الحيوانات الدنيا او البسيطة التركيب نسبيا تتمتع بفترات من النشاط تعقبها فترات من الخمول ، مثلها في ذلك كمثل النبات ، لكن الخمول عندها لا يعني نوما ، ولا النشاط يعني يقظة،فالنوم واليقظة_بمعناهما المتداول _ ينبعان اساسا من شبكة عصبية يتحكم فيها المخ ، وكلما تطور المخ وتعقد ، أصبح للنوم معنى ، وفيه تتجلى الذكريات القديمة ، وتنبعث الأحلام العادية والغريبة •

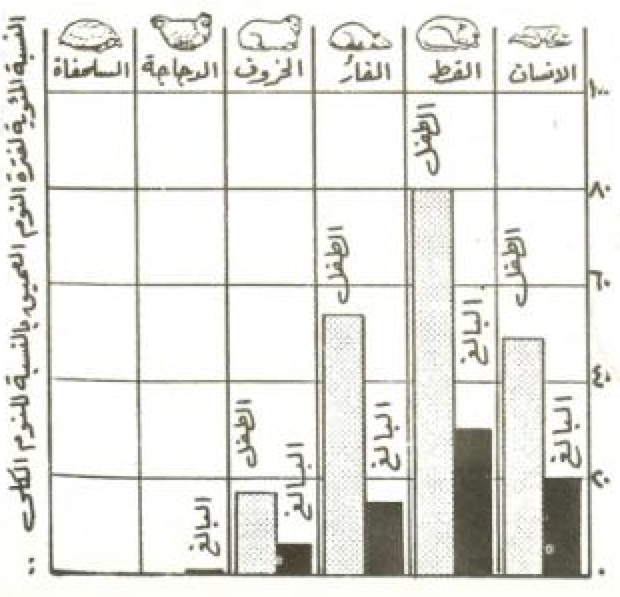
النوم العميق والنوم السطحي !

وقد يتبادر الى الذهن هنا تساؤل : لكن ، ما يدرينا ان كانت القطط أو الفئران أو سائر انواع الحيوان _ بما في ذلك الانسان _ ما يدرينا انها تنام نوما عميقا أو سطحيا ؟

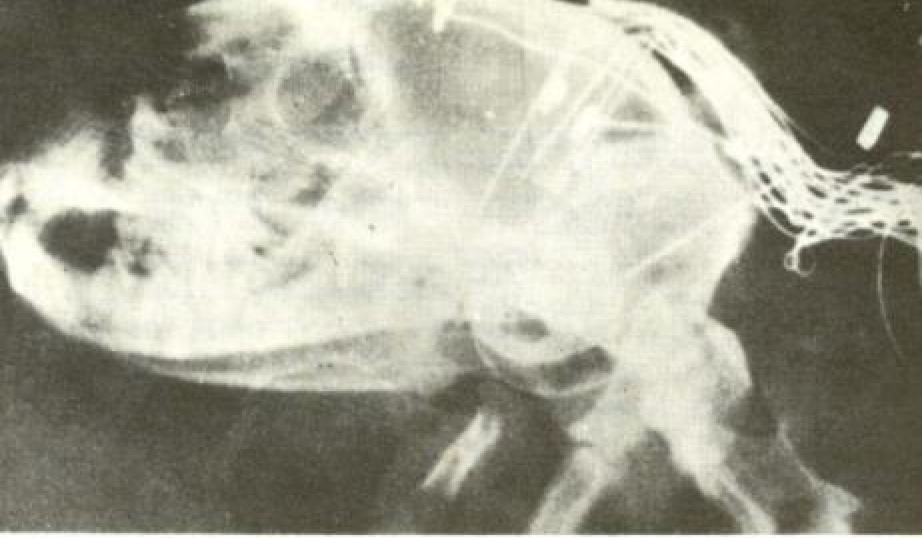
من نشاط المخ في النوم واليقظة،او بمعنى ادق من الموجات التي يبعث بها وهو في حالاته المختلفة، فهناك انواع خاصة من الموجات التي يمكن تسجيلها على جهاز رسام المخ الكهربي ، فتظهر لنا على هيئة خطوط متعرجة ، والخطوط نبضات توضح لنا ما يجتاح المخ من انفعالات ، او قل انها بمثابة لغة خاصة لا يقرؤها الا أربابها،ومن قراءتها يستطيعون الحكم على الانسان والحيوان،اى اذا كان الكرى قد بدأ يداعب عينيه ، أو انه قد راح في نوم سطحي أو عميق،او حتى عميق جدا (راجع صورة الموجات المنشورة مع هذه الدراسة) ، لكن دعنا من ذلك الان ، فستعود اليه فيما بعد •

من الدراسات الكثيرة التي اجريت على الانسان يتبين ان فترات النوم التي نحتاجها في يوم كامل (اى ٢٤ ساعة) تختلف من انسان لانسان ، او من وقت لاخر في الانسان ذاته ، ومع ذلك فان متوسط فترات النوم لعدد كبير من الناس ، ومن اعمار مختلفة ، يختلف اختلافا واضحا بين كبارهم وصغارهم ، فالطفل الحديث الولادة ينام في المتوسط حوالى ١٨ ساعة متقطعة في اليوم ، ثم تنقص هذه الفترة بالتدريج كلما تقدم الطفل في العمر ، حتى اذا وصل سنه الى خمس سنوات ، بلغت فترات نومه حوالى ١٢ ساعة ، وفي سن المراهقة تنقص الى تسع ساعات ، وهي اكثر قليلا من فترات النوم التي يحتاجها الانسان البالغ في اليوم الواحد ، اذ تتراوح عادة ما بين ٧ _ ٨ ساعات يوميا •• اى اننا نقضي اكثر من ثلث عمرنا في النوم، فالانسان الذى عاش ستين عاما، ينام منها حوالى عشرين عاما !

لكن هناك دراسات مقارنة بين الشعوب المختلفة



ست كائنات مختلفة : سلحفاة وطير وخروف وفأر وقط وانسان ، ولكل نوع فترات نوم تختلف في طولها وعمقها عن النوع الاخر •• لاحظ ان المستطيلات ذات النقط تمثل نوم أطفال الحيوان •• والصغير دائما ينام اضعاف الكبير ، ليستفيد بطاقته المخزونة في نمو معتدل •



صورة بالاشعة لرأس قط حي تخرج من مخه أسلاك جد رفيعة لتتصل بأجهزة خاصة لتسجل لنا ما يجرى فى المخ من أحداث كهربية وعصبية أثناء نومه ويقظته ٠

توضح ان متوسط فترات النوم التى يقضيها الاطفال فى سن معينة قد تزيد أو تنقص عن معدلها فى حدود تتراوح ما بين ٥ ـ ١٠٪ ٠ من ذلك مثلا تلك الدراسة التى قام بها فريق من الباحثين اليابانيين على نوم الاطفال عندهم ،ولقد أوضح هذا الفريق ان الطفل اليابانى ينام ساعة أقل من الطفل الامريكى اذا تساوت اعمارهما ، وقد يرجع ذلك الى عادات الشعوب فى تربية اطفالها ، وتهيئة الجو المناسب لنومهم ، لان النوم من العوامل المهمة جدا فى ذلك ٠

عندنا وعندهم !

نحن نرى عند الشعوب العربية مثلا انها تترك الطفل على حريته ، فينام كما يحب ، ويستيقظ كما يحب ، ويلهو ما شاء له مزاجه ان يلهو ، ولهذا ترى اطفالنا العرب يسهرون فى الشارع او البيت وربما لما بعد منتصف الليل ، فى حين أن الطفل الاوروبى أو الامريكى أو اليابانى يذهب دائما الى سريره فى فترة محددة ومعروفة ومبكرة هى الثامنة مساء ، هذا وقد تمتد الطفولة عندهم حتى سن البلوغ !

وهذا هو الوضع السليم ، لان الطفل ـ بطبيعته ـ كثير الحركة والنشاط ، والطاقة التى يبذلها او يستنفدها فى حركته اضعاف الطاقة التى يحتاجها أثناء نومه ، وتوليد الطاقة يحتاج الى هدم الغذاء ، والهدم ضد البناء ، والطفل يحتاج ـ فى مرحلة النمو والطفولة الى بناء لا هدم ، والبناء يستلزم توفير الطاقة لاستخدامها فيما يفيد ، وليس هناك اعظم فائدة من نمو طبيعى يسير فيه الطفل حتى سن البلوغ، وبعدها يتوقف النمو تلقائيا ٠

هذه الحقيقة الهامة تراها أكثر فى طفل الحيوان ٠٠ لا بالملاحظة فقط ، لكن بالبحث والدراسة ٠٠ فماذا أوضحت هذه الدراسات ـ اذن ـ فى ذلك المجال ؟

الصغار ينامون اكثر !

أوضحت البحوث ان كل الاطفال فى عالم الانسان والحيوان تنام فترات أطول من البالغين ، ليس هذا فحسب ، بل ان نسبة النوم العميق بين الاطفال والبالغين تختلف اختلافا واضحا ، ويبدو ان هناك ميكانيكية بيولوجية تشرف على تسيير الدفة لصالح الحياة ككل ،وان مركز هذه الميكانيكية يقع ـ بطبيعة الحال ـ فى اسفل المخ ، وهى تمنح الاطفال نوما أعمق من نوم الكبار ، ثم انها تهبهم فترات اطول ـ كما سبق ان اوضحنا ٠

فالانسان البالغ لا ينام نوما عميقا الا بنسبة ٢٠٪ فقط من جملة فترات نومه (والباقى اى ٨٠٪ نوم سطحى او خفيف) ، فاذا نام مثلا سبع ساعات ، كان له منها ساعة ونصف ساعة تقريبا كنوم عميق ، لكن الطفل يحتاج نوما أعمق ،ليوفر طاقة اكثر ، فكان له ٥٠٪ نوما عميقا ، ٥٠٪

نوما سطحيا (اى انه ينام اكثر منا بضعفين ونصف نوما عميقا) ٠٠ وهذا أمر حسن تباركه السماء ، ولا يهتم به الانسان ـ عند معظمنا على الاقل ٠

لكن النوم العميق بالنسبة للنوم الخفيف يظهر أكثر في عالم الحيوان ، فالقطيطة (او القطة الصغيرة او حديثة الولادة) تنام ٨٠٪ من نومها الكلى نوما عميقا ، فى حين ان طفل الفار ينام تقريبا نفس الفترة التى ينامها طفل الانسان (أو بالتحديد حوالى ٥٥٪) ، لكن الفار البالغ اقل نوما من الانسان البالغ ، ثم ياتى الخروف وحمله الصغير ، فينام الحمل أعمق من « ابيه » ، لكن نومهما اقل من الانسان والقطط والفئران ، فاذا عرجنا على الطيور انخفضت عندها نسبة النوم العميق انخفاضا هائلا ، فلا تتعدى فى حالة الدجاجة مثلا الا ٠ر٢٪ ، اى جزئين فقط من الف جزء من فترة نومها السطحى ، وقد ترتفع الى خمسة أجزاء فى طيور أخرى ، ولم يسجل أحد للكتكوت نوما عميقا على الاطلاق ، ولا كذلك للسلحفاة (الوليدة منها والبالغة)، أوللزواحف (والسلحفاة من الزواحف) أو ما دونها من مخلوقات ابسط شانا ٠

والغريب مثلا ان القط الوليد لا يعرف الا حالة واحدة من النوم ـ هى النوم العميق ، فاذا استيقظ وعاد للنوم ، بداه عميقا لا سطحيا ، اى انه يدخل من حالة اليقظة الى حالة النوم العميق فجاة دون مقدمات او استعدادات (كما يحدث عندنا) ، وعندما تبلغ القطة الوليدة من العمر شهرا ، توزع نشاطها بين يقظة ونوم بالتساوى ، حتى اذا بلغت كان لها ثلث يومها يقظة ، والباقي موزع بين نوم خفيف (٥٠ ٪)، ونوم عميق (حوالى ١٥ ٪) ٠

أثر الحالة النفسية !

والواقع ان كل هذه الترتيبات كانت فى صالح الحياة ، فالطفل ينام نوما عميقا ولفترات أطول معتمدا على حماية أبويه ، وهذا يمده بطاقة دافعة لينمو ويشتد ويقف على رجليه ، وكلما رقف وصمد ، نقص نومه العميق ، وحل محله نوم خفيف ، وهذه الظاهرة المحيرة تبدو لنا اكثر فى عالم الحيوان ، فالحيوانات التى تصيد (كالانسان والكلب والنمر والقط ٠٠ الخ) تتمتع بقسط أوفر من النوم العميقعن ضحاياها (اى الحيوانات المصادة او الضحية مثل الحيوانات المجترة والطيور) فالاولى ـ اى الصادةـتنام اعمق لفترات اطول بمرتين او ثلاثة أو ربما اربعة عن مثيلاتها المصطادة ، اى كأنما الخوف من الاخطار لا يسمح بفترات من نوم عميق الا خطفا ، ثم ان التعاسة او الحذر يحتاج الى نوم سطحى او خفيف ، فاذا احست الدجاجة مثلا بحركة ثعبان ، او صوت قادم من بعيد ، هجرت اغفاءتها ، ونظرت حولها ٠٠ لان العالم آكل ومأكول ، ومن لا يأخذ فيه حذره ، فلا يلومن الا نفسه !

لكن ٠٠ متى يبدأ النوم العميق ؟ ٠٠ وكيف سجلوه ليميزوا بينه وبين الخفيف ؟

يعتقد معظم الناس ـ ومنهم بعض الدارسين ـ ان النوم لا ينبع الا من تعب أو اجهاد ، وان الانسان الذى يطلب الراحة من اجهاده بالنوم ، يروح فى نوم عميق بعد دقائق معدودة ، وكلما

أجهزة الكترونية حساسة ومعقدة ، وهى تقوم نيابة عن الانسان باستقبال الانفعالات التى تحدث فى امخاخنا اثناء النوم واليقظة ، وترسمها على هيئة موجات لها عند العلماء تفسير وتحليل ٠٠ وترى هنا احد العلماء يفحص هذه اللغة الموجية لاحدى الحالات ٠



تقدم به الزمن ، خف اجهاده ، وخف ـ تبعا لذلك ـ نومه ٠

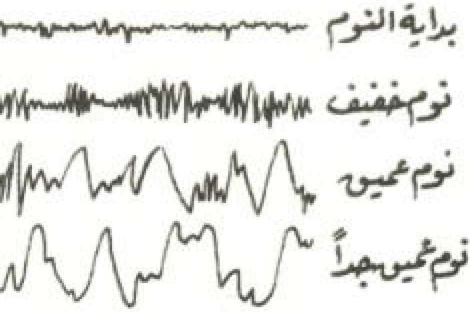
هذا الاعتقاد ـ الاعتقاد بنوم عميق فى البداية، وخفيف فى النهاية ـ اعتقاد لم تثبت الدراسات صحته ، فنحن نعرف من خبرتنا العادية مقدارعمق نوم انسان بالنداء عليه ، او احداث ضوضاء ، او بالطرق على باب حجرته ، وما شابه ذلك ،فان استيقظ بطرق خفيف ، دل ذلك على نوم خفيف، وان لميستيقظ الابطرق أشد،فالنوم لا شك عميق٠

هذه الطريقة ، وان كانت تبدو منطقية وفعالة، الا انها لا تصلح معيارا للبحوث العلمية ، فالبحوث تحتاج الى قياسات مقننة ، ولا بد ـ والحال كذلك ـ من استخدام أجهزة اكثر كفاءة واتقانا ، لتعطينا نتائج محددة ، وبها نستطيع ان ندرس ما يطرأ على النائم من تغيرات ذهنية وكيميائية وكهربية وفسيولوجية ٠٠ الخ ، فتكون هذه التغيرات بدورها مؤشرات خاصة ترشدنا الى بعض الغاز النوم التى لا زلنا نجهلها حتى اليوم!

مراكز فى المخ !

والدراسات الكثيرة قد أوضحت ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ ان أجسامنا عند اليقظة ، غير أجسامنا عند الاغفاءة البسيطة ، غيرها فى النوم الخفيف والعميق ، وهناك تجارب تشير الى أن لليقظة فى أمخاخنا مراكز ، وللنوم الخفيف مراكز اخرى ، وللعميق مراكز ثالثة، ولكى تسرى الدورة اليومية بين النوم واليقظة ، كان لا بد من وجود تناسق بين هذه المراكز من جهة ، وبين الجسم من جهة أخرى ٠

والتنسيق الكائن معقد غاية التعقيد ، ولقد وضعت له نظريات كثيرة، علها تصل الى حقيقته، لكن لكل نظرية هفواتها ، ومع ذلك فمعلوماتنا اليوم اكثر بكثير من معلوماتنا منذ عشرة أو عشرين عاما ، ولهذا فان ظاهرة النوم تعتمد على أنشطة عصبية وكيميائية وكهربية وفسيولوجية ، ولكى يسرى كل شيء على ما يرام ، وتجرى الاحداث فى أجسامنا بنظام ، كان لا بد من « تناغم » وتنسيق بديع بين تلك الانشطة التى تشبه فرقة موسيقية يقودها «مايسترو» ، فاذاعزفت ارتفع النغم او تباطأ ،ليكون له فى الاذن معنى، وكذلك تعزف أجسامنا « لحن » حياتها ونومها ويقظتها على هيئة ايقاعية منتظمة ، أو من



هذه الخطوط المتعرجة توضح لنا درجات النوم المختلفة كما تسجلها الاجهزة من المخ ٠٠
نوم عميق ٠ نوم خفيف ٠ يقظة

المفروض ان تكون منتظمة ، لتجنى ثمار النظام فى أجسامنا ٠٠ نجنيهصحة ونشاطا ومزاجا معتدلا وأحلاما طيبة بعيدة عن الارق والتوتر وما شابه ذلك ٠

المخ لا ينام

بمعنى اخر نقول : ان أمخاخنا أثناء النوم لا تنام بالمعنى المفهوم ، بل هى فقط تغير « موجات » مراكزها ٠٠ فبعد ان كانت « تذيع » مثلا على موجات قصيرة ذات ترددات عالية ، نراها وكأنما هى « تحولها » ـ عند الدخول فى النوم ـ الى موجات أخرى أقل ترددا ، وكلما دخلنا فى النوم ، وزاد عمقه ، ظهرت موجات وسادت ، وانخفضت أخرى وخفتت ، ومع ذلك فلكل منطقة فى المخ « موجاتها » التى لا يشاركها فى طبيعتها منطقة سواها لكن ذلك موضوع طويل ، وليس له هنا مجال ٠

ومع ذلك دعنا نتعرض هنا باختصار شديد لاكثر النظريات شيوعا فى تفسير ظاهرة النوم ، ولماذا تأتى مثلا فى فترة محددة ، ونحس بأن اجسامنا قد خملت ، وان الكرى قد بدأ يداعب عيوننا ٠٠ ما الذى يحدث هنا بالضبط

يقولون : ان النوم كيمياء وكهرباء ٠٠ فالكهرباء تؤثر على الكيمياء ، والكيمياء تؤثر على الكهرباء ، وان كل ظاهرة منهما تؤدى الى الاخرى ٠٠ فالموجات الكهرومغناطيسية التى تنبعث من رؤوسنا أثناء النوم بطريقة تختلف عن تلك التى تخرج أثناء اليقظة ، انما ترجع الى تأثيرات كيميائية على مراكز الانشطة فى أمخاخنا فهناك بروتينات خاصة قد عزلت بالفعل من دمائنا على هيئة خمائر او انزيمات ،



القط وهو مستيقظ أو فى اغفاءة (نوم سطحى)أو وهو فى نوم عميق ، لاحظ الاختلاف الكائن فى كل حالة ، ثم أن ما يجرى على القط يجرى على الانسان •

وان هذه الانزيمات تؤكد مواد كيميائية محددة (اسمها مجموعة الامين) فيؤدى ذلك الى انتقالنا من نوم سطحى الى نوم عميق •

والذى يساند هذه الحقيقة الغريبة ان الجسم اذا حقن بمادة كيميائية تتداخل مع نشاط هذه الانزيمات أو المفاتيح المسيطرة على خلايانا العصبية ، و « تغلق » فيها مواقعها النشطة والحساسة ، فان النوم العميق يختفى لفترات قد تطول الى ايام ، فاذا اختفت المواد المحقونة، عاد النوم العميق جنبا الى جنب مع النوم السطحى أو الخفيف •

ويقال ان هناك مركبين أساسيين يتحكمان فى النوم الخفيف والعميق •• أحدهما اسمه « سيروتونين » Serotonin ، ومكلف بالنوم الخفيف ، والاخر هرمون اسمه نورآدرينالين Noradrenaline ، ومسئول عن النوم العميق ، ومن الممكن طبعا ـ من خلال أدوية خاصة غير ضارة ـ محو أو ازالة احدهما ، فيكون النوم الخفيف أو النوم العميق ، أو قد تمحو الاثنين معا ، فيبقى الكائن الحى مستيقظا ، ولكل واحد منهما مركز يشتغل فيه ، ويتلاعب بنشاطه البيوكيميائى •

كيمياء وكهرباء

ويقال أيضا ان النشاط فى الكائن الحى يؤدى الى تكوين مادة أو عدة مواد كيميائية بتركيزات قليلة للغاية ، وانه كلما مر الوقت ، زاد تركيزها شيئا فشيئا ، وعندما تصل الى حدود معينة ، يبدأ تأثيرها على مراكز محددة فى المخ ، فتحور فى نشاطها على حسب ما تقتضيه الظروف ، وبحيث يؤدى ذلك التحوير الى ارسال نبضات عصبية أو كهربية الى مراكز النوم واليقظة ، فتفتحها أو تغلقها فى مواقيت محددة لنستيقظ أو لننام ، ما لم يحدث ـ بطبيعة الحال ـ اضطراب او ضوضاء أو ألم يتدخل فى نوم النائم ، فيستيقظ مضطرا •

والبحث عن أسرار النوم فى الانسان والحيوان لا يتوقف ، فمعرفة ما يمكن معرفته عن ذلك اللغز المثير يفتح لنا آمالا واسعة للتحكم فى ظاهرة هامة تأخذ ثلث أعمارنا ، دون أن ندرى عن أحداثها شيئا ، ولو توصلنا اليها ، لاستطعنا ان نسيطر عليها ، فنستفيد بنومنا الى أقصى حدوده ، أو نستطيع أن نستيقظ بدون حدود ، او ننام بدون حدود ، ما دمنا قد عرفنا سر الحدود!

والحق ان أمخاخنا نظم بديعة تتوه فيها أعظم العقول ، ومع ذلك فهى تشتغل أساسا على مبدأين : مبدأ كيميائى ، ومبدأ كهربى •• فالكيمياء لا يصلحها الا كيمياء ،والكهرباء تناسبها كهرباء ، ومن هنا تكاتف علماء الكيمياء مع علماء الاليكترونيات مع علماء الطبيعة علهم يفهمون ويدركون •• فيسيطرون ، لم تجنى البشرية بعد ذلك ثمارا ليس كمثلها ثمار • نوم بدون أرق أو حركة أو صراخ أو كابوس •• نوم سعيد يهبنا يوما سعيدا ، فهذا مرتبط بذاك •• « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » • ■■

عبد المحسن صالح

قرة العين

داعية ومرتدة وقتيلة!

بقلم : حسين علي الجبوري



■ شهد العالم الاسلامي في مطلع القرن التاسع عشر موجة عاتية من الصراع الفكري والعقائدي شملت اكثر اقطاره وتجلت بوضوح في قطرين مهمين هما العراق وايران • ولقد كان المناخ الثقافي والاجتماعي مهيئا لتلقف كل دعوة من شأنها ان تملأ الفتور الذهني الذي كان طابع تلك الفترة المظلمة من التاريخ • غير ان ذلك الصراع امتاز بطابع صدامي عنيف راح ضحيته الالوف من الابرياء والملتزمين على السواء ، وبهذا اضيفت حشودهم الى جموع الضحايا الاخرى ••• ضحايا الحروب السياسية والمجاعات والطواعين •

كانت البداية في ايران عندما انتقل اليهاالشيخ احمد الاحسائي داعيا الى‌مذهب اجتهادي‌جديد سمي بالمذهب الشيخي نسبة اليه ·· واخذ الشيخ اثناء تجواله يهيء اذهان الناس لقرب ظهور الامام المهدي الغائب (الذي سيملأ الارض عدلا بعدما ملئت جورا وكفرا) ·وقد انقسم الناس بين مؤيد ومعارض أو واقف على الحياد · وكانت المناقشات تسمع علنا في المقاهي والشوارع بل بين افراد البيت الواحد ·

وعندما دنت نهاية الشيخ اوصى بقيادة الدعوة الى تلميذه السيد كاظم الرشتي (فهو وحده الذي يعرف مغزى كلامي) وامره ان يرقب ظهور الامام الغائب باهتمام (فالحق اقول لك ان الساعة قريبة تلك التي طلبت من الله ان ينجيني من مشاهدتها لان زلزلة الساعة شيء عظيم) ·

تابع السيد كاظم الرشتي- الذي سكن كربلاء- التبشير بمبادىء استاذه الى ان توفي عام ١٨٤٣ حيث انقسم الشيخيون الى‌ثلاث فرق، كانت احداها وهي التي يهمنا امرها بقيادة الملا حسين البشروئي الذي هام هو وجماعته في الافاق بحثا عن دليل ينبىء بظهور الامام الغائب ·

والظاهر ان نتيجة البحث اسفرت عن لقاءغريب تم على ارض شيراز بين البشروئي ورجل زاهد مولع بالرياضيات الروحية اسمه السيد علي‌محمد ، كانت صفاته مطابقة لما يحمله البشروئي في ذهنه عن شخصية (الموعود) فاختبره بمسائل غامضة من كتابات الاحسائي والرشتي فخرج باجابات‌تدل على غزارة علم ، ثم ساله عن تفسير سور من القرآن الكريم فاجاب اجابات صادرة (عن وحي والهام) · ومن خلال هذا الاجتماع المغلق انطلقت الدعوة باسلوب جديد فاطلق السيد علي محمد على نفسه لقب (الباب) باعتباره باب الامام الغائب واطلق على الملا حسين البشروئي لقب (باب الباب) وكان ذلك في ٢٣ أيار مايو عام ١٨٤٤ وهو يوم مولد الدعوة البابية ،وسمي الدعاة الاول الذين اعتنقوا الدعوة وعددهم ثمانية عشر باسم (حروف الحي) حيث ارسلهم الباب يبشرون بدعوته في الامصار ·

ذات التاج الذهبي

وهذا التمهيد لا بد منه للوقوف على الظروف النفسية والاجتماعية التي كونت شخصية بطلتنا صاحبة الترجمة · ونعود الان الى عام ١٨١٤ م الى مدينة قزوين من أعمال ايران ، ففي هذه السنة ولدت لاسرة (آل البرغاني) المشهورة بالعلم والاجتهاد والصلاح والتقوى ، فتاة اسماها والدها الملا محمد صالح ، (قرة العين) ولقبها ب « زرين تاج » أي « التاج الذهبي » تدليلا لها وتاكيدا على ما كان يميزها من شعر كالذهب · وعندما شبت عن الطوق ، اخذت ملامحها تكتمل : فمن جمال آسر الى عقل راجح وذكاء غريب · وقد لحظ ابوها ذلك منها فقرت به عينه واصبحت له عزاء عن حرمانه من الولد ، فكان يضرب لهاستارا تجلس خلفه لتستمع الى الدروس التي يلقيها على تلامذته واحيانا كانت تشترك في النقاش والجدل الذي كان يدور في حلقات الدرس ·

واخذ اسمها يعلو على كل اسم لما اخذت‌تتمتع به من قدرة على ادارة المسائل الجدلية الفقهية حيث تخرج منتصرة في نهاية كل موضوع (فلقد كان علمها يرعبنا جميعا) على حد تعبير اخيها عبد الوهاب ·

وكان الجدل في تلك‌الايام يدور في‌اغلب الاحوال حول اثبات آراء الشيخيين او نقضها من قبل خصومهم‌كما قلنا من قبل·وتشاء الظروف ان‌تدخل الدعوة الشيخية اسرة آل البرغاني ، فيلتزمها عم قرة العين الملا علي ، ويناهضها عمها الثاني‌الملا محمد تقي الذي زفت الى ابنه بعد ذلك واخذها زوجها معه ورحلا الى كربلاء لطلب العلم ·

وفي‌كربلاء اخذ موقفها الفكري يتضح‌عندما راحت تميل الى السيد كاظم الرشتي داعية الشيخية آنذاك · اما زوجها فقد التزم الجانب المضاد · وعندما رجعا الى قزوين بعد حوالي ثلاث عشرة سنة كان الخلاف بينهما قد بلغ حدا لا يمكن معه من استمرار علاقتهما الزوجية · فلما اعلن عمها ووالد زوجها فتوى تكفير الشيخيين ، كان ذلك بمثابة المدية التي قطعت وصل زواجهما فهجرت زوجها وتركت اولادها ورحلت الى كربلاء لتلتحق بمعية السيد كاظم الرشتي · وكان ذلك سنة ١٨٤٣ ·· وفي يوم ما من هذه السنة وصلت قرة العين كربلاء بعد طول سفر لتجد حشود الناس تحمل نعش استاذها الرشتي الى مثواه الاخير ·

في انتظار الموعود

وكان العزاء الوحيد الذي خفف من صدمتها هو انها قررت ان تعتكف في بيتها منتظرة ظهور (الموعود) حسب وصية الرشتي • فانصرفت للعبادة والتهجد وحرمت على نفسها لذيذ الطعام ومطبوخه • وعندما جاءها النبأ بعثور البشروئي على (الموعود) في شيراز كما اسلفنا كان كيانها كله يشتعل شوقا لاجتلاء طلعته • وكان ان اعتنقت الدعوة البابية وادخل (الباب) اسمها ضمن دعاته الثمانية عشر (حروف الحي) واوفد اليها الملا علي البسطامي ليلقنها تعاليم الدعوة •

وعندما تشبعت السيدة قرة العين بمبادىء الباب عن طريق هذا الداعية نشطت للتبشير بها سرا في اول الامر خوفا وتقية مما قد يحدث للدعوة وهي جنين • وقد استطاعت ان تستقطب اغلب الافراد من الشيخيين ، فتضرب بينها وبين تلامذتها ستارا تدير الجلسات من ورائه ، وكانت تسحر المستمعين بما تملك من صوت جهوري مؤثر وحجة قوية دامغة تكيف بها النتيجة وفق ما تريد فيخرج الحاضرون وهم لا يصدقون ان ما سمعوا من حجج قد غير مفاهيمهم واراءهم •

وفي شباط عام ١٨٤٧ بدات الدعوة اسلوبا جديدا عندما ارادت قرة العين ان تتخطى جانب التقية والكتمان فتعلن اراءها جهارا • وقد ايدها بعض الدعاة وعارضها اخرون بشدة ، ولكنها لم تابه لذلك ومضت في خطتها التي ارتات مما جعل الخصوم يوجهون اليها تهما خطيرة منها انها اعتبرت كتب الاحسائي والرشتي منسوخة بظهور الباب ، وان الباب هو الامام الغائب • وافادت هذه التهم وغيرها الخصوم في اضرام النار التي كانت خبيئة في الصدور ، فهاج الناس وماجوا واتهموها بالكفر والمروق ثم تالبوا عليها ذات يوم فهاجموها في بيتها مما اضطرها ان تلتجئ الى دار السيد كاظم الرشتي • وقد سعى بعض وجهاء كربلاء في كسر حدة الفتنة فحجزوها في بيت الحاج مهدي كمونة الا ان الحاكم اضطر الى الافراج عنها ازاء ضغط مريديها فسافرت الى بغداد •

وفي بغداد واصلت قرة العين الترويج لدعوتها اذ وجدت الجو فيها ملائما ، فالدعاية التي سبقت وصولها هيأت الناس لان تتشوق لسماعها على الاقل • يقول عبد المحسن اواره في كتابه (الكواكب الدرية) : وقد حضرت ذات يوم مجلسا كان فيه الوالي نجيب باشا والمفتي ابو الشفاء الالوسي فاذهلت الحاضرين ببلاغتها •

الا ان الجو لم يصف لها في بغداد فما لبث اعداؤها وخاصة المرزا محمد حسن جوهر ان توسلوا بمختلف السبل للايقاع بها وقد استطاعوا اقناع والي العراق بخطورة امرها على الدين وضرورة حجبها عن الناس ، ولم ير الوالي بدا من احتجازها في دار الالوسي مفتي بغداد ريثما يصل من العاصمة استانبول قرار في البت بأمرها •

وخلال هذا الاحتجاز لم تنفك عن الاتصال بتلامذتها وبث دعوتها التي اخذت طابعا جديدا هو تجديد الشريعة الاسلامية والعمل بمقتضى احكام (البيان) وهو الكتاب الذي وضعه (الذكر) أو الباب الذي كان في تلك الفترة محتجزا في قلعة (ماه كو) في ايران •

الدعوة بين اليهود

لم يطل الامر حتى جاء القرار من استانبول بالافراج عن قرة العين وابعادها من العراق فخرجت متجهة الى كرمانشاه في موكب حافل من النساء والرجال • وقد ارتجت البلدة لدى وصولها ، فكان لازدحام يكثر حول منزلها حتى تضيق الازقة بالناس • وكانت النساء يأتين اليها نهارا فتقرأ عليهن الايات الجديدة واسرارها ، وفي المساء يأتي اليها بعض العلماء والامراء فيقابلونها من وراء حجاب ويستمعون الى حديثها ثم يخرجون منها متحيرين وبعضهم يخرج متجذبا ، ولم تكتف بذلك بل راحت تتحدى خصومها وتدعوهم الى (المباهلة) امام الملا الا ان احدا لم يجرؤ على مباهلتها • لقد كان العامل النفسي يلعب دوره في صالحها وازاء هذه الضجة استطاع معارضوها بالاتفاق مع امير العسكر اخراجها من كرمانشاه ليلا بالقوة الى همدان •

وفي همدان استطاعت ان تجتذب بقوة حجتها وسعة اطلاعها في التوراة واحكامها اثنين من احبار اليهود هما الملا الياهو والملا لالزار • فاعتنقا الدعوة وكان ذلك بداية انتشارها بين اليهود • وعندما غادرت قرة العين همدان الى قزوين بلدتها اراد زوجها اقناعها بالعودة اليه والى اولادها

فارسلت له ان « قولوا لهذا القريب الاحمق المغرور لوكان قصدك حقا ان تكون رفيقا لي وزوجا لكنت اسرعت لمقابلتي في كربلاء ولسرت على قدمك لحراستي وحراسة هودجي طول الطريق الى قزوين. واذ ذاك كنت اثناء سفري معه اقدر ان اوقظه من نوم غفلته واظهر له طريق الحق • ولكن ذلك لم يقدر عليه وقد مر على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الاخرة ان اجتمع به فقد طرحته كلية من حياتي الى الابد •»

لقد كان طلاقها بهذه الصورة مخالفا للتعاليم الاسلامية ، فلم يحتمل الملا محمد تقي عمها ووالد زوجها هذه البدعة الجديدة التي جاءت بها ابنة اخيه فطعنته في مبادئه وتقاليد عائلته فاعلن حربه على الدعوة وصار يصعد المنبر بعد كل صلاة فيبطل مزاعمها ويكفر كل من اعتنقها •

ولقد كان لخطبه تاثير بالغ في الناس فما لبثوا ان تالبوا على الشيخيين والبابيين فاخذوا يضربونهم علنا في الشوارع • اما قرة العين فراحت تدعو اصحابها الى مغادرة قزوين وتحذرهم « من وقوع زلزلة عظيمة ترتج منها قزوين وتسفك دماؤكم جميعا وان الله يريد بكم خيرا في المستقبل »

وفي فجر احد الايام بينما كان الملا محمد تقي يقيم الصلاة في المسجد اذ تصدى له احد البابيين فطعنه عدة طعنات قضت عليه •

هاج الناس اثر ذلك وماجوا على اتباع قرة العين فضربوا قسما منهم وقتلوا اخرين شر تقتيل• كما سيق المتهم بقتل الملا محمد تقي الى طهران حيث اعدم هناك • ثم القي القبض على قرة العين وسجنت في حرم سراى الحاكم ولكن احد اتباعها وهو المرزا حسين علي النوري الملقب (بالبهاء) استطاع خطفها وتهريبها الى طهران واخفاءها في بيته •

مؤتمر بدشت الحاسم

كان الباب خلال الحوادث السابقة مسجونا في قلعة (ماه كو) في (بدشت) وقد قرر البابيون عقد مؤتمر عام هناك للنظر في انقاذه ، وايضاح موقف الدعوة البابية من الشريعة الاسلامية • فانعقد المؤتمر في حزيران من عام ١٨٤٨ حضره اقطاب الدعوة ، وكانت النقطتان اللتان طرحتا في المؤتمر هما : هل تنسخ الشريعة الاسلامية وتتحرر الدعوة البابية منها تماما ام تبقى ملتزمة بها وتقوم بدور المصلح فقط •

طال الجدال بين المؤتمرين الذين انقسموا الى قسمين متناحرين وفي النهاية كانت المفاجاة الرهيبة، اذ دخلت قرة العين المؤتمر وقد اسفرت عن وجهها على غير عادتها وتزينت باجمل زينة ولبست ابهى حلة وهي تصرخ بصوت جهوري « اني انا الكلمة التي ينطق بها القائم ، والتي يفر منها نقباء الارض ونجباؤها ٠٠٠ ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي تفك فيه قيود الماضي ٠٠ فليتم كل من يشترك في هذا المجد ويقبل صاحبه ، فان احكام الشريعة المحمدية قد نسخت بظهور الباب »

كانت المفاجاة رهيبة حقا بل كانت اعظم من ان يتحملها القوم فعمدوا الى اخفاء وجوههم بايديهم وعباءاتهم كي لا يروا وجه قرة العين وهو بهذه الصورة، وقد صعقت المفاجاة احدهم فعمد الى رقبته فاحتزها بسكين وخرج نازف من المؤتمر لا يلوى على شيء • وجرد آخر سيفه يريد ان يهوى به عليها •

غير ان قرة العين لم تابه لذلك واستمرت في خطبتها «٠٠٠٠ واما ادخار المال عند احدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال ، فهو اصل كل وزر واساس كل بلاء ، لانه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم بل هو حق مشاع غير مقسوم جعل للاشتراك بين الناس فليشارك بعضكم بعضا بالاموال ٠٠٠ اتركوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بان تشاركوهن بالاعمال وتقاسموهن بالافعال ٠٠ »

كان مؤتمر (بدشت) نقطة التحول في الدعوة البابية اذ استطاع بعض الاتباع ان ينتزعوا المبادرة ويستولوا على قيادة الدعوة والسير بها في طريق مغاير لتعاليم الاسلام كفرقة دينية قائمة بذاتها ناسخة لما قبلها من اديان • واثر ذلك بدات المتاعب والعقبات تتكاثر في طريقها • فبعد الضجة التي احدثها مؤتمر (بدشت) هاج الراى العام على البابيين واخذت الاعتداءات تنهال عليهم • وفي ٩ تموز (يوليو) عام ١٨٥٠ اعدم الباب في مدينة تبريز بناء على فتاوى العلماء •

ابادة البابيين

وفي ١٥ آب (اغسطس) من عام ١٨٥٢ نجا شاه ايران ناصر الدين من محاولة اغتيال دبرها

البابيون له . وبنجاته اعلنت اباحة دماء البابيين للشعب وبدات المذابح تمارس علنا فى الشوارع وجمع المتقلون ووزعوا حصصا متساوية على الناس لكي لا يفوت احد ثواب القتل فعذبوا وقطعوا بالفؤوس .

القى القبض على قرة العين واحتجزت فى دار محافظ طهران (محمود خان) وكانت طيلة فترة احتجازها تتصل بنساء المحافظ واهل بيته وتلقنهم مبادىء الدعوة على الرغم من المذابح التى كانت قائمة على قدم وساق وتهافت عليها نساء المنطقة يستمعن اليها .

ارسل الصدر الاعظم عالمين دينيين الى قرة العين لامتحانها ثم تقرير مصيرها على ضوء التقرير الذى يقدمانه ، فاتصلا بها وناقشاها فى كثير من الامور الدينية ولكنها لم تتزحزح عن رأيها وقالت لهما ان الادلة التى تسوقانها هى اشبه باقوال طفل غبى جاهل فالى متى تسيران وراء هذه الاكاذيب والخرافات الجنونية والى متى لا ترفعان راسيكما للثريا شمس الحقيقة » وخرج الرجلان من عندها معلنين ان قرة العين مرتدة عن الدين كافرة لذا فهي تستحق القتل عملا باحكام القرآن الكريم .

وفى اليوم المعين لتنفيذ حكم الاعدام اقتيدت قرة العين الى حديقة الايلخانة الواقعة امام السفارة البريطانية فى طهران ولما تقدم منها الجلاد تمهلته قليلا لتوضح له اهداف دينها الجديد ثم قدمت له منديلا من الحرير قائلة « والآن امض لما انت مقبل عليه » واخذ المنديل منها وطوق به عنقها ثم راح يجذب طرفيه بكل ما يملك من قوة .. ولم تمض بضع دقائق حتى سكنت انفاسها وهدأ جسدها الذى ما استقر ساعة طيلة حياتها ، ثم القيت جثتها فى بئر كانت هناك وهيل عليها التراب وسويت تلك البئر بالارض ...

■■

حسين على الجبورى

كربلاء ـ العراق

■ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافى قلبه ، وهو الد الخصام

(قرآن كريم)

■ فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه

(الامام على)

■ على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

(المتنبى)

■ اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غداً .

(عبد الله بن عمرو بن العاص)

■ فان تصبر النفس تلق السرو ر وان تجزع النفس اشقى لها

(الخنساء)

اثر العقائد الدينية فى تقدم

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ،وأودع نفوسهم ثلاث خصال،(١) كل منها ركن لوجود الامم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، وأساس محكم لمدنيتها ، وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذرى السعادة ، ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ،ويزعها عن مقارفة الفساد ،ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها ٠

العقيدة الاولى : التصديق بـان الانسان ملك أرضى ، وهـو أشرف المخلوقات ٠

الثانية : يقين كل ذى دين بان أمته أشرف الامم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ٠

والثالثة : جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات ، جديرة أن تسمى بيت الاحزان وقرار الالام ــ الى دار فسيحة الساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضى سعادتها ، ولا تنتهى مدتها ٠

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الاثار الجليلة فى الاجتماع البشرى ، والمنافع الجمة فى المدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، ، وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع ، والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الاخر بالمسالمة والموادعة ، والاخذ بهمم الامم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى ٠

من البيّن ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها ٠

فمما يلزم الاعتقاد بان الانسان أشرف المخلوقات ــ ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها، وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى ،وكلما سما عقله اوفى على المدنية ،واخذ منها بأوفر الحظوظ ، حتى قد ينتهى به الحال الى ان يكون واحدا من أهل المدينة الفاضلة ، يحيا مع اخوانه الوصلين معه الى درجته على

---

(١) هذا النص مقتبس من رسالة « الرد على الدهريين » وقد الفه السيد باللغة الفارسية سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) حين كان فى مدينة « حيدر اباد الدكن » وقد ترجم الرسالة الى العربية تلميذه الأستاذ الامام محمد عبده بمساعدة تابعه عارف ابى تراب الافغانى٠



البشرية

للسيد جمال الدين الافغانى

١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م)

قواعد المحبة ، وأصول العدالة ،وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا ، وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها ٠

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة(٢) الحمر الوحشية فى معيشتها والثيران البريةفى حالتها ، ومضاربة (٢) البهائم السائمة،والدواب الهاملة ، والهوام الراشحة التى لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ، ولا تهتدى طريقا لحفظ حياتها،وتقضى آجالها فىدهشة الفزع ووحشةالانفراد٠

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدى لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضاربة ، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفعصاحبها عنمشاكلة الحيوانات فى خسائس الصفات٠

وهذهالعقيدة أحجى حاد للفكر فى حركاته، وانجح داع للعقلفىاستعمال قوته ، وأقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل ٠

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ، بليظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل ، والى اى حد تصل بهم الشرور ، وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم ، وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية ٠

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل ـ ان ينهض آحادها لمكاثرة الامم فى مفاخرها ، ومساماتها فى مجدها، ومسابقتها فى شرائف الامور وفضائل الصفات ،وان يتفق جميعها على الرغبة فى فوت جميع الامم ، والتقدم عليها فى المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ، ومعاشية كانت أو معاديّة ،وتأبى نفسكل واحد عن اعطاء الدنية، والرضا بالضيم لنفسه ، او لاحد من بنى أمته ٠ ولا يسره ان يرى شيئا من العزة ، أو مقاما من الشرف لقوم منالاقوام ،حتى يطلب لامته افضله واعلاه٠ ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومهاليق واجدر بكل ما يعد شرفا انسانيا٠

فان جارت صروف الدهرعلىقومهفاضرعتهم ، اوثلمت مُجدهم،اوسلبتهم مزية من مزايا الفضل ـ لم تستقر له راحة ، ولم تفتأ له حمية ولم يسكن له جيشان ، فهو يمضى حياته فى علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه او يموتفى أساه(٣) ٠

---

(٢) المضارعة : المماثلة ٠ وضريب الشيء : نظيره

(٣) يأسوه : يطببه ويعالجه ، وأساه : علاجه ٠

فهذه العقيدة أقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب بها الى طلب العلوم ، والتوسع فى الفنون ، والابداع فى الصنائع، وانها لابلغ فى سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف ، من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل ·

وان اردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ، ماذا تجد من فتور فى حركات آحادهم نحو المعالى ؟ وماذا ترى من قصور فى هممهم عن درك الفضائل ؟ وما ينزل بقواهم من الضعف ؟ وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة ؟ والى أى هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا انهم ادنى من سائر الملل ·

ومن مقتضيات الجزم بان الانسان ماورد هذا العالم الا ليتزود منه ، كمالا يعرج بهالى عالم ارفع ، ويرتحل به الى دار أوسع ، وجناب امرع، ليمرع واديه ـ ان من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها ، وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة ، والمعارف الصافية ، خشية ان يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما أودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة ، باستعمالها فيما خلقت له فينجلى كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ، ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، ولا يناله التقصير فى تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعةمتنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة، معرضاعن ابواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبى ، والخداع الثعلبى ، ثم ينفق ماكسب فى الوجه الذى يليق ، وعلى الوجه الذى ينبغى ، وبالقدر الذى ينبغى ، لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقا عاما او خاصا ·

فهذه العقيدة احكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة ، وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم ·

هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق ،والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات· هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية ، تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة ، وهى غراس تلك العقيدة التى تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة ، وتجلسه على كرسى السعادة ·

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس ؟ وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشرة والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد ؟ وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة(٤) عن نور المعرفة ■■

---

(٤) العشا (على وزن العمى) ضعف البصر ، وصاحبه : اعشى ·

صحف وجرائد عربية

■ دارت مسابقة العدد ٢١٩ من العربي على اسئلة حول صحافتنا العربية وتاريخها الطويل وعن بدايات تلك الصحف في مشرق بلادنا العربية ومغربها ثم المطبعة وكيف دخلت بلادنا ، وقد استطاع المشتركون بالمسابقة أن يجيبوا على الاسئلة اجابات صحيحة كما أن عدد المشتركين في هذه المسابقة كان في زيادة ملحوظة .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ التنبيه اسم اول صحيفة عربية ظهرت في العالم العربي وقد صدرت في القاهرة عام ١٨٠٠م على يد نابليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية .

٢ ـ اول مطبعة عربية وصلت الى العالم العربي في مطلع القرن الثامن عشر اقيمت في حلب .

٣ ـ الجريدة المصرية اليومية التى احتفل في العام الماضي بذكرى مرور ١٠٠ عام على مولدها هي جريدة الاهرام .

٤ ـ الصحف العربية السعودية هي : الجزيرة ـ عكاظ ـ اليمامة ـ الرياض ـ المدينة ـ الندوة .

٥ ـ المجلة الاولى الكويتية التي كان يصدرها المؤرخ الكويتي عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨م كان اسمها الكويت وكانت تطبع في مصر .

٦ ـ الصحيفتان اليوميتان اللتان تصدران في المغرب هما العلم ـ الانباء .

٧ ـ مؤسس صحيفة الهدى العربية في نيويورك بالولايات المتحدة عام ١٨٩٨ هو نعوم مكرزل .

٨ جوتنبرج مخترع الطباعة بالحروف المتفرقة في عام ١٤٣٦ م كان الماني الجنسية .

الفائزون بالجوائز

❋ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها: محمد على المحسن ـ القطيف / السعودية .

❋ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: محمد عمر المروعى ـ الزيدية ـ اليمن الشمالي .

❋ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : حسين عبد السلام الهجين ـ طرابلس / ليبيا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ باسم محمد الزعبي ـ اربد / الاردن .
٢ ـ ممدوح على احمد بيومى ـ سمالوط/مصر .
٣ ـ على مبارك الفارسي ـ الشويخ/الكويت
٤ ـ خالد معروف عمر ـ السليمانية/العراق
٥ ـ احسان محمد جعفر ـ اللاذقية /سوريا
٦ ـ وفاء دالاتي شامي ـ طرابلس/لبنان .
٧ ـ محمد الحسن فضل المولى ـ الخرطوم/السودان .
٨ ـ يوسف احمد محمد ـ جد حفص/البحرين .



.. الذين يعزفون نغم الحياة

بقلم : منير نصيف

■ قالوا للفيلسوف الامريكى وليم جيمس ، استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الامريكية : « لماذا اخترت التدريس ؟ » وقال الاستاذ صاحب «فلسفة الذرائع » (١) : « لازرع الحب فى قلوب ابنائى ! »

ولكن احدا على وجه التحديد لم يستطع ان يذكر لنا مدى النجاح الذى حققه هذا الفيلسوف الكبير فى محاولاته .. ولو ان كتبه ومؤلفاته امتلأت بهذه المعانى الجميلة التى ازدحم بها صدره ورأسه !

لقد كان وليم جيمس احد هؤلاء الذين اضاءوا لنا الطريق بالكلمة والعمل ، وهذه الموهبة الخاصة التى ينعم بها البعض وتضيق بها صدور البعض لانهم يفتقدونها .

امثال هذا الفيلسوف الانسان كثيرون .. وهم ينتشرون فى كل اركان الارض الواسعة .. انهم لا يرسمون لوحات جميلة .. ولايصنعون التماثيل التى ترتفع فوق القواعد العالية فى الميادين العامة ، ولا يقرضون الشعر الذى يعيش من بعدهم فى الكتب وعلى شفاه الناس .. ومع هذا فهم أعظم من كل هؤلاء .. لان موهبتهم اغلى والثمن ، لانها الحياة فى أروع صورها كما يفهمونها ويعيشونها ويفلسفونها .. لان ما يصنعونه ويقولونه يرفع معنوياتنا ، ويفتح امامنا تلك الطرق الضيقة المظلمة التى كنا نتصور انها قد سدت فى وجوهنا فى لحظة من لحظات اليأس او المرض ، أو خيبة الامل ، او الوحدة التى نحس بها ، حتى لو كنا نعيش فى اكثر مدن العالم ازدحاما بالناس ..

هؤلاء « الفنانون » الموهوبون ، يتحركون فى هدوء دون أن يتأثروا بأحد ، ودون أن يتوقعوا أن تمتد يد لتضع وساما فوق صدروهم ، لانهم يصنعون ما يصنعون ويقولون ما يقولون بصورة تلقائية ، فهذه هى طبيعتهم ، وهذه هى خصالهم ، وهذا هو اسلوبهم فى الحياة ..

---

(١) فلسفة امريكية تتخذ من النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الافكار الفلسفية وصدقها .

كيف ؟ وما هو هذاالاسلوب ؟ ومن هم هؤلاء ؟

كلهن بناتها !

ونبدا بقصة الام التى ذهبت لتزور ابنتها المريضة بالمستشفى .. لقد اخطات الطريق الى غرفتها ، وفجاة وجدت نفسها فى غرفة أخرى ، ترقد فيها أربع فتيات لا فتاة واحدة .. واتجهت عيون الفتيات المرضى الى هذا الوجه الغريب .. ولم تشعر الام للحظة واحدة انها اخطات ، لم تندفع للخارج بحثا عن غرفة ابنتها التى كانت تعد الدقائق للقائها بعد ليل طويل قضته ساهرة تدعو لها بالشفاء .. فقد احست فى هذه اللحظة ان كل واحدة من هؤلاء الفتيات الاربع هى ابنتها .. وتقدمت فى خطى ثابتة وابتسامة حانية تضىء وجهها ، حتى اقتربت من اقرب فراش اليها ، ومدت يدها تصافح الفتاة المريضة التى اجرى لها الاطباء ، جراحة منذ بضعة أيام ، وانحنت تقبل جبينها ، وتسالها فى رفق : « كيف حالك اليوم يا عزيزتى ؟ ثم راحت تتنقل بين الاسرة الاربعة، وتذكرت باقة الزهور التى كانت تحملها فى يدها وصندوق الحلوى الذى اشترته لابنتها ، وقدمت لكل منهن زهرة ، وقدمت لكل منهن قطعة من الحلوى التى تحبها ابنتها .. وقضت بينهن اكثر من نصف ساعة كاملة ، تحدثهن فى كل شىء وعن اى شىء ، ما عدا العلة التى تشكو منها كل منهن .. ولما همت بالانصراف عندما تذكرت ابنتها قلن يسالنها : « ولكن من انت ياسيدتى ؟ انت لست واحدة من أطباء المستشفى على أية حال ، من أنت ؟ »

ـ انا أم ولى ابنة هنا فى مثل سنكن ، أرجو أن تسمحن لى الان بالذهاب لرؤيتها !

ـ نرجوك أن تعودى الينا ، دعينا نراك مرة أخرى .

هبة الحياة

وخرجت الام وهى تودعهن بقبلة أخرى .. وفى صوتها ، وفى عينيها .. وفى حديثها ، تلك الرسالة التى أرادت أن تنقلها لهن بمشاعرها واحاسيسها واسلوبها الذى تعودته فى الحديث الى الناس .. كل الناس .. أية رسالة ؟

« ان هبة الحياة هى اهم واغلى وأثمن ما فى الحياة ! »

وهناك على بعد خطوات قصيرة ، فى نهاية الردهة ، كانت سيدة عجوز تجلس على كرسى تحركه اربع عجلات وتتنقل به من مكان لآخر .. لقد هدها الزمن .. كانت يداها العجوزتان تحملان آثار عمل طويل ، وساقاها المشلولتان تحكيان قصتها الطويلة مع أسرتها التى رعتها وحنت عليها وأفنت عمرها كله من أجل اسعادها .. وكانت تبتسم ؛ ولكنها ما لبثت أن نفضت الابتسامة عنوجهها عندما احست بالمرضة تقترب منها لتدفع بالكرسى أمامها الى حديقة المستشفى ، المكان الوحيد الذى تذهب اليه لقضاء جانب من النهار مع الشمس المشرقة والزهور التى تملأ الحديقة الجميلة .. وقالت السيدة فى الم يشوبه مرح واضح : « نسيت القفاز الابيض الذى اضع فيه يدى .. انت لا تتوقعين منى بكل تاكيد ان اخرج فى نزهتى بهاتين اليدين العجوزتين .. ارجوك أن تعودى الى غرفتى وتاتى الى به ! »

وعادت الممرضة تحمل القفازين ، وأمسكت بهما السيدة ، وفى كبرياء وحماس شديدين ، راحت تضع فيهما أصابعها بهدوء حتى غطى القفازان يديها تماما .. وقالت تحدث ممرضتها : « الان نستطيع أن نبدأ يا عزيزتى رحلتنا اليومية ! »

ـ كيف تشعرين اليوم يا سيدتى ؟ »

وخرج المرض مقهورا

قالت : « الالام هناك فى مكانها ولكن هل يجب أن يمنعنى الالم من ان أبدو أكثر اناقة ؟! »

وانطلقت ضحكة مرحة ! لقد أحست فى هذه اللحظة انها استطاعت ان تقهر هذا العدو الجاثم فوق ساقيها .. لقد خرج الالم مهزوما ، وقالت وهى تنظر الى ممرضتها من فوق كتفها : « انت لا تعرفين ماذا اعددت له فى المرة القادمة، ثم رفعت يدها بقفازها الابيض الجميل فى الهواء، مهددة متوعدة ، واكملت حديثها ، قالت : « سوف اصرع الالم اذا حاول ان يقف فى طريقى ! »

ما أروع الدرس الذى حاولت هذه السيدة العجوزالمريضة ان تلقننا اياه .. لقد قالت لنا أشياء كثيرة .. ولكن اهم ما نقلته لنا فى

رسالتها هو اسلوبها فى مواجهة تحديات الحياة بلا خوف وبلا وجل ، حتى عندما يتقدم بنا العمر، ونحس بان خطواتنا قد أبطأت ، وحتى عندما لا تكون لنا خطوات على الاطلاق ونضطر الى ركوب مقعد يسير على عجل !

الابواب الموصدة

يحدثنا الكاتب الشاعر ادجار الان بو عن السعادة التى يجدهـا المرء عندما يواجه قسوة الحيـاة بشجاعة يقول :« اننى انظر الى اللحظات العصيبة التى تمر بنا ، نظرتى الى الابواب الموصدة فى وجوهنا ، التى يجد المرء منا صعوبة فى فتحها ! ترى ماذا نفعل ازاءها ٠٠ هل نتركها ونمضى فى طريقنا ٠٠ ولكن اى طريق يمكن أن نسير فيه ونحن لا نعرف ما الذى يخفيه عنا هذا الباب الموصد أمامنا ٠٠ الا يمكن أن نجد وراءه ما كنا نامل فيه ونمنى انفسنا به ! يجب اذن الا نتركه مغلقا ، رغم ما يتطلبه من جهد لفتحه ٠٠ لا بد لنا أن نحاول ولا نكف عن محاولاتنا حتى نرى ما يخفيه وراءه ٠٠ يجب ألا نصدر حكمنا على الابواب الموصدة قبل أن تفتح أمامنا ونمر من خلالها مهما كانت المشاق ، فبعض هذه الابواب كثيرا ما تخفى وراءها اجمل وأروع ما يأمـل الانسان فى تحقيقه !

كتب ادجار الان بو هذه الكلمات ، وهو يعانى من مرارة الفقر والالم خلال حياته القصيرة التى لم تدم لاكثر من أربعين عاما ٠٠ وقد استطاع هذا الكاتب الفنان بفلسفته واسلوبه فى الحياة أن يقدم لنا انتاجا رائعا وضع فيه كل فكره حتى عندما رحلت زوجته وشريكة عمره وحتى وهو يرى القلم يرتجف فى يده ، وحتى عندما قال لـه الاطباء انه لن يعيش طويلا ٠٠ فقد مضى يكتب ويكتب ٠٠ وعندما بدات متاعبه لما احست زوجته الصغيرة فى احدى الليالى ، بالبرد ياكل جسمها النحيل المريض وصدرها الذى زحف اليه مرض السل ٠٠ لم يبك ، ولم يحزن ، وهو يرى نفسه عاجزا عن توفير الغطاء ليعيد اليها الدفء ٠٠ لقد جلس على طرف فراشها ، وامسك باصابعها الباردة ، وقال يحدثها وهو يبتسم : « سيزورنا اليوم أصدقاؤنا الصغار ، وسوف تجدين وسطهم الراحة والدفء يا عزيزتى ٠٠ ولكن لا بد أن اذهب لاساعدهم على المجىء ! »

وعاد الدفء الى الفراش البارد

وابتسمت الزوجة المريضة بدورها ، وافلتت يدها من بين أصابعه ، ورفعتها الى وجهه تمسح دمعة لم يستطع أن يحبسها !

وقام مسرعا ، ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى كان قد عاد اليها ، ولم يكن وحده ، كان يحمل فوق صدره ثلاث قطط صغيرة وضعها تحت قدمى الزوجة ولكى يغريها على البقاء ، حمل لها وعاء افرغ فيـه ما تبقى لديهم من حليب ، وراحت القطط تلعق اللبن ، وتشيع بفرائها الدفء فى الفراش البارد !

ونامت الزوجة ٠٠ ونامت القطط تحت قدميها ٠٠ وفى الصباح كانت مهمة « الاصدقاء الصغار » قد انتهت ، فلم تعد الزوجة المريضة تشعر بالبرد ٠٠ لقد انتهت الامها بذهابها فى تلك الرحلة البعيدة الى العالم الآخر ٠٠

ولو أن هذا الكاتب الفنان وقف طويلا أمام هذا الباب الذى اوصده القدر فى وجهه وهو يرى شريكة عمره تذوى أمام عينيـه لم تتركـه وترحل ، لما استطاع أن يمضى فى طريقه القصير ٠٠ ولكنه راح يفتح الابواب المغلقة ، وكان كلما انتهى من كتاب جديد ، فتح أمامنا ابوابا ، لم يطرقها ، ولم يقف عندها أحد من قبل !

من أنـت ! ؟

قالوا يوما للكاتب المشهور سومرست موم ٠٠ من أنت ؟

قال : « انا رجل انجليزى ، هكذا تقول دمائى ٠٠ وانا ايضا فرنسى ، هكذا تقول نشأتى ولكن لم يكن لى خيار فى اختيار اللغة التى اتحدثها واكتب بها ، فهى لسان أبى وأمى ! ولم يأت السؤال عفوا ، فقد كان متصلا بسؤال آخر طالما الح على أصدقاء الكاتب الكبير وهم يرونه يقترب من نهاية رحلته الطويلة فى الحياة التى دامت زهاء قرن كامل من الزمان ٠٠ كانوا يريدونه أن يعود الى الارض التى انبتته ٠٠ الى انجلترا ٠٠

وكان موم قد جاوز عامه الثمانين ، عندما التفوا حوله ذات امسية في احدى الفيلات الجميلة التي يملكها في فرنسا ، وجلس الكاتب القصصي الكبير يحدثهم ، ويقول لهم لماذا لا يريد أن يعود الى بلده ، قال : « كنت املك بيتا صغيرا في الريف الفرنسي .وكانت تشرف عليه وتدير شئونه سيدة تقدم بها العمر •• وكانت تعيش وحدها ، بعد أن ذهب أبناؤها وبناتها يبحثون عن رزقهم في أرض جديدة •• وفي أحد الايام قلت لصديقتي العجوز انني اشتريت بيتا في باريس ، وأريدها ان تنتقل معي اليه ، لانني لم أجد من هو افضل منها لرعاية شئوني !

ولكن السيدة اعتذرت !

وقلت أسالها : « هل هناك أسباب تدفعك الى رفض الذهاب معي الى البيت الجديد •• ان انتقالنا الى باريس لا يعني اننا لن نعود الى الريف مرة أخرى ! »

أشياء صغيرة

وقالت السيدة: هناك أشياء يا سيدي لا تفهمها، لانك ربما لا تشعر بها •• انها اشياء صغيرة تمر بنا كل يوم ، ولكن قلما وقفنا عندها نتاملها او نفكر فيها •• انني لا أريد أن اشغل وقتك بحديث قد لا يهمك أن تستمع اليه • ولكن ارجوك أن تعفيني من هذه المهمة •• سابقى في قريتي، وساجد عملا اخر وساعيش سعيدة ! »

وقال الكاتب الكبير يكمل قصته : واعتدلت في جلستي ، والقيت بالكتاب الذي كنت أقرأ فيه جانبا ، ودعوت مدبرة بيتي الى الجلوس امامي ، فجلست بعد تردد ، وقلت ، بل انني مصمم يا سيدتي أن أعرف هذه الاشياء الصغيرة التي لا أعرفها ! ولم اكن أتصور حتى هذه اللحظة أن هذه السيدة العجوز قد استطاعت أن تملأ حياتها بتلك الصور الجميلة التي حدثتني عنها فيما بعد ، عندما تلفتت حولها ، فلم تجد أحدا من هؤلاء الذين افنت عمرها في رعايتهم والعناية بهم ، حتى اذا ما احسوا بان اقدامهم قد ثبتت على الارض ، سارعوا يتركون البيت الذي حواهم صغارا ، والصدر الذي حنا عليهم ، والقلب الذي ملأه الالم لفراقهم ••

كلهم فنانون !

قالت السيدة في صوت هادىء ظل يعيش معي لسنوات وسنوات مقبلة في كل مرة جلست فيها وحدي مع قلمي وكتبي !قالت : انني اصحو في الصباح يا سيدي على زقزقة العصافير وصياح الديك •• واخرج الى الشارع فترتفع الايدي لتحيتي •• انني لا أعرف اصحابها وهم ايضا قد لا يعرفونني •• ولكن هذه الابتسامة التي اراها على الوجوه التي القاها •• وهذه التحية التي اراها من على البعد •• وهذه القبعة التي ترتفع لم تعود الى مكانها •• كل هذه الصور التي تعودت رؤيتها وسط الحقول التي امر بها •• وفي شوارع القرية واسواقها •• تجعلني أشعر انني ما زلت أعيش وسط أبنائي وبناتي ، اخشى ان افتقد هذا كله وسط زحام باريس ! »

ثم وجدها تعود بذاكرتها الى الماضي البعيد •• الى طفولتها ، قالت : « كنت اخرج مع شقيقتي ونسير على اقدامنا أميالا طويلة لكي نرى قطار السكة الحديد الذي كان يمر بعيدا عن القرية حتى اذا ما بلغناه جلسنا نستريح •• وفجأة نسمع صوت صفارته وهو قادم من بعيد •• فلا يكاد يصل قريبا منا حتى نرفع ايدينا ونلوح بها في الهواء لركاب القطار •• وكنا نشعر بسعادة كبيرة ، عندما نرى الايدي ترتفع بدورها وترد لنا التحية •• ونبقى هكذا في جلستنا حتى يغيب القطار عن اعيننا ، فنقوم ونبدأ رحلة العودة الى البيت ، وفي صدورنا هذا الشعور بالسعادة التي غمرتنا •• لاننا في ذلك اليوم احسسنا بصلة تربط بيننا وبين العالم كله من حولنا •• احسسنا بان هناك من يريد أن يقول لنا : لقد شاهدناكما، نحن نشعر بكما ونعرف انكما هناك في هذه القرية الصغيرة الجميلة ! »

هؤلاء هم الفنانون الذين يعزفون نغم الحياة •• انهم يوقظون فينا الادراك والفهم لصور الحياة •• انهم يملأون قلوبنا بالحب والقوة والشجاعة •• انهم فنانون موهوبون •• وهذه الموهبة فيهم ، هي اثمن واغلى ما في الحياة ، لانها الحياة ذاتها •

■■

منير نصيف

طرائف اجنبية



في مواجهة الحياة والموت

● يوم ولدت ، كان كل الذين حولك سعداء ...

وكنت تبكي وحدك !

اجعل حياتك حافلة بالاعمال الطيبة، حتى اذا ما جاءت ساعة رحيلك ،رأيت كل الذين حولك يبكون .

وكنت انت وحدك بلا دموع تذرفها ..

هكذا يواجه المرء الموت في هدوء في اى لحظة يجيء ...

كانت هذه الكلمات بين الاوراق الخاصة التي عثروا عليها في بيت داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الاسبق بعد وفاته في الكونجو في حادث سقوط طائرته ، وهو يحاول ان يعيد السلام الى الارض التي مزقتها الحرب الاهلية عام ١٩٦١ . لقد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية وهو تلميذ صغير في مدارس السويد الابتدائية !

الاصل .. والصورة

● تشارلز لامب المؤلف الانجليزى الذى اكتشف نفسه بعد ان قضى نصف عمره يعمل موظفا صغيرا في شركة الهند الشرقية ، يروى قصته مع الكتابة والتأليف يقول/ « اننى مدين لشقيقتى ، فلولاها ما كانت « تجارب اليا » أو حكايات اليا The Essays of Elia ، اروع ما قدمت خلال فترة تأملى القصيرة للحياة وصورها ! »

ثم يحكي لامب بعد هذا قصته مع « تجارب اليا » .. لقد شرع في كتابتها بعد عودته الى لندن مباشرة وقد ملأها بحبه للحياة في العاصمة البريطانية ، ثم جاءت شقيقته مارى ، وراحت تقرأ ـ كما تعودت ان تفعل مع كل محاولاته السابقة ، ولكنها ما كادت تنتهى منها حتى اعادتها اليه ، وقالت « انا ذاهبة الى الريف ! »

ـ ولكنك لم تذكرى لى بعد ،كيف وجدتها ؟

ـ هناك في بيت ابى الريفي الصغير سوف أقول لك رأيى فيما كتبت .

وفي احضان الريف .. وفي قلب الحقول الواسعة ، ومع وجوه المزارعين البسطاء .. عثر تشارلز لامب على الاصل للصورة التي قدمها من لندن في « حكايات اليا وتجاربه » .. فقد عاد مع شقيقته الى الريف .. الى الارض .. الى اصل الحياة .. وجلست مارى بجوار شقيقها أمام مكتبه في الريف يقدمان لنا « تجارب اليا » في شكلها الجديد !





« العجوز » ٠٠ وتشرشل !

● كان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحل ، يكره اى حديث يذكره باقامته التى طالت على الارض ! حدث ان كان يعبر الشارع يوما امام مجلس العموم البريطانى الذى قضى فيه اكثر من نصف قرن نائبا عن دائرته الانتخابية ، عندما اصطدم به شاب صغير فى الثامنة عشرة ٠٠ وراح الشاب يعتذر ويردد عبارات الاسف ، ولكنه ما لبث ان توقف وكأنه تذكر شيئا ، وقال : « على أية حال لقد وجدت أخيرا شيئا أرويه لاصدقائى وأفاخر به أمامهم ، سأقول لهم ان كتفى قد حك كتف سير ونستون تشرشل السياسى العجوز ! »

وهنا ابتسم تشرشل فى سخرية وقال : وكأن عقربا لدغته ، وهو يسمع كلمة عجوز : « اننى اسعد منكم حالا ، انتم يا معشر الشباب ٠٠ قد تكون السن قد تقدمت بنا حقا ، ولكننا ازددنا شعورا بالسعادة ٠٠ انتم سعداء لانكم غارقون فى حماقات الشباب وشهواته ٠٠٠ اما انا وامثالى من العجائز الذين تقصدهم ، فسعادتهم من لون آخر لا تعرفونه ٠٠ انهم يجدونها فى العقل والحكمة ، وتجربتهم الطويلة مع الحياة ! »

ستعودين الينا !

● تروى كلير بوت لوس زوجة هنرى لوس ، مؤسس مجلة تايم الامريكية ، حوارا طريفا دار بينها وبين صاحب صالون للتجميل فى الشانزيليزيه ، افخم واكبر احياء باريس ٠

تقول كلير انها سألت صاحب المحل عن السر فى تسمية صالونات التجميل فى فرنسا بهذا الاسم المتواضع «كوافير» ، اى مصفف الشعر ، مع انه كان فى استطاعتهم ان يستخدموا نفس الاسم الذى يطلقه أصحاب هذه المحال فى امريكا ، بالفرنسية ، وهو لا يختلف الا فى النطق ، وتقديم كلمة وتأخير اخرى ٠

ثم تقول كلير : « وتصورت اننى نجحت فى اقناع الرجل ، وانه سيسارع الى انزال اللافتة القديمة ووضع لافتة جديدة بدلا منها ٠٠٠ ولكننى ما لبثت ان اكتشفت مدى سذاجتى ! فقد نظر الى الرجل وهو من اشهر مصففى الشعر فى باريس ، وقال وهو يبتسم : لا ياسيدتى ٠٠ ان «كوافير» لاتعنى مجرد مصفف للشعر وانما تعنى انك سوف تعودين الينا مرات كثيرة اخرى ، لانك لن تفلحى ابدا فى تصفيف شعرك بهذا الجمال ! »

ثم تقول كلير : « لقد أحصيت عدد المرات التى عدت فيها الى محل الكوافير فوجدتها اكثر من عشرين مرة ، فى اقل من شهرين ، وهى الفترة التى استغرقتها اقامتى مع زوجى فى باريس ! » ٠

لغتنا العربية وحاجات هذا العصر

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ اكثر من شعار اقترح لهذا العام فبعضهم يطلق عليه « عام الطفولة » وبعضهم يطلق عليه « عام الحسم » أو « عام القضية » ، بالنسبة الى فلسطين ، وبعضهم يطلق عليه « عام اللغة » ٠ ولا باس من أن يطلق اكثر من شعار على عام واحد ، فان ذلك يعني تنافسا شريفا في أعمال جادة ، تعزز اوجه الخير في عدة جوانب من الحياة الانسانية ، اذ ان كل شعار يعني دفع المتخصصين للسعي الحثيث في الوجه الذي يهتمون به ٠

ولما كنت من المتجهين نحو اللغة ، فانه يطيب لي ان اتوقف حول ما يعنيه هذا الشعار الاخير الذي اقترح لهذا العام ٠ واول ما ارجوه أن تاخذ به جميع اقطار أمتنا العربية ٠ فمن المعروف ان اللغة هي أوثق رباط يربط بين افراد هذه الامة ، بالاضافة الى انها هي الاداة التي يعبر بها كل فرد عما يجول في نفسه من افكار وعواطف وآمال ٠٠ فلو انك اخذت أثرا فكريا او ادبيا صدر باللغة العربية الفصيحة ، فانه يصعب عليك أن تعرف ما اذا كان صاحب هذا الاثر من مشرق الوطن العربي أو مغربه٠٠حتى ولو كان ذلك الاثر يعالج واقعة محلية ٠٠ لان الجزائري او السوري أو العراقي كثيرا ما يعيش أحداث قطر غير قطره ٠٠ أو كثيرا ما يدرس في بلد غير بلده الذي نشا فيه ، واذا به يتاثر بتلك الاحداث فيصوغ ذلك التاثر شعرا او قصة او مقالة تتناول قضية اجتماعية او اقتصادية او سياسية أو عاطفية او علمية ، مما يجعل قارئها غير قادر على معرفة البلد الذي ينتمي اليه ذلك الاديب او المفكر الذي اصدر ذلك الاثر ، وقد انتهى الباحثون من القول بان اللغة هي الميدان الخصب الذي يستطيع شتى الباحثين أن ينطلقوا منه لدراسة الامة التي تتحدث بها ٠٠ فمنها يستطيع الباحث الاقتصادي معرفة حالتها الاقتصادية ، وقل مثل ذلك في بقية نواحي الحياة من سياسة واجتماع وعلوم ٠٠ اذ أن مفردات تلك اللغة توضح لك مستويات اهلها ، فكلما ارتقت الامة في حياتها ارتقت لغتها ونشات فيها مفردات تخص ما تمارسه الامة من نشاط في أي ميدان من ميادين الحضارة ٠٠ لأن الذهن لا يستطيع ان يفكر بدون لغة ٠ فقد ذهب العصر الذي يقبل من الكاتب بان تكون مفرداته أكثر من معانيه ٠

ولعلنا من أشد الامم حاجة الى أن نضع شعار « عام اللغة » موضع العمل الجاد فما يزال في هذه الامة من يعتقد بان لغتها غير صالحة لاستيعاب ما يجد في حضارة هذا العصر ، وأسطع برهان على ذلك هو ان معظم جامعاتنا

تدرس العلوم التطبيقية بلغات أجنبية ، فى حين أن بعض اقطار البلاد العربية جعلت اللغة العربية هى لغة الدراسة فى جميع فصول جامعاتها ٠٠ فكان لها ما أرادت من حيث قدرة لغة هذه الامتعلى تقبل كل العلوم التطبيقية ، مما يجعل القول بان قواعد لغتنا تستعصى على الاجابة لما يراد منها قولا غير صحيح ٠

اللغة والوحدة

واللغة ككل الكائنات تضعف حين تترك للاهمال ، وتقوى كلما كثر العمل بها ٠ ولسنا فى حاجة الى القول بان العلماء والمفكرين والادباء يقربون أمتهم من الوحدة حين تتضافر جهودهم فى تنمية لغتهم وتقويتها ، اذ ان تضافر الجهود يعنى اغناء اللغة بمختلف الاثار الادبية والفكرية واللغوية ، ممايجعل ابناء هذه الامة يقبلون على تلك الاثار قراءة وتاملا ، الامر الذى يكوّن عندهم وحدة فى تفكيرهم مما يجعل الوحدة قادرة على الثبات لكل ما تتعرض له من أخطار ومحن ٠ اذ أن الافراد يكون ارتباطهم بلغتهم أشد مما كان عليه من قبل ، لانها تعتمد على الفكر بالاضافة الى المشاعر والمصالح ٠ فكل عامل من هذه العوامل له تاثيره ومكانته فى تقوية الوحدة ٠

ونحن اذا ما تاملنا فى تاريخ تنمية لغتنا وتقويتها ، وجدناها ترتكز على امور كثيرة يمكن أن نجمعها فى أمرين اثنين : أحدهما تمكن حبها من النفوس والقلوب ، بحيث دفعهم هذا الحب العظيم الى تحمل المصاعب والمشاق فى سبيل جمعها وترتيبها وتهذيبها ٠ فقد اقام ابو عمرو بن العلاء ، والكسائى ، والاصمعى والخليل بن أحمد وغيرهم من علماء اللغة أعواما كثيرة فى البوادى يتنقلون بين قبائل العرب ليستمعوا منهم الى المفردات العربية على طبيعتها ويدونوها ٠٠ حتى لقد قيل ان الكسائى انفد خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ٠ وأما أبو عمرو بن العلاء ، فقد رووا أن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملات بيتا له الى قريب من السقف ٠

واخبار علماء اللغة كثيرة معروفة فى هذا المجال ، وكان كثير من الاعراب يفدون على مدن العراق ، فياخذ العلماء عنهم اللغة ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يسمعونه من الاعراب من مفردات ، شعرا كانت أو نثرا ، وانما كانوا ينعمون النظر فيها فيقبلون منها ما يلائم الطبع السليم ، ويصفون ما يخالف ذلك بالحوشى الذى يستحب تركه ٠ وقد تفرع عن هذا الحب تالمهم مما كانت تلحن به العامة ٠

ومن الواضح أن اللحن قد شاع بين الناس بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الامم ، فوضع العلماء للغة قواعد وطرقا تصون الالسنة عن الخطأ فى القول سواء كان ذلك فى الشعر أو النثر ٠ وقد سميت هذه القواعد بعلم النحو ، وقد اختلف الباحثون فقال الكثير منهم ان هذا العلم عربى خالص ، وقال بعضهم انه مقتبس من اليونان او السريان ، وان ابا الاسود ـ واضع هذا العلم ـ كان يعرف السريانية ، وقد اقتبس قواعد علم النحو من قواعد النحوالسريانى وهذا الراى احدث جدلا طويلا بين مؤيد له وشاك فيه ٠

ومهما يكن من امر ، فان النحو علم واسع له قواعده ، وما زال المهتمون باللغة العربية يتحدثون عنه ويؤلفون فيه ٠ وسيستمر هذا النشاط فى هذا العلم الى ما شاء الله ٠

النحو عربى خالص

على انى اود أن أشير الى أنى أميل الى الراى القائل بان علم النحو علم عربى خالص ، وانا اعتمد فى ذلك على القران الكريم وعلى الشعر الذى قيل قبل الاسلام ، فانك تجد قواعد علم النحو مستمدة من هذين المصدرين ٠ فلو لم تكن هذه القواعد موجودة عند العرب منذ اقدم العصور لما روعيت تلك القواعد مثل هذه المراعاة الدقيقة ، كذلك استدل بقصة الاقواء التى تروى عن النابغة الذبيانى ،فقد روى المرزبانى أن محمد بن سلام قال فى كتابه طبقات فحول الشعراء : لم يقو أحد من الطبقة الاولى ولا من اشباههم الا النابغة فى بيتين وهما قوله:

من آل مية رائح او مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود

حتى نبهته اليه احدى المغنيات ، فغير البيت مراعيا فيه القواعد النحوية قائلا :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك تنعاب الغراب الاسود

ليس معنى هذا الذي رويناه ان الذين يستمعون الشعر وينظمونه يعرفون بأن هناك قواعد علمية لا بد من مراعاتها ، فان الشعر يصبح غير مستقيم ، والاقواء هو مخالفة تلك القواعد ، بل انهم يعرفون قواعد جمع القلة وجمع الكثرة . فقد انتقد النابغة الذبياني حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وبذاك تنعاب الغراب الاسود

لانه استعمل اسيافا وهذا جمع القلة وكان عليه ان يستعمل السيوف كما كان عليه أن يستعمل « الجفان » بدلا من الجفنات . وليس من المعقول ان تكون كل هذه الملاحظات الدقيقة صادرة عن الذوق وحده ، وانما هناك ـ فيما اعتقد ـ قواعد معروفة لديهم في علم قائم بذاته ، لكنه ضاع في جملة ما ضاع من ذخائر وكنوز .

على ان حب العلماء للغة العربية قد دفعهم الى ان يرتبوا مفردات اللغة في معاجم كان اولها معجم العين الذي ينسب الى الخليل بن احمد اوغيره من العلماء ، ثم اخذت تلك المعاجم في التطور حتى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر ، ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نفصل في كيفية تاليف المعاجم وتطورها ، لانها كثيرة متشعبة ، فمنها ما هو مخصص للغة من حيث مفرداتها ، ومنها ما يخص الجغرافيا الطبيعية كالمعاجم التي الفت في اسماء الجبال والانهار ، والكتب التي الفت في اسماء الابل والخيل ، والمعاجم التي الفت في دلالات الالفاظ وكيفية استعمالها ، كما تراه في المخصص لابن سيده . فهو يحدثك مثلا عما تقول المفردات في : المبتذل من الثياب وفي عيوب الثياب وفي تمزيق الثياب وما تقوله المفردات في ظلمة الليل حين يشتد او حين يكون فيه غمام ، وفي طول الليل وقصره وفي كيفية غلق مجاري الماء وفتحها وتصريفها .. الى غير ذلك من جوانب الحضارة .

عندما صارت لغة دولية

ولا بد لنا ، هنا ، ان ننتبه الى أن العلماء كانوا لا يقبلون من المعجميين الا الموثوق المتيقن بصحته ، مما انشا جانبا هاما ممتعا من النقد اللغوي ، وهذا يدلك على العناية الشديدة من العلماء بهذه اللغة العظيمة . وهناك معاجم اخرى خصصها مؤلفوها في خلق الانسان ، انهم يحدثونك عما خصصته اللغة من مفردات في نشاة الانسان ، منذ كان نطفة في رحم امه حتى مفارقته لهذه الحياة ، بعد ان تكون رحلته في هذه الحياة طويلة .. يكون فيها عاجزا الا من حركة خفيفة لا تترك اللغة العربية حالة من حالاته في حياته ، ولا عرقا او عصبا او عظما في جسده الا وتخصص لها كلمة تدل على ذلك .

وليس من شك ان في هذه المعاجم ما يدل على عظمة هذه اللغة وقوتها ، فليس من الغريب اذا ماراًيناها قد اضحت لغة دولية يوم ان كانت الامة العربية تشارك في صنع الحضارة الانسانية بصورة عظيمة . فكل من يريد ان يكون لاثره انتشار واسع بين الناس يصطنعها لغة لذلك الاثر ، الى جانب ما تتصف به هذه اللغة العظيمة من مرونة بحيث يكون اشتقاقها سهلا ميسورا كما نرى في لفظة « ضرب » فان اصل هذه الكلمة ايقاع شيء على شيء ، لكن مدلولها يتسع حسب موقعه ، فاذا قلنا : « ضرب مثلا » يكون بمعنى اورد مثلا ، اذا قلنا « ضرب في الارض » ، كان المعنى ذهب في الارض .. واذا قلنا (ضربنا على آذانهم) كان معناه التغطية على الفهم .

و« جاهد » ، اصل هذه اللفظة يعني بذل الانسان وسعه في المدافعة والمغالبة غير أن القرآن الكريم نقلها الى بذل الطاقة في نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها . وجهاد الشيطان دفع وسوسته واغوائه ، وجهاد النفس مغالبتها ودفعها عن شهواتها .

و« عقد » ، أصل هذه اللفظة الجمع بين اطراف الشيء ، لكنها اذا اضيفت الى الايمان اصبحت وثيقة مؤكدة ، واذا قلنا « اوفوا بالعقود » بمعنى اوفوا بالعهود ، وهو اوكدها ، والفرق بين العقد والعهد ان العهد فيه معنى الاستيثاق والشد ، ولا يكون الا بين متعاقدين ، والعهد

قد ينفرد به الواحد فكل عهد يعد عقدا ولا يكون كل عقد عهدا ·· الى غير ذلك من الافعال التى تعطيك مصادرها واسماؤها معانى لا تحصى ·

دور القرآن الكريم

لقد اتسع هذا الباب ، بفضل القرآن الكريم كما أشرنا الى ذلك قبل قليل اتساعا عظيمـا ، لان القرآن قد اسس علوما اسلامية كانت فى الاصل غير موجودة كعلم التفسير وعلم الفقه ، ثم تفرعت الى شعب لا تحصى كعلم الكـلام ، وعلـم النحو ، والبيان ، والبديع ، وعلم العروض · وفى كل علم من هذه العلوم مصطلحات كثيرة لا تعـد ، كالطهـارة ، والصـوم ، والزكاة ، والصلاة ، والوضوء ، والتيمم ·· الى ما هنالك من المصطلحات الفقهية · اما فى علم النحو وعلوم البلاغة فانها جاءت بمصطلحات كثيرة اثرت اللغة العربية على شاكلة المبتدأ والخبر ، والحال ، والتمييز ، والبدل ، والافعال الناسخة ، وحروف الجر ، والجزم ، والنصب ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز ، والطباق ، والجناس على اختلاف فروعه ، والتورية ، والالتفات ، الى غير ذلك من المصطلحات الفقهية · أما فى علم النحو وعلوم هذا فى علم العروض فقد جدت مصطلحات كثيرة ، كالطويـل ، والبسيط ، والكامـل ، والوافـر ، والخفيف ·· وما شئت من مصطلحات فى علم الموسيقى وعلم الكلام وعلم الفلسفة ·· فان هذه المفـردات كـانت معروفـة قبـل ان تنشـا هـذه العلوم ، لكن مدلولاتها اختلفت عن المعانى التى نقلتها اليها تلك العلوم ·

وليس من شك ان هذه المصطلحات كانت عنصرا من عناصر نمو اللغة العربية · ونلاحظ ان المحافظين الذين كانوا لا يجيزون استعمال اى مدلول « للفظة » الا اذا كانت واردة عن الشعراء الجاهليين لم يقفوا امام انتشار المصطلحات التى جاءت فى شتى العلوم ذلك لانهم أدركوا بان كل علم لا بد وان ياتى بمصطلحات جديدة · فليس من الممكن ان يعترض عليها احد بحجة انها غير معروفة عند العرب قبل الاسلام ، وانما كانوا يعترضون على ما ياتى بـه الشعـراء الامويون والعباسيون ، لكن كثيرا من الشعراء مضوا يجددون فى معانى كثير من الالفاظ غير مبالين باعتراض المعترضين ، فثبتت فى نفوس الناس حتى اخذوا يستعملونها كما يستعملون غيرها من المفردات·

والانصاف يفرض علينا أن ننوه بأن العلماء الذين كانوا يتشددون فى قبول المفـردات التى تاتى فى شعر الشعراء الامويين ، معذورون الى حد كبير ، فقد شاعت اللكنة الاعجمية بين الناس بصورة مخيفة حتى أن بعضهم كان يتكلم دون ان يفهم احد عنه شيئا ، الا من اعتاد سماع مثل ذلك الأسلوب فى الكلام ، مما افسد كثيرا من المفردات العربية ·

ولقد عرض علينا الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » صـورا مما كـان يجرى علـى بعض الألسنة من هذه اللكنات ، حتى لتفسد العبارة العربية افسادا ، فمن ذلك ان الحجاج سأل نخاسا: اتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فاجابه: « شر يكاننا فى هوازها وشر يكاننا فى مداينها ، وكما تجىء تكون » · ولم يفهم الحجاج ما يقول ، فقال له : « ويلك ، ما تعنى ؟ » فقال بعض مـن اعتـاد سمـاع الخـطـا وكـلام العلـوج بالعربيـة حتى صار يفهم مثل ذلك ، يقول : « شركاؤنا بالاهواز وبالمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها » ·

التشدد تجاوز الحدود

ويقول الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « تاريخ الادب العربى » ، الجزء الثانى ، صفحة ١٧٢: ان آثار هذه اللكنات كانت تجرى على السنة فصحاء الموالى ممن صعدت بهم ملكاتهم الى افق الشعر العربى ، حتى اصبحوا لا يقلون فيـه فصاحة وبلاغة عن شعراء العرب الخلص ، كزياد الاعجم وابى عطاء السندى وغيرهم من الشعراء ، واخبارهم فى ذلك معروفة لو اردنا ذكرها لخرجنا عن القصد ، على ان تشدد بعض علماء اللغة ربما تجاوز الحدود المعقولة ، فليس كل الشعراء المولدين يجرون على مثل هذا النحو من اللكنة ، ثم ان من المعروف لدى الجميع ان تطور اللغة يعتمد علـى الشعراء والادبـاء فـى جملة ما يعتمد عليه ، كما نشهد ذلك فى بعض ما نظمه ابو نواس من استعمال لفظة التولد والفلسفة ، وفى مثل قوله :

رقت من الماء حتى ما يلائمها
لطافة وجفا عن شكلها الماء

وهذا التعبير ماخوذ من كلام النظام وغيره من المتكلمين الذين كانوا يتحاورون فى كثافة الاجسام ولطافتها ، وفيما بينها من ملاءمة ومباينة • وقد فصل فى ذلك المرحوم الدكتور طه حسين ، وأوضح ان الشعر لم يكن قبل ابى نواس يصطنع مثل هذه الالفاظ ، لان علم الكلام لم يكن منتشرا كانتشاره ايام هذا الشاعر • وسنجد مثل هذه المصطلحات الفلسفية عند الشعراء الذين كانوا فى زمانه والذين جاءوا من بعده ، ذلك ان الفلسفة وعلم الكلام وكثيرا غيرهما من العلوم اصبحت معروفة لدى المثقفين ، الامر الذى أشاع معانى جديدة لكثير من المفردات ، ثم ان علينا ان نتعرف على الطريقة التى سلكها الذين ترجموا الكتب التى تمس الرياضيات على اختلاف فروعها ، والذين ترجموا عن الهندية والفارسية ، ما يمس ديانات تلك الامم وعاداتها وتقاليدها وفلسفاتها، فان فى التعرف على طريقة اولئك العلماء ماينفعنا فى تنمية اللغة العربية • فنحن نواجه سيلا من المفردات التى تزداد بها اللغات الحية مما يفرض علينا ملاحقة هذا النمو بالنسبة للغة العربية ، والا فستبقى غير قادرين على التعبير عما نحتاج اليه فى حياتنا اليومية •

والحق ، ان مجامع اللغة العربية قد قطعت شوطا واسعا فى هذا المضمار باضافتها الى اللغة مصطلحات فى مختلف العلوم بلغت اكثر من مئة الف ، على وجه التقريب ، ولكن يلاحظ ان بعض المفردات الاجنبية تترجم بالفاظ مختلفة ، مما دفع المخلصين الذين يدركون ما تعنيه التسميات المختلفة لمصطلح واحد من تفرقة للتعبير العربى ، لذلك نجدهم يلحون فى دعوتهم الي توحيد المصطلحات العلمية وغير العلمية لكى لا نتفرق فى تعبيرنا ، وليفهم بعضنا بعضا حينما يجتمع كل فريق لغرض من الاغراض • فلنفترض ، مثلا ، ان عسكريين من مختلف البلاد العربية اجتمعوا لرد مغتصب من المغتصبين • فلنتصور كيف حالهم حين تكون مصطلحاتهم غير موحدة ، فليس من شك انهم سيرتبكون عندما تصدر الاوامر من القيادات •• او حينما يتحدثون فى شان من شئون الحرب •

وقل مثل ذلك فى علماء الكيمياء او الفيزياء حين يجتمعون فى مؤتمر من المؤتمرات ، او حين يذهب معلم من الجزائر الى سوريا ليدرس ابناء ذلك البلد ، او لالقاء المحاضرات ، فانها ستكون مفارقات محزنة مضحكة بلا شك •

الطريق لاثراء اللغة

اما كيفية اغناء لغتنا بالمصطلحات ، فان علماءنا قد وضعوا لذلك قواعد منها : الاشتقاق ،والنحت ، والتركيب •• ولهم فى ذلك احاديث مفصلة لا يتسع لها هذا المجال ، ويكفى ان نعرف انها بدأت منذ ايام الخليل بن احمد وسيبويه ، وابن فارس،وابن جنى وغيرهم من العلماء،وما يزال العلماء المتخصصون فى اللغة العربية يبحثون فى ذلك حتى هذه الايام • وقد ظفرت اللغة العربية من هذه البحوث المتصلة بفوائد جليلة لا تحصى ، اذ ان علماءنا الاجلاء لا يبدون رأيا او يقدمون اقتراحا الا بعد ان يبذلوا كل ما فى وسعهم من طاقة فى البحث والتمحيص لتكون مقترحاتهم وآراؤهم رافدا من روافد اغناء اللغة العربية واثرائها ، ولا سيما علماؤنا المعاصرون الذين يجيدون لغة اجنبية او اكثر ، فانهم يتعمقون فى كيفية اتساع اللغات الاجنبية ، وفيما يتخذه العلماء من وسائل لترقية لغتهم وانمائها • فنحن نعلم جميعا ان مشاركة تلك الامم فى صنع الحضارة اقوى بكثير من مشاركتنا ، مما يجعل حاجتهم الى وضع المصطلحات الجديدة اشد من حاجتنا ، وان تمسكهم بلغتهم لا يقل عن تمسكنا بلغتنا ، وهذا كله يجعل النظر فى الوسائل التى يتخذونها لتنمية لغاتهم يفيدنا فى تنمية لغتنا ، ولا يعنى هذا انى ادعو الى اتباعهم بصورة كاملة، وانما الذى اعنيه بان ننتفع بما يمكن الانتفاع به منها •

وكل ما اريد قوله ، هنا ، هو ان ننظر الى هذه البحوث نظرة جدية ولا سيما تلك التى تدعو الى توحيد المصطلحات العربية ونتخذ كل الوسائل ونسلك كل السبل فى تعميمها ونشرها لتكون شائعة بين الناس •

■■

الكويت ــ عبد الرزاق البصير


نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS—McCANN
في عالم متطور، تعرف على بنك الكويت الوطني فتثق به

طرائف عربية

العلاقة بين الوالى والرعية

● يقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « ان أعظم ما افترضه الله سبحانه من الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله لكل على كل ، فجعلها نظاما لالفتهم ، فلا تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ، ولا يصلح الولاة الا باستقامة الرعية ، فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه ، وأدى الوالى اليها حقها ـ عز الحق بينهم ، واعتدلت معالم العدل ، وطمع فى بقاء الدولة ، ويئست مطامع الاعداء . واذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالى برعيته ـ اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور .

اذن له

● قيل أن أحد أصدقاء أشعب الطماع قال له يوما : « لو صرت العشية الى ، نتحدث ونتسامر ؟ » فقال : « أخاف أن يجيء ثقيل يكدر علينا خلوتنا » فقال الصديق : « ليس معنا ثالث » ، ثم مضى معه الى بستان خارج المدينة ، فلما صليا العشاء دعوا بالطعام : فاذا بشخص يدق عليهما الباب ، فقال أشعب لصديقه : « ترى انا قد صرنا الى ما نكره ؟ » فقال له : « لا تخف يا أشعب ، انه صديق حميم وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له بالدخول » قال : « هات » قال له الصديق : « اولى هذه الخصال انه لا يأكل ولا يشرب عند أحد » قال أشعب : « التسع لك ، فلتأذن له » .

راعية اغنام

● كان احد الحمقى يضحى عن امرأته كل سنة بخروف ، يذبحه فى عيد الاضحى ، ويقدم لحمه الى الفقراء والمحتاجين ، كما جرت عليه عادة المسلمين فى هذه المناسبة ، واستمر على ذلك سنين عديدة ، وذات يوم سمع امام المسجد يقول : « يحشر الناس يوم القيامة وبين ايديهم تساق اضحياتهم » فقال الاحمق : « ان كان الأمر كما تقول ياشيخ فان امرأتى ستبعث يوم القيامة راعية اغنام » .

فضل العلم

● قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم من مظانه ، واقتبسوه من أهله ، يرفع الله به أقواما ، فيجعلهم فى الخير قادة ، تقتبس أثارهم ، ويهتدى بفعالهم ، وينتهى الى رأيهم ، والعلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الابصار من الظلمة ، وقوة الابدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الاخيار ، ومجالس الابرار ، والعلم أمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه .

مساجلة

● قال هارون الرشيد للمفضل الضبى : أنشدنا بيتا أوله اعرابى فى شملته ، وآخره مدني رقيق ، غذى بماء العقيق . فقال له المفضل : « هولت يا أمير المؤمنين ، ذلك مما لا أعرفه » فقال له هارون الرشيد : « ألا تذكر بيت جميل حيث يقول :

« الا أيها النوام ويحكم هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب »؟

فقال له المفضل : فأخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أكثم بن صيفى فى اصابة الرأى ، وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء ؟ » قال له هارون الرشيد : « ما هو ؟ » قال هو بيت الحسن بن هانىء حيث يقول :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

اختيار الزوجة

● أراد أحد الفلاسفة أن يتزوج فرشح له معاونه ثلاث فتيات جميلات .. ورأى الفيلسوف أن يختبر أخلاقهن ، فقدم لكل منهن مجموعة من اللآلىء ، فشكرته الاولى قائلة : « انى لم أر فى حياتى أجمل من هذه اللآلىء » ، أما الثانية فقالت : « لو أن هذه اللآلىء تضاف اليها قطعة من الماس ، لتكوّن منها عقد رائع » . وقالت الثالثة : « احتفظ بهذه اللآلىء لنفسك فأنا يكفينى الحب وحده » .

وكان أن اختار الفيلسوف الفتاة الاولى وعلل ذلك بأن اجابتها تدل على أنها فتاة عاقلة ترضى بالواقع وتسعد به ، أما الثانية فان اجابتها تدل على أنها فتاة شرهة طماعة لا يكفيها ما عندها . أما الثالثة فاجابتها تدل على أنها فتاة خيالية لا تعيش فى عالم الواقع ، ومثلها لا تصلح لمواجهة أعباء الحياة الزوجية .



جهاز Orthopontarograph وهو من احدث اجهزة المركز ، وهذا الجهاز يقوم بتصوير الفكين وذلك بتعريض المريض مرة واحدة اشعاعيا ٠

• وحدة جراحة الفم والفكين • تقوم باجراء جراحات دقيقة ، مثل ازالة الاورام الحميدة ، وعلاج اصابات الحوادث ، وهنا مجموعة من الاطباء يجرون عملية جراحية لاحد المرضى باشراف الدكتور • ابراهيم مهلهل الياسين • مدير المركز ٠



الاسنان في الكويت



«الواجهة الامامية لمبنى « مركز الاسنان » في الكويت، وقد افتتح هذا المبنى الكبير في سنة ١٩٧٢

مشكلة وجدت الحل

استطلاع : صادق يلي   تصوير : حسن الصفار

« ان فروع طب الاسنان المختلفة مجال مناسب لعمل المرأة » هكذا تقول الدكتورة موزة عبد الرحمن الرباح ، احدى الفتيات الكويتيات اللاتي انخرطن في هذا المجال.



■ وقفت الملكة فكتوريا يوما تتامل شيخا جاوز السبعين ٠٠ وكان الرجل امام باب قصرها يتامل موكب الملكة وهو يتحرك في ساعة مبكرة من الصباح ، وعندما بلغ الموكب الرجل امرت الملكة حاشيتها بالتوقف ، فادهشهم هذا التصرف ٠٠ وفجاة اطلت الملكة من نافذة عربتها الملكية ، وامرت باستدعاء الشيخ اليها ٠٠ ترى ماذا صنع؟

ولكن حيرة الجميع مالبثت أن تبددت عندما ابتسمت الملكة في وجهه ، وطلبت اليه أن يعطيها بعضا من النقل الذى كان يضع حبات منه فى فمه ، ويحطم باسنانه قشرتها السميكة بصوت مسموع ٠٠ وقدم الرجل بقية كيس النقل كله للملكة وقال : « انها هدية لك يامولاتى » ٠ قالت : « لا ، انى اريد واحدة فقط » ومدت يدها واخذت واحدة وحاولت أن تفعل بها ما كان يفعله الشيخ المسن ، ولكن مالبثت ان اعادتها الى يدها مرة اخرى ٠٠ وقالت : « ما اسعد هذا الشيخ باسنانه ، انى على استعداد لان ادفع اى مبلغ للطبيب الذى يستطيع ان يعيد الى اسنانى قوتها ٠ فاعود الى تذوق هذا النقل الذى رايت مثله فى فم هذا الشيخ » ٠ وكانت الملكة فكتوريا فى ريعان شبابها ، ولكنها كانت تعانى من امراض اللثة والاسنان الضعيفة التى نخرها السوس ٠

ان الاسنان أهم آلة في جسم الانسان ، هذا المصنع الكبير الذى يعمل كل جزء فيه بحساب، ونحن لانحس بقيمة اسناننا الا عندما نفتقدها ونفتقد معها التلذذ بالطعام ٠

الغدمات الطبية فى الكويت

من اجل هذا اولت وزارة الصحة فى الكويت طب الاسنان عناية فائقة ، حتى صارت هذه العناية تضاهى مثيلاتها فى الدول المتقدمة ، وبخاصة أن امراض الفم والاسنان بدات تنتشر بين أفراد المجتمع ٠ وقد رات وزارة الصحة هنا منذ انشائها توفير معظم الخدمات الصحية للمواطنين على اعلى المستويات ، والاخذ باحدث المنجزات العلمية المتبعة فى الدول الراقية ٠

وعلى هذا النحو بدأ قسم الاسنان نشاطه عام ١٩٥١ ، وذلك بانشاء عيادتين يعمل بهما طبيبان بالاضافة الى مختبر صغير يعمل به مركب اسنان واحد ،بدأ بتقديم خدمات متواضعة تناسب امكانياته المحدودة فى ذلك الوقت ٠

وقد سعت الوزارة الى تطوير كافة الخدمات الصحية ، وذلك بانشاء المستشفيات الحديثة ، والوحدات الصحية المجمعة ، والمستوصفات ، وعملت على نشر الوعى الصحى بين أفراد المجتمع ، فازداد اقبال المواطنين على هذه المراكز الصحية ، وسار قسم طب الاسنان بخطوات سريعة فى تطوير خدماته ، وذلك بدعم من وزارة الصحة التى لا تدخر وسعا فى احضار كافة الاجهزة العلمية الحديثة وتوفير الاعداد اللازمة من الاطباء والاخصائيين فى مختلف فروع طب الاسنان ، فقد قامت بايفاد عدد من الشباب الكويتى فى بعثات دراسية الى انجلترا والولايات المتحدة الامريكية وجمهورية مصر العربية ، لاستكمال دراستهم العلمية والتخصص فى احد فروع طب الاسنان ٠

فى « وحدة التيجان والجسور » يقوم الدكتور على محمود اسد بحشو سن لاحد المرضى المصابين بتسويس الاسنان وهى مرحلة من مراحل العلاج التحفظى للتيجان والجسور ٠



خدمات طب الاسنان

وتنقسم خدمات طب الاسنان في وزارة الصحة قسمين رئيسيين :

١ ـ خدمات حكومية وتشمل :
أ ـ وحدات وزارة الصحة ·
ب ـ وحدات الصحة المدرسية ·
جـ ـ وحدات الجيش والشرطة ·

٢ ـ خدمات غير حكومية وتشمل :
أ ـ اطباء الاسنان بالشركات الخاصة ·
ب ـ اطباء الاسنان بالعيادات الخاصة ·

ونتيجة لهذا التقدم في خدمات طب الاسنان ازداد عدد المراجعين لقسم الاسنان ويكفي القول بان عدد المراجعين في عام ١٩٥٣ كان ٤٥٤٨١ مريض ، وفي اخر عام ١٩٧٦م بلغ ٤٧٦ر٧٤٤ مريض ، وافتتحت عيادات للاسنان في مختلف المستشفيات ، والمجمعات ، والمستوصفات ، حتى بلغت اربعين عيادة ، بالاضافة الى عيادات الاسنان بالصحة المدرسية ، كما ان ساعات العمل اليومية في هذه العيادات تبلغ ١٢ ساعة وهناك عيادة المستشفى الاميري المفتوحة ليل نهار ·

اما عدد الاطباء الذين يعملون بهذه الوحدات والمستشفيات فقد وصل الى ٩٧ طبيبا وطبيبة بما في ذلك الاطباء الكويتيون الذين ارسلوا في بعثات دراسية الى الخارج ·



اولت وزارة الصحة العامة اهتماما بالغا باسنان الطلبة في المراحل المختلفة من مراحل التعليم وهنا الدكتورة « شيخة بوقريص » تقوم بعلاج احد الطلبة من المرحلة الثانوية في عيادة الاسنان في الصحة المدرسية ·

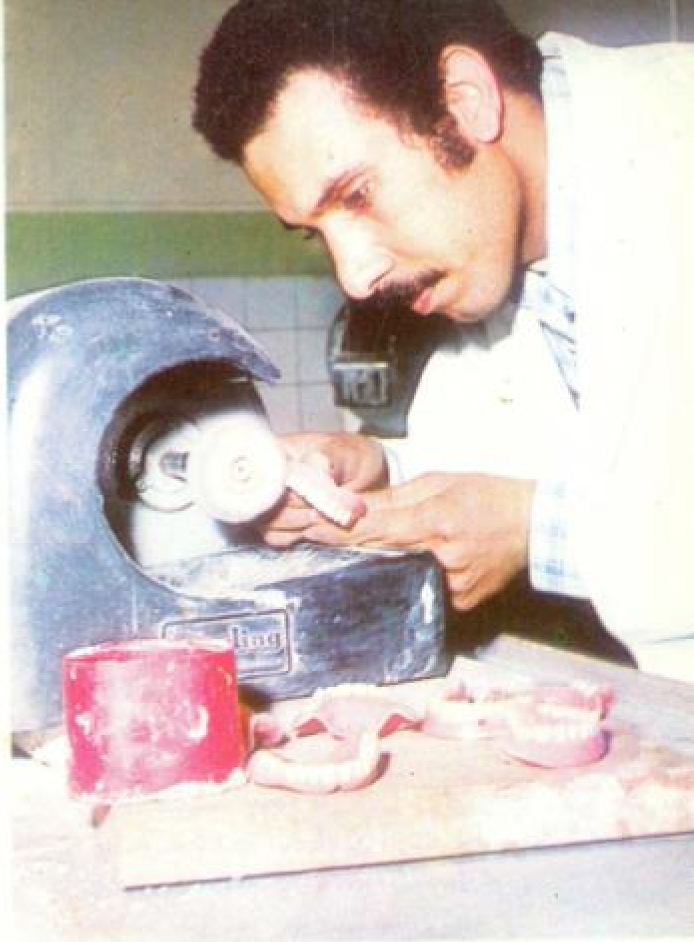
مركز طب الاسنان

ونتيجة لتقدم طب الاسنان وتشعب فروعه وتخصصاته ـ فكر المسئولون في وزارة الصحة في انشاء مركز تخصص لطب الاسنان ، وبالفعل افتتح هذا المركز للجمهور عام ١٩٧٢ ، ويحوى هذا المركز مختلف فروع طب الاسنان وتخصصاته، كما يتبع المركز مختبر كاحدث المختبرات في الدول المتقدمة ، ويعمل به ٤٩ فنيا ، منهم ٢١ كويتيا، يتمتعون بمستوى رفيع من الخبرة والدراية في مجال استعاضة الاسنان باخرى ثابتة ومتحركة ، مع استعمال احدث المواد العلمية في هذه الاستعاضة ·

وقد قام قسم الاستعاضة الصناعية بتسليم ٨٦٦٣ طقم كامل وجزئي للمواطنين خلال عام ١٩٧٦ ، مع العلم بان تكلفة طقم الاسنان الكامل من البلاستيك لاتتجاوز ثلاثة دنانير ، واذا قارنا هذا السعر بمثيله في القطاع الخاص وجدنا ان ثمن الطقم في العيادات الخاصة يتكلف مابين ٢٥ ـ ٨٠ دينارا ، أما الطقم الجزئي المصنوع من الكروم Chrome-Cobalt فيتكلف من ٣ ـ ١٥ دينارا في مركز طب الاسنان ، ومثيله في العيادات الخاصة فيتكلف من ٤٠ ـ ١٢٠ دينار ، ومن ذلك يتضح مدى ما تساهم به وزارة الصحة من تكاليف في الاطقم التي تصنع في مركز طب الاسنان ، والتي تنجز على احدث الوسائل العلمية ·

وبمركز طب الاسنان وحدة للاشعة التشخيصية السينية وبها جهاز تصوير Orthopantomograph وهو من أحدث الاجهزة التي تقوم بتصوير الفكين ، وذلك بتعريض المريض اشعاعيا مرة واحدة ، وتستقبل هذه الوحدة المرضى المحولين اليها من المجمعات ، لتشخيص امراض الفك والاسنان ·

احد الفنيين الكويتيين في مختبر المركز يقوم بعمل طقم لاحد المرضى على جهاز من احدث الاجهزة ، وباحدث المواد العلمية . ان اسعار هذه الاطقم تعتبر رمزية بالنسبة الى اسعار العيادات الخاصة حيث لا يتجاوز سعر الطقم ثلاثة دنانير كويتية .



في « قسم الصحة المدرسية » مجموعة من طالبات احدى المدارس الثانوية ينتظرن دورهن للدخول على الطبيبة المعالجة في عيادة الاسنان.





هاي فاي فيليبس

معه تحيا الموسيقى في كل وقت

مع فيليبس يمكنك اليوم الاستماع الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها العالية والخافتة واضحة كل الوضوح وكأنك أمام الفرقة الموسيقية، ذلك بفضل مكبرات للصوت هاي فاي الجديدة والفريدة التي تمسح نفسها بنفسها الكترونيا وتستمر باعطائك ذات النقاوة للحن الذي يستهويك سماعه. هذا الاختراع الجديد يدعى «موشينال فيدباك» وهو أساس لجموعة فيليبس الثورية

هذه، للحصول على الكمال في موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك، إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود جبارة متواصلة. إنك تحصل دائما مع فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع لكل قطعة من أجهزة ومعدات فيليبس مهما كانت.

اطلب من وكيل فيليبس المعتمد تجربة مجانية فهي أكبر برهان.

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوما

تخصصات المركز

وهناك العديد من التخصصات بالمركز ، هي :

١ ـ جراحة الفم والفكين ، ويعمل به ثلاثة اخصائيين ، وتقوم هذه الوحدة بخلع الاسنان جراحيا ، واجراء جراحات بطرق حديثة في الفم ، مثل ازالة اكياس ، واورام حميدة ، وعلاج اصابات الحوادث ، كما يشترك اطباء هذه الوحدة مع اخصائي الجراحة العامة في عمليات كبرى بالفم والفكين ومفصل الفك •

٢ ـ وحدة طب الفم وامراض اللثة وتستقبل هذه الوحدة المرضى المحولين اليها من العيادات الخارجية ، وتقوم بعلاج الات اللثة بواسطة الجراحة Mucogingival Surgery الدقيقة ، وكذلك تقوم بالتوعية الصحية الفنية للمترددين عليها ، كما تعالج لثات الاشخاص الذين يصابون بامراض عامة ، مثل : مرض السكري ، والسل ، والتهابات المفاصل ،والصرع، واورام اللثة المصاحبة للحمل •

٣ ـ وحدة علاج قنوات الجذور ، وتستقبل هذه الوحدة حالات التهاباتاعصاب الاسنان والاضراس اذا دعت الضرورة الى استئصال هذه الاعصاب ، بدلا من خلع الاسنان •

٤ ـ وحدة العلاج التحفظي ، وهذه الوحدة تستقبل حالات الحشو المركب ، ويعمل بها اخصيائيان يقومان بحشو الاسنانوالاضراس بمواد حديثة منها الفيبر جلاس والملغم Silver Amalgam ، والذهب المسبوك •

٥ ـ وحدة التيجان والجسور ، ويعمل بهذه الوحدة اخصائيون يقومون بتعويض المفقود من الاسنان والاضراس باجهزة ثابتة تعتمد في ثباتها على الاسنان المجاورة لمكان الخلع وبذلك تؤدي وظيفتها كاملة كما لو كانت طبيعية •

٦ ـ وحدة الاستعاضة الصناعية ، ويعمل بها اربعة اخصائيين ، لصناعة اطقم كاملة او جزئية ، وتتعاون هذه الوحدة مع مختبر فنيي الاسنان •

وفي هذه الوحدات يقومالاطباء الحديثو التخرج بالتمرن العملي والعلمي في دورات ، اذ يمكث الخريج معالاخصائيين فترة عشرة اشهر بالتناوب ، حتى يتمكن من ان يلم باحدث الطرق العلاجية في كل فروع التخصص •

امراض الفم والاسنان

ونستعرض معا امراض الفم والاسنان في الكويت ، هناك مرضان غالبان :

مرض التسوس وامراض اللثة ، فمرض التسوس يصيب معظم الناس في سن مبكرة ، بسبب اكل الحلويات وعدم العناية بتنظيف الاسنان وهذا يؤدي الى ازدياد كمية الحامض الذي يفتك بالسن طبقة تلو الاخرى ، حتى يصيب عصب السن بالتلف ، فتنتج عن ذلك خراريج الاسنان والفكين ، وبعد الخامسة والثلاثين تكثر امراض اللثة خصوصا من الجهة الداخلية (ناحية اللسان) لان الكثير من الناس يقومون بتنظيف ما هو ظاهر من اسطح اسنانهم ،ويتركون الاسطح الداخلية يترسب عليها الكلس ،والكلس او القلح ينشا عن اللعاب ، فعندما يزداد تركيز الكلس في اللعاب ومع وجود اسطح اسنان خشنة ، يبدأ الكلس في الترسب على المواد الهلامية العالقة بالاسنان وهي المواد التي نتجت عن عدم ازالتها بالفرشاة ، والكلس الذي يحتوي على جراثيم ضارة يبدأ في احداث التهابات باللثة وتقيح اجزاء منها ، وهذا يساعد على زيادة تراكم مواد اخرى ضارة مثل الصفائح الجرثومية التي تتكلس أيضا وهكذا دواليك ••• حتى تصاب الاسنان بجيوب لثوية تعمل على اذابة العظام الدعامية للاسنان وقد تفقد مبكرة حتى قبل سن الاربعين •

وهناك الكثير من الامراض الاخرى التي تصيب الفم والاسنان ، منها ان مادة الفلور Fluorine ـ وهو ملح يذوب في مياه الشرب ويكثر في المياه الجوفية ـ يجب أن تكون نسبتها في



الدكتور ابراهيم مهلهل الياسين مدير قسم الاسنان قال : ان المركز قدم عدة توصيات هامة الى المسئولين في وزارة الصحة للعمل على قيام وعي صحي بين المواطنين•



يحوي مختبر المركز ٤٩ فنيا يمتازون بمستوى رفيع في مجال استعاضة الاسنان باجهزة ثابتة ومتحركة.كما تعتبر الالات التي يستخدمونها في عمل الاطقم والجسور من احدث الاجهزة التي انتجتها المصانع الاوروبية والامريكية .

المياه جزئين اثنين في المليون ، ولكن الكثير من احياء الكويت يستعمل مياها للشرب قد تحتوي على نسبة اكبر او اقل بكثير من هذا القدر ، وقد ينتج عن ذلك اصابة بعض الناس بقابلية للتسوس ، لان الاسنان تفقد المادة التي تقوى من صلابة الكلس Calcium Fluoroapatite وبالتالي يصعب نخره او تسوسه.Dental Caries

بحوث ميدانية

وقد قام مركز طب الاسنان باجراء بحث ميداني باشراف السيد الدكتور جاسم محمد حسين مدير طب الاسنان والخدمات الطبية ، والدكتور محمود رجائي المصيطهي رئيس وحدة امراض اللثة وطب الفم في مركز طب الاسنان لمعرفة درجة التسوس ونظافة الفم بين الطلبة ، واختاروا لذلك شريحة طلبة المدارس المتوسطة ، واجري البحث على ١٦٥٤ طالب تختلف اعمارهم من ٩ ـ ١٨ سنة ، واتضح أن معدل اصابة الاسنان بما يسمى DM.F (والذي يعرف بمعدل التسوس والفقدان والحشو) يساوي ٣ر٢١ في المتوسط مع احتمال ازدياده كلما تقدمت السن. وإذا تاملنا هذه النتيجة وجدنا أن هذا المعدل يقارب المعدل لدولة من الدول المتقدمة. وقد اتضح ان نسبة فائدة العلاج في الاناث اكثر منها في الرجال ، ويكفي القول ان معدل DM.F مثلا بلغ في سويسرا ١ر٨ وفي انجلترا ٢ر١٢ وفي امريكا ٣ر٦ كما بحث مركز طب الاسنان درجة نظافة الفم عند هؤلاء الطلبة فاتضح ان النظافة تعتبر ضعيفة بعض الضعف اي تحتاج لعناية وتوعية اكثر حتى ترتفع نسبة هذه النظافة عما هي عليه الان .كما اتضح من هذا البحث الميداني ان ٥ر١٤٪ من مجموع الطلبة (اي ١٦٥٤ طالب) هم وحدهم الذين لم تظهر اي ترسبات هلامية او جيرية حول اسنانهم ، وتعتبر النسبة ضئيلة جدا بالنسبة للمعدلات العالمية للبلدان المتقدمة.

توصيات المركز

ويقول الدكتور ابراهيم مهلهل الياسين (رئيس قسم الاسنان والمدرس بجامعة الكويت) : ان المركز قام بتقديم توصياته لوزارة الصحة وقد انحصرت فيما يلي :

١ ـ ضرورة اقامة برامج صحية وتعليمية لتوعية عامة الناس في امراض الفم والاسنان ، وذلك عن طريق الوسائل الاعلامية المختلفة ، والملصقات الصحية .

٢ ـ تعليم صحة الفم في المدارس كجزء من البرامج التعليمية ، يقوم بها اخصائيون في صحة الفم ، وفي هذا المجال نود ان نلفت الانظار الى أن وزارة التربية ادخلت في منهج المعهد الصحي مادة صحة الفم والاسنان مادة اساسية تقوم المشرفة الصحية بممارستها عند التخرج والحاقها بالمدارس الحكومية .

٣ ـ توعية الجمهور الى ضرورة زيارة طبيب الاسنان مرة كل ٦ اشهر على الاقل .

٤ ـ انشاء قسم خاص للتوعية بمركز طب الاسنان ليقوم بنشر الاسس السليمة للمحافظة على الاسنان ، بان تطبع على هيئة كتيبات مبسطة وتوزع على المترددين على المجمعات والمستوصفات .

٥ ـ اجراء العديد من البحوث في مختلف طوائف الشعب لمعرفة اصابات الفم والاسنان وعلاقتها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية . ■■

صادق يلي

المسلمون مروا من هنا

صقلية



استطلاع : **فهمي هويدي**

تصوير : **اوسكار متري**

بعض ما تبقى من أثر لصقلية العربية والاسلامية. **الى اليمين** الميناء القديم ، الذى منه دخل العرب الى باليرمو عاصمة صقلية وقد صار شبه مهجور ولا تستخدمه الا قوارب الصيادين . **والى اليسار** مشهد من الداخل فى كنيسة مونريال التى تطل على باليرمو من فوق جبل مرتفع . البصمات العربية واضحة فى الاعمدة والاقواس والنقوش .



■ بالكاد عثرنا عليها ، صقلية العربية الاسلامية .
وسط انقاض التاريخ وبقاياه وجدناها . في الازقة والحوارى . في كلمات عربية ممسوخة يتناقلها الناس بغير وعى . في نقوش على واجهات بعض المباني العتيقة . تحت اسوار الكنائس الشاهقة . في متاجر شارع يعرض الماضي للبيع على هيئة مقاعد ومواقد وقطع « الارابيسك » فوق اعمدة من الحجر صمدت للغربة وقسوة الزمن ، وظلت تحمل على جنباتها بصمات باهتة ، بينها عبارة تقول : لا اله الا الله محمد رسول الله .
وجدناها كسيرة وحزينة ، تتوارى خوفا وخجلا ، كانما لم يكن وجهها العربي والاسلامي هو من اكثر صفحات تاريخ صقلية اشراقا وازدهارا ، كأنما لم تكن ايام العرب هي عصرها الذهبي .

هي غريبة عندهم وعندنا ايضا . فانك اذا سالت واحدا من ابناء الجيل الجديد عن صقلية ، فاذا فتح الله عليه وعرف اين هي ، سيكون جوابه على الفور انها بلد عصابات المافيا ، أو ساحة بركان « اتنا » الشهير ، واذا كان قد نال قسطا من العلم فسيقول انها الجزيرة التي ولد فيها ارشميدس ، الذى اكتشف نظرية الاواني المستطرقة وهو في حمام بيته بمدينة سرقوسه ، فخرج على الناس عاريا يصيح : وجدتها ، وجدتها !

اما انها كانت جزءا من العالم الاسلامي منذ حوالي ٩ قرون ، وانها كانت طوال قرن كامل قطرا مزدهرا يقف جنبا الى جنب مع الاندلس ومصر ، اما انها كانت احد الجسور التي عبرت من خلالها الحضارة الاسلامية الى اوروبا لتزرع بذور عصر النهضة ، اما هذا كله فلا يعرفه ابناء الجيل الجديد .

وربما كان ابناء الجيل معذورين . فليس في المكتبة العربية الحديثة سوى كتابين اثنين فقط مؤلفين عن صقلية العربية والاسلامية ، احدهما لاحمد توفيق المدني (وزير جزائرى سابق) وقد صدر منذ ربع قرن . والثاني للدكتور احسان عباس الاستاذ بالجامعة الامريكية ببيروت ، صدر منذ ١٨ سنة . وبقية الكتابات العربية الحديثة اما فصول في كتب ، او بحوث لم تنشر ، اوترجمات لمؤلفات المستشرقين الايطاليين والصقليين ، الذين بذل عميدهم ميخائيل عمارى جهدا عظيما في دراسة تلك الفترة من تاريخ صقلية .

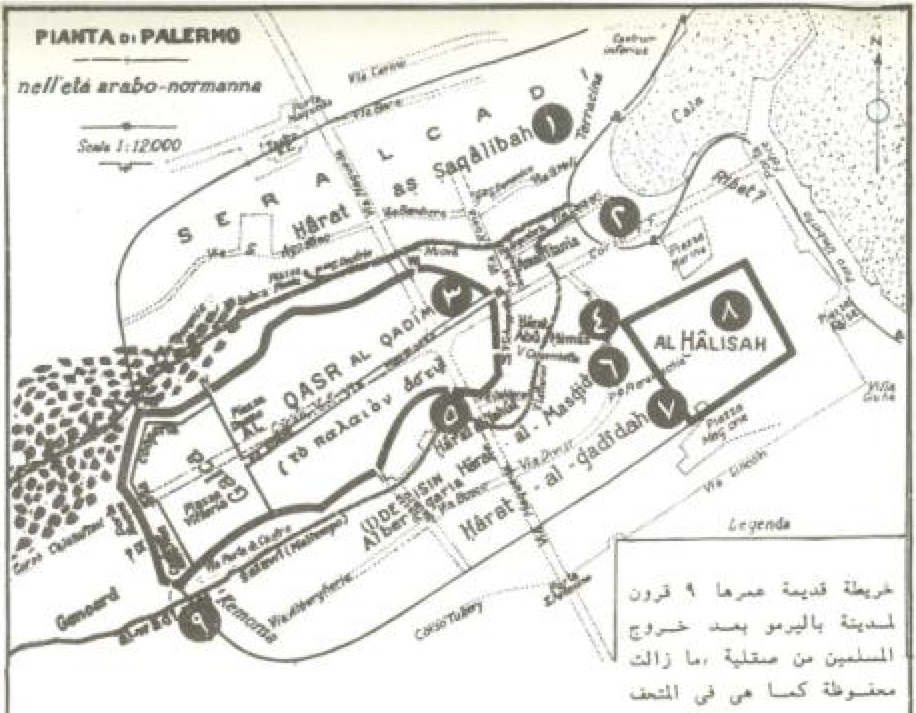
على ان الرحالة والجغرافيين العرب القدامى كانوا اكثر منا وفاء لصقلية . فجميعا كتبوا عنها . بعضهم زارها وهي جزء من العالم الاسلامي ، مثل ابن حوقل والبشارى المقدسي ، وبعضهم عاش مرحلة الاحتلال النورماندى بعد زوال الحكم الاسلامي ـ مثل الشريف الادريسي الذى رسم اول خريطة لبلاد البحر الابيض المتوسط . وآخرون زاروا الجزيرة في تلك الفترة مثل ابن الاثير وابن جبير وابن خلدون .

بين البشر والحجر

ان تبحث عن بقايا عصر انتهى منذ تسعة قرون ، فتلك مسالة بالغة الصعوبة ، وتدخل في اختصاص بعثات التنقيب عن الاثار باكثر مما تدخل في نطاق المعالجات الصحفية ، والفرق كبير بين المهمتين ، فنحن في المهمة الصحفية نتعامل اساسا مع البشر بينما بعثات التنقيب تتعامل مع التلال والحجر .
وعندما تكون الرحلة الى ايطاليا ، فان الامر يختلط ويكاد يصبح الاثنان سواء . ذلك انك في ايطاليا نادرا ما تجد انسانا يجيد العربية او الانجليزية او الفرنسية . بالضبط كما انه من النادر ان تجد في بلادنا انسانا يجيد الايطالية . وعندما يستحيل التفاهم ينقطع حبل الاتصال ، ويتساوى البشر مع الحجر !

هذا المازق ، واجه الامام محمد عبده عندما زار صقلية في آخر القرن الماضي ، وهو في طريق عودته الى مصر من الجزائر وتونس . زار المكتبة العمومية في باليرمو ـ العاصمة ـ واراد ان ينسخ بعض صفحات من كتب عربية ثمينة وجدها ، ولكنه فشل .. « وبعد طول الكلام بفرنسية لا يفهمونها ، وايطالية لا افهمها ، انصرفت وانا من الجهل على مثل ما دخلت به » .. هكذا قال .

وتعلم الامام محمد عبده درسا قاسيا من رحلته تلك فيما يبدو ، عبر عنه في مقال نشرته له في ذلك الوقت مجلة « المنار » المصرية بقوله « وفي



خريطة قديمة عمرها ٩ قرون لمدينة باليرمو بعد خروج المسلمين من صقلية ،ما زالت محفوظة كما هي في المتحف الوطني ، ومازالت عليها اسماء عربية ـ خصوصا الحارات ـ وقد كتبت بالحروف اللاتينية. وابرز الاسماء التي تعنينا مرقمة على الخريطة ، وهي بالعربية كما يلي :

(١) حارة الصقالبة	(٤) حارة ابو حمزة	(٧) الحارة الجديدة
(٢) القصر	(٥) حارة اليهود	(٨) الخالصة
(٣) القصر القديم	(٦) حارة المسجد	(٩) الوادي

ظني ان من اراد ان يسافر الى بلد لا يعرف لسانه، فاولى له ان يتعلم من لسان ذلك البلد ما يكفيه للتعامل . ومدة سنة قبل السفر تكفي لذلك . واجرة الاستاذ المعلم لا تصل الى نصف ما يخسره ببركة الجهل باللسان ! »

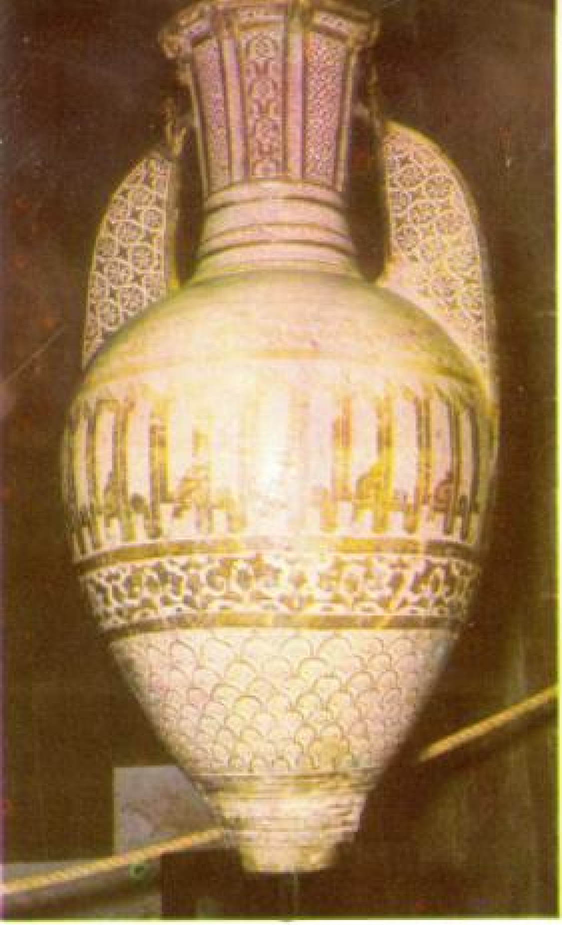
ثم قال .. « اذا اراد السفر الى صقلية (سيسيليا) من بلاد ايطاليا فعليه ان يجد لمعرفة اللغة الايطالية حتى يتكلم بسرعة ، ويفهم بسرعة يسبق بها كلامه وفهمه كلام الايطاليين وفهمهم ،والا سال الله العوض فيما يفقد من متاعه او ما يؤخذ منه اجرة على ضياعه » .

بكل المقاييس اذن ، كانت الرحلة الى صقلية مغامرة حقيقية . ولكن الله سلم في مسالة اللغة، اذ تكفلت بعض الكلمات الايطالية التي التقطها زميلي المصور اوسكار بتوصيلنا من مطار باليرمو الى الفندق ، وانقذنا بعد ذلك بعض اساتذة معهد الدراسات الشرقية في الجامعة ، حتى اكتشفنا في الايام الاخيرة من الرحلة طبيبا عربيا من اريتريا متزوجا من ايطالية تحمل بقية العبء .

رحلة مع الماضي

كان الهدف الاساسي هو « التنقيب » عن صقلية العربية والاسلامية .. وكانت الصور التي رسمها الرحالة العرب لصقلية تتتابع في اذهاننا طوال الرحلة من الكويت الى روما ثم باليرمو (عاصمة صقلية) باهرة ومثيرة في اكثر جوانبها .

صورة صقلية العربية ، التي ازدهرت فيها الفنون والعلوم . بلد قسطنطين الصقلي او الافريقي ، الذي نقل الى الغرب كتب العرب في الطب والحكمة ،واسس في الجزيرة مدرسة سالونه التي كانت منارة الطب الحديث في العالم الغربي. والامام محمد المازري (من مازره بصقلية) احد اعلام حفظ الحديث والاجتهاد . ومحمد بن يونس التميمي الذي لقب بالامام الاكبر لكتاباته في شرح





عمود من العصر الفاطمى داخل كنيسة « "نطاكى » ـ كما اسماها ابن جبير ـ كتب عليه لا اله الله محمد رسول الله، وبسم الله الرحمن الرحيم (**الى اليمين**) · وآنية كبيرة (فاز) عبارة عن قطعة فنية رائعة من القرن الثانى عشر فى متحف بالاتسو اباتيليس وقد غطتها النقوش والكتابات العربية ، وهناك قطعة مماثلة لها فى قصر الحمراء بالاندلس (**فوق**) · **والى اليسار** لقطة لقباب كنيسة سان جيوفانى ديل آريمتى ، التى كانت معبدا فى العصر الرومانى ،ثم تحولت الى مسجد فى العصر الاسلامى ، وفوق المسجد بنيت الكنيسة فى عصر النورمان ·· التأثير العربى واضح فى القباب والاقواس · وحتى فى النخيل !



موطا الامام مالك ، وعمر بن حسن النحوى من ائمة اللغة ، والعلامة الرحالة الشريف الادريسي صاحب الكتاب الشهير « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » ، وشعراء وادباء كثيرون ، حصر منهم المؤرخون ١٧٠من اشهرهم عبد الجبار بن حمديس.

وصورة صقلية العربية التى ازدهرت فيها الزراعة . بلد الخصب التى ادخل فيها المسلمون لاول مرة الليمون والبرتقال والبطيخ وقصب السكر ، والنخيل والقطن والفستق ، والارز فى بعض الروايات . فضلا عن اساليب الرى المتطورة.

ثم صورة صقلية العربية التى تموج بنشاطات التجار والحرفيين ، التى بلغت ٤٥ حرفة فى مدينة باليرمو وحدها ، حسبما تقول احدى الوثائق التى ترجع الى اواخر القرن الرابع عشر .وهى الصورة التى ادهشتابن حوقل فكتب يقول:«واكثرالاسواق فيما بين مسجد ابن صقلاب والحارة الجديدة ، كسوق الزياتين باجمعهم ، والدقاقين ، والصيارفة، والصيادنة ، والحدادين ، والصياقلة ، واسواق القمح والطرازين ، والسماكين ، وباعة البقل ، واصحابالفاكهة والرياحين والجرارين،والغبازين، والجدالين ، وطائفة من العطارين والجزارين والاساكفة والدباغين ،والنجارين . وبها للقصابين دون المئتى حانوت لبيع اللحم ، ويجاورهم القطانون والحلاجون والحداءون وبها غير سوق صالح » .. كل هؤلاء كانتتزخر بهم مدينة واحدة منذ اكثر من تسعة قرون .

واخيرا صورة صقلية العربية التى شهدت نهضة صناعية عظيمة ، بعدما ادخل العرب فيها صناعتى تكرير السكر والورق . وانشاوا اول دار لصناعة السفن بباليرمو . وفى عهدهم اصبحت صقلية مركزا مرموقا لصناعات نسيج الحرير والكتان واستمر انتاجهم الرفيع بعد زوال الحكم الاسلامى، حتى ان متاحف اوروبا حافلة الان بنماذج مما نسجته الايدى العربية البارعة . بينها فى فيينا عباءة تتويج الملك روجر الثانى ـ من ملوك النورمان ـ التى اعتبرت « قطعة فنية فذة فى روعتها » . وقد نسجت بالخيوط الذهبية وزينت باللآليء ، وفى احد اطرافها « كنار » منسوج فيه بالخيوط الذهبية كتابة عربية تقول : « مما عمل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والجلال ، والمجد والكمال ، والطول والافضال ، والقبول والاقبال ، والسماحة والجلال ، والفخر والجمال ، وبلوغ الامانى وطيب الايام والليالى بلا زوال ولا انتقال. بالعز والدعاية ، والحفظ والحماية، والسعد والسلامة ، والنصر والكفاية ، بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة » .

شريط طويل لا ينتهى من الصور التى سجلها الرحالة العرب ، حملناه معنا الى صقلية .

الخصب وجبل النار

من الطائرة ، كان المشهد مشجعا وباعثا على التفاؤل .

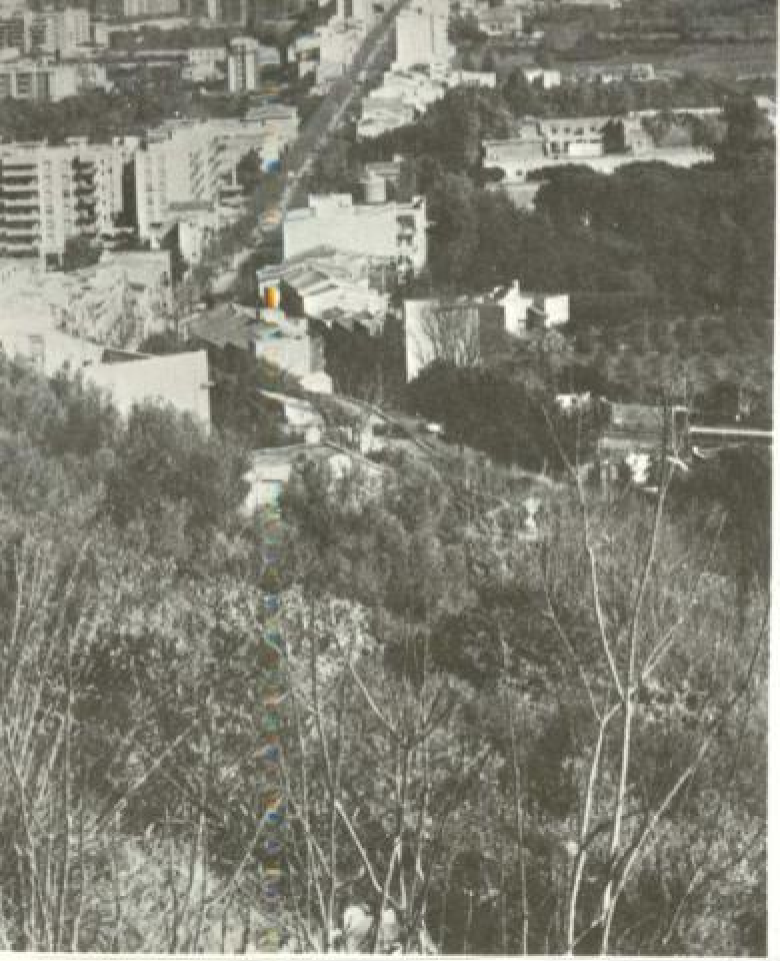
بالضبط هذه هى صقلية التى رسم ملامحها العرب القدامى ، تمتد وسط المروج الخضراء ،عند سفح بركان اتنا الذى يقف شامخا فىصمت مهيب. « جزيرة واسعة جليلة . ليس للمسلمين جزيرة اجل ولا اعمر ولا اكثر مدنا منها . طولها اثنا عشر يوما ، فى عرض اربعة ايام ، وبينها وبين الروم مجاز من نحو مطلع الشمس ، عرضه اثنا عشر يوما » .. هكذا قال عنها المقدسى فىكتابه.. « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » .

الاخرون قالوا عنها نفس المعنى بصيغ مختلفة « وبها من الخصب والزرع والمواشى والدقيق ما يفضل عن سائر مدن الاسلام المتاخمة للبحر ».. ابو اسحاق الفارسى النحوى الشهير بالاصطخرى ، فى كتابه « الاقاليم ».. « وخصبهذه الجزيرة اكثر من ان يوصف . وكفى بانها ابنة الاندلس فى سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة ، مشحونة بالارزاق على اختلافها ، مملوءة بانواع الفاكهة واصنافها » . ابن جبير فى« الرحلة » ...

هذا هو البركان ايضا . جبل النار ، الذى وصفه الشيخ شهاب الدين فىمعجم البلدان « بانه: اطمة يخرج منها اجسام كاجسام الناس بغير روس من الناس . تعلوا فى الهوا ليلا ثم تسقط فى البحر فتطفوا على وجه الماء . ومنها يكون حجر المرو الذى تحك به الارجل » . وكتب عنه ابنحوقل فى «المسالك والممالك » يقول : « من عجائب البحر نار بصقلية والاندلس والهند ، تشتعل فى حجارة، ان رام احد ان يحمل منها شعلة لم تتقد » .

هنا ترقد ربة الخصب ، كما تقول الاسطورة الاغريقية .

تحكى الاسطورة ان برسيفونة الجميلة ابنة ربة الخصب خرجت تتهادى فى مزارع صقلية فى احد



شارع « السماط » الذى تحدث عنه العرب، لا يزال موجودا يقسم باليرمو العاصمة نصفين ، ويمتد من القصر الى البحر .

ايام الربيع . مشت هي وصديقاتها يقطفن الزهور وسط جداول الماء العذبة والمترقرقة ، لكن رب الجحيم والعالم الادنى اقترب منها فى خفة واختطفها، واختفى بها فى عالمه .

ترمز الاسطورة الى ما يفعله بركان « آتنا » الجبار بين والاخر . يخطف بنات ربة الخصب . يفسد حياة الجزيرة ويصيبها بالجراح لبعض الوقت، ثم يصمت . وتظل ربة الخصب باقية ومستمرة .

تضيف الاسطورة ان مردة الحدادين يضربون بمطارقهم صفائح الحديد تحت ذلك البركان ليعدوا منها صواعق لرب الاولمب . وان « سكلا » الوحشية تعوى عند المرفا المسينى عواء لا ينقطع ، وتتقاتل مع خاربديس قتالا كانت تضج منه سفن القرون الوسطى بالشكوى .

كان تفاؤلنا من باب التمنى والتعلق بالامل باكثر منه امساكا بخيوط ملموسة تقود الى الحقيقة. فالخصب والبركان اول ما طالعنا من الطائرة بلا جنسية وبلا دين . فبهذا عرفت صقلية ، على الاقل منذ تاريخها المكتوب . منذ عهد الفينيقيين ــ الف سنة قبل الميلاد ــ عندما توطن فى الجزيرة شعب الصيقول القادم من بلاد البلقان ، وفى ظل العهود التى تتالت بعد ذلك : قرطاجنة والاغريق والرومان والمسلمون والنورمان والجرمان والاسبان .. وحتى الحكم الايطالى بعد الوحدة التى قادها غاريبالدى .

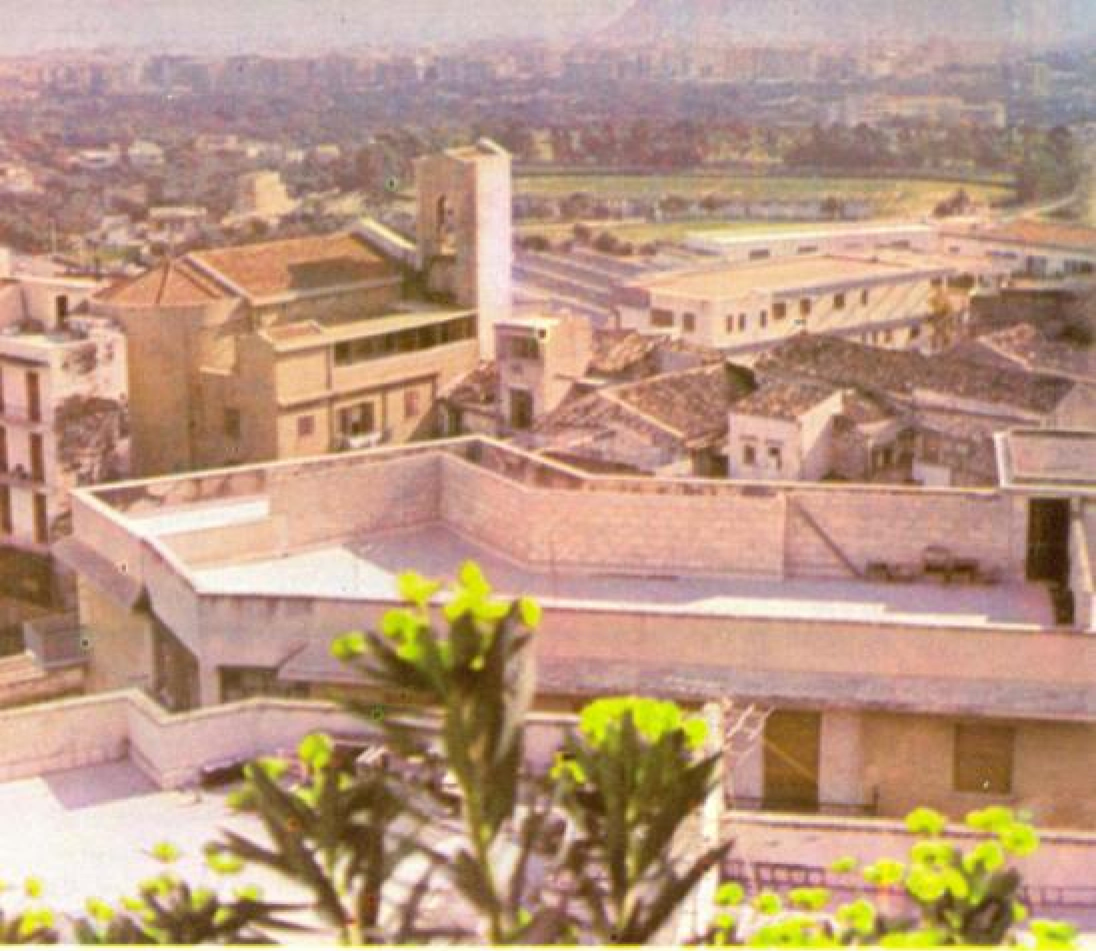
فى ثياب اوروبية

بعد ساعات قليلة من الوصول كنا نجلس مع الدكتور امبرتو رزيتانو ، مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة باليرمو ، الذى كان يصحبه احد اساتذة المعهد الشبان ، الدكتور اندريا بوروزو ،



باليرمو مدينة الخصب ، هكذا
حتى الآن ، المروج الخضراء في
أتنا الشهير الذى يظهر عن بعد
سان جيوفانى دى ليبروزى ،
جوارها بقايا مسجد هدم، ظلت
نماذج من الفواكه التى .. ملا
طازج من كل صنف .. حتى
نصفها الى صقلية .







وصفها العرب ، وهكذا بقيت
كل مكان.تمتد تحت اقدام بركان
(فوق) ـ الى اليمين كنيسة
بتر فوق قلعة عربية ، والى
حجارته كما هى ـ **الى اليسار**
واجهات المحلات التجارية ،خليط
هذه الفاكهة ادخل العـــرب

استمع الرجل الى كلامنا وتساؤلاتنا ، ثم قال فى هدوء : اسمع ياسنيور • صقلية التى فى اذهانكم موجودة فى الكتب وحدها • هى صفحة من التاريخ طويت وانتهت • ما تبقى الان لا يتجاوز بعض الاثار • ولمزيد من الدقة اقول انها تاثيرات وليست اثارا •

وبنفس الهدوء قال : لكى تستريح ، قم بجولة سريعة وانت فى يومك الاول ،وستكتشف انصقلية بمحافظاتها التسع وسكانها السبعة ملايين ، خلعت ثيابها العربية والاسلامية ، وارتدت ثيابا اوروبية مختلفة تماما • وضحك الرجل وهو يقول : واذا طالت جولتك وامتدت الى جوف الليل ، فقد تكتشف ان صقلية تبدو ـ احيانا ـ بغير ثياب على الاطلاق ، لا عربية ولا اوروبية !

قلت وانا احاول ان ابتلع الصدمة ، بالطبع لم نتوقع ان نجد صقلية القرن العاشر او الحادى عشر • ولكن اختفاء الوجه العربى والاسلامى لصقلية يثير الدهشة • لقد دخل الاسلام اقطارا عديدة فى اسيا وافريقيا وحتى فى اوروبا ،وانحسر المد الاسلامى فى هذه المناطق لسبب او آخر ، لكن المسلمين بقوا حتى الان ، فى الصين والفلبين، الى البانيا ويوجوسلافيا ، الى جنوب افريقيا • وسالت الدكتور رزيتانو : بماذا اذن تفسر اختفاء الاسلام والمسلمين من الجزيرة ، رغم انها ليست بعيدة عن العالم الاسلامى ، كالصين والفلبين مثلا ؟

قال : هذه قصة طويلة • تعلم ياسنيور ان المسلمين فتحوا صقلية يوم ١٤يونيو عام ٨٢٧ميلادية (١٧ ربيع الاول سنة ٢١٢ هجرية) ، وكان قائدهم قاضيا فى السبعين من عمره هو اسد ابن الفرات ، اوفده زيادة الله حاكم القيروان (تونس الان) وهو من حكام الاغالبة الذين كانوا سادة افريقيا فى اوائل القرن التاسع الميلادى ، وكانوا تابعين للخلافة العباسية فى بغداد • ولم يكن فتح صقلية سهلا ، فقد استغرق اخضاع مدنها للحكم الاسلامى نصف قرن •

امتد حكم الاغالبة اكثر من ثمانين عاما ، حتى تلاشت دولتهم فى تونس ، وقامت الدولة المهدية فى ظل الفاطميين الذين جاءوا بعد العباسيين ، وحكم الفاطميون الجزيرة اربعين سنة ، كانت ذكرياتها مؤلمة ومحزنة •

وفى سنة ٩٤٨ ميلادية ولىالمنصور بامر الله على صقلية الحسن بن على الكلبى ، الذى اسس دولة الكلبيين فى الجزيرة ودامت قرنا كاملا ،وهو بحق ازهى العصور الثلاثة وهو ما نسميه العصر الذهبى لصقلية • ومعالم تلك الفترة هى التى تشير اليها مؤلفات الجغرافيين والرحالة العرب •

عندما حانت النهاية

ثم حانت بعد ذلك النهاية ـ اضاف الدكتور رزيتانو ـ حينما تكررت ثورات المسلمين ضد جور الولاة وزادت الاطماع والفتن ، الامر الذى فتح الباب واسعا لدخول النورمانديين الى الجزيرة بقيادة ملكهم راجار الاول ،الذى لميترك للمسلمين ـ حسب رواية ابن الاثير ـ حماما ولا دكانا ولا طاحونا ولا فرنا •

بدخول النورمان انتهى الحكم الاسلامى الذى استمر ٢٣٣ عام (بين سنتى ٢١٧ الى ٤٥٠هجرية)، وبقى المسلمون • تعايش المسلمون مع النورمان ، ووجدوا تقديرا من بعض ملوكهم الذين لم يجدوا مفرا من الإبقاء عليهم ، لان المسلمين كانوا عماد حضارة الجزيرة • وظلت العربية احدى اللغات التى اقرتها الدولة فى سجلاتها ، الى جانب اليونانية واللاتينية • واستمر الحال كذلك مدة ١٩٣ عام (من سنة ٤٥٠ الى ٦٤٣ هجرية) ، حتى احتل الجرمان الجزيرة بقيادة الامبراطور فردريك الثانى (اى ان المسلمين بقوا فى الجزيرة حاكمين ومحكومين ٤٢٦ سنة) وفى اواخر عهده نكل بالمسلمين وطاردهم ، بكلانواع التعذيب التى بلغت حد الاحراق والصلب • وبدات جموع المسلمين تهجر الجزيرة الىجنوب ايطاليا والسواحلالافريقية ثم جشدت فلولهم جميعا فوق سفن حملتهم الى السواحل الافريقية عام ٦٤٧هجرية (١٢٤٩ ميلادية) وبذلك طرد المسلمون عن آخرهم من صقلية •وحتى تجتث كل جذورهم اخرج من بقى من المسلمين فى جزيرة مالطة ايضا • واكمل المهمة الملك شارل دانجو الذى اخرج المسلمين من جنوب ايطاليا فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (سنة ١٢٥٢)• وعندما وجد ان بعضهم لا يزال على قيد الحياة ، اطلق عليهم جنود جيشه فقتلوهم جميعا فى سنة ١٣٠٠ (٧٠٠ هجرية) •

وبذلك اختفى الاسلام والمسلمون تماما منصقلية

ومالطة وجنوب ايطاليا • ومع اختفائهم هدمت كل مساجدهم بما في ذلك الـ٣٠٠ مسجد التي اشار اليها ابن جبير في باليرمو •

بعد لحظة صمت قال الدكتور رزيتانو : هذه هي اجابتي على سؤالك ياسنيور • وارجو ان تكون قد اقتنعت بصدق ما قلته لك في البداية من ان ما تبقى من العرب والمسلمين لا يتجاوز الاثار او التأثير • لم اضاف وحتى لا تتعذبوا كثيرا فان مساعدي الدكتور اندريا بوروزو ، وخبيرا آخر متخصصا في العمارة الاسلامية هو الدكتور جيوفاني انسلمي ، سيرشدكم كل منهما الى تلك الاثار والتأثيرات •

أرابيسك ٧٧ !

بعد هذه « الحقنة » المهدئة ، او المثبطة ، كان علينا ان نبدأ رحلة « التنقيب » •

قراءة الصحف لم تقربنا كثيرا من الهدف • الاضرابات التي هي سمة الحياة اليومية في ايطاليا ، وصقلية بالتالي ، في اكثر من مرفق • الطلاب مضربون ومعتصمون لتعديل مناهج التعليم وقد انتهزوا الفرصة ليتظاهروا ضد القاعدة الامريكية في الجزيرة ، ويندوا بالاتجاهات الفاشية النامية • وسائقو الاتوبيسات وموظفو البلدية مضربون لتعديل الاجور • الصراع محتدم بين الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الشيوعي ، ولا احد ينسى للكاردينال ـ ممثل البابا ـ انه حاول التأثير في الانتخابات الاخيرة لصالح الحزب المسيحي • اصوات الدعوة لاستقلال صقلية عن ايطاليا تتزايد • غمز واشارات الى تصاعد نشاط الحركة الماسونية التي يعتبرونها « المافيا رقم ٢ » • ازمة بسبب دخول البرتقال الاسرائيلي الى الجزيرة ، بعد اتفاق التعاون بين اسرائيل والسوق المشتركة ، على اعتبار ان ذلك يهدد المحصول المحلي من البرتقال (اى ان البرتقال العربي الذى احتلت مزارعه اسرائيل جاء ينافس البرتقال الذى ادخله العرب وخلفوه في صقلية !)

اثار انتباهنا في الصحف اعلان عن معرض لفنانة صقلية اسمها اتافيوريتو قالوا انها متخصصة في « الارابيسك » • قلنا عظيم لنبدأ الخطوة الاولى من هناك • وكان المعرض في قاعة فسيحة في فندق



بقايا المصنوعات العربية ، المقلدة والاصيلة • تباع في شارع « القمل » ، ومازالت تحمل رائحة زمن غابر •

« النخيل » (ليس في اوروبا بلد يزرع فيه النخيل سوى صقلية) •

وكانت الزيارة صدمة اخرى • ذلك ان ابرز لوحات « فنانة الارابيسك » تتضمن غانية عارية تماما ، ترصع معصميها وفخذيها بالجواهر ، وتتمدد وسط بعض الوسائد والحشايا المزخرفة ! (صورة اللوحة لا يمكن نشرها الا بعد طمس المعالم التي تخدش الحياء فيها ، وهي ذاتها التي حرصت الرسامة على ابرازها باعتبارها معالم اساسية في فن الارابيسك !!





نموذج من بقاياالعصر الاسلامي ، كتابات عربية طمس الزمن معظم معالمها ، حتى صار من الصعب قراءتها ، يعثرون عليها في المباني القديمة او مدفونة في باطن الارض (فوق) ـ كنيسة سان جيوفاني ديل اريمتي بقبابها الثلاث الحمراء الشهيرة في صقلية ٠٠ عربية مئة في المئة ٠





واحدة من الحوارى الضيقة فى صقلية ، التى يقال انها ايضا من بقايا تأثيرات عربية ٠ الملابس المغسولة تحجب السماء ، والمحلات التجارية متلاصقة على الجانبين ٠٠ نفس الوصف الذى سجله ابن جبير فى رحلته ٠



الدكتور جيوفاني انسلمي وسط مجموعة من الاواني والاباريق المكدسة في المتحف ، وكلهاعربية الصنع .

استعدت مرة ثانية شريط الصور الذى رسمه الرحالة العرب ، وقلت مقارنا : هذا اذن هو « الارابيسك ٧٧» !

وربما كانت الصورة مبالغا فيها ، وربما لجأت « الفنانة » الى بعض الاثارة لترويج بضاعتها ،وربما استوحت صورتها من الانطباع المأخوذ عن العربفي عصور الانحطاط ، عندما كانت قصور الامراء حافلة بطوابير الجوارى والغلمان ، وهو نفس الانطباع الذى يخرج به قارىء الصحف الغربية عندما تتحدث عن بعض العرب فى ملاهي اوروبا الان .

ربما كان هذا كله صحيحا ، ولكن الصدمة حدثت على اى حال ، واختلطت هذه المرة بمشاعر الحزن والخجل ! خرجنا الى الشارع . الناس يتكلمون بصوت عال ويلوحون بايديهم ، كانهم جميعا اطراف فى مشادة واحدة لم تتوقف منذ عشرات السنين ، ليس فى الجزيرة وحدها بل فى بقية اجزاء ايطاليا واليونان ايضا .

وقد لفتت هذه الظاهرة انظار الامام محمد عبده. فسجل ملاحظاته على سلوك الصقليين فى مقالاته التى نشرها بالمنار ، خصوصا وانه لم يخرج بانطباع طيب عن الناس ، بعكس انطباعاته عن المبانى والاثار الباقية فى الجزيرة . وكان من عناوين مقالاته عن صقلية « صخب » الصقليين وتسولهم وكسلهم » .

على ان بعض الرحالة الجغرافيين العرب خرجوا بانطباعات اسوأ عن اهل صقلية . فابن حوقل مثلا ياخذ عليهم كثرة اكل البصل النيىء كل يوم ، ويقول وهو الذى افسد تخيلهم واضر ادمغتهم ، وحير حواسهم ، وغير عقولهم ، ونقص افهامهم وافسد سحن وجوههم فاحال مزاجهم حتى راوا الاشياء او اكثرها على غير ما هى عليه !

وهو نفسه القائل : واهل صقلية اقل الناس عقلا ، واكثرهم حمقا ، واقلهم رغبة فى الفضائل واحرصهم على اقتناء الرذائل . وحدثنى غير

انسان منهم ان عثمان بن الحرار تولى قضاءهم ، فلما جربهم لم يقبل شهادة واحد منهم !

وكثير من المؤرخين يعتبرون موقف ابن حوقل متحاملا على اهل الجزيرة ويفسرون موقفه بانه راجع لاسباب تتعلق بالخلافات المذهبية •

غير ان ما رأيناه يختلف عما قرأناه ، وغاية ما هناك اننا كنا نتلقى حيث نذهب تحذيرات مهذبة تدعو كلا منا الى الانتباه الى ما فى جيبه او ما يحمله فى يده • وهو تحذير يمتد الى كل شيء تقبض عليه يداك حتى ولو كانت عجلة قيادة سيارة « فيات » من ذلك الحجم الذى تتركه فى مكان الانتظار ، وعندما تغيب لا تجد له اثرا !

نورماندى بلسان عربى !

دعانا الدكتور اندريا بوروزو لنقوم بجولة فى عاصمة الجزيرة باليرمو ، التى تحتل مكانة بارزة فى كتب الرحالة العرب ، وقبلنا العرض على الفور •

كان فندقنا فى شارع وسط المدينة يحمل اسم فيتوريو ايمانويل • لنبدأ من هنا • قالها الدكتور بوروزو ، ثم اضاف : هذا الشارع كان موجودا ايام العرب ، وكان يعرف « بالسماط » • وقفنا نمسح الشارع باعيننا • لقد ذكره ابن حوقل فى « المسالك والممالك » ، عندما جاء الى هنا وصقلية تحت الحكم الاسلامى • ثم كتب يقول : « وهذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد اخذ من شرقيها الى غربيها يعرف بالسماط • مفروش بالحجارة ، عامر بضروب التجارة » •

يمتد السماط بطول المدينة كلها يقسمها نصفين• يبدأ بقصر ضخم قديم وينتهى بالبحر • قلت للدكتور بوروزو : لابد ان يكون هذا هو قصر العزيز الذى بناه المعماريون والعمال المسلمون وكان مقرا للحكام النورمان • قال ، بالضبط ياسنيور • هم هنا يسمونه « لازيزا » والاسم المتداول للشارع ليس فيتوريو ايمانويل ، ولا السماط ، الناس هنا يعرفونه باسم « كاسارو » اى شارع القصر • لقد شيده المسلمون وقت حكم الملك غليام الاول (بين سنتى ١١٥٤و١١٧٧م) وابقت الايام على اكثره •

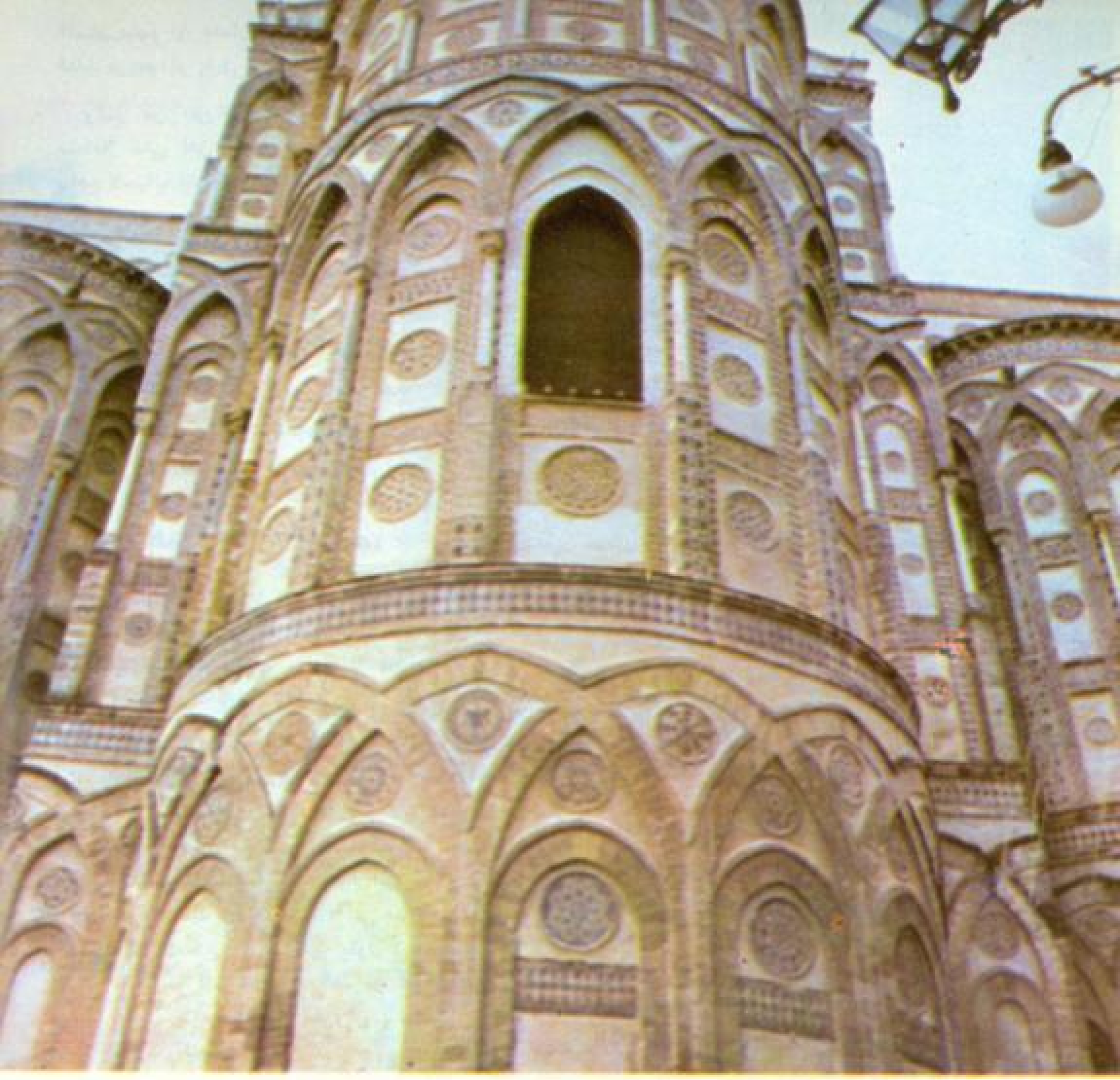
وذهبنا الى القصر الكبير الذى يطل على ميدان يملؤه النخيل • الاقواس الهندسية والنقوش الخلابة والكتابات الكوفية تغطى جنباته ، وتحيط بالابواب والعقود • العيون الجارية تغذى نافورة وسط البهو الاكبر ، تخترق مياهها القاعة ، ثم تختفى تحت ابوابها • هذه هى بصمات الاصابع العربية ، الرقيقة والماهرة •

قطع صمتنا الدكتور بوروزو وقال ، معظم آثار صقلية الان من العصر النورماندى هذا صحيح ، ولكنها تنطق بلسان عربى فصيح ، لا بد ان نعترف!

وقف الامام محمد عبده فى المكان ذاته منذ حوالى ثمانين عاما • اخذ بجمال القصر فعاد يكتب فى مجلة المنار « وغاية ما اقول انه قصر او (سراى) واسع ، كبير البيوت ، باهر الزينة والاثاث كسائر قصور الملوك فى اوروبا او فى غيرها من البلاد الشرقية والعربية ، مما تنفق فيه الاموال بحساب وغير حساب ، ولا شيء منها من كد الملك او الامير ، وانما هى من اموال الرعية ، وكسب الحفاة العراة الذين لا يجدون مايه يستترون ، ويشتهون لو انفق على جدران ابدانهم واركان اجسادهم جزء من المليون مما انفق على حيطان تلك القصور وزواياها وسقوفها ••

ثم قال ، ذهب بى حارس القصر اولا الى حيث توجد كنيسة الملك ، ولا حاجة لوصفها كذلك ـ الا لو كان الله يحب ان تزين له معابده ، وتنقش له مساجده ، كما يحب ذلك ملوك الارض ـ فوجدت فى الممر الموصل اليها على الحائط المتصل بالكنيسة حجرا قد كتبت عليه هذه العبارة : خرج الامر من الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية (المقصود بذلك هو الملك راجار الثانى ملك النورمان) ابد الله ايامها ، وايد اعلامها ، بعمل هذه الالة لرصد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثمانين وخمسمائة •

ومضى الامام محمد عبده يصف جولته فى القصر، فقال : رايت فى خزينة الجواهر من قصر الملك صندوقا عربيا فى طول نحو ثلثى ذراع ، وارتفاع ثلاثة ارباع الذراع ،صنع من نحو ثمانمائة سنة على ما يقول الحارس (كان ذلك فى آخر القرن الماضى)وهو مغشى بالنقوش الذهبية من اجمل ما تراه عين الان• وقيمته عند الدولة خمسمائة الف فرنك • ورأيت



كنيسة مونريال الضخمة من الخارج ، كل هذه الزخارف الدقيقة صممتها ونفذتها الانامل العربية الماهرة ، مؤكدة القول بان الآثار نورماندية ولكنها تنطق باللغة العربية الفصحى !**(الى اليمين)** باب كبير من العصر الفاطمي،تكسوه النقوش العربية، وهو الآن احد ابواب كنيسة «الانطاكي»في بالرمو ۰احد فصول معهد نشر الثقافة العربية والصقلية۰ الطالبات والطلاب فوق الى اليسار ، بينما احدى التلميذات تكتب على السبورة **(تحت الى اليسار)** ويرى في الصورة عبدالرزاق شنيب القنصل الليبي الذى يقوم بتدريس اللغة العربية في المعهد ۰






QIRAAH
قراءة
الحديقة
في الحديقة ورد وشجر
ورد وشجر

في احد بيوت القصر بابا من الحديد مطليا بطلاء اصفر جميل من اجمل ما تصنع الابواب وهو من صنع ايدى العرب ايام دولتهم » .

في حارة العطارين

خرجنا مرة اخرى الى شارع « كاسارو » لايزال الشارع عامرا بالتجارة كما قال ابن حوقل . وهو يعد الان احد الشوارع التجارية الاساسية في باليرمو . لكنه لم يعد مفروشا بالحجارة ، بل صار لامعا نظيفا ، يسبح في بحر من الاضواء الملونة كل مساء .

عند منتصف الشارع وجدناه يتفرع الى حوارى بغير حصر . حوارى ضيقة وملتوية ، يقول الدكتور بوروزو انها تدخل ضمن التاثيرات العربية . وان سوق « بلرمه » القديم كانت هنا ، وهي السوق التي وصفها ابن حوقل بالتفصيل ، لاتزال المحلات التجارية منتشرة بكثافة .في وجود العرب والمسلمين كانت كل حرفة ومهنة في حارة ، ولكن الأمر اختلط الان ، حيث اصبح سوق السماكين مع الجزارين والبقالين وتجار الخضر والفاكهة .

احدى هذه الحارات يحمل اسم « اتارينو » ، اى العطارين . يعلق على ذلك الدكتور بوروزو بقوله ان ثمة اسماء كثيرة في الجزيرة لها اصول عربية منها اسم عائلته هو فبوروزو هي في الاصل ابو الرؤوس . وثمة عائلات اخرى تحمل اسماء بوشيما (ابوشامة) وماجافرو (مقاور) وموراببيتو (مرابط) وشورتينو (شرطى) وسلادينو (صلاح الدين) .

وغير اسماء العائلات ، فهناك كلمات اخرى بغير حصر يتداولها الناس ، وهي عربية في الاساس . فالقلعة عند الصقليين هي « كالتا » . وكالتانستا هي « قلعة النساء » . وكالتا فوترو هي « قلعة الثور » . وكالتامير هي «قصر العمارة» . والفندق « فونداكو » ، ومرسالا (مرسى الله) ، وقادالا (وادى الله) ، وتيرازى (الطراز) ، ومسكينو (مسكين) ، وجارا (الجرة) وجبلينا (جبل) ، وماجالوفو (المغلوف) ، وترابيا (تربيعة) ..اما كلمة ريس ، فتنطق كما هي بالصقلية .. وهكذا .

ويبدو التاثير العربى واضحا ايضا في الكلمات المستخدمة في الزراعة والموازين . ف .. زاجرا (زهرة) ومارجينو (مرج) وباستكا (البطيخ) ونارانزو (النارنج) وزاكيا (الساقية) وجرافو (الغراف وهو الاناء الذى يغترف به الماء) وجاليجو (الخليج) . وروتلو هو (رطل) ، وكانتارو (قنطار) وربو (ربع القنطار) . وهذه الكلمات لا تستخدم في الصقلية فقط ،بل في اللغة الايطالية ايضا .

« ان ظاهرة الكلمات ذات الاصول العربية في اللغة الصقلية تستحق التسجيل . وهناك دراسة واسعة تجرى حول هذا الموضوع الان في معهد الدراسات الشرقية بجامعة باليرمو » . هكذا قال الدكتور بوروزو ، ثم اضاف : ان البعض يرى – مثلا – ان كلمة « مافيا » ذاتها عربية الاصل . من معافى او معفي ، اى الشخص الذى اعفى نفسه من الخضوع للقانون . الخارج على القانون .

والتاثير العربى لايزال باقيا ايضا في بعض العادات ومظاهر السلوك . والايطاليون يتندرون على الصقليين لانهم يلتقون بالاحضان عندما يطول فراق الاصدقاء . ولا تزال افراحهم يتخللها الغناء الجماعي والموسيقى الصاخبة ، وماتمهم مبالغ فيها

★ في زيارته هذه أخذ الامام محمد عبده بجمال الصور والتماثيل في صقلية ، وسجل ضمن مقالاته عن الجزيرة فتواه الشهيرة التي قال فيها ان تحريم الصور والتماثيل لم يعد له مبرر . وكان ذلك مقبولا في ايام الوثنية ، حيث كانت الصور تتخذ لسببين ، الاول اللهو والثاني التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين .والاول مما يدحضه الدين والثاني مما جاء الاسلام لمحوه . والمصور في الحالين شاغل من الله أو ممهد للاشراك به . فاذازال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات ، وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف واوائل السور ، ولم يمنعه احد من العلماء .واضاف الامام في فتواه .. يغلب الظن ان الشريعة الاسلامية ابعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق انه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل ، على ان المسلمين لا يتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا انفسهم منها .

كما نفعل نحن تماما ، من البكاء والنواح وارتداء الملابس السوداء • ولعذارة البنت قيمة لا تزال اكثر الاسر الصقلية تتمسك بها ، حتى ان احد المزارعين اطلق الرصاص على ابنته وقتلها انتقاما لشرفه • وهو الامر الذى ادهش الصحافة الايطالية فابرزت الخبر على صفحاتها الاولى !

والمطبخ الصقلى ملىء بالتاثيرات العربية ، من الكسكسي الشهير في شمال افريقيا بوجه خاص ، الى مختلف انواع الحلويات •

قطعنا شارع القصر او السماط كله ، ونحن نتحدث عن الكلمات والتقاليد العربية الباقية ، ونطوف بالحارات الضيقة التى تتفرع عنه ، والتى تكاد تختنق من كثرة الغسيل المنشور على حبال تصل بين جنباتها •

•• وحى « الكالسا »

وصلنا الى البحر • الى الميناء القديم •هو الان راكد وخامل ، تقف فيه سفن الصيد ذات المجاديف القديمة ، بينما الطيور تتسكع في سمائه لا يعكر تجمعاتها شيء ،سوى صياح الصيادين وهم يضربون المياه بمجاديفهم •

دخل الميناء التاريخ ، واحتل مكانه ميناء جديد، ليس بعيدا عنه ، لـه رصيف طويل ترسو عنـده السفن الكبيرة وتملؤه الرافعات والشاحنات •

من هنا ـ الميناء القديم ـ دخل العرب بالرمو ، بعد ثماني سنوات من نزولهم على شواطىء صقلية وبعد حصـار طـويل سلمت المـدينة في نهـايته واعطى اهلها الامان ، فغادروا المدينة وتركوها مفتوحة ، وحسب رواية ابن الاثير ، فان المسلمين وجدوا فيها ثلاثة الاف شخص ، من اصل ٧٠ الفا قبل الحصار •

يطل حى الخالصة على الميناء • لم يبق فيه من آثار العرب الا اسمه « كالسا » • وكـان حـى الخالصة قد بناه خليل بن اسحاق والـى صقلية الطاغية ، الذى ارسله الخليفة في تونس ليؤدب اهل الجزيرة سنة ٣٢٥ هجرية لتمردهم وثوراتهم• وتقول كتب التاريخ ان الرجل بنى لنفسه ولرجاله هذه الضاحية ليحتمى بها من ثورة سكان بالرمو• وقد حكم الجزيرة اربع سنوات تذكر مرتبطة بصور عديدة من البطش والارهاب ، حتى اعتبر ابن اسحاق « حجاج المغرب » ، نسبة الى الحجاج بن يوسف الثقفى الذى دخل التاريخ العربى من باب الطغيان والجبروت في العصر الأموى •

تروى كتب التاريخ ان خليل بن اسحاق عاد الى مجلس الخليفة في المهدية ، بعد انتهاء مهمته التى استمرت ٤ سنوات ، وقال امام الجالسين : قتلت في امارتى الف نسمة • فاجابه احد علماء الدولة الشيعية ، لك يا ابا العباس في قتل نفس واحد ما يكفى •

وتقول كتب التاريخ ايضا انه من شدة بطشه وجوره هرب بعض المسلمين مـن صقلية وجنـوب ايطاليـا •• « واعتنقوا النصرانية ولـو بصفة صورية » •

ابن جبير امام الكنيسة

اثارت انتباهنـا كنيسة المارتورانـا بعمارتها العظيمة وبنائها الشاهق ، وبابها الخشبى الكبير الذى تملؤه النقوش العربية • فى مدخل الكنيسة خلف الباب اثنان من الاعمدة يحملان كتابات عربية• على احدهما كتب : لا اله الا الله محمد رسول الله • وعلى الثانى كتبت عبارة : « باسم الله الرحمن الرحيم » • غيـر آيـات قرآنية طمست معالمها • وهما من الاعمدة التى نقلت من المساجد بعد هدمها ، ووضعت فى الكنائس لتزيينها •

منذ حوالي ٨٠٠ سنة وقف فى مكاننا ـ امام الكنيسة ـ الرحالة العربى ابن جبير • كان قادما من الحج عام ١١٨٤ ميلادية ، متجها الى الاندلس وغرقت السفينة التى حملته مع غيره عند شواطىء صقلية ، فقرر ان يقوم بجولة فيها ، يرى ما خلفه المسلمون الذين كان حكمهم قد ذهب من الجزيرة قبل مائة عام تقريبا ، بينما بقوا هم فيها كما قلنا، وتصادف ان كانت وقفته امام الكنيسة يوم عيد ميلاد المسيح ، فشهد احتفال المسيحيين بالعيد ، وسجل كل ما شاهده فى مؤلفه « الرحلة » ، وقد اطلق عليها اسم « كنيسة الانطاكى » ،نسبة الى الادميرال جورج الانطاكى (من انطاكيا) الذى امر ببنائها•

كتب ابن جبير يقول : « ومن اعجب ما شاهدناه بها من امور « الكفر » ان كنيسة تعرف بكنيسة الانطاكى ابصرناها يوم الميلاد • وهو يوم عيد لهم عظيم ، وقد احتفلوا بها رجالا ونساء ، فابصرنا من بنيانها مرأى يعجز الوصف عنه ، ويقع القطع

ايسوزو
شاحنات في خدمة العالم كلّه

ابما تشتدّ البيئة قسوةً وتزداد الأراضي وعورةً ... إن كانت هناك مهمّة يجب القيام بها، فإنك تجد شاحنات ايسوزو منهمكة بها، وذلك بأقل ما يمكن من الإزعاج أو القلق، وبأكبر قسط ممكن من الكفاءة التي يعتمد عليها، والأداء المتقن، والاقتصاد في النفقات.

يوجد موديل من ايسوزو مثالي لكل غرض .. من سيارة «البيك آب» الخفيفة كي. بي – ٢٠ المتعددة الاستعمالات والقادرة على احتمال الأعباء الثقيلة، الى وحدة الجرّ الجبّارة ڤي. بي. آر ذات الدفع بالعجلات الأربع والقوّة الكافية لسحب مقطورة محمّلة من فئة ١٥ طنّاً. كما يوجد موديل لأيّة عملية بين هذين. جميعها متوفرة إما بأجساد اختصاصية مركّبة في المصنع، أو بمقصورة القيادة والشاسي فقط.

تفضّلوا بزيارة وكيل ايسوزو في منطقتكم وتعرّفوا على هذه الشاحنات التي أخذت تغزو العالم .. انها ستجعل أشغالكم أهون وأيسر.



ايسوزو ڤي اكس. دي. وزن الشاحنة بكامل الحمولة ١٢٠٠٠ – ١٢٣٠٠ كيلوغرام



ايسوزو بيك آب كي. بي – ٢٠ وزن السيارة بكامل الحمولة ٢٢٣٨ كيلوغرام



ايسوزو إلف – متوفرة ايضاً بشاسي طويل وزن السيارة بكامل الحمولة ٣٣٠٠ – ٥٨٠٠ كيلوغرام

ايسوزو ISUZU GM

بانه اعجب مصانع الدنيا المزخرفة • جدرها الداخلة ذهب كلها . وفيها من الواح الرخام الملون ما لم ير مثله قط • قد رصعت كلها بفصوص الذهب ، وكللت باشجار الفصوص الخضر ، ونظم اعلاها بالشمسيات المذهبات من الزجاج ، فتخطف الابصار بساطع شعاعها ، وتحدث في النفوس فتنة نعوذ بالله منها • واعلمنا ان بانيها الذى تنسب اليه انفق فيها قناطير من الذهب ، وكان وزيرا لجد هذا الملك المشرك • ولهذه الكنيسة صومعة قد قامت على اعمدة سوار من الرخام ملونة ، وعلت قبة على اخرى سوار كلها ، فتعرف بصومعة السوارى ، وهى من اعجب ما يبصر من البنيان ، شرفها الله عن قريب بالاذان، بلطفه وكريم صنعه•

ثم قال : وزى النصرانيات فى هذه المدينة زى نساء المسلمين ، فصيحات الالسن ، ملتحفات متنقبات ، خرجن فى هذا العيد المذكور وقد لبسن لباس الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائعة ، وانتقبن بالنقب الملونة ، وانتعلن الاخفاف المذهبة، وبرزن لكنائسهن او كنسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر » •

••• مروا من هنا

خلال جولتنا بين القصور القديمة والكنائس ، كان الدكتور جيوفاني انسلمي يروى لنا قصة كل بناء • الكاتدرائية الكبرى التى شيدت بايدى الصناع المسلمين ، وهى خليط من الطابع العربي والاوروبي ، وان كانت اللمسات العربية اكثر وضوحا • جزء من الكاتدرائية شيد على انقاض مسجد لا تزال بقايا سوره قائمة • وعلى ابوابها وبين اقواسها رسمت آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفى •

كنيسة سان جيوفاني ديل اريمتي ، التى كانت معبدا رومانيا قديما للاله هرمس ، ثم تحولت الى مسجد فى أعقاب الفتح الاسلامى (فى القرن العاشر) وفى القرن الثانى عشر اصبح ديرا وكنيسة • القباب الحمراء الثلاث التى تعلو الدير والكنيسة ترى من كل انحاء باليرمو ، وتعلن بالعربية الفصحى ـ على حد تعبير الدكتور بوروزو ـ ان « المسلمين مروا من هنا » •

قصر القبة ، الذى بناه المسلمون فى القرن الثانى عشر • على الطراز الذى بنى به قصر العزيز • كل نوافذه واقواسه من الخارج عربية التصميم • فى داخله قاعات فسيحة جدرانها مغطاة بالفسيفساء البديعة التنسيق ، والكتابات الكوفية التى تساقطت احرفها ، وبقيت تحدّى نصا زمن غابر وحضارة عظيمة • فوق القاعة الرئيسية قبة عالية مبطنة من الداخل بنقوش خلابة من الرخام الصناعي •

القصر مهجور الان ، وهو يتوسط معسكرا للجيش الايطالي ، لا تهدأ فيه الحركة ، ولا بد من اذن خاص لاجتياز بوابته •

كنيسة مونريال الضخمة ، التى تشرف على باليرمو من فوق هضبة عالية يربطها بالمدينة طريق طويل يتلوى كالثعبان • تذكرك مبانى الكنيسة من الخارج بالقصور العظيمة التى شيدها المسلمون فى الاندلس • القباب والنوافذ التى تخطف الابصار لشدة جمالها واتقانها ، والحديقة الداخلية الفسيحة التى يحيط بها من جوانبها الاربعة صف طويل من الاعمدة والاقواس العربية •• بصمات باهرة «تذكر الخلف الغافل ، بعظمة تاريخ السلف الحافل » ، كما يقول الاستاذ توفيق المدنى •

وصلنا الى شارع القمل ـ عفوا فهذه هى ترجمة اسمه من الايطالية ـ حيث تباع المخلفات القديمة، الاصيلة والمقلدة ببراعة فائقة • وسط اكوام المخلفات نجد الكثير من قطع الارابيسك (الحقيقية هذه المرة) مقاعد وموائد ودواليب (خزانات) مطعمة بالصدف وتحمل كتابات عربية دقيقة على كل جانب ، من آيات قرآنية الى ابيات شعر الى اسماء الخلفاء والسلاطين • والى جانبها اوان نحاسية كبيرة وموائد ، تباع باثمان باهظة ، بعد ان تنبه التجار الصقليون الى قيمتها • هذا بالطبع غير لوحات فنية ، ومخلفات اخرى من العصور التى تلت الوجود الاسلامى فى الجزيرة •

٣٠٠ مسجد هدمت

فى ضواحي باليرمو واطرافها توقفنا كثيرا امام بقايا بعض المساجد التى هدمت (كان فى باليرمو وحدها ٣٠٠ مسجد حسب رواية ابن جبير) أسوار منهارة وقطع كبيرة من الحجر ، بدأت العناية بها اخيرا ، بعد ان تنبه الصقليون الى ان اسقاط هذه المرحلة من تاريخ جزيرتهم يعبر عن تخلف فكرى وتعصب اعمى ربما كانت له مبرراته فى

الماضى . وهى مبررات لم يعد لها وجود الان ٠ فضلا عن ان الاهتمام بهذه الاثار مفيد من الناحية السياحية على الافق . وهو جانب بدأ ينهض فى صقلية خلال السنوات الثلاث الاخيرة . بعد ان تغيرت فى اذهان الاوروبيين صورة ارتباط الجزيرة بنشاطات « المافيا » ٠او بتعبير ادق . بعد انصارت نشاطات « المافيا » فى الجزيرة غير مرئية للكثيرين٠

ولم يكن التنقيب والترميم وتجميع مخلفات المسلمين وغيرهم فى متحف بالاتسو اباتيليس هو المظهر الوحيد لاتجاه الحكومة المحلية فى صقلية الى الاهتمام بهذه الفترة من تاريخ الجزيرة ٠بل انهم سمحوا منذ عشر سنوات فقط بتدريس العصر الاسلامى فى صقلية ضمن تاريخ الجزيرة الذى يدرس للتلاميذ . وهو ماكان محظورا من قبل . الامر الذى بسببه يجهل الكثيرون من الصقليين الان انه كانت فى الجزيرة يوما ما حضارة اقامها المسلمون ٠ واغلب الظن ان فنانة « الارابيسك » التى شاهدنا اعمالها فى بداية الرحلة واحدة من هؤلاء ٠

وقد شجعت هذه البوادر جامعة باليرمو على انشاء معهد الدراسات الشرقية الذىيديره الدكتور امبرتو رزيتانو، ومعهأربعة منالاساتذة المساعدين، وتدرس اللغة العربية فى فصول يتناقص عدد طلابهاعاما بعد عام بسبب صعوبة اللغة وضعف امكانيات التدريس الحديثة ٠٠بينما فصول التاريخ والدين الاسلامى هىالتى يقبل عليها الطلاب اكثر، وفى مكتبة المعهد ١٥ الف كتاب عربى ،لكننا بسبب اضراب الطلاب واعتصامهم داخل الجامعة لم نستطع زيارة المعهد أو المكتبة ٠

ومنذ ثلاث سنوات انشا عدد من المثقفين فى صقلية معهدا خاصا لنشر الثقافة العربية ،يديره الدكتور اوريو بوريو وهو محام كان يرأس جمعية الصداقة العربية الصقلية ٠ وطلابه الموزعون على حجرتين فى مسكن متواضع عددهم ٦٥ شخصا وهم يدرسون اللغة العربية اساسا . بعدما انفتحت مجالات التعامل مع العالم العربى ٠ والدولة العربية الوحيدة التى تساند المشروع هى ليبيا ، التى قررت دعوة الناجحين فى كل عام لقضاء اسبوعين فى ربوعها ٠ وبدأ ١٨ منهم فعلا زيارة ليبيا فى العام الماضى ٠

وهذه المعالم التى طفنا بها ليست مقصورة على باليرمو وحدها ٠ ولكنها موجودة بدرجات متفاوتة



الله ومحمد عليه الصلاة والسلام ، ربما كانت ابرز الكلمات التى مازالت واضحة وسط هذه الكتابات ، التى خضعت للترميم فى المتحف ٠

فى مدن اخرى فى الجزيرة التى تحكم ذاتيا فى نطاق السيادة الايطالية ٠

فثمة آثار مماثلة فى مسينا وشيفالو وترمينى ومازره ومرسى على واطرابنش وقطانيا وسرقوسة وغيرها ٠ فى كل مدينة قصر او كنيسة او كاتدرائية تحمل البصمات العربية ٠ ولكن باليرمو ما زالت تضم ابرز معالم الوجود العربى والاسلامى فى صقلية ٠اليست هىالتى وصفها الشريف الادريسى فى « نزهة المشتاق » بقوله : « هى المدينة السنية العظمى ، والمحلة البهية الكبرى ، والمنبر الاعظم الاعلى على بلاد الدنيا ، واليها فى المفاخر النهاية القصوى ذات المحاسن الشرائف . ودار الملك فى الزمان المؤتلف والسالف » ٠

درس التاريخ

لم نسأل : لماذا فتح العرب صقلية ؟

تقول كتب التاريخ ان هناك ثلاثة اسباب دفعت المسلمين الى فتح الجزيرة ، اولها التمهيد لدخول اوروبا من الوسط بعدما اخفق المسلمون فىدخولها

من الشرق عبر القسطنطينية ، ومن ناحية الغرب فى سهول بواتييه (جنوب فرنسا) امام شارل مارتل. وكاد مخطط المسلمين ان ينجح، فبعد صقلية دخلوا جنوب ايطاليا ووصلوا الى نابولى ، ثم وقفوا على ابواب روما ، ولكن خلافاتهم شغلتهم عن الاستمرار فى التقدم نحو الشمال الايطالى •

السبب الثانى هو وقف القرصنة « البيزنطية الرومية » التى اتخذت صقلية مقرا لها ، تشن منها الغارات على المسلمين على طول ساحل الشمال الافريقى • السبب الثالث يرجع الى رغبة الملك الاغلبى فى وقف الفتن الداخلية والهاء العرب والبربر بالجهاد خارج البلاد الامر الذى مكنه فى ابعاد الكثير من العناصر المشاغبة •

وقد حرك قرار الفتح ان رجلا اسمه « فيمى » اختلف مع بطريرك صقلية فلجأ الى القيروان يطلب من بنى الاغلب المعونة ،واسقاط البطريرك. فجمع زيادة الله حاكم القيروان مجلسه وسالهم هل تظل الجزيرة للامبراطور البيزنطى ام تكون لخليفة بغداد ؟ وهل تبقى قطعة من اوروبا ام تصبح جزءا من افريقية ؟

اختلف اعضاء المجلس بين مؤيد ومعارض • « وعندما سال الفقيه سحنون : كم بينها وبين بلاد الروم • • قالوا يروح الانسان مرتين وثلاثة فى النهار ويرجع • قال : ومن ناحية افريقية ؟ قالوا: يوم وليلة • فقال سحنون ، لو كنت طائرا ما طرت عليها » •

ولكن الرأى المؤيد للفتح هو الذى تغلب • وكان « فيمى » هذا ، هو مرشد جيش اسد بن الفرات فى النزول على شواطىء الجزيرة •

ومن مفارقات القدر انه مثلما لعبت الخيانة دورها فى فتح الجزيرة ، فانها لعبت دورا مماثلا فى اخراج المسلمين منها • ذلك ان قتالا نشب بين اثنين من حكام مقاطعات الجزيرة المسلمين • • ففر المهزوم ــ واسمه ابن الثمنة ــ الى جزيرة مالطة حيث كان يتربص راجار الاول ملك النورمان ، واصطحبهم فى اقتحام الجزيرة تماما كما فعل « فيمى » مع اسد بن الفرات !

غير ان الخيانة لم تكن هى السبب الحقيقى لسقوط الحكم الاسلامى فى صقلية ، لان الحكم كان قد سقط فعلا قبل دخول النورمان • كانت الدولة الاسلامية هناك قد وصلت الى مرحلة التفسخ والتحلل • تحول الحكام الى طغاة ، وحدث الصدام بين العرب والبربر ، وانقسمت الجزيرة حتى استقل بكل مدينة او مقاطعة حاكم فرد ، وتقاتل الجميع ، حتى خارت قوى الجميع • وصار الحكم الاسلامى فى صقلية جثة مثخنة بالجراح ، سقطت عند اول ضربة ، وأجهز عليها بسهولة بالغة •

ولم يكن هذا التفسخ مقصورا على الحكم الاسلامى فى صقلية وحدها ، ولكنه كان جزءا من تفسخ عام كان يسرى فى جسد الامة الاسلامية ، فى المشرق العربى • كانت الخلافة العباسية قد تضعضعت ولم يبق منها الا الاسم فقط • كانت بغداد واكثر بلاد العراق وفارس تحت حكم دولة بنى بويه التركمانيين، وكانت مصر واكثر بلاد الشام فى يد بنى الاخشيد• والموصل وديار بكر فى يد بنى حمدان • وخراسان وبلاد التركمان وراء النهر فى يد بنى سامان ، والبحرين واليمامة واجزاء كثيرة من جزيرة العرب تحت حكم القرامطة •

هكذا كانت الدولة الاسلامية فى المشرق العربى، شراذم متفرقة ومتنافسة • لذلك لم يكن غريبا ان يسقط بيت المقدس فى ايدى الصليبيين بعد انتهاء مقاومة المسلمين فى صقلية بثلاث سنوات •

ثم دارت دورة الزمن ، وامتد التفسخ والتحلل الى الدولة الاسلامية فى المغرب العربى ، فتكررت المأساة فى الاندلس ، عندما تقاتل ملوك الطوائف وانشغل المرابطون والموحدون بنزاعاتهم ، حتى سقطت الاندلس الى الابد ، بعد ان ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية عبر ثمانية قرون •

★★★

اننا اذا تلفتنا حولنا الان فسوف نكتشف ان التاريخ يعيد نفسه •« طوائفنا » تتقاتل ، ودماؤنا تستنزف على طول الساحة العربية وعرضها • • واعداؤنا يترقبون ويتربصون • فى انتظار لحظة الاجهاز المناسبة •

ونحن فى غيبوبة نلوك المسكنات والمهدئات ، متعلقين باوهام ووعود غير مرئية •

كاننا لم نتعلم شيئا من التاريخ •

كاننا حتى لم نقرأ التاريخ ! ■■

فهمى هويدى

السالجارية

ظاهرة أدب الأطفال فى ايطاليا

بقلم : فريد كامل

■ خرج من منزله فى صباح ذلك اليوم لينتحر. كان يحمل تحت ابطه لفافة بها رداء طفل ملفوف حول سكين ويدير بين اصابعه مسبحة صغيرة بها ايقونة من الصفيح .

كان اميليو سالجارى فى التاسعة والاربعين من عمره حينئذ ، وقد قضى الثمانية والعشرين عاما الاخيرة فى كتابة قصص المغامرات المثيرة فنشر مئة وخمسا من الروايات الطويلة ومئة وثلاثا من القصص القصيرة . ولكن ناشريه خدعوه واستنزفوه فعاش فى فاقة شديدة : ضعضعته الحاجة وزلزلته نوبات جنون بدأت تنتاب زوجته، فسئم الحياة ـ وفى السادسة من مساء ذلك اليوم (٢٥ أبريل ١٩١١) عثرت غسالة اسمها لويجا كريكو على جثة ممددة على شاطىء نهر البو فى مدينة تورينو : المسبحة فى يده وعلى صدره جلباب الطفل ، بطنه مفتوح وامعاؤه ممزقة منتشرة ..

واستيقظت ايطاليا فى اليوم التالى لتكتشف ما لم تكن تعرفه عن حياة احد اكبر كتابها شعبية ورواجا : كان قراؤه يعتقدون ـ ربما لانهم ارادوا ذلك ـ انه يعيش فى رفاهية براقة ، فاذا به فقير حتى انه ، ليوفر ليرات قليلة ، كان يصنع بيده الحبر الذى يكتب به .. كانوا يتصورون ـ وقد عاشوا معه صيد الاسود فى آسيا واغارات القراصنة فى اعالى البحار وقوافل العبيد فى افريقيا وحروب الاستقلال فى امريكا اللاتينية ـ كانوا يتصورونه مغامرا جبارا . فاذا بالقلم حرفة عنده ، يكتب القصة مضطرا ليعيش .. لم يخرج ابدا من ايطاليا (بل من ثلث مساحتها فقط) اللهم الا فى رحلة بحرية صغيرة بجوار شاطئها الشرقى .. واذا بالمغامرة الوحيدة التى خاضها هى انتحاره بطريقة مثيرة : الهاركيرى اليابانية ..

وكانت عودة « موضة » قراءة كتابات سالجارى احدى اهم المعالم الادبية فى ايطاليا فى عام ١٩٧٦ حيث بيع اكثر من مئة وعشرين ألف نسخة من مؤلفاته ، نصفها تقريبا من مسلسلة مغامرات صندوخان ، حتى اطلقت بعض الصحف على السنة الماضية اسم « عام صندوخان » .

ظهرت مغامرات صندوخان كمسلسلة تليفزيونية فى ست حلقات طول كل منها ساعة فالهبت خيال المتفرجين : القصة عن بطل شعبى اسطورى يقود كفاح ماليزيا ضد الاستعمار الانجليزى (شركة الهند البريطانية) ، والحلقات مليئة بالحركة (مبارزات بالسيف وبالكاراتيه وصيد النمور والمعارك البحرية ووباء الطاعون .. الخ) .. وبها اهم كشف سينمائى فى ايطاليا فى العام الماضى ـ (النجم الهندى كبير بيدى الذى زار ايطاليا فى نهاية العام فاستقبلته مظاهرات من الاف المعجبات حيثما ذهب) .. وبها اجمل قطعة



اميليو
سالجارى

موسيقية لعام ١٩٧٦ ـ وقد استمرت فى قمة مبيعات الاسطوانات فى ايطاليا لاربعة عشر اسبوعا متتالية (وكانت تباع فى السوق السوداء بضعف الثمن) ٠٠ وبسرعة حولت الحلقات الى فيلم سينمائى من جزئين (كل منها ثلاث ساعات تقريبا) ليراها المعجبون بالالوان (التليفزيون الملون يحبو هنا من مطلع هذا العام) وظهرت عشرات الكتب والقصص المصورة والازياء واللعب والادوات المدرسية والبضائع التى تحمل اسم وصور قصندوخان ٠٠ وبدأ بسرعة اعداد فيلم سينمائى عن مغامرات سالجارية اخرى ـ « القرصان الاسود » صناعة نفس المخرج (سرجيوسوليما) بطولة نفس النجم (كبير بيدى) ٠ موسيقى نفس الملحنين (الاخوين دى انجليس) ٠٠ وقد بدأ عرض الفيلم منذ ايام قليلة ٠٠

قصص أم حواديت

لم يكن سالجارى نكرة حتى اكتشفه التليفزيون او منسيا حتى احيا ذكراه ٠٠ مجلة « بانوراما » الاسبوعية تقول العكس : انه يحتل المركز السادس فى قائمة منظمة اليونسكو الدولية لاكثر المؤلفين رواجا فى العالم (وفى قمتها « الانجيل » ويليه « ماوتسى تونج ») وتضيف ان مبيعات سالجارى السنوية كانت دائما حوالى الثمانين الفا ـ فى ايطاليا فقط ٠٠ اى كان دائما كاتبا شعبيا ٠٠

من تاريخه نعرف ان سالجارى قام باعمال ثانوية ومختلفة فى عدد من الصحف والمجلات المحلية وانه حاول الكتابة « الجادة » فرفضت كتاباته ، وفى سن السابعة عشرة طلب منه احد رؤسائه ان يكتب قصص المغامرة للاطفال للتنويع ولملء الفراغ بالجريدة ـ فحاول القصة ثم تطور الى المسلسلات الطويلة وحقق نجاحا كبيرا وانتشارا واسعا لجريدته ، ولكنهم اقنعوه ان قصصه ليست أدبا بل « حواديت » لايرقى مستواها عن الاطفال ، وان جريدة اخرى لن تنشر له مثل هذه « الخرافات » ـ فعاش على فتات موائدهم يحلم بان يكتب فى يوم ما شيئا جادا يقرؤه الكبار (الذين كانوا يلتهمون مغامراته وان لم يجهروا بذلك ٠٠) واختار ان يموت محتضنا الى صدره جلباب طفل ٠٠

كانت كل من رواياته سلسلة من « التفاعلات المتتالية» تقود كل منها للاخرى (كالدمى الروسية المتداخلة) ولاتحكمها عادة حبكة متماسكة (اذ كان يكتبها يوما بيوم) •• فقد تظهر شخصية بخال للقارىء ـ لاهتمام سالجارى الشديد بهاـ انها رئيسية فى روايته ، ولكنه سرعان ما يملها فيتخلص منها ، وقد يروى فى الحلقات الاخيرة خصالا لشخصية اخرى تختلف عن ـ بل ربما تتناقض ـربما مع ماروواه عنها فى الحلقاتالاولى •• تغذى هذه الاحداث عواطف مشتعلة ،شهامات متتالية ، مذابح ، هلوسات ، وحوش، سحرة، اشباح ، جيوش ، عواطف واخطار طبيعية، غموض الشرق او سحر الاراضى البعيدة التى لم تكتشف بعد ••ويحركها ابطالاسطوريون بعضهم صالحون كالقديسين وبعضهم شريرون كالابالسة وبعضهم طيبون ولكنهم يخطئون ـنتيجة جهل او ظروف معينة او فى لحظات ضعف ـ ولكن يمكنهم الخلاص بالتوبة والتكفير •• اما النساء عنده فكلهنطاهرات نقياتوفى علاقه ابطال له بهن يمكن حتى لاعتى القراصنة وابشع المجرمين ان ينافس نبلاء بلاط الملك ارثر او الملكة فيكتوريا ! !

نوافذ الخيال والمغامرة

ولكنه ـ على عكس غالبية كتاب ادب الاطفال المعاصرين له ـ كان ليبراليا ديمقراطيا (بمفاهيم نهاية القرن التاسع عشر) فقد وقف فى ادبه بجانب الشعوب المضطهدة ضد الاستعماريين والتخلف والتمييز العنصرى (بل زوج اغلب ابطاله من اجناس مختلفة) ـ كما استوحىكتاباته منوقائع ايامه واحداثها ـ فكانت اولى قصصه (فى ١٨٧٩) عن الارهاب القيصرى فى روسيا، وكتب مسلسلة « المفضلة فى الحريم » بعد اغتيال جنرال جوردونفىالسودانو « مغامرات فى الادغال» بعد التوسع الاستعمارى البريطانى فى برمانيا وماليزيا و « اجمل اللالىء » بعدالحملة الاوروبية ضد البوكسرز فى الصين •ومسلسلة «القرصان الاسود » بعد المعارك البحرية فى الكاريبى التى شهدت غروب الامبراطورية الاسبانية هناك وبدء استقلال دول امريكا اللاتينية ، ومسلسلة «الهنود الحمر»بعد جولةبافلوبيل الاوروبية •• وهكذا ••

ولكنه لم يجد ما يلهمه فى فتوحات ايطاليا فى ذلك الوقت فتجاهلها (وربما لو كتب عنها لكان ساند شعوب المستعمرات ضد الاستعمار الايطالى !!) ••

ومع ليبرالية ادب سالجارى الا انه افتقر الى البعد الاجتماعى فى كتاباته ، فالثورة عنده كانت عملا فرديا ـ وكذلك العدالة جهد فردى : الذى يقوم بالثورة شخصية بطولية • والذى يحقق العدالة ويقوم عليها بطل ايضا ، اما الجماهير الذين يساندونهم ويحاربونمعهم فهم «كومبارس» فحسب ، يستمد وجوده من البطل ولا يوجد او يستحق ان يروى عنه شيئا اذا لم يكن البطل موجودا ••

لهذا انتقد اليساريون كتابات سالجارى واعتبروها «لغوا فارغا» وسخر منه ابو الشيوعية الايطالية انطونيو جرامشى فى كتابه « الادب فى حياتنا الوطنية »واجاب المخرج السينمائى المعروف بازولينى حينما سئل عنه فى حديث تليفزيونى قبل مصرعه بشهرين، اجاب «سالجارى» من هذا ؟؟••

اما الفاشيون فقد تبنوا فيه تمجيده للبطولة وللحروب ـ رغم « نقائصه » (ليبرالية ـ وديموقراطية !!) ••

•• المهم ان سالجارى كان ـ وما زال ـ من اهم الذين الفوا للصغار فى ايطاليا ، واحد الاعمدة الاساسية فى البناء الفكرى والنفسى لثلاثة اجيال منالايطاليين شغفت فى سن المراهقة بقراءة المغامرات البطولية التىحملها علىالورق•• وانه قد ساهم هكذا فى فتح نوافذ الخيال والمغامرة لاجيال كاملة من الصغار فى عالم يضيق فيه يوما بعد يوم الحيز الخاص بالاطفال وتزداد باضطراد اهمية الكلمة المكتوبة ـ والصورة المبثوثة على شاشات التليفزيون ـ لتمكينهم من أن يحيوا حياتهم الخاصة ••

لذا نعتبر ان الاهتمام الجديد بادب الاطفال ـ عودة السالجارية الى الموضة ـ ظاهرة ايجابيه ـ وان « عام صندوخان » الذى مضى ربما افضل من « عام كينج كونج » هذا الذى بدانا•

■■

روما ـ فريد كامل

اعداد : يوسف زعبلاوى

طائرة كفير الاسرائيلية
زعموا رواجها واثبتت الوقائع كسادها

● طالما تحدثت الصحف والمجلات عن طائرة كفير الاسرائيلية (أى شبل الاسد ٠٠ !) ، وهى الطائرة النفاثة المقاتلة التى تسير بمحرك امريكي الصنع ٠٠ وقد تغزلت بمزايا تلك الطائرة المجلات العادية كالتايم والنيوزويك ، واشادت بذكرها واستفاضت بالحديث عن حسناتها المجلات المختصة كمجلة (Aviation Week) وغيرها ٠٠٠ وقد صورت المجلة المذكورة الطائرة الاسرائيلية ، على غلاف احد اعدادها ، وصورت معها حمولتها من القنابل والصواريخ على نحو مفزع بقدر ما هو جذاب ٠

وجدير بالذكر اننا تعرضنا للطائرة الاسرائيلية فى هذا الباب فى عدد سابق ٠

الا ان حقيقة طائرة كفير هذه مالبثت ان تكشفت ٠ واليك فيما يلى موجزا بآخر ماامكن الوصول اليه من معلومات :

١ ـ دولة البيرو ٠٠ كانت تنظر فى امكانية شراء عدد من طائرة كفير ، ثم ترددت بينها وبين طائرة الفانتوم (F.5) من جهة ، وترددت بين هذين الطرازين وطائرة السوخوى السوفياتية (Su - 20) من جهة اخرى ٠ وقررت البيرو اخر الامر شراء طائرة السوخوى هذه ، وهى ذات أجنحة متحركة ٠

٢ ـ وكانت النمسا من بين الدول التى زعموا انها اشترت عددا من طائرات كفير ٠ وثبت مؤخرا ان النمسا لا تنوى شراء الطائرة الاسرائيلية مطلقا ٠٠ وذلك لانها لا تصلح فنيا للعمل فى اجواء جبال الالب التى هى اجواء النمسا ٠٠ اضف الى ذلك ان الصواريخ التى تحملها الطائرة الاسرائيلية تتجه نحو هدفها بفعل الحرارة ٠٠ وهى محظورة فى النمسا ، وفق معاهدة الصلح التى عقدت معها فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ٠

٣ ـ واخيرا جاءت حكومة واشنطن فحالت دون اتمام شحن ٢٤ طائرة كفير الى الاكوادور ، بحجة ان محرك هذه الطائرات امريكي (من صنع شركة جنرال الكتريك) وان القوانين الامريكية تحظر اعادة تصدير هذا المحرك ٠٠ ويتساءل المرء عما اذا كانت حكومة واشنطن قد غفلت عن قوانينها هذه طيلة المدة الى كانت فيها صفقة الطائرات موضع مفاوضات ٠٠٠

ومن يدرى ٠٠ فقد تكشف الايام عن اسباب لالغاء هذه الصفقة تختلف عن كل ما ذكر ٠٠٠

جهاز صغير جديد يغني عن اجهزة صدمات القلب القديمة

● كثيرا ما تفيد الصدمات الكهربائية فى انقاذ الذين يتعرضون للنوبات القلبية. فجهاز الصدمات من شأنه ان يصدم قلب المريض فيضع حدا لخفقاته المضطرب ويعيده الى حالته الطبيعية . وقد يتوقف قلب المريض عن النبض تماما ، حتى اذا صدمه الجهاز عاد الى النبض من جديد . الا ان اجهزة الصدمات هذه كانت دائما كبيرة الحجم ثقيلة الوزن ولم يكن من السهل نقلها الى المريض بالسرعة المطلوبة ... وهكذا تعذر انقاذ الكثيرين ممن مست حاجتهم الى تلك الاجهزة ، وقد استحال نقلها اليهم ، او نقلت ولكنها وصلتهم متأخرة .

والظاهر ان احد المصانع الامريكية نجح في صنع جهاز صغير للصدمات الكهربائية يؤدى وظيفة الجهاز الكبير . ولا يزيد وزن هذا الجهاز الجديد على سبعة ارطال انجليزية .. ويعمل بالبطارية .. الا ان بطاريته لا تحتاج الى شحن الا بعد استهلاك ٤٠٠ جول (Joule) ، (الجول وحدة الطاقة الكهربائية) .

ولعل سر هذا الجهاز الجديد في مكثفه الذى لا يزيد حجمه على نصف حجم المكثف القديم .

كافيـار صناعـى يغنى عن الكافيار الطبيعى

تناقص انتاج الكافيار الطبيعى فى الاتحاد السوفياتي حتى انصرف العلماء الى محاولة صنع البديل ونجحوا اخر الامر فى تخليق كافيار صناعي يقوم مقام الكافيار الطبيعى .

اما تناقص الكافيار الطبيعى – وهو من المأكولات السوفياتية الغالية الثمن – فمرده للتغيرات الكبيرة التى طرأت على بحر قزوين فى المدة الاخيرة .

لقد هبط مستوى الماء فى ذلك البحر اكثر من عشرة امتار ، وتقلصت مساحته نحو ٧٠٠٠٠ كيلومتر مربع . من ٤٤٢٠٠٠ الى ٣٧١٠٠٠ كيلومتر مربع . وهكذا انكمشت شواطىء هذا البحر وانفصلت عنها الانهار التى كانت تصب فيها .. بجفاف مصبات تلك الانهار ... وترتب على ذلك نقصان كبير فى كميات سمك الستورجيون ، وهو السمك الذى يصنع الكافيار من بيوضه ، والذى يعيش اكثره في بحر قزوين ... الا ان هذا السمك لا يبيض فى هذا البحر ، وانما فى اعالى الانهار التى كانت تصب فيه ، والتى كان يرحل اليها ويقطع مئات الكيلومترات من اجل وضع بيضه وفى سبيل تكاثره ... فلما انكمشت شواطىء بحر قزوين لم يعد فى امكان سمك الستورجيون القيام برحلاته .. ووضع بيضه .. فاخذ بالتناقص وبات مهددا بالانقراض .

وعز على العلماء السوفيات ان يرقبوا تناقص انتاج الكافيار الطبيعى – تلك الثروة السوفياتية الصميمة – وهم مكتوفو الايدى .. وعمد علماء اكاديمية العلوم السوفياتية الى حل المشكلة ، الى اجراء المحاولات لتصنيع الكافيار وتخليق بديل صناعى للكافيار الطبيعى ، يملأ الفراغ



ريثما يتم انجاز المشـريع الضخمـة الطويلة الاجل التى بدأوا فى تنفيذهـا لانقاذ بحر قزوين ،انقاذ اسماكه ٠٠

ونجع العلماء آخـر الامر فى صنـع الكافيار الصنـاعـى البديل مـن الحليب والكازين بالتخصيص ٠٠ فقد خلطـوا الكازين بالجلاتين حتىتم الاندماج وتكونت الحبيبات ٠٠ ثم اضافوا الى الخليـط المندمـج حيوانات منوية من سمـك الستورجيون وذلك من أجل الطعم ٠٠ ثم نقعوه فى محلول تانين الشاى (Tanni) مـن اجل اللـون ٠ واصـاب العلماء مـن النجـاح فى تجاربهـم هـذه مـا دفعهم الى اقامة مصنع تجريبى لانتـاج الكافيار الصناعى ٠٠ والمصنع صغير كما لا يخفى ولا تزيد طاقته الانتاجية على ٤٤٠ رطل انجليزى ٠

البروتينات عماد الحياة

● نشرت مجلـة ناتشر (Nature) نتائج دارسة لطيفـة أجراها ثـلاثـة من العلماء ٠٠٠ امريكيان وهولندى ٠٠ فقد حاول هؤلاء التنبؤ بموعـد وفاة الكائن انحى ٠٠ ، على اساس ما يمكن ملاحظته فى نموه ايام طفولتـه ٠ الا ان التجارب التى اجروها انما أجروهـا على الفئران لا على بنى الانسان ٠

وقـد خـيرت الفئران التى وضعوهـا موضع الدراسة بين ثلاثةالوان من الطعام، يختلف بعضها عن بعض باختـلاف نسبـة البروتينات والكاربوهيدرات التى يحتويها كل منها ٠ ولدى دراسة ماظهر على تلك الفئران من انماط فى النمـو مختلفـة استتبعتها ألوان الطعام المختلفة استطاع العلماء استخلاص النتائج الخمس التالية:

١ ــ الفأر السمين الذى يزيد وزنهوهو فى سن ١٧ ــ ١٩ اسبوعـا على متوسط وزن الفئران فى السن المـذكورة ، وهى السن التى يستكمل الفأر فيهـا نحو ثلثى نموه ٠٠٠ ذاك الفأر السمين هو الـذى يسبق غيره الى الموت ٠٠

٢ ــ كم يكـون عمر الفأر حينما يبلغ وزنه نصف كيلو غرام ؟ فكلما تأخر فى بلوغ هذا الوزن ، طال عمره ٠٠٠

٣ ــ الوقت الذى يحتاجـه جسم الفأر ليتضاعف وزنه من ٢٥٠ غرام الى ٥٠٠ غرام ٠٠ فكلما قصر هـذا الوقت ، قصر معه عمر الفأر ٠

٤ ــ الفاعليـة التى يحول فيها الفأر طعامـه الى غـذاء يكتسب بـه المزيد من الوزن ٠٠ فالفئران التى سبقت غيرها فى هذا الصدد اظهرت مزيـدا من القابليـة للموت المبكر ٠

٥ ــ وتبين للعلماء ايضا ان الفئـران التى استهلكت مـزيـدا من البروتينات عاشت حياة اطول ٠٠٠ ■■



تظهر الأطباق الطائرة ككرات نارية

عودة الأطباق الطائرة

بقلم : المهندس سعد شعبان

جدد بعض الطيارين الايرانيين الحديث عن مشاهدتهم للاطباق الطائرة ومحاولتهم مطاردتها ..

■ كان الستار قد أسدل على الحديث عن الاطباق الطائرة ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة سنوات ، بعدما أثارت من الفزع والهول في نفوس بعض الناس في شتى بقاع الارض الكثير . غير ان الحديث عنها تجدد مرة اخرى في صيف عام ١٩٧٦ عندما ما جزم لفيف من الطيارين الايرانيين انهم شاهدوا الاطباق الطائرة تمرق في السماء قرب طائراتهم . وانه عندما حاول بعضهم اللحاق بها ، واسرعوا بطائراتهم في اثرها ، اصيبت الاجهزة الملاحية في الطائرات بالتوقف ، ولم تستطع الطائرات اللحاق بها . والجديد في الامر ، ان عودة الحديث عن الاطباق الطائرة هذه المرة ليس من باب الظنون ، أو احتمالات الاشتباه والرؤية الخاطئة ، اذ أكد الطيارون الايرانيون انهم عندما مرت بقربهم الاطباق أمكنهم رؤية بعض المخلوقات الغريبة بداخلها ، ولكن سرعتها الفائقة لم تدع لهم فرصة تمييز اوصاف هذه المخلوقات .

اين الحقيقة

والحقيقة ان كثيرا من الناس مشوقون الى الحديث عن الاطباق الطائرة لان الحديث عن «الآخرين»

من احياء الكواكب الاخرى حديث شيق ، يستهوى النفوس ويجذب الانتباه.ويرضى فى النفوس فضول التطلع الى اسرار الكون المستغلقة حولنا . ولان البحث عن الحياة والاحياء على الكواكب الاخرى اخوات الارض ، اخذ طابعا جديا فى بحوث الفضاء فى الاعوام الاخيرة . وشغل العالم خلال عام ١٩٧٦ بابحاث السفينتين الامريكيتين « فايكنج - ١ » ، « فايكنج - ٢ » . هذا بالاضافة الى الجهود الفضائية الاخرى فى حقل البحث عن اصل الحياة فى الكون . كل ذلك ومازال السؤال المعلق فوق الرؤوس ، والذى لا يجد اجابة شافية من احد ، هل من حياة عاقلة فى الكون غيرنا ؟ وهل من عقلاء فى الفضاء حولنا ، يمكنهم أن يغزونا يوما ما ، او يشنوا علينا حربا باساليب عملية لا قبل لنا بها ، ولا دراية لنا بكنهها ؟



الكواكب حسب بعدها عن الشمس

لذلك - تجاذب اطراف الحديث عن الاطباق الطائرة العلماء ورجال الدين والمتخصصون فى طبيعيات الجو ، ورجال الاستراتيجية العسكرية واصحاب الخيال . وتمزقت القضية بين الظنون والخرافات والرؤى والوهم وبلغ الامر الى حد رمى كل من يجسر على القول برؤيتها بالخبل والجنون . وتوقف البحث العلمى امام طلاسم ، لم يجد لها تفسيرا ، وعانى من صعوبة تجميع اطرافها اعتمادا على اقوال بعض من شاهدوها من عامة الاهالى فى مناطق نائية غير ماهولة مثل صحراوات المكسيك واحراش بوليفيا وبيرو وسهول استراليا وصحراء نيفادا المترامية ، وجزر باهاما .

ولشدة تقارب ما رواه هؤلاء المشاهدون عنها ضاعت الحقيقة بين ثنايا الشك ، لان القول كان ينقصه البرهان .

وذهب بعضهم الى القول ان بعض الاطباق الطائرة حطت فوق الارض وتخلف عن ذلك احتراق المكان ، واختفاء احشاء بعض الحيوانات التى بالمنطقة .. ولقد ذهب بعضهم الى القول أن أحد الاطباق الطائرة هبط فى البرازيل عام ١٩٦٢ وخرجت منه مخلوقات خطفوا بعض الدجاج والخنازير وولوا الفرار . لذلك انتهى الباحثون الى راى وجدوه مخرجا من حيرة التردى فى المجهول ، هو القول باحتمال قيام حياة ذكية فى بعض ارجاء الكون وان هؤلاء العقلاء ، بامكانهم القيام بزيارات استطلاعية لبعض الاماكن على الارض بمركبات من صنعهم ، يسخرون فيها اجهزة لا علم لنا بطريقة تسييرها . وهى التى نطلق عليها الاطباق الطائرة (Flying Saucers) لان اهل الارض يرونها وهى تمرق فى السماء مفلطحة تشبه اطباق الطعام او يرونها فى شكل كرات نارية تتحرك بسرعة فى السماء .

خطوة جادة

وقوى هذا الظن لدى بعض العلماء الامريكيين، لان كل ما توارد عن الاطباق الطائرة لم يحدث الا بعد التفجير الذرى الاول والثانى فى هيروشيما ونجازاكى فى اواخر الحرب العالمية الثانية ودلل هؤلاء على صحة الظن برحلات الاستطلاع التى

يقوم بها « الاخرون » من عقلاء الكون بان النشاط الاشعاعي الذى اعقب التفجيرات الذرية والذى انتشر فى الفضاء حرك هؤلاء « الاخرين » ، وشجعهم على استطلاع ما يجرى على الارض ·

ولقد ترددى العلماء وخاصة فى أمريكا فى منازعات بعضها يؤيد هذا الراى وبعضها يسفهه · وطلع على العالم كثيرون من علماء الطبيعة الجوية يقولون بان الامر لا يعدو ان يكون احدى ظواهر التاين فى اعالى الغلاف الجوى الذى تنتشر فيه نبضات الرادار·ورجح اخرون منعلماء الاشعاع،ان الامر قد يكون احدى ظواهر الاضطراب الذى اصاب الغلاف الجوى وطبقات الفضاء ، نتيجة للاشعاعات الذرية التى انتشرت به ، والغبار الذى يسبح فيه ·

وذهب بعض العسكريين الى القول بانها ربما تكون وسائل عسكريةحديثة للاستطلاع لم يعلن عنها فى الكتلة الشرقية التى توصلت الى بعض اسرار صناعة الصواريخ العابرة للقارات أنذاك ، والى كثير من اسرار الطاقة الذرية · وامام هذه البلبلة خطت الولايات المتحدة الامريكية خطوة ايجابية وبناءة لوضع حد لهذه الظنون والمزاعم فقامت بتشكيل لجنة رسمية على مستوى عال تضم لفيفا من العلماء المتخصصين فى الطيران والفضاء والارصاد الجوية وبعض المستشارين العسكريين · وكانت اللجنة برئاسة الدكتور « ادوارد كوندون » وبعد ان استقصت وحققت وحللت وقابلت كل من قالوا برؤية الاطباق الطائرة ، وضعت اللجنة تقريرها عام (١٩٤٩) فيما ينوف على الف صفحة ولكن الحكومة الامريكية ابقت تقرير اللجنة فى عداد الاسرار التى يجب ان تحبس عن الناس عامتهم وخاصتهم · ولقد اورد الاديب المصرى « انيس منصور » فى كتابه « الذين هبطوا من السماء » رواية عن ان بعثة استطلاع فضائية عام ١٩٥١ (بعد وضع هذا التقرير) هبطت من طبق طائر فى احد المطارات الامريكية وخرج منه ثلاثة مخلوقات يتكلمون الانجليزية بطلاقة وطلبوا مقابلة الرئيس الامريكى الراحل ايزنهاور ، الذى حضر اليهم بعد عدة ساعات ودار بينه وبينهم حديث ظل سرا حتى كشف عن الواقعة العالم الامريكى البروفسور « لين » وقال بانهم زعموا انهم سكان كوكب ضمن المجموعة النجمية المسماة « اوريون »او « الجبار » ·

حياة على الكواكب

امام كل ذلك مازلنا امام طلسم مستغلقالجنبات لا نستطيع ان نفسر من امره الكثير · ومازال ترجيح رحلات الاستطلاع الفضائية قائما يتردد ، بانه ربما تتم هذه الرحلات بواسطة « اخرين » من احياء الكواكب الاخرى يحاولون التودد الينا ، أو يقومون بالتمهيد لشن حرب علينا · وامام هذه التصورات نجد ان هناك احتمالا قويا ، الا تكون صور الحياة قاصرة على كواكب المنظومة الشمسية الباردة والتى تدين بولاء الجاذبية للشمس ، ومنها كوكب الارض فهذه الكواكب حسب ترتيب بعدها عن الشمس هى :

(عطارد ـ الزهرة ـ الارض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ وبلوتو) ·

وما زالت الجهود الفضائية منذ عام١٩٦٠تتارجح فى البحث عن الحياة على الكواكب القريبة من الارض ، وقد تركزت جهود السوفيت الفضائية على استكشاف كوكبى الزهرة اولا ثم كوكب المريخ ثانيا ، بينما وجهت اغلب سفن الفضاء الامريكية الى كوكب المريخ وحده · لذلك توالت سفن الفضاء السوفيتية من طراز « فينوس » الى كوكب الزهرة ، ثم من طراز « مارس » الى كوكب المريخ ، بينما اطلق الامريكيون سلسلة سفن « مارينر » الى المريخ ايضا

وفى نفس المضمار اطلقت امريكا السفينة « بيونير ـ ١٠ » الى كوكب المشترى وعلى متنها اغرب رسالة من اهل الارض الى اية مخلوقات عاقلة على المشترى ·· وظلت السفينة فى طريقها الى كوكب المشترى مدة ٢٢ شهرا حاملة الرسالة فوق لوحة معدنية ولفتها الرسم الذى يعبر عن ان الرسالة قادمة من الكوكب الثالث اى (الارض) فى ترتيب البعد عن الشمس التى تظهر اشعتها وسط الرسالة · وموجهة باشارة يعبر عنها سهم الى الكوكب الخامس ـ أى المشترى ـ وان الحياة



ملايين النجوم تتوزع في كل مجرة

على كوكبنا قوامها ذكر وانثى . وقد انفصلت كبسولة من السفينة « بيونير ـ ١٠ » وهبطت برفق فوق المشترى تاركة اغرب رسالة حررها علماء الارض ولم يطلق الي كوكب عطارد غير عدد قليل من السفن ، ولم تصل الى جو كوكب زحل غير سفينة امريكية واحدة هي « بيونير ـ ١١ » .

وكانت اغلب هذه السفن تقوم بتصوير سطح هذه الكواكب ، من قرب . ولكن اهم احداث استكشاف الحياة على الكواكب شهدها عام ١٩٧٦ باطلاق سفينتي الفضاء الامريكيتين « فايكنج ـ ١ ، ٢ » اللتين حطتا برفق فوق سطح المريخ وقامتا باقتباس عينات من تربته لتحليلها وارسال نتائج التحليل الى الارض .

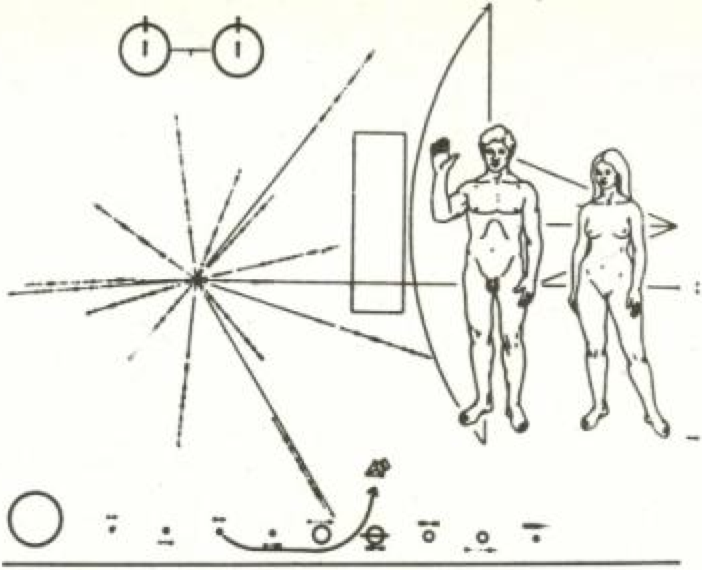
وقد انتهت اخبار هاتين السفينتين الى التشكك في وجود حياة على المريخ ، تزيد عن لون الحياة القطرية او العضوية ذات الخلية الواحدة ، نظرا لوجود آثار من الماء في تربة هذا الكوكب .

السؤال المحير

ولكن مازال السؤال المحير ، هو لماذا لا تكون الحياة العاقلة فيما يتجاوز كواكب المجموعة الشمسية من اجرام السماء . ان ملايين النجوم تتوزع في الاف المجرات حولنا ، وكل منها في طبيعته شمس كشمسنا ، اي اتون ملتهب يبعث الضوء والحرارة فيما حوله من فضاء . واغلبها يفوق شمسنا حجما مئات بل الاف بل ملايين المرات ، ولكن لفرط بعدها عنا لا نكاد نراها الا صغيرة كرأس الدبوس . فهي تبعد عنا مسافات شاسعة لا يصلح لقياسها غير الاف او ملايين او بلايين السنين الضوئية . ويصور القران الكريم ذلك ابلغ تصوير بقوله تعالى « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

لذلك يبقى السؤال المحير معلقا فوق رؤوسنا ، كيف يمكن ان نجمع بين ايماننا بالقدرة الالهية المبدعة التي خلقت هذه الشموس كعدد حصى الرمل في ارجاء كون محدود بلا حدود ، واحكمت حركتها وجاذبيتها ولم تدع فرصة واحدة لاصطدام بعضها ببعض . ثم نتصور بعد ذلك ان هذه القدرة المبدعة ، تقصر عن وجود صور مختلفة للحياة على كواكب اخرى غير كوكبنا ؟

ان الحقيقة التي يجب ان نؤمن بها هي احتمال وجود كواكب باردة حول كل نجم من النجوم المتقدة



رسالة بالرسم الى سكان المشترى

التى شانها شان الشمس • فاذا كنا لا نرى النجم الا بالجهد البالغ من الارض نظرا لقصوروسائلنا واجهزتنا العلمية فى تجاوز المسافات الشاسعةالتى تفصل بين الارض وبينه ، فان ذلك لا يمنع وجود كواكب باردة حول هذه النجوم ولا نستطيع رؤيتها، فيكون لكل نجم منظومته التى تدور حوله • ويمكن ان تكون على هذه الكواكب حياة •

لذلك فان ابحاث الفضاء ان كانت مازالت حبيسة فى حلبة جزء من المنظومة الشمسية التى حولنا ، والتى تتمثل فى ثمانية كواكب اخوات للارض ، فان ذلك ليس الا خطوة على طريق البحث العلمى الذى مازال يتدرج ولم يتجاوز غير خمسة كواكب منها فقط •

لذلك قد تكون الاجابة على السؤال المحير هى تصور اتيان الاطباق الطائرة من احدى الحضارات العاقلة على كواكب تدور حول احد النجوم البعيدة والتى نحن عاجزون عن رؤيتها ، اومراسلتها، وهذا ما تؤيده الرواية التى اوردناها من قبل عن « الوفد » الذى طلب مقابلة الرئيس ايزنهاور والذين قالوا انهم اتون من مجموعة نجم «الجبار»•

نظرة عبر الاحتمالات

وقد نتساءل لماذا لم يحدث اتصال بين هذه الحضارات وبين حضارتنا على الارض الى الان ؟

ولكن يمكن ان نتصور الرد من خلال التجول مع افتراضين مختلفين •• الافتراض الاول هو ان تكون هذه الحضارات اقل منا ادراكا وذكاء •• والافتراض الثانى ان تكون اكثر منا ذكاء وتقدما واعرق فى ركب الحضارة ، واسبق فى سجل الزمن لذلك فمن البديهى ان يعاملنا هؤلاء بقدر من الاهمال ، وعدم الاكتراث كما نعامل نحن الهوام والحشرات على الارض • ننظر اليها شذرا ونبيد بعضها مما يعترض طريق حياتنا ونترك البعض الاخر يشاركنا نسيم الحياة على الارض • وقد نصعد فى التشبيه الى تصور مملكة النحل او النمل ، نعرف من أمرها الكثير ونعجز عن الالمام بلغاتها • لذلك لا يوجد ما يمنع من ان يكون « الاخرون » من سكان الكواكب البعيدة يتمتعون بمراقبتنا من الفضاء، ويراقبون مهازل الحياة التى نرتكبها على الارض انتظارا لتطوير وسائل الاتصال بنا يوما ما •

نخلص من ذلك الى ان الرأى الغالب لدينا هو ان الاطباق الطائرة ليست زعما وليستوهما ، ولكنها اول الغيث فى وسائل استكشاف حضارات كونية عاقلة ، لكوكبنا • ■■

القاهرة ــ المهندس سعد شعبان
عضو لجنة الفضاء
باتحاد الطيران الدولى بباريس



هل انتحر السياب بالمرض ؟

بقلم : يوسف اليوسف

ظاهرة الموت المهيمنة على شعر بدر شاكر السياب ليست مجانية ، وانما هي ذات دلالة عميقة تشير الى وجود نزعة انتحارية اكيدة في البنيان النفساني للشاعر • ففي مقالة سابقة نشرت في دمشق (ملحق الثورة الثقافي) دللنا على أن قصيدة « حفار القبور » التي نشرها السياب عام ١٩٥٢ تحتوي على كافة السمات الدالة على الشخصية الانتحارية •

تؤكد الدراسات التي اجراها النفسانيون في مجال الانتحار أن الرغبة الحادة في الموت ، ولا سيما الموت قتلا ، هي سمة اساسية من سمات الشخصية الانتحارية • كما أن الانشغال بافكار سوداء وتشاؤمية تتعلق بالموت هو سمة اخرى • ويغلب أن يصحب هذه الرغبة في الموت شعور بالضياع والقنوط من جدوى الوجود • كما انها تتعزز بوجدان اللاامن وبحس عام بالتعب والانهاك • ولسوف نلاحظ أن صور السياب الشعرية تحتضن حس الاجهاد وميل الاشياء الى الغموض والتواري •

وفضلا عن الانشغال الدائم بالموت والشعور باللا امن فان ثمة ثلاث سمات انتحارية اخرى بادية بجلاء في معظم شعر السياب •

وهذه السمات هي : النكوص الدائم باتجاه مرحلة الطفولة ، هذا النكوص الذي يتبدى بتمسك الشاعر بصورة جيكور (قريته) ، معاناة حالة اللاتواصل مع الاخرين والعجز عن حبهم ، شعور قهري جاد من نوع ما يستمر مدة

طويلة • وهذه السمات الثلاث ـ شأنها شأن غيرها ـ ظاهرة في معظم انتاج السياب في كافة مراحله الشعرية •

ولئن توخينا التعرف على العوامل الخارجية التي ادت الى ترسخ نزعة الموت في بناشه النفساني ، فان في وسعنا ان نجدها في عدة مواطن أهمها الصدمة الهائلة التي تعرض لها اثر وفاة والدته حين كان لا يزال في السادسة من العمر • ويمكن أن يضاف الى هذا العامل المركزي جملة من العوامل الاخرى اهمها سلسلة اخفاقاته في الحياة ووضعه الاجتماعي وحالة الحرمان التي يعيشها • وربما كانت النحافة الجسمانية التي كان يتصف بها جسده احد العوامل التي سببت للشاعر عقدة نقص عززها الاخفاق المتواصل • ومن شان مثل هذه العقدة ان تدفعه نحو التفوق ، ولكنها حين تتعزز بسواها من عوامل التحطيم الداخلي فانها ترسخ في الشخصية احساس اللاجدوى والقنوط من فائدة اى جهد يبذل في سبيل تجاوز الحال ، الامر الذي يعني الاستسلام للموت بوصفه طريق خلاص •

صدمة وفاة الأم

في وسع دارس شعر السياب ان يلاحظ ، وبكل يسر ، هيمنة حادثة وفاة امه على شعوره • وقد ظلت هذه الواقعة راسخة في اعماقه حتى وفاته عام ١٩٦٤ (عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين) ، الامر الذي يؤكد ما فحواه ان الخلخلة العميقة التي تتسم بها شخصية السياب تجد جذورها في هذه الواقعة ، وان بقية العوامل التحطيمية قد لعبت دور الرفد والتعزيز للتخلخل الذي ترسخ منذ الطفولة المبكرة •

ولا تقتصر هيمنة صورة امه المتوفاة على مرحلة واحدة من مراحل حياته ، بل لقد ظلت تسيطر على وعيه وتوجه شعره حتى وفاته • ففي قصيدة عنوانها « الباب تقرعه الرياح »، وقد كتبها في لندن عام ١٩٦٣ ، اى قبل موته بسنة واحدة ، نقرا هذه الابيات :

الباب ما قرعته غير الريح
اه لعل روحا في الرياح
هامت تمر على المرافيء او محطات القطار
لتسائل الغرباء عني ، عن غريب امس راح
يمشي على قدميه ، وهو اليوم يزحف في انكسار
هي روح امي هزها الحب العميق ،
حب الامومة فهي تبكي !
« اه ياولدي البعيد عن الديار !
ويلاه ! كيف تعود وحدك ، لا دليل ولا رفيق !
اماه ، ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار
لا باب فيه لكي ادق ولا نوافذ في الجدار
كيف انطلقت على طريق لايعود السائرون
من ظلمة صفراء فيه كانها غسق البحار ؟

في هذه الابيات نلاحظ مسالتين هامتين :

اولا : ان امه لا تسال عنه في الحقيقة ، وما تخيله لهذه الصور سوى اضفاء منه • ولا يستهدف هذا الاضفاء الا التعبير عن حاجته الماسة الى الحنان الذي لا يملك اطلاقا أن يحصل عليه من الاخرين ، مما يرده دوما باتجاه صورة الام المتوفاة • وهذا يعني أن السياب لو عاش حياة عائلية ناجحة في طفولته وفي صباه لاستطاع ان يحذف أثر صدمة وفاة الام من داخله •

ثانيا : تبسط الابيات الاربعة الاخيرة اقتناع بدر الموجع لروحه ، والذي يتلخص في ان من المستحيل ملاقاة الموتى •

وفي ظني ان هذا الاقتناع هو المسئول الاول عن تبني السياب لشكل فني يسود الكثير من قصائده ، الا وهو اسطورة الانبعاث التموزي •

الولادة الثانية

ان الولادة الثانية للاشياء هي الطريقة الوحيدة التي تتيح لبدر ان يلتقي بالموت •

ولعل ماهو اهم من هاتين المسالتين هو هذا الاعتراف الذي تجهد هذه المقالة كي تنتزعه من شعر السياب عبر استنطاق النصوص ، وهو ما يصرح به بعد الابيات السابقة بقليل :

اماه ، ليتك ترجعين
شبحا • وكيف اخاف منه وما امحت رغم السنين
قسمات وجهك من خيالي ؟

انه يعترف ، اذن ، بان امه قد عاشت في اعماقه طوال حياته ، ومثل هذا الامر لا يمكن ان يكون مجانيا ، فلا بد من ان تكون قسمات وجهها التي تعيش في خياله طوال ثلاثة عقود من السنين قد لعبت دورا كبيرا في تركيب شخصية السياب ، وبالتالي في انتاجه الشعري • ومن الممكن القول بان التصاقه بشبح امه المتوفاة مسئول الى حد كبير عن اخفاقه في مضمار التهلصل مع الاخرين ، مثلما ان هذا الاخفاق عينه مسئول عن تثبته على شبح الام • ان النقص الهائل في الحنان الذي يعاني منه بدر (وهو عامل تدميري بلا ريب) كان النتاج الحتمي لهذا الاخفاق بطرفيه•

بعد ما ذللنا ـ ولو بسرعة متعجلة ـ على رسوخ الشاعر عند مرحلة معينة من مراحل عمره المبكرة اعني وفاة الام ، بات في ميسورنا القول بان صورة الموت في شعر السياب انما تنبثق من هذه الحادثة •

فالموت الذي تخطف امه وهي في ريعان شبابها لن يكون رفيقا به على الاطلاق • ومن هنا تعزز في داخله حس اللا أمن والشعور بان الموت هو الحقيقة المركزية في الوجود • ولهذا راح السياب صرخ بين الفنية والاخرى : « وغدا اموت ، غدا اموت » • ومن هنا راينا الشعور بسرعة انسياب الزمن يطغى على الكثير من قصائده الذاتية ، مثلما رايناه دائما يصرخ بعبارات تدل على تشبث عجيب بطفولته المنطفئة • اسمعه يقول في قصيدة تحمل عنوان « دار جدي » :

طفولتي ، صباي ، اين كل ذاك ؟
أين حياة لا يحد من طريقها الطويل سور
كشر عن بوابة كاعين الشباك
تفضي الى القبور ؟

ان السياب يموت حياته ولا يعيشها • ويعذبه شعور فحواه ان كل لحظة تمر تدفع بنا خطوة نحو القبر • والحقيقة ان انشغاله بالموت ـ كما سنرى ـ كان سوداويا لانه يتعامل معه من داخل القبر وعبر مقولتي التفسخ والرعب •

ولعلها ليست صدفة تلك الهيمنة الطاغية لصور القيمومة والانبهام والتواري على شعره • ان الاسلوب ، بما فيه من مفردات وتكوينات لفظية، ينبثق عن ارضية نفسانية ، اذ لا يعدو كونه تخارجا لمحتويات الاديب ، ايا كان • وفي قناعتي ان تركيز الاسلوب على الخلفية النفسانية للاديب هو انجع السبل نحو تطوير تحليل الاساليب الفنية في اللغة العربية • فمما هو بليغ الدلالة ان نجد الجزئيات والمفردات المشيرة الى الانبهات تملأ معجم السياب وتضفي اللون القاتم على صوره • ولعل الفحوى المركزي لهذه الظاهرة هو ان اعماقا سوداء متشائمة لا يسعها الا ان تفرز لغة سوداء وشذرات تصويرية عاتمة •

هكذا يستهل قصيدة « السوق القديم » :

دعنا نستعرض بعض استهلالاته لشيء من قصائده المبكرة :

هكذا يستهل قصيدة السوق القديم :

الليل والسوق القديم
خفتت به الاصوات الا غمغمات العابرين

ففي هذين البيتين نواجه ثلاث مفردات تشير الى الانبهات : الليل ، خفتت ، غمغمات •

وهكذا يستهل قصيدة « اساطير » :

اساطير من حشرجات الزمان
نسيج اليد الباكية ،
رواها ظلام من الهاوية
وغنى بها ميتان •

وهذه هي العبارات السوداء في هذا المطلع : حشرجات الزمان (حس الزمن بوصفه حامل موت) ، اليد البالية ، ظلام من الهاوية ، غنى بها ميتان •

واليكم الابيات الاربعة الاولى من « رئة تتمزق » :

الداء يثلج راحتي ، ويطفيء الغد في خيالي
ويشل انفاسي ، ويطلقها كانفاس الذبال
تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال
مشدودتين الى ظلام القبر بالدم والسعال

قبل مجيء الداء

ولست ارى حاجة لتبيان الالفاظ والعبارات القاتمة في هذا المقبوس ، اذ هي اوضح من ان يشار اليها • والغريب ان السياب يتحدث في هذه القصيدة المبكرة التي كتبها عام ١٩٤٨

عن « الداء » قبل مجيئه باثنتي عشرة سنة، بل هو يتحدث عن داء في الرئتين مع ان المرض الذي اودى بحياته قد اصاب رجليه لا صدره . ولعل هذه القصيدة قد كتبها عن كيتس وبوحي من مرض كيتس . وهي بكل وضوح قريبة الشبه من قصيدة « اغنية الى عندليب » التي عبر فيها ذلك الرومانتي الشهير عن مرضه الذي اودى به هو الاخر قبل ان يبلغ السادسة والعشرين من عمره . ولعل اعجاب السياب بكيتس ذو دلالة فصيحة ، اذ توحدهما نزعة الموت والرغبة الصارخة في الانطفاء . فصيحة السياب:

اريد ان اموت ، يا اله !

وكذلك صرخته اليائسة :

اود لو غرقت في دمي حتى القرار

لا يشبهها الا صرخات كيتس المسلول الهائمة بحب الموت . بل اننا نكاد نجد تطابقا في الصراخ الداعي الى الموت يوحد الشاعرين .

ففي قصيدة « رئة تتمزق » ، يقول السياب:

كم ليلة ناديت باسمك ، ايها الموت الرهيب

ووددت لا طلع الشروق علي ، ان مال الغروب

وفي « اغنية الى عندليب »يقول كيتس :

وقد وقعت مرات عديدة في غرام الموت الهيّن

وياطالما وسمته بنعوت ناعمة في الكثير من القصائد الملهمة ،

ورجوته كيما يخرج الى الهواء انفاسي الهادئة ،

والان يبدو لي اكثر من ذي قبل

ان من الغنى ان اموت ،

فانقطع في منتصف الليل بلا عناء .

ولكن ، وعلى الرغم من هذا الجنوح الشديد نحو الموت ، فان السياب يبدي اسفه وأساه الحاد تجاه هذه الحقيقة الموضوعية التي لا بد من مواجهتها . ومثل هذا الاسف الذي يواظب على تواتره في شعره لا يدل الا على الشعور باللاامن، مثلما يدل على هذا الشعور ميل السياب نحو الموت . وقد تجلى هذا الشعور باللا امن في شعر بدر على شكل خوف لاشعوري . فالاشياء في مجموعة « ازهار واساطير » التي نشرها في اواخر الاربعينات (يوم كان في ريعان الشباب) تبدو خائفة دائما ، بل والاكثر من ذلك ان هذه الاشياء في تلك المجموعة تظهر مجهدة ومتعبة . ومماهو بديهي ان الاجهاد البادي على الاشياء الموضوعية لايعدو كونه اضفاء من الداخل على الخارج ، اي ان الاجهاد غير موجود الا في اعماق الشاعر نفسه . ومما هو في مقررات علم النفس ان الشعور الحاد بالتعب هو احدى علامات الشخصية الانتحارية الخطيرة . والاهم من ذلك ان ثمة علاقة مابين حس الاجهاد وحس اللا امن ، او حس الموت اذ ان كلا الحسين يخلق الاخر ويدعمه .

يوم كان الحنان

ولقد كان من شان حس الاجهاد وحس اللاامن ان يرغما السياب دوما على النكوص نحو طفولة امنة وهادئة . انها مرحلة جيكور ، يوم كان الشاعر ينعم بالحنان والراحة والامن في حضن والدته . ولعل من الواضح في شعره ان هذه القرية تشكل في لا وعيه المكان الآمن الوحيد في العالم . ولهذا نراه في قصيدة « افياء جيكور» يخاطبها على هذا النحو :

جيكور ، جيكور ، ياحقلا من النور

ياجدولا من فراشات نطاردها

في الليل ، في عالم الاحلام والقمر .

ولعل مما هو فصيح الدلالة ان تختفي لغته السوداء وعباراته الانبهاتية حين يعرض لقريته. فهو دومايصورها كما لوكانت نوعا من اليوتوبياتغيب عن ساحتها كل منغصات السعادة . ان جيكور ملاذ ومصدر للحنان الذي يفتقر اليه والذي يفعل فعله في عدم تكيفه مع البرهة الراهنة . فهو يخاطبها احيانا كما لو كانت اما له ستهبه الحنان الغائب :

جيكور مسي جبيني فهو ملتهب

مدي على الظلال السمر تنسحب

ليلا ، فتخفي هجيري في حناياها .

بل ان جيكور تتطابق - حتى في وعيه - مع امه تطابق هوية . فهو يختتم قصيدة «افياء جيكور» هذه على النحو التالي :

افياء جيكور اهواها

كانها انسرحت من قبرها البالي

من قبر امي التي صارت اضالعها التعبى وعيناها

من ارض جيكور ترعاني وارعاها

واذا ما علمنا أن السياب قد كرس عددا كبيرا من القصائد لقريته ، وانه قد عرض لها مرارا في هذا الموضع او ذاك ، ادركنا ان جيكور تشكل ظاهرة من ظواهر شعره • ولا يمكن لهذه الظاهرة ان تكون مجانية ، بل لا يمكن لها الا ان تحيل الى ما ليس هي ، اى انها تقبل الترجمة الى دلالة نفسانية معينة • وفي تقديري ان تشبث السياب بقريته يخفي وراءه نكوصا زمانيا لامكانيا، اعني انه يشي خفية الى تثبت على مرحلة طفولية مبكرة • وهذا التشبث بالطفولة ان دل على شيء فانما يدل على سوء تكيف مع البرهة الشابة الراهنة ، اى انه يتمسك باللحظة الخامدة كبديل عن اللحظة القائمة ، لان هذه الاخيرة يتعذر التكيف معها بسبب من غياب الغطاء الامني الذى افتقده بوفاة امه وزواج ابيه من امرأة تركية بلا أم ولا اب •

التشبث بالماضي

استرجاع ما مضى هو حلم السياب غير القابل للتحقيق ، ولكنه امر تتحداه الحقيقة • وهذا التشبث بالماضي ، وفي صدر الشباب ، هو شكل من اشكال النكوص نحو الطفولة الامنة•

وقد باح تقويمهن الحزين
بأن اللقاء المرجى محال

هذه هي أثقل الحقائق واشدها ارضاخا للروح• بقي ان نعرف ان هذه القصيدة هي من المجموعة الاولى ، اى من نتاج الاربعينات ، يوم كان الشاعر في مقتبل العقد الثالث من سني حياته •

وفي قصيدة عنوانها « شباك وفيقة » منشورة في انضج مجموعاته الشعرية ، اعني المعبد الغريق ، ومكتوبة عام ١٩٦١ ، نجد في الخاتمة هذين البيتين :

هيهات أن ترجعي من سفار
وهل ميت من سفار يعود ؟

ومن وفيقة هذه ؟ لقد سبق له أن قال فيها :

لوفيقة
في ظلام العالم السفلي حقل
فيه مما يزرع الموتى حديقة
يلتقي في جوها صبح وليل
وخيال وحقيقة

ويبدوان وفيقة هذه فتاة كان يعشقها قبل وفاتها ، هذا اذا لم تكن كناية عن وفاة والدته ، وهو يخاطبها كما لو كان يطبق مبدا ادجار الن بو القائل : « ان موت امرأة جميلة هو خير موضوع شعرى ، وان الشعر يخاطب اطياف النساء النائمات في قبورهن » •

وفي القصيدة الاولى من مجموعته الاولى ، « ازهار واساطير » ، نجد الموت يطرح على هذا النحو :

واذا هلكت غدا ، فلا تجدى
قبرا ، ومزق صدرك الذيب •
واليوم يملأ عشه نتفا
من شعرك المتعفر النخر
ويعود ثغرك للذباب لقى
ويداك منقلتان بالحجر
لا تدفعان اذاه عن شفة
بالامس اخرس لغوها وترى
وليسق من دمك الخبيث غدا
دوح تعشش فوقه الغرب
تأوى الصلال الى جوانبه
فرقى ، ويعوى تحته الكلب

هذه المشاعر الثقيلة العاتية تنم عن روح مذعورة وعن فرط حساسية ازاء الموت • وبسبب خوفه من الموت كان مضطرا على التعامل مع الموت من داخل القبر لا من خارجه فحسب •

في هذا المقطع الاخير يخاطب فتاة يتصور ان الموت سيطويها • واذا ما علمنا ان السياب قد كتب هذه القصيدة عام ١٩٤٦ ، اى يوم كان في الثامنة عشرة من سني عمره ، فاننا نستغرب توجهه نحو وصف الموت على هذا النحو الراعب:

الذئب يمزق صدرها ، ويداها يضغط عليهما حجر القبر ، وهما عاجزتان عن دفع الهوام عن شفتيها ، والدوح يرتوى من دمها الذى يغدو فاسدا آسنا • ولكى يمعن في الارهاب فقد جعل هذا الدوح ملاذا للغربان والافاعي الجائعة والكلاب النابحة •

ولكن هذه الصورة الشعرية الراعبة للموت انما تنبثق من قاع لا شعورى يختزن تصوراته المخيفة لما يجرى في القبر من تفسخ ، كما يختزن

حس اللا أمن الذى يعانى منه بعمق • ولا ريب فى أن جزءا كبيرا من الشعور باللا أمن المتغلغل فى النواة المركزية لروح السياب مصدره الخوف من الموت نفسه • فالموت الذى تخطف امه فى صغره قد عمق فيه حسا بالتهديد الدائم الذى يوجهه الفناء الى الكائنات الحية ، بحيث بات يعتقد أن الامن شىء مستحيل التحقق •

نسيم من القبر

من شان هذا الخوف الدائم من الموت ان يخلق لديه نزعة موت ، اى جنوحا عميقا نحو التخلص من اجهاده الكثيف عبر الموت نفسه • فمما يجمع عليه النفسانيون ان الشخصية الانتحارية تبلغ حدا من التوتر لا يمكن لشىء سوى الموت ان يحله • وهذا ينطوى على ان الموت يصبح آلية دفاعية عن العضوية فى مرحلة تطور اجهادها • ولهذا السبب راح السياب يصرخ بكل حدة :

أريد أن أموت ، يا اله !

ان ارادة الموت تاتى استجابة لحاجة داخلية • ومما كان يعزز هذه النزعة التدميرية ذلك النقص فى كمية الحنان المتلقاة من الاخرين اى انغلاق الاخرين ازاء رغبته الحادة فى مقايضة العواطف • وربما كان السياب نفسه المسئول الاول عن هذا الاخفاق ، لان من العسير عليه أن يمنح عطفه للاخرين وهو المنكفىء على داخله الشديد الاكتئاب • وايا ما كان الشان فقد عبر هذا الشاعر مرارا عن حاجته الى الاخرين دون جدوى • ومن ذلك قوله :

قساة كل من لاقيت : لا زوج ولا ولد
ولا خل ولا أب او أخ فيزيل من همى •

هذا الاعتراف صريح بالاخفاق فى الوصول الى الاخرين ، وفى عدم القدرة على الحب •

ازاء مجمل هذا الوضع كان لا بد له من النكوص نحو الطفولة ونحو قبر الام ، وكان لا بد له كذلك من ان تتشكل فى ذاته نزعة تدميرية الانا ، اى نزعة الموت ، لان الموت هو الطريق الوحيد للخلاص من هذا الاجهاد النفسى • وربما كان نزوعه نحو الموت هو احد العوامل التى اوجدت فيه ذلك الرعب من التفسخ فى القبر ، وهذا يعنى ان الخوف من الموت يدفع الى التخلص منه عبر الموت نفسه ، اى يولد نزعة تدمير الذات ، مثلما يعنى أن هذه النزعة نفسها تولد الخوف من الموت ، وبالتالى حس اللا أمن • وبكلمة اخرى ، أن هذا الحس يدفع نحو الموت ، مثلما ان هذا الاندفاع نفسه يولد حس اللا أمن بدوره • لقد دفعه التوتر الكثيف الى تصور الوجود على هذا النحو :

هذه الصحراء لا فرح
يرف بها ولا أمن ولا حب ولا راحة •
ولهذا السبب اطلق هذه الصرخة :
يا خيول الموت فى الواحة
تعالى واحمليني • • •

ان من العسير على أى كان ان يدافع ضد اطروحتنا المركزية الرامية الى أن السياب كانت تتملكه نزعة الموت او تدمير الذات • وبالطبع لم تتولد هذه النزعة لدى الشاعر بالصدفة بل هى جاءت نتاجا لتراكمات طويلة من القلق ومشاعر الخوف الناجمة عن وقائع خارجية لا حول للسياب فى دفعها عن نفسه •

نزعة الموت ، اذن ، ظاهرة عامة وبارزة فى شعر السياب وابتداء من رؤيتها بوضوح ينطلق السؤال التالى : هل كان موت الشاعر شابا استجابة لهذه الرغبة ؟ ولنطرح سؤالا بصيغة اخرى : هل انتحر السياب بالمرض ؟ ان ما يخول لنا حق تقديم الصيغة الثانية للسؤال هو ايماننا بان الموت يغدو الية دفاعية (او طريقة خلاص) فى مرحلة من مراحل تطور المرض النفسانى ، الشىء الذى يعنى ان المرض الجسمانى كثيرا ما ياتى كتعبير عن المرض النفسانى ، وان الموت ياتى ليضع حدا لمجمل هذين النوعين من المرض • واذا ما آمنا مع النفسانيين بان المرضى (ولا سيما الاكثر ياسا وشعورا باللاجدوى) يساعدون الموت على انفسهم ، فاننا لا نجد الصيغة الثانية لسؤالنا فقيرة باسانيد التسويغ • ■■

يوسف اليوسف



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

أصبع « مدوحس »

● اصيبت زوجتي بتورم في اصابع يدها مع تاكل الاظافر (ما نسميه مدوحس) وطال العلاج بدون نتيجة فما سببه وهل من سبيل لشفائه ؟

ـ ان هذا المرض (داحس) الذى يصيب مرقد الاظفر وكذلك الاصبع عند حافة الاظفر هو عبارة عن مرض فطرى يؤثر فى اصبع او اكثر ، ولكن نادرا ما يصيب جميع الاصابع او أصابع القدم وهو منتشر فى بلادنا خاصة بين النساء اللاتى يغسلن الملابس وادوات المطبخ باستمرار حيث تكون ايديهن دائما مبللة • ويلاحظ أن الاظفر يتأثر اولا ثم الاصبع بعد ذلك كاصابة ثانوية ، وهذا المرض ينتشر فى الكبار وخاصة النساء وعادة فطر المونيليا يكون هو السبب • ويلاحظ تورم واحمرار الاصبع حول الاظفر مع تكون صديد وألم، ويلاحظ وجود فطر المونيليا فى هذا الصديد مع بكتريا ثانوية كذلك ، ويتلون الاظفر بلون كريمى او اطع بيضاء تزداد فى السماكة وتظهر تحت الاظفر وتفصله من مكانه •

وقد لوحظ فى احدى المرات فى احد مصانع المعلبات المحفوظة انتشار هذا المرض بين ايدى العاملات وبالبحث وجد أن السبب هو تلوث الفاكهة بفطر المونيليا• ونجد أن الاظفر يفقد لمعانه وتظهر عليه خطوط وتجمعات كيراتينية ويمكن فحص قشور من الاظفر للفطر كما يمكن عمل مزرعة كذلك للتأكد منه •

وفى بعض الاحيان قد يكون الشخص مصابا بمرض فطرى آخر على الجلد • أما بالنسبة للعلاج فيجب

اولا : المواظبة والاستمرار فى العلاج لعدة شهور حتى يمكن التخلص من المرض نهائيا وذلك بقص الاظافر باستمرار للتخلص من الفطر اولا باول •

ثانيا : الجفاف وعدم البلل من اهم العوامل التى تساعد على العلاج مع استعمال كريم السليكون للوقاية من اختراق الماء والصابون تحت الاظفر •

ثالثا : استعمال حبوب جريزوفولفين Grisofulvin بالفم او النستاتين •

رابعا : الاستعمال الموضعى للدهانات والمحاليل المضادة للفطر مثل دهان يودو سالسليك أو الاسترول او غيره •

واحيانا نلجأ الى خلع الاظفر مع الاستمرار على العلاج حتى ينمو الاظفر الجديد سليما الا انه يأخذ حوالى ٦ شهور لينمو ثانية •

كما أن العلاج بالاشعة Radio therapy يفيد فى كثير من الحالات •





تساقط الشعر

● شعرى يتساقط بكثرة وطمأننى الطبيب بان شعرا جديدا سينمو مكانه، فهل لى أن اعرف سرعة نمو الشعر وما هو عدد شعر الرأس تقريبا ؟

ـ يبلغ نحو ١٢٠ الف شعرة فى الرأس السليم وكلما كان الشعر رقيقا كان اكثر، فالشعر الاشقر يكون اكثر من ذلك الاسود، والشعر الاحمر عموما اقل كثافة اذ يبلغ ٩٠ الف شعرة ، واذا كانت فروة الرأس سليمة خالية من المرض فاحب أن اطمئن السائل بأن لا يقلق من سقوط هذا الشعر اذ ان سقوطه طبيعي جدا ، لان كل شعرة لها عمر معين تموت بعده وليس كل الشعر يصل الى نفس العمر او نفس الطول ، فمتوسط عمر الشعرة عموما هو ما بين ٢ ـ ٦ سنوات ٠ وسرعة نمو الشعرة تختلف تبعا لعمرها ، فحين تصل الشعرة الى سطح الجلد تنمو بسرعة بمعدل ثلاثة ارباع بوصة فى الشهر ، وحين تبلغ ١٤ بوصة مثلا تبطىء الى حد نصف سرعتها السابقة وكلما كبرت بعد ذلك بطؤ النمو بحيث لا يلاحظ بمرور عدة اسابيع ٠ وعادة يكون النمو اسرع فى النساء بين عمر ١٦ ـ ٢٤ سنة الا انه بعد عمر ٦٥ سنة يتوقف نموه عادة ٠ كذلك اثناء فترة الحمل واثناء المرض ينمو الشعر ببطء ، وبعد زوال المرض قد ينمو بسرعة جدا ليعوض مافاته ٠ وتزداد عملية نمو الشعر فى الصيف عنها فى الشتاء ٠ وشعر الرأس فى النساء اسرع نموا منه فى الرجال والعكس صحيح فى شعر الابط ٠

وسرعة النمو تتأثر بالصحة العامة والتغذية وحالة الغدد فى الجسم وكذلك الناحية النفسية والعصبية للشخص وبخاصة فى حالات القلق والخوف ٠

طول القامة وقصرها

● انا فتاة ابلغ من العمر عشرين عاما واعانى من قصر القامة حيث أن طولى ١٥٢ سنتيمتر ولا يتجاوز وزنى اربعين كيلو جراما ٠ فهل يوجد علاج بواسطة الهورمونات لهذه الحالة ؟

ـ قصر القامة قد ينتج عن اسباب كثيرة اهمها العوامل الوراثية فى الاسرة ذاتها سواء من ناحية الام او الاب او الاجداد وهذا النوع يعتبر من اصعب الحالات فى العلاج لان كل خلية فى الجسم تحمل العوامل الوراثية الجينات genes بداخلها ولا يمكن التدخل فى هذه الحالة وفى هذه المرحلة من العمر ٠

ولكن نقص النمو وقصر القامة قد

ينتجان فى بعض الحالات الاخرى عندما يقل نشاط بعض الغدد الصماء فى الجسم مثل الغدة النخامية او الغدة الدرقية • وهناك اعراض اخرى تصاحب النقص فى النمو ويمكن بواسطتها معرفة سبب النقص فى النمو وعلاجه فى سن مبكرة •

ولكن يشترط اكتشاف الحالة اما فى مراحل الطفولة أو قبل البلوغ وعندئذ فقط يمكن استعمال الهرمونات التى تعالج هذا النقص • ولكن مع الاسف ففى سن الثامنة عشرة تقريبا يحدث التحام فى أطراف العظام القابلة للنمو وعندئذ لا يمكن زيادة الطول سواء بالهرمونات او بعض الوسائل الاخرى • ويلزم عمل اشعة على اطراف العظام فاذا ثبت انها لم تلتئم بعد، يمكن زيادة الطول بضعة سنتيمترات بواسطة العلاج المناسب •

حجم الثدى

يشكو من كبر الثديين وهو فى سن البلوغ •

— ان كبر الثديين عند سن البلوغ فى الاولاد امر طبيعى — وفى بعض الحالات يصحب هذا النمو فى الثدى ألم يكون فى بعض الحالات شديدا — وربما لوحظ كبر ثدى عن ثدى — وربما استمر هذا الكبر — الذى يسبب اضطرابا نفسيا كثيرا — خوف أن يكون الشخص غير كامل الرجولة — وربما استمر هذا لعدة سنوات قد تمتد الى ثلاث سنوات — ويجب ان يفرق الآباء بين كبر الثديين — وتراكم المواد الدهنية حولهما فى حالة الاولاد ذوى السمنة المفرطة — ففى هذه الحالة يصغر حجم الثدى عندما يلتزم الشخص حمية خاصة تنقص من وزنه •

وفى الحالات التى يكون فيها الثدى متضخما لا بد من فحص الشخص فحصا دقيقا لاستبعاد الاسباب الاخرى التى تسبب كبر الثدى ولو أن هذه النسبة ضئيلة لنمو الثدى الطبيعى فهناك مرض كلينفلتر Klinefel.er والذى يتميز بضمور فى الخصيتين مع توقف فى نمو الحيوانات المنوية مما يسبب العقم وطول القامة مع جنوح نحو الخنوثة — ويكبر الثديان الى درجة كبيرة، وهناك أسباب أخرى تؤدى الى كبر الثديين عند الرجال أهمها تعاطى الادوية التى تساعد على هذا النمو مثل مركبات اندمبتالا — وهرمون الايستروجين Eostrogen وغيرهما ولكن يلاحظ أن معظم هذه الادوية لا تعطى الا لكبار السن ولمدد طويلة •

ويكبر الثديان كذلك فى الرجال عندما يصابون بتليف فى الكبد ، فلا يقوى على التخلص من مادة الايستروجين فترتفع فى الدم وتسبب كبر الثديين — وكذلك فى حالة وجود اورام بالخصيتين خبيثة او اورام بالغدة فوق الكلية ولكن ذلك لا يحدث الا بعد البلوغ •

والعلاج فى هذه الحالة (اى عند البالغين) وبعد التأكد من انهم لا يعانون من اى مرض عضوى — هو ان يتريثوا بعض الوقت وربما امتد الى سنتين او ثلاث — ويزول هذا التضخم بغتة دون سابق انذار، ويجب أن يفهم ذلك الاولاد والاباء حتى لا يصحبوا ولدهم كل يوم الى طبيب — اذ انه لا يوجد دواء لمثل هذه الحالة ، وفى الحالات النادرة التى تستمر اكثر مما يجب ويكون الثدى متضخما ويؤثر على نفسية الرجل تجرى له عملية تجميل ويزال الجزء المتضخم من الثدى •

■■

• قصة قصيرة •

الكل باطل من جديد

بقلم : فاروق خورشيـــد

ـ مات أبي ...

كنت أحسب انني ساكف ن الكتابة حين يموت .. ولكني لا زلت اكتب كانه يعيش .. كنت اوهم نفسي انني أكتب له .. ولكنه لن يقرا ابدا بعد ان مات حرفا .. ومع هذا ما زلت اكتب كانني اكتب له ..

واذكرلحظة شخصتعيناه ففقدتا الرؤية..وصمت وبكيت وبكى حولي اهلي واخوتي وصاحوا ولطموا وصرخوا وانا اقول :

ـ لا ..اسمعني ..ارجوك حاول ان تسمعني..

ولكنه كان قد مات ..

ولم يسمع ابدا .. فقط تنفس جسده وخرج كل شهيق فيـه ، وعرفت ساعتها ، وساعـة ان تطلعت الى عينيه فمددت اصبعي اطبقهما فى صمت .. انه قد مات .. وانه لن يسمعني ، ومع انى عرفت صحت فيه :

ـ أبي .. ابي انتظر هناك كلمات لم اقلها .. أبي ، هناك حديث طويل لم اكتبه ..

انتظر .. انتظر ..

ولكنه كان قد مضى ومات ..

ووقفت الكلمات فـى حلقي ، ماتت هـى الاخرى وتعفنت .. ولم تخرج الى الناس ، ولم تخرج الى سن القلم .. فقط ماتت وتعفنت ..

وقل لى ، ما فائدة الكلمات سواء قلتها ، او اعطيتها لسن القلم ليدونها ان لم يكن هناك من يفهم ويشعر وينفعل .. ولم يكن فى حياتى من يفهم كلماتي ويحس بها وينفعل لها ويقول رأيه فيها سوى أبي ، وابي كما قلت لك مات ، فقط تنهد وتاهت عيناه وهمس :

ـ أريد أن أستريح ...

ثم عرقت جبهته ونزف جسده كله كل ما فيه من عرق وماء وعصارة ثم مات ..

ووقفت مشدوها أمامه كالابله لا أعرف ما اقول .. تاهت الكلمات وباخت وتركت مكانها للدموع، تتسكب وتنسكب في نظام رتيب مؤسف حزين ،كانه الموت ..

ولانه مات لم أف بالتزام الكتابة فخرجت صفحة الجريدة بلا عمل لى ، ولانه مات لم اذهب الى الوزارة ، وجاءت تاشيرة المدير مدينة لي ..

ولانه مات لم استطع ان اقترب من امرأتي ، وحين نظرت في عينيها عرفت أنني فقدتها وانها لم تعد لي ولاء لى ..

ولانه مات ،سرت فيالطريق بعد الجنازة لااعرف مكانا ، لا أعرف انسانا ، لا أعرف معنى ، لا اعرف شيئا أنتمي له او ينتمي هو لى..فقد مات أبي..

ومن موته عرفت معنى الموت ..

من موته عرفت معنى ان يلفظ الجسم عصارته وماءه ووجوده كلهليغدو كالخشب المسند ، كالحجر الاصم ، كالصمت البائس الحزين ..


KOKBE



وقال الناس كلمات كثيرة ولكنها جاءتني هامسة ..

ـ انت تعيس اعرف ، هل امكث معك بعض الوقت ..

ولم أجب ،في النهار جاء صديق بعربته وولديه، وقال :

ـ هذا ياحسن وياحسين ، هذا عمكما قدما له فروض العزاء ، واعرفا قدره فهو عمكما ..

واحنى الولدان رأسيهما ، ومد الصديق يده في همة قوية مليئة بالعواطف ورسالات الحب والمواساة .. ثم حملني في عربته وراء عربة الموتى الى المدافن ، وحضر الدفن والعزاء ، وولداه كل منهما ينظر الى الاخر ويبتسم في شقاوة وعبث ، وبكيت دمي امام القبر ، ثم حملني في عربته الى بيتي، وقال :

ـ لا تتركني اذهب . انما جئت لاراك واعزيك .. ما اباسك ايها الصديق ، وما اباس امرأة لا تستطيع ان تغريك ...

وقال الصديق وهو يمضي :

ـ كنت اود أن اراك في غير هذا الموقف ، ولكن .. لا باس ، اتحب أن أوصلك الى مكان اخر ، فعربتي تحت امرك ..

وضحك الولدان ، ودار في راسي ضفدع ينق ، والحفارون يهيلون التراب ، واربعة يصيحون كالقدر المخيف ..

ـ ياعبد الله .. ياعبد الله .. ان جاءك ملكان .. وددت لو قتلتهما ، لو قتلت صاحب المعول ، لو قتلت الصائح وسط الجمع .. لو قتلت نبض فؤادي يصرخ داويا ليعلو فوق الجميع ،او قتلت هذه الذبابة الملعونة الكبيرة الصاخبة الدوارة حول القبر .. غدا تضع حملها فوق عين أبي ، وغدا يفقس بيضها فوق جلد أبي ..

يا تعسا .. انت ضعت يا أبي .. والتراب والدود، والملائكة والعذاب ، والتعاسة ووجهك اصم لا يعي حرفا من كل هذا العبث .. وجهك شمعي باسم كانه نقش فوق تابوت فرعوني عتيق .. كانما يسخر من كل النهاية وكل التعاسة .. وكل العبث ..

والآن ابي ، انت ضعت ،وانا اموت الى جوارك، ويحي لو تضمني ذراعاك واموت ، لو استكين الى قبلة شفتيك المصمتتين ، لو اسمع همسك المقتول الصامت المصمت الاصم .. لو .. لو .. لو ..

عدت طفلا أبكي ،فارحم بكائي كما رحمته دائما، وارفع رأسي الى عينيك وابتسم .. انني أجيء..

ولكن لا شيء الاالعينين المغلقتين والوجه الشمعي والبسمة المصمتة وانا وحيد ـ وانت ضعت وهي قالت : .

ـ لست املك عزاء لك الا ان اجيء فهل يضايقك انني اجيء ..

ياعذراء .. ياحب .. ياكلمات .. يا أنت ...من انا الى جوار عطائك ، من انا وانت هنا تقولين الحب وتمنحين القراء العزاء ، وتحكين عن المعنى الذي ضاع ..

ونظرت الى عينيه ، ولم افهم .. أما زال في عالمنا كل هذا الود ، كل هذا الصفاء ، كل هذا الحب .. وكيف ؟ ... الا تعرفين ... ليس فينا الا عصارات ، أبي افرغها كلها وغدا جسده بلا شيء فيه الا الجلد والعظام والعضلات ، كل مافيه افرغه ،كالوعاء المفتوح من طرفيه ، كل الحياة والهجود ،ومعهما كل الاحلام وكل الحكايات القديمة، وكل قصص الحب التي عاشها ، وكل الرغبات الخرساء العاتية ، اعرف انه حقق في حياته كل الرغبات الخرساء المصمتة ، لم يترك رغبة الا واستجاب لها ، ومع هذا ها هو امامي وعاء مفرغا، كل العصارات تنزل ، وتنزل وتنزل .. وانا اذوب واذوب ..

وهو مات .. وانا اموت ..قلت له منذ أسبوع.

ـ أحب أن ادعوك الى اكلة جنبرى ...

وقال :

ـ وانا احب الجنبرى ..

ثم سكت ، وارتفعت يده اليمنى ثم هبطت على الفراش في عجز ، وساعتها بكيت دم قلبي ، وسكت ...

وقال أخي في براءة واهتمام :

ـ انت تعرف ، هو ممنوع من كل هذا النوع من الطعام ٠٠٠ فضفطه ٠٠

وسكت ، ونظرت في عينيه ، فغض من بصره ، واطرق ، وسكت انا ٠٠ وتقلص قلبي في مرارة وقال أبي :

ـ ساخرج معك ، يوما ساخرج معك ٠٠ فانا احب جلستك ، وانا اعرف اين تقضي سهرتك ٠٠

وسعل واحمر وجهه واحتقن ، ثم اشار بيده فاعطيته كوب الماء ، وشرب ، وهمس :

ـ نسيت طعم الجنبري ٠٠٠

وطعنني رمح في قلبي وادماه ٠٠ واسكت دمعي فلم يسل ، ولكن أخي احمر وجهه واحمرت عيناه واجهش وخرج صارخا يبكي قلبه خارج غرفة الرجل المحتضر ٠٠

وحاولت ليلتها ان اكتب ، واستعصت على الكلمات وحين جاءت كانت ساذجة غبية بريئة ، كلها صراخ ، كلها انفعال وبكاء ، كلها حب للرجل المحتضر ، وما انجس الكلمات الصريحة ، كل الكلمات الصريحة ملقاة على الارض تدوسها الاقدام فتغوص في التراب ، وياكلها الدود ونموت ٠٠ ثم يجيء اليها الملكان ويقولان :

ـ ياكلمات ، هل انت خيرة ام انت شريرة ؟٠٠ اياك ان تكذبي ياكلمات فمنذ البدء ونحن على يمينك وشمالك نحصي عليك الحسنات والسيئات والكذب لن يجديك نفعا ، قولي ياكلمات ، هل انت خيرة ام انت شريرة ؟ ٠٠

وتلتفت الي الكلمات بوجهها الكالح المهزوم التعس وتهمس في ضعف الخائف المذعور ٠

ـ تعال انت واجب ، ٠٠

وكيف اجيب ؟ ٠٠ لا اعرف كيف اجيب ، فقط امسك الورق فامزقه ، فتصرخ الكلمات وهي تتمزق وتضيع وتتناثر حروفها وتتداخل ، ولايجد الملكان ما يحاسبان ٠٠ ووسط صراخ الحروف التي تلعنني حين أمزقها اسمع صوت أبي الواهن يقول:

ـ فقط لا تنس نصيحتي لك ، اياك ، اياك ، اياك ان تخون الكلمات ، يابني ، انت ارتضيت لنفسك هذا الطريق ، طريق الكلمات ، ومن خانه سقط ، ولست اريدك ان تسقط ٠٠ ويسعل ٠ ويشهق ، ثم يهمس :

ـ وانا لا اريدك ابدا ان تخون ٠٠

واسكت ، ويسكت اخي وتنوح أمي ويتنقل بيننا بصرا كليلا ويتنهد ثم يهمس من جديد :

ـ ارم كلماتي في الارض فانا عجوز مخرف ، انس كل ما قلته لك ، الان وامس واول امس ، اتذكر اول يوم جئت بك فيه الى القاهرة ٠٠ واطرقت وفي عيني دموع ، وعادت الي خيالي ذكريات ذلك اليوم ٠٠

كنا نركب تراما من باب الحديد ، وكان الترام يسير ببطء قاتل ٠٠ والكمساري يخبط فوق خشبته وهو ينط من صف الى صف من الجالسين في الترام ويصيح :

ـ تذاكر ٠٠ تذاكر ٠٠

وامامنا امراة تلف جسدها في ملاءة سوداء وفي عينيها صراخ رهيب يتحاشاه ابي بالنظر الى الناحية الاخرى ،وهو يضرب باصابعه فوق الحقائب الململمة عند اقدامنا ويقول في وقار ،وعيناه تحاولان الابتعاد عن عيني المراة :

ـ اسمع ٠٠٠

ياتعاستي ، كم كان صوته قويا وجهوريا ومليئا بالرجولة والشباب ٠٠

وحيوية عارمة ادركتها رغم شبابي الغض في نظرات المراة الملتاثة تكاد تاكله اكلا :

ـ اسمع ٠٠ لقد علمتك ان تحب وان تنسى ، وان تغفر وان تعطي العالم كل ما في قلبك من حب وصدق وعطاء ٠٠ اسمع انا اقول لك الان٠٠

وينفض رماد سيجارته ، ويتجاهل من جديد نظرة المراة المحدقة في وجهه ، وصياح بائع نفز الى جانب الترام ٠٠

ـ انس كل ماعلمتك ، نعم انس كل ما علمتك، هذه المدينة غابة ٠٠ نعم غابة ٠٠ وتمصمص المراة شفتيها الغليظتين وتكشف الملاءة السوداء عن كتف ابيض معمر ثم عن ذراع بض يترجرج مع حركة الترام ، ويقول الكمساري :

ـ تذاكر ٠٠ تذاكر ٠٠٠

وعيناه عند الذراع الابيض الممتد ٠٠ والمراة تهتز فتنزاح الملاءة عن كتفها كله وهي تقول في ود ودلال :

ـ تذاكر ، تذاكر ، اليس لك من طلب الا التذاكر يا افندي ؟ ٠٠

وذاب الكمسارى وضاع .. وقال :

ـ ابدا يا هانم .. نحن في الخدمة ..تذاكر او لا تذاكر انت هانم وست الهوانم .. وابتسم ابى ، وضحكت المراة ضحكة سبقت الترام اميالا واميالا ..وقال ابى فى وقار :

ـ الست تعرف ، هو عالم من ناب وظفر ،وان لم تتذاب اكلتك الذئاب ...

واطرقت برأسي ودوى الترام يملأ الجو حولى وصليل جريه ودقات الكمسارى على الخشبة فى يده تضم مجموعات التذاكر .. وصياح راديو من محل نمر به ، وبائع يصرخ باعلى صوته :

ـ مشابك ومناديل ، واحجار للولاعة وامشاط .. امشاط .. امشاط ..

وعاد ابى يقول والترام يزيق فوق القضبان الصدئة ..

ـ قلت لك انس ، كل ما علمته لك ، انس كل شيء ، انس كل الكلام الفارغ الذى ملات راسك به ..

وقلت محتارا ضائعا :

ـولكن يا أبى .. انت علمتنى الصدق والوفاء والامانة والعطاء .. فهل تريدنى أن أنسى كل هذا ..

وتدخلت المراة الحلوة ، وجهها كطبق القشدة ، كفلقة القمر . ماذا تريدنى ان اقول ، هذه تشبيهات هذا العصر .. قالت :

ـ اسمع كلام أبيك فهو يعرف ما يقول ..

وضحكت ، وجلجلت ضحكتها وملأت الترام ، والشارع والدنيا كلها ، طويلة ممدودة حلوة

وقال أبى :

ـ اسمع ما اقوله لك ، الحياة غريبة ، وأنت فيها غريب ، فلا تدع لغريب اكبر منك عنادا أن ياكلك ، افهمت ..

وحقيقة ، ساعتها لم أفهم ، نعم ، لم أفهم شيئا ، ولكنى كنت ولدا ربيت على الادب واحترام الوالد وما الى كل ذلك من اشياء ،

فخفضت راسى وقلت :

ـ أمرك يا أبى ..

وعادت ضحكة المراة تجلجل وتملأ الترام كله .. وكانت ضحكتها تنتهى نهاية غريبة لم افهمها ، ولكنه كان يكفى لان يهز الكمسارى طربوشه فى طرب ، وان يضرب أبى أصابعه فوق الحقائب تحت اقدامنا فى رتابة وهو يقول :

ـ ارجو أن تكون فهمت ما اريد أن اقوله لك .. فمنذ الان انت رجل ، الست طالبا فى الجامعة ، الست تكتب كلاما فى الجرائد ، الست مسئولا عما تقول ، اذن افهم ما قلته لك ..

ووقف الترام ، وصعد قوم ونزل قوم ، وضحكت المراة ، والكمسارى ابتعد ، ونصفها الاعلى كله أصبح عاريا لا شيء يغطيه ، ما احلى الثراء ، حقا ما أحلى ان يكون أمامك شيء لا ثمن له لحم حقيقى ينضح بالرغبة والنداء والعطاء .. وقال أبى :

ـ تنزل بالحقائب فى المحطة القادمة فهى محطتنا..

ـ وانت ..

ـ لا ، انا امامى مشوار آخر ، فانزل انت .. وضحكت المراة ضحكة زغردت فى الترام كله ، فى الشارع كله ، فى الحى كله ، وقالت :

ـ انزل انت ، الم تفهم ما قال أبوك .. انت تنزل وهو وراءه مشوار ..

لست أدرى لماذا كانت كلمة مشوار هذه داوية غريبة عنيفة ، ملات وجودى ونفسى .. ولم افهم .. كنت غبيا فلم أفهم ..

ونزلت .. واكمل هو المشوار .. وذلك ما كان فى ذلك اليوم ، وافقت من خيالى فاذا المراة امامى وفى عينيها غلالة من دمع وهى تقول :

ـ أردت أن أعزيك فجئت ، فقد سمعت من كل أصحابك انك تحبه حبا جارفا وأعرف مصابك فيه ، فجئت .. كانت كالحلم ، كالاسطورة القديمة المعطرة باحلام أجيال واجيال ..عريانة بجسدها الرائع المشوق وشعرها مفروش فوق وسادتى ، وانا حائر ، فى قلبى اسى ، وفى نفسى غصة وفى عينى دموع .. وهمست :

ـ اعذرني ، ليس لدى ما اقدمه لك الا انا.. وانا الان ملكك انا هنا .. أنا معك ..

انس للحظات كل هذا اليوم البغيض وتذكر انني كلي امامك .. معك .. ملكك ..

وقلت متحشرج الكلمات متعثر الحروف والصوت :

ـ أحبك .. نعم احبك .. لان .. لان ..لانك .. وسكت ..

وضحكت وهي تزيح الدموع من عينيها وتقول :

ـ تعال اجلس جانبى واحك لى ..



في الصباح ودعناه ٠٠ففغر القبر فاه ثم احتواه ٠٠الحفارون جاءوا من كل صوب ٠٠ جاءوا من اقاصي الارض ، كل يحمل معوله والى جوار، قمىء اعمى مهترىء الوجه يتلو ما حفظه مختلطا بما نسيه ، ودقوا الارض ، وحفروها وازاحوا احجار! ففغر القبر فاه ، ثم احتواه ٠٠ راسه اولا ثم الصدر ثم غاب في القبر ٠٠ وتعالى صراخ ولم أعد أراه ٠٠ سحابات الشمال كلها تملأ الارض والسماء والقبر ووجوه الناس ٠٠واصوات مختلطة بلا معنى ، وصيحات مسعورة وبوق سيارة من بعيد، وانهار السيل وسد القبر فاه بالتراب ، امتلأ فمه بالتراب وانهال السيل يغشى كل رؤية ٠٠ يمنع عن عيني كل شيء ٠٠ واقلعت الطائرة بالدوى في اذني ،رغم القطن الذيأسد به اذني٠٠ ولا شيء من نافذة الطائرة الا الضباب ٠٠ وارتج وارتج ثم اقع ٠٠ ويقول أخي :

ـ كفى ٠٠ هيا بنا ٠٠ لم يعد هناك شيء ٠٠ كل شيء انتهى ٠٠

ومن خلال الضباب تلوح امامي بؤرتان حمراوان في لون الدم ٠٠ كانتا قد نزلتا معه الى القبر ٠٠ يا تعسة ٠٠

ـ أحدنا كان لا بد ان ينزل معه ، وشئت ان اخبرك هذا فنزلت أنا ٠٠

وهنا عادت الى خيالي أحداث ليلة طال بها العهد،فاذا دوى الطائرة في اذني وصفارات الانذار من غارة جوية ونحن نهرع الى الدور السفلى في المنزل ، وابى يصحبنا ، وهو يضم اخي بيده ويضم باليد الاخرى البنتين ، في عينيهما ذعر مقيت ويقول بصوته الهادىء :

ـ هم بعيدون ، وماذا في حينا من اهداف ؟ لا شيء ٠٠ لا تخشوا انها غارة عسكرية لا علاقة لها بنا ٠٠ والانوار مطفأة ٠٠ كل شيء مظلم ٠٠ مظلم ٠٠ وكاننا في قبر ٠٠ أجساد واجساد ٠٠ ويرتفع صوت المعلم احمد ساكن المندرة حيث يتجمع الكل امام بابها صائحا في صوت رعديد :

ـ اذكروا الله ٠٠

ويهمس ابيوهو يضماخي بيد وكانت اختايباليد الاخرى :

ـ لا اله الا الله ٠٠٠

ويعود المعلم احمد بصوته المرتعش يصرخ في هزال :

ـ وحدوه ٠٠

ويصرخ ابى فيه في ثورة مفاجئة :

ـ اسكت ٠٠ انت تخيف الاطفال ٠

ونرتعش كلنا ونصمت ، حتى المعلم احمد يصمت ولا ينطق ويبصر نورا هزيلا ، ويصيح أبى ٠٠

ـ اطفئوا النور ٠٠ ما هذا ٠٠ من المجنون الذي يضيء النور وقت الغارة ؟ ٠٠

ويقول صوت رفيق مهذب :

ـ يا بك ، انا مراقب الغارات ٠٠

ثم يضحك ضحكة خفيفة ٠٠ وفي ضوء البطارية الهزيل نرى وجه الشاب الضاحك وفوق الرأس خوذة وعند الكتف يتدلى قناع الغازات ٠٠ ويهمس ابى في رقة :

ـ اخفتنا يا رشاد ٠٠ فهذا النور في السماء يبدو كالكلوب ٠٠

ويصيح المعلم احمد :

ـ اطفئوا البطارية ، اطفئوا البطارية ٠٠

ويضحك رشاد ويقول في زهو الشباب :

ـ لا شيء ٠٠ الغارة بعيدة ٠٠ ولن يرانا أحد ٠٠ فقط اطمئنوا ٠٠

وصوته كالهمس ٠٠ كالظلام حولنا ٠٠ كالفحيح من صدر المعلم ، وكالكلمات المستترة من فم أبى وهو يقول :

ـ اطفىء البطارية ، أنابك الله ٠٠٠



وتنفجر قنبلة ثم تدوى مدافع يمزق صـوت انطلاقها كل سكون ويرج الارض رجا ، ويصرخ المعلم فى صوت مبحوح :

ـ اقتربوا منا ..

ويقول رشاد فى صوته الشاب الهادىء المطمئن:

ـ ابدا ، هذه مدفعيتنا ..

وقال أبى فى دهشة :

ـ مدفعيتنا ؟ ..

ـ نعم فلنا مدفعية رائعة فى (حى الظاهر) فى الحديقة عند الميدان لا تضرب الا وتصيب ، كل طلقة بطائرة ، حتى الانجليز شهدوا لرجالها بالدقة فى الاصابة ..

ودوت الطلقات من جديد ، قريبة جدا هذه المرة ، وصاح صوت فى الظلام :

ـ استر يا رب استر ..

واهتز البيت العتيق من اساسه وصـاحت البنتان .. وصرخت امراة وتعالى ضجيج مـن الحارة .. وصاح المعلم وهو يلطم خديه :

ـ سيقع البيت فوق رؤوسنا ونموت ، نعـم سنموت ، مؤكد سنموت ..

وقال أبى فى صوت غاضب :

ـ فـال الله خير من فالـك ايها الرجـل النحس ..

ومضى هذا الرجل .. مات من زمن .. نعم مات قبل أبى بزمن طويل ، انتفخت بطنه . وعلت ، ورقد فوق السرير ذى الاعمدة النحاسية وسط المندرة ، والناس تدخل وتخرج وهـو فقط ينتفخ ، ثم مات ..

ليلتها ، بعد الغارة ، جلس وسطنا فـى فناء البيت وقد اضىء النور كله فى ثقة واعتزاز يقول :

ـ هؤلاء اولاد الحاج محمد هتلر لا يضربون المصريين ابدا ، هم يعرفون اين الانجليز ، وهـم يصوبون بدقة ولن يضربوا سوى الانجليـز وحدهم .. انهم يصطادونهم من وسط المصريين اصطيادا هل تعرف يا بك أن ...

وعاد ابى يصرخ وهو يربت على شعر اختى الكبرى بيد ، ويده الاخرى تمر على وجنتى اخى الطفل :

ـ الا تستطيع ان تسكت يا معلم ، من يسمعك الان لا يعرف صوت صراخك الخائف المجنون منذ لحظة ، اسكت اكرمك الله ..

ـ لكن يا بك ..

ـ هل جعلت من هتلر حاجا ، ومن جنوده اخوة لك ،انت حر ياأخي ولكنارجوك الاولاد لا يحتملون صوتك بعد كل ما مر بهم الليلة ..

ووقف وكرشه امامه يهتز ونظرات الصقر عادت الى عينيه وهو يتمتم لكل من حوله فى صـوت خفيض ولكن يصل الى سمع الكل :

ـ البك لا يفهمنى ، ولا يصدقنى ، مساكين الافندية ، ماذا يعرفون عن السياسة ، هـذه أشياء لا يعرفها الا اولاد البلد .. امثالنا ..

ويوم مات مشت الحارة كلها فى جنازته ، بل لقد جاء المعلمون والفتوات من كل الحوارى الاخرى فى الحى كله .. وباعت زوجته الاسورتين والنحاس لتؤجر مقرئا مشهورا يقرأ القرآن فى الصوان امام الحارة ..

وقال أبى :

ـ مجنونة ..

وقالت أمى :

ـ الم يكن رجلها ، هذا أقل ما تفعل من اجله. لقد كان معلما كبيرا له اسمه ومكانته ، أيروح هدرا ..

ثم مصمصت شفتيها وذوت مـا بين حاجبيهـا ونظرت فى استنكار مكتوم الى وجه أبى الذى احمر ضيقا وغضبا .. وامس فى المساء كانت تجلس الى جواره فوق السرير وجسدها كلـه يهتز فى نواح صامت ، والرجل ما زال يحرك عينيه وما زال يرى ، ونظر الى وانا ادخـل الحجرة ، وفهمت .. وصحت فيها ان تخرج ، وخرجت ، وهمس وانا وهو وحدنا :

ـ اريد ان استريح ٠٠ لم نظر بعيدا . ولم يعد ينظر الى . ابدا من لحظتها لم ينظر الى شيء . دقائق اهتز فيها صدره وتندى العرق الغزير عن جبينه . والصمت يطبق استاره فوق الغرفة ، وطائر مخيف يرفرف بجناحيه حولنا ، وانا امد يدى بالفوطة المبللة على جبينه ثم على وجهه وتحرك الجلد معى ونظرت فى عينيه ثم مددت الفوطة تتلقى عصارة حياته تنداح من فمه . وسكت انا وهمست :

ـ وداعا ٠٠ سالقاك فى القريب ثم ٠٠٠

ثم رفعت الملاءة فوق وجهه وبكيت ٠٠ ثم بكيت ٠٠ ثم بكيت ٠٠

ولمن اكتب اذن ، لمن اكتب الان ٠٠ ولمن ٠٠ لمن اصارع الحياة ، لمن ٠ لمن اذن ٠ وبكيت ٠٠ وبكيت ٠٠

ودخل اخى فرأى وفهم . ومد يده يرفع الملاءة عن الوجه الباسم الشمعى وبللت دموعه الجبهة الشماء ٠٠ ثم خرج ٠٠

وارتفع العويل ، وامتلات الحجرة ٠٠ وضمت من جديد ٠٠

ـ لمن ساكتب ٠٠ مات ٠٠ مات ٠٠

وكفت امى عن صراخها واقتربت ووضعت يدها على كتفى وهمست فى صوت واضح جلى :

ـ له ٠٠ ايضا ٠٠ نعم له ٠٠ لم يكن يحب ان يقرا الا لك ، الا تكتب له ليقرا ، انا ساقرا له هناك ٠٠ عند قبره . ساقرا له كل حرف تكتبه ٠٠

وتحول الى قبر ؟ نعم ٠٠ تحول ابى الى قبر وشاهد وتراب وقراء كلمات الله ، وباعة الغوص والورد الذابل والعرق والنساء يلبسن السواد وبائع الحلوى يمر بين القبور صائحا :

ـ حلاوة زمان يا ولد . عصفور حصان للولد ٠٠

ودفنت وجهى فى صدرى وبكيت ٠٠

وازاحت المراة شعرها عن وجهى ورائى وقالت :

ـ اتبكى ؟

وقلت :

ـ لا ٠٠ ابدا ٠٠ انما هزنى كرمك ٠٠

وانداح عطرها يغطينى كلى ، واحسست دموعها فوق جبهتى فنظرت فى عينيها ٠٠

ابدا لم ار هذا الصفاء الرقيق الحانى ٠٠ كانما انظر الى بحيرتين من تبر تتموجان بحنان وخفة وفهم عميق سخى معطاء وقبلتنى ثم همست :

ـ اتعرف ٠٠

وفاح منها عطر غريب ، عطر الانثى تتفتح . عطر الارض تعطى كل ما عندها :

ـ اتعرف ٠٠ هذا الصباح سمعت بمصرع شاب أعرفه . قتله رصاص الغدر ومات ، وقرأت الخبر اليوم ٠٠ اتعرف انا لم أبك عليه ٠٠٠ كان كالسنديانة الشامخة ، ماذا اقول لك ، كان الحياة نفسها ٠٠ اندفاعا ٠٠ وتدفقا ووجودا ثريا يثرى كل ما حوله . كل من يحتكون به ٠٠ كل من يعرفونه ٠٠ كل من فهموه ٠٠ ورصاصات ثم مات ٠٠ وضاع ٠٠ نزف دماءه فوق الرمال الضائعة ومات ٠٠

وبدات دموعها تتدفق من عينيها وبللت وجهى وصدرى وامتزجت بدموعى العاجزة المسكينة ومددت يدى فاحتويتها الى صدرى وساد الصمت ٠٠

وارتفع فى جو الحجرة عطر عبق . أهو شعرها ٠٠ أهو جسدها ؟ ٠٠ ولكن ٠٠ هذا الجسم وخلصت نفسى ونظرت اليه كانه فارع رهيب ٠٠ بلا خطا واحد ، بلا غلطة ، كانما سوى كمثال الالهة ٠٠ وغص حلقى بمعنى رهيب ٠٠ ماذا لو ان هذا الجسد تسجى كغيره كجسد احببته . وامى الى جواره تصرخ بصوت مكتوم وفمها مفتوح فى صمت وأصرخ :

ـ اخرجى ٠٠

فتخرج ٠٠ ثم ينظر الى عينى ويقول :

ـ اريد ان أستريح ٠٠

ثم يصمت الى الابد ٠٠ ويندلق من الجسد كل ما فيه ٠٠ ينضح بكل حياة فيه ٠٠ تشرح كل حياة فيه ٠٠ وقالت صاحبتى :

ـ ضمنى ٠٠ قبلنى ٠٠ مزقنى ٠٠ اريد ان أضيع الان ٠٠ لست أعرفك ٠٠ ولن اعرفك بعد الان ٠٠ فقط كلمنى بعنف ومزقنى باسنانك ٠٠

ثم همست :

ـ ثم اكون سطرا بين كلماتك ٠٠

وسكتت هى ، ونسيت انا كل شيء ٠٠ كان عطرها يحيط كل شيء . ينبعث من كل خلية ،



يفرز من كل المسام .. وانا مغلف بعطر غريب حلو ، وشعرها يغطي عيني ورأسي وانفـــي ووجودي .. وقالت :

ـ كفى ...

وهمست ، وانا ضائع فيها لا ادري .. الا انني ابكي واعرق .. واضيع بين عطر اشمه وعطر أجده .. وعطر يعبق من جديد ..

ـ كفى ماذا ؟

ولم تتكلم وانما تاوهت وقالت :

ـ افعل ما تريد ..

وحين انطلق مـن قفصه ، نسي كـل سنـوات الاسر .. أو تذكر كل سنوات الاسر فمضى يمد نابه وظفره حيث يحب ان ينهش ، أن يقضم .. ان يموت ويميت .. مـا أحلى طعـم الـدم .. الدم .. نعم الدم .. والموتى لا ينزفون الدم.. الاحياء وحدهم ينزفون الدم .. فهو ســائـل الحياة .. وعطر الحياه ومعنـى الحياة .. وصرخت :

ـ آه جرحتني ..

كان صوتها همسا مستكينا ، متالما مستعذبا كل الم ..

ـ اجرحني مرة اخرى .. أريد ان اموت ، لست اريد أن أعيش ، أتعرق ، قلت لك انه مات من أحببته العمر كله ، ملك جسدي وكياني وجعلني مليكة حيـاته ، مـات أمس ، ودفن فـى صحف الصباح بسطر أو سطرين ، باهتين ، ونزف دمه وحيدا فى الصحراء ، يا كم كنت اود أن أكون الى جانبه اعطيه دمي بدلا مـن دمه ، أو أمتص دمه الضائع لاحتويه كله فـي داخلي ..

وصرخ في داخلي ذئب ونسيت وذقت الدم . آه لو استطيع ان اعيده في شرايينه من جديد ، تخشبت وغدت اشياء زرقاء .. كالخيوط .. ثم باهتة لالون لها ثم اختفت وسط اللحم الاحمر الشمعي .. وتاوهت وقالت :

ـ اريد أن أنام ..

وكنت قد نمت ..

وكان أبي ينزل وسط الشارع وصليل الترام وخبط الكمساري على خشبته [illegible] وضحكات المرأة صاحبة الملاءة التى انزاحت عن كتفها الناص الوردي كله :

ـ انس كل ما علمته لك ، لا تسامح ، لا اخلاق، لا كرم .. كن ذئبا بين الذئاب .. وهمست وانا ابكي ، دموعي تبلل جسدها الوسادة والشعر الاثيث :

ـ تاخرت نصيحتك يا ابي .. تاخرت نصيحتك..

وقالت :

ـ هات يدك ..

ابدا كانت يدي بعيدة .. وارتج جسدها الثري كله وهي تزيح عرقا عن جبهتي وعادت تقول :

ـ قلت هات فمك ..

واين انا .. ضعت .. اتسمع ، انت اضعتني يا ابي يوم مت .. يوم تركتني بلا ناب ولا ظفر .. يوم رحلت دون وداع .. وقالت :

ـ حبيبي كان شجرة سنديان .. كان نبت صبار وسط الصحراء ، كان بسمة حب ، كان اغنية لا يغنيها الا العذارى ..

ثم التفتت الى وقالت :

ـ اذهب الى الجنازة وعد ، ستجدني هنا عاريـــة ، كما أنا ، انتظرك .

ابدا ، ألف يد امتدت الى يدي ، والف ذراع هزت كتفي والقراء قالوا وقالوا .. والاصدقاء همسوا بكلمات كثيرة متشابكة .. متشابهة .. وعدت ..

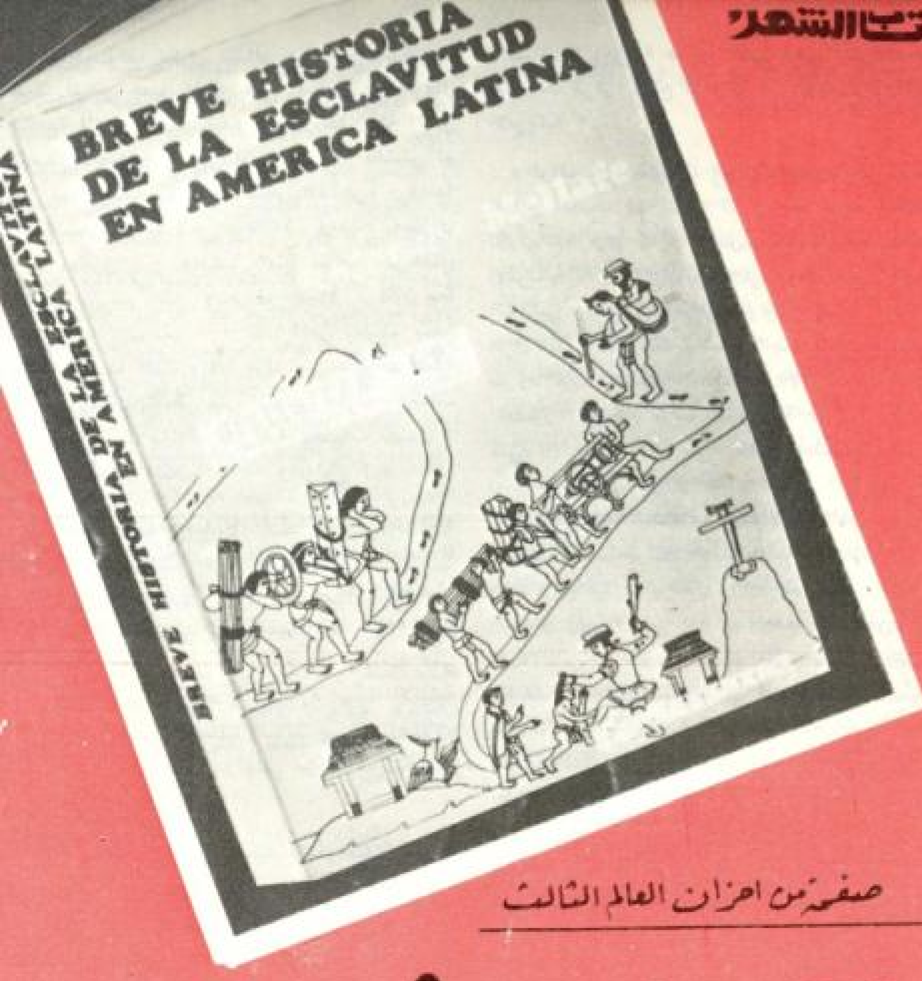
أبدا .. لم تكن هناك .. فقط ورقة تقول :

ـ ساذهب ، لن تـراني .. يا عزائي ، ليلة حب واحدة ..

وهل نحن الا ابناء ليلة حب واحدة .. يـا عزائي .. انت لم تعش هذه الليلة من الحب ، كانت ليلتك الاولى في حضن التراب والـوحدة والقبر المخيف ، يا تعسا يا أبي ..

لمن أكتب بعد أن ذهبت .. لمن اكتب؟؟..

فاروق خورشيد



صفحة من احزان العالم الثالث

الرق الأسود

في أمريكا اللاتينية

بقلم : رولاندو ميافي   تقديم وعرض : د . محمود على مكى

■ كان ذلك فى سنة ١٩٦٦ بمناسبة انعقادمؤتمر التضامن بين القارات الثلاث : افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية . وكنت فى جولة بينمعالم مدينة هافانا . ولم يكن قد مر على ثورةكوبا التى قادها فيدل كاسترو الا سبع سنوات .

وقد استوقف نظرى انذاك حى انيق التخطيط حديث المباني جميل الموقع على الساحل ذى الرمال الناعمة البيضاء التى تبدو من ورائها زرقة البحر العميقة الصافية • على أن الذى أثار دهشتى لم يكن جمال الحى ولا روعة منظر الشاطىء ، وانما كان اسمه الغريب : « Vedado » ومعناه «ممنوع» او « محظور » • واذكر انني سالت مرافقتى الكوبية عن سر هذا الاسم غير المالوف ، فكان مما اجابتني به : ـ نعم ••• فهذا الحى الضخم يدين باسمه لحقيقة ظلت واقعا مؤلما حتى سنوات قليلة مضت . فقد كان يحظر على الملونين دخوله ، وكانت تقوم على « بلاجاته » الراقية لافتات تقول : « ممنوع دخول الكلاب •••• والزنوج ! » •

ذكرت هذا الحديث وانا اقرا الكتاب الذى الفه الباحث الكوبي رولاندو ميافي Rolando Mellafe بعنوان « تاريخ الرق الاسود فى امريكا اللاتينية» وصدرت طبعته الاولى فى المكسيك سنة ١٩٧٤•وهو كتاب جدير حقا بان يقرا ، اذ انه يطلعنا على جانب من اهم جوانب الحياة فى قارة امريكااللاتينية التى اصبحت شريكة لعالمنا الثالث فى الامالوالالام ويعيننا على فهم عنصر رئيسي من عناصر تكوينها الاجتماعي والحضارى •

فامريكا اللاتينية من ناحية الجغرافية البشرية تعد بمثابة لوحةهائلة منمجموعة قطعمن الفسيفساء العرقية • اذ تتالف من مجموعات تنتمى الىاجناس متباينة فيما بينها كل التباين • واذا كانتشعوب بعض اقطار القارة تبدو متجانسة قد اندمجت عناصرها فان بعضها الاخر مازال حتى اليومبعيدا عن التجانس • وفى هذه الصورة المضطربة الفوضوية نلاحظ ان ظاهرة الرق الاسود كانت دائما من العوامل ذات الاثر العميق فى تطور مجتمعات امريكا اللاتينية • ولهذا فان دراسة الرق الاسود فى هذه المجتمعات امر ضرورى لفهم واقعها الحضارى والاجتماعى والثقافى •

مبادىء الرق فى امريكا

فى ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ وصلت السفن الثلاث التى كانت تحمل كريستوفر كولومبسورجاله الى اول ارض يابسة فى القارة الامريكية ، وكانت هذه الارض جزيرة صغيرة من جزر البحر الكاريبى ومنها توجهت الحملة الى جزيرة لاسبانيولا (جزيرة هايتى الان) وهى التىاصبحت بعد ذلك مركزا لفتح ماحولها من الجزر والاراضى الامريكية •

والواقع ان استجلاب الرقيق الاسود الى ارض العالم الجديد لم يتاخر كثيرا بعد حملة الكشف الاولى • ولم تكن الارض المكتشفة من القارة الامريكية خلال السنوات الاولى تتجاوز جزر البحر الكاريبى وقطعا قليلة من سواحل القارة • وكان الرق فى العالم القديم نظاما اجتماعيا واقتصاديا معروفا منذ العصور القديمة ، الا انه فى اواخر العصور الوسطى كانت الشيخوخة قد دبت فيه ، على أن الفتح الامريكى اصبح بمثابة اجراء دماء جديدة فى عروق هذا النظام • وكان مما اعان على ذلك النظام الاستغلالى الذى وضعته الدولتان المستعمرتان الاوليان للقارة الامريكية ، وهما اسبانيا والبرتغال • اذ لم تنظر سلطات البلدين الى اراضى العالم الجديد الا على انها مورد للاثراء السريع القائم على استخراج الذهب والفضة والمعادن الثمينة او استغلال الارض فى منتجات زراعية جديدة • وكان الامران يحتاجان بطبيعة الحال الى عدد كبير من الايدى العاملة •

وكان القرن الخامس عشر الذى تم فى نهايته كشف العالم الامريكي قد شهد اتجاها توسعيا من دولتى شبه جزيرة ايبريا : اسبانيا والبرتغال فى القارة الافريقية •وبدأ ذلك باستيلاء اسبانيا على جزر كنارياس (جزائر السعادة كما سماها العرب) والبرتغال على الجزائر الزرق (ازوريس) واصبحت هذه الجزر قاعدة للتوثب على سواحل القارة الافريقية وبدات المغامرة البرتغالية ـ بدافع من التعصب الصليبى ـ بمهاجمة اراضى الاسلام فى المغرب العربى ، ولكن الهزيمةالساحقة التى اوقعها بهم سلطان المغرب فى وادى المخازن سنة ١٥٧٨ ادت الى صرفهم عن الشمال الافريقى فاتجهوا الى السواحل الافريقية الواقعة الى الجنوب ، واغراهم غنى هذه البلاد وضعفشعوبها بالالحاح علىغزوها •و «انفتحت شهية» البرتغاليين الاستعمارية على نحو مسعور ، فاقبلوا ينشئون على طول سواحل افريقيا الغربية وما تلاها الى الجنوب مراكز تجارية وعسكرية حاولوا النفوذ منها الى داخل القارة • وهكذا نرى التوسع فى القارتين الافريقية والامريكية يسير فى خطين

متوازين وبتوقيت واحد على وجه التقريب على طول القرن السادس عشر ٠

صدام مع الهنود

اما الفتح الاسباني والبرتغالي في امريكا فقد اصطدم في الارض الجديدة باجناس الهنود الحمر الذين كانوا يقطنون هذه البلاد ٠ ولم يكن هؤلاء الهنود على مستوى حضاري واحد : كان من بينهم طوائف بلغت مستوى عاليا نسبيا من الحضارة ، مثل هنود المكسيك وبيرو ، وكان من بينهم طوائف تحيا حياة بدائية متخلفة مثل هنود سائر القارة ، ولما كان عدد الفاتحين الاسبان والبرتغاليين قليلا فقد واجهتهم منذ البدء مشكلة استغلال ثروات البلاد المفتوحة ٠وكان من الطبيعي أن يتجه الفاتحون اول الامر الى استخدام الهنود من سكان البلاد ، فاتخذوا من وجدوه منهم في جزر الانتيل عبيدا يسخرون في خدمة الفاتحين غير ان جزر الانتيل كانت بطبيعتها فقيرة في الموارد ، ثم كان عليها ان تتحمل عبء الحملات العسكرية التي وجهها الاسبان لفتح بقية القارة : المكسيك وكولومبيا وبيرو ٠ وهكذا زادت حاجتهم الى الايدي العاملة ٠ وقد كان لذلك أسوأ الاثار على سكان هذه المناطق من الهنود ، حتى هلك الكثيرون منهم خلال السنوات الاولى من فترة الفتوح ٠ويقدر الباحثون عدد الهنود من السكان الاصليين في جزيرة لاسبانيولا (جزيرة هايتي) سنة ١٤٩٣ بنحو مليون ٠ ثم لم تات سنة ١٥٠٨ ـ أي بعد ستة عشر عاما فقط حتى كان هذا العدد ينخفض انخفاضا رهيبا الى قريب من ٦٠٫٠٠٠ ٠ وفي سنة ١٥٥٤ لم يبق من هؤلاء الا نحو ٣٠٫٠٠٠ فاذا وصلنا الى سنة ١٥٧٠ وجدنا انه لم يبق منهم الا زهاء ٥٠٠ فقط ٠ وهذا مثل يوضح مدى ما لقيه الجنس الهندي في جزر البحر الكاريبي وفي غيرها من بلاد امريكا اللاتينية من استئصال عنيف ٠

وارتفعت اصوات بعض من شاركوا في الفتح ولا سيما من رجال الدين احتجاجا على هذا المصير الذي انتهى اليه هنود العالم الجديد ٠ وكان من اعلى هذه الاصوات صوت الراهب بارتولومي دي لاس كاساس Bartolome de Las Casas ، الذي رفع الى العرش الاسباني شكواه من سوء المعاملة التي يلقاها الهنود من جنود الفتح ، لا سيما وانه راى في انقراض هؤلاء الهنود تخريبا لاقتصاد البلاد وحرمانا للدولة الفاتحة نفسها من مئات الالوف من الايدي العاملة التي لا تستطيع اسبانيا ان تستغني عنها في استغلال موارد القارة الجديدة. وقد اقترح لاس كاساس لمشكلة انقراض الجنس الهندي حلولا كان من اطرفها واقساها في الوقت نفسه ان تبعث السلطات الاسبانية الى امريكا بالاف من العبيد السود من افريقيا ليحلوا محل الهنود الذين كانوا ينقرضون بسرعة رهيبة ٠ والعجيب ان لاس كاساس انطلق في دعوته تلك من مبدأ التنديد بالمعاملة القاسية التي كان الهنود يلقونها ، ومن الدعوة « الانسانية » الى انصاف الجنس الهندي والتخفيف من الامه ٠ وصادف الحل الذي اقترحه الراهب الاسباني هوى في نفوس السادة الاسبان الذين كانوا يحكمون تلك المناطق الامريكية والذين كانوا ينظرون في كثير من القلق الى تناقص الهنود العاملين بالسخرة في مزارع قصب السكر والمفاسل التي يستخرج منها الذهب ٠ واستهوى هؤلاء ما لاحظوه من أن الزنجي الاسود يتحمل من مشقة العمل اكثر مما يتحمل اربعة بل وثمانية هنود ٠

عرش النخاسة للبرتغاليين !

ومن هنا بدأ تدفق العبيد السود المستجلبين من القارة الافريقية الى امريكا ٠ وكان اول قدومهم الى جزر الانتيل اول البلاد المفتوحة ومنطلق الاوروبيين البيض الى استعمار بقية القارة ٠وقد واجه البرتغاليون ايضا عند فتحهم البرازيل المشكلة نفسها ، بل كانت المشكلة امامهم اكثر حدة .فقد كان الهنود الذين اصطدم بهم البرتغاليون على سواحل البرازيل اعنف مقاومة للفاتحين واشد شكيمة من هنود جزر الانتيل ٠ فلما رأوا ان المقاومة لن تجديهم في ذلك الصراع غير المتكافيء عملوا على الهرب في صورة جماعية الى داخل ادغال الامازون وغاباته ، واعانتهم على ذلك المساحات الواسعة التي لم يكن البرتغاليون قد اكتشفوها ولا عرفوها من البلاد ٠ غير ان البرتغاليين كانوا منذ البدء يتحكمون في ورقة رابحة جعلتهم يتفوقون على الاسبان : تلك هي ان معظم السواحل الافريقية المواجهة لامريكا كانت في ايديهم وكانوا قد اقاموا عليها العديد من

الموانيء والمراكز التجارية ، على حين لم يكن لاسبانيا مستعمرات افريقية . وبهذا اصبحت بلاد افريقيا السوداء بمثابة نهر غزير يغترف البرتغاليون منه ما شاءوا من عبيد ، حتى انهم سرعان ما انتصبوا منذ القرن السادس عشر على عرش النخاسة . ولم يكفهم ان يبعثوا من افريقيا بالعبيد الذين احتاج اليهم المستعمرون البرتغاليون في البرازيل ، بل اصبح لديهم فائض كبير توجهوا بتجارته الى اخوانهم الاسبان في البلاد الامريكية التي استعمروها .

وسرعان ما اصبحت تجارة الرقيق تتمتع بحماية العرش البرتغالي . ففي سنة ١٥٥٩ اصدرت « دونيا كاتارينا » الوصية على عرش البرتغال امرها الى حاكم مستعمرة ساوتومي (وهي جزر في خليج غينيا تقابل الجابون) بان يسلم الى كل صاحب مزرعة او مصنع للسكر كل ما يحتاج اليه من عبيد مادام يحمل شهادة من حاكم البرازيل .

ويبدو ان تجارة الرقيق قد اصبحت منذ ذلك الوقت استثمارا مضمون الربح . ورأى الهولنديون - وكانوا في بداية توسعهم الاستعماري - ان يدخلوا الى ميدان المنافسة ، فكانوا يقدمون ايضا صفقات من العبيد الى المزارعين البرازيليين . ومع ذلك فان تجارة الرقيق بقيت على الرغم من ذلك متواضعة بعض الشيء ، اذ يقدر عدد العبيد السود الذين دخلوا الى البرازيل خلال القرن السادس عشر بما يتراوح بين ٤٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠ .

واعان نجاح التجربة البرازيلية على ان يقبل المستعمرون الاسبان في مناطقهم على شراء العبيد السود ، ورأت السلطات الملكية في اسبانيا في ذلك عاملا على زيادة الانتاج في المستعمرات ، فاتخذت كثيرا من الاجراءات لتسهيل عملية استجلاب العبيد ، وكان من اهمها رفع الضرائب الجمركية عن الرقيق . واستغل كثير من قواد الفتح وحكام المستعمرات تلك التسهيلات حتى انهم هم انفسهم اشتغلوا بتلك التجارة واستثمروا مواردهم فيها . ومن ذلك ما تسجله الوثائق القديمة من ان بيثارو Pizarro ، فاتح بيرو واخوته كانوا يبيعون بعض من ادخلوه معهم من العبيد لعدد من تجار الرقيق بالجملة ممن كانوا يتخذون مركزا لاعمالهم في مدينة اشبيلية .

وبهذا نرى انه منذ الفتح الاوروبي نفسه لبلاد القارة الامريكية وجدت اسواق رائجة لتجارة الرقيق ، واذا كان هؤلاء العبيد قد استجلبوا لسد حاجات اقتصادية في المقام الاول مترتبة على نظام الانتاج الرأسمالي الذي وجد في القارة فانه لم يكن هناك بد من ان تنعكس آثار هذه التجارة على المجتمع الجديد وعلى طبيعته من النواحي الجنسية والاجتماعية والثقافية .

نشوء مجتمع « المولدين »

وعلى الرغم من ان الاجيال الاولى من هؤلاء السود الافريقيين انما بدأ تدفقهم على امريكا اللاتينية بوصفهم عبيدا فانهم كانوا مرتبطين بسادتهم البيض ارتباطا وثيقا ، فكانوا يعتبرون انفسهم موالي لهم واعوانا ، بل انهم كانوا يحسون مع سادتهم بكثير من الزهو وهم يقاتلون الهنود من سكان البلاد الاصليين ، اذ كانوا يعدون انفسهم « فاتحين » ايضا . ولهذا فقد كان احتكاكهم بهؤلاء الهنود عنيفا متسما بالعداوة . ومن ناحية اخرى كان الاسباني بطبعه - ولعل ذلك راجع الى رواسب التراث العربي الاسلامي المتبقية في نفسه - لم تكن تسيطر عليه فكرة التفوق العنصري ولا التفرقة على اساس اللون ، على العكس من طبيعة الانجلو ساكسوني ، ولهذا فانه لم يجد باسا منذ البدء في قبول العنصر الافريقي الاسود بصفته مكونا من مكونات المجتمع ، فوجدنا كثيرين من البيض يتخذون لهم جواري من النساء السود ، ولايرون باسا في الاعتراف بابنائهم منهن ولا حتى بتزويج بناتهم من الملونين .

وادى ذلك الى اننا اصبحنا نرى منذ بدء عملية الفتح ميلاد مجتمع جديد تختلط فيه العناصر ، وتمتزج الخصائص الجنسية لها : فالاسباني الابيض يتجه الى السمرة ، والافريقي الاسود يتجه لونه الى البياض شيئا فشيئا . هو مجتمع من المولدين (ومن هذه الكلمة العربية انحدرت كلمة Mulato ، اى المولد بين ابيض وسوداء) . على على ان هذا حدث بصورة خاصة في البلاد التي انقرضت فيها العناصر الهندية ولم تبق الا العناصر الافريقية السوداء المستجلبة ، كما حدث في مجتمعات جزر الانتيل مثل كوبا وبورتوريكو والبرازيل الى حد ما . اما البلاد التي لم يتمكنوا من استئصال

عناصرها الهندية ـ وهي بشكل عام التي كان لهنودها قدر من التراث الحضاري زاد من مقاومتها للفاتحين مثل المكسيك وبيرو وبوليفيا ـ فقد اختلطت العناصر البيض فيها بالعناصر الهندية مع قدر متفاوت من الاختلاط بالعناصر السوداء ايضا .

وقد اصطلح على تسمية مجتمعات هذه البلاد بالمخلطين (Mestizos) .

ويلاحظ ان مثل هذا الامتزاج مع تفاوته ما بين قطر امريكي لاتيني واخر لم يحدث ابدا في المناطق التي استطاعت الدول الاستعمارية الاخرى انتزاعها من اسبانيا في بلاد الانتيل واتخذتها مستعمرات لها . ونعني بهذه الدول انجلترا وفرنسا وهولندا .

ومع ذلك فان ماذكرناه لايعني ان الافريقي الاسود كان ينظر اليه في امريكا اللاتينية على انه والابيض سواء تماما . صحيح ان التفرقة العنصرية لم تبلغ من شدة الوطأة ما بلغته في المستعمرات الاوروبية في افريقيا ولا بالنسبة لوضع السود في الولايات المتحدة مثلا ، غير ان علينا ان نتذكر ان الافريقي الاسود وفد على القارة عبدا على كل حال ، وظل عبدا حتى اوائل القرن التاسع عشر ، بكل ما تعنيه العبودية من امتهان للقيم والكرامة الانسانية .

وهذا هو ما ادى في كثير من الاحيان الى ان تقوم جماعات من العبيد السود بالهرب والتجمع في مناطق وعرة بعيدة عن العمران ، وكان يطلق هؤلاء الهاربين لفظ Cimarrones ، وهي كلمة تعني اصلا الحيوان الذي يرتد الى التوحش بعد استئناس . وقد تزايدت هذه الجماعات حينما ساءت معاملة العبيد في اوائل القرن الثامن عشر ، فانتشرت في اقطار القارة من سواحل اكوادور وبيرو المطلة على المحيط الهادي الى الولايات الشمالية للمكسيك ، وان كان اكثرهم في المناطق الساحلية من كولومبيا وفنزويلا وفي البرازيل وبعض جزر الانتيل .

اول تقنين للرق

الى سنة ١٥١٣ اي بعد كشف القارة الامريكية بعشرين سنة يرجع اول اجراء يسمح بمزاولة تجارة الرقيق . ففي هذه السنة فرضت الحكومة الاسبانية « دوقيتين » على كل « رأس » من العبيد يدخل الى المستعمرات الجديدة . ولايتم ذلك الا بترخيص خاص من العرش الاسباني . على ان هذه التراخيص قد اصبحت بعد ذلك تجارة رائجة ، اذ كان بعض اصحاب النفوذ يحصلون عليها لم يبيعونها بعد ذلك « من الباطن » بسعر يصل الى ثلاثين دوقية .

وقد كان على النخاسين ان يحملوا بضاعتهم من العبيد الافارقة الى اسبانيا ، ومنها الى بلاد العالم الجديد ، ولكن اصحاب المصلحة في استجلاب العبيد رأوا ان ذلك يكلف كثيرا من النفقات وان من الخير ان تبعث « البضاعة » رأسا من مواطنها في البلاد الافريقية الى المستعمرات الامريكية . غير ان المناطق التي كان الرقيق يستجلب منها كانت تحت سيادة البرتغاليين ، وهكذا كان ينبغي اتمام صفقات الشراء بوساطة السماسرة من رجال المال ذوي الصلة الوثيقة بالبرتغال . ومن هنا تدخلت المصارف والشركات الاوروبية في تلك التجارة . ولم يلبث الصراع ان شب بين هذه المؤسسات المالية للحصول على حق احتكار تلك التجارة المربحة . ولم تكن اسبانيا تتحكم في مستعمرات افريقية يمكن ان تجلب الرقيق منها الى امبراطوريتها الامريكية مباشرة . ولهذا فقد رأت السلطات الاسبانية نفسها بين نارين : اما ان تحاول الغاء تجارة الرقيق جملة ، وحينئذ لا مفر من ان تتسع شبكة تهريب العبيد بغير فائدة تجنيها الدولة . هذا فضلا عن الاضرار التي يمكن ان تلحق بانتاج المستعمرات بسبب نقص الايدي العاملة ، واما ان تمنح تراخيص احتكارية لشركات تنتمي الى بلاد تتسم بعدائها التقليدي لاسبانيا مثل انجلترا وفرنسا وهولندا .

ومنذ سنة ١٦٦٢ نجد ان الحكومة الاسبانية تضطر الى منح تراخيص احتكار تجارة الرقيق لمجموعة من المؤسسات المالية الاوروبية الكبرى . وقد ظفرت المؤسسات الهولندية بنصيب الاسد . وتعهد « الموردون » الهولنديون بادخال عدد سنوي من الرؤوس يتراوح بين ٣٥٠٠ و٦٠٠٠ « قطعة » (هكذا كان يسمى الرأس من رؤوس العبيد) . غير أن الغداع وفساد « الذمة » لحق ايضا هذه التجارة ، فاذا بنا نرى الشركة تعمل على تهريب عدد من العبيد يزيد ضعفين او ثلاثة اضعاف على العدد المتفق عليه ، وذلك حتى تتهرب من دفع الرسوم

المقررة • وادى ذلك الى تكديس اعداد هائلة من العبيد فى اقباء سفن النخاسة على نحو كان يؤدى الى موت الكثير منهم • واصبح لهذه التجارة من الاغراء الى حد اشتراك الاسر الاوروبية المالكة مع الشركات فيها • وهذا هو ما نعرفه عن فيليب الثالث ومن تلاه من ملوك اسبانيا ، ولويس الرابع عشر ملك فرنسا والملكة « آن » ملكة انجلترا وبدرو الثانى ملك البرتغال اذا اسهم كل هؤلاء الملوك فى تجارة الرقيق بصفتهم شركاء للشركات الاحتكارية المشتغلة بذلك •

ومع نهاية القرن السابع عشر ينتهى تسلط الهولنديين على احتكار تجارة الرقيق وتعهد اسبانيا فى سنة ١٧٠١ بترخيص استغلال التجارة فى مستعمراتها لشركة « غينيا الفرنسية الملكية » غير أنه سرعان ما تدخل انجلترا ميدان المنافسة وتتمكن من انتزاع هذا الترخيص من الشركة الفرنسية فى سنة ١٧١٣ بعد معاهدة الصداقة والسلام التى عقدت بين اسبانيا والحكومة البريطانية فى اوتريخت فى هذه السنة • ونصت المعاهدة على ان تتولى توريد العبيد شركة « البحر الجنوبى » (South sea company) التى كان البلاط الملكى الانجليزى مشاركا فى رأسمالها • وتعهدت الشركة البريطانية بادخال ١٤٤٫٠٠٠ « قطعة » الى امريكا اللاتينية على مدى خمسة وعشرين عاما • وكانت بريطانيا قد مهدت لتجارتها هذه بالاستيلاء على اثنتين من جزر الانتيل هما جامايكا وباربادوس ، واتخذتهما « مستودعا » لتجميع الرؤوس قبل توزيعها على بلاد القارة •

ولكن نشوب الحرب بين اسبانيا وانجلترا فى سنة ١٧٣٩ أدى الى الغاء الترخيص الممنوح للشركة البريطانية ثم آثرت الحكومة الاسبانية ان تعلن الحرية المطلقة لتجارة الرقيق فى سنة ١٧٨٩ وذلك بعد أن جربت سياسة الترخيص لشركات معينة باحتكار التجارة وما تبين لها ما كانت تقوم به هذه الشركات من تلاعب وغش حرم الدولة مما كانت تتوقعه من مكاسب اقتصادية •

مواطن السود الاصلية

١ ـ كان الافارقة السود الذين يستجلبون الى امريكا ينتمون الى مواطن جغرافية متنوعة واولهذه المناطق الجزء الشمالى من غرب افريقيا من المغرب حتى بلاد السنغال الحالية وساحل « الرأس الاخضر » وقد دخل من هذه المنطقة طوائف من العبيد فى العقود الاولى بعد الفتح الاسبانى • وكان الاسبان يطلقون على هؤلاء اسم « البربر » والواقع انهم لم يكونوا سودا بل كانوا من الافارقة وكانوا من المسلمين الذين أسرهم الاسبان فى حروبهم مع المغرب •

على أن السلطات السياسية والكنسية سرعان ما تنبهت الى الخطر الذى يعنيه ادخال هذه المجموعات من المسلمين الى العالم الجديد اذ كانوا يخشون من تزايدها ومما يمثله الاسلام بالنسبة لها من تمسك بقيم حضارية تجعل استيعاب المجتمع الاستعمارى لها امرا مستحيلا • ولهذا فقد ارتفعت الاصوات بالامتناع عن استجلاب تلك العناصر ، وصدرت مراسيم ملكية متوالية بتحريم جلب هذا النوع من العبيد فيما بين سنتى ١٥٠١ و١٥٥١ •

٢ ـ المنطقة الثانية هى التى تلى السابقة جنوبا وهى التى تدعى غينيا والرأس الاخضر وهى تتضمن نيجيريا وبيافرا بصفة خاصة ، ويطلق على جنس هؤلاء السود « الماندينجا » •

٣ ـ منطقة ساحل الذهب (غانا) وسيراليون وكانت خلال القرن السادس عشر واقعة تحت سيطرة البرتغاليين •

٤ ـ منطقة ساوتومى وكان البرتغاليون يتحكمون من قاعدة هذه الجزر فى الكاميرون الحالية وجزء من الكونغو ، ثم انتزعها منهم الهولنديون فى سنة ١٦٠٠ •

٥ ـ بعد سقوط ساوتومى نقل البرتغاليون نشاطهم الى جنوب نهر الكونغو على امتداد المنطقة التى تحتلها الان انجولا •

السود والمجتمع

كان ممثلو السلطات الاسبانية فى امريكا يحرصون فى اول الامر على تجنب اختلاط طوائف الافارقة السود بالهنود ، وذلك حتى لا يفسدوهم بنزعاتهم الى التمرد وحتى لا يكونوا معهم جبهة موحدة قد تكون نواة للثورة ضد البيض • ومع ذلك فان قوانين الفصل بين السود والهنود لم تستطع

الحيلولة دون اختلاط العنصرين ولا تجنب ما كانت تخشاه السلطات الحاكمة من عدوى التمرد التي انتقلت من السود الى بعض مجموعات الهنود • وكانت مشكلةالمتمردين أو ال Cimarrones ،هي اكثر ما يقلق السلطات الاسبانية ، اذ كثيرا ما كان المتمردون السود مع من ينضم اليهم من الهنود يتجمعون في قرى بعيدة وعرة المسالك ويؤلفون جماعات مستقلة ، بل كثيرا ما كانوا يقومـــون بمهاجمة قرى البيض والعبث فيها •

وترجع اول حركة تمرد من جانب السود فيما يسجل التاريخ الى سنة ١٥٢٠ في كوبا و١٥٣٧ في المكسيك • وتوالت الثورات بعد ذلك مما دفع السلطات الحاكمة الى استصدار عدة قوانين والى تشديد العقوبة على اولئك الثوار •

ومع هذا فقد استمرت حـركات التمرد مـن جانب السود على طول تاريخ امريكا اللاتينية وفي مختلف اقطارها • ولا شك في أن من اسباب هذا التمرد ـ فضلا عما لقيه الافريقي « العبد » من سوء المعاملة ـ أن تلك المجموعات الافريقية التي نقلت من مواطنها الاصلية كانت تشعر بالحاجة الى الانتماء وتاكيد الذات • وعلى الـرغم مـن اصطناعهم لغة البيض ودياناتهم فان كثيرا منهم قدموا بتراث حضاري كانوا يعتزون به مهما كان تواضعه • وقد ظهر هـذا التراث فـي معتقداتهم الدينية وفنونهم الشعبية واوضاعهم الاجتماعية ولم يكونوا مستعدين للتخليعنه ولا نسيانه •وكان بعض هؤلاء القادمين بالذات الى البرازيل قـد اعتنقوا الاسلام •

صحيح انه كان اعتناقا ظاهريا وان اسلامهم كان مختلطا بكثير من المعتقدات الوثنية او الطوطمية ولكنهم كانوا يرون في هذه العقيـدة تاكيـدا لانسانيتهم وشخصيتهم•ومن هنا فقدكونوا مجتمعات خاصة • وكان هؤلاء السود بالذات اشد العبيد عنفا في ثوراتهم التي لم تنقطع في البرازيلحتى منتصف القرن التاسع عشر •

وكان من المتوقع أن الصراع الدائر على الارض الامريكية بين المجموعات الجنسية المختلفة سوف يشارف نهايته بعد أن تتم عملية امتزاج العناصر غير انه لم تكن هناك قاعدة موحدة يمكن أن تطبق على درجة امتزاج العناصر السوداء بالبيضاء او الهندية في امريكا اللاتينية ، ثم ان الاقلية التي احتفظت بنقاء دمائها البيضاء ظلت تقاوم الاختلاط بقدر ما استطاعت حتى اننا نرى قانونا يصدر في المستعمرات الاسبانية في سنة ١٧٧٨ يدعو الى اجتناب « الزيجات غير المتكافئة » ، والمقصود بذلك هو زواج الابيض من امراة سوداء او ملونة• غيران هذه القوانين كانت نظرية فيمعظم الاحيان ،ولمتكن تطبق من الناحية العملية بالصرامة التي طبقت بهـا القوانـين المماثلة فـي مجتمعـات التفرقـة العنصرية مثل الولايات المتحدة او جنوب افريقيا•

ولهذا فقد غلب الطابع المخلط على مجتمعات امريكا اللاتينية ، وان كان ذلك يتفاوت بينقطر وقطر • ففي المكسيك مثلا كانت نسبة الاجناس ما بين السكان في سنة ١٨١٠ على النحو التالي :

ـ الاوروبيون الخلص ٢ر٠٪ ـ السود الخلص ١ر٠٪ ـ الهنود ٦٠٪

ـ المولدون بين البيض وغيرهم من الاجناس ٩ر١٧٪ •

ـ المولدون بيـن الهنـود وغيرهـم ٥ر١١٪

ـالمولدون بين الافريقيين وغيرهم ١ر١٠٪

وفي السنة ذاتها كانت نسبة الاجناس ما بين سكان فنزويلا على النحو التالي :

ـ البيض والمولدون بينهم وبين غيرهم٣ر٢٠٪

ـ الهنود والمولدون بينهم وبين غيرهم ٤ر١٨٪

ـ السود والمولدون بينهم وبين غيرهم ٣ر٦١٪ •

الغاء الرق

وقد ارتفعت الاصوات خلال القرن الثامن عشر عصر التنوير كما كان يدعى في اوروبا ـ من اجل الغاء الرق • واتفقت بداية القرن التاسع عشر مع استقلال معظم بلاد امريكا اللاتينية • وكان من اول ما قام به ابطال الاستقلال الغاء هذا النظام المهين • ففي كولومبيا وفنزويلا تم الغاؤه فيسنة ١٨١٠ وكذلك في المكسيك ، وفـي تشيلي سنـة ١٨١١ ، والارجنتين ١٨١٢ • وكانت بريطانيا العظمى قد الغت الرق من قبل في جميعمستعمراتها

سنة ١٨٠٧ بعد أن كانت من اول الدول المنظمة لتجارة الرقيق والمستفيدة منها ·

ومع ذلك فقد ظلت تجارة الرقيق غير المشروعة نشيطة في امريكا اللاتينية في صورة تهريب ·كما ان اسبانيا لم تلغ الرق فيما بقي لها من مستعمرات حتى اواخر القرن التاسع عشر ، اذ لم يتم الغاؤه في بورتوريكو الا في سنة ١٨٧٣ وفي كوبا الا في ١٨٨٠ وكان ذلك بعد ان استنفد الرق اغراضه وتبين ان الانتاج في هذه المستعمرات كان يزداد كلما نقص عدد العبيد الداخلين الى البلاد ·

على أن الغاء الرق رسميا لم يعن اختفاءه الفعلي تماما · فقد بقيت صور من وراء ستار ، من ابرزها العمل الاجباري في كوبا والبرازيل ، فضلا عن كثير من صور الاستغلال المعروفة في مجتمعاتنا الحديثة مما رأينا له مثلا مما كان يحدث في كوبا في اوائل هذا الحديث ·

■■

الكويت ــ د · **محمود علي مكي**
استاذ الادب العربي بجامعة الكويت



من الكتب التي وصلتنا

من الادب المقارن

تأليف : نجيب العقيقي

الناشر: مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ـ مصر ·

● هو طبعة موسعة جديدة من الكتاب يقع في ثلاثة اجزاء صفحاتها تناهز الالف صفحة من القطع الكبير ·في جزئه الاول اربعة فصول اولها في اصول الشعر وعناصره وثانيها في تاريخ الاداب الاوروبية في فرنسا وايطاليا واسبانيا وانجلترا والمانيا وروسيا والدول الاسكندنافية· والفصل الثالث في الادب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام والعصرين الاموي والعباسي واثره في الاداب الغربية والفصل الرابع في فنون الشعر العربي ومدارسه الادبية·

اما الجزء الثاني فيضم خمسة فصول موضوعها النهضة الادبية واعلامها في العصر الحديث ·ويبدأ الفصل الاول ببيان هذه النهضة الادبية واعلامها في العصر الحديث ، وما قدمه المستشرقون والارساليات الغربية في خدمتها ثم بيان اعلام الادب في مصر · والفصل الثاني في ادباء فلسطين والاردن · والثالث في ادباء العراق ، والرابع في ادباء سوريا · والخامس في ادباء لبنان سواء من استقر منهم فيها او الذين هاجروا منها الى العالم الجديد ··

اما الجزء الثالث ففيه فصلان مطولان وثالث قصير وموضوع الفصل الاول التجديد في الادب العربي ، وقد بدأه ببيان انتشار التعليم لكثرة المدارس ومجهود اللغويين والمترجمين في تنشيط اللغة وتأثير الفكر الغربي في ادبنا واصطناع مذاهبه عندنا في القصة والمسرحية والملحمة والنقد، ثم مدارس التجديد وأهمها ما ظهر في مصر والمهجر، والفصل الثاني في الادب الفرنسي الحديث وانواعه ومنها الشعر وقد تناول خصائصه ، وفي القصة تناول مزاياها وموضوعاتها وفي المسرحية تناول انواعها وفي الفلسفة عرض لرجالها المحدثين واهم ارائهم فيها ، وفي المدارس الادبية عرض لمدرستين حديثتين : ما فوق الواقعية (السريالزم) والوجودية · وفي النقد اشار الى بعض النقاد المعاصرين وآثارهم باختصار ·

اما الفصل الثالث القصير وهو خاتمة الجزء والكتاب كله فهو تذييل يوازن فيه السنين الهجرية من اولها حتى عام ١٤٢١ هجرية والسنين الميلادية حتى سنة ٢٠٠٠

والكتاب جدير ان يعد في كتب تاريخ الاداب عربية وغربية قديمة وحديثة ولا يعد من الادب المقارن كما كتب في عنوانه ، وجهد المؤلف فيه شاق طويل ، ولكن داخل مجال الجمع والتنظيم دون دراسة ، وكثيرا ما اقتصر على مجرد الاحصاء وهذا واضح في مواضع كثيرة من الكتاب ولا سيما جزؤه الثالث ·

■■

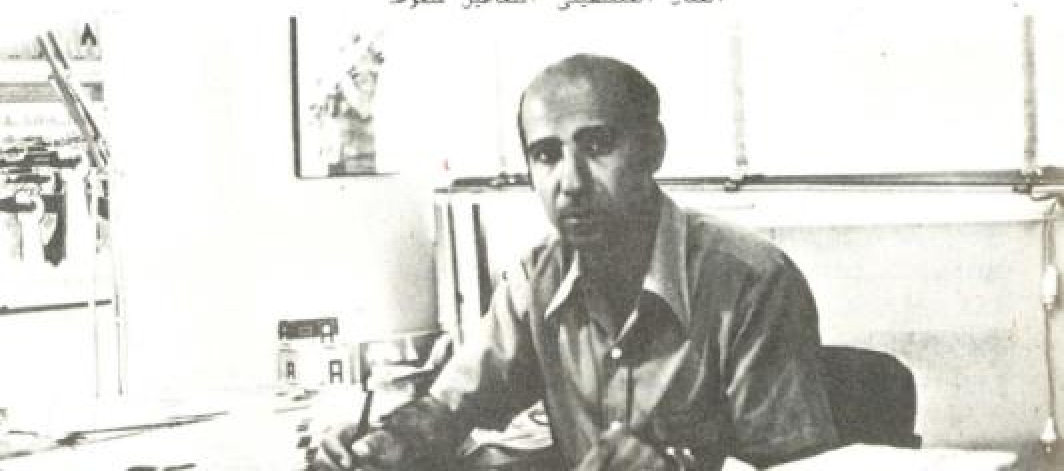
اسماعيل شموط وتمام الأكحل
رائدا الفن الفلسطيني

بقلم : صبحي الشاروني

■ اصبح اسم الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط من الاسماء اللامعة في الوطن العربي ، والمعروفة على النطاق العالمي ·· ليس بسبب زعامة سياسية ، او مواقف بطولية في المعارك العربية والنشاط الفدائي الفلسطيني ·· ولكن لاستخدامه في شرح القضية الفلسطينية «لغة» لاتحتاج الى مترجم او اى نوع من الوسطاء ·· انها لغة فن الرسم بالالوان الزيتية ثم الفيلم السينمائي القصير ·

انه واحد من رواد الفن التشكيلي لشعب فلسطين والمع اسم فلسطيني في هذا المجال ·· فهو يناضل من اجل القضية باللون والخط ·· ويعبر عن مأساة شعبه وبلاده ، ويطلع العالم كله على الحقائق ، مستخدما سلاحه الذى يحقق اثره في هدوء وبطء ،فيدفع العربي الى حمل السلاح من اجل فلسطين ويقنع الاوروبي بأن يستدير باسلحته المصوبة نحو العرب ليصوبها نحو الصهيونية ·····

الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط




مخيم تل الزعتر (اسماعيل شموط)

انه احد ابطال مقاومة الكذب الصهيوني ، ودحض دعاوى«زرع الحضارة الاوروبية فى قلب الشرق الاوسط » ٠٠ فلوحاته تنادى شعوب الارض نفس النداء الذى اطلقه الفدائيون الفلسطينيون فى مسرحية « النار والزيتون » للكاتب المصرى « الفريد فرج » عندما يقولون :

« لايغمض احد عينيه ٠٠ »

« لايشيح احد بوجهه ٠٠ »

« انظروا بشجاعة فى وهج هذا الضوء الساطع ٠٠ »

« يا رافعى صور(جيفارا) ويا حاملى شعارات السلام (لفيتنام) ، والحرية (لانجولا) ٠٠ »

« هنا فلسطين ٠٠ »

« ايتها السواعد البيضاء ، السمراء ، الصفراء ٠٠ الملوحة بالقبضات ضد النازية الجديدة ٠٠ »

« ايها الشعراء المتحدثون بلسان الانسان على منصات المسارح ٠٠ »

« يازارعى البذور الصغيرة لتعطى اعظم الاشجار ٠٠ تلفتوا ٠٠٠ »

« النار فى غصن الزيتون ٠٠ »

« انسان بلا هوية ٠٠ »

« مواطنون بلا وطن ٠٠ »

« شعب ولا ارض ٠٠ »

« هنا فلسطين ٠٠٠٠٠٠ »

لوحات ساطعة

هكذا تنادى لوحات اسماعيل شموط وزوجته الفنانه « تمام الاكحل » ٠٠

الفارق الوحيد ان نداء الكاتب المسرحى« الفريد فرج » صيغ من كلمات بينما نداء اسماعيل وتمام من خطوط والوان ٠٠

ان لوحاتهما تشبه وهج ضوء مصباح ساطع مسلط على العينين ٠٠ ينبه الناس ، ويدفعهم الى اعادة النظر فى كل افكارهم ٠ سواء كانوا من العرب الذين تلهيهم الحياة اليومية ومشاغلهم عن التفكير فى القضية ومراجعة ما ادوه من واجباتهم تجاهها ٠٠ أم من الاوروبيين والامريكيين الذين تغرقهم الدعاية الصهيونية باكاذيبها ،لتزرع فيهم العداء للفلسطينيين وللعرب ٠



عروسان على الحدود (اسماعيل شموط)



ابوعصام ١٩٧٠ (تمام الاكحل)

ان اسماعيل شموط يعيش في القضية الفلسطينية كل الوقت .. ليس فقط كفلسطيني يؤدي واجبه نحو اهله ووطنه ، وانما ايضا كعربي يقوم بدوره في تجميع الكلمة وتوحيد الرأى ، وتوثيق الروابط بين التشكيليين العرب في واحد من أهم مجالات الثقافة والابداع .

البداية في مخيم اللاجئين

ولد « اسماعيل شموط » في فلسطين بمدينة « اللد » عام ١٩٣٠ وفي صيف عام ١٩٤٨ عندما وقعت النكبة واجتاحت العصابات الصهيونية مدينته ، طرد مع المطرودين .. وما يزال الفنان يذكر بدقة وقائع ما حدث ، ويقص تفاصيل خروجه مع اخوته السبعة وأبويه وليس في جيوبهم جميعا سوى ثلاثة جنيهات ! .. ثم رحيلهم سيرا على الاقدام ليقطعوا المسافة من « اللد » الى « خان يونس » بالقرب من « غزة » على مراحل . وكانت تلك مجرد بداية لرحلة الآلام ، صاحبهم فيها عبر نصف الوطن الفلسطيني جموع المطرودين من اطفال ونساء .. ورجال صامتين منزوعي السلاح أذهلتهم الاحداث المفاجئة .. وقد بلغ عدد الذين ماتوا في هذه الرحلة المشئومة حوالي ١٣٠٠ فلسطيني ما بين نساء واطفال وعجائز .. من بينهم أخ صغير لاسماعيل كان عمره ثلاث سنوات .

وعاشت اسرة شموط في خيمة بمعسكر اللاجئين في « خان يونس » لاربع سنوات تالية ..

ومن هنا نستطيع ان ندرك عمق المأساة التي حفرت في وجدانه اثرا غائرا ، حتى اطلق عليه النقاد بعد ذلك اسم « فنان المأساة » .

والحت على اسماعيل فكرة تسجيل ما عايشه وعاناه بالريشة والقلم .. فبدأ يرسم .. وفي عام ١٩٥٠ اقام اول معرض خاص لانتاجه في المخيم ، بالمدرسة التي عمل بها مدرسا بالمجان ، وعلى طاولة من الخشب عرض ٤٠ صورة من رسومه على الورق ، دون اطر او زجاج ، ليراها اللاجئون بالمخيم وموظفو وكالة الغوث .. وكانت تمثل أول معرض من الناحية التاريخية للمطرودين من ديارهم ..

تلك هي البداية ، بعدها سافر الفنان الصغير الى القاهرة والتحق بقسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة ، ليدرس فن التصوير الزيتي ويتلقن اصوله .. بينما كان يعمل في غير اوقات

الدراسة كمساعد لرسام اعلانات عن الافلام السينمائية . بمرتب شهرى بدأ بثلاثة جنيهات وتدرج حتى وصل الى عشرة جنيهات .. وهكذا حقق الحد الادنى من الدخل الذى تتطلبه اقامة طالب بالقاهرة .

فى هذه الفترة التقى بزميلة الدراسة « تمام الاكحل »وهى فتاة فلسطينية من «يافا» .فتعاهدا على مواصلة المسيرة معا . فارتبط اسمها باسمه واصبح اسم اسماعيل وتمام علمين على سارية واحدة كرائدين اقتحما بداية الطريق .. وأول من خاضا هذا الميدان .. ميدان الفن التشكيلى الفلسطينى المعاصر .

واقام اسماعيل معرضه الشخصى الثانى فى غزة عام ١٩٥٣ . وبكى رواد معرضه الذين واجههم الفنان بصورة صادقة ومعبرة لحياتهم ومآساتهم ..

بعدها أصبح من النادر ان يعرض اسماعيل اعماله بمفرده واحس بالثقة فى موهبته .. فاقام مع زميلته « وقتئذ » معرضا مشتركا عام ١٩٥٤ بنادى الضباط بالقاهرة افتتحه « الرئيس الراحل جمال عبد الناصر » . ومن ذلك الحين اقاما سلسلة من المعارض المتتالية المشتركة فى معظم العواصم العربية والاوروبية . وفى ١٢ مدينة أمريكية بالولايات المتحدة . وفى بكين عاصمة الصين عام ١٩٧٣ .

لقد باع الفنان فى معرضه المشترك الاول مع تمام بالقاهرة عددا من اللوحات بلغت حصيلتها ٤٠٠ جنيه مصرى .. وعرض عليه العمل بالكويت مدرسا للرسم ولكنه فضل مواصلة الدراسة.فسافر الى روما بهذه الحصيلة بعد أن زار اهله فى مخيمات « غزة » . وامضى عاما فى روما انفق خلاله كل مدخراته .. وقدمت له الحكومة الايطالية منحة دراسية على نفقتها لمدة عام اخر اعترافا بموهبته وفنه . حصل فى نهايتها على دبلوم اكاديمية الفنون الجميلة فى روما .

وفى عام ١٩٥٩ تزوج من زميلته فى بيروت ثم أصبحا « ثنائيا » يمثل الفن الفلسطينى فى كل المحافل الدولية .

التعبير عن النكبة

ويمكن تقسيم المراحل التى مر بها فن اسماعيل شموط الى ثلاث مراحل : مرحلة التعبير عن النكبة التى كانت موضوع لوحاته الاولى .. ثم مرحلة التعبير عن التشريد وحياة اللاجئين فى المخيمات.. ثم مرحلة التعبير عن النضال المسلح وانتقال القضية الى يد أصحابها .

فى المرحلة الاولى كانت اعماله تسجل احداث صيف ١٩٤٨ .. ويقول الفنان موضحا مصادر فن هذه المرحلة فى قوله :

« كانت أياما سوداء كعينى بوم .. يوم خرجنا من اللد بعد النكبة .. نزلنا فى خيمة عند اصدقاء والدى فى « خان يونس » . أحداث وظروف حياتى كانت قاسية جدا . اشياء فظيعة رأيتها عامى ٤٨ و ١٩٤٩ . كنت ابكى بكاء شديدا على ورقة وقلم للرسم .. كنت أصور ما حولى : الخيمة . البشر والنكبة فى عيونهم . الصراع على المياه .. كل هذا صورته وعشته .. كان كل همى ان ارسم . وان اتعرف على خفايا فن الرسم ».

مرحلة « اللاجئين »

بعد هذه المرحلة انتقل اسماعيل شموط الى مرحلة اخرى . لا تختلف كثيرا عن الاولى . وانما تكملها.أساسها هو الصدق فى التعبير عن الواقع المحيط به .

فصور حياة اللاجئين الفلسطينيين فى المخيمات باسلوب ظاهره تسجيلى . ولكن باطنه وهدفه هو اطلاع المشاهدين على تلك الجريمة التى ترتكب فى النصف الثانى من القرن العشرين .. لقد حمل على عاتقه مهمة التعبير عن واقع شعبه الذى ينتمى اليه .

وكانت اعماله مرآة صادقة للوضع المادى والفكرى فى معسكرات اللاجئين ومخيماتهم .. ولا توجد صورة اقوى تعبيرا عن العذاب والمرارة التى يعيش فيها الشعب الفلسطينى المشرد . من لوحات اسماعيل شموط فى تلك المرحلة ..

ولهذا كانت هذه الاعمال تأخذ مكان الصدارة فى الاعلام العربى .. وفى الصحف والمجلات فى جميع الاقطار رغم تعدد اتجاهاتها .. فكانت لوحاته صوتا اعلاميا لكل مناسبة وكل مؤتمر وكل مهرجان..

مرحلة المقاومة

ولكن بعد عام ١٩٦٧ عندما دخل الشعب الفلسطينى مرحلة النضال المسلح .. أصبحت لوحاته اكثر سخونة وأقل قتامة .. لقد ظهرت البندقية والمدفع فى أيدى شخصيات صوره ..

ولم تعد اعماله الفنية « ماساوية » الطابع وانما دخل اليها فرح جديد ، دفء وحركة ، غنائية جديدة في التكوين ٠٠ وامتدادات تصل الى الافق البعيد فيها اشراق وبهجة ٠

لقد اصبح فنان المأساة هو فنان المقاومة المعبر عن فرحة اكتشاف الطريق الموصل الى النصر ٠٠

فن « تمام الأكحل »

اما الطريق الذي سلكته تمام فهو يلتقي في معظم جوانبه مع فن زوجها٠٠فهما يحاربان بالسلاح نفسه٠٠سلاح الفن٠٠ولكنها تتميز بالمميزات التي اشتهرت بها رسوم المرأة ٠٠ الميل الى الزخرفة والتفاصيل وشغل المساحات بالمنمنمات الصغيرة وكانها امام ثوب تطرزه ٠٠

لهذا نجد ان ما يشغلها هو تسجيل الفنون والزخارف الشعبية الفلسطينية التي يمارسها اهلها في المخيمات مع اهتمام كبير بالثراء والغنى اللوني في اللوحة ٠٠

ومن هنا كانت لوحاتها تهتم بابراز الطابع الفلسطيني الشكلي وبتسجيله ، اكثر من اهتمامها بابراز جانب المأساة في حياة شعبها ٠٠

المحافظة على الطابع والشخصية الفلسطينية في هذه الظروف تمثل احدى المهام الضرورية لاستمرار هذه الشخصية وعدم ذوبانها او تبخرها ٠

امين عام التشكيليين العرب

وفي عام ١٩٧١ انتخب اسماعيل شموط امينا عاما لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب الذي تم تاسيسه في ذلك التاريخ ٠٠ ولا يزال يعاد انتخابه حتى اليوم ٠٠ هذا بالاضافة الى عمله رئيسا لمركز الثقافة الفنية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ومقره بيروت ٠٠

ومن خلال مسئوليته الاولى نظم معرض السنتين العربي الاول في بغداد عام ١٩٧٤ ، وعددا من المؤتمرات الفنية ٠٠ ومن خلال عمله الثقافي اتجه الى الافلام السينمائية التسجيلية التي تساهم في توضيح القضية الفلسطينية وتعمق لدى المشاهد فهم أبعادها ٠٠ فمن مجموعة لوحاته ولوحات زوجته وتتابعها مع مشاهد من واقع الشعب الفلسطيني٠٠ او من خلال التعبير السينمائي عن اغنية شعبية فلسطينية او ما شابه ، يكون اسماعيل افلامه التي تنادي نفس نداء لوحاته :

« لا يغمض أحد عينيه ٠٠ »

« لا يشيح أحد بوجهه ٠٠ »

« النار في غصن الزيتون ٠٠ »

« انسان بلا هوية ٠٠ »

« مواطنون بلا وطن ٠٠ »

« شعب بلا ارض ٠٠ »

« هنا فلسطين ٠٠٠٠٠٠ »

■■

صبحي الشاروني

■ مللت اعتلاء القمم ، فهبطت الى الوهاد بحثا عن مشاعر وتجارب جديدة ، وكانت نهاية الشهوات بلها أو مرضا أو كليهما معا

(اوسكار وايلد)

■ كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

(المتنبي)

■ جرح السنان أهون من جرح اللسان

(اكثم بن صيفي)

معك الله

■ معك الله . فهل أنت معه؟   هو يدعو . فأصغ . كي تسمعه
شغلتك الناس والدنيا معا   عنه . كالتائه وسط المعمعة
عمة تمضي . وحينا يسرة   لم لا تمضي اليه أو معه؟
لو توجهت إليه لم تكن   خلف هذاك . وهذا إمعة

★★★

خلق الكون . وجلى فضله   فيه . فالكون إليه رائد
نحن منه . وإليه . وبه   وله الكون جميعا صاعد
ليس يخفى فضله في ذرة   منه . مهما يتعم عنه جاحد
حسبنا من ذرة معجزة   فجميع الكون نظم واحد

★★★

إنه الأول . وهو الآخر   وهو الباطن وهو الظاهر
يعلم المشهود والغيب . ففي   علمه كل وجود حاضر
وإليه الخلق والأمر معا   فهو الخالق وهو الآمر
ان يقل للشيء« كن » يمثل به   فله التقدير . وهو القادر

★★★

ليس منه نقلة الا له   واليه في البلايا المهرب
كيفما المرء شكا ضعفا ـ هفا   نحوه . كالطفل اذ يضطرب
فيحس الأمن في احضانه   أين أم منه . أم اين أب
وسعت رحمته كل الورى   فهو كافيهم . وان هم أذنبوا

فهل أنت معه ؟

شعر : محمد خليفة التونسى

أيها المسلمُ . سِرْ مسترشداً   خلفَ هاديك . رسولِ العالمين
كان للناسِ صديقاً كلَّهم   ومُناهُ لو هداهم اجمعين
يؤثر الرِّفق . وان يلقَ الاذى   هكذا دأب المربِّي إذْ يلين
فلتكن امتُنا واحدة   خلقَه . بالحبِّ والخُلُقِ المكين

***

كان للقرآن في سيرته   مثلاً يسعى بلحمٍ ودم
كان عبدَ الله في دعوته   ولهذا فاقَ كل القِمم
باسمه قد قرن اللهُ اسمَه   فهما في كل قلبٍ وفم
ذاك فضلٌ لم ينلْه احدٌ   قبله . أو بعده . في الامم

***

كن صديق الناس طُرًّا مثله   وتفقَّدْهم وان كانوا جفاة
واذا ما عثروا فانهضْ بهم   هكذا ينهض بالمرضى الأُساة
وتقبل من مسيءٍ عذرَه   أنت بعضُ الناسِ . والناس خُطاةٌ
أنت حيٌّ طالما احببتَهم   هكذا بالحب تعلو في الحياةْ

***

من يحبَّ الله يُحبِبْ خلقَه   ليس في الحبِّ مع الله حدودْ
أنت كلُّ الخلق في الله . وهُمْ   أنت . والغيبُ مع الله شُهود
وبعيدٌ كقريب . طالما   شغفَ القلبَ . وللحب شرود
واذا ما استغرق الحبُّ امرأً   فُتِحَ الكونُ له حيثُ يرودْ ■■

•• وهجرة العقول للخارج ؟

بمناسبة المناقشة التى جرت على صفحات « العربى » حول السلطة والمثقفين فى البلاد العربية . فان ثمة جانبا اخر من الصورة ينبغى ان يسلط عليه الضوء وهو : هجرة العقول العربية الى الخارج .

فقد جاء فى تقرير للامم المتحدة وزع على لجنة التنمية الاجتماعية المنعقدة فى جنيف (محرم ١٣٩٧هـ ـ يناير ١٩٧٧م) ان « الدول النامية » قد فقدت نحو ٣٠٠ الف باحث ومهندس وطبيب وجراح . ان هؤلاء غادروا بلادهم الى الدول الصناعية خلال المدة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٢ . وكم كان اسفى عندما قرات مرة في مجلة التايم الامريكية ان عددا من المواطنين يزيد عن المائتين قد هاجروا الى كندا من دولة عربية غنية .

اننا لكى نبقى على هذه الثروة البشرية ، لا بد ان نوفر مجموعة من الظروف فى مقدمتها :

● انه من المهم ان نتقبل تعدد وجهات النظر وان نتحمل اختلافها فى تعايش صادق مع من يختلف معنا . وعلينا ان نرى ان فى ذلك فرصة تتضمن سعة قاعدة الاتفاق . لا انها معضلة تبعث على الاختناق . ومن المفيد العمل على جذب وجهات النظر المتعددة ، وعلى اشراك الاشخاص الذين عرف عنهم اعتدادهم بارائهم . ذلك ان الاصرار على تطابق الاراء ، والتامين (قول امين) لكل ما يقال ، والتصفيق لكل ما يجرى ، كل ذلك قد يؤدى الى شىء من الارتياح الانى . والارتضاء العاجل . والاطمئنان المؤقت. ولكن هذا لايعنى بالضرورة تحقيق مصلحة الامة. ولا الاستفادة الفعالة من طاقات رجالها ونسائها.

● على السلطات العربية ان تهيىء للمثقفين جوا ملائما يشعر فيه كل باحث ومفكر وكاتب بالارتياح بحيث يعطى قدرا مناسبا من الاهمية والحرية والاعتبار ، وحيث يستجاب لمتطلباته وحاجاته الفردية بما يقلل مناخات الملل وتبلد الشعور .

● من اهم المغريات التى تجذب المثقفين من الدول « النامية » الى الدول المتقدمة هو توفر مرافق ووسائل البحث من ادوات ومعدات ومختبرات ووقت ومخصصات مالية لشتى العلوم والفنون . فلقد خصصت الولايات المتحدة ، على سبيل المثال فى عام ١٩٧٥م ، ما لا يقل عن عشرين بليون دولار ـ فى عام واحد ـ وذلك لتنمية البحث والتحديث . ويدور بخلدى مثال احد اساتذة الجامعات ـ وهو مثال لكثير ـ فى احدى الدول العربية حيث نشا وتعلم وعلم ، وما لبث ان نزح الى امريكا حيث تفتحت له الابواب ، حتى وصل الى اعظم مرافق واجهزة المؤسسة القومية لابحاث الفضاء (ناسا).

ان من يتابع الحوار الذى نشرته العربى يلمح الاشارة الى الضغوط من قبل السلطة الرسمية بالمجتمع ، ولكنى اختار هنا التعرض لاستبداد الزملاء والرفاق . فكم من مثقف عالم عانى من عيمنة وحسد و « تعقيد » زملائه ـ وخاصة ذوى الاقدمية والمراكز منهم ـ وكم لاقى من تسفيه لمحاولاته التجديدية والتحسينية على ايديهم .

وفى هذا ـ من وجهة نظرى ـ اذى وقسوة وايلام لا يفهمه المثقف ولا يكاد يطيقه او يغفره. فهو صادر من اناس يتوقع منهم مقلوب ذلك من : حنو ورافة وتعاطف .

الدكتور ابراهيم عباس نتو
جامعة البترول والمعادن ـ الظهران

احداث الرياضة

● لماذا لاتخصصون مساحة ثابتة لابرز الاحداث الرياضية ، وهى مادة مقروءة لدى كل شبابنا ؟

محمد صالح ـ دهوك ـ العراق

ـ وماذا نترك للصحافة اليومية والاسبوعية ؟

قضية ..

● هذه قضية تستحق ان نضعها امام كتاب العربي وقرائه. فقد نشرنا في عدد فبراير الماضي (عدد ٢١٩) مقالا بعنوان : البيض رفيق الانسان في الطفولة والشيخوخة » ، بعث به الينا من دمشق الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب ، وبعد صدور العدد باسابيع قليلة ، فوجئنا بخطاب من احد قراء المجلة في السعودية هو الاستاذ عبدالله عبدالمحسن ادريس بادارة التعليم في الطائف ، يقول ان المقال اثار انتباهه ، لانه قرأه بنصه من قبل في كتاب « الغذاء لا الدواء » للدكتور صبري القباني . وبعد ايام تلقينا خطابا آخر - من السعودية ايضا - بعث به الاستاذ يونس سعيد لباده الذي يعمل بالظهران ، ويتضمن نفس الملاحظة .

ولم يكن امامنا الا ان نرجع الى كتاب الدكتور القباني لنتبين الحقيقة ، فوجدنا ان المقال منقول منه بالفعل ، مع تبديل وتغيير في ترتيب الفقرات . الامر الذي كان لابد معه ان نضع الامر امام كتاب العربي وقرائه لكي نصحح الموقف من ناحية ، ثم لكي ننسب المقال الى كاتبه الاصلي من ناحية اخرى .

سؤال وجيه جدا !

● هذا السؤال يلح علي ويحيرني ، ولا اجد له جوابا . اذا كنا نعلم جميعا ان عدونا الرئيسي هو اسرائيل ، ونرى باعيننا ونقرأ كل يوم ان الحليف الاول لاسرائيل هو امريكا ، وان الاسلحة تتدفق باستمرار من امريكا على اسرائيل ، لماذا اذن نلقي بكل ثقلنا الى جانب امريكا ، هل نتصور انها ستعطينا يوما ما شيئا لا ترضى عنه اسرائيل؟ هل هم الذين يضحكون علينا ، ام نحن الذين نضحك على انفسنا ؟

ربحي مواس
عمان - الاردن

- السؤال وجيه جدا، واجابته عند اهل السياسة .

استطلاع عن موريتانيا

● للثالث مرة اكتب لكم، لماذا لاتنشرون استطلاعا عن موريتانيا ، وشعبها المسلم ، حتى يعرف العرب والمسلمون شيئا عن اخوانهم وعن بلادنا . لقد تحمل « العربي » مسئولية تعريفنا بوطننا الكبير . ويجب ان يستمر في اداء رسالته .

محمد احمد بن محمد الامين
نواكشوط - معهد الحرم

- هذا اول خطاب يصلنا منك . ولن نخيب املك . فاستطلاع موريتانيا في الطريق .

اعلانات السجائر

تنشرون مقالات عن اخطار التدخين ، وفي الصفحات الاخيرة نجد اعلانا عن صنف من السجائر كتب تحته انه رمز الجودة والنكهة . هل نصدق المقال ام الاعلان ؟

المغرب - العمراني عبد الله

- لقد ادينا واجبنا في التعريف باخطار التدخين، والاختيار متروك لك .

عناوين كتاب المجلة

● اقترح عليكم ان تنشروا مع اسم كاتب المقال وظيفته وعنوانه ، فكثيرا ما احتاج الى الكتابة لواحد منهم فلا اجد سبيلا الى ذلك •

يونس صفي الدين ــ صور ــ لبنان

ــ نوافق ونتمنى ان يستجيب الكتاب للفكرة •

فلسطين : هل تذكرون ؟

هل تذكرون فلسطين ؟ •• يخيل الى انها سقطت من الذاكرة العربية واصبح شاغل العرب الان هو الاراضي المحتلة في عام ٦٧ ، وحلقات القتال الدائر فيما بين الانظمة العربية ذاتها •

لم يكن غريبا ان تسقط فلسطين من الخريطة ، فتلك مؤامرة يدرك الجميع ابعادها ويفهم دوافعها ، اما ان تسقط فلسطين من الذاكرة العربية، فتلك هي الفجيعة الحقيقية ، تلك هي النهاية •

منذ سنوات كانت فلسطين هي قضية العرب ويبدو ان فلسطين ستغدو في النهاية قضية الفلسطينيين وحدهم ، وحتى هذا الاحتمال الثاني ، فانه يصفى الان بكل الوسائل ، وعمليات الابادة التي يتعرض لها شعبنا خير دليل على ذلك•

لقد اردت ان اذكركم بفلسطين وذكرى تقسيمها قادمة في ١٥ مايو ، حيث يحتفل مغتصبوها بانتصارهم فيما اسموه حرب الاسترداد كذبا على التاريخ وتزويرا له • والعرب ماذا سيفعلون؟

عندما سألت رفيقي قال : لنذكرهم اولا ثم نسأل ماذا سيفعلون •

عبد القادر سليمان الحاج

لاجيء فلسطيني ــ غزة

بعد فراق نصف قرن

● قرأت في العدد ٢١٦ مقالا من مونتريال كتبه سمير عطا الله ،وذكر فيه اسم محمد سعيد مسعود، وهو شقيق لي لم اره منذ نصف قرن ،هو وشقيق لنا ثالث اسمه سليمان • ان عمري ٨٩ عاما ، واريد عنوان شقيقي او كاتب المقال حتى اراسله•

ابو علي حسن مسعود

سوريا ــ دمشق ــ ببيلا

ــ عنوان سمير عطا الله هو :

Samir Atallah
5 Brittany, Apt. 503
H 3 P IAI, T.M.R.
P. G CANADA

● ●

متطوعون للتدريس

● سجلوا اسمي مع المتطوعين لتدريس اللغة العربية في جيبوتي او جزر القمر ، علما بانني من خريجي كلية دار العلوم •

رفيق عبد الفتاح بستان

جمهورية مصر ــ المحلة الكبرى

امام مسجد العمرية

● ارجو ان يقبل طلبي في التطوع لتدريس اللغة العربية ومساعدة الاخوة العرب في جيبوتي ، علما بانني احمل شهادة الثانوية العامة •

صالح ناصيف

الكويت ــ الاحمدي ــ ص٠ب ٩١١٦

عن القنبلة الارتجاجية ٠٠

● سمعنا الكثير من القنابل الارتجاجية التي كادت اسرائيل ان تحصل عليها من امريكا والتي قرر المسترجيمى كارتر منع شحنها اليها ٠٠٠٠ نرجو ان تعطونا فكرة عن هذه القنابل وعن باعث الرئيس الامريكي الجديد على الحيلولة دون وصولها الى اسرائيل ٠٠٠٠

القنابل الارتجاجية هي التي يسمونها في الانجليزية (Cluster - Bombs) ، ويرمزون اليها في المصطلح العسكرى (CBU-72)

وقد اشتهرت هذه القنابل بقوتها التفجيرية الهائلة ، وبقدرتها الفائقة على الفتك والتدمير٠٠ وهى ليست جديدة ، وقد استعملتها القوات الامريكية فى فيتنام ، حيثما كان الهدف المطلوب تدميره مترامى الاطراف ، كمهابط طائرات الهليكوبتر داخل الادغال ، ومستودعات الوقود ومستودعات الاسلحة والذخيرة ، لا سيما الموجود منها تحت الارض ٠٠٠ واثبتت هذه القنابل اشد فاعليتها فيما يتصل بعمليات كنس الالغام التي قام بها الجيش الامريكي في فيتنام ٠٠ ولعل عبارة « كنس الالغام » غير ملائمة ، بل مضللة ٠٠ اذ كانت القنابل الارتجاجية تدمر حقول الالغام تدميرا كاملا دفعة واحدة ٠

وتزن القنبلة الارتجاجية ٢٢٦ كيلوغرام وتحتوى على ثلاث علب (Canisters) معبأة بالوقود ٠

وتبلغ العلبة الواحدة ٤٥ كيلو غرام وزنا و ٥٣سم طولا و ٣٥سم قطرا ٠٠ ويبلغ وزن الوقود في كل علبة ٣٢ كيلوغراما ٠

وتنفصل هذه العلب بعضها عن بعض لدى اطلاق القنبلة ٠٠ فتخرج منها مظلة Droug Parachute ومن شان هذه المظلة ان تحد من سرعة القنبلة فتحول دون انفجارها قبل الاوان ٠ ثم تتكون سحابة من الايروزول Oerosol ، يبلغ قطرها ١٥ مترا ، وسمكها ٢ر٤ من المتر ٠وقوام هذه السحابة خليط من الهواء والوقود لا يلبث ان ينفجر ،فيحدث الخراب والدمار ، وينتشر الموت في منطقة شاسعة ٠٠ فهو يطرد الهواء منها بحيث تموت المخلوقات خنقا اذا لم تمت حرقا او نتيجة للاصابة المباشرة٠

ويقدرون القوة التفجيرية للقنبلة الارتجاجية ب 300 Psi اى ما يعادل ٢١٠ كيلوغرام/السنتيمتر المربع الواحد ويشبهون آثرها باثر مجموعة من قنابل النابالم اذا هي القيت معا في وقت واحد ٠

اما قرار الرئيس كارتر وقف شحن هذه القنابل الى اسرائيل فيدل ، ولا ريب ، على حكمة وبعد نظر ، مهما كان باعثه على ذلك القرار ٠ ولم يعرف على وجه اليقين هذا الباعث ٠٠ ان كان الرغبة في الحد من بيع الاسلحة الامريكية الى الدول الاجنبية ، لا سيما دول العالم الثالث ،او كان الحرص على عدم التمادى والتهور في تسليح اسرائيل ٠ فقد صدر عن البيت الابيض وعن المستر فانس اثناء جولته الاخيرة في الشرق الاوسط ما يؤكد الاحتمال الاول ٠ وصدر عن الحكومة الامريكية الجديدة ما يؤيد الاحتمال الثاني ٠٠ ونخص بالذكر قرار المستر كارتر الحيلولة دون تصدير اسرائيل طائرات(كفير) النفاثة المقاتلة الاربع والعشرين الى الاكوادور ٠ ومثل ذلك في القوانين التي اخذوا يسنونها في الولايات المتحدة حاليا بقصد تعطيل صفقات الاسلحة الكبيرة المعقودة بين اسرائيل واتحاد جنوب افريقيا ٠

ومهما يكن من امر فان اسرائيل ليست بحاجة الى القنابل الارتجاجية ، وقد غصت مستودعاتها بالوان وصنوف من الاسلحة المتطورة كالقنابل الغبيئة الموجهة ، وقد استعملتها في اواخر ايام حرب رمضان المباركة ٠٠ وكالصواريخ بانواعها ومنها صاروخ برشنج المتوسط المدى والمعد لحمل رؤوس نووية ٠٠ وقد وعدت به اسرائيل ، ولعله اصبح في مستودعاتها ٠٠٠ ثم طائرات ف١٤ وهي الطائرات المقاتلة الاولى في العالم حاليا ، وقد استلمت منها اسرائيل ثلاث طائرات ، في مطلع هذه السنة ٠ ناهيك بالاسلحة النووية التي يقال انها اصبحت في حوزة اسرائيل ٠٠ والمصانع التي اقيمت في اسرائيل وتنتج الاسلحة والذخيرة على نطاق واسع ٠ ■■

ى٠ز

نزهة العقل الذكي

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ــ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

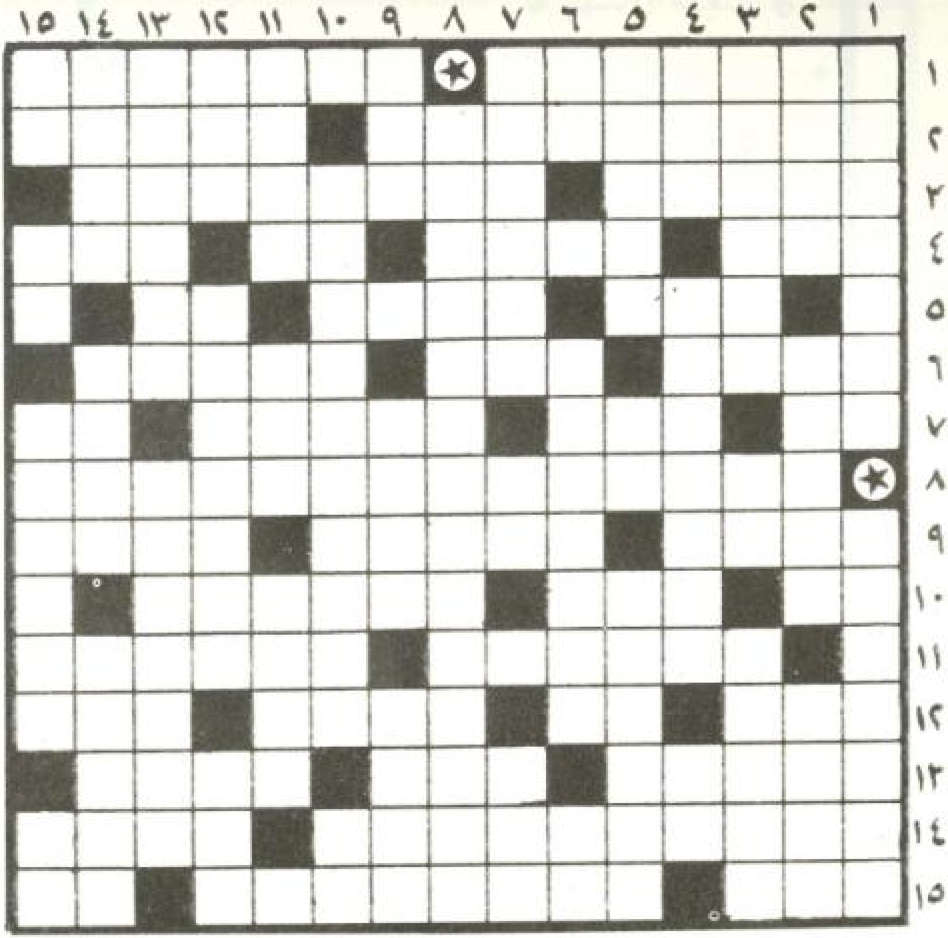
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٢ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يوليو (تموز) ١٩٧٧ ٠

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ستجد في (٨) أفقيا اسم شخصية نسائية من فجر الاسلام ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مكتشف جغرافي شهير ٠

الكلمات الافقية :

(١) أوبرا لموزار ــ قديسة اورليانز ٠
(٢) من الاحجار الكريمة ــ عاصمة اوروبية ٠
(٣) تقابل ــ من الأحياء المائية ٠
(٤) من فنون التعبير ــ نائم ــ للتمني ــ شهر هجري ٠
(٥) مرض ــ عاصمة مصرية قديمة ــ مقام موسيقي ٠
(٦) عارض ــ طبع ــ يناهز ٠
(٧) نصف كلمة (شارل) ــ من المحرمات ــ أتمت ــ نصف كلمة (ذراع) ٠
(٨) شخصية نسائية من فجر الاسلام ٠
(٩) يقترب ــ في الجيب ــ مكتسح ٠
(١٠) لفظة الم ــ سلالة ــ مقايضة ٠
(١١) ادعها ــ يماشيه ٠
(١٢) من مستخرجات الألبان ــ نصف كلمة (دبار) ــ وحدة موازين ــ ضمير ٠
(١٣) تتابعت ــ يغطي عضلات الجسم ــ يشغل ٠
(١٤) جزيرة في المحيط الأطلسي نفي اليها نابليون ــ من أدوات الاستنتاج المنطقي (معكوسة) ٠
(١٥) يبصر ــ من المضادات الحيوية ــ أجاب ٠



الكلمات الرأسية :

(١) حيوان منقرض ـ نهر آسيوى شهير .

(٢) من الاقارب ـ من زينة النساء ـ كساء .

(٣) تجمعات عمالية أو حرفية ـ في الفم ـ ذاتي .

(٤) فرقة موسيقية ـ ولاية أمريكية ـ نصف كلمة (قالت) .

(٥) نسق ـ نصف كلمة (بارع) ـ حكتها .

(٦) متشابهان ـ المادة الوحيدة التي تتفاعل مع جميع المعادن ـ نصف كلمة (دخيل) .

(٧) في الدائرة ـ من الحبوب ـ أحضر .

(٨) مكتشف جغرافي شهير .

(٩) في المدرسة ـ كتاب صغير ـ من الاشجار (معكوسة) .

(١٠) سلسلة جبال آسيوية ـ حرف استفهام .

(١١) نختبر ـ من أعضاء الجسم ـ يعظم (معكوسة) .

(١٢) طريق ـ آلة موسيقية وترية (معكوسة) ـ عجوز .

(١٣) من المنسوجات ـ التخويف (معكوسة).

(١٤) شاعر أموى (معكوسة) ـ غدا ـ شهر ميلادي .

(١٥) نصف كلمة (كندا) ـ مناص ـ أدركتها ـ تـوام .

كوبون مسابقة



النجوم العشر

هل يمكنك أن ترسم أربعة خطوط مستقيمة متوازية وعلى أبعاد متساوية من بعضها البعض ، تقسم المستطيل الى خمسة اقسام بحيث تحصل على نجمتين فى كل قسم منها ؟

ملحوظة :الخطوط المطلوبة لا توازى أضلاع المستطيل، ولا تقسمه الى اقسام متساوية .

● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

ما اسم البنت التى تفوقت فى السباحة ؟

السيدة نادية لها ثلاث بنات رياضيات هن:امينة ، وبهيجة ، وجميلة . اشتركن هذا الصيف فى ثلاث مسابقات رياضية فى تونس ومصر والمغرب ، وكن متفوقات فى التنس ، والسباحة ، وفى سباق الزوارق الذى جرى فى المغرب .

امينة لم تذهب الى المغرب ، كما أن جميلة لم تشارك فى السباق الذى جرى فى تونس . والابنة التى تفوقت فى السباحة لم تسافر الى مصر .

فاذا لم تكن بطلة سباق الزوارق هى جميلة ، فمن هى الابنة التى تتفوق فى السباحة ؟

عالم فلكى شهير

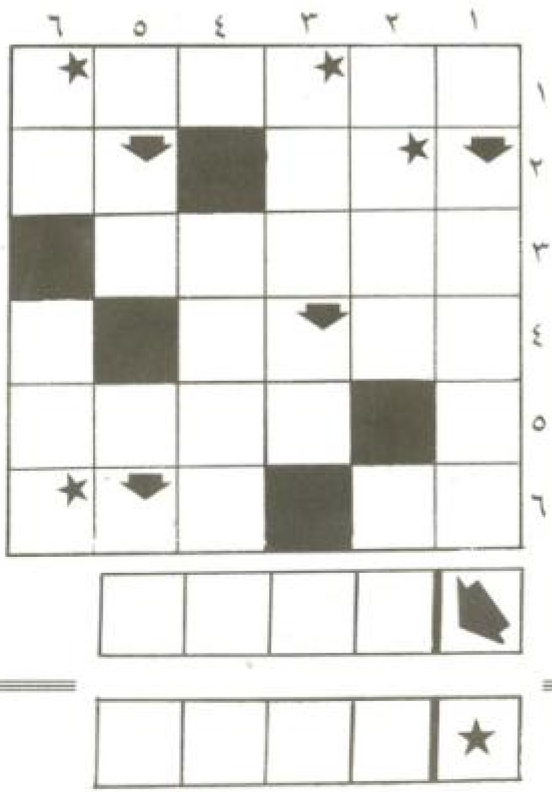
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لعالم فلكى شهير اكتشف كوكب زحل ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات الموجودة فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك العالم .

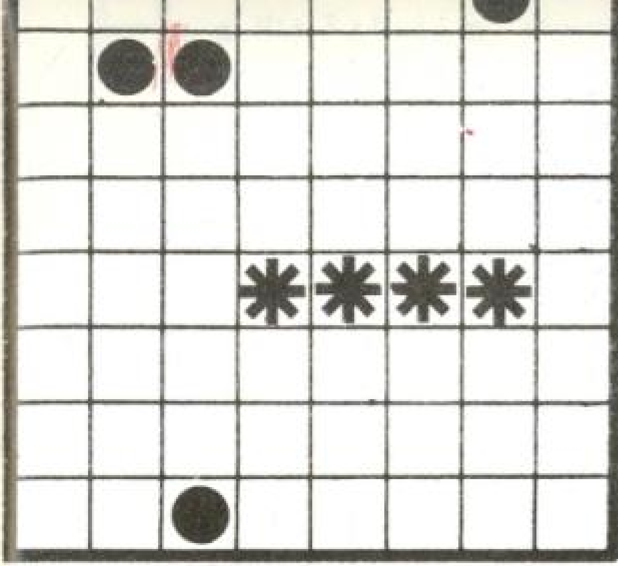
الكلمات الافقية :

(١) من الجهات الاصلية .
(٢) فى السنة النار ـ مقام موسيقى .
(٣) اسنة .
(٤) اثير النفوس .
(٥) مرشد .
(٦) نظير ـ ظلم .

الكلمات الرأسية :

(١) نهر اوروبى معروف .
(٢) فى حلق الانسان .
(٣) من أجزاء العين .
(٤) من الدواجن .
(٥) انثى العبد ـ مقام موسيقى .
(٦) يخصنى ـ لقب اوروبى .





الزهور والدوائر

فى الرسم ٦٤ مربعا ، أربعة منها تشغلها الزهور ، وأربعة أخرى تشغلها الدوائر السوداء ٠

هل تستطيع أن تقسم هذه المربعات الى اربعة أشكال متساوية فى الحجم ومتشابهة فى الشكل ، بحيث يحتوى كل شكل منها على زهرة ودائرة ٠ علما بأن التقسيم يجب أن يسير فى اتجاه الخطوط المرسومة بالشكل ؟

الشائب المزواج

رغم سنه الكبير فقد تزوج رجلنا العجوز (الشايب) من بنتين صغيرتين ٠ واذا كان قد عانى من محاولات التوفيق بينهما ، فقد ترك لنا ايضا مشكلة تحتاج الى حل ٠ الحل المطلوب هو أن نعرف الصورة الموجودة فى ورقات اللعب الثلاث التى نرى ظهرها ٠

المطلوب أن نعرف رقم كل من (الشايب) و (البنتين) من واقع المعلومات التالية :

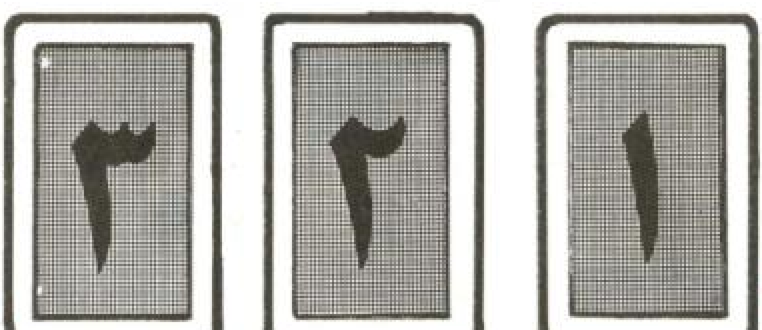
أ ـ على يمين الشايب توجد بنت أو البنتان ٠

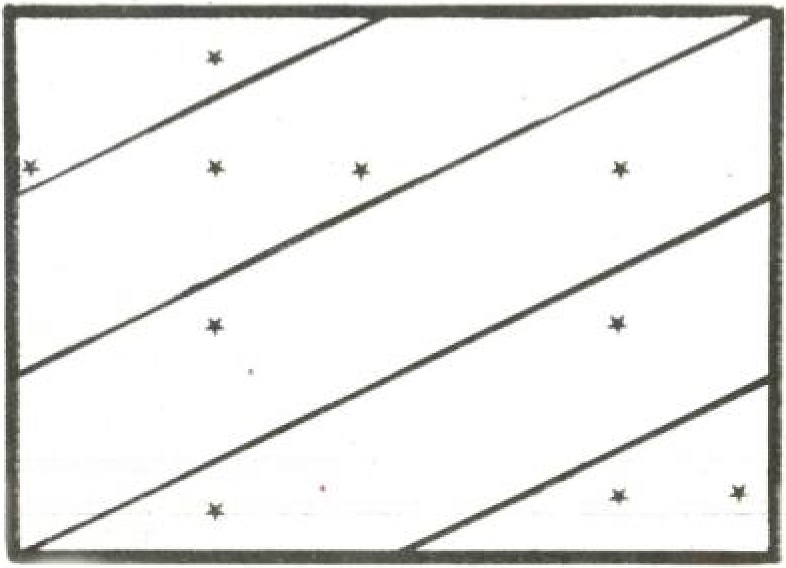
ب ـ على يسار البنت توجد بنت او البنتان٠

ج ـ على يسار الورقة من نوع الديناري ، توجد ورقة بستوني أو البنتان ٠

د ـ على يمين الورقة الديناري توجد ورقة بستوني أو البنتان ٠

لمعلوماتك ، أوراق اللعب تتضمن أربعة انواع من كل رقم أو صورة ، تختلف فى رسومها وهى : ديناري ، وبستوني ،سباتي، وكوبه (أو القلب) ٠





النجــوم العشر : كما فى الرسم .

عالم فلكى شهير (النجمة و السهم)

وليـم هرشل .

استاذ نبيه يسأل :

البنـت التـى سـافـرت الـى المغـرب هيالتي شاركت فى سباق الزوارق ، وأمينة لـم تسافر الى المغرب ، ولما كانت جميلة لا تشاركفى سباق الزوارق ، فلا بد أن بهيجة هى التى دخلت سباق الزوارق فى المغرب .

جميلة لم تلعب مسابقتها فى تونس ، فلا بدأن أمينة هى التى شاركت فى المسابقة التى جرت فى تونس ، وبهذا تكون جميلة قد سافرت اليمصر ، فهى اذا لم تشارك فى مسابقة السباحة . اذا أمينة هى التى شاركت فى سباق السباحةالذى جرى فى تونس .

الشايب المزواج :

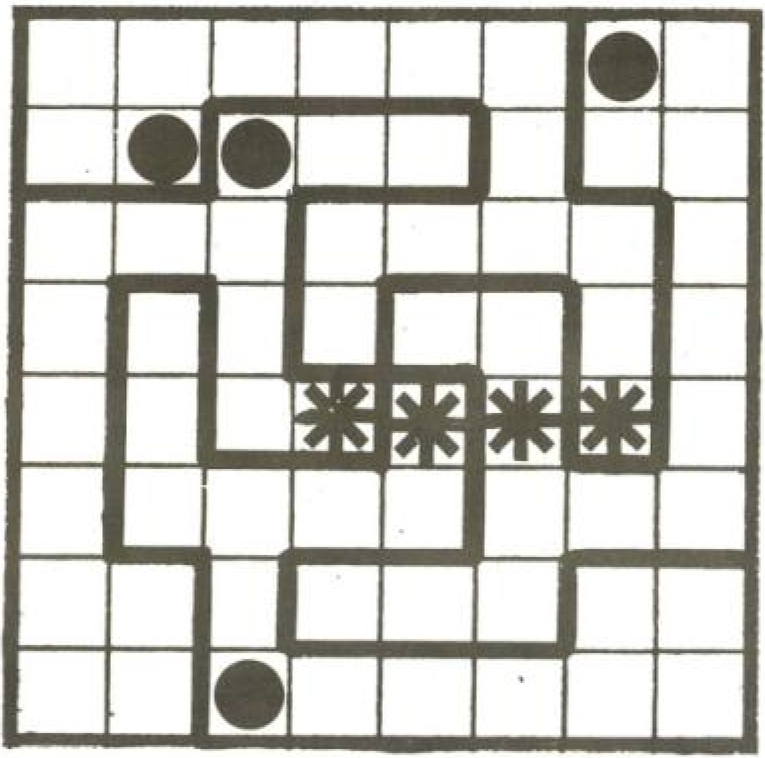
١ ـ من (أ) نعلم أن الورقة رقم ١ لا يمكن ان تكون الشايب ٠
٢ ـ من (ب) نعلم أن الورقة رقم ٢ لا يمكن أن تكون الشايب ٠
+ اذا الشايب هو الورقة رقم ٣
٣ ـ من (ج) نعلم أن الورقتين رقم ٢ ، ٣ لا يمكن أن يكونا من نوع الديناري ٠
٤ ـ من (د) نعلم أن الورقتين اللتين من نوع البستوني يجب أن تكونا متجاورتين ٠
+ اذا الورقتان رقم ١ ، ٢ هما من نوع البستوني

وعلى ذلك تكون الاجابة كالتالي :

الورقة رقم ١ هي البنت الديناري ٠

الورقة رقم ٢ هي البنت البستوني ٠

الورقة رقم ٣ هي الشايب البستوني ٠





وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
EVERBRIGHT
MON
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥

من المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول مايو ١٩٧٧

٩٢/٢

من الأعمال المختارة

جون ملنجتون سنج - ٢

• فتى الغرب المدلل • ديردرا فتاة الأحزان • عندما غاب القمر

ترجمة : د. أحمد السيد النادى

مراجعة : د. عبد الله عبد الحافظ متولى

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان

هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.



ناقلة الماء ميتسوبيشي فوزو

في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا للتجارة
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس ALMULLA 107496

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية، ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN


FUSO



التشكيلة التي تجعل شيفروليه
السيارة رقم واحد في أمريكا
أي من هذه هي سيارتك رقم ١ ؟
شيفروليه لديها كل سيارة يمكن لأي رجل أن يتوق إليها.. في معرض
الوكيل بمنطقتك. تفضل بزيارته لترى سيارتك رقم ١



ساعات الكترونية من
الشركة الرائدة في عالم الالكترونيات
DW 2005-043G&S
DW 2005-041G
DW 2006-033G&R
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

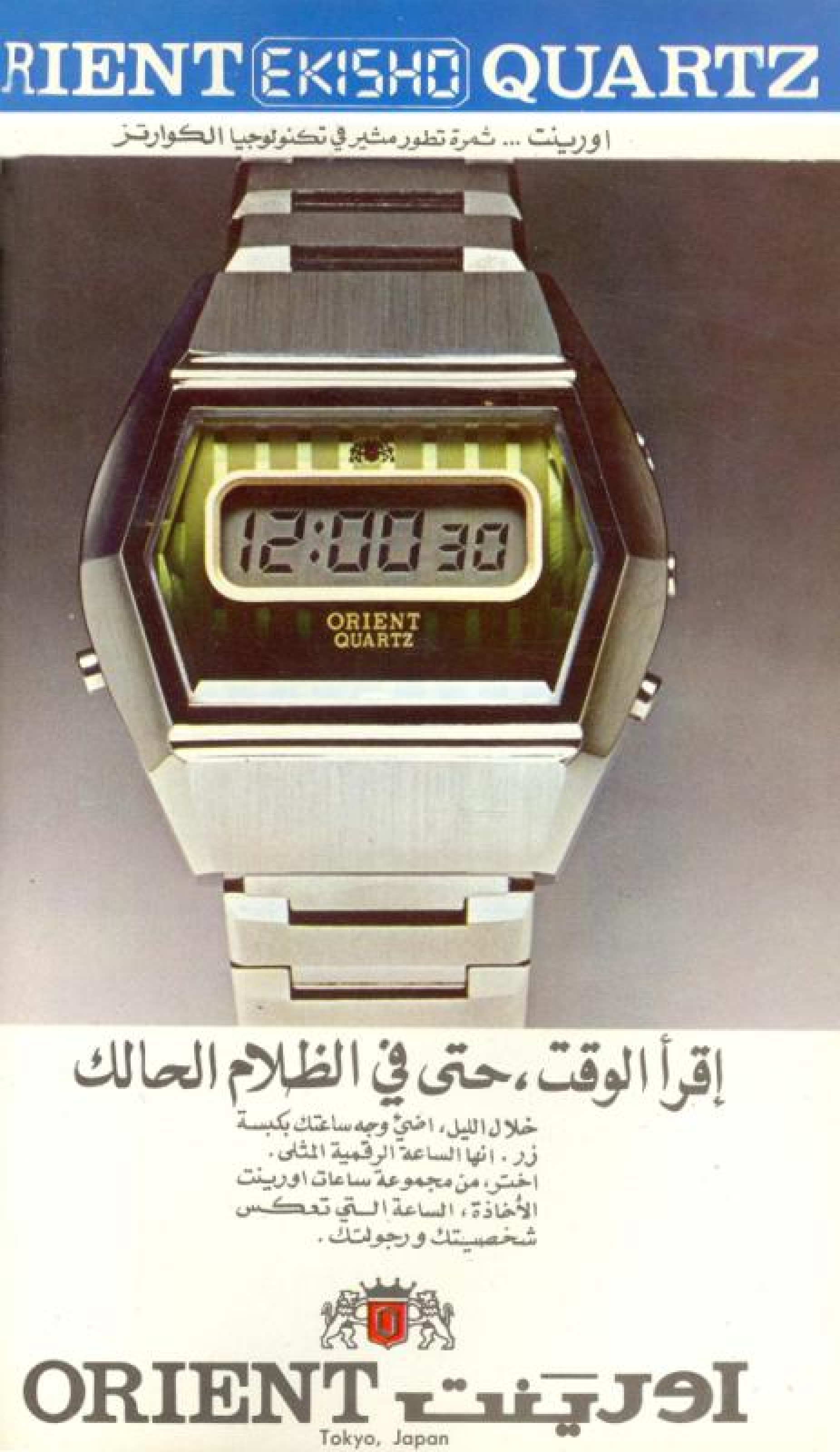
العربي

العدد ٢٢٣
جمادى الثانية ١٣٩٧
يونيو
(حزيران) ١٩٧٧

- ١٠ سنوات بعد حرب يونيو
- جولة حول الأمة : الدكتور يوسف إدريس
- هل اكتشف العرب أمريكا قبل كولومبس ؟

هذه هي موريتانيا بعد ١٦ سنة من الاستقلال و٨ سنوات من المجاعة




RIENT EKISHO QUARTZ
اورينت ... ثمرة تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز
12:00 30
ORIENT
QUARTZ
إقرأ الوقت، حتى في الظلام الحالك
خلال الليل، اضئ وجه ساعتك بكبسة
زر. انها الساعة الرقمية المثلى.
اختر، من مجموعة ساعات اورينت
الأخاذة، الساعة التي تعكس
شخصيتك و رجولتك.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan

عزيزى القارئ

● نستطيع ان نقـول بغير مبالغـة ان الأسابيع الماضيـة كانت موسم المؤتمرات العربية والاسلامية ، ربما لان الجميع يحرصون على ان ينتهوا مما هو مرصود فى جدول اعمالهم ، قبل ان يزحف الصيف بحرارتـه ، ويصبح « المناخ » غير ملائم للاجتماع ، فضلا عن العمل •

ذلك انه لم يكن يمر اسبوع الا ونقرأ فى الصحف عن مؤتمر عالمى او عربى فى احدى عواصمنا ، حتى يكاد المرء يتصور ان كل شئون الدين والدنيا قد حان اوان بحثها وحسمها • فثمة اجتماعات اسلامية تمتد من مؤتمر الدعوة الى المؤتمر الزراعى لعلماء المسلمين ، وثمـة مؤتمرات اخـرى اقتصاديـة لصندوق النقد العربى والاوبك والتأمين العربى ، ومؤتمرات اخرى علمية مثل استخدام التكنولوجيا والطاقة الشمسية •• وهكذا •

والى جانب لقاءات الأسرة العربية الكبيرة ، فثمة لقاءات اخرى على مستوى الاسرة الصغيرة ، منها تلك التى يشهدها الخليج العربى بين الحين والاخر ، واللقاءات الثنائية التى تتم لحل مشكلات الحدود مثلا ، او غيرها من القضايا المعلقة •

وتلك ظاهرة ايجابية فى حد ذاتها • ان يلتقى العرب والمسلمون ، ويتناقشوا في أمورهم ، فى اطار من الفهم والتفاهم • لكننا مع ذلك نعود ونقول انه على كثرة تلك المؤتمرات وتعددها ، فان المواطن العربى لا يزال يترقب تلك اللحظة التى يلمس فيها النتائج التى تنعكس على حياته وواقعه •

نحن نفهم ان هـذه المؤتمرات واللقاءات ليست هـدفا فى حد ذاتـها ، ولكنها وسيلة لبلوغ هدف اكبر هو ، باختصار شديد ، اقامة الجسور بين اطراف امتنا العربية او الاسلامية ، من اجـل تحقيق اكبر قدر مـن النماء والاستقرار ، الذى ينصرف عائده فى نهاية المطاف الى الانسان العربى •

اللقـاءات والمؤتمرات مطلب حيوى ، ويجب ان تستمر فى ظـل كـل الظروف، وفى كل الميادين •

لكن انعكاس اثر هذه اللقاءات على الواقع العربى والاسلامى ، مطلب آخر اشد لزوما واكثر الحاحا •

اذ ان عربيا واحدا ــ مثلا ــ لا يرضى ان تقام كل تلك الجسور بين امتنا العربيـة ــ فى الماضى والحاضر ــ ثم يكـون هذا المشهد المحزن الذى نعيشه اليوم •• نقرؤه فى الصحـف ونستمع اليه فى الاذاعات •

كأننا فى خصام منذ الأزل ، وفى عراك الى الأبد !!

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

أدب وتراث :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 223 JUNE 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



● جيل المستقبل في موريتانيا التي تقدمها « العربي » في استطلاع الشهر ، حيث يمر هذا الجزء من الوطن العربي بظروف دقيقة توالت في اعقاب ٨ سنوات متصلة من الجفاف ، وتركت بصماتها على كافة اوجه النشاط ، بل على عناصر الحياة فيها ٠ (اقرأ الاستطلاع على الصفحات ٦٨) ٠

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

عشر سنوات على

بقلم : أحمد بهاء الدين

● في الخامس من يونيو ، هذا الشهر تمر عشر سنوات على حرب يونيو ١٩٦٧ .. اوهزيمة يونيو ، كما تشاء .

عشر سنوات كاملات ، واسرائيل ما زالت تحتل اراضى ثلاث دول عربية محيطة بها ! .. يا للهول !

ان مجرد الفكرة تبعث الرعشة فى اى نفس ! بل تكاد تبعث الشلل وعدم القدرة على اى تفكير سليم !

من كان طفلا في العاشرة لا يعى ما حوله صار شابا في العشرين ! من كان شابا فى العشرين يستقبل حياته العملية صار رجلا فى الثلاثين ، له زوجة واطفال ، وكل شيء في حياته خلال السنوات العشر كان مثقلا بكل أعباء ومرتبات هذا الكابوس ! ومن كان رجلا فى قمة النضج والمسئولية فى سن الخمسين ، صار شيخا فى الستين ، ولم ير العدوان الجاثم يرحل بعد !

صورة مرعبة ! ولكنها الحقيقة ، مهما كانت قاسية ، لا بد ان نمسك ازاءها بزمام انفسنا ، ونحاول ان نرى الصورة بكل الوانها وظلالها . ولا نكتفى بمجرد البكاء والعويل ، كما اننا فيما اظن لسنا مستعدين لسماع محترفى اخفاء العيوب والقاء اناشيد الفخر وتخدير الناس بـ « امجاد يا عرب أمجاد ! »

●

لقد وقعت بين العرب والاسرائيليين ـ منذ اعلان قيام الدولة ـ أربع حروب ، كل حرب منها كان لها طابعها وظروفها ...

٥ يونيو ؟ يا للهول !

- حرب ١٩٤٨
- حرب ١٩٥٦
- حرب ١٩٦٧
- حرب ١٩٧٣

ووجوه الشبه والاختلاف بين هذه الحروب الاربع ، بظروفها ونتائجها وملابساتها ، كثيرة .

ولكن يكفي هنا ان نركز على القليل من النقاط ، انتي قد لا تبدو واضحة ولا هامة للوهلة الأولى ، وهو أمر غير الواقع ...

ان الطابع الذى نلاحظه في الحروب الثلاث الأولى ـ ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ هو التدبير والاعداد المحكم الطويل واختيار الوقت من جانب اسرائيل ، الى جانب تآمرها السري فى الحالات الثلاث مع قوى خارجة عن المنطقة ، وهو أمر يدخل على أى حال فى التدبير والاعداد المحكم بمعانيه العسكرية والسياسية .. ويقابل هذا من الجانب العربي ـ فى الحالات الثلاث ـ الارتجال المطلق ... وعدم توقع قيام الحرب حتى اللحظة الأخيرة ...

● فى حرب ١٩٤٨ ، كانت معظم الدول العربية محتلة بجيوش اجنبية ، ولم تكن لها جيوش بالمعنى الحديث ، وكانت خلافاتها حول اسلوب العمل كثيرة ، هل تدخل الحرب بجيوشها ، ام تدخل الحرب بمتطوعين ام لا تدخل الحرب قط .

حتى الأيام القليلة السابقة على اعلان الاسرائيليين لقيام دولتهم ، ومعرفة

هذا مقدما ، كان العرب غير متفقين على خطة عمل ، ولا كانت لهم مصادر سلاح منظم ، ولا أهداف من الحرب متفق عليها • فكانت هناك جيوش رسمية ،وجيوش شعبية ، وتجمعات فردية ، وهجرات واسعة ••••

ويكفى ان مجلس الوزراء المصرى ـ مثلا ـ لم يعرف بأن قرار دخـول الحرب قد تم اتخاذه ، الا قبيل تحرك الجيوش بأيام •

● وفى حرب ١٩٥٦ ، كان الموقف العربى مرة اخرى ممزقا ، فحاربت مصر وحدها ، او بالأحرى « حوربت » مصر وحدها • ولم يكن فى بال القيادة المصرية وهى تؤمم قناة السويس ان اسرائيل تستطيع ان تحارب بمفردها ، ولم يخطر لها ببال حتى بعد بدء الهجوم الاسرائيلي انه هجوم شامل حقا وليس مجرد عمليات شغب على الحدود ، ولا ان جيوش وأساطيل وطائرات انجلترا وفرنسا ستدخل المعركة بعد ساعات ، بل انها هى صاحبة المعركة الحقيقية •

وفى كتاب موشى ديان عن حرب ١٩٥٦ ملاحظتـــان هامتان تؤكدان هذا المعنى :

الأولى : فى قوله ان خطته كانت مبنية على أن لا يبدو حجم الهجـوم الاسرائيلى بالكامل الا بعد أيام ، حتى يخدع القيادة المصرية ، فلا تعاجله بقوة أكبر ، وحتى يبدأ التدخل العسكرى الانجليزى الفرنسى بالفعل •

والثانية : فى قوله ان ضباط الميدان لم يقتنعوا بشرحه لهم خطة المعركة ولا بحجم القوات الصغير الذى سيغزو سيناء• وكان عليه انيبقى أمر التواطؤ مع انجلترا وفرنسا سرا •• فقال لهم : لا تقلقوا •• سنكون فى هذه الحملة كراكب الدراجة الذى يمسك بسيارة لورى ضخمة مسرعة ، فتجره بسرعتها !

● ونفس الشيء ،ربما بصورة افدح ، فى الحرب الثالثة سنة ١٩٦٧••• من ناحيـة ، بدأ التخطيط الاسرائيلى لهذه الحرب منذ اضطرارهـم للانسحاب سنة ١٩٥٦ •• اى قبل يونيو ٦٧ بعشر سنوات •••

هكذا قال حرفيا قائد سلاح الطيران الاسرائيلى السابق الذى نفذ الضربة الجوية الساحقة يوم ٥ يونيو ، فى حديث منشور بعد انتهاء الحرب • قال : « لقد بدأنا نعد الخطة قبل عشر سنوات • كنا نعيش الخطة كل يوم ، ونبدلها كل يوم ، ونتمرن عليها كل يوم » •••

واذا لم تكن كلاسرار يونيو ١٩٦٧ قد انكشفت بعد ـ كما انكشفتاسرار حرب السويس سنة ١٩٥٦ ـ فان التواطؤ الدولى مؤكد • وعملية نصب الشراك لاستدراج العرب الى القتال كانت تمضى باحكام •

اما على الجانب العربى فكانت نفس الفوضى الضاربة • ونفس عـدم الاقتناع نفســيا بأن اسرائيل دولة جادة فى التوســع والحرب • ولم يتيقن عبد الناصر من جدية احتمال الحرب الا قبل الهجوم الاسرائيلى بيومين اثنين كما عرف رسميا • ونصح مع ذلك من الدول الكبرى ان لا يتحرك ، بمعنى ان هناك ضغطا على اسرائيل لكى لا تبدأ بالقتال • ولا شك ان اسرائيل كانت تقوم بخدعة اخرى فى هذا المجال • واعلن موشى ديان قبل الهجوم بيوم واحد

ان المجال متسع للتباحث خلال اسبوعين على الأقل • وعرف رسميا ايضا بعد ذلك ، ان ابا ايبان حصل على وعد امريكى بانه في حالة صدور قرار من مجلس الأمن بوقف القتال ، ان لا يقترن القرار بالفقرة التقليدية التي تقضي « بعودة الأطراف المتحاربة الى مواقعها قبل القتال » • ودارت عجلة الاعلام الجهنمية في العالم يوم الحرب تردد كلام اسرائيل ان مصر قد بدأت الهجوم ، في حين كانت اسرائيل قد انتهت فعلا من تدمير السلاح الجوى المصرى والمطارات قبل ان يتحرك جندى واحد ، وبعد الحرب حين سئل موشى ديان عن حقيقة الذى بدأ الحرب ، رد باستهتار قائلا : « هذه مسألة اصبحت أكاديمية ! »

وكان نصف الجيش المصرى في اليمن ، وتنادت الدول العربية للقتال كما كانت تتنادى القبائل ايام الجاهلية •

تفاصيل مبعثرة ، ولكن المهم فيها انه ، للمرة الثالثة فى عشرين سنة ، كانت الصورة واحدة : الطرف الاسرائيلى مستعد تماما ، عسكريا ودوليا واعلاميا ، والطرف العربى على النقيض تماما ، فى الارتجال ، والغرق فى المشاكل الجانبية والكيد لبعضهم البعض •

على ان أخطر ما يدل عليه هذا الارتجال ، هو انه رغم كل ما كانت تصرخ به اقلامنا وحناجرنا وصحفنا واذاعاتنا وتصريحات مسئولينا •• من حملات كلامية على اسرائيل ، ومن حديث عن نواياها التوسعية العدوانية •• الى آخره ، فانه يبدو ، من هذا الارتجال والاهمال الذى دام عشرين عاما ، ان فكرة « طبيعة اسرائيل التوسعية » لم تكن راسخة ولا عميقة فى اذهاننا بالفعل •••

كنا نتحدث عن التحرير ، واسرائيل تستعد للتوسع •

كنا نتحدث عن الحرب ، واسرائيل تتحدث عن السلام ، ولكنها تستعد وتعمل فعلا للحرب •••

قرار الحرب والتوسع ، موجود ومرسوم والمجتمع الاسرائيلى كله يستعد له دائما ، ولا يترك للصدفة الا اختيار الذريعة والوقت المناسب • ونحن نشرح فى دعاياتنا هذا كله للعالم ، ولكننا فى قرارة نفوسنا لا نصدقه •

او ••• كأن ما فى فكرنا منفصل تماما عن ارادتنا ، كل منهما فى واد • نرى الشىء ونفكر فيه ، ولكن لا « نعمل » ما يجب لملاقاته •

والحرب « الاستثناء » بين الحروب الأربع ، كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فبقدر من الاستعداد ، والترتيب والجسارة ، والمبادرة ••• أثبتنا ، على الأقل ، ان اسرائيل ليست معجزة ، وانها ليست كائنا اسطوريا لا يقبل الهزيمة •

●

والغريب المؤلم ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، جاءت فى فترة زاهية نسبيا فيما يتعلق بالعرب بوجه عام •

فحرب ١٩٤٨ كانت معظم البلاد العربية ايامها محتلة عسكريا ، وهذا

وحده يكفي ليكون قيدا حديديا ـ ولو خفيا ـ على قدرتها وارادتها • وكان « العالم العربي » واقعيا يكاد لا يعني سوى ما يسميه العسكريون ـ « بالشرق الأدنى » •••

وحرب ١٩٥٦ جاءت والحركة العربية تكاد تكسب صراعها من اجل الاستقلال • ولكن كانت هناك حرب الجزائر ، والاحتلال في الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية • وكانت هناك جيوش ثلاث دول تهاجمنا •

اما حرب ١٩٦٧ ، فقد تعرضنا لها وقد اتصل العالم العربي من المحيط الى الخليج حقا • وزال الاستعمار تقريبا من معظم الأرض العربية•••ووصلت قيمتنا الدولية الى قمتها خصوصا في العالم الثالث • وصارت لدينا ثروة بترولية ليست لها قوتها الآن ، ولكن كان لها وزنها الكبير الذى ربما كنا لم ندرك مغزاه كاملا بعد • وكنا مدججين بالسلاح • وفي هذا الأوج ، حلت بنا الضربة القاصمة !

اذن فالشقاقات العربية التي بلغت ذروتها كانت مسئولة • وعدم الاقتناع الكافي بمخططات اسرائيل كان مسئولا • وضخامة الحجم العربي التي كانت بادية للعيان كان بعضها « تضخما » •• !

على ان فترة ما بعد هزيمة ١٩٦٧ ، تميزت بمظاهر لم يسبقها مثلها بعد الحروب السابقة ، او بالتحديد بعد حرب ١٩٤٨ التي يمكن ان تكون المقارنة بها ادق • حيث ان حرب ١٩٥٦ كانت نسيجا مختلفا بعض الشيء •

فلأول مرة ، بعكس ما حدث بعد حربي ٤٨ و ١٩٥٦ ، اعقب هزيمة ١٩٦٧ قيام وبروز الشخصية الفلسطينية ، وعودتها الى المسرح تمارس دورها بقوة ربما لأول مرة منذ اخماد الانجليز للثورة الفلسطينية الكبرى التي استمرت من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ • فمن حيث ظنت اسرائيل انه بتمام احتلالها لكامل التراب الفلسطيني ، ولأراضي ثلاث دول عربية اخرى ، فانها تكون قد محت آخر وجود للشعب الفلسطيني،فان العكس تماما هوالذى حدث • ودور المقاومة الفلسطينية من ذلك الوقت حتى اليوم معروف • ولم يعد ممكنا تجاهل رأيهم كما حدث قبل ذلك طوال عشرين سنة •

وبعد ١٩٤٨ ، كان الرفض العربي للهزيمة سلبيا ، فلم يلبث ان صار كلاما ميتا • بل وخمدت القضية واقعيا حتى آثارها الاسرائيليون انفسهم ـ وهجوميا ـ سنة ١٩٥٦ •

اما بعد يونيو ١٩٦٧ ، فقد كانت المكاسب التي حققتها الشعوب العربية في ساحات اخرى في الفترة السابقة ، وكأنها قد « صلبت عودها » فكان الرفض العربي ايجابيا •••

حين رفض الشارع العربي كله من اقصاه الى ادناه تنحي جمال عبدالناصر، رمز مواجهة اسرائيل حتى ذلك الوقت ، كانوا في الواقع يرفضون الرضوخ للهزيمة العسكرية ، ويحتفظون بحقهم في جولة اخرى •••

وحين شبت قامة المقاومة الفلسطينية من بين الركام ، وفى أحلك اللحظات، كان هذا رمزا ثانيا من رموز هذا الرفض التام ...

لم تعد الجبهة الاسرائيلية الى هدوئها كما حدث بعد ٤٨ او بعد ١٩٥٦..

بدأت المقاومة الفلسطينية ...

ثم بدأت حرب الاستنزاف المصرية على جبهة سيناء ...

وقامت حركات مقاومة شعبية ، داخلية ، باسلة ، من العرب الواقعين تحت الاحتلال ، لم تعرف اسرائيل سابقا لها .. وما تزال ...

وتصاعد التوتر بعد ان ظنت اسرائيل انها اخمدت انفاسنا . وتصاعد التسلح بشكل خطير .

والى جانب الثورة المتصلة لسكان الأراضى المحتلة ، والمقاومة الفلسطينية، وحرب الاستنزاف ، قطع العرب جمود الجبهة ـ لأول مرة من جانبهم ـ بحرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، التى يكفى أنها أثبتت:ان العرب قادرون على اتخاذ زمام المبادرة ، وعلى ان يفرضوا الحرب لا ان تفرض عليهم الحرب دائما ، وعلى انهم اذا شاءوا قادرون على التخطيط والاستعداد والتنظيم ، فكانت بذلك ،فوق انها نقطة تحول مادية ، نقطة تحول « نفسية » بالغة الأهمية .

ولعل الجيوش العربية بدأت لأولمرة تصبح جيوشا حديثة محاربة بعد حرب ١٩٦٧ ، وهو امر هام بدوره .

ولأول مرة ايضا ، سنحت الفرصة للعرب ، ان يستخدموا سلاحا خطيرا هو سلاح البترول ، ولا نخوض هنا فى التفاصيل ، ولكنه سلاح خطير لأسباب كثيرة: فقد امضى العرب سنوات طويلة تحت تأثير حرب نفسية عاتية تحرم عليهم ربط البترول بالسياسة ولو بأوهى الخيوط . ثم انه حين نمعن النظر ، ليس بالسلاح السهل ، اذا أخذنا فى الاعتبار ان البترول ـ من جهة ـ هو المصدر الوحيد للدخل لعدد من الدول البترولية ، وانه من جهة اخرى ، عماد الحياة الصناعية كلها فى العالم المتقدم .

●

على ان هذه الجوانب الايجابية ، التى ذكرناها لا يجب أن تملأ نفوسنا بالرضا ..

فقد مرت سنوات عشر والاحتلال قائم ، وهذه ام الحقائق ..

وقد تفاقمت خلافات عربية كثيرة خلال هذه السنوات العشر ، وما تزال..

وقد ضاع وقت كثير ومال كثير ، ودم كثير فى غير ما كان يجب ان ينفق فيه ، سواء فى بناء بلادنا ، او جيوشنا ، او توثيق تلاحم اقطارنا ، او مقاومة الغزاة لأرضنا ...

والزمن ، كما نقول دائما ، ليس فى صالح احد ، انه عنصر محايد ، يكون فى صالح الطرف الذى يحسن استغلاله اكثر من سواه ... ■■

احمد بهاء الدين

الحريـــة

احمد اللغمانى

شاعر المغرب العربى

■ أصفى من لؤلؤة البحـــرين
أنقى من قطــرة طلّ بشطرها الاشعاع على شطــريْنْ
أحلى من همسة حب تعبر في خفر بين الشفتـــــين
أسمى من رعشة قلب الام تفيــض حنانا في الثديــين
أغلى من أمنيات العمر . وأثمن من نور العيــــنين
أعلى من قمة ما لا يُدرك حتى فــوق ذرى القمريــن
هذا .. بل اكثر من هذا .. ياطيف رؤاى الليليـــة !
يانسمة صيف بحرية !
يافاتنــتى ! ياحرية ! ! !

★★★

من اجلك يُرْتشَفُ العلقــمْ
ويغنى الجرح النازف في الاعماق ويعزف قيد المعصم
من أجلك تختزن الطاقات كعفريت وسط القمقــــم
كى تُطلق ان حان الميقات فلا تختــار ولا ترحــــم
يمتـد الصـبر بصاحبه ويجف على الجرح المرْهَـــمْ
لكن لا بد مع الايام لبذر النقمــة ان ينجـُــــم
من أجلك تنقلب الانفــاق إلى ابراج عاجيـــــــة
والى شرفات شرقيـــة
تُستَنْشَقُ فيها الحــرية !

★★★

ابناؤك ــ يا أم الابناء
القوامون عليهـم مشغلون بأضغــاث الاحــلام

ابنـاؤك جوابون تضيع بهـم سبل ويضيق مُقـام
لادرب يُمدد في أدغـال الهول ولا آفاق تشـام
الليل سواد ، والاسحار سهاد ، والافجـار قتـام
ماذا يرجون من الايـام ؟ وهل تسخو لهم الايـام ؟
ابنـاؤك مغتربون عـلى أرض الاجـداد الازليـة
بُعَداءُ الدار ، وانت قصيـة ،
ومكبلـة ياحريـة ! ! !

★★★

ماذا لو ينضب دفق النبع ؟
ماذا لو تحتبس الانفاس عن الرئتين فيخوى الضلع ؟
ماذا لو تفتقد الاحداق نواظرهـا ، ويُصم السمع ؟
ماذا ــ يامحترمون ــ لو انتم ذقتم حنظل هذا الوضع ؟
لـو أن كرامتكم صفعت فـاذن لعرفتم معنى الصفع
ماذا لو تنقلب الاوضاع فيصلى القامع نـار القمع ؟
الشمس تعُـمْ اشعتُهـا كـل الاصقاع الارضيـة
لكنْ كهوفاً منسيّـة
تتخبط فيها الحرية ! ! !

★★★

لن تخمـد انفاس الاحـرار !
لن يخـدع بعـد اليوم غرير بالمتحيّـل والغـدار !
اعوام النكبة فتّقت الافكار وفتّحت الابصـار
لن يفتر عزم المقهورين ، ولن يستسلم للجبـار !
فالطود تزلزله الايدى ، والصخرُ تفتته الاظفـار
والريح الصرصر لا تُبقى يميـن ثارت أم بيسار
لـن تُطمّس احرفك المنقوشة بالاقـلام النـارية
في الافئـدة النورانيـة !
لن يخفت نور الحـرية ! ! ! ■■

تونس ــ احمد اللغمانى

جولة .. حول .. الأمة !



بقلم : الدكتور يوسف ادريس

■ ونحن شبان مراهقون فى الخمسينات كانت المسالة بالنسبة الينا سهلة تماما ، ان هى الا ثورة ، نخرج بها الانجليز من مصر والعراق ونخرج بها فرنسا من الشمال الافريقى ، وبعد عشر سنوات لا أكثر تكون شعوبنا قد انتقلت من حال الى حال، وكل قرية مصرية او عربية اصبحت جنة صغيرة حافلة باناس نظيفين غير حفاة ، يرتدون (البدل) ، ويعملون فى الحقول (بالبرانيط) ، ويقودون (التراكتورات) ، وماكينات الحصاد والدراس ، ويعودون الى بيوت انيقة مريحة ، يشربون الماء الساقع من (البراد) وياخذون الحمامات من (الدش) الساخن ، ويرتادون سينمات القرى ومسارحها ونواديها ، بينما المراة قد اصبحت رئيسة مجلس القرية ، ومساعدة العمدة ،والطبيبات والمدرسات والمشرفات، من بنات القرية المتعلمات ، والسلام قد حل على الجميع فلا خناقات ولا حروب ولا مشاكل ...

كنا نعتقد أن هذا كله لن ياخذ اكثر من سنوات عشر ليتحقق ، بجهودنا ، وحتى قبل أن تظهر فكرة وثورة وثروة (النفط) ...

كان المشوار في رأينا قصيرا تماما ، سنشهد نهايته باعيننا ، وحين نخلف سيجيء اولادنا الى عالم خلقناه لهم وكانه الجنة على الارض، عالم ليس فيه مشكلة نور او ماء او فقر او مرض او تمايز



العاضر العربى يجب أن يتغير ، وان يتغير الى ما هو افضل ، وبالذات على ايدي هؤلاء الذين ظلوا يحلمون فى الخمسينات والستينات، ولايزالون فى السبعينات ايضا يحلمون. اما ان نستيقظ من انفسنا ،واما سيوقظنا الزمن .

رهيب ، عالم لا مكر فيه ولا خداع ولا ضرورة لمكر او خداع...لا لم نكن نتصور هذه احلاما نحملها، او انها (يوتوبيا) افلاطونية اوحشاشية نتمنى على الله أن تتحقق .كانت بالنسبة الينا (واقعا)، كل مافى الامر انه مؤجل الى حين ، الى حين تقوم ثوراتنا ، ونخرج محتلينا ونبدأ العمل الجدى من اجل اقامة تلك الامة . آه ما احلاها تلك الامة ان تمتد من طنجة الى حدود روسيا وايران، (عالم كامل، (محيط) ارضي واسع وليس فقط مجرد امة ولكنها خير امة اخرجت للناس . امة فيها كل الثروات والقدرات، فيها كل انواع الطبيعة من جبال شاهقات وانهار ، وواحات ، وثلوج ، وامطار ، واعتدال اجواء . وقيظ اجواء وبرودة اجواء ، فيها الشتاء لو احببنا فى عز الصيف ، والصيف لو أردنا فى عز الشتاء ، وفيها الربيع وفيها الخريف ، فيها الشمس وليالى القمر والفن والموال ، فيها الموسيقى والرقص والغناء ، فيها عرب متاخون متحابون ، يحمل كل منهم فى صدره حضارة اسلام عريق ومسيحية تليدة ، ويهودية لا تفترق فى شيء عن الاثنين .

***

هكذا كنا نحلم وظللنا نحلم فى الخمسينات ، او بالادق ظللنا (ننتظر) ان نحقق ما يراود قلوبنا

وعقولنا المندفعة المتحمسة الواثقة تماما ان لا مستحيل تحت الشمس ، وان المسائل كلها خاضعة لارادتنا اذا اردنا ، فقط ، نريد ، فقط نتحرك • وتحركنا واقمنا الاجتماعات واللجان والتنظيمات فوق الارض وتحت الارض ، ومن كل اتجاه ، ورغم هذا كنا جميعا نلتقي حول الهدف الاخير : امة واحدة قد تحررت تماما من كل المعوقات ،وانطلقت وبسرعة الطائرات (لم تكن الصواريخ قد ظهرت)، الى حيث تريد ونريد •

★★★

وبعد ربع قرن بالضبط من تلك الرؤى والاحلام اتيح لى خلال الشهرين الماضيين أن اجوب معظم انحاء (امتنا) العربية من مغربها الاقصى الى مشرقها من المحيط الاطلسي والحدود الموريتانية المراكشية الى الفجيرة هناك،حيث يطل الجبل العربى شامخا على الخليج العربى،هناك من قاع الصحراء الجزائرية الكبرى عند حاسى مسعود وورقلة الى حيث كنت ذات يوم في اعلى الفرات وشمال العراق ـ عربا وجدت ، هذا صحيح • انى ذهبت كنت اجد عربا ، وكنت اجدهم مسلمين وموحدين بالله : السلام عليكم ، فرد البدوى من نقطة لا استطيع تحديدها على خريطة ذلك المحيط الارضى الواسع الشامل قائلا : عليكم السلام ورحمة الله• افرح ،وانخرط معه في الحديث،فاذا بى لدهشتي، أنا الصدى،افهمه ،واذا به لدهشتي، هو البدوى،هو الطوارقى هو الكوفى هو الشارقى يفهمنى تمام الفهم • عربا كنا ونبقى عربا •بل ليس عربا فقط•

عرب ، كلهم ، والحمد لله اصبحوا يتمتعون بالاستقلال •

لا جندى اجنبى واحد على الارض العربية •

لا وجه غير عربى تجده الا وهو يعمل عند وجه عربى الا وهو عامل او مستخدم او اجير •

اخيرا اصبحت الارض ملكنا • لنا • كل هذا المحيط الواسع الشاسع لنا •

فعلا • انطلقت الحركة ، ونجح مافوق الارض وما تحت الارض وما هو الى اليمين ومن هو الى اليسار فى عمل كتلة موجبة ملتهبة انتابت العالم العربى حتى استقل جميعه • ولم يعد على ارضنا سوى المستوطنين الاسرائيليين يغتصبون فلسطين ، ولكن فلسطين نقطة فى بحر واسع ، والمستوطنون مليونان فى قلب مائة وعشرين مليونا مصيرهم حتما الى هضم تام او فك تام ومصير الارض لاصحابها مهما طال الزمان •

جولة احسست فيها بكل ما كان يحسه القرطبى وابن سينا وابن بطوطة من مشاعر البعد (المكانى) للامة وهو يسبح ويجول فى ارض لا يجد الفتى العربى فيها نفسه (غريب الوجه واليد واللسان) • جولة احسست فيها فعلا انى كبير كبير ، وان الوطن اعظم من كل ما تخيلته ، بل واغنى من كل ما كنت اتصوره ، فارضنا العربية ـ هكذا استطيع ان اجزم ـ تكاد تكون اغنى اراضى العالم على الاطلاق ، وهبها الله كل ما سخت به الطبيعة على الانسان من معدن وطاقة ومساحة وارض قابلة للزراعة وبشر اقوياء اشداء كرماء فيهم من الطاقة اضعاف ما تحفل به معظم الامم •

★★★

ولكن •••

ولكننى عدت ، وهاءنذا جالس الى مكتبى ،احاول أن اجمع امامى كم العقبات والمعوقات التى كنت قد حددت لها فى صباى عشر سنوات لكى تخلق الجنة على ارضنا ، ولكى نتحرر من كل خبيث وجائر ، فاكاد لا امد الفترة الى ثلاثين او اربعين سنة وانما اكاد افقد الامل تماما •

فى كل قطر ذهبت اليه وجدت آلاف المشاكل التى ربما كانت كامنة وقتما كنا نكافح الاستعمار وجعلها الاستقلال تطفو الى السطح وتكاد تعكر وجه الماء، تماما مشاكل طائفية وقبلية وعشائرية ، مشاكل عروبة وغير عروبة ، مشاكل انتماء صراع رهيب من اجل (الانا) سواء على المستوى الفردى او القطرى •



التقدم حدث هذا صحيح ، الاستعمار ذهب ، حكومات وطنية ، نشات وفي اقتدار امسكت بزمام الحكم ، ولكن المشاكل تكاد تكون قد تفاقمت الى درجة تبعث على الياس ٠

هذه هي النظرة المباشرة التي يلتقطها الانسان حتى من النظرة السطحية الاولي للواقع ، وكلما اقمت اكثر وتعمقت اكثر كلما اكتشفت وادركت متناقضات اشد واعمق ٠

ان عشرات القرون من الانفصال والتباعد والتجافي والعداء قد خلقت الوانا لا تحصى ولا تعد من الحزازات والحساسيات الوطنية وغير الوطنية، حتى تكاد الفكرة القومية في حد ذاتها فكرة الامة العربية (ذات الرسالة الخالدة) تذوي تماما بين عشرات الدعاوي والاتجاهات ، وكان الذي كان يوحدنا هو الاستعمار ، ولولا الوجود الاسرائيلي الذي يهددنا جميعا ما بقيت (شعرة معاوية)تربط بين هذا العالم العربي المترامي الاطراف ٠

وليس على المستوى الفردي فقط وانما ايضا على مستوى الدول - في المغرب العربي اشكالات بين مراكش وموريتانيا والجزائر (البوليزاريو) ، ليبيا لها مشاكلها الرهيبة مع مصر وبلاد اخرى افريقية حتى مثل تشاد ، مصر تضم قلبها على جراح ومشاكل تكاد توقف قلب الامة عن النبض ، لبنان وهول المأساة في لبنان ، الكويت والعراق والاكراد وايران والبحرين ،اليمن بشماله وجنوبه، السودان بانقلاباته والتحرشات بينه وبين اثيوبيا والصومال، السعودية والامارات ومطامع الكثيرين، الاردن والمقاومة ، سوريا ولبنان والوضع المتفاقم٠

وليس على مستوى الدول وانما داخل كل دولة، بين هذه الطائفة وتلك ، بين الحكام والمحكومين ، بين العشائريين القدامي والجدد، فالمذاهب السياسية ايضا أخذت طابع العشائرية والقبلية ٠ وكل يفكر في ذاته ، كفرد ، او كقطر ، واحلامه لا تتجه الى امة فسيحة لديها من الثروات والرجال ما تكاد تبز به دولا كبرى كثيرة ، وانما تتجه الى خلاصه الفردي او الطائفي الضيق او العشائري المتعصب٠

اجل - من يجوب عالمنا العربي اليوم لا بد أن يمتليء رأسه بالطنين ولا بد في النهاية أن يفقد الامل او تتعمق عنده جذور الياس المطبق ٠

★★★



ولكن هذه هي الصورة اذا اخذناها في تفاصيلها، واذا اقتربنا بعيوننا منها بحيث لا نرى الا ما تحت اقدامنا والا مآسي الحاضر فقط والا الوضع الطبيعي لتفجر مشاكل كان يكبتها العدو المحتل ، ولا يزال ، حتى الى هذه اللحظة يكبتها ٠

اما الوضع في شكله العام ، في بعده المستقبلي ، فتلك مسالة اخرى ٠

فقد كنا ، ونحن نحلم بالتحرر والوحدة ، نتصور ان المعوق لها فقط هي القوى الخارجية التي تتحكم فينا ،والتي ستزول حتما بزوال هذه القوى ،وكاننا لم نكن ندرى ان ذهاب المحتل من ارضنا ، ذهابه الجسدي ، لا يعني ان العدو المبين قد زال ، انه يعني فقط اختفاء اجساد الجنود ومرابض الثكنات لتحل محلها المصالح والاتفاقات وسياسات اللعب بالدمى من وراء ستار ٠

وكاننا ايضا لم نكن ندرى ان من الطبيعي تماما ان يعقب الاستقلال فترات تتفجر فيها الخلافات الكامنة ، وترتبك الحكومات الوطنية حديثة التكوين بحيث اما تتحول – في ذعرها من زوال الحكم – الى باطشة ربما اشد بطشا من المستعمر ذاته واما تتحول الى التقوقع على ذاتها واعتناق مبدأ : انا ومن بعدى الطوفان حتى لو كان الطوفان سيغرق اشقاء لنا واحبابا ٠

★★★

ومع هذا فلا زال التفاؤل يلح علىّ الحاحا شديدا ٠

ذلك انى لا انظر الى الواقع الان او الجارى ، وانما انظر الى الواقع في زحفه المستمر القوى الى المستقبل ٠

واعتقادى أن المستقبل يحمل لنا خيرا كثيرا ٠

بعد أن تطمئن كل دولة عربية انها المالكة لزمام نفسها فعلا والمالكة لزمام ثروتها ان كانت ثرية او انسانها ان كانت تعج بملايين البشر والامكانيات ٠ المستقبل اراه الان حتى داخل ظلام الحاضر ٠

ولكن المسالة ابدا ليست مسالة عشر سنوات او عشرين ، سياخذ المستقبل زمنا اطول يكفي لكى يوجد كما حلمنا به ، هذا التطاحن والتناحر والتعصب حتما لا بد انيختفي اذ حتما لا بد أن ندرك في النهاية ، وبالذات يدرك من بيدهم الامر ، انه حتى لبقائهم وللمحافظة على استقلالهم وثرواتهم من المحتم عليهم أن يلتئموا ، على النطاق المحلى اولا ثم بعد هذا على النطاق العالمى العربى ٠

ولن نصبح حينذاك القوة السادسة في العالم، ولكن من المحتم اننا سنرقى الى اعلى درجات السلم ، فنحن نملك كل مقومات الرقى من ثروات بشرية وطبيعية ٠

كل ما في الامر ان العالم العربى يجب ان تقوده ثقافة وفكر جديدان لا يكرران شعارات الخمسينات والستينات ، وانما ، بالعلم والتفرس تجاه المستقبل يلتئم المثقفون والمفكرون العرب في شكل انفجارة ثقافية ،تعطى الفكر الوحدوى، والاقتصادى واحترام التفرد في ظل تعظيم التجمع همها الاول٠ فنحن نترك تفكيرنا لتقوده الحكومات ، وما خلقت الحكومات لتفكر ،واذا فكرت انما تفعل هذا مقتبسة افكارها من ايديولوجيات سائدة ومحدودة للغاية ٠ انفجارة ثقافية لا يقوم بها جمال الافغاني وحده وانما تقوم بها كتيبة كبرى من امثال الافغاني وساطع الحصرى واجيالنا الحاضرة المعباة تماما بالثورة على الواقع المحدود وبالرغبة الملحة في المستقبل الواحد المتكامل غير المحدود ٠

هل سيعيش جيلنا ليحدث هذا ؟

ليس مهما في اى عصر يحدث هذا ، ولا متى يتحقق ذلك الحلم بانسان عربى ثار على التخلف وتغلب عليه ، وبعرب موحدين ادركوا في النهاية ان القوة في الوحدة ، وان لا وسيلة للقوة غير التجمع ، غير الوعى بامكاناتنا والحماس الجماعى لتحقيق جنة الوحدة وجنة الغنى المتكامل وجنة الرسالة الحضارية التى حولها وباسمها يحدث ويتم التحول ٠

★★★

لا اعتقد ان فى كل ما ذكرت شيئا جديدا ، فهى موضوعات مثل الالف باء يعرفها ويدركها الكثيرون.

ولكن المشكلة اننا نعى وندرك ولكن لا نفعل شيئا البتة نحرك به التاريخ ونقتلع ذلك الواقع المتحجر الجامد ، ونغير لنتغير ونحن نغير • نفعل شيئا ، اى شىء ، الا ان نترك للزمن ، وللزمن وحده مهمة ان يقوم (بكل العمل) •

ان هؤلاء الذين يتركون مهام امة باسرها للزمن يحلها ويتحملها امة لا تستحق ولن تستحق البقاء.

والمثقفون العرب ، ومئات الالاف غيرهم ممن يصرون على غد افضل اذا تركوا المهمة لمؤتمرات قمة او جامعة دول او اى اشكال رسمية اخرى انما يخدعون انفسهم ، فالمسئولية هى فى نهاية الامر مسئوليتنا ، واذا كان الحكام يتمسكون بالحاضر ويعضون عليه بالنواجز فنحن الثائرون على الحاضر المتمسكون بمستقبل يبدأ من الان وانما الى الاحسن، نحن المسئولون عن تحقيق هذه الرسالة •

فقط ، ما العمل ، وكيف نعرض افكارنا الرئيسية ، كيف نتفق ، كيف ندخل فى حوار بيننا وبين انفسنا وبيننا وبين المسئولين عن شعوبنا وبلادنا ، بيننا وبين الظلام المطبق على افكار شعوبنا •

تلك قضية اخرى ، لها عندنا وقفة •

فالحاضر العربى لا بد ان يتغير الى ما هو افضل، وبالذات على ايدى هؤلاء الذين ظلوا يحلمون من الخمسينات والستينات ولا يزالون فى السبعينات ايضا يحلمون •

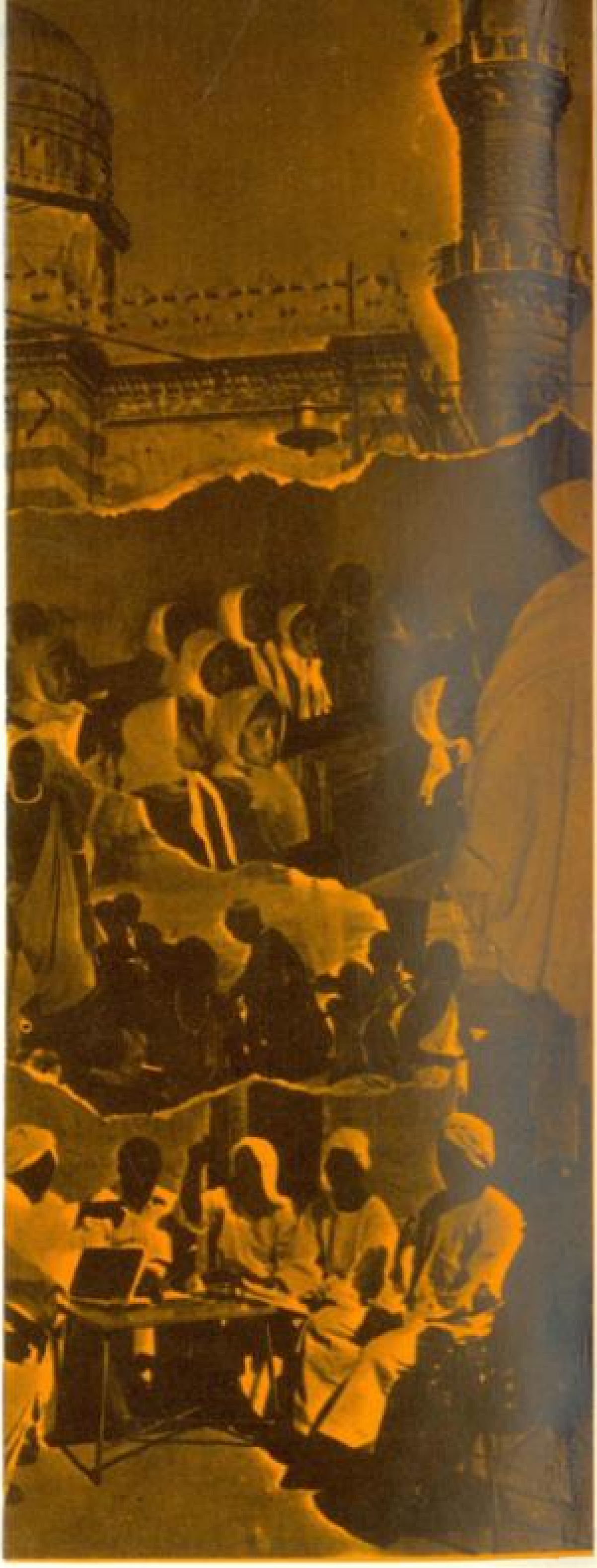
اما ان نستيقظ من انفسنا ••

واما سيوقظنا الزمن •

كل ما فى الامر اننا لو تركنا انفسنا للزمن يوقظنا فسوف تاتى اليقظة بعد اوانها تماما وبعد رسوخ الواقع رسوخا لا سبيل الى تغيره •

■■

يوسف ادريس



العلم

■ علوم الدنيا دخلت فى الملة لما رأت من يعضدها من رجال السياسة وكان ذلك فى القرن الاول بيد انها لم تنتشر الانتشار المطلوب الا فى القرن الثانى والثالث • شاعت قرنين ثم أخذت تضعف الى أواخر القرن السابع أيام قلّ المشتغلون ولو على طريقة نظرية بعلوم العقل التى لا قائمة لأمة بدونها مهما أخلصت فى دينها • واذا استفتيت تواريخهم تجد المتلبسين بشعار العلماء لا يعدون فيجملتهم ذاك الرياضى والجغرافى وربما فضلوا عليهما المعمار والثرثار • من أجل هذا نرى المدارس على تفنن القوم فى انشائها بعد القرون الوسطى منازل خاصة بالفقيه والمحدث والقارىء والرباطات للمجذمين المعدمين والكسالى،ولم نجد مدرسة اللهم الا بعض مدارس الطب والهندسة موقوفة على الرياضيين والطبيعيين والفلكيين والمؤرخين كان علومهم هذه أباطيل لا تصح الاعانة عليها • وحسب الرياضى أن يقضى الفقيه عنه ما دامت الحالة بين هبوط وصعود والاجود بها أن تدعى سقوطا الى منتصف القرن الماضى أيام أخذ السلطان عبد المجيد فى البلاد العثمانية ومحمد على فى هذا القطر يسهلان السبل لهذه العلوم ويعدان أهلها فى مصاف العلماء وانشئت المدارس لتعليمها وغدا المشتغلون بالعلوم الدنيوية حزبا والمتوفرون على تعليم العلوم الدينية حزبا آخر • على انه لم تحمد عودة تلك العلوم الدنيوية التى سماها بعضهم عصرية وبعضهم دعاها حديثة لما نتج عنها من حركة كانت أشبه برد فعل ما ظلت الامة معها صائما أخذ منه الجوع فلم يجد ما يطعمه حتى ساقته الاقدار الى مائدة موسر وقد حوت ما طاب وحلا من صنوف الاطعمة والحلواء فأخذ يلتهم ما وصلت يده اليه بدون تردد يزدرده بلا مضغ ويمزج بارده بحاره وحلوه بحامضه ويؤخر ما يقتضى تقديمه ويقدم ما يحسن تأخيره • ونشأت ناشئة لم تدر من العلم الحقيقى غير قشوره شربت مصة من مورده ظنتها غاية ما يرتوى به المرتوون وراحت تعد المروق غاية النور والازراء على النبوات من آيات الحكماء والطعن فى الشرائع من عمل الجهابذة النحارير وانكار القديم مهما كان نفعه والتعلق بالحديث مهما ضؤل قائله من دواعى النهوض والاستنارة • وعلى الجملة ينبذون كل ما ليس لهم به علم من تراث أجدادهم حاسبين الصحيح منه والسقيم فى مقام واحد مماحكين ولو بان لهم الراجح من المرجوح •

★ نشرت فى جريدة الظاهر بدمشق عام ١٩٠٥ م ـ ١٣٢٤ هـ •

الصحيح ..

يقول فتية اليوم انه لا نجاح للامة الا بنبذ ذاك القديم مباشرة والاخذ بهذا الحديث على علاته · وفاتهم أن ما يسوغ في الغرب لا يتم في الشرق · وان لكل أمة طبيعة ومزاج لا بد من مراعاتها · وان اقامة مدينة جديدة في بادية أسهل من اصلاح مدينة قديمة لا غنية عن البناء فيها · وان من العقل أن لا ينبذ ذاك القديم بل يرجع فيه الى الاصل القليل · ويؤخذ النافع منه · ويترك ما عدا ذلك من تخريف المخرفين وضلالات المبتدعين والاخذ من هذا الحديث بالعلم الصحيح الذى تمس اليه الحاجة · واطلاق الحكم للعقل يعمل عمله في طريقه ·

العلم الصحيح هو الذى يبعث صاحبه على عمل النافع ولو كان في ذلك ضياع مصلحته الشخصية فلا يبالي حامله بغضب الرؤساء والزعماء ولا يستغويه رضا الغوغاء والدهماء · يتجشم المخاطر في نشر خاطر · ويركب كل صعب وذلول لانارة ظلمات العقول ·

العلم الصحيح هو الذى خلص من ضغط الاهواء السياسية والمذهبية وسلم من التأثيرات والغايات فلقنه صاحبه بريئا من شوائب النزعات والنزغات · وأثر في نفسه تأثيرا مجردا · فاذا نطق بعده فلا ينطق الا بما يوحي اليه هاتف الفهم السليم · والعقل الحكيم · فلا يتعصب للاباء والجدود · ومالوفات المحيط وعادات الاهل والاقليم · ويتحزب لشيخه واستاذه ولو تجلى له أنهما تنكبا عن طريق الحق ·

العلم الصحيح هو الذى يحترم صاحبه به آراء غيره · ولو كانت مباينة لافكاره كل المباينة · ولا يعدها سخافات وترهات · فينكر ما لا يعلم ويستكثر ما وعى · ولا يعد حطة عليه ان يتسقط الحكمة انى وجدها وفي أى المظاهر ظهرت فيأخذ نفسه بالتعلم ولو شاب وجاوز الثمانين ·

■■

محمد كرد على

رئيس المجمع العلمى العربى السابق
ووزير معارف « دولة دمشق »



هل اكتشف العرب

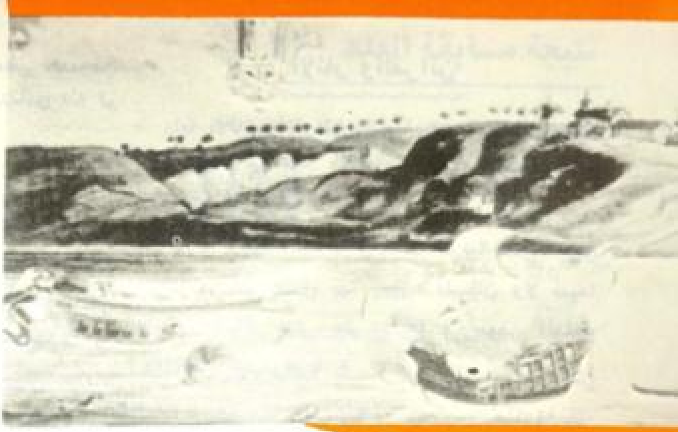
■ قرات فى احدى الصحف اليومية العربيـة مؤخرا النبا التالى :

« نشرت مجلة اسبوعية تصدر فـى شيكاغو ملخصا لكتاب بعنوان (لقد جاءوا لامريكا قبل كولومبس) يؤكد فيه مؤلفه البروفسور « فان سيرتيما » استاذ الدراسات الافريقية فى جامعة روتجرز الامريكية ان المسلمين الافارقة سبقوا كولومبس فى اكتشاف امريكا بزمن طويـل » .
وذكرت المجلة الامريكية : ان البروفسور (وهو امريكى) يدعم رايه بوثائق تاريخية تؤكد ان مجموعة مغامرة برئاسة احد سلاطين مملكة مالى الاسلامية استطاعت الوصول الى سواحل امريكا عـام ١٣٠٠ ، اى قبل وصول كولومبس بحوالـى مئتى سنة » .

وقد سبق ان اثير هذا الموضوع التاريخى الهام غير مرة وفى مختلف المناسبات دون ان يتوصل المؤرخون والباحثون الى راى حاسم ، واول من تناول هذا البحث الامير شكيب ارسلان قبل خمسين عاما وذلك فى تعليقـه علـى قصـة وردت فـى « مسالك الابصار » من ان منسى بن موسى احد احد سلاطين مملكة مالى (وتعرف ايضا بمملكة التكرور) روى لبعض خلصائه ان السلطان الذى كان قبله ويدعى (محمد بن قو) كان يظن ان البحر غاية لا تدرك فجهز مئين السفن وشحنها بالرجال والازواد التى تكفيهم سنين وامر من فيها ان لا يرجعوا حتـى يبلغوا نهاية بحـر الظلمات (المحيط الاطلنطى) ، فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها فساله الملك عن امرهم فقال : « سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض لها فى البحر واد له جرية عظمية فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتى ، فلم يصدقه الملك فجهز السلطان (محمد بن قو) الفى سفينة الفا للرجال والفا للازواد واستخلفنى على الملك وسار بنفسه ليعلم الحقيقة فكان آخر العهد به وبمن معه » .

وقد اورد الامير شكيب هذه القصة فى كتاب (حاضر العالم الاسلامى) وعقب عليها بقوله :

بقلم :
تيسير ظبيان



امريكا قبل كولومبوس ؟

« ان صحت هذه الرواية ، ولا يوجد دليل على كذبها ، فيكون المسلمون قد حاولوا اكتشاف القارة الجديدة مرتين اولاهما : عندما ابحر الاخوة المغروورون من اشبونة اى (لشبونة) عاصمة البرتغال متوغلين في بحر الاطلانتيك ، والثانية على يد هذا الملك الذى حاول الامر مرتين وذهب في سبيله شهيدا » .

ولقد تناول بحث هذا الموضوع ايضا شيخ العروبة احمد زكي باشا فقد نشر في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق مقالا) ذكر فيه « ان العرب سبقوا الاوروبيين الى التفكير في كشف امريكا وحاولوا الوصول اليها مرتين بالفعل : الاولى من لشبونة والاخرى من غانة في السودان الغربي على ساحل المحيط الاطلنطي ،وكان تخيلهم لها بطريقة منطقية عقلية هي افضل من التي اتبعها (كريستوف كولومبس) فانه لم يكتشفها الا بطريق الصدفة»

وقد القى استاذ احمد زكي باشا محاضرة حول هذا الموضوع في دار جمعية الهداية الاسلامية في القاهرة عام ١٩٣٠ (وكان يراس هذه الجمعية الشيخ محمد خضر التونسي الذى تولى منصب شيخ الجامع الازهر فيما بعد) وسرد بعض الادلة التاريخية لدعم وجهة نظره .
وفي السنة نفسها نشرت الصحف المصرية نقلا عن الصحف الامريكية : « ان احد السائحين الغربيين عثر اثناء تجواله في مجاهل البرازيل على قبيلة غريبة الاطوار والعادات واللسان ، وان افراد هذه القبيلة يصومون شهرا في العام وانهم يؤدون صلوات خاصة واذا قاموا الى صلواتهم يغسلون ايديهم ووجوههم وارجلهم . ويقول السائح انه سالهم عن اصلهم فاجابوا بانهم لا يعرفون شيئا عن ذلك وانهم واباءهم وأجدادهم يقيمون في تلك المقاطعة منذ امد بعيد . ولما اطلع احمد زكي باشا على هذا النبا الغريب اهتم اهتماما عظيما وارسل برقية الى وزير المعارف في حكومة البرازيل يستفسر عن صحة هذا النبا ويطلب تزويده بمعلومات ضافية عن القبائل القاطنة في الصحارى

(وقد اطلعني رحمه الله على تلك البرقية) ولبثنا نترقب الجواب بضعة ايام ونحن على احر من الجمر .

واخيرا ورد جواب الوزير وفيه بعض الغموض ووعد بارسال بيانات وافية ، وفي اعتقادي انه لم يرسل شيئا ٠

اهتمام علماء الغرب

على ان العلماء الاجانب (من امريكيين واوروبيين) قد تناولوا هذا الموضوع وايد بعضهم وجهة النظر العربية القائلة بان العرب والمسلمين الافارقة قد سبقوا (كريستوف كولومبس) في اكتشاف القارة الامريكية ، فقد نشرت الصحف الامريكية عام ١٩٥٤ ان الدكتور جيفري الاستاذ المحاضر في جامعة (اوتو) ذكر في احدى المحاضرات التي القاها في الجامعة المذكورة : ان الرحالين العرب هم الذين اكتشفوا القارة الامريكية قبل ان يبلغ كولومبس سواحلها بنحو خمسمائة سنة ، وبنى اقواله على ان العرب كانوا في القرن العاشر يسيطرون على البحر الابيض المتوسط وبلغوا السواحل الغربية للقارة الافريقية وانهم توغلوا في المحيط الاطلسي » ٠

ونشرت مجلة (نيوزويك) مقالا للدكتور (هوى لين لى) الاستاذ في جامعة هارفارد (وهو من اصل صيني) اكد فيه ان البحارة العرب اجتازوا الاطلنطي قبل كولومبس بحوالي قرنين او ثلاثة ٠ وذكرت المجلة المذكورة ايضا : ان هذا الدكتور اعلن نظريته هذه في المؤتمر الحادي والسبعين بعد المئة للجمعية الشرقية الامريكية التي تضم عددا من اساتذة الدراسات، وقال ان الملاحين العرب قاموا قبل عام ١١٠٠ م من الطرف الغربي من القارة الافريقية ومن الدار البيضاء بالذات ورسوا بسفنهم في عدة اماكن على طول الساحل الشمالي الامريكي ٠

وممن شاركوا في بحث هذا الموضوع المؤرخ الالماني (هيلد فينزلر) فقد نشر في صحيفة (الجرمان زايتونغ) بحثا مستفيضا قال فيه : « ان العرب بعد ان تغلغلوا في افريقيا الغربية وفي اسبانيا جهزوا كثيرا من الحملات البحرية وارسلوها الى الغرب كالبعثة البحرية التي ذكر الرحالة الادريسي خبرها وقال انها جهزت في لشبونة نفسها وارسلت لاكتشاف بلاد جديدة في الغرب ٠

الآثار والقرائن

اما الاثار والقرائن التي استند اليها الباحثون والمؤرخون في هذا المضمار فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ــ وجود كلمات والفاظ عربية قديمة بين اللغات التي ينطق بها بعض السكان ولا سيما ابناء القبائل التي عثر عليها في بعض المجاهل والمناطق الصحراوية ٠

٢ ــ العثور على نباتات يعتقد انها نقلت من القارة الافريقية كما اكد الدكتور (هوى لين لى) وقال بان هذه النباتات كالجوافة والباباي والاناناس حملها البحارة العرب وزرعوها في تلك القارة٠

٣ ــ العثور على جماجم بشرية من سكان افريقية في كهوف « الباهاما » في خليج المكسيك ، وقد اشار الى ذلك الدكتور (جيفري) في محاضرته التي القاها في جامعة اوتو كما قدمنا ٠

تخيلوا القارة قبل اكتشافها

ولعل خير ما اختم به هذا البحث ما ورد في كتاب (مسالك الابصار) لابي الثناء الاصفهاني الذي عاش في القرن السابع الهجري حول تكهنه بوجود قارة جديدة قبل اكتشاف (كولومبس) بمئات السنين فقد قال بالحرف الواحد : « لا امنع ان يكون ما انكشف منكشفا عنه الماء من الارض من جهتنا منكشفا في الجهة الاخرى واذا لم امنع ان يكون منكشفا في تلك الجهة ، لا امنع ان يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا او من انواع واجناس اخرى) ٠ وقد علق العلامة احمد زكي باشا على هذا القول بقوله : « للاصفهاني وهو بمصر فضل السبق على كريستوف كولومبس وهو بالاندلس (اي اسبانيا والبرتغال) لانه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن » ثم قال « وللاصفهاني فضل اكبر على مكتشف امريكا لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال اما كولومبس فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب » ٠ ■■

عمان ــ **تيسير ظبيان**

الملكة .. تبيض

استقينا اسئلة مسابقة العدد ٢٢٠من « العربي » من مواد متنوعة كنا قد نشرناها تباعا فى اعداد مجلة العربى عام١٩٧٦ حيث تنقلنا فيها مع القارىء من العلم الطبيعى الى الاقتصاد الى الجغرافياالى الشعر والشعراء ، ولم يكن الامر يحتاج الى كثير عناء للاجابة على اسئلةالمسابقة • فبرجوعالقارىء الىالمواد التى نشرناها فى اعداد العربى تجد الاجابةالصحيحة على اسئلة المسابقة •

وهذا نموذج للاجابة الصحيحة ثماسماء من فازوا بمسابقة العدد •

١ ـ بحر قزوين هو البحر المغلق الذى يتقاسمه الاتحاد السوفيتى وايران •

٢ ـ ممتاز محل هى زوجة الامبراطور شاهجهان •

٣ ـ محمد سليمان الاحمد هو الاسم الحقيقى للشاعر بدوى الجبل •

٤ ـ سد جيزان هو اكبر السدود المائية فى المملكة العربية السعودية •

٥ ـ تنتج ملكة النحل البيض •

٦ ـ ابن بطوطة هو الرحالة العربى الشهير بماركوبولو العرب •

٧ ـ جاليليو جاليلى خلد اسمه بصنعه التلسكوب •

٨ ـ المؤسسة العربية هى مؤسسة ضمان الاستثمارات العربية •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى **وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :** محمدربيع المحمد ـ **حلب / سوريا •**

الجائزة الثانية **وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها ،**ماجدة صالح بن دمنان ـ **المكلا / ج •ى•د•ش •**

الجائزة الثالثة **وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :**عبد العظيم عبد الرزاق علي ـ **ابو ظبى / الامارات •**

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كلمنها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **هادى على عريشى** ـ جدة / المملكةالعربية السعودية •

٢ ـ **عباس محمد شيخ الدين عثمان** ـ الخرطوم / السودان •

٣ ـ **عاطف السيد النحاس** ـ دقهلية / مصر •

٤ ـ **فلاح عدنان على** ـ البصرة / العراق •

٥ ـ **عبد السلام محمد اسماعيل** ـ جنزور / ليبيا •

٦ ـ **رمسيس عبدالحميد شمس الدين** ـ الصباحية/الكويت •

٧ ـ **سمير حمزة العلوى** ـ المنامة / البحرين •

٨ ـ **امين سعيد مسعود** ـ فرنسا •

حقيقة الجهاد في التاريخ

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

■ من خلال نظرة شمولية الى التاريخ الاسلامي في مساراته ومصائره يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والاسباب ، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدمات والنتائج. انها النواميس والسنن التي حدثنا عنها الله سبحانه في كتابه الكريم (ولن تجد لسنة الله تبديلا • ولن تجد لسنة الله تحويلا).

ولقد اخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة .. اخطاوا لانهم نظروا الى هذا التاريخ نظرة تتسم بالجزئية والمباشرة والتقطع حينا ، وبقياس التحولات بمقاييس التغير الدائم في الاسرات الحاكمة حينا آخر ، دون أن ياخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الاسلامي ووحدته ، وصيرورته التي كانت تجد في قيم الاسلام ومبادئه ومثله مراكز ثقلها وضبطها ، ومؤشرات تمخضها الدائم عن المزيد من الوقائع والاحداث •

ان الطليعة التي نظمها وكونها الرسول (ص) طيلة عهد الرسالة ، مهاجرين وانصارا ، وجدت نفسها ـ بعد وفاته مباشرة ـ امام مسؤولياتها القيادية الكاملة : حماية الوحدة الاسلامية من التفكك ، والمجتمع الاسلامي من مؤثرات القوى الداخلية والخارجية التي دأبت على شده الى الوراء واعاقة نموه وتقدمه لتحقيق عالمية الاسلام والتزام شريعته .. حقا لقد هزهم حتى الاعماق نبأ وفاة نبيهم وقائدهم عليه السلام ، ولكنها الهزة الموقوتة التي ما لبثت أن عادت بالرجال الى وعيهم الكامل على صوت ابي بكر، رفيق الرسول، وهو يقول لهم بصوته الثابت الرزين « أيها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » • ثم يتلو عليهم الآية الكريمة « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » •

الا انه ـ لاسباب تاريخية وجغرافية صرفة ـ انقلبت الاكثرية الساحقة من العرب على عقبيها وارتدت عن الاسلام ارتداداً كليا او جزئيا• كانت هنالك دوافع العصبية القبلية التي يمتد عمرها الى عشرات القرون ، والالف الاجتماعي والنفسي الذي اعتاده العرب عبر هذه القرون الطويلة حيث الاندماج النهائي في الوحدة القبلية ورفض تجاوزها الى ما هو ابعد .. التسيب في الانتماء

ليس الاسلام عقيدة فحسب وانما هو منهج سياسي ونظام تشريعي كذلك . وما قامت به قيادته المسلحة انما هو مسعى حركي لتعميم هذا الجانب الاخير .ومن خلال نظام الاسلام وشرعه اللذين يزيحان نظم الطواغيت وتشريعات المنتفعين المتحيزين ، يمكن لاية جماعة من الناس ان تعتنق اية عقيدة تشاء او تبقى عليها .

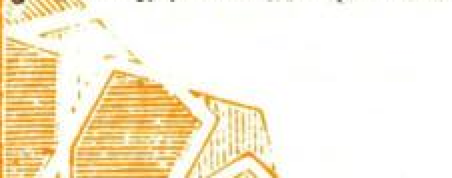
الاســــــلامي

الى قيادة مركزية واحدة ، والتفلت من اى التزام خلقي .. وكان هناك الطموح الشخصي لزعماء القبائل ، والتأثيرات ـ التي لم يلتفت اليها كثير من المؤرخين ـ للقوى المهزومة في الداخل كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، والمعسكرات المعادية في الخارج وبخاصة البيزنطيين والساسانيين .. وكان هناك ـ فضلا عن هذا وذاك ـ ضيق الفترة الزمنية بين وصول الاسلام الى اغلب الجماعات والقبائل العربية في الجزيرة وبين وفاة الرسول عليه السلام .. بين الزمن المحدود الذي اتيح للاسلام ان يتحرك خلاله وبين المكان الواسع الذي توجب انتماؤه للاسلام وبخاصة في اعقاب نزول آيات براءة في سورة التوبة في أواخر عام ٩ هـ واعلان الغاء الوجود الوثني من جزيرة العرب .

برنامج ابو بكر

غير ان أبا بكر الذي اختارته الامة الاسلامية خليفة لرســـول الله (ص) في قيادتها يوم (السقيفة) .. اليوم الذي قدرت فيه هذه الامة على ان تمارس تجربة انتخابية رائدة في التاريخ البشري ، رغم جدة هذه التجـربة في تاريخها ، وتصل عبر حوار سلمي يقوم على الكلمة والحجة والبرهان ، ويتجاوز منطق العنف والـدم ، الى اختيار الرجل الذي سيحمل المسئولية ، اعتمادا على ماضيه في الاسلام ، ومكانته من الرسول(ص) وقدراته الفذة .. ابو بـكر هذا سرعان ما بدأ بتنفيذ برنامجه الذي طرحه في اول خطبة له في مسجد المدينة (ايها الناس ، اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، ان احسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني ، الصدق امانة والكذب خيانة ،والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه . ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل وما شاعت الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء، اطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم) .

بدأ برنامجه باعلان الجهاد ضد المرتدين ، رغم خطورة المجابهة ، ورغم المعارضة الواسـعة التي جوبه بها من قبل كبار الصحابة الذين الحوا عليه بالتريث قبل الاقدام على المجازفة التاريخية التي لا يعرف احد نتائجها .. الا انه اصر على القتال وقـال (والله لاقاتلنهـم حتى ولـو تخطفتـني الذئاب) . وعندما أشاروا عليه بضرورة التفريق بين تاركي الصلاة ومانعي الزكـاة كيلا ترميـه العرب عن قوس واحـدة اجابهم (لن افـرق بين هؤلاء وهؤلاء، والله لاقاتلنهم على عقال كانوا يؤدونها لرسول الله) . ليس هذا فحسب بل انه اصر على



توجيه جيش اسامة بن زيد الى فلسطين لتاديب القبائل العربية المتنصرة الموالية للروم ، وهو الجيش الذى يضم زهرة قوات المسلمين وقال : (لن ارد جيشا جرده رسول الله صلى الله عليه وسلم) ..

ومن خلال هذا الاصرار ، هذا الالتزام الفذ بمفهوم (الجهاد) الحاسم مضى ابو بكر يحقق الانتصارات المتتالية على المرتدين ، يكنس تجمعاتهم وينكس راياتهم الواحدة تلو الاخرى ، معتمدا على قادة محنكين كخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة والعلاء بن الحضرمى وعكرمة بن ابى جهل وسعيد بن العاص وغيرهم.. وعلى ايمان جنده العميق الذى كان يدفعهم الى ساحات الموت فرحين مستبشرين بنصر الله .. ويفجر طاقاتهم القتالية فيغدو الواحد منهم عشرة من المقاتلين .. واعتمادا ـ كذلك ـ على الجيوب الاسلامية التى ثبتت على عقيدتها فى مناطق الردة رغم ما تعرضت له من صنوف العذاب والاضطهاد.

وهكذا سقط زعماء الردة الذين ادعى بعضهم ـ فوق ذلك ـ نبوات زائفة ، طليحة بن خويلد ، مالك بن نويرة ، مسيلمة الكذاب ، الحطم ، ذو التاج ، الاشعث ، الاسود العنسى .. وعدد آخر من صغار المرتدين فى الشمال .. وعادت الجزيرة العربية مرة اخرى الى وحدتها التى ارادها لها الرسول (ص) وبذل الجهود المتواصلة من اجل ان تكون المنطلق الاستراتيجى لتحقيق عالمية الاسلام .

حقيقة الفتح

ما لبث أبو بكر (رضى) ان حول استراتيجية (الجهاد) صوب الاهداف المركزية التى بدأ الرسول (ص) التحرك نحوها فى اعقاب صلح الحديبية ، بالكلمة حينا والسلاح حينا آخر ، والتى جاءت الردة بمثابة عائق وقتى عن مواصلة التحرك فى سبيلها.. تلك هى السعى من اجل تنفيذ عالمية الاسلام ، واسقاط كافة النظم الباغية ، وازاحة كافة الطواغيت من مراكز السلطة ، والغاء كافة التشريعات الوثنية التى صممها ونفذها حفنة من المتالهين فى الارض ، وتحقيق البديل الوحيد لذلك كله : الا تكون فتنة للناس ، وان يكون الدين : المنهج والتشريع لله .. اى ان يجرد الناس من كافة الضغوط والمؤثرات التى يمارسها الطواغيت فى العالم ، وان يسود الارض تشريع عادل واحد، لا تحيز فيه او ميل لطبقة او جماعة او فئة أو أمة ذلك هو شرع الله .

تلك هى بتركيز بالغ قضية الجهاد فى الاسلام، وذلك هو المغزى الاوحد لحركة الفتح الاسلامى فى مدى العقدين اللذين اعقبا وفاة الرسول (ص).. ويتهافت من ثم زعم بعض المؤرخين من ان هدف الفتح هو ارغام الناس على اعتناق عقيدة الاسلام.. يتهافت بمجرد تذكرنا أن الاسلام ليس عقيدة فحسب وانما هو منهج سياسى ونظام تشريعى كذلك ، وان حركة قيادته المسلحة انما هو سعى حركى لتعميم هذا الجانب الاخير . ومن خلال نظام الاسلام وشرعه ، اللذين يتوجب ان يزيحا نظم الطواغيت وتشريعات المتنفذين المتحيزين ، يمكن لاية جماعة من الناس ان تعتنق اية عقيدة تشاء او تبقى عليها .

ويتهافت ـ كذلك ـ قول عدد آخر من المؤرخين بان دافع الفتح الاسلامى انما هو اقتصادى صرف، يتمثل فى السعى من اجل الغنى بعد الفقر، والشبع بعد الجوع ، ومغادرة فقر الصحراء وجدبها صوب الاراضى الخصبة المعطاء .. واننا بمجرد ادراك طبيعة نظرية الجهاد فى الاسلام ، نصل الى رفض هذه المقولة ، اما فى الواقع التاريخى ، اى من خلال مجريات الفتح ومعطياته ، وما صدر خلال ذلك كله من تصريحات لقادة المسلمين وسفرائهم، مما نجد تفاصيله فى بطون مصادرنا التاريخية ، فانه يقدم لنا الدليل التنفيذى على صدق هذه النظرية وخطأ القائلين بالدافع المادى للفتح .. ان ما قاله المغيرة بن شعبة وربعى بن عامر لرستم قائد الجيش الفارسى وما قاله المغيرة بن زرارة لكسرى نفسه (يزدجرد الثانى) ليس سوى نماذج فحسب لما قيل فى هذا الميدان (ما لهذا ـ اى لطلب المال ـ جئناكم . فوالله لاسلامكم احب الينا من غنائمكم ، ولقتالكم ـ بعد ـ احب الينا من صلحكم ..) و (الله بعثنا لنخرج من يشاء من

عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده) ..

ويمجرد الرجوع الى الوقائع التاريخية نفسها ، يتهافت ـ كذلك ـ قول القائلين بان الفتح الاسلامي جاء محاولة من ابى بكر لاشغال العرب عن العودة الى ردة جديدة ، وكان ليس هناك برنامج عقائدى يتوجب على الخلافة معه ان تمارس الجهاد لفتح العالم واعادة تنظيمه . اننا نقرأ فى الطبرى ـ على سبيل المثال ـ الرواية التالية (كتب ابو بكر الى قائديه : خالد وعياض أن استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد وفاة محمد (ص) .. ولا يغزون معكم احد ممن ارتد) ونقرأ كذلك (ولا تستعينوا بمرتد فى قتال عدو حتى ارى رايى) ، ثم يعلق الطبرى قائلا (فلم تشهد الايام ـ اى الفتوحات ـ فى عهد ابى بكر مرتدا) !!

على جبهتي العراق والشام

انطلقت قوات المسلمين تعمل على جبهتين عريضتين: العراق والشام . فى الجبهة الاولى تمكن عدد من القادة : المثنى بن حارثة الشيبانى ، عياض بن غنم ، ثم خالد بن الوليد من تحقيق عدد من الانتصارات الاستراتيجية ضد المواقع الفارسية فى جنوب غرب العراق ، توجت ـ فى مدى يقل عن السنتين ـ بدخول الحيرة عاصمة المناذرة ، حلفاء الفرس فى العراق . ثم ما لبث امر ابى بكر ان صدر الى خالد بمغادرة العراق لاسناد اخوانه فى اليرموك ضد الجيش البيزنطى هناك . واعقب خالدا فى العراق عدد من القادة كان ابرزهم ولا ريب سعد بن ابى وقاص الذى حقق انتصارا مركزيا على الفرس فى معركة القادسية عام ١٥هـ حيث سحق زهرة قواتهم فى العراق ، واعقب هذا الانتصار الحاسم بانتصارين آخرين تمثل احدهما بتوجيه ضربة اخرى للقوات الفارسية فى جلولاء، وتمثل الاخر باكتساح المدائن عاصمتهم القديمة فى العراق . وبعد اربع سنوات حشد الامبراطور الساسانى الاخير قوى قيل انها جاوزت الخمسين الفا عددا . وعند نهاوند على الحدود الجنوبية الفاصلة بين العراق وبلاد فارس جرى لقاء حاسم لا يقل خطورة عن معركة القادسية انتصر فيه المسلمون ،وجاء انتصارهم بمثابة تحطيم نهائى لآخر سدود العسكرية الساسانية،حيث انساحوا بعده الى بلاد فارس . وخلال عقد واحد من الزمان صفيت الامبراطورية الساسانية وقتل آخر اباطرتها فى اقصى الشمال ،ومن ثم اطلق العرب على معركة نهاوند اسم (فتح الفتوح) .. وثمة فرق عسكرية اخرى كانت قد تفرغت لفتح الاقاليم الشمالية وبخاصة الجزيرة الفراتية واذربيجان وارمينيا ، وقد حققت هى الاخرى نجاحا مذهلا فى اختزال تحديات الزمان والمكان والوصول الى اهدافها بسرعة منقطعة النظير .فى الجبهة الشامية انطلقت اربع فرق احداها بقيادة عمرو بن العاص ووجهته فلسطين والاخرى بقيادة شرحبيل بن حسنة ووجهته الاردن والثالثة بقيادة يزيد بن ابى سفيان ووجهته دمشق والرابعة بقيادة ابى عبيدة عامر بن الجراح ووجهته حمص. ولقد استفزت البدايات الاولى للانتصارات التى حققتها هذه الفرق ، القيادة البيزنطية التى اخذت تدرك اكثر فاكثر خطورة الدولة الاسلامية الناشئة على وجودها فى بلاد الشام ، فحشد الامبراطور هرقل جيشا كبيرا ولى قيادته اخاه فردريك الذى تحرك صوب اواسط الشام ، وكان على قادة الفرق الاربع ان يستشيروا القيادة المركزية فى المدينة ، فكان جواب ابى بكر ان (اجتمعوا عسكرا واحدا والقوا زحف المشركين بزحفكم ، فانتم انصار الله ، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره) ...

الظاهرة « العجيبة » !!

وعند اليرموك فى اواسط سوريا تم اللقاء الحاسم بين الطرفين ، واذ طال اللقاء دون ظهور نتيجة نهائية ، اصدر ابو بكر امره المعروف الى خالد أن يغادر جبهة العراق ويهرع لنجدة اخوانه فى الشام،فقرر خالد اختزال الزمن ذى الاهمية الكبيرة فى الحروب ، واجتياز الصحراء على خط مستقيم الى هدفه ، بدلا من الطريق التقليدى الطويل . وبعد ايام قلائل ، لقيت فيها قوات خالد المصاعب والمتاعب ، وصل معسكر اخوانه فى اليرموك وتولى قيادة المعركة الحاسمة التى انتهت بسحق القوات البيزنطية وفتح الطريق امام المسلمين لاجتياح المواقع والمدن الشامية الواحدة تلو الاخرى .

وفى فلسطين تمكن عمرو بن العاص عند اجنادين من تحقيق انتصار لا يقل اهمية عن اليرموك فتح

الطريق لتصفية المدن الفلسطينية وحصار القدس ثم استسلامها أخيرا وتوقيعها شروط الصلح بحضور الخليفة عمر بن الخطاب الذى ما لبث أن عقد مع كبار قادته هناك مؤتمرا في الجابية لتحديد استراتيجية العمل في المرحلة التالية • ويبدو أنه تردد اول الامر فى توسيع نطاق الفتوحات الى مساحاتجديدة ريثما يتمثل المسلمون الحجم الكبير للانتصارات التى حققوها فى تلك الفترة الزمنية القياسية • لكن عمرو بن العاص تمكن – أخيرا – منإقناعه بضرورة فتح مصر لتامين الجبهة الشامية • وقد تمكن الرجل عبر سلسلة من الانتصارات من تحقيق هدفه •

وفي خلافة عثمان حاول الفرس والروم استرداد بعض مواقعهم القديمة فقاموا بسلسلة من حركات التمرد تمكن الخليفة من سحقها بسهولة ، اعتمادا على عدد من العناصر القيادية الشابة ، كما وانه وافق –أخيرا – على اجتياز تجربة القتال البحرى فسمح لرجليه فى مصر والشام : ابن ابى سرح ومعاوية ان يبنيا اسطولا اسلاميا تمكن خلال سنوات قلائل من تحقيق عدد من الانتصارات الاستراتيجية ، كان ابرزها فتح قبرص وردوس ومعركة ذات الصوارى التى تم فيها سحق الاسطول البيزنطى المكون من خمسمائة قطعة بحرية •

ولا يتسع المجال هنا لتحليل ،ولا حتىلاستعراض، العوامل التى مكنت المسلمين من تحقيق هذه المنجزات العظيمة في هذا المدى المحدود من الزمن، الامر الذى حير كبار المؤرخين وجعلهم يقفون عاجزين عن تفسير هذه الظاهرة « العجيبة » في تاريخ البشرية •• لكن عنصر (الغرابة) يزول بمجرد تذكرنا دور العقيدة ، بابعادها المختلفة ، فى صنع الواقعة الفذة فى التاريخ : العقيدة ببعدها الفكرى ، اى بالبرنامج الذى خرجت به الى العالم ، وببعدها النفسى – الروحى ، اى بالقدرات الهائلة التى فجرتها فى كيان المقاتل المسلم ، وببعدها الاخلاقي،اى بالسلوكية القتالية، التى لم يشهد لها التاريخمثيلاوالتي فتحتقلوب الخصوم لجند الاسلام قبل ان تفتح اراضيهم ، وببعدها الفلسفى (التصورى) الذى كان يجعل المقاتل المسلم يهرع الى ساحات القتال وهو يحمل يقينا عميقا بان الموت والحياة بيد الله وانه ليس سوى اداة لتنفيذ قدر الله فى العالم ومن ثم تتحقق المعجزات •

والتخطيط العسكرى

وتتذكر مع دور العقيدة ، دور التخطيط العسكرى الذكى الدقيق الذى اعتمده المقاتلون ابتداء من الخليفة – القمة – وحتى الضباط الصغار ، مرورا بقادة الجبهات ، وهؤلاء جميعا كانوا قد تعلموا الكثير خلال كفاحهم المرير فى عهد الرسول القائد عليه السلام • فاذا ما تذكرنا – فضلا عن هذا وذاك – ما كانت تعانيه الدولتان الساسانية والبيزنطية من تمزق على شتى المستويات : الاجتماعية والدينية والسياسية والنفسية ، ادركنا كيف أن الفتح الاسلامي كان امرا طبيعيا بقدر ما هو – فى الوقت نفسه – عجيبة من عجائب التاريخ !!

اما النتائج التى ترتبت على الفتح فلن يتسع المجال لتحليلها او لمجرد عرضها هى الاخرى ، ولنا أن نشير فقط الى ان الفتح الاسلامى احدث تغييرا جذريا عميقا فيكافة مساحات الارض التى احتواها وعلى كافة المستويات : السياسية والاجتماعية والفكرية والادارية • انه – باختصار – صنع عالما جديدا وفتح الطريق لظهور حضارة جديدة هى وليدة ذلك اللقاء الخلاق بين ايجابيات الحضارات القديمة وبينقيم الاسلامومثله ونظرياته ومبادئه ورؤاه •• الحضارة التى عرفت كيف تستلهم النظرية القرآنية وتحقق التوازن المنشود بين العلم والدين ، وترسى دعائم المنهج العلمى التجريبى الذى يدين له الغرب بالشيء الكثير ، المنهج الذى اكد عليه القرآن ودعا اليه فى مئات من آياته ، حث بعضها على اعتماد الاجهزة الحسية من سمع وبصر خلال تعاملنا وتفحصنا للظواهر والاشياء وصولا الى الله سبحانه ، واكد بعضها الاخر على اعتماد (العقل) خلال تأملنا فى نواميس الكون والعالم ونظمها والتى لا يمكن للصدفة ان تصوغها وتضبطها •• ويكفى – اخيرا – ان نشير ، مجرد اشارة ، الى ان كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت فى عدد من الايات جاوز السبعمائة والخمسين !! ■■

الموصل – د• عماد الدين خليل

الماضي.. معروضاً للبيع !

تامل واجهات المكتبات المنتشرة فى الشـــارع العربى ، او اقرأ جيدا اعلانات الكتب « الجديدة » فى اى معرض عربى للكتاب ، او حتى تابع قوائم الكتب واعلاناتها فى صحفنا ٠٠ ماذا ستجد ؟

ستفاجأ بان اكثر الكتاب والمؤلفين يبيعون لنا الماضى معبا فى نماذج واشكال مختلفة، وان الذين يتحدثون عن المستقبل فى عالمنا العربى لا يزالـــون هم ـ بالدرجة الاولى ـ المنجمين وقراء البخت والطالع !

الكتب القديمة يعاد طبعها باغلفة جديدة ، او باسماء جديدة ٠ الكتب القديمة تضم الى بعضها ويعاد طبعها بحجة انها « الاعمـال الكاملة » ٠ الكتب القديمة تختصر وتقدم لنا ملخصات ، ابتداء من ســيرة النبى محمد (ص) لابن هشام وقد اختصرت اجزاؤها الاربعة فى كتاب واحد ، ثم تفسير الطبرى باجزائه الاربعة ايضا التى جمع الاستاذ توفيق الحكيم مختارات منها صدرت أخيرا فى كتاب واحد ، وانتهـاء بمحاولات « تهذيب » فيض الخاطر للاستاذ احمد امين وتهذيب « وحي الرسالة » للاستاذ احمد حسن الزيات٠٠وهكذا٠

فى الجامعات نجد الظاهرة ذاتها ٠ رسائل الماجستير والدكتوراه يغوص اكثرها فى الماضى بصورة تثير الدهشة ٠ وآخر صيحة فى هذه الرسائل هى ان تبحث عن مخطوط قديم وتقوم بتحقيقه ٠ بقراءته وشرحه فقط ، وليس للخروج منه باى معنى او دلالة او رأى ٠

هل المطلوب ان نخاصم الماضى ونقاطعه ؟

بالتاكيد لا ٠ لاننا اذا اقتلعنا الماضى من اذهاننا فسيظل باقيا فى اعماقنا ٠ وشعوب لها حضارة عظيمة مثل شعوبنا لا بد وان تعتز بهذا الماضى وتطعم كل ما هو جديد بقيمه النبيلة التى ينبغى ان تستمر وتبقى ٠ ثم ان الضياع الحقيقى هو مصيرنا اذا انفصلنا عن هذا الماضى وعشنا فى عزلة عنه ٠

لكن الاعتراض الوحيد هو ان يتحول الماضى الى عبء يثقل كاهلنا ويعوق تقدمنا الى الامام من ناحية ، ثم ان تكون كل حركتنا محصورة فى هذا الماضى بحيث ندير ظهرنا للعالم، الامر الذى يحجب عنا رؤية الحاضر او المستقبل ٠

اذا كان تعاملنا مع الماضى ـ والتراث جزء منه ـ على اساس الانتقاء ، بحيث نستبعد ما فيه من غث وهو كثير ، ونبقى على ما فيه من جاد وثمين وهو اكثر ، واذا امدنا هـذا الماضى بما نتسلح به من اجل الوعى بالحاضر وبناء المســتقبل ٠٠ اذا تحقق هذا وذاك فعندئذ فقط يصبح الماضى والتراث معه مطلبا حيويا لا غنى عنه ٠

لكن الماضى المعروض امامنا ، والمعبأ فى أغلفة وصياغات جديدة ، ابعد ما يكون عـن هذا المفهوم ٠بعضها يستحضر الماضى لانه ماض ٠وبعضها يستحضره لكى يحاكمه ويشهر به٠

الماضي المعروض للبيع امامنا ـ في اغلبه ـ هدف وليس وسيلة • وهذه هي القضية•

●

وبينما نحن مشـــغولون بالدر النظيم في اخبـــار موسى الكليم ، وبنقائض جرير والفرزدق ، وبينما مطابعنا تدفع الى العقل العربى بسيل من الكتب الاخرى تدين وتتهم وتدافع عن ماضينا البعيد والقريب • بينما يحدث هذا كله يمضى العـــالم فى اتجـــاه مخالف تماما • يحتدم الجدل فيه حول المستقبل •

لقد صار المستقبل علما يدرس فى الجامعات « Futurology » • ونوادى ومؤتمرات سنة ٢٠٠٠ منتشرة الآن فى العديد من عواصم العالم الغربى وجامعاته • ونادى روما ولجنة سنة ٢٠٠٠ بالاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون نموذجـان بارزان لذلك • بل ان اغلب الجامعات الاوروبية تجرى دراسات لا تتوقف حول المستقبل بكل تفاصيله •

وهذا التوجه للمستقبل ليس حديثا فى الفكر الغربى ، فمنذ نصف قرن تقريبا بدأ هذا الباب يفتح على مصراعيه ، عندما اصدر اثنان من المفكرين (كيجان بول فى انجلترا واى • ب • دتون فى نيويورك) سلسلة منالدراسات التى تتصور «عالم اليوم والغد»فى ٨٠ كتابا متتالية •

ومنذ ذلك الوقت والجهد العلمى المستقبلى ، المبنى على الخيال احيانا والمعتمد على المنهج التجريبى احيانا اخرى ، لا يتوقف • حتى صدر فى عام ٦٧ كتاب الباحث الامريكى الشهير هيرمان خان وزميله انتونى وينر « سنة ٢٠٠٠ » ، وكان ابرز الدراسات الجادة التى تركز على المستقبل الاقتصادى والسياسىللعالم بعد ٣٠ سنة • وقد اصدر هيرمان خان ايضا منذ اسابيع قليلة كتابا جديدا مع زميلين له يتجاوز هذه المرحلة عنوانه « المائتى سنة القادمة » يهدم فيه الكثير من الآراء المتشائمة التى تنبات بمستقبل مظلم للانســـان بسبب احتمالات الانفجار السكانى ونفاد الموارد، ويقدم صورة متفائلة لعالم سنة ٢١٧٦(!)

ويقف كتاب « صدمة المســـتقبل » لمؤلفه الفين توفلر على قمة الكتب التى تصور مستقبل البناء الاجتماعى والثقافى والسلوكىللانسان (صدر الكتاب سنة ٧٠ وطبع حتى الآن ٢٥ مرة وترجم الى اللغة العربية سنة ٧٤) •

هم هناك لا يهملون التراث ولم يلقوا به فى سلة المهملات • فهو غذاء اساسى فى مراحل التعليم المختلفة • وتلاميذ المدارس يحفظون اسماء رواد الفكر والفن والادب فى كل بلد (كيف تقدم اعمالهم هذا موضوع اخر) • المهم ان التراث العظيم ياخذ مكانه فى كل عقل ، والى جانب ذلك هناك الجهد الذى لا يتوقف لتصور المستقبل ورؤيته •

●

قد يتصور البعض ان الحديث عن المستقبل نوع من الترف الفكرى • وهذا خطأ فادح لا يغتفر • ذلك ان العالم يتطور ويتغير بسرعة مذهلة • والسقوط والضياع ـ ايضا ـ هما مصير الذين يعجزون عن استيعاب هذهالمتغيرات ، وفى غيبة رؤية مستقبلية ناضجة وواعية لن يتحقق الاستيعاب باى وجه • وعلى حد تعبير عالم الاجتماع دارين بينيس فان « العيار قد انفلت فى الســـنوات الاخيرة لدرجة انه لا المبالغة ولا الغلـــو ولا الافراط تستطيع ان تصف مدى التغير وسرعته • وقد صارت المبالغات وحدها هى التى تبدو قريبة من الواقع » •

ولعل بعضنا سمع شكوى الاطباء من ان كتب الطب التى تطبع حديثا ، تصبح متخلفة ساعة صدورها ، لانه خلال الوقت الذى تستغرقه مراحل التاليف والطبـاعة والتوزيع ، تتغير كثير من الاراء والحقائق العلمية والوسائل العلاجية • الامر الذى يفضل معهالكثيرون

الآن أن يتابعوا ابحاثهم ويطوروا معلوماتهم اعتمادا على الدرويات العلمية • فهذه فرصتها اكبر في ملاحقة المتغيرات في عالم الطب •

والتطور المثير والمذهل في عالم النقل والمواصـــلات نموذج يجسد بوضوح بالغ تلك المتغيرات • فقد كان الجمل في سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد هو اسرع وسيلة نقل عند الانسان ، اذ كان يسير بمعدل ٨ اميال في الساعة • وحوالي سنة ١٦٠٠ اخترع الانسان العربة ذات العجلات ، فارتفع معدل السرعة الى حوالي ٢٠ ميلا في الساعة • وفي الثمانينات من القرن الماضي ، وبفضل القاطرة البخارية المقطورة ، استطاع الانسان ان يصل الى سرعة قدرها مائة ميل في الساعة •

وهكذ احتاج الانسان الى الوف السنين ليصل الى هذا الرقم في سرعة الانتقال • ولكنه احتاج الى ٥٨ عاما فقط ليصل الى اربعة امثال هذه السرعة • وذلك حين استطاع في عام ١٩٣٨ ان يطير بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة • ثم احتــاج الى عشرين عاما فقط ليضاعفها • وفي الستينات من هذا القرن وصلت سرعة الطائرات الصاروخية الى ٤٠٠٠ ميل في الساعة ، واستطاع الانسان ان يدور حول الارض في كبســولات الفضاء بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الساعة •• والله اعلم بما يخبئه المستقبل !

●

ويظل عالمنا مشغولا بالماضي !

مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي • عرب ما بعد نفاد البترول • المشكلة السكانية في بلادنا ، مفارقتا الانفجار والندرة • علاقتنا بالصحاري والشــواطيء التي تحيط بنا (نشر اخيرا تقرير عن زحف زمال الصحراء على وادى النيل في مصر) • مستقبل الزراعة• الصناعة • التعليم • الاسرة • الثقافة •• هذا كله يحتاج الى دراسة جادة لم تتم • ثمة « تقارير » هنا وهناك ـ ربما ـ اعدتها اجهزة بحكم وظيفتها ، لكنها لم تشكل بعد تيارا ثقافيا يسهم فيه المفكر العربي •

لماذا ينسحب المفكر العربي من الحاضر والمستقبل ؟

باختياره يفعل ذلك احيانا • فمواجهة الحاضر تحتاج الى شجاعة ، ورؤية المستقبل تتطلب جهدا ومعاناة • والامر كله عبء وتكاليف ، وربما مغامرة •

ورغما عنه يفعل ذلك في احيان اخرى عندما يمتنع على المفكر العربي ان يشارك في الحاضر او المستقبل ، ولا يبقى مفتوحا امامه سوى طريق واحد فقط هو : الماضي •

وتظل مقتضيات الواقع العربي الراهن هي المسئول الاول عن هذا المناخ • لان هــذا المفكر العربي المنسحب الى الماضي في بلادنا ، هو ذاته المبدع والخلاق عندما يهجر وطنه الى مناخ آخر ، في اوروبا وامريكا مثلا •

وثمة اعتبار آخر لا يمكن انكار دوره ، هو ان العقل العربي أعطى اجازة رسمية منذ اغلق باب الاجتهاد ، بينما العقل مستمر في خدمة الانسان الاوروبي منذ عصر النهضة • وقد كانت النتيجة انهم ظلوا يمدون ابصــارهم الى الامام ، بينما نحن أبصارنا شاخصة الى الخلف ، الى الماضي • وكل عاش حيث توجه ببصره وفكره •

ان المستقبل ليس نبتا شيطانيا يطل على الناس فجاة • لكنه حصـــاد ما نزرعه بايدينا اليــوم •

وسيظل قانون الكون ساريا • ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم •

ولهذا سيظل حصادنا من جنس ما نزرع دائما •

ولنتذكر ان الذين يزرعون الحصرم ، يحصدون المر • ■■

فهمي هويـــدي

للذكرى

في شهر النكسة !



هرتزل

بين هرتزل والسلطان

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

■ كان له رأى ثم استبدله بآخر ٠

كان رأيه أول الأمر أن المشكلة اليهودية إنما تحل في المجتمع الأوروبي حلا جذريا عن طريق المضي في ذوبان اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وفي اكتساب اليهود جنسية الدول التي تدير أمور الحياة في هذه المجتمعات ، وفي التمتع بكافة الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المواطنون جميعا من غير تفرقة في ذلك بين مواطن ومواطن بسبب الجنس والدين :

وكان رأيه الثاني أن المشكلة اليهودية لايمكن أن تحل حلا جذريا إلا إذا أصبح هناك وطن قومي لليهود يعيشون فيه وينتمون إليه ويعملون جاهدين على اعزازه وازدهاره ٠

وكان السبب في التحول من الرأى الأول إلى الرأى الثاني أنه عاصر محاكمة الضابط اليهودي دريفوس في فرنسا وتبين له أن القسوة في محاكمة هذا الضابط واتهامه بالخيانة ، قد لعب الدور الأول فيهما أنه يهودي بصرف النظر عن كونه فرنسيا ٠



السلطان عبد الحميد

عبد الحميد

لقد تبين له ان العنصرية والطائفية عاملان مهمان فى نشأة عداوة المجتمع الاوروبى لليهود واحتقاره لهم ، وأن ليس ينقذهم من ذلك الا البحث عن وطن قومى لهم خاص بهم ٠

ومن اجل تحقيق هذه الفكرة والتحول بها من الجانب النظرى الى الواقع العلمى اخذ هرتزل يعمل فى ميادين ثلاثة فى وقت واحد معا ٠

الميدان الاول : ـ ميدان اليهود انفسهم ٠

والميدان الثانى : ميدان الدول الكبرى وبخاصة الاستعمارية منها ٠

والميدان الثالث : ميدان السلطان عبد الحميد الذى تقعفلسطين تحت سيطرته وتعتبر منممتلكاته٠

كان العمل فى الميدان اليهودى يتمثل فى : ـ

أولا : اقناع اليهود انفسهم بفكرة الوطن القومى من حيث انه هو وكثيرون غيره كانوا يرون ابقاء اليهود فى الدول التى يعيشون فيها من حيث ان ذلك ييسر لهم سبل التعاون فى السيطرة الاقتصادية على العالم اجمع ٠ ولم يكن من اليسير تحول اليهود عن هذه الفكرة الا بعد حوار وقناعة عقلية ونفسية ٠

ثانيا : اعداد اليهود لتنفيذ هذه الفكرة عن طريق تيسير سبل الهجرة ، والاقامة فى الوطن القومى بعد تذليل كل العقبات التى يمكن ان تصادفهم ـ وبخاصة الاقتصادية منها ٠

وكان سبيل هرتزل الى ذلك عقد المؤتمرات وكتابة المقالات وتاليف الكتب ٠

اقام سبع مؤتمرات فى مدينة بازل ، وكان يطالب فى كل منها بانشاء المؤسسات الاقتصادية التى سوف تيسر سبل الحياة فى الوطن القومى. كما كان يعرض الخطوات التى قطعها فى سبيل تحقيق فكرته والعقبات التى تقوم فى الطريق وكيفية ازالة هذه العقبات .

واستجاب له اليهود . ونشات حينذاك الفكرة الصهيونية وتبعتها الحركة الصهيونية .

والامر الذى نؤكد عليه فى هذا المقام من حيث علاقته بالسبل التى كان يسلكها هرتزل للاتصال بالسلطان عبد الحميد واقناعه بفكرة قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين ، انه كان يبعث دائما على لسان كل مؤتمر برقية للسلطان يحيى فيها السلطان ويؤكد له ولاء اليهود باعتبارهم من رعاياه .

وكان العمل فىميدان الدول الاستعمارية يتمثل فى جذب هذه الدول الى الوقوف الى جانب انشاء وطن قومى لليهود .

كان هرتزل يقدر انه لا وزن له ، ولا وزن لليهود عند السلطان عبد الحميد ، ورأى أن يوجد وزنا ما لقضيته عن طريق تبنى دولة كبرى لها . وراح يتصل بالعديد من الدول لتقبل فكرته وتقبل فىالوقت ذاته الضغط على السلطان عبد الحميد من أجل الاذن لليهود باقامة وطن قومى لليهود .

وكان يمنى الدول بالفوائد العديدة التى يمكن ان تعود عليها من جراء اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ونقدم هنا بعض النماذج من أقواله هو فى هذه المسالة :

١ ـ كتب هذا الخطابلاحد المسئولينمن الانجليز:

هناك طريقة لتصحيح المالية التركية، وبالتالى المحافظة على التوازن الدولى لمدة أطول . ولايجاد طريق الى الهند فى الوقت ذاته ـ وهو الطريق الاقصر بالنسبة لانجلترا .

اقصد بهذه الطريقة انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، لها استقلالها الذاتى مثل مصر ، وتحت سيادة السلطان .

وكما تعلم مهدت الجو لهذا المشروع فى زيارتى للقسطنطينية فى الصيف الماضى .

ان الامر ممكن اذا توفر لنا دعم دولة كبرى ، واكرر هنا انه دعم مستور .

وما دام السلطان هو السيد وما من قوة تمنعه من دعوة اليهود الى الهجرة الى فلسطين. وسوف نحصل له مقابل عمله هذا على قرض كبير ـ زيادة على الضريبة التى سيؤديها اليهود له والتى سوف تكون مؤمنة مسبقا .

وسيكون من مصلحة انجلترا بناء خط حديدى رأسا عبر فلسطين ـ من البحر الابيض الى الخليج الفارسى :

٢ ـ وتلقى من وزير الداخلية الروسى مكتوبا يفيد موافقة القيصر وحكومته على تاسيس دولة يهودية فى فلسطين وكان مما جاء فى هذا المكتوب:

ان خلق دولة يهودية مستقلة تستوعب عدة ملايين من اليهود يوافقنا جدا . ولكن هذا لا يعنى أننا مستعدون ان تتخلى عن جميع اليهود عندنا.

نريد أننبقى ذوى الذكاء المتفوق منهم أمثالك. فالنبوغ لا يعرف تفريقا لا فى المذهب ولا فى القومية .

نريد أن نتخلص من الفقراء وذوى العقول الضعيفة ، ونبقى كل من يستطيع أن يندمج .

نحن لا نعادى اليهود كيهود .

أما الميدان الثالث ، وهو ميدان العمل عند الخليفة أو السلطان عبد الحميد فقد كان أصعب هذه الميادين .

لقد استطاع هرتزل أن ينجح مع اليهود انفسهم ويقنعهم بالفكرة الصهيونية والحركة الصهيونية، واستطاع أن ينجح مع الدول الاستعمارية واتخذ منها اداة ضغط على الخليفة من حيث تبنيها لفكرة العمل منأجل قيام دولة لليهود فىفلسطين.

أما هنا فلم ينجح ، وتوفى قبل أن يصدر وعد بلفور ، وتبنى الانجليز لانشاء دولة اسرائيل .

كانت خطة هرتزل فى العمل لدى السلطان تتلخص فى التالى : ـ

أولا : الاستعانة بالمسئولين الاتراك ومن فى حكمهم للتمهيد للامر عند السلطان . وكانت سبيله الى هؤلاء هى الرشوة .

ثانيا : الاستعانة باصدقائه من الاجانب الذين يعملون لدى السلطان أو لهم علاقة شخصية بالسلطان ويستطيعون التاثير عليه .

هذا الى جانب الدول الاستعمارية كما سبق ان ذكرنا .

كان ممن قابلهم من الاتراك الصدر الاعظم وابنه جاويد بك ، ووزير الحربية وابنه ، وبعض السفراء الاتراك في كل من النمسا والمانيا .

وكان الامر المطروح هو اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود .

وكان الحوار فيما بين هرتزل وبينهم يدور حول مقدار الارض التي تقتطع من فلسطين لتكون وطنا قوميا من حيث ان فلسطين مساحة كبيرة من الارض . كما يدور حول نظام الدولة الجديدة وعلاقتها بالدولة العثمانية :

ذكر هرتزل للصدر الاعظم ان مساحة الارض المطلوبة متوقفة على مدى ما يمكن أن يدفع من اموال في سبيل انقاذ المالية التركية وارضاء السلطان .

وكانت عبارته في ذلك : أن ذاك يعتمد على مدى ما نقدمه نحن من منافع . سنضحي بكمية اكبر لجزء اكبر من البلاد .

واستبعد جاويد بك ابن الصدر الاعظم مدينة القدس منذ أول الامر من حيث كونها مدينة مقدسة وفيها مسجد عمر ولا يملك السلطان أن يتنازل عنها ويجب بقاؤها في يد المسلمين .

ورضي هرتزل بذلك .

واستبعد جاويد بك أيضا أن يكون نظام الحكم جمهوريا ، وأكد على هرتزل الا يذكر ذلك مرة أخرى لان ذلك يغضب السلطان .

وقبل هرتزل ذلك ، ورضي بان تكون علاقة الدولة اليهودية بالسلطان مثل علاقة مصر او بلغاريا .

وحرر هرتزل في تلك الاثناء مذكرة بما يقبله اليهود من السلطان مقابل فك الضائقة المالية ، قال :

ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنيه استرليني يقوم على الضريبة التي يدفعها اليهود المستعمرون لفلسطين لجلالته . وتبلغ هذه الضريبة التي تضمنها جماعتنا مائة الف جنيه استرليني في السنة الاولى ، وتزداد الى مليون جنيه استرليني سنويا . ويتوقف هذا النمو التدريجي في الضريبة على هجرة اليهود التدريجية الى فلسطين .

اما سير العمل المفصل فيتم وضعه في اجتماعات شخصية ومقابل ذلك يهب السلطان لليهود الامتيازات التالية :

الهجرة اليهودية الى فلسطين تلك الهجرة التي لن تكون محدودة العدد ، والتي يجب أن تشجعها الحكومة العثمانية وتيسر لها السبل بكل وسيلة ممكنة .

يعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمون في القانون الدولي .

يجب ان يقرر في المفاوضات الشكل المفصل الذي ستمارس به حماية السلطان في فلسطين اليهودية ، وكيف سيحتفظ اليهود أنفسهم بالنظام والقانون عن طريق قوات الامن الخاصة بهم .

ويستطيع السلطان أن يصدر دعوة كريمة الى اليهود في مختلف البلاد للعودة الى ارض آبائهم .

ورفض السلطان ذلك كله . وحدد ما يمكن ان يقبله من الامر على الوجه التالي : ـ

يمكن للاسرائيليين ان يستقبلوا ويستقروا في الامبراطورية العثمانية بشرط : ـ

الا يكونوا جميعا في مكان واحد ، وانما يفرقون في اماكن تعينها لهم الحكومة .

ان يحدد عددهم مسبقا من قبل الدولة العثمانية .

أن يعطوا الجنسية العثمانية ويسألوا عن جميع الضرائب المدنية .

أن يكونوا خاضعين لجميع قوانين البلاد كالاتراك تماما .

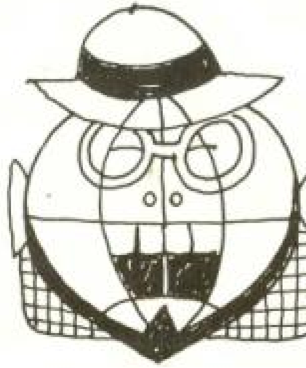
ولم يقبل هرتزل هذا القول ، وراح يضغط على السلطان ويغريه ، لا بحل المشكلة الاقتصادية فقط ، وانما في الوقوف الى جانبه ضد كل حركات التحرير التي يقوم بها الارمن واليونان والاتراك أنفسهم .

وخاض هذه المعركة فعلا ارضاء للسلطان . ولكن ذلك لم يزحزح السلطان عن موقفه . وظلت فلسطين من أملاك السلطان الى ان كان الاستعمار . وكانت الحرب العالمية الثانية ، وكان وعد بلفور ، وكان تحقيق قيام الدولة الاسرائيلية بحماية الاستعمار وقوته .

وظلت هذه الدولة تعيش في كنف الاستعمار ، وتخدم الاستعمار حتى اليوم . ■■

القاهرة ـ دكتور محمد أحمد خلف الله

طرائف اجنبية



الفكرة ٠٠ واللحية !

● فولتير ، شاعر وكاتب فرنسا الكبير الذى مهد بكتاباته « لأم الثورات » ، كان طفلا ضعيفا عند ولادته ،حتى انهم توقعوا له الموت ، ولم يحاول الطبيب الذى اشرف على ولادته ان يخفى هذه الحقيقة عن والديه ، الامر الذى اضطرهما الى تعميده صباح اليوم التالى لولادته ٠٠ولكن الطفل الصغير الضعيف الذىكان يتنفس بصعوبة، عاش حتى جاوز السادسة والثمانين من عمره ، وملأ الدنيا بكتاباته وافكاره التى سبق بها عصره ، ومهدت لقيام الثورة الفرنسية التى ذهب قبل اندلاعها ، قالوا يوما يسألونه وهو يحتفل بعيد ميلاده الحادى والثمانين : « ماذا صنعت بنفسك، كيف استطعت ان تتحدى الموت الذى كان يتربص بك ؟ »

وقال فولتير : « لم اكف لحظة واحدة عن العمل ، اما الافكار التى ملأت رأسى وصدرى ، فهى لم تأت ، الا بعد أن تقدمت بى السن ٠٠ ما اشبه الفكرة الجديدة باللحية ٠٠ ان الرجل لا تنمو له لحية الا عندما يكبر وينضج ويتقدم به العمر ويعيش تجارب الحياة ، هكذا ولدت كل افكارى مع لحيتى ! كل ما صنعته اننى تركتها تنمو وتكبر ! » ٠

آباء ٠٠ وابناء

■ شكسبير ، شاعر الانجليز الكبير ، وابو المسرح فى انجلترا ، كان ابوه بائعا للصوف ٠

■ الامبراطور ديوكليشيان الرومانى كان ابنا لعبد من عبيد الاباطرة !

■ ابراهام لنكولن محرر العبيد كان ابوه رجلا فقيرا اشتغل بالزراعة حينا وحمل الاثقال على كتفه احيانا ٠

■ الكاردينال انتونيللى الذى احتل منصبا مرموقا فى الفاتيكان كان ابنا لواحد من رجال العصابات !

■ كريستوفر كولومبس مكتشف «العالم الجديد » ، كان والده يجلس على الشاطىء وينسج شباك الصيد ٠

■ سوفوكليس ،الشاعر اليونانى العظيم كان ابنا لحداد ٠

ومع هذا لم يتنكر احد من هؤلاء الابناء الذين دخلوا التاريخ لأصله،بل كانالبعض منهم يفاخر بماضيه، حتى الكاردينال،رجل الدين الذى لم يجد فى ماضيه ما يفخر به، كان يقدم والده للناس ويقول : « لقد ضل الطريق ولكنه تاب ٠٠وقد قبل الله توبته».

الضحك .. والشخير !

● اضحك وسوف تجد الدنيا كلها تضحك معك ، اما اذا رفعت صوتك بالشخير اثناء نومك، فسوف تجد نفسك نائما وحدك !

« ايلا ويلز »

النجاح !

● لورد بيفربروك ملك الصحافة فى بريطانيا الذى ترك وراءه بعد رحيله اكبر امبراطورية للصحافة فى اوروبا ، بدأ حياته يبيع الصحف للناس ، قالوا له يوما: « ما هو سر نجاحك ؟ » وقال بيفربروك : « الحكم السليم على الامور ! »

— ولكن اين تعلمته؟

وقال بيفربروك : « بفضل الخبرة التى اكتسبتها من الحياة ! »

— وكيف اكتسبت هذه الخبرة ؟ »

فضحك بيفربروك وقال : « بفضل سوء نظرتى الى الامور ، وما اكثر ما كان حكمى على الناس والاحداث سيئا ! »



رحلة بلا نهاية !

● هنرى ماتيس الرسام الفرنسى المشهور الذى رحل فى منتصف هذا القرن بعد ان اثرى الفن بلوحاته الرائعة التى تميزت بجمال الوانها ، كان له فلسفة معينة فى هذا الفن الذى افنى فيه سنوات عمره الطويل ، كان يقول : « ما اشبه الحياة مع الفن، برحلة بالقطار الى مكان بعيد ٠٠ان كل لوحة ينتهى الفنان من رسمها تقترب به من نهاية رحلته ٠٠ او من المحطة التى يريد ان ينزل فيها ويترك القطار ٠ وقد يأتى الوقت الذى يشعر فيه الفنان انه اقترب من هدفه بالفعل ولكنه سرعان ما يكتشف انه لم يصل على الاطلاق او ان المحطة التى اختارها لنزوله فى بداية الرحلة ، ليست هى هدفه ٠٠ وهكذا يعود من حيث بدأ ، ويمضى فى رحلة اخرى قد لا يكون لها نهاية ٠٠ هذا الاحساس هو الفن بعينه ٠٠ لان الفن تجديد وابتكار ورحلة مع الحياة نفسها ، لا تنتهى الا عندما يشعر الفنان انه لم يعد قادرا على ركوب القطار من جديد !

★★★

تعريف جديد !

● الدعاية ، ماهى ؟

انها قصة شخصية مشهورة يعرفها كل الناس ، ويقوم صاحبها بعمل معين، لم يقربه فى حياته ، او يحب شيئا يكره مجرد النظر اليه ، او يذهب الى مكان لم يره يوما ، ولم يفكر فى الذهاب اليه !

ومع ذلك نرى الناس يقومون بنفس هذا العمل ،ويحبون نفس هذه الاشياء، ويذهبون الى نفس هذه الاماكن ، وهم يعرفون ان اصحاب هذه « الاعلانات » يخدعونهم !

بعد المؤتمر الاسلامى المسيحى فى قرطبة

لأول مرة منذ قرون :

علماء اللاهوت يدافعون عن

هل يبدأ وفاق جديد بين الديانتين الأعظم ؟



بلغة هذا الزمان ، فان ما حدث فى قرطبة كان بمثابة اعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والاسلام ، وتوقيع لاهوتى بالاحرف الاولى على نبوة محمد يحدث لاول مرة منذ قرون ، ويفتح الباب لمرحلة وفاق من نوع آخر بين الديانتين الاعظم ٠

جرى هذا كله على مدى اسبوع حافل بالمفاجآت والمعاناة والاثارة ، تحولت خلاله قاعة بلدية قرطبة الى كرسى اعتراف كبير ، جلس الجميع فوقه وقالوا شهادتهم ، ثم انفض المؤتمر الاسلامى المسيحى العالمى الثانى ، ليعود الى جولة جديدة بعد عامين ٠

خلال ذلك الاسبوع الاخير من شهر ابريل ، التقى فى عاصمة الاندلس ، فريق من رجال اللاهوت والمثقفين المسيحيين مع فريق آخر من

شهدت مجلة العربي أخطر مؤتمر ، حول أخطر موضوع . كان المؤتمر في قرطبة في اسبانيا الكاثوليكية المتشددة . وكان الموضوع هو الحوار الاسلامي المسيحي، وقد دار بالذات ولاول مرة حول أكثر النقاط حساسية : اعتراف المسيحية بالاسلام دينا ومحمد نبيا ..

ورغم دقة الموضوع ، الا أن العربي رأى تقديم هذا التقرير الدقيق عنه، لانه من حق القارىء أن يعرف .

محمد ويعترفون بنبوته

رسالة قرطبة بقلم :

فهمي هويدي

اعضاء المؤتمر من العلماء المسلمين والرهبان ورجال اللاهوت في ساحة مسجد قرطبة الشهير ، الذي يحمل اسم «المسجد الكاتدرائي»





الدكتور عبدالعزيز كامل
«كلهم مسلمون عند الله» .

فريدة من نوعها تستهدف تقييم النبيين محمد وعيسى من وجهة نظر كل فريق .

وهذا الموضوع الذي وصفه مطران مدريد ورئيس اساقفة اسبانيا الكاردينال اتريكي ترانكون بانه خطير وعسير . واعتبر« الدكتور سلفادور نوجالس رئيس جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية » محاولة لتغيير موقف المسيحية من محمد » ص و .. «تحريك للضمير المسيحي لكي يتبنى موقف التقدير الايجابي لنبي المسلمين، يختلف عن الموقف الحالي» .واعتبره مقرر المؤتمر الدكتور ميخائيل ايبالسا الاستاذ بكلية الفلسفة واللاهوت بجامعة مدريد » ضرورة الانتقال من المهاترات المذهبية للقرون السالفة، ومن الصمت الحذر او الجاهل لعدد كبير من مسيحيي اليوم ، الى المعرفة الواسعة والتقدير الايجابي لمحمد نبي الاسلام » .

ازالة الركام أولا

لماذا اختاروا هذا الموضوع بالذات ؟

يرد الدكتور ايبالسا قائلا : لان شخصية النبي محمد(ص) مقدمة الى العالم المسيحي بصورة مشوهة الى حد كبير ، حولها نسجت العديد من الافتراءات والاكاذيب والخرافات ، التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الاسلام يدخل اوروبا ، وكانت مثل هذه الافتراءات احدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الاسلامي .

« كان لا بد أن نزيح هذا الركام اذا اردنا أن نفتح الطريق لتعاون اسلامي مسيحي » ، هكذا قال الدكتور ايبالسا ، الذي اعد رسالته للدكتوراه عن راهب اسباني من جزيرة مايوركا اعلن اسلامه في القرن السادس عشر ، وعاش في تونس حتى صار رئيسا لديوان الخليفة . كان اسمه انسلم تورميدا واصبح عبدالله الترجمان.

اضاف ايبالسا : لقد كان موضوع مؤتمرنا الاول الذي عقد في سنة ٧٤ ، وكانت قرطبة مقرا له ايضا ، هو : الضمير الاسلامي والمسيحي امام مشاكل التطور . وكان هدفنا ان يقدم ممثلو كل دين رؤيتهم الفكرية لقضايانا المعاصرة وذهبت مناقشات المؤتمر الى ما هو أبعد ، اذ تعرضت الى رؤية كل دين للآخر . الاسلام من وجهة نظر المسيحية ، والمسيحية من وجهة نظر اسلامية .

كان التقدير والفهم والتفاهم هو السمة الاساسية للمناقشات التي جرت في المؤتمر الاول، وهو ما اطلق عليه مطران الجزائر الكاردينال دوبال « روح قرطبة » .

« بعد النجاح الذي حققناه ، قررنا أن نخطو خطوة اخرى ، وان نقترب من نقطة اللبس الحقيقة عند العالم المسيحي وهي : شخصية النبي محمد (ص) . ولكي تكتمل الصورة في الاذهان فتحنا الباب ايضا لتقييم شخصية المسيح ، لان هناك لبسا من نوع آخر يحيط بهذه الشخصية عند جماهير المسلمين » .

قال الدكتور ايبالسا أيضا : ان هذا الكلام الذي قيل في المؤتمر الثاني يعد نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي والنظرة المسيحية الى النبي محمد . يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن ديني وفكري ليعترفوا بنبوة محمد ، وبدوره الهائل في تاريخ الانسان .

ثم اضاف مقرر المؤتمر قائلا ، ان المؤتمر القادم - الثالث - سيطرح للمناقشة موضوع العلاقة بين الدين والتوسع السياسي . الفتوحات الاسلامية من ناحية ، والاستعمار والتبشير من ناحية اخرى، وستكون احدى نقاط البحث هي : كيف تقدم الفتوحات الاسلامية الى الفكر الغربي ؟ وكيف تفسر الحروب الصليبية امام الفكر الاسلامي ؟

« اننا نريد أن نطوي صفحة الماضي ، ونزيل معها كل بذور الكراهية والرفض ، لنفتح الطريق لمرحلة التعاون والثقة في المستقبل » .. هكذا يقول الدكتور ايبالسا . « لقد اتفقت فرنسا

والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية على منهج يعالج جراح الحرب والكراهية التى ترسبت فى الاعماق نتيجة لها ، بحيث يقدم ما جرى للاجيال الجديدة ، بصورة تزيل هذه الكراهية ولا تسمح لها بالاستمرار فى المستقبل ، ونحن نريد أن نفعل الشيء نفسه بالنسبة للمسلمين والمسيحيين » ٠

يقول الرجل ايضا :لهذا السبب كلفنا فريقا من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتاب يتداوله التلاميذ فى مختلف مراحل التعليم باسبانيا ، وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التى تقدم الاسلام ونبيه بصورة مشوهة الى التلميذ ، تمهيدا لتصحيح تلك الوقائع ، واستبعاد كل ماهو مختلق ومكذوب منها ٠

غاب الازهر والفاتيكان

هل تمضى المسالة بهذه البساطة التى تروى بها القصة ؟

بالتاكيد لا ٠ ونظرة الى وجوه المشتركين فى المؤتمر تقودنا الى حقيقة تثير الانتباه هي : لقد غاب عن المؤتمر كل من الازهر والفاتيكان !

وتردد ان الازهر غير مقتنع بجدوى الحوار ، وانه ارسل تعميما برأيه الى الدول العربية والاسلامية ٠وهو مافسر غيبة دول المشرق العربى باستثناء سوريا ومنظمة تحرير فلسطين ، بينما شاركت فى المؤتمر دول المغرب العربى، وبعض الشخصيات التى تمثل النشاطات الاسلامية غير الرسمية فى اندونيسيا وماليزيا والهند ، غير عدد آخر من المفكرين المسلمين الذين دعوا بصفاتهم الشخصية ٠

قيل أيضا ان الفاتيكان يرحب بالحوار ويدعو اليه ٠ لكنه لم يعترف رسميا حتى الان بنبوة محمد ، فكيف يشترك فى مؤتمر يطرح هذه القضيةموضوعا للمناقشة٠ولهذا السببفقد أوفد الفاتيكان مندوبا عنه لحضور مؤتمر قرطبة الاول، لكنه التزم الصمت حيال هذا المؤتمر الثانى ٠

اعترف الفاتيكان بالاسلام فقط ، بعد دورة مجمع الفاتيكان الثانية التى استمرت ثلاث سنوات ، من ٦١ الى ٦٤ (مناقشات المجمع الاول استمرت ٣٠ سنة فى القرن السابع عشر)٠ وفى أعقاب هذه الدورة الثانية جاء فى قرارات مجمع الفاتيكان :« ان الكنيسة تنظر أيضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحى القيوم الرحيم ، القادر على كل شيء ، خالق السماء والارض ، الذى كلم الناس والذى يخضعون لاوامره الغيبية بقلوب راضية ، كما خضع له ابراهيم الذى يحتل مكانة خاصة فى العقيدة الاسلامية ٠ انهم يعظمون المسيح كنبى ، وان كانوا لا يعترفون به كاله ٠ يحترمون أمه البتول مريم ، وأحيانا يذكرونها بكل تقوى ٠ ثم انهم يرتجون اليوم الاخر ، يوم يجزى الله جميع الناس بعد البعث ٠ وهم ، بالتالى ، يقدرون الحياة الاخلاقية ويعبدون الله ، خاصة بالصلاة والزكاة والصيام ٠

« واذا نشات عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسلمين والمسيحيين ، فان المجمع الفاتيكانى المقدس يدعو الجميع الى نسيان الماضى ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق ، والعمل المشترك ، لنصرة وتاكيد العدالة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » ٠

هذا هو نص رأى مجمع الفاتيكان ، الذى لم يشر من قريب أو بعيد الى النبى محمد (ص) الا انه دعا صراحة الىاحترام العقيدة الاسلامية، لاول مرة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ٠ وهى خطوة غير كافية من وجهة نظرنا ، لكنها ايجابية بغير شك ، كانت هى البداية الحقيقية لما أطلقنا عليه وصف « مرحلة الوفاق بين الديانتينالاعظم»٠

وهذا المعنى أكدته احدى أمانات الفاتيكان ، التى أصدرت فى عام ٧١ كتابا من ١٠٠ صفحة يتضمن بعض التوجيهات للحوار الاسلامى المسيحى٠ لا يعترف بوضع محمد (ص) كنبى بالنسبة للمسيحيين ،ولكنها تطلب منهم أن ينظروا «لمؤسس الاسلام » بالاحترام ٠

وعندما أرسلت جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية الى الفاتيكان تدعوه للاشتراك فى المؤتمر، وقوبلت الدعوة بالصمت الذى فهم انه مقاطعة لمناقشاته ، كتب الدكتور سلفادور نوجالس رئيس الجمعية (رسالته للدكتوراه عن ابن رشد) خطاب احتجاج الى سكرتارية الفاتيكان قال فيه ان موقفهم من المؤتمر يتعارض مع قرارات المجمع الثانى الذى يدعو الى احترام عقيدة المسلمين ، « الامر الذى لا يمكن ان ينفصل باى حال عن احترام نبى المسلمين » ٠

لكن الفاتيكان ظلعلىموقف الصمت، والقطيعة٠

قصة استرداد المسجد

وقال وثيقو الصلة بدوائر الفاتيكان ممن حضروا المؤتمر ان هناك تيارات محافظة تضغط بشدة لكي لا يذهب الفاتيكان الى أبعد من الاعتراف بالاسلام ، وان البابا لا يريد ان يخوض في هذا الموضوع ، الذى قد يفجر قضايا كثيرة يطول حولها الجدل ، خصوصا وانه بلغ مرحلة متاخرة من العمر ٠

وفي البحث الذى قدمه الى المؤتمر الاب جي هارتيه حول « مواقف معاصرة من نبوة محمد » سجل تفسيرا طريفا لعدم الاعتراف بنبوة محمد ، منسوبا الى راهب آخر هو الاب جاك جونييه يقول فيه : انه لا يمكن اعتبار محمد نبيا لان ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بانجيل جديد يحل محل انجيل المسيح ٠ وان الاعتراف بمحمد نبيا يعنى الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن ، وبالتالي بان محمدا خاتم المرسلين وخاتم الاديان ٠ وهذا لا يعتبر سوى الغاء لانجيل المسيح !

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة التي صادفت الاعداد للمؤتمر ٠ لان اطرافا عديدين كان من مصلحتهم ان يتوقف الحوار باى وسيلة (في اسبانيا جمعية صداقة يهودية مسيحية نشطة انشئت عام ٦٣) ٠

وكان من بين محاولات « التشويش » التي حدثت أن صحيفة A.B.C اليومية الاسبانية نشرت قبل خمسة شهور من عقد المؤتمر ان المسلمين يريدون غزو اسبانيا من جديد ، وانهم سيطالبون في المؤتمر الاسلامي المسيحي بمسجد قرطبة الشهير !

الدكتور ايبالسا مقرر المؤتمر (الى اليمين) والدكتور جون تايلور (الى اليسار) ٠٠ الاول دعا الى انصاف النبي محمد ، والثاني دعا الى ان يعيد الطرفان النظر في موقفيهما ٠



احدث المقال ردود افعال مختلفة ، حتى ان قاضي قرطبة انزعج وكاد ان يصدق الرواية ، واستدعى المسئولين عن جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية التي تنظم المؤتمر (انشئت سنة ٦٦ وتضم ١٥ من المثقفين المهتمين بالقضايا العربية والاسلامية في مدريد) وسالهم عن مدى صحة هذه المعلومات٠

ولم يطمئن قاضي قرطبة الا بعد تاكيدات قاطعة من جانب ممثلي جمعية الصداقة ، بان المقال مختلق من اساسه ، وان المسلمين لا ينوون المطالبة بمسجد قرطبة !

اذن فقد تراوحت المواقف من المؤتمر بين رفض المبدأ (الازهر) ورفض الموضوع (الفاتيكان) ، وتسميم الجو باى وسيلة (عناصر محلية) ٠

ومع ذلك فقد انعقد المؤتمر وقيل خلال جلساته كلام كثير يستحق أن يسمع ويسجل ٠

كلهم مسلمون

وخلال المناقشات التي استمرت اسبوعا ، والقى خلاله ١٦ بحثا ، كانت هناك « ايضاحات » حرص كل طرف على ان يسجلها أمام المؤتمر ٠

● في بحث الدكتور عبد العزيز كامل ، مستشار ولي عهد الكويت ونائب رئيس وزراء مصر السابق ، قال :

ان الاسلام جاء مصدقا لكل نبي ورسول ، وقد دعا النبي والذين يؤمنون معه الى ذلك ٠ « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ٠

والقرآن الكريم يطلق تعبير « المسلم » على جميع الانبياء والمرسلين ، فكلهم مسلمون له ٠ فمن ابراهيم يقول : « اذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين » ـ وكذلك ابناء ابراهيم ويعقوب كانت الوصية لهم « يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون »٠ وكان قول الحواريين عندما سالهم عيسى « من انصاري الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » ٠ ★

★ للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق اجتهاد بالغ النضج يرد فيه على الاتهام الذى يطلقه البعض على غير المسلمين ـ بمعنى

والناس جميعا فى الاسلام ابناء اسرة كبيرة واحدة ، ابوهم واحد : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ،واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

هذا الموقف الرحب ،حرص الدكتور عبد العزيز كامل على ان يسجله فى بداية بحثه حول « محمد الرجل السياسى ، مؤسس لمجتمع سياسى ونظام اجتماعى عادل وانسانى » .

وفى بحث الدكتور احمد هيكل مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد حول « محمد شخصية تاريخية » ايضاح آخر يتعلق بمنهج التقييم قال فيه : لكل اصحاب الكتب والمقالات والاحكام التى لا تقدر محمدا حق قدره اقول : ان التحقيق العلمى الذى يضع محمدا فى مكانه من التاريخ ويعرفنا به كشخصية تاريخية ،يقتضى اولا الرجوع الى المصادر الاصلية المحققة المتصلة بعصر محمد وحياته ، وعدم الاعتماد على الخرافات والاوهام واقوال المغرضين او الجاهلين بسيرة حياته . كما يقتضى التحقيق العلمى ، ثانيا ، الاتصال ببيئته وتمثل روح عصره ، وتعرف اهم عادات تلك البيئة وتقاليدها ، فى اطار الزمان والمكان ، مع التنزه عن كل تلفيق وتخمين . واخيرا يقتضى المنهج العلمى وضع ما كان عليه امر الحياة قبل محمد وبدء دعوته ـ فى مقارنة منصفة ـ اما ما آل اليه امر تلك الحياة بعد محمد وتمام رسالته. فهنا يكون التحقيق ويكون المنهج ، ويكون قول الحق .

رؤية مختلفة للمسيح

● ايضاح ثالث ، سجله الكاردينال انريكى ترانكون رئيس اساقفة اسبانيا ، الذى بدا كلمته

معتنقى الدين الاسلامى هنا ـ بانهم كفار اعتمادا على تفسيرات خاطئة ومحرفة . يقول الشيخ شلتوت : « من لم يؤمن بوجود الله ،بوحدانيته وتنزهه عن المشابهة والحلول والاتحاد ، أو لم يؤمن بتفرده بتدبير الكون والتصرف فيه ، واستحقاق العبادة والتقديس واستباح عبادة مخلوق ما من المخلوقات ،او لم يؤمن بان لله رسالات الى خلقه ، بعث بها رسله ، وانزل بها كتبه عن طريق ملائكته ،او لم يؤمن بما تضمنته الكتب من الرسل ، أو فرق بين الرسل الذين قص علينا فآمن بالبعض وكفر بالبعض ، أو لم يؤمن بأن الحياة الدنيا تفنى ويعقبها دار اخرى هى دار الجزاء ودار الاقامة الابدية ، .. من لم يؤمن بجانب من هذه الجوانب أو حلقة من هذه الحلقات لا يكون مسلما ، ولاتجرى عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله ، وفيما بينهم بعضهم وبعض ، وليس معنى هذا ان من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافرا عند الله ، يخلد فى النار ، وانما معناه انه لا تجرى عليه فى الدنيا أحكام الاسلام ، فلا يطالب بما فرضه الله على المسلمين من العبادات ، ولا يمنع مما حرمه الاسلام كشرب الخمر وأكل الخنزير والاتجار بها ، ولا يغسله المسلمون اذا مات ولا يصلون عليه ولا يرثه قريبه المسلم فى ماله ، كما لا يرث هو قريبه المسلم اذا مات » .

أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون انكاره لتلك العقائد أو لشيء منها ـ بعد أن بلغته على وجهها الصحيح ، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ، ولكنه أبى ان يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ، أو طمعا فى مال زائل او جاه زائف ، أو خوفا من لوم فاسد ، فاذا لم تبلغه تلك العقائد ، أو بلغته بصورة منفرة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر ، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق اليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى أدركه الموت أثناء نظره ، فانه لا يكون كافرا يستحق الخلود فى النار عند الله .

ومن هنا كانت الشعوب النائية التى لم تصل اليها عقيدة الاسلام او وصلت اليها بصورة سيئة منفرة ، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم فى بحثها ـ بمنجاة من العقاب الاخروى للكافرين ، ولا يطلق عليهم اسم الكفر .

والشرك الذى جاء فى القران ان الله لا يغفره ،هو الشرك الناشىء عن العناد والاستكبار .. الذى قال الله فى اصحابه «وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا» ـ سورة النمل ـ انظر كتاب الشيخ شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٩ » .

بذكر اسم الله الرحمن الرحيم واسم سيدنا المسيح • قال الرجل وهو يدعو الى فتح صفحة جديدة « يجب ان نعترف بان العقيدة المسيحية ترى فى المسيح اكثر مما يراه المسلمون • وانما على اى حال نحسه بطريقة مختلفة • ذلك ما نريد أن نبديه لكم ، دون ان نثير من جديد جدلا لاهوتيا تقليديا بيننا • والحق انه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التى تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة كى تفهم هذه العقيدة امة غير مسيحية • ان ذلك يستلزم عمليا تغيير اللغة ، ويستلزم على الخصوص الثقة فى ان ينير الله القلوب لمعرفة الحق •

ان شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الايمان بوحدة الله• « آمنا بالله وحده »• هذا ما نعلنه بكل قوة مع اخواننا المسلمين • وكاتباع المسيح ، نؤمن بالله الاحد ، المنزه ، خالق السماء والارض، المثيب ، الرحيم ، الغفار ،الخ• وفى استطاعتنا ان نتبنى كل اسماء الله الحسنى التى يطلقها المسلمون على الله الواحد ، اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين • ان عقيدتنا فى التثليث لا تنقص شيئا من ذلك التاكيد القاطع المطلق ، من ذلك الايمان الذى ينبغى لاخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به • فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم ولا نرضى ان نتهم باننا نشرك مع الله الهة اخرى •

ثم قال الكاردينال ترانكون : بجانب ذلك ، نؤمن بان لعيسى صبغة الهية • وهذا سر مسيحى عميق جدا يشغل بحق بال المسلمين • لكن يجب ان نعترف لاخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الالهية ، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الانسان،هى بالنسبة لنا ايضا سر لا يدرك• واستنادا الى نصوصنا وتقليدنا العقيدى ، نعبر عن الوحدة الالهية بالتثليث ، غير اننا لا نستطيع ادراكه• وكذلك تظل غامضة فى نصوص القرآن الكريم تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذى اوحى به الى مريم وعيسى ، كلمة اله التى ولدت منها • فالعلاقة بين الله وروحه وكلمته تطرح لكم مشكلا ايضا ، اذ يقول القرآن نفسه « ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » •

جذور المشكلة

بعد ذلك اقتربت الابحاث من جوهر المشكلة • شيئا فشيئا •

احد هذه الابحاث كان عنوانه«الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى محمد (ص) »،وقد قدمه الى المؤتمر احد كبار رجال اللاهوت الاسبان ، هو الدكتور ميجيل كروث ايرناندث •

فى السطور الاولى من بحثه قال : ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد (ص)• كذلك لا نكاد نجد اتهاما اساسه السياسة - لا الدين - مثل تلك الاتهامات التى وجهت للاسلام •

ثم طرح تصوره لبدايات الصدام بين المسيحيين والاسلام على الوجه التالى : ان المسار الطبيعى لانتشار الاسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسرا عبر اثمن الاماكن المسيحية ، وهى الارض التى ولد وعاش ومات فيها عيسى الناصرى الذى هو بالنسبة للمسيحيين ابن الاله الحى • ذلك ان الاسلام انتشر اولا فى آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وقد كانت مهد الكنائس الاولية والكبرى للمسيحية مثل القدس والاسكندرية •

لهذا السبب - يقول الدكتور ايرناندث -سرعان ما الصقت اتهامات بغير حصر بالنبى محمد (ص) تشهر به وتطعن فى نبوته • حتى وصف عند المسيحيين بانه « امير الظلام » ، خاصة بعدما كاد الاسلام يقضى على المسيحية فى اسبانيا ، بعدما فتح كل الجزيرة الايبيرية •

وفى مرحلة تالية - يضيف الدكتور ايرناندث - عندما حلت الدولتان الفاطمية والسلجوقية محل الامراء العباسيين بدات تظهر بوادر عدم التسامح الذى عرف به الاسلام تجاه المسيحيين ، وتولت الاساطير المبالغة فى هذه البوادر الف مرة ، حتى ادت الى حركة الحملات الصليبية التى استهدفت طرد الاسلام من الاراضى المقدسة •

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالاسلام والمسلمين ونبيهم حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى • وفى مطلع القرن الثالث عشر بدات تتقلص الخرافات ، دون أن تتغير

صورة النبي محمد (ص) في اذهان المسيحيين الذي ظل يوصف بانه مزيف وكاذب .

وفي القرن التاسع عشر اختفت تماما صورة الكاذب عن محمد (ص) ، عندما درست شخصيته دراسة علمية . ولكن صورته « نبيا مزيفا » ما تزال سائدة حتى ايامنا هذه .

وبنفسه تصدى الدكتور ايرناندث للرد على هذه المزاعم ، قال :

● ان نصوص التوراة والاناجيل لا تشير الى ان طريق النبوة قد اغلق بنبوة يعقوب ولا بنبوة عيسى .

● ان بعض العبرانيين كانوا يرفضون عمليا احتمالات مجيء انبياء جدد بعد يعقوب . « وليذكر الجميع ان عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار انه كافر ، وليس باعتباره نبيا » .

● ان كل الدلائل التاريخية والاجتماعية ، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية ، فان محمدا (ص) يعد نبيا حقيقيا (اشار الدكتور ايرناندث الى انه نشر دراسة في سنة ١٩٦٨ تؤكد هذه الحقيقة) .

وبعد هذه الشهادة ملأ الدكتور ايرناندث ٦ صفحات في فضائل النبي محمد الاجتماعية والسياسية (القدرة على تحليل بناء مجتمع شبه الجزيرة العربية ـ الحكمة السياسية « رجل الدولة » ـ المقدرة غير العادية على تحريك الجماهير) ـ ثم فضائل النبي الشخصية (الجلد الاعتدال ـ الحكمة ـ العدالة) ـ ثم فضائله اللاهوتية ، بالتعبير المسيحي الشائع ، العقيدة والامل والمحبة .

شهادة ورد

شهادة اخرى سجلها الدكتور ميغائيل ايبالسا تكمل الصورة :

قال امام الجميع : لقد جئنا بالضغينة منذ آماد بعيدة . لقد نشر في اسبانيا منذ قرن تماما كتاب يحمل اسم «القرآن» وقدم على انه ترجمة امينة للاسبانية . مفسر ومفند تبعا للعقيدة والتعاليم الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس ، الرسولي الروماني والحقيقة الوحيدة ... و .. الموجز التاريخي لحياة وافعال النبي الكاذب محمد ...



الكاردينال ترانكون ، والدكتور احمد هيكل .. من المنهج تحدثا ، في رؤية المسيح وتقييم النبي محمد (ص) من الناحية العلمية .

القوانين المضللة والجاهلة والمتناقضة التي نشرها هذا القائد الخبيث بين ابناء قومه من العرب » .

واضاف ايبالسا : وتستمر ٩٩٢ صفحة على هذه الوتيرة :

ثم قال : وقبل ذلك بقرن اصدر رجل دين فاضل كتابا آخر اكثر اعتدالا عنوانه « حقيقة اخلاق محمد ودينه : فكرة عادلة عن هذا النبي المزيف ، بدون الثناء عليه بافراط ودون الحط منه بحقد .. ضد ميل الفلاسفة الذين يدافعون عن المحمديين » .

وتساءل الرجل : اي قدر من الضغينة تجاه نبي الاسلام غرسناه في اعماق اجيالنا ؟

وبعد ان استعرض صفات النبي وخصاله قال : ان مجرد السؤال عن صحة اخلاص النبي محمد (ص) في مهمته النبوية ورسالته القرآنية، كما فعل اليسوعي المطران لامانيس في مطلع هذا القرن ، هذا السؤال يعد طعنا خطيرا للمسلمين ، بل هو عين الاستفزاز الجدلي .

ومحمد (ص) ـ يضيف البحث ـ عرف في مجتمعه التصعيد الروحي دون ان يفقد مادية حياته ومحيطه . استطاع ان يبلغ مرتبة الرمز الانساني والالهي للمجتمع المؤمن دون ان تكون له الصفة الالهية المباشرة التي تنسبها المسيحية ليسوع .

انه بالنسبة للمسيحية يتجسد الوحي الالهي في شخص انسان هو المسيح ، بينما هو بالنسبة للاسلام يتمثل في كتاب هو القرآن ٠

وعندما تكلم الدكتور جون تايلور ممثل مجلس الكنائس العالمي ، مضى في نفس الاتجاه ، فقال انه اذا كان المسيحيون قد اظهروا مشاعر الرفض او عدم الاكتراث « عندما يتعلق الامر بالاعتراف بالقرآن الكريم والصفات الرائعة للنبي محمد (ص) فقد كانوا اكثر تباطؤا في تقدير المفاهيم والانجازات التي قامت بها الجماعة الاسلامية في التاريخ وفي المجتمع المعاصر » ٠

ثم اضاف قائلا :انني الح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين ٠ المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبي محمد من اخطاء لوثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي ٠ والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروح متفتحة تاريخ ورمزية الكتابات المسيحية وعقائد وتراث الكنيسة ٠

في استعراض المواقف

من نقطة التقييم انتقلت الابحاث الى نقطة استعراض مواقف المفكرين المسيحيين من محمد عليه السلام ٠٠

وقد تولى عرض هذه المواقف بالدرجة الاولى الاب جي هارتيه ، الذي قدم أبرز آراء علماء اللاهوت في هذ القضية ابتداء من منتصف القرن العشرين ٠ فمنهم من يؤكد نبوة محمد (ص) الحقيقية مثل لويس ماسينيان الذي قال « ان نبوة محمد ايجابية من حيث كونها احدثت ثورة في القيم ودعت البشرية الى الايمان بالله واحد ٠ وقال « يعتبر محمد (ص) في المقام الاول نبي الرفض ، اذ قال « لا » باسم ربه قالها للوثنيين الذين يعبدون الاصنام ٠ وقالها لليهود الذين حولوا وعد ابراهيم الى تمييز عنصري ، وقالها للمسيحيين الذين حرفوا رسالة يسوع واعتبروه ابن الرب ، في حين يرى محمد (ص) ان عيسى لم يدع ذلك على الاطلاق ٠

ومن علماء اللاهوت من يعتبر محمدا (ص) «نبيا ارشاديا» مثل شارل لودي اي ان نبوته ليست مرتبطة بتعاليم دينية محددة (يقول الاب هارتيه ان هذه النظرية تؤدي الى اخطاء جسيمة) ٠

وثمة آراء اخرى لعلماء اللاهوت لا تعترف بنبوة محمد (ص) او بالقرآن الكريم ٠

الاب توماس يو مثلا يقول انه ليس نبيا «لانه لا ينتمي الى اي وجه من اوجه الخلاص » ٠ ويستند في ذلك الى مجموعة الوقائع التاريخية التي نقلت الى الغرب بصورة مشوهة ثم تداولها الجميع كحقائق ومسلمات ، مثل قضية زوجات النبي (ص) وقصة زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي طلقها زيد بن حارثة ، والظروف التي احاطت بالفتوحات الاسلامية ٠

والبروفسور روجيه ارنلويز انتقد القرآن في كتاب له ، « لانه يتضمن خروجا عما تعارف عليه المسيحيون ، فيما يتعلق بالمسيح مثلا ٠ » و ٠٠ «لانه لا وحي بعد وفاة آخر الحواريين» ٠٠وهكذا٠٠

وفي نهاية بحثه قال الاب هارتيه أن تباين هذه المواقف واختلافها يؤكد الحاجة الى ضرورة تعميق الفكر اللاهوتي المسيحي في هذا المجال ٠

وفي نطاق الاستعراض ايضا ،، قدم الاب جيوليو باسيتي ساني ، من جماعة الرهبان العاملين بحثا آخر موضوعه : محمد نبيا ٠

وقد حدد الاب جيوليو موقفه بصراحة في قوله : انني ارى التاريخ الانساني برمته ، وبصفة خاصة تاريخ الانسانية الديني ، وقد اتخذ من المسيح محورا ٠ ثم استعرض الادلة التي تؤكد صدق نبوة محمد (ص) في التوراة وفي التاريخ ، وانتهى الى انه يعد « نبيا حقيقيا في اطار تاريخ السلام الذي يتخذ من يسوع المسيح محورا » ٠

وحول الموضوع ذاته قدم الدكتور جريجوريو رويث الاستاذ بجامعة كومباس (مدريد) بحثا يجيب على السؤال : باي معنى يمكن اعتبار محمد (ص) نبيا من قبل المسيحيين ؟

وكانت خلاصة الاجابة انه طبقا لمقاييس التوراة وانبياء العهد القديم ، فان محمدا (ص) يعتبر نبيا من وجهة النظر المسيحية ★

★ أثار هذا البحث ضجة شديدة في جلسة المؤتمر، اذ اعترض بعض ممثلي الدول الاسلامية على بعض ما ورد فيه ٠ وكان رد الدكتور رويث انه اجتهد مستندا الى ما توفر لديه من معلومات وانه مستعد للتخلي من وجهة نظره اذا وجد معلومات اخرى مغايرة ومقنعة ٠



اعضاء المؤتمر ادوا صلاة الجمعة فى مسجد قرطبة لثالث مرة منذ ٧٠٠ سنة ٠ كانت المرة الاولى فى سنة ٦٥ عندما زاره الملك عبدالعزيز ال سعود ٠ والمرة الثانية سنة ٧٥ اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامى المسيحى الاول ٠ فى الصورة جلس صف من الرهبان وراء المصلين بينما تجمع السياح يتابعون المشهد ٠

تصوير :
اوسكار مترى

وفى نهاية هذه الرحلة ، دعا الدكتورسلفادور توجالس الى تقييم جديد للنبى ، فى بحث عنوانه « محمد : رؤية تاريخية جديدة » ٠ ومن ابرز ما سجله فى هذا البحث :

ـ ان التعصب العام للمسيحيين فى تاريخ الخلاص قد تم الغاؤه الى حد ما عن طريق النصوص الصادرة عن المجمع الفاتيكانىالثانى٠

ـ انه يمكن عن طريق تلك المبادىء(قرارات المجمع الفاتيكانى) ان تكون هناك نظرة جديدة الى الرؤية التى كانت لدى المسيحيين عنشخصية محمد ٠

ـ الكنيسة المسيحية تقوم بدور الشاهد ودلالة الخلاص فى الحياة الاخرى ، ولكن لايمكن ان تصبح باى حال المكان الوحيد للخلاص ٠

ـ من وجهة النظر المسيحية ليست هناك عقبات كبيرة فى وصف محمد (ص) بالنبوة ٠ « ولابد من اعترافنا بانه الى جانب معطيات النبوة التى توفرت له ، فهناك ايضا الكمال الشخصى والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة ٠»

دفاعا عن العقيدة الجامعة

لماذا الحوار اساسا ؟

البعض عندنا يرفض طرح هـذا السـؤال ، قائلين انه بغير جدوى ، لان المسلمين سيظلون مسلمين ، والمسيحيين سيظلون على دينهم ٠اللقاء اذن مستحيل « الا ان يتنازل التوحيد عنشىء من عقيدتهليلتقى مع التثليث فى منتصفالطريق٠

وهذا امر يرفضه الاسلام » ٠٠ على حد تعليق احد الكتاب في مقال نشر عقب المؤتمر ٠

ان هذا الطرح يفترض ان كل طرف يستهدف من الحوار أن يحول الآخر عن عقيدته ، وهو أمر لم يقل به أحد على الاطلاق ٠

ان هدف الحوار هو تعميق الفهم ، وتبديد المخاوف ، واقتلاع جذور الحساسية والرفض ، لتمتد جسور المودة والتعاون بين بني الانسان مهما اختلفت مواقفهم المذهبية والعقيدية ٠

ثم اننا في عصر الحوار ٠

فهناك حوار مستمر بين المذاهب المسيحية ذاتها، وحوار بين المسيحية واليهودية ، وبين المسيحية والبوذية ، وبين المسيحية والماركسية ★

منافذ الحوار مفتوحة في كل اتجاه ، فلماذا نصم آذاننا نحن وننغلق عن العالم ، بينما لدينا الكثير مما هو مشرق ، نقوله ونقدمه الى من حولنا ٠

وهناك واقع آخر يفرض ضرورة الحوار بين الاسلام والمسيحية ، طرحه امام المؤتمر الدكتور خ ٠ اجنايفوا نايت استاذ تاريخ الثقافة بجامعة مدريد ، مصحوبا بخريطة احصائية دقيقة ٠

قال الدكتور نايت : ان الاسلام هو اكبر قوة حية اليوم ، وهو الذي يدفع تيارات العالم الثالث ، اذ انه ينتشر أساسا في ٤٢ دولة ، من خلال ٧٢ مذهبا تتفرع عنه (يذكر صاحب البحث ان المسيحية يتفرع عنها ٢٦٠ مذهب) ٠

يقول الرجل أيضا ان سكان العالم الان ينتمون الى ٦ ديانات : ثلاث منها محلية (اليهودية التي تخص اليهود فقط والهندوكية للهنود والمجوسية للمجوس) ، بينما الديانات الاوسع انتشارا في رايه هي : الاسلام والمسيحية والبوذية ٠

ويضيف الدكتور نايت : ان ربع سكان الكرة الارضية الان (ألف مليون) ينتمون الى الاسلام، والربع الاخر يعتنق المسيحية ٠ والربع الثالث موزع بين الهندوكيةوالبوذية. واليهوديةوالمجوسية، وبقايا ديانات اخرى٠الربع الاخير يعتنق الشيوعية٠ اى أن الشيوعية انتقلت خلال ١٠٠ سنة من لا شيء الى السيطرة على ربع الكرة الارضية ٠

وينتهي من هذا العرض الى ان الشيوعية تتقدم فقط في الدول المسيحية والبوذية ٠ ولما كانت اليهودية والهندوكية والمجوسية ديانات محلية لم تتاثر كثيرا بالمد الماركسي ، فان الاسلام يصبح الدين الوحيد الذي يتقدم ولا يتراجع ٠٠ خصوصا وان هذا الدين ـ الاسلام ـ قادر على مواجهة الشيوعية والراسمالية في آن واحد ٠

ويسجل الدكتور نايت أيضا انه في افريقيا « نجد الان ان هناك شخصا واحدا يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الاسلام » ٠

ثم يصل الى هدفه عندما يقول ان هناك خطرا ماثلا يهدد العقيدة الجامعة (يعني الايمان بالله) وهو واقع يجب أن يتنبه اليه الجميع ، ويتكاتفوا من اجل صده ، بالحوار والتعاون الدائمين ٠

دور السياسة والاقتصاد

على ان المسالة ليست دينا خالصا ٠

ذلك أن الدعوة الى الحوار الاسلامي المسيحي نشطت بشكل بارز في السبعينات ، بعد ما تصاعد الدور العربي في الساحة العالمية ، خصوصا في أعقاب حرب اكتوبر ٠ ونظرة على تتابع مراحل الحوار تؤكد هذه الحقيقة : في سنة ٧٠ عقد مؤتمر للحوار في عجلتون بلبنان اشترك فيه ممثلون للاسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ـ في سنة ٧٢ اقيم حوار اسلامي مسيحي في برمانا بلبنان ـ في سنة ٧٤ عقد المؤتمر الاول الاسلامي المسيحي في قرطبة ـ سنة ٧٥ عقد مؤتمر آخر للحوار في تونس ـ سنة ٧٦ عقد مؤتمر للحوار في طرابلس بليبيا ـ سنة ٧٧ مؤتمر قرطبة الثاني الذي نتحدث عنه ٠

وقد اقرني الدكتور ايبالسا على هذا الراى ، ان هناك مناخا سياسيا واقتصاديا هو الذي حرك الدعوة الى الحوار ٠ لكنه أضاف ان هناك التزاما اخلاقيا أيضا من جانب فريق المثقفين الاسبان ،

★ راجع في استعراض اتجاهات الحوار المعاصرومستوياته ومحاولات اسرائيل استغلال حوار المسيحية واليهودية لصالحها في كتاب « الحوار بين الاديان » ـ للدكتور وليم سليمان ٠

ذلك انهم على قناعة حقيقية بان الاسلام لعب دورا عظيما فى التاريخ الاسبانى • وان هذا الدين ونبيه العظيم قد ظلما ولقيا من الجحود والتجريح مما يدعو اى منصف الى محاولة تصحيح هذه الصورة ، مستثمرا المناخ الراهن •

وعندما قلت ان الحوار في جوهره هو حوار بين الغرب والشرق ، وليس بين المسيحية والاسلام فقط ، لان الضغائن وبذور الكراهية التي يتحدث عنها موجودة في الغرب بالدرجة الاولى، والتعايش قائم منذ قرون فى الشرق بين المسيحية والاسلام •

أيد الدكتور ايبالسا هذا الرأى أيضا قائلا ان هذا الحوار الدينى بغير شك احد عناصر لقاء الغرب والشرق فى العصر الحديث •

وهذا المعنى اكده من زاوية اخرى الاب ميشيل ليلون مقرر الامانة الكاثوليكية للعلاقات مع الاسلام (انشئت فى باريس سنة ٧٤) ، الذى قال فى بحث قدمه الى المؤتمر عن تطور نظرة الرأى العام الفرنسى تجاه نبى الاسلام : « ان التطور الذى حدث في فرنسا وأوروبا بوجه عام تجاه الاسلام والعالم الاسلامي قد جاء نتيجة لحصول كافة الدول الاسلامية على استقلالها ، وللدور السياسى والاقتصادى الذى تقوم به الدول العربية فى الساحة الدولية » •

وقد سجل الاب ميشيل ليلون معالم هذا التطور فى نتيجة استفتاء من ثلاثة أسئلة وزع على مجموعة من الاشخاص سنة ٧٠ ثم طرحت الاسئلة ذاتها على هؤلاء الاشخاص انفسهم فى عام ٧٦ ، وكانت النتيجة كما يلى :

● السؤال الاول : هل قرات القرآن ؟

فى سنة ٧٠ كانت الاجابة هى : واحد قرأه كله ،و ١٩ قرءوه بصفة جزئية ،و ٨٠ لم يقرءوه•

وفى سنة ٧٦ كانت الاجابة هى : ٧ قرءوا القرآن كله ، و ٣٥ قرءوه بصفة جزئية ، و ٥٨ لم يقرءوه •

● السؤال الثانى : ما هو رايك فى نبى الاسلام ؟

فى سنة ٧٠ كانت الاجابة : ٢ جيد جدا ، ٨ جيد ، ٥٠ سيىء ، ٤٠ سيىء جدا •

فى سنة ٧٦ أصبحت الاجابة : ٣ جيد جدا ، ٤٠ جيد ، ٣٧ سيىء ، ٢٠ سيىء جدا •

● والسؤال الثالث : هل تعرف حياة محمد (ص) نبى الاسلام ؟

فى سنة ٧٠ كانت الاجابة : واحد جيد جدا ، ٨ جيد ، ١٦ قليلا ، ٧٥ لا شىء •

فى سنة ٧٦ أصبحت الاجابة : ٤ جيدا جدا ، ١٨ جيد ، ٤٣ قليلا ، ٣٥ لا شىء •

ويعلق الاب ميشيل ليلون على هذه النتائج بقوله ان هناك تطورا ايجابيا فى معرفة الفرنسيين بالقرآن والاسلام فى السنوات الاخيرة ، رغم ان النتائج تشير فى الوقت ذاته الى مدى انتشار جهل الفرنسيين بالاسلام وتعصبهم تجاهه !

●

ماذا حقق الحوار فى قرطبة ؟

لقد كشف حوار قرطبة عن نقاط ضعف فينا لا يمكن تجاهلها • فى استعدادنا لسماع الرأى المخالف فى مستوى ما نقدمه من جهد علمي يخاطب عقول الناس ولا يستثير انفعالاتهم ، فى منهج العمل الذى يعتمد على الجهد الفردى ولا يؤمن بروح الفريق •

ولا بد أن نقرر ان أكثر ما قاله المفكرون المسيحيون كان مفاجأة للجميع • لكننا لا نستطيع ان نقول أن طرفا كسب وطرفا خسر ، والا قورن الحوار بمباريات كرة القدم التي تحتسب نتيجتها بعدد الاهداف •

فقط شق الحوار طريقا جديدا فى علاقة المسيحية بالاسلام ، أصبح مفتوحا لكي يتقدم فوق من يشاء ويعمقه من يشاء •

واذا ترجم الاتجاه الرئيسى للكلام الذى قيل من فوق منصة الحوار الى واقع تردده المجامع الرسمية ، ويتلقاه التلاميذ فى مدارس الغرب ، فقد تحقق بذلك انجاز عظيم •

واذا بقى كما هو ، آراء ومواقف مسجلة فى المذكرات والابحاث ، فسيظل نقطة مضيئة ومشرقة•

وفى كل الحالات فان المنتصر الحقيقى هو كل مسلم ومسيحى متحضر ومستنير •

المنتصر الحقيقى هو انسان هذا العصر •

■■



ردا على الدعوة لاعادة النظر
في كتب الدكتور طه حسين

الشعر الجاهلي بين الرواية والدراية

بقلم : علي حيدر النجاري

■ في الذكرى الثالثة لوفاة الدكتور طه حسين ، رغبت مجلة « العربي » في أن تفسح المجال لنشر دعوة تلقتها من الاديب الباحث الاستاذ سعيد الافغاني أحد أعضاء المجمع اللغوي . وهو في دعوته تلك يهيب بالباحثين الى اعادة النظر في كتابي : حديث الاربعاء و .. في الشعر الجاهلي(١) .

ويبدو من تقدمة المجلة للمقال انها فتحت الباب للبحث في الموضوع ، متجردة وغير منحازة. وهو ما يدعوني الى أن أشارك في الحوار مع الاستاذ الافغاني ، لا سيما وقد سبق أن كدت أدخل معه في نقاش مشابه حول تعليق له في مجلة المجمع اللغوي بدمشق(٢) على تعقيب لي في المجلة ذاتها لقصيدة منسوبةالى واعظ أندلسي يكنى بأبي عمران نشرها الاخ العالم الجليل الاستاذ الشيخ عبد الله كنون (٣) واعدت نشرها عن نسخة مخطوطة في حيازتي مع تغاير في بعض كلمات القصيدة وترتيب الابيات ، ورأيت احتمال نسبتها الى كمال الدين بن العديم حسبما أشارت اليه نسختي المخطوطة أو في رأيي كذلك الى شاعر آخر عاش في أواخر عهد الايوبيين أو أوائل عهد المماليك ،وأبديت شكوكي في سماع ورواية النسخ المخطوطة التي ذكرها الاستاذ كنون .

وهنا ترى أواصر التشابه بين الموضوعين فقد تساورتني انئذ الشكوك في رواية قصيدة منسوبة الى واعظ أندلسي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ولم يعثر قط على ترجمة له وحتى على ورود اسمه خلال تراجم المشاهير ، وبين النسبتين نسبتي ونسبة الاستاذين كنون والافغاني نحو من قرنين ، فروح القصيدة ولغتها تنمان عن نهج وسبك الشعر في عهد المماليك .

(١) العربي العدد ٢١٨ يناير كانون الثاني ١٩٧٧

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثالث المجلد التاسع والاربعون تموز يوليو١٩٧٤.

(٣) مجلة مجمع اللغةالعربية بدمشق الجزء الرابعالمجلد الثامن والاربعون تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣ .

ويطول بى الحديث ان شرحت او لخصت رأيى مستندا الى حقائق ووقائع تاريخية وادبية ملموسة اوردتها على صفحات مجلة المجمع اللغوى(٤) •

المهم فى التشابه والدخول فى صلب الموضوع ان الاستاذ كنون رد على فى نحو من عشر صفحات مستشهدا باصول رواية الحديث وقواعد علم مصطلحه(٥) ، امران اقدرهما حق التقدير ولكن فى غير مجال الادب والشعر • فالمحدث حين يروى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام تحف به خشية الله من ان ينحرف ولو قليلا ، اذ ان قول النبى العظيم ماثل فى مخيلته يحيط به احاطة السوار بالمعصم : « من كذب على عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » • وقد اتخذ علماء مصطلح الحديث قول الرسول هذا شعارا لهم ، طالما أوردوه ورددوه •

على حين أن الادباء القدامى هم فى رواياتهم للشعر بعيدون عن ذلك الجو الدينى المهيب •

حتى أن العالم الدينى اذا روى الشعر فهو ولا شك كائن فى غير ذلك الجو الذى يروى فيه الحديث النبوى •

الم ترو أشعار لعديد من العلماء ؟ أبرزها ما روى عن الامام الشافعى قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربى
لقلت الخلق كلهم عبيدى

وما نظن أن الامام الشافعى قائله •

وكنت فى ختام تعقيبى على مقال الاستاذ كنون فى مجلة المجمع اللغوى قلت فى التعليق على البيت الاخير من نسخة والدى المخطوطة — وهى فى مدح السيدة عائشة بنت ابى بكر الصديق — « يحتمل أن يكون هذا البيت مدخولا فى نسخ سابقة ، شبيه بما أدخلوه على بردة البوصيرى :

أبياتها قد أتت ستين مع مائة
فرج بها كربنا يا واسع الكرم
الخ •• »

فالسمو الشعرى الذى استهل به البوصيرى قصيدته والقسم الاول منها ثم نهجه خلالها ، كل ذلك ليناى به عن ان يسف فى الخاتمة !! ابياتهى مجرد حديث عابر بعيدة كل البعد عن أن تكون شعرا بالمعنى الوجدانى •

حتى فى عصرنا الحاضر

السيد رشيد رضا وهو من هو فى الفقه والكتابة وسعة الاطلاع ، يروى عن استاذه الامام الشيخ محمد عبده أبياتا قال انها من نظمه وهو على فراش مرضه الاخير ، وتناقلها المؤلفون على انها شعر الامام :

ولست أبالى أن يقال محمد
أبلّ أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها
اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رجعى قريبة
الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وأرزقه مرشدا
رشيدا يضىء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقا وعلما وحكمة
ويشبه حتى السيف والسيف صارم

وقد أثبت الاخ الاستاذ محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع اللغوى بدمشق انها للشاعر المغربى المراكشى ابى عبد الله محمد بن كنسوس المتوفى سنة ١٨٧٧ — اى عندما كان الشيخ محمد عبده فى الثامنة والعشرين — « وكان شاعرا لامعا فى بلاده ، وكان على خير الصلات مع رجال الحكم والادارة فى المغرب » فالشعر ليس للامام كما قال السيد رشيد وليس من وضع السيد رشيد رضا كما ارتأى الدكتور طه حسين(٦) •

وقفة أمام المقال

اذكر هذا وأمامى مقال الاستاذ الافغانى فى مجلة « العربى » فى العدد الثامن عشر بعد المائتين وقد اراد به ان يبرىء ذمته وذمة زميله

---

(٤) نفس المجلة الجزء الثانى المجلد التاسع والاربعون نيسان/ابريل ١٩٧٤ •
(٥) نفس المجلة الجزء الرابع المجلد التاسع والاربعون تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٤ •
(٦) مجلة الاديب اكتوبر ١٩٧٣ مقال للاستاذ محمد عبد الغنى حسن بعنوان : ابيات ولست ابالى •

الدكتور أحمد الحوفي بعد وفاة رئيس المجمع الدكتور طه حسين ، حول اعترافه بالخطا في كتابيه حديث الاربعاء وفي الشعر الجاهلي ·

واود هنا أن الفت النظر الى أن نهج كتابه في الادب الجاهلي وقد صدر بعيد الشعر الجاهلي وحل محله ـ وفيه يحلل الكثير من هذا الشعر ، المختلف جدا عن منهج حديث الاربعاء · فهذا الاخير ، واوافق الاستاذ الافغاني على رأيه فيه ، مجموعة مقالات نشرت في مجلة السياسة حتى ان بعضها نشر في صحف يومية كالجهاد لصاحبها المرحوم الاستاذ توفيق دياب ، وتكاد المقالات تخلو من دقة البحث وسعة التمحيص· وعلى عكسها كتابه في الادب الجاهلي فيه منحى التدقيق وانتهاج كلي لقواعد البحث العلمي ، اذ هو محاضرات قرئت على طلاب كلية الاداب بالجامعة المصرية قبل عام ١٩٢٧ العام الذى طبع فيه الكتاب وهو الذى بين يدى الان(٧) ·

وحسنا ما نقله الاستاذان الافغاني والحوفي عن المرحوم العميد وحاشاى ان اكذبهما فيه ·

بيد اننا نلاحظ ان كلام الاستاذ الافغاني في تبرئة ذمة الاستاذ الحوفي : « وكان تعقيبه شهادة اداها بان طه حسين رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي » ·

شهادة في غير محلها

نلاحظ بهذا القول على عمومه تجنيا على الدكتور العميد ، فطه حسين لم يقل البتة في انتحال كافة الشعر الجاهلي وانما قال بعضا منه ، ومن هذا البعض ما اعترف بخطأ رايه فيه·

كان ينبغي للاستاذين السامع والناقل ان يلفتا النظر الى هذا ، وان يخصصا حين التعقيب · فللتعميم خطورته ، اذ أن « العام حجة ما لم يرد مخصص » وما نحسب الدكتور طه قذف بجميع ما ارتاه في الشعر الجاهلي عرض الحائط خلال حديث عابر وهو العالم الفطن ، وكما أشرنا وكما سنوضح فان رايه في الشعر الجاهلي نتيجة روية وامعان في التفكير وانتهاج لقواعد البحث ·

ونعزز هذا بفقرة وردت في كتابه في الادب الجاهلي في الصفحة (٦٤) فهو يقول عن نفسه : « وقد تجنبنا في هذا الحديث الطرق التي يسلكها المهرة من الكتاب ليدخلوا على الناس ما لم يالفوا ، في رفق واناة وشيء من الاحتياط كبير »·

والان لنستمع الى الدكتور العميد وهو يقول في التعليق على قسم من معلقة طرفة بن العبد ، حين ياتي على أبيات سبعة منها بدءا من :

وانى لامضى الهم حين احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

يقول في الشاعر : « وهو يمضي على هذا النحو في وصف ناقته فيضطرنا الى أن نفكر فيما قلناه من قبل من ان اكثر هذه الاوصاف اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللغة الى اى شيء آخر· ولكن دع وصفه للناقة واقرا ·

ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد

(الى عشرة أبيات بعده من المعلقة) ·

« فسترى في هذه الابيات لينا ولكن في غير ضعف وسترى كلاما لا هو بالغريب الذى لا يفهم، ولا هو بالسوقي المبتذل ، ولا هو بالالفاظ قد رصفت رصفا دون أن تدل على شيء · وأمض في قراءة القصيدة فستظهر لك شخصية قوية ، مذهب في الحياة واضح جلي : مذهب اللهو واللذة يعمد اليهما من لايؤمن بشيء بعد الموت ولا يطمع من الحياة الا فيما تتيح له من نعيم بريء من الاثم والعار على ما كان يفهمها عليه هؤلاء الناس ·

وما زال تشرابى الخمور ولذتى
وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى

الى أن تحامتنى العشيرة كلها
وافردت افراد البعير المعبد

رايت بنى غبراء لا ينكروننى
ولا أهل هذاك الطراف الممدد

الا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودى

(٧) قامت بطبعه لجنة التاليف والترجمة والنشر في مطبعة الاعتماد عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م

« فى هذا الشعر شخصية بارزة قوية لا يستطيع من يلمحها أن يزعم انها متكلفة او منتحلة او مستعارة وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الالحاد بينة الحزن واليأس والميل الى الاباحة فى قصد او اعتدال ، تمثل رجلا فكر والتمس فلم يصل الى شىء وهو صادق فى يأسه ، صادق فى حزنه ، صادق فى ميله الى هذه اللذات التى يؤثرها . ولست ادرى أهذا الشعر قاله طرفة أم قاله رجل آخر ؟ وليس يعنينى أن يكون طرفة قائل هذا الشعر بل ليس يعنينى أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر ؟ وانما الذى يعنينى ان هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال ، وان هذا الشعر لا يشبه ما قدمنا من وصف الناقة ولا يمكن أن يتصل به(٨) » .

مستقل برأيه ويتنكر للمستشرقين

وان طالما سمعنا وقرأنا لبعض مهاجمي الدكتور العميد يصمونه بأخذه من المستشرقين وان رأيه فى الشعر الجاهلي ليس من بنات افكاره ، فلنستمع اليه وهو يقول فى مقدمة كتابه « فى الادب الجاهلى » .

« والذى لا يأخذ بحظ من اسلوب القدماء فى النقد ولا من اسلوب المحدثين فى البحث وانما يحاول أن يقلد الاوروبيين فيما يسمونه تاريخ الاداب ، فيعمد الى الكتاب والشعراء والخطباء والفلاسفة فيترجم له او يختلس لهم ترجمة عن كتب الطبقات على اختلافها ثم يتبع كل ترجمة بشىء من شعر لشاعر أو نثر لكاتب او بيان لخطيب ثم يلم فى كل عصر بطائفة من المعانى يلفق بعضها الى بعض فى غير فقه ولا فهم ولا احتياط ولا دقة ويسمى هذا الخليط كله ادب اللغة العربية وتاريخ اداب اللغة العربية حينا آخر » .

حتى أن طه حسين يتنكر للمستشرقين حين يرون تأثير المصادر العربية ومنها الشعر الجاهلي كشعر امية بن أبى الصلت فى القرآن الكريم فيقول :

« والغريب فى امر المستشرقين انهم يشكون فى صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك الى الجحود فلا يرون فى السيرة مصدرا تاريخيا صحيحا، هم يقفون هذا الموقف العلمى من السيرة ويغلون فى هذا الموقف ولكنهم يقفون من امية بن ابى الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن . فما سر هذا الاطمئنان الغريب الى نحو من الاخبار دون النحو الاخر . أيمكن أن يكون المستشرقون انفسهم لم يبرءوا من هذا التعصب الذى يرمون به الباحثين من اصحاب الديانات (٩) .

ثم يقول الاستاذ الافغاني : « من هنا كانت كتبه ومقالاته فى تاريخ الادب خالية من الخلق والاضافة الحقة وبعضها كان أشبه شىء بسنحات الخواطر يزينها باسلوبه العاطفى وبيانه الحلو وتكريراته وتأكيداته وسائر خطا بيانه وهى على كل حال بعيدة عن مقومات البحث ومعطيات البراهين » .

يبدو أن الاستاذ الافغاني لم يقرأ كتابه فى الادب الجاهلى ، وليس فى هذا ما يحد من سعة اطلاعه ومكانته ، فاليه بعض عناوين المواضيع المتعلقة بتاريخ الادب الواردة فى هذا الكتاب :

مقاييس التاريخ الادبى : المقياس السياسى ، المقياس العلمى ، المقياس الادبى .

ثم يلي هذه الثلاثة بحث فى : « متى يوجد تاريخ الاداب العربية » .

ان من يبحث فى مثل هذه المواضيع فى نيف وعشرين صفحة سالكا فيها المقاييس المذكورة بامعان وتدبر لا يمكن قط أن يكون بعيدا عن مقومات البحث ومعطيات البراهين » وما اكثر الادلة والبراهين فى كتابه ! ..

هذا ما اردت به أن انهى النقاش مع الاستاذ الافغاني لا سيما وهو يقول فى مقدمة مقاله نقلا عن « حديث غير واحد من نابهى طلاب الدكتور القدماء .. ان دروسه فى الادب اعلى كثيرا من دروسه فى تاريخ الادب لافتقار الثانية الى ادوات لم تتح له اذ كان اعتمادها جميعا على المباصرة وهيهات ان يكون المعاونون له (مأجورين او متطوعين) بديلا منها فى حال من الاحوال » .

ان افضل رد على هذا الرأى قوله تعالى : « لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . ■■

دمشق — علي حيدر النجاري

(٨) فى الادب الجاهلى ص ٢٤٨

(٩) فى الادب الجاهلى ص ١٥١

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

هرمون ذكورة جديد

● اكتشف العلماء فى اسكتلنده هرمونا جديدا فعالا تقدر قوته بعشرة اضعاف قوة هرمون الذكورة المعروف باسم تستسترون Testosterone ، وقد اشار الى ذلك الاكتشاف مجلس الابحاث الزراعية فى ادنبره Agricultural Research Council ، فى تقريره السنوى الصادر فى ديسمبر الماضى ٠٠

ويعود الفضل فى الاكتشاف المذكور الى مركز ابحاث الدواجن Boultry ، ومركز الطب الاستوائى البيطرى التابع لجامعة ادنبره ٠٠ فقد لاحظ العلماء فى هذين المركزين ان بعض الدجاجات كانت تتصرف وكأنها ذكور لا اناث، وانها امتنعت عن وضع البيض٠٠ ولاحظوا ايضا ان بيوت تلك الدجاجات قد فرشت بنجارة الخشب المأخوذ من شجرة افريقية ،هى شجرة مطاط برية هجينة ٠ واثبت الفحص والتحليل ان تلك النجارة كانت مصابة بمرض فطرى، وان التفاعل بين هذا المرض والخشب هو الذى ادى الى ظهور الهرمون القوى الجديد ، الذى قد يدخل فى صناعة حبوب منع الحمل على نطاق واسع فى مستقبل غير بعيد ٠ واثبتت التجارب ايضا ان التغير الذى طرأ على سلوك الدجاجات الجنسى جاء نتيجة لما اكلته الدجاجات من تلك القطع المصابة٠٠ وقد كان ضئيلا للغاية ولا يزيد فى بعض الحالات على جزء من الخمسين من الاونسة فى الاسبوع (والاونسة الواحدة تساوى ٢٨ر٣٥ غراما) ٠

وفيما عدا ذلك اشار التقرير السنوى السالف الذكر الى الطريقة الجديدة التى طورها مجلس الابحاث الزراعية بقصد تطرية اللحوم ٠٠ فبدلا من ترك امر هذه التطرية للعوامل الطبيعية التى تستغرق نحو سبع ساعات تعقب ذبح الحيوان ٠٠ والتى كثيرا ما يتجاهلونها فى المسالخ فيستعجلون تجميد اللحوم قبل مضى الوقت الكافى للتطرية الطبيعية٠٠ وتقوم الطريقة الجديدة على تعريض الذبائح لتيار كهربائى بقوة (٧٠٠) فولت ، وذلك لمدة ربع ساعة بعد الذبح مباشرة ٠ الا ان التطرية لا تحدث بتأثير التيار الكهربائى على نحو مباشر ٠ اذ من غير المعقول ان يستثير هذا التيار عضلات الذبيحة وقد فارقتها الحياة ٠ فالذى يستثيره التيار الكهربائى أنما هو بعض الاعصاب التى تحتفظ بالحياة لمدة وجيزة بعد الذبح ٠٠ وهذه بدورها تنقل الصدمات الى العضلات فتحدث التطرية المرجوة فى اللحم ٠

جهاز لتخطيط القلب

● يبدو أن النزعة الى صنع الالات والاجهزة باحجام صغيرة باتت سائدة لا فى صناعة السيارات وصناعة الراديو والتليفزيونات فحسب ، وانما فى صناعة الاجهزة الطبية ايضا . فقد اوردنافى عدد سابق خبر جهاز مصغر للصدمات الكهربائية ونورد اليوم خبر جهاز طبى آخر نجحوا فى صنعه بحجم صغير ..

وجهاز اليوم ليس سوى جهاز تخطيط القلب . فهو فى حجم يسمح بوضعه فى الجيب دون أن ينتقص من قدرته على تخطيط قلب المريض بوضوح ، وذلك على شاشته الصغيرة ، التى لا يزيد عرضها على بوصتين، ويوضع الجهاز كما ترىفى الصورة فوق قلب المريض ، على ان تبل قاعدته حيث توجد الاقطاب الكهربائية الموجودة فى اسفل الجهاز قبل ذلك . ولدى الضغط علىالزر المحركيبدأ الجهاز عمله فى سرعة تتراوح بين ٣ مليمتر و ٢٥ مليمترا فى الثانية الواحدة ، ولا يلبث ان يظهر على الشاشة الضوء الذى يكشف خفقان قلب المريض .

ويعمل الجهاز الجديد ببطارية قابلة للشحن..ويمكن استعمال بطاريته هذه فى



فى مائة قراءة قبل الحاجة الى شحنها من جديد . ويتوقف الجهاز عن العمل اوتوماتيكيا بعد مضى دقيقة واحدة على تشغيله وذلك بقصد التوفير فى طاقته .

والفارق بين هذا الجهاز والاجهزة الاخرى المعروفة ليس فارق حجم فحسب ، بل انه فارق فى التشغيل ايضا . فالاجهزة القديمة بحاجة الى محاليل لزجة واشرطة واقطاب كهربائية معقدة ، فىحين ان الجهاز الجديد لا يحتاج سوى ما ذكرنا من ترطيب لقاعدته .. فهو اذن الجهاز المثالى للاستعمال فى الخارج .. خارج المستشفيات والمصحات .

فى عالم الحيوانات المنقرضة

● الدبلودوكس Diplodocus ، هو احد الحيوانات المنقرضة .. وهو فى الواقع ديناصور ضخم يبلغ طوله ٨٠ قدما ووزنه ٣٠ طنا .. وقد ساد الاعتقاد فى الاوساط العلمية ان ولاية (يومنج) فى الولايات المتحدة الامريكية هى الموطن الاصلى الوحيد الذىعاش فيه الدبلودوكس قبل نحو ١٤٠ مليون سنة او تزيد . ذلك انهيكلا عظميا كاملا منهياكل هذا الحيوان اكتشف فى تلك الولاية فى اوائل القرن العشرين . وقد اعتبر هذا الهيكل من عجائب متاحف التاريخ الطبيعى واصبح متحف كارنيجى فى بتسبورغ ، حيث وضع الهيكل لاغراض العرض ، فى طليعة تلك المتاحف منحيث كثرة زواره من امريكيين وغير امريكيين ..

وهكذا لم يجد الانجليز مفرا من صنع هيكل من البلاستر للهيكل الامريكى الاصلى .. صنعوه سنة ١٩٠٥ ووضعوه

للعرض فى متحفهم الشهير ، متحف لندن للتاريخ الطبيعى • وما كان الانجليز ليرتضوا بالبديل لو انهم اشتبهوا باحتمال كون بريطانيا موطنا آخر من مواطن الدبلودوكس الاصلية •

لذلك كان للاكتشاف الذى تسنى لاحد رجال الشرطة الانجليز فى هذا الصدد أثر ودوى • فقد عثر المستر هات ، وهو من هواة التنقيب عن الاثار ، على ٢٧ عظمة من عظام الدبلودوكس •• عثر عليها فى جزيرة وايت البريطانية ، فسارع الى تسليمها الى متحف التاريخ الطبيعى فى لندن •• وهناك نجح الخبراء فى جمع تلك العظام ، واذا بها اجزاء مختلفة لعظمة واحدة ، هى احدى عظام ذيل الدبلودوكس •• فهذا الحيوان المنقرض يتميز عن سائر الديناصورات بذيله الضخم المحدودب •

واستكمل الخبراء دراساتهم للدبلودوكس البريطانى ، فكان أهم ما توصلوا الى معرفته هو ان هذا الحيوان كان يسرح ويمرح فى ربوع بريطانيا قبل حوالى ١١٠ ملايين من السنين •• اى بعد انقراض الديناصور الامريكى بنحو ثلاثين مليون سنة •

مخاطر حبوب منع الحمل

● نشرت مجلة لانست Lancet فى عددها الصادر فى شهر نوفمبر الماضى ، تقريرا عن حبوب منع الحمل وعن احتمالات الاصابة بامراض القلب والاوعية الدموية، وبالتالى احتمالات الموت ، التى قد تترتب على تعاطى تلك الحبوب •• وتؤكد المجلة الطبية البريطانية أن تلك احتمالات كثيرة •• اكثر مما كان يظن ••

اما الابحاث التى استند اليها التقرير فقد قامت بها الدكتورة فالرى برال Dr.Valerie Beral المتخصصة بالاحصاءات الطبية فى مدرسة الصحة العامة والطب الاستوائى فى لندن •• اذ اتخذت هذه العالمة من احصاءات منظمة الصحة العالمية اساسا لدراساتها ، وراحت تحلل اسباب الوفيات ، وتتحسس الانماط او الاتجاهات التى امكنها تحسسها فى تلك الاسباب •• وذلك فى ٢١ قطرا من اقطار العالم المختلفة •• وقد تبين للدكتورة برال ان التقلبات فى عدد الوفيات بسبب امراض القلب والاوعية Cardiovascular diseases ارتبطت فى تلك الاقطار جميعا بمدى تعاطى حبوب منع الحمل • ولم يظهر للدكتورة فالرى مثل هذا الارتباط بين التقلبات التى ذكرنا وبين التغيرات التى طرأت على عادات المدخنين •• باعتبار التدخين سببا محتملا آخر من اسباب تلك الوفيات وقد اثبتت ذلك بحوث وتجارب اخرى ليس هنا مجال ذكرها •

وتعتقد الدكتورة برال ان عدد النساء (بأعمار ١٥ ــ ٤٤ سنة) اللاتى يمتن بسبب امراض القلب والاوعية ، بل قل بسبب حبوب منع الحمل التى قد تسبب هذه الامراض ، لا يقل عن ٢٠٠ امرأة فى المليون سنويا • وهذا عدد كبير نسبيا اذا ذكرنا انه يقارب ٣٠٪ من مجموع وفيات

النساء اجمالا. فهذا المجموع يبلغ بالمتوسط ٧٠٠ فى المليون سنويا ..

وتضيف الدكتورة الى ان انقاص كمية الاستروجين Oestrogen هرمون الانوثة المعروف ، فى حبوب منع الحمل الحديثة ، لم يقض على خطر هذه الحبوب . فالانماط التى سبقت الاشارة عليها بقيت ثابتة ، حتى فى سنة ١٩٧١ ـ ٧٢ ، وهى السنة التى أقبلت فيها اكثر الدول الصناعية على الحد من محتويات الاستروجين فى حبوب منع الحمل .

اجهزة الكترونية للخدمات الطبية

● العقل الالكترونى الذى يغنى عن الطبيب فى اجراء الفحوص الطبية ، ليس جهازا جديدا .. فهو قديم نسبيا وبدأ استعماله فى أمريكا واليابان منذ مطلع الخمسينات ..

أما الجديد فهو العقل الالكترونى الذى ابتكره وصنعه مؤخرا رئيس قسم طب الكبار فى مستشفيات وسكونسن فى الولايات المتحدة الامريكية ، الدكتور نورمان جنسن (Dr. N. Jensen) ، وذلك بالتعاون مع أحد أخصائيى العقول الالكترونية ، لارى فان كورا (L. Van. Cura) فهذا جهاز لا يقف نشاطه عند أخذ المعلومات من المريض وموافاته بالنتائج .. فهو يتجاوز ذلك ليجرى حوارا مباشرا مع المريض ، كالحوار الحى الذى يجرى بين الطبيب ومريضه ... حتى اذا انتهى الحوار أعطى الجهاز تقييما فوريا لصحة المريض وصورة عن المخاطر التى تهدد حياته .. واليك طائفة من الاسئلة التى يطرحها هذا الجهاز على مرضاه :



« مرحبا بك نريد أولا أن نكون فكرة عن تاريخك الطبى ..

كم عمرك ؟ هل تمارس الرياضة باستمرار ؟

وهل تمارسها بصورة فعالة بحيث تضطر للتنفس السريع لمدة (٢٠) دقيقة ، ولو مرة واحدة فى الاسبوع .. ؟

هل تشعر بالتعب والارهاق أحيانا بالرغم من حصولك على القدر الكافى من النوم ؟

هل اصيبت أمك أو أختك بسرطان الثدى ؟ »

ويستمر الجهاز فى طرح الاسئلة التى قد يبلغ عددها (٧٠) سؤالا والتى قد تتضمن أسئلة غريبة حقا ، مثل :

« هل فكرت يوما بالانتحار ؟ »

واليك فيما يلى التقييم الذى حصلت عليه من الجهاز فتاة رياضية فى الواحد والثلاثين من عمرها ...

« انت مهددة بالموت خلال السنوات العشر القادمة ... ونسبة هذا الاحتمال لا تقل عن ١٣ ٪ ! ، ذلك انك تشربين الخمرة احيانا وتدخنين السجاير باسراف ولا تشدين حزام مقعد السيارة ... ولو عدلت سلوكك فى هذا الصدد لهبطت بنسبة الوفاة التى ذكرنا الى ٨ ـ ٩٪ »

■■

شبح السكتة القلبية ليس بعيداً!



« لم يعد الأمر محل شك ، فقد ثبت يقينا أن نوبات القلب قد تصيب الذين يعملون طوال النهار ثم يقومون بعمل ثان فى المساء ، او من يعمل ٦٠ ساعة فاكثر اسبوعيا »

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ السكتة القلبية هى عدو البشرية الاول اذ تنتقى ضحاياها من بين الشباب اللامع المكافح ذى المستقبل المرموق ومن الرجال المحنكين ذوى الدربة والخبرة .

وقد شك الاطباء قديما فى وجود علاقة بين الارهاق فى العمل وبين نوبات القلب ـ وكثيرا ما اسدوا النصح لهؤلاء المكافحين بالترفق بقلوبهم

والاهتمام بصحتهم والرحمة بحياتهم التي يقصفها الارهاق ٠

وقد ثبت الان بما لا يدع مجالا للشك وجود علاقة وثيقة مؤكدة بين الارهاق فى العمل والسكتة القلبية ، اذ اتضح ان نوبات القلب قد تأتى لمن يعمل طول النهار ثم يقوم بعمل ثان فى المساء او لمن يعمل ٦٠ ساعة اسبوعيا وخصوصا اذا كان ممن يفتقرون الى الاستقرار فى العمل ام ممن تنقصهم الطمانينة فى حياتهم ٠

وقبل انتبين كيف تؤدى هذه العوامل الىالاصابة بنوبة القلب نرى لزاما علينا ان نؤكد ان مرض القلب عملية تستغرقعدة سنوات ولا تصيبالانسان دفعة واحدة ٠ وهناك عدة تغيرات تدريجية تحدث فى الشرايين وخاصة الشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب ـ وليست التغيرات التى نعنيها هى تصلب الشرايين الذى هو احد مظاهر الشيخوخة ولا علاقة لها كذلك بنوبات القلب انما الذى نعنيه هنا هو ضيق الشرايين بسبب ترسب مواد دهنيةعلىالطبقة الداخلية لجدر هذهالشرايين٠

وحينيتطلب الجسمكمية اضافية منالدم ليتسنى له القيام بعمل اضافى لا تتمكن الاوعية الضيقةمن تادية هذه المهمة وهذا هو ما يعرف بعدم كفاءة الشرايين التاجية ، فيشعر المصاب بالم حاد فى منطقة القلب ، هذا الالم هو فى الواقع نوبة



قلب ، او اللحظة الحرجة فى عملية تدهور الشرايين تدهورا استغرق وقتا طويلا ٠

وقد تنشا نوبة القلب بسبب انسداد شريان كبير نتيجة للضيق التدريجى فى الوعاء ، او نتيجة جلطة ، او نتيجة كليهما معا ، وقد يسبب هذا تلفا فى جزء من عضلة القلب لحرمانه من الدم ومن الاوكسجين ٠

وقد اتجهت البحوث الحديثة نحو الاجابة عن الاسئلة المنطقية الاتية : ـ

لماذا يحدث ضيق الشرايين ؟ ولماذا يصيب هذا المرض بعض الرجال فيسن مبكرة ؟ ولماذا لا يصيب صغار السن من النساء اطلاقا ؟

ولماذا ينتشر هذا المرض فى البلاد التى ضربت بسهم وافر فى المدنية والحضارة ؟ وما الذى يحدث تماما فى الدم وفى جدر الشرايين حتى ينشا هذا المرض ؟

وعلى مر السنين تفرغ الاف الباحثين سعيا وراء الاجابة عن هذه الاسئلة ، فدرسوا الغذاء ، والوزن وبنيان الجسم ، ووسائل المعيشة ، وعوامل الوراثة ، وكيمياء الدم ، وافرازات الغدد الهرمونية ، وحالة النشاط العقلى ، واستعار الباحثون من الاطباء النظريات الهندسية عن ديناميكية السوائل عند مرورها فى الترع والقنوات ، لتطبيقها على الدم والاوعية الدموية٠

ومنذ اربعين عاما اكتشف وجود خلايا دهنية على جدر شرايين ضحايا نوبات القلب ، كما اكتشف وجود نسبة عالية فى الدم من مادة دهنية تعرف بالكولسترول ، مما حدا بشركات التامين الى تركيز اهتمامها بامر البدانة كعامل هام فى احداث الامراض ٠

ولكن ماذا عن الارهاق فى العمل ؟

طالما احس الاطباء باهمية هذا الموضوع ، ولكن صعوبة قياسه وتحديد مداه ، القيا به فى زوايا الاهمال على نقيض نظرية ارتفاع نسبة المواد

■ ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ـ من آمن بالله واليوم الاخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

(قرآن كريم)

■ ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس .

(حديث شريف)

■ ما أضمر احد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات وجهه .

(الامام على)

■ أسد حطوم أهون من وال غشوم ، ووال غشوم أهون من فتنة تدوم .

(عمرو بن العاص)

■ ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

(طرفة بن العبد)

■ فان تسألونى بالنساء فاننى
خبير بأحوال النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء ، او قل ماله
فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

(علقمة الفحل بن عبدة التميمى)

■ كم وعظ الواعظون فينا وقام فى الارض أنبياء
وانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزل داؤنا العياء
حكم جرى للمليك فينا ونحن فى الاصل أغبياء

(أبو العلاء المعرى)

■ لا اعلم شيئا ازيد فى السيئة من استصغارها ، ولا احبط للحسنة من العجب بها .

(الجاحظ)

■ ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

(المتنبى)

■ اذا استشارك عدو لك فأخلص له النصيحة ، لانه باستشارتك قد خرج عن عداوتك ، ودخل فى مودتك .

(قاسم امين)

الدهنية فى الدم ، الواضحة للانظار والتى يمكن تحديدها وقياس مداها •

وقد برز دور الاجهاد فى العمل عنما لوحظ ان نسبة نوبات القلب مرتفعة بين أطباء التخدير، وهناك اعمال قليلة فى الحياة يمكن أن تقارن بما يعانيه طبيب التخدير ، وهو يقف أمام طاولة العمليات يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة متحملا مسئولية كل مريض يطلق عليه عقاقيره فيتخدر وينام والطبيب يخشى دائما أن تكون نومة الابد •

وفى احصائية حديثة ظهر أن بين كل ١٠٠ حالة من مرضى الشرايين التاجية للقلب ، ممن يقل عمرهم عن الاربعين ، يوجد ٩٧ رجلا ، ٣ نساء فقط ولقد اتضح ان ٩١٪ من المرضى يعانون ارهاقا شديدا فى العمل •

ولقد ظهر أيضا أن نسبة الكولسترول مرتفعة فى دم هؤلاء المرضى ، فما علاقة الاجهاد فى العمل بهذه الظاهرة ؟

لقد اجريت تجارب عديدة اثبتت زيادة الكولسترول عند المحاسبين ومديرى البنوك أثناء ربط الميزانية • وكذلك شوهد ان نسبة الكولسترول فى دماء الطلبة تزيد فى فترة الامتحانات عنها فى الايام العادية •

وهكذا اتضحت معالم الطريق ، فالاجهاد يزيد نسبة الكولسترول فى الدم والكولسترول يترسب فى جدر شرايين القلب مسببا لها العطب والتلف• وقد سبق ان اثبت «هانزسايل» «Hanz Syele» ان الاجهاد يؤثر على الغدة فوق الكلوية، وقد أجرى تجاربه على الحيوانات فكان يعرضها لمؤثرات متنوعة كان يحقنها بالفورمالين تارة ، أو يعرضها للبرد الشديد تارة أخرى ، أو يضعها فى اقفاص تدور بالكهرباء ليمنع عنها النوم فى سلسلة ثالثة من التجارب • وكانت الاستجابة فى جميع الحالات تضخم الغدة فوق الكلوية وتضخم الغدة النخامية فى قاع الجمجمة •

وبذلك أصبح الترتيب المنطقى للاحداث هو أن الاجهاد ينبه الغدد الصماء ، وبخاصة الغدة فوق الكلوية وان تاثير ما تفرزه من هرمونات على المقدار المطلوب لتمثيل المواد الدهنية يزيد فى نسبة الكولسترول فى الدم ، فيترسب على جدر شرايين القلب الخارجية ، ومن ثم يضيق مجرى الدم بها • مما يهيىء الظرف الحرج للاصابة بنوبة القلب •

ومن ذلك يتضح أن نتائج الاجهاد تاتى تدريجيا، وليست دفعة واحدة، والاجهاد البدني يمكن تعويضه بالغذاء والنوم ، أما الاجهاد الذهنى فهو العامل المهيىء فعلا للمرض •

صحيح ان لعوامل الوراثة والتغذية أثرها ، ولكن الاقلال من المواد الدهنية ليس هو العامل الاول كما كان الرأى السائد منذ عهد قريب •

والان ، ما هى الوسيلة لمنع أو تقليل أثر الاجهاد فى العمل ؟

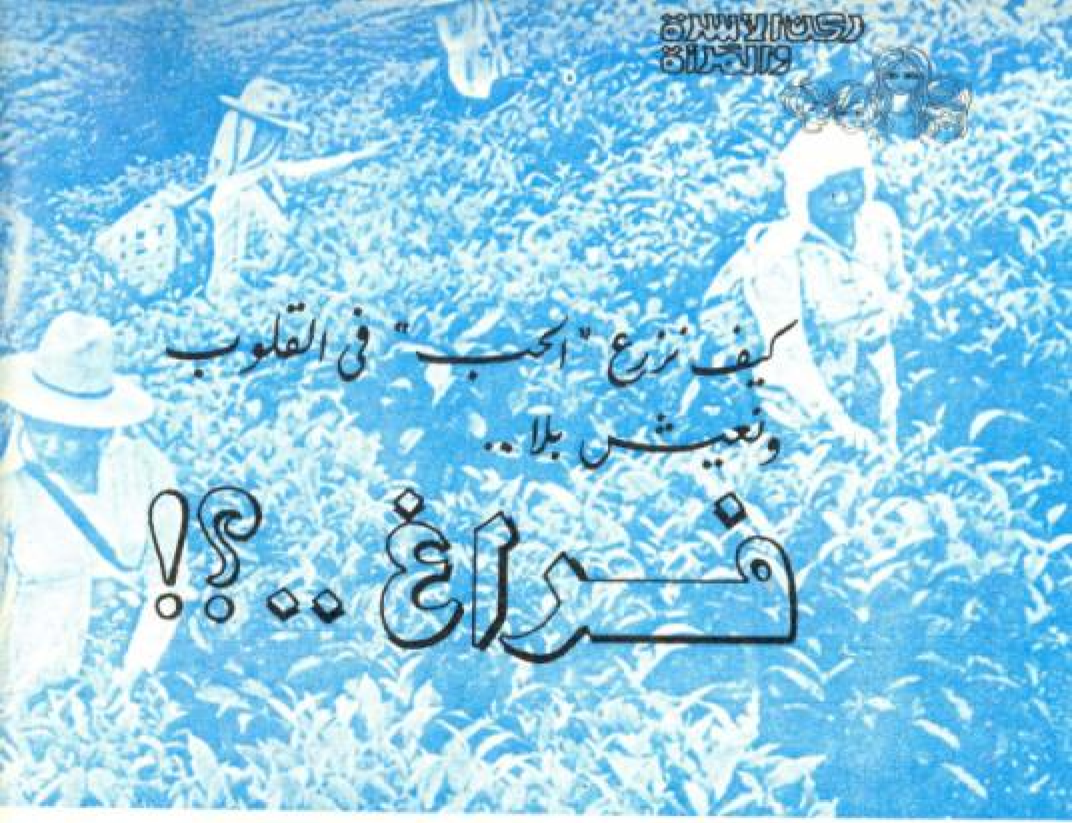
الوسيلة لذلك هى أن تحب عملك وتسعد بمنصبك ، وتدرك تماما ان الانتاج المرموق لا يزيده التسرع أو الاندفاع ، ولا يضاعفه القلق أو التوتر ، ويجب أن يعلم كذلك اصحاب الاعمال أن الانسان قدرة بدنية وذهنية محدودة •

ويجب ألا تدع عملك يستغرق وقتك كله ، وينسيك مباهج الحياة البريئة التى هياها لك الله لكى تستمتع بها • تعلم رياضة تروقك ، ومارس هواية مفيدة تحول ذهنك بعيدا عن عملك، من غير ان ترهقك • وتذكر جيدا انه قد ثبت عمليا ان الارهاق فى العمل يقصف العمر •

■■

الدكتور/ابراهيم فهيم

الاستاذ بكلية الطب ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة



كيف نزرع "الحب" فى القلوب ونعيش بلا.. فراغ..؟!

بقلم : منير نصيف

■ القراغ ما هو ؟ هل هو وقت ضائع نبحث عن شيء نملؤه به ؟ هل هو فكر يعيش فى وحدة لانه لا يلتقى بفكر آخر يناقشه ويحاوره مؤيدا او حتى معارضا ؟ هل هو قلب امتلأ بالحب ، ولكنه لم يجد من يحب او ما يحب ؟

الفراغ كل هذا .. فالفراغ حياة بلا حياة .. او هو حياة لا يحس بها احد حتى صاحبها نفسه ، لانها بلا طعم وبلا معنى وبلا هدف !

والفراغ نحسه فى البيت ، ونحسه فى العمل ، وفى كل مكان نفتقد فيه المعنى الحقيقى للحياة ، والهدف الذى نعمل ونعيش من اجله !

يقول الدكتور « جون شندلر » استاذ علم النفس فى كتابه « كيف نعيش ٣٦٥ يوم كل عام » : « كل سنة تقدم لك هذا العدد من الايام الذى يزيد يوما مع السنة الكبيسة ، وهى ايام يستطيع الانسان ان يعيش كل لحظة .. كل ساعة فيها .. ايام يمكن ان يجد مع شمسها او حتى فى ليلها عندما تغرب الشمس الارتياح والمتعة والعمل الخلاق الذى يملأ به حياته ! »

احساس وليس ظاهرة !

وتقول الدكتورة ماريون هيليارد ، فى كتابها « المراة والتعب » : « الفراغ احساس اكثر منه ظاهرة .. وهو عند المراة غيره عند الرجل .. فلا شيء يثير هذا الشعور عند المراة حتى لو كانت تعمل كل ساعات يومها ، وتشغل كل دقيقة من وقتها ، غير الاهمال .. ان تحس انها مهملة ،

او انها لا تاخذ بقدر ما تعطى ‎••‎ او ان هؤلاء الذين تحبهم وترعاهم وتعمل وتكدح من اجل اسعادهم فى البيت او فى خارج البيت ، يحجبون عنها ، ربما عن غير قصد ، ما تنتظره منهم ! وليس الاخذ الذى نعنيه هنا هو هذا الشىء المادى المحسوس ‎••‎ لان المراة عندما تحب ، سواء كانت اما ام زوجة أم عاملة ‎••‎عندما تعطى ابناءها او زوجها او عملها هذه المشاعر التى يمتلىء بها قلبها ويفيض ، لا تنتظر اجرا ‎••‎ وانما هى تنتظر ما هو اغلى واعز ‎••‎ انها تتوق لكلمة شكر وعرفان ‎••‎ وحتى هذه قد لا يهمها كثيرا ان تسمعها باذنيها كلاما ، فقد ترضيها ابتسامة ، وقد تسعدها نظرة حلوة تحمل كل هذه المعانى التى تتوق لرؤيتها فى عيون هؤلاء الصغار الذين ولدتهم وربتهم ، وسهرت وما زالت تسهر على رعايتهم ،وايضا فى تصرفات الزوج الذى يستطيع أن يتكلم بعينيه فتقولان لها كلاما تعجز الشفتان عن نقله وتصويره ! بل فى معاملة رؤسائها بعيدا عن البيت والزوج والاطفال ‎••‎ فهى تجد فى الكلمة الطيبة والاعتراف بالجهد الذى تبذله، اكثر مما تجد فى المرتب الذى تقبضه فى اول كل شهر ، فالحافز الادبى اقوى من الحافز المادى ، لانه اذا غاب توقفت الايدى عن العمل ، وتعطل العقل عن التفكير ! »

المراة اقدر على ملء الفراغ

والفراغ عند الرجل غيره عند المراة ‎••‎ قد يشترك الاثنان فى بعض الاسباب التى تؤدى الى احساسهما بهذا الشعور ‎••‎ ولكن الثابت علميا ان المراة اقدر على ملء الفراغ فى حياتها باعمال اكثر نفعا واكثر جدوى من تلك التى قد يلجا اليها الرجل ‎••‎

قد يكون السبب فى ذلك ان الرجل يجد دائما مجالا اوسع لشغل هذا الوقت الذى يحار فى شغله ، بحكم انه رجل وانه يتمتع بقدر اكبر من الحرية التى لا تنعم بها المراة الا بمقدار ، والا فى حدود ما تسمح به تقاليدنا وعاداتنا فى مجتمعنا المحافظ.

ولكن هل عرف الرجل حقا كيف يملا اوقات فراغه، وكيف يتخلص من هذا الشعور الذى قد ينتابه فى كثير من الاحيان عندما يلتفت حوله فلا يجد عملا نافعا يقوم به ، او هواية مجدية يمارسها ؟ !

والجواب بالنفى ‎••‎ فالفراغ مشكلة هذا العصر والفراغ بعد لا يصاحب سنا معينة ‎••‎ فالشاب يشكو الفراغ ‎••‎والرجال فى منتصف العمر يشكون الفراغ ‎••‎ والشيوخ يعيشون فى فراغ هائل بحكم السن التى شلت بعض او كل قدرتهم على الحركة‎••‎

قشور الحضارة

وليس غريبا ، كما يتصور البعض أن نرى هذه المشكلة ونحسها ونعيشها فى هذا العصر الذى طغت فيه الماديات على كل شىء ‎••‎ لقد حققنا هذا التقدم الكبير فى شتى المجالات واصبحت الحياة من حولنا فى حركة دائبة لا تتوقف ،وسخر الانسان كل شىء من اجل خدمته والترفيه عنه‎••‎ وبالرغم من هذا فقد واكب الفراغ هذه الحضارة التى نعيشها ،لان كل ماحملته وتحمله لنا ليس سوى قشور لا تشبع النفوس والقلوب التى كادت تنسى اعظم عاطفة فى الوجود ‎••‎ عاطفة الحب ‎••‎الحب لكل شىء واى شىء يربط بين مصائرنا ، ويجعلنا نحس باننا اسرة واحدة فى مجتمع واحد يعيش افراده من اجل بلوغ هدف واحد !

فى الامس القريب

فى الحياة البسيطة التى سبقت زحف المدنية والحضارة ، لم يكن هناك فراغ ، لا فى حياة المراة ولا فى حياة الرجل ولا حتى فى حياة الابناء فى مختلف مراحل اعمارهم ‎••‎ فقد كانت حياتهم وكان جهدهم وكان تفكيرهم كله مرتبطا بالارض متصلا بجذورها ، نابتا منها ناميا فوقها وعليها‎••‎ كان الفلاح يزرع ارضه ، ولم يكن يعمل وحده وسط هذه الحقول الواسعة من حوله ، كانت تقف معه زوجته تشاركه عمله ‎••‎ وكان يلتف من حولهما أطفالهما منذ اللحظة التى يخطون فيها اولى خطواتهم على الارض ‎••‎ اطفال من كل الاعمار ‎••‎ اولاد وبنات كلهم يستوون عندما تجىء ساعة العمل عند الشروق ‎••‎

كانوا ينثرون الحب وينتظرون .. ويروون الارض وينتظرون ، ويرقبون النبات وهو يعلو ويعلو في قلب هذه الارض الطيبة ويطول بهم الانتظار ..

ثمار الحب !

لم تجيء لحظة الفرح ، عندما يخرجون كلهم لجنى ثمار كدهم وتعبهم .. لقد امضوا حياتهم كلها ينتظرون ، هكذا عاش الفلاح واسرته .. ولكن مع هذه الايام والاسابيع والشهور الطويلة التي قضوها ينتظرون الخير ، كانت قلوبهم جميعا تمتليء بالحب .. حب الارض التي يعيشون فوق ترابها وياكلون من ثمارها .. حب الحيوانات التي يرعونها ويغذونها ويشربون لبنها .. حب الماء الذي يجري امامهم في الجداول والقنوات .. حب الطبيعةالحانية عليهموعلى رزقهم..ومع هذا الحب الكبير لم تبرز امامهم يوما اية مشكلة .. حقيقة كانت لديهم احزانهم عندما يرون الطبيعة تقسو عليهم احيانا ، فتشح المياه او يتوقف المطر .. ولكن ما اسرع ما كانوا ينهضون من جديد ويعيدون بناء كل الذي جف ومات تحت وطأة الحر او قرصة الصقيع .. بقدر ما كانت دموعهم ساخنة ، كانت ابتساماتهم مشرقة وضحكاتهم تدوي عندما تزول الغمة وياتي الفرح ..

في البر والبحر

وفي البادية ايضا .. كانوا قبائل وعشائر .. تجري في عروقهم دماء كريمة توارثوها عن الاباء والاجداد ، دستورهم غير مكتوب ، ضيوفهم فوق الرؤوس،واعداؤهم كل ظالم ومعتد وقاطعطريق.. عاشوا في الفة ، الا فيما ندر ، وامتلات حياتهم بالعمل والكفاحوالحل والترحالوالضربفي الصحراء الواسعة بحثا عن الماء والكلأ من اجل الاستمرار ومن اجل الحياة ..

وتحابوا وتعاهدوا على الوفاء وامتلات قلوبهم بالحب ، ولم يشعروا بالفراغ ، اوحتى عرفوا اسمه ! فقد كانت قلوبهم مليئة دائما بكلالعواطف الانسانية . وركبوا البحر ، وطافوا بسفنهمشرقا وغربا يحملون سلعهم البدائية على سطوحها ، ويتركون لاشرعتها العنان تحملهم الى حيث شاءوا .. وامتلات حياتهم بالعمل والبحث عن الرزق حتى لم يعد فيها مكان لشيء آخر غير العمل والعمل الشاق الذي احبوه ومضوا فيه حتى نهاية العمر ..

.. في الظل !

أين حياة الامس من اليوم .. هل اختفت تلك الصور البسيطةلحياة الكفاح مع الارضوالصحراء والبحر تماما ؟ طبعا لا .. ولكنها توارت فيالظل لكي تاتي محلها حياة اخرى لا تمت الى الماضي القريب البعيد بصلة .. ففي هذا القرن العشرين ونحن نقترب من نهايته ، زحفت المدنية الينا ، وجاءت الحضارة لتحتوي حياتنا ، وتغيرت الصورة من جذورها .. هذا التطور الهائل السريع قلب حياتنا رأسا على عقب في اقل من نصف قرن !

ولم يكن غريبا ، كما قلنا ، ان نحس في دوامة هذه الحياة الجديدة بالفراغ .. فقد شغلتنا هذه القشور اللامعة عن الجوهر .. وانستنا الزخارف الملونة التي نجري وراءها ونتسابق في الحصول عليها ، معنى الحياة وهدفنا فيها ومنها .. فقد اصبحت الحياة اكثر تعقيدا .. اصبحت صراعا من اجل البقاء .. الشباب اليوم يشكو الفراغ.. وهي مشكلة تحاول كل الدولانتضع لها الحلول.. اعداد المتعلمين في تزايد مستمر، وهي نعمة،ولكن ماذا بعد ساعات الدرس والتحصيل ؟ الرياضة البدنية وسيلة .. والرياضة الذهنية وسيلة .. ولكن هل استطعنا ان ندفع بكل شبابنا الى الملاعب .. او ان نضع في يد كل شاب كتابا جديدا يملأ وقته بقراءته .. ان هذه كلها هوايات ونحن نحاول ان ننميها في طفولتهم .. ولكن ما اكثر الذين هربوا منها وعزفوا عنها لانهم لا يهوونها !

فراغ .. في فراغ

والرجال يشكون الفراغ.. الرجال من كل سن وفي كل عمل .. ماذا يصنعون بانفسهم بعد انتهاء ساعات العمل .. ما الذي يمكن ان يقدموه لأسرهم

ولمجتمعهم فى ساعات الفراغ ؟ ان المفكرين والعلماء والادباء وحدهم ، هم الذين وجدوا فى كل عصر وفى كل وقت لذة الاستمتاع بالحياة من خلال قراءاتهم وبحوثهم وما قدموه للاجيال التى جاءت من بعدهم •• لقد نسيت مارى كورى موعد زفافها وهى مشغولة بابحاثها فى معملها ، فلما ذكروها به ، قالت : « انا واثقة من ان بيير (خطيبها) ، سوف يغفر لى عندما يعلم اننى قد وضعت يدى على اول الخيط ! » وتزوجا ، وكانت نهاية الخيط الذى بدات معه بحوثها هو «الراديوم» الذى اوقف نمو الاورام الخبيثة ! ولكن ماذا عن القطاعات الاخرى، وهى اكبر واكثر عددا ••كيف يمضى هؤلاء الرجال العمال والموظفون وغيرهم اوقات فراغهم •• ان الوظيفة عندهم وسيلة للكسب والعيش ، وبفضلها استطاع رب الاسرة ان يحقق حياة كريمة لاسرته •• ولكن ماذا بعد ذلك •• ماذا بعد ان تنتهى ساعات عمله فى وظيفته ؟ انه يعود الى بيته •• هذه هى القاعدة •• وفى البيت تبدأ مشكلة الفراغ ، وهى مشكلة تجر معها مشاكل اخرى وهذه الاخيرة هى معاناة الزوجة مع اطفالها ، ومشاكلهم معها ، ومع بعضهم البعض •• وقت ضائع لا يستطيع أن يملاه ،الا من كانت له هواية نافعة ، والا من كان له هدف يسعى من اجل بلوغه ويشرك فيه اسرته ، وربما مجتمعه الصغير او الكبير من حوله !

عرض •• ومرض !

ثم ماذا ؟ هل هناك « وصفة » يمكن ان يقدمها الباحثون والعلماء للذين يشكون الفراغ ؟ هل هناك حل لهذه المشكلة التى تتفاقم ويتزايد خطرها، بين الشباب بصفة خاصة فى العالم كله ؟

يقول الدكتور سمايلى بلانتون فى كتابه « فن السعادة الحقيقية » عن الفراغ : « ان المرض واحد ، ولكن اعراضه تختلف من شخص لاخر •• او من مريض لمريض •• ولذلك يصعب كتابة « وصفة » واحدة لعلاج كل هذه الحالات •• شىء واحد يمكن ان يساعد على التخفيف من اثر هذه العلة التى اصبحت طابع هذا العصر •• وهو شىء لا يكلفنا جهدا ولا مالا ، فنحن نحمله فى صدورنا ولكن بنسب متفاوتة ، او نسب بسيطة •• انه الحب •• اعظم عاطفة فى الوجود ••حب الله وحب الحياة وحب الناس وحب الارض وحب الطبيعة بشمسها وظلامها •• خريفها وربيعها •• فالحب هو الذى يجعل كل شىء من حولنا ينبض بالحياة حتى لو كان بلا حياة •• الحب هو اصل الحياة ، فهو الذى خلق المفكرين والساسة والعلماء والمخترعين ، ولولا حبهم للحياة وللناس ، لما كان هناك فكر ولا اختراع ، ولما كانت هذه الحضارة التى نعيشها ونتنعم بثمارها •• »

بالحب وحده يحيا الانسان

والحب هو الذى يفتح قلوب الشباب على العالم الواسع المنبسط من حولنا •• حبهم لله ولأرضهم ووطنهم يدفعهم الى التضحية بارواحهم من اجل صد اى خطر يتعرض له •• حبهم للعلم وحبهم للمجتمع الذى ينتمون اليه ، هو الذى يخلق من بينهم رجالا ونساء قادرين على حمل العبء بعد آبائهم ••

الحب يقهر عالم الماديات

فالحب هو الذى اوصلنا الى القمر ، وهو الذى دفعنا الى المضى فى رحلاتنا فى الكون الواسع لاستكشاف المجهول ! فوراء كل نجاح حققه انسان القرن العشرين ، قصة حب اكبر من هذا النجاح نفسه !

ان عالم الغد محتاج الى كل الحب الذى يمكن أن نملأ به قلوبنا ، وقلوب ابنائنا واحفادنا •• هؤلاء الذين تنتظرهم مفاجآت المستقبل حتى لا يحسوا بالفراغ الذى نشكو منه اليوم ، وهم يرون انفسهم يدورون حول انفسهم ، كما تدور تروس الالة الهائلة •• فالغد هو الالة •• نفس الالة التى صنعها الانسان بيديه ، وهو لن يرضى بان يصبح جزءا منها او عبدا لها ••

اذا تعلمنا الحب بمعناه الكبير فلن نشكو الفراغ بعد اليوم • لاننا سوف نقهر عالم الماديات ••

■■

منير نصيف

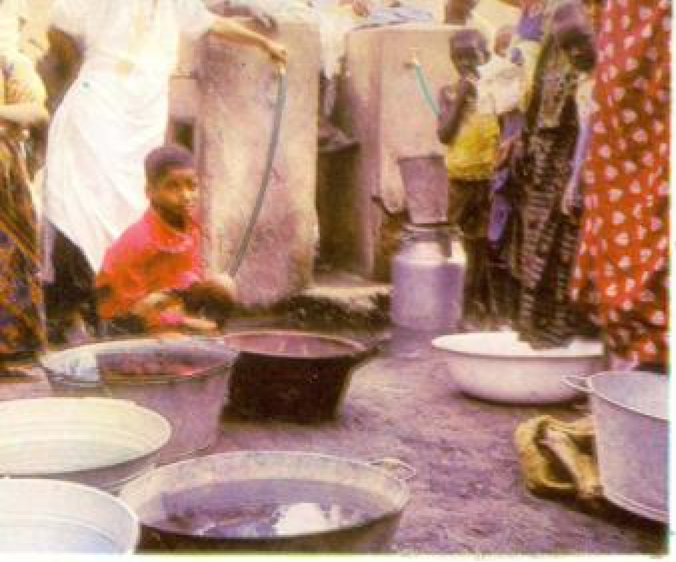


اعرف وطنك ايها العربي

هموم موريتانيا

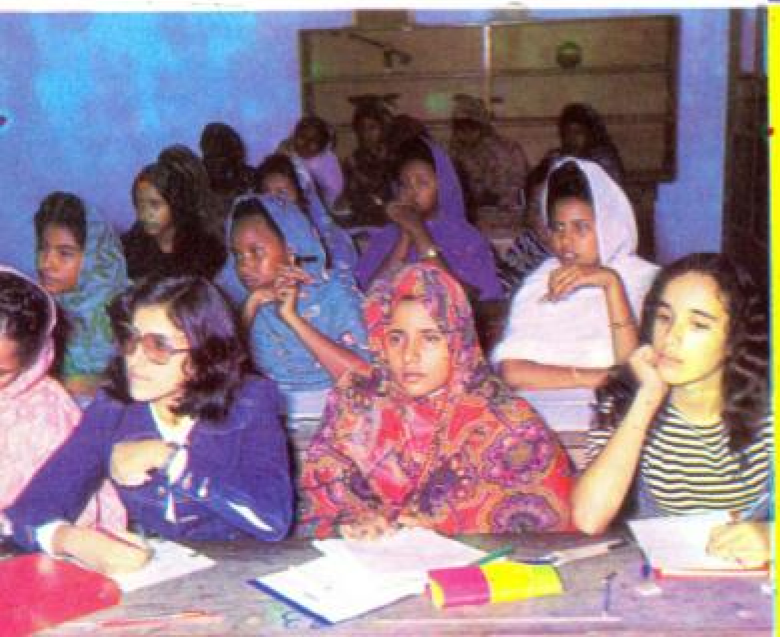
نقطة الإلتقاء بين العرب والأفارقة

الكويت تساهم في إقامة صناعة الحديد في أقصى العالم العربي





عم الجفاف والقحط مختلف مناطق موريتانيا ٠ فاتجه الناس من البادية الى العاصمة نواكشوط ، حيث استقروا حولها في مدن الصفيح وتحت الخيام ، يقفون بالطوابير لملء الأوعية بالمياه ٠٠ اما العاصمة فقد اصبحت تعاني من ازمة سكن خانقة ، ولم تعد مساكنها القديمة تكفي سكانها ٠٠ واشتد الاقبال على المدارس ، ولكن الامكانات الشحيحة القليلة تجعل نسبة القبول في المدارس لا تتعدى ١٧٪ منعدد الأولاد والبنات الذين في سن التعليم !



استطلاع :

سليم زبال

تصوير :

اوسكار مترى

انها تمر بفترة عصيبة ٠٠ كل شيء فيها يتبدلويتغير ٠٠ اهلها طلقوا حياة البداوة والترحال ، ليبدأوا حياة الراحة والاستقرار ٠٠ مجتمعهاالبسيط يحلم بالتحول الى مجتمع انتاجى ٠٠ مدنها القديمة تتداعى وتندثر ٠٠ واخرى حديثةتنمو وتزدهر ٠٠

مشاكل بالجملة !

وموريتانيا الحديثة المستقلة لا يتجاوز عمرها ١٦ عاما امضت نصفها تحت وطاة الجوع والجفاف والقحط ٠٠ ! ومن خلال نسيج الاستقلالوالجفاف، تسربت عشرات المشاكل والمتاعب ٠٠

« ولكن مشاكلنا الحالية هى نفس مشاكلنا السابقة ، الا انها تشعبت وتطورت لتشمل كل الميادين ٠٠ »



هكذا استهل الرجل الثانى فى موريتانيا ووزير الدولة للسيادة الداخلية احمد محمد صالح ، حديثه الطويل الذى تابعه قائلا : « الانسان لا يدرى انه يفتقر الى هذا الشيء او ذاك الا عندما ينفتح على العالم فتتكاثر مطالبه ٠٠ وكذلك حالنا فى موريتانيا كلما قطعنا خطوة ، خطوة ، نشعر وكاننا لم نقطع شيئا ٠٠فى حين اننا لو قارنا حالنا اليوم بحالتنا فى اول ايام الاستقلال لوجدنا الفارق كبيرا شاسعا ٠٠ ولكنا عندما نقارن انجازاتنا مع حاجيات الدولة ، نجد انفسنا ما زلنا فى بداية الطريق ٠٠

نحن مثلا نريد تعميم التعليم ، ونعتبر ان هذا من اهم واجباتنا ، لكن امكاناتنا الضعيفة تقف عقبة فى هذا السبيل ٠٠ وما نقوله عن التعليم ينطبق على كل مجالات الحياة الاخرى عندنا ٠٠ »

الطبيعة تفرض الاسلوب !

وحتى نتعرف على مشاكل موريتانيا كانت لنا رحلة طويلة فى الاطراف الشمالية الصحراوية القاحلة المجدبة من البلاد ، ثم نزلنا جنوبا حيث الخضرة الدائمة والامطار والغابات والوحوش والنهر الكبير ٠٠

وهذا التناقض الجغرافى من الرمال الساخنة الى الخضرة اليانعة ، هو الذى فرض اسلوب الحياة فى موريتانيا : بدو رعاة رحل فى الشمال، وصيادون مزارعون مستقرون فى الجنوب ٠٠

ويعيش سكان موريتانيا ، وعددهم نحو مليون و ٤٠٠ الف نسمة ، فوق ارض شاسعة مساحتها نحو مليون و ٤٠٠الفكيلومتر مربع،اى ما يوازيمساحة جمهورية مصر العربية مرة ونصف مرة ، بينما لا يزيد عدد سكان موريتانيا عن نصف عدد سكان حى من أحياء القاهرة الكبيرة !

وهذه القلة فى عدد سكان موريتانيا هى التى جعلت المخططين يقولون : « من المستحيل ان نخطط تخطيطا سليما لسكان يعيش كل واحد منهم فوق كيلو متر مربع من الارض ٠٠ ! يجب ان يستقروا اولا فى تجمعات ثابتة ، ثم نخطط لهم ! »

وكانت الاجابة الدائمة : من المستحيل ان تبدل اسلوب حياة الرعاة الرحل ، انهم يتنقلون دائما الى مناطق الكلأ والاعشاب اللازمين لحيواناتهم٠٠

يولدون ويموتون فى غفلة من الزمان !

وفجاة جاء الفرج من حيث لا يدرى احد ٠٠ جاء قاسيا فادح الثمن ٠٠

الامطار توقفت ٠٠ والاعشاب اختفت ٠٠ والريح السموم تتابعت ٠٠ والخيام تطايرت ٠٠ والحرارة تصاعدت ٠٠ ونقطة الماء تبخرت قبل ان تبتلعها الرمال ٠٠ والعجزة والاطفال ، وحتى الجمال والخراف والابقار ، لم يستطيعوا الثبات امام العطش ، فكان الموت والفناء ٠٠

واستمر الجفاف كاسحا مخربا ٠٠ حددوا بدايته عام ١٩٦٩ اما نهايته فاختلفت من جهة لاخرى ٠٠ وما زالت هناكمناطقحتى اليوم ، تعانى من القحط وانحباس الامطار !



خريطة جمهورية موريتانيا الاسلامية ·· والاسهم في الخريطة تشير الى المناطق التي زارتها بعثة العربي ·· وتنقسم موريتانيا الى ١٣ منطقة او ولاية ، كل منها يحمل رقما مختلفا ·· ومساحة موريتانيا نحو مليون و ٤٠٠ الف كيلو متر مربع ، وعدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة تقريبا·· والسكك الحديدية في البلاد مخصصة لنقل خام الحديد من مناجمه في فديرك حتى ميناء نواذيبو ، وطول الخط ٣٠٧ كيلو مترات ، اما الطرق البرية المرصوفة فتنطلق من نواكشوط العاصمة الى روصو في الجنوب ، واكجوجت في الشمال ·· اما الطريق الى نعمه فقد تم رصف ما يزيد عن ٣٠٠ كيلو متر منه ، وطوله الاجمالي ١١٠٠ كيلو متر ··

وبدأ تقدير الاضرار ، فكانت اصابات الاطفال في المقدمة ، هكذا قالوا دون احصاءات ، فابناء الصحراء يولدون ويموتون دون شهادات ميلاد او وفاة !

وكانت الاصابات بين الحيوانات فادحة ، قدروها بنحو ٧٥ ٪ من الثروة الحيوانية الموريتانية ، التي كانت اكبر ثروات بلاد غرب افريقيا ، اذ كانت تشتمل على ١١ مليون راس حيوان · من جمال وابقار وخراف وماعز وخيول وحمير ··

وقدروا المدة اللازمة لتعويض الخسارة الحيوانية بنحو عشر سنوات « سمان » على الاقل !

خنقوا المدن ·· !

ان تعويض هذه الخسارة امر ممكن ، ولكنه لن يتم وفق اسلوب الرعي التقليدي القديم ، فقد فات الاوان وتبدلت عجلة الزمان ، وتغيرت الصورة تماما.فالبدو الرحل الذين كانوا هائمين على وجوههم دائما ، هربوا من القحط الى ضواحي المدن ·· احاطوها بالخيام والاكواخ ومدن الصفيح··فخنقوا العاصمة الصغيرة نواكشوط وضاعفوا عدد سكانها ثلاث مرات ، من ٤٠ الف الى ١٢٠ الف نسمة ··

مأساة ٧٠ ألف شخص

وذهبنا لمدن الخيام ·· فتذكرنا جولاتنا في مخيمات اللاجئين·· الا أن الذي يزيد من مأساة بدو موريتانيا،هو جهل اخوانهم العرب بالامهم··وانعدام الامكانات لاصلاح اوضاعهم ··

خيام على امتداد البصر يعيش تحتها ٧٠ الف شخص في نواكشوط فقط ·· المياه تصلهم في سيارتين تفرغان حمولتهما على مدار ساعات الليل







« ما شاء الله ٠٠ حياتي كلها زينة !! » ٠٠ ان ابن موريتانيا راض بقليله ٠٠ كرامته تمنعه من الاعتراف بمتاعبه والامه ٠٠ وتحت الخيام المحيطة بنواكشوط العاصمة تعيش ٧٠ الف «مشكلة»، جاءت هاربة من مناطق الجفاف والقحط لتزيد من متاعب العاصمة وتخنقها !٠٠ وهذه ثلاث صور لثلاث مشاكل : الطلاق ينتشر بين النازحين ، بنسبة تفوق انتشار الأوبئة!! فبين العائلات الثمانية التي زرناها وجدنا خمس حالات طلاق! وفي الصورة اليمنى نرى «متيتو بنت محمد» تركها زوجها مع ثلاثة اطفال، شقيقها يتكفل بالمصروف ٠٠ والصورة الثانية داخل المستوصف العجيب الذي اقيم لخدمة الفي شخص فاصبح يعالج ٥٠ الف شخص ٠٠٠ وفي مدرسة المعسكر كانت الصورة الثالثة ٠٠ تجمع التلاميذ مبهورين حول اول كتاب يدخل مدرستهم ، جلبه والد احد الطلبة « المتقدرين » ٠٠ ؟

والنهار ، في الخزانات الصغيرة •• واحدة من السيارتين كانت معطلة ، والثانية كانت على وشك التوقف خلال زيارتنا !!

ودخلنامدرسة في المعسكر ، اقاموها لمائتي طفل، فالتحق بها ١٧٠٠ تلميذ وتلميذة ، يتعلمون باسلوب غريب اليم ، يستمعون فقط الى استاذهم «غير المؤهل» وهو يتحدث اليهم ، انهم لا يكتبون ولا يقرءون ، فليست عندهم كتب او كراسات او حتى اقلام ! •

ووجبة الطعام التي تقدم لاربعة وستين طفلا منهم فقط ، تصل دائما متاخرة بالساعات عن موعدها !

« انها مشاكل هائلة فرضتها الطبيعة علينا•• » هذا ما قاله لنا حاكم المنطقة : المقداد بن دحان الذي تابع كلامه قائلا: «لا اعتقد ان هؤلاء القادمين الينا سيعودون الى مضاربهم الصحراوية مرة اخرى» لقد استقروا هنا نهائيا واصبحت لديهم اعمالهم في ميناء نواكشوط، والادارات الحكومية والتجارة•• وقد وزعنا عليهم حتى اليوم ٦٠٠٠ قطعة ارض ليقيموا عليها منازل ويستقروا نهائيا مع عائلاتهم •• »

البحث عن المستقبل !

لقد حدثت قطيعة بين البدوى ومجتمعه الاصلى بعد ان اندمج في الحياة المدنية ، واصبح يتقاضى مرتبا شهريا ، ويتعامل بالنقود بدلا من المقايضة، وبدات طيبات الحياة الحديثة تغلب لبه ، لقد تبدلت العلاقات العائلية واهتز نظام الاسرة التقليدى ، وتغيرت نظرة الاجيال بعضها الى بعض فزاد الزواج وتضاعف الطلاق •• وبدأ مجتمع القبائل يذوب •• وتبدلت نظرة البدوى الى العمل اليدوى ، وظهر مجتمع عمالي غريب عن البدو والرعاة يحمل قيما جديدة •

كان ثمن الخروف الواحد ٥٠٠ اوقية ارتفع الى ٢٥٠٠ اوقية بعد الجفاف الذى اصاب البلاد ، واصاب الثروة الحيوانية الموريتانية اصابات قاتلة •• فالخسارة في الابقار كانت ٥٥٪ وفي الاغنام والماعز ١٣٪ وفي الجمال ٣٪ ومما يذكر ان الحيوانات تصدر وهي حية للخارج ، في حين ان عمل مصنع لتعليب اللحوم في كايهيدي، حيث اكبر اسواق الحيوانات الموريتانية ، سـوف يضاعف من ايرادات بيع هذه الثروة ••

تعاني نواكشوط من مينائها الصغير ، الف طن من البضائع سنويا على رصيفه المحيط الاطلسي •• وحتى يتوقف المطار وميناء دكار البعيد ، تجرى حاليا نواكشوط يتسع لتفريغ وشحن مليون مليون دولار ،تشترك فى تمويله الحكومة الاقتصادية ،والبنك الدولي، والصندوق





ان هذا الرجل العربي الطيب النحيل ، الذى ينظم الشعر بالسليقة دون ان يتعلم ، يمر اليوم بفترة ضياع كبيرة ، انه يبحث عن الشكل الجديد الذى سيكون عليه مستقبله ٠٠ انه لم يختلط بالعلوم الحديثة بعد ، ومدنية هذا اليوم اساسها العلم !

الرعاة والمعادلات الصعبة

ورأينا صورة من هذه الحياة الجديدة فى الثانوية الصناعية بنواكشوط ، التى اقامتها موريتانيا بمساعدة فرنسية قال لنا مديرها مسيو دروويه :

« انهم فطاحل وعباقرة ٠٠ بمجرد دخولهم الى غرفة الالات والمعدات تتفتح عقلية هذا الشاب الموريتانى العربى ،ويقبل على العمل بمهارة فائقة على مختلف الالات التى لم يرها من قبل فى حياته ! ان ذهنه الصافى يستوعب فى الحال كل ما نقدمه له من معلومات ومعادلات علمية وميكانيكية مهما كانت صعبة او معقدة ٠٠ ان مستقبل موريتانيا الصناعى يبدأ من هنا ٠ واذا كانت هناك مؤسسات او شركات كبيرة تريد تاهيل اى نوع من العمال الموريتانيين صناعيا او فنيا ، فنحن على اتم استعداد لمدهم بكل ما يلزمهم من هؤلاء العمال، اذا حصلنا على الاعتمادات المالية اللازمة ٠٠ »

ولكن كم عدد الطلبة الذين يمكنهم تلقى التعليم فى موريتانيا ؟

تجيبنا الاحصاءات :

من كل مائة طفل فى سن التعليم ، لا يدخل المدارس النظامية الا ١٧ طفلا فقط ،والباقى، اى ٨٣ طفلا لا توجد لهم اماكن فى المدارس !! ؟

هذه هى ماساة التعليم فى موريتانيا التى جعلت عدد طلبة الثانويات لا يزيد على ٤٥٦٠ والتعليم الفنى على ١٣٠٠ طالب ٠٠ بينما تؤكد الاحصائيات الرسمية ان عدد شباب موريتانيا

الذى لا يستطيع تفريغ او شحن الا ٥٠ الممتد مسافة ١٩٠ متر داخل مياه لاستيراد « الجائر » المكلف عن طريق عملية انشاء ميناء جديد كبير فى طن سنويا ٠٠ وتكاليف هذا الميناء ٢٧ الموريتانية والصندوق الكويتى للتنمية المركزى للمساعدات الاقتصادية ٠٠

صراع مرير مع الرمال الزاحفة المتحركة فى موريتانيا ٠٠ ففى الشمال اندثرت شنقيط القديمة تحت امواج الرمال الصحراوية ٠٠ وعلى امتداد الساحل يرتفع سد كبير من الرمال البحرية الناعمة ٠٠ اما فى الجنوب حيث الاراضى الزراعية الخصبة فقد اقتلع الرعى الجائر الاعشاب وقتل الاشجار ،فظهرت كثبان الرمال ، فجاء خبراء الامم المتحدة يحاولون اعادة التشجير والاعشاب ٠٠ وتراهم فى الصورة على مائدة حاكم مدينة روصو : اداه ولد سيدى هيبة







منذ عشر سنوات ذكرنا في «العربي» ان عددسكان موريتانيا مليون شاعر. اما اليوم فلم يعد الموريتاني يتحدث عن الشعر الا اذا ذكرته به !! لقد داهمتهم تعقيدات الحياة الحديثة ، فضاعت شاعريتهم وهم يتصدون لازمات السكن والتعليم والنزوح والصحة وغيرها ·· لقد تحول الشعر الى نثر فظهر كتاب القصة القصيرة ، والشعر الحر ·· وتكونت رابطة للاداب والفنون منذ عام فقط ·· وترى في الصورة مؤرخ موريتانيا المختار بن حامد الرئيس الشرفي للرابطة الموريتانية ·· جالسا في الوسط ومن حوله مجموعة من الشعراء والادباء : علي اسلم بيه رئيس لجان الاداب ، وجار الله احمد محمود ، وعبد الله ابو بكر مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي ، والشاعر محمد كابر هاشم رئيس لجنة الفنون بالرابطة·· ومن الغريب انك لا تعثر على اى كتاب عن موريتانيا في مكتباتها . ويقول البعض ان هناك مؤلفات قيمة ما زالت مخطوطة ، لان اصحابها يبخلون بنشرها مفضلين الاحتفاظ بمعلوماتها لانفسهم ·· اما الادباء فيقولون اننا نعاني من أزمة طبع ونشر ·· ومما يذكر ان الشركة الوطنية للصحافة والنشر قد ولدت منذ سنة فقط وتصدر عنها جريدتان : الشعب بالفرنسية والعربية .





الصورة المشرقة لمستقبل زاهر رايناها في الكلية الصناعية بنواكشوط ‥ ان طلبة هذه الكليـة قد هجروا التفكير التقليدى الذى دس عليهم ، واقبلوا على العمل الفنى بنجاح باهر ‥ لقد تحقق فى هذه الكلية النداء الذى وجهه حزب الشعب « تغيير العقليات والاقبال على العمل ، فالعمل شرف ‥ »

والى اليمين : « اننا لا نريد زيادة مشاكل العرب باضافة مشاكلنا العديدة اليهم ‥ اننا نسعى لحلها بانفسنا ‥ » وموريتانيا استقلت عام ١٩٦٠ وبعد ١٣ سنة دخلت الجامعة العربية ‥ وحزب الشعب الموريتانى هو الحزب الوحيد فى الدولة ٠ وقد تأسس عام ١٩٦١ اثر اندماج اربعة احزاب ‥ وحزب الشعب هو الموجه والمنظم لحياة الامة ‥ فهو يرشح اسم رئيس الجمهورية الذى يتم انتخابه عن طريق الاقتراع العام المباشر ، ورئيس الجمهورية هو الذى يعين الوزراء ٠ وينتخب مؤتمر حزب الشعب اعضاء الجمعية الوطنية (الصورة اليمنى) وعددهم ٧٧ عضوا منهم اربع نساء ٠ وتدور مناقشات الجمعية بالعربية والحسانية والفرنسية ‥ وتقام دورات توعية للنواب ، تلقى فيها محاضرات عن مختلف شئون البلاد ‥



الطرق هي شرايين الحياة لموريتانيا ٠٠فمنذ عشر سنوات كانت الطرق المعبدة شبه معدومة ٠٠ والسيارة الصحراوية « اللاندروفر » ، كانت الوسيلة الوحيدة للانتقال عبر كثبان الرمال الناعمة ، والطقوس العالية ٠٠ وكان تموين الاهالي والاتصال بهم من اكثر الامور صعوبة ٠٠ وفي اول يوليو عام ١٩٧٥ بدأ شق واحد من اهم الطرق التي تربط ساحل الاطلسي بالا[illegible]لشرقي من موريتانيا ٠٠ انه طريق نواكشوط نعمه ، وطوله الف ومائة كيلو متر بدأ العمل في المرحلة الاولى منه ، وطولها ٦٠٠ كيلو متر في منتصف عام ١٩٧٥ على ان تنتهي بعد مضي ٣ سنوات من بدء العمل ٠٠ وتكاليف هذه المرحلة الاولى ١٠٥ ملايين دولار ، ساهمت بدفع جزء منها : العربية السعودية ، والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية ، والصندوق العربي للانماء الاقتصادي ، وابو ظبي ٠

هو ٨٥٤ الف شاب اي ٦١٪ من مجموع عدد السكان ، نجد ان مجموع عدد التلاميذ والتلميذات في جميع مراحل التعليم لا يتعدى ٤٧ الف شاب!!

اما عن انخفاض اسلوب ومناهج ومستوى المدرسين، فقد انعكست نتائج هذا التدهور على نسبة الطلبة الذين يعيدون السنة الدراسية وهي ٣٥ر٧٪ وعدد الذين يتسربون من المدارس خلال السنة الدراسية ونسبتهم ١٦ر٨٪ ٠

ان السر وراء مأساة التعليم في موريتانيا انها ترجع في احد اسبابها الى امتناع الاهالي عن ارسال اولادهم الى المدارس أيام الاحتلال الفرنسي لان التعليم كله كان بالفرنسية ٠٠ وجاء الاستقلال ولم يكن بالامكان تحقيق التعريب بجرة قلم ، فالمصاعب هائلة ، وستظل مشكلة تعريب التعليم هي مشكلة موريتانيا حتى سنوات طويلة مقبلة ، الى ان تحل مشاكل الكتاب المدرسي والمدرسين الاكفاء وتعريب الادارة ٠٠

وهناك جهود كبيرة لا تنكر ، تبذلها حكومة موريتانيا من اجل التعريب ، ولكنها ليست كافية، كما ان ما تقدمه الدول العربية من معونات ثقافية لا يكفي ابدا لاحداث اي تغيير جذري في اسلوب التعليم ٠٠٠ حتى مدارس « بني عامر » العربية الخالصة ، التي تعتمد على التبرعات في تكملة رسالتها تشكو من ازمات مالية خانقة ٠٠

ان التعليم ، اذا انتشر ، سيغير نظرة الناس الى كثير من الامور والعادات المتوارثة المدمرة ٠٠ فالزراعة لن تستمر مهنة حقيرة ٠٠ والالعاب الرياضية سيقبل عليها الشباب ٠٠ والفخر بالحسب والنسب سيتحول الى الفخر بالعمل ٠٠ واسلوب بقاء الاصدقاء ضيوفا لفترات طويلة سينتهي ، ويخف العجز الدائم في ميزانية الاسرة ٠٠ والمريض سيعزل في المستشفى لمنع انتشار الاوبئة والامراض !

٤ دنانير الدخل الشهري للفرد !

ان مجتمع موريتانيا يقاسي ظروفا بالغة العسر ، لانه يجهل شق الارض واخراج الطعام ٠٠ والجفاف الذي اصاب البلاد ، تسببت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والادارية في مضاعفة وطاته ، فالمياه

لعبت موريتانيا دورا كبيرا في التاريخ ، فقد كانت دائما همزة الوصل ، ومنطقة الاحتكاك بين الشمال والجنوب الافريقي ٠٠ لهذا نجدها غنية بالاثار التي تعود الى عصور موغلة في القدم تمتد الى عصر النيوليتيك ٠٠ وفي متحف نواكشوط اعيدت الاثار الموريتانية التي كانت في مدينة سان لويس بالسنغال ٠٠ وبدأ تكوين متحف جديد يمثل كل مظاهر الحياة الموريتانية ٠٠





السيدة « عائشة كان » وزيرة حماية الاسرة والشئون الاجتماعية ، ورئيسة المجلس الاعلى للنساء الموريتانيات ٠٠انها كتلة نشاط وحركة من اجل رفع شأن المرأة : « حالة المرأة في بلادنا مثل حالة شقيقاتها العربيات ٠٠ كانت كالمتاع ٠٠ ونحن نرفض ان نباع أو نشترى ٠٠ اننا نريد التعاون والتكامل مع الجنس الاخر ٠٠ ولا نريد التساوى ٠ لاننا نرفض التساوى مع كل انواع الرجال ٠٠الرجال الكرماء ٠٠الرجال المتقدمون ، نرحب بالتساوى معهم ٠٠ ان قانون الاحوال الشخصية هو املنا فى حل مشاكلنا ٠٠ وهذا سوف يرى النور قريبا ٠٠ »

الجوفية موجودة فى جوف الارض تحت الرمال الساخنة التى كان يموت فوقها الانسان والحيوان ٠٠ والارض الطيبة موجودة مهملة لا يزرعها احد الا الطبيعة التى تنبت الاشجار فى هدوء وبطء فى غفلة عن الانسان والزمان !

ونتيجة لتراكم كل هذه العوامل انخفض متوسط دخل الفرد فى موريتانيا الى نحو ١٨٠ دولار سنويا ٠٠ أى نحو اربعة دنانير شهريا يعيش بها الانسان طوال الشهر !! والسبب هو نقص التعليم ٠

الانسان هو مشكلتنا الاولى



ونتقل انطباعنا الى وزير الدولة للتوجيه الوطني الاستاذ عبدالله ابن بيه ، فيؤكدها قائلا : « مشكلة موريتانيا الاولى هى الانسان ٠٠ ومن اجل هذا رفعنا شعار تغيير العقليات ٠٠ اننا نطالب ابن البلد بالرجوع الى منابع الدين، ونبذ التقاليد المدسوسة علينا ٠٠ اننا نطالبه بالعمل دون اعتبار للحسب او النسب ، الذى يعتقد البعض بانه يعطيهم الحق فى عدم العمل ٠٠

« والحمد لله ان الكثير من العادات بدأ يتغير ويتبدل ، وقد ساعدت سنوات الجفاف على قلع جذور تقليدية راسخة كان من الصعب تغييرها فى مجتمعنا الاسلامى الصميم ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ٠٠

« ان التاريخ والثقافة والحدود المشتركة اعطت مجتمعنا طابعا عربيا افريقيا ، فاصبحت موريتانيا همزة الوصل أو الجسر الذى يربط بين افريقيا البيضاء والسوداء ٠٠ »

بوابة موريتانيا ٠٠

وحتى نتعرف على الوجه الاخر للمجتمع الموريتانى اتجهنا جنوبا ٠٠ الى مدينة روصو ، آخر مدننا العربية فى اقصى الجنوب الغربى من الوطن العربى ٠٠ انها تقبع بهدوء على نهر السنغال ٠٠ منازلها ذات الطابق الواحد تختلط بالاكواخ ومدن الصفيح، انها مدينة ليس لها اى طابع هندسى او معمارى ٠٠ وروصو هى البوابة الجنوبية لموريتانيا يمر منها الانسان والتجارة والبضائع القادمة من السنغال ٠٠ يكفى عبور النهر لينتقل المرء من بلد الى بلد، ولا يحتاج المواطنون فى كلا البلدين الى تاشيرة دخول او خروج ٠٠

الوجه السياحى الموريتانى بدأ انطلاقته الكبيرة ٠٠انه يحظى برعاية كبيرة من الدولة ٠٠الفنادق تفتح فى كل المدن بالرغم من مشاكل اليد العاملة ٠٠ وهذا هو فندق الصباح الحديث فى نواكشوط : تمويله كويتى ٠٠ ادارته هندية ٠٠ مبانيه كندية جاهزة ٠٠ صيانته لبنانية ٠٠ نزلاؤه فرنسيون فى الغالب !!!



على امتداد نهر السنغال تقوم التجمعات السكانية الصغيرة البدائية ٠٠ اهلها يصطادون السمك النهرى اللذيذ يطبخونه مع المرق والبامية والقرع ٠٠ انهم يصطادون ما يكفي استهلاك اسرهم فقط ٠٠ واذا دب فيهم النشاط فانهم يبيعون فائض صيدهم في اسواق « روصو » لعدم وجود غرف مبردة ٠٠ والى اسفل « القوارب التاكسي » التي تنقل الاهالي بين الضفتين الموريتانية والسنغالية ٠٠









هذه الخضروات الجمبو العملاقة تثبت ان ارض موريتانيا المطلة على نهر السنغال ، هى ارض طيبة يمكن ان تغل محصولات ذهبية ، ولكن الذى يحدث ان خضروات موريتانيا تأتيها بالطائرات والسيارات من وراء الحدود فتصبح اسعارها فاحشة .. والصورة اليسرى لسيارة الطماطم القادمة من السنغال .. وقد تألمنا عندما قالوا لنا: « الفلاح الموريتانى ورث خبرة قرون كثيرة مضت .. » قد يكون هذا صحيحا ، ولكنه بقى يزاول الزراعة على نفس الأسلوب . اسلوب الأجداد .. لم يطور هذا الأرث أو يزيد عليه .. روث البهائم ما زال سماده، والمنكش الصغير محراثه ، لم يسمع بالأسمدة الكيماوية ولا بآلات الحرث والبذر .. كان الله فى عون المشاريع الزراعية الطموحة التى يجرى التخطيط لها فى موريتانيا !

النهر الغريب !

ونهر السنغال نهر غريب الاطوار •• انه نهر موريتانيا الوحيد الذى تتقاسمه معالسنغال ومالي، وهو فى الوقت نفسه الحدود الطبيعية والسياسية بين موريتانيا والسنغال ••

وقفنا على شاطىء النهر فخلناه النيل فى غزارة مياهه التى تندفع نحو المحيط الاطلسى لتضيع فى مياهه بمعدل ١٠ الاف متر مكعب فى الثانية خلال شهرى اغسطس وسبتمبر.ولكن هذا الزخم سرعان ما ينخفض الى ٣ امتار مكعبة فى الثانية خلال شهر مايو ، مما يسمح للناس بعبور مجرى النهر الكبير على الاقدام فى منطقة كيهيدى • !!

لماذا تعطش مدن النهر ؟



ويحدثنا وزير المصادر المائية محمد بن اعمر عن هذا النهر العجيب فيقول : « •• وليت المسألة متوقفة على فيضان وجفاف ، ولكن الذى يحدث انه فى شهور جفاف النهر تندفع مياه المحيط الاطلسى المالحة الى داخل مجرى النهر ، لمسافة ٧٠ كيلو مترا تقريبا فتحوله الى نهر مالح تماما ! •

« وقد حتم هذا الوضع على اهالى مدن النهر ضرورة تخزين المياه العذبة لمدة شهرين على الاقل لاستعمالها فى الاغراض المنزلية !!

« ولن يتم التغلب على هذا الوضع الا بعد بناء سدين كبيرين على مجرى النهر واحد فى منطقة منتالى بجمهورية مالى لتخزين مياه الامطار •• والثانى على مسافة ٣٠ كيلو مترا من المصب ، ليمنع تدفق مياه المحيط المالحة الى مجرى النهر ••

لقد استطعنا تدبير التمويل اللازم للسد الاول، اما تمويل السد الثانى فما زال عقبة •

وعندما ينتهى العمل فى هذين السدين ستحصل موريتانيا على قوة كهربائية مقدارها٨٠٠كيلووات ساعة ، وسيوفران لنا مياها منتظمة على مدار ايام السنة بمعدل ٣٠٠ متر مكعب فى الثانية •• وسوف تتمكن من استصلاح اكثر من نصف مليون هكتار من الارض الطيبة •• »



هذه الصورة توضح مدى صعوبة الاستفادة من مياه نهر السنغال الغريب الاطوار ! انها المضخات التى تسحب ٦٠٠ لتر فى الثانية ، لتروى مزارع الارز فىالمشروع الصينى بمزرعة بوربيه •• ولكن عندما تشح مياه النهر تتوقف المضخات عن العمل ويعطش الناس والزرع •• ولا علاج لهذا الوضع الا باقامة سدين كبيرين على مجرى النهر ••

ان الارض الطيبة المطلة على النهر يمكن ان تحقق معجزاتزراعية اذا توافرتلها العناية اللازمة ••اما اليوم فان الاهالى يزرعون الارض بعد ان تنحسر عنها مياه الفيضان !

٧ طن ارز فى الهكتار !

ويقوم الخبراء الصينيون منذ عشر سنوات بعملياتاستصلاح بطيئة فىمنطقة روصو يتمخلالها استصلاح نحو ٨٠ هكتارا من الارض سنويا •• وذهبنا الى هذه المزرعة النموذجية فوجدنا شجيرات الارز الاخضر تغطى الارض بلونها الزاهى الجميل على امتداد البصر • ان هذه المنطقة هى الموطن المثالى لزراعة الارز والخضروات •• فالهكتار الواحد من الارض (اى ١٠ الاف متر مربع) يعطى سبعة اطنان من الارز ، وهى كمية تفوق ما تغله اخصب الاراضى فى العالم • اما الطماطم فتعطى ذهبا ،اى ٤٠ طنا فى الهكتار الواحد •• وكذلكالحال معالبطاطس والجزر والبنجر والبامية والباذنجان والبقدونس ، كل منها يدر محصولا خياليا •• انها ارضنا الطيبة ••

اكتفاء عائلى !

هذا ما تغله الارض المستصلحة •• وتجولنا فى بعض المزارع العادية فهالنا اننا لم نعثر على

موريتاني واحد من اصل عربي ، يعمل في الزراعة ٠٠ انها عمل يدوي لا يرغبون فيه ٠ لهذا تركوها لابناء موريتانيا المنحدرين من اصول غير عربية ، والذين يتحدثون بلكنات الـولاف والتوكلـور والتكروري ٠٠ان انتاجهم الزراعي هزيل لان الواحد منهم ليس فلاحا عريقا ، وزراعته تهدف الى تحقيق الاكتفاء له ولعائلته فقط ، مع جهله بكل متطلبات الزراعة الحديثة من سماد كيماوي ودورات زراعية ٠٠ والزراعة ليست مهنته الوحيدة فقد رأينـاه يعمل صيادا وراعيا ، الى جانب الزراعة ٠

امي زنجية وابي عربي

وعندماسالنا حاكممدينة روصو والمنطقةالسادسة السيد « اداه بنو سيدى هيبة » عن مجتمع روصو، اجابنا « انتم في بلد اختارته الطبيعة ليكون نقطة امتزاج بين العرب والافريقيا ٠٠ وانا امثل الاثنين: امي زنجية ، وابي عربي ٠٠ومثلي بعشرات الالوف يعدون ٠٠ اننـا مواطنون موريتانيون ٠٠ كلنـا مسلمون ونتكلم العربية لغة القرآن ٠٠ والامتزاج امتد الى مختلف مظاهـر حياتنا اليومية ، حتى فنوننا وموسيقانا واحاديثنا ولكناتنا ، كلها متأثرة بالطابع العربي الافريقي ٠٠

« لقد شق الاستعمار اخدودا عميقا بين العرب وافريقيا ، وقال انهما عالمان ، وانا اقول انهما مكملان لبعضهما البعض ٠٠ ان امكانات العرب المادية ، وامكانات افريقيا الطبيعية ، لو تضافرت سويا لحولت العالم الثالث منعالم البقشيش ـكما يسموننا ـ الى عالم الرخاء والازدهار ٠٠ لهـذا اعتقد انهم عندهم حق فـى التفرقة بيننا لانهـم يخافوننا ٠٠ »

روصو ٠٠ هل تموت ؟

قلنا للحاكم الصريح : « تشتهر موريتانيا بان مدنها تموت عندما تتحول عنها طرق القوافل ٠٠ ودان ماتت في الشمال ٠٠ ولاته ماتت في الشرق ٠٠ ويقولون ان الدور قادم على مدينة روصو بعد ان بدأ العمل في طريق الالف كيلو متر الموصل بين نواكشوط ونعمه مباشرة دون المرور بروصو ؟

واعتدل حاكم روصو في جلسته وقال « لا اعتقد ان روصو ستندثر مثل غيرها من المدن ٠٠ حقيقة ان الطريق الى « نعمه » سيتحول من عندنا ، ولكنروصو ستبقىروصو المزدهرةالنشطة،لانها نقطة الوصل بينداكار وموريتانيا٠٠والتجارةبين البلدين في ازدهار متزايد ، وفي العام الماضي صدرنا للسنغال ١٥ الف طن من الجبس مرت كلها من عندنا لاول مرة ، وسوف تتضاعف هذه الكمية في السنوات القادمة ٠

« والمشاريع الكبيرة المقترحة من مصنع للنسيج الى مصنع لتعليب اللحم ،الى استغلال الفوسفات والفحم ،فضلا عن تحويل المنطقة لتصبح منطقة زراعية مصدرة ٠٠ كل هذا يجعلني اؤكد لكم ان مركز روصو سيزداد اهمية مع الايام ٠٠ قد تخسر من جهة ، ولكن مكاسبها ستتضاعف من جهات اخرى ٠٠ »

الحليب من جزر الكناري !

والمؤلم في مشاكل موريتانيا هو انها فيالوقت الذى كانت تشكو فيه جفافا وقحطـا كانت مياه نهرها تذهب هباء في المحيط !

ان بلاد الخيرات تستورد كل شيء من الخارج ٠٠ الطماطم من السنغال ، والحليب من جزر الكناري، والزيتون من اليونان ،والسردين من فرنسا ،بالرغم من ان بحار موريتانيا تعتبر من اغنى بحار العالم بالثروة السمكية !!٥

ومشاريع التنمية في موريتانيا تحاول الانطلاق بالبلاد نحو افاق جديدة ، ولكن نقص الكوادر ، والتمويل المنخفض المختصر مـن الحكومة ، يجعل اللجوء الى القروض الخارجية امرا ضروريا ٠٠ ومن هنا تاخرت خطة التنمية الرباعية الاخيرة التى لم ينفذ منها الا ٥٨ر٦٪ من مشاريعها ٠٠

حديد ونحاس ويورانيوم

والاقتصاد الموريتاني ينقسم الى قسمين قطاعحديث نشط يشمل الصناعـات الحديثة المختلفة ومنهـا المنجمية ، وهذا القطاع يساهم بنسبة ٧٥٪ من الناتج المحلى الاجمالي الذى يعادل ما قيمته ٣٤٦ مليون دولار امريكي ٠٠ اما القطاع الثاني فهو القطاع الريفي ويساهم بنسبة ٢٥٪ فقط منالناتج الاجمالي ٠٠

تعالوا نقترب اكثر

واخيرا ان الحكم على موريتانيا لن يكون صحيحا ابدا ، الا اذا استوعبنا جميع جوانب مشاكلها التى



فى المراكز الثقافية المصرية والسعودية والليبية والفرنسية، يمضى الشباب من الجنسين أوقاتهم فى الاطلاع والقراءة والاستماع الى المحاضرات الثقافية ، ومشاهدة الافلام السينمائية التى تعرض عليهم ٠٠ ان الموريتانى قارىء ممتاز لديه نهم للاطلاع ٠

يتحدث عنها كل شخص باسلوب مخالف للاخر ،مما يجعلك تشعر وكانك تسير فوق بحر من الرمال المتلاطمة ، لا تعرف له حدا او عمقا !!

ان هذا الانسان الموريتانى الطيب ، يتحدث اليك بلسانه ، بينما فكره ووجدانه يحلقان بعيدا فوق ارض البادية التى يعشقها ٠٠

لقد شبهوه بالجمل الصبور ٠٠والواقع انه اشبه بالجمل الذى يحمل الماء فوق ظهره ، ومع ذلك يموت عطشا !!

ان خيرات موريتانيا وثرواتها ، موجودة تحت اقدامه ، كل ماعليه ان يحفر عنها ويستخرجها ٠٠ ولكنها مهمة شاقة صعبة لن يستطيع القيام بها الا اذا ساعده اخوانه العرب والافارقة على حد سواء ٠٠

اننا باستطلاعنا هذا نحاول ان نقرب المسافات بين اجزاء وطننا الكبير ٠٠ وموريتانيا بلد يعيش بعيدا ٠٠ بعيدا ٠٠ وقد اصبح من المحتم ان نقترب منه اكثر ٠٠ واكثر ٠ ■■

سليم زبال

الرئيس الموريتانى يتحدث

● **التقت بعثة « العربى » بالرئيس الموريتانى المختار ولد داده ،وأدارت معه الحديث التالى : حول هموم بلادهوالجهود التى تبذل من أجل مواجهتها ،**

● **بصفتكم « مهندس » موريتانيا الحديثة ، ما رأيكم فى « البناء » وهل حققتم أهدافكم ؟**

ـ انكم ولا شك تدركون ان موريتانيا كانت أبان حصولها على الاستقلال فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٠ ، تعتبر من أفقر دول القارة الافريقية فى العديد من المجالات الحيوية ٠

لقد كنا انذاك نعانى من قلة الاطارات والبنى والامكانيات المالية والمادية لاستثمار الثروات القليلة التى نتوفر عليها ٠ كما ان الظروف الطبيعية والمناخية والجغرافية لبلادنا ظلت غير مؤاتية الى حد كبير ٠ ولم تكن لنا أية عاصمة على الاطلاق حيث ان ادارتنا كانت توجد فى مدينة سان لويس السنغالية ٠

غير اننا استطعنا بفضل الله وعونه ، وشجاعة شعبنا وتصميمه ، ان نتغلب على معظم هذه العراقيل وان نحقق بعض المنجزات وخاصة منها بناء عاصمة لنا واستغلال ثرواتنا المنجمية والسمكية وبناء طرق وسدود وتشييد موانىء ومطارات بالاضافة الى انجاز برامج هامة فى الميادين الزراعية والصحية والاجتماعية والتربوية٠

وقد انتهجنا فضلاً عن ذلك سياسة فعالة لتكوين الاطارات وهى السياسة التى بدأت تؤتى أكلها ٠

ان انشاء عملتنا الوطنية ـ الاوقية ـ يرمى من ورائه الى ضمان سيطرة أكثر نجاعة على اقتصادنا وخاصة على سياسة اعتماداتنا فى الوقت الذى نسلك فيه طريق انجاز برامج تصنيع وبحوث منجمية هامة يسند تنفيذها الى الشركة الوطنية



للصناعة والمناجم ـ سنيم ـ بيد ان معركة البناء والنمو الوطنيين تعتبر معركة طويلة وصعبة وخاصة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار وضعنا الخاص والنقطة التى انطلقنا منها • واذا كنا لم ننتصر بعد فى هذه المعركة لانه لا يزال أمامنا الكثير مما ينبغى انجازه ، الا اننا واثقون من مستقبل بلادنا اعتمادا منا على عون الله وعلى ارادة شعبنا •

● ما هى مشاكل وهموم موريتانيا ؟

ـ الحقيقة أن اكبر مشكلة نواجهها هى مشكلة التخلف وما يتمخض عنه عادة من أمراض بالنسبة لكافة المجتمعات البشرية التى تعانى منه • ومن الواضح ان هذا التخلف الذى سبق لى ان تحدثت لكم عنه فى جوابى على سؤالكم الاول ، اقول ان هذا التخلف قد ازداد ضراوة فى السنوات الاخيرة بالنسبة لسكان البدو والارياف نتيجة للجفاف المخيف الذى يجتاح فى الوقت الحاضر المنطقة الساحلية ولا تزال بلادنا تعانى منه • لذا فان شغلنا الشاغل ، على الصعيد الداخلى ، يكمن فى ازالة مفعول هذا التخلف والظروف المأساوية التى صاحبته والتى تتمثل فى تلك الكارثة الطبيعية التى شهدناها فى السنوات الاخيرة •

اننا نعطى الاولوية ـ فى الميدان الداخلى كذلك ـ لتوطيد توحيد وطننا وهو التوحيد الذى يشكل أحد أهم مكتسبات نضال شعبنا • وهكذا فاننا نولى أهمية خاصة لمشاكل النمو الاقتصادى فى ولاية تيرس الغربية التى يجب ان تتدارك التاخر الذى ظلت تعيشه بالنسبة لباقى الوطن الذى حصل على الاستقلال سنة ١٩٦٠ •

ان التخلف قد تمخض فى بلادنا ـ شانها فى ذلك شان كافة البلدان التى تعيش نفس الوضع ـ عن مشاكل متعددة ومتنوعة لا شك انكم تدركونها وهى المشاكل التى أرى انه من لغو الكلام رسم جدول تام لها •

اما على الصعيد الخارجى فان اهتمامنا ينصب نحو ما يهتم به أعضاء الاسر العربية والافريقية والاسلامية ودول حركة عدم الانحياز • اننا سنظل حريصين كل الحرص على تدعيم الوحدة داخل كل واحدة من هذه الاسر الكبيرة التى ننتمى اليها وعلى توطيد التفاهم والتبادل بينها •

● هل هذه المشاكل ناتجة ، فى المقام الاول ، من تقاليد وعادات الاهالى ؟

ـ انه لمن المغرى للرأى ، وخاصة للرأى العصرى أو الذى يميل الى العصرية ، ان يحيل بعض أو كافة آلام المجتمعات المتخلفة أو الموصوفة بالتاخر الى التقاليد الشعبية • ومن الواضح ان هذه العادات والتقاليد قد تشكل أحيانا عوامل تسهم فى تاخر تحقيق مجتمع أكثر عصرية يتجه نحو التقدم التقنى والاقتصادى والاجتماعى• وعليه فانه يجب على المسئولين عن ترقية هذه المجتمعات ان يتصرفوا بمرونة وان يجتنبوا الصدام العنيف المتمثل فى اجتياز مرحلة الى أخرى بدون دراسة وذلك ما نحاول تطبيقه فيما يخصنا • ومهما يكن من أمر فان سكاننا مسلمون ١٠٠٪ • ولا نعتقد أن العادات والتقاليد الاسلامية الصحيحة يمكن ان تخلق مشاكل من شانها ان تقيد النمو الاقتصادى والاجتماعى لمجتمعنا وبعبارة أخرى سعادة شعبنا •

● الى اى مدى ترحبون برأس المال العربى ؟ والى اى الاتجاهات يمكن توجيه هذه الأموال ؟

ـ ان موريتانيا ـ كما تعلمون ـ دولة عربية وافريقية فى آن واحد • ومما لايدع مجالا للشك ان سياستنا الخارجية ترمى من بين ما ترمى

اليه الى تطوير ورفع مستوى علاقاتنا وتبادلنا مع هذين العالمين المتكاملين • واشير هنا الى اننا ما فتئنا ولن نبرح نواصل العمل جاهدين من اجل تحقيق هذه السياسة ان شاء الله •

وهكذا فاننا نرحب فى هذا المجال بالاستثمارات العربية التى يمكن توجيهها فى معظم ميادين الاقتصاد وبالاخص فى ميادين الصناعة والبحث المنجمى والتجارة والاصلاحات الزراعية والرعوية والتجهيزات • وقد نشرنا مؤخرا قانون استثمارات يعطيها كل الضمانات الضرورية •

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ان بلادنا قد انضمت الى الاتفاقية القاضية بانشاء المؤسسة العربية لضمان الاستثمارات والى الاتفاقية المتعلقة باستثمار رؤوس الاموال العربية وتداولها داخل الدول العربية والاتفاقية المتعلقة بتسوية النزاعات التى قد تحدث فى مجال الاستثمارات بين الدول المستفيدة من الاستثمارات العربية ورعايا الدول العربية الاخرى وذلك بالاضافة الى كافة المؤسسات العربية المتخصصة فى ميدان الاستثمارات •

● الزراعة والاصلاح الزراعى هل يمكن تطبيقه ؟

ـ تحتل الزراعة مكانة مرموقة فى اقتصادنا الوطنى • وتوجد على وجهه الخصوص فى جنوب البلاد بمحاذاة نهر السنغال • وفيما يخص هذا القطاع من النشاطات الوطنية تجدر الاشارة الى اننا اسسنا مؤخرا شركة مكلفة بتطبيق برامج هامة تتعلق باستصلاح وتطوير التنمية الزراعية ، وهى الشركة الوطنية للتنمية الريفية • ونشير فى هذا المجال الى ان الاصلاح الزراعى الذى يوجد قيد الدراسة والذى ننوى تطبيقه فى القريب ياخذ منابعه من تعاليم الشريعة الاسلامية فيما يخص الملكية العقارية وياخذ بعين الاعتبار المبدأ القائل بان الارض لمن احياها •

● متى يستفيد البدو الرحل ؟

ـ تدخل هذه المسالة فى اطار الدراسات المسندة للشركة الوطنية للتنمية الريفية وهى الدراسات التى يجرى انجازها فى الوقت الراهن•

● متى يبدأ استغلال الثروات المعدنية فى الصحراء الغربية •• وهل العقبات مادية ، ام سياسية •• ام سكانية •• ؟

ـ لم يتم العثور على ثروات معدنية فى الجزء الموريتانى من الصحراء الاسبانية سابقا ومن ثم لا يمكن الحديث عن استغلالها •

● ما هى احتمالات تصنيع الحديد على نطاق واسع ، بدلا من تصديره خاما ؟

ـ فى هذا المجال لدينا مشروع انشاء صناعة مدمجة للحديد تم اسناد دراستها وتنفيذها الى الشركة العربية للصناعة الحديدية « ساميا » وهى فرع من الشركة الوطنية للصناعة والمناجم « سنيم » •

ان فكرة انشاء شركة موريتانية كويتية فى مجال الصناعة الحديدية قد برزت نتيجة لتزايد نمو وازدهار العلاقات الاخوية القائمة بين الدولتين الشقيقتين وهى العلاقات التى تشكل مثلا حيا للتعاون والتكامل الاقتصادى العربى•

لقد تم الاتفاق على انشاء هذه الشركة الموريتانية الكويتية للصناعات الحديدية بموجب بروتوكول تعاون اقتصادى تمت المصادقة عليه فى الـ ٢١ يوليو سنة ١٩٧٤ فى الكويت بين شركة سنيم والشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والاستثمارات الخارجية ، وقد حدد رأس مال شركة ساميا بعشرين مليون دولار امريكى اكتتبت الشركة الوطنية للصناعة والمناجم بـ ٥٠٪ منه • وستتم زيادة راس المال هذا فور أن تبدأ الشركة مرحلة تنفيذ مشاريعها •

وقد تم بالاضافة الى هذا المشروع للصناعة المدمجة اسناد مشروع انشاء مصفاة للنحاس الى الشركة الموريتانية الكويتية للصناعات الحديدية•



محنة.. أم امتحان؟!

بقلم : الدكتور يحيى الرخاوى

استاذ الطب النفسى ـ كلية الطب جامعة القاهرة.

نحن نعيش فى محنة وجود حقيقية ٠٠ ونواجه بين الحين والحين محطات امتحان متفرقة ومتنوعة ٠٠ ونحن نهتم بالاخيرة اضعاف ما نعي الاولى ٠٠ ـ وهذا بديهى ـ ولكنه خطر اى خطر لسببين : الاول : انهما قضيتان مرتبطتان اشد الارتباط واوثقه مهما حاولنا التعامي والهرب ٠ والثانى : انه حتى لو خفى هذا الارتباط الاعمق ٠٠ او تقطعت اوصاله لأصبح نجاحنا فى الامتحان العابر عبثا على محنة الوجود ٠٠ التى هى الامتحان الاكبر ٠

■ ورحلة الحياة ـ للانسان الفرد ـ رحلة موقوتة لها بداية ولها نهاية ، والانسان يمر بينهما فى امتحان متصل ، ياخذ احيانا شكل الاختبارات التحصيلية اثناء الدراسة ٠٠ وياخذ احيانا اخرى شكل المأزق والتحدى فى امور المعيشة جميعا ٠٠ واذا كان لنا ان نعرض راينا بشان الامتحان الخاص بالدراسة الذى يهم ابناءنا هذه الايام ، فان علينا باديء ذى بدء ان نضعه فى مكانه الصحيح بالنسبة لامتحان الحياة برمتها ٠

وامتحان الحياة يواجه الفرد ، كما يواجه الشعوب ، بل انه قبل ذلك وبعد ذلك يواجه التحدى البيولوجى الحيوى النفسى امام الجنس

البشرى عامة ٠٠ في الامتحان الاعظم لاثبات القدرة على البقاء والتطور ٠٠

وفى خبرتى فى مواجهة مشاكل هذه الامتحانات العابرة استطعت أن امسك الخيط الذى يربط بين المستويات المختلفة لاختبارات الحياة٠٠ فوجدت أن الاعراض والمضاعفات تزيد وتتضخم بالقدر الذى تنفصل فيه هذه المستويات عن بعضها ،وانها تقل وتتضاءل بمدى الوعى والترابط بينها ٠٠

ولنبدأ من هنا فى ترتيبهذه المستويات باعتبار شمولها واهميتها ٠

اولا : « الجنس البشرى » ٠٠ واختبار البقاء

ليس جديدا ـ ولا ينبغى أن يكون كذلك ـ أن نعرف أن انسان العصر الحاضر يواجه تحديا حقيقيا يهدده بالانقراض اذا هو لم ينجح فى امتحان البقاء ، ذلك ان الانسان عبر تاريخ تطوره المستمر حتى وقف على قمة الهرم الحيوى قد نما لديه عضو ثمين نموا هائلا ومجيدا ٠٠ ذلك هو « المخ البشرى » شديد الروعة شديد التعقيد ، وقد اكتسب بفضله بوجه خاص مزايا متعددة على سائر انواع الموجودات (المعروفة) ٠٠ ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ قدرته على استعمال الرمز، وقدرته على التجريد ، وقدراته الابداعية ، وقدرته على الاحتفاظ ـ واعيا ـ بالامس ، والتخطيط ـ واعيا ـ للغد ٠٠ الخ وهو انما اكتسب هذه الصفات كضرورة يحافظ بها على بقائه ويتميز بها عن سائر المعروف من المخلوقات انسانا متفوقا يستطيع أن يسخر الطبيعة ويتناغم معها فى نفس الوقت ٠٠

واذا قلبنا بعض صفحات العلم لنطالع بعض المعلومات الجزئية الحالية التى تعتبر نذيرا خطيرا فى محنة وجودنا ٠٠ لوجدنا مؤشرات مرعبة ٠٠ تبرر الالم ٠٠ (ولا تبرر اليأس على كل حال) ومن ذلك :

(١) ان المخ البشرى ـ فخر الانسان ـ عند معظم الناس لا يعمل باكثر من ١٠ ٪ من كفاءته (وتختلف هذه النسبة زيادة ونقصا باختلاف مصادر هذه الرؤية) ٠

(٢) ان الوعى البشرى ـ الامانة التى حملها الانسان ـ عند اغلب الناس ، لا يتخطى المرحلة الثالثة من مراحل الوعى ٠٠ بمعنى أن « حالة اليقظة » الحالية للانسان العادى ليست سوى تنويما جماعيا وانه يليها ـ صعودا ـ ثلاث مراحل (او أربعا فى اقوال اخرى) وان هذه المراحل التالية المقفلة هى التى تعمق الوجود البشرى وتطلق قدراته نحو افاق بلا نهاية ٠

(٣) ان طغيان الجزء الحاسب المنطقي من المخ (النصف الكروى الطاغى للمخ فى أحدث الآراء الفسيولوجية)على الجزء الجمالى الاجمالى التشكيلى من المخ(النصفالكروىالمتنحى)هو طغيان يقرب الانسان من الالة عظيمة الكفاءة ، ويبعده عن التكامل البشرى عميق الوعى ٠

هذه مجرد امثلة للتحديات التى يواجهنا بها بعض حقائق العلم المتاحة ٠٠٠

ويمكن صياغة تحدى البقاء المطروح علىالانسان المعاصر على الوجه التالى :

« اذا استمر الطغيان التكنولوجي يسبق الوعى البشرى بهذه الخطوات المتزايدة دون محاولة ثورية للحاق بهذا الغول المتمرد ثم السيطرة عليه لصالح التكامل ٠٠

واذا استمر الانشقاق بين ما يتصور البعض انه علم نهائى ، وما يتصور الاخرون انه خرافة غيبية دون محاولة تاليف ـ مؤلم ـ بينهما يوفق بينعمل نصفى المخ فى جماع جديد ٠

واذا استمر الاغتراب يفصل بين الكلمةومعناها، بين الانسان والطبيعة ، بين التاريخ الفردى والشمول الكونى ، بين الفن الفرح او المتالم وبين الواقع اليومى العاجز الفارغ من فحواه ٠٠

اذا استمر كل ذلك كذلك ـ وبنفس الاسلوب السادى ـ سقط الانسان لا محالة فى اعظمامتحان يتحدى بقاءه اليوم ، وانتهى جسما غريبا فى الكون لا يتناغم مع هزاته المتالفة ، ولا يدور مع دوراته ولا يشربه ويشرى منه ٠٠ فلا يلبث الكون ان يلفظه نيزكا ساقطا لا معنى له ٠٠ مصيره الارتطام ككتلة باردة من الظلام الميت ٠٠ ولعله الان يهيىء لنفسه مقومات هذا الارتطام بما يواصل من اختراع لوسائل التدمير المرعبة ٠ »

اما احتمال النجاح فى هذا الامتحان الاساسى ٠٠ فهو يحتاج الى ثورة شاملة ، كانت النبوات العظيمة والفلسفات الثائرة بعض مؤشراتها ،

ولكن الله سبحانه قد انهى على لسان نبينا محمد صلواته عليه هذه القصة باعلان ختم النبوات ، كما ان الفلسفات الثائرة حين تعجلت فى التطبيق السطحى اعلنت فشل تصنيع الانسان بمواصفات طوبائية من الخارج ٠٠ وهكذا بقينا الآن نواجه فردا فردا هذا التحدى البقائى الحاسم :

وعندى ــ وليس هنا مجال التفصيل المستطرد ــ ان الامراض النفسية وخاصة الجنون ليست الا مضاعفات هذه المواجهة المرعبة ، ولا حل لذلك الا يقظة وثورة ليس نتاجها دين جديد ٠٠ وانما نتاجها ملايين الانبيــاء من الناس العاديين ٠٠ يبداون مسيرة التطور وتعميق الوعى ولا يتوقفون ابدا ٠٠ ويتزايدون دائما !! وكل ما نفعـله فى حياتنا الايجابية هو اتاحة الفرصة لظهور ونجاح تلك الثورة الشاملة وذلك بقتل الخوف واعــلاء العدل حتى نجرؤ على أن ينمو شعور عالمى بهذا التهديد بالانقراض .

ثانيا : التحدى الحضـــارى وامتحان الامة العربية المعاصر

فاذا انتقلنا من هذا الامتحان الشـامل الذى يخوضه النوع البشرى الى بعض صوره التنوعية المفصلة ٠٠ واجهنا مباشرة امتحانا حضاريا يمر به كل شعب بطريقته الخاصة وحسب الظــروف التى تحدد موقعه على خريطة الدنيا ودوره على مسار التاريخ ، وهو امتحان لا يحتمل التأجيل لاى عذر سخيف (حتى ولو كان شهادة مرضية لهزيمة او تخلف) لان خريطة العـالم تتغير بسرعة ٠٠ ولان امجاد التاريخ وحدها ــ ان وجدت ــ لا تبرر البقاء ، ويصدق هذا بخاصة على الامة العربية ، فلها مكانها على الخريطة ودورها التاريخى ٠٠ واى تأجيل بالنسبة لها وراءه ــ على حد تقديرى ــ مضاعفات قد تصل الى الهــلاك فعلا ، فاذا كان البترول والموقع الجغرافى هما اللذان افسحا لنا مجالا على الخريطة ٠٠ وكانت امجاد التاريخ هى التى تبعث النبض فى عروقنا احيــانا ٠٠ فان البترول لا شك سـينضب يوما ٠٠ والتـــاريخ ستعاد كتابته ، ولا يبقى الا قيمة الانســان بما فعل فى هذه الفترة التى اتيحت له فيها فرصة القفزة الثورية ، فاذا نحن نجحنا فى هذا الامتحان الملح فى ان نصنع باموالنا ٠٠ ومن وحى تاريخنا انسان الغد ، واذا ايقنا بلا ادنى شك ان شيئا فى الوجود لا يبقى الا الكائن الحى القادر على تحدى الانقراض ومواصلة التطور ، اذا كان ذلك محتملا ، فهو الاستعداد المطمئن للنجــاح الذى يتطلب حركة ثورية مستمرة حيث نســتفيد من عقيدتنا دون أن نسجن فيها ، ونتمسك بتاريخنا دون أن يجذبنـا الى وراء ، ونثـور اذ نستثـار بالتحديات الراهنة ، ولست ارى فرصة اكبر من هذا التحــدى الذى تمثله اسرائيل ، الخنجــر العنصرى المغروس فى صدورنا ، اذ لا يكفى ان ننتزعه او ان تكون هذه هى مشكلتنا ، بل ينبغى ان نعرف كيف دخل ولماذا ٠٠ ونستفيد من كل هذا باقصى طاقاتنا ٠٠ حين نتحدى وجوده هكذا بهذه الصلابة الغبية والعناد الاعمى ٠٠٠ هذه فرصتنا ــ كما اتصور ــ التفوق والثورة والاستمرار ، وهذا هو الامتحان الحضارى فى لحظتنا الراهنة٠

ولن يغنينا فيه نجاح فى حرب عسكرية فحسب، او ازدهار فى تنمية اقتصادية وكفى ٠٠ (وان كانت هذه بدايات لا غنى عنها) ٠٠ما لم نستثمر هذا وذاك بالحاح وبشكل مباشر فى تنمية الانسان العربى بالمعنى الذى اشرت اليه سابقا ٠٠

ومهما قيل ان التهديد الاول شامل لكل النوع البشرى ، فان الوقت الحــاضر وتحديات الواقع تجعل الانسان فى مرحلة تطــور اقل من احتمال تحالف جميع افراده لقضية واحـدة عامة ٠٠ ولا يمكن ان نتخطى هذه الخطوة تحت اوهام الشمولية والانسانية العالمية٠٠ والا كنا نهرب من مسئوليتنا ومواجهة مصيرنا بادعاءات طوبائية معجزة٠٠ ما دامت غير قادرة على أن تترجم الى انتصار نوعى محدد بالزمان والمكان والاشخاص ، وبالتالى فان الامتحان الحضارى التنافسى مع العدو الاسرائيلى لا يلغيه ذوبان فى الامتحان البشرى الشـامل بل ان الاخير يحفزنا للنجاح فيه ٠٠ لاننا اصحـاب القضية الاصلية فى هذا الصراع ــ او ينبغى أن نكون كذلك ــ فالتمييز العنصرى يعوق الفرص امام اعداد اكبر واكبر من البشر للانطلاق الى التفوق والتكامل ٠٠وبما اننا مع التمييز البشرى كطريق مفتوح لكل الناس(او هكذا ينبغى أن نكون)وبما ان هذه المجموعة العسكرية العنصرية بتاريخها وطبيعة تكوينها ضد فتــح باب التطــور البشرى على مصراعيه ، فاننا لا بد ان ننتصر عليها لصالحنا وصالح البشر عامة .

ثالثا : النجاح الفـــردي وموقعه من القضايا السابقة

بديهي ان كل ما ذكرت من تحديات وامتحانات لا بد وان يترجم الى فعـل فردي يومـي ، وان يختبر باختبارات الواقع في « الهنا » و « الآن » والا فان خدعة كبرى تستدرجنا الى عبث لفظي يلهينا عن مسئوليتنا الفردية ، فالافراد هم لبنات بناء الشعب ، ومجموع قدرات الشعوب هي الطاقة الحيوية لمسيرة الانسان ٠

ومهما كانت رؤية الفرد ضيقة وآماله محدودة في اللحظة الراهنة ، فان نجاحه الفردي والجزئي والمؤقت هو جزء لا يتجزأ من هذه المسيرة الشاملة لو اخذ موقعه الحقيقي وتاكدت اتصالاتـه ، فكان الفرد في تاريخه القصـير يمر بمرحلتين ، او بامتحانين اساسيين يلي بعضهما بعضا ٠

الاول : ان يحقق نجاحا بالمعنى العـادي في الشهادات والعمل والكسب والبيت ٠٠ الخ

والثاني : ان ينجح في ان يستثمر هذا النجاح بما يرتقي به هو ومجتمعه ٠٠ ويمتد الى صالح جنسه ٠٠ ليتدعم بقاء نوعه وتطوره كما ذكرنا٠

ونحن في بيوتنا ، ونظم تربيتنا ، وموقفنا من الحياة نبالغ في الاهتمـام بالنـــوع الاول حتى نستبعد تماما النوع الثاني ٠٠ وان كنا بين الحين والحين نتكلم فيه لتمضية الوقت او للسخرية او التحسر دون رؤية الارتباط الوثيق بين الاثنين ٠

ومن خلال خبرتي في الممارسة الاكلينيكيةوجدت ان اغلب الاعراض والمضاعفات التي تظهر بسبب الامتحانات او تتعلق بها انما تنشا من هذا الفصل الحاد بين هذين البعدين ، ومظاهر الفشل والخوف والرفض بما يشمله ذلك من التقليل من اهمية هذه الامتحانات العادية والانسحاب منها : قبلها او اثناءها ٠٠٠ كل هذا هو اللغة التي يـريـد ابناؤنا ان يحتجوا بها على هذا الانشقاق المغزى الذي نعيشـه ٠٠ ، ويظهـر هذا جليا بالنسبة للشبان والشابات الـذين سبق لهم التفوق ٠٠ ولكـن هـذا التفوق عجز عن ان يثرى وجودهـم الاعمق ، كما تشتد هذه الاعراض قرب الامتحانات الفاصلة (مفترق الطرق) والنهائية ٠٠

واكرر ان كل هذا ليس الا احتجاجا صارخا ، ولـو احسنا ترجمة الاعراض لسمعنا من يقول :

« اذا كان هذا هو كل ما تريدونه مني٠٠ولي،

اذا كان هذا النجاح هو«انا»بلا زيادة اونقصان

اذا كـان نوع وجودكـم هذا هو المثال الـذي تقدمونه لي

وتغرونني بالنجاح من اجله ٠٠٠

فلا ٠٠ والف لا ٠٠٠»

واحيانا اتعمق مع مثل هذا الشاب (او الفتاة) اكثر فاكثر فاكـاد اسمعـه يقول « لقـد كشفت لعبتكم الغبية ٠٠ ولـن العبها ٠٠ علي وعلى اعدائي » وتظهر الاعراض ٠

ـ وتزيد هذه المشكلة وضوحا (تزيد الاعراض ظهورا بالتالي) في البلاد التي تقل فيها فرص كسب العيش ٠٠ بحيث تصبح القضيـة الاولـى (وربما الاخيرة) فعلا هي مجرد الحفاظ على البقاء الحيوي ٠٠ وبالتالي تزداد درجة عدم الامان في المجتمع عامة ٠٠ وتختفي النظرة الشمولية الى التحديات الابعـد ويصبح الابناء في مثـل هـذا المجتمـع هـم مجرد ادوات استثمار ٠٠ لتعويض الحرمان عند الاهل وتامينهـم هـم من الحرمـان مستقبلا ٠٠ وهنا يتفاقم الرفض في داخل الابناء وتحتد الاعراض ٠ كما تزيد ايضا في المجتمعات التي ترتبط فيهـا ، فرص اكل العيش ودرجـة الرفاهية بالحصول على مؤهلات خاصة تزيد عدد الحروف بجوار الاسم ٠

ـ واخيرا فانها تزيد في المجتمعات التنافسيـة الفردية التي تلزم فيها هـذه الحروف والمكاسب لتحديد الطبقة الاجتماعية (والاقتصادية) التي يندرج تحتها صاحب هذه المؤهلات ٠

وكل هذه المواقف متواترة ومنتشرة تماما فـي مجتمعاتنا العربية ، وان تميز كل مجتمع بناحية منها اكثر من الاخرى ٠

الامتحانات الراهنة

فاذا اضفنا الى ما سبق ان نظم الامتحانـات الراهنة بها من القصور والماخذ ما يجعل الامتحان خبرة مؤلمة ومخلة لأمكن أن نفهم اسباب تضاعف دوافع الرفض ومظاهر الهرب ، وكامثلة لهـذه الماخذ الشائعة أن هذه الامتحانات انما تقيس قدرة

الطالب فى موقف موقوت ، وانها مجرد عينة ليست بالضرورة ممثلة لبقية السلوك ، ثم انها تحصيلية وليست قياسا للقدرات (وخاصة الابداعية منها) كما ان طرق التصحيح ليست فوق مستوى الشبهات، فهى ليست مقننة تقنينا يعتمد عليـه ، كما ان العوامـل الانفعاليـة والشخصية (الشعوريـة واللاشعورية) تتدخل فى الاختبارات الشفهية بلا ضابط واضح ·

وقد قامت محاولات عديدة لاصلاح بعض هـذه المآخذ سواء فى شكل الامتحـان او فى طريقـة التقييم ومن ذلك ادخال نظام الاختبار المتعدد من بين احتمالات مطروحة ، وادخال اختبارات القدرات مع الاختبارات التحصيلية جنبا الى جنب وتعدد المختبرين ٠٠ الخ ٠٠ الا ان هذه التعديلات زادت فى ميكنة التقييم كما اثارت شكوك متزايدة حول قيمة اختبارات القدرات ·

هذا فضلا عما تحتاجه هذه التعديلات الى وقت وامكانيات ليست متاحة فى كثير من الدول النامية حيث اعداد طالبى العلم هائلة بالنسبة الـى القائمين على مهمة الامتحان والتقييم ·

تجارب ثورية جديدة

ونظرا لهذه المصاعب جميعا قامت بعض المدارس التجريبية بالغاء الامتحان اصلا والاعتماد على التدريب المكثف والتقييم المستمر واتاحة الفرص لاصلاح القصور والتقصير اولا باول بحيث يصبح مجرد انقضاء فترة معينة فى معهد بذاته كـافى للحصول على الخبرة والمعلومات التى تضع الدارس فى الموضع المراد له ٠٠ كما الغت هذه المدارس التجريبية فكرة التنافس اصلا ٠٠ وان كانت هذه التجارب قد نجحت على حد زعم القائمين عليها ـ فانها اولا : ما زالت محدودة تماما وتحتاج الـى جهد مضاعف وهيئة تدريس من نوعية جديدة ٠٠ وهذا امر ليس متاحا حاليا اذا اريد تعميمهـا وثانيا : انها تخرج انماطا من الناس ذوى صفات مميزة ٠٠ ولكنها خاصة اشد الخصوصية ، حتـى ينبغى ان نتريث كثيرا قبل أن نحكم لها او عليها الا من خلال اختبارات الحياة اليومية والاحتكـاك بالواقع ٠٠ ومقاييس التفاعل والفاعلية مـع الناس وللناس ٠٠ وتتبع كل ذلك لمدد طويلة ·

وخلاصة القول ان هذا الحل المثالى التجريبى يحتاج الى تأن ودراسة وحكمة قبل المسارعة فى النداء بتعميمه (وخاصة فى ظروفنا نحن حاليا) كما يحتاج الى متابعة وامانة فى تقييم النتائج على المدى الطويل قبل الحماس له ٠٠ او حتـى الحلم به كمنقذ حقيقى فعلا ·

بداية ام نهاية ؟

على انه مهما قيل عن نظام الامتحانات الحالى، ومهما عددنا قصوره ومآخذه ، ومهما دار الجدل حول البدائل المطروحة ، فاننا لا بد ان نعترف بان الامتحانات ـ حتى فى صورتها هذه ـ ضرورة واقعية فى مرحلة تطورنا الحـالى ٠٠ ، وفى رايى ان التوقف عند مآخذها والمبالغـة فى تصوير عيوبها هو جزء من تبرير هروبنا من مواجهة اصل المشكلة الاعمق ، فالفشل الذى يحوط بها ـ فى رايى ـ ليس فى طريقتها ولا فى طبيعتها بقدر ما هـو فيما نحمله لها من قيمة اكبر من قدرها ، ففى كثير من الاحيان يعتبرها اغلب الناس نهاية ما ٠٠ او النهاية فعلا ، فى حين انها فى جوهرها دائما بداية متجددة ٠٠ فنحن نسمع دائما امتحان (نهاية العام) و (نهاية المرحلة) و (نهاية الدراسة) ٠٠ ويخيـل للسامع العابر ان هذا يتضمن تلقائيا انها نهايـة بعدها بداية ، الا ان واقع الحال وحقيقة مشـاعر الممتحنين ومن حولهم ـ كما تظهر بالذات فى خبرة المعالجة الاكلينيكية ـ تثبت انها تمثل عند الغالبية نهاية ٠٠ فحسب ، لانه باجتيازها سيتوقف هذا النشاط العقلى نهائيا ٠٠ ذلك النشاط الذى كبل الطالب طـوال سنى الدراسة ومع ذلك حافظ على حيويته ، ويا ليت هذا التوقف يعنى بداية النشاط العقلـى الحر ٠٠ بل ان الذى يحدث فعلا فى اغلب الاحوال ان النشاط العقلى كله يتوقف ٠٠ وتبدأ معلومات الفرد التى حصلها طوال سنى دراسته فـى التقلص ٠٠ وتبدأ قدرته على الاستيعاب تضمحل حتى ينتهى به النجاح الى عملية تشيىء (جعلـه شيئا) ميت لحياته ، فى حين ان المتوقع ان يبدأ من هذا النجاح عملية تأنيس (جعله انسانا) حر لوجوده ٠٠٠

ومن خلال مواجهة هذا الواقع المر يحق لنا ان نتصور ما فى اعماق الشباب الذى يخاف من هذه

الامتحانات « النهائية » ، فهو لا يخاف من الفشل فحسب ، بل انه في اعمق اعماقه يخاف من النجاح ايضا .. لانهبهذه الصورة ينذر«بالتوقفوالاغتراب من نهاية خبيثة يفرضها عليه هذا الفكر الجامد السائد .

من ذلك نستطيع القول ان الذى نحتاج الى تغيير وبسرعة ليس فى طبيعة الامتحانات وشكلها ولكن فى الفلسفة من ورائها .. وفى الموقف الشامل من الحياة ومن الاهداف الابعد ..

وفى تصورى انه بتغيير موقفنا الحضارى كله ، وبتعميق موقفنا الانسانى الشامل ، وبيقظتنا الثورية سوف ناخذ الحياة على انها رحلة مستمرة .. تبدأ وتتعدد بلا انقطاع ، نمر خلالها بامتحانات مختلفة من بينها هذه الامتحانات التحصيلية التى ما هى الا علامات على الطريق لبدايات متجددة .. وان هذه البداية ملزمة دائما سواء كانت نتيجة الامتحان هى الفشل ام النجاح ، فبعد الفشل يزيد التحدى ويتعلم الانسان رؤية جديدة وخبرة جديدة، وبعد النجاح تزيد المسئولية ويتحدد الاتجاه اكثر فاكثر نحو تحد جديد لانطلاق اعمق واكثر شمولا .

اقول اذا تحقق هذا كله - او شيء منه - فان الطالب سوف يستشعره من خلال موقفنا الحضارى الشامل .. وسوف تقل مضاعفات ومشاكل كثيرة..

وهنا لا بد من عودة الى كلمة موجزة عن معنى استثمار نتائج هذه المرحلة الاولى من الامتحانات وذلك بغية النجاح فى الامتحان الاصعب والتحديات المتصاعدة الاخرى .. فاقول :

« ان هذه الامتحانات السائدة بعيوبها وماخذها ضرورة بلا جدال ، يكتسب الانسان من خلالها معرفة اكبر ، ويتاكد من قدراته فيضيف بها ثقة الى نفسه تتيح لها مزيدا من تنمية عمل هذا الجهاز الرائع « المخ البشرى » وهو يحصل من خلالها على الادوات التى تؤهله الى صياغة الحياة من جديد ، وبالتالى فهى من هذا المنظور قوة دافعة نحو التقدم ولبنة قوية للبناء الحضارى المعاصر . ودعم فى مواجهة تحديات الانقراض .»

اما اذا كان مجرد النجاح فيها هو غاية المراد من رب العباد ، فهى قفزة فوق حاجز وهمى ليس وراءه الا الفراغ والعدم ، فاذا نجح الطالب فى اجتيازه التقطته بئر اللاشيء .. واذا فشل ظل يدور حول نفسه فى دوامة الضياع المخزى .

وبعد ...

فانى أود ان اعتذر للقارىء وللطالب خاصة - اذا بدا منى انى استدرجته بعيدا عن مشكلة انية حادةوملحة ، (وهى المشاكل التى يواجهها حالا حول امتحاناته) ولكنى اوكد له ان هذه المشاكل التى طرحتها فى اول المقال (التهديد بالانقراض .. والتحدى الحضارى) والتى تبدو احيانا كما نحب ان نقول عنها (نظرية) ، او (مثالية)، او (ضخمة) او (ما لنا بها الان) .. الخ هى من صلب تكويننا العادى ..وان لها تاثيرها فى عمق عملنا اليومى، حقيقة نحن لا نعيها طوال الوقت (وان كانت تلح علينا فى اوقات الازمات والمرض) . ولكنا لا ينبغى ايضا ان نلغيها تماما والا واجهنا الانشقاق والاغتراب والضياع ، ولكنى احذر ايضا ان نكتفى باعلانها شعارات مستقبلية تلهينا عن محنة وجودنا الحالى ..

هى قضية واحدة - صدقونى - من اول لقمة الخبز الجاف (الحاف) التى ياكلها فلاح عربى على راس حقله الى آخر ما وصلت اليه معادلات تفتيت الذرة وآخر نظريات الفلسفات المعاصرة .. هى هى من اول امتحان الجغرافيا فى الصف الثانى من المرحلة الاعدادية الى اعمق درجة من الوعى بتهديد الجنس البشرى بالانقراض .

هى قضية واحدة : اما ان نعيش .. او نموت..

والاتصال بين اجزائها لازم ، وترتيب تصعيد الامتحانات فيها حقيقة لا مهرب منها .

اما ان نعيش .. او نموت

وما دمنا لم ننتحر - بالمعنى المادى فعلا - بعد .. فخليق بمن وهب اقل درجات المنطق ان يحاول ان يعيش ، وان ينجح اليوم وغدا . وان يبدا بما يفعله الان فيتقنه ، ويتصاعد به ليؤكد انسانيته ..

لم اعود لانظر لما نحن فيه .... ، واستغفر الله لى ولكم ... .. ولا اياس ابدا .

■■

يحيى الرخاوى

طبيب الأسرة



يجيب على هذه الاسئلة
نخبة من الاطباء

التهاب رموش العين

● اصبت منذ مدة قصيرة بحبوب صغيرة ذات رؤوس بيضاء تظهر فى جفون العين ، وبين الرموش ، وكلماعالجتها اختفت .. الا انها تعود ثانية للظهور بمجرد انتهاء العلاج .. فهلهى دمامل وما هو علاجها ؟

وائل الرحمانى ـ دير الزور

هذه الحبوب الصغيرة تعرف باسم وتظهر كنتيجة لالتهابات بصيلات شعر الجفون (الرموش) عندما تنفذ الميكروبات الى جذور بعض الرموش ذاتها .. وعندما يغلق المصاب جفنيه ، فان الميكروبات قد تنتقل من الجفن العلوى الى السفلى او العكس ..

أما السبب فى عودتها الى الظهور ، فراجع الى ان العلاج لم يكن كافيا لقتل جميع الميكروبات التى تبقى كامنة فى جذور الرموش ، فتعود للظهور عند انتهاء العلاج . وقد يلزم احيانا اقتلاع الرمش المصاب ، ويقوم الطبيب بعملية كى جذر هذا الرمش المصاب بواسطة جهاز خاص لا يسبب اى ألم للشخص المصاب ، ولكنه يكفى لقتل الميكروبات المختفية فى الجذور .

ويحسن عمل مزرعة لهذه الميكروبات ومعرفة مدى حساسيتها للمضادات الحيوية المختلفة ، وبعدها يمكن استعمال الدواء المناسب للقضاء عليها حتى لا تعود للظهور مرة أخرى .

وهذه الحبوب تختلف عن الترسبات الجيرية التى تظهر داخل الجفون بعد التهابات التراخوما المزمنة P.T.D. والعلاج فى الحالتين يختلف تماما .. فالتهاب بصيلة شعر الجفون الذى تعانى منه ينتهى بعد اقتلاع الرموش المصابة ، ولا يحتاج الى اى نوع من العمليات داخل الجفن .



مرض الزهرى

● ظهرت حبيبات فى جسمى تشبهالحساسية ، الا ان الطبيب اخبرنى ان هذا « زهرى ثانوى » ، فما هو هذاالمرض ٠٠٠ وهل هو معد ؟

ك٠ع ـ دمشق

ـ الزهرى الثانوى هو الطور الثانى من مرض الزهرى Syphilis ويظهر خلال فترة من شهر الى ستة اشهر من بداية الاصابة بقرحة المرض او الزهرى الابتدائى ٠

وهو لا شك مرض معد خاصة فى هذا الطور ، لدرجة ان افرازات الجسم مثل الدم واللعاب والسائل المنوى يكون متأثرا بالمرض ٠٠ وكذلك تكون الاغشية المخاطية تكون اشدها تأثرا بالعدوى ٠

ويتميز الزهرى الثانوى بوجود طفح منتشر على جميع انحاء الجسم وتورم الغدد ، مع قروح فى الاغشية المخاطية ٠ وهذا الطفح غالبا ما يظهر على شكل بقع او حبيبات على الصدر والبطن والظهر والذراعين ، ونادرا ما يكون على شكل دمامل او قروح مما يجعل تشخيصها صعبا الا بواسطة الاخصائى ، ومن الملاحظ ان هذه الحبيبات برغم كثرتها فانها لا تكون مصحوبة بأى حكاك او مضايقات للمريض سوى مظهرها ٠٠ وهذا يفرقها عن امراض الحساسية التى تكون دائما مصحوبة بحكة ، مثل الارتكاريا ، وكثيرا ما تظهر حبيبات الزهرى على الكفين والقدمين فقط بدون ظهورها على الجسم ، وعادة تكون البقع او الحبيبات وردية اللون ، وقد تتحول الى بنية ، وتختلف فى الحجم من رأس الدبوس الى حبة البسلة وقد تكون اكبر ٠

وعادة يظهر الطفح بدون أى حرارة الا انه فى الحالات الشديدة قد يكون مصحوبا ببعض الحرارة ، كما ان هذه الحبيبات تختفى فى العادة بدون ان تترك اى اثر على الجسم الا فى حالة القروح ، فانها تترك ندبات ٠

ويؤدى مرض الزهرى الثانوى الى تضخم الغدد ، حيث يكبر حجم جميع الغدد الليمفاوية فى الجسم ويمكن للطبيب ملاحظتها ، الا انها تكون غير مؤلمة وغير ساخنة ، وقد يتورم الطحال ايضا ٠

اما ما يحدثه هذا المرض من قروح فى الاغشية المخاطية ، فان هذه القروح تحدث على الشفاه واللسان والحلق ، وهى شديدة العدوى ، وكذلك تظهر اورام زهرية على شكل حبيبات بنية اللون فى الاماكن الرطبة الدافئة مثل مكان الاعضاء التناسلية وتحت الابط وجوانب الفم وتحت الثدى فى المرأة ٠ Condyloma lata.

ويلاحظ كذلك فى الزهرى الثانوى سقوط شعر الرأس بطريقة معينة تسمى Moth eatin وقد يؤثر السقوط فى شعر الحاجبين والرموش ايضا ٠

كما ان التهاب العين يحدث فى حوالى ٢٪ من حالات الزهرى الثانوى ، وقد يحدث التهاب فى الكبد والصفراء ، والتهاب بالكلى والعظام ، كذلك قد يؤثر على الدورة الدموية والاعصاب ، ويبدأ المريض يعانى من صداع شديد خاصة فى الليل ٠

لذلك فانى انصح المصاب باتباع ارشادات الطبيب الأخصائى ، والمواظبة على العلاج حتى يشفى المرض ويتقى مضاعفاته ٠

تبول الاطفـال أثناء النوم

● ولدي يبلغ من العمر خمسة اعوام، وما زال يتبول في فراشه اثناء النوم٠٠ فما اسباب هذه الحالة ٠٠ وما علاجها؟

انسيه عبد الحميد ـ الموصل

ـ وجد انه عندما يبلغ سن الطفل حوالي (٣٠) شهرا تكون قدرته على التحكم في التبول عادية ٠٠ واذا احس بحاجته للتبول ترك الفراش ، أو طلب التبول ٠٠ واذا بلغ ثلاث سنوات من عمره ولم يتمكن من التحكم في التبول ، وبال في فراشه ، فعند ذلك يمكن القول بأن قدرته على التحكم ضعيفة ٠

وضعف قدرة الطفل على التحكم في تبوله ترجع الى أسباب نفسية أو عضوية ٠٠ او السببين معا ٠

وقد وجدت الاحصائيات ان حوالي ١٥٪ من الاطفال الذكور ، و ١٠ من الاناث ، يتعرضون لمثل هذه الحالات بعد سن الخامسة ٠

ومن الاسباب العضوية لعدم التحكم في التبول ، والتبول في الفراش ليلا ، مرض البول السكري (ولا يستبعد ذلك عند الاطفال ، خصوصا المولودين من أبوين يعاني كل منهما من مرض البول السكري)، وكذلك مرض الكلى ٠٠ أو الالتهابات في مجرى البول ٠

وفي بعض الحالات يكون الطفل مصابا بصغر حجم المثانة ٠٠ او نوبات الصرع الصغرى ، وكذلك حالات التخلف العقلي او الاضطرابات النفسية ٠٠ فكل هذه عوامل تسبب المرض ٠٠٠

واخيرا ، فان صحة الطفل العامة ، من ضعف أو وجود ديدان او معاناته من اى مرض قد يؤدي الى عدم قدرة الطفل على التحكم في تبوله ٠

يتضح مما تقدم انه من الواجب فحص المريض فحصا دقيقا جسمانيا ونفسيا لمعرفة السبب وعلاجه ٠



في الحالات التي لا يوجد سبب عضوي ظاهر ، يعالج المريض بأن يوقظ ليلا للتبول ومعاملته بالحسنى مع الابتعاد عن تهديده او ضربه ، لئلا تزداد حالته سوءا ٠٠ ثم يمتنع عن تعاطي الشراب المدر للبول ليلا ٠٠ بالاضافة الى اعطائه ادوية تقلل من انقباض المثانة مثل البلادرنا او المركبات المنبهة حتى يحس المريض بمثانته٠٠ فيقوم للتبول ، كمركبات الافدرين ٠٠ وحديثا وجد مركب التوفرانيل Tofron'l ومركب Ceteprin من الادوية المساعدة لذلك ، ولا بد من استشارة الطبيب قبل اخذها ٠

وتجدر الاشارة الى ان العلم استحدث مؤخرا ، اجهزة مزودة باجراس تنبه الطفل للقيام عند مرور اول نقطة بول على الجهاز ٠٠ وهذا العلاج ليس منتشرا في الوقت الحاضر ٠٠

ولا بد من دراسة حالة الابوين النفسية تجاه الطفل ٠٠ لان ذلك يعتبر من العوامل المهمة في التغلب على هذا المرض ٠ ■■

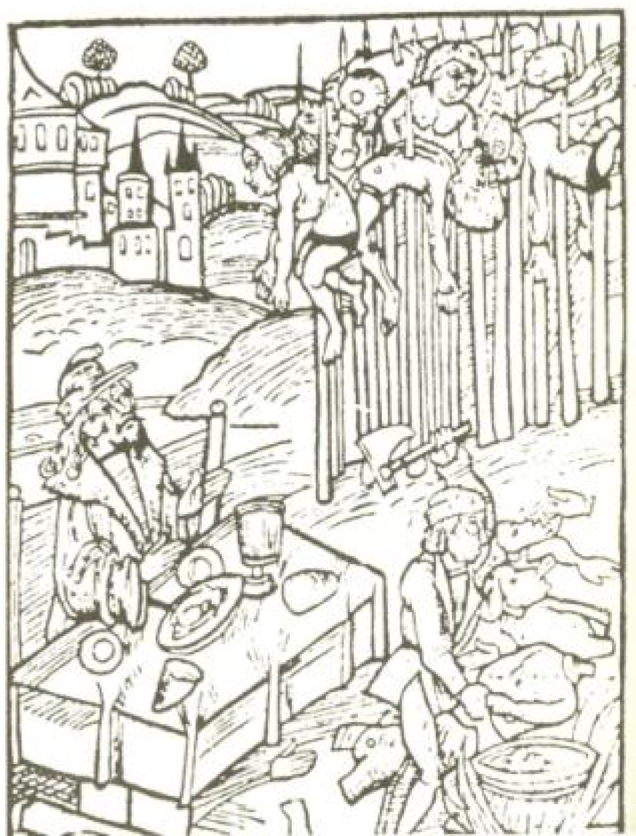
للسياح فقط :

دراكيولا بطلا قوميا !



وجه فلاد المخوزق من لوحة حفر قديمة ٠

لوحة قديمة تمثل فلاد المخوزق يتناول طعام افطاره ٠٠



بقلم : فريد كامل

■ دراكيولا عاش حقا ٠ كان اميرا (اسمه فلادتيبتس) حكم ولاية فالاكيا (برومانيا) ثلاث مرات بين عامي ١٤٤٨ و ١٤٧٦ ـ ولم يمتص دم ضحاياه من رقابهم ، بل كان « يخوزقهم » (اويتفنن في ميتات اخرى اكثر بشاعة) ٠٠ قتل اكثر من اربعين الفا فاشتهر في التاريخ باسم « فلاد المخوزق » وفي الاساطير الشعبية ثم قصص الرعب والوحشية باسم « مصاص الدماء دراكيولا» ـ اى الشيطاني (دراك تعني الشيطان) ٠٠ والآن تعلنه رومانيا بطلا قوميا ، وتصدر بوخارست ـ بمناسبة مرور خمسمائة عام على مصرعه ـ عشرات الكتب والدراسات التي تمتدحه وتطريه ، وتعرض الافلام والمسرحيات وتقام التماثيل والمعارض التي تشيد به وبحكمه ٠٠



غلاف كتاب دراكيولا ــ تأليف
برام ستوكر ــ طبعة ١٩٥٢ ٠

لا ننوى هنا ان نتناول تاريخ فلاد المخوزق (بل ظاهرة تنصيبه بطلا قوميا) لذا يكفينا ان نذكر انه تولى الحكم فى عصر توسع الامبراطورية العثمانية ، تراضى مع القسطنطينية قليلا لم انقلب عليها حينما حاولت عزله ، وحاربها طويلا حتى سقط فى ساحة القتال ٠٠٠ يروى التاريخ ايضا عنه انه خوزق على مدى ايام قليلة عشرين الفا (خمسمائة من الافراد المنافسين مع جميع افراد عائلاتهم وخدمهم)«ليحمى البلاد من تآمرهم ضده »٠، وانه جمع اكثر من خمسة آلاف من المشوهين والمشلولين والعميان والشحاذين فى قصر له فاولمهم ثم احرقهم«لكى لايبقى فى بلادىفقراء» كما قال ٠٠٠ وحينما رفض مبعوثو الباب العالى ان يخلعوا طرابيشهم فى حضرته لان تقاليدهم تمنع ذلك ، امر « تدعيما لتقاليدهم » ان تدق طرابيشهم فى رؤوسهم بالمسامير ٠٠ وحينما ارسل السلطان محمد الثانى حمزان باشا ــ حاكم نيقوبول ــ مع خمسمائة من حرسه ، لخلع الامير ، خوزقهم جميعا٠٠وامر باستقبال الحملة العثمانية على حدود مدينة تارجوفيست « بغابة من الجنود الاتراك المخوزقين » ٠٠ الخ والصقت به الاساطير الشعبية صفات « شيطانية » اخرى ــ كتحوله الى خفاش وعودته الى الحياة فى الليل وامتصاصه دم ضحاياه ٠٠٠ ــ وهى الصفاتالفولكلورية التى اوحت للكاتب الايرلندى برام ستوكر بروايته « دراكيولا » (فى ١٨٩٧) التى نشرت اسطورة مصاص الدماء فى العالماجمعواستلهمتها السينما والتليفزيون والمسلسلات المرسومة ٠٠ الخ٠٠ وفى ١٩٧٤ بدات الحكومة الرومانية فى استغلال اسطورة دراكيولا لاثارة المزاج العادى والمعتل للكثيرين فنظمت « رحلات دراكيولا السياحية » ــ وتشمل زيارة اطلال قلعته فى سيجسوارا ومقابر المخوزقين فى بران ودير سناجوفحيث توجد مقبرته وبها تابوته الفارغ (يقول المؤرخون ان الاتراك قطعوا رأسه وارسلوها للقسطنطينية ، اما جسده فدفن فى ذلك الدير) ، وبينما يقوم السياح بهذه الجولة ، تظهر لهم « اشباح » وتخرج « جثث »من مقابرها (من موظفى السياحة الرومانية) ــ ويقدر عدد سياح دراكيولا بحوالى ١٥٠٫٠٠٠ سنويا ٠٠

لكن استغلال اسطورة دراكيولا للسياحة شىء ، ورفع فلاد المخوزق الى درجة بطل قومى شىء آخر!!

★★★

الدراسات الرومانية الجديدة تعتبر ان هناك كثيرا من المبالغة فيما رواه المؤرخون عن فلاد المخوزق وتضيف ان الوحشية ، على كل حال ، كانت ظاهرة عامة للقرون الوسطى وحكامها ٠٠اى انها لا تنفى عن فلاد صفات الوحشية والدموية بل تقلل من أهميتها كانها عنصر ثانوى ، واحيانا

تبررها ايضا فيقول نيقولاى ستويشكو فى كتابه « فلادتيبتس » : « ربما كان صارما حقا ولكن كان لديه هدف سياسى يعلل تصرفاته ـ فهى لم تنبع عن غرائزوحشية لديه٠٠٠ فقد تخلص من معارضيه ليقوى حكمه وتخلص من العناصر المتطفلةوالمنحرفة ليدعم مجتمعه وتحدى سلطان العثمانيين معلنا تمسكه بحرية واستقلال بلاده ٠٠ »

فى السياسة الداخليه للامير فلاد يقول دان زمفيرسكو فى مجلة لوشيا فارول « ادرك فلاد ان الدولة لا يمكن ان تعرف الرفاهية الا عن طريق السلطة المطلقة مما يضمن لها الوحدة السياسية والادارية والتنسيق فى حركتها ونموها ، ان القيادة المركزية التى تجمع فى يدها سلطة مطلقة هى الضمانالوحيد للنظام فى الداخل ـ وهو شرط اساسى لاستقلالها اذ يمكنها من الدفاع ضد اى خطر من الخارج » ويضيف قنستنطين كازانستيانو فى يومية الحزب الرومانى شنتيا انه « اقام النظام ورفع راية الواجب الوطنى والعدالة الاخلاقية ، وهى نفس العناصر التى تدعمها لائحة التصرف الاشتراكى »(صدرت فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤ لتحدد « النظام فى العمل والمثاليات الاشتراكية والواجب الوطنى ») ٠٠

وفى السياسة الخارجية ـ « ادرك فلاد المخوزق من البدء قوة الامبراطورية الجديدة (العثمانية) فى الشرق ومرض الامبراطوريةالمسيحية(فى الغرب) فاهتم ـ بينما تظاهر بصداقة الباب العالى ـ ببناء جيش قوى وانشا نظاما للحرب الشعبية للدفاععن الوطن ضد اكبر امبراطورية فى ذلك العصر (اى ان دراكيولا ـ وليس ماوتسى تونج ولا هو شىء منه هو ابو الحرب الشعبية !) ٠٠ وحول البلاد الى صحراء امام العدو وشاغله باشتباكات جانبية مستمرة ـ وهكذا تمكن من الحفاظ على استقلال البلاد ٠٠ بل انه استعملالحرب النفسية ايضا : عندما اقترب جيش الاتراك من مدينة تارجوفيست ورأى الجنود غابة من زملائهم المخوزقين ، دب فيهم الرعب ٠٠ » (قنستنطين سربان ـ مجلة ريفستادى استوريا) ٠٠٠ واضاف المؤرخ ستيفان ستيفانسكو فىنفس المجلة قائلا:« حاول فلادتيبتس عمل تحالفات اقليمية مع ترانسلفانيا والمجر ومولدافيا لمقاومة خطر الاختراق الاسيوى من الشرق ولكنه فشل فى ذلك واضطر لمواجهة العثمانيين وحده ٠٠ فاوقف زحف الاتراك بقيادة محمد الثانى فاتح القسطنطينية ٠٠ حقا انه ليس من السهل على دولة صغيرة ان تتحدى قوة كبرى ـ رغم انها هزمتفىبلغراد (فى ١٤٥٩) ـ الا انها كانت قد استمرت تدريجيا فى محو دول وامارات جنوب شرق اوروبا عن الخريطة السياسية » ٠٠ آه ٠٠ الصورة واضحة اذن بعد ان اتضحت الحكمة فى رفع دراكيولا الى مصاف الابطال القوميين الرومانيين (الى جوار ميشيل الشجاع ودمترى كانتمير) ٠٠ يا شعب رومانيا ، دولتكم صغيرة قوية ولكنها قوية لان السلطة بها مركزية والنظام مستقر ، وقد يكون حاكمها قاسيا احيانا، ولكنه عادلـيتصرف وفق اهداف سياسية ،يضمن لكم الحرية والاستقلال فى مواجهة قوة جديدة شابة فى الشرق قوية وخطرة ، رغم انها قد هزمت فى بلغراد (فى ١٩٤٨) ! !

■■

روما ـ فريد كامل

Dracula — Vlad Tepes — Vallachia — Vlad the Impaler — Dracula the Vampire Drac Nicopol — Targoviste — Bram Stoker — Sighisoara — Bran — Snagov.

Nicolae Stoicescu — Dan Zamfirescu — Lucerfarul — Constantin Casanisteanu Scinteia — Constantin Serban — Revista de Istorie — Stefan Stefanescu

Transelvania — Moldavia — Michel the Brave — Dmitri Cantemir.

المرتد التائب

طليحة بن خويلد

أخطر زعماء الردة الذى أصبح أبرز أبطال الفتح

بقلم : أحمد عادل كمال

■ كانت ردته شبحا رهيبا يؤرقه ، فكانما اخذ نفسه ان يقدم في كل يوم ـ لله لا للناس ـ دليلا على صدق ايمانه واخلاص توبته • وانقلب من زعيم دجال يطلب الجاه والسلطان الى جندى فدائي زاهد متواضع يؤثر ما عند الله !

القبيلة ـ بنو اسد ـ كثيرة البطون ، امتدت منازلها ما بين نجد الى الفرات ، منازل تميم الى الشرق منها ومنازل طيىء الى غربيها • تاريخها زاخر بالحروب، كانت كلها هزائم قبل الاسلام ولم تعرف النصر الا في رحاب الاسلام ابان الفتوح• واول ما يطالعنا من اخبارهم في الاسلام ان طليحة ابن خويلد حشد جمعا منهم بعد هزيمة المسلمين في احد ليهاجم المدينة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بادره بسرية ابى سلمة بن عبد الاسد فبداهم الغارة وبدد جمعهم وعاد بغنائم من اموالهم ، فلما حشد اليهود احزاب الوثنية في جزيرة العرب لغزو المدينة لم ينسوا بني اسد فساهمت بثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل يقودهم طليحة • فلما كان العام التاسع للهجرة جاء وفد بنى اسد فيهم طليحة الى المدينة يعلن اسلامهم •

واطلت الردة براسها قبل وفاة الرسول وكان طليحة من صانعيها ، وبعث اخاه حبالا الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره انه صار نبيا مثله ويدعوه الى موادعته ! وراح يسجع بما يزعم انه وحي مثل قوله « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم باعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » فارسل النبى صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور الاسدى ليتصدى لطليحة فاشتد عليه حتى اوقعه فى هم وخوف • وظل المسلمون فى زيادة وحزب طليحة فى نقصان حتى ضربه ضرار بسيفه فتلافاها طليحه ، وكان مقاتلا



قل نظيره في قوته ولياقته وخفة حركته، واستغلها فزعم ان السلاح لا يؤثر فيه ، واضافها الى معجزاته • وما لبث ان جاءت الاخبار بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت معجزة اخرى له !! وانفض الناس عن ضرار الى طليحة واضطر ضرار ومن معه الى الفرار أمام طليحة •

واذ هزم ابو كبر مرتدى عبس وذبيان على مشارف المدينة انحازت فلولها الى طليحة ،وجددت غطفان حلفا كان مع طليحة في الجاهلية وانضمت اليه بعض بطون طيىء فاشتدت شوكته • وعقد ابو بكر الوية جيوشه لحروب الردة ووجه جيشه الاول بقيادة خالد بن الوليد الى بنى اسد ثم بنى تميم ثم بنى حنيفة • خرج خالد في اربعة آلاف ومعه عدى بن حاتم الطائى الذى استطاع ان يثنى بطون طيىء التى انضمت الى طليحة وكانوا الف فارس فانصرفوا عنه وانضموا الى جيش خالد •

وفي بزاخة من مياه بنى اسد التقى الجمعان وجيش طليحة يزيد الف مقاتل عن جيش خالد • ودارت المعركة وقد جلس طليحة في فناء بيته متلففا في كساء يتنبأ ، وكان عيينة بن حصن يتردد بينه وبين جيشه يساله « هل جاءك جبريل ؟» فيقول « لا » والدائرة تدور عليهم • واخيرا ادعى ان الوحى انزل عليه « ان لك رحا كرحاه وحديثا لا تنساه » فصاح عيينة في قومه « هذا والله كذاب فانصرفوا »، وانهزمت بنو أسد فاقبلوا على نبيهم يسالونه بم يامرهم ، ولاول مرة يعترف طليحة بكذبه •• قام فحمل امراته ووثب بها على فرس كان قد اعده وانطلق بها هاربا وهو يقول « من استطاع منكم ان يفعل مثل ما فعلت وينجو باهله فليفعل ، قاتلوا عن احسابكم فاما دين فلا دين » وفر نحو الشام وانتهت حركته •

من الكفر الى الايمان

لبث طليحة اشبه بالصعلوك عند بنى كلب بالشام ، وراجع نفسه فاسلم ثم خرج معتمرا ، فلما مر بجانب المدينة في طريقه الى مكة قالوا لابى بكر هذا طليحة ! فقال « ما أصنع به ؟ خلوا عنه فقد هداه الله للاسلام »•

وبقى طليحة عند بنى كلب حتى توفى ابو بكر، وكان ابو بكر قد حظر على كل من سبقت له ردة ان يساهم في الفتوح فظل طليحة قعيد بيته ، ثم سمح لهم عمر بشرط الا يتولوا قيادات •

وجاء طليحة يبايع عمرا فجرى بينهما هذا الحوار •• قال عمر « انت قاتل الرجل الصالح عكاشة (بن محصن) وثابت (بن ارقم) ، والله لا احبك ابدا • وكان طليحة لبقا حاضر البديهة فقال « يا امير المؤمنين ما تهم من رجلين اكرمهما الله بيدى ولم يهنى بأيديهما ، وان الناس قد يتصالحون على الشنآن » • قال عمر « انت الكاذب على الله حين زعمت انه انزل عليك ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح ادباركم شيئا فاذكروا الله قياما فان الرغوة فوق الصريح » • قال طليحة ذلك من فتن الكفر الذى هدمه الاسلام كله فلا تعنيف علىّ ببعضه • فاسكت عمر وبايعه ثم رجع طليحة الى موطنه من منازل بنى اسد فاقام بها حتى خرج عام ١٤ هـ في جيش سعد بن ابى وقاص لفتح العراق • كان الجيش بضعا وثلاثين الفا فيهم ثلاثة الاف من بنى أسد ، طليحة فرد منهم لا يقود •

وجاء جيش فارس بقيادة رستم مائة وعشرين الف مقاتل ومثلهم للخدمات ، فلما عبروا نهر الفرات نزلوا فيعدة معسكرات حول النجف وبينها وبين القادسية • وبعث سعد طليعة استكشافية لتاتيه باخبارهم كما طلب ان يصيبوا له اسيرا من جيش فارس ليستخبره ، وكانوا لا يختارون لمثل هذا التكليف الا الصناديد المغاوير ، فكان عمرو ابن معدى كرب في خمسة من اصحابه وطليحة بن خويلد منفردا وقد كلفباستكشاف معسكرجالينوس وهم مقدمة جيش رستم • كان المسلمون يظنون جيش فارس بالنجف ، فما قطعت الطليعة سبعة كيلومترات حتى رأوا جيش المجوس قد ملأ الارض يتحرك نحو القادسية بين النخيل فعاد افراد الطليعة الا طليحة فقد سار وحده على فرسه حتى بلغ معسكر رستم فتسلل الى داخله مستترا بظلام الليل ، وبات فيه يتفحصه ويتنقل في جنباته ، ما اجرأه رجل بمفرده يقضي ليلا باكمله في معسكر عدوه • فلما كان آخر الليل انتقى جوادا اعجبه



كان مربوطا الى جوار فسطاط فقطع رباطه بسيفه وربطه بلجام فرسه ثم انطلق يعدو به ، واحس به المجوس فانطلقوا فى اثره نحو القادسية وبينها وبين النجف ٢٥ كيلو مترا مليئة بقوات الفرس المجوس فى معسكراتها • ومع خيوط الصباح ادركه فارس منهم وصوب اليه رمحه ثم دفعه ليطعنه فى ظهره فمال طليحة عن مسار الرمح ، فانكب الفارس حتى صار امامه فطعنه طليحة برمحه فقصم ظهره وانطلق ، ولحق به اخر ففعل به مثل سابقه ، ثم ادركه ثالث فاسره بمثل ما قتل به الاولين وساقه امامه يجريه على قدميه حتى اسلمه الى سعد •

بطولات فى سبيل الله

وجاء رستم فى جيشه ومعه افيال القتال الى مواجهة جيش المسلمين بالقادسية • وكان طليحة واحدا منخطباء الجيش الذين يحمسونه أيامالقتال كلها أربعة أيام وبعض لياليها ، وكان يقوم باشق تكاليف القتال مثل مهاجمة الافيال وركابها والقيام بالهجوم المضاد والثبات فى وجه الجحافل المتفوقة عددا • وبعث عمر الى سعد اربعة اسياف واربعة افراس مكافأة لاصحاب البطولة والبلاء فنال طليحة سيفا منها •

ودحر المسلمون جيش فارس ثم فتحوا المدائن وهزموا جيش فارس مرة اخرى فى جلولاء وطليحة يساير ببطولاته تلك الفتوح • وحشد الفرس مائة وخمسين الفا فى نهاوند لرد المسلمين من حيث اتوا • كانت نهاوند قلعة حصينة باعلى مرتفع شاهق يصعب ارتقاؤه فضلا عن اقتضاض القلعة• وبعث عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن المزنى على رأس ثلاثين ألفا لمواجهة هذا الجيش ، وامره عمر باستشارة طليحة بن خويلد وعمرو بن ابى سلمى وعمرو بن معدى كرب وبشرط الا يوليهم امارات • وارسل النعمان من معسكره فى الطزر هؤلاء الثلاثة طليعة استكشافية نحو نهاوند ليأتوه بالخبر • فلما ساروا يوما الى الليل رجع عمرو بن ابى سلمى وقال « كنت فى ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها » • وسار طليحة وعمرو بن معدى كرب حتى اذا كان آخر الليل الثانى رجع عمرو الى المعسكر وقال « سرنا يوما وليلة ولم نر شيئا وخفت ان يؤخذ علينا الطريق » • وسار صاحبنا طليحة وحده فى ارض عدوه حتى انقطعت اخباره وظن به بعض المسلمين انه ارتد مرة اخرى ولحق بالمجوس •ولكن طليحة سار ١٣٠ كيلومتر حتى بلغ نهاوند واطلع على ما اراد ثم رجع ، وما أن رآه المسلمون حتى كبروا واخبروه بظنونهم فانكرها عليهم واخبر النعمان بمشاهداته •

وتوانت الايام والمسلمون امام نهاوند فى العراء والمجوس فى قلعتهم ، يتناوشون ثم يعود كل فريق الى مواقعه حتى أطل شتاء ٦٣٩/٦٤٠ ، وشق الامر على المسلمين ، فعقد النعمان مؤتمرا حربيا لذوى الفكر فتداولوا الرأى ، رفضوا رايا بان يتحصن المسلمون امام المجوس ويطاولوهم•ورفضوا رايا آخر بشن هجوم على خنادق المجوس وحصونهم ورأوا فى ذلك مناطحة للجدران • ثم ادلى طليحة برايه وكان يتلخص فى عناصر :

– ان تتحرش فرقة من الفرسان بالمجوس وتغريهم بالالتحام بهم •

– ان تتظاهر هذه الفرقة بالانكسار وتتراجع امام ضغط المجوس الى مواقع يترصد فيها جيش المسلمين •

– ان يطبق المسلمون على جيش المجوس حين يصل الى هذه المواقع ويبيدوه بعيدا عن قلاعه •

وتم التنفيذ طبقا للخطة التى اقترحها طليحة وسقطت قلعة نهاوند • واستشهد فى هذه المعركة النعمان قائد المسلمين واستشهد معهصاحبنا طليحة ابن خويلد رضى الله عنه ، وعرفت المعركة بفتح الفتوح اذ لم يحتشد للدولة الساسانية جيش بعدها ابدا ، انما كان كل اقليم يدافع عن نفسه•

لقد بدأ طليحة يطل على التاريخ انتهازيا يستبيح كل شىء فى سبيل طموحه ، ولكنه افاق على هزيمته فى بزاخة فآمن ايمانا كبيرا اراد به ان يمحو ما فعل فى ردته •لقد كان طليحة شاعرا مرهفا ، ليس بين ايدينا من شعره الا ابيات قلائل تتميز بالعذرية • وكانت كفاءته القتالية بيده وتخطيطه الحربىبفكره ابرز ما يميزه من كفاءات•

وبعد ، فليس منا الا وتتنازعه نوازع الشر ودوافع الهدى • وعلى هذا فقد كان طليحة بن خويلد نموذجا حيا لقضية من اهم قضايا البشر ، هى قضية الانسان المسرف على نفسه كذبا وبهتانا وجحودا وكفرانا اذا فاءت نفسه فعاد فى قمة الشجاعة تائبا • ان فى سيرة هذا البطل دعوة لكل فاسد ظالم ان يعود ••• فطريق العودة دائما مفتوح « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » •

وما دمنا لسنا صديقين ولا أنبياء •• وما دمنا نخطىء ونصيب فان لنا فى طليحة بن خويلد رضى الله عنهنموذجا للاعتبار وقدوة للاهتداء • ■■

القاهرة ــ **احمد عادل كمال**

المصدر

كيف يثنى ؟ وكيف يجمع ؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ فى « صفحة لغوية » سابقة من هذه المجلة (العدد ٢١٩) عرفنا المصدر وانواعه الثلاثة (الاصلى ، والميمى والصناعى) ، ووضحنا انه لا يثنى ولا يجمع حين يدل على حدث مجرد من كل القيود والعلاقات ، لانه حينئذ يكون دالا على معنى ذهنى مطلق ، شامل للحدث على عمومه • وكذلك وضحنا انه اذا ارتبط باى قيد او علاقة ـ كما اذا دل على مرة ، او هيئة ، او على نوع او عدد ، او على صفة فى موصوف ونحو ذلك ـ فانه يجوز ان يثنى ، كما يجوز ان يجمع اذا كان جمعه سائغا ، وقد ضربنا امثلة لكل هذه الاحوال •

كيف يثنى المصدر ؟

تثنية المصدر ـ ايا كان نوعه ـ يسيرة ، كما انها سائغة دائما ، وهى تتبع القاعدة العامة لتثنية الاسماء المعربة ، اى زيادة الف ونون فى حالة الرفع ، وياء ونون فى حالة النصب وحالة الجر ، فمن المصادر الاصلية مثلا : تجارة، شفاعة، فهم ، طرب ، سرور ، تمهيد ، زئير ، صعوبة ، انفجار ، زلزلة ، تبيان ، استقامة ، استنباط ـ نقول فى تثنيتها رفعا : تجارتان ، شفاعتان ، فهمان •• استنباطان • ونقول فى تثنيتها نصبا أو جرا : تجارتين ، شفاعتين ، فهمين •• استنباطين •

ومن المصادر الميمية مثلا : ملعب(١) ، موعد ، مصلحة ، ممزق ، مجادلة(٢) ، منتهى ، مستغفر • نقول فى تثنيتها رفعا « ملعبان ، موعدان ••• مستغفران » وفى تثنيتها نصبا او جرا : «ملعبين، موعدين ، مستغفرين » وكذلك تعامل المصادر الشاذة فى صيغتها لورودها على صيغة اسم المفعول ، مثل « معقول » و « مجلود » فيقال : « لا معقول له فى النوائب ، ولا مجلود عليها » اى لا عقل له فيها ولا جلد عليها • ويقال فى التثنية رفعا : معقولان ومجلودان : ويقال نصبا او جرا : معقولين ومجلودين •

ومن المصادر الصناعية مثلا : خصوصية ، جاهلية ، وطنية ، قومية ، رجعية ، انسانية ، عنجهية ، دكتاتورية • يقال فى تثنيتها رفعا : « خصوصيتان ، جاهليتان ••• دكتاتوريتان » وفى تثنيتها نصبا او جرا : « خصوصيتين ، جاهليتين ••• دكتاتوريتين » •

---

(١) تظهر مصدرية الكلمة حين توضع فى الجملة:فتقول : لعب الصغار ملعبا كثيرا ••• واستغفرت الله مستغفرا خالصا •

(٢) اذا كان الفعل رباعيا على وزن « فاعل »فمصدره على وزن « مفاعلة » ، وقد يكون على وزن « فعال » مثل : « جادلته مجادلة وجدالا »ويرى العلماء ان المصدر اذا كان على وزن « مفاعلة » فهو مصدر اصلى ، وهذا يحتاج الى نظر ، ورأينا انه مصدر ميمى ، لان فيه خصائص المصدر الميمى التى وضحوها وان كان مؤنثا لفظه ولا يتسع المقام هنا لتفصيل اكثر •

جمع المصدر

واما جمع المصدر فيحتاج غالبا الى اناة ، ويحتاج دائما الى لباقة تسوغه ، وكثرة استعماله تجعله مالوفا ، او غير مستغرب ، والالفة ترفع الكلمة او تخففها • ونوضح هذا ببعض التفصيل•

لا تجمع المصادر الا على أحد نوعين من الجمع : جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير ، وبعضها قد يجمع جمع تكسير ، وهذا الجمع بعد ذلك يجمع جمع مؤنث سالما ، فنقول مثلا : « فاض النهر فيضا سريعا » ، ثم نجمع فيضا على فيوض ، ثم نجمع فيوضا على « فيوضات » ، وعلى هذا النحو نقول : قيد وقيود وقيودات، وفتح وفتوح وفتوحات، ونحن نتبع فى ذلك ما يتبع فى الاسماء المعربة ، كقولنا : بيت ، وبيوت ، وبيوتات ، وشحم ،وشحوم، وشحومات •

مصادر فى صيغة جمع المؤنث السالم

وايسر جمع للمصادر واشيعها هو جمع المؤنث السالم ، ونحن نعلم أن جمع المؤنث السالم قياسي فى كل ما ينتهى بتاء التانيث او الف التانيث المقصورة ، وفى المصادر على أنواعها ما يتحقق فيه هذا الشرط ،و ذلك • فكل المصادر الصناعية تنتهى بتاء التانيث ، ولذلك تجمع كلها قياسيا جمع مؤنث سالما ، ومن امثلتها : عبقرية ، شاعرية ، همجية ، مدنية ، وحشية ، طائفية ، مادية ، سلوكية ، لاادرية ، ماهية ، نقول فى جمعها : « عبقريات ، شاعريات ••• حيثيات »

ومثلها فى ذلك المصادر الاصلية التى تنتهى بتاء التانيث ، مثل صناعة ، سعادة ، بطولة ، عبادة ، افادة ، عنعنة ، استغاثة ، فيقال فى جمعها : صناعات ،سعادات ، بطولات ••• استغاثات •

ومثلها كذلك المصادر الاصلية التى ينتهى كل منها بالف التانيث المقصورة مثل : ذكرى ، فكرى، طيبى ، طوبى ، رجعى ، فحوى ، حِثِّيثى (حث) ، خِلّيفى (خلافة) (٣) فنقول فى جمعها : « ذكريات، فكريات •••خليفيات » •

ومثلها المصادر الميمية التى تنتهى بتاء تانيث ، مثل : مشغلة ، محمدة ، مذمة ، مسعاة ، مباءة ، مغامرة • يقال : فى جمعها مشغلات ، محمدات ، مسعيات ، مباءات ، مغامرات (٢) ومثلها ايضا مقايسات ، مسامرات ، مهاترات ، مصارعات •

وعلى هذا النحو تجمع كثير من المصادر الميمية التى تنتهى بالف مقصورة ليست للتانيث مثل : مجرى ، مقتضى ، مستشفى ، نقول فى جمعها : مجريات ، مقتضيات ، مستشفيات •

وكذلك المصادر الميمية التى لا تنتهى بعلامة تانيث ولا الف مقصورة ، مثل : مقام ، مسار ، مجاز ، مغار ، مخرج ، مدخل ، منعطف ، مدخر ، مستقر ، نقول فى جمعها : مقامات ، مسارات •• مستقرات •

ومثلها كذلك المصادر الاصلية التى تنتهى بعلامة تانيث ، مثل توصية ، تغلية ، تحلية ، تفسرة ، تذكرة ، تكملة، تجلية ، يقال فى جمعها : توصيات •• تجليات •

ومثلها : زلزلة ، زمزمة ، حوقلة ، زركشة ، يقال فى جمعها : زلزلات ، زمزمات ، حوقلات ، زركشات •

ومثلها كثير من المصادر الاصلية التى لا تنتهى بعلامة تانيث ، واغلبها تقوم على افعال ماضية رباعية او خماسية او سداسية •

فمن هذه المصادر ذوات الفعل الرباعى (على وزن « فعّل ») : تقسيمات ، تعليلات ، تقريرات، تصميمات ، تمرينات ، تدريبات ، تفسيرات ، تعقيبات ، تعليقات ، تحميدات ، تسبيحات ، تحسينات •

ومنها (على وزن « افعل ») : افرازات ، اعلانات ، ، احسانات ، اقرارات ، ارهاصات اكرامات •

ومنها (على وزن « فاعل ») نزاعات ، خلافات، حسابات ، قرانات ، صراعات •

ومن ذوات الاصل الماضى الخماسى (على وزن « افتعل ») افتعالات ، اختلافات ، امتحانات ، اجتماعات ، اقتراحات ، اقتباسات ، احتجاجات اتحادات ، اتفاقات ، اختلافات ، امتيازات ، اتجاهات ، انتقادات ، انتصارات ، انتفاضات ، انتقاضات •

ومنها (على وزن « انفعل ») : انفعالات ، انكسارات ، انهزامات ، انقسامات ، انفتاحات ، انعطافات ، انبعاثات ، انحسارات •

---

(٣) من اقوال عمر بن الخطاب « لولا الخليفى لأذنت » اى . لولا الخلافة التى أتبوأ منصبها ـ وهو رفيع يجل عن ان أؤدى الاذان ـ لقمت باذانه•

ومنها (على وزن « تفعل ») تجمعات ، تعصبات ، تحزبات ، تعسفات ، تكهنات ، تنبؤات ، توقعات ، تمحلات ، تقولات ، تهكمات ، تمحكات •

ومنها (على وزن « تفاعل ») تساؤلات ، تجاوزات ، تناحرات ، تسابقات ، تسارعات ، تساميات •

ومن ذوات الاصل السداسي (على وزن « استفعل ») : استفسارات ، استعلامات ، استفزازات ، استحسانات ، استهجانات ، استغلالات، استجوابات، استحكامات ، استعدادات، استطلاعات •

ومنها (على وزن « افعالّ ») اطمئنانات •

ومنها (على وزن « افونعل ») احونصالات •

مصادر على صيغة جمع التكسير

وبعض المصادر التي مرت بنا وامثالها – مما يمكن ان يجمع جمع مؤنث سالما – قابل لان يجمع جمع تكسير •

فمن المصادر الاصلية المنتهية بتاء التانيث : قِسمة ، بِنية ، بُنية ، تجمع تكسيرا ، فيقال : قِسم ، بِنى ، بُنى •

ومن المصادر الاصلية المنتهية بالف التانيث : ذكرى ، فكرى ، يقال في جمعها : ذكر ، فكر •

ومن المصادر الاصلية التي افعالها الماضية رباعية : تقرير ، تقسيم ، •• يقال في جمعها : تقارير ، تراكيب ، تقاسيم ، ومثلها : تحاميد ، تسابيح ، تصاميم ، تشابيه ، تعاجيب كما في قول سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
اودى ، وذلك شاو غير مطلوب

وقول عبد الله الغامدي في وصف غاطية (وهي كرمة العنب) وما يعصر من عنبها المختلف الانواع:

« ومن تعاجيب خلق الله غاطية
يعصر منها ملاحيٌ ، وغربيب »

ويكثر جمع التكسير في المصادر الاصلية التي افعالها الماضية ثلاثية ، وتجمع هذه المصادر غالبا كما تجمع الاسماء المعربة التي تشاركها وزنا •

فكما يجمع الاسم المعرب «شهر» على «شهور» تجمع المصادر الاتية : ظن ، شك ، بيع ، حدس ، كسر ، غيب ، عيب ، هم ، غم ، فهم ، فيقال في جمعها : ظنون ، شكوك ، بيوع ، حدوس ، كسور ، غيوب ، هموم ، غموم ، فهوم • ومثلها : زيود ، سعود ، نحوس ، عقود ، مدود ، نقول ، بحوث ، غروس ، نقود ، جموع ، حدود ، قصود ، ضروب ، فتوح (ومثلها عشرات من المصادر) •

وكما يقال في الاسم المعرب « جذر » جذور يقال في المصدر « علم » علوم •

وكما يقال : شراب واشربة (اسما) يقال في المصدر : نشاط وانشطة كما في لغتنا الدارجة•

وكما يقال : طيف واطياف (اسما) يقال في المصدر ، مثل : وهم واوهام ، قول واقوال ، بحث وأبحاث ، وصف وأوصاف ، صوم واصوام ، دور وادوار ، قدر واقدار •

وكما يقال غراب واغربة (اسما) يقال في المصدر : دعاء ادعية ، سؤال أسئلة •

وكما يجمع الاسم جراب على اجربة ، يجمع المصدر شفاء على اشفية •

وكما يقال : سبب واسباب (اسما) يقال في المصدر : فزع افزاع (القاموس) •

وكما يقال : عش واعشاش (اسما) يقال في المصدر حب ، واحباب ، كما في قول الشاعر :

ثلاثة احباب : فحب علاقة
وحب تملاق ، وحب هو القتل

وكذلك بعض المصادر الميمية ذوات الفعل الماضي الثلاثي تجمع جمع تكسير ، مثل : مسعى ومسعاة، معنى ، محمدة ، يقال في جمعها ، المساعي ، والمعاني ، والمحامد •

جمع الجمع

وقد مربنا ان الجمع قد يجمع • فكما نقول في الاسم المعرب : اناء ، آنية ، اوان ، وكذلك وعاء، أوعية ، اواع • نقول في بعض المصادر : شفاء ، اشفية ، اشاف ، ومثله : قول ، اقوال ، اقاويل• ومثله : فتح ، فتوح ، فتوحات •

ولا بد في جمع المصادر من ان يتحسس المثقف نظائرها من الاسماء المعربة تحسس الاديب ، حتى يرى لها جمعا سائغا ، فيمضيه ، ليسهل على الاخرين المضى في اثره •

■■

محمد خليفة التونسى

السيد م.م.م. وحكايته

بقلم : أبو المعاطى أبو النجـا



مقدمة

■ كان السيد « م . م . م » رجلا مهذبا حقا ، وفى طفولته كان طفلا مهذبا كذلك ، مع أنه ولد فى القرية فقد كانت ثيابه فى أغلب الوقت نظيفة وناصعـة ، لأنـه لا يلعب مـع الأولاد الأشقيـاء الذين يعزقون ملابسهم ويوسخونها .

والسيد « م . م . م » مثل كل الرجال المهذبين الذين وجـدوا أسرة متماسكة تحسن تربيتهم ، وتبعث بهـم فى الـوقت المناسب الى المدارس ـ بالتدريج ـ الابتدائية ، الثانوية ، الجامعة .

لا تخلو حياتهمن أناس يحبونه.وأناس يكرهونه، مع أنه قلما يتورط فى فعل أشياء تضايق أحـدا منـه ، لكنـه مثل كل الرجال المهذبين يدرك على نحو ما أن الحياة كذلك ، وأن الاختلاف بل والتغير سمات طبيعية فى الناس وفى الأشياء، لا شيء مثل الآخر ، ولا شيء يبقى على حالـه ، وربما لهـذا لا يضيق تماما بما يلقاه فىحياته وفى حياة الناس من تباين وتغير ، بل يتلقاه شبه راض ، شبـه متوقع ، ومهما يكن حجم التباين أو نوع التغير .

هكذا كانت البداية

متى بدأ السيد « م . م. م » يلاحظ أن ذلـك الوجه هو وحده الذى لا يكاد يتغير ؟

لكن متى رأى ذلك الوجه لأول مرة ؟

ثم متى تأكد أنه هو نفس الوجه ، نفس الملامح الحادة السمراء ، نفس العينين الفاترتين اللتين يصعب فى غير ضوء الشمس أن تميز لونهما البنى أحيانا ، العسلى أحيانا ، الأسود أحيانا ؟

مع الوجه الذى لايتغير



نفس الشعر الخشن الأكرت ، نفس الأذنين اللتين لم يرهما أبدا لأن ثمة لاسة صوفية أو قطنية تدور حول الراس ، تدور صيفا وشتاء لتحميهما من الحر أو البرد ، وتكاد أن تحجب معهما جرحا قديما فى صفحة الوجه اليمنى أو اليسرى ، وأحيانا فى الجبهة ، وآنذاك تدور اللاسة الماكرة بحق لتغفى جرح الجبهة .

متى راى حقا ذلك الوجه لاول مرة ؟

يذكر انه كان فى القرية ، أول مرة ذاقت فيها قريتهم طعم مياه الشرب النقية ، التى تاتى من محطة بعيدة لتنقية المياه عبر مواسير تمتد فى باطن الارض ، كان صاحب ذلك الوجه الاسمر الحاد الملامح هو الذى يحمل فاسا تختلف عن كل الفؤوس التى يراها فى قريته ، حديدتها اكثر طولا ،وأكثر صلابة ، وهو الذى يحفر باطن الارض لتمتد فيها هذه المواسير ضمن شبكة كبيرة تغطى جميع القرى، وفى الحقيقة لم يكن وجها واحدا هو الذى يصنع ذلك ، ولكنه اعنى السيد « م.م.م » عجز فى ذلك اليوم عن أن يميز بين كل هذه الوجوه التى كانت تقوم بنفس العمل ، عجز عن أن يجد بينها فروقا واضحة ، كانت كلها سمراء لوحتها الشمس يبللها العرق،اغلبها يحمل جرحا هنا أو هناك،ودائما كانت هناك اللاسة تكاد تغفى الجراح والملامح ، وحتى حين كان واحد منها يبدأ الغناء ، كانت كلها تغنى معه ، وهى منكفئة على الارض تحفرها ، على المواسير تحملها وتدفنها فى باطن الارض .

ولم يكن الفضول الشديد يوما من صفات السيد « م.م.م » فقد اوصته امه وربما ابوه بألا يهتم بما

انها تحبه وبالتحديد تحب تهذيبه الشديد وتفوقه معا .

ولم يقل لها احبك أبدا رغم انه كان يموتخيها ... ولكنه قال لها يجب أن تهتمي بدروسك لنسافر ، في بعثة واحدة الى الخارج كزوجين .

ولم يكن يجد معنى لدهشة زملائه لانه يحب بنتا واحدة أربع سنوات كاملة .

اما هي فلم تجد معنى لذلك الوجوم الشديد الذي انتابه فجأة في نهاية تلك الليلة التي دعته فيها الى فنجان شاي في أحد « الكازينوهات »على النيل بمناسبة عيد ميلاده ، كان هذا « الفنجان شاي » هو الهدية الوحيدة التي وافق على قبولها منها ، كما كان أقصى مغامرة حب قاما بها خلال اربع سنوات ، في تلك الليلة كانا سعيدين،كادا يلمسان النجوم ، فاحلامهما تبدو على بعد شهور قليلة ، النجاح والسفر والبعثة و.. وفجأة يقطع احاديثهما صوت غناء .. غناء مكتوم .. قادم هذه المرة من شاطيء النهر ، لا صلة له بالموسيقى الخفيفة الهادئة التي تاتي من ميكروفون «الكازينو» ، فجأة يلوح في ضوء أنوار «الكازينو» الهادئة وجه أسمر لا تكاد تتضح ملامحه ، وجه مندفع الى الامام كانه يوشك أن ينكفيء ولكن حبلا غليظا يدور هذه المرة حول الكتفين ، حبلا يجر وراءه مركبا شراعيا محملا بالأواني الفخارية ، هذا الحبل الذي يجر المركب المطوى الشراع في عكس اتجاه الريح هو وحده الذي يمنع الوجه المنكفيء الى الامام من أن يسقط على الارض ، ولكنه لم يكن قادرا على منعه من الغناء المكتوم الذي يتردد مع ايقاع القدمين اللتين تغوصان في أرض الشاطئ الطينية الرخوة التي تنمو فوقها الاعشاب .

ـ تصوري ... الدنيا كلها تتغير هدا هذا الوجه.

نطق السيد « م.م.م » بهذه العبارة على نحو مفاجيء بعد لحظات صمت مفاجئة ، ثم عاد الصمت مغلقا هذه المرة بقدر من الوجوم ، لم تستطع هي أن تفهم معنى وجومه في تلك الليلة ، معنى استمرار وجومه .

وعجزت الاشارات المبتسرة التي أوما بها الى قصته مع هذا الوجه أن تعتذر لها عن وجومه في مثل هذه الليلة وهذه المناسبة ، أو حتى أن تجعلها تفهم معنى هذه القصة ، المعنى الحقيقي لها !

لمحات عن حياة السيد م.م.م في أوروبا :

ست سنوات زمن كبير جدا في حياة الافراد ، بل والجماعات والمسالة دائما هي ماذا يحدث خلالها ؟

أصبح السيد « م ، م ، م ، » الدكتور « م ، م ، م ، » وعلاقة الحب أصبحت علاقة زواج ، وتوقف طموح الزوجة قبيل الماجستير بسبب الاجور المرتفعة لدور الحضانةفي أوروبا،والاجور المنخفضة لاعضاء البعثات من مصر ، ولاسباب اخرى كثيرة لا اهمية لذكرها ، ووقعت في حياة السيد « م ، م ، م ، » ثلاثة أحداث هامة ، الاول : أنه أصبح أبا لطفلتين جميلتين جدا . الثاني : أنه لم يبصر مرة واحدة ذلك الوجه الذي لا يتغير . ثالث هذه الاحداث وربما أهمها أن فكرته عن التغير قد تغيرت الى حد كبير » .

... الواقع أن الامانة التي نلتزمها في كتابة هذه اللمحات من حياة السيد « م ، م ، م » تحتم علينا أن نعيد النظر في صياغة الحدث الهام الثاني في حياته ، والا نترك حرصنا على فضيلة الايجاز يؤذى فضيلة الامانة .

فالحقيقة أن السيد « م ، م ، م » قد أبصر الوجه الذي لا يتغير خلال هذه السنوات الست عدة مرات ... في خياله .

ويتصل بتوضيح هذه المسالة أن نوضح قليلا الحدث الهام الثالث في حياة السيد « م ، م ، م »

لا يفيده،والا يشغل نفسه بشئون الناس فليس وراءهم سوى الشر والمشاكل ، ولم يكن معنى هذا طبعا ان السيد « م.م.م » لا يحب الناس ولا يفعل الخير، بل كان يكتفي بحبهم على البعد ، يتفرج على الموالد والاعراس والاعياد دون ان يشارك فيها بدور ، وحين يفعل الخير يفعله ويجرى قبل ان يراه احد ، ودون ان تلمس يده يد الفقير او السائل ، ولولا ان اصحاب هذا الوجه كانوا مسالمين جدا وغرباء ولا يتسع وقتهم لغير العمل والغناء لما قدر له ان يعرف ما عرف عنهم •

وكان حريا به ان ينسى هذا الوجه تماما لولا ان رآه مرة اخرى بعد عدد من السنين ، كان السيد « م.م.م » قد اصبح فتى يافعا ، سافر الى عاصمة الاقليم ليستكمل دراسته في المرحلة الثانوية وكان هناك كما كان في القرية فتى مهذبا كذلك جلبابه النظيف اصبح بدلة نظيفة وانيقة ، وحجرته مرتبة ومنسقة ونافذتها تطل على ارض خلاء فسيحة ، اختار له ابوه هذه الحجرة في هذا البيت المنعزل بعيدا عن الضجة ، بعيدا عن رفاق السوء ، حتى يذاكر في هدوء وينجح في تفوق •

فوجيء ذات يوم بضجة هائلة في المكان الخالي الفسيح ، آلات ضخمة تدك الارض ، وايد كثيرة تحمل الفؤوس التي تختلف عن ـ الفؤوس في قريته وتحفر اساسا لعمارة جديدة تجرى الاستعدادات لبنائها ـ ورغم تهذيبه الشديد ـ حلم بجيران ، بالتحديد بجارة حسناء تسكن في العمارة الجديدة ولكنه وقبل ان يتحقق حلمه بالجارة الحسناء تحقق من انه يرى نفس الوجه الذى رآه في قريته منذ سنين •

الوجه الاسمر الملوح بالشمس والمبلل بالعرق ، لم يتغير فيه شيء ، حتى مكان اللاسة ، كان هو الذى يحفر الأساسات وينقل الطوب الأحمر في سطور منظومة على ظهره ، ويصعد السقالات حاملا قصاع الأسمنت المعجون ، ويغني •••• ولا يبدو ان شيئا ما قد تغير سوى نوع العمل « نفس العمر كانه لم يكبر كل هذه السنين ، نفس الثياب ، نفس الوجه الواحد المتعدد • »

وفي الواقع انها لم تكن هذه هي المرة التي انتابه فيها الرعب من رؤية هذا الوجه الذى لا يتغير ، كان قد بدأ يعرف الكثير عن هذا الوجه ، فهو قادم من اقاصي الصعيد ، وهو متنقل ابدا وراء العمل هنا وهناك ، وهو يختلف عن وجوه الفلاحين في القرية حيث يولد الفلاح ويعمل ويكبر ويموت في نفس القرية ، كان السيد « م.م.م » قد بدأ يعرف الكثير عنه وعن اشياء اخرى كثيرة ، وينسى الكثير مما يعرف ، وكانت دهشة المعرفة المتجددة لا تسمح له بالتفكير طويلا فيما يعرف •

والذى حدث انه نسي تماما هذا الوجه بعد ان اختفى من امام عينيه ، بعد ان ارتفعت العمارة ، وسكن بجواره كما كان يحلم وجه فتاة كالقمر ، احبها على طريقته من بعيد ، فقد كانت صورتها تملأ رأسه في احلامه ، كانت الفتاة تسكن في البيت المقابل ، اما نصائح ابيه فقد كانت تسكن في رأسه ، ولم يكن غريبا ان ينجح في الثانوية العامة بتفوق ، رغم قصة حبه التي كانت تتحرك في رأسه مع الدروس ، ودون ان تصطدم بها ،ودون ان تتحرك خطوة خارج رأسه•

وكانت النقلة الكبرى في حياته يوم دخل الجامعة من اوسع ابوابها، اختار كلية العلوم رغم ان مجموعه كان يرشحه لكلية الطب ، لم يقدر على ان يتخيل نفسه يوما امام جثة كائن بشرى يمزقها بالمشرط •

اما « كيمياء البترول » فهذا هو العلم الخالص الذى قد يسعد الانسان دون ان يغوص في آلامه •

في الجامعة اكتشف انه لم يعرف الحب ابدا قبل هذه المرة ، كانت هذه بنت حقيقية ، يعرف اسمها، يعرف ملمس يدها ، تتحدث اليه بصوت مسموع واضح ، صحيح في العلوم وفي السينما وفي الكرة وفي السياسة ، ولكن لتقول له من خلال ذلك كله

ونعنى به « كيف أن فكرته عن التغير قد تغيرت الى حد كبير » فمع أن تخصصه فى « الكيمياء الصناعية » كان يقف به عند حد دراسة وجوه التغير التى يمكن أن تحدث فى حياة الانسان نتيجة لتقدم المعرفة فى مجال تخصصه والتطور المذهل فى تطبيقات هذا التقدم فى شتى نواحى الحياة ٠٠ الا أنه لم يتوقف ـ برغمه ـ عند هذه الحدود ، فقد كان يعيش كل يوم وفى كل مجال منذ سافر الى أوروبا صدمة التغير ، ووجد نفسه دون أن يدرى يفكر طويلا فى معنى هذا التغير ، فى اتجاهاته ، فى معدلات سرعته ، فى المجالات التى يشملها سواء فى العلوم البحتة أم فى العلوم الانسانية، فى الناس الذين يتأثرون أو لا يتأثرون به ، وفى النهاية وجد نفسه يقارن بين معنى وايقاع التغير هنا وهناك فى وطنه ، ورغم كل ما كان يقرؤه ويسمعه عن التغير فى بلاده فقد كانت الهوة التى تفصل بين ما يحدث هنا وهناك تملؤه بالفزع ، وربما كانت هذه هى المرة الاولى التى شعر فيها برعب حقيقى حين رأى ـ فى خياله ـ الوجه الذى لا يتغير ، وحين خيل اليه أنه يسمع على البعد غناءه المكتوم وهو يعمل بطريقته ليغير كل شيء فى بلده ودون أن يتغير ٠

اعتقد أننا بهذه الطريقة فى سرد هذه اللمحات من حياة السيد « م ، م ، م » قد أسأنا الى فضيلتى الامانة والايجاز معا فنحن لم نذكر شيئا عن الشيء الذى لم يتغير فى حياة السيد « م ، م ، م » طوال هذه السنين ورغم كل ما قلناه عن التغير، ونعنى به تهذيبه الشديد، وقد نجم عن هذه الواقعة أنه كان يشعر برعب حقيقى آخر يشبه ذلك الرعب الذى كان يشمله حين يرى فى خياله ـ الوجه الذى لا يتغير ، كان يشعر بذلك الرعب كلما فكر فى اجتياز مثل هذه الهوة التى تفصل بين بلاده وبين أوروبا ، ولم يكن يحب فى هذا الصدد أن يذكره احد بالتغير فى أمريكا ، ان اجتياز مثل هذه الهوة قد يحتاج الى العنف أو الى ما يشبه الجراحة الاليمة على مستوى الشعب كله ٠

ويبدو أننا قد نسينا تماما أن السيد « م ، م ، م » قد رفض فى بداية حياته دخول كلية الطب ، حتى لا يجد نفسه مضطرا لتشريح جثة انسان ٠

وقد كان يريحه أحيانا ما يسمعه فى شك كبير من أن التغير فى بلاده يتم بلا عنف ودون اراقة دماء وفى كل مرة كان يسمع فيها مثل هذا الكلام كان يقول : أيمكن أن تتحقق هذه المعجزة ؟ أيمكن أن يكون هذا الكلام صحيحا رغم الدعايات المضادة العنيفة ؟ ثم عاد الدكتور « م ، م ، م » الى بلاده فى نهاية عام ١٩٧٦ ٠

« السيد م،م،م يعود الى بلاده »

حين عاد السيد « م ، م ، م » الى بلاده ، لم يكن قد فعل ذلك فى الحقيقة لمجرد أن المهمة التى سافر من أجلها قد انتهت ، بل فعله لانه رفض رفضا قاطعا النصائح الكثيرة التى همس بها البعض فى أذنيه ، لكى يبقى هنا، ويعمل ، ويعيش الى أن تتضح الامور أو تتصلح٠

وحين عاد كان يعرف تقريبا ما سيلقاه فى بلاده، ومثل كل الناس كان يريد أن يعرف كيف حدث ما حدث ؟ وكان اعتقاده أنه قد يجد اجابات غير التى قرأها وسمعها فى الخارج ، وأنه سيضع يده على الحقيقة بشكل أو بآخر ، وأنه فى النهاية سيجد مع مواطنيه طريقا للخلاص ، على الاقل لبداية الخلاص ٠

وظل يرى ويسمع ويقرأ : كان هناك من يقول: لقد حدث ما حدث لان المسئولين عن التغيير فى بلاده ، قد اتخذوا العنف أسلوبا ، ولم يترددوا فى البطش بمن يخالفهم فى الرأى ، فساد الخوف ، وضاعت الحقيقة فى ظلامه ، وانكسرت روح الامة الواحدة ، وهى تواجه الخطر الواحد ٠

وكان هناك من يقول : لقد حدث ما حدث لانهم لم يتخذوا العنف اسلوبا لاحداث تغيير حقيقى ،

ولجاوا الى الحلول الوسطى المقيتة، فضاعت البلاد وقبل ان تولد من جديد •

كان عقله مع أصحاب الراى الثانى ، وقلبه مع أصحاب الراى الاول (وقد راى بعض الاطباء الذين تولوا علاج الدكتور « م ، م ، م » فيما بعد أن ذلك كان بداية الانقسام (الذى أصبح خطيرا) فى شخصيته ، والذى لم يظهر تماما فى البداية ، لانه كان جزءا من الانقسام الاخطر الذى كان موجودا فى بلده كله) •

ودائما كما يقولون ، وكما كان الدكتور نفسه يعتقد : كان العمل أفضل وسيلة لالتماس الحقيقة، والتماس الصحة ، وقد بدأ الدكتور عمله بعد فترة وجيزة مع العاملين فى نقل مصانع « البتروكيماويات » من مدينة السويس (التى كانت مهددة بالقصف المستمر من مدافع العدو فى الضفة الشرقية للقناة) الى مدينة الاسكندرية•

وفى هذه الفترة من حياته قدر له أن يرى وأن يعيش جزءا من الحقيقة •• حقيقة العنف الشامل الفظيع الذى لا يستهدف فردا أو فئة او طبقة ، العنف الاعمى الذى لا يفرق بين من يحمل بندقية او فاسا ، بين مصنع أو شجرة او مدرسة ، العنف الذى يوحد الناس أمام المصير الواحد •

وفى هذه الفترة من حياته قدر له أن يبقى فترة طويلة غير مصدق لامرين مع تحققه من وقوعهما تماما :

« الامر الاول» أنه لايزال يحيا رغم الاصابة التى كادت أن تودى بحياته •

الامر الثانى انه راى بعينيه ولاول مرة (الوجه الذى لا يتغير وهو يتغير) وهو يصبح مثل بقية الوجوه •

فحين ذهب الى مدينة السويس ـ لاول مرة ـ رآه هناك ، ولم تذهله المفاجاة هذه المرة ، كان هو الذى أقام سواتر من الاسمنت المسلح حول خزانات الزيت ، واقامها حول كل المواقع التى تحتاج الى تحصينات ، لم يكن ينقصه سوى بدلة الجنود ، وحين صدر القرار بنقل المصانع من السويس كان هو الذى يمهد الطريق أمام الجرارات والروافع ، وحين كانت تتعطل الالة أحيانا كان هو الذى ينقل ويجر ويسحب ، وحين كانت تجىء لحظة العنف الدامى ، كانت تصبغ كل الوجوه بلون واحد تعجز اللاسة الماكرة عن اخفائه ، ولم يعد ذلك الوجه وحده هو الذى يحتاج الى تغطية جراحه القديمة،فقد كانت الجراح تملأ صفحات الوجوه •

وحين جلس الدكتور « م ، م ، م » على شاطىء البحر فى الاسكندرية فى التماس الهدوء والحقيقة، عجز البحر عن أن يمنحه الهدوء أو الحقيقة ، ففى كل مرة كان يطالع صورته امام اى سطح ساكن لامع، كان يرى الرباط القطنى الابيض الذى يحيط برأسه وأذنيه فى شكل لاسة تخفى وجها أسمر ، وشعرا خشنا ، وبعض الجراح ، على أن الدكتور « م ، م ، م » لم يصارح أحدا فى هذه الفترة من حياته بما كان يخيل اليه أنه يراه ، واكتفى بتجنب الوقوف أمام الاسطح الساكنة اللامعة •

قال الطبيب لزوجة السيد « م،م،م » :

ـ « ان ما يردده زوجك عن شعوره بوجود عقلين يحكمان هذا البلد عقل ظاهر طيب ، وعقل شرير خفى ، وانه لا يدرى كيف يعمل معهما ، فاحدهما يدمر ما يقوله أو يفعله الآخر ، وأحيانا يلوح أن السلطة الفعلية فى يد العقل الشرير الخفى ، وأن العنف لا يجىء من العدو وحده وانه يخشى ان يجد نفسه متورطا فى أمر يقع به فى مصيدة العنف » •

••• ان هذا الكلام يعنى أن الشرخ الذى حدث فى شخصية زوجك يزداد عمقا ، فهو يعكس ما يشعر به فى داخله ، وفى هذه المرحلة من العلاج سوف نكتفى بالعقاقير المهدئة •

ـ ولكنه أصبح عازفا عن العمل ، يكثر من الاجازات ، يسهر ويشرب منفردا ، لا شيء يثير اهتمامه ، حتى ولا طفلتيه اللتين كان يحبهما الى درجة العبادة .

ـ لا جدوى من مناقشته فيما يفعل الان ، لننتظر مفعول العقاقير المهدئة في هذه المرحلة .

حادث عرضي وهام يقع فجأة في حياة السيد « م،م،م » :

كان عائدا بعد منتصف الليل ، راسه مثقل بالشراب ولكن روحه منتعشة ومحلقة ، لماذا يتقاتل الناس حتى الموت في هذا العالم الجميل الساكن؟؟ أغراه الشارع الطويل الخالي بان يسرع في القيادة ليتناغم ايقاع روحه مع ايقاع السيارة المسرعة .. لو زادت السرعة الى حد كبير جدا لتصبح في سرعة الضوء لتحولت السيارة بمن فيها الى موجات من الضوء .. يا لها من طريقة للانتحار .

لماذا يصرون على وصمه بالمرض؟وماهي الصحة؟ أن يضنوا عليه بالشراب الذي يطلق اسار روحه.. اللعنة على كل الاصحاء ، الاصحاء وحدهم هم الذين يلجاون الى العنف عندما يمتلكون المزيد من القوة ! ولا سبيل الى الغاء العنف الا بتوازن القوى !!

لماذا لم يحقق الله توازنا طبيعيا بين قوى البشر كهذا التوازن الذي حققه بين النجوم في افلاكها ، وبين الكهارب في ذواتها ؟ .

لماذا يتحتم على الانسان وحده أن يصل الى التوازن عبر بحر من الدم والعنف ثم يحدث الاختلال من جديد لأن قوى البشر تنمو بطرائق مختلفة ، وفي ايقاع مختلف ؟ .

امن الضروري أن يكون هذا العذاب ثمنا ابديا للحرية والاختلاف والتغير ؟ لماذا لا تتشابه الوجوه الا في لحظات الفزع أو الموت ؟ .

صرخة فزع هائلة تقترب منه بسرعة السيارة المسرعة ، تندفع قدمه اليمنى بطريقة لا شعورية لتدوس على « البريك » السيارة تتوقف بالكاد بعد أن تنغمس مقدمتها في الحائط الترابي الذي يرتفع على جانب حفرة تقطع الطريق ، كيف لم يبصر هذا المصباح الاحمر الكابي ؟ ولكن ها هو يبصر بين الفزع والدهشة وفي ضوء نفس المصباح « الوجه الذي لا يتغير » .... يبصره وهو يخرج من الحفرة التي كان يعمل فيها وهو مغطى باكوام التراب التي دفعتها مقدمة العربة المندفعة . كاد يقتله ويقتل معه . عليه اللعنة . دائما يعترض طريقه « انتبه .... » هنا عملية توصيل كبلات الكهرباء « شركة حسن علام » تخيل وراسه يدور: أن هناك لافتات في طول البلاد وعرضها تحمل هذا التحذير « انتبه .... هنا رجل ملعون .... يغير كل شيء ولا يتغير ... احذروا قتله لانه لا غنى لكم عنه »

ـ انت رجل اعمى ... تقود السيارة وانت مخمور ، فاقد لصوابك كدت تقتل الابرياء وتقتل نفسك .

قالها شرطي المرور وهو يتفقد اجازة القيادة ودفتر السيارة ، قالها وهو يعمل بمساعدة الوجه الذي لا يتغير على نقله من سيارته الى سيارة اخرى كانت تمر بعد لحظات لتنقله الى اقرب مستشفى .

ـ الحمد لله ، جاءت سليمة ، وربنا ستر .. لا مؤاخذة يابيه .... قالها الوجه الذي لا يتغير بعد أن نقله مع الشرطي الى السيارة الاخرى .

قالها مواسيا ومعتذرا عن التراب الذي أسقطه عليه وهو يشارك في حمله الى السيارة .

قالها قبل أن يعود ليزيح السيارة التي كان يستقلها السيد « م ، م ، م » الى جانب الطريق مع الشرطي .

قالت زوجة السيد « م،م،م » للطبيب :

ـ « لا زالت حالته مقلقة ياسيدى حتى بعد عودته الى البيت ، لا يزال يتصور انه قتل العمال الذين كانوا يحفرون الطريق ولا يصدق انهم هم الذين انقذوا حياته • »

ثم اضافت بلهجـة مترددة تنم عن قلق عميـق وكانها تبوح بسر خطير •

ـ « امس فتح نافذة الحجرة فى الطابق الثالث، كان عامل البياض يتدلى على سقالة معلقة لدهان واجهة العمارة ، بالصدفة كان بجوار النافذة،لم يكد يراه حتى اطلق صرخة عالية ، لولا لطف الله لسقط الرجل من الطابق الثالث • ثـم اجهشت الزوجة بالبكاء •

حاول الطبيب تهدئتها ، قال لها بعد ان امر لها بفنجان قهوة ـ ياسيدتى ••• زوجك سيىء الحظ، الحادث الذى وقع له فى الطريق جاء فى وقت غير مناسب ، فضاعف من سوء حالته ، وعلى كل حال نحمد الله فقد كان من الجائز أن تكون النتائج اقسى ثم اضاف محاولا توضيح الامور :

ـ لدى زوجك شعور عميق بذنب لم يرتكبه ، يعاقب نفسه على أشياء لا دخل له فيها ••• ثم تابع فى لهجة اقتراح (ليتكم ـ بعد تحسن زوجك ـ تسافرون للعمل فى اى بلد عربى •• فربما ••• يؤدى تغيير الظروف الى نتائج افضل) •

مقتطفات عن الفترة الاخيرة من حياة السيد « م،م،م » :

المعلومات التى وصلتنا عن هذا الجزء من حياة الدكتور « م،م،م » يشوبها الغموض ، بسبب تعدد مصادرها ، ولسنا نقطع بصحة كل ما نورده هنا ، وقد جاء على السنة عديـد من الشخصيـات التى تصادف أن تقابلت معه أو عملت فى عـدد مـن البلدان العربية المنتجة للبترول التى تنقل بينها التماسا للطقس المناسب لصحته ومزاجه •

★ هناك راى حقلى بما يشبه الاجماع عن تحسن واضح فى الصحة العامة والمزاج والدخل • ويقال ان هذا التحسن وصل الى قمته بعد حرب اكتوبر المجيدة ، حتى انه فكر بعدها فى العودة فورا الى وطنه ،ولكن زوجته من ناحية ، واخبار الازمات الاقتصادية فى بلده من ناحية اخرى توقفتا بهذه الفكرة عند حدود التفكير الدائم فيها •

★ يزعـم بعض الـرواة أن التدهور المفاجىء الـذى حدث فى صحـة الدكتور « م،م،م » سببـه المباشر تمزقه بين رغبته الملحة فى العودة الى بلده وعجزه عن تنفيذ هذه الرغبة (اختلفت الاقوال فى أسباب هذا العجز)

★ بينما يضيف بعض الاصدقاء ذوى الصلة الحميمة بالدكتور أن السبب الحقيقى،هو الطريقة الغريبة والمفاجئة التى بدا يظهر بها الوجه الذى لا يتغير فى تلك البلاد التى تنقل بينها الدكتور « م،م،م » كان يظهر فجاة وباعداد كبيـــرة فى اماكن خالية ثم يختفى لتظهر فى مكانه عمارات وطرق مرصوفـة ، ومستشفيـات وفنـادق ونـواد وحدائق ••

★ يزعـم بعض من عـادوا اخيرا من آخر بلد استقر بها الدكتور « م،م،م » انه لقى حتفه فى حادث سيارة ، آخر سيارة اشتراها ، وقد كان يقودها وهو فى حالة سكر بينة •

كدنا نصدق هذه الرواية لانقطاع اخبار الدكتور « م،م،م » عن كل أصدقائه ، ولكن عدم عودة زوجته وابنتيه من ناحية وعدم ظهور نعى رسمى له فى صحف بلده أو صحف البلد الذى كان يعمل به ، جعلنا نفسح مكانا ـ فى هذه المقتطفات ـ لرواية اخرى ـ كنا نتردد فى قبولها لاسباب سترد خلالها•

الرواية الأخرى :

تقول هذه الرواية : ان الدكتور « م،م،م » لم يمت تماما،ولكن المصير الذى انتهى اليه لا يختلف

كثيرا عن الموت ، بل ربما كانت اشاعة موته اكرم كنهاية ٠

تقول الرواية ـ وهي تنسب في الجزء الاخير منها الى زوجته ـ ان حادث السيارة صحيح ، وان الدكتور حين فتحعينيه بعد اصابته وهو بين الحياة والموت وجد ان الوجه الذى لا يتغير هو الذى يندفع الى سيارته المحطمة ليخرجه منها وينقلهالى سيارة الاسعاف (ان هذا الجزء المبنى على مصادفة غريبة هو الذى جعلنا نتردد في قبوله ، ولكن لا شيء سوى،هـذه المصادفة يجعلنا نتقبل النهايـة المبنية عليها) ٠

تقول الزوجة : لقد وقع الحادث بجوار بنايـة كبيرة كان يعمل فيها الوجه الذى لا يتغير باعداد كبيرة ،وكانت شاحنة ضخمة تحمل شكائر الاسمنت الى هذه البناية هي التى صدمت سيارة الدكتور وحطمتها تماما ، ثـم تضيف الزوجـة : في فترة العـلاج التى لزم فيها الدكتور « م،م،م » سرير المستشفى ، حلم انه مات في حادث السيارة،وان احدا لم يتقدم لاخراج جثته من السيارة المحطمة ، لقد هرب سائق الشاحنة بعد الحادث متخلصا عن كل مسئولية ، وكان ما يخافه الدكتور وهو ميت في هذا الخـلاء ، ان بعض الوحوش قد تجيء وتمـزق جثته ٠٠٠ لقـد ظـل يقتـله الخـوف خـلال موتـه حـتى ظـهـر الوجـه الذى لا يتغير ٠٠ باعداده الكبيرة في المكان الخالى ٠٠ وحملوه الى مقبرة حفروها بفؤوسهم التى تختلف عن فؤوس الفلاحين في قريته ، ثم دفنوه فيها ، ووقفوا على حافة المقبرة ليهيلوا فوقه التراب بنفس الفؤوس ، وانـذاك استيقظ الدكتـور م،م،م من الموت صارخا ، ليروى الحلم المفـزع لزوجته ٠٠ ثم يقول بصوت متقطع اخر كلمات نطق بها ـ « لم آكن أتصور انه يخفي وراء وجهه المسالم كل هذا العنف » ٠ ثم تقول الزوجة : ان زوجها لا يزال يعيش ولكنه عازف عن اى كلام ٠

كلمة أخيرة

اننا ننقل هذه الرواية على مسئولية رواتها نقلا عن الزوجة وعلى مسئوليتها ، ويضيفهؤلاء الرواة : انهم وجدوا عملا لهذه الزوجة تقديرا لخدمات زوجها ولتتحمل مسئولية حياتها وحياة البنتين وهذا هو السببفيعدم عودتها اليبلدها ٠

ملحوظة أخيرة :

سوف نعيد كتابة النهاية لهذه اللمحات من حياة السيد « م،م،م » في ضوء اية حقائق جديدة يمكن ان تظهر ٠ ■■

الكويت ـ **محمد ابو المعاطى ابو النجا**

■ مقالة السوء الى اهلها اسرع من منحدر سائل ٠
(محمد بن حازم الباهلى)

■ شاب رأسى ، وما رأيت مشيب الـ
رأس الا من فضل شيب الفـؤاد
(ابو تمام)

■ أريد لانسى ذكرها ، فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل ٠
(كثير عزة)

سهرة مع ..

ابى خليل القبانى و الغرباء

مسرحيتان للمسرح القومى السورى فى الكويت



وجه سورى من مجموعة الفتيات اللاتى قدمن الفقرات الراقصة .

بقلم : الدكتور على الراعى

حفلة ذكر فى مسرحية ابى خليل القبانى



■ منذ الستينات والدعوة الى البحث عن مسرح عربى فى الشكل والمضمون لا تفتا تتردد ، بين صفوف العاملين فى الحقل المسرحى : كتابا ونقادا ومتفرجين وأعين •

ورغم ان هذه الدعوة قد حملت ـ فى بادىء الامر ـ على محمل الحذلقة الفكرية والبحث عن الجديد باى ثمن ، فان توالى الايام ، وتتابع المحاولات لخلق مسرح عربى : هوية ومضمونا وفكرا وتاريخا ، لم تزد الباحثين الا اصرارا على بحثهم ، ومن ثم قامت مسرحيات مثل : « حلاق بغداد » و « على جناح التبريزى » للكاتب المصرى الفريد فرج ، وكتب يوسف ادريس مسرحيته المثيرة « الفرافير » ، وطلع الفنان المسرحى الشامل الطيب الصديقى ـ فى المغرب ـ بمسرحيتيه الهامتين : « ديوان سيدى عبد الرحمن المجذوب » و « مقامات بديع الزمان الهمذانى » • وكتب الكاتب المسرحى السورى سعد الله ونوس مسرحيات من التراث : مثل « الفيل يا ملك الزمان » ، ومثل : « مغامرة رأس المملوك » ، ومثل مسرحيته التى نحن الان بصددها وهى :

« سهرة مع ابى خليل القبانى » •

وتعتبر هذه المسرحية انجح ما كتب سعد الله ونوس فى الصيغة المسرحية التى اختارها لنفسه ، بدأ بمسرحيته الهامة : « حفلة سمر من اجل ٥ حزيران » والتى سعى فيها الى استخدام صيغة المسرح المرتجل ليعرض علينا قصة الهزيمة ، وما سبقها وما لحقها من احداث ، مستخدما فى ذلك تقاليد وروح المسرح الشعبى واهمها جميعا التعام بين المتفرجين والخشبة ، ورفض لفكرة الاندماج ـ اندماج الممثل فى النص ، واندماج المتفرج فى العرض ـ ذلك الذى ورد الينا مع المسرح الغربى •

وفى مسرحيته : « مغامرة رأس المملوك » ، استخدم ونوس صيغة المسرح الشعبى ايضا ، وادخل فى هذه المرة تقليد : الراوى والمقلد ، حكاية قصة المسرحية تارة وتشخيص ادوارها تارة اخرى ، بينما اقام تعليقا جاريا على حوادث المسرحية من ممثلين قاموا بدور المتفرجين ، وذلك لكى يسقط احداث الماضى على الحاضر ، ويجعل الماضى تعليقا على ما يحويه الحاضر من مثالب •

وفى « سهرة مع ابى خليل القبانى » • ازداد سعد الله ونوس نضجا ، وتمرسا بصيغته المسرحية هذه ، وكان موفقا فى اختيار الموضوع الذى يسمح لمفردات هذه الصيغة جميعا بالاستخدام المشروع والمقنع والناجح معا •

« وسهرة مع ابى خليل القبانى » تلعب على مستويات ثلاثة ، وليس مستويين اثنين وحسب كما يعتقد المؤلف والمخرج فى كلمتى التقديم • المستوى الاول : هو قصة نشأة مسرح ابى خليل القبانى فى سوريا فى خمسينات القرن الماضى ، وما واجه ذلك المسرح من صعاب وعداوات ، وما دل عليه من بدء ظهور الروح القومى عند العرب ، وتطلعهم الى انشاء دولة عصرية تضم شتاتهم جميعا بعد التحرر من ربقة الامبراطورية العثمانية ومن باقى المستعمرين •

وعلى هذا المستوى عرض ونوس احدى مسرحيات ابى خليل القبانى ، وهى المسماة : هارون الرشيد مع غانم بن ايوب وقوت القلوب • وبهذا عرض ونوس مسرح القبانى بصورة شبه متكاملة : عرضه فى النظرية والتطبيق والهدف الاجتماعى • وكان حكيما حين اصر على أن يحتفظ لمسرح القبانى بكل مقوماته النظرية والعفوية ، وهنا افادته فائدة كبرى صيغة المسرح المرتجل ظاهريا ، وما تسمح به من حركة نشطة بين القاعة والخشبة ، وما تعطيه للمتفرج من حق التعليق على العرض وما تمنح الممثل من حق الخطاب المباشر للجمهور • ذلك ان هذا مسرح فى دور التكوين ، وشىء طبيعى فيه ، بل وشىء فاتن ان يلغى فيه عنصر الاندماج وان يتدخل الجمهور فى العرض ، وان يعلن الممثلون عن بضاعتهم بالطبل والزمر واحيانا ـ كما كان يحدث فى تاريخ المسرح الشعبى ـ بجزء من المسرحية تمثل خارج الخيمة كعينة مما سوف يحدث بالداخل بعد بدء العرض •



جمهور ابى خليل القبانى ، بعضهم كان يدخـل المسرح مجانا بتهديد العصا .
ممثلو الجمهور جلسوا في الصف الأول من القاعة .

العناصر الفنية المستخدمة في مسرحية : « سهرة مع ابى خليل القبانى » كلها موظفة فى موضعها، وكذلك وضع مسرح ابى خليل فىالاطار الاجتماعى والسياسى الذى نشا داخله .

ولولا الحاح منالمؤلف على تفسير كل الاشياء وتتبع كل الاحداث ، لجاء العرض اكثر تماسكا واوفر امتاعا ، خاصة اذا ما كان قد اتيح له اصوات غنية فعلا ورقصات احسن تصميما .

والمؤلف نفسهيشعر باحتمال الاطالة فى العرض فيترك للمخرج حرية الاختصار المعقول ويحملـه ايضـا مزيدا مـن مسئولية البحث عـن الاشكال والتقاليد والاعراف المسرحية الشعبية ، لكى يضفى على العرض كامل الاقناع ويدعم الشكل الشعبى دعما مطلقا .

ولقد اعطى الممثلون جميعا كل جهدهم للنص وبرز منهم محمود جركس فى دورى : ابى خليل القبانى ، وهارون الرشيد ، كما برز ايضا عدنان بركات فى دور الشيخ سعيد الغرا ، الذى ناصب القبانى ومسرحه العداء مـن اول ظهـوره حتى اغلـق سلطان تـركيا ذلك المسرح . كذلك تميز ياسين باقوش فى دور المنادى وقام المخرج اسعد فضة بقيادة هذه العملية المركبةقيادة طيبة،ولو انه









مشهد من مسرحية « الغرباء » ..
المختار يقف وسط القرية واهلها حوله.

ابوخليل الذى مثل دور ابى خليل القبانى.

يوسف حنا الذى ادى دورا بارزا فى
دور يوسف ، الشاب الثائر الذى
يعترض على دخول الغرباء .

ياسين بقوش ، المنادى وسكرتير الولاة.



تصوير :

يوسف الغريب

فايزة الشاويش ، قامت بدور الراوية
فى مسرحية« سهرة مع ابى خليل القبانى».



مشهد راقص من مسرحية هارون الرشيد والتاجر غانم وقوت القلوب • وضع المؤلف الملقن على المسرح لاظهار بداية العرض المسرحي في معهد ابي خليل القباني •

استمع الى نصح المؤلف بان يلجا الى الاختصار في التفسيرات السياسية والاجتماعية لجاء العرض اسرع ، وافعل ، فان مما لاشك فيه انه كانت تمر بنا اثناء لحظات نشعر فيها ببطء الاحداث ورتابة الايقاع •

اعود فاقول ان المسرحية مثل طيب جدا من امثلة الالتفات الى التراث المسرحي ، وهي خدمة تقدم للمسرح العربي ، فرجة ودراسة وتاريخا معا •

كذلك عرض المسرح القومي السوري مسرحية : « الغرباء » للكاتب السوري علي عقلة عرسان •

والغرباء تحكي عن قرية سورية جاءتها طائفة من الغرباء ذات يوم متمسكنة ، تطلب المأوى ، فانقسم اهل القرية بازائها قسمين : قسم يمثله الشاب يوسف ، وهو يحذر القرية من قبول الغرباء ويقول انهم طردوا من قرى كثيرة قبل مجيئهم، لانهم ما ان ينزلوا مكانا حتى يبذروا فيه بذور الشقاق، ثم يقوم النزاع المسلح وتسفك الدماء •

وقسم ثان يمثله الشاب مصطفى ، شاب عربي طيب القلب ، يرى انه مما يجافي الروح العربية المضيافة ان يرد قوم جاءوا يطلبون المأوى • ويطول الكلام وتبادل الحجج بين يوسف ومصطفى،

فيقرر هذا الاخير ان يدخل الغرباء الى المكان الذى يسكن فيه ويجعل لهم هناك ماوى ٠

وبالفعل يدخل الغرباء ، ويحتلون المكان المعطى لهم ٠ ثم يتزايد عددهم ، ويبدو واضحا انهم يتصرفون وفق خطة موضوعة ، يساعدهم على تنفيذها رئيس مخفر المنطقة ، ثم ياخذون يجلبون السلاح خفية ويتحصنون في موقعهم حتى يصبح ممتنعا على اهل القرية ٠

ثم تدور احداث كثيرة من بعد ، يقتل مصطفى بيد رئيس جماعة الغرباء ، واسمها في المسرحية جماعة ابى داود ، يقتل مصطفى بيد داود هذا ، ويتهم بالجريمة يوسف ، لسابق الخلاف الذى دب بينه وبين القتيل حول دخول الغرباء القرية ٠

وينفى يوسف من القرية بدعوى الحفاظ على حياته من انتقام اهل القتيل ٠ بينما يستفحل نفوذ جماعة ابى داود ، فينتقلون من المسكنة الى القطرسة ويتحدون مختار القرية وسائر اهلها ، وتقع بينهم وبين الاهالى المعارك المسلحة ، فيهزم الاهالى ، وتنهار روحهم المعنوية ، وتروج بينهم اسطورة ان عدوهم لا يقهر ٠

ثم يعود يوسفمن بعد ، وقد اثبتت الايامصدق رؤيته للامور ، وياخذ في اقناع المختار وشباب القرية بضرورة التصدى المسلح والمخطط للعدو ٠ فيقتنع الاهالى ، والشباب منهم خاصة ، بعد لاى ولكثرة ما تجرعوا من غصص الهزيمة ، ثم يدخلون معركة كبرى مع عدوهم يكون لهم فيها النصر ، ويثبت بالدليل العملى أن المختار كان على حق حين كان يجادل مخالفيه في الرأى قائلا : ان القرية لم تهزم ٠٠ لم تفقد روحها ، وانما هى عانت - فقط - من مرارة الهزيمة ٠

هذه هى حكاية المسرحية التى كنى بها المؤلف عن ماساة فلسطين ٠

ولعل اتخاذه طابع الحكاية او الامثولة مسئول - الى حد ما - عن هذا التبسيط الشديد الذى يلف المسرحية واحداثها ٠ فاننا لا نعرف سببا وجيها لتاييد مصطفى للغرباء ولتماديه في استباق اهل القرية لاستضافة الغرباء ووضع الجميع - بهذا - امام الامر الواقع ٠

كما ان يوسف في خصومته للغرباء لا يصدر الا عن كلام عام ٠ وتردد المختار والناس والشباب يصور وكانه نابع من داخل نفوسهم ولا سبب خارجي هناك يدعو الى قيامه ٠

كذلك ، يلجا المؤلف الى التصوير المبسط للعدو الصهيونى ، فهو يهودى تقليدى يتظاهر بالمسكنة ويلعب بشرف نسائه كى يتمكن من الارض التى يسعى لاكتسابها ٠ وليس ابعد من هذا عن الحقيقة في وصف العدو الصهيونى وارتباطاته الدولية العديدة ، واعتماده على التقدم التكنولوجى البالغ التعقيد ، وعلى حملات الدعاية المنظمة في كسب الرأى العالمى له ٠

كما أن هذا التصوير يعفى بعض العرب من مسئولية وقوع فلسطين في ايدى الصهاينة ٠ فالذين اخطاوا اخطاوا بحسن نية والذين تنبهوا لم يفعلوا شيئا سوى الصياح !

قدم المخرج ، وهو نفسه مؤلف المسرحية ٠عرضا طويلا شيئا ما ، حشده بكل الوان المؤثرات الزاعقة من قتل على المسرح ، واتهام واتهام مضاد ٠٠ وجدل ٠٠ جدل كثير يبدأ من نقطة ويتقدم نقطتين أو ثلاثا ليعود من حيث اتى ويبدأ من جديد ٠ فخلق لنا الانطباع بان موضوعه غارق في مستنقع من الكلام ، لا يستطيع الخروج منه الا بصعوبة شديدة ٠ وبالفعل يخرج الموضوع في النهاية من دوامة الكلام الى مرحلة اتخاذ القرار والقاء النفس في خضم المعركة ٠

ولقد قام الممثلون جميعا بادوارهم على قدر ما فيهم من طاقة ، وبرز منهم عدنان بركات في دور المختار المتردد بين قبول الغرباء او رفضهم وعبد المولى غميض في دور المتحمس للغرباء بغير تبصر ولا روية ، واحمد عداس في دور الصهيونى ابى داود ، وقد كان - في رايى - اقدر الممثلين واكثرهم تمكنا من الاداء ٠

بقى ان نحيى المسرح القومى السورى الذى قدم لنا هذين العرضين الجادين ونثنى على جهود المجلس الوطنى فى الكويت الذى يسعى دائما الى اثراء الواقع الثقافى الكويتى بكل ما هو مفيد ومؤثر في حقول الفن المختلفة ٠ ■■

الكويت - على الراعى

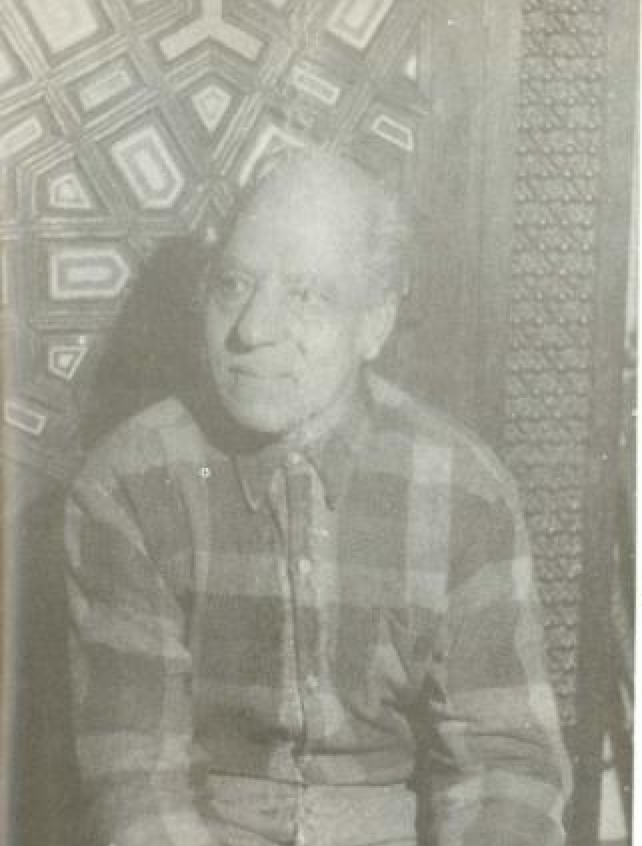

نَحن هُنَا مُنذُ البدَاية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات



قصة

فنان

عربى



الفنان
سعد كامل
فى مرسمه

سلالة الغضب.. تجد الطريق

بقلم : راجى عنايت

■ عندما أحيل الضابط محمد عبيد الى الاستيداع ،ضمن من ابعدوا من الجيش فى اعقاب ثورة عرابى الوطنية ، منحته الحكومة قطعة أرض فى محافظة القليوبية على الطريق المؤدى الى مدينة الاسماعيلية كما هى العادة مع الضباط الذين يتركون خدمة الجيش ٠ ولسبب ما ٠٠ ربما لبعد الارض عن قلب الاراضى الزراعية ، وربما لعدم خصوبتها ٠٠ بل وربما لمجرد احالته الى الاستيداع ، غضب الضابط محمد عبيد على الارض ، وقاطعها ، فاطلق عليه الفلاحون اسم « الغضبان » ٠

يموت الضابط محمد عبيد فيرثه ابنا له ، يرث الارض واللقب ، فقد كان عمدة للقرية القريبة من ارضه ،واشتهر بين الفلاحين بالعناد والسخط وسرعة الغضب ٠

غير أن الاجيال التالية ، تمردا على اللقب ،

● الجد الغاضب ·· ضابط فى جيش عرابى ·

● الصفعات والرعب فى جحيم المدرسة الابتدائية ·

● حادث اليم ·· يقود الى اكاديمية روما ·

● لحظة الاكتشاف فى مصنع جوبلان بباريس ·

● المعرض الاول ، وثيقة اعتراف فنية ·

● الرحله القاسية من داخل البيت الى « الجراج »

بحثت لنفسها عن اسباب ووسائل تمتص ذلك الغضب · فعمل محمد كامل حفيد محمد عبيد مهندسا فى المساحة بمدينة شبين الكوم ، وبحث لنفسه عن هواية يلجا اليها كلما احس ان بوادر الغضب التقليدى فى العائلة تقترب منه ·عشق فن الخط العربى ، وابتكر طريقة لرسم لوحات الخط بواسطة طوابع البريد القديمة !

وفى مدينة شبين الكوم ولد لهذا المهندس فى عام ١٩٢٤ ابنا اسماه سعدا ، تيمنا بالبطل الوطنى الغاضب سعد زغلول ! · وقد قدر لهذا الابن سعد محمد كامل ان يترجم الغضب التقليدى فى العائلة الى ثورة فنية على اساليب الرسم والتصوير الاكاديمى ، والى رفض حاسم لتبعية الفنان التشكيلى للمدارس الفنية الاوروبية الحديثة · قدر لحفيد الضابط الوطنى محمد عبيد ،ان يصبح رائدا لاتجاه العودة الى استيحاء الاصول الشعبية والمنابع الاصيلة فى الفن التشكيلى المصرى ·

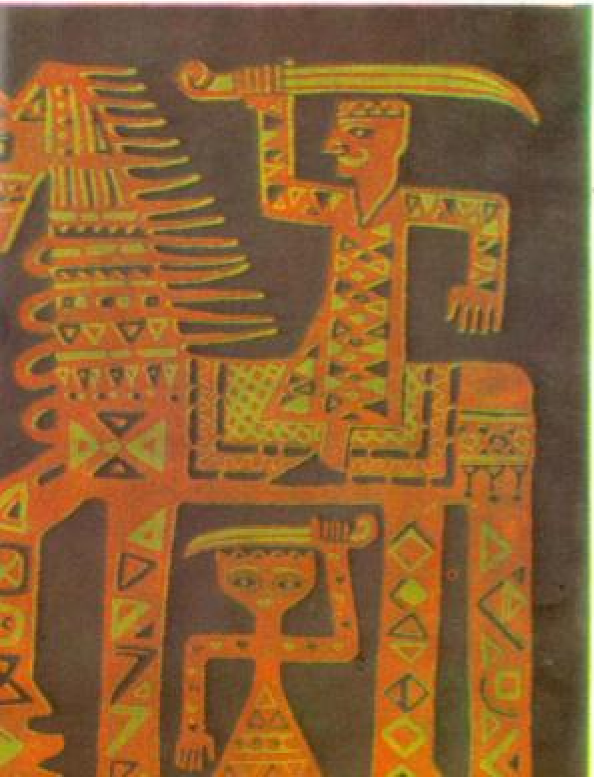
توزعت طفولة الفنان ، بين مباهج روضة الطفل الفرنسية التى ارسل اليها ، بما فيها من اقلام والوان وورق للرسم متعدد الالوان ، وبين سعيه الدائم لاقتحام حجرة الاسرار بما فيها من غرائب وعجائب · فرغم ما توفر له من ادوات التعبير الفنى المتنوعة فى المدرسة ، كان فضوله يدفعه الى انتهاز فرصة انشغال الاب فى بعض اموره بعيدا عن حجرة عمله فى البيت ،فيتسلل متطلعا حوله الى ذخيرة الادوات التى كان الوالد يستخدمها فى هواية الخط العربى ، الاقلام والريش والفراجين والمقصات الضخمة ، يتعلق بيديه فى حافة منضدة العمل الكبيرة ، محاولا الوصول بنظره الى سطحها ، فتميل المنضدة ويتساقط ما عليها من ادوات واحبار فى ضجة مفزعة ، تستدعى اهل البيت ، وما يعقب هذا الاستدعاء من صراخ وتانيب وعقاب بدنى ·

صدمة العائلة

فى السادسة من عمره ، دخل سعد كامل المدرسة الابتدائية ، فهاله عالم العمالقة هذا · كان اصغر التلاميذ سنا واضالهم حجما ، يفزع من عراكهم الخشن ، ويتحاشى معابثاتهم· لم يكن امام الصغير من وسيلة لمنافسة هؤلاء ، سوى ان يتفوق فى دروسه ، فكان هذا فى حد ذاته طريقا الى الجحيم ·· جحيم الرعب والايذاء البدنى ·



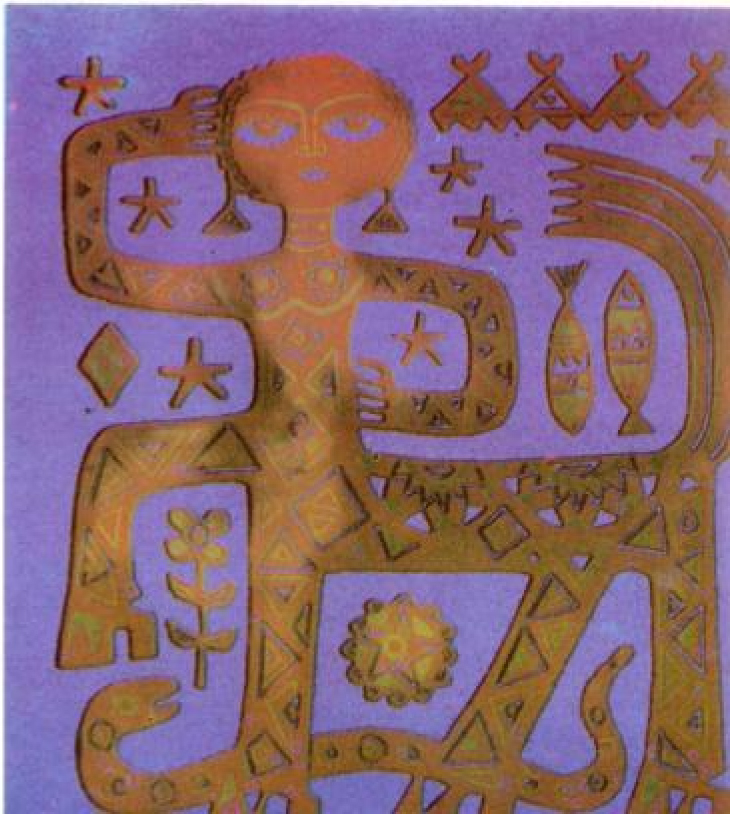
استيحاء العناصر الشعبية السائدة بعد تطويرها .



السلاح فى كل يد من اعمال الحفر والطباعة.

من اعمال الحفر
والطباعة .





الثعبان من اعمال
الحفر والطباعة

لقد كان السبب الرئيسي في عذابه ، تفوقه في اللغة الانجليزية ، واعجاب مدرسها به .. كان يوجه اسئلته الى كبار التلاميذ في الفصل، وعندما يعجزون عن الوصول الى الرد السليم ، يعيد سؤاله على طفلنا فيحظى بالاجابة المطلوبة. وكان مدرس اللغة الانجليزية يعاقب هؤلاء المهملين في دروسهم ، بان يطلب من سعد أن يصعد واقفا فوق مقعده حتى يدرك طول التلميذ الآخر . ثم يأمره بان يصفع التلميذ المهمل فوق وجهه .. يتردد طفلنا ، او يكتفي بلطمة رقيقة تحسبا للمستقبل ، فيثور المدرس ويطالبه بصفعة يسمع لها صوت في نهاية الفصل .. وعندما يمتثل سعد لهذا الامر ، كان الحزن والرعب يغلبان عليه ، وهو يتصور عاقبة امتثاله لهذا الامر ، عندما ينتهي الدرس ، وتنطلق هذه العمالقة بلا رقابة مدرس ، تنتقم من صفعاته بكل ضروب الركل والصفع .

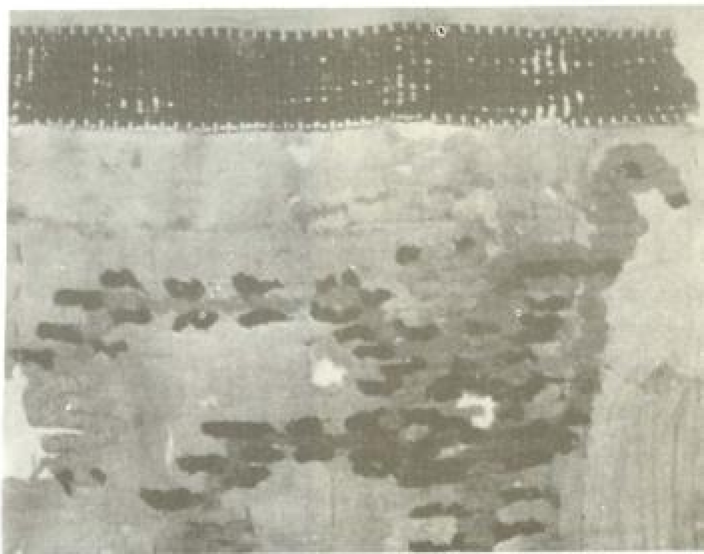
أما محنته الثانية في المدرسة الابتدائية ،فقد كان مصدرها مدرس اللغة العربية ، بجسمه الضخم ، وتقاطيعه القاسية والعصا الخيزرانية التي كان يحملها دائما داخل كم سترته ، لتخرج مشرعة في الوقت المناسب ، هابطة على رؤوس الجميع . وكان نصيبه من هذه العصا اكبر من غيره ، نتيجة لصغر سنه وضآلة حجمه ، وعدم قدرته على ابتكار وسائل الدفاع التي يجيدها باقي التلاميذ .

غير أن مرحلة الدراسة الابتدائية لم تكن بالنسبة له ، عالم من الخوف والفزع فحسب ، فقد كانت لديه تلك الواحة المبهجة التي يلجأ اليها كلما وجد الى ذلك سبيلا . لقد اتاح له تفوقه في دروس الرسم ، أن ينتسب الى جماعة الرسم . يذكر زيارة جماعة الرسم لحظيرة الدواجن بالمدرسة بعد انتهاء الدروس ..... والمحاولات الناجحة لرسم الطيور ، من دجاج وبط واوز .

انتهت مرحلة الدراسة الابتدائية بنجاح كبير، يتيح له أن يتمتع بمجانية التعليم الثانوي الذي كانت له في ذلك الحين مصروفاته التي لايطيقها كل تلاميذ المرحلة الابتدائية . لم تكن هذه المجانية هي التي شجعت الوالد على ادخال ابنه الى المدرسة الثانوية .. فهو من الناحية المالية كموظف مرموق بمصلحة المساحة ، وصاحب ارض بالقليوبية قادر على مصروفات المدرسة الثانوية بكل يسر .

رغم كل هذا ، فقد حدثت المفاجاة التي منعت الابن من دخول المدرسة الثانوية . كان الابن هو مصدر هذه المفاجاة ، عندما اعلن رفضه الالتحاق بالتعليم الثانوي ، واصراره على دخول المدرسة الصناعية !

كانت الصدمة قوية على العائلة باكملها . فمدرسة الصنائع كما كانت تسمى ، هي ملاذ



واحدة من مجموعة قطع النسيج القبطي الضخمة التي يحتفظ بها الفنان سعد كامل ويستوحي منها عناصر اعماله .



عرائس العظم الشعبية الاثرية من العصر القبطي ، ضمن مجموعة التحف الفنية الاثرية الكبيرة التى يعتز بها الفنان سعد كامل ٠

البسطاء من الناس الذين لا يطيقون تكاليف الدراسة الثانوية ، وهى لن توفر لخريجيها ما هو ابعد من العمل الحرفى ٠ كان الاختيار الذى يصر عليه الصبى رغم عناد العائلة ، فضيحة اجتماعية ! وخاصة بالنسبة لهذه العائلة التى تساندها الوظيفة المحترمة لعائلها ، والارض المملوكة بالقليوبية ٠

أما الصبى الصغير الذى جلس مطرقا امام مجلس العائلة ، فقد كانت له خططه الخاصة ٠ لقد عرف من زملائه ان الطريق الى الفن يمر خلال مدرسة عالية يطلق عليها الفنون التطبيقية ٠٠ وان السبيل الى تلك المدرسة هو الدراسة الصناعية ، وبالتحديد قسم الزخرفة والنقش ٠

ويقول الفنان سعد كامل ضاحكا : لم أكن قد سمعت فى ذلك الحين عن مدرسة الفنون الجميلة العليا ٠٠ والا لكنت قد تنازلت عن عنادى واصرارى فى وجه معارضة الاسرة ٠

ينجح الصبى فى دخول المدرسة الصناعية ، ويسعد بالدراسة ويستمتع بها ، فيتفوق ، ويحصل على الدرجات التى تؤهله لدخول مدرسة الفنون التطبيقية ٠٠ حلمه القديم ٠

خبر فى جريدة الاهرام

فى انتظار رد مدرسة الفنون التطبيقية التى تقدم اليها عام ١٩٣٩ ، تنشب الحرب العالمية الثانية ٠ وفى نفس الوقت ينقل الاب الى مصلحة المساحة بأسيوط ٠ فترفض العائلة اقامته بمفرده فى القاهرة وفى زمن الحرب ٠

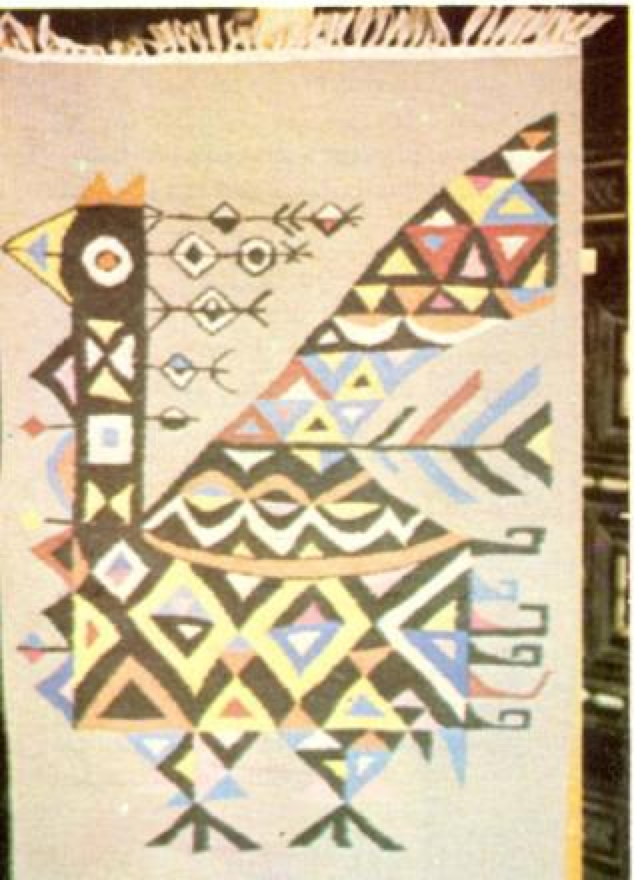
وتبدأ مواجهة جديدة بين الصبى وعائلته ٠ هنا ٠٠ يتنازل الاب عن غضبه ، ويلجأ الى الحيلة ، فعندما يصل رد الفنون التطبيقية بالقبول ، يخفى الخطاب عن ابنه ، وتتحرك العائلة الى أسيوط فى صعيد مصر ٠

تمر الايام ، دون ان يصل الخطاب المنشود ، فيشعر الصبى بمرارة تملأ نفسه ، كلما تصور ان الفنون التطبيقية قد رفضت قبوله ٠ وتحت ضغط هذه الظروف ، لم يكن أمامه بد من أن ينتسب الى المدرسة الصناعية الثانوية باسيوط ، مستكملا دراسته فى طريق لم يفكر فيه من قبل ٠

كان العزاء الوحيد ، هو تلك السمعة الواسعة التى حظى بها فى مدرسته وفى الحى الذى يسكنه كرسام ناجح٠ يرسم صورا كبيرة للاشخاص بالفحم



اسطورة شعبية من اعمال الحفر
والطباعة .



واحدة من القطع العديدة
التي تخاطفتها متاحف
اوروبا من اعمال السجاد
او النسجيات المرسمة
التي صممها واشرف
على تنفيذها الفنان
سعد كامل .

ويتقاضى الهدايا والمكافات فى مقابلها • كما كانت زياراته لحى الحرفيين باسيوط مصدر متعة اخرى له ، يمضى الساعات متنقلا بين صناع العاج وسن الفيل والعظم ، منبهرا باشكالهم الزخرفية التى يسجلونها على العاج •

يحصل سعد كامل على دبلوم المدارس الصناعية الثانوية بتفوق ، ويمضى وقته فى قراءة الصُحف والمجلات ، لم يعثر بعد على بداية الطريق الذى يواصل منه رحلته • وذات يوم يقرأ بجريدة الاهرام ، عن افتتاح القسم الحر بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، فيسارع بالتقدم الى هذه الدراسات الحرة • متجاهلا مخاوف الاسرة من ظروف الحرب التى لم تكن قد انتهت بعد ، فى مدينة القاهرة •

يرضخ الاب لرغبة الابن ، ويسافر معه الى القاهرة ، فيذهبان معا الى الفنان فوزى حسين صديق الوالد من شبين الكوم ، والرسام الصحفى الكاريكاتيرى بمجلة روز اليوسف فى ذلك الحين •

وعلى يد الفنان فوزى حسين يتلقى سعد كامل عدة دروس وتدريبات فى المواد التى سيتضمنها امتحان القبول بالدراسات الحرة •

استندت الدراسات الحرة فى ذلك الحين للفنان الكبير الراحل احمد صبرى الاستاذ بالفنون الجميلة ، واحد رواد الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة ، يساعده فى عمله تلميذه الموهوب الفنان حسين بيكار ، وسبقت الاختبار فترة انتاج يتابع فيها الاستاذ اعمال المتقدمين حتى يكون الاختبار اكثر تعبيرا عن خط المتقدمين من الموهبة والاستعداد الفنى •

وعندما ينتهى الامتحان ، ينجح سعد كامل ضمن خمسة يقبلون فى الدراسات الحرة الصباحية • ومنذ ذلك التاريخ ، تتأكد صلة سعد كامل بالفنون الجميلة ودراساتها الحرة على مدى سبعة أعوام ، من عام ٤٢ الى عام ١٩٤٩ ، ويشعر انه وصل أخيرا الى الدراسة التى كان يبحث عنها منذ سنوات عديدة •



من اعمال التعليم الشعبى تصميم وتنفيذ الفنان سعد كامل •

فجيعة •• وانهيار

يقبل سعد كامل على دراسته بكل حماس • ويستمتع حتى بالقسوة التى اشتهر بها الفنان احمد صبرى فى حرصه على التقاليد الفنية • فعندما كان ينتهى من المشروع الفنى المخصص له اسبوع كامل فى يومين ، لم يكن يغضبه ان يمر الاستاذ احمد صبرى فلا يرضى عن تعجله ، ويمسك بخرقة يمسح بها كل ما انجزه ، مطالبا اياه بالعودة الى مزيد من التامل فى الموضوع ، لم

المزيد من التاني في التنفيذ • كان يحس ان مثل هذا التصرف لا يستهدف ابعد من انضاج موهبته وتاصيلها ، فيقبل على عمله بحماس جديد •

في السنة الرابعة من دراسته ، اعتاد الفنان سعد كامل ان يكثر التردد على مكتبة الكلية الزاخرة بالمراجع الفنية لمختلف المدارس الفنية ، فتستهويه أعمال المدرسة التاثيرية ، ويحاول أن يتحرر من قيود الاسلوب الاكاديمي برسم لوحات تاثيرية ، لكنه لا يجرؤ على عرضها امام استاذه احمد صبري الذي يرفض من طلبته مثل هذا الانحراف ، ويكتفي برأى الفنان بيكار الذى كان أكثر تسامحا من استاذه احمد صبري •

يقول الفنان سعد كامل ، انه في المرات القليلة التي ضبطه فيها الاستاذ صبري متلبسا بعمل تاثيري ، كان يجلس امام لوحته مركزا نظره على اللوحة ، خائفا من مواجهة الاستاذ ، شاعرا بدخان سيجارة الاستاذ يلسع قفاه !

في عام ١٩٤٧ ، يبدأ الفنان في البحث عن نشاط خارجي يتكسب منه ، فينضم الى مكتب من مكاتب تصميم الاعلانات ، الا انه يستجيب بعد ذلك لاقتراح زميل ارمني يدعى هاجوب، فيشتركان معا في انشاء مكتب خاص لتصميم الاعلانات والملصقات• يصيبان معا نجاحا لم يكونا يتوقعانه، ويصل ايراد كل منهما الى ١٥٠ جنيه شهريا • ويحس سعد كامل ان مصيره قد ارتبط بهذا العمل الناجح • ولا ينقذه من ذلك المصير سوى ظروف خاصة ، أدت الى دخول شريك ثالث ، سرق جهدهما وأوصل المشروع الى حالة من الخسارة والكساد •

في نفس الوقت الذى تعثر فيه العمل بمكتب الاعلانات ، يفوز الفنان سعد كامل بالجائزة الاولى في « مسابقة مختار » عن لوحة له تسمى « زفة العروسة » • نتيجة لهذه الظروف مجتمعة ، يبدأ الفنان تفكيرا جادا في مستقبله ، وفي الطريق الذى يجب حقيقة ان يسلكه ، فيرفض فكرة العمل في تصميم الاعلانات ، وتتاكد لديه فكرة دراسة الفن في الخارج •

انتظارا لتحقق هذا الهدف ، يعمل الفنان ، بعد انتهاء دراسته بالفنون الجميلة • رساما بقسم الاثار العربية ، وتكون مهمته زيارة الجوامع والاضرحة وتسجيلها بامانة ، فيستفيد من هذه الفرصة فياستيعاب جوهر الفنون الاسلامية وتامل خصائصها •

ما ان تمضي سبعة أشهر على عمله بقسم الاثار العربية ، حتى يصاب بفجيعة تدفعه الى حالة من الانهيار العصبي •

في حادث تصادم ، تتوفى والدة الفنان ، التي كانت لها منزلة كبيرة في نفسه ، يركن اليها في أزماته فيجد عندها التفهم والعطف • يؤثر ذلك الحادث في الفنان تاثيرا عميقا ، فيسقط مريضا • وما انيتماثل للشفاء حتى يتخذ قراره بالسفر الى الخارج هربا من الذكريات المؤلمة التي تثيرها حياته بالبيت ، وتحقيقا لحلم راوده دائما •• وتتهاوى معارضة الوالد ، أمام نصيحة الطبيب الذى رأى أن مرض الابن يعود الى الأزمة النفسية اكثر من اى سبب عضوى •

اكتشاف الطريق في باريس

يسافر الفنان سعد كامل ، مع مجموعة من زملاء الدراسة بالقسم الحر الى روما ، للدراسة في اكاديميتها • وعندما يتم امتحان القبول ، يسمح له بالانتظام في السنة الثالثة نتيجة لمستواه الفني المرتفع •

يبدأ سعد كامل دروسه على يد الاستاذ الشهير « فراتني » ، صاحب الرسوم الحائطية الناجحة ، فيحظى باعجاب الاستاذ ، ويحصل على أعلى الدرجات • ومن فرط حرصه على الاستيعاب ، يلتحق بدراسة مسائية لتعلم فنون الميدالية • وينتهز فرصة وجوده بايطاليا فيزور أهم متاحفها ومعارضها وآثارها الفنية ، في روما وخارجها • ويسعى الى الاتصال بالفنانين في مراسمهم ، يتعرف على أساليبهم •

ينهي الفنان دراسته بقسم التصوير الجغرافي باكاديمية روما للفنون الجميلة ، فيكون الاول على زملائه من المصريين والاجانب ،ويتم اختيار

مشروع الدبلوم الذى انجزه ، ليكون ضمن المعرض العام لاكاديميات الفنون الجميلة بايطاليا ، والذى يطوف على مدى سنة كاملة فى انحاء ايطاليا ٠

عندما تنتهى دراسته بايطاليا ، ورغم ما حققه من نجاح ، يصمم على زيارة باريس والاستفادة من زيارة متاحفها الفنية ولقاء فنانيها ، فيسافر اليها فى عام ١٩٥٢ ٠

فى باريس ، يلتقى سعد كامل بالتجربة التى حددت مسار حياته الفنية بعد ذلك ٠ فما ان يزور متحف ومصنع جوبلان للسجاد الحائطى او النسجيات المرسمة ، حتى يقع أسير هذه التجربة ٠ لقد وجد أخيرا اللغة الفنية التى يسعى اليها منذ زمن بعيد ٠ هذا هو ما يريده ٠٠ وهذا هو ما سيفعله ٠

يمضى الفنان أغلب ساعات اقامته بباريس ، فى مصنع جوبلان ، وبين العاملين فيه ٠٠ وفى الصباح الباكر يحشو جيوبه بارغفةالخبز الفرنسى، حتى تتاح له فرصة البقاء بين الفنانين والحرفيين الى حين انتهاء عملهم ٠ يقضى الساعات الطويلة واقفا فى صمت كالراهب ، خلف الفنان الذى يعمل على نول النسيج ، يصنع من أعمال كبار الفنانين سجادة مرسومة زاهية الالوان ٠ وحتى فى ساعات الغذاء ، عندما يتوجه العاملون الى مطعمهم الخاص ، يروح يناقشهم فى اصول حرفتهم وهم يتناولون طعامهم ، وهو يمد يده الى جيبه بين الحين والاخر ، متناولا الشطائر التى أعدها منذ الصباح الباكر ٠

وعندما يعود الفنان الى سريره فى المساء ، يتذكر مجموعة الكليم التى كانت تملأ بيته وهو صغير من صناعة الفنانين الشعبيين بالقليوبية ٠٠ يتذكر الوانها الفاقعة الحمراء والخضراء والزرقاء والبرتقالية ٠ ويفكر ٠٠ كيف يزاوج بين تلك الحرفة الشعبية وبين الحرفة الفنية المتوفرة فى تجربة جوبلان ، بكل ما تتميز به من تطور ٠

لقد عرف طريقه الحقيقى ٠٠ واحس بالرفض الكامل لكل ما عداه ٠٠ رفض لاساليب الاداء الكلاسيكية التقليدية التى درسها فى مصر وروما ٠٠ ورفض لاساليب المدارس الفنية الفرنسية الحديثة ٠ لقد تحددت منابعه بوضوح ، انها فنون أبناء الشعب العريقة ، عليه ان يدرسها ويطورها وينفذها على الكليم مستفيدا من الحرفة المتطورة التى عاينها فى مصنع جوبلان ٠

المعرض الاول ، وثيقة اعتراف

يعود الفنان سعد كامل الى مصر ٠

يعود ليجد الاسرة قد اتخذت لها بيتا بالعمرانية فى طريق الهرم بالجيزة ٠ لم تنصب فرحة الفنان على « الفيلة » الانيقة ، ولا الحديقة الواسعة التى تحيط بالبيت ٠٠ ولكن على ذلك « الجراج » القائم فى اقصى الحديقة بعيدا عن البيت ، يقع بابه على شارع جانبى ٠ لقد قرر الفنان ان يستغل ذلك « الجراج » كمصنع صغير ، يضع فيه نولا ويجرى تجاربه على صناعة الكليم المرسوم ٠

وكانت الصدمة قاسية على الاب الذى كان يتوقع من ابنه ، الفنان الناجح القادم من ايطاليا وفرنسا ان يحتل مكانته كفنان مرموق فى صالونات القاهرة ، لا ان ينزوى فى « الجراج » مع نوله ، وسط مجموعة من الحرفيين الشعبيين ، يحادثهم ويؤاكلهم ويعاشرهم ٠

كان الفنان، ما ان تنتهى ساعات عمله بمصلحة الاثار التى عاد ليعمل بها ، حتى ينطلق مسرعا الى مصنعه الصغير ، يتابع رسومه وهى تتحول الى سجاد ملون جميل ٠ تلك الرسوم التى امضى اكثر من عام كامل يجمعها خلال جولاته فى الاحياء الشعبية فوق ظهر دراجته البخارية الصغيرة ، والتى تزين حوائط العائدين من تادية فريضة الحج ، رسوم طائرات وقطارات وجمال وبيوت وأهرامات ، وتلك الرسوم التى جمعها خلال تردده على سوق امبابة بالجيزة ، من محترفى الوشم الذين يتواجدون فى هذه السوق ٠

ورغم ان رد الفعل المباشر لتجاربه هذه ، كان رفضا من الزملاء والاصدقاء ، فقد واصل الفنان سعد كامل تجاربه ، مؤمنا بانه يسير فى الطريق السليم ٠

وتتاكد للفنان ثقته بنفسه بعد المعرض الاول الذى اقامه لاعماله هذه فى عام ١٩٥٤ ، والذى لقى اهتمام النقاد والفنانين ٠ لقد كان ذلك المعرض بمثابة وثيقة اعتراف به كفنان موهوب أصيل ٠

فى اعقاب هذا المعرض يتضاعف حماس الفنان، فيطلب رسالة ضخمة من صوف الصعيد يبلغ وزنها مائة كيلو • وعندما يحملها اليه الحمالون يخشى ان تتبدد أو تسرق لو تركها فى « الجراج » ، فيطلب من الحمالين ادخالها الى البيت •

ويتصادف فى هذه اللحظة خروج الاب من البيت، فيطرد الحمالين •• ويطرد فى نفس الوقت ذلك الابن الفنان الذى خيب أمله •

يثور الفنان لهذه اللطمة ، فيقرر مقاطعة البيت والاقامة فى « الجراج » • وعندما يقبل المساء ، يبسط رسالة الصوف على الارض كحشية تقيه رطوبة بلاط الارض ، ويغطى نفسه بلوحات النسيج التى اكتملت •• تلك اللوحات التى عرفت طريقها بعد سنوات قليلة الى أشهر المتاحف العالمية فى أمريكا ولندن وباريس •

وخوفا من الفضيحة ، كان الفنان يبكر فى الخروج من « الجراج » متوجها الى عمله ، وقبل ان يكتشف الجيران اقامته فى هذا « الجراج » • الى ان تدخل اخوته ، يعاتبونه على هذا الحبس الانفرادى الذى ارتضاه ، ويتوسطون بينه وبين والده ، الذى كان قد ندم على فعلته ، بعد أن رأى الصدى الواسع للمعرض الناجح الذى أقامه الابن الفنان، وقصائد المدح والاعجاب التى انهالت عليه من النقاد والشخصيات الفنية •

يرضى عنه الاب ، وتعود المياه الى مجاريها • وكنتيجة للمعرض الذى أقامه، يتم نقله من مصلحة الاثار ، ليعمل فى مؤسسة الثقافة الشعبية، مفتشا وموجها للصناعات والحرف الشعبية فى فروع المؤسسة بالمحافظات • وكانت هذه فرصة نادرة ، تعرف فيها على فنون الشعب بكل انحاء مصر • وهكذا استطاعت معارفه الجديدة ، ان تثرى نسجياته التى واصل انجازها بعد ذلك ، وكانت مثار استحسان شديد عند عرضها بالمعارض العامة التى شارك فيها بعد ذلك •

النهاية السعيدة

الى هذا الحد ، تنتهى قصة الكفاح، فى مواجهة التحديات التى صادفها الفنان فى بيته أو دراسته أو بين زملائه •• وان بقى له ذلك الكفاح الخالد، فى البحث الفنى عن أشكال جديدة للتعبير ، وأدوات صالحة لتجسيد هذه الاشكال الجديدة •

فالى جانب النسجيات المرسمة ، يهتم الفنان بأعمال الطباعة والحفر ، فتظهر له التجارب الجديدة فى كل عام • لا يرضيه الوقوف عند تجربة ناجحة ، بل يروح يبحث من جديد عن خامات مبتكرة واساليب فريدة يعبر بها عن أفكاره الفنية الجياشة • فيتوج نجاحه بالحصول على الجائزة الاولى لمعرض بينالى الاسكندرية عام ١٩٥٩ • ذلك المعرض الذى يشترك فيه كبار الفنانين من دول حوض البحر الابيض المتوسط ، فى آسيا وأوروبا وأفريقيا •

الى هذا الحد ، نصل الى النهاية السعيدة . يقين فنى ووضوح رؤية واستقرار على طريق الفن • مساهمة نشيطة فى كافة المناسبات الفنية• نجاح فنى تشهد به كتابات النقاد وآراء النقاد ، نجاح مادى يتمثل فى الاقبال على شراء أعمال الفنان ، فى الداخل والخارج معا • عائلة مستقرة سعيدة ، وبيت هو أقرب الى المتحف منه الى مكان السكنى •• تجتمع فيه الاثار الفنية من مختلف الحضارات والعصور ، مختلطة باعمال الفنان من النسجيات المرسمة واعمال طباعة الباتيك على القماش ومحاولات الزجاج المعشق بالجبس ولوحات الحفر المطبوعة •

الى هذا الحد ، يتحقق الكثير من أحلام الفنان، التى يعبر عنها قائلا « لا نستطيع ان ننكر الدور المهم الذى يستطيع الفنان المصرى ان يقوم به ، فعليه ان يصبح شيئا أكثر من صانع أشياء جميلة لنفسه فقط ، بل يستطيع ان يكون روحا مرشدة للبيئة المحيطة به ، بايجاد مجالات جديدة تنمو فيها تلك الفنون وتتطور وتزدهر •• حتى نستطيع ان نحقق فنا قوميا ناضجا ذا طابع مميز ،وشخصية واضحة ، له كل مقومات الفنون الاصيلة »•

■■

راجي عنايت



المسألة العربية فى البانيا

بقلم : محمد موفاكو

■ يكاد يبدو أن الكتابات العربية ، في فترة ما ، اشبعت الامبراطورية العثمانية بدراسات متنوعة عن اسباب وظروف ومغزى سقوط الامبراطورية ، وما أدى اليه .

مع هذا يكاد يبدو ، في الفترة الاخيرة ، اتجاه نام في الكتابات العربية لاعادة كتابة ما قد كتب سابقا ، الا ان الكتابة العربية ستبقى احادية وايديولوجية فيما لو اقتصرت على جانب دون جانب . اذ انه الى جانب العرب ، عاشت اقوام اخرى في اطار الامبراطورية العثمانية ساهمت في محاولة اصلاح الامبراطورية ومن ثم في اسقاطها . وطالما أن مركز الثقل في سقوط الامبراطورية كان في البلقان ١٩٠٨ ـ ١٩١٢ ، كان لا بد للبلقان أن يحظى برعاية اكثر من جانب المهتمين بالامبراطورية العثمانية .

لا بد لنا كذلك أن نعود الى العنوان ، الذى قد تلائمه صيغة اخرى اشمل هي « اسماعيل كمال والمسالة الشرقية » ، اذ أن دبلوماسية القرن ١٩ لم تستخدم في قاموسها ما يسمى « المسالة العربية » ، فمع أن محمد علي باشا ـ كما يكتب بالمرستون ١٨٣٣ ـ « كان هدفه الحقيقي تكوين مملكة عربية تضم كل الاقطار التي تتكلم بالضاد » ، الا أن دبلوماسية القرن ١٩ تعاملت مع مسالته على انها « مسالة شرقية » وكذلك اسماعيل كمال كان يرمز الى تيار شرقي ، وبكلمة اخرى عثماني ، ولهذا حاول بيأس ، وحتى اللحظة الاخيرة ـ ان يدفع الامبراطورية نحو مسار ديمقراطي ، تتفادى به سقوطها المحتوم . الا انه ـ ازاء اصرار وتعنت الزعامة التركية ـ لم يعد امام زعماء هذا الاتجاه الا أن يلتحقوا بالموجة القومية . فنجح اسماعيل كمال ، حيث فشل الاخرون في الجبهة العربية ، اذ أصبح رئيسا لحكومة الاستقلال في البانيا . ومن ثم يتوجه الموضوع ، اي عنوانه الحالي الى اهتمام وتعامل اسماعيل كمال مع المسالة العربية في اطارها الشرقي .

وقد ولد سنة ١٨٤٤ ، من عائلة ذات امتيازات في فلور Vlore ، الالبانية ، وفي طفولته ،جاءت حادثة وفاة جدته ، لتشق له سبيلا جديدا ، اذ انتقلت امه الى يانينا Janina ، في جنوب البانيا . وهناك انتسب الى ثانوية Zozima حيث كان فيها المسلم الوحيد . ويحدثنا هو في مذكراته عن استاذين ، تركا تاثيرا عميقا في نفسه ، احدهما هو « عمر افندى » الذى كان

يتلقى صاحبنا العربية على يديه • وبعد انتهاء دراسته ، انتقل الى استنبول مسلحا بتعليم رفيع ، اذ اتقن اللاتينية واليونانية ، بالاضافة الى التركية والعربية والفرنسية والايطالية • وفى استنبول تقلد عدة مناصب فى الادارة الامبراطورية • وهناك انتمى الى جبهة المصلح مدحت باشا ، حيث بقى وفيا له الى آخر لحظة •

كان واليا مصلحا

فى ١٨٩١ كان حاكما عاما فى غاليبولى Galliboli عندما اصدر السلطان عبد الحميد فرمانا بتعيينه حاكما عاما على بيروت • وعن بيروت يحدثنا اسماعيل كمال عن أمور عديدة : عن أهمية المنطقة ، وتهافت بعض العائلات لخدمة القنصليات الاجنبية ، والوضع المزرى للمدارس الرسمية بالمقارنة مع المدارس الاجنبية ••• كذلك يحدثنا عن حادثتين ، تلقيان بعض الضوء على تفكيره، ففى احدى المناسبات بادر الى فك الاستبداد الذى كانت تلاقيه صحيفة « البشير » اليسوعية، على يد المسئول على الرقابة حسن افندى » الذى ثارت نخوته لقراءة عبارة ام الله فى وصف مريم ، مما دفعه الى ايقاف الصحيفة ، وفى مناسبة اخرى ، يقوم اسماعيل كمال بنفسه هذه المرة بمنع مسرحية تتناول تاريخ العرب قبل الاسلام ، حيث كان ستظهر فيها مكة والمدينة ، مما اعتبره هو ماسا بالاسلام •

وبعد فترة قصيرة ، صدرت ارادة عن السلطان عبد الحميد ، بتعيينه حاكما عاما بالوكالة لولاية سوريا ، لان الوالى عثمان باشا ذهب الى الحجاز ، وفى اول انطباع له عن سوريا ، يكتب اسماعيل كمال فى مذكراته « مع ان سوريا هى اجمل واهم الاقطار التركية فى اسيا ـ نجد دمشق التى هى عاصمة الولاية تحتاج للكثير » الا أن هذا لم يكن محيرا ، لان سوريا كان يحكمها كرسى يحمل رجلا مشلولا هو عثمان باشا الذى لا يميزه شىء الا قرابته من السلطان عبد الحميد • الا أن اسماعيل لم يستمر طويلا فى سوريا ، اذ سرعان ما استدعى الى استنبول •

محاولات لانقاذ الامبراطورية العثمانية

جاء استدعاؤه الى استنبول وسط تدهور أخذ يحوم حول الامبراطورية • وهناك طلب منه السلطان عبد الحميد أن يقدم له مذكرة عن وضع الامبراطورية ، وعن مسالة الاصلاح ، هذه المذكرة التى تؤكد أولا ان «الامبراطورية العثمانية أحوج الامم الى اصلاحات ، وحتى قبل هذا هى احوج الامم الى مصلحين » وهذه الالتفاتة توضح شرقيته وتفهمه للمسالة العربية • فهو يرى بوضوح ان القوتين اللتين هما أكثر اهتماما بالشرق هما : انجلترا ، وروسيا • ومن ثم فان خطة انجلترا فى مجابهة روسيا تستند على احتمالين:اما الاعتماد على الامبراطوية العثمانية كحاجز فى وجه الطموحات الروسية • او الاستناد الى جسم آخر اكثر حيوية ، فى حالة عدم المراهنة على تركيا • وهذا الجسم هو العالم العربى بمفهومه آنذاك •

هنا يذكر أن فائدة هذا « التشكيل » هى مقاومة التوسع الروسى ، ودولة كهذه يمكن ان تشكل من مصر ، وطرابلس (ليبيا فيما بعد)، وسوريا ، وما بين النهرين (دجلة والفرات) ، والحجاز والعربية واليمن ـ وهذه تحيط بقناة السويس ، والخليج العربى ، حيث أن شعوبها واحدة سواء فى اللغة ، او فى العادات ، او فى الدين » •

فى اتجاه هذا التنافس الروسى ـ الانجليزى، يرسم صاحبنا فى مذكراته مشروعا للاصلاح ، بدا حينئذ انه متقدم على لحظته • وهو فى مشروعه يدعو الى حلف بين الدول البلقانية ، والامبراطورية العثمانية من خلال اتفاقية دفاعية واقتصادية • وهذا سيكون مقدمة لنهوض دولة شرقية عظمى • والاتحاد ـ كما يتصوره ـ سيكون حرا ، وستمنح فيه الحرية لمواطنى دول الاتحاد فى الاقامة والتنقل والنشاط الاقتصادى وغير ذلك • وكدول نذكر فقط رومانيا ، صربيا، الجبل الاسود ، اليونان ، وبلغاريا •

مع ذلك بدا وكانه يرسم فى الهواء ، لان السلطان عبد الحميد « لم يكن عنده الوقت ابدا للتفكير فى هذه الخطط والافكار » ، كما

يقول صاحبنا عنه ، غير انه في احد ايام ١٨٩٣ دعاه السلطان الى البلاط ، حيث اخبر عن تعيينه واليا على طرابلس (ليبيا) وبتفويضه صلاحيات كاملة لتنفيذ سلسلة من الاصلاحات ٠

المسالة الشرقية

ولهذا قام بانتقاء مجموعة عمل من الاداريين لاصطحابهم معه الى طرابلس ٠ اما هدف السلطان من هذا الاهتمام ، فيلخصه صاحبنا في نقطتين ، اولا رغبة السلطان في ان يواجه الدول الكبرى بتطبيق جدي للاصلاحات ، وثانيا ميل السلطان الى مواجهة بريطانيا باعادة الاهتمام بالمسالة الشرقية ، التي كان صاحبنا داعيا ومحاربا في سبيلها ٠ الا انه في اليوم الذي جاء فيه البلاط مودعا ، طلب منه السلطان ان يؤجل قليلا انطلاقته ٠ ليبقى قريبا منه بسبب الازمة الارمنية ٠

ومن الطريف ان تتكرر مسالة اهتمام السلطان بـ « خطط وافكار » صاحبنا بعد سبع سنوات اي في ١٩٠٠ اذ في صباح باكر جاءه مبعوث البلاط ليخبره بان السلطان عبد الحميد ، لم تغمض له عين في الليلة السابقة بسبب ما يحدث في طرابلس » ٠

اذ ان تدخلات فرنسا وايطاليا المستمرة ولدت قلقا لدى السلطان قلقا على حالة السكان ، كما أن السلطان كان منزعجا من ان الولاة السابقين في طرابلس كانوا مهتمين بذاتهم أكثر من اهتمامهم بالامبراطورية ٠ الا ان صاحبنا يذكر لنا بان دافع السلطان في هذه المرة لم يكن غيرته ، بقدر ما هو نفيه الى تلك المنطقة النائية عن استنبول ٠ حيث ان اسماعيل كمال كان في هذه الفترة قد التفت للصحافة ، فاصدر مجلة « مجرى افكار » التي ارادها ان تكون « منبرا للاصلاحات ولمصالح الامبراطورية » ، ولذا لم يعد شخصا مرغوبا فيه في العاصمة ، وازاء الحاح السلطان ، في جو ارهابي ، اضطر صاحبنا الى اللجوء للسفارة الانكليزية لتؤمن سفره الى خارج استنبول ٠

في المنفى الذي غص بالمعارضين ، اتيح لاسماعيل كمال ان يطور نشاطه هنا وهناك ، وان يطور ايضا « خططه وافكاره » على وفق ظروف المنفى ٠ ٠ وهو يحدثنا بانه في خلال اقامته في بروكسل ، هبط باريس ابنا الداماء محمود باشا : صباح الدين ، ولطف الله ، للدعوة لمؤتمر يناقش الحالة في تركيا ٠ ولهذا الغرض جاء لطف الله الى بروكسل ليطرح الدعوة على صاحبنا الذي يذكر لنا هنا انه وضع شرطا محددا لقبول الدعوة ، وهو أن تمثل كافة شعوب الامبراطورية في المؤتمر ٠

مؤتمر باريس وآثاره

اما المؤتمر ذاته الذي انعقد في باريس ١٩٠٢ ، فيذكر لنا عنه اسماعيل كمال ثلاثة اتجاهات متصارعة في داخله ، هناك اتجاه تركيا الفتاة الذي مثله وقاده احمد رضا A. Riza ودعا فيه الى تشكيل دولة مركزية تستند على العنصر التركي ٠ وفي مواجهة هذا برز تيار آخر ، نادى به الارمن ، يرمي الى تشكيل دولة مستقلة لا ترتبط بالمركز الا في الدفاع الخارجي، استنادا الى فقرة (٦١) من معاهدة برلين ٠ وبين هذا وذاك بقي التيار اللامركزي الذي احتوى العرب والالبانيين وغيرهم ٠ الا ان هذا التيار اللامركزي ، بدا أثره واضحا في بيان المؤتمر ٠ اذ صدرت عن المؤتمر دعوة ، الى كل القوى ، نحو نظام منسجم مع مبادىء الدستور، ستتعايش فيه كل العناصر العرقية في الامبراطورية، وسيضمن حقوق ، وحرية ، وحماية حقوقهم القومية ٠

لكن الاصلاح بقي سرابا ، كما بقي السلطان عبد الحميد صامدا في وجه خصومه في الداخل، اما في الخارج ، فالامور لم تكن بافضل في اوساط المعارضة مما يكتب لنا صاحبنا ، فيقول « وضع تركيا كان يسير من سيىء الى اسوأ وبدا ان ماساة قريبة تحوم ٠ وتوجهت كل أفكارنا الى العثور على منفذ لهذه الورطة ٠ الا ان وجهات نظرنا كانت متباينة ٠ بعضنا كان يرغب في اجراءات صارمة تفضي الى انتفاضة ٠ على

حين ان بعضنا الاخر كان يحبذ اجراءات حكيمة بطيئة ، لا يمكن ان تؤدى الى نتائج سريعة • أما أنا فقد كنت مؤيدا لعمل ما ، يدفع السلطان الى قبول شروطنا ، دون ان يؤدى الى دمار البلد » •

من هنا من اجل دفع السلطان الى الاصلاح ، ولد مشروع ١٩٠٣ ، الذى سيتكرر بنجاح فى ١٩٠٨ مع تعديل طفيف • خطة المشروع اعتمدت على الاستيلاء على سالونيك ، حيث تكون القوى نقطة عسكرية قد اصبحت فى يد المعارضة ، ومن هناك يتم الضغط على السلطان لاجراء تنازلات • التغطية العسكرية للمشروع اعتمدت على المارشال رجب باشا الالبانى ، قائد القوات التركية فى طرابلس ـ ليبيا ، الذى سينقل قسما من قواته بحجة المناورة ، ومن ثم الى سالونيك حيث ينضم اليه المتمردون الالبانيون • أما التغطية السياسية فقد كلف بها صاحبنا اسماعيل كمال لعلاقته مع الدول الاوروبية • كذلك اعتمد المشروع على الامير صباح الدين ، الذى كان مكلفا بتامين واسطة النقل البحرية • الا انه فى اثينا ، انتهى الموضوع بخيبة غير متوقعة • اذ ان صاحبنا الذى وصل اثينا للتوقيع على الاتفاق مع شركة السفن اليونانية ، وجد ان الشركة لم تلتزم بتامين السفن • وبالتالى تاجل المشروع الى حين اخر •

الثورة على السلطان

الا ان المشروع انتقل أخيرا من يد الى يد • ففى ٢ تموز (يوليو) ١٩٠٨ ، اتجهت كل الانظار الى حشد مسلح فى مدينة البانية هى فريزاى Ferizaj ، حيث بدات هناك لعبة اعصاب مع السلطان عبد الحميد • هناك فى فريزاى ، بدأ الحشد صغيرا ثم اخذ ينمو حتى وصل الى (٥٠) الف مسلح• واتجهت الى هناك كل الاطراف للسيطرة على هذا الحشد • وخلال الايام الاولى بدا أن حزب السلطان لم يعد له سيطرة على الحشد الهائج ، وبالتالى تمكنت المعارضة ـ الاتحاد والترقى ـ من السيطرة عليه • وازاء البرقية الشهيرة التى هدد فيها زعماء الحشد المسلح بالسير نحو استنبول ، لم يعد أمام السلطان عبد الحميد الا أن يتراجع ويعلن الدستور فى ٢٢ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٠٨ •

مع عودة الدستور ، عادت الحياة البرلمانية • ومع عودة البرلمان بعثت من جديد خلافات مؤتمر باريس ١٩٠٢ • لقد بدا للاتجاه اللامركزى الذى كان فى غالبيته من العرب والالبانيين ، ان « المصالحة » مع « الاتحاد والترقى » ليست الا سرابا ، وبالتالى لابد من جولة صراع أخرى • ولهذا الغرض تاسس فى تشرين الثانى ١٩٠٨ حزب « الاحرار » ، الذى شكلته مجموعة المعارضة العربية ـ الالبانية ، ومن أعضائه اسماعيل كمال (ألبانى) ونافع باشا (حلب) ، ومهدى بك (كربلاء) ، حسن برشتنا (البانى ورئيس وزراء لامع) ، وخضر وشفيق المؤيد (دير الزور ـ سوريا) ، وشكرى العسلى ورشدى بك (الشام) وانتخبت هذه المجموعة اسماعيل كمال رئيسا للحزب ، كما كان فى الوقت نفسه رئيسا للمعارضة فى البرلمان • وقد كافح هذا الحزب ، فى مواجهة الاتحاد والترقى ، من أجل لا مركزية الادارة ، والحكم الذاتى لشعوب الامبراطورية •

وفى تصريح لاسماعيل كمال الى صحيفة Palll Mall Gazette اللندنية ، نجد نموذجا واضحا لاتجاه الحزب والمعارضة ، اذ قال : « ان مخرج النجاة لتركيا يكمن فى ضمان حرية عريضة وواسعة•كذلك لا بد أن يتمتع الاتراك واليونانيون والسلاف والارمن والالبانيون والعرب ، وكل شعوب الامبراطورية الاخرى ، بدرجة واحدة من المساواة • على حين ان الدعوة التى تنادى باحتلال الاتراك للصدارة من أجل تحقيق هذه المساواة ، ليست الا شعوذة • ان الجيش والاسطول والادارة المدنية ، ينبغى ان تكون مفتوحة امام كل القوميات ، والرجل الاشد كفاية هو الذى يجب أن يشغل المركز الافضل •

محاولة فاشلة

ازاء التوتر بين المعارضة البرلمانية والاتحاد والترقى ، حاول السلطان عبدالحميد فى ١٢ ـ ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٠٩ ، أن يسترجع

سلطاته في ظل ثورة مضادة • ويبدو أن عبدالحميد حاول أن يستميل اليه حزب الاحرار » ، الذي كان قد عايش تجربة فاشلة مع الاتحاد والترقي• وهكذا نقرأ في مذكرات اسماعيل كمال ان حزب السلطان عرض عليه منصب وزير الداخلية في الحكومة الجديدة ، الا انه رفض ذلك لرغبته ان يبقى ممثلا لأمته في البرلمان • ومع ذلك انتخب رئيسا للبرلمان لايام قليلة • اذ ان جيش الاتحاد والترقي عاد ليدخل العاصمة ، وليطيح بسلطة الايام العشرة ، ١٣ ـ ٢٣ نيسان (ابريل) لكن اسماعيل كمال تمكن من انقاذ رأسه ، اذ انتقل الى أثينا وبقي هناك فترة الى ان برأته المحكمة فعاد بعدها الى استنبول ليمارس نشاطه في البرلمان •

الا ان العودة الصارمة للاتحاد والترقي الى السلطة ثانية ، لم ترهب المعارضة البرلمانية • اذ قام الاعضاء السابقون في « حزب الاحرار » بتشكيل تجمع جديد للمعارضة ، هو « الليبراليون العصريون » ، الذي كان بقيادة اسماعيل كمال ايضا • وقد حمل هذا التجمع تراث « حزب الاحرار » في الكفاح من اجل لا مركزية الادارة ، والحكم الذاتي للقوميات •

والى جانب هذا ، ظهر في الحياة السياسية حزب آخر في أواخر ١٩٠٩ ، الا وهو « الحزب الديمقراطي العثماني » الذي تحول الى طرف فعال في معارضة الاتحاد والترقي • وقد اسس هذا الحزب « د • ابراهيم تيمو I.Temo » ، الالباني الا انه استند في قاعدته على تعاون عربي ـ الباني • ففي مدينة حلب/سوريا ظهر فرع للحزب ، كما صدرت في حلب جريدة « الاهالي » كصحيفة ناطقة باسم الحزب • أما فيما يتعلق ببرنامج الحزب ، فقد نادى بديمقراطية الحكومة ، وحماية الحقوق الدستورية ، التي تتضمن حق رعايا الامبراطورية في التعلم بلغتهم القومية •

كذلك تاسس فيما بعد ـ في تشرين الثاني ١٩١١ ،وفي الاتجاه نفسه ـ حزب آخر للمعارضة، ذلك الذي سمي « الحرية والائتلاف » • وقد ساهم النواب العرب (عبد الحميد الزهراوي) والالبانيون (حسن برشتنا ـ مدحت فراشري) ، في تاليف هذا الحزب الذي توصل بعد شهور من تاسيسه الى ان يمارس تاثيرا حاسما في البرلمان التركي ، لا بل وان يزيح « الاتحاد والترقي » عن السلطة • وكما هو الامر في الحزبين السابقين ، كانت مسالة لا مركزية الادارة، والاعتراف بالحقوق الدستوريه للاقاليم القومية في الامبراطورية نقاطا رئيسية في برنامجه •

ومع كل هذا الطابع المتواضع الذي قادته المعارضة العربية ـ الالبانية ، كانت صرامة ، « الاتحاد والترقي » ، في وجه هذه المطالب المشروعة ،تزداد قوة •

استقلال « البانيا »

ولهذا لم يكن من الغريب ان يترعرع الياس بين الاطراف ، وان يتاكل الخيط الرفيع لينقطع اخيرا ، بحيث يفتح صفحة عداء بين الاطراف • وقد وعى اسماعيل كمال مبكرا الطابع العقيم للتعامل مع « الاتحاد والترقي » الا انه بقي يراهن على كسب حتى اللحظة الاخيرة • حيث التحق بعدها بالانتفاضة المسلحة في البانيا ، وقد انتهت في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ ، الى اعلان استقلال البانيا السياسي ، وانتخب اسماعيل كمال ليقود اول حكومة لالبانيا المستقلة •

ومما لا شك فيه ان خروج البانيا كدولة مستقلة ، قد ساهم في اندفاع موجة جديدة في الشرق العربي نحو الاستقلال •

ثم جاءت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) لتطحن البانيا الفتية ، وتضع مصيرها ثانية على مهب الرياح ، لكن اسماعيل كمال قدر له ان يعيش الى ما بعد الحرب ، ليرى البانيا وقد خرجت مستقلة مرة اخرى ، ثم توفي بعدها نحو ١٩١٩ • ■■

محمد موفاكو
استاذ في فرع الاستشراق
جامعة برشتنا ـ يوغسلافيا

الجذور

الكتاب الذى حقق أكبر رقم فى التوزيع فى تاريخ أمريكا

تاليف : اليكس هلى

عرض وتقديم : عبد الوهاب الحكمى

كتاب « الجذور » هو اكثر الكتب رواجا فى الولايات المتحدة الامريكية حتى الان ، وقد تجاوز توزيعه مليون نسخه ، ولا تزال اصداؤه تتردد فى كل المجالات الثقافية فى امريكا . مؤلفه زنجى هو اليكس هلى،وكان قد عرض على شاشة التليفزيون الامريكى فى حلقات مع بداية هذا العام ، ثم انتج كفيلم تليفزيونى بلغت تكاليفه ـ كما ذكرت مجلة تايم الامريكية ـ ٦ملايين دولار . وشاهد الفيلم حوالى ٨٠ مليون امريكى .. وكانت هذه بداية الضجة الواسعة التى احاطت بالكتاب وجعلت الامريكيين يقفون فى طوابير امام المكتبات لشرائه.

ويصور الكتاب ببراعة ودقة مدهشة رحلة الزنوج الى امريكا، بكل الظروف التعسة التى احاطت بها، وبسببه اعطى المؤلف شهادات دكتوراه فخرية من عدة جامعات أمريكية ،ودارت حوله مناقشات وندوات كثيرة فى التليفزيون . وكانت المفاجاة ان احد الشخصيات من البيض قال فى احدى الندوات أن احد اجداده القدامى كان هو الشخص الذى تحدث عنه اليكس هلى،باعتباره « السيد » الذى اشترى اول اجداده القادمين الى امريكا !

لقد اجرى استفتاء حول أثر الكتاب فى المجتمع الامريكى ، فكان رد ٧١٪ انه سوف يعمق الفهم والروابط بين البيض والسود ، بينما قال ١٧٪ انه سيحد من هذا الفهم وقد يؤدى الى حوادث عنصرية اكثر ، وقال ١٢٪ انه لن يكون له اثر فعال .

حاول المؤلف أن يتتبع فى الكتاب حياة اسرته وتطورها حتى جده السابع الذى نزح من جامبيا فى غرب أفريقيا ، واستطاع أن يسجل تاريخ سلالته لمدة قرنين من العذاب وحياة العبودية التى عاشها اجداده عندما اجبروا على أن يتركوا بلادهم فى غرب افريقيا ويهاجروا الى امريكا الشمالية .

ينتهى الفصل (١١٧) من هذا الكتاب بميلاد المؤلف ، ويشرح من بداية الفصل (١١٨) الى نهاية الفصل (١٢٠) قصة تاليف الكتاب كفكرة تخمرت فى ذهنه وهو مازال طفلا يحبو حتى صورها فى شيخوخته على صفحات هذا الكتاب .

نشا اليكس هلى فى قرية هننج التى يبلغ عدد سكانها حوالى خمسمائة نسمة فى ولاية تنسى فى جنوب أمريكا . فى تلك القرية الصغيرة وهو يتدحرج بين أفراد عائلته بدات ترن فى اذنه بعض الكلمات الافريقية المتقطعة ومن خلال تلك الاصوات بدات تترسخ فى مخيلته قصة تاريخ اسرته وتبرز امام عينيه خريطة القارة الافريقية التى نزح منها اجداده .





هذه الاصوات وتلك الصور التاريخية الجغرافية تحركت فى نفس الكاتب عندما التحق بخفر السواحل الامريكي وتحولت الى رغبة فى الكتابة وحب الاطلاع بالاضافة الى التشجيع المعنوى الذى وجده من والده الذى حمل شهادة الدكتوراه فى الزراعة • ثابر هذا الشاب على المطالعة والكتابة حتى اصبح مراسلا لمجلة « المختار » واجرى عدة مقابلات مع الزعيم الزنجي المسلم اكس، انتهت هذه المقابلات باخراج كتاب السيرة الذاتية لمالكوم اكس ، بالاشتراك مع اكس نفسه •

بعد اخراج هذا الكتاب وجد اليكس هلى نفسه مدفوعا لكي يحقق الحلم الذى طالما راوده وان يخط تخيلاته على القرطاس والقلم ، وجد نفسه مدفوعا الى كتابة تاريخ اسرته والى اثبات فعالية التاريخ الشفوى والحكايات المتداولة بين الافراد كمصدرين اساسيين لدراسة التاريخ •

بدأ اليكس هلى بحصر بعض الكلمات التى يتذكرها من طفولته والتى مازالت متداولة بين اسرته واتصل ببعض العلماء المختصين فى اللغات والتراث الشعبى فى افريقيا • اتصل بالدكتور جين فانسينا صاحب كتاب « التراث الشفوى » والذى يدرس الان بجامعة ويسكنسن • استطاع الدكتور فانسينا ان يثبت بان بعض الكلمات مثل - Kamby Bolongo ماخوذة من لغة شعب ماندنقا Mandinka وهى تعنى نهر جامبيا فى غرب افريقيا •

استمر الكاتب على سيره الحثيث لمدة اثنىعشر عاما وبعد أن زار ما يقرب من ٥٢ مكتبة وزار آثار اجداده فى جامبيا فى غرب افريقيا اخرج هذا السفر الضخم فى خريف ١٩٧٦ • وهكذا جسد احلامه فى خمسمائة وسبع وثمانين صفحة • ولقد نال المؤلف تقديرا لجهده تسع شهادات دكتوراه فخرية من كبريات الجامعات الامريكية •

يهمنا هذا الكتاب كعرب ومسلمين من ناحيتين:

١ ـ الامر الاول ، يثبت هذا الكتاب ان الزنوج الاوائل الذين استعبدوا وارغموا على الهجرة الى القارة الامريكية هم من المسلمين الافريقيين •

٢ ـ الموضوع الثانى يصور الكتاب الحالة المزرية التى عومل بها العبيد فى امريكا • لذلك فان هذا الكتاب هو وثيقة تاريخية لحالة البؤس والشقاء التى رافقت فلسفة العبودية بامريكا فى تاريخ الحرب الاهلية الامريكية فى عهد لنكولن • ان هذا الكتاب يعتبر ردا مفحما على اولئك الذين اتهموا العرب والمسلمين بمعاملة العبيد السيئة القاسية •

المسلمون الاوائل فى أمريكا الشمالية ★

الشواهد التى تدل على اسلام تلك القبيلة واضحة فى الاسماء والعادات فى تاريخنا المعاصر. يشير المؤلف الى انه بعد ان تعرف على ان اجداده من قبيلة تعيش فى جامبيا غرب افريقيا تعرف على شاب يدرس الاقتصاد الزراعى فى احدى جامعات نيويورك وهو ينتمى الى قبيلة ماندنقا .

وافق هذا الشاب واسمه ابو منجا AbouManga ان يرافق اليكس هلى الى جامبيا وان يكون مترجما له .

فى صفحة ٥٧٨ يشير المؤلف الى ان جد الاسرة منجا اسمه الحاج منجا Alhaji Manga ويعلق المؤلف فى نفس الصفحة بان اغلب سكان جامبيا من المسلمين .

فى صفحة ٥٧٨ يشير المؤلف الى ان جد الاسرة الاول عاش فى موريتانيا وان اسمه كيريبا كينا كنته Kairaba Kunta Kinte ، ويقول المؤلف ان معنى هذا الاسم باللغة الانجليزية Marabour ثم يضيف قائلا فى نفس الصفحة انه (الرجل المقدس فى عقيدة المسلمين)

والواقع ان معجم اكسفورد يشير الى ان الكلمة تعود الى الاصل العربى «مرابط» ويشرح قاموس اكسفورد ان كلمة « مرابط » تطلق فى لغة البربر والمور على الراهب او الناسك .

وعالمنا العربى يعرف الكثير عن دولة المرابطين التى عاشت فى شمال افريقيا فى القرن الثانى عشر .

جد الاسرة الذى هاجر من موريتانيا الى جامبيا اسمه Omoro وهذا تحريف واضحلاسم عمر او عمرو .وعندما رزق عمرو بمولود رفعسكان القرية ايديهم وراء الامام مهللين ومكبرين : الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله . (الكاتب سجلالكلمات العربية ذاتها بحروف لاتينية) .

ثم يذكر الكاتب ان هذا المولود سمى بعد سبعة ايام باسم جده الاكبر كنتا كنته .

وهذا القادم الجديد هو الذى اختطف وهربالى قارة امريكا الشمالية ليكون جسرا انسانيا على المحيط الاطلسى رابطا ما بين أسرة كنتا كنته فى غرب افريقيا والسلالة التى تفرعت من نفس الجد فى ولاية فرجينيا ثم اخيرا استقرت فى جنوب امريكا فى ولاية تنسى .

الفصول الاولى من هذا الكتاب تصور حياة سكان قرية جوفيور التى منها خرج كنتا كنته بانهم قوم متمسكون بتعاليم دينهم الاسلامى الحنيف وان عمرو وابنه كنتا كنته يكثرون من استخدام الآيات القرآنية واستعمال المصطلحات المتداولة عند المسلمين مثل ان شاء الله وآمين. وعندما اكتشف عمرو بان ابنه قد خطفه الجنس الابيض فانه خر لله ساجدا وسلم أمره له . فى صفحة ١٢٣ ذكر المؤلف بان كنتا كنته كان يتمنى ان يزور مكة وان يؤدى فريضة الحج ، ولقد كان مثل اقرانه من اطفال القرية يحافظ على الذهاب الى المسجد لدراسة القرآن على أيدى الامام . لقد كان كنتا فى قريته وعندما اختطف الى امريكا الشمالية ، مثالا للمؤمن الصادق الذى يعتصم بحبل الله المتين ومعذلك يجاهد بنفسه وماله فىسبيل التحرر من العبودية .

يبرز ايمان كنتا كنته الشديد واعتصامه بحبل الله أنه كان دائما يردد اسم الله ★ . وفى احد أيام رحلته التعسة وهو على الباخرة التى اقلته الى امريكا الشمالية ضاقت عليه الارض بما رحبت ، سال نفسه اين الله الموجود فى كل مكان وكل زمان لينقذه فى تلك اللحظات الحرجة . ولكنه راجع نفسه قائلا بان هذه الشكوك سوف لا تجعله أحسن من هؤلاء « الكفرة » الذين استقبلوه على ظهر هذه الباخرة وعاد يستغفر ربه ويدعو لروح المعذبين معه على ظهر هذه الباخرة .

عقيدة كنتا كنته لم تتزعزع حتى عندما أصبح عبدا فى ولاية فرجينيا فى أمريكا الشمالية .

★ هذا العنوان والذى يليه غير موجود فىالكتاب وانما وضعتها لكى تساعد القارىء على متابعة الافكار الاساسية فى الكتاب .

★ من امانة المؤلف العلمية انه استعمل لفظالله ALLAH والممثلون فى الفيلم استعملوا نفس اللفظ بدون أى ترجمة او تعريب .

يقول للعبد الذى كلف برعايته وتعليمه اللغة الانجليزية (انا كنتا كنته أول ابن لعمرو الذى هو ابن الرجل المقدس كريبا كنتا كنته) • وبعد حديث طويل يقول له كذلك (خادم الله لا يخيب أمله فى النضال اذا اراد أحد أن يعتدى عليه وابن عمرو لن يقبل الاستسلام) •

صور من تاريخ العبيد فى أمريكا

والكتاب يعطى صورة حية عن المعاملة الوحشية التى عومل بها العبيد فى امريكا الشمالية ، صور وحشية عدة غطت صفحات هذا الكتاب منذ ان ركب كنتا كنته الباخرة التى حملته الى أمريكاالشمالية حتى تم تحرير العبيد على يد الزعيم الامريكى ابراهام لنكولن فى اثناء الحرب الاهلية الامريكية• انه يسجل تاريخ قرن من العذاب الذى عانى منه الزنوج فى أمريكا ، فلقد وصلت الباخرة التى اقلت كنتا كنته الى الساحل الشرقى فى يوم ٥ يوليو ١٧٦٧ وأعلن تحرير العبيد فى أمريكا فى عام ١٨٦٣ •

ان الكتاب ، كذلك حجة داحضة تدفع باطل المستشرقين الذين سلطوا أقلامهم على العرب والمسلمين ووصموهم بمختلف الاوصاف والبدع لمعاملة العبيد الوحشية • ان مشاهد هذا الكتاب المبكية خير دليل يشهد على المعاملة القاسية التى وجدها الزنوج من الاوروبيين والامريكان ، وان تاريخ العبودية فى أمريكا اتسم بصور بشعة قل ان تجد لها مثيلا فى اى بقعة من بقاع العالم •

تبرز صور المعاملة الوحشية منذ أن امتطى كنتا كنته ظهر السفينة التى اقلته الى امريكا الشمالية ، عندما يجد نفسه مسلسلا فى اقفاص الحيوانات فى قاع السفينة • عندما يصاب كنتا كنته بمرض فتاك على ظهر السفينة بسبب الغذاء الغريب عليه فانه لا يجد من يعالجه ولا يستطيع أن يمد يده الى الطعام حتى يسد رمقه من شدة المرض ، وانما يساعده على ذلك رفاقه فى الاسر • مع هذا المرض الشديد الذى ينازع به سكرات الموت فانه لا يجد الا ضربا بالسياط ورفسا بالارجل • وعندما يتماثل للشفاء صمم هو ورفاقه على القيام بثورة ضد ربان وبحارة السفينة ، وفعلا قاموا بتنفيذ مخططهم وقتلوا بعض البحارة ولكن أحد هؤلاء البحارة صوب نحوهم مدفعا اباد منهم ما يقرب من اربعين شخصا فى دقائق معدودات• وعندما وصلت الباخرة الى ميناء اينابولس فى ولاية ميريلاند كان فى انتظارهم مندوبون لبعض الشركات التى تشتري العبيد مع بعض البضائع الاخرى الموجودة فى الباخرة وهذه الشركات بدورها تقوم ببيع هؤلاء العبيد فى حراج عام • ويسجل هنا بسخرية مرة أن الاقطاعيين وممثليهم كانوا عندما يشترون العبيد يفحصون اسنانهم قبل توقيع عقد البيع مثلما ينظر العربى الى أسنان الكبش قبل شرائه •

كان كنتا كنته من نصيب سيد اقطاعى فى فرجينيا ومع انه ذاق الوان العذاب على يدى ذلك السيد الاقطاعى الا انه ظل مصرا على الاحتفاظ بترائه وقوميته • لم يتعلم اللغة الانجليزية الا بعد جهد جهيد ، وظل يخلطها بلهجة قومه ماندنكا نسبة الى القبيلة الافريقية التى ينتمى اليها وببعض الكلمات العربية •

سمى كنتا باسم جديد وهو توبيه Toby ،ولكنه رفض أن يعترف بهذا الاسم واصر على الاحتفاظ باسمه الاصلى • مع انه فى احدى المناسبات ضرب حتى اشرف على الموت لكى يعترف وينطق باسمه الجديد ، ولقد رفض ان ينسى قوميته وحريته الاصلية ويتقمص ثوبا دخيلا على ترائه الخالد • ان كنتا كنته الذى أصبح رمز القومية الافريقية فى القارة الامريكية ورمز المجاهد الملح الذى اصر على الاحتفاظ بدينه الاسلامى وترائه القومى ، صمم على الاحتفاظ باسمه الافريقى حتى بلغ من الكبر عتيا وقبل وفاته لقن اسمه لابنته كيزى ، وكذلك لقنها اسم النهر الذى يجرى فى قريته كامبى بولونجو ، ذلك النهر الذى اختلط ماؤه بدمه وأصبح جزءا من تكوينه النفسى والجسمانى •

يسجل المؤلف ان كنتا كنته عندما كان في الثلاثينات حاول الهرب للمرة الثانية بعد ان قام بنفس المحاولة وهو في بداية العشرينات من العمر، ولكن القي القبض عليه بواسطة شبكة من ذلك النوع الذى يستخدمه الاوروبيون لصيد الحيوانات فى افريقيا ! ولكىلا يستطيع الهرب مرةاخرى فان قدمه اليمنى قطعت بفاس من النصف !

وكيزى ـ ابنته ـ كانت قد خطفت امام عيني والديها وهي ما زالت في سن الشباب لان سيدها باعها الى اقطاعى آخر • انجبت كيزى طفلا اسمته جورج • الذى عاش طوال حياته مدربا للدجاج ، ولقد نال حريته لان سيده خسر رهانه في احدى معارك الديكة ، ولما لم يستطع السيد دفع مبلغ الرهان وهو عشرة الاف دولار فقد قدم جورج بديلا للمبلغ المطلوب • ولكن السيد الجديد الذى اشترى جورج تعهد له بانه اذا اخلص فى تدريب دجاجة وفاز فى صراع الديكة فانه سوف ينال حريته خلال خمس سنوات، وفعلا بر السيد بوعده• عاد جورج الى زوجته واطفاله مفعما بفرح الحرية وحلاوتها ،ولكنه سرعان ما وجد نفسه مرغما على تركهم مرة اخرى لان قانون فرجينيا يقضى بانه اذا قضى الزنجي فيها ستين يوما فانه سوف يكون عبدا مملوكا مرة اخرى ، الامر الذى اجبره على ترك الولاية على الفور •

وبعد اعلان تحريرالعبيد عاد جورج الى ابنائه واسرته وطلب منهم ان ينتقلوا معه الى قطعة من الارض اشتراها في ولاية تنسي اطلق عليها جورج اسم « ارض الميعاد » • ■■

عبد الوهاب على الحكمى

كتب وصلتنا

انفاس السحر

تاليف : الدكتورة عاتكة الخزرجي

الناشر : مؤسسة فن الطباعة / مصر

● ديوان شعر يضم مجموعة من القصائد المتنوعة فى الحب الصوفى ، والوطنية ، والوصف، وكلها تسير على نهج الشعر العربى الاصيل قوافي واوزانا ، وتمتاز بانها تسوية الشعور والابداع والتصوير ، ثم بالنزعة الانسانية الصادقة ، بحيث تترقرق فى عبارات حية ، ولها موسيقاها الحلوة التى تلائم موضوعاتها ، وكذلك تلتحم الافكار فيها بالاحاسيس ، كي تصور تجارب الشاعرة كما عاشتها ، وبذلك تصور حياتها فى ذاتها ، وحياتها مع الطبيعة والناس •

وقد كتب مقدمة الديوان الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباظة ، فتحدث عن الشعر ورأيه فيه فقال : « الشعر عندى هو ما اذاقني بقيوده وضوابطه لونا من الوان الجمال ، اى جمال كان ، وهو الى جانب ذلك ما هياني او وسدني او يسرني بصورة من الصور أن أتذر ذلك الجمال ، والشعر عندى هو ما اشعرني ـ لسبب اعرفه او اجهله ـ بمتعة او نشوة تحسها روحي متغلغلة فيها ، او حافةبها، والشعر عندي ما قذف في اوصالي برعدة حلوة ، والشعر عندي ليس عارضا فى الحياة الانسانية ، انه اصيل فيها يشرق حيث تشرق الحياة الانسانية، نلمحه بصورة او اخرى ناطقا فى نبضة القلب ، وصرخة العاطفة ، وهمسة النفس،ونلمحه بصورة او اخرى صامتا مترجا على شفاه حسناء ، وفى اعماق عينيها ، وفي خفرها النعسان ، او فى وهجها اليقظان ، وفي عبارة اجمع تلمح هذا الشعر حيثما تلمح آية من بديع صنع الله » • واول قصائدها حوار شعرى عنوانه « شهر زاد » مطلعه :

هوم الليل ، ولف الكون فى اثناء ثوبه
وخلا العـابد فى محرابه يدعو لربه
واقام الشاعر المفتون يتلو آى حبه
وكان الليل من هذا الورى مرآة قلبه

قاموس المصطلحات النفطية انجليزى ـ فرنسي ـ عربي

الناشر : دار الترجمة والنشر لشؤون البترول بيروت ـ لبنان ٠

● لا شك ان العرب بحاجة ماسة الى لغة عربية خاصة لصناعة النفط ، ذلك المورد الهام الذى تعتمد عليه الغالبية العظمى من الدول العربية ، وله تكنية متعددة الوجوه من استكشاف واستخراج وما يتبع ذلك من علوم وتقنيات ٠ لان التنمية النفطية لن تؤدى ثمارها الكاملة مادية كانت او اجتماعية او قومية الا اذا تجاوزت مرحلة استعارة المصطلح النفطى الاجنبى ، واستنبطت لنفسها لغة نفطية عربية كاملة متطورة يتكلمها ويفكر فيها المشرفون ، والمخططون ، والمهندسون ، والعمال ، وحتى الرجل العادى ٠

وهذا المعجم ليس المحاولة الاولى وانماسبقتها جهود قام بها لغويون فىالمجامع اللغوية ،وعاملون فى حقول النفط ،ولكن ياتى هذا المعجم محاولة لتنسيق هذه الجهود ومستدركا لما فاتها منه وفى ميدان يشهد كل يوم جديدا فى هذا العلم ٠

وقد اعتمد المعجم على اللغة الانجليزيةاساسا ثم اضاف اليها الفرنسية معتمدا على معجم معهد البترول الفرنسى كما رتب المعجم ابجديا وفق ترتيب الحروف الهجائية الانجليزية على اساس تسلسل الكلمات المفردة ٠ وقد اورد تحت كل مادة اهم التعابير المتداولة بصددها ، ثم التوسع او الايجاز تبعا لصلة المادة المعينة فى التعبير بالعمليات الاساسية واللاحقه فى صناعة النفط ٠

اما المنهج العام الذى قام عليه المعجم فهو الاكتفاء بالترجمة دون التفسير ، على ان المعجم قد خرج عن هذا النهج فى حالتين الاولى حين يكون التعبير الاجنبى اصطلاحيا او مجازيا ، والثانية حين وجد ان المادة تتصل بتكنية حديثة العهد لم تتناولها البحوث العربية بعد او انها تحمل معانى متباعدة تتفاوت بتفاوت مواطن الاستعمال ٠

واخيرا فان المعجم لم يحاول ان يستقصى كل الدقائق التفصيلية المتصلة بصناعة النفط وتوابعها بل اقتصر على الرئيسي جدا من المصطلحات المتصلة بالنقل والتسويق والعقود ، وهذا يفى كل الوفاء بحاجةصناعة النفطالعربية فى مرحلتها الراهنة ويفى كذلك بحاجةالباحثين العرب المعنيين بشئون النفط فى هذه المرحلة ٠

المختار فى مراجع تاريخ ليبيا

تاليف : مصطفى عبد الله بعيو

الناشر : دار الطليعة بيروت / لبنان ٠

● هذا الكتاب يقع فى جزئين تزيد صفحاته على ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، كتب بخط دقيق ، وقد توخى فيه مؤلفه ـ وهو من رواد الفكر والادب والاصلاحفى ليبيا ـأن يهيىء لمن يريد الاطلاع على تاريخها من مواطنيه وقومه وغيرهم معرفة المراجع التى تعينه فى مهمته ويعرفه بمزايا كل مرجع فيها ، وقد كتبت هذه المراجع بلغات شتى كالانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والاسبانية وغيرها بالاضافة الى ما كتب بالعربية ، كما أن كتاب هذه المراجع من امم مختلفة ، وهذا بعض ما يدل على اهمية ليبيا وأهلها عربيا وعالميا طوال عصور التاريخ حتى الآن ٠

وليست كل هذه المراجع كتبا مستقلة فىتاريخ ليبيا ، بل بعضها فصول من كتب ، او مقالات فى جرائد وصحف سيارة ، او محاضرات ، او بحوث قائمة بذاتها ، ولكن المؤلف جهد فى استقصائها اكثر من عشرين سنة للتعريف بها وبكتابها ٠

والمؤلف حين يعرف باى مرجع يكتب عنوانه بلغته واسم كاتبه وسنة طبعه ومكانها ثم ياخذ فى التعريف بكاتبه فى ايجاز بما قدمه من معلومات فى الموضوع وما اذا كان اصيلا فيما كتبه او معتمدا على غيره ،ومزايا ما كتبه ومقدار ما يستحقه من ثقة ، ويوجه الانظار الى أهم ما اهتم به الكاتب من معالم ليبيا واهلها فى رحلته اليها ان كان ممن ساح خلالها وكتب فى هذا الجانب وما استفاده من السابقين له ، وأفاده للاحقين به ، وما نشره من صور ضوئيةاو يدوية، وبيان اهمية هذه الصور تاريخيا ، لانها تسجل معالم للبلاد واهلها قد اختفت اليوم ، لما طرأ على البلاد من تطور فى العمران والثقافة ٠

■■

رحلة الخرافة في :

عالم التفاؤل والتشاؤم !

اعداد : محمد عدنان فرعون

لسنا وحدنا ضحايا هذه الخرافة : التفاؤل والتشاؤم ! فالتشاؤم من بعض ايام الاسبوع شائع في العالم الغربي. فيوم النحس عند الفرنسيين هو الاربعاء ، وعند الالمان الاثنين ، وعندالانجليز الثلاثاء . وافضل الايام عند الامريكيين يوم السبت ، الذى يقيمون فيه حفلاتهم .

■ ومما يتشاءمنه الغربيون المشى تحت او وراء « السلم » ولعل ذلك يرجع الى ازمنة العقاب بلا محاكمة قانونية .. فكان المحكوم عليهم يشنقون بتعليقهم على سلم اذا لم تكن هنالك شجرة في مكان التنفيذ .. وكان كل شخص يتفق وجوده وراء السلم يصبحمستهدفا لخطر الاتهام بالاشتراك مع المشنوق في جرمه .

ويتشاءم بعض الناس من القط الاسود ، ويعتقدون انه مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كل كارثة مقبلة ، وربما يرجع هذا التشاؤم الى سواده ، فالسواد رمز للحزن .

ويتفاءل الناس بنعل الفرس ، ويعلقونها على الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد لساكنها .. ومن وجد نعلا في الطريق عد ذلك حظا حسنا يستانس بهطول يومه ..بلطول عامه..

واصل هذا الاعتقاد أن نعل الفرس كانت فى الزمن القديم رمز « عشتروت » فكان كل من يجد نعلا يتفاءل بها كان « الاله عشتروت » قد اهداها اليه .. وربما يرجع ايضا الى انها تشبه الهلال.

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ ، لان الحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة ، لذلك قد يتوهم الانسان ان الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المجتمع المتحضر الذى عرف الحديد . وان مجتمع الغابة لا علاقة له بهذا الاعتقاد .. ولكن الحقيقة ان هذه الخرافة آتية من مجتمع الغابة وانتقلت الى المجتمع المتحضر المتمدين .. فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد : والمرجح ان الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه منه.

ومن الخرافات السائدة بين الناس عامة والنساء خاصة التشاؤم من كسر المرآة ، والاصل فى ذلك ان الانسان القديم كان يحسب أن ظله جزء منه ، وان ايذاء الظل هو ايذاء له ، لانه بمثابة الروح منه . وكلمة ظل عند بعض الامم فى آسيا تعنى الروح ، وكان الانسان قبل اختراع المرآة ينظر ظله على سطح مياه الانهار والبحيرات . وذلك لان الزجاج لم يكن قد عرف بعد ، ومازلنا نرى فى « المندل » بعض آثار هذه الخرافات القديمة . فان هناك اعتقادا بان من ينظر فى كوب به ماء ثم

تتلى عليه الرقى ،يرى اشياء خفية لايراها غيره.. واكثر مايكون الخطر من المرآة في الوقت الذي يكون احد في النزع الاخير ، او قد توفي من وقت قريب ، لان الموت عند ذلك يكون يرفرف بجناحيه على المنزل . فليست رؤية الظل « الروح » مما تؤمن عاقبته .. ولذلك كثيرا مايقلب الناس مراياهم في ذلك الوقت العصيب .

وان كثيرا من الغربيين يعتبرون ان رقم ١٣ يحمل الويل والدمار في طياته .. ومن الغريب ان رقم ١٣ تناول العلماء والملوك والعظماء ، كما سرى بين معظم العامة ، وتناولته بعض الحكومات ايضا : لذلك يتجنب هذا الرقم في الولائم والحفلات والفنادق ..

ويرد الباحثون الضائقة الاقتصادية التي غشيت العالم من اقصاه الى اقصاه الى اسباب شتى . الان احدهم في «نيويورك» قال ان السبب في ضائقة عام ١٩٣٠ هي عام ١٩٣٠ نفسه.وحجته في ذلك ان مجموع ارقامه ١٣ . ولكي يزيد حجته اقناعا وبرهانا بتاييد ذلك رجع الى سني الضنك المشهورة فاذا هي كمايلي :

سنة ١٩٠٣ ومجموع ارقامها ١٣ ـ سنة ١٩١٢ ومجموع ارقامها ١٣ ـ سنة ١٩٢١ ومجموع ارقامها ١٣ ـ سنة ١٩٣٠ ومجموع ارقامها ١٣ .

وادرك الوهم ايضا اصحاب البواخر ، فوضعوا عدد ١٢ بدل ١٣ .كما ان حكومة فرنسا اذا وضعت الارقام على المنازل ووصلت الى المنزل الذي ينبغي ان يوضع عليه الرقم ١٣ لا تكتب عليه هذا الرقم وانما تضع عليه رقم ١٢ والى جانبه لفظة « مكرر » وذلك تخلصا من شؤمه ! .. وقد علل بعض العلماء شؤم هذا الرقم ،بانه لا يقبل القسمة على حين ان غيره من الارقام التي قبله او بعده تقبل القسمة .

كما ان جميع الامم تقريبا تتفاءل بالهلال الجديد ، وكثيرا ما تتهلل الوجوه استبشارا لرؤية الهلال في اول الشهر القمري . وفي انجلترا يتشاءمون من النظر الى الهلال المولود حديثا من وراء زجاج النوافذ .

والمرجح أن الانسان الاول كان يعتقد أنه اذا ظهر القمر جديدا وجب عليه أن يخرج الى العراء للترحيب به بوسائل كانت معروفة عنده..والانسان نظر الى القمر من زمان بعيد نظرة التفاؤل والاستحسان . والانسان الاول معذور في تفاؤله بالهلال الجديد ، اذ هو يعيش في خطر المداهمة والغارة .. فالهلال يكشف له عن ظلمات الليل.. ويؤمنه بعض التأمين .. لذلك كان القمر من اقدم الالهة التي عبدها الناس وان العرب اشتقوا لفظة « تهلل » من « الهلال » . ■■

دمشق ـ محمد عدنان فرعون

■ من امتلأ بروح الله شعر بالحضرة الالهية فيه ، غير انه يكتم هذا السر الجليل في نفسه كما يكتم العاشق عن الناس اسرار عشقه .

(مكس مولر)

■ من ظن لغيره من المشاعر مثل ما عرفه منها لنفسه فقد سد على نفسه باب معرفة الناس .

(جستاف لوبون)

■ ليس ادل على رجاحة العقل من أن يقول الانسان ما يريده بعبارة وجيزة .

(لارشفوكو)

التاريخ الاسلامي

● طالما تشوقت لدراسة التاريخ الاسلامي والاطلاع على تلك الحقبة التى شع فيها حكم الاسلام ٠٠ وكان للمقال الذى نشرته العربى فى عدد فبراير / ١٩٧٧ تحت عنوان « البرتغال الاسلامية » اثرا طيبا فى نفسى ٠٠ ولا شك ان الكثير من القراء يتشوقون لما اشتاق اليه ٠٠ فليت العربي يقدم لنا ضمن اعداده القادمة مقالات تتحدث عن الحكم الاسلامى فى كل من تركيا والباكستان والهند وجمهوريات الاتحاد السوفيتي وغيرها ٠٠ لنعرف المزيد من ملامح تلك الحقبة التاريخية ٠

المهندس محمد محمد كامل
الكويت

ملاحظة عابرة

● قرات فى « صفحة اللغة » التى نشرها « العربى » فى عدد رقم ٢١٩ قول الكاتب الاستاذ محمد خليفة التونسى : « ٠٠ وقول شاعرنا كثير عزة » :

الا ليت ايام الشباب جديد
ودهرا تولى ـ يابثين ـ يعود

وقد توقفت عند نسبته هذا البيت لكثير عزة ٠٠ والحقيقة ان هذا البيت من قصيدة مشهورة لجميل بن معمر المعروف « بجميل بثينة » ، ويروى هذا البيت هكذا :

الا ليت ايام الصفاء جديد
ودهرا تولى يا بثين يعود

ويقول فيها :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة
واى جهاد غيرهن اريد
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل عندهن شهيد

والذى اعتقده جازما انها هفوة قلم ٠٠

روكس بن زائد العزيزى / عمان ـ الاردن

« العربى » شكرا للاستاذ العزيزى على هذا التنبيه ٠٠ وقد احسن اذ وصف هذا السهو بانه « هفوة قلم » ٠

لكى اتعلم العربية

● اننى ادرس اللغة العربية فى الكلية الاسلامية بجزيرة سرى لانكا ، وارجو ان تقدمونى الى قرائكم لكى اتبادل معهم الرسائل واستفيد من لغتهم ، وانمي لغتى العربية ٠ ومعذرة اذا كتبت عنوانى بالانجليزية ٠

M. S. M. Rasheed:
House No. 137 - Uyanwatta Paranagama
Mawanalla. SRI LANK (Ceylon)

صحراء سيناء

● صحراء سيناء تعرضت للغزو مرتين ٠٠ ولا زالت اجزاء منها حتى الآن ترزح تحت الاحتلال الاسرائيلى مما يدعونا ـ نحن القراء ـ الى ان نطلب منكم خريطة لها تبين تضاريسها ومساربها والثروات المعدنية التى تزخر بها ٠٠ فارجو ان تستجيبوا ٠

مأمون ابو غنيمة
الكويت

دفاع عن اللغة العربيـة

● قصة عباس احمد « ما لم اقله للوزيـر » حافلة بالكلمات العامية المصرية ، وبهـا بعض الكلمات الاجنبية مثل «موتور » التي نعرف انها بالعربية « محرك » ، وكلمة « اجنس » التي لم افهم معناها ، وتصورت انها تعني موادا كهربائيا سريعا • لمـاذا لا يستخدم كتابنا اللغة العربية الفصحى بدلا من المحلية والافرنجية ؟

عاطف علي حسن

العراق ـ بغداد

ـ نؤيدك في دعوة الكتاب لاستخدام اللغة العربية الفصحى ، وكلمة « اجنس » يقصد بها وكالة •

نضم صوتنا ••

● نرجوكم زيادة المطبوع من نسخ العربي حتى نعثر عليها ، ونستريح من عناء البحث عنها كل اول شهر والمساومة على سعرها مع باعة الصحف•

دمشق ـ بشير بلبيل

ـ المطبوع من العربي زاد فعلا بنسبة ٢٠٪ من العدد الماضي ، ولا زلنا نأمل في رفع النسبة مرة اخرى ، نضم صوتنا الى صوتك •

مكانة طه حسين باقية

● اذا صح ان الدكتور طه حسين قد تراجععن آرائه التي سجلها فيكتابي حديث الاربعاء والشعر الجاهلي كما نشرتم فـي مقال الاستاذ سعيد الافغاني ، فسيظل باقيا ان اسلوب طه حسين في كتابيه وصل الى مستوى رفيع لم يرق اليه احد من كتاب العرب المحدثين • اذا كان مضمون الكلام قد اهتز او اختلفت في شانه الاراء ، فان شكله وصياغته تحفظان لعميد الادب العربيمكانته وقدره•

عبد المنعم محمد جاسم

العراق ـ ذي قار ـ الشطره

اول صحيفة عربية

● ذكرتم في مسابقة العدد ٢١٩ من العربي، ان اول صحيفة صدرت باللغة العربية هيصحيفة « التنبيه » يوم ٢٦ نوفمـبر / ١٨٠٠ على يد نابليون بونابرت في القاهرة •

ويبدو ان هنالك آراء كثيرة حول هذا الموضوع، فبعض المؤرخين يؤكد صـدور هذه الصـحيفة ، والبعض الاخر ينفي ، وبالطبع فلكل فريق حجته•

ويذكر فيليب دي طرزي في « تاريخ الصحافة العربية » ان نابليون اصدر في مصر اول صحيفة عربية سنة ١٧٩٩ اسماها « الحـوادث اليومية » مسـتنتجا ذلك مما جاء في « عجـائب الآثار » للجبرتي • ثم تراجع عما ذكره في الجزء الاول ، وقـرر ان اول صـحيفة صدرت بالعـربية هي « التنبيه » وانها صدرت في الاسكندرية •

ويؤكد هذا الدكتور مهدي علام في كلمته التي وطا فيها لكتاب « روضة المدارس » •

اما الدكتور محمد زكريا عناني فينفي صدور اي صحيفة عربية في عهد نابليون •

ولكن الثابت ان نابليـون اسس في مدينة الاسكندرية مطبعة عربية سميت «المطبعة الأهلية»•

احسان جعفر

معهد جول جمال ـ اللاذقية

« العربي » اعتمدنا في هذا السؤال علىالاجابة التي تضمنها كتاب « الصحافة العربية » نشاتها وتطورها للاستاذ اديب مروة •• وفيها يقول : ان اول صحيفة عربية ظهرت في العالم العربي هي جريدة « التنبيه » التي اصدرها نابليون بونابرت في مصر سنة ١٨٠٠ •

ما رايكم ؟

● قرأت في كتاب مخطوط قديم ان اهل الكهف سبعة هم :

فكسلمينا ، وتلميخاء ، ومرطونس ، وتنيونس ، وساريونس ، وذو نواس ، وفلستطيونس وهو الداشي ، واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان ، وقال بعضهم علموا اولادكم اسماء اهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم يحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق ٠ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خواص اسماء أهل الكهف تنفع في تسعة اشياء :

للطلب والهرب ولطفى الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تنطفىء باذن الله تعالى ـ ولبكاء الطفل وللحمى المثلثة وللصداع ، تشد على العضد الايمن ، ولام الصبيان وللركوب في البر والبحر ولنماء العقل ولحفظ المال وللنجاة الآثمين « من حاشية الجمل على الجلالين » ـ مارايكم ؟

عبد القهار الدردير احمد
بيش ـ جيزان ـ السعودية

ـ ردنا هو الحديث الشريف الذى يقول ان : لو اجتمعت الانس والجن على ان ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك الا بشيء اراده الله لك ٠ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء ،لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك ٠

● أنت تسأل ٠٠ ونحن نجيب ●

صادرات السودان ستتضاعف ثلاثمائة مرة في مستقبل قريب

● سمعنا ان السودان تشهد الكثيرمن اعمال الاستصلاح الزراعى ٠٠ فهل هذا صحيح وما هى تلك الاعمال ؟

ـ ان ما يجرى في السودان اقرب الى الثورة الاقتصادية الاجتماعية العارمة منه الى اعمال الاستصلاح الزراعى بمعناها العادى ، انه مخطط واسع ، تضطلع باعبائه المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ، ويستهدف تطوير السودان على اوسع نطاق ممكن ، وفى غضون الخمس والعشرين سنة القادمة ، وذلك لا لصالح السودان فحسب وانما لصالح العالم العربي باسره ايضا ٠ وقد عقد وزراء المال العرب اجتماعا لهم فى الرباط ، فى شهر ابريل الماضى ، رصدوا فيه مبلغ ٣٠٠٠ مليون جنيه كمخصصات لمخطط السودان ٠ وعلى ضخامة هذا المبلغ فانه مرصود لصالح المرحلة الاولى من المخطط فقط ، وهى تستغرق خمس عشرة سنة ٠٠٠ وانشاوا فى اجتماع الرباط ايضا الهيئة التى ستتولى الاشراف على تنفيذ مخطط السودان وهى تعرف باسم « السلطة العربية للتنمية والتثمير » ٠

وتجدر الاشارة الى ان السودان كبير المساحة (مليون ميل مربع) ، قليل السكان نسبيا (١٧ مليون نسمه) ٠ ولا تزيد مساحة ما استغل من اراضيه على ١٧ مليون فدان ٠٠ اما اراضيه الصالحة للزراعة والتى لم تستغل حتى الانفتبلغ مساحتها نحو ٢٠٠ مليون فدان ٠ لا عجب اذن ان كان استغلال هذه الاراضى البكر هو فى طليعة الاهداف التى يسعى الى تحقيقها مخطط السودان٠

ولو ذكرنا ان الاراضى الزراعية فى السودان ، المستغل منها وغير المستغل ، مهددة بسبب ما يعرف بزحف الصحراء (وهى تزحف بمعدل ٦ كم فى السنة) ، ونتيجة لما تعانى منه تربته من انجراف وانهيار (erosion) لشعرنا ان مخطط السودان الذى ذكرنا ليس مخطط تطوير وتنمية فحسب وانما هو مخطط انقاذ ايضا ٠

ويتميز هذا المخطط ببعده عن الارتجال،واعتماده على التخطيط الواسع الدقيق ٠ فقد دعى العلماء

عن فكرة الموسوعة العربية

● عندما تدعو مجلة العربي الى اصدار موسوعة عربية جامعة على غرار ما هو موجود فى الدول المتقدمة ، فيجب الا تنسى الجهود التى بذ لها بعض العلماء والمفكرين العرب فى هذا المجال. مثل الموسوعة التى اصدرها الاستاذ بطرس البستاني في عام ١٨٦٦ فى ستة مجلدات ، وزاد عيلها ابنه الاكبر مجلدين ، ثم اصدر ابناءه ثلاثة مجلدات اخرى ، وتوقف المشروع عام ١٩٠٠ ثم اعيد طبع الموسوعة عام ١٩٥٦ ٠ وهناك أيضا الموسوعة العربية التى صدرت باشراف الدكتور محمد شفيق غربال ٠

المغرب ـ حرش عبد الله

● دعوتكم الى اصدار موسوعة عربية هى تعبير عن عودة الثقة الى العرب بعد سبات عميق دام عدة قرون ٠ ولا شك ان تنفيذ الفكرة سيكون له اثر كبير فى نقل العلوم الحديثة لتصبح فى متناول الجماهير العربية ، بعد حرمان طويل نتيجة للحواجز اللغوية التى ارسى قواعدها الاستعمار البريطاني والفرنسي ، ولا تزال اثارها باقية فى جامعاتنا القديمة والحديثة ، حيث تدرس العلوم والطب والهندسة بلغات اجنبية !

د ٠ محمد هاني برمنجهام ـ بريطانيا

الكتب التى تصلنا

● تصلنا رسائل كثيرة من بعض القراء يطلب اصحابها منا تزويدهم ببعض الكتب التى نعرضها فى باب « كتب وصلتنا » ٠٠ والحقيقة ان المجلة تتلقى عادة نسخة واحدة من هذه الكتب التى تصدرها دور النشر ٠٠ وليس امام القارىء الا ان يتصل بالدار الناشرة عندما يريد الحصول على كتاب ما ٠

« العربى »

والخبراء من مختلف الدول المتقدمة للقيام بالدراسات والابحاث التى يتطلبها المخطط ٠ واعتمد هؤلاء على أحدث الاجهزة والآلات المتطورة ، واعتمدوا كذلك على الصور الفوتوغرافية التى التقطتها لهم الاقمار الصناعية ٠

وانتهت المرحلة التمهيدية وبدأت مرحلة التنفيذ ٠٠ فكانت الخطة الخمسية الاولى (١٩٧٧ ـ ١٩٨٣) التى تتضمن ٦١ مشروعا متكاملا من مشاريع التنمية الضخمة ٠ أما غاية هذه الخطة المباشرة فمضاعفة صادرات السودان الزراعية ٣٠٠ ضعف !

كذلك بدأ العمل فى بناء مصنع كبير للسكر فى بلدة كنانا التى تقع على بعد ١٨٠ ميلا الى جنوب الخرطوم ٠ واختاروا للمصنع منطقة تقع بين النيلين ـ النيل الازرق والنيل الابيض ـ وتعتبر تربتها مثالية لزراعة قصب السكر ٠ ويعتبر مصنع كنانا من اكبر مصانع السكر فى العالم ٠٠ وحسبك تكاليف تاسيسه التى لا تقل عن ٤٧٥ مليون دولار وكميات انتاجه التى ستبلغ ٣٥٠ر٠٠٠ طن سنويا ٠٠ اى ما يعادل حمولة قطار بكامل عرباته كل يوم ٠٠

ويشمل مخطط السودان بالاضافة الى ما ذكرنا عددا كبيرا من المصانع المعدة لانتاج المواد الغذائية وتحويل المنتجات الزراعية ٠ وسيشمل كذلك عددا من شبكات الرى والمزارع ٠٠ مزارع الحبوب والخضرة والفاكهة ومزارع الدواجن والمواشى ٠٠ أضف الى ذلك كله ما يهدف اليه المخطط من تعبيد الطرق وتنشيط المواصلات النهرية وانشاء السكك الحديدية وبناء المخازن والمستودعات على اوسع نطاق ممكن ٠

وسيصبح فى مقدور السودان ، لدى اكتمال مخططه فى مطلع القرن المقبل ، ان يسد حاجات العالم العربي باسره ، فضلا عن حاجاته المحلية ٠٠ وتكفى الاشارة الى أن عدد سكان العالم العربى الذى يبلغ حاليا ١٣٠ مليون نسمه سيتضاعف فى مستقبل قريب جدا ليصبح ٣٠٠ مليون نسمه ٠٠ وتتضاعف بالتالى حاجاته لتبلغ بمجموعها ، وعلى سبيل المثال ، ١١ مليون طن قمح و ٢ر٧ مليون طن سكر و ٦٠٠ر٠٠٠ طن من اللحوم ٠ فهذه الحاجات وكثير غيرها سيكفل تلبيتها مخطط السودان ٠

بقى ان نذكر ان مخطط السودان هذا يفتح الباب على مصراعيه لرؤوس الاموال والشركات الخاصة لتقيم المصانع والمزارع ، وتسهم باعمال المقاولات والانشاءات بالقدر الذى تستطيع ٠

■■

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا - الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٢٣ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اغسطس (اب) ١٩٧٧ .

اثنان في واحدة

● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر مصري راحل ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مكتشف جغرافي شهير .

الكلمات الافقية :

(١) مدينة مقدسة - احدى ولايات استراليا .

(٢) ولاية أمريكية - مستوى .

(٣) تتبع - نصف غروب - دولة اوروبية (معكوسة) - في الفم .

(٤) للنداء - أديب أمريكي شهير من القرن التاسع عشر - تباغض (معكوسة) .

(٥) مستمر - تاقت - اكتمل - حرف استفهام (معكوسة) .

(٦) من أشهر أعمال اميل زولا - ضعيفات .

(٧) نتهمك - غابا - سريع (معكوسة) .

(٨) شاعر مصري راحل .

(٩) امعان النظر - من أباطرة الرومان .

(١٠) نصف (مفصل) - في الكلمات - صاحب الفرسان الثلاثة .

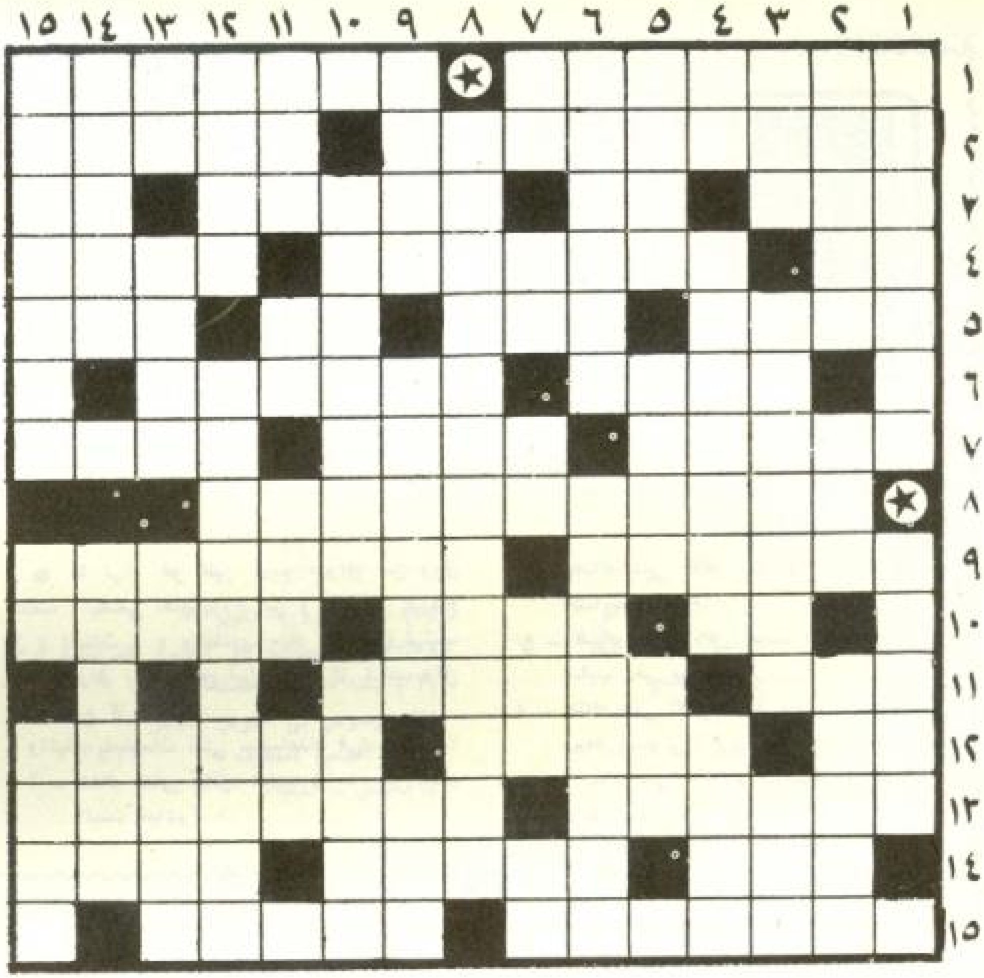
(١١) ابتغين - انفذ اليها .

(١٢) من الامراض - وحدة زمن - دولة اوروبية .

(١٣) من الزهور - قصر ملكي انجليزي شهير .

(١٤) مخلص - يلمسنا - وقته .

(١٥) اداهنها - هروبه .



الكلمات الرأسية :

(١) من المعادن ـ قمة عالية شهيرة •

(٢) متاعب شديدة ـ قبر (معكوسة) ـ رقم كبير •

(٣) حكى ـ زعيم صينى راحل ـ وكالة انباء عربية •

(٤) من الحواس ـ من سور القران الكريم ـ مستأنس •

(٥) حلوى شرقية ـ نكبت ـ حرف جر •

(٦) يسرها ـ صلح بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين قريش •

(٧) مقام موسيقى ـ فى الصوان ـ من الاقارب ـ لين ـ حرف استفهام •

(٨) مكتشف جغرافى شهير •

(٩) دولة افريقية ـ شعور بالتقارب الشديد ـ فى الوجه •

(١٠) غايتها ـ لم يتزوجن •

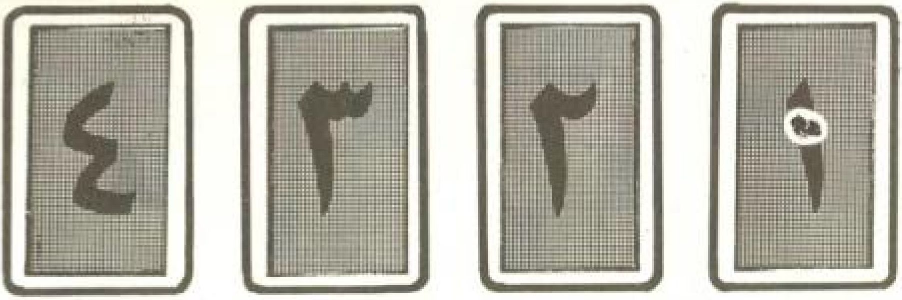
(١١) باعثات على السام ـ حرف جر ـ من العناصر الكيميائية ـ نصف (ديون) •

(١٢) وعاء ـ ظاهرة جغرافية •

(١٣) نصف (نسيج) ـ اثمر عملا ـ بحر ـ جشعة •

(١٤) فاكهة ـ ابوان •

(١٥) قرشى من اعلام الغناء العربى من القرن الهجرى الثانى ـ متشابهان ـ أوقع •



لكل عجوز بنت

● ما نراه هو ظهر اربع اوراق من ورق اللعب ، يختفي تحتها زوج من (الشياب)وزوج من (البنات) • والمطلوب منك أن تعرف ترتيب هذه الاوراق ، وتستنتج اين يختفي كل شايب وكل بنت ونوع كل منها •

واليك المعلومات التي ستساعدك فياستنتاجك:

ا ـ هناك على الاقل شايب واحد على يمين البنت مباشرة •

ب ـ هناك على الاقل بنت واحدة على يمين الشايب مباشرة •

ج ـ هناك على الاقل شايب واحد على يمين شايب اخر مباشرة •

د ـ هناك على الاقل ورقة بستوني على يمين ورقة بستونى اخرى مباشرة •

هـ ـ هناك على الاقل ورقة بستوني علىيمين ورقة ديناري مباشرة •

• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسأل :

ما مهنة حداد الابن ؟

● عندنا في مدينتنا الصغيرة ثلاثة رجال : السيد نجار ، والسيد خراط ، والسيد حداد • وتشاء الصدف العجيبة أن يعمل كل واحد منهم في احدى المهن التالية : النجارة والخراطة والحدادة ، ولم يكن أي منهم يعمل في المهنة المطابقة للقب عائلته •

وكل واحد من الثلاثة كان يساعده في عمله أحد ابنى الاخرين • وكما في حالة الاباء ، لم يكن أي من الابناء يعمل في المهنة التي تطابق لقب عائلته •

فاذا كان السيد خراط لا يعمل في التجارة ، فما هي مهنة حداد الابن ؟

رائد مسرحي عربي :

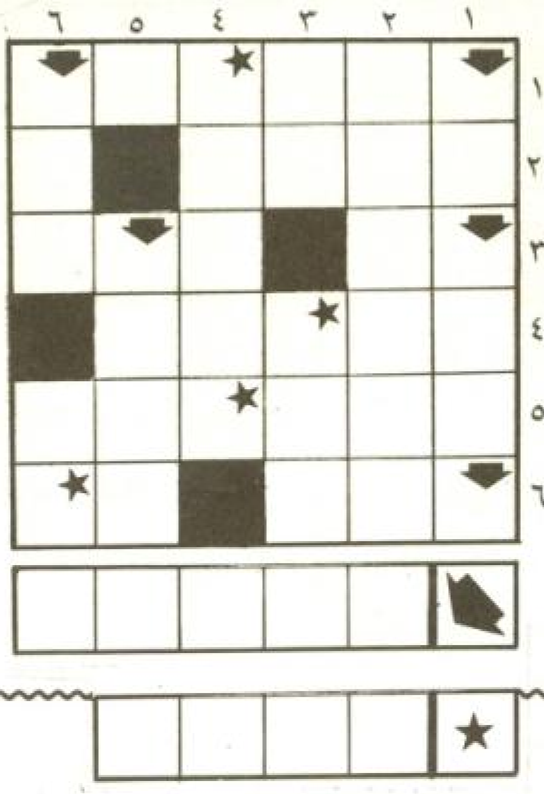
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ،بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لواحد من رواد المسرح العربي ، ثم انقل الحروف التي في المربعات الموجود فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الرائد المسرحي .

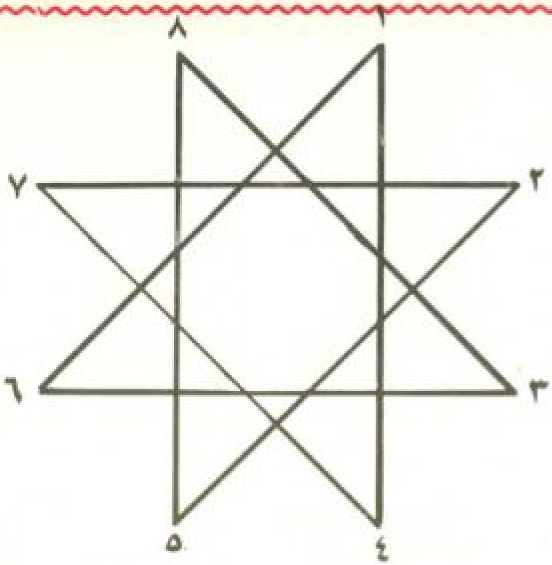
الكلمات الافقية :

(١) خامس أكبر جزيرة في العالم .
(٢) أرض منبسطة حول مجرى النهر .
(٣) حرفان متشابهان ـ نضج .
(٤) اجادة .
(٥) من الطرز المعمارية .
(٦) رافعة ـ للنداء

الكلمات الرأسية :

(١) امارة اوروبية شهيرة .
(٢) زعيم اليعاقبة في الثورة الفرنسية
(٣) بعد اليوم ـ عملة عربية .
(٤) يوسوس في نفوس الناس .
(٥)من الجنس اللطيف .   ٣٥/
(٦) نسق ـ للنداء





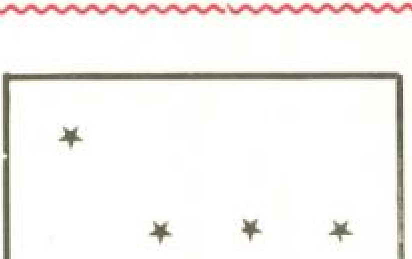
العملات السبع

● حاول أن ترسم شكلامكبرا لهذه النجمة ذات الثمانية رؤوس • ضع عملة معدنية عند أى رأس من النجمة ، حركها فى اتجاه احد الخطوط لتصل الى رأس مقابل ، وكرر العمل مع عملة ثانية • المطلوب وضع سبع عملات عند رؤوس النجمة بنفس النظام بحيث يبقى واحد من الرؤوس خاليا •

قد تتمكن بسهولة من وضع خمس او ست عملات ، تذكر المطلوب سبع عملات ، أما الارقام فقد وضعت للاعتماد عليها عند شرح الحل •

بالقلم الرصاص

● دون أن ترفع القلم من فوق صفحة الورقة ، هل يمكنك أن ترسم أربعة خطوط مستقيمة ، تمر بجميع النجوم التى داخل هذا المربع ؟



الحلول

العملات السبع

من بين الحلول ، ان تتبع التوالى التالى فى وضع العملات وتحريكها : ١ الى ٤ ، ثم ٦ الى١ ، ثم ٢ الى ٧ ، ثم ٣ الى ٦ ، ثم ٨ الى ٣ ثم ٥ الى ٨ ، ثم د الى ٢ •

استاذ نبيه يسأل

السيد خراط لا يمكن أن يعمل فى الخراطة، ولا التجارة ، فلا بد انه يعمل حدادا • والسيد نجار لايعملفى التجارة ، فهو يعمل خراطا •وبهذا يعمل السيد حداد نجارا •

حداد الابن لا يعمل فى الحدادة ، ولا النجارة لان اباه يعمل نجارا ، فهو اذا يعمل فى محل الخراطة عند السيد نجار •

رائد مسرحى عربى

مارون نقاش •

لكل عجوز بنت

١ ـ من (أ) نعلم ان الورقتين ٣ ، ٤ لا يمكن أن يكونا معا شايبين •

٢ ـ من (ب) نعلم أن الورقتين ١ ، ٢ لا يمكن ان يكونا معا شايبين •

٣ ـ من (ج) نعلم انه لا يمكن أن توجد بنت بين شايبين •

+ اذا يقع الشايبان فى الوسط ورقماهما ٢ ، ٣

٤ ـ من (د) نعلمانه لا يمكن أن توجد ورقة ديناري بين ورقتى بستونى ، اى لا بد ان تتجاور ورقتا البستونى •

٥ ـ من (هـ) نعلم أن الورقتين ٣ ، ٤ لا يمكن أن يكونا بستونى ، ولا بد أن يكونا من نوع الديناري •

على ذلك يكون ترتيب الاوراق كالتالى

الورقة رقم ١ هى بنت بستونى •

الورقة رقم ٢ هى شايب بستونى •

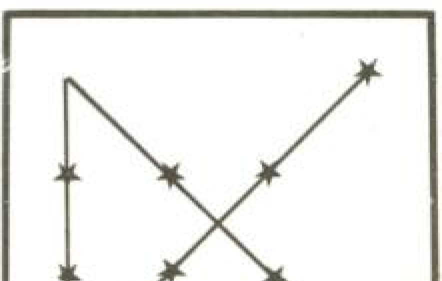
الورقة رقم ٣ هى شايب دينارى •

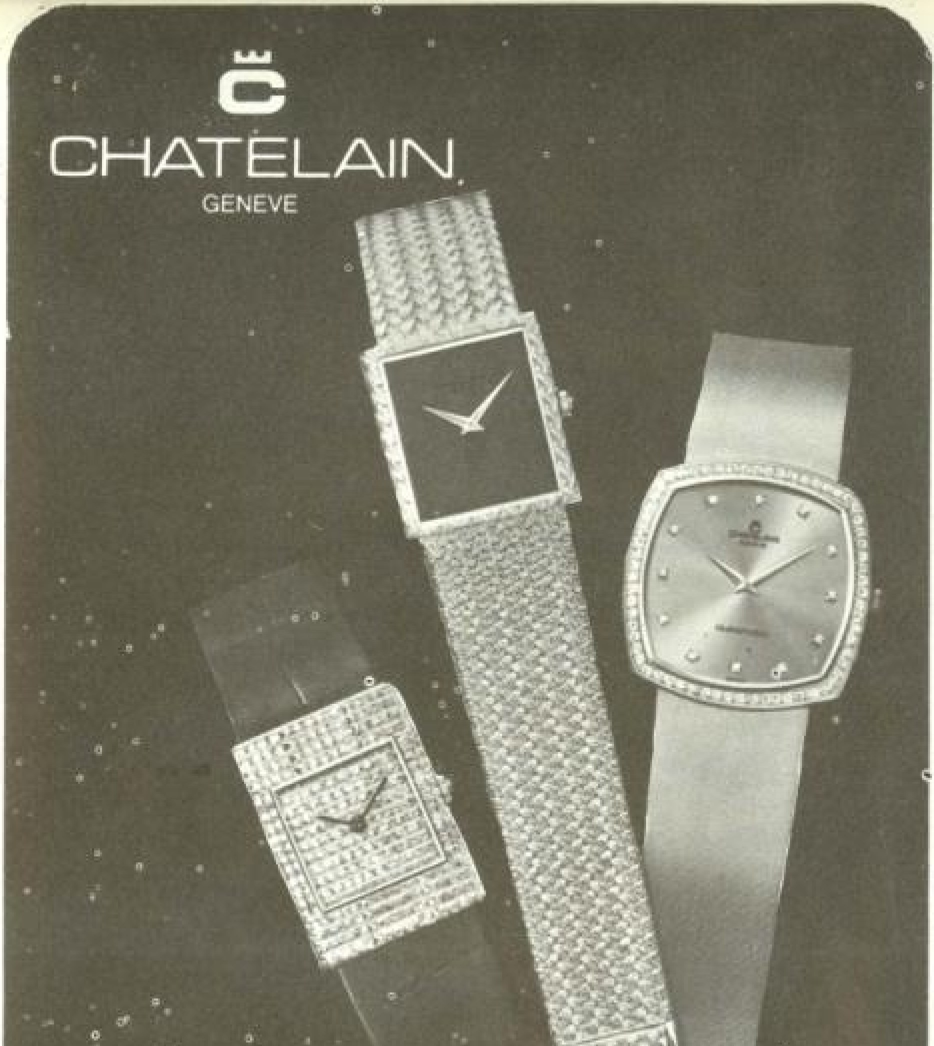
الورقة رقم ٤ هى بنت دينارى •

★ ★ ★

بالقلم الرصاص

كما فى الرسم •





تطلب هذه الساعات من محلات : حجي عبد الله على رضا وشركاه المحدودة

ص . ب (٨)   جدة / المملكة العربية السعودية

أمان بالإضافة إلى فائدة حسنة

١٠¾٪ في السنة

مدّة محدّدة طولها سنتان

مبالغ مقدارها ١٠٠٠ جنيه استرليني أو أكثر ومودعة في حساب وديعة زمنية لمدة محدّدة طولها سنتان تربح ¾١٠٪ في السنة. عن مدّة محدّدة طولها سنة واحدة، تدفع فائدة بنسبة ١٠٪، أما عن مدة ٣ و ٤ و ٥ سنوات، فتدفع فائدة بنسبة ¼١٠٪ في السنة. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر.

١٠¼٪ في السنة ودائع دخل شهري

١٠٠٠ جنيه أو أكثر تربح ¼١٠٪ في السنة لمدة محدّدة طولها سنتان. الوديعة ذات الدخل الشهري، والمودعة لمدة محدّدة طولها سنة واحدة تربح ¾٩٪ في السنة، أما عن ٣ و ٤ و ٥ سنوات فتدفع فائدة بنسبة ١٠٪ في السنة. الفائدة تدفع كل شهر دون خصم أي ضريبة في المصدر.

لومبارد نورث سنترال هو عضو في مجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر. لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بأمان تام لرأسمالك. تفضّل بارسال الكوبون طلباً لتفاصيل مجموعتنا الكاملة لمختلف حسابات الودائع وأسعار الفائده الجارية.

أسعار الفوائد أعلاه صحيحة وقت تحضير هذا الإعلان للنشر.

Lombard North Central

Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الإسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

K182

عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر التي يزيد رأسمالها واحتياطيها على ٨٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England


FUSO

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يونيه ١٩٧٧

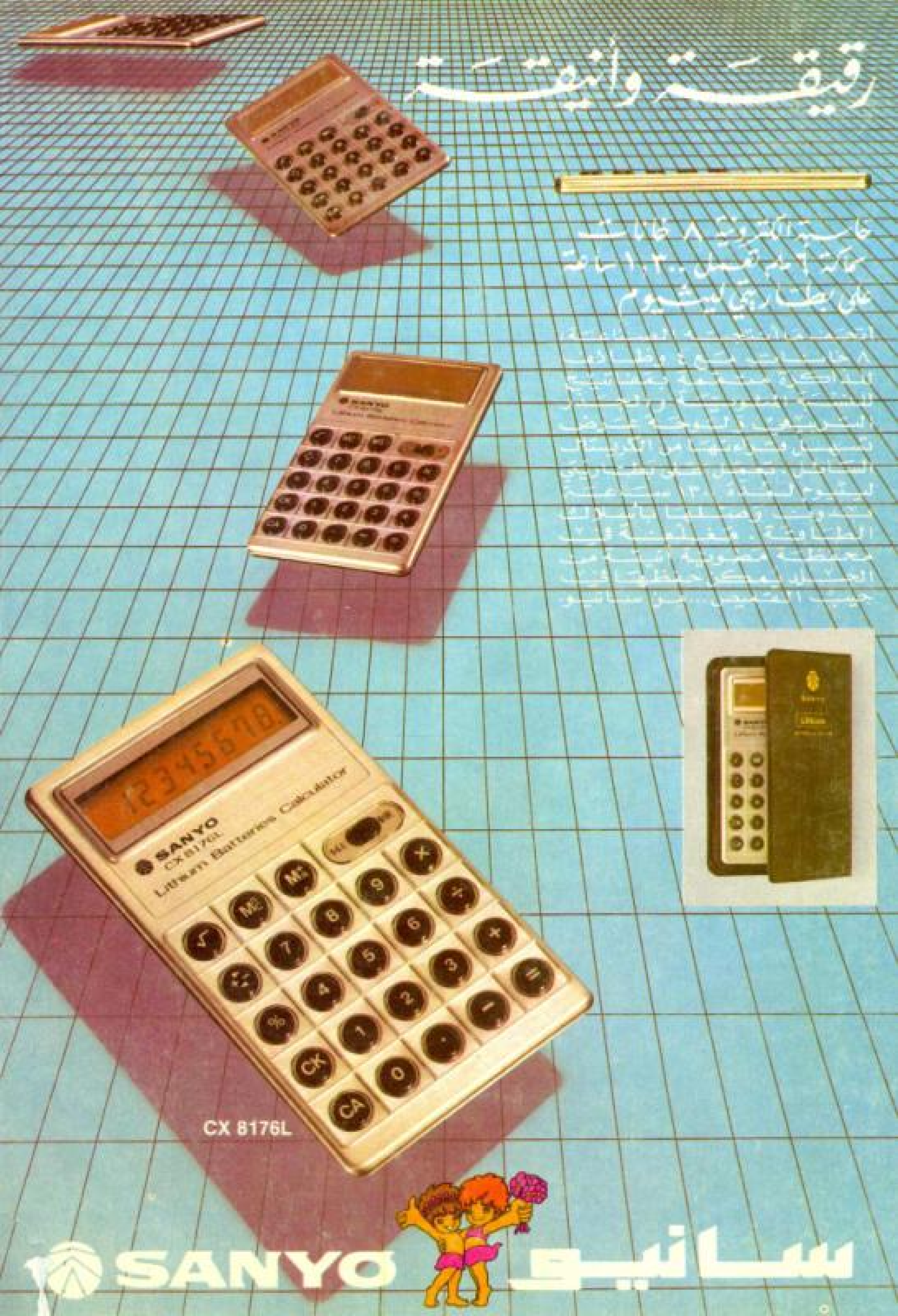
٩٣

• كلهم أبنائى

• الثمن

تأليف : آرثر ميللر

ترجمة وتقديم : د. صفاء الشاطر



رقيقة وأنيقة
حاسبة الكترونية ٨ خانات
ذاكرة وجذر تعمل ١٫٢٠٠ ساعة
على بطارية ليثيوم
SANYO
CX 8176L
Lithium Batteries Calculator
CX 8176L
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٢٤
رجب ١٣٩٧
يوليو
(تموز ١٩٧٧)

- الدول النامية فى السبعينات : مصاعب وآمال
- رحلة التدوين فى التاريخ الاسلامى
- سر هالات النور التى تظهر فجأة فوق الرؤوس !

ايران : السجاد النادر تصنعه الانامل الرقيقة



ORIENT EKISHO QUARTZ

اورينت ... ثمرة تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز



إقرأ الوقت، حتى في الظلام الحالك

خلال الليل، اضيئ وجه ساعتك بكبسة
زر. انها الساعة الرقمية المثلى.
اختر من مجموعة ساعات اورينت
الأخاذة، الساعة التي تعكس
شخصيتك و رجولتك.

عزيزي القارئ

لو اننا اجرينا عملية حسابية تقريبية ، استهدفت حصر ما ضاع من عمر العرب ، وما فاتهم من فرص التقدم ، وما توقف من خطط ومشروعات ، وما تبدد من طاقاتهم وامكانياتهم ، باختصار ، لو اننا حاولنا ان نحصى الاضرار والاثارالتى اصابت العرب بسبب خلافاتهم ومعاركهم الجانبية ، ماذا سنجد ؟

ستصدمنا الحقيقة بكل تأكيد • ذلك انه منذ ان صارت خلافات العرب قاعدة وليست استثناء ، القت السياسة بظلها على كل ما عداها من مجالات • وصرنا نشهد حالات يجرجر فيها الخلاف انسياسى ذيولا عديدة ، تكاد تصيب كل شرايين الحياة التى تربط بين اطراف الخلاف بالجمود والشلل • حتى يتحول خلاف القادة الى عقاب للشعوب ، يمتد اثره الى الاجيال المقبلة •

ان الخلاف بين الاشقاء وارد ولا غرابة فيه ، بل ربما كان الخلاف حول القضايا السياسية مفيدا ، من حيث انه قد يشكل عنصر ضغط لتحقيق اكبر قدر من المكاسب لصالح قضايانا القومية • ولكن ان يتحول الخلاف الى تقطيع للاوصال وهدم للجسور وسد للمنافذ بين العرب وبعضهم البعض ، فهذه هى المحنة الحقيقية •

لماذا لا نحاول ان نتجنب بعض نتائج هذه المحنة ، ونعزل السياسة عن الاقتصاد والتعاون الثقافي والفنى ؟ لقد صارت السياسة تدخل فى كل عناصر الحياة من حولنا ، هذا صحيح ، ولكننا امام حالات يكون التهديد فيها موجها الى مستقبل شعوب باكملها ، ينبغى ان نقيم هذا العازل بين السياسة وغيرها ، ولو بقدر من التعسف والافتعال • ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه هى الصيغة الحضارية والايجابية لتحقيق التعاون بين الدول الكبرى •

نقول ذلك بينما الساحة العربية تشهد صورا من الخلافات والتصدعات التى تتفاقم يوما بعد يوم ، وأصوات المهللين تبارك هذه التصدعات وتزيد النار اشتعالا ، ولا احد يسأل : الى أين نحن ذاهبون ؟؟ !!

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

اقتصاد وسياسة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

اجتماع :

أدب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 224 JULY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



● امضت « العربي » اسبوعين فـي ايران طافت بقلمها وعدستها فى اكبر واقدم مدنها ٠٠ طهران العاصمـةواصفهان وشيراز ٠٠ وسجلت فـى طوافها صورة التراث والتقاليد التىتركت بصماتها مع كل ما صنعتـه وتصنعه الايدى الماهرة المدربة ٠٠ حتىعندما دخلت الالة وقامت الصـناعات الحديثة ٠٠ مضت الايدىتعمل ،وتقدمروائع التحف والمنتجات البيئية (انظر الاستطلاع ص ٦٨)

تربية وعلم نفس :

شخصيات :

شعر :

كتب :

قصص :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٥ر٢ دينار ٠ المغرب ٥ر٢ درهم ٠ اليمن ٥ر٢ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

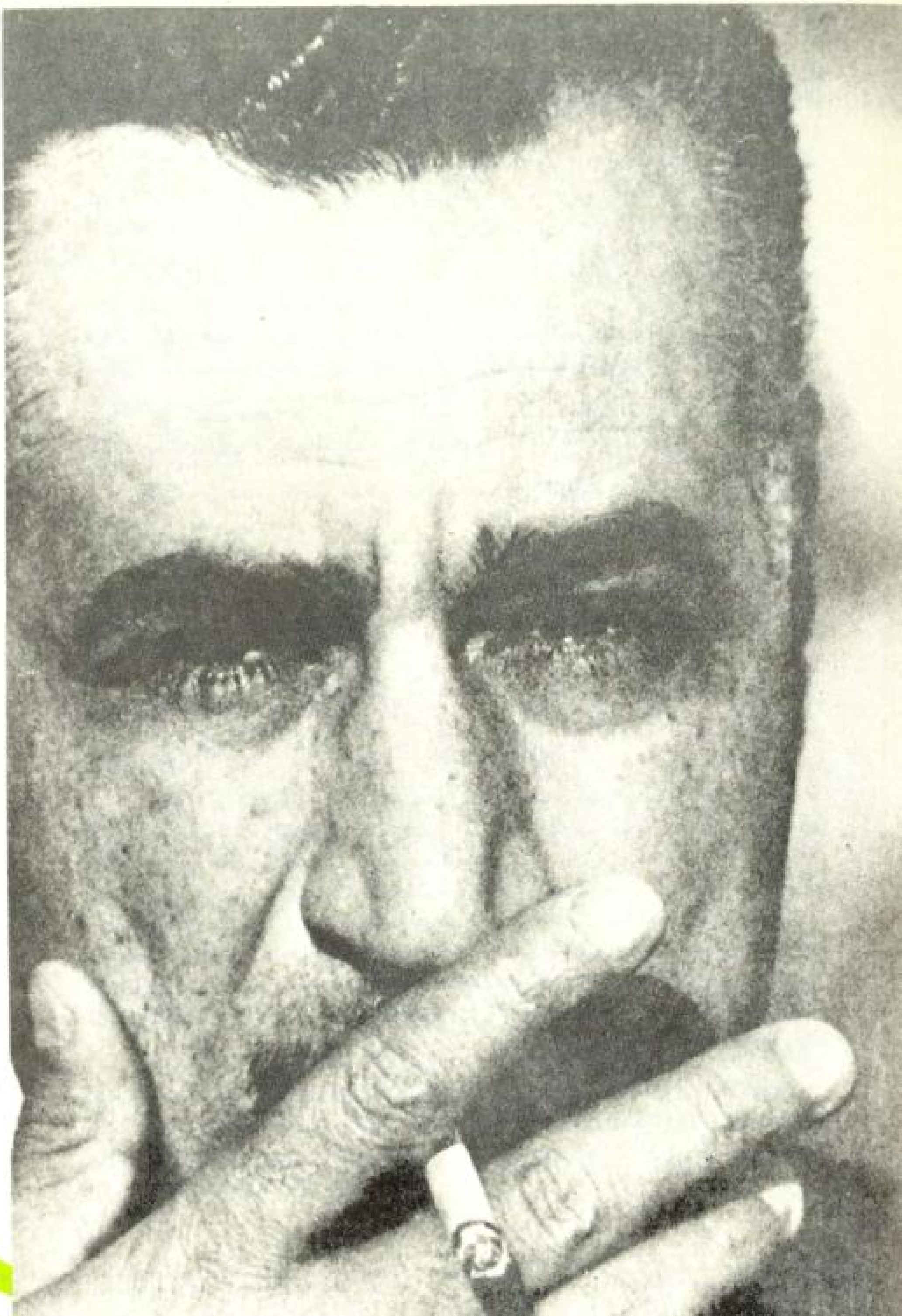
أعطى الأمة العربية فكرة عن امكانياتها!

بقلم: أحمد بهاء الدين

● يمر هذا الشهر ، ربع قرن كامل ، على ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، بزعامة جمال عبد الناصر • نذكرها ونقف هنا عند هذا التاريخ ، لانها بدات ثورة مصرية ، ثم لم تلبث أن تحولت الى ثورة للعرب جميعا • أثرت في حياتهم آثارا شتى ، ولكنها كلها آثار عميقة • بل ليس من المبالغة ان احداث الثورة ، التي اختارتها ، او التي فرضت نفسها عليها ، كانت نقطة تحول في علاقات دولية كثيرة ، وفي العالم الثالث كله بوجه خاص •••

● ومنذ قامت ثورة ٢٣ يوليو وهي تثير من حولها المشاكل ، وتهاجمها المشاكل •

● ومنذ مات جمال عبد الناصر ، انفتحت أبواب الجدل على مصاريعها حوله ، وحول الثورة ذاتها • ذلك انه طبع أحداث المرحلة التي عاشها بطابعه ، وجسد الثورة في شخصه • فلا نكاد نجد زعيما معاصرا الفت عنه الكتب بشتى اللغات ، وكتبت عنه المقالات والدراسات ، وقامت جامعات العالم ومؤسساته بعقد حلقات بحث عنه ، كما حدث لجمال عبد الناصر • ولم ترو عن زعيم مجموعة من الحقائق والاكاذيب كما رويت عنه • وهذا ايضا



طبيعي · فهو أكثر عربي أقام الدنيا وأقعدها منذ قرون · ولا نريد هنا أن ندخل في هذا الجدال · فلهذا مجالاته الاخرى ·

ولكن يكفي هنا ، أن نعرض للنقطة الاولى ، وهي انه « منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو في سنة ١٩٥٢ ، وهي تثير من حولها المشاكل وتهاجمها المشاكل » ··

والواقع اننا حين ننظر الى حياة ثورة ٢٣ يوليو ، نجد انها هوجمت أكثر مما هاجمت ، طبعا سنجد جذور هذه الهجمات في سياسة الثورة ذاتها ··· ولكن هذا لا ينفي ان الآخرين تعرضوا لها بأكثر مما تعرضت لهم · وذلك لاسباب كثيرة ·· ربما كان ممكنا الاشارة الى أهمها :

● هناك سبب خاص بمصر ذاتها، التي قامت فيها الثورة · فمصر دائما بلد « مستهدف » و « مطلوب » من اي قوى خارجية دولية ·

ذلك أن مصر كانت معظم الوقت مفتاح المنطقة ، قبل أن تكون عربية وخصوصا بعد أن صارت عربية · فقيام مصر قوية مستقلة ، أمر لا تقبل به قوى عالمية كثيرة · فمنذ تاريخ الفراعنة والى الان نجد انه كان هناك اما مصر قوية ، فهي مؤثرة على ماحولها ، متصدية لمن يجوس في حمى المنطقة كلها ، واما مصر ضعيفة ، فهي عاجزة ، اما محتلة احتلالا صريحا ، واما مكبلة بقيود أشبه بالاحتلال ·

لذلك نجد أن الحرب التي قامت ضد محمد علي الكبير ، مؤسس مصر الحديثة ، انضمت فيها كل دول أوروبا البارزة في ذلك الوقت ، لاخضاع محمد علي الكبير · أي كان تحالفا اوروبيا شاملا ·

وحين تم شق قناة السويس ، وزادت أهمية مصر بصورة حاسمة · اذ كان شق القناة ـ وقتها ـ حدثا في التجارة الدولية اشبه بحدث اكتشاف البترول في العصر الحديث ، جرت سلسلة التآمر الدولي ضد مصر ، حتى اذا ظهر احمد عرابي ، وتبلدت الشخصية الوطنية المصرية ، ووافق الخديوي اسماعيل على اعطاء الشعب دستورا وبرلمانا ·· خلعت دول اوروبا اسماعيل ، ثم جاءت انجلترا ، وفازت بغنيمة احتلال مصر ، وكان وزير خارجيتها يعلن ان انجلترا تحتل مصر لحساب اوروبا كلها · وظلت انجلترا توهم دول اوروبا الكبرى انها شريكة لها ، حتى تمكنت من الانفراد بمصر ·

وسهل بعدها ان تنطلق انجلترا من مصر الى قلب افريقيا ، وان تنطلق فرنسا من المغرب العربي الى قلب افريقيا ،وتصادمت الاثنتان في «فاشودة» · واما الحرب واما التقسيم · تماما كما تتصارع الدول الكبرى الان في انجولا وزائير وغيرهما · ولكن انجلترا وفرنسا آثرتا عدم الاشتباك في فاشودة ··· وتم تقسيم افريقيا كلها بينهما ·

ومنذ محمد علي الكبير ، لم تقم لمصر قائمة، الا مع ٢٣ يوليو وعبد الناصر وجلاء الانجليز ٠

وكان اول من تنبه للخطر ، الثعلب العجوز « دافيد بن جوريون » ٠

ففي بعض مذكراته يروي بن جوريون أنه كان يسأل نفسه ورفاقه دائما: « ماذا لو قام في العرب بطل كما قام كمال اتاتورك في تركيا ، فأخرجهم من الهزيمة ، ووحدهم حوله ؟ ان اسرائيل ساعتها لن تعيش يوما واحدا ٠

ثم يروي انه حين ظهر جمال عبد الناصر وخرج الانجليز من مصر ،خاف ان يكون هذا الكولونيل الشاب هو أتاتورك العرب ٠ فقرر اسقاطه ٠ وقام بهجومه الشهير على غزة والصبحة لاهانة الجيش المصري غير المسلح ، متوقعا ان يؤدي هذا الى انقلاب الجيش على عبد الناصر ٠ وكان هذا ما جعل عبد الناصر يطالب امريكا بالسلاح ، فلما رفضت ، عقد صفقة الاسلحة السوفيتية الشهيرة ، ونحن نعرف الباقي ٠

● والسبب الثاني في تعرض القوى العالمية لمصر ٢٣ يوليو خاص بالعالم العربي ٠

فقد ولدت ثورة ٢٣ يوليو بفكر مصري بحت ٠ بل وأكاد اقول انها ولدت في قضية العروبة ، كرد فعل لأحداث ١٩٤٨ ٠ ولكن بن جوريون من حيث اراد اسقاط عبد الناصر ، كان اقوى عامل في حسم القضية في ذهن عبد الناصر ، بالنسبة لعروبة مصر ٠ فمصر مرتبطة قدرا ومصيرا بالمنطقة من ناحية الجغرافية السياسية Geopolitically ، ثم انها منذ المد الاسلامي ارتبطت لحما ودما وتراثا وثقافة وروحا ونفسا بالعروبة وصارت جزءا منها ٠

من هنا اتجهت الثورة اتجاها عربيا حاسما وحادا ٠ وكان هذا سببا آخر لتعرضها للمشاكل والمخاطر وتصديها للمسئوليات الجسام ٠ فما يخافه العالم من « مصر قوية » مرة ، يخافه من « عالم عربي قوي » ألف مرة ٠

ثم ان هذا حدث في مرحلة كانت فيها معظم الدول العربية ـ بما فيها مصر ذاتها ـ محتلة او شبه محتلة ، وكانت بالتالي مرحلة التحرر من هذا الاحتلال ٠ وحين تحررت مصر وصارت طليقة اليد بان اثر ذلك فورا في اندفاع حركة التحرر باشكال شتى الى سائر انحاء الامة العربية، طبقا للظروف التي كانت تواجه كلا منها ٠

وكان معنى هذا ، مرة اخرى ، الاصطدام بالقوى الخارجية التي اعتادت اقتسام المنطقة وانعدام الارادة العربية طيلة قرون ٠

وما حدث في العدوان الثلاثي وحرب السويس سنة ١٩٥٦ يغني في اهدافه ونتائجه عن كل بيان ويتجاوز كل بلاغة ٠٠٠

فقد حاربت اسرائيل ، مرة اخرى ، لكى تحطم امكانية قيام جار قوى ٠٠

وحاربت فرنسا ، كما اعترف ساستها بعد ذلك ، لعقاب مصر على مساعدتها لثورة الجزائر ٠

وحاربت انجلترا ، حتى لا ترى سابقة امتلاك شعب عربى لثرواته تنجح فى شركة قناة السويس ، وعينها على البترول ٠ وقد احبطت قبل ذلك محاولة مصدق ٠

وكانت النتيجة ـ كالدوافع ـ بالغة الدلالة ٠٠٠

فمن جهة ، توحدت مشاعر الامة العربية ازاء العدوان ، توحدا لم يسبق له مثيل ، وكانت هذه النقلة النفسية الحادةالتي لمست اقصى الاطراف ، بمثابة الاساس لكل ما جرى بعد ذلك من تجمعات وتصديات عربية مشتركة للاخطار ٠٠٠

ومن جهة ، هزمت الامبراطوريتان القديمتان ، انجلترا وفرنسا ، هزيمة دولية اعلنت نهاية عصر وبداية عصر جديد ٠

● وعلى المستوى العالمى ٠٠كان لهذه الاحداث قوة تأثير خارقة ٠فخدعة تقسيم العالم بعد الحرب العالمية الاولى كان يراد لها ان تتكرر بعد الحرب العالمية الثانية ٠ اضاء الامل قلب افريقيا كلها ٠ وهز اطراف آسيا وامريكا اللاتينية ٠ وتقدمت حركة دول عدم الانحياز تعطى لهذه الحركات التحررية فى العالم شرعيتها وهويتها ٠

ومرة اخرى ، كان لا بد ان تصطدم مصر بالعالم القديم ، طالما انها اخذت على عاتقها القيام بدور قيادى فى ولادة عالم جديد ٠

●

وقد ولد فى هذا الربع قرن ، عالم جديد ٠ له قواه الجديدة ، ومشاكله الجديدة ، وتحدياته الجديدة ٠ ولكن تلك هى سنة الحياة والتاريخ ٠

●

اما عبد الناصر ومصر ، اما عبد الناصر والامة العربية ، فانه يكفى ان اسجل كلمة بليغة جدا ، وهادئة جدا ، قالها زعيم عربى كبير معاصر ، كان من سوء حظ الامة العربية ان الخصومة وقعت بينه وبين عبد الناصر ، ولكنه قالها عندما مات ، قالها بما لا يكابر فيه صديق او عدو : « يكفيه٠٠انه اعطى الأمة العربية فكرة عن امكانياتها ! »

وهى امكانيـــات بلا حـــدود ٠

احمد بهاء الدين



الدول النامية

فى السبعينات

مصاعب وآمال

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

■ الميل الى التعميم هو أحد مزايا العقل البشرى ونقائصه فى نفس الوقت ٠ فهو من ناحية احد الوسائل الفعالة للسيطرة على الخضم الضخم من الخصائص عن طريق عدد محدود من الافكار والتقسيمات الاساسية ٠ ولكنه من ناحية اخرى خطر داهم باهمال الفروق والاختلافات الفردية والتفصيلية والتى قد تكون كبيرة الاهمية ٠

وعلى حساب نوع من التعميم ، نقول بان العالم مر ، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الان ، بعدة مراحل تميز كل عقد فيها باتجاهات عامة ، وانه فى السبعينات تواجه الدول النامية بصفة خاصة مازقا حقيقيا ٠ فهل تنجح فى الخروج منه ؟

تميزت الخمسينات باعادة تعمير اوروبا واليابان بعد ويلات الحرب العالمية الثانية ، وظهرت فيها ، المطالبات بالتحرر السياسى من الاستعمار الانجليزى والفرنسى ٠ وبعبارة اخرى ، فقد كانت عقد تصفية اثار الحرب ٠

اما الستينات فقد كانت عقد الاستقرار والنظام ٠ نالت معظم الدول النامية فيه استقلالها السياسى ٠ وعرفت الدول المتقدمة نموا اقتصاديا كبيرا ومستمرا ٠ كذلك فان الدول النامية حققت هى الاخرى معدلات مرتفعة للنمو ٠ وساد العالم استقرار اقتصادى ، واصبح الحديث عن « النمو المستمر » هو النغمة الغالبة (١) ٠

وجاءت السبعينات ، فاخرجت الناس من احلام الستينات ، وتوالت الازمات ، حتى كادت تصبح عقد الازمات ، ازمة الغذاء ، ازمة الطاقة ، ازمة نظام النقد الدولى ، ازمة التنمية ٠ حتى الطبيعة لم تخف تواطؤها لهذا الجو العام المضطرب ، الجفاف ومشكلة الساحل الافريقى ، الزلازل فى الصين ، الجفاف فى اوروبا ، زحف الجليد والبرد القارس على الولايات المتحدة الامريكية ٠ ولم يكن غريبا ان تتخلى نغمة النمو والتفاؤل السائدة فى العقد السابق ، لنزعة اخرى ماساوية ربما تعبر عنها موجة كتب « حدود النمو » لنادى روما وما شابهه (٢) ٠

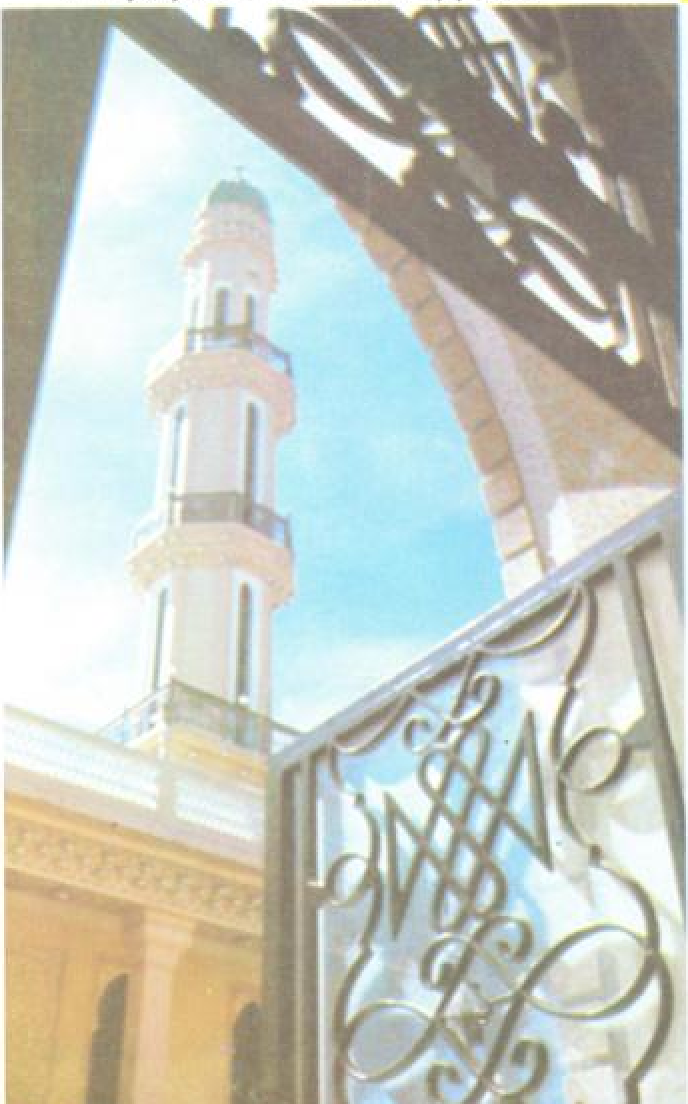
---

1) "Sustained Growth", W. Rostow, Stages of Economic Growth.
2) Meadows et al. Limits to Growth, Club of Rome, 1972.

العربي

العدد ٢٢٥ ـ شعبان ١٣٩٧ ـ أغسطس (آب) ١٩٧٧

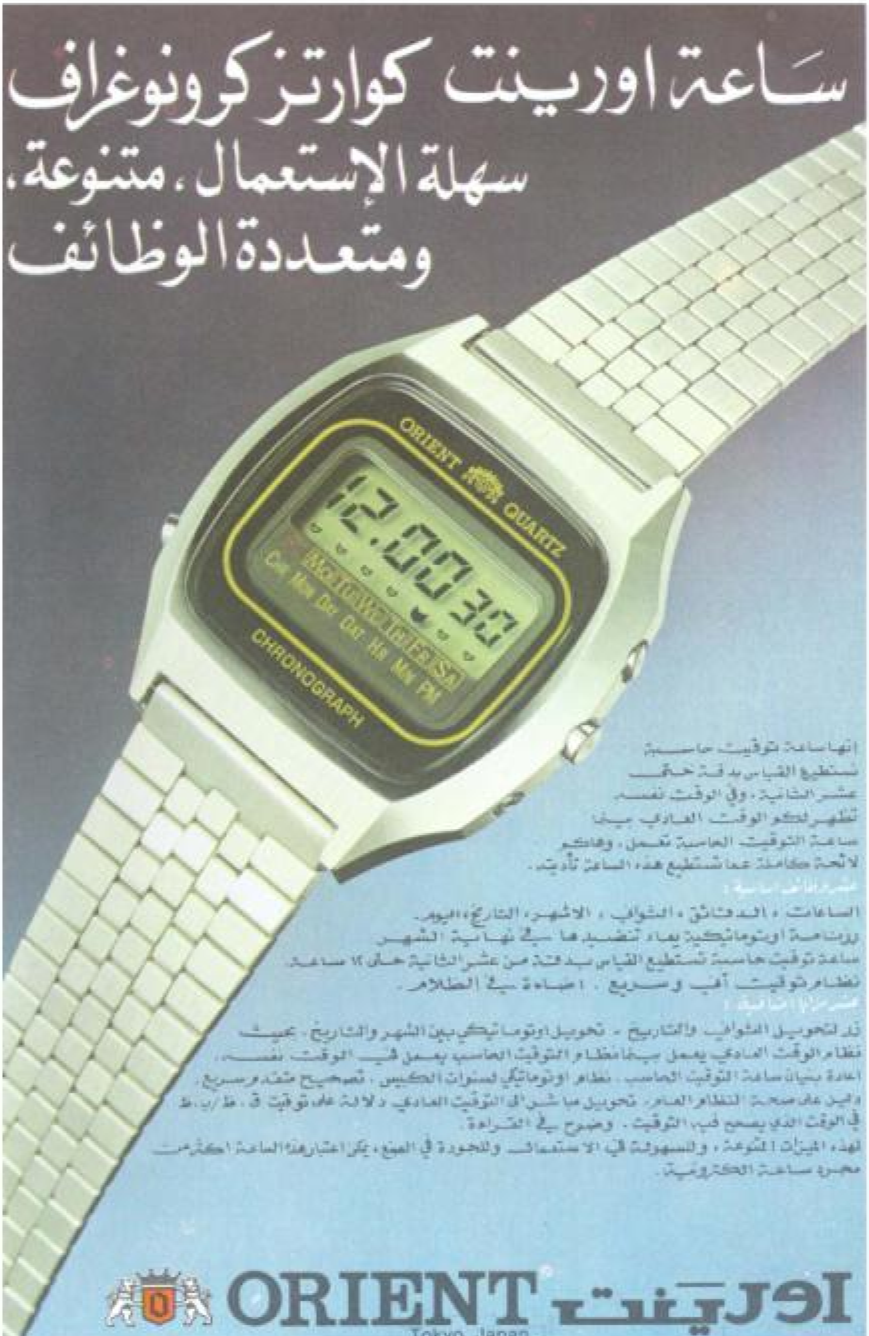
جوائز
١٣٠٠
دينار سنويا



التجديد في الاسلام والانفلات منه !

هل العرب اثرياء حقا ؟؟

مملكة ايبلا : اكتشاف القرن


ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة،
ومتعددة الوظائف
ORIENT QUARTZ
CHRONOGRAPH
إنها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل. وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
الساعات، الدقائق، الثواني، الأشهر، التاريخ، اليوم.
روزنامة اوتوماتيكية بعد تحديدها في نهاية الشهر
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آني وسريع. اضاءة في الظلام.
زر لتحويل الثواني والتاريخ - تحويل اوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ. حيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بناء ساعة التوقيت الحاسب. نظام اوتوماتيكي لسنوات الكبيس. تصحيح متقدم وسريع.
والبرهان على صحة النظام العام. تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق. ظ/ب. ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت. وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة، والسهولة في الاستعمال والجودة في الصنع، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزي القارئ

يقبل علينا شهر رمضان بعد ايام قليلة ، حاملا معه ريحا عطرة تهب على امتنا الاسلامية من اقصاها الى اقصاها ، تعبق سماءها بخليط فريد من مشاعر التجرد والتسامي والاحساس العميق بالقرب من الله ·

هذا المشهد الجليل فى رمضان ، حيث يصوم ملايين المسلمين فى آن واحد ، ويفطرون فى ساعة واحدة ـ ساعة الغروب ـ ويتوجهون الى الله بقلب واحد ، هذا المشهد يجسد وحدة نادرة ، تتجاوز الحواجز والحدود والمسافات ، وكل الخلافات والحزازات ·

هناك فرق لا ينكر بين شهر رمضان الذى عاشه المسلمون الاوائل ، والذى ينبغى ان يكون ، وشهر رمضان الذى هو كائن فعلا · المسافة شاسعة بغير شك · ولكن الشىء الوحيد الذى بقى على مر الزمن هو رمز الوحدة الذى يتجسد فى ذلك الشهر ·

على ان هذا المشهد تكاد تفسده خلافات كل عام حول موعد بدء الصيام ، الذى تختلف فيه بعض الدول الاسلامية ، حتى ان المسلمين بدأوا صيامهم فى العام الماضى على مدى ثلاثة ايام متتالية ، واحتفلوا بعيد الفطر فى ثلاثة مواعيد مختلفة !

والمؤكد ان علماءنا لو استطاعوا ان يعالجوا هذه الثغرة ، ويتفقوا على اية صيغة يحددون بها بداية شهر الصيام ، فان ذلك سيعد اسهاما كبيرا فى الحفاظ على جلال المشهد العظيم ·

لكن هذا امل طالما تطلع المسلمون الى تحقيقه ، ولم تجد رغباتهم هذه صدى ايجابيا حتى الآن ·

ليتهم يتفقون !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 225 August 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغــلاف

● يصحبنا الدكتور حسين مؤنس استاذ التاريخ الاسلامى فى رحلــة طويلة مع مساجد الكويت علىصفحاتهذا العدد ، وهو فى تقديمه لهـذه المساجد ينهج طريق العالم والخبير الذى يستطيع ان يضع اصابعه علــى كل ما هو اصيل ودخيل فى تصميماتهذه المساجد الكثيرة العدد ،والمختلفة الطرز والتصميمات ٠

انظر الصفحات (٦٧ ـ ٨٤)

ادب ولغة :

تربية :

شخصيات :

فنون :

قصص :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢ر٥ دينار ٠ المغرب ٢ر٥ درهم ٠ اليمن ٢ر٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

أيام في باريس

بقلم : أحمد بهاء الدين



أى باريس ؟

ان باريس ليست مدينة واحدة • ليست لوحة متقاربة الألوان • انهـا نوحة هائلة منسوجة من الف لون ولون •••

النور ؟ الفجور ؟ العلم الوقور ؟ المؤتمرات العالمية ؟ كـل ما فى العالم مـن تيارات فكرية وفنية وادبية وسياسية ؟

تلك شهرتها التقليدية • ولكن الغريب انها حيث بدات تفقد امام لندن فـى مجال اللهو ، فقد اخذت تكسب من لندن في عالم السياسة والاقتصـاد والقضايـا الدولية • شاء الفرنسيون أم أبوا ، لا شك ان ديجول ، احد جبابرة التاريخ ، هو الذى اعاد اليها هذا المجد القديم •

وهـم حتى الآن يتناقشون ويتنـاحرون حـول ديجـول ، كانه حـى • بـل



ان سنوات الهدوء تذهب به الى زوايا النسيان النسبى ، فاذا اقبلت ازمة حادة عادت اليه الحياة ، وصار طرفا ، حاضرا رغم غيابه ...

وتلك سمة الرجال العظام • وسمة الشعوب العظيمة •

اذكر اننى عندما ذهبت الى باريس اول مرة ، فى اوائل الشباب ، عدت وكتبت عن اهم ما استوقفنى فى باريس : تصادف وصولى مع ظهور كتاب جديد ضخم ،فيه وجهة نظر جديدة عن يوليوس قيصر ومصرعه الشهير على يد صديقه ثم خصمه العظيم بروتس • وكان الجدل الفكرى قائما قاعدا حول هذا الكتاب وما جاء فيه - لو هبط انسان من القمر مثلا لظن ان مصرع يوليوس قيصر على يد بروتس قد حدث منذ أيام ، وليس منذ عشرات القرون !

تلك حيوية فرنسا الفكرية • وتلك مشكلة حياتها • فهى فى انقسام دائم • الحزب لا يلبث ان ينقسم الى حزبين • والحزبين الى اربعة أجنحة •والاربعة اجنحة

الى ثمانية فروع • غرام بالشك الديكارتي والفكـر والنقد • وكما قـال ديجول في صعوبة حكم الفرنسيين ، ان لديهم ثلاثمائة نوع من الجبن وثمانمائة نوع من النبيذ •

أى باريس ذهبت اليها ؟

لقد ذهبت الى باريس عشرات المرات •رأيتها مرات بعيون من قرأت لهم ، ومرات بعيون من سمعت منهم ، ومرات بعيون التخيل الخاص لما يقرأه المرء عن عصور وقادة وفنانين • مرات كثيرة ، حتى بدأ المرء يرى باريس •• بعيونه الخاصة•

أين باريس الحقيقية من كل هذا ؟ •••

زرتها مرات وما هو مطبوع فى نفسى من لوحات «رينوار » بالذات ، ومن قصص حياة بلزاك واميل زولا ، ومعاناة بودلير ، وصعلكة ديماس ، وورومانسية لامارتين •• كلها اشباح وأرواح اكادأراها واقتفى آثارها،اكثر مما أرى ما هو قائم وواقع وموجود •••

وزرتها مرات •• واصوات مواكب نابليون تقودني الى ضريحه الفخم المهيب • واقف فيها ساهما بالساعات ، ومدفن البانيثيون الحافل بعظام العظماء ، ومقبرة « بيرلا شيز » حديث تقرأ على شواهد القبور فى « تل مونمارتر » اسماء الشعراء والفنانين •••

وزرت باريس رفاعة الطهطاوى ، اول صعيدى مصرى ذهب الى بلد العجائب وترك لنا كتابه « كتاب الابريز في وصف باريز » • وزرت باريس طه حسين الذى صور لنا السوربون وما حوله وكأنه في مصـاف المعابـد •• وزرت باريس توفيق الحكيم الذى كان اكثر اتجاها الى الفن منه الى الفكر والسياسة والادب • تابعت قفزات « عصفور من الشرق » ووقفت امام اكثر من « شباك تذاكر » ورأيت خيالات « راقصة المعبد » • بل اننى اذكر بالتحديد انى ذهبت مرة خصيصا الى متحف اللوفر •• لأقف امام تمثال افروديت •• وانا استرجع كلامه وخواطره ثـم طلبه منها ان تنقذه •• ولكنها مقطوعة الذراعين !

الا يكفي هذا كله • على المرء ان يتخطاه ، حتى يجد « باريس الخاصة به »• ويراها بعينيه هو وهل هذا فى النهاية ممكن ؟

فما بالنا ولم اذكر الا القليلين • وهناك آلاف ممن نقرأ لهم من خلال باريس من شتى انحاء الدنيا • وربما كان أعظمهم هو اعظم كاتب قصة امريكى عشق باريس، ارنست هيمنجواى •ان كتابه عن باريس الذى وصفها فيه بانها A moveable Feast يكفى فيه كنه هذا الوصف في كلمتين • لا استطيع ان اترجمه حرفيا • ولكنه يصف كيف انمن يزور باريس يتركها وفى نفسه قطعة منها ، يحملها معه ، اينما ذهب •

وقد انقطع ما بينى وبين باريس زمنا • كان من سوء حظى ان تقع مأساة ٥ يونيو ١٩٦٧ وانا هناك•وحوصرت فيمدينة تسهر كل ليلة حتى الصباح احتفالا بسقوط سيناء • وسقوط الجولان • وسقوط القدس •

وطغت الذكريات المريرة على كل شيء آخر • لم يبق فى ذهنى الا ذلك الجانب



القاسي من المدينة الضخمة العاتية • كانت باريس يومها ـ ٦٧ ـ في عز اجترارها لأحقاد هزائمها في الهند الصينية ، وفي حرب السويس ، وفي حرب الجزائر •وكان ديجول بمفرده تقريبا يرى مستقبلها في البحر الأبيض المتوسط مع العرب ، وكل خصوم ديجول يشمتون في هزيمة من يحاول اعادة الجسور معهم ، حتى المتعاونون القدامى مع النازى ، خرجوا من جحورهم شامتين •

وكان غريبا ان اعود الى باريس بعد عشر سنوات • وقد عاد اليها رشدها على الأقل • وصار الوجود العربي الطاغي في باريس يمثل دورة من دورات التاريخ غريبة • من المال الكبير جدا • الى الأيدى العاملة الرخيصة جدا • وهي في اشد

الحاجة الى الاثنين معا ، وما بينهما •ويترك هذا بصماته فى المطاعم •وعلى الأزياء• والمعارض الفنية • والمجوهرات •

وسبحان مغير الأحوال !

وكان اهم ما ذهب بى اليها اشياء فى مقدمتها : مؤتمر الحوار بين الشمال والجنوب (اى بين الدول الصناعية والدول النامية) • وصراع اليمين واليسار المحتدم فيفرنسا ذاتها • والازمة البرلمانية في اوروبا عامة • واقتراب اول انتخابات مباشرة لاول برلمان اوروبى موحد • والشقاق الدائر حوله•ومعركة التمهيد لمؤتمر بلغراد بين معسكرى الشرق والغرب ، ومقدماته التى تجلت وقتها حول قضية حقوق الانسان ، وكانت ساحة الصراع الاولى فى هذا كله: باريس !

على ان هناك ملاحظة ، لا بد من الوقوف عندها ، قبل التعرض بجوانب من الاشياء •

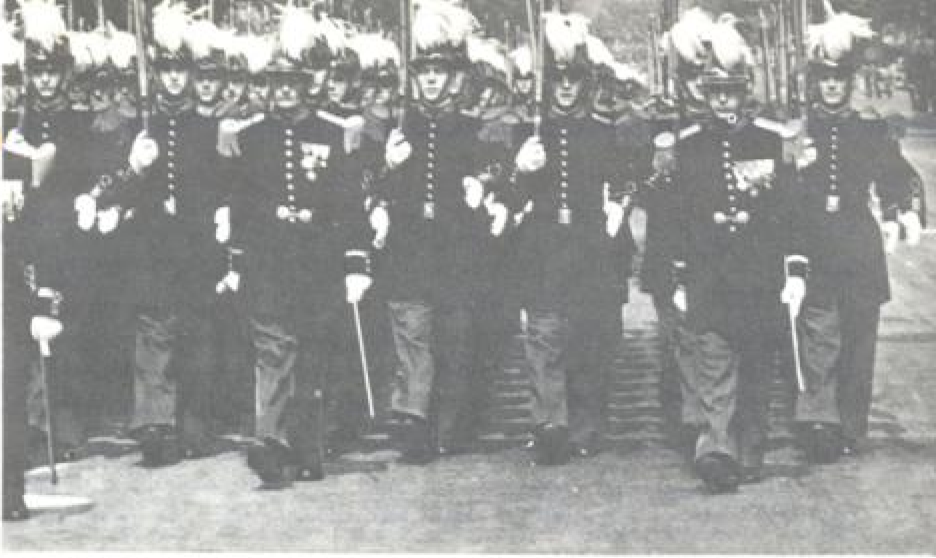
ماهذه الرفاهية ؟ وما هذا الرخاء ؟ ما هذا الترف والاسراف ؟ بل ما هذه الحقوق والامتيازات التى لحقت وشملت حتى افقر الفئات ؟

ظاهرة ليست باريسية ولا فرنسية فقط • ظاهرة فرنسية وانجليزية وغرب اوروبية بوجه عام ، وان اختلفت الدرجات ، وخلافها قليل على كل حال ••
امر غريب ! •••

من يقرأ الصحف العالمية ، ويتابع البرقيات او الدراسات ، يفهم ان انجلترا مثلا قد افلست وان فرنسا على وشك • والاضرابات لا تنقطع • والمنازعات حول الاجور لا تنتهى • واذا ارتفع سعر البترول ــ مثلا ــ بضع دولارات انطلقت صيحات مرعبة بان الدول الصناعية تلك ستموت جوعا وبردا وعطشا • بل اذا ارتفع سعر البن ، تصايحت هذه الدول ذاتها باستغلال الدول المنتجة للبن للظروف ، وان اوروبا سترتفع فيها اسعار القهوة ، وستصاب كلها بالصداع !

ويذهب الواحد منا ، ابن البلاد التى تسمى احيانا متخلفة ، واحيانا نامية ، واحيانا توصف بانها بترولية متخمة ، يذهب الواحد منها الى هناك فيعجب لهذا الرخاء الذى لم تعرفه مجتمعات البشر من قبل • بل هذه التخمة من كثرة الطعام والشراب وتوفر كل وسائل المتع الحسية والروحية الى اقصى الحدود ، ويجد ان ما يراق على الارصفة وما يلقى من الفضلات يكفى لاطعام شعوب باسرها • وما يلقى فى سلال المهملات من ثياب لانه قد « تغيرت موضته » يكسو ملايين العرايا •

ولقد تمسك بالمجلة الاوروبية الواحدة ، فتجد صفحاتها عامرة بالاعلانات عن اقصى ما يتصوره الخيال من متع ومن اسباب للرفاهية ، وصفحات عن حياة خالية من الهموم او تافهة الشكوى ، ثم تجد فى نفس المجلة صفحات عن احداث فى اجزاء اخرى من العالم الواسع • صفحات تصرخ بالمجاعة والفقر والتخلف • ولكنها لا تهز شعرة من رأس الاوروبى او الاوروبية • طالما ان زجاجة النبيذ



ثمنها لم يتغير • وان ملء خزان السيارة بالوقود للذهاب الى المواقع الصيفية لن يكلف اكثر •

ان مشكلة الشمال والجنوب مشكلة بسيطة جداً •

ان عالم الشمال المتقدم ليس لديه اى مشكلة ، الا مشكلة واحدة : هى مشكلة الانانية المفرطة • انه غير مستعد لان يفرط فى ذرة واحدة من سرفه وترفه ولذاته « الابيقورية » ، ولو تمرغ بقية العالم فى الوحل •

ليس مطلوبا ابدا من دول الشمال ان « تتقشف » فترة قصيرة بعشر معشار معنى التقشف الذى تعرفه شعوبنا على أنه أمر طبيعي • كلا • كل المطلوب ان تتخلى هذه البلاد عن انانيتها المفرطة ولو لسنة واحدة • وان « تعتدل » فحسب فى استهلاكها • وساعتها تحل كل ما تصرخ به من مشاكل •

وهم يعتبرون ان تقليل الاستهلاك ـ او بالاحرى مجرد ترشيده ـ مأساة تهدد العالم الصناعى وبالتالي تهدد العالم كله ! فى حين ان مجاعات شعوب اخرى بأسرها ، امور لا تهم الا اصحابها !

قد يبدو هذا الكلام ، نوعا من التبسيط المبالغ فيه لتلك العناوين الصعبة التي توحى بقضايا معقدة : « الحوار بين دول الشمال ودول الجنوب » ••• و « البحث عن نظام اقتصادى عالمي جديد » •• و « أزمنة الندرة فى العالم بدءا من مصادر الطاقة وانتهاء بالبن اللازم لصنع فنجان القهوة » •

ولكنني أؤكد ان هذا التبسيط الشديد ، هو الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شيء اكثر من ذلك •••

لقد كان كل البارزين من ممثلي الدول الصناعية التسع هناك • وكان اندادهم من ممثلي حوالي اربع عشرة دولة نامية هناك ، يمثلون فى الواقع ما يقرب من مائة دولة على الاقل •

وكان الاسم الرسمى للمؤتمر هو « مؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى » وان

كانت الكلمة التى كانت تتردد على افواه الجميع هى « البحث عن نظام اقتصادى عالمي جديد » ٠

وتعليقا على هذا العنوان « التعاون الاقتصادى العالمى » ، قال كاتب وخبير سنغالى : « ان هناك أشكالا شتى من التعاون ٠ فهناك تعاون وثيق مثلا بين الحصان وراكب الحصان » ٠ ولكن ليس هذا هو التعاون المطلوب بين الدول النامية والدول المتقدمة ٠ وان كان هو الحاصل حتى الان ٠ فكلمة التعاون اذن كلمة مضللة ٠

وقد دار النقاش اياما وليالي طويلة عنيفة ٠ وكانت الاجتماعات لا تنفض احيانا الا فى الساعة الثالثة قبل الفجر ، لتستأنف بعد ساعات فى الصباح التالى ٠ ولكن العثور على نقطة واحدة من نقط الملقاء بين الجانبين كان متعذرا تماما ! ٠٠

لماذا ؟

من متابعتي الخاصة لما دار في المؤتمر ، اعتقد ان الدول الصناعية ، كانت لا تفكر خلال المؤتمر كله الا فى قضية واحدة ، هى : البترول !

نعم ! فالحالة الوحيدة حتى الآن ، التى استطاعت فيها دول العالم الثالث المنتجة لسلعة معينة ، ان تتجمع وتتحد وتملى ارادتها على السوق العالمى ، هى حالة البترول ، وقد جاء هذا فى سلعة تصادف انها اهم سلعة استراتيجية حتى الآن٠٠

ودول الغرب الصناعية المتقدمة تريد اولا ان تفك هذا الارتباط بالنسبة للبترول او تحتويه بشكل ما ٠٠ وتريد ثانيا ان لا تتكرر هذا فى سلع وخامات اخرى ، حتى ولو كانت اقل اهمية ٠٠

ومن مسلكها فى المؤتمر كان واضحا انها ليست مستعدة ، فى سبيل ذلك ، ان تتنازل من جانبها عن شبر واحد من مركزها الممتاز ٠

انها تعتبر الوضع البترولي الراهن ، « وضعا احتكاريا » ٠ وبالتالي كانت تحوم حول صيغ تحاول طرحها ٠ بحيث تشترك الدول الصناعية ــ المستهلكة الكبرى للبترول ــ فى اتخاذ القرارات الخاصة به ، اى انها كانت تحاول « تمرير » صيغة لوصاية دولية منها على البترول ! واظن انها لم تات الى المؤتمر الا لهذا الغرض ، مغلفا فى قضايا فنية كثيرة ٠

ولكن ٠٠٠

ان بعض الامثلة التى يمكن ضربها هنا يغنى عن كل تفاصيل ، فى اعطاء الصورة الواقعية للوضع الاقتصادى العالمى ٠

قال احد الخبراء : ان الدخل القومى لايطاليا وحدها يساوى الدخل القومى لقارة افريقيا بأسرها ٠ والدخل القومى لفرنسا وحدها يساوى ضعف الدخل القومى لافريقيا كلها والدخل القومى لالمانيا الغربية وحدها يساوى ثلاثة امثال الدخل القومى للقارة الافريقية باكملها ! ٠

وهذا كاف ليعطينا فكرة عن الفرق الرهيب بين دخل دول الصناعة ودول الخامات • بين سعر السلع المصنوعة واسعار الخامات • والاختلال الرهيب فى التوازن الاقتصادى للعالم فى ظل النظام الراهن •••

اما عن الاحتكار ، فان بعض الشركات الغربية ، او الشركات المتعددة الجنسية، تحتكر خامات او مصنوعات بالكامل •••

فهناك ست شركات فقط تحتكر تجارة القمح في العالم • وعشر شركات تحتكر كل انواع الجلود • وشركة واحدة تحتكر معدن النيكل •

وفى تحقيقات اخيرة للكونجرس الامريكى ، مع شركة « جولف » للبترول الضخمة ، ظهر انها مشتركة فى « كارتل » عالمي سرى يحتكر مادة من اخطر المواد الآن وهى مادة اليورانيوم • حتى ازاء الدول الصناعية • وان هذا الكارتل اختلق ازمات مصطنعة احيانا لرفع اسعار اليورانيوم رفعا مصطنعا •

يضاف الى ذلك امر آخر بالغ الخطورة • وهو جريمة هذا الاستهلاك او الاستنزاف الرهيب لموارد البشرية من الخامات ، ارضاء لشراهة مجتمعات الاستهلاك الغربيه المترفة •

فالارقام البسيطة تقول مرة اخرى ان ١٨٪ من سكان العالم حاليا يستهلكون حوالى ٦٨٪ من موارد العالم من الخامات •

ثـــم ••••

ان هذا المؤتمر سبقه بقليل اجتماع قمة على أعلى درجة من السرية بين الرئيس الامريكي كارتر ورؤساء دول وحكومات البلاد الاوروبية التسع • اجتمعوا في لندن • واجتمعوا خصيصا لمناقشة مشاكل العالم الاقتصادية والنقدية • ولا شك انهم توصلوا الي قرارات • وقراراتهم بحكم قوتهم الغالبة على السوق العالمى تؤثر على اقتصاديات العالم كله • ومع ذلك فلم يسأل احد ، ولم يعرف احد ، ماذا خططوا ودبروا • وهذه قمة السطوة والاحتكار •

من هنا كان مستحيلا ان يلتقى ممثلوا الاغنياء والفقراء حول نقطة واحدة • وفشلت كل الجهود فى اخفاء الفشل التام للمؤتمر بأى نوع من الورق المفضض • وكان المخرج هو اعادة الموضوع كله الى الامم المتحدة فى دورتها الجديدة ، اى فى سبتمبر القادم ، اى بعد شهر ••

وما يرجوه المرء ان تذهب دول العالم الثالث الى هذا الموعد بارادة موحدة ، وافكار مدروسة موحدة ، حتى لا يفرض عليها « نظام اقتصادى عالمي جديد » • ولا تجد نفسها داخلة فى « تعاون دولى » اشبه بتعاون الحصان وراكب الحصان•••

وحكايات باريس لا تنتهى •

احمد بهاء الدين

« لن يستطيع المسلمون ان يؤدوا دورهم الذى يطمحون الى ادائه وهم على ما هم عليه من عزلة وتواكل وجمود، واشتغال بجزئيات مقطوعة الصلة بواقع الناس ، بعيدة عن قيم الاسلام العليا وجوهر رسالته الى الناس » .

الخيط الرفيع بين

التجديد فى الاسلام والانفلات منه !

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

■ لا يكاد صوت يرتفع اليوم مناديا بالتجديد فى الفكر الاسلامى ، شاكيا من الجمود والانغلاق .. مناقشا فى ذلك اقوال العلماء من السلف او من المعاصرين .. او داعيا الى مراعاة ظروف الزمان والمكان .. حتى تتناوشه من كل جانب صيحات المحذرين والمنذرين ، يذكرون بالمزالق والمخاوف والمحاذير .. ويؤكدون ان الدعوة الى التجديد مدخل لاسقاط الالتزام بالشريعة ، وباب شر ينفذ منه الحريصون على « تمييع » حقيقة الاسلام ، واذابة جوهره فى جوهر حضارات وثقافات مناقضة لاصوله معارضة لمبادئه ..

ويتجاوز بعض هؤلاء حدود هذا التذكير ، مطالبين بالكف عن نقد اوضاع المسلمين فى وقت يحتاج فيه الاسلام الى مدافعين عنه فى وجه موجات الالحاد والشك والمذاهب « الوافدة » اكثر من حاجته الى الناقدين الذين ياخذهم الحماس احيانا فيشتدون فى النقد ويحتدون ، شدة وحدة يستفيد بهما خصوم الاسلام الحريصون

على توهين سلطانه على النفوس ، وصرف الناس عن مبادئه ..

ويمد بعضهم هذه « الحصانة » التي يطالبون بها لتشمل اشخاص العاملين باسم الاسلام ، ولتبسط لواءها على الحركات الاسلامية المختلفة على تباين طريقتها واسلوبها .. وحسبها ـ فيما يقولون ـ انها تريد اعلاء شان الاسلام وانها تعمل تحت رايته ..

وحين كتبت في « العربي » منذ شهرين ـ داعيا الى المواجهة الصريحة مع عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر لم تكن هذه المحاذير غائبة عنى وانا ادعو الى ما دعوت اليه من ممارسة الاجتهاد في الفروع والاصول على السواء، والى وضع النقط فوق الاحرف السبعة التي لا ازال ازعم انها تشكل معالم تيار فكرى اسلامي يتخذ طريقه الى التجديد والتشكل والنضج في عقول وقلوب الآلاف من الشباب على امتداد العالم الاسلامي . ولكني قدرت ـ ولا ازال ـ ان خطر الجمود والعقم هو الخطر الاكبر الذى ينبغى ان نبدأ بالتنبيه اليه ، وان تحريك المسلمين ، عامتهم وعلمائهم ـ الى خوض معركة التجديد والاجتهاد وتحمل تبعاتها يحتاج من الشجاعة والصبر الى اضعاف ما يحتاج اليه التذكير بهذه المحاذير .. لهذا .. واشفاقا على دعوة التجديد ان تقتلها في مهدها صيحات التذكير بالمحاذير رأيت ان الدعوة الى مواجهة عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر لا تكتمل الا بامرين:

اولهما : ان نضع المحاذير التي تذكر كلما ارتفعت دعوة التجديد في اطارها الصحيح وان ننبه اليها مع المنبهين .. حتى يظل التجديد تجديدا في فكر المسلمين وتطويرا له .. لا خروجا على الاسلام ولا تحريفا لاحكامه ومبادئه.

الثاني : ان نضع امام القارىء ـ بعد ذلك ـ كفتي الميزان ، مؤكدين مرة اخرى حاجتنا الى ممارسة الاجتهاد ، رغم كل المحاذير ، وحسبنا ان ننتبه جميعا اليها . وان ننطلق بعد ذلك ـ بلا مخاوف ولا شكوك . ولو تابعنا تلك المخاوف ما حركنا ساكنا ولبقينا حيث نحن ، قانعين بالتبعية والتخلف ، تمر بنا مواكب الامم والشعوب تحمل الوية القيادة .. والسيادة .. ونحن نكتفي باعلان السخط والانكار ..

تجديد لا تغيير

ان الاسلام هو كلمة الله المنزلة في كتبه والموحاة الى رسله تحمل الخير الخالص والحق الكامل ، واليقين المطلق .. ولكن هذا الدين « الالهي » حين يتصل بالانسان ـ ولا بد ان يتصل به ـ يتحول الى ظاهرة مركبة ، فيها الجوهر الالهي الكامل ، فيها شيء من خصائص عقل الانسان ونفسه ومزاجه بكل ما في الانسان من نقص وضعف واختلاف وتاثر بعوارض الزمان والمكان ، وكل ما يؤثر في الكيان ولهذا فان حديثنا عن التجديد في الاسلام ليس ـ بحال من الاحوال ـ دعوة الى التغيير في الاسلام ، وانما هو حديث موجه الى فكر المسلمين وسلوكهم .. ولعل هذا المعنى الدقيق هو القائم وراء عبارة الحديث النبوى الشريف الذى يقرر ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها (١) . فالتجديد ـ اذن ـ تجديد لامر الدين ومكانته وسلطانه ،وليس تجديدا للدين نفسه.

هذه مقدمة لابد منها لوضع الحوار حول التجديد في الاسلام في اطاره الصحيح .

ان الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد في الاسلام ، وهو ضرورى ولازم وبين الخروج عن دائرته والانفلات من احكامه له جانبه المتصل بالعقل والاجتهاد وحدودهما .. وله جانبه النفسى المتصل بالموقف العام من الاسلام ،رضا به وانقيادا لاحكامه ، او تمردا عليه ، واستكبارا على الدخول في طاعته : والجانب العقلى والفقهى يكمن في هذه الحدود الدقيقة بين الالهي والبشرى فيما يصل الينا من تراث الاسلام ،ويكمن ـ تبعا لذلك ـ في الحدود الفاصلة بين الثابت والمتغير فيما ينقل الينا من ذلك كله ..

وهذه التفرقة ترتد ـ عند محاولة ضبطها ـ الى خمس مسائل اساسية :

الاولى : التحقق من قطعية ورود النص او الدليل الذى يراد استمداد الحكم منه .. ومعروف في هذا ان جميع نصوص القرآن الكريم قطعية الورود من الله تعالى اى ان صحة نقلها الينا منذ نزل بها الروح الامين على النبى (ص) الى يومنا هذا ثابتة ثبوتا لا مدخل للشك معه ، وليس هذا مما تكلم وخالف فيه احد من علماء

---

(١) رواه ابو داود في سننه بسند صحيح .

المسلمين او عامتهم . وما اثاره غيرهم فشديد الضعف بالغ التهافت ، لا يستحق ـ بحق ـ ان يتوقف عنده عاقل اما الاحاديث النبوية فمعروف انها لم تدون فى عصر النبى (ص)مخافة ان تختلط بالقرآن وانما بداوا تدوينها فى العصر الاموى حين كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والى محمد بن شهاب الزهرى ليبدأ فى جمع احاديث النبى (ص) وكان ذلك فى العام المائة من الهجرة .ولم يتم التدوين المكتمل مع ذلك الا فى العصر العباسى اى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة . وقام هذا التدوين على اعتماد رواية الرواة بعضهم عن بعض حتى تتصل الرواية بالنبى (ص) ، ويكون لنا من اتصالها ما يعرف بسند الحديث (اى سلسلة رواته) .. ولقد قسم العلماء الاحاديث المختلفة بحسب تفاوتها فى قوة السند اقساما متعددة . ولكن الدقة البالغة والاحتياط الشديد والجهد العلمى الذى لا نظير له فى وزن القدرة العقلية والقوة الاخلاقية للرواة ، واتصال بعضهم ببعض ، وتقييم ملكاتهم .. ووزن السند كله ـ تبعا لذلك ـ تعد جزءا فريدا من تراث الاسلام لانعرف له نظيرا فى حضارة اخرى من حضارات العالم . ويعنينا من هذا الجهد الهائل انه بفضله توافر لدينا الاطمئنان العقلى الى كثرة من الاحاديث فى الاحكام وفى غيرها ، من ناحية ثبوت ورودها عن النبى (ص) .

بشر يوحى اليه

الثانية : تحديد ما يعد تشريعا وما لا يعد تشريعا من اقوال النبى (ص) وافعاله واساس الحاجة الى هذا التحديد ما قررناه ، واجمع عليه المسلمون ، وشهد له القرآن الكريم من ان النبى (ص) بشر يوحى اليه ، وان بشريته حاضرة فى حياته حضور نبوته ، وان كثيرا من اقواله وافعاله قد صدرت عنه بحكم تلك البشرية دون ان يكون المقصود منها التشريع وتقرير الاحكام الملزمة للناس من بعده . وقد يصرح النبى (ص) بان فعله للتشريع او انه من خاصة امره البشرى وقد لا يصرح بذلك فيستعين العلماء بطبيعة الموضوع الذى ورد فيه الحديث ، وملابساته ، وما يحيط به من قرائن ..

الثالثة : تحديد ما يمكن ان يتغير من الاحكام بتغير الزمان، وهذا ادق ابواب الاجتهاد واصعبها واقربها الى مواطىء الزلل ، والحجة الرئيسية التى يثيرها الرافضون لهذا الباب جملة ، انه لا نسخ فى الاحكام بعد انقطاع الوحى بانتقال النبى (ص) الى الرفيق الاعلى ، وان التغيير ـ بعد عهد النبوة ـ لا يمكن الا ان يكون تغييرا فى الفتيا او فى القضاء ، اى فى الاجتهاد ، والواقع ان الفارق بين الامرين لا يظهر الا حيث يكون فى الامر نص قرآنى او نبوى لا يحتمل التاويل ، ولكن تقوم القرينة على ارتباطه بواقعة معينة هى سبب نزوله وورده ، فينفتح الباب عندئذ لمناقشة مدى الارتباط بين الحكم وسبب نزوله .

ومن هذا الباب ايضا ما نجده احيانا من قول بعض المجتهدين عن حكم معين ان ذلك كان « والناس حديثو عهد بشرك او جاهلية بمعنى انه اذا تباعد الزمن واستقر الايمان وزالت مخاوف الشرك الجلى ، لم يعد للاحتياط الذى جاء به النص ضرورة ولا لزوم » .

ويدرس العلماء المسلمون هذا الامر مع دراستهم للسنة كمصدر للتشريع مفرقين بين مايعد منها « تشريعا عاما » وما لايعد كذلك .

ومن الامثلة على ذلك النوع الاخير قول النبى (ص) « خالفوا المشركين ، وفروا اللحى واحفوا الشوارب » .. ويقول عالم معاصر هو الاستاذ عبد الوهاب خلاف عليه رحمة الله ان « فى نفس صيغة النص ما يدل على انه تشريع زمنى روعى فيه زى المشركين وقت التشريع والقصد الى مخالفتهم فيه.وازياء الناس لا استقرار لها »(٢)

(٢) من بحث له بعنوان « مصادر التشريع الاسلامى مرنة » مجلة القانون والاقتصاد مايو ١٩٤٥ ومن هذا القبيل ايضا الرمل فى الحج (وهوالاسراع فى المشى عند الطواف) فقد قال فيه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « مالنا وللرمل ؟ كنانترااى به بين المشركين (اى نريهم قوتنا) وقد اهلكهم الله » ومع ذلك فان مما يلفت النظر ان عمر عاد فقال : ولكنه امر فعله رسول الله » ورمل .. وهذا الذى فعله عمر يرتبط ـ فيمانرى ـ بالاصل العام وهو متابعة الرسول (ص) فى امور العبادات كلها ، لقوله (ص) :خذوا عنى مناسككم » .

ونستطيع ان نضيف هنا قول الامام الجليل عز الدين بن عبد السلام : كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل .

« المصلحة » دليلا شرعيا

الرابعة :مدى اعتبار « المصلحة » دليلا شرعيا يتمم النصوص او يعارض بعضها وفى تقديرى ان علماء المسلمين مدعوون الى اطالة النظر فى المصالح التى تحققها الاحكام .. فهذه المصالح هى غاية التشريع ، وهى اساس العلة التى يرتبط بها كل حكم شرعى ، والتى اذا زال .. واذ تغيرت تغير معها .. وهذا هو الفهم الرشيد للتشريع الاسلامى فى جملته وتفصيله ، فقد جاء النبى(ص) يحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ولذلك حق ما قاله ابن القيم من ان كل مسالة خرجت من العدل الى الظلم ومن القسط الى الجور ومن الرحمة الى ضدها فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتاويل .

على ان مما يستحق التسجيل هنا أن اكثر المعاصرين الذين كتبوا عن المصلحة قد غلب عليهم الاحتياط الشديد والخوف من المحاذير ، فربطوها بالنصوص ربطا شديدا يكاد يلغى دورها كمصدر مستقل من مصادر الاحكام.

الخامسة : ضوابط تفسير النصوص ، وذلك ان القاضى او المفتى ، والمجتهد بصفة عامة يملك ـ عن طريق التفسير ـ دورا هائلا فى تحديد مضمون الاحكام الشرعية المستمدة من ادلتها الجزئية ، سواء أعلن ذلك ام لم يعلنه ، وسواء عرف ذلك هو أم لم يعرفه .. وكثيرا ما يكون هذا الباب اوسع ابواب التجديد لانه يلتزم اساسا بالنص ولا يحاول معارضته بدليل آخر ، ولكنه يحمّله ـ مع ذلك ـ كل ما يريد ، مما قد لا يكون مقصودا به اصلا ، او يختار من معانيه المختلفة اكثرها اتفاقا مع ميله واجتهاده واختياره .. وما اصدق وادق ما قرره احد رؤساء المحكمة العليا الامريكية فى شرح موقف القاضى من نصوص الدستور حيث يقول : « اننا نخضع للدستور ، ولكن الدستور هو ما نقرر نحن انه كذلك » .

ولهذا كان الاهتمام بضبط اصول التفسير وقواعده مدخلا هاما لوضع الحدود الفاصلة بين التفسير الذى تحتمله النصوص، والتاويل الذى يلوى ذراع النصوص ويحملها مالا تحتمل والذى يدخل بذلك فى نطاق « تحريف الكلم عن مواضعه » وهو حكم بالهوى ، وانفلات عن دائرة النصوص .

هذا هو الجانب العقلى او الفنى من جوانب الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد فى الاسلام والخروج منه .. وغنى عن الذكر ان من اهم ضمانات الاجتهاد توافر شروطه عند من يتصدى له ...وفى مقدمتها العلم بالكتاب وتفسيره واسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه .. والعلم بالسنة واقسامها ورجالها ومنهج وزن الاحاديث متنا وسندا ..والعلم بما وقع فيه الاجماع ... ومعرفة علل الاحكام معرفة تعين على قياس بعضها على بعض ... كما ان الاجتهاد الذى يتم عن طريقه تجديد الفكر الاسلامى لا يمكن ان يظل اجتهادا فرديا ينقض بعضه بعضا . ومن هنا وجب تنظيم الاجتهاد من خلال مؤسسات يمارس العلماء فيها هذا الاجتهاد بطريقة جماعية منظمة ، تيسر اطلاعهم على مصادر معرفة الحق ومعرفة الواقع على السواء .

مسلمون ومعاصرون ؟

اما الجانب النفسى فهو اخطر الجانبين جميعا ، واساسه ان المسلم وقد رضى الاسلام دينا ينبغى أن يكون راغبا بقلبه وعقله كله لتقبل احكامه الثابتة والالتزام بها مطمئنا الى ان هذا الالتزام كفيل بان ييسر له السعادة فى اموره كلها ، وأن يوفر له من اسبابها مالا يوفره نظام آخر ولاتضمنه حضارة اخرى مهما انتشرت وارتفعت الويتها واتخذها الناس عنوانا على التقدم والعصرية.. وهنا لابد لنا من وقفة عند قضية الاسلام والتقدم والعصرية ..

ذلك ان اصطدام المسلمين بالحضارة الغربية الاوروبية قد تم فى مرحلة كان الضعف السياسى والعسكرى غالبين فيها على المسلمين ، فكان طبيعيا ان يترك ذلك بصماته واضحة على الموقف النفسى تجاه الحضارة الغازية .. فاستقر فى وعى اكثر المسلمين ان الحضارة الغربية بمكوناتها العقلية وبنتاجها الفكرى الذى استطاعت به تسخير الكون وتعميره ، مرحلة اكثر تقدما من كل ما عرفته البشرية ، وان الاتجاه اليها ـ بكل مكوناتها ـ تحرك نحو الافضل ، وان متابعة اساليب الحياة

وانماط السلوك السائدة فى الغرب هو معيار التقدم وضمانه على السواء .. واستقر هذا الموقف النفسى وانتقل من جيل الى جيل .

وهذا السلوك وان يكن مفهوما من الناحية الحضارية والتاريخية الا انه غير مبرر ولا مقبول .. ولا بد لنا ـ فى دفعه وتصحيحه من التذكير بامور ثلاثة :

اولا : ان الحداثة والقدم لا يمكن ان يكونا وحدهما معيارا للتقدم والتأخر ..

ان العالم يتغير ، والمجتمعات تتحرك وتتطور ، مافي ذلك شك ، ولكن هذه الحركة لا يمكن ان توصف بانها تقدم الا بمقدار اقترابها من غايات محددة واهداف متفق عليها .. ان السخافات والحماقات ليست وقفا على الماضي وحده ولا على المجتمعات البدائية وحدها ..فحماقة الحرب والقتل والعدوان صاحبت التاريخ الانسانى كله ، ولم تزدها اسلحة العصر الا خطورة وحدة .. فهل يعد ذلك تقدما ؟

ثانيا : ان الحضارة الغربية تمر بأزمة ـ مافي ذلك شك ايضا ـ فالمؤرخون واهل هذا العصر كلهم يكادون يجمعون على ان التقدم المادى والصناعى الذى هيأ للانسان درجة من السيطرة على ماحوله لم يحلم بمثلها من قبل لم يصاحبه تقدم فى نوعية العلاقات الانسانية السائدة ، وان الثمن المدفوع لهذا التقدم قد دفع غاليا من امن الانسان واطمئنانه وتناسق مكوناته النفسية،واستقرار حياته اليومية مع نفسه واسرته والناس جميعا ..

ان حصيلة الكشوف العلمية الهائلة يمكن ان تلخص فى كلمتين اثنتين .. ان الانسان قد وجد العالم .. ولكنه فقد نفسه ..

هذه الهزيمة النفسية

ثالثا : ان الهزيمة النفسية التى حملت كثيرا من مثقفينا على الدعوة الى متابعة الغرب متابعة كاملة تنبع من روية تاريخية خاطئة تفترض دوام السيادة الحضارية للغرب .. مع ان التاريخ شاهد على ان هذا الاستمرار مناقض لقانون من اهم قوانينه . وهو قانونمداولةالايام بين الناس والا فهلكان يخطر ببالاحد منذ ربعقرن انالامبراطورية البريطانية التى لم تكن تغرب عنها الشمس ، ستؤول الى هذا الانكماش العجيب وان المواطن الانجليزى سينكفيء على ذاته مستغرقا بازماته الاقتصادية المتلاحقة ..وان العالم الراسمالىالذى ظل سنوات عديدة يقتسم خيرات الامم وينهب ثروات الشعوب سيواجه ما واجه من تحد قاس املته ظروف منافسته وصراعه مع المعسكر الاشتراكى ؟ وبالمنطق نفسه .. لماذا يفترضالمفكر المسلم او العربى ان بلاده ستظل حيث هى ضعفا وتبعية ؟ ولماذا لا ينقل مشاعره وحياته كلها من مواقع التبعية النفسية الى مقام الاعتداد بالذات..

ان النظر الى اللحظة التاريخية القائمة ، والتصرف على فرض ثباتها وابديتها لازمة من لوازم النقص البشرى .

فاذا كان الحال كذلك ، وكانت الحضارة الغربية تعيش ازمة من اخطر ازماتها ، افلا يحق للمسلم ان يعيد النظر في موقفه العام من تلك الحضارة ، وان يسترد قدرته على النظر الموضوعي اليها والى نفسه ، وان يكون اخذه منها على اساس اختيار واع للمكونات التى يستطيعتوظيفها في تحقيق تقدم انسانى شامل .

اناسترداد الموقف النفسيالسوى ازاء الحضارات الاخرى هو الضمان لبقاء حركة التجديد فى نطاقها السليم ، ولتجنب الانزلاق بها اليمواطيء التبعية العمياء التى يسقط بها دورنا الحضارى فى ترشيد الكون ..

وفى تقديرنا انه قد آن الاوان لينتهى هذا السيل من الكتابة عن حضارة الغرب من منطلق رد الفعل النفسى لهزيمة العرب السياسية والعسكرية فى مواجهتها ، فان هذا المنطلق هو الذى يحمل فريقا من المفكرين على ان يستسلم لها استسلاما كاملا فيختار طريق الاخذ عن ثقافة الغرب بخيرها وشرها وحلوها ومرها .. وهو الذى يدفع اخرين الى ان يتقوقعوا على انفسهم احتماء بالقديم ودفاعا عنه فيرفضوها جملة ، وينكروا كل عناصر القوة والخير فى تاريخها.. ان الحضارة الغربية لم تعد سرا على احد ومكوناتها الرئيسية قد صارت معلنة ومعروفة.. وعناصر القوة والرشد فيها قد صارت مسجلة وموثوقة وتحمل معها شهادة التاريخ .. وابرز هذه العناصر عنصر الاعتماد على العقلواستخدامه

فى اكتشاف قوانين الكون .. والسعي الى تعمير الكون في جانبه المادى وتنمية كل القيم الخادمة لهذا الهدف المعلوم.. اما عناصر العوج والانحراف فيها فترجع الى استيلاء هذا الهدف على كل ما عداه .. وترك القيم الخادمة لهدف آخر هو هدف توجيه حركة البناء والتعمير توجيها يخدم القيم الانسانية الاساسية التى تصنع سعادة الانسان ، وفي مقدمتها قيم العدل والاحسان وانشاء السلام .. ويستطيع العرب والمسلمون ـ اليوم ـ ان يودعوا امراض الهزيمة الحضارية ، وان يعاملوا حضارة الغرب معاملة الند للند ، فياخذوا منها بمقدار ويتركوا بمقدار يهديهم فى اختيارهم ما يلتزمون به من قيم حضارتهم ومعالم رؤيتهم الشمولية للكون ، وترتيبهم الخاص لاولويات المصالح الفردية والجماعية .

وهل هذا الجانب من جوانب الخيط الرفيع الفاصل بين التجديد والسقوط فى التبعية هو الذى يميز دعوة كدعوة السيد احمد خان فى الهند حين قام فى نهاية القرن التاسع عشر يدعو المسلمين الى السير فى موكب الحضارة الغربية والى ان يقبلها المسلمون بكاملها .. وبين دعوة كدعوة الشاعر العظيم محمد اقبال الى تجديد الفكر الدينى فى الاسلام مع توكيد الذات الحضارية وتجنب الوقوع فى اسار الحضارة الغربية التى كان يرى ـ من موقع القوة والثقة بالنفس ـ كل سوءاتها ونقائصها ..

والجيل الذى ضاق صدره ؟

وبعد .. فهذه هى المشكلة .. عالم اسلامى سيطر عليه الجمود الفكرى واستولت على مشاعر علمائه المخاوف والمحاذير .. وأصبحوا اسارى لانتاج المفكرين من اسلافنا القدامى يبحثون عن كل شيء فى كتب الاقدمين مع انها ليست منزلة من عند الله حتى تكون ارفع من قيود الزمن المتطور .. والى جوارهم ـ وبسبب جمودهم هذا ـ تقف كثرة من جيل جديد ضاق صدره بهذا الجمود، ولم ينشأ مع ذلك على معرفة حضارته والاعتزاز بها .. فانطلق يحوم حول حضارة الغرب باحثا لنفسه عن مكان بين ابنائها ، متشبها ـ لذلك ـ بكل ما يفعلون ، ومتأسيا بكل ما يقولون ويكتبون ...

وعلى الجانب الآخر حضارة غربية اكتشفت ـ منذ عصر التنوير ـ قدرة العقل الانسانى على اختراق حجب المجهول وظلماته ، فانطلقت ـ بغير حدود ـ تستعمل هذا العقل ثم تقدسه وتكاد تعبده .. فاطلقت به طاقات كامنة .. لم ترشدها قيم هادية او حافظة ... فكانت الازمة التى تحدثنا عن بعض مظاهرها واعراضها ..

والآن .. وبعد ان وضعنا ايدينا على محاذير التجديد في الفكر الاسلامي، ورفعنا صوتنا مع اصوات المنبهين اليها والمذكرين باخطارها ، وبعد ان حددنا بعض معالم الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد والانطلاق خارج الحدود .. اينتهي بنا الامر من جديد الى السكون القديم ؟؟

ان الاحساس الجارف بحاجة الدنيا الى هداية الاديان هو الذى يردنا بعد هذا الحديث كله الى ما بدانا به مقالنا الاول .. ذلك ان المسلمين لايستطيعون ابدا ان يؤدوا دورهم الذى يطمحون الى ادائه وهم على ماهم عليه من عزلة وجمود وتواكل واشتغال بجزئيات مقطوعة الصلة بواقع الناس .. بعيدة عن قيم الاسلام العليا وجوهر رسالاته الى الناس ..

ولهذا فان المواجهة مع عناصر الجمود ومظاهره تظل الخطوة الاولى على طريق اخراج المسلمين من عزلتهم وضعفهم .

فالمعركة اذن معركتان ..

والوقفة وقفتان ..

وقفة مع النفس تنطلق بعدها القوى وينزاح فيها عن فكر المسلمين ركام التقليد العاجز وتطلق فيها عقول المجتهدين من سجنها القديم، ويتجاوب فيها شرع الله مع واقع الناس ..

ووقفة = بعد ذلك وليس قبله = مع الدنيا كلها يمارس فيها المؤمنون دورهم الذى تناديهم من اجله ـ على غير معرفة ـ كل الشعوب التى تعب من ثمرات حضارة المادة والوفرة والاستهلاك فلاتزداد الا ظما وجوعا وتعبا وقلقا ..

■■

الكويت ـ د. احمد كمال ابو المجد

● حل مسابقة العدد ٢٢٢ ●

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
د	و	ن	ج	و	ا	ن	■	ح	ا	ن	د	ا	ر	ك
ى	ا	ق	و	ت	ا	ص	ف	ر	■	ب	ر	ل	ك	ن
ن	ل	ا	ق	ك	■	ف	ر	س	ا	ل	ب	ح	ر	■
ا	د	ب	■	ر	ا	ق	د	■	ل	و	■	ر	ج	ب
ص	■	ا	ف	ه	■	ط	ى	ب	ه	■	ر	ى	■	د
و	ق	ت	ى	■	م	ر	ن	■	ى	ة	ا	ر	ب	■
ر	ل	■	ر	ب	ا	■	ا	ك	م	ل	ت	■	ا	ع
■	ا	س	م	ا	ء	ب	ن	ت	ا	ب	ى	ب	ك	ر
ى	د	ن	و	■	م	ن	د	ى	ل	■	ج	ا	ر	ف
ا	ه	■	ن	س	ل	■	م	ب	ا	د	ل	ه	■	ت
ن	■	ا	ت	ر	ك	ه	ا	■	ى	ج	ا	ر	ى	ه
ج	ب	ن	■	د	ى	■	ج	ر	ا	م	■	ا	ن	ا
ت	و	ا	ل	ت	■	ج	ل	د	■	ى	م	ل	ا	■
س	ا	ن	ت	ه	ك	ق	ا	ن	ه	■	س	ا	ى	ق
ك	ر	ى	■	ا	ل	ب	ن	س	ل	ى	ن	■	ر	د

أسماء بنت أبي بكر

●

فرديناند ماجلان

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا ، اسماء بنت ابى بكر

هى اخت عائشة بنت ابى بكر الصديق ،وتسمى ذات النطاقين لانها صنعت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما حينما هاجر وابو بكر ،فلم تجد ما تشده به ، فشقت نطاقها ، وشدت به الطعام فسميت (ذات النطاقين) ٠

(٨) رأسيا ، فرديناند ماجلان

بحار برتغالى ، اكتشف مضيق ماجلان جنوب امريكا الجنوبية ٠وكانت سفينته اول سفينة اتمت الطواف حول الارض ، ولو انه قتل اثناء الرحلة بايدى الاهالى فى جزر الفلبين ٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :يونس عبدالمحسن عامر ـ مصراته ـ ليبيا
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :زكي عبدالمجيد رؤوف ـ بغداد ـ العراق
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :سمير توفيق حسين ـ الدوحة ـ قطر

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كلمنها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ احمد عارف الفاني بيروت / لبنان
٢ ـ زامل ابراهيم احمد زامل الرصيفة / الاردن
٣ ـ ابراهيم علي ابراهيم الشيخ/كفرالشيخ/مصر
٤ ـ مشارى عبدالعزيز الفارس الكويت
٥ ـ سوسن الوفائي حمص ـ سوريا
٦ ـ حمد محمد حمد الخرطوم السودان
٧ كمال احمد زين الدين الخرج / السعودية
٨ ـ عدنان جبريل مانشستر / انجلترا



صيد بصنارة : سمكة الاعماق بفمها الواسع ورأسها الكبير وجسمها النحيل ، وصنارتها الطويلة التى تنتهى بنسيج حى يشبه الطعم ، وبه تجذب الاسماك الاخرى الصغيرة ، وتستدرجها الى فمها الواسع دون ان تدرى الضحية اى مصير ينتظرها والفكرة للسمكة وليست من ابتكار الانسان .

من عجائب هذا الكون

أيضاً : الأسماك والطيور والنباتات تمارس.. الصيد والقنص!

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

■ بينما كان ملك سيام يجلس فى احد ابهاء قصره مع ضيوفه وحاشيته فى بداية القرن الماضى ، اذ باحد الضيوف يهب من مكانه مذعوراً ، ويمد يده على قفاه ليتحسس طبيعة هذا السيل المنهمر من « الرصاص » اللطيف الذى اصابه ، لكن .. حمداً لله ، فقد سال الماء على جسده بدلا من الدماء !

وفطن الملك الظريف لما جرى ، فكان أن ضحك حتى كاد أن يستلقى على قفاه ، وضحك معه من كانوا يعرفون أصول اللعبة ، وتعجب الباقون ، وطلبوا تعليلا لاصل تلك الخدعة ، لكن الأمر ليس - فى الواقع - لعبة ولا خدعة .. بل أن ما جرى كان أسلوب حياة السمكة تعيش فى بهو القصر عائمة فى حوض خاص ، وهى المسئولة عن كل ما

حدث للرجل ، وطبيعي أنه لا يوجد بينها وبينه سابق معرفة ، ولا هي كذلك تريد مضايقته ، رغم أنها قد ضربت قفاه بقطرات مائية انطلقت كرصاصات شديدة الاندفاع ، فاصابت الهدف بدقة بالغة !

وماذا في قفا هذا الرجل بالذات من هدف واهداف دون بقية الحاضرين ؟

الواقع أن القفا لم يكن هو المقصود بسهامها المائية ، بل كان الهدف ذبابة تحوم حول القفا حينا ، وتحط عليه حينا آخر ، ومن هنا بدأت السمكة ترصد هذا الهدف الطائر ، يساعدها في ذلك عينان تستطيعان الرؤية في الماء وفي الهواء على السواء ، ولها ميكانيكية خاصة في فمها ، فتاخذ الماء ، وتغلق الخياشيم ، ثم تضغط على ما اخذت ، فيندفع الماء بشدة من قناة ضيقة تتكون بين لسانها وبين سقف حلقها ، ويخرج على هيئة قطرات سريعة الاندفاع ، بحيث تضرب الهدف ، حتى ولو كان على مسافة مترين ، فاذ به من الغارقين في « طوفان » قطراتها !

وما هدفها من ضرب الذباب واغراقه ؟ •• هل لها هوايات في القنص والتصويب كالتي نراها بين البشر في نوادي الصيد وغيرها ؟ •• أم أن في الأمر حكمة تخفى علينا ؟

الواقع ان سمكتنا هذه من عائلة خاصة من الأسماك ، وهي تعرف باسم سمكة « الأرشر » Archer Fish ـ اي رامية السهام (السهام المائية بالطبع ـ اي القطرات) ، وطبيعي أنها لم تلتحق بناد ولا معهد للتدريب على الصيد في الهواء وهي قابعة في الماء ، بل تخرج الى الحياة مع اترابها ، وخطة الصيد في دماغها ، وهي لا تستخدمها في اللهو او التسلية ، بل في الحصول على غذائها ، الذي يتوقف على قدرتها ومهارتها ، فان صوبت واصابت ، غنمت ونالت ، وان كان عكس ذلك ، فالى الجحيم ، فالحياة تحافظ على الأكفاء ، وتقضي على من لا يستحق العيش والبقاء ، او ان شئنا الدقة لقلنا : ان المخلوق المتواكل الضعيف الذي لا يحسن حياته ، هو الذي يكتب بنفسه وثيقة فنائه •• سمكة كان ذلك أو ثعبانا او ذئبا أو انسانا • فالكل امام قانون الحياة سواسية ، كاسنان المشط •

اذن فرامية السهام المائية تقدم لنا طريقة حياة ذكية ، فكما تصطاد المخلوقات الارضية والهوائية ما يتراءى لها من المخلوقات المائية ، كذلك تستطيع المخلوقات المائية أن ترد الصاع ، وتصطاد شيئا مما يحلق في الهواء ، وطبيعي أنها لا تستطيع ان تصطاد نسرا ولا حمامة ولا عصفورا ولا قفا ، بل صيدا يناسب سلاحها ووجبتها •• فهي قادرة على ان توقع صرصورا او فراشة او نحلة او ذبابة ، ولقد بلغ من دقة «تكتيكها» في التصويب أنها تستطيع أن توجه « صواريخها المضادة على الهدف الطائر ، وعليها في هذه الحالة أن تحسب سرعة الانطلاق ، وارتفاع الهدف ، وزاوية الضرب والسقوط •• خاصة اذا كانت تعيش في حوض مائي معزول !

وبالخامات المحلية ، استطاعت السمكة وافراد عائلتها ان تكون « شبكات صاروخية » (من نوع بحر ـ جو) تناسب الحال ، وبها تسقط الاهداف العابرة ، لتصبح طعاما سهلا لكل من رمى فاجاد الرمية •

انها على اية حال فكرة صيد ظهرت قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، وما أغرب الأفكار ـ افكار الحياة !

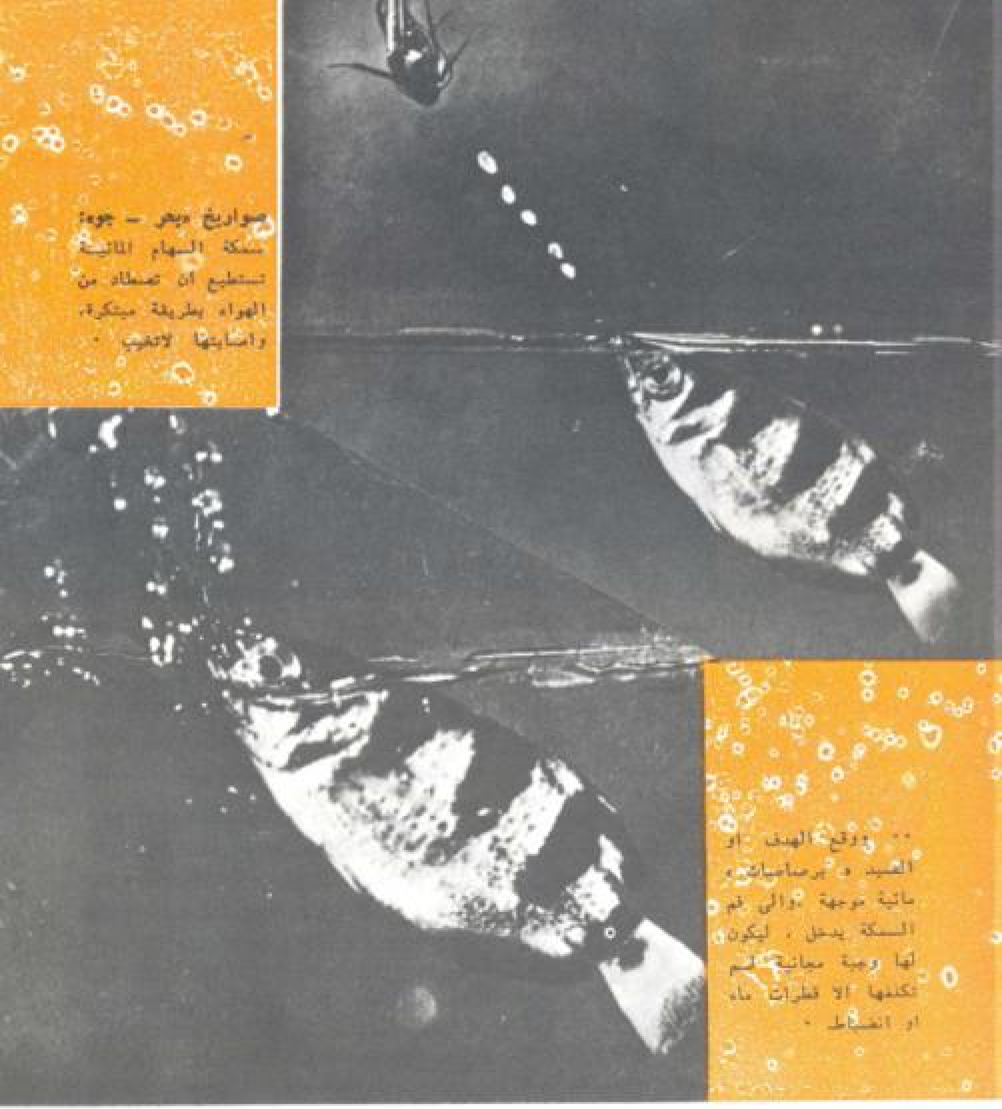
وماذا في الجعبة بعد ذلك من افكار ؟

ليس الانسان وحده

يبدو ان كل فكرة بشرية ، قد سبقتها فكرة حيوانية او حشرية •• اي ان الانسان ليس الوحيد ـ على هذا الكوكب ـ صاحب الافكار او صانعها •

على الشاطىء يجلس انسان ، وفي يده صنارة او شص يتدلى في الماء ، وفي الشص شيء من طعام قليل يخدع به الاسماك ، ويجذبها ، علها تبلع ما القى ، فاذا جازت عليها الخدعة ، خرجت من عالمها الواسع ، الى عالم البطون الجائعة ، وغالبا ما تجوز الخدع على اصحاب العقول الضعيفة ، سمكا كانوا او بشرا !

لكن فكرة الانسان فكرة قديمة ، وبراءة اختراعها تمت في اعماق البحار قبل ان يظهر الانسان بمئات الملايين من السنين ، فهناك في الاعماق صياد ،



صواريخ «بحر — جو»: سمكة السهام المائية تستطيع أن تصطاد من الهواء بطريقة مبتكرة، واصابتها لاتخيب .

.. ووقع الهدف او الصيد « برصاصات » مائية موجهة ، والى فم السمكة يدخل ، ليكون لها وجبة مجانية لم تكلفها الا قطرات ماء ، او اضاط .

وبشصه يصطاد ؛ وصيده أكثر من صيد اذكى انسان ، مع تساوى الامكانيات بين هذا وذاك !

وصياد الاعماق ليس من اولاد « الجان».ان كان هناك جان او أولاد على اية حال ، بل هو سمكة جاءت بشص من نفس نسيجها لتصطاد سمكة أخرى ، أو قل انها عائلة كبيرة من الاسماك ، ذات أجناس وأنواع واشكال واحجام مختلفة ، ولها أيضا أنماط أو « موديلات » من الصنانير المتباينة ، فمنها الطويل جدا ، ومنها القصير جدا ، أو ما بين ذلك تكون أطوال الصنانير ، أضف الى ذلك أن فى نهاية الشص او الصنارة ما يشبه الطعم ، والطعم بدوره يتخذ « موديلات » شتى ، فمنه ما يشبه الدودة الصغيرة ، ومنه ما يجىء على هيئة سمكة دقيقة ، او لسان صغير مشقوق كلسان بعض أنواع الحيات .. الخ ، وأخيرا تبلغ روعة الافكار مداها عندما يصبح الطعم ذاته مضيئا ، ولكل نوع ايضا ضوؤه ، فمنه ذو الضوء الاحمر أو الاصفر أو الابيض او الاخضر .. الخ ، اى كانما هى اضواء اشارات المرور فى عالمنا ، وفكرة الطعم الملون المضىء ليست رفاهية من السمكة ، بل هى لازمة من لوازم نجاح الصيد ، لان السمكة تسكن الاعماق ، وفى الاعماق ظلام شديد ، ولهذا



صيد بشوكه : اهتدى العصفور بذكائه الى احضار شوكة حادة ، واستخدمها كاداة ليخرج بها الديدان والحشرات المختبئة فى الثقوب ، كما نخرج نحن مثلا الشيء من الطبق بشوكة ٠٠ مع الفرق بين شوكة وشوكة !

كان لون الطعم واضاءته من العوامل الهامة التى تجذب الصيد ، فاذا بالذى جاء يصطاد وياكل ما يتماوج امامه فى الاعماق على هيئة وجبة شهية ، اذ به يصبح من الماكولين ٠٠ « وجاء يصيده فصاده » ـ على حسب ما تقول الامثال العامية ٠

ولا زالت أسماك الاعماق ذات الرؤوس الكبيرة ، والافواه الواسعة ، والاجسام الصغيرة تعيش بهذه الفكرة منذ عشرات الملايين من السنين حتى يومنا هذا ، وربما بعد يومنا هذا بملايين الايام والاعوام ، فالفكرة لاشك فعالة وذكية ، وهى قطعا ليست فكرة انسانية ٠٠ فوجب التصحيح لوجه الله الكريم !

لسان الحرباء الطويل

ولنترك من يصطاد برشاشاته المائية ، وصنانيره المضيئة ، ولنقدم مخلوقا معروفا لنا جميعا ، وان كنا لا نعرف انه يحصل على رزقه بلسانه ٠٠ وحتى لا تذهب بنا الظنون كل مذهب ، كان لابد أن نسارع ونقول أن مخلوقنا هذا لا يتكلم بلسان فصيح أو غير فصيح ، فكل مؤهلاته الحقيقية أن لسانه طويل ٠٠ طويل جدا ، فاذا خرج من فمه ، وانفرد عن آخره ، كان أحيانا أطول من جسمه ٠٠ انه لسان الحرباية أو الحرباء التى يضرب بها المثل بين الناس ٠

ولهذا اللسان الطويل ميكانيكية بيولوجية عجيبة تؤهله لاصطياد اكيد وسريع ، فاذا خرج اللسان من الفم خاليا ، عاد فى اغلب الاحيان غانما ٠٠ اما بفراشة او دودة او اية حشرة تهواها نفسه ، وتشبع بها بطنه !

ولسان الحرباء مجوف كقطعة من الأمعاء ، ولقد كان الظن السائد انه ينطوى على نفسه داخل الفم ، فاذا خرج ليصطاد ، خرج مندفعا كانبوبة منفوخة ، لكن الامر ليس بمثل هذه البساطة ، لان اللسان محكوم بجهازين او مجموعتين من العضلات ، احداهما طولية فى اللسان ، فاذا انكمشت ، انطوى اللسان كما تنطوى ثنيات جهاز « الاوكورديون » وعندئذ يلتصق بعظمة غضروفية تبرز من « زوره » ، وعندما تريد تشغيل لسانها او « بندقيتها » العجيبة ، فانه يتحرك كوحدة متكاملة الى الامام (كانما هو بطارية مدفع مثلا جاهز للانطلاق) ، وتتحرك الحرباء كذلك حركة تسللية شيطانية غاية فى الحرص والانضباط والتوجيه ، ثم تقف وجهازها او لسانها فى بداية الفم ومستعد للانطلاق فى اية لحظة كقذيفة مرتدة ٠٠ اى تضرب الهدف ، وبه تعود ، فاذا بدات الضرب فى لحظة خاطفة ، حدثت حركة تشنجية ضاغطة بواسطة مجموعة من عضلات دائرية تتحكم فى طرف اللسان ، فتدوس على الغضروف المتحكم ، فيسقط كما يسقط الزناد ، وينفرد اللسان بقوة وبسرعة الى الخارج من خلال عضلاته التى تجرى فيه بالطول ، وفى ذات الوقت الذى

يصل فيه الى الضحية ، تكون ميكانيكية عضلية ثانية قد سحبته وطوته ، وبحيث لا تستطيع العين البشرية ن تسجل ما يحدث ، وهكذا تجيء الرياح بما تشتهي السفن ٠ نعني تجيء الألسنة بما تشتهي البطون ٠

وهذه الفكرة ذاتها ـ فكرة الحرباية ـ قد « لطشها » الانسان ، واستخدمها استخداما بدائيا لكي يصطاد بها كلبا أو حيوانا ٠٠ وهي فكرة القاء حبل ذي « خية » لتلبس في راس الحيوان او الضحية ٠٠ لكن تكتيك الحرباء أرقى ، وفكرتها

صيد اللسان : انطلق لسان الحرباء كالصاروخ ليصيب الهدف تماما ، وبه يرجع في لمح بالبصر ٠٠ وهكذا تكسب قوتها بطول لسانها!



اعتى ، ونتيجتها لا تجارى ، فكل شيء قد صمم بحكمة بالغة ، لنعرف رؤوسنا من أرجلنا ، حتى لا يصيبنا الغرور كلما فعلنا شيئا حسبناه مبتكرا !

درس من العصفور

يقولون ان الانسان صانع الادوات ، حتى ولو كانت هذه الاداة عصا يتوكا عليها ، أو حجرا مسنونا يقطع به ما لا يستطيعه بيديه واسنانه ، ومع ذلك ، فالطبيعة الحية تقول لنا : مخطئة افكاركم ٠٠ راجعوا انفسكم ، ففي الحياة كنوز مخفية ، لا تكشفها الا عقول ذكية ، توضح لنا ما خفي علينا من أسرار الله في خلقه ٠٠ وهي كثيرة ومثيرة وبديعة ٠

والقرود ـ خاصة القردة العليا القريبة الشبه بالانسان ـ تستطيع أن تصنع أدوات جد بدائية ، وتستخدمها في اغراض محددة ، وبدون هذه الأدوات ، لا تصل الى ما تريد ٠

لكن أن يصبح صانع الاداة عصفورا صغيرا ، فهذا ما لا يمكن ان يطرأ لنا على بال ، فبينما كان داروين صاحب نظرية التطور الشهيرة يتجول في جزر الارخبيل ، لاحظ أنواعا عديدة ومثيرة من كائنات لم تقع عليها عين فاحصة من قبل ، وكان ما رآه عصفورا مغردا يهوى الديدان والحشرات التي تختبيء تحت قلف الاغصان ، وشقوق الاشجار ٠٠ لكن منقاره صغير ، ولن يسعفه في الحصول على قليل او كثير !

لكن ٠٠ لحظة ٠٠ فما استحق الحياة من لم يعرف كيف يتقلب على مشاكلها ، حتى ولو كان ذلك عصفورا ليس له مع المفكرين أدنى نصيب ٠٠ لكن يبدو انه « فكر وتدبر » ونظر وقفز ، وبمنقاره الحاد أخذ يعالج شوكة صلبة على نبات ذي أشواك ، وانتزع واحدة ، وفي منقاره حملها ، وبشدة أمسكها ، وفي الثقوب ، وتحت قلف الأشجار بدأ يغرسها ، ثم يخرجها ، وفيها يخرج ما يهواه من صيد ميسور ـ صيد لم يستلزم الا فكرة ٠٠ هي غرس شوكة كالابرة ، لكن نفس هذه الفكرة يستخدمها الشمبانزي عندما يريد صيد النمل الأبيض ، ويستخدمها أيضا الرجل الاسترالي

البدائي في البحث عما خفي عليه من حشرات محببة الى نفسه في الثقوب الكثيرة الكائنة في الاشجار ، ونستخدمها ايضا على موائدنا عندما نريد الحصول على شريحة من لحم أو اي شيء غارق في الشوربة ٠٠ ولا يلزم لهذا الا شوكة ، لكنها تختلف عن شوكة العصفور ـ الصياد الصغير ، صاحب الدرس المثير ٠

وغول النمر ايضا !

وتزعم بعض الأساطير بأن الآبار المهجورة ، والحفر المشقوقة هي مساكن « للغولة »٠٠والغولة حيوان خرافي رهيب ، ولطالما وقع في قبضته بعض الآدميين ، فلم يخرجوا من الآبار ولا الحفر الا عظاما مدقوقة ، هذا ان قدر لهم أن يخرجوا على اية حال ٠

ترى ٠٠هل هناك علاقة بين هذه الحفر وغيلانها الأسطورية التي تأكل البشر ، وبين تلك «الغيلان» التي تعيش معنا ، وتحت اقدامنا في رمال هذا الكوكب ؟

الواقع أن هناك حشرة تعرف باسم « غول » النمل ، وأحيانا باسم أسد النمل،ولها في الصيد فكرة مبتكرة وشيطانية ، ففي الرمال تدفن نفسها، بعد أن تكون قد جهزت حفرة صغيرة كقمع ذات جدار أملس ناعم ، ولو دققت النظر في قاع القمع أو الحفرة الملساء ، لوجدت زائدتين صغيرتين بارزتين ، لكن لا شيء فيهما يثير الانتباه ، ومع ذلك ، ففيهما تكمن المأساة ،اذ هما بمثابة المقصلة او الفكوك المفترسة التي تهون بجوارها الفكوك التي نراها في الأفلام٠٠اضف الى ذلك أن الفكوك كثيرة ، لأن غيلان النمل منتشرة هنا وهناك (كما نراها في الصورة المنشورة) بجوار مستعمرات النمل ، ولهذا فان الصيد مضمون ، وهناك دائما آكل ومأكول ٠٠ لكن المأكول لا يعرف يقينا متى سيؤكل ، ولو عرف ، لما وقع المحظور !

النملة الآن تسير متهادية مطمئنة ، وفجأة تجد نفسها على حافة هاوية ، واذ بالرمال الناعمة تنهار تحت ارجلها ، فتحاول أن تتجنب الكارثة ، فتزيد الأمور تعقيدا ، والرمال انهيارا ،والنملة انحدارا،حتى تقع في الهاوية ،وهنا تبدأ الأحداث البشعة ، فاذ بهاتين الزائدتين المسالمتين تظهران كفكين عظيمين قويين يزهقان حياة النملة في لحظة خاطفة ، واذ باجزائها تتناثر كما تتطاير بندقة تحت كسارتها ٠

ويستمر غول النمل في حفرته ، بعد أن يسوي ما تهدم من جدار مصيدته ، ويعيش على «فزفزة» النمل كما يعن لبعض البشر « فزفزة » اللب ، وهكذا تقدم لنا الحياة صورة بشعة لعالم مليء بالأفواه المفتوحة،والبطون الجائعة ، ولكل مخلوق فكرته في الايقاع بغيره ، وعندئذ قد لا ينفع الحذر، اذا ما ضحك القدر ٠

وصور اخرى كثيرة وغريبة ، ونحن لا نستطيع ان نقدمها هنا لضيق المجال ، لكن دعنا نقدم صورة واحدة من صور الصيادين في عالم النبات٠٠فكما نصب صيادو الحيوان شباكهم ، كذلك ينصب النبات شباكه ، ليصيد الحيوان لحما ، ويرميه « عظاما » ٠

وفكرة النبات هنا لا تختلف كثيرا عن فكرة الفخ ذي الأسنان التي اذا اطبقت على الضحية لم تتركها أبدا،والنبات اسمه صيادة فينوس للذباب، ولتلك أسطورة،لكنها لا تهمنا كثيرا،لان الصيادة تصطاد بورقتها ، وورقتها قد تحورت واتخذت شكل الفخ الذي يصنعه البشر ، لكن فكرة النبات أقدم بكثير من فكرة الانسان ، ولكي يصطاد النبات ، فلابد أن يجهز مصيدته بطعم ، فيفرز مادة حلوة ، وتأتي ذبابة أو فراشة أو جرادة،ومع اول قطرة من وليمة الموت ، تطبق الورقة بقوة ، وتظل هكذا ساعات وأياما ، فتمتص رحيق الحيوان اعتصارا ، ثم تلقيه حطاما ، وتعاود اللعبة الأزلية ٠٠ لعبة الموت والحياة ٠

مات الصيد ٠٠ عاش الصياد !

لكن للصياد يوما ٠٠ حتى ولو طال الزمان٠٠ حكمة بالغة ، « فهل من مدكر » ؟! ■ ■ ■

الاسكندرية ـ الدكتور عبد المحسن صالح

العقل فى قفص الاتهام !

ما رأيكم : نستخدم العقل أو لا نستخدمه ؟

واحد من علمائنا فى مركز دينى رفيع ، خصص فصلا كاملا فى كتاب اخير صدر له ، يهاجم فيه العقل ويندد به ، ويعتبره مفسدة للقلب وجرثومة ضارة يجب أن تعبأ الجهود من أجل القضاء عليها ، قبل أن يستفحل الداء وينتشر الوباء ، وتحل الكارثة على أمة المسلمين ، فتشيع بينهم ـ والعياذ بالله ـ آفة استخدام العقل !

وتأكيدا لموقفه فى تسفيه العقل ، فان الشيخ سامحه الله روى لنا فى كتابه الذى قدم فيه سيرة أحد الاولياء ، انه عندما شرع فى تأليف الكتاب سافر الى مقام ذلك الولى ، واستأذنه ، فاعطاه الاذن .. كيف ؟ هذا سؤال يطرحه السذج والمرضى بالداء اللعين ، ولا يجول بخاطر الاصفياء اطهار القلب والروح . الا ما الغرابة بالله عليكم فى أن يبعث واحد من الاحياء برسالة استفهام الى واحد من الاولياء ، يرقد فى قبره منذ عشرات السنين فتقرأ الرسالة فى العالم الآخر ، ثم يجيء الرد عاجلا وموصى عليه !!

وهجوم الشيخ ذو المقام الرفيع على العقل ليس جديدا . فتلك موجة تنشط بين الحين والآخر ، تحاول ان تصد ـ اذا حسنت النية ـ تيارات الفكر المادى القادمة من وراء حدودنا ، وهى موجة خطرة فى الحقيقة لانها تخلط بين استخدام العقل وعبادته . فضلا عن انها تربط بين الدعوة الى استخدام العقل وفلسفة المذهب العقلى أو التجريبى ، التى تنكر كل ما لا يخضع للتجربة الحسية ، الامر الذى يرفض فى النهاية الاعتراف بكل ما هو غيبى . ومن هؤلاء مولانا أبو الاعلى المودودى ـ العلامة الهندى الشهير ـ الذى عكست كتاباته هذا الخلط ، اذ قال فى كتابه « نحن والحضارة الغربية » : ان الايمان وطلب الحجة العقلية كشرط من شروط الاطاعة والاذعان أمران متناقضان لا يسوغ العقل السليم اجتماعهما ابدا ، فالذى هو مؤمن لا يمكن ان يكون طالبا للحجة بحكم منزلته هذه ، واما الذى هو طالب للحجة العقلية على هذا النحو فلا يمكن أن يكون مؤمنا » . (الطريف أن المستشرقة الالمانية زجريد هونكة قالت فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » ان أهم ما قدمته الحضارة الاسلامية الى الفكر الغربى هو المنهج التجريبى !

هذا يحدث اذا حسنت النية ، غير اننا لا بد ان نسجل ايضا أن الحملة الضارية على العقل تصدر احيانا بدافع الرغبة فى تحذير الجماهير والابقاء عليهم فى حالة من الغيبوبة ، الأمر الذى يتهدده دائما أن يستيقظ العقل ويتحرك الانسان بوعيه كاملا .

●

ونحن لن نناقش اجابة السؤال الذى طرحته فى البداية ، ولن نناقش ايضا حجج المهاجمين للعقل والمحذرين من استخدامه على اختلاف نواياهم ومقاصدهم ، ذلك انه من العبث ان ندخل فى جدال حول قضية استخدام العقل او الغائه بينما نحن نقف على ابواب القرن الواحد والعشرين . لكننا فقط سنسجل بعض الملاحظات حول الموضوع :

الملاحظة الاولى : هى ان هذا الكلام الذى يقوله المهاجمون للعقل هو نفسه الذى كانت تردده المجامع الكنسية فى العصور الوسطى لمواجهة التاثر بالفكر الاسلامى المستنير ، الذى كان اشعاعه يصل الى أوروبا عبر الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا - ولعلنا نذكر التحذيرات التى كان يطلقها رجال الكنيسة لمنع المتعلمين من تداول افكار الفيلسوف المسلم ابن رشد ، والتى وصلت الى حد اتهام هؤلاء المتعلمين بالمروق والضلال •

فى عصور الانحطاط وفى ظل الحرص على تجهيل الناس كان من الطبيعى ان تنطلق الحملة ضارية لتهاجم العقل وتشهر باثاره المخربة والمدمرة • وهذا موقف منطقى ، اذ ان الظلام لا يتهدده ولا يبدده الا شيء واحد وخطر واحد هو : النور •

الملاحظة الثانية : ان هذا السلوك يتعارض تماما مع موقف الاسلام من العقل • ذلك ان « القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل بـه والرجوع اليه ، ولا تاتى الاشارة اليه عارضة او مقتضبة فى سياق الاية ، بل هى تاتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى كل معرض من معارض الامر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، او يلام فيها المفكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه » ــ عباس العقاد فى كتابه « التفكير فريضة اسلامية » •

ولا بد ان تسجل هنا الملاحظة الذكية التى طرحها الفيلسوف والشاعر محمد اقبال فى كتاب « تجديد الفكر الدينى » ، والتى قال فيها انه كان من الطبيعى ان يكون محمدا عليه السلام هو آخر الأنبياء ، لانه بعد ان اسلم البشرية الى عقلها ، لم يعد هناك مجال بعد لنبوة جديدة ورسالة جديدة •

الملاحظة الثالثة والمدهشة ، هى ان ما يقوله فريق من علمائنا الان ليس فقط متعارضا مع موقف الاسلام الحقيقى من قضية العقل ، ولكنه متخلف بحوالى ستة قرون عن مسيرة الفكر الاسلامى ذاته • فعندما نقرأ كتابات بعض الفقهاء المسلمين منذ ٦٠٠ سنة نجد انها اكثر استنارة واوفر شجاعة واعمق فهما للدين من بعض فقهاء هذا الزمان •

ولشيخ المجتهدين ابن تيمية كتاب كامل فى « رد تعارض العقل والنقل » • خصصه لمناقشة القضية من زاوية دقيقة تتمثل فى السؤال التالى : ما العمل اذا تعارض الشرع ــ وهو المنقول الينا من غيرنا ــ مع العقل •

فى رده قال ابن تيمية : اذا حدث التعارض بينهما « فاما ان يجمع بينهما وهو محال ، لانه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا (اى يرفضا جميعا) • واما ان يقدم السمع وهو محال ٠٠ لان العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه ، كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو اصل النقل • والقدح فى اصل الشيء قدح فيه • فكان تقديم النقل قدحا فى النقل جميعا » • والحل ؟ ٠٠ يرد ابن تيمية « فوجب تقديم العقل » •

لم يضيف شيخنا الجليل ان هذا الـرأى بمثابـة « قانون كلى » عند اكثر الائمـة المجتهدين ، الفخر الرازى واتباعه ، وقبله الامام الغزالى والقاضى ابو بكر العربى والباقلانى •

وهذا صحيح ، فابو بكر الرازى يقول فى كتابه « المطالب العلية » لما كان العقل اصلا للنقل ، كان الطعن فى العقل موجبا للطعن فى العقل والنقل معا ، وهذا محال • (لاحظ ــ مرة ثانية ــ ان هذا الكلام قيل منذ حوالى ٦٠٠ سنة) •

والامام ابو حامد الغزالى يقول فى « رسالة قانون التاويل » فمن بعض وصاياه : ان لا يكذب برهان العقل اصلا ، فان العقل لا يكذب ، ولو كذب فلعلـه كـذب فى اثبـات الشرع ، اذ به عرفنا الشرع ، فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكى ؟؟

والامام ابن حزم يقول فى كتاب « الاحكام فى اصول الاحكام » انه يطل ان يعلم صحة الخير بنفسه ، اذ لا فرق بين صورة الحق وصورة الباطل ، فلا دليل يفرق بينهما ،وليس ذلك الا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل .

وللجاحظ عبارة مشهورة يقول فيها : ان العقل هو وكيل الله عند الانسان .

هو « اكتشاف » قديم اذن ، مسجل ومعمول به منذ نزل القران الكريم ، وسال المسلمين فى اكثر من موضع « افلا تعقلون ؟ » ، ثم اشار فى اكثر من موضع ايضا ان الله سبحانه وتعالى يفصل الآيات لقوم يعقلون ثم اكد ان العقل سبيل الى معرفة الله،عندما خاطب المشركين فى سورة الانبياء قائلا : « اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون»؟.

●

لكن هناك تفرقة منطقية ومفهومة بين امور العقيدة الثابتة دائما ، وامــور الدنيــا المتغيرة دائما . او على حد تعبير المفكر الاسلامي الدكتور محمد المبارك ، الدائرة الغيبية التى يعد التسليم بها من مستلزمات الايمان ، والدائرة السببية التى يعد استخدام العقل فيها من مستلزمات الحياة التي لا تثبت على حال .

هذا الموقف الاسلامي من العقل سلح المسلمين الاوائل بجسارة بالغة ، مكنتهم من الذهاب الى مدى بعيد فى الاجتهاد ، حتى انهم هم الذين وضعوا الاساس الحقيقى لما عرف بقاعدة « تغير الاحكام بتغير الزمان والمكان » . اى ان الحكم ينبغى ان يوضع فى موضعه الصحيح ، بحيث يصبح لا محل لتطبيقه اذا تغيرت ظروف الزمان او المكان .

مثلا ، ينص القرآن على ان توزع الزكاة على سبعــة بنود ، بينها بند « المؤلفـة قلوبهم » ، وهم ضعفاء الايمان الذين يخشى من ردتهم عن الاسلام اذا هم لم يعطوها ، اوالذين يرى انهم يسهمون فى قضاء مصالح المسلمين الهامة . وكان النبى عليه السلام يطبق النص ويعطيهم حصتهم من الزكاة . وعندما تولى ابو بكر جاءه بعض هؤلاء «المؤلفة» يطالبون بحصتهم ، فكتب الى عمر بن الخطاب بذلك . لكنهم عندما توجهوا الى عمر قرأ الرسالة ثم مزقها ، وقال لهم : لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الاسلام واغنى عنكم .

لقد استخدم عمر بن الخطاب عقله الفذ ، واقتنع بانه لم يعد هناك مصلحة او مبرر لتطبيق هذا النص ، والتزم بقناعته .

وبمثل هذا المنطق عالج الخليفة عمر مسالة السرقة فى عام المجاعة ، عندما اوقف تنفيذ عقوبة قطع يد السارق،رغم النص عليها فى القران ، لان ظروفا متغيرة طرات على الموقف لم يكن ملائما معها ، بل كان من الظلم فى ظل تلك الظروف ، ان يطبق الحد على الجياع.

وكان اجتهاده ايضا فيما هو سنة عن رسول الله (ص) ، عندما منع اراضى سواد العراق واراضى مصر والشام على المجاهدين الفاتحين الذين طالبوا بتقسيمها بينهم ، كما تقسم الغنائم الحربية بعد اخراج خمسها لبيت الله ، محتجين بظواهر نصوص القران والسنة . وأبقى عمر بن الخطاب على الارض بين ايدى اصحابها ، يؤدون عنها الخراج لينفق على مصالح عامة المسلمين .

والنماذج كثيرة ، وكلها تنطق بحقيقة هامة هى ان المسلمين الاوائل لم يترددوا فى ان يناقشوا الاحكام باهدافها ومبرراتها ، بحرية واسعة وصلت الى حد الاجتهاد فى فهم نصوص القران ذاتها وسنة النبى علية السلام .

اخيرا ، ما رايكم : نستخدم العقل اولا نستخدمه ؟ ؟

فهمي هويــدى



هل العرب أثرياء حقاً؟

بقلم : الدكتور محمد سلطان ابو على

■ يتواتر في المحافل الدولية في أعقاب ارتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٣ ان العرب أصبحوا أثرياء. ويبرز ذلك اكثر ما يبرز في الاجتهادات التى تتنبأ بمستوى الدخل القومى الذى ستحصل عليه البلدان العربية المنتجة للبترول خلال السنوات القادمة ، ومقدار الانفاق المتوقع ، وما سيتراكم لديها من احتياطات وارصدة لم تنفق . كما تتسابق الدول الصناعية فى جذب هذه الاموال – او ان شئت نقل الفوائض النقدية – الى مصارفها او اتاحة فرص استثمار متنوعة داخل اراضيها سواء فى صورة عقارات او اسهم بالشركات الصناعية الكبرى . وهكذا اقترن الثراء بالعرب منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فهل اصبح العرب حقا اثرياء ؟ وهل هذه الارصدة تجعلهم اثرياء ؟

وقبل ان نجيب على هذا التساؤل لا بد من النظر فى معنى الثراء . فلا شك ان الثراء شيء نسبي يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر . ولا يمكن ان يعرف الثراء بطريقة مطلقة ، ولكن يتم ذلك بمقابلته بنموذج قائم او مرغوب فيه .

فالمجتمع الذى يعتبر ثريا بالمقارنة بمجتمع ما قد لا يكون كذلك بالنسبة لمجتمع آخر . ولا يوجد مقياس حقيقى للثراء الاقتصادى – فى رأينا – حجم ونوع الهيكل الاساسى (اى الطرق والكبارى والمطارات والموانىء ... الخ) وكذلك مقدار السلع والخدمات التى ينتجها المجتمع فى مجالات الزراعة والصناعة والترفيه والتعليم وغير ذلك . ومن ثم فان الثراء الحقيقى للمجتمع هو خلق فرص المعيشة الكريمة لجميع افراده مع اتاحة الفرصة للترقى والابداع ، والاسهام بفعالية فى مجريات الامور الدولية سياسية كانت ام اقتصادية وحضارية . اما المجتمع الذى يعيش على هامش الحياة ، ويعتمد على الآخرين فى مجال العلوم والفنون بل واستيراد الغذاء والكساء ، ولا يقدم رسالة للانسانية ، وتكون تصرفاته ردود افعال وليست افعالا فيها المبادأة والحركية ، فلا يمكن ان يكون الا مجتمعا فقيرا ضعيفا .

في عالم الثراء

لا يختلف اثنان على ان العالم الغربي هو عالم الثراء • بل يستخدم لفظ الدول الغنية كبديل للدلالة على الدول الغربية • وتبرز معالم هذا الثراء في شتى انشطة الحياة • وتقتضي ظروف عمل الكاتب ان يمر كثيرا بعدد من المدن الاوروبية مثل باريس وفرانكفورت وبروكسل • وكما هو معروف فاول ما يقابله الانسان في هذه المدن المطارات الرحبة الشاسعة التي تتدفق فيها الحركة في سهولة ويسر • وتتكون معظم هذه المطارات من طوابق متعددة احدها للوصول واخر للمغادرة وربما طوابق اخرى للطيران الداخلي • واذا لم تك هذه المطارات متعددة الطوابق فانها تمتد على مساحة كبيرة • ومنذ ان يخرج المسافر من باب الطائرة يسير في صالات وممرات لا يخرج الى الطريق العام الا عند الباب الخارجي للمطار •

وعلى سبيل المثال يوجد بباريس ثلاثةمطارات احدها مطارشارل ديجول الذي بنيعلى احدثطراز • وتمتد الممرات بداخله فيما يشبه مركبة الفضاء • والقنوات التي تنقل الركاب بين الطوابق غلفت بالزجاج بحيث يرى المسافر بعض الناس فوقه واخرين اسفل منه • ومن مكتب انهاء اجراءات الجوازات والتاشيرات الى صالة انتظار ركوب الطائرة تسير احزمة متحركة مسافة تقرب من الكيلومتر،مما يمنع ازدحام المسافرين • ومن اللحظة التي تتسلم فيها شركة الطيران حقائب المسافرين لا يمسها انسان الا اسفل الطائرة حيث يتم تحميلها في وقت قصير جدا • ولهذا يكفي ان يصل المسافر الى المطار قبل اقل من ساعة من موعد اقلاع الطائرة •

وعندما يخرج المرء من المطار يجد امامه العديد من وسائل المواصلات التي تنقله الى وسط المدينة تتنوع بين قطار وسيارة اجرة واتوبيس • وبالرغم من المسافة التي قد تزيد على ثلاثين كيلو مترا لايستغرق الوقت اللازم لقطعها نصف ساعة • ويرجع الفضل في ذلك اساسا الى الطرق السريعة الجيدة التي لاتعترضها اشارات مرور • كما ترى في بعض المناطق ثلاثةمستويات من الطرق فوق بعضها البعض بالاضافة الى الانفاق •

ولاتوجد في معظم الاوقات صعوبة في العثور على حجرة بالفندق حيث يوجد العديد منها وعلى درجات مختلفة • اما داخل المدينة ، فيعتبر مترو باريس من اشهر وسائل النقل داخل المدن ويتصف بالنظافة ويتشعب لكي يصل جميع انحاء المدينة ببعضها البعض •هذا علاوة على تكاليفه الزهيدة. اما مشكلة الاسكان ـ فبالرغم من الحديث عنها ـ فانك ترى العديد من اللافتات التي تعلن عنوجود شقق للبيع او للايجار • صحيح انها قد تكون بعيدة عن وسط المدينة بعض الشيء ولكنها متاحة • كما قد تكون اسعارها باهظة ولكن مدخول الافراد مرتفع ايضا •

اما خدمات الهاتف فهي متاحة بسهولة ويسر • ويستطيع الانسان ان يتصل مباشرة من اية مدينة اوروبية باخرى دون تدخل عامل الهاتف • بل تستطيع في بعض الاماكن الاتصال من المدن الاوروبية مباشرة بالمدن الامريكية وذلك بواسطة الاقمار الصناعية •

وبالرغم من الخلافات التاريخية التي كانت قائمة بين البلدان الاوروبية ـ وربما كاناشهرها الحروب الفرنسية الالمانية ـ فانه من اليسير التنقل بين العواصم الاوروبية حيث توجد اكثر من وسيلة للانتقال • فالطرق التي تربط الدول الاوروبية المختلفة سريعة ومتشعبة ، والاجراءات الادارية للسفر تكاد تكون غير موجودة • ويستطيع رعايا بلدان السوق الاوروبية المشتركة الاصليين (فرنسا والمانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج) دخول اى بلد من البلدان الاعضاء دون ان تختم جوازات سفرهم ويكتفي بمجرد التحقق من سريان مفعولها • كما توجد اكثر من رحلة جوية بين جميع العواصم الاوروبية • وتربط شبكة السكك الحديدية بين المدن المختلفة ربطا تاما ، وتتم اجراءات الجوازات بداخلها دون عطل أو تأخير • وعن طريق هذه السهولة في الانتقال تتم الاعمال بكفاءة عالية •

واذا انتقلنا من مجال الخدمات الى مجال الانتاج

لوجدنا ان هذه البلدان الاوروبية تصنع العديد من السلع الاستهلاكية والمعمرة والانتاجية ٠تنتج انواع كثيرة من السيارات في كل من فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا تكفي للاستهلاك المحلي وتصدر اعداد كبيرة منها للخارج ٠ وكذلك الحال بالنسبة للصناعات الاخرى الغذائية والملابس والغزل والهندسية والاساسية وغيرها٠ وفي مجال الزراعة فان الانتاجية الزراعية لهذه البلدان مرتفعة جدا وتنتج نسبة كبيرة من احتياجاتها المحلية٠ فباستثناء انجلترا التي تستورد جانبا ملموسا من حاجاتها الغذائية تكاد تكفي معظم البلدان الاوروبية حاجاتها الغذائية من انتاجها الذاتي٠صحيح ان هذه الدول تقوم باستيراد وتصدير منتجاتها لبعضها البعض، ومع غيرها من الدول ،الا ان هذا نابع من الرغبة في تنويع الاستهلاك والتعاون مع العالم الخارجي ٠ ولكن اذا اضطرتها الظروف ـ لسبب او لاخر ـ الى الاعتماد على نفسها فانها تستطيع ذلك الى حد كبير ٠

ومن ناحية اخرى ، تتسم ظروف العمل التي يعمل فيها المزارع والعامل باليسر ويكتنف حياته النظافة والرخاء ٠فيعيش معظمهم في منازل على درجة عالية من الراحة بها مياه جارية وكهرباء ، ومؤثثة جيدا وبها تلفاز وغير ذلك من وسائل الترفيه ٠ كما يمتلك معظمهم سيارات مما توفر لهم وسائل انتقال مريحة ٠

ويكمن وراء كل ذلك البحوث العلمية في معاهد التعليم ومراكز البحوث في الصناعة وغيرها ،وتضع هذه المؤسسات الاكتشافات العلمية موضع التطبيق كاختراع سلع جديدة او وسائل انتاجية اكثر كفاءة ٠او انتاج ذات البضائع بتكاليف اقل وينتج عن البحوث والتنمية تسجيل عدد هائل من براءات الاختراع سنويا ٠ وبالرغم من هذا الاطناب لعلي لم اتناول جميع جوانب الثراء المادي للغربي ولكن ارجو ان اكون قد صورت ما يعنيه الغنى الاقتصادي ولعله ايضا يجسد ما يتطلع اليه العالم الثالث من وراء التنمية الاقتصادية ٠

حقيقة العالم العربي

واذا انتقلنا الى بلادنا العربية التي يصفونها بالثراء ويبحثون عن كافة الوسائل الممكنة التي يستطيعون بها الاستحواذ على ما لديهم من اموال ـ لوجدنا صورة ينفطر لها القلب حزنا وكمدا٠ ويجب ان نسارع بالقول ان الهدف ليس التقليل من شأننا نحن العرب، او تنمية مركب بالنقص لعدم حوزتنا للاشياء السابق ذكرها٠ ولكن على النقيض من ذلك فاننا نود ان نؤكد على التحدي الذي يواجه الامة العربية حتى نستطيع ان نسلك الطريق الذي يعيد لنا مكانتنا بين الامم ٠ وصحيح ان كثيرا من الدول العربية قد وضع خططا اقتصادية طموحة ويعمل على تنفيذ مشروعات كبيرة الا ان واقعنا يلزمه الكثير من الاجراءات والاعمال ٠

وكما هو معروف تتصف المطارات العربية اجمالا بالازدحام ٠ وتنتج هذا عن صغرها من ناحية ومن كثرة المسافرين من ناحية اخرى ٠ كما ان تدفق الحركة في معظمها بطيء يحتاج الى وقت لانهاء الاجراءات اللازمة ٠ ولا توجد تسهيلات ملموسة لنقل امتعة الركاب من الطائرة الى مبنى المطار مما يترتب عليه طول فترة الانتظار ٠ويا للمعاناة التي سيواجهها الراكب لو كان عابرا الى مدينة اخرى مطارها مغلق ٠ فيذكر الكاتب انه امضى ليلة احد ايام الشتاء القارص واقفا في مطار احدى المدن العربية ـ ببلد يدعى ثريا ـ واقفا بالرغم من معرفة شركة الطيران بعدم اقلاع طائراتها الا صباح اليوم التالي نتيجة لاغلاق مطار الوصول٠ علما بان الرحلة لا تستغرق الا ما يزيد على الساعة بقليل ٠ ولكن شركة الطيران تكتمت الخبر حتى لا تصبح ملزمة بتوفير مبيت لركابها بحسب الاجراءات الدولية ٠ وحتى اذا افترضنا حسن النية لدى شركة الطيران واستعدادها لايواء الركاب فانها ستفشل نظرا لعدم وجود فنادق ٠

واذا خرجت من المطار بدأت معاناة الانتقال الى المدينة والعثور على فندق ، وفي حالات كثيرة سيتعذر ذلك ، كما ان الانتقال بين العواصم العربية يواجهه صعوبات كثيرة ٠ فيلزم الحصول على تاشيرة دخول ٠ كما ان قليلا من العواصم العربية ترتبط بوسائل سفر مباشرة ٠ وقد يحتاج المرء لعدة ايام حتى يستطيع الانتقال من مدينة

عربية الى اخرى في قطر اخر . وقد يضطر في بعض الاحيان الى الذهاب الى عاصمة اوروبية لكي يصل الى عاصمة عربية اخرى .

اما في مجال الغذاء فبالرغم من وجود المياه والاراضي في عدد من البلدان العربية فانها تستورد العديد من السلع الغذائية . فيستورد العالم العربي القمح والارز والسكر وغيرها من السلع الغذائية .وعلى سبيل المثال بلغ صافي ماتستورده البلاد العربية من القمح ودقيقه حوالي ٦ ملايين طن عام ١٩٧٢ ، ونحو مائة الف طن من الارز ، وحوالي مليون وستمائة الفطن من السكر★.ولا تكاد توجد صناعات كبيرة الا باستثناءات بسيطة . ولا يكفي انتاج الموجود منها حاجة الاستهلاك المحلي. فالحديد والصلب الذي يعتبر عماد الصناعات الاخرى بلغ انتاج العالم منه في عام ١٩٧٥ حوالي ٧١٠ مليون طن كان نصيب العالم العربي فيه حوالي ٥ر٢ مليون طن اى بنسبة حوالي ثلث واحد بالمائة (٣٥ر٪) . اما استهلاك البلاد العربية فقد بلغ حوالي ٦ مليون طن فيكون مقدار الاستيراد حوالي ٥ر٣ مليون طن . ولا يقتصر الامر على انخفاض نصيب العالم العربي من الانتاج العالمي بل يتعداه الى تدني متوسط استهلاك الفرد من الحديد والصلب ففي عام ١٩٧٠بلغ ٢ كيلو جرام بالجزائر ، ٧ كيلو جرامات في مصر ، وحوالي٣٨ كيلو جراما بتونس . في حين قدر بحوالي ٥٨كيلو جراما بالبرازيل و ٨٩ كيلو جراما في فنزويلا ، ٤٧٠ كيلو جرام بفرنسا ،٥٠٠ ، ٥٨٠ كيلو جرام لكل من بريطانيا والولايات المتحدة على التوالي. ويعتبر استهلاك الفرد من الحديد والصلب من المؤشرات الرئيسية التي تبين درجة التصنيع . ويظهر هذا جليا مدى اعتماد العالم العربي على الخارج والامكانيات الهائلة لتطوير اقتصادياته .

واذا اتجهنا بانظارنا الى الموانيء العربية لفزعنا من طول فترة انتظار السفن حتى تستطيع تفريغ شحنتها حيث تبلغ اكثر من شهرين في كافة موانيء الخليج العربي . وهذا الانتظار يرفع من تكاليف الشحن . بل اكثر من ذلك تستغل بعض الشركات هذا الموقف للحصول على اموال بطريقة غير مشروعة .

وعلى المستوى الفردي تعيش النسبة الاكبر من الانسان العربي في ظروف اقل ما توصف انها غير كريمة . فاكثر من نصف العرب لا يعرفون القراءة والكتابة . وكثير منهم يعاني من سوء التغذية وندرة الخدمات الصحية التي تقدم اليهم . وكثير من القرى العربية لم تدخلها الكهرباء او مياه الشرب النقية .

اما مؤسسات التعليم ومراكز البحوث فينقصها الكثير حتى تستطيع الاضطلاع بدورها. فكثير منها يحتاج الى المال والباحثين . ويكاد يخلو العالم العربي من مراكز البحوث العلمية التي يمكن مقارنة مستواها بنظيرها في العالم الغربي.وهذا مما يضطر العديد من علماء العرب الى الهجرة الى الدول الغربية حتى يعثر على المناخ الملائم .

استراتيجية المستقبل

ولعلنا لم نات بجديد في هذا المقال فقد سبق ان عبر العديد من الكتاب والساسة عن مثل هذه الانطباعات . ولكن ما فعلناه الى الان مازال قليلا بالنسبة للمرغوب فيه. ومن هنا تبرز حاجتنا الى الى تذكير مستمر وبيان الطريق الذي نسلكه . لقد نادت المؤسسةالغربية باعادةتدوير Recycling الاموال العربية داخل اوروبا وامريكا .وما زالت معظم الاموال العربية مودعة في المؤسسات المالية الغربية .ويتم ذلك بزعم عدم وجود فرص استثمار جيدة في العالم العربي او لانخفاض عنصر المخاطرة في الاستثمارات الغربية . ويجب ان نحذر الوقوع

★تمثل هذه الارقام صافي الواردات للبلدانالعربية التالية : الجزائر ، البحرين ، مصر ، العراق ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ،موريتانيا ، المغرب ، السعودية ، سوريا ، السودان، تونس ، اليمن الشمالي ، واليمن الجنوبي .

فى خطا تصديق هذا الزعم ٠ان الامان لن يتحقق لهذه الاموال ما لم يكن العرب قادرين على حمايتها٠ وهذا يستلزم دعم الاقتصاد العربي وتقويته من كافة الجوانب ٠

وكثيرا ما يقال ان هذه الاموال تبحث عن مشاريع مدروسة فى العالم العربي ولكنها لا تعثر عليها ٠ ولا نود ان نقلل من اهمية الدراسة العلمية لجدوى المشروعات واقامتها على اسس سليمة ٠ ولكن يجب الا نبالغ فى هـذا المطلب ٠ فـلا يعتقد ان الولايات المتحدة او بريطانيا قد قامت باجـراء دراسات الجدوى لجميع المشروعات الكبيرة التى نفذتها ٠ اضف الـى ذلـك ان مستوى النشاط الاقتصادي بالعالم العربي على مستوى من الانخفاض بحيث ان كل عمل له اثار ايجابية لا تحتاج لقياس حتى نقيم منافعها ٠

واهم اركان الاستراتيجية العربية التى نشير اليها فى عجالة هى :

اولا : مجال الزراعة :يجب تنمية الموارد الزراعية بحيث ننتج مـا يكفى حاجتنا ذاتيا ٠ ومواردنـا الزراعية قادرة على ذلك بل وعلى تصدير جزء ملموس الى بقية العالم ٠ ولن نفعـل ذلك مع التضحية بالكفـاءة حيث الاراضى الشاسعة ـ بالسودان والعراق وسوريا والصومال مثلا ـ وكذلك المياه الوفيرة تستطيع انتاج الكثير بوضع الاموال الـلازمة لاستغلالها مـع تحريك العنصر البشرى الملائم لها ٠

ثانيا : الصناعة : تبذر كثير من الموارد العربية كالغاز الذى يحرق فى الهواء ٠ وقد بدات فعلا بعض البلاد العربية فى استغلاله ٠ ويجب زيادة الطاقة الانتاجية من الصلب لما يكفى احتياجاتنا على الاقل ٠ ومع نمو صناعة الحديد والصلب لا بد ان تنمو الصناعات الاخرى ومن بينها الصناعات الحربية حتى نستطيع ان نوفر لنفسنا على الاقل جزءا مما يلزم للدفاع عن الامة العربية بدلا من الاعتماد على الخارج اعطانا او منع السلاح عنا ٠

ثالثا :النقل والمواصلات : ولا بد ان تمتد شبكة الطرق بطريقة اكثر فعالية بين العالم العربي وكذلك وسائل المواصلات والاتصال الاخرى ٠ فلا يعقل ان يستلزم الاتصـال بالهاتف بـين بعض العواصم العربية عدة ايام فى حين انه يتم فى بضع دقائق بين بعض المدن العربية والمدن الاوروبية٠ وكذلك ان ننسق بين خطوط النقل الجوى حتى نزيد من نسبة اشغال الطائرات ونقوى الاتصال بين المدن العربية ٠

رابعا : المرافق العامة : تحتاج المرافق العامة فى بعض البلدان العربية الى تجديد وابدال ويجب ان نقوم بهذا المجهود جماعيا ٠ ولا تخفى الاثار الايجابية لهذا الجانب حيث انه ييسر تدفق الاستثمار بين البلدان العربية ويقارب من مستوى البلدان العربية بما يمكنها من التعامل بكفاءة اكبر ٠

خامسا : مجال البحث والتكنولوجيا : ويحتاج العالم العربي ايضا الى مراكز دراسات وبحوث فى مجالات العلوم والفنون المختلفة تستطيع اقتراح السياسات الواجب اتباعها فى ظل الظروف المختلفة كما تكون هذه المراكز مصدر الاشعاع لوسـائل تكنولوجية تتلاءم مع الظروف والاوضاع العربية٠

واخيرا فمن العجيب حقا ان ينظر العالم الخارجي الى الدول العربية كوحدة واحدة ونحن لا نشاركه ذلك ونتصرف بانعزال عن بعضنا البعض ٠ كل طرف فرح بما لديه ولا يرغب فى مشاركة الاخرين مع العلم بانه لن يوجد كيان للعالم العربي الا كوحدة واحدة ٠ ولا يجب ان يغيب عن بالنا ان المال النقـدى الذى تراكم الآن ناتج عن تحويل اصل قابل للنفاد الى صـورة سائلة ، وليست الاموال السائلة هى القـوة والثراء ٠ وان لم تتحول هذه الاموال الى اصول جديدة قادرة على توليد دخل حقيقي متجدد نكون قد اهدرنا ما لدينا من طاقات دون الاستعاضة عنها بشىء جديد ٠

■■

الكويت ـ د ٠ محمد سلطان أبو على

هذا الخطر الجديد الزاحف من حولنا

عالم يحاصره التلوث



بقلم : الدكتور عبد المنعم بلبع

هو مشكلة العصر بغير مبالغة • مشكلة العالم المتقدم على وجه التحديد ، الذى اصبح يعانى من خطر التلوث المتزايد ، كانما صار هذا التلوث هو الثمن الذى تدفعه الدول كلما صعدت فى سلم التقدم •

■ ان كلمة التلوث أو تلوث البيئة اصبحت تستعمل للدلالة على عدد من الظواهر منها التغيرات التى تحدثها الانشطة الصناعية ووسائل المواصلات فى الهواء الجوى أو الماء بما تقذف به فيهما من ادخنة أو نفايات ، كما يستخدم هذا اللفظ أيضا للتعبير عن الاضرار الجانبية التى تنتج دون قصد نتيجة الانشطة التى يمارسها الانسان بقصد التنمية والتعمير كانشاء السدود وحفر القنوات وادخال نظام الرى واقتلاع الغابات ، وكذا عن الاضرار التى يمكن ان تحدثها بعض المركبات الكيميائية المستخدمة فى الدواء أو الماء أو التربة • كما يحدث فساد البيئة ايضا نتيجة لتكدس السكان وزحامهم خصوصا فى المجتمعات الفقيرة ، والضجيج الذى تحدثه الاصوات العالية سواء كانت صادرة عن الانسان نفسه أو وسائل المواصلات من سيارات أو طائرات او غيرها •

وقد عانى الانسان من أضرار التلوث البيئى منذ زمن غير قصير غير انه يواجه فى هذا العصر مصادر شتى تعاونت مع بعضها على انشاء أحد مكونات النظام البيئى ، الهواء أو الماء أو التربة ، أو جميعها ، وفى اشارتنا لبعض مظاهر هذا التلوث ومصادره قصدنا ان ننبه الى أحد الموضوعات الهامة التى تشغل فكر وجهد العالم فى الوقت الحاضر ، والتى تستحق منا فى الوطن العربى مزيدا من الاهتمام •

ان من أبرز مصادر التلوث ما يلى :

التقدم التكنولوجى

ـ استخدام الطاقة النووية عسكريا ومدنيا يؤدى الى اطلاق مقادير من الاشعاعات غير المرغوبة فى الماء أو الهواء قد تسبب أضرارا للانسان •

ـ استخدام مصادر الطاقة التقليدية من النفط

أو الفحم يطلق في الغلاف الجوى من الغازات ما يضر الانسان والنباتات والحيوانات ، وكثيرا ما يتراكم الهباء في الغلاف الجوى فوق المدن الصناعية مكونا ضبابا دخانيا . كما يلاحظ ان هواء المدن المكتظة بالسيارات محمل بذرات الكربون التي تسود كل ما تقع عليه من سطوح وأجسام . فضلا عن ارتفاع محتواه من اول أوكسيد الكربون وثاني اوكسيد الكبريت وما ينتج عنهما من أضرار .

ـ تسببّ الطائرات الاسرع من الصوت ضجيجا عاليا . وتنتج اكاسيد نتروجينية يرى بعض الخبراء انها تفسد طبقة الاوذون التي تخفف من اضرار اشعة الشمس فوق البنفسجية . كما ان بعضها ينفث قدرا من بخار الماء مكونا سحابة تحجب الشمس (مثل طائرة الكونكورد الفرنسية ـ البريطانية) .

ـ تسبب المصانع التي تقام بالمدن أو المناطق الزراعية . تلوثا بيئيا يؤدي الى اضرار للسكان وللنباتات النامية في جوار هذه المصانع لتأثرها بالادخنة والغازات الناتجة عنها او بما يترسب على سطوح اوراق النباتات من عناصر قد تسبب المقادير الضئيلة منها اضرارا شديدة لها .

كما تستخدم في عمليات التبريد في محطات توليد الكهرباء كميات كبيرة من الماء يلقى بها في المجاري المائية والمياه الشاطئية بعد أن ترتفع درجة حرارتها مما يؤدي الى رفع درجة حرارة مياه هذه القنوات او البحيرات لدرجة تؤدي الى موت الاسماك بها .

ـ تسبب الزيوت المنسكبة من ناقلات النفط وفي موانيء شحنه وانابيب نقله وكذا فضلات الصناعة التي يلقى بها في مياه الانهار العذبة والمياه الشاطئية تلوث هذه المياه في كثير من انحاء العالم .

وقد تلوثت مياه بعض الانهار في الولايات المتحدة الامريكية لدرجة ان اعتبرت رسميا غير صالحة للاستخدام الادمي لما تحتويه من أعداد البكتريا الضارة . وفي سنة ١٩٦٦ بلغ تلوث قناة هوستون الامريكية درجة عالية حتى انه قد شب حريق في الماء نفسه نتيجة شرارة اندلعت أثناء عملية لحام قريبا من ماء القناة لما يصب فيها من متخلفات المصانع والمجاري من المدن المجاورة والمنطقة الصناعية على جانبيها . وفساد ماء الانهار والبحيرات والمياه الشاطئية أمر شائع في كثير من جهات العالم خصوصا غربي اوروبا حيث المنطقة الصناعية الضخمة وكذا حول البحيرات العذبة في الولايات المتحدة الامريكية .

والثورة الكيماوية

ـ من اوضح معالم التقدم التكنولوجي في هذا العصر التوسع في الصناعات الكيميائية ، وقد بدا ما يمكن ان يسمى « الثورة الكيميائية » في أوائل الستينات ، فقد بدا انتاج سيل لا حصر له من المركبات الكيميائية التي استخدمت في مختلف الانشطة الصناعية والزراعية والصحية والمنزلية غيرها .

وقد اوضحت الدراسات ان من هذه المركبات الكيميائيـة ما يسبب للانسان أضرارا أمكن التعرف الى بعضها ولم يعرف أكثرها بعد ، ويمثل بعض الباحثين هذه الكيماويات وأثرها المدمر بصحة الانسان بانها « قنابل زمنية » ، اذ أنها في رايهم تسبب للانسان مرض السرطان ولكن أثرها شديد البطء لا يظهر الا بعد سنوات من التعرض لها والتعامل معها ، ويعتقد هؤلاء الباحثون اننا مقبلون على فترة سوف تزداد فيها الوفيات بمرض السرطان الناتج عن هذه الكيماويات منذ اوائل الستينات .

وتقدر بعض الهيئات ان الانسان يستخدم في الصناعة والزراعة والدواء نحو ٣٠ الف مركبة كيميائيـة لا يعرف على وجـه التحديد الاثار الجانبيـة لغالبيتها ، ومن بين المركبات التي تكشفت خطورتها واصبحت عنوانا عما يمكن ان تحدثه الكيماويات من اضرار مركب كلوروناتد بيفنيل Poly chlorinated Biphenyl «PCB»

وقد أنتجت شركة مونسانتو الامريكية هـذا المركب منذ نحو ٣٠ ـ ٤٠ سنة ليدخل في صناعات

المحولات الكهربائية والبويات والاحبار والورق والبلاستيك واللاصقات والمبيلات وغيرها ، ويتسرب هذا المركب الى البيئة عندما تبلى الادوات او المواد التى دخل فى صناعتها ويقذف بها فى اكوام المهملات ، ولما كان انحلاله بطيئا فانه يتسرب مع الامطار الى باطن الارض او الى المجارى المائية او يتبخر عند حرق المهملات وبهذا ينتقل بالرياح او المياه الى اماكن قد تبعد كثيرا عن موقع اكوام المهملات (اتضح وجود هذا المركب فى اجسام الحيوانات البحرية وطائر البنجوين بالمنطقة المتجمدة)

ويقدر بعض الخبراء الامريكيين ان نحو ٣٠٠ الف طن من هذا المركب فى قمامة الولايات المتحدة الامريكية وحدها وان نحو ٦٠ الف طن منه قد قذف بها فى مجارى المياه الامريكية •

واوضحت الدراسات ان هذا المركب يسبب للانسان امراض الكبد والتمثيل الغذائى وامراض الجلد وسقوط الشعر ، وانه يسبب للحيوانات المعملية الاصابة بالسرطان والتخلف العقلى •

وقد قررت الشركة المنتجة وقف انتاجه ابتداء من ٣١ اكتوبر سنة ٧٧ كما قرر الكونجرس الامريكي وقف انتاجه واستخدامه ابتداء من ١ يناير ١٩٧٨ • غير ان ذلك لا يزيل اخطار هذا المركب فورا اذ انه قد دخل فى صناعات كثيرة •

وما حدث فى الزراعة

ـ لم يقتصر استخدام التكنولوجيا الحديثة على النشاط الصناعى ، بل ان التطور الذى حدث للزراعة فى العالم المتقدم عامل هام فى استخدام الطاقة وما ينتج عنها من تلوث ، كما ان النشاط الزراعى الحديث يستهلك من الكيماويات انواعا مختلفة فى تركيبها وفى الغرض المقصود منها ، وبالتالى فيما ينتج عنها من آثار ومن الامثلة التى نوردها فى هذا المقام :

● الاسمدة والعناصر المغذية الدقيقة (التى يحتاج النبات منها كميات غاية فى الضآلة) ومنظمات النمو Hormones وتضاف الى الارض او ترش على النباتات بقصد زيادة الانتاج ، ولكن قد يرشح بعضها الى باطن الارض فتختلط بالماء الجوفى ثم ماء الانهار او الآبار فتقل صلاحية هذه المياه للاستخدام الادمى •

● مبيدات الافات ـ فطرية او حشرية او حشائش ـ وكل من هذه المركبات قاتل لمجاميع معينة من الكائنات وبالرغم من انها ذات تاثير نوعى او تخصصى Specific بدرجات متفاوتة الا ان تاثيرها الضار قد يمتد الى الكائنات الدقيقة الارضية والاحياء اللافقرية بالتربة مما ينعكس اخر الامر بضعف القدرة الانتاجية للتربة ، كما قد تتعرض ايضا قنوات الماء للتلوث اذا حدث انجراف لتربة هذه الحقول بواسطة الماء •

● مسقطات الاوراق ، ترش النباتات بهذه المركبات بغرض اسقاط اوراقها لمساعدتها على انضاج محصولها ومن هذه المركبات على سبيل المثال زرنيخيت الصوديوم وهو مركب شائع الاستعمال فى اسقاط اوراق نبات البطاطس ، وهو بالتالى عامل لتلوث المحصول بالزرنيخ ،كما انه يؤثر على التربة فيؤدى الى نقص محصول النباتات التى تتلو البطاطس التى سبق ان عوملت به •

● كيماويات ابطاء النترتة ، تتحول مركبات النتروجين فى الارض بواسطة انواع معينة من الكائنات الدقيقة الى نترات وهى املاح بسيطة قابلة للذوبان وهى لذلك سهلة الفقد بالرشح مع الماء فى الاراضى الرملية ولذلك تضاف بعض المركبات الكيميائية التى تعوق عملية «النترتة»، وقد اوضحت بعض الدراسات ان لهذه المركبات اثرا على التربة يؤدى الى خفض الحاصلات النامية •

● تضاف الى التربة كيماويات ذات تاثير سطحى Surface Action للعمل على تحسين خواص حفظ التربة للماء وتوزيعه فيها ، واتضح ان عددا من هذه الكيماويات له تاثير سلبى على تغذية النباتات النامية بالتربة •

وتجدر الاشارة الى ان الدراسات قد شملت اثار بعض الكيماويات المستخدمة فى الزراعة على

النباتات او التربة ، ولكن تأثيرها على الانسان الذى يستهلك المنتجات لم يدرس دراسة كافية ، وما زلنا لا نعرف على وجه الدقة هذه الآثار •

الانشطة العمرانية

يحذر بعض الباحثين من ازالة السدود النباتية التى تعترض سير الانهار الكبيرة ففى وجودها ما يكبح الارتفاع المفاجىء لمياه هذه الانهار ، وينظم تدفقها ، فالقضاء على هذه النباتات قد يؤدى ـ فى رأيهم ـ الى حدوث الفيضانات وما تسببه من كوارث • ويرى بعض الخبراء ان انشاء الخزانات والسدود على الانهار الكبرى قد يصاحبه تغيرات بيئية ضارة مثل فقد الماء محتواه من المواد الصلبة (الطمى) او زيادة نسبة الاملاح بالماء او زيادة تلوثه بالميكروبات او تهيئة بيئة افضل لتكاثر البعوض وبعض الحشرات ،بل يشير بعضهم الى ان البشر مهددون بنفاد احتياطى الاوكسيجين على الارض بسبب الاستهلاك الزائد لهذا الغاز نتيجة الاسراف فى استخدام الطاقة النفطية ، كما ان اقتلاع الغابات بعوض الامازون وافريقيا يقلل انتاج الاوكسيجين فضلا عن انه يهدد التربة بالانجراف بواسطة المياه والرياح •

ومن الواضح ان التقدم التكنولوجى والمشروعات الضخمة التى قد تؤدى الى آثار بيئية قرين بالدول المتقدمة ، ويشير بعض الكتاب الى ان « ملوثى البيئة بدرجة خطيرة هم الدول المتقدمة صناعيا مع بعض الاستثناءات ابتداء من اشعاع الجسيمات الذرية ، وبالتدرج الى اسفل القائمة لمعظم الملوثات الرئيسية الاخرى» ويرى « انه اذا امكن التخلص من كل التلوث المتولد فى الدول المتقدمة فى الكرة الارضية فانه لا يكون هناك تلوث ذو اهمية على المستوى العالمى ، وعلى العكس اذا امكن منع كل تلوث يمكن نسبته الى انشطة الدول النامية مباشرة فى العالم المعاصر، فان كل المخاطر المرتبطة بالتلوث ستظل موجودة بكثافتها العالية تقريبا والاستثناء الممكن هو التلوث الذى ينشأ عن تواجد المجموعات البشرية ذات المستوى المنخفض من الدخول » •

ومن ناحية اخرى ، فان الانسان يساهم فى افساد ماء الانهار والمياه الشاطئية والبحيرات ، بقذف فضلات المجارى والقمامة والحيوانات النافقة فى هذه المجارى المائية غير عابىء بما تسببه من اضرار او معتقدا ان تدفق الماء كفيل بان يزيل اثر ما قذف من اقذار ، وتعانى كثير من البلاد المتقدمة والمتخلفة على السواء من هذا المصدر الهام من مصادر التلوث •

فى الوطن العربى

واذا كان تلوث البيئة من أهم المشاكل التى يعانى منها العالم المتقدم ، فاننا نوجه النظر فى الوطن العربى الى ضرورة اخذ البعد البيئى فى الاعتبار عند دراسة كل الانشطة العمرانية والصناعية والزراعية فى خطط التنمية التى يجرى تنفيذها او المقبلة ، ولو ان التلوث قد لحق فعلا بيئة بعض المناطق فى الوطن العربى والامثلة التى نشير اليها هنا ليست غير بعض مظاهر هذا التلوث مما تهيأ للكاتب التعرف عليه:

ـ تكتظ بعض العواصم العربية بالسيارات مما يجعل الهواء فيها واضح التلوث •

ـ تزداد مصانع البتروكيماويات عاما بعد آخر فى اكثر الدول النفطية ، وكذا مصانع الاسمدة ، وتقام هذه المصانع بقرب المدن ويتلوث الهواء بما تنفثه هذه المصانع من ادخنة وما تلقى به فى المياه الشاطئية او البحرية او فى القنوات •

ـ تكونت فى بعض الاقطار العربية مناطق صناعية كبيرة تحتوى مصانع الصلب والاسمنت والمصانع الكيماوية ومصانع النسيج وهذه المناطق قرب المناطق السكنية او فى مناطق زراعية مما تسبب عنه تلوث الهواء والماء والاضرار بالسكان والنباتات والحيوانات بهذه المناطق •

ـ يزداد استخدام الاسمدة الكيمياتية ومبيدات الآفات فى الزراعة فى بعض اقطار الوطن العربى

خصوصا مصر ، وقد حدث بها تسمم مئات من الحيوانات في حادث واحد نتيجة تلوث غذاء الماشية من رش المبيدات بالطائرات ، كما تسمم الاف من السكان بالعراق نتيجة استخدام تقاوى القمح المعاملة بالمبيدات للغذاء •

– استنزاف مياه الآبار الساحلية يؤدى الى تمليح مائها ، وقد لوحظ ذلك في آبار الساحل الشمالى الغربى بمصر والابار الساحلية بليبيا•

– تشير بعض الدراسات الى زيادة النحر في قاع نهر النيل بعد انشاء السد العالى •

– ادى توسيع قناتى الاسماعيلية ، والنوبارية بمصر الى زيادة رشح الماء منهما الى الاراضى المجاورة وبذا تزداد الاملاح بهذه الاراضى ويقل انتاجها •

– تمليح الاراضى نتيجة لنظام الرى واضح في العراق منذ زمن بعيد وقد انتشر حديثا فيجنوبى منطقة الجزيرة بسورية نتيجة للرى من الآبار دون صرف، وقد تحولت مساحات واسعةمن التربة الجيدة فى مصر الى ارض ملحية ضعيفة الانتاج بعد التحول من نظام الرى الحوضى الى نظام الرى المستديم •

ونحن اذ نشير الى هذه الامثلة نوجه النظر الى ان كثيرا من اقطار الوطن العربى مقبلعلى تنفيذ مشروعات ضخمة للتنمية،فاذا لم تتخذ الاحتياطات الواجبة لمنع التلوث منذ البداية في كل مشروع، فان معالجة المشكلة بعد تنفيذ مشروعات التنمية امر شديد الكلفة ، ورغم ان الدراسة فى الولايات المتحدة الامريكية قد كشفت الاضرار البالغة التى نجمت – ولا تزال – عن التلوث الناتج عن التقدم الصناعى والزراعى ، فان تلافى هذه الاضرار في الوقت الحاضر يحتاج الى مئات البلايين من الدولارات وقد قدرتالهيئة المختصة بالمحافظة على البيئة هذه التكاليف بنحو ٢٧١ بليون دولار •

والمحافظة على البيئة دون تلوث احد الموضوعات ذات الاهمية البالغة فى العالم المعاصر والتى تشغل المفكرين والباحثين والكتاب في العالم المتقدم وقد انشأت كثير من الحكومات الادارات التى تخصص نشاطها فى « المحافظة على البيئة » وذلك بتطبيق احكام ولوائح يقصد منها السيطرة على الانشطة المختلفة بحيث تتضمن هذه الانشطة ما يقى النظام البيئى من الفساد حتى لا يؤدى الى مزيد من التلوث ، كما تعالج الموقف الحاضر حتى تخفف من التلوث الذى حدث فعلا •

ويصف بعض الكتاب الفساد الذى حل بالبيئة « ان الهواء والماء والتربة تشكل نظاما او بيئة حية تنتظم العالم كله متماسكة الاجزاء تماما وتقيم دعائم الحياة كلها ، ولكننا قد نلوث كوكبنا تلوثا جماعيا لا بضربة شديدة واحدة ، وانما قطرة قطرة بتراكم السموم والمبيدات الحشرية التى تبقى امدا طويلا والمواد الكيميائية والنفايات العضوية او التربة المفككة تراكما بطيئا انما مستمرا حتى يحل بنا فى غفلة منا كارثة كوكبية اسهم الجميع فى حدوثها وليس فى قدرة امة واحدة ان تتفادى هذا الخطر » •

وكان تلوث البيئة احد العوامل الاساسيةالتى ادخلها « نادى روما » فى حساباته وهى السكان والمحاصيل الزراعية والمصادر الطبيعية والانتاج الصناعى والتلوث وانتهى « النادى » من دراسته التى نشرت فى كتاب « حدود النمو » الى ان « النتائج التى نستطيع ان نتبينها مزعجة للغاية، واذا استمرت الاتجاهات الحالية فى العوامل المشار اليها فانها سوف تؤدى الى موقف لا يحتمل زيادة السكان فى العالم بدرجة مفرطة والىاجداب بيئتنا وتلوث جونا ومواردنا المائية » •

وقد اشار المجلس الاوروبى الى ضخامة المشكلة بقوله « ان البيئة البشرية فى خطر » وفى دعوة الامين العام للامم المتحدة لمؤتمر استوكهولم الذى انعقد سنة ١٩٧٠ لدراسة « الانسان والتغيرات البيئية » يشير الى « ان كوكبنا فى خطر التلوث وعالمنا فى تدهور مستمر بسبب هذا التلوث » •

■■

عبد المنعم بلبع
طرابلس – ليبيا

يا أمتي !!

للشاعر : أحمد السقاف

■ ثوري على العُدوانِ ثوري وتَقَحَّمي لَهَبَ السَّعيرِ
ثوري فقدْ كَلَّ النداءُ وهَزَّ سُكَّانَ القبورِ
ثوري فلستِ من السَّوامِ ولستِ فاقدةَ الشُّعورِ
لايَخْدعَنَّكِ ما يقالُ عن الحمائمِ والصُّقورِ
أنتِ البطولةُ إنْ أردْتِ وأنتِ مُنْجِبَةُ النُّسُورِ
حاشاكِ تَجْتَرينَ رُغْمَ النَّصرِ معركةَ العبورِ
مضتِ السنونَ وأنتِ لاهيةٌ بمختلفِ القشورِ
تشرينُ مزَّقَهُ التَّناحرُ في الصَّحائفِ والأثيرِ
والقدسُ جاريةٌ تُطأطِئُ تحتَ أقدامِ المغيرِ
يُصْلي بنيها الحاقدونَ عذابَ منتصرٍ حقيرِ

★ ★ ★

يا أُمتي والنَّصرُ بالإقدامِ والعملِ الكبيرِ
بالحبِ بالوعيِ العميقِ وبالتَّكاتُفِ في المسيرِ
صُدِّي غُبارَ العابثينَ فكم أشاعَ من النُّفورِ
واستلهمي آلام شَعْبٍ بات مجهولَ المصيرِ
لم يَلْقَ شعبٌ بعضَ ما يلقى على مَرِّ العُصُورِ

ظُلْمٌ يُزَوِّقُ مَنْ تَزَيَّنَ بالمروءةِ والضميرِ

★ ★ ★

يا أمتي هلاّ أفقتِ على تصدُّعِكِ الخطيرِ
سكر العدوُّ بما اعتراكِ فكفَّ عن شُرْبِ الخمورِ
وتفنَّنَ الطُّغْيانُ مثلَ تفنُّنِ النازي الشهيرِ
فالذُّلُّ يبطُشُ بالإباءِ وتلك قاصمةُ الظُّهورِ
لم يَخْشَ تهديداً يُذاع لدى العَشيِّ وفي البكورِ
نامتْ رؤوسُ الغاصبينَ على وسائدَ من حريرِ

★ ★ ★

يا أمتي سيناءُ تبحثُ في الهوانِ عن النَّصيرِ
تُهدى إلى الجولانِ ما يُهْدي الأسيرُ إلى الأسيرِ
والشِّعْرُ ما جدْواهُ إنْ ظلَّ العتابُ على السُّطورِ ؟ !
هلاّ أفقتِ من السُّباتِ وثُرْتِ بالغضبِ المثيرِ
وهجمتِ كالإعْصارِ كالطُّوفانِ كالأسدِ المصورِ
وسحقتِ أحْلامَ الغزاةِ ذوي التَّعصبِ والغرورِ

★ ★ ★

يا أمتي هذا الهوانُ يَعيثُ فتْكاً في الصُّدورِ
أخْنَى على الأيامِ والْتَهَمَ السِّنينَ مع الشُّهورِ
والصبْرُ عُكَّازُ الضَّعيفِ ولستِ وَحْدَكِ بالصَّبورِ
أنتِ البطولةُ إنْ أردْتِ وأنت زَوْبعةُ الدُّهورِ

■■

الكويت ـ **احمد السقاف**

التربيــة هى أملنــا الوحيــد فى خلق الانســان الــذى نتمنــاه ولكنهــا لا تــزال بعيــدة كــل البعــد عــن ان تحــقــق لنــا هــذا الامــل

هــذه الأخطاء

بقلم : محمود محمود

● من المسلمات التربوية التى شاعت اخيرا فى اوساط المربين وبين رجال السياسة والحكم ان التعليم لابد ان يساير حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد ، فلا يقل عدد المتخرجين فى فروع التخصص المختلفة عن احتياجات المجتمع ، ولا يزيد عددهم بحيث تنشأ عن هذه الزيادة بطالة بين المتعلمين ، ويتطلب ذلك بطبيعة الحال حسابا دقيقا لما تتطلبه البلاد من القوى العاملة فى ميادين النشاط المختلفة وفى الخدمات التى ينبغى تقديمها للمواطنين ، ويستتبع ذلك فتح ابواب الكليات الجامعية لكل راغب فى العلم ، اذا كان هذا العلم مما يشكو الناس نقصا فيه ، واغلاق هذه الابواب فى وجه المتقدمين اذا كان بالبلاد فائض من المتخرجين فيها .

وهذه المسلمة التربوية تعنى ان الطالب قد يرغب فى علم من العلوم ولكن نظام التربية لايتيحه له ، وان التعليم يخضع للاقتصاد ويرتبط بسوق العمالة .

ونحن اذن ازاء امرين : اما ان نرسم سياسة تعليمية تؤدى الى تخريج القوة العاملة بقدر المطلوب لا نقص فيها ولا زيادة ، حتى ان كان ذلك على حساب حرمان الطالب من دراسة العلم الذى يرغب فيه واما ان نترك للطالب حرية الاختيار، ونعرض سوق العمل بذلك للشكوى من النقص فى عدد العاملين فى مجال ما او الوفرة التى تؤدى الى البطالة .

ويلاحظ ان الدول الاشتراكية والبلاد النامية تنهج النهج الاول بوجه عام ، وان مايسمونه بالبلاد المتقدمة تنهج النهج الثانى ، واحيانا تقف الدولة بين بين فهى تحاول من ناحية ان تخطط للعمالة ، وان تعطى قدرا من حرية الاختيار للطالب من ناحية اخرى وليس من شك فى ان هذه هى الخطة المثلى ان استطاعت الدولة ان تخطط فيها بالتوازن المطلوب.

غير اننا يجب الا نغالى فى ربط التربية بالاقتصاد ، او رسم سياسة التعليم العالى على اساس احتياجات البلاد من المهن ومختلف الاعمال، ذلك ان الحساب الدقيق لمتطلبات البلاد فى المستقبل امر غير ميسور فى كثير من الاحيان ، لان تاريخ المستقبل لا يسير ابدا وفقا لما يتوقعه الانسان ، ومن ثم كان التنبؤ اجتهادا اكثر منه تصويرا صحيحا ، نعم هناك محاولات لوضع علم جديد يسمونه « علم المستقبل » يرشد المخططين الى نوع من الدقة فى الحساب ، غير ان هذا العلم لا يزال فى بدايته ، ولا يمكن ان يلم بكل عوامل التغير فى تاريخ البشر ، ولذلك كان ربط التعليم ـ وبخاصة العالى منه ـ بالمستقبل مجازفة تكتنفها الاخطاء .

الواقع يفرض نفســه

وقد اتيح لى ان اطلع على بحث لكاتب امريكى اسمه هوارد بوين من المشتغلين بالناحية الاقتصادية فى التعليم ، ذكر فيه بعض الاخطاء التى يقع



الشائعة

في التربية الحديثة

فيها المخططون التربويون وهم يرسمون سياسة للتعليم العالي على اسس من المبادىء الاقتصادية.

ـ من هذه الاخطاء ان هؤلاء المخططين يعتقدون ان اقتصاد البلاد يتطلب عددا محددا من المهارات المهنية فى كل مرحلة من مراحل التطور فى حين ان واقع الامر هو ان الاقتصاد يكيف نفسه وفقا للمهارات المتوافرة • فان تبين فى احدى المهارات نقص سارع اصحاب الاعمال الى تدريب العدد المطلوب او ظهرت الالات التى تحل محل البشر فى هذا الاتجاه • ولنضرب مثالا لذلك الخدمة المنزلية : لم يعد هناك افراد كثيرون راغبون فى هذه الخدمة ويسدون الحاجة الماسة اليها ، فماذا حدث ؟ ظهرت الغسالات الكهربائية ، والوجبات المطهوة المجهزة وانتشرت المطاعم التى يخدم فيها الطاعم نفسه ، فكان فى مثل هذه الاشياء بديل عن خدم المنازل •

مثال اخر : نفرض ان كليات الطب فى بلد ما اخرجت عددا وافرا من الاطباء يزيد عن الحاجة، فان هؤلاء الاطباء الزائدون لا يتعطلون عن العمل انما يتوزع العمل عليهم جميعا فيقل نصيب الطبيب منه وقد ينخفض اجره ، وفى هذا الخفض خدمة للجمهور ، لان معناه ان الخدمات الطبية اصبحت اقل فى تكاليفها •

وليس ادل على ان العمالة المطلوبة ليست تبدا من حديد وانما فيها من المرونة الشيء الكثير ، من ان البلاد فى حالة حرب تعبىء كفاءات ضخمة تضاعف اعمالها اثناء القتال ثم تعود هذه الكفاءات بعد السلم الى شيء من التراخى فى العمل ، والى توزيع اخر للخدمات التى يؤدونها كما ان صاحب حرفة من الحرف لاتقتصر معرفتهعلى هذهالحرفة بعينها ويعجز عناى عمل آخر انما هو يستطيع ان يتقن حرفته وان يقوم بغيرها بدرجة مقبولة •

ومن الاخطاء كذلك اننا نستطيعان نتنبابالاعداد

المطلوبة فى كل مهارة من المهارات على مدى طويل من الزمن يتيح لنا ان نرسم سياسة تعليمية تتمشى مع التوقعات . فنحن ـ مثلا ـ لا نعرف ان كانت الحرب سوف تشتعل او لا تشتعل فى السنوات العشر القادمة . كما ان كشف الفضاء، واغوار المحيطات وباطن الارض قد يغير موقف العمالة فى السنوات المقبلة ، وقد يتنوع استهلاك السلع وما يتطلبه الفرد من خدمات ، ولا يخفى ان تطور التكنولوجيا له اثر كبير فى الحاجة الى مهارات جديدة وانتفاء الطلب على مهارات قديمة. ثم ان اتجاه الافراد قد يسير على غير ما نتوقع ، فيرغبون فى مزيد من الفراغ قد ينفقه المرء فى مجرد التامل او اقتناء التحف الفنية وقد ينفقه فى ضروب مختلفة من اللهو . ولا مراء فى ان الانتاج لا بد ان يساير الحياة الاجتماعية والثقافية الجديدة التى يتعذر علينا معرفتها مسبقا .بل ان الانتاج نفسه قد ينتقل نقلة جديدة من مجرد التجميع واجراء عمليات مكررة الى اتاحة الفرصة للعامل لكى يفكر ويبتكر .

ان القوى العاملة المطلوبة تتوقف على ماتريده البلاد ، وما تريده البلاد يتاثر قطعا بما لديها من قوى عاملة ـ بالطريقة التى تعلم بها الافراد ، وبالقيم السائدة ، والمهام التى يرى النـاس ضرورة انجازها .

خلق القيم الجديدة

والتربية بطبيعتها تخلق قيما جديدة ولا تكتفى بان تقف موقفا سلبيا من القيم التى تـوارثهـا الناس وتتكيف وفقا لها .

ـ ويعتقد مخططو التربية ان انتشار التكنولوجيا يؤدى حتما الى البطالة بحيث لا يعمل عمالة كاملة سوى نفر قليل من القوى المعدة للعمل . وهذه العلاقة الطردية بين التكنولوجيا والبطالة خطا استولى على عقول المفكرين فى القرنين الماضيين. والواقع ان تقدم التكنولوجيا لايسبب البطالة ، لان الافراد الذين كانوا ينتجون طعاما او لباسا او سيارات ـ مثلا ـ وغير ذلك من السلع ، والذين توفرهم التكنولوجيا الحديثة يتجهون الى الخدمات. فيزداد استخدام الاطباء والمهندسين ورجال القانون والفنانين وتصبح خدماتهم مطلوبة لعدد اكبر من الناس . انما البطالة فى الواقع مردها الى سياسة مالية خاطئة او سوق للعمل غير مدروسة .

ويعتقد علماء التربية ان اوقات الفراغ سوف تتسع فى المستقبل ويزداد استمتاع الناس بها ، ولذلك فان التربية يجب ان تتجه نحو الفراغ اكثر مما تتجه نحو العمل ، ولا نكران ان المجتمع يستطيع ان يستغنى عن كثير من السلع الكمالية فى سبيل توفير اوقات للفراغ اطول ، ولا نكران ايضا ان كثيرا من الناس ـ وبخاصة بين شباب اليوم ـ قد بداوا يشككون فى القيم المادية وفـى الزيادة المطردة للانتاج ، وبدات قلة من الناس تؤثر الحياة البسيطة التى لا تزعجها الممتلكات المادية ، غير ان هؤلاء القوم انفسهم ـ الذى ينادون بالحد من السلع المادية وامتلاكها والاستمتاع بها ـ يطالبون باعادة تخطيط المدن على اسس هندسية سليمة ، وبنظافة البيئة مما يصيبها من تلوث ، وبنشر الثقافة والتراثها ، وبتحسين الخدمات الصحية ، وببث الروح الانسانية فى ظروف العمل ـ وهذه من غير شك اتجاهات غير مادية توجه اقتصاد البلاد نحو اهداف جديدة ، ولكنها لا تؤدى الى الاقلال من حجم العمل المطلوب او الخدمات المهنية اللازمة .

وعلى الرغم من انخفاض ساعات العمل فـى السنوات الاخيرة ومن الاخذ بنظام الاجازات الطويلة باجر الا ان عدد العاملين قد زاد بسبب دخول النساء سوق العمل ، واصبحنا نجد من بين العمال من يبحث عن عمل اضافى ، ومن يشتغل بعملين فى آن واحد ، ومن يرهق نفسه بما لا يستطيع من اعمال ـ وبخاصة اولئك الذين يشغلون المناصب الادارية الرفيعة ـ مما يدل على ان الناس لايرغبون رغبة صادقة فى تحديد ساعات العمل . انما هم يرغبون فى الواقع ان يعملوا لانفسهم وان يتقاضوا اعلى اجر ممكن اذا هم عملوا لغيرهم . واذا نحن حللنا حياة الرجل فى البلاد المتحضرة تبين لنا انه لا يستمتع حقا بوقت طويل يفرغ فيه لنفسه ـ فيسترخى او يتنزه او يتامل ـ حتى فى الساعات التى لا يشغل نفسه فيها بعمل .فوقت الفراغ الذى يتوافر له من عمله ينفقه فى وسائل المواصلات بين الاماكن المتباعدة ، وفى البحث عن ممتلكات يقتنيها ، وفى الاشتغال باعمال اخرى ترفع من مستوى معيشته .

بطالة المتعلمين وغيرهم

ويظن المشتغلون بالتربية ان البطالة منتشرة بين المتعلمين ، وقد يكون ذلك صحيحا فى الحاضر نظرا لتعثر النمو الاقتصادى ، وليس من شك فى ان معالجة الحالة الاقتصادية سوف تفتح مجال العمل لكل شاب متعلم • ولو رجعنا الى الاحصاء فى اكثر الدول تبين لنا ان البطالة بين غير المتعلمين اكثر منها بين المتعلمين •

ولا ينبغى عند الحكم على عمالة المتعلمين او بطالتهم ان ينحصر نطاق التفكير فى كل بلد على حدة ، لان التعاون العالمى امر مرغوب فيه ، وهو اتجاه اخذت تسير عليه الدول فعلا ، فالفائض من عمالة هنا يسد نقصا فى العمالة هناك • واذا كان تيار الهجرة يتجه فى الوقت الحاضر من البلاد النامية نحو البلاد المتقدمة ، فليس ببعيد ان تنقلب الاية عما قريب ، ويرتد تيار الهجرة عن البلاد المتقدمة الى البلاد النامية حتى يعتدل الميزان

ومن الاخطاء الشائعة بين المربين ان الهدف الاساسى من التربية هو اعداد كل طالب لعمل يلائمه ، فاذا اشتغل المتخرج فى غير ما تخصص فيه كان ذلك من عيوب التخطيط التربوى ، ومرجع هذا الخطأ اننا نربط التعليم بالوظائف ، فمن تعلم الكيمياء – مثلا – يجب ان يشتغل بالكيمياء ، ومن تخصص فى لغة قومه واخذ فيها اعلى الدرجات كان مكانه مقعدا للتدريس فى احدى الجامعات ، فان لم يتيسر ذلك قلنا ان هناك خللا فى النظام التعليمى وان الطالب قد منى بالفشل • وفى هذا الرأى تجاوز لكثير من الحقائق • فالتربية تعد للمهنة وتكسب الفرد صفات اخرى ونظرات الى الحياة يمكن الافادة منها فى اكثر من مجال • فالفتاة التى تعد لمهنة التعليم تستطيع ان تشتغل بالخدمة الاجتماعية او بشئون الافراد او بالعلاقات العامة فى الاعمال الكبرى ، وهى من غير شك – حتى ان لم تدخل سوق العمل – ام افضل من غيرها ممن لم يدرسن ما درست • والمختص فى دراسة التاريخ او فى اللغة العربية له فى غير التدريس مجالات كثيرة كالصحافة ، والنشر ، والاذاعة والعمل السياسى ، وغير ذلك • ودارس الكيمياء قد يعمل عملا اداريا ناجحا فى احد المصانع •

ان التعليم الذى يصلح صاحبه لاداء اعمال كثيرة ، والذى يكسب المتعلم مهارات متعددة ، ويجعله على جانب كبير من المرونة فى حياته ، اقرب الى النجاح منه الى الفشل • ويرى بعض المحدثين من رجال الاقتصاد ان التنقل من عمل الى عمل فيه فائدة لتطور الاقتصاد ذاته ، وان التحاق افراد متنوعى الثقافات ، والاهتمامات ، والخلفيات الدراسية ، فى الاعمال والشئون العامة ، يمكن ان يكون مصدرا غزيرا لافكار ونظريات جديدة •

واخيرا لا بد من التخلى عن فكرة تحديد التعليم العالى وحصره فى نسبة ضئيلة من السكان • ولا خوف من هبوط المستوى مع كثرة العدد ما دمنا توفر الاساتذة الاكفاء والمعدات والتجهيزات اللازمة • وكم من طفل نابغ ينسد امامه طريق التعليم ، ولو بلغ مرحلة التعليم العالى لكان كسبا لامته • والصيحة الجديدة هى توفير الفرص للجميع وليس تكافؤ الفرص •

العمل العقلى ام اليدوى ؟

هناك من يتساءل قائلا : اذا نحن فتحنا ابواب التعليم العالى على مصاريعها واتحنا التزود من العلم للجميع فهل نحن واجدون لكل هؤلاء عملا فى المجتمع ؟ ومن ذا الذى يرضى بان يقوم بالعمل القذر ، او العمل اليدوى او بالوظيفة الرتيبة ؟

وللاجابة عن السؤال الاول ، هل هناك عمل لهذه الكثرة من المتعلمين تعليما عاليا ؟

لا بد من ان نتصور اولا اثر التغير التكنولوجى فى نوعية الاعمال ، التكنولوجيا الحديثة تحل الى حد كبير محل ما نسميه بالعامل الماهر وتحتاج الى عقل يحركها نحو تادية العمل المطلوب ويوجهها توجيها سديدا ، ولذلك فنحن اليوم فى حاجة الى عدد كبير من كبار الفنيين والاداريين وموظفى

المكاتب الذين يعملون بعقولهم ويعلمهم اكثر ممن يعملون بأيديهم . والاتجاه يسير نحو زيادة الطلب على خريجي الجامعات في هذا العصر الذي نسميه عصر التكنولوجيا .

وللاجابة عن السؤال الثاني : من ذا الذي يقوم بالعمل الوضيع ؟ اقول ان الاقتصاد يتكيف عادة مع الايدي العاملة المتاحة . فاذا كانت المصانع الكبرى التي يقوم بتجميع الاجزاء فيها عمال يدويون لا تجد من هؤلاء العدد الكافي فان هذه المصانع لا بد بالضرورة ان تجد وسيلة الية تقوم بهذا التجميع بدلا من الايدي البشرية واذا كنا لا نجد من يحني ظهره ليحرث الارض او يصلح الطريق او يحفر الخنادق وجدنا من بين المتعلمين من يخترع الالات التي تقوم بهذا العمل . واذا قل من يرضى بالخدمة المنزلية اخترعنا تعذيب الطعام والات التنظيف والغسل . وقد شاع في المدن الكبرى في البلاد المتقدمة استخدام الالات التي تجمع ما يشغل الطريق العام من فضلات او قاذورات ، بقليل جدا من الايدي العاملة .

ان كثيرا من فقراء العالم يهاجرون في الوقت الحاضر من مواطنهم للعمل في البلاد المتقدمة ، ولقد بدأ التذمر من هذا الاجراء يظهر في البلاد النامية التي تفقد ابناءها بل وفي البلاد المتقدمة ذاتها التي لم تعد ترغب في هجرة الشعوب المتخلفة عنها نسبيا الى ارضها . ولا بد ان يترتب على ذلك قيام المتعلمين في البلاد المتقدمة بجميع الاعمال في اوطانهم ، رفيعة كانت ام وضيعة ، مع رفع اجور اولئك الذين يقبلون العمل بايديهم وخفض مرتبات موظفي المكاتب . وليس من شك في ان كثيرا من المتعلمين يؤثر العمل بيديه على العمل بذهنه ان كان يتقاضى من العمل الاول اجرا مجزيا . وليس من الصواب ان نقول : وفيم اذن التعليم الجامعي اذا كان المتخرج سوف يضطلع بعمل يدوي في مستقبل حياته ؟ ولست أرى بأسا من ان يقدم على تنظيم الطريق او اصلاح الالات قوم متعلمون . وسرعان ما يكتسب العامل اليدوي احتراما اجتماعيا ما دام يرفع من مستوى معيشته ، ويحسن التعامل مع الناس .

ان سياسة الاجور يجب ان تتغير فيجزل العطاء لمن يؤدي عملا مضنيا ونوفر له الامن والمكانة الاجتماعية ويكفي صاحب المكتب انه ينعم براحته ويوفر جهده لنفسه . ان الاوضاع الحالية يجب ان تعدل بحيث نستخدم في الاعمال الدنيا افرادا ذوي ثقافات عالية لكي يحلوا محل الاميين الجهلاء . ولعل اجراء هذا التعديل من اكبر ما يقابله المجتمع من تحديات .

حرية الاختيار للطلاب

مما سبق يتبين انه من الافضل ـ من الناحيتين الاقتصادية والانسانية ـ ان تاخذ الدولة بنظام التعليم الذي يقوم على اساس رغبات الطلاب واختيارهم . بذلك نستوعب في التعليم كل راغب فيه ممن تتفق سنه مع شروط القبول وكذلك نعطي فرصة ثانية للطالب الذي ربما اخطأ فيما قرره لنفسه في مرحلة سابقة من عمره ، والذي قد يرغب في مزيد من التعليم وهو في منتصف حياته العملية ، ويترتب على ذلك تحديد عدد الاماكن في مختلف الدراسات وفقا لاختيار الطلاب وليس طبقا لاحتياجات سوق العمل التي لا يمكن حسابها او التحكم فيها .

ولست اقصد من ذلك الى القول بان الاقتصاد يسير وفقا للمهارات المهنية المتيسرة بغض النظر عن نسبها الصحيحة . وانما ما رميت اليه هو ان حرية الاختيار ـ وهي امر مرغوب فيه لحد ذاته ـ سوف تؤدي بطبيعة الحال الى نوع من تنوع المهارات يمكن ان يسير الاقتصاد وفقا له . وعلينا ان نضع في طلابنا ثقة ـ وهم يستجيبون لميولهم ورغباتهم ، كما يقدرون بانفسهم الظروف التي سوف تسود سوق العمل في مستقبل حياتهم ـ لا تقل عن ثقتنا في بيروقراطية مخططي القوى العاملة .

لسنا ننكر ان الطلاب يخطئون احيانا في

اختيارهم ، ويتاثرون بما يشاع عن قيمة المهن المختلفة فى اوساطهم الاجتماعية • ولسنا ننكر ان الكليات والجامعات لا تستطيع فى الحال ان تدخل فى نظمها تعديلا لكى تتواءم مع رغبات الطلاب ، وتغير اتجاهاتهم عاما بعد عام • ولكنا نشير على هذه الكليات والجامعات ان تستجيب بسرعة معقولة لكل مطلب مشروع ، يقوم على اساس مكين ، ويحتمل له قدر من الدوام •

ومن الواضح ان الجامعات يجب ان تتوافر لديها معلومات موثوق بصحتها عن ظروف سوق العمل وعن اتجاهات الشباب فى اختيارهم ما يدرسون •• ولعل برامج الارشاد المهنى فى المدارس الثانوية والكليات ان تكون افضل من نظم الحكومات فى التنبؤ بالقوى العاملة المطلوبة • ولا بد ان يقر فى اذهان المسؤولين ان الطلاب يستطيعون تقدير مستقبلهم بالنسبة للاعمال المتيسرة فى المجتمع ، فان اخطا احدهم فيما يختار استطاع ان يصحح سقطته عن طريق المرونة التى يجب ان تكون قائمة فى العلاقة بين التعليم والوظائف المتاحة • واعطاء الفرصة الثانية للطالب يعين الشباب على تصحيح اخطائهم•

اقدس أنواع الحريات

ومهما يكن من امر فان ما يدفعنا الى الاخذ بنظام تعليمى قائم على اساس حرية الاختيار فكر فلسفى اكثر منه عملى ، فكر يتعلق بالقيم التى تسود المجتمع الذى نعيش فيه • وفى ظنى ان حرية المرء فى اختيار ما يدرس وفى الاشتغال بالمهنة التى يهوى ، وافساح المجال امام كل موهبة ، وكل اهتمام وكل فرصة تسنح فى سوق العمل ربما كانت اقدس انواع الحريات • اذا اراد الطالب ان يعطى وقته وجهده للتعلم ، وان يسقط من حسابه الدخل فى سبيل المزيد من المعرفة ، فعلى المجتمع ان يهيىء له المعاهد اللازمة وان يقدم له كل تيسير ممكن ، واذا كان الطالب رقيق الحال لا يستطيع ان يوفر لنفسه نفقات العيش وهو يدرس ، وجب علينا ان نعاونه بنظام المنح والقروض وفرص العمل ، بشرط ان لايكون ذلك دينا باهظا عليه ان يسدده خلال حياته العملية كلها •

ان النظرية التربوية التى تتعلق بالقوى العاملة تقوم على اساس فكرة خاطئة تسود المجتمع ، هذه النظرية تقسم العالم الى مدخلات تتمثل اساسا فى صورة مجهود يبذل او عمل يؤدى ، ومخرجات تتمثل اساسا فى صورة سلع اقتصادية وخدمات ، ويرى اصحاب هذه النظرية ان تتحكم المخرجات فى المدخلات ، باعتبار ان الاولى هى الهدف الاساسى من الحياة ، وهى بذلك تتجاهل ان المدخلات هى كذلك من صميم الحياة • وهذه المدخلاتتكون اليمة وعبئها ــ من الناحيةالانسانية ــ ثقيل ، ولكنها كذلك قد تكون ممتعة مجزية ومدعاة للسرور • كما ان المخرجات قد تكون مفسدة ومحطمة للروح ، ولكنها قد تكون ايضا بناءة مجزية ، فالحياة لا تنقسم بوضوح الى مدخلات ومخرجات•ومن حق الفرد ان يختار المهنة واسلوب العمل الذى يرتاح اليه شخصيا ، حتى ان لم يكن منتجا كاى عمل آخر بمقياس ما يضيفه الى الدخل القومى •

ان السياسة التربوية السليمة لا تعد الافراد للاعمال التى تحتمها تكنولوجيا عمياء تتحكم فى البشر ، وانما تهيىء التربية الافراد من ذوى الرؤية والحس المرهف لكى يوجهوا التكنولوجيا وجهة انسانية بناءة • ليس من شك فى اننا نريد ان نتغلب على الفقر ، وان نزيل الفوارق العنصرية وما يترتب عليها من مظالم ، وان نجدد المدن التى نعيش فيها والبيئة التى تحيط بنا ، وان نقر السلام والنظام ، وان نقدم للناس خدمات صحية وتربوية ، وان ننهض بالفنون ، وان نحد من نمو السكان ، وان تبذل الدول الغنية معونتها للدول الفقيرة • وهذه الاهداف تقتضينا ان نتوسع فى تخريج الانسان المتعلم ، الحساس ، بعيد النظر ، والتربية هيأملنا الوحيد فى حل هذه المشكلات ، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن ان تحقق للانسان ما يريد •

■■

القاهرة ــ محمود محمود

أنت والطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

عودة الطاقة الشمسية



● تناولنا فى استطلاع الطاقة الشمسية (انظر عدد يوليو الماضى) اساليب استغلالها المباشرة .. وقوام هذه الاساليب تجميع الحرارة الشمسية بواسطة المجمعات .. تلك الصفائح أو الالواح المعدنية السوداء التى تراها على سطوح المنازل الشمسية .. وليس من المعقول الا نتعرض للاساليب غير المباشرة التى تستغل بها الطاقة الشمسية والتى تحظى هى الاخرى باهتمام معهد الكويت للابحاث العلمية .. محور الاستطلاع المذكور .

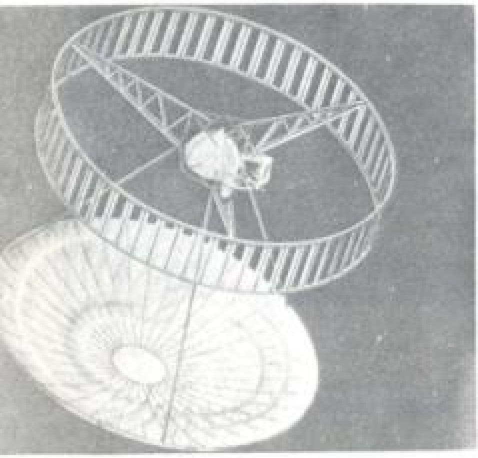
محطات توليد الكهرباء

واول ما يذكر من هذه الاساليب غير المباشرة .. .. المرايا وما اليها من السطوح الناعمة الملساء الكفيلة بتركيز الاشعة الشمسية وانعكاسها .. والتركيز غير التجميع طبعا ، ومن شأنه ان يضاعف الحرارة الشمسية التى تصلنا . فبينما لم تزد درجة الحرارة القصوى التى امكن الحصول عليها بالتجميع على ٩٠ درجة مئوية، بلغت درجة الحرارة التى استطاعوا الحصول عليها بالتركيز ما يزيد على ٥٠٠ درجة مئوية. لا عجب اذن ان أقامت فرنسا محطة لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية . اقامتها فى (اودايهو) الواقعة



البطاريات الشمسية المستعملة في رحلات أبولو الفضائية ٠

المرآة الفضائية



على جبال البرانز على حدودها مع اسبانيا ولقد حققت هذه المحطة من النجاح ما حمل الحكومة الفرنسية على التفكير في انشاء محطة ثانية (انظر الصورة رقم ١) ٠

ولم تغفل الولايات المتحدة عن مولدات الكهرباء الشمسية ، وهي الرائدة في هذا الميدان ، بل انها تخطت ما وقف عنده غيرها ٠٠ وراحت تضع المشاريع لمحطات فضائية لتوليد الكهرباء الشمسية ٠٠ ونذكر من هذه ، سفينة الفضاء ذات الاجنحة العملاقة (٦ر٩ × ١٢ كيلو متر) ذلك ان هذه الاجنحة هي التي ستجمع اشعة الشمس ، بل تركزها ، بحيث يصبح في مقدور المحطة ان تولد حوالي ٥٠٠٠ ميجاواط ٠٠ أي ما يعادل نصف ما تولده مولدات الكهرباء في مدينة نيويورك ٠

ونذكر من تلك المشاريع مرآة الفضاء (انظر الصورة رقم ٢) فمن شأن هذه المرآة الضخمة ان تعكس اشعة الشمس الى سخان ماء كبير على الارض ٠٠ ومن شأن هذا السخان ان يمد مولدا للكهرباء بالقوة التي يحتاجها ٠٠

البطاريات الشمسية :

وهذه صنوف مختلفة تعمل بأساليب مختلفة ٠٠ منها البطاريات التي استعملت في مركبة الفضاء أبولو (انظر الصورة رقم ٣) ٠٠ ومنها البطاريات الشمسية التي استعملت في السكاي لاب وليس هنا مجال الدخول في تفاصيل هذه البطاريات وحسبنا القول بان جدواها التكنية ثابتة لا شك فيها ، وان الابحاث والتجارب التي يقوم بها العلماء انما تستهدف تخفيض تكاليف صنعها ٠ ويصدق هذا لا على البطاريات الشمسية فحسب ٠٠ وانما على كافة الاساليب المستعملة في استغلال الطاقة الشمسية ٠٠ الاساليب المباشرة وغير المباشرة ٠ وتشير الدلائل الى ان نفقات صنع هذه وتلك ـ وبعضها باهظ في الوقت الحاضر ـ ستنخفض بنسبة كبيرة في السنوات القليلة القادمة ٠

التدفئة بالحرارة الجوفية

● تنعم بعض الدول بنوافير طبيعية Gey sers يتدفق منها الماء (او البخار) ساخنا ٠٠ وتعزى هذه السخونة الى الحرارة الكامنة فى باطن الارض ، وقد امكن استغلالها بطريقة او باخرى لاغراض التدفئة ٠٠٠ تدفئة المنازل والمصانع الخ ٠٠

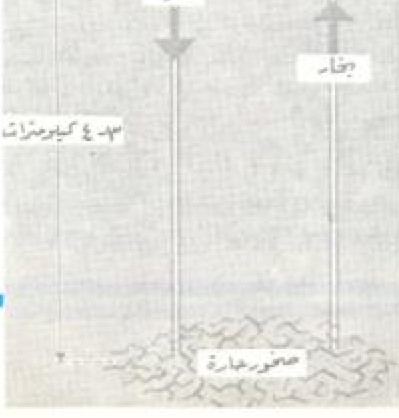
ولعل جزيرة ايسلنده فى طليعة تلك الدول ٠ فقد كثرت نوافير الماء الساخن فى اراضيها حتى تمكنت من تغطية ١٥٪ من حاجتها للطاقة ٠ ويذكر هنا ان العاصمة ركجابيك تتم تدفئتها بكاملها بالحرارة الجوفية ١٠٠٪ ٠

ولعل ولاية كاليفورنيا الامريكية ذهبت الى ابعد مما وصلت اليه ايسلنده ٠ فقد بلغ من كثرة النوافير الطبيعية فى المنطقة الواقعة شمال سان فرنسيسكو ان اطلقوا عليها اسم منطقة النوافير ٠٠٠

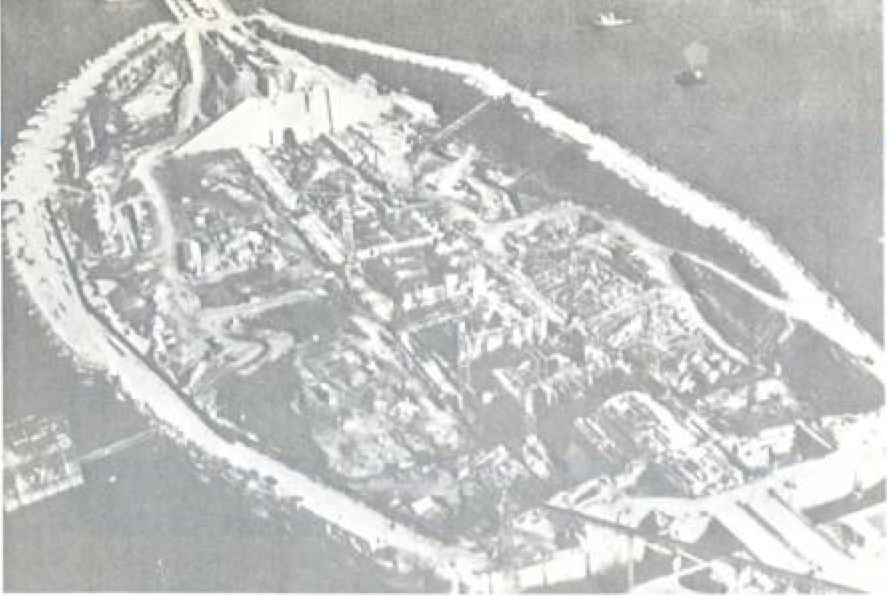
ويجرى استغلال منطقة النوافير هذه استغلالا تجاريا مربحا وعلى نطاق واسع ٠ وحسبك ان تسع محطات لتوليد الكهرباء تعمل بالحرارة الجوفية التى تأتيها من تلك المنطقة ، وهى تقدر بخمسماية ميجاواط ٠ وتوزع هذه المحطات بدورها ما تولده من طاقة على شبكات واسعة تمتد على طول ساحل المحيط الباسيفيكى ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان ايطاليا هى الاخرى غنية بالنوافير الطبيعية ٠٠ ولعل محطة توليد الكهرباء المعروفة باسم Lardarello هى اقدم محطات العالم التى تعتمد على الحرارة الجوفية لتوليد الطاقة الكهربائية ٠

على ان العلماء لم يقفوا عند هذا الحد بل راحوا يبحثون احتمالات الافادة من الحرارة الجوفية ، حيث لا يوجد نوافير طبيعية ٠ وسبيلهم الى ذلك هو فى حفر ثقبين عميقين (٢ ـ ٣ اميال) يصبُّون الماء فى احدهما فيصل الماء الى الصخور المفتتة الساخنة فلايلبث ان يتبخر ويتصاعد بخارا ساخنا من الثقب الثانى ، كما يبيّن الرسم ٠







... والطاقة من البحار

● استغل الانسان ماء الشلالات فى توليد الكهرباء منذ امد بعيد . اما الطاقة التى يستطيع الحصول عليها من امواج البحار ومن حركة المد والجزر على شواطئها ، فلم يتنبه لها العلماء الا فى المدة الاخيرة .

واول مايذكر هنا محطة توليد الكهرباء التى اقامتها فرنسا عند مصب نهر الرانس Rance قبل نحو خمس سنوات وقد حققت هذه المحطة من النجاح اضعاف ما كانوا يتوقعون لها . وهى تولد الكهرباء من الطاقة الكامنة فى المد والجزر وتولدها بمقدار يفوق ما تنتجه اى محطة اخرى تعتمد الماء فى توليد الكهرباء . اضف الى ذلك ان هذه المحطة الفرنسية كانت تعمل على نحو متواصل وبلا انقطاع منذ انشائها سنة ١٩٧٣ .

والغريب ان هذه المحطة الرائدة لم تكلف فرنسا اكثر من ٨٠ مليون دولار . وهذا مبلغ ضئيل بل تافه لو قورن بتكاليف المشروع البريطانى المماثل وقد بلغت تقديراته ٣٠٠٠ مليون دولار .

اما الموقع الذى اختاره الانجليز لمحطتهم فهو عند مصب نهر سفرن Severn فى القنال البريطانى . نقول «اختاروه» نظرا لان مصبات الانهر لا تصلح كلها لانشاء مثل هذه المحطات .

وقل مثل ذلك فى امواج البحر الدائمة الحركة .. فقد اثبتت التجارب امكانية استغلال الطاقة التى تتمثل فى هذه الحركة الدائمة فى ادارة طوربينات يقيمونها على محطات لتوليد الكهرباء عائمة .. وتترك هذه المحطات عائمة فى عرض البحر ، غير بعيد عن الشاطئ ، وتنتقل الكهرباء منها بواسطة الاسلاك الى المنشآت المقامة على الشاطىء ، ومن ثم الى شبكة التوزيع الرئيسية .

ويقوم العلماء حاليا بتجارب رائدة تستهدف الحصول على الطاقة من تيارات المحيط الكبرى كتيار الخليج وكذلك من الفارق فى درجة الحرارة بين سطح المحيط واعماقه .

فهمي المدرس

رائد سبق عصره

بقلم : الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمي العراقي

فهمي المدرس واحد من رواد نهضةالفكر العربي ، الذين انتقلوا به من عصر الانحطاط الى عصر النشــــاطوالتحرر • وهو يقف جانبا الى جنب مع رفاعة الطهطاوي وعلى مبـــــاركوجمال الدين الافغاني ورشـيد رضا وخير الدين البستانـي واحمد عزةالاعظمي •

المدرس رائد اسهم في ايقاظ الفكر العربي مساهمة جادة وقد سبق عصره بارائه المتطوررة ، وافكاره المتجددة ، وامتاز عن غيره بالفكر الاصيل، والرأى الجرىء ، وصدق العقيدة • وهي عوامل اكسبته شعبية واسعة سـرعان مـا نسيت ونسي صاحبها ولفه ضباب معتموغريب من الاهمال ، لان العراق بلد الامم ، ومـوطن الشعوب ، وموئـل الاقوام واللغات والاديان المختلفة • وان سادته اللغة العربية ، وانتشر فيه الدين الاسلامي لكن على تفاوت بعيد الشقة ما بين الانتشار وعمقه •

وقد اثرت فيه تيارات متنوعة واراء متضاربة ، ونزعات متطاحنة ، توغل بعضها في القدموتنافس الطريف الجديد • ومثل هذا الاختلاف والتباين دعا الى كثرة المتزعمين والقادة والموجهين • الذين قل بينهم المصلح العميق النظرة ، والمفكر الموجه الصادق العقيدة •

ان سعة اطلاعفهمي المدرسعلى العلومالقديمة، وعمق فهمه لهـا ، واتصاله بالحضارة الجديـدة والاستفادة من تياراتها وحريته التي تمتع بها ، ساعدته علىفهمالامور وبلورة الرأىوتطور الحياة المعاصرة بضوء التقدم الحضارى الجديد ولا يتم هذا الا « بايجاد عقول كبيرة ، وادمغة مفكرة ، متشبعة من روح الاسلام والعلم الصحيح ، تسير بالمسلمين نحو الاصلاح الاجتماعي ، من اقــرب طرقه ، بمناهج تضمن للمتعلم حقائق الدين ، واظهار مكنوناته ، وحكمه الرائعة التي لا يمكن النفوذ فيها الا بمعرفة الفنون العصرية ، جريا على الخطة التي تسير عليها الامم الناهضة » •

ونلاحظ أثر زيارته في صدر حياته لبـاريس ولندن وكمبردج واكسفورد والقاهـرة واتصالـه بالاساتذة والمفكرين ، في وقت كان التطور الفكرى في العراق ، بطيء الحركة يهرب من حضارة الغرب ومن الاستفادة من مدنيته وتطوره •



ولم تظهر تيارات التطور الا عندما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وكثرت الجرائد والمجلات التي دعت الى اصلاح حال العرب ومساواتهم بالحاكمين من اعضاء حزب الاتحاد والترقي الذي خشي من دعوة العرب رغم كونها في اطار الدين الاسلامي فقد خاف من القومية العربية ومن كثرة العرب ، فوقف شعاره (الحرية والعدالة والمساواة) على الحزب التوراني (١) وانصاره ومنح الوظائف والمنافع لهم فساء ذلك معروف الرصافي فقال من قصيدة طويلة :

« قد استأثروا بالحكم ، وارتزقوا به
وسدوا على من حولهم منبع الرزق
أرضى بأن يختص بالحكم معشر
ونصبح للباقين حبرا على ورق »

وقد سخر احد المفكرين من الحرية التي اعلنها الحزب فقال : (اعلنت الحرية التي اتت بكل بلية على الاسلام والحكومة العثمانية ، لان الناس اخذت من الحرية المعنى الاعم اي ان الانسان حر فيما يفعله من خير وشر) .

احلام الشباب

وفي هذه الفترة كان الجهل هو السائد على اغلبية الشعب ولم يكن يتعلم الا الغني أو ابن الموظف ، فقد كان الهدف الاول لاي والد ان يعلم ولده حرفته ويورثه صنعته لكي يعيش منها .وكان المجتمع زراعيا هادىء الطبع راكد الفكر فقد طحنته الالام والامراض والفيضانات وامسى مجتمعا يعيش على تقاليد بالية وقيم محدودة ، ومثل اجتماعية تحميه من النكبات المتوالية ، بعد ان انهار كثير من المثل العربية الاصيلة والقيم العربية الموروثة .

وقد ولد فهمي المدرس في بيئة غنية بالعلم والجاه والنسب .فزاده ذلك ثقة بنفسه ، واعتزازا بشخصيته ، وأكد هذه الثقة المركز الحكومي الذي حازه في العصر العثماني وهو في شرخ الشباب وريعان الصبا ، فقد عمل ناظرا لمدرسة الصنائع ومساهما في جريدة الزوراء ، وادارة مطبعة الولاية ، والتدريس في الاعدادية وفي مجلس المعارف ومجلس اصلاح المدارس ، وواحدة من هذه الوظائف كانت تكفي الانسان فخرا ومباهاة في عصره !

وقد استفاد من والده فقد درس عليه ووسع افاق فكره فقد كان قاضي محكمة بغداد التجارية التي تقضي بين التجار وتحسم مشكلاتهم ،ومجتمع التجار يمتاز بالذكاء ويعمل بكل وسيلة في سبيل نجاح العمل .

ولكن المدرس الطموح لم يرضه مجتمع بغداد المحدود ، وبيئتها الضيقة وزاد في هذا الطموح ما لاقاه من معاصريه من الفقهاء واختلافه معهم في كثير من اساليب التفكير ، فقد كان المدرس عربيا خزرجيا يعتز بالعرب وكان بعض هؤلاء يوغلون في شتم العرب قبل الاسلام ويظهرون معايبهم ويلحقون بهم كل مثلبة ، وقد يكون السبب هو الحقد على العرب أو الجهل بتاريخهم او الاعتزاز المتطرف بالدين الاسلامي ولكنه ناورهم وحاورهم ووقف منهم موقفا صلبا وابرز تاريخ العرب وحضارتهم ، وهذا الاختلاف مع أمور أخرى كانت سببا في نفيه الى رودس ، ثم عودته الى بغداد ، اضافة الى الاختلاف الجذري في وجهات النظر للدين الاسلامي نفسه الذي كان يريده المدرس متطورا سليما من خرافات القرون المتأخرة .

كانت الحياة صعبة رغم كل ذلك ولم يجد أمامه غير العاصمة (الآستانة) ميدان طموحه ومهوى احلامه فسافر اليها بتوصية ، ولما حل بالآستانة واجهته ثورة الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد ، فاندفع شأن الشباب في التأييد ، وانبهر بشعاراتها وهزته الفاظها البراقة فقد داعبت احلام الشباب (الحرية والمساواة والعدالة) والدعوة الى محاربة الظلم ، والقضاء على التفرقة بين الشعوب .

كانت هذه الشعارات سببا للاندفاع في القاء الخطب لينفس عن آلام رانت على قلبه ، وليؤكد ذاته ، وسرعان ما أخذته الدولة الى رحابها واصبح مدرسا في الجامعة .

---

(١) التورانية او الطورانية هي اللغة القديمة لقبائل المغول قبل الاسلام ، وقد اتخذت جمعية (حزب) الاتحاد والترقي كل وسيلة لاحيائها واحياء ذكر رجالها وقادتها .

في حرم الجامعة

وفي الأستانة البلد الذي يختلف عن بغداد بكل مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية احتك بثقافات جديدة وامم متباينة واجناس متعددة وشاهد حياة العاصمة المتأثرة بالغرب واتصل باساتذة الجامعة وعلماء الدولة ، وكبار المفكرين الذين تأثروا بثقافة غير ثقافته وطراز حضارة يراها لأول مرة • ولكنه لم يأخذه التيار وتبهره هذه الحياة انما استفاد منها ونجح استاذا ، ولمع مفكرا ، فقد مكنه مركزه وثقافته من الاتصال بكبار الرجال والمسئولين ، فاعجبوا بهوعولوا على ذكائه ، واعتمدوا على رأيه في حل المشكلات الثقافية في الوطن العربي فأرسل الى الشام ليرى كيف تحل قضايا مؤسساتها العلميةفي بيروت ودمشق وليعرف سير المعارف فكتب عنها دراسة • وقد كان في الجامعة من الاساتذة من هو أرسخ الواسع ، واحس بانه يؤدي رسالة لا مجرد عمل منه مكانة واسبق زمنا •

كانت الجامعة مجاله الرحب ، وميدانه او وظيفة ، وقد ظهرت هذه الرسالة عندما درس الادب العربي وأكد في محاضراته مكانة العرب وابرز تاريخهم الزاهي وحضارتهم التي قدمت للانسانية خير الخدماتوطبع كتابا ضخما بقيطلابه يحرصون على الاحتفاظ بنسخه ويعاودون النظر فيه •

وفي الكتاب نظرات عميقة في تاريخ الادب ، يدرس لكتاب حين كانت الدعوة الطورانية في واختيار موفق للنصوص الشعرية (٢) وقد كان عنفها وشدتها . ولا أعرف ، هل كانت حرية الجامعة مصونة ، فلم تمتد اليه يد السلطة ؟! ام ان مكانته العلمية وثقة رجال الدولة به كانت تحميه ؟! فقد كان الرجل بارعا وذكيا ، فنجح في أن يدرس الادب العربي وتاريخ العرب ومفاخرهم، ويثبت انتصاراتهم ويقف عند ذي قار والحروب الصليبية ويملأ النفوس بالامل وهو يشرح الادب العربي في الجاهلية ويقرأ القصائد المختارة •

وكان فهمي المدرس محط الانظار وكان يحضر محاضراته الاساتذة والطلاب وامتاز باسلوب ساحر جميل ، فهو رائد الاساتذة العرب ، وباعثالفكر القومي في فترة كان الناس خلالها يخافون من تمجيد العرب ، فقد حدثني المرحوم محمد ناجي القشطيني عن مكانته فقال : (انه الرائد الاول لبعث العروبة من مرقدها ، باسلوب تدريسه لآدابها) •

ولكن الامور في الامبراطورية العثمانية بدأت تسوء واخذ الحزب الحاكم يلاحق العرب ، وشنق زهرة شبابهم في بيروت ودمشق وانسابت الحسرة الى قلوب العرب والمسلمين ، لان الحزب أساء الى نفسه وللعرب وللاتراك • فكانت الجمعيات السرية وثورة الملك حسين في التاسع من شعبان وانشاء اول حكومة عربية في الشام تهز احلامهم، في بعث التراث القديم ، وتجديد المجد الماضي •

وسافر المدرس الى دمشق ليكون عونا في ارساء الملك الجديد وليساهم في الدولة الفتية وجلب معه كتبه واثاثه • فلم يجد في رحاب الدولة مكانا له فسافر الى أوروبا • ولا أعرف سبب هذا السفر ولكنه أشار اشارة واحدة ذكر فيها ان الاستاذ ساطع الحصري وقف دونه والله • (٣)

بقي في اوروبا وتوالت الاحداث على الشام واحتلها « غورو » الفرنسي وذهب الى قبر صلاح الدين وقال له : عدنا يا صلاح الدين (٤) ، وظهرت خيانة الحلفاء للعرب ونفذت معاهدة سايكس ـ بيكو • فتوجه الى بغداد بعد أن تفتحت أمامه آفاق الحضارة في الغرب ورأى مجتمعا متطورا وحضارة زاهية وتقدما صناعيا وترفا في الفكر والانتاج •

---

(٢) اسم الكتاب : تاريخ ادبيات عربية وطبع في الاستانة ١٣٣٢ • أعارني النسخة المرحوم الشاعر محمد ناجي القشطيني •

(٣) في تقريره عن الجامعة قال : (من المبتاليحث في تشكيل الجامعة ما دام الاستاذ ساطع بك متوليا على المعارف ، لأنا أعلم الناس به فيالاستانة ، ولأنا أعلم به في الشام ولأنا أعلم به في بغداد) •

(٤) أي عاد الصليبيون الى بلاد الشامليستعبدوها بعد أن طردهم منها صلاح الدين وغيره •

بداية رحلة المتاعب

وشكلت الحكومة العراقية وجاء فيصل (الاول) الى بغداد واختاره رئيسا للامناء لكن عقله الراجح ، وقوة شخصيته ، وتجاربه الناضجة ، وايمانه بحق وطنه جعلت سلطات الاحتلال تحذره وتخاف منه ومن وجوده بالقرب من الملك فيصل ومشورته له ، لانها تريد شخصا ضعيف الراى تافه الشخصية قليل الذكاء لا يؤمن الا بقوتهم وسلطتهم ولن ترضى باستاذ جامعي عريق ،ومفكر عميق النظر ، بصير بالامور ليكون رئيس الامناء لان الاستاذ المفكر الواثق من نفسه لن يجارى ولن يداجي ولن يكذب ، فقد اعتاد على الصراحة والعربة ووقار العلم وهذه أكثر أمانا وحماية من قوة السلاح ، وأصلب عودا من سلطة الحاكم.

وثقة المدرس بنفسه وقوة شخصيته جرت عليه المصاعب والمتاعب والمصائب . لان الدولة كانت مزدوجة الحكم وجهها عربي وصنعها انكيزى ، وهذه الازدواجية لا يصبر عليها انسان صادق اللهجة واضح القصد صريح الراى ولا بد له أن يصطدم بالمستشارين الذين هم حول الحكام ويسخر من المؤسسات التى اقامها الانكليز ليظهر العراق بمظهر الدولة المستقلة الديمقراطية البرلمانية الحرة .

ولم يمر الحول حتى استغل الانتداب اول مظاهرة وطنية جاءت تحيي الملك فيصل وتندد بالانتداب حتى طلب المندوب السامى أخراج المدرس من عمله ومعاقبة المتظاهرين . وقد أخرج المدرس من عمله وحجز في داره أو حجز نفسه فيها والالم يقطر من قلبه والحسرة تنبض في عروقه .

ولما تنادى المثقفون الى ضرورة انشاء جامعة وطنية لدراسة العلوم الحديثة مع علوم الدين ، راقت الفكرة الملك لانه يتمنى أن يؤلف بين الاتجاهات المتغايرة فى الفكر الديني ويقرب بين المتنافر منها وليخلق شعبا عراقيا متماسكا . فاختار المدرس ليكون أمين الجامعة وخصصت المبالغ ووضعت الخرائط لمشروع جامعة ضخمة ، وبالفعل أنشأت وزارة الاوقاف شعبة الدين واعتمدت على خيرة العلماء وأجل الاساتذة للتدريس الذى يجمع بين الدين والاسلوب العصرى وقد شرح المدرس هذا الهدف من انشاء الجامعة بقوله انها « تقوم بتكوين ثقافة تلائم روح العصر ، يقومها في العلوم مواد متماسكة الاجزاء ويمتزج فيها الدين والفن امتزاجا ، تتلاشى فيه النفسية الناشزة المتولدة من أهواء القرون الوسطى » .

وقد أراد فكر المدرس الوقاد خلق جيل يمتاز بقيم روحية اصيلة مع ثقافة عصرية متطورة ،تعيد للجليل ثقته بنفسه وبامته وتاريخه وان يبعده عن حب السطوة والوظيفة .

جامعة آل البيت

وبدات اولى المشكلات امام الجامعة الناشئة : هل تربطبمجلس الوزارة ، أم بوزارة المعارف ؟ ولكن الاستاذ العصرى أرادها أن تكون تابعة لوزارة المعارف وكان هو مديرها العام ولما رفض طلبه من اللجنة بدأت العراقيل توضع فى طريق المشروع ، وتدخل ياسين الهاشمي والملك فيصل والمسئولون ودفعوا الجامعة لكن كثرة الحاسدين والراغبين في فرض سيطرتهم وبعض الطامعين فى الجامعة والطامعين في وظائفها تكاثروا وكانت هى رغبة الانكليز ، فاغلقوها وقضىعلى أوللبنةثقافية ممتازةساهمأصحابالنفوذفيها . ولولا هذهالمساهمة لما تجاسر الانتداب على اغلاقها.كما لم يقدر على اغلاق الجامعةالمصرية ، التى شد أزرها المصريون. وقد حدثني المرحوم القشطيني بان : (اغلاق الجامعة مؤامرة استعمارية لان الانكليز تحققوا ان هذه النواة ستنمو وتحقق النظام الجامعى المستقل) وتحقيق الاستقلال الجامعى يهدد مصالحهم . وقد أكد لى هذه الحقيقة زميلى الاستاذ الكبير رشيد العبيدى بان الانكليز طلبوا من جعفر العسكرى اغلاق الجامعة رغم معارضة الملك فيصل .

وبذلك وقف أكبر تيار اصلاحي كان فيه الخير والتطور للعراق خوفا من استقلال الجامعة وطموح المدرس فى أن تكون على نسق الانظمة الجامعية الحديثة وان تخرج الطلاب حتى الدكتورية فيزمن لم يسمع العراق بهذه الكلمة أو يعرف معناها . والحقيقة انه خطط كل شيء ، ومن يقرأ نظامها اليوم يعجب لسعة افق الرجل وما قام به منعمل

فقد أصدر مجلة جامعية رائدة وشجع الاساتذة على المساهمة فيها والمنافسة في الكتابة وطالب بانشاء مطبعة خاصة بها •

ولما اغلقت الجامعة كتب المدرس رسالة دون فيها ما طرأ عليها من محن وأسباب هذا الاغلاق ليكون الشعب على بينة من الامر ولم يجد امامه غير ميدان السياسة ملاذا والحزب الوطني ملجا بعد أن ضاعت عليه فرص الاصلاح العلمي والثقافي ، فاختاره الحزب عضوا في الهيئة المركزية وبدأت فترة نشيطة في السياسة المعارضة للدولة التي يديرها الاستعمار ـ ويظهر أبناء العراق وكانهم يصرفون شئونه •

كانت مقالات المدرس نموذجا رفيعا للادب السياسي ، وكانت صدى مشكلات العراق وما يعانيه من تخلف وفرقة وجهل ومرض وتناحر •

وقد تعلق القارئ العراقي بصورها الرائعة ، وعباراتها الجميلة ، وتعابيرها الصادقة وقد ابتعد عن التقريرية واختيار العبارات وتنميق الالفاظ ، وكثر المعجبون به وتذوق حلاوة الاعجاب والنجاح لانه كان صريحا واضحا فيلور الفكر الشعبي ضد الاستعمار ولانه عرف مركز الضعف ووضع العلاج •

كان زعيما مفكرا أحس بان تطور العراق السياسي لم يسر مع التطور الاقتصادي والثقافي والحضاري ، لان أهل العراق صغيرهم وكبيرهم من اكثر الناس وهتماما بالسياسة لانها اقصر درب للسلطة والجاه وجر المغانم وكان رجال الاحزاب من الطبقة الوسطى الجديدة التي قامت على (الافندية) والضباط الذين عملوا في الدولة العثمانية التي تهتم بالمظهر والسطوة وهما ما يداعب خيال الشباب المراهق والمغامر الطموح ولهذا تقدهم المدرس فقال : « المطامع والغايات الشخصية بعيدة عن مبادئ الاحزاب السياسية في كل زمان وفي كل مكان •••• السياسة في البلاد الحرة ليست من البضائع التي يسام عليها ولا من المهن التي يصوغ اصحابها المادة بحسب الرغبات لقاء أجر معلوم • وقد كانت هذه المطامع الشخصية سببا في انتقال الناس من حزب الى حزب آخر يتسلم مقاليد السلطة ليجر العضو (المغانم) فتراه مرة شعبيا ، واخرى تقدميا ، ويوما اخائيا ، وطورا عهديا •• وسخر من أمثال هذا العضو فقال يطوف الرجل بالاحزاب السياسية واضعا قلنسوة الخناس ، وعلى صدره جلد النمر متلفعا مرقعة حوت الف لون ولون بيمينه حربة يهش بها ، وبشماله كشكول يستجدي به متصبا او معاشا ، يدخل من باب ويخرج من باب ،وأينما سقط لقط » •

الثورة على الاستعمار

ودعا الى محاربة الاستعمار بالقوة والثورة عليه لانه لا يعرف لغة غيرها ، وسخر من جميع المؤسسات التي أنشأها الاستعمار لتخدير الشعب العراقي ، مثل مجلس النواب والاعيان والوزارة واختلاق المعارضة وكيف تجرى الانتخابات وتزيف الآراء كما هاجم المعاهدات التي عقدت بين العراق وانكلترا لانها عقدت بين قوى يملك الجيوش والسلاح وبين ضعيف متخاذل لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بالكلام ، ومتى كان القوى مع الضعيف كريما •

ولم يقف عند معالجة قضايا العراق السياسية والفكرية بل زاد فاهتم بكل قضايا العرب ومشكلاتهم وقضايا استقلالهم وأهتم بأمورهم،فما كان يحدث لقطر من الاقطار شيء الا كانت مقالاته تصور المعاناة والآلام وأهتم بقضية فلسطين اهتماما كبيرا وكتب فيها المقالات الضافية وكان داعية الى الوحدة العربية ، ويراها الهدف الاول الذي يحل مشكلات العرب ويمنحهم القوة في وقت كانت درجات الوعي العربي متأخرة ، وضاعت لقتهم بانفسهم لهذا رجع الى التاريخ العربي يستلهمه ويذكرهم بأعمال الاجداد وفتوحاتهم ، ويأتي على أسماء القواد ويلوم العرب على اتكالهم على الحكومات والزعماء الذين لم يملكوا مؤهلات الزعامة والقابلية الذهنية لسبر غور ساسة أوروبا الذين ظنوهم أصدقاء العرب • وعلل ذلك بحرص هؤلاء القادة على المراكز التي حصلوا عليها كالوزارة والنيابة والسفارة فاهتموا بالكرسي فشغلهم عن قضايا الوطن العليا •

والطريف أن يرسم صورة بعيدة النظر ، بين فيها كيف سيكون الوطن اليهودي في فلسطين رأس

الرمح لخدمة الاستعمار الذى أحس بأن العرب لهم مستقبل كبير فى السياسة العالمية • وقد سبق عصره فى الدعوة الى الاصلاح الاجتماعي فى رفع مستوى العامل والفلاح والعناية بهما والاعتماد على الشعب فى كل اصلاح وبانشـــاء النقابات للتخلص من الفقر والمرض ولم تكن فكرة الاشتراكية قد لاقت القبول أو انتشرت وفهمها الكثير فى هذا العهد •

ومع اشراقة اسلوب المدرس وسهولة تراكيبه نجد فيه أناقة وتناسقا فى الالفاظ واستشهادا بالقرآن الكريم والاحاديث النبـوية والامثـــال والاشعار وهو أمر انعدم فى هذا الجيل الذى ابتعد عن تراثه وسادته سطحية فى الفكر واستعجال فى الحكم وسرعة فى الانتاج •

ولم يقف عند قضايا العراق ومشكلاته ، بل هاجم الفرقة والتأخر فى الوطن العربي كله واهتم فى كتاباته السياسية بالحرية والديمقـــراطية وضرورتهما فى الصحافة ، لأن الصحافة الحرة هى الضمان الوحيد للوقوف أمام الظلم والحـكم الفردي • والحكومة العادلة التى تسير وفق مصالح الشعب لن تخاف النقد أو يؤلمها التجريح • ولما اشتدت حربه على الاستعمار والدولة ووزرائها الموالين للاستعمار عطلت الجريدة التى نشر فيها رأيه هذا وقدم رئيس التحرير للمحاكمة فحـكم عليه بالسجن ستة أشهر لكن محكمة التمييز رفضت تصديق الحكم ، ولما ضاقت حكومة نورى السعيد به احتالت عليه بحيلة قانونية ونفته هو ورفائيل بطي وفق نظام دعاوى العشائر • ومن الطريف ان يبرز وزير الداخلية ناجي شوكت هذا النفي بتمادي المدرس فى نشر مقالات اســــتهدف فيها أكبر المقامات •• وانه يثير الرأى العام ضد الحكومة • وقد اعترف نورى السعيد بأنه اضطر الى النفي بعد أن أعيته الحيل فى الحد من نشاط المدرس • ولكن هذا النفي أثار مجلس الامة وانتشر الاستياء ضد هذا النفي وطالب المعارضون بضرورة اطلاق حرية المدرس فقد عارض النفي نجيب الـــراوى وجميل المدفعي وصادق البصام وصالح جبر وابراهيم الواعظ ومزاحم الباجه جي وبهجت زينل ، وطالب احدهم بنصب تمثال للمدرس تقديرا واعترافا بالفضل ، وعاد المدرس الى نشاطه • ثم استقال من الحزب • وعين بعدها مديرا عاما للمعـارف لكنه لم يقدر أن يرى أحلامه حقيقة فاســـتقال ونشر مقالات متعددة فى اصلاح المعارف ثم عين مديرا لدار العلوم فى بغداد وبقي فيها فترة من الزمن •

وبقي المدرس ساخطا على الاستعمار ومؤيديه ولزم داره وأصبحت مساهمته الفكرية محدودة ، فقد هاجمته الآلام والهموم من جراء الشيخوخة والزواج المتأخر ، حتى كانت حرب العـــراق فى ١٩٤١ ضد الانكليز وكانت فرصة اغتنمها المدرس ، فقد حدثنى المرحوم الدكتـــور ناجي الاصيل ان المدرس كان يعرف ان الحرب ضد الانكليز خاسرة ولكنه هاجمهم بعنف وشـــدة من دار الاذاعة ولما قابلته مستغربا ـ لانه قال انها أيام وينتصر الانكليز ـ اجاب : انها فرصة عرضت لى لابث مبدئي ، واذود عن عقيدتي وأهاجم أعداء أمتي وقومي فيجب ان اغتنمها وليس النجاح شرطا فى القضايا الوطنية انما المهم التضحية بالقضايا الفردية •••

وبالفعل انتصر الجيش البريطاني ودخل بغداد ظافرا فاتحا ، وشنق خيرة القادة واعتقل المئات من الاحرار والشعراء والمفكرين ، ومن الغـريب أن يكون احد الشعراء المعروفين وزيرا فى أول وزارة شكلها الاحتلال البريطاني ، وهاجم "ذوى الوطنية لأنهم وقفوا ضد الاستعمار ؟

بعد ذلك تحددت اعمال المدرس الفكرية ولـم يعد قادرا على مقابلة النـــاس وخاف اصدقاؤه العيون والارصاد لكنه لم يفقد الامل فى المستقبل وفى وطنه وأمته •

ولم يتح له ان يقول شيئا بعد ١٩٤١ أو يبدي رأيا سياسيا أو فكريا سوى دفاعه عن معـروف الرصافي عندما أثيرت حوله ثائرة نفر من الفقهاء حول (رسائل التعليقات) •

ولما داهمه المرض خشي أن يذهب الى المستشفى ويقتله هناك الاطباء الانكليز ، وفارق الدنيا فى ١٤ آب ١٩٤٤ ودفن فى مقبرة الكيلاني • رحمه الله •

■■

بغداد ـ **يوسف عز الدين**

أدب المنشقين

تتهافت عليه دور النشر الأوروبية

بقلم : فريد كامل

■ اصبحت مساندة الادباء والفنانين المنشقين في الاتحاد السوفياتي ودول شرق اوروبا والاشادة باعمالهم ظاهرة عامة فى الدول الغربية ، خاصة بعد ان اتخذت احزاب الأوروشيوعية موقفالتايد لهم ،والقي الرئيس الامريكي الجديد جيمى كارتر بثقله في كفتهم ...

ولا تشذ ايطاليا بالطبع عن هذه القاعدة .. بل تتسابق دور النشر على اصدار رواياتالمنشقين وكتاباتهم التى تتداول سرا فى الاتحاد السوفياتي - ويطلق عليها اسم « الساميزدات » .. فتظهر رواية « موسكو على نهر الفودكا » لفنديكت ايروفيف عن دار فلترنيللي (التى قدمت للغرب في ١٩٥٨ أول طبعة من رواية « دكتور زيفاجو » لبوريس باسترناك) وتعلن دار ادلفى عن اصدار رواية « فراغ فى القمة » لالكسندر زينوفيف فى جزئين في الشهر القادم (.. بل تشمل الموجة الصين ايضا،فتنشر الاسبوعية السياسية«بانوراما» على مدى اربعة اعداد متتالية مذكرات شيانج شنج ارملة ماوتسى تونج « المنشقة » - كما روتها للصحفية الالمانية روكسان ويتك وتعلن دار موندادورى عن قرب اصدار النص الكامل للمذكرات في كتاب بعنوان « انا - امراة ماو ») ...

يطلق اصطلاح « الساميزدات » (اى « النشر الذاتي » تمييزا له عن « البارتيزدات » - اى النشر الحزبى او الرسمى) على كتابات المنشقين السوفيات (وتشمل روايات ودراسات تاريخية واجتماعيةومجموعات شعريةودوريات) تنسخ على الالة الكاتبة من عدة نسخ بالكربون على ورقبالغ الرقة (لان آلات النسخ والطباعة تحتكرها الحكومة والحزب) وتدار باليد وفق نظام محدد في دوائر محددة من القراء ، تترك المنسوخة مع كل قارىء لفترة محددة ، يمررها بعدها الى القارىء التالى وتتراوح هذه الفترات (حسب العرض والطلب) من اربعة ايام الى اثنتى عشرة ساعة (الكتاب « ارخبيل الجولاج » لسولجنتسين) ..

بدايات المنشقين

وكانت حركة الادباء المنشقين قد بدات فى١٩٦٦

باحتجاج مجموعة من المثقفين على محاكمة الكاتبين اندراي سنيافزكي ويولي دانيال وادت الاعتقالات والمحاكمات السياسية لبعض الادباء والفنانين في ١٩٦٧ الى تقوية الحركة . وبدأ الساميزدات في سنة ١٩٦٨ بظهور « مجلة » تصدر كل شهرين اسمها « سجل الاحداث الجارية » لتعطي « انباء الصراع في سبيل الحقوق الانسانية والوطنية » وظهرت في العام التالي اول ما نشر من روايات ودراسات المنشقين بطريقة الساميزدات ، وبدات مجلة « سجل الاحداث الجارية » في نشر قائمة بما صدر منها مع نبذات عنها ٠٠(فيما بعد بدأ النشر الذاتي ايضا لبعض الكتب التي كان يشك في امكان نشرها رسميا في نفس الوقت الذي كانت تقدم فيه هذه الكتب للسلطات للحصول على اذن النشر ـ وهي عملية تستغرق احيانا شهوراطويلة ـ وفي حالات متعددة صدرت هذه الكتب رسميا بعد صدورها ذاتيا بشهور ٠٠)

وبهجرة عدد من الادباء المنشقين للخارج بدات عملية طباعة كتب ومجلات المنشقين في الغرب وتهريبها للاتحاد السوفياتي لتدور في دوائر قراء « الساميزدات » ، فانقرضت مجلة « سجل الاحداث الجارية » مثلا لتحل محلها مجلة « القارة » (كونتيننت) التي تطبع في المانيا الفيدرالية٠٠٠

(ويجدر ان نذكر هنا ان الشعب السوفياتي من اكثر شعوب العالم اهتماما بالادب ٠ وتدل تقارير منظمة « اليونسكو »الدولية على ان واحدا من كل اربعة كتب تصدر في العالم يطبع في الاتحاد السوفياتي وان ٧٥٪من السوفياتيمارسون بانتظام قراءة الادب ـ مقابل ٥٪ فقط في اوروبا الغربية ـ ومن المعروف ان الطبعات الاولى للكتب السوفياتية لاتطرح في المكتبات لانها تنفد باكملها بالحجز قبل صدورها ، لذا توجد سوق سوداء للكتب الجديدة الرسمية ، وايضا للكتب الغربية الممنوعة وكتب المنشقين المطبوعة بالغرب ٠٠)

ويمكن تقسيم الادباء المنشقين السوفيات الى ثلاث مجموعات متميزة :

● مجموعة غموضية رجعية تحارب الماركسية بعنف لانها « تنتهك الروح والقيم الانسانية » ٠ تتشدق دائما بروسيا الماضي العظمى وتطالب بالعودة الى « التقاليد الروسية القديمة ».ويقود هذه المجموعة سولجنتسين ٠

● مجموعة من المؤمنين بالديموقراطية الغربية المعادين للماركسية . ويرأسها الرياضي بليوسك٠

● مجموعة اليسار الجديد من الماركسيين الذين يتهمون الحزب السوفياتي بخيانة الماركسية والانحراف عنها وبالديكتاتورية ٠ ويراس هذه المجموعة المؤرخ روري مدفيديف والشاعر الكسندر تفاردوفسكي رئيس التحرير السابق للمجلة الاوروبية(توفى مبر) ويعود اليه الفضل فيرعاية وتشجيع حركة الادباء المنشقين ونشر انتاجهم في المجلة خلال عمله بها) وتصدر هذه المجموعة (بالساميزدات) مجلة « القرن العشرين »ويتمسك اعضاء هذه المجموعة بالتوقيع باسمائهم الحقيقية على اعمالهم ويرفض الهجرة الى خارج الاتحاد السوفياتي ، مفضلين البقاء بالوطن مهما كان الثمن الذي يدفعونه ٠٠

٠٠٠ والكتابان اللذان نتناولهما اليوم لاثنين من اعضاء هذه المجموعة الثالثة ٠٠٠

وسط ضباب الكحول

« موسكو على نهر الفودكا »رواية صغيرة (١٨٠ صفحة) تروى رحلة طالب طرد من الجامعة «لارائه الخاطئة » بالقطار من موسكو الى بتوسكي ،بلدة صديقته ٠٠ لكنها ايضا رحلة حياة ورحلة داخل المجتمع السوفياتي وعلى الاخص داخل اسوار الكرملين الهائلة وفي مبانية المذهلة ٠٠ القصة مشبعة بالخمر ـ فالطالب نفسه يشرب طول الوقت وحبيبته التي تنتظره بمحطة بتوسكي سكيرة ايضا، وكذلك جميع شخصيات الرواية : العمال واعضاء اللجنة المركزية للحزب وربات البيوت الكهلات والشباب من الجنسين ، كلهم يشربون الخمر كالاسفنج ، يعبون زجاجات الفودكا واكواب البيرة والكوكتيلات ذات الاسماء الرنانة«دموع الكومسمول» (منظمة الشباب التابعة للحزب) و « اينس ارماند » (حبيبة لينين الفرنسية) ٠٠ الخ ، يقضون ايامهم في ضباب السكر بين نوبات المرح المخمور ونوبات اليأس السوداوى ، خاصة مساء الجمعة حينما تقترب ساعة منع بيع الخمر لعطلة نهاية الاسبوع ٠٠

اسلوب القصة رقيق قريب الى الشعر المنثور والسرد فيها عن طريق المنولوج الداخلي في حوار مستمر مع القارىء تتداخل فيه ـ فيمخيلة الراوى ـ الصور المضيئة وسط ضباب الكحول ‥ وقد نشرت الرواية بالفرنسية (فى نفس وقت صدورها فى روما) دار البان ميشيل الباريسية واعلن عن البدء فى تحويلها الى فيلم سينمائى فرنسى ـ المانى مشترك ، يقوم فيه بالبطولة النجم الالمانى المعروف كلاوزكينسكى ‥‥

كل هذا النجاح غريب بالنسبة لرواية اولى لكاتب شاب غير معروف (ولو ان تمرسه وتمكنه من فنه واضحان) فمن هو فنديكت ايروفيت هذا ؟؟

تقول مقدمة الكتاب عنه انه (كبطل رواية) طالب طرد من الجامعة (كلية آداب جامعة موسكو) فاضطر للعمل اليدوى فى بناء «طريق الكاميونات» موسكو ـ بكين وفى مطار موسكو ٠ ـ وانه ـ وهو فى السابعة والثلاثين ـ (كبطل رواية ايضا) سكير عنيد ، « شرب الخمر وسيلة احتجاجه السياسى » ـ وقد فقدت منه آخرا ـ وهو سكران ـ النسخة الخطية الوحيدة لرواية جديدة كتبها ‥

فراغ فى القمة

‥‥ مؤلف الكتاب الاخر ـ الكسندر زينوفيف ـ على العكس معروف جدا : هو استاذ المنطق بجامعة موسكو ـ عضو الحزب الشيوعى السوفياتى ـ المشهور فى الاوساط العلمية والجامعيةالعالمية لجدة وبراعة دراساته حول المنطق التى ترجمتالى لغات عديدة ‥ ثم ظهرت اولى رواياته « فراغ فى القمة » فجاة فى دوائر الساميزدات ثمنشرتها بالروسية (فى ٦٠٠ صفحة) دار النشرالسويسرية «لاج دوم » (عصر الانسان) ، فطرد منالجامعة والحزب وباقى مناصبه العلمية والشرفية ٠ وقاطعه زملاؤه ‥

والرواية لم تصدر بعد بالايطالية ، ولكنالمجلة الاسبوعية « ليسبريسو » نشرت ـ للاعلان عنها ـ فصلا من الكتاب وبعض رسومه الكاريكاتيرية‥ والقصة لرجل يفقد الامل فى امكان تغيير اى شىء فى مجتمعه ، فيقص قصة مجتمعه هذا « فى صراحة تامة » معطيا اسماء رمزية (لا غموض فيها) لجميعالشخصيات(ستالين اسمه الرئيس وخروشوف الخنزير وبرجنيف المتانق ‥ الخ) التى تشترك فى عشرات المشاهد القصيرة فى « رقصة سوداء » يحركها فى كثير من الاحيان « اعوان الجهاز » (اى رجال المخابرات) الذين يتدخلون فى كل شىء ويتلاعبون بكل مايحدث ‥

مؤلف هذه القصة معروف اذن ـ اى منالمعروف عنه انه ليس اديبا ـ وربما لهذا السبب تجد ان روايته (حسب ما يبدو من الفصل الوحيد الذى نشر منها بالايطالية) تفتقر الى الكثير من الناحية الادبية والفنية ، فلا يمكننا اعتبارها عملا فنيا جادا ـ حتى اذا افترضنا نجاحها كعمل سياسى (وهو ليس موضوعنا بالطبع)‥فالنجاح السياسى لا يشفع لسقوط العمل الفنى ابدا ‥‥ والعكس ايضا صحيح ٠ ■■

روما ـ **فريد كامل**

■ لا تلوموا الكبير يركب هولا   انما الهول من مطايا الكبير

(العقاد)

■ اذاورث الجهال ابناءهم غنى   وجاها ،فما اشقى بنىالعلماء!

(حفنى ناصف)

■ طريد ولى مأوى ، مباح ولى حمى

وحيد ولى صحب ، غريب ولى اهل

(الشاب الظريف)



من واقع الحياة

حب .. وايمان .. وأمل ..

بقلم : منير نصيف

■ الكوب مليء بماء الحياة ، حيث كان وما زال في مكانه يعطي ويعطي •• وتمتد يد القدر فجاة الى الزهرة الصغيرة الجميلة التي كان يحتويها فتنتزعها من مكانها في قلبه الذي يحتضنها ويرعاها •• وتقع الزهرة بعيدا وتتناثر بعض اجزائها بجوارها •• وتصحبها في رحلتها قطرات ماء كانت عالقة بالفرع الصغير •• وتجف القطرات المتناثرة ، وتبقى منها قطرتان ، بقيتا هناك وكانهما دمعتان تبكيان في صمت حزين على الزهرة الصغيرة الجميلة التي ذبلت فجاة ، وهي التي كانت منذ لحظات مليئة بالحياة والحب والجمال ••

لوحة رائعة رسمها الفنان الروسي المعاصر ترتشيكوف •• شيء ما اوحى للرسام الكبير بان يقدم لنا لوحته المعبرة •• ولكن احدا لا يعرف على وجه التحديد ما هو هذا الشيء •• وربما لا يكون هناك شيء على الاطلاق ••

وبما تكون مجرد صورة مرت امام عينيه •• وما اكثر الصور التي تمر بهؤلاء الذين يفلسفون الحياة بقلمهم وريشتهم فيقفون عندها ،ويقدمونها لنا في تلك اللوحات الرائعة التي تمتليء بها قلوبنا وعقولنا واعيننا •• وتبقى عالقة بها ابدا ••

كان لقاؤنا بهذه اللوحة في بيت طبيب واستاذ في الجراحة •• وقد احتلت مكانا هادئا من احد جدران القاعة التي يستقبل فيها ضيوفه •• وشدتنا اللوحة اليها •• ولم تكن المرة الاولى التي نحس فيها بعيوننا تتجه نحوها كلما ذهبنا لزيارته وجلسنا ننصت الى حديثه الروحاني الممتع •• ولكن يبدو انه لم يكن يلحظ منا هذا الاعجاب باللوحة الجميلة التي تسكن في دعة وهدوء على الجدار الفسيح الذي خلا من كل شيء ليفسح لها المكان وحدها •• او لعله لاحظ اهتمامنا بها ، ولكنه لم يشأ ، لسبب او لآخر ان يحدثنا عنها !

قصة « أمل »

واخيرا سألنا : « اننا نقرأ معاني كثيرة في هذه اللوحة الجميلة » • لماذا هي بالذات ؟ ثم هذا الاهتمام الواضح بها دون غيرها •• ماذا وراءه •• انت استاذ في عملك ، وانسان في فكرك وعلمك وادبك•• فانت عالم وشاعر واديب •• وكل شيء في بيتك قد وضع في مكانه بحساب هل هي مجرد لوحة اعجبتك فاقتنيتها وعلقتها •• ام ان وراءها شيئا ما تعبر عنه وتحكي قصته ؟



وقال الطبيب الاستاذ : « انها صورة الزهرة الصغيرة التى كانت تملأ بيتنا برائحتها الحلوة العطرة .. انها صورة ابنتى التى فقدتها منذ حوالى عشرين عاما .. انها صـورة « أمل » ثمرة زواجنا الاولى ، وقد شاء القدر ان يحرمنا منها وهى طفلة فى ربيعها الخامس » .

وتصورنا اننا ننبش قبرا ، واننا نثير ذكريات مؤلمة حزينة ، ما كان يجب ان نعيدها الى الحياة من جديد .. وحاولنا ان نغير بسرعة موضـوع الحديث .. وتطلعنـا الى وجهه فاذا به هادىء مبتسم ، وقد حوته مسحة واضحة من الرضى والسعادة لا يمكن لاحد ان يخطئها قال لا .. انا اعرف ما يدور فى رؤوسكم .. انتم تشـفقون علىّ ، ومن اجل هذا لا تريدون منى ان استرسل فى الحديث واروى لكم قصة « أمل » اما انا ، فاننى اجد راحة كبرى فى كل حديث يتصـل بها وعنها .. اجد سعادة تحتوى قلبى ووجدانى ، كلما عدت اليها وعشت مع ذكريات عمرها معنا.. تلك السـنوات الخمس التى ما زالت تملأ كل حياتى ..

« ساحكى لكم قصة « أمل » .

طفولة سعيدة

وبدأ الاب يتكلم : « كنا نقيم فى مدينـة ادنبره ـ زوجتى وابنتنا الصغيرة « امـل » وانا ـ وكان هدفنا فى تلك المرحلة المبكرة من حياتنا العملية ، اتمام دراسـاتنا العليا .. كانت زوجتى تعد لرسالة الدكتـوراه فى مجال تخصصـها فى الطب ، فقـد كانت زميلتى فى الدراسة بكلية الطب بالقاهرة قبل التخرج ،وقبل ان نتفق على الزواج .. وتخرجت قبلها بسنوات وانتظرتها حتى تخرجت هى ايضا ، وتزوجنا .. وجاءت « امـل » . ومضت زوجتى فى دراساتها، ومضيت انا بدورى اكمل دراسـاتى العليا فى الجراحة .. ودخلت « امـل » المدرسة ، وكانت فرحتنا بها كبيرة ، ونحن نراها تخطو خطـواتها الاولى بنجاح فى الطريق الطويل الذى يحلو لكل الاباء ان يقفوا عند بدايته يتأملون صغارهم وهم يسيرون فيه حاملين معهم كل آمالهم واحلامهم فى الحياة .. وكانت « امـل » طفلة ذكيـة تعيش طفولة سعيدة مليئة بالحب والامل والرجاء ..

« وفجأة وجدتنى احزم حقائبى فى احد الايام ، واقف لاودع زوجتى وابنتى واستعد للسفر الى الكويت ، فقد تعاقدت على العمل فى مستشفياتها .. ولم تكن زوجتى قد انتهت بعد من اعـداد رسالتها .. وجئت وحدى ، وكان ذلك فى اوائل عام ١٩٥٨ ، وودعت اسرتى الصـغيرة بعد ان اتفقنـا على ان يلحقـا بى عندما تنتهى مـن رسالتها ..

وجاءت لحظة الفراق !

« وافترقنا على لقـاء .. وبدأت عملى فى المستشفى الاميرى فى الكويت .. وانقضت بضعة اسابيع على وجودى فى مقر عملى الجديد حيث كنت اعيش وحدى .. الى ان جاءت امى تزورنى وكان قد مضى على آخر مرة رأيتها فيها اكثر من ست سنوات .. واسـعدنى لقاؤها ، ولم اعد اشعر بالوحدة التى كنت اعانيها بعد ان افترقت عن زوجتى وابنتى .. لقد ملأت امى جانبا من الوقت

الذى كنت امضيه وحدى كلما انتهيت من عملى فى المستشفى ، او امضيه مع كتبى ، وكنت اجد فى حديثها معى سلوى ٠٠ كنت اجد نفسى ،وكانت هى تجد فى تلك اللحظات التى اجلس فيها بين يديها ، ولدها ٠٠ نفس الولد الصغير الذى ربته طفلا ٠٠ ما اروع الصلة التى تربط بين الآباء والابناء مهما كبر هؤلاء وهؤلاء ٠٠ ومهما تقدم بهم العمر ٠٠

ماتت امل

وانقضت بضعة ايام ، وامى ما زالت فى ضيافتى ، تؤنس وحدتى ، الى ان كان احد ايام شهر مارس ، ولم يمض على وجودى فى الكويت اكثر من شهرين ، وكان يوم جمعة ، وكنت يومها الطبيب المناوب بالمستشفى ، وجاءتنا حالة مستعجلة ،سيدة فى حاجة الى جراحة عاجلة لا بد من اجرائها فورا ، واعدوا غرفة العمليات، وبدات فى اجراء الجراحة التى امتدت الى ما بعد موعد صلاة الجمعة،ونجحت العملية الجراحية، وغادرت غرفة العمليات ، وذهبت الى مكتبى وجلست أسجل دقائق الجراحة وتفاصيلها ،والعلاج الذى تحتاجه السيدة المريضة ٠٠ وفجأة جاء رسول يقول لى ان هناك برقية باسمى فى مكتب الاستعلامات ٠٠ ثمة احساس غريب انتابنى فى تلك اللحظة ٠٠وسمعت صوتا فى داخلى يخاطبنى ٠٠ « امل » ٠٠ انها امل ٠٠ لقد ماتت طفلتك ! »

« وطلبت اليهم ان يحضروا البرقية ، ففعلوا، وفضضتها ، وكأننى قرأت كل كلمة فيها قبل ان افتحها : « لقد ماتت امل فى حادث مؤلم » ! وقد وقع البرقية احد الزملاء ٠٠

« وطويت البرقية فى هدوء ، وأعدتها الى جيبى ، وطويت معها الخبر على الحاضرين ٠٠ وهممت بالعودة الى البيت ، ولكننى وجدت الممرضة تسرع فى اثرى : « ارجوك يادكتور ٠٠ ان مريضتك تتألم ! » ٠٠ وعدت اليها ، وقمت ببعض الاسعافات العاجلة التى تحتاج اليها واستأنفت رحلة العودة الى البيت ٠٠

« ووصلت فى نفس اللحظة تقريبا التى كانت والدتي قد عادت فيها من الخارج ومعها بعض صديقاتها ٠٠ واستقبلتنى ببشاشة فاجبت بمثلها ٠٠ وقصدت الى غرفتي والقيت بجسمى على احد المقاعد المريحة ٠٠ ولكن جلستى لم تطل ٠٠ فقد جاء من يبلغنى بان هناك مكالمة تليفونية من خارج البلاد ، ورفعت السماعة ٠٠ وسمعت صوتها ٠٠ كانت زوجتى تسأل من ادنبره : « ماذا اصنع، هل ننقل « امل » الى مصر ٠٠ ام ندفنها هنا فى هذه الارض البعيدة ؟ قلت : « بل ترقد فى الارض التى عاشت فيها تلك السنوات الحلوة من عمرها القصير » ٠ « وما تدرى نفس باى ارض تموت » ٠

مع الذكريات

وعدت الى غرفتى ، وبدأت اعد اوراقى للسفر ٠٠ لابد ان اذهب بسرعة ، لا بد ان اكون بجوار زوجتى وام طفلتى ، فما احوجها هذه الساعة الى ٠٠ واعددت كل شىء للرحلة ٠٠ وكانت امى المسكينة قد علمت بالنبأ ، فرحت اخفف عنها اثر الصدمة ، فقد كان وقع الخبر على قلبها الكبير الحنون ، قاسيا اليما ٠٠

واسلمت امرى الى الله ٠٠ فلا راد لقضائه٠

وفى هدوء ٠٠ بلا جزع وبلا حزن او فزع ، صليت على « أمل » حبيبتى الصغيرة ، صلاة الغائب ، ثم استلقيت على فراشى واغمضت عينى ٠٠ لم انم ، ولكننى فقط اغمضت عينى ، ووجدتنى اذهب بفكرى وخاطرى فى تلك الرحلة البعيدة القريبة مع « أمل » ، ومع الايام الحلوة العذبة التى عاشتها بيننا ٠٠ ومع السيدة التى اعطتنى هذه الزهرة الصغيرة التى ملأت كل حياتنا ٠٠

كانت الاحداث تمر فى مخيلتى ،وانا راقد على فراشى ، كما لو كانت شريطا من الصور التى ما زالت تعيش فى قلبى ورأسى حتى اليوم ٠٠زواجنا فى مصر ، ثم رحلتنا الى السعودية ، حيث عملنا ـ زوجتى وانا ـ بعد التخرج ، ثم مجىء امل فى اليوم السادس من اغسطس عام ١٩٥٣ ٠كان ميلادا

سعيدا فوق ارض كريمة •• في مكة المكرمة •• هنـاك اطلقت « امل » صرختها الاولى وهي تستقبل الدنيا ••

ومضينا في عملنا ، و « امل » معنا وبيننا •• نرقبها وهي تخطو •• وننتظر الكلمات وهي تخرج متعثرة على شفتيها •• تسـتقبل يومنا بابتساماتها البريئة الطاهرة ، ولا تخلد للنوم ، الا بعد ان تذهب الى فراشها الصغير وتغمض عينيها وهي تحتضن لعباتها وعرائسها !

ثم رحلتنـا الى انجلترا ، في عام ١٩٥٥ ، للعمل والدرس والتحصيل•• هناك لم اكن قريبا من امل ، كما كنت ايام مولدها ، وفي شـهور طفولتها الاولى في « مكة » ، فقد كانت «امـل» وامها يقيمان في ادنبره ،وكنت انا اعمل في احد مستشفيات مدينة برمنجهام ••• ولم يكن امامي الا ان ارضى بهذا الوضـع المؤقت ، وانتهز كل فرصة استطيع ان احصل فيها على اجازة منعملي لكي اعـود الى ادنبره واقضي بضعـة ايام مـع اسرتي ••

الوداع الاخـير

« الى ان كانت رحلتي الاخيرة وحـدي الى الكويت •• الرحلة التي افترقت فيها عن «امل» لاخر مرة •• هل كنت اعلم انني اودع امل للمرة الاخيرة، وانا احمل حقيبة ملابسي واستعد للسفر، تاركا ابنتي وزوجتي وحدهما في هذا البـلد البعيد •• لا ادري ! »

« ولكن الذي اذكـره ولن انسـاه هو تلك الكلمات الغريبة التي جاءت امل تهمس بها في اذني فيمساء احد الايام، وكنت اداعبها واحدثها واجيب على اسئلتها ، وهي جالسة تنصت الىّ حينا وتضحك حينا عندما تحس انني لم اعـد جادا في حديثي ، وكان يحلو لي ان ارقب هـذا المزيج من الانفعـالات التي تبدو في عينيـها الجميلتين •• وفجاة قاطعتني امل بسؤال غريب لا يتصل بموضوع حديثنا من قريب او بعيد ، قالت : « اسمع يابابي •• ماذا يحدث لو ذهبت « امل ؟ »

وسكت ، ولم انطق بكلمة واحدة •• تذهب امل •• الى اين ؟ وما الذي دفعها الى أن توجه هذا السؤال اليّ ؟ وعلى الفور غيرت موضوع الحديث •• وقلت : « لا شيء يحدث يا حبيبتي •• لا شيء ! »

ومضيت احدثها في شيء اخر بعيد عنسؤالها تماما ••

وفي تلك الليلة دعوت الله ، ورحت اناجيه الا يبتليني في حبيبتي الصغيرة « امل » !
وسافرت •• وصورتها وحديثها وتساؤلاتها في مخيـلتي وفي اذني ، لم تفترق « امـل » عني لحظة واحدة ••

مرت كل هذه الاحـداث سريعة متلاحقة في رقدتي وقمت اصلي ، ثم حملت حقيبتي وركبت الطائرة ••

مـع الأم وحدها ••

لقد بدت الرحلة طويلة كانها دهر •• ثم كان اللقاء اخيرا •• لقيتـها وحـدها •• لقيت زوجتي ، ولم الق امل ، فقد واروا جثمـانها الصغير التراب •• قالت وهي تستقبلني : « لقد تركتنا ، وكنا اثنتين، وعدت، فاصبحنا واحدة! » وانحنيت على يد زوجتي الثمها بشفتي •

وفي طريق العودة الى البيت الذي عشنا فيه نحن الثلاثة اسعد ايام حياتنا ، روت لي زوجتي كيف ماتت امل •• ولكنها قبل ان تبدأ قصـة امل مع الموت •• قالت : « لقد رايت طفلتنا تموت في المنام ، قبل ان يختطفها الموت منا ••» رايت نفسي في حلم مزعـج ، وانا واقفـة في الطريق الذي يقوم فيه بيتنا ، وكنت اصيح ابنتي •• ابنتي راحت مني ! »

وفي الصباح رويت الحلم لزميلاتي فيالمستشفى فرحن يهدئن من روعي ، وقالت احداهن :« ربما كان شعورك بالمسئولية بعد سفر والدها ، هـو السبب في توتر اعصابك ! »

ومضت زوجتي تكمل قصة رحيل « امـل » : « ولم تنقض سوى بضعة ايام على هذا الحـلم المزعج حتى ذهبت امل ، كما رايتها تذهب تماما في حلمي •• كنـا نمشي على الرصيف وانـا

ممسكة بيدها الصغيرة فى طريقنا الى مدرستها ٠٠ فى هذا الصباح نظرت الىّ وقالت تحدثنى بالانجليـزية التى تعلمتها واجادتها ٠٠ « انا سعيدة اليوم يا امى ٠٠ لم اكن سعيدة مثلما اشعر بالسعادة اليوم !! ٠٠ وابتسمت ، وطبعت على وجهها قبلة وضحكنا معا ٠٠ ولـم اشعـر بشىء بعد هذا ٠٠ فقد كانت الاحداث التى مرت خلال اللحظات المقبلة اسرع من ان يعيها العقل او يدركها ٠٠ سيارة شحن ضخمة تصعد الى الرصيف الذى كنـا نمشى فوقه ونضـحك منذ لحظات ، ويرتطم جزء من مؤخرة السيارة برأس « امـل » وننقلها الى المستشفى لاسـعافها ٠٠ ولكنها تسلم الروح ٠٠

وينتهى كل شىء فى لحظات ٠٠

وكانت زوجتى تبكى فى صمت ، فاخـرجت منديلى من جيبى اجفف به دموعها ٠٠

فى غـرفة امـل

« ووصلت السيارة التى اقلتنا الى البيت٠٠ ودخلنا ٠٠ كانت ملابس « امل » الصغيرة حيث هى ٠٠ فى غرفة نومها ٠٠ وعلى الحبال التى علقتها امها عليها لتجف ٠٠ وعلى مائدة صغيرة بجوار فراشها كان هناك كوب من اللبن ، شربت « امل » نصفه ، وبقى النصف الثانى حيث هو٠٠ وعلى الارض علبة الشيكولاته ، وقـد تنـاثرت قطعها هنا وهناك ٠٠ كانت « امل » تحب الحلوى ولكنها كانت مغرمة بان تتذوق كل قطعة شيكولاته قبل ان تأكلها ونظرت الى العلبة فوجدت كل قطعة منها وقد قضمتها باسنانها وتركت بصماتها عليها

ورحت اجول بعينى بين هذا كله ٠٠ ان كل شىء فى غرفتها الصغيرة يحمل صورتها يحمل صوتها وضحكاتها ٠٠ وكانها مازالت بيننا ولم تتركنا ٠٠ ووجدتنى امسك بكوب اللبـن الـذى شربت منه « امـل » ، وافـرغ ما تبقى منه فى جوفى ٠٠ ثم جلست على الارض ورحت ابحث عن قطع الشيكولاته التى تحمل بصمات اسنانهـا الصغيرة، والتهمها التهاما ، الواحدة بعد الاخرى حتى لم يعد يبقى منها شىء ٠٠

وجمعت ملابسها كلها ، وذهبت الى المدرسة التى كانت تتعلم فيها ، وطلبت اليهم ان يوزعوا ملابس « امل » على الاطفال الفقراء ٠٠ ثم رجـوت زوجتى ان تصطحبنى الى قبرهـا ٠٠ وذهبنا وصلينا امامه ٠٠

صفحة جديـدة

وانتهت صفحة من حياتنا ٠٠ وبدأنا صفحة جديدة ٠٠ عدنا الى الكويت ٠٠ ومنها الى مصر فى عام ١٩٦١ ٠٠ وصورة امل وحياتها ٠٠ معنا وحولنا وفى قلوبنا ٠٠

لم يكن لى « امل » بعد ان ذهبت « امل » سوى ان يرزقنا الله بطفلةاخرى مثلها ٠٠ ورحناتصلى زوجتى وانا ـ ونبتهل الى الله ، ان يحقق لنا امنيتنا ٠٠

وحملت زوجتى ٠٠ حملت مرتين ، ولكنهافقدت جنينها فى المرتين ٠٠ وفى نفس الموعد تقريبا ٠٠ وفى المرة الثالثة تم الحمل ٠٠ واستجاب الله الى دعواتنا ، وصلواتنا ، وجاءت « اباء » طفلة حلوة جميلة ٠٠ وتحقق « املنا » ٠٠ فقد عادت « امل » الينا باسم جـديد ٠٠ وحملناها ٠٠ ورحنا نزور معها الدنيا ٠٠ ونقف ، وتقف معنا امام كل مكان ٠٠ فى كل بلد كنا نزوره ونتردد عليه مع « امل » ٠٠ ونحكى لها قصتنا معها ٠٠ انها لم تر شقيقتها التى رحلت قبل ان تجىء هى ولكنها لم تعد تشعر انها غريبة عليها ٠٠ انها تعرف كل شىء عنها وعن طفولتها ٠٠

وهكذا تعيش « امل » معنا فى قلوبنا نحن الثلاثة ٠٠ وستبقى دائما هناك ٠

حب اقوى من الموت ٠٠ وايمان لم تزعزعه اعتى العواصف واقساها ٠٠ وامل لم يغب ولن يخبو ابدا ٠

منير نصيف

رحلة مع :

مساجد الكويت

بقلم : الدكتور حسين مؤنس   تصوير : اوسكار مترى

مسجد الهلالي يعتبر من اجمل مساجد الكويت من حيث الشكل الخارجي او الهندسة الداخلية.



« عمارة المساجد ينبغي ان تساير الزمن • لا بد من البحث عن اسلوب مساجدي يعبر عن روح عصرنا • المساجد لا بد ان تعود الى رسالتها الاولى : مصلى ومجتمعا للمسلمين ومركزا للجماعة كلها » •

■ قبل ان ندخل في الكلام على مساجد الكويت نقول كلمتين عن تكوين المسجد واقسامه ، والمقاييس التي يقاس بها جماله من الناحية المعمارية والناحية الجمالية الصرفة •

فالمسجد ربما كان من ابسط المنشآت المعمارية من حيث الشكل والتكوين ، والى هذه البساطة يرجع جماله • وقد وصف احد المتخصصين في الفن المعماري المساجد بأنها نماذج من الرقة سابحة في الهواء ، وذلك لخفتها وبساطة تركيبها •

فان المسجد في اساسه مساحة مستوية مربعة او مستطيلة يحيط بها سور ـ او لا يحيط ـ نظيفة دائما لانها مخصصة لعبادة الله ، وبعض مساجد الاسلام الاولى ، ـ مثل مسجد البصرة ـ كان يحدد بخندق يحفر حول المساحة ، وذلك حتى لا تدخله الحيوانات او يتخذه الصبيان ملعبا والكبار ممرا او مكانا للبيع والشراء •

الجدار الرئيسي المتجه نحو مكة المكرمة يسمى جدار القبلة •

في جزء ما من ذلك الجدار توضع علامة للموضع الذي يقف امامه الامام • هذه العلامة كانت اول الامر حربة تغرس في الارض (من هنا جاء لفظ محراب) ، وقد ترسم هيئة باب على الجدار ، او باب مستدير اعلاه ، وقد تعمل حنية داخلة في الجدار • قد تزين هذه الحنية بعمودين زخرفيين ، وقد تحاط باطار من الرخام ، وقد تتحول الحنية الى مقصورة ذات بوابة جميلة تقوم على عقد (مسجد قرطبة الجامع) ، وقد يزين المحراب باطار من الرخام او القاشاني الملون او الخزف المزين بالفسيفساء • الجزء الأعلى من ذلك المحراب يسمى طاقية • قد تتعدد المحاريب في الجامع الواحد (الجامع الازهر وجامع السلطان حسن وجامع المؤيد بالقاهرة) •

الى جانب المحراب يوجد المنبر • قد يكون مجرد منصة ذات درجة او درجتين او اكثر وقد يكون منصة عالية ذات درج كثير وباب خشبي عليه ستار • وقد يكون شرفة مطلة على قاعة المسجد يدخل اليها الخطيب من المحراب كما هو الحال في مساجد الكويت والخليج •

يلي جدار المحراب جزء مسقوف من المبنى يقوم سقفه على عمد من الرخام او الآجر او دعامات مبنية من الآجر او الحجر • العمد تحمل عقودا (اقواسا) والعقود تحمل السقف • هذا الجزء يسمى بيت الصلاة ، وينتهي بجدار له ابواب • هذه الابواب تؤدي الى صحن المسجد وهو جزؤه المكشوف • في العادة يكون الصحن اكبر من بيت الصلاة ويحيط به سور المسجد • في العادة يبلط الصحن او جزء منه ، وفي نهايته المقابلة لجدار القبلة يقوم جدار الواجهة لان واجهة المسجد (او مدخله الرئيسي) تكون خارج هذا الجدار • قد تزرع اشجار النارنج في الصحن لتعطي ظلا وتعطر الجو (مساجد الاندلس) وقد تزرع اجزاء منه في احواض زهرية يختلط بها الريحان (تركيا وايران) • الواجهة تكون في العادة عالية جميلة فخمة ذات بوابة معقودة • قد تكون للمسجد ابواب اخرى من جوانب الصحن •

في مساجد المغرب والاندلس تقوم المئذنة الى يمين بوابة المسجد في الجدار الخلفي • المئذنة ليست جزءا رئيسيا من المسجد • اول ظهورها كان ايام الوليد بن عبد الملك عندما انشا المسجد الاموي في دمشق (٨٦ ـ ٩٦ / ٧٠٥ ـ ٧١٥) • فقد اقاموه في مبنى روماني مهجور كان المسيحيون قد استعملوه مصلى لوقت قصير واقاموا فيه برجا للنواقيس ونسبوا المصلى الى القديس يوحنا • عندما دخل المسلمون دمشق أعجبتهم سعة الساحة المبلطة وافادوا من الرخام والاعمدة التي كانت مهملة هناك فحولوا المبنى الى مسجد جامع واتخذوا برج النواقيس مكانا للاذان • من ذلك الحين درج المسلمون على اقامة المآذن في المساجد •

المئذنة تقوم دائما على قاعدة خاصة بها ولها باب من داخل المسجد • تتكون المئذنة من بدن



مسجد اشكنانى فى السالمية • انه قطعة جميلة من الفن المعمارى المتميز بالتوازن التام • للمسجد اربع مآذن كل اثنتين منها متشابهان • المآذن من الطراز المملوكى ولكنها ملبسة بالقاشانى الابيض والملون ذى البريق المعدنى • القبة بين المآذن تزيد الاحساس بالتوازن • المسجد كله مغطى بالقاشانى الابيض والملون •

طويل او قصير ينتهي بشرفة اذان ، ثم يستمر البدن صاعدا فى الجو ، وينتهي بالجوسق ثم العمامة • قد تكون هناك شرفة اذان اخرى وربما ثالثة اعلى قبل الجوسق •هاتان تكونان فى العادة زخرفيتين • فى المساجد التركية لا يوجد جوسق او عمامة ، انما تنتهي المئذنة بمخروط •

القبة ايضا ليست جزءا أساسيا من المسجد • عرف المسلمون القباب منذ ايام الوليد بن عبدالملك الذى اقيمت فى ايامه قبة الصخرة • القبة هناك هيكل خشبى مغطى من باطنه واعلاه بالجص ثم لون وزخرف • القباب الحجرية ظهرت أول الامر فى المغرب : فى جامع عقبة بن نافع او جامع القيروان عندما جدد بناءه زيادة الله بن الاغلب (١٠١ ـ ٨١٧/٢٢٣ ـ ٨٣٦) • القباب الاولى كانت تقوم فوق بلاطة المحراب لتزيد نور المحراب • البلاطة هى المسافة المحصورة بين اربعة اعمدة • بلاطة المحراب واستمرارها الى باب بيت الصلاة تسمى الرواق الاوسط •

تنوعت بعد ذلك اشكال القباب وتغيرت مواضعها من سقف بيت الصلاة •

القبة تقوم دائما على اربعة اعمدة فى الغالب، وترتفع من سطح المسجد برقبة تقوم عليها طاس القبة •الرقبة تزين بنوافذ صغيرةتسمى القمريات يدخل منها الضوء • تغطى القمريات بالزجاج الابيض او الملون • للقباب اشكال مختلفة هى نفس اشكال العقود التى تتكون منها •

الميضاة كذلك ليست جزءا اساسيا من المسجد• المفروض ان يذهب الانسان متوضئا مستعدا للصلاة من بيته • بعض الفقهاء يعترضون على وجودها لانها تشوب نظافة المسجد •

والمساجد نوعان : سلطانية ، وهى التى يبنيها الخلفاء والسلاطين ،واهلية وهى التى يبنيهاالناس افرادا وجماعات ، ولكنها كلها اذا ما تمت اصبحت ملكا للجماعة • فى الماضى كانت الجماعة تقوم بشئونها وحلت محلها اليوم وزارات الاوقاف • انها بيوت الله وبيوت الناس فى آن معا ، لان الاسلام الهى بمصدره انسانى بغايته•

وللمساجد طرز (جمع طراز) كثيرة كل منها يتبع التقاليد والاساليب الفنية القائمة فىالقطر او العصر الذى تقوم فيه ، من هذه الطرز المغربى الاندلسى والسلجوقى(فى ايران وتركستان والعراق) والمملوكى (فى مصر والشام) والهندى المغولى (فى افغانستان والهند وما يليهما شرقا) والصفوى (ايران) والعثمانى (فى آسيا الصغرى والبلقان وشرق اوروبا وبعض نواحى مصر والشام) • وحيث ان مساجد الكويت تضم ملامح من كل هذه الطرز فسنشير الى تلك الملامح فى مواضعها من تلك الصفحات •

والكويت من اكثر البلاد مساجد • فحيثمانظرت يصافح بصرك منظر مئذنة ، وهذه المساجد فى زيادة مستمرة : الدولة تبنى والافراد يشيدون والهيئات تنشىء المساجد • هذه المساجد انواع وطرز شتى•لا يوجد بلد تتعدد فيه الطرزالمعمارية المساجدية كما هو الحال فى الكويت • كثير من المساجد تجمع فى عمارتها ملامح من طرز شتى • هذا يوجد فى المساجد الحديثة دون القديمة التقليدية •

بعض مساجد الكويت ضخمة فسيحة المساحة مثل مسجد السوق الكبير ومسجد العثمان ومسجد العلبان فى كيفان ومسجد فهد السالم الصباح (الشيخه بدرية) فى السالمية ••• ورغم اختلاف طرزها واشكالها فاننا نستطيع تقسيمهافىمجموعها الى ثلاثة اقسام من حيث عمارتها وهيئتها العامة وهى : المساجد الكويتية التقليدية القديمة، والمساجد

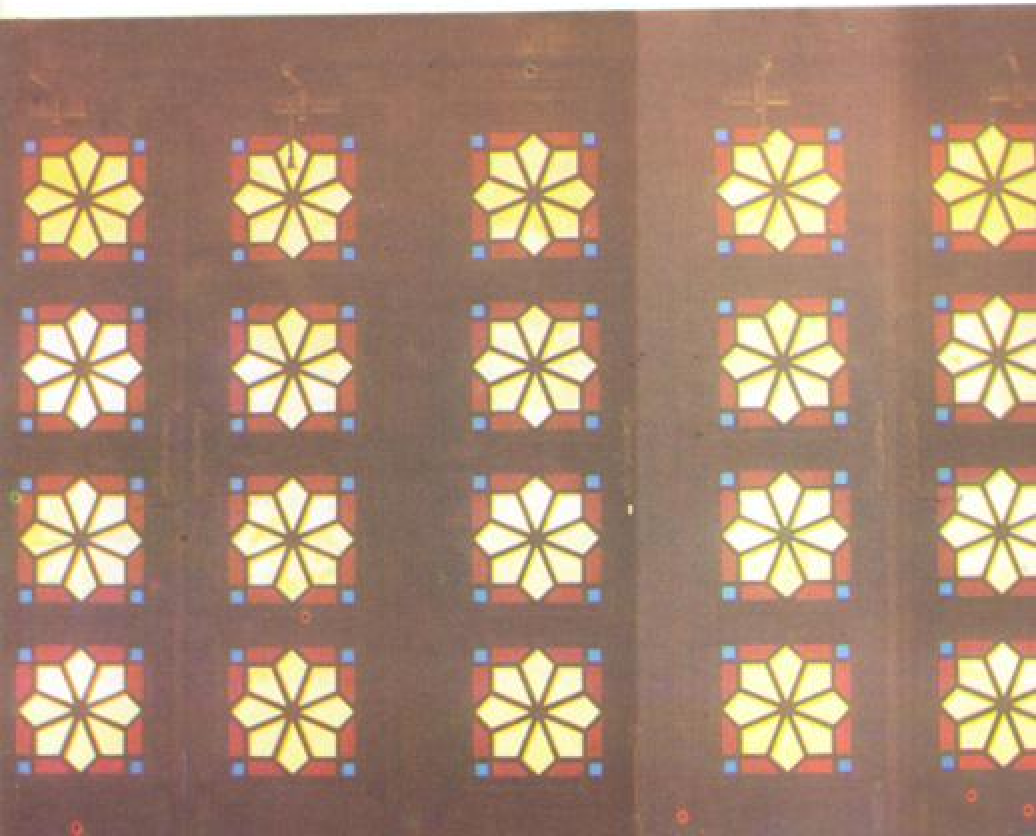


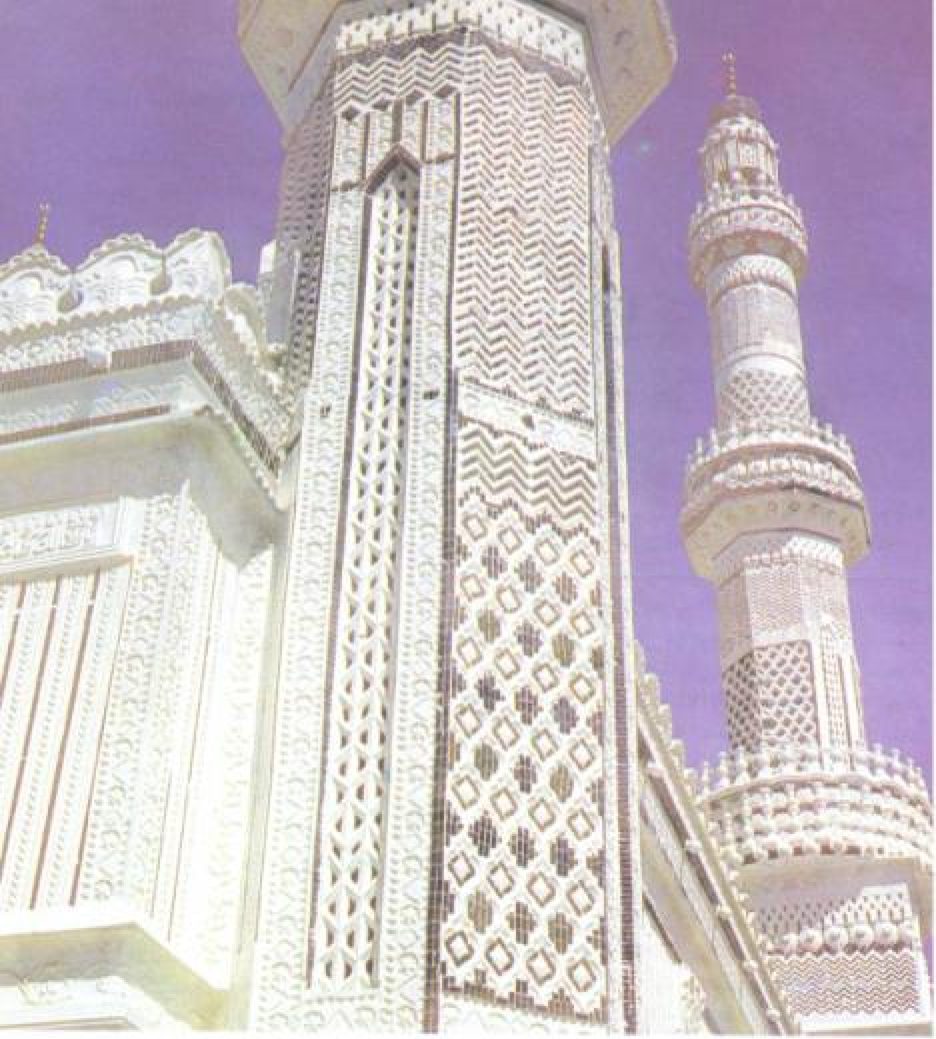
● مئذنة مسجد المزيدي طرازها خليط من طرز مختلفة ، وذلك لا يقلل من جمالها . (الى اليسار)

● مسجد الشيخة فاطمة يمتاز بزخارفه البديعة هذه نافذة حديثة الطراز مغطاة بالزجاج الملون . (الى اسفل) .

● مسجد اشكناني بالسالمية يتميز بفخامة مظهره ، ومآذنه الاربعة المغطاة بالقاشاني الابيض والملون . (الى اليسار - اعلى)

● صحن مسجد المزيدي يستلفت النظر بأناقة لونه . مغطى كله بالرخام الابيض والرمادي (الى اليسار - اسفل)







الحديثة التي بنيت خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن والمساجد المعاصرة التي بنيت من منتصف الستينات الى اليوم •

المساجد الكويتية القديمة

هذه في نظري ونظر الكثيرين من أجمل مساجد الكويت واعمقها اثرا في النفس ،واقربها الى طبيعة المساجد الاولى ، وهي كويتية خليجية في كل جزء من عمارتها •

تمتاز بخصائص معمارية اهمها :

١ - الغالبية العظمى منها مبنيةباللبن الرملي، ولهذا فان جدرانها رمادية وردية ، وبعض اجزائها مبنية بالحجر او الاجر كالأعمدة والدعامات واطارات الابواب وقواعد المآذن والقسم الاسفل من بدنات المآذن وسلالمها • في بعض الاحيان يكون المحراب والمنبر من الحجر ، وربما من الرخام •

٢ - هذه المساجد عرضية اومستعرضة ، اي ان جدار المحراب في بيت الصلاة اطول من جدار الصحن ، وبيت الصلاة لهذا مستطيل ضلعهالاطول هو جدار القبلة • هذه الهيئة قليلة في العالم الاسلامي وان كانت قديمة ترجع الى الجامع الاموي في دمشق •

هذه الهيئة في نظرنا ميزة ، لانها تجعلصفوف المصلين اطول وعددها اقل ، فلا تتباعد المسافة بين المصلين والامام ، وفيجدار القبلة شبابيك كبيرة تغمر المسجد بالضوء ،ويزيد هذا الضوء أنالجدار الخلفي لبيت الصلاة يضم ابوابا كثيرة تفتح على بيت الصلاة • وفي صلوات الجمعة والاعياد ، عندما يمتلىء الصحن بالمصلين لايكون هناك حاجز تقريبا بين من يصلون داخل بيت الصلاة وخارجه•

ولهذه المساجد صحون واسعة معظمها مبلط مما يتيح الفرصة لاكبر عدد منالمصلين لاداء الفرائض داخل جدران المسجد • وتحيط الجدران بصحن المسجد • وواجهاتها في الغالب بسيطة لا تكلف فيها • ولكل مسجد ابواب اخرى في جوانب الصحون •

٣ - المحراب والمنبر في تلك المساجد قطعة واحدة : فالمحراب باب يؤدي الى سلم المنبر على يمين الداخل اليه • والسلم خمس درجات على الاكثر تنتهي بشرفة تطل على بيت الصلاة بفتحة كبيرة • هنا يقف الامام ليلقي خطبة الجمعة •

٤ - ولغالبية هذه المساجد مآذن • والمآذن



مئذنة جامع العوضي منظورة من الصحن • هنا تبدو اجمل مما تبدو من خارج المسجد •

لطيفة قليلة الارتفاع •بدنها الاسفل حجري ينتهي بنحو مترين أعلى من سطح المسجد • ويصعد الى شرفةالاذان بسلم خارجي يشرع من داخل الصحن• قد يكون السلم سلسلة واحدة كثيرة الدرجات،وقد ينقسم قسمين بينهما بسطة ، وباب المئذنة عند البسطة العليا للسلم ، ويصعد المؤذن بعد ذلك الى شرفة الاذان بسلم داخل البدن • احيانا تكون هذه الشرفة مظللة بالخشب ، وحاجز شرفة الاذان الذي يدور حول البدن مصنوع من الخشب او الرخام • من هنا ينطلق بدن المئذنة مرة اخرى حوالي اربعة امتار او خمس ، ثم تنتهي المئذنة بعمامة تكون بالاخضر في الغالب • واشكال هذه العمائم متباينة بعضها طاسةمقلوبة وبعضهابصلية الشكل او مخروطية • وهذا الجزء من البدنيبنى في الغالب من اللبن ولا سلالم فيه ، ويشد جداره باعواد الخشب وتفتح فيه نوافذ متقابلة تخفف من ضغط الريح على جسم المئذنة •

تجد هذه المساجد منتشرة في الاحياء التيبقيت على حالها دون تغيير كثير الى اليوم ، ثلاثة منها على الاقل تقع في المساحةالواسعة فيما بين شارع فهد السالم (الجهرة) وشارع الخليج • الكثير منها كذلك في حي شرق وفي الشويخ وقرية الجهراء • الكثير منها كذلكخربمهمل لان مساجد اخرى احدث منه بنيت قربها واخملتها • حبذا لو عنيت السلطات بهذه المساجد فرممتها وحافظت عليها الى جانب المساجد الجديدة الكثيرة التي تبنى ، فهذه المساجد العتيقة قطعة من تاريخ الكويت ، وهي تعين حقبة

من التطور الحضاري للبلاد ،ثم انها تمثل الطراز المعماري المساجدي الخاص بهذه المنطقة،ولا يجوز لنا ان ندعها كلها تتلاشى من الوجود •

مساجد الخمسينات والستينات

هذه هي اكثر المساجد في الكويت عددا ، وهي مجموعة ضخمة من المساجد تتراوح بين الكبير الضخم والصغير الانيق ، بعضها من انشاء الدولة وبعضها من انشاء افراد وجماعات ، وكلها تجمعها صفات وملامح عامة سنكتفي بذكراهمها الان • بعضها كذلك مساجد احياء •

ونلاحظ اولا انها تختلف فيما بين بعضها وبعض في الطرز المعمارية اختلافا شديدا ، بل ان الواحد منها يجمع في بنائه خصائص معمارية من طرز شتى ، بل المئذنة الواحدة يكون جزؤها الاعلى من طراز وجزؤها الاسفل من طرازآخر ، وليس هذا بعيب لان الطرز المعمارية المساجدية واحدة في الروح وان اختلفت في الشكل ، ولا يتنافر مع الذوق قط ان تصنع قبة سلجوقية على مسجد مملوكي، وانما المهم ان تحافظ على الهيئة الجمالية والتوازن العام للمسجد،وهما العنصران الاساسيان اللذان تعتمد عليهما في الحكم على اي مسجد من الناحية الجمالية ، ومن المعروف مثلا ان مسجد القطب في دهلي توقف بناؤه والزيادة فيه لان قطب الدين ايبك عندما شرع في بناء المسجد في سنة ١٢٠٠ ميلادية بدأ بانشاء مئذنة ضخمة رفيعة الذرى يصل ارتفاعها الى ٧٢٫٥ مترا ، وعندما تمت – وهي المسماة بقطب منار – لم يستطع المهندسون انشاء المسجد على هيئة تناسب هذه المئذنة الهائلة ، وقد حاول المهندسون بعد قطب الدين زيادة المسجد وتعلية سقفه لمدة تزيد على مائة سنة ، وفي سنة ١٣١٠ راوا ان الافضل ان يدعوا «قطب منار» على حالها وينشئوا مئذنة صغيرة في ايام الامير علاء الدين ايلتوتميش ، وتعطل العمل في المسجد بعد ذلك •

هذه المساجد الكويتية التي نتحدث عنها والتي يمكن ان نسميها بالمساجد الوسطى حافظت الى حد بعيد على الطراز الكويتي في داخل المسجد ، اما في خارجه فقد استعاضت عنه باشكال من طرز معمارية اخرى ، ففي مسجد السوق الكبير – الذي انشاه محمد بن حسين بن رزق في صورة مسجد كويتي تقليدي سنة ١٧٩٤ ثم جدد بعد ذلك مرارا حتى اعادت وزارة الاوقاف انشاءه على اساس جديد سنة ١٩٥٣ نجد ان المهندسين حافظوا على الهيئة المستعرضة للمسجد ، واضافوا الى صحنه الواسع فخامة باقامة دعامات قوية من الحجر ملبسة بالرخام ، واكثروا من فتح النوافذ في جدار القبلة والجدران الجانبية للمسجد محافظة منهم على ظاهرة الضوء التي تميز بيوت الصلاة في مساجد الكويت ، ولكنهم اضافوا الى المسجد مئذنة جميلة جدا ذات طراز مملوكي في بدنها الاسفل وشرفة الاذان الاولى ثم اكملوا البدن الى شرفة الاذان الثانية ، وفوق ذلك رفعوا جوسقا عاليا ذا ارجل طويلة تعلوه عمامة ، وهذان العنصران غريبان عن الطراز المملوكي ، ولكنهما لا يشوبان جمال المئذنة فهي طويلة منسرحة بديعة الجمال، ومدوا الى جوارها قبة مملوكية في غاية التناسق والانسجام ، ثم زين سقف المسجد بشرافات بديعة تجعل الجزء الاعلى من المسجد من اجمل ما تقع عليه العين • الشرفات تسمى احيانا عرائس السماء •

وفي مسجد آخر هو مسجد المديرس بمنطقة القبلة نجد المعماري انشا مئذنة مملوكية الطراز ولكنه جعل بدنها الاسفل صغيرا جدا من سطح المسجد وهذا الجزء من البدن مسدس الشكل تعلوه شرفة اذان ذات حاجز زخرفي من الاسمنت والجص، ثم رفعت بقية البدن مستديرة ذات نوافذ كبيرة حتى شرفة الاذان الثانية ، وهي اصغر من الاولى وان كانت من نفس طرازها ، ثم تلي ذلك مباشرة العمامة ، فكأنه استعمل شرفة الاذان الثانية جوسقا •

ومنطقة القبلة من احفل مناطق الكويت بالمساجد الوسطى هذه ، وغالبيتها العظمى من بناء افراد او اسرات ، وقد انفقوا فيها بسخاء ، واذا وقفت في نهاية شارع احمد الجابر رأيت غاية بديعة من المآذن والقباب من كل طراز وهيئة، وكلها جميل يسر النفس ، ولا ينسى الانسان البهجة التي تملأ نفسه عندما يقبل على مسجد العوضي مثلا •

مسجد العوضي

وسأقف قليلا عند هذا المسجد لانه نموذج جميل لمساجد الاسرات ، اي التي بنتها اسرات كويتية عريقة ثم وهبتها لله تعالى وللمسلمين ،



هذه القبة تقوم على ردهة عند المدخـــل الخلفي لمسجد الشيخة فاطمة ٠



مسجد الشيخ فهد السالم (الشيخة بدرية) من احدث مساجد الكويت ٠ كله من الخارج والداخل مغطى بالرخام الاحمر ٠





بيت الصلاة الفسيح في مسجد العثمان يشرح الصدر باتساعه وجمال هندسته وفيض النور الذي يغمره .



المحراب والمنبر في مسجد العثمان نموذج بديع لهذا النوع من المحاريب والمنابر في مساجد الكويت .

فهذا المسجد المتوسط الحجم في شارع احمد الجابر بحي شرق انشاه الحاج عبد الله العوضي في سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ على ما قيل لي ٠

خارج هذا المسجد لا يبدو للعين متناسقا متوازيا تماما ، لان قبته الضخمة لا تتناسب مع مئذنته الصغيرة ذات البدن الاسفل الطويل بعض الشيء ثم شرفة الاذان يعلوها الجوسق مباشرة ثم عمامة صغيرة طاسية الهيئة اى من طراز الطاس المقلوب ولم يراع المعمارى ان يدخل تناسقا بين نوافذ المسجد ، فهي صفان : اسفل مستطيل كبير واعلى اقرب الى المربع لا يزيد اتساعه على ثلث اتساع نوافذ الصف الاسفل ٠ ولكن داخل الجامع في غاية من الجمال والاشراق ٠

فبيت الصلاة فسيح يزدان بدعامات ضخمة من الحجر او الآجر ملبسة بالرخام ٠ وقد حافظ المعمارى على الشكل المستعرض لبيت الصلاة ٠ وهنا يبدو لنا جمال القبة من الداخل فهي واسعة رفيعة الذروة تقوم على دعامات تحمل فوقها اكتافا حجرية هي التي تحمل القبة ٠ وعنق القبة طويل تزينه القمريات التي تفيض الضوء على المسجد ٠ وتتدلى من سقفها ثريا ضخمة تتلألأ بالضوء في الليل ٠

واجمل ما يزين هذا المسجد جدار قبلته ، فقد تصرف المعمارى هنا تصرفا جميلا عندما ترك القبلة على حالها ولم يجعل منها بابا يفضي الى سلم المحراب ، وانما فتح بابين على يمين القبلة ويسارها ، وكلاهما يؤدى الى سلم المنبر ، ثم جعل المنبر شرفة جميلة نصف دائرية مغطاة بالخشب النفيس ، وجعل خلف موقف الخطيب حنية ، فصار الخطيب مشرفا على بيت الصلاة من موضع متوسط عال يمكنه من اسماع كل المصلين خطبته ٠

وشبابيك بيت الصلاة جميلة مبتكرة ، فهي اشبه بالشرفات الزخرفية ٠ سياجها من المشبك اى الجص المخرم ٠ وصحن الجامع فسيح تتجلى منه المئذنة بصورة اجمل من صورتها من الخارج ٠

وميضاة هذا المسجد تقوم على يسار الصحن قرب مدخل بيت الصلاة ٠ وهي نموذج للميضات الكويتية ، فارضيتها مبلطة بالرخام والجدران ملبسة بالقاشاني الابيض الى نصف ارتفاع الجدار ، ومجالس الوضوء مكعبات حجرية ملبسة بالرخام امامها الصنابير وهي من اجمل الميضات التي نعرفها ، ولكنها غير مريحة للوضوء ، مثلها في ذلك كل الميضات التي نعرفها ، وعلى اى حال فالميضاة مشكلة من مشكلات المساجد بصورة عامة ، ولا علاج لها فيما نظن الا باحد امرين : اما الغاؤها تماما ويأتي الناس من دورهم متوضئين او فصلها عن المسجد تماما ، واعتبارها دار اغتسال للمصلين وغير المصلين ٠

ثلاثة مساجد كبرى
الشملان والعثمان والشيخة بدرية

ونختار من هذه المساجد الوسطى ثلاثة بعيدة الصيت في الكويت هي مسجد الشملان او مسجد الهلالي ومسجد العثمان ومسجد الشيخة بدرية ٠ فهي نماذج بديعة للمساجد الكبرى في الكويت ٠

يعتبر مسجد شملان بن علي الذى يسمى بمسجد الشملان او مسجد الهلالي ـ نسبة للشارع الذى يقع فيه ـ يعتبر من اجمل مساجد الكويت ، واقربها الى الطراز الشائع في مساجد عالم الاسلام في عصرنا هذا ٠

انه مسجد صغير نسبيا ، ولكنه يروع النفس من بعيد بمئذنتيه الشامختين من الطراز المملوكي او الشبيه بالمملوكي ، وقبته الضخمة الطويلة الملونة في بعض اجزائها باللون الاخضر على مثال الكثير من مساجد العراق ٠

ويمتاز هذا المسجد بواجهة جميلة ذات عقود ثلاثة مدببة الرؤوس يرقى اليها الانسان بواسطة درج رخامي ، وتؤدى العقود الى ابواب الصحن وبيت الصلاة الذى تقوم القبة الكبيرة فوقه مستعرض ، نوافذه كلها ذات عقود مدببة ٠

وعقود الواجهة تستحق منا وقفة هنا ، فهي من اجمل العقود التي نراها في مساجد الكويت ، فعقودها مدببة طويلة القواعد ذات لونين ابيض وردى ، فهذه العقود المدببة المطولة المزينة من اعلاها بمشبكات او مخرمات جصية طراز من العقود ابتكره المعمارى الايطالي ماريو روسي الذى استقدمته الحكومة المصرية اوائل هذا القرن العشرين للمعاونة على احياء الفن المعمارى المصرى فافتتن به واسلم ، واقام عددا كبيرا من المساجد الحافلة بالابتكارات الجميلة ومنها هذه العقود المدببة المطولة التي ظهرت لاول مرة في مسجد ابي العباس المرسي في الاسكندرية ، ثم طبقها

المعماريون المصريون بنجاح كبير فى تجديد الحرم النبوى الشريف فى المدينة • وكذلك فى ابواب مسجد الشملان التى ترتفع فوقها العقـود من الخشب المزين بالزخارف المحفورة ، وهى تمتاز بدائرة المقبض ذات الزخارف الجميلة • وهى ابتكار مملوكى جوده العثمانيون فيما بعد •

ومئذنتا هذا المسجد تقومان بين بيت الصلاة والصحن وهما خارج المسجد تلتصق الاولى منهما بمدخل المسجد • والبدن الاسفل فيهما طويل منسرح مسدس الهيئة يرتفع نحو اربعة امتار فوق سطح المسجد وينتهى بشرفة اذان ذات حاجز مخرم مملوكى ، ومن شرفة الاذان يشرع البدن الاعلى وينتهى بشرفة اذان زخرفية يليها جوسق لطيف الهيئة يقوم على ارجل ، وفوق ذلك عمامة مستطيلة •

اما مسجد العثمان ، فقد انشاه عبد الله عبد اللطيف العثمان ابتداء من سنة ١٨٦١ ، وقد جدد بناؤه بعد مرارا ، وصورته الحالية جديدة تمت فى اواخر الخمسينات • والمسجد ربما كان اوسع مساجد الكويت •

بيت الصلاة هنا هو اكبر بيوت الصلاة فى مساجد الكويت وهو مستعرض تزينه نوافذ واسعة فى جدار القبلة وفى الجانبين • وفى جدار القبلة وحده ثمانى نوافذ كبيرة مغطاة بالزجاج تشبه الابواب ، ودعامات بيت الصلاة ضخمة مربعة تزينها تيجان ملبسة بالخشب عند التقائها بالسقف • وقد وضع المهندس كمرات السقف من الاسمنت فوق تيجان الدعامات مباشرة ، وهذا عيب معمارى فى المساجد خاصة • وكان اولى به ان يقيم فوق الدعامات عقودا فوقها طبانات ، وعلى الطبانات يقوم السقف ، وهذا هو الوضع المساجدى الصحيح ، لانه يتيح الفرصة لرفع السقف ويخفى الكمرات • وبالفعل فان مسجد العثمان قريب السقف • ولا يخفى هذا القرب الا كثرة الشبابيك التى تملأ المسجد ضياء •

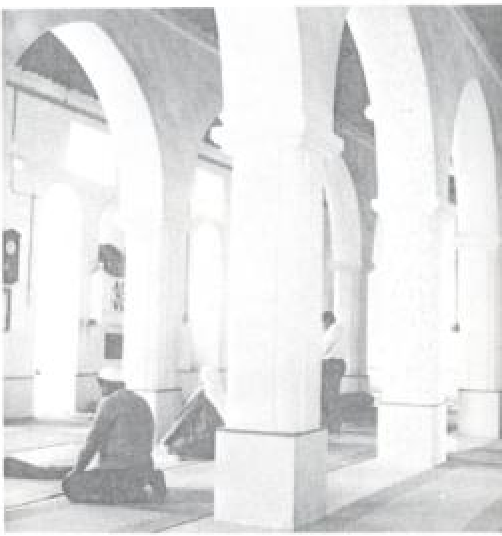
ومحراب هذا المسجد ومنبره غاية فى الجمال ، فالاثنان هنا وحدة كاملة من الرخام الملون الملبس بعضه فى بعض • والمحراب هنا تقليدى اى انه حنية من الرخام الملبس ذى اللونين تعلوها لوحة رخام عليها آية قرآنية ، ثم تقوم طاقية المحراب بعد ذلك بقوس مدببة • وهذا الشكل يتكرر فى مسجد على الشملان •

والى يمين المحراب يقوم المنبر على الطراز الكويتى فى صورة شرفة رخامية ذات حاجز رخامى مخرم مزدان بوردة رخامية بديعة الجمال •

والمحراب والمنبر يبدوان هنا عقدين متجاورين متشابهين تمام التشابه وهذا وجه الجمال فيهما ، بل ان هذين العقدين التوامين موضوعان فى اطار كبير من الرخام يعتمد على عمودين من الرخام فى الجانبين • وبين المحراب والمنبر يقوم عمود رخام دقيق جميل يتفرع منه القوسان المدببان من اعلى •

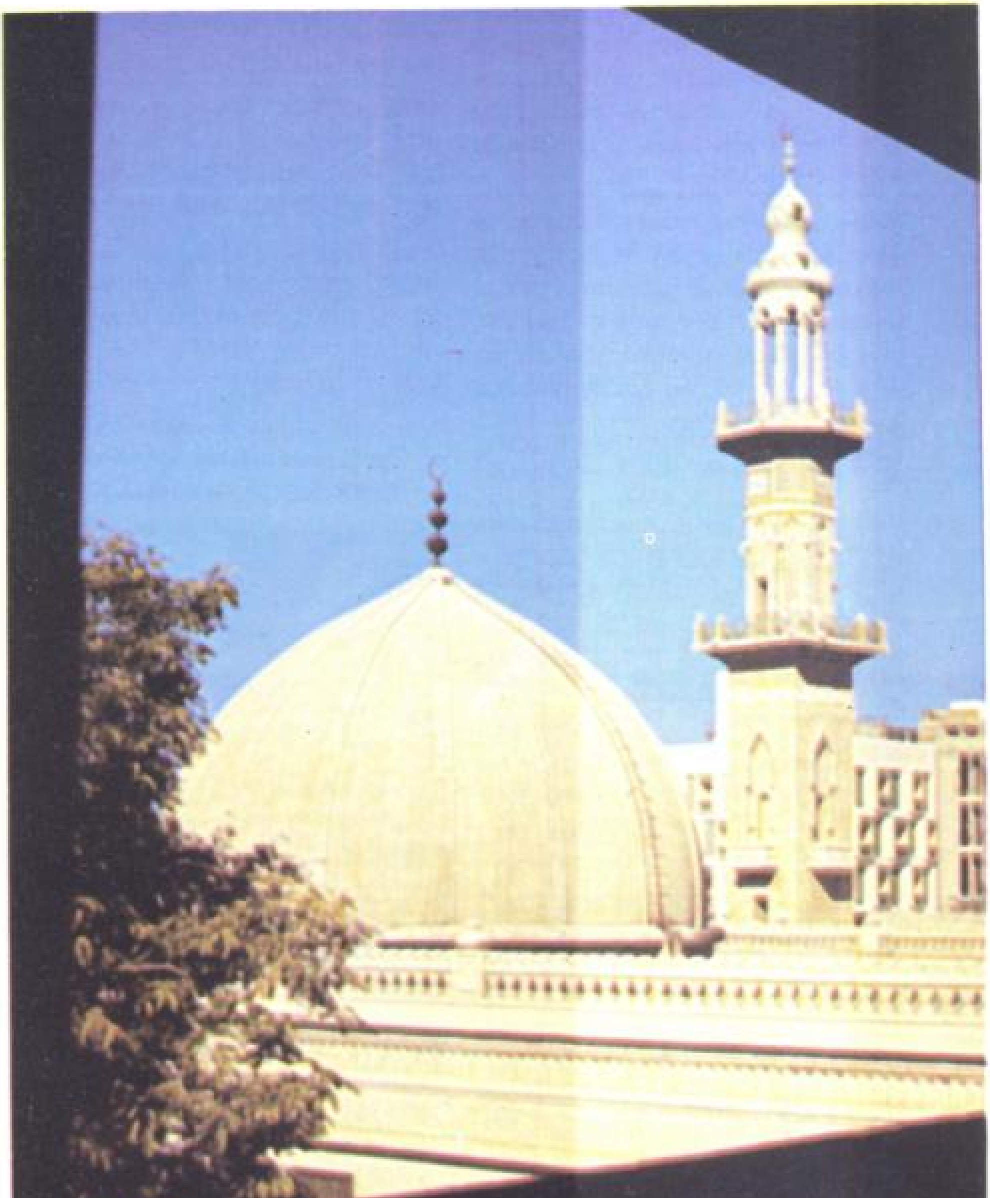
وصحن الجامع فسيح جدا تطل عليه احدى المئذنتين السامقتين اللتين تزينان واجهة هذا المسجد الكبيرة • وهاتان المئذنتان من اضخم مآذن مساجد الكويت ، وطرازهما مملوكى هجين ، اى انهما تتخذان بعد القاعدة ـ وهى هنا البدن الاسفل ـ هيئة غريبة بعض الشىء فهناك شرفتا اذان كبيرتان يفصل بينهما بدنان، والبدن الثالث هنا يحل محل الجوسق ويرتفع فوقه جوسق ذو درجات ثم عمامة على هيئة حدوة الحصان •

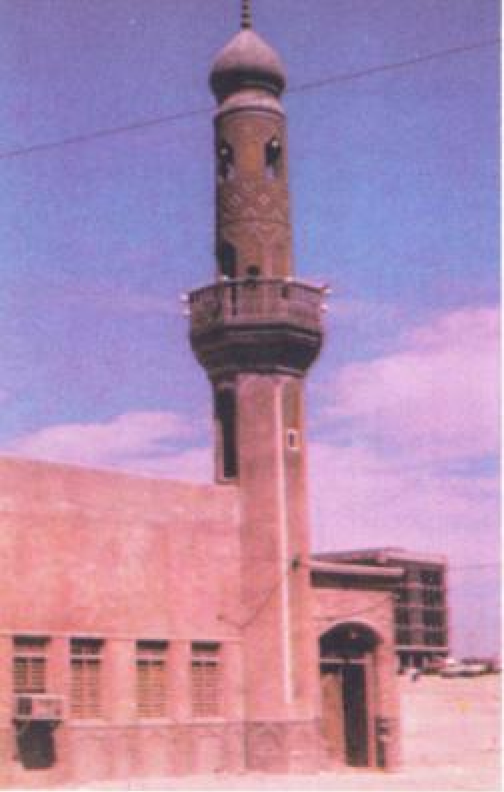
ومن احسن ما فعله المعماريون الذين شادوا ذلك المسجد انهم احاطوه بمساحة واسعة عازلة له عن الطريق يدور بها سور عال •



المسجد القديم فى مواجهة مبنى الامن العام •
صورة لبيت الصلاة •

مآذن مساجد الكويت تمتاز بتنوع اشكالها وهيئاتها ، وقد جمعت كل طراز معروف من المآذن .. في هذه الصور ترى خمسا منها : بعضها قديم تقليدي ، وبعضها حديث ، ولكنها كلها ذات جمال وتناسق .








مسجد فهد السالم الصباح المعروف باسم مسجد الشيخة بدرية بالسالمية

يعتبر هذا المسجد من انق مساجد الكويت ان لم يكن اجملها عمارة او اكثرها تناسقا

المسجد حديث بنى فى الستينات • وهو مسجد متوسط الحجم له مدخل متواضع لا يتناسب مع شهرته ، وهذا المدخل تقوم عليه بوائك صناعية ، اى انها ليست من عمد واقواس وانما تقوم على عمد زخرفية وعقود مفلطحة زخرفية ايضا • والمسجد كله مكسو بالرخام الوردى تزينه افاريز من الجص• وبيت الصلاة فى المسجد صغير وهو مستعرض مثل بقية مساجد الكويت ، ويقوم سقف بيت الصلاة على عقود مستديرة ، اعمدتها مكسوة بالرخام• وهذه العقود تحمل القبة المفلطحة، وهي فى هيئة طبق مقلوب،مصنوعة من البلاستيك، ولهذا فان قيمتها الفنية المعمارية قليلة ،واعتقد انه ليس من المناسب ان يلغى فن القباب الاسلامية العريق لتحل محله قطع من اللدائن •

وصحن المسجد صغير يحيط به من الجانبين رواقان مسقوفان بقباب زخرفية من اللدائن ايضا• وهناك مجنبة خلفية يفضى اليها الداخل من الباب الشمالى للمسجد• وللمسجد اربعة ابواب اخرى، منها واحد يؤدى الى بلاطة المحراب •

وللمسجد مئذنتان جميلتان مبتكرتان ، ولكنهما قطعا لاتشبهان المآذن فى اى طراز اسلامى وان قيل انهما من طراز مغربى وانهما انشئتا على طراز مئذنة جامع القيروان او صومعته كماتسمى فى تونس ، ولكن ذلك غير صحيح • وكل من المئذنتين تشبه ان تكون مسلة فرعونية مقطوعة قرب رأسها • ومحل هرم الرأس فى المسلة نجد هنا شرفة اذان جميلة تقوم على كابولى اىقاعدة يزداد اتساعها الى اعلى • وفوق شرفة الاذان ظلة بلاستيكية ايضا تقوممقام الجوسق والعمامة•

واجمل ما فى المسجد شبابيك واسعة فيجوانب بيتالصلاة مغطاة بشبكات من الجص المخرممزينة برسوم عربية • وهذا الشكل يشبه الشبابيك الزخرفية الكبيرة البارزة من جوانب بيت صلاة مسجد جمال عبدالناصر فى القاهرة •

مساجد بالغة الاناقة

فى الكويت عدد كبير من المساجد البالغة الاناقة، وهذه المساجد تتميز بخصائص معمارية نستطيع ايجازها فى سطور •

ناخذ مثلا مسجد الحاج محمد حبيب المزيدى فى وسط المنطقة التجارية فى الكويت •

المسجد متوسط المساحة ولكنه انيق حسن الهندسة مقام بعناية ، وقد انفق صاحبه فى بنائه عن سخاء • الباب الرئيسى للمسجد يفتح على الصحن ، والصحن هنا ليس ارض فضاء طلقة مبلطة وانما هو ايوان من الرخام الخالص ذى لونين رمادى واسود • ارضية الصحن من الرخام الاسود تحيط به اروقة كلها من الرخام •

وتفضى الى بيت الصلاة فتجده قاعة مستعرضة ذات جمال باهر • امامك ترى المحراب والمنبر فى وحدة رخامية واحدة على طراز ما رايناهفى جامع العوضى •

قبة المسجد تقوم على اعمدة ، والاعمدة تحمل مثلثات كروية لتحمل القبة ، ورقبة القبة مزينة بقمريات صغيرة انيقة • ثم تلى ذلك طاسة القبة وهى مدببة الرأس• المئذنة شبيهة بمئذنتى مسجد فهد السالم (الشيخة بدرية) • جدار بيت

قبة جامع المزيدى من الداخل • لاحظ كيف ترتفع على اربع كوابيل (هذا واحد منها) والكابولى كتف يقام فى زاوية السقف ليحول المربع الى مسدس ، وعلى المسدس تقوم القبة مسدسة الاضلاع ثم تغطى الاضلاع بالجص • لاحظ القمريات الصغيرة المغطاة بالزجاج •



الصلاة المقابل لجدار المحراب مكسو كله بالخشب وفيه خزائن للكتب ومصاحف •

وهناك مسجد آخر ربما كان الفخم من هذا واضخم • انه في حي السالمية وهو مسجد كبير لم يتم بناؤه بعد ، ولهذا فاننا لم نر الا ظاهره• للمسجد أربع مآذن في اركان البناء الاربعة ، وفي وسطها تقوم القبة • المسجد كله بجدرانه الأربعة مغطى بالقاشاني الابيض الزخرفي •

المساجد الحديثة

من أواخر الستينات بدانا نرى في الكويت مساجد بعيدة جدا عن هيئات المساجد وطبيعتها ، بعضها في شكل باجودا بوذية وبعضها في شكل كنائس ، وهي الى دور السينما اقرب منها الى المعابد •

المهندسون الذين صمموا هذه المساجد ليسوا من المسلمين – او لم يدرسوا الفن الاسلامي ، وجدير بالذكر ان هناك مساجد كثيرة جدا في الكويت من تصميم غير اسلامي، مهندسوها يتبعون لونا من التجديد في الكنائس انتشر في اوروبا وامريكا خلال نصف القرن الاخير • الذين يصممون هذه الكنائس لا يراعون قاعدة واحدة مقررة في الانشاء ، كل غرضهم استلطاف النظر ، والخروج على الناس باشكال عجيبة لا يعجب بها – الا المصمم الذى وضعها والمقاول الذى بناها ••

تجد هذه الاشكال بصورة خاصة في بلاد الشمال الاوروبي والمانيا الغربية وسويسرا ومعظمها بروتستانتي ، لان السلطات البروتستانتية تجتهد في اجتذاب الناس للصلاة باى صورة ، ومن ثم فلا مانع لديهم في ان تكون الكنيسة في هيئة دار سينما او هيئة عرض موسيقي راقص •

وفي بلد كاثوليكي واحد هو البرازيل انشأ المهندس الفرنسي كور بوزييه كنيسة « برازيليا » عاصمة البرازيل الجديدة في هيئة ورقة ملفوفة تدخل من نهاية لفة الورق وتدور معه لتجد نفسك في النهاية في قارورة طويلة من الزجاج الملون •••

هذا كله طيب بالنسبة لهم ، ولكن ليس لنا• فان المسجد عندنا كائن حي يعيش ويتنفس ويفيض بالحركة •

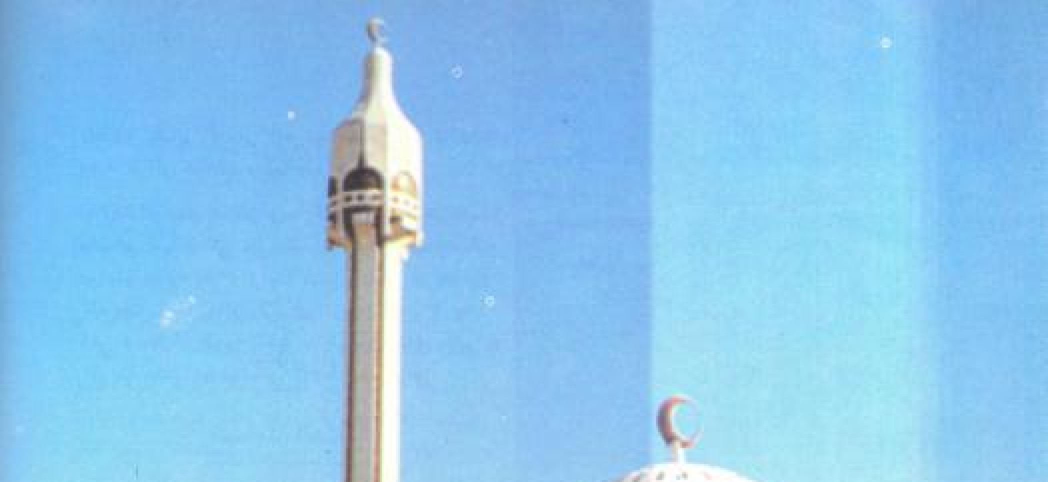


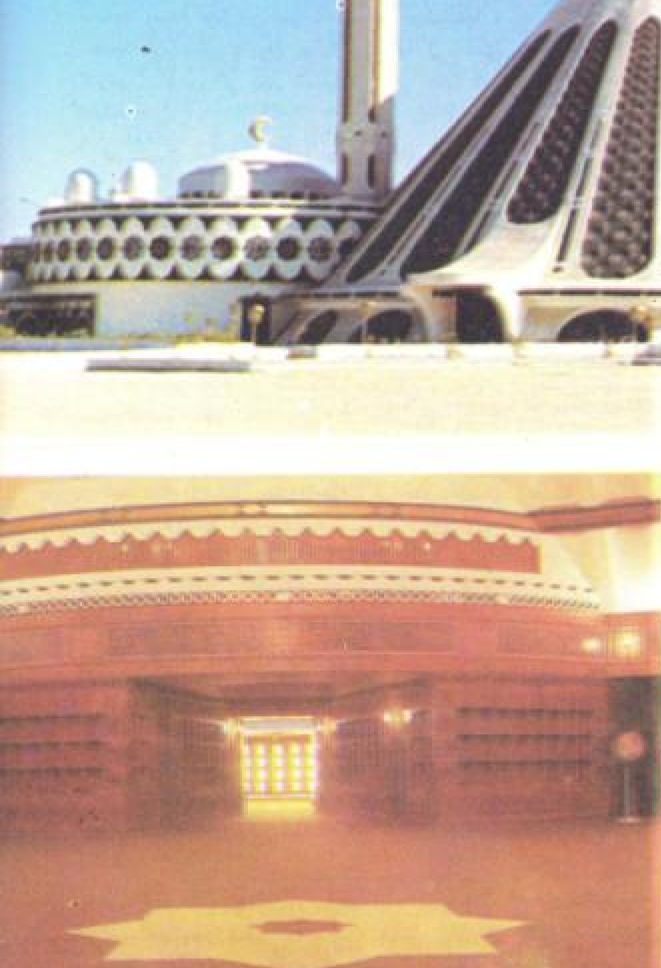
محراب مسجد الهلالي ومنبره يشبهان الى حد كبير وحدة المحراب والمنبر في جامع العثمان • الوحدة هنا اجمل في اقواسها وشرفة المنبر •

وعندما يحتويك المسجد ساعة الصلاة او بعدها، فانت لا تشعر قط انك وحدك • امة الاسلام كلها معك هناك • والنور الفياض بداخل المسجد هو نور الخالق سبحانه ، وآيات القرآن تتردد في سمعك ، الم يقل الله سبحانه في سورة النور : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال،رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب) (آيات ٣٦ – ٣٨) فالمساجد عامرة دائما بالغدو والآصال •

لهذا ينبغى ان يكون جو المسجد حرا طلقا مفتحا فياضا بالنور ، وينبغي ان يكون خفيفا في هيئته ولقد سئل المهندس التركى سنان بن عبد المنان ابن عبد الله – الذى بنى اعظم المساجد والمنشآت التركية – بعد ان فرغ من بناء السليمانية في بغداد : ترى كم طنا من الحجر فيها ؟ قال لا شيء، المساجد تحملها الملائكة وهذا ليس حجرا ولكنه ريش •••

لهذا يقف الانسان داخل قاعة الصلاة في مسجد الشيخة فاطمة (ام الشيخةلطيفة الفهد الصباح) فيحس انه يختنق لان المسجد نفسه يختنق مع انه بني من البلاستيك والبليكسى – جلاس •

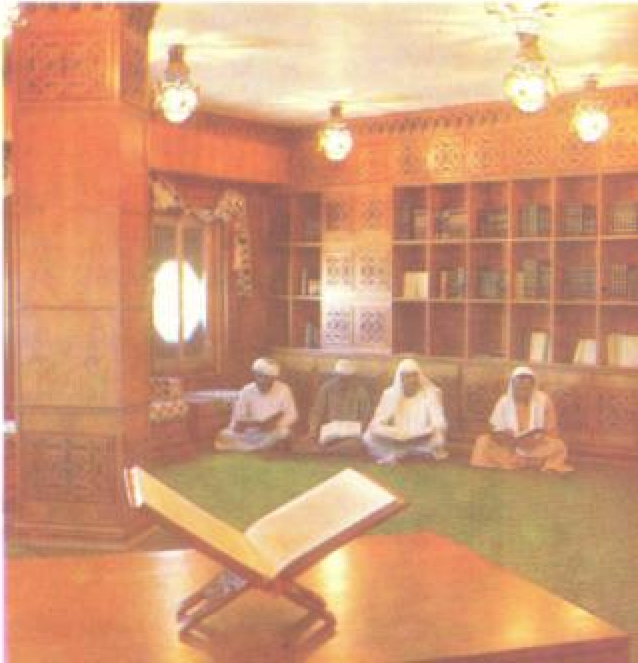




منظر عام لمسجد الشيخة فاطمة نموذج من التجديد المطلق في عمارة المساجد . كل ما في هذا المسجد جديد مبتكر في داخله وخارجه . الصورة الى اليسار لبيت الصلاة في ذلك المسجد .



قبة مسجد الشيخة فاطمة
من الداخل . انها مستديرة
تقوم فوق مخروط بيت
الصلاة.وهي من البلاستيك
والبليكسي جلال والصورة
الى اليمين:تبين مكتبة المسجد
في الدور العلوي ٠



المسجد جميل جدا . انه في ضاحية عبد الله السالم . اراد المهندس ان يذهب فيه مع التجديد الى مداه فجعل المسجد كله في هيئة قبة مخروطية: رقبتها هي جدار المسجد وفيها ابوابه ونوافذه • بدل القمريات نجد ابوابا ونوافذ تؤدي الى الطريق • القمرية نسبة الى الحمام القمري ينبغي ان تفتح الى السماء ، لان الحمام القمري الذي يقولون انه يسبح لله كان يعشش بداخلها ويسبح لله في الصباح والمساء • لهذا كان المهندسون الذين بنوا المساجد المملوكية يضعون فوق القبة اناء في صورة قارب يملأ بالحب ، وفي اعلى المئذنة ـ في العمامة ـ يخرجون اعمدة صغيرة من الحديد ليقف عليها الحمام •••

بوابة واحدة منخفضة تفضي الى داخل المسجد• هنا لا يوجد صحن • الصلاة كلها في بيت صلاة دائري مفروش بسجادة واحدة في وسطها نجمة مثمنة بيضاء • رغم ارتفاع ذروة القبة فانك تشعر انك تحملها على كتفك، انها من البلاستيك والبليكسي جلاس ، ولكنها ثقيلة ، انها تزن عشر مرات قدر قبة السليمانية التي زادت على قبة اياصوفيا بستة اذرع •

نور كثير يدخل من شرائح البليكسي جلاس • ولكنه نور ضئيل كانه ذبالة • هذا هو نور الظلام • ان الرسام العالمي رامبرانت قد ابتكره في لوحاته • اللوحة كلها مظلمة غير جزء صغير منير هو الذي يريد ان يبرزه • هذا هو ما يسمى في عالم الفن Chiaroscuro بالايطالية و Claire-obscure بالفرنسية • طاس القبة هيئة نجمية • ننظر اليها من داخل المسجد فلا نجد خطا واحدا من زخرف عربي •• اين الزخارف التي هي لباب الفن الاسلامي وميزته الكبرى ؟

اعجب ما في المسجد المنبر والمحراب • انهما ليسا بمنبر ولا محراب • المحراب شكل عجيب من الخشب او البلاستيك • قمع سكر مقلوب في داخله مصباح ، مما يدل على ان المهندس لم يقرأ القرآن قط • لو قرأه لعرف ان نور الله لم يشبه الا بمشكاة • قال تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب دري) • حاول بعض الفنانين المسلمين ان يجعل المشكاة رمز الاسلام • الاسلام نفسه رفض لانه تجريدي صرف ورمزه هو الله • اذا نظرت الى سجادة صلاتك وجدت في اعلاها عقدا تتدلى منه زهور • الزهور كانت في سجادات الصلاة الاولى مشكاة • رفضها الفنان وحولها الى زخرف زهري •

المنبر هنا شيء لا يصدق • انه منصة عليها كرسي • الاسلاك الكهربائية والميكروفونات تفسد الجو •

في المسجد دور علوي تصعد اليه من وراء المنبر• هذا اجمل ما في المسجد • هنا مصلى للنساء ومكتبة ومساكن لقومة المسجد •

المئذنة انبوب طويل كانه مدخنة تحمل في اعلاه شرفة اذان مغطاة بجوسق هو في الحقيقة ظلة ••

مهما كان رأينا فهذه محاولة لتطوير فن بناء المساجد •المحاولة جريئة ولكنها لم تصب الهدف• في النهاية حصلنا على تحفة لا على مسجد •

هل معنى ذلك ان نوقف المحاولات ؟

قطعا لا ، وعمارة المساجد ينبغي ان تساير الزمن • لا بد من البحث عن اسلوب مساجدي يعبر عن روح عصرنا ، المساجد لا بد ان تعود الى رسالتها الاولى : مصلى ومجتمعا للمسلمين ومركزا للجماعة كلها •

لقد ابتكر ماريو روسي الذي اسلم وتسمى بعبد الله ابي العباس ، وفهم روح المساجد طرازا جديدا في نفس الاتجاه المملوكي وابدع مساجد اسلامية الروح والشكل في جامع ابي العباس المرسي ومسجد ابراهيم الفاتح ومسجد رأس التين واخيرا مسجد الزمالك • تحف رائعة من الفن المعماري الاسلامي •

الآن ينبغي ايضا ان نتخطى طراز ماريو روسي ولكن هذا مبحث آخر ••

ولنقف هنا بالحديث عن مساجد الكويت ولنردد في صمت آية بيوت الله في سورة النور ••

■■

الكويت ـ د• حسين مؤنس



دمشق من :

فهمى هويــدى

مملكه ايبلا اكتشاف القرن

سوريا كانت مهدًا لحضارة مزدهرة ثالثة تختلف عن حضارة ما بين النهرين ومصر القديمة

■ فاجات محطة الاذاعة البريطانية مستمعيها بخبر من دمشق يعلن انه تم العثور على حصان من الذهب فى سوريا ، يشكل ثروة هائلة ، ويوفر للنقد السورى غطاء قويا يمثل ضعف رصيدها العالى من الذهب . ونقلت اذاعة مونت كارلو الخبر المثير ، الذى ترددت اصداؤه فى انحاء عديدة من العالم . واتصلت رئاسة الجمهورية السورية بمدير الاثار لتساله عن حكاية الحصان الذهبى . فكان رد الرجل أن الخبر له اساس من الصحة . وانه تم العثور على كنز جديد فى شمال سوريا ، ولكنه ليس من الذهب . بل هو من الماس. بل أن قيمته لا تقدر بثمن ، والتفت المدير السورى ثم سالنى : اليس اكتشاف حضارة جديدة يعد كنزا حقيقيا لا يقدر بثمن ؟



واحدة من ١٥ الف لوحه عثر عليها فـي غرف قصر الملك • بعضها مكتوب باللغة السومرية والجزء الاخر مكتوب بلغة اهل ايبلا •• جففها الحريق وحفظها كما هي•

قرية تل مرديخ التي عثر على بقايامملكة ايبلا في التلال الملاصقة لها • كـــل البيوت لها قباب ، ولا احـد يدرك انالصغار يمرحون في رحاب مملكة عظيمة مندثرة •







احد المشاهد الدينية على جدار حوض مقدس ، الربة الى اقصى اليمين واقفة وطابور المتعبدين الى جوارها .

وحيد خياطه مدير متحف حلب : الصدفة لعبت الدور الاكبر .

هو « اكتشاف القرن » كما وصفته مجلة نيوزويك الامريكية ، نقلا عن بعض اساتذة التاريخ فى جامعة شيكاغو . ذلك انه كان معروفا حتى وقت قريب جدا ان هناك حضارتين قديمتين فى فجر التاريخ . حضارة ما بين النهرين (دجلة والفرات) ، والحضارة المصرية فى وادى النيل . ولكن الكشف الاخير احدث انقلابا فى معرفتنا بتاريخ حضارة الانسان . ذلك انه بعد ٩ سنوات من البحث الذى قامت به بعثة ايطالية يقودها البروفسور باولو ماتييه مدير معهد دراسات الشرق الادنى فى جامعة روما ، عثرت البعثة فى عامها الاخير على بقايا مملكة قديمة بالقرب من حلب هى مملكة « ابيلا » . دولة كبيرة سكانها ٢٦٠ الفا لها حضارة عظيمة وتجارة واسعة ونفوذ قوى . عاشت واندثرت فى الالف الثالثة قبل الميلاد (العصر البرونزى الرابع (٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م) . ودفنت معالم تلك المملكة تحت التلال القريبة من قرية تل مرديخ (نسبة الى الاله مردوخ اله بابل القديمة) . التى تبعد ٦٠ كيلو مترا عن حلب ، وصار اسمها يتردد الان فى كل الاوساط المهتمة بالتاريخ والاثار فى العالم .

يعزز البروفيسور باولو ماتييه هذا الرأى بقوله ان وثائق مملكة ايبلا أحدثت ثورة فى معارفنا التاريخية عن الشرق الادنى فى الالف الثالثة قبل الميلاد . وهى الفترة التى شهدت بناء الاهرامات فى مصر . وشهدت الحضارة السومرية الاكادية العظيمة فيما بين الرافدين . اى انه الى جانب اكبر مصدر للمعلومات التاريخية ، وهما مصر والرافدين اصبحت سوريا بفضل الكشف الجديد، المصدر الرئيسى الثالث للتاريخ الحضارى والسياسى فى الشرق الادنى » .

الشهادات تتكلم

الى دمشق ذهبت مشدودا الى هذا الكشف ، الذى تتابعه الصحافة العالمية باهتمام شديد ، بينما لم تنشر عنه الصحافة العربية حرفا واحدا ، لا بالخير ولا بالشر !



البروفيسور باولو ماتييه
رئيس بعثة التنقيب فى تل مرديخ

بدأت الرحلة الى تل مرديخ من خلال شهادات الكثيرين من الخبراء والمتخصصين والمسئولين .

●

« الان تزداد قناعتنا بان سوريا هى خلاصة تاريخ العالم ، كما يقول المؤرخون . ارضها عرفت طفولة البشرية . فى تل المريبط عثر على اقدم سكن بشرى فى العالم ، يعود الى الالف التاسعة قبل الميلاد . وشهدت مطالع الزراعة والتدجين والاستقرار فى تل الرماد . ونشأة المدن فى تل خلف . وعلى شاطئها اخترعت اول ابجدية فى العالم ،ابجدية رأس شمرا .ومنذ الالف الاولى قبل الميلاد كانت سوريا تشكل صلة الوصل بين عالم البحر المتوسط وعالم الشرق الاقصى . وفى العهدين اليونانى والرومانى لعبت سوريا دورا بارزا . بل كان العديد من اباطرة روما سوريين . ومن سوريا انتشرت اللغة الارامية التى ظلت لغة التجارة والادارة فى العالم القديم. كما كانت من المنعطفات الاولى للمسيحية والاسلام. وارتبطت ارتباطا وثيقا بذكرياتهما وتقاليدهما المقدسة . فانطاكية كانت مهد المجتمع المسيحى فى القرن الاول . ومن دمشق بدأ بولس الرسول رحلة الايمان .وما ان بدأت الحضارة العربية الاسلامية تسود،

حتى اصبحت سوريا قلبها النابض ومركز اشعاعها الرئيسى ، بعد أن صارت دمشق عاصمة الدولة الاموية المزدهرة .

« لكل هذه الاسباب تتسابق بعثات التنقيب والعلماء على دراسة الاثار السورية . ولدينا ٣٢ بعثة اثرية تعمل فى مواقع متعددة . وهو رقم قياسى له دلالته . والمسافر الذى يسلك الطريق التى تحاذى الساحل او الطريق الذى يربط دمشق بحلب ، او الطريق التى تتجه من حلب نحو دير الزور ، يرى عددا كبيرا من التلال ، يدرك عالم الاثار بسبب شكلها المنبسط والكسور الفخارية التى تكسو سطحها انها تكونت من انقاض مدن انقرضت منذ زمن بعيد . ان عدد التلال الاثرية الموزعة فى انحاء سوريا لم يتم حصرها بالضبط ، لكنها تتجاوز الالف بالتأكيد . واذا علمنا أن كل الاكتشافات المثيرة التى عثر عليها كانت حصيلة التنقيب فى ٧٠ تلا فقط ، فلنا ان نتصور بعد ذلك اى ثروة فى المعرفة يمكن أن تتحقق اذا اكتمل التنقيب فى بقية التلال » .

« ان كل ضربة معول فى احد تلالنا الاثرية يضيف صفحة جديدة الى الكتاب الذى يروى قصة حضارة الانسان » .

الدكتور عفيف بهنسى مدير الآثار والمتاحف ..

●

« ورد اسم ايبلا فى عدد من الوثائق القديمة . جنوبى العراق ، فى موقع يعرف باسم « نفر » اكتشفت لوحة فى نهاية القرن التاسع عشر ، تتضمن سردا للفتوحات التى قام بها سرجون الملك الشهير الذى حكم بلاد مابين النهرين فى القرن الرابع والعشرين (٢٤٠٠) قبل الميلاد . وتشير اللوحة الى أن الملك عندما توجه من العراق الى جبال الامانوس اى نحو البحر المتوسط ، احتل فى طريقه ثلاث عواصم هى : مارى ، وايبلا ، ويارموتى . وعندما نشر هذا النص فى عام ١٩١٤ ، لم يكن معروفا موقع اى من هذه المدن . وامكن تحديد موقع احداها بعد مرور عشرين سنة (فى عام ١٩٣٤) ، عندما عثر على لوحة بين اطلال تل الحريرى قرب مدينة الابو كمال السورية . وثبت أن المدينة المكتشفة هى « مارى » . وبقى على العلماء أن يحددوا موقع كل من ايبلا ويارموتى .

« وورد ايضا اسم ايبلا فى كتابة محفورة على تمثال للملك جورديا الذى حكم مملكة فى جنوب العراق فى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد . وثمة لوحة اكتشفت فى مدينة اور الشهيرة جنوب العراق ، تروى لنا فتوحات الملك نرامسين حفيد الملك سرجون . وهذا النص يذكر اسم ايبلا مع مدينة اخرى تدعى ارمان . وعلى احد أعمدة مدينة الكرنك المصرية ، كتابة تعود الى تحوتمس الثالث . اى الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وهذه الكتابة تضم قائمة باسماء عدة مدن قديمة ، بينها ايبلا التى ذكرت فى ترتيب غير بعيد عن مدينة حلب . كذلك يظهر اسم ايبلا مقترنا باسم مارى اكثر من مرة فى نص اكتشف فى موقع دربهم فى العراق » .

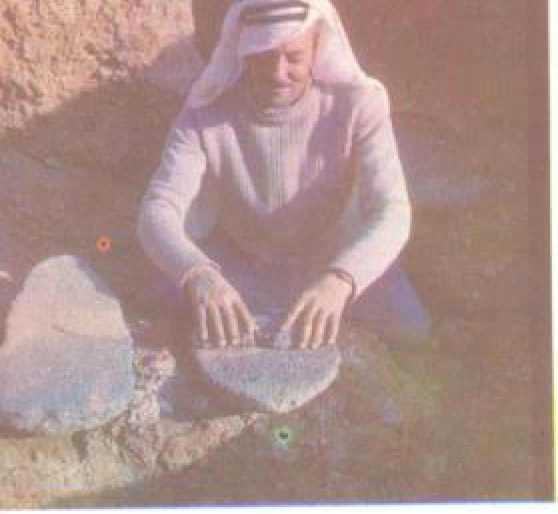
« العلماء اذن كانوا يعرفون اسم ايبلا منذ عشرات السنين ، غير انهم ظلوا يجهلون موقعها . كانوا يعرفون انها فى مكان ما يمتد بين منطقة الفرات الاوسط ، والقسم الشمالى من الساحل السورى . لكن فى اى من تلك التلال المنتشرة بالمئات فى تلك المنطقة ؟ .. الله اعلم ؟ » .

جبرائيل سعادة ، العالم الاثرى السورى ..

●

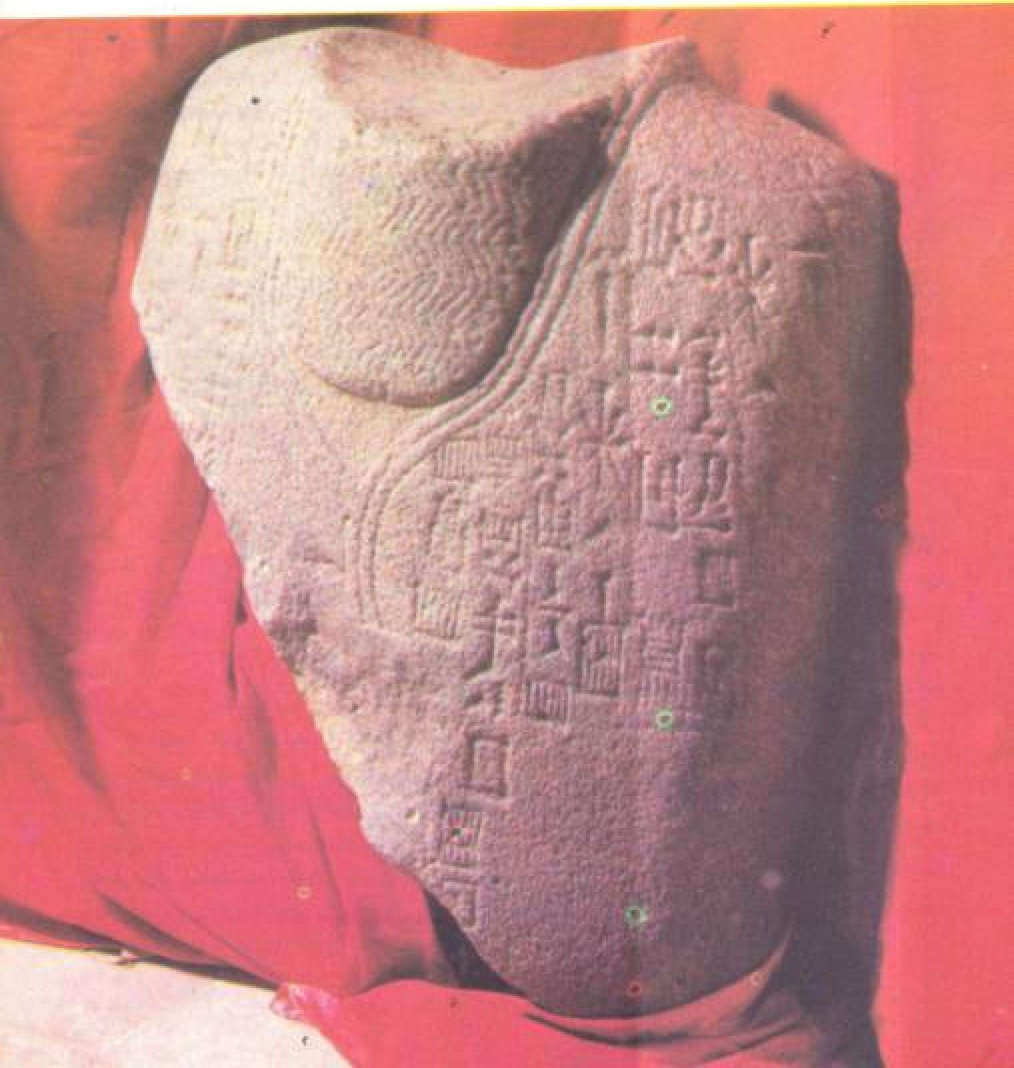
« الصدفة وحدها لعبت الدور الاكبر فى العثور على بقايا مملكة ايبلا . فى عام ١٩٦٣ طلبت جامعة روما من المديرية العامة للاثار والمتاحف أن تسمح لها باجراء حفريات فى سوريا . وعندما تمت الموافقة المبدئية ، ارسلت الجامعة الايطاليه البروفيسور باولو ماتييه ، مدير معهد دراسات الشرق الاوسط لينتقى التل الاثرى الذى سيباشر العمل فيه . ولم تكن مملكة ايبلا تخطر على باله ، ولم يكن هدفه التفتيش عنها . فقام بجولة ليتعرف على بعض التلال . زار الساحل وكان على وشك أن يختار تل رويه الامير بالقرب من اللاذقية ، ثم عدل عن ذلك .

« لقد كان الاختيار صعبا . فلربما وقع الرجل



ابو احمد ، حارس المدينة ، اعاد امامنا كيف كانوا يعدون « الطحين» ، يضعون الحبوب بين الاحجار وبايديهم يحركونها ، تماما كما يفعل بعضنا الان .

التمثال النصفي الذي كان اول اشارة الى وجود مملكة ايبلا ، الكتابة باللغة الاكادية وقد كان التمثال هدية الى معبد الالهة اشتار.





ما تبقى من قصر الملك • أنقاض فوق أنقاض لكن مدخل القصر لا يزال قائما ، يفارق واحد انه صار مرعى لا تتهيب الخراف اجتيازه فضلا عن صاحبها •

وجه انسان وجسم اسد، هكذا اراد الفنان القديم ان يعبر عن البطولة •



على تل وظل ينقب فيه سنوات ، ثم يكتشف انه يحتوى على انقاض بلد بلا قيمة فى العصور القديمة •وربما ساعده الحظ وحقق نتيجة معاكسة• ظل البروفيسور ماتييه ينتقل حائرا بين المحافظات السورية ، علّه يهتدى الى موقع هام للتنقيب • الى أن اقترحت عليه مديرية الاثار أن ينقب تلا يقع فى محافظة ادلب يحمل اسم تل مرديخ ، اعتقادا منها انه يحتوى على اثار هامة • لا سيما انه فى عام ١٩٥٥ اكتشف فيه صدفة حوض من الحجر البازلتى عليه نقوش بارزة • واقتنع ماتييه بالفكرة ، وبدأ العمل » •

« بدات البعثة الايطالية حفرياتها فى الثالث عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٤ • وخلال اربعة مواسم ـ من ٦٤ ـ ٦٧ ـ حققت عمليات التنقيب نتائج هامة ، لكنها لم تكن مثيرة • لقد كانت كل الدلائل تؤكد ان المدينة المدفونة فى الموقع كانت مزدهرة فى القسم الثانى من الالف الثالثة قبل الميلاد • فقد كشفت الحفريات انقاض قصر ومعبدين وسورا فخما من الحجر والقرميد ، كما عثر بين الانقاض على عدد من القطع الاثرية والتماثيل والاحواض ذات العلاقة بالطقوس الدينية اذ كانت تسجل على جدرانها مشاهد اسطورية عديدة •

« وفى عام ٦٨ ، عثرت البعثة الايطالية فى الموقع على تمثال نصفى من الحجر البازلتى لرجل • وعلى التمثال كتابة مسمارية باللغة الاكادية ، أى البابلية ، تشغل المساحة بين كتفيه الايمن والايسر • وتتالف من ٢٦ سطرا تتوالى من الاعلى الى الاسفل • وعندما ترجمت الكتابة تبين انها تتضمن اسم المدينة التائهة : ايبلا • يقول النص ان « ابت اليم » ملك ايبلا ، قدم التمثال الى معبد الالهة ايشتار • لكن النص لم يكن قاطعا على أن ايبلا هذه تحت تل مرديخ » •

« بعد ذلك تابعت البعثة عمليات التنقيب • وفى الموسم الحادى عشر ـ عام ١٩٧٤ ـ عثرت البعثة فى احدى قاعات القصر على ٤٢ لوحة فخارية تحمل كتابة بالطريقة المسمارية • وكان لهذا الاكتشاف اهميته من الناحية التاريخية واللغوية • فمن ناحية برهن مضمون النصوص ، وبشكل لا يقبل الجدل ، ان المدينة المدفونة تحت تل مرديخ هى مدينة ايبلا القديمة • ومن الناحية الاخرى تبين أن معظم اللوحات المكتشفة مكتوبة باللغة السومرية • وهى كما هو معروف ، اقدم لغة مكتوبة استعملتها دول المنطقة وممالكها •

غير أن المنقبين لاحظوا أن بعض اللوحات تحمل لغة غريبة لم تكن معروفة من قبل ، فاطلقوا عليها اللغة الايبلائية ، نسبة لايبلا • وهى كما يبدو اللغة الكنعانية القديمة ، اى اللغة الام للغات السامية العربية التى ظهرت فيما بعد • لا سيما اللغة الكنعانية الابجدية التي استعملها بعد الف سنة سكان اوغاريت ،واللغة الفينيقية التى عرفها بعد أكثر من الف سنة سكان مدينة جبيل فى لبنان• واحدث اكتشاف هذه اللغة الجديدة ضجة كبرى فى الاوساط العلمية فى العالم ، لانه ازاح الستار عن اقدم لغة سامية عرفتها سوريا ، وهى فى الوقت نفسه اقدم لغة مكتوبة • ورغم اهمية تلك الكشوف فقد جاء الموسم التالى ـ الثانى عشر ـ بنتائج اكثر اثارة » •

وحيد خياطه ، محافظ متحف حلب ••



مملكة ايبلا وسط خريطة شاملة للمنطقة فى الفترة من ٢٤٠٠ الى ٢٢٥٠ قبل الميلاد



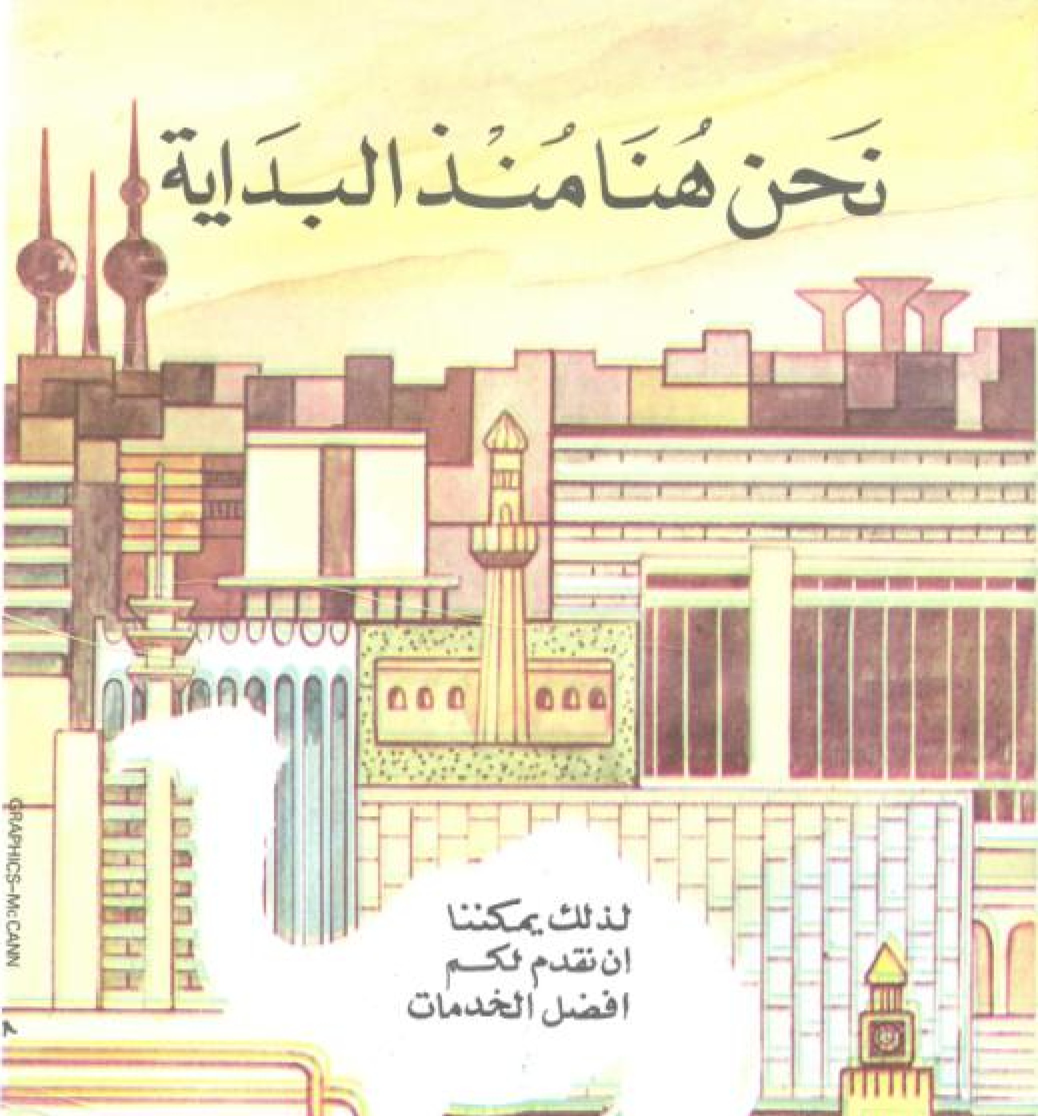
الدكتور عفيف بهنسي مدير الاثار بسوريا ، والى جواره الدكتور ماتييه مكتشف مملكة ايبلا وزوجته ، وسط مجموعة من المساعدين والمسئولين عن الاثار السورية .

« نعم ، تم الاكتشاف العظيم فى مطلع شهر اكتوبر (تشرين الاول) من عام ٧٥ . فبينما كان موسم التنقيب على وشك الانتهاء . عثرنا فى غرفتين صغيرتين من القصر على ١٥ ألف لوحة فخارية مكتوبة ، عشرة الاف منها على الاقل بحالة جيدة . وكانت هذه اللوحات مرتبة على رفوف تكسو جدران الغرفتين ، تماما كما فى المكتبات الحديثة . قسم من هذه اللوحات مكتوب باللغة السومرية ، وقسم آخرمكتوب بلغة أهل ايبلا التى اكتشفت لاول مرة فى تل مرديخ . وكل هذه النصوص تعود الى الفترة من ٢٤٠٠ الى ٢٢٥٠ قبل الميلاد . وتشكل اقدم وثائق مكتوبة اكتشفت فى سوريا . وهى أقدم باكثر من ٤٠٠ سنة من الكتابات التى عثر عليها فى موقع مملكة مارى، واقدم بحوالى الف سنة من نصوص مملكة اوغاريت التى عثر عليها فى راس شمرا ، والتى احدثت ضجة عالمية وقت اكتشافها . ثم أن تلك المجموعة المكتشفة تعتبر اقدم مجموعة وثائق رسمية لدولة ظهرت فى العالم . وهذا هو الكنز الحقيقى » .

« ان الشواهد المعمارية والمادية المكتشفة فى تل مرديخ تؤكد أن مملكة ايبلا كانت فى العهد السورى القديم مركزا حضاريا هاما فى شمال سوريا . كما أنها كانت اعظم قوة سياسية فى المنطقة . وسبقت فى ذلك كلا من مملكة حلب خلال حكم الملك شمش حور الاول فى آشور ، والملك حمورابى فى بابل . لم تكن حضارة تلك المنطقة « تابعة » لحضارة مابين الرافدين او الحضارة المصرية ، كما كنا نتصور جميعا فى الماضى . ولكنها كانت حضارة ثابتة الاركان مستقلة تماما . فضلا عن ان تلك المملكة ـ كما اثبتت اللوحات ـ بسطت نفوذها على منطقة واسعة حولها . وكانت ممالك تلك المنطقة تدفع لها الجزية . غير أن المملكة الاكادية التى كانت قائمة فيما بين النهرين لم ترضها هذه السطوة التى تمتعت بها مملكة ايبلا ، اذ كانت منافسا قويا لها ، ليس فقط فى النفوذ ، ولكن فى التجارة أيضا . ذلك أن تجار أيبلا كانوا يجوبون البلاد من الاناضول الى فلسطين ، ومن ساحل البحر المتوسط الى الرافدين . اى كانوا يحتضنون عالم الجهات الاربع آنذاك . وكان ملوك ايبلا يسيطرون على الممالك حولهم اما بتنصيب الحكام المباشرين على المدن الهامة ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة حلب . أو بطريق غير مباشرة . اى بتنصيب الولاة من الوجهاء المحليين ، كما كان الحال اكيدا بالنسبة لمدينة مارى (تل الحريرى على الفرات) ، او عن طريق التحالفات السياسية ، كما كان الامر

البقية على صفحة ٩٦


الآن مع فيليبس
أصبحَ دخول المطبخ متعة
درست فيليبس الأعمال الشاقة المتعددة
التي يتطلبها تحضير المائدة وشعرت مع
سيدات البيوت فصممت لهن مجموعة
كاملة من الأدوات المطبخية حفاظاً على
وقتهن وتخفيفاً عنهن تكرار الأعمال
وتعبها: خلاطة بثلاث سرعات مع جرن
لتحضير أعمال خفيفة من الخلط والتحريك
والعجن، حمّاصة أوتوماتيكية لتقديم
أي تحميص مرغوب للخبز، مطحنة بن
التي تطحن ٧٥ غراماً من البن في ثوانٍ،
عصّارة حمضيات لعصر كافة أنواع الفاكهة
عصيراً صافياً من الحثالات، مسنّ للسكاكين،
فتّاحة معلبات. جميعها مصممة لتناسب
المطابخ الحديثة العصرية والجدير بالذكر
أن كل قطعة من هذه الأدوات هي بحد
ذاتها لذة للاستعمال.
إنها الأدوات يتكل عليها وذات جودة رفيعة
علماً بأن خبرة فيليبس العالمية في التصنيع
ومصادرها التقنية الضخمة تضمن لكم
ذلك. أدوات تخدم طويلاً، وصيانتها لا تذكر
موجودة إذا احتجت لها.
فيليبس الأفضل لكم دوماً
PHILIPS



في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

بالتاكيد مع مدينة اشور ، عاصمة الاشوريين في شمال الرافدين . هذه المدينة كانت في جميع الاحوال مرتبطة مع ايبلا في معاهدة دولية .وكانت ايبلا في هذه المعاهدة تحتل المكانة الممتازة والمفضلة على اشور .

« والنصوص التي عثر عليها تكشف عن أن النزاع بين مملكتي الاكاديين وايبلا كان سببه السيطرة على طريق التجارة ، الذي هو نهر الفرات ، والذي تقع على ضفافه مملكة ماري . وبوجه خاص كان السباق يدور حول السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من الاناضول . وتجارة الخشب المستخرج من غابات الساحل السوري . وكلتا المادتين كانت القاعدة الاساسية لحضارة ومدنية بلاد الرافدين » .

« تطور التنافس الى صدام مسلح بين المملكتين . وفي اعقاب هزيمة شهدتها ايبلا على يد سرجون ملك الاكاديين ، عادت ايبلا ثانية لتهيمن هي نفسها على اكاد . وعندما حاولت ايبلا سد المنافذ على اكاد في عقر دارها بالرافدين ، كان رد فعل الملك الاكادي نارام ـ سن حفيد سرجون عنيفا للغاية . اذ زحف على مملكة ايبلا في عام ٢٢٥٠ ق.م ، ودمر المدينة ، وحرق قصرها . ورغم ان الدمار لحق بالاقسام الامامية للقصر ، الا ان الاجزاء الخلفية بقيت سليمة حتى ارتفاع يصل الى ستة امتار حاليا . »

« هذا الحريق الكبير الذي دمر جزءا من القصر . حفظ لنا بفعل حرارته احد اضخم الكنوز الاثرية في التاريخ . ذلك ان الحريق اصاب الرفوف الخشبية التي كانت تحمل الالواح ، وحولها الى بقايا متفحمة ، لكنه في الوقت ذاته «شوى» تلك الالواح الطينية ، وحولها الى قرميد متين يتحدى الدهر . وبفعل تلك الصدفة نجا ذلك الكنز من الدمار .

البروفيسور باولو ماتييه رئيس بعثة التنقيب ، ومدير معهد دراسات الشرق الادنى بجامعة روما .

●

تحتاج قراءة الالواح التي عثر عليها الى حوالى عشر سنوات على الاقل . لكن الاستعراض السريع لمحتوياتها اكد أن لغة اهل ايبلا هي اقدم لغة سامية مكتوبة حتى الان . ذلك ان وثائق تل مرديخ تشمل جيلين سبقا عصر الملك الاكادي سرجون الاول . وهو اول من سجل احداثه باللغة الاكادية ، التي هي اقدم لغة سامية شرقية معروفة . ويكشف لنا هذا التفوق الحضاري المنسوب لسوريا ولتل مرديخ (ايبلا) حقيقة اخرى ، وهي أن الاكاديين بعد فترة متاخرة ، اقتصروا على نسخ نظام الكتابة المسمارية الذي سبقتهم ايبلا في تطويره » .

« ومن بين ما كشفت عنه القراءة الاولية للالواح ايضا :

ـ ايصالات الجزية التي كانت تدفعها المدن والممالك المغلوبة . وهي تلقي الكثير من الضوء على احداث ذلك العصر السحيق . ومن بين تلك المدن (حمص) ، وايمات (حماة) ، وديماشكي (التي يرجح انها دمشق الحالية) . وثمة مدن اخرى قديمة هي ماري (تل الحريري) ، وقد ثبت ان جزيتها بلغت ١١ الف جنيه من الفضة و ٨٨٠ جنيها من الذهب ـ وايمار (على نهر الفرات) وتوتون (ويرجح انها تل البيعة) وكركميش (جرابلس على الفرات) واوغاريت (راس شمرا) وقطنه (تل المشرفة قرب حمص) ، وجبيل على الساحل اللبناني .

ـ وثائق النشاط الثقافي الذي كانت المملكة مسرحا له . ومنها مثلا قواميس تبدو فيها كلمات باللغة الايبلائية ـ وقد كانت تكتب من اليسار الى اليمين ـ على ما يقابلها من كلمات في اللغة السومرية .

ـ وتشكل هذه الوثائق اقدم قواميس اكتشفت في العالم . ومن مفردات لغة أهل ايبلا نجد كلمات ما تزال حية في العربية الى الان ، مثل : كتب، وملك ، ويد . وأسماء مزروعات مثل : قمح وجزر وتين كان ينطق تينو . وكلمة مائة عندنا ، كانت عند اهل ايبلا «مية» . ومن الطريف انه تم العثور على لوحات تضم تمارين مدرسية . كل لوحة تحمل اسم الطالب الذي كتبها ، مع توقيع استاذه ، وتوقيع « عميد المعهد » ، ويمكن

اعتبار هذه اللوحات اقدم وثائق تشهد على التدريس وجدت حتى الان في العالم . »

ـ اخيرا كشفت الوثائق عن اسماء ملوك سلالة بكاملها في ايبلا . وهؤلاء الملوك هم : اجريشي ـ حلم ، ار ـ ان ـ نوم ، ايبريوم (يقال انه ابراهيم) ، ابي ـ سيبيش ، دوبوحو ـ عدا ، اركب ـ رامو (الذى يظن انه آخر ملوك السلالة) . وكان الملك الثالث الذى يدعى ايبريوم معاصرا لسرجون الكبير ، ملك اكاد في الرافدين . وقد جاء ذكر اسم ايبريوم هذا في احد النصوص التجارية من سجلات ايبلا .

هذه بعض نتائج القراءة الاولية لخمسة عشر الف لوح عثر عليها في الجزء الذى كشف عنه من مملكة ايبلا . فما بالكم بما يمكن أن يكتشف بعد قراءة كل الالواح . وما الذى يمكن العثور عليه عندما تتم الحفريات لتشمل بقية التل ، والمملكة كلها ؟ .

البروفسور جيوفاني بيتيناتو ، عضو البعثة الايطالية واستاذ اللغات القديمة ، الذى تولى قراءة الاواح .

●

طالت الرحلة الى تل مرديخ . وهى طويلة بالفعل ، فقد قطعنا بالسيارة ٣٠٠ كيلومتر الى الشمال من دمشق لنصل الى موقع مملكة ايبلا . عند الظهر كنا هناك . اعترض طريقنا ابو احمد حارس المملكة . وطلب منا اذنا مكتوبا بدخولها. لان التعليمات المشددة التى لديه تمنع دخول اى شخص ما لم يحمل هذا الاذن المكتوب ، « حتى ولو كان مدير المديرية ذاته » . قلت له أن بعثتنا تضم مندوبا لوزارة الاعلام ومندوبا لمديرية الاثار.ووجودهمابمثابة تصريح ضمنى بالدخول . سد الرجل الطريق بقوامه الفارع ، ووقف أمام مقدمة السيارة ، وقال بصوت حازم ، اما الاذن والا فلا !

لم تجد معه محاولات التفاهم والاقناع . وهو معذور بكل تاكيد . فالصحفى لم يعد يستطيع أن يدخل مصلحة حكومية في الوطن العربى الا باذن . فما بالكم اذا كان الهدف هو مملكة كاملة . ديوان وقصر وبلاط ومعابد وكهنة . مملكة لا ككل الممالك،ولكنها ذات سلطان وهيلمان، وشان وشنشان ، جار عليها الزمن هذا صحيح . هزمت على يد الاكاديين هذا صحيح . أحرقت وتهدمت صحيح ايضا . لكن للممالك حرمة تبقى، وللملوك قدرا لا يندثر .

لم يغير ابو احمد رأيه الا بعد ان استعنا بقائد قوة الامن الداخلى في تل مرديخ . عندئذ فقط تزحزح عن موقعه وسط الطريق وسمح لنا بالدخول .

هذه اخيرا ايبلا ، المدينة وعاصمة المملكةالعظيمة البائدة . الالواح نقلت كلها الى متحف حلب. امامنا اطلال متناثرة وسط التلال السمراء : يقول مرافقى : هذا هو القصر الملكى . من هنا كان يمارس السلطان والهيلمان . يشير باصبعه الى الجدران المهدمة ويضيف : هذه هى باحة القصر التى تحف الاروقة بجوانبها . ويرجح انها كانت بمثابة قاعة الاستقبال الملكية . هذه هى مداخل القصر الثلاثة ، احدها يؤدى الى مصطبة الشرف التى كان الملك يتربع عليها خلال مراسم الاستقبال. هذه البوابة الضخمة هى المدخل الاخر الذى يؤدى الى غرف القصر العلوية .

وككل قصور الملوك ، كانت الجدران سميكة وشاهقة . ما تبقى من جدار قصر ملك ايبلا يصل ارتفاعه الى ١٥ مترا . لكن الجدار لم يحمه من شيء . لا من الهزيمة على ايدى الاكاديين ، ولا من الزمن .

قضينا ثلاث ساعات بين انقاض المملكة التى تحولت الى خرائب ، تنمو على جدرانها النباتات البرية وتمرح فيها الحشرات والافاعى ، وبالكاد يجد فيها الرعاة بعض الحشائش التى تغذى اغنامهم .

هنا يتجسد الفناء ، ويصدق القانون الازلى . ولا احد يعتبر !! ■■



لوحة « في الحديقة » رسمها رينوار عام ١٨٧٥

«في الحديقة»

رينوار

رسمها عام (١٨٧٥)

بقلم : صبحى الشاروني

■ ولد « بيير أوجست رينوار » في «ليموج » بفرنسا عام ١٨٤١ ، لابوين من الطبقة الكادحة ، فقد كان ابوه خياطا . وكذلك جده .. فهو ينتمى الى عائلة من الحرفيين ، وقد انتقلت عائلته الى باريس عام ١٨٤٥ وهو لم يتخط الرابعة من عمره . وعندما بلغ الثالثة عشرة كان يتحتم عليه في سن مبكرة ان يكسب رزقه بنفسه ، فاختار ان يعمل في مصنع للقيشاني كرسام على الاواني ومزخرف لمنتجات البورسلين والخزف، وهكذا بدأ حياته الفنية بزخرفة الاطباق بالزهور والثمار والحوريات والمناظر الطبيعية الرقيقة ، على منوال الفنانين السابقين على عصره فى فرنسا .

وكان « رينوار » يريد ان يكون فنانا ، فاعتاد ان يقضى وقت فراغه في متحف « اللوفر » وغيره من متاحف باريس ومعارضها ، مدخرا كل فرنك يستطيع الاحتفاظ به لكى يشق طريقه بنفسه بعد ذلك . فلما بلغ سن الحادية والعشرين قرر تكريس حياته للفن تكريسا تاما وكان قد بلغ من الحذق والمهارة في صناعته مبلغا لا يدانيه فيه أحد .

والتحق بمدرسة الفنون الجميلة وبمرسم استاذ الفن « جليير » ليتعلم أصول فن التصوير الزيتى على الاسس الكلاسيكية ، وهناك التقى بزملائه الذين اشتركوا معه في تاسيس جماعة « التاثريين » الفرنسيين : « كلود مونيه » و «الفريد سيسلى» و «بازيل» .وكان يرافقهم في رحلاتهم للرسم عن الطبيعة في الهواء الطلق ، حيث ذهبوا سويا الى غابة « فونتنبلو » ، وكان رينوار يتفوق عليهم جميعا فى الرسم بسبب المهارة التى اكتسبها في مهنته السابقة كرسام على الاوانى الخزفية ، وقد شارك باولى لوحاته في « صالون باريس » عام ١٨٦٦ ، حيث كان متاثرا بالاسلوب الواقعى وباعمال فنانى القرن الثامن عشر .. ولكنه في عام ١٨٦٨ رسم اول لوحة تتضمن مميزاته الفنية التى عرف بها وميزت شخصيته في الرسم بعد ذلك .

كانت جماعة « التاثريين » التى اقامت اول معارضها الجماعية عام ١٨٧٤ ، تمثل ثورة على الفن الرسمى الذى فرضه رجال « اكاديمية الفنون الجميلة » على الحياة الفرنسية .

لقد عارض « التاثريون » فكرة اعتماد فن التصوير الزيتى على الرسم بالخطوط الواضحة المؤكدة والمحددة للعناصر المرسومة .. وفضلوا عليها استخدام اللمسات اللونية الصافية غير الممزوجة والموضوعة على قماش اللوحة بحرية دون اخفاء هذه اللمسات او دمجها ، في محاولة لنقل تاثرهم بالاضواء المنعكسة عن العناصر التى يرسمونها ، دون تحديد للخط الخارجى المحدد لهذه العناصر .. ويتعرف المشاهد على الاشكال من خلال الوانها واضوائها وانعكاسات لون كل عنصر على العناصر المجاورة له .. هذا دون

الاهتمام بموضوع اللوحة ، فقد اعتبروا كل شيء في الطبيعة يمكن ان يكون موضوعا لفن التصوير ٠

ومن الصعب ان نحدد اليوم هل كان «كلود مونيه » هو الذي اكتشف التاثرية اولا وطبقها في لوحاته ام سبقه في ذلك « رينوار » لاننا اذا قارنا بين اعمالهما خلال الفترة من عام ١٨٦٩ حتى ١٨٧٤ ، لما استطعنا تحديد أيهما أسبق من الآخر في استخدام الوان « قوس قزح » وحدها في الرسم ٠

وفي عام ١٨٦٥ عندما بدأت نذر الحرب البروسية الفرنسية التحق « رينوار » بالجيش وظل مجندا الى ان انتهت الحرب ، ولكن بمجرد ان وضعت الحرب اوزارها عاد الى باريس مع بداية حكومة « الكوميون » ٠ وبعد ان استقرت الامور عاد بقية الرسامين الى باريس واحدا بعد الاخر ، وعاد « رينوار » وزملاؤه « سيسلي » و « بازيل » و «مونيه» الى رحلاتهم للرسم على شواطيء نهر « السين » ٠ ثم على شاطيء البحر ٠

وقد تميز رينوار عن الاخرين بميله الى تصوير الاشخاص ،بينما انصرف معظم زملائه الى رسم المناظر الطبيعية ، كما كان اشد اهتماما باشاعة البهجة في لوحاته ، فالالوان الصافية وتلالؤ الاضواء ليست عنده غاية في ذاتها ، وانما وسيلة لبناء الشكل الذي يتميز في لوحاته بالليونة والبهجة واللطف ، بينما لم تعد المناظر الطبيعية عنده ألا حاشية بهيجة تحيط بما يرسمه من نساء واطفال ٠

وكان رينوار قد لقي نجاحا كبيرا في صالون عام ١٨٧٩ ، مما دفعه الى زيادة الاهتمام بدراسة أعمال أساتذة الفن السالفين في متحف اللوفر ٠٠ ثم سافر الى ايطاليا لمشاهدة آثار « رافاييل » وروائع قصر الدوق ٠

لقد تأثر رينوار اكثر من غيره بالتصوير الفوتوغرافي فكانت بعض لوحاته عبارة عن مناظر مقتطعة بواسطة أطار اللوحة من منظر اكثر اتساعا ، تماما كالصورة الفوتوغرافية التي تلتقط جزءا من المشهد يحدده الاطار اعتباطا ، ولكن معظم لوحاته ذات تكوين متماسك ٠٠

لقد استطاع ان يبيع لوحاته بسعر مائة فرنك للوحة الواحدة ٠٠ بمساعدة مقتني اللوحات « فوكيه » والناشر « ساربنتين » وان يشق طريق النجاح وحفزه ذلك على الاستقلال والخروج تماما على جماعة التاثريين ، ووقف في وجههم يعارض فلسفتهم الطبيعية ٠ ويقول : (ان تعلم الفن لا يتاتى بتامل الطبيعة ، انما بتامل روائع الفن في المتاحف ٠)

وقد توطدت مكانة رينوار بعد ان أقام معرضا شاملا لاعماله عام ١٨٨٣ ضم نحو ٧٠ لوحة من ابدع انتاجه ٠

وكان في وسع هذا الفنان عندما وصل الى سن الثانية والاربعين ، ان يستمر بقية حياته في الرسم على نفس المنوال « التاثرى » الذى حقق له النجاح ، ولكنه ما لبث ان خامره الشك في قيمة هذا الاسلوب الذى يضحي بصلابة الاشكال وبفتتها من اجل اقتناص الضوء الساقط عليها ٠٠ فانتقل الى مرحلة يطلق عليها اسم : « المرحلة الجافة » ٠ وفيها حاول اتباع تعاليم رائد الفن الكلاسيكي « انجر » المتعلقة باعطاء الاولوية والهيمنة للخطوط بدلا من الالوان في فن التصوير ٠٠ وفي اعمال هذه المرحلة التي امتدت لخمس سنوات ، نجده يعتني اشد العناية بتحديد الاشكال وتجسيمها وتدعيم بنائها ، على غير عهدنا به في لوحاته التاثرية السابقة ، التي تظهر فيها الاشكال لينة رقيقة وسط غلالة من الالوان الزخرفية الباهتة ٠ ولكنه عاد في عام ١٨٩٠ الى اسلوب اقرب الى « تاثريته » السابقة ، بعد ان تغيرت الوانه التي سادها الدفء ، اذ يغلب عليها البني والبرتقالي والاحمر ٠٠ وتتميز لوحات هذه المرحلة الاخيرة بأن معظمها يصور اجسام النساء، وتبدو الالوان وكانها تتفجر بالانوثة ٠

وقد اعتاد « رينوار » ان يقوم برحلات مختلفة داخل فرنسا وخارجها ، ولكنه توقف عن السفر لما تدهورت صحته عندما اصيب بالروماتزم ثم التهاب المفاصل ابتداء من عام ١٨٩٩ ، مما أدى الى شلله طوال العشرين سنة الباقية في حياته (توفي عام ١٩١٩) ، الا ان هذا الداء بدلا من ان يقعده عن العمل ، قد حفزه الى الانتقال لمرحلة جديدة تتميز بالعنفوان والقوة ٠ فاذا كانت لوحاته التاثرية الاولى رقيقة كانها العصافير المغردة ، فان مرحلته الاخيرة تذكرنا بضخامة

التماثيل وجسامتها ، هذا رغم انه اضطر الى ربط فرشاة الالوان بين اصابعه العاجزة عندما كان يرسم من فوق مقعده المتحرك .

ومع ذلك فليست كل اعمال رينوار تتمتع بتماسك التكوين ، فهو لم يكن من المصورين « المهندسين » الذين يقيمون بناء لوحاتهم على أسس محسوبة ، انما تتميز لوحاته بما يتوفر فيها من حساسية ورقة والوان مبهجة ، لاهتمامه بتوضيح الاختلاف بين اسطح الاشياء المرسومة وملامسها ، وعلى الاخص : الاجسام الانسانية وتيجان الازهار ، فبشرة اجسام النساء والاطفال فى لوحاته نحس لها ملمسا « قطيفيا » يشبه ملمس اوراق الورد .. ونجده فضلا عن ذلك قد صور الوان الحياة اليومية ومرحها وخصائصها .

وتعتبر لوحة « فى الحديقة » ، التى رسمها عام ١٨٧٥ ، نموذجا يعبر افضل تعبير عن مرحلته التاثرية المبكرة ، وتبلغ مساحتها ٨١ × ٦٥ سم وهى معروضة حاليا فى متحف « بوشكين » بموسكو ، وتعتبر من اجمل اعماله .

انها تصور مجموعة من الشباب يستريحون فى مقهى من المقاهى المنتشرة بحدائق باريس .

ونجد ان الخط الخارجى ، المحيط بمجموعة الاشخاص المرسومين ووجوههم ، يبدو مبهما ، ومتداخلا مع الخلفية التى تصنعها اشجار الحديقة .. ومع هذا نلاحظ ان الفنان قد نجح فى اعطاء المشاهد تاثيرات شاملة ومختلفة لكل عنصر من العناصر المرسومة .. بحيث تدرك الاشكال ادراكا غير محدد بطريقة قاطعة ، والفنان يراعى الشفافية وانعكاسات الاضواء ، وخاصة الناتجة عن اللون الاخضر العام فى الحديقة ، ثم يتلاعب بالثغرات المضيئة التى تتخلل فروع الاشجار ويجعل هذه النقط المضيئة تسقط على الوجوه والملابس ، فتعطى للفنان حرية التلاعب بها كلما اسقطها على احد العناصر فتضىء الوانه ، اما الالوان الرئيسية فى بؤرة اللوحة فهى تعطينا الاحساس بان الاضواء تتحرك وتتراقص فى المشهد الطبيعى المحيط بها ، وكانها ترديد لذلك الحوار الحى بين هؤلا الشباب . ■■

القاهرة ــ صبحى الشارونى

■ كن جميلا تر الوجود جميلا .

(ايليا ابو ماضى)

■ لنلعب ، فان الزمن نفسه لعب ، اما العمل فهو الغبار الذى ينعقد بمرور الزمن .

(تاجور)

■ النساء يعانين آلاما شديدة عند الوضع ، ولهذا تحب كل امرأة طفلها .

(يوربيدس)

■ المتردد لا يسير بمقتضى رغباته ، بل بمقتضى ما يفرضه منها لنفسه عند اضطراره للعمل .

(جستاف لون)

■ المعرفة كنز ، يتبع صاحبه اينما ذهب .

(مثل صينى)

جاك بريفير

شاعر الحياة اليومية

■ عندما شرعت في كتابة اول مقال عن الادب الفرنسي لمجلة « العربي » ، كان الشاعر الفرنسي جاك بريفير (١٩٠٠ ـ ١٩٧٧) اول من فكرت فيه ، لا ادري لماذا ، ربما لان القارىء العربي الف سماع اسمه من خلال المقارنات التي عقدت بينه وبين الشاعر العربي نزار قباني . لكن وفاة الكاتب الكبير اندريه مالروا فرضت نفسها علي فرضا آنذاك ، وتركت بريفير . لكن ها انذا اعود الى الحديث عنه .. لانه قد رحل عنا هو الآخر منذ بضعة اسابيع .



بقلم : الدكتورة سامية أحمد اسعد

فالشاعر جاك بريفير من الكتاب الذين تركوا بصماتهم على الشعر الفرنسي الحديث ، وتميزوا بالاصالة والابتكار . واذا كنا نقصر حديثنا على الشاعر ، فهذا لا يعني ان بريفير ابدع في مجال الشعر فحسب . فلقد احتل مكانة بارزة في عالم السينما مثلا ، حيث كتب سيناريو بعض الافلام التي تعد حاليا من الافلام الفرنسية الكلاسيكية. والمؤرخ ج . بيكون ، صاحب « بانوراما الادب الفرنسي الجديد » من اكثر الذين اجادوا الحديث عن بريفير ، ووقفوا على السمات المميزة لفنه



وكتاباته . ولعل هذا هو ما دفعنا الى الرجوع اليه في حديثنا عن الشاعر الراحل .

لا يمكن مقارنة شعر بريفير باى شعر آخر . فالقارىء يشعر اذ يقرؤه انه امام لغة جديدة تخاطب ، وخاطبت بالفعل جمهورا عريضا . ومن اشهر دواوين بريفير ذلك الذى يحمل هذا العنوان المعبر « كلمات » (١٩٤٦) ، يليه ديوانان آخران : « عرض » (١٩٥١) ، و « المطر والجو الجميل » (١٩٥٥) . ويقول ج . بيكون : « لا بد ان نقرر ان جاك بريفير هو الشاعر الوحيد الاصيل الذى عرف كيف يتخطى حدود الجمهور المتخصص » ، ويؤكد الناقد تييرى مونييه انه « يستحيل وجود شاعر شعبى فى فرنسا » واذا تساءلنا اليوم عما اذا كان صاحب ديوان « كلمات » هو ذلك الشاعر الشعبى ، ادركنا مدى اهمية بريفير ومكانته فى الشعر الفرنسى الحديث.

حدثنا فى تلقائية

كتب بريفير قصائد سهلة فى متناول الجميع ، لا تبحث عن دقائق النحو واللغة ، لاغموض فيها ولا ابهام ، اخذت عن السيريالية التى تأثرت بها بلا شك الابتعاد عن الحديث التقليدى . وتحدث الينا اكثر مما كتب لنا، بل ان كثيرا من قصائده كتب لكى يقرأ بصوت عال على طريقة الرواة القدامى . حدثنا فى تلقائية عن غضبه ، وفرحه، ومشاعره ، بدون ان يخفى ما يود ان يقوله لنا وراء العبارات والصور الغامضة .فتح لنا قلبه، اذا جاز القول ، واسر لنا بكل ما فيه . ابتعد عن الاشكال الزائفة المصطنعة . نزل بنا الى الشارع ، وخاطب الشعب بلغته ، لغة بعيدة عن لغة النحاة ، تتميز بالشباب الدائم والقدرة على الابداع . وهكذا ، « عثر مرة اخرى على كافة الاشكال الغريزية التى افضى اليها الناس

البسطاء باحزانهم وامالهم ، منذ قرون » (ج . بيكون) . تحدث بريفير كابنـاء الشـعب ، عن موضوعاتمستمدة من عالم الواقع، عالم الحقيقة، عالمنا الحديث . وعبر عن ابسط اشكال حياتنـا وامورها . واستلفت نظره ما يستطيع ان يراه كل منا : حادثة ، حركة عابـرة ، ما يدور وراء نافذة مضيئة ، حوار رجل وامـراة ، الخ ... حدثنا عن « الماء الجاري ، والليـــل الساجي ، والعشاق الذين يتبادلون القبلات في الظلام ،.. والعاصفة القادمة .. والعجوز الذي يتذكر انه كان سعيدا » ... وعندما تنزه في الشـارع ، نقل لنا ترابه ، وشمسه ، ونساءه ، وروائحه ، الخ .. وتعاطف مع المارين فيه ...

قال بريفير « انا لم اكتب كلمة الحقد ابدا ».. لكنه ، مع‌هذا ، شاعر هجائي كبير ، كتب « عشاء الادمغة » ، ذلك النص الذي لا نكاد نجد نظيرا له في الادب الفرنسي كله ، نص يمزق فيه الشاعر الاقنعة التي تخفي وجوه القضاة ، والبابوات ، والجنرالات ، والاساتذة ، وكل من يمنع حيـاة الانسان من ان تكون حوارا غنائيا بسـيطا ... لان بريفير مؤمن‌بان الانسان جعل للفرح والسعادة. الا ان هناك مؤامرة دائمة تدبر ضد هذه‌السعادة، وعلى عاتق الشاعر تقع مهمة فضحها . ونقـول مع ج . بيكون ان شعر بريفير « شعر يصـــادق الطيور والزهور ، والاطفال والنساء ، والقدرة على التمرد التي يحملها لا تضل في رمال المرارة الجدبة ، وانما تختلط بالنهر الواسـع الجاري نحو الفرح والحرية » .

الكلمة الآن للشاعر ....

افطار الصباح

وضع القهوة
في الفنجان
وضع الحليب
في فنجان القهوة
وضع السكر
في القهوة والحليب
بالملعقة الصغيرة
قلب
وشرب القهوة والحليب
ثم وضع الفنجان ثانية
بدون ان يكلمني
اشعل
سيجارة
ورسم دوائر
بالدخان
وضع الرماد
في المنفضة
بدون ان يكلمني
بدون ان ينظر الى
نهض
وضع
قبعته على رأسه
ارتدى
المعطف الواقي من المطر
لان السماء كانت تمطر
وذهب
تحت المطر
بدون كلمة واحدة
بدون ان ينظر الى
وانا اخذت
رأسي بين يدي
وبكيت .

« كلمـــات »

اغنية لك
الى فلورنس

شعر اسود شعر اسود
تداعبه الامواج
شعر اسود شعر اسود
تحله الرياح
ضباب ايلول
يطفو وراء الاشجار
الشمس ليمونة خضراء
والبؤس
في عربته الخالية
يجرها ثلاثة اطفال شقر
يمر عبر الانقاض
ويذهب في اتجاه البحر
شعر اسود شعر اسود
تداعبه الامواج
شعر اسود شعر اسود
تحله الرياح

مع براميله الحديدية
وبقايا الاسمنت المسلح
يرقد طوف امارة البحر
ساكنا بلا حراك على الصخر
كالكلب الميت
واقدامه مرفوعة فى الهواء
شعر اسود شعر اسود
تحله الامواج
شعر اسود شعر اسود
تداعبه الرياح
الشمس
ليمونة خضراء يحملها الزمان
صوت عروس البحر
صوت طفلة

« المطر والجو الجميل »

لكي ترسم صورة عصفور

ارسم اولا قفصا
له باب مفتوح
ثم ارسم
شيئا ظريفا
شيئا بسيطا
شيئا جميلا
شيئا مفيدا
للعصفور
ثم اسند اللوحة على شجرة
فى حديقة
او فى غابة
واختبىء خلف الشجرة
ولا تقل شيئا
ولا تتحرك ...
وعندما يصل العصفور
اذا وصل
الزم اعمق الوان الصمت
وانتظر حتى يدخل فى القفص
وبعد ان يدخل
اغلق الباب بالفرشاة فى هدوء
ثم
امح القضبان كلها واحدا واحدا
واحرص على الا تمس ريشة واحدة
من ريش العصفور
ثم ارسم صورة الشجرة
واختر اجمل اغصانها
للعصفور
وارسم ايضا الاوراق الخضراء ونسمة الهواء
وغبار الشمس
وصوت حيوانات الحشائش فى حر الصيف
ثم انتظر حتى يقرر العصفور ان يغنى
واذا لم يغن
كان ذلك فالا سيئا
ودليلا على ان اللوحة رديئة
لكنه اذا غنى كان هذا فالا حسنا
ودليلا على انك تستطيع ان توقع
عندئذ انزع ريشة من جناح العصفور
بمنتهى الهدوء
واكتب اسمك فى ركن من اللوحة

« كلمـــات »

اضرار الرقة

اشترى رجل جريدة ثم القاها ، وكان بالكاد قد تصفحها ، وجرى شخص وراءه ولحق به ـ سيدى ، سقطت الجريدة منك .

قال الرجل : شكرا

واستطرد الآخر وهو يبتعد : عفوا ، هذا اقل شيء ..

لم يجرؤ الرجل على القاء الجريدة مرة اخرى .. وقراها ... وبمنتهى الوضوح ، وقف على خبر يغير مجرى حياته .

ثارت اعصابه ، احس انه مطـــارد ، لم يعد يعرف اين هو ، ســـال احد المارة عن سبيله . وتوقف المـــار ، وبرقة وفرح ، وصف له طويلا السبيل الذى عليه ان يسلكه : انه قريب جدا ، على بعد خطوتين .

تذكر الرجل فجاة : ليس هذا طريقى ابدا ،بل انه فى الاتجاه المضاد تماما . لكن الاخـــر الذى ابتعد التفت وابتسم ، وسلك الرجل الســبيل الذى وصفه له المار .

لا يمكنه ان يفعل شيئا آخر ، مطلقا لا يمكنه ان يجرح هذا المار اللطيف .

وها هو ذا قد ضل في متاهة لا معقــولة ، وسجى الليل والتقى بامرأة لم يرها منذ خمس ســنوات . ونقــل اليها الخبر الذى قراه في الجريدة ، فاجهشت بالبكاء ، وارتمت بين ذراعيه وانقض الشــقاء عليهما ، مثلمــا في الماضي بالضبط . لم يعد الرجل والمراة ، مرة اخرى ، سوى كائنا واحدا تعذبه اخطاؤهما .

« عرض »

زمن النوى

ليكن في علمكم ايها العجائز
ليكن في علمكم يا ارباب الاسر
ان الزمان الذى كنتم تعطون فيه ابناءكم للوطن

كما يعطى الخبز للحمام
هذا الزمان قد ولى
اذعنوا للامر
انتهى الامر
لن يعود زمن الكرز بعد الان
ولا زمن النوى ايضا
لا جدوى من الانين
من الافضل ان تذهبوا للنوم
تكادون تسقطون لفرط حاجتكم اليه
كفتكم حديث الكى
سيمر بائع الرمال بعد قليل
اعدوا اربطة ذقونكم
اسبلوا جفونكم
سيحملكم بائع القمامة بعد قليل
انتهى زمن الفرسان الثلاثة
وها هو ذا زمن منظفى المجارير
عندما كنتم تسألوننا بأدب
وابتسامة طيبة
نتطتان افتح القوس
هل تنزل في المحطة القادمة
ايها الشاب
كنتم تتحدثون عن الحرب
لكنكم لن تلعبوا علينا لعبة الاب الفرنسى بعد الان

لا يا كابتن
لا ياسيد فلان
لا يا بابا
لا يا ماما
لن تنزل في المحطة القادمة
والا انزلناكم قبلنا
سنلقى بكم من الباب
هذا عملى اكثر من المقابر
واكثر مرحا
واسرع
وارخص
عندما كنتم تقترعون بالقش
كان النوتي الصغير هو الذى يؤكل دائما
لكن زمن الغرق السعيد قد ولى
عندمايسقط الاميرالات في البحر
لا تعتمدوا علينا فيالقاء اطواق النجاةلهم
اللهم الا اذا كانت من حجر
او من حديد كحديد المكواة
عليكم بالاذعان للامر
زمن العجائز الشيوخ قد ولى
عندما كنتم تعودون من العرض
حاملين اطفالكم على اكتافكم
كنتم سكارى بدون ان تشربوا شيئا
وكان نخاعكم الشوكى
يجرى في فخر وجنون
امام ثكنات لا يبيينير
كنتم تحركون اعناقكم
عندما كان يمر المدرعون الابهياء
وكانت الموسيقى العسكرية
تدغدغكم من قمة الرأسالى اخمص القدم تدغدغكم
والاطفال الذين كنتمتحملونهم فوقاكتافكم
تركتموهم ينزلقون في الوحل ذى الالوان الثلاثة

في طين الموتى
وانحنت اكتافكم
لا بد للشباب ان يمضى
وتركتموه يموت
ايها الرجال المبجلون الموقرون
تلتقون
في حيكم
وتتبادلون التهانى
وتتجمدون

وا أسفاه وا أسفاه يا مسيو بابيلاس
كان لي ثلاثة ابناء اعطيتهم جميعا للوطن
وأسفاه وا أسفاه يا سيدى العزيز من الاثنين
لم اعط انا الا اثنين
يفعل المرء ما يستطيع ...
يا لمصيرنا ...
اما زلت تشكو من المفاصل
الدمعة فى العين
مخاط الحداد الزائف
الشريط الاسود على القبعة
القدمان فى الدفء
تيجان الموتى
والثوم فى فخذة اللحم
هل تذكرون ما قبل الحرب
ملاعق الابسنت والعربات ذات الجياد
ومشابك الشعر
والانسحاب على ضوء المشاعل
آه لكم كان هذا جميلا
كانت اياما حلوة
اصمتوا ايها العجائز
كفوا عن تحريك السنتكم الميتة
بين اسنانكم المصنوعة من العاج الزائف

زمن عربات الشعر
زمن مشابك الجياد
هذا الزمن قد ولى
على اليمين اربعة اربعة
اجمعوا عظامكم البالية
عربة السجن
عربة نقل الموتى الاغنياء تقدمت
يا ابن سان لويس اصعد الى السماء
انتهت الجلسة
سيلتقى كل هذا الحشد الجميل هناك فوق بالقرب من رب جنود الشرطة
فى فناء المخزن الكبير
الى الوراء يا جدى
الى الوراء يا ابى وأمى
الى الوراء يا اجدادى
الى الوراء ايها العسكريون العجائز
الى الوراء ايها المرشدون العجائز
انتهت الجلسة
سيبدأ العرض
الان من اجل الاطفال

■■

« كلمات »
د. سامية احمد اسعد
بغداد ـ الجامعة المستنصرية

■ لماذا تبقى حبيس بيتك ؟ انطلق الى العالم الخارجي الذى صنع من البذل السخي الذى تفيضه الشمس والقمر والنجوم . لابد أن تستمتع به لتعرف حجة الله في الاغضاء عن هذا الكرم او هذا الاسراف .

(تاجور)

■ من المتعذر الحكم على مشاعر الانسان بما يأتيه فى أمر معين ، فالمرء فى حال ليس هو هو فى جميع الاحوال .

(جستاف لوبون)

■ للذهب ثمن ، ولا ثمن للحكمة .

(مثل صيني)

■ « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم · لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم،ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم،واللهغفور حليم» ·

(قران كريم)

■ اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واياكم الفحش ، فانه لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم والشح ، فانما اهلك من كان قبلكم الشح : امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا ·

(حديث نبوي)

■ احسن الى من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن اسيره ·

(الامام علي)

■ لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر ، والاقدام قتال

(المتنبي)

■ اذا امكنك امرؤ من ان تسدى فضلا اليه كان فضله عليك اكبر ·

(عمر بن عبد العزيز)

■ ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم ·

(زهير بن ابي سلمى)

■ الفلسفة تنتصر على شرور الماضي ، وشرور المستقبل، ولكن تهزمها شرور الحاضر ·

(لارشفوكو)

■ ما اسعد الشعراء ، كلماتهم تنطق العواطف في جميع القلوب ، وقلوبهم تحقق صدور السعداء فتطربهم وصدور التعساء فتبكيهم ·

(مكس ملر)

■ اتق الاحمق الا تصحبه انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا حركته الريح وهنا فانخرق

(مسكين الدارمي)



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة

نخبة من الاطباء

مرض الرعاش

● رغم انني قاربت على الخمسين الان صحتي جيدة ولا اشكو من شيء الا من رعشة في يدي واخرى في راسي ٠٠ وكاني غير قادر على التحكم فيهما ٠٠ وقيل لي ان هذه الحالة اسمها الرعاش، فما هو الرعاش وما هي اسبابه ٠٠ وهل من علاج لوقفه ؟

ـ مرض الرعاش يصيب الانسان فى السن ما بين ٥٠ ـ ٦٠ سنة فيقوم المصاب بحركة غير ارادية فى الاطراف العلوية والسفلية ، وربما امتد المرض الى الرأس فيقوم بتحريك رأسه الى جهات مختلفة ـ وتزداد هذه الحركات بالاضطرابات النفسية او مع الاجهاد ـ وتختفى هذه الحركات عند النوم وعند التحكم فيها ٠٠

والسبب فى ذلك يرجع الى حدوث اضطراب فى خلايا فى قاع المخ اما لتآكلها او لقلة وصول الدم اليها ، اوبسبب التهاب أو ورم بجوارها ٠

وهناك اسباب اخرى تؤدى الى الرعاش منها استعمال بعض الادوية التى تؤثر على هذه الخلايا من ذلك السرياسيل ـ اوالتسمم بغاز اول اوكسيد الكربون ٠ والعلاج فى هذه الحالات جميعا يحتاج لوقت طويل ، وهناك انواع عدة من الادوية تؤثر فى بعض الحالات لكنها تحتاج للمتابعة الطبية لزيادة كميتها اوتغييرها عند الحاجة من ذلك مركبات الارتين Artane ـ اوالكوجانتين Cogentin ، اومركبات البلادونا ـ او المركبات المسماة Antihistamine ،مثل البنادريل Benadryl ، وغير ذلك مركبات كثيرة ـ على انه فى كل هذه الحالات لا بد وان يراعى الطبيب والمريض انه عند تغيير الدواء اوالتوقف عن استعماله ان يكون ذلك تدريجيا ٠

ولقد ظهر حديثا مركب يسمى الدوبا L.Dopa ، ووجد ان له فعالية فى بعض الحالات ، ولوجود مضاعفات اثناء استعماله لا بد وان يستعمل فى بادىء الامر تحت ملاحظة الطبيب فى بعض الحالات والتى يكون فيها المريض متمتعا بصحة جيدة ويكون المرض محدودا فى جزء من الجسم، وقد وجد ان اجراء عملية جراحية حول منطقة الخلايا الواقعة فى قاع المخ ربما حسنت هذا المرض وقللت او ازالت هذه الحركات اللاارادية والتيبس الذى يعترى الاطراف و يصحب مثل هذه الحركات٠



دمـوع الرحم

● اعاني من مغص والام شديـدةاثناء الدورة الشهرية وبعدها ايضا ، وفي بعض الاحيان يصيبني الاغماء من شدة الالم بالرغم من ان عمري دون العشرين ، واتمنى احيانا لو ان هذه الدورة لا تاتي مطلقا حتى استريح من هذه الالام ٠٠ فهل من علاج ؟

ـ الام الطمث لدى المرأة معروفة منذ الازل ، واسبابها كثيرة ومتعددة ، فالرحم يعد العدة اياما طويلة لاستقبال البويضة الناضجة التى تهبط من المبيض مرة واحدة فى منتصـف الدورة الشهرية ٠ وبعـد الزواج وعند حدوث الحمل يكون الرحم مستعدا لاستقبال الكرة الجنينية ، وقـد اعد لها وسادة سميكة من الغشاء المبطن للرحم حتى تنمو ، وتكون جنين المستقبل٠ اما فى حالة عدم حدوث الحمـل اوعنـد الفتيات قبل الزواج فان الرحم يضطر الى التخلص من هذه الوسادة المخاطية بـأن يلفظها للخارج على هيئة الطمث المعروف ويطلق عليه بعض العلماء اسم «دموع الرحم» لعدم حدوث الحمل المنتظر ، وبالطبع فان هذه العملية ضرورية حتى يبدأ الاستعداد من جديد للبويضة التالية التى ستظهر فى الشهر الثانى ٠٠ وهكذا ٠

اما بخصوص هذه الآلام فقد تنشأ عن بعض الاسباب فى الجهاز التناسلى ذاتـه او نقص فى نمـو الرحم ـ لـدى بعض الفتيات ـ وهناك اسباب عامة منها الضعف الشديد ، واحيانا قد تبالغ الفتاة ذاتها فى تصوير شدة الالم ٠٠ ويمكن العلاج بواسطة المسكنات المعروفة لتخفيف الالم عند حدوثه الى ان يتم نمو وتطور الرحم مع مرور الوقت حيث تقل هذه الآلام أو تختفى مع التقدم فى العمر ٠

الم العصب الخامس فـى الوجه

● يعتريني الم في وجهي يستمر لدقيقة أو اقل ورغـم انني تجاوزت الخمسين من العمر الا ان صحتي تبدو جيدة ٠٠ فما سبب هذا الالم ياترى ؟

ـ يصيب الانسان عادة فى سن الخمسين وما فوقها الم فى الوجه ٠٠ وهذا الالم يسببه العصب الخامس ٠٠ ويظهر علـى شكل الم شديد فى الوجه يأتى بغتة ، فى الشفاه او اللثة او الذقن ٠٠ ويمكث الالم لعدة ثوان او دقيقة او اكثر ٠٠ ثم ان هذا الالم الشديد يعاود المريض فـى فتـرات الليل والنهار ٠٠ ويستمر لعدة ايام او اسابيع ، ثم يختفى فجأة ٠٠ ليعاود المريض من جديد ٠

ويحدث الالم عندما يلمس المريض منطقة تعتبر حساسة ، وكأنها البؤرة التى يشع منها الالم وينتشر ٠٠وهذه النوبات لاتترك اثرا فى العصب ، اى انه لا يحدث فقدنا للاحساس فى العصب ، كما هو الملاحظ فى امراض العصب العضوية ٠

ولا بد فى هذه الحالات من ان يفحص المريض جيدا ، للتأكد من انه ليس هناك مرض عضوى فى الجهاز العصبى ٠

والعلاج يتركـز اولا علـى العـلاج الدوائى ، اذ أنه فى بعض الحالات تختفى هذه النوبات فجأة كما بدأت فجأة ، طالت المدة او قصرت ٠٠ واحدث هذه العقاقير هو المعروف بالتجرتول Tegretol اذ أنه يقلل هذه النوبات ويضعف من حدتها ويقصر من مدتها ٠

اما فى الحالات الشديدة التى لاتستجيب لهذا العلاج ، فلا بد من حقن العصب بالكحول او الفينول ، ليظل المريض فترة طويلة ، ربما امتدت لشهور عدة ، دون حدوث اية نوبة ٠

وتستجيب بعض الحالات لنوع خاص من العلاج الجراحى ، بأن يزال الغطاء الذى يغطى عقدة العصب الخامس ، وفى الحالات الشديدة تقطع الاعصاب التى توصل الالم الى المخ ، وحديثا عرف انه تقطع اعصاب قليلة جدا دون ان يتأثر باقى العصب ، وهذه الطريقة تحدث مضاعفات فى الوجه ، كفقدان الحساسية فى العين وغير ذلك ٠٠ وهى احدث طريقة جراحية لعلاج هذه الحالة فى الوقت الحاضر ٠

الزهرى الوراثى

● انا سيدة متزوجة وعندى ٣ اطفال ، ومشكلتى ان الطفل الاول والثانى اصيبا بضعف البصر وسحابة على العين عند بلوغهما السنة السادسة من العمر ، وافادنى الطبيب ان هذه نتيجة الزهرى الوراثى . فما هو ذلك المرض ، وما هى اعراض الزهرى الوراثى ؟

ـ الزهرى الوراثى هو اصابة الجنين بمرض الزهرى اثناء وجوده بالرحم عن طريق المشيمة ، ولكى تحدث الاصابة لابد ان تكون الام مصابة بالمرض ، وليس من الضرورى ان تظهر على الام المصابة اى اعراض لهذا المرض ، اذ ربما يكون الزهرى فى مرحلته الكامنة ٠

فأعراض الزهرى الوراثى قد تكون مبكرة او متأخرة تبعا لوقت ظهورها ٠

اما الاعراض المبكرة فتظهر فى العامين الاولين من عمر الطفل ، وهى :

١ ـ هزال عام للمولود منذ ولادته حيث يشبه الرجل الكهل ٠

٢ ـ التهاب الاغشية المخاطية للأنف مما يؤدى الى حدوث زكام وافرازات من الانف ٠

٣ ـ التهاب الاغشية المخاطية للحنجرة مؤديا الى بحة الصوت ٠

٤ ـ تضخم البطن نتيجة تضخم الكبد والطحال ٠

٥ ـ طفح زهرى على الجلد على شكل حبيبات وفقاعات فى اليدين والقدمين وربما على الجسم كله ، وكذلك تشققات حول فتحات الجسم مؤدية الى ندبات ٠

٦ ـ انيميا وفقر دم ٠

اما الاعراض المتأخرة فهذه تظهر عند نمو الطفل ، وتبدأ فى الظهور بين عمر ٤ ـ ٦ سنوات وهى :

١ ـ التهاب القرنية والقزحية مما يؤدى الى ضعف البصر وظهور سحابات بالعين ٠

٢ ـ ظهور اسنان (هتشنسون) التى تتميز بتباعد القواطع العليا ٠

٣ ـ التهابات زهرية بالجهاز العصبى مما يؤدى الى حدوث الشلل او ضعف الذكاء وربما فقد السمع والبصر ٠

٤ ـ التهابات المفاصل والعظام ٠

٥ ـ الاورام الصمغية بالاغشية المخاطية مما يؤدى الى ثقب حاجز الانف او سقف الحلق ٠

ولذلك ننصح دائما كل سيدة حامل بعمل تحليل دم للزهرى عند بداية الحمل ، وكذلك يفضل تكرار ذلك فى الشهور الاخيرة للتأكد من خلوها من هذا المرض حرصا على سلامة الجنين ، كما ننصح كل راغب او راغبة فى الزواج بعمل هذا التحليل ايضا قبل الزواج ٠

● قصة من الجزائر :

الرسالة

بقلم : عبدالحميد بن هدوقة



■ دخل الزوج الى البيت وعلائم الاعياء بادية على حركاته ، فعلق عصاه بمسمار في الحائط ، ونفض ما تساقط عليه من ثلج وهو عائد من القرية المركزية ، ثم اتجه الى زاوية البيت حيث نار الموقد تبتسم تحت لحاف الدخان الذى يغطيها.

وكانت الزوجة العجوز جالسة هناك ، متشغلة بالنظر الى السنة النار تتبعها اذ تعوج واذ تستقيم، غير مبالية بدخول زوجها ، كما لو أنها في حديث روحي مع النار لا تريد قطعه ، أو أن السنة النار المترنحة بين الاعوجاج والاستقامة الهمتها بان ما يشغل البال في هذه الحياة ان هو الا اعوجاج عارض لا يلبث ان يستقيم !

جلس الشيخ الزوج قبالتها بالقرب من الموقد وراح يسخن يديه اليابستين على النار ، يفرك هذه بالاخرى كما لو انه يغسلهما بالماء . وفهمت الزوجة أن اغتسال زوجها ليديه بنار الموقد لايدل على شدة القر مما تساقط من ثلوج فقط ، بل على العودة خائبا كالمرات السابقة ... هكذا يفعل دائما ، يفرك يدا بيد ويخلل أصابعه ثم يفتح يديه ويقربهما جدا من النار ، ثم ينفضهما ويعيدهما اليه .

انتظرت أن يحدثها عن يومه وما جرى له فيه ، اوعن خيبته من هذا البريد الذى لم يحمل اليه رسالة من ابنهما الوحيد .. الطبيب .. الذى يعمل

يفرنسا ۰۰۰ ولكن الزوج لم ينبس بكلمة فسالته :
ـ هل ذهبت الى البريد ؟
ـ ذهبت ۰
ـ هل الحاج رزقي هناك ؟
ـ هناك ۰
سكتت لحظة ثم استانفت :

ـ الم تات اى رسالة من الطبيب ؟
فاجابها ببرود :
ـ جاءت رسالة ۰
فقالت له لائمة فى شىء من الغضب :
ـ جاءت رسالة ، وتسكت ؟
ـ وماذا تريدين ان افعل ؟



ـ ماذا اريد ان تفعل ؟ أن تتكلم ... انتقول : « جاءت رسالة من عند الطبيب » ! أن تقول ذلك بمجرد دخولك ... ماذا أريد أن يفعل ! يسالني ماذا أريد ان يفعل ... جاءت رسالة ولا يتكلم!

لكن فرحها برسالة ابنها كان اكبر من اللوم واكبر من الغضب ، وسالت :

ـ كيف هو ؟ هل قال لك متى يعود ؟

ـ لم يقل .

ـ هل هو دائما بمكانه السابق ؟

ـ لم يقل .

ـ هل قال لك انه في صحته بخير ؟

ـ لم يقل .

ـ اذن هو مريض ؟

ـ لم يقل .

فاغضبتها هذه الاجوبة الباردة وقالت بتذمر :

ـ وماذا قال لك في رسالته اذن ؟

ـ لم يقل شيئا ذا بال .

ـ هل ارسل الدراهم ؟

ـ لم يرسل .

ـ هل قال لك انه سيرسل عما قريب ؟

ـ لم يقل .

سكت على مضض ، ثم بعد برهـــة قالت في سخط :

ـ ولم ارسل الرسالة اذن ؟

ـ أراد أن يبعث رسالة ففعل .

ـ رسالة بلا خبر ولا دراهم ماذا تعني ؟ لعلك تكذب علي ؟ يقينا انت تكذب علي .. لم تات اي رسالة . الطبيب لا يكتب رسالة بدون أخبار عنه او سؤال عنا ... انت تكذب علي .

اخرج الزوج من جيبه رسالة وهو يقول :

ـ وهذه ، اليست رسالة ؟

فقالت له تستعجله :

ـ ارنيها .

فقال لها بهدوء وفي لهجة حزينة وديعة :

ـ وماذا تفعلين بها ؟

ـ اريد أن اراها .

ـ ولكنك لا تقرئين .

ـ لا يهمك ، وانت هل تقرا ؟

ـ أنا قراتها لدى الحاج رزقي .

ـ قلت لك أرنيها ولا يهمك .

ـ خذيها ...

اخذت منه الرسالة وقلبتها على جميع جهاتها، ثم اخرجت من الظرف الرســالة فراتها مملوءة كتابة من اعلى الى اسفل . ورفعت بصرها نحو زوجها وقالت بغضب وهي تشير الى الرسالة :

ـ كل هذه الكتابة وتقول ، لم يقل شيئا ؟ أتظنني غبية ؟ لو لم يقل شيئا لماذا ملأ الرسالة كتابة ؟

ـ الكتابة الكثيرة لا تعني شيئا .

ـ البياض اذن هو الذي يعني شيئا ! ...

ـ أكثرت عليّ من الكلام الفارغ ...

ـ قل لي ، مــاذا قال لك الطبيب في هـــذه الرسالة ؟

لم يجبها وراح ينظر الى نار الموقد امامه وقد زال عنها دخانها وصفت حمرة جمرها ، فكررت ملحة :

ـ ماذا قال لك في هذه الرسالة ؟

ـ قال ان النار تلد الرماد ..

ـ أتسخر مني ؟ ماذا قال لك ؟

ـ قال ان البحر نشف والبواخر لا تسلك البحر الناشف .

ـ انت تسخر مني يقينا ... او انك تهذي ؟ قل يا رجل ، ماذا جرى لك ؟

ـ ان السنين الطويلة التي عشتها هي التي جعلتني أهذي . عندما تقصر اليد يطول اللسان.

ـ لم افهم ما تقول ... ماذا جرى لك اليوم ؟

ـ لا شيء ، هوني عليك .

ـ لا شيء وأنت تتكلم بهذه الالغاز ؟ ماذا قال لك الطبيب في رسالته ؟

ـ قلت لك الف مرة لم يقل شيئا . لو رايت في الرسالة ما يسر لبادرت باخبــارك بمجرد دخولي .

ـ اذن حملت اليك هذه الرسالة اخبارا محزنة؟

ـ لم تحمل ما يسر ولا ما يحزن .

ـ وماذا قال فيها اذن ، ولم كل تلك الكتابة ؟

ـ الا تسكتين ؟

ـ اتريد ان اسكت ؟ جاءت رسالة من عند ابني واسكت ؟ ياالهي لهذا الشيخ ، يريد مني آن لا اساله عن ابني الذي انقطعت عنا اخباره منذ شهور وشهور ! ....



ذهب الطيب الى فرنسا بعد ان يئس من وجود عمل تكفي اجرته المعاش والسكن • لم يكن يطمع ان يحصل على ثروة فى يوم من الايام من عرق جبينه ، ولكنه كان يرجو أن لا يضطر الى المبيت بغرفة جماعية فى احد الحمامات ، مثل الاشهر التى قضاها بالعاصمة عاملا بأحد المقاهى •

فرنسا لا تعطيه من الاعمال الا أشقها واقذرها كبقية مواطنيه هناك ، ولكنه لن يبيت بالحمام ولن يضطر لانفاق آخر فرنك من أجرته لتسديد حق الاكل والمبيت ••• سوف يستطيع توفير جزء من أجرته لاعانة والديه العجوزين وتسديد ثمن مهر خطيبته وتهيئة الجهاز شيئا فشيئا •••

طبعا كان عزمه مقصورا على العمل فى فرنسا سنتين او ثلاثا فقط • فقد علم مسبقا بكل ما ينتظره هناك من خلال الرسائل التى تبادلها مع ابن عمته ، الذى تكفل بايجاد الشغل والسكن له• كما عرف قبل ان يسافر مقدار الاجرة التى سوف يتقاضاها تفصيلا • فهو سوف يعمل باحد معامل البلاستيك وسوف يسكن مع ابن عمته فى احدى ضواحي باريس الصناعية •

اما خطيبته فتستطيع ان تنتظر ثلاث سنوات حسب ما اتفقت عليه الاسرتان • ثلاث سنوات قد تكون طويلة في المدن ، أما فى الارياف فالزمان لايعد بالايام ولكن بالفصول ، وبما تغله الفلاحة لاهلها سنويا • فاذا كانت السنون عجافا فهى تلغى من الزمن •••

انتظار ثلاث سنوات اذن ليس كثيرا على هذه الخطيبة • سوف تتمكن فيها من تهيئة نفسها ماديا لحياتها المقبلة•فحياتها قبل الخطبة لا تعني شيئا ،اما بعد فهى تعنى كل شيء •سوف تتعلم ممن تقدمنها سنا كيف تكون زوجا رؤوما وكيف تكون شيطانا ايضا اذا لزم الامر • وسوف تتعلم كيف تربط احلامها ومشاعرها بواقع معين ، وبشخص معين في هذه السنوات التى تفصلها عن الزفاف • فأيام الخطبة تشكل بالنسبة اليها برزخا بين حياتين •••

ذهب الطيب الى فرنسا اذن بنية الاقامة ثلاث سنوات على الاكثر ليعود بعدها وقد وفر المهر ، ووفر ما يكفيه ريثما يجد الشغل • انه سوف يعود بعد ثلاث سنوات الى أبويه الحبيبين والى خطيبته الجميلة ذات الشعر الاصفر الكثيف الذى زادته طبيعة الريف كثافة ، ومنحته رونقا تعجز الاصباغ عن الوصول الى مستواه . ويعود ايضا الى قريته الجميلة الفقيرة التى سوف تصيرها المشاريع بعد سنوات قليلة خلية حية ضاجة بالعمل •

فى سنته الاولى بفرنسا كانت رسائله الى أبيه اسبوعية • وفى السنة الثانية صارت شهرية• اما فى السنة الثالثة التى مضى على انتهائها اسبوعان فانقطعت رسائله • والرسالة التى جاءت منه اليوم هى الاولى منذ سنة وأسبوعين!

للام اذن ان تغضب على زوجها الذى لم يعد اليها بجديد ، رغم مجيء الرسالة • فموعد الزفاف حل ، وأهل الخطيبة لا يسمحون بتمديد الاجل الى ما لا نهاية • ومن يدرى ، قد يتحول انتظارهم ثلاث سنوات الى سخط ساخط ، وتتحول علائق القربى والود والمصاهرة الى قطيعة وضغائن واحقاد ؟

ان طبيعة الريفى التى تتسم بالصبر والاناة لا تقبل المماطلة فى الوعود الجادة • وهل هناك وعد اشد جدية من خطبة فتاة ؟

هذه التخوفات هى التى كانت تشغل بال الام ، وكانت تشغله ايضا تخوفات اخرى رات صورا منها في القرية لدى اسر كثيرة : هناك كثير من الشبان الذين ذهبوا الى فرنسا للعمل بها سنة او سنتين لم يعودوا ابدا الى وطنهم ••• فان فعل الطيب

مثلهم فتلك هي المأساة ، المأساة التي طالما ابعدت الام صورتها عن خيالها ٠٠ ابنها لن يفعل كالآخرين٠ سيعود ٠ لاشك في ذلك ٠٠٠

انتظر الزوج الشيخ ان تقوم زوجته فتعد له قهوة ، ولكن هذه لم تفعل ٠ كانت منشغلة بالرسالة ، لقد استولى مضمونها المجهول على كل تفكيرها ، وفتح المجال الى الهواجس ان تنطلق، والى التصورات ان تلحق ٠٠٠ وراحت تتخيل نفسها عجوزا هرمة،نظرها معلق بما وراء الافق الشمالي، وهي وحيدة،حكم عليها القضاء بالوحدة وبالشيخوخة وبالانتظار اليائس ، انتظار الابن الوحيد الذي لا يعود ٠ الابن الذي أنسته ضجة باريس الدائمة صمت قريته المستمر ٠ تخيلت نفسها انها فقدت ابنها وفقدت زوجها أيضا ٠ لانها كانت تعتقد دائما ان زوجها سيموت قبلها ، ويتركها وحدها تعاني شقاء الحياة واتعابها ٠ وتخيلت نفسها وهي في شيخوختها ووحدتها أن كل سكان القرية يهجرونها ويتجنبون معاملتها ، ولم ينسوا لها ، رغم مرور السنين ، عدم وفاء ابنها بالعهد ، ابنها الذى ترك خطيبته ووطنه وبدلهما بحياة لا غاية لها ، وبوطن كان سكانه ذات يوم بعض سكانه اسيادا طغاة في هذه القرية الآمنة ٠

ومن الشيخوخة والمستقبل البعيد ارجعها الخيال الى الحاضر ، الى الغد القريب ٠٠٠ سوف يسالها أهل «سعدية» خطيبة ابنها عن موعد الزفاف الذى حل أجله ٠ سوف لا تجد بين يديها أى عذر تقدمه ٠ ما دفعته من هدايا وملابس الى الخطيبة يوم الاعلان عن الخطبة لن يعود لها ، لا شك في ذلك ٠ ولو كانت المسالة تتعلق بما خسرته فقط لهان الامر ٠ ولكنها سوف تضايق لم تلام ثم تتبدل العلائق فتسوء بعد ان كانت حسنة ، ثم يشيع الخبر في القرية فيصير الابن وأمه وابوه حديث الناس وسمرهم ٠٠٠

انها سوف تتلاقى بعد ذلك بنساء القرية فيسالنها عن ابنها ، وهل تعتزم تزويجه ، هازئات متفكهات ٠٠٠ ان الموت افضل من الوصول الى مثل تلك الفضائح ٠٠٠

وفي غمرة هذه التصورات والتخيلات سمعت زوجها يقول :

ـ والقهوة ، الا نشرب قهوة ؟

ـ نسيت ٠٠٠ لماذا لم تشتر القهوة ؟

ـ ومن قال لي عن ذلك ؟

ـ كيف، ألم أقل لك وأنت ذاهب ، اشتر القهوة؟

ـ قلت لي ذلك ؟

ـ يا لله لهذا الرجل ! ماذا جرى لك اليوم ؟ قل ٠٠٠

ـ لم اسمعك ابدا ، والله ٠٠٠

فقالت بتذمر مستعملة ضمير الغائب :

ـ لست أدرى كيف أفعل ، وماذا أفعل مع هذا الرجل ؟ أوصيته أن يشترى القهوة فعاد فارغ اليدين ، وطلبت منه أن يحدثني عما في الرسالة فزعم ان ليس بها ما يستحق الذكر ٠٠٠

ونسي او تناسى ان موعد الزفاف قد حان اجله واننا لا بد ان نجيب آل السعيد اما بالنفي او الاثبات ٠٠٠

فكر الزوج أن يخبرها بمضمون الرسالة ، لم بدا له أن الوقت غير مناسب ٠ اذ أن مزاج زوجته حاد للغاية ٠ فاذا اخبرها وهى فى هذا التوتر فلربما يسيء اليها ٠ كما كان يشعر بحاجة الى قليل من الراحة والتفكير الصامت ٠ فالقرية المركزية التى عاد منها ، حيث البريد والدكاكين والسوق ، تقع على بعد عدة كيلومترات من بيته الجبلي ٠ وهذه المسافة ولو أنها نسبيا ليست كبيرة الا أن الطريق الموصل اليها شاق للغاية ٠ ففي الذهاب ينحدر متعثرا بين الاحراش والالتواءات وفي الاياب تواجهه عقبة مجهدة مرهقة ، يشعر وهو صاعد معها أن رجليه كلما حاولتا التقدم تاخرتا ٠ حتى عصاه لا تفيد كثيرا وهو صاعد ٠

يذهب الى هذه القرية مرة في الاسبوع ، من اجل البريد ومن اجل قضاء ما يحتاجه من أدوات منزلية وتموين ٠

وكانت هذه المسافة يوم أن كان فى شبابه وقوته يقطعها في ساعة من الزمن وهو عائد ، وفي أقل من ساعة وهو ذاهب ٠ ولكنه الان وعمره قد جاوز الستين صار يقطعها في أكثر من ثلاث ساعات وهو صاعد ! فعمره هو الذى صير المسافة طويلة ٠ وصيرها طويلة أيضا خيباته المتكررة طوال هذه السنة التي انقطعت فيها رسائل ابنه٠٠٠

ففى السنة الاولى التى ذهب فيها ابنه الى فرنسا ، عندما كانت تاتيه الرسائل اسبوعيا كان

لا يحس كثيرا بالعياء من السير فقد كان الامل يعطي الى سنه المتقدمة دفعة من نشاط تسهل عناء السير ٠

وفي السنة الثانية أخذ يحس بمشقة هذا السفر الاسبوعي بين بيته الجبلي والبريد.ولكن الحوالات التي كانت تصله بانتظام سهلت عليه مشقة هذا السفر.كانت بمثابة قوةاضافية خارجية تعزز وهنه وتشد عضده ٠

أما في هذه السنة التي انقطعت فيها الرسائل والحوالات فصار السفر الى البريد عقابا اسبوعيا يناله الاب جزاء شوقه الابوي لاخبار ابنه الحبيب!

وليت الامر توقفعند انقطاعالرسائلوالحوالات، اذن لوجد في نفسه قوة تعينه على الصبر وتعينه أيضا على السير ٠٠٠ ولكن الاسئلة المتهكمة والملاحظات المختلفة التي صار يتلقاها من معارفه، ومن الحاج رزقي صاحب الدكان حيث عنوانه، اذته ، والمته ، لقد قال له أحدهم : انت السبب في ذهابه الى فرنسا ٠ لو تانيت في موضوع زواجه لما اضطر الى الاغتراب ٠٠٠

ولعل تاثره من هذه الجملة كان اكبر واشد من كل ما سمع من ملاحظات وتلويحات بخصوص انقطاع أخبار ابنه ٠ فقد أصابته في الصميم لانه حقيقة هو السبب ٠٠٠ ابنه لم يكن يرغب في هذا الزواج المستعجل ، لا لكون الفتاة لم تعجبه



او أهلها ، ولكن لضيق ذات اليد ، وعدم ملاءمة ظروفه حينئذ لمتطلبات الزواج ٠٠٠ كان يفضل الانتظار حتى يدخل المشروع الحكومي الخاص باصلاح الناحية وتطويرها حيز التنفيذ ٠ لانه عندئذ يستطيع أن يجد عملا يلائمه في نطاق هذا المشروع الضخم ، يضمن له الاستقرار والعيش الكريم وعدم الاضطرار الى الاعمال التافهة مثل تلك التي كان يقوم بها في العاصمة كغاسل أوان بالمقاهي ٠ كما يستطيع أن يتزوج وأن يقيم بين ابويه وسكان قريته الجبلية الجميلة ، التي لا تنزع عنها عمامة الثلج البيضاء الا لتلبس مكانها عمامة خضراء تملؤها جمالا واملا ٠٠٠

ولكن الاب كان قد قرر الزواج وضرب صفحا عن مواتاة الظروف وعن العمل ٠ ولم يجد الابن بدا من الرضوخ الى ما قرر أبوه الشيخ ٠٠٠ وهكذا وجد نفسه ذات يوم حاملا حقيبته السوداء الى الباخرة التي ستقله الى الضفة المقابلة ، حيث عرق العمال لا يسيل ماء على الجبين ولكن يخرج دخانا عاليا من مداخن كثيرة باسقات تروي الى السماء قصة ما يعانيه العمال في كفاحهم من اجل الخبز !

تاثر الاب تاثرا بالغا من هذه الجملة القاسية المؤلمة التي سمعها حينئذ ٠ وهي لا تنفك ترد على ذهنه كلما تعلق الحديث بابنه ٠ أما اليوم فهي تستولي على كل وجدانه ٠٠٠

قال في نفسه وهو ينظر أمامه الى الموقد الذي اخذت ناره تخبو : أنا السبب في ذهابه الى فرنسا ٠٠٠ لماذا انا السبب ؟ هو الذي أراد الذهاب الى هناك لانه لم يجد عملا هنا ٠ لو توفر الشغل في بلدنا لما ذهب أحد الى فرنسا ٠ من ذا يحب حياة الغربة .كل الذين هاجروا الوطن. هاجروه مضطرين. عدم الشغل هو السبب، ولست انا ٠٠٠ انا زوجته بالرغم من فقرنا وعدم طاقتنا على ذلك ، لان هذه البنت هي أحسن فتيات القرية جمالا وحسبا ٠ خشيت أن يخطبها غيرنا فبادرت بالخطبة ٠ وانفقت في ذلك القليل الذي وفرته من مال ، فظننت ان الطيب يكون عند حسن ظني ٠٠٠ من قال اني ساجازي بهذه الخيبة المرة ، ومن قال انه سيقطع اخباره عنا سنة كاملة ، سنة وأسبوعين ٠ من قال ستصل به القسوة الى هذا الحد ؟ سنة وأسبوعان وانا أعود

الى البيت كل أسبوع أحمل الحسرة والغيبة •• لا رسالة ولا دراهم ولا اى شيء واخيرا تاتي الرسالة ••• ليتها لم تات هذه الرسالة المرة ! أنا السبب•• لست أنا السبب، هو الذى أراد•• لو فكر كما افكر لما قطع أخباره سنة وأسبوعين لم أرسل الى بهذه الصاعقة • ماذا سيقول الناس عنا عندما يسمعون ؟ ••• لماذا يا الهى هـذا العقوق من ابن وحيد ؟ •••

كادت دموعه تسيل وهو يحادث نفسه • لو عرفت زوجته مقدار ما كان فيه من حزن ، وما كان يحسه حينئذ من أسى وحسرة رفقت به ، ولما الحت فى السوال ولجت فى الحديث ••• ولكانت بالاقل أعدت له قهوة من القليل الذى تبقى لديها ، ليستعيد بعض نشاطه ، ويطفيء هذا الحزن الذى يحرق قلبه • لكنها لا تدرى ••• ان هى لجت فى الحديث وغضبت فلانها تتحرق شوقا الى اخبار ابنها الوحيد ، ولانها أيضا خشيت العار مثله ، خشيت ألسنة الناس ، وخشيت ان تضيع كل الأمال التى علقتها على زواج ابنهـا ، وتصبح فى شيخوختها كما كانت فى شبابها وحيدة •

ساد الصمت بين الزوجين العجوزين فترة من الوقت • وكانت نار الموقد التى اخذت تخبو منحت كليهما تلهية وسلوى وبعثت فى نفسيهما ذكريات كثيرة وأحاديث نفسية طويلة • ولم تشا الزوجة أن تستأنف الحديث مع زوجها الشيـخ ، فقد انخفضت درجة الحاح الاسئلة التى كانت تتزاحم فى نفسها ، وأخذ يعود اليها هدوؤها الحزين ، بالرغم من أن شكوكا كثيرة كانت ماتزال تعتمل فى نفسها حول موضوع الرسالة • لقد فكرت ان هذا الهدوء الذىبه زوجها يخفى وراءه خبرا غير مسر• قد يكون ابنها أخبر بانه لا يعتزم الرجوع الى الوطن فى هذه السنة ، وان انقطاع رسائله كان بسبب مرضه ، أو انه كان عاطلا عن العمل ، مثل ما يقع للكثيرين •••

ربما يكون ذلك ، وربما هناك شيء آخر حدث لم يرد الزوج أن يخبرها به ؟ على أية حال فكرت أن تنقطع عن الاسئلة ، وأن تلتزم الصمت • فان كان هناك خبر أراد الزوج اخفاءه فالاحسن أن تتركه وشانه ، حتى يتحدث وحده ويقول كل شيء• لانه لا يستطيع أن يكتم ما وصله من أخبار الى ما نهاية •

وتذكرت القهوة التى طلب زوجها فقامت مسرعة لاعدادها • واخذت حقة القهوة وارتها اياه قائلة:

ـ انظر ، ما بقي فيها من قهوة ••• لن يكفى لصباح الغد •

ـ غدا يفعل الله ما يشاء • لعلى أجد من أرسل معه ليشترى لنا •••

ـ فى هذا البرد لا يتحرك أحد • اذا تواصل سقوط الثلج فستبقى بدون قهوة ، من غيرشك •

ناولته فنجانا فشربه متمهلا كانه خشى أن ينفد ما فيه قبل ان يستكمل نشوته • وراحت العجوز تعيد الى الموقد حمرته ولهبه بما وضعت فيه من حطب جديد • وتكلم الزوج :

ـ أتدرين ماذا فعل ابنك ؟

فاجابت بدهشة وذعر سائلة :

ـ وماذا افعل ؟

ـ انه تزوج •

فقالت وقد اذهلها الخبر :

ـ تزوج ؟ بمن تزوج ؟

ـ تزوج بفرنسية •

ـ بفرنسية ؟ ياالهى !! •

ـ نعم تزوج بفرنسية ، ونحن ننتظر هنا رجوعه منذ سنة وأسبوعين •••

ـ ياالهى ••• تزوج بفرنسية وترك خطيبته وابنة عمه • ترك سعدية أجمـل الفتيات ••• ياالهى ، ماأعقه ! •••

وغلبتها الدموع •••ثم اخذت الرسالة وراحت تخاطب ابنها فى تمتمة لا تكاد تبين : « لماذا يا ولدى الحقت بنا هذا العار ، ولم ترع حرمةلشيبتنا وحناننا ودموعنا عليك ؟ لماذا ياولدى اخترتالغربة على الوطن ، واخترت قلبا ان احبك اليوم لن يحبك غدا ، وتركت قلوبا تحبك اليوم وغدا ؟ لماذا ؟ ••• » •

أخذ الزوج العجوز المقلاة وافرغ ما بقى فيها من قهوة وناولها الى زوجته فى حنان :

ـ أشربى هذه القطرة الباقية ياامراة !

■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

متى يجمع مفعول على مفاعيل ؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ سنحاول وسعنا هنا الفصل في هذه القضية التى كثرت وتضاربت فيها اقوال اللغويين المجتهدين قديمهم وحديثهم ، كبارا وصغارا ، حتى التبس امرها على اتباعهم من الدارسين المقلدين ، ولم تزل غامضة حتى يومنا هذا ، ولعلنا نقترب من فصل الخطاب فيها ان لم نستطع بلوغ حده القاطع، وكفى الباحث في اى مسالة عزاء ان يتقدم ولو خطوة قصيرة فى طريق حلها وان لم يبلغ مرحلة الحسم •

طريقة قاصرة

ويبدو لنا ان ما حال بين علمائنا والوصول الى حكم واضح فى هذه القضية هو طريقتهم فى بحثها، فقد اقتصروا على احصاء الامثلة ثم النظر فيها شكليا (وكل الامثلة على وزن واحد) وفى الاقتصار على هذه الطريقة قصور وتقصير كما سنرى ، فان القدماء حين التزموها لم يجدوا غير مثالين هما « مشئوم ، وملعون » يجمعان على « مشائيم » و « ملاعين » ولهذا اعتبروهما جمعين شاذين ، ومنعوا القياس عليهما • واطبقت البلية بقول كثير منهم ان جموع التكسير سماعية ، ومرجعها كتب اللغة التى تذكر مع كل مفرد جمعه•

وجاء بعض المتاخرين المجتهدين فالتزموا هذه الطريقة ايضا ، ولكنهم لم يقتصروا على المعاجم فى البحث عن الامثلة ، بل رجعوا الى اصول هى احق بالنظر ، وهى النصوص الادبية المأثورة عن الفصحاء ، فوجدوا عدة امثلة اخرى ، مثل : مجهود ، مشغول ، مجنون ، منكود ، مملوك ، مرجوع ، مكفوف ، ميمون ، مشهور•وجموعها على الترتيب : مجاهيد ، مشاغيل ، مجانين ، مناكيد ، مماليك ، مراجيع ، مكافيف ، ميامين ، مشاهير •

وقد يكتشف الباحثون امثلة اخرى فيما بعد ، ولكن هذه الطريقة الاحصائية لا تحل المشكلة ولو بلغت الامثلة عشرات بل مئات ، والتوقف عندها لايفيد علما ، ولابد من خطوة تالية تتم بها هذه الطريقة ، وهذه الخطوة هى تمحيص الامثلة ، ومعرفة الفروق بين خصائص بعضها وبعض ، لا مجرد شكلها او صيغتها او وزنها فحسب •

ولا شك انه من اللازم فى بداية اى بحث علمي جمع الامثلة واحصاؤها ، ولكن لا بد بعد ذلك من تصنيفها على وفق انواعها (وقد يستدعى الامر تنظيمها ايضا) ، ولهذا كان ينبغى لعلمائنا ان يتاملوا هنا مضامين هذه الكلمات ، ويستنبئوها عن دلالاتها ، ولو فعلوا ذلك لتبين لهم ما لا يجوز جمعه منها تكسيرا وما يجوز ، بل ما يحسن ان لم يكن واجبا ، وهذا ما نتوخاه اجمالا فى هذه الصفحة •

انواع اربعة : ما يجمع وما لا يجمع

وقد تبين لنا ان الكلمات التى وردت على وزن مفعول اربعة انواع، لكل نوع منها دلالته الخاصة،

النوع الاول: يستعمل مصدرا محضا للدلالة على حدث ، كما فى قولنا « هذا الرجل لا معقول له ولا مجلود ولا ميسور » اى لا عقل له ، ولا جلد ، ولا يسار ، فالكلمات : « معقول ، ومجلود ، وميسور » مصادر خالصة ، وما كان كذلك لا يجمع ، لان المصدر اذا خلص للمصدرية كان دالا على الحدث مطلقا شاملا ، فلا يقبل التثنية ولا اى نوع من انواع الجمع ، وامثلة هذا النوع نادرة ولكنها قابلة للزيادة •

النوع الثانى : يستعمل صفة خالصة كما فى قولنا « كل اب مربوط باولاده ، وكل ام مربوطة باولادها ، حتى الحيوان مربوط بصغاره » فكلمة مربوط هنا تدل على صفة محضة ، ويلاحظ شبهها بالفعل فى معناها وعملها ، ولهذا ترفع نائب فاعل كالفعل المبنى للمجهول ، كما فى قولنا

« الاب مربوط قلبه باولاده » فاذا جمعنا كلمة « مربوط » هنا قلنا : الاباء «مربوطون باولادهم » والامهات مربوطات باولادهن » كما نقول « الحيوانات مربوطات (او مربوطة) بصغارها » اى انها تجمع جمع سلامة (جمع مذكر سالما ، او جمع مؤنث سالما) ولا تجمع جمع تكسير «مرابيط» .

وهكذا كل كلمة على وزن مفعول تستعمل صفة خالصة ، وتكون شبيهة بالفعل معنى وعملا ، مثل : مسرور، معقود ، مبتور ، مفروش. وامثلة هذا النوع تعد بالمئات بعد المئات .

ما يجمع : اسما أو نسبة

النوع الثالث : اسماء مصطلحات ، او اسماء ذوات او هيئات ، ومن امثلته :

١ ـ مرجوع ، وهو الوشم الذى اعيد سواده ، وقد جمع على « مراجيع » فى قول زهير بن ابى سلمى : يصف اطلال دار صاحبته :

« ودار لها بالرقمتين كانها
مراجيع وشم فى نواشر معصم »

٢ ـ مفعول : مصطلح على انواع خمسة من الاسماء المنصوبة نحويا ، هى المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول لاجله ، والمفعول فيه (الظرف) والمفعول معه ، وتسمى المفاعيل الخمسة .

٣ ـ مزمور : نشيد للدعاء او غيره ، ومن امثلته « مزامير داود » التى تسمى عند المسلمين « الزبور » وبين اسفار العهد القديم « سفر المزامير » يشمل خمسين ومائة مزمور .

٤ ـ موضوع : محور الكلام ، يقال : « كتب التلميذ فى عشرة مواضيع » ، « ودرست اللجنة مواضيع كثيرة » .

٥ ـ محلول : سائل انحلت فيه مادة او اكثر، يقال : « فى هذه القوارير محاليل مختلفة » .

٦ ـ مولود : وليد او متولد ، يقال : « النبى من مواليد مكة » ، « ودرست علوم المواليد الثلاثة » .

٧ ـ محصول : اى الحاصل او المتحصل او النتاج من زراعة او تجارة او صناعة ونحوها ، يقال : زادت محاصيل الحنطة هذا العام على مثيلاتها فى العام الماضى » ومحاصيل القطن اربع من محاصيل الشعير » (ومثلها « المنتوج ») .

٨ ـ مكتوب : رسالة ، يقال : ارسلت الى اصدقائى كثيرا من المكاتيب اهنئهم بالعيد ، اى رسائل .

٩ ـ مجهول : شيء غامض من عدد او مكان او نحوه ، يقال : فى هذه المسالة الرياضية عدة مجاهيل » و « البدوى يضرب فى مجاهيل الصحراء » « والطالب حائر بين مجاهيل الفلسفة » .

١٠ ـ مشروع : خطة توضع لامر يراد تنفيذه ، ينظر فيها حتى تعتمد قبل الشروع فى التنفيذ يقال : « مشاريع التعليم عندنا اكثر من مشاريع الزراعة » .

١١ ـ مرسوم : قرار يصدره حاكم ذو سلطة ، لتعيين موظف كبير ، او تنظيم احد امور الدولة : يقال : « كثرت مراسيم الدولة فى هذا الشهر ».

١٢ ـ منشور : بيان عام يصدره فرد او جماعة من عدة نسخ لبيان وجهة النظر فى قضية خاصة او عامة ومنها : « وزعنا المناشير الانتخابية » .

١٣ ـ مفهوم : مصطلح لما تواضع عليه قوم فى فهم امورهم ايا كان مجالها : يقال : « مفاهيم السيادة اليوم غير مفاهيمها قديما » .

١٤ ـ مستور : سر ، يقال : « ما اكثر مساتير الكون » ، اى اسراره .

١٥ ـ مضمون : محتوى ، يقال مثلا : « للشعر شكل ومضمون ، ولا بد ان تجارى اشكاله مضامينه » .

١٦ ـ مشروب : شراب ، يقال : « دفعنا الى عامل المقهى ثمن مشاريبنا قبل انصرافنا منها » .

١٧ ـ معجون : عجينة من مادة او اكثر ، يقال: « المعاجين الطبية اليوم انواع ، تستعمل فى اغراض مختلفة ، ومنها معاجين الاسنان ، لتنظيفها وتطهيرها » .

١٨ ـ مركوب : نوع من النعال يغطى القدم ، ويترك ظهرها مكشوفا ، ولهذا يسهل لبسه ونزعه. والمراكيب انواع منها الساذجة الخشنة يستعملها الفلاحون والبدو لصلابتها ومتانتها ورخصها ، ومنها انواع خفيفة يلبسها المترفون والمترفات تظرفا ، يقال : « تختلف المراكيب مادة وخفة وثمنا » .

١٩ ـ منسوب : مستوى ، يقال : « منسوب المياه فى النهر اعلى من مناسيبها فى القنوات والجداول » .

٢٠ ـ مشحوف : نوع من الزوارق الصغار ، طويل نحيف خفيف يسع راكبا او اثنين ، يحمله صاحبه، يحرك بمجداف أو مردي، وهكذا يسمي بين مستعمليه من اهل البطائح والاهوار المائية في جنوبي العراق ، للتنقل بين المنازل القائمة على صغار الجزر (شبيه الجندول في البندقية) .

وحسبنا هنا هذه الامثلة العشرون ، وان كان هناك غيرها ، ويلاحظ ان القليل من هذا النوع قد استعمل قديما ولكنه كثير شائع بين المحدثين ، وهو قابل للزيادة ، والمهم ان يكون اسما محضا ، ليقبل الجمع على مفاعيل ، ثم يشيع ذلك الاستعمال (١)

النوع الرابع : كلمات تدل على النسب ، وتوضح هذا فيما يلي :

اذا نسبنا الى اسم زدنا في آخره ياء مشددة ، فنقول في النسبة الى الحجاز او العرب او الشعر : حجازي ، عربي ، شعري . وهناك كلمات تدل على النسب بغير هذه الصيغة اليائية ، مثل : سياف ، فنان ، لابن او لبان ، تابل او نبال ، اي : ذو سيف ، ذو نبل ، ذو لبن ،ذو تمر .

كذلك تاتي كلمات كثيرة على وزن مفعول تدل على النسب مثل « منكود » اي ذو نكد ، وقد ورد بمعناها « نكدي » بالصيغة اليائية في الدارجة ، فيقال « فلان نكدي » اي ذو نكد ، وقد جمع منكود على مناكيد في قول المتنبي يهجو كافورا الاخشيدي .

لاتشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد

وقد ورد من هذا النوع امثلة كثيرة في المأثور الفصيح ، مثل متبوع ومتابيع ، مرجوح ومراجيح، مشهور ومشاهير ، ملعون وملاعين ، مشئوم ومشائيم ، كما في قول الاحوص الرياحي او ابي ذؤيب الهذلي في هجاء قوم :

« مشائيم ليسوا مصلحين عشية
ولا ناعبا الا بشؤم غرابها »

ومثل : مشغول ومشاغيل كما في قول مروان ابن ابي حفصة في مدح الخليفة المأمون :

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا
بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

ومعنى متبوع ذو اتباع ، ومرجوح ذو رجحان ، ومشهور ذو شهرة ، و « ملعون » ذو لعنة ، و « مشئوم » ذو شؤم و « مشغول » ذو شغل ، وهذا النوع شائع قديما وحديثا فيما يدل على الطبائع او الحالات النفسية ولا سيما العاهات ،او يدل على غير ذلك ، مثل : مجنون (ذو جنون) ومجانين ، معتوه ومعاتيه ، مخبول ومخابيل ، مهبول ومهابيل،معمود ومعاميد، محسوب ومحاسيب ،مفلوك ومفاليك ، مجذوب ومجاذيب ، مسعور ومساعير ، مسطول ومساطيل ، منكور ومناكير ،مهزول ومهازيل، متعوس ومتاعيس ، مملوك ومماليك ، منحوس ومناحيس .

وقد توسعت الدارجة في هذا النوع حديثا ، ولكن نلاحظ انها تجري في ذلك على مثال السليقة الفصيحة ، وتتقيد فيه بمذهب العرب الفصحاء فيما ينطقون ، « وكل ما جاء على كلام العرب فهو من كلام العرب » .

ملاحظة ختامية

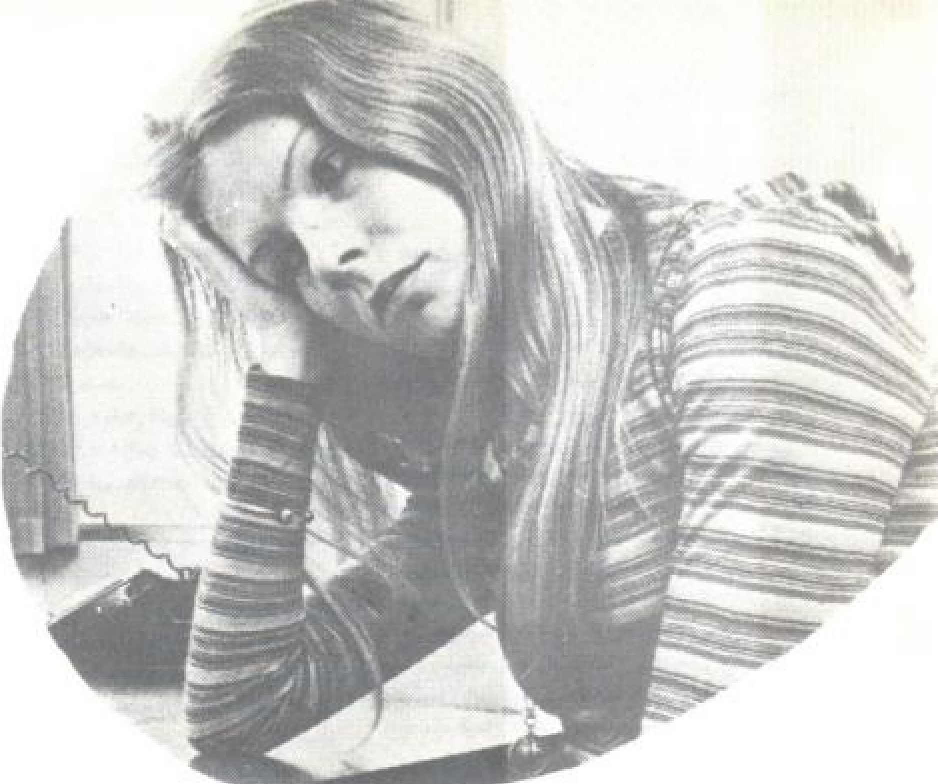
يلاحظ ان كل كلمة من هذه الكلمات قد وردت « اسم مفعول » ، وجاءت على وزن « مفعول » ، وانما يفرق بينها الدلالة في الاستعمال ، فمثلا كلمة « ميسور » قد تستعمل مصدرا محضا كما في قولنا : « لا ميسور له » اي « لا يسار له » او صفة خالصة كما في قولنا «هو ميسور اللقاء» اي سهل اللقاء، والكلمة في الحالة الاولى لا تجمع اي جمع لانها مصدر ، وفي الثانية تجمع ولكن جمع سلامة لا جمع تكسير غير انا اذا سمينا شخصا باسم ميسور ، او اردناها نسبة بمعنى ذي يسار ، فانها تجمع على مياسير ، فالمهم في جمع مفعول او عدم جمعه على مفاعيل هو الدلالة في الاستعمال .

محمد خليفة التونسي

ملاحظة (١) : (أ) بعض الناس يسمون اسماء على وزن مفعول مثل : مسعود ، ومرزوق ، فتنسب اليهم ذرياتهم ، فيقال في جماعتهم : المساعيد ، والمرازيق .

(ب) بعض الكلمات على وزن « مفعول » ـ بالتأنيث ـ تستعمل اسماء ، مثل : مرجوحة ومقصورة ، ومطمورة ، فتجمع على مفاعيل ، فيقال ، مراجيح ، مقاصير ، مطامير كما في قول المتنبي :

ودون سميساط المطامير والملا
واودية مجهولة وهجول



١٢٠ ألف شعرة فى رأسك

ما العمل عندما تبدأ فى السقوط ؟؟

بقلم الدكتور ابراهيم القشلان

● من آن لآخر فان كل شخص قد يلاحظ سقوط الشعر بدرجة ما ويستمر السقوط لعدة ايام او عدة اسابيع وذلك شيء طبيعي جدا ، رغم القلق الذى يصاحب هذه الظاهرة . وبعد الحرب العالمية شكا كثيرون من سقوط الشعر ، اما الان فكثير من الناس وخاصة المسنين يشتكون من السقوط نتيجة نقص الغذاء والفيتامينات فى كثير من المناطق الفقيرة .

وقصة سقوط الشعرة طويلة ، ينبغي ان نبدأها بالتعرف على تكوين الشعرة .. ذلك ان كل شعرة تتكون من ٣ أجزاء : الجزء الداخلي وهو النخاع أو لب الشعرة ، والجزء الاوسط وهو لحاء قشرة الشعرة ، والجزء الخارجي وهو البشرة او الاهاب .

وكل شعرة تخرج من جريب خاص بها عبارة عن نتوء دقيق في الجلد ، ويمد كل جريب عدد من الغدد الدهنية ربما ٢ ـ ٦ غدد وهذه تفرز المادة الدهنية التي تعطي الشعر لمعانه وتحميه من الجفاف الشديد والرطوبة الزائدة ، كما ان هناك شبكة من الشعيرات الدموية تمد شعر كل جريب بما يحتاجه من غذاء لنمو خلاياه .

ويبلغ عدد شعر الرأس في المتوسط ١٠٠٠ شعرة في كل بوصة مربعة اي تقريبا ١٢٠ الف شعرة في الرأس ، وكلما كان الشعر دقيقا كان عدده اكثر فالشعر الاشقر قد يصل الى ١٤٠الف شعرة والاسود والبني ١٠٨ آلاف شعرة والشعر الاحمر ٩٠ الفا فقط .

اما سماكة الشعرة او قطرها فقد يصل الى ١/١٥٠٠ من البوصة واسمك شعرة تصل الى ١/١٤٠ بوصة والمعروف ان الشعر الاسود هو اسمك الانواع .

ان متوسط طول الشعر في النساء هو ٢٢ ـ ٢٨ بوصة ولكن نادرا ما يزيد على ٣٦ بوصة ، والشعرة مرنة بطبيعتها فهي لا تنقطع بسهولة نتيجة التمشيط او استعمال الفرشاة ، ودرجة مرونة الشعر تتأثر بالماء والبخار وبعض المحاليل وفي المتوسط فان قوة الشد للشعرة هي « ٧ اونس » اي انها تحتاج الى شد بهذه القوة حتى تنقطع الشعرة ، اما لو غمست الشعرة في بعض المحاليل او الزيوت مثل زيت اللوز او الجلسرين مثلا فان درجة مرونته تقل وتنقطع بسهولة ، كما يحدث في البرمانتت حيث يلاحظ ان الشعر يتقطع بسهولة اكثر من الشعر العادي.

وللكشف على سقوط الشعر يجب مراعاة بعض الملحوظات والنقاط الهامة مثل عمر الشخص اذا كان طفلا او رجلا ، هل الشعر دقيق جدا بحيث ان جلد الرأس يظهر من خلاله ولكن الجلد في نفس الوقت سليم وخال من اي مرض ، هل يوجد صلع في اجزاء صغيرة من الرأس او انه متناثر في مناطق كبيرة منه ، هل جلدة الرأس دهنية او محمرة او فيها قشور او بها اي اضطراب معين . كذلك يجب ملاحظة طريقة سقوط الشعر اذا كانت تدريجية ام فجائية بكميات كبيرة وهل السقوط في جميع الرأس او في مناطق محدودة وهل السقوط حدث بعد مرض معين مثل الزهري او بعد حمى شديدة او بعد عمل اشعة للرأس او ربما بعد عملية جراحية او صدمة عصبية ؟ .

دورة الشعر الطبيعي

لكل شعرة عمر معين تموت بعدها وتسقط وليس كل الشعر يصل الى نفس الطول ونفس العمر ، وعامة ففي الرأس السليم الذي لم يتأثر بالمرض فان متوسط عمر الشعرة يصل ما بين ٢ ـ ٦ سنوات ولذلك فاننا نلاحظ انه يتساقط يوميا عدد مختلف من الشعر وهذه ظاهرة طبيعية جدا، وتوجد طريقة سهلة وبسيطة لمعرفة ما اذا كان هذا التساقط طبيعيا ام لا ؟ وهي جمع الشعر المتساقط ولمدة ٣ أيام متتالية وتقسيمه الى مجموعتين مجموعة اطول من ٦ بوصات والاخرى اقصر من ذلك ، ويلاحظ في الشخص السليم ان الشعر القصير لا يتجاوز ٪ الكمية المتساقطة ، اما في الرجل فنظرا انه دائما يقص شعره بانتظام لذلك علينا ان نلاحظ الشعر المتساقط اذا كان طرفه مقصوصا وهو الطويل فنجده غير



سقوط الشعر نتيجة عدوى بكتيرية بجلد الرأس.

حاد اما الشعر الذى لم يقص فيكون طرفه مدببا و بارزا ٠

ومن الملاحظ انه فى الفترة ما بين موت الشعرة القديمة ونمو شعرة جديدة بدلا منها فان جريب الشعرة ياخذ فترة استراحة٠وفي بعض الحيوانات مثل الفار والارنب فان الشعر يموت على جميع سطح الجسم تقريبا في نفس الوقت وجميع الشعر الجديد ينمو سويا ، اما فى الانسان والقططفان شعرة كل جريب تتصرف مستقلة عن زميلتها وليست مرتبطة ببعضها ، كذلك فان الجريبات على جلد الرأس لها فترات نشاط وفترات راحة حيث تكون فترة النمو طويلة وفترة الراحةقصيرة بينما على الجسم يحدث العكس فتكون فترة النمو قصيرة وفترات الراحة طويلة ٠

وعند سقوط الشعرة فان شعرة جديدة تبدا فى النمو وتظهر على سطح البشرة خلال ٦ ـ ١٠ أسابيع ، اما لو قطعنا او جذبنا الشعرة فان بديلا عنها يظهر وينمو اسرع من ذلك ٠

وسرعة نمو الشعر تختلف تبعا لعمرها فعندما تصل الشعرة الى سطح الجلد فانها تنمو بسرعة ٢ ـ ٥ مم كل ١٠ ايام او نصف بوصة فى الشهر ٠ وعندما تصل الشعرة الى طول ١٠ بوصات فاكثر فانها تبطىء فى النمو ربما بنصف سرعتها السابقة ٠ وكلما كبرت بعد ذلك ابطأ نموها ، ويقول البعض ان النمو يكون سريعا عند النساء بين عمر ١٦ ـ ٢٤ سنة حيث لوحظ نمو ٧ بوصات فى السنة ، ويبطىء جدا بعد عمر الخمسين ، ويكاد يقف نموه بعد ٦٥ سنة حيث ان جذور الشعر تضمر مثل بقية الانسجة ولذلك يبدو الشعر خفيفا ٠

وسرعة النمو تختلف من شخص لاخر ومنموضع لاخر اذا كان على الرأس أو فى الذقن مثلا ، وينمو الشعر اسرعفى فصل الصيف كما انه ينمو بسرعة فى النساء عنه فى الرجال بينما العكس صحيح فى شعر الابط حيث ينمو فى الرجال اسرع ٠

وقد أجريت تجارب على بعض الحيوانات لرؤية مدى تاثير الغذاء ونقصه على نمو الشعر فوجدوا انها تفقد شعرها اذا كان الغذاء خاليا من بعض البروتينات ، كذلك الصحة العامة لها تاثير على سرعة النمو وحالة الغدد فى الجسم ، كما ان الناحية العصبية والنفسية مهمة خاصة حالات القلق والخوف ٠ وفى فترة الحمل واثناء المرض فان الشعر ينمو ببطء جدا وبعد زوال المرض فانه ينشط بحيث يعوض ما فاته، واشعة الشمس تؤثر فى نمو الشعر فى البداية فقط ٠ وقد لاحظت بعض النساء ذلك فى الاذرع او السيقان عند التعرض للشمس ٠ وقص الشعر لا يؤثر فى سرعة النمو كما يعتقد الكثيرون ولكن نظرا الى ان الشعر فى البداية ينمو بسرعة حتى يصل الى مرحلة معينة ينمو بعدها ببطء ٠ لذلك عند قص الشعر فانه يبدو وكانه ينمو بسرعة لانه لا يزال فى مرحلة النمو السريع بينما اذا قص فى نهاية مرحلة النمو فانه سينمو ببطء ٠

اسباب سقوط شعر الرأس

هناك عاملان رئيسيان يؤثران على سقوط الشعر هما :

أولا : وجود مرض موضعي على جلد الراس يؤدى الى سقوط الشعر فى رقعات او مناطق مختلفة واهم هذه الامراض هى :

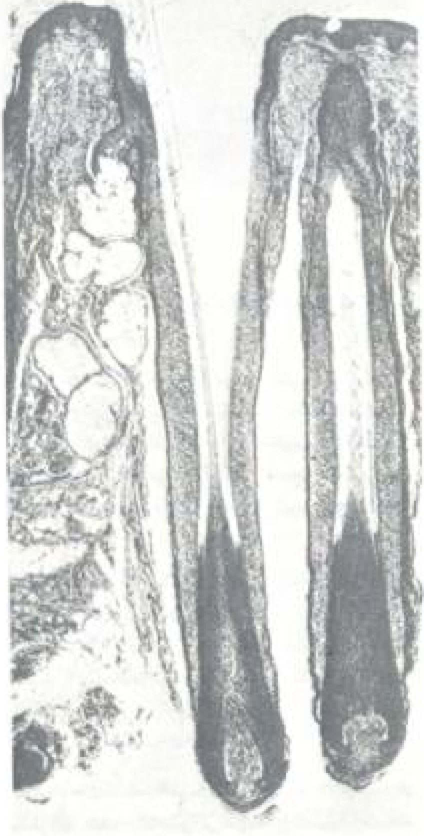
● سقوط الشعر الدهني: وهو اكثر السقوط انتشارا وعادة يكون الشخص فى عمر العشرين ويشكو من سقوط الشعر مع البشرة الدهنية ، ويبدأ السقوط في جوانب الراس ثم مؤخرة الراس وقد يبدأ بالشكوى من قشور على الراس اولا ثم زيادة افرازها الدهني ٠

وكثرة السقوطيعقبها فتراتساكنة بدونسقوط او سقوط بسيط فيرتاح الشخص لذلك الا انه بعد فترة يلاحظ معاودة السقوط ثانية بالرغم من ان هناك نموا جديدا الا انه فى العادة يكون خفيفا ودقيقا ، وهناك عامل وراثيفى هذهالناحية، اذا استمر هذا السقوط فقد يؤدى الى الصلع٠

● الثعلبة : وهي منتشرة الى حد ما وتحدث فى اى عمر وتتميز بسقوط الشعر كلية وبسرعة فى رقعات محدودة من الراس ، ومن مسبباتها الاضطرابات النفسية والعصبية ، وكذلك العامل الوراثي له تاثير كبير ٠

● الزهرى الثانوى : وهو يؤدى الى سقوط الشعر تدريجيا فى رقعات غير منتظمة ٠

وثمة اسباب اخرى مثل الدمامل والالتهابات



شعرة داخل جلدة الرأس وفيها تظهر الغدد الدهنية التي تمدها ٠

الجلدية والقراع واصابات الحوادث ، وامراض اخرى مثل الحكة الهبرية ـ الاكزيما ـ سل الجلد ـ مرض الذئب الاحمر وغيرها ٠

عندما تضطرب التغذية

ثانيا : اسباب عامة او مرض في الشرايين يؤدي الى اضطراب تغذية جذور الشعر وسقوطه بدون وجود اى مرض جلدى على الرأس ، وهذه منتشرة وتوجد منها امثلة كثيرة كما نلاحظ ذلك فيما يلي ـ

● الحميات : فقد لوحظ انه بعد اى حمى شديدة بفترة ٢ ـ ٨ اسابيع يحدث سقوط الشعر بكثرة نتيجة التسمم بدون النظر الى سبب الحمى ، وهذا يحدث خاصة بعد الالتهاب الرئوى، الانفلونزا ، التيفوئيد ، الحصبة ، الحمى القرمزية ، وقد لوحظ هذا السقوط في بعض البلاد بعد انتشار وباء الانفلونزا مؤخرا ٠

وقد يستمر السقوط لفترة طويلة تمتد الى ٦ اسابيع ولكن السقوط لن يصل بالرأس الى درجة الصلع انما دائما توجد شعيرات ثابتة ٠

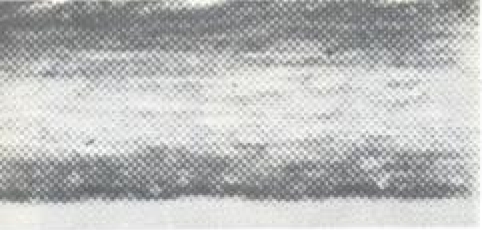
وقد وجد احد الباحثين ان درجة الحرارةالتى تؤدى الى سقوط الشعر هي عندما تصل حرارة المريض الى٣٩درجة بينما ان كانتاقل منذلكفانها عادة لا تؤدى الى السقوط حتى لو طال المرض ، واذا صاحب المرض صدمة مثل حالة الالتهاب البريتونى فان ذلك يؤدى الى السقوط بغزارة٠

● بعد الولادة قد يلاحظسقوط الشعر بغزارة تماما مثلما يحدث بعد الحميات ويحدث السقوطبعد شهرين من الولادة وقد يحدثكذلكبعد الاجهاض، اما اثناء الحمل فالسقوط يكون ضعيفا ، وقد لاحظ احد الباحثين انه اذا كان المولود يرضع من امه فان الام لا يتساقط شعرها بينما اذا اوقفت الام الرضاعة خاصة ان كان ذلك فجائيا وكذلك عند فطام الطفل فقد يحدث السقوط بعد فترة ٨ ـ ١٠ اسابيع تقريبا ،ولكن ليس من الضرورى ان يحدث سقوط بعد الولادة او الفطام ٠

● سقوط الشعر قد يحدث بعد اجراء عملية جراحية او حادثة او اى سبب للصدمة ، وفي هذه الحالة فان السقوط يحدث بعد نفس الفترة الا انه قد يحدث مبكرا بعد اسبوعين مثلا وفي هذه الحالة يكون شديدا وربما يؤدى الىالصلع٠ ولكن ليس من الضرورى ان يحدث سقوط بعد العمليات الجراحية ٠

● سقوط الشعر نتيجة امراض الغدد واضطراب الهرمونات خاصة الغدة الدرقية ٠

● الامراض المزمنة مثل الانيميا ، السكر ، التهاب الجيوب الانفية ، التهاب اللوز ، التهاب الزائدة الدودية او تسوس الاسنان ، ففي هذه الحالات يستمر سقوط الشعر بدرجة ما لفترات طويلة وربما لسنوات عديدة حتى ازالة السبب ولكن البعض قد لا يلاحظ ذلك بوضوح لان الشعرالجديد ينمو بمجرد سقوطالشعرة القديمة٠



● اعتلال الصحة وامراض سوء التغذية والامراض التي تؤدي الى الانهاك والضعف العام مثل السل والامراض الخبيثة والتي قد تكون مصحوبة بارتفاع الحرارة في بعض الفترات فان الشعر قد يسقط بغزارة . الا انه احيانا قد يظل كما هو بدون اى تأثر في بعض الاشخاص • ويفسر البعض عدم السقوط في هؤلاء بان حرارتهم لم ترتفع للمعدل المفروض لحدوث السقوط •

● قد يترتب سقوط الشعر على استعمال بعض العقاقير مثل المهدئات والمسكنات والادوية المضادة للسرطان مثل الاندوكسان ودواء كولشيسن المستعمل في علاج الصدفية كذلك نتيجة زيادة او نقص فيتامين ا •

● سقوط الشعر نتيجة القلق النفسي والاجهاد الفكري ، وقد يسقط الشعر بسرعة وغزارة خلال ايام بعد الصدمة العصبية ، وقد يشبه الصلع الكامل ولكن الشعر ينمو ثانية ويعود خلال اشهر قليلة ، وفي هذه الحالة من السقوط الكثير فان الشعر تقل سماكته ويصبح دقيقا بحيث انك تستطيع رؤية جلد الرأس ، وفي يوم تتساقط كمية كبيرة من الشعر وعند التمشيط والتفريش يسقط بالمئات ويأتي المريض للطبيب حاملا معه كيسا او شنطة ممتلئة بالشعر المتساقط خلال اليوم السابق لحضوره ، وفي هذه الحالة فان الشعر يسقط من كل مكان على الراس وليس من منطقة محدودة ، واذا جذبت الشعر بيديك فانه ينتزع بسهولة وبكميات وفيرة •

نفس هذه الطريقة في سقوط الشعر بسرعة وغزارة تحدث بعد التعرض لاشعة اكس ويحدث السقوط بعد اسبوعين او ثلاثة من التعرض للاشعة او بعد اخذ جرعة ثاليم اسيتيت •

تطور ظاهرة سقوط الشعر

ان نمو الشعر الجديد يلاحظ حتى قبل سقوط بعض الشعيرات الا انه يكون دقيقا في البداية، ولو بدأ العلاج مبكرا فان معظم او كل الشعر ينمو ثانية وكذلك يتوقف سقوط الشعر ، اما لو تأخر او اهمل العلاج او حدثت مضاعفات سيلان الغدد الدهنية فان الشعر يظل خفيفا وضعيفا وبعد ذلك تصبح بشرة الرأس ناعمة ولامعة مع اختفاء جريب الشعرة وقد يحدث ضمور بالجلد •

ويجب المواظبة على العلاج حتى ينمو الشعر الجديد ويظهر على سطح البشرة • وتدليك الرأس مهم جدا لحفظ الدورة الدموية فيها وتقليل السقوط واحيانا منعه لذلك ينصح البعض بعد اى حمى شديدة بتدليك جلد الرأس يوميا تفاديا لسقوط الشعر •

اما في سقوط الشعر المزمن نتيجة مرض مزمن فالامل ضعيف في تحسن الشعر حيث يكون السقوط بطيئا ولكنه ثابت ومستمر لعدة سنوات ، وعادة يكتشف السبب مؤخرا سواء كان نفسيا او نتيجة التسمم بعد ان يكون قد تساقط معظم الشعر واصبح من الصعب علاجه •

وفي حالات تساقط الشعر بسبب الانيميا او اضطراب الغدد يتحسن المريض بعلاج السبب، اما عند سن الياس فيمكن منع السقوط بالاعتناء بالعلاج الموضعي •

السبيل الى العلاج

ان المهم عندنا هو اكتشاف السبب وعلاجه طالما عرف السبب وعولج فان الشعر ينمو طبيعيا ويقف التساقط • اما عندما لا نجد اى سبب موضعي في الشعر او جلد الراس فان القصد من العلاج يكون تحسين وتنشيط الدورة الدموية في الجلد، ويتلخص العلاج فيما يلي : ـ

١ ـ تحسين الصحة العامة للشخص بما في ذلك استعمال الهرمونات خاصة لو كان الشخص يعاني من ضعف الحيوية مثل استعمال جرعات بسيطة من الغدة الدرقية ، كذلك استعمال هرمونات المبايض ، عند سن الياس • علاج اى بؤر صديدية في الجسم ، اعطاء المغذيات والفيتامينات ، كذلك استعمال الكورتيزون ومشتقاته بالفم او الحقن



شعرة مصابة نتيجة استعمال البرمانت ·

الموضعي والدهانات ، كما يجب الانتباه الى الناحية النفسية ·

٢ ـ استعمال بعض العقاقير التى تنشط بصيلات الشعر سواء عن طريق الفم او موضعيا فمثلا بيلوكاربين يساعد على نمو الشعر وكان سابقا يستعمل عن طريق الفم وادى الى نتائج مشجعة حيث نما الشعر وازداد سمكه بعد شهر فقط من الاستعمال كما انها تستعمل كذلك فى الدهانات والمحاليل · كذلك الكنين ، صبغة الجابوراندى ، نترات البوتاسيوم وبيركلوريد الزئبق ذات مفعول على بصيلات الشعر عند استعمالها موضعيا ، كما ان مركبات الكبريت خاصة لو كانت فى الزيت ، كنثاريدس ، امونيا ، الكافور ، حمض الخليك ، والكولسترين كلها تساعد على نمو الشعر ·

وعادة فان مستحضرات تقوية الشعر المستعملة حاليا ، تحتوى على بيركلوريد الزئبق ، حمض سالسليك ، كبريت ، نافتول ، بيبانتين · الدهان الموضعي بالثوريوم قد يستعمل في بعض الاحيان الا انه عادة يستعمل فى الثعلبة فقط ·

٣ ـ طرق ميكانيكية·وهي عبارة عن التدليك وذبذبة فروة الراس وهى من اهم الوسائل لتنشيط الدورة الدموية لجلد الراس وبالتالى لنمو الشعر ويعمل التدليك Massage ، بواسطة اصابع اليدين لمدة ١٠ دقائق وقد اثبتت التجارب فى الحيوانات ان التدليك يبدأ دورة شعر جديدة فى البصيلات النائمة ، واستعمال بعض الدهانات الموضعية الحارة يؤدى الى احمرار الجريبات وبالتالى تنشيطها ومن المهم كذلك تدليك عضلات الرقبة الخلفية . ويلجأ البعض الى استعمال الذبذبة الكهربائية Vibrations الا ان استعمال اصابع الدين فى التدليك افضل بكثير ·

استعمال « الشامبو » الدهني ويفضل ان يكون من زيت نباتي حيث ان ذلك بالتدليك ينفذ خلال البشرة ويساعد على نمو الشعر وزيت اللوز والخروع من افضلها ، ويجب تدفئة جلد الراس سواء بفوط ساخنة او بالاشعة تحت الحمراء ، وتوضع كمية قليلة من الزيت على جلد الراس وتدلك باصابع اليدين جيدا وبانتظام ويعاد ذلك مرة كل اسبوع . فالزيت يعطى لمعة للشعر ومع التدليك يساعد على نمو الشعر ومع تسخين فروة الراس يساعد على نشاط دورة الجلد وبالتالى يؤدى الى تحسن تغذية جريبات الشعر ·

٤ ـ الطرق الكهربائية ، وذلك باستعمال الاشعة فوق البنفسجية وتعمل ٣ مرات اسبوعيا على فروة الراس ولها فائدة فى تنشيط الدورة الدموية ومساعدة الشعر على النمو ، وتعطى جرعات بسيطة تزاد تدريجيا وهناك انواع اخرى من الاشعة مثل تحت الحمراء ·

٥ ـ العلاج الجراحي : بواسطة عملياتخاصة وتستعمل فى بعض حالات الصلع ومنها :

أ ـ زراعة الشعر حيث ترفع اجزاء صغيرة ومتعددة من جلد الراس المحتوى على الشعر بواسطة الة خاصة وتثبت هذه الاجزاء محل اجزاء اخرى صلعاء متساوية لها فى المساحة وتعمل العملية على فتراتفي كل فترة يزرع بعضالشعر حتى تغطى الراس كله ·

ب ـ كشط الشعر : وهي عملية جراحية فيها يكشط الجراح شريطا سطحيا من فروة الراس من جانب الراس ليلصقه فى اتجاه الجانب الاخر مغطيا بذلك الجزء الاصلع · وطبيعي ان هذا الشعرسواء فى الزراعة او الكشط هو شعرطبيعي ينمو ويقص كالمعتاد عند الحلاق · ■■

الكويت ـ ابراهيم محمد القشلان

طرائف عربية

اخلاق الصالحين

● سأل الخليفة هارون الرشيد ابا يوسف قاضي القضاة في عهده عن اخلاق الامام ابى حنيفة فقال ابو يوسف : « كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبا لاهل الدنيا ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهزارا ولا ثرثارا ، ان سئل عن مسألة كان لها فيه علم أجاب . وما علمته يا أمير المؤمنين الا صائنا لنفسه ولدينه . مستقلا بنفسه عن الناس لا يذكر أحدا الا بخير .. » فقال الرشيد « هذه اخلاق الصالحين » .

نصيحة ام

● قيل ان محمد بن عبد الرحمن بن هشام القاضي المكي كان قصيرا ذميما ، وكان عنقه داخلا في بدنه فسمعته امرأته ذات يوم وهو يقول : « اللهم اعتق رقبتي من النار » فقالت له زوجته : « وأي رقبة لك حتى يعتقها الله لك من النار » . وقد قال عن نفسه : « ان امي قالت لي يوما : « يا ولدي انك قد خلقت خلقة لا تصلح معها لعاشرة الفتيان ، فعليك بالدين والعلم ، فانهما يتممان النقائص ، ويرفعان الخسائس » فنفعني الله بما قالت فاجتهدت في طلب العلم حتى وليت القضاء » .

الخير ابقى

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل جاهك تعود به على اخيك الذى لا جاه له صدقة منك على اخيك . وفضل قوتك تعود به على اخيك الذى لا قوة له صدقة منك عليه . وفضل لسانك تعبر به عن لسان اخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على اخيك الذى لا علم له صدقة منك عليه ، واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على اهله » .

اعطاك ماتحب فاعطه مايحب

● عرض على الخليفة عبد الملك بن مروان اسارى من الخوارج وكان عنده رجاء ابن حيوة ، فقال له : ما ترى في امر هؤلاء الاسرى ؟ فقال رجاء : « ان الله اعطاك ماتحب من الظفر فاعط الله مايحب من العفو » ، فعفا عنهم .

اشترى لسانه

● بينما كان معاوية ذات يوم في مجلسه اذ جاءه غلام له ، فقال : « يا أمير المؤمنين لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ، ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها وما زالت خائرة النفس » . فقال معاوية : « اذهب وتلطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به » . فانطلق الغلام ولم يزل حتى أخذ الكتاب ، واقبل به على معاوية ، فاذا فيه شعر شكوى وغرام ، فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث الى يزيد ابنه فأتاه ، فوجده مكتئبا ، فقال : « ماهذا يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « هذا الفاسق ابو دهبل كتب بهذه الابيات الى اختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم » . فقال يزيد : « الامر هين عبد من عبيدك يكمن له في ازقة مكة ، فيريحنا منه » . قال معاوية : أف لك ، أو ما تعلم انك اذا فعلت ذلك صدقت قوله ، وجعلتنا احدوثة أبدا قال : « يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة اخرى تناشدها اهل مكة » قال : « وما هي ؟ » قال :

« الا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل — وما كل من يلحى محبا له عقل
حمى الملك الجبار عني لقاءها — فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخاف وباله — ولا في حبيب لا يكون له وصل »

فقال معاوية : « قد والله رفهت عني ، فما كنت آمن أنه قد وصل اليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل فالخطب يسير ، قم عني » .

وقد حج معاوية في تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج دعا أشراف قريش وشعراءها ، وفرق عليهم صلات سنية ، واجازهم ، وكان منهم ابو دهبل ، فلما اقترب كي يأخذ جائزته قال له : « يا ابادهبل اني رأيت يزيد ساخطا عليك في قوارص تأتيه منك » . فأخذ ابو دهبل يعتذر اليه ويحلف انه مكذوب عليه ، فقال له معاوية : « لا بأس هل تأهلت ؟ » قال : « لا » قال : « فأي بنات عمك احب اليك ؟ » فأشار عليه بواحدة ، فقال معاوية : « قد زوجتكها واصدقتها ألفي دينار وامرت لك بالف دينار » فقال : « ان رأى امير المؤمنين ان يعفو لي عما مضى ، فان نطقت ببيت في معنى ما سبق عني فقد أبحت به دمي » ، فسر معاوية بذلك ، وضمن له رضا يزيد عنه ، ووعده بادرار ما وصله به كل سنة .

يدعي الالوهية

● ظهر في عهد احد سلاطين السلاجقة رجل ادعى النبوة ، فامر السلطان السلجوقي بالقبض عليه ، وقتله ، وبعد مدة ظهر رجل آخر وادعى الالوهية فامر السلطان باحضاره وسأله قائلا : « كيف تجرؤ على ادعاء الالوهية ؟ الم تسمع ان رجلا ادعى النبوة قبل ايام قليلة فقتلناه ؟ » فقال الرجل : « حسنا فعلت ايها السلطان ، فاني لم أبعثه نبيا » .

حتى الحيوان له حقوق في الفقه الاسلامي

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

نظر الاسلام الى الحيوان نظرة ترتكز على احترام حياته ، ونفعه للانسان ، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة ٠٠ وحملت بعض سور القرآن أسماء حيوانات فجاءت سورة البقرة وسورة الانعام، وسورة النحل ٠٠ حتى النمل والعنكبوت !

■ عن الفقه الاسلامي يقول الدكتور « أنريكو انساباتو » في كتابه ــ الاسلام وسياسة الخلفاء : « ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الاسلامية ، ولا أن يغفل شانه ، او أن تمسه يد بسوء ، وانه أوجد للعالم ارسخ الشرائع ثباتا ، وانها لشريعة تفوق الشرائع الاوربية في كثير من التفاصيل » ٠

وهذه الحقيقة التي ادركها انساباتو ادركها العديد من فقهاء الغرب ومشرعيه ، وهي ناتجة عن الطابع العام للشريعة الاسلامية الذي يحدد مقاصدها ، ويوسع مداراتها ، وهو الذي يستلهمه الفقهاء فيما يقررون من احكام ٠

وفيما نحن بصدده من الكلام في حقوق الحيوان يتجلى اثر الطابع الجماعي للشريعة الاسلامية في مسالة «الحق» اي مدى ما لصاحبه من سلطان في الانتفاع به واستعماله والتصرف به ، وما يكون من تقييد الشارع له بالا يضر غيره بهذا الاستعمال ٠

وهذا يقوم على قاعدة راسخة ثابتة ، تقرر من اول الامر : ان الانسان وكل ما يملك ملك لله وحده ، ومن هنا كان تقييد استعمال « الحق » من نواح عديدة ، وقد تولد من هذا التقييد حقوق للغير ، والحيوان من جملة هذا الغير ٠

في الوقت الذي نجد فيه أن اعرق القوانين الوضعية قد جعلت الفردية طابعها العام ٠ فان القانون الروماني ــ في مراحله الاولى ــ مبني على فكرة استبداد صاحب الحق بما يزعمه من حقه الذي يملكه ، والقوانين الوضعية ــ في مجملها ــ تعتبر حق الفرد حقا طبيعيا له ، فهي تعمل على حمايته له ، وتمكينه من الانتفاع به على

ما يشاء ما دام يتصرف بزعمه في خالص حقه • وبهذا الاطلاق في استعمال « الحق » ضاعت بعض حقوق الغير ، والحيوان من جملة هذا الغير ايضا•

اعود الى موضوعنا فاقول : في عام ١٨٢٤ تاسست في انجلترا اول جمعية للرفق بالحيوان ، ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك في كثير من اقطار الارض ، فقامت هنا وهناك جمعيات تهدف الى الرفق بالحيوان عند المصاحبة ، والاحسان اليه في المعاملة ، والتلطف معه في السلوك •

غير ان هذه الجمعيات جميعا انما تقوم على اسس اخلاقية صرفة ، وقواعد انسانية عامة ، ليس لها اساس من القواعد التشريعية ، او القوانين الملزمة، وليس لها خلفية فقهية تنظم مسائلها ، وتوضح حدودها المتعلقة بحفظ حقوق الحيوان المتعاون مع الانسان في هذه الحياة • ومن هنا بقيت هذه الجمعيات ذات صفة طوعية اختيارية ، وهي لذلك لا ترتب ثوابا لممتثل، ولا توجب عقابا على مخالف• فماذا فعلت الشريعة الاسلامية في هذا الصدد ؟

الرفق مبدأ اسلامي

يعتمد الاسلام مبدأ الرفق بصورة عامة في جميع شؤون الحياة ، فيجعل منه سمة تميز المؤمن ، وعنصرا يقوي الايمان ، وفضيلة تزين العمل • وفي ذلك يقول رسول الله من حديث عائشة عند البخاري ومسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله » وفي رواية مسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه » وروى مسلم بسنده عن عائشة : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » •

وعن جرير بن عبد الله ان النبي قال : « ان الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق ، واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخير » رواه الطبراني ، ورواه مسلم وابو داود مختصرا •

وعن ابي الدرداء ان رسول الله قال : « من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح •

وروى عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله قال : « الرفق يمن ، والخرق شؤم » رواه الطبراني في الاوسط • والاحاديث في ذلك كثيرة متوافرة سقنا بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر • وكلها تنص على ان الرفق مبدأ اسلامي يبنى عليه التشريع الاسلامي قواعده واصوله •

نظرة الاسلام الى الحيوان

ينظر الاسلام الى عالم الحيوان اجمالا نظرة واقعية ترتكز على اهميته في الحياة ، ونفعه للانسان ، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة • ومن هنا كان الحيوان ملء السمع والبصر في كثير من مجالات الفكر والتشريع الاسلامي • ولا ادل على ذلك من ان عدة سور في القرآن الكريم وضعت لها العناوين من اسماء الحيوان مثل سورة البقرة ، والانعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت ، والفيل •

ويعود القرآن بعد ذلك لينص على تكريم الحيوان، وبيان مكانته ، وتحديد موقعه الى جانب الانسان فبعد ان بين الله ـ في سورة « النحل » ـ قدرته في خلق السموات والارض ، وقدرته في خلق الانسان ، أردف ذلك بقوله : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » •

وقد استنبط الفقهاء والمفسرون من هذه الآيات الاربع من سورة النحل ما يلي :

اولا : ان الحيوان شديد الارتباط بالانسان ، وثيق الصلة به ، قريب الموقع منه ، ومن هنا كان للحيوان على الانسان حرمة وذمام (القرطبي ١٠/ ٦٩) •

ثانيا : ان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي ـ بعد الانسان ـ سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب (الرازي ٢٢٧/١٩) •

ثالثا : ان الله ـ سبحانه قصد بهذه الآيات ان يبتعد بالانسان عن ان ينظر الى الحيوان نظرة ضيقة لا تتعلق الا بالجانب المادي المتعلق بالاكل والنقل واللباس والدفء ، فوسع نظرته اليه مشيرا الى ان للحيوان جانبا معنويا ، وصفات جمالية تقتضي الرفق به في المعاملة ، والاحسان

اليه في المصاحبة ، والاقبال عليه بحب واعتزاز ، فقال : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال : « لتركبوها وزينة » قال الرازي (٢٢٨/١٩) : واعلم ان وجه التجمل بها ، ان الراعي اذا روحها بالعشي وسرحها بالغداة تزينت ـ عند تلك الاراحة والتسريح ـ الافنية ، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء ، وفرحت اربابها ، وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها » .

وقال القرطبي (٧٠/١٠) : « وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة ، وهو مرئي بابصار موافق للبصائر.ومن جمالها : كثرتها وقول الناس اذا رأوها : هذه نعم فلان ، ولانها اذا راحت توفر حسنها ، وعظم شانها ، وتعلقت القلوب بها » .

رابعا : ان ذكر بعض الحيوانات باسمائها في هذه الآيات لا يعني ان غيرها ليس كذلك . بل انه ذكرها على سبيل المثال لا الحصر بدليل قوله : « ويخلق ما لا تعلمون » .

ويقول الرازي في تفسير ذلك (٢٣١/١٩) : لان انواعها واصنافها واقسامها كثيرة خارجة عن العد والاحصاء فكان احسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية ».

ثناء الاسلام على بعض الحيوانات

وقد اناط الاسلام وجوب الاحسان الى بعض الحيوانات بمنافعه المعنوية وصفاته الحميدة ، فاوجب الرفق به ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ، انه (ص) قال : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » ووقع في رواية ابن ادريس عن حصين في هذا الحديث من الزيادة قوله (ص) : « والابل عز لاهلها ، والغنم بركة » اخرجه البرقاني في مستخرجه ، ونبه عليه الحميدي ، ونقله ابن حجر (فتح الباري ٢٩٥/٦) .

وروى النسائي عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله قوله : «لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة» رواه ابو داود ايضا وابن حبان في صحيحه ، الا انه قال : « فانه يدعو للصلاة » على ما نقله المنذري (١٣٢/٥) .

الرفق بالحيوان عبادة لله

توافرت النصوص على ان الاحسان الى الحيوان والرفق به عبادة من العبادات التي قد تصل ـ في بعض الاحيان ـ الى أعلى درجات الاجر واقوى اسباب المغفرة . ومن ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله (ص) : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم امسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ،قالوا : يا رسول الله ان لنا في البهائم أجرا ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، وابن حبان في صحيحه الا انه قال : « فشكر الله له فادخله الجنة » .

واخرج مسلم عن أبي بكر بن ابي شيبة بسنده الى أبي هريرة ، ان رسول الله (ص) قال : « ان امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها ـ أي استقت له بخفها ـ فغفر لها » .

فقد غفر الله لهذه البغي ذنوبها بسبب ما فعلته من سقي هذا الكلب .

وعن عبد الله بن عمرو ان رجلا جاء الى رسول الله (ص) فقال : اني انزع في حوضي حتى اذا ملأته لابلي ورد عليّ البعير لغيري فسقيته، فهل لي في ذلك من أجر ؟ فقال رسول الله (ص) : « في كل ذات كبد حراء أجر » رواه احمد ورواته ثقات مشهورون .

وعن محمود بن الربيع أن سراقة بن جعشم قال : يا رسول الله ان الضالة ترد على حوضي فهل لي فيها من أجر ، ان سقيتها ؟ قال : « اسقها ، فان في كل ذات كبد حراء أجرا » رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه ابن ماجه والبيهقي .

واخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسلمة من حديث أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . فاما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فاطال في مرج أو روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت ارواثها وآثارها حسنات له .ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له .. الحديث » .

الاساءة للحيوان معصـية لله

وبنفس القدر الذى اوصلت الشريعة الاسلامية به الاحسان الى الحيوان والرفق به الى اعلى درجات العبادة ، اوصلت الاساءة للحيوان وتعذيبه الى أعمق دركات الاثم والمعصية . وفى ذلك يقول رسول الله (ص) على ما أخرجه البخارى ومسلم: « عذبت امراة فى هرة ، لم تطعمها ولم تسقها ، ولم تتركها تاكل من خشـاش الارض » وروى البخارى بسنده الى اسماء بنت ابى بكر أن النبى (ص) قال : « ودنت منى النار حتى قلت : أى رب وانا معهم ، فاذا امراة ـ حسبت انه قال : تغدشها هرة ـ قلت : ماشان هذه؟ قالوا :حبستها حتى ماتت جوعا » قال النووى فى شرح هذا الحديث عن مسلم (٨٩/٩) : ان المراة كانت مسلمة وانها دخلت النار بسببها وهذه المعصية ليست صغيرة بل صارت باصرارها كبيرة » .

وقد حرم الاسلام تعذيب الحيوان ولعن المخالفين على مخالفتهم . فقد روى مسلم بسنده الى ابن عباس ، ان النبى (ص) مر على حمار قد وسم فى وجهه فقال: « لعن الله الذى وسمه » وفى رواية له : « نهى رسول الله (ص) عن الضرب فىالوجه وعنالوسم فى الوجه » . ورواه الطبرانى باسناد جيد مختصرا : « ان رسول الله (ص) لعن من يسم فى الوجه » وروى الطبرانى ايضا عن جنادة بن جراد أحد بنى غيلان بن جاوة قال: اتيت النبى (ص) بابل قد وسمتها فى أنفها ، فقال رسول الله « يا جنادة فما وجدت عضوا تسمه الا فى الوجه أما ان أمامك القصاص » فقال : امرها اليك يا رسول الله .

وعن جابر بن عبد الله قال : مر حمار برسول الله (ص) قد كوى وجهه يفور منخراه من دم ، فقال رسول الله (ص) : « لعن الله من فعل هذا » ثم نهى عن الكى فى الوجه والضرب فى الوجه » رواه الترمذى مختصرا وصححه. والاحاديث فى النهى عن الكى فى الوجه كثيرة . وقد حرمت الشريعة الاسلامية تصبير البهائم ـ اى أن تحبس لترمى حتى تموت ـ كما حرمت المثلة ـ وهى قطع اطراف الحيوان ـفقد روى عن ابن عمر انه قال : « نهى النبى (ص) عن أن تصبر بهيمة او غيرها للقتل » . واخرج البخارى ومسلم الى عبد الله ابن عمر أنه قال : « لعن النبى (ص) من مثل بالحيوان » قال العسقلانى فى شرح صحيح البخارى (٢٨٤/٨) : « واللعن من دلائل التحريم كمالا يخفى » وقال العقيلى : « جاء فى النهى عن صبر البهيمة احاديث جياد » وقال ابن حجر (فتح البارى ٦٥/١٢) : « وفى هذه الاحاديث تحريم تعذيب الحيوان » والتحريم يقتضى العقاب ، والعقاب أثر من آثار الجريمة . وهذا يعنى : ان الاساءة الى الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يعتبر جريمة فى نظر الشريعة الاسلامية ـ وورد النهى عن خصاء البهائم كما جاء فى شرح معانى الاثار للطحاوى من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله (ص) نهى أن يخصى الابل والبقر والغنم والخيل ،واذا دعت الضرورة الى ذلك فى الحيوان الذى يخشى عضاضه ووجد طريق آخر لمنع أذاه من غير طريق الخصاء ، فانه لا خلاف فى منع الخصاء حينئذ ، لانه تعذيب .

تحريم انواع من التصرفات مع الحيوان

من الفنون التى تشيع هنا وهناك ما لا يتم الا بتعذيب الحيـوان باغراء بعضـه على بعض وتهييجه ، كمصارعة الثيران ، ومصارعة الديكة ، والكباش ونحو ذلك ، او نصبه غرضا للرماية والصيد او قتله بدون فائدة ، ولا منفعة . او ارهاقهبالعمل الشاقوقد اعتبرت الشريعة الاسلامية ذلك من الفعل المحرم الذى يستحق العقوبة . فقد روى عن ابن عباس قال : « نهى رسول الله (ص) عن التحريش بين البهائم » رواه ابو داود والترمذى متصلا ومرسلا عن مجاهد وقال فى المرسل : هو أصح .

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب عن ابيه قال : « كنا مع النبى (ص) فى سفر ، فانطلق لحاجته ، فرآينا حمرة معها فرخان، فاخذنا فرخيها فجاءتالحمرة فجعلت تعرش، فلما جاءرسول الله قال:« منفجعهذه بولدها؟ردوا ولدها اليها » وعن الشريد قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول : يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة » رواه النسائىوابن حبان فى صحيحه . وعن ابن عمر انه مر بفتيان من

قريش قد نصبوا طيرا او دجاجة ـ يترامونها ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، ان رسول الله (ص) لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » رواه البخاري ومسلم ٠

قال الصنعاني في سبل السلام (٨٦/٤) بعد ان اورد هذا الحديث بلفظ مسلم : « الحديث نهى عن جعل الحيوان هدفا يرمى اليه ، والنهي للتحريم لانه اصله ، ويؤيده قوة حديث « لعن الله من فعل هذا » ووجه حكمة النهي ان فيه ايلاما للحيوان » ٠

ومن الرفق بالحيوان تجنيب اذيته في بدنه ولطمه على وجهه ، فقد روى عن المقداد بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله (ص) ينهى عن لطم خدود الدواب » وفي صحيح مسلم : ان امرأة كانت على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله (ص) فامر باعراء الناقة مما عليها وارسالها، عقوبة لصاحبتها ٠

تحريم التعسف في استعمال الحق مع الحيوان

اذا كان الله ـ سبحانه ـ قد اجاز للانسان ان يستعمل حقه في الانتفاع بالحيوان ، فانه اشترط لذلك ان يتم على الوجه المشروع ، فان كان فيه شيء من التعسف فقد ورد النهي عنه في نصوص كثيرة ومن ذلك ما يلي : ـ

ـ التعسف في استعمال حق الذبح

لقد جعل الاسلام من حق الانسان ان يذبح الحيوان الماكول للاستمتاع بالطيب من لحمه ، ولكنه امر بالاحسان في ذبحه ، فقال رسول الله (ص) : « واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » وقد وضع فقهاء الاسلام ادابا لذبح الحيوان الماكول اقتباسا مما جاء في الرفق بالحيوان من اصول ، فقال امير المؤمنين عمر : « من الاحسان للذبيحة ان لا تجر الذبيحة الى من يذبحها » .

وقال ربيعة الراى : « من الاحسان أن لا تذبح ذبيحة واخرى تنظر اليها » ونص الفقهاء على انه على الذابح ان لا يحد شفرته امام الذبيحة ،وأن لا يصرعها بعنف ٠فعن ابن عباس ان رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته ، فقال النبي (ص) : « أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا احددت شفرتك قبل ان تضجعها ؟ » رواه الطبراني في الكبير والاوسط ، والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط البخاري ٠ وعن معاوية بن مرة عن ابيه أن رجلا قال : يارسول الله ، انى لارحم الشاة ان اذبحها ،فقال : « ان رحمتها رحمك الله » رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ٠

وعن الوضين بن عطاء قال : ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها ، فانفلتت منه فاتبعها ، فاخذ يسحبها برجلها فقال رسول الله « يا جزار ، سقها سوقا رفيقا » رواه عبد الرزاق في مصنفه ٠وعن ابن سيرين ان عمر ـ رأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : « ويلك قدها الى الموت قودا جميلا » رواه عبد الرزاق ايضا ٠

ـ التعسف في استعمال حق القتل

اذن الاسلام في قتل الحيوان المؤذى ، كالكلب العقور ، والافعى السام ، والفار المخرب ، وما اشبه ذلك غير انه امر بالاحسان في قتله ، فقال رسول الله (ص) : « ان الله كتب الاحسان في كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة » والمعروف ان القتل يستعمل للحيوان الذى لا يؤكل على خلاف الذبح الذى يستعمل للحيوان الماكول ٠ وعن ابن مسعود قال كنا مع رسول الله (ص) في سفر فراى قرية نمل قد حرقناها فقال : « من حرق هذه ؟ » قلنا : نحن قال : « انه لا ينبغي أن يعذب بالنار الا رب العالمين » رواه ابو داود وقد امر رسول الله بقتل « الوزغ » وهو الكبار من الفي وسام ابرص ، الا انه امر بالاحسان في قتله وذلك بقتله بضربة واحدة دون تعذيبه بضربات متعددة ، فعن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) من قتل وزغة في اول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الاولى وان قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية » رواه مسلم ، وابو داود ، والترمذي وابن ماجة ٠ وفي رواية لمسلم « من قتل وزغا فى اول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك » ٠

وفي حديث سقيا الكلب الذى يلهث ، قال المفسرون : فيه دلالة على وجوب الاحسان الى

الحيوان المؤذى المأمور بقتله ، فقد أمر الاسلام بقتل الكلب العقور الا انه اثاب من سقاه من البئر باعلى درجات الثواب فادخله الجنة فلا تعارض بين الامر بقتله والامر بالاحسان اليه ، امتثالا لحديث : « واذا قتلتم فاحسنوا القتلة » .

– التعسف فى استعمال حق الركوب

سخر الله الحيوان لنقل الانسان من مكان الى مكان، كما جاء فى قوله تعالى : « لتركبوها وزينة » غير ان هذا الحق ليس مطلقا ، وانما قيدته الشريعة الاسلامية بقيود ترتكز كلها على اصل الرفق بالحيوان والاحسان اليه ومراعاة حقوقه .

ومن حقوق الحيوان فى ذلك :

١ – أن تتاح له فرصة الرعى والاستراحة فى السفر الطويل . فقد أخرج البخارى ومسلم من طرق متعددة بالسند الى أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اذا سافرتم فى الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض » قال النووى فى شرح هذا الحديث عند مسلم (١٢٨/٨) : « ومعنى الحديث الحث على الرفق بالدواب ، ومراعاة مصلحتها ، فان سافروا فى الخصب فقللوا السير وتركوها ترعى فى بعض النهار وفى اثناء السير ، فتاخذ حظها من الارض بما ترعاه منها » . وقد جاء فى أول هذا الحديث من رواية مالك : « ان الله رفيق يحب الرفق »

٢ – ومن حق الدابة المعدة للركوب أن لا يركب عليها ثلاثة فى ان واحد . فقد أخرج الطبرانى فى الاوسط عن جابر قال: « نهى رسول الله (ص) أن يركب ثلاثة على دابة » وفى رواية أبى سعيد: « لا يركب الدابة فوق اثنين » . واخرج ابن أبى شيبة من مرسل زاذان : انه راى ثلاثة على بغل، فقال : « لينزل احدكم ، فان رسول الله (ص) لعن الثالث » واخرج الطبرانى عن على ، قال : « اذا رايتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل احدهم » وقد حمل الفقهاء هذه النصوص على ما اذا كانت الدابة غير مطيقة للثلاثة ، فان اطاقتهم جاز . قال ابن حجر فى فتح البارى (٥٢٠/١٢): « يحمل ما ورد فى الزجر عن ذلك على ما اذا كانت الدابة غير مطيقة كالحمار مثلا ، وعكسه على عكسه كالناقة والبغلة » . وقال النووى فى شرح مسلم (١٣٥/٩) : « مذهبنا ومذهب العلماء كافة جواز ركوب ثلاثة على دابة اذا كانت مطيقة » وحكى القاضى عياض منعه عن بعضهم مطلقا . وقال ابن حجر : « لم يصرح أحد بالجواز مع العجز » .

٣ – ومن المحرم فى الشريعة الاسلامية : وقوف الراكب على الدابة وقوفا يؤلمها ، فقد ورد فى سنن أبى داود ان رسول الله (ص) قال : « اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فان الله انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس » .

٤ – ولا يجوز الركوب على مالم يخلق للركوب كالبقرة ، قال القاضى أبو بكر بن العربى : « لا خلاف فى ان البقر لا يجوز ان يحمل عليها ، وذهب كثير من أهل العلم الى ان المنع من ركوبها نظرا الى انها لا تقوى على الركوب ، انما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو اثارة الارض وسقى الحرث » .

٥ – ولا يجوز أن يكون مقود الدابة ضارا بها . فقد ورد فى الصحيح : أن رسول الله (ص) قال: « لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر الا قطعت » فذهب بعض اهل العلم فى فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان وقال : انه أمر بقطع القلائد من اعناق الدواب مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض لانها تضيق عليها نفسها ، وكراهة ان تتعلق بشجرة فتخنقها او تعوقها عن المضى فى سيرها .

– التعسف فى استعمال حق التحميل

وحرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى الحيوان بتحميله من الاثقال ما لا يطيق ، وكان الصحابة الكرام يعرفون ان من حمل دابة ما لا تطيق حوسب على ذلك يوم القيامة . فقد روى عن أبى الدرداء انه قال لبعير له عند الموت « يا ايها البعير لا تخاصمنى عند ربك ، فانى لم اكن احملك فوق طاقتك » . وعن عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله (ص) خلفه ذات يوم ... فدخل حائطا – أى بستانا – لرجل من الانصار ، فاذا فيه جمل فلما رأى النبى (ص) حن وذرفت عيناه ، فاتاه رسول الله (ص) فمسح ذفراه فسكت ، فقال : « من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الانصار، فقال : لى يارسول الله ، فقال: « افلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها ، فانه شكا الى انك تجيعه وتدئبه » أى تعمل عليه عملا متواصلا ، رواه احمد وابو داود.

وروى احمد ايضا من حديث طويل عن يعلى بن مرة قال فيه : وكنت عنده ـ أي مع النبي ـ جالسا ذات يوم ، اذ جاءه جمل يخب حتى صوب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال: « ويحك انظر لمن هذا الجمل؟ ان له لشانا» قال فخرجت التمس صاحبه، فوجدته لرجل من الانصار ،فدعوته اليه ،فقال:«ما شأن جملك هذا ؟ » فقال وماشأنه ؟ لا أدري والله ما شانه ؟ عملنا عليه ، ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية ، فائتمرنا البارحة ان ننحره ونقسم لحمه ، قال : « فلا تفعل ، هبه لي او بعنيه »

وعن سهل بن الحنظلية قال : مر رسول الله (ص) ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال: « اتقوا الله في هذه البهائم فاركبوها صالحة ... » رواه ابو داود وابن خزيمة ، الا انه قال : «قد لحق ظهره» وإذا كانت الشريعة قد حرمت ركوب مالم يخلق للركوب من الحيوان ، فقد حرمت ايضا ان يحمل على مالم يخلق للحمل منه كالبقر مثلا . ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث » قال القرطبي في الجامع (٧٢/١٠) معقبا : « فدل هذا الحديث على ان البقرة لا يحمل عليها ولا تركب » ويقول ايضا ـ في تفسير قوله تعالى : « وتحمل اثقالكم » : « في هذه الآية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الاثقال عليها ، ولكن على قدر ما تحتمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السير » .

وروى ابو داود بسنده الى المسيب بن ادم قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ يضرب جمالا وقال « تحمل على بعيرك ما لا يطيق ؟ » .

أحكام فقهية تحدد حقوق الحيوان

كتب الفقه الاسلامي طافحة بالاحكام المتعلقة بالحفاظ على حقوق الحيوان وهي كثيرة لا يتسع المجال لذكرها في هذه المقالة الموجزة . ومن ذلك ما قرره الفقهاء من وجوب القيام على سقي الدابة واطعامها ،واذا قصر مالك الحيوان في ذلك أجبره القضاء عليه ، فان لم يقم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها : باعها القاضي ولم يتركها تحت يد صاحبها تقاسي .

ويقول القاضي ابو يعلى في كتابه (الاحكام السلطانية ص ٣٠٥) واذا كان في ارباب المواشي من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه انكره المحتسب عليه ، ومنعه منه وان لم يكن فيه مستعد ـ أي مخاصم ـ اليه ، فان ادعى المالك احتمال الدابة لما يستعملها فيه جاز للمحتسب ان يفكر فيه، لانه وان افتقر الى اجتهاد فهو عرفي يرجع فيه الى عرف الناس وعادتهم وليس باجتهاد شرعي » وفي الفتاوى البزازية (٣٧٠/٦) ما نصه : « المختار ان النملة اذا ابتدات بالاذى لا باس بقتلها والا يكره ، والقاؤها في الماء يكره مطلقا » لانه تعذيب لا مبرر له . « وقتل القملة لا يكره ، واحراقها واحراق العقرب بالنار يكره » والهرة اذا كانت مؤذية لا تضرب ولا تعرك اذنها بل تذبح بسكين حاد.

ويقول النويري في نهاية الارب (٩ / ٢٥٨) : « وسمعوا بعض المفسرين يقول في قوله ـ عز وجل ـ : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ان المحروم هو : الكلب » وقال الصنعاني في سبل السلام (٢٣٢/١) بعد حديث المراة التي دخلت النار في هرة حبستها : « والحديث دليل على تحريم قتل الهرة لانه لاعذاب الا على فعل محرم » ومثل هذه الاحكام في كتب الفقه الاسلامي لا حصر لها .

هذا وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حدا يكاد يكون متطرفا ،حتى ان عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات ولهن حق ،كما رواه النووي في تهذيب الاسماء . وكان الامام ابو اسحاق الشيرازي يمشي في طريق يرافقه فيه بعض أصحابه ، فعرض لهما كلب فزجره رفيق الامام ابي اسحاق ، فنهاه الامام وقال : اما علمت ان الطريق بيني وبينه مشترك . وامثال ذلك في تراثنا كثير . وكان الدافع الى ذلك هو الرغبة الشديدة في تطبيق احكام الشريعة الاسلامية نصا وروحا .

واخيرا نقول : ان شريعة فيها من ضمان حقوق الحيوان ما ذكرنا بعضه القليل ، ماذا يمكن أن تشرع للانسان من حقوق ؟ ■■

بغداد ـ احمد عبيد الكبيسي
استاذ مساعد في كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد

رسالة الشهر

قصة المال العربى الحائر

انا مهندس عربى من ابناء الجزيرة العربيةاعمل فى قطر آخر فى نفس الجزيرة العربية ، وقد تجمع لدى فائض من المال ، فكرت فـى استثماره فى وطنى الا اننى لا استطيع ذلك، فانظمة بلدى ضد استثمار القطاع الخاص ٠٠لذلك فكرت فى استثماره فى البلد الـذى أعمل فيه ٠٠ ولكن هذا البلد الشقيق لـه انظمة خاصة تمنع استثمار اموال غير المواطن باى شكل من الاشكال ٠٠ ولو كان عربيا ٠٠وهذه ليست حالتى وانما حالة عشرات الالاف من العرب الذين تتوفر لديهم اموال فائضـة ولا يجدون منفذا لاستثمارها ٠٠

اخبرت زميلا امريكيا لى فى العمل بالقصة٠٠ففوجئت بانه احضر فى اليوم التالى مجموعة نشرات امريكية تشرح فرص الاستثمار فـى الولايات المتحدة ، وهى فرص متعددة لكـل راغب ، بصرف النظر عن الجنس او اللغـة او اللون ٠٠ وباسلوب دعائى شديد الاغراء ٠٠ انهم يحولون جمود الاموال الى حركـة وانتاج ٠٠٠ والحركة حياة ، ونحن نكبـل اموالنا بالقيود ٠٠ ونطردها الى خارج وطننا الكبير ٠٠٠

الا تحتاج هذه المشكلة الى حل ؟

م٠ن٠ع

مهندس جدة

ضرار بن الأزور

● ذكرتم ان كتب التاريخ اختلفت فى مكان وزمان وفاة فارس المجير ضرار بن الازور ، ورجحتم الراى الذى يقول انه استشهد فى معركة « اجنادين » ٠ جاء هذا فى مقال الاستاذ احمد عادل كمال فى العدد ٢١٩ من « العربى » ٠

والذى ارجحه ان ضرار بن الازور استشهد فى معركة اليرموك ٠٠ ويدل ذلك ضريحه الكائن فى بلدة ضرار التى سميت باسمه والواقعة فى شمال الاردن عند مصب نهر اليرموك الى جانب ابو عبيدة وشرحبيل ٠٠ وهؤلا ـ كما نعلم ـ كانو قادة معركة اليرموك ٠

جازى احمد/ناعور/الاردن

خطأ مطبعى

● جا فى مقال الدكتور محمد احمد خلف الله المنشور فى العدد رقم ٢٢١ تحت عنوان الى الذين يرفضون التغيير قائلين : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، قوله فى القرآن الكريم (قل اننى هدانى ربى الى دين قيم ملة ابيكم ابراهيم حنيفا هو الذى سماكم مسلمين)

ولا شك ان خطأ مطبعيا قد حدث ٠٠ فالاية الصحيحة هى : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » ٠

حمدى المبجى

دمشق/سوريا

الامانة ... الامانة

● قرات في عدد مايو/٧٧ من مجلة « العربي » مقالا عن« قرة العين »للسيد حسين علي الجبوري.. وقد دهشت حين وجدت المقال برمته منقولا عن كتاب « لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» ـ الفصل الخامس ـ الجزء الثاني للدكتور علي الوردي ..

احببت ان انبهكم لهذا الامر رعاية للامانة العلمية ...

غانم محمد/بغداد

● المقال المنشور في عدد مايو/٧٧ عن « قرة العين » منقول عن كتاب الدكتور علي الوردي الذي اجهد نفسه كثيرا في ترجمته لسيرة « قرة العين » .. ومن العيب ان ينسب الفضل لغير اهله ..

طه احمد عباس/الفلوجة/العراق

اعمل لدنياك

● نشرتم في عدد مايو/٧٧ نص الحكمة المشهورة (اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا) بحسبانها لعبدالله بن عمرو ابن العاص .. والذي اعرفه ان قائلها هو الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ..

النجف/العراق مهدي عبد مهدي

« العربي » .. والسوق السوداء

● الى متى سنظل نشتري مجلة « العربي » بسعر السوق السوداء ؟ ..

وعدتمونا منذ اعوام بزيادة المطبوع .. وما زلنا ننتظر منكم الوفاء بوعدكم ..

جمال السعيد/حلب/سوريا

العربي : زدنا الكمية المطبوعة من العربي منذ ثلاثة اشهر .. ونأمل ان تواصل هذه الزيادة مع بداية العام الجديد .

لا تصدقوا :

● تتبعت باهتمام بالغ ردود الفعل العربية والغربية التي اثارها فوز كتلة ليكود في الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة .. فاكتشفت ان الكثيرين منا ما زالوا يجهلون طبيعة الفكر الاسرائيلي ، اذ ان البعض منا ظن ـ اما عن جهل واما بسبب اغراق في التفاؤل ـ ان رغبة اسرائيل في السلام تبدو وشيكة ، وان حزب العمل الذي يقف على راسه شمعون بيريز سوف يعيد الجانب الاكبر من الاراضي العربية التي احتلت قبل عشر سنوات .

ان المواطن الاسرائيلي العادي وبعد مرور عشر سنوات على حرب ١٩٦٧ اصبح اكثر املا في ضم الاراضي العربية المحتلة بسبب احساسه ان العرب اعجز من ان يستعيدوا هذه الاراضي بالقوة .. وان لجوء العرب الى السلام ليس اكثر من اعلان لهذا العجز ، وان دولته قد بلغت من القوة شاوا بات يحس معه بالامن والطمانينة .

والطفل الاسرائيلي يعبا منذ ولادته بمفاهيم وتعاليم تجعله يفكر بما يفكر به مناحيم بيجن زعيم كتلة ليكود .. وقد قوى هذا الشعور لدى ابسط مواطن اسرائيلي في المدة الاخيرة ، بعد ان لمس الرغبة القوية لدى العرب بالتسليم بشروط قادته للسلام .. هذه الرغبة التي وصفها وزير خارجية امريكا سايروس فانس عند جولته في المنطقة بانها بلغت حد الاستماتة.

والكل يعلم ، ان الحكومة الاسرائيلية ـ على عكس اكثر دول العالم ـ تشجع زيادة النسل ، ولتحقيق هذا الهدف سنت منذ سنوات ، قانونا يعطي جائزة مالية لكل ام

عصر الجمــال

● الذى اعرفه ان العالم الحديث يعيش ثورة فى وسائل المواصلات ٠٠ فمن عابرات للقارات الى اقمار اصطناعية ٠٠٠ ثورة اختزلت المسافات الذى كانت تقف حائلا دون ربط هذا العالم ٠

هذه الحقيقة اصبحت لدى محل شك ، لان مجلة العربى لم تصلنا منذ ستة اشهر ٠٠ ولو كانت وسيلة توزيعها على ظهور الجمال لوصلت ٠٠

فالى متى سنظل نحرم من قراءة مجلتنا فـــى شهر صدورها ٠٠ ؟

جعفرى محمد/الدار البيضاء/المغرب

ـ ماذا تقول شركة التوزيع ؟

الموهوبون العرب

● لماذا لاتخصص مجلة العربــى زاوية لنشر اعمال الموهوبين مـــن الشباب فى مختلف المجالات ؟

اشرف محيى ابراهيم/امبابة/القاهرة

● كل صفحات « العربى » مفتوحة للموهوبين ، وانتاجهم الجيد ينشر بغير تردد ٠

● سجلوا اسمى مع المتقدمين لتدريس اللغة العربية فى جيبوتى ٠٠ الاسم هو سالــم محمــد شعير/دبلوم ثانوى تجارى وعنوانى هو : ادكو ـ ادارة ادكو التعليمية جمهورية مصر العربية ٠

● لدى رغبة جامحة للذهاب الى جيبوتى متطوعا لتدريس اللغة العربية هناك ٠٠ ورغم اننى اعمل مدرسا للعربية فى احدى مدارس مصر ، الا اننى على استعداد لتقديم استقالتــى تلبية لنــداء الاخوة ٠٠

فؤاد مصطفى التمامى/مصر

فكلهم صقور !

تنجب توأما ٠ وذلك لتملأ الارض التى تقول عنها انها بلا شعب ٠

والمعركة الانتخابية التى وقعت مؤخرا كشفت القناع عن الكثير من هذه المفاهيم ٠٠ فحزب العمل لا يختلف عــن حزب ليكــود والاحزاب الاخرى ، فى الهدف الذى يسعى اليه ٠٠ ولا تصدقوا ما يقال ، فانهم جميعا صقور ٠

فاليعازر والياهو وبــن غوريــون ومائير وباريليف وديان وابا ايبان ورابين كلهــم مؤمنون بما يؤمن به مناحيم بيجين ، ولكــن الاسلوب فقط هو الذى يختلف ٠

ولــو قــدر للتسوية ان تنضــج ، فليس معنــى هــذا ان اسرائيــل ستنصــرف عــن الهــدف الذى تسعــى اليــه وان تظــاهرت بالانصراف ٠٠ تحينا لفرصة اخرى تمكنهــا من تحقيق مرحلة اخرى على الطريق لذلــك الهدف ٠ وسيرى العرب ان خطر الابقاء على حالة الحرب بينهم وبين اسرائيل اهون مــن التصالح معها بسبب المخططات التوســعية والاقتصادية التى تسعى اليها ٠

واخيرا لست ادرى ان كانت رسالتى هــذه ستصلكم ام لا ٠٠ والتى تكون بمجموعهـا صرخة يطلقها اليوم عربى فرضوا عليه الجنسية الاسرائيلية ٠٠ ولكنه بقى عربى اللســـان والجنان ٠٠

اللهم فاشهد ٠٠ انى قد بلغت ٠٠

عربى فلسطينى
من حيفا

عربية لا تركيـــة

● سالني صديق فاضل قائلا : اقرات العددالثاني والعشرين بعد المائتين من مجلة «العربي» الصادر في مايو ٧٧ قلت : لا ٠٠ فما الداعـــيلسؤالك ؟ قال : قرات في هذا العدد مقالا للاستاذ يوسف اليوسف عن الشاعر المرحوم بدر شـــاكرالسياب جاء فيه ان اباه كان قد تزوج بتركيـة بعد وفاة امه٠٠٠ فاستغربت هذا القول ٠٠ اذ ان ابا بدر بعد وفاة ام بدر السيدة كريمة بنت سياب المرزوق السياب قد تزوج امراة عربية هيالسيدة رازقية بنت علي الناصح ، ومات وهـي في عصمته ، وله منها ولد وبنتان ، وليست هذهاول رواية غير صحيحة تروى عن الشاعر ٠٠ فقد قرانا ما ورد عنه في كتاب الدكتور احســـانعباس، ، ان مرزوق السياب كان يقص على حفيده بدر والحاضرين احاديث عن الثورة الفرنسية !وعن ايام العرب والعجم ٠٠ الخ ٠ ونحن نقول عن علم ويقين ان جدنا المرحوم مرزوق السيابمات عام ١٩٣٦ وكان طاعنا في السن اذ كان يبلغ من العمر آنذاك مائة وعشرين سنـة ، وكان لايحسن الكتابة والقراءة ولم نسمع نحن الذيــن نشا بدر بيننا وربى على ايدينا مثل هذا الحديث

عبد الرحمن السياب

ابو الخصيب/البصرة/العراق

العرب وليس همرشولد

● يوم ولدت ٠٠ كان كل الذين حولـــك سعداء ٠٠

وكنت تبكي وحدك ٠٠

اجعل حياتك حافلة بالاعمال الطيبة ٠٠ حتى اذا ما جاءت ساعة رحيلك ، رايت كل الذيـــن حولك يبكون ٠٠ وكنت انت وحدك بلا دموع تذرفها ٠٠

قلتم ان هذه الكلمات وجدت بين اوراق داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الاسبـق الذي قتل في الكونجو لسقوط طائرته ٠٠ وكان قد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية ٠٠

تستغربون اذا قلت لكم ان هذه الفكرة عربية اصلا ٠٠ وترجمت الى اللغات الاجنبية ، ويتضح هذا من البيتين التاليين :

ولدتـك امــك يــا ابـن ادم بــاكيا
والنـاس حولـــك يضحكـون سـرورا

فاحرص على عمل تكون به ـ متى
يبكون حولك ـ ضـاحكا مـسـرورا

عبدالرحمن ابو محمد ـ ابوظبي

● ورد في ص ٦٠ من عدد مايو/٧٧ ، تحت عنوان طرائف اجنبية ، عنوان فرعي هو : « في مواجهة الحياة والموت » ، وذكر الكاتب تحت هذا العنوان كلمات لداج همرشولد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية ، وهو صغير في مدارس السويد الابتدائية ٠

والواقع انكلام همرشولد ترجمة لابيات الشاعر العربي ٠ ومن المحتمل ان تكون الكلمـات منقولة او مترجمة عن الابيات العربية حتى وصلت الى السويد ، وفي هذا طرافة وبيان لاثر الفكر العربي في الفكر الاوروبي ، او ان يكون الامر من قبيل توارد الافكار ، وفي ذلك ايضا طرافة تنشا عن هذا التوارد العجيب في الفكر الانساني٠٠اقول: لو فعل الكاتب ذلك ، لكان فعله اقرب الى نزعة المجلة والروح التي تسري في عروقها ٠٠ ولكانت الطرفة اكمل وأمتع ٠٠

عبدالوهاب رشيد/عمان/الاردن

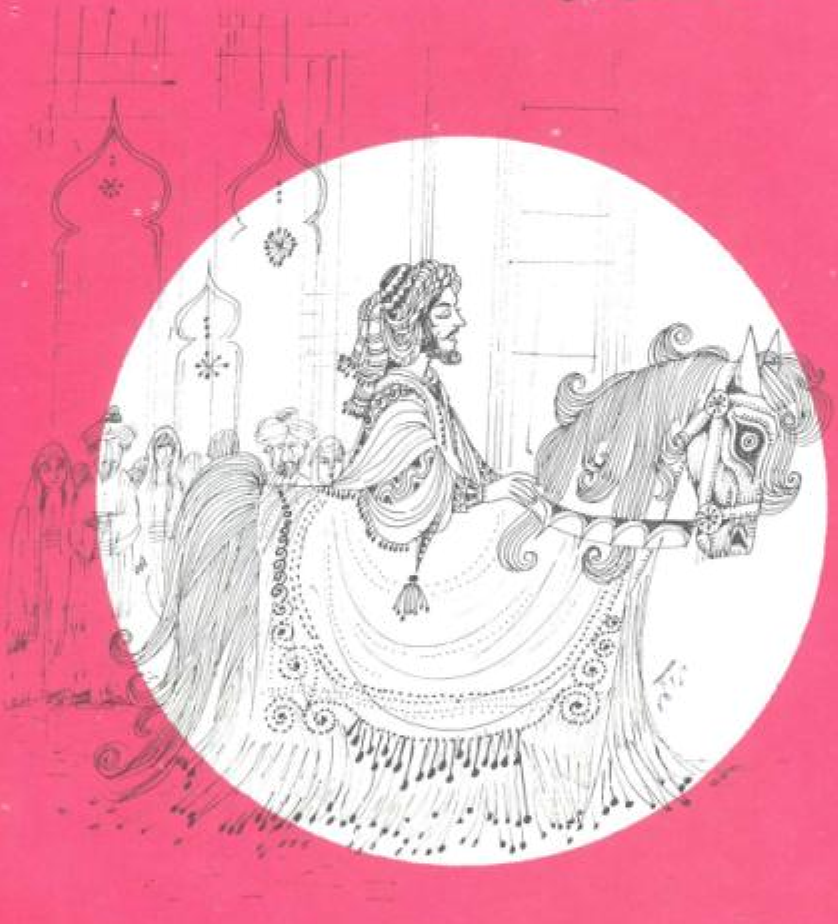
• دراسة الشهر •

المسرح عند العرب

بقلم : الدكتور على الراعى

● دراسة تؤكد ان العرب عرفوا المسرح منذ قرون بعيدة •

● فى العصر العباسى قدم مسرح خيال الظل ، والجاحظ رسم صورة للممثلين فى بغداد •



يفاجئنا الدكتور على الراعي في هذه الدراسة بحقيقة تذكر لاول مرة ، هي : ان العرب عرفوا المسرح باشكاله المختلفة منذ قرون . وحتى عهد قريب كان هناك شبه اجماع على ان العرب لم يعرفوا القصة او المسرح . ثم ظهرت كتابات كشفت عن دور القصة العربية (حي ابن يقظان والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة مثلا) . ومدى تاثر القصة الاوروبية بها ، وبقى باب المسرح مغلقا في التاريخ العربي .

وفي هذه الدراسة يفتح الدكتور الراعي الباب على مصراعيه ليؤكد للجميع بشواهد تاريخية عديدة ان العرب كان عندهم مسرح قديم ، في قصور الخلفاء وفي الساحات والشوارع .

لنتابع اذن ما يقوله الدكتور الراعي .

■ يمكن القول ـ بكثير من الوثوق ـ بان العرب . والشعوب الاسلامية عامة ، قد عرفت اشكالا مختلفة من المسرح ، ومن النشاط المسرحي لقرون طويلة ، قبل منتصف القرن التاسع عشر .

واذا مررنا بسرعة على الطقوس الاجتماعية والدينية التي عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، والتي لم تتطور الى فن مسرحي كما حدث في اجزاء اخرى من الارض ، فستجد ثمة اشارات واضحة على ان المسلمين ايام الخلافة العباسية قد عرفوا شكلا واحدا على الاقل من الاشكال المسرحية المعترف بها ، وهو : مسرح خيال الظل .

واقدم اشارة الى هذه الحقيقة نجدها في كتاب « الديارات » للشابشتي حين يذكر الكاتب ان الشاعر دعبل هدد ابنا لاحد طباخي المامون بانه سيهجوه . فرد الابن بدوره قائلا : « والله ان فعلت لاخرجن امك في الخيال » .

اى انه انذره بانه سيوحي الى احد فناني المخايلة باظهار صورة ام دعبل بين الصور الاخرى التي كان يلعب بها امام متفرجيه ـ يظهرها بمظهر يدعو الى السخرية طبعا .

ويذكر الشابشتي في موضع اخر من «الديارات» ان اللعب بخيال الظل كان معروفا على عصره ، وكان يعتمد على الهزل والسخرية والاضحاك .

ويقول الباحث المسرحي شريف خازندار ان الخليفة المتوكل كان اول من ادخل الالعاب والمسليات والموسيقى والرقص في البلاط ، وانه كان يميل الى التهريج والاغاني الهزلية . ومن ثم اصبحت قصور الخلفاء مكانا للتجمع والتبادل الثقافين مع البلدان الاجنبية . وكان ثمة ممثلون ياتون من الشرقين الادنى والاقصى ، ليقدموا تمثيلياتهم في قصور الخلفاء . كما كان المسافرون العائدون من اسفار طويلة يقصون على الخلفاء من اخبار اسفارهم ما يسلي ويدهش .

فن من الواقع

اما العامة من الناس فكانوا يجدون تسليتهم المحببة عند قصاص منتشرين في طرق بغداد ، يقصون عليهم نوادر الاخبار وغرائبها . وكان هناك كثير من المضحكين تفننوا في طرق الهزل ، يخلطونه بتقليد لهجات النازلين ببغداد من الاعراب والخراسانيين والزنوج والفرس والهنود والروم ، او يحاكون العميان . وقد يحاكون الحمير . ومن اشهر هؤلاء في عصر المعتضد : ابن المغازلي ، وكان يتكلم على الطريق ،ويقص على الناس اخبارا ونوادر ومضاحك وكان في نهاية الحذق،وسمع به المعتضد فاحضره، فما زال يذكر له نوادر ، والخليفة متماسك حتى

اخرجه عن طوره ووقاره الى الضحك،فضرب بيده وفحص الارض بقدمه واستلقى من كثرة الضحك وغلبته عليه ٠ (١)

ونحن نعلم من نداء اصدره الخليفة المعتمد يحظر فيه نشاط هؤلاء الفنانين انهم قد كثروا كثرة مفرطة على عهده ، وانهم كانوا يتخذون من المسجد الجامع مقرا لهم يحكون فيه الحكايات بهذه الطريقة التمثيلية الواضحة ٠

وقد حفظ لنا الجاحظ بعينه الخبيرة صورة دقيقة لفن هؤلاء الحكائين او الممثلين في الواقع ـ ممثلين فوريين يتخذون مادتهم من الواقع مباشرة ٠

قال الجاحظ : « انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئا ٠ وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والاحباش وغير ذلك ٠ حتى تجده كانه اطبع منهم ٠ فاذا حكى كلام « الفافاء » فكانما قد جمعت كل طرفة في كل فافاء في الارض في لسان واحد ٠ وتجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه واعضائه لا تكاد تجد من الف اعمى واحدا يجمع ذلك كله ، فكانما قد جمع جميع طرف حركات العميان في اعمى واحد ٠ ولقد كان ابو دبوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين ، فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم جسيد ولا متعب بهير الا نهق ، وقبل ذلك تسمع (العمير) نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك حتى كان ابو دبوبة فيحركها ٠ وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد ٠ وكذلك كان في نباح الكلاب » ٠ (٢)

الخليفة مخرجا !

فهؤلاء الحكاءون اذن هم فنانون مسرحيون لاشك فيهم ٠ فنانون من طراز ممتاز ، فلا احد يكتب لهم شيئا ، وانما تلتقط عيونهم الحادة خصائص البشر ، ومعايب الافراد ، فيجمعون هذه الخصائص والمعايب في شخصية كلية او مركبة ، كما يقول النقد الحديث ، ويجعلون منها مادة للفكاهة التي تسر عامة الناس وخاصتهم ٠

ولنلحظ في هذا السبيل حرص الجاحظ على ان يذكر مرتين ان فن هؤلاء المحاكين كان يفوق الطبيعة ٠ تستجيب الحمير لاصواتهم المقلدة عن طريقهم ، ولا تتحرك لنهيق يصدره حمار حقيقي ٠٠ !

كذلك كان الشعب يتسلى في تلك الاوقات البعيدة بفن القراد ، والحواء كما لا يزال يفعل حتى يومنا هذا ، في بعض شوارع المدن العربية وبلدانها وقراها ، واسواقها وموالدها٠

ويظهر ان الخليفة المتوكل ، الذي مر بنا ذكره كان يكن ودا خاصا للممثلين واصحاب المساخر والملاعب المضحكة عامة ٠ فما من مناسبة اجتماعية مرت به الا ودعاهم الى اللعب امامه ٠ ولما انتهى من بناء قصره الجعفري ، استدعى اصحاب الملاهي ومنحهم ـ بعد الحفل ـ مليونين من الدراهم !

بل انه اشتغل بالاخراج المسرحي ، ذات مرة شرب فيها في قصره المسمى « البركوار » ، فقال لندمائه : اريد ان اقيم احتفالا بالورود ٠ ولم يكن ذلك اوانها فقالوا له : ليست هذه ايام ورد ٠ ولكن الخليفة الفنان لم يقف حائرا امام هذه العقبة الهينة ، فامر بسك خمسة ملايين درهم من الوزن الخفيف وطلب ان تصبغ بالالوان : الاسود والاصفر والاحمر ، وان يترك بعضها على لونه الاصلي ٠ ثم انتظر حتى كان يوم فيه ريح ، فامر ان تنصب قبة لها اربعون بابا ، فاصطبح فيها والندماء حوله ، وعلى الخدم كسوة جديدة ٠ وامر المتوكل اذ ذاك بنثر الدراهم كما ينثر الورد ، فكانت الريح تحملها لخفتها ، فتتطاير في الهواء ، كما يتطاير الورد ٠٠٠ !

وبهذا تم للخليفة : الفنان والمخرج المسرحي ما اراد !

ومما يحكيه ابن خلدون عن الرقص في العصر

---

١ ـ العصر العباسي الاول والعصر العباسي الثاني : الدكتور شوقي ضيف ٠
٢ ـ قيان بغداد : عبد الكريم العلاف ٠

العباسي نتبين انه كان فنا ارقى بكثير من مجرد الاثارة الحسية ، فهو يصف رقصة تركب فيها الراقصات خيولا مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النساء ، ويحاكين فيها ركوب الخيل، ويقمن بالكر والفر كانهن في حرب • ويقول كتاب الاغاني ان الخليفة الامين كان يركض في هذا الحصان الخشبي في صحن قصره ، بينما الوصائف من حوله يغنين على الطبول والسرنايات، والمخنثون يزمرون ويطربون •

فهذا خليفة آخر فنان ، اشترك بشخصه في التمثيل والرقص ، ولم يقنع بدور المنتج والممول •

المسرح في حفل الزواج

وكثير من الاحتفالات والمناسبات الرسمية كانت تخرج اخراجا مسرحيا متقنا •

ففي مناسبة زواج المامون ببنت وزيره الحسن ابن سهل المسماة « بوران » كان الاخراج المسرحي كالتالي : وزعت الرقاع على حاشية المامون تحمل اسماء كثير من الضياع ، وبدرا من الدنانير : كل بدرة عشرة الاف ، واعطى المامون بوران الف ياقوتة ، واوقد لها شموع العنبر ، وبسط لها حصيرا منسوجا بالذهب ، مكللا بالدر والياقوت ، ونثرت جدتها عليها حين جلس اليها المامون الف درة •

بل ان جلوس الخليفة على عرشه كان في حد ذاته حفلا حافلا بالالوان والاضواء والحركة المرتبة من قبل • يجلس على كرسي مرتفع في عرش ارضي من الحرير او الخز ، ويلبس قباء اسود من الحرير ، وعلى راسه عمامة سوداء ، ويتقلد سيف الرسول عليه السلام ، ويلبس خفا احمر ، ويضع بين يديه مصحف عثمان وعلى كتفيه بردة النبي (ص) ويمسك بالقضيب الذي كان يمسكه النبي • ويقف الغلمان والخدم من خلف السرير وحواليه ، متقلدين السيوف ، وفي ايديهم بعض اسلحة الحروب • وكان يقوم من وراء السرير وجانبيه خدم صقالبة يذبون عن الخليفة بالمذاب المطعمة بالذهب والفضة ، وتمد امامه ستارة ديباج ، اذا دخل الناس رفعت ، واذا اريد مدت • ورتب في الدار قريبا من المجلس خدم بايديهم قسي البندق يرمون بها الغربان والطيور لئلا ينعب ناعب او يصوت مصوت •

فهذا منظر مسرحي لاشك فيه لم تغب عنه حتى الستارة ترفع اذا بدأ المشهد بدخول الناس ، وتمد امامه مؤذنة بانتهاء « اللعب » اذا ما شاء المخرج والممثل الاول في المشهد •

بل ان واحدا من الندماء الكثيرين الذين كانوا يالفون بلاط المتوكل واسمه : ابو العنبس الصيمري ، قد جرؤ ذات يوم على ان يقدم امام الخليفة مشهدا فكاهيا قلد فيه انشاد الشاعر البحتري تقليدا مضحكا • ولا اظن الخليفة قد اعترض على هذا الهزء من شاعر مجيد كالبحتري، بل كل الظن انه هش له وبش !

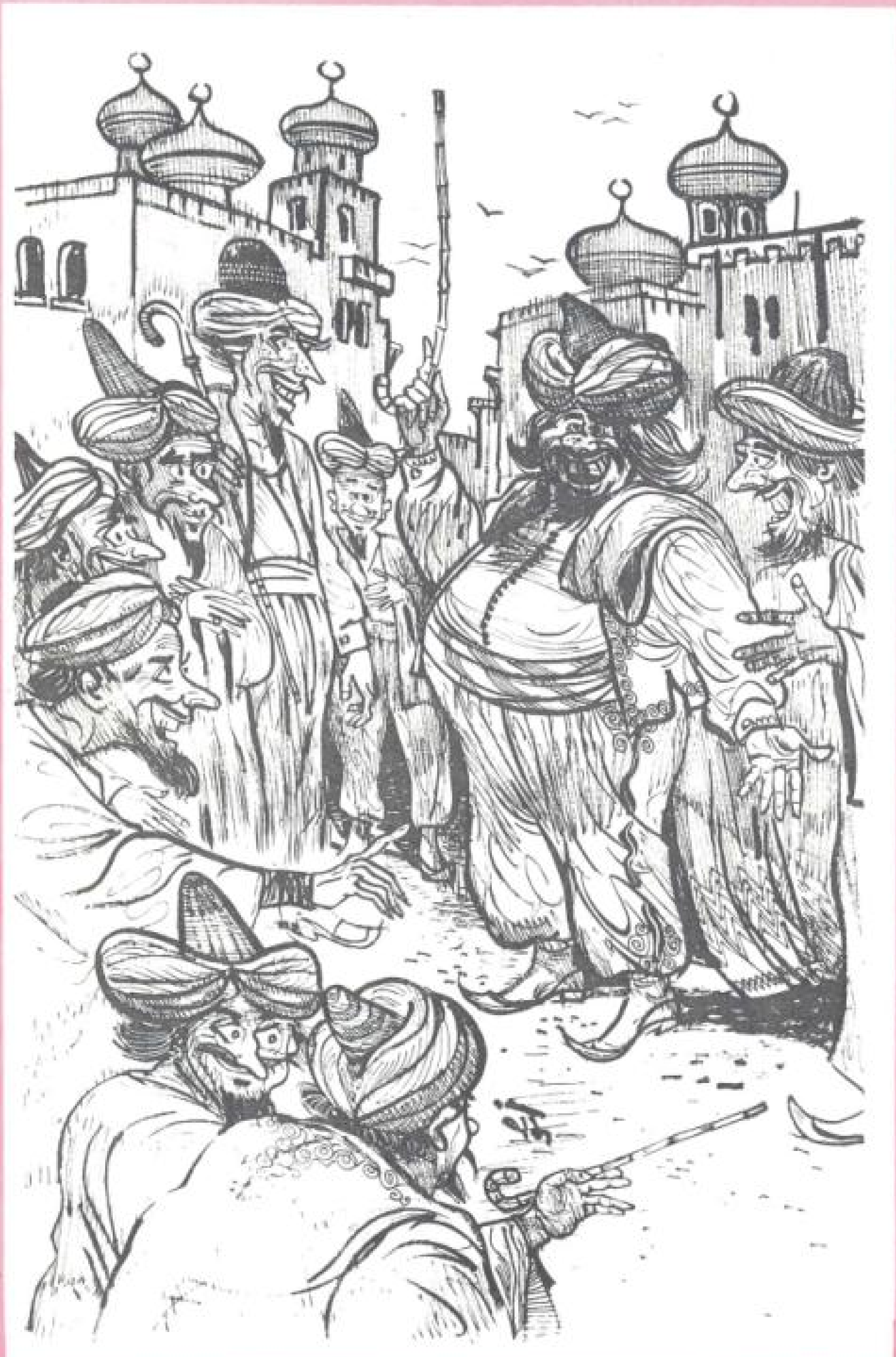
على ان تمام التحام فنون الاداء قد جاء في ميداني الغناء والموسيقى ، وما لحق بهما من رقص • والذي يبعث على الدهشة والاعجاب معا هو تلك النظرة الرفيعة التي كان ينظر بها الى هذه الفنون في عصر الخلفاء العباسيين ، وخاصة على عهد المتوكل • فقد كانت زوجة الخليفة المتوكل : « فريدة » تتقن الغناء • وكثيرا ما كان الغناء ياخذ شكل جوقة مكونة من عزاف على العود والجنك والقانون والمزمار • وكثيرا ما كان يقترن الغناء بالرقص • ويوضح المسعودي في احد فصول كتابه : « مروج الذهب » صلة الرقص بالغناء والموسيقى وما كانت ترتفع به الحناجر من اشعار ، وفيه تسمى انواع الرقص وفنونه باسماء اوزان الشعر من مثل الخفيف والرمل والهزج ، وبالمثل كانوا يقيسون الغناء •

والمسرح الغنائي ايضا

ومن اللافت للنظر ان انتشار الغناء قد دفع الى قيام ما يشبه دور المسارح الغنائية في عصرنا الحاضر • هذا على الاقل ما افهمه من اشارة وردت في الاغاني الى ان ابن رامين الكوفي استقدم مغنيات من الحجاز ، واقام دارا واسعة يقصدها الناس •

على اي هيئة كانوا يقصدونها ؟ وهل كان الحضور متاحا للناس على اطلاقهم ، ام ترى كان مقصورا على الاصدقاء ؟

على أية حال ، لايمنع هذا ابدا من اعتبار هذه



الدار مكانا للعروض الغنائية بالمعنى الحديث حتى ولو غاب عنها عنصر الاتجار بالفن .

اما الدور التى لاشك فى انها كانت ملاهى تجارية بالمعنى العصرى فهى الحانات التى كان يقصدها افراد من الطبقة الوسطى وبينهم الشعراء ، وفيها يدور الشراب ويسمع الغناء ، ويجرى الرقص فى غيبة من القانون او باغماض للطرف منه .

ولعل أطرف هذه الدور واقربها الى مفهوم الملهى العصرى تلك التى اسسها واحد من المقربين الى الخليفة المتوكل ، اذ اقام حانة فخمة قصر الحضور اليها على ذوى اليسار والقادة وابناء البيوتات ، واعد فيها كل ما يلزم للشراب ، وعهد فى ادارتها الى يهودى قدير ، عرف كيف يصرف عنها انظار رجال الشرطة .

ثم اصبحت هذه الدار مثلا احتذاه بعض الخلفاء العباسيين ، مثل الخليفة الواثق الذى كان يحب الحانات ويسعى الى رفع مستواها ، فاتخذ لنفسه اثنتين منها ، الاولى فى دار حرمه ، والاخرى على حافة شط دجلة ضمن ضيافته .

وبعد ان اثث الواثق حانتيه ، اختار لهما ادارة قادرة : رجلا نصرانيا خبيرا بامور الحانات، له ابنان نظيفان مليحان ، وابنتان ظريفتان حسناوان ، وزوجة لا تنقصها الدراية ، فجعل النساء فى الحرم ، والرجال فى دار الضيافة ، وضم اليهم خدما وجوارى ، ونقل اليهما احسن الشراب المعتق ، وامر ان تعلق الستور الموشاة بالذهب فى الحانتين ، وامر باحضار احسن القيان البارعات فى الغناء ، ولم يدع احدا يحسن الضرب على العود والطنبور الا واحضره ، وبرز الخمار مع زوجته واولاده وفى اوساطهم الزنانير ، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والاوزان والمبازل فى اطباق من الفضة ، واخرجت الدنان من مكمنها ، قد طينت رؤوسها تطيينا نظيفا يعبق منه المسك والزعفران ، واقيمت بازاء المجلس الذى كان جالسا به الخليفة ، وبزلت ، اى ثقبت الدنان ، كما هو الحال فى الحانات ، واتى بالنماذج ليتذوقها الخليفة اولا ، ثم تعرض على الجلساء فيختار كل منهم ما يشتهيه .

ويامر الخليفة ان تجعل على رؤوس الحاضرين اكاليل من الزهور والريحان ، ثم ياخذ الحضور يشربون على غناء القيان والمغنين ، ثم يامر الخليفة بتوزيع الجوائز ، فيعطى للخمار الف دينار ، ولزوجته مثلها ، ولكل واحد من اولاده خمسمائة دينار، ولا يبرح المجلس احد الا بجائزة تناسب مقامه .

وقبل تناول الطعام كانت التقاليد تقضى بان لا يتوجه المدعو راسا الى قاعة المائدة ، وانما يبدا بالتفرج على ما تحويه الدار من رياش فاخر ، وزهور وانوار ساطعة ، وسرر منظمة ، ومقاعد مزركشة ، الى ان يصل الى المائدة .

وبعد الفراغ من الطعام يبدا الشرب ومنادمة القيان المتخرجات على اساتذة اكفاء ، ثم يلى ذلك الجوارى الراقصات ، وهن يرتدين الاثواب الموشاة برسوم الزهور ، خاصة بالرقص ، وهى اثواب شفافة تنم عما يكتمن فيها من بديع صنع الخالق، ويتبعهن جوار من نوع آخر ،تكاد ثيابهن الشفافة الملتصقة باجسامهن لا تخفى شيئا من الملامح المثيرة للشعور ، وفى غمرة ثورتهن الفنية فى الرقص يعمدن الى فك العقد الذى يضم شعورهن ، فينسدل ليل الشعر على نهار الاجسام (٣) .

كل فنون الاداء

هذه كلها حياة فنية حافلة ، تجمع بين فنون الاداء جميعا : الاداء بالكلمة الممثلة مثلما كان يحدث فى حالة الحكائين والمقلدين فى الشوارع والمساجد والاسواق وفى بلاط الخلفاء ، او الاداء بالكلمة الموزونة الملحنة ، كما فى حالة الغناء او الاداء بالجسم البشرى فى عريه وكسوته ،او الاداء بالعرض المسرحى المعد بعناية ، اما لكى يحقق غاية فردية ، كعرض الورود الذى ابتكره الخليفة المتوكل ، او لكى يحقق هدفا اجتماعيا وسياسيا

٣ ـ مجالس السلطان الغورى : تحقيق الدكتورعبد الوهاب عزام .

معا مثلما كان يحدث فى مواكب الخلفاء فى الشوارع او فى استقبالاتهم الرسمية لسفراء الدول الاجنبية ٠

فقد كان الرشيد والمامون من بعده يخرجان للصلاة يوم الجمعة باعظم مظاهر الخلافة ، يتقدم الموكب فرقة من المشاة تحمل الاعلام الغفافة ، تتقدمهم فرقة الموسيقى ـ بلباس خاص بها ـ تصدح بالانغام الشجية ، ثم يظهر خلف الموسيقى رجال اشداء متنكبين اقواسهم ، شاهرين سيوفهم، وياتي جماعة الوزراء والامراء وارباب الدولة ، فى خيول مطهمة ، ويهل الخليفة وهو يرتدى طيلسانا اسود ، ممتطيا جوادا من خيرة الجياد العربية ، ويتبعه رجال الدولة والحراس ٠

فهذا الموكب هو فى صميمه عرض مسرحي مخرج بعناية ، مكانه طرقات بغداد ، وحركته المسرحية من قصر الخليفة الى المجلس ، وبطله الرئيسى : الخليفة ، ومتفرجوه هم جماهير الناس ، والهدف منه ـ الى جوار اظهار الابهة ـ ان يقع كل ذلك فى نفوس الناس موقع المتعة ، ويبث فيهم الرهبة، ويطلعهم على مدى قوة الدولة وغناها ، فيلزموا جانب الولاء لها ٠

اما ابهة القصور ومراسمها فكان القصد منها سياسيا فى احيان كثيرة ٠ مثال ذلك ان الخليفة المقتدر استقبل رسلا للروم جاءوا يطلبون عقد هدنة ، ففرشت القصور باجمل الفرش ، وملئت دور الخلافة ودهاليزها وممراتها وصحونها بالجند والسلاح ـ وابتدأ ذلك من باب الشماسية الى دار الخلافة ، وكان عدد الجند ١٦٠ الفا بالدروع والسلاح ، ومن تحتهم الخيل بسروج الذهب والفضة ٠ وكان عدد الغلمان سبعة آلاف خادم ، وسبعمائة حاجب ، بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة ٠ وكان فى دجلة الوان شتى من السفن بافضل زينة ، وعلى احسن تعبئة ٠ وسار رسل ملك الروم ومن معهم بين المواكب الى ان وصلوا الى دار الخلافة ، ودخلوا قصر الجوسق بين بستانين رائعين ، وراوا بركة عجيبة يمدها جدول وبها اربع سفن من النوع المسمى « بالطيارات » مذهبة مزينة بالدبيقى المطرز ،ثم ادخلوا قصر الشجرة ،وهي شجرةقائمة من الفضة وسط بركة مدورة ،ولها ثمانية عشر غصنا عليها الطيور والعصافير المذهبة والمفضضة تصفر ، والشجرة تتمايل وورقها يتحرك علىنحو ما تحدث الرياح للاشجار الطبيعية ، ثم ادخلوا الى قصر الفردوس ، وبه من الفرش ما لايقوم ، وفى الدهاليز عشرة آلاف درع مذهبة معلقة ، مما راع رسل ملك الروم روعة شديدة ٠

والهدف السياسى من وراء هذا الفخار كله لا يحتاج الى ايضاح وانما الذى تجدر منه ملاحظته هو ان الاستقبال ومراسمه وادواته وحركته والهدف منه تشكل جميعا فيما بينها مسرحية صغيرة موضوعها : كيف تستقبل سفراء



دولة مغلوبة ؟ وكيف تعرض عليهم غناك وباسك معا حتى يسلموا لك تسليما .

والحق ان اى فنان مسرحي معاصر لا يتردد ابدا في ان ينظر الى هذا العرض على انه شيء جدير بالاعجاب والتسجيل في باب العرض المسرحي الناجح !

عروض تمثيلية مستمرة

هذه العروض التمثيلية لم تتوقف منذ ايام العباسيين . وفي مصر الفاطمية والمملوكية ظل تيار من العروض التمثيلية مستمرا ، وظلت المواكب السلطانية والشعبية قائمة لتسلية الناس وامتاعهم بابهة الحكم .

يقول المقريزي في وصف احد هذه الاحتفالات: « وطاف اهل الاسواق ، وعملوا فيه (عيد النيروز) ، وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ،ولعبوا ثلاثة ايام ، اظهروا فيها السماجات » (الممثلين وقطعهم التمثيلية) .

ويقول ابن اياس في الحديث عن ذهاب السلطان الغوري الى المقياس يومين في جمادى الاخرة سنة ٩١٨ هـ .

« ثم ان السلطان اوقد في قاعة المقياس وقدة حافلة باطنا وظاهرا ، وعلق احمالا بقناديل في القصر الذى انشاه هناك ، وعلى شرفات المقياس قناديل من احمال وامشاط ، حتى اوقد جامع المقياس والمئذنة .

ثم ان سكان برّ مصر وبرّ الروضة علقوا في بيوتهم القناديل في الاحمال والامشاط بطول البرين، حتى اوقدوا المربع الذى انشاه السلطان للسواقي تجاه بر الروضة .

ثم احضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمره وانفق عليه نحوا من عشرين الف دينار ، فارسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له لمانى مراسى في البحر ، وعلقوا في صواريه القناديل في الامشاط ، فكان الذى وقد في المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت ، وعشرة الاف قنديل لم صنع السلطان في تلك الليلة احراقة ، فكان مصروفها نحوا من مائة وسبعين دينارا ، مثل احراقة نفط المحمل التي كانت تصنع بالرميلة قدام القلعة ، فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف، وقدامه الطبول والزمور ، فكان عدة قلاع النفط خمسين قلعة والمآذن ستين مئذنة ، والزيار عشرة ، وجرار اربعين جرة ، وصواريخ كبار ثلاثمائة ، وماويات الف ومائتين ، وشجرات عشرة ، وتنانير عشرون ، وقطع الفان ،وشعل اربعون ، فلما وصلوا بالنفط الى شاطيء البحر انزلوه في خمسين مركبا، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البسطة ،ورسم السلطان للامراء المقدمين بان يحضروا طبلخاناتهم في مراكب عند المقياس ، ففعلوا ذلك .فكان حس الطبول والزمور مع الكوسات (الطبول الكبيرة) مثل الرعد القاصف . فلما صلى السلطان صلاة العشاء ، جلس على سطح القصر الذى انشاه على بسطة المقياس ، والامراء حوله ، واحرقوا قدامه عشرين ذراعا . وكانت ليلة البدر ،فدقت كوسات السلطان مع كوسات المقدمين وهم اربعة وعشرون مقدم الف . فقاموا في صعيد واحد عند احراق النفط ، فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، ولم يقع لاحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة، ولا للمؤيد شيخ ، ولا للناصر فرج بن برقوق ».

ملاهي الشعب

بل ان ملاهي الشعب ايام السلطان الغوري قد اتخذت طابعا طقوسيا في بعض الاحيان ، من ذلك ما رفع ــ على سبيل الشكوى ــ الى شيخ اسمه عمر البلقيني من ان اهل حي بركة الرطلي يجهرون ببعض المنكرات ، فهم يقيمون مهرجانا يستاذنون خلاله في اقامة حفل عرس لبركة الرطلي يزوجونها فيه بالخليج الناصري . فهم يخطبون خطبة ويعقدون عقدة التزويج ، ويرمون الحلوى والحناء وغير ذلك في البركة المذكورة ، ويجتمع عند ذلك من الاوباش وغيرهم خلق كثير .وتخرج النساء كاشفات



الـوجـوه ، وتبرز النساء اللـواتي في الطاقات والزربيات كلهن بارزات بما عليهن من الحلى وفيهن فاسدات وغير فاسدات •

ثـم انهم يعلقون قناديل كثيرة ويوقـدونها في الليل ، ويخرجـون خرقا فيها دم يشبهون بـه دم البكر ، ويلبسون الخاطب خلعة •

وفيالشوارع وفي حفلات الزواج والختان يمثل الممثلون الشعبيون ، مابين حواة وقرادين ومدربي حيوانات ولاعبي الاراجـوز وفناني خيال الظل ، والممثلين الشحاذين ، والممثلين الجـوالة ويقـدم الجميع حياة تمثيلية متصلة ، حفرت في وجدان الشعب مجاري عميقة •

وقد ظلت هـذه العروض التمثيليـة المختلفة موجودة في القاهرة قرونا طويلة ،ينظر اليها اهل الرأى والفقهاء وبعض الخلفاء والسلاطين على انها لهـو فارغ ، واحيانا محرم ، واحيانا اخرى يستمتعون بها هم انفسهم •ظلت المواكب الرسمية قائمة وآيات الفخامة والانفاق المهرجاني متصلة من جهة • وظل الشعب من جهته يلهو بطريقته الخاصـة ـ له مسرحـه الخاص : خيـال الظـل والأراجوز ، وله تمثيلياته وممثلوه ، وله حواته وقرادوه الخ ، حتى يـدأ الرحالـة الاوروبيون يترددون على مصر ، وينظرون الى مايشاهدونـه في الشوارع والبيوت نظرة اخرى ، فيها محاولة للتعرف وللتصنيف والمقارنة بين فنـون العـرب وفنون بلادهم •

وقفة عند خيال الظـل

ولنترك مؤقتا هذه الفنون المختلفة والنظرات الجديدة لها ولننتقل الى فن مسرحي لاشك فيه عرفه العرب ايام العباسيين وهو فن خيال الظل•

وسواء أكان العرب هم الذين اجتلبوا فن خيال الظل الى حاضرة العباسيين ام انه انتقل اليهم ، فلاشك هنا في ان هذا اللون من الوان الملاهي هو ارقى مـا كـان يعرض على العامة والخاصة من فنون ، الى جوار انه مسرح في الشكل والمضمون معا ، لايفصله عن المسرح المعروف الا ان التمثيل فيه كان يتم بالوساطة : من طريق الصور يحركها اللاعبون ، ويتكلمون ويقفون ويرقصون ويحاورون ويتعاركون ويتصالحون نيابة عنها جميعا •

والذى يستحق التقدير الخاصفي امر هذا الفن انه اول لون من الوان العروض يرتبط بـالادب العربي ، وواحد من ابرز منجزات ذلك الادب وهو المقامة ، ومن ورائها جهود سبقت اخراج المقامة الى حيز الوجود : كتب الجاحظ عن اهل الكدية التى الهمت معظم موضوعات مقامات بديع الزمان واحاديث ابن دريد التى اقـترحت على البديـع شكل المقامة •

ولابد ان مسرح خيال الظل كان قد قطع شوطا طويلا نحو النضج ، حين انتهى الى يدى الفنان والشاعر والماجن الفكر المطبوع محمد جمال الدين ابن دانيال ، الذى ترك العراق الى مصر ايام سلاطين المماليك •

قال ابن دانيال ، وهو يصف ما قدمه في بابة : « طيف الخيال » ، من فن ظلى ممتاز :

« صنفت من بابات المجون •• مـا اذا رسمت شخوصه وبوبت فصوله ، وخلوت بالجمع ، وجلوت الستارة بالشمع ، رأيتـه بديـع المثال ، يفـوق بالحقيقة ذاك الخيال »

وهى عبارة ينبغى ان نقف عنـدها متاملين ، فانها تحوى اسسا فنية واضحة ، تشهد بان فن ابن دانيال ـ « خيال الظل » ـ قد استطاع ان يرسى في مصر المملوكية ـ اى قبـل حـوالى ستة قرون من نشأة المسرح العربى المعاصـر ـ فكرة المسرح في بلادنا ، مع ما يخـدم هذه الفكرة مـن عناصر فنية وبشرية مختلفة •

والعبارة وردت في رسالة ضمنها ابن دانيال البابة الاولى من البابات الظليـة الثـلاث التي حفظها لنا التاريخ من فن هذا الصانع الممتاز ، وجه ابن دانيال هذه الرسـالـة الى صديق لـه اسمه « عليبن مولاهم » ، والمتامل للعبارةالسابقة يجدها ارشادات مسرحية تدخل في باب النظرية والتطبيق العملى معا •

يقول ابن دانيال : هيىء الشخوص ، ورتبها واطل ستارة المسرح بالشمع ، ثم اعرض عملك على الجمهور وقد اعددته نفسيا لتقبل عملك : بثثت فيه روح الانتماء الى العرض وجعلته يشعر بانه في خلوة معك •

فاذا ما فعلت هذا فستجد نتيجة تسر خاطرك

حقا : ستجد العرض الظلي وقد استوى امامك بديع المثال ، يفوق بالحقيقة المتمثلة من واقع التجسيد ما كنت قد تخيلته له قبل التنفيذ .

وفي هذا القول - كما اسلفت - يجتمع التطبيق العملي والنظرية الفنية معا : الشخوص وتبويبها وطلاء الستارة في جانب التطبيق ، وفكرة الاختلاء بالجمهور وخلق مشاعر الانتماء الى العرض في جوانبه النظرية ، مضافا الى هذه النقطة الاخيرة هذا المبدأ الفني الهام وهو : ان التجسيد وحده هو حقيقة العمل المسرحي ، وان جمال المسرح يتركز في العرض امام الناس ، وليس في تخيل هذا العرض على نحو من الانحاء (في الذهن مثلا ، او بالقراءة في كتاب) .

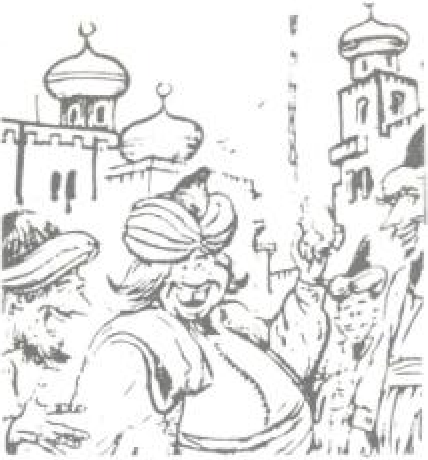
لحظة تاريخية حاسمة

وفي تقديري ان اللحظة التي كتب فيها ابن دانيال هذه العبارة قد كانت حاسمة في تاريخ المسرح العربي عامة ، وفي تاريخ الكوميديا الشعبية بصفة خاصة .

اقول هذا وفي ذهني امران : اولهما ان المسرح العربي كان قد شهد قبل ابن دانيال محاولات للانولاد ، وذلك في بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني ، والحريري ، وسواء اعتبرنا ان هذه المحاولات قد انتهت الى الاجهاض ، كما يذهب بعض الباحثين ، او ان الدراما التي نشات عنها هي نصف دراما ونصف رواية ، كما يذهب باحثون اخرون ، او ان الدراما التي تكونت في حضن المقامة قد كانت مسرحا فعلا ، لم يمنعه من النمو والازدهار الا ان مبدا التشخيص عن طريق البشر قد كان محظورا من اصله كما يذهب كاتب هذه السطور سواء اخذنا باي من هذه الاراء ، ام رفضناها ، فالواقع الذي لاشك فيه هو ان ابن دانيال قد اخذ ما تكون في حضن المقامة من دراما - ايا كانشانها - وجعلمنها مسرحا حقيقيا له نظرية واضحة ، وممارسة اوضح .

في باب النظرية يصف ابن دانيال عمله في بابة : « طيف الخيال » بقوله :

خيالنا هذا لاهل الرتب
والفضل والبذل لاهل الادب



حوى فنون الجد والهزل في
احسن سمط واتى بالعجب

فهو فن يمزج الجد بالهزل ، ويتوسل بالمهارة الفنية لبهر النظارة .

اما اسلوب اداء الفن فهو مختلف تمام الاختلاف عن اسلوب الرواة ، سواء رواة الشعر او رواة المقامات والحكايات ، انه يقوم على مبدا التشخيص . لكل شخص دور ، ولكل دور صوت ، وهذا كله على خلاف مبدأ الراوي الذي يتلبس كل الاشخاص وينطق بلسانهم جميعا . يقول ابن دانيال :

اذ قام فيه ناطق واحد
عن كلشخص ناظر واحتجب

ثم هو فن يتوجه الى جماهير من دم ولحم ، جماهير قدموا لرؤيته ، ودفعوا مالا في سبيل شهوده ، هم نظارة حقيقيون ، وابن دانيال يعلم ان فنه لا قيام له الا اذا موله هؤلاء النظارة ، ولهذا فهو - ماديا - يتوجه اليهم بطلب المعونة و- فنيا - يشركهم فيالاحداثبتوجيهالخطاب اليهم في مواضع معينة من باباته . يقول ابن دانيال :

مذاهب الفضل به جمة
فنطقوه سادتي بالذهب

هذه - اذن - هي بعض الاسس النظرية الفنية التي اقام ابن دانيال عليها فنه الظلي :

مسرح شعبي بالجمهور وللجمهور ، وفن منوع يمزج الحقيقة بالخيال ، والجد بالهزل ، ويعتمد

على اوسع قدر من مشاركة الناس فيه ، بالمال والحضور والاستماع .

ثم يقدم ابن دانيال مادة مسرحيةحقيقية ، وبعد هذا يغوض بعور الكلام ، واكداس العبارات التى كانت تكون المقامة فيما مضى ، وينتقى منها جميعا جواهر فنية ، يخلق بعضا من الشخصيات المسرحية الشعبية التى لا تزال بيننا حتى الان . ام رشيد « الخاطبة ، القوادة » ، الكاتب القبطى المدلس ، الشاعر المزيف المتعاجب بالالفاظ الجوفاء ، والطبيب الدجال الذى يرى الكسباهم بكثير من ارواح ضحاياه ، كل هؤلاء نجدهم فى بابة : طيف الخيال .

اما فى البابة الثانية التى ابدعها ابن دانيال واسمها « عجيب وغريب » ، فان الهدف الرئيسى هو امتاع الجمهور وبهره بمناظر وشخصياتمنتقاة من السوق : الواعظ ، والعاوى ، وبائع الاعشاب (الشربة العجيبة كما نقول اليوم) والمشعوذ والمنجم ، والقراد (القرداتى) ومدرب الافيال ، والراقص الاسود ، الذى يجمع بين البهلوان والمغنى .. الخ ..

كل هذه الشخصياتينتزعها ابن دانيال من واقع السوق ويجعل لها وجودا فنيا على المسرح عن طريق المقصوصات » ، اى عن طريق رسمها على الجلد واحالتها التى دمى ذات بعدين يحركها اللاعب المؤدى من وراء ستار ، ثم ينشىء لها ابن دانيال حياة مؤقتة ، تعرض فى اثنائها مهارتها فى الاداء ، وتعرض ايضا حالها ، فكثير منها يشكو الفقر للجمهور ، بغية الاستعطاء ، مما يجعل المشاهد يتجاوز المتعة الظاهرة الى شىء من التعاطف مع أناس يلتقطون الرزق من افواهالغطر — من انياب الثعبان ، او خرطوم الفيل ، او اعتمادا على مهارة القرد .. او يغتنمون الصفو المؤقت كي يمرحوا بعيدا عن تهديد دائم الوجود فى حياتهم ، مثلما يفعل ناتو السودانى الذى تبدر منه اشارة عابرة — لكنها مؤثرة — الى حقيقة حاله ، وراء ما يقدم من الوان الرقص والغناء والتهريج الموحيةبالسعادة ، ولكنها سعادة ظاهرة وحسب :

صفا لى الطبطاب .. عيشى اليوم طاب ..
لا كان الجلاب ..

فهو حين يطيب له العيش لحظة ، يسارع بالهتاف الجلاب — جلاب العبيد ، الذى انتزعه من موطنه ورماه الى هذا الهم ، وهو يذكر اثناء الصفو ايضا « السمراء المحبوبة » ، الحمرا كالطوبة ، من خلا النوبة » ويأسف لانها فاتت ، وياما فاتت.

ان نظرة ابن دانيال الى فنه ، وهى نظرة جادة من وراء الهزل ، تجعله يضفى على مقصوصاته هذه الحياة الاضافية ، التى تضيف الى الدمى بعدا ثالثا ، وتكاد تجعلها شخصيات انسانية حقيقية تتحرك على المسرح .

دراما كاملة فى مصر

ثم تاتى بعد هذا حقيقة تذكرها كتب التاريخ ، وهى ان البابات الثلاث : « طيف الخيال » و « عجيب وغريب » و « المتيم والضائع اليتيم » (ولم نعرض لهذه الاخيرة بالحديث) قد كان مقصودا بها ان تعرض تباعا فى ثلاث ليال متوالية ، وهذا تقليد مسرحى معروف فى دراما العصور الوسطى الاوروبية ، ويزيد من شعورنا بانتماء البابات الى دراما العصور الوسطى الاوروبية كما عرفتها اوروبا شخصية ملك الموت التى تظهر فى بابة « المتيم والضائع اليتيم » فان هذا الملك يظهر للمتيم وهو فى اوج تمتعه الفاحش باللذات ، ما بين مشروع ومنكور ، فيصرخ صرخة يوقظ بها النيام ، ومن لم ينهار المتيم ، ويتبين ضياعه واسرافه على نفسه ، ويخشى يوما لا راد له، امام عزيز مقتدر ، فيقرر من فوره ان يتوب الى الله .

هذا بالضبط هو ما يحدث فى المسرحيات الاخلاقية التى كانت اوروبا تقدمها للمؤمنين بغية هدايتهم ، وتستخدم فيها الشخصيات المجردة ، مثل ملك الموت ، ومثل الشخصيات التى تمثل الفضائل او الرذائل التى تتقلب على الانسان .

كل هذا يشهد بان مصر قد عرفت دراما كاملة، ذات نظرية وممارسة عملية واضحتين ، وذات صلات ليست اقل وضوحا بالجسم العام للدراما الذى كان معروفا آنذاك فى العالم الوسيط .

واهمية بابات ابن دانيال ترجع — بعد هذا — الى اسباب تتصل بالماضى كما تتصل بالحاضر فهى

قد استقطبت ما في المقامات من امكانيات للدراما، وهذه الامكانيات هي اهم ما استطاع الادب العربي ان ينتجه على سبيل المسرح ، قبل ظهور ابن دانيال ٠

وهي قد اقامت في مصر مسرحا حقيقيا ،ليس فقط بما قدمته من امثلة تطبيقية لفن المسرح بل وبما زرعته من تقاليد مسرحية ، غرست فكرة المسرح في نفوس الناس وحفظتها من الضياع الى ان جاء الوقت الذى عرف فيه العرب المحدثون المسرح البشرى نقلا عن اوروبا ٠

فمن طريق خيال الظل عرف المصريون لقرون متوالية ، عادة الذهاب الى المسرح ، بما في هذا من مقومات مادية واضحة : الاضاءة ، الالوان ، الازياء ، الحوار ، فنون الاداء المختلفة ـ من رقص وغناء وموسيقى ، ثم قصة مسرحية من نوع اخر تعتمد على نوع من الحوار ٠

والنتيجة العميقة لهذا كله ان مصر قد كانت مهيأة اكثر من غيرها من البلاد المجاورة لتقبل فكرة المسرح عامة ، والمسرح البشرى بصفة خاصة حين اخذت الفرق المسرحية والافكار المسرحية ذاتها ترد الى بلادنا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر ٠

ثم امتد اثر خيال الظل المصرى الى تركيا ، حين حمل السلطان سليم الاول معه بعضا من المخايلين المصريين ، وامتد الخيال التركى من تركيا الى البلاد العربية التى نكبت بحكم الاتراك العثمانيين ، مثل سوريا ، التى كان مقدرا لبعض فنانيها ان يحملوا الى مصر بعضا من اثر القراقوز وانما في صورة فريدة حقا ، هي صورة التمثيل البشرى لادوار وفكاهات القراقوز وهي محاولات فنية قام بها الفنان السورى جورج دخول الذى جاء الى مصر في السنوات الاخيرة من القرن الماضي يعرض فصوله المضحكة المعتمدة على بعض نمر القراقوز ٠

ومن جهة اخرى فقد ترك خيال الظل بعضا من الاثر في فن الاراجوز وذلك حين اخذ نجم خيال الظل في الافول ، ويمكن افتراض ان ظهور السينما ، وصعوبة ممارسة فن خيال الظل ، والقدرات الفنية والمادية التى يتطلبها قد جعلت فن الاراجوز الاشمل والاقل تكلفة ، هو الصيغة الفنية الشعبية الملائمة لذلك الزمان ، ومن ثم افاد فنانو الاراجوز من التراث الكبير الذى تركه فن خيال الظل ، من شخصيات ومواقف ونكات وتهريج وضرب بالعصى ٠٠ الخ ■■

الكويت ـ علي الراعي

■ يستحيل اخفاء الروح الالهى من نفوسنا تحت مكيال ، فلندعه اذن يشرق ، ليضيء ما يحيط بنا ، ويبعث فيه الحرارة ٠

(مكس مولر)

■ من راقب الناس مات غما — وفاز باللذة الجسور

(سلم الخاسر)

■ الاهواء تكره العدل وترفضه ، فلا بد أن نحذر منها ، ولو كانت معقولة الى ابعد حد ٠

(لارشفوكو)

■ اذا اقدمنا على مغامرة ، فلا بد لنا أن نقذف خلفنا بكل المخاوف ، وبكل اسفار الحكماء ٠

(تاجور)

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد ٢٢٥

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ ٠

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم أول أمهات المؤمنين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مؤلف قصص اطفال شهير ٠

الكلمات الأفقية :

(١) شبه جزيرة جنوب غرب أوروبا ـ من سور القرآن الكريم ٠

(٢) عاصمة موريتانيا ـ بدت ـ حرف عطف ٠

(٣) وطان ـ قربها ـ ضمير ٠

(٤) نصف كلمة (لطيف) ـ خواتيم ـ التلذذ بتعذيب الاخرين ٠

(٥) البابا الذي اعلن الحرب الصليبية ـ نوع من القنابل ٠

(٦) نصف كلمة (شانك) ـ يقتحم عنوة ـ من البحار ٠

(٧) أهتم ـ قصة لاحسان عبد القدوس ٠

(٨) أولى أمهات المؤمنين ٠

(٩) تواريخ حياة اشخاص ـ أحضر ـ من الخضراوات ٠

(١٠) حرف ابجدي ـ منقط ـ عاصمة افريقية ٠

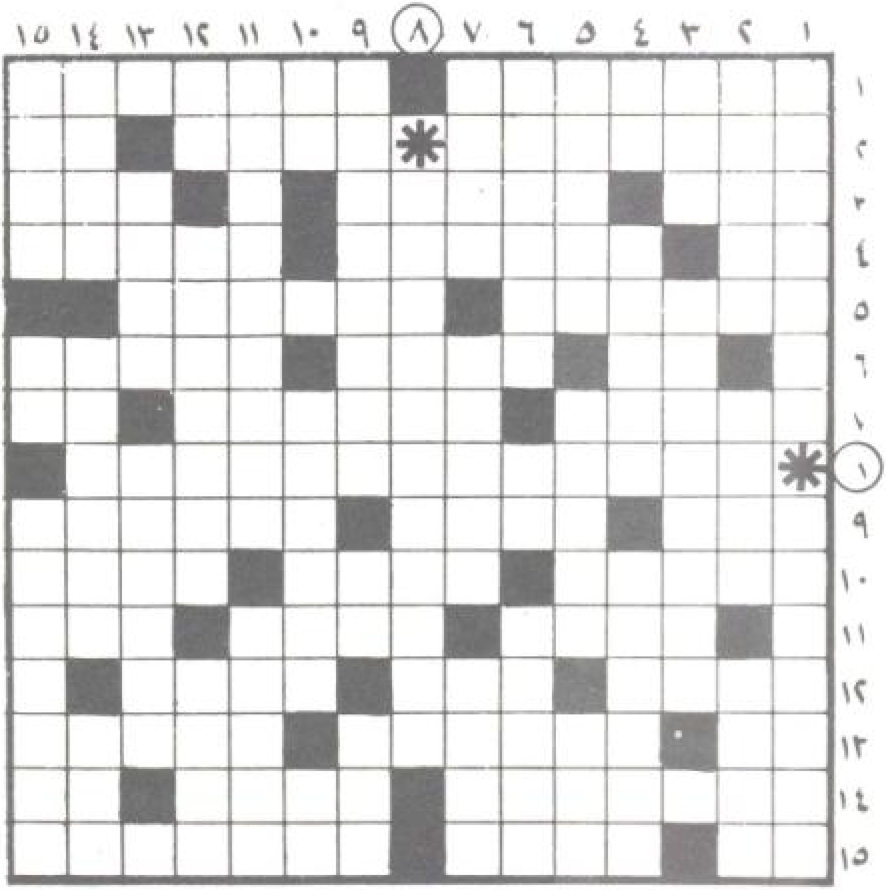
(١١) حيوان ـ اراقت ـ حيي ٠

(١٢) لحركة السفن في الانهار ـ شركة بترول عالمية ـ من أوجه القمر ٠

(١٣) حرف ندبة ـ شاعر واديب بلجيكي كتب مسرحية الطائر الازرق ـ الصفة ٠

(١٤) الوهمي ـ القوام ـ يخصه ٠

(١٥) نظير ـ نقفا ـ صيدهم ٠



الكلمات الرأسية :

(١) ولاية أمريكية ـ عاصمة بورتوريكو •

(٢) من الفواكه ـ مقتر ـ من الاقارب •

(٣) ظهر ـ كاتب مسرحي مصرى معاصر •

(٤) نصف كلمة (يكثر) ـ نهتم ـ من الزهور •

(٥) وعيها ـ يتحاشى ـ وكالة انباء عالمية •

(٦) ينتسب الى دولة اوروبية ـ سهل الانكسار ـ حى شهير المزنوج •

(٧) أتنى ـ قهرها ـ من ابناء •

(٨) مؤلف قصص أطفال شهير •

(٩) ضرائب تفرض قهرا ـ نصف كلمة (فوقك) ـ حرف أبجدى •

(١٠) من المقامات الموسيقية ـ تكلمه ـ نصف كلمة (هتلر) •

(١١) فرعون طرد الهكسوس من مصر ـ تقابل •

(١٢) نصف كلمة (اضعت) ـ من افراد مملكة الحيوانات الاولية ـ الوقيعة •

(١٣) جرحت ـ رئيس امريكي سابق •

(١٤) أشيد ـ آخر حكام الدولة الساسانية ـ مرض •

(١٥) من الفــروض الدينية ـ حرف جر ـ اعلامهم •

كوبون مسابقة العدد ٢٢٥

من أعــلام الموســيقى

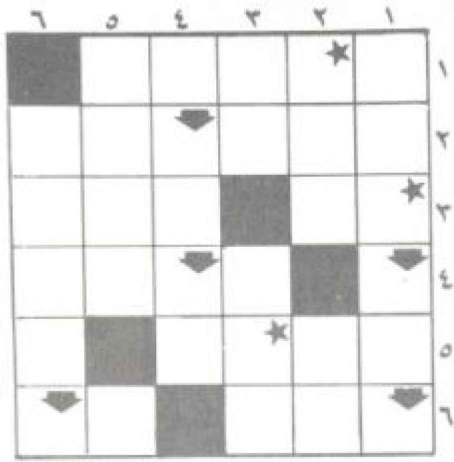
ابدأ أولا بحـل مسابقة الكلمـاتالمتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات الموجود بها السهم ، ورتبهابحيث تصنع الاسم الاول لموسـيقار عالمى شهير وعازف أرغن لا يبارى ، ثـم انقل الحروف التىفى المربعات التى فيها النجمة، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الموسيقار ٠

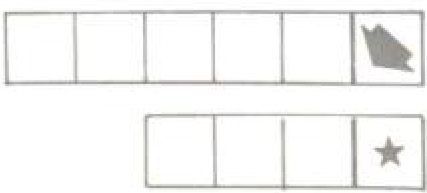
الكلمات الأفقية :

(١) وفاء ٠
(٢) من الالوان ٠
(٣) حرف عطف ـ تحصى ٠
(٤) رئيس او حاكم ٠
(٥) دواء ٠
(٦) حطم ـ من الحبوب ٠

الكلمات الراسية :

(١) من الطيور الجميلة ٠
(٢) جياد ـ قوام ٠
(٣) حرف نفى ـ وحدة قياس زمن ٠
(٤) فى العودة ٠
(٥) حرفة ٠
(٦) يرشدون ٠





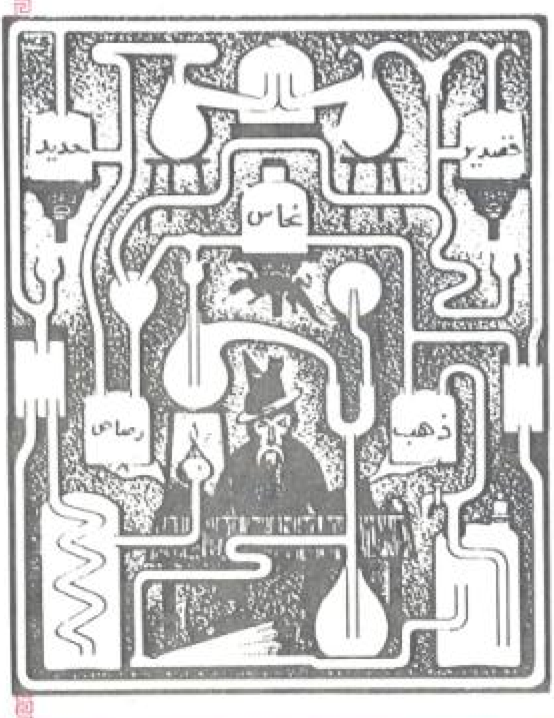
استاذ نبيه يسأل :

ما ترتيب أثواب القماش

وقف بائع الاقمشة ينظم أثواب القماش الملونة على الرف ... وضع الثوب الاحمر على أحد الطرفين ، وكان الثوب الاصفر على يسار الثوب الازرق مباشرة .. ولم يكن الثوب الاحمر بجوار الثوب الاخضر أو البنى ، ولم يكن الثوب البنفسجي بجوار الثوب البنى او الاصفر . وكان الثوب الازرق على يسار الثوب الاخضر مباشرة .

كيف كان ترتيب الاثواب على الرف .. ؟

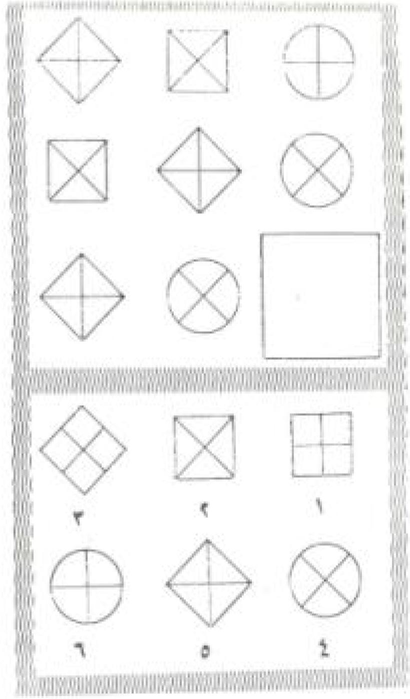
الكيميائى العجوز



حلم تحويل المعادن الى ذهب ، حلم داعب علماء الكيمياء على مدى عصور طويلة . والكيميائى العجوز ، ما زال يزعم أنه يستطيع أن يحصل على الذهب باستخدام أربعة معادن رخيصة هى : الرصاص والحديد والنحاس والقصدير .

حاول أن تعرف من الخريطة التى رسمها كيف تصل الى الذهب اذا ما بدأت من الرصاص ، وما هو ترتيب المعادن التى ستمر بها .

المطلوب منك أن تمر على جميع المعادن ، ولمرة واحدة فقط ، والا تمر على انبوبة واحدة أكثر من مرة . والا تخرج من الانابيب او تتجاوز مسارها .



● حاول أن تعرف ●
الشكل المناسب

من تأمل الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال المرقمة يمكن ان يوضع في المربع الخالي الذى بالصف الثالث ، لتحتفظ بنفس العلاقة .

الحلول

النجمة والسهم :

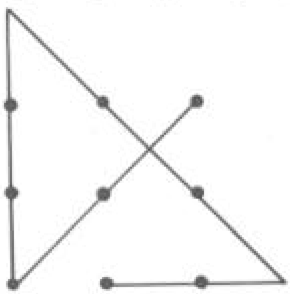
جوهان باخ .

استاذ نبيه يسأل :

كان ترتيب الاثواب كالتالي :
بنى ـ اصفر ـ ازرق ـ اخضر ـ بنفسجى ـ احمر .

متاهـة :

رصاص ـ قصدير ـ حديد ـ نحاس ـ ذهب .



النقاط التسع

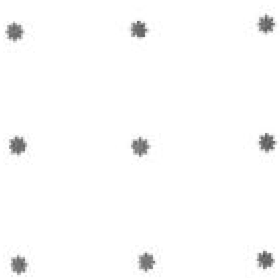
كما هو موضح بالرسم .

الشكل المناسب :

هو رقم (١) .

النقاط التسع

الشكل به ٩ نقاط . مطلوب منك ان ترسم ٤ خطوط مستقيمة ، بحيث تمر بكل النقاط . لا تمر باى نقطة اكثر من مرة واحدة ، ولا تمر على احد الخطوط اكثر من مرة ، ولا ترفع القلم من فوق الورقة حتى تنتهى من عملك .



القصص الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين

جمعها وحققها : احمد بن حافظ الحكمي

اشراف : الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا

الناشر : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ــ الرياض

● كتاب يقع جزءين كبيرين ،يتناول بالدراسة والبحث القصص الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين . والمراد بالقصة في هذا الكتاب كل حادثة تبعث من معين الاسلام ، فابرزت موقفا من مواقفه الفذة ، او حكت شانا من شئونه الرائعة ، او صورت علما من اعلامه ، على ان يكون الراوى لهذه الحادثة ممن عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين وهي مكتوبة باسلوب ينأى عن اساليب الاخبار التاريخية ، وياخذ بطرف من اساليب القصص ، وقد اجتهد المحقق غاية الاجتهاد في اخذ هذه القصص من اخبار كتب السنة المطهرة وخاصة تلك الاخبار التي تتصل باقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، او فعل من افعاله ، او تقرير من تقريراته ، او صفة من صفاته ، كما بذل غاية الجهد ايضا في ذكر القصص الاسلامية من كتب السيرة المعتمدة ، ومصادر التاريخ الموثوقة .

وهذا الكتاب يحتوى على سبعين قصة ومائتين البتت محققة موثقة مضبوطة الكلمات ، مشروحة الغريب ، مترجما لما ورد فيها من اعلام ، كما ان قصص هذا الكتاب تحكى قصص الاسلام منذ كان املا يراود النفوس الصافية في الجاهلية ، الى ان صار حقيقة منزلة من عند الله ، حتى اصبح دولة قائمة على ظهر المعمورة تشمل كل ما دان لتاج كسرى من ملك ، وجل ما خضع لعرش قيصر من ارض .

كما امتاز هذا الكتاب بانه يحوى مجموعة من الفهارس الشاملة الكاملة المتقنة ، فمن فهرس للآيات القرانية الى آخر للاشعار والقوافي ، الى ثالث لأصحاب القصص يحصى عددهم ويبين ما قصة كل منهم ، الى آخر للاعلام الذين ترجم لهم في هذا الكتاب .

امير المسلمين : يوسف بن تاشفين

تاليف : ابراهيم محمد حسن الجمل

الناشر : دار الشعب ٩٠ شارع القصر العينى القاهرة ــ مصر

● يتضمن هذا الكتاب دراسة مستفيضة عن حياة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، مؤسس دولة المرابطين ، ورجل افريقيا البربرى الملثم الذى قام باعظم عمل رأته افريقيا واوروبا وشهدته الارض، فجاء على غير مثال سابق ، وسجله التاريخ بالفخر والاعتزاز ، ورددت الايام انباءه وصداه ، ففى المغرب قضى على الاشتات المتفرقة والنزعات المختلفة، وجمع المسلمين بعدله وسيرته تحت راية الاسلام الصحيح . وفى الاندلس اوقف التدفق الاسبانى الذى كان اكثر تحمسا للحرب الصليبية في الشرق، ووقف لهم بالمرصاد ، وقضى على خرافة الاسترداد، ورد الاسبان الى بلادهم مدحورين . واستطاع ان يخلص البلاد من عبث الذين فرقوها وسموا «ملوك الطوائف » ، وبذلك جمع شمل المسلمين في شمال افريقيا والاندلس ، وامتدت رقعة البلاد في عهده من المحيط الاطلنطى الى برقة ، ومن البحر المتوسط الى بلاد النيجر مشتملة على الصحراء الكبرى ، اما في اسبانيا فمن نهر ابيرو الى مصب الوادى الكبير .

وقد بدا الكتاب بالحديث عن البربر الذين ينتمى اليهم رجلنا العظيم وعن اسلامهم ،وكيف استطاعوا ان ينشروا رسالة الاسلام في مجاهل افريقيا،ثم كيف استطاع ابن تاشفين ان يوحد المغرب ،ويقر الدعوة، وان يستجيب لنداء المسلمين بالاندلس ، فيقضى على التكتل الصليبى في الاندلس في اشهر معركة اسلامية ، وهى « معركة الزلاقة » ، ثم كيف استطاع التخلص من ملوك الطوائف الخائفين المستذلين .

أمان بالإضافة إلى فائدة حسنة

١٠¾٪ في السنة

مدّة محدّدة طولها سنتان

مبالغ مقدارها ١٠٠٠ جنيه استرليني أو أكثر ومودعة في حساب وديعة زمنية لمدة محدّدة طولها سنتان تربح ١٠¾٪ في السنة. عن مدّة محدّدة طولها سنة واحدة، تدفع فائدة بنسبة ١٠٪. أما عن مّدة ٣ و ٤ و ٥ سنوات، فتدفع فائدة بنسبة ١٠¼٪ في السنة. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر.

١٠¼٪ في السنة ودائع دخل شهري

١٠٠٠ جنيه أو أكثر تربح ١٠¼٪ في السنة لمدة محدّدة طولها سنتان. الوديعة ذات الدخل الشهري، والمودعة لمدة محدّدة طولها سنة واحدة تربح ٩¾٪ في السنة، أما عن ٣ و ٤ و ٥ سنوات فتدفع فائدة بنسبة ١٠٪ في السنة. الفائدة تدفع كل شهر دون خصم أي ضريبة في المصدر.

لومبارد نورث سنترال هو عضو في مجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر. لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بأمان تام لرأسمالك. تفضّل بارسال الكوبون طلباً لتفاصيل مجموعتنا الكاملة لمختلف حسابات الودائع وأسعار الفائده الجارية.

أسعار الفوائد أعلاه صحيحة وقت تحضير هذا الإعلان للنشر.

Lombard North Central

Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH. England.

الإسم: ______________________

العنوان: ______________________

____

K182

عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر التي يزيد رأسمالها واحتياطيها على ٨٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

Registered Office: Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال

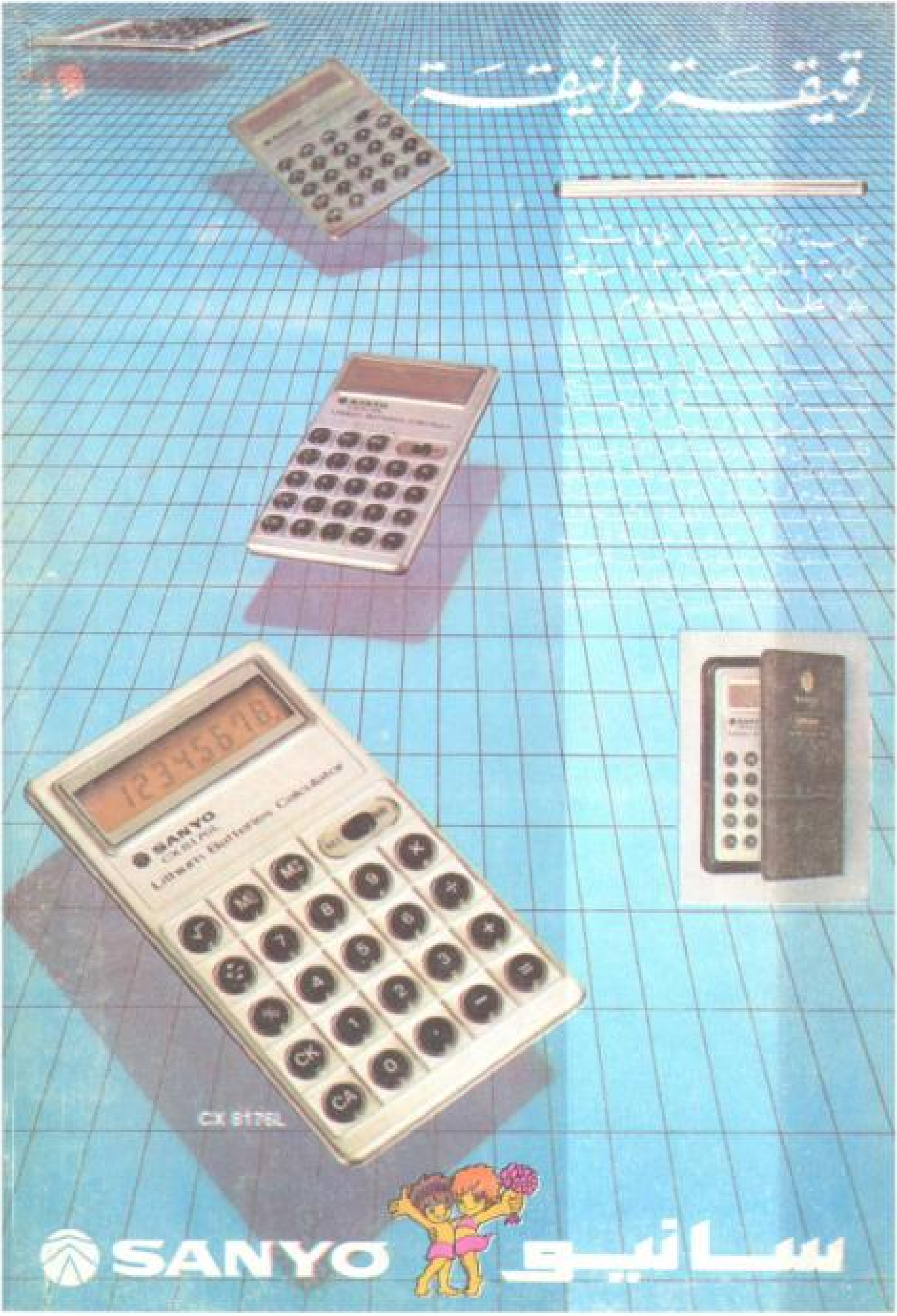
من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول أغسطس ١٩٧٧

٩٥

تيمون الأثيني

تأليف : وليم شكسبير
تحقيق وتقديم : هـ . ج . اوليفر
ترجمة : د . عبد الواحد لؤلؤة
مراجعة : د . محمد اسماعيل الموافي


رقيقة وأنيقة
CX 8176L
SANYO
سانيو

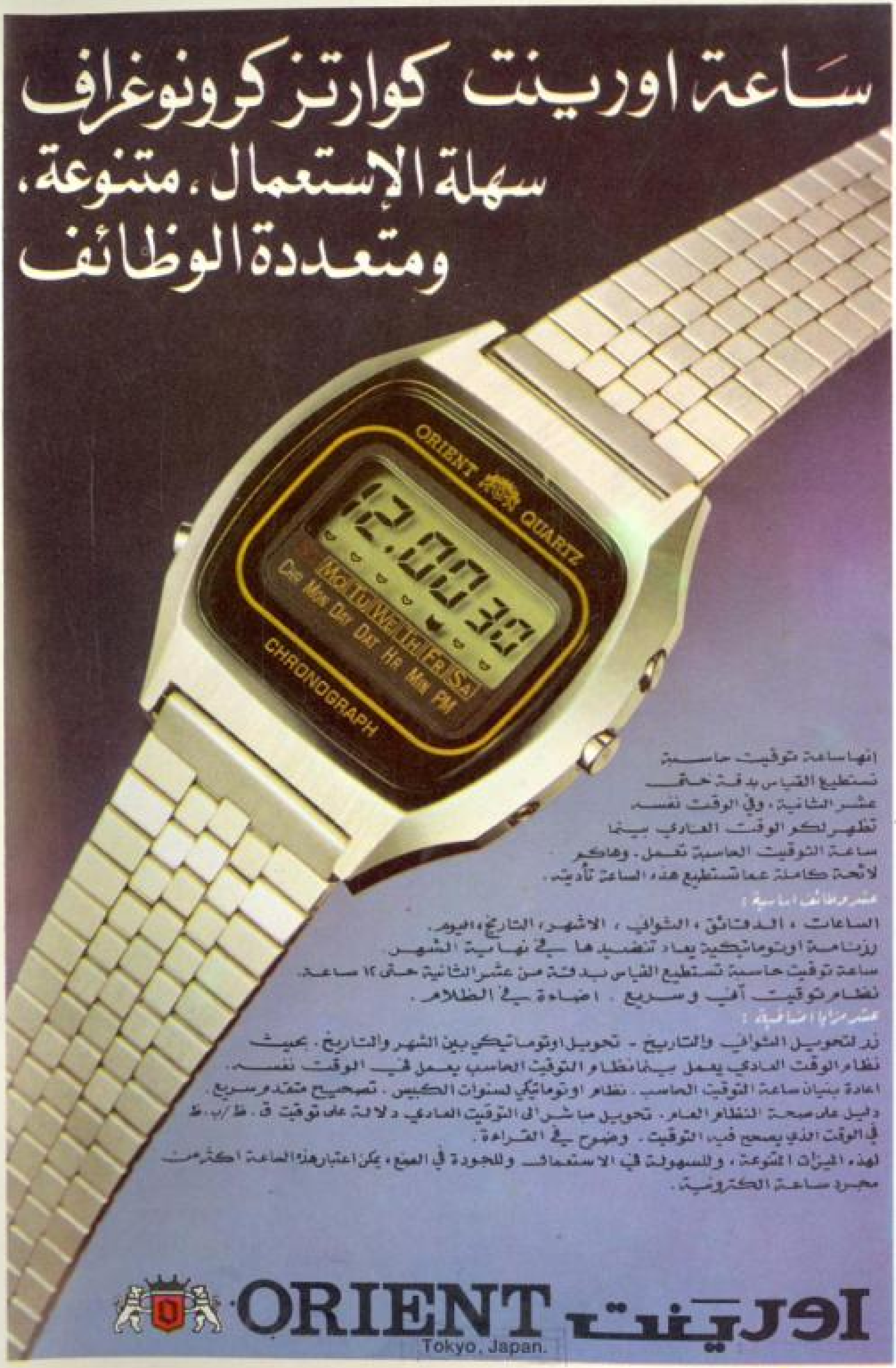
العربي

العدد ٢٢٦
رمضان ١٣٩٧
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٧

- نظرة الرسول إلى الانسان - دراسة خاصة
- هل تنجح محاولات التحكم فى عوامل الوراثة ؟؟

جمانة الحسيني: فتاة هاجرت من فلسطين ولم تغادرها !




ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة،
ومتعددة الوظائف
ORIENT
QUARTZ
CHRONOGRAPH
انها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل. وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
عشر وظائف اساسية:
الساعات، الدقائق، الثواني، الاشهر، التاريخ، اليوم.
روزنامة اوتوماتيكية يعاد تنضيدها في نهاية الشهر.
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آني وسريع. اضاءة في الظلام.
عشر مزايا اضافية:
زر لتحويل الثواني والتاريخ - تحويل اوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ. بحيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بيان ساعة التوقيت الحاسب. نظام اوتوماتيكي لسنوات الكبيس. تصحيح متقدم سريع.
دليل على صحة النظام العام. تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق. ظ/ب. ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت. وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة، وللسهولة في الاستعمال وللجودة في الصنع، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT
اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزى القارىء

فى اكثر الدول العربيه يستطيع المواطن العادى ان يتصل هاتفيا
ى مكان فى الكرة الارضية ، خلال دقائق معدودة . بل ان هذا المواطن
ار بوسعه ـ فى دول عربية اخرى ـ ان يدير قرص الهاتف من منزله
بيئه الرد من أى عاصمة اوروبية أو ولاية امريكية مهما بعدت .

لكن هذا المواطن ذاته اذا اراد ان يجرى اتصالا هاتفيا مع أى عاصمة عربية فينبغى ان ينتظر اياما طويلة حتى يسعده الحظ وتأتيه «المكالمة» . حتى ان كثيرين من رجال الاعمال العرب يفضلون الطائرة على الهاتف فى انجاز مهماتهم فى الوطن العربى .

مثل آخر بسيط . أى حدث فى الكرة الارضية ـ حتى ولو كانت مباراة كرة قدم او ملاكمة ـ يستطيع المواطن العربى ان يتابعه الان على شاشة التلفاز فى نفس يوم حدوثه ان لم يكن فى الساعة ذاتها . لكن هذا الحدث اذا وقع لدى جارة عربية فبالكاد تتابعه عن طريق الراديو .

فى النهاية ، نجد انفسنا نعيش مع اوروبا وامريكا باكثر مما نعيش مع عالمنا العربى ، لان قنوات الاتصال بين الاشقاء مهترئة ومتخلفة ، ومع الغرباء بالغة السهولة واليسر .

نحن لا نثير قضية الذين عانوا من عذاب الاتصال بالعالم العربى خلال اشهر الصيف ، وهم مئات الالوف ، ولكننا نتحدث عن محنة الاتصال بين انحاء عالمنا العربى ،فى عصر تعد ثورة الاتصال احدى سماته البارزة .

من يحل هذه المشكلة ؟

اصحاب المشكلة وحدهم هم اصحاب الحل ، ولا شيىء ينقصهم . لا الخبراء ولا المال ، ولا الرجال.

ماذا ننتظر اذن ؟

■■

العربى

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسـلاميات :

استطلاعات :

طب وعلـوم :

أدب ولغـة :

تاريـخ :

العربى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 226 September 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



● جمانة الحسيني ابنة مفتى فلسطين السابق الحاج امين الحسيني، لوحاتها تحكي رحلة الفلسطيني اللاجىء ، الذى طرد من وطنه لكن كل ملامح هذا الوطن باقية فى اعماقه ، كل بيت ، كل بيارة ، كل شجرة تفاح او زيتون • لقد ظلت جمانة الحسيني فى فلسطين ،او ظلت فلسطين فى جمانة الحسيني، وعلى الصفحات ١١٨ رحلة معها •• داخل فلسطين •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

استطرادات باريسية :

عن الحضارة

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ عندما يذهب الزائر منا الى باريس ، لا يملك الا ان ينظر فيما حوله ، مبهورا ، من تلك المدينة التي لا ينقصها شيء ...

ماذا ينقص باريس ؟

الفنادق ؟ المطاعم والمقاهي ؟ اماكن اللهو ؟ الجامعات ؟ رهبان العلم ؟ المكتبات والمتاحف وكنوز الفن ؟ آثار الماضي ؟ جمال الحاضر ؟ مؤشرات المستقبل ؟

ولكن أهلها لا يرضون ....

والمسئولون عنها يشعرون انهم ، يوميا ، في سباق مع الزمن . في منافسة مع الآخرين . في صراع حياة .

هذا السعي المستمر الى الأحسن ، الاحسن الذى ليس بالتعريف هدفا محددا ينتهي عنده الجهد . بل الاحسن « اللانهائي » ، الذى لا يوصل اليه ابدا . الذى يتجدد يوما بعد يوم .

ان بعض الفلاسفة الذين يحللون ويقارنون بين الحضارات المختلفة . يرون ان ما يميز هذه الحضارة التي نسميها بوجه عام « الحضارة الغربية »،



والحجارة!

أو « الحضارة الاوروبية » لننزع فكرة الشرق والغرب بمعناها السياسى ،هو هذه « اللانهائية » • روح المعرفة اللانهائية • البحث اللانهائى • الهدف اللانهائى • ومن هنا نسبوا اليها تميزها بارتياد المجهول فى البحار والمحيطات والقارات • وارتياد المجهول فى مجالات البحر والفلسفة والعلم والتكنولوجيا • والغوص الى اعماق البحار للدراسة حياة أصغر سمكة تسبح فيها ، والى ما تحت اعماق البحار لمعرفة ما اذا كانت هنـاك ثروات قابلة للاستخدام تحت قيعاناها ، والصعود الى القمر ، ثم الى الزهرة ، ثم الى المريخ ••• والغوص بعلم النفس فى أعماق النفس الانسانية والتفتيش عن ادق خلجاتها ••••

وقد بالغ بعض الفلاسفة فى التفريق بين « هوية » هذه الحضارات المختلفة • فنجد اشهرهم فى هذا المجال الفيلسوف الالمانى « أوزوالد شبنجلر » الذى قال – مثلا – ان كل حضارة كان لها فى فنونها ورسومها ورموزها لون مميز • فالحضارة الفرعونية كان لونها المميز هو الاسود ، لانها حضارة كانت تفكر فى الموت وما بعده بدليل ما أقامته من مدافن واهرامات • وأن الحضارة العربية كان لونها المميز هو اللون الذهبى لانها تؤمن بالمعجزة الخارقة للطبيعة ، وانلون الذهبى لون ليس من الوان الطبيعة • اما الحضارة الاوروبية فقد عرفت لونا مميزا هو الأزرق • لانه ليس لونا • بل لون اللانهائى • فماء البحر ليس ازرق اللون ولكن اعماقه تعطيه هذا اللون • والسماء ليس لونها أزرق • ولكن طبقات الجو فى لانهائيتها تعطيها هذا اللون •••

•• ونتوقف هنا عن الاسترسال وراء شطحات الفلاسفة ، حين يريدون أن يؤكدوا نظرياتهم بكل برهان يتاح لهم • ونعود الى باريس ، وما باريس

فى هذا الحديث الا مجرد مثل نضربه ، من وحى الرحلة ، على روح الرغبة الدائمة فى التقدم ، والسعى الى الاحسن ٠

عندما كان « جورج بومبيدو » رئيسا لجمهورية فرنسا قبل سنوات قليلة ، وجه سؤالا الى مجموعة من أكبر خبراء بلاده فى الثقافة والحضارة والهندسة وتخطيط المدن والسياحة وغيرها ٠٠ كان السؤال هو :

كيف نحافظ على باريس كمركز عالمى ؟ وكيف تفوز فى سباق عواصم الدنيا ، وما هى الشروط المطلوبة لها لتصبح أو لتبقى المدينة الاولى فى العالم ؟

٠٠ ان مجرد توجيه هذا السؤال أمر يبعث على الدهشة٠ فاذا كان فى العالم ثلاث أو اربع مدن هى أكثرها نفوذا واشعاعا ، وأكثرها حظا من اقبال الناس عليها ٠٠ بدءا من طالبى اللهو الى الذاهبين لحضور المؤتمرات الدولية ٠٠٠ اذا كانت هناك ثلاث أو أربع مدن متفوقة فى العالم على غيرها فى هذه المجالات ٠ فلا شك أن باريس واحدة منها ان لم تكن فى مقدمتها ٠٠٠

ولكن هذا لا يكفى اصحابها ٠٠٠

انهم يشعرون بسرعة ايقاع الزمن ٠ وعنف السباق ٠ ومن لا يتحول ، ويجرى ، ويلهث ، ويدفع بالمناكب ، سوف يسبقه آخرون ٠

وفى عالم اليوم ، لم تعد الميزة الجغرافية وحدها كافية ٠ فوسائل الاتصال الحديثة تقرب البعيد ٠ والارض فى النهاية كروية ، فكل موقع فيها يمكن أن يكون موقعا متوسطا ٠



أوروبا من موسكو الى لنــدن في موقع متوسط بين الشرق الاقصى وامريكا • ولكن أمريكا فى موقع متوسط بين أوروبا وشرق آسيا • واليابان في موقع متوسط بين الامريكتين وقلب آسيا • العــالم العربى فى موقف متوسط واضح •

وانما صارت الاماكن تقاس بأهميتها • فحين كانت أوروبا فى مركز القوة قامت فيها عصبة الامم ، وقيل أن جنيف مكان متوسط • ولكن بعد الحرب العالميــة الثانيــة حين برزت قوة أمريكا أقيمت الامم المتحــدة فى نيويورك • وكانت أيضا موقعا متوسطا بين مراكز الثقل الجديدة !

لهذا سألت باريس نفسها هذا السؤال • طبعا هناك عواصم شتى للعالم ، موسكو وواشنطن عواصم القوى الكبرى وعواصم الصواريخ وحسم حياة العالم بالاسلحة الذرية • باريس عاصمة العالم ثقافيا • زيوريــخ الصغيرة الصامتة عاصمة المال • لندن عاصمة سوق الاوراق المالية والذهب • نيويورك عاصمة الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات وهكذا ••

ولكن باريس تريد أكثر • الكل يريد أكثر ، فرانكفورت القرية فى المانيا الغربية تحاول أن تكون عاصمة خطوط الطيران في أوروبا فتسرع فرنسا الى بناء المطار الثالث فى باريس والاحدث فى العالم وهو مطــار شارل ديجول ، وهكذا ••

ردت لجنة الخبراء على سؤال الرئيس جورج بومبيلو وبنقاط كثيرة ، لا بد من العمل على توفيرها حتى تظل باريس مدينة عالمية • اذكر منها :

* اماكن كافية لسكن الزوار سكنا مريحا ، سواء فى الشقق للمقيمين أو فى الفنادق للسواح والعابرين •





ديستان

* أكبر عدد من المنظمات الدولية والاقليمية والمؤتمرات الدولية .
* قاعات حديثة مجهزة من أجل هذه المؤتمرات .
* نظام بنكي كفء وسريع .
* وسائل اتصال سريعة بالعالم .
* حركة مرور سريعة ومريحة .
* أماكن للترفيه ، الصاخبة والهادئة المريحة .
* ازدهار ثقافي .
* صحافة قوية تعكس أحداث العالم وتطوراته .

وطبعا الكثير من هذا متوفر في باريس أكثر من غيرها . والغريب أنه ربما كانت هناك عواصم للمال وعواصم لاشياء أخرى . ولكن باريس ربما كانت المدينة الوحيدة تقريبا التي لديها شيء هام من كل شيء . ولكن المطلوب لدى هؤلاء هو التحسن . والتقدم . والتحسن والتقدم .

ومن الملحوظ مثلا أن لندن التي كانت عاصمة العالم الاولى ، عندما كانت تحكم امبراطوريتها الواسعة قد تقلص دورها مع زوال قدرتها السياسية . وانها خسرت ربما لحساب باريس بالذات مع أن باريس بدورها خسرت امبراطوريتها .

خسرت لندن كمركز حساس من مراكز العالم أو قلت قيمتها كمكان



بومبيدو

لقاءات ومؤتمرات وغير ذلك . وان كانت كسبت من باريس ألقاب عاصمة اللهو وعاصمة القمار .

وربما لولا العرب البتروليون ، واعتيادهم لندن منذ زمن بعيد ، لما عرفت لندن رواجها الحالي في السياحة وكمدينة للطب والعلاج . وحتى في هذا المجال بدأت باريس تكسب منها .

على أن هذا التجديد جلب مناقشات حامية حوله في باريس .

كان معنى المحافظة على قصب السباق في رأى المخططين : الاذعان للمنطق الحديث في مجالات كثيرة ، خصوصا البناء . ناطحات السحاب الصماء . السوبرماركت في الاسواق . وغيرها .

وقاوم الكثيرون هذا الاتجاه . طالبوا بأن يكون هذا خارج باريس وعند حدودها . لانه لا يجوز افساد طابع المدينة التاريخي وشخصيتها المعمارية . وأشجارها . وضفاف نهر السين المعروفة .

وكان معروفا أن بومبيدو ليس من رأى هؤلاء ولكنه كان مع التجديد . وكانت له كلمة ذاعت في هذا المجال اذ قال « على الباريسيين أن يختاروا بين أن تكون مدينتهم متحفا ، أو تظل عاصمة كبرى في العالم » .

وقد ضرب المثل بنفسه ، فوضع داخل قصر الايليزية ـ قصر الرئاسة التاريخي ـ ديكورات حديثة جدا ، غطى بها ديكورات القصر التاريخية ،

دون أن يمسها • وأعطى الاذن فقامت ناطحات السحاب مثل « برج مانهاتن » وبرج « مونبارناس » على النمط الامريكي المعروف • وأطلق لاهل الفن الحديث العنان في تشكيل أحياء المدينة الجديدة •

ولكن المقاومة اشتدت • وحين صعد « برج مانهاتن » بالذات ، واذا به يشق عنان السماء خلف « الايترال » أو « قوس النصر » الشهير في نهاية الشانزيليزيه • وصار مستحيلا التقاط صورة مثلا لقوس النصر ، دون أن يظهر فيه هذا البرج • ثار الباريسيون •

وكان بومبيدو يموت • وجاء بعده فاليري جيسكار ديستان رئيسا للجمهورية ، فنزع من قصر الاليزيه الديكورات الحديثة • وأمر بايقاف بناء المزيد من هذه الابراج • ولم يعد هذا ممكنا الا في أماكن معينة • بحيث يمكن أن يتم دون افساد الطابع التاريخي للعاصمة ، بوصفه أكبر قوة جذب للزوار الذين يتزايدون بالملايين ••

وقد فاتني أن أذكر أن الجمال والذوق الرفيع • كان أحد شروط المدينة العالمية ، في رد الخبراء على بومبيدو •

فالذوق الرفيع ولمسة الجمال ليست ترفا • ولم تكن مربوطة أبدا بالثراء ووفرة المال وحدها • بدليل أن بعض أغنى المدن يعد من أقبحها • ولكنه أمر يتصل بالمستوى الثقافي للمواطن ، وتعويده على أن التقدم كما أنه « كم » فانه أيضا « كيف » • وكما أن هناك ما يسمي « مستوى الحياة » فهناك ما يسمي « بنوعية الحياة » • وربما كان من أكبر أسرار جاذبية باريس هو تفوقها في هذا الجانب بالذات •

اقول هذا والعالم العربي تشب فيه كل يوم مدن جديدة • تحمل الطابع المادي البحت • واحيانا المنقول حرفيا عن بيئات اخرى غير بيئاتنا ، وظروفنا الجغرافية ، دون مراعاة من البداية لهذه الظروف ، وللشخصية المحلية من ناحية اخرى ، قبل ان تصبح معالجة الامر متأخرة أو متعذرة •

وكم من مدينة عربية عريقة ، اعود اليها بعد سنوات فأجد جمالها الرقيق قد ديس بالاقدام ، كما تدوس أفيال ضخمة على حديقة زهور جميلة •••

ولست اريد أن أرى تلك المدن متاحف ••

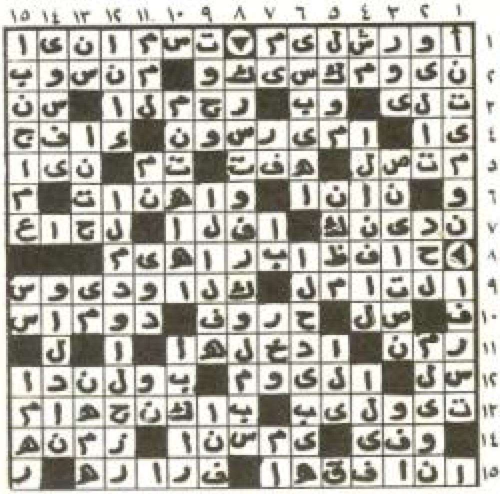
ولكن ليس مستحيلا التوفيق بين الاستجابة لضرورة التجديد وتوفير احدث وسائل الحياةوتسهيلاتها ، وبين ابقاء اللمسة العربية موجودة ، ظاهرة للبيان ••••

انني لا اتحدث عن الطوب والحجارة • ولكن الحجارة تدل على من صنعها • ومن خططها وشيدها على هذا النحو أو ذاك • وكم من أسرار تاريخية عرفناها وفهمناها من الحجارة • وفن العمارة وتخطيط المدن هو جماع فنون انسانية كثيرة • ولانه اكثر ما يعايش الانسان ، فهو اكثر ما ينم عن الانسان •

••

احمد بهاء الدين

● حل مسابقة العدد ٢٢٣ ●



حافظ ابراهيم

●

كرستوفر كولمبس

● تميزت نتائج هذه المسابقات بكثرة عدد الاجابات الواردة من القارئات ·· وقد ظهر جليا فى عملية الفرز ··

وكان الاسمان الرئيسيان فى المسابقة افقيا :حافظ ابراهيم ·· ورأسيا : كرستوفر كولمبس

(٨) افقيا ، حافظ ابراهيم

شاعر وكاتب مصرى تخرج من مدرسة الحربية وعين رئيسا للقسم الادبى بدار الكتب · اشهر اعماله ديوان شعره وكتابه « ليالى سطيح » ·وقد توفى عام ١٩٣٢ ·

(٨) رأسيا ، كرستوفر كولمبس

بحار ومستكشف ايطالى اكتشف قارة امريكا،عندما اراد الوصول الى الهند بعبور المحيط الاطلسى · وقد توفى عام ١٥٠٦ ·

الفائزون بالجوائز

واجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة العديدة فكانت النتيجة كالاتى :

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها:وليد سعيد الغز ـ الاشرفية ـ بيروت / لبنان
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها:دولت حسن رسمى / الكويت
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فازتبها : نهى على ذهنى ـ دمياط / مصر

● ٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ـ عبد اللهاحمد محمد اللى ـ الاحساء /السعودية

٢ ـ محمد عبد الله عوض ـ ابين/اليمن الديمقراطى

٣ ـ ليلى عثمان ـ اربيل/العراق

٤ ـ خالد على احمد ـ المحرق/البحرين

٥ ـ نصر الشرباصى ـ الرباط/المغرب

٦ ـ طارق عثمان ـ اونتاريو/كندا

٧ ـ على نصرى ـ حلب سورية

٨ ـ اقبال محمد عبد الله ـ الخرطوم/السودان

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد ·

بعد مقاله « نظرة الرسول الى الكون »*

نظرة الرسول الى الانسان

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

نظرة الاسلام الى الانسان كما يحددها القرآن الكريم : اننا جميعا من نفس واحدة :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . ان الله كان عليكم رقيبا » (النساء : ١) .

ونحن ـ كما يعلمنا الرسول الاعظم ـ أسرة كبيرة واحدة « ان ربكم واحد . وان اباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب » قال هذا فى خطبته المشهورة فى حجة الوداع .

الوحدة فى التنوع

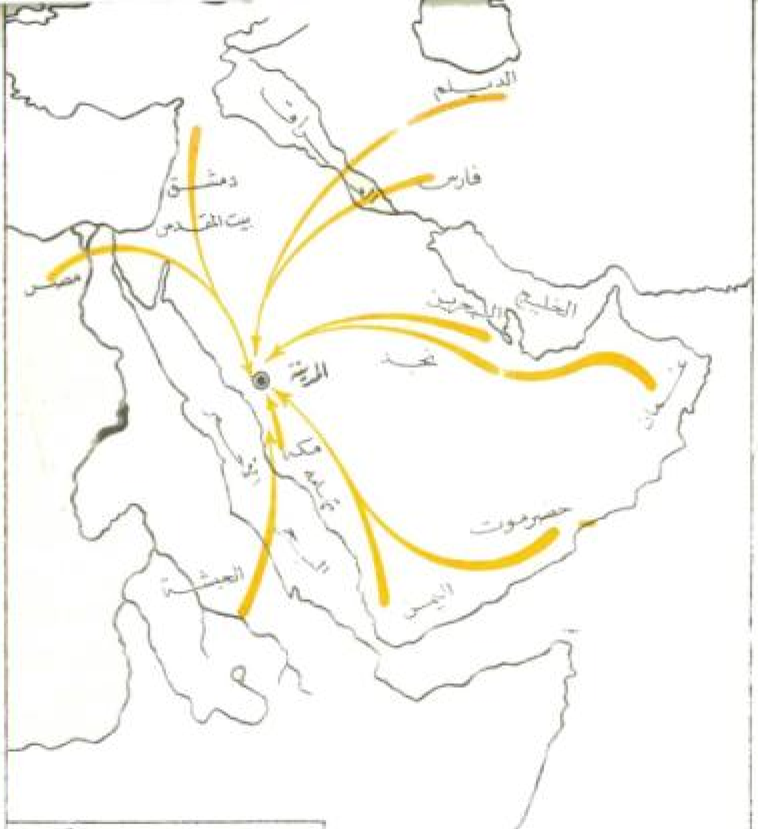
وتنظر حولك فترى الناس مع وحدة الخلق متباينين : تختلف السنتهم والوانهم وتصرفاتهم، مع أن الله خلقهم من نفس واحدة . ويشرح لنا المصطفى (ص) ذلك فى قوله :

« ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض . فجاء بنو آدم على قدر الارض : منهم الاحمر والابيض والاسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والخبيث والطيب » (رواه احمد والترمذى وابو داود عن ابى موسى ـ مشكاة المصابيح للتبريزى ١ : ٣٦)

هذا الحديث يلفتك الى ما حولك من ظواهر الارض فى صخورها ، وتربتها المتباينة لونا ، وفى سطحها المتباين انبساطا ووعورة ، وانت تنظر الى ذلك كله فتراه فى تنوعه متكاملا .. انه الارض التى تضم ذلك كله . وانت ، الست من هذه الارض ؟ مصداقا لقول الله تعالى :

« والله انبتكم من الارض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا » (نوح : ١٧ ـ ١٨) . فليكن الانسان وحدة هذه الارض مصغرة بكل ظاهراتها .. بل ان هذا الشعاع النورانى الذى تراه فى وحدته ، الا يجمع الوان الطيف كلها ؟ ومنه

* انظر عدد العربى رقم ٢٢٠ ـ مارس ١٩٧٧ .



مصادر الهجرة الى المدينة في العهد النبوي

تبدو الالوان اذا ما مرت على منشور زجاجي ، او انعكست كقوس قزح في صفحة السماء ؟

وانت مدعو بدعوة الرسول الى أن ترى هذا الانسان في وحدته الاولى .. والا تفقد هذه الوحدة وانت تراه متنوعا . واذا ما اخذنا اصطلاحا حديثا كان الوجود الانساني قائما على اساس « وحدة الانسان في تنوعه » .

لا عصبية

وهذا التباين لا يعدو عهد المصطفى (ص) ان يكون مظهرا لقدرة الله تعالى .. وآيات للتدبر وزيادة القرب من الله بالعبادة ، ومن الناس بالاحسان اليهم ..

اما ان يتخذ البعض ـ في عصور واقطار ـ من هذا التباين مادة استعلاء او انتقاص ، ويحاولون تقسيم المجتمع على اسس لونية او طبقية او عنصرية فامور جاء الاسلام ليضع لها ميزانا لا تضطرب به الحياة ولا يضل الاحياء ..

يقول عليه الصلاة والسلام «ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (ابو داود عن جبير بن مطعم ـ المشكاة ٢ : ٥٩٥)

ويفرق بين حب الانسان لقومه ، وهو امر فطري ، وبين الانحياز اليهم بالباطل ويسأله رجل :

ـ يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟

قال : لا . ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم (احمد وابن ماجة ، المشكاة : ٢ : ٥٩٦)

ولا زالت التفرقة العنصرية من أخطر ما تتعرض له الانسانية في عصورها المتتابعة ، وعليها تقوم امم وشعوب واديان ، تهدر كرامة الانسانية في جوهرها الواحد ، وتقف عند حدود القشرة اللونية أو المكانة الاقتصادية والتقسيم الاجتماعي ، بينما اعطت جماعة المسلمين في مكة ومجتمعهم الاول في المدينة النموذج العملي لهذا الاخاء .

نماذج من فجر الاسلام

١ ـ فمن الناحية اللونية : كان فيهم بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي .

٢ ـ ومن الناحية الاقتصادية : كان فيهم الثرى السابق الى الاسلام كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، والفقراء كآل ياسر .

٣ ـ ومن الناحية الاجتماعية : كان فيهم قوم من ذؤابة قريش ، كمن آمن من بني هاشم ، وقوم من غمار الناس .

٤ ـ وكان فيهم مهاجرون من مكة ، وانصار من المدينة . وبعبارة اخرى :

جمعت المدينة بين عناصر من أصول عدنانية وقحطانية ، وهما القسمان الرئيسيان لعرب الجزيرة .

٥ ـ وكانت فيهم اعمار متباينة جمعها الايمان في ظلال الاسلام والنبوة . فعند الهجرة كان الرسول في الثالثة والخمسين من عمره . وكان مصعب بن عمير دون العشرين أو زهاءها . وكان عبدالله بن الزبير ـ ابن اسماء بنت أبي بكر ـ أول من ولد مسلما للمهاجرين في المدينة .

فالمجتمع الاسلامي الاول لا نستطيع أن نقيمه على أساس لوني أو طبقي او اجتماعي وانما كان خلاصة للانسانية ونموذجا لها ، كما يبدو من الخريطة المرفقة .

ويطيب لكثير من الكتاب ان يذكروا ان الوظيفتين الرئيسيتين في مسجد المدينة وهما الامامة والاذان كانتا تمثلان هذا الاخاء الانساني الكريم : الاولى للنبي العربي القرشي الهاشمي والثانية لبلال الحبشي .

التفاضل بالتقوى

ويوضح الرسول (ص) أساس التفاضل في الحياة . وانه أمر نسبي يستطيعه من أراد أن يبتغي الى ربه سبيلا ، فيقول حاثا الناس على العمل الصالح في خطبة الوداع :

« الا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على أسود ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وهذا العمل الصالح تتنوع مظاهره ومجالاته ولكن هدفه واحد ، وهو صالح الدين والمجتمع ، مع اخلاص النية فيه لله .

واذا عدنا الى فصول المناقب من كتب الحديث الصحيحة وجدناها تذكر مناقب المصطفى (ص) والخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، وأهل البيت النبوي وازواج الرسول ، وتاتي بعد هذا مناقب الصحابة رضوان الله عليهم دون نظر الى اوضاعهم الاجتماعية او الاقتصادية .

ومع ان المشركين كانوا اذا حاوروا الرسول (ص) يودون لو صرف الفقراء عن مجلسه ، الا اننا نقرأ توجيه الله لرسوله ورعايته لهؤلاء :

فعن سعد قال : كنا مع النبي (ص) ستة نفر فقال المشركون للنبي (ص) اطرد هؤلاء لايجترئون علينا . قال : وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما . فوقع في نفس رسول الله (ص) ما شاء الله أن يقع . فحدث نفسه فانزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) . (الانعام : ٥٢) رواه مسلم .

ويبدو من هذا الحديث ونظائره ، ما كان يحاول المجتمع الاسلامي أن يزرعه في حقل الانسانية ، من قيم جديدة ، وموازين للبشر على اساس من

اعمالهم ، بعد ان تيبست اوضاعها قرونا على موازين التفرقة الاجتماعية والاقتصادية ٠

ومع ان أبواب المناقب تعرضت لكثير من التمحيص ، باعتبارها قد تكون مدخلا الى أنواع جديدة من التفرقة والتمييز بين القبائل ،يستند الى ما ذكر لها الرسول من فضل او ما نسب الى الرسول انه قاله ، فان الحقيقة القرآنية الكبرى تبقى فى اشراقها وحيا منزلا من عند الله ٠٠ « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

آفاق مفتوحة للنشاط

وما دام التفاضل فى الحياة بالتقوى ،وليس على الانسان فى نظر الرسول قيد من وضع اجتماعى او اقتصادى أو لونى ، فله ان يبدع فى المجتمع قدر ما تستطيع مواهبه ان تطيق ، ولناخذ نماذج لذلك ٠

١ ـ حين يجد الرسول (ص) من بعض اصحابه تفوقا فى حفظ القرآن يدعو الاخرين الى الاخذ منهم فيقول « استقرئوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة وابى ابن كعب ومعاذ بن جبل » متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ـ المشكاه ٣ : ٢٧٠ ٠

٢ ـ وهو يشجع ثابت بن قيس بن شماس على الخطابه٠وكان خطيب الانصار٠٠وعندما نزل قوله الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ٠٠ » الى اخر الآية (الحجرات ٢:) جلس ثابت فى بيته ، ظنا منه انه رفع صوته فوق صوت النبى فحبط عمله ، فلما بلغ ذلك النبى (ص) قال : بل هو من اهل الجنة (رواه مسلم عن انس ٠ المشكاه ٣ : ٢٧٣) ٠

٣ ـ واذا كان خالد بن الوليد هو القائد الذى ارهق المسلمين فى غزوة احد ، واستطاع الالتفاف حول خطوطهم واختراقها ، وكسب منهم جولة من جولات هذه المعركة ، فان طاقته بعد اسلامه تحولت الى خدمة الاسلام ، ولم يكن موقعه

وهو على الكفر فى غزوة احد ، حائلا دون أن يستند اليه الرسول المهام الكبيرة فى الاسلام ، وان يسميه « سيف الله » وهكذا كان فى حروب الردة مع ابى بكر وفى فتوح العراق والشام فى عهد الشيخين ابى بكر وعمر ٠

٤ ـ واذا ما ظهرت من أبى بن كعب مواهب فى تعلم اللغات،فليضم الى كتاب الوحى وليفعل ما يكلفه به الرسول من تعلم اللسان العبرى فضلاعما كان يجيد من الستة اخرى وليكن المؤتمن على قراءة ما يرد الى الرسول (ص) بهذه الالسنة من خطابات واعداد الردود عليها ٠

٥ ـ واذا ما ظهرت فى أم عطية رغبة ودربة فى تمريض الجرحى ورعاية شئونهم فى المعارك والمدينة فليوفر لها الرسول (ص) هذه الفرص وليسند اليها هذه الاعمال ٠

وهكذا تستطيع ان تراجع من انشطة الصحابة رجالا ونساء مجالات متعددة فتحتها لهم قدراتهم، أو وجههم اليها الرسول (ص) ، ولم يضع قيدا على أى منهم اذا ما اراد ان يتقدم بخدمته الى المجتمع فيما يحسن ٠

مواقف الناس من الاسلام

ويعود الرسول (ص) فى اكثر من حديث الى تشبيه صنوف الناس بصنوف الارض فى مدى تقبلها للخير ٠

وانت فى القرآن الكريم تجد كثيرا من الترابط بين ايات نزول الوحى ونزول المطر : هذا تحيا به القلوب ، وهذا تحيا به الارض بعد موتها ، تكتفى منها بنموذج واحد من سورة الرعد :

« انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ٠ كذلك يضرب الله الحق والباطل ٠ فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ٠ كذلك يضرب الله الامثال ٠ للذين استجابوا لربهم الحسنى ٠ والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به ٠ اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم

وبئس المهاد • أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ انما يتذكر اولوا الالباب » (الرعد : ١٧ ـ ١٩)

اما فى الحديث الشريف فنقرأ قوله عليه الصلاة والسلام :

ـ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير • وكانت منها أجادب وهي الارض الصلبة التى تمسك الماء) امسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا • واصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ • فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به » متفق عليه عن أبي موسى • المشكاة ١ : ٥٤)

وانت اذا ما أدرت النظر حولك وجدت هذه الصنوف من البشر : القلوب الطيبة كأنها جنة ربوة ، تقبل أرضها الماء وتثمر ، يتمثل فيها القبول والعطاء ، وأرض صلبة لا تستفيد من الماء وانما يستفيد منها غيرها • وثالثة تمسك ماء يستقى منه الناس ، ولا تنبت كلا ترعاه الماشية ••

ولا يقتضى هذا ان تجمد القلوب على مواقفها: فالقلوب الصخرية قد تنفجر منها بعد حين ينابيع الخير ، وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار •• والصخر الاصم قد يتحول الى تربة خصبة مثمرة ، اذا ما تابع المطر النزول عليه او جرى عليه الماء • والارض المستوية قد تتجمع عليها الرواسب ، وتصبح صالحة للزراعة وقد يلين سطحها فيحفظ الماء للناس والانعام فالامر تفاعل مستمر •• وبعض القلوب اسرع تقبلا من بعض •• فلنعرض قلوبنا للخير حتى تستقبل منه الكثير ، وتزداد مع الايام له قبولا •

التراحم

ورسم الرسول (ص) بسلوكه وتوجيهه الاساليب التى تعين على تماسك المجتمع واحترام الانسان : صغيرا او كبيرا ، رجلا او امرأة ، مسالما او محاربا ، وكلها تنبع من اساس واحد هو محبة الانسان واحترامه •• ولنأخذ نماذج متكاملة لذلك :

١ ـ فهو يدعونا الى افشاء السلام بيننا • والسلام ليس مجرد كلمة تقال ولكن رغبة حقيقية فى ان تقوم العلاقات على اساس من حب السلام وهو فى ديننا من أسماء الله الحسنى • ويعلمنا المصطفى (ص) فيقول :

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا • ولا تؤمنون حتى تحابوا • أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم » مسلم عن ابى هريرة • المشكاة ٢ : ٥٣٧)

٢ ـ ويدعونا الى التصافح والتهادى « تصافحوا ، يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » مالك عن عطا مرسلا • المشكاة ٢ : ٥٥١)

٣ ـ ويدعونا الى صلة الرحم « من احب ان يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » (متفق عليه عن أنس • المشكاة ٢ : ٥٩٨)

ويخص الوالدين بمزيد من البر ، ويسأله رجل عن حق الوالدين على ولدهما فيقول فى حديث من جوامع الكلم « هما جنتك ونارك » (ابن ماجة عن ابى أمامة المشكاة ٢ : ٦٠٣) **•• طاعتهما جنة والى الجنة تقود ••**

٥ ـ ويمد يد البر والرحمة الى اليتيم فيقول « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » (ابن ماجة عن ابى هريرة • المشكاة٢ : ٦٠٩)

٦ ـ وتمتد مظلة الخير فى الاسلام لتشمل الناس جميعا فيقول : الخلق عيال الله • فأحب الخلق الى الله من احسن الى عياله (البيهقى فى شعب الايمان عن انس • المشكاة ٢ : ٦١٣)

٧ ـ وتظل هذه الرحمة قائمة حتى اذا ما اضطر المسلم ان يحمل من أجل الحق سلاحه ويوصى جيشه قائلا : « اغزوا باسم الله فى سبيل الله • قاتلوا من كفر بالله • اغزوا فلا

تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، مسلم عن سليمان بن بريدة عن ابيه · المشكاة ٣٨١:٢ الغلول الخيانة فى الغنيمة · والتمثيل : التنكيل

وهذا التراحم وهو اول ما يطالعنا به القرآن الكريم وصفا لربنا الرحمن الرحيم ـ يقتضى منا دائما ان نحفظ هذا الانسان وننميه وان نوفر له البيئة الاسرية الصالحة ، حتى قبل ان يولد ، عن طريق اختيار الاب والام · وان نرعاه فى طفولته وفي صحته ، ثم نتابع رعايته فى تعليمه، واعداده للحياة وتاكيد الدين فى قلبه وعقله ، ثم نفتح له باب العلم والعمل ما دام قادرا عليهما ، وباب الرعاية حين تقعد به القدرة ·

وفى الاسلام لا ينفصل المضمون الاجتماعى عن المضمون الاقتصادى عن الاساس الدينى الذى تقوم به الحياة ·

واذا كان طلب العلم فى الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فان الزكاة فى الاسلام هى صنو الصلاة · ومسئولية الدولة والمجتمع عنهما قائمة · ولعل حروب الردة تمثل نموذجا فريدا فى تاريخ الانسانية · وقفت فيه الدولة الى جانب حق الفقير بسلاحها ضد جموع الاغنياء ورغبتهم فى التحلل من هذه الفريضة · ذلك لان الفقير والغنى والحاكم والمحكوم ·· كلهم محاسب على ما يعمل ومجزى به ·

وفى حياتنا المعاصرة

والاسلام ـ على هذا الاساس ـ لا يقبل قسمة العالم الى الذين يعرفون والذين لا يعرفون · ولا قسمته على اساس الذين يملكون والذين لا يملكون · ويستهدف اخاء شاملا يكون فيه العلم وموارد الحياة مجال تعاون انسانى ،وليست اسلحة فى يد الاقوياء يشهرونها فى وجوه الضعفاء ·

ان الانسان الذى ترسم صورته احاديث النبى عليه الصلاة والسلام ، هو الذى راينا نماذجه فى صدر الاسلام ، وحاولنا ان نبين ابرز ملامحه ، وما أشد حاجتنا كبشر الى ان نترجم هذا الهدى النبوى الى حياة نابضة ·

ان هذا الهدى النبوى ليس ماضيا انقضى · ولكنه شروق متجدد يستوى عنده الماضى والحاضر والمستقبل · وما اكبر ان تكون مجتمعاتنا الاسلامية نموذجا لهذا الهدى تقدمه الى الانسانية فى مسيرتها المستمرة نحو تحقيق كرامة الانسان ·

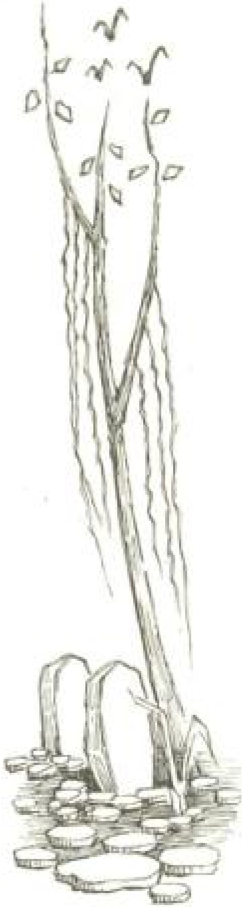
الكويت ـ د· عبد العزيز كامل

متى ينتقص هذا ؟

● قال عمرو بن العاص رأيت معاوية فى بعض أيامنا بصفين خرج فى عدة لم أره خرج فى مثلها فوقف فى قلب عسكره،وجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبادر اليه بمن يسده،ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة·فدخله زهو مما رأى ·

فقال يا ابن العاص : كيف ترى هؤلاءوما هم عليه ؟ فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ،فما رأيت أحدا تأتى له من طاعة رعيته ما تأتى لك من هؤلاء · فقال : أفتدرىمتى يفسد هذا ؟ وفى كم ينتقص جميعه؟ قلت : لا قال : فى يوم واحد فأكثرت التعجب ، قائلا : وكيف فى يوم واحد ؟ قال : أى والله وفى بعض يوم قلت : وكيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : اذا كذبوا فى الوعد والوعيد وأعطوا على الهوى فسدجميع ما ترى ·

سفر



بيننا ، يتغير لون الشجر
يتوغل طير المسافات في بحر هداته ،
عالقا بالخيوط التى تتقاطع فى خضرة
السهل ،
او تتوازى ،
ويتصل بالبحر بالليل ،
ينقص وجه القمر

★★★

زمن من مطر
من رذاذ رتيب ،
يسح رمادا بغير انقطاع ،
٠٠ افى الليل ، ام فى النهار ،
ترى كان هذا السفر !

★★★

مدن للعبور فحسب ،
وارصفة للصدى المعدنى ،
وفى المدن الهامشية مايوقظ الذكريات،
وبين القرى ومدافنها شبه ،
٠٠ ثم فى العشب درب ،



شــعر :

احمد عبد المعطى حجازى

ومتسع لمرور الرياح ،
وبين القرى ومدافنها ،
ينفـذ الضوء فـى جسد الورقات ولا يتجسد ،
بينهما شهوة غير مرئية لفحة من بياض
الطلاء الذى يتردد ،
بين البيوت وبين المقابر ،
مرتجفا فى مياه النهر !

★★★

التفاصيل تفقد اسماءها الآن ،
واللحظات التى سرقتنى انتهت ،
والذى كان يفصل ما بيننا يختفى
مثل نافورة سكتت ،
ثم نبقى على الطرفين ،
يواجه كل اخاه ولا يتقلم
ياايهذا الجمال الذى ظل محتفظا بالصبا !
ايهذا الجمال الذى ظل محتميا بالحجر !

■■

باريس ــ احمد عبد المعطى حجازى

صفحات مجهولة من حياة

الأفغاني

في روسيا القيصرية

بقلم : الدكتور نبيل عامر صبيح

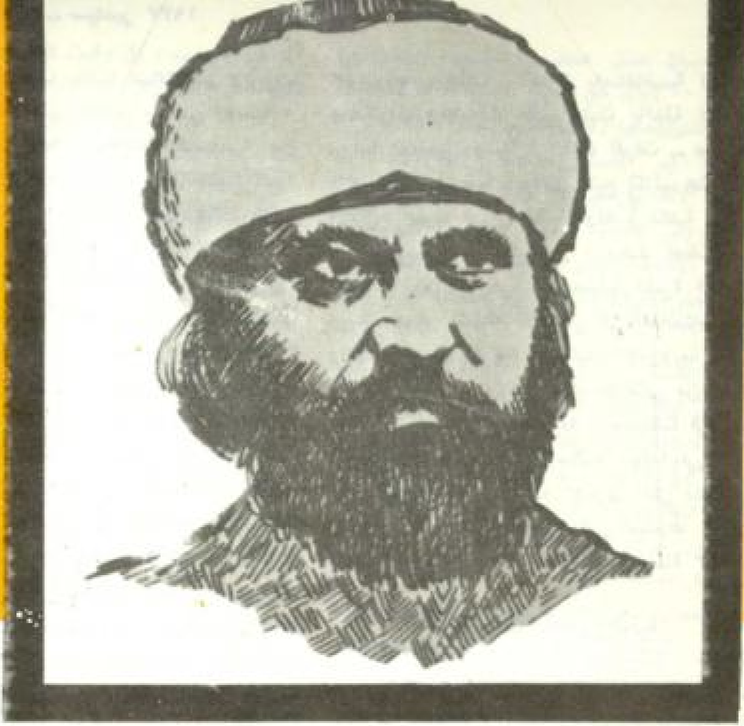
هذه قراءة متأنية لما كتبته صحف روسيا القيصرية عن جمال الدين الافغاني خلال السنوات الثلاث التي قضاها هناك (١٨٨٧ – ١٨٨٩) . وقد اتيح لكاتب المقال الدكتور نبيل صبيح ان يطلع على ما نشر في الاصول الروسية وقتئذ عن نشاطات الافغاني المفكر والثائر والمجدد ، عندما كان في مهمة علمية بالاتحاد السوفييتي وهو هنا يسجل شهادته من خلال قراءة الصحافة الروسية في اواخر القرن الماضي .

ان افكار الافغاني عن ضرورة وحدة الشعوب الاسلامية تحت راية الاستقلال والتحرر من الاستعمار ، بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام ، ما زالت حتى وقتنا الحاضر يتردد صداها بقوة ، وتجد الذيوع والانتشار بين جنبات الشرق الاسلامي سواء في افغانستان وباكستان او في مصر وسورية والبلاد العربية بصفة عامة .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان مفكري وقادة الشرق الاسلامي لا يزالون حتى عصرنا هذا يتمثلون افكار الافغاني في مؤلفاتهم وتصريحاتهم ، بل ويستشهدون ويقتبسون منها ما يدعم نضال شعوبهم ضد الاستعمار الاجنبي او استبداد الحكام ، مستنيرين بآرائه فيما يتعلق بالاخذ بالنهضة الاصلاحية ، وسبيلها الى العودة الى احكام الدين الاسلامي وأصوله الثابتة ، او لافتين النظر الى اهمية وقيمة تعاليم الافغاني فيما يتصل بأسباب الاخذ بالاصلاح الديني المستنير كنواة لاصلاح امور المسلمين .

تنقل الافغاني بين ارجاء الشرق الاسلامي ، واقام لفترات – طالت او قصرت – في ربوعه المختلفة فقد اقام في الهند ، مصر ، ايران ، تركيا ، العراق والحجاز ، بل انه في سبيل تحقيق هدفه من الوحدة الاسلامية نجده يزور ايضا بعض البلاد الاوروبية مثل انجلترا وفرنسا والمانيا .

وقد عاش الافغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان في جولاته هذه بين بلاد الشرق الاسلامي وبلاد المغرب الاوربي يتلمس مشكلات المسلمين ويطلع على احوالهم ، بقصد انارة طريق النضال امامهم ضد الاستعمار الاجنبي



واستبداد حكامهم ، ويهدف الدعوة الى اقامة حركة اصلاحية تستهدف بعث واحياء جامعة الشعوب الاسلامية .

وكان من بين البلاد التى زارها الافغانى واقام بها روسيا القيصرية ، غير ان اقامة الافغانى هذه فى روسيا التى امتدت ما يقرب من ثلاثة اعوام (١٨٨٧ ـ ١٨٨٩م) لم تنل عناية كافية من الكتاب الذين ارخوا لحياة واعمال السيد جمال الدين الافغانى . كما ان المصادر الروسية التى تعرضت لهذه الرحلة ، وكتبت عن الافغانى باللغة الروسية مقالات متعددة نشرت فى روسيا.

لم تنل العناية الكافية لدى من تصدوا للكتابة عنه . فضلا عن ان اقامة الافغانى فى روسيا القيصرية لم تسلط عليها اضواء كافية من قبل الكتاب بالشرح والتحليل ـ رغم اهميتها لدراسة احوال المسلمين الذين كانوا يعيشون فى روسيا وقتذاك تحت الحكم القيصرى ـ سواء فى اللغة العربية او الافغانية او فى المصادر الاوروبية الغربية .

والحق يقال ان من بين الاسباب الاخرى التى تدعو الى تركيز الاضواء على رحلة الافغانى واقامته فى روسيا فترة لا تعد قصيرة ، هو اقتناع الكاتب باهمية ابراز جانب هام من نشاط الافغانى بين رعايا القيصر الروسى المسلمين فى غضون تلك الفترة .

رحلته الى موسكو

اقام الافغانى فى موسكو فى مستهل شهر يولية سنة ١٨٨٧ ، واستمرت اقامته فى روسيا ما يقرب من ثلاثة اعوام . وفى خلال عام واحد تعلم اللغة الروسية بدرجة كافية تجعله يحسن التحدث بها وقد عاش ما يقرب من عام فى موسكو وحوالى ثمانية عشر شهرا فى بيتربرج Peterburg (لينينجراد الحالية) عاصمة روسيا وقتذاك ، كما زار كييف . وتجول فى بلاد القوقاز الاسلامية التى كانت تحكمها روسيا القيصرية .

وقد اجتمع الافغانى بالكثير من الشخصيات الحكومية المسئولة فى روسيا ، وكان من بين من اجتمع بهم وزير خارجية روسيا آنذاك « جيرسوم Gursom » وبعض قادة الجيش الروسى امثال « ريختر Ruchter » ، و « ابروتشيف Abry tchev » كذلك اصبح الافغانى فى سبتمبر سنة ١٨٨٨ عضو الجمعية الجغرافية القيصرية فى بيتربرج (لينينجراد) .

أولى الافغاني اهتماما خاصا لمسالة نشر وترويج نظراته الاصلاحية التنويرية بين مسلمي روسيا • كما نال موضوع تبادل العلاقات السياسية بين روسيا والبلاد الاسلامية المتاخمة لها نصيبا كبيرا من عنايته • وقد أشار الدكتور محمود قاسم الذى ارخ للافغاني في كتابه « جمال الدين الافغاني ـ حياته وفلسفته »الى ان الافغاني أقام في روسيافي سنة ١٨٨٦ بدعوة وجهت اليه من قبل حاكم موسكو (كاتكوف) Katkof • وهناك روايات أخرى ـ ذكرت في مصادر مختلفة ـ عن دعوة الافغاني لروسيا القيصرية • وما يعنينا أن هذه الروايات المتعددة قد اتفقت على أن الافغاني قد حظي بشهرة واسعة وقتذاك لدى كل من مسلمي روسيا والقوى التقدمية بها • ويظهر من هذه المصادر المتنوعة أن أحد الاسباب الهامة التي دعت الافغاني الى القيام برحلته الى روسيا هي اختلافه في الراى مع شاه ايران • فقد استرعت خطبه ضد الانجليز انتباه الصحف الروسية حينذاك ، كما أنها ادت الى اتفاق القوى التقدمية في روسيا معه في الرأى بالتنديد بالسياسة الاستعمارية الانجليزية في الهند ومصر وأفغانستان والتي كانت تناوىء المصالح الروسية في الشرق الاسلامي بصفة عامة•

ظهرت في الصحف الروسية بين سنتي ١٨٨٧ـ ١٨٨٩ مقالات هامة عن اقامة الافغاني في روسيا، كما نشرت هذه الصحف تباعا المقالات التي كتبها الافغاني أثناء اقامته في روسيا وهي : « العلاقات الانجليزية الروسية » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة :

(Novia Vremia, No. 4116, 15 Avgest 1887- New Time, No. 4116, 15 August 1887).

ـ أسباب الوقائع الحالية في « أفغانستان » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة:

(Moskovski Vedomosi, Ueole. 1887- Moscow's Record, Julle. 1887).

ـ « القضية الافغانية » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة :

(Moskovski Vedomosti, Avgost, 1887- Moscow's Record, August, 1887).

وتحتفظ مكتبة الدولة بالاتحاد السوفيتي المسماة « مكتبة لينين » بالصحف والمجلات والكتب التي صدرت ما بين سنوات ١٩٠٥ ـ ١٩١٧ في المدن الروسية المختلفة ببتربورج (ليننجراد) قازان ، أورنبورج ، والتي نشرت باستفاضة المقالات والمذكرات والابحاث التي كتبت باللغة التترية ـ لغة مسلمي روسيا في ذلك الوقت ـ عن اقامة الافغاني في روسيا ، والتي أتيح لكاتب هذا المقال الاطلاع عليها في مكتبة الدولة (مكتبة لينين) بموسكو بالاتحاد السوفيتي • وقد اعطت هذه المقالات والابحاث عرضا تفصيليا لسيرة الافغاني، وبينت جوهر نشاطه الاصلاحي في افغانستان ومصر والهند وايران وتركيا وفي البلاد الاوروبية الغربية وغيرها ، وسردت بتوسع آراء الافغاني عن ضرورة احياء روح الاسلام الاصيلة ، وبسطت في سبيل ذلك الهدف ما تضمنته رسالته الهامة في « الرد على الدهريين » ومقالاته الاخرى التي نشرت في صحيفة « العروة الوثقى » التي أصدرها الافغاني والشيخ محمد عبده في باريس في سنة ١٨٨٣ •

ضد سياسة بريطانيا

تابع الافغاني باهتمام كبير نتائج اتصالات روسيا القيصرية بالدول الاسلامية المتاخمة لها في نهاية القرن التاسع عشر • اذ من المعروف تاريخيا انه قد حدث في تلك الفترة بوادر تناقض خطير بين انجلترا وروسيا حول مشكلة الشرق الاوسط •

فقد سعت الأوساط الحاكمة الانجليزية الى محاولة تقسيم وتجزئة افغانستان بهدف ادخالها بعد ذلك في حوزة ممتلكاتها المستعمرة ، في الوقت الذى كانت فيه السياسة الروسية تهدف أيضا الى تثبيت نفوذها السياسي في أفغانستان • وفي صيف ١٨٨٧ بدأت المباحثات بين انجلترا وروسيا بشأن تحديد الحدود الروسية الافغانية • وكان الافغاني يقيم وقتذاك في بيتربورج (ليننجراد) • وقد تتبع باهتمام عظيم ما تكتبه الصحف الروسية حول هذا الموضوع • وبمجرد أن انتهت هذه المباحثات نشر الافغاني في الصحيفة الروسية المسماة : Novia Vremia New Time مقالا عن « العلاقات الانجليزية الروسية » • وفي هذا المقال خاطب الافغاني مناصري اقامة علاقات مباشرة بين روسيا القيصرية والدول الاسلامية المتاخمة لها • اذ كتب يقول :

« ياترى ما نوع التصور الذى تبادر الى أذهان الروسيين في أثناء المباحثات التي جرت مع الافغانيين والتي أذن بها وتبناها الوسطاء الانجليز

وهى شان من صميم شئون الافغانيين وحدهم ؟ ·· وباى حق تسمح روسيا لانجلترا بهذا الوضع الذى يجعلها وكانها نصير للوساطة الانجليزية وفى هذا اكبر الضرر عليها ، اذ يجلب مقت وكراهية الافغانيين لها ·· ومثل هذا الوضع انما يعطى للروس امكانية ضئيلة مع الوقت فى سبيل استمالة الافغانيين لهم وتثبيت نفوذهم السياسى عليهم وعلى غيرهم كمناصرين لقضايا حرية هذه الشعوب ··

ومن الطبيعى الا نندهش اذا صدر مثل هذا القول عن توقع مناصرة الروس لقضايا حرية شعوب الشرق الاسلامى من ربقة الاستعمار الانجليزى او غيره من قبل الافغانى او الشيخ محمد عبده او مصطفى كامل اومحمد فريد اوغيرهم من الزعماء · فقد تصور هؤلاء المفكرون فى ضوء الاوضاع السياسية العامة التى كانت تتحكم فى موازين القوى الدولية وفى علاقات الدول الاوروبية بصفة خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر انه يمكن لشعوب الشرق الاسلامى أن تعتمد فى سبيل حصولها على استقلالها السياسى على تضارب المصالح الاستعمارية بين الدول الاوروبية الكبرى· فلا غضاضة اذن اذا وجد الافغانى ان من مصلحة الافغانيين أن يوطدوا علاقاتهم بروسيا فى سبيل مناوأة الانجليز والتخلص من نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الافغان ·

كتب الافغانى عدة مقالات نشرت فى روسيا القيصرية ، فضح فيها السياسة الاستعمارية فى الشرق الاسلامى بصفة عامة · وفى احد هذه المقالات كتب الافغانى يقول :

« تتميز السياسة الانجليزية الاستعمارية بانها فى سبيل تحقيق مراميها البعيدة انما تتخذ من الاشكال المنوعة والاساليب المتعددة مايخدم اغراضها المرسومة بدقة ، فالانجليز حيث يحلون فى مكان يتخذون فى بداية الامر مظهر المستشارين والوسطاء ، والحماة المناصرين ، ولا تمر عدة عقود من السنين الا ويصبحون اصحاب السلطان فى البلد الذى يحلون به ··· هذه السياسة الانجليزية التى تتصف بالنفاق والتى تطبع الانجليز بهذا الطابع الخاص طبقها الانجليز بمهارة سواء فى علاقاتهم مع راجوات وحكام الهند أو فى البلاد الاخرى التى خضعت لهم · ويمثل هذه السياسة الماكرة لم يوقعوا فى شركهم امارات الساحل المهادن العربية الصغيرة فحسب ، بل وقعت فريسة فى شركهم بلاد قوية مثل مصر وتركيا وفارس ·· »

صداقة الشاه والذئب

وفى ثنايا فضح الافغانى للسياسة الانجليزية فى الشرق الاسلامى ، انتقد بصفة خاصة سياسة الانجليز فى افغانستان التى مالأ اميرها (عبد الرحمن) الانجليز فقبل حمايتهم للبلاد تحت راية صداقة مزعومة لا تجوز بين الشاه والذئب الذى يريد أن يفترسها ، مبينا أن الشعب الافغانى يعرف مغبة ذلك الامر ويدرك أن مآل هذه الحماية او الصداقة المزعومة فرض سيطرة الانجليز على البلاد عن طريق التحالف مع صنيعتهم امير الافغان ·وكان ذلك النص من مقال الافغانى من (أسباب الوقائع الحالية فى افغانستان) ·

وفى مقال آخر للافغانى تحت عنوان « القضية الافغانية » لفت انظار القراء الى جور وظلم السياسة الاستعمارية لانجلترا فى افغانستان · اذ كتب يقول :

« باستيلاء الانجليز على « كابول » عاصمة الافغان لم يكتفوا بسفك دماء علماء الدين ـ الذين اعتبروهم المحرضين الاساسيين للشعب الافغانى للنهوض ضد الانجليز واشعال نار الحرب معهم ـ بل خولوا لأنفسهم الحق فى تدنيس مقدسات المسلمين هناك ، والادهى من ذلك كله اضرام الحرائق فيها تاتى عليها وعلى ما فيها من ذخائر ونفائس المسلمين فى شتى الفنون والحرف والصناعات ، هذه الفظائع المهولة التى اقترفها الانجليز ، وتلك المقدسات الاسلامية التى دنسها الانجليز قد فاقت كل وصف وتجاوزت كل الحدود ··· »

قوبلت مقالات الافغانى التى هاجم فيها السياسة الاستعمارية لانجلترا فى الشرق الاسلامى بترحاب شديد ومساندة قوية من قبل القوى التقدمية فى روسيا ، وباستحسان الدوائر الحاكمة فيها الذين وجدوا فيها فرصة لمناوأة النفوذ الانجليزى فى افغانستان ، وسبيلا الى تعزيز وتثبيت نفوذهم السياسى على هذه البلاد ·

ومن ناحية اخرى فان الافغانى لم يقصر نشاطه فى روسيا القيصرية على اظهار أهمية التعاون بين روسيا والدول الاسلامية المتاخمة لها وضرورة

قيام اتصال أوثق في سبيل خدمة قضايا حرية هذه الدول وشعوبها من ربقة الاستعمار والاستبداد الداخلي ، بل انه ـ بعد أن تعرف على أوضاع وحياة مسلمي روسيا أثناء تجواله بها في فترة اقامته ـ دعا في أحاديثه ومقابلاته مع المسئولين الرسميين في العاصمة الى طلب مساندتهم وتعضيدهم لحركة التقدم الاجتماعي والقومي بين مسلمي روسيا والشعوب الاخرى الخاضعة لروسيا .

غير ان الافغاني قصر مظهر التعضيد الروسي للمسلمين على مساعدتهم في اصدار مطبوعات دورية ، وفي نشر التعليم فيهم بلغاتهم القومية ، وفي تطوير ثقافتهم القومية بصفة عامة .

والملاحظ أن الافغاني وهو يطالب الروس بتعضيد قضية استقلال الشعوب الاسلامية الخاضعة لهم ، قد قصر مفهوم هذا الاستقلال على مجرد تعضيد حركة التقدم الاجتماعي والقومي بين المسلمين الروس ، وتجاهل او تناسى بذلك حق هؤلاء المسلمين في حركة بعث سياسي قومي تهدف الى حصولهم على الاستقلال السياسي من نير الحكم الروسي ..

لقاء مع القيصر

طلب القيصر الروسي الاسكندر الثالث مقابلة السيد جمال الدين الافغاني التي تناولت قضايا السياسة الدولية من زوايا اتصالها بقضايا الشرق الاسلامي ، وعن مقدار نفوذ وتأثير شخصية الافغاني بين مسلمي روسيا ، لذلك رغب القيصر في التعرف عليه ، ثم دعاه لمقابلته في القصر . عرض الافغاني ـ أثناء هذه المقابلة الرسمية التي جرت بينه وبين القيصر الروسي ـ وجهة نظره فيما يتعلق بخصوص مضمون السياسة الانجليزية الاستعمارية في بلاد الشرق الاسلامي ، وتطرق من ذلك الى الحديث مع القيصر بشأن أحوال مسلمي روسيا ، متوجها بالرجاء الى القيصر لاقناعه بأهمية تحسين أحوالهم والاستجابة لمطالبهم العادلة بشأن مساعدتهم في فتح مدارس لهم واصدار الكتب والمجلات بلغاتهم القومية .

وقد استمع القيصر بانتباه شديد لما قاله الافغاني ، غير انه اهتم بصفة خاصة بمعرفة البواعث التي أدت الى اختلاف الافغاني مع شاه ايران ناصر الدين شاه . وقد ذكر الافغاني أسباب ذلك بالقول بانه عرض على الشاه ابدال نظام حكمه المطلق بنظام آخر يكون فيه الحكم ملكيا دستوريا مما أثار غضب الشاه وأدى الى مغادرة الافغاني لايران . وقد استحسن القيصر الروسي ـ بعد ان استمع للافغاني ـ رفض شاه ايران ذلك العرض الذي تقدم به الافغاني . وقال للافغاني بانه لا يمكن ان يوجد ذلك الحاكم الذي يرضى طواعية بان يتنازل عن سلطاته للشعب او ممثليه . عند ذلك جاهر الافغاني بالقول للقيصر الروسي :

« في ظني يا صاحب الجلالة القيصر ان عرش الحكم تثبت دعائمه اذا استند على رضاء الملايين من رعيته المخلصين ، ولا شك ان ذلك يكون أجدى على الحاكم من ان يكون هؤلاء الملايين أعداء الداء له يترقبون الفرصة ويتحينون اللحظة التي يظهرون فيها ما تختزنه قلوبهم من سم البغضاء والكراهية وما يعتمل في نفوسهم من نار الثأر والانتقام . » (١)

كان رد الفعل لدى القيصر الروسي أن أنهى المقابلة مع الافغاني وأفهمه بأن استمرار اقامته في روسيا امر غير مرغوب فيه . وقد بارح السيد جمال الدين الافغاني روسيا بالفعل سنة ١٨٨٩ .

نجح الافغاني قبل مغادرته روسيا في استمالة الكثير من الاتباع والمريدين بفضل قوة شخصيته وبتأثير تعاليمه القويمة . وقد ظل عدد غير قليل من هؤلاء الاتباع والمريدين على الخط الذي رسمه لهم الافغاني . وكان من بين أكثر الدعاة ولاء لآراء وتعاليم الافغاني الاصلاحية ، وضرورة نشرها في روسيا المثقف والكاتب الاجتماعي التتري « موسى جار الله بجييف » والرحالة التتري « عبدالرشيد ابراهيم » الناشر وصاحب مجلة « المرآة » التي كانت تصدر في بيتربرج (لينينجراد) .

يذكر معاصرو الافغاني في هذه الفترة كيف تطرق الحديث يوما ـ أثناء اقامته في روسيا القيصرية ـ عن سياسة الاضطهاد التي اتبعها قياصرة روسيا تجاه الشعوب الاسلامية الداخلة في نطاق الامبراطورية الروسية . اذ وجه الافغاني

(١) ـ انظر : أحمد أمين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث (القاهرة ، ١٩٤٨) ص ٩٦ .

حديثه الى « عبدالرشيد ابراهيم » بالقول : « يا ولدى ··· لا تتكدر وتغتم ·· انك سوف تشهد مال قيصر روسيا ، كما انك سوف ترى ايضا النهاية الحتمية للاستعمار فى الهند ·· »(٢)

آراء فى العلم والتربية

وفى مناسبة اخرى دار الحديث حول اصلاح التعليم على المنوال الاوروبى · وهذه هى كلمات الافغانى فى هذا الشان والتى تصور اتجاهه نحو الثقافة الغربية كما نقلها عنه « موسى جار الله بجييف » : « اننى اجل الفن والعلم والتعليم فى الغرب وبصفة خاصة العلوم الرياضية ·· ولكننى انظر بارتياب نحو المعتقدات الاجتماعية مثلها فى ذلك النظم الاجتماعية الغربية ·· (٣)

وفى معرض حديث جرى بين الافغانى وبين العلماء فى موسكو حول العلم الحديث ، صرح الافغانى بالقول بان « الشعوب الاوروبية اذا ارتبطت اوثق ارتباط بالعلم وحصلت من وراء ذلك على قدر كبير من المعارف العلمية كماقبضت بالتالى على ناصية الخبرة الفنية واستحوذت على مصادر المعرفة اللاحقة ، قد اضحت فى مقدمة شعوب العالم تقدما ورقيا · وذلك الوضع يفرض علينا ان نفعل كل مافى وسعنا حتى نتجنب ما يلصقه بنا الاوروبيون من تهمة التعصب ضد كل ماهو غربى وخاصة اذا ما كان يتعلق بالعلم والمعرفة » ··

ولا يمكن ان نختم ذلك المقال عن الافغانى دون ان نشير الى رأيه فى أمور التربية والتعليم كما جاء فى احدى الصحف الروسية ·

نشر للافغانى مقال هام يتضمن رايه فى اصلاح نظم التعليم فى الشرق الاسلامى بصفة عامة ، وذلك فى جريدة الشورى الروسية التى كانت تصدر باللغة التترية فى مدينة اورنبورج فى روسيا القيصرية ، وقد بدأ المقال بتوجيه النقد لنظم التعليم فى بلاد الشرق الاسلامية حيث يقول : « لاشك ان بلاد الشرق الاسلامية وقد وقعت فريسة لحكم المغيرين عليها ، قد اظلتها عهود من الجهل والتاخر دفعتها الى تقديس التقاليد البالية والتمسك باهداب المعتقدات الموروثة التى اعاقت دفع عجلة التقدم والرقى فى هذه البلاد ، وكانت سببا فى تخلف دول الشرق عن الغرب وخاصة فى ميدان العلوم الحديثة ·· والغريب فى الامر اننا قد استكنا لهذا الوضع وبتنا لا نرضى البتة بتغييره او مجرد تعديله وتحسينه، قد اطمأننا على ما نستحوذه بين أيدينا من علم الاجداد لا نريد غيره مطلقا ·· واصبح من السهولة بمكان ان تذهب الى البرازيل فى أقاصى الاراضى وان تقيم هناك ما تشاء من انظمة اسلامية وثقافية متطورة، من ان تحاول مجرد اصلاح احوال الاسلام فى بخارى الاسلامية ··· وبذلك لم تعد هناك حاجة تدعو الى الاستغراب بان العرب الذين اقاموا حضارة مرموقة فى الاندلس لا يستطيعون اليوم ان يقيموا صرحا حضاريا مماثلا فى مراكش اوفى فارس او فى الجزائر ·· العلة فينا والداء فى داخلنا ، اذا أردنا ان نداوى العلة فلا بد من الداء ··· ودواء هذا الداء ان نتحصل على العلم وان نكتسب المعرفة ، وبذلك وحده نستطيع ان نحيا وان نتقدم » ··· (٤)

الخلاصة انه رغم ان اقامة الافغانى فى روسيا القيصرية لم تدم لفترة طويلة ، الا ان ذلك لايقلل من أهميتها ، اذ ترك الافغانى أثرا عميقا فى تاريخ حركة الاستنارة بين المسلمين فى روسيا القيصرية فى التسعينات من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين · ■■

د · نبيل احمد عامر صبيح
كلية التربية ـ جامعة عين شمس القاهرة

---

٢ ـ انظر محمود أبو ريا ، جمال الدين الافغانى ـ تاريخه ـ رسائله ومهامه (القاهرة ، ١٩٦٦) ص ١٥ ·

٣ ـ انظر جريدة المؤيد لسنة ١٩١٣ ، العدد الاول ، القاهرة ، ١٩١٣ ·

٤ ـ انظر جريدة الشورى الروسية التى كانت تصدر باللغة التترية فى مدينة أورنبورج الروسية العدد ٥ لسنة ١٩١٦ ·

الـدين .. أو السكين!

آخر صورة للمجتمع الاسلامى فى الصحف الغربية انه مجتمع تصفية دموية ، لا يعرف الا قطع الرقاب أو قطع الايدى ، وشعاره هو : الدين أو السكين !

منذ قتلت جماعة التكفير والهجرة عالما مصريا كبيرا ووزيرا سابقا وبثت المتفجرات فى قلب القاهرة ، ومنذ تناقلت وكالات الانباء قصة قانون الارتداد عن الدين فى مصر، وتطبيق الحدود الشرعية فى باكستان ، منذ ذلك الوقت وردود الفعل فى العالم الغربى لم تتوقف • حتى خرجت علينا مجلة « الايكونوميست » الاسبوعية البريطانية (عدد ١٦ يوليو الماضى) بتعليق يروى حكاية مجتمعاتنا « المتدينة » المتعطشة للدماء • والى جوار التعليق رسم « توضيحى » لرجل رفع سيفه ليهوى به فوق رقبة شخص منكس الرأس جاثم على ركبتيه ، وآخر رفع فأسا ووضع أمامه كتلة مربعة من الحجر ، بينما طابور من البشر ينتظر فى مواجهته ، وقد تقدم أولهم مستسلما ، ووضع كلتا يديه على الحجر ، مترقبا لحظة البتر الرهيبة !

و •• هذا هو الاسلام الذى يدعون اليه ، ليرى من لم يسمع ولم يقرأ !

طبعا ليست القضية هى تحسين صورتنا لدى « الخواجات » • وليس المطلوب هو البحث عن اسلام ينال رضا الاوروبيين ، والا صرنا مثل أولئك الذين يدعوننا الى النظافة حتى لا تتأذى عيون السياح ، الخضراء والزرقاء • هذا فضلا عن أننا نعلم أن بين الاوروبيين وغيرهم من هم حاقدون على الاسلام كارهون له ، تشربت عقولهم بالرواسب المتخلفة عن الحروب الصليبية • وما اقترن بها من مرارة وتعصب اسود •

لكن الاهم والاخطر أننا صرنا نطرح الاسلام بهذه الصورة الشائهة • لم نعد نرى فيه الا « الوجه العقابى » بكل ما يتضمنه هذا التعبير من جنوح الى التكفير ولهفة على تطبيق الحدود • هذا فضلا عن أن بعضنا لا يزال يرفض العالم ويناصبه العداء ، لان الكرة الارضية ـ فى نظرهم ـ ما زالت مقسمة الى قسمين : دار الاسلام ودار الحرب!

وهذه الصورة ليست من خيال شباب متهور ، حديث السن والتجربة ، قليل التحصيل فى علوم الدنيا والدين ، لكنها ـ وهذا هو الافدح ـ برسم وخط علماء كبار يتحدثون باسم الاسلام ، ويقفون حراسا على مصالح وضمائر المسلمين •

العجيب والمدهش ان كلام شيوخنا هؤلاء ، عندما يصل الى الناس ، ويصدقه الشباب الذى لم يكتسب حصانة من أى نوع ، ثم يندفعون فى محاولة ترجمته الى حقيقة وواقع ، فان الذى يوضع فى القفص هم هؤلاء الشباب وحدهم • يحاكم المجنى عليهم وليس الجناة !

ومن العسير أن نحصي صور وأساليب التشويه للاسلام التي يصبونها في أذهاننا بين الحين والآخر • فمنذ كنا صغارا والدين يلقن لنا باعتباره منجاة من عذاب جهنم ، حتى الآيات التي كنا نحفظها كانوا يختارونها بحيث تحصرنا في هذه الدائرة الضيقة ، مشاهد العذاب ، والمصير الذي ينتظر العصاة الجاحدين أو الفزع الأكبر الذي يعيشه الجميع يوم الحساب •

كانت أبداننا تقشعر ، بينما أبصارنا شاخصة الى مدرس الدين وهو يحكي ملوحا بعصاه الرفيعة •

كانوا يقولون لنا ـ سامحهم الله ـ ان الخوف هو الطريق الى الايمان ، وليس الحب • وان الخير ليس هدفا في ذاته ، ولكنه سبيل الى الافلات من العذاب الأليم • كأنما لم يبعث الرسول « رحمة للعالمين » ، وكأنما كان « نذيرا » فقط ، وليس « بشيرا » أيضا •

لم يقولوا لنا ـ ونحن صغار بعد ـ معنى أول ما ننطقه من القرآن الكريم « بسم الله الرحمن الرحيم » • حتى لم يكترثوا بأن يقدموا لنا الصورة متوازنة ، الرحمة الى جوار العذاب ، والترغيب مع التخويف والترهيب •

ولم نعرف أن « رحمته وسعت كل شيء » ، الا بعد أن كبرنا ، ونما الدين في أعماقنا مرتبطا بالخوف !

●

من منا لم يسمعهم يقولون في كل مناسبة ومن فوق كل منبر : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ؟ •• من منا لم تخترق أذنيه هذه الآية القرآنية ، يرددها مشايخنا ليعززوا دعوتهم الى تطبيق الشريعة الاسلامية • ويضعوننا بالتالي أمام خيارين : أما تطبيق الشريعة ، أو وصمة الكفر والزندقة • وما دام « التطبيق » لم يتم ، فحكامنا كفار ، ومالهم جهنم وبئس المصير !

بمنتهى البساطة يلقون بمثل هذه الآيات ، بغير شرح ولا ايضاح • ثم يتمددون ، وتستريح ضمائرهم ، ويتصورون أنهم بلغوا الرسالة وأفحموا غيرهم بالحجة الدامغة • ويغيب عن بالهم انهم لم يفعلوا في الواقع أكثر من انهم دسوا ألغاما موقوتة في أعماق الناس

وقد انفجر أحد هذه الألغام في مصر منذ أسابيع ، ويعلم الله متى وأين تحدث الانفجارات الأخرى •

وربما كانت آية تكفير « ومن لم يحكم بما أنزل الله » هي أكثر آيات القرآن تداولا في مجال الدعوة لتطبيق الشريعة ، وهي أيضا أكثر الآيات غموضا والتباسا في أذهان الناس • ومنذ العصر الاسلامي الأول كان الجدل مثارا حول هذه الآية • وفي هذا الصدد قال الصحابي ابن عباس وطاووس اليماني ـ من التابعين ـ أن الآية ليست على ظاهرها واطلاقها • وأن الكافر المعنى هنا ، هو من حكم بغير ما أنزل الله جاحدا أي رافضا ومنكرا عن غير ايمان) ، وأن من أقر بحكم الله ، وحكم في الأمر على خلافه فلا يعد كافرا ، لكنه يعتبر فاسقا أو ظالما • (وهو الذي يعنيه سياق الآيتين « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » •• ثم الفاسقون)

وهذا هو التفسير الذي أجمع عليه كل فقهاء أهل السنة ، أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وابن حزم • ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى الخوارج والمعتزلة •

ثم ان المقصود بتعبير « الحكم بما أنزل الله » هو ـ كما قال ابن حزم ـ تنفيذ أوامر الله في التحريم والايجاب • لذلك فان الخطاب ليس موجها الى الحكام وحدهم

أو القضاة ، كما يروج البعض ، ولكنه موجه لكل مسلم حاكما كان أم فردا عاديا ، هؤلاء جميعا مطالبون بالالتزام بالاوامر والنواهى التى انزلها الله فى كل شئون حياتهم ، سواء فى ذلك المعتقدات او العبادات او المعاملات او غيرها .

وهذا التفسير يعطى صورة مغايرة تماما ، لتلك التى يتداولها الناس وتشحن بها عقول الشباب ، فيظلمون انفسهم ، ومجتمعهم ، ويسيئون الى دينهم . لكن التفسير المبتور كان مقصودا فيما يبدو ، لانه من السهل أن تطالب غيرنا بتطبيق الشريعة وحدها ، ومن الصعب والعسير أن نطالب انفسنا بان يطبق كل منا فى بيته كل ما أنزل الله » .

●

هذا كله الى جانب . وموقف الاسلام من قضية التكفير فى جانب آخر . والغريب أن مسالة التكفير هذه كانت أول قضية فكرية واجهت المجتمع الاسلامى قبل ١٣ قرنا . لكن فقهاء السنة حسموا هذا الموضوع وانتهوا من أمره ، منذ زمن بعيد . وكان الخوارج هم حملة لواء التكفير ، اذ انهم قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة ، اى من يعصى أوامر الله. وكانوا أول من استباحوا لانفسهم قتل المسلمين المخالفين لهم فى الرأى . ومن اشهر ضحاياهم عبدالله بن خباب — من صحابة رسول الله — اذ مضت جماعة منهم تطوق بالناس ، وتهددهم بالقتل ما لم يساندوهم فى رأيهم بتكفير على بن ابى طالب لانه قبل التحكيم عندما نازعه معاوية ابن ابى سفيان على الخلافة ، وقالوا وقتئذ أن عليا كفر لانه قبل تحكيم البشر فى الخلافة ، فى حين انه « لا حكم الا لله » !

المهم ، أن الصحابى عبد الله بن خباب سمع بقدومهم فخرج من بيته مذعورا مع امرأته — وكانت حبلى — فسالوه فى على بعد التحكيم والحكومة ، فكان رده أن عليا اعلم بالله ، وأشد حرصا على دينه . ولم يعجبهم كلامه ، فأخذوه وذبحوه ، وبقروا بطن زوجته ! وحجتهم أن هذا الصحابى صار كافرا واستحق القتل !

ولم يعد هناك خلاف بين أهل السنة على ان أحد لا يملك تكفير مسلم نطق بالشهادتين. والحديث الشريف يقول : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها ، فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » . هذا فضلا عن أن هناك تحذيرا صريحا من تكفير المسلمين فى حديث يقول : من قال لاخيه يا كافر فقد كفر .

وقصة أسامة بن زيد معروفة ، اذ قتل مشركا فى احدى الغزوات ، رغم انه نطق بالشهادتين ، وحسب أنه فعل ذلك لينجو من القتل . وعندما روى القصة لرسول الله ، عاتبه على ما فعله ، ثم سأله هل شققت قلبه ؟

هذه مسالة محسومة كما قلت ، ولكن التساهل فى اطلاق كلمة الكفر ، ووضعها فى غير موضعها واستخدام كلمة التكفير حتى فى الخلافات السياسية ، وتوافق هذه الظاهرة مع مناخ نفسى موات وظروف معيشية صعبة ، هذه الملابسات كلها لفتت الانظار الى ذلك السلاح الخطر ، وكان الذى كان .

وينبغى الا يغيب عنا ونحن نناقش قضية كهذه أن الامة الاسلامية أحوج ما تكون الآن الى طرح نقاط الالتقاء لا مواضع الشقاق والصدام ، وان هناك اخطارا حقيقية تهدد كيان أمتنا ، ومثل هذا الشقاق يشكل ضربة قاصمة لصفوف المسلمين ، يتمناها لنا كل عدو ومتربص .

●

ونعود الى مسالة التفرقة بين دار الاسلام ودار الحرب .

وقد تكون التسمية مثيرة للدهشة الآن ، ولكن البعض ما زال يتداولها ويرتب عليها نتائج وآثارا عديدة * ، مستندين الى ظواهر بعض النصوص • مثل الآية : فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب • والحديث الذى ذكرناه : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله»•• وهذه نظرة متعسفة فى الواقع . لانها تتعارض مع منهج الاسلام ورؤيته للكون والانسان • فكما أن الاسلام يرى أن الاصل فى الانسان هو الخير ، وكما ان الاصل فى الارض هو الطهارة ، والاصل فى الاشياء الاباحة لا الحظر • كذلك أن الاصل فى علاقات البشر ـ المسلم مع أخيه أو غيره ـ هو المودة والسلام • « وادخلوا فى السلم كافة » •

لقد أبطل الاسلام حروب العصبية الدينية : « لا اكراه فى الدين » • ومنع حروب التشفى والانتقام : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا » ، وانكر حروب التخريب والفتح والتوسع :« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا • واستنكر حروب التنافس بين الامم فى ميدان الفخامة والضخامة : « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا . تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون امة هى أربى من أمة » • :

ومن الثابت فقهيا وتاريخيا ، أن حروب المسلمين كانت دفاعية بالدرجة الاولى ، وأن الحرب استثناء من القاعدة التى يقررها الاسلام • و « ان جنحوا للسلم فاجنح لها » •

أخيرا فان النصوص التى يعتمد عليها دعاة فكرة دار الحرب ، فسرت على غير وجهها الصحيح • فاية « فاذا لقيتم الذين كفروا • • » جاءت فى اطار التقاء الجيوش والحروب، اذ تقول فى اخرها « حتى تضع الحرب أوزارها » ، وان السياق يشير الى أن المعنى هو حرب الدفاع والانتصاف « ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم » •

اما الحديث الشريف ، « أمرت أن اقاتل الناس •• » فاتفاق المسلمين على ان المقصود بالناس هم مشركو العرب خاصة •

ونضيف الى هذا كله ،أن هذا التقسيم ـ دار الاسلام ودار الحرب ـ ربما كان مقبولا منذ ١٣ قرنا ، حيث كان الاحتكام الى السيف هو سبيل الحوار ، ورغم اننا فى عصر لم يتوقف فيه الصراع ، الا أنه تشابكت فيه المصالح واختلفت اساليب الحوار ، وصارت الحرب الباردة ـ مثلا ـ تحقق نتائج افضل بكثير من القنبلة والصاروخ ، وصارت ثورة الاتصال تغسل الرؤوس من الداخل ، وتبشر بكل المبادىء ، الخيرة والشريرة ، وتضمن النصر أحيانا ، قبل أن تنطلق رصاصة واحدة !

هل يعقل أن نظل نرى العالم المتغير من حولنا بمنظار القرن الاول أو الثانى الهجرى ؟

ثم ، أليست هذه مضيعة للوقت وتشتيتا وتبديدا للجهد ، أن نظل نسأل : هل العالم من حولنا دار حرب ام دار ردة ، ام ماذا ؟

●

بقيت بعد ذلك مسالة تطبيق الشريعة الاسلامية ، وحكاية قطع الايدى التى يلوح بها الكثيرون ، الانصار والخصوم • والكلام فى هذه القضية يحتاج الى مناقشة اخرى ، فى مرة تالية •

فهمى هويـــدى

★ انظر مناقشة مفصلة لهذه القضية فى كتاب محمد فتحى عثمان « الفكر الاسلامى والتطـــور » •

هذه القدرة العجيبة للكشف عن ..

الماء تحت الأرض

من عهد قدماء المصريين والصينيين .. حتى اليوم

بقلم : راجى عنايت

- **شوكة خشبية تكشف عن مخازن الماء والمعادن •**
- **الامريكيون يستخدمون عصا الكشف فى حرب فيتنام •**
- **المخ البشرى أكثر سيولة من الدم ! ••**
- **خرائط جيولوجية ، ترسمها عصا الساحر •**
- **راحة الانسان فى اختيار الاتجاه المناسب للسرير •**
- **من الذى يختار للحيوان الاليف مكان نومه ؟**
- **الصبى الذى ترى عيناه بالاشعة السينية •**
- **نحن على أبواب العالم السحرى لما وراء الطبيعة •**

■ الماء •• هذا الذى يخلق الحياة من العدم ، هذا السائل العجيب الذى يتميز عن سائر السوائل، لا تنشأ حياة على كوكب من الكواكب فى غيبته •• ويشكل ٦٥٪ من وزن الانسان •

هو الذى قال فيه الاديب العالم انطوان دى سانت اكزوبيرى « ايها الماء ، ليس لك طعم ولا رائحة وليس بالامكان وصفك •• كم يتلذذون باحتسائك وهم لا يعلمون من انت ! •• من المستحيل القول بانك ضرورى للحياة ، لانك الحياة ذاتها »•

ورغم أن أى طالب ، يستطيع ان يتكلم عن التركيب الكيميائى للماء ، وخصائصه الطبيعية ، فما زالت احدث النشرات والمجلات العلمية ، تتكلم عن الخصائص الغريبة للماء، والنظريات المتضاربة حول تركيبه ، دون الوصول الى حقيقة قاطعة لتفسير ما يجرى عليه من التحولات •

واحدث النظريات العلمية ، تقول ان الماء



الداخل فى تركيب الجسم ، والذى تصل نسبته فى المخ الى ٨٠٪ من وزنه ، هو وسيلة الاتصال الفعلية بيننا وبين باقى الكون الذى نعيش فيه . فقد ثبت اخيرا ان الماء شديد الحساسية لابسط التاثيرات ، يتمتع بقدرة غريبة على التكيف باكثر الظروف تغيرا ، مما لا يتوفر فى اى سائل آخر . اذا ، فالماء الذى باجسامنا هو الذى ينقل الينا لتاثيرات القادمة من أبعد أرجاء الكون .

ولعل أغرب ما يتصل بالماء فى حياتنا ، تلك القدرة التى يتمتع بها البعض ، فتتيح لهم اكتشاف المياه الجارية تحت الارض ، والتعرف على مدى قربها من سطح الارض ، باستخدام عصا خشبية ذات شكل معين . والاعجب من هذا ، تلك الشواهد التى تكشف عنها الآثار التاريخية القديمة ، عن اكتشاف الانسان لهذه القدرة فى نفسه منذ آلاف السنين .

ففى بعض لوحات النحت البارز الفرعونية ، التى يرجع تاريخها الى ما يزيد عن خمسة آلاف عام ، يظهر بعض الاشخاص ، وقد وضعوا على رؤوسهم غطاء غريبا ، يحملون عصا على شكل الشوكة بطول ذراع الانسان . كما أن احد تماثيل الامبراطور الصينى كوانج سو ، الذى يرجع تاريخه الى عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد، يصور الامبراطور وقد حمل فى يده عصا على شكل شوكة .

فما سر هذه الشوكة التى امتد وجودها عبر التاريخ ، وعلى اتساع الحضارات المتباعدة ؟ .. وكيف تفيد هذه القطعة الخشبية فى التعرف على مجرى المياه فى باطن الارض .

الماء .. فينا وحولنا

كثير من الحيوانات ، يتمتع بحساسية غير عادية فى الكشف عن الماء الجوفى . من ذلك ان الفيل ، رغم ضخامته ، يتميز بحساسية خاصة تجعله قادرا على تحديد الموقع الذى تقترب فيه المياه الجوفية من سطح الارض . ففى زمن الجفاف ، تحافظ الفيلة على حياة وبقاء جنسها بالبحث عن الماء القريب من سطح الارض باستخدام خراطيمها التى تقوم بدور قرون الاستشعار . وعندما تحدد الموقع المناسب ، تدك الارض باقدامها الثقيلة حتى تصل الى الماء . وقد يفسر البعض هذه الظاهرة ، بان لدى الفيلة القدرة على شم الماء المتدفق تحت الارض ، أو أن لديها حسا جيولوجيا بدائيا خاصا ، يساعدها على اكتشاف تجمعات المياه الجوفية . لكن المراقبة الدقيقة للفيلة اثبتت ان الفضل فى هذا النوع من التعرف ، يعود الى حاسة خاصة ، ليس لها علاقة بهذه التبريرات .

المعروف ان الماء يدخل فى تركيب الكائنات

الحية ـ شأنها شأن سطح الارض نفسها ـ بنسبة الثلثين . والنظرية الحديثة في تفسير هذه الظاهرة تقول ، أن أجسام الكائنات الحية تستجيب لوجود الماء ، كما تستجيب الشوكة الرنانة للنغمة الموسيقية التي يكون لها نفس تردد الشوكة . اي انها ترجع هذه القدرة الى ما يسمى في علم الطبيعة بالرنين ، أو تعاطف الاجسام ذات التردد الواحد . الماء الذي في باطن الارض يرسل طاقة ذات تردد ، تستجيب له اجسام هذه التذبيات عن طريق الماء الداخل في تركيبها بنسبة الثلثين

واذا كانت نسبة الماء في المخ تصل الى ٨٠٪ من وزنه ، مما يجعله اكثر سيولة من الدم ، فمن الطبيعي اذا ان يتحقق فيه الرنين باكثر مما يتحقق في اي مكان اخر من الجسم . الا ان الدراسة العلمية لهذه الظاهرة ، اثبتت ان الاستجابة تكون في أوضح صورها من جانب أطول عضلات الجسم.

العصا السحرية

الاداة التقليدية في البحث عن الماء تحت الارض، عبارة عن غصن من أغصان الشجر على شكل حرف (Y) الانجليزي . يحمل الشخص هذا الغصن الخشبي أمام جسمه موازيا لسطح الارض ، بحيث تقبض كل يد على فرع من فروع الغصن ، ويمتد الفرع الثالث في الفضاء امام الشخص . ووضع الذراع الممدود امام الجسم ، يجعل عضلاته على شيء من التوتر ، بحيث تكون اكثر استجابة للتأثيرات الخارجية .

يمسك الشخص الذي يتمتع بالقدرة على كشف الماء بهذا الغصن ، مادا ذراعيه امام جسمه ، ويسير في مختلف الاتجاهات وعندما يقترب من منطقة تتواجد فيها المياه قريبا من سطح الارض ، يزداد التوتر في عضلات ذراعيه ، فيميل الطرف الثالث للغصن تجاه الارض .

وطبيعة حركة الغصن تتوقف على الشخص نفسه الى حد كبير . فيقال انه اذا تحرك طرف الغصن الى أعلى ، فهذا يعني ان حركة الشخص في عكس اتجاه تيار الماء المتدفق تحت الارض . كما ان درجة دوران الغصن حول نفسه تكشف عن مدى عمق خزان الماء .

وهناك تنوع كبير في أساليب الكشف عن الماء بين أصحاب هذه القدرة . الادوات المستخدمة تتعدد وتتنوع . البعض يستخدم فروع الشجر ، والبعض الاخر يستخدم قضيبا معدنيا ، وربما مشجبا من المشاجب التي نعلق عليها المعاطف . ويستخدم آخرون فك الحوت ، أو مجرد سلك من النحاس ، أو عصاة عادية ، وفي بعض الحالات يستخدم الشخص مقصا من مقصات الجراحة ، أو بندولا يحركه امام جسمه. وباختلاف الاداة المستخدمة تختلف طريقة امساك الشخص بها ، كما تختلف تفسيرات حركة هذه الاداة .

لكن الثابت من هذا جميعا ، ان الشخص الذي يتمتع بهذه القدرة ، يستطيع تحديد مواضع المياه القريبة من سطح الارض بكل نجاح .

ابحاث علمية في كل مكان

هذه الظاهرة لم تعد قاصرة في ممارستها على المجتمعات البدائية ، أو المتخلفة حضاريا . فاغلب شركات انابيب المياه الكبرى في الولايات المتحدة تستخدم واحدا من هؤلاء الاشخاص ذوي القدرة الخاصة ضمن موظفيها . كما أن وزارة الزراعة الكندية ، توظف واحدا منهم بصفة دائمة . بل ان منظمة اليونيسكو قد عينت مواطنا هولنديا يتمتع بهذه الموهبة ، ليساعد في الابحاث التي تجريها في انحاء العالم . وفي حرب فيتنام ، عمدت البحرية الامريكية الى تدريب عدد من المهندسين التابعين لها من الوحدات الاولى والثالثة التي شاركت في تلك الحرب ، دربتهم على استخدام عصا الكشف هذه ، للتعرف على مواقع الالغام الغارقة في الماء . أما الجيش التشيكوسلوفاكي ، فيحتفظ بوحدة دائمة من هؤلاء ضمن قواته . ولقد بدأت منذ زمن ، الابحاث العلمية المكثفة حول هذه الظاهرة في قسم الجيولوجيا بجامعتي موسكو ولينينجراد ، ليس للتثبت من حدوثها ، وانما لاكتشاف كيفية وسر حدوثها .

بدأت الابحاث الجادة حول هذه الظاهرة في فرنسا عام ١٩١٠ على يد الفيكونت هنري دي فرانس ، الذي وضع كتابا حول الموضوع ، كما يرجع اليه الفضل في تأسيس الجمعية البريطانية لاصحاب هذه القدرة في عام ١٩٣٣ . ونظرا لان الابحاث العلمية الحديثة حول هذه الظاهرة حظيت بمساندة الدولة في الاتحاد السوفييتي ، لذا فان

أهم الاكتشافات المتصلة بهذا الموضوع تمت على ايدى العلماء السوفييت ٠

فى بداية الامر تشكلت بعثة رسمية تضم عددا من الاشخاص الذين يتمتعون بهذه القدرة من العاملين فى الجيش الاحمر السوفييتي ، كما تضم مجموعة من العلماء المرموقين المتخصصين فى الجيولوجيا والهيدروليكا ٠ وبعد الاف التجارب، جاءت تقارير البعثة حافلة بالحقائق الغريبة ٠ فالعصا أو الغصن الذى على شكل الشوكة ، لا يستجيب فقط للماء الذى تحت الارض ، ولكنه يستجيب ايضا للاسلاك والكابلات الكهربائية المدفونة ٠ وان هذه الاستجابة تتم بصرف النظر عن مدى سرعة حركة الشخص ، كما تتم بنفس القوة حتى بعد تغطية الشخص بدروع من رقائق الرصاص أو الحديد ٠

وقد جاء فى تقارير هذه البعثة ان العصا تستنفد صلاحيتها بعد استخدامها ليومين او ثلاثة ايام ، وانها اذا كسرت واصلحت تفقد بعض حساسيتها ٠ وانه فى بعض التجارب تمكن هؤلاء الاشخاص من الكشف عن وجود معادن مثل الرصاص والزنك والذهب على عمق ٢٤٠ قدم تحت الارض ٠ كما يمكنهم تحديد امتداد الكابلات الكهربائية وانابيب المياه المدفونة ، والاشارة الى مواضع الخلل فى شبكات الاسلاك الكهربائية ٠ وفى نهاية التقرير اقترح العلماء صرف النظر عن الاسم الشائع القديم لاداة الكشف وهو « عصا الساحر » ، وان يطلق على هذه الظاهرة اسم « طريقة التاثيرات البيوفيزيقية » ٠

الوسيط البشري ٠٠ ضرورة

فى عام ١٩٦٦ نظم عالم التعدين بجامعة ليننجراد نيكولاى سوتشيفانوف بعثة علمية الى منطقة قرغيزيا السوفييتية ، قرب الحدود السوفييتية الصينية ، لدراسة هذه الظاهرة ٠

بدأت الدراسة باستخدام طائرة مزودة باجهزة القياس المغناطيسى التى تستخدمها شركات التعدين لمسح الاراضى من الجو ٠ وداخل الطائرة وقف الاستاذ سوتشيفانوف مع غيره من العلماء يحملون عصا الكشف الشبيهة بالشوكة ٠ عند الطيران فوق نهر دتشو ، وجد ان المياه العميقة فى وسط النهر لم يكن لها تاثير على العصا، ولكنهم شعروا جميعا بالضغط الواقع على العصا قريبا من شواطىء النهر وعلى جانبيه ٠

والتجارب الاخرى التى جرت فى جهات اخرى من العالم ، وصلت الى نفس النتائج ٠ وبينتها ان تيار الماء يؤثر على الانسان بقوة ، ليس عندما تتدفق كميات ضخمة من الماء بسرعة كبيرة ، ولكن عندما يكون هناك نوع من الاحتكاك بين الماء والتربة، وكلما زاد مسطح الاحتكاك كلما قوى التاثير على الانسان ٠ وقد لاحظ سوتشيفانوف ردود فعل واضحة عند الطيران فوق المناطق المعروفة بتوافر المعادن داخلها ٠ وفى احدى التجارب التى جرت على سطح الارض تمكن بعض اعضاء البعثة ان يحددوا بواسطة عصا الكشف موقع عرق من الرصاص لا يزيد سمكه عن ثلاث بوصات ، على عمق حوالى خمسمائة قدم ٠

وقد تمكن الاستاذ سوتشيفانوف من تصميم جهاز متحرك يمسك به الشخص بحيث تحدد عدد دوراته عمق وكم ما يجرى البحث عنه تحت الارض ، كما اضاف الى الجهاز ما يسمح بتسجيل النتائج اليا٠ عن طريق هذا الجهاز ،وباستخدام مئات الاشخاص، تمكن من رسم خرائط جيولوجية دقيقة لمساحات واسعة من الارض ٠

اجري سوتشيفانوف تجاربه ،بينما كان الاشخاص يمسكون اجهزتهم داخل سيارة متحركة ، فكانت الاجهزة تعمل بكل طاقتها ، ولم تنخفض كفاءتها الا عندما اطلقت السيارة بسرعة قصوى ٠ وقد استنتج من هذا ان هذه القدرة لا تتاثر بالتيار الكهربائى للسيارة ٠ وقام بتثبيت قطع من المغناطيس القوى على ظهور الاشخاص ، فلم تتاثر قدرتهم بهذا ٠ غير أن كفاءة الاجهزة توقفت تماما عندما ارتدى الاشخاص قفازات من الجلد او المطاط ٠

ومن اغرب ما توصل اليه ، ان الشخص الذى يتمتع بهذه القدرة ، اذا امسك بيد شخص اخر لا يتمتع بهذه القدرة ، فان العصا التى فى يد الشخص الاخر تصبح فعاله ٠

وجميع التجارب التى تمت فى مختلف انحاء العالم حول هذه الظاهرة ، تفيد ان العنصر البشرى هو الاساس ، فالعصا بمفردها أو الجهاز بدون انسان يمسك به لا يكشف عن شىء ٠ الوسيط البشرى ضرورى ٠

وقد اكتشف العالم الجيولوجي الهولندى سوكلو ترومب ، ان اصحاب هذه المقدرة يكونون اكثر

حساسية من غيرهم للمجال المغناطيسي للارض ، ويمكنهم تمييز التغيرات الطفيفة في هذا المجال ، والتي لا يمكن ادراكها الا بواسطة اجهزة القياس المغناطيسي الدقيقة • فالشخص من هؤلاء يستطيع ان يرسم حدود المكان الذي يتغير فيه المجال المغناطيسي عن المعتاد ، ولو في حدود ٢٪ •

وفي المعمل الطبيعي بباريس ، استطاع بعض هؤلاء الاشخاص ان يقرروا متى تسري الكهرباء في سلك مغطى ومتى تقطع عنه ، بالوقوف على بعد ثلاثة اقدام من السلك •

وقد امكن ، في جامعة هال ، قياس التغيرات في الضغط ومعدل النبض عند هؤلاء الاشخاص ،عندما يتحركون في مجالات مغناطيسية مختلفة • وعن طريق جهاز غاية في الحساسية ، يقيس المجال المغناطيسي داخل الذرة ، امكن تحديد المناطق الحساسة علىعصا الكشف او أجهزته•وقد ساعدت مثل هذه التجارب على الوصول الى الكثير من الحقائق العلمية •وضعت بعض الفئران فيأقفاص طويلة ممتدة ، نصفها فوق منطقة فعالة مغناطيسيا ونصفها الاخر فوق أرض محايدة عادية المجال ، فرفضت الفئران النوم فوق المناطق الفعالة ، وسارت كلها داخل القفص لتتجمع فيالمناطق الاقل فعالية • وقد ثبت أن الكثير من النباتات ،كالخيار والكرفس والبصل والشعير ، لا تنمو بتاتا اذا ما زرعت في منطقة فعالة مغناطيسيا • كما ان اصحاب الامراض الروماتيزمية تتضاعف الامهم فوق هذه المناطق •

العالم كما يجب ان نراه

وكل ما وصلت اليه هذه الابحاث حول ظاهرة الكشف عن الماء تحت الارض ، لا يتجاوز القول بما يلي : ان الماء بحركته يحتك بالتربة ، فيخلق مجالا له خواصه الكهرومغناطيسية ، هذا المجال يؤثر على بعض البشر والحيوانات بطريقة لا شعورية ، وان هذا التأثير يمكن تجسيده عن طريق الامساك ببعض الاجسام ، كالساق الخشبية او القضيب المعدني او الجهاز الخاص ، مما يحدد قوة المجال واتجاهه •

ومن بين اصحاب هذه القدرة من البشر ، يوجد من تتضاعف عندهم هذه المقدرة ، الى حد انهم يستطيعون الكشف عن الماء اوالمعادن بدوناستخدام اي اداة • ولعل هذا يفسر مثل هذه المقدرة عند بعض الحيوانات التي لم تزودها الطبيعة بهوائيات كالقرون ، او الخراطيم او قرون الاستشعار •

واكتشاف ان الحيوانات قادرة على الاحساس بالمجال الكهرومغناطيسي المحيط بها ، لا يمكن ان يثير الدهشة عند كل من اتيح له ان يراقب بعض الثدييات المتوحشة ، عندما تبحث عن مكان لنومها•

المفروض ان يختار الحيوان مكان راحته اونومه بعناية ، بحيث يحقق له الدفء اللازم ، والامان ، والبعد عن طريق المارة أو الحيوانات التي يمكنها ان تتسبب في ايذائه ، غير ان الحيوان غالبا ما يختار مكانا اقل تحقيقا لهذه الاشتراطات، بلوربما قطع مسافة للوصول الى ذلك المكان • وتعمد القطط والكلاب المستأنسة الى نفس السلوك • ويعرف اصحابها جيدا عدم امكان تحديد مكان نوم الحيوان نيابة عنه ، فعليهم الانتظار الى حين ان يختار الحيوان مكانه المفضل ، ثم يضعون فيه المهد المخصص لنوم الحيوان • هناك بعض المواضعالتي يرفض الحيوان النوم فيها •

ويبدو أن بعضالبشر يخضعون لنفس الظاهرة• هناك بعض الاماكن التي تستريح للنوم فيها ، واماكن اخرى تشعر فيها بالقلق وعدم الراحة اذا ما اضطررنا الى اتخاذها مرقدا • بل ان هناك اتجاها معينا لوضع السرير الذي ننام عليه يبدو اكثر راحة لنا •

وفي عام ١٩٦٣ ذاعت شهرة صبي من جنوب افريقيا يبلغ الثانية عشرة من عمره ، اسمه فان جارسفيلد • كانت شهرته ترجع الى انه الصبي « الذي ترى عيناه بالاشعة السينية » • كان في امكانه ان يحدد موضع الماء تحت الارض بمجرد النظر ، دون استخدام اي اداة •• وكان يقول انه يرى الماء « يلتمع تحت الارض كضوء القمر الاخضر » • ولقد ابدى الصبي دهشة كبيرة ،عندما عرف ان غيره من الناس لا يرون ما يراه •

الذي لا شك فيه ، ان البحوث العلمية الحديثة حول مثل هذه الظاهرة ، ستكشف لنا في الايام القادمة ،ان الطبيعة التي نعرفها وحواسنا الخمس التقليدية التي ندركها بها ،تشكل جانبا ضئيلا من العالم السحري لما وراء الطبيعة • وانه سيأتي اليوم الذي نشارك فيه ذلك الصبي ، في رؤية الاشياء كما يجب ان تكون رؤيتها • ■■

راجي عنايت

ليس هناك شاعر مثله تجد في شعره حس العربي ووجدانه

في ذكراه الألفية :

المتنبي
شاعر كل العرب

بقلم : جمال الدين الالوسي

■ لا أريد ان اكتب سيرة للشاعر ولا اريد ان اقرر انه ولد سنة ٣٠٣ هـ وانه توفي سنة ٣٥٤ وانه ملأ الدنيا وشغل الناس كما كان يقول ابن العميد ، وانه عمر احدى وخمسين سنة ، وذلك عمر قصير بالقياس الى اعمار الكثيرين من فحول الشعراء ، ولست اريد ان اقول انه شاعر حكيم وازدان شعره بالاصالة والابداع ، فهذه شيمات وسمات معلومة باستطاعة اى قارىء او باحث ان يعرفها بيسر من كتب السير ، كما واني لا أريد أن اتحدث عن رحلاته ، او اذكر الافاق التي رحل اليها او الرجال الذين جوب اقطارهم، فحياة المتنبي سهلة واضحة يسيرة التناول لكثرة ما كتب عنها الكاتبون ونقد شعره الناقدون . وانما اريد أن أبرز اتجاهه القومي واجسد شعوره بعروبته أريد أن اقول ان شعره يمثل احاسيس العرب ويترجم عن نفسياتهم ويعرب عن عواطفهم ونزعاتهم ، ان شعر المتنبي يترجم عن الرجولة وعن مضاء العزيمة ، عن الشمم والاباء ، والخلق الرصين ، عن النظرة الجدية للحياة والعزوف عن السخف والهزل وعن اللهو والمجون ، صفات وسمات احبها العرب تجسدت في شعر المتنبي وخلقه وشجاعته لذلك احب العرب شعره في عصره وبعد عصره ورددوا شعره وحفظوا امثاله واداروها على السنتهم اذا تحدثوا واذا كتبوا .

دراسته : اختلف الى كتاب كان يتعلم فيه اولاد العلويين بالكوفة . كان يعلم العربية شعرا ولغة واعرابا وقد تميز المتنبي بالذكاء وقوة الحافظة ولزم كبار الادباء والعلماء واكثر من ملازمة الوراقين ، صحب ابن دريد ودرس على السكري ونفطويه وابن دستويه ولقي عمر بن سيف وابا عمران موسى ، ونظر في ايام العرب وامعن في دواوين الشعر قراءة وحفظا ولا سيما

ديواني ابي تمام والبحتري يصحبهما في حله وترحاله ـ ووجدت عليهما تعليقات كثيرة بخطه بعد مقتله قرب النعمانية وصحب الاعراب في في البادية بين سنة ٣١٢ هـ وسنة ٣١٥ هـ هاجم القرامطة الكوفة ، وكان لهذه الاقامة في البادية اثر كبير في لهجته وطبعته بطابع البدوي الذي لا يقيم في مكان الا ليزمع الرحيل الى اخر .

اخفى نسبه

تعمد الا ينتسب الى قبيلة او اسرة . ولم تكن له عصبية غير العروبة . فقيل له في اسباب هذا التخفي فقال : « اني رجل اخبط القبائل واطوى البوادي وحدي ومتى انتسبت الى قبيلة لا امن ان ياخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين القبيلة التي انتسبت اليها وما دمت لا انتسب الى أحد فانا اسلم من عاديتهم » .

لكنه في حقيقة امره لا يرى بانتمائه الى قبيلة ما يكسبه مجدا او يعلي له قدرا كما عبر عن ذلك بقوله :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا
د ، وعون الجاني ، وغوث الطريد

ويقول في رثاء جدته التي يسميها امه :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لي أما
تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما
ولا سالكا الا فؤاد عجاجة
ولا واجدا الا لمكرمة طعما

وقد اتفقت كلمة خصومه وانصاره الى كون المتنبي عربيا عريقا في عروبته لم يختلف في نسبه شارح او كاتب ، اجمعوا على انه من العروبة في صميمها نسبا وعاطفة وشعورا واعتزازا بالعرب وبامجادهم ولغتهم ، يمثل بشعره عواطف العرب ويترجم عن احاسيسهم وميولهم وتذمرهم مما يشاهدونه من تحكم اغيلمة الديلم والترك واذنابهم. اضف الى ذلك تفرده بخصال انحاز بها عن غيره، كانت موضع اعجاب العرب ، وفي مقدمة تلك الصفات اباء نفسه وهمته القعساء . والتي كانت تهون عليه الصعاب ، فيخوضها دون ما خوف او وجل .

ذراني والفلاة بلا دليل
ووجهي والهجير بلا لثام
يذم لمهجتي ربي وسيفي
اذا احتاج الوحيد الى ذمام

هذه الفتوة والرجولة التي ترجم عنها شعر المتنبي قولا وفعلا هي من اهم الدوافع التي اكتسب بها عشاقه والمعجبين بشعره ـ كانت له همة شماء ، ونفس الفت المجد ولم تحفل الا بالعظام.

فما منزل اللذات عندي بمنزل
اذا لم أبجل عنده وأكرم
سجية نفس ما تزال مليحة
عن الضيم مرميا بها كل مخرم

وهو القائل :

يهون على مثلي اذا رام حاجة
وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها
يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
اليك فاني لست ممن اذا اتقى
عضاض الافاعي نام فوق العقارب

المتنبي لم يتجشم الاسفار ويطوف في الافاق الا طلبا للمجد وحبا في الرياسة ، ولم ينتجع الحكام الا تحقيقا لتلك الامال التي كانت تحتدم في صدره ، وتحمل في سبيل الوصول اليها ما تحمل

ومن تكن العلياء ، همة نفسه
فكل الذي يلقاه فيها محبب

في ارض الشام

مكث ابو الطيب في ارض الشام ست عشرة سنة وهو دائم الترحال غير مستقر على حال يفتش عن المجد عند الامراء والرؤساء ، قبل ان يحط ركابه في رحاب سيف الدولة الحمداني ، فلم يلق منهم ما يحقق رغبته او يرضي طموحه فيرجع منهم ثائر النفس ناقم الاعصاب على صحبتهم وناقما على نفسه فيقول :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم
ترعى بعبد كأنها غنم

ويقول :

ارانب غير انهم ملوك
مفتحة عيونهم نيام
بأجسام يحر القتل فيها
وما أقرانها الا الطعام

كان المتنبي في هذا الدور يسعى وراء المجد ويمني النفس بالجاه والمنصب ويشيد صروحا من الامال سرعان ما تنهار في بيئة مريرة فيعود الى الترحال حزين النفس مخبول الحس فيصب الاهات الثائرة في شعره :

أهم بشيء والليالي كأنها
تطاردني من كونه واطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد

ويقول :

اين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـر بعيش معجل التنكيد

ويقول :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة
وما تبتغي؟ما ابتغي جل ان يسمى
واني لمن قوم كأن نفوسنا
بها انف ان تسكن اللحم والعظما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

عاب على المسلمين الذين زارهم في الشام ، وفي الجزيرة وفي الرملة وفي الفسطاط ـ رآهم يخضعون لاذناب الاعاجم يسومونهم الهوان والخسف فيحرضهم على الثورة ويهيب بهم ان ينفضوا عن انفسهم المذلة فيقول :

سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الأعبد القزم
الا فتى يورد الهندي هامته
كيما تزول شكوك الناس والتهم

ويقول :

اما في هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم

تشابهت البهائم والعبدى
علينا ، والموالي والصميم

ويقول فيهم :

وانما نحن في جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق
تخطي اذا جئت في استفهامها «بمن»؟
اني لأعذرهم مما اعنفهم
حتى اعنف نفسي فيهم وأني

المتنبي وسيف الدولة

اتصل المتنبي بسيف الدولة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة هـ . لقي الامير الذي يقدر الشعر ويفهمه فاعلى منزلته وحظي عنده بعيش غير مسهد وجد فيه الاستقرار ووفور الكرامة ورأى في الامير العربي مناط اماله وكهف رجائه ورآه اهلا ليخصه بقصائده المحجلات . فصحبه في حله وترحاله وفي سلمه وفي حربه ودامت اقامته في حلب ثماني سنوات اغدق فيها سيف الدولة على المتنبي ما واساه بنفسه واقطع له الاملاك وجعله يعيش عيش السادة . يقول صاحب « الايضاح » احد معاصري المتنبي انه اقام عند سيف الدولة على التكرمة البليغة في اسناء الجائزة ورفع المنزلة . ودخل معسيف الدولة بلاد الروم ونائل حالا .وانه افاد من سيفالدولة زهاء خمسة وثلاثين الف دينار غير الضياع والمتاع . ومع ذلك لما رأى ان كرامته قد اخذت تتعرض للهوان فارق سيف الدولة بعد ان سجل فيه اروع الشعر وقال فيه وفي حروبه غرر القصيد.وودعه بالقصيدة الجبارة التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم
يا اعدل الناس الا في معاملتي
فيكالخصام وأنتالخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحمفيمن شحمهورم
بأى لفظ تقول الشعر زعنفة
تجوز عندك لا عرب ولا عجم

فارق المتنبي صديقه واميره المحبوب ثائرا لكرامته وظل يحن الى سيف الدولة وبقي الشوق

يعتلج في صدره حبا به ووفاء له

حببتك قلبي قبل حبك من نأى
وقد كان غدارا فكن انت وافيا
واعلم ان البين يشكيك بعده
فلست فؤادي ان رأيتك شاكيا
فان دموع العين غدر بربها
اذا كن اثر الغادرين جواريا
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
اقل اشتياقا ايها القلب ، ربما
رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

ويقول في مقصورته التي وصف بها رحلته من مصر الى الكوفة سالكا صحراء سيناء وتيه بني اسرائيل مفتخرا بشجاعته واباء نفسه

لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أني الفتى
وانى وفيت وانى أبيت
وانى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى
ولا كل من سيم خسفا أبى
ومن يك قلب كقلبي له
يشق الى العز قلب النوى (١)
وكل طريق اتاه الفتى
على قدر الرجل فيه الخطا

هذا الشعور بالكرامة تجده مجسدا في اجابته لابن العميد حين استزاره عضد الدولة ملك الدولة البويهية وعرفه انه على جانب عظيم من الخلق والكرم والنظر الصائب للادب الرفيع فقال له المتنبي :

« اني ملقى من هؤلاء الملوك اقصد الواحد بعد الواحد واملكهم شيئا يبقى ببقاء النيرين ،ويعطونني عرضا فانيا ، ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقونني عن مرادي فاحتاج الى مفارقتهم على اقبح وجه » فكتب ابن العميد الى عضد الدولة بهذا الحديث فورد الجواب بانه مملك مراده في المقام والضعن واستقبله واكرم وفادته وبالغ في ارضاء كبريائه .

---

(١) بمعنى الهلاك .

اي عربي يمعن النظر بتلك الامارات الاعجمية التي تقسمت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري ولا يثور ويسخط ، امراء ليس لهم من الهمة الا اشباع نهمهم ، اي عربي يرى تلك الفوضى السياسية وله حس مرهف كما كان لشاعرنا ولا ياخذ منه الضجر ولا يتبرم من سوء احوالهم وفعالهم فيخاطبهم قائلا :

فؤاد ما تسليه المدام
وعمر مثل ما تهب اللئام
ودهر ناسه ناس صغار
وان كانت لهم جثث ضخام

ويقول :

لا افتخار الا لمن لا يضام
مدرك او محارب لا ينام
واحتمال الاذى ورؤية جانيه
غذاء تضوى به الاجسام
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

ان شعور المتنبي بعروبته واعتزازه بثقافته العربية وبعروبته الثائرة في ذلك العصر الذي سادت فيه القيم الاعجمية الدخيلة والتي ضاعت بجانبها الصور البدوية هذا الشعور العربي هو الذي حمله ان يتخذ من الغزل بالبدويات على طريقة الشعراء في الجاهلية وصدر الاسلام واصفا جمالهن مفضلا اياهن على الجمال المجلوب بالتطرية والاصباغ ليتخذ من هذا الغزل متنفسا له وهروبا من الاوصاف التي جلبتها الحضارة ، فيقول :

ما اوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب
افدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

■■

جمال الدين الالوسي
الاعظمية ـ العراق

حوار وليس مواجهة

مع عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر

بقلم : جمال الدين محمد محمود

« كان الدكتور احمد كمال أبو المجدقد كتب مقالا للعربى فى العدد ٢٢٢ بعنوان « مواجهة مع عناصر الجمود فى الفكر الاسلامي المعاصر » وتلقت المجلة فى الاسابيع التالية لنشره العديد من التعقيبات ، بينها هذا المقال الذى جاء شاملا لآراء كثيرة وردت الينا ·

■ لا اود ان ادخل في مواجهة مع عناصر الجمود او عناصر التجديد فى الفكر الاسلامى المعاصر لانني اومن بان الحوار كاسلوب للوصول الى الحقيقة ، افضل من المواجهة ، ولانني من ناحية اخرى اعتقد أنه ليس هناك حتى الان ما يدعوالى المواجهة بين مختلف التيارات في الفكر الاسلامى ما دام يجمعها ـ حقيقة ـ الاسلام ·

ولقد وضع الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد نقاطا فوق حروف سبعة رآها تمثل في نظره تيارا اسلاميا غالبا يجيش في صدور الكثرة من المسلمين ولكنهم يكتمونه حذرا أو خوفا · والواقع ان الاسلام بوصفه عقيدة ونظاما للحياة الانسانية معا قد دخل الى ساحة المذاهب والعقائد والمبادىء والنظريات التى تتصارع فى هذا العصر ، أو انه استدرج الى هذه الساحة ـ على وجه أدق ـ فقد أصبح من اليسير فى مجال نظام الاسلام كمنهج فى الحياة ان تناقش اصوله وان تقاس احيانا على ما

نراه من نظم معاصرة حتى وصل البعض في هذا السبيل الى البحث عن الانتماء المذهبي له! وهي غاية تكشف لنا خطأ البداية فقد أصبح فهمنا للاسلام في كثير من الاحيان مستمدا مما نراه وندركه حولنا من تيارات فكرية في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد .

ويزيد الامر صعوبة وبعدا عن الصواب ان هذه المذاهب والمبادىء والنظريات كانت عند نشأتها ذات صياغة معينة ، ثم جرى عليها التحويل او التطوير ، حتى ان الالفاظ التي تعبر بها عنها تبدو في احيان كثيرة كما لو كانت قد فقدت خاصيتها في التعبير عن مدلولاتها . واذا ذكرنا كلمات الراسمالية والاشتراكية والشيوعية وتياراتها المختلفة وما يشور بشأن تحديد مدلولاتها عند الجدال لعرفنا ان عرش الكلمة قد سقط ـ كما قال بحق احد الكتاب ، ولا أتصور ان مسلما يريد للاسلام ان يدخل الى ساحة الصراع او المواجهة الا للدفاع عن ذاته فحسب وأن تكون المواجهة مع العقائد او المذاهب البشرية التي تتعارض مع اصول عقيدته وشريعته، لا ان يتوه مدلول الاسلام امام اصله وسط تيارات متنافرة كل منها يأخذ من الاسلام ـ حقيقة او اسما ـ بنصيب .

حقيقة التيار السلفي

ومع ذلك فان بعض الاحرف السبعة التي وضع عليها الدكتور احمد كمال ابو المجد النقاط تحتاج منا الى وقفة تأمل اكثر مما تحتاج الى موقف دفاع ، ذلك ان رفض تيار باكمله او مذهب بجملته دون بحث ايجابياته وسلبياته لا يعد في واقع الامر تقييما له ، والتيار السلفي الذي يرفضه الاستاذ ليس شرا كله ، فليس هناك من شك ـ بالنسبة للاسلام على الاقل ـ في ان التيار السلفي اقرب الى الحقيقة في مجال العقيدة وفي مجال الاخلاق ، وأقول ايضا في مجال التشريع الاسلامي . واذا كانت بعض الفروع الفقهية قد تبدو في مجال المعاملات بالذات ـ قاصرة ـ فعند السلف في فروعهم التي تخالفها او اصولهم التي يتفقون عليها ما يغني . ولا أجد حاجة الى الافاضة في هذا المجال ، وحسب التيار السلفي انه يتجه الى الاعتدال كلما جنح المجددون الى الشطط .. وليس ذلك دفاعا عنه ـ وانما هو ابراز لدوره حين يحتاج الامر في اي مذهب من مذاهب الاصلاح والتغيير الى الضوابط والمعايير .

ولذلك فانني لا أرى حاجة الى دعوة للاجتهاد في الاصول .. وكلنا نعلم ان اصول العقيدة واصول الشريعة لا بد وأن تكون مستندة الى القرآن الكريم او السنة النبوية الصحيحة . وكلنا يعلم ان الاصول في الاسلام ان قصدنا بها اصول النقد الاسلامي ـ فهو كما يعلم الاستاذ الكريم ـ علم قصد به حصر مصادر التشريع وطرق استنباط الاحكام منها . ومن هذه المصادر ـ المصلحة العامة ـ وليس بعدها شيء يحتاج اليه الناس ، واذا قصدنا الاصول العامة للشرع فهي القواعد التي يمليها العقل والتي صاغها الفقهاء وليس فيها ـ بقدر ما اعلم ـ ما يخل بمصلحة الفرد او المجموع ، فالضرورة تبيح المحظور والضرر مرفوع ، والضرر الخاص يتحمل لازالة الضرر العام ، وهذه الاصول العامة على اية حال لايخلو منها شرع ديني او وضعي ، وكنت اود ان يضرب لنا الدكتور ابو المجد مثالا عن اصل من اصول الشريعة يحتاج منا الى نظر ومراجعة ان كان اصلا ثابتا حقا .

وينتقد الاستاذ التصوف في تقريره ان مشكلة المسلمين في القلوب وليست في العقول ـ ولست انطلق من موقف الدفاع عن التصوف بايجابياته وسلبياته ـ حين اقول ان هذه العبارة اصابت نصف الحقيقة على اقل تقدير ، فمن منا لايعرف ان مشاكل المسلمين ترجع في الكثير منها الى القلوب ؟ وكيف نعلل الفشل الذي نلاقيه في كثير من امورنا بعد ان تؤدي العقول عملها كما ينبغي ان يؤدى في التفكير والتخطيط والتدبير الا ان يكون انصراف القلوب ! سواء كانت قلوب القلة من الحكام او الكثرة من الناس ، ولم يدع التصوف الاسلامي مطلقا الى ان تترك الامة دورها في الصراع بين الامم على خيرات الارض، بل دعا الى زهد الفرد فحسب لا الى استسلام الامة ـ وكثير من المتصوفين ـ كما هو معروف

فى التاريخ ـ واجهوا الحاكم للاصلاح وشاركوا فى قيادة الناس عندما تعرضوا للخطر من اعدائهم ٠

لماذا لا نطبق الشريعة ؟

واما الذين يشغلون انفسهم بالعودة الى تطبيق الشريعةليلا ونهارا دون ان يكشفوا لنا عن سبيل ذلك وعن العدة التى يعدونها لهذا التطبيق، فاننى لا ارى فى موقفهم ـ عدا القليل منهم ـ ما يؤاخذون عليه ، فليس كل الناس الذين يعتقدون ان تطبيق الشرع سبيل الاصلاح والتقويم ـ من المشرعين والمصلحين حتى نطالبهم بالبيان ، ومع ذلك فان القول بان تطبيق الشرع يحتاج منا اولا الى اصلاح المجتمع قول مردود ، وهو اختيار للاسهل وتخوف من التغيير وتاجيل للقضية برمتها ، ان كل مجتمع يريد ان يتطور لا بد له من اطار يحكم هذا التطور ، واذا نحن وصلنا الى اصلاح المجتمع دون ان نطبق حكم الشرع فعلا ـ فما اغنانا عنه بعد الاصلاح ٠٠ فالمجتمع الاسلامى هو الذى يطبق شرع الاسلام وليس هو المجتمع الذى يدعو للاعداد لتطبيق الشرع فحسب دعوة مجردة من التقنين والتشريع وليس لزمانها حد ولا لاثباتها برهان ، ولو اننا بدانا بتطبيق الشرع فى مجال من المجالات ثم يتلوه اخر لكان ذلك خيرا من التمسك بالانتظار حتى يتهيا المجتمع لتطبيق الشريعة كلها بين يوم وليلة : وطريق الالف ميل ـ كما يقول الصينيون يبدأ بخطوة واحدة ٠ واذا كان فى المسلمين طائفة تعيش منغصة معقدة محزونة لا تعرف للابتسام سبيلا فان ذلك لا يرجع الى الاسلام ـ حتى لو فهمه هؤلاء خطا ـ ولماذا لا يكون السبب هو ما يلاقيه هؤلاء المحزونون والمعقدون الذين لا يبتسمون ـ تعب الحياة من حولهم وما يلاقونه من فقر او ذلةاو هوان على ايدى حكامهماو على الناس ـ فلا يجدون الى الابتسام سبيلا ٠ واولى بنا كما قال الاستاذ احمد كمال ابو المجد الا نكتفى بتسليط رجال الامن عليهم قبل ان نبحث ضيق حياتهم او انغلاق عقولهم ٠

ولست اريد ان اطيل ، وان كانت بعض الاحرف الاخرى التى ذكرها الاستاذ فى مقالة تحتاج الى المناقشة والحوار ، غير اننى اشير الى ان الاسلام ليس هو الفكر الاسلامى والذى قد تتنازعه التيارات التى قد تختلف فى مفاهيمها واهدافها ووسائلها ، ذلك ان الفكر الاسلامى قد يكون هو التاثير الغالب للاسلام حين يتفاعل مع ثقافات اخرى وحين يتعامل مع الناس والزمان والمكان والحياة ويبقى مع ذلك باصوله فى العقيدة والشريعة ولذلك فليس من الحكمة ان نحجر على فكر معين او ندين جملة تيارا معينا ، ما دام هذا الفكر لا يخرج عن اصول العقيدة واصول الشريعة ، وبذلك لا نكون فى حاجة الى مواجهة بقدر ما نكون فى بعض الاحيان فى حاجة الى الحوار ٠

■■

القاهرة ـ **جمال الدين محمد محمود**

رسالة توصية

● قيل أن أحد الشعراء زار الخصيب ابن عبد الحميد وهو أمير على مصر مستميحا أن يهب له بعض الدنانير ، ولكن الخصيب لم يعطه شيئا ، فانصرف الشاعر حزينا كئيبا ، فلقيه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق على السابلة فقال له : هات ما أعطاك الخصيب ؟ فقال الشاعر : لم يعطنى شيئا فضربه اللص مائتى مقرعة يقرره على ما ظن أنه سترده عنه ٠

وأعاد الشاعر الكرة مرة ثانية فزار الخصيب وألقى بين يديه قصيدة مدح بها الخصيب ولكن الخصيب لم يعطه شيئا هذه المرة أيضا فقال له الشاعر جعلت فداك أيها الامير تكتب الى أبى الندى اللص رسالة تقول فيها بأنك لم تعطنى شيئا لئلا يضربنى كما حدث فى المرة الاولى فضحك الخصيب ووصله ٠

إكتفاء ذاتي حتى في اللغه

كيف نجحوا في تطوير لغة عمرها ٤ آلاف سنة ورموزها ١٠ آلاف ؟!

بقلم : هادى العلوى

هذه رسالة بعث بها احد الدارسين العرب فى جمهورية الصين الشعبية ، يروى فيها قصة تطوير اللغة الصينية وتطويعها بحيث تؤدى دورها فى التعبير عن كل ما هو حديث وعصرى حتى اتجه الصينيون اخيرا الى استخدام الحروف الابجدية ، بدلا من الرسوم والرموز . وأدخل الحرف اللاتينى فى المدارس الابتدائية . لنتابع القصة من بدايتها اذن .

■ اللغة الصينية من اقدم اللغات الحية فى العالم . فعمرها يناهز الاربعة آلاف سنة وقد لا تصغرها كتابتها الا قليلا . وهى ليست قديمة فقط بل عريقة ايضا . فلها تراث بعيد الغور فى القرون وقد عاشت منذ فجر التاريخ الصينى لغة لثقافة واحدة لشعب واحد ، متصلة ، ــ والى حد ما ــ معزولة عن سائر اللغات والثقافات . وقد استمرت اللغة الصينية والثقافة الصينية داخل هذه البقعة الواسعة من آسيا بعيدة الا عن القليل من التأثر والتأثير .. لكن هذا الانكماش لم يؤد بها الى الضمور والضعف او يقطع استمرارها العجيب الذى ابلغها شاطىء القرن الحاضر بكل ما حملته معها من القرون السحيقة . وهكذا فمع اطلالة العصر الحديث على الصين كانت اللغة الصينية لا تزال تحتفظ بنقاوتها ، التى هى احدى ميزاتها الناتجة من عزلتها ، ورغم تغلغل الغربيين الذى اشتد فى القرن التاسع عشر وكان من شأنه ان يفعل فيها مافعله بغيرها من لغات الاقوام التى ابتليت بالغرب ، فهى لم تلقح من اللغات الاوربية الا الشواذ .

ربما لمحنا وراء هذه الظاهرة اللغوية نزعة الاكتفاء الذاتى، التى عرف بها الصينيون قديما



وازدادت بروزا وفعالية بعد ثورة ماو ـ الصين الجديدة • وبصرف النظر عن ملابسات هذه النزعة وعواملها ،وهى لا تعنيها هنا، فان اللغةالصينية قد اخذت بنصيب وافر منها • ويتلاءم ذلك مع جبلتها الخاصة ، فالمفردة الصينية وحيدة المقطع يمكن تشبيهها بحروف الجر المنفصلة فىالعربية : من ، عن ، فى••• وقد منع ذلك منقبول المفردة الاجنبية المتعددة المقاطع الا ضمن وضع معين تطوع فيه الغربية للجذر الصينيى بان يحذف ويغير بعض اصواتها للسماح بتقطيعها حسب الاصوات الصينية • مثلا : كلمة « عرب » لما كانت مركبة من مقطعين متصلين فان الصيني لا يستطيع تلفظها ولا كتابتها ، فتحور عندئذ الى ثلاثة مقاطع منفصلة على النحو التالى :

آ ـ لا ـ بو



وهذه المقاطع هى فى الاصل مفردات فالمقطع « ا » يستعمل كما هو عندنا للتعجب او التاوه ، والمقطع « لا » فعل يعنى يجر أو يسحب • والمقطع « بو » يعنى العم الكبير • ولكل من هذه المفردات الثلاث رمزه الدال عليه فى الكتابة • وهى كما رسمت اعلاه من اليسار الى اليمين • وحيث اجتمعت هذه المقاطع لفظا او كتابة دلت على كلمة «عرب» فاذا انفردت دل كل منها على معناه الاصلي،ان واحدية المقطع تجعل من التركيب الاداة الاساسية لاستحداث المفردات والمصطلحات •وغالبا ما اقترن ذلك فى الصين القديمة بمراحل الانتقال من الحسى الى المعنوى وهوما تشترك فيه مع كل اللغات • وفى الوقت الحاضر يستخدم التركيب لصوغ المصطلحات العلمية والتقنوية الجديدة • ويتراوح المصطلح بين مقطعين واربعة • مثال ما هو من اثنين : السيارة وقد سميت : جى ـ جو • حيث المقطع الاول معناه هواء او بخار والثانى عربة • ومثال ما هو من اربعة : بروليتاريا وقد ولدوا لها مقابلا صينيا يتالف من اربعة مقاطع هى : « وو » وتعنى العدم المقابل للوجود • و « تصان » (رسمتها على جهة التقريب اذ ليس فى العربية ولا اللاتينية حروف تؤدى اللفظ الصينى تماما) • وتعنى هذه المفردة : ملكية او تملك • الثالثة هى : جى جى • وتعنى طبقة وهى بدورها مركبة من مفردتين تدلان على المرتبة والدرجة• وبتوحيد المفردات الاربع يتكون المصطلح التالى : ووتصان جىجى • اى الطبقة التى بلا ملكية •

لغة العلم والفلسفة

واجهت الصينية فى العصور القديمة امتحان التعبير عن مستويات معينة من العلوم والفلسفة واجتازت الامتحان بنجاح ، فظهرت فيها لغة فلسفية كفء استندت الى التوليد والتركيب فى تكوين المصطلح الفلسفى • وقد يتساءل المرء : كيف امكن لهذه اللغة ان تستوعب فلسفات راقية كالتاوية والموهية والكونفوشيية الجديدة ومدرسة الاسماء ؟ واجيب انه سؤال متوقع فى اوساطنا الفكرية التى اعتادت النظر الى اللغات من زاوية التوزيع العنصرى للاجناس • ونحن فى ذلك نقلد الفكر الاوربى ، الذى صنف اللغات بحسب كفاءتها فوضع الاوربيات فى خانة اللغات العلمية وجعل العربية لغة ادب وضن على اللغات الشرقية الاخرى باى كفاءة تتجاوز

التعبير عن امور الحياة اليومية • والحقيقة المقابلة لهذا التصنيف قام بنشرها مؤخرا بعض اللغويين السوفييت الذين اعلنوا بشكل قاطع قدرة كل لغة على الوفاء بحاجات البحث العلمي والفلسفي وعلى ان تكون لغة تقنية كما هي لغة للسوق • وقد لا يكون الامر مع ذلك في حاجةالى محاكمات منطقية فقبلان يصل السوفيت الى هذه الحقيقة بعشرات القرون كانت العربية والسريانية والفارسية فضلا عن الصينيةقد دخلت مضمار العلوم والفلسفات لتقدم الادلة الملموسة على الكفاءة المشتركة للغات متفاوتة التاريخ والموطن والاصل العرقي •

على ان ذلك يبقى رهنا باهل اللغة لا باللغة نفسها • وعجز اللغة منعجز ابنائها • ولقد عانت الصينية الحديثة من بعض المعوقات اثناء السيطرة الاوربية على الصين • وبسبب الملابسات التى اثارتها هذه السيطرة عز على الصينيين انيفرغوا للغتهم وثقافتهم فكان ثمة تسيب ابقى اللغة والثقافة على حالهما الموروثتين • وتسربت فى غضون ذلك مصطلحات اوربية ليس فى وسع الصينية ان تتلاءم معها ، خاصة وان هذا التسرب حصل قبل ان تلتفت لغة الهان الى مخزونها لتستمد منه ما قد يكون اوفى تعبيرا وادق اصطلاحا • لم تغيرت الامور بعد نجاح الثورة الماوية واعلان تاسيس الصين الجديدة عام ١٩٤٩• وبسبب من اقتران الثورة الاجتماعية بحرب الاستقلال والتحرر الوطني وكون المعسكر الذى حاربته الصين يضم خليطا من الطبقات المحلية والمحتلين الاجانب من يابان وامريكان وانكليز وفرنسيين . اكتسبت الثورة الاجتماعية الصينية سمات ثورة تحرر قومي • وقد يكون لما عانته الصين من مظالم اجنبية بعض الاثر فيحساسية اهلها ضدكل ما هو اجنبي ، خاصة ما هو اوربي، لكن السمات الجوهرية للثورة تحتفظ ، خارج هذا الظرف الخاص . باصالتها وجديتها المعبرتين عن موقف تاريخي مشروع • ان هذا يفسر لنا تلك الاجراءات المتكاملة . قوميا واجتماعيا . التى اتخذتها قيادة ماوتسي تونغ حين صادرت املاك الاقطاعيين ومعامل الراسماليين وطردت الاجانب المقيمين في الصين ـ هذا الذين كانت لهم ادوار فى الثورة الصينية ـ وانشات فى الوقت نفسه

لجنة دائمةلاصلاح اللغةالحقت باكاديمية العلوم، بينما اصدرت هذه اللجنة قرارات مبكرة صاغت فيها مصطلحات صينية مقابلة لعدد من المصطلحات الاوربية التى دخلت اللغة الصينية فى ايام ما قبل التحرير • وروعيت فى هذا الاجراء ـ الى جانب الاعتبارات الوطنية ـ اغراض عملية املتها صعوبة كتابة المفردة الاجنبية بالرموز الصينية وتيسير الفهم لعامة الشعب الذين يتعذر عليهم هضم المصطلح الاجنبى بيسر • واستطاعت الصين ان تشق دروب التطور العلمي معتمدة على مبدأ الاكتفاء الذاتي فى اللغة حيث تتولى اكاديمية العلوم ولجنة اصلاحاللغة مهمة صوغ المصطلحات المناسبة للموضوعات المستجدة فى ميادين العلوم داخل الصين وخارجها • وبفضل المتابعة المجدة للنشاط العلمي لم يواجه الصينيون شحة فى المصطلحات كتلك التى يواجهها الكثير من الشعوب ومنها شعبنا العربى • فالنسبة بين ما يستجد من موضوعات علمية وما يقابلها فى اللغة الصينية تكاد تكون متعادلة • وقد شمل النشاط العلمي والتقنوى فى الصين فروع المعرفة المعاصرة من ادقها الى اجلها ، وكما نعلم فان الصين دخلت الى مضمار الذرة والفضاء، وامتلكت قنابل الهيدروجين واطلقت الاقمار الصناعية وقد تم لها ذلك كله بلغتها الوطنية المكيفة لروح العصر ومقتضيات العلم •

مشكلة الكتابة الصينية

الخط الذى تكتب به الصينية حاليا موروث من الكتابة التصويرية • وقد حافظت على هذا المنشأ بتاثير ظروف معينة لايتسع المقام لشرحها لكني اوجز فاقول ان الصين لم تشهد طوال بضعة الاف من السنين تبدلات داخلية ـ اجتماعيا وقوميا ـ من ذلكالضرب الذى يؤدى الى التنويع الحضارى واللغوى • فقومية الهان السائدة الان في الصين (٥٩ بالمائة من مجموع السكان) وهي نفسها التى كانت هنا قبل اكثر من ثلاث الاف سنة بلسانها وحضارتها . ومع ان الصين تعرضت لبعض الغزوات فانها لم تجرب استيطانات ساحقة اذ كان غزاتها يواجهون احد امرين.اما العودة من حيث اتوا واما الاندماج فى الوسط-وغنيالصعيد

الاجتماعي خلال المراحل التاريخية المتعاقبة ٠فعلى الرغم من ان الصين جربت مجتمع رق تلاه مجتمع اقطاع فان تاريخها لبث محكوما بمؤثرات الوضع الاسيوى ٠ وهو ما يفسر لنا عدم حدوث قفزات فى تطورها الحضارى مع المحافظة فى الوقت نفسه على قدر من النشاط الثقافى المتجه افقيا رغم احتوائه العديد من عناصر الابداع ٠ ومع اطراد الهوية القومية طال عمر اللغة ، ومع اتصال هذا التدفق من النشاط الثقافى من خلال الثبات فى مراحل التطور الاجتماعي حافظت اللغة على الكثير من بداياتها ٠ ونفهم من هنا سر الاستقرار النسبى فى شكل الكتابة التى بدأت صورا ثم رموزا معبرة عن مقاطع صوتية ، وكان يمكن لهذا التحول من الصورة الى الرمز ان يطرد فيقطع الخطوة الحاسمة نحو الابجدية ، لكن الخط الصينى توقف عند الرمز ، بينما حافظ الكثير من المقاطع على صيغه الصورية ٠ على أن تطور الصورة الى الرمز زود اللغة الصينية باداة كفء للتعبير عن المعنويات وقد مكنها ذلك من استيعاب قضايا العلم والفلسفة والادب رغم الافتقار الى الابجدية ٠

تبلغ الرموز الاساسية فى الكتابة الصينية الفين ، يتالف من تشكلاتها المختلفة ما يزيد على عشرة الاف رمز ، ولكى يتمكن المرء من القراءة والكتابة يتعين عليه ان يحفظ خمسة الاف رمز على الاقل ٠ ويعادل هذا الرقم خمسة الاف مفردة اساسية اذ لكل مفردة رمزها الخاص ، المفرد او المركب ٠ لكن المعانى المعبرة عنها بهذا العدد من الرموز تزيد عليه كثيرا لان المفردة الواحدة قد تدل على معانى متعددة ٠ ومثالها كلمة « فا » وتعنى سببا ، وقانونا ، وصورة بمعنى فلسفى شبيه بالصورة الارسطية _ كما تعنى فرنسا ٠ ولهذه المعانى المختلفة رمز واحد ٠ وقد يتوارد سؤال : اذا كانت الرموز مخصوصة بمفرداتها فكيف استطاع الصينيون كتابة الالفاظ والاسماء الاجنبية ؟

للاجابة على ذلك نعيد ما ذكرناه فى اول المقال من انهم ياخذون الاسم او اللفظ الاجنبى فيحملونه مقاطع مصوتة بحسب اللفظ الصينى ، وعندئذ يكتبونه باستخدام الرموز الدالة على تلك المقاطع ٠ ويعنى ذلك ان الرمز صار يستعمل بصوت يدل عليه دون التقيد بالمعنى الذى يؤديه ذلك الصوت ٠

المشكلة التى عاناها الصينيون من كتابتهم ذات جانبين ، الاول تعدد الرموز تبعا للمفردات مما يفرض على من يريد القراءة والكتابة ان يتعلم ، كما قلت انفا ، رموزا تعادل ما يتعلمه من المفردات ٠ الثانى تعقد الرمز نفسه ، فالرمز الواحد يتالف فى الغالب من تفرعات (خطوط) قد تصل الى العشرين ممتدة فى اتجاهات مختلفة وباوضاع متعددة ، مما يجعل كتابته فى غاية العسر كما يثير مصاعب طباعية جمة حيث تتطلب الرموز اعمالا والات معقدة جدا ٠ ويتعذر كذلك استخدام هذه الرموز فى اجهزة اللاسلكى المختلفة وقد استعيض عنها بارقام يحولها العامل حين تلقيها الى رموز ، او بالعكس قبل الارسال ٠

اللاتينية فى المدارس

لقد اثيرت قضية تيسير الكتابة الصينية فى وقت مبكر من تاسيس جمهورية الصين الشعبية وطرح عندئذ اقتراح باستعمال الحرف اللاتينى اى الانتقال من الرموز الى الابجدية ٠ ثم تاجل البت فى ذلك وصاروا الى خطة لتبسيط الرموز تبنتها لجنة اصلاح اللغة تقوم على تقليص عدد الفروع فى الرمز الواحد ٠ وقد نفذت الخطة بتوسع يعكس مرونة ملحوظة فى التعامل مع المأثورات القومية فالرمز المؤلف مثلا من اربعة عشر فرعا قلصوه الى سبعة ، اى الى النصف وما هو من عشرة صار من ثلاثة ، وهكذا ٠ وقد صدرت حتى الآن قائمتان بالرموز المبسطة وينتظر صدور غيرها ٠

رافق ذلك اتباع طريقة فى التعليم مكنت التلميذ من الاحاطة النسبية بالرموز خلال خمس سنوات بحيث صار فى وسع تلميذ الخامس الابتدائى قراءة الصحف دون عناء كبير ٠ وانى لاعرب عن املى فى ان يتدارس التربويون العرب هذه الطريقة للاستفادة منها فى تعليم العربية ٠

على ان نجاح خطة التبسيط لا يعنى زوال الصعوبات ٠ فالخط الصينى يبقى معضلة بحد ذاته ٠ ويمكن القول ان صعوبة الكتابة به لم تزل بنفس مستوى تذليل القراءة كما ان مشكلات الطباعة والاتصال اللاسلكى لم تتأثر بالتبسيط ٠ هذا فضلا عن ان اللغة الصينية لاتبرح بهذا الوضع لغزا بالنسبة للاجانب تحول

دون ان تنتشر اللغة الصينية والثقافة الصينية عالميا ، وهو واقع تمليه الشخصية الدولية المتنامية للصين • من هنا كان لابد من العودة الى ابجدة اللغة والاستغناء عن الرموز • وقد أخذت لجنة اصلاح اللغة بمشروع الحرف اللاتيني مؤخرا • واكتسب القرار صيغته النهائية ، ولكن بحذر ، وثمة من يرى ان المشروع لن يكتب له النجاح • وعلى اية حال فقد ادخل الحرف في مرحلة التعليم الابتدائي الى جانب الرمز بحيث صار لزاما على التلاميذ ان يتعلموها معا • ويمكن للحرف اللاتيني ان يذلل عقبات جمة في الطباعة والاتصال اللاسلكي والاجهزة الالكترونية التي تستخدم الحروف كما انه يفتح الطريق لاحبا امام الاجانب لتعلم الصينية • لكن الحروف اللاتينية لا تخلو بدورها من مشاكل فهي لا تفي بكل الاصوات في اللغة الصينية مما يثير نفس المشكلة التي تعانيها معظم اللغات وهي عدم مطابقة المكتوب للمقروء • ولم يواجه اهل الصين هذه المشكلة في كتابتهم التقليدية • ثمة ايضا مسالة تتعلق باللهجات الصينية التي قد تبلغ من الاختلاف ما يتعذر معه التفاهم احيانا بين مواطن من بكين واخر من احدى مقاطعات الجنوب مثلا • لكن الرموز يسرت فهمها مشتركا للجميع لان خلوها من الدلالة الصوتية يعطيها دلالات لفظية مطابقة للهجات المختلفة • وتزول هذه الميزة بالابجدية نظرا لارتباط الحرف بمدلول صوتي معين ، فلو اتخذت احدى اللهجات اساسا للابجدة ـ وهو امر لابد منه ـ لكانت قراءتها مقصورة على الناطقين بتلك اللهجة • ويقف هذا العائق دون الاسراع في ابجدة الصينية ، اذ ينبغي لتحقيق هذه الخطة توحيد مسبق للهجات حتى تكون ثمة اصوات مشتركة لجميع الناطقين بلغة الهان • وهناك اتجاه لجعل لهجة بكين اساسا لذلك ، لكونها اللهجة الفصحى في اللغة الصينية ، لكن الفرص ليست واسعة امامها ، اذا قيست مثلا بالفصحى عندنا • فالعربية الفصحى تستعمل الان في المقروء والمسموع ومن وسائل النشر والاعلام وتحظى بفهم مشترك من كل العرب • اما لهجة بكين فيمكن استعمالها في المسموع دون المقروء ، لان الرمز الصيني يقرا كما قلت بحسب اللهجات نظرا لخلوه من الدلالة الصوتية •

وبهذا ستبقى الرموز امداطويلا قد يناهز المئة عام •

٥ دروس هامـــــة

تتجمع التيارات السائدة في العالم العربي بشأن قضايا اللغة حول قطبين متنافرين ، سلفي متزمت ، وعالمي متفرنج • يرفض الاول الاعتراف بحاجة اللغة الى الاصلاح والتطوير ويقف حتى في طريق تكوين الاصطلاحات فيعرقل نشوء اللغة العلمية ويحد من كفاءة التعبير في العربية المعاصرة باصراره على جمود النحاة الاقدمين وعدم استيعابه للمرونة العالية التي استعملت بها العربية قبل ظهور النحو • وهذا القطب هو مما ابقاه لنا بنو عثمان غفر الله لهم •• اما الثاني فمن مخلفات النفوذ الاوربي في العالم العربي وتجسيد لواحد من اسوأ جوانب هذا النفوذ : الاستعمار الثقافي القائم على الصهر القومي والعرقية البيضاء • ويشعر هذا الفريق بالانسلاخ التام من تراثه وثقافته وكل تاريخ شعبه لحساب الانتماء الى الحضارة الاوربية • ومع انه لايزال ناطقا بالعربية فربما كان يتوق الى استبدال احدى لغات السادة الغربيين بها ، فهو بالتالي نموذج للتابع الذي واجهته الصين حين وقعت ضحية مبدا الباب المفتوح الذي فرضه عليها الغزاة الغربيون • وقد تخلصت الصين من هذين القطبين بعد ثورتها الماوية • وتعطينا التجربة الموصوفة في هذا المقال بعض المبادىء الاساسية للموقف الصيني من مشكلة اللغة الخصها في النقاط التالية :

١ ـ المحافظة على روح واصالة اللغة بتضييق نطاق الدخيل فيها • وقد تم ذلك بترجمة شاملة للمصطلحات الحديثة بدلا من قبولها بلفظها الاجنبي •

٢ ـ التعامل مع ادوات تكوين المفردات والمصطلحات المتيسرة في الصينية بافق واسع ، بعيدا عن تزمت بعض اللغويين وضيق افقهم • وقد مكن من اثراء اللغة وجعلها تستوعب المصطلحات المستجدة اولا باول ، بحيث لا يعاني

الكاتب او العالم الصينى اليوم اية مشكلة ناتجة عن الافتقار الى المصطلحات ، كما يحدث عندنا باستمرار ٠

٣ ـ الجرأة فى مواجهة الصعوبات الناتجة عن الكتابة وقد تمثل ذلك كما راينا فى احداث تبدلات جذرية على الرموز ٠

٤ ـ وحين رأى الصينيون عدم امكان ترك اللغة دون ابجدية اتخذوا قرارهم باستعمال الحروف اللاتينية ٠ ولان الصين لا تملك اى نوع من الأبجدية فان هذا القرار لا يثير اى اشكال ذى طابع قومى ٠ وانما هو يخدم بالعكس هدف توحيد اللغة الصينية التى تعانى الان من تمزق شديد بسبب تباعد اللهجات ٠

٥ ـ وهكذا وفق الصينيون بين مبدأ صيانة اللغة القومية ، وضرورات التطور الجذرى الذى تفرضه مشكلات العصر ٠

واخيرا : فقلما ترى الصينى الآن يشكو من قصور لغته او عدم كفاءتها او يحاول لى عنقها لتتلابس مع لغة اوربية مثلا ثم يروح يتحدث عن ضالتها امام هذه اللغة او غيرها ٠٠ واذا لا يستصغر الصينى لغته فهو لا يستعظمها ٠ ولئن كنا لا نلقى صينيا يقول ان لغته بدائية كذلك النفر من المتعلمين العرب الذين يتشكون من « بداوة » لغتهم ، فاننا لا نلقى من اهل الصين من يقول ان لغته اشرف اللغات او من يجعل منها ولنا تتلى حوله التسبيحات ٠

الناس هنا يتمسكون بلغتهم ، ويسعون لتطويرها وحل معضلاتها متمتعين ، فى سياق ذلك ، بصحة نفسية اتمناها لبعض بنى قومى ٠٠

■■

هادى العلوى

بكين ـ الصين الشعبية

مكان تحت الشمس

■ لكى تصنع لنفسك مكانا تحت الشمس ، فلابد لك ان تنشر ظلالا أوسع من تلك التى تصنعها أضخم الاشجار ٠

« مارجريت ميتشل »

الخلود !

■ كل انسان يخشى الموت ٠ وهو يظل يخشاه الى ان يقوم بعمل يعيش من بعده ابدا ٠

« هال بويل »

الخوف من الفشل

■ الرجل يكون دائما فى احسن حالاته عندما يسيطر عليه الخوف من الفشل ، أو التطلع الى مكافأة بنفس الشعور الذى يحس به وهو ينظر الى النجوم فى سماء ليلة صافية ٠

« ادوين شل »

■ انس نفسك اذا أردت أن تقدم عملا يذكره لك الناس بعد رحيلك ٠

« فولتير »

فى صــوم رمض

● يسمي الناس هذا الشهر العظيم بشهر الصوم ، أو شهر الامساك فيقتصرون على الظاهر من أمره ، فيبتدىء التقصير منهم فى جنبه من تسميته باهون خصائصه ووصفه بايسر صفاته ، ووزنه باخف الموازين ، وشيوع هذه المعاني السطحية بين الناس يفضي بالنفوس الى تأثرات باطنية ، تبعدها عن الحقائق العليا وتنزل بها الى المراتب الدنيا ، وقد توجهها الى جهات معاكسة للوجهة المؤدية الى الله . ومن نتائج ذلك أن الناس أصبحوا يتعاملون مع الله على نحو من معاملة بعضهم بعضا ، فالنفوس الراهبة تخاف الله خوفا تفصّله على قياس الخوف من الملوك والاقوياء ، مع أن الخوف من المخلوق يقتضي البعد عنه . والحذر منه والبغض له . أما الخوف من الله فانه يقرب اليه ، ولا يبعد عنه ، ويثمر الحب والرضى والسكينة والاطمئنان . فأنى يقاس أحدهما على الآخر ! ولكنه الضلال فى فهم العبادة جر الى الضلال فى فهم آثارها ومعانيها، ثم الى الحرمان من آثارها ومعانيها .

وما مسخ العبادات عندنا وصيرها عادمة التأثير ، الا تفسيرها بمعاني الدنيا ، وتفصيلها على مقاييسها ، فالخوف من الله كالخوف من المخلوق ، والرجاء فى الله على وزن الرجاء فى غيره ، ودعاؤه كدعاء الناس ، والتوكل كالتوكل ، والقرب كالقرب ، والعلاقات كالعلاقات ، وعلى هذه الأقيسة دخلت فى المعاملات مع الله معاني التحيل والمواربة والخلابة ، فدخلت معها معاني الاشراك . فذهبت آثار العبادات وبقيت صورها . فلم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، ولم يهذب الصوم النفوس ، ولم يكفكف من ضراوتها ، ولم يزرع فيها الرحمة ، ولم يغرها بالاحسان .

ان رمضان يحرّك النفوس الى الخير ، ويسكّنها عن الشر ، فتكون أجود بالخير من الريح المرسلة ، وأبعد عن الشر من الطفولة البلهاء ، ويطلقها من أسر العادات . ويحررها من رق الشهوات ، ويجتث منها فساد الطباع ، ورعونة الغرائز ، ويطوف عليها فى أيامه بمحكمات الصبر ، ومثبّتات العزيمة ، وفى لياليه بأسباب الاتصال بالله والقرب منه .

هو مستشفى زماني ، يستطبُّ فيه المؤمن لروحه بتقوية المعاني الملكية فى نفسه ، ولبدنه بالتخفف من المعاني الحيوانية .

★ ★ ★

لكل عبادة فى الاسلام حكمة أو حكم ، يظهر بعضها بالنص عليه أو بادنى عمل عقلي ، ويخفى بعضها الا على المتأملين المتعمقين فى التفكير والتدبر .

ـن ...

للعلامة الجزائري

محمد البشير الابراهيمي

والموفقين في الاستجلاء والاستنباط ، والحكمة الجامعة في العبادات كلها هي تزكية النفس وتطهيرها من النقائص الروحية ، وتصفيتها من الكدرات ، واعدادها للكمال الانساني، وتقريبها للملأ الاعلى ،وتلطيف كثافتها الحيوانية. وينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمع للغرائز عن الاسترسال في الشهوات التي هي أصل البلاء عن الروح والبدن ، وفطم أمهات الجوارح عن أمهات الملذات ، ولا مؤدب للانسان كالكبح لضراوة الغرائز فيه . والحد من سلطان الشهوات عليه ، بل هو في الحقيقة نصر له على هذه العوامل التي تبعده عن الكمال . وكما يحسن ،في عرف التربية أن يؤخذ الطفل بالشدة في بعض الاحيان ، وأن يعاقب بالحرمان من بعض ما تميل اليه نفسه ، يجب في التربية الدينية للكبار المكلفين أن يؤخذوا بالشدة في أحيان متقاربة كمواقيت الصلاة (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) ، أو متباعدة كشهر الصوم ، فانه لا يأتي الا بعد أحد عشر شهرا ، كلها انطلاق في المباحات ، وامعان فيها ، واسترسال مع دواعيها ، وان شهرا في التقييد الجزئي بعد أحد عشر شهرا في الانطلاق الكلي لقليل ، وان جزءا من اثني عشر جزءا ليسير في حكم المقارنات النسبية، فهو يسر في الاسلام ما بعده يسر ، وسماحة ما بعدها سماحة .

ومن مزايا الصوم انه عبادة سلبية ، بمعنى أنها ليس فيها عمل ايجابي من أعمال الجوارح ، كالصلاة والحج ، وحتى الزكاة فان فيها نقلا ودفعا ، واخراجا ، وانما الصوم امساك عن شيء كان مباحا في أيام غير رمضان ، ثم يعود الى أصله بعد خروج رمضان ، والامساك وان كان عملا هو سلب وانتفاء وسر هذه المزية أنه أبعد العبادات عن الرياء الماحق للاعمال ، حتى ان التسمع فيه وهو قول الصائم : اني صائم لا يحمله السامع على انه تمدح بالصوم، وليس فيه عمل يرى ، ولا أثر حقيقي ومصطنع كأثر السجود في الجباه ، الا الشحوب الذي يكون من المرض كما يكون من الصوم ، ولهذا البعد من الرياء ورد في حديث قدسي : الصوم لي وأنا أجزي به .

ومن عظم منزلة الصوم عند الله أن شرعه عقوبة وكفارة عن ارتكاب بعض المخالفات كالحنث في اليمين ، والتمتع بالعمرة الى الحج ، والظهار ، وقتل الخطأ ، وفطر العمد في رمضان ، ولم يجعل هذا لغيره من العبادات والاركان، فلا تكفير عن ذنب بصلاة ولا حج ولا مال من جنس الزكاة . ■■

(العدد ٢٣٢ من جريدة البصائر الجزائرية سنة ١٩٥٣)

مدير الآثار السوري يفند

الحملة الصهيونية لاستغلال كشف مملكة ايبلا

بقلم : الدكتور عفيف البهنسي

لا يزال الكشف الاثرى الكبير عن مملكة ايبلا فى شمال سوريا يثير العديد من ردود الفعل فى العواصم العالمية ، على مستوى المهتمين بالدراسات التاريخية بوجه خاص ٠ وكما يحدث دائما فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تستغل معلومات الكشف ، وتطوع هذه المعلومات لصالحها ، لتثبت حقوقا تاريخية لها بدعوى ان هناك « معلومات توراتية » اثبتها ٠

وفي هذا المقال يفند الدكتور عفيف بهنسى المدير العام للآثار فى الجمهورية العربية السورية هذه المزاعم ، معتمدا على الحقائق العلمية اولا واخيرا ٠

■ فى كثير من المناطق السورية تكشف الحفريات عن آثار هامة تقدم لنا معلومات تاريخية او فنية او حضارية تزيد معرفتنا بتاريخ الانسانية ٠

ان اهمية هذه المنطقة العربية (من الفرات الى النيل) وبخاصة سورية هى أنها تقدم شواهد عن الحضارة الانسانية فى حقبة بعيدة كان العالم خلالها يعيش فى ظلام ما قبل التاريخ ٠ ثم ان المنطقة بما فيها من تنوع الآثار وكثافتها من العصور الكلاسيكية الى البيزنطية والاسلامية ، أصبحت قبلة المنقبين والعلماء ٠

ان نتائج الحفريات التى أجرتها البعثة الايطالية برئاسة السيد باولو ماتيه الاستاذ فى جامعة روما كانت ذات اهمية بالغة ولقد توسع نطاق الاهتمام حتى شمل جميع الهيئات العلمية والاعلامية فى العالم ٠ ونحن سعداء جدا لهذا الكشف الذى عرفنا على حاضرة هامة اسمها ايبلا كان قد أنشأها أجداد العرب على أرضنا السورية ، وكان لهذه الحاضرة علاقات مع اخواتها من المدن الهامة مثل مارى والآلاخ وأرمان ومثل أكاد وآشور ٠

واذا كانت المدن الهامة فى ذلك الوقت اى خلال الالف الثالث ق٠م ٢٤٠٠ ق٠م ـ ٢٢٥٠ هى أكاد ومارى فان ايبلا تاخذ مكانها الممتاز بين



الواح مملكة ايبلا ، ما زالت لغزا لم تحل كل رموزه بعد .



هاتين المدينتين التي لم يعرف عن واحدة منهاوهي اكاد العظيمة اي اثر بعد . ان اكتشاف ايبلا هو حدث هام جدا لانه عرفنا عن حضارة لم يسبق أن توقع المؤرخون والاثريون أبعادها وها هي ذي تعطينا أخبار الماضي بكل دقة عن طريق تلك الآلاف من الرقم التي وجدت بحالة جيدة ومرتبة بشكل يساعد على قراءتها بسرعة .

لقد أعطتنا هذه الرقم فكرة عن بعض الملوك الذين عاصروا صرغون اونارام سين أو حمورابي، وأكدت لنا وجود مدن مازالت قائمة حتى الآن مثل دمشق وحمص وحماة وجبيل ومدنا أخرى أصبحت آثرا .

كما قدمت لنا معلومات عن العلاقات السياسية والتجارية مع المدن الكبرى وملوكها عن سيطرة ايبلا عليها في بعض الوقت . كما أكدت لنا هذه الكتابات على أن اللغة التي يتكلم بها أجدادنا هي اصل اللغة العربية وان الاكاديين والايبلائيين والكنعانيين انما يتكلمون بلهجات لغة واحدة وان الفروق بين هذه اللهجات هي أقل من الفروق بين اللهجات القائمة اليوم في البلاد العربية .

مواجهة المغالطات

لقد تسابق الصحفيون لنشر معلومات عن مضامين هذه الرقم التي يزيد عددها عن ١٥ ألف رقيم ولم تكن هذه المعلومات صحيحة تماما ولم تكن أحيانا علمية ، لذلك قررنا أمرين :

الاول : هو أن يتولى ترجمة هذه الرقم عدد اوفر من المختصين في العالم ، وذلك لكي نتمكن من قراءة أكبر عدد ممكن من هذه الرقم الكثيرة والتي ينتظر أن يزيد عددها باستمرار . لقد رأينا أن ندعوا خمسة من كبار المختصين في العالم للمباشرة بهذه المهمة باشراف البعثة الحالية .

ثانيا : ان تصدر دورية خاصة بايبلا تتضمن هذه الدراسات وجميع الدراسات الخاصة بهذا الموقع التاريخي . وبذلك نفسح المجال لتلافي الافكار والاراء ونحول دون الانحراف ونجمع جميع المعلومات في مصدر واحد يرجع اليه العلماء والمختصون في العالم .

لقد قام بعض الصحفيين بتحوير معلومات الكشف الكبير ، ومنهم من قام بتاويل المكتشفات تاويلا يختلف مع الحقيقة ومع التاريخ .

ومما لاشك فيه أن وراء هؤلاء قد يكمن تخطيط صهيوني لتشويه أهمية هذا الكشف الرائع ، وسنحاول هنا عرض بعض ما كتب ولفت النظر الى التضليل المقصود والاجابة ما أمكن على الادعاءات غير العلمية .

في مقال نشر في مجلة تايم بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٦ ذكر كاتب المقال على لسان فريدمان الذى يدعي بانه عضو البعثة التى عملت في تل مرديخ ما يلي :

« يظهر أن المعلومات المشتركة مع التوراة متعددة ، اذ تحوى الرقم قصصا عن الخلق والفيضان التى تشبه الى حد بعيد تلك التى وجدت في التوراة والادب البابلي ويحاول فريدمان ان يوحي بان ما ورد في التوراة أصبح مؤكدا بالكتابات المكتشفة ولكن هناك ما يعيق ذلك وهو يقول : « في الحقيقة لا أحد أمكنه حتى الآن قضاء يوم عمل ميداني مع اللقى الاثرية خوفا من أن تقوم سورية باستثناء المعلومات التوراتية من المكتشفات وتعرقل التنقيب في المستقبل » . ويتهم الاثريين الايطاليين من أنهم يتباطاون في نشر مكتشفاتهم ، ويتوعد قائلا : « ولكن الاسرة الدولية للأثريين وعلماء الدراسات التوراتية سمعوا بما فيه الكفاية ، مما جعلهم يتهامسون في هرج » » .

ونحن قد نكتفي بجواب السيد ماتيه رئيس البعثة على هذه التاويلات والافتراءات الذى أعلن مخاطبا رئيس تحرير المجلة :

١ ـ ان السيد فريدمان لم يكن أبدا عضوا في بعثته .

٢ ـ ان ما ذكره من تاويلات عار عن الصحة .

٣ ـ ان السلطات الاثرية في سورية تقدم له كل الخدمات والتسهيلات في عمله ، وأنها لا تقف أبدا ضد اى تفسير قد يدعم الاحداث الواردة في الكتب المقدسة .

ونحن نحب ان نضيف الى ذلك ، أننا نعامل البعثات الاثرية على أنها بعثات علمية ، لاعمالها واكتشافاتها اثر كبير في ايضاح تاريخنا ،الذى يشكل بدوات تاريخ الانسانية والعالم ، ضمن حدود العلم والواقعية دون تاويل واستغلال،ونحن نسير مع هذه البعثات التى بلغ عددها الثلاثين في سورية جنبا الى جنب لتحرى الحقيقة مهما كانت نتائجها .

ونحن نؤمن بالكتب المقدسة كلها ومنها التوراة ، ولا حاجة للتدليل على ذلك ، ولكننا نؤمن بقوة بالحقيقة العلمية ، ونرى أن مايكتشف هو حقيقة قاطعة لا بد من اظهارها بنزاهة واخلاص ، لانها حقيقة تهم الناس جميعا والاجيال المقبلة التى ستتحرر من عقد العنصرية ولا شك .

تراجع واعتراف

ولذلك فاننا سنعمل على نشر هذا الكنز بعد دراسته بامعان من قبل لجنة من كبار المختصين ونشره تباعا ضمن نطاق اسلوب علمي ، لكي يطلع العالم على أسرار التاريخ القديم التى نفخر ان بلادنا كانت مسرحه ومخزنه ونحن اذ ننظر الى التوراة ككتاب ديني مقدس لا بد أن يواكب التطور الثقافي المعاصر الذى يسعى الى تاريخ ماضي البشرية من خلال المكتشفات الاثرية. وفي كتاب ظهر مؤخرا في هولندا (١) يذكر المؤلف :

« انه بامكان عالم الاثار التوراتي أن يوضح أهدافه عبر الازمنة التاريخية الواردة في التوراة، ما دامت الوقائع الواردة في التوراة تتماشى مع الوقائع الاثرية ، ولكن عندما تتعارض تلك المصادر ، تصبح المعلومات التاريخية بيانا وبرهانا مشروعا وأساسيا للاستدلال .

ويقول : ولكن العلماء التوراتيين ، وهذا ما نحاول اثباته في هذا الكتاب يقومون بعمل تحليلي في تنقيبهم من خلال أحكام مسبقة تفرض عليهم التفسير .

ويستحضر الكاتب ، مثالا عن أفكاره ، الاعمال التى يقوم العالم الهولندى فرانكن في دير علا (الاردن) والتى أبانت أن هذا العمل العلمي يتحدى أسلوب الاثريين التوراتيين » .

ولا بد من أن نورد هنا تراجع فريدمان واعترافه باهمية هذا الكشف من الوجهة التاريخية الصرفة.

وفي مجلة نيوزويك يذكر كاتب المقال على لسان فريدمان نفسه :

ان هذه الرقم تعطينا صورة حضارة كاملة كان قد أشير عنها تلميحا من خلال ما اكتشف في ماري واكاد ولكننا الان عرفنا أنها حضارة قوية ومتينة تقع تماما بمستوى حضارة قدماء المصريين والرافدين .

ويعترف هو نفسه في مقال نيوزويك وعلى لسان كاتبي المقال أن هذه الرقم تصف امبراطورية

(1) Morshell E. Marlin : The Approval of Argument in Biblical Archeology.

واسعة الارجاء، فلقد كان في ايبلا مائتان وستون الف انسان توسع مجال تأثيرهم وامتد حتى وصل الى سيناء من الجنوب والى قبرص من الغرب وأعالي بلاد الرافدين في الشرق ٠٠ وفي عام ١٩٦٨ اكتشف تمثال عليه كتابة مسمارية تتضمن اسم « ايبلات – ليم » أي ملك ايبلا ، مما أعطى أول دليل على هوية الموقع ، ومن انه موقع مدينة ايبلا التي ورد اسمها في الكتابات الاكادية ولقد تضمن التمثال ستة وثلاثين سطرا ٠

وتحت عنوان « مملكة ضائعة » (٢) كتب وودورد ومالش في مجلة نيوزويك مقالا ذكر فيه أن هذا الاكتشاف الاثري هو أعظم ما تم خلال أجيال وربما عبر قرون في مجال المكتشفات الاثرية٠

تحت عدسة مشبوهة

ولكن في مقال مجلة نيوزويك محاولة واضحة لوضع هذا الاكتشاف الهام تحت عدسة مشبوهة اذ يقول الكاتب :

١ – يعتقد جيوفاني وبتناتو ، العالمان بفقه اللغة من جامعة روما أن هذه اللغة تنحدر من اللغة التي نطق بها التوراتي » ٠

وعندما سألت العالمين المذكورين أثناء زيارتهما لي عن هذا الامر ، ضحكا لسببين: أولا ، أنه تأويل لم يصدر عنهما

ثانيا ، لانه مخالف لمنطق التاريخ ، فهذه اللغة المكتشفة تسبق أية لغة او لهجة ورد فيها ذكر التوراة بما يزيد عن ألفي عام ٠

٢ – يقول كاتب المقال :

« على الرغم أن خمسا وتسعين بالمائة من اللوحات لم تعد للترجمة بعد، فلقد اكتشف الدكتور بتناتو مؤخرا بعض المداخلات المتساوية بين حضارة ايبلا وحضارة اليهود القدماء الذين قادهم ابراهيم الى كنعان حوالي ثلاثمائة سنة قبل ظهور ايبلا » ٠

وهذا تصريح كاذب ومضحك أيضا ، فان بتناتو ينفي هذا التصريح المنسوب اليه أصلا، وهو مضحك لانه يقلب الحقائق ويغالطها ، فاذا كانت هذه الكتابات ترجع الى عام ٢٥٠٠ – ٢٢٥٠ ق ٠ م فانها تبقى سابقة بخمسة قرون على كل الاحداث التي وردت عن ابراهيم وأعقابه كما هو معروف جيدا ٠

وأورد مقال نيوزويك أن ملوك ايبلا « كانوا يدهنون بالزيت أجسامهم ، تماما كما كان يفعل الملك داود وسليمان » ٠

وهذا القول مثير للضحك ولكنه يكشف عن نية تضليل القارىء العالمي، فلقد قلب الكاتب الحقيقة الواضحة من أن داود وسليمان هما اللذان أخذا عن ملوك ايبلا فاللاحق هو الذي يأخذ عن السابق وبين التاريخين قرون عديدة ٠

لقد ورد في المقال أيضا « أن الكتابات ابانت أن اسم داغان ورد من بين أسماء مجمع الارباب ٠ وداغان هو نفس الاله الوثني الذي هدم معبده شمشون كما ورد في سفر التكوين ٠

ماذا يعني هذا التحريف ألا يعرف الكاتب أن الاله داغان الذي ذكره التوارة هو اله وثني فينيقي ويتمثل بجسم سمكة (داغ) ورأس انسان ، ولقد صنعه عندما وضع تابوت عهد الرب الى جانبه (١ صموئيل ٥ : ١ – ٣) ولكن الذي ورد في الكتابات أن ايبلا هو اسم داغان ، وهو اله قديم معروف عند الاموريين والكنعانيين ولقد عثر شيفر على معبد كامل له في رأس الشمرة ، وهو اله معبود عند سكان ايبلا وهم عموريون ولا شك٠

بين ابراهيم ونوح

ولقد ورد في مقال نيوزويك أيضا أنه كان لايبلا طبقة من الانبياء ٠ وان عددا من أسماء المواطنين في ايبلا كان يسمى باسم داود وايساو وشاؤول ، كما يذكر أنه ورد اسم اورساليما ويقول ، لعله اسم ايبلا ذاتها ٠٠٠ ويذكر صاحب المقال أن ورود اسم ايبر من أسماء ملوك ايبلا يؤكد همزة الوصل بين ابراهيم ونوح اذ أن ايبر تعني عابر الذي دون اسمه في سفر التكوين ويستدرك صاحب المقال قوله هذا فيعرض اراء علماء يرون بأن هذا القول يحتمل النقاش ٠ ومن المعروف جيدا أن تسمية اورشليم قديمة وتخص مدينة القدس وحدها وترجع الى عهود الكنعانيين الاولى ٠ وهي لفظ كنعاني تعني مدينة السلام ٠ ولقد وردت في التوراة عند ذكر (ملكي صادق) ملك شاليم (اورشليم) الذي بارك الخليل ، وكان ملكي صادق محبا للسلام مؤمنا بالتوحيد ولذلك اعتبر رئيسا للكهنة الى الابد ولقد كرمه

(2) Lost Kingdom : News Week Nov. 22, 1976.

التوراة والانجيل ، وكل ما يعرف عن هذا الملك أنه من زعماء اليبوسيين الذى أسسوا هذهالمدينة القديمة ٠

ولم يعرف حتى الان ان هذه التسمية اطلقت على غير القدس ٠ ومع أن الاختصاصيين لم يدلوا برأيهم النهائى فى معنى هذه الكلمة ٠ ولكن لابد منالتذكير أنشليما هو اسم اله كنعانى قديم وهو معروف ولا شك فى ايبلا الكنعانية ٠ ثم اننا نقول أن كلمة (ايبر) قد تكون (عابر) ولكن التوراة يذكر أن ابراهيم هو ابن فارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر الخ٠٠٠حتى سام (التكوين ١١ : ١٠ ــ ٢٦) أى أن الزمن بين ابراهيم وجده الاعلى عابر ٢٠٠ سنة بينما نحن نرى الفرق بين ايبر ملك ايبلا عام ٣٥٠٠ ق٠م وابراهيم الخليل ١٩٥٠ ق٠م هو ٤٠٠ سنة٠

لم أن الكتابات فى ايبلا لم تشر الى أى من أعقاب ايبر أو عابر ٠ كما أن اسماء الملوكالذين يشكلون الاسرة الحاكمة لهذه المرحلة الهامة من تاريخ الشرق الاوسط غير واردة فى مصادر أخرى وحتى فى التوراة ثم أن اسم عابر أو ايبر اسم شائع لدى الكنعانيين والآراميين ٠٠ وكنا نتمنى لو يتحقق لنا اثبات ذلك اذن لكانت اهمية كشوف ايبلا تفوق اكتشافات البحر الميت فعلا ٠

نحننعلم أنهذه الآراء المضللة تسعى الىاعطاء الفرصة للصهاينة لاثبات وجودهم التاريخى ،ولكن ما كتب لا يمكن ان يفوت المدقق وان كان ينطلى على القارىء المتسرع الذى تبهره الالقاب والصفات المستندة زورا على أصحاب التصريح ٠

وليس هذا ما يهمنا على كل حال ٠ ان همنا أن نجيب بأسرع وقت على رغبات العلماء فىالعالم وعلى تطلعات شعبنا العربى فى كل مكان للتعرف على أعظم واصدق المعلومات عن فترة تاريخية سحيقة كان يسودها الظلام على أرضنا العربية ٠

ونكتفى بالقول أننا جادون فى تنفيذ برنامج علمى لترجمة ما اكتشف بموضوعية وأمانة ٠

حقيقة الحضارة الرافدية

بقى أن نذكر كلمة أخيرة ٠

لم يعد خافيا بعد أن تطور علم الاثار واعطى معلومات واسعة عن حقيقة الحضارة الرافدية القديمة ٠ أن يصبح بوسع أحد ان يزيف الحقائق أو يضلل بمعلومات ملفقة عن هذه الحقبة الزمنية الهامة من تراثنا الحضارى ٠ فلقد تبين ان اكثر الاساطير والحوادث الواردة على لسان اليهود انما هو ماخوذ عن الرافدين (٣) ذلك أن التوراة ، وقد كتبه اليهود المنفيون فى بابل ، وضعوا فيه كثيرا من الاحداث المتخيلة والماخوذة عن التقاليد الشائعة فى المنطقة كما وضعوا فيه مطامحهم الخيالية ، ولقد ابانت المكتشفات أن قصة الخليقة وردت فى الواح الخليقة السبعة البابلية ٠ وان الموت عالم لا عودة منه ،وهو عالم ظلامتماما كما يذكر التوراة أنقصة آدم وحواء وشجرةمعرفة الخير والشر قديمة أيضا ولقد عثر على صورة منقوشة علىاسطوانة تمثل آدم وحواء وبينهما شجرة الحياة وخلفحواء تنتصب حية ٠

ولقد عرف القدماء الفردوس واعتقدوا انها تقع فى دلمون (البحرين) ٠

وقصة ايميش واينتين السومرية ، هى نفسها قصة قابيل وهابيل ٠ أما قصة طوفان نوح فتتفق تماما مع قصص قديمة عن حادثة فعلية حدثت بسبب ضلال الناس فعاقبتهم الالهة وكان ذلك فى الالف الثالث ق٠م جنوب الفرات ٠

أما قصة يوسف مع امراة فرعون فهى قصة فرعونية قديمة كانت مكتوبة على ورق البردى والقصة جرت بين زوجة (انوبيس) التى راودت أخاه (باتا) فابى ، فاوغرت صدر زوجها ، وهرب باتا ثم أصبح فرعونا ــ ثم الها ٠

وأخيرا فان قصة ولادة موسى هى نفسها قصة ولادة سرغون الاكادى تماما كما رواها بنفسه ٠

ان هذا التضليل الذى يمارسه بعض الكتاب، لايخفف أبدا من أهمية اكتشافات تل مرديخ فى سورية ، بل على العكس يعطى الدليل القاطع أن ما اقامه اليهود لانفسهم من تراث أرادوه مدعما بكتاب مقدس انما يرجع فى حقيقته الى تراث سكان المنطقة من العرب والسوريين القدماء ٠ وليس بالامكان اخفاء هذه الحقيقة على الرغم من اعتقادنا بالاديان السماوية وكتبها المقدسة الاصلية ٠ ■■

دمشق ــ **الدكتور عفيف بهنسي**

المدير العام للآثار والمتاحف

(٣) انظر كتاب العرب واليهود فى التاريخللدكتور احمد سوسة

اعداد : يوسف زعبلاوى

الظلام لم يعد عائقاً في الحروب

● الرؤية فى ظلمة الليل ليست من النعم التى يتمتع بها الانسان . . وقد كانت من بين الاحلام التى طالما تطلع الى تحقيقها بلا طائل .

والظاهر ان العلم نجح فى تحقيق هذا الحلم . فقد تمكن العلماء من اختراع المناظير التى تساعد على الرؤية فى حلكة الظلام . وهكذا اصبح فى مقدور الجنود ان يواصلوا القتال ليل نهار . . .

وتصنع مناظير الليل فى امريكا وعلى نطاق محدود هذه الايام . ولكن السنوات القليلة القادمة كفيلة بانتشار هذه الاجهزة وصنعها على نطاق واسع ، لا فى امريكا فحسب ولكن فى سائر الدول الصناعية ايضا .

واجهزة الابصار الليلى هذه صنوف عديدة..الا ان اكثرها نجاحا واقربها الى الرواج وسعة الانتشار صنفان .. صنف يعمل بواسطة الاشعة تحت الحمراء .. وصنف اخر يعمل على اساس التكبير والتضخيم .. وهذه المناظير الاخيرة هى التى تهمنا هنا .

اما التكبير .. فتكبير بصيص الضوء الذى لايخلو منه ليل،مهما بلغت حلكته.. وقديتفاوت هذا البصيص باختلاف الليالى

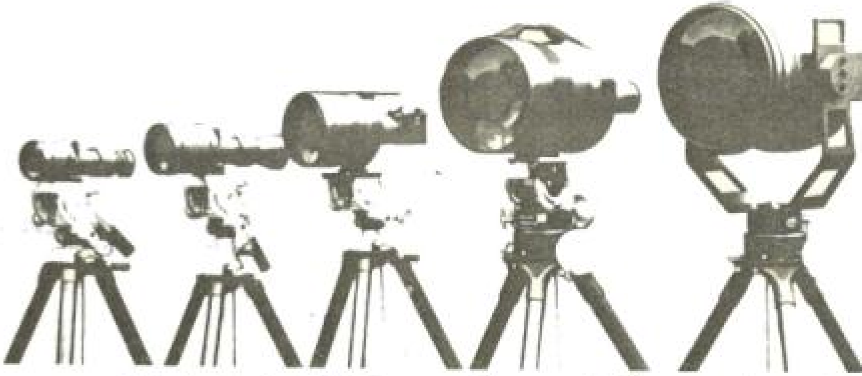


فيكون فى بعضها اقوى مما هو فى بعضها الاخر .. الا انه موجود فيها جميعا ، يصدر عن الاشياء،او ينعكس عنها،ويصل الى عين الانسان المجردة بالرغم من الظلام .. ولو كان ذلك البصيص اقوى مما هو، اوكانت عين الانسان احد بصرا مما فطرت عليه .. لامكن رؤية الاشياء فى الليل ..

ومن شأن اجهزة التكبير .. او مناظير الليل ، ان تكبر بصيص النور هذا ... انها تكبره اكثر من ٥٠٫٠٠٠ مرة .. ! فتمكن عين الانسان المجردة من رؤية الاشياء ليلا وكأنها تراها فى وضح النهار ـ على وجه التقريب .

وقد كانت هذه الاجهزة ثقيلة الوزن حين استكملوا تطويرها فى امريكا قبل





نحو عشر سنوات ٠٠ ولكنها اصبحت الان خفيفة الوزن كما ترى في الصور المرفقة٠
وقد يظن البعض ان شركة سمث ووسون Smith wesson الامريكية هى الشركة الوحيدة التي تصنع هذه الاجهزة والتي تبيعها بحوالي (٧٠٠٠) سبعة آلاف دولار للجهاز الواحد ٠
الا ان ثمة شركات اخرى في امريكا تصنع مثل هذه المناظر وتصنعها بنماذج مختلفة يصلح بعضها للاستعمال في قيادة الدبابات والمصفحات والسيارات العسكرية وغير العسكرية ٠

الليتريل بين التحليل والتحريم

● شهدت الولايات المتحدة في الربيع الماضي معركة حامية الوطيس ٠٠ وقد احتدمت تلك المعركة بين دائرة الغذاء والدواء الحكومية ، التي قررت حظر بيع احد العقاقير ، وبين جموع من الناس الذين سعوا الى الغاء ذلك القرار ، وعملوا من اجل الابقاء على استعمال ذلك العقار ٠ ولم يكن بين هؤلاء اى من شركات الادوية ٠٠٠اى ان حملتهم كانت مجردة عن الاغراض التجارية ٠ ومع ذلك فقد بلغوا من الكثرة ما حمل دائرة الغذاء والدواء على تشكيل محكمة خاصة وعقد الجلسات والاستماع الى اقوال انصار ذلك العقار واقوال خصومه٠ ويقول المعلقون انهذه المعركة كانت فريدة في نوعها ولم تعرف الولايات المتحدة مثيلا لها ، ولا حتى بالنسبة الى السكارين الذى تم حظره مؤخرا والذى يعد انصاره بالملايين ٠٠٠

اما العقار الذى نشبت المعركة بسببه فهو الليتريل Laetrile او اميغالين Amyvalin او فيتامين X17 وهو اقرب الى العقاقير الشعبية ويصنع من اللوز المر وبذور المشمش والخوخ ٠٠٠ وهو عقار قديم وقد مضى على استعماله ، وكذلك عدم حظره زمن طويل ٠ ويؤكد الكثيرون ممن تعاطوا هذا العقار انه علاج فعال للسرطان ، وانه طالما قضى على صنوف مختلفة من الاورام الخبيثة ٠ نذكر من هؤلاء المستر دافيد بول Ball (٧٦ سنة) الذى شهد امام المحكمة ٠٠ محكمة العقار ٠٠ واكد انه كان يعاني من سرطان الثدى في كلا ثدييه ، وانه شفى تماما بفضل الليتريل ٠٠

ومن طريف ما يذكر ان انصار هذا العقار اسسوا فيما بينهم هيئةاطلقوا عليها اسم « لجنة حرية الاختيار في معالجة السرطان ٠٠ » وان ثلاثا من الولايات ، هي فلوريدا ، والاسكا وانديانا ، قررت

السماح باستعمال الليتريل وبيعه وضربت عرض الحائط بقرار الحظر الصادر عن دائرة الغذاء والدواء ٠٠ وهي ، كما لا يخفى ، احدى دوائر الحكومة الاتحادية في واشنطن ٠

وتدافع هذه الدائرة عن نفسها وتقول ان القوانين المعمول بها تلزمها باتخاذ قرار حظر الليتريل ٠ اذ لا يكفي ان يثبت للناس عدم ضرر العقاقير ٠٠ للسماح بتعاطيها ٠٠ كما تنص تلك القوانين ٠٠ ولا بد من اقامة الدليل القاطع على انها فعالة وتشفي من الامراض التي تؤخذ من اجلها ٠٠ والا جاز اعتبارها ضربا من ضروب الشعوذة ٠

شجرة مطاط جديدة غير شجرتها القديمة

● نظر الكونجرس الامريكي (في الربيع الماضي) في مشروع قانون يدعو الى رصد ٦٠ مليون دولار للانفاق في سبيل تطوير زراعة شجيرة مطاط جديدة ٠٠ هي شجيرة او عشبة الجويل Guayule ٠

فهذه عشبة صحراوية عثروا عليها في منطقة الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك ٠٠ ويبلغ طول العشبة نحو قدمين ٠٠ اما محتويات المطاط فيها فتبلغ احيانا ربع وزنها ٠٠ والعشبة ليست جديدة بالمعنى الدقيق ٠٠ فقد عرفها الازتك وصنعوا منها كرة للعبة كان يمارسونها وتشبه لعبة الباسكت بول ٠٠ وصنع منها الهنود الحمر في الولايات المتحدة العلك او اللبان ٠٠ ولم يغفل عنها الامريكيون وقد استغلوها في صنع المطاط على نطاق واسع حتى اصبحت مصدرا لنصف مطاطهم في مطلع هذا القرن ٠٠ ولما نضب معين هذه العشبة تحولت الصناعة الامريكية عنها الى مصادر المطاط التقليدية المعروفة في جنوب شرق اسيا ٠٠

ولكن الامريكيين ما لبثوا ان عادوا الى عشبتهم الصحراوية ، ايام الحرب العالمية الثانية ٠٠ وظلوا يعتمدون عليها حتى استردت منطقة جنوب شرق اسيا حريتها ثانية ٠٠

ويتجه تفكيرهم حاليا الى استغلال العشبة مجددا وذلك باستزراعها على نطاق واسع ٠ ذلك ان العالم سيجابه ازمة مطاط في المستقبل القريب ، كما يقولون ٠ فبينما الطلب على المطاط الطبيعي يزداد بنسبة ٩ر٥٪ نجد ان الزيادة في انتاج ذلك المطاط لا تجاوز ٨ر٣٪ ٠ اما المطاط الصناعي فلا يستطيع ان يملأ الفراغ ٠٠ فهو يفتقر الى مرونة المطاط الطبيعي ولا يقاوم الحرارة مثله ٠٠ لذا كانت اطارات الطائرات تصنع من المطاط الطبيعي ١٠٠٪ وكانت نسبة هذا المطاط في اطارات السيارات لا تقل عن ٤٠٪ ٠ اضف الى ذلك ان المطاط الصناعي يصنع من البترول ٠٠ والبترول في طريقه الى نفاد ٠ ويعتقد العلماء الامريكيون ان مطاط الجويول الذي يشبه مطاط جنوب شرق آسيا ، يستطيع حل ازمة المطاط ٠



مخلوق حسب الطلب

بقلم : الدكتور
محمود زكى البهى
زميل بكلية الجراحين الملكية

- قصة الابحاث المثيرة التى تجرى الآن للتحكم فى عوامل الوراثة .
- ماذا يحدث لو هربت احدى مخلوقات التجارب التى يجرى تركيبها الآن وتكاثرت ؟
- البعض يرى ان التجارب تفتح الباب لتخليص الانسان من كل الامراض الخطيرة .
- مادة الوراثة فى الخلية لا تتجاوز ٦ على بليون من الجرام .
- وكمية عوامل الوراثة التى تناقلتها البشرية منذ بدء الخليقة لا تتجاوز جراما واحد .

الأوساط العلمية فى العالم مشغولة الآن بقضية بالغة الخطورة هى : احتمال تكوين مخلوقات جديدة ، بعد ان نجح علماء البيولوجى فى تركيب كائن جديد بلمج مادة الحياة المعروفة باسم D.N.A من جرثومة تعيش داخل امعاء الانسان مع مادة الحياة فى احد النباتات .. كيف حدث ذلك ؟ وما هى مخاطر التجربة المثيرة ؟ .. وكيف يمكن تسخير الكشف الجديد لخدمة الانسان ، لا لدماره ؟ .. المقال يجيب على هذه الأسئلة .



يصنع العلماء هياكل من البلاستيك تطابق تماما الهيكل الاصلي لمادة ما حتى يمكنهم دراستها وتعليمها للطلاب وللناس • وهذه فتاة صغيرة تتطلع الى هيكل ضخم لجزيء ال D.N.A والهيكل يبين مدى تعقيد التركيب الجزئي خصوصا اذا عرفنا ان وزنه الحقيقي يقل عن جزء من المليون من الجرام •

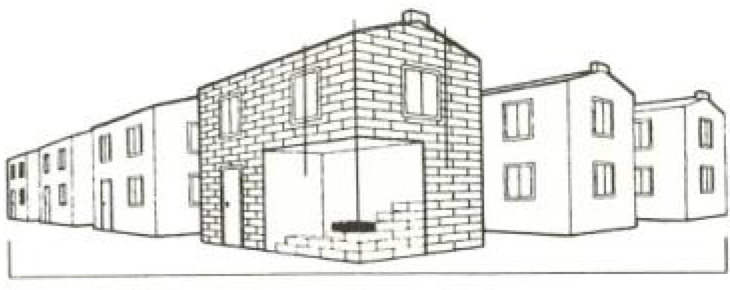
■ يعاني علماء الوراثة الآن من القلق والتوتر اللذين مر بهما علماء الطبيعة قبل تقسيم الذرة. فقد امكنهم تحقيق الحلم الذى شغل عمر العلم ، وهو توجيه الوراثة او تفصيلها حسب الطلب • فعن طريق المختبرات ، استطاع العلماء تركيب العوامل الوراثية في جرثومة تعيش داخل معدة الانسان على عوامل الوراثة لنباتات او حيوانات او جراثيم اخرى • الامر الذى يفتح الباب لتكوين مخلوق جديد غير معروف •

وما كادت هذه الأنباء تنتشر حتى قامت الدنيا ولم تقعد منذ عامين ، فطلبت ادارة الرئيس الامريكي كارتر من الكونجرس الامريكي اخيرا وضع قيود شديدة على هذه التجارب • وقامت لجان علمية وسياسية واجتماعية في كل انحاء العالم الذى يدرك ابعاد القضية لدراستها واتخاذ موقف منها • فمن العلماء من تحمس لهذه الابحاث باعتبارها وسيلة للتخلص من كل امراض الوراثة كالبول السكرى والهيموفيليا وهي مرض وراثي بسبب عدم تجلط الدم بعد الجروح وحتى السرطان • ولكن المعارضين قالوا : ان توقعاتهم لخطورة هذه الابحاث تفوق كل ما ينتظر من فوائدها، ويتساءلون ماذا ستكون النتيجة لو انه بطريق الصدفة او حتى بالتدبير هرب احد هذه المخلوقات الجديدة من قيده في المختبر وتكاثر ونما ؟؟

ان اخطارا جسيمة غير معروفة الابعاد ستترتب على ذلك • ويصادف هذا القول صدى كبيرا عند الجماهير خصوصا وان اهل الكشف لم يعجزوا • بل ولبست نديهم بجرأة على الاطلاق عن ابعاد الاخطار المتوقعة ، حتى ان الحجة اعوزتهم تماما فردوا على العلماء الذين عارضوهم بالالفاظ النابية والسباب، ناسين الآداب التقليدية للعلماء• فهذا جيمس واتسن الذى حاز على جائزة نوبل عن ابحاثه في مادة الوراثة يهاجم جورج والد وهو الحائز على النوبل ايضا ، ويصفه انه « مخرف » و « مشعوذ » وغير كفء ، لان جورج دعا الى ايقاف هذه التجارب الوراثية الخطيرة •

المهم ان الموضوع شغل الجميع ، وان الصحافة امطرت الناس بالعناوين المثيرة وتنبؤاتها عن نهاية الحياة عند ظهور المخلوق الجديد •وحتى السينما لم تنس الامر ، فخرجت بفيلم لكبار الممثلين عن « بذرة الشيطان » ! •

وعلى الغلاف كتبت مجلة « تايم » الامريكية منذ اسابيع تقول : جنون الـ دى • ان آه • D.N.A يبدل في الخلق و D.N.A هي مادة الوراثة ويوجد منها في كل خلية آدمية ستة اجزاء من المليون من جزء من المليون من الجرام الواحد • فاذا كان في العالم الآن حوالى اربعة بلايين من الآدميين ، فان كمية الـ D.N.A التى نقلت لهم صفاتهم الوراثية لا تزيد على ثلاثة اجزاء من مائة جزء من الجرام الواحد ، هكذا يقول عالم الوراثة تيودس دو بزهانكي !



اذا تصورنا الكروموزوم يمثل المدينة فان جزىء مادة الحياة سيمثل قالب طوب واحد في احد ابنية هذه المدينة



الحائزون على جائزة نوبـل عام ١٩٦٢كانوا سبعة فقط فى كل العلوم • خمسة منهم فى علـوم الوراثة يظهرون من اليمين الى اليسار : كندريو ـ واتسن ـ كريك ـ بيروتس ـ ويلكنز •

ما هى حكاية الـ D.N.A او مادة الحياة كما يقولون ؟

تحتاج المسالة الى ايضاح • فالوحدة فى الكائن الحى هى الخلية ، وهى عبارة عن غشـاء يغلف سائلا هلاميا اسمه السيتوبلازم تسبح فيه اجسام صغيرة منها نواة الخلية ، وفيها مركز التفاعلات الحية ، بحيث تموت الخلية لو تحطمت النواة • يحيط بالنواة غلاف خاص يحتوى داخله اجساما على شكل قضبان اختاروا لها اسم «الكروموزومات» وتعنى الاجسام الملونة • لانه عند صبغ الخلية تكتسب هذه الاجسام من الخلية لونا اكثر تركيزا عن باقى اجزاء الخلية كلها • التسمية اذن لا تعنى اكثر من وصف ، ولا تشير الى اية اهمية وظيفية • ولم يكد يمضى قرن على رؤية الخلية وكروموزوماتها حتى كشـف العلم عن اعاجيب الحياة فى هذه القضبان الملونة •

ذبابة كشفت السر !

فى عام ١٩٠٣ عرف ان الكروموزومات تحمل معلومات الوراثة • وكانت هذه المعرفة بفضل حشرة كانت وما زالت غاية فى التواضع هى ذبابة الفاكهة الدورسوفيليا • ولقد قدمت هذه الذبابة خدمات عظمى لعلماء الوراثة لانها سهلة التربية ككل الذباب ، ولان كروموزوماتها الثمانية كبيرة بحيث يسـهل رؤيتها ، ولذلك كانت الرفيق المفضل فى مختبرات علماء الوراثة •

ولمدة ثلاثين عاما لم يتمـكن احـد من عد كروموزومات الانسان واكتفى العلماء باعتبارها كعدد كروموزومات الشمبانزى (٤٨) ـ لاحظ انهم يعتقدون بالاخوة بين الانسان والقرد ـ وفى عام ١٩٥٦ استطاع تيجيو وليفى السويديان ان يبتكرا طريقةاكثر دقة مكنتهما من عد كروموزومات الانسان ليجدوها ٤٦ وليست ٤٨ ، وهكذا احمر وجه انصار اخوة القرد للانسان خجلا ، بل وزاد من خجلهم انهم اكتشفوا ان الكروموزومات تكاد تضع كل حيوان فى قائمة بذاته على الاقـل من ناحية العدد • فالقردة والدجاج وبعض القواقع

عدد كروموزوماتها اكثر من الانسان ، بينما كروموزومات الدوسوفيليا والضفادع والقطط والفئران اقل من الانسان . وسقط في هذا المضمار حساب سلم الترقي عند الداروينيين .

وبزيادة التقدم العلمي امكن دراسة الكروموزومات بطرق افضل . صوروها وفرقوا بينها ورقموها واصبح كل كروموزوم من الستة والاربعين له اسم ورقم ، مثل كرموزوم فيلادلفيا . ثم لاحظوا ان اى خلل في شكل او حجم او مكان اى كروموزوم يمكن أن يسبب عاهة خلقية أو مرضا ما .

كما لاحظوا ان الكروموزومات تتزاوج بمعنى انها تكون ثلاثة وعشرين زوجا بدلا من ستة واربعين فردا . وابرز زوج يتمثل في كروموزومات الجنس ، فيحمل الرجل زوجا منها ، احدهما يرمز اليه بحرف X وهو كروموزوم الانوثة ، وله صفاته المميزة . والاخر يرمز اليه بحرف Y وهو كروموزوم الذكورة وله صفاته المميزة له .

اما المراة فتحمل زوجا من الكروموزوم X وجدير بالذكر ان الكروموزوم X الموجود في الرجل هو نفسه من حيث الصفات الكروموزوم X الموجود في الانثى . وهكذا يحمل الرجل ٢٢ زوجا من الكروموزومات بالاضافة لواحد X وآخر Y ويكون المجموع ٢٣ زوجا . وتحمل المراة ٢٢ زوجا من الكرموزومات بالاضافة للزوج الثالث والعشرين وهو XX .

ان انقسام الخلية التناسلية في الذكر والانثى يحدث بان تنتظم الكروموزومات في تزاوجها في وسط الخلية ثم تنحاز كل ثلاثة وعشرين فردا الى ناحية من الخلية التى تنشطر الى نصفين يحمل كل نصف ثلاثة وعشرين فردا من الكروموزومات . فتنتج خلايا تناسلية من المراة خلايا مؤنثة تحمل الكروموزوم X فقط ، وفي الرجل خلايا مذكرة يحمل نصفها الكروموزوم Y والنصف الاخر يحمل الكروموزوم X . وهكذا يصبح تقرير مستقبل الجنين ذكرا ام انثى مرهونا بما تحمل الخلية المذكرة . فان كانت تحمل X ولقحت بيضة تحمل X كان الناتج بنتا تحمل زوجا من XX وان كانت الخلية المذكرة تحمل Y ولقحت بيضة تحمل X كان الناتج ولدا يحمل كروموزوم X وكروموزوم Y .

والمعروف ان صفات الانسان ليست في الانوثة والذكورة فقط . ولكن ثمة صفات اخرى، فنحن نرى الطويل والقصير والعريض المنكبين والمحدودب الظهر وذا الطلعة البهية والعيون الزرقاء والصوت الملائكي . وليست زرقة العيون على درجة واحدة ، ولا الصوت الجميل . فلماذا ؟ لماذا يحمل هذا من الصفات ما لا يحمله غيره ؟ ولماذا يكون صوت احدهم جميلا ؟ ولماذا لا تكون كل الأصوات جميلة ؟ لماذا يخلق احدهم عدوا للشمس ؟ ولماذا لا نرى منهم عدا اكبر ؟ ولماذا تستطيع المراة ان تنقل مرض الهيموفيليا ولا تصاب هي به ؟ ولماذا تنقله لابنها وليس لابنتها ؟ ولماذا يصاب به الولد ولا تصاب به البنت ؟. ولماذا لا ينقله الولد لذريته ؟

هذه فقط بعض البعض من التساؤلات وليست كلها ، ولكن الاجابة الأولية بسيطة . ان باقي الكروموزومات تحمل باقي الصفات .. وهي اجابة ـ كما قلت ـ اولية .

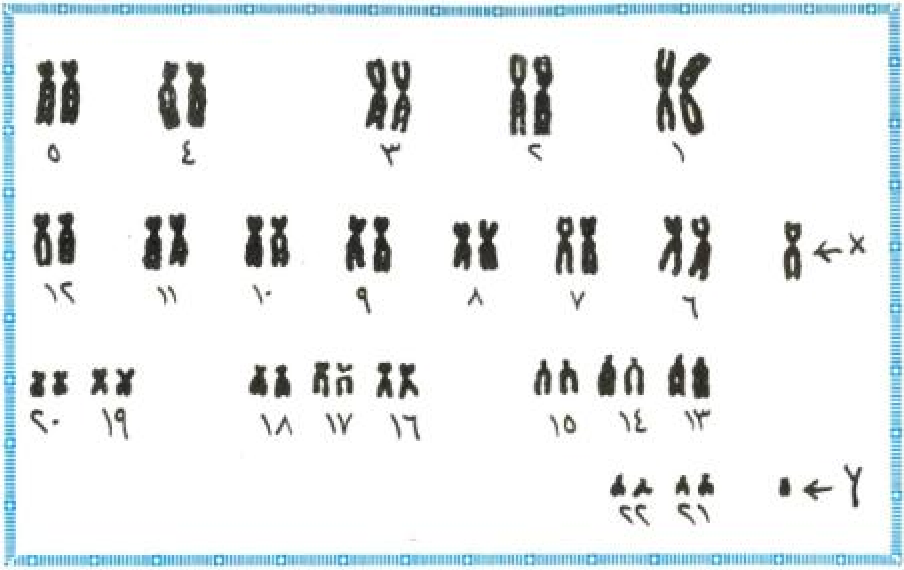
رموز الشفرة العجيبة

ولكن التقنية الحديثة استطاعت ان تفك بعض الرموز فلقد اكتشفوا ان الكروموزومات تتكون عليها خيوط دقيقة من مادة

Deoxyribo Nucleic Acid .

« ديزاوكس ريبو نيوكليك أسيد » اختصروها صفات الوراثة منذ سيدنا ادم وحتى يومنا هذا ، الى D.N.A وان هذه المادة هي التى تحمل كل صفات الوراثة منذ سيدنا ادم وحتى يومنا هذا وانه لحمل عظيم حوى كل صفات البشرية وكل ارث الاجيال .

لقد استطاع فن الجاسوسية الحديثة ان يخزن المعلومات السرية في مساحة تمثل نقطة فوق او تحت حرف ، ومن ثم يكبرونها ويقرأون ما حوت من معلومات ، وذلك فعل خارق في الدقة حقا . ولكن هذا الـ D.N.A قد فاق كل خيال . فالكمية الموجودة منه في خلية الانسان اقل من ستة اجزاء من البليون من الجرام الواحد . وبناء على ذلك يقول عالم الوراثة تيودسيتس ديبوز هانسكى « انه اذا كان سكان العالم الان حوالي اربعة بلايين نسمة فان كمية الـ D.N.A التي حملت كل المعلومات لحياتهم ، لا تزيد عن ثلاثة اجزاء من مائة جزء من الجرام » . فلو حملنا الارقام بعض



ثلاثة وعشرون زوجا من الكروموزومات فى خلية ذكرية .

الاستقراءات واخذنا فى الاعتبار كل النمو السكانى فى العصور المعروفة ولو بالمبالغة فى التعداد فان كمية الـ D.N.A التى حملت المعلومات منذ بدء الخليقة وحتى الان لن تزيد عن جرام واحد !.. اعجاز لا يملك مفاتيحه والقدرة عليه الا خالق الكون سبحانه ..

ان طريقة النقطة التى ابتدعتها الجاسوسية الحديثة تبدو بجانبها اضخم من الهرم بالنسبة لنقطة على حرف فى ورقة تلهو بها الرياح عند قاعدة الهرم الأكبر . ومع ذلك فلقد نقلت عبر التاريخ كله منذ ادم عليه السلام هذا التراث الهائل من الصفات الانسانية بخيرها وشرها ، ونقلت هذ القدر العظيم من الفكر الانسانى بحلوه ومره . ويعلم الله وحده الذى وهبها هذا السر الى متى تظل تحمل من معلومات وتضيف اليها من جديد .

لم تنته رحلة العلم عند هذا القدر من المعرفة عن الـ D.N.A وهو الذى حوى الحياة كلها . بل انها هكذا بدت اكثر غموضا ، وفى الانسان صفة مورثة حملها الـ D.N.A نفسه من قديم الاجيال وهى الرغبة فى توضيح الغموض والسعى دائما لاماطة اللثام عن الاسرار حتى ولو كانت حياته هى الثمن . فان الذى ركب البحر الهائج وصعد الى قمم الجبال الشامخة وحاول الطيران بجناحين من قماش هو ذاته اخو الذى ركب الصاروخ للقمر وكلاهما لا يعرف مصيره ، ولكنه يسعى لكشف السر عن اللغز . هذا الانسان الذى دفعه الفضول فى غابات الحياة الاولى ان يمد يده الى الثمر فياكل منها وفيها السام الذى قتله فتعلم منه اخوه ان يجتثها ليجنب الآخرين شرها، ومن الثمر ما تنمو عليه الاجسام ويطيب عنده المقام فتعلم كيف يستنبته ويربيه

ولكن الرحلة خلف الـ D.N.A كانت قصيرة المدى نسبيا . فقد عرف تركيبها فى اوائل الخمسينات . وفى الستينات استطاع خمسة علماء يعمل كل على حده ـ هم جيمس واتسن البيولوجى الامريكى وكريك وويلكنز الفيزيائيان البريطانيان وبيروتس وكيندوير الكيماويان البريطانيان ـ استطاع الخمسة ان يحصلوا على جائزة نوبل لان عمل كل منهم كان خطوة على طريق فك الشفرة التى يعمل بها الـ D.N.A.

ذلك انه من زمن طويل كانت المعلومات المتوفرة

عند العلماء تحدد مسار تكوين الانسان • ولكن العلماء لم يقفوا على بداية الطريق لمعرفة تفصيلية لهذا التكوين الا فى اوائل الخمسينات • كانوا يدركون ان القاعدة العامة لبناء الكائن الحي هي صنع البروتينات التي سترفع البناء ذاته بعد ذلك باقامة هيكله ثم بتكوين الانزيمات وجلها من البروتينات او مشتقاتها • والانزيمات بدورها ستحكم كل التفاعلات الكيماوية •

البروتينات : من يصنعها ؟

كانت وما زالت هذه هي الفكرة العامة ثم اضيف اليها ان الـ D.N.A هو الذي يؤمر بتصنيع البروتينات ، اما كيف ؟ فذلك هو اللغز الذي شغل العلماء • ولا بد هنا من ذكر بعض الحقائق البسيطة حتى يمكننا شرح الحل المكتشف حديثا عن كيفية عمل الـ D.N.A

ان المواد الاساسية فى بناء الكائن الحي ه الدهنيات والنشويات والبروتينات • ونراها في حياتنا العامة على هيئة مركبات معقدة ، فمن الدهنيات نعرف السمن والزيوت النباتية والحيوانية ، ومن النشويات سكر القصب وسكر اللبن والنشا النباتي والحيواني،اما البروتينات فنراها في اللحوم والبقول مثلا • كل هذه المواد المركبة تحلل بالهضم او في المختبر الى احادياتها• فالدهنيات الى الاحماض الدهنية والنشويات الى السكريات الاحادية • اما البروتينات فالى الاحماض الامينية • وجدير بالذكر ان البروتينات يمكنها التحول الى الدهنيات والسكريات باسرع واسهل واكثر فائدة وبلا اية اضرار مما لو تحولت الاخرى الى بروتينات • والمعروف ايضا ان هيكل الكائن يحتاج كميات من البروتينات اضعاف ما يحتاجه من المادتين الاخريين حتى يتم بناؤه ، من هنا كان البروتين هو اصل ، وكانت أحادياته او الاحماض الامينية هي هدف الابحاث العديدة في هذا المجال •

بين اللحم والعدس

ان عدد الاحماض الامينية كلها ٢٠ ، منها تتكون كل صنوف البروتينات ،ولكن الخلافات عديدة ومتمايزة عند الرجل العادي وفي المختبر • فليس طعم اللحم كطعم العدس وليس اثرهما • حدا وكلاهما من المواد البروتينية • وحتى اللحم الحيواني يختلف عن لحم الاسماك ، ولكل نوع مميزاته في التركيب الكيميائي • فكيف كان ذلك وكل البروتينات هي تجمع لعدد من الاحماض الامينية العشرين ؟ ان الخلاف يحدث بطرق متعددة ربما كان في العدد المنتقى من العشرين ربما كان في تغير النسبة التي يتواجد بها احد الاحماض او بعضها • كان يتواجد جزءان من حمض واحد مقابل عشرة اجزاء من حمض اخر لتندمج مع خمسة اجزاء من حمض ثالث وهكذا ، لتكون بروتينا معينا • ان تغير هذه النسبة سيوجد بروتينا اخر حتى لو اشتركت نفس الاحماض الامينية الثلاثة في تكوينه • وسبب اخر للخلاف بين تكوين اصناف البروتينات ينشا عن الترتيب المكاني لحامض اميني معين في سلسلة الاحماض الامينية الاخرى المكونة لبروتين ما • ذلك ان تغير مكان حامض اميني من هذه السلسلة يترتب عليه بالضرورة اختلاف في نوع البروتين •

اذن ، فالـ D.N.A عليه ان يصنع كل بروتينات الدنيا من بين هذه الاحماض الامينية العشرين فقط لا غير ، وهو يستخدم كل المتغيرات من عدد الاحماض الامينية المتواجدة ونسبة هذا التواجد وترتيبه • فما هي الطريقة التى يستخدمها ليحدث تشكيلا معينا يكون الوسيلة لصناعة بروتين بذاته ؟

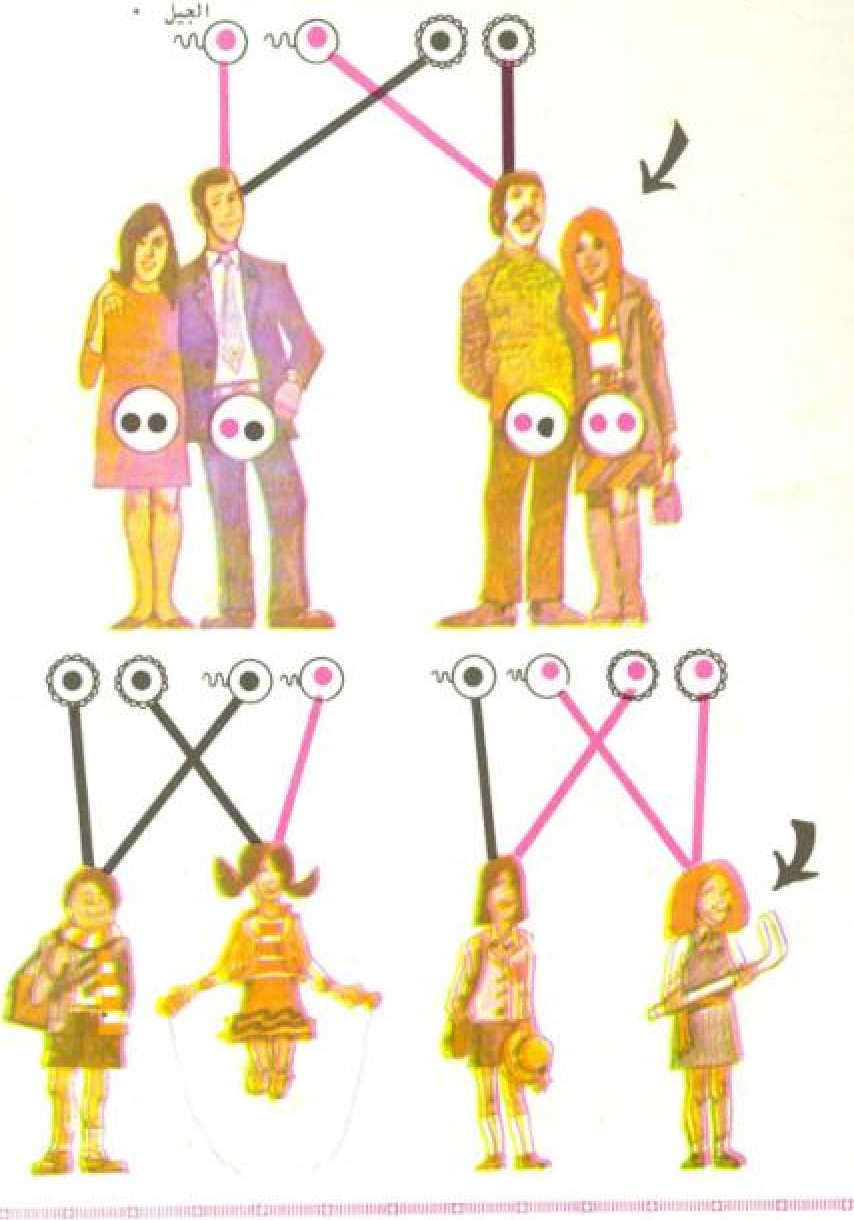
اننا لم نقرر بعد ما هو التركيب الكيميائي للـ D.N.A • ان الحروف الثلاثة اختصار لاسم طويل ، يتكون كيميائيا من اتحاد اربعة قواعد كيميائية هي الادينين Adenine والجوانين Guqnine والسيتوسين Cytosine والثيامين Thyamine • هذا الـ D.N.A المركب من اربع قواعد عليه اولا : ان ينتج عشرين حمضا امينيا• وعليه ثانيا : ان يشكل منها هذا العدد الهائل من البروتينات •

بعد ذلك بدأ البحث عن السر الذى يبدأ به خط الانتاج عمله •• كيف يصدر الامر ولماذا يتوقف ؟ كان البحث نظريا في بداية الامر ، كمن يحاول فك لغز او يكسر الطوق عن سر الشفرة ، تماما كما يفعل رجال المخابرات وهم يقارنون بين

اسلوب انتقال الصفات الوراثية يمكن العلماء من التحكم فى تغيير هذه الصفات لو اتيح لهم دمج مادة الحياة لمخلوقات مختلفة • ومجموعة الرسوم تسجل تطور انتقال احدى الصفات الوراثية بين ثلاثة أجيال • فشعر الجد



الاحمر ــ مثلا ــ انتقل الى ابنته فى الطور الثانى ثم حفيدته فى الطور الثالث • وهدف تجارب علماء هندسة الوراثة هو التحكم فى نقل هذه الصفات ، بحيث يمكن ان ينتقل الشعر الاحمر ايضا الى حفيدة اخرى بنفس الجيل •



تصرفات جنود العدو ولغة الاوامر التي يصدرها القادة لهؤلاء الجنود ٠

انها شفرة حتما وحل رموزها سيحل اللغز كله. وكان لا بد من استخدام الخيال والفروض الذهنية للتعرف على طرق عمل هذه الشفرة ثم وضع هذه التصورات موضع التطبيق العملي ٠

اول ما تصوروا هو ترتيب وضع القواعد الكيميائية الاربع في جزيء الـ D.N.A فلو رمزنا للقواعد بالاحرف أ / ج / س / ث ٠ فان هذا الترتيب الواحد يمثل اشارة واحدة ، ونحن في حاجة على الاقل لعشرين اشارة لتسهم كل واحدة في انتاج حامض اميني معين ٠ واضح ان هذا الترتيب لا يفتح المغاليق ، فلماذا لا نجرب ان تتواجد هذه القواعد الاربع على شكل اربعة ازواج ، زوج من كل قاعدة ٠ وتتكون فرص الترتيب المتاحة اا ـ اث ـ اح ـ اس ـ ثا ـ ثث ـ ثح ـ ثس ـ حا ـ حث ـ جج ـ جس ـ سا ـ سث ـ سح ـ سس ٠ وهذا الترتيب سوف يمكنه اصدار ست عشرة اشارة، وسيبقى الامر في حالة عجز عن تكوين العشرين اشارة المطلوبة لتكوين الاحماض الامينية العشرين ناهيك عن الاشارات الاخرى الضرورية لتكوين البروتينات من هذه الاحماض الامينية ٠ فلماذا لا نتصور وجود القواعد الاربع على هيئة ثلاثيات ، بمعنى ثلاثة افراد من كل قاعدة ٠ وبهذا التصور ستكون فرص الترتيب اكثر عددا ٠ ااا ـ ااج ـ احا ـ جاا ـ ااس ٠٠٠ وهكذا حتى نصل الى ستة واربعين فرصا لهذه الترتيبات ٠ وهكذا تصبح الاشارات المطلوبة متوفرة ٠

انتاج اول بروتين

وفي عام ١٩٦١ اثبتت المختبرات ان التواجد الثلاثي لهذه القواعد على جزيء الـ D.N.A هو الترتيب المناسب واستطاعوا في المختبر باعادة ترتيب القواعد على الاساس الثلاثي انتاج اول حمض اميني ، ثم امكن انتاج اول بروتين بناء على استخدام هذه الشفرة ٠

وكاي شفرة اذا عرف احد رموزها بات من اليسير الوصول الى معرفة كل الاحماض الامينية والبروتينات ، واصبح الـ D.N.A مسخرا في ايدي العلماء، يامرونه فينصاع ٠

وعند هذا الحد دائما تبدأ الافكار الاجتماعية والاخلاقية والفلسفية في الظهور ٠ فايام اول تقسيم للذرة ارتفعت اصوات لمنع هذا « الفعل الشيطاني » ٠ وقالوا انه مارد جبار سيحطم العالم ويدمر كل الحضارات ٠ وقد صدق قولهم من حيث المبدأ على الاقل ، فان ماساة هيروشيما ونجازاكي لم تتمثل فقط في ازالة الجزيرتين بما حوتا نتيجة للخراب الذري ، لكن التشوهات الخلقية التي اصابت البشر بعد التفجير شاهد على مدى الجرم الذي ارتكب ٠ وقد صار المخزون الآن من القوة الذرية المدمرة كافيا لتحطيم العالم اربع مرات ٠ وهذا الجبار يمكن ان يفلت من عقاله في اية لحظة ليدمر العالم بحضارته وبشره ٠

ومع ذلك فبعد حوالي عشرين عاما استطاع الحكماء من بني الانسان ان يحيطوا هذا الجبار يوما بعد يوم بعقال بعد عقال املا في تجنب شره الى الابد ٠ وهذه الحكمة استطاعت ان تحول طاقة هذا العاتي الذري الى اغراض انسانية ذات شأن بعيد ٠

وهكذا في عام ١٩٦٥ عندما عرفوا سر شفرة تكوين البروتينات قامت الثورة المناهضة لهذا النوع من المعرفة، وكانت كلها تخشى على معتقدات الناس من الضياع ، وما يستتبع ذلك من قضايا اخلاقية (تهز) كل القيم بل وتنزعها من جذورها ٠ لقد تصوروا ان الانسان في طريقه لتركيب مخلوق حي من صنع يديه ٠ ويومئذ قال السير برنت العالم الاسترالي الشهير « لقد كنت ماخوذا بعلوم بيولوجيا الوراثة في الماضي ، ولكن ما حدث يجعلني كادمي وكطبيب أرهبه واخشاه ٠ فالى اين يقود هذا العلم الانسانية ؟ وماذا يمكنه ان يفعل بها ؟ ٠٠ »

اما وقد استطاع علماء الوراثة توجيه القدرة على انتاج البروتينات ، فهل اصبحوا قادرين على تغيير الخلق اذا اضافوا ذرة هنا او ازالوا ذرة هناك ؟ هل اصبحوا قادرين حقا على تغيير قوانين الوراثة حسب مشيئتهم ؟ هل سيمكن الانسانية التخلص من التشوهات الخلقية ، وان يتواجد الجنس البشري الخالي من العيوب ؟ وبمعنى آخر هل سيتمكنون من تفصيل او هندسة الوراثة حسب الحاجة ؟

ان فكرة تغيير القوى المتحكمة في الوراثة او على

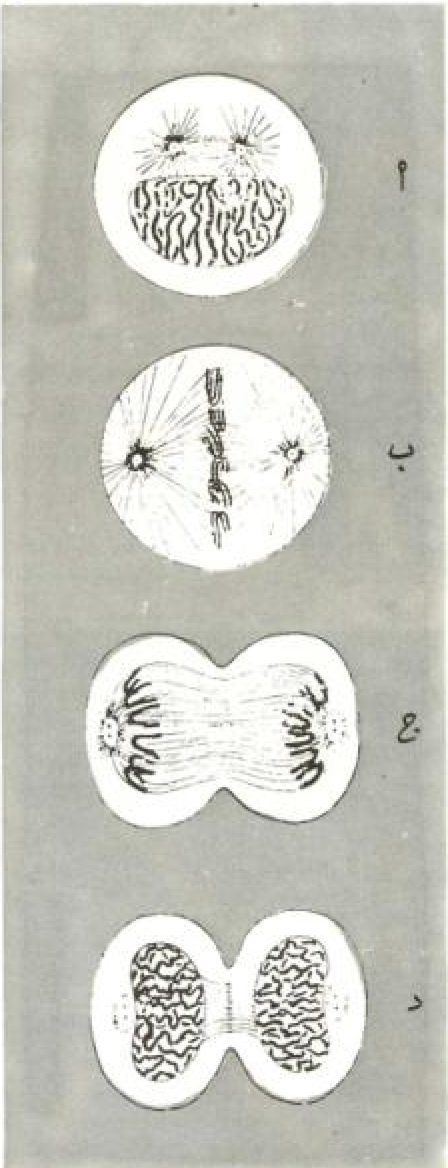
الاقل التأثير عليها معروفة للعلماء من زمن قديم يسبق بكثير معرفتهم برموز شفرة الـ D.N.A الشهيرة • فالاشعاعات الكونية والذرية والسينية والعقاقير امثلة على الطاقات الفيزيائية والكيميائية التي امكنها التأثير على حاملات الوراثة • صحيح ان كل الآثار التي عرفناها كانت كلها سيئة كالتشوهات الخلقية والامراض السرطانية •ولكن ذلك ما وصل اليه علمنا بينما المنطق يقول ان كل عامل قادر على التغيير للأسوأ هو قادر على التغيير ايضا للاحسن •

ونحن قد اغفلنا هذا التقدم الانساني العلمي والاخلاقي والاجتماعي الكبير لانه يتراكم على مر التاريخ ، ولانه للتدرج في حدوثه قد اعتدنا الحياة معه ، فلم يعد يذهلنا التليفزيون مثلا ، وهو ينقل على الهواء مباشرة وقائع حدث في آخر المعمورة، بل ومن القمر لاننا عشنا مع الراديو وهو يتنقل بنا بين بلاد العالم بلمسة الاصبع • هذا التقدم الخطير في الفكر الادمي لا ينتج أبدا الا عن كروموزومات قد اصابها من قبل تغيير على نفس المستوى من الخطورة •

تكوين مخلوق جديد ؟

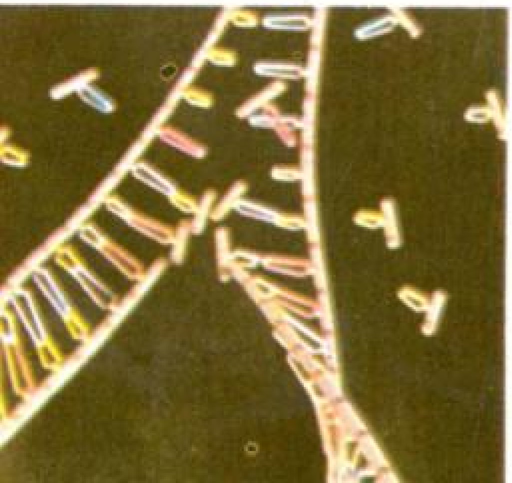
ولكن اصحاب فكرة هندسة الوراثة ارادوا الطفرة وبذلوا (جهودا) مضنية لم تسفر عن شيء ، بعدما استطاعوا توجيه الامر بصناعة بروتين بذاته ،ولم يغير ذلك شيئا في الخلق فهدات عاصفة المعارضة ، لكن العلماء لم يهدأوا في مختبراتهم واصبح واضحا ان لهذا الـ D.N.A اسرارا اخرى غير التي عرفوها •• فلماذا لا يستفيدون منه ؟ ان D.N.A من الرجل يندمج مع مثله من المراة ليكون الجنين الادمي ، وان D.N.A من نبات زهرة القرنفل المذكر تندمج مع مثيله من نبات زهرة القرنفل المؤنثة ليكون جنين زهرة القرنفل • بل ان الفراشة وهي تنتقل بين الازهار تحمل معها من طلع الياسمين كما تحمل من الفل والقرنفل • ويقيني ان الفراشة تقف عند كل اناث الزهور بدون تمييز • فهي تحمل خليطا من الطلع فيه من ذكر الياسمين والفل والقرنفل ، وتلقى فوق كل زهرة بكل او جزء من هذا الخليط فلا يندمج مع الـ D.N.A في زهرة الفل المؤنثة الا D.N.A من زهرة الفل المذكرة •• وهكذا •

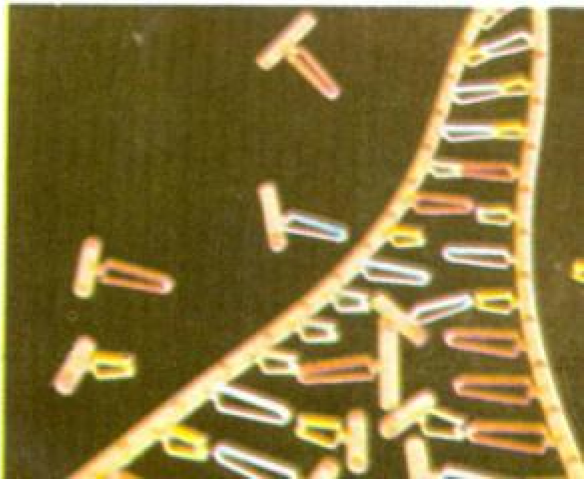
مراحل انقسام الخلية : أ ـ تزاوج الكروموزومات ب ـ تصطف في وسط الخلية وضع تزاوجي جـ ـ انحياز كل ٢٣ كروموزوم الى جانب من الخلية د ـ انشطار الخلية الواحدة الى خليتين جنسيتين كل واحدة قادرة على الاندماج في خلية شبيهة من الجنس الآخر •





مراحل جزيء مادة الحياة ال D.N.A. أثناء عمليات التكاثر · الصورة رقم واحد تمثل جزءا كاملا من هيكل مادة الحياة · وفي الصورتين ٢ و ٣ متابعة لعمليات الانشطار ·





على اى حال ، فان الـD.N.A من فـرد قابل للدمج ، مع مثيله عند آخر على الاقل من ناحية المبدأ • وهذا ما يتم فى عملية التلقيح • فهل يمكن تلقيح شجرة التفاح بخلايا ذكرية آدمية او العكس ؟ وماذا ستكون النتيجة ؟

لم يستطع العلماءالوصول الى التقنيةالمناسبة لتحقيق هذا الدمج ليختبروا فعاليته ، فلجاوا الى مهاجمة الـ D.N.A ذاته •• ولاعتبارات عمليـة اختاروا الجرثومة الباسليةالمعوية يزيلوا جزءا من هذه الجرثومة وان يستبدلوه بـ D.N.A من بعض النباتات ثم قاموا بتربية المخلوق الجديد الذى يحمل تركيبة وراثية جديدة •

وعندما توالدت انتجت نسخا طبق الاصل من المخلوق المركب تاثمر ليس بعوامل الوراثة المنقولة من الجرثومة الباسلية فحسب ، ولكن ايضا من تلك العوامل المنقولة من النباتات •

وهكذا حصل علماء الوراثة على D.N.A جديد فى مخلوق جديد ، ولانهم يملكون من قبل شفرة توجيهه لصنع ما يشاءون من البروتينات ، فهـل يكونون قد وقفوا مرة اخرى على بداية الطريق لتحقيق حلم عمرهم فى تغيير الوراثـــة والتحكم فى الخلق ؟

ان التجربة على الجرثومة الباسلية المعوية لا تشفى غليل العلماء•وكانوا قد اختاروها لسهولة عملية ، ولكنها كباقى الجراثيم تتكاثر بالانشطار، وان اى توجيه لـ D.N.A سينتج نسخا طبق الاصل من المخلوق الجديد •هذا فضلا عن خطورة الموقف، لان هذا القادم الجديد غير معروف الهوية فقد يفتك بالانسانية وقد يكون ذا فوائد غير متطورة، لكن الاهم بالنسبة لعلماء الوراثة ان انتاجه لا يمكنهم من التحكم فى الصفات الوراثية •

ان التكاثر بالانشطار الجنسى هو الذى يحتاج لذكر وانثى ، وهو الذى ينتــج عنه ذكـر او انثى ، وصـــفات عديدة غير صـفة الجنس • وهـذا التعدد فى الصفات يعطى العلماء ارضـا اوسع للتجربة فربما تصور احدهم الانسان وقد نبتت من رأسه شجرة تفاح تغذيه وتقيم اوده وربما قدر احدهم ان يكون جزءا منه بعض نمر او اسد او تمساح •• الله اعلم •

وطالب هؤلاء العلماء بالاستمرار فى تجاربهم، ولكن الرعب كان قد استبد بالجماهير فى البـلاد التى تعى ابعاد المشكلة • وكان يمكن ان تصدر الاوامر العفوية بمنع هذه التجارب كلية لولا ان لها جوانبها الايجابية ، فانه يمكن انتاج جراثيم ذات قدرة اكبر على تكوين المواد النيتروجينيـة اللازمة لتسميد التربة وجراثيم ذات قدرة على تحصين الانسان ضد كثير من الامراض • بل انه يصبح من الممكن من الناحية النظرية على الاقل عزل حاملات الوراثة التى تحمل امراضا تورث كالبول السكرى والهيموفيليا •

ولكن هل كل المكاسب المتوقعة يمكن ان تساوى مجرد تصور مسخ الخلقة الآدمية او التحكم فى اشكال الحياة ونواميسها ؟ ان هذا التصور الاخير يثير ذعر الجميع خصوصا وان علماء البيولوجى سيصبحون الاوصياء علـى هـذه القوه المروعـة ويصبحون كذلك ــ ولو رغم انوفهم ــ اوصياء على الانسانية •

ان المضاعفات المترتبة على ذلك فوق كل تصور• ان واحدا فقط من هؤلاء البيولوجيين تخونه الحكمة او التقدير او يفرط فى هذه الوصاية سيصيب كل العالم بالدمار •

ولهذه الاعتبارات شـكلت اللجان الرسمية والشعبية لتضع الحدود والضوابط لهذه الابحاث غير ان صمام الامان يكمن دائما فى حكمة الخلق كلها ، والايمان بها وبقدرتها • فليس هناك ما يدعو للتوتر والفزع • فالمؤكد ان كل ما توصلت اليه المعامل ليس الا كشفا عن حقائق قد اوجدها الخالق وهى تمارس عملها من يوم اراد لها ذلك • ولكن الضياء المفاجىء دائمـا يصيب الاعصاب بالتوتر ثم لا تلبث ان تعتاد العيون النظر اليه • وتلك ايضا حكمةمن حكم الخالق سبحانه وتعالى •

■■

الكويت ــ د• محمود زكى البهى

طرائف اجنبية



عمر المرأة

احد اسرارها الخمسة !

● هل من حق المرأة ان تخفى سنها ؟ تقول الكاتبة الفرنسية جورج صاند (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) فى كتابها « تاريخ حياتى » ان عمر المرأة ، سر من اسرارها الخمسة .. ولا تسالونى عن الاسرار الاربعة الاخرى ؟ واكبر دليل على حق المرأة فى اخفاء سنها ، هو هذا التحول الذى يطرأ عليها .. انها عندما تتقدم بها السن ،نجد ان عينيها قد بدأتاتضعفان .. ومع هذا الضعف لا ترى المرأة اى تغيير فى وجهها عندما تتطلع اليه فى مرآتها الصغيرة ، فهى صادقة اذن عندما تقف عند سن معين لا تتجاوزه ! اننى لن انسى تلك الرسالة التى تلقيتها وانا احتفل بواحد من اعياد ميلادى .. كانت الرسالة من احد المعجبين من قرائى ، استهلها بقوله : « الى اجمل امرأة فى الدنيا .. هل لك ان ترسلى لى صورتك ! » .

وارسلتها اليه، وكنت يومها قد جاوزت العام الستين من عمرى ، ولم اخدعه ، فقد كانت الصورة حديثة !

« وتوقعت ان يصاب بخيبة امل .. واذا به يعود يكتب لى رسالته الثانية : « مازلت اجمل امرأة فى الدنيا ! » .. ثم اكتشفت بعد هذا ان صديقى المعجب قد جاوز السبعين ..وبدأ نظره هو ايضا يضعف ويضعف !!



ولد وبئر وشجرة

● لم يمض حياته سدى هذا الذى ربى ولدا ، او زرع شجرة او حفر بئرا .. ولكن كم منا استطاع ان يجمع بين هذه الاعمال الثلاثة .. اننا نشرب كل يوم من آبار لم نحفرها ،ونستظل باشجار لم نزرعها ، وربما كنا بعد هذا آباء لا نشعر بابنائنا ، او ابناء لا ندرك اننا آباء للغد !

« سوفكليس »

يومان يجب ان ننسى كل شيء عنهما !

● قال روبرت لويس ستيفنسون :

« ان هناك يومين فى كل اسبوع يجب ان ننسى تماما كل شيء عنهما ·· احد هذين اليومين هو الامس بكل ما حمله من احداث واخطاء وآلام ومتاعب فالامس قد ذهب ولن يعود ابدا ، وحتى لو حاولنا، فسوف نجد ان كل اموال الدنيا لن تعيده ·· اننا لن نستطيع ان نلغى عملا قمنا به ، ان نمحو كلمة واحدة قلناها ، ان نصحح خطأ اقدمنا عليه ·· لقد ذهب الامس ·· فلندعه حيث هو ··

اما اليوم الآخر فهو الغد بكل ما سيحمله لنا من احتمالات ومفاجآت واعباء ·· انه ايضا يوم لا نعرف ماذا سيحدث لنا فيه ، وماذا سنفعل نحن به ·· كل ما نعرفه عنه ان الشمس سوف تشرق معه فى الصباح ، وربما تكون السماء صافية ، وربما تحاول السحب ان تحجب عنا اشعتها الدافئة ، ولكنها سوف تشرق على اية حال بعد ليل طويل !



هذان هما اليومان ··

بقى بعد هذا اليوم الذى نحن فيه ·· والساعة التى نعيشها واللحظة التى تمر بنا ·· ولا بد ان ننعم بكل ساعة ·· بكل لحظة من لحظات حياتنا فى يومنا ·· لا فى امسنا الذى ذهب ولا فى غدنا الذى لم يأت بعد !

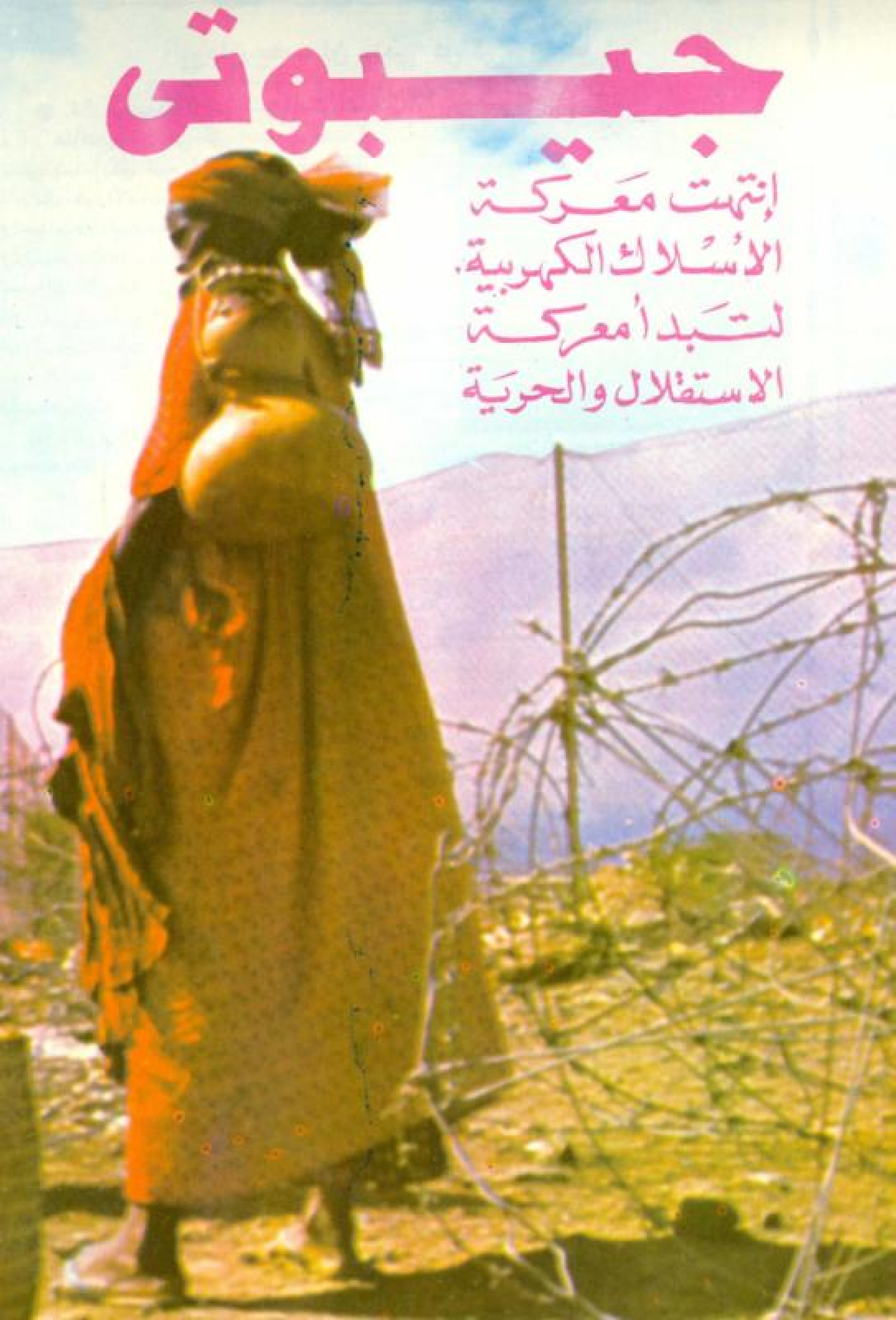
كيف بدأوا طريقهم الى القمة ؟

● كثيرون هم الذين مضوا فى طريق الحياة دون ان يشعر بهم احد ، وكثيرون ايضا جمعوا ثروات طائلة ، وحققوا كل آمالهم وامانيهم بفضل ما توفر لهم من مال ·· ولكن قلة هم هؤلاء الذين تركوا بصماتهم على الطريق الذى ساروا فيه فدخلوا التاريخ من اوسع ابوابه ··

هؤلاء الذين قدموا شيئا لبلادهم والبشرية، وشاركوا بفكرهم وجهدهم فى بناء العالم الجديد ، الذين كانوا وسيكونون دائما موضع اهتمام هذا الجيل وكل جيل · كيف وجد هؤلاء الطريق الى القمة ؟

فى احصاء شمل ٩٠٠ رجل من هؤلاء الذين عملوا من اجل مستقبل افضل وحياة اكثر رفاهية ، اتضح ان ثلاثمائة بدأوا حياتهم فى الأرض فقد كانوا ابناء لمزارعين ·· ومائتين باعوا الصحف فى الطرقات ومائتين كانوا أول عهدهم بالعمل مراسلين يحملون الاوراق فى المكاتب من مكان الى آخر ومائة بدأوا عمالا صغارا فى المصانع وخمسين فى شق الطرق والشوارع !

خمسون فقط من بين هذا العدد الكبير هم الذين كانوا ينتمون الى أسر توفر لها المال فدرسوا وسهروا وكافحوا بين الكتب · ووجدوا الأيدى التى تقودهم الى بداية الطريق نحو النجاح ·


جيبوتي
إنتهت معركة
الأسلاك الكهربية،
لتبدأ معركة
الاستقلال والحرية

استطلاع :
سليم زبال
تصوير :
اوسكار مترى







جيبوتي تستقل بعد حكم فرنسي استمر ١١٥ عاما ، ورثت عنه عشرات المشاكل : سور مكهرب يحيط بالعاصمة ، وميناء كبير يحتاج الى اعادة تخطيط ، وخط حديدي عمره ٦٠ عاما يربطها بالحبشة ! ..وفي شهر مايو الماضي جرى استفتاء بين سكان المنطقة ، صوت فيه ٩٨٪ من السكان الى جانب استقلال البلاد .. ان جيبوتي سوف تكون العضو رقم ٢٢ في جامعة الدول العربية ، والعضو رقم ٤٩ في منظمة الوحدة الافريقية ،والعضو ١٤٨ في هيئة الامم المتحدة ..

سفينة اسرائيلية تعبر باب المندب فى خطـوط ملاحية منتظمة شهريا ، لا يقف منها فى ميناء جيبوتى سوى ٥ سفن فقط تفرغ بضاعتها المتجهة الى الحبشة ..

وقد صرح رئيس مجلس الوزراء فى جيبوتـى احمد دينى احمد : « ان سياستنا تجاه اسرائيل ستكون نفس سياسة الجامعة العربية .. واعتقد ان اسرائيل لا يمكنها الاستمرار فى استعمال الميناء .. »

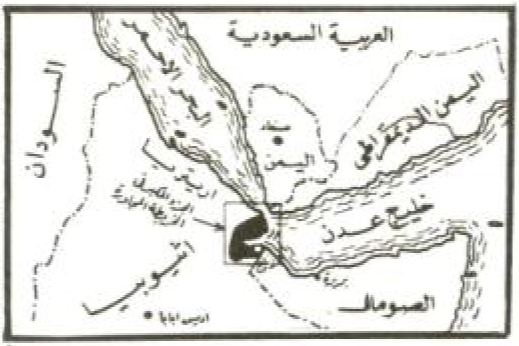
من هم العفر والعيسى ؟

واتجهت بعض الصحف الغربية الى ايهام قرائها القبيلتين الرئيسيتين فى البلد : عفار وعيسى !.

انها واحدة من النغمات العديدة التى تذرع بها الفرنسيون لتمديد فترة حكمهم لهذه البلاد المعروفة دائما باسم الصومال الفرنسى .. حتى جاء ديجول واطلق عليها اسم : « الاقليم الفرنسى للعفر والعيسى » ..

وراح الفرنسيون يتلاعبون بافراد القبيلتين : اعطوا المناصب القيادية لابناء عفر وقربوهم اليهم .. وعندما وقع الانقلاب اليسارى فى اليوبيا .. ازاحوا ابناء عفر وقربوا ابناء قبيلة عيسى !

وهكذا كانت سياسة « فرق تسد » هى المتبعة لدى الحكام الفرنسيين فى جيبوتى ، الذين كانوا



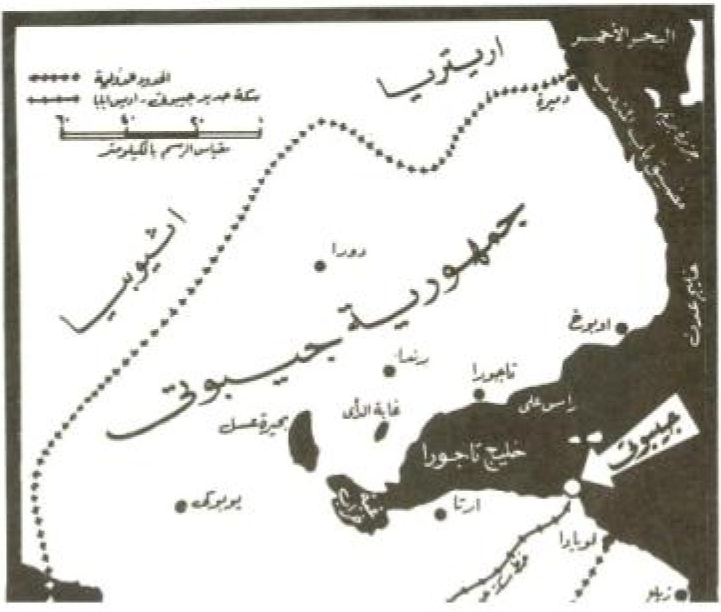
● استقرت فرنســا فى المنطقة تدريجيا ابتداء من عام ١٨٤٢ اى منذ ١٣٥ سنة

● قبل اعلان الاستقلال فى ٢٧ يونيو ١٩٧٧ كانت جيبـوتى تتمتع بالحكم الذاتى تحت الادارة الفرنسية .. وكان لها مجلس للوزراء مكون من رئيس و ٨ وزراء .. ومجلس للنواب ينتخب كل ٥ سنوات ، يضم ٣١ نائبا .

● فى جيبوتى محطـة للاذاعة ، واخرى للتلفاز ، تذيع بالفرنسـية والعفرية والعيسوية والعربية .

● لا توجد صناعة فى البلاد ، ما عدا بعض الصناعات الاسـتهلاكية البسيطة ، كالمياه الغازية ، والثلج.

● المواصلات : ميناء جيبـوتى الكبير يستقبل السـفن التجارية والحربية الضخمة ... وخط للسكة الحديد يربط جيبوتى باديس ابابا لنقل البضائع والركاب .. ومطـار حـديث يستقبل طـائرات البوينج النفـاثة الكبيرة .. وطريق رئيسى يربط جيبوتى بالحبشة ..



● الطاقة الحرارية في أرض جيبوتي أهم من النفط !

● القبيلتان الرئيسيتان العفر والعيسى ٠٠ من هما ؟

■ خدعونا فقالوا : ارضها شحيحة بخيلة لاتكنز ثروة ، ولا تنبت زرعا !

وهذا ظلم لارض جيبوتي حيث الخيرات والخامات مدفونة مجهولة ، لم تمتد اليها الايدي لتكشف عنها وتستثمرها ٠ لقد ظلت جيبوتي حقلا للتجارب والدراسات تتراكم في الملفات منذ ١١٥ سنة ٠٠ دون ان ينفذ منها الا الضروري جدا ٠

سر التمسك بجيبوتي

كانت فرنسا تستعمر نصف القارة الافريقية تقريبا ٠٠ ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت كل مستعمراتها تتحرر ، ما عدا مستعمرة افريقية واحدة تمسكت بها فرنسا باصرار وعناد زائدين ٠٠ ولولا الضغوط الهائلة من الدول العربية والافريقية لما تنازلت عن جيبوتي ابدا ٠٠٠

فلماذا كان هذا التشبث ؟ وما هو سر تمسك فرنسا بجيبوتي دون سائر مستعمراتها الافريقية الغنية الواسعة ! ؟

ان الاوروبيين ينظرون الى البحر الاحمر وكانه امتداد طبيعي لقناة السويس ، وهم يقولون :

« اذا كانت بور سعيد هي نقطة البداية للقناة ، فان باب المندب هو نقطة النهاية ٠٠ »

والعرب يتحكمون حاليا في الطرف الشرقي من باب المندب ، فاذا استقلت جيبوتي ، وهي تتحكم في الطرف الغربي ، فان المضيق كله (عرضه ١٧ ميلا) سوف يكون تحت اشراف العرب ٠٠

والى جانب هذا الموقع الاستراتيجي الخطير ، تشكل جيبوتي جزءا من لعبة القواعد المتحكمة في شرق المحيط الهندي ٠٠

٥ سفن اسرائيلية شهريا

ان اعلان استقلال جمهورية جيبوتي في ساعة الصفر من ليلة الاحد ٢٧ يونيو ١٩٧٧ كانت له ردود فعل مختلفة في صحف الغرب ، واكثر هذه الصحف عبرت عن اسفها لضياع هذا الموقع الحيوي من ايدي الغرب ٠٠ وتحول الاسف الى اسى عندما اعلن طلب انضمام جمهورية جيبوتي لجامعة الدول العربية ٠٠ ثم تباكوا في سذاجة على الخسارة المادية التي سوف تلحق بايرادات ميناء جيبوتي عندما تمتنع السفن الاسرائيلية عن الرسو فيه !!

ان حركة السفن الاسرائيلية التي تستعمل ميناء جيبوتي تمثل ٥٪ فقط من حركة الميناء ٠٠ وفي السنة الماضية كان دخل الميناء من هذه السفن

جيبوتي ٠٠ في سطور

● المساحة: ٢٣٠٠ كيلو متر مربع

● عدد السكان : ٢٢٠٠٠٠ نسمة (تقديري) اغلبهم من البدو الرحل ٠٠ الدخل السنوي للفرد اقل من ٥٠ دولارا

● العاصمة : جيبوتي ٠ والمدن الرئيسية الاخرى : تاجوراء ــ اوبوك ــ على سبيح ــ دخيل ــ عسيلة

● العملة المتداولة : الفرنك الجيبوتي (كل ١٧٥ فرنكا = دولارا تقريبا)

● ٤٪ من اراضيها صالحة للزراعة فقط حسب قول الخبراء الفرنسيين ، بينما يصر الاهالي على ان ثلثي الاراضي صالحة للزراعة اذا حفرت آبار المياه اللازمة !

● ثروتها الحيوانية : ١٠ الاف بقرة ــ ١٧ الف جمل ــ ١٠٠ الف رأس غنم ــ ٤٠٠ الف من الماعز



يجب الا نقتل الامل فيهم .. انهم يعشقون العربية ويريدون تعلمها فقد اصبحت لغة الدولة الرسمية .. ومدرسة النجاح الاسلامية هي الوحيدة التي تعلم لغتنا : مجانا للفتيان و ٥٠٠ فرنك للفتيات !!

لا تكاد الطبول تدق في جيبوتي حتى يسارع الناس الى الرقص ، رجالا ونساء ، كل منهم على حدة ..





انهم يأكلون ما لا يزرعون ٠٠فكل شيء مستوردمن الخارج ٠٠ وتحت ظلال مسجد جيبوتي يجلس بائع البرتقال المستورد من الحبشة، بينما الاراضيحول راندة صالحة جدا لزراعة البرتقال ٠٠ ولكن اين الفلاح وكلهم بدو رعاة ؟!

وهذه رقصة الملابو العفرية ، الخناجـرالمتوفة باليد ، ووجه النساء مغطى بقنـاع من الفضة المشغولة !



يتذرعون دائما بحجة المحافظة على « التوازن القبلي في المنطقة » ..

فمن هما : عفار وعيسى ؟

انهم اخوة وابناء عم يتصاهرون ويتزاوجون فيما بينهم .. كل الروابط تشدهما الى بعضهما البعض .. وحدة في الشكل الخارجي .. وحدة في الدين : الاسلام .. وحدة في الاندفاع ناحية العروبة .. انهم من الرعاة البدو الرحل الكبار .. كل منهم يتحدث في مجتمعه بلغته الخاصة العفرية والصومالية ، ولكنهما عندما يتحادثان سويا تصبح العربية هي لغة التفاهم بينهما ..

والعفر هم الدناكل احفاد سلطنة ادال القديمة التي كانت دائما همزة الوصل بين بلاد العَرب ومملكة اكسوم الحبشية .. وهم لا يعيشون في جيبوتي فقط انما هناك اعداد كبيرة منهم في اريتريا ..

ونتيجة لتسلمهم زمام الامور في جيبوتي لفترة ١٥ عاما سنحت الفرصة امام شبابهم لتلقي التعليم العالي في جامعات فرنسا والعالم .. واستقرت اعداد كبيرة منهم في جيبوتي « اننا افارقة عرب ، ومصالحنا موجودة في نطاق الجامعة العربية .. » هكذا قال لنا احد زعمائهم : علي عارف ..

اما قبيلة عيسى فهي واحدة من مجموعة قبائل ذات اصول صومالية تعيش في المنطقة ، وغالبية افرادها يعيشون حياة البداوة والتنقل والترحال خلف جمالهم واغنامهم .

واعدادهم الكبيرة كانت تخيف دائما السلطات الفرنسية التي عمدت الى زرع سور من الاسلاك الشائكة المكهربة يحيط بالعاصمة جيبوتي ليوقف عمليات النزوح من البادية ..

هل تزيل السور ؟

ووقفنا امام السور المكهرب نرقب الجنود الفرنسيين يسالون الاهالي عن تصاريح المرور ، ويمنعون كل من لا يحمل تصريحا من دخول عاصمة بلاده جيبوتي ..

ان هذا السور هو رمز التفرقة والاذلال .. وازالته امر ممكن بجرة قلم من السلطات الحاكمة الوطنية الحالية .. ولكن هل من الصالح ازالته في الحال ؟

ان حوالي ١٠٠ الف نسمة من البادية عيونهم على جيبوتي .. ومن وراء الحدود المفتوحة التي لا رقابة جدية عليها ، تتطلع عشرات الالوف من العيون صوب جيبوتي بغيرة زائدة .. كلهم يريدون الاستقرار والاقامة في جيبوتي .. ان هذا الطوفان من البشر سوف يغرق الادارة المحلية الجديدة في مشاكل لا حصر لها ..صحية واجتماعية وتعليمية واسكانية ..

ومواجهة هذه الهجرة نحو المدينة لا حل لها الا برفع مستوى الخدمات في البادية .. ولكن اين الامكانات البشرية او المادية ؟ .. الكوادر المحلية معدومة .. وميزانية الدولة لا تتعدى ٢٥ مليون دولارا .. رقم هزيل مخصص للنهوض بشعب كامل تعداده ربع مليون نسمة في كل مجالات الحياة ..

ميناء وخط حديدي قديم

ان جيبوتي حاليا لا تنتج شيئا ، او تصنع شيئا ، اللهم الا المرطبات الغازية .. وصادراتها مقصورة على جلود الماعز المذبوحة !

لهذا كان ميناؤها البحري يشكل عصب الحياة بالنسبة لها ، فهي تستورد كل شيء عن طريقه.. وهو في نفس الوقت ميناء خدمات للدول المحيطة بجيبوتي ،و ٧٥٪ من حركة الميناء هي مع الحبشة .. البضائع تفرغ من البواخر الى عربات قطار السكة الحديد الذي ينقلها من ارصفة الميناءالى اديس ابابا رأسا ، على خط حديدي هرم اقيم منذ ٦٠ عاما بطول ٧٠٠ كيلو متر ..

وفي الشهور الماضية دمر الثوار ثلاثة جسور يمر عليها هذا القطار ، فتوقفت الحركة عليه تماما .. وتكدست البضائع على ارصفة الميناء .. ولم تكن خسارة جيبوتي مادية فقط ، وانما حرمت من الخضر والفاكهة الحبشية ، فخلت منها الاسواق والمتاجر خلال اعياد الاستقلال ..

وفي العام الماضي تم تفريغ ٤٨٠ الف طن من البضائع في هذا الميناء .. مائة الف منها تمثل واردات البلاد .. ثلاثمائة الف طن نقلت الى اديس ابابا . وهذه تشكل ٦٠ ٪ من تجارة الحبشة الخارجية .. وثمانين الف طن اعيد شحنها على بواخر صغيرة الى جدة والحديدة وعدن ..

ويمر ميناء جيبوتي حاليا بمحنة ، فهو غير

كثيرة للتعاون والعمل سويا لتحل المشاكل الصمية التى هى مشاكلكم ، سواء فى التعليم أو الصحة أو الزراعة أو التنمية .. »

وتلقى رئيس جمهورية جيبوتي الجديد حسن جوليد هذه الرسالة وتفهم ابعاد السياسة الجديدة للبلد الذى استعمر جيبوتي ١١٥ سنة .. وفى اليوم التالي وقع مع فرنسا سبع اتفاقيات وبرتوكولات ومعاهدة ..

وانطلقت الجمهورية الجديدة بسرعة تشق طريقها فى المجال الدولي دخلت لمنظمة الوحدة الافريقية ، وقدمت طلبا للانضمام الى جامعة الدول العربية . واعترفت بها عشرات الدول ..

وقدمت قائمة تحوى ١٣ مشروعا للصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ..

العربية .. ولكن ؟

وتواجه جمهورية جيبوتي قائمة طويلة تضم عشرات المشاكل الهائلة التى ورثتها من الاحتلال الطويل لاراضيها .. ويحتار المرء باى المشاكل يبدأ .. ولكن الذى لا شك فيه ان الامية تتصدر القائمة ، وقد احسن الرئيس جوليد صنعا عندما اعلن بصورة حاسمة بان العربية ستكون اللغة الرسمية للبلاد .. قاطعا الطريق امام أى لغة او لهجة اخرى ..

ولكن كيف ستتمكن جيبوتي من مواجهة هذه المشكلة ؟

فى كل ارجاء الجمهورية ، ومساحتها ٢٣ الف كيلو متر مربع لا توجد الا مدرسة عربية واحدة ، يتعلم فيها ٤١٥ طالبا فى الصباح و ١٣٥ طالبة فى الليل .. وهى تعانى مصاعب كبيرة فى كل المجالات .. والى جانب هذه المدرسة توجد اجتهادات شخصية لبعض الغيورين على عروبتهم مثل الانسة زينب يخيت التى فتحت منزلها لتعليم ١٥ سيدة وانسة اللغة العربية ..

هذه هى حالة التعليم العربى قبل الاستقلال.. اما اليوم فالمطلوب تعليم ربع مليون نسمة اللغة العربية .. انهم يحتاجون الى كل شيء : مبان .. اثاث .. كتب .. اساتذة .. ملابس.. مساكن للاساتذة .. تغذية للطلبة .. انهم يحتاجون الى كل هذا ، وبسرعة .. لان استعمال



القات .. اللعنة الاجتماعية التى تأتى بالطائرة يوميا من الحبشة .. ويشترك فى تخزين هذه الاغصان اللعينة نحو ٧٠٪ من ابناء عفر وعيسى على حد سواء ..

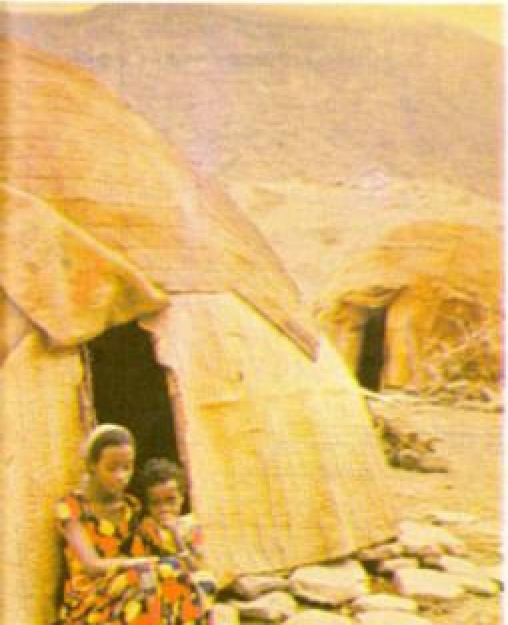
قادر على الوقوف امام منافسة مينائى جدة وعدن الكبيرين .. لقد اهملت مشاريع توسعته وتجديد معداته ، واليوم وبعد استقلال جيبوتي اصبح لزاما على ادارات الموانيء العربية المجاورة ان تنهض بميناء جيبوتي ، وتحوله من ميناء منافس الى ميناء مساعد لفك ازمات التكدس التى تعانيها الموانيء العربية .. ومشاريع تحسينه وتوسعته كلها جاهزة تنتظر التنفيذ ..

سياسة جديدة ..

لقد وجه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان « رسالة الى افريقيا » عشية اعلان استقلال جيبوتي قال فيها : « باسم فرنسا احيى استقلال جيبوتي .. باسم فرنسا اتمنى لهذه الدولة السلام والتقدم والحرية وحظا سعيدا .. ان استقلال جيبوتي يعنى زوال اخر اثر للسيادة الفرنسية على افريقيا بعد تواجد استمر ثلاثة قرون .. ومن عملية التحرير الفرنسية هذه ، ولدت ١٥ دولة افريقية جديدة ..

« وليس فى نية فرنسا ان تقوم بأى نوع جديد من انواع الاستعمار .. ولكن عندنا اسبابا







الحروف اللاتينية ولغة غير عربية قد يكون اكثر سهولة ، كما يقول البعض !!

القطن ٠٠ وفقر الدم !

وبقية مشاكل جيبوتي كلها معروفة لدى الخبراء الفرنسيين الذين مضى عليهم اكثر من قرن من الزمان وهم يدرسون المنطقة جيولوجيا وزراعيا وصناعيا ، واجروا تجارب صغيرة محدودة لدراساتهم ٠٠

وفي مجال المياه الجوفية اكتشفوا حقولا يمكنها ري نحو ثلاثة الاف هكتار في المنطقة الشمالية ٠٠ ووجدوا ان زراعة القطن المصري والامريكي الطويل التيلة يمكن ان تعطي نتائج باهرة في تلك المنطقة ٠٠

كما وجدوا ان زراعة شجيرة Vi::ca Rosea يمكن ان تحقق ربحا للفلاح يفوق ١٤٠ الف فرنك جيبوتي لكل هكتار ٠٠ انهم يقترحون وقف زرع الذرة والمحاصيل الرخيصة الفقيرة ، وزراعة هذه الشجيرة الثمينة التي تستعمل ساقها وجذوعها في صنع دواء لمكافحة فقر الدم (اللوكيميا) عند الاطفال ٠٠ وتربة جيبوتي صالحة جدا لزراعة هذه الشجيرة ٠٠

يموتون والمياه تحت اقدامهم !

ان البدوي في بادية جيبوتي كان يموت فوق الرمال بينما المياه مخزونة تحت اقدامه ٠٠ ولكن تكاليف استخراج هذه المياه مكلفة ، حسب ما بينته الدراسات الفرنسية ، فحفر البئر في المنطقة الشمالية البعيدة عن المدينة يكلف ١٨ مليون فرنك جيبوتي (كل ١٧٥ فرنك = دولار) ، تنخفض الى ٣ ملايين فرنك لحفر مثل البئر حول جيبوتي ٠٠ وحفر هذه الابار هو الحل المقترح لاقامة مزارع من اجل استقرار البدو في المنطقة ، ووقف هجرتهم صوب جيبوتي ٠٠

هل تختفي الدراسات ؟

لقد ظلت فرنسا حتى اليوم تدفع نفقات الخبراء والابحاث من خزينتها ، ترى هل ستكمل الشوط بعد استقلال البلاد ؟

ان اغلب الدراسات الجادة تختفي عادة مع رحيل المستعمر ٠٠ ولكن رسالة الرئيس الفرنسي الحارة عشية اعلان الاستقلال تجعلنا نامل في ان يقتدي المسئولون الفرنسيون في جيبوتي برئيسهم ، فيضعوا تفاصيل ابحاثهم ودراساتهم المطولة تحت تصرف الحكومة الجديدة ٠٠

ما من شك ان النفوس تختلف ، فبعض الفرنسيين في جيبوتي يشعرون بالمرارة لترك المنطقة ٠٠ فهي كانت بمثابة البقرة الحلوب لهم: تزداد ثروتهم وغناهم ، وتزداد هي فقرا وذبولا ٠٠

لهذا نرى بعضهم يتصرف بعنف وحقد ، مثلما فعل مسئول القوات المسلحة الفرنسية في جيبوتي ، فعند تسليم بعض ثكناتهم للقوات الوطنية المحلية ، نزعوا المكيفات والاسلاك الكهربائية من جدران الثكنات ، وتركوها عارية مخربة ٠٠ صغائر لن تقدم او تؤخر من سير عجلة التاريخ والتحرر ٠٠

أهم من النفط

ومن اهم الابحاث التي اجريت في جيبوتي دراسة حول الطاقة الحرارية الارضية التي اجراها معهد الابحاث الجيولوجية هناك ، وفي حديث لنا مع مدير المعهد البروفسور لافيراد قال لنا : « ان هذه الطاقة أهم من النفط ، لانها لا تنضب ابدا ٠٠ وقد استطعنا تحديد مكامن هذه الطاقة الحرارية بين بحيرة عسل وغابة الداي ٠٠ انها منطقة نشطة فيها الكثير من البراكين الشابة التي لا يتجاوز عمرها ٨ آلاف سنة ٠٠ وهي هادئة وليست خامدة ٠٠ اننا نعيش في منطقة التقاء محاور الجزيرة العربية وأفريقيا ، ومن دراساتنا

الى اليمين : من اهم مشاكل جمهورية جيبوتي نقص مشاريع البنية الاساسية ٠٠ اي الطرق والمرافق العامة ٠٠ وما زال الجمل يستعمل وسيلة للنقل في البادية المحيطة بجيبوتي وتاجوراء ٠٠ وعندما تتساقط الامطار تتحول الطرق الرملية الى بركة ماء ٠٠ واكواخهم هناك يطلقون عليهم لفظ الدابيوتا ، وهي من حصير سعف النخيل وجذوع شجر الدوم ٠٠

الجيولوجية على المنطقة وجدنا انه اذا حفر بئر الى عمق ١٥٠٠ متر فاننا سوف نصل الى حرارة جوف الارض التي لا تنضب ، والتي تبلغ قوتها ٤٠٠ درجة مئوية ، فاذا وضعنا في هذا البئر ماء فانه سيعاود الاندفاع بفعل السخونة الكبيرة الموجودة في الداخل ، على هيئة بخار قوى جبار ، يمكننا التحكم فيه لاستخراج الكهرباء بكميات هائلة ٠٠

« ان الطاقة الحرارية الارضية هي الامل الوحيد امام جيبوتي للحصول على الطاقة ٠٠لانه لا أمل في العثور على النفط هنا ٠٠ »

وقد تقدمت جيبوتي بطلب قرض بمبلغ ٦٠ مليون فرنك من الصندوق العربي لانشاء محطة توليد كهرباء مركزية تعتمد على الحرارة الجوفية

قطن اسمنتي !!

لقد كانت لنا لقاءات عديدة مع الخبراء الفرنسيين قبل اعلان الاستقلال ، انهم يعرفون الكثير عن ثروات المنطقة المدفونة المجهولة ،وليس هنا مجال تعدادها كلها ، لكن لا يمكن ان نوقف حديث هذه الثروات دون ذكر مادة Diatomite التي قال لنا عنها البروفسور لاشيراد :

الى اسفل : المريضة من جيبوتي ، والطبيب فرنسي تدفع له فرنسا مرتبه ٠٠ ترى هل ستستمر فرنسا في الدفع ؟ ٠٠ وهل سيبقى الاطباء الفرنسيون ؟



« انها مادة خفيفة مثل القطن تستعمل في صناعة الاسمنت ، والدراسات الاولية التي اجريناها تجعلنا نعتقد بأن المخزون منها تحت ارض جيبوتي يمثل اكبر كمية مخزونة منها في العالم !! »

تعالوا الينا ٠٠ ساعدونا !

ان ابن جيبوتي يتطلع وكله امل وثقة ناحية الوطن العربي ، ويؤمن ايمانا راسخا بان خلاصه سيكون عندما يمد له شقيقه العربي يده لمساعدته في الوقوف على قدميه ٠٠

لقد عبر لنا المسئولون الجيبوتيون عن امالهم تجاه العرب بقولهم :

« تعالوا الينا لنحول مستقبل المنطقة الغامض الى مستقبل واضح ٠٠

« تعالوا الى مطارنا مدوا خطوط طيرانكم الينا ٠٠

« تعالوا وافتحوا فروعا للبنوك عندنا ٠٠ واستثمروا اموالكم في البناء ، وفي اقامة المشاريع فوق بحيرة الملح وقمة الجبل ٠٠

« تعالوا لنصطاد الاسماك من عرض البحر ونصنعها في المنطقة الحرة ٠٠

« تعالوا ازرعوا ارضنا وابحثوا معنا عن ثرواتنا المدفونة ٠٠

« تعالوا ٠٠ تعالوا ٠٠ فالعمل كثير ٠٠ وامكاناتنا معدومة ٠٠ »

طريق العذاب ٠٠

ان اسم جيبوتي سوف يتردد كثيرا هذه الايام ٠٠ فقد بدأت الحرب الباردة تحيط بالمولود الجديد ٠٠ ومخططات الدول الكبرى والمجاورة خرجت من المكاتب لتبدأ لعبتها الخطرة في المنطقة ٠٠

ويجب الا نستغرب او نندهش من اى خبر ياتينا من جيبوتي ٠٠ فهنا بدأ العمل لصنع مستقبل زاهر فوق طريق كله اسلاك شائكة ٠٠ مكهربة !! ■■

سليم زبال

■ لزيادة المعلومات عنجيبوتي راجع استطلاعنا السابق في العدد ١٩٩ يونيو ١٩٧٥

■ حياة لها حد ، ولا حد للردى
فليت المنايا والحياة تواليا

كما تتوالى يقظة العيش ، والكرى
وتعقب انوار الصباح الدياجيا

اذن ، لتشوقنا المنايا اشتياقنا
الى النوم واشتقنا الحياة دواليا

(عباس محمود العقاد)

■ من نكد الدنيا ان الرأى لمن يملك لا لمن يرى .

(المهلب ابى صفرة)

■ اجد الناس بالمعروف من اذا أعطى شكر واذا منع عذر ، واذا مُطِلَ صبر ، واذا قَدِمَ العهد ذكر .

(الصئمة بن واقع الدوسرى)

■ يقصد الناس التياترات (المسارح) لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة او المبكية ، والعاقل يكتفى بما يراه حوله ويسمعه : يتفرج على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ولا مهارة الممثلين .

(قاسم امين)

■ احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

(ابو الفتح البستى)

■ وخادع النفس يمتد الرجاء لها
ان الرجاء بصدق النفس ينقطع

(الشريف الرضى)

■ والمنايا رصدٌ للفتى حيث سلك

(ام الشاعر سليك بن السلكة)

■ ينبغى لكل واحد أن يتمسك بالفضيلة ، لذاتها ، لا لما يترتب عليها من ثواب ، فهى كافية بذاتها لراحة النفس ، ولو احاط بها التعب الشديد .

(زينون الرواقى)

شاتوبريان



الأديب والمقاتل والسياسي

« لقد حاول نابليون ان يغزو شاتوبريان ايضاً ، لكنه عجز عن ذلك » •

فيكتور هيجو

بقلم : علي أدهم

■ كان الكاتب الفرنسي اللامع فرانسوا رينيه دى شاتوبريان زعيم الحركة الرومانتيكية فى الادب الفرنسى من كبار الكتاب العالميين ، وقد امتاز فى عصره ببلاغة الاسلوب ، وبراعة الاداء ، وعمق الشاعرية والقدرة الباهرة على تصوير المشاهد والمشاعر ، وتعدد جوانب الشخصية ، فقد جمع بين مميزات الكاتب القدير المخلص فى أداء رسالته ، والتعبير عن آرائه ومعتقداته ، وبين السياسى والدبلوماسى البارع الحريص على كرامته ، الى الحد الذى حمل فيكتور هيجو على أن يقول عنه انـه فى الوقت الذى انحنت أوروبـا جميعها امام نابليون كان شاتوبريان أحـد الشعـراء والمفكرين القلائل الذين وقفوا منتصبى القامة حينما ركع العالم جميعه على ركبتيه امام البطل المنتصر ولم يكتف نابليون بغزو الدول التى غزاها وانتصر عليها بل حاول كذلك غزو شاتوبريان ، ولكنه عجز عن ذلك• ولم يكن شاتوبريان يجهل عظمة نابليون، أو ينكر بطولته ، ولكنه ابى مسايرته والانضمام الى حاشيته حينما ابطرته السلطة ، واحالته حاكما مستبدا طاغية • وقد تقلبت به الحياة بين الشدة واللين ، والعسر واليسر ، وظل فـى الاحوال المتعارضـة وفيا لآرائـه ومعتقداتـه ، معتـزا بشخصيته وابائه وكرامته حتى رمي بفرط الكبرياء والاعتداد بالنفس ، واعانته تجاربه ورحلاته على انتاج غرر التصانيف وروائع الاسفار طوال حياته الثرية المنوعة •

عاش مكتئبا

وقد ولد فرانسوا رينيه دى شاتوبريان فى سان مالو سنة ١٧٦٨ فى ليلة ليلاء اشتد فيها عصف الرياح من ليالى شهر سبتمبر بمقاطعة بريتانى الفرنسية ، ونشأ فى قصر كومبور مهد أسرتـه العريقة ، وكان والده الكونت دى شاتوبريان من طبقة الاشراف الشديدة التمسك بالتقاليـد ، وكانت والدته يغلب عليها الحزن ولا تكاد تعلو ثغرها ابتسامة ؟

ولم يكن يقيم فى هذا القصر الموحش سوى والديه واخته لوسيل وخادمتهم ، وكان بطبيعة الحال لهذه النشأة اثرها فى بث الاكتئاب الذى كان غالبا على مزاج شاتوبريان ويقول شاتوبريان عن نفسه انه امضى طفولته على الشاطىء مـع استاذيه الرياح والامواج.وقد أرسل فى بادىء الامر الى مدرسة دول Dol college ثم الى مدرسة الجزويت فى رنز ، وتبع ذلك فترة من التردد درس فيها فى برست ليعمل فى البحرية ، ثم الحق بكلية دينان ليكون من رجال الدين ، ثم ترك المشروعين واعرض عن المحاولتين ، وامضى عامين فى ضيعة الاسرة الاقطاعية فى كامبورج(١٧٨٤ ـ ١٧٨٦)مع والدته المريضة ووالده القليل الحديث واخته لوسيل اللامعة الذكاء والعصبية المزاج • وكان للعامين اللذين امضاهما فى هذه العزلة تاثير كبير فى تطور تفكيره وتكوين شخصيته ، فقد عمقت عزلة الاسرة فى كومبورج نزعة الحزن الغالبة عليه ، كما قوت



جولاته المنفردة فى الغابات المحيطة بالمنطقة التى كان بها القصر الواسع الارجاء ميله الى الطبيعة، وشجعته اخته لوسيل على كشف موهبته

وفى سنة ١٧٨٦ ترك كومبورج فى شهر اغسطس لينضمالى فرقة نافاريوصفه ملازما ثانيا ،واستمتع بالحياة فى الجيش لانها كانت تتيح لـه فرص الاجازات التى كان يقضيها مع شقيقاته المتزوجات بمنازلهن فى مقاطعة بريتانى وفى فرساى حيث قدم للبلاط ، وفى باريس حيث كان يجتمع بالكتاب امثال فونتان ولا هارب ، واكتسب صداقة والد زوجة أخيهالقاضي والوزير مالزرب ، وبتشجيعمن مالزرب عقد العزم على ان يقوم برحلة كشفية فى العالم الجديد ، وفى ٧ ابريل سنة ١٧٩١بحر على السفينة سان بيير ذات القلعين الى امريكا٠

صدمة فى أمريكا

وكان دافعه الى مبارحة فرنسا والقيام بهذه الرحلة ضيقه بالاحوال من ناحية وطموحه منناحية أخرى ، ولم يكن راضيا عن اتجاه الثورة التى بدأت فى سنة ١٧٨٩ وخال انه يستطيع أن يظفر بالشهرة والمال والمجد لفرنسا اذا استطـاع ان يكتشف الطريق الشمالي الغربى بين امريكا وآسيا وكتابه ملحمة عن المستوحش النبيل الذى كان يتوقع وجوده وهو يعيش فى حالة الطبيعة التى لميشبها الفساد ، ولكنه عجز عن تحقيق ما كان يحلم به ، فحالما وطئت قدماه الاراضى الامريكية وجد انه تنقصه التجربة ويعوزه المال والاهبة والاستعداد للقيام بالرحلة الكشفية وكان اول من لقيهم من المستوحشين فى احدى الغابات يتلقون دروسا فى الرقص من احد الخدم السابقين ، والرحلات التى قام بها فى امريكا منذ وصوله الى بالتيمور فى ١١ يوليو سنة ١٧٩١ الى عودته من فيلادلفيا فى ١٠ ديسمبر من السنة نفسها عرضة للشك ، ويبدو انه رأى شلالات نياجرا والبحيرات العظمى وبتزبرج ٠ وليس من الامور المؤكدة انه رأى أوهيو والمسيسبى وفلوريدا كما اكد بعد ذلك ، ولكن مما لا شك فيه أنه افاد من هذه الرحلـة حصيلة من التأثر بالمناظر الطبيعية الامريكيـة عظيمة القيمة،وقد انتفع بها،وأحسن الاستفادةمنها فى قصتيه المشهورتين اتالا ورينيه ٠

ويرجح انه بدأ تاليف كتابه « الناتشيز » وهو فى أمريكا ، ويشتمل الكتاب على قصة مستعمرة الناتشيز فى لويزيانا التى انتهت بمذبحة فى سنة ١٧٢٧، وقد قصد بها أن تكون ملحمة « لرجل الطبيعة » وربما يكون قد بالغ فى تاكيده انه كتب اتالا فى أكواخ المستوحشين فى القفار ٠ ويرجح انه قرأ جزءا منها على مالزرب حين عودته الى فرنسا فى يناير سنة ١٧٩٢ ، وبعد تسرعه فى الزواج من امرأة لم تجلب له ثروة ولم يكن عنهـا جد راض ، انضـم الى جيش الامراء المهاجرين ، وكانيحمل معه روايةاتالا ، وقد ذكر فيمذكراته التيكتبها فيما بعد انهاحتفظ باصولها فى جراب وفاتى أنقذه من رصاصتين صوبتا اليه فى حصار تيونفيل ، قال فى ذلك « ان اتالا مثل الابنة المخلصة لابيها وضعتنفسها بين ابيها وبين رصاص الاعداء » وقد تعرضت القصة بعد ذلك لنقد شديد من الاب موريلليه ٠

واعفى من الجيش لما اصابه من مرض وجروح دامية مع التقدير لما ابداهمن اقدام وشجاعةوذلك فى اكتوبر سنة ١٧٩٢ وشق طريقه فى صعوبة وهو يعانى الألم الى انجلترا ، حيث وصل اليها فـى ما يو سنة ١٧٩٣ واستعان على تحصيل ما يعيش به باعطاء دروس فى اللغـة الفرنسية والقيـام بالترجمة ، وفى الوقت نفسه بدأ تاليف كتابه عن « الثورات القديمة والحديثـة » ، وفى سنـة ١٧٩٤ عين بوظيفة مدرس فى سفولك حيث احب الفتاة شارلوت ايفز ، ابنة راعى كنيسة بينجاى، ولما عرضت عليه والدتها فكرة الزواج بها اعترف بانه متزوج ، وكان هذا الاعتراف صدمة شديدة للاسرة ، واضطر الى الذهاب الى لندن وبها أخذ يتسلى فى عزلته ويعالج ما اصابـه من الحزن والأسى وخيبة الرجاء بكتابة قصة رينيه ، وهـو بطل احدى قصص كتابه عن الناتشيز ٠

أول كتاب للطبع

ولكن اول كتاب قدمه للطبع لم يكن الملحمة النثرية وانما كان الكتاب الذى الفه عن الثورات، وقد ظهر سنة ١٧٩٧ واذاع اسمه فى اوساط المهاجرين فى لندن ، ولم يطل سروره بظهور هذا الكتاب ، فقد بلغه من اخته جولى خبر وفاة والدته ، وانها كانت عند وفاتها كسيرة الخاطر شديدة الحزن لاطلاعها على الآراء الالحادية التى ابداها فى رسالته عن الثورات ، ويقول شاتوبريان أنه حينما سمع ذلك بكى وآمن ، والواقع أنه كان متجها صوب الدين فى هذه الفترة ، وحينما ظهر كتاب « حرب الآلهة » وهو قصيدة الحادية من نظم الشاعر بارنى حفز ذلك شاتوبريان الى النهوض بالدفاع عن المسيحية ، فكتب رسالته عن النواحى الشعرية والاخلاقية الجميلة فى الديانة المسيحية ، وكانت هذه الرسالة هى الاساس الذى اقام عليه كتابه الذى اشتمل على مجلدين عن « عبقرية المسيحية » وقد ظهر المجلد الاول من الكتاب حينما اعلن نابليون أنه يعد بالتسامح والاعتدال فى ٦ مايو سنة ١٨٠٠ ، واغتنم شاتوبريان هذه الفرصة وعاد الى فرنسا .

وفى مدى اشهر قلائل اتم شاتوبريان الكتاب الذى بدأه فى انجلترا عن « عبقرية المسيحية » وكان تقديم الكتاب للطبع كاملا فى هذه الفترة لا يخلو من الخطر لان اليعقوبيين كانوا لايزالون يعارضون فى العودة الى حظيرة الدين ، وذلك برغم أن نابليون كان مصمما على التوفيق بين الكنيسة والدولة ، واختار شاتوبريان من الكتاب قصة « اتالا » وقدمها للطبع فى ابريل سنة ١٨٠١ ليختبر به حالة الجو السياسى والاجتماعى وكان ملائما لظهورها، وقد نجحت القصة نجاحا ملحوظا، وفى السنة التالية حينما ظهر الكتاب كاملا اكتشف القراء به قصة رينيه ، وبها شبه من قصة اتالا ، وفى سنة ١٨٠٥ فصلت القصتان من كتاب « عبقرية المسيحية » وطبعتا معا فى كتاب واحد .

واعجب الجمهور بكتاب « عبقرية المسيحية » وقدره ، واقبل على قراءته وراق القراء احكام اسلوبه وبلاغة عبارته واشادة المؤلف بالنواحى الجذابة فى الديانة المسيحية ، وكان نابليون يعمل حينذاك على عقد الاتفاق بين الدولة وكنيسة روما، فاختار شاتوبريان ليكون السكرتير الاول فى سفارة فرنسا بروما ، وبدا لشاتوبريان انه فى مستهل مستقبل لامع سواء فى الادب او فى الشؤون العامة . والعجب ان شاتوبريان لم يظفر فى حياته بنجاح كالذى ظفر به حينما ظهرت القصتان المتشابهتان ، وهما اتالا ورينيه ، وكان سلوكه فى الحياة العامة مزيجا من الشجاعة والاعتزاز بالنفس الذى يصل الى حد الغرور والتعالى ، وقد أضر به هذا السلوك ، واقام فى طريق حياته الكثير من العقبات ، وعرضه للخصومات والعداوات ، فنفاه نابليون من باريس ، واقاله من وزارة الخارجية لويس الثامن عشر ، ولم يحسن شارل العاشر معاملته ، وسجنه لويس فيليب .

أتالا : ١٠ طبعات

ولم يظفر كتابه عن الشهداء وكتاب « الرحلة من باريس الى اورشليم بمثل ما ظفرت به كتبه السابقة من الذيوع والاقبال على قراءتها ، وحمله كتابه « ذكريات من وراء الرمس » الذى لم ينشر الا بعد وفاته الكثير من الالم والمتاعب فى خلال تاليفه .

وحينما طبعت اتالا عرف أن مؤلفها مدين بالكثير لكتاب سابقين مثل فولتير وروسو وبرناردين دى سان بير ، فموضوع « المستوحش الطيب النفس » كان من الموضوعات الشائعة فى القرن الثامن عشر ، ولحظ النقاد المعاصرون ان وصفه للمشاهد الامريكية ليس نتيجة الملاحظة الشخصية وحدها ، وعرف انه استعان فى كتابته بكتب الكثيرين من الرحالة الفرنسيين والانجليز والامريكيين ، ولكن هذا ليس معناه أن اتالا تنقصها الاصالة ، فقد بث شاتوبريان فى تصوير اشخاص الرواية حياة قوية ، واجاد التصور ، وابدع فى سرد الاحداث باسلوبه الساحر المشرق ، وبلاغته العالمية ، وشاعريته الوثابة المتدفقة ، وكما رحب كثيرون من النقاد بظهور اتالا واشادوا بها تلقاها نقاد آخرون بالتنقص ، وعابوا عليها ما بها من الغموض والمبالغة ومجافاة العقل والذوق ، وترى فى ذلك لونا من الوان اختلاف احكام النقاد فى تقدير الطرائف الادبية والمبتكرات الفنية ، ولكن الجيل



الناشئ اقبل على قراءة اتالا ، واشتد اعجابه بها حتى طبعت اكثر من عشر طبعات بين سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٥ ،وترجمت الى اللغة النمساوية واللغة الروسية . وقال عنها شاتوبريان في مذكراته : « ان الجيل القديم نبذها ولكن الجيل الصاعد رحب بها » . والقصة التي ظفرت بالنجاح العظيم ونالت من الشهرة اكثر مما نالته اتالا هي قصة رينيه ، ويرجع ان السبب في ذلك ان اسم مؤلف القصة هو نفسه اسم بطلها ، وقد نشأ مثله في مقاطعة بريتاني ، وقضى بها سنواته المبكرة ، واملي شقيقة رينيه كان من الواضح انها تمثل شخصية لوسيل شقيقة شاتوبريان ، وكان السبب الاكبر والهام في نجاح قصة رينيه انها كانت تعبر عن ذلك التطلع الغامض غير المحدود الى مثل اعلى غير واضح المعالم ، ذلك الذي تملك النفوس في مطالع القرن التاسع عشر ، واطلق عليه اسم « مرض الجيل » وقد اصر الناقد الكبير سا- بيف وغيره من النقاد على ان شاتوبريان قد مهد السبيل في قصة رينيه لظهور هذا الحزن الساحر الرفيق الذي غلب على كثير من النفوس في اوائل القرن التاسع عشر ، ولكن بعض مؤرخي تلك الفترة من الزمن لحظوا ان اعراض مرض الجيل كانت سابقة لظهور قصة رينيه ، وان بوادره ظهرت قبل حدوث الثورة الفرنسية ، وقد علل فريق من المفكرين ظهور هذه الحالة واستفحالها بما اصاب التقاليد الاجتماعية والاخلاقية من تصدع وانهيار، وما طرأ على العقيدة الدينية من الضعف وتغلب نزعة التشكك، وبظهور رينيه قدم شاتوبريان لجيله بطلا يستميل قلوب الشباب ، ويثير عطف الجيل، وقد كان الشبان الفرنسيون قد تأثروا بشخصية ورتر البطل الالماني فلما ظهرت قصة رينيه وجدوا فيها بطلا قوميا من قلوبهم . وظهرت رسائل اوبرمان لسنانكور،وكانت سندا قويا لهذا النزوع الى المثل الاعلى المجهول ، والحزن الذي ليس لدائه دواء .

في سنوات الجدب الادبي

ويرى المؤرخ البريطاني الكبير ج . ب . جوش ان سنوات حكم نابليون كانت سنوات جدب ادبي، وان كتابات شاتوبريان كانت تطلق ينابيع العواطف وتوسع افاق الخيال ، وتثير الحاسة التاريخية ، وان ازدهار الدراسات التاريخية في فرنسا بعد عهد الثورة يرجع الفضل فيه الى شاتوبريان قبل اي انسان اخر . وقد اكمل في الادب رسالة روسو وبرناردين دي سان بيير ، واعظم ما اداه للتاريخ هو انه فتح ابواب العصر الوسيط .

وقد كتب اول مؤلفاته في انجلترا سنة ١٧٩٧ وهو كتابه عن الثورات . ويمتاز هذا الكتاب بابتعاده عن النزعات الحزبية ، فبرغم انه كان من الاشراف وكان مهاجرا فانه صرح فيه بان الثورة الفرنسية كانت حادثا لا مناص من وقوعه، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن تخالجه الاوهام التي عرضت لعقول انصارها ،وقد عمل على ان يكشف اسبابها ، ويذكر النتائج المتوقعة لحدوثها بطريق عرض الانقلابات المشابهة لها ، ودراسة لتاريخ اليونان تكشف ان معظم الشعارات الحديثة كانت مألوفة في العالم القديم ، ويستخلص من ذلك ان الانسانية تتحرك في دائرة ، فالثورة من المرجح انها ستنهار مثل الثورات الاخرى ، وسيثبت التقدم مرة اخرى انه وهم من الاوهام ، والواقع ان اوروبا تبدو مشرفة على الانحلال ، وقد فقدت المسيحية التنفذ بها، وليس هناك ما يحل محلها.

وقد تبع هذه الرسالة تحوله الى الديانة المسيحية واستعادته الايمان بها ، وكان كتابه عن « عبقرية المسيحية » الذي طبع سنة ١٨٠٢ من الاحداث البارزة في السياسة والدين والكتابة التاريخية كما يرى جوش ، ولم يكتف باثبات حق المسيحية في انها العامل الغالب في الحضارة الحديثة ، وانما اظهر الصلة بينها وبين امجاد فرنسا القديمة ، وبعد الاشادة بما في المسيحية من جمال اخذ ينوه بما فيها من حق وصدق .

وقليل من الكتب كان لها مثل تاثير كتابه على الكتابة التاريخية ، وقد اكد تاثير هذا الكتاب وزاده شهرة ظهور كتاب « الشهداء » في سنة ١٨٠٩ ، فالرومان وقبائل الفرانك يعودون الى الحياة في هذا الكتاب ، وفضائل المسيحية تلقى هالة رقيقة على الصورة التى قدمها ، ولم يكن المؤرخ الفرنسى اوجستين ثيرى مبالغا حينما اثنى على هذا الكتاب سنة ١٨٤٠ ، وكان في طليعة من تاثروا به المؤرخ ميشو في كتابه عن (١) تاريخ الحروب الصليبية .

معارض لنابليون والملكية

وفى ٢٠ فبراير ١٨١١ اختير شاتوبريان عضوا في الاكاديمية الفرنسية ، في المكان الذى خلا بوفاة اندريه شينيبه ، ولكنه في الخطاب الذى اعده للالقاء عند استقباله اشار الى ذكريات عن الثورة ضايقت نابليون ، ولما رفض ان يلقى الخطاب تاخر دخوله الاكاديمية الى عهد عودة الملكية .

وفى سنة ١٨١٤ كتب رسالة شديدة اللهجة عن نابليون والبوربون ، واختاره لويس الثامن عشر وزير دولة ، ولم يمنعه ذلك من كتابة رسالة في نقد النظام الملكى لاقدام الملك على حل المجلس الاستشارى في سنة ١٨١٥ وقد حوله ذلك الى صف المعارضين في انتقاص النظام الملكى لحقوق الشعب ، ولم تتحسن العلاقات بينه وبين النظام الملكى الا في سنة ١٨٢٠ بعد موت الدوق دى برى ، وقد اختير في السنة نفسها سفيرا لفرنسا في برلين ، ثم سفيرا في انجلترا سنة ١٨٢٢ وقد اسهم في انهاء الحرب الاسبانية بوصفه وزيرا للخارجية وفى سنة ١٨٢٤ عاد الى صفوف المعارضة ، واعلن خصومته لوزارة فيلليل ،وكتب في جريدةالديبان مدافعا عن حريةالنشر واستقلال اليونان واكتسب بذلك شعبية واعيد طبع كتابه « الناتشيز » وكتاب آخر أيام بنى سراج ورحلاته في امريكا .

وحينما سقطت وزارة فيلليل اختير سفيرا في روما في سنة ١٨٢٨ ولكنه قدم استقالته حينما جاءت وزارة بولنياك ، وبعد ثورة ١٨٣٠ دفعه وفاؤه لشارل العاشر الى ان يقف موقف المعارض للملكية الجديدة ، ومن هذا الوقت بدأ يعيش حياته الخاصة مكتفيا بكتابة بعض مقالات في الصحف ناقدا الحكومة الجديدة وموزعا وقته بين بعض الاعمال الادبية وزياراته لصديقته القديمة مدام ريكاميه ، وقام بترجمة الفردوس المفقود التى نظمها ملتن الى اللغة الفرنسية ، واتم كتابه الذى اشتمل على ترجمة حياته وهو كتاب « مذكرات ما وراء الرمس » وقد توفى في ٤ يوليو سنة ١٨٤٨ ودفن حسب وصيته في جزيرة جران بيه الواقعة امام سان مالو .

ويقول الناقد الكبير سانت بيف في ختام فصل له عن كتاب « مذكرات ما وراء الرمس » « شاتوبريان هو وحده اول كاتب له خيال يفتتح القرن التاسع عشر ، وهو لا يزال بهذه الصفة حتى اليوم أكثر اصالة من الكتاب الذين اتبعوا آثاره ، واحسبه اعظم منهم ، ومنه تتدفق كما تتدفق من المنبع المحاسن والعيوب التى نراها حولنا » وهو يرى أن شاتوبريان في قصته رينيه قد نجح في ان يقدم لقرائه طرفة فنية كاملة ، وهى صورة مثالية تبدو فيها صفاته وعيوبه متصلة مترابطة » .

ويرى الناقد الانجليزى ماتيو ارنولد ان قصته رينيه تشبه « تشايلد هارولد » او « منفرد » للورد بيرون ، ولكنها تتفوق عليهما في الاسلوب والناقد المفكر هنرى فردريك اميل يرى ان شاتوبريان كان فنانا عظيما ، ويشير بوجه خاص الى قصة اتالا وقصة رينيه ، ويقول ان قصة رينيه تبدو له اسمى من قصته اتالا ، والقصتان تدلان على موهبة ادبية من الطراز الاول . ■■

علي أدهم

(١) صفحة ١٦١ / ١٦٢ من كتاب « التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر ـ تاليف جـ . ب . جوش » .

الأغصان الصغيرة تنوء بحملها..!

بقلم : منير نصيف

■ متي تتزوج الفتاة ؟ فى أى سن تستطيع أن تبدأ حياتها الجديدة فى عش الزوجية مع الرجل الذى ستقضى معه رحلة العمر ؟

الذى اثار السؤال الآن هو نتيجة الاحصاء الذى اجرى حديثا فى أمريكا ، وقد دلت على ان عدد الزيجات بين الفتيات دون العشرين قد تضاعف ثلاث مرات خلال الربع قرن الاخير ! .

هذه الظاهرة لها عندهم تفسير يختلف تماما عن اسبابها عندنا .. فالشباب يعتمد على نفسه فى سن مبكرة عند العشرين وربما قبلها ..من أجل هذا يعمل الشاب وتعمل الفتاة لكي يوفر كل منهما لنفسه حياة كريمة . اهم جوانبها نفقات التعليم فى الجامعة وهى باهظة .. فالاب والام قد امسكا ايديهما عن الانفاق على ابنائهم بعد بلوغهم الثامنة عشرة ..

عندهم !

واكثر هذه الزيجات التى احصاها المهتمون بهذه الظاهرة مكانها الجامعة بين الطلبة والطالبات .. والهدف المتفق عليه بين الزوجين الشابين هو ان تقطع الزوجة الطالبة دراستها وتتفرغ للعمل الذى ترتزق منه حتى تستطيع أن توفر نفقات التعليم لزوجها الطالب الى ان يكمل دراسته الجامعية فيلتحق بعمل ، وهنا تترك الزوجة عملها ، وتعود الى الجامعة طالبة مرة اخرى ويتولي الزوج تسديد الدين الذى طوقت به عنقه ! هو اذن فى المقام الاول زواج منفعة أو مصلحة .. وهى مصلحة متبادلة بين طرفى هذا الرباط ! قد تدوم وقد لا تدوم !

.. وعندنا

اما عندنا فالحال يختلف تماما .. فالروابط الاسرية اقوى واطول اجلا .. والاب ينفق على ابنائه فى الجامعة وحتى بعد التخرج مهما كانت ظروفه الاجتماعية والمالية والام تعمل ايضا اذا فقدت عائلها ، وتشقى وتكدح من اجل تربية ابنائها وتعليمهم .. فالصلة التى تربط الابناء بابائهم لا تنقطع عندنا وفى مجتمعاتنا المحافظة فى هذه السن المبكرة التى تبلغها الطالبة فى مرحلة دراستها الجامعية او الثانوية ، وكذلك الحال مع الشاب.. انهما يعتمدان على اسرتيهما فى جميع مراحل حياتهما حتى بعد التخرج .. وحتى عندما يشعر الشاب انه قد أصبح قادرا على الوقوف على قدميه، وانه يستطيع ان يتزوج ويبنى اسرة !



وبعض الاسر فى مجتمعنا تغالى فى الحرص على بناتها ٠٠ فهى تخشى عليهن من الفتنة ٠٠ ومع هذا الخوف الذى يسيطر على الابوين المحافظين ، تراهما يصنعان بناتهن فى صنعة ابويهما بهما ، وعند هذين الابوين تجد ان تعليم الفتاة واتمامه فى الجامعة ليس هو المشكلة ٠٠ انما المشكلة هى فى بقائها بلا زواج ، وبلا رجل يحميها ويرعاها ٠٠ ولكن متى ؟ ان سن السادسة عشرة هى السن القانونية التى يجب عندها أن تزف عروسا ٠٠ ويرتاح الجميع ! فالزمن عندهم لم يتغير ٠٠ والحياة لم تتطور ! ٠

امس ٠٠ واليوم

هذه الظاهرة كانت عندنا وما زالت تنتشر فى المجتمعات الصغيرة التى بقيت فيها المرأة الام حبيسة وراء جدران البيت الذى تعلو فيه كلمة الرجل ، رب الاسرة ، على كل ما عداها ٠٠فهو الحاكم بامره وليس لاحد حق الاعتراض على رأى يبديه ، أو حتى مناقشته ! وكم من فتاة ابحرت وما زالت تبحر فى سفينة الزواج الصغيرة وسط العواصف والاعاصير قبل ان تتعلم شيئا عن فن تسيير السفن فى بحار الحياة ! بعض هذه القوارب كان لها اشرعة قوية صمدت فى وجه العواصف ومضت فى رحلتها القلقة حتى عاد السكون الى الموج الثائر ٠٠ وبعض هذه القوارب غرق وابتلعته امواج البحر والرحلة ما زالت فى بدايتها !

وقد خرجت المرأةعندنا من بيت والديها ، ولم تعد ترى الرجل من وراء نافذة غرفتها ، كما لو كان شيئا يتحرك فى الظلام ٠٠ لقد سارت فى طريقها وراحت تتجه فى خطوات ثابته نحو هذا العالم الجديد ٠٠ فى المدرسة ، وفى الجامعة وفى كل مجال من مجالات الحياة ٠٠ والتقت بالرجل ، ولم يعد شبحا كما كانت تراه ووقفت امامه تحدثه وتناقشه وتنافسه فى عمله !

وتغيرت الصورة

وشيئا فشيئا بدأت الصورة تتغير ، حتى فى الكثير من المجتمعات التى كانت ما تزال تعيش بعيدة عن هذا التغيير الذى طرأ على وضع المرأة ومركزها فى المجتمع الجديد ٠٠ واصبح للمرأة كلمة ، واصبح للمرأة رأى ، ولم تعد الفتاة تقبل الزواج قبلان تكمل تعليمها الجامعى ٠٠ واستطاعت اخيرا ان تقف وتقول لوالدها : ولم العجلة ٠٠ هل اصبح وجودى وسطكم يسبب لكم كل هذا الضيق ٠٠ لماذا لا تمنحونى فرصة اتمام تعليمى ٠٠ انا ايضا اريد ان اشارك فى بناء هذا المجتمع ٠٠ حتى لو لم اعمل ، وحتى لو تفرغت لوظيفتى الاولى ٠٠ وظيفة الام التى ترعى ابناءها وتسهر على تربيتهم ٠٠ ان الام المتعلمة اقدر على تربية ابنائها ! »

ونجحت المرأة الجديدة فىانتزاع حقها الطبيعى فى الحياة ٠٠ ولم يعد النضج الجسدى هو العامل الاساسى فى تحديد السن التى يتحتم على الاب ان يزوج ابنته فيه ٠ ان النضج العقلى اصبح له الدور الرئيسى فى تحديد مستقبل الفتاة ! ٠ حتى الرجل نفسه لم يعد يبحث عن الفتاة الصغيرة الحلوة ، فهو قد تعلم بحكم الظروف التى يعيشها اليوم ان الزوجة المثالية هى تلك التى تستطيع ان تشارك فعلا فى اعباء الحياة داخل البيت وخارجه، وان تكون قد حققت من العلم قدرا يؤهلها لهذه المسئولية الكبرى٠٠ مسئولية بناء بيت واسرة ومجتمع ٠

محاولة ٠٠ كتب لها الفشل !

ولكن بعض الباحثين مازالوا يرون فى العودة الى الزواج فى سن مبكرة خير وسيلة لصيانة الاخلاق ففى مجتمعنا المحافظ ، الزواج وقاية وعلاج ، حتى لو كان الزوج غير قادر على الانفاق على زوجته او العيش فى بيت مستقل بعيدا عن اسرته ٠٠ فنحن الاباء كما يرى اصحاب هذا الراى نستطيع دائما ان نستضيفهم فى بيوتنا وننفق عليهم الى ان يصبحوا قادرين على الاستقلال بحياتهم !

ولكن علماء النفس يرون فى مثل هذه الزيجات محاولة كتب لها الفشل قبل ان تبدأ ٠٠ «فالحب والعطف يقتلان الزواج » ! عطف الوالدين على الابناء الذين حرصوا على ان يزوجوهم صغارا قبل ان يكونوا مستعدين لمواجهة الحياة ومسئولياتها يقتل فى نفوسهم الرغبة فى العمل والكفاح من اجل مستقبل افضل ٠٠ ولماذا يعملون ولماذا يكافحون وهم يجدون من يمدهم بالمال وبكل ما يحتاجون اليه بغير جهد ولا تعب ٠٠ ثم كيف يكون طعم هذه الحياة « السهلة » مع مضى الزمن ؟

قصة من واقع الحياة

ولهؤلاء نسوق هذه القصة وهى قصة من واقع الحياة ما زال بطليها ، الزوج والزوجة ، يلعنان اليوم الذى استمعا فيه الى نصيحة والديهما بالزواج قبل ان يكملا تعليمهما الجامعى صونا لهما وحماية !

والقصة يرويها استاذ جامعى ، كانت الزوجة الصغيرة بين طالباته يقول ـ « لقيتها فى الطريق، وكانت تمشى وحدها وقد احتضنت كتبها فوق صدرها ، كما تحمل الام طفلها الرضيع ،ونادتنى فاتجهت اليها وتذكرتها على الفور فقد كانت طالبة مجدة مجتهدة ، وقلت بعد ان مدت الى يدها تصافحنى ـ « ماذا حدث ٠٠ أراك قد عدت الى كتبك ٠٠ والى الجامعة هل عزمت على استكمال دراستك التى تركتها بعد الزواج ؟ »

قالت ولكن بدون تلك الابتسامة الحلوة التى كانت تلقاه بها كل صباح فى الكلية ـ « نعم ٠٠لقد عدت الى الجامعة طالبة لاكمل تعليمى !»

ـ كيف حال زوجك ؟ لقد كانت اخر مرة رأيته فيها معك منذ ستة اشهر بعد زواجكما باسابيع قليلة ٠٠ وكان يادى القلق ٠٠ ترى هل استطاع ان يمضى فى دراسته العليا ؟

ولم تجب الفتاة ، وبدا عليها التردد ،وكانها كانت تبحث عن شيء تقوله ٠٠ بماذا تجيب ؟ كيف سترد على هذا السؤال ٠٠ هل كان مفاجاة لها؟ بالعكس ٠٠ فقد كان شيئا طبيعيا وكانت تتوقعه! ٠٠ طالبة تلتقى باستاذها الذى كان شاهد زواجها منذ ستة اشهر او اكثر قليلا عندما زفها والدها عروسا للمعيد الشاب الذى كان يحبها فى صمت فى الكلية !

ولكن ماذا ستقول له ؟ لقد انتهى زواجها القصير قبل ان يبدأ ٠٠ اتفق الاثنان على الطلاق ٠٠ وتركته ، وتركها وسار كل منهما فى طريق!

٠٠ واخيرا تكلمت !

واحس بترددها فعاد يسال فى لهفة هذه المرة، فقد كان يحمل لها فى قلبه كل الود الذى يشعر به الاب نحو ابنته ٠٠ ماذا حدث ؟ تكلمى ٠٠ اين زوجك ؟

ـ لقد فشل زواجنا ٠٠ نعم فشل ٠٠ حتى انا نفسى لم اصدق أن الشاب الذى راح يبنى معى القصور ، ويرسم لى بيده وقلبه صورة المستقبل المشرق الذى ينتظرنا ٠٠ لن اجد معه السعادة التى كنت احلم بها وتحلم بها كل فتاة معزوجها وشريك حياتها !

ـ الم يكن هناك من وسيلة لانقاذ زواجكما ؟

ـ لقد بذلت كل ما فى وسعى ، وتحملت العذاب الذى كنت اعيش فيه وحدى ٠٠ لم اشك لاحد ، حاولت ان احل مشاكلى بينى وبينه ، ولكنها استفحلت ٠٠ وعندها لم أجد مفرا من اللجوء الى والدى٠٠ ورويت لهم كل ما كان بيننا خلال هذه الفترة القصيرة من حياتنا معا ٠٠ وبالرغم من هذا فقد تركا لى وحدى حرية اتخاذ القرار الذى اراه مناسبا لاضع حدا لمتاعبى ٠٠ واخترت الطلاق ، ولم تكن مفاجاة لى عندما وجدت زوجى بدوره قد بدأ فعلا ودون ان ادرى فى اتخاذ اجراءات الطلاق ! وانتهت القصة وعدت الى الجامعة لاكمل دراستى !

الاب ٠٠ مرة اخرى

لا الزوج ولا الزوجة كانا مستعدان له ٠٠هى لم تكمل بعد عامها العشرين ٠٠ وكانت امنيتها

ان تستمر فى دراستها ٠٠ لم تكن فكرة الزواج تخطر على بالها ٠٠ وعندما تقدم الشاب يطلب يدها من والديها لم تتردد فى ان تعلن رأيها صريحا وبالقدر الذى تسمح به تقاليدنا وخاصة عندما علمت منها انها سوف تعيش مع زوجها فى بيت والديه ؟ وقال الاب « ولم لا ؟ ان والده رجل ميسور الحال ،ومرتب زوجك لن يكفى نفقات الزواج والحياة فى بيت مستقل ٠٠ لقد وعدنى والده بان يغدق عليكما ٠ وسيقدم لكما كل ما تحتاجان اليه من مساعدة حتى يستطيع زوجك ان يكمل دراساته العليا ٠٠ كل ما طلبه هو ان تكفى عن الذهاب الى الجامعة ، لا تنسى يا ابنتى ان مكان المرأة هو البيت ٠٠ ثم ما الذى سوف تجنينه من دراستك الجامعية فى النهاية ؟ » ٠

الملل ٠٠ والفراغ

وكانت هذه هى البداية ٠٠ وتزوجا ٠٠ واضطربت حياة الزوجين الشابين ٠٠ لم يكن المال يعوزهما فقد بسط والد الزوج يده ، ولم يحرمهما من شىء ٠٠ ولكنها حياتهما هى التى اصبحت بلا طعم وبلا مذاق ٠٠ لم تكن الزوجة ترى زوجها الا تاثرا ناقما ٠٠ لقد احس الشاب بانه يعيش فى فراغ هائل ٠٠ ومع هذا الاحساس اهمل دراسته ٠٠ واهمل زوجته ٠٠ وبدأ الخصام ٠٠ وبدأ الشجار يدب بينهما ٠٠

ثم كانت النهاية ٠٠ وعاد كل شىء من حيث بدأ ٠٠ ولكن بقيت التجربة ٠٠ وبقيت مرارتها فى هذين القلبين الصغيرين !

اذن ٠٠ متى ؟

متى تتزوج الفتاة اذن ؟ ومتى يتزوج الرجل ؟ يكاد يجمع علماء النفس والاخصائيون الاجتماعيون ان الزواج هو قمة رحلة العمل والكفاح فى الحياه ٠٠ فلا بد ان تكبر الفتاة وان تنضج فكريا وليس هناك سنا معينة لهذا النضج ٠٠ ولكن المرأة الجديدة التى خرجت وتعلمت والتقت بالرجل فى الجامعة وفى الحياة العامة فى حاجة الى هذا النضج حتى تستطيع ان تبنى حكمها على الرجل الذى يريدها زوجة له فهى اقدر من اختها التى كانت حتى سنوات قريبة لا تملك حق ابداء الرأى فى الرجل الذى سيشاركها حياتها لانها اكثر منها حظا فهى تعيش عهدا جديدا تقف فيه المرأة بقدمين ثابتين ، فوق أرض صلبة تعرف كيف تجد طريقها عليها ٠٠ قد يجىء النضج فى العشرين أو ما بعدها ، او حتى قبلها ٠٠ المهم ان تعرف الفتاة ما الذى تريده لنفسها ولحياتها مع الرجل الذى سيصبح زوجا لها وأبا لاطفالها ٠

اسباب اخرى

ان كثيرا من الزيجات بين الفتيات والشبان الصغار الذين لم ينضجوا بعد ، تفشل ، ولاسباب اخرى لا تمت الى قصة هذه الفتاة بصلة ٠٠ولعل اهم هذه الاسباب ان كلا منهما يتوقع من الاخر فى الزواج اشياء اكبر بكثير مما يمكن ان يحققها لهما هذا الرباط ٠ فهى مثلا تريد ان ترى فيه دائما امير احلامها ٠٠ وهو بدوره لا يستطيع ان يواجه الواقع فيترك الاحلام جانبا ،ويستعد للقاء الحياة بكل حقائقها ٠٠ فسرعان ما تسقط الاقنعة الرومانسية وتبدأ اخطاء الزوجين تطفو على السطح٠٠ وعند الزوجين الشابين يصبح هذا الذى يحدث ، وكانه نهاية الدنيا ٠٠ ولكن الحال يختلف عند الزوجين اللذين بلغا سن النضج ٠ لانهما يعلمان ان الزواج ليس نزهة ٠٠ وانما هو حياة تتطلب من كل منهما قدرا كبيرا من التضحية والفهم والادراك ، والاستعداد بعد هذا لتعديل موقف كل منهما تجاه الآخر ٠٠

الشجرة الكبيرة وحدها

ان ما حدث ويحدث للازواج من الشباب لا يعنى ضعفا فى اخلاقهما او فى تربيتهما ٠٠ وانما هو فى المقام الاول افتقار الى القدرة على التحمل ٠٠ ثم هو النظرة السطحية الساذجة التى ينظر بها كلاهما او احدهما للزواج وعدم الادراك لمعناه الكبير ! وتكون النتيجة خيبة امل ولا شىء يقتل الرغبة فى الاستمرار ، وهى اهم عامل فى نجاح الزواج ، أكثر من الشعور بخيبة الامل !٠

ان الشجرة الصغيرة الضعيفة لا تستطيع ان تحمل ثمارا ثقيلة٠٠ فما أسرع ما تنثنى اغصانها وتنوء بما حملت٠٠ والاشجار الكبيرة القوية وحدها هى التى تستطيع ان تصمد فى وجه الريح !

■■

منير نصيف

قراءة للقصة

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحمن عيسى

ماذا يعرف ادباء المشرق عن أدب المغرب ؟
الاجابة بالغة الصعوبة • لأن الواقع يقول ان ندرة لا تذكر من ادباء المشرق قراوا للادباء المغاربة ، بعذر او بغير عذر • وهذا المقال يحاول ان يقدم القصة المغربية منذ مولدها فى بداية هذا القرن وحتى بداية الستينات • وهو فى النهاية محاولة متواضعة لسد الثغرة الكبير فى معرفتنا بجهد الادباء فى النصف الآخر من عالمنا العربى •

■ قلت لصديق مغربى : رايت فى شارع «لحسن ويداو» بالدار البيضاء ، لافتة مكتوبا عليها : الاستاذ جواكيم ـ فسخ السحر » فماذا يصنع هذا الرجل ؟ • قال : يصنع الذى يصنعه ، يكفى انه جواكيم •• جواكيم وصافى (١) • الدنيا فيها جوكيم بزاف (٢) • وهل نحن مسئولون عن مثل هذا الجواكيم • لعله يهودى يا اخى • قلت : وما رايك فى لافتة اخرى مكتوب عليها « عشاب يداوى الاعصاب » •قال : عشاب ياخى ، عقاقيرى يستخرج الدواء من الاعشاب والنباتات • قلت : هذا يسمى « باطنى » والمرض الباطنى غير المرض العصبى • قال : هذا مزيان وهذا مزيان (٣) والباطنى والعصبى واحد • والشفاء بيد الله • قلت : يبدو انكم ايها المغاربة المثقفون اصبحتم تضيقون بهذه التهمة ،تهمة السحر والشعوذة التى اشتهر بها المغاربة منقديم •قال ان القرآن الكريم لميذكر شيئا عن السحر والسحرة فى المغرب ،وما قرأنافيه من قصص السحرة الا عن مصر ، وان سيدنا موسى لم يات الى المغرب حتى يقول الناس للمغاربة انه لكبيركم الذى علمكم السحر •

قلت : لعلك لم تحط علما بما يجرى فى البادية المغربية من افانين السحر والاعيب السحرة • ولعلك ايضا لم تقرا شيئا مما كتبه الادباء المغاربة فى هذه التجارب • ولكى اختصر مسافة الخلف بينى وبينك ، ادفع اليك بهذه القصة الطريفة لتقراها قصة « لولا الوهم » للاديب المغربى عبد السلام بن بغداد • وبعد ان تفرغ من قراءتها سادفع اليك بقصة اخرى فى هذه السبيل هى قصة « الفقيه البركة » للاديب احمد بنانى •

فهل نستطيع ان نستنتج من هذا ومن غيره ان القصة المغربية ـ على نعومة اظفارها ـ قد نجحت فى تصوير جوانب من الحياة فى المغرب؟ •نحاول•

فى طورها الاول

كانت القصة المغربية اسبق الفنون الادبية لدى

(١) صافى يعنى « خلاص » •
(٢) بزاف يعنى « كثير » •
(٣) مزيان يعنى « جميل وزين » • وكلها لهجة مغربية •

المغربية

منذ بداية القرن حتى الستينات



المدرسة الحديثة . وهذا السبق يتمشى مع الفطرة والطبيعة ، فقد جبل الانسان على حب الحكاية من طرفيها : يجب أن يحكي وان يحكى له. وهذا شعور بدائى ساذج . ولكنه لايقنع عند الانسان الا بما يشبعه، وهو فى هذا الصدد يحتاج الى الفن. فن الحكاية المتقنة المتنوعة التى تكثر فيها الحركة والمفاجاة والتلوين والتخفى واذكاء الشهقات . وفى هذا الاطار نشات القصة المغربية الحديثة فسدت فراغا كبيرا فى الضمير المغربى . ومنذ بدات محاولاتها فى اوائل هذا القرن الى الآن (١٩٦٣) ولم تزل فى دور التكوين والمحاولة الناجحة ،نعم انها صورت جوانب الحياة المغربية من حيث الموضوع والفكرة ولكنها من حيث الفن القصصى لم تزل فى طورها الاول ، وهو منطقة نفوذ (المنفلوطى) العاطفى الذى يلجا الى اقحام الطبيعة وجمالها فى كل قصة تقريبا ، ويلعب بالعبارات والعواطف فى كل موقف بصفة عامة غالبة ، ولم يزد جهدها الى اليوم عن التصوير المباشر الذى يمتاز بالصدق والواقعية ، وان ماظهر من بعض القصص الطويلة الضئيلة العدد لا يخرج عن هذا الطابع ايضا . ولقد نجحت الاقصوصة السردية فى الامتاع الفنى احيانا .

اما الاقصوصة الحوارية فقد جاءت عرجاء محلولة السبك تحاول ان « تتشعلق » ببرج توفيق الحكيم فتنزلق مرتدة الى الارض ٠

نعم تستطيع القصة المغربية ان تعطيك صورا صادقة من الحياة هناك ، ولكن في بساطة وقلة حركة ٠ واليوم الذى تستطيع فيه ان تهزك بعنف في سياق حركتها المتواكبة ، وان تاخذك من نفسك ، وتخلق فيك انفعالات جديدة الى جانب انفعالاتها هي ، وان تطول وتتنوع ، في هذا اليوم فقط تكون قد انتقلت الى طور آخر غير هذا الطور الذى امتدت فيه طفولتها الى اكثر من خمسين سنة ، فكتاب القصة من محمد القرى وعبد الله الجرارى وعبد الخالق الطريس الى عبد المجيد بن جلون وعبد الرحمن الفاسى ، حتى احمد عبد السلام البقالي ، لم يزالوا يدورون في فلك واحد ، هو مجال التجربة الذى يشبه قصة (زينب) المصرية للدكتور حسين هيكل منذ خمسين سنة من حيث الموضوع ، وقصص المنفلوطي من حيث الاداء ٠

اما مرحلة (سارة للعقاد) مثلا ، او عودة الروح لتوفيق الحكيم ، فهي مرحلة تتطلع اليها القصة المغربية ، وربما تصل اليها اذا اطردت الحركة الادبية على النسق الذى تجرى عليه اليوم ولم تنقطع بها اسباب الحياة الموصولة كما حدث من قبل ٠

على ان بعض المغاربة ينكر وجود القصة المغربية قبل الحرب العالمية الثانية ٠ من ذلك ما كتبه الاستاذ احمد القادرى في جريدة (العلم) سنة ١٩٥٧ حيث يقول : « ان اول ما ظهر منها قصص قصيرة لاحمد بناني وعبد الرحمن الفاسي ، ثم ظهرت القصة الطويلة كقصة عبد المجيد بن جلون (في الطفولة) وقصص فرنسية لاحمد الصفريوى وادريس الشرايبي ٠ وقصة (في الطفولة) تتحدث عن الوسط المغربي القديم ٠ والصفريوى يتحدث عن المغرب التقليدى ، مغرب الف ليلة وليلة ٠ والشرايبي ضاق بالجمود في المغرب وكتب في ذلك قصته وسافر الى فرنسا فرأى هناك ذل مواطنيه وسائر الافارقة ، فثار ثورته وكتب قصته الثانية ، ثم القصة الثالثة (الحمار) » ٠

متفائلون ومتشائمون

وفي هذا الرأى شيء من المبالغة ، فقد وجدت القصة المغربية قبل الحرب العالمية الثانية بعشرين سنة ومشكلة التوقف الادبي وانصراف الرواد الاوائل عن متابعة الانتاج مشكلة تشغل اذهان المغاربة فبين الحين والحين نقرأ في صحفهم نداءات متكررة تقول : عودوا يا اصحاب السعادة ٠ نداءات يوجهونها مثلا الى عبد الخالق الطريس السفير لدى مصر ، وعبد المجيد بن جلون السفير لدى باكستان ، واحمد بناني الذى اصبح مدير التشريفات بالقصر الملكي ، وعبد الله ابراهيم الذى تولى رياسة الوزارة ، ومحمد المكي الناصرى السفير لدى ليبيا ، وعبد الرحمن الفاسي الوزير المفوض بالسودان ، وغير هؤلاء من الرواد الاوائل الذين اختطفتهم المناصب من حقول الادب والصحافة ، الى هجرة غيرت مسار الحياة الادبية الى منعطف من تجارب الناشئين ٠

وفي هذا الصدد نسمع صوت الاديب المتشائم عبد الجبار السحيمي الذى لا يعجبه طه حسين ولا العقاد ولا العجب ولا الصيام في رجب ، فهو يقول : « ان الادب عندنا - اى المغاربة - لم يزل يحتاج الى تخطيط مادى يجعل صدور كتاب او مجلة اكثر من عمل تلعب فيه الصدفة دورها ، او تدخل فيه الاعتبارات الخارجة عن الادب٠٠٠ وهناك ملاحظات اخرى غير هذه ، فانتاج الشباب كما بلورته السنة التى نستعد لوداعها (١٩٦١) هو ادب يغلب عليه طابع الارتجال واستيراد المفاهيم والسطحية الموضوعية ، اعنى افراغ موضوع غير ذى بال في قوالب فنية كالقصة والشعر والمسرحية » ٠

وهكذا لا نجد للمغاربة نظرة وسطا في حكمهم على ادبهم ، فهم اما متعصبون تعصبا مضريا كما نرى عند عبد الله جنون وعلال الفاسي ، او متشائمون تشاؤم ابي العلاء المعرى كما نرى عند عبد الجبار السحيمي ٠

وفي مجال الحديث عن القصة نرى جريدة (العلم) التى تخصص صفحة ناجحة للادب في يوم الجمعة من كل اسبوع ، نراها قد خصصت صفحتها للقصة يوم الجمعة فاتح ديسمبر ١٩٦١ ، وهنا تخف طرقات التشاؤم عند السحيمي «محرر الصفحة » فيقول : اكثر من تجربة ٠٠٠ كلها نجحت : « ٠٠ عندما اخبرنا يوم الجمعة الماضى عن هذه الصفحة ، كنا نعرف انها تجربة جديدة تحاول بها صفحة الادب والثقافة ان تتاكد من بعض الاستنتاجات المبدئية التى اسفر عنها وجود

الصفحة اكثر من سنة باستمرار وبجد ايضا ·· وبدا للصفحةان تخصص ـكلما اتيحتلها الفرصة يوما خاصا بنوع من الادب او قضية منه ·وصفحة اليوم تعلن عن نجاح هذه التجربة الجديدة ،وهي تقدم مجموعة من القصص القصـــيرة تجمع كل المدارس مرة واحدة قديمها وحديثها ·· »

نماذج مغـربية

هذا بعض ما كتبه السحيمي في ذيل الصفحة من الجانب الايسر ، وقد امتلات الصفحة بست قصص · والمقام هنا لا يتسع طبعا لعرض هــذه القصص الست ، بيد اني ساضع في يد القارىء هيكلا مركزا اقتطفه من بناء كل قصة كما يلي :

القصة الاولى :

ميلاد ساخط

بقلم : حسن الشريف ·

وهي اقصوصة مركزة تصور سوء الحظ الذي فاجا طبيبا يعمل بالقرية ، حينما وفد على المدينة ليقضي عطلة الاسبوع مع خطيبته ، ففجاته على باب المدينة مظاهرة شعبية صاخبة ·

« ··· وكان هـو يركب (تاكسي) الى بيت الخطيبة وفي يده قرطاس بمجموعة من الهدايا حين اوقف البوليس سيارته فجاة ، ودخلت يد خشنة فامسكت بتلابيبه · لا بد انكم مخطئون · وكان الجواب صفعة على وجهه · انني واصل الآن من المحطة وها هي ذي التذكـرة ··· وكلة وحشية من الوراء ·· ضربة بعقب بندقيـة ·· القيد الى القسم ·· داست الاحذية المصـفحة هداياه ··· خرج الطبيب من قسم البوليس لياخذ سيارة الى مستشفاه دون ان يرى خطيبته ،وانضم مظلوم آخر الى صفوف الساخطين »

والاقصوصة صـــورة واقعية تصـــور لمحة من الاضطراب السياسي قبلالاستقلال بطريقة تقديرية عادية ·

القصة الثانية :

شجرة العروسين

بقلم : عبد القادر زمامة ·

« قالتالشقراء لاختها السمراء وهي تحاورها بلغة العذارى المدللات ····آه انهم لا يصدقونني ·· ولو اقســمت ·· ولو بكيت ·· وتلفتت السمراء يمينا ويسارا ·· لاعليك ، قولي الحق كل الحق ·· فهذا عصر الحرية ، حـرية الفتى والفتاة ·· وانفتح امام الشقراء باب الحديث·· وانطوت صفحة الحديث ·· اصبح مفتاح صندوق الاسرار في يد السـمراء ·· فالفتـى ابراهيم الطالب المجد يتلقى كل يوم رسالة او شائعة لا يدري مصـدرها ·· دخل كعادته منزل الاسرة يبحث عن الشقراء ·· انها هجـرت غرفتها الى ظل شجرة معينة في الحديقة تسند اليها ظهرها وكانها في حـرم آمن ··· جلس ابراهيم بدوره الى تلك الشجرة امام الشقراء ···

منذ ذلك اليوم اصبحت تلك الشجرة ، تدعى شجرة العروسين » ·

فالاقصوصة تصور غيرة السمراء من اختها او صديقتها الشقراء · ثم تتكشف حقيقة السمراء لابراهيم فيحمله الوفاء لحبيبته الشقراء ويلتقيان تحت تلك الشجرة · وهي تجربة ساذجة عالجتها الاقصوصة في عرض مقبول ·

القصة الثالثة :

من واقعنا المر

بقلم : حبيبة العلوي ·

« ردت الباب في هدوء وسارت الى الغـرفة المجاورة ·· ثم اخذت الازار الابيض وشملت فيه جسدها المنهك ، وعضت على طرف منه حتى لا يسمع شهيق بكائها ·· خطيبها شاب موظف ·· مثقف ··· رضيت هي ··· رفضت العائلة ·· وتركتهم مطمئنين ·· ذهبت الى الرجـل الذي ارتضاه قلبها ·· اصطدمت سيارته باخرى ··· لم يسلم صاحبك من الموت بضربة قوية اسكتت قلبه ·· سمعت وقع خطوات فاذا به والدي ·· لقد زوجتك لصديقي التاجر ·· اسمعت ·· »

وهنا تتدخل كاتبة القصة وتفرض نفسها على جو الحكاية وتقول : « تسالونني عن القصـة ؟ واقعية وحق الشرف · تسالونني عن النهاية ، نهاية حـكاية الكبت والتحـكم ؟ هي طبعـا الشارع ··· »

والتجربة هنا ممكنة الوقوع ، ولكن العـرض ساذج ، فشخصية الكاتب لا بد ان تختفي وراء

الحكاية ، لا ان تلتقط خيط الحديث وتحوله الى ضمير المتكلم •

القصة الرابعة :

انتقام رهيب

بقلم : ابو سلهام العلوفي •

وهي مثل الاقصوصة السابقة تصور مشكلة الاكراه على الزواج بغير ارادة الفتاة ، فلا تطيق العيش مع زوجها فيقتله اخوها بسيارة • ولكي يختار لزوجها القتل بهذه الطريقة ، يهجر التعليم وهو الطالب النابغة ـ ليعمل سائق سيارات •

« ••• كان مصطفى ذات يوم يقود سيارة النقل الكبيرة ••• فلمح الحاج علي ـ زوج اخته ـ يحاول عبور الشارع •• انقضت ـ السيارة ـ على الحاج كما ينقض العقاب على العصفور الصغير ، وسمع الناس العظام تتهشم واللحوم تتمزق•••»

وهكذا تنتهي الاقصوصة بهذه الطريقة المفتعلة، وتزخر بتشبيهات المنفلوطي وعبراته •

القصة الخامسة :

مغامرة فاشلة

بقلم : الدحماوي محمد •

وهي تصور ثورة الحرمان عند فقيه الحارة • الناسك المتعبد الذي اتخذ من صاحبنا قنطرةالقضاء ليلة سعيدة مع غانية تحبه ولا تعرف هذا الشيخ الذي هام بها ••• ويلحظ عامة الناس ذلك ويتصايحون بمجون الشيخ والغانية ، وصاحبنا يكون حينئذ في اوج لحظات السعادة ، وينتهي الامر بفضيحة •••

فالاقصوصة تصور ثورة الجسد وغضبة الضمير الاجتماعي ، ولكن ينقصها التحليل النفساني والحركة المسرحية النابضة بالانفعالات المتطاحنة•

القصة السادسة :

وكانت قرية

بقلم : حسني الوزاني •

وهي صورة من خيال المنفلوطي ، ومطبوعة بطابع الانشاء التعليمي في المدارس حينما يكون الغرض هو تنشيط الخيال لدى الناشئة • وبعد معاناة في اودية الخيال تعرف ان الموضوع هو كفاح قرية من قرى الجزائر في هيئة عرض خيالي للصورة لا للقصة •

فأين اذن مدارس القصة قديمها وحديثها التي جمعتها تلك الصفحة كما يقول السحيمي ؟ ان هذه الاقاصيص تمتاز بشيء واحد، هو انها تصوير واقعي لجوانب من البيئة • ولعل اظهر ما فيها هو ابراز سخط الجيل الجديد على التقاليد العائلية القديمة التي كانت تقدس رغبة الاب في تزويج ابنته بمن يشاء ودون رأي لها ولا ارادة ، وان الامر لا بد ان ينتهي بكارثة اي كارثة •

عن حجاب المرأة

نعم تتابعت الاقاصيص التي تصور جوانب الحياة في المغرب ، ونشأ جيل من القصاصين لمعت منه أسماء أثبتت جدارتها في عالم الاقصوصة، واليك نماذج من اثر هؤلاء :

المسعورة ، وترويض عبد ، ودخان سجاير لاحمد عبد السلام البقالي •• وما زالت تشرق الشمس، وبقية القصة لعبد الجبار السحيمي وكذلك قصته (في المدينة) •• وشيخ القرية لعبد الله شقرون •• وحديث البقال لاحمد زين •• وخيبة الطالع للحسن عبد الله السليماني •• وأرضنا العزيزة لمحمد خضر الريسوني •• وتجربة لمحمد بوعلة •• والضحية لمليكة الفاسي وسنحرض الارض لمحمد البنساني •• وزنبقة بين اللحود لعبد الرفيع الجوهري •• وصديق لمحمد ابراهيم بوعلو ••والهواء الجديد لمحمد زنيبر ••وانتصار الحق بالباطل لعبد الخالق الطريس •• وبين حلم ويقظة لعبد الرحمن السايح•• وخادمتي لعبدالله ابراهيم •• والراهبة لعبد الكريم غلاب •• والضياء الارجواني لمحمد العربي الخطابي •• والطاحونة الحمراء لعبد القادر السحيمي •• والطريق الطويلة لمحمد برادة •• وعائشة لعبد المجيد بن جلون •• وورقة الحياة لابي بكر المريني •• وعمر بو شناق لعبد الرحمن الفاسي •• وفاكهة الشتاء لعبد الكريم ثابت •• والملكة خناثة لامنة اللوة •• وغير ذلك من عشرات القصص التي تستطيع ان تتنفس منها هواء المغرب الجديد •

تتابعت القصص التي حاولت علاج المشكلة

الضاربة في أعماق الجيل المغربي القديم ، مشكلة حجاب المرأة وما يتبعها من اكراه الفتيات على الزواج دون رأى لهن ولا ارادة ٠ ولسنا هنا في موقف التصدى لمناقشة هذه الظاهرة الاجتماعية لدى المغاربة أو غيرهم ، ولا نبيح لانفسنا اتخاذ موقف معين منها بالتأييد أو المعارضة ، فكل ما لدينا من القصص يمثل رأى طرف واحد وهو كتاب القصة وكاتباتها من الجيل الجديد ٠ وكل حزب بما لديهم فرحون ٠ تقرأ صدى هذه المشكلة مثلا في قصة (تجربة) لمحمد بوعلة ، وقصة (الضحية) لمليكة الفاسي ، وقصة (حديث البقال) لاحمد زين ٠ وستشعر بالمتعة عندما تقرأ قصة (ذات الاظافر الطويلة) وترى فيها ذلك الصراع النفسي العنيف في طبيعة المرأة ، هذه الطبيعة المعقدة ، فبينما تحتاج المرأة الى رجل قوى آمر يسيطر عليها، ولا تتذوق معنى الحياة الا في ظل هذه السيطرة نراها عنيدة مسرفة في العناد تصر على تنفيذ رغباتها ٠ فاذا تحقق لها ذلك أعلنت عن عنادها بارادتها هي ٠ كما أن في القصة تصويرا لتطور المرأة المغربية الحديثة ، وعرضا لبعض التقاليد السائدة هناك ، كالذهاب الى الحمام العمومي كل شهر مرة ٠

نستطيع اذن ان نقول : ان القصة المغربية ـ على نعومة أظفارها ـ قد نجحت فيتصوير جوانب من الحياة في المغرب ، والامثلة على ذلك كثيرة بالاضافة الى ما سبق ، فادب المقاومة سدت فيه القصة فراغا كبيرا وقامت بدورها الى جانب الشعر الشعبي والشعر الفصيح ، يتجلى هذا في قصة (عائشة) لعبد المجيد بن جلون ، وقصة (أرضنا العزيزة) للريسوني ، وقصة (خيبة الطالع) للسليمان ٠ ومن القصص الحوارية قصة عبد الله شقرون (شيخ القرية) ومستوى الحوار فيها متوسط يهبط كثيرا عما يليق بهذا الفنان المسرحي ، ولكن عذره مقبول باعتباره داخلا في نطاق التجربة الحوارية بالقصة المغربية. وان كان هناك نموذج من الحوار السائغ يتمثل في القصة التمثيلية القصيرة (الطاحونة الحمراء) لعبد القادر السحيمي ٠ اما قصة (في المدينة) لعبد الجبار السحيمي ، فهي محاولة لرسم صورة عن جوانب من الحياة المدنية الحديثة ، ولكنه يميل في هذه القصة الى الرمزية ويسرف في التخيل الذي يشوه جبروت الواقع ٠ ولعل أروع نموذج للادب الهادف هو قصة (ترويض عبد) لاحمد البقالي ٠ وقصة (زنبقة بين اللحود) لعبد الرفيع الجوهري تصور العقدة التي تنشأ من اسم الاسرة حينما يرميها سوء الحظ باسم قبيح يشعر بالذم ، فيظل بعض أفرادها من ذوى الاحساس المرهف، يمشون بين الناس على استحياء كان هذا الاسم القبيح محفور على جباههم ٠ وقصة (الهواء الجديد) لمحمد زنيبر تعمد الى التحليل النفسي ، وتعجبني منها لقطة عن بائع الزهر ٠

« لولا الوهم »

من القصص التي نجحت في تصوير جانب من الحياة المغربية ، قصة (لولا الوهم) في الحديث عن السحر والشعوذة لعبد السلام بن بغداد ، وقصة (الفقيه البركة) لاحمد بناني ٠

تقول قصة (لولا الوهم) في بعض لقطاتها :

« ٠٠ وقمت الى (الخنشة) (٤) فاذا لم تحقق لي ما ارجوه ، فما فائدة بقائها عندى ٠ كم أكون سعيدا عندما أرى (الحبيب) وهو يلج باب بيتي ذليلا ٠٠ ومن بين الاوراق الكثيرة وقع اختيارى على ورقة في اولها :

(باب ما يكتب » للمحبة المحرقة » : تكتب الحرز وتحوطه بأسماء الطالب والمطلوب وأسماء أمهاتهما ، ثم تبخر الحرز أثناء العزيمة بميعة سائلة وحصى لبان ذكر ، ثم تدفنه في طريق مرور المطلوب ليتخطاه ترى عجبا بعد ذلك) ٠

كيف ؟ شيء سهل للغاية ٠٠ يبدو من هذا ان المطلوب بين يدى في قبضتي ، وقليل من » العمل « يجلب السعادة !! ٠ وفي ضحى اليوم الثاني كنت عند العطار ٠٠ وفي دقائق معدودة كانت اللوازم في جيبي ٠٠ وبالقرب من حانوت العطار رأيت جمهرة من الناس ، ورجلا يقول لآخر :

انه شواق ، عفريت ٠٠ يبلغ للناس ما تكلفت الجن بالقائه على قلبه ، وتأملته فاذا هو في حالة نفسية ، والزبد يتطاير من شدقيه ، وقد انتفخت أوداجه واحمرت عيناه من شدة الصراخ ، انها حالة تلازمه كلما أراد كشف الاسرار وتمزيق

---

(٤) الخنشة : هي ما تحفظ فيه الكتب بالبيت كالصندوق والحقيبة ٠

حجاب الغيب !! .. ولما جاء دورى نظر الى نظرة حادة واشترط لنفسه « الزردة » (٥) ـ فاجبت بالايجاب . ثم صاح : أصحيح انك تستعد لمحاولة . قلت : نعم .. مد يده يطلب الوفاء فاخرجت من جيبى كل ما أملك وناولته اياه .. وقمت لاودعه فقال مؤكدا : المطلوب بين يديك فلا تحزن !! .. وفى الدار اخترت مكانا منفردا وأمام حفرة يتصاعد لهيبها وضعت البخور وشرعت فى العزيمة .. دخلت الوالدة لبعض شئونها .. عادت أدراجها دون أن تقول شيئا . لان الاحراز والبخور وما يدخل ضمنها لا يجهله عندنا ذكر ولا انثى .. عدت الى الورقة لاتاكد بالتدقيق من اليوم والساعة حتى لا تنكر « الشمتة » . ومرة أخرى اطلقت البخور .. ومرة أخرى وضعت الحرز فى المكان الاكثر جدوى .. وفى هذا الجو المضطرب وضعت يدى على الحرز وقلت : أين أتعابك يا عبد السلام أين انت أيها الوهم الكذاب . وأين افتراءاتك أيها الشيخ الخداع ؟ . ألم تقل لى فيما كتبته انه بمجرد الشروع فى العزيمة واطلاق البخور تتسلط الجن عليها لتعبث بقلبها وتحول اتجاه فؤادها ؟ .. وفى باب المسجد ، وأنا فى أشد حالات الاضطراب وجدت الطلبة يتهامسون . فقلت : فيم تتحدثون ؟ قالوا : نزل بساحتنا فقيه قال عن نفسه انه فنان ، وقد قررنا استضافته للاستفادة من معلوماته السحرية .. » وهكذا يتتابع اقتناص الضحايا » .

وتقول قصة (الفقيه البركة) لاحمد بنانى :

« عرفت الفقيه البركة وأنا لا ازال فى حداثة سنى، وكان اذ ذاك شيخا وقورا ذا حظوة ومكانة، لا يدخل على قوم الا قاموا اجلالا وأحلوه صدر المجلس ، ولا ينبسون ببنت شفة الا التماس بركته والتامين على دعائه الصالح ، يقدسه عامة الناس ويهابه ذوو الجاه والثراء ويحترمه العلماء ، لانه جمع بين علوم ، كل من يجمع بينها فله على ما يقال ، قدم راسخة فى علوم الظاهر والباطن ، لا يشق له غبار فى العلوم الدينية والاسرار العلوية ، واليه انتهى التحقيق فى علم الاسماء فاصبح يشار اليه بالبنان . اذا استمعت الى العارفين به يحدثونك عنه ، خلته من المتصرفين فى الكون، الآمرين الناهين فى عالم الجن والارواح.

قال لى يوما احدهم : اطلعت على فهرسته فالفيته اخذ عن جميع اجلة علماء وقته بمشارق الارض ومغاربها ، وقد وقفت فيها على اجازة بخط ابى زيد عبد الرحمن شمهورش قاضى الجن .. »

وبعد استعراض عينات من تجارب السحر والشعوذة ، تنتهى القصة نهاية تعليمية توحى بان تاثير السحر انما هو ايحاء نفسى وخديعة ، من نجا منهما بطل فيه فعل السحر والساحر . اى نعم ، القصة هى التى تنتهى هكذا !!

وهكذا نعود من الطواف بين أرجاء القصة المغربية الناجحة فى هذه الاشواط التى قطعتها ، نعود بعد هذا الى أرقى نموذج للقصة المغربية فى نظرنا ، ذلك النموذج هو قصة (المسعورة) لاحمد عبد السلام البقالى . واذا كان لا بد من وجود زعامة لكل شيء ، فان هذه القصة هى زعيمة القصة المغربية الان . واخترنا قصة تكون زعيمة القصص ، لانا لم نجد كاتب قصة يصح ان يكون زعيما لكتاب القصة فى المغرب حتى الان. ولكننى متفائل ومعجب بهذا البعث الادبى الذى سيخلق فحولة فى أدب المغرب لم تكن فيه من قبل.

وقصة (المسعورة) تستغرق أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ، متزاحمة الصور متلاحمة الاجزاء متماوجة الحركة متينة النسج أسرة فى السرد ، لايصلح فيها الاختصار ولو كان بمقدار. والعقدة فيها فتاة ذهبت ضحية التقاليد فى مشكلة الزواج وتعارض هذه التقاليد مع نزوات المراهق الذى يبحث لنفسه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، عن وضع ما من الاوضاع لكى يصبح شخصا .

وفى صيف ١٩٦٣ قامت الحرب المؤسفة بين الجزائر والمغرب ، واشتد اوار المعركة ، وكان رد الفعل عنيفا فى نفوس المغاربة واحلامهم وتطلعاتهم ، وبدأ شعور مبهم يتفاوى فى وجدان حملة الاقلام من الشباب ، واخذت التيارات المحلية والمستوردة تعمل عملها فوق تراب المغرب ، فتفجرت نبضات الحياة هناك ، وبدات القصة ـ كغيرها من فنون الادب ـ تبحث لنفسها عن اهتمامات جديدة . ■■

د. احمد عبد الرحمن عيسى
كلية اللغة العربية ـ الرياض

(٥) الزردة هى ما يتفق عليه من النقود أوحلاوة النجاح ، هكذا بطريق الابتزاز .



هذه هي حكاية
أسنان طفلك

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ يعتمد الطفل في الاشهر الاولى من عمره على اللبن الحليب غذاء رئيسيا له • فهو يلائم معدته الدقيقة ، وقابلية الهضم فيها • وما يحويه اللبن الحليب من مواد غذائية تكفي تغذية الرضيع في اشهره الاولى ، يساعده في ذلك ما يخزن في جسمه ـ وهو في بطن امه ـ من مواد ومعادن يفتقر اليها الحليب ويقل وجودها فيه •

وعندما يتجاوز الرضيع بضعة الاشهر الاولى من عمره ، يحتاج جسمه الى طعام غير اللبن الحليب ـ من مواد تصف سائله وصلبة ـ ليمضي قدما في نموه ، وفي تهيئة طاقاته وفعالياته • فتبدو عنده الحاجة الى ظهور الاسنان • وتكون تلك الاسنان الاولى رقيقة رقة جسم الطفل نفسه، تبقى مدة ـ تطول او تقصر ـ فيستعاض عنها باسنان غيرها • وتسمى تلك الاسنان الاولى : الاسنان اللبنية •

ظهور الاسنان اللبنية

وتظهر الاسنان اللبنية ـ اول ماتظهر عادة ـ في الشهر الخامس او السادس ، واحيانا في الثامن ، من العمر • وقد يتاخر ظهورها ـ احيانا اخرى ـ حتى نهاية الشهر التاسع او العاشر • وهذه كلها تعتبر حالات طبيعية •

وتظهر الاسنان اللبنية الاولى في الفك الاسفل قبل الفك الاعلى ، وفي الاناث من الاطفال ـ على الغالب ـ قبل الذكور • وفي حالات نادرة تكون الاسنان اللبنية موجودة منذ الولادة !

ان أول الاسنان اللبنية ظهورا ، هما السنان القاطعتان المركزيتان السفليان • وبعدهما يظهر

سنان قاطعتان اخريان في الفك الاعلى • ثم يظهر – بعد ذلك – سنان قاطعتان جانبيتان في الفك الاعلى ايضا • ثم مثلهما في الفك الاسفل •وعلى العموم ، فان الطفل الطبيعي ، والمغذى تغذية حسنة ، يكون قد ظهر له – في نهاية السنة الاولى من عمره – من ٦ – ٨ اسنان • ولكن ذلك ليس معناه أن تقلق الام اذا قل عدد اسنان طفلها في نهاية السنة لاولى عن ذلك العدد • فان هذا العدد هو المعدل في حالات التسنن ، وظهور اسنان تقل عن ذلك العدد ليس معناه وجود حالة مرضية ،او امر غير طبيعي ،وان كانت استشارة الطبيب مفضلة آنذاك •

وعلى النقيض من ذلك قد يتاخر ظهور الاسنان حتى نهاية السنة الاولى – او ما بعدها – لوجود حالات غير طبيعية تكمن وراء ذلك • مثل « لين العظام » – الكساح – ، وحالة نقص افراز بعض الهرمونات ، كما في حالة نقص افراز الغدة الدرقية ، وحالة « المنغول » ، والضعف العام ، والهزال الشديد ، والاسهالات الشديدة المتكررة، وغير ذلك •

وعلى العموم ، فان الطفل ، في نهاية السنة الاولى من العمر ، وفي الحالات الطبيعية ، يمتلك – عادة – ست اسنان • وعندما يكمل السنةونصف السنة من عمره يمتلك عشرا او اثنى عشرة سنا• وفي سن السنتين يمتلك ست عشرة سنا • حتى يكمل السنتين ونصف السنة من عمره فيصبح مجموع ما يمتلكه الطفل من اسنان نحو عشرين سنا على الغالب •

آلام التسنن ومتاعبه

وبالرغم من ان التسنن عملية غريزية (فسيولوجية) ، تتبع قاعدة النمو في الطفل وتلازمها • الا انها قد تسبب له ازعاجات كثيرة ومتاعب جمة ، خاصة عند الطفل ذي الحساسية المرهفة ، والمزاج الرقيق الحاد • فيصبح – عند التسنن – حاد الطبع ، سريع التهيج ، شكسا ، معاندا متبرما ، يبكي لاتفه الاسباب ، ويصاب بفقد الشهية للطعام ، والارق وقت النوم ليلا يطرح رأسه على الارض • أو الفرش ، بين حين وآخر، ويحشو قبضة يده في فمه • وقد تتهيج اعصابه – في بعض الاحيان – فيشد اذنيه ، وقد يشد شعر رأسه احيانا •

اما في الحالات الشديدة ، فترتفع درجة الحرارة – درجة او درجتين – اياما قليلة • وقد يفقد الطفل شيئا من وزنه فيبدو النحول فيوجهه ظاهرا للعيان •

وعند فحص اللثة ، يتبين للرائي وجود تورم طفيف في موضع السن ، مع احمرار في اللثه • وقد يشعر الطفل بحساسية موضعية شديدة ، كما يشعر بالم وحكه في موضع السن • وفي حالات قليلة ، قد يصاب الطفل بالقيء ، والاسهال ، والتشنجات •

ان بعض الامهات قد لا يلقين بالا ، ولا يبدين اهتماما ، عند تسنن الطفل ، بالرغم من وجود بعض الاعراض الشديدة احيانا : كالاسهال ، والحمى ، ونحو ذلك • فقد تعرض الام طفلها على الطبيب لمعرفة اسباب هذه الاعراض • فما يكاد الطبيب يخبرها ان الاعراض هي اعراض التسنن، حتى يهدأ بالها ، ويطمئن خاطرها ، وتترك الطفل لآلامه يتجرعها ، ولمتاعبه يتحملها •

ان وجود مثل هذه الاعراض تستدعي العلاج ، سواء كانت بسبب التسنن ، او غير التسنن • وان الاطلاع على ان ما يعانيه الطفل – من الامومتاعب – هو من جراء التسنن ، لا يبرر للام ولا يجيز لها، ان تهمل علاج تلك الاعراض بحجة ان الامر مجرد تسنن بسيط ، ودور طبيعي يمر به جميع الاطفال في فترة التسنن •• هذابالرغم من ان بعض الاعراض والاضطرابات عند الطفل – في فترة التسنن – قد يعزى سببها الى التسنن ، من غير حجة واضحة ولاقناعة كافية • الا ان على الام ان تهتم بنصائح الطبيب ، وان تطبق تعليماته ، وتعمل بارشاداته، بغض النظر عن الاسباب •

هل للتسنن علاج ؟

ليس للتسنن علاج دوائي معين • وانما نستطيع ان نخفف من آلام الطفل ومتاعبه ، وذلك بمعالجة الاعراض حسب ظهورها ووجودها • فتعطى للطفل بعض المهدئات حتى يستطيع النوم او الرضاع •

وكما تعالج حالات الاسهال او الحمى • ثم يجب العناية بتغذية الطفل خلال هذه الفترة الحرجة من فترات نموه ، فتستعمل الملعقة او الفنجان لتغذيته بدل الثدي او قنينة الرضاع ، خاصة اذا كانت اللثة حساسة ومؤلمة بحيث تصبح عملية الرضاع مزعجة للرضيع •

كذلك فان بعض الاطفال يصبح حساسا للاصابة بالتهاب القصبات عند التسنن • فتعالج الحالة – آ نذاك – تحت اشراف الطبيب •

تسوس الاسنان اللبنية عند الطفل

والمراد بالتسوس هنا : هو نخر جسم السن وتاكله بفعل بعض الجراثيم • ويحدث ذلك عادة بدون ان يشعر به الطفل او يحس بوجوده • وذلك لان التسوس – في اول امره – لا يسبب ازعاجا• ولا يثير الما ، وقد تكون الام اول من يكتشف وجوده وتشعر به ، وذلك حين يتكون الخراج في جذر السن ، او اللثة ، فتصبح رائحة فم الطفل كريهة مزعجة• كما تبدا صحة الطفل بالتاثر • فيصاب فقد الشهية للطعام ، وبعض الاضطرابات المعدية، والاضطرابات العصبية احيانا •

ويحدث التسوس في الاسنان اللبنية ما بين السنة الرابعة والثامنة من العمر • وفي الاسنان الدائمة من الرابعة عشرة حتى الثامنة عشرة • ويعود سببه الى تناول الطفل بعض المواد السكرية – التي يحبها – بين وجبات الطعام ، واهمال العناية بغسل الاسنان بعد تناول تلك المواد كذلك تناول بعض المواد النشوية ، وبقاء فضلاتها بين الاسنان• ومما يساعد على عملية التسوس وانتشارها ضعف الجسم العام ، والاصابة بلين العظام (الكساح)، وفقر الدم ، وسوء التغذية •

وقد يسبب التسوس امراضا اخرى • منها امتداد الالتهاب الى عظم الفك ، فيتورم الفك وقد يتكون الخراج فيه ، وترتفع درجة الحرارة • كما انه قد يسبب فقر الدم بتاثير ما يمتص من سموم الجراثيم الموجودة في خراجات اللثة وفي محل التسوس • هذا بالاضافة الى ما يمكن ان تسببه في الجسم بعض الجراثيم الخاصة ، كالمكورات السبحية – مثلا – اذا كانت موجودة في محل التسوس ، من امراض خطيرة لامجال لذكرها هنا•

ومن ناحية اخرى ، فان وجود التسوس نفسه قد يسبب الما في السن ينتج عنه عدم مضغ الطعام جيدا • فيصاب الطفل بسوء الهضم • كما ان قلع بعض الاسنان المتسوسة ، او سقوطها يجعل مكانها من اللثة خاليا ، فيتسبب عن ذلك عدم المقدرة على مضغ الطعام مضغا جيدا ايضا •

لذلك كله ، فان العناية بالاسنان اللبنية امر له اهمية كبرى •

العناية والوقاية

يجب الا تهمل العناية بالاسنان اللبنية بحجة انها « اسنان لبنية » ستعوض باسنان اخرى دائمة فهذا خطأ شائع • ذلك ان للاسنان اللبنية علاقة وثيقة باستقامة ظهور الاسنان الدائمية تاثيرا مباشرا •

تقوم الام بتدريب طفلها على استعمال فرشاة الاسنان الخاصة به ، ولا حاجة لاستعمال معاجين الاسنان • اذ ان الغاية هي ازالة ما قد يعلق باسنان الطفل ، وما يبقى بين فجواتها من بقايا طعام • وان تعود ولدها على غسل فمه واسنانه بعد تناول المواد السكرية (الحلويات) والمواد النشوية ، خاصة بين وجبات الطعام • كذلك يجب عرض الطفل على طبيب الاسنان مرة كل ستة اشهر على الاقل –عندما يتجاوز عمره ثلاث سنوات– لفحص اسنانه ، والاطمئنان على سلامتها •

كذلك يجب الاعتناء بتناول الطفل كميات كافية من اللبن الحليب كل يوم ، بعد الفطام مع قطرات زيت كبد الحوت •

اما اذا حدث التسوس فعلا ، فيجب عندئذ قلع الضرس المتسوس ، وعلاج ما قد يوجد من التهابات وتقيحات في اللثة فتتحسن عندئذ شهية الطفل للطعام ، ويهدأ طبعه ، وتزول رائحة فمه الكريهة ويعود طفلا سعيدا ، مرحا معافى

■■

الكويت – د • محمد صادق زلزله

ماتت الكبيرة

● كان بمصر شريف من ولـد أبىالعباس يعرف بأبى جعفر الشق وكان من المغفلين البلهاء ، حكى أنه دخل عليهكاتبهوكاتم أسراره أبو الحسين فوجده يبكى بكاء شديدا وهو يقول : وانفصام ظهراهواهلاكاه واضيعتاه فقال أبو الحسين : ما للشريف لا أبكى الله عينه ؟ فقال : ماتتالكبيرة ـ يريد أمه ـ وكان بارا بها فقال أبو الحسين أحقا ماتت قال : نعم ! فأظهرالحزن والالم بما يتفق مع هول الصدمة ، ولكن أبو الحسين الكاتب أنكر الحال بعدقليل اذ لم يجد لموت الكبيرة دليلا فلا أحد يعزيه ولا فى الدار حركة فبقى حائرا ،حتى أتت جارية فقالت للشريف : الكبيرة تقـرئك السلام وتقـول لك ماذا تأكلاليوم ؟ فقال الشريف قولى لهـا : متى اكلت قط بغير شهوتك • فقلت يا سيدىالشريف هل الكبيرة فى الحيـاة ؟ فقال الشريف : وما تظن ؟ هل ماتت من حق ؟انما رأيت البارحة فى المنام كأنها راكبة على حمار يسير بهـا فى صحراء وعلىالبعد منها اعرابى يردد هذا البيت :

اذا ذهب الحمـار بأم عمـــرو فلا رجعت ولا رجـع الحمـار

امطرت

● يحكى ان امرأة الفيلسوف الكبيرسقراط كانت كثيرة الاذى لزوجها بل انها كانت تكرهه وتضربه احيانا • حكى انهااقبلت يوما تسبه وتشتمه وهو غير مكترث بها يطالع فى بعض الكتب ولا يلتفت اليهاوكانت المرأة تغسل ثوبا،فأخذت ماء الغسيل وسكبته عليه فقال سقراط حينذاك مازلت تبرقين وترعدين حتى امطرت •

من يستطيع ذلك

● أمر الوزيـر على بن عيسى أبـاعبد الله بن الجصاص أن يواتيـه فى الصباح الباكر ، ولكن ابن الجصـــاصتأخر عن موعده وأتاه نصف النهار فقال له الوزير على بن عيسى ما الذى أخـركيا أبا عبد الله ؟ قال : بمحلتى أعز الله الامير كلاب تنبح الليل أجمع ، فأسهرتنىالبارحة ، فلما كان مع وجه السحر سكن نباحهـا فنمت وغلبتنى عينى الى الانفقال له الوزير على بن عيسى ومالك يا أبا عبد الله لا تتقدم فى قتلها ؟ قال :ومن يستطيع ذلك أيها الوزير وكل واحد منها مثلى ومثل أبيك لحما وشحما رحمهالله •

بين الشدة واللين

● قال احد الحكماء : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الامراء تسوسهم بالعطف واللين والاحسان : وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تخرجهم الشدة ويبطرهم اللين .

صلاة عجيبة

● قال أحد الاعراب خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبني سعد فاذا اعرابية نائمة فأنبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا ، فتوجهت الى القبلة قاعدة ولم تمس الماء فكبرت ثم قالت : اللهمقمت وأنا عجلى وصليت وأنا كسلى فأغفر لى يارب عدد الثرى قال : فعجبنا وقلنا ما تجوز لك الصلاةوما هذه بقراءة!

قالت : والله ان هذه لصلاتى منذ أربعين سنة .

لا عليك يا أخى

● كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخرج كل يوم الى خارج المدينة يتنسم أخبار معركة القادسية التى كانت تدوررحاها بين الجيوش الاسلامية وجيش فارس وبينما هو فى احدى غدواته وروحاتهتلك اذا براكب يركض بناقته نحو المدينة فى عجلة فأسرع اليه عمر قائلا : من أين يا عبد الله فأجابه الراكب ـ وهو لا يزال يركض بناقته ـ من القادسية يا أخا العرب . قال عمر : حدثنى ماذا جرى لجيش الاسلام فقال الراكب : انتصروا والحمد لله قال : زدنى فأخذ الرجل يحدثه وهو يسرع السير وعمر بن الخطاب يخب بازائه فمازالا هكذا حتى بلغا المدينة فاذا الناس يتحازون الى عمر ويحيونه بتحية الخلافة .. فذهل الرجل وقال : هلا أخبرتنى من تكون .. فقال عمر : لا عليك يا أخى .

استعملت علمى

● قال رجل للمهلب بن ابى صفرةوكان من القادة الاكفاء : كيف نجحت وبلغت ما بلغت من مركز رفيع تحسد عليه؟ فقال المهلب : انى حققت ذلك بالعلم وحده فقال له الرجل : ولكنى ارى غيرك لم يصل الى ما وصلت اليه وقد تعلم اكثر مما تعلمت بل بذل غاية المجهود فى العلم ! فقال المهلب : ذلك لأنى استعملت علمى ولم احمله بينما حمله غيرى ولم يستعمله .

هل سال أى واحد منا نفسه يوما : لماذا يحب زهورا أو انغاما أو اشكالا بذاتها ، ويكره زهورا أو انغاما أو أشكالا أخرى ؟

نحن نحب ونكره

أشياء صغيرة جداً

.. لماذا؟

بقلم : الدكتور انيس فهمى

لماذا نعتبر تنسيق الزهور بشكل معين اكثر جمالا من تنسيقها بشكل آخر ؟ أو لماذا نطرب لسماع نغمة معينة أكثر من طربنا لسماع نغمة أخرى ؟ لماذا يصل الامر بنا أحيانا الى أن نحب بعض الارقام والكلمات والحروف الاخرى ؟

ان ميول الانسان وعواطفه الاكثر عمقا ليست شيئا غامضا يثير الحيرة ، فى أغلب الاحوال ، كما تشيرها بعض تصرفاته فى حياته اليومية من انعطاف نحو شىء ما أو نفور من شىء آخر • وعلى أية حال فان هذه النزوات والميول يجب الا ننظر اليها بخفة أو عدم مبالاة لان نتائجها الاجتماعية بعيدة المدى كما انها تثير الاهتمام من الناحية السيكولوجية •

القطاع الذهبى

فى أيام افلاطون وارسطو كانت هناك افكار متعددة عن طبيعة الجمال ، ومن بين هذه الافكار نبتت نظرية « المتوسط الجمالى » التى تقول أن الجمال مرتبط بعدم التطرف • وقد ظلت هذه النظرية سائدة الى ما بعد افلاطون وارسطو ، فان القديس اوغسطين ، على سبيل المثال ، قال ان المناظر تكون سارة للعين عندما لا تكون شديدة الاضاءة ، كما أن الاصوات تكون عذبة للسمع عندما لا تكون شديدة القوة أو شديدة الضعف •

وهناك مثل اكثر تحديدا للمتوسط الجمالى يطلق عليه اسم « القطاع الذهبى » ، وهذا يحدث عندما يكون الضلع الطويل فى المستطيل مساويا ضعف الضلع القصير ، أى أن نسبة الضلع الطويل الى الضلع القصير تساوى ٢ : ١ وفى العصور الوسطى كان يطلق على هذه النسبة اسم « النسبة الالهية » • وفى عصر النهضة وصف كيلر ، العالم الفلكى هذه النسبة بانها احدى كنوز الهندسة •

ان مثل هذه الافكار يمكن أن تفتح باب البحث فى موضوع التفضيل الجمالى ، وذلك بان يتحقق الانسان على سبيل المثال ، من وجود أو عدم وجود القطاع الذهبى فى أكثر النسب جمالا فى



عيون غالبية الناظرين • الا أن مجرد التفكير في البحث في موضوع التفضيل الجمالي كان دائما مكروها من بعض الفنانين ومن كثيرين من الناس ولعل ذلك راجع الى سوءفهم لاهداف البحث ، وذلك يذكرنا بمعارضة الشاعر كيتس العنيدة للبحث في ألوان الطيف بوساطة علماء الطبيعة في عصره •

وقد بدأت الابحاث التجريبية في علم الجمال في معمل العالم الالماني فيشنر في عام ١٨٨٠ ، ويعتبر علم الجمال التجريبي واحدا من أقدم فروع علم النفس التجريبي •

وبنهاية القرن التاسع عشر كانت الوسائل المستخدمة في هذه الابحاث قد وصلت الى درجة عالية من الاتقان ، ولكن نتائج الابحاث لم تكن مشجعة • لقد اتضح ان المستطيل ، بأى نسبة من النسب ، كان يبدو جميلا في عيون بعض الناس • وبالرغم من ان القطاع الذهبى كان شائعا ومعروفا ومحبوبا من الناس ، الا أن النسب الاخرى لم تكن مكروهة أو غير مستحبة ، في حين انه في الموسيقى مثلا كان الناس جميعا ينفقون في استهجان النغمات التى كانت تصدر عن أوتار ليست مضبوطة تماما • ونظرا لاختلاف نتائج الابحاث في علم الجمال التجريبي فقد هبطت التجارب في ذلك الميدان خلال العشرينات والثلاثينات من القرن الحالى •

نظرية التعرض

وبدأ الاهتمام بعلم الجمال التجريبي يزداد مرة أخرى في أواسط الستينات ولا يزال كذلك حتى الان • وتتميز هذه النهضة الجديدة باختلافها التام عن المرحلة القديمة ، اذ ان لها أهدافا جديدة وطرقا ووسائل ونظريات وأصبحت تسمى « علم الجمال التجريبي الحديث » • ومن ضمن علامات الطريق في هذا العلم « نظرية التعرض » للعالم الامريكى روبرت زاجونك التى أعلنها في عام ١٩٦٨ • لقد جمع زاجونك أدلة توضح بان ميلنا للاشياء يزداد بزيادة معرفتنا بها •

ان التعرض المتكرر لمؤثر ما يزيد من ميلنا اليه • وبالرغم من أن هذه النظرية قد تبدو متعارضة مع تجارب الحياة اليومية التي قد تؤدي فيها زيادة معرفتنا بالشيء الى النفور منه ، الا أن الادلة التي استند اليها زاجونك كانت مقنعة تماما ، ولو أن بعضها ليست أدلة مباشرة • ان الكلمات التي نستعملها كثيرا في لغتنا تكون مألوفة لنا أكثر من الكلمات التي نستعملها قليلا • لقد وجد زاجونك مثلا أن كلمة « السعادة » نستعملها أكثر من كلمة « الشقاء » بمقدار خمس عشرة مرة ، كما أننا نستعمل كلمة « الجمال » أكثر من كلمة « القبح » احدى وأربعين مرة •

واذا كانت لغتنا تعكس الحياة التي نعيشها فانه يمكننا أن نستنتج أن الاشياء تكون « حسنة » أكثر من كونها « سيئة » بمقدار خمس مرات ، وان الاشياء « تتحسن » أكثر من كونها « تسوء » بمقدار خمس وعشرين مرة ، واننا « نعثر » على الاشياء أكثر من أن « نفقدها » بمقدار أربع مرات ونصف ، وهذا على الارجح يعود الى أننا « محظوظون » أكثر من كوننا « غير محظوظين » بمقدار احدى عشرة مرة •

وبالمثل وجد زاجونك ان الوردة ، وهي أكثر الزهور شيوعا على لساننا ، أكثر الازهار حبا لدى الناس ، في حين أن زهرة الاقحوان تتخذ مكانا وسطا في شيوعها على ألسنة الناس وفي حب الناس لها •

وقد فعل زاجونك نفس الشيء بالنسبة للخضروات والمزروعات الاخرى فوجد ان الخضروات تتفوق على المزروعات الاخرى في شيوعها على ألسنة الناس وفي حب الناس لها •

على أن هذه الامثلة ليست مقنعة لتأييد نظرية التعرض لانها لا تثبت ان الالفة بالشيء تسبب الحب له ، لكن كل ما يمكننا قوله هو ان الحب قد يسبب الالفة • فالناس قد يكونون أكثر الفة للاشياء التي يحبونها لاي سبب من الاسباب •

ومن النظريات الاخرى نظرية تقول ان تفضيلنا لبعض الاشياء قد تكون له جذور بيولوجية ، تماما مثل مخاوفنا من بعض الاشياء • ان الكثير من الحيوانات مثل الطيور والثدييات يتولد عندها تفضيل شديد للاشياء المألوفة لديها ، وهي تكتسب هذا التفضيل نتيجة للمخالطة المستمرة بها منذ بداية حياتها • وهذا النوع من الاكتساب يطلق عليه اسم « التطبع » • ونفس الشيء ينطبق أيضا على الانسان •

علاقة الحب بالالفة

ان الالفة وحدها لا تجعلنا نحب الشيء أو نكرهه ، ولكن من الثابت أن لها تأثيرا معينا في النواحي الجمالية • والذي يستحق أن نعرفه هو الكيفية والدرجة التي تؤثر بها الالفة في تطور ونمو حاسة الجمال عند الانسان • وقد قام بهذا البحث اثنان من علماء النفس بجامعة ليستر بانجلترا ، واتضح لهما ان حب الشيء أو الانجذاب نحوه يزداد مع ازدياد الالفة به ثم يصل هذا الحب الى ذروته وبعد ذلك يقل بالتدريج • وعلى ذلك فاننا نحب الاشياء التي نألفها بدرجة متوسطة ولكننا لا نهتم كثيرا بالاشياء الحديثة جدا في حياتنا أو بالاشياء المألوفة جدا لنا •

وتشير بعض الابحاث الى أن ذروة الميل للاشياء قد تحدث في وقت مبكر بالنسبة للاشياء البسيطة والسهلة الفهم ، كما انها تحدث في وقت متأخر بالنسبة للاشياء التي تبدو معقدة وصعبة على الفهم • ان الفصيلة الاولى تشمل الاشياء التي تجذبنا على الفور ولكنها سرعان ما تصبح أشياء مملة ، في حين ان الفصيلة الثانية تشمل الاشياء التي ينمو ميلنا اليها أو حبنا اياها بشيء من البطء ، ولكن هذا الميل أو الحب يستمر مدة أطول •

ان البحث على هذا المنوال قد يساعدنا على تفسير الطريقة التي تتغير بها الازياء والموضات والتي يبدو انها طريقة عشوائية ، فموسيقى البوب ، طبقا للنظريات التي سبق ذكرها ، نتوقع ان تختفي سريعا ، وأزياء ملابس السيدات يجب ان تتغير بشكل أكثر بطئا ، كما ان المؤلفات الموسيقية الكلاسيكية يجب أن تكتسب شعبيتها أو تفقدها على فترات زمنية طويلة جدا • ويبدو ان تجاربنا العملية في حياتنا اليومية تؤيد الفروض النظرية في هذا المجال • ■■

القاهرة : د أنيس فهمي

طبيب الأسرة



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

قشور على الجسم

● **انا سيدة وعندى اطفال أعاني من وجود قشور دقيقة على جسمى الا انها تزداد خاصة بعد الحمام مع احمرار وحدوث حكاك واستعملت مختلف الكريمات الا انها لازالت تعاودنى ، فما هى وكيف اشفى منها ؟**

أن وجود قشور دقيقة على الجسم ليس مصدر قلق أبدا لأن الجسم عادة يكون مثل هذه القشور على البشرة ولكن يجب ملاحظة أنه اذا حدث أى اضطراب فى البشرة نتيجة بعض الامراض خاصة تلك التى تؤدى الى جفاف البشرة فان هذه القشور تزداد زيادة ملحوظة وتختلف فى اللون تبعا للمرض المسبب لها ، لذلك فقد يكون جفاف الجلد وزيادة القشور نتيجة للضعف العام أو سوء التغذية أو الامراض المزمنة، وقد يكون ناتجا عن اضطراب فى الهرمونات وضعف نشاط الغدد الدهنية والعرقية ، كذلك قد تنتج القشور نتيجة استعمال بعض العقاقير وعادة تخف حدة الجفاف والقشور تلقائيا فى فصل الصيف حيث الحرارة والرطوبة وزيادة الافرازات الدهنية والعرقية وتزداد فى فصل الشتاء.

أما زيادة القشور بعد الحمام مع حدوث الاحمرار والحكة ، فهذا ينتج من شدة سخونة المياه المستعملة فى الحمام مع طول فترة الاستحمام وكثرة استعمال الصابون والعطور بشكل ملحوظ مما يؤدى الى جفاف الجلد وظهور القشور والحكة . لذلك فانه يجب ان تكون مياه الحمام فاترة أو دافئة وليست ساخنة مع الاقلال من استعمال الصابون القلوى ويستعمل بدلا عنه الصابون المتعادل مثل صابون نيتروجينا وعدم ترك أى أثر للصابون على الجسم .

كما أن استعمال حمامات محلول ملح ٣٪ والجلوس فيها لمدة ¼ ساعة يوميا أو المراهم المحتوية على الملح بنسبة ١٠٪ تفيد كثيرا لازالة الجفاف والقشور ومن الضرورى دهان الجلد يوميا بالمراهم الملينة المحتوية على اللانولين والمراهم المرطبة للبشرة .

كذلك فان تناول فيتامين أ ، ب مركب يفيد كثيرا فى مثل هذه الحالات .

حكاية الحساسية

● **هل لديكم تفسير للحساسية التي نصاب بها احيانا ؟**

كريم جاد الله ـ اليمن الجنوبي

الحساسية او التحسس عامل اساسي من العوامل المؤثرة في قوة الدفاع الذاتية عند الجسم الحي . فكما يقول علماء الفيزياء ان لكل فعل رد فعل يساويه في القوة والاثر فانه لكل جسم غريب يدخل جسم الانسان يتكون جسم مضاد له بالتحديد التام . وهذه القدرة في الجسم الحي غاية في الدقة بحيث انه يمكن استخدام هذه الخاصية للاستدلال على المواد غير المعروفة بمعنى انه اذا عرضنا جسما مضادا معينا معروفا لمجموعة من المواد المجهولة الصفات فانه لن يتفاعل الا مع مادة واحدة بذاتها ان كانت بين المجموعة المجهولة . ان هذا التفاعل دقيق الاختبار الى أبعد الحدود التي يمكن تصورها .

غير ان الاجسام المضادة لا يمكن ان تتكون الا في جسم حي ولا بد أن يكون ذلك كرد فعل لدخول مادة غريبة عن هذا الجسم . فمثلا التطعيم ضد الامراض هو عبارة عن ادخال جراثيم الامراض او افرازاتها التي تسبب الامراض الى الاجسام الحية بجرعات لا تسبب المرض ذاته ولكنها تنتج كميات من الاجسام المضادة كافية للتفاعل مع أي عدوى من هذه الجراثيم ذاتها فتقضي عليها وتمنع حدوث المرض .

ولئن كان الامر سهلا فلماذا لا يكون التطعيم ضد كل الامراض ، وهكذا تختفي معظم الامراض المعدية مثلا . لكن القضية ليست بهذه البساطة لان القدرة على تكوين الاجسام المضادة دقيقة جدا ولابعد الحدود كما اسلفت . ولذلك فان التطعيم ينجح تماما كلما كانت الجرثومة المطعم ضدها ثابتة في تكوينها البيولوجي كجرثومة الجدري مثلا . اما الانفلونزا التي تغير كل حصاناتها البيولوجية بسرعة مذهلة فان تحضير اجسام مضادة متخصصة ضد كل نوع منها يصبح مشكلة عسيرة لكن من أمراض الحساسية ما ليس فيه جراثيم ولا عدوى ويظهر على شكل ازمات من الضيق الشديد في التنفس او نوبات حادة او معتدلة من الهرش في الجلد او العيون أو اسهال أو قيء أو اعراض عديدة يصعب تعديدها .

واسباب كل هذه الاعراض واحدة من حيث الاصل . هي تعبير تختلف قوته وكذلك اثره عن قدرة الجسم الحي عن صد هجوم مضاد وقع عليه . ولتوضيح اكثر فلنتصور جسما حيا لا يمتلك اجساما مضادة لمادة ما فاذا حقناه بهذه المادة اول مرة فانه يبدأ في تكوين الاجسام المضادة المتخصصة جدا ضد هذه المادة المحقونة وتبقى هذه الاجسام في الجسم الحي لمدد تختلف من مادة لمادة وهذه ذاتها هي فكرة التطعيم . فاذا حقنا نفس المادة في نفس الجسم مرة ثانية فان تفاعلا يتم فورا بين الاجسام المضادة التي تكونت من الجرعة الاولى وبين المادة التي ادخلت الجسم من الجرعة الثانية وعلى قدر عنف المعركة يكون الاثر الذي تبدو اعراضه على الجسم الحي . قد يستطيع تحملها ويمر الحدث بسلام وقد يصاب بأحد الاعراض التي ذكرت منها

يشكو من القرحة

● اجريت لي عملية جراحية في معدتي في الصيف الماضي ولا زلت اشعر بضيق من التنفس واوجاع حادة احيانا في ظهري ، ارجو ان تفيدوني عن الاسباب وعما يجب ان امتنع عنه حتى تعود صحتي الى حالتها الطبيعية بعد اجراء العملية ؟

ـ ننصح باجراء فحص بالاشعة الملونة لمتابعة الحالة اذ انه من المعروف انه احيانا تعود القرحة الى الظهور بعد اجراء العملية وتعطى هذه الاعراض التى تشتكى منها . واذا اظهرت الاشعة وجود هذه القرحة الجديدة فعليك مراجعة الجراح الذى اجرى لك العملية مرة اخرى للاستشارة فيما يمكن عمله اما اذا لم تظهر الاشعة وجود شيء غير طبيعي ولا تحليل البراز المتكرر لوجود الدم فعليك اتباع الحمية اللازمة ونظام الطعام الخاص لدى مرض القرحة والتى يجب تنظيمها من قبل اطباء المغرب حيث ان انواع الاطعمة واختلاف مكوناتها تختلف من بلد الى بلد مع اخذ العقاقير المضادة للحموضة .

ضيق التنفس والهرش وغيرها وقد يصاب بصدمة عنيفة تفقده الوعي أو حتى الحياة .

من هنا يبدو أن فكرة التطعيم يقف خلفها مجهود كبير من الهندسة البيولوجية لتقديم النوع والكم المناسب بحيث يدفع عن الانسان العدوى ولا يكلفه الكثير .

فاذا كانت القضية عبارة عن تفاعل مواد مع اجسامها المضادة وبهذا التحديد البالغ الدقة فلماذا يصاب انسان بعرض منها كضيق التنفس أو الهرش أو الاغماء ولا يصاب غيره حتى لو حقن بجرعات أقوى ؟ ولماذا يكون نصيب مريض ما ضيق في التنفس بينما يكون نصيب الاخر هرش حاد أو مزمن ؟

والاجابة تكتنف الحياة كلها من اولها الى اخرها فمن يوم حدث التلقيح وقد انتقلت كميات من الاجسام المضادة او القدرة على تكوينها من الام والاب الى الجنين وتظل هذه الكميات وهذه القدرة تنمو كما ونوعا بزيادة تعرض المخلوق الجديد للعديد من المواد في هذه الدنيا. يتعرض في الرحم ويتعرض خارجه . ومن الواضح ان درجة التعرض للمواد الغريبة لا بد ان تختلف من فرد لفرد ومن الواضح ايضا ان قدرة انسان ما على تكوين اجسام مضادة لا بد ان تختلف عن قدرة انسان اخر على ذلك من حيث النوع والكم لان ذلك يعتمد على عوامل عديدة ومختلفة وصعبة التحديد بحيث يمكن ان يولد انسان وهو فاقد القدرة على تكوين الاجسام المضادة أو أن قدرته على تكوينها ضعيفة ومحدودة وقد يتعرض انسان للاشعاعات ذات الاثر الضار على الاجهزة التى تقوم بتكوين هذه الاجسام.

ان التمايز بين الافراد هي احدى قدرات الله سبحانه وتعالى وليست البصمة في الاصبع هي فقط الشيء الوحيد الذى لا يمكن ان يتكرر ولكن الانسان كله لا يمكن ان يتكرر وهكذا يختلف الناس في الاستجابة لاثر مادة على اجسامهم . وسبحان الله العظيم .

قصة

الرمال الجائعة

بقلم الدكتور : شكرى محمد عياد

● عندما كنت صبيا ، كان جدى يقف بى عند اشجار الاثل التى تمتد بحذاء حقلنا ويشير بسبابته :

ـ هذه الرمال الصفراء اكلت قرية اباثى واجدادى . وغدا تاكل قريتكم هذه .

كان قلبى ينقبض لنبوءته . ولكنى لم اكن اجسر ان اساله : كيف اكلت الرمال قرية آبائه، ولا لماذا يتحتم ان تاكل قريتنا .

وعندما اصبحت غلاما يافعا ، سالت ابى ذات صباح ، وكانت الشمس تغمر باشعتها حقل الشعير الذى نضجت سنابله ، فتحيله الى سبيكة عظيمة من الذهب :

ـ هل كانت لنا قرية قبل هذه ؟

فنظر الى دهشا وقال :

ـ أتراك كنت تحلم ؟ انا ما عرفت غير هذه القرية ، فيها ولدت ، وعلى ارضها نشات والى ترابها اعود .

قلت :

ـ وجدى ؟

فصمت قليلا ، ثم تمتم غير حافل :

ـ جاء من قرية اخرى ، وكان شابا عزبا ،فزوجه اهل هذه القرية من أمنا ، فنحن لا نعرف غيرهذه القرية ، ولاقرابة لنا غير اخوالنا .

وتولى عنى الى السقيفة فجاء بمنجلين ،ناولنى احدهما ، ووقف عند أحد طرفى الحقل ،وامرنى أن اذهب الى الطرف الاخر ، وكنت أرمقه من بين حبات العرق التى اخذت تتصبب على جبينى وتسقط على عينى ، فاراه منحنيا على منجله، مزموم الشفتين ، وجهه كالصخر ، يرفع منجله ثم يهوى به ، واحد ، اثنان ، واحد ، اثنان .

★★★

ومرض جدى مرض الموت . فانحنيت على فراشه وهمست فى اذنه :

ـ جداه . الا تحدثنى عن قرية ابائك ؟

فالتفت الى . وبدت لى عيناه كبحيرتين عميقتين . لم أر صورتى فى انسانيهما وهو يتحدث ، ولكنى رأيت حقولا خضراء يانعة، ورمالا صفراء ذهبية تنساب كالافاعى ، ثم تغمر كل شىء .

ـ لم تكن قرية ابائى تختلف عن قريتكم هذه ، سوى انها كانت تبدو فى عينى أعظم سعة ، وأكثر جمالا ، وكانت تحيط بها اشجار الاثل من كل جانب ، كقريتكم هذه ،ومن ورائها الصحراء . وذات صباح صحونا فرأينا الرمال الصفراء تلتف باشجار الاثل كالحلق . لم نكن ندرى ان حلق الرمال هذا أقوى من حلق الحديد . لكان الصحراء



بدات بحراس القرية فكبلتهم قبل ان تبدأ عملها الجهنمي • ولم يبال اهل القرية بهذه الدوائر الصفراء التي تحيط بجذوع الاشجار وتتسلل بينهما كالافاعي ، فقد كانت زهور الحقول لاتزال زاهية بالوانها الحمراء والصفراء والبيضاء فوق أرضية خضراء ريانة • ولكنا صحونا ذات صباح فرأينا الرمال قد سدت القنوات وطمت الآبار • فاهتممنا • وظللنا نعمل حتى غربت الشمس • نضرب بالمعاول ونحمل بالمكاتل، حتى رددنا الى الصحراء معظم ما اعارتنا اياه من رمال • ونمنا كالموتى من الاعياء وصحونا على جلبة ما سمعنا مثلها قط • كانت رياح السموم تهب شديدةمرتين او ثلاثا في العام ، ولكننا ما سمعنا قط ولا راينا مثل هذه الريح • صفير يصم الآذان ، وفرقعة مدوية كالرعد • لم نكن ندرى أفي ليل نحن ام في نهار • نظرنا من الكوى فلم نر الا صفرةكصفرةالموت ، وكادتالرمال تعمينا•سددناكل نافذة واحكمنا كل باب ، ولكن الرمال ظلت تنفذ الينا في داخل الدور وكانها تخترق الجدران نفسها • لم نكن نستطيع ان نتنفس ، كنا غرقى في بحر من الرمال • وكنا وسط عويل الرياح نسمع انهيار البيوت وتقصف الاشجار • لم ادر كم مر بنا على هذه الحال • ولكني رايت اهلي جميعا يموتون • كانت تجحظ عيونهم كعيون المخنوقين ، ثم يلمع فيها رعب وحشي ويسلمون الروح • وكنت اسدل الاجفان على تلك العيون ورعبها المتجمد ، واسال نفسي متى تحين ساعتي انا الاخر • ولكنني شعرت فجاة بالصمت • صمت لايمكنني ان اصفه . وكان الحياة انتهت من على سطح الارض • صمت كبير . تخاف ان تتنفس فيه لئلا تسمع صدى انفاسك • كان هذا رعبا جديدا لم يخطرلى على بال ، وشعرت انى على شفا الجنون ، فاسرعت الى الباب • حاولت ان افتحه ولكن الرمال التى نفذت من شقوقة اقامت تحته سدا كالرتاج • جريت الى سطح الدار • لم ابصر السلم ولكني رايت تلا من الرمال ينهال على جثث اهلى • زحفت على اربع لعلى استطيع الوصول الى السطح ، واذا برجفة كادت تنتزع قلبى من بين ضلوعى • نظرت فلم ار سقفا ، ولكني رايت لاول مرة منذ دهر لا أعيه ، لون السماء :

لقد انهار السقف بما عليه من اكداس الرمال، وشعرت كاني خارج من ظلمة قبر • ولكن ماذا اصنع وحولى هذا البحر من الرمال ؟ لم اعد استطيع أن افكر فى شيء أو افعل شئيا شعرت بالسعادة فقط لانى ، قبل ان اموت ، رايت لون السماء ، وشعرت اني في الجنة اسبح في غدير اصفى من البلور ، وتسقط فى فمى حبات من عنب له حلاوة تفوق الخيال • وانتبهت فاذا قطرات تبلل وجهي ! مطر ! قمت وقد زال كل مابي من اعياء ، وسرت فوق ارض لبدتها المياه ، حتى بلغت قريتكم هذه ، وكتبت لي فيها حياة جديدة ، وبدلت من اهلى اهلا ، ورزقت بنين وحفدة •

صمت جدى ، ودارت عيناه في انحاء الحجرة ، وكانه يودع كل شيء فيها ، ثم نظر الى بحنان ، ووضع راحته اليمنى على ظهر يمناى التىاستندت بها الى حافة سريره ، وانا منحن التقط كل كلمة من كلماته • كانت راحته دافئة ، لا ادرى امن الانفعال ام منالمرض • وتحولت عيناه الى السقف، وتمتم :

– نفسى تحدثنى اننى أجرمت اذ جئت بكم الى هذه الحياة • تزرعون وتحصدون ، تلدون وتعمرون ، لم تحصدكم الصحراء •

★★★

فى ساعة الغروب ، يملأ قلبي حنين غامض •

اخرج الى ظاهر القرية ، واسير بحذاء اشجار الاثل ، بين الحقول والصحراء •

انظر الى قرص الشمس يذوب فوق الرمال ، وتسبح روحى مع الشفق الهارب ، لتلتقى مع روح جدى •

فى ذلك المساء ، رايت ما كنت اخشاه •

رايت حلق الرمال يحيط بجذوع اشجار الاثل • فرجعت اعدو ، واصيح فى الطرقات : القرية تغرق ! القرية تغرق !

كان الناس قد آووا الىبيوتهم، ففتحوا الابواب، ونظروا الى دهشين ، قال بعضهم لبعض :

– لماذا يصيح هذا الفتى ؟

واغلقوا الابواب •

مضيت أعدو واصيح • فخرج الى شيخ ابيض اللحية ، ضاحك السن ، واخذ بيدى ، وقال لى ملاطفا :

ـ هون عليك يافتى • نحن هنا بعيدون عن البحر بمئات الاميال . فكيف تغرق قريتنا ؟

غاظني سؤاله • فصرخت في وجهه :

ـ اتخافون البحر وتامنون للصحراء ؟

بدأ الناس يتجمعون حولنا • قلت لهم :

ـ اخرجوا الى ظاهر القرية • ابتعدوا قليلا عن بيوتكم وحقولكم • انظروا الى اشجار الأثل• انظروا الى الرمال تحتها • ستبتلعكم الرمال الجائعة كما ابتلعت قرية جدي • فكروا كيف تدفعون ذاك البلاء ، او اجمعوا ابناءكم وماشيتكم وامتعتكم وانطلقوا الى ارض جديدة ، قبل ان تهلككم هذه الرمال •

قال بعضهم لبعض :

ـ جده كان رجلا طيبا • ولكنه كان مختلط العقل • كان يحدثنا عن ريح عاصفة دمرت قرية ابائه •

صرخت فيهم :

ـ جدي كان اعقل العقلاء • لماذا تقعدون هنا وتمصمصون شفاهكم ؟

امضوا الى ظاهر القرية ، وانظروا الى حلق الرمال • لا يزال بمقدوركم أن تنجو بانفسكم واهليكم •

التفت بعضهم الى بعض وقالوا :

ـ نحن متعبون • غدا حين نذهب الى الحقول نعلم ان كان ما قاله الفتى حقا •

دخلوا الى بيوتهم واغلقوا الابواب • مضيت الى داري يائسا • لم اجد احدا يستمع الى • ارقدوني في فراشي وقدموا الى شرابا ساخنا • قالوا لي : نم الان • النهار له عينان •

قعدت انظر الى النجوم من كوة عالية في الجدار• كانت تتالق في سماء صافية زرقاء ، وخيل الى انها تبسم لي • وامتلات نفسي بنشوة عجيبة ، ونسيت كل ماقلته عن الصحراء ورمالها الجائعة، ونمت نوما عميقا • واصبحت فمضيت مع اهلي الى الحقل ، ورحنا نخطط الارض ونلقي فيها بذور الشعير ، ونجمع الثمار من شجيرات البرتقال وعدنا مع المساء متعبين وسعداء •

لم اسال الذين صرخت فيهم بالامس : هل ذهبتم الى مشارف الصحراء ؟ هل نظرتم اسفل اشجار الاثل ؟ فقد نسيت الامر كله ، ولعلهم كذلك نسوه • ولكنني شعرت بالكآبة هذا المساء ، فخرجت الى ظاهر القرية كعادتي ، وتمشيت بين الحقول والصحراء ، فكاد قلبي يقف من الرعب :

الرمال تتسلل من بين جذوع الاشجار كالافاعي، وتزحف على خضرة الحقول • عدت الى القرية اعدوا واصيح كالمجنون • كان اهل القرية كعادتهم ضجرين ومتعبين • امسكوا بي وقيدوني ، وكمموا فمي ، ودفعوا بي الى هذه الحجرة التي لا ارى فيها ارضا ولا سماء ، لا انطق ، لا اتحرك ،ولكنني أحلم بأرض جديدة ، تجري من تحتها الانهار ، ويلثم قدميها زبد البحر •

■■

القاهرة ـ د• شكري محمد عياد

٣ أخطاء لامير المؤمنين

بينما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطوف بانحاء المدينة ليلا ، احس بجماعة يجتمعون على مجون ، فتسور عليهم منزلهم ،وفاجاهم في لهوهم ومجونهم ، ففزعوا ، ولكنهم كانوا على قدر من الشجاعة •

قالوا : ياأمير المؤمنين ، لئن كنا قد ارتكبنا خطا فقد ارتكبت ثلاثة •

قال : «ما هي ؟!

قالوا . قال الله تعالى « ولا تجسسوا »وقد تجسست • وقال : « وأتوا البيوت من أبوابها » وقد تسورت • وقال : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » ولم تفعل !!

فعجب عمر من فقههم ، واعتذر لهم ،كما اعتذروا اليه ، وعاهدوه على أن يتوبوا•

جنازة الحسيك

رسامة الحزن العادى

« عندما رسمت الزهور كنت ازرعها على قبر امى . كانت مرحلة من التعاسة اجتزتها وعدت الى لوحاتى الاخرى .. عدت الى الحزن العادى ».

بقلم : فهمي هويــدى





يافا : هي تطل هذه المرة على البحر ، الاحساس قوي بالمكان .

تصوير : اوســــكار متري

بيروت وسط النار أثناء الحرب . شريط رفيع
تكاد تطبق عليه النيران .



هي « فلسطينية » وكفى !

لقد صارت الكلمة تعني الكثير ، وتغني عن كل تعريف • صارت تعني التشرد والضياع • الحزن والخوف • المأساة المستمرة • المستقبل المجهول •

هي جمانة الحسيني ، ابنة الزعيم الفلسطيني المعروف امين الحسيني ، الذي عاش مراحل مقاومة الاحتلال الصهيوني قبل التقسيم ، ورأس حكومة فلسطين في المنفى ، ومات منذ ثلاثة اعوام •

لا تعرف شيئا في السياسة ، ولكنها اختلطت بالدم في عروقها منذ الصغر • يستعصي عليها فهم الكثير مما يدور حول القضية الفلسطينية ، رغم ان عينيها لا ترى الا فلسطين، وريشتها لا تسجل الا مراحل المأساة • في دائرة الوعي تحيرها اسئلة كثيرة ، بينما تعشش في اللاوعي حقيقة واحدة قاطعة هي : العودة • هاجرت من فلسطين منذ حوالي ثلاثين عاما ، ولكنها بقيت هناك ، وما زالت الى الان تطوف بالقدس وحيفا ويافا واريحا •

عمرها ٤٥ عاما • أم لثلاثة أولاد • ترسم بمعدل ١٠ ساعات كل يوم • صورها طافت عواصم أوروبا والولايات المتحدة الامريكية وأغلب الدول العربية • وآخر معرض لها اقيم اخيرا بالكويت •

جمانة الحسيني الفنانة ولدت منذ عشرين عاما، ورحلتها مع الفن التشكيلي تكاد تكون هي ذاتها صورة لتطور الظروف التي مرت بها القضية الفلسطينية •

وفي الفن – كما في السياسة – هناك كثيرون يعيشون القضية بصدق ، وكثيرون يتاجرون بها • وجمانة الحسيني واحدة من الفريق الاول ، رغم انها لا تصنف نفسها ضمن اي فريق ، وتقول فقط: الرسم هو الشيء الوحيد الذي « يعبئ » حياتي • لا اختار موضوعا بذاته • ارسم فقط لانني اريد ان ارسم • لكن فلسطين كانت في كل صورة ، حتى دون وعي أو قصد مني •

الوطن المفقود

بعد التقسيم بثماني سنوات بدأت ترسم • بيدها اليسرى بدأت تخط أول لوحاتها في عام ١٩٥٦ • كانت قد صارت طالبة في الجامعة الامريكية ببيروت تدرس العلوم السياسية ، بعد ان نزحت الاسرة الى لبنان ضمن طابور اللاجئين الطويل الذي غادر فلسطين بعد الاحتلال الاسرائيلي • أثناء الدراسة في الجامعة تقدمت في القسم الحر لدراسة الرسم أيضا •

وكانت هذه هي البداية ••

كانت لوحاتها تعكس الضياع بكل معانيه • الوطن المفقود • الاشلاء • اشلاء البشر والحيوانات وبقايا المخطوطات القديمة • في الصورة الواحدة كان يختلط كل هؤلاء • رؤوس واقدام وأصابع



جمانة الحسيني وبعض لوحاتها •



هكذا رأت مأساة تل الزعتر وجسر الباشا ،القتامة تتمدد في كل منهما والسماء حمراء بلون الدم ٠ والفرس العربي ـ الفلسطيني ـ منطلق رغم كل ما جرى ٠ الى وطنه ٠٠ رسما !

على اوراق تحمل كتابات قديمة وقطع متناثرة من خيول وطيور ٠

حيث كان المستقبل مجهولا وغامضا ، وحيث صورة الرحيل ما زالت حية في الاعماق ، والوطن المغتصب يئن تحت اقدام الغزاة القادمين من انحاء العالم ، يجمعهم هدف واحد ، هو انتزاع الارض وتشريد اصحابها ٠٠ وقتئذ لم تجد شيئا تقوله غير هذه التكوينات ، مسجلة بها شهادة ادانة للعدوان ٠

لم اكن اقصد هذا المعنى ـ تقول هي ـ لكني فقط كنت ارسم واعبر عن نفسي ٠

الان اوافق على ما تقوله ٠ انا لا ابدأ الرسم وفي ذهني فكرة مسبقة ٠ لكن العكس هو الصحيح، فانا امسك الريشة واغمسها في الالوان ثم اترك نفسي على سجيتها ٠

« شويه شويه ألاقي حالي » ـ تضيف جمانة ـ وتولد الصورة ٠

وهكذا كان « حال » جمانة عندما بدأت ترسم، تعيش الضياع وتتجرعه ٠ وتسكبه الوانا وخطوطا وتشكيلات في الصور ٠ تمسك بقايا القديم وتنسج منه شيئا جديدا ٠

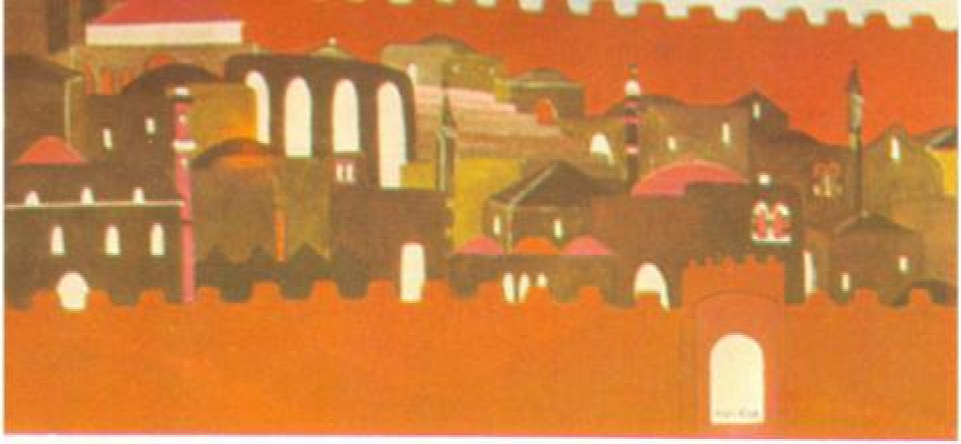
وهي كذلك ، زارها في عام ٦٥ احد الفنانين اللبنانيين المقيمين في لندن ، حيث اثارت صورها انتباهه ، واصر على ان يحمل معه نماذج منها ، ليقدمها الى مدير صالة العرض التي يتعامل معها في لندن ٠وبعد ايام جاءتها دعوة لتقيم اول معرض لها في لندن ٠

وكان المعرض بحد ذاته اعلانا رسميا عن اكتشاف الفنانة جمانة الحسيني ، طافت معه دول اوروبا ، وعرضت في ابرز عواصمها ، وعبرت لوحاتها الاطلنطي الى الولايات المتحدة ٠ وكانت خطوطها المتميزة وصدقها البالغ في التعبير ـ في كل مرحلة ـ هما جواز مرورها بتلك العواصم ٠٠ وما زالت ٠

مع مولد «فتح»

عندما حكت لي عن المرحلة الثانية في رحلتها ، قلت : هذه اذن مرحلة «البحث عن الوطن» ٠ لكنها عادت تقول ببراءة شديدة : ما بعرف ٠ سمها ما شئت ، لكنها «هيك صارت» ٠

ومضت تحكي : وجدتني بعد ذلك أعود الى فلسطين ٠ ارسم الازياء والنقوش التي تعشش في



نموذج من تكوينات جمانة . يتكرر في كل مدينةعربية .

اعماقى منذ الصغر . كنت اسال امى عن تفاصيل الحياة التى افتقدها فى فلسطين ، العادات القديمة فى الزواج مثلا ، ليلة الحناء وحمام العروس والزفة . كانت امى تروى لى القصص وأنا أرسم .. رسمت ايضا حفلات طهور الاطفال ، مواكب العيد والسمر والفرح والحزن فى فلسطين .

كانت الساحة الفلسطينية مليئة بمشاعر الحماس والتفاؤل ، وكانت هذه الفترة مقترنة ببدء تصاعد نشاط المقاومة الفلسطينية ، خصوصا بعد ما اعلن عن انشاء منظمة فتح فى عام ٩٦٥ وبدء عملياتها فى الارض المحتلة .

استيقظ الاحساس بالوطن الضائع . وسجلت جمانة علىلوحاتها أبياتا منقصائد شعراء الارض المحتلة ، محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم .

كانت صورها تحمل وجوها بغير معالم ، بغير عيونوانوف وافواه،لكن الثيابوالازياء الفلسطينية هى أبرز ما يشد العين فيها . كانها تقول ضمنا : لا يهم من هؤلاء. الاهم انهم فلسطينيون، لا يكفى انهم بشر ، فالعلم ملىء بالاف الملايين من البشر . ولكن وسط هذا المحيط الهائل هناك ثلاثة ملايين فلسطينى ضائعون ، يواجهون محاولات

« قرية » .. فى نهاية العالم تتمدد .. التلال وراء الشمس والقريةعند التصاق التلال بالسماء هل هو الوطن المفقود ؟



القدس على شكل دائرة، فيها ولدت جمانة الحسيني • ترى فيها العالم كله •• هي الكرة الارضية



التذويب ويقاومون الموج الجارف ..هم هؤلاء .

تسمع جمانة تبتسم وتقول : صدقني لم اقصد ان اقول شيئا من ذلك كله . كنت ارسم فقط و.. « هيك لقيت حالي » .

بين البشر والقدر

الان تقول صور جمانة شيئا مختلفا

احساسها بالمكان اقوى ، يفوق احساسها بالكائنات الحية ، واحساسها بالطبيعة والقدر اكبر واكبر .

رسمت اريحا والقدس ويافا وحيفا وبيروت البيوت بعيدة ، صغيرة ودقيقة للغاية . وهي في النهاية مجرد بقعة في محيط ، او شريط رفيع يتمدد وسط الكون .

البحر والشمس والجبل . الطبيعة باختصار تقتحم العين وتطل من الصورة بصمت جليل ومهيب .

في هذه المرحلة الثالثة التي تمر بها جمانة الان ، غاب الانسان بينما لا ترى غير المكان ، لكنه بعيد بعيد ، او هكذا على الاقل رسمت مدن فلسطين .

هذا المعنى اكدته جمانة في لوحة تحمل اسم « قرية » . قرية مجهولة لكنها موجودة . قرص الشمس الساخن يتصدر المشهد ، وخلفه ثلاثة صفوف من التلال الداكنة التي تلتصق بالسماء في النهاية ، وعند نقطة الالتقاء بين التلال والسماء تتمدد القرية ببيوت بيضاء صغيرة كانها ريشة في مهب الريح .

وراء الشمس ، وبعيدا عن طرق الكون تمددت القرية بثيابها البيضاء .. القرية موجودة وهي موضوع الصورة . لكنها اين ؟ .. بعيدة المنال. تبصرها العين ولا تطولها الايدي . لانها عند طرف العالم .. في المجهول .

هل هي فلسطين ؟

ترد جمانة : مابعرف . هيك لقيت حالي !

لماذا غاب البشر عن صور جمانة الحسيني في هذه المرحلة الثالثة من رحلتها الفنية ؟ تصمت جمانة ولا ترد .

هل هو الاحباط ؟ هل هو اليأس من البشر والتسليم للقدر ؟ هل هو الاحتجاج الذى اتخذ مظهر الاستبعاد والالغاء ؟

تتمتم جمانة بصوت خفيض : ما بعرف ، هيك لقيت حالي !

ليس لديها تفسير لغياب البشر من لوحاتها الاخيرة . لم تقصد الغاءهم او اخفاءهم ،ولكنهم هم الذين لم يحضروا . هم الذين غابوا !

واقول لجمانة : ولكن الوانك داكنة وقاتمة. وثمة بصمات حزن دفين مطبوعة في كل صورة... وكما ان الانسان غائب في التشكيل ، فاللون الاخضر مثلا ـ الذي يعبر عن الحياة والنماء ـ غائب في التعبير ...

ترد : هذه حقيقة اسلم بها . فانا فعلا اشعر دائما بالحزن والخوف . لدى احساس قوي بغدر الزمن . بانني ساطعن من الخلف . لا يفارق اعماقي هذا الخوف . ولا يفارق ظهري هذا الخنجر الملتصق به .

تضيق عيناها الصغيرتان وتقول : ماذا تنتظر من انسان مشرد طوال عمره ، غير ان يكون هكذا؟ الم تقرأ قول الشاعر محمود درويش أن الفرح خيانة للواقع . نحن ـ الفلسطينيين ـ ودعنا الفرح والبهجة منذ عام ١٩٤٨ . لم يبق لنا الا الحزن والثورة . الحزن رفيق دائم بل غذاء يومي . والثورة حالها كما تعرف .

من خوف الى خوف

تضيف جمانة : لقد كان أول الغرباء الذين رأيتهم هم الجنود الانجليز وهم يحاصرون بيتنا في القدس عام ١٩٣٨ ، عندما جاءوا للتفتيش والبحث عن ابي . لقد كان عمري ٦ سنوات وقتئذ. ولا زلت ارى بعيني صورة الجنود بوجوههم الحمراء واحذيتهم الثقيلة وهم يدقون بابنا بغلظة وفظاظة .

منذ وعيت للحياة ونحن مطاردون مشردون . من بلد الى بلد ، ومن خوف الى خوف . ابي اما هارب من السجن ، او في داخل السجن او في المنفى . لا اذكر ان اسرتنا جلست مجتمعة مرة.. امي وابي وشقيقاتي الاربع وشقيقي الوحيد وانا.



يافا مدينة : تشكيل آخر يعكس لمسات جمانةالحسيني الفريدة ·

لا أذكر أن أبي دللني مرة،أو أجلسني علىركبتيه كما يفعل كل الاباء مع كل الاطفال ·

عندما خرج من منفاه في روديسيا ، وعاد الينا في عام ٤٥ بعد غيبة ٥ سنوات ودعاني للجلوس على ركبتيه ، دهشت وخجلت · المشهد مطبوعفي ذاكرتي كانه حدث امس فقط ، لم يتكرر بعدذلك ابدا ·

ثم قالت جمانة : هكذا نحن الفلسطينين -من الداخل · أبناء شرعيون للحزن والخوف والغدر · وسالت : هل عرفت لماذا افضل الالوان الداكنة واستريح اليها ؟ هل عرفت لماذا اخاصم اللون الاخضر رغما عني ؟ انني فعلا اكره هذا اللونولا اطيقه · دون وعي مني تعرض عنه يدي · حتى الشجر في لوحاتي - على قلته - لا تتسرب اليه الخضرة ·عادة يخرج في لون احمر او بني · بين الشفق والظلام ·

لكن المعرض الاخير في الكويت احتوى على مجموعة غير قليلة من صور الزهور ، وهذا يحدث لاول مرة ·

ردت جمانة : هذه ايضا وقفة في رحلة الحزن· لم اكن اقصد على الاطلاق أن أرسم صورا للزهور · لكنني اكتشفت فيما بعد انني كنت أزرع هذه الزهور - بطريقتي - على قبر أمي التي ماتت في القدس اثناء الحرب اللبنانية ·

كانت امي تعيش معنا في بيروت ، بعدما مات ابي منذ ثلاثة اعوام · وعندما اشتدت عليها وطاة المرض ، نقلناها وبيروت مشتعلة بالحرب الى القدس عبر الاردن ·· وكنا نزورها بين حين وآخر ·كانت في الماضي فنانة بطبيعتها ، تجيد العزف على البيانو وتهوى التطريز · ولم اكن اعرفانها كانت ترسم ، لكنها أطلعتني على بطاقة أرسلتها منذ اكثر من نصف قرن الى أبيها - جدي - في لندن ، وقد رسمتعليها بعض الزهور ، وكان هذا اكتشافا بالنسبة لي · البطاقة كانت عندي ضمن اوراق قديمة في خزانة الكتب · وعندما بلغني نبا وفاتها وجدتني استخرج البطاقة ، أتطلع اليها واعيد قراءتها ، ثم اعدتها وجلست لارسم هذه المجموعة من صور الزهور · كانت حالة منالتعاسة انتابتني لفترة عدت بعدها الى لوحاتي الاخرى، الى الحزن العادي !

ولا زالت جمانة الحسيني ترسم الحزن !

■■

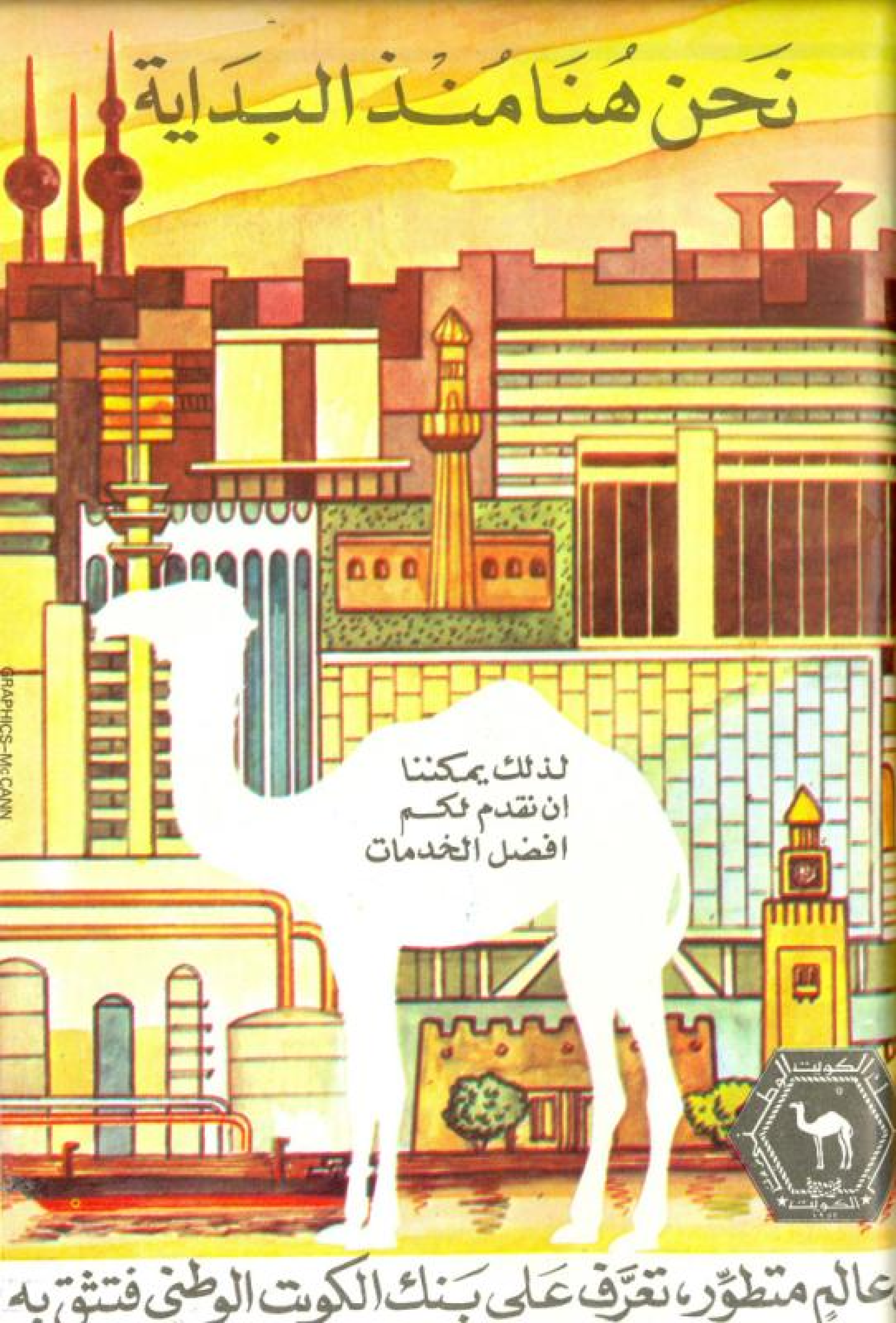


«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليبس

مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة لاتزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان مختلفة جذابة.
من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث بالامكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى «الرشارجيل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرّة وايضاً هنالك ماكينات «فيلشايف» المتمتعة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.
ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولاريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليبس بطريقة متواصلة.
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليبس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.

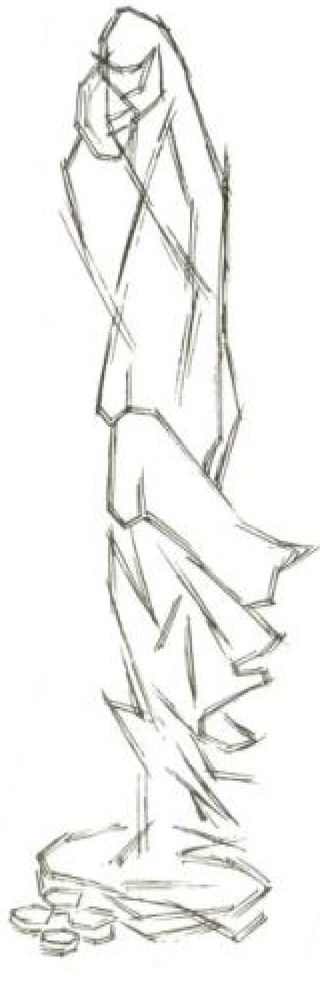
PHILIPS

فيليبس
الأفضل لكم دوماً

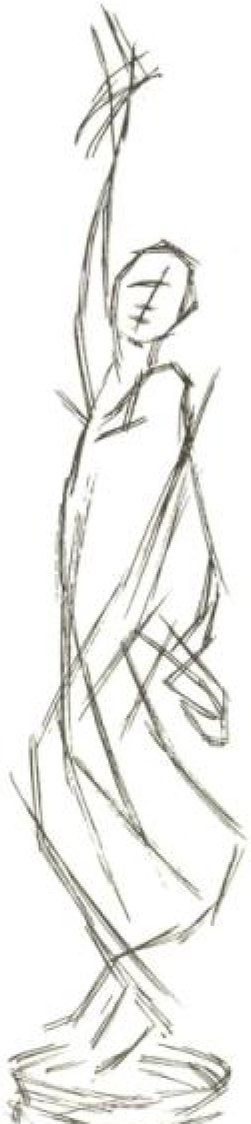

نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS—McCANN
عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

التمثال

بقلم : الدكتورة عاتكة الخزرجي



ونسيتني حتى كأنك لم تكن ·· حتى كأني ·· !
مولاى ·· فيم الصمت ؟ ماذا ؟ ما الذى تخفيه عني ··؟
أتسر هجرا يا مليكى ؟ ما الذى قد كان منى ·· ؟
وهواك يملأني يكاد يضوع من جيب وردن !؟
انى وعينيك اللتين ـ هما هواى ومطمئنى
وبحق وجهك والجبين ـ وحق حسنك اى حسن :
سأظل بين يديك رهنا باقيا من غير رهن ··
مولاى ·· بين يديك هذى الروح خذها ·· او فخذنى
مولاى ·· ان العيش موت ان ذهبت فلا تدعنى ·· !
ونسيتني ·· حتى كأنك لم تكن نفسى وعينى ·· !
وتركتنى عزلاء ·· الفى اللائمين بلا مجن !
وكأنما أنسيت انك جنتى ورضاك أمنى
وكأنما فرض عليك قلاى أو تهوين شأنى ··
وانا التى رهنت لديك الروح فى نغم ولحن
وانا التى وقفت قوافيها عليك بغير وزن ·· !
وانا التى كشفت خوافيها لديك فكان فنى
وانا التى لهجت « بمولاها » وهل الاك اعنى ·· ؟!
وجعلتنى هدف الرماة ·· ومن سواك يصد عنى ؟
وقذفت بى للشك بين اليأس منك او التمنى ··
ما بين ماضى السعيد وبين حاضرى المغنى ·· !
مولاى انى قد ضللت فاهدنى ·· مولاى انى ·· !
وتركتنى وصداك فى روحى وسمتك ملء عينى ··
وتروعنى ذكراك ·· حتى تستبيح على امنى ·· !
فتلوح لى ·· فاراك وهما كاليقين بكل ركن ··



وأعيك حتى توشك الآهات تخرق جوف اذنى ..
فاعيد ما كنا نعيد .. فهل ترى بلغت عنى ... ؟
اقسمت لى .. عند اللقاء .. ويا لخيبة مطمئن .. !
ياليتنى لقنت قلبى   ما القن فى التجنى
او ليتنى ممن يقول وليس اما قال يعنى ..
مولاى انى قد صحوت فهالنى .. مولاى انى .. !
وتلوح لى عبر الحقيقة مفزعا بالشك امنى
فاراك كالماء السراب وكالخلوب بغير مزن
واراك كالتمثال لا
حس ولا وعى لفن ..!
مولاى .. انى قد وعيت
فهل تعى ؟! .. مولاى انى .. !
واراك فى وضح الحقيقة عاريا من كل حسن
تتصيد الظبى الغرير على شباك مطمئن
ويلذك الصيد الحرام مشاكلا من كل لون
وتموت فى الشهوات كى تحيا على اعقاب دن ...
أتمثل « الضليل » فيك ضلالة لا هدى فن .. !!
ويروضك الزمن العتى فيا لخفة مرجحن .. !
وتلوح لى عبر الزمان بهيئة الشيخ المسن ..
فاراك اعزل لاتنى   ترتد من ركن لركن
تترحم الغيد الحسان عليك والرحمى تجن
وكذاك من يجنى على الايام فهى عليه تجنى .. !
وتساقط التمثال منحطما على اهداب جفنى ..
وافقت فى وهج الظهيرة تعتشى بالنور عينى ..
ورأيت أن الوهم زايلنى فعدت لمطمئنى ...
وعكفت فى المحراب أصهر خافقى بوقود فنى .. !

بغداد ـ د · عاتكة الخزرجى

تأملات

فى حقيقة أمر..

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ،

قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ، سبحانه وتعالى عما يشركون ».

أولياء الله الصالح

بقلم : حسين احمد أمين

■ الدين نص وتاويل . هذا من عند الله ، وذاك من صنع البشر . هذا ثابت ، وذاك يختلف باختلاف الافراد والمجتمعات والحقب . فان كان النص ليس بالوسع تبديله ، فكثيرا ما تحايل البشر عليه بتاويله حتى يوافق اهواءهم ونزعاتهم.

وقد أبى بعض مفكرى اليونان وروما الاقدمين، مثل فيثاغورس ونوما بومبيليوس ، أن يخلفوا نصوصا تكبل فكر التابعين ، فاحرقوا قبيل وفاتهم ما كتبوا ، او اوصوا بان تدفن كتاباتهم معهم ، حتى يتيحوا لكل جيل فى كل قطر ان يخرج بفكر يناسب عصره وبيئته . وقد يقال ان نبى الاسلام أيضا لم يامر بجمع القرآن ، بدليل أن الخليفة ابا بكر تردد حين عرض ابن الخطاب عليه الفكرة، قائلا لعمر انه لا يستطيع أن يقدم على ما لم يقدم عليه النبى ولا اوصى به قبل وفاته . غير ان الافتراض الاساسى فى الدين هو أن تعاليمه الواردة فى النص المقدس صالحة للكافة فى كل زمان ومكان .

بيد انه كثيرا ما كان البشر اضعف من أن يلزموا انفسهم باحكام النص ، واجبن من أن يثوروا ، واخبث من أن يعترفوا بعجزهم او صدودهم . واذ كانوا دوما فى حاجة الى عز اليقين الذى يوفره لهم الدين ،لم يروا باسا ازاء ضعفهم فى أن يبقوا عليه مع تاويله تاويلا يريحهم ، ويوهمهم فى الوقت ذاته بانهم مخلصون له .

الحاجة النفسية الى الوسيط او الشفيع

وقد كان اشق ما فرضته عليهم الاديان السماوية تجريد مفهوم الرب .

فالعبادة فى العالم القديم لم تكن بالتى يمكن تخيلها دون وثن او صورة . وكانت الهة الاقدمين دوما محسوسة مجسدة . صنما كانت او كوكبا او ملكا او ظاهرة طبيعية . فكان لا بد اذن من مرور قرون طويلة حتى يرسخ هذا المفهوم الجديد للاله فى الاذهان . غير أن الاحساس ظل قائما لدى عامة البشر بالفجوة الهائلة التى باتت تفصل بينهم وبين الههم ، حتى ان صور لهم هذا الاله على انه أب لهم، او اقرب اليهم من حبل الوريد. وكان أن نشات لديهم حاجة « وثنية » ملحة الى ملء هذه الفجوة باية وسيلة ، او اجتيازها باية حيلة . وهى حاجة نفسية رأى بعض رجال الدين

ين!

من الحكمة أن يستجيبوا لها بقدر محدود ، خشية أن تنصرف العامة عن الدين باسره ، او حرصا على بقاء سلطانهم • وسرعان ما حلت التماثيل الدينية والايقونات مكان الوثن ، وتقديس الاولياء محل عبادة الالهة والملوك والاسلاف •

بل انه حتى فى ظل نظام كالنظام الشيوعى الذى لا مكان للدين فى فكره العلمى ، اصطبغ الايمان بالمادية الديالكتيكية بصبغة الحماس الدينى ،واتخذت الاجتماعات والاستعراضات سمة الاحتفالات والمواكب الدينية ، واحيط واضعو النظرية ومؤسسو الدولةبهالة دونها هالةالقديسين والرسل • فهم يوصفون بالخالدين ، او بالشمس التى لا تغرب • وهاهى تماثيلهم الضخمة وصورهم – وقد حلت مكان التماثيل الدينية والايقونات – تطل على الجماهير فى الساحات وكافة المبانى العامة ، وعلى الافراد فى مساكنهم الخاصة • وها هى قبورهم وقد تحولت الى مزارات مقدسة تحج اليها الملايين ، وتصطف الصفوف خارجها لساعات طوال من اجل القاء نظرة • اما كتبهم فهى بمثابة الكتب المقدسة ، من قبيل التجديف أن ينسب الى فكرة فيها الخطأ ، بل ويبيت البعض ليلهم (كالحرس الاحمر فى الصين) وهى الى جوارهم او تحت وسائدهم حتى تصرف الشرور عنهم •

وقد صحبت هذه الحاجة النفسية لدى العامة الى المحسوس ، حاجة اخرى – هى نفسية ايضا – الى الشفيع او الوسيط • اذ انه مهما اصر الملوك والكبراء على فتح ابوابها للرعية ، ومهما اكدت الديانات انه لا وسيط بين العبد وربه ، ستظل العامة تهولها فكرة الحضرة الملكية او الالهية ، وتفضل توسيط من يرونه ادنى اليهم • واشبه بهم • فاذا هم يتحولون عن دعاء الرب الى دعاء نبيه ، الى حفيد نبيه ، الى سليل بعيد من اهل البيت ، الى ولى صالح فى مدينة او قرية ، يطلبون شفاعته او عونه ، ويلجاون اليه وقت المحنة والضائقة •

ولا شك فى أن الاديان السماوية قد اثرت تاثيرا عميقا فى عقائد الشعوب التى اعتنقتها ، وفى سلوكها وعاداتها وانماط عيشها • غير أنه مما لا شك فيه كذلك أن الافكار والمعتقدات القديمة التى انما جاءت هذهالاديان لاقتلاعها ولتحلمكانها، قد افلحت فى التسرب الى الاديان ، وفى تكييفها وفق الاحتياجات النفسية والاجتماعية للشعوب •

وكثيرا ما امتزجت التعاليم الاساسية لدين معين بالعقائد المحلية امتزاجا اسفر عن ناتج ذى صورة جديدة يتعذر التعرف على التعاليم الاصلية فيه • وقد كانت الشعوب دائما من الخبث ، او الذكاء ، او الضلال ، بحيث اوجدت اساسا « دينيا » جديدا لاستمرار تمسكها بالمعتقدات القديمة ، وصبغت عقائدها وطقوسها وعباداتها التى لا تنوى باى حال من الاحوال أن تتخلى عنها ، بصبغة الدين الجديد ، وادخلتها فى اطاره • ونذكر على سبيل المثال استمرار كراهة الزواج من الارامل فى الهند حتى بعد دخول الاسلام فيها ومحاولة تفسيرها تفسيرا « اسلاميا » ، مع ان المؤكد انها مخالفة لروح هذا الدين • كما نذكر ان بعض القبائل الافريقية التى كانت دياناتها الوثنية تحرم ذبح الديكة واكل لحمها ، استمرت بعد اسلامها تحرمهما ولكن على اساس جديد ، هو ان الديكة هى التى توقظ النيام لاداء صلاة الفجر ، ومن ثم فهى طيور مقدسة •

تجاوز العقبات القائمة في سبيل تقديس الاولياء

غير انه ما من وسيلة اتاحت الفرصة امام الشعوب للابقاء على بعض جوانب دياناتها القديمة ومعتقداتها قدر ما اتاحه تقديس الاولياء •

فان كانت الشعوب التى اعتنقت المسيحية قد وجدت متنفسا فى تقديس تماثيل مريم والمسيح والايقونات الدينية ، فقد كان تقديس الاولياء المتنفس الرئيسى للرواسب القديمة لدى بعض من اعتنق الاسلام، ازاء التحريم القاطع الذى جاء به هذا الدين للاوثان •

وقد جابهت الشعوب الاسلامية عقبتان كبريان فى سبيل محاولتها ان يكون لتقديس الاولياء مكان فى اطار الدين الجديد ، وان ينسبوا المعجزات (او الكرامات كما يسمونها) الى هؤلاء الاولياء، حتى يبرروا هذا التقديس :

العقبة الاولى هى أن الاسلام لا يعترف بوسيط بين الله والناس ، ولا مكان فيه اصلا لمثل هذا التقديس ، بل لقد استنكر القرآن صراحة تقديس اليهود والنصارى للاحبار والرهبان :

« اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (سورة التوبة ٣١) •

والعقبة الثانية هى ان نبى الاسلام لم يدّع لنفسه القدرة على خرق قوانين الطبيعة، ولا ادعى علم الغيب ، ولا كان القدماء ينسبون اليه من المعجزات غير ما نص عليه القرآن ، وانما كانوا يكتفون ببيان افضال الله عليه ، ولا يرونه غير بشر كريم يوحى اليه • فكيف يمكن أن تنسب العامة الى الاولياء من المعجزات ما لم يقم النبى بمثله او بما هو اغرب منه ؟

« قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب » (سورة الانعام ٥٠) •

« قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » (سورة الاعراف ١٨٨) •

« واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله » (الانعام ١٠٩) •

فاما العقبة الاولى، وهى مخالفة تقديس الاولياء لروح الاسلام ، فقد تجاهلتها العامة تماما ، ودارت حولها دون أن تزيلها ،وغض معظم الفقهاء الطرف عن هذا التجاهل ، ما لم يصل التقديس الى درجة تناقض التوحيد تناقضا صارخا • بل لقد ايد تقديس الاولياء ثلاثة نفر هم اعظم مفكرى الاسلام طرا ، هم : ابن سينا (فى «الاشارات»)، والغزالى (فى « الاحياء ») ، وابن خلدون (فى « المقدمة ») •

فان كان البعض كالمعتزلة واعدائهم الحنابلة ثم الوهابيين قد حاربوا هذه البدعة وغيرها من آثار الوثنية ، واستندوا ضمن ما استندوا اليه فى حربهم الى قولة عمر بن الخطاب للحجر الاسود فى الكعبة : « والله انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » فان دعوتهم هذه ضاعت هباء مع العامة فى اماكن كثيرة •

واما العقبة الثانية فقد نشطت العامة للتصدى لها ،ونجحت نجاحا ملحوظا فى تجاوزها• رات انه ليس بالامكان نسبة معجزات الى الاولياء الا بعد ادخال تغيير على المفهوم الاسلامى الخالص عن النبوة ، وانه ليس من اللائق ولا من الادب الحديث عن كرامات للاولياء هى اعظم مما كان منها للنبى • وكان السبيل السهل الى التغلب على هذه العقبة أن تنسب الى النبى مئات المعجزات ، منها ما يتحدث عن اطعامه جيشا بأسره من صحفة تمر، او تفجيره عينا فى الصحراء بغرس رمحه فى الرمال، او ابرائه احد الصحابة من رمد بان تفل فى عينيه• وكلما ثار الفقهاء اذ تنسب الى ولى من الاولياء معجزة لم يات النبى بمثلها ، بادرت العامة فنسبت الى النبى ذاته معجزة تفوقها روعة •

من امثلة ذلك ما ورد فى « تاريخ الخميس للديار بكرى (٥٨/٢) : « عن اسماء بنت عميس (زوجة جعفر بن ابى طالب) من طريقين أن النبى كان يوحى اليه (فى خيبر) ورأسه فى حجر على، فلم يصل (على) العصر حتى غربت الشمس • فقال له رسول الله : « اصليت ياعلى ؟ قال :

« لا » . فقال النبي : « اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » . قالت اسماء : « فرايتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت » . وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات »!!!

ثم اقتضى الادب والذوق بعد ذلك اضفاء مثل هذه القدرات الخارقة على بعض كبار الصحابة ، امعانا في تمهيد السبيل الى تقديس الاولياء :

« وتناول علي بن ابي طالب باب حصن خيبر وكان من حديد ، فقلعه وترس به عن نفسه .. فلم يزل في يده وهو يقاتل .. وقد حمله علي بعد ذلك على ظهره وجعله قنطرة حتى دخل المسلمون الحصن . ثم لما وضعت الحرب اوزارها ، القى علي ذلك الباب الحديد وراء ظهره ثمانين شبرا ... وروى عن ابي رافع انه قال : « فلقد رأيتني في سبعة نفر وانا ثامنهم نجهد ان نقلب ذلك الباب فما نستطيع أن نقلبه » . وفي « المواهب اللدنية » : « قلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد جهد » . وفي رواية ابن اسحاق « سبعة » . وفي شرح المواقف : « قلع علي باب خيبر بيده ، وقال : ما قلعت الباب بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية » ! (تاريخ الخميس) .

محاولة ايجاد سند قرآني لكرامات الاولياء

فما وجدت هذه المعجزات مكانها في صفحات الكتب ، وخطب الوعاظ ، واذهان العامة ، حتى كان الجسر المطلوب قد اقيم على الهوة الفاصلة بين الالهي والبشري ، وحتى بات الطريق مهيئا لنسبة المعجزات الالهية الى بشر سموا بالاولياء ، وهو لفظ اورده القرآن وصفا للمتقين المقربين ، دون أن يذكر شيئا عن قدرات لهم خارقة : « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (سورة يونس ٦٢و٦٣) وقد خيل لفقهاء العامة ان بوسعهم أن يجدوا سندا في القرآن لكرامات الاولياء . فقد تحدثت سورة آل عمران (الاية ٣٧) عن الرزق الذي كان الله يبعث به الى مريم في المحراب : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يامريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

كذلك تحدثت سورة النمل(الاية ٤٠) عن شخص لم تسمه آتى سليمان بعرش ملكة سبا من بلادها قبل أن يرتد الى سليمان طرفه . واذ لم تكن مريم ولا كان صاحب سليمان هذا من الانبياء ، فمن الجائز اذن أن يهيىء الله لغير الانبياء كرامات اشبه ما تكون بالمعجزات .

وقد حرص هؤلاء - احتراما منهم للانبياء - على الا يسموا معجزات الاولياء بالمعجزات او الآيات ، وانما اسموها كرامات او بركات . وقالوا ان الكرامة من خوارق العادة ، وهي تختلف عن المعجزة التي هي ايضا من خوارق العادة في ان المعجزة انما يريد الله بها أن يدلل على صدق دعوى الرسل ، اما الكرامة فغير مقرونة برسالة ، ولا هي من قبيل تحدي الكافرين . كذلك فهي تختلف عن « المعونة» في أن المعونة يتلقاها مسلم لم يخض تجربة خاصة، وتختلف عن « الارهاص » الذي هو معجزة يريد بها الله أن يشعر النبي قبل تكليفه بالرسالة انه في سبيله الى أن يكلف . وقالوا ان الولي قد يكون جاهلا بقدرته على الاتيان بالكرامات ، بينما لا يملك النبي الا ان يشعر بها ، وان على الولي ان يخفي كراماته وان يهون من قيمتها قدر الامكان ، ويعتبرها اختبارا له لا هبة من الله ،بينما الواجب على النبي أن يظهر المعجزات ويحيط قومه علما بها من قبيل التدليل على نبوته .

غير أن الواقع ان كرامات الاولياء (كما اوردتها الكتب واحاديث العامة) لم تكن في اى وقت من الاوقات بدون معجزات الرسل شانا :

فمالك بن دينار : « بلغ من منزلته انه ركب مع جماعة ذات مرة سفينة فضاع فيها جوهرة اتهموه بسرقتها . واذ رفع راسه الى السماء خرج فى الحال كل ما في البحر من السمك على الماء وقد امسكت كل سمكة بفمها جوهرة . فاخذ مالك من كل ذلك جوهرة واحدة واعطاها للجماعة ، ووضع قدمه على الماء فسار عليه في يسر حتى وصل الى الساحل » .

وذو النون المصري « كان اهل مصر جميعا متحيرين في شانه ، ومنكرين عليه في حياته . ولم يعرف احد من اهل مصر جمال حاله الى وقت وفاته .وفي تلك الليلة التي فارق فيها الدنيا ، راى سبعون رجلا النبي عليه السلام فى النوم يقول : « ان حبيب الله ذا النون يزمع المجيء ، وقد جئت لاستقباله » . وحين مات ظهر مكتوبا على جبينه :

« هذا حبيب الله ، مات في حب الله ، قتيل الله » • فلما حملوا جنازته تجمعت طيور السماء وظللتها ، فتحير اهل مصر جميعا وتابوا عما كانوا قد ارتكبوه معه من جفاء » •

ومحمد بن عمر الوراق : « اعطى تلميذا له كراسة وقال له : « القها في البحر » • فاخفاها التلميذ في منزله وجاءه يقول : « القيتها » • فقال: «ماذا رأيت» ؟ قال: «لم ار شيئا» • قال الوراق : « لم تلقها • عد والقها في البحر » • فرجع التلميذ والقى الكراسة في الماء ، فانشق الماء وظهر صندوق مفتوح ، فلما وقعت الكراسة فيه انغلق الصندوق • وعاد التلميذ الى الوراق فروى له ما حدث ، وساله عن سر ذلك • فقال : « كنت قد الفت كتابا في الاصول والتحقيق يعجز الفهم عن ادراكه ، فطلبه منى اخي الخضر عليه السلام ليقرأه ، فامر الله تعالى الماء ان يوصله اليه » •

وابو العباس القصاب : « قيل ان صبيا كان قد امسك بزمام بعير يحمل حملا ثقيلا ، فانزلقت رجل البعير ووقع وانكسرت رجله • واستغاث الصبي فقصده الناس • واذ مر بهم ابو العباس وعلم بالخبر ، امسك بزمام البعير واتجه الى السماء فقال : « اللهم اشف هذا البعير ، واذا لم تشا ان تبرئه فلم احرقت قلبي ببكاء هذا الصبي ؟ ! » • وفي الحال نهض الجمل ، ومضى صحيحا معافى » • (الامثلة من كتاب « كشف المحجوب » للهجويري)•

اعادة تفسير المعتقدات الوثنية في اطار الاسلام

فما استقر اذن مبدأ تقديس الاولياء في الاسلام، حتى ابدى عديد من الجماعات والشعوب همة عظيمة من اجل اعادة تفسير المظاهر الوثنية لدياناتها القديمة تفسيرا اسلاميا ، وهي المظاهر التي ارادت الابقاء عليها والاحتفاظ بها • وسرعان ما ادركت السلطة وادرك الفقهاء عبث التصدي بالمقاومة لاتجاهات العامة ، وانه اذا اريد للاسلام الانتشار فلا بد من قدر من الاذعان ، ولا باس من تقبل بعض العناصر الوثنية المحلية بعد انتحالها سمتا اسلاميا • وكان ان نجحت الشعوب التي فتح العرب بلادها في الحفاظ على مزاراتها القديمة ،واماكنها المقدسة ، وتقاليدها المحلية التي كانت لها في ماضيها الجاهلي ،ولكن في اطار اسلامي• فالفرس مثلا اذ ارادوا الاستمرار في احتفالهم بعيد النوروز ، زعموا انه ذكرى اليوم الذي اختار النبي فيه عليا خليفة له •

وحين اراد الخليفة المنصور نقل حجارة من اطلال العاصمة الفارسية القديمة برسيبوليس (تخت جمشيد) لاستخدامها في بناء عاصمته الجديدة ، احتج وزيره الفارسي خالد بن برمك بانها كانت مصلى علي بن ابي طالب • واذ كانت الاساطير الفارسية (كاساطير الاغريق) تفسر حمرة السماء ساعة الغروب بانه دم احد الالهة قد سال من جرح اصابه ، فقد قال الفرس المسلمون ان هذه الحمرة انما هي دم الشهيد الحسين بن علي ، وانه قبل مصرعه لم يكن للغروب في السماء حمرة !

وقد كان العرب في جاهليتهم يوقرون آثار ابطالهم وشجعانهم ، وما يخلفونه عند موتهم من متاع • فلما جاءهم الاسلام حولوا هذا التوقير الى آثار النبي ، ثم الى آثار الاولياء ، واعتقدوا في بركتها • والتاريخ يحدثنا أن خالد ابن الوليد كان كلما خرج لحرب وضع في عمامته شعرات من رأس النبي ، وكان يعزو الى هذه الشعرات نصره • كذلك فقد امر انس بن مالك اهله وقت احتضاره أن يضعوا شعرة من رأس النبي تحت لسانه ، واوصى معاوية بن ابي سفيان بان يكفن في ثوب للنبي كان قد اهداه اياه ، وبان توضع بضع شعرات للرسول في فمه واذنيه ومنخاريه ، فقد تسهم في تخفيف وطأة حسابه يوم القيامة •

والمعروف ان عباءة النبي وعصاه قد صارتا شعار الخلافة • وبمضي الوقت زاد توقير الناس لهذه الاثار ، وتضاعف عددها بازدياد توقيرهم لها، وتعددت مزاعم القوم بان هذا الشيء او ذاك منها• وقد تحدث الرحالة عبد الغني النابلسي عن لقاء له في الهند بعالم هندي مسلم اخبره ان بالهند من شعرات رأس الرسول القدر الكبير ، وان هذه الشعرات تتحرك من تلقاء ذاتها وتتكاثر !

وقد احيطت أماكن واشياء معينة ــ حتى في فجر الاسلام ــ بهالة من القدسية ، كالشجرة التي تمت في ظلها بيعة الرضوان • غير ان الامر لم يستفحل الا في ظل الدولة العباسية ، بدليل ان البيت الذي ولد فيه النبي مثلا ظل طوال العصر الاموي مسكنا عاديا لنفر من الناس ، ولم يتحول

الى مسجد الا بعد شراء الخيزران ام هارون الرشيد له . اما فى العصر العباسى الذى كان للفرس فيه ثم للترك اليد العليا ، فقد افرط الناس فى تقديسهم للاماكن ، وعظم اقبالهم على زيارة قبور الصالحين . والحق ان الكثير من هذه المزارات التى ربط الناس بينها وبين النبى او اهل بيته ، ما كان للنبى ولا لاهل بيته بها صلة ، وانما هى مجرد مواضع كان الوثنيون وغيرهم يتعبدون عندها قبل الاسلام ، كما أن العديد من قبور من قيل انهم اولياء الله الصالحين كانت محال للعبادات الوثنية فى الماضى .

فالمزارات المقدسة القديمة قد ابقى عليها اذن بعد انتشار الاسلام . وكان المقدر لها مع انتشاره أن تهدم او تندرج فى طى النسيان ، لولا أن بادرت العامة باضفاء الطابع الاسلامى عليها ونسبتها الى ولى او حدث دينى اسلامى . فهناك مثلا قرب دمشق ـ حيث كان القدماء يعبدون اله القمر ، مزار يزعم الناس أنه قبر ولى يسمونه الشيخ « هلال »! ويروى ياقوت فى « معجم البلدان » انه كان هناك عند سفح جبل الجوشن المطل على حلب دير يسكنه النساك والناسكات ويوقر المسيحيون اطلاله ، حتى اقام المسلمون فى نفس مكانه مزارا اسلاميا زعموا ان الحسين بن على شوهد وهو يصلى عنده . وقرب مدينة صور قبر لمن يسمى بالشيخ « معشوق » لا شك فى انه البقية الباقية من الاسطورة الفينيقية الخاصة بادونيس معشوق افروديت . وفى نابلس عمود حجرى مقدس اسمته العامة بعد الاسلام قبر الشيخ العمود . فان كانت هناك فى الهند مزارات تضم عظاما او آثارا لقديس بوذى ، فسرعان ما تحولت بالاسلام الى عظام او آثار لاحد الاولياء .

وعبادة الاشجار معروفة منذ قديم الازل . وقد استمر تقديسها بعد الاسلام ولكن بعد نسبتها الى ولى . فالشجرة اما قائمة الى جوار قبر ولى ، واما ان يقال ان روح الولى تسكنها . وكثيرا ما يحظر قطع الاشجار المحيطة بقبر الولى ، ويهدد من يقطعها او يتلفها بالخزى وسوء المصير . وقد اورد على باشا مبارك فى خططه التوفيقية امثلة كثيرة للاشجار التى يقدسها العامة فى مصر ، والتى يزعمون انه تسكنها ارواح اولياء غير معروفى الاسم ، او روح ولية يسمونها الشيخة « خضرة »! كما كانت هناك قرب دمشق شجرة زيتون عتيقة مقدسة اسمتها العامة الست « زيتون » كان يحج اليها النساء بالاخص يطلبن ازالة عقم او اسقاط دين او تبديد كرب ، ويقوم عندها احد الدراويش يجمع الصدقة من الزائرين ويدعو لهم بالخير .

فأولياء الله الصالحون فى الاسلام اذن ليسوا بالضرورة شخصيات تاريخية ، ولا كان واضعو الاساطير يبذلون الجهد حتى يضعوا احداثها فى سياق تاريخ معقول . أما العامة ـ وهم الذين تلقوا هذه الاساطير فى شغف عظيم ، وكانوا دائما على استعداد لتقبل المزيد ـ فعنايتهم بالتحقيق أضأل بطبيعة الحال .

انما هو تغيير اسم الاله الى اسم مسلم ،تسبقه كلمة « السيد » او « الشيخ » او « الولى » بل واحيانا يسمى باسم البلدة التى عاش فيها او ينسب اليها ، كالشيخ شطا او الشيخ الطنطاوى .

يقول المقريزى فى خططه (٤٥:٢)

« وفى زقاق المزار قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده انه قبر يحيى بن عقب ، وانه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب . وهو كذب مختلق وافك مفترى ،كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق ، وفى القبر الاخر انه قبر ابى تراب النخشبى ، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابى ، وغير ذلك من أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم انصابا ليكونوا لهم عزا » (يشير بذلك الى ما ورد بالآيتين ٨٢،٨١ من سورة مريم : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ») .

ثم يقول (٢ : ٤٩ر٥٠)

« ان الفتنة بهذا المكان (قبر ابى تراب) وبالمكان الاخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة . فانهما صارا كالانصاب التى كان يتخذها مشركو العرب ، يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء فى اوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها

العبد الا بالله ربه . ويسالون فى هذين الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة ، وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظنا ان ذلك ينجيهم من المكاره ،ويجلب اليهم المنافع ». هذا ويسمى الان مسجد ابى تراب (الذى ربما سمى بهذ الاسم اذ كان يحف به التراب من جهاته كما يقول المقريزى) بجامع الشيخ الاتربى !

اولياء اللــه الصالحون بمصـر

وقد قطع المصريون بالذات شوطا بعيدا فى سبيل تقديس الاولياء ، وربما لطول تاريخهـا وكثرة ما عرفته خلاله من الهة. فقد لاحظ مؤرخو مصر القديمة والعصر القبطى تحول الهة المصريين القدماء الى قديسين فى ظل المسيحية ، ثم الـى اولياء فى ظل الاسلام ، دون اى تغيير فى مكان العبادة والتقديس وهو ما يصلح مصداقا لقولة رينان الشهيرة : لقد كانت البشرية دوما ومنذ البداية انما تتعبد فى نفس الاماكن » .

فماسبيرو مثلا يحدثنا عن الاحتفال بمولـد احد الاولياء فى اخميم بالصـعيد . ويقول ان طقوسه شديدة الشبه بالطقوس التى كان يمارسها قدماء المصريين فى اخميم ذاتها .

وتحدث الرحالة الاوروبيون عن اوجه الشبه بين سلوك النساء الزائرات لقبر السيد البدوى فى طنطا خلال الاحتفال بالمولد ، وبين موكـب نساء المصريين الى بوباستيس (تل بسطة فى الدلتا) كما وصفه هيرودوت . ويتزاحم النـاس فى هذا المولد حول حمار ياتى به دراويش الطريقة الشناوية الى قبر السيد ، فيتسابقون لنزع شعرات من جسمه يصنعون منها الاحجبة ، وهذا بالضبط ما كان قدماء المصريين يفعلونه بهـذا الحيوان .

وهناك احتمال وجود صلة بين حج المصريين الى مزارات طنطا وحج اجدادهم الى بوباستيس، او حج الاقباط فى الماضى الى قبر احد قديسيهم هناك . والمعروف ان الهة بوباستيس التى تدعى «باست» كان يرمز اليها بتمثال امراة لها راس قطة وتحمل على ذراعها الايسر كيسا صغيرا . (لاحظ اطلاق فلاحى مصر لكلمة بسة علـى القطة حتى يومنا هذا) . وقد ظلت لدى المصريين حتى زمن قريب عادة اصطحاب العمل المتوجه الى مكة فى موسم الحج لعدد كبير من القطط ، يتولى رعايتها رجل يعين لهذا الغرض وتسـميه العامة « ابا القطط » ولكى تبرر العامة استمرار هذه العادة فى ظل الاسلام نسبت الى النبى حب القطط ، وتحدثت عن قطة معينة كان يحنو عليها وولدت فى حجره !

كذلك كان المصريون القدماء يحجون الى مزارات لهم فى بلدة شطا قرب دمياط ، وصار يقام هناك بعد دخول الاسلام مولد سنوى لولـى اسموه الشيخ شطا !

وكان القبط قبل الفتح العربى يخرجون زرافات وقت دخول الشمس برج الجدى ، فيقصدون ابا الهول يحرقون عنده بخـورا اعـدوه من بعض النباتات ، ثم يرددون امامـه ثلاثا وثلاثين مرة عبارات تقليدية يختمونها بدعائـه أن يسـتجيب لطلب لهم . وقد ظل المصريون قرنا على الاقل بعد دخول الاسلام فطرهم يخرجون فى موسـم معين لجمع نبات او اعشاب عطرية وهم يرددون عبارات غريبة ، ثم يحتفظون بهذه النباتات فى صناديق زاهية الالوان ، معتقدين انها تجلب لهم البركة واليمن .

وهناك اثر لعبادة الافاعى التى عرفتها «طيبة» فى تقديس الاولياء بمصر . يقول بول لوكاس انه فى عام ١٦٩٩ أثناء زيارته للصعيد وجد بعض اهله يقدسون حية تنسب اليها المعجزات. وقد زار ريتشـارد بوكوك عام ١٧٥٢ قرية قرب جرجا هى مكان الحية المقدسة ، وقال ان الناس يزورونها فى مسجد هناك به قبر ولى (وهـو الشيخ هريدى) ، ويتبركون بها . ويقدمـون الاضاحى والذبائح لها . ويقولون انها فـى القرية منذ زمن الرسول . وانها تشفى مـن يزورها ومن ياتون بها اليهم فى بيوتهم من جميع الامراض . وقد راى بوكوك بنفسه اثار الدماء عند باب المسجد واحشاء الاضاحى وامعاءها . ويقول على باشا مبارك فى هذا الصدد ان جماعات كبيرة تتوافد على قبر الشيخ هريدى ايـام الخميس من شهر ابيب ، فتذبح الذبائح لهذا الولى الذى تزعم انه من صالحى الجن .

السيد البدوى

غير انه لا شك فى ان السيد احمد البـدوى والسيد ابراهيم الدسـوقى هما اشهر اولياء مصر ، خاصة الاول منهما • يقول الجبرتى فى « عجائب الاثار » ان الناس فى مصر اعتقدوا ان نهاية العالم ستحل يوم الجمعة ٢٤ من شهر ذى الحجة سنة ١١٤٧ هجرية ، فاصابهم الجزع خلال ترقبهم حلول ذلك اليوم •

فلما مضى بسلام قال علماؤهم ان الله استجاب فى اللحظة الاخيرة لشفاعة السيد البدوى ، ورضى تأجيل الساعة • وقد كان بعض العامـة بعد ادائهم الصلاة يتحولون فيجعلون من مسجد البدوى قبلتهم ويصـلون ركعتين اخـرين ثم يتوجهون اليه بالدعاء •

وما زال بمسجد الحسين فى القـاهرة عمود قرب المنبر يسمى بعمود السيد البدوى ، قيـل انه كان أثناء زياراته العديدة يقف او يجلس او يصلى عنده ، وما زال للعمود مكانته الخاصة فى قلوب الزائرين يقبلونه ويقرأون الفاتحـة عنده ويصلون الى جواره •

وبالرغم من أن السيد البدوى هذا مغربـى الاصل ، فالاعتقاد الشائع لدى المصريين انه هو الذى يحمى ديارهم وابناء مصر ، ويسمونه بولى الله وغيث هذا القطر • وتروى احدى الروايات الذائعة أن مسلما يدعى سالم اسره الفرنجة • واذ سمعه احدهم يردد الاستغاثة بالسيد البدوى، هدده بالعذاب لو انه استغاث به مرة اخرى • ولكى يحول الافرنجى بين سالم وبين الهـرب بمعونة البدوى ، وضعه فى صندوق كان ينام فوقه ليلا زيادة فى الحيطة • وفى احدى الليالى صاح سالم من صندوقه : « يا ولى الله يا احمد، نجنى من اسر هـذا النصرانى ! » فما اتم دعاءه حتى طار الصندوق والنصرانى فوقه ، حتى بلغ مدينة القيروان فى الصباح، ففتحه الناس واخرجوا الاسير منه وفكوا وثاقه امام عين آسره• فاذا بالنصرانى يبادر الى اعتناق الاسلام ، ويعود من فوره الى طنطا ليحج الى قبر السيد البدوى! وقد أفلح الفقهاء الذين لا صلة فى الواقع بين افكارهم وعقيدة العامة فى اقناع الملك الظـاهر جقمق سنة ٨٥٢ هجرية بأن يصـدر أمرا بوقف الاحتفالات فى طنطا بذكرى مولد البدوى • غير ان الامر لم ينتج اثرا ، واستمر الحال كما كان عليه • وسرعان ما شاع بين العامة ان الكثيرين ممن وقعوا على الفتوى اصابتهم الكوارث فـى المال والصحة والولد ، ورأت فى ذلك عقابا الهيا اذ بلغت بهؤلاء الفقهاء الجرأةحد معارضةالجماهير فى تقديسها لكبير اولياء مصر •

وثنيـة أم اسـلام !

واراء الفقهاء والعلماء فى الامصار المختلفة كثيرا ما تتفق ، فان اختلفت فكثيرا ما يكون الاختلاف بينها طفيفا وغير ناتج عن اختلاف المصر • اما ديانات العامة فواضحة التباين بتباين البلدان ، حتى ان كان الدين الرسمى فيها جميعا دينـا واحدا • فالعامة لا تقرأ كتابات الفقهاء والعلماء ولا تتأثر بها ، وباستطاعتها فى اغلب الاحيان ان تتجاوز الحدود الدينية دون ان تقع تحـت طائلة العقاب او التقريع • وبالوسـع دائما التعرف على بقايا الديانات والطقوس والمعتقدات سحيقة القدمفى مجتمع معين متى تعمقنا فىدراسة ممارسة الفلاحين بالاخص للدين ، والاحتفالات الشعبية التى يعرفها هذا المجتمع دون غيره ، خاصة ان كان اتباع الديانات المختلفة يشتركون فيها ، كعيد شم النسيم والاحتفال بوفاء النيل فى مصر •

فان نحن قلنا بعد كل هذا ان شطرا من العامة فى صعيد مصر يرى ان الطواف سبع مرات بقبر الشيخ القناوى بقنا (وهو طـواف يبادر اليه الكثيرون فور وصولهم الى المدينة) فيه غناء عن اداء الحج الى بيت الله الحرام ، وان قلنا ان عددا من الفقهاء قد أيد هذا الرأى استنكارا منه لفكرة ان يفقر البعض نفسه بتحمل نفقات حجه الى مكة ،ثم ان نحن افترضنا بعد ذلك ان هذا الشيخ اسطورة ، وان القبر المقيـم على طـلل معبد اله من آلهة قدماء المصريين ،لوصلنا اذن الى نتيجة غريبة ، وهى ان العامة قد احلت محل ركن من اركان الاسلام الخمسة طقسا وثنيا خالصا يرجع الى زمن الفراعنة !

■■

حسين أحمد أمين

لاجوس ــ نيجيريا

عن العرب في صقلية

● استطلاع صقلية الذى نشرتموه فى العدد ٢٢٢ شدنى بقوة وباهتمام كبير ، اذ اعادنى الى صقلية التى أعرفها جيدا ، والتى زرتها مرارا، وحاضرت فى جامعة عاصمتها باليرمو مرارا كذلك، وعرفت آثارها العربية فى أكثر من مدينة واحدة، غير العاصمة باليرمو ، كما اعادنى الى الصديق الكبير الاستاذ امبرتو ريتسيتانو ، ومساعديه الاصدقاء اندريينو بوروزو ، وانسلمى ، ومونتانينا ، وبلفيوره ، وادا لجيزا دى سيمونه.

والحقيقة التى ينبغى أن نعترف بها هى أن ريتسيتانو يقوم فى باليرمو حافظا أمينا للتاريخ العربى وللحضارة العربية فى صقلية اليوم ، وانه يقوم بالتعريف بحضارة العرب والمسلمين فى الجزيرة ، وباعداد الطلبة والطالبات الذين عليهم أن يكملوا ما كان قد بدأ به من قبله المستشرق العظيم ميكيلى امارى، ثم جاء هو يتممه ويمضى به قدما ، من نبش التاريخ الاسلامى للجزيرة ، واعادته الى الحياة .

غير أن لى ملاحظة على عبارة وردت فى التحقيق تقول : (ليس فى أوروبا بلد يزرع فيه النخيل سوى صقلية) ـ ص ٨٩ ـ هذه ملاحظة غير دقيقة ، لان النخيل منتشر أيضا فى اسبانيا . وهناك مدينة واحدة فى الاندلس اسمها (ألش ـ ELCHE) يزيد ما فيها من النخيل عن مئة ألف نخلة ، وحين رأيتها تذكرت ما شاهدته من غابات النخيل فى توزر وقفصة وقابس ـ فى تونس ـ وفى المغرب العربى، وفى المملكة العربية السعودية ، فلم أر فى منطقة منها مثل ما فى ألش من اكتظاظ النخيل وامتداد مساحته .

يضاف الى ذلك ما فى وسط المدن الاندلسية ، وفى الطرق بينها ، من عناية بزرع شجر النخيل، مما لا تجد له مثيلا فى غير بلاد النخيل العربية ، ولا سيما العراق ، وتونس ، والمغرب ، والمملكة العربية السعودية ، وليس من شك فى أن هذا بعض ما تركه العرب فى الاندلس من اثر باق ، لا يمحوه الزمان . والآثار العربية فى اسبانيا لا تقاس بها آثارهم الباقية فى صقلية ، بل تكاد آثارهم فى صقلية لا تذكر الى جانبها . وقد تجولت فى الاندلس كلها جولتين دراسيتين طويلتين ، شاهدت فيهما من الآثار العربية ما يدهش وينهل ، وتجولت كذلك فى صقلية ، وعلى الاخص فى باليرمو ، مرارا ، فلم أشاهد فيها من الآثار العربية الا القليل ، وكله ـ كما قال كاتب التحقيق فهمى هويدى ـ من الآثار النورمندية التى تتكلم بلسان عربى ، وليس من الآثار العربية البحتة .

د . عيسى الناعورى

عمان ـ الاردن

جمادى الاخرة لا الثانية

● لفت نظرى فى غلاف العدد ٢٢٣ كتابة تقول انه عدد شهر(جمادى الثانية ١٣٩٧) كما هو مطبوع .ولم ينقل عن العرب ذلك . بل قالوا جمادى الاخرة . فقدكان العرب يقولون فى الجاهلية جمادى ستة وجمادى خمسة. اما جمادى ستة فهى جمادى الاخرة لانها تمام ستة اشهر من اول السنة . وجمادى خمسة هى جمادى الاولى وهى الخامسة من اول شهور السنة.

عبد الرزاق الجزار

حى اليرموك ـ بغداد ـ العراق

انفصام الشخصية

● ما هو مرض انفصام الشخصية ؟ اسبابه وعلاجه ؟

عباس خضر بغداد ـ الرصافة

ـ كتب الدكتور درى حسن عزت اخصائى الامراض النفسية مقالا عن اسباب الانفصام فى العدد ٢١٤ ، وفى عدد قادم باذن الله ننشر له مقالا عن علاج المرض .

عن السؤال الوجيه

● نشرتم فى العدد ٢٢٢ فى زاوية « الحوار » رسالة لمواطن اردنى يسال : لماذا نلقى بكل الثقل الى جانب امريكا ، هل تتصور انها ستعطينا يوما ما شيئا لا ترضى عنه اسرائيل ؟ .. وقلتم فى تعليقكم عن الرسالة ان جواب السؤال عند اهل السياسة . واسمحوا لى ان تعليقكم كان ادنى من المستوى المطلوب . لماذا لم تقولوا رأيكم بصراحة ، لاننى ادين أهل السياسة فى هذا الموقف .

عيسى عبد موسى ـ أرلنجتون ـ فرجينيا
الولايات المتحدة الامريكية

ـ هذه الزاوية منبر للقراء ، وما نقوله نحن ينشر فى مواضع اخرى من المجلة . وقد قال القارىء الاردنى رأيه ، وها نحن ننشر تعليقك ، وهذا هو الهدف من الحوار .

الى جيبوتى

● سجلوا اسمى مع المتطوعين لتدريس اللغة العربية فى جيبوتى ، علما باننى احمل شهادة الثانوية العليا السودانية .

التيجانى خميس البكرى
المملكة العربية السعودية

محنة اللغة العربية

الكلمات العامية والاجنبية المنتشرة فى صحفنا العربية تبعث على الحزن والاسى ، خصوصا بعد ما تزايدت هذه الكلمات ، وندر ان نجد كاتبا يعالج موضوعا دون ان يستخدم كلمة عامية او اجنبية .

يحدث ذلك بينما فى دمشق والقاهرة مجمعان لغويان عريقان .

ان هذه الظاهرة لا تؤثر فقط على مستوى اعلامنا ، ولا على اللغة العربية ذاتها ،ولكنها تؤثر ايضا على عقول جيل الشباب ومدى تقبلهم واستيعابهم للغتهم الحقيقية .

اننى اقترح عليكم ان تضيفوا الى صفحة اللغة فى العربى ، صفحة اخرى لمصطلحاتوكلمات المجمع اللغوى ليعرفها الناس ولا يضطرون الى « الاستيراد » من المحلية او الاجنبية.

عبد الله محمد اليوسف
جامعة الرياض ـ المملكة السعودية

اين اللوحة الفنية ؟

● حرمنا من اللوحات الفنية التى كانت تنشرها العربى لكبار الفنانين العالميين ، وتقدمها لنا مع رساميها وقد كانت هذه اللوحات تنشر على الصفحة الثانية ، التى أصبحت الان محجوزة لحساب اعلان عن احدى ماركات الساعات .

السيد العربى الشناوى
دقهلية

ـ كل ما حدث ان مكان اللوحة انتقل الى داخل العدد ، ونحن نرى فى الوقت ذاته ان نقدم الفنانين العرب قبل غيرهم . واستطلاع جمانه الحسينى فى هذا العدد خير دليل على ذلك .

٣ أسئلــــة

* كم عدد العاملين الذين يسهمون في اصدار مجلة « العربي » ؟

* كم عدد النسخ التي تطبع من المجلة شهريا؟

* ما هي اهم الاثار الموجودة في الكويت ؟

خالد ابراهيم مزيان
بغداد ـ العراق

ـ الذين يســـهمون في اصدار مجلة العربي يصعب حصرهم لانهم خليط من المحررين والمصورين والاداريين والعمال ، واذا اردت المحررين وحدهم فعددهم تسعة • وما تطبعة شهريا في حدود ربع مليون نسخة ، بعد ان تمت زيادة الكمية المطبوعة بنسبة ٢٠٪ في شهر مارس (اذار الماضي) •

وآثار الكويت كثيرة ومتنوعة ويرجع اقدمها الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد • ومن اشهرها مجموعة اختام مستديرة ذات اهمية كبرى • فالرموز والكتابة الصورية المنقوشة عليها هي بمثابة ســـجلات تاريخية ذات قيمة علمية كبيرة •• واكتشفت في جزيرة فيلكا اثار كثيرة عديدة متنوعة ترجع الى العهد الاغريقي اذ ان بعض قوات الاسكندر الاكبر استوطنت هذه الجزيرة وعاشت فيها •• ولزيادة المعلومات يراجع اســـتطلاعات العربي عن آثار الكويت في العددين رقم ١٥ و ١٦٤ •

دراكيولا ليس بطلا قوميا

● احب ان اوضح بعض المعلومات اضافة الى ما نشر في مقالة «دراكيولا» في العدد ٢٢٣ • فقد ورد في المقاله ان السلطان محمد الثاني ارسل حمزان باشا مع خمسمائة من حرسه لخلع الامير فخوزقهم جميعا ، والحقيقة ان اسم المبعوث حمزه باشا • وفي رواية مخالفة لما ذكر في المقالة ، يتبين ان السلطان محمد علم بأن دراكيولا يعقد اتفاقات مع الهنغاريين،وكانقد تزوج قريبة للملك ماتياس ، فاعتزم خلع دراكيولا ولكن بالحيلة • واوفد لهذه الغايةسفارة مكونة من اليوناني كاتا بولنيوس ، وبرفقته حمزه باشا مع الفي رجل• ولكن دراكيـــولا داخلته الريبة فامر بخوزقتهم جميعا ، واولى ـ حسب زعمه ـ اصحاب المكانة العاليةمنهم تكريما مناسبا لمقامهم،فخصهم بخوازيق اكثر ارتفاعا •• فهل نحن امام بطل ام امام مهووس ! ؟

علما بانة كانت هنالك امارتان رومانيتان : فالاكيا ، ومولدافيا ، وكان دراكيولا اميرا للاولى منهما • وكانت كل من بولونيا وهنغاريا والسلطة العثمانية تعمل على بسط سيادتها عليهما •ولكن هاتين الامارتين كانتا في صراع شبه متواصل فيما بينهما ونظرا لعدم وجود قانون ثابت يحدد توارث العرش ، كانت كل منهما مسرحا لنزاعات داخلية بين المتطلعين الى عرش الامارة وهم كثر ، ولم يكونوا يتورعون عنالاستعانة بدعمخارجي سواء من الامارة الاخرى ، ام احدى الدول الكبرى المجاورة•

لا لعودة اليهود

● نشرتم في عدد سابق رسالة للدكتور حامد حسان يعترض فيها بشدة على فكرة اعادة اليهود الذين هاجروا من العالم العربي الى اسرائيل • وانا اضم صوتي اليه « بمنتهى الشدة » •

امضاء القرشي

عدن ـ اليمن الديمقراطية الشعبية

اشترى العربى فقط

● ارجو ان تخصصوا في مجلتكم زاوية للتعارف لانني لا اشترى الا العربى فقط !

ناديه محمد على الدخلاني

الاحساء ـ المملكة العربية السعودية

من قتل دراكيولا؟ الرواية التي يعتمدها المؤرخون الغربيون تفيد ان امير مولدافيا هاجم دراكيولا ، بتحريض من السلطان محمد ، فهزمه واضطره الى اللجوء الى هنغاريا عام ١٤٦٢ • ولكنه استعاد عرشه عام ١٤٧٤ ، بالاتفاق بين ملك هنغاريا وامير مولدافيا • غير انه لقى حتفه بعد قليل من قبل احد المنافسين •

هذه هى حقيقته التاريخية • فكيف رفع الى مصاف الابطال ؟ ان تشويه التاريخ الذى يحدث في الاونة الاخيرة ، يجعل من المغامرين المسعورين ابطالا ومن الجيوش القيصرية الاستبدادية مواكب تحرير للشعب الرومانى من الحكم العثمانى الاسلامى •

فريد حمدان

دير الزور ـ سوريا

تلميذ فى أوغندا

من يساعده ؟

● هذه رسالة بعث بها شاب صغير اسمه محمد عبد المجيد على ، يدرس فى معهد بلال الاسلامى بكمبالا عاصمة اوغندا • يقدم نفسه بقوله انه « اولد صغير ليس لى اب ولا « امى » ولا الاخ الكبير • يتيم أسالكم ان تساعدونى فى ارسال الكتب الدينية ، وكتب اللغة العمرانية والساعة التى اعرف بها الاوقات » •

لقد استخدمنا كلماته كما وردت فى الخطاب الذى ينم عن فقر شديد فى اللغة العربية •

طلبات محمد عبد المجيد على متواضعة، ويوسع الكثيرين ان يوفروها له •• من يتقدم ؟

عنوان التلميذ الاوغندى هو :

BILAL ISLAMIC INSTITUTE
P. O. Box 30773
KAMPALA
UGANDA

لايشوبها شيء

● اشتركت فى مسابقة العربى خمس مرات ، ولم افز باية جائزة ، رغم اننى لا حظت ان اكثر اجوبتى سليمة • ارجو ان تقنعونى بادلة دامغة بان عملية القرعة سليمة ولا يشوبها شيء !

جابر الراشد

دهوك ـ العراق

ـ اولا تعطى الاولوية للاجوبة السليمة كلها ، وليس اكثرها كما ذكرت • ثانيا: نطمئنك بان عملية القرعة سليمة « ولا يشوبها شيء » ، واذا اردت ان تشهدها بنفسك فنحن نرحب بك • ■■

الوطن العربي عام ٢٠٠٠

عرض وتقديم : مصطفى نبيل

لم يعد الذين يتحدثون عن المستقبل فى الوطن العربى هم المنجمون وقراء الطالع وضاربو الودع وحدهم،وانما اصبح علما له قواعد واصول وادوات بحث وتحليل مركبة ، وجهد لا يتوقف لتصور المستقبل ورؤيته ، ولم يعد هذا العلم يقتصر على الخيال العلمى بل يقوم على برامج وبدائل تدخل الحاسبات الالكترونية فتقدم نتائج محددة ••

■ الوطن العربى : عام ٢٠٠٠ احدى دراسات المستقبل والتى صدرت مؤخرا والتى تضعك مباشرة فى مواجهته بتحدياته ومشاكله وهمومه وطموحاته ، والدراسة من النوع الذى يستوقف القارىء ويهزه ويدعوه الى التفكير والتامل فى طبيعة المشاكل التى تواجه الوطن العربى وطبيعة الجهد المطلوب فى ظل عالم يموج بالحركة السريعة من حولنا،وامام عصر يقتحم المستقبل فيه الحاضر بقوة والحاح ••

فالوطن العربى الذى ظل سنوات وسنوات يعيش فى رتابة واستقرار بعيدا عن الحركة السريعة للمجتمعات الصناعية وجد نفسه داخل عجلة سريعة الدوران ، وتقدم المجتمع العربى المعاصر وقدرته على علاج المشاكل المصاحبة



للتطور الاقتصادى والاجتماعى السريع مرهون بمدى قدرته على تمثيل المستقبل والاعداد والتخطيط له ٠ فيستحيل أن يقوم بناء شامخ ومنظم فجاة بين يوم وليلة ، وانما بالعمل المنظم والدؤوب والذى يصحبه جهد لا يتوقف لتمثل المستقبل ورؤيته ٠٠

ودراسة الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ تساعد على اختيار الحلول الانسب للمشاكل الراهنة من خلال اختيار أنسب للاولويات ينسجم مع الحاجات الرئيسية للمجتمع ، ويحدد بالضبط حجم المشاكل الراهنة،واتخاذ القرار الاقتصادى منخلال أفق زمني رحب وبعيد،وفي نفس الوقت تكشف عن الاخطار قبل وقوعها ، فلم يعد مقبولا ان نكون مشدودين الى الماضى الا بالقدر الذى يساعد على مواجهة الحاضر ، كما لا يجوز ان ننكفىء على حل المشاكل والمعضلات المعاصرة الا فى اطار رؤية مستقبلية ، فسرعة التغير ينبغى ان يلاحقها المخططون والباحثون ويستعدون لمواجهة مصاعبها ٠٠

وتسد دراسة الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ ثغرة سبق أن استغلتها اسرائيل عندما سارعت منذ عدة سنوات ، وصدر فى تل ابيب دراسة عن مستقبل الشرق الاوسط ليسود منطقتها فى غياب النظرة العربية ، وملأته بالاوهام والاحلام

فى ثوب علمى براق ، واستخدمت الارقام والمعلومات والكمبيوتر لتلوى الحقائق وتضع نفسها فى خريطة المستقبل الدولة الوحيدة القادرة على القيام بالصناعات الدقيقة وذات التقنية العالية ، وانها سوف تكون المركز الرئيسى للسيطرة المالية والاقتصادية فى الشرق الاوسط • تسيطر وحدها وبلا منازع على صناعة الحاسبات الالكترونية والصناعات الدقيقة ، وتركت للعرب جميعا دور الاستهلاك واستيعاب الصناعة الاسرائيلية ، وتكرمت عليهم بتلك الصناعات القذرة ـ التى تلوث البيئة ـ والتى تبقى لهم وحدهم •

ولدراسة مستقبل الوطن العربى اهمية اخرى عندما تساعد الافراد والجماعات على مواجهة التغيير عن طريق خلق مثل اعلى يترجم الى برامج تعليمية وتثقيفية يساعد على ان يتحرك المجتمع العربى نحوه ، فمن مشاكل التغيير تلك المقاومة التلقائية التى تعترض طريقه وكانه وباء او وحش كاسر ، وتساعد هذه الدراسات على التوافق والتكيف مع هذه التغيرات التى تواجه الجماعات والافراد ، وتساعد المفكرين ورجال التعليم على الاعداد لهذا التغيير والتمهيد له • فصورة واضحة عن المستقبل يمكن ان تمد الحاضر بتلك البصيرة النافذة ••

استعرضت دراسة الوطن العربى : عام ٢٠٠٠ المعالم البارزة للظروف السائدة فى الوطن العربى • وما تؤدى اليه من نتائج حتمية •• وصدرت عن مؤسسة المشاريع والانماء العربية فى بيروت • وقام بها مجموعة تتكون من ٣٥ مفكرا وباحثا فى المجالات المختلفة ، وقدمت حصرا للموارد البشرية والثقافية والطبيعية والمالية والزراعية والجغرافية الضخمة التى يتمتع بها الوطن العربى ••

وسعت الى الاجابة على السؤالين التاليين :

هل بوسع العرب ، كافراد وجماعات ، ان يستاصلوا جذور الاوضاع الحالية من فقر ومرض وجهل وأمية واستغلال واتكالية واستعمار •• ؟

وهل يمكنهم ان يحققوا الرفاهية والصحة والمدنية والتفوق الفكرى والاستقلال والحرية ••؟

وتجيب الدراسة بان ذلك ممكن ، وتصل الى هذه النتيجة من خلال حصر الامكانيات القائمة وحركة النمو الاقتصادى والاجتماعى وحجم الموارد وحجم السوق وتطور هذه الحركة فى المستقبل ، وتصل الى تقديرات محددة للمستقبل •

ومن صعوبات دراسات المستقبل ان العنصر الانسانى فيها يصعب حسابه ويعجز الحاسب الالكترونى عن التنبؤ بسلوكه ، ولا يتحقق شىء عن طريق التمنى والاحلام او عن طريق التصرف الاهوج والتكاسل • هذه الدراسات تقوم على الافتراضات والبدائل وتتصل بتعقيدات عملية التنبؤ وصعوبة ادعاء العلم الكامل بما « سوف » يحدث •• وهذا يعنى ان اى حديث عن المستقبل وخاصة « المستقبل العربى » •• سيكون مصحوبا بكلمات مثل «لو» و «يرجح» و «اذا» اذا كان قادته بعيدى النظر وتصرفوا بحكمة وتقدير ، و « اذا تحققت تغييرات جذرية وسريعة » ،و «يحتمل» ،ويبقى استحالة ان الحديث بالدقة والثقة عن المستقبل ليست مطلقا مبررا للصمت ، ففى معالجة امور المستقبل فان القدرة على التخيل العلمى ونفاذ البصيرة قد يكونان اهم من الدقة المطلقة ، وكما قال عالم المستقبل الفين توفلر فى مؤلفه «صدمة المستقبل» •• « ان الخرائط التى رسمها للعالم جغرافيو العصور الوسطى كانت ابعد ما تكون عن الدقة ، وكانت مليئة بالاخطاء ، مقارنة بالخرائط الحديثة ، ولكن بدون تلك الخرائط لم يكن من الممكن لعظماء الرواد من المكتشفين ان يكتشفوا لنا الدنيا الجديدة ••• »

واهم الافتراضات التى قامت عليها هذه الدراسة التعامل مع الوطن العربى كوحدة واحدة ، فاذا قاد الانسان العربى العقلانية واهتدى بمصالحه فلن يكون هناك بديل عن التكامل الاقتصادى العربى ••

واشارت الدراسة الى طرق العمل الممكنة والمؤدية الى تحول ايجابى ، وما بعد الادراك هو التصميم وتكريس الامكانيات والقيادة المتضامنة ، والادارة العلمية التى تحقق تلك الاهداف ،فاقصى ما تطالب به هذه الدراسة هو القاء الضوء على التطور المرتقب والذى هو بالضرورة « محتمل » للوطن العربى حتى القرن الواحد والعشرين ، وأدوات البحث هو القدر المتوفر من المعلومات والارقام الصحيحة •• وهذه العملية يجب ان تبدا بتواضع لمحاولة اكتشاف مناسب ، لتحديد



الوطن العربى وابرزالمدنفيه،التى ترى الدراسةامكانية اقامة شبكة طرق تربط بينها .

بعض ملامح المشكلات التى نواجهها ، فلعل ذلك يجيب على سؤال هام هو .. « ما العمل ؟ »

اثر التكنولوجيا الجديدة

ويعتبر واضعو الدراسة انها دراسة تمهيدية ينبغى أن تتبعها دراسات أكثر تخصصا فى كل مجال على حدة ، فمثلا بحث طبيعة تاثير التكنولوجيات المختلفة التى يجرى تطويرها الان فى الوطن العربى . فالتكنولوجيات القائمة حاليا يمكن اذا اقتبسها العربى انتغيره ايجابيا وجذريا، كما لم تات الدراسة على ذكر التاثير والاهمية للهندسة الحيوية والالات الحاسبة واشعة ليزر ، على عملية التعلم والتذكر عند الانسان ، ولم تات ايضا على ذكر المواد الهندسية الجديدة والاساليب الجديدة لتربية الغنم والمواشى ، ومن الصعب التنبؤ بنوعية وحجم التغيرات التكنولوجية فى المستقبل ...

والواقع ان هذه نقطة بالغة الاهمية وتحتاج بالفعل لدراسة خاصة ،فليس من السهل ان نلم بدقة اليوم بما سوف يكون عليه نمط حياتنا وما هى التقنية الجديدة التى ستحدث عندئذ ، الا ان التوقعات القائمة على العلم تشير الى حدوث تغييرات هائلة فى القرن ٢١ ، فاليوم تثير الحاسبات الالكترونية ثورة عارمة فى دنيا البنوك والاعمال وحفظ المعلومات وفى مجال العلوم والهندسة اصبحت للحواسب قوة يرهب جانبها حقا ، وعلم المستقبل احد نتائج قوة الكومبيوتر الذى اصبح من الممكن تغذيته بالمعلومات حول الماضى ومعدل التغيير والبدائل المختلفة التى يمكن أن تقع فى كل عام فيخرج نتائج رقمية لكل حالة، وايضا اصبحت وسائل الانتقال عالمية ولحظية..

والتغير الذى وقع بين القرن الماضى والقرن الحالى فى التطور التكنولوجى جعل الخط البيانى الذى يصل الماضى بالحاضر لا ينبىء عن المستقبل فى نفس الاتجاه وبنفس زاوية الميل فقفزات العلوم والتكنولوجيا تتقدم بمعدل متزايد . فهناك ما هو متوقع من تغييرات ستحدث فى المستقبل، ويبقى دائما غير المتوقع ..

ان الفرص امام الوطن العربى غير محدودة ، الا أنها لن تتحقق ما لم يوجد وعى ورغبة كافيان لتحويلها الى حقائق واقعة ..

عدم توفر الارقام

وتبقى صعوبة حول دراسات المستقبل فيالوطن العربى عندما يصطدم الباحث بقصور الاجهزة الاحصائية وعدم توفر المعلومات ، فنجد ان القائمين على الدراسة التى بين ايدينا لا يفوتهم الاعتذار عن عدم تمكنهممن الحصولعلى معلومات حديثة فى المجالات المختلفة وفى كافة الدول العربية ، وظهر التباين الكبير فى حداثة الارقام، فمنها ما وصل الى عام ١٩٧٤ ومنها ما وقف عند عام ١٩٦٥ ..

تقول الدراسة .... يملك الوطن العربى طاقات هائلة لم تستغل بالكامل حتى الآن وتدرك اسرائيل والقوى الصناعية الكبرى ضخامة هذه الموارد ، فتصدر الدولالعربية ما قيمته ٧٥ بليون دولار اودعت فى البنوك الاجنبية وصدرت من الطاقة البشرية مليون ونصف عامل يعملون فى اوروبا والولايات المتحدة ـ حوالى ٥٪ من القوة العربية العاملة ـ ويهاجر ايضا من ٣٠ الى ٥٠٪ من الطاقة البشرية العالية التخصص . فالعرب يصدرون جميع عوامل الانتاج ويستوردون فى مقابلهـا المنتجات المصنوعة مثل السيارات والشاحنات والطائرات والساعات واجهزة الراديو والتلفزيون .. الخ .. وتضيف الدراسة ..

« تعرض العرب للعديد من اشكال الاستغلال فمن استعمار الارض الى الاحتلال الى استغلال الموارد الطبيعية وكانت قناة السويس وموارد النفط العربى امثلـة نموذجية للاستغلال الاقتصادى .. »

وفى عام ٢٠٠٠ سيبلغ تطور البيئة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية للدولالصناعية المتفوقة حدا يرافقه استثمار لم يسبق له مثيل للموارد العربية سواء البشرية أو الطبيعية واذا لم يوقف العرب سير هذا الاستثمار بتصميم حاسم، ويقرون بواقع الحال ويعملون من خلاله فسيصبحون اكثر من اىوقت مضىفريسة للدول «ما بعد الصناعية».

ويقدم العلماء فى الغرب صورة وردية للحياة عام ٢٠٠٠ . عندما تصل اوقات الفراغ الى ٤٠٪ من السنة بمعدل ٣٠ ساعةعمل لكلفرد اسبوعيا. وفى ظل اقتصاد موجه نحو الخدمة.لانحو الانتاج، وسيعيش الانسان ويعمل فى بيئات من صنعه بالدرجة الاولى ، وسيصبحمن الممكنتحديد النسل والسيطرة على الاوبئة ، وتعيين نوع المولود ، مع توقع تقدم ملحوظ فى ميدان السيطرة الكيمائية والبيولوجية على العقل والتخطيط لتطور النسل، وسيكـون المجتمع غنيا بالمعلومات ، وسيصبح لصناعتى الحاسبات الالكترونية والبحث العلمى فضل كبير فى تحسين نوعية العمل والحياة وسوف يقع تغيرجذرى فىالحافزعلىالعملوالانجاز والتقدم ولن تبقى فعالية العمل فى الدرجة الاولى من الاهمية وسيتخلص الانسان من الاعمال المملة والرتيبة ، مما يمكنـه من وقف طاقاته على النشاطات الخلاقة ..

وأين سيكون الوطن العربى فى ظل هذا التغير الهائل .. ؟

يلاحظ أن ما يشغل الدول الصناعية (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى ، واليابان ، واوروبا الغربية وربما الصين) هو خطر حرب عالميـة شاملة قد تدمرهم جميعا ..

والعالم الثالث تشغله هموم اخرى فيهمه اولا، التخلص من التخلف المستمر الذى يقضى على فرص الحياة الكريمة ويهمه كذلك المشاركة الفعالة فى النظام الدولى ..

ويبقى التفاوت وأحيانا التضاوب بين مشاكل الدول الكبرى والعالم الثالث مما دفع الباحثين لوضع تنبؤ فى شكل بدائل للصورة التى سيكون عليها النظام الدولى العالمى .

وقد أعد نادى روما دراسة اشترك فيها ٢١ متخصصا من الدول المختلفة حول اعادة تشكيل النظام الدولى ، والبحث يدور حول شكل النظام الدولى الجديد بحيث يكون عمليا وواقعيا ، ويستجيب لاحتياجات السكان وأجيالهم القادمة .. ومن خلال رؤية جديدة للفن والعلم ، ومن أجل تحقيق افضل ظروف ممكنة لحياة الانسان ـ وقبل فوات الاوان ـ ليبقى الانسان مدافعا عن مصيره أمام كل التغيرات ويبقى على حقه فى الحياة والعمل ..

وهو أيضا موضوع البحث فى اجتماعات باريس الذى يطلق عليه حوار « الشمال والجنوب » .

النظام الدولى العالمى الجديد

ونعود الى دراستنـا التى تورد ٣ نماذج للعلاقات الاقتصادية الدولية فهى : ـ

النموذج الاول : التنافس بين الدول العالية التصنيع ٠

عندما تسعى الدول الكبرى للسيطرة على الموارد الطبيعية للعالم الثالث وعلى أسواقه وقوته العاملة ، مما يقلل الى حد كبير من قدرة العالم الثالث على المساومة وهذا النموذج قد يؤدى الى اشتعال حرب شاملة للاسباب التالية ـ

١ ـ المتنافسون عديدون والاستراتيجيات عديدة وستتجدد الازمات الحادة مما يزيد احتمالات الحرب الشاملة ٠

٢ ـ ان الانحلال المتواصل للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الثالث سيؤدى الى اشتداد النزاع الداخلى ، مما يدخل بالضرورة الدول الكبرى كطرف فيه ٠

٣ ـ قد تظهر قوى جديدة فى العالم الثالث تميل الى استراتيجية تقود الى تصادم شامل بين القوى، أى ما يعرف بسياسة الارض المحروقة، ولن تستطيع الدول الكبرى أن تواصل السيطرة على العالم الثالث واستغلاله دون أن تشعل نار حرب شاملة ٠

النموذج الثانى : التواطؤ بين الدول عالية التصنيع ٠

ويتم ذلك عن طريق الاتفاق بين الدول الكبرى على وضع حدود لميادين تنافسها ومداه وعلى تجنب الحروب العارضة والافراط فى التدخل ، ويلاحظ أن هذا النموذج صيغة معدلة للنموذج الاول، ولكنه يتصف بقدر أكبر من « الاستقرار » اى تؤلف الدول الكبرى جبهة فى وجه العالم الثالث ، وهو أسوأ الاحتمالات الممكنة بالنسبة للعالم الثالث ، وهذا يفترض نهاية الانقسام بين الغرب والشرق ، ويستبدل به الصراع الدولي بين « الدول الغنية » و « الدول الفقيرة » مما يؤدى الى نظام عالمى مزعزع تتخلله حروب عصابات على نطاق عالمى ٠

النموذج الثالث :

يقوم هذا النموذج على افتراض أن مصلحة الجميع تعزيز الاستقرار العالمى بمعالجة جذور الاضطراب بدلا من معالجة أعراضه ، ويفرض أن التنافس بين الشرق والغرب سيحل محله التفاهم، ومع افتراض أن زعامة العالم الثالث عقلانية وقادرة على تخطيط سياساتها وتنفيذها ٠

والوطن العربى الذى يملك موارد هائلة تطمع بها جميع الدول العالية التصنيع ، انما هو محور الصراع ومركزه ، ولكى تحصل الدول العربية على النفوذ والزعامة اللازمين لبناء نظام عالمى نافع ، فان عليها أن تنفذ برنامجا انمائيا ضخما ٠٠

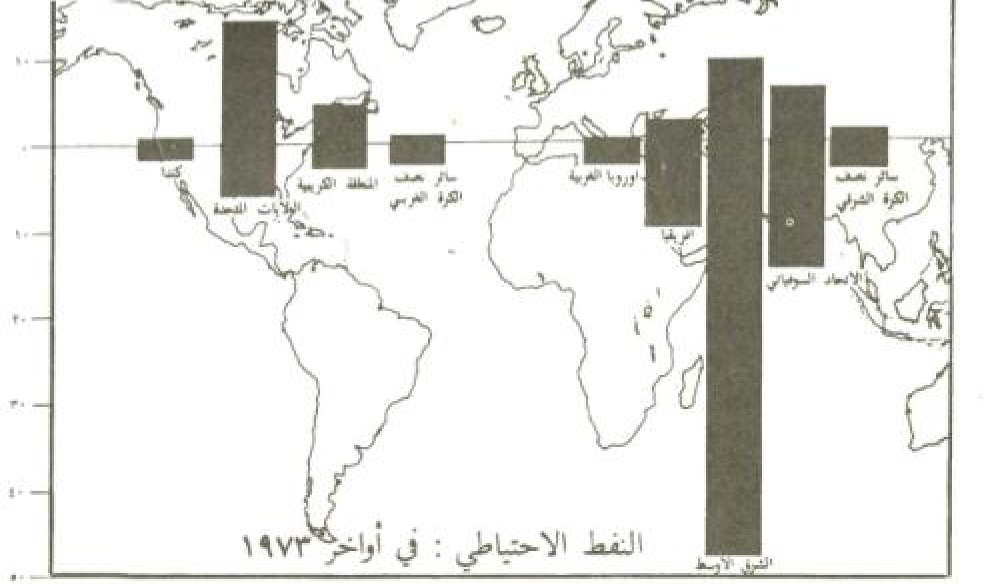
صورة الوطن العربى عام ٢٠٠٠

وهذه الصورة تتمثل فى السكان ومعدل تزايدهم ونوع الانشطة التى يقومون بها وطبيعة النظم التى تحكمهم وصحتهم ، ونوع الثقافة والتربية والمناهج التى تقدم اليهم ، ومن حصاد هذا النشاط تتشكل صورة الوطن العربى ٠

وبداية بلغ عدد السكان العرب سنة ١٩٣٠ بما يقدر ١٢٥ مليون نسمة ويتزايدون بمعدل ٣ر٣٪ ، وسوف يصبحون سنة ٢٠٠٠ حوالى ٣٢٣ مليون نسمة ، اى يتزايدون ثلاثة اضعاف ما هم عليه الآن فى غضون ٣٠ سنة ، بينما يكون عدد سكان العالم قد تضاعف تقريبا ، فيصبح عدد سكان العالم ٥ر٦ بليون نسمة بعد أن كانوا ٦ر٣ بليون نسمة ١٩٧٠ ٠

واذا أمكن التحكم فى تزايد السكان العرب ، وصحتهم وتوزيعهم ومستقبلهم مع تخفيض معدل نموهم الى ٢ر٣٪ ـ وسبق أن اليابان حققت ذلك ـ فسيكون عدد العرب سنة ٢٠٠٠ حوالى ٢٤٠ مليون وهو عدد يمكن حل مشاكله بسهولة أكبر من حيث التربية والتغذية والاسكان والاستخدام كما يمكن تحديد سياسات سكانية واضحة والتزام جدى بها من قبل الحكومات العربية ، وتشجيع الهجرة العربية الداخلية ، لتوفير الموارد البشرية اللازمة للبلدان قليلة السكان ٠

وبالنسبة للصحة تقول الارقام أن ٢٠٪ فقط من العرب يمكن اعتبارهم سليمين من أمرض التراخوما، البلهارسيا ، السل ، سوء التغذية ، الرقان المعدى ، النقص فى الفيتامينات ، الامراض المعدية ، الامراض الزهرية ، وعطب الاسنان ٠٠ الخ ومتوسط عمر الفرد العربى ٥٢ عاما أما الدول المتطورة فيبلغ ٧٢ عاما وما تنفقه الحكومات العربية على الصحة للفرد فى المتوسط ١٠ دولارات وفى الدول المتطورة ٧٠ دولارا، والمطلوب تحقيق تغيرات جذرية وسريعة فى صحة العرب ٠



على الخريطة خط عرضي يقسمها الى جزءين . الجزء العلوي يحدد كمية النفط المستخرج ويشير الى أن أعلى نسبة انتاج في الولايات المتحدة ، بينما الجزء الاسفل يحدد حجم الاحتياطي ،ويشير الى ضخامة احتياطي نفط الشرق الاوسط .

أما بالنسبة للتربية في الوطن العربي فقد بلغت نسبة الامية ٧٠٪ من مجموع العرب البالغين سنة ١٩٧٢ ، والمتوقع في عام ٢٠٠٠ أن يبلغ عدد الاميين ما بين ٥٠٪ و ٦٠٪ ..

وهنا لا تتحدث الدراسة بالطبع عن محتوى ما سيدرسه غير الاميين لمحو أميتهم ، وهذا المحتوى عامل هام في دراسات المستقبل ، ومكونات المادة التي سيدرسها لها أهمية في تحديد مهاراته ..

وبالنسبة للتعليم في المدارس فيلاحظ سوء نوعية التسهيلات فاكثر من٩٥٪ من طلاب المدارس لا تتوفر لهم مكتبات ولا يقومون بتجربة في أي من العلوم ، ويتعلمون في مدارس دون المستوى الصالح ، كما ان الكتب المدرسية سيئة الاخراج وينقصها الحد الادنى من صفات الابداع فلا تستطيع اثارة اهتمام النشء أو ترغيبهم من أي سن وعدد المعلمين المتخرجين من الجامعات ضئيل ، كما أن أهداف التربية الحالية تتركز في حفظ المعلومات من أجل اجتياز الامتحانات والحصول على الشهادة ، لا المعرفة والفهم .. لهذا ينبغي تعيين معلمين مثقفين يشجعون حب الاستطلاع الطبيعي لدى الطالب بالتشديد على ملكة الملاحظة والتجربة في جميع الاعمار وبذل مجهود منظم لاخراج كتب مدرسية ممتازة ، وتاسيس مكتبات عامة للاولاد والاهل في جميع المدن والقرى وانشاء مكتبات للطلاب ومتاحف للفنون العملية ، كالزراعة والصناعة وسواها ، وعن طريق شيوع الثقافة من خلال الاشكال المختلفة بما فيها الراديو والتلفزيون والرحلات ..

وتبدي الدراسة الملاحظات التالية حول التعليم الجامعي في الدول العربية :

١ ـ ان ٨٠٪ من المهندسين الزراعيين العرب ليس لهم علاقة مباشرة بالارض .

٢ ـ ان حوالي ٢٠٠ بحث أصيل تنتشر سنويا في العالم العربي في جميع المجالات .

٣ ـ ان ٩٠٪ من جميع المنشورات العلمية في الوطن العربي من تاليف غير العرب .

وينتج عن قصور التعليم الجامعي العربي وانعدام البحث ان لا تستطيع البلدان العربية توفير المهارات الضرورية لتامين حاجاتها ، كما لا تستطيع البلاد العربية تطوير الانظمة التربوية بصورة تناسب متطلباتها ، ولا تستطيع الجامعات

العربية تدريب أجيال جديدة قادرة على التكيف بحسب متطلبات الاهداف العربية وأيضا لا تستطيع البلدان العربية تحديد حاجاتها التكنولوجية ومن هنا عجزها عن امتصاص الموارد البشرية والمالية ٠

اما الطريق نحو رفع مستوى التعليم الجامعي فتحدده الدراسة عن طريق توظيف مبالغ ضخمة لتطوير الجامعات العربية وزيادة عدد الكليات والجامعات مع تركيز ضخم على البحث فى الجامعات ٠ وهكذا يجب ان يرتفع عدد الجامعات عام ٢٠٠٠ الى ٣٤ ضعف ما كان عليه فى عام ١٩٧٣ ، وتتساءل ٠٠ هل المطلوب زيادة عدد الكليات الجامعية فقط ام زيادة الابحاث العلمية وزيادة المعاهد التكنولوجية ٠٠ ؟ !

الريف والحضر ٠٠كان عدد سكان المدن العربية عام ١٩٧٠ حوالى ٣٦ مليون نسمة ، وكان عدد سكان الريف ٨٩ مليون نسمة ، وما تزال المدن العربية تنمو بمعدل ٦٪ كل سنة ، واذا استمر هذا المعدل حتى سنة ٢٠٠٠ فسيكون عدد سكان المدن العربية ٢٠٦ ملايين عربي ويبقى حوالى ١١٧ مليونا فقط يعيشون في الريف ، وهذا يعنى تجمعا مكثفا للسكان فى المدن اما اذا اصبح معدل النمو فى المدن ٥ر٤٪ فسيكون ثمة ١٣٦ مليون عربى يعيشون فى المدن و ١٨٧ مليونا يعيشون فى الريف وهذا يشكل ــ بمعنى نسبى ــ توازنا معقولا بين سكان المدن وسكان الريف ٠٠

وبقى احتمال ثالث لم تذكره الدراسة وهو امكانية الوصول الى « تكنولوجيا جديدة » تدخل فى اقامة المبانى سواء المنازل او المدارس او المستشفيات أو المسارح ، كالتفكير فى اقامة « مدن صغيرة » بين القرية والمدينة ، مما يساعد على وقف النزوح المستمر من الريف الى المدينة ٠٠

وتضيف الدراسة ٠٠ ٠٠ انه من المتوقع ان يبلغ عدد سكان القاهرة الكبرى سنة ٢٠٠٠ حوالى ٢٨ مليونا وهو ما يعادل سكان مصر منذ عشر سنوات ، وسيبلغ عدد سكان بغداد الكبرى ١٠ ملايين ، وهو ما يعادل مجموع سكان العراق اليوم، وسيصبح مجموع سكان اكبر عشر مدن عربية ٨٤ مليونا تقريبا ، وهو اكثر من نصف سكان المناطق المدنية جميعها ، وبما ان المدن العربية قديمة جدا والتكنولوجيا العربية متواضعة جدا ، فسيصبح سكان المدن عبارة عن سرطان اجتماعي يعيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية السليمة ، وسيصبح معظم سكان المدن متعطلين عن العمل ، مزدحمين جدا ، ويسكنون فى أحياء فقيرة ، ولا يتلقون سوى جزء بسيط من الخدمات الضرورية ، والنتيجة مجاعة ، حرب مدنية ، وانهيار اجتماعى ٠٠

وتقترح الدراسة فى مواجهة تلك المخاطر العمل على وقف النمو العام للسكان ، بحيث ينخفض المعدل من ٣ر٣٪ الى ٣ر٢٪ ، وان يحكم النزوح من الارياف الى المدن الصغيرة والمدن المتوسطة والمدن الجامعية ، وان تقام مدن جديدة والا تكون هذه المدن فى الاودية النهرية او فى المناطق كثيفة السكان بل فى الصحراء حول المناجم وحقول النفط فى الجزائر وليبيا والبحر الاحمر وسيناء، وما يشابهها فى الوطن العربى ، وفى المناطق الساحلية بين الاسكندرية وطرابلس الغرب ، وبين عدن والعقبة ، وبين السويس وبور سودان ، وسبق ان قامت بور سعيد والاسماعيلية على هذا الوجه ، وهذه المدن الصحراوية الجديدة يمكن ان تقوم على اسس اقتصادية صحيحة ٠

التنمية ومستقبل الوطن العربى

يتحدد مستقبل الوطن العربى فى معدلات التنمية التى يحققها ، وقد تباينت معدلات النمو بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان غير المنتجة فبين عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠ تراوحت معدلات النمو للبلدان المنتجة للنفط بين ٣٠٪ لدولة الامارات العربية المتحدة و٤ر٦٪ لكل من العراق والبحرين، وفى المقابل تراوحت معدلات النمو للبلدان غير المنتجة للنفط بين ما دون الصفر و ٦ر٦٪

والعوامل التى تحد من معدلات النمو هى :

١ ــ القصور فى البحث والتصميم فى ميادين الاقتصاد والادارة والتكنولوجيا ٠ ففى عام ١٩٦٩ كان اقل من واحد من ١٠ الاف عربى يعمل فى حقل البحث والتنمية مقابل ٢٦ من ١٠ آلاف امريكى ٠

٢ ــ عدم الخبرة فى تحديد الاولويات والتكنولوجيا والموارد ٠

٣ ــ العجز عن استيعاب فائض رأس المال العربى فى الاقتصاد القومى فيما يزيد عن ٧٥ بليون دولار مودعة حاليا فى الخارج ٠

٤ ـ العجز عن الاستخدام الكفء للطاقة البشرية استخداما منتجا •

٥ ـ العجز النسبي للتبادل التجاري للتشابه القائم في الاقتصاد الزراعي •

٦ ـ الاضطرابات السياسية المتواصلة •

ولقد كانت معدلات نمو الناتج القومي الاجمالي للدول العربية ما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ كما يلي:

الامارات العربية المتحدة	٣٠٪
ليبيا	٢٥٪
السعودية	١٠ر٥٪
قطر	٩ر٦٪
الكويت	٧ر٩٪
الاردن	٦ر٦٪
العراق	٦ر٤٪
البحرين	٦ر٤٪
سوريا	٥ر٩٪
مصر	٥ر٥٪
لبنان	٤ر٧٪

جمهورية اليمن العربية ما بين صفر الى ٣٪
جمهورية اليمن الديمقراطية سلبي

الجزائر
المغرب من ٤ الى ٦ ٪
تونس

ويلاحظ عدم ذكر السودان وعمان والصومال وموريتانيا •

ويمكن تحقيق معدل نمو سنوي يزيد عن ١٤ ٪ بفضل الموارد العربية البشرية والطبيعية الضخمة، وقد حققت الدول العربية نموا سنويا قدره ٣ر٤٪ من سنة ١٩٧٠ وحتى سنة ١٩٧٤ • فالرأسمال العربي يزيد عن ١٠٠ بليون دولار سنة ١٩٧٦ ، وبسبب ارتفاع النسبة المئوية للادخار قياسا الى الناتج القومي الاجمالي • ففي سنة ١٩٧٠ بلغ معدل الادخار في البلدان المنتجة للنفط

٥٨ ٪ من الانتاج القومي لليبيا
٤٦ ٪ من الانتاج القومي للكويت
٣١ ٪ من الانتاج القومي للجزائر •

ومع ملاحظة انه اذا استعيض عن النفط بمصادر اخرى للطاقة سنة ١٩٨٥ فان البلاد العربية قد تعاني تناقصا في معدل النمو يبلغ قدره نحو ١٪ اذا لم تتطور قطاعات اخرى •

فقراء العالم واغنياؤه ••

حصلت المناطق الاقل تطورا خلال سنة ١٩٧٠ والتي تشتمل على ٧٠٪ من سكان العالم على ٩ر١٤٪ فقط من الناتج القومي العالمي ، ومن المتوقع سنة ٢٠٠٠ ان يبلغ سكان المناطق الاقل تطورا ٧٨٪ من سكان العالم بينما يبقى نصيبهم من الناتج القومي العالمي الاجمالي على حاله ، هذا اذا لم ينخفض الى ٤ر١٤٪ ، فيحصل ٢٢٪ من سكان العالم على ٦ر٥٨٪ من الناتج القومي العالمي الاجمالي ، ومعنى هذا ان الفارق في الناتج القومي الاجمالي للفرد الذي كان ١٣ : ١ سنة ٧٠ سوف يبلغ حوالي ٣٠ : ١ سنة ٢٠٠٠

ويمكن ايضا تقسيم العالم العربي الى فقراء واغنياء ففي عام ١٩٧١ بلغ الناتج القومي الاجمالي للفرد الواحد في الكويت ٣٨٦٠ دولارا ، وفي دولة الامارات العربية ٣١٥ دولارا وفي ليبيا ١٤٥٠ دولارا •

وليس من المستبعد ان تبلغ الاقطار العربية المنتجة للنفط مستوى الناتج القومي الاجمالي للفرد الواحد في البلدان التي تعدت « المرحلة الصناعية » •• في سنة ٢٠٠٠ ، أي يبلغ دخل الفرد ما بين ١٠ آلاف و ١٥ الف دولار •

وعلى عكس ذلك كان الناتج الفردي في الجمهورية العربية اليمنية ٩٠ دولارا والسودان ١٢٠ دولارا ومصر ٢٢٠ دولارا وكان متوسط النمو السنوي لا يتجاوز ١٪ أو ٢٪ في السنة•

وهكذا نجد فارقا حاليا يبلغ حدا اقصى هو ٢٣ : ١ تقريبا بين الكويت من جانب وجمهورية اليمن العربية والسودان من جانب آخر ، ومن المحتمل ان يتعاظم هذا الفارق في المستقبل •

ومطلوب تحقيق توازن بين الاقتصاديات المختلفة للوطن العربي ••

والمهم انه اذا استغلت البلاد العربية طاقاتها الحالية الاستغلال الافضل ، فان ناتجها القومي سنة ٢٠٠٠ قد يبلغ ١٧٠٠ بليون دولار ، واذا خفضت نسبة تزايد السكان الى معدل ٣ر٢ ٪ سنويا فان مجموع سكانها سيكون ٢٤٠ مليون نسمة ، والواقع انها اذا حققت ناتجا قوميا اجماليا للفرد يزيد عن ٦٠٠٠ دولار، فان الفارق بين البلدان العربية والبلدان الاكثر تطورا قد ينخفض من ١ ـ ١٠ سنة ١٩٧٠ الى ١ ـ ٢ أو ١ ـ ٣ (سنة ٢٠٠٠) •

التكامل الاقتصادى العربى

من الاهداف الرئيسية للتنمية الاقتصادية القومية ، التصنيع السريع المتنوع ،ولذا فاتساع السوق ضرورى لدعم انشاء صناعة ذات قاعدة واسعة فى ظروف قائمة على التنافس ، ولقد اقامت بعض الدول العربية صناعات هندسية وميكانيكية بقصد انتاج آلات زراعية وعربات للنقل ، فى محاولة لتنمية التطور الصناعى فرديا ، ولكن هذه المحاولات الفردية اظهرت انها تفتقر الى الفعالية لاسباب تتعلق بضيق الاسواق والموارد ، فلو حشدت الدول العربية طاقاتها ومواردها البشرية والمالية والطبيعية ضمن اطار سوق عربية مشتركة ، لتعززت قدرتها على تحقيق تصنيع سريع ومتنوع ، ذلك ان انشاء وحدة اقتصادية اقليمية ، وما يتبع ذلك من فرص للتخصص وتطوير صناعات ناجحة على نطاق واسع كفيل بان يجعل هذه الصناعات مجدية اقتصاديا ويزيد سرعة النموالصناعى والاقتصادى والاجتماعى فى مختلف انحاء الوطن العربى ٠

هذا وقد قدرت واردات الاقطار العربية من الانتاج الصناعى الاستهلاكى والرأسمالى خلال عام ١٩٧٢ بنحو ٨ بلايين دولار ومن المرجح ان يتجاوز الطلب على المنتجات الصناعية هذا الرقم٠

وبزيادة عائدات النفط واقامة سوق عربية مشتركة ينسق عبرها وضمن اطارها استخدام هذه العائدات مع بقية الموارد العربية ٠ يصبح عندئذ فى امكان الوطن العربى ان يتدبر معظم احتياجاته الصناعية عن طريق الانتاج المحلى ٠

وسيؤدى التكامل الاقتصادى العربى الى شبكة من الصناعات المتكاملة التى تولد بدورها اقتصادا خارجيا مع تعزيز فعالية القطاع الصناعى العربى وقدرته على منافسة الصناعات الخارجية ، سواء كان ذلك داخل السوق العربية المشتركة او فى الاسواق العالمية ٠٠٠

واخيرا ٠٠ بقيت ملاحظتان حول دراسة «الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ » ٠٠

اولهما : ان الدراسة ـ ولعل ذلك للتبسيط ـ لم تبين كيفية الوصول الى العديد من الارقام التى اوردتها٠ ولم توضح ايضا بعض الافتراضات التى اقامت عليها نتائجها ، مما صعب معه الحكم على هذه الارقام وتلك الافتراضات ، رغم ان اهم فوائد هذه الدراسات تنشيط العقل وتحريكه نحو المستقبل ٠

والملاحظة الثانية : تتعلق بالنموذج او النمط الذى قاس عليه وتخيله واضعو الدراسة للمستقبل ، وقد سلمت الدراسة بان النمط الغربى هو النموذج الذى يسعى المجتمع العربى للوصول اليه ، وظهر ذلك فى المقارنات الرقمية التى اوردتها والخلفية التى قاسوا عليها ،ورغم التسليم بانه فى هذا الزمان الذى تلاشت فيه الحدود والمسافاتعلينا ان نرصد التغييرونلاحقه، فلكل حادث معاصر انعكاساته الفورية فى العالم اجمع ، الا انه ينبغى ان يتبع الرصد والملاحقة « الاستيعاب » وفهم منهج وقانون التقدم الذى يمكننا من خلق نموذجنا الخاص وقياسنا المتميز، فليست تجربة الغرب الخاصة لا عالمية ولا عامة بل هى تخصهوحده، وليس تكرار التجربة الغربية هو الطريق الوحيد لتحديث المجتمع وتطويره ، فالتنمية فى الغرب تعنى زيادة ما يستهلكه الفرد من سلع وخدمات، وكلما زادت القدرة الانتاجية للدول المتقدمة صناعيا اتجهت هذه الدول اكثر فاكثر نحو انتاج سلع تافهة الاثر فى رفع مستوى الرفاهية ٠ وعندما يختلف مجتمعان فى القيم فان السلع والخدمات التى تولد الاشباع والمزيد من الرفاهية لاحدهما قد لا تولد اى قدر من الرفاهية لمجتمع آخر ، وكثير من السلع التى تقوم الدول المتقدمة صناعيا بانتاجها لا يمكن ان يتم الاستمتاع بها الا فى ظل انتشار نمط من انماط القيم الاجتماعية هو النمط السائد فى المجتمع الغربى الذى قام بابتداع هذه السلع ٠٠

كما انه عندما نبدأ من التسليم باقتصار حركتنا فى المجتمع العربى بالسير على خطى المجتمع الغربى والوصول الى نمط حياته ، فسنحكم على انفسنا باستمرار الفجوة التاريخية ليحتفظ الغرب بسبقه التاريخى ٠٠

وعلى اية حال فهذه قضية تحتاج الى مناقشة طويلة متأنية يساهم فيها قادة الفكر العربى جميعا ، ويبقى لهذه الدراسة فضل القضايا المستقبلية التى طرحتها ووضع اسئلة هامة فى بداية طريق طويل ٠ ■■

مصطفى نبيل

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول نوفمبر (تشرين ٢) ١٩٧٧ .

اثنان في واحدة

● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة، ستجد في (٨) افقيا اسم اعظم علماء الاندلس ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم كيميائي وكهربائي انجليزي شهير .

الكلمات الافقية :

(١) مسرحية لبرناردشو ـ احدى جزر الهند الغربية .

(٢) امانة ـ كاتب روائي فرنسي شهير .

(٣) رمز البوتاسيوم ـ اكمل ـ اهز ـ وضعت له ارقاما .

(٤) ينتسب الى اتجاه سياسي وفكري معين ـ من الاشجار .

(٥) ازخرف ـ عاصمة ايسلندا .

(٦) تنافقك ـ عاصمة اوروبية ـ مسح .

(٧) نصف كلمة (تسول) ـ صحارى ـ حرفان متشابهان ـ نصف كلمة (سعاد)

(٨) أعظم علماء الاندلس .

(٩) المستند ـ وقت قصير ـ يجري .

(١٠) حالا ـ للنداء ـ شعرا .

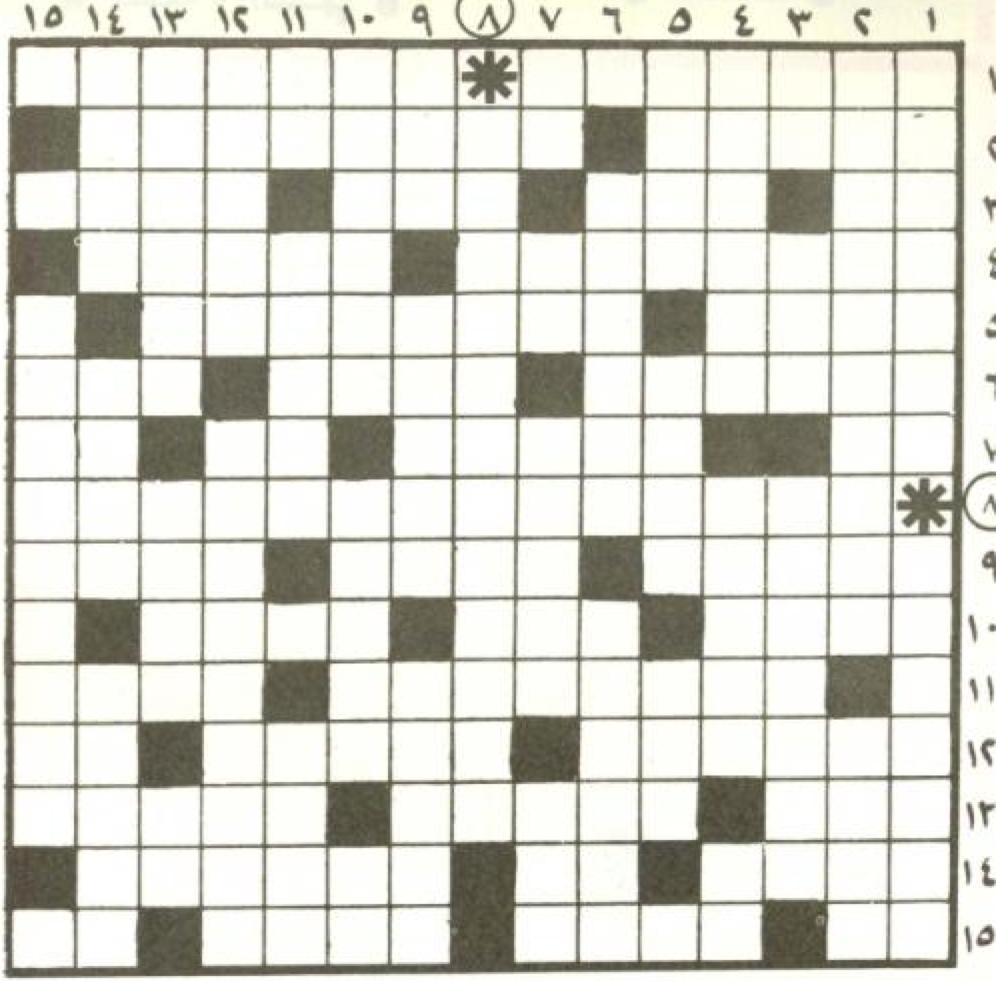
(١١) طائر يعرف باسم صديق الفلاح ـ اختبر .

(١٢) يمقتان ـ اخاف ـ نصف كلمة (يجثم) .

(١٣) عبدا ـ تقصده ـ زعيم ومفكر آسيوي راحل .

(١٤) يرشده ـ حرفان متشابهان ـ يوكلني .

(١٥) حرفان متشابهان ـ مفيد ـ لقب ديني ـ حرفان متشابهان .



الكلمات الرأسية :

(١) اعلى صوت من المغنيات النساء ـ قارة من القارات •

(٢) موسيقار فرنسي معروف ـ دولة في القارة الامريكية •

(٣) غير ناضج ـ رنا ـ بحيرة آسيوية شهيرة•

(٤)تحيا معه وتخالطه ـ ذكاء ـ ضمير •

(٥) ناحيتك ـ وهبه ـ وحدة قياس كهرباء •

(٦) لقب اوروبى قديم ـ أسعى الى اخذهم برايى •

(٧) نصف كلمة (ناقة) ـ يخصنى ـ وحدةقياس كهربا ـمجرى مائى •

(٨) عالم كيميائى وكهربائى انجليزى شهير •

(٩) من مواد البناء ـ يوفر له ـ اخاق •

(١٠) من الحشرات ـ جرح الكرامة ـ نصف كلمة (نائب) •

(١١) يتميز بمذاق خاص ـ أغصان ـ يافل•

(١٢) شريان هام بالجسم ـ عاصمة افريقية •

(١٣) يقابلكم ـ من افرازات الجسم ـ حرفان متشابهان •

(١٤) مستتر ـ يتمنون زوال النعمة ـ دولة قديمة قامتفى غرب تركيا •

(١٥) (علم الاشعة) •

رحّالة شهير

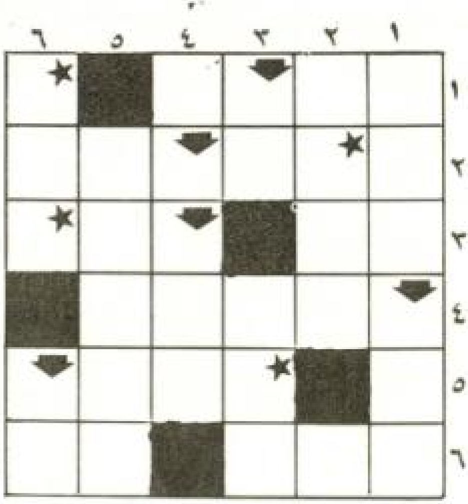
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرحالة شهير سافر الى الصين في رحلة استغرقت ٢٤ عاما ، ثم انقل الحروف التي في المربعات الموجودة فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الرحالة الشهير .

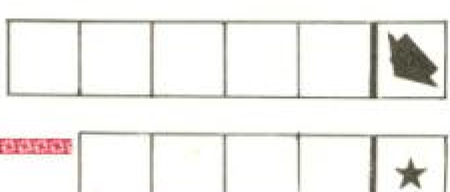
الكلمات الافقية :

(١) وسيلة انتقال مائية .
(٢) ينتسب الى قطر عربي .
(٣) رمز كيميائي ـ صف طويل .
(٤) خيالية .
(٥) حلو الوجه .
(٦) نرج ـ للتفسير .

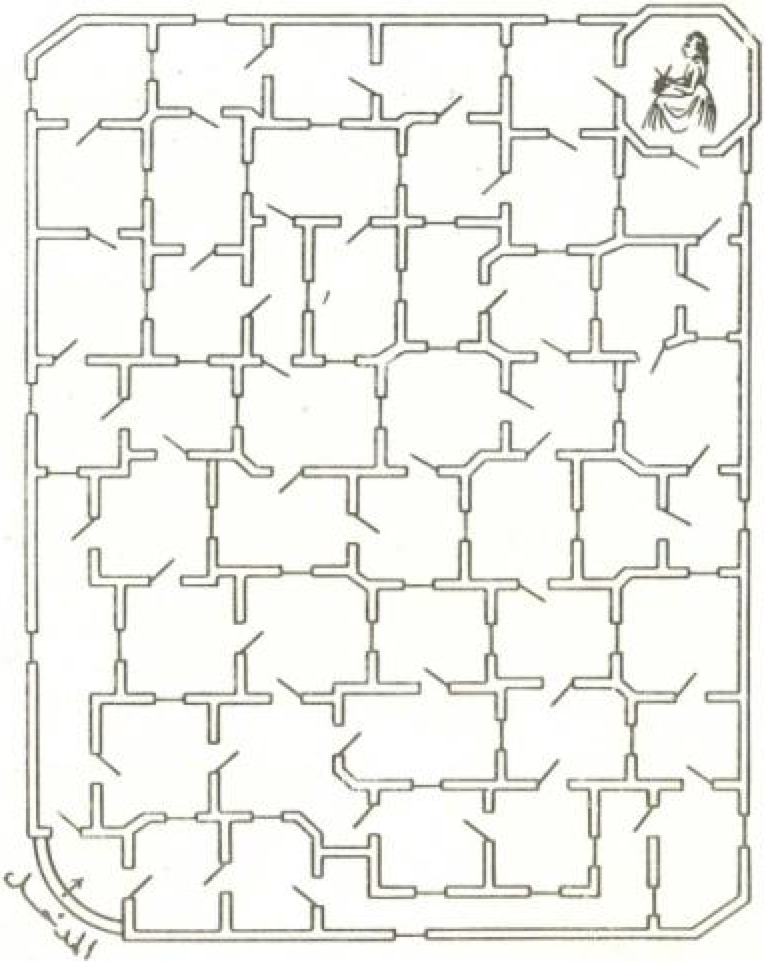
الكلمات الرأسية :

(١) اكبر مدن استراليا .
(٢) ارض مزروعة عالية .
(٣) نصف كلمة (يسكن) ـ من الفاكهة .
(٤) عاصمة اوروبية .
(٥) نستعد .
(٦) لفظ تهديد ـ مقام موسيقى .





• متاهة •



• يقال ان أحد ملوك انجلترا فى القرن الثانى عشر ، اختطف حبيبة أحد الفرسان ، واخفاها فى قصر التيه الذى ترى رسمه .غير ان الفارس الشجاع استطاع أن يدخل القصر، ويعرف الطريق الى حبيبته ، وينقذها .

فهل يمكنك أن تعرف الطريق الـى حجرة الحبيبة اذا ما بدأت رحلتك من المدخل على يسار أسفل الرسم ....

• بالعقــل فقط •

استاذ نبيه يسال :

من كان شريك توفيق أحمد ••

• نظر بترفع الى المائدة القريبة منا في المقهى ، وقال « أترى هؤلاء الاربعة الذين يلعبون الدومينو ••• انهم لا يتوقفون عن اللعب منذ وصولهم عصرا وحتى موعد اغلاق المقهى ، كل يوم » •

قلت « انت تعرفهم اذن •• » • قــال « طبعا •• سعد وجميل يلعبان ضد سعد واحمد •• ولكن اكثرهم مهارة هو توفيق •• » •

للوهلة الاولى نظرت اليه متعجبا ، ثم قلت في محاولة لفهم كلامه «ومن هو توفيق فيهم» اجاب في ثقة « ذلك الشاب الذى يجلس الى يسار توفيق •• » •

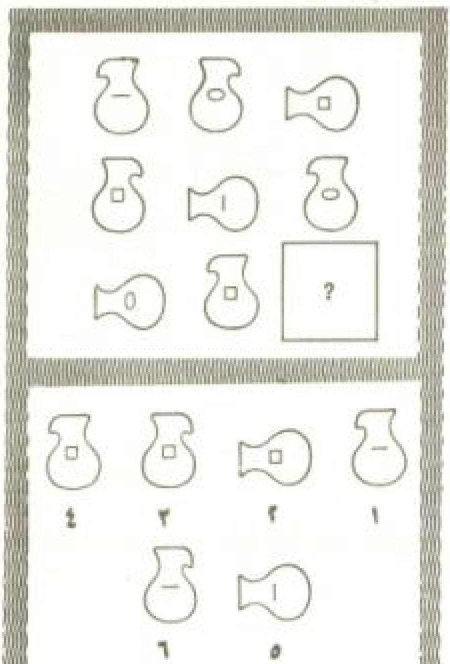
اخيرا •• اكتشفت سر الخلط الذى صدر من صديقي هذا ، فهو يتكلم مرة عن اسم الشخص ، ومرة اخرى عن لقبه • فالجالسون حول المائدة يلعبون كانوا : جميل سعد ، وسعد توفيق ، وتوفيق احمد ، واحمد جميل •

هل تستطيع ان تعرف من كـان شريك توفيق احمد في اللعب ••

• حاول أن تعرف •

الابريق المناسب

من دراسة العلاقة بين الاباريق التى فى كل من الصفين العلـويين ، حاول أن تعرف اى الاباريق التى لها الارقام من ١ الى ٦ ، يمكن ان يحل محل علامة الاستفهام في الصف الثالث•



الحلول

النجمة والسهم :

ماركو بولو

حبيبة الفارس :

ادخل من الباب الايسر امام المدخل ، ثم انحرف الى اليمين مباشرة والتزم اليمين باستمرار حتى تصل الى قرب منتصف الطريق، فتجد اختيارا بين بابين ، ادخل من الايسر ، ثم في الباب الايسر الذى يليه حتى تصل الى حبيبة الفارس •

استاذ نبيه يسأل :

الاثنان اللذان يوجد اسم سعد ضمن اسمهما الكامل لا يلعبان كشركاء • وكذلك الاثنان اللذان يدخل اسـم توفيق في اسـمهما الكامل • وعلى ذلك يكون سعد توفيق يلعب ضد توفيق أحمد ، وضد جميل سعد • ومن هذا يكون شريك توفيق احمد في اللعب هو : جميل سعد •

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب هو رقم (٦) •

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان

هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.



ناقلة الماء ميتسوبيشي فوزو

في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة المسيلة التجارية ذ.م.م.
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN


FUSO


وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٢٣٥٨٥

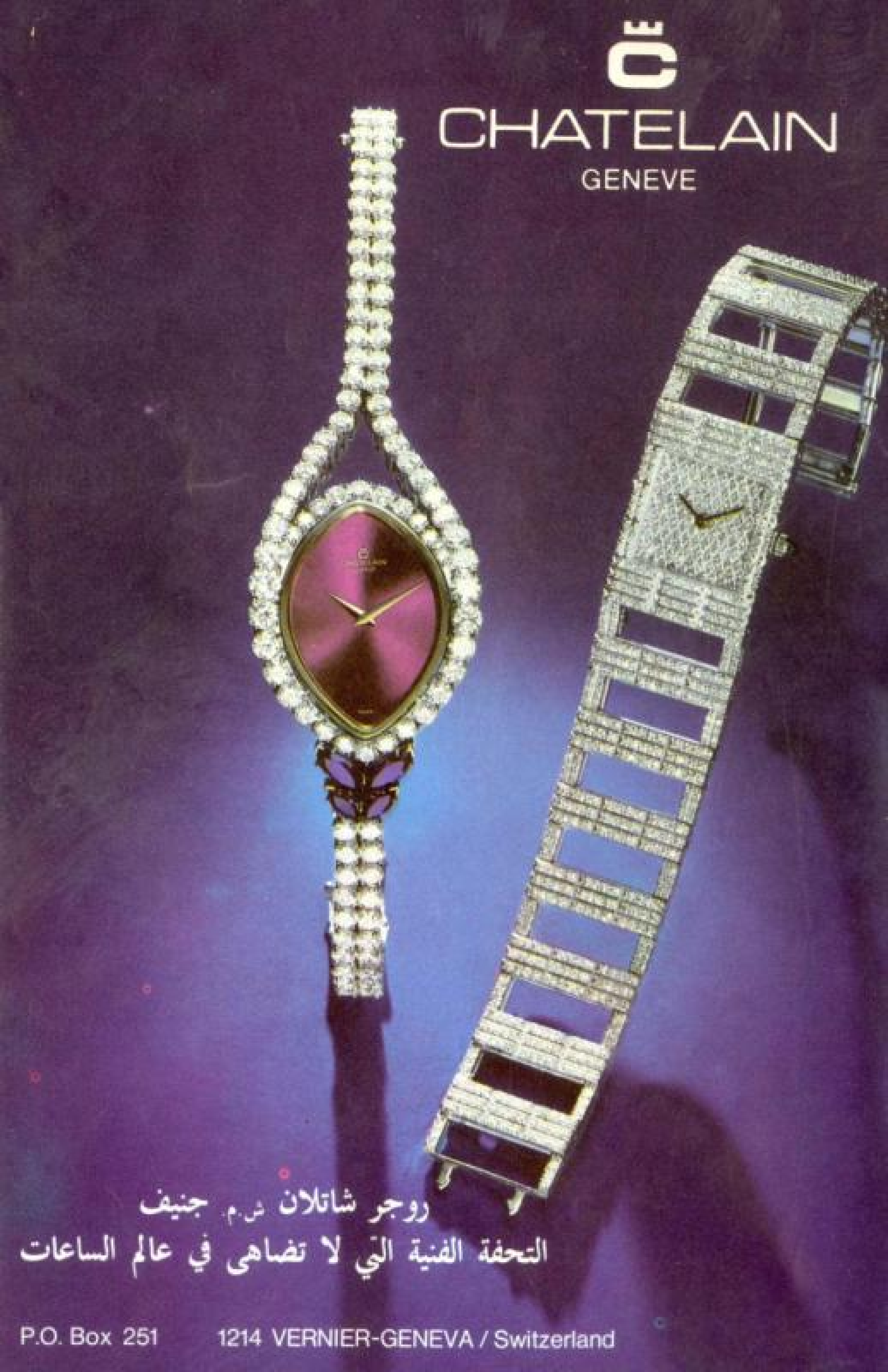
من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٧

٩٦

خادم سيدين

تأليف : كارلو جولدوني
ترجمة وتقديم : سعد أردش
مراجعة : د. حماده ابراهيم


CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
P.O. Box 251
1214 VERNIER-GENEVA / Switzerland

تمتّع بمشاهد ملوّنة مُختلفة دون مُغادرة مقعدك



CTP 6451

تلفزيون مُلوّن پال/سيكام ٢٠ بوصة مع ريموت كونترول وتشغيل باللمس

لقد صنعناه ليعمل بسهولة أكثر من أي وقت مضى. حيث يمكنك تشغيل تلفزيونك وتحويل موجاته من مقعدك المفضل ، أو بمجرد لمس أزرار القنوات العاملة على الترددات العالية جداً وفوق العالية VHF/UHF بأطراف اصابعك إذا ما رغبت في ذلك . كما تحصل على صمام للصورة مطعّم بصفحة الكترونية منقية لشاشة ذات شبكة بخطوط طولية سوداء ، ونظام ثنائي پال/سيكام للمشاهدة في أي مكان . دارات ترانزستورية ١٠٠٪ . يتوفر في صندوق فاخر بأبواب انزلاقية بالقفل والمفتاح من سانيو ، الشركة الرائدة في تكنولوجيا التلفزة في العالم .

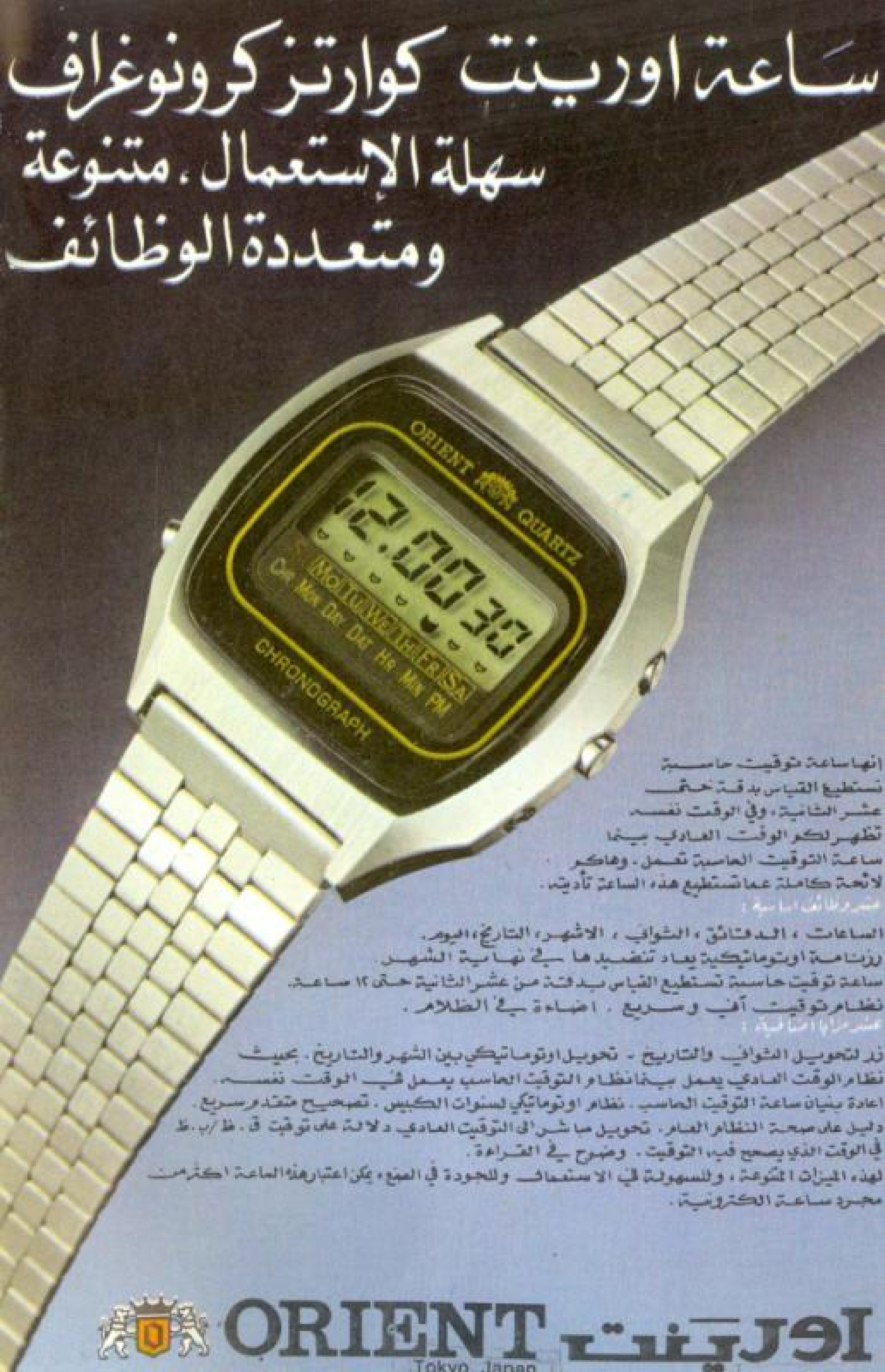
العربي

العدد ٢٢٧ شوال ١٣٩٧ ـ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧

- الايمان وحده لا يعصم المجتمع من المشكلات
- بأيدينا نصنع كل يوم أمراضاً جديدة!

دولة شابة مسلمة ـ تعيش بواجدان عربي : ماليزيا •





ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة
ومتعددة الوظائف
ORIENT
QUARTZ
CHRONOGRAPH
انها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل. وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
عشر وظائف اساسية :
الساعات، الدقائق، الثواني، الاشهر، التاريخ، اليوم.
رزنامة اوتوماتيكية يعاد تنضيدها في نهاية الشهر.
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آني وسريع. اضاءة في الظلام.
عشر مزايا اضافية :
زر لتحويل الثواني والتاريخ - تحويل اوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ. بحيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بنيان ساعة التوقيت الحاسب. نظام اوتوماتيكي لسنوات الكبيس. تصحيح متقدم وسريع
دليل على صحة النظام العام. تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق. ظ/ب. ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت. وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة، وللسهولة في الاستعمال وللجودة في الصنع، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT
Tokyo Japan
اورينت

عزيزي القارئ

تطالبنا خطابات من كل انحاء وطننا العربي الكبير بان نزيد من كمية المطبوع من « العربي » حتى صارت مثل هذه الخطابات تمثل زاوية شعبة ثابتة في « حوار القراء » ٠ وحتى شهر مارس الماضي كانت « العربي » تطبع وتوزع ١٥٠ الف نسخة ، لكننا استطعنا ان نرفع كمية ما يطبع ويوزع من المجلة الى ٢٠٠ الف نسخة منذ ذلك الوقت ٠ ولم يمنعنا من مواصلة زيادة المطبوع الا امكانيات المطبعة ، التي هي الان بسبيل الدعم والتطوير ، بعد ما تم التعاقد على ماكينات جديدة سوف تمكننا من مزيد من الانطلاق خلال العام القادم باذن الله ٠

وما يثير الانتباه ان قارىء العربي الذي يطالبنا بزيادة المطبوع ، هو ذاته الذي يعاني من مشكلة عدم وصول المجلة في موعدها الطبيعي أول كل شهر بسبب عقبات في التوزيع نحاول التغلب عليها ٠ اى انه بينما يشكو الى المجلة ويلح في الشكوى ، فانه يترقبها ويلح في البحث عنها دائما !

لكننا مع ذلك نعطي اولوية لجهد اخر يرتبط بنوع الخدمة التي تقدمها مجلة العربي لقرائها ،استكمالا للدور الكبير والبارز الذي ادته لصالح العقل العربي على مدى ١٩ عاما ٠ ذلك اننا نعتقد انه أن الاوان لكي تربط المجلة قارئها بحاضره ومستقبله، فضلا عن تراثه وماضيه ٠ وربما لاحظ كثيرون اننا اشد حرصا على ان نقدم للقارىء الجديد دائما ، في قضايا الفكر والعلم والفن ، ثقة في ان الدور المستقبلي للمجلة لا يقل اهمية عن دورها التراثي ،وان رؤية اليوم والغد، مطلوبة بالحاح لاستمرار التقدم ، كما ان تجربة الامس هي سلاح لا غنى عنه ٠

لذلك نرجو ان يعذرنا بعض كتابنا اذا كانت اولويات النشر قد اختلفت نسبيا ٠

ونرجو ان يصبر علينا قراؤنا بعض الوقت ، حتى نحقق لهم ما يطلبونه من « العربي » في الشكل والكم والمضمون ٠

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 227 October 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



● ماليزيا ٠٠ دولة شابة فتية تقع في جنوب شرق آسيا وتعيش حضارة الربع الاخير من القرن العشرين لكنها لاتنسى جذورها وتقاليدها وقيمها الاسلامية فالعقيدة ارتبطت عند شعبها بالحرية والعزة وتتكون من ثلاث عشرة ولاية اتحدت تحت علم واحد وسارت في طريق النمو والرفاهية وتمتعت بالاستقرار رغم ما توقعوا لها من تمزق ٠٠ كيف حدث هذا ٠٠ (اقرأ الاستطلاع صفحة ٦٨ ٠٠٠٠)

تربية وعلم نفس :

تاريـــخ :

شعر وشعراء :

كتــب :

قصص :

فنـــون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنـــوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠
« لمشتركين في جمهورية مصر العربية »



دفاع عن بعض القيم القديمة فى عالم يسوده العنف والخوف!

بقلم : أحمد بهاء الدين

● أحيانا يحتاج الأمر الى الدفاع عن بعض القيم القديمة ٠

وربما كان اسم « القيم القديمة » اسما غير دقيق ٠ وربما كان من الأصح ان نسميها « القيم الثابتة » ٠

ذلك ان هناك قيما اجتماعية يطويها النسيان ، او يقهرها التطور ، بعد ان تكون الظروف التى انشاتها قد تغيرت ، والا ما كان هناك تغير ولا تطور ولا تقدم ٠٠٠٠

فالعصبية للقبيلة مثلا قيمة كانت تعد فضيلة وقت ان كانت المجتمعات وحدتها الكبرى هى القبيلة ٠ولأن هذه العصبية للقبيلة كانت ضرورية لحفظ حياة القبيلة ٠ ولكن حين يزول هذا الوضع تصبح هذه العصبية عيبا فى المجتمع وعقبة فى طريق نموه ، حين تحل الدول والمدن الكبيرة وانواع العمل الجديدة محل ما كان سائدا من قبل ٠

والتباهى بالاصل وحفظ الانساب ايضا ، كان فضيلة ، وكان ضرورة معا ، قبل ان تحل قيمة العمل محل قيمة الاصل ٠ وقبل ان تحل السجلات والاضابير محل حفظ الانساب فى الذاكرة وبالتواتر ٠

والذين يدافعون عن كل قيمة اجتماعية قديمة ، لمجرد انها قديمة ،



ولمجرد ان هذا ما وجدنا آباءنا عليه ، يتخذون موقفا متزمتا غير منطقي وغير قابل حتى للتطبيق ، لان الحياة دائما في تغير وتطور وتجديد •

كذلك فان الذين يلتقطون كل بدعة جديدة ، ويتعلقون بأذيالها ، او يركبون موجتها ، لمجرد ان يقال عنهم انهم عصريون ، هم بدورهم يتخذون موقفا خاطئا وغير منطقي • ذلك ان الحياة بكل تعقيداتها والخضم الهائل الذى لا قرار ولا ثبات له ، كثيرا ما تقذف الى سطحها بالزبد الذي لا يلبث ان يذهب جفاء • وكثيرا ما تكون بعض الفلسفات ، او العادات ، او القيم ، التى تشيع في مرحلة ما ، مجرد مرض من امراض التطور • لان كل حضارة لها امراضها ، وكل تطور له مشاكله •

الموقف السليم هنا ليس رفض التطور ، اتقاء لمرض او داء قد يصاحبه •••

وليس في الاحتفاء بالمرض ، وعدم ادراك انه عرض •

انما الموقف السليم هو ان نمضى فى ركب التطور ، ونتقبل مخاطره ، ولكن بعقول واضحة ، تعامل التطور على انه تطور ، وتتبين الداء ، وتعامله على انه مرض ، يجب مقاومته ، او التقليل من مخاطره قدر الامكان •



فسفور المرأة مثلا ، وتعليمها ، ونزولها ساحة العمل اذا شاءت ٠٠ مسألة حسمها التطور ، وكان لا بد ان ينتج عن هـذا اهتزازات اجتماعية معينة ، ومشاكل تأتي معها ، ولكن الحل ليس في النكوص الى الوراء ٠ ولا هو في الاستسلام للجوانب السلمية ٠ انما هو في محاولة القبض على زمام التطور ، بحيث يكون ايجابيا وصحيا قدر الامكان ٠

أسوق هذا الكلام متأثرا برحلات سريعة قمت بها خلال الصيف المنقضي الى عدد من البلدان والدول الصناعية والمتقـدمة ، وعائدا بالذاكرة الى رحلات سابقة قديمة الى هذه البلاد ذاتها ، او مثلها ٠٠٠

فمنذ سنة ١٩٦٠ تقريبا ، تعرضت الدول المتقدمة لهجمات عنيفة من جهات شتى وعلى مسـتويات مختلفة ، حتى وصلت الى الحالة التي نراها سائدة الآن بشكل مرعب ٠٠٠ من انتشار العنف ، وطغيان الجريمة ، ومن اباحية تكاد لا تعرف حدودا ٠ ويراها بعض النـاس جزءا من التقـدم والحضارة ، لمجرد وجودها في عواصم العالم الكبرى ، غير مدركين ان هذه اعراض لامراض ، وانها فترات عرفتها حضارات كثيرة ٠ بعضها قضت عليه هذه الامراض ، وبعضها تمكن من مقاومتها والتغلب عليها وتجاوزها ٠

وضرورة هذا الحديث ، هي اننا سائرون بشكل او بآخر للاخذ بكثير من اشكال التطور التي سبقتنا اليها مجتمعات اخرى ٠ وان بعض شبابنا يقبل على هذه الاعراض على انها عصرية لا على انها امراض ٠

في امريكا مثلا تزايدت جرائم العنف حتى كادت المدن الكبرى تخلو من سكانها ، فقد هرب السكان الاغنياء او القادرون بوجه عام من قلب المدن الكبرى ، الى ضواحيها البعيدة ٠ وادى هذا الى ثورة سكانية ٠ فبعد ان كانت المدينة الكبيرة هي مطمح الساكن ، او رمز القادر ، صارت سـكنى الضواحي هي هذا الرمز ، وحين نقرأ عن افلاس اقوى مدينة في العالم مثل نيويورك ٠ فالسبب هو ان اهم دافعي الضرائب هجروها ٠

وكانت معظم التحليلات تقول ان ظاهرة العنف هي ظاهـرة امريكية بحتة ٠ فقد ولدت امريكا بالعنف على اساس افناء شعب آخر هو الهنود







الحمر ، طبقا لقانون الغابة الاول وهو ان البقاء للاقوى ، ثم استعباد شعب ثان وهو الزنوج عبر قرون طويلة • وان حياتها الاقتصادية التي نشأت بلا قيود كان حظ الانسان فيها يتحدد بسرعة اطلاق مسدسه •واتخذت المنافسة التجارية والاقتصادية نفس الطبيعة • وكما تضخمت المؤسسات هناك تضخمت الجريمة ، فظهر ما صار يسمى بالجريمة المنظمة • ابتداء من عصابات المافيا الشهيرة • الى حلقات الاجرام التي تشترك فيها احيانا اسماء كبيرة •

ثم ان هذا العنف انتقل الى ميدان السياسة بشكل مخيف • ففى حياة جيل واحد قتل رئيس امريكي هو جون كنيدى • وقتل مرشح للرئاسة هو روبرت كنيدى • واصيب مرشح آخر للرئاسة بالشلل بسبب اطلاق النار عليه هو جون ولاس • وقتل زعيم حركة الزنـــوج وهو مارتن لوثر كنج • واخرج رئيس جمهورية هو ريتشارد نيكسون لانهحاول التستر على جريمة• ودخل السجن وزير العدل فى عهده لاشتراكه فى نفس الجريمة مع ابرز رجال الرئيس فى البيت الابيض •

وقيل فى تفسير هذه المرحلة الدامية فى حياة أمريكا أن سببها هو حرب فيتنام • حين تخطى منطق التدمير الامريكي للبلد الصغير الفقير ، منطق الحرب المألوف بين اكفاء ، ولاسباب واضحة ، تبرر للانسان أن يموت فى سبيل بلده ، بينما كان الامريكي العادى لا يجد مبررا لان يموت فى غابات فيتنام ، ولا يجد كذلك مبررا لاستخدام أقوى أداة حربية فى العالم لتدمير شعب فقير ، بسيط ، يلبس أبسط الثياب ويأكل أقل الطعام ولكن له ارادةمن فولاذ •

ولكن الكثير جدا من هذه المظاهر انتقل الى اوربا •• سواء فى مجالات العنف العادى او العنف السياسي والاجتماعي •••

فقد رأينا فى فرنسا مثلا انفجارا عنيفا هائلا سنة ١٩٦٨، فىاوج مجد ديجول ، وباتت البلاد على شفا حرب اهلية لبضعة أيام •

ثم بدأت فرنسا تعرف جرائم القتل فى الشوارع للشخصيات السياسية• ثم تتكشف الامور عن فضائح مالية في الدوائر العليا •••

وعرفت فرنسا الجريمة المنظمة • التى تتصدى بأرقى وسائل العلم لعمليات كبيرة ، كسرقة بنوك بأكملها •

كذلك رأينا فى المانيا النشاط العنيف لجماعة « بادر ـ ماينهوف » • وظهور حركات فوضوية أكثر مما كان يبدو على السطح ، سلاحها الخطف والسلاح والقاء القنابل •

وايطاليا صارت من أهم مسارح العنف فى العالم • جرائم القتل الغامضـة • خطف الاغنياء طلبـا للفـدية الضخمـة • النسف والاضراب والمواجهات الحادة مع السلطة •



د . سبوك

والقاء القنابل في شوارع لندن صار أمرا عاديا .

والانواع الفردية الشاذة من العنف صارت تشغل الصحف كل يوم . فالرجل الذى سمى نفسه « ابن سام » . وقتل ثمان فتيات في بضعة شهور بنفس الطريقة ، حكم على مدينة نيويورك كلها بالرعب شهورا طويلة .

هذه القضيـة ، قضية انتشار العنف والجـريمة في شتى البيئات والمستويات ، وعصابات الشباب التى تستخدم العنف ابتداء من معارك الشوارع ضد بعضها البعض الى هجماتها بالقنابل أو الرصـاص ، وكل مظاهر افساد الحياة العامة على أصحابها .. في الحدائق ، أو دور السينما ... هذه القضية بدأت تحدث رد فعل معاكس ، وتبحث عن تفسيرات شتى..

مثلا ، اتهم ناس كثيرون رجلا واحدا هو « دكتور سبوك » . ودكتور سبوك طبيب أطفال أمريكى عجوز ، أصدر في شبابه كتابا عن طرق العناية بالطفل وتنشئته . وترجم الكتاب الى أكثر من ثلاثين لغة . وقيل أنه خلال العشرين سنة الماضية كان أكثر الكتب توزيعا في العالم كله ، بعد الكتب المقدسة . وكان كتابا ثوريا ، اعتبرته كل أم دليلا لها . وفلسفته العامة تقوم على حرية الطفل وعدم استخدام الحدود والقيود معه، حتى سن الشباب..

وقيل ان هذا الجيـل الساخط الثائر المدمر هو تربية دكتور سـبوك وطالب المربون والاهل بالعودة الى الاسلوب القديم من ضرورة الحزم مع الابناء والبنات في سن الطفولة والصبا . والعودة الى عقوبة الضرب وغيرها في المدارس . حتى ينشأ الشاب وهو يعرف أن هناك المقبول وغير المقبول . والجائز وغير الجائز .

وقد تنصل دكتور سبوك من هذه التهمة . وبرغم أنه ، في شيخوخته ، ظل ثائرا ، وقاد مظـاهرات ضد حرب فيتنام في أمريكا . وحوكم أمـام القضاء وحكم عليه وهو على وشك السبعين ، الا أنه تبرأ من الجيل الذى قيل أنه رباه . وعدل عن بعض آراءه وتمسك بغيرها .

وقد اتخذت من دكتور سبوك رمزا على الجانب التربوى للقضية .

وشيء من هذا فعله الفيلسوف الالمـاني الاصل ، الامريكى الجنسيـة حاليـا ، هربرت ماركوز ، حين وجد ان اضطرابات الشباب وعنفهـا غير المفهوم ، تنسب الى كتبه وتعاليمه .

ولان فرنسا « الديكارتية » هي بلد الفلسفة والتحليل ... فقد شكل رئيسها فاليرى جيسكار ديستان لجنة واسعة ، تضم كل الاتجاهات والتخصصات، لدراسة ظاهرة العنف .

وقضت اللجنة ستة عشر شهرا تدرس وتبحث ، ثم خرجت بتقرير من سبعمائة صفحة .





على أن أهم ما في التقرير انه ارجع انتشار ظاهرة العنف ،حتى في العلاقات الانسانية ، الى التوتر النفسى الذى يخلقه امران :

الاول ، هو تضخم حجم المدن الكبيرة وازدحامها

والثانى ، هو المجتمع الاستهلاكى الفاحش الذى يتزايد كل يوم ... وفى انجلترا ، تلتقى معظم التحليلات عند نقطة اساسية ، هى : ان الطبقة المتوسطة في المجتمع ، التي هى قوام الاستقرار والقيم الثابتة فيه ، قد استسلمت لهجمات فئات اخرى اجتماعية اكثر عددا ، واكثر صخبا ، فكان ما نراه الان من عنف ، ومن اباحية وانحلال ...

ورغم ان هذه الاسباب الثلاثة ، ليست في رأينا هى كل شىء ، الا انها هامة وصحيحة ، ولا بد من الوقوف عندها قليلا ...

مأساة المدن الكبيرة

ان تعريف المدينة منذ القدم هو انها المكان الذى يسكنه الناس ، لان مكان كسب رزقهم يقع فيه ..

وعندما كانت الزراعة هى الغالبة ، كانت الناس تسكن القرى الصغيرة المتباعدة ، حيث يعرف الناس بعضهم البعض ، الامر الذى يعتبر فى حد ذاته وازعا كافيا للفرد ، لما يلحق باسمه واسم اسرته من جراء اى تصرف غير مقبول . وكانت المدن للتجارة ، ولمقر الحكم والسلطة .

ولكن مع ظهور الصناعة ، وتضخمها ، وتجمع مئات الألاف فى مراكز الانتاج ، بدأ ظهور المدن الكبيرة وتفاقم عدد السكان فصار عدد سكان طوكيو مثلا ١٢مليون وفى حدود الثمانية ملايين ساكن توجد لندن وباريس والقاهرة. وفوق تكدس السلطة ، وتضخم البيروقراطية ، وبريق حياة المدن ، صارت ظاهرة الزحف على المدن الكبرى ظاهرة عالمية .

وفى المدن الكبرى لا بد ان يوجد من الناس انواع واخلاط . ولا بد ان يجر التزاحم على الرزق الى التدافع بالمناكب . ولا بد من تجاور الغنى والفقر تجاورا مباشرا ويتجاور العلم والجهل بنفس الطريقة . ولا بد ان تلهث الخدمات وراء تزايد البشر فلا تكفى حاجة الجميع . وتضيع هوية الفرد فى هذه الغابة البشرية .

ولذلك اقترحت اللجنة الفرنسية مثلا انه يجب ان يراعى فى المستقبل ان لا يزيد عدد سكان اى مدينة عن مائتى الف نسمة . وهو رقم اقترحه قبل ذلك كثير من علماء الاجتماع او التخطيط . صحيح ان مثل هذا الوضع ليس الاكثر وفرا من الناحية الاقتصادية وتكاليف الخدمات وغيرها . ولكن القائلين بهذا الرأى يرون ان الثمن الاقتصادى لا يقارن ابدا بالحياة الصحية والنفسية



جون كنيدي

والسعيدة للانسان، وانه حتى العائد الاقتصادي بالنسبة للمجتمع كله ،اكبر على المدى البعيد ، لو اخذ التخطيط للمستقبل بهذا الاتجاه ٠

ورقم ۲۰۰۰٫۰۰۰ يمكن ان يرتفع الى نصف مليون ، بل الى مليون ٠ ولكن المؤكد ان اي زيادة فوق ذلك سوف تجلب معها كل شرور المدن الكبيرة، او الحياة الحديثة ، سمها كيفما تشاء ٠

المجتمع الاستهلاكي

وجد الانسان ليسعد ٠ وجزء من سعادته ونجاحه ان يستهلك ٠ ولكن استهلاك الانسان ظل الاف السنين متشابها ٠ في الطعام ٠ في الثياب ٠ في اساليب الترفيه ٠ فالانسان حيوان مستهلك ، ومختار ومجدد لما يستهلك ٠

ولكن ما يسمى الآن بالمجتمع الاستهلاكي او بمجتمع الوفرة ، يقصد به شيء آخر تماما ٠ انه تلك الادوات الانتاجية الضخمة ، التي تمطر الفرد كل يوم بآلاف السلع الجديدة ٠انها الفرق بين ما يجده المرء في دكان البقال الصغير ، وما يجده في « السوبر ماركت » من آلاف الاصناف والانواع ، بكميات هائلة ، وبطريقة جذابة في العرض تصعب مقاومتها ٠

واذا ذكر « السوبر ماركت » في مجال الاستهلاك ، فلانه المكان الذي تشتري منه ما تريد ، وما لا تريد ايضا ٠٠ بفعل تاثير مشهد العرض ، والتكدس ، والاقبال والوفرة ٠

والمجتمع الاستهلاكي يقوم على هذه العناصر كلها ٠ انه مجتمع الشراء والاستغناء ٠ كل سلعة تحل محلها بعد قليل سلعة احدث ، ترغمك على القاء ما لديك وشراء هذا الجديد ٠ ونظرة الى التليفزيون في المجتمعات الاستهلاكية تؤكد هذا المعنى ، فالشاشة بكل اغراءات فنون العرض ، تقترح عليك عشرات الاصناف من كل نوع ٠ من السيارة الى معجون الاسنان ٠

والقاعدة المعروفة هي ان ظهور سلعة جديدة يشعرك بنقص جديد ٠ لم يكن في بلد ما ، مثلا ، تليفزيون ، ثم ظهر التليفزيون ، وصار طبعا عند بعض الناس ، وبالتالي فالآخرون يشعرون بحاجة جديدة ، بان شيئا جديدا ينقصهم وهو التليفزيون ٠ ثم يظهر التليفزيون الملون ، فيتكرر الشعور بحاجة جديدة ، الى القاء الجهاز القديم وشراء جهاز جديد ٠

هكذا يلهث الانسان دائما لملاحقة مجتمع قائم على هذا المنطق ٠ وهذا يجعل الفرد او رب الاسرة دائما تحت ضغط مستمر ، عليه ان يعمل اكثر ٠ او يكسب اكثر ، او يفعل اي شيء اكثر ،لكي لا تخذله موارده في هذا السباق الرهيب المحيط به ٠



روبرت كنيدى — مارتن لوثر كنج — سوكارنو

ثم ان وجوه الاستهلاك هذه صارت بحكم وجود وسائل الاعلام الحديثة، مقروءة ومرئية ومتحركة امام الجميع • ووجوه تمتع القادرين معروضةعلى الناس جميعا ••

وجاء هذا كله في عصر انتشار الديمقراطية الهائل • ولا اقصد هنا الديمقراطية كنظام سياسي للحكم بتفسيراته المختلفة • ولكن اقصدها بمعنى انتشار الشعور العام لدى كل الناس بالمساواة ، وبحقهم في نيل قسط معقول مما تقدمه الحياة • وقد اصبحت الحياة تقدم اغراءات لا آخر لها •

وتولد هذه الامور كلها ضغوطا على الشباب اكثر من سواهم • وليس الكل سواء في الموارد • ولكن الكل سواء في التطلع • فهو اما ان يحاول ان يحصل على ما يراه بطريق منحرف • واما ان يعادى هذا الذى يراه لانه غير قادر على الاستمتاع به •

من هنا جاز القول حقا ان المجتمع الاستهلاكي سبب من اسباب انتشار العنف في الدرجة الاولى لانه خلق قيما اخرى صار الفرد فيها يقاس مقداره بما يملك من سيارة او يرتدى من ثياب او يجارى من موضات وتقاليع •وفي الدرجة الثانية ، لانه حيث يتكدس هذا كله في المدينة الكبيرة ، ويتكدس الناس في نفس المدينة بنجاحهم وفشلهم وشراهتهم او تعجلهم او نقمتهم •

البعض يرتكب العنف ليكدر على هؤلاء الاخرين صفو حياتهم•والبعض يرتكب الجريمة ليحصل على اى مال سريع يحصل بواسطته على ما يريد ويطفيء به بعض شهوات نفسه التي يثيرها كل شيء ، والبعض يفلسف الامر، فتتكون الجماعات السرية التي لا ترى سبيلا لها وسط هذا الخضم الهائل الا العنف •

قيم الطبقة المتوسطة

وقد لا يقبل القراء مني ان اقول لهم انني شخصيا اعترف بوجود شيء اسمه قيم الطبقة المتوسطة • وانها مهما كانت عيوبها فهي بوجه عام العمود الفقرى لكل مجتمع مستقر مهما كان نظامه او كانت ظروفه •

فالشرائح العليا من المجتمع في البلاد التي نتحدث عنها او غيرها ،تجد من الترف والراحة والرفاهية مايفكك تحفظها وما يعطيها احساسا باللامبالاة، تضعف معه كثير من القيم •

والشرائح المسحوقة كثيرا ما تصل الى نفس النتيجة من باب آخر تماما • باب اليأس من تحسن حالتها • وبالتالي عدم الاستعداد نفسيا لبذل الجهد او وضع القيد او رسم الهدف الذى يستحق العناء •

اما الطبقة المتوسطة • تلك الطبقة الغامضة المبهمة • التي فيها يحتدم

الطموح وخوف الفشل • ورغبة التقدم وعـــدم التراجع • والتي بالتالي تتغير يوميا بمن يصعدون منها ويحلقون فوقها ومن يسقطون من شـــباكها ويتخلفون عنها •

هذه الطبقة عادة هي اكثر الفئات رغبة في التعلم • وفي العمل •وفي الاحتفاظ بحسن السمعة • حتى ولو التظاهر بالسلوك الحسن •••

هذه القيم ، هوجمت بالفعل هجوما شديدا ساحقا في العشرين ســـنة الماضية من شتى الاتجاهات •

بدأت دعواتها صحيحة ولكن كثيرا منها انتهي الى انحراف ، تحت تأثير الشعور العام برغبة التغيير في العالم ••• ونتيجة للمجتمع الاستهلاكي الذي يتحول كل شيء بين يديه الى تجارة •

السينما والتليفزيون تحولت من اعمال فن وادب الى تجارة ارضاء ، ظلت تنحدر حتى وصلت احيانا الى افلام الفسق الكامل •

حرية المرأة ومساواتها بالرجل انتهت الى مجـــلات العري ودكاكين الجنس •

الجريمة ذاتها صارت تقدم في صورة جذابة في شتى وسائل الاعـــلام طلبا للجمهور الاكبر •••

واطلق ابناء الطبقة المتوسطة ذاتهم شعورهم فصفقوا لهم • وناموا في الشوارع فصفقوا لهم • وهربوا من بيوتهم فصفقوا لهم • وظهروا على خشبة المسرح وشاشة السينما عراة تماما فصفقوا لهم • ومن وجد منهم ان هذا العالم صار شاذا او مجنونا ، احترفوا العنف السياسي الفردي ، اولئك الذين لا صبر لهم على العمل المنظم الطويل الآن لتغيير المجتمع تغييرا حقيقيا•

ووجد هذا كله من الكتاب والفنيين من اعتبروا المرض تطـــورا وعالما جديدا • ولم يكونوا في الواقع الا تجارا يكسبون عن طريق الربح السريع ، باسلوب هو جريمة وان كان لا يعد هناك جريمة •

فلست اصدق ـ مثلا ـ ان كاتبا وناقدا انجليزيا جادا ومتميزا مثل « كينيث تينان » ، يقدم وينتج مسرحية « اوه كلكتا ! » التي وقف فيها كل الممثلين عراه لاول مرة ، ولا اصدق دوافعه الفكرية والفنية التي ساقها لبدء هذه الموجه التي جلبت له الملايين • انها دوافع تجارية لا فكرية • جاءت في طقسها العام المناسب •

على أننا برغم كل شيء ، لا نستطيع ان نضع الشباب وحده في قفص الاتهام ، بل ان الشباب بحكم التطور لا بد ان يكون اكثر ذكاء وكفاءة وقدرة من الجيل الذي سبقه •

ولكن اى عالم صنعه له الجيل الذي سبقه في تلك البلاد التي نتحدث عنها ؟

ترك له عالما من القيم المادية والاستهلاكية المحضة • عالما من الحروب القذرة • عالما صارت فيه كلمة السياسة سيئة السمعة •

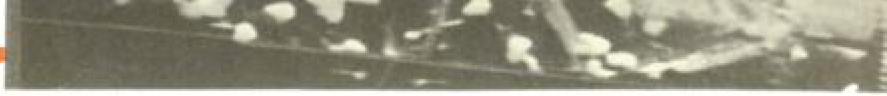
هذا الشاب عاش اواخر الحروب الاستعمارية القديمة ورأى عقمها وعدم عدالتها ولا جدواها • فهو ليس ابن العصر الفيكتوري الذي كانت المساهمة فيه في الاستعمار وراء البحار شرفا ومجدا • انكشـــف هذا حتى في بلاده وصار امرا ممجوجا ••



كاسترو



لومومبا



وقد سممت حرب فيتنام وحدها ـ وهي حرب ذات صفات خاصة ـ جو العالم ما يقرب من عشرين عاما • راى شباب امريكا زملاءهم يمـوتون فى بلاد بعيدة دون ثمن ولا نهاية • ورأوا قوتهم الساحقة تنوء بكلكلها على شعب اشبه بالنمل اذا قيس الى امريكـا • ولكنه يقاوم حافيا عاريا تقريبـا اقوى قوة عسكريه فى التاريخ وسمع الشباب الامريكى بعض جنرالاته يقولون عن القصف الجوى المركز « سنعيدهم الى العصر الحجرى » •

وراى الشباب الامريكى ومعه شباب الدول الصناعية المتقدمة سلسلة تجديد شباب امريكا فى مجال من المجالات • اغتيالات مشبوهة ، لكـل مـن حاول اغتيال جون كنيدى رئيس الدوله • ثم اغتيال المتهم بقتله لى هارفى اوزوالد على شاشه التيفزيون • ثم اغتيال مارتن لوثر كنج زعيم حركة مســاواة السود بالبيض •

ثم اغتيال روبرت كنيدى • وايا كانت الحقيقة ، فليس مالوفا ان يظل الشك يساور المواطن الامريكى فى حقيقة هذه الاغتيالات وفى انه قد يكون وراءها قوى اكبر بل واجهزة رسمية • ذلك ان هذا الشك المستمر حتى الان سواء كان مبررا او غير مبرر ، فهو ينطوى على دلالة نفســية خطيرة لدى الرأى العام • والشباب منهم بالذات •

ثم ان تلك السنوات كانت سنوات الكشف عن نشــاطات المخابرات الامريكية وغيرها فى هذا العالم المتقدم • ابتـداء من اعتراف كنيدى بان محاولة غزو كوبا من خليج الخنازير كانت امريكية ، الامر الذى تلاه سلسلة اعترافات وكشف اسرار مذهلة • ضرب بيت سوكارنو بالقنابل • محاولات دس السم لكاسترو • اغتيال لومومبا •

الانقلابات المطبوخه الدمويه والتى كان آخرها فى تشيلى •

وأخيرا كانت تلك السنوات سنوات الكشف عن الفســاد فى الاماكن العالمية • ابتداء من ووترجيت التى كشفت عن فكرة استخدام العلم الحديث فى مطاردة وادانة وتزوير التهم لاى مواطن ، وانتهاء الى الرشوة • رشوة نائب رئيس الجمهورية فى مكتبه وادانته بذلك • رشوة رئيس وزراء دولة كاليابان وزوج ملكة دولة مثل هولندا • واحزاب باسرها فى اوروبا •

لقد انتشرت فى فترة ما افلام جيمس بوند والجريمة الراقية • ولكن الحقائق جاءت ففاقت الخيال • فاذا كان جانب العنف تاثر اصحابه باسباب سبق ذكرها ، فلا شك ان جر الاجرام والعنف على هذا المستوى أثار آلافا من ذوى الضمائر • لقد وجدوا ان هذا العالم غير عادل • وان القيم المعلن عنها غير حقيقية وكان طبيعيا ان يكون رد الفعل عند الكثيرين منهم هو العنف • والعمل بسذاجة على تدمير هذا المجتمع او تهديده واقلاق مضجعه •

اسوق هذا الحديث ، عن بلاد العالم الصنـاعى المتقدم ، بلاد المدن المتضخمة والقيم المتضائلة والاستهلاك الوفير والتناحر المادى • اسوقه لان معظم العالم النامى يسير فى اتجاه هذا النمط • وبالتالى فقد يكون من الخير ان نتنبه لبعض شروره من الآن •••

••• اذا كان لا بد من صنعا وان طال السفر ! •••

اى اذا كان لا بد للعالم الثالث من الدخول فى هذا القالب ! ●●

احمد بهاء الدين

حتى نتجنب أوهام التبسيط [١]

الايمان وحده

بقلم : محمد فتحى عثمان

■ المسلمون كسائر البشر فى هذه الدنيا ، يعانون من متاعب وصعوبات ... والمسلمون ، كسائر البشر فى هذه الدنيا ، يتلمسون الوسائل التى تريحهم من المتاعب والصعوبات التى يعانونها ، او على الاقل تخفف منها .

ومن بين الافكار المطروحة لعلاج مشكلات المسلمين ، ان يعودوا الى دينهم ، ويهتدوا بهديه، ويلتزموا احكامه افرادا ومجتمعات ... وهذا علاج جذرى اصيل ، يتناول المشكلات من اصولها، من اعماق النفوس والضمائر ، يقوم السلوك بمفهوم شامل لسلوك الفكر وسلوك الفرد وسلوك الجماعة وسلوك الدولة وسلطتها الحاكمة، ويضع الموازين القسط بين مختلف المصالح والآراء والنزعات « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ـ الجاثية / ١٨ ـ ٢٠ » .

ولكن تقترن هذه الدعوة المحمودة الى الانتفاع بهدى الله والافادة من رسالته وتعاليمه واحكامه، بتبسيط « ديماجوجى » يتورط فيه البعض مع حسن نياتهم ، اذ يتعجلون استمالة القلوب الى هذا النهج السديد بمغاطبة هموم الناس وانفعالاتهم ، فيزعمون لهم ان كل ضيق يمرون به فى نفوسهم او فى دنياهم مرده الى زيغهم عن دين الله ، وانهم لا يكادون يشرعون فى التزام احكامه حتى يغمرهم رخاء الاقوات وتأتى اليهم منقادة سيادة الدنيا ... وهم قد يتخذون شاهدا على صواب قولهم مثل قول الله تعالى « وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ـ الجن / ١٦ » او قوله تعالى « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ،ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ـ الاعراف/٩٦ » او قوله تعالى « ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ـ المائدة / ٦٦ ».

ويغفل المتورطون فى هذا التبسيط ، انهم قد يستميلون الناس الى دين اليوم بهذا الاسلوب ليغمروهم به غدا ، بعد ان يتخلف المن والسلوى اللذان زعموهما ، فالدين يحتاج الى المؤمنين الصادقين الثابتين فى الضراء والسراء ، العاملين الجادين المخلصين ، المتبينين لحقيقة الدين والتزاماته « ومن الناس من يعبد الله على حرف، فان اصابه خير اطمان به ،وان اصابته فتنةانقلب على وجهه ، خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ـ الحج / ١١ » . وخطر الذين يقدمون ثمار رسالة الاسلام بهذا التبسيط ، لا يقل عن خطر الذين استباحوا لانفسهم قديما ان يزيفوا احاديث فى « الرقائق » التى تهول فى وصف نعيم الجنة وجحيم النار لترقق القلوب

لا يعصم المجتمع من المشكلات

فتخشى يوم الحساب ، وقد زعم بعضهم ان كذبه « لصالح » الدين فلا يدخل فيما حظره الاسلام ونهى عنه رسوله من الـكذب « عليه » !! ٠٠٠ خطر هؤلاء واولئك انهم يعرضون الدين على غير حقيقته الناصعة الكاملة ، فهم يسيئون الى الحقيقة الموضوعية اولا ، ويسيئون الى « قيمة » الدين فى ذاته اذ يظنون انه باسلوبه ومنهجه غير قادر على اجتذاب العقول والقلوب ، وانهم هم بتبسيطهم ومبالغتهم قادرون على الوصـول الى اعماق النفوس وتحريك الجماهير !! ٠٠ والعبرة دائما بالنتائج على المدى الطويل ، والدين ليس « نظرية سياسية » او حتى « حركة سياسية » لتكتفى بتحريك الجماهير لاجلها اليوم ولو انفضوا غدا « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة ـ التوبة / ٤٢ » ٠ وكم واجه الاسلام من نكسات سياسية خارجية وداخلية وخسر بعض اراضيه فى بعض الاحيان ، وانحسر عن مجال الحكم والسلطة فى احيان كثيرة ،ولكنه بقى مع ذلك كله لانه « دين » !!

الدين ٠٠٠ فى حقيقته

ان منهج الاسلام فى عرض نفسه على الناس كما يبدو فى كتابه المعجز وسنة رسوله القدوة غير هذا المنهـج ٠٠٠ ان الدين يجب ان يتبع اساسـا على انه « دين » ، اى شىء يدين به الانسان ويعتقده، وعلى انه « الحق » الذى يؤمن به الانسان لانه « حق » فى ذاته ، لا لانه سوف ينتفع من ورائه ـ الا بقدر ما ينتظر من «الحق» ان يكون نافعا مثمرا مفيدا لصاحبه وللناس ٠٠ فالذى يؤمن بالدين يؤدى واجبا يمليه عليه اخلاصه فى طلب الحقيقة واخلاصه فى استعمال طاقاته العقلية والنفسية وانمائها ٠٠٠

وسوف يؤدى الاخلاص فى طلب « الحقيقة » واقامة الحق لمنافع كثيرة نفسية وسلوكية ،فردية وجماعية ٠٠٠ ولكن هذا لا يعنى ان تفقد الدنيا خصائصها ومحدودية امكاناتها فتنقلب الى فردوس ترغد فيه الحياة وتخلو من السلبيات ، فتلك هى الجنة التى «فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ـ الزخرف/ ٧١» «عطاء غير محدود ـ هود/١٠٨» والتى يبرا فيها الناس من كل عناء «لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ـ فاطر / ٣٥ » ٠ كما لا يعنى ذلك ان تتحول خصائص الانسان ونسبية امكاناته الى طاقة الهية مطلقة بمتابعته لدين الله ٠٠٠ ان الدنيا ستبقى كما هى ، يبتلى فيها المؤمنون كما يبتلى غيرهم ، وتستثار طاقاتهم بتحديات الكون المادى وتحديات البشر ، فتتباين

تصرفاتهم وسلوكهم ،ويتفاضل الناس فيمواقفهم ازاء مثيراتها وتحدياتها « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون ـ الانبياء / ٣٥ » « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن اعملا ـ الملك / ٢ » « وقطعناهم فى الارض امما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ـ الاعراف / ١٦٨ » .

وعل هناك اصرح واقطع من قول الله الذىيعلم المؤمنين انهم لن يدوم عليهم النصر لمجرد انهم مؤمنون بالله القادر على نصر اوليائه لان الله لا يعطل سننه الكونية والاجتماعية فى هذه الحياة الدنيا لاجلهم « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ـ محمد / ٤ » ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس ـ ال عمران / ١٤٠»؟؟ وهذا قول الله يعلم المؤمنين انهم يفعلون ما اقتنعوا به وآمنوا انه الحق قبل كل شيء ويرجون جزاء ذلك من الله وفق ما يشاء هو ويقدر « ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ـ النساء / ١٠٤ » « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ـ النساء / ٧٤ » « احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين..ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغنى عن العالمين ... ومنالناس من يقول آمنا بالله ، فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم ، او ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ـ العنكبوت / ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٠».

وعلى ذلك يتطلب الاسلام من الانسان سعيا دائما وعملامتصلا ، فى تفهم الدين وفى تطبيقه والعمل به فى هذه الحياة الدنيا . ولن يعفى الدين الانسانمن كد عقله فى طلب المعرفةبحقيقة الدين ، وفى طلب المعرفة بحقائق النفوس والمجتمعات ونواميس الكون المادى والفطرة الانسانية لعلاج ذلك كله بالدين . فالدين ليس عصا سحرية تحل المعضلات ، وانما هو كتاب وبيان معروض على العقل ليتفهمه ويطبقه . وتعاليم الدين واحكامه ليست قاموسا ابجديا للالفاظ يجد فيهالمطلع تعريفا بكل لفظ ، وليس (جدول ضرب) او (جدول لوغارتيمات ـ او خوارزميات) يسعف صاحبه عند اى افتراض او احتمال « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ـ الكهف / ١٠٩ » .... ان الدين نصوص محدودة ـ فى مصدرية الكتاب والسنة ـ تواجه حياة متجددة متغيرة ، والدين نصوص محدودة تواجه عقولا متباينة واذا كان الدين هو وحى الحكمة الالهية ، فان العقل الانسانى هو الذى يتلقاه ويتفهمه ويبلغه ويطبقه وانى لعقل ان يزعم انه قد تطابق مع الحكمة الالهية تماما فى كل الدقائق والتفاصيل التى وعاها بادراكه المحدود لدين الله « وما يعلم تاويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب ـ آل عمران / ٧،٨ » .

ولكن الله امرنا مع ذلكان نبذل الجهد ونفرغ الوسع فى فهم دين الله وانفاذ تعاليمه ، تخطىء ونصيب ، وللمصيب اجران وللمخطىء اجر واحد، والعبرة بالروح الاخلاقية التى تسود المجتمع الانسانى فى سعيه لطلب الحقيقة ، لا فيما يحققه من جزئيات وتفاصيل . والعبرة بتتابع الافراد والجماعات على هذا المسعى النبيل الذى يواصل ركب الحضارة الانسانية ... ثم ان الدين ترك مساحة كبيرة للاجتهاد فيما سكتت عنه احكام الشرع المباشرة ، الى جانب الاجتهاد فى فهم ما تناولته الاحكام فى تطبيقها . وهذا كله يعنى ان يكد المسلمون فى فهم دينهم ، كما ان عليهم ان يكدوا فى تطبيق هذا الدين على دنياهم ، وفى الدين اصول جليلة توجه الى العلم بالكون والى العمل فيه ،الى السعى فى طلبالرزق واستثمار كل مورد ثروة فى الكون ، الى استقامة الضمير والفكر والسلوك وتنميةالطاقة الانسانية بالايمان بالله واليوم الآخر ، حتى لا يتوقف الانسان فى مسيرته بطرا او يأسا اذ « امر المؤمن كله خير ـ كما علم رسولالاسلام صلى الله عليهوسلم ـ ان اصابته السراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته الضراء صبر فكان خيرا له » .

بركات الايمان

وقد علمنا القرآن أن الطاقة التى تمنحها الايمان فتجاوزت اللحظات العاجلة للفوز او الفشل الى المدى الطويل للعمل والاستراتيجية الواســـعة الشاملةلمسيرة الانسان فـرداً او جماعة ـ هذه الطاقة المضاعفة بفضل الايمان تحققمنجزات رائعة نتيجة مواصلة العمل مهما كانت النتائج الجزئية المريعة ، وهذه المنجزات « بركات » ونمو وتفوق على كل تبديد او استنزاف يسببه الغرور او الوهن ••• فهذه « البركات » فى دنيا النــاس نتيجة الايمان فـى صدورهم ، هـى « محصلة » لعملهم الدائب الذى تستثيره وتوجهه عقيـدتهم وايمانهم بقوة تتجاوز المحســـوس من اجل جزاء وراء هذه الحياة الدنيا « الذين آمنــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب ـ الرعد / ٢٨ » « فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ـ البقرة / ١٨٦ » « ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ـ الانعام / ١٢٥ » •

غير ان هذه البركات هى محصلة العمل الدائب والايمان الصادق دون تخلف احدهما •• فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة على المؤمنين •• واذا كان المؤمنون تتضاعف طاقاتهم على العمل بحكم ايمانهم فانهم ان توانوا وتواكلوا لن يحابيهم الله على حساب غيرهم اذا عملوا ولم يكونوا مؤمنين ، لان نواميس الله هى الحق المطلق المجرد الذى لا يحابى ولا يتحامل « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون ـ هود /١٥ » « ليس باءمانيكم ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ـ النساء / ١٢٣ » « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، « ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا • كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطا ربك محظورا الاسراء /١٨ ـ ٢٠ » •

وقد تتخلف البركات المادية فى الحياة الدنيا بالنسبة للمؤمنين الصادقين ، ولكن تبقى بركات الطمانينة النفسية ومواصلة العمل دون كلل او قنوط وهى بركات ادوم وافعل لانها الرصيد الموجب المذخور لكل سلبيات الحياة وازماتها بالنسبة للفرد او الجماعة ••• وهناك جزاء الآخرة وهو من قبل ومن بعد خير وابقى • « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين ـ البقرة ١٥٥ » وهداية الله وتوفيقه للمؤمن لا يعنى ان يصيب فلا يخطىء ، او ان تنحل امامه العقد وتنطوى المشكلات ••• ان الايمان لن يرفع عن المؤمن حكم « الانسان » الذى يخطىء ويصيب ولن يرفع عن الدنيا خصائصها كدار ابتلاء للانسان بامكاناتها ومعاناتها ، والتحديات التـى يوجههـا الانسان فى هذا الكون العملاق وازاء غيره من جموع البشر الذين يقاسمونه هذا الكوكب الصغير الذى يدعى الارض لا يمكن ان تتوقف ، ولا يمكن ان يكون المؤمن هو المنتصر دائما امام اى تحد لان الايمان لا ينسخ سنن الكون الثابتة المطردة « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ـ فاطر / ٤٣ » •

ويكفى الايمان ان يجعل المؤمن ثابتا دائما أمام العقبات والشدائد «ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ـ النساء ١٠٤ » « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ـ آل عمران ١٤٠ » •

وحسبى ان اكرر هنا ما سبق ان اختتمت به كتابى الفكر الاسلامى والتطور « منذ زهاء سبعة عشر عاما » ولن يحول الدين الطبيعة الادمية الى ملائكية أو ينقل الى الارض فردوس السماء حسبه ان يكون رسول العناية الالهية ليرسى التوازن فى النفس والمجتمع والعالم ـ بقدر ما فى طاقة البشر وطبيعة الدنيا ، وبقدر مـا يترك دائمـا للاجيال فسحة تجد خلالها الطريق لمواصلة التطور فتستطيع التقدم الى الامام ••• وان اعترافنا دائما ببشريتنا ، التى تغلف دين الله فى وعينا من شأنه ان يجعلنا افسح صـدرا واثبت يقينـا واقوم بدين الله بعد ان عرفنا حقيقة التدين وطبيعة الوجود •

■■

الرياض ـ **محمد فتحي عثمان**





صناعة الم

● الانسان نفسه يصنع بغير وعى منه كل يوم عللا جديدة لداء جديد •

● تعالوا نستعرض ماذا فعلنا لمواجهة أخطار :

البلهارسيا ــ الحوادث ــ الاغذية المعلبة ــ التلوث ــ الادوية •

لقد ارتبطت كلمةالمرضفي أذهاننابالكلمة المعبرة عن عدو مخيف ، علينا محاربته والقضاء عليه • كما أننـاتعودنا أن يلازم هـذه الكلمة كثير من النعوت تعبيرا عنخوفنا منها وكراهيتنالها ورغبتنا بأبعادها عنا •

وقد يتعجب القارىء عندما يقرأ لأول وهلة تعبير « صناعة المرض » لان هـذا التعبير لا يتطابق مع التعبيراتالمرسومة في وعينا ، وسيندهشالبعض ليقول أن ما نصنعههو لرفاهيتنا ولبناءحياة سعيدة ومريحـة لنا ، ولا يمكن لاى عاقل أن يصنع الداء الذى ينخر جسمه • وللاجابة على ذلك علينا أن نتفق أولا على ماهية المرض ، وماهيةالقضاء عليه •





...رض

بقلم : الدكتور ماهر الصراف

تختلف تعاريف المرض من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر ، ولكن التعريف الادق والاصح في نظري هو ان المرض ليس حدثا عرضيا ٠٠ لا يمكن تجنبه، وانما هو عدو ملموسة اسبابه ذو تضاريس واضحة المعالم ٠ وهذه الاسباب منها الطبيعية الملازمة للانسان في محيطه منذ تطوره ومنها الصناعية المنتجة (بفتح التاء) بايدى الانسان نفسه ٠ وليس المرض بشيء غيبي يتبع قانون الصدفة في ظهوره ، بل انه ناتج طبيعي وضمني لوضع اجتماعي معين ولبيئةبيتية ومهنية ومعيشية محددة ٠

وبما ان الطبيعة تتبع قانون الحركة الدائمة ،فان اسباب المرض الطبيعية تتبع نفس القانون ، والحركة الدائمة هنا تعني التطور والتكاثر لهذه الاسباب ومجابهة ذلك بالسكون والسلبية من قبل الانسان يعني ترك الميدان للآفات لتتغلب عليه ، ولا يعني ذلك بالنتيجة النهائية الا الصناعة السلبية للمرض ٠ ولا تقل الاسباب الصناعية للمرض فيحركتها وتوالدها عنالامراض الطبيعية، والفارق الوحيد بينهما انه في الحالة الاخيرة يعتبر الانسان العنصر الاساسي والفعال في مجال خلق هذه الاسباب ٠ فالانسان نفسه يصنع وبدون وعي منه كل يوم عللا جديدة لداء جديد ٠ فلا يمكن لاي باحث في علم الصحة او لاي طبيب الا ان يعترف ان ارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة والروماتزم وحتى كلا من سرطان الرئة وسرطان المثانة ٠٠٠ الا انيعترف ان للانسان الفضل الاكبر في نشوئها ٠

ان هذا يهمنا في الوقت الحاضر بالذات حيث التغيرات الهائلة القادمة علىالعالم العربي المقترنة بالتصنيع وباستعمال المواد المصنعة في الخارج باحجام اكبر من السابق ، وكذلك بتطور التقنية ووسائل المواصلات ، كل ذلك يجلب معه بالضرورة خلق اضرار جديدة للجسم البشري ٠ وان لم يلازم ذلك عمل اجتماعي دؤوب لوقف هذا الزحف من الآفات ، فان الطب سيقف في غربة متفرجا على منافسة الامراض فيحدوثها بدلا من وقوفه محاربا لها لمرى المنافسة في انتاج المرض بدلا من القضاء عليه ٠

لقد قال العالم فيرشوف ان الباحث العلمي كالسابح ضد التيار اذا ما توقف لحظة رجع امتارا الى الوراء ، وانني اسمح لنفسي ان استعمل هذا التشبيه الرائع لاقول اننا وفي هذه الظروف٠٠





ظروف الاوضاع الاقتصادية الحالية وما تجلب معها من عوامل جديدة كالسابحين ضد التيار ، اذا ما توقفنا لحظة واحدة عن التجديف والحركة فان تيار الامراض الحديثة سيقذف بنا الى الوراء، لنتحول الى ضحايا التصور الخاطىء ، بان على الانسان ان يعالج الامراض دون البحث عن ينابيعها ومصادرها ، ودون وعي منه بانه منتج من الدرجة الاولى لها •

ويشكل الطبيب في اعين المرضى الشخص الذى يزيل عنه الآلام ويعيد اليه صحته ، وكذلك يعتبر المرض بالنسبة للمريض أمرا قدريا ، ويغيب عنه في اغلب الاحيان العوامل المسببة له ، كما أن المريض يفتقر لضوء كاشف لرحلة المرض منذ حدوثه الى يوم ظهور أعراضه ••• انه يفتقد لحلقة في السلسلة ، بل لاهم حلقة فيها ، اذا اخذنا بالمثل المشهور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » • الا ان عوامل نشوء المرض ما زالت مجهولة ، او مهملة عمدا ، وكشفها يحتاج الى جهد طبي وصحافي واجتماعي ، والى عمل دؤوب، واصرار على تغير الاولويات ، ووضع فهم جديد للكماليات والضروريات للمجتمع ، في حقبة زمنية محددة • ان وجود الاطباء المهرة لهو امر ضروري، وتوفر المعدات الحديثة للتشخيص والعلاج ضروري ايضا ، الا ان ذلك لا يمكن ان يشكل البديل عن البحث بالمجهر عن أمكنة توالد المرض لمحاربته•• فلا يكفي ان ننقذ الاطفال الذين يقعون في حفرة قريبة من مكان لهوهم، ولو كان هذا الانقاذ باحدث الوسائل ، بل يجب علينا ردم هذه الحفرة ••• ان ردمها هو من عمل وواجب الطبيب والجماعة ، ولا يمكن ان يكون الا حصيلة تطوع طبي وصحافي وحكومي مشترك ، مع فرق من الجماهير الواعية لتنظم حملات التوعية وتقف بالمرصاد امام كل غزو جديد لوباء جديد •

بهذا وبهذا فقط يقف الطب على قدميه ، بدلا من الوقوف على رأسه ، ليصبح علما يبحث في صحة الانسان ، وعوامل وطرق المحافظة عليها ، بدلا من اقتصاره على علاج الامراض بعد حدوثها•

ولتوضيح ملموس للصورة المجردة التي تكلمت بها ، اتطرق لامثلة لبعض الامراض والنتائج الناشئة عنها، وان كانت هذه الامثلة غير متجانسة في أسبابها المباشرة ،والعوامل غير المباشرة المؤثرة فيها • وقد تعمدت هذا التنويع لابين درجات دور الانسان في نشوء الامراض وكذلك تنوع طرق انتاجها •

مواجهة مع البلهاريسيا

ان مرض البلهارسيا مرض معروف منذ الفراعنة وسببه هو دودة البلهارسيا التي تدخل الى الجسم عن طريق الجلد ، عند ملامستها له في المستنقعات ،وتصل للاوعية الدموية واللمفاوية، ومنها للمثانة والامعاء، والكبد ،وتخرج من المصاب عن طريق البول والبراز ، ولاستكمال دورة حياتها تحتاج الى نوع من القواقع التي تعيش في المستنقعات والانهر •

يصاب بهذا المرض حوالى مائتي مليون شخص في العالم • وكما ذكرت فهو معروف في مصر منذ القدم ، ويصيب في بعض مناطق وادي النيل ومناطق اخرى في افريقيا وامريكا اللاتينية اكثر من ٨٥٪ من السكان ، وقد اكتشفه العالم بلهارس وسمي بذلك نسبة لاسمه •ومن اعراض هذا المرض الام في الرأس ، ارتفاع الحرارة ، آلام في المفاصل ، تضخم في الكبد و الطحال ، وهزال شديد مما يساعد على الاصابة بامراض اخرى •

فهذا الوباء اذا هو نتاج طبيعي للبيئة المحيطة بالانسان المقيم في تلك الاماكن • فوجود هذه الدودة وهذا القوقع في النهر من الاسباب الطبيعية



صورة لطفل بدون أذرع نتيجة تعاطى الام لحبوب بدون استشارة الطبيب

له ، الا ان عدم وجود امكانية الزراعة الحديثة التى تحمى الفلاح من ملامسة الماء الملوث ، وعدم وجود السكن الصحى الذى يوفر للفرد الماء النقى للاستحمام والشرب ، لتشكل أسبابا اجتماعية ٠ كل ذلك مجتمع يمكن تسميته بالآلة المنتجة للمرض ، ومهما كانت وسائل الاعلام قوية وشاملة فان ظروف حياة المزارع وشروطها الصعبة تجعله بالضرورة اسير امكانياته ، وبالتالي ضحية هذه الآفة ، ومن ناحية أخرى فان محاولات الاعتماد على العقاقير فى القضاء على هذا الوباء لهى محاولات خيالية حيث ان منبع المرض وعلاجه ليشكلان كفتى ميزان ، ويرجح الميزان فى هذه الحالة بوضوح لصالح توالد المرض ثم انه من الغباء أن يترك الواحد منا من يضربه خنجرا فى جسده ، لعلمه انه يستطيع اجراء عملية جراحية لانقاذه ، والاعقل ان يمنع نفسه من اذى هذه الضربة ٠ والقضاء على اسباب هذا المرض من جذوره يظهر فى اتفاقية الحكومة المصرية مع المانيا الاتحادية عام ١٩٦٧ والتى تنص على البدء فى رش منطقة الفيوم بمادة «بايلوسين» المبيدة للقواقع كتجربة للقضاء على حلقة من حلقات دورة حياته وبالتالي على وجوده ، وفعلا وبعد ثلاث سنوات انتهت التجربة بنجاح ، ويمكن اعتبار ان المرض قد انتهى تماما فى المنطقة المذكورة ٠ ولا ادرى ان كانت مصر قد اتفقت على تمديد الاتفاقية وتوسيع رقعة العمل على امتداد نهر النيل ام لا ٠



ان هذا المشروع باهظ التكاليف ، لكن الحقيقة انه مهما كانت تكاليفه مرتفعة فانه يبقى رخيصا قياسا بنتائجه ٠٠ وهى انقاذ الملايين من الام السنين ، وارجاع قوتهم ، واعادة قدرتهم على العمل ، وتحمل قسمهم فى الانتاج ، واعادة قدرة اطفالهم على الاستيعاب والعمل الخلاق ٠٠٠ بقضائنا على معقل المرض نعطى الانسان اغلى ما يملك ٠٠٠٠٠ سلامة وصحة جسمه ، ونعطى المجتمع عناصر تطوره ٠٠

ولم اذكر هذا المثل الاتبيان ما اعنيه بان المرض ليس بشىء عرضى ، ولكنه ذو أسباب ملموسة ، ولتبيان كيفية القضاء عليه بالقضاء على مواقع انتاجه ٠٠ على مسبباته ٠٠ وقطعه من جذوره ٠٠ ممارسة طب حقيقى صادق يبحث فى حماية الانسان من المرض ، وليس من المرض نفسه ، ثم لأبين أن مثل هذا المشروع لن ينجز على اكمل وجه بتكاليفه الهائلة ، الا اذا استعد المجتمع للتضحية ، ممتلكا وضوح الرؤية فى ترتيب الاولويات ، ومصمما على تفضيل الضروريات ٠ وان لم يستطع المجتمع ان يعى ضرورياته ، وان يتكاتف واضعا كل الكماليات جانبا ، ليحارب مأساته الاولى ، فانه سيبقى اسير شروط حياته الصعبة ، مزخرفا جسده بقواقع وديدان البلهارسيا ٠

واصابات الحوادث

ادى الوضع الجديد لاقتصاد الدول العربية ، الى اتجاه قطاعات كبيرة للتجارة مع الدول الصناعية مستوردة منها الادوات الكهربائية الحديثة والسيارات ووسائل المواصلات الاخرى ، كما ادى الاتجاه العمرانى الى استيراد الآلات الضخمة التى تستعمل فى البناء ٠ كل ذلك نرحب به ، ويشكل دافعا لتقدم بلادنا العربية ، ولكن علينا ان نعى ان استعمال هذه الوسائل وهذه الآلات قد تطور

تدريجيا في اوروبا . ورافقه تطور صناعي هائل، وبالتالي تطور بمستوى رفيع في علاج اصابات الحوادث، كما بنيت شبكة دقيقة تضم وتربط عناصر الاسعافات الاولية ، وما يتبعها من علاج نتائج هذه الاصابات. كما ان هناك مرافق متخصصة في اعادة الافراد كاعضاء عاملين في المجتمع ، اذا ما فقدوا عضوا من اعضائهم ، بتطوير الاعضاء الصناعية ، واخيرا بالعمليات الميكروسكوبية الحديثة المعيدة للاطراف الاصلية • وقد توج ذلك نظام التامينات الصحية والتامينات ضد الحوادث ، والضمانات في حالات العجز عن العمل واعالة النفس • ولا يمكننا هنا ان ننسى ذكر نوعية القوانين المسنة في مجال الانقاذ ، واهمها السماح بل اجبار كل انسان بقرب مكان الحادث الاسراع في انقاذ المصابين ، دون النظر الى اسباب الحادث ومسبباته في تلك اللحظة ، اى اعطاء الضوء الاخضر لانقاذ الارواح على الفور ، ومأساتنا الكبرى ان اغلب الدول العربية تعطي الاولوية لتحقيقات البوليس الذى يصل الى مكان الحادث ، بعد ان يكون قد فات الوقت الذهبي في الاسعاف الاولي والذى تقع عليه الاهمية القصوى في انقاذ الجرحى •

نعم ان التطور الآلي قد اقترن في الدول الصناعية بزيادة هائلة ، وتعقيدات كبيرة في الاصابات ، الا ان هذه الدول تحاول ان تعادل كفتي الميزان، ببنائها لهذا الهيكل الاسعافي ومع ذلك لم ترجح بعد الكفة لصالح العلاج واعادة قدرة الانسان على الانتاج ، واعالة نفسه وعائلته • الا ان الفرق بين الكفتين لايمكن مقارنته بما يحدث في منطقتنا العربية ، والتي تستورد هذا العدد الهائل من مصانع الحوادث ، ولكنها لم تعمل بنفس السرعة وبنفس القدر ، على مقاومة نتائج الحوادث ، لا بانشاء هذه الشبكة الاسعافية ، ولا بتطور الطب التشخيصي والعلاجي ، ولا كما ذكرت بسن القوانين الانسانية البسيطة ، والتي لا تكلف شيئا ، والتي تجبر كل انسان وكل موقع طبي ان يضع نفسه في خدمة الجرحى ، بدلا من وقوفه موقف المتفرج منتظرا المحقق • ان هذا الوضع لا يمكن وصفه باقل من مأساة ـ سرعة الصاروخ في صناعة الكسور والجروح والحروق ـ لا يقابلها الوقاية والعلاج اللازمين • فلا يكفي ان نقول ان عندنا اطباء مهرة ، وها قد بنينا بعض المستشفيات الحديثة ، ليست هذه هي المعضلة •• المطلوب هو بناء تركيبة متكاملة من الوسائل الاخبارية السلكية واللاسلكية ، واستعمال كل الامكانيات الحديثة لتلاشي الحوادث ، مثل مراكز الاسعاف الاولي المنتشرة في كل مكان ، اضافة الى مراكز العلاج بكل ما يحتاج اليه التشخيص والعلاج ، واخيرا مدارس تاهيل المعاقين الذين لم يستطع العلاج محو آثار اصابتهم نهائيا ، وتاهيلهم للعودة الى مواقع عملهم وانتاجهم ، حتى لايصبحوا عبئا انسانيا واقتصاديا ، وحتى لا نضطر مستقبلا لبناء مأوى للعجزة تلو الاخر ، ويلازم ذلك كله تدريب اكبر عدد ممكن من الافراد ، على الاسعاف الاولي وسن القوانين المناسبة لذلك •

كل هذا مرتبط ارتباطا وثيقا بتربية الانسان التربية اللازمة لاتصاله بالتقنية الحديثة وقيادتها• ليعي اخطارها •• فان لهذه التقنية اخلاقيات جديدة ،لانها سلاح بيد الانسان يمكن ان يستعملها لسعادته وسعادة اخيه ، كما انه يمكن ان يستعملها لشقائه وشقاء اخيه بنفس السهولة • كل هذا يتطلب ايضا توعية جماهيرية شاملة واستعدادا كاملا للتبرع لبناء الحصون لحصر «مساوىء» هذه التقنية قدر الامكان والتسلح ضد كل ما قد تصنعه من امراض واصابات وتشويهات •

ان هذا ايضا باهظ التكاليف ولكن بديله ابهظ ••• انه حياتنا وحياة اطفالنا •

قضية ضد « نسله »

لا شك ان المنطقة شاهدت في السنوات الاخيرة قفزة كبيرة في كمية ونوعية العلاقات التجارية مع الدول الصناعية • ولا جدال ان خارطة هذه العلاقة التجارية تبين لنا ان الاتجاه الغالب هو الاتجاه الاستيرادي • وان الصناعيين لا يأخذون دائما بالمثل المعروف « الحاجة ام الاختراع » وانما يطبقون ايضا مثالا خاصا بهم وهو « الاختراع يخلق الحاجة » اى انهم بتصنيعهم لكل سلعة جديدة يحاولون التأثير على الفرد واقناعه بحاجته لها مهما كانت كماليتها • ففي الدول الصناعية المتقدمة استطاعت مصانع الاغذية ان تصنع حليبا يشبه حليب الام في تركيبه ، كما توصلت مصانع الادوية الى مواد يمكن للام بها تكوين الحليب في صدرها • هذان العاملان اديا الى ترك كثير من الامهات الرضاعه واتجاههن الى التغذية الصناعية. واستطاعت هذه المصانع تصدير منتوجاتها هذه الى الدول النامية • قد يتساءل كثيرون وماذا في

ذلك ؟ نعم ... صحيح ان الحليب يشبه تركيبة الحليب الطبيعي ، باستثناء شيء واحد وهو المناعة الطبيعية ضد الامراض الموجودة في دم الام والتي تفرز مع الحليب وتحمي بالتالي الطفل الرضيع من الاصابة بهذه الامراض . هذا النقص لم يؤثر على اطفال الدول المتقدمة لانهم يملكون كل شروط الحياة المادية الحديثة من تعقيم ونظافة . الا ان ذلك كان له الاثار الجسام على اطفال الدول النامية الذين لا يعيشون وسط هذه الشروط والامكانيات . لقد ادى استعمال هذا الحليب في المناطق المتخلفة الى انتشار امراض كثيرة بين هؤلاء الاطفال ، كذلك ادى عدم وجود الوعي الكافي لدى الامهات في كيفية استعماله الى نقص في التغذية وبالتالي الى خلل في النمو الجسمي والعقلي لهؤلاء الرضع .

ولقد رفعت مجموعة من المهتمين بقضايا العالم الثالث في سويسرا قضية ضد شركة « نسلة » السويسرية وادينت الشركة لبيعها هذا المنتوج للشعوب النامية التي لا تملك الشروط اللازمة لاستعماله من تعقيم للادوات اللازمة له . كذلك ادينت الشركة لعدم شرحها في اعلاناتها لمتطلبات هذه الطريقة في التغذية ، بل استعمالها لكل اساليب الاغراء ومنها تقديم العينات كهدايا للامهات مع العلم ان هذه العينات اذا اعطتها الام لطفلها لمدة ثلاثة ايام فقط كفيلة بان توقف تكوين الحليب في صدرها لتخضع بعد ذلك كليا للتغذية الصناعية . هل اكون مغاليا اذا قلت ان هذه الدول قد استوردت المرض بكل معنى الكلمة ؟ وهل اكون مغاليا اذا قلت ان الاطباء واصحاب السلطة في الحقل الصحي ومن يحمل رسالة انقاذ الانسان ، قد وقف كل هؤلاء مكتوفي الايدي يتفرجون على بضائع المرض وهي تدخل بلادهم منقضة على اطفالهم ؟ وهل واجب علم الصحة وعلمائه وذوي الالبسة البيضاء القضاء على المرض عند حدوثه فقط ام ان واجبهم الاول هو بناء حاجز سميك ومرتفع امام زحف المرض وهدم كل مصنع وردم كل منبع للافات ؟ الم يحن الاوان ان نضع تعريفا جديدا للصحة والمرض ولعلم الطب ؟

لا شك انه لشيء مؤسف ان تكون مجموعة من السويسريين هي الباحثة في الامر والواقفه امام الشركة وليس جنود الطب والمجموعات الواعية في هذه الدول .

« الموت قريب منا »

ارجو ان لا يفهم من سطوري اللاحقة انني ضد تصنيع بلادنا ... ابدا ... انني اول من ينادي بالتصنيع لانه بدون ذلك وبدون اللحاق بهذا الركب لن نستطيع ان نضمن مستقبلا باهرا لشعوبنا . ولكنني اود ان اذكر بعض الامور حتى لا نقع بالاخطاء التي وقعت بها دول صناعية سبقتنا في هذا المضمار وحتى لا نبني مصانع تنتج لنا وبدون ان نشعر امراضا جديدة تكون سببا في تعاستنا وشقائنا بدلا من سعادتنا وراحتنا .

لقد حولت نفايا مصانع اوروبا الغربية نهر الراين الى مستنقع كبير مليء بالمواد التي تسبب الامراض عن طريق مياه الشرب والتي لا يمكن تكريرها حتى ولو ارادوا ذلك . كذلك حولت نفايا المصانع في اليابان البحر الى مستنقع يحيط بالجزر اليابانية وقد ادى ذلك الى تسمم السمك في بعض المناطق والذي ادى بدوره الى تشويه الجنين عند بعض الحوامل . هذا ما لا نريده واضافة الى ذلك فهناك كثير من المواد الداخلة في التصنيع قد اثبت العلم انها تسبب امراضا مختلفة للعاملين بها . فقد ثبت مثلا ان مادة « اروماتيك امين » الداخلة في صناعة الالوان بدخولها عن طريق الجلد والرئة عند العمال ثبت انها تسبب لهم سرطان المثانة . ويوجد عدة مواد تستعمل في عدة صناعات والتي تعتبر علة لامراض عدة لاعضاء مختلفة في الجسم . ولقد عبر العمال الايطاليون عن سخطهم عند سماعهم بان المادة التي يعملون بها قد تسبب لهم امراضا خبيثة بمقطوعة شعرية فقالوا :

علمنا اليوم ان المادة التي نعمل بها تسبب السرطان

نحن نلمس هذه المادة كل يوم

لقد وقع علينا الخبر كالصاعقة

لم يكن الموت قريبا منا مثل قربه هذا اليوم

الموت قريب منا !

الموت قريب منا !

نصنع للانسان الرفاهية ولنا الموت .....

وهناك امثلة نعيشها كل يوم ، فالقلق المستمر الذي تخلقه الظروف الحياتية والمهنية ، وعدم الحركة والجلوس امام التلفاز كل ذلك يسبب

تصلب الشرايين والجلطة القلبية • كما ان غازات المدينة السامة المنبعثة من السيارات والمعامل ، اضافة الى التدخين كل ذلك يشكل المصدر الاساسي لسرطان الرئة • لقد صدق كونتي عندما قال في كتابه الهيكل الاجتماعي اننا نسبب الجلطة القلبية ونصنع بنفس الوقت الات تخطيط القلب لتشخيصها •••• ونسبب سرطان الرئة ، ونبني احدث غرف العمليات لتجرى بها العمليات الخاصة بهذا المرض • ان العقل السليم سيتهمنا حتما بالجنون •••

حقيقة فاعلية الدواء

ان الدواء بمختلف انواعه يبقى العمود الفقري للعلاج ، وتشكل مصانع الادوية بالتالي القاعدة الاساسية للطبيب في علاجه ، وطرق استعمالها ، اعتمادا شبه كلي • ويشكل الطبيب الحلقة الاضعف في علاقته مع هذه الشركات ، لانه اي الطبيب ـ الفرد ـ غير قادر على اثبات صحة او خطأ هذه المعلومات ، ويبدو بذلك خاضعا كليا لهذا الاحتكار الاعلامي • ويقف الطبيب حائرا بين اكوام الادوية ذات المفعول الواحد ، وبين النشرات الدعائية التي يستلمها من هذه الشركات والتي تصل في المعدل الى ١٠٠٠ نشرة سنويا للطبيب الواحد في اوروبا • اضافة الى ذلك اللاعلمية التي تسيطر على الجزء الاكبر منها في الدعاية.فالطريقة التي تعرض فيها المستحضرات الطبية لا تختلف عن دعاية معجون الاسنان •••• الصورة الجميلة البعيدة عن المشكلة الحقيقية ، والكلمات الرنانة المدروسة من الناحية النفسية ، لتؤثر على الطبيب والمريض بنفس الدرجة •فهذه الحسناء العارية الحاملة قطتها الجميلة هي دعاية لدواء ضد الروماتزم ••• وهذا البيت الجميل المطل على بحيرة جميلة ، والضوء الخافت الذي ينعكس شعاعه على ماء البحيرة ، وكلمة ليلة سعيدة في أسفل الصورة ، انها دعاية لدواء ضد الانفلونزا ، وهذه الفتاة الواقفة على ساحل البحر بالمايوه ، التي تذكرنا بصور شركات السياحة ، انها في الحقيقة دعاية للمرض الجلدي بسريازيس •

لا أريد في المثال الاخير أن أحدث فجوة بين المريض من جهة ، وبين الطبيب وشركات الادوية التي تصنع له الدواء من جهة اخرى •••الا انني بنفس الوقت أريد بل من واجبي عند التعرض لمثل هذا الموضوع ، أن اكون صادقا مع نفسي ومع القراء .لان ما يهمنا جميعا وخصوصا كلا من المريض والطبيب من هذه المعلومات ، هو التأكد من مفعولها والاطمئنان لعدم وجود آثار جانبية سلبية على الجسم من جراء تعاطيها •

وبما أن موضوعنا اليوم هو صناعة المرض فانني سأنتقل مباشرة للامر الثاني الا وهو التاثيرات الجانبية ، وهنا لا أستطيع الا أن اذكر ان هذا الاطمئنان لا يمكن ان يعطى من الطبيب ، لان للاطباء تجارب سلبية ومتكررة على امتداد السنين • وسأقصر حديثي على المأساة التي حدثت في الستينات من جراء استخدام دواء كنترجان المستعمل ضد الارق ، الذي كان نتيجة لاستعماله من قبل الحوامل ، وقف نمو اطراف الجنين ، فولد اطفال بدون أيد وآخرون بدون أذرع • هذه المأساة الجماعية التي نشاهدها كل يوم في شوارع اوروبا وفي بلادنا (ربما معرفة السبب) ، تعلن للملا عن اهدار لصحة الانسان وصناعة عاهاته بشكل فرص الدواء الشافي• أليست سخرية القدر أن يكون رافع علم الصحة هو نفسه صانعا لابشع أنواع المرض • هل سبب ذلك هو نقص في المعلومات الكيميائية وتاثيراتها السلبية لدى الشركة ؟ أم أن السبب هو عدم اكتراث بأغلى ما يملك الانسان ؟ لا أريد أن أتكلم الآن كالقاضي ، ولكني أضع معلومات موضوعية ومثبتة بين أيديكم ، لعلكم تستفيدون منها في حكمكم وفي سعيكم لسعادة جسمية ونفسية ، مبنية على جسم قوي وصحيح وخال من الامراض •• في سعيكم لرفع لواء الوقاية •• الفردية ، والوقاية الجماعية ، المعتمدة على تحاشي المرض ، والقضاء عليه ، ووقف انتاجه • هذا جزء من معالم الخارطة الطبية لعالمنا هذا •• انها خارطة دائمة التغير ، والوقوف أمام السلبيات فيها ، علينا مراقبتها لتغيرها لصالح البشرية • وهذا يتطلب عملا جبارا يشترك فيه كل انسان من موقع عمله ، بالبحث والتنقيب وتقديم اليد الايجابية الفعالة لذلك ، وبدون كل هذا ستكون النتيجة واضحة ومرة ، جزيرة في بحر من الامراض • ■■

د • ماهر الصراف

رئيس اطباء قسم الامراض النسائية والولادة
زولنجن ـ المانيا الاتحادية

تطبيق الشريعة :

أسئلة وايضاحات واجبة

هل يمكن مناقشة الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ؟
أمام هذه المظاهرة الهائلة التى ترفع لافتة تطبيق الشريعة ، والتى تضم خليطا من المؤمنين الصادقين ، وتجار الدين والمزايدين عليه ، ووراكبى كل موجة والسائرين فى كل موكب .. امام هذا الحشد ، هل يحتمل الامر مناقشة ؟

لا نريد ان نسأل هل نطبق الشريعة ام لا ، فالامر ليس فيه خيار بالنسبة للمسلم الملتزم ... « وما كان لهم الخيرة من امرهم » و «..فلا وربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم » ـ لكن موضوع المناقشة هو شيء آخر ، هو كيف ومتى ومن اين نبدأ ؟

وهذا ما ينبغى ان يكون واضحا من البداية ، ان محور مناقشة قضية تطبيق الشريعةهو التفاصيل وليس المبدأ فى حد ذاته .

أيضاينبغى أن يكون واضحا من البداية ان مانريد ان نصل اليه هو اقامة مجتمعاسلامى حقيقى ثابت الدعائم والاركان ، تضرب جذوره فى اعماق الناس ، لا مجتمع اسلامى وهمى ، ليس فيه من الاسلام الا كلام مكتوب على اللافتات أو فى الصحف ، وهياكل هشة تعصف بها اى ريح .

●

لنسأل : هل تطبيق الشريعة وحده هو الذى يقيم المجتمع الاسلامى ؟ وهل الشريعة هى كل الاسلام ؟ أو هى الأصل فى الاسلام ؟

يرد على هذه الاسئلة الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت * بقوله : العقيدة فىالاسلام هى الاصل الذى تبنى عليه الشريعة . والشريعة أثر تستتبعه العقيدة . ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الاسلام الا بوجود العقيدة ، كما لا ازدهار للشريعة الا فى ظل العقيدة .ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له اساس . ثم يقولفىموضع آخر « ان من آمن بالعقيدة والغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة واهدر العقيدة ،لايكون مسلما عند الله ،ولا سالكا فى حكم الاسلام سبيل النجاة » .

وهذا هو المنهج الذى اتبعه النبى عليه السلام ، عندما اراد أن يبنى المجتمع الاسلامى الأول .

بالعقيدة بدأ ، وكان هذا منهجا طبيعيا وضروريا . فما لم يكن الاساس متينا ، فكل بناء

---

* انظر كتاب الشيخ شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » .

فوقه معرض للسقوط في اية لحظة ٠لقد قضى النبي ١٣ عاما في مكة يزرع بذور الايمان في قلوب المسلمين ، كان محور ايات القران في تلك المرحلة هو هذه القضية،تربية المسلمين وتثبيت ايمانهم ٠ وبعد الهجرة الى المدينة ، بدأ « العمل » ، وتتابعت آيات التكليف على المسلمين ٠

العقيدة هي الاصل والاساس ، والشريعة هي الفرع ٠ لماذا نوجه كل همنا الى الفرع ، بل الى جزئية محدودة من هذا الفرع، ولا نعطي الاصل حقه ووزنه ؟

ان المعنى الشائع لتعبير الشريعة الاسلامية ينصرف الى القوانين التي تحكم المعاملات وحدها، وصياغة القوانين امر ميسور ، وهي مشكلة الفقهاء ورجال القانون وحدهم . اذا توفرت امامهم الارادة والرغبة ٠ لكن تنشئة جيل مؤمن ومسلم هي امتحان بالغ الصعوبة لكل «راع» في الدولة ، سواء كان مسئولا سياسيا او رجل دين او موجها فكريا او معلما او رب اسرة في بيته ٠

واظننا لسنا بحاجة الى أن نتلفت كثيرا حولنا ،لنكتشف أن دعوة تطبيق الشريعة تمضي في واد ، بينما اعداد الانسان يمضي في اودية مختلفة تماما ٠

هل نحن جادون فعلا فيما ندعو اليه ؟

وهل نمضي خطواتنا في الاتجاه السليم الذي يحقق لنا في النهاية اقامة المجتمع الاسلامي؟ لنتريث في الاجابة ، ونواصل المناقشة ٠٠

●

لنسأل ايضا : ما هو المقصود بكلمة الشريعة ؟ ٠٠ هل ينصرف المعنى فقط الى مجموعة القوانين التي تحكم معاملات الناس ، كما يقولون ، ام أن لها في الاسلام تصورا آخر ؟

الاتجاه السائد بين المفسرين يشير الى أن القرآن عبر عن العقيدة بكلمة « الايمان» ، وعن الشريعة « بالعمل الصالح » ، والتلازم صريح بين الاثنين في اكثر من سبعين آية ، وتعبير «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» يتردد بنصه هذا في العديد من الآيات ٠

والشريعة كما يقول الشيخ شلتوت هي مجموعة النظم التي شرعها الله وأنزلها ليلتزم بها الانسان في اكثر من ميدان ٠

في علاقة الانسان بربه ، ويدخل فيما شرعه الله هنا تبادل الواجبات الدينية كالصلاة والصوم ٠

في علاقة المسلم بالمسلم ، وماشرعه الله هنا تبادل المودة والاخوة والتراحم ، والتناصر فيما بينهم ، والاحكام الخاصة بتكوين الاسرة والميراث ٠

في علاقة المسلم بغير المسلم ، بالانسان بوجه عام ، وذلك يتحقق بالتضامن والسعي لتحقيق التقدم والرخاء والسلام ٠

في علاقة المسلم بالمجتمع ، وهنا دور النصوص التي تحكم المعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والجنائية والتجارية وغيرها ٠

في علاقة المسلم بالكون ، اذ هو مطالب بمواصلة البحث والنظر في الكائنات ، واستخدام آثارها في رقي الانسان وخدمة البشرية ٠

في علاقة المسلم بالحياة ، وسبيل تحقيق شريعة الله هنا هو أن يستمتع المسلم بالطيبات في هذه الحياة ، دون اسراف أو تقتير ٠

هذا تصور للشريعة الاسلامية يغيب عن عقل المسلم ، اذا كان كل تفكيره موجها الى مطالب الحكومات بسن القوانين التي تدعو الى عقاب العصاة والآثمين ٠

وهم بذلك يسيئون الى الاسلام ، لانهم يصورونه « قوانين » تطبق ، وليس «نظاما» شاملا يحكم حياة الانسان وسلوكه وبناء المجتمع بأسره •

ان طرح الشريعة الاسلامية بهذا المفهوم يغير من الموقف فى عدة جوانب ، فهو من ناحية يثير قضية تكوين واعداد الانسان المسلم ذاته ، أى يعود بنا الى نقطة العقيدة•وهو من ناحية ثانية ينبه الى ان القوانين التى يريدون صياغتها ، وتطبيقها هى « جزء » من الشريعة ، وان ذلك لو تحقق فعلا فانه لا يعنى على الاطلاق ان شريعة الله قد طبقت • وهو من ناحية ثالثة يفرض علينا اعادة النظر فى مسالة « الاولويات » ، ذلك أن تعدد الميادين التى تشملها كلمة الشريعة يقتضى منا أن نتفق ، باى هذه الميادين نبدأ ، وهل تتفق هذه الاولويات مع ظروف كل بلد اسلامى ؟

اخيرا فان هذا المفهوم يغير من احساسنا بالذنب تجاه الشريعة ، ويجرد الداعين الى تكفير المجتمع وهجرته من أحد أسلحتهم القوية • واذا كنا قد ناقشنا فى المرة السابقة معنى الحكم بما أنزل الله وأن الخطاب موجه الى المجتمع بأسره ، بما فى ذلك الافراد العاديون • فان هذا المفهوم للشريعة يلتقى مع تفسير الاية ، ويصبح بوسعنا أن نقول أن المسالة ارحب بكثير مما يتصورون ، فعبادات المسلم ، ومودته لغيره ، وسعيه الى العمل والانتاج ، واستمتاعه بكل ما هو حلال ، هذهجميعا نماذج من تطبيق الشريعة الاسلامية •

امام مفهوم رحب بهذا القدر ، الا نكون قد ظلمنا الاسلام وحملنا سعته بضيق صدورنا وآفاقنا نحن ؟

●

نقطة أخرى ، حتى ونحن نقدم تطبيق الشريعة الاسلامية باعتباره مشكلة قوانين تصاغ وحدودا تطبق ، لماذا لا نطرح المسالة على وجهها الصحيح ؟

ولناخذ مثلا واضحا : حد السرقة وقطع يد السارق • اذا انتهينا الى انه لا سبيل الى الاجتهاد فى طريقة توقيع العقوبة ، فان هذا السارق لا يطبق عليه الحد الا اذا كان قد توفر له الحد المعقول ـ وليس الحد الادنى ـ من الحياة المعيشية الطيبة ، لكنه رغم ذلك ارتكب جريمته •

وكلنا نذكر قصة الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى فى عام المجاعة أن شروط تطبيق حد السرقة ليست متوفرة ، وأنه ليس من العدل أمام شدة الحاجة وظروف المجاعة أن يحاسب مسلماضطر لمد يده الى مال غيره ليطعم نفسه او اسرته •

وهناك اتجاه مستنيرفى الفقه الاسلامى ـ من أبرز رجاله الامام ابن حزم ـ يحدد حقوقا أساسية للمسلم ينبغى أن تتوفر له فينبغى أن يكون للمسلم بيت ياويه ، وطعام وشراب ملائم ، وكساء يكفيه صيفا وشتاء ، وخادم يساعده اذا كان غير قادر ، ودابة يركبها اذا احتاجت مصلحته ذلك ، بعد هذا كله ، اذا سرق المسلم يطبق عليه الحد •

ويرى هؤلاء الفقهاء أن هذه « حقوق » طبيعية للمسلم ، باعتباره مخلوقا كرمه الله ، واستخلفه فى الارض ، وسخر له الكون كله •

ويذهب ابن حزم الى أن المسلم اذا لم تتوفر له هذه الحقوق ، فيجب أن يسعى لانتزاعها من الاغنياء ، وان يقاتلهم فى ذلك ، وهو شهيد اذا مات دونها * •

اذا كان الامر كذلك لماذا اذن ينصرف جهد الداعين لتطبيق الشريعة الى تنفيذ حد

---

* يراجع لمزيد من التفاصيل « المحلى » لابن حزم ـ كتاب الزكاة

للمناقشة

السرقة ، ولا يبذلون جهدا يذكر من أجل خوض معركة توفير الحياة الكريمة للانسان فى المجتمع الاسلامى • وهى فى النهاية معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعى ؟

لماذا لا يرون الا هذا الوجه العقابى فيما أنزله الله من شرائع ، ويسقطون من حسابهم الحقوق التى كفلها الاسلام للانسان ؟ لماذا يذكرون ما على المسلمين من التزامات ، ويتجاهلون ما هو مكفول لهم من حقوق ؟

الا تستحق معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعى أن يلقى علماء المسلمين بكل ثقلهم وراءها ، ثم يطالبون بعد ذلك بقطع يد أو حتى شنق كل من يجرم فى حق المجتمع وفتنذ ؟

ان هؤلاء الدعاة المتحدثين باسم الاسلام قد اختاروا الطريق الاسهل ، وركزوا على مطلب تنفيذ الحدود • ذلك ان المعنى بالجزاء والعقاب هم عامة الناس وفقراء المسلمين ـ وهؤلاء امرهم هين ـ بينما الدعوة الى العدل الاجتماعى هى مسئولية المجتمع ككل ، بما فى ذلك الانظمة القائمة بكل مؤسساتها ، وتلك مشكلة قد توقعهم فى حرج هم حريصون على تجنبه •

انهم يقدمون لنا الاسلام باعتباره رسالة « لتاديب » البشر ، وليس لهدايتهم واسعادهم ! •

الا ترون فى أنهم حتى وهم يطرحون الشريعة باعتبارها مشكلة قوانين تصاغ وحدودا تطبق ، فانهم لا يضعونها فى اطارها الاسلامى الصحيح ؟

●

ما الذى يعنيه كل هذا الكلام ؟

أهم ما يعنيه ان الاسلام عقيدة كلية ، لا تقبل التجزئة او الترقيع • واكثر ما يسيء اليه ان تستهوينا فيه اللافتة فنثبتها على دارنا ، من باب التبرك والتمسح بشعار « الايمان » ، او نتورط فى معركة سياسية او فكرية ، فنشهر سيف الاسلام ونستخدمه فى الاجهاز على الاخرين ، أو يريد بعضنا ان يكسب شعبية ويدغدغ حواس الجماهير ، فيرفع راية الشريعة •• او يستثيرنا الفساد فنقلب دفاترنا المحبوسة ونستخرج منها قانونا نقف فيه عند قطع يد السارق ورجم الزانى وقتل المرتد ، وكاننا ادينا امانة الاسلام بذلك•

هذا كله يدخل فى باب توظيف الاسلام واستخدامه كورقة رابحة فى اللعبة • وهذا اسلوب مرفوض ، رغم انه الاسلوب السائد •

الاسلام عقيدة فى الاساس ، وهى مرتبطة بالشريعة ، والشريعة تحكم علاقة الانسان بالله والمجتمع والكون • هو ـ باختصار ـ نظام حياة شامل ومتميز • وانتزاع جزئية منه والعمل بها لا يؤتى ثماره ، لانه لا يختلف كثيرا عن غرس بذرة ـ او جزء من بذرة ـ فى تربة لا تستجيب لها • عندئذ تصبح الثمار معروفة سلفا ، وهى اما منعدمة او شائهة •

ولست أدعو الى أن نختار بين أن ناخذ الاسلام كله او نتركه كله ، ولكن فقط اريد أن أنبه الى أن سعينا لا بد أن يتدرج مبتدئا بالاهم فالمهم ، حتى نبلغ الغاية بثقة واطمئنان• واذا اردنا لخطواتنا ان تمضى بغير خلل ولا تشتيت ، فلا بد ان نعرف من أين نبدأ الرحلة •

واستاذن فى حلقة ثالثة للمناقشة ، أرجو أن تكون الاخيرة •

فهمي هويـــدي

● حل مسابقة العدد ٢٢٤ ●



الحسن بن الهيثم
●
مارك أنطونيو

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : الحسن بن الهيثم ، عالم طبيعي ورياضي عربي شهير ظهر في البصرة ومات في مصر ، واستطاع أن يقلب أوضاع النظريات السائدة في عصره عن الضوء والبصريات ، فانشأ علم الضوء الحديث ، واعترف بفضله علماء الغرب ٠

(٨) راسيا : مارك انطونيو ، حاكم وقائد روماني شهير ٠ حين أغتيل يوليوس قيصر عام ٤٤ قبل الميلاد ، أصبح مارك انطونيو مع اوكتافيوس حاكمين على روما.ثم اختلفا وقامت بينهما موقعة اكتيوم البحرية.وأنهزم انطونيو فيها رغم مساعدة كليوباترة له ٠

الفائزون بالجوائز

واجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة العديدةفكانت النتيجة كالاتي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :محمد على ستار ـ محافظة بابل العراق ٠
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :ياسر على السيد مستكة ـ تعز اليمن الشمالي
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : احمدالمهدى حمد ـ كسلا السودان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ رضا السيد عبد العال ـ الدقهلية مصر
٢ ـ مصطفى اديب البحره ـ الرياض السعودية
٣ ـ ليلى سعاده البابا ـ بيروت لبنان
٤ ـ دلال النابلسي ـ طرابلس ليبيا
٥ ـ بهيج بهجت سكيك ـ الشويخ الكويت ٠
٦ ـ افتخار ياسين محمد ـ عدن اليمن الديمقراطي
٧ ـ بسام شعدين ـ دمشق سوريا
٨ ـ احمد عبد العزيز عبد الحليم ـ عمان الاردن



مزيد من
التنمية من أجل الرخاء
أم مزيد من
الفقر من أجل التنمية ؟

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

■ ليس من المستغرب ان نجد الاقتصاديين المهتمين بقضية التنمية والتخلف لا يحاولون الا نادرا اثارة السؤال الآتى : لماذا تريد التنمية ؟ فالعادة الا يحاول منهم اثارة هذا السؤال والاجابة عليه الا اصحاب النفوس التى تتمتع ببعض الحساسية ، وهم نادرون فى هذا العصر بصفة عامة ، وبين الاقتصاديين بوجه خاص • فـاذا اثاره بعضهم فهم عادة من هؤلاء الاقتصاديين الذين لا يعتبرون من قبيل اضاعة الوقت قراءة مقال فى الفلسفة او كتاب فى التاريخ قبل النوم •

على كل حال ، فان واحدا من هؤلاء الاقتصاديين النادرين هو الاستاذ ارثر لويس ، الذى كتب ما اعتبره بعضا من افضل ما كتب عن البلاد الفقيرة (المتخلفة) على الاطلاق ، وهو ينتمى الى احدى هذه البلاد وان كان يحمل الجنسية البريطانية ، كما انه واحد ممن يمكن ان تقرأ اى شىء يحمل اسمه وانت مطمئن الى انه سيقول لك شيئا جديدا •

فالفصل الاخير من كتابه (نظرية النمو الاقتصادى) الذى نشر منذ نحو ربع قرن ، يحمل هذا العنوان بالضبط (لماذا تريد التنمية ؟)•ولا يزال هذا الفصل بسبب جودته ، فضلا عن قلة عدد المشتركين فى الجدل ، يعتبره الاقتصاديون اجابة كافية على من قد تسول له نفسه التساؤل عما اذا كان من المجدى حقا السعى الى التنمية أصلا •

يقول الاستاذ لويس فى هذا الفصل ان من العبث الادعاء بان مبرر التنمية انها تجعل الناس اكثر سعادة ، فالسعادة ، كما يعرف الجميع ، تتوقف على اكثر من مجرد زيادة الدخل ، فهنالك مثلا الشعور بالاطمئنان على المستقبل ، وهنالك الحرية ، وهنالك نوع العلاقات الاجتماعية السائدة ، بل وحتى مجرد الرضا بالنصيب ، وكلها قد لا تتغير بزيادة الدخل بل وقد تؤثر فيها زيادة الدخل تأثيرا سلبيا • وانما تستمد التنمية الاقتصادية (او زيادة الدخل) تبريرها فى رأيه من انها تزيد من حرية الاختيار

فهي من حيث انها تؤدى الى انتاج سلع جديدة لم تكن تنتج من قبل ، واصناف جديدة من السلع القديمة ، تتيح للفرد حرية اكبر للاختيار بين عدد اكبر من السلع ،كما انها بما تؤدى اليه من اشباع الحاجات الاساسية،وما ترتبط به من احلال الآلة محل العمل الانساني ،تسمح للفرد باختيار اوسع بين العمل والفراغ ،اذ لايغدو الفرد مضطرا الى العمل، او على الاقل الى العمل نفس العدد الكبير من الساعات • بل ان الفراغ نفسه يحمل فى طياته معنى اتاحة مزيد من الحرية فى اختيار ما يرغب المرء حقيقة فى صنعه • وينطبق هذا على الاخص على المرأة ، التى يحررها مزيد من ميكنة الاعمال المنزلية من الاضطرار الى البقاء داخل المنزل ، فتكون لها حرية الاختيار بين البقاء فيه او العمل خارجه ، بل ان من الممكن القول ان التنمية ،بما تؤدى اليه من تخفيض معدل الوفيات تتيح حرية اكبر للفرد فى ان يختار بين الحياة والموت ، اذ يصبح (الاضطرار الى الموت) اقل شيوعا مع التنمية •

ويحق لنا أن نتساءل هل أصبحنا اكثر حرية ؟ مع ارتفاع معدل النمو وزيادة السلع والخدمات وتعدد اصنافها ، وهو أننا قد اصبحنا اكثر حرية حقا •

فانتاج هذا العدد اللامتناهى من السلع الجديدة لا ينطوى دائما على اضافة الى السلع القديمة ، بل هو فى كثير من الاحوال مجرد احلال لسلع محل اخرى ، فبعض السلع لم تعد تنتج على الاطلاق ، او اصبح انتاجها من الضآلة واثمانها من الارتفاع بحيث اصبحت فى فى عداد « الاثريات » وخرجت عن متناول ايدى الغالبية •

فليس لمعظم الناس اليوم حرية الاختيار مثلا بين تأثيث مساكنهم وفقا للطراز الاوروبى او الامريكى الحديث او الطراز العربى القديم ، او بين بناء مساكنهم طبقا لهذا الطراز او ذاك • وليس امامهم مع الارتفاع الفاحش فى اسعار الاراضى فى المدن حرية الاختيار بين ان يكون لمنازلهم حديقة واسعة او عدد اكبر من الحجرات ، او بين مسكن مستقل وشقة فى عمارة ضخمة • ومع التغير السريع فى الموضات ، ليس فقط فى الملابس بل وفى سلع الاستهلاك المعمرة ، كالسيارات والثلاجات •• الخ كثيرا ما يكون من المستحيل ان يتمسك الفرد باستهلاك الطراز القديم ، مهما كانت مزاياه الذاتية ، ليس فقط بسبب ضغط الرأى العام الخاضع لمصالح المنتجين والذى يعتبر التمسك بالقديم دليلا اما على الرجعية او عدم العصرية او فساد الذوق او قلة الدخل ، بل ايضا بسبب صعوبة العثور على هذا «القديم» اصلا او على قطع الغيار اللازمة له او على من يقبل اصلاحه•

لقد اعطتنا التنمية السيارة ، ولكن السيارة اعطتنا المدن الكبيرة ، كما حتمت المدن الكبيرة اقتناءها ، فلم يعد لساكن المدينة الكبيرة حرية الاختيار بين ان يقطع عشرات الاميال بالسيارة او بالسير على الاقدام •

وهناك من السلع الجديدة ما احدث انقلابا خطيرا فى عادات الناس الاجتماعية بحيث اصبح الامتناع عن استهلاكها يعد ضربا من الشذوذ يحتاج اما الى ارادة حديدية او الى انفصال شبه تام عن المجتمع • ففى نفس الوقت الذى اقتحم فيه التلفزيون مساكننا تغيرت طريقة الناس فى قضاء اوقات الفراغ بحيث اصبح حديث الزوج الى زوجته او الى اولاده من الاحداث النادرة ، اذ من اين للاب نفس الاغراء الذى يجده اطفاله فى الرسوم المتحركة الملونة ؟ قد يقال ان هذا التحول من العلاقات الانسانية المباشرة الى الاتصال بالعالم ، كل على انفراد ، عن طريق شاشة التليفزيون ، قد تم عن طريق اختيار حر اتخذه الناس بانفسهم ، والا فما كان عليهم الا ان يستمروا فى ممارسة عاداتهم القديمة ، فيتحادثون اذا شاءوا او يذهبون الى المسرح او يطالعون الكتب • ولكن الواقع انهذا الاختيار لم يكن حرا • فالتلفزيون وكثير غيرممن السلع الاستهلاكية الجديدة ، تتميز بأناستهلاكها سرعان ما يولد ما يشبه الادمان ، بحيث يصبح من اصعب الامور التخلى عنها حتى مع التيقن من ضررها • فكما ان البدء فى مشاهدة فيلممن الافلام البوليسية قد يجرك دون ان تشعر الى مشاهدته حتى [illegible]اية شاعرا مع ذلك بالاسف على ضياع الوقت فيما لا نفع فيه ، فان الجلوس امام التلفزيون او ركوب السيارة او حتىمطالعة الجريدة اليومية سرعان ما يتحول كفنجانالقهوة فى الصباح ، الى عادة يصعب التخلص منها •

وقد اصبح المنتجون وحلفاؤهم في صناعة الاعلان ، يتفننون في ابتداع الوسائل التي من شانها ان تحول حرية المستهلك في الاختيار بين سلع متعددة الى علاقة ارغام من ناحية وخضوع من ناحية اخرى ، ليس من السهل الفكاك منها . (ومع هذا لا يزال الاقتصاديون يتكلمون عن « سيادة المستهلك ») فالرجل لا تكتمل رجولته الا اذا ارتدى ثيابا من نوع معين ، والعطش لايرويه الا الكوكا كولا ، والسيجارة لا يمكن اشعالها الا بولاعة ، والنوم لا يمكن الحصول عليه الا بالحبوب المهدئة ، والاعياد لا تتم بهجتها الا ببطاقات التهنئة وتبادل الهدايا باهظة القيمة وقليلة النفع .

حاجات محدودة وموارد لا تنفد !

لقد مر بنا عصر كنا نفهم العملية الاقتصادية فيه على انها عملية استخدام موارد محدودة في اشباع حاجات غير محدودة ، وان الهدف النهائي من العملية الانتاجية هو « الاشباع » او « خلق الشعور بالرضا » . ولا يزال اساتذة الاقتصاد يعرفون علم الاقتصاد على هذا النحو . ولكن الامر الان قد انقلب راسا على عقب ، واذا بالمشكلة التي تواجه المنتجين اصبحت هي ان الحاجات تبدو وكانها للاسف « محدودة » والموارد وكانها هي التي لا تنفد . واذا بالعملية الانتاجية تتحول الى محاولة خلق شعور مستمر بعدم الاشباع وعدم الرضا . انهم يقولون لنا ان التنمية الاقتصادية (او زيادة الانتاج) تستهدف اشباع الحاجات ولكن العكس ، فيما يبدو هو الان الاقرب الى الحقيقة ، فالذي يحدث اليوم ليس الا محاولة تعميق شعور الناس بالاحتياج في سبيل التنمية الاقتصادية .

وهناك سبب اخر لفقدان الحرية الحقيقية في الاختيار ، على الرغم من زيادة عدد السلع والخدمات المعروضة علينا ، يرجع الى الطبيعة الخاصة للحضارة الصناعية الحديثة . فهذه الحضارة تقوم على الالة ، والانتاج الكبير والوحدات الانتاجية الضخمة . وقد ادى هذا الى ازدياد درجة التماثل بين وحدات السلع المعروضة ، وانتشار نمط واحد من انماط الاستهلاك . ليس في الدولة الواحدة فحسب ، بل وبين الدول . فالمنتج الكبير قد التهم الصغير وقضى عليه ، وطريقة الانتاج الاقل نفقة قضت على كل طرق الانتاج الاخرى ، فاذا بالاصناف المتعددة من السلعة الواحدة تخفي وراءها في الحقيقة صنفا واحدا لا يختلف عن غيره الا في الاسم او في لون الورقة المغلف بها ، واذا بالفوارق تزول بين مدينة واخرى ، مهما تعددت القارات . فاذا كانت التنمية قد اتاحت لنا حقا التنقل بين عاصمة واخرى بسهولة وسرعة اكبر ، ووسعت دائرة الاختيار امامنا بين المدن التي يمكن ان نقضي فيها عطلاتنا ، فانها قد قضت في نفس الوقت على مظاهر التفرد والاختلاف بين المدن ، ففي الوقت الذي اعطتنا فيه حرية الاختيار افقدت هذه الحرية معظم قيمتها . صحيح ان لون السماء لايزال مختلفا في قارة عنه في اخرى ، ولكن الفنادق المتماثلة والمساكن الضخمة قد حجبت عنا رؤية السماء اصلا .

قد يقال ان العيب ليس في التنمية ، ولا في نمط الحضارة الحديثة بل في الانفجار الرهيب في السكان . اذ كيف يمكن ان تلبى حاجات هذه الاعداد الغفيرة من الناس الا عن طريق الامعان في التصنيع وفي الميكنة ، واذا كان للتصنيع وللميكنة ثمنهما الذي يتمثل في تفكك الروابط العائلية ، ومزيد من الفردية ، ومزيد من التماثل ، ومزيد من الملل ، فهو ثمن يتعين علينا دفعه راضين من اجل ان نضمن وصول السلع الضرورية الى عدد اكبر من السكان . ولكن الرد على هذا يسير . فمن المستحيل ان يقبل المرء ان اشباع الحاجات الحقيقية للناس يتطلب انتاج هذا العدد الهائل من السلع عديمة القيمة ، وان انتاج الكميات اللازمة من السلع الضرورية يتطلب حقا هذه الدرجة من التركيز في الانتاج في مصانع ومدن محدودة العدد ، وهذه الدرجة من التماثل والتشابه بين السلع ، كما ان من المستحيل ان يقبل المرء ان الطريقة الوحيدة لاتاحة رؤية بلاد جديدة لعدد اكبر من الناس هو ان يحشروا في طائرات تقدم نفس الطعام ويردد فيها قائد الطائرة نفس عبارات الترحيب المحفوظة وترتسم فيها على وجوه المضيفات نفس الابتسامات المصطنعة التي لا يكمن وراءها الا شعور دفين بتفاهة ما يقمن به . ■■

جلال احمد أمين



الشك المنهجى عند الجاحظ

بقلم : الدكتور محمد عمارة

■ كاد الباحثون ان يجمعوا على ان الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ـ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ ٧٨٠ ـ ٨٦٩) هو كبير أئمة الادب فى تراثنا العربى ، على عهد ازدهاره وتالقه ، فله فى هذا الميدان آثار لا زالت تعطى عطاء سخيا حتى الان ٠٠

وشهرة الجاحظ هذه ، فى ميدان الادب ، افادت واضرت فى ذات الوقت ، فهى قد ضمنت البقاء وجلبت العناية من المحققين والدارسين لاغلب آثاره الفكرية ، فى بيئة استمرت عنايتها بالادب ، حتى بعد غروب شمس الازدهار الحضارى، اكثر من عنايتها بالدراسات العقلية والفلسفية والعلمية ، وضاعف هذه الفائدة أن الجاحظ لم يكن فى آثاره هذه مجرد اديب ، بل كان فيلسوفا ، وأيضا عالما ، أودع الكثير من آرائه الفلسفية والفكرية وثمرات اهتماماته العلمية ثنايا هذه الاثار التى غلب عليها طابع الادب والادباء ٠٠ فضمن الطابع الادبى لهذه الاثار بقاء ، بل خلودا ، لتلك الاراء الفلسفية والنظرات العلمية التى تضمنتها على حين بادت او ابيدت ـ او على اقل اهملت ـ نظائرها التى اودعها الاخرون تاليف خاصة بها ، خصوصا اذا كان هؤلاء المفكرون من ائمة المعتزلة ، التى كان الجاحظ واحدا من اعلامها المبرزين ٠٠ فنحن لا نجد من بين ائمة المعتزلة ـ على غزارة انتاج العديد من هؤلاء الائمة ـ من حفظ التاريخ لنا تراثه الفكرى كما نجد ذلك لدى الجاحظ ٠٠

اما الجانب السلبى الذى لحق حياتنا الفكرية من ذلك الطابع الادبى الذى ابتعد بآثار الجاحظ عن الميادين غير الادبية فى الدراسة والاهتمامات، فيتمثل فى قصور المعلومات وقلة الدراسات التى جدت وذاعت عن الجاحظ فيلسوفا ، وعن نظراته فى مجالات التجربة والعلوم ٠٠ وهى حقول وميادين ترك الجاحظ فيها آثارا تستحق العديد من الدراسات المتخصصة من الباحثين المتخصصين ، وتنتظرها دوائر الفكر والثقافة كى تكتمل لهذا المفكر العملاق قسماته وملامحه الفكرية فى ذهن المثقف العربى الذى منحه الحب والاعجاب فى ميدان الادب منذ ان تعرف على آثاره مع بداية نهضتنا فى العصر الحديث ٠

الجاحظ الفيلسوف

ومكان الجاحظ من تراثنا الفلسفى مكان متميز،

بل وعزيز . ففلسفته لم تكن فقط ثمرة من ثمار حركة الترجمة التي تمت فنقلت تراث اليونان الفلسفي الى العربية ، وان كان الرجل قداستوعب وافاد من ذلك التراث ، ولكن مكانه الحقيقي كان بين « المتكلمين المسلمين » الذين تجلى في تراثهم ابداع الامة العربية المسلمة في هذا الميدان ، وبرزت في فنهم هذا خصائص العرب المسلمين ، عندما جعلوا برهان العقل اداتهم الاولى في النظر والبحث ، دون ان ينفصلوا عن واقعهم المميز بالايمان بعقائد دين التوحيد ، فقدموا بناء فكريا فلسفيا متوازنا لامة وسط ، تهتدي بالكتاب وبالعقل وتعرض المنقول على المعقول ، وتوفق بين ظواهر النص وبرهان العقل عن طريق التاويل ، حتى لقد تدينت لديها الفلسفة وتفلسف عندها الدين !

ولم يكن مكان الجاحظ الفيلسوف بين «المتكلمين المسلمين» فحسب ، بل كان علما من اعلام المدرسة التي ابدعت في تراثنا علم الكلام ٠٠ مدرسة المعتزلة ، اولئك الذين بدا نهجهم الفلسفي المتامل في الظهور حتى قبل ان تترجم الى العربية فلسفة اليونان ٠٠ ففي منتصف القرن الهجري الاول ظهر هذا المنهج التاملي الفلسفي في البحث وتبلور له تيار فكري ، وعنه سال الناس الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠ق٠هـ ـ ٧٣هـ) فقالوا « انه قد ظهر قبلنا ناس يقراون القرآن ، ويتقفرون العلم (١) » أي يطلبونه ، ويتتبعونه ، ويجمعونه ، ويبحثون عن غامضه ، ويستخرجون خفيه !!

ولم يكن هذا المنهج الفلسفي في البحث ، الذي يغوص اصحابه تحت ظواهر النصوص تقليدا للاخرين او نقلا عنهم ـ ولو كان كذلك لما عاب اصحابه ـ لكنه كان الامتداد لوصية نبوية شريفة دعت العلماء الى الغوص وراء معاني القرآن بقلب ظواهره والثورة على الاكتفاء بما توحيه بعض هذه الظواهر ، فقالت هذه الوصية « أثيروا القرآن ، فان فيه خبر الاولين والاخرين» و « من اراد العلم فليثوّر القرآن ٠٠ » (٢)

ومن هنا كان مقام العقل عند الجاحظ عاليا ، لانه الحكم والحاكم عندما تتعارض سبل الاستدلال ومناهجه ٠٠ فعنده ان العقل هو « وكيل الله » عند الانسان ، جعل اليه ازمة اموره ، وقيادة نشاطاته وعمل الانسان ، حتى يبلغ تماله ، ان يدعم عقله الغريزي المكتسب (٣) ٠٠

واذا كان العقل هو « وكيل الله لدى الانسان » واليه زمام الامر في شئونه ، واذا كان القرآن وكيل الله كذلك ، فالتناقض بينهما مستحيل ـ وهو التناقض الذي اخذ عند قوم صورة صراع بين العلم والدين ، وعند آخرين صورة صراع بين الحكمة ـ (الفلسفة) والشريعة ـ غاية الامر ان القرآن يحتاج الى مستويات في فهمه ووعي مراميه، فمن الناس من لا يستطيع تجاوز ما توحيه ظواهر الايات ، على حين ان منهم الراسخون في العلم واهل العقل والبرهان ، وهم الذين يميزون بين « المحكم » و « المتشابه » ، فيعرضون الثاني على الاول ، ويغوصون الى ابعد من ظواهر الايات ، ويعرضون ما يهتدون اليه من معان واسرار على برهان العقل حتى توافق معطياته ، وذلك حتى لا تتعارض الثمار التي يجنيها الانسان من « وكيلين » خلقهما خالق واحد لهداية خليفته ـ الانسان ـ ورشاده في كل الامور ٠

ومن هنا وجدنا العقل دليلا رابعا عند اصحاب هذه المدرسة العقلية مع الادلة الثلاثة التي وقف عندها واكتفى بها سواها من مدارس التفكير في تراثنا ـ (الكتاب ، والسنة والاجماع) ـ بل وجدناه يتقدم هذه الادلة الثلاثة في الترتيب لضرورة عرض المرويات والنتائج على براهينه ومعطياته ٠٠ فهم يقولون : ان « الادلة : اولها: دلالة العقل ، لان به يميز بين الحسن والقبيح ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع ٠ وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن ان الادلة هي : الكتاب ، والسنة والاجماع،

---

(١) (صحيح مسلم) بشرح النووي ٠ جـ١ ص١٥٥ ، ١٥٦ طبعة القاهرة (على نفقة محمود توفيق) بدون تاريخ

(٢) (لسان العرب) لابن منظور ٠٠ مادة ثورة » والمعنى الانقلاب والتغيير ٠٠

(٣) (رسائل الجاحظ) جـ١ ص٩٢، ٩٦ . تحقيق عبد السلام هارون ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤

فقط • او يقل:ان العقل اذا كان يدل على امور فهو مؤخر • وليس الامر كذلك ، لان الله تعالى لم يخاطب الا اهل العقل ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة وكذلك السنة والاجماع • فهو الاصل فى هذا الباب ••• فمتى عرفنا بالعقل ، الها منفـــردا بالالهية ، وعرفنا حكيما ، نعلم فى كتـــابه انه دلالة • ومتى عرفناه مرسلا للرسول •• علمنا ان قول الرسول حجة•واذا قال صلى الله عليه وسلم: (لا تجتمع امتى على خطأ ، وعليكم بالجماعة)، علمنا ان الاجماع حجة •• » (٤)

الجاحظ والمنهج التجريبى

فى آثار الجاحظ ، وخاصة كتابه (الحيوان) ، تراث علمى • يعرض لاطراف من مباحث العلوم وتجاربها وحقائقها ، ويقارن خلاله بين الآراء ، وينتقد قصور اليونان فى ميدان التجريب ••ومن خلال كل ذلك يستطيع الباحث المتخصص ـ الذى لا نزال فى انتظاره ـ ان يمسك ببدايات الخيوط التى تقوده الى مجموعة الحقائق المؤكدة للمقولة التى نؤمن بها ، مع نفر من الباحثين الجادين ، والتى تقول : ان حضارتنا قد ابدعت فى المنهج العلمى التجريبى مالم يبدعه اليونان •• فلقد وقفوا ـ غالبا ـ عند القياس ، بينما قاد الاهتمام بالتجريب ، عند العرب ، الى الاستقراء ، فكان القياس مرحلة تالية للاستقراء ، وظيفتها التحقق من صدق الحقيقة المستخلصةمن المشاهدة والتجربة والاستقراء،صدقها على الاشباه والنظائر ،بواسطة تجريب جديد ••

ولقد دعا العرب الى هذا الابداع ثراء الميادين العلمية التى عملوا بها وابدعوها ، وتنوعها ، وايضا اعلاؤهم لمقام العمل ، الامر الذى افضى الى ثقتهم فى الادلة والحقائق المستخلصة من العلم الطبيعى وحقـائق الطبيعة ، او ـ بتعبيرهـم ـ « حقوق الطبائع » •

ولم تدعهم هذه الثقة فى « حقوق الطبائع » الى رفض الدين او التخلى عـن المنقول ، بـل اجتهدوا ـ انطلاقا من الموقف المتوازن الذىيوازن بين مايبدو للبعض متناقضات لا سبيل للجمع بينها ـ اجتهدوا للتوفيق بين مصادر المعرفة هذه ، وتحديد مجالات كل منها ، ونجحوا ـ رغم الصعوبة ـ الى حد كبير ، دون ان يقودهم هذا التوفيق الىنطاق التلفيق !

فبعد نجاحهم فى بناء علم الكلام تأسست فيه العقيدة الدينية على اسس فلسفية ، وهوالنجاح الذى وصفه « الفريد جيوم » بقوله : ان « قوة الحركة الاعتزاليةمردها جهود اولئك الذينحاولوا اقصى ما فى طوقهم اقامة علم الكلام الاسلامى على اسس ثابتة من الفلسفة ، مصرين فى الوقت نفسه على ان تكون تلك الاسس منطقية ، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التى يجب ان تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية (٥) » •

بعد هذا النجاح ـأو من خلاله ـ طرقوا مباحثهم الطبيعية فناقشوا المادة ،قدمها وحدوثها ومعنى كل منها••وانتهوا الى القول بقدمها عندما قالوا بقدم العالم،ورفضوا مذهب الذاهبين الىالخلق منالعدم، لأن العدم عندهم هو « شىء » ! •• وكمـا ان الجوهر قديم ، فهو ايضا باق لا ينعدم ! ثم اخذوا يوفقون بين حقائق هذه المباحث الطبيعية وثمراتها وبين حقائق الفكر الدينى الجوهرية والاولية •• ورأينا الجاحظ يؤكد على ضرورة هذا التوفيق ، وامكانيته ، رغم صعوباته ، فيقول : « •• وليس يكون المتكلم جامعـا لاقطار الكلام ، متمكنا مـن الصناعة ، يصلح للرئاسة ، حتى يكون الـذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة • والعالم عندنا هو الذى يجمعهما والمصيب هو الذى يجمع تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقها من الاعمال • ومن زعم انالتوحيد لا يصلح الا بابطال حقائق الطبائع ،فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد ، وكذلك اذا زعم ان الطبائع لا تصح اذا قرنها بالتوحيد ، ومن قال

---

(٤) (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) للقاضىعبد الجبار بن احمد ـ ص ١٢٧ تحقيق فؤاد سيد طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م •

(٥) الفلسفة وعلم الكلام ـ ترجمة جرجيس فتحالله ص ٣٧٩ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ (ضمن كتاب عنوانه / تراث الاسلام) •

هذا فقد حمل عجزه على الكلام في الطبائع . وانما يياس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقوق الطبائع ، لان في رفع اعمالها رفع اعيانها ، واذا كانت الاعيان هي الدالة على الله ، فرفعت الدليل ، فقد ابطلت المدلول عليه! . ولعمري ان في الجمع بينهما لبعض الشدة ؟! .. وانا اعوذ بالله تعالى ان اكون كلما غمز قناتي باب من الكلام صعب المدخل ، نقضت ركنا من اركان مقالتي ! ومن كان كذلك لم ينتفع به ! » (٦) .

هذا هو المنهج ، والمنطلق .. ومن المؤكد ان في تطبيقاته الخيوط التي تبدأ منها قصة التراث العلمي مع المنهج التجريبي قبل ان يشتهر به روجر بيكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٤) بقرون طوال !

الجاحظ ومنهج الشك

لقد كان لمنهج « الشك المنهجي » الذي بلور نظريته « ديكارت » (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م)آثاره الكبرى في نهضة اوروبا ، وفي العطاء الذي استفاده العالم منها على اختلاف قاراته وتنوع حضاراته .. تلك حقيقة لا شك فيها ! »

لكن .. الا يحق لنا أن ندعو الى دراسة تراثنا نحن في « الشك المنهجي » او منهج الشك بغية التحقق من مكان تراثنا هذا في موكب تطور الفكر الانساني في هذا المجال .. لقد اشرنا الى سبق الجاحظ ، ومدرسته الفكرية ، الى توجيه النظر الى الطبيعة ، وتاكيد الثقة في حقائقها وبراهينها ، قبل « بيكون » بقرون ..فلم لا نتصفح ما في تراثنا وفي آثار الجاحظ ، من كتابات عرضت لمنهج الشك على نحو يستحق الجلاء ويدعو الى الاعجاب ؟ ! ..

لقد نبه باحثون اجلاء الى دور الامام الغزالي (١٠٥٩ ـ ١١١١ م) (٧) في هذا الميدان ، فكتابه « المنقذ من الضلال » هو ترجمة ذاتية رائعة لمفكر وقع فريسة للشك ، ثم تنقل عبر العلوم وطرق الاستدلال بحثا عن اليقين حتى وجد في طريق الصوفية سبيله الى اليقين . فهو معلم من معالم تراث الانسانية في اتخاذ الشك سبيلا لليقين ..

ولكن شك الغزالي ، وكتابه الذي عرض فيه تجربته ، كان قضية خاصة ومشكلة ذاتية ، ولم يكن منهجا دعا اليه الاخرين ، شان المناهج العلمية التي يهندسها العلماء فيقدمونها للناس .. كما ان النهاية التي اثلجت صدر الغزالي باليقين ، وهي ذوق الصوفية وكشفهم ، لا تجعل «شكه » هذا « الشك المنهجي » الذي يستخدمه العلماء في البحث بميادين الفلسفة والعلوم ، لان « الشك المنهجي» الذي تعارف عليه العلماء والفلاسفة قلما يقود الى مثل تلك النهايات .. واخيرا ، فان الغزالي نفسه قد عاد وتمنى على الله ان يهبه ايمانا ويقينا كايمان العجائز ويقينهم !، ولم يكن ، بالتالي، صاحب منهج في الشك يدعو الى اعتماده سبيلا في تحصيل اليقين .. فعلينا ، اذن ، ان نبحث في تراثنا عن البدايات الحقيقية لبزوغ شمس هذا المنهج العلمي في فكر الانسان.

وانه لطبيعي ان نولي وجهنا شطر تراثنا العقلاني في بحث كهذا ، لان مثل هذا المنهج العلمي اليق به ان يكون ثمرة من ثمار اولئك الذين اعلوا من شان العقل فنزعوا القداسة عن الانطباعات الاولية والملاحظات غير المؤكدة ، فضلا عن المأثورات .. والجاحظ واحد من اعلام هذا التيار في تراثنا وحضارتنا ..

فهو يدعونا الى التبصر عند النظر، فاذا عرضت لنا قضية يراد لنا أن نحكم فيها فلا بد من « التثبت » واذا كنا امام « شبهة » فلا بد من « التوقف » .. ثم يقدم لنا منهجا يرفض الاجابة بـ « لا » او بـ « نعم » فقط ، لان للحقائق زوايا وقسمات ، تستدعي الاجابة العلمية عن مسائلها الربط بين هذه الزوايا والقسمات ، فلربما كانت الاجابة في بعض نواحيها بـ « نعم » وفي بعضها الآخر بـ « لا » !

وهو يعرض لهذا الموقف المنهجي باعتباره منهجه

---

(٦) الحيوان جـ٢ ص١٣٤ ، ١٣٥ . تحقيق عبدالسلام هارون ، طبعة القاهرة الثانية .

(٧) د . ابراهيم مدكور (في الفلسفة الاسلامية)ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .

فى كتابه (الحيــوان) ، فهو يرفض التمذهب الذى جعل الناس فرقا وشيعا اراحت عقــول المتمذهبين من عناء النظر فى كل معضلة وقضيــة ومسالة عندما « ترك الجمهور الاكبر والســواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانبا » واضربوا عنه صفحا ، فليس الا : لا ، او: نعم ٠ الا ان قولهم : «لا» موصول منهم بالغضب، وقولهم « نعم » موصول منهم بالرضا ! ٠٠ وينبه الجاحظ على أن هذا المسلك المعيب قد حرم الناس من استخدام نعمة « الحرية » فلم يكتشــفوا ، بواسطتها ، الحلال من الحــرام ، ولا الحسن من القبيح ! اذ قد « عزلت الحرية جانبا » ـ كمـا يقول ـ بمسلكهم هذا (٨) ! ٠٠

ونحن لا نزعم أن الجاحظ هو رائد اسـتخدام الشك سبيلا الى اليقين ٠٠ ففى قصص القرآن الكريم يعلمنا الله سبحانه ان ابراهيم الخليــل قال لربه : (ارنى كيف تحيى الموتى) فاجابه : (او لم تؤمن ؟) قال : (بلى ، ولـكن ليطمئن قلبى) (٩) ٠٠ وفى الهدى النبوى نطـالع خير الصحابى الذىحدث الرسول الكريم ،علىاستحياء، بما طرق بقلبه منشكوك فساله الرسول: اوجدتها؟! ذلك محض الايمان ٠٠ اى حقيقة اليقين ! ٠٠

ولكن الذى نزعمه ان الجاحـظ قد ارتاد ، او كان من بين الرواد ، الذين دعوا الىاتخاذ الشك طريقا لليقين ، اذ فرق بين أن يعرض لك شك فى امر ، فتبحث حتى تصل عن طريق هذا الشك الى اليقين ، وبين أن تقف امام الامور ، عمدا وبمنهج ذى قواعد ، موقف الشاك الذى يرفض التســليم واليقين والراحة الايمانية ، الا بعد اختبار هــذه الامور والتحقق من مقدماتها ببرهان العقلووسائل النظر والتدبر ٠٠ فهذا هو الشــك المنهجى ، او الشك كمنهج وهو مارتاد الجاحظ دربــه قبل « ديكارت » بقرون ٠٠

فالجاحظ يدعو الى الشــك ٠٠ والى معرفـة مواطنه ومواضعه ، والى اكتشاف اسبابه ٠٠ بل ويدعو الى تعلم هذه الامور ، اى تعلم الشك ، باعتباره علما يقصد الى تعلمه العلماء ! فيطلب ذلك من قارئه قائلا :« ٠٠٠ فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له ، لتعرف بها مواضع اليقين ، والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك فى المشكوك فيه تعلما ٠فلو لم يكن فى ذلك الا تعرف التوقف، ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج اليه (١٠)»٠

ثم يحدثنـا عن أن العلمــاء والمفــكرين ـ (الخاصة) ـ لهم حيال الحقائق والمســائل حالات ثلاث : التكذيب والرفض ، او التصديق ، او الشك ، وهو درجات وطبقات ٠٠ بينما العامة والجهلاء لا يعرفون الا : التكذيب ، او التصديق، لانهم مقلدون ،لا يستخدمون ملكاتهم العقلية كما ينبغى للانسان الراقى ان يستخدمها ،فدائما الشك المنهجى علامة مميزة لعقلانية الانسان العاقل ٠٠ يقول : « والعوام اقل شكوكا من الخواص ، لانهم لا يتوقفون فى التصديق والتكذيب ، ولا يرتابون بانفسهم ، فليس عندهم الا الاقدام على التصديق المجرد ، او على التكذيب المجرد ، والغوا الحالة الثالثة من حال الشك ، التى تشتمل على طبقات الشك ، وذلك على قدر سوء الظن وحسن الظن باسباب ذلك ، وعلى قدر الاغلب (١١) ٠٠٠ »

كما ينبهنا الجاحظ على انه ، فى هذا الموقف، ليس وحيدا ، فمدرسة المعتزلة ، فرسان العقلانية العربية الاسلامية ، يتبنون ، بوجــه عام ، هذا المنهج الذى يدعو اليه ٠٠ فابو اسحاق النظــام (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م) استاذ الجاحظ له تجارب فى الجدل مـع الملحدين جعلته يفضل اهـل الشـك على الجاحدين ، فيقول : « نازعت من الملحديــن الشاك والجاحد ، فوجدت الشكاك ابصر بجوهر الكلام من اصحاب الجحود ٠٠ » الامر الذى جعله يقطع بحتميــة سبق الشك لليقين ، وبعبارتــه : « ٠٠ ولم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل احد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك (١٢) »

بل لا ينسى الجاحظ أن يحكى لنا فخر العلماء

---

(٨) الحيوان ـ جـ ٧ ص ٨ ٠

(٩) البقرة : ٢٦٠

(١٠) الحيوان : جـ ٦ ـ ص ٣٥

(١١) المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٦ ، ٣٧

(١٢) المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٥ ، ٣٦

بالشك .. فعندما « قال ابن الجهم للمكي : انا لا اكاد اشك ! قال المكي : وانا لا اكاد اوقن ! ففخر عليه المكي بالشك في مواضع الشك ، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين (١٣) !»

وهذا الموقف الذي قرر به المعتزلة ـ والجاحظ من ائمتهم ـ الشك المنهجي يبلغ القمة عند امامهم ابي هاشم الجبائي (٨٦١ ـ ٩٣٣م) فابوه ابو علي الجبائي (٨٤٩ ـ ٩١٦م) ـ وهو من ائمة المعتزلة ايضا ـ يرى ان الواجب الاول على الانسان هو : النظر ،بما في هذا النظر من يقين اوشك أن يقود الى اليقين .. اما ابو هاشم فيرى ان الشك هو الواجب الاول على الانسان (١٤) !!

في التطبيق

واذا استطاعت هذه الاشـــارات ان تكفي في تقرير هذه الحقيقة، حقيقة ريادة تيارنا العقلاني، والجاحظ من اعلامه ، للشك المنهجي ، فان الامل معقود على الدراسات المتخصصة التي تجلو لنا كيف طبق واستخدم هؤلاء الاعلام هذا المنهج في فروع البحث العديدة التي طرقوا ميادينها ...

ونحن هنا نشير في ختام هذه الصفحات الى ثمرة من ثمرات هذا المنهج برزت في تاليف الجاحظ التي خصصها للعلوم الانسانية .. فهذا المنهج يربي صاحبه على احترام الحقيقة، ومن ثم العناية بوجهات النظر المختلفة والمتعددة، بل والمتعارضة والمتناقضة .. ومن ثم رأينا الجاحظ ، وهو يعرض لجدل الفرق الاسلامية حول قضاياها الخلافية ، اذا عرض لاراء خصومه يسوق في تاليفه كل حجج هؤلاء الخصوم ، بل ويدعم هذه الحجج باكثر مما يستطيع اصحابها، حتى ليضيف الى حججهم حججا لم تخطر لهم على بال ، ثم يشرع في التفنيد .. ويعد ذلك منهجا واجب الاتباع ، وينبه عليه فيقول : « .. واعلم ان واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلا ، ولاهل النظر مالفا حتى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذي يبلغ لنفسه ، حتى لولم يقرأ القارئ، من كتابه الا مقالة خصمه لخيل اليه انه الـذي اختاره لنفسه ، واختاره لدينه (١٥) ! ... وليس يكون الكتاب تاما ، ولحاجة الناس اليه جامعا ، حتى تحتج لكل قول بما لا يصاب عند صاحبه ، ولا يبلغه اهله، وحتى لاترضى بكشف قناع الباطل دون تجريده ، ولا بتوهينه دون ابطاله (١٦) !..»

بل ولقد وضع الجاحظ منهجه هذا ، في احترام الحقيقة وايراد مختلف الحجج وجميع وجهات النظر وضع منهجه هذا في التطبيق على نحو طريف وفريد، ففي السياسة ، وحول مشكلة « الامامة » الف كتابا ينتصر فيه لرأي الفرقة « العباسية » التي ترى ان آل العباس احق بالامامة .. وكتابا ينتصر فيه لفرقة «المروانية» الاموية وثالثا لفرقة «العثمانية» .. واثبت بذلك ان الجدل والسفسطة تستطيع الاحتجاج للباطل من الاراء ، بينما الحق واحد ، وهو مع منهج المعتزلة العقلاني المنتصر للشورى والبيعة والاختيار سبيلا لتنصيب الامام ..

لقد كان الجاحظ مفكرا موسوعيا ، وفي ذات الوقت صاحب مذهب ومبدع فكر ، فهو فيلسوف وعالم وصاحب منهج ، طرق بمنهجه وفكره حقولا عديدة في الفكر الذي اهتم به خاصة عصره وطليعة مفكريـه ، فلم يكن موسوعيا بمعنى الوقوف عند الاطـلاع على مختلف الفنون والتصنيف فيها .. ولافيلسوفا وعـالـما اقتصرت جهوده على ميدان تخصصه الضيق..بل كان عملاقا ، واسع الاطلاع، متنوع الانتاج ، صاحب نظر ومنهج جعل انتاجه ابداعا واضافات الى الفكـر الانساني العظيم .

■■

القاهرة ـ محمد عمارة

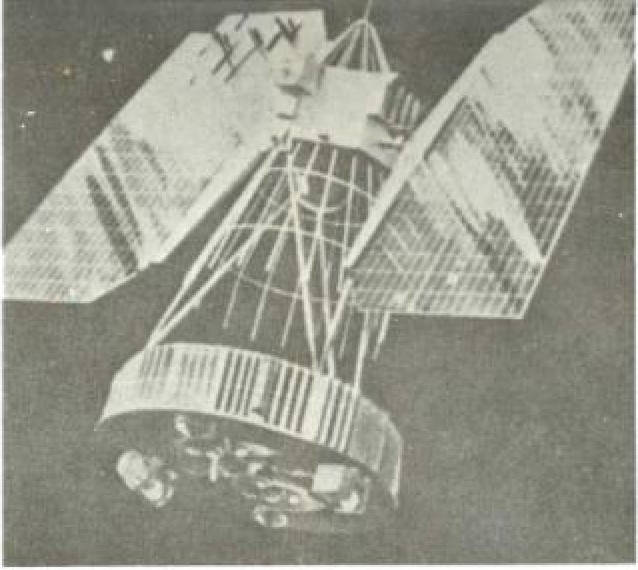
---

(١٣) المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٥

(١٤) د . علي فهمي خشيم (الجبائيان : ابوعلي وابو هاشم) ص ٢٢٣ طبعة طرابلس/ليبيا سنة ١٩٦٨م .

(١٥) (العثمانية) ص ٢٨٠ تحقيق عبدالسلام هارون . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م .

(١٦) (رسائل الجاحظ) جـ ١ ص ٣١٤ .



القمر الصناعي نيمبوس

حتى تعود الثقة الى « النشرةالجوية » :

حتى تعود الثقة إلى النشرة الجوية

الأقمار الصناعية

تحل مشكلة التنبؤ بالطقس

بقلم : المهندس سعد شعبان

دخلت الاقمار الصناعية الميدان ،واصبح ممكنا التنبؤ بالطقس حتى أسبوع مقبل !

لكن انجازات العلم لا تتوقف ٠رغم الجدل الذى ثار فى الماضى بين البعض حول التنبؤ بالجو ٠ قال فريق من رجال الدين بتحريمه بزعم انه من قبيل التنبؤ بالغيب ، وغفل هؤلاء عن كون الطقس المقبل على جهة ما فى الكرة الارضية بعد ساعات ، ليس اكثر من طقس موجود فعلا ولكن فى مكان آخر ٠ وغفلوا أكثر من ذلك عن اكتشاف الحقائق العلمية بمشاهدة الدلائل والقرائن التى تدل عليها ٠

■ وما زالت النشرات الجوية فى كثير من الدول الى يومنا هذا مثارا للسخرية والتفكه لمجانبتها الدقة فى بعض الاحوال ٠ اذ كثيرا ما يحل طقس مخالف لما يقول به المتنبئون الجويون ٠ ولذلك يعمد هؤلاء الى اصدار النشرات الجوية عن مدد قصيرة قد لا

تمتد أكثر من عدة ساعات مقبلة • كما يعمدون أيضا الى استخدام عبارات مطاطة ليس فيها صفة الجزم او القطع بما سيكون عليه حال الجو بحيث يقبل الامر التاويل والاحتمالات • كمثل قولهم « ينتظر سقوط امطار في أماكن متفرقة » أو قولهم « يحتمل هبوب رياح متوسطة على المناطق الساحلية ••• » •

غير أنه في عصر الفضاء ، أصبح التنبؤ الجوى ميسورا بدقة بالغة بواسطة الاقمار الصناعية وأصبح ممكنا معرفة الطقس الى عدة أيام مقبلة•

الوسائل التقليدية الى زوال

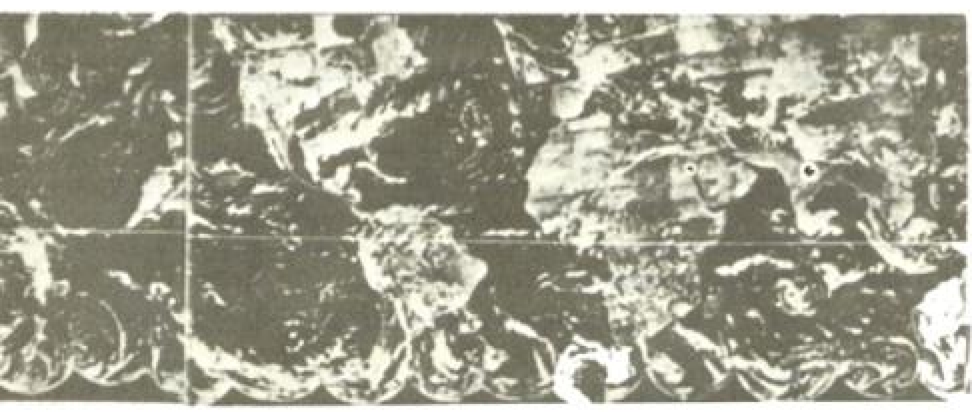
وقبل اطلاق الاقمار الصناعية كانت الوسائل التقليدية للتنبؤ المسبق بالطقس تقتضي اقامة عديد من محطات الرصد الجوى فوق كل منطقة سواء كانت صحراوية أو وسط الغابات او على الجزر في المحيطات او فوق شعاب الجبال او في صقيع المناطق القطبية المتجمدة • وذلك لرصد العناصر الجوية اللازمة سواء الضغط الجوى أو درجات الحرارة العظمى والدنيا ونسبة الرطوبة واتجاهات وسرعات الرياح وأنواع السحب وارتفاعها •

وكم شاهدنا من أجهزة الرصد الجوى مايحويه « كشك » خشبي أو مبنى صغير ويقوم بقراءتها متخصص يستخدم معدات غاية في البساطة •ومن مجموع ما تضبه محطات الرصد الجوى المختلفة التي يجب أن تعد بالمئات في دولة متوسطة الرقعة ، يمكن تجميع ما يساعد المتنبئين الجويين على تجهيز نشرة جوية لست ساعات مقبلة بمستوى معقول من الدقة او للاربع وعشرين ساعة القادمة بشيء يحتمل كثيرا من التغيرات • لكن من الواضح أن مجموع ما يجمع من بيانات من محطات الرصد الجوي يستلزم نظاما للاتصالات لكي تصب هذه البيانات في محطة تحليل رئيسية ، حتى يتمكن المتنبئون الجويون من توقيع خرائط للطقس • وعادة يلجأ هؤلاء الى رسم خطوط انسيابية تصل بين الاماكن المتفرقة التي يتساوى عندها الضغط ، ويسمونها خطوط تساوى الضغط ، Isobaric Lines • وبذلك يمكن أن تظهر على خرائط الطقس أماكن المرتفعات الجوية والمنخفضات الجوية وأماكن تحرك الجبهات الجوية الباردة والساخنة التي يصاحب كل منها طقس مميز •

ويعتمد المتخصصون في الطبيعة الجوية على تفسير الظواهر الجوية بمراقبة حركة كتل الهواء فالهواء البارد يدفع أمامه الهواء الساخن ، من أماكن الضغط المرتفع الى أماكن الضغط المنخفض، ومن ثم يمكن معرفة اتجاهات الرياح وقياس شدتها •

ومعنى ذلك انه لكي ترسم خريطة تنبؤ جوى، فلابد أن تتجمع القياسات المأخوذة من عديد من محطات الرصد ، حتى يمكن توقيع الخرائط ، ثم يعمل المتنبئون على تفسير هذه الخرائط •

ولان الطقس ليس مقصورا على سطح الارض



توزع أنماط السحب حول القارات





اعصار هاريكان من الفضاء

وحده ، فكان لزاما على المتنبئين الجويين اجراء القياسات كذلك فى طبقات الجو العليا • ولقد تزايدت اهمية الرصد الجوى فى الارتفاعات العلياء بتزايد أهمية الطيران المدنى والعسكرى • وتوجد وسائل تقليدية ما يزال المتنبئون الجويون يلجأون اليها وهى اطلاق « بالونات الرصد الجوى » المملوءة بالايدروجين لتحمل أجهزة قياس مبسطة ، وتنطلق بها الى أعالى الغلاف الهوائى اعتمادا على ميل الايدروجين للارتفاع الى أعلى لخفة وزنه ويقوم جهاز لاسلكى محمول فى البالون نفسه باذاعة العناصر الجوية المقاسة لتستقبل بواسطة المحطات الارضية • وفى وقت الحروب يلجأ العسكريون الى اجراء القياسات بواسطة أجهزة تحملها طائرات خاصة للقياسات الجوية يمكنها أن تطير على ارتفاعات شاهقة •

ورغم أن الوسائل التقليدية للتنبؤ الجوى تحتاج الى جهد كبير وأيد عاملة كثيرة وشبكة اتصالات جيدة ، الا أن ذلك لم يمنع العلماء من زيادة أعداد محطات الرصد الجوى ، وتحسين وسائلها واجهزتها ، نظرا للاهمية المتزايدة للارصاد الجوية فى كثير من المجالات سواء الطيران

أو الزراعة او الحرب أو السياحة او الحياة اليومية العادية لدى كثير من الناس •

أقمار الارصاد الجوية

ومنذ أواخر الخمسينات بدأ سيل منهمر من الاقمار الصناعية يغزو السماء على مدارت متفاوتة الارتفاع • وكانت الاغراض الاولى لاطلاقها قياسات علمية مجردة ، لا تفيد غير العلماء • غير أن أغلب هذه الاقمار وضعت المتخصصين أمام الاف من القياسات أدى تجميعها الى كشف أسرار المجهول عن الغلاف الجوى ، وطبقاته العليا ، وما يليه من فضاء قريب أو بعيد •

وفي الستينات بدأت اجيال من الاقمار الصناعية تطلق الى الفضاء لاغراض تكنولوجية تطبيقية محددة من أهمها الاتصالات الفضائية والرصد الجوي والاستطلاع العسكرى •

وكان اول انواع سلسلة اقمار التنبؤات الجوية هو القمر الصناعى الامريكى تيروس الذى اطلق فى أول أبريل ١٩٦٠ ، وتوالت من بعده سبعة أقمار فى نفس السلسلة • ولم يكن فى هذه الاقمار وسائل الرصد الجوي التقليدية التى تستخدم على الارض ، لان الوسائل اختلفت واصبحت بطريقة مستحدثة هى التقاط الصور للسحب •

ولقد كان على متن هذا القمر الصناعى الات تصوير تلفزيونية واخرى تلتقط الصور بالاشعة تحت الحمراء ليلا ومنها ما هو مائل وما هو رأسي ، ومنها أيضا ما هو ماخوذ فى ضوء الشمس أثناء النهار ، أو فى الظلام ذلك أن الاشعة تحت الحمراء يمكن أن تكون هى وسيلة هتك أسرار ظلام الليل •

وبالطبع فان القمر الصناعى يتخذ لنفسه مدارا عاليا ، وكان هذا المدار بالنسبة للقمر الصناعى الاول بين ٤٦٦ ، ٤٢٩ ميلا ومن هذا الارتفاع العالى يمكن تصوير « أنماط السحب » المحيطة بالكرة الارضية • ولقد التقط القمر الاول « تيروس ــ ١ » ما يقرب من ٢٣ الف صورة ارسلت لاسلكيا الى الارض • وأمكن للمتنبئين الجويين فى مركز تحاليل للصور الفضائية ، ان يتنبأوا بالطقس المصاحب لهذه السحب • وبتوالى استقبال الصور ودراسة حركة السحب ، امكن لهم رصد حركة الكتل الهوائية التى تحركها • وبذلك انقلبت وسائل الرصد الجوى التقليدية الى عملية تفسير للصور الفضائية •

نيمبوس تهتك أسرار القطبين

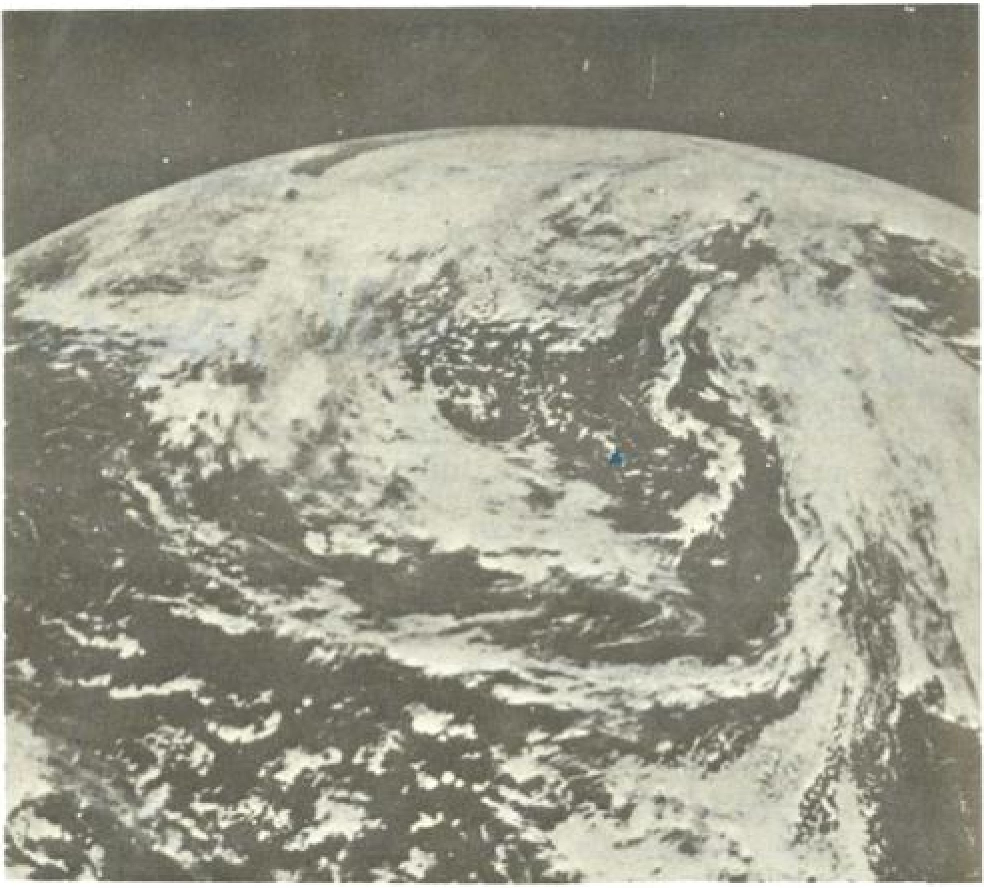
فى عام ١٩٦٤ بدأت الولايات المتحدة اطلاق سلسلة الجيل الثانى من أقمار الرصد الجوى وأطلق عليها اسم « نيمبوس » ولقد كان كل قمر منها مزودا بأجهزة قياس وكاميرات تليفزيونية بالاضافه الى كاميرات تصوير بالاشعة تحت الحمراء • ولقد ظلت أقمار هذه السلسلة تتوالى حتى عام ١٩٦٨ واستطاعت صور هذه الاقمار ان تثرى معلومات العلماء عن المناطق القطبية ،لان مداراتها كانت تمر بالقطبين الشمالي والجنوبى باعتبارهما مناطق ذات أهمية عسكرية خاصة • واطلقت بعد ذلك عام ١٩٦٦ سلسلة أقمار امريكية جديدة تحمل اسم «ايسا» وتميزت بتقنية متقدمة هى مقدرة اختزان الصور على شرائط مغناطيسية ، واذاعتها الى محطات الاستقبال المشتركة فى تكاليف هذه الاقمار •

وقد كان من المشرف أن تشترك بعض الدول العربية منها مصر والكويت فى استقبال الصور المذاعة من القمر « ايسا ــ ٨ » •

واتت من بعد ذلك أجيال لاقمار أخرى تحمل أسماء « ايتوس » وبعضها أطلق ليتزامن مع سرعة دوران الارض مثل اقمار الاتصالات • كما أطلق الاتحاد السوفييتى كذلك سلسلة أقمار من هذا النوع أطلق عليها اسم « ميتيور » •

نشرات جوية دقيقة

ولقد اتاحت هذه الاجيال المتوالية من أقمار الارصاد الجوية ، عديدا من المزايا من أهمها اعطاء تنبؤات جوية مسبقة يمكن أن تكون حتى



السحب فوق الجزيرة العربية والكويت

سبعة أيام مقبلة • وأمكن للصور الفضائية التي تذيعها هذه الاقمار الانذار بهبوب العواصف المدمرة قبل أن تدهم الشواطيء بزمن كاف لاتخاذ احتياطات وقائية ضدها • وكان ذلك واضحا عدة مرات بالنسبة لاعصار « هاريكان » الذى كان معتادا أن يدهم الشواطيء الامريكية فجاة ويحيق بها الدمار فى كثير من الاحوال ،نظرا لما يصاحبه من رياح عاتية بالغة الشدة ، وطقس عاصف تنهمر معه الامطار كعيون القرب وتحدث بسببها الفيضانات • وأصبح يسيرا بعد ذلك متابعة العواصف الجوية في بلاد متفرقة مثل عواصف « الهبوب » في السودان ، و « الطوز » في الكويت ، و « التيفون » في شرقي آسيا •

واليوم أصبحت الدول التى تستخدم الاقمار الصناعية للتنبؤات الجوية قادرة على اصدار نشراتها الجوية متميزة بكثير من الدقة • ولم تعد هذه الدول فى حاجة الى اقامة مئات من محطات الرصد الجوى فوق الارض ، لان القمر الصناعي يطل على العالم كله من عل •

ولم تعد نشرات الارصاد الجوية ترفا بالنسبة لرجل الطيران أو اخصائى الزراعة أو مرشد السياحة أو حتى رجل الشارع ، بل أصبحت تشكل عنصرا هاما يهم الحياة اليومية لكل الناس•

■■

القاهرة ــ سعد شعبان

من التراث الحديث

فيم الونى ؟؟

فيم الونى وديار الشام تقتسم ... اين العهود ـ التى لم ترع ـ والذمم
هل صح ماقيل من عهد ومن عدة ... وقد رأيت حقوق العرب تهتضم
ما بال بغداد لم تنبس بها شفة ! ... وما لبيروت لم يخفق بها علم !
ويلمها نكبات كلها ظلم ! ... وقد تنير صراط السالك الظلم !
ألعصور على ابناء (آسية) ... ثار ، فتخشع للأعصار تحتكم
سل عهد (غسان) هل من عثرة لهم ... ليست تقال ؟ ـ وما من عثرة لهم !
أكان بالله جرما غير مغتفر ... لآل (عدنان) أن سادوا وأن حكموا
من ذاكر لبنى (العباس) مثلبة ... والليل ان ذكر العباس يبتسم !
أأسلفتك قريش ياليالينا ... سوءا والا ففيم اليوم نتهم
نسام خسفا ونقصى عن محجتنا ... ويوثق الفم حتى تخفت الكلم
نسجو على الضيم والأطماع حائمة ... ونكظم الغيظ والأكباد تضطرم
أنزدرى ونوارى فى عمايتنا ... أيام تحترم العمال والخدم !
وعود « ولن » كم اضللت من فئة ... لأنت اشأم ما سيست به الامم
خدعتنا فانخدعنا فاستخف بنا ... شمس عن الحق فى آذانهم صمم
أيدعون حقوقا فى مواطننا ؟ ... والمين أقبح ما يطوى عليه فم !
ذدنا عن الملك بالاقلام معربة ... عن القلوب وفى طياتها ألم
عسى يثوب الى نور الهدى جشع ... شكا الطوى ، فهوى كالموت ، يلتهم!
ألية بسماء ظللت وطنى ... وأنبتت عشبه بالغيث ينسجم
وبالرفات ، من الأجداد ، خالدة ... بين الثرى حجبتها الأعصر القدم
لئن تولوا رعينا حسن ودهم ... وصين منهم ومنا فى العروق دم
وان تأبوا فان السيف ينصفنا ... والسيف يبلغ مالا يبلغ القلم !

للشاعر : خير الدين الزركلى
(١٨٩٣ ـ ١٩٧٦ م)

انا لنقدم والاشلاء ناهدة ... فى الجو ، تعبث فيها الريح والنسم
لانثنى عن منانا أو يحل ردى ... لا شارخ منه بالناجى ولا هرم
ان لم يكن فى حياة المرء من شرف ... فانها بالردى قد تشرف الرمم !
لا يطمع القوم فينا لين جانبنا ... وليذكروا أن عقبى الطامع الندم
من حاول الامر لم ييسر عواقبه ... أصاب من لطخات العار ما يصم
ومن اغار على شعب ، ليملكه ... قبل القلوب ، تولى وهو منهزم

★★★

متى يحرر شعب ـ لا قرار له ... على الهوان ـ بحبل الحق معتصم
له غرام بالاستقلال ينشده ... يأبى عليه سواه الرأى والشمم
يهوى الحياة وما يرضى بها بدلا ... ولا يلم به فى سومها سأم

★★★

يانابضا فيه عرق من بنى مضر ... أسرج جيادك ولتطلق لها اللجم
واشحذ غرارك لا يعلق به صدأ ... فان يجر حكم فالصارم الحكم
كفكف دموع فلسطين وجارتها ... بيروت واكفف يدا في بسطها النقم

★★★

بنى ابى يا وقاكم كل عادية ... من بيته الكعبة الحسناء والحرم
تاهبوا لقراع الطامعين بكم ... ولا تغركم الآلاء والنعم
سيروا رويدا الى تنظيم أمركم ... لا يصلح الامر الا حين ينتظم
وأقسموا لا افترقتم يوم ملحمة ... ولا ونيتم ـ عساه يصدق القسم

■■.



هذه هي مي

الأديبة التى شغلت الفلاسفة والأدباء والشعراء العرب

بقلم : حسنين حسن مخلوف

■ انها مى زيادة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١)

تعلمت فى موطنها الاصلى لبنان ثم نشأت بمصر فى احضان الصحافة اذ كان ابوها صاحب جريدة (المحروسة) وكانت تكتب فيها من سنة ١٩١١ ثم كتبت فى الصحف المصرية اليومية : الاهرام والمقطم ،وفى المجلات : المقتطف والهلال والزهور والرسالة .وصعد نجمها فلم يكن أحد فى منزلتها من نساء العرب المثقفات بمصر وسوريا ولبنان ، وكن قليلات . وبلغ مجموع ما الفته ثلاثة عشر كتابا . ولم يكن لابويها غيرها فساعداها على الدرس والكتابة والتاليف ، وشجعاها على ان يكون لها منتدى فى البيت تستقبل فيه المفكرين والشعراء ،كشأن بعض أديبات فرنسا المشهورات فى التاريخ . فاجتمع فى ناديها ابتداء من سنة ١٩١٣ رواد النهضة الحديثة فى العلم والادب كالاستاذ احمد لطفى السيد والدكتور يعقوب صروف محرر (المقتطف) واسماعيل صبرى شيخ الشعراء ، واحمد شوقى امير الشعراء ، وخليل مطران شاعر القطرين ، وولى الدين يكن الشاعر، والصحافى عباس محمود العقاد ،وانطون الجميل رئيس تحرير الاهرام ، والكاتب المشهور الدكتور طه حسين والاديب مصطفى صادق الرافعى والعالم

الفيلسوف الشيخ مصطفى عبدالرزاق ،والدكتور منصور فهمى استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية وغيرهم كثير •

لقد اجتمعت هذه الصفوة فى ناديها يتذاكرون شئون الحياة والمجتمع ووسائل نهضة الشرق والبحث فى الآداب القديمة والحديثة فى العالمين العربى والاوربى • وكانت مى واسطة عقد هذا المجلس تشارك فى كل راى وتدير الحديث ادارة الدارسة العالمة المفكرة • وهى ربة البيت وهم ضيوفها • وكانت تعرف من اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية تؤلف ببعضها وتترجم الى اللغة العربية من بعضها الاخر • كانت ثقافتها العربية فنصحها الاستاذ لطفى السيد ان تكثر من قراءة القران الكريم فانه كفيل باصلاح لسانها وقلمها • انتسبت للجامعة المصرية الاهلية القديمة وقد رأيتهاهناك اذ كنت طالبابمدرسة دار العلوم نهارا وبالجامعة ليلا • كان ذلك سنة ١٩١٨ • رأيتها فى محاضرات (الكونت دى جلارزا) المستشرق الاسبانى ، وكان يحاضر فى الفلسفة وعلم الاخلاق بالعربية الفصحى • فلما دخلت الحجرة جلست فى مؤخرة صفوف الطلاب وكانوا خليطا من معممين ومطربشين (يرتدون العمة او الطربوش) فظننتها امراة اوروبية ولكنهم قالوا : انها الاديبة المشهورة (مى) • كانت ندوتها يوم (الثلاثاء) من كل اسبوع • وكان اولئك السادة المثقفون مشغوفين بادبها كل الشغف •

دعت بعض الاعذار ان يغيب الشاعر اسماعيل صبرى عن مجلسها فكتب لها هذين البيتين :

روحى على دور بعض الحى حائمة
كظامىء الطير تواقا الى الماء

ان لم امتع أى ناظرى غدا
انكرت صبحك يايوم الثلاثاء

وكانت تطرب طربا شديدا كلما سمعت شعر صبرى وتقول :

« ان اسماعيل صبرى يمتاز على شعراء العصر بلطف ذوقه ورقة حسه وحلاوة جرسه » •

أما الشاعر ولى الدين يكن فكان متعلقا بها تعلقا شديدا ومحافظا على مجلسها بالرغم من مرضه ، وكانت تعطف عليه • ولشدة شغفه بها كتب اليها البيت الاتى :

كل شىء يامى عندك غال
غير انى وحدى لديك رخيص

الكبار يتحدثون عنها

ارخ لها الاديب الاستاذ محمد عبدالغنى حسن فالف عنها كتاب «مى» ، اديبة الشرق والعروبة وقال فى اسلوبها : « كان الشاعر خليل مطران معجبا بطريقة مى فى نثرها ، وهو يسميهاالطريقة الاحتفالية لان مى تحتفل فيها بالالفاظ والعبارات وتعنى بتنميقها وتحليتها • ومع ذلك لم تهمل جانب المعنى ،فمعانيهاعلى قدر الفاظها ،فالفاظها ومعانيها يزين بعضها بعضا » •

ويقول عنها الاستاذ العلامة عباس محمودالعقاد: « انها مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المراة واعطائها حقوقها السياسية ، وجمالها كالحصن الذى يحيط به الخندق » •

لقد تناول الاستاذ العقاد فى كتابه (رجال عرفتهم) موضوع زواجها فقال : « كانت تتحدث قليلا عمن يخطبونها كانها تعتذر لرفض الخطبة، خطبها طبيب لبنانى ، فكاتبها صديق له لانها ردته بشىء من الجفاء، فقالت : انه لطيف ولكن اللطف الذى يسميه من شاء (تاتنا) لا يعجبنى» انها تغالب شجنا كمينا لانطوائها الشديد على ذاتها ، يخيل الى انه مزيج من الصدمة العاطفية وشعور التبتل العميق فى سليقتها الدينية •

اما الاستاذ مصطفى صادق الرافعى الذى الف فيها كتاب الحب فيقول عنها فى كتابه (رسائل الاحزان)

« ومن خصائصها انها لا تعجب بشىء اعجابها بدقة التعبير الشعرى من انها تريد ان تجمع الى صفاء وجهها واشراق خديها وخلابتها وسحرها صفاء اللفظ واشراق المعنىوحسن العرض وجمال العبارة هذا هو الحب عندها • تحبك كما تحب كلمة تكتبها او معنى تتخيله • فاذا سئمتك لم يكن عندها الا الثالثة •والا صحيفة تمزقها» •

ومات ابوها ومن بعده امها ، ومات احب الرجال اليها بعدهما ، كما يقال ، وكانت تكتب له رسائل عاطفية عميقة تنبىء عن حب دفين بين القاهرة ونيويورك وان لم تره قط هو •الفيلسوف الكاتب الشاعر (جبران خليل جبران) مات سنة ١٩٣١ واخذت بعد موتهتعتزل الناسشيئا فشيئا •ولعله كان الزوج المامول ، فقد دعته لزيارة القاهرة

للتمتع بشمس الاهرام ، فكاشفها بحقيقة دائه العضال الذى قضى عليه بعد ذلك .

فى مستشفى الامراض العقلية

وتسافر مى الى لبنان وقد ادخلها اقاربها فى مستشفى الامراض العقلية (العصفورية) فبكت كثيرا واستغاثت بمفكرى لبنان وادبائها فانقذوها وعادت الى مصر وفيها كراهة للناس بل انكار لاصدقائها . حدث الدكتور طه حسين قال :ذهبت لزيارتها بعد عودتها فقالت : من بالباب فاجابها . قالت : لالقاء . ان كنت الفت كتبا لم اقرأها فارسلها الى . وعاد من حيث اتى .

ويقول الدكتور طه حسين فى حديث عنها حال صحتها : كنت اخاف عليها من التشاؤم لكثرة قراءتها (لزوميات ابى العلاء المعرى) ونصحتها بتركها ، فلم تفعل .

ويقول الاستاذ حافظ محمود الصحفى المعروف عن مى فى كتابه (عمالقة الصحافة)

ما من كاتبة عربية الف الرجال فيها الكتب كمى، ولم يستطع اى محلل لحياة مى ان يحدد بالضبط من كان رجلها المفضل ، كما لم يجرؤ احد من اولئك الرجال الذين اختلطوا بها ان يفرض عليها نفسه دون الاخرين .

ثم ياتى نعى مى ذات صباح فى اكتوبر سنة ١٩٤١ فالفت لجنة لتابينها من جلسائها وعارفى فضلها ،واقيم حفل حافل فىدار (الاتحادالنسائى) بقصر العينى . منهم من خطب وقال فيها شعرا كالسيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى والدكتور منصورفهمى والدكتور طهحسين والاستاذ عباس محمود العقاد والشاعر خليل مطران ، والدكتورة بنت الشاطىء (عائشة عبدالرحمن) والاستاذ انطون الجميل رئيس تحرير (لاهرام) والدكتور محمدحسين هيكل رئيستحرير (السياسة) والشيخ مصطفى عبدالرزاق استاذ الجامعة وغيرهم

فى كلمات

من كلام مى : « الادب فن التعبير عن العواطف والميول والتاثيرات نثرا ونظما . والشرط الاساسى للكاتب الادبى ان يكون ذا احساس قوى يتاثر بجميع الحوادث ، فاذا نقص هذا الشرط تلاشى الكاتب الادبى »

« ما اعذب هذا الاعتقاد ان فى السماء وراء جميع القوى الكونية الها قديرا لا يقضى دونه امر ، لديه النعم يفيضها على حاجة البشرية . وجود يعم البرايا فتموج وتتنوع وتنبض بالحياة والتحول . » .

ومن المراثى التى قيلت فيها :

١) كلمة للشيخ مصطفى عبد الرزاق « شهدنا مشرق مى ، وشهدنا مغيبها ، ولم يكن طويلا عهد مى . على ان مجدها الادبى كان طويلا فى الحياة عريضا . كانت اديبة ممتازة ، تعقد للادباء فى دارها مجلسا اسبوعيا لا لغوفيه ولا تاثيم . » .

٢) قصيدة للاستاذ العقاد :

اه من هذا التراب

اين فى المحفل مى ياصحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
شيم غر رضيات عذاب
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشباب
وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب
اه من هذا التراب

كلمة شكر للاستاذ انطون الجميل عضو مجلس الشيوخ ورئيس تحرير الاهرام فى ختام الحفل :

اشكر اعضاء لجنة التابين ، واعضاء الاتحاد النسائى الذين اعدوا هذه الحفلة الممتازة ، وفى مقدمتهم صاحبة الفكرة ومنظمتها عصمة السيدة الجليلةهدى هانم شعراوى،وقد اصبحذكر اسمها يغنىعن وصفها،اجل،ياسادتى ،انى لعاجز عن القيام بواجب الشكر لكل من ذكرت ، ومن لم اذكر ، ولكن علام الشكر والفقيدة الكبيرة هى فقيدتكم ، وفقيدة الادب والنبوغ . فهى لم تدن لسوريا ولا للبنان وطنها الاول ولا لمصر وطنها الثانى . بل كانت لهذا الشرق اجمع ولكل من احب الفكر الساميوالادب الرائع والعاطفةالنبيلة كانت لكل من عرفها محدثة او سمعها خطيبة او قرا لها اديبة ، فالجميع فى الحزن عليها سواء

فلها الرحمة ، ولحضراتكم طول البقاء. ■■

حسنين حسن مخلوف
الاستاذ بكلية المعلمين بالقاهرة سابقا



ركن الأسرة والمرأة



"كليمنتاين"
هى عرين الأسد !

بقلم : منير نصيف

■ هل يصنع الرجل نفسه ؟ كيف تؤثر صحبة الناس فى شخصيته وسلوكه فى الحياة ؟ ومن هم هؤلاء الناس ؟ ايهم اشد تاثيرا عليه ؟ فى كتاب « فن الحياة » للدكتور سمايلى بلانتون نجد فصلا طويلا عن دور المراة فى حياة الرجل .. المراة الام .. والمراة الزوجة .. صحيح ، كما يقول الكاتب ان هناك عوامل عديدة لها اثرها فى تكوين شخصية الرجل فى المراحل الاولى من حياته ، وفى شبابه ورجولته ، وحتى وهو يخطو الى الشيخوخة .. ولكن دور الام .. ثم دور الزوجة من بعدها ، هما اللذان يتركان بصماتهما واضحة فى حياة الرجل وعمله ومستقبله ومدى النجاح الذى يحققه فى الحياة !

كيف ؟ فى البداية نرى الام ، والام دائما .. فهى اقرب الى ابنائها من الاب الذى لا يختلف عنهم كثيرا عندما تلم به المتاعب وتعترض الصعاب طريقه .. فهو ايضا يلجأ اليها .. الى زوجته وام أولاده .. يحكى لها مشاكله ، ويسالها النصيحة دون أن يجعلها تشعر بانه فى حاجة اليها ، ارضاء لكبريائه كرجل ! فهو اذن طفلها الكبير .. وهى تعلم ذلك ! وتعرف أن اكثر المشاكل تعقيدا هى التى يحملها والد ابنائها وطفلها الاكبر ، وهو اكثرهم حاجة اليها والى فهمها وادراكها وتعاطفها !

فالام والزوجة اذن ، امراة واحدة .. كل مافى الامر .. ان الاولى رعته صغيرا والثانية تسلمته كبيرا ، وقضت معه رحلة العمر كله ، ترعاه اذا المت به وعكة ، وتسترضيه اذا غضب ، وتطعمه اذا جاع .. ولكن هل كانت هذه المراة دائما هى الوسادة التى يضع عليها الرجل راسه كلما احس بالتعب ؟

ويقول مؤلف الكتاب ان هذه « الوسادة » لم تكن دائما ناعمة . بل اكثر من هذا ، فكثيرا ما كانت تمتلىء بالدبابيس التى يحس الرجل بوخزها فى راسه ، فلا يلبث ان يقفز من رقدته ، وقد فارقه التعب ، واستعاد قوته ونشاطه ، واصبح رجلا جديدا قويا ، لا يمت بصلة الى « الطفل الكبير » المتعب الذى مزقته الهواجس والحت عليه الهموم ، فاختلط عليه الامر ، ولم يعد يرى اى الطرق يسلك !

امرأة وراء كل عظيم

ما الذى اثار هذا الحديث الآن ، وهو حديث



قديم قالوا فيه كثيرا ، وكان بين ماقيل فيه : « وراء كل عظيم امرأة » !

لعلها قصة امرأة عرفها العالم ، وهي ليست قصة جديدة، ولكن الجديد فيها هو ما جاء اخيرا في الصحف والكتب على لسان الذين عرفوها، وعرفوا حقيقة الدور الذي قامت به في حياة الرجل الذي شاركته حياته الطويلة لاكثر من نصف قرن من الزمان.. وكانت المناسبة ، كما يحدث دائما ، هي اعداد صورة لشخصية غير عادية لعبت دورا في التاريخ بعد ان بلغت سن الرحيل او تجاوزته ، وخاصة لانها كانت بين يدى الاطباء اثر اصابتها بنوبة توقعوا معها النهاية !

ولكن النهاية لم تجيء .. وعادت المرأة الى بيتها لتحتفل بعيد ميلادها الثالث بعد التسعين..

كليمنتاين !

انها « كليمنتاين هوزيار » أرملة سير ونستون تشرشل السياسى البريطاني الداهية ، الذي بقيت صورته دائما ترمز الى الاحتلال البريطاني في اعين الشعوب المطحونة حتى آخر يوم في حياته.. لقد كان بطلا داخل بلاده ، فلما مات حملوا جثمانه الى حيث يرقد العظماء في كنيسة وستمنستر .. وخرجت انجلترا كلها تودعه .. ولكنه كان في الوقت نفسه عدوا لكل الحركات الوطنية التي قامت تطالب بالاستقلال والتخلص من قبضة المحتل الانجليزى ..

ماذا قال تشرشل نفسه عن كليمنتاين أو «كليمى» كما كان يدعوها : « لم يكن ممكنا لأى رجل يشغل منصبا في الحياة العامة ، ان يواجه الصعاب التي نجحت في التغلب عليها بغير المساعدة المخلصة من جانب ما نسميه هنا في انجلترا « النصف الافضل، أو النصف الاكثر حلاوة » .

فان تقف المرأة بجانب زوجها تسانده وتدفعه وتشجعه ، شيء قد يكون مألوفا في معظم الحالات، ولكن أن يقول هذا الزوج : « لقد كان زواجي بهذه المرأة اعظم انجاز حققته في حياتي » ، هو الشيء الذي لم نألفه كثيرا .. وقد كانت هذه هي كلمات تشرشل بالحرف الواحد ، وهو يقترب من نهاية رحلته في عام ١٩٦٥ عن واحد وتسعين عاما .

جواد جامح !

تقول « اليزبيث نيل » في كتابها « سكرتيرة مستر تشرشل » : « وربما يكون الشيء الذي نسى تشرشل ان يذكره في احاديثه الخاصة عن دور زوجته في حياته انها كانت الفارس الذي امتطى صهوة الجواد الجامح وعرف كيف يروضه ... وانها كانت اللجام الذي وضعته هي بيديها بين فكيه ، ثم كانت بعد ذلك الصوت الرقيق الذي كثيرا ما كان يحجب عن الآذان حدة زئير الأسد البريطاني » . لقد كنت دائما أشعر بأن أهم دور قامت به كليمنتاين في حياة زوجها ، هو انها كانت تقف ندا قويا له في كل مناقشة وفي كل تصرف لا تراه مناسبا .. لقد كان من الممكن أن تجعل منه طفلا مدللا ،كما تفعل بعض الزوجات مع أزواجهن وأبنائهن .. ولكنها لم تكن تجيد هذا الاسلوب من التدليل .. كان اكثر ما يثيرها ان ترى ميلا من جانب زوجها للعمل من أجل نفسه فقط. وتقول اليزابيث أن « كليمى » ، هي التي كانت وراء أخطر وأهم قرار اتخذه تشرشل في حياته السياسية الطويلة عندما وقف عام ١٩٤٠ يقود بلاده في اقسى تجربة مرت بها .. خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يومها شيخا جاوز عامه الستين .. وكانت هي التي راحت تدق ابواب المنازل ،وتطلب من ربات البيوت ان يقدمن كل مالديهن من الاواني المصنوعة من الالمنيوم .. التي ساهمت في انتاج طائرة « السبيتفاير » احدث طائرة قتال انجليزية ساهمت في انتصار بريطانيا في المعارك الجوية مع طائرات هتلر ! يومها قال تشرشل « لقد قدمت لي كليمى الذ واعظم وجبة في حياتي ! »

دهاء المرأة

كتبت كيت ايليس ، الصحفية الانجليزية ،تروى تجربة كليمنتاين » في المعركة الانتخابية التي جرت في عام ١٩٥٠ : « لقد وقفت مسز تشرشل تتحدث

الى الناخبين ، عندما قاطعها احدهم ، وقدم لها قصاصة من احدى الصحف ، وكانت تحوى هجوما عنيفا على سياسة حزب المحافظين من جانب زوجها والقت مسز تشرشل نظرة سريعة على ما حوته القصاصة من كلمات النقد اللاذع للحزب الذى يمثله زوجها ، ثم ما لبثت ان قرأت محتوياتها على الجموع التى احتشدت لسماعها ، وقالت : « لقد تزوجت مستر تشرشل منذ اربعين عاما او اكثر قليلا٠٠ وهذا التصريح المنشور قد مضى عليه أكثر من اثنين وأربعين عاما٠٠ أى قبل أن أبدأ محاولاتى للتحكم فى سلوكه والسيطرة عليه » ٠

فى عام ١٩٠٨ بدأ دور «كليمى» فى حياة هذا السياسى الناشىء ، وكان زواج الموسم ٠٠ وامام الهيكل فى كنيسة سانت مارجريت بوستمنستر ، كان «العريس» ونستون يقف فى انتظار «عروسه» ٠٠ ولكن العروس لم تحضر ٠٠ واخذ قلبه يخفق بشدة ، فقد خشى ان تكون «العروس» قد غيرت رأيها فى آخر لحظة ٠٠ ونظروا اليه فوجدوا وجهه غارقا فى العرق ، ومرت فترة خالها دهرا ٠٠واخيرا ظهرت العروس وهى تخطر فى ثوبها الابيض،واحس براحة تغمره عندما رآها تدخل الكنيسة وقد علقت ذراعها الصغيرة فى ذراع والدها حتى اقتربا من الهيكل حيث كان يقف هو ، وسلمها الاب لعريسها الذى لم يتمالك نفسه،فقد مد كلتا يديه واحتضن بهما يدها ، وراح يهزها فىحرارة : لماذا تأخرت ؟ ماذا حدث ؟

ونظرت اليه العروس فى دهشة ولمتجب ! كل ما فعلته انها نظرت الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط وابتسمت٠٠وعندها فقط اكتشف«العريس» وهو ينظر الى الساعة معها ان «عروسه» تأخرت اربع دقائق فقط عن الموعد المحدد لعقد القران !

توقعوا لهما الفشل !

وعندما وقف العروسان على باب الكنيسة يتقبلان التهانى ، قال الاصدقاء والاقارب : « هذا زواج كتب له الفشل ، قبل أن يبدأ ٠٠ انهما لن يحتملا العيش تحت سقف واحد لاكثر من ستة أشهر ! » فقد كانوا يعرفون ونستونالسياسى المشاكس الذى لا يقيم وزنا لاحد ٠٠ وكانوا يعرفون « كليمى » الفتاة صاحبة الشخصية القوية التى لا تلين والتى تعودت أن ترفع رأسها فى كبرياء فى أكثر المواقف حرجا ، ولا تقبل أبدا ان تكون تابعا لاحد ، حتى لو كان هذا الاحد هو زوجها !

ولكن النبوءة لم تصدق ٠٠ فقد عاش الزواج الذى توقعوا له الفشل ٠٠ عاش طويلا لاكثر من نصف قرن أو ٥٧ عاما على وجه التحديد ، اعطته خلالها اربعة أبناء ، تماما كما كانت هى طفلة فى أسرة تضم أربعة أبناء ٠

تعلمت الفرنسية التى علمتها بدورها لزوجها عندما كانت تعيش فى باريس مع امها ليدى بلانست واخوتها الثلاثة ، ثم عادت الى انجلترا والتحقت بمدرسة البنات فى مقاطعة هيرفورد شاير ٠ وكانت تلميذة مجتهدة فى الخامسة عشرة، وكانت امنيتها ان تدخل كلية « جيرتون » ، أول كلية للبنات فى كامبريدج ، ولكنهم ذهبوا بها الى لندن عندما انهت دراستها الثانوية وقدموها للمجتمع وكانت يومها فىالتاسعة عشرة منعمرها٠

صورة جميلة

واصبحت كليمنتاين نجمة ٠٠ « كان صوتها الهادئ، وملامحها الدقيقة المعبرة ، وعيناها الزرقاوتان الواسعتان ، تؤهلها لان تصبح صورة محفورة فوق قطعة من المعدن الثمين » هكذا كان وصفليدى سينثيا اسكويتللفتاة الشابة الجميلة « كليمنتاين » قبل أن يلتقى بها تشرشل بأربع سنوات ! فى تلك الليلة وجد السياسى الشاب نفسه يجلس بجوار فتاة جميلة على مائدة العشاء التى أقامتها عمتها فى بيتها وكان هو فى الثالثة والثلاثين ٠٠ وكانت هى تصغره بعشر سنوات ٠٠ ولاول مرة احس النائبالجديد فى مجلسالعموم، ان شيئا ما يشده بقوةويجعله يعرض عنالاستماع الى المناقشة التى كانت تدور حول حقوق المرأة ، وقد كان له رأى فيها لايسر المرأة على اى حال ! وذهل الحاضرون عندما اتجهوا بعيونهم الى تشرشل فوجدوه مستغرقا فى تفكير عميق ، وقد لفه الصمت٠٠ حتى أنه لميسمع صوت أحدهم وهو يدعوه للحديث ويقول : « مارأيك يامستر تشرشل ؟ »

قال يصف تلك الليلة فى مذكراته التى عكف علىكتابتها بعد نصف قرن او يزيد : «لقد سحرتنى هذه الفتاة ٠٠ كان حديثها الحلو ينفذ الى اذنى، كما لو كان موسيقى يعزفها بيتهوفن ٠٠ لعلها المرة الاولى فى حياتى السياسية الطويلة التى

اثرت فيها صحبة النساء على الرجال ، لمجرد ان اكون قريبا من كليمنتاين ولاستمع الى المزيد من هذا اللحن الهادىء الذى كان يخرج من شفتيها مع كل كلمة . في تلك الليلة وقبل ان ينتهي حفل العشاء ، تقدم تشرشل يطلب يدها . وبعد اقل من شهر واحد كان العروسان يحتفلان بزواجهما ، وهي اقصر خطوبة في تاريخ بريطانيا في ذلك الوقت !

ابتسامة المراة

عادت يوما الى المدرسة الثانوية التي تلقت فيها علومها وكان ذلك بعد نهاية الحرب الثانية بعامين، في عيد ميلادها الثاني والستين ، ووقفت كليمنتاين تلقي كلمة امام الطالبات اللواتي كن يتاملن صورتها الشابة المعلقة في بهو المدرسة في اعجاب ، كلما حدثتهن المدرسات عن زميلتهن التي اصبحت زوجة لرئيس وزراء بريطانيا ، قالت : « هنا بعض التجاعيد التي بدات تظهر واضحة في وجهي كما ترين .. انني سعيدة بها لانني ارى فيها الاخطاء العديدة التي وقعت فيها خلال حياتي الطويلة .. نصيحتي اليكن ان تتخلصن من سياسة العنف ، فليس هذا اسلوب المراة عندما تجد نفسها منافسة للرجل في الحياة العامة .. ان اقوى سلاح يمكن ان تستخدمه المراة في حربها الدائمة هو رقتها ونعومتها وانوثتها .. فالمراة التي تحاول ان تفرض رايا تفقد اهم صفاتها .. تفقد انوثتها ! كل امراة تستطيع ان تكسب كثيرا اذا تمسكت برايها ولكن في هدوء ، حتى اذا وجدت الفرصة سانحة ، راحت تجاهر به في هدوء ايضا وهي تبتسم !

هذه الابتسامة كما يقول تشرشل انقذته من نقمة نساء بريطانيا عندما وقف بينهن خطيبا في عام ١٩١١ فقد كانت كليمنتاين تقف بجانبه ، وتوزع ابتساماتها وتحياتها على الالوف من نساء بريطانيا اللواتي اجتمعن ليطالبن بالحقوق التي كانت تنادي بها املين بانكهيرست » وكان تشرشل عنيفا كعادته في خطابه ، فقد كان يعترض على هذه الحقوق ولكنه مالبث ان وجد نفسه يلين فجاة امام الحاضرات ، عندما وجد ايديهن ترتفع لترد تحية كليمنتاين ، وقد اشرقت وجوههن بابتسامة مشرقة ، والقين بمكبرات الصوت جانبا ، وهي التي كانت تحمل له اقذع الشتائم منذ لحظات ! وقبل ان ينتهي الاجتماع ، جاءت سيارة الاسعاف لتنقل كليمنتاين الى المستشفى .. لقد احست فجاة بالام الوضع .. وحملوها بسرعة لتضع مولودها الاول !

واذا لم يكن من الموت بد !

وفي الحرب العالمية الثانية ، وطائرات النازي تدك لندن التي انتقل سكانها ليعيشوا تحت الارض فوق خطوط المترو ، ذهب النواب الانجليز الى بيت تشرشل ووقفوا يتوسلون الى زوجته ان تفعل شيئا لتمنعه من الاستمرار في الرحلات الجوية التي كان يقوم بها فوق القنال الانجليزي وسط نيران المدافع .. ووقف تشرشل ينظر الى زوجته ليرى ماذا ستفعل ،فوجدها تبتسم وهي تقترب منه وتضع يدها على كتفه وتقول : « اذا كان المئات من الشباب البريطاني يعبرون القنال بطائراتهم يوميا ويتعرضون للموت ، فانا لا اجد سببا يمنع زوجي من ان يفعل مثلهم ! لابد له من ان يؤدي واجبه هو ايضا » .

لقد كان تشرشل يتاخر عن مواعيده ، ولا يشعر بالخجل فقد كان يتلذذ وهو يرى الناس تنتظر وصوله بينما هو ينعم بحمامه الساخن الذى كان يستغرق احيانا نصف يومه . وكان يقول انه يستوحى من المياه المتدفقة افكاره الجديدة ! ولكن كليمنتاين علمته كيف يحترم مواعيده ، ومواعيد تناول طعام الغداء والعشاء بصفة خاصة !

حدث ان التقت به الممثلة الامريكية ارلين دال يوما وسالته عن الصفات التي يجب ان تتوفر في المراة لكي تكون جميلة ؟ فقال « انظري الى كليمنتاين .. انظري اليها جيدا واستمعي الى حديثها .. وسوف تجدين فيها أجمل امراة في العالم ! »

وعندما رحل تشرشل في عام ١٩٦٦ ، قالت كلمنتاين : « انني اشعر بارتياح على اية حال لانه سبقني فقد كنت اشفق عليه دائما من الوحدة التي سوف يجد نفسه فيها لو انني رحلت قبله.. ثم لا تنسوا ان فراقنا لن يطول فانا الان امراة عجوز متعبة ! » ■■

منير نصيف

الطب و العلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

مرض النوم وباء افريقى خطير

● منذ زمن بعيد والقارة الافريقية تعانى من « مرض النوم » ، ذلك المرض الذى يبدأ بارتفاع فى درجة الحرارة ، وصداع، يستمران بضعة شهور، ثم يعقبهما توتر فى الاعصاب ونعاس شديد ٠٠ يلى ذلك عجز عن النهوض او الوقوف وفقدان الشهية ٠٠ حتى ينتهى الامر بغيبوبة مطبقة ، ثم الموت ٠٠ انه اقرب الى الوباء وقد اجتاح مناطق افريقيا الوسطى بكاملها وبلغ عدد الذين يصابون به ١٠٫٠٠٠ نسمة سنويا ٠٠

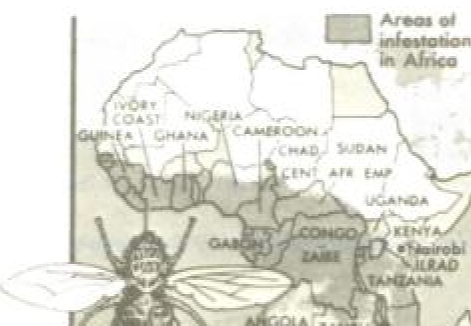
ومنذ زمن بعيد ايضا والعلماء يحاولون القضاء على هذا الوباء ، بلا طائل ٠٠ وكان سبيلهم الى ذلك المستحضرات الزرنيخية Arsenic التى لم يكن لها أى تأثير على الطفيليات التى تسبب مرض النوم ٠ لقد عرفوا الكثير عن هذا المرض الذى يعرف بالمصطلح الطبى Trypanosomiasis ،وعرفوا الكثير عن العلة الكامنة وراءه ، وهى الطفيلى المستطيل الشكل ، الرفيع ، ذى الخلية الواحدة ، الذى يعرف باسم Trypanosoma brucei ٠ الا انهم لم يجدوا السبيل الى السيطرة على هذه او تلك ٠٠

والظاهر ان الابحاث التى يقوم بها مختبر الابحاث الدولى فى نيروبى ،المختص بامراض الحيوان ، تبشر باقتراب اليوم الذى تتخلص فيه افريقيا من مرض النوم ٠ فقد نجح عالمان من العلماء العاملين فى ذلك المختبر ـ احدهما يابانى المولد ، امريكى الجنسية ، واسمه هيرويوكى هيرومى ، والاخر اسكتلندى واسمه جون دويل ٠٠ نجحا فى تنشئة الطفيلى الذى ذكرنا ضمن انبوب الاختبار ٠٠٠ وكذلك فى الحيلولة دون تظاهر الطفيلى وكأنه شىء آخر لا ضرر منه ولا اذى ٠٠ وهذا هو الاهم ٠٠ فقد تمكن العلماء فى الماضى من تنشئة الطفيلى فى الانبوب ولكنهم اضطروا دائما للتوقف وعدم مواصلة تجاربهم ٠٠ نظرا لمكر الطفيلى وقدرته على تضليلهم ٠٠

وكان سر نجاح العاملين فى التنقيع او الخمير Brew الذى صنعوه من سائل رئوى اخذوه من الابقار ، وفى المصل Serum الذى أخذوه من أجنة تلك الابقار ٠٠ وهكذا امكنهم تضليل الطفيلى الذى طالما ضلل زملاءهم من العلماء ٠

على ان هذه الخطوة الكبيرة التى خطاها مركز نيروبى للابحاث ليست سوى الخطوة الاولى ٠٠٠ وقد يطول الزمن حتى يصبح مرض النوم من امراض الماضى البعيد ٠

وتجدر الاشارة الى ان المناطق التى عم فيها مرض النوم فى افريقيا هى نفس المناطق التى انتشرت فيها ذبابة التستس Testse (انظر الخريطة) وهى مناطق استوائية واسعة يزيد عدد سكانها على ٣٥ مليونا ٠٠ فهذه الحشرة الماصة للدماء تنقل مرض النوم الى الانسان والحيوان على السواء ٠



القطارات الطائرة فى اليابان

● قد تكون اليابان بالفعل ظاهرة القرن العشرين الخارقة . فمع ان هذه الدولة الشرقية لم تخرج من سباتها العميق، وتنتقل من القرون الوسطى الى القرون الحديثة ، الا بعد منتصف القرن التاسع عشر .. وبالرغم من انها فقيرة فى الخامات الصناعية .. فقد شقت اليابان طريقها فى ميدان الصناعة والتكنولوجيا وتبوأت مكانا طليعيا . وتفوقت على كثير من دول الغرب العريقة فى الصناعة ، فى كثير من المجالات .. نذكر منها ، على سبيل المثال ، مجال بناء السفن وصنع الاجهزة الالكترونية وراديو الترانزستر .. ونذكر منها القطارات .

فالقطارات اليابانية تعتبر مثلا اعلى بالنسبة الى القطارات الاوروبية .. هذا بالرغم من ان قطارات اوروبا تعتبر فى القمة من حيث الجودة .. لا سيما اذا قورنت بقطارات الولايات المتحدة الامريكية .

يسمونها فى اليابان القطارات الصاروخية .. Bullet Trains ، نظرا لسرعتها الكبيرة التى تصل الى ١٣٠ ميلا فى الساعة . ولكنها تمتاز ايضا بالراحة التى توفرها لركابها وقد بلغ عددهم بالمتوسط ٧٠٠ مليون نسمة سنويا ..!

لا عجب اذن ان تطلعت مؤسسة القطارات الامريكية Amtrak الى اليابان ، بصدد مشروعها الرامى الى اعادة انشاء خدمات سكك الحديد وتجديد القطارات ... فى مناطق مختلفة من الولايات المتحدة وبخاصة فى الجهات الشمالية الشرقية منها .. وقد رصدوا لهذا المشروع آلاف الملايين من

بساطة

● يبدو أن العلاقة وثيقة بين الاورام الخبيثة وبين اسلوب الحياة التى يحياها الانسان .. وان الاسلوب الذى تنتهجه طائفة المورمون Mormons ، فى ولاية اوتاه فى الولايات المتحدة الامريكية كفيل بالوقاية من بعض امراض السرطان ،كثيرا او قليلا ...

فهؤلاء المورمون الذين يشكلون ٧٢٪ من سكان ولاية اوتاه ، مسيحيون ، طبعا ، ويميلون الى التقشف ويمتنعون عن التدخين وشرب الخمرة والقهوة والشاى ، ويحرمون تحريما مطلقا العلاقات الجنسية غير الشرعية .. فهذا اسلوب يحد من تعرض صاحبه لامراض السرطان ، كما اكد ذلك التقرير الذى نشرته قبل حين مجلة نيوانجلند الطبيه New England



الدولارات ٠٠ واستوردوا من اجله بعض القطارات والعربات اليابانية ٠٠ وذلك على سبيل التجربة ٠ حتى اذا ثبتت لهم المزايا واقتنعوا بالجدوى ٠٠ عمدوا الى استيراد ما يحتاجون من تلك القطارات او الى الاتفاق مع اليابان ، بل مع شركة سكك الحديد الاهلية فيها J.N.R ، على صنع مثل تلك القطارات والعربات في امريكا ٠

وتجدر الاشارة الى ان اليابان فاجأت العالم مؤخرا بقطارها الجديد العائم Floating train – او الطائر ٠٠ فقد استكملت صنع انموذج هذا القطار الذى ينطلق بسرعة ١٨٠ميلا في الساعة ويرتفع عشرة مليمترات فوق السكة ٠ وسيقوم هذا القطار برحلته الاولى سنة ١٩٧٩ ٠٠ على ان الجهة التي تقوم بتطوير هذا القطار ليست شركة القطارات وانما شركة الخطوط الجوية اليابانية ٠

العيش وأمراض السرطان

فقد بين ذلك التقرير ان عدد الوفيات بسبب السرطان فى ولاية اوتاه التى ذكرنا وفى مدى العشرين سنة ، من ١٩٥٠ ــ ١٩٦٩ ، كان اقل بنسبة ٢٢٪ من عددها فى الولايات المتحدة ككل ٠

واستشهد التقرير بالتحاليل الاحصائية التى اجروها فى كلية الطب فى جامعة اوتاه والتى دلت على ان نسبة الوفيات بسبب السرطان بين النساء غير المورمونيات من اهل ولاية أوتاه فاقت النسبة بين النساء المورمونيات منها ، بل كادت أن تطابق النسبة السائدة بين نساء الولايات المتحدة جميعا ٠

وتجدر الاشارة هنا الى قلة الاصابة بسرطان الثدى وسرطان عنق الرحم بين المورمونيات ٠ فكثرة الانجاب التى اشتهرن بها تقيهن الورم الخبيث الاول ، كما هو معروف ، والعفة الجنسية تقيهن الورم الثانى ،كما بينت آخر الدراسات والابحاث التى اثبتت الصلة الوثيقة بين سرطان عنق الرحم ، وبين الفيروس Hepes virus Type II ، وهو فيروس ينتقل بالعدوى وينتشر حيث الاباحة الجنسية ٠

والظاهر ان النساء اللواتى يبكرن فى مباشرة النشاط الجنسى واللواتى يمارسنه مع عدة رجال يكن اكثر تعرضا لسرطان عنق الرحم من غيرهن ٠ فالجماع المبكر والحمل غير الشرعى وما الى ذلك من آفات الاباحة الجنسية غالبا ما تقترن بالورم الخبيث الذى ذكرنا ٠٠٠



مركبة الفضاء الجديدة

● كانت المركبات القديمة معدة لرحلة واحدة فقط ... تحمل الرواد الى الفضاء .. ليدوروا حول الارض او يهبطوا على سطح القمر .. ثم تعود بهم الى الارض ثانية ، فتنتهي بذلك مهمتها .. وتعتبر الملايين من الدولارات التى انفقت فى سبيلها بحكم النفقات الهالكة ..

ومضى العلماء الامريكيون فى دراسة امكانيات مركبة اخرى جديدة تقوم بتلك الرحلة كالمكوك عدة مرات ..وتوفر الكثير من تلك النفقات .. وتتوفر لها مزايا اخرى لم تتوفر للمركبة الاولى .. ولم نسمع بعد ذلك شيئا عن جهود العلماء فى هذا الصدد ، حتى فوجئنا فى شهر فبراير الماضى بأن المركبة الجديدة قد تم صنعها فى مصانع شركة روكويل الدولية ، وانها نقلت من المكان الذى صنعت فيه فى بالمديل Palmdale ، عبر صحراء موجاف فى كليفورنيا .. الى مركز النازا Nasa للابحاث فى قاعدة ادواردز الجوية ..حيث وضعت المركبة موضع تجارب واختبارات عملية سيطول امدها ستة شهور ، تقوم بعدها المركبة — وقد سموها انتربرايز Enterprise بطيران فعلى .. على ان تبدأ نشاطها وتقوم برحلتها الفضائية الاولى فى مطلع سنة ١٩٧٩ .

وقد بلغت تكاليف البرنامج ٦٩٠٠ مليون دولار وبلغ وزن مركبة الانتربرايز ٦٨ طنا .. لا عجب اذن اذا هم صنعوا ناقلة خاصة لحمل المركبة ونقلها .. بلغ من ضخامتها انها تسير على ٩٠ دولابا ! .وقد قامت هذه الناقلة بمهمة حمل المركبة من مكان صنعها فى بالمديل الى قاعدة ادواردز الجوية ...

وكان موكبا مهيبا ولا ريب .. اذ بلغ طول الناقلة بالمركبة التى عليها ١٥٣ قدما ، وبلغ العرض ٧٨ قدما ، مما اضطر موظفى شركة روكويل المكلفين بضمان سلامة الرحلة .. الى التوقف فى الطريق اكثر من مرة والعمل على ازالة العراقيل التى اعترضت سبيل الموكب .. وقد عمدوا مرة الى قطع احد اعمدة المرور بالمنشار للسماح للناقلة بمواصلة السير .. وهكذا احتاج الموكب الى ١١ ساعة لقطع مسافة ٥٨ كيلو مترا .. بسرعة لا تزيد على ٤ر٨ كيلو متر فى الساعة .

ومن أهم ما يذكر عن المركبة الجديدة انها لن تطلق بواسطة الصاروخ .. بل ستحملها طائرة من طراز بوينج ٧٤٧ ، جهزت واعدت خصيصا لهذا الغرض ، حتى اذا اقتربت من الفضاء الخارجي وبلغت ارتفاع ٥٠٠ر٨ متر .. عمد قائد المركبة الى تفجير القواعد التى تشد المركبة الى الطائرة .. فتنطلق الانتربرايز برحلتها الخاصة معتمدة على نفسها واجهزتها الخاصة .. والمركبة فى غير حاجة الى مساعدة الطائرة فى رحلة العودة .. ولا تحتاج الى اكثر من اسبوعين بعد عودتها لتقوم برحلة فضائية اخرى ثانية ..

وتجدر الاشارة الى ان العمل ماض على قدم وساق فى صنع مركبة مكوكية اخرى تعرف باسم OV102 .

الاسلام ليس تراثاً

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

أثار فهمي هويدى فى العدد ٢٢٣ من مجلة (العربى) تحت عنوان (الماضى معروضا للبيع) موضوعا يستحق المناقشة حقا ، بما انه موضوع (الساعة) الذى يغطى اليوم مساحات واسعة من صحفنا ومجلاتنا ومؤلفاتنا ويستثير اهتمام مثقفينا أيا كانت ميولهم واتجاهاتهم •

انه يريد أن يقول ـ باختصار ـ أن المبالغة فى الالتفات صوب الماضى والاغراق فيه سوف يصدنا عن الاهتمام الكافى بالمستقبل ومتابعة ما يمكن أن يستجد فيه من مشاكل وتعقيدات ، والتخطيط المدروس لها • ويسوق للتدليل على ذلك ، ما يحدث فى العالم المتقدم من اهتمام جاد بالمستقبل ويعرض لعدد من الدراسات القيمة التى كتبت عنه ، بينما لم يصدر فى بلادنا لحد الان ما يشير الى أن ثمة وعيا جادا بالمستقبل قد بدأ يتبلور •

ولكيلا يحدث أى سوء فهم لوجهة نظره هذه يطرح فى البداية هذا السؤال (هل المطلوب أن نخاصم الماضى ونقاطعه ؟) ويجيب عليه بوضوح (بالتأكيد لا • لاننا اذا اقتلعنا الماضى من أذهاننا فسيظل باقيا فى أعماقنا • وشعوب لها حضارة عظيمة مثل شعوبنا لا بد وأن تعتز بهذا الماضى وتطعم كل ما هو جديد بقيمه النبيلة التى ينبغى أن تستمر وتبقى • ثم أن الضياع الحقيقى هو مصيرنا اذا انفصلنا عن هذا الماضى وعشنا فى عزلة عنه) ما هو الاعتراض اذن ؟! الا (يتحول الماضى الى عبء يثقل كاهلنا ويعوق تقدمنا الى الامام من ناحية ، ثم أن تكون كل حركتنا محصورة فى هذا الماضى بحيث تدير ظهرنا للعالم ، الامر الذى يحجب عنا رؤية الحاضر والمستقبل) •• ثم هو يندد بجعل الاهتمام بالماضى هدفا وليس وسيلة ، لدى البعض ، وطريقة للمحاكمة والتشهير لدى البعض الاخر •• فهو يرفض ـ اذن ـ ما يقود اليه التشبث المرضى بالماضى من سكونية وانفصام حضارى ، ويرفض ـ فى الوقت

نفسه ـ ان يتحول الماضي ، بمنجزاته العظيمة ، الى لعبة سهلة بأيدي اولئك الذين يحلو لهم ـ لسبب أو آخر ـ ان يقطعوا الجذور ، وهم يعلمون او لا يعلمون ـ ان ذلك يقود الامم الى الانتحار ٠

ما الذي يقوله كتاب الله ؟

ونظرة متمعنة الى كتاب الله تمتعنا المزيد من الاشارات عن ضرورة تواجد قدر كاف من الجدل الفعال بين الماضي والمستقبل ـ مرورا بالحاضر ـ من أجل حماية المصير البشري مما قد يحدق به من اخطار ونكبات ، ويحذرنا من الا يكون هنالك أي ارتباط جاد بين النظر الى الماضي وبين تكوين رؤية مستقبلية لصالح الانسان في العالم ٠

صحيح ان التأكيد على (التاريخ) يرتبط بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا ٠٠اي سورة قرأت أي صفحة شاهدت ٠٠ طالعتك هذه العروض والاشارات المسهبة او الموجزة الى مواقف تاريخية، لا ريب انها تشكل بمجموعها نسقا متكاملا للتفسير الاسلامي للتاريخ ٠٠ ولكنه (التأكيد) الذي يحمص ـ كل مرة ـ الىدعوة المتأملين والدارسين الى الخروج ، في أعقاب مطالعاتهم التاريخية ، بنتيجة بهدية عن مصير الحركة البشرية في الزمان والمكان ، ودور الانسان والقوى الكونية في أمادها القريبة والبعيدة ٠

ان جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات ينصب على اخطار البشرية بالنذير الالهي وينبثق عن رؤية وتفحص التاريخ ، وان أشد نداءات المفكرين المعاصرين عمقا ووضوحا تلك التي تحدثنا عما يحيط بالمسيرة البشرية ، في حاضرها ومستقبلها ، من أوضاع وعما تتطلبه من شروط ، وتنبثق هي الاخرى عن رؤية التاريخ ٠ ونحن اذا نظرنا الى التجارب الاوربية المتلاحقة في عالمي الفكر والحياة ، رأيناها تمد بجذورها الى أعماق التاريخ ، باحثة عن المبررات والحجج والاسانيد ، متطلعة الى الصيغة الاكثر علمية واطباقا على واقع المسيرة البشرية من أجل أن تعتمد في التحرك على أرضية الواقع صوب المستقبل ٠ وليست تجارب الثورات الفرنسية والعسكريات الالمانية والاشتراكيات الغربية والشرقية والدعاوى الصهيونية في أبعادها الفكرية (الايديولوجية) والواقعية العملية الا نماذج فحسب لمدى الارتباط بين الفكر والتجربة المعاصرتين وبين الرؤية التاريخية ٠

الحركة هي الهدف

ان القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لمجرد ترف ذهني او اشباع حاجة المؤمنين الى القصص والمشاهدات ، ولا لنزعة (اكاديمية) فيه تسعى الى تتبع (ما حدث فعلا) بأكبر قدر من الامانة ، ودون اكتراث للمدلولات الكبرى لهذا الذي (حدث) واشاراته الاخلاقية ٠ ان القرآن يجيء بمعطياته التاريخية تلك من اجل ان (يحرك) الانسان صوب الاهداف المستقبلية التي رسمها الاسلام ، ويبعده في الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق والمنعرجات التي أودت بمصائر عشرات ، بل مئات، من الامم والجماعات والشعوب ٠

فالحركة لا مجرد الاهتمام الاكاديمي ، بالماضي، او السرد الفني ، الذي هو مجرد اسلوب أو وعاء لغوي ، كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن ، كما أنها في الوقت نفسه هدف الايديولوجيات المعاصرة التي سبرت بدرجة او اخرى ـ أغوار التاريخ البشري وقدمت برامجها ومخططاتها وفق التعاليم التي تمخضت عن تلك الرحلات الطويلة في ميادين التاريخ (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؟ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ٠ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) ٠

منهج جديد

ان القرآن الكريم يقدم اصول (منهج) متكامل في التعامل مع التاريخ البشري والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب، الىمحاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية ـ التاريخية ، كما فعل ابن خلدون ـ فيما بعد ـ على سبيل المثال ، فأعطى بذلك الاشارة لغيره من فلاسفة التاريخ الذين ما تلقوا اشارته تلك وبنوا عليها الا بعد انقضاء عدة قرون ٠ وهذا يتمثل بالتأكيد المستمر في القرآن على قصص الانبياء وتواريخ الجماعات والامم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس)

تخضع لها الحركة التاريخية في مسيرها وتطورها وانتقالها من الماضي صوب الحاضر والمستقبل ٠

ان المنهج الجديد الذي يطرحه القرآن يؤكد اكثر من مرة على أن الماضي لا يكتسب أهميته الايجابية الا بان يتخذ ميدانا للدراسة والاختبار، تستخلص منه القيم والموازين التي لا تستقيم اية برمجة للحاضر والمستقبل الا على هداها (١)٠

وثمة سؤال ـ ونحن نتحدث عن التراث والمستقبل ـ يفرض نفسه : هل ان التشبث بالتراث للاستهداء بمعطياته وحمايته من (التمزيق) أو (الرفض) يقودنا الى الجمود ويقعدنا عن التقدم والحركة ، في عصر نحن بامس الحاجة فيه الى ان نوسع مدى خطواتنا ونسارع في السير لكي نلحق اولئك الذين سبقونا ؟ والجواب العادل هو : نعم ٠٠ ولا ٠٠

نعم ٠٠ اذا ما اتجنا لهذا (التشبث) ان ينقلب الى نوع من الاندماج في الماضي والذوبان فيه ، الى هروب من الحاضر المليء بالتحديات للارتماء بكسل في امجاد الماضي واضوائه ٠٠ الى رفض للانتماء الى (العصر) ، والصورة الراجعة الى الوراء لكي يحتوينا بسلبياته وايجابياته على السواء٠٠ الى موقف غير علمي لا ينقد ولا ينتقي، ولا يرفض ٠٠٠ بل يستسلم كلية لنداءات الماضي ويغيب عن العيان ٠٠ ان التشبث بالتراث اذا ما جاوز حده المعقول ، تحول الى سلاح خطير نشهره ضد انفسنا في حلبة الصراع الرهيب مع اعدائنا ومهاجمينا ٠٠

ولقد انتبه اعداؤنا انفسهم الى هذا الجانب السيء في مسالة الموقف من التراث فارادوا ان يستخدموه على مستوى الفكر لكي يغيبونا عن الحاضر فتخلو لهم الساحات ٠٠ (وهكذا اصبح الفكر الاسلامي ـ يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي ـ على اثر الصدمة الثقافية التي اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص ، ينحاز الى معسكرين أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم والاشياء الغريبة ـ حتى اللباس ـ والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس) ويمضي مالك بن نبي الى القول بان التيار الثاني وجد منحدره الطبيعي في ادب الفخر والتمجيد الذي نشأ منذ القرن التاسع عشر على اثر ما نشره علماء مستشرقون امثال دوزي عن الحضارة الاسلامية ٠٠ ثم يضرب مثلا فيقول (اننا عندما نتحدث الى فقير ، لا يجد ما يستر به الرمق اليوم ، عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه واجداده ، انما ناتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها ٠ اننا قطعا لا نشفيها ٠ فكذلك لا نشفي امراض مجتمع يذكر امجاد ماضيه ٠ ولا شك ان اولئك الماهرين في فن القصيدة قد قصوا للاجيال المسلمة في عهد ما بعد (الموحدين) قصة الف ليلة وليلة ، وتركوا بذلك اثر كل سمر ، نشوة تغامر مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق اجفانهم على صورة ساحرة لماض مترف ٠ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد فتفتح ابصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تضبط عليه اليوم ٠ فالادب الذي ينشد « عصور الانوار » للحضارة الاسلامية يؤدي اول هذين الدورين : انه اتاح ـ في مرحلة معينة ـ الجواب اللائق للتحدي الثقافي ، وحافظ هكذا مع عوامل اخرى ، على الشخصية الاسلامية ، ولكنه من ناحية اخرى صب في هذه الشخصية الاعجاب بالشيء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية والميكانيك (٢)

الموقع الصحيح

ولكن ، ومن اجل الا يحتوينا هذا الموقف الخاطيء ازاء التعامل مع التراث ، علينا ان نتحول الى موقع اكثر علمية وايجابية وانفتاحا ، موقع نتحمل فيه مسؤولية الرؤية الشاملة لمواضع الخطأ والصواب ، والنقد البصير للحدود الدقيقة الفاصلة بين الاسود والابيض والانتقاء الواعي لكل ما من شانه ان يشعل الاضواء في طريقنا صوب المستقبل،

---

١ ـ انظر بالتفصيل مقدمة كتاب (التفسير الاسلامي للتاريخ) للمؤلف (دار العلم للملايين) بيروت ـ ١٩٧٥ وانظر كذلك الفصل الثاني من الكتاب والمعنون بـ (الواقعة التاريخية) ٠

٢ ـ انتاج المستشرقين واثره في الفكر الاسلامي الحديث ص ١١ ـ ١٤

ويقدح شرارة الايمان والثقة في نفوسنا من اجل ان نتحول من حالة السكون التي نعانيها الى حالة حركية لا تدع الزمن والتراب وسائر المكونات الحضارية تفلت من بين ايدينا •

ان هذا ينقلنا الى مسألة اخرى ، غاية في الاهمية ، وخطأ كبير شاع بين الناس ، او الشيع فيهم بشكل ادق ، ذلك هو ان (الاسلام) نفسه لا يعدو ان يكون جزءا من تراث امتنا ، ومساحةمن مساحاته المتدفقي الزمان والمكان •• أو هو ـ على احسن الاحوال ـ تراث هذه الامة التي يتحتم علينا حمايته وصيانته ، تماما كما نحمي ونصون مكتبة موقوفة ، أو مصحفا خطيا جميلا ، أو منارة مائلة تهددها الايام بالسقوط !! أو مقاما عراقيا اصيلا كاد ياتي عليه نغم الحجاز !! ومن ثم فان اقصى ما يطمح اليه انسان هو الا يتجاوز تعاملنا (المعاصر) مع الاسلام حدود العلاقة بين امة ما وبين تراثها (الماضي) : بحثا وتنقيبا ودراسة وحماية وصيانة واعجابا وتقييمـا • ومن ثم ـ كذلك ـ نقع في الشرك الذي نصبه لنا الفكر الاستعماري بجناحيه الامبريالي والصهيوني ، والذي يقودنا ـ عن علم او دون علم ـ الى الزاوية الضيقة التي نقطعفيها كل علاقاتنا العضوية الحيوية مع الاسلام ،ونجمد كل اتصالاتنا الحركية بقيمه ومبادئه ، ونوقف سائر التزاماتنا بشعائره واخلاقياته وآدابه ،اللهم الا اذا كان تنفيذ الاخلاقيات والاداب واداء الشعائر نفسها (فولكلورا) وتراثا !!

ليس الاسلام تراثا

ومن اجل الا ننساق وراء هذا الموقف الخاطيء ، أو تلك المؤامرة الخطرة ، في تصور ان الاسلام ومبادئه وقيمه مسائل تراثية ، وان علاقتنا به لا تتجاوز حدود العلاقة بين جماعة من الناس وبين تراثهم العريق ،علينا ان ندرك حقيقتين اساسيتين في هذا المجال •

اولاهما ،واكثرهما اهمية ، ان تراث امتنا ليس الاسلام ، وان الاسلام ليس تراث امتنا ، بالشكل الرياضي الصارم كتطابق مثلثين تناظرت بعض زواياهما •• انما يجيء التراث نتاج تفاعل ، بالسلب والايجاب ، مع الاسلام بالدرجة الاولى ، ومع عدد اخر من المذاهب والاديان والمبادىء ، بالدرجة الثانية • فهو اذن ـ اى التراث ـ حشد من المعطيات تتمخض عن طبيعة التجربة التى احدثتها مواقف ابائنا واجدادنا من الاسلام •• معطيات شتى فيهاالخطا والصوابوالاسود والابيض والمتعرج والمستقيم والظالم والعادل وهذا التنوع يجيء لان الناس في تعاملهم مع الاسلام ليسوا سواء ، والقران الكريم نفسه عبر عن هذه الحقيقة النفسية الاجتماعية بقوله (قل كل يعمل على شاكلته) ••ومن ثم يبدو بينا هذا الفارقالواضح بين الاسلام كفكرة وعقيدة ومنهاج وممارسات اخلاقية وشعائرية،وبين تراث امة اثرهذا الاسلام في سلوكها وعطائها ، بدرجة او اخرى ، تاثيرا متغايرا كما ونوعا ، كما يبدو بينا خطأ اولئك الذين تصوروا الاسلام تراثا او عكسوا المقولة نفسها فتصوروا التراث اسلاما !!

صنع الله وعمل الانسان

ان الاسلام عقيدة ومنهاج صاغتهما يد الله الحكيمة القديرة المريدة العالمة ، ومنحتهما الصفة الدائمية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان واطروحاتهما الموقوتة الزائلة المتغيرة النسبية،لكي تكون بمثابة استشراف كامل ، مرن ، يتسع لكل حالة ،ويحتوى كل تجربة ،بغض النظر عن موقعها في الزمان والمكان ••

اما التراث فهو عطاء موقوت ، وهو رغم تاثيراته الدائمة الممتدة في مسار ـ الزمان والمكان ، لن يصل بحال مرحلة الخلود المطلق وتجاوز النسبيات التاريخية ، كما انه باعتباره حصيلة لقاء عملي واقعي بين الانسان وبين العقيدة يجيء متارجحا بين النقص والكمال ، بين الفجاجة والصرامة والتعصبوبين النضج والمرونة والانفتاح والتوافق• وما اكثر ما قاد هذا التأرجح في التعبير ، كثيرا من الناس الى ان يجافوا روح الاسلام وبداهاته وهم يحسبون انهم انما يعبرون عن ضرورات هذا الدين •

ان الاسلام ، بما أنه الدين (القيم) الذى

ارتضاه الله تعالى لامتنا العربية لكي تتحرك به الى العالم كله ، يبقى دوما عقيدة وشريعة ومنهاج حركة للانسان في كل زمان ومكان .. وما تفجر عن ذلك اللقاء المتغير المتنوع النسبي بين اباننا واجدادنا وبين دينهم القيم من معطيات ، كان هو التراث الذي ضم في حناياه تجاربهم المضنية ، وجهودهم الخلاقة وابداعهم الدائب ، ونتاجهم الدائم ، وكان بمثابة المؤشر لما اعتمل في نفوسهم من مشاعر وعواطف وأحاسيس ، ولما انتاب أذهانهم من رؤى وأحلام وأفكار وتصورات .. وهي جميعا ــ من الفها الى يائها ــ مسائل تحتمل الخطأ والصواب ..وفرق واي فرق بين هذا الذي يصنعه الانسان الذي حدثنا عنه رسولنا عليه السلام بقوله (ان كل بني ادم خطاء وخير الخطائين التوابون) وبين تلك العقيدة التي جاءت من (صنع الله الذي أتقن كل شيء) والذي (لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) .. (٣) .

البحث عن الاسباب

في ختام جولته المركزة يتساءل الاستاذ فهمي هويدي (لماذا ينسحب المفكر العربي من الحاضر والمستقبل ؟) ويكون الجواب أن ذلك يتم باختياره حينا وبالضغوط التي تمارس ضده حينا آخر (فلا يبقى مفتوحا أمامه سوى طريق واحد فقط هو : الماضي) .. وهنالك أيضا تلك الاجازة الرسمية التي أعطاها العقل العربي نفسه (منذ أغلق باب الاجتهاد ، بينما العمل مستمر في خدمة الانسان الاوروبي منذ عصر النهضة) .. وليس ثمة ما يضاف الى هذه الاسباب ..

فكثيرون من المحسوبين على (الاكاديمية) يجدون في تحقيق مخطوط قديم فرصة أكثر سهولة وضمانا ويسرا لتطمين مستقبلهم العلمي والوظيفي والاجتماعي ، بدلا من أعمال الذهن لردم سدود عاتية تنتصب ، هنا وهناك ، في مسالك حياتنا المعاصرة .. ولحفر قنوات جديدة في مستقبلنا القريب والبعيد ..

وكثيرون ممن يجبنون عن مجابهة الضغوط الفوقية الراهنة لا يجدون للتعبير عن قدراتهم الا الارتداد صوب الماضي ، وتحولهم ، كما يقول الفيلسوف الالماني أزوالد شبنغلر الى (منظفي أتربة أكاديميين) (٤) !!

وكثيرون ممن يتكئون على معطيات عقول أجدادنا الكبيرة ، لا يجدون في أنفسهم الدافع والمبرر لاعمال عقولهم (هم) ومجابهة تحديات القرن العشرين بحجة أن باب الاجتهاد قد أقفل ..

لكن هؤلاء الاخيرين ، اذا أردنا الحق ، ليسوا كل من هنالك .. فهناك الكثيرون من رواد الفكر الاسلامي ، وضعوا عقولهم المؤمنة في مجابهة فعالة مع مقتضيات عهدهم وتحدياته .. واجتهدوا .. كل وفق قدرته وامكاناته ، وأجابوا على مئات الاسئلة ، واستجدوا حلولا لمئات القضايا.. بل انهم مضوا الى ما هو ابعد من هذا فاستشرفوا المستقبل وحدثونا عن الكثير مما قد يأتي به ، لان كتاب الله علمهم ان ينظروا دوما صوب المستقبل : صيرورة الزمن المحتومة (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ..)

اما الذين اختاروا ان يظلوا في مواقع الاتكالية والانتظار ، متمنين وقوع المعجزة فليظلوا حيث هم .. وأما قانون الكون فسيظل ساريا ــ كما يقول صاحب المقال ــ ذلك (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .. وصدق الله العظيم .. ■■

الموصل : د . عماد الدين خليل

---

٣ ــ عن المقاطع السابقة انظر بالتفصيل بحثا لصاحب المقال بعنوان (موقف ازاء التراث) مجلة المسلم المعاصر ، العدد العاشر .

٤ ــ عالجت هذه المسألة بالتفصيل في كتاب (في النقد الاسلامي المعاصر) مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ ١٩٧٢ فصل (نقد للاكاديمية وتأمل في التاريخ)

● قصة قصيرة ●

هو وأنا

للكاتبة الايطالية : ناتاليا جنزبورج ★

■ هو يشعر بالدفء دائما ، وانا دائما بردانة . في الصيف ، حينما يصبح الجو حقا حارا ، لا يتوقف عن الشكوى من الحرارة ، واذا رآنى ألبس شيئا اثقل في المساء سخر مني .

هو يتكلم لغات عديدة ، وانا لا أجيد حتى واحدة . حتى اللغات التي لا يعرفها يتصرف بها بطريقته الخاصة .

يتمتع باحساس غريزي بالاتجاه لا يوجد عندي. بعد يوم واحد في مدينة غريبة ، يتنقل فيها حرا كالفراشة .بينما افقد طريقي في مدينتي واضطر للسؤال عن الطريق الى منزلي . هو يكره أن يسأل عن الطريق . حينما نمر بالسيارة في مدن لا نعرفها ، يرفض ان نسأل المارة ويطلب مني أن ارشده بالخريطة ، وانا لا أعرف قراءة الخرائط: أتعثر دائما بين التعرجات والنقط والخطوط الحمراء ، فيغضب .

هو يحب المسرح والرسم والموسيقى – الموسيقى خاصة – وأنا لا أفقه شيئا في الموسيقى ، والرسم لا يهمني والمسرح يملأني بالسأم . شيء واحد احبه وافهمه في العالم ، وهو الشعر .

هو يحب المعارض وانا ازورها مرغمة ، محتجة، تادية لواجب . هو يحب المكتبات وانا امقتها .

★ ناتاليا جنزبورج – احدى اشهر روائيتين ايطاليتين معاصرتين (الاخرى هي الزامورانتي) ولدت في ١٩١٩ في باليرمو (صقلية) – تزوجت من روسي المولد ليون جنزبورج – مدير مؤسسة ايناودي للنشر – الذي مات في ١٩٤٤ (ويقال ان النازيين سمموه) وتزوجت في ١٩٥٠ من جابريلي بالديني – استاذ الادب الانجليزي بجامعة روما – وتدور حوله هذه « القصة » – ومارست ناتاليا جنزبورج كتابة الادب منذ ١٩٤٢ وحصلت في ١٩٦٣ على جائزة ستريجا – اكبر الجوائز الادبية الايطالية لكتاب سيرة حياتها « حكم ترويها العائلة » – اهم مؤلفاتها الاخرى « الطريق الى المدينة » – « هكذا كان » – « ايام الامس الكثيرة » (مجموعة قصص) – « اصوات المساء » – « الفضائل الصغيرة » (مجموعة قصص ، ضمنها « هو وانا ») و « خمسة روايات قصيرة » ..



هو يحب السفر : المدن الغـــريبة البعيدة ، المطاعم ـ وانا يسعدنى آن ابقى فى منزلى فلا اتحرك أبدا • لـــكنه يجرنى خلفه فى رحـلاته الكثيرة • اتبعه فى المتاحف والكنائس ودور الاوبرا وفى الحفلات الموسيقية ، حيث انام ، ولانه يعرف قادة الفرق الموسيقية والمغنين ويحب ان يهنئهم بعد عروضهم ، اتبعه فى الدهاليز الطويلة الى غرفة الفنانين واسمعه يتضـاحك معهم وهم فى ملابس الملوك والبهلوانات •

هو ليس خجولا وانا خجولة • اراه احيانا خجولا امام جنود المرور حينما يتقدمون نحو سيارتنا مسلحين بدفاتر مخالفاتهم واقلامهم • امامهم ينحنى خجلا لانه يشعر أنه قد أخطأ، او اذا لم يكن ذلك ، فلانه يحترم السلطة الحاكمة • السلطة الحاكمة ترعبنى انا ولكنها لا ترعبه ، بل يحترمها ، وهنا الفارق • اذا رأيت جنديا قادما نحونا ، اشـعر فورا أنه سيسحبنا الى السجن ، والسجون لاتخطر على باله ، ولكن الاحترام عنده خجل وليونة •

يحب التالياتللى (نوع من المكرونة) ولحم الضان وثمار الكرز والنبيذ الاحمر ، وانا احب الشوربة بانواعها والعجة والخضروات الطازجة • يدعى دائما أننى لا افقـه فى الطعـــام واننى كالرهبان السمان ، يجلسون فى الظل يبتلعون اى طعام يوضع امامهم • اما هو فمـــرهف الحس ،

ذواقة · فى المطاعم يدخل فى حوارات لا تنتهى حول الطعام والانبذة : يستجوب الساقى ، يدرس القائمة بعناية وهو يربت على ذقنه برفق ، لا يترك الساقى يختار له ··

بنفس الطريقة لا يسمح للعاملة المختصة فى السينما أن تقوده الى مقعده ، يعطيها بقشيشها عند الباب ثم يسرع جالسا فى مقعد بعيد تماما عن الذى توجهه اليه بمصباحها الكهربى · يجب أن يجلس فى مقدمة الصالة ، قريبا من الشاشة· اذا ذهبنامع اصدقائنا وكانوا — كغالبية الناس — يفضلون الجلوس فى الخلف ، يذهب وحده ليجلس فى الصفوف الامامية ، اما انا (ويمكننى أن ارى جيدا عن قرب وعن بعد) فاجلس مع اصدقائنا بداعى الذوق ، وابقى تعيسة لانى اعرف انه غضبان لاننى لم اجلس بجانبه قرب الشاشة ·

نحن الاثنين نحب السينما ومستعدان أن نرى اى فيلم فى اى وقت من النهار · لكنه يعرف تاريخ السينما بادق تفاصيله : يذكر المخرجين والممثلين كلهم ، حتى القدامى الذين اختفوا وأهملوا منذ سنين ، وهو مستعد أن « يسافر » كيلو مترات الى ابعد الضواحى جريا وراء فيلم صامت به ممثل كان يحبه فى طفولته قبل سنين طويلة ·

انا لا اذكر اسماء الممثلين ، ولاننى انسى الوجوه عادة ، اجد من الصعب أن اتذكر حتى اشهر النجوم ، وهذا يغضبه جدا · اساله عن فلان فينظر الى بدهشة ويصيح « لا تقولى ·· لا تقولى انك لا تعرفين وليام هولدن » ·

فعلا · انا لا اتعرف علىوليام هولدن — ولكننى احب السينما — ورغم اننى شاهدت مئات الافلام الا اننى لم اتثقف سينمائيا · هو يتعلم كل ما يتعلق باى شىء يثير اهتمامه ، بينما لا استطيع أن اتعلم شيئا عن اى شىء : حتى اكثر الاشياء التى احببتها فى حياتى ، بقيت عندى صورا منتشرة بلا ترابط ، تغذى حياتى بالذكريات والمشاعر ولكنها لا تملأ صحرائى الثقافية · لذا يتهمنى باننى لا أعرف الفضول · ابدا : عندى فضول بالنسبة لاشياء قليلة عندما اعرفها احفظ لنفسى منها صورا متناثرة غير مترابطة ، او تربطها خيوط غير مرئية لى ، لا اعرفها ··

عندى — كل نشاط صعب متعب غير اكيد النتائج · انا ايضا كسولة ، واذا لم يكن عندى ما اعمله ،اقضى ساعاتطويلة ممدودة على كنبة· اما هو فنشاط دائم — عنده دائما ما يفعله : يدق على الآلة الكاتبة بسرعة كبيرة بينما يستمع الى الراديو مفتوحا بجانبه ، وحينما يذهب ليستريح بعد الغداء ، ياخذ معه مسوداتليصححها او كتابا ليقراه ·· فى يوم واحد يريد أن يذهب الى السينما وان يحضر حفلة ويشاهد مسرحية ، فى يوم واحد يمكنه ان يصنع — ويجعلنى اصنع معه اشياء كثيرة متعددة ، واذا حاولت وحدى أن اقلده يستحيل على ذلك لاننى اغرق لساعات فيما نويت ان اعمله فى نصف ساعة ، لاننى افقد طريقى ، او لان اكثر الاشخاص املالا لى قد جرنى معه الى آخر مكان ارغب فى الذهاب اليه··

اذا رويت له ما افعله فى غيبته يعتبره وقتا ضائعا ويقول ان لا امل فى بدونه ··

هو يحب الحفلات · يذهب اليها فيما يتصادف ان يلبسه (ان يغير ملابسه ليذهب الى حفلة امر لا يمكن ان يتصوره) ويبقى هناك نصف ساعة فقط · يجب ان يتبادل الحديث وفى يده كاس لنصف ساعة فقط ثم يمل الحفل — بينما اكون انا قد بدأت اعتاده واتمتع به — فيجرنى معه خارجين ·

لا أعرف الرقص وهو يرقص ·

لا اعرف استعمال الآلة الكاتبة وهو يجيد استعمالها ·

لا أعرف قيادة السيارة · وحينما اقترحت عليه أن اتعلمها ، رفض قائلا اننى — على كل حال — لن احسن القيادة ابدا · رأيى انه يحب أن يبقى اعتمادى عليه كاملا فى بعض الاشياء··

لا أعرف الغناء وهو يحسنه · صوته ممتاز ولو كان تعلم الغناء لاصبح مغنيا مشهورا · لو كان تعلم الموسيقى لاصبح قائد فرقة موسيقية معروفا لكنه يعمل بالتدريس ، واعتقد أنه يجيده · كان باستطاعته ان يعملاى شىء ولكنه لا يندمعلى اى

شيء لم يعمله ، اما انا فلم يكن باستطاعتي ان اعمل شيئا واحدا ، عملي الذى اخترته ، الذى مارسته منذ بدأت أن اعمل – ولـكنني ايضا لا اندم على اىشيء لم اعمله (على فرض ان ذلك كان بامكاني) • انا اكتب القصص • عملت لسنوات عند ناشر • لم يكن عملي متميزا ولم يكن سيئا ، كان معتـادا ، وجمعتني بزملائي ورئيسى صـداقة ان لم تكن قد وجدت لاصابنى الارهاق ولما امكنني الاستمرار فى العمل • فى يوم ما راودتني فكرة ان كتب سيناريو لفيلـم ولكن لم تتح لى الفرصة لذلك – او لم اعرف كيف ابحث عنها – ولم تعد الفكرة تراودنى • اما هو فقد كتب اكثر منسيناريو – فى يوم ما – وكتب قصصا : قام بدل ما عملتـه واكثر منه بكثير •

هو يحب الضجيج حوله : طول النهار تهدر فى بيتنا الموسيقى • فى الصباح – وهو فى بيجامته، يقطر الماء من وجهه وقد غسله – يفتح الراديو او يضع اسطوانة • احتج احيانا ، اطالب ببعض الهدوء لكى اعمل فيقول ان موسيقى جميلة كهذه خير رفيق لاى عمل ••

امه تقول انه كان فى طفولته مثالا للنظـام والنظافة – اين منه اليوم ذلك الطفل المنظـم النظيف ؟ – ملابسه دائما ترصعها البقع واوراقه ملقاة فى كل مكان • اما انا فكنت دائما بعيـدة عن النظام ولكنني اصبحت – بمرور السنين – اكثر حنينا للنظام ، تنتابنى نوباته فانظفالمنزل من جديد وراء الخادمة واعيد فرش ادراج المنزل والرفوف بالورقالنظيف وانظم الدواليبوالموائد• اى انني – فى بعدى عن النظام – اشعر بالالم وبتبكيت الضمير ، اما هو فعدم نظامه انتصار له ، فقد قرر أن شخصا مثله يحق له ان يحيطه عدم النظام •

احيانا يسخر منى ، من تشككي وترددى ومن احساسي بالالم ، من شعورى ان كل ما اعمـله خطا ، لذا اذا اخطأ هو فى شيء اذله واستمر فى اذلاله حتى يثور غاضبا (باستطاعتي ان اكون احيانا بالغة الحقارة !!) وحينما يغضب يفور برغوة كبيرة – كالبيرة فى الكوب – غضبى انا ايضا فجائي كغضبه ، عنيف كغضبه – ولكن بينما تنصرف عصبيته بسرعة ، تتسرب عصبيتي ببطء تاركه خلفها ذيلا طويلا من المـرارة •• واحيانا تبكيني ثورة غضبه، ولكن دموعى – بدلا من أن تهدئه وتلينه – تزيده غضبا – يصيح « كل هذا تمثيل » – وربما كان محقـا لانني وسط ثورته ودموعى – اشـعـر بهدوء كامـل بداخلى ••

اما احزاني الحقيقية فلا تبكيني ابدا ••

•• كان – قبل حوالى اربعين عاما – شـابا وسيما رشيقا حليق الذقن ، له شارب شـعره ناعم طويل – كان يشبه الممثل روبرت دونات – كان يرتدى – حينما قابلته فى ذلك الوقت – فى المساء (ادركهذا جيدا) قميصا رائعا به مربعات من قماشالعانلة •سرنا معا فى شارع نازيونالى الى حيث المنزل الذى كنت استاجر غرفه به • كنت اشعر حينئذ انني عجوز محملة بالتجربة والاخطاء وبدا لي غلاما تفصله عنى مسـافة هائلة • لا اذكر ما تناوله حديثنا فى ذلك المساء – لم يكن شيئا هاما بالطبع •• وكانت بعيدة عنـى – تفصلنى عنهـا سنين ضوئيـة كثيرة – فكره اننا سنغدو زوجين فى يوم ما !! ثم لم نتقابل لسنين عديدة ، وحينما تقابلنا من جديد كان لم يعد يشبه روبرت دونات – ربما صـار اقرب شبها لبلزاك – كان ما يزال يلبس قميصا « مربعات » ولكن كانت قد اصبحت له لحية وكان يضع على رأسهقبعةمكورة من الصوف كانهسيذهب لاستكشاف القطب الجنوبى ، او ربما كان يبدو كزارع بن فى البرازيل •• وتقابلنا مرات بعد ذلك •• واذا ذكرته اليوم بمشيتنا البعيدة تلك – قبل اربعين عاما – فى شارع نازيونالى ، يقول انه يذكرها ولكنني اعرف انه لا يذكر شيئا ، انه يكذب ليسعدنى •••• واحيانا اكاد لا اصدق اننا كنا حقا •منذ اربعين عاما ،هذين الشخصين الذين التقيا صدفة فى المساء وسارا متجاورين يتبادلان حديثا رسميا لبعض الوقت ثم أوما كل منهما للآخر مودعا وافترقا متباعدين وهما لا يدركان أن المستقبل يضمر لهما – بعد سـنين طويلة – حياة واحدة • ■■

ترجمة : فريد كامل

دولة شابة مسلمة.. تعيش بوجدان

استطلاع بقلم : محمد حسنى زكى تصوير : صلاح آدم





كوالالمبور .. عاصمة ماليزيا ،مدينة عصرية ، التقى فيها الشرق بالغرب .. معالم ذات سمات عربية اسلامية (تحت) تقف شامخة بجوار معطيات الفن المعمارى الحديث .. التى تزخر بها ارجاء العاصمة (يسارا) ، بينما وقفت هذه الصبية الماليزية وقد اشرقت على فمها ابتسامة الامل فى غد سعيد .





عربی: مالیزیا



■ قالوا لن تعيش ماليزيا بعد الاستقلال ، فبلدهذا حاله وهذا تكوينه لا بد ان يتمزق !! ولكن ماليزيا عاشت ونمت وازدهرت ..

في شهر اغسطس مضى على تاسيس ماليزيا الدولة المستقلة أربعة عشر عاما ، استطاعت خلالها ان توطد دعائمها ، وتسير في طريق التقدم والرفاهية بخطى ثابتة ، واصبحت تنعم باستقرار تحسدها عليه دول اخرى كبيرة في القارة الكبيرة ، وبالرغم من ان المنطقة من حولها تمر بتطورات هامة وسريعة ومتلاحقة وتعصف بها رياح التغيير ، وتنفي على بعض بلدانها ظلالا حمراء .. تمضي ماليزيا في طريقها تصنع الرخاء وتحقق مزيدا من الازدهار !

كيف حدث هذا ؟

وكيف نهضت هذه البلاد بعد تخلف واستعمار دام سنوات طويلة ؟

وكيف تجاوزت الصراعات العنصرية تلك التي توقعوا بسببها التمزق لماليزيا ؟

وكيف تبدو صورتها للقادم الغريب ؟

ثم كيف يعيش اهلها وكيف يتصورون المستقبل؟

كلها علامات استفهام كانت ترتسم امامنا خلال عشرين يوما عشناها في ماليزيا ، كنا نرى ونسمع ونقرا ونتحدث ونسجل .. نتنقل من مكان الى مكان .. بالطائرة وبالسيارة وبالقطار ونلجأ الى « الهليوكوبتر » عندما لا تكون هناك وسيلة اخرى ، تسلقنا الجبال ، وبين دروب الغابات الضيقة مشينا تحت السيول .. كنا نريد أن نقرا على أرض شبه جزيرة الملايو الاجابات على الاسئلة التي ترددت في خاطرنا ، كنا نريد ان نقرا قصة ماليزيا الدولة الوحيدة في شرق آسيا التي ينص دستورها على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمي .

سلامات

وتحط الطائرة بنا على ارض مطار « سوبانج » الدولي مطار «كوالالمبور» الحديث .. ولولا النسمات الاستوائية الحارة التي صافحت وجوهنا لحسبنا انفسنا في احدى المطارات الأوروبية الحديثة .. مطار رحب نظيف تتدفق الحركة فيه بسهولة وسرعة .. واجراءات الجوازات والجمارك يؤديها شباب نشيط ، لم تستغرق الاجراءات سوى دقائق معدودات ، كنا بعدها عند الباب الخارجي للمطار ، نقرا لافتة كبيرة مكتوب عليها سلامات Selamat بحروف افرنجية وعندهم باللغة الماليزية تعني مرحبا ، ونستقل السيارة التي تنطلق بنا صوب المدينة ومعنا رفيقنا الصديق الماليزي عثمان فوزي ..

في كوالالمبور

ونصل الى الفندق ونضع امتعتنا .. ثم يحدث لنا ما يحدث لكل وافد الى بلد غريب .. الرغبة في اكتشاف المجهول ، ونقوم فورا بجولة في المدينة مدينة عصرية ، تعيش الربع الاخير من القرن العشرين ، وينعكس على ارضها كل منجزاته الحضارية وتحوي في ارجائها مشاهده وعجائبه .. وتلتقي تحت سمائها عوالمه .. ولو رآها اليوم الشاعر الانجليزي « كبلنج » لما قال قولته الشهيرة « الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا » .. لكن في كوالالمبور .. التقى الشرق بالغرب .. وانصهرا معا في انسجام ووئام .. ويبدو ذلك اول ما يبدو في لافتات المحلات التجارية .. حروف واسماء عربية وانجليزية وصينية وهندية ، والناس في الطرقات خليط .. ملايويون وصينيون واوروبيون وهنود .. بعضهم يرتدي الأزياء الغربية ، وبعضهم مايزال محافظا على الزي التقليدي الوطني .. ونتجول في الاسواق فنسمع عدة لغات .. ملايوية وانجليزية وصينية وتاملية .. وتلتقط اذاننا مزيجا عجيبا من الاغاني الشرقية والعربية ذات النغم الهادىء البطيء ، ممتزجة بانغام البوب السريعة الصاخبة . ونجد هذا التنوع حتى في اساليب العمارة ، فهذا البناء الضخم ذو الطراز الاسلامي العريق الذي كان في السابق مقر الحكومة .. وهذه البناية الاخرى التي تخالها مسجدا كبيرا .. ونتعجب حينما نعرف انها محطة السكة الحديد ، والجامع القديم على ضفة النهر ، كل منها يشكل احد المعالم ذات السمات العربية الثرية بمظاهر الفن الاسلامي .. وكل هذه المعالم تقف شامخة تزهو بجوار معطيات الفن المعماري الحديث ..

ونمضي نستكشف أرجاء هذه المدينة الحديثة .. كل شيء فيها جديد ، لامع ، نظيف .

مع الحديث الجديد !

ونرى من بعيد فوق تل مرتفع بناية عالية ..



ونسال عنها ونعرف انها دار البرلمان الذى يتالف من ١٨ طابقا ، ونقترب منه ونجد على ضفاف بحيرة واسعة النصب التذكارى للماليزيين الابطال الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل استقرار الوطن وحريته ويقع الى الجنوب من البحيرة المتحف الوطني الذى تعكس لوحاته ومجسماته تطور الحياة في البلاد ، ويعرفنا على تراث ماليزيا الثقافي والتاريخي وعادات وتقاليد أهلها ، وبه الكثير من الاثار التاريخية الاسلامية ، كما يحوى عدة مخطوطات للقرآن الكريم خطت منذ مئات السنين ٠٠ ونمضى في جولتنا لنشاهد معالم كوالالمبور ، ومع كل خطوة يزداد اعجابنا ٠٠ فهذا مبنى « استاد نيجارا »أى الاستاد الوطني استاد فخم واسع مسقوف يتسع لعشرة آلاف متفرج وانشىء في وسطه مسرح متحرك ويبعد عنه بنحو ١٠٠ متر « استاد مرديكا » أى الحرية وهو أكثر اتساعا ، فهو يتسع لأكثر من اربعين ألف متفرج ٠٠ ويبدو لنا ان حركة التعمير والاسكان تجرى على قدم وساق ، ففى كل مكان ترى بناء ضخما يرتفع ٠٠ بل ان احياء سكنية كاملة باسواقها وجميع مرافقها كلها تحت الانشاء ٠٠٠ وتمتاز مدينة كوالالمبور بفنادقها العالمية الرحبة الفسيحة المكيفة الهواء والمجهزة بالملاعب واحواض السباحة والمطاعم ألتى تقدم مختلف الاطعمة ٠٠ ففى الفندق الواحد تجد عدة مطاعم يتخصص كل واحد في نوع من الطعام ٠ وتحيط بالفنادق مساحات كبيرة من الحدائق وقد زرعت بانواع عديدة وغريبة من الزهور والنباتات الاستوائية ، وماليزيا تتمتع بالمناظر الطبيعية الساحرة التى تجذب السائحين من شتى أنحاء المعمورة ، وقد بلغ عدد السائحين عام ١٩٧٦ مليون سائح شغلوا ٧٣٠٠ غرفة تحويها فنادق ماليزيا البالغ عددها ١١٤ فندقا ٠٠

ولا تقتصر الانشاءات على الفنادق والاحياء السكنية ، بل اقيمت في الضواحي الهادئة عدة مؤسسات ثقافية ، وكليات جامعية أحيطت كل كلية بعدد من الفيلات والبنايات لسكن الطلبة والطالبات وأساتذة الجامعات ٠٠والظاهرة التى لفتت الانظار، أن كل المؤسسات الصناعية او الثقافية أو الاجتماعية حكومية كانت او اهلية تبنى بالقرب منها مساكن لموظفيها او لعمالها ٠٠وبذلك حلت مشكلة الاسكان والازدحام ٠٠

يرصفون الشوارع بالمطاط

وننتقل الى الضواحي بالسيارة التى تسير في طرقات فسيحة ناعمة فقد غطوها بطبقة من المطاط ليصبح سير السيارات عليها سهلا ناعما بلا ضجيج ٠٠ ان حركة المرور منتظمة كالساعة ٠٠ فلا زحام ولا اختناقات ٠٠ وما أجمل أن ترى المجموعات الكبيرة في الصباح الباكر من راكبي وراكبات الدراجات البخارية وقد وضعوا الخوذات على رؤوسهم ٠

ونذهب الى ضاحية « بتالنج جايا Petling Gaya » ٠٠ اكبر مدينة صناعية في جنوب شرق آسيا ، وتبعد مسافة ٩ كيلو مترات عن كوالالمبور،





يهتم المسلمون فى ماليزيا بالاحتفالات والاعياد الدينية ويهتمون اهتماما خاصا بذكرى مولد الرسول الكريم صلوات الله عليه ، حيث يحتفلون بها احتفالا كبيرا في استاد الحرية فيحتشد الناس لسماع تلاوة من آيات الله البينات تعقبها المحاضرات والاناشيد الدينية (الصورة فوق) وبعدها تبدأ مسيرة يتقدمها الملك ورجال الدولة الى المسجد الوطنى (يسارا) حيث يؤدون الصلاة ويتبادلون التهانى والهدايا •• وقد بنى هذا المسجد الكبير تخليدا لذكرى استقلال البلاد ويتسع لتسعة آلاف مصل ••

والدعوة الاسلامية فى ماليزيا نشطة ويقبل الكثيرون على اعتناق الاسلام حيث يجتمع بهم المفتى شارحا لهم تعاليم الدين وبعدها ينطقون بشهادة التوحيد (تحت)•







وتحوي مايزيد على مائة مصنع ، تصنع كل شيء من ابرة الخياطة الى الجرارات » والكراكات »الضخمة مصانع صابون وبسكويت وسجائر ومشروبات غازية وغيرها ٠٠ وتجاور هذه المنطقة الصناعية أحياء للسكان منسقة تنسيقا بديعا ، وزودت بكل متطلبات الحياة ، تعيش فيها أكثر من ٥٠ الف عائلة يعمل رجالها ونساؤها في المصانع المجاورة ، ان « بتالنج جايا » مدينة فريدة من نوعها ٠٠

الآن أملك بيتا

ونقفل راجعين الى كوالالمبور ٠٠ وعند مداخلها نرى عدة بنايات شاهقة متشابهة الطلاء والطراز ، ونسأل رفيقنا عثمان عنها ، ونعرف انها احدى المشروعات الاسكانية التي بنتها الدولة ووزعتها على المواطنين ، وراعت عند توزيعها ان يتم اسكان لعائلة الماليزية من اصل ملايوي بجوار عائلة أخرى من أصل صيني أو هندي ، وذلك ليتم التمازج والتقارب والتفاعل الاجتماعي بين عناصر الامة الثلاثة ، هذه العناصر التي كان بينها في الماضي صراع وصل أحيانا الى حد الصدام الدامي ٠٠ انها احدى المشكلات التي عانت منها ماليزيا عند ميلادها ٠٠ نرجيء الكلام عنها الى حين ٠٠ وتتردد بين صغار الموظفين في دواوين الحكومة كثيرا عبارة « والان املك بيتا » لقد اقيمت هذه المجمعات السكنية الكبيرة وبيعت شققها لهم بأثمان زهيدة وعلى اقساط مريحة لا تزيد عن ايجارها الشهري٠

ونعرج في طريق عودتنا الى قلب المدينة ، وقد أقبل الليل ، ولكن ما تزال حركة البناء نشطة ، فالعمل يجري ليل نهار ، وتختلط رائحة الملاط والطلاء برائحة البط المشوي ، التي تنبعث من المطاعم الصغيرة في الساحات الصغيرة والشوارع الجانبية وعلى الارصفة ، التي يقوم الطاهون باعداد الطعام أمام الزبائن بمهارة فائقة ، وبنظافة ملفتة للانظار ، وعلى مصابيح الغاز وبين ضوضاء حركة المرور يستمتع الناس بما يختارونه من الاطباق الصينية أو الملايوية أو الهندية أو الاندونيسية ٠٠ أو حتى من الاطباق الاوروبية الشهيرة ، الكل يأكل حتى يصاب بالتخمة ، سواء في هذه المطاعم او في مطاعم الفنادق الفاخرة أو في المطعم الشعبي الذي انشأته الدولة على ضفاف نهر « خاكي » ليقدم للناس وجبة كاملة العناصر الغذائية بثمن زهيد ٠٠ والكل ينهي وجبته باختيار نوع من الفاكهة التي تشتهر بها ماليزيا والتي تجد فيها أكثر من ثلاثمائة صنف مختلف لم نره ولم نذقه في أي بقعة أخرى من العالم ، ولا تسألونا عن أسمائها ٠ ! ، وبعد تناول وجبتك اللذيذة تسمع من ينصحك بأن تتناول كوبا من مياه الاعشاب المهضمة ، لتجوع ثم تأكل من جديد ، ويتبقى بعد ذلك وقت للهو والترويح ٠

أغاني أم كلثوم

انهم يهوون الاستماع الى الموسيقى ولكن اي موسيقى ؟

انهم يطربون بسماع صوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ٠٠ ان الموسيقى تطربهم ، والصوت يشجيهم ، ولكن الكثيرين لا يفهمون معاني الكلمات ، ويحرص الماليزي أيضا على الذهاب الى المهرجانات والحفلات العامة ٠٠ وما أكثرها ٠

ويقول الماليزيون ، ان كوالالمبور مدينة المهرجانات ، فلا يمضي أسبوع دون أن تجد مناسبة يحتفلون بها،فهي بحق مدينة الاحتفالات المستمرة، اعياد وطنية ، واعياد للطوائف الدينية العديدة، ودائما تتصاعد رائحة البخور في الطرقات ، واذا صادف ولم يكن هناك حفل او مهرجان يذهب الماليزي الى مشاهدة عروض الرقص التقليدي وهي عروض كثيرة ٠٠ فلكل ولاية رقصاتها الشعبية ، وأزياؤها التقليدية المزركشة واغلبها رقصات جماعية يغني الراقصون مقطوعات جميلة يغنون للنهار الذي طلع على أرض ماليزيا بعد ليل طويل ، ومن أشهر الرقصات التي تحوز اعجاب المشاهدين رقصتان تعرفان باسم «حضرة»، « زافين » ويرجع أصلهما الى الجزيرة العربية ٠٠ وتحكي أكثر الرقصات قصصا نابعة من الادب الشعبي القديم أو تصور لمحات من الحياة الماليزية ٠٠ فتصور حياة صيادي السمك المكافحين على سواحل خليج ملقا وبحر الصين ، أو حياة الفلاحين الكادحين في حقول الارز ومزارع المطاط وغابات نخيل الزيت ، ويعبر الفن الشعبي عن الافراح الشعبية في مواسم الحصاد ،وتصاحب الراقصين موسيقى عذبة تعبر عن فرحة الحياة بنغم سريع خفيف ، وفي كوالالمبور قاعة تعد من أجمل قاعات الفن القومي في جنوب شرقي آسيا، والعمل جار في انشاء قاعة أخرى على مساحة عشرة أفدنة ٠٠



الشيخ يوسف الزواوي : « كان التجار العرب من جنوب الجزيرة العربية والخليج هم الرواد الاوائل الذين حملوا الى هذه البلاد الاسلام .. دينا وعلما .. »

سياحة مزدهرة

ان الشعب الماليزي من بين شعوب العالم التي تهتم كثيرا باوقات الراحة فهم يروحون عن أنفسهم، ويجددون نشاطهم ، بنفس الرغبة التي يعملون بها ، وهناك بقاع قريبة من العاصمة تتمتع بمناظر فاتنة، وقد اقاموا بها عدة منشآت سياحية، لقد حولوا قمم المرتفعات واحضان الغابات الموحشة الى اماكن تذخر بالحياة مملوءة بالسحر والجاذبية وتشع بالدفء الانساني .. دعينا الى زيارة احدى هذه المنتجعات السياحية على مرتفعات «جنتنج» ، مدينة صغيرة ترتفع على سطح البحر خمسة آلاف قدم ، وعامرة بالبحيرات الصناعية والمتنزهات وحدائق الاطفال وملاعب الجولف ، وحمامات السباحة ، كما تحوي استادا رياضيا لاقامة المباريات الرياضية .. وغير ذلك من أسباب التسلية للكبار والصغار . وبها اربعة فنادق ذات مستويات متفاوتة ، لتناسب مختلف الدخول.

والمواصلات اليها سهلة مريحة ، بطريق السيارات ، أو بواسطة « الهليوكبتر » او بالمركبات الهوائية Cable Car وهذه المنشآت السياحية منتشرة في انحاء البلاد مما شجع الزوار وخلق حركة سياحية نشطة، ويقدر رجال السياحة عدد السائحين هذا العام بمليونين .

لقد طالت جولتنا ، بل جولاتنا في كوالالمبور وضواحيها ، ونعود الى الفندق ذات ليلة ويودعنا الصديق « عثمان » بعد أن حدثنا بلهجة مصرية قال انه تعلمها في مصر التي قضى فيها عشر سنوات قال : اترككم الان لكي تستريحوا ، فنحن على موعد في الصباح الباكر ، موعد مع يوم كريم .

اسلام فليتا عالم

وفي الصباح يأتي صاحبنا مبكرا ، وقد ارتدى الزي الوطني ، وعلا البشر وجهه ، وهتف بنا قائلا : « لقد جئتم في أيام مباركة ، فاليوم كما تعرفون الثاني عشر من ربيع الاول ذكرى الاحتفال بمولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ذكرى عاطرة في نفوسنا ، حية في قلوبنا تستمد منها الاسوة والقدوة الحسنة ، ونحتفل بها احتفالا كبيرا في كافة انحاء ماليزيا وتعطل فيها المصالح الحكومية ، وهنا في العاصمة نحتفل في « استاذ مرديكا » ، فلنذهب الان لنأخذ أماكننا قبل الزحام ، ولنذهب على عجل !

ونجد المكان غاصا بالناس وقد بدا وكأنما هو سيمفونية رائعة من الالوان والاناشيد ، صورة جميلة تفوق كل خيال ، ارتدى الجميع رجالا ونساء الملابس الوطنية الزاهية الالوان، واصطفوا في ساحة الاستاد جماعات جماعات في صفوف منتظمة ، وحملوا الاعلام والبيارق والشعارات واللافتات المزينة بالزهور ، وقد كتب عليها بالماليزية وبحروف عربية حينا ، وافرنجية حينا ـ فاللغة الماليزية تكتب بهما ـ « اسلام فليتا عالم » وتعني الاسلام نور العالم ، واخذ الجميع يكبرون ويسبحون بحمد الله وينشدون النشيد الخالد.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع .

.. وتنشده الفتيات بصوت رقيق عذب ، وبايمان صادق .. تصحبهم موسيقى هادئة .. ويتردد في الاجواء صوت مقرىء شاب وهو يتلو آيات بينات من كتاب الله وهنا تصمت الافواه ، ونعيش لحظات نادرة من العمر ، تشف فيها الارواح ويكون الاحساس الصادق والايمان العميق هما الحوار الوحيد السائد بين الناس ..

ويلقي الملك كلمة يتبعه رئيس الوزراء وبعض رجال الدولة ، وينتهي الحفل كما بدأ بتلاوة الآيات الكريمة . ثم تبدأ مسيرة يحفها الجلال والخشوع ، ويتقدمها الملك والوزراء وسفراء الدول الاسلامية ، يتبعهم حملة الاعلام من أبناء ماليزيا مكبرين ومنشدين الاناشيد الدينية .. وتمضي المسيرة في طرقات العاصمة الحديثة الى مسجد نيجارا (الوطني) ، حيث يؤدون الصلاة ثم توزع بعض الهدايا والحلوى ، يحملها كل واحد الى بيته واهله .





المااليزية نحيلة رشيقة دقيقة القوام لها جمال وسحر خاص وتتمتع بحيوية متدفقة وقد اثبتت المرأة الماليزية الحديثة وجودها فى جميع المجالات واقبلت على التعليم ٠٠ وكثيرات منهن يدرسن فى الكليات الاسلامية ، والماليزية متحشمة بوجه عام ٠٠ بخلاف الماليزية من الاصل الصينى فهى تميل الى التحرر ورغم هذا فهناك انسجام والفة بين الاثنين ٠



بين الماضي والحاضر

صورة من الماضي ، تجري فصولها في اطار حديث من البنايات العالية .. بنايات حديثة شاهقة من الفولاذ والزجاج .. هي بعض من الصورة العامة لملامح ماليزيا اليوم ، الماضي يمتزج بالحاضر ، الماضي بصوفيته وروحانيته ، والحاضر بماديته وعقلانيته .. ان الحضارة الحديثة تشدهم ، ولكنهم لا ينسون جذورهم وتراثهم وتقاليدهم وقيمهم الدينية ، حتى انهم عندما يريدون تشييد صرح تذكاري يخلد ذكرى استقلال الملايو ، لا يجد « تنكو عبد الرحمن زعيم البلاد ورئيس وزرائها آنذاك ومحقق استقلالها افضل من انشاء مسجد كبير هو « مسجد نيجارا » يرمز لهذا الاستقلال ، ويحدثنا الشيخ يوسف الزواوي عضو مجلس البحوث الاسلامية في كوالمبور قائلا ، « العقيدة عندنا ارتبطت بالحرية والعزة وبالكرامة والاستقلال ، والدين هو الذى الهب مشاعر الشعب وحض الناس على الكفاح والنضال ، وتعبيرا منا عن الامتنان والشكر لله ، شيدنا هذا المسجد الكبير ليكون من ابرز معالم عاصمتنا ، ويجتهد مصممه المهندس الماليزي «بحر الدين ابو قاسم » في ان يكون تصميمه معبرا عن روح العمارة الاسلامية في اسلوب معماري حديث، ومستوحى من البيئة الماليزية،يقتبس منها ويعطينا كثيرا من الرموز والدلالات ، ففي ساحات المسجد الخارجية اقيمت عدة اعمدة من المرمر مستقيمة عالية ، وسط بحيرات صناعية ونافورات بديعة ، كلها مستوحاة من طبيعة ارض ماليزيا التي تغطي الغابات الكثيفة ثلثي مساحتها ،وكذلك جاء تصميم قبة المسجد من وحي الطبيعة في بلادنا ، فالسماء تمطر طول العام ، والناس يسيرون في الطرقات حاملين المظلات لتقيهم من مياه الامطار ، وهذه القبة ، قبة المسجد الكبيرة هي مظلة الاسلام التي تحمي ماليزيا وتقيها من تقلبات الزمان . ولقد تأثر المهندس الذى صمم المنارة ايضا ، بالعصر الذى نعيشه اليوم ، عصر الاقمار والصواريخ ، فشيد المئذنة على شكل صاروخ موجه الى السماء، بارتفاع ٢٣٥ قدما ، يرمز به الى ان الاسلام دين حرية وانطلاق ، صالح لكل زمان ومكان ، وهذه المنارة مجهزة من الداخل بمصعد كهربائي ، وسلم لولبي تغطي جدرانها النقوش والزخارف الاسلامية البديعة ، وقد الحق بالمسجد عدة قاعات للاحتفالات والاجتماعات الدينية وكذلك مكتبة وغرف لاستراحة كبار الزوار ، وغرف اخرى لايواء الغرباء ، كما اقيم بجوار المسجد ضريح لابطال الامة .. والمسجد وملاحقه كلها مكيفة الهواء ، ويتسع لتسعة آلاف مصل في وقت واحد ، وقد خصص للنساء مكان خاص بهن . وبلغت مساحة المسجد والحديقة المحيطة به خمسة عشر فدانا ، وتكلف عشرةملايين دولار ماليزى ـ اى ما يعادل مليونا وربع مليون دينار كويتي ، اكثرها من تبرعات الشعب بكافة عناصره وطوائفه الدينية » . لم يستطرد الشيخ الوقور قائلا :« الروح الدينية عميقة الجذور في نفوسنا نحن الماليزيين،فالحفلات الرسمية وكذلك جلسات البرلمان نبدأها بالدعاء الى اللهوالابتهال اليه ، وفي كل مدينة عشرات المساجد ، وفي القرى الكبيرة والصغيرة تجد المساجد او الزوايا لاداء الصلوات الخمس ، ويحفظ اغلبنا آيات القرآن الكريم عن ظهر قلب ونعرف ترجمة معانيها بلغتنا ، ونصوم شهر رمضان المبارك، ونحتفل به احتفالا كبيرا ، وقمة احتفالاتنا هي مسابقة في تلاوة آيات الله البينات ، وهي مسابقة كبرى تجرى على مستوى الدولةوالفائزون من المدن والقرى يتقدمون للمسابقة الختاميةالتي تجرى في استاد الحرية ويشترك فيها متسابقون من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وتوزع على الفائزين مكافآت مجزية وهدايا ثمينة .. كما اننا نحرص على اداء فريضة الحج ، فيخرج من ماليزيا ما يزيد على ١٥ الف حاج كل سنة ، ولنا نظام فريد في تيسير اداء الفريضة على متوسطي الحال ، حيث انشانا « مؤسسة الادخار لشؤون الحجاج » يدفع الراغب في الحج قسطا شهريا يتناسب مع دخله ، والمؤسسة تستثمر اموال الراغبين في الحج في مشاريع زراعية وصناعية ، وبذا تخفف عليهم نفقات الحج ، بفضل عائد هذه الاستثمارات كما ان الحكومة والجمعيات الاسلامية تحرص على ايفاد البعثات الى مصر والسعودية والعراق والكويت لتلقي علوم الدين في الجامعات والمعاهد الاسلامية ، كما انشانا مؤسسة للدعوة الاسلامية ، واخرى للاقتصاد الاسلامي ، لدعم نشاط الدعوة في ماليزيا .. ان للدين كما رايتم قدسيته واحترامه في بلادنا .

كيف دخل الاسلام الى جنوب شرق اسيا

شدنا ما رايناه وما سمعناه فى الاحتفال بالمولد النبوى ، واذن لم يكن غريبا ان نمضى مع الشيخ الوقور فى رحلة أطول ، يحكى لنا خلالها قصة دخول الاسلام الى هذه البلاد ٠٠ فما احوجنا الى الحديث عن الدين وكل مايتصل به فى حاضرنا الذى نعيشه اليوم ولعل ماليزيا اكثر احساسا بقوة هذا الحصن الذى يقف ليصد عنها تيارات الالحاد التى تجتاح هذه المنطقة فى القارة الاسيوية ٠

ويندفع الشيخ فى الحديث وكاننا فتحنا لـه بابا كان يقف أمامه مترددا ويقول : « ان قصة دخول الاسلام الى جنوب شرق اسيا ماأروعها من قصة ٠٠ قصة باهرة تتجلى فيها احدى صور الحضارة الاسلامية ، وفيها دلالات عميقة المغزى لما تفعله قوى الايمان ، وتحققه قوة العقيدة ، من طموحات غيرت مجرى التاريخ ، وتركت بصماتها فى نفوس الناس ٠

ويصمت الشيخ ذو اللحية البيضاء فترة وكانه يجمع شتات افكاره ٠٠ ثم تخرج الكلمات على لسانه هادئة قوية ٠٠

« لم يدخل الاسلام هذه المنطقة عن طريق الغزو المسلح بل زحف مع قوافل التجار العرب ٠٠ وعن طريق الاحتكاك السلمى ، ومعاملات الاخذ والعطاء ، وبالاقناع والاقتناع غزا القلوب والعقول » وينهض الشيخ من جلسته مهرولا ، ويعود الينا وبين يديه خريطة كبيرة أعدتها احدى الجمعيات الاسلامية فى ماليزيا للعالم الاسلامى ، ويبسطها أمامنا ، ويكمل حديثه قائلا ٠٠

« لنبدأ القصة من أولها ٠٠ كانت سفن التجار العرب تخرج من جنوب الجزيرة العربية ومن الخليج العربى وتمر بجزر لكديف ، ثم تواصل سيرها الى ساحل ملبار على شاطىء الهند الغربى ، لتستريح فى « كميابة وقاليقوت » وتتزود ثم تمضى فى رحلتها حول شبه جزيرة الهند مارة بجزيرة سرنديب (سيلان) ويواصلون السير حول سواحل الهند الشرقية حتى يبلغوا ساحل شبه جزيرة الملايو وعندها يحط البعض فى أرضها بينما يستانف الاخرون سيرهم الى « اتشية » فى شمال سومطرة ٠٠ وهكذا كانوا يواصلون رحلاتهم حتى وصلوا الى « كنتون » على ساحل الصين الشرقى ٠



الداتوقمر حاج عبدالله : « دولتنا تكافح لكى تثبت ان مجتمعا متعدد العناصر يمكن ان ينمو ويزدهر على اساس تكافؤ الفرص والمساواة فى المعاملة ٠ »

ويستطرد الشيخ الزواوى قائلا « كان هؤلاء التجار هم الرواد الاوائل الذين حملوا الى هذه البلاد الاسلام دينا وعلما ، فقد كانوا ملمين بفنون الملاحة ، وانشاوا الجوارى فى البحر كالاعلام ٠٠ خاضوا بها امواج البحار ٠٠ تجارا حاذقين ودعاة دين مؤمنين ٠٠ غرس الاسلام فيهم فضائله وامانته وصدقه ، فاعجب بهم أهالى البلاد ، واحبوهم ودخلوا فى دينهم وأصبحوا مسلمين مثلهم ، وتذوقوا رحيق الاسلام ، وفهموا مبادئه وتعاليمه ٠٠ فتحولوا هم انفسهم الى دعاة مخلصين لدينهم الجديد ، وانتشروا فى أنحاء شبه الجزيرة مخاطبين الناس بلغتهم » ٠

سلطنة ملقا

ويستطرد قائلا : « هكذا بدأ الوجود العربى الاسلامى فى ماليزيا ٠٠ استقر اولا فى المدن الساحلية ، ثم اخذ يتوغل فى الداخل ، وتاسست عدة دول اسلامية ٠٠ فى ترنجانو على الساحل الشرقى ، وقد عثر فيها على حجر عليه كتابات بالحروف العربية يرجع تاريخه الى سنة ١٣٠٣م ، كما واصل الاسلام زحفه غربا الى ولاية كلنتان ٠٠ لكن اهم هذه الدول هى التى اسسها احد أمراء سومطره عندما ابحر الى ملقا ★ على الساحل

★ ملقة اوملاكا ويعتقد بعض المؤرخين أنها محرفة عن كلمة « ملاقاة » العربية للدلالة على أنها كانت موقعا يتلاقى فيه التجار ٠



الغابات تغطى ٢/٣ مساحة ماليزيابشطريها٠٠الغربى فى شبه جزيرة الملايو والشرقى فى شمال جزيرة بورنيو فى ولايتى صباح وسرواك وتعتبر غابات سرواك من المناطق التى لايعرف عنها الا القليل فى العالم وليس للسكان الذين يعيشون فى الغابات سوى اتصال ضئيل بالحضارة ٠٠ فهم يعيشون على الفطرة على هيئة تجمعات صغيرة وتعيش كل مجموعة فى بيت خشبى واحد يطلقون عليه البيت الطويل(يسار تحت) ويعتمدون فى معيشتهم على الصيد بواسطة قصبة مجوفة من الغابة يوضع فى داخلها سهم دقيق من الخشب المغموس فى سم مستخرج من نباتات الغابة وينطلق السهم فى القصبة بقوة النفخ بالفم الى





الفريسة (يمين تحت) ولهذه الطوائف تقاليدها ومعتقداتها الاسطورية ،وقد كانوا منذ سنوات يعيشـون عراة كما ولدتهم امهاتهم الا في الاعياد حيث ترتدى الفتيات أزياء شعبيةزاهية الالوان (يسار فوق) ·· وقد بدأت الحكومة ترعى هذهالقبائل وتعنىبها وترفع منمستواها الاقتصادى والاجتماعيكما بدأت بعضالجمعيات الاسلامية في توعية هذه الطوائف البدائية ودخلت بعضها اليالاسلام وفتحت لهم المدارس والمستوصفات واوجدت لبعض رجالها ونسائها الاعمال وبدأوا يشاركون في الحياة العامة·



الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة الملايو ، واسس هناك دولة جديدة .. ثم اعتنق الاسلام وسمي نفسه محمد اسكندر شاه، ونمت هذه الدولة واتسعت واصبحت اكبر سلطنة اسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي ،واصبحت دولة غنية ، تتمتع بمركز تجاري هام وتتاجر مع الصين والهند ، كما اصبحت مركز اشعاع ودعوة للاسلام ، فانتشر الى المناطق من حولها الى الحد الذي دفع احد ملوكها منصور شاه ـ الذي توثقت علاقته بامبراطور الصين الى الزواج من ابنته الاميرة هنج لي بو ... ويعتقد بان هذا الامبراطور كان مسلما .. وقد استعملت في عهد منصور شاه الحروف العربية لكتابة اللغة الملايوية .. واصبح الاسلام قانون البلاد .

ويتوقف الشيخ الزواوي مرة أخرى وبصوت خافت يقول : وتغرب شمس دولة« ملقا » عام ١٥١١ م وتسقط تحت سنابك البرتغاليين بعد فترة وجيزة من اكتشافات فاسكودجاما الطريق البحري الى الشرق ودخول السفن البرتغالية المحيط الهادىء ، وبدأ الاستعمار الاوروبي يضع أقدامه في شرق آسيا .. وسيطر البرتغاليون على تجارة القصدير والتوابل ، حتى طردهم الهولنديون في النصف الاول من القرن السابع عشر ، وسيطروا على التجارة في كل منطقة الخليج « ملقا» لمدة مائة عام » ويستمر الاستعمار ثقيلا على صدور ابناء الملايو ،وفي حوالي عام ١٨٠٠ وصل الانجليز عتاة الاستعمار » . ويختتم الشيخ حديثه قائلا : « لقد غربت شمس ملقا ، ولكن لم تغرب شمس الاسلام في قلوب الملايويين .. استولى المستعمرون على الأرض والثروات ، ولكن لم يستطيعوا المساس بعقيدة الناس لانها كانت تملأ قلوبهم.. وبقي الاسلام في هذه البقاع وسيبقى ما بقيت الحياة في ماليزيا ..

وينتهي الشيخ من حديثه ونعود الى الفندق .

وامضي في الرحلة وحدي مع كتب التاريخ.. لقد طالت رحلة التاريخ ، ولكن هل نستطيع ان نطرح الماضي عندما نتحدث عن الحاضر ؟

وبدأ الاستعمار البريطاني

بدأ الاستعمار الانجليزي بموضع قدم ،بحجة ان شركة الهند الشرقية ـ المشهورة بانها كانت اولى فصائل الاستعمار الانجليزي في الشرق ـ كانت بحاجة لمجرد مركز لتجارتها مع الصين .. فاستأجروا جزيرة « بينانج » على الساحل الغربي لشبه الجزيرة وفي عام ١٨٢٤ اخذوا ملقا من الهولنديين مقابل جزء من غرب سومطرة واخذت بريطانيا تستولي باساليب الخداع حينا ، وبالقوة احيانا على ولايات الملايو .. حتى اصبحت المنطقة كلها بين بينانج وسنغافوره تحت النفوذ البريطاني، كما استطاعت ان تبسط نفوذها على شمال غرب جزيرة بورنيو ..

ماذا صنع الانجليز بحيث استطاعوا احتلال الملايو حتى عام ١٩٥٧ ؟ ..

في هذه الفترة استغلوا ارضها ، واستولوا على خيراتها ، وحملوا كل ماله قيمة ووضعوه على سفنهم ، وأبحروا به الى بريطانيا في عملية نهب منظمة .

قصة المطاط

الذي نعرفه عن ماليزيا اليوم انها بلد المطاط، ولكن لم يكن للمطاط اثر في ارضها قبل دخول الانجليز ، انهم لم يهتموا بادخال زراعة المطاط من اجل الملايو ، ولكن من اجل اقامة حقول للمطاط يستغلونها لتنمية اقتصادهم ، فقد استطاع الانجليزي هنري ويكهام سنة ١٨٧٣ ان يهرب ٧٠٫٠٠٠ بذرة من بذور شجرة الهيفيا (شجرة المطاط) من البرازيل وتمكن الخبراء من زراعتها في المستعمرات التي يشبه طقسها طقس البرازيل، ومن هذه المستعمرات كانت الملايو ، حيث نجحت نجاحا مثيرا جعل الحكومة الانجليزية تتوسع في زراعة أشجار المطاط ، بالاضافة الى رغبتها في استغلال مناجم القصدير على نطاق واسع الامر الذي تطلب الاستعانة باعداد كبيرة من الايدي العاملة،وكان للمستعمر الانجليزي موقف عنيف غير انساني ، فقد استعان بعمال من الخارج وعهد اليهم بالعمل ،فجاء الهنود من جنوب الهند للعمل في مزارع المطاط ، والصينيون من جنوب الصين للعمل في مناجم القصدير .. وكذلك مارس الصينيون التجارة أيضا ، كما هي عادتهم في اي مكان في جنوب شرقي آسيا ،أما اهل البلاد فقد اهملهم المستعمر عامدا متعمدا ..لم يحاول ان يدربهم ، بل عمل على ابعادهم عن مصادر الثروة في بلدهم .. وعزلهم عزلا تاما عن الحضارة ،

فابعدهم بعيدا هناك فى مزارع الارز او على الشواطىء .. حيث يرمى الملاوى الشباك .فتاتى له بطعام يومه سمكا يشويه وياكله ثم يقضى بقية يومه خاملا فى كوخه بين اشجار الغابة الوارفة الظلال .. وهكذا ظل اهل البلاد فقراء متخلفين .. بينما فتح الانجليز أبواب البلاد على مصراعيها للمهاجرين والمغامرين ، وساندهم ، وشجع مجيئهم باعداد كبيرة ، وعاش هؤلاء فى المدن التى اكتظت بهم واصبحوا يمثلون نسبة تقارب ٥٠ ٪ من مجموع السكان .. وقد شكل هذا الخليط من الاجناس عقبة فى سبيل نمو الحركة الوطنية ، بل ان البريطانيين استغلوا الحقيقة الواقعة التى كانت من صنعهم هم انفسهم وهى ان الصينيين أغلبية ، كذريعة لاستمرار حكمهم بحجة حماية أهل البلاد الملايويين منتهديد السيطرة الصينية .

منطق لايمكن ان يكون الا منطقا انجليزيا ايام كان الاسد البريطانى ما يزال يهز ذيله زهوا .ثم ان ماليزيا كانت فى ذلك الوقت مقسمة الى عدة ولايات مما جعل الانجليز يمارسون النظرية الرومانية الشهيرة « فرق تسد » .. لقد كانت سهلة التطبيق هنا فى الملايو عنها فى أى مكان آخر .. وتستمر بريطانيا فى استنزاف ثروات الملايو، وخصصت ثلثى المناطق الزراعية للمطاط، وتوسعت فى استغلال مناجم القصدير .

حاملوا الشعلة

وتحت سماء الاستعمار التى امتلات بالسحب والغيوم السوداء الداكنة عاد ابناء ماليزياالذين كانوا يتلقون علومهم الدينية فى الخارج .. عادوا وفى صدورهم صيحة الحرية ... كيف ينتزعون استقلال بلادهم من أيدى هؤلاء القراصنة ، لقد ظن الانجليز وهم يسمحون لابناء ماليزيا بالخروج من بلادهم للتفقه فى الدين انهم قد وضعوهم فى هذا الاطار الضيق ونسوا ان الاسلام حرية وعزة وكرامة ..

وبدأ الشباب الوطنى المتحمس العائد بسلاح الايمان بالدين والله والوطن .. بدأوا يجتمعون بالناس فى المساجد والزوايا الصغيرة فى المدن والقرى .. يبثون فيهم روح الوطنية .. ونجحوا فى تاسيس « اتحاد الشباب الملايوى » وكانت هذه نقطة انطلاق فى تنظيم العمل الوطنى ، وجاء استيلاء اليابانين فى الحرب العالمية الثانية على الملايو وبورنيو فى اقل من شهرين عاملا مساعدا للحركة الوطنية .. فقد شعر أبناء الملايو ان الانجليز ليسوا بالقوة التى يظهرون بها ، وعندما انهزم اليابانيون عاد الانجليز وكانت الحركة الوطنية قد أرست قواعدها ، وعلت صيحة الوطنيين فى كل مكان « مرديكا .. مرديكا » .. الحرية .. الحرية ، ولجأ الانجليز الى المراوغة وكسب الوقت ، وبذر بذور الشقاق بين الوطنيين كما هى عادتهم دائما ، بعد أن تاسست عدةأحزاب مختلفة ، وأرادوا أن يمتصوا غضب الناس ، فقدموا لهم مشروعات براقة ، لكنها فى الواقع لا تغير من واقع الامر شيئا .. ولا تنطلى الحيلة على الوطنين الذين وحدوا كلمتهم ، ورفضوا كل الاقتراحات التى تقدم بها الانجليز لمنحهم استقلالا شكليا . وواصلوا النضال الذى تكلل أخيرا بالنجاح ، بعد صبر طويل ، وكفاح مرير ، ومفاوضات مرهقة ، فقد ظفروا فى عام ١٩٥٥ بدستور جديد ، تحولت بمقتضاه مسؤولية الحكومة الى مجلس للشعب وأجريت انتخابات عامة نال فيها حزب التحالف اغلبية الأصوات بزعامة تنكو عبد الرحمن ، وكان هذا التحالف يضم ثلاثة أحزاب مؤتلفة .. هى حزب منظمة الملايو الوطنية المتحدة ، وحزب التجمع الملايوى الصينى ، وحزب المؤتمر الملايوى الهندى .

وفى ٣١ اغسطس سنة ١٩٥٧ أعلن استقلال الملايو .. بفضل وحدة الوطنيين المسلمين وتضامن كافة عناصر الامة بمختلف طوائفها ، وكانت أهم خطوة اقدمت عليها حكومة الاستقلال انها منحت الجنسية الملايوية لكل مقيم فى البلاد . واصبح اتحاد الملايو حقيقة واقعة وظهرت الى الوجود دولة ملكية وحيدة فريدة فى نوعها ، حيث انملك الدولة يتم اختياره كل خمس سنوات من بين سلاطين الولايات ، ونص دستور البلاد على أن الاسلام دين الدولة ، كما نص الدستور أيضا على حرية الاديان الاخرى وحدثت تطورات اخرى دستورية فى كل من القليمى .. سرواك وبورنيو الشمالية ، وكذلك فى جزيرة سنغافورة ، ادت الى استقلال ذاتى فى كل اقليم منها .

مولد ماليزيا

واشرقت على المنطقة شمس الحرية ، بشعاع

جديد ، وآمال جديدة ، فهؤلاء الذين ثاروا على الطغيان وصارعوا الاستغلال وحاربوا الظلم والاستعباد ، يريدون الوحدة من أجل بناء دولة جديدة موحدة ٠٠ من أجل بناء ماليزيا جديدة ٠٠ ماليزيا الديمقراطية والحرية والمساواة وسرعان ما لقى هذا النداء تجاوبا مع الفكرة التى طرحها تنكو عبدالرحمن ، وهى ايجاد اتحاد بين دولة الملايو الجديدة ، وبين سرواك وشمال بورنيو ، وبرونى وسنغافورة ، وتمت موافقة ثلاث منها ، وولدت دولة ماليزيا التى اصبحت تتكون من اتحاد ولايات الملايو الاحدى عشرة ، ومن سرواك وصباح (الاسم الذى أطلق على شمال بورنيو)وسنغافورة وفضلت برونى ان تبقى مستقلة عن هذا الاتحاد، ولظروف خاصة بها انسحبت سنغافورة بعد مضى عامين ، أى فى اغسطس ١٩٦٥ وبقيت الولايات الثلاثة عشرة تحت راية ماليزيا الدولة الاسلامية الجديدة٠٠ واذن لم تتمزق ماليزيا كما ارادوا لها وتوقعوا ٠٠

لم يعودوا فقراء

ولكن كيف استطاعت أول حكومة لماليزيا الحرة المستقلة أن تحل مشكلة ابن البلد الفقير الذى يعيش فى كوخه الصغير ويصطاد السمك ويزرع الارز فى الريف معزولا عن الحياة والمدينة ، الصينيون يسيطرون على التجارة والصناعة ، وكذلك يعمل الهنود فى التجارة ويعيشون فى بحبوحة من العيش فى المدن وينعمون بكل معطيات الحضارة ؟ استوقفنا هذا التساؤل ، فحملناه وذهبنا به الى « الداتوقمر حاج عبد الله طيب وزير الاعلام » قال : نعم ٠٠ لقد خلف لنا الاستعمار تركة ثقيلة من المشاكل ٠٠ لم تكن فرص النمو متاحة لكافة عناصر الامة بالتساوى ، بل كان الفرق شاسعا بين العناصر الوطنية التى تعيش فى الريف والعناصر الوافدة التى تعيش فى المدن ، والتى اتيحت لها فرص العمل وفرص تحقيق الثروة وهم أصحاب الفعاليات الاقتصادية ، كبارهم يتمتعون بكل نعم الحياة ، وصغارهم ينعمون بالسكن المريح والغذاء الصحى والتعليم المتقدم، بينما أهل البلد غارقون فى الفقر والجهل والمرض ٠ ولم يكن ممكنا أن يستمر هذا الحال بعد الاستقلال ، وكان علينا أن نتحرك بسرعة ، فرسمنا سياسة سريعة ، استهدفت ازالة آثار حكم الاستعمار ، ومحاربة الفقر والتخلف واستئصالهما حيثما حلا وأينما كانا ٠٠ ووضعت برامج التنمية الخمسية التى كان هدفها ازالة الفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين عناصر الامة ، وتطوير المجتمع الملاوى ، وخلق التوازن الاقتصادى بين الريف والمدن ، وازالة الفروق الكبيرة بينهما ، ولم تكن خططنا ضد اى عنصر من العناصر ، بل كانت من أجل الفقراء والمعدمين بصرف النظر عن أصولهم » ٠ ثم قال الداتوقمر : « لقد انجزنا منذ الاستقلال خطتين خمسيتين للتنمية ، وبدانا منذ سنة فى تنفيذ الخطة الثالثة ٠

التنمية الزراعية

وتحدث الوزير عن دور التنمية الزراعية فى نمو اقتصاد ماليزيا قائلا :

« كان مستقبل بلادنا الاقتصادى مرهونا بمدى قدرتنا على تطوير امكاناتنا الزراعية واستغلالها الاستغلال الامثل،لاسيما انها مورد طبيعي غير قابل للاستنزاف ٠٠ كما أصبحت المحاصيل الزراعية تشكل عامل قوة عالمية لا يقل اهمية عن النفط ٠ فعملنا على زيادة المساحة المزروعة وذلك بتطهير أراضى الغابات من أشجارها ثم اعدادها للزراعة ، وتوطين سكان جدد لتنميتها واستثمارها واقيمت مستوطنات أو مشروعات زراعية سكنية تم تخطيطها واعدادها لتكون أساسا لنشاط زراعى أفضل ، وتقوم الحكومة فى بعضها بتقديم الاراضى مزروعة اما باشجار المطاط أو أشجار نخيل الزيت للاهالى أو الملاك الجدد الذين لا يطلب منهم سوى رعاية تلك الاشجار وجنى محصولها، وشقت طرق ممهدة لهذه المستوطنات ، وزودت بجميع المرافق الضرورية من مدارس وعيادات ومساجد وأسواق ، وزودت أيضا بالكهرباء والمياه الصالحة للشرب ٠٠ ولقد خصصنا لكل أسرة بيتا تحيطه مساحة من الارض ليزرعها بالخضروات والفاكهة اللازمة لغذائه ٠ كما ساعدنا المزارعين فى مزارع المطاط القديمة على اعادة زراعتها باشجار شابة غزيرة المحصول ٠٠ واقيمت عدة دورات تدريب وتوعية وزودت المزارع بوسائل التكنية الحديثة من الآلات والجرارات التى تنتجها المصانع فى ماليزيا ٠٠ وبدأ الفلاح الماليزى يعرف أن وفرة المحصول أو قلته ليست نتيجة لتدخل قوى خارجية خارقة بل أن المحصول الجيد لا يتحقق الا نتيجة لاتباع

أساليب حديثة .. وساهمت وسائل الاعلام من تلفزة واذاعة فى تعريف الفلاحين بما يدور فى العالم الكبير من حولهم خارج قريتهم الصغيرة كما كانت وسيلة لارشادهم الى اسلوب الحياة الحديثة » .

اللغة ومشكلاتها

وتحدث الوزير الطيب عن سياسة التعليم ، وعن دور اللغة فى توحيد وتمازج عناصر الامة قائلا : « لقد اتيحت للملاويين لاول مرة فرصة التعليم الابتدائى والثانوى والجامعى الذى كان بالنسبة لهم حلما من الاحلام قبل الاستقلال فاصبح التعليم اليوم فى متناول أبناء الفلاحين وصيادى الاسماك .. » وأضاف : « كان من أهم المشكلات التى واجهتنا مشكلة اللغة . فلكل عنصر من عناصر الامة لغته .. فعملنا على أن تكون اللغة الماليزية لغة التدريس لكافة المواد فى كافة مراحل التعليم ، وشجعنا الموظفين من غير الملاويين على تعلم اللغة الماليزية ويجرى امتحان سنوى للعاملين فى خدمة الحكومة أو فى القطاع العام ويراعى عند ترقيتهم نجاحهم فى هذه الامتحانات .. »

فى ميدان التجارة والصناعة

وحول تشجيع الملاويين على مزاولة مهنة التجارة والعمل فى مجال الصناعة قال الداتو الطيب : « لقد كان ضمن خطط التنمية ، تشجيع الملاويين على الاشتراك فى الاعمال التجارية والمشروعات الصناعية الحديثة ، وقدرت الخطة انه فى خلال الخمسة عشر عاما القادمة سيكون أكثر من ٣٠٪ من المؤسسات الصناعية والتجارية فى ماليزيا بايدى الملاويين ، ولقد اهتممنا باعداد الجيل الجديد ، فافتتحنا المعاهد التجارية ، وتوسعنا فى افتتاح معاهد وكليات التجارة والعلوم والتكنولوجيا فاصبح عندنا جامعات للزراعة والتكنولوجيا .. التى ساهمت فى تخريج مجموعات كبيرة من الشباب المؤهل للعمل فى مجالات التجارة والصناعة والاعمال » .

ان الملايوى ابن البلد عندما تعلم واتيحت له الفرصة ، استطاع أن يثبت وجوده بنجاح فى اى موقع من مواقع العمل فى شتى ميادين الحياة ، ولقد ضرب بعضهم أرقاما قياسية عالية فى الانجاز والنجاح .

لا صراع .. ولكن تنافس

ويستأنف الوزير حديثه معنا : « لقد خاب ظن الذين كانوا يقدرون أن بلادنا سوف تصبح جحيما عنصريا ، فاصبحت دولتنا تكافح لكى تثبت أن مجتمعا متعدد العناصر يقوم على أساس تكافؤ الفرص والمساواة فى المعاملة ، مثل هذا المجتمع يمكن أن ينمو ويزدهر .. لقد نجحت دعوتنا ، واختفى الصراع ، وبقى التنافس المشروع ، ووضعت كل الطاقات فى العمل الجاد المثمر بدلا من اضاعتها فى الخصومات العنصرية .. وانصرف الجميع ليحققوا مزيدا من التقدم الذى يساعد على زيادة الرفاهية، فاصبحت تتمتع بلادنا بنشاط اقتصادى كبير ويزداد دخل الفرد سنة بعد سنة والارقام خير دليل ، فقد ازداد معدل دخل الفرد فى العام من ٨٧٠ دولارا فى عام ١٩٦١ الى ١٣٨٠ دولارا فى ١٩٧٣ ، كما وصلت معدلات النمو فى الخطة الخمسية الثانية الى ٧ر٤٪ وتهدف خطتنا الخمسية الثالثة (١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) الى رفع معدل النمو الى ٥ر٨٪ » .

ثم قال الوزير : « اننا نعرف أن هناك لعابين فى وضع الانتظار تترقب الفرصة لتبذر بذور الصراع تشجعها قوى من الخارج .. ولكن عيون الدولة مفتوحة .. ترقبها .. ان رفع مستوى المعيشة يحبط خططهم .. ان دور الاعلام الرئيسى فى بلادنا ، هو العمل على وحدة الامة الماليزية وتعميق الاتجاه الدينى وتوعية الناس وتثقيفهم دينيا .. ونحن نعتقد أن الاسلام هو خير ايدولوجية صالحة لكل زمان ومكان .. وهى كفيلة بصد التيارات الهدامة عن بلادنا » . ثم قال : « اننا وطدنا العزم على ان نتفادى بكل ثمن رؤية بلادنا تتحول الى منطقة صراع وفوضى فتذهب أرواح الناس هدرا .. فالحرية مكفولة للجميع ..

وعدنا الى غرفنا فى تلك الليلة ، بعد هذا الحديث الطويل الممتع وخطر لنا ان نشاهد التلفزيون وما ان تابعنا برامجه حتى أحسسنا اننا لم نترك شرقنا العربى .. اذان العشاء ومآذن المساجد تملأ الشاشة الصغيرة .. تعقبها آيات من كتاب الله ، وربما يكون الشىء الوحيد الذى يختلفون فيه عنا هو شرح باللغة الماليزية لمعانى هذه الآيات الكريمة .

محمد حسنى زكى

اوغاريت
ملامحها وابجديتها

بقلم : محمد حمزة كيلانى

ان لاكتشاف مدينة اوغاريت لقصة طريفة ، فهذه المدينة القديمة لم يكن اسمها معلوما قبل العام ١٩٢٩ الا من خلال بعض الرسائل التي يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد وجدت في تل العمارنة بمصر • بالاضافة الى كتابات عثر عليها في مارى Mary بسورية،وايضا في كتابات مسمارية اكتشفت في بوغاز كوى Boghoz Keuy بالاناضول • وهذه الكتابات جميعها لم تشر الى موقع المدينة وانما اكتفت بذكر خبرها كما هو الحال مثلا في تحرير موجه من ملك صور الى الفرعون امينوفيس الرابع يقول فيه : وقد هدمت اوغاريت مدينة الملك بالنار فنصفها احترق والنصف الآخر اصبح اثرا بعد عين •

ماحدث انه خلال آذار (مارس) عام ١٩٢٨ كان فلاح سورى يحرث ارضه في قرية (مينة البيضاء) القريبة من اللاذقية بسورية ، ويقلب ترابها بمحراثه فاذا به صدفة يقلب الكثير من المفاهيم التاريخية والفنية القديمة راسا على عقب •

فقد ارتطم محراثه ببلاطة في الارض الخصبة فاحدث دويا مازال يتردد في انحاء المعمورة •

لابد انه لعن حظه في تلك اللحظة.فالبلاطة كادت ان تكسر سكة المحراث ولانه لم يكن يعلم بعدان تحت البلاطة حفرة حين هبط اليها افضت به الى سرداب يؤدى الى قبر قديم • ولم يدر وقتها انه سار الخطوة الاولى نحو اكتشاف مدينة من اعرق مدن العالم القديم حضارة وتاريخا واجلها عظمة ، وهي مدينة اوغاريت المعروفة الآن بـ (رأس الشمرة) •

جاءت السلطات الفرنسية المنتدبة على سورية آنذاك ووضعت يدها على المنطقة ، واتصلت باكاديمية الفنون الجميلة في باريس التي اوفدت بعثة للتنقيب عن هذه الآثار برئاسة العلامة كلود شيفر •

وبدأت البعثة عملها بتاريخ ٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٩ • وبعد خمسة اسابيع فقط وجدت نفسها امام تل يضم آثار خمس مدن متراكمة بعضها فوق بعض طمسها الزمن وعدت عليها العوادى فوارتها تحت الركام •

وتتابعت الحفريات في خريف كل عام منذ ذلك التاريخ ، وفي كل مرة كانوا يجدون آثارا غنية وتحفا رائعة يتلقفها العالم باعجاب وتقدير وظلت الحفريات متصلة حتى توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية • غير انها ما لبث ان استؤنفت عام ١٩٥٠ تحت اشراف الحكومة السورية •

طبقات تل راس الشمرة

قبل ان نبدأ حديثنا عن اوغاريت يجدر ان نعرف



« أيل » كبير الآلهة فى أوغاريت

الى اى عهد تعود طبقات تل راس الشمرة ٠ فقد اهتدت الابحاث الى خمس طبقات اثرية تاريخية رئيسية فى التل كما ذكرت :

ـ الطبقة الخامسة : من العهد الحجرى القديم او النيوليتى (الالف السادس ـ الالف الخامس ق ٠ م) ٠

ـ الطبقة الرابعة : تعود الى النصف الاول من الالف الرابع ق ٠ م ٠

ـ الطبقة الثالثة : تعود الى النصف الثانى من الالف الرابع ق ٠ م وحتى العام ٢١٠٠ ق ٠ م٠

ـ الطبقة الثانية : تعود الى العام ٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق ٠ م ٠

الطبقة الاولى : تعود الى العام ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق ٠ م ٠

وجدير بالذكر ان حديثنا فى هذا المقال يتعلق كله بالطبقة الاولى من تل راس الشمرة وخاصة القرون الخامس عشر والرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد التى تعتبر عهد المدينة الذهبى ، بينما اطلاعنا على العصور السابقة لا يزال محدودا بسبب ان معرفتنا لا تتعدى ما اعطته بعض اختبارات الطبقات الاخرى من تل راس الشمرة ٠

ما الذى كشفته آثار راس الشمرة ؟

ثلاث حقائق رئيسية ادت اليها الاكتشافات العظيمة هذه :

اولاها : ان كهان اوغاريت هم اول من اخترع الابجدية فى العالم ٠

ثانيها : ان سكان اوغاريت هم اول من عرف التوحيد فى العالم ٠

ثالثها : ان الحضارة الحديثة التى استمدت جذورها من تفكير اليونان وفلسفتهم وادبهم تعود فى واقعها وحقيقتها الى سكان اوغاريت ٠

ان ضيق المجال لن يعطينا فرصة التعرف على مختلف الآثار الهامة التى ادت اليها الحفريات ، ولن يسمح بالحديث عن حضارة اوغاريت بشكل مفصل فهذا يحتاج الى آلاف الصفحات ، مما يجعلنى اقصر حديثى على ناحيتين من تلك الحضارة وهما ابجدية اوغاريت وملاحمها ٠

ابجدية اوغاريت

يقول السير شارل فيرلو : « ان ابتكار الابجدية هو ادهش ابتكار انسانى » ٠

فمن المعروف ان اللغات القديمة كانت تستعمل خمسين ومائة او مئتى حرف او اشارة للكتابة ، وقد اكتشف فى راس الشمرة العديد من هذه الكتابات على الواح فخارية ، منها ماهو مكتوب بالمسمارية السومرية وبالهيروغليفية المصرية وباللغة الحورية وبلغة قبرص الكريتية٠الى جانب ذلك كانت هناك لوحات مكتوبة بلغة لم تكن معروفة لحين المباشرة بحفريات راس الشمرة تميزت بكثرتها وبمخالفتها للغات السابقة من حيث التدوين ، اذ انها لاتتضمن اكثر من ثلاثين اشارة (حرفا) وهذا يعنى انها ابجدية بالمعنى المعطى اليوم لهذه الكلمة ، بل هى اقدم ابجدية نظرا للعهد الذى تعود اليه٠وهذا ماأثار اهتمام العلماءودفعهم لحل رموزها ٠

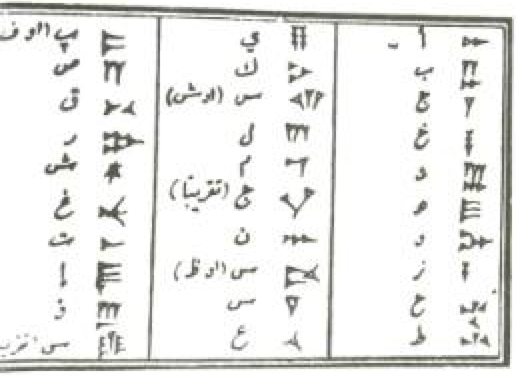
لقد كانت الصعوبة فى اكتناهها بالغة ٠ ويمكن

ان نتصور مدى هذه الصعوبة اذا علمنا ان لغة راس الشمرة لم يترجم منها نص الى لغة اخرى (كما هو الحال مثلا حينما اكتشف حجر رشيد مكتوبا باللغتين اليونانية والهيروغليفية) • وبعد جهود مضنية تمكن الاساتذة هانس بوير وشارل فيرلو وادوارد دورم ان يفضوا مغاليقها ويسبروا اغوارها •

ثم جاء اكتشاف جديد فى تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٤٩ زاد من أهمية هذه الابجدية فقد ظهرت لوحة صغيرة نقشت عليها احرف اللغة الاوغاريتية بالترتيب الذى كانت تلفظ به ، وهذا الترتيب على وجه التقريب نفس ترتيب الابجدية اليونانية التى هى اساس ابجديات العالم العصرى جميعها • مما يوكد بصورة جازمة الاصل السورى للابجدية اليونانية • واثر حل رموز الابجدية الاوغاريتية ترجمت اللوحات المكتوبة بهذه اللغة ، وفي الوقت ذاته ترجمت اللوحات المكتوبة باللغات الاخرى فخرجت الى النور صفحات ناصعة من تاريخ ارضنا العربية ، وحصلنا على مستندات تبث فيها الاوغاريتيون مختلفنشاطاتهم الفكرية واوجه حضارتهم الرفيعة • فقد تضمنت هذه المستندات الملاحم والقصائد الميثولوجية وكتابات تتعلق بالمحاسبة ، وكتابات مدرسية ولوائح باسماء اعلام ، ولوحات تاريخية لحوادث مسلسلة وابحاث تعليمية،وكتابات تتعلق بممارسة الطقوس الدينية ولوائح القرابين الالهية ونصوص قضائية ورسمية،ومحفوظات دبلوماسية ومستندات تجارية ، ونصوص تتعلق بالتنظيم العسكرى فى المملكة ، ولوائح باسماء المدن والقرى ومعلومات عن المدينة وطريقة معيشتها ، خاصة التقويم المستعمل فيها •

ملاحم اوغاريت

فى راس الشمرة وجدت بقايا مكتبة على صحائف من فخار ، نقش عليها هذا الشعب العظيم ملاحم تعد صروحا ادبية لم ترد فى معلوماتنا عن دين الفينيقيين فحسب ، بل كشف لنا عن عبقرية شعراء اوغاريت واعطتنا صورة جلية عن اجلال ذلك الشعب للعدل وحبه للخير • فقد مجد الشعراء الذين هم لسان مجتمعهم — من خلالها مثلهم العليا،وتحدثوا عن فهمهم للطبيعةوالكون ،وتركوها



ابجدية اوغاريت

على مر الايام مرآة تجلو الطفولة الفكرية لذلك الشعب ، الذى كان احدى الموجات السامية التى قذفتها الصحراء العربية الى هذه الشواطىء الساحرة ، اثر الجفاف الذى الم بها • هذه الملاحم مع ملحمة جيلجا ميش البابلية تعد من اقدمملاحم العالم ، وهى تسبق ملحمتى اليونان الالياذة والاوديسة باكثر من ثمانمائة عام •

ولسوء حظنا ، فان بعض هذه الملاحم لم تصل الينا كاملة بل تبدد منها الكثير ، وهذا يجعل الحكم عليها من الوجهة الفنية يفتقر الى الكمال والدقة ، فهناك فجوات بين المقطوعات التى وصلتنا تقطع الاحداث المسلسلة . وكثير مانرى فجوات هائلة تتخللها ابيات قليلة واحيانا نصف بيت او بضع كلمات •

غير ان هذا لايعنى ان القليل عاجز عن اعطائنا فكرة ممتازة عن ادب اوغاريت ، فكما يعطينا راس عمود من معبد فكرة عن روعة الفن المعمارى لذلك المعبد ، اعتقد ان بيتا من الشعر يمكن ان يكشف لنا فى بعض الاحيان الجمال الشعرى للقطعة التىوصلتنا منهاهذا البيت،فالنفس الشعرى الممتد والموسيقى الداخلية الفذة ، والاستعارات الرائعة وقوة التخيل والابداع ، متوفرة كلها فىهذه الملاحم ، رغم ما اصابها من تبدد وضياع ، ولنضرب لهذه الملاحم مثلا ، ملحمة كريت •

ملحمة كريت

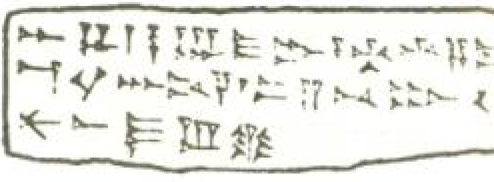
وصلنا من هذه الملحمة قرابة الف بيت تتحدث

عن الملك كيريت ابن الاله آيل والالهة اشهارت ، وتقص قصة هذا الملك البائس الحزين الذى لم يرزق بذرية تقر عيناه بها • وتصف لياليه الطويلة التى كان يمضيها ساهدا يذرف العبرات غزيرة بسبب حرمانه ويأسه•لكنه ذات ليلة امضاها فى بكاء مرير وتالم مقيم طرق الكرى اجفانه فنام، ورأى فيما يرى النائم أباه آيل يبشره بنسل كثير، شريطة ان يتزوج من الحورية الجميلة حفيدة بابيل ملك بلاد الاودوم •

هب من نومه وقرب وقرب القرابين شكرا للآلهة ثم جهز جيشا غزا به مملكة بابيل وكان بابيل ملكا مسالما ، فحاول ان يثنيه عن غزو بلاده بتقديم الهدايا الثمينة اليه ، لكن كيريت يصر على مطلبه، وبعد ذلك يفهم من سياق الحديث ان كيريت سيعدو حفيدته حورية من الملك كيريت • وتقر عينا كيريت بهذه الغادة الحسناء ، التى هى (عذبة كالالهة عنات وجميلة كالالهة اشتارتى) ويعود بها الى مملكته وفى الطريق يستقبله الاله آيل ويبارك زواجهما ويبشره بسبعة بنين ومثلهم بنات •

فى القسم الثانى من الملحمة نرى ان ابناء كيريت قد كبروا واستوى عودهم وتحلقوا حول ابيهم يهنئونه على نجاته من حادث تعرض له • وبعد ذلك يفهم من سياق لحديث ان كيريت سيعدو عليه الموت كسائر الاحياء بسبب مرض اصابه وتحاول الاسرة صد عادية الموت عنه خاصة ابنته شتمانات (اى الثامنة) التى باركها الاله آيل ومنحها حقوق الولد البكر ، بان راحت تبكيه بكاءمرا استدرت به عطف الآلهة •

قد يتساءل المرء ماالمرض الذى اصيب به كيريت؟ وتجيب الملحمة ان ماصابه كان نتيجة خروجه على ارادة الاله ابيه وابتعاده عن جادة الحق وايقاعه الظلم بالرعية ، لقد نبذ العدل وهذه اكبر خطيئة يرتكبها الملك فى تقدير شعراء اوغاريت واستحق بسببها ان ينزل به غضب الآلهة ويحل عليه سخطها •



كتاب مبادىء القراءة فى اوغاريت « اكتشاف عام ١٩٤٩ »

لكن ابنته شتمانات كما ذكرت استطاعت ببكائها وبتقديمها القرابين الجزيلة ان تستدر عطف الالهة وتنال له الصفح والغفران ، والشفاء ، فنراه ينهض من فراش المرض ويتاهب للعودة الى حياة الصحة حينما يدخل احد ابنائه صارخا فى وجهه :

= هل تركت الصولجان يسقط من يدك

= يجب ان تنصف الارملة

= وان تحكم فى قضية المظلوم

= وان تصرع اللصوص

= الذين ينهكون البؤساء امامك

= وان تطعم اليتيم

= والا فانزل عن عرش السلطة الملكية

= فاحكم انا

= انزل عن عرش سيادتك

= فاحتله مكانك

ويغضب الاب ويلعن ابنه ويهدده بانتقام الآلهة •

ماذا جرى بعد ذلك ؟ لاندرى وسنعرفه فيما بعد اذا ماظهرت لوحات جديدة تتعلق باسطورة كيريت •

ستظل اوغاريت رمزا حيا فى آثارها وشعرها وحضارتها كلها للعطاء الكامل الذى وهبته ارضنا للبشرية قبل ان تعى البشرية حقيقة وجودها وقبل ان يتفتح العقل الانسانى • يوم كان التاريخ مازال على بطاحها طفلا يحبو • وكان العلم بذرة فى احشاء سهولها الخيرة ، نمت حتى غدت شجرة عظيمة فى ظلها وجد الانسان انسانيته ، وتعلمت الكلمات معانيها ، واتخذت الحروف لنفسها اشكالها • ■■

محمد حمزة كيلانى
حماة / الجمهورية العربية السورية

مرثية الرّندى الأندلسية



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ مضى زهاء خمسة قرون ، مذ سقطت قواعد الأندلس الأخيرة في يد اسبانيا النصرانية • ولكن مضى زهاء سبعة قرون على صدور مرثية الاندلس الشهيرة ، التى بكت نكبة الأندلس المسلمة كقضية واحدة قومية واسلامية ، وهى المرثية التى عرفناها وحفظناها صغارا ، وهزت مشاعرنا الفتية احداثا ، والتى مطلعها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان (١)

وقد لبثت أجيال من العلماء والأدباء تظن ان هذه المرثية البليغة ، التى ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المحزن ، وعبرتها المبكية ، قد نظمت عقب سقوط الاندلس النهائى رثاء لها ، وكنا صغارا نؤمن مثلهم بهذه النظرية ، ولكنى حينما بدات دراساتى الأندلسية ، منذ اكثر من ثلاثين عاما ، واخرجت اول طبعة من كتابى « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » كانت هذه السحب التى اسبلت على حقيقة رثاء الأندلس ، قد أخذت تتبدد ، وانتهيت فى كتابى الى تحديد الوضع التاريخى لهذه المرثية ، وبينت بالاستناد الى نصوص ودلائل عديدة ،أنها قد نظمت فى فترة معينة من تاريخ الأندلس ، فى العصر الذى عاش فيه ناظمها ، وهو عصر يسبق سقوط الأندلس النهائى بنحو قرنين • وقد خاطبنى يومئذ صديق من كبار ادبائنا ، مبديا دهشته من هذا التحليل قائلا ، كيف انتهيت الى ذلك ، ونحن نعتقد طول العمر ، أن مرثية الأندلس قد نظمت بعد السقوط وقد كان لهذا الصديق ، ومن كان يجاريه فى اعتقاده بعض العذر ، لان المقرى مؤرخ الأندلس نفسه ، لم يستطع تحديد العصر الذى نظمت فيه القصيدة ، وكانت حسبما يبدو من بعض تعليقاته انها نظمت في عصر السقوط الأخير ،وقبل سقوط غرناطة • ولم يكن هذا الرثاء معروفا فى الاوساط الادبية والمشرقية ، قبل عصر المقرى • ذلك ان المقرى قد كتب ، حسبما نعرف ، كتابه الشهير « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » بمدينة القاهرة المعزية فى سنة ١٠٢٩ هـ (١٦٣٠ م) ، حيثما كان يقيم منذ مقدمه اليها من المغرب فى

---

(١) لم نر ضرورة لنشر هذه المرثية بأكملها ،فهى معروفة ذائعة ، ويمكن مراجعتها فى كتاب « نفح الطيب » للمقرى ، ج ٢ ص ٥٩٤ و٥٩٥ (وكذلك فى كتابه « أزهار الرياض » ج ١ ص ٤٧ ـ ٥٠) وفى كتابى « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » الطبعة الثالثة ، ص ٤٩ و ٥٠ •



من كتبها ؟

وفي أي عصور نُظِمَت ؟

ولماذا حُجِبَت عن التداول ؟

سنة ١٠٢٧هـ (١٦١٧م) ، وعرفت منه قصيدة الرثاء يومئذ ، كما عرفت أشياء ونصوص كثيرة اخرى عن الأندلس ، وعن تاريخها وجغرافيتها وآدابها مما دونه فى كتابه الجامع « نفح الطيب »، وقد استقى معظم ما دونه فى كتابه من مصادر مغربية مما كانت تزخر به خزائن المغرب ، فى فاس وتلمسان وبجاية والجزائر ، مما نقل اليها من آثار التراث الاندلسى فى عصر السقوط ، او حمله اليها المهاجرون بعد السقوط ، وقد حمل مسوداتها معه من المغرب الى القاهرة ، وانتفع الى جانبها بما كان مودعا فى عصره من تراث الادب الاندلسى والمغربى ، بمكتبة رواق المغاربة بالجامع الازهر ،وما تزال توجد بها الى اليوم بعض أوراق مخطوطة تحمل تعليقات المقرى وتوقيعاته . أما رثاء الاندلس فقد نقله المقرى حسبما يقول لنا « من خط من يوثق به على ما كتبته » . واذا كنا لا نعرف هذا الذى « يوثق به » فانه قد نقل القصيدة على أرجح الفروض، من أحد المصادر القليلة التى تسربت اليها ، مثل كتاب « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » (٢) وهو لمؤلف مجهول ، ويبدو من اختتامه أن مؤلفه قد توفى فى أواخر القرن السابع الهجرى، لان حوادث الكتاب المعاصرة تقف عند سنة ٦٧٤هـ ، عند حادث بناء المدينة البيضاء او البلد الجديد ، بناحية فاس على يد السلطان أبى يوسف المرينى . هذا مع ملاحظة أنه توجد بين النص الذى ورد فى الذخيرة السنية والنص الذى نقله المقرى ، بعض تغييرات يسيرة فى بعض الشطرات ،وان نص القصيدة فى الذخيرة السنية يحتوى على ثلاثة واربعين بيتا بينما هو فى نفح الطيب اثنان واربعون، هذا وقد نقل المقرى القصيدة فى نفس الوقت فى كتابه « أزهار الرياض» بزيادة بيت واحد عنها فى نفح الطيب .

ويأتى الحديث بعد ذلك عن ناظم هذه القصيدة الشهيرة ، وعن ظروف نظمها . وبالرغم مما هو معروف ومحقق من أن ناظمها هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن شريف النفزى ، المكنى بأبى الطيب الرندى ، المولود بمدينة رندة فى سنة ٦٠١هـ والمتوفى بها سنة ٦٨٤هـ ، فانه يوجد بعض الغموض حول ظروف نظم القصيدة ، وحول ظروف تداولها ، واختفائها من بين تراث ناظمها ، وعدم تداولها زهاء قرن من الزمان ، ولا سيما بالأندلس موطن ناظمها ، قبل أن تذاع فى المغرب على يد المؤرخين المغاربة فى أواخر القرن السابع الهجرى .

ويرجع هذا التساؤل الى عدة أسباب ، أولها أن الوزير ابن الخطيب ، صاحب كتاب « الاحاطة فى أخبار غرناطة » ، وقد عاش قريبا من عصر الرندى ، قد أورد له فى « الاحاطة » ترجمة ضافية ،وأورد خلالها عدة من عيون قصائده ولكنه لم يورد الى جانبها شيئا من قصيدة رثاء الاندلس ، بل ولم يشر اليها بكلمة واحدة ، مع

(٢) نشر هذا الكتاب بعناية المرحوم العلامة الجزائرى الشيخ محمد أبو شنب فى سنة ١٩٢٠م.

انها من ابلغ واروع القصائد التي نظمها الرندي(٣)

وثانيها ، ان الرندي نفسه لم يشر الى قصيدته ولم ينشر منها شيئا في كتابه « الوافي في نظم القوافي » ، الذي يتحدث فيه عن الشعر وفضله وادابه واغراضه ،ويورد فيه عدة من قصائده ومنها قصيدتان في الرثاء ، اولاها رثاء لامير المسلمين ابن الاحمر ، وثانيتهما قصيدة في رثاء ابيه (٤)

وثالثتها ، ان القصيدة لم تظهر في تراث الادب الاندلسي خلال العصر الغرناطي كله ، من بدايته في أواخر القرن السابع الهجري ، حتى نهايته في اواخر القرن التاسع ، بالرغم من ظهور قصائد اخرى في رثاء الاندلس أو بعض قواعدها الذاهبة اقل روعة ورنينا من مرثية أبي الطيب الرندي .

ومن ثم فانه يتعين علينا ان نتساءل عن أسباب هذا الغموض الذي يحيط بمرثية الاندلس ، والتي قضت باحتجابها عصورا من بين اعيان روائع المراثي الاندلسية التي ظهرت خلال العصر الغرناطي ذاته، ومن بعد ذلك حتى السقوط النهائي.وعلينا ان نتقصى أسباب هذا الغموض في حياة ناظمها ابي الطيب ذاته ، وفي الظروف التي احاطت به في الفترة التي عاش فيها .

لقد عاش الرندي في عصر الفتنة الكبرى ، التي اضطرمت بها الاندلس في اواسط القرن السابع الهجري ، والتي تمخضت عن سقوط القواعد الاندلسية الكبرى في أيدي النصارى ، وتمخضت في الوقت نفسه عن قيام مملكة غرناطة. وكان الرندي شاعرا وكاتبا عظيما ، بارعا في النثر والنظم معا ، وله مقامات بديعة في اغراض شتى. ويصفه القاضي ابن عبد الملك في «التكملة» بانه « خاتمة ادباء الاندلس » وكان كثير الوفود من بلده رندة على الحاضرة غرناطة ، والتردد الى بلاطها . وكان من خاصة المقربين الى الغالب بالله ، السلطان محمد بن الاحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة وشاعره الاثير . وكان الغالب بالله يطرب لشعره ، ويغمره بعطفه وتكريمه .

ومن اشهر قصائده في مدح السلطان المذكور، قصيدته التي مطلعها :

سرى والحب أمر لا يرام
وقد أغرى به الشوق الغرام

وأغفى أهلها الا وشاة
اذا نام الحوادث لا تنام

وكتب الرندي برسم السلطان كتابه المسمى « روضة الانس ونزهة النفس » . ونثره لا يقل روعة عن شعره .

ونحن نعرف ان ابن الاحمر الكبير ، كان بالرغم من عبقريته وشجاعته وعزمه ، وهي التي تمخضت عن ظفره بانشاء مملكة غرناطة من غمر التمزق والفوضى ، كان يعيش في دوامة من الصعاب السياسية والعسكرية ، ويخشى على مملكته الفتية الناشئة من عدوان قشتالة واطماعها . وكانت حركة الاسترداد الاسبانية LaReconquista بعد الاستيلاء على قواعد الأندلس الكبرى : قرطبة ، بلنسية ، مرسية ، شاطبة ، جيان ، اشبيلية في نحو خمسة عشر عاما فقط ٦٣٣ ـ ٦٤٦ هـ (١٢٣٦ ـ ١٢٤٨ م) تندفع بعنف نحو الاستيلاء على قواعد وأراض جديدة . ولم يكن امامها من القوى الاندلسية المتماسكة سوى مملكة غرناطة الناشئة ، التي اجتمعت حولها اشلاء الاندلس الباقية ، فيما بين نهر الوادي الكبير والبحر المتوسط ، وبين نهر المنصورة ونهر وادي لكه . وكان ابن الاحمر يرقب هذا التيار الجارف جزعا ، ويحاول ان يقف في سبيله بسائر الوسائل، ومنها وفي مقدمتها مصانعة ملك قشتالة القوي فرناندو الثالث . وقد ذهب ابن الاحمر في هذه المصانعة الى حد أن ارتضى في معاهدة المهادنة والصلح التي عقدها مع هذا الملك القاهر ، ان يعترف بحمايته وان يحكم أراضيه باسم ملك قشتالة ، وان يؤدي له الجزية ، وأن يشهد اجتماع مجلس قشتالة النيابي (الكورتيس) باعتباره من الامراء التابعين للعرش ، وأخيرا أن يعاونه

---

(٣) راجع هذه الترجمة . وقد ظهرت أخيرا في المجلد الثالث من كتاب «الاحاطة في أخبار غرناطة» المنشور بتحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة سنة ١٩٧٦) ص : ٣٦٠ ـ ٣٧٦ .

(٤) توجد عدة نسخ مخطوطة من كتاب « الوافي» بدار الكتب العامة بالرباط . وقد اعتمدنا فيها على مراجعة النسخة رقم (١٧٣٠ ك) ولم ينشر الكتاب حتى الان .

في حروبه ببعض قواته • بل لقد ارتضى ابن الاحمر ، تنفيذا لهذا الاتفاق ان يعاون قشتالة ببعض قواته في محاصرة اشبيلية ، وأن يشترك بذلك في افتتاح هذه الحاضرة الاندلسية التالدة لحساب النصارى • وقد كان هذا التصرف مهينا ومشينا معا للأمير المسلم • ولكنه لم يجد مندوحة من اتباعه حرصا على صون مملكته الفتية وحمايتها من المصير الذى انتهت اليه الاندلس الكبرى • وقد تضمنت معاهدة الهدنة والصداقة فوق ذلك كله ، أن يتنازل الملك المسلم الى ملك قشتالة عن عدد كبير من البلاد والحصون ، منها شريش ، والمدينة ، والقلعة ، وقادس ، وغيرها• وقيل ان ما نزل عنه ابن الاحمر يومئذ للنصارى قد بلغ اكثر من مائة موضع ، معظمها فيغربي الاندلس • وكان ذلك في سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٧م)•

وهكذا فقدت الاندلس معظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عاما فقط (٦٢٧ ـ ٦٥٥ هـ) في وابل مروع من الاحداث والمحن • واستحال الوطن الاندلسي الذى كان قبل قرن فقط يشغل نحو نصف الجزيرة الاسبانية، الى رقعة متواضعة، هيمملكة غرناطة الصغيرة • وقد اثارت هذه المحن التى توالت على الاندلس في تلك الفترة المظلمة من تاريخها لوعة الشعر والادب • وهنا وفي هذه الاونة بالذات ، وعلى ضوء هذه الظروف المؤسية التى نزل فيها ابن الاحمر عن عشرات البلاد والحصون الاسلامية للنصارى : هنا نظم شاعر العصر ، ابو الطيب الرندى مرثيته الشهيرة، التى ما زالت تعتبر حتى اليوم من أعظم المراثى القومية وابلغها تأثيرا في النفس ، وفيها يبكى قواعد الاندلس الذاهبة ، ويستنهض هممالمسلمين أهل العدوة ، لانجاد الاندلس وغوثها •

ولدينا لتأييد هذه الحقيقة في توقيت نظم القصيدة الشهيرة ، وظروف نظمها ، نصان تاريخيان معاصران ، الاول : وهو نص صاحب « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » وقد عاش في أواخر القرن السابع معاصرا لابن الاحمر الكبير ، وابي الطيب الرندى وفيه يقول :

«ولما أعطى ابنالاحمر البلاد المذكورة للاذفونش قال الفقيه ابو محمد بن شريف الرندى يرثى الاندلس ، ويستنصر باهل العدوة ، من مرين وغيرهم » • ثم يورد قصيدة الرثاء باكملها (٥) والثاني ، وقد كتب بعد ذلك بقليل ، في اواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن ، هو نص ابن عذارى المراكشي ، حيث يقول في نهاية الجزء الثالث من كتابهالجامع « البيان المغرب » ، ماياتي:

« وفي هذه السنة » وهى سنة خمس وستين وستمائة صالح الامير أبو عبد الله بن الاحمر ملك النصرانية ، الاذفونش ، على يد ولده الامير أبي عبد الله • وقيل ان الصلح انعقد بينهما على نحو أربعين مسورا من بلاد المسلمين ـ أعادها اليه ـ وقيل ان أكثرها بغرب الاندلس ، ومن جملة تلك البلاد مدينة شريش ، والمدينة والقلعة ، وبجير وغير ذلك ••• وقد رثي الاندلس كثير من الادباء • فمن ذلك قول صالح بن شريف من قصيدة • ثم أورد من القصيدة سبعة عشر بيتا مع تغييرات في نصوص بعض الشطرات • ووردت منها الابيات المشهورة :

أصابها العين في الاسلام فامتحنت
حتى خلت منه أوطان وبلدان

فسل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان

وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد وما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان (٦)

واذن فالحقيقة التاريخية هى أن مرثية الاندلس ،لم تنظم لرثاء سقوط الاندلس النهائي، كما كان الاعتقاد شائعا لدى معظم الدوائر الادبية والتاريخية ، حتى عصر المقرى (القرن الحادى عشر الهجرى أو السابع عشر الميلادى) وانما نظمت رثاء لسقوط القواعد الاندلسية الكبرى ، في النصف الاول من القرن السابع

(٥) الذخيرة السنية ص ١٢٧ وما بعدها •

(٦) البيان المغرب ـ المجلد الثالث ـ المنشوربعناية الاستاذ هويثي ميرانده ص ٤٧٠

الهجرى ، حسبما بينا من قبل ، وهى التى ذكرها أبو الطيب فى قصيدته صراحة على النحو الآتى:

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شأن

وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان

وقد حرك الشاعر الى نظم مرثيته المبكية ما فعله ابن الاحمر فى النزول عن عديد المدن والحصون الاسلامية الى ملك قشتالة ، وجاء بذلك نظمها متأخرا عن سقوط القواعد الاندلسية الكبرى بنحو خمسة وعشرين عاما .

على ان هذه المرثية المبكية ما كادت تظهر فى دوائر الشعر والادب الغرناطية ، حتى اختفت بسرعة ، ولكن بعد أن تسربت الى عدوة المغرب. وهنا يكمن السر فى احتجابها بالاندلس موطن نظمها . ذلك أن الرندى كان ، حسبما تقدم شاعر ابن الاحمر الاثير ، يشيد بعهده وعبقريته وأعماله ، فى قصائد عديدة . واقدامه على نظم هذه القصيدة البليغة المؤثرة يثير كوامن الاسى والشجن ،فى نفوس اولئك الذين شهدوا وعاصروا تصرف ابن الاحمر فى النزول عن الاراضي الاسلامية الى النصارى طواعية ، واختيارا ، وبلا حرب خسرها . وتداول مرثية تبكى قواعد الاندلس الذاهبة ، يذكر الشعب الغرناطى دائما بهذا التصرف الفاجع ، الذى أقدم عليه مؤسس مملكة غرناطة ، وأصبح منسوبا الى دولة بنى الاحمر كلها . وانه ليصعب علينا أن نفترض أن أبا الطيب قد نظم قصيدته سرا ، لتكون نفثة مصدور خاصة ، وهو قد نظمها ليهيب بمسلمى العدوة والمسلمين عامة ، أن يهبوا لنجدة الاسلام فى الاندلس . واذن فلا بد أن تحجب هذه القصيدة ، وأن يخمد هذا الصوت الذى يثير الالم والاسى، صونا لسمعة السلطان ، وهيبة المملكة . ومن ثم فقد أسبل على مرثية الرندى حجاب كثيف من الصمت والنسيان ، طوال العهد الغرناطى كله . فقلما تجد لها ذكرا فى السير الغرناطية أو الادب الغرناطى . وحتى فى المغرب حيث تسربت وقت نظمها ، الى بعض الدوائر ، فقد كان تداولها محدودا جدا . ولعل ذلك يرجع الى نفوذ البلاط المرينى ، راعي الاندلس ، وحليف بنى الاحمر .

وهذا يفسر لنا فى نفس الوقت موقف ابن الخطيب فى تناسى هذه القصيدة ، وعدم الاشارة اليها بأية كلمة فى الترجمة الفياضة التى كتبها للرندى فى « الاحاطة » ، وأورد بها عدة من عيون قصائده ومقطوعاته الشعرية . ولسنا نعتقد أن ناسخ مخطوط الاسكوريال هو الذى أغفل ذكرها اختصارا ، أو ظنا منه أن شهرتها تغنى عن ذكرها ، فهو لم يغفل ذكر العديد من قصائده الاخرى . ولكن التفسير الطبيعى لهذا الصمت من جانب صاحب « الاحاطة » ، هو ان ابن الخطيب ، وهو من أولياء بنى نصر (بنى الاحمر) ملوك غرناطة ، ووزيرهم الاثير ، وربيب نعمتهم ، قد رأى ، كما رأى غيره من كتاب العصر وأدبائه ، أن يغفل ذكرها ، لان وجودها فى مؤلفه الى جانب ترجمة ابن الاحمر الكبير ، وآخرين من ملوك غرناطة ، قد يسيء الى ذكريات مؤسس مملكة غرناطة ، الذى وقعت المحنة الاندلسية فى عهده ، ونظمت القصيدة لبكائها .

تلك هى الظروف التى أحاطت بنظم مرثية الرندى الاندلسية ، والتى قضت أن تحجب عن التداول ، وأن يسبل عليها مدى عصور ، ستار من الصمت والنسيان ، حتى جاء المقرى فى القرن الحادى عشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، فنقلها كاملة فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض ، وأخذت من ذلك الحين تبدو فى كتب التاريخ والادب ، نفثة من نفثات النظم المبكية ، التى لا يمكن أن تخمد حرارتها، أو تنسخ بلاغتها وآثارها الشجية ، على تعاقب الاجيال . ■■

محمد عبدالله عنان

ابن بطلان

من تاريخ الطب عند العرب

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان، طبيب من بغداد تعلم الطب على استاذيه «ابى الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحرانى الطبيب (المتوفى سنة ٣٦٩هـ ـ ٩٨٠م) وعبدالله ابى الفرج بن الطيب (المتوفى سنة ٤٣٥هـ ـ ١٠٤٣م)، تنقل وسافر بين بغداد ، وحلب ، وانطاكية ومنها الى اللاذقية ووصل الفسطاط سنة ٤٤١هـ ـ ١٠٤٩م واقام فيها ثلاث سنوات . ثم سافر الى القسطنطينية واقام فيها مدة . وقد صنف فى القسطنطينية كتاب « دعوة الاطباء » سنة ٤٥٠هـ ـ (١٠٥٨م) ثم عاد الى حلب وانطاكية وتوفى فى انطاكية (سنة ٤٥٨هـ ـ ١٠٦٦م) عن عمر يناهز المائة عام .

يقول ابن ابى اصيبعة «كان بين ابن بطلان وابن رضوان الطبيب المصرى من المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة . ولم يكن احد منهما يؤلف كتابا او يبتدع رأيا الا ويرد الآخر عليه . ويسفه رأيه فيه . وبلغ من كره ابن بطلان لابن رضوان درجة كبيرة ، كان كثير المطالعة لعلوم الاوائل وكتبهم واخبارهم غير مهتم فيما ينقله .

وكان ابن بطلان شديد الملاحظة للمجتمع الذى عاش فيه فلم يصف فقط ما اصاب البلاد من اوبئة بل دون ما شهده وسمعه من الناس .

كتاب تقويم الصحة

يقول عنه جورج سارتون ان عددا من المسيحيين اشتركوا فى بناء العلم فى الاسلام بينهم ابن بطلان وانه ربما كان اول من شرع فى كتابة الاسلوب الذى جاء فى كتابه « تقويم الصحة » ، وهو جدول صحى ومختصر فى الطب . وكان لهذا الكتاب اثر فى اسلوبه وقيمته الطبية فى الشرق والغرب اذ ان ابن جزلة ـ وهو طبيب بغدادى ـ اتبع نفس الاسلوب فى كتابه « تقويم الابدان فى تدبير الانسان » .

وقد ترجم « تقويم الصحة » الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر وطبع بها سنة ١٥٣١ وترجم الى الالمانية كذلك . ولم يقتصر تأثير الكتاب على ابن جزلة فى القرن الثانى عشر وفى اوروبا فى القرنين الثانى عشر والسادس عشر . بل ان احد الاخصائيين فى تاريخ العلوم اهتم به فى القرن العشرين .

ومن مؤلفاته الطبية الاخرى كتاب «دعوة الاطباء» على مذهب كليلة ودمنة . وقد طبع بالعربية وترجم الى الفرنسية ودعوة الاطباء مسبوكة فى قالب الفكاهة فجمع بين الجد والهزل وضمنها حكما ووصايا صحية ومشاكل طبية يستفيد منها كل انسان .

وقد قلد اسلوب الكتاب الطبيب الدمشقى اسعد بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧هـ ـ (١١٩١م) . فصنف كتابا على مذهب « دعوة الاطباء » وكذلك ابو الحسن على ابن هبة الله بن اثردى كتب

« شرح مشكلة دعوة الاطباء » سنة ٥٠٧هـ (١١١٣م) على طريق السؤال والجواب •

وابن ازدى من اهل بغداد طبيب مشهور حسن المعالجة جيد التصنيف ، والمخطوطة موجودة فى ايا صوفيا ـ وقد اخذ العصر الحاضر ما ورد فى شرح شكل دعوة الاطباء كمرجع لتفسير كتاب ادب الطبيب لاسحق بن على الرهاوى ويدل هذا كله على تقدير المؤرخين لعلم وادب ابن بطلان •

مؤلفاته

١ ـ كتاب الاديرة والرهبان ، وقد جاء اسمه تحت عناوين كثيرة منها « مقالة فى تدبير الامراض العارضة على الاكثر بالاغذية المالوفة والادوية الموجودة ينتفع بها رهبان الاديرة ومن بَعُدَ عن المدينة » •

٢ ـ كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجوارى •

٣ ـ كتاب تقويم الصحة •

٤ ـ مقالة فى شرب الدواء المسهل •

٥ ـ مقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقى الأدوية المسهلة وتركيبها •

٦ ـ مقالة الى على بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جوابا عما كتبه اليه •

٧ ـ مقالة فى علة نقل الاطباء المهرة تدبير اكثر الامراض التى كانت تعالج قديما بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، ومخالفتهم فى ذلك لمسطور القدماء فى الكنانيش والاقرباذينيات (كتبها فى انطاكية سنة ٤٥٥هـ) •

٨ ـ كتاب المدخل الى الطب •

٩ ـ كتاب دعوة الاطباء •

١٠ ـ كتاب وقعة الاطباء •

١١ ـ كتاب دعوة القسوس •

١٢ ـ مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة •

١٣ ـ عمدة الطبيب فى معرفة الثبات لكل لبيب•

١٤ ـ مقالة فى الاعتراض على من قال بان الفرخ احرّ من الفروج بطريقة منطقية ، الفها فى القاهرة سنة ٤٤١ •

ومن اهم الكتب الطبية التى صنفت باللغة العربية قبل كتابة ابن بطلان لمقالته المختصرة (مقالة فى تدبير الامراض العارضة) ـ هى (الحاوى) للرازى و (كامل الصناعة) للمجوسى (والتصريف) للزهراوى و (القانون) فى الطب لابن سينا • لاشك انه قرأها •

مقارنة

واذا قارنا هذه الكتب الاربعة بمقالة ابن بطلان وجدناها تشبه (كامل الصناعة) فى الاسلوب (والقانون) فى الطب فى تقسيم محتوياتها ، اذ ان اسلوب مقالة ابن بطلان العام نظرى وعملى وقد شاع استعمال هذا الاسلوب بين الاطباء اتباعا لكتاب (كامل الصناعة) للمجوسى غير ان المجوسى قسم كتابه الى نظرى ، اول عشر مقالات وعملى آخر عشر مقالات • اما من جهة طريقة ابن بطلان لتقسيمه المقالة فمن الواضح انه اتبع كتاب (القانون) فى الطب •

واذا قارنا أجزاء كتاب(القانون)فى الطب الواقعة فى خمسة كتب بمقالة ابن بطلان نجد ان ابواب الكتاب الاول من القانون ـ وهو مؤلف من اربعة ابيات ـ تتفق مع ابواب المقالة من الباب الثانى الى التاسع ، والفرق الوحيد عندا الاختصار هو عدم ذكر ابن بطلان الجزء الرابع من القانون وهو التشريح •

والكتاب الثانى من القانون يحتوى على جزءين يتفق الاول مع الباب الحادى والثلاثين من مقالة ابن بطلان والثانى مع الباب الثلاثين من المقالة •

والكتاب الثالث من القانون ويحتوى على اعضاء الجسم وامراضها ويتفق مع المقالة من الباب العاشر الى الباب الرابع والعشرين •

والكتاب الرابع من القانون يتفق مع المقالة

من الباب الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين.

والخامس من القانون وهو فى تركيب الادوية يتفق مع المقالة من الباب الثانى والثلاثين الى الاربعين .

اما الباب الاول والبابان الحادى والاربعون والثانى والاربعون فلا نجد لها مقابلا فى قانون ابن سينا ولا فى اى كتاب آخر وهذا ما يجعل مقالة ابن بطلان ذات قيمة خاصة وقد قال ابن رضوان الطبيب المصرى عن ابن بطلان انه متطبب لانه على رأى ابن رضوان لم يكن فيلسوفا . وقال : قد بين جالينوس ان الطبيب فيلسوف كامل اما من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب .

وجع طبيب

ومقالة ابن بطلان التى عرفت باسم مختصر هو « كناش الاديرة » تنقسم الى اربعة اجزاء الاول فى تدبير الامراض بالاغذية المألوفة والادوية الموجودة والثانى لمعرفة رهبان الاديرة والثالث لمنفعة من بعند عن المدينة والرابع ما ينبغى ان يعرفه الطبيب . وقد قصد ابن بطلان ان تكون مقالته مرجعا طبيا لفئة خاصة من الناس من جملتهم الرهبان ويرى البعض ان هذا النوع من المقالات فى الطب لم يكتب مثله سابقا فهى نادرة فى نوعها ، اذ انه من المعروف ان اكثر ما كتب فى الطب كان موجها لمن يريد ان يتعلم الطب او هدية لحاكم او امير .

وقد اراد ابن بطلان بهذه المقالة التى تقع فى اثنين واربعين بابا فئة اخرى من الناس هى الاطباء انفسهم فقال ان كثيرا من افاضل الاطباء قدماء ومعاصرين بذلوا جهودهم فى تاليف كتب الطب الكبيرة الحجم ، ولكن جماعة من الناس كانوا يميلون الى ما كان من هذه الكتب موجزا مختصرا ويتثقلون بما اتسع شرحه وعظم حجمه ولذلك وضع هذا الكتاب المختصر . وانما قصد الاختصار ليسهل قراءتها ولقد كانت لهذه المقالة قيمة طبية كبيرة حتى ان كثيرا من الاطباء نسخوها للاستعمال .

وقد حققت هذه المقالة اخيرا على سبع مخطوطات فى الفاتيكان وجامعة جوتنجن وبنسرا فى ماريلاند ومخطوطة لندن ومخطوطة جوته ومخطوطة باريس ومخطوطة استنبول . ■■

عبد الحليم منتصر

الجاحظ والرأس

● دخل الجاحظ يوما بلاط الخليفة المأمون وكان المأمون يومها يأكل رأس خروف مع جماعة من أصحابه فقال المأمون : صف لنا الرأس وما قالت فيه العرب يا أبا عثمان فقال : أعلم يا مولاى أن الرأس رئيس الاعضاء وتسميه العرب الجامع والرأس شىء واحد، وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة ، والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد ، والشحمة التى بين أصل الاذن ومؤخر العين طعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ، وأرطب من الزبد وأدسم من السلام، وفى الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخدين ، وكل شيء من هذه طعمه مفرد والرأس سيد البدن ،والدماغ هو معدن العقل وخاصة الحواس وبه قوام البدن .

طرائف أجنبية



« مازلت صعلوكا ! »

● شارلي شابلن الممثل الكوميدى العالمي ، الذى احتفل أخيرا بعيد ميلاده الثامن والثمانين وقف يفلسف الحياة وهو يطفىء الشموع الكثيرة التى امتلأت بها الكعكة التى أعدتها له زوجته « أونا » في بيتهما الجميل في سويسرا ، وقد امتلأ البيت بالابناء والاحفاد والذكريات ٠٠ ذكريات أكثر من ثمانين عاما منذ أن وقف الصبي الصغير « المهرج » على المسرح يضحك، ويضحك الملايين !

ولم يكن شابلن متطوعا عندما بدأ الحديث عن نفسه وعن فلسفته في الحياة فقد كان يجيب على أسئلة الصحفيين الذين التفوا حوله :

« قل لنا يا مستر شارلى » ، كيف تجد الحياة وأنت تقترب في شيخوختك السعيدة من عامك المئوى ؟ »



وقال شارلي وهو يضحك : « ما زلت نفس الصعلوك » الذى أضحك الناس من أكثر من سبعين عاما ٠٠ أما الشيخوخة التي ترونها في وجهي وفي لون شعر رأسي الابيض ، فهي الستار الذى طالما وقفت وراءه على المسرح ، قبل أن أواجه الجماهير ٠٠ ان قلبي ما زال ينبض بالحب ، لانني أحب الحياة ، وأمنيتي أن أعيش ثمانية وثمانين عاما أخرى مع « أونا » التي شاركتني حياتي على المسرح الكبير الذى أضحك فيه كل يوم من نفسي ، وأعيش حياتي بلا رتوش وبلا مساحيق وبلا ستار يرتفع وينزل ويخفي وراءه حقيقة نفسي ٠٠ الشيء الوحيد الذى لن تتمكنوا أبدا من الوصول اليه هو قلبي وما يحويه من أسرار ٠ ! »



التاريخ ٠٠ والرجال

قال نابليون بعد هزيمته امام ابواب موسكو :

« لو ان التاريخ اخذ في اعتباره الاخطاء وحدها ، ولم يسجل المنجزات التى حققها الرجال ، فلن نجد رجلا واحدا يمكن ان نقول عنه انه كان « رجلا عظيما » ! ٠٠



عمر الرجل !

● ماوتس تونج « ابو الصين » ومحقق اكبر معجزة في التاريخ الحديث ، عاش حياة طويلة مليئة حتى بلغ الرابعة والثمانين ·· حدث ان التقى به وفد من الصحفيين الامريكيين بعد ان وقفت الصين تؤكد وجودهافى المجتمع الدولى ، وسأله احدهم ،وكان وقتها حثيثا من نهايته « كم عمرك الآن يا سيد ماو ؟ »

والتقطت اذناه الثقيلتان السؤال ، وزاغتعيناه الضعيفتان بين الحاضرين، ثم ضحك وقال : « لا أعرف من منكم الذى وجه الى هذا السؤال ، ولكننى سأجيب عليه ·· اريدكم أن تذكروا دائما أن عمر الانسان لا يقاس بالساعات والايام ·· ولكن بالعمل الذى قدمه لبلده ، ونوع هذا العمل وأثره على مواطنيه ·· والحياة قد لا يكون لها معنى حتى لو استمرت قرنا ·· وقد تكون حياة عظيمة حافلة مهما قصرت ·· عمر الرجل بما صنع ولم يكن أبدا بعدد الاعوام التى عاشها · !»

شجرة التفاح !

● يقول الفيلسوف الامريكي وليام جيمس : « من حقائق الحياة الثابتة ، اننا لا نستطيع ان ننعم بثمار اشجار لم نزرعها ولكن متى نزرع هذه الاشجار ، ومن الذى يزرعها ، وكيف ؟

يجيب الاستاذ الفيلسوف على هذه الاسئلة بقصة الرجل العجوز الذى اشترى بعض ثمار التفاح الجيد ، واعجبه مذاقه الحلو ، فطلب الى ولده ان يزرعه في حديقة البيت ، ولكن الابن رفض ، وقال : « هل فكرت في الزمن الذى سوف يستغرقه نمو هذه الشجرة حتى تكبر وتثمر ونأكل ثمارها ؟

وحمل الاب الثمار الى حفيده ·· انه اصغر سنا بكثير ، وقد يتحمس لرغبته · ولكنه فوجيء به هو الاخر يعتذر ولنفس السبب ·· كم من الوقت سوف ننتظر قبل ان نجنى ثمار هذه الشجرة يا جدى ؟ »

وصمم الجد على أن يزرع الثمرة بيده ، وهو الذى قارب السبعين أو جاوزها ·· ونمت الشجرة ، وعاش الرجل العجوز لينعم بثمارها اللذيذة !



كان الدكتور درى حسن عزت قد كتب الى العربى مقالا فى العدد ٢١٩ عن اعراض مرض الاكتئاب واسبابه ، وهو هنا يركز على مسار المرض وأساليب علاجه الحديثة ٠



الوجه تبدو عليه اعراض الاكتئاب ٠

حتى نقطع الطريق بين

الاكتئاب والانتحار

بقلم : الدكتور درى حسن عزت

■ احب ان اؤكد اولا ان مرض الاكتئاب النفسى قابل للشفاء تماما ولا يترك اثارا على شخصية المريض ٠ والشفاء يمكن ان يكون ذاتيا تلقائيا بدون التدخل بعلاج خارجى ٠ اذ ان لهذا المرض دورة معروفة وتاريخا ومسارا طبيعيين فاذا انتهت الدورة وتجاوز المريض فترة المرض شفى تماما وبصورة تلقائية ٠ وتحدد فترة المسار الطبيعى لمرض الاكتئاب النفسى بما يتراوح بين ستة اشهر وثمانية عشر شهرا (انظر الشكل التوضيحى رقم واحد) ٠

وهدف العلاج هو اختصار هذه المدة وانتشال المريض من هوة الكآبة التى يكابدها ومن معاناة الاعراض المرضية خلال فترة الشهور الطويلة ورده الى حالته الطبيعية فى اسابيع قليلة (شكل توضيحى رقم ٢) وانذارات مرض الاكتئاب حسنة بشكل عام ٠ ويعتبر من اهون الامراض النفسية علاجا وبالاخص بعد التوسع فى استعمال مضادات الاكتئاب ٠

مضاعفات المرض

ربما كانت اخطر مضاعفات مرض الاكتئاب هى الانتحار أو الشروع فيه ٠ اذ فى بعض المراحل من هذا المرض وفى بعض انواعه الشديدة يبرز الانتحار كخطر حقيقى ٠ نظرا لما يعانيه المريض من الشعور بالكآبة والملل والزهق وفقدان الامل وافتقاد البهجة فى الحياة ، يلح



نفس الوجه تبدو عليه علامات التفاؤل والبشر بعد علاجه بعقار Trimi Pramine وهو أحد العقاقير المضادة للاكتئاب •

عليه خاطر التخلص منها • فاذا كان هذا الخاطر قويا ويشغل بال المريض بصورة ملحة ، يغذيه الشعور بالذنب واستحقاق العقاب والرغبة فى تلقيه ، اقدم المريض على الفعل معتقدا فى صواب عمله وواجدا فيه الحل الوحيد لمعاناته • ويكون خطر الانتحار على اشده فى المراحل المبكرة للمرض حيث الدوافع الانتحارية مسيطرة ، وكذلك فى بداية التحسن بالعلاج ، اذ يزول البطء الحركى الذى كان يمنع المريض من تنفيذ افكاره وترتيباته للفعل الانتحارى • وباسترداد بعض نشاطه الحركى يستغله فى تنفيذ خططه للانتحار ، كذلك عندما يستيقظ المريض عند الفجر مثلا ولا يستطيع استكمال نومه حتى الصباح ويجد نفسه فى حالة لا تطاق من الضيق والياس والدنيا فى ظلام والناس من حوله نيام ، فيكون للمحاولة فى هذا الوقت بالذات النصيب الاكبر من النجاح•

واحب ان ابين هنا ان نسبة الانتحار فى مجتمعاتنا الشرقية الاسلامية اقل بكثير جدا منها فى المجتمعات الغربية وغيرها ، (انظر الجدول الاحصائى ، عن احدى النشرات الاحصائية لمنظمة الصحة العالمية) •

معدلات الوفيات بسبب الانتحار لكل ١٠٠ر٠٠٠ من السكان

برلين الغربية	٣٧
هنغاريا	٢٥ر٤
تشيكوسلوفاكيا	٢٠ر٦
فنلندا	٢٠ر٦
النمسا	٢٠ر٩
اليابان	١٩ر٦
سويسرا	١٨ر٢
السويد	١٦ر٩
الولايات المتحدة	١٠ر٥
مصر	١ر٠٠

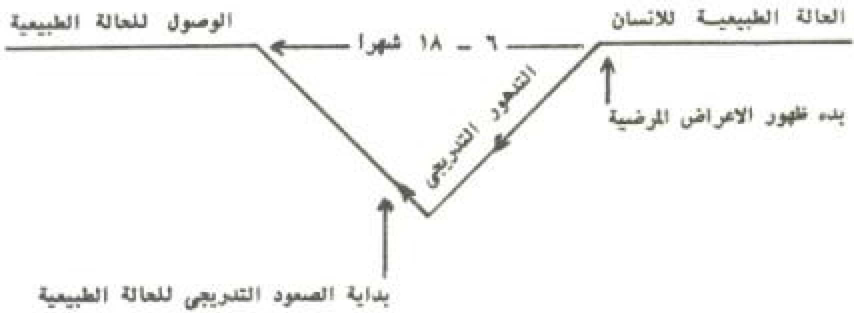
● يلاحظ ان النسبة بالنسبة لمصر أقل البلاد جميعا

ذلك ان للدين وازعا يحمى الناس من قتل انفسهم،فهم يتدبرون قوله تعالى فى كريم تنزيله: « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما » واعرف مرضى كثيرين يعانون من اعراض المرض ويتحملونها فى صبر وجلد وفى ضميرهم طول الوقت نهى الله عنقتل النفس ولولا هذا لتخلصوا من الحياة واستراحوا من المعاناة حسب ما يصرحون به • واعتقد ان لدور الاسرة الكبيرة المساند فعالية خاصةفى التقليل من نسبة الانتحار اذ يحس المريض بالاطمئنان وبشعور بالامان الى وجود مخرج من كل ازمة وانفراج لكل عسر كما يتردد فى التراث الثقافى والنفسى لمجتمعاتنا •

مضادات الاكتئاب

مضادات الاكتئاب تنقسم الى قسمين ، الاول : ذات التركيب للاثى الحلقات Triegclic Anti Depressants ومفعول هذه المضادات هو المحافظة على تركيز مناسب للامينات الحيوية Biogenic Amine فى بعض اجزاء المخ • والقسم الثانى: كوابح الانزيم احادى الامين المؤكسد Monoamine Oxidase Inhibitors وهذهتحدث مفعولها بالمحافظة على تركيز مناسب للامينات الحيوية بنسيج المخ بمنع تاكسد هذه الامينات بهذا الانزيم المذكور •ومضادات الاكتئاب

١ـ مسار مرض الاكتئاب بلون تدخل علاجي



ذات التركيب لثلاثي الحلقات بدىء في استعمالها في اواخر الخمسينات بمركز العلاج النفسي بسويسرا وبعد النجاحات الاولى انتشر استعمالها بسائر الدول الاوربية وغيرها . وجدير بالذكر ان مركز العلاج النفسي بدولة الكويت كان من اوائل (وربما اول) المراكز العلاجية النفسية العربية الذي بدأ في استعمال هذه العقاقير المضادة للاكتئاب وقت ان كانت حديثة في زمانها وتحصل على نتائج طيبة في العلاج بواسطتها . ومضادات الاكتئاب متوفرة الان بعشرات الانواع المختلفة ولكل خصائص معينة تفيد في انواع بعينها من امراض الاكتئاب . فالعقاقير المضادة للاكتئاب ذات المفعول المهدىء توصف لانواع المرض الذي يصاحبه القلق والتململ . وعدم الاستقرار والمضادات ذات المفعول المنبه المنشط تفضل في حالات الاكتئاب الذي يصاحبه البطء الحركي الشديد .

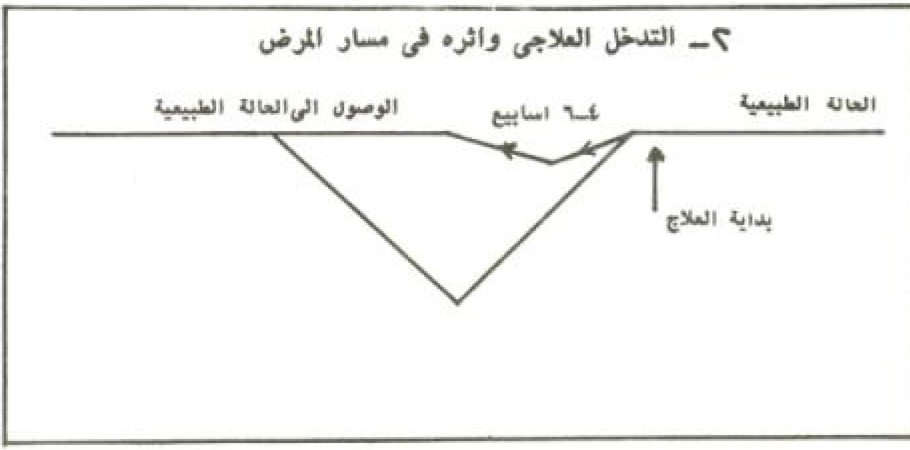
وتوصف هذه العقاقير بجرعات صغيرة في البداية تزداد تدريجيا حتى الوصول الى جرعة الذروة Maximum Dose ويستمر المريض على هذه الجرعات الكبيرة لمدة اربعة اسابيع ويمكن ان تصل الى ما يسمى بالجرعة المساندة Maintenance Dose وهذه يجب الاستمرار في تناولها طول مدة المسار الطبيعي للمرض تفاديا للانتكاس . وبعد تجاوز هذه الفترة يمكن ايقافها . وكل حالة لها تقديراتها الخاصة . اذ يرى بعض المعالجين الاستمرار في الجرعات المساندة لمدة سنوات ، وذلك في محاولة لتفادي نوبات اخرى من المرض . اذ من المعروف ان مرض الاكتئاب النفسي يمكن ان يعاود المريض في نوبة او اكثر بعد شهور او سنوات مستقبلا (انظر الشكل التوضيحي رقم ٣)

والاثار الجانبية ؟

لكن لهذه العقاقير مضاعفات او آثار جانبية يجب ان ينبه اليها المريض قبل وصفها له وتعريفه بها . والا اعتقد ان حالته تسوء باستعمالها اذا اضيفت هذه الاثار الى اعراض المرض الاصلية . فيوقف تناولها من نفسه ويضطرب علاجه . ومن اهم هذه الاعراض الجانبية : شعور المريض بجفاف الحلق وصعوبة البلع ـ الخفقان مع سرعة ضربات النبض ـ عدم وضوح أحرف الطباعة عند القراءة التي تصعب على المريض او تمتنع عليه وذلك للاثر الذي يحدث للعضلات المسيطرة على تكيف عدسة العين ـ صعوبة التبول والامساك في بعض الاحيان ـ رجفة خفيفة باليدين ـ شعور بالدوار نتيجة انخفاض نسبي في ضغط الدم وبالاخص اذا تغير وضع الجسم من مستوى افقي الى مستوى رأسي بشكل مفاجىء .

فاذا شرحت هذه الاعراض للمريض وتبين له ان بعضها يتوقع حدوثه وان طبيعتها مؤقتة لا خوف ولا ضرر منها ، حتى لا يفاجأ بها ويتقبلها . وتقل شكواه وتخف وطأتها عليه .

اما مضادات الاكتئاب من القسم الثاني فان استعمالها اصبح اقل حاليا من استعمال مضادات النوع الاول ، وينصح الاطباء المرضى الذين



يتناولونها بالامتناع عن انواع معينة من الطعام والشراب • وهنا يجب التقيد بهذه النصيحة بشكل مطلق • والاتعرض المريض لازمة حادة من ارتفاع ضغط الدم المفاجىء

ومن اعراض هذه الازمة الصداع الشديد والخفقان •

ومن هذه الممنوعات :

البقول كالفول والفاصوليا ،والاجبان كالجبنة البيضاء والاسماك المحفوظة كالسردين والرنجة ، وبعض الفواكه كالموز ، والانبذة ومنها النبيذ الاحمر ، وكذلك اللبن الزبادى •

وهذه ليست قائمة كاملة للماكولات الممنوعة • والاطباء المعالجون يعطون نصحا مفصلا عن الغذاء اللازم فى حالات تناول مضادات الاكتئاب من هذا النوع • وينصح بشكل عام بعدم استعمال مضادات الاكتئاب من النوعين فى نفس الوقت •

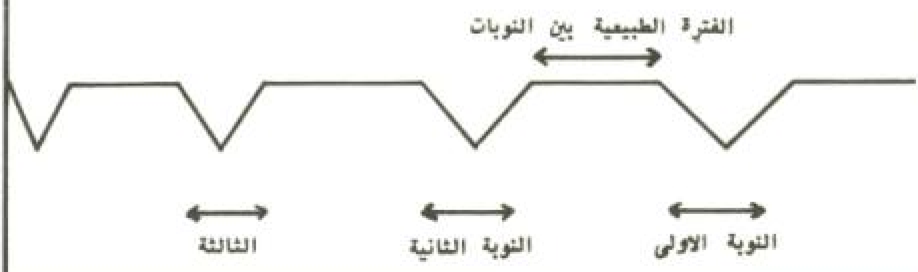
وللادوية المضادة للاكتئاب مزايا عديدة • فقد جعلت من الممكن علاج المرضى فى العيادات الخارجية او فى منازلهم قريبا من بيئتهم الطبيعية دون الحاجة الى ادخالهم مستشفيات امراض نفسية كما كان يتوجبهذا فى الماضى •وساعدت على عدم الاخلال بنظام الحياة اليومية الذى اعتاد عليه وهذا فى حد ذاته ازال الكثير من الرهبة التى تحيط عادة بالمرض النفسى وجعلت المرضى واقاربهم يتقبلونه كمرض عادى مثل غيره من سائر الامراض الجسمية • كذلك قلت الحاجة الى اللجوء الى طريقة علاج الصدمات الكهربائية• وهذه كانت الطريقة الوحيدة المعروفة لعلاج الاكتئاب قبل اكتشاف المضادات •

وهذه الطريقة لا يعيبها الا ان المرضى بشكل عام وفى كل البلدان لا يرحبون بها ويفضلون عليها أى علاج اخر •

بالجلسات الكهربائية

هل ما يزال هناك مكان للعلاج بالجلسات الكهربائية ؟ وما وضع هذه الطريقة العلاجية بالنسبة لمضادات الاكتئاب ؟ ثمة اسئلة هامة تثار باستمرار حولموضوعأهميةالعلاج بالجلسات ومنزلة هذا الاسلوب العلاجى القديم فى الوقت الحاضر • واحب أن ابين بوضوح أن العلاج بالجلسات الكهربائية ما زال انجع واسرع واضمن علاج لمرض الاكتئاب • ان استعمال مضادات الاكتئاب لا شك انه احدث ثورة تقنية فى المفهوم العلاجى لهذا المرض• لكن المضادات بطيئة المفعول وتستلزم حوالى الاسبوعين حتى يظهر الرها الاكلينيكى • ولا يحب الاطباء المعالجون ترك المريض يعانى الاعراض لهذه المدة • وعليه يفضل البعض وبالاخص فى حالات الاكتئاب الشديدة بدء الجلسات مع المضادات فى نفس الوقت • وتوقف الجلسات بعد حوالى اربعة استعمالات حتى تكون المضادات قد بداتفعلها ويترك لها تكملة العلاج•

٣ـ احتمال عودة نوبات الاكتئاب



ولقد ولى بهذا العهد الذى كان يستوجب استعمال الجلسات الكهربائية ١٢ مرة او اكثر .

وجدير بالذكر ان الجلسات الكهربائية لا خطر منها وهى سالمة تماما ومضاعفاتها هينة للغاية ، مثل التاثير على الذاكرة اذ ينسى المريض بدرجات متفاوتة بعض الاحداث والاسماء لكن هذا يحدث بشكل مؤقت ولفترة محدودة يسترجع المريض بعدها كامل ذاكرته . ويجب أن ينبه المريض واهله الى هذه المضاعفات قبل البدء فى العلاج النفسى .

العلاج النفسى

لا اقصد بالحديث عن العلاج النفسى اية محاولة للتحليل العميق او اثارة ذكريات من الماضى فهذا يدفع المريض الى الارتباك وتسوء حالته لكننى اعنى بالدرجة الاولى المناقشة الهادئة للاعراض والافكار المسيطـرة . فمسالـة الانتحار تذكر بصراحة وتناقش مع المريض . فهو يرتاح اذا علم ان معالجيه يعرفون عنه اسوا ما يعانيـه . واذا تبودلت الثقة بين المريض والمعالج ونمت بينهما علاقة علاجية ايجابية يمكن أن يطلب المعالج وعدا من المريض بعدم الاقدام على فعل الانتحار وان يسارع فى طلب العون والنجدة اذا الح عليه هذا الخاطر . وهذا يساعد فى كثير من الاحيان فى التصدى لهذا الموضوع الحســاس . كذلك افكار التقليل من الذات Selfe Depreciation والاعتقـاد فـى ارتكـاب الاخطـاء والتسـبب فى الحاق الاذى بالغير وايضا الشعور بالذنب ولوم النفس واتهامها كل هذه الافـــكار تناقش مع المريض وتنفى بشدة ، وتبرز امامه باستمرار منجزاته الايجابية وتجسد له خير صفاته وتنمى ثقته فى العلاج الموصوف ويؤمل بالشفاء التـام القريب . ويحـاط من جانب الاهل والاصدقـاء والزملاء، أو المرضين والمعالجين بجو دائم من التفاؤل والاستبشار .

وهذا كله يعنى ان المريض بالاكتئاب النفسى تلزم له رعاية طبية نفسية مستمرة ومنتظمة طيلة فترة مســار المرض الطبيعى . فهو فى حاجـة للاستشارة الطبية لصرف علاجه المســاند وتعديل جرعاته اذا لزم الامر . وكذلك مراقبة التغيرات فى ضغط الدم . والمتابعة العامة.كل هذا يحتاج لاعباء اقتصادية كبيرة لا ينبغى اطلاقا ان تترك لترهق المريض غير القادر وتضيف هما الى هم المرض .

ومن العدل الاجتماعى والانصاف الانسانى ان تقوم المؤسسات فى المجتمع من نقابية وتامينيـة وحكومية بالتعاون فى تحمل نفقات العلاج مع المريض واهلـه . وفى بعض البلدان الاوروبيـة تقوم شركات التامين الصحى بتحمل كافة مصروفات العلاج بالاضافة الى اجازة طويلة مدفوعة الاجر يقضيها المريض فى نقاهة على سفوح الجبال وضفاف البحيرات ونعيم الغابات . وآملى أن لا نتاخر كثيرا وننتظر طويلا حتى نرى مثل هذا او بعضا منه يتحقق للمواطن فى بلداننا العربية . ■■

الكويت ــ د . درى حسن عزت



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

كيف تتكون الاملاح ؟

● انني اشكو من التهاب فى البول والم فى الظهر وكلما ذهبت الى طبيب يخبرني بعد تحليل البول بانها مجرد املاح فى البول ويرشدني الى اتباع اكل معين وشرب السوائل وفعلا تخف حدة الالم ، فما هى املاح البول هذه وكيف تتكون حتى اتجنبها ؟

ان أملاح البول كثيرة ، والانواع التى تتكون عند شخص تختلف عن الشخص الاخر معتمدة على عدة عوامل منها وجود اضطرابات فى التمثيل الغذائى ،نقص الفيتامينات ، وجود أى التهاب فى المجارى البولية ، أمراض الغدد تفاعل البول اذا كان حمضيا أو قلويا وكذلك نسبة تركيز البول .

فمثلا اذا كان تفاعل البول قلويا فقد تترسب فيه أملاح كربونات الكالسيوم ، فسفات الكالسيوم ، يورات الامنيوم وأملاح الفسفات غير المتبلرة .

اما اذا كان تفاعل البول حمضيا فقد تترسب فيه أملاح أكسالات الكالسيوم ، يورات الصوديوم ، حمض اليوريك وأملاح اليورات غير المتبلرة .

وزيادة حموضة البول أو قلويته تتأثر الى حد كبير بالمأكولات والمشروبات والادوية فمثلا تناول الكربونات لعلاج حموضة المعدة يؤدى الى البول القلوى وكذلك فى مرض النقرس يزداد حمض اليوريك فى الدم والبول .

والغذاء الجيد المحتوى على الفيتامينات يقلل من حدوث الاملاح وذلك يلاحظ فى الاطفال الاصحاء حيث يندر وجود الحصى عندهم بخلاف الاطفال فى الاحياء والمناطق الفقيرة ، كذلك فان فيتامين (أ) مهم جدا لحفظ خلايا الكلية والغشاء المخاطى للحالب والمثانة فى حالة جيدة ، كما ان فيتامين ب المركب يساعد على منع تكون أملاح وحصى الاكسالات .

ووجود الاملاح فى البول وزيادة تركيزه يؤدى الى حرقان فى التبول ويشجع على حدوث التهابات وتكوين الحصى فى المجارى البولية فى الكلى او الحالب أو المثانة مما يؤدى الى الام فى الظهر وفى المثانة .

وقد لوحظ أن أملاح اليورات تكثر فى الاشخاص الذين يأكلون اللحوم



والاسماك والبروتينات **بينما يترسب الفوسفات في بول الاشخاص الذين يكثرون** من أكل الموالح، ويترسب الكالسيوم في الذين يكثرون من أكل الالبان ومنتجاتها والاكالات عند كثرة تناول الكرنب والسبانخ والطماطم والمانجه والتين والكاكاو .

لتفادى تكون الاملاح فى البول يجب الامتناع عن تناول المأكولات التى تسبب ذلك النوع من الاملاح مع شرب السوائل بكثرة لتخفيف البول واذابة الملح ومنع ترسبه حيث ان زيادة تركيز الملح فى البول وترسبه تنتج من قلة شرب السوائل وزيادة العرق او عند القيام بمجهود عنيف وكذلك فى أمراض الحميات وفى القيء والاسهال ولهذا يجب الانتباه دائما الى كثرة شرب السوائل فى فصل الصيف حتى يكون البول فاتح اللون وغير مركز بالاملاح

البواسير ما علاجها ؟

● اصبت بامساك وشعرت بالام اثناء التبرز ، ولدى اجراء التحاليل والتصوير المظلل للقولون تبين وجود بواسير داخلية والتهابات فى المستقيم والقولون فما هو العلاج ؟

تعالج البواسير بانواع من المراهم والتحاميل الشرجية مع تجنب الامساك — واذا لم تستجب لذلك او اذا تكرر منها النزيف الدموى يستحسن التدخل الجراحى وازالتها .

اما بالنسبة لالتهاب القولون فيستحسن اجراء منظار خاص لرؤية الغشاء المخاطى الداخلى الذى يبطن القولون لان وصف الحالة ونتيجة الاشعة المظللة تشير الى احتمال وجود التهابات وتقرحات بالقولون والتى تحتاج الى علاج خاص ونظام غذائى خاص يضعه الطبيب المختص بعد تحديد نوع الالتهاب الموجود وذلك بعد فحص المنظار المشار اليه ولايمكن وصف ذلك بدون الفحص الشامل .

المرض النفسى والقيء

● انا لا اعانى من اى مرض لكن اصاب بحالات قيء شديدة احيانا . ما العمل ؟

ا . ع — دمياط

— كثيرا ما يعانى المصابون بالاضطرابات النفسية من ذلك . ويلاحظ هؤلاء ان مجرد رؤية الاكل ربما يسبب لهم غثيانا ثم قيئا — او انهم عندما يتناولون أى طعام

فمجرد وصول هذا الطعام الى المعدة ـ او حتى قبل وصوله تحدث لهم عملية القيء. هذا النوع من القيء لا يكون مصحوبا بأى الم او بارتفاع فى حموضة المعدة أو ارتباكات فى الجهاز الهضمى .

الملاحظ كذلك فى هؤلاء المرضى انهم لا يتعرضون لنقص الوزن ـ اذ انه ليس كل ما يتعاطون من طعام وشراب يفقده الجسم ، فبعض الطعام يمر من المعدة ويستفيد منه الجسم ـ ويكون كافيا لبقاء وزن الجسم ثابتا او انه فى بعض الحالات ربما زاد وزن الجسم اذا كانت الكمية التى تمر من المعدة زائدة عن حاجة الجسم .

ومثل هذه الحالات تكون صعبة العلاج لو لم يؤخذ فى الاعتبار الحالة النفسية وتحليلها بدقة والوصول الى اصل الداء ليكون العلاج ناجعا ـ وبزوال السبب تزول هذه الحالة على انه لا بد كذلك من فحص المريض .

المشروبات الكحولية والجنين

● هل تؤثر المشروبات الكحولية فعلا على الجنين فى بطن الام ؟

ـ لقد وجد ان هناك تأثيرا قويا على نمو الجنين وعلى وجود تشوهات خلقية به عندما تكون الام مدمنة على تعاطى المشروبات الكحولية اثناء الحمل . هذا علاوة على تأثير هذه المشروبات على الام نفسها ، من تليف بالكبد وفقر دم شديد وضعف عام ، وهذيان فى بعض الاوقات مع رعشة تعترى الجسم .

والاطفال الذين يولدون من هؤلاء الامهات نلاحظ فيهم عدم نمو الفك العلوى ونتوء فى الجبهة والفك السفلى وضيق فى فتحة العينين ، وتكون العينان صغيرتين ، وحول فى العين ، او تراخ فى جفون العينين .

وهناك الامراض الخلقية التى تحدث فى القلب من عدم تكامل الحاجز بين البطينين، ونوبات دموية بالجسم ، وتشوهات بالاذن ، وخلع عظام الفخذين وخروجهما من مفصلى الحوض وقلة الحركة فى المفاصل ، ركوب الاصابع فوق بعضها البعض ثم وجود شعر على الوجه .

اما عن النمو فهناك نقص فى النمو الجسمى فهؤلاء الاطفال قصار الطول وناقصو الوزن بالنسبة لاعمارهم ، ومستقبل النمو فيهم ضعيف فترى رؤوسهم صغيرة ثم تلاحظ ضعفا فى قواهم العقلية ومعظم هؤلاء لا يبدون اى استعداد للنمو الطبيعى رغم وضعهم تحت العناية الفائقة وموالاتهم بالغذاء السليم .



نيرون

بين خليل مطران و راسين


مطران


راسين

بقلم :
غسان فواز هنيدى

■ ان قصيدة « نيرون » (١) هى أروع ما نظم مطران ، لا بل هى من القصائد الاولى فى المجموعة الشعرية من تراثنا الادبى ، لما تحويه هذه القصيدة من لوحات فنية رائعة ، بحيث ينطلق الخيال مصورا تلك الاحداث التاريخية الحاسمة • فادخل مطران بذلك عنصر الملاحم فى الشعر العربى ، ذلك العنصر المفقود بين طيات تراثنا الشعرى الضخم •

« نيرون » احدى القصائد الطويلة التى ملأها الشاعر خليل مطران صورا حية من تاريخ الانسانية وشعوبها ، ومن تاريخ ملوكها وحكامها •• فمن « الأهرام » الى مقتل « بزرجمهر » الى « نيرون » الى « فتاة الجبل الاسود » الى غيرها من القصائد يحيى الشاعر من جديد تراث تلك الامم التى اندثرت معالمها وكادت مدنياتها ان تزول • فيمر برجالاتها العظام نازعا عنهم اقنعتهم ليظهرهم لنا على حقيقتهم المجردة ، فنعيش معهم من جديد تلك العهود الغابرة •

(١) ألقى مطران هذه القصيدة بالجامعة الاميركية فى بيروت عام ١٩٢٤ بدعوة منها •

نيرون الطاغية

لقد اهتم خليل مطران بالاحداث التاريخية التى تصلح لان تكون مادة حية للشعر لما تخلق من اجواء تساعد خيال الشاعر على الانطلاق فى خلق الصور الرائعة وايجاد الالفاظ والتعابير الملائمة.. فجال شاعرنا جولاته الطويلة حول العالم القديم، فدون كثيرا من انطباعات وصور كانت مادة عزيزة له .. لم تحول نحو روما ، تلك المدينة العظيمة التى اشتهر بعض حكامها بالاخلاص والتفانى ، وسار البعض الاخر فى طريق الفساد فاقترن اسمهم بابشع ما يمكن ان توصف به الاشياء • وفى طليعة هذه الفئة الاخيرة « نيرون » ، ذلك الرجل الذى مثل على مسرح الانسانية افظع وابشع ماساة عرفها تاريخ البشر •

استهوت سيرة هذا الرجل شاعرنا الكبير كما استهوت الكثيرين غيره من الشعراء والكتاب والفنانين لما فى حياته من اطوار غريبة واحداث وجرائم ، حتى وكانه يبدو لنا مجسما لقوى الشر الهدامة التى تقصف كل من يعترضها ، وعندما تتلاشى انفعالات من جاورها من قوى ترتد الى عناصرها هى ، تمعن اجزاءها ضربا وتخريبا • استهوت السيرة شاعرنا ، فانكب يفتش بين صفحات تاريخ روما عن أدق المعلومات • فدرس شخصية نيرون وتقلباتها وتعمق فى درس نفسيته الشريرة حتى خرج بهذه القصيدة الرائعة جامعا أهم الاحداث التاريخية • فاعطى لقراء العربية مثلا واضحا لما يمكن للشاعر الموهوب من الاتيان به من معجزات القافية يصيرها كما يريد • فكان مجددا لذلك الشعر القصصى الطويل فى موضوع موحد متماسك الافكار والصور •

ومن بين الكثيرين من شعراء الغرب نظم الشاعر الفرنسى راسين ماساة تقع فى نحو الف ومئة بيت وعنوانها « بريتانيكوس Britannicus » مستندا الى كتابات (Tacite) و (Suetone), و Seneque) امتلت لاول مرة فى فرنسا سنة ١٦٦٩• وكما ان خليل مطران قد قدم قصيدته الطويلة « نيرون » ليبرهن عن مقدرته فى النظم والحفاظ على القافية الموحدة وخلق الصورة لتلك الاحداث التاريخية باسلوب فنى رائع ، كذلك راسين كتب ماساته هذه ردا على اعدائه القائلين بانه لايمكنه الاتيان بمواضيع تاريخية عظيمة كالتى يقدمها عدوه اللدود « كورنيل » فظهرت عبقرية ذلك الشاعر وقدرته المتفوقة على خوض جميع المواضيع مهما اختلفت وطالت وتشعبت •

شخصية نيرون بين راسين ومطران

ولكن ما بنا نقوم بدراسة شخصية نيرون بين راسين وخليل مطران ، وكل منهما قد اخذ مرحلة من مراحل حياة ذلك الرجل ، فاعطانا راسين المرحلة الاولى من حكمه وانهى ماساته قبل أن يكمل نيرون تنفيذ جرائمه العديدة فهو لم يقتل بعد امه ولا امرأته ولا الكثيرين من اقاربه وقواده، مع أن خليل مطران صور لنا نيرون بين جرائمه فانتقل بنا من اولى مراحل حكمه الجائر الى اعتقالاته وقتله للكثيرين من المقربين اليه ، الى حريق روما ، الى اتهامه النصارى باحراق المدينة ، واخيرا الى انتحاره • بيد أنه رغم اختلاف المراحل التى استند اليها كل من الشاعرين فنحن امام شخصية واحدة تتفاعل امامنا • فنيرون راسين هو ذلك الحاكم الذى بدأت قوى الشر تستفيق من سباتها عنده .. يبدو لنا بين تيارين اى بين « بوروس Burrus » وهو مجسم لقوى الخير ، وبين « نرسيس Narcisse » وهو مجسم لقوى الشر • فنسير مع راسين مراحل ذلك التطور المؤلم ، فنشهد ذلك الصراع القوى الذى ان دل على شيء فعلى ما يكمن فى نفسية ذلك الرجل من بذور الشر المتاصلة فى كيانه اما شخصية نيرون عند خليل مطران ، فهى قد اكتملت عناصرها وبدأت قوى الشر تفعل فعلها عنده ، فينتقل بنا الشاعر بين تلك الاجواء الموبوءة التى خلقها الطاغية المستبد •

يبدأ مطران قصيدته هذه بوصف دقيق لشكل ذلك الظالم ، فهو بارز الصدغين ، خاثر الهمة ، قصير القامة • اما طبعه واما نفسيته فلا قلق ولا تفاعل ولا وجود للصراع فيها ، فهو كالشؤم فى مدينة البشر ، كالوباء أينما حل :

نزل ... فى موضع طم الأسى
ومضى فاطّنّ بسيف الله ابترا

متعبا للزرع والضرع معا
تاركا فى إثره المعمور قفرا

اما المرحلة الاولى من حكمه وهى المرحلة البناءة التى يعتبرها الرومان فى الخمس سنوات

الاولى من حكمه ، والمعروفة بـ Quinquennium Neronis » • واما تلك الفترات التي يبرز فيها الحاكم الصالح ، العادل ، اما هذا كله فهو عند مطران لبن مقصود ، وعدل زائف لنيل مآرب ما ، يعود بعده الى خططه الهدامة ، فهو قد :

لان حتى وجد اللين بهم
فجفا ثم عتا ثم اقمطرا
لبس الحلم لهم حتى اذا
آنس الحلم بهم منه تعرى

بذور الشر متأصلة

اذا لامجال للبحث عند مطران في ذلك الصراع بين قوى وقوى ، فالمظاهر التي يرينا اياها نيرون ما هي الا مرحلة انتقال الى مآرب آخر • فبذور الشر عنده متأصلة لكنها تختبىء احيانا لتعود ثانية اكثر فعالية واكثر تدميرا •• اما راسين فيرينا نيرون تتجاذبه قوى الخير والشر ، فعندما يقرر القضاء على اخيه « بريتانيكوس » صاحب الحق الاول في عرش أبيه « كلوديوس » قبل أن ترغمه زوجته الثانية « اكريبين » بتبنى ابنها نيرون يعود فيرجع عن قراره بعد مصالحته لأمه وبعد وقوف « بوروس » بوجه تلك الجريمة طالبا ومتوسلا عدم تنفيذها ، مبعدا كل الشبهات عن « بريتانيكوس » مبينا براءته وولاء لامبراطوره • ولكن « نرسيس » ، المنفذ المطيع لجرائم سيده ، يعود الى نيرون يعلمه بتدبير الامور لتنفيذ المهمة، لكنه عندما يرى منه عدم الاكتراث ، لابل عندما يطلب نيرون منه الاقلاع عن هذه الفكرة ، خاصة وقد وعد بروس بذلك ، يأتي من جديد يجمع الحيل والاقاويل ويختلق الروايات والمؤامرات ليعود نيرون ويقبل بتنفيذ ما اتفقا عليه • فيقول لسيده:

اما ذلك الشعب الذي تخاف ان يثور ،
فهو قد تعود على العبودية منذ القدم
وهو بذلك يخر ساجدا امام اليد التي تكبله
ان روما اذ تشيع على معابدها هاتين الضحيتين
لتجد لهما جرما ولو انها بريئتان

وبعد اخذ ورد يوافق نيرون على تنفيذ المهمة ويعطى « بريتانيكوس » السم في حضرة الظالم وحاشيته ،فيتلذذ ذلك «الوحش الناشيء» حسب تعبير راسين في تلك الفترة التي تفصله من أجل أخ لم يعطف عليه طيلة حياته • فقوى الشر فائزة ابدا عند راسين لكون نيرون سائرا حتما الى الهلاك ، وما تلك المراحل الا تقدم محسوس نحو أجله المحتوم • وان لذلك التطور وذلك التفاعل مركزا اساسيا في مأساة راسين هذه كما في مآسيه الاخرى ، لان من اولى قواعد المأساة الكلاسيكية التفاعل النفساني ضمن اطار وحدة العمل التي تشمل جميع اطوار بطل المأساة وكأني بنيرون يسير الى اجله تدفعه قوة غير منظورة وهو ملقى بين حتمية القدر يتلاعب به • هنا تبرز عبقرية الشاعر ، فيصور لنا ذلك الصراع القائم مع القدر والقوى المحيطة به • فكان راسين من ابرز شعراء « الكلاسيسزم » في تصوير هذه الحالات المضطربة القلقة •

قتله لأمه

قام نيرون بتنفيذ مآربه واهلاك من يراهم حجر عثرة امام تدعيم حكمه الفردى المستبد ، فكانت ضربته الثانية تنصب على امه لما كان يرى فيها من منازعة لسلطانه ، ولما يبلغه عنها من تدبير المؤامرات لخلعه عن عرش روما •

فجاء مطران وصور لنا تلك الجريمة النكراء التي لم تعرف مثلها البشرية قط • ذلك ان نيرون بعد اخفاق رسوله باغراق امه ، ارسل من يأخذها بالسيف • وها هو مطران يرينا « اغريبين » تتقبل الموت بشجاعة وقوة :

فأشارت قبلا لم تحتشم
ولها وقفتها تيها وجبرا

وبدأت بعد ذلك سلسلة الاغتيالات من حكام ومقربين وقواد ، فملك الرعب نفوس المواطنين وهنا يعود مطران لتقصى هذا الشر الكامن في طبيعة نيرون ، فيرجع فترة الى الوراء فيريه التاريخ « فليقولا » حاكم روما قبل « نيرون » و « كلوديوس » وهواخ « اغريبين » أي خال نيرون ، فيرى فيه صورة مماثلة لنيرون فيصور لنا في اربعين بيتا سيرة ذلك الرجل المستبد المريض :

---

(٢) كان نيرون متزوجا من (Octavi²) اخت« بريتانيكوس

أفتدرى من « المقولا » ومـــا
سامه الرومـــان مستخذين بهرا ؟
أفتدرى اى حكم جائـــــر
ذلك الطاغى على الرومان اجرى ؟

فساد نفسية نيرون

وهنا ينتقل بنا الشاعر فيبين ما للجهل من عوامل قوية فى تدعيم سلطة الطغيان والاستبداد. فكان مطران فى تصويره لتلك الحالات المختلفة يضع نفسية نيرون امام تلك العناصر التى سهلت نشوء بذور الشر فى كيانه ، وذلك بما اخذه عن السلف من جور وبما استغل من الجهل المنتشر فى صفوف الشعب ومن تخاذل وضعف عملائه فى الدولة كما عرفنا من تلك المؤامرات التى كانت تحاك هنا وهناك . كل ذلك كان له عامله الفعال فى تكوين تلك النفسية الفاسدة المجرمة. فيصل بنا مطران الى افظع عمل قام به سلطان على الارض ، الا هو حريق روما من قبل نيرون . فاعطى شاعرنا من عبقريته وقوة فنه صورا ناطقة لهذا الدمار ولهذا اللهيب الذى شب فى انحاء المدينة . فتخيل نيرون من بعيد ينظر اليه متصورا الحريق شعرا وموسيقى .. فابدع مطران واى ابداع ، فى اخراج تلك الصورة الناطقة :

دفق « التبر » ضيـــاء ودمـــا
مستفيض اللج ياقوتا وتـــبرا
كان بالأمس كمرآة صفـــت
ربما كدرها الطائـــر نقـــرا

قلت ان نيرون ما انتهى من جريمة حتى عمد الى اخرى افظع منها واشنع ، فما ان اضرمت النار فى روما حتى اتهم النصارى باحراق المدينة وامر بالقائهم الى الوحوش فى احتفال كبير :

بربرت تلك الضوارى دونهم
ثم شدت وهى لاترحم شـفرا
هشمت وانتهشت وافترســـت
ما اشتهت نهمتها عظما وهبرا

سار مطران بنا مبينا مراحل ذلك الحاكم المستبد، ذاكرا جرائمه ، متنقلا بنا من جريمة الى اخرى .. وكان تلك الجرائم سلسلة موحدة الهدف ، وكاننا امام نفسية تزداد شرا مع الزمن فلا ترتوى ولا تكل حتى تتلاشى ، فيسدل الستار عن افظع ماساة عرفتها البشرية . فخليل مطران اذا ، اعطانا عند نيرون نفسية شريرة يتزايد شرها مع الزمن ، فلا رجوع ولا التواء ، ولا ندم ولا تردد ، بل تقدم مستمر نحو الفجور والفساد والجريمة . اما راسين فقد رمى ذلك الطاغية بين تيارين يتجاذبانه بشدة ، فكل تفاعل وصراع مستمران . اما الغلبة فكانت لقوى الشر الهدامة ، فسقط نيرون بعد ان تقاذفته تلك القوى وقضت على كيانه قضاء تاما .

ثم ينهى مطران قصيدته بهذه الابيات الرائعة :

من يلم « نيرون » انى لائـــم
امه لو كهرته ارتد كهـــرا
أمه لو ناهضتـــه ،اعـــة
لانتهى عنها وشيكا وانبجـــرا
كل قوم خالقـــو « نيرونهـــم »
« قيصر » قيل لهام قيل « كسرى »

فهنا يلتقى مطران مع « ارنست رينان E. Renan فى كتابه : L'antechrist » الذى يعتبر بان للشعب نصيبه فى تركيز هذا الطغيان ، هذا الشعب الذى لم ير فى نيرون الا ذلك الحاكم الذى يحيى الحفلات الكبرى له ويغدق عليه العطايا، فكان يكتفى بهذا القدر من « الاصلاح » وهو الجاهل ما يحاك فى القصر من مؤامرات على حريته ومصيره . فذلك الخنوع وذلك التزلف سهلا طريق الطغيان ودعما أركان الحكم الاستبدادى ، حتى وصلت البلاد الى ما وصلت اليه من فقر وعوز نتيجة للاسراف الجنونى الذى قام به نيرون طيلة توليه العرش ولا سيما السنوات الأخيرة من حكمه الجائر . ■■

غسان فواز هنيدى
مديرية التربية / السويداء / سوريا

عندما طرقت الجامعة أبواب صنعاء

بقلم : محمد خليفة التونسي

تصوير : فهد الكوح

وصار في اليمن جامعة .

« الخبر » بالغ الاهمية ، رغم ان الحدث عمره حوالي سبع سنوات ، والكل يعرف السبب . كيف ان يكون مسرح هذا الحدث الكبير هو اليمن ، التي كان يطلق عليها الرومان ـ فيما مضى ـ « العربية السعيدة » !

ما هي قصة الجامعة ؟

هذا الاستطلاع يصحبنا في زيارة لأرجائها .

● في البدء لابد من وقفة امام اليمن ذاتها ، التي يرجح كثير من علماء البشريات (الانثروبولوجي) انها مهد الجنس البشري ، كما انها مهد العروبة في ارجح الاراء ، وفيها اقدم الحضارات العربية (المعينية ، والسبئية ، والحميرية) ومنها خرجت الموجات البشرية التي أسست او اشتركت في تاسيس اقدم الحضارات العمرانية في منطقة الشرق الاوسط ولا سيما العراق والشام ومنها الحضارات الاكادية (البابلية) والاشورية والعمورية والكنعانية ووليدتها الفونية (الفينيقية) التي امتد نفوذها الثقافي والاقتصادي الى كثير من جزر البحر المتوسط وشواطئه شمالا وجنوبا حتى بلغت اسبانيا وفرنسا والجزر البريطانية ، كما خرجت من اليمن موجات بشرية اخرى الى شواطىء شرقي افريقية قبل الميلاد وتوغلت فيها حتى الحبشة ، وكونت هناك دولة راقية واسعة ، ثم خرجت موجة اخرى الى اطراف الجزيرة العربية وقلبها ، فاسست مملكة اللخميين في الحيرة جنوبي العراق ومملكة الغساسنة في الشام ، ونزلت بعض قبائلها : الاوس والخزرج في يثرب (المدينة) ، حتى اذا جاء الاسلام واستنفر العرب للجهاد في سبيل الله خرجت باسمه أكبر هذه الموجات من قلب الجزيرة العربية وسائر أطرافها (وأهمها اليمن) فانتشرت فيما بين الصين شرقا حتى المغرب الاقصى والاندلس على ساحل المحيط الاطلسي غربا ، وامتدت الى جزر البحر المتوسط وبعض شواطئه الشمالية ، وكانت هذه الموجة ابعد الموجات مطرحا ، واعظمها نفعا ، واعمقها أثرا في تاريخ العالم كله ، اذ صححت وجهته نحو الله ، واحيت كل نافع من ثقافاته وحضاراته ، وجعلت من اشتاتها وحدة حية ذات



اقامت جامعة صنعاء معرضها الاول فى ختام العام الدراسى الاخير ، وفى الصورة احد مشاهد توزيع الجوائز على الفائزين فى المعرض .وقد وقف الاستاذ الايريانى وزير التربية ورئيس الجامعة يسلم احد الفائزين جائزة ، والى جواره ظهر الدكتور عبد المحسن العبادى عميد كلية العلوم .

صبغة اسلامية ، وان لم يكن الاسلام منشاها ، وهذه الصبغة انسانية عامة ، تسوى بين البشر امام الله ، وترفع عنهم كل وصاية لغيره ، فلا حجر على فكر أو ضمير او سلوك ، وتجعلهم اخوة فى كفالته وكفالة بعضهم بعضا ، بل هى صبغة الهية ، لانها ابرزت الكون كله بارضه وسماواته كانه اسرة واحدة تعيش فى عنايته لانه وحده خالقها ومديرها وقيمها لا سواه .

ومعروف ان هذه الفتوح الجغرافية الاسلامية فى بدايتها انما انطلقت من الجزيرة العربية وكان العرب وحدهم مادتها فى هذه البداية ،ولو تدبرنا هذه المادة لراينا معظمها من قبائل اليمن، فقد كانت اقدم جهات الجزيرة العربية حضارة وارحبها عمرانا .

وقد احدث خروج هذه العناصر النشيطة منها الى البلاد المفتوحة خفة فى سكانها ، مما جعل بعض المؤرخين يزعمون عن سوء نية او سوء نظر ان الاسلام قد زعزع مكانة اليمن، وسلبها استقلالها، ولو احسنوا النية او الراى وتدبروا الحقائق الواضحة لعرفوا ان الاسلام حفظ سلطانها لاهلها فى حماية دولته الجديدة ، بعد ان كانت للحبشة حينا ، ولفارس حينا ، وسوى بينها وبين الاقاليم العربية وسائر البلاد المفتوحة فى السلطان ، واعطى اهلها كما اعطى بقية الفاتحين ارضا جديدة يستوطنونها ، ويرتزقون من خيراتها ،وفتح لهم طرق التجارة التى كانت فى ايدى الفرس والرومان ، وتركت منازلهم فى اليمن لمن بقوا فيها ، بالاضافة الى الاسلام الذى وحد عقيدتهم فخلصهم من المنازعات الدينية الداخلية بين يهودية ومسيحية ومجوسية ووثنية ، وقد انتشرت شراذم هذه القبائل اليمنية ولم تزل بقاياها حتى اليوم حيث يسمع الاذان بدعوة الاسلام سواء فى المدن او الارياف ، ولم يزل كثير منها يذكر اصوله اليمنية .

كيف نشأت الجامعة ؟

ظهرت الجامعة فى السنة الدراسية ٧١/٧٠ ، وكانت كسائر المواليد فى بدايتها صغرا وضعفا، اذ بدات كليتين : احداهما للتربية ، تضم ١٣ طالبا وطالبة ، وكلية للشريعة والقانون ،وطلابها وطالباتها ٣٧ ، وهذا فى دولة دخلت الثلث الاخير من القرن العشرين ، وسكانها يومئذ خمسة ملايين او يزيدون .

ولكن هذه البداية ـ مع صغرها وضعفها ـ جديرة بالاعجاب ، ولولا اصرار بعض اولى العزم من فضلاء الدولة على انشائها ، والمعونة المالية من بعض الدول العربية لتاخر ميلادها سنة او سنوات ، ويكفى عقبة دون فتحها قلة المؤهلين لها من خريجى الثانوية ، كما تدلنا على ذلك النظرة

السريعة الى عدد الطلاب والطالبات معا وهم خمسون عند افتتاحها كليتين .

لقد ولدت كما اريد لها « على اى نحو » ، وكانت ولادتها بما يشبه العملية القيصرية قبل الاوان ، لا ولادة طبيعية ، ولكنها عاشت ،ونمت طبيعيا ، وامتلأت عافية ، بل صارت كغير ماتكون اى جامعة فى مثل عمرها ، وهى اليوم فى سنتها السابعة من عمرها العريض الطويل بتوفيق الله، وهمة الغيورين . وكم من دولة عربية وغيرعربية غارقة فى ثرائها ، ولديها اعداد من خريجى مدارسها الثانوية ، ثم اشفقت من تاسيس كلية واحدة فضلا عن جامعة ذات كليات ، فهى ترسل هؤلاء الخريجين ولو على نفقتها الى جامعات دول اخرى .ومن هنا ياتى بدء العجب من انشاء جامعة «صنعاء ، والاعجاب بها

لم تزل نهضة « يمننا » هذه فى بدايتها ، ولهاعذرها بل اعذارها الكثيرة ، فانها ـ حتى ثورتها الاخيرة سنة ١٩٦٢ ـ بقيت معزولة وراء سورها الحديدى الذى ضربته حولها « حكمة » حكامها السابقين من ابنائها ، فلم تنتفع بمزايا استقلالها المبكر الذى سبقت فيه معظم شقيقاتها العربية ، مما يدل على ان الاستقلال لا يغنى فتيلا عن اصلاح احوال شعبها واطلاق الحرية له كى ينشط بكل ما لديه ذاتيا من طاقات ادبية ومادية . لقد بقيت « يمننا » فى عزلتها لا يسمح لشعبها ان يتصل بسواه من شعوب العالم ، ولا يسمح لها ان تتصل به ، حتى اذا تسللت اليه ـ من خلل السور ـ دعوات الحرية والاصلاح ـ بالكره من حكامه ـ قامت طوائف من احراره بالثورة على هذا الطغيان الراصد حتى اطاحت به ، وبذلك تصدعت كل جوانب ذلك السور الخانق ، وتفتحت صدوعه لرياح شتى تهب عليه من سائر بلاد العالم شرقا وغربا ، و « يمننا » لا شك فى اشد الحاجة الى كل عون صالح ، لتمضى فى نهضتها .

ولقد كانت البلاد القريبة منها اسرع الى نجدتها وعونها ، فالاخ الى اخيه اقرب ، وبعونه اجدر ، وله اشد قبولا ، وعليه اكثر اعتمادا ، وان كان هذا لا يعفى سائر بلاد العالم القادرة على اى معونةمن ان تسعف ولو بأيسر ماتستطيع، فهذا واجب لا فكاك منه ، ولا عذر فيه لمقصر بعد ان صارت اقطار الارض ـ بسبب تشابك مصالحها ـ كاعضاء الجسم الحى ، فلا تضار مصلحة طرف قاص او دان حتى تضار مصالح سائر الاطراف . عرف ذلك من عرفه ، وانكره من انكره ، واذا لم يكن حب الخير وبعد النظر كفيلين بعمل القادرين على المعونة ان يقدموها عن سماحة وحكمة ، فان جرائر المحن واضرارها عليهم كفيلة بان تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتكبح جماح المعاند ،فيخف الى النجدة اضطرارا، ان لم يبادر بها اختيارا ، ولا عجب اذن ان تجد المساعدات تاتى هذا القطر من دول كثيرة غربية وشرقية ، ايا كانت الدوافع من هنا او هنالك. وكلها خيرات واجبة القبول ، جديرة بالتقدير ما ابقت للشعب واحراره المسئولين حريتهم فى تدبير احواله والتصرف فى ثرواته على وفق مصلحته ، دون وصاية خارجية .

التعليم قبل الثورة

كانت البلاد قبل سبتمبر سنة ١٩٦٢ تكادتكون خلوا من التعليم النظامى على اختلاف مستوياته

القديم والجديد فى صنعاء. هذا المبنى الشاهق يطل على الجامعة . هو صرح غمدان ، قصر وحصن يقوم على صخرة واحدة بالقرب من صنعاء ، وكان يسكنه الملوك الائمة قبل الثورة (١٩٦٢) وهو يعود الى (اليشرح) أحد ملوك سبأ فى القرن الاول الميلادى وقد بنى بالحجارة الضخمة الملونة والرخام الفاخر ،وكان يتكون من عشرين طبقة ، ارتفاع كل منها عشرون ذراعا ، فهو اقدم ناطحة سحاب نعرفها ، وبقى الى أيام سيف بن ذى يزن آخر الملوك الحميريين الذى استطاع بمعونة الفرس أن يطرد الاحباش سنة ٦٧٥ بعد أن احتلوا اليمن نحو خمسين سنة ، فتوافد عليه رؤساء القبائل يهنئونه بالانتصار والملك ، ومنهم عبد المطلب (جد النبى عليه السلام)وأبو الصلت الثقفى (والد شاعرنا المخضرم أمية بن ابى الصلت) الذى نظم قصيدة فى تهنئته ، منها قوله :

« أرسلت أسدا على بقع الكلاب ، فقد ... أضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئا ، عليك التاج ، مرتفعا ... فى رأس غمدان ـ دارا منك محلالا



وانواعه فليس فيها اي تعليم عال ، بل لم يكن هناك تعليم ثانوي عام او فني ، ولا في مستواه فاذا هبطنا الى مستوى التعليم المتوسط حتى السنة الدراسية ٦٢ / ٦٣ ـ بعد بداية الثورة ـ لم نجد الا ثلاثة مدارس هزيلة تضم نحو عشرين فصلا ، فيها نحو سبعمائة طالب ، ومعهد واحد للمعلمين ابتدائي ، يدرس خريجوه في المدارس الابتدائية ، على قدر ما تعلموا فيه من بدايات المعرفة • واما المدارس الابتدائية في تلك السنة فكانت اشبه بالكتاتيب المتهالكة ، لانها هيئت على عجل عقب الثورة بقدر ما تهيا من وسائل ومعونات معظمها خارجي ،وقد بلغت هذه المدارس او الكتاتيب يومئذ اكثر من تسع مئة ، تضم نحو ٥٧٠٠٠ تلميذ ، والفي تلميذة ، ولا استثناء من هذا التخلف لغير حركة ضعيفة في مجال التعليم الديني ، فقد كان هناك بعض الافراد الذين يتولونه في المساجد ونحوها متطوعين غالبا ، فاهل البلاد مسلمون فهم مضطرون الى من يعلمهم مالا بد من علمه بين امور دينهم ، ويقيم لهم شعائره ، ويفتيهم في مسائله ، ويقضي بينهم بما اصطلح عليه علماؤهم من احكامه ، ومن طلاب هذا التعليم كان كثير من شباب الجامعة الخمسين الذين التحقوا بها عند فتحها • ولم تتوان الدولة عقب الثورة في انشاء ما تيسر لها من المدارس على اختلاف المستويات ، ولاسباب كثيرة لم تجد بدا من التاني في الاستكثار من المدارس المتوسطة والثانوية للبنين والبنات ، حتى يتهيا لكل مستوى منهما عدد كاف من خريجي المستوى السابق له،ويجلب اليها المعلمون من الخارج، وكان من الاسباب ان الدولة كانت في شغل شاغل بمشاكل الحرب الاهلية وجرائرها في السنوات التي تلت الثورة سنة ٦٢ حتى افتتاح الجامعة سنة ١٩٧٠ •

قفزات واسعة

وقد يبدو انشاء الجامعة متاخرا عن وقته بالنسبة للبلاد الاخرى ، ولكن التقدير الصحيح لتلك الاسباب المعوقة يحملنا على اعتبار ان نشاة الجامعة كانت مبكرة ، بل انها ولدت قبل اوانها وهي لم تولد ـ كما اسلفنا الا نتاج تلك العزمة الصادقة الجبارة من بعض ذوي الغيرة والقدرة والحنكة الذين تبنوا فكرتها ، وطلبوا المعونة المالية لتوليدها ثم رعايتها ، فوجدوا من يلبيهم بين الاشقاء من ذوي المروءة ، وكانت الكويت اسرع نجدة ، واجزل عطاء •

كانت ولادتها فلتة ، ولكنها محسوبة العواقب ولهذا نمت كما تنمو افضل الجامعات حظا ، وان كانت بدايتها صغيرة ضعيفة ، فان مدارس الدولة اخذت تمد الجامعة بخريجيها ، وتواصلت المعونة المالية لها ، فمضت تكبر ، وتجد في خطاها ، ثم توالت قفزاتها المأمونة العواقب ، وهي ماضية في ذلك حتى تتكامل بنيتها كسائر الجامعات العريقة•

اشرنا من قبل الى ان الجامعة بدأت سنة ٧٠/٧١ كليتين : احداهما للتربية تضم ثلاثة عشر طالبا وطالبة ، وثانية للشريعة والقانون ، طلابها وطالباتها ٣٧ ، ولم يكن المكان الذي بدات منه ـ ولم تزل فيه حتى الان ـ قد خصص لها ، بل ليكون معهدا للمعلمين ، فاستقرت فيه ، وبعد سنة واحدة تهيأت للتفرغ ، فتطورت كلية التربية لتكون كلية الاداب والعلوم والتربية ، تمهيدا لفصلها ثلاث كليات بعد ان كانت ثلاثة اقسام في كلية واحدة ، واما كلية الشريعة والقانون فقد قفز طلابها من الجنسين في سنواتها الثلاث الاولى من ٣٧ ، الى ١٣٤ ، الى ١٦٣ ، حتى سنتها الرابعة (٧٣/٧٤) فالحقت بها شعبة للتجارة والاقتصاد بلغ طلابها وطالباتها ٢٤٣ ، فلما استقلت في السنة التالية باسم « كلية التجارة والاقتصاد » بلغوا ٥٧١ ، وهكذا صارت الكليتان خمس كليات•

نجاحان : داخلي وخارجي

وفي هذه السنة ايضا (٧٤/٧٥) كان قد مضى على انشاء الجامعة اربع سنوات ، واقترب ظهور خريجيها ـ كان الخريجون في كلية الاداب مثلا في تلك السنة عشرة ـ احتاج امرها الى مراجعة عامة للنظر في مستقبلها ومستقبل خريجيها ، وتهيئة الطريق لهم ولها ، وتعديل ما يلزم من شئونها الداخلية ، ومن ضمان مكانتها بين الجامعات ، وقد حققت نجاحا في الجانبين ، فاما نجاحها الخارجي فقد تحقق عندما تقدمت الى مجلس اتحاد الجامعات العربية الذي انعقد في فبراير سنة ١٩٧٤ ، وطلبت قبولها عضوا في الاتحاد والاعتراف بخريجيها ، فاجيبت بالموافقة •

واما النجاح الداخلي فهو الخاص بتحديد مهمتها ، وتنظيم كلياتها واقسامها واجهزتها التعليمية والمالية والادارية التي تشرف عليها ، وتحديد اختصاص هذه الاجهزة وعلاقة بعضها

الحكمة اليمانية

«الإيمان يمان والحكمة يمانية» حديث شريف

العدد ١ السنة الأولى — مجلة علمية جامعية شهرية — ذي الحجة سنة ١٣٥٧

شعار جامعة صنعاء ، اختاره مجلس امنائها - وهو يمثل اعمدة العرش الخمسة لاحد ملوك « سبأ » وفوقه عبارة « الحكمة يمانية » وتحيط بذلك حنية زخرفية على طراز يمني ·

ويعتز اليمنيون بعبارة الشعار ، اذ يستندون في ذلك على حديث نبوي « الايمان يمان ، والحكمة يمانية » ولذلك سموا احدى جرائدهم « الايمان » وسموا احدى مجلاتهم « الحكمة » ، ويبدو في الصورة المرفقة رأس العدد الاول منها ·

ببعض ، وفي ذلك صدر قرار مفصل هو القانون (١١٨ لسنة ١٩٧٤) ، اشار في فقراته الى ان مهمة الجامعة العناية بالبحث العلمي ، وتهيئة المواطن الصالح ، والاسهام في صنع مستقبل الوطن ، وتحقيق الرخاء لشعبه ، كما حدد القانون جهاز مجلس الجامعة واختصاصاته ، وعدد الكليات واقسامها وشروط قبول الطلاب يمنيين وغير يمنيين ، منتظمين ومنتسبين (حتى في الدراسات العليا بعد ظهورها) والرعاية لهم اجتماعيا ، وصحيا ، وسكنيا (في المدينة الجامعية) والشهادات التي تمنح للخريجين (البكلوريوس ، والليسانس) ونظام الامتحانات والنقل ، وكل هذا متبع بقدر ما تملي للجامعة احوالها المالية والتعليمية سنة فسنة ، وهي في جملتها احوال طيبة ، ولهذا تتسع خطواتها في ثقة وعزم وامان ، وذلك ما توضحه مظاهر كثيرة ، منها مثلا عدد الطلاب والطالبات فقد كانوا (٥٠) عند افتتاحها (٧٠/٧١) فصاروا في سنتها الخامسة (١٦٢١) وهم اليوم في سنتها السابعة (٣٠١٤) ·

كليات الجامعة واقسامها

ومن مظاهر سعة خطواتها ايضا تفرعات كلياتها واقسامها ، ففيها اليوم خمس كليات ، لكل منها مبناها الخاص ، (ما عدا كلية التربية) ولها جهازها التعليمي والاداري ، وهذه الكليات هي

١) كلية الشريعة والقانون : وهي احدى الكليتين اللتين بدأت بهما الجامعة سنة ٧٠/٧١ وكان طلابها يومئذ (٣٧) وهم اليوم (٤٣٠) ، واقسامها ثلاثة : الشريعة ، والقانون العام ، والقانون الخاص ·

٢) كلية الاداب : وكانت تابعة لكلية التربية التي صارت بعد سنة افتتاحها تسمى « كلية الاداب والعلوم والتربية » ، ثم استقلت كلية الاداب سنة ٧٣/٧٤ ، وكان طلابها يومئذ (٤٦٨) فصاروا في السنة التالية (٥٦٤) وهم اليوم (٤٠٢) واقسام الكلية خمسة : اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، واللغة الانجليزية وادابها ، التاريخ والآثار ، الجغرافية ، الفلسفة والاجتماع ·

٣) كلية العلوم : وقصتها كقصة كلية الاداب وقد استقلت سنة ٧٣/٧٤ ايضا ، وكان طلابها يومئذ (٥٩) وفي السنة التالية (١٠٩) وهم اليوم (٢٩٣) وقد اخبرنا عميدها الدكتور عبد الحسن العبادي أن اقسامها سبعة : الفيزياء والكيمياء ، والرياضيات ، الحيوان ، الجيولوجيا ، البحار ، وقسم الجيولوجيا اكثر الاقسام طلابا ، للحاجة الى كشف ما في باطن الارض من ثروات ، في مقدمتها النفط ، وفي داخلها قسم للعلوم والتربية لتخريج مدرسين للرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي (جيولوجيا ، نبات ، حيوان) ، والطالب يتخصص في مادتين ليستطيع العمل في أحد مجالين أو كليهما ، (والدولة في أشد الحاجة الى مدرسي العلوم بخاصة ، مدرسي سائر المواد بعامة) ·

٤ ــ كلية التجارة والاقتصاد ، وقد بدأت شعبة في كلية الشريعة والقانون سنة ٧٣/٧٤ ، وكان طلاب الشعبة وطالباتها يومئذ (٢٤٣) وفي السنة التالية صارت كلية مستقلة ، فصاروا (٥٧١) وعددهم اليوم (١١١٨) فهم أكثر



● اقامت الجامعة معرضا قدمت فيه أحدثما عندها ٠ وفى الصورة التف بعض الزوار حول جهاز يبين الجهات الاربع ٠ **(الصورة الى اعلى)**

● مبانى كلية الدراسات الاسلامية والعربيةفوق أحد جبال مدينة تعز ، يظهر من الخلف جبل « صبر » الذى يبلغ ارتفاعه حـــوالى٦٠٠٠ قدم **(الصورة الى أسفل)**





● ثلاث طالبات بكلية العلوم ، فى حديقة الجامعة، تتوسطهن احدى الوافدات، وقد وقفت سافرة بين زميلتيها اليمنيتين المتحجبتين ، فى لقاء لا ينكر فيه طرف على طرف ما اختار لنفسه من أزياء •

عددا من أمثالهم في أي كلية ، وأقسام الكلية ثلاثة : المحاسبة ، والاقتصاد ، وادارة الاعمال •

٥) كلية التربية : وقد أشرنا آنفا الى أنها كانت احدى كليتين بدأت بهما الجامعة ومن التربية تفرعت كليتا الاداب والعلوم ، ثم استقلتا عنها ، ولها الان عميدها وهيئتها الادارية ولكن ليس لها مبنى مستقل ، لان طلابها من الجنسين (وعددهم اليوم ٩٦٤) موزعون مؤقتا بحسب اقسامها الخمسة بين كليات ثلاث ، فاللغة العربية، وقسم اللغة الانجليزية وقسم العلوم الاجتماعية ملحق بكلية الاداب ، وقسم العلوم الطبيعية ملحق بكلية العلوم ، وقسم العلوم التجارية ملحق بكلية التجارة والاقتصاد •• ولا شك ان لتفاوت اعداد الطلاب بين الكليات الخمس دلالاتها التي لا تخفى على خبير •

اختلاط الطلاب والطالبات

والاختلاط بين الطلاب والطالبات سائد في كل ما اطلعنا عليه من اقسام الدراسة : داخل قاعات المحاضرات ،وفي افنية المبنيات ـ وهي متداخلة ـ وفي مكاتب الادارات ، وهذه ظاهرة جريئة ،فكثير من الطالبات محجبات حتى لا تظهر الا عيونهن ، وبعضهن كاشفات الوجوه فحسب وغيرهن سافرات في الزي المألوف الشائع بين مثيلاتهن من الطالبات الجامعيات في هذه الايام ، وهذا دليل سماحة وتسامح ، وفيه حل لمشكلة عسيرة الحل في بلاد كثيرة وقد تكفلت البنات بهذا الحل عن رضا من اسرهن او بتشجيعها ، حين اقتحمن الجامعة ففتحت لهن كل ابوابها ، وجلسن الى جانب زملائهن في قاعات الدرس ، وسايرنهم في حرم الجامعة بلا تهيب ، سواء منهن المتحجبات وغير المتحجبات •

وقد لقينا مصادفة احد آبائهن ، وكانت لحيته فوق صدره تلامس مقبض خنجره البارز من منطقته المزخرفة فاكبرنا رأيه في وجوب تعليم البنات الى اقصى درجات التعليم ، وعدم شعوره باي تحرج في اختلاطها باخوتها او زملائها في حرم الجامعة، وقد اسمعنا في ذلك حججه الدينية والواقعية التي هو مقتنع بها ، وهي وجهة تستحق التقدير •

ومن تدبر احوال النهضة النسائية في بلادنا العربية (ونحوها) يجد ان اثر العدوى الاجتماعية فيها ـ اتباعا للغرب في بدايتها ـ كان اسبق واقوى من اثر السماحة الدينية وسير النهضة كذلك حتى اليوم ، سواء وقفت عند حدود الدين او قاربتها ، وقد املت الضرورات على النهضة النسائية التعليمية ما جعل الاختلاط بين الفتيات والفتيان منتشرا في كثير من مدارس الارياف متوسطة وثانوية سواء في بلادنا او غيرها ، على حين لم يزل كثير منا ينكرون هذا الاختلاط ، ناظرين الى ضروراته المختلفة ـ او غير ناظرين ، ويرون وجوب الفصل بين الجنسين حتى في الجامعة ولو كان ذلك متعذرا اما لقلة الهيئات التدريسية، او لان عدد البنات من جهة لا يكفي لتكوين فصل فضلا عن مدرسة ، ولكل وجهة هو موليها • وان كان من حسن النظر ان تقدر الضرورات بقدرها على وفق الامكنة والاحوال الاجتماعية وان لا تحرم فتاة حظها من التعليم بسبب الاختلاط ،والضرورات تفرض نتائجها رضي ذلك من رضيه ، وأباه من اباه

الجمعيات الثقافية في حمى الجامعة

ولا يقتصر نشاط الكليات على القاء المحاضرات داخل القاعات ، بل حاولت ان تمد أنشطتها الثقافية الى مرافق مختلفة ، وتتلاحم في ذلك مع جهات مختلفة في لواء صنعاء والالوية التسعة الاخرى ، ففي كلية الشريعة والقانون مثلا أنشئت الجمعية الشرعية القانونية، وفي كلية العلوم أنشئت الجمعية الكيميائية ، والجمعية البيولوجية ، وفي كلية التجارة أنشئت جمعيتان علميتان : احداهما للمحاسبة والمراجعة، والاخرى للاقتصاد والاحصاء •

وهذا التلاحم بين هذه الجمعيات وتلك الجهات خارجها يسهم نظريا وعمليا في وضع حلول للمشاكل الوطنية المختلفة مع المسئولين وسائر المختصين في مرافق الدولة ، وقد سرنا أن نجد كثيرا من هذه الجمعيات تصدر مجلاتها مطبوعة على الالة الكاتبة ، ويشترك في تحريرها الاساتذة والطلاب ، وهي ذات مستوى طيب •

واتباعا لهذه الوجهة الخيرة نظمت كلية الاداب ندوة علمية ، رغبة في تعليم اللغة الانجليزية• بطريقة افضل ، وقد حضر الندوة كثير من ممثلي الجامعات والهيئات التعليمية في البلاد العربية، واصدروا توصياتهم للمهتمين بتدريس هذه اللغة• كما ان لكلية الاداب معملا صوتيا لتعليم طلابها اللغة الانجليزية بطريقة حديثة ، ولم تزل الدولة في حاجة الى الاهتمام باللغات الحديثة وفي مقدمتها الانجليزية ، وهي تبذل في هذا جهودا جبارة داخل الجامعة وخارجها ، وتستعين في هذا

السبيل بجهات كثيرة من بعض الدول ، ومن بعض الهيئات الثقافية الدولية •

استكمال كليات الجامعة

والجامعة اليوم ــ مع نهضتها القــوية ــ لم تستكمل فروع التعليم التى تحتاج اليها الدولة، ويحدد رئيسها الدكتور عبد الـكريم الارياني ، صورة المستقبل بقوله : ان الخطة الخمسيةالحالية (٧٥ ــ ١٩٨٠) للجامعة ادرجت انشــاء مبان جديدة للكليات الخمس العالية بالاضــافة الى ثلاث كليات اخرى : الهندســة ، والزراعة ، والطب ، وقد اشترت الدولة الارض اللازمة لها وملاحقها بملايين الريالات ، والبناء يجرى الان فيها بهمة ، واوشك بعض المنعمات ان يتم • والمنطقة الجديدة شاسعة تكفى لكل الـكليات وملحقاتها حتى مساكن الاساتذة والمدينة السكنية الجامعية لكل من الطلاب والطالبات • وان الدولة شديدة الاهتمام بتخريج المعلمين والمعلمات ولهذا تتوسع فى كلية التربيه ، تيسر لطلابها وطالباتها كثيرا من المساعدات لتجذب اليها اكبر عدد كما تهتم بانشاء معاهد للمعلمين والمعلمات، منهاثلاثة تحت التنفيذ فى صنعاء وتعز والحديدة •

ومن مكتب الرئيس انتقلنــا الى مكتب نائبه المقيم الاستاذ محمد مطهر ، لنســتكمل حديث الجامعة الجديدة ، فقال ان الاعداد للكلياتالثلاث الجديدة قد استلزم مشــاركة كثير من الهيئات العالمية فى الدراسة والتخطيط ، ومنها البنك الدولى ، واليونسكو ، ومنظمة الصحة العــالمية ومنظمه الاغذية العالمية الى جانب منظمات اخرى. وان الدراسة فى هذه الكليات ستبدأ فى السنة الدراســية ٨١/٨٠ وان الدولة مهتمة بتخريج الزراعيين من الجامعة ومن المرحلة الثانوية ايضاء وقد بنيت لذلك مدرستان ثانويتان ، ســبقتهما مدرستان اخريان فى منطقتى « اب » و « سردد » وبعد انتقال الجامعة الى مركــزها الجديد قد تتحول مبانيها العالية الى مدرســتين ثانويتين احداهما للبنين والاخرى للبنات ، او نحو ذلك، لضيقالمدارس العالية عناحتواء الطلاب الراغبين فى الدراسة •

منطقة الجامعة الجديدة

وفى طريق وادى « ضهر » خارج صنعــاء ، على مسافة قريبة منها ــ شــاهدنا المنطقة التى ستقام فيها « الجامعة الجديدة » بكلياتها الثمانى وملاحقها ، فاذا هى واسعة تـمــتد على جانبى الطريق ، وقد وضحت حدودها باسلاك وقوائم ، والعمل يجرى فيها نشيطا على اوسع نطاق ، وكان فى صحبتنا مهندس يمنى يعمل فى مكتب الكويت هو السيد محمد الخطرى ، وله معرفته بمشروع بناء الجامعة الجديدة ، لانه يشارك فى الاشراف على تنفيذه ومراجعة من يقومون به ، وقد وضح لنا مواقع الكليات وملاحقها كالمكتبة والمعامل ، والمدينتين السكنيتين للطلابوالطالبات ومساكن الاساتذة ، وقد شاهدنا اسس كثير منها بارزة ، وهى فى سبيلها الى الارتفاع ، وبعضها فى طور التمهيد ، وتوشك مساكن الاساتذة على التمام ، وهى مشيدة بحجارة منحــوتة مختلفة الالوان ، مقالعها فى الجبال القريبة ، وما كدنا نشاهدها حتى ذكرنا الاية القرانية الكريمة «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » •

وقد مر بنا هنا ذكــر « مكتب الـــكويت » و « مستشفى الكويت » فى صنعاء ، كما مر بنا ذكر المعونات المالية الكويتية للجامعة ، ونشــير هنا الى ان دولة الكويت كانت من اوائل البلاد العربية التى خفتلنجدة اليمن وبعض دولالخليج فى مرافق الخدمات الشعبية ، ولا سيما التعليم، والصحة •

« والهيئة العامة للجنوب والخليج العــربى » بوزارة الخارجية الكويتية هى الموكلة بهذهالخدمات ولها ميزانية مالية سخية غير معلنة ، وينوب عن هذه الهيئة فى اليمن الشمالية مكتب الكويت فى صنعاء ، فهو يشرف على كل الاعمال التنفيـذية التى تقررها « الهيئة » خدمة لهذه المرافق ،وقد تبنت الهيئة مشروع الجامعة بالانفاق منذ انشــاء الجامعة حتى الان ، وهى تمدها باعضاء هيئــة التدريس ، ومنهم اليوم نحو ســبعين من حملة الدكتورية اختــارتهم جامعة الـــكويت ، والى جانبهم عدد كبير من مساعدى المدرسين ، بالاضافة الى بعض مدرسى اللغات ، ثم المحاضرين الذين ينتدبون من موظفى وزارات الدولة للتدريس ، ويكافا هؤلاء بقدر ما يلقون من محاضرات • وقد اشترت حكومة اليمن منطقة الجامعــة الجــديدة بملايين الـريالات ، وتســلم « مكتب الكويت » مشروعها ليقوم بتنفيذه على نفقة الكويت حتى يتمه ، فيسلمه الى رئاسة الجامعة فى صــنعاء



● مذيعة من اذاعة صنعاء · الحجاب يغطي وجهها باستثناء العينين فى حوار مع احدى الطالبات ·

● فى احدى قاعات الدراسة بكلية التجارة والاقتصاد جلس الطلاب والطالبات يستمعون لمحاضرة الاساتذة المصريين · (الصورة السفلى)





كما اسهمت الكويت في بناء مدارس عدة للبنين والبنات في المحافظات اليمنية العشرة ، وكلما تم بناء مدرسة حتى المفتاح زودتها بما يلزمها من اثاث ، وسلمتها الى وزارة التربية هناك ، وقد بلغت هذه المدارس ٥٠ مدرسة ابتدائيةومتوسطة، و ١٥ ثانوية ، ومن هــذه المدارس في مدينة « تعز » كلية الدراسات العربية والاسلامية التي يدل اسمها على مهمتها التعليمية العالية حين تتم صفوفها في المستقبل ، وقد شاهدناها فاذا هي مشيدة على احدث طراز تعليمي في موقع جميل يطل على مدينة تعز ، الى جوار جبل صبر الذي يعد من اعلى الجبال في الجزيرة العربية اذ يبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠٠ قدم وقد قال الاديب الشاعر احمد السقاف العضو المنتدب « لهيئة الجنوب والخليج العربي ، أن الهيئة ترسل على نفقتها سنويا الى المدارس هناك كثيرا من المدرسين بالاضافة الى اعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء ثم هي تقوم بتاثيث بعض المدارس هناك تاثيثا كاملا ، او تسهم في تاثيثها وتزويدها بالمعامل والادوات المدرسية ، وفي خلال زياراتنا لبعض هذه المدارس في صنعاء وتعز اشار بعض المسئولين هناك الى بعض هذا الاثاث والادوات ومنها الآلات الموسيقية ، وذكروا انها « هدية الكويت » .

بين الجامعة والتعليم العام

الاقبال على التعليم في جميع انحاء اليمن على اختلاف مستوياته شديد ، وهو في المدن اشبه بالسيل ، ولكنه لا يجد متسعات ينساح فيها ، والتعليم العام ثلاث مراحل في اثنتى عشرة سنة، الابتدائية ست سنوات ، والمتوسطة ثلاث ، الثانوية ثلاث ، وفي زيارتنا لمعهد المعلمات في تعز ـ وهو مما بنته دولة الكويت ـ لاحظنا ان الشعب او الفصول مع سعتها حافلة بالطالبات في قسم المعلمات وفي القسم الثانوي للبنات ، ودراسة هذين القسمين صباحية ، وفي المساء تتحول المدرسة ابتدائية باسم « مدرسة سبأ » ويبلغ عدد تلميذات الشعبة فيها احيانا اكثر من مئة ، وقد يضطر بعضهن للجلوس على الارض خلال الدروس ، لضيق المقاعد عن استيعابهن . والمدارس حتى القروية منها لا تستوعب كل طلاب التعليم وطالباته ، وقد يكون بين التلميذ او التلميذة والمدرسة طريق طويلة بين مصاعد ومهابط ملتوية ، ولكن هذا لا يمنع الصغار من معاناة المتاعب لبلوغ المدارس وقت الدراسة وهذا ما رأيناه في زيارتنا لبعض المدارس القروية في ضواحي « تعز » .

ولكن المدارس اقل جدا مما ينبغي لها ان تكون ، وفي زيارتنا مرتين للاستاذ عمر الوصابي وكيل وزارة التربية في مكتبه بصنعاء وجدنا انه يعمل في مكتبه صباح مساء ، لحاجة العمل الى هذه المثابرة ، ولما فاتحناه في مشكلة قلة المدارس عما ينبغي لها وزحام الموجودة منها بالطلاب والطالبات ـ وجدنا انه يحس المشكلة بكل متاعبها، واخبرنا ان كل المسئولين في وزارته يحسون ما يحسه ، ويعملون جهدهم في حل المشكلة ، ليستدركوا سنة بعد سنة ما يلاحظونه من قصور، ومن حسن الحظ ان كثيرا من البلاد العربية ترسل بعثات على نفقتها من المدرسين للتعليم في مدارس اليمن ، ومن هذه البلاد : الكويت ، ومصر ، والعراق ، والسعودية ، وقطر ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ولكن التعليم يحتاج الى ما هو اكثر من هذه البعثات ، فعسى أن يجد تلبية اكبر .

واغوثاه

حقا تتلقى اليمن المساعدات الكثيرة من دول شرقية وغربية ، ولكننا نلاحظ انها في اشد الحاجة الى مساعدات اكثر واكثر واكثر ، من كل دولة قادرة على المساعدة ، ولا سيما الدول العربية الشقيقة الغنية ، واذا قصر لسان القول عن الاستغاثة بدافع من عزة او حياء فان لسان الحال ينادي كما نادى عمر بن الخطاب في عام الرمادة خلال خلافته حين وقع القحط في البوادي حوله فكتب رسالته المشهورة القاسية الى عمرو بن العاص عامله على مصر ، وختمها بقوله مستصرخا « واغوثاه ثم واغوثاه ثم واغوثاه » ثم جاءت الامداد حتى رفع الله الغمة . وان الشعب اليمني ـ مع صبره ـ لفي حاجة الى امداد كثيرة تترى، ولو الى ان تدب العافية في كل اعضائه ، فيحس بعضها ببعض ويعين بعضها بعضا في حركته ، ثم يترك لأمره ، وان فيه من القوى الحيوية ـ ما لو نبهه ـ لعاد عملاقا كما كان ، وصار ـ كما كان يسمى عند الرومان « العربية السعيدة » ، والله في عون المرء ما دام المرء في عون نفسه ، قادرا على التعاون مع اخوانه .

■■

محمد خليفة التونسي



السينما الجزائرية

رؤيـة من الداخـل

بقلم : عبد الحميد بن هدوقة

لا ينتظر قارئ « العربي » من هذا المقال أن يدخل به متاهات المدارس والاشكال و « السينما الثالثة » ...وما أشبهها . فالغاية ليست تلك ، وانما هي محاولة لاعطائه صورة عن السينما الجزائرية من الداخل ، كما يراها جزائري وكما يفكر فيها في أعماق ذاته . بعيدا عن الاضواء المسلطة عليها من الخارج ، والتي تحاول أخذها منعزلة عن محيطها « السوسيو ـ تاريخي » .

■ ان السينما الجزائرية ، كقطاعات الثقافة الاخرى ، لا يمكن ان تفهم بدون معرفة الملابسات التي اكتنفت المجتمع الذي نشأت فيه . وهذا المجتمع عربي - اسلامي من جهة ، وافريقي - متوسطي من جهة ثانية . تعرض لعشرات « الصليبيات » المختلفة من جيرانه سكان الضفاف المقابلة . وتعرض للمسخ الاستعماري طيلة ١٣٢ سنة . ولكن عروبته لم يزدها العنف الا رسوخا وصفاء ، واسلامه لم تزده محاولات التشويه الا عنادا وتغلغلا . اما افريقيته واما وقوعه على

ثلاثة وجوه .. ولكن العيون في كل وجه منها تنطق بتعبير صادق عن المشاكل الاجتماعية



الضفاف الجنوبية للبحر الابيض المتوسط فلا يمكن بالطبع ان تنزع عنه بالمدافع او بالنصوص القانونية الجديدة التي ارادت ان تجعل من الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا الام ...

هذه الملابسات هي التي ينبغي ان تراعى دوما



السينما الجزائرية تعالج مشاكل وقضايا من صميم الواقع الجديد الذى تحياه الجزائر .

المشهد من فيلم « ريح الجنوب » ..





الصراع من أجل الرزق .. تصوير حي لحياة الصيادين في البحر .. واللقطة من فيلم « الشبكة »

عند الحديث عن السينما الجزائرية ٠ فهي الخلفيات وهي في نفس الوقت البواعث الشعورية واللاشعورية أيضا للعمل السينمائي في وجدانات أصحابه ٠

حجر الاساس

ان السينمائي الاول الذي حمل الكاميرا ذات يوم والثورة الجزائرية متاججة لم يفكر انه باللقطة الاولى التي أخذها لذلك الفلاح وهو ينزع عنه عمامته ويلبس مكانها القبعة العسكرية لاثبات تلك الصورة الى الابد ، لم يفكر أنه بتلك اللقطة وضع في نفس الوقت الحجر الاساسي للسينما الجزائرية والصورة الاولى لتاريخها ٠ لان همه حينئذ كان ينحصر في اعداد وثائق لتعريف العالم بحقيقة ما يجري في الجزائر ٠ ان أفلاما مثل « جزائرنا » ، و « صوت الشعب »، و « بنادق الحرية » ، و « ياسمينة » ، وغيرها ، لم يكن يقصد بها العمل السينمائي في معناه الفني المتعارف ، وانما كانت صورا حية لحياة معاشة ، ولاحداث معاينة ٠ لذا فهي اليوم تعتبر من الوثائق النادرة لبعض أيام ثورة التحرير ٠ فقيمتها الاولى تكمن فيما عبرت عنه أكثر من أي شيء آخر ٠

ومع مطلع الاستقلال لم يكن فقدان الامكانيات ولا الاطار الضروري لممارسة العمل السينمائي حائلا أو معوقا لحماس السينمائيين ٠ لقد عرفت الجزائر في السنوات الاولى للاستقلال نشاطا ملحوظا في ميدان السينما الوثائقية والتسجيلية، اذ أنتجت أفلاما عديدة مختلفة الطول والشكل الفني نذكر من بينها : « النور للجميع » (محو الامية) ، « التسيير الذاتي »، « الاحد للجزائر » (التطوع) ، « مشاكل الشباب » الخ ٠٠ لكن فكرة انتاج الافلام الطويلة كانت لدى هؤلاء السينمائيين بمثابة الحلم الملازم ٠ لان فيها وحدها المتنفس الحقيقي لهمومهم وأحلامهم وما كان يعتمل في نفوسهم ٠٠

وبالطبع كانت الثورة المسلحة هي الموضوع الاول الذي يلتصق بكل ذهن ويستولي على كل احساس ٠ فالجزائريون الذين احتفلوا باستقلالهم في ٥ يوليو ١٩٦٢ ، احتفلوا وبين احضانهم أرامل وأيتام مليون ونصف من الشهداء، واحتفلوا



لقطة من فيلم « سنعود »



« فجر المعذبين » فيلم وثائقي تركيبي يكشف ماضي أفريقيا ودخول الاستعمار اليها ٠

وبين صفوفهم مليونا فلاح خرجوا من المحتشدات ونصف مليون من اللاجئين العائدين ، واحتفلوا وهم في أرض خُرّب اقتصادها وحطمت منشآتها ودُمرت من قراها ٨٠٠ قرية ٠ (آنيا فرانكوس و ج٠ب٠ سيريني : « جزائري اسمه بومدين » ، ص : ١٣٠ وما بعدها ٠) فكان من غير المعقول ولا الهين على الفنان الجزائري أن يدفن ماضيه ، ولا سيما اذا كان بحجم الثورة الجزائرية ، لينكب احساسا وفكرا على الواقع وحده ، أو الانقطاع كلية للمستقبل ٠

ثم ما هو الواقع وما هو المستقبل معزولين عن الماضي ؟ أليست الازمنة الثلاثة متفاعلة باستمرار في حياة الناس ؟ ان معرفة حاضرهم وما ينبغي لمستقبلهم كان يستلزم بالضرورة نوعا من الادراك السوسيولوجي الذي يقتضي بدوره رؤية التاريخ من غير المنظور التسلسلي الخارجي المجرد ٠ لكن هؤلاء السينمائيين لم يكن يتوفر لديهم بعد زماني كاف لربط حرب التحرير بأسبابها ومسبباتها منذ البداية ، ولم تكن لهم تجربة كافية أيضا ٠٠ وهكذا كانت الصورة الخارجية المرئية للثورة المسلحة هي الطاغية



فيلم «نوه» حصل على عدة جوائز عالمية واستقبله النقاد فى الخارج بترحيب كبير ، فقد صور فيه عبد العزيز طلبى ، المجتمع الجزائرى الريفى قبل اندلاع الثورة التحريرية .

على مشاعرهم وخيالاتهم . ان صور الحرب وأحداثها التي ذهبت بأب أو أم أو أخ أو حبيب، ورسمت في ذاكرة كل جزائرى تلك الصورة أو الاخرى ، لم يكن من السهل تجاوزها تجاوز الحادثة الحربية ، بما تضم من بطولة أو عنف ، وبما تستلزم من تضامن أو تخاذل ، وبما تستوجب من تضحية أو ارهاب ..

فكانت هذه الافلام اذن في جملتها تكاد تكون صورا ميكانيكية للحرب وما تستتبع من قوافل المشردين والمنكوبين ..

مع ريح الاوراس

على أن عملا مثل « ريح الاوراس » للمخرج الاخضر حمينة ، لم يظهر فقط المدى الجغرافي بواسطة الصورة ، فكشف للجزائريين عن أرضهم ، ولم يعد الينا فقط كذلك تلك اللحظة من الحرب ، حيث « غطت الطائرات السماء فعرفنا بالفضاء الحربي الذى يجعل أقرب الناس الينا (كالام في الفيلم) بمثابة أبعد نقطة في العالم » ، كما كتبت الجزائرية المعروفة آسيا جبار ، مرحبة بهذا الفيلم في جريدة « الجزائر الاحداث » (١٩٦٩) .

انه عرفنا بأكثر من الفضاء الحربى وبأبعد من المدى الجغرافي . انه عرفنا بتلك الروح التي كانت وراء سواعد الفلاحين وهم يستنبتون أرضا جبلية جدباء تحت القنابل ، كسبا لقوتهم ولزاد المجاهدين بالرغم من الفضاء المسدود ، وبالرغم من القنابل التى لا تشفق على بشر ولا حيوان ولا حقول .

وعرفنا كذلك بصمود الام الجزائرية وحنانها الفياض رغم الاسلاك الشائكة التى كانت تطوق ابنها .

ان الاخضر حمينة بهذا الفيلم الاول أثبت بصفة حاسمة ونهائية أنه فنان حق ، وان السينما الجزائرية لم تولد تحبو في ركاب معين ، بل ولدت تسير على قدميها وفي اتجاهها الذى يستهدف بالدرجة الاولى خدمة الشعب . بينما راح المخرج أحمد راشدى فى فيلمه « فجر المعذبين » الذى هو عبارة عن فيلم وثائقى تركيبى طويل ، يستكشف ويكشف للناس ماضي افريقيا ودخول الاستعمار


نَحنُ هُنا مُنذُ البدَاية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات

اليها يستغلها بشتى الاساليب • كما اظهرلنا فى الجزء الثاني من هذا الفيلم حروب التحرير الوطنية المختلفة التى خاضتها شعوب افريقيا ضد الاحتلال •

وبالرغم من بعض نقاط الضعف فانهذا الفيلم كان مساهمة ملحوظةفى التعريفبملابسات الحروب الاستعمارية من جهة ، ونضج الحركات التحريرية الوطنية الافريقية من جهة ثانية • وذلك بفضل التعليق الهام الذى كتبه لهذا الفيلم الكاتب الجزائرى الكبير مولود معمرى •

(الهاشمى الشريف ، مجلة « أوربا » يوليو اغسطس ١٩٦٧) •

لكن المقدرة الفنية الحقيقية لاحمد راشدى برزت بشكل محسوس في فيلمه « الافيون والعصا » (١٩٦٩) الذى طغت فيه الاحداث الحربية الصرفة بشكل ربما أضر بالمضمون • وقد صرح المخرج اذاك : بان الجمهور يحب الافلام التى من نوع « الويسترن » • وهو بذلك لا يعبر فى الحقيقة عن وجهة نظر الجمهور بقدر ما يعبر عن نوع الجماليات التيبرتنيها لنجاح السينما الجزائرية••

وتجدر الاشارة الى أن هذا الفليم اقتبس عن رواية تحمل نفس العنوان للكاتب مولود معمرى ولعل المؤلف كان يرمى فى روايته الى أبعاد سياسية واجتماعية لم تظهر بوضوح فى الفيلم وظهرت مكانها مشاهد تصور المحتمل تصويرا كاريكاتوريا غير موفق ، وتمجد البطولة الفردية ، كما تظهر شعور بعض الجنود الفرنسيين بالعطف نحو الجزائريين ••• ان هذا اللون من الرؤية غير موفق أيضا فى سياق كالذى كانت تجرى فيه أحداث الفيلم •

تسجيل الثورة المسلحة

أما توفيق فارس فى فيلمه « الخارجون عن القانون » فقد حاول أن يعيد الى الاذهان بعض الانتفاضاتالاجتماعية التى قام بها الفلاحونضد المستعمر ، والتى كانت بمثابة تمهيد للثورة ••• وهو اتجاه له أهميته فى تفسير الثورة المسلحة لو ركز صاحبه على الدور الجماعى لعمل المجتمع الريفى ، واستعمل جماليات ملائمة لموضوعه •••

وتواصل الانتاج السينمائى فى موضوع الثورة المسلحة ، بافلام : « ديسمبر » للاخضر حمينة و « حسن التيرو » لنفس المخرج وهذا الفيلم مقتبس عن مسرحية للمثل الجزائرى المعروف رويشد » وكلمة التيرو » اختصار للكلمةالفرنسية « تيروريست » أى : ارهابى •

واخرج عمار العسكرى فيلما بعنوان :« دورية نحو الشرق » فى نفس الموضوع • كما أخرج مصطفى بديع فيلما بعنوان : « الليل يخاف الشمس » ••• وانتجت أفلام كثيرة أخرى فى موضوع الثورة المسلحة ، مختلفة الاهمية والقيمة، حتى سنة ١٩٧٢ ،سنة صدور ميثاق الثورة الزراعية ، فاتجه المخرجون الجزائريون اتجاها آخر يعالج مشاكل الحاضر ، كموضوع الارض والمراة والشباب والنقد الاجتماعى وقضايا أخرى تتصل بالبناء وتشييد المجتمع الجديد •••

وقد فتح الطريق لهذه المواضيع الجديدة التيلفزيون ، بحكم ارتباطه بالواقع المعاش ، فانتج سلسلة من الافلام فى موضوع الارض لاقت نجاحا كبيرا • منها فيلم « نوة » للمخرج عبد العزيز طلبى • وهو فيلم ضخم من قياس ١٧ ميلم الى ٣٥ ميلم • وعرض فى مختلف أنحاء العالم واستقبله النقاد فى الخارج بكثير من الترحيب • وحصل على عدة جوائز عالمية •

وقد صور فيه عبد العزيز طلبى المجتمع الجزائرى الريفى قبيل اندلاع الثورة التحريرية تحت طغيان المحتل والاقطاع الجزائرى المتعاون معه • وقد وفق المخرج فيه غاية التوفيق ، محتوى وشكلا •

وانتجت افلام أخرى لا تقل اهمية عن فيلم « نوة » اذكر من بينها على سبيل المثال افلام : « المغتصبون » و « بنى هندل » للامين مرباح و « الطارفة » للهاشمى الشريف و « الفحام » و « الارث » لبوعمارى ، و « ريح الجنوب » لسليم رياض ، وهو فيلم مقتبس من رواية كتبتها بنفس العنوان • و « الشبكة » لابن ددوش كما انتجت افلام فكاهية تعنى بالنقد الاجتماعى ، منها افلام « المفتش الطاهر » للحاج عبد الرحمن ، وهى أفلام تعتمد على شخصية تجمع بين السذاجة لهذا المفتش الغريب والفكاهة فىالكلمة والحركة، والنقد الاجتماعى العميق • كما انتج محمد زينات فيلما مرحا لاذعا بعنوان : « تحيا يا ديدو »

(يا سيدى) • ولا نغادر هذا النوع من الافلام دون أن ننـوه بافلام الممثـل محمد حلمى التى لاقت اقبالا كبيرا من طرف جمهور التيلفزيون ••

ليس الماضى وحده

وآخر انتاج فى الميدان الاجتماعى هو فيلم : « عمر قتلاتو ••• » (عمر قتلته رجولته) ـ ١٩٧٧ انه فيلم يعالج مشاكل الشباب بالعاصمة • وقد لاقى اعجابا واقبالا من طرف الجمهور • وهو للمخرج الشاب مرزاق علواش •

طبعا لا يسعنى أن أذكر هنا كل ما أنتج من افلام وفى مختلف الميادين فلست بصدد وضع فهرست للسينما الجزائرية ولا كتابة تاريخ لها •

انها سينما لم تقتصر على الماضى تستلهمه أو تكشف عنه ، فهى الى جانب ذلك تعالج مشاكل وقضايا من صميم الواقع الجديد الذى تحياه الجزائر • وهو واقع متطور بسرعة نتيجة لما يجرى فى الوطن من أعمال بنائية كبرى وتحولات•

وانها سينما لا تقتصر أيضا على موضوع حرب التحرير كما يقال عنها فى الخارج • ولو أن هذا الموضوع لم يستنفد بعد فى نظرى ، ولم ينتج فيه من الافلام الى حد الان ما يسمو الى مستواه •

ان حربنا التحريرية هى الجزء المشرق فى حياة شعبنا العربى ، وهى الجزء الاكثر قتامة فى جبين الاستعمار • فهل ننساها ارضاء لاولئك الذين يحبون أن يجعلوا من انفسهم دوما أوصياء على العالم الثالث ؟

لقد كتبت كاترين هامبول فى جريدة « لوموند » الفرنسية (٧٤/١/٤) عن السينما الجزائرية وموضوع الثورة المسلحة : « ان الحديث عن الماضى وحده يشكل خطرا لتحجر السينما الجزائرية، ويشكل خطرا أكبر بالنسبة للسينمائى الجزائرى اذ يجعله يميل الى السهل من الامور ويتخلى عن مسؤولياته ازاء الجزائر الجديدة •• »

وهو قول لا يخلو من صواب لو كان يرتكز على حقيقة • فالسينما الجزائرية ، سواء فى انتاجها الذى حققته بمفردها أو فى الانتاج المشترك ، لم تقتصر على موضوع الثورة المسلحة •• ثم ينبغى أن نلاحـظ هنا ان بعض النقـاد السينمائيين



« ريح الاوراس » عرّفنا بصمود الام الجزائرية

الفرنسيين يتضايقون كثيرا من رؤيـة الجانب المظلم لسياسة بلدهم •• ذلك فى الواقع هـو الدافع الحقيقى لما كتبوا او يكتبون فيما يتصل بهذه النقطة ! ••

والغريب أن بعض اخواننا فى المشرق العربى اندفعوا هم أيضا وراء هذه الاحكام والتهويلات وتضايقوا بدورهم من أن تكون السينما الجزائرية سينما حربية ليس الا ! ••

ان ما أحب أن اقوله هنا : ان هذه الحـرب عربية الوطن والرجال ، انسانية المحتوى والغاية فباى حق نتضايق مما انتج او ينتج من أعمال سينمائية عنها ؟ ثم هل يعرف اخواننا العرب حقا كثيرا عن هذه الحرب وهذه الثورة ؟

ان الجزائريين انفسهم لا يعرفونها كما ينبغى أن تعرف ••

لم ألا ينظر اخواننا المهتمون بالسينما الى الغرب وما أنتج من أفلام عن حروبه ؟ اذكر على سبيل المثال الحرب العالمية الاخيرة وحدها •• كم انتج فيها من أفلام ؟

لكل بلد نموذج

لقد أنتجت السينما الجزائرية اذن افلاما عن الحروب التحريرية وانتجت فى مواضيع اخرى ،



وحنانها الفياض رغم الاسلاك الشائكة .

ولكنها سوف لا تتخلى عن الرجوع الى هذه الحرب ، تستلهمها وتكشف عن أبعادها وخباياها التى ما تزال مجهولة ، متى وجدت الكاتب والفنان الخبير فى تصوير بعض جوانبها التى لم يعرفها الناس .

ولن تعود الى موضوع حرب التحرير وحده بل تعود الى كل ماضى الجزائر الطويل ، لان ذلك هو الطريق الصحيح الى المستقبل .

ان الانتاج الجيد لا يرتبط بزمن معين ، أو واقع ، فكلا الزمان والواقع يسيران فى جدلية دائمة ان فيلم الاخضر حمينة : « وقائع سنوات الجمر » الذى حصل على الجائزة العالمية الكبرى فى مهرجان « كان » الدولى ، ليس الواقع الذى عالجه ، ولا الزمن الذى جرت فيه أحداثه الذى جعل لجنة التحكيم تسند اليه الجائزة ، انما هى القضية الانسانية التى يتضمنها الموضوع ، معالجة فى اطار فنى معين ، هى التى ضمنت لصاحبه تبوأ مقعد المخرجين العالميين .

ان الجزائر اثبتت بفيلم الاخضر حمينة انه اذا توفرت الامكانيات فان السينمائى الجزائرى قادر على تحطيم أسطورة « الرجل الممتاز » ..

كما ان كل بلد قادر على الانتاج ذى المستوى العالمى اذا وفر الامكانيات .

لكن هذا لا ينبغى أن ينسينا أن المهمة الاولى للسينما فى بلدنا ليست هى الحصول على جوائز عالمية ، وانما هى بالدرجة الاولى خدمة شعبنا .

فالسينما الجزائرية كما هو معروف مؤممة ، تتصرف فيها الدولة . اى ان غايتها أساسا التثقيف لا التجارة . على أنه من الاكيد فى نظرنا ـ اذا كانت هناك خلفيات تجارية لدى بعض المخرجين ـ أن تمر السينما عن طريق الفن الى التجارة . ان جودة العمل موضوعا وشكلا هى التى تضمن له فى النهاية اقتحام الاسواق العالمية . لا الدعايات الجوفاء ، ولا صور الاثارة والاغراء البراقة تستطيع الوقوف فى وجه الفن الصحيح .

لهذا نستطيع أن نقول بدون مباهاة ولا تواضع ساذج ، ان السينما الجزائرية بما انتجته من افلام اثبتت وجودها على المستوى العالمى كسينما عربية ملتزمة ذات محتوى انسانى ، ارتبط فيها الشكل بالمضمون ارتباطا عضويا بدون تضحية باحدهما .

طبعا لا أتعرض هنا الى علاقة الادب بالسينما وعلاقة الجمهور بها ، وقضية البحث عن لغة ثالثة ليست بالعربية الفصحى المعربة ولا العامية الدارجة ، فتلك قضايا تستلزم مقالات بذاتها .

أما بخصوص الشكل الذى ينبغى أن يحتضن قضايانا ويصور مشاكلنا سينمائيا فان رأيي يتلخص فى كلمة :

ان الموضوع هو الذى يحدد الشكل الذى ينبغى له . وأن العالمية الحقة فى الفن هى التى تنطلق من المحلية ، لاثراء الثقافة العالمية .

ان الفن لا ينبغى أن يكون نموذجا معينا يقتدى به حتما فى كل بلد . بل لا بد من أن نبدع نحن النموذج اللائق بنا . وهذا بالضرورة لا يتنافى مع اطلاعنا على ابداعات الغير وتجاربهم .

فالثقافة بطبيعتها انسانية التوقان والغاية .

■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

حوار القراء

استطلاع الطاقة الشمسية

شدني في العدد ٢٢٤ الاستطلاع الخاص بالطاقة الشمسية واستعمالها في منـافع البشر وبنى الانسان ، وقرأت عن التقدم الذى حققته شقيقتنا الكويت ونجاحها في استغلال هذه الطاقة كمصدر من مصادر الطاقة في القرن العشرين .

غير انى اعود فاقول اننا لاحظنا ان مصدر تجميع الطاقة الشمسية او الاشعة الشمسية كانت الواحا من المعدن مدهونة باللـون الاسود الذى يساعد على امتصاص اشعـة الشمس ومن ثم تنتقل الحرارة منه الى الماء . وأود ان اضيف تعديلا بسيطا الى هذا الجهاز وهو ان تعلو هذه الالواح مجموعة من العدسات المحدبة وسوف تقوم هذه العدسات بتجميع اشعة الشمس التى تسقط عليها وتجمعها في منطقة واحدة هي بؤرة العدسة التي غالبا ما تكون هذه النقطة حرارتها شديدة، لدرجة انه يمكن في صيف مصر ان يشعل ورقة اولفافة من التبغ (السجاير) فما بالك في صحراء الكويت انها فكرة بسيطة ولكنها تستحق الدراسة والتجربة .

محمد عبد الحافظ محمد

مفتش بمديرية زراعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

زيدوا المطبــوع

● تختفي مجـلة العـربي من المكتبات فـور وصولها ، لماذا لا تزيدون الكمية المطبوعة ؟ اقترح عليكم ايضا تخصيص جزء خاص كل عدد لتقديم أحد الاقطار العربية . وتخصيص زاوية للفن في الوطن العربي .

هاشم نعمه سعد

ناحية الكفل ـ الجمهورية العراقية

بحثـا عن الفيزياء

● تقدم لنا العربي وجبة شيقة ودسمة من المواد السياسية والاقتصادية والعلمية ، لكنى اتمنى أن تتوسعـوا أكثر في المادة العلميـة ، وخاصة الفيزياء التى أعشقها دائما .

الكحلاوى محمد

الدار البيضاء ـ المغرب

اشجــار سقطرى

● نشرت الصحف أخيرا أن في جزيرة سقطرى باليمن الجنوبية أشجارا اذا أكل منها الحيوان مات ، بينما تفرز هذه الاشجار مادة لزجة تستعمل في علاج رمد العيون . ما اسم هذه الشجرة ؟

على جاسب الشاوى

العراق ـ بصرة ـ فاو

ـ اسم هذه الشجرة هو تريمو Adenium وهي شجرة سامـة تنبت بين الصخور دون أن يزرعهـا أحـد .. جذعهـا لونه زئبقى جميل ، وأزهارها ملونـة بألوان اربعة ، اذا أكل الجمل ورقة منها مات في الحال . يستعمل الاهالى افرازها لعلاج رمد العيون .. هذا ما ذكرناه في استطلاعنـا عن جزيرة سقطرى في العدد ١٥٣ الصادر بتاريخ ١٩٧١ ونعتقد أن الصحـف التى طالعتهـا قد نقلت معلوماتها من هذا العدد .

الجراكسة فى الشام

● اقترح عليكم القيام باستطلاع عن حياة الجراكسة فى الاردن وسوريا بعد ان صاروا جزءا من الوطن العربى وواكبوا تطور الاحداث فى البلدين ، وساهموا مساهمة فعالة فى نهضة القطرين الشقيقين •

محمود محمد ــ عمان ــ الاردن

ليــل ولاجــىء

ارسلت اليكم قصة منذ عام ولم تنشر ، هل تنشرون لى هذه الابيات التى اخترت لها عنوان (ليل ولاجىء)

هذا انا فى الليل اضرم جذوتى
ليبين لى قبل النهار نهار
سأعود فى الصبح الندى لموطنى
وغدا يرف على جبينى الغار
ولسوف اغسل جبهتى حتى ترى
مثل الضحى ويذوب عنها العار
لو شئت جمعت النجوم مشاعلا
ودفقت منها الموت حين اثار
واللاجئون هناك ، من افاقهم
يوم الندا ، يتدفق التيار
فى كل صدر جذوة عربية
تغنو لها الابراج والاسوار
لم لا نعود ، وفى دثير طلولنا
وقبور موتانا هناك مزار !
•• الرائدون الحق لن يتمثلوا
ما خوف الكهان والاحبار
واللاجئون غدا تؤوب ظعونهم
مزهوة ، من حولها الانصار
ودم العروبة لن يذل لطغمة
قادت بها الافاق والامصار

صفاء السلمان
بصرة ــ العراق

فلســطين فى الذاكرة

● نشرتم فى العدد ٢٢٢ رسالة بمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين ، يتساءل صاحبها عبد القادر سليمان الحاج ، هل سقطت فلسطين من الذاكرة العربية ؟

وردى على السؤال ان فلسطين لم ولن تسقط من الذاكرة ، لقد تصدرت قلب الامة العربية الجريح ، فهل يستطيع جسد أن يعيش بلا قلب ؟
ايضا ستظل فلسطين رغم كل شىء هى امتحان شرف الامة العربية ، وهى قادرة على اجتياز هذا الامتحان •

ثائرة من العراق

عتاب مــن الاردن

● هل يعرف العالم العربى الاردن بما فيه الكفاية ؟ ذلك البلد الغنى بثرواته الطبيعية وآثاره الخالدة ــ البتراء المدينة الوردية ، جرش واعمدتها الشاهقة ، المدرج الرومانى ، البحر الميت، قلعة الشوبك ، العقبة ثغر الاردن الباسم، قلعة الربض فى عجلونة ، الاغوار الخلابة •

الا تستحق الاردن اكثر من زيارة يقوم بها العربى ؟

محمد مطلق خليفات
الطيبه ــ معان ــ الاردن

صناعة الطائرات عندنا

كتبتم عن الطائرة « كفير » الاسرائيلية ، وعن كسادها بين الدول التى تهتم بشراء الاسلحة ، اليس من الافضل لو اردنا ان نسقط اسطورة هذه الطائرة ان ننتج نحن فى عالمنا العربى طائرة جديدة تفوقها قوة وفاعلية •

منصور مجلى هيسى
عمان ــ الاردن

٣ مــلاحظـــــات
على السباحة ضد التيــار

● اتفق مع فهمي هـويدي في دعـوته الى الاجتهاد التي طرحها للمناقشة تحت عنوان « من يسبح ضد التيار »، ولي على مقاله ٣ ملاحظات :

ـ انه بينما يعترض على عبارة « ما يقوله السلف » ، يستشهد في كلامه باقوال هذا السلف، فهو يعترض على شيء ولا يلتزم بموقفه .

ـ ان المقال لم يفرق بين الاجتهاد في علوم الدنيا أو علوم الدين ، اذ أن الاولى مفتوح فيها الباب على مصراعيه بينما الامر ليس كذلك في علوم الدين .

ـ ان كنا قد تحولنا من الارسال الى الاستقبال» كما يشير المقـال » ، فليست هذه مسئوليـــة الاقدمين او التراث بل هذه مسئولية الظروف التي نعيشها نحن .

محمد عبد المنعم عبد العال
جامعة حلب ـ الجمهورية السورية

الاعتراض في المقال ليس على « كل ما قاله السلف ، ولكن على أن نلغي نحن أنفسنا وفكرنا ونظل أسرى لكل ما هو قديم ، والتفرقة بين علوم الدنيا وعلوم الدين مفروغ منها ، ثم من قال أن التراث هو المسئول عن حالنا الذي وصلنا اليه ؟

نريــد ان نضحــك

الا ترون ان مجلة العـربي جـادة باكثر مما يجب ، اين المواد الطريفة التي نقراها لنبتسم ونخرج عن هموم الحياة اليومية والمشكلات التي تحيط بنا في كل اتجاه ، مشكلات الثقافة والسياسة والاقتصاد و .. و .. و .. « الطـرائف » التي تنشرونها وقسم نزهة العقل الـذكي لا تكفي . نريـد ان نضحك .

بو عبد الله حميد التلمساني
الجزائر

مفاجأة : العربي في موعدها !

● نشكركم ـ مجلة العربي اصبحت تصل الى مصر في بداية كل شهر خلال الفترة الاخيرة . نرجو ان تكـون هذه قاعـدة وليست استثنـاء . وبالمناسبة اقتـرح عليكم ان توسعوا نطـــاق استطلاعاتكم في العالم الاسلامي ، فنحن بحاجة الى ان نعرف الكثير عن المسلمين في انحاء العالم .

عبد الرحمن غريب هيكل
القناطر الخيرية ـ جمهورية مصر العربية

ـ استطلاع هـذا الشهر عن ماليزيا يستجيب لرغبتك .

عنوان الدكتور مؤنس

● ما هو عنوان الدكتور حسين مؤنس صاحب مقالات ابن بطوطة رحالة الاسلام ؟

الهادي ابراهيم المشيرقي
طرابلس الغرب ـ الجماهيرية الليبية

ـ الدكتور مؤنس ترك منصبه كأستاذ للتاريخ بجامعة الكويت ، واصبح رئيسا لمجلة الهلال المصرية الشهرية .

وعنوانه هو : القاهرة ـ دار الهلال .

• قصة قصيرة •

الزائر

بقلم : نهاد رضا

■ متنكرة تحت جلباب من الصلصال الغباري، ترقد جثمانا منطرحا بغباء في سفح تلة جرداء . والشمس ، منارة النهار المتحركة ، تتلذذ وهي تلهب بسياطها العاتية البثور المتناثرة على هذه المومياء المدفونة في العراء فينز الذباب احتجاجا وشاهدا على خلجات الحياة .

محظوظة هذه القرية ، لان فيها راوية مسنا ، اختزنت ذاكرته العجيبة حكايات مدهشة تنقل المنطرحين تحت ضوء القمر ، او في حمى شريط الظل الضيق المحاذي لاحد الاكواخ الترابية ، الى العوالم المجنحة الأسرة .

بينما كانت الشمس تقوم بعملها التاديبي اليومي ، ونساء القرية موزعات في البراري المتاخمة تؤدي واجبها المرسوم لها ، انبرى صوت الراوي يدغدغ مخيلة زمرة من الفلاحين المتهالكين على شريط الظل .

اخبرتكم أيها الاخوان في المرة الماضية كيف التقى الشاطر حسن برفيقه المجهول في أرض الضياع . الشاطر حسن ساعد رفيقه بحمية واخلاص كان منه بمثابة الابن البر . سدت في وجه المجهول سبل الرزق فتداركه بالمدد . مرض فسهر على صحته ثلاث سنوات تفاني في خدمته لايبتغي الا الاحسان . اخيرا انجلت الكربة برسو زورق جاء لنجدة المجهول .



انضم الى مجلس الراوى زائر • السلام عليكم• وعليكم السلام • لم يلتفت اليه أحد • استأنف الراوى بسط مظلته الكلامية على رؤوس المنطرحين فى الضى • قال أحدهم وهو يعدل انبطاحته ملتصقا بجوار الكوخ بعد تقلص شريط الظل : زين • زين • تحكى زين •

بالمفاجأة : مرافق الشاطر حسن فى أرض الضياع ما هو الا أمير ارض القصور المرجانية • ابنته الوحيدة ليست سوى الاميرة كوكب ،فاتنة القلوب الحالمة • فارسها المنتظر •• الامير ذو الهمة • ذات يوم ، ستنفلق غيمة سارحة فاذا به يتنزل من العلياء على صهوة حصان سابح • عاد امير القصور المرجانية من ارض الضياع وبصحبته فتي النجدة• الشاطر حسن هو من يختاره الامير صهرا ، وتنشرح له نفس ابنته الاميرة كوكب • اروع قصر فى ارض القصور المرجانية هو الذى سيضم الحبيبين •

تاوه احد الحالمين فى كنف جدار الكوخ ،تساقطت عليه ذرات تراب وهو يعدل انبطاحته • انتهت حكاية اليوم • الزائر يسال المنطرح الحاكم : هل بنيت لنفسك بيتا صغيرا متاسبا فى اوقات الفراغ الضائعة ؟ كلا يا عم • الزائر يتسل من المجلس • خاطركم ياأخوان • بالسلامة ياعم••• غمغم المنبطحون المغمورون بحكاية الراوى •

السهرة فى ضوء القمر لا تقدر بثمن • لا أحد كالحالمين الانبطاحيين يعرف قيمتها الحقيقية انها انتقام من رعونة الشمس التى تجبر الظل على الانحسار تدريجيا حتى النقطة صفر حيث لا مفر من تعديل الاتكاءة المتهالكة • الراوى ، كعادته محور الكون • اليه تنشد الآذان ، والعينان شبه مغمضتين •

قلنا لكم ياسادة ان السندباد وصحبه لقوا الاهوال فى ارض القفر المتتابع • اكثرهم واجه حتفه • لم يبق منهم على قيد الحياة الا السندباد وثلاثة من صحبه • انتهت رقعة البر • انها نهاية الربوة • نهاية كحد السيف • امامهم على مد البصر ، مروج خضر ، أشجار يانعة ، ينابيع متدفقة جداول مترجرجة •

تنهد المنطرحون • تمتم احدهم : ينابيع متدفقة جداول مترجرجة ، خيل له أنه يرمى قدر الماء الآسن فتبتلع الارض العطشى محتواه المنهرق ، فى لحظة



خاطفة• ها هو ذا يفتح شدقه ليتلقى بكامل وجهه، فى الوهم البركة المائية المنهمرة من النبع •

فى غضون ذلك ، وفد الزائر على المجلس • السلام عليكم • وعليكم السلام • لم يلتفت اليه أحد • استأنف الراوى بث الرؤى من مبخرة الاحلام الوردية •

ما العمل ؟ القفر من ورائهم • الجنان فى الوادى السحيق • سرب من العقبان يتهادى قرب الهاوية • السندباد ارتاد الجزر المسحورة • واجه الامواج الملتهمة • قارع العيتان الغرافية • أمام الهاوية تساقط رفاقه خائرى العزيمة • السندباد ومضة فيما وراء الحسبان • ها هو ذا يغافل أحد العقبان • فى طرفة عين يعتلى ظهره • يتشبث بريشه تشبث الغريق • فاذا بالعقاب



المطوق يرمي بنفسه في الهاوية • يبسط جناحيه يضطر الى الهبوط تدريجيا الى ارض الينابيع المتدفقة والجداول المتعرجة • السندباد نجا ، غمر وجهه في المياه المنعشة • سرت في كيانه رعشة متوثبة •

انتهت حكاية الليلة • الزائر يسال السابح في الحلم : هل حفرت بئرا في أوقات فراغك الدائم ؟ كلا يا عم • ابنك ماذا يفعل ؟ مهندس يخطط جداول في المدينة • جداول ماء ؟ كلا • جداول ورق • الزائر ينسل من المجلس ، خاطركم يا اخوان • بالسلامة يا عم • يغمغم اخـوان الاحلام الغمامية •

لم يكد يغيب عن الانظـار ، حتى سرت في العالم صحوة طارئة سال حلقة المنطرحين : هل تعرفون هذا الزائـر ؟ كلا • انه غريب • في المرة القادمة ، تمتم الغافل الصاحي ، سنساله من هو ؟

السهرة في ضوء السراج السماوي اروع ما يحلم به العاشقون ، ورهط المخدرين بحكايات الراوي • غير ان أزميل الظلماء اقبل على نحت وجه البدر من طرفه ، تاكل الخد ، ثم منتصف الوجه ، ثم الخد الثاني • انمسح القمر •

السهرة المنتظرة جمعت شمل الحالمين في حمى الآلاف من المصابيح المتلالئة في قبة السمـاء • الاحلام في السهرة بعدد النجوم• ها هو ذا الراوي ينثر سناء الرؤى •

حكينا لكم ايها السادة كيف مضى الفتى الهمام الى رحلة يقتحم بها آفاق الحياة ، مخلفا امه

وحدها بعد ما زودها بالمال اللازم خلال غيبته • الام تحب النباتات ، الزهور ، فسحة الدار شبه مستنبت تعكف عليه كل يوم بعين العناية • تسقى الشتلات من ماء البير • تصعد وتنزل عشرات المرات كل يوم • غرفتها عالية تطل على هذا البستان الصغير • ذات يوم ، عثرت في دربها الى المنزل على كيس حريرى صغير • في البيت تفحصت محتواه • فاذا به يضم مجموعة من البذور المجهولة • يا للفرحة ! الام النشيطة تفرز كل نوع من البذور على حدة ، تغرس كل نوع في مسكبة مستقلة • العناية بالغرسات الجديدة استنفدت كامل أوقات فراغها • الام كاللولب ، صاعدة ، نازلة • نباتات جديدة غريبة شرعت بالنمو بسرعة لا تصدق • كل شيء غير معهود • الاغصان، الاوراق، البراعم• يا للفرحة العظيمة•

الزائر المجهول انضم الى الحقل القافي • السلام عليكم • وعليكم السلام • فطن السابح في الحلم الى قدومه فحدجه بنظرة متفحصة خاطفة• استانف الراوى بث ريحانه اللفظى •

لسوء الحظ ، اصيبت الام بنوبة مفاجئة ، احست بوهن طاحن ، تحاملت على نفسها ، صعدت السلم • ارتمت في سريرها قرب النافذة وهي تهذى •

الام مهددة بالموت • الابن في رحلة طويلة الامد ، المنزل خاو الا من الزهو والاشجار •• والنباتات الجديدة •

الام في سريرها خائرة القوى ، في نصف غيبوبة• الساعات تتوالى، احست بالمصير الفاجع•

وشة غريبة قرب النافذة نقلتها الى حالة من الصحو النصفى ، ما هذا الذى يتلوى برفق رؤوم ؟ يا للعجب ! ثمرة برتقالية تهادت بأنس فوق وجهها الذابل ، بعد هنيهة ، انهلت قطرة من الثمرة بين شفتيها • ثم ثانية •• فثالثة ، ارتوت الام العطشى ، فاذا بالثمرة تقترب من شفتيها ، فتحت فمها وازدردت لقمة من الفاكهة الطرية ، تابعت الاكل حتى نفاد الثمرة ، شبعت الام الجائعة •

في اليوم التالى ، تهادت أمامها ثمرتان من نوع مختلف وطعم مختلف • حدثت نفس المعجزة ، توالت المعجزة ، البذور التى كانت بالكيس الحريرى بذور سحرية لنبات يسمى بالفراس الحنون في مملكة الجن • الكيس الحريرى سقط ليلا من يد بستاني من الجن وهو في طريقه الى بستانه في الارض المطوية •

عدل الراوى جلستهمرددا : في الجلسةالقادمة ساقص عليكم نهاية الحكاية ، في غضون ذلك كان أحد المنطرحين يمرر لسانه على شفتيه ، غمغم : متى سناكل الفواكه والثمار في قريتنا ؟

انتهت سهرة الليلة ، الزائر المجهول يسال النهم الغارق في الغدر : هل غرست شجرة ؟ كلا ياعم ، اذن سامر في طريقى على المدينة ، وساوصي بعض الاصدقاء هناك بان يغرسوا لكم الاشجار المثمرة على أسطحة منازلكم •

هم الزائر بالانصراف ، فاذا بالحاكم المترصد يساله : من انت يا عم ؟ انا جاسم العريان ، غريب أنت ، كلا ، تعجب الحالم فاستفسر : اين تسكن ؟ خلف التلة ، خلف التلة ؟! لم يكد الحالم يستفيق من دهشته حتى كان الزائر المجهول قد اختفى في ظلام الليل •

عجيب أمر هذا الزائر المجهول •• غمغم الحالمون المنطرحون خلف التلة لا توجد سوى المقبرة القديمة لعل بعض البدو الرحل نصبوا مضاربهم قربها •

في صبيحة اليوم التالى ، اتجه لفيف من أهل القرية الى الفسحة المنبسطة خلف التلة • على مد البصر ، لا اثر لاى مضرب • تعجب الجميع ، توزعوا بين القبور والسنتهم معقودة من التهيب ، صاح صبى بصوت مجروح ، وجدته ، وجدته • اقترب الحشد من الصبى فاذا به أمام شاهدة قبر قديم يقرأ ما سطر عليها ، هنا يرقد المرحوم الجنايني الحاج جاسم العريان • صمت رهيب خيم على الجميع • تسمرت عينا الحالم المخدر ، ثمة شجرة مرسومة باللون الاخضر المغبر على طرف الشاهدة العلوى ، الشجرة الوحيدة المغروسة في القرية المتنكرة تحت جلبابمن الصلصال الغبارى•

■■

دمشق ـ نهاد رضا



مصرع لوركا

كل الحقيقة

بقلم : خوسيه لويس بيلاسان خوان

تقديم وعرض : د٠ محمود علي مكي

منذ أن لقي لوركا مصرعه في العشرين من اغسطس سنة ١٩٣٦ في ملابسات لم يكشف النقاب عنها آنذاك، والجدل محتدم حول تلك الواقعة الفاجعة المؤسفة ٠ غير انه كان جدلا في الغالب بعيدا عن الموضوعية ٠ اذ أن مصرع لوركا سرعان ما اتخذ سلاحا سياسيا وشعارا رفعه خصوم نظام الجنرال فرانكو في الشرق والغرب على السواء ٠ فقد ألقيت تبعة مقتل الشاعر الاسباني العظيم على ذلك النظام ، وهي تهمة باطلة ، اذ لم يكن للنظام مصلحة في ذلك ، فضلا عن أن نظام فرانكو نفسه لم تكن قد تحددت معالمه بعد ، ولو أن الخطأ الذي ارتكبه

نظام فرانكو بعد ذلك هو أنه لم يعمل ـ حتى خدمة لنفسه ـ على كشف الملابسات الغامضة التي وقع فيها مقتل الشاعر • واتهم حزب الكتائب أيضا بتدبير الجريمة، وهي تهمة أشد بطلانا ، فقد كان قادة هذا الحزب في غرناطة هم الذين بذلوا كل جهد لحماية لوركا واستنقاذه ، لالعلاقة سياسية بين لوركا وبينهم ، وانما لصداقة شخصية كانت تربطه بأسرة معروفة تنتمي اليهم • وكان من نتائج البعد عن الموضوعية في ذلك الجدل العقيم ان نسبت الى لوركا نزعات شيوعية او يسارية هو بريء منها ، فليس في انتاجه الشعري الوفير ادنى بينة على ذلك . بل كان لوركا شديد النفور من السياسة ، وكان اشد نفورا من استغلال اسمه او شعره في الصراعات السياسية • ومع ان هذه الحقيقة كانت واضحة في نظر الكثيرين من الباحثين الاجانب ، فقد استمر البعض في العالم العربي يرددون ما سمعوه او نقلوه عن بعض الاقلام الاجنبية حول مقتل لوركا على يد نظام فرانكو او على ايدي الكتائب في غير تمحيص ولا تحقيق • وما اكثر ما تحدثوا عن « يسارية » لوركا بغير ان يتجشموا عناء قراءة آثاره او متابعة حياته • اما في اسبانيا فان مؤرخي الادب في جو الديموقراطية الذى انفتحت عليه البلاد منذ أخريات عهد فرانكو قد أحسوا بضرورة العودة الى الموضوع بعيدا عن الاهواء والانفعالات السياسية • وبهذا العمل اضطلع الباحث بيلاسان خوان ، فتتبع ايام لوركا الاخيرة محققا كل احداثها ، وكان ثمرة ذلك الجهد المضني هذا الكتاب الذى يتجاوز الثلاثمائة والعشرين صفحة.

---

١ ـ الجريمة

كان يسير محفوفا بالبنادق
في طريق ضيق طويل
خارجا الى الحقل البارد
وما زالت في السماء نجوم الفجر
لقد قتلوا « فيديريكو »
حينما كان نور الفجر يطل على الافق
لم تجرؤ كتيبة الجلادين
على ان تشخص بابصارها الى وجهه
بل اغمض الجميع عيونهم
وهم يهتفون : حتى الله لن يستطيع انقاذك !
قتيلا سقط فيديريكو
ـ دماء على الجبين ورصاصة في الاحشاء ـ
••• في غرناطة تمت الجريمة
نعم •••في غرناطة المسكينة••• في غرناطته!

٢ ـ الشاعر والموت

كان يرى وحيدا والموت يسايره
ولم يكن يحس بالخوف من منجله المعقوف
ـ اشعة الشمس تنتقل من برج الى برج

والمطارق على السندان ••• على سندان المصاهر ـ
وكان فيديريكو يتحدث مغازلا الموت ،
والموت يستمع اليه في صمت :
« ما اكثر ما ترددت في شعري ايها الرفيق »
صفقات كفوفك اليابسة !
وما اكثر ما القيت مرارة الحنظل في غنائي !
وما اكثر ما اعرت مسرحياتي حد منجلك الفضي!
سوف اغني للعم الذى تجردت منه عظامك
سوف اغني للعيون التى افرغت منها جمجمتك
ولشعرك الذى طارت به الرياح
وللشفاه الحمر التى طالما طبعت عليها قبلاتك !
واليوم كالامس ايها الموت الغجرى •• موتى انا
ما اسعدني برفقتك وانا امضى معك وحيدا
بين نسمات غرناطة •••
غرناطتي انا ••• ! »

٣ ـ

كان يرى وهو ماض في الطريق •••
اصنعوا ايها الاصدقاء
نصبا للشاعر



نصبا من أحجار واحلام فى حمراء غرناطة
على نافورة لا يكف ماؤها عن البكاء
وهو يردد نشيده الابدى :
« ... فى غرناطة تمت الجريمة
نعم ... فى غرناطته ! ... »

هكذا بكى الشاعر الاسبانى الكبير انتونيو ماتشادو موت صديقه وتلميذه فيديريكو غرسيه لوركا فى قصيدته « فى غرناطة تمت الجريمة ».

والجريمة التى عناها الشاعر هى اعدام لوركا الذى وقع فى فجر يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩٣٦ هى ذلك الحدث البشع الذى كان له دوى هائل فى الاوساط الادبية والسياسية منذ وقوعه حتى اليوم، والذى انفق حوله من المداد والورق ما يزيد على ما كتبه الشاعر نفسه خلال عمره القصير الذى حصده منجل الموت وهو دون الاربعين .

وقد وقعت الجريمة بعد ان اعلن الجنرال فرانكو تمرده على الحكومة الجمهورية فى بلاده بشهر واحد . وكان هذا التمرد بداية للحرب الاهلية التى قدر لها ان تستمر طوال ثلاث سنوات وسقط فيها من الضحايا ما يزيد على المليون . ولنا ان تتصور كيف أثار مقتل لوركا مشاعر الناس فى ذلك الجو السياسى الملتهب ، اذ سرعان ما أضفيت على الجريمة صبغة سياسية . فاوساط الادباء فى خارج اسبانيا سواء فى العالم الغربى او فى العالم الشرقى ترى فى مصرع لوركا جريمة ينبغى ان تدرج بغير مناقشة فى الصحيفة السوداء التى علقوها فى عنق نظام الجنرال فرانكو ، وهو نظام لم يكن فى نظرهم الا امتدادا لنازية المانيا وفاشية ايطاليا ، واللاجئون الاسبان من فلول النظام الجمهورى المندحر يعينون على تاكيد ذلك التصور، اذ كانت تدفعهم اليه مرارة المنهزم وسورة الحقد على النظام الجديد . اما المخلصون لنظام فرانكو فقد كانوا يجتهدون ــ بالحق وبالباطل ــ فى نفى التهمة عنه ، وما اكثر ما عمد بعضهم الى تفسيرات واهية لم تنبع الا من التعصب الاعمى او الملق الرخيص . وتعالت اصوات المتجادلين واخذت الوان من التاويلات تتراكم على الجريمة حتى خفيت خيوط الحقيقة ، واصبح تبين الاحداث والاسباب امرا من الصعوبة بمكان !

كتاب جديد حول مصرع لوركا

ظل الامر كذلك حتى نهض الكاتب الاسبانى خوسيه لويس بيلاسان خوان José Luis vila san Juan بدراسة للموضوع كله من جديد . كان ذلك فى سنة ١٩٧٣ وكانت الظروف مواتية حينئذ للاضطلاع بمثل هذا العمل : العواطف التى كانت ثائرة قد اخلدت الى غير قليل من الهدوء ، والحرب الاهلية الدامية قد بعد بها العهد ، والجراح المتخلفة عنها قد التامت او كادت تلتئم ، والاصوات ترتفع فى داخل اسبانيا وخارجها منادية بمصالحة وطنية بين مختلف الفئات ، والناس الآن اقرب الى الاقتناع بان احداث تلك الحرب قد اصبحت جزءا من التاريخ ينبغى أن يكتب فى هدوء وموضوعية .

فى هذا الجو شرع الكاتب على طول عامين كاملين فى تقصى الحقيقة حول مقتل لوركا مركزا بحثه على ايامه الاخيرة ، فتجمعت له مادة طيبة كان ثمرتها ذلك الكتاب الذى جعل عنوانه « مصرع لوركا : كل الحقيقة » . ورات احدى دور النشر الكبرى فى اسبانيا وهى دار « مرآة اسبانيا Espejo de Espana » ، ان تمنح هذا الكتاب جائزتها الاولى سنة ١٩٧٥ .



شهادة ميلاد لوركا

مؤلف الكتاب بيلاسان خوان كاتب ولد في برشلونة سنة ١٩٢٦ وتخرج في كلية الطيران ، واشتغل في الجيش طيارا عسكريا ، ثم ترك الخدمة وتفرغ للصحافة ، وهو الآن مدير لاحدى وكالات الاعلان الكبرى • وكان موضوع الحرب الاهلية قد شغله منذ سنة ١٩٦٧ ، فاخرج حوله عديدا من الدراسات كان من اخرها كتابه « اسرار الحرب الاهلية الاسبانية » ثم الكتاب الذى هو موضوع هذا الحديث •

الاراء المتعارضة حول مصرع لوركا

تنص شهادة الوفاة الرسمية الصادرة من السجل المدني بغرناطة ـ وهي التى اثبت صورتها المؤلف على غلاف كتابه ـ على ان فيديريكو غرسيه لوركا توفى فى شهر اغسطس سنة ١٩٣٦ « من جراء جراح اصابته ناتجة عن حدث من احداث الحرب » • ونسبة مقتل لوركا الى حدث من احداث الحرب هو اول مظهر من مظاهر التستر على الحقيقة ،فشاعرنا لم يكن محاربا ولا مشاركا فى احداث الحرب • ولم يكن لهذا التستر ما يبرره ، وكان الاولى بنظام فرانكو ان يشرع منذ البدء فى تجلية غوامض ذلك الحدث ، الا ان بعض انصاره عن جهل او سوء نية رأوا من الخير القاء ستار من الصمت على الموضوع • وترتب على ذلك ان قدموا الى خصومهم من الناقمين على النظام فرصة التشهير به واتهامه بتدبير مقتل الشاعر عن عمد وسبق اصرار •

اما الباحثون الذين حاولوا تقصى الحقيقة فقد كان اكثرهم من الاجانب ، واهمهم جيرالد بريثان فى كتابه « وجه اسبانيا » (١٩٥٠) ، وكلود كوفون : « كيفكان موت لوركا » (١٩٥١)وجان لوى شونبرج : « واخيرا الحقيقة حول موت لوركا» (١٩٥٦) ، ومارسيل وكلير : « طفولة لوركا ومقتله » (١٩٦٨) وايان جبسون : « الارهاب الوطنى فى غرناطة سنة ١٩٣٦ ومقتل لوركا » (١٩٧١) • (١)

وتتفاوت هذه الدراسات من ناحية القيمة ، وهى على كونها محاولات جادة فى سبيل استقصاء الحقيقة لا تخلو من التاثير بما كان يسير اصحابها من أهواء سياسية او بما كانوا يسمعونه من احاديث نسجها بعض « العالمين ببواطن الامور »ممن لا تخلو منهم مدينة اندلسية ، وغرناطة بصفة خاصة •

---

(١) الكتب الخمسة المذكورة هي :

1. Gerald Brenan ; The Face of Spain.
2. Claude Couffon ; Ce que fut la mort de F. G. L.
3. Jean - Louis Schonberg ; Enfin la verite sur la mort de L.
4. Marcelle Auclair : Enfances et mort de L.
5. Ian Gilson ; La Represion Nacionaliota de Granada en 1936 Y la muerte de F.G.L.

وخلاصة ما يستفاد من هذه الكتب تفسيرا لمقتل الشاعر تنتهي الى ثلاثة آراء :

١ ـ فكوفون مثلا ينسب الجريمة الى موقف لوركا السياسى والى ما يزعمه من معارضته الصريحة لحزب الفالانخ (الكتائب) المناصر لفرانكو ، ويتفق معه فى ذلك ايان جبسون الذى يتخذ من مصرع الشاعر منطلقا لهجوم بالغ العنف على نظام فرانكو السياسى • وهذا التفسير هو الذى ردده واشاعه خصوم النظام وهو خاطىء من اساسه •

٢ ـ وشونبرج على العكس من ذلك ينفى عامل السياسة عن الجريمة ، ويرد مقتل لوركا الى صراع بين عدد من المنحرفين ، وهو لا يكتفى بتوجيه تهمة الانحراف الجنسى الى لوركا بل يمدها الى عدد من المتصلين به • وهو تفسير بدوره بعيد عن الحقيقة ولم يستطع المؤلف ان يقدم عليه ادلة قاطعة • واذا كان من الصحيح ان وصف لوركا بالانحراف امر شائع يقبله الكثيرون ، وان احد المتورطين فى مقتله كان فعلا من المنحرفين ـ فان الثابت هو ان الشذوذ الجنسى لم يكن وراء تلك الجريمة• وقدظن بعض انصار فرانكو انهم قد عثروا على ضالتهم فى هذا التفسير ، اذ راوا فيه تبرئة لهم من الجريمة ، فاقبلوا يروجون له ، وكانهم راوا فى تلطيخ سمعة الشاعر ما يهون من بشاعة الجرم المرتكب •

٣ ـ وهناك راى ثالث له من الشهرة والشيوع ما للرايين السابقين ، وان كان لايقل عنهما خطأ واغراقا فى الخيال : وهو ان مقتل لوركا كان على ايدى بعض رجال الشرطة المدنية انتقاما من الشاعر الذى اتخذ منهم هدفا لهجومه وسخريته ولا سيما فى «الديوان الغجرى» وهذا الراى بدوره اضعف من ان ينهض للنقد •



رويث الونسو
المسؤول الاول عن لوركا

فى بداية الحرب الاهلية

فى ١٨ يولية ١٩٣٦ اعلن الجنرال فرانكو الثورة على النظام الجمهورى الحاكم • واندلعت الثورات على الفور فى كثير من مدن اسبانيا مؤيدة حركة الجيش • اما غرناطة فقد كان الجو فيها ممهدا منذ البدء ، فلم يات يوم ٢٠ يولية حتى كانت المدينة كلها فى ايدى المتمردين ، اذ سيطرت قوات الجيش ومعهم من كان فى المدينة من اعضاء حزب الفالانخ (الكتائب) على مخافر الشرطة ومبانى البلدية والحكومة المدنية • ولم يبق على الولاء للحكومة المركزية فى مدريد الا عدد قليل اضطر الى التجمع فى حى البايزين Albaicin المشهور فى غرناطة ، وهناك اقاموا المتاريس وشرعوا فى المقاومة • وفى يومى ٢٢ و ٢٣ يولية قامت قوات الجيش بمحاصرة الحى وتمكنت من الاستيلاء عليه بعد قصف عنيف سقط فيه عدد من القتلى والجرحى • وقبض على زعماء المقاومة فى الحى وبدات محاكمتهم العسكرية على الفور • وفى يوم ٢٦ يولية بدات سلطات الجيش فى اعدام من ثبتت عليه تهمة الولاء للنظام الجمهورى الحاكم فى مدريد •

وحاولت حكومة مدريد ان تسترد مواقعها فى المناطق التى اعلنت تاييدها للثورة • ففى غرناطة شوهدت يوم ٧ اغسطس طائرات حكومية حاولت ان تلقى حمولتها على المدينة ، وكان الرد على ذلك من جانب الثوار الذين اصبحوا يدعون بالوطنيين هو اعدام عدد من السجناء المتهمين

بالولاء للنظام الجمهوري • وقد ظل هذا الاجراء تقليدا متبعا من قبل الجانبين : الجمهوريين والوطنيين على حد سواء • فحينما هاجم الوطنيون مدريد وقصفوا بعض احيائها قامت ميليشيا الجمهوريين بمهاجمة سجن مدريد حيث اودع عدد كبير من خصومهم الموالين للثورة ، واعدموهم بغير محاكمة ، هكذا كانت تجرى « تسوية الحسابات » بين الجانبين !

اسرة لوركا واحداث الحرب

فيديريكو غرسيه لوركا ينتمى الى اسرة من اسر الطبقة الوسطى اقرب الى الغنى واليسر • ابوه « دون فيديريكو » فلاح قوى الشكيمة بدأ حياته يعالج فى ريف غرناطة ارضا مجدبة قليلة المورد ، ولكنه بفضل جهده وعمله المتواصل استطاع ان يجمع ثروة كبيرة ، فقد اصبح له ارض جيدة فى فحص غرناطة (٢) تقدر بخمسة وثلاثين هكتارا ، وهو مستشار لشركة السكر ، ومن اكبر المساهمين نصيبا فى ميدان مصارعة الثيران فى غرناطة ، هذا فضلا عن ضيعة كبيرة جيدة اتخذها لقضاء فصل الصيف • واما امه فهى مدرسة تركت عملها بعد الزواج ، وكانت تضفى على ابنها الاكبر فيديريكو من الحنان والحب ما جعله « الطفل المدلل » فى اسرته وبين اخوته الثلاثة : فرانسيسكو الاخ الصغير والفتاتين كونتشا وايزابيل • وهى اسرة بحكم وضعها الاجتماعى واحوالها المادية اقرب الى المفهوم اليمينى « البورجوازى » بوجه عام • ولو انه لم يؤثر عن احد منها ـ لا فيديريكو ولا غيره ـ اى تدخل فى السياسة •

غير ان الاخت الكبرى كونتشا كانت متزوجة من مانويل فرنانديث مونتسينوس الذى عينته الحكومة الجمهورية عمدة لغرناطة فى يوم ١٠ يولية اى قبل انفجار تمرد الجيش بثمانية ايام ولم يتمكن الرجل من مباشرة سلطاته ، ثم لم يلبث ان القى القبض عليه فى يوم ٢٠ يوليه واودع سجن غرناطة •

السبت ٨ اغسطس : بداية المتاعب :

وصل فيديريكو الى غرناطة قادما من مدريد فى



كاريكاتير للوركا نشر فى جريدة الهيرالدو دى مدريد فى ١٨ يوليو ١٩٣٦ قبل موته بشهر •

يوم ١٧ يولية ليحتفل مع اسرته بمناسبة عائلية واليوم (٨ اغسطس) يسود الاسرة جو من القلق على مصير مانويل مونتسينوس ، وان كانوا يعرفون انه لا يزال على قيد الحياة •

غير انه فى مساء هذا اليوم ـ ولم يكن فى البيت الا فيديريكو واخته الكبرى ـ اذا بعدد من الرجال المسلحين وهم فى ثياب مدنية يقتحمون الدار • ويامر رئيس المجموعة رجاله بتفتيش البيت قائلا انهم يبحثون عن « شيوعى » هو اخ لاحد العاملين فى خدمة اسرة لوركا ، ولكنهم لا يجدونه ، فياخذون اخاه ويربطونه الى شجرة فى حديقة الدار ويبدأون فى ضربه• ويحاول فيديريكو ان يدافع عن خادمه ، فيضربه احد رجال المجموعة ويامره بالسكوت • ويتوتر الجو ، ولا ينقذ الموقف الا دورية حراسة تمر بالبيت فى تلك الساعة ،

(٢) فحص غرناطة La Vega de Granada هو الارض البسيطة الخصبة فى ظاهر المدنية وكانت لكثرة بساتينها والتفاف النبات فيها تشبه على عهد المسلمين بغوطة دمشق •

ويتدخل رئيسها ويصدر أمره لمجموعة المسلحين بالانصراف ٠

الخوف يستبد بالاسرة ٠ ان ما تعرض له فيديريكو من الضرب والاهانة أمر قد يكون بعده ما هو أسوأ منه ٠ ويستقر الرأى على أن من الخير له أن يقضى هذه الايام المضطربة فى مكان اكثر أمنا ٠ ويقترح فيديريكو ان يلجأ الى بيت صديقه الشاعر « لويس روسالس » ، وكانت تربطه باسرة روسالس صداقة حميمة ، ثم أن أخوى لويس من أعضاء حزب الكتائب العاملين : ميجيل الاكبر من قادتهم المعروفين ، وخوسيه هو رئيس التنظيم فى غرناطة ، وهو ذو نفوذ كبير فى اوساط الوطنيين ٠ ويتصل فيديريكو بصديقه لويس هاتفيا ، فيهرع هذا الى بيته ، وتبحث الاسرة الموقف معه ، ويرحب هو بايواء فيديريكو ٠ وبالفعل ينتقل شاعرنا الى بيت صديقه فى نفس اليوم ٠ وهو بيت يقع فى وسط غرناطة ، على مقربة من الميدان الذى ما زال يحتفظ حتى الان باسمه العربى : « باب الرملة » ٠

الاحد ١٦ اغسطس :
القبض على فيديريكو:

فيديريكو يشعر بالامن فى دار روسالس حتى انه الان لا يجتهد فى التستر والتخفى غير ان فى الجو نذرا خطيرة ٠ فى فجر هذا اليوم تم اعدام عدد من السجناء المتهمين بالولاء للجمهورية ، وكان من بينهم مانويل مونتسينوس زوج أخت فيديريكو ٠

وفى عصر هذا اليوم ٠٠ من الميدان الذى يبعد خمسين مترا من بيت روسالس وهو ــ لعجيب الاتفاق ــ يحمل اسم « ميدان الذئاب » تبدأ فى الظهور فرقة من الرجال المسلحين : نحو أربعين رجلا ٠ ويحاصر الرجال الشارع ، ويلتف بعضهم حول الدار ، ثم يدخل قائدهم البيت ٠ وعلى الباب تستقبله السيدة اسبرانثا أم الاخوة روسالس ــ اذ لم يكن أحد من الرجال فى البيت ــ وتواجهه مكفهرة الوجه فى بسالة :

ــ ما معنى هذا الاقتحام ؟ ٠٠٠

ــ سيدتى ٠٠٠

ــ أتعرف بيت من هذا الذى تقتحمونه ؟ ان أبنائى كلهم من « القمصان الزرق » وهذا البيت بمثابة القيادة العامة لحزب الكتائب !

ــ معذرة يا سيدتى ٠ أنا لم آت للتعرض لاحد من أبنائك ٠ ان لدى أمرا بالقبض على فيديريكو غرسية لوركا ٠ فانا أعرف انكم تخبئونه عندكم٠

ــ ليس هنا أحد مختبئا ٠ وانما لدينا فيديريكو غرسية لوركا ، وهو ضيف على ابنى لويس ٠

ــ المهم انه هنا ٠ ولكن لدى أمرا بالقبض عليه ٠

ــ أنت لن تقبض على أحد فى بيتى !

ــ سيدتى ، أنا « رامون رويث الونسو » النائب اليمينى ، ولك أن تثقى بى ٠

ــ على كل حال لن يخرج فيديريكو من هنا الا مع رجل من اسرتى ، ولا يوجد أحد منهم الان هنا ٠ ولكن ابنى ميجيل فى معسكر القيادة العامة للكتائب ٠

ــ لا بأس ٠ لدى السيارة هنا وسوف اذهب اليه الان ٠

وينصرف رويث الونسو فى السيارة متوجها الى معسكر القيادة الذى يبعد نحو ثلاثمائة متر ، ثم يعود ومعه ميجيل روسالس ٠ وفى الطريق يشرح له الامر : انه يحمل امرا من « خوسية بالديس قزمان » الحاكم المدنى لغرناطة بالقبض على فيديريكو ٠

وفى هذه الاثناء تكون السيدة اسبرانثا هى واختهاوابنتها قد اعددن شاى العصر وقد اطمانت قلوبهن قليلا ، وحينما يعود ابنها مع رويث الونسو تدعوه الام لتناول الشاى معهم ، فيقبل الدعوة ، ويبث ذلك مزيدا من الاطمئنان فى قلوب الاسرة ٠ لابد ان فى الامر خطا او سوء فهم ٠٠ وتسال احدى النساء عن التهمة الموجهة لفيديريكو ، فيقول رويث الونسو انه متهم بأنه « جاسوس للروس » ، وتبدو عبارة الرجل كما لو كانت ضربا من ضروب المزاح ٠ فيقول انه لا مبرر للخوف وان كل شىء سيتضح ٠ ويخرج رويث ومعه فيديريكو وميجيل متوجهين الى مبنى الحكومة المدنية ٠

وفى مبنى الحكومة يطلب ميجيل مقابلة بالديس، فيبلغونه انه غائب عن مكتبه ــ وقد كان غائبا بالفعل ــ ، الا ان نائبه يستقبله ويعده بالا يتعرض فيديريكو لاى مكروه حتى يقدم بالديس ليرى فيه رأيه ٠ ويخرج ميجيل ويشرع فى البحث

عن اخوته الثلاثة ، فلا يجد منهم احدا • ويبلغ والد فيديريكو بنبأ القبض على ابنه • والغريب ان ذلك الرجل القوي الخشن يبدي في هذه اللحظة خورا وتخاذلا غريبين ، اذ لا يقوم بفعل شيء من اجل استنقاذ ابنه ، ولعله استهان بالخطر لثقته من براءة ابنه ، او لعل جو الرعب السائد قد شل حركته •

وفي الساعة العاشرة يصل لويس روسالس الى بيته قادما من الجبهة الجنوبية التي اسندت اليه رياستها ، ثم اخوه خوسيه قادما من الجبهة الشرقية ، وتقص عليهما الام ما وقع ، فتثور ثائرتهما ، ويقرران المضي في مثل هذه الساعة المتاخرة الى مبنى الحكومة المدنية للقاء بالديس •

وهناك يحاول الضابط المكلف بالحراسة منعهما، فيقتحم خوسية مكتب بالديس بالقوة ،ويشهر مسدسه المحشو ويوجهه الى صدغ بالديس ويسأله :

ـ هل صحيح انك امرت رويث الونسو بالقبض على فيديريكو في بيتي ؟

ـ انا لم آمر احدا بشيء •

ـ انت تعرف ان المنصب الذي تتولاه الان انما وصلت اليه بفضلي ، وفي وسعي ان اعزلك عنه•

ـ لا تكن مجنونا • ابعد هذا المسدس • ان فيديريكو بخير ، وهو في غرفة في هذا الممر • اذهب لتطمئن عليه ان اردت •

وبالفعل يذهب خوسيه روسالس الى فيديريكو، فيبتهج هذا بلقائه ، ويطمئنه خوسيه الى انه سوف يخرجه في الغد •

ولا يكاد صباح اليوم التالي يطل حتى يهرع خوسيه مبكرا للقاء الكولونيل اسبينوسا الحاكم العسكري لغرناطة ـ وكانت سلطته اعلى من سلطة الحاكم المدني ـ ويستصدر منه امرا بالافراج عن فيديريكو ، ويذهب بالامر مسرورا الى بالديس • غير ان هذا يستقبله في برود ويقول ان فيديريكو لم يعد في مقر الحكومة المدنية •

ـ ماذا تقول ؟

ـ لقد اخذوه في الفجر الى « بثنار » ولابد انهم قد اعدموه الان !

واسقط في يد الرجل ، وخيل اليه ان الارض تميد به ، فهو يعرف ان الذين يحملون الى « بثنار » لا يعودون ابدا • وينظر اليه بالديس في شماته مسعورة ويقول :

ـ والان لنر ماذا نفعل باخيك الصغير !

وخرج خوسيه كالمجنون ••• هو يعرف بالديس وقسوته البادرة • والتهديد الان موجه الى اخيه لويس الذي سوف يتهم بانه قد اوى في بيته « الجاسوس الروسي » فيديريكو غرسيه لوركا • اما هذا فقد قضي الامر فيه ، ولم يعد يوجد ما يمكن عمله من اجله •

ومع ذلك فقد كان بالديس يكذب عليه • فان فيديريكو كان حتى تلك اللحظة لا يزال في مبنى الحكومة المدنية •• لماذا ؟ لان بالديس لم يكن يعرف ما يجب عليه عمله بازائه • لقد قيل له ان لوركا شاعر كبير مشهور ، وهو اذا اطلق سراحه فقد يطلق لسانه ويثير الكثير من المتاعب• وبالديس يريد كسب الوقت لكي يتدبر امره في روية •

ركنا الجريمة

ولكن من هما رويث الونسو وبالديس فزمان اللذان اليهما ترد التبعة الاولى في القبض على لوركا ؟ وماذا كان هدفهما من اعدامه ؟

اما رامون رويث الونسو فانه كان في ايام الجمهورية نائبا لغرناطة في البرلمان وكان من الاعضاء البارزين في حزب يميني متطرف كان يدعى « الاتحاد الاسباني لليمينيين المستقلين » ، ولعل من اجلى ما يمثل مفهوم هذا الرجل من اخلاقيات السياسة هو انه قبل نشوب الحرب الاهلية كان قد عرض على خوسيه روسالس ممثل حزب الكتائب في غرناطة ان يترك حزبه وينضم الى الكتائب ، ولكن بشرط ان يدفع له الحزب الجديد المرتب الذي كان يتقاضاه حينما كان نائبا في البرلمان • وحمل روسالس اقتراحه هذا الى خوسيه انتونيو بريمودي ريبيرا رئيس الحزب الذي كان سجينا انذاك في مدريد • وكان رد خوسيه انتونيو انه يرحب بانضمام رويث الونسو الا انه يرفض اعطاءه شيئا لقاء ذلك •ومنذ ذلك الوقت لم يغتفر الرجل لحزب الكتائب ولا لآل روسالس ما لحقه من اهانة •

ولهذا فانه لم تكد تسند اليه بعض السلطات في الحكومة المدنية التي كان يتولاها بالديس حتى دبر خطته للانتقام من آل روسالس ، وكان ان

انتقم منهم فعلا فى شخص فيديريكو غرسيه لوركا ، فهو الذى اطلق اولا اشاعة لوركا « الجاسوس الروسى » ، ثم كان هدفه من القبض عليه وهو فى دار اسرة روسالس هو ان يظهر ان هذه الاسرة ذات النفوذ الوثيقة الصلة بحزب الكتائب قد خانت قضية الحركة الوطنية حين آوت ذلك « الجاسوس الروسى » وبسطت عليه حمايتها • ثم ان فى ذلك تشهيرا بحزب الكتائب نفسه الذى لم يغتفر له رويث الونسو رفضه لشروطه حينما اراد الانضمام اليه •

ومما هو جدير بالذكر انحزب الكتائب الذى كان يتزعمه خوسيه انتونيو ـ وان كان قد ناصر حركة التمرد العسكرى التى قادها الجنرال فرانكو ـ لم يكن له يد فى الاعداد لذلك التمرد ولا فى تدبيره ، ولم يكن فرانكو نفسه كتائبيا ، غير انه بعد ان انتصرت حركته فى الحرب الاهلية تبنى مبادىء الحزب واتخذها الاساس العقائدى لنظامه•

اما بالديس قزمان فانه كان من طراز اولئك العسكريين من نتاج الثورات الدامية : رجلا جاهلا عدوا للثقافة شرها الى السلطة بارد العاطفة قاسيا الى ابعد الحدود • وكان لايغتفر لخوسيه روسالس انه هو الذى اشار بتعيينه حاكما مدنيا لغرناطة ، ولهذا فانه كان يتوق الى التخلص من تلك « الوصاية » الكريهة التى كان آل روسالس يفرضونها عليه ، واتت الفرصة اليه سانحة فى « موضوع » لوركا ، فالتقت خططه فى ذلك مع خطط رويث الونسو •

هذا فضلا عن عامل آخر لعله هو الذى عجل بنهاية الشاعر : ذلك ان غرناطة التى اعلنت تاييدها لحركة التمرد العسكرى منذ البدء كانت معزولة عن سائر المناطق الموالية لحركة الجيش ، اذ كانت محاطة بمناطق لاتزال على الولاء للجمهوريين • وقد عهد فرانكو الى واحد من خيرة قواده « الجنرال باريلا » بالاستيلاء على الطريق بين اشبيلية وغرناطة• وكان باريلا عسكريا شريفا لايرى فى الحرب بين الفريقين المتقاتلين ما يبرر الفظائع التى لاتفيد احدا بشىء • وهو يرى فى الطريق بين اشبيلية وغرناطة كيف تنتثر على جانبية بالعشرات جثث ابرياء قد شد وثاقهم واطلق عليهم الرصاص • لقد أثارت الحرب الغرائز الوحشية الكامنة فى النفوس ، واصبحت تصفية الحسابات الخاصة باسم المبادىء السياسية تقليدا متبعا فى كلا الجانبين المتحاربين : كلما اراد احد ان ينتقم من غريم له وشى به الى السلطة او قتله من غير وشاية زاعما انه « جاسوس » للفريق المعادى • وكان باريلا قد ابدى كثيرا من الحزم والشدة فى الضرب على ايدى من يتجاوزون الحدود المشروعة فى الحرب • والاخبار تصل الى غرناطة فى يوم ١٦ اغسطس بان باريلا فى طريقه الى غرناطة ، ويرى بالديس ومرؤسه رويث الونسو ومن معهما فى الحكومة المدنية انهم قد انتشبوا فى مازق من جراء الشاعر الذى قبضوا عليه بتهمة لايستطيعون اثباتها ، ويعسر عليهم بعد ذلك ان يبرروا ما فعلوه معه • ولايرون مخرجا من هذه الورطة الا ان يعجلوا بنهايته وينتهوا من امره •

الساعة الاخيرة

« بثنار » تلك القرية الصغيرة الواقعة على مشارف غرناطة هى المكان المفضل لاجراء احكام الاعدام فى سجناء الحكومة المدنية • وفى ليلة ١٧ اغسطس تتوجه سيارة سوداء من طراز « بويك » من غرناطة الى « بثنار » وهى تحمل خمسة رجال : ثلاثة من الحراس وسجينين : فيديريكو غرسيه لوركا وواحد من مصارعي الثيران المغمورين •

المكان الذى يودع فيه السجناء حتى يتم تنفيذ الحكم فيهم هو بيت مهجور يدعونه « المستعمرة La colonia » ، تحيط به اشجار الزيتون ويسمع فيه خرير الماء من نافورة الحديقة • غير انه ما كان لاحد فى مثل هذه الظروف ان يتملى جمال الطبيعة • وينزل لوركا ورفيقه المصارع من السيارة • ويقودهما الحراس الى البيت ، فينضمان الى سجين كان مقيما فيه منذ ايام وهو مصارع ثيران آخر • ويقضى الثلاثة ليلتى ١٧ و١٨ اغسطس •

وفى مساء الليلة التالية (١٩ اغسطس) تعود الى بثنار السيارة البويك وهى تحمل « شحنة » اخرى من سجينين : مدرس عجوز اعرج وابنه ، وينزلهما الحراس ، فينضمان الى سجناء « لاكولونيا » الثلاثة •

الانباء تتردد بان الجنرال باريلا سوف يصل الى غرناطة فى الساعة العاشرة والنصف من

صباح اليوم التالي (٢٠ اغسطس) • وبالديس يصدر امره ب « تنظيف » سجن « لاكولونيا » من كل من فيه !

الهزيع الاخير من الليل ••• ديكة بثنار لم تصح بعد معلنة طلوع الفجر الجديد •• الحراس يخرجون السجناء الخمسة : فيديريكو والمدرس العجوز وابنه والمصارعين ، وهم مكتوفون ويامرونهم بالسير في الطريق الريفي الذى يصل من القرية الى « العين الكبيرة » •• هذه العين مازال الناس يعرفونها هناك باسمها العربى القديم Ainadamar (عين الدمع) ! •••

ترى هل كان لدى عرب غرناطة ارهاص بان هذه العين سوف تسفح دموعها على اكبر شاعر اخرجته اسبانيا في القرن العشرين كما سفحته على شمس الاندلس الغاربة ؟ ! •••

ويصدر قائد المجموعة الامر باشارة خفيفةمن يده • وتدوى طلقات النار ! •••

الى جوار هذه العين كان فيديريكو يغنى منذ سنوات :

قل لى يا رب
النور يأخذ فى الانطفاء
يا رب
اين زيتك المقدس ؟
اسوف تغرقنا
والامواج تحتضر •••
فى ظلمات الهاوية ؟
أم لعلك اردت اللعب بنا
اترانا طيورا عمياء
كما لو كنا دمى جنود صغار ؟ !
بلا أوكار ؟

قل لى يارب
يا رب ! •••

■■

الكويت ـ د• محمود على مكى

تاريخ الحركة الوطنيـة بالمغرب من نهاية الحرب الريفية الى اعلان الاستقلال

الجزء الأول

تاليف : عبد الكريم غلاب

الناشر : الشركةالمغربية للطبع والنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب التى بدات منذ حوالى سنة ١٩٢٥ ، ففى تلك السنة اجتمعت ارادة الوطنيين من شباب فارس والرباط وسلا وتطوان فى محاولات جادة للنهوض ببلادهم ، وليعملوا مخلصين على انقاذها من التخلف والاستعمار • كما يساهم هذا الكتاب فى القاء بعض الضوء على الجهود التى بذلها القادة والمناضلون فى صفوف الحركة لتوعية المواطنين بالنضال ، ولشن معركة تحريرية شاملة انتهت باستقلال المغرب ، وما تزال تناضل لتحرير ما بقى رهينة فى يد الاستعمار ، ولتحرير الفرد والمجتمع من رواسب الاستعمار ومخلفاته •

وقد واجهت المؤلف اثناء تاليفه لهذا الكتاب صعوبة الحصول على المصادر ، لانها كانت عند الادارة الفرنسية التى كانت تصادرها ، كما كان يحرقها من كانت بحوزتهم حين يحسون بان الشرطة الفرنسية تقترب منهم • ومع ذلك كان هناك النزر اليسير موزعا فى المجلات والنشرات وبعض الكتب•

وقد حاول المؤلف ان يقيم الحدث والبحث عن اسبابه وخلفياته ونتائجه حتى تكتمل الصورة عند القارىء الذى يدرس هذا الموضوع ، فمما لا شك فيه ان كتابة التاريخ وتاريخ الحركة الوطنية بالذات لا يعنى الحديث عن الماضى ، فالتاريخ لا يقصد للتاريخ الذى نعتبره انتهى ، ولكن كتابته تعنى الاستمرار ، فاحداث التاريخ التى انتهت لا تعنى انها ماتت بقدر ما تعنى انها حية فى نفوسنا وفى نضالنا ، فالحركة الوطنية لم يكن يقصد منها تحرير المغرب سياسيا بالاعتراف باستقلاله رسميا ولكن كان يقصد منها ايضا تحريره من كل رواسب الاستعمار وتحرير الفرد المغربى من كل ظروف التخلف •

■■

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ .

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم صاحب قصة حي بن يقظان ، كما ستجد في (٨) رأسيا واحدا من أكبر فلاسفة العرب وأطبائهم .

الكلمات الافقية :

(١) دولة آسيوية ـ صخور في وسط النهر .

(٢) في النيران ـ حيوانات مفترسة ـ التزام .

(٣) احدى القارات ـ من المتفجرات ـ أجاب .

(٤) حرف نفي ـ الأغلال ـ رواتب .

(٥) من الاشجار ـ فسيح ـ نصف كلمة (اضيع) ـ نصف كلمة (هتلر) .

(٦) طغى وجاوز حقه ـ في الكف .

(٧) يستوجب الحجر عليه ـ من افراد مملكة الحيوانات الأولية ـ زمن قصير .

(٨) صاحب قصة حي بن يقظان .

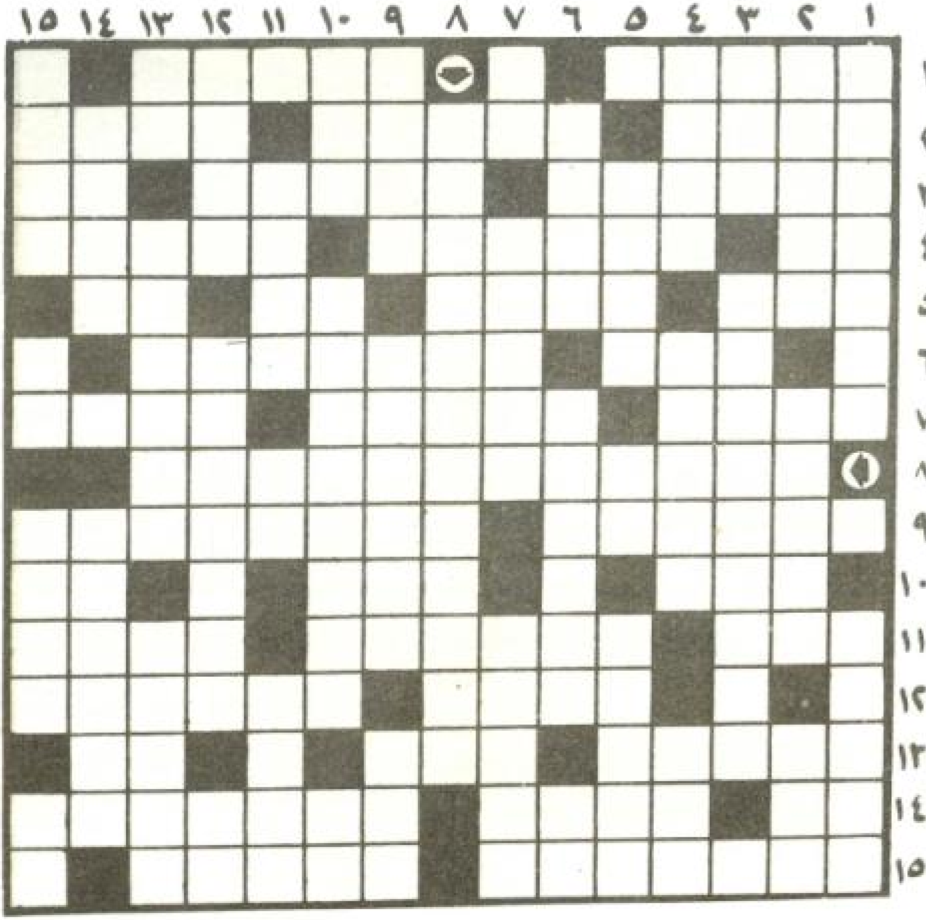
(٩) بلا تفصيل ـ ظاهرة طبيعية في الارض المجاورة للبحر .

(١٠) من الحشرات ـ كع ـ حرفان متشابهان .

(١١) انفق ـ اضاعته ـ أبعد غورا .

(١٢) طلاء ـ اجسام سماوية تندفع في الفضاء .

(١٣) العطش ـ من الاحجار الكريمة ـ نصف كلمة (بارك) .



(١٤) نصف كلمة (نعمة) ـ مساعدتي ـ قبائل افريقية من أصل أسيوى •

(١٥) مدينة مقدسة ـ عندنا •

الكلمات الرأسية :

(١) اقليم فرنسى ـ مطلع شبابنا •

(٢) يعنينا ـ من أعلام الموسيقيين الألمان ـ عسى •

(٣) تجدها في كلمة (حرير) ـ كاتب قصة مصرى شهير •

(٤) رفضا ـ فظائع ـ جاهز •

(٥) من الغازات ـ حرف عطف ـ تعالج •

(٦) برما ـ أراسله ـ حرفان متشابهان •

(٧) للتمنى ـ ينادم ـ جارحة •

(٨) واحد من أكبر فلاسفة العرب واطبائهم •

(٩) من الحشرات الضارة بالزراعة ـ صاحب الطبقات الكبرى ـ يسير •

(١٠) ظلم ـ أكاذيبهم ـ رغب •

(١١) التماعة ـ في الوجه ـ أنانى •

(١٢) من أطوار الحشرة ـ دولة آسيوية ـ حرفان متشابهان •

(١٣) مقام موسيقى ـ يجىء بعد الطلاق الثالث ـ اجتازتا •

(١٤) شاعر أموى ـ عاصمة مالى •

(١٥) أشرع ـ لفظة الم ـ أعجبت ـ اكتمل •

النجمة والسهم :

أديب مصرى

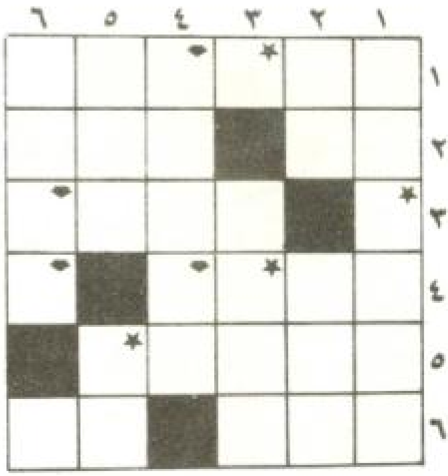
ابدأ اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لأديب مصرى تخرج من الأزهر واشترك فى الثورة العرابية • ، ثم انقل التى فى المربعات التى بها النجوم ،ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الأديب•

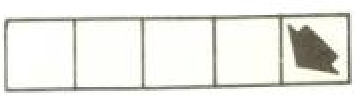
الكلمات الافقية :

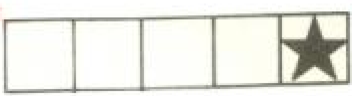
(١) الكراهية •
(٢) مقام موسيقى ـ حفظ •
(٣) طائر لايطير •
(٤) أعفو •
(٥) وقاها •
(٦) قطع ـ مناص •

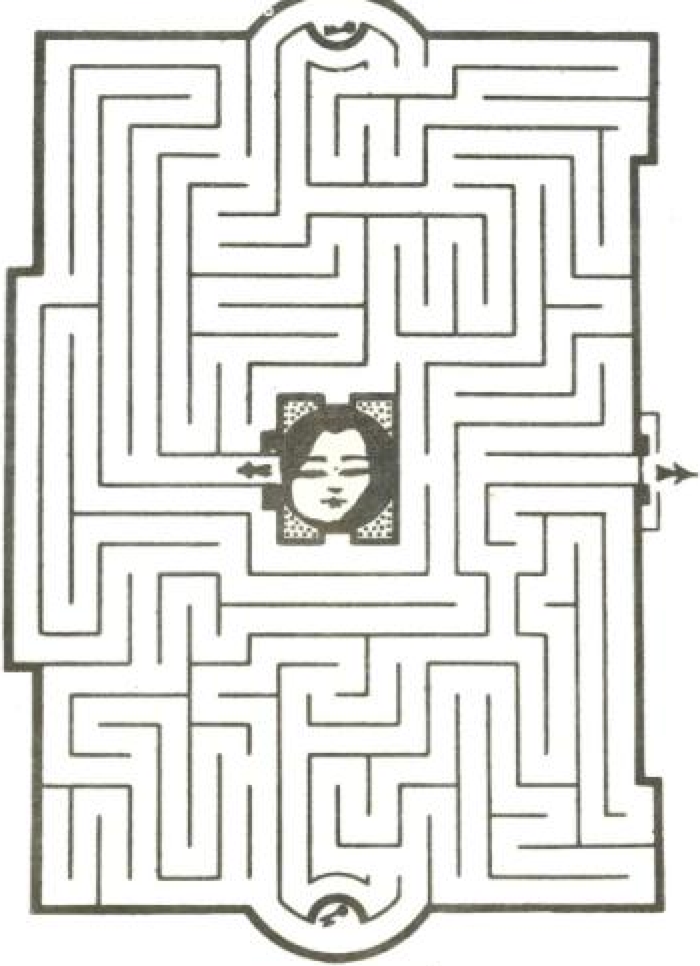
الكلمات الرأسية :

(١) الصديق •
(٢) حرف نفى ـ سكون •
(٣) خارجون عن الدين •
(٤) طليقة اللسان •
(٥) حرف ابجدى ـ من الاقارب •
(٦) صوت الجرس •









ست الحُسن ، والقرصان

بعد أن اختطف القرصان ست الحسن والجمال، حبسها في حجرة عند منتصف قصره محاطة بالطرقات المتداخلة • وقال لها « ستبقين في قصري حتى نهاية عمرك ، فباب هذا القصر لايفتح الا بمفتاح السماء ومفتاح الارض ،احدهما في شمال القصر والآخر في جنوبه • وهيهات أن تصلي الى أى منهما في هذا التيه واعلمي ان طرقات القصر مصممة بحيث ينهار السقف اذا ما سار فيها آدمي اكثر من مرة »ثم تركها ، وسافر الى حيث سفينته •

استلقت ست الحسن يائسة حزينة،فلاحظت نقوشا اسفل الجدار فسرت منها هذه العبارة «يخرج ويهرب ، شريفا شجاعا» • وبعد تفكير طويل ، فهمت ست الحسن سر العبارة ، وهكذا حصلت على المفتاحين ، وهربت من القرصان• هل تستطيع انت ايضا أن تتوصل الى السر•

• بالعقـل فقط •

استاذ نبيه يسأل :

هدية من أرسلت الى عايده ؟

اقترب العيد ، وراجعت ثريا ميزانيتها ،فاكتشفت أنهـا لن تستطيـع شراء الهـدايا التقليدية التى اعتادت تبادلها مع صديقاتهاكل عام •

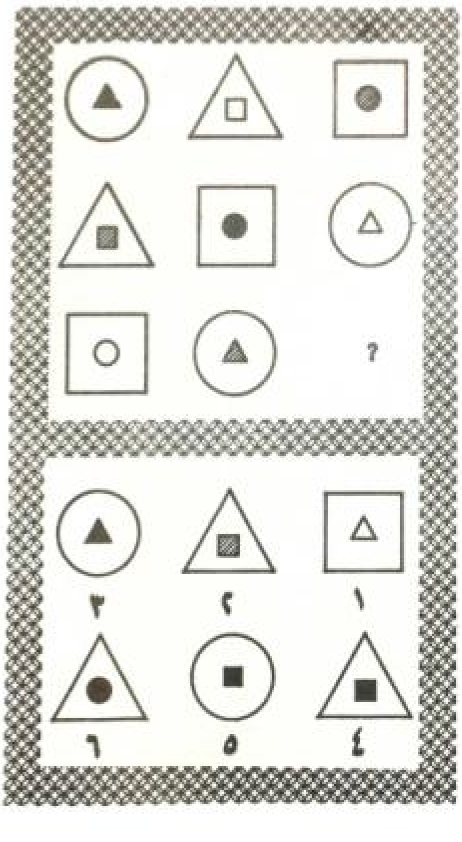
وبعد تفكير طويل‌قررت ــ كحل لهذه المشكلةـ أن ترسل لكل واحدة من صديقاتها الخمس الهدية التى تتلقاها من صديقة أخرى ، وبهذاتتخلص من مشكلتها •

وحرصت على الاتتبادل صديقتان هديتهما . فاذا كانت هدية كريمة قد ارسلت الىجيلان . فهدية جيلان لا يجب أن ترسل الى كريمة •

وحـدث انهـا ارسلت هـدية لميس الـىالصديقة التى أرسلت هديتها الى سميرة • وارسـلت هدية عايـدة الى الصديقة التىارسلت هديتها الى لميس •

فمن هى الصديقة التى أرسلت ثريا هديتهاالى عايـدة ؟ •

حاول أن تعرف :



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول أن تعـرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •

الحلول

• النجمة والسهم •

حفنى ناصف •

استاذ نبيه يسأل :

هدية سميرة أرسلت الى عايـدة •

ست الحسن ، والقرصان

العبارة المنقوشة تبدأ بالحرف ى ثم ى ثم ش ثم ش • وفهمت ست الحسن السر ، وهو الدوران عند المفترقات ، مرتين الى اليمين ، ثم مرتين الى الشـمال • ذلك عندما يـكون هنالك اختيار بين أكثر من طريق •

مِنَ المسرح العَالَمِيّ

وزارة الإعلام فى الكويت

أول أكتوبر ١٩٧٧

٩٧

رحلة السّيد بريشون

تأليف : أوجين لابيش
ترجمة وتقديم : فارس يواكيم
مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافى

الأمان بالإضافة

إلى معدل جيد للفائدة

١٠ ٪ في السنة

لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٨٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

$\frac{١}{٢}$ ٩ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهرى

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح $\frac{١}{٢}$ ٩ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات . أما وديعة الدخل الشهرى المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ٪ في السنة . وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد نورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر . لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central

Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الإسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

D182

عضو في مجموعة مصارف ناشونال وستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England

كنتر

مجموعة الشاحنات الخفيفة المتينة من اليابان - للشرق الأوسط



في جميع انحاء الشرق الأوسط

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون: ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس: ٣٥٨ مسنزاد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح،
تلفون: ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

شركة التضامن الزراعية
صنعاء، اليمن تلفون: ٢٧٨٠

شركة التضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة الملا التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٢٨١
أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساي للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.
انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

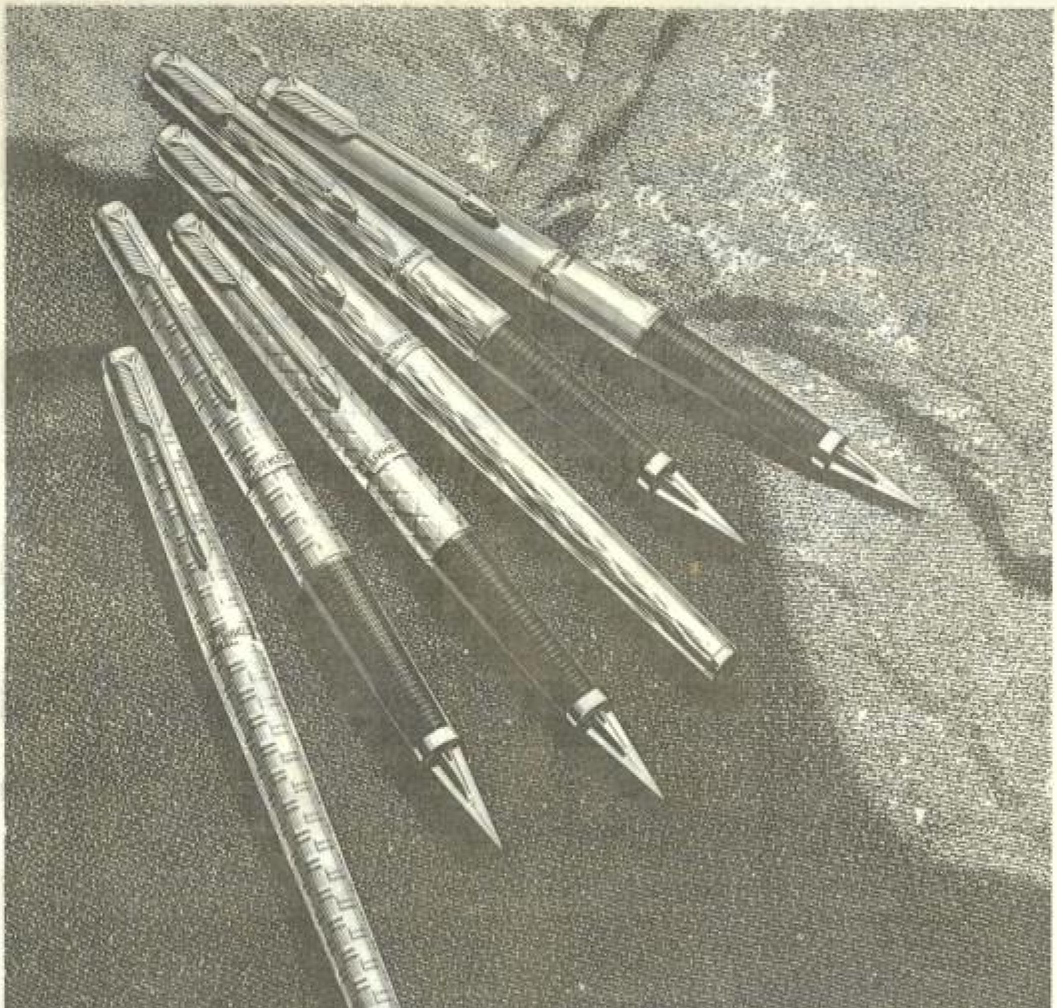
شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.





باركر ١٨٠ الجديد في تصاميم من الذهب والفضة



باركر ١٨٠ المدهش بأدائه الفريد في نوعه كتصميمه تماماً. مجهز بريشة واحدة تكتب بالخطين الرفيع والعريض بمجرد إدارة القلم. هذا الابتكار المصمم في فرنسا مصنوع من الذهب أو من صفائح الفضة الخالصة.

يتوفر أيضاً في أقلام للحبر الجاف.

انها حقاً هدية فاخرة.

PARKER

أكثر الأقلام رواجاً في العالم



لماذا لا تفعلين نفس الشيء؟
ارسلي في طلب نسختك المجانية من الكاتالوج - الآن!

Mothercare – مبتكرة من أجلك ومن أجل رضيعك وأطفالك حتى سن العاشرة.

يوجد ١٨٤ من محلاتنا في المملكة المتحدة وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ونظراً إلى أننا متخصصون في ميداننا، فإننا نحرص على توفير كل ما تحتاجين إليه.

كتالوجنا الفريد يعرّفك بكل هذا. ارسلي الآن في طلب نسختك المجانية من الكتالوج.

نحن نبدأ بالأم الحامل – ملابس الحاملات ولوازم الحضانة والتغذية. ولدينا، بطبيعة الحال، كل ما يحتاج إليه الوليد.

ونتابع هذا بمجموعة جميلة زاهية من الملابس للأطفال حتى سن العاشرة، بالإضافة إلى لوازم تنظيف الأطفال، وجميع أنواع اللعب – وخصوصاً اللعب التعليمية. عربات الأطفال. فرش الأسرة. مجموعة من مستلزمات الأمان الخاصة – من بينها عدد كبير من ابتكار Mothercare

من السهل الطلب من Mothercare بالبريد. ونحن نقبل التعامل ببطاقات الاعتماد الموضحة ادناه.

وإذا كان هناك ما لا يحظى برضائك من الأشياء التي تستلمينها، فإننا سنعيد لك نقودك بسرور. تذكري أن أسعار تبادل العملة الراهنة تتيح لك فرصة لا مثيل لها للتسوق في إنجلترا. لذلك، بادري بطلب نسختك من كتالوجنا. إذ ليس هناك ما يضاهي Mothercare

لتسهيل الطلب من كتالوجنا المتوفر باللغة الانجليزية، سنرفق نشرة تقع في ٤ صفحات باللغة العربية تشرح كل ما تحتاجين إلى معرفته.

مجاناً!



ارسل الآن في طلب الكتالوج الملون الجديد لخريف وشتاء هذه السنة الذي يقع في ٢٢٨ صفحة.

إلى: Mothercare Limited,
Department Q.A.,
P.O. Box 145,
Cherry Tree Road,
Watford, Herts,
WD2 5SH, England.

FJ

Name ____________________

Address ____________________

____

Country ____________________

نرجو كتابة البيانات في هذه البطاقة بحروف منفصلة باللغة الانجليزية.

VISA

Mothercare-by-Post

تمتّع بمشاهد ملوّنة مُختلفة دون مُغادرة مقعدك



CTP 6451

تلفزيون مُلوّن پال/سيكام
٢٠ بوصة مع ريموت
كونترول وتشغيل باللمس

لقد صنعناه ليعمل بسهولة أكثر من أي وقت مضى. حيث يمكنك
تشغيل تلفزيونك وتحريك موجاته من مقعدك المفضل؛ أو بمجرد
لمس أزرار القنوات العاملة على الترددات العالية جداً والفوق
العالية VHF/UHF بأطراف أصابعك إذا ما رغبت في ذلك. كما تحصل على
صمام للصورة مقدم بمطبعة إلكترونية مستقيمة لشاشة ذات شبكة خطوط
طولية سوداء، ونظام تنافي پال/سيكام للمشاهدة في أي مكان.
دارات ترانزستورية ١٠٠٪. يتوفر في صندوق فاخر بأبواب انزلاقية
بالقفل والمفتاح من سانيو، الشركة الرائدة في تكنولوجيا التلفزة في العالم.



SANYO سانيو

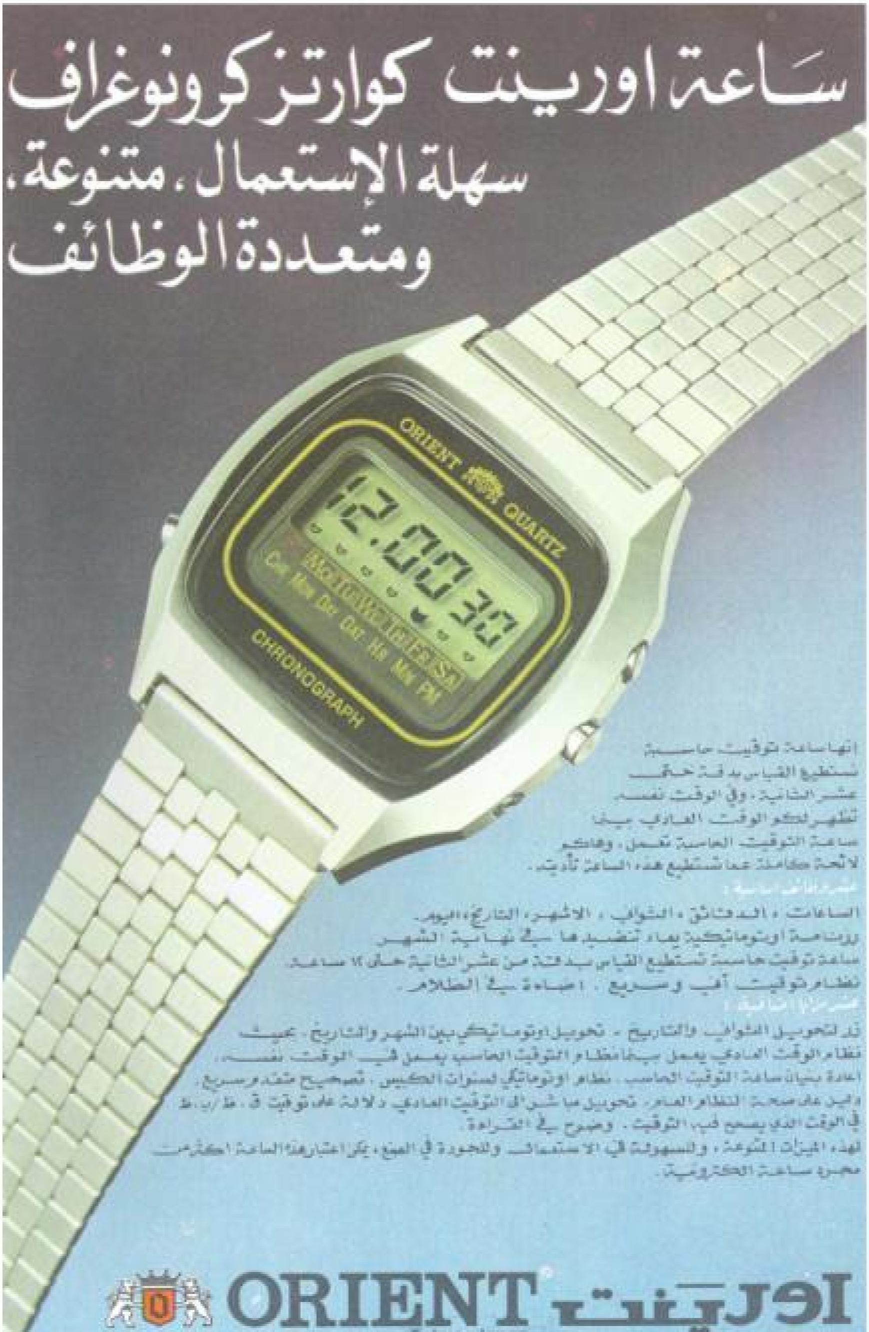
العربي

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

العدد ٢٢٨ ـ ذو القعدة ١٣٩٧ نوفمبر (تشرين ٢) ١٩٧٧

- تحذير لكل البشر : العلم يتقدم !
- بعدما أصبح المسلمون غرباء في الأندلس




ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال ، متنوعة ،
ومتعددة الوظائف
ORIENT
QUARTZ
CHRONOGRAPH
إنها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية ، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل . وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
الساعات ، الدقائق ، الثواني ، الأشهر ، التاريخ ، اليوم.
روزنامة اوتوماتيكية بعد تنضيدها في نهاية الشهر
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آلي وسريع . اضاءة في الظلام.
زر لتحويل الثواني والتاريخ - تحويل اوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ - بحيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بدء ساعة التوقيت الحاسب . نظام اوتوماتيكي لسنوات الكبيس . تصحيح متقدم وسريع
والبين على صحة النظام العام . تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق . ظ / ب . ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت . وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة ، والسهولة في الاستعمال والجودة في الصنع ، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزي القارئ

هذه قصة صارت مقررة على عالمنا الثالث فيما يبدو • عندما يحتل مسئول موقعا ما ، يظل شاغله الرئيسي ان يفتش في اوراق سلفه بحثا عن العيوب والاخطاء • وحتى تنجح عملية الضبط والتفتيش ، تتحرك وراء المسئول أجهزة ومواكب واقلام ، مزودة بانوار كاشفة ، تسلط الضوء على هذه العيوب والاخطاء • ومع انشغال المسئول والاجهزة ينشغل الناس بالذى فات ، بالذى حدث او لم يحدث •

ويبدو ان القصة صارت تستهوى الجميع • فعالمنا الثالث لايزال يعبد البطل ويرفض ان يعامله كبشر ، يخطىء ويصيب • وشعوبنا تعامل البطل بمنطق التقديس ، فتخدع نفسها وتفسد البطل ! وهنا مصدر الاثارة في القصة • اذ يصعق الناس عندما يرون الوجه الاخر للصورة ، يرون فيه صفات البشر ، بما فيها من قوة وضعف • وعندئذ تتحول ملحمة البطل الى قصة من فصلين : ملهاة ومأساة •

وطريق البحث عن اخطاء الماضي وسقطاته محفوف بالمخاطر ليس فقط لانه قد يزلزل اعماق الناس ويبدد ثقتهم في العديد من القيم التي ارتبطت بالبطل ، ولكنه أيضا يصرف الجميع عما هو أهم ، عن رؤية الحاضر والمستقبل •

وما يحدث في الهند الان يؤكد هذه المخاوف ، فشعب تعداده ٦٠٠ مليون نسمة احوج مايكون الى كل ثانية من وقت قادته وجهدهم ، ومع ذلك فان كل الاجهزة مجندة لعملية التفتيش في ملفات انديرا غاندى القديمة •

الا يفسر ذلك بعض اسباب تخلف عالمنا الثالث هذا ، الذى لايعطى فيه الحاضر والمستقبل اولوية في شواغل الجالسين في مقاعد المسئولية ؟

ثم ، الا يفسر لنا ذلك • لماذا يتشبث البعض بالبقاء في هذه المقاعد اطول مدة ممكنة ؟ !

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

طب وعلوم :

استطلاعات :

تاريخ وشخصيات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 228 November 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● هذه الفتاة الاسبانية التي تقف داخل مسجد قرطبة الشهير اسمها فاطمة ، يختلط فيها الدم المغربي بالدم الاسباني ، وهي واحدة من سلالة المسلمين القدامى الذين طردوا من اسبانيا منذ خمسة قرون ، ثم عادوا بعد ذلك تسللا الى «الوطن الام» . والاستطلاع المنشور على الصفحات (٦٨ ـ ٨٧) يروي قصة الطرد كاملة ، بعد ان زارت بعثة العربي مواقع المسلمين الموريسكيين في الاندلس .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

في المسجد الحرام :

نجوى وأمل

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

هذه خواطر وملاحظات واقتراحات سجلها الدكتور عبد العزيز كامل أمام الحرم النبوى الشريف ٠٠ونحن ننشرها بينما قلوب كل المسلمين متجهة نحو الحرم، ومواكب الحجاج تزحف الى مكة والمدينة ٠٠ وعيد الاضحى المبارك على الابواب ٠

الكعبة

■ كان الوقت ضحى ، عندما أديت مناسك العمرة ، ونويت الاعتكاف فى الحرم الشريف ٠ الكعبة امامي وحولها الطائفون والركع السجود ، وحلقات العلم وقراءة القرآن والدعاء ، والوجوه الخاشعة التائبة ، ترجو رحمة الله ٠٠

كانوا جميعا شاهدا على الاخاء الانسانى ، وقد ذابت فيما بينهم فروق الاجناس والالوان والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، يجمعهم الايمان بالله ، وترى فيهم قول الله ، « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »/(الانبياء:٩٢)

وهذه ثياب الاحرام فى بساطتها ٠٠ الا ترى فيها شيئا من التشابه مع ستر الكعبة في بساطته الاولى ؟ انه احاطة سهلة سمحة بالبيت العتيق٠

وكان احجار الكعبة جسمها والستر رداؤها ٠ وانت لاتجد هذا فى اى شعيرة من شعائر الله غير البيت الحرام : ان تستر احجارا باستار ٠ وتدور عينيك ٠ وتقرأ ما على الستر من آيات كريمة ، ثم تستقر على الحجر الاسود ،كانه عين الكعبة تبدو من سترها : الفضة من حوله بياض العين والحجر سوادها ٠ وكان هذه العين تلتقط صور المؤمنين « فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة، بايدى سفرة ، كرام بررة » ٠ (عبس :١٣-١٦)

دعاء

وترتفع العين من الكعبة الى السماء داعية بنظراتها الخاشعة ٠٠

والحمام الاليف يطير حواليها كانه التحيات الطيبات ٠٠



ومن الحرم الطاهر الى السماء .. هل هذا فضاء ؟ فضاء بين السماء والارض ؟

وكيف يكون فضاء وهو ممتلىء بهذه الدعوات الطاهرات ؟

رأيت الحرم كأنه عين فوارة بالدعاء ..والمؤمنون قطراتها المؤمنة .

انه المكان الذى ظل على مر القرون ، ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، تتصاعد منه الدعوات، وتلتقى عنده القلوب المنيبة الى ربها . وتتنزل فيه رحمات الله ..

ما اكرم ما ينزل من السماء ..

وما اطهر ما يعرج اليها ..

هذا محور النور والطهر فى الكون : طـرفه فى البيت الحرام وطرفه فى السماوات العلى..

الا تحبون ان يغفر الله لكم ؟

واعتكفت فى الحرم ساعات ..

ومرّ امام عينى شريط من اعرق . فسألـت الله لهم جميعا المغفرة والهدى . وكنت استوقف الشريط عند صورة اساء الىّ صاحبها ، فادعو الله له بالخير : فرحمة ربى وسعت كل شىء.. ياليت قومى يعلمون كم ارض الله واسعة ،وكم رحمته واسعة . ووقفت عند قول الله تعالى فى وصف اهل الجنة « ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » (الحجر : ٤٧)ورأيت فيها كيف يستطيع الانسان ان يعيش فى دنياه بروح الجنة ، اذا نزع الغل والحقد من صدره وتذكر دائما قول الله : « وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم .. ؟ » (النور :٢٢)

واتسعت امامي دائرة المغفرة والصفح الجميل، « قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » (الزمر : ٥٣)

زمزم

ونظرت الى زمزم •• وذكرت امنا هاجر :

جاءت من مصر ، ومن جوار النيل لتسكن ارضا وصفها الله في كتابه على لسان ابراهيم عليه السلام « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (ابراهيم : ٣٧)

وابو الانبياء يعرف الكثير عن موطن هاجر ، والفارق الكبير بينه وبين الوطن الجديد : في مصر استقرار الى جوار النهر وزرع وخضرة • وهنا ـ في الحجاز ـ جاء الاستقرار قبل مقوماته • العقيدة اولا ـ وهي البذرة ـ ثم دعوة الناس الى زيارة البيت العتيق ـ وهم الثمرات ـ •

ويذهب ابراهيم وتبقى هاجر مع الصغير اسماعيل • ويحفظ تاريخنا هذه الصورة : الام والابن والايمان والعطش ، وسعي الام بين الصفا والمروة بحثا عن الماء ، والصغير يفحص الارض باقدامه عطشا والما •• وهل تستطيع الام الابتعاد عن الصغير ؟ الحب يدعوها الى جواره ، والعطش يدعوها الى البحث عن الماء بعيدا عنه • ويأتي السعي بين الصفا والمروة : اقدام تسعى ، عين تبحث عن الماء ، قلب معلق بالطفل ، امل في الله كبير ••

والسعي قرب وابتعاد • حركة جسم وثبات في العاطفة •

ماذا كان في عقل امنا هاجر وهي تسعى ؟ فيم كنت تفكرين يا اماه ؟

هل تذكرت الوادي الاخضر ، والنيل في جريانه ميمون الغدوات مبارك الروحات ؟

هل تذكرت فتيات النيل بجرارهن ومائها العذب ؟ وهذه الطيور السابحة في مرحها بين الشواطيء الحانية ؟ والترع في سعيها الهامس تحمل الخصب والنماء ؟

ماذا تذكرت يا اماه ؟

... ...

وينبع الماء

ـ من اين ؟

ـ من تحت قدم الصغير ••

ـ من حركة هي لمسة الاقدار

وجاءت زمزم يتفجر ماؤها بين يديك

في وطنك كنت تذهبين الى الماء • والماء هنا يأتي اليك •

في وطنك يجري النهر بين شاطئيه • وهنا يشق الصخر من اجلك ، ومن اجل الصغير ، ومن اجل كل زائر للبيت العتيق •

زمزم : يانيل الحجاز ونبع الخير والايمان •

زمزم : ماؤك مهاجر ، الى امنا هاجر وابنها ، وزوار البيت من بعدها ، هدية كريمة من رب كريم • هدية ربطت بين السعي والجزاء •

في عرفات ومنى

والحج رحلتان : رحلة يفد فيها المؤمنون من ديارهم الى البيت العتيق ، ورحلة الى عرفات والمشعر الحرام ومنى ، ثم عودة الى مكة •

وكان الكعبة قلب العالم الاسلامي • والمؤمنون قطرات الدم الحي تفد الى هذا القلب من كل فج عميق •• وهذه هي الدورة الدموية الكبرى •• فاذا طافوا وسعوا دفعتهم الكعبة الى عرفات ومنى، وهذه هي الدورة الدموية الصغرى : رأيت فيها كان عرفات ومنى رئتان تنقيان هذا الدم ، ليعود في طواف الافاضة الى البيت العتيق ، ليدفعه من جديد الى ديار الاسلام ••

الحج عرفة: وعرفة هي التنقية الداخلية الكبرى للمؤمنين •• وفي منى يخلعون ملابس الاحرام ويطعمون البائس الفقير •• ويعبرون عمليا ـ برجم الشيطان ـ عن الطهر والنقاء ، فيتكامل الظاهر والباطن •

عرفات حقل الاسلام • المؤمنون بذور ارضه الطيبة • ورحمة الله غيث يروى هذا النبات المؤمن •• فاذا بالايدي ترتفع بالدعاء كانها اغصان مباركات ، وكان الاصابع اوراق هذه الاشجار ، تحركها نسائم المحبة ، فتخالها جنة وارفة اشجارها من البشر، وحفيفها دعوات ، ونداها دموع التوبة تسيل على الوجنات ••

يقول ربنا « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام •• » (البقرة : ١٩٨)

هل نقف قليلا عند قوله « افضتم » •

فيض كأنه نهر من الايمان ينبع من عرفات . وعرفات توبة وغفران . يعود منه المؤمن كيوم ولدته امه .. انه قصة المناسك وجنة بربوة . فليكن اول عملك بعد مبارحة هذه الجنة ان ترجم الشيطان الذي اخرج ابويك من الجنة .

سيلقاك ، ويحاول معك ، كما حاول مع خليل الرحمن وزوجه ووليده ..

واذا كان الرجم في ثلاثة مواضع ، فالذين حاول الشيطان صرفهم عن تنفيذ في قصة الفداء كانوا ثلاثة : رجل وامراة وشاب (ابراهيم وهاجر واسماعيل عليهم السلام) الا ترى في هذا كيف ان الرجم يمثل تعاونا بين الرجال والنساء والشباب من اجل طاعة الله والسعي على هداه ؟ تعاونا يشترك فيه القلب بالتوجه الى الله ، والعقل بتحديد القصد ، والعين بتحديد الهدف ، واليد بالحركة ، متخذا من حصيات الارض مادة ترجم بها الشيطان .

ومن انت ؟ جزء من هذه الارض يتحرك بامر الله وروح منه .

ورمي الجمار ؟ انما هو تحريك لجزء من مادة الارض حركة مؤمنة ..

هو شعيرة تلتقي فيها المادة والروح . هو تعبير مؤمن عن ولادتك الجديدة في عرفات .

هنا يتحول الايمان الى حركة واعية هادفة .

من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

امر استوقف نظري عند ذكر طواف الافاضة وبه نختم مناسك الحج ..

سنعود الى ديارنا بعد هذا .. واخر العهد بالبيت طواف .. وداعا

وانت تبدأ الطواف من الحجر الاسود متجها يمينا بين الكعبة ومقام ابراهيم ..

وسالت نفسي : ماذا لو مددت خطا من الحجر الاسود الى باب الكعبة وتابعت الرحلة في هذا الاتجاه .. على طول الضلع الذي يتجه نحوه الامام في صلاته .. وان كانت كل الجهات وجها للكعبة؟

ان هذا الخط يتجه نحو الشمال الغربي .. انه خط الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. وهو خط الهجرة من مكة الى المدينة .

ارايت كيف يتحد البدء في الاتجاه العام لخطوط الطواف والاسراء والهجرة ؟

وقلت لنفسي : فلاتابع خط الهجرة وخط الاسراء ..

ـ ما نهاية خط الاسراء ؟

ـ انها الصخرة المباركة ؟

حجر اسود هنا وصخرة مشرفة هناك .. وبينهما محور هو اهم واخطر محاور الاسلام حتى الان . طرفه في ايدينا وطرفه في ايدي اعدائنا .

طرفه رمز التوحيد ، وطريقه في المدينة رمز اجتماع المسلمين ومجتمعهم ، ونهايته القدس حيث ادق الموازين لقوة المسلمين او ضعفهم ، تجمعهم او افتراقهم ، تخطيطهم او اضطراب امرهم ..

واحسست ان المسجد الحرام يناجيني كما ناجيته ويسائلني كما دعوت الله عنده :

ماذا فعلتم باخي المسجد الاقصى ؟

ـ اخوك

ـ نعم . اخي . واذا كان المؤمنون اخوة ، فان المساجد اخوة . وهذان أخواي ـ مسجد المدينة والمسجد الاقصى ـ ومن بعدهما بيوت الله أجمعون ..

لقد علمكم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان الرحال لاتشد الا الى هذه المساجد الثلاثة . فهل تستطيعون ان تشدوا رحالكم الى المسجد الاقصى ، عليكم ان تفتحوا اليه طريقا يعود به السلام الى مدينة السلام ..

هل تطيب حياتكم والحفر تحت المسجد الاقصى مستمر ؟ والاصرار على هدمه وتخريبه لا ينقطع او يفتر ؟ الا تذكرون السوس البشري الذي ينخر فيه ، والثعالب تحته ؟

ان مأساة المسجد الاقصى ادانة دائمة لجيلنا .. بل ادانة لاخائنا وجدوى عبادتنا . واذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهل هناك منكر ابشع مما يحدث في مسرى النبي ومعراجه وموطن عيسى والنبيين من قبله .

احرموا عند المسجد الحرام وطوفوا واسعوا ، وقفوا في عرفات وافيضوا منها وارجموا الشيطان ..

ولكن احرام المسجد الاقصى دفاع عنه وعودة السلام اليه ، وحصيات الرجم عنده سلاح تحملونه

اذا احترق غصن الزيتون .. ومن الزيتون نور ونار .. وليسلم لكم محور الاسراء كله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ..

واذكروا الحجر الاسود والصخرة المشرفة .

من جوار هذا الحجر كانت رحلة الاسراء

ومن جوار هذه الصخرة كانت رحلة المعراج..

وبين الحجر والصخرة صلة اخرى :

فاذا كان الحجر الاسود ـ في اصله ـ من احجار الشهب ★ فلهبذا رحلةسماويةقبل ان يصل الى ارضنا .

وعند الصخرة المشرفة صعد الرسول الى السماء ..

أرايت الترابط بين الحجر الاسود والصخرة المشرفة : طريقان مفتوحان بين السماء والارض..

ان انطلاق العالم الاسلامي وزحفه اسراء جديد يبدأ من وحدة الاسلام حول الكعبة ..

وان معراجه الى سماوات مجده يبدأ عند الصخرة المشرفة في القدس ..

مسئوليات

واعود لاجمع النجوى والامال في نقاط دعوت الله ان يفتح لها قلوب قومي ..

آمال جاءت الى نفسي في جلستي امام الكعبة ونحن على ابواب قرن هجري جديد ..

آمال اكتب فيها واتحدث عنها :

١ ـ تمنيت لو استطاع المسلمون مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ان يعقدوا بينهم هدنة سلام مدتها خمسة اعوام .. يتخذونها من روح الاشهر الحرم .. لا يرفع بعضهم فيها سلاحا على بعض، وتنطفىء فيها حروب الكلمات والخصومات، وتتجه الطاقات الى عمل جماعي مثمر .

٢ ـ وتمنيت لو تلاقت الجهود في هذا على خطة تنمية شاملة تضم دوائر متتابعة الاتساع: دعما للاتفاقات الثنائية والاقليمية والعربية والاسلامية ومع العالم الثالث .. ثم العالم المتقدم دون انطواء ودون استنزاف .

٣ ـ وتمنيت لو عقدت حلقات دراسية متعمقة لدراسة قضايا الشباب . وسيحملون امانة القرن الخامس عشر الهجري ، نقدم اليهم فيها تجاربنا وخبراتنا دون ان نجبرهم على شيء منها . ففي الحياة ثوابت ومتغيرات فلندعم الثوابت ولنستجب للمتغيرات .

٤ ـ اما ما يشجر من خلاف بين العرب . او بين المسلمين فما الذي يمنعنا من تكوين محكمة عدل عربية ومحكمة عدل اسلامية . الاولى على نطاق الجامعة العربية والثانية على نطاق المؤتمر الاسلامي وتتعاون المحكمتان معا في حل القضايا بالتفاهم والحسنى .

٥ ـ ومن الممكن ان نتعاون مع منظماتناالعربية والاسلامية ما يمكن ان نسميه « لجان النوايا الطيبة » ففي العالم الاسلامي شخصيات غير قليلة لها وزنها العلمي والادبي والديني ، يكن لها العالم الاسلامي احترامه ، بلغت من السن والخبرة ما يرتفع بها فوق الطموحات العابرة والاحقاد التي تضطرب بها الموازين .. وليكن من هؤلاء محكمون او اصحاب كلمة طيبة تمهد لحل المشكلات .

ان هذه المقترحات رؤوس اقلام تحتاج الى دراسات طويلة مستأنية ، بحيث تشمل التنمية في اوسع مدلولاتها .. التنمية وحماية التنمية وتامينها ، والاعداد المتكامل للشباب ، ونظم التحكيم ..ولعل التجربة انتنجح فتمتد السنوات الخمس سنوات اخرى ، وتستطيع ان تنقل « روح الحج » الى حياتنا تطبيقا وصعودا بها الى الافضل . ■■

د . عبدالعزيز كامل

★ اشار الاستاذ ت . بركاردت في كتابه فنالاسلام : اللغة والمعنى ص (٤) الى اصل الحجر الاسود وانه حجر من الشهب . فهو علميا حجرمن السماء .. والمؤلف يعيش الاسلام عقيدة وعلما وفنا : انظر : T. Burckhardt: Art of Islam,London (1976)
كما سبق ان كتب عن هذا الموضوع علماءآخرون ذهبوا الىهذا .وارجو ان اتناول الموضوع بمزيد من التفصيل في دراسات لاحقة .

هل نعلن موت سياسة عدم الانحياز ؟

وأي قضية

تضع انديرا غاندى وراء القضبان ؟

بقلم : أحمد بهاء الدين

● هل آن الأوان ياترى ، لكى نعلن أخيرا وفاة سياسة عدم الانحياز ؟ ..

ان اعلان وفاة موقف سياسي ما ، لا يعني ابدا انه كان عديم القيمة او كان خاطئا من البداية . كلا . فالمواقف السياسية تتغير . والظروف السياسية تتغير . واحيانا بين يوم وليلة . ولكن الأسباب التى دعت الى موقف معين ، فى وقت معين ، تبقى سليمة فى زمانها ومكانها امام حكم التاريخ .

الذى اثار هذا الحديث بالذات مشهد بالغ التأثير ، وسوف يبقى من سخريات التاريخ ، ولا اظن ان آثاره سوف تنتهى الآن ...

انه مشهد رجال البوليس الهندى فى نيودلهى ، عندما ذهبوا للقبض على انديرا غاندى ، زعيمة الهند ورئيسة وزرائها لمدة احد عشر عاما متوالية ، لكي يأخذوها الى حيث يحققون معها فى ان رجال حملتها الانتخابية استخدموا بعض سيارات النقل الحكومية لمصلحتها فى الانتخابات !

وطلبت انديرا غاندى ان يضعوا فى يدها الأغلال الحديدية كما يحدث مع غيرها ! ولكنهم رفضوا • وعند قاضى التحقيق طلبوا منها دفع كفالة مالية حتى يطلق سراحها • ولكنها رفضت وآثرت السجن على دفع الكفالة،فاضطروا الى اطلاق سراحها بعد ساعات !

ارادت انديرا ان ترسم الصورة كاملة للأجيال المقبلة ! ولكنهم أجفلوا! وسوف يعاودون الكرة • لأنه اذا كان وضع انديرا وراء القضبان صعبا،فان بقاءها مطلقة السراح ينطوى على خطر مميت •••

وقادتنى الخواطر مما حدث لأنديرا الى التفكير فى أسبابه • فقد رأت انديرا ـ رئيسة اكبر دولة فى العالم الفقير ـ ان الديمقراطية الغربية الشكلية لا تحل للهند مشكلة • فاستخدمت حقها كزعيمة للاغلبية وفرضت فترة أجراءات عرفية لمدة لم تصل الى سنتين • اعترف العدو والصديق انه خلالها قل الفساد المستشرى فى البلاد النامية ، وسارت الاداة الحكومية بشكل احسن ، وصارت القطارات تسير فى مواعيدها ، وانخفضت اسعار السلع الضرورية وسط عالم غارق فى التضخم ، وانكمش تجار السوق السوداء •

هذه الأشياء فى تقديرى هى جزء من معنى الديمقراطية فى العالم الثالث ، لا يقل قيمة لدى الشعوب عن حرية الخطابة والفساد • ولكن انديرا فى تقديرى ارتكبت خطأ مميتا واحدا هو الذى أسقطها • بنفس منطقها فى محاولة هز الضعف الهندى العام وحل بعض المشاكل ببعض الشدة ، طبقت طريقة تعقيم الرجال حتى تقل نسبة زيادة النسل ، وبشىء من الشدة • الامر الذى لا تتقبله لا عقلية ولا نفسية الناس .

ومع ذلك ، كان فى الهند حكم عرفى ولكن رئيسة الوزراء «الدكتاتورة» أجرت انتخابات عامه نزيهة سقطت فيها هى شخصيا وليس حزبها فقط•وكان فى جارتها باكستان حكم ديمقراطى الشكل ، ولكن رئيس الوزراء اجرى انتخابات ، طعن فيها حتى وصلت باكستان الى حافة الحرب الأهلية •

وحتى كتابة هذه السطور أرى مستقبل الدول الثلاث فى القارة الهندية غامضا ومخيفا : بنجلادش فى ظروفها الاقتصادية الرهيبة تنتقل من انقلاب الى انقلاب ، الهند تحكمها مجموعة احزاب لايجمعها الا الانتقام من انديرا ، وكلهم فى السبعينات ، وباكستان بات العسكر فى حيرة : قدم فى السلطةوقدم فى الثكنات •••

وقد كنت ـ عندما بدأت الصحف تنشر لأول مرة ان كل جهد حكومة الهند منصرف الىالبحث عن وسيلة لاتهام انديرا غاندى ـ راقدا فىمستشفى الصباح ، وفى غرفة الانعاش بالذات ، والممرضات الهنديات يتناوبن العناية والاشراف طوال الأربع والعشرين ساعة • فكنت أسأل كل واحدة سؤالا مبسطا مباشرا : انت مع انديرا غاندى ام ضدها ؟

وكانت الاجابات ثلاثة انواع فقط :

رد يقول : انديرا اخطأت فى ابراز ابنها كخليفة لها • وهذا يجعل اسرتها كأنها اسرة مالكة ، لكنها احسن من الحكام الحاليين •

ورد يقول : انديرا اخطأت في قضية التعقيم ، ولكنها ستظل دائما «ام الهند » مهما اصدروا ضدها من أحكام •

ورد ثالث يقول : أنديرا كانت دائما في صف الفقراء،والحكام الحاليين كانوا دائما في صف الأغنياء • ونحن البسطاء لا نفهم في السياسة اكثر من ذلك •

●

وقادني التفكير في قصة انديرا غاندي الدراماتيكية التي لم تتم ، الى انها من آخر الباقين منزعامات عهدعدم الانحياز•••لأنها ابنة ابيها على الاقل!

والباقي من مؤسسي تلك السياسة هو تيتو . الذي يذهل الدنيا بعمره (٨٥ عاما) وشبابه • خصوصا شباب حركته وتفكيره •••

لقد كان ايامها في رحلة قيل لعاشر مرة انها رحلته الأخيرة • كان في رحلة الى عواصم حاربته وعاملته معاملة الزنادقة زمنا طويلا•كان في موسكو ثم في كوريا ، ثم في الصين • اى كان في كل الوان المعسكر الشرقي • وبعده مباشرة ، طار نائبه ، ومفكر حزبه ، ادوارد كارديل الى •• واشنجطن !

فماذا وراء هذه الدورة العالمية ؟

لقد كان تيتو وما يزال اشد المدافعين عن سياسة عدم الانحياز • ولكن ليس من المستعبد ابدا ان يكون هو نفسه قد رأى ما تغير في احوال الدنيا ، وما يعصف بعدم الانحياز •

●

كان عدم الانحياز قد ولد في الواقع في عهد اشتداد خطر الصدام بين الشرق والغرب • ايام وقف كل من العملاقين يقول للناس : من ليس معى ، فهو ضدى !

وكان زعماء عدم الانحيازهم في الواقع زعماء حركات الاستقلال الوطنى ورفض التبعية والدخول في هذا التقسيم•كان عصر ابطال حركات الاستقلال الوطنى وبالتالى كانعدم الانحياز في جوهره ترجمة في ذلك الوقت للاستقلال الوطنى • كان عصر نهرو وعبد الناصر وسوكارنو ونكروما وبندرانيكا •

وقد ظلوا جماعة قليلة فيعالم هائج شرس زمنا طويلا•ولكن مع انتصار حركات الاستقلال الوطنى زادت الدائرة اتساعا • وجاءت الدول الى معسكر عدم الانحياز افواجا • وتساهل اصحاب الدعوة في الشروط • كان لابد ان يخلو البلد المنضم من قواعد اجنبية عسكرية ، فتنازلوا عـن هذا الشرط • وكان يشترط عدم عضوية الدولة في اى حلف عسكري ، فتنازلوا عن هـذا الشرط • حتى اشد الحكام رجعية مثل هيلاسيلاسى مثلا صار يحمى وضعه الداخلي باتخاذ موقف وطنى افريقي ودولى •

كان هذا اول واهم تغير • ساعد عليه ان الكل رأوا رياح التغير آتية • وساعد عليه ان القواعد العسـكرية الأجنبية ، وكانت اساسا امريكية او





الثلاثة المؤسسون

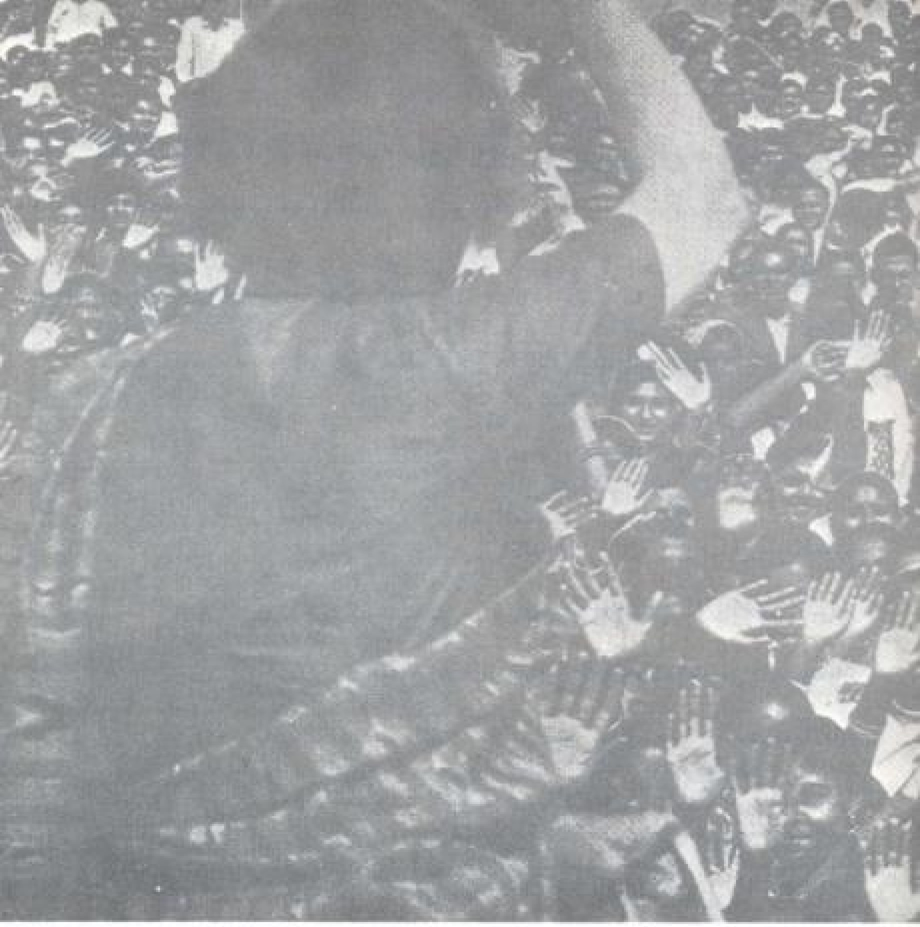
انجليزية ، تفقد اهميتها • في حالة انجلترا بسبب افلاسـها ، وفي حالة امريكا بسبب التقدم العلمى الرهيب الذى صار يغنى عن هذه القواعد • فالتصنت على ارض العدو يمكن القيام به من الجو والبحر • واصابة اهداف العدو فى حالة الحرب صارت ممكنة من بعد خمسة آلاف كيلو متر •

●

والبلاد التى استقلت ونجحت فى تحطيم الاستعمار بشكله القديم ،بدأت تواجه مشاكل جديدة ، تحتاج الى رجال جدد ، الى بناة دول لا الى ابطال ثورات . وقلما تجتمع الصفتان فى واحد • بدأت كلها تواجه مشكلة التخلف من مواقع مختلفة وباجتهادات شتى •••

صحيح ما زالت هناك كتلة اسمها كتلة عدم الانحياز • لها مؤتمرات واجتماعات وقرارات • ولكن تغير « فحوى » ما يجمع هذه البلاد ، دفع الى القاموس السياسى بأسماء جديدة : دول العـالم الثالث • الدول الفقيرة والدول الغنية • الدول الصناعية ازاء دول الخامات • دول الشمال ودول الجنوب •

مسميات ، كلها اميل واكثر تركيزا على المعنى الاقتصادى لا المعنى



وضع أنديرا وراء القضبان صعب •• وبقاؤها مطلقة السراح خطر

السياسى فى تحديد الموقف الفعلى الذى يحدد اتجاه كل دولة •••

أى كان معظم دول عدم الانحياز ، وجدت نفسها من جديد ، لكن تحت راية مختلفة ، هى راية الاقتصاد •

وهكذا بعد مرحلة قطع الروابط بين الدول المستعمرة ومستعمراتها• جاءت مرحلة استرجاع هذه العلاقات ولكن من منطلق مختلف ، وعلى أسس جديدة .

اكتشفت الدول التى استقلت انها فى حاجة الى المساعدات ،والخبراء، والقروض •••

واكتشفت الدول الاستعمارية ، إن ابقاء جيوشها ورفع اعلامها حماقة، وان ما لديها من مال او صناعة ، أو خبرة ، كفيل بأن يضمن لها المكان المتفوق والمصلحة التى تريدها ، اذا احسنت استخدامها •••

●

ثم جد بعد هذا كله ، أو خلال هذا كله ، امران فى منتهى الاهمية •

الامر الاول : هو انهيار المعابد الايديولوجية • أو ان شئت انقسام الكنائس السياسية •••

الشيوعية صارت .. أى شيوعية ؟ روسيا ؟ الصين ؟ يوغوسلافيا ؟ الحزب الشيوعي الاسباني الذى يؤيد النظام الملكى ؟ ...

الرأسمالية .. أى رأسماليه ؟ انجلترا حيث انتزعت نقابات العمال معظم نفوذ اقدم برلمان فى العالم ؟ فرنسا التى أمم فيها ديجول سنة ١٩٤٥ بعد الحرب ٢٠٠٠ بنك ومصنع ومرفق فى يوم واحد ؟

اشتراكية ، أى اشتراكية ؟ اشتراكيه السويد ؟ ام اشتراكية تنزانيا ؟

.. هذا الوضع اعطى الدول والنظم والحكومات حرية حركة واسعة. صارت المصلحة الاقتصادية هى اساس حسن العلاقات قبل أى عنصر آخر تقريبا ، ما عدا حالات خطر الصدام العسكرى المباشر .

وصرنا ازاء وضع مثل « القرن الافريقى » لا نعرف أين بالضبط امريكا ؟ وأين روسيا ؟ وأين الصين ؟ ...

الامر الثانى : الاكبر اهمية ، هو ظهور وتاكد سياسة الوفاق الدولى بين روسيا وامريكا .

ولست من انصار المبالغة فى هذا الوفاق. ولست بالتاكيد من المستسلمين له : المطمئنين اليه ...

لا داعى للمبالغة فيه ، فالشك بين الاثنين عميق جدا ، ومجرد التقدم العسكرى الرهيب ، الذى يجعل من الثوانى القليلة ميزة لطرف فى تدمير الطرف الآخر . سوف يأخذ وقتا لاقتلاعه ، اذا اقتلع . والخلافات بينهما على مناطق النفوذ فى العالم كثيرة . زمان كانت الامبراطوريات المتعاصرة تتصارع فى جزء من العالم . الآن لاول مرة ساحة الخلاف والاقتسام فى الكرة الارضية كلها ، مع امكانية الانتقال الى الفضاء الخارجى والكواكب الاخرى .

ولكن الذى لا شك فيه ان القضايا ذات الحساسية الخاصة ، او التى تنذر بخطر معين ، يسرع العملاقان الى التفاهم حولها . ولا تحل الا بهما معا . أيا كان نصيب كل منهما . وما حديث الشرق الاوسط عنا ببعيد .

ولكن لا داعى للاستسلام له ابدا . لان الدول التى آثرت عدم الانحياز يوما ، والتى تجمعها اليوم كلها او معظمها عناوين اخرى ، سوف تكون فى موقف بالغ الضعف اذا استحكم الوفاق ، واذا انفرد بالحكم قاضيان .

●

فدول عدم الانحياز عليها ان تتحرك بدرجة كبيرة الى كتلة اقتصادية. وان تبلور سياساتها على هذا الاساس الكبير . ازاء الدول الصناعية كلها .

وهى فى تقديرى قادرة على كسب هذه المعركة ، كما كسبت معركة عدم الانحياز .

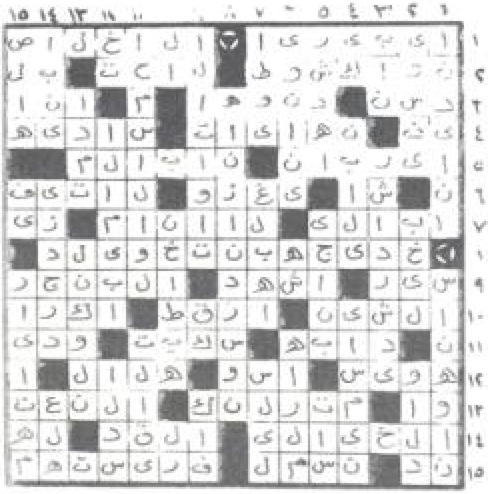
على ان هذا ، أى الانتقال الى معركة التنمية ، سوف يثير صراعات داخلية اقسى من صراعات النضال الوطنى فكل انماط التنمية مطروحة للبحث . ومحل تجربة . واكثر تاثرا بالواقع المحلى .

ووجود انديرا غاندى وراء القضبان هو فى الواقع تجسيد عنيف لهذه المعركة .

●●

احمد بهاء الدين

نتيجة مسابقة العدد ٢٢٥



خديجة بنت خويلد

هانز اندرسون

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : أول أمهات المؤمنين هي خديجة بنت خويلد ، وقفت الى جانب الرسول في سنى الاضطهاد الاولى ، تؤازره ، وترعاه ، وتوفر له الامن ،وتهون عليه ما يلقى من قريش.

(٨) رأسيا : هانز اندرسون هو مؤلف قصص الاطفال الخرافية ،ولد بالدنمارك عام ١٨٠٥، وألف اشعارا وقصصا خرافية ، ولكن شهرته مستمدة من قصص الاطفال التى كتبها .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعيد الحاج احمد /الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :صبرى احمد نصرة ــ دمنهور / مصر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :طارق محمد الرشيدات ــ الزرقاء / الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ على حمادى الكبيسى ــ الانبار / العراق .

٢ ــ نوال ياسين الخطيب ــ عدن / اليمن الديمقراطى .

٣ ــ محمود محمد سويتى ــ بيروت / لبنان .

٤ ــ محمد فتيح ــ دير الزور / سوريا .

٥ ــ طاعة حسين عبد المعطى ــ مصراته / ليبيا.

٦ ــ حسنى جعفر محمد صالح ــ الخرطوم / السودان .

٧ ــ علاء عبد العزيز عيد مجلى ــ المنامة / البحرين .

٨ ــ عبد الرحمن بن فضل ــ ابوظبى /الامارات.

هـذا الخطـر الذى يهـدّد الإنسان الإفريقي الصحراء

بقلم : يوسف زعبلاوى

يذهب علماء البيئة الى ان العالم مقبل على هلاك وشيك ••• ولو صحت تنبؤاتهم ـ ونرجو الا تصح •• ـ فلن تكون بداية الهلاك المرتقب فى نفاد الخامات ومصادر الطاقة والثروات كما يقول بعضهم •• ولن تكون فى التلوث او انفجار السكان أو حتى انتشار الاسلحة النووية ، كما تؤكد الفئات الاخرى ••• ذلك ان زحف الصحراء وتحول السهول والمروج الى ارض عقيم جرداء ، قد فوّت الفرصة على غيره من أسباب ، وبدأ فعلا فى احداث ذلك الهلاك ••

واول ما يذكر عن هذه الظاهرة الخطرة هو انها تختلف عن كل ما عهدناه فى الماضى القريب والبعيد •••فقد عرف عن الصحارى زحفها على السهول التى تتاخمها •• الا ان زحفها هذا كان دائما عرضيا مؤقتا •• لا يلبث ان يزول فترتد الصحراء الى حدودها الاولى ، وتسترد السهول حياتها ، لدى نزول الغيث مجددا •••

وتغيرت الاحوال بتغير الازمان •• وأخذ العالم يشهد لونا آخر من زحف الصحراء •• هو اقرب الى الغزو منه الى الزحف ••• واشبه بالاحتلال الدائم منه بالغزو المؤقت • فهذا الزحف الذى بدأ يجتاح السهول والمروج فى القارة الافريقية وفى غيرها من قارات ، انما هو زحف دائم ومقيم ••فقد تسبب فى جدب التربة وتلفها ••وامحال الارض الطيبة والحكم عليها بأن تصبح ارضا ميتة •• والحكم نهائى ، حسب الظاهر ، لا يقبل نقضا ولا ابراما ••• فالطبيعة اصبحت غير قادرة على تقويم اعوجاجها بنفسها •• ولا امل يرجى باصلاح الحال، مهما جادت الامطار ، ولا امل يرجى باصلاحها بالعلم والتكنولوجيا ، مهما توافرت الاموال •

على ان الفارق الاساسى بين زحف الصحراء القديم وزحفها الجديد ، هو ان هذا فى الغالب من صنع الانسان•• انه « تصحير »(Desertification) •• لقد اساء الانسان فى استعمال الارض فاستحق نقمة الارض •• من ثم كان التلف الجذرى الذى حل بالتربة وكانت الخسائر والاضرار التى حلت بالانسان وبيئته •

وحسبك ان هذا التصحير ـ الذى استفحل بافريقيا اكثر ما استفحل ـ قد اودى بحياة مئات الالاف من الناس والمواشى ، وبات ينذر بالقضاء على ٤ ـ ٥ دول افريقية ، ومحوها نهائيا من خريطة افريقيا•• كما قال الدكتور فالدهايم ، سكرتير عام الامم المتحدة •

مؤتمر نيروبي

وقد كانت هذه الظاهرة هى التى دعت هيئة



تزحف..!

بعض اهل الساحل ، وقد جاءوا الى منطقةكانت احدى طائرات الامم المتحدة قد القت فوقها ببعض المؤن والمواد الغذائية·· وتراهم يبحثون فى التراب لعلهم يعثرون على بعض حبات القمح والشعير التى يمكن ان تكون قدتناثرت هنا وهناك ·

الامم المتحدة الى اقامة مؤتمر التصحر فى نيروبى عاصمة كينيا ·· حيث يوجد المقر الدائم للمؤتمر الخاص (بالتلوث) ·

وتوافد على مؤتمر التصحر ، الذى طال امده من ٢٩ اغسطس ـ ٩ سبتمبر ، نحو ١٥٠٠ من العلماء والخبراء الذين مثلوا اكثر دول العالم·· نحو ١١٠ دول · وتليت التقارير العلمية وطرحت النظريات ودارت المناقشات ··· وموضوع البحث فى ذلك كله انما كان هذا التصحر الدائم الشامل الذى حل بافريقيا وغيرها من بقاع ···

وقد اتخذ مؤتمر نيروبى عددا من المقررات الهامة ورسم الخطة لانقاذ ما يمكن انقاذه فى هذا الصدد وانفض المؤتمر على ان يعود الى الانعقاد ثانية وفق ما تقتضيه الحاجة ··

منطقة الصراع

يقسم الجغرافيون سطح الارض الى اقاليم او احزمة نباتية ·· ويميزون بين الغابات وهى التى تقع على خط الاستواء والتى تكسوها الاشجار ، واقليم السفانا الذى يليها والذى يجمع بين الاشجار والعشائش، والسهوب او السهول التى تلى السفانا والتى لا اشجار فيها، ثم الصحارى· وهم يستندون فى ذلك الى التصنيف الذى وضعه العالم النمساوى الدكتور ولاديمير كوبن (Wladimir Koppen) ·· الذى ميز بين تلك الاقاليم وفق درجات حرارتها ودرجات تكثف البخار فيها ···

والاقليمان الاخيران ، الصحارى والسهول التى تتاخمها ، هما اللذان يهماننا فى هذا المقال · فزحف الصحراء، بمعنـــاه الدقيق لا يقع الا فى منطقة السهول التى تلى الصحارى ··

والفارق الاساسى بين المنطقتين انما هو فى الامطار، التى تشح فى الصحارى حتى تنعدم تماما، او تبلغ بضع بوصات، لاتزيد على عشرة فى السنة، على اية حال ··· والتى تجود قليلا فى منطقة السهول المتاخمة للصحراء بحيث تبلغ ١٠ ـ ٢٠ بوصة سنويا · والماء هو سر الحياة النباتيـة والحيوانية وحياة الانسان ··· والصحراء التى ينعدم فيها الماء تنعدم فيها مظاهر الحياة جميعا ··· لذا كان الفرق الكبير بين الصـــحراء غير المأهولة وبين البادية المأهولة انما يعزى للماء ·

نصيب المنطقتين المتنازعتين من رقعـــة الارض متساو تقريبا · اذ تبلغ مساحة كل منهما ٨ملايين ميل مربع ، اى ١٤٪ من مساحة سطح الكرة الارضية البالغة ٥٦ مليون ميل مربع ·

والصحارى منتشرة فى القارات جميعا ، ما خلا اوربا · وهى اكثر انتشارا فى استراليا ، حيث تغطى حوالى ٤٤٪ من المساحة الاجمالية · ويذكر عن الصحارى ـ فيما يذكر ـ انها ليست كلها رمالا كما يظن الكثيرون ··· حتى الربع الخالى وهو الصحراء الرملية الاولى فى العالم ·· لاتغطى رماله سوى ½٪ مساحته · وتنزل النسبة الى ١٠٪ فى الصحراء الكبرى فى افريقيا ··



وهذه الصحراء الكبرى هي اكثر ما يهمنا من صحارى العالم في حديث عن غزو الصحراء ••• لا لانها اكبر صحراء في العالم فحسب ، اذ تبلغ مساحتها حوالي ٣٫٥ مليون ميل مربع ، اى حوالي ⅓ القارة الافريقية باسرها ، ولكن لانها الصحراء الزاحفة الاولى وقد فاقت سائر الصحارى في الزحف على السهول المتاخمة لها •••

كارثة الساحل

والساحل لفظ عربي ذو مفهوم اصطلاحي ،غير معناه اللغوى •• فهو يستعمل في اواسط افريقيا وغربها للدلالة على السهول التى تقع جنوب الصحراء الكبرى •• والتى تمتد مسافة (٣٠٠٠) ميل تقريبا ••• من اقصى الغرب الى اقصى الشرق من القارة الافريقية •• وتمر هذه السهول بعدد من دول القارة السوداء ، تعرف بدول الساحل (انظر الخريطة) ، وهذه الدول هى :

السنغال ـ موريتانيا ـ مالي ـ فولتا العليا ـ النيجر ـ تشاد ـ السودان ، وايضا الحبشة والصومال •

وتقدر مساحة هذه المنطقة ككل بنحو ٢٥٠٠ ميل مربع ••• فهى اذن دون مساحة الصحراء الكبرى

● الصحراء تزحف !

خريطة المناطق القاحلة وشبه القاحلة



هذه خريطة للعالم جديدة ، أعدها المختصون في هيئة الامم المتحدة ووضعوها في متناول مؤتمر التصحير العالمي ، وهو المؤتمر الذي اقامته المنظمة الدولية في نيروبي ، فيما بين ٢٩ اغسطس و٩ سبتمبر ١٩٧٧ ٠

وتقسم الخريطة العالم الى أربع عشرة منطقة وذلك وفق ما تصيبه من جفاف ورطوبة، كالآتي :

١ ــ مناطق ذات رطوبة ثابتة والقحط فيها بعيد الاحتمال

٢ ــ مناطق معرضة للقحط ولكن بنسبة ضئيلة ٥٪

٣ ــ مناطق نسبة القحط فيها ٥ ــ ١٠٪

٤ ــ مناطق نسبة القحط فيها ٢٠ ــ ٢٥٪

٥ ــ مناطق نسبة القحط فيها كثيرة الوقوع ٢٥ ــ ٣٠٪

٦ ــ مناطق القحط فيها متكرر ٣٠ ــ ٥٠٪

٧ ــ مناطق القحط فيها كثير التكرر ٥٠ ــ ٧٥٪

٨ ــ مناطق القحط فيها متواصل٧٥ ــ ٩٥٪

٩ ــ مناطق دائمة القحط ١٠٠٪

١٠ــ صحارى شبهمحصورة،كثبانية الرمال٠

١١ــ مناطق عديمة الخضرة بسبب التعرية وانهيار التربة

١٢ ــ صحارى قطبية ٠

١٣ ــ سلاسل جبال ٠٠٠ غابات غير كثيفة واعشاب وحشائش (اقليم سافانا) احتمالات وقوع القحط تزيد على ٥٠٪

١٤ ــ جبال صحراوية وشبه صحراوية والقحط فيها شبه دائم ٠

بنحو ١٠٠٠ ميل مربع ٠

هذه هي الدول التي تعرضت لكارثة زحف الصحراء الرهيبة في السنوات الاخيرة ٠ كانت البداية في القحط الذي حل بالمنطقة بعد منتصف الستينات ، والذي استمر فيها على نحو متواصل تقريبا طول الخمس سنوات : ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ ٠ فقد انحبست الامطار وطال انحباسها ٠٠ فعم الجفاف واختفت المراعي ونفقت الماشية ٠ ثم استردت الارض حيويتها بعد نزول الامطار مرة اخرى ولكن القحط عاد فضرب المنطقة من جديد فيما بين ١٩٧٣ ــ ١٩٧٥ ٠٠ وزحفت الصحراء على السهول واجتاحت الكوارث دول الساحل ٠

وما اسرع ما تبين ان هذا الزحف قد وقع ليبقى ٠٠ فهو زحف دائم ولا يجدي معه نزول الامطار ٠٠ وتبين ايضا انه لم يقف عند حد اجداب التربة ٠٠٠ فقد زحفت رمال الصحراء الكبرى لتزيد الطين بلة ، واتجهت نحو الغرب وراحت تطغى على سهول عدد من الدول ــ لا سيما السنغال ، حيث اقتربت كثبان الصحراء من شواطىء المحيط الاطلسي وراحت تهدد العاصمة داكار ٠٠ ومهما يكن من امر هذا الزحف فان اجداب التربة يظل الظاهرة الغالبة والابعد اثرا

في كارثة التصحير التي نزلت بالساحل ٠٠٠وتبين كذلك ان زحف الصحراء في منطقة الساحل كان تصحيرا ومن صنع الانسان ٠٠٠

الاضرار والخسائر

وقد تم هذا التصحير بمعدل ١٠٠ر٠٠٠ هكتار سنويا ٠٠ ومعنى هذا ان حدود الصحراء الجنوبية كانت تتقدم نحو الجنوب عدة كيلو مترات سنة بعد سنة ٠ لا عجب اذن ان جاوز عدد الذين ماتوا جوعا او عطشا المائة الف نسمة ٠٠ اما الذين شردوا وفقدوا بيوتهم وارزاقهم وهاموا على وجوههم فقد قدروهم بربع مليون نسمة او يزيد٠ لقد فر هؤلاء من الموت من اوطانهم القديمة ليهلكوا وهم في طريقهم الى ملاجئهم الجديدة ٠ ولو ذكرنا انهم قطعوا في تلك الرحلة ما يزيد على ٥٠٠ كيلو متر ، راكبين دوابهم حينا ومترجلين احيانا ، لعجبنا كيف ان الموت لم يدركهم جميعا ٠٠ فقد بلغ عدد الذين اكملوا الرحلة ووصلوا الى شواطىء الاطلسي سالمين عشرين الف نسمة٠٠

اضف الى ذلك الخسائر التي لحقت بالثروة الحيوانية ٠٠ ولا يخفى ما لهذه الخسائر من خطورة في منطقة يعتمد اقتصادها على الثروة الحيوانية اعتمادا كبيرا ٠ وحسبك ان هذه الثروة تشكل نسبة كبيرة من ايرادات التصدير ، بلغت ٦٥ ٪ في فولتا العليا و ٥٠ ٪ في مالي و ٨٠ ٪ في تشاد ٠ اما الصومال فقد بلغت خسارتها مليون راس من الماشية و ٥ر٥ مليون من الاغنام ٠٠٠ هذا الى جانب خسارتها بالجمال وقد بلغت ٥ر٠ مليون جمل ٠٠

من هنا يتضح ان هذه الخسائر كانت لها آثارها البعيدة فضلا عن آثارها القريبة ٠ فهي تهدد بمجاعة وشيكة جموعا من البشر لا يقل عددهم عن (٦٥٠) مليون نسمة ٠٠ اما الذين بدأوا يعانون من المجاعة فعلا فيزيد عددهم على ٦٠ مليون نسمة ٠

مصر ورمال الصحراء

على ان دول الساحل ليست الدول الوحيدة في افريقيا التي عانت من زحف الصحراء ٠٠فالكارثة التي المت بتلك الدول باتت تهدد غيرها ٠٠ونخص بالذكر مصر ، حيث التهديد موجه الى اراضيها الزراعية كلها ٠٠ لا سيما في دلتا النيل ٠

الا ان زحف الصحراء في مصر ليس تصحيرا



خريطة غير عادية ٠٠٠ لحوض النيل ٠٠ فهي صورة فوتغرافية ، بل ٦٠ صورة ، صفت ووضعت بعضها فوق بعض ٠٠ وقد التقطت هذه الصور اجهزة القمر الصناعي لاندسات (Landsat) وذلك من الفضاء وعلى ارتفاع ٩٢٠ كيلو مترا ٠٠

والصورة تظهر بوضوح مدى ما وصلت اليه الرمال الزاحفة من الصحراء الغربية والمتجهة نحو الشرق والجنوب الشرقي ٠٠ الى الدلتا وحوض النيل ٠٠

او اجداب تربة وانما هو زحف رمال بالمعنى الدقيق ٠

والصحراء الزاحفة هنا ليست سوى الصحراء الغربية ، مسرح المعارك الطاحنة التي وقعت بين رومل والحلفاء في الحرب العالمية الثانية ٠٠فهذه تغطي رقعة واسعة من الارض ٦٨٦ر٠٠٠ كيلومتر مربع ، اى حوالي لثلثي مساحة مصر ٠٠ وهي رملية بنسبة لا يستهان بها ، وتشمل فيما تشمل بحر الرمال العظيم الذي تبلغ مساحته ١٤٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع ٠٠ وكثبان هذا البحر الرملي هي التي كانت تزحف منذ زمن وتتجه نحو الشرق

والجنوب الشرقي ، قاصدة الدلتا وحوض النيل ٠٠٠ ولو ذكرنا ان مصر اكثرها صحراء وان ٤٪ فقط من مساحتها تستغل في الزراعة ٠٠ وذلك في المناطق المهددة بالذات ، في الدلتا وحوض النيل ٠٠ لو ذكرنا ذلك لتبين لنا مدى الخطر الذى يتهدد الدولة الشقيقة ٠ اضف الى ذلك ان هذا الخطر قريب ٠٠ ويزداد اقترابا يوما بعد يوم ٠٠ ذلك ان الرمال الزاحفة قد قطعت مسافة ٧ر٥ كيلومترات في غضون السنوات الماضية ٠٠ فهي اذن تسير في اتجاهها سيرا حثيثا ، وتتقدم نحو المزارع والحقول والبساتين بسرعة وسطية قدرها ٢٦٠ مترا في السنة الواحدة ٠ ولعل في الخريطة المرفقة دليلا قاطعا على زحف هذه الرمال ٠٠٠ فانت ترى فيها ، والى الغرب من حوض النيل ، منطقة واسعة اختلطت فيها الرمال ذات اللون الفاتح ، بالارض المزروعة او الصالحة للزراعة ولونها غامق ٠٠ ولا تفسير لهذا التداخل سوى زحف الرمال ٠٠٠ وما كانت الخريطة لتظهر ما اظهرت لولا انها ثمرة التصوير الفوتوغرافي الذى قام به القمر الصناعي لاندسات (Lanusat) من الفضاء وعلى ارتفاع ٩٢٠ كيلو مترا ٠٠٠ فقد التقط هذا القمر صورا عديدة وشاملة لمصر ٠٠٠ وذلك في اوقات مختلفة، بحيث امكن للمدقق فيها ان يرى بعينه زحف الرمال الزاحفة ٠٠ لاسيما بعد ان صفت ستون من هذه الصور بعضها فوق بعض ٠٠ فكانت هذه الخريطة المركبة ، بل الصورة الناطقة ٠

ولعل القارىء بغير حاجة الى من يعرفه بالعالم الذى اكتشف امر هذا الخطر ونبه اليه ، انه العالم المصرى الشهير فاروق الباز ، المقيم في امريكا منذ حين ٠٠ وقد شغل فيها منصب مدير الابحاث لمركز دراسات الارض والكواكب في معهد سميثونيان (Smithonian) في واشنطن واشتهر بخاصة بما قام به ، بحكم منصبه ، من تحليل المنتائج العلمية التى تمخضت عنها رحلات الفضاء ٠٠ابوللو ٠٠فضلا عن تطبيق النتائج فيما يتصل بعلوم الارض والكواكب ٠

زحف الصحراء في السودان

وأبت الصحراء الا ان تدرج السودان في قائمة ضحاياها ٠٠ والمقصود هنا الصحراء الكبرى طبعا ٠٠ فقد زحفت حافتها الجنوبية في السودان مسافة ٢٠٠ كيلو متر الى الجنوب وذلك في غضون ١٧ سنة ، اى من سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٧٥ ٠٠

وزحف الصحراء في السودان ليس كله طغيان رمال ـ بل ان اكثره تصحر ادى اليه سوء تصرف الانسان ٠فقد تدهورت الاقاليم النباتية واختلطت معالمها ٠٠٠ قطعت السفانا فيها على الغابات وطغت السهول والمروج على السفانا ٠٠ واجدبت ارض هذه السهول وامحلت تربتها وتلفت ٠٠ وحيث سلمت التربة من التصحر كانت رمال الصحراء تزحف وتطغى على السهول فتسبب لها من التلف مثلما يسببه التصحر ٠٠ وبلغت السرعة الوسطية التى سارت بها تلك الرمال ، جنوب الخرطوم ٥ر٥ كيلومترات في السنة الواحد

لا عجب اذن ان تقلصت المحاصيل في السودان بنسبة لا يستهان بها ٠ فمحصول العويجة ، وهى الذرة ذات الحب الصغير التى طالما اشتهربانتاجها السودان ٠٠٠ لم يعد يبلغ في السنوات الاخيرة اكثر من ١/٨ ما كان عليهفى الماضى ٠٠ ومحصول السمسم والفول السوداني (الفستق) لا يبلغ حاليا سوى ٢٥٪ مما كان عليه قبل بضع سنوات٠

والخطورة هنا تمس المستقبل اكثر من الحاضر٠ فالسودان الذى عرف باتساع اراضيه البكر الخصبة ، وغير المستغلة ، اصبح في المدة الاخيرة معقد امال العالم العربي كله ٠ فهو كفيل بدرء المجاعات التى سيتعرضلها العالم ككل في مستقبل قريب او بعيد ٠ وقد بدأت التنمية والتصنيع توضع في السودان موضع التحقيق ، باموال عربية وعلى اوسع نطاق ممكن ٠٠٠ فهل من المعقول ان نترك الفرصة لزحف الصحراء ليعمل على احباط هذه المشاريع والقضاء على تلك الامال ٠٠٠

وتجدر الاشارة بعد هذا كله الى ان زحف الصحراء والتصحر ليس مقتصرا على القارة الافريقية ٠٠ فهو موجود وينذر بالخطر حيث توجد الصحراء وحيث تلتقى بالسهول الخضراء ٠٠ موجود في الصين والاتحاد السوفياتي والهند وايران ٠٠ وموجود ايضا في الولايات المتحدة الامريكية وفي الشيلى والبرو وجهات اخرى مختلفة ٠

ما هى الاسباب والعوامل التى ادت الى ظهور الكارثة وما هو سبيل الخلاص منها ؟
هذا هو موضوع مقال آخر ٠

كلمة في الثقافة

بقلم : الدكتور احسان هندى

كان الباحث السورى الدكتوراحسان هندى قد كتب مقالا للعربى فى عدد يوليو الماضى بعنوان : « كلمةفى الحضارة » ، وهو هنا يواصل التعريف بقضية أخرى بالغة الاهمية هى : « الثقافة » .

■ لكلمة « ثقافة » بحسب اشتقاقها اللغوى الاصلى معنى يختلف عن المفهوم الذى أخذته فى عصرنا الحاضر سواء باللغة العربية او باللغات الاجنبية :

١ ـ فكلمة « الثقافة » فى اللغة العربية مشتقة أصلا من فعل « ثقف » ومعناه ظرف وصار حاذقا خفيفا (١) ، ومنه تثقيف الرماح بمعنى تسويتها وازالة عقدها حتى تصبح مستوية وخفيفة ، فالرمح « المثقف » هو الرمح السوى الخالي من العقد .

وكما ان تثقيف الرمح يتضمن شحذه وتسويته وازالة العقد منه فكذلك تثقيف الكائن الانسانى يتضمن شحذ ذهنه وتسويته وازالة العقد منه كى يصبح أسرع فهما واوسع ادراكا ، وهكذا فالرجل « الثثقف » أو « الثقيف » ـ وهما كلمتان اصح من كلمة مثقف فى رأينا ـ هو « من يصيب علم ما يسمعه على استواء » (٢) ، وثقف الحديث: بمعنى تلقفه وفهمه بسرعة فهما صحيحا .

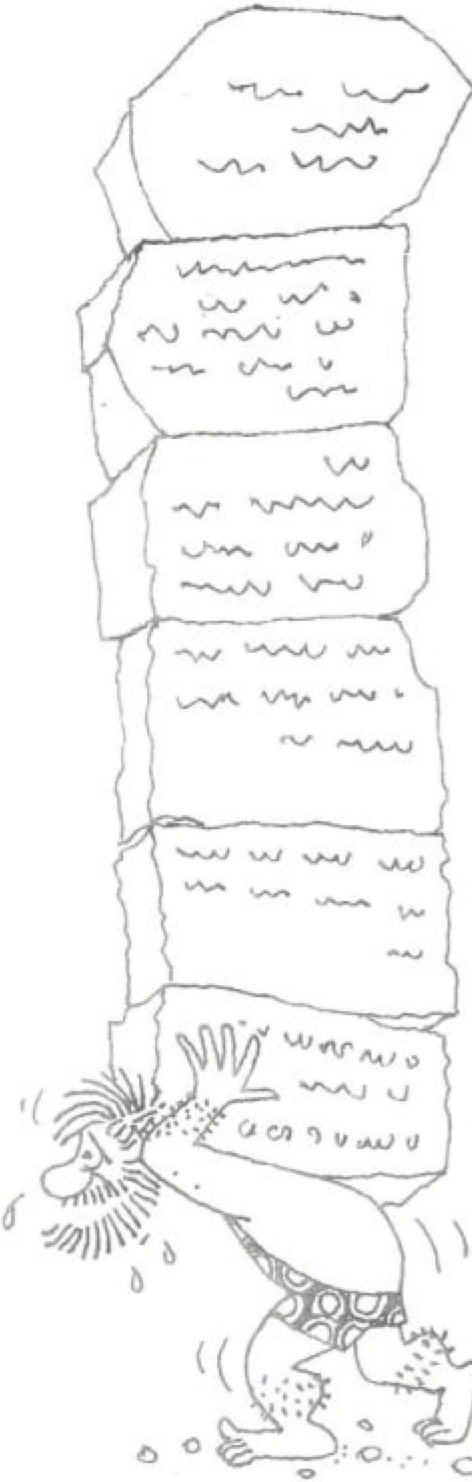
ب ـ واما فى اللغات ذات الاصل اللاتينى فالكلمة مشتقة من الفعل اللاتينى Colere بمعنى « ربى » و « اعتنى » واسم المصدر منه Cultus بمعنى « تربية » و « عناية » ، ومنهما توسع مفهوم الكلمة الى « زراعة » لان الزراعة ما هى بالاصل الا تربية وعناية بالارض كى تعطى مردودا افضل .

وهكذا أصبحت كلمة Culture الفرنسية

---

١) انظر « المختار من صحاح اللغة » تاليفمحيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى ، وكتاب « تهذيب الصحاح » للزنجاني۔ تحقيق عبدالسلام هارون .

٢) انظر « معجم مقاييس اللغة » لابن زكرياتحقيق عبد السلام هارون .



ـ وهي مشتقة من كلمة « Cultus » اللاتينية ـ تعني بالوقت نفسه ثلاثة معان :

ـ زراعة كقولنا La Culture Du Mais

اى زراعة الذرة .

ـ تربية كقولنا La Culture Des Abeilles

اى تربية النحل

ثقافة كقولنا Ministere De La Culture

اى وزارة الثقافة

والارتباط بين هذه الكلمات الثلاث لم يات مصادفة وانما عن طريق توسع معنى الكلمة وشموله ـ لان « الثقافة » فى الاساس ما هى الا « عناية بالذهن كى يعطى مردودا افضل كما ان الزراعة هى عناية بالارض كى تعطى مردودا افضل » .

وارتباط كلمة « الثقافة » بكلمة « الزراعة» فى اللغات اللاتينية يمكن تفسيره تاريخيا :حيث ان الانسان لم يبدأ الاهتمام بثقافته الا بعد ان استقر بالارض . وهذه لم يحصل فى عرض الصيد وانما بعد اكتشاف الزراعة . ومن هنا بقيت الكلمتان مرتبطتين ببعضهما منذ ذلك الوقت (٣).

ليست ابداعاً

ج) وأما المعنى المعاصر لكلمة « ثقافة » فهو ما تجده ضمن التعريف التالى : « الثقافة هى جملة المعلومات المكتسبة التى تساهم فى اغناء وترقية ملكات الفكر عن طريق تطويرها وتدريبها مهما كانت طريقة اكتساب هذه المعلومات » .

وهكذا فالثقافة ليست معلومات نظرية او ابداعاً. قد تؤدى الى الابداع ولكنها ليست ابداعا بحد ذاتها اذ ليس كل مثقف مبدعا ـ وانما هى حصيلة لجملة المعلومات التى نكتسبها خلال حياتنا عن طريق القراءة والسفر والاختلاط والتجربة والتعلم والغلط واستخدام الحواس والذهن بشكل مفيد وفعال .

د) ويستحسن هنا التطرق الى فرق بسيط فى المعنى بين كلمة Culture ـ اى ثقافة ـ باللغات ذات الاصل اللاتينى (كالفرنسية والايطالية) وبين الكلمة نفسها باللغات الانجلو ساكسونية

---

٣) انظر مقالنا « كلمات فى الحضارة » الذى نشرناه فى « العربى » ـ عدد شهر يوليو (تموز) ١٩٧٧ .

(كالانجليزية مثلا) ، لان الكلمة الفرنسية ترادف تماما كلمة « ثقافة » حسب مدلولها فى اللغة العربية اليوم• واما مفهوم الكلمة بالانجليزية فهو اقرب الى معنى « حضارة Civilization مع العلم ان مفهوم كلمة « الحضارة » بشكل عام هو اوسع من مفهوم «الثقافة» اذ ان العلاقة بين الكلمتين هى علاقة شامل ومشمول وليست علاقة الحضارة التى تشمل جانبا ماديا ايضا •

وهكذا فمن الصحيح القول ، ضمن هذا المفهوم اللاتيني للثقافة ، ان « الحضارة الامريكية » متقدمة على « الثقافة الامريكية » ومعنى هذا ان الجانب المادي من الحضارة الامريكية متقدم على الجانب النظرى منها ، وان الثقافة متاخرة عن مواكبة التقدم الحضارى المادى والتقنى (وتسمى هذه الظاهرة بالتخلف الثقافى) • واما فى المفهوم الانجلوسكسونى فكلمة « ثقافة » Culture كثيرا ما تاتى مرادفة لكلمة حضارة » Civilization فى القواميس الانكليزية والامريكية خاصة ، ومعنى هذا ان الثقافة تشمل مظاهر الحياة المادية ايضا بحيث يصبح مدلول الكلمتين واحدا • ونحن نعتقد بان المفهوم اللاتيني لكلمة « ثقافة » اصح من المفهوم الانجلوساكسوني لها ، لانه اذا كانت الثقافة هى جملة من المعلومات فالحضارة هى جملة منجزات ، وفى هذا ابراز للجانب المادى والتقنى بشكل يجعل من العسير علينا قبول الكلمتين كمترادفتين •

العلم بلا وطن

هـ) ورغبة منا في تحرير معنى كلمة «ثقافة» وتحديده يستحسن ان نبين الفروق بين هذه الكلمة وكلمة اخرى قريبة منها هى « العلم » ولعل اهم هذه الفروق هى التالية :

● الثقافة موسوعية والعلم اختصاصى : ففى الوقت الذى تزداد اهمية الاختصاص فى هذا العصر وتتعمق نجد ان الثقافة لا تزال تتمتع بصفة شمولية بل وموسوعية •

وهكذا يمكننا ان نطلق صفة « عالم » على انسان متفوق في علم الاقمار الصناعية ، أو الآلات الاليكترونية مثلا ، ولو كانت معلوماته بسيطة او سطحية في فروع العلوم الاخرى ،واما الثقافة فلا تكتمل الا اذا كانت عامة وشاملة ، والمثقف الحقيقى لا يستحق هذا اللقب الا اذا كان مطلعا على الآداب والفلسفة والتيارات الفكرية ، ملما بجملة المعارف الانسانية ، وذواقة للفنون الوطنية والاجنبية •••••• ولعل افضل قول للتفريق بين العالم والمثقف هو اقتباس قول المفكر الانكليزى الذى يعرف العالم بانه « هو الذى يعرف كل شيء عن شيء معين The Man Who Knows Every Thing About a Thing ويعرف المثقف ، على العكس ، بانه « هو الذى يعرف شيئا عن كل شيء » The Man Who Knows a Thing About Every Thing

● الثقافة وطنية والعلم بلا وطن : ان شمولية الثقافة وموسوعيتها لا تتنافى مع كونها وطنية ، واما العلم فلا وطن له ، وهكذا لا يصح ان نقول ابدا « هذا علم امريكي » وذاك « علم اخر اوروبى لان العلم تراث للانسانية جمعاء ، بينما يصح ـ على العكس ـ ان نقول « هذه ثقافة عربية » و « تلك ثقافة اوروبية أو امريكية » ••• الخ، ولو ان هذا لا يمنع شعبا من التاثر بثقافة شعب آخر •

وبما ان الثقافة هى وطنية ، لذا فمن الممكن توريثها من الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة، فاذا ابتدأ كل انسان ثقافته الفردية من الصفر ، فان الشعب ككل لا يبدأ ثقافته من الصفر وانما من درجة معينة من « التراكم الثقافى » التى وصل اليها الاجداد • ومن هنا تبدو اهمية الربط بين « الثقافة » من جهة و « التراث » من جهة اخرى ، وفى هذا قال اندريه مالرو : « الثقافة هى الدفاع عن التراث وابرازه » (٤)

ومن كل هذا يمكننا التاكيد على انه اذا كان العلم انسانية فالثقافة هى قبل كل شيء وطنية : قد تحدث المؤثرات العالمية اثرها فى الثقافة ، ولكن هذه الثقافة عندما تنبثق عن ابنائها تكون وطنية ، وكونها وطنية لا يمنع من تلوقها وتقديرها من قبل بقية الشعوب طبعا •

وكلامنا هذا لا يعنى حكما ان كل ثقافة هى وطنية ، اذ ان الثقافة لا يمكن ان تستحق هذه

---

٤ ـ La Culture C'est L'illustration et la Defense du Patrimoine

الصفة الا اذا كانت اصيلة Authentique وتبتعد عن الوطنية بقدر ما تكون ثقافة «هجينة Hybride او دخيلة ، وبكلمة اخرى تبتعد الثقافة عن الوطنية كلما ابتعدت عن الاصالة • واخيرا فالاصالة لا تتم الا بان تتشبع الثقافة بالتراث ، وهذا التشبع لا يتعارض مطلقا مع المعاصرة : فالثقافة اليابانية ثقافة اصيلة تحمل كثيرا من علائم التراث الياباني منذ ما يزيد عن عشرة قرون ، ولكن ليس بوسع أي مراقب منصف ان ينفي عنها صفة « المعاصرة » •

بعد أن ننسى كل شيء

● التعلم يسبق الثقافة ويزول قبلها : لا تاتي الثقافة عادة الا بعد مرحلة اولية من التعلم، بعد اساس ضروري من العلم تبنى عليه، وفي هذا المعنى يقول الاديب الفرنسي الراحل اندرية مالرو: «الثقافة هي ما ياتي فيما بعد»(٥)

وكما ان الانسان يتعلم قبل ان يتثقف ، كذلك فهو قد ينسى العلم (المعلومات النظرية) وينسى التعلم (المهارات العملية) ، ولكنه لا ينسى ثقافته لان الثقافةهي محصلة قبل ان تكون معارف مفردة • ولذلك يمكن القول ان الفيلسوف الفرنسي (هريو He riot) قد لمس كبد الحقيقة حين قال : « الثقافة هي ما يبقى بعد ان ننسى كل شيء » (٦)

● الثقافة غاية والعلم وسيلة : اذا كان العلم وسيلة يفترض بها ان تؤدي الى غاية هي تحقيق الرفاهية والتقدم للانسان او للانسانية ككل ـ فان الثقافة ليست وسيلة وانما هي غاية بحد ذاتها لانها الفعالية الوحيدة التي تؤمن للذهن نوعا من التوازن والصفاء ، وتكفل «تهذيب الشخصية الانسانية والسمو بها الى اقصىدرجات الكمال الممكن » (٧)

والثقافة مفيدة للذهن ليس فقط من الناحية العملية وانما من الناحية البيولوجية ايضا : فقد اثبتتالتجاربالعلمية ان الخلايا الدماغية للانسان المثقف تكونبحالة نشاط لا تعرفه الخلايا الدماغية لانسان عادي في نفس السن ، لذلك فانها تعيش حياة اطول ، وهذا ما يفسر ندرة ظهور مرض « الخرف » ـ الذي يظهر عادة في سن متقدمة من العمر نتيجة لتلف الخلايا الدماغية ـ لدىالمثقفين وكثرة ظهوره لدى الشيوخ العاديين • ليس معنى هذا طبعا ان الانسان المثقف يعيش لمدة اطول من الانسان العادي ـ قد يكون العكس هو الصحيح على الاغلب ولكن معناه ان الخلايا الدماغية للانسان المثقف لا تشيخ بنفس سرعة مثيلاتها لدى الانسان العادي •

● الثقافة اكثر ثباتا من العلم : الثقافةهي اعمق من العلم لذا فهي اكثر ثباتا منه : العلم يمكن ان ينسى ، يمكن ان يتغير ، يمكن ان يزول واما الثقافة فهي شاملة ودائمة •

ان كثيرا من النظريات والمعطيات العلمية السابقة (نظرية دوران الشمس حول الارض مثلا) قد زالت بعد ان ثبت خطؤها ، وان الهندسة الاقليدية (نسبة الى اقليدس وهو من وضع البديهيات الهندسية الاولى) بكاملها توشك ان تتهاوى بكاملها تحت تاثير النظريات الهندسية الجديدة التي صاغها (ريمان) و (لوبتشفسكي)• اما المعطيات الثقافية فتحتفظ بقيمتها بصورة سرمدية ، بل قد تزيد قيمتها مع مرور الزمن ، وهكذا تظل تماثيل ميكل انجلو ولوحات رافائيل وتيسيانو وليوناردو دافنشي تسحرنا رغم مرور حوالي اربعة قرون على نحتها ورسمها ،وتظل موسيقى بتهوفن وشوبان وباخ وليست وموزارت وشومان ومندلسون وتشايكوفسكي ••••• تروق لنا بنفس الدرجة التي تروق لنا بها الموسيقى المعاصرة او حتى اكثر منها •

وما قلناه عن الرسم والموسيقى يصح علىجميع المكونات الثقافية الاخرى من اداب وفنون وغير ذلك • ■■

دمشق ـ د• احسان هندي

---

٥ ـ La Culture C'est ce qui yient Apres

٦ ـ La Culture C'est ce qui Raste Quand on a Tout Cublie

٧ ـ عن منجد الطلاب لفؤاد افرام البستاني ـ مادة ثقافة ـ طبعة رابعة بيروت ١٩٥٦

رشة ملح على جرح

شعر :

احمد اللغماني

(١)

اعلم ان وصمة على الجبين لا تزيلها قصيدة ،
وان جرحا مزمنا يستنزف الاباء لاتضمده قصيدة ·
لكنني اعلم حق العلم ··
ان جباه العز مهما اذعنت للظلم ،
واطرقت للضيم ،
لا بد أن تهب فيها النخوة المجيدة
على زئير غضبة ترسله من قصيدة

(٢)

اعلم ان كبرياءنا حزينة
ما فتئت من زمن حزينة :
تبكي سيوفا حرة المعادن ،
غريبة ليست لها مواطن ،
تنام في اغمادها بضاعة مهينه
تنتظر السواح ان « يشرفوا » المدينة
سيوفنا المسكينة :
تاريخها خط على القلاع والمواقع الحصينة
تاريخها : تكبيرة ترسلها المآذن ،
فتخشع الفجاج والمدائن ·
تاريخها الحب الذى اطاح بالضغائن
وظفر الايمان والعقيدة المتينة ··
بالضربة المكينة ···
في لب كل غادر وخائن ·
سيوفنا المسكينة :
تاريخها يقرأ في تنهيدة دفينة ·
اعلم ان كبرياءنا حزينه
وانه بالرغم عن جراحنا الثخينة ،
اوجاعنا هادئة سواكن ·
لكنى اعلم حق العلم ···
ان شرارة النضال لم تزل شديده ·
ترقب نفخة على الرماد كيما تضطرم
وان صيحة الكرامة الشهيدة ···

لا بد أن تبلغ سمع « معتصم »
اذا صحت عزائم النوم ...
على نشيد نخوة تنشده قصيدة

(٣)

اعلم ــ ياطعينة الاباء ــ ياعروبه !
ياخيرة الشعوب والاجناس
ان روائع الاشعار لا ترد أرضنا السليبة
والقدس لا ترد باليراع والقرطاس
ياحسرتي عليك ــ ياعروبه !
زيتونك المائس في المزارع الخصيبة ،
وبرتقالك المعطر الانفاس
وما بنى « أمية » وشيد « العباس »
وقبة الاقصى الطعينة الكئيبة
وقمم الكنائس الصامتة الاجراس
والحرمات كلها في ارضنا تداس
تدوسها كتائب وحشية غريبة
تحمل في نعالها الوباء والارجاس
يخجلني ــ يا أمتي الحبيبة !
انى اواجه التاريخ ذا الصحائف الرهيبه،
منكس الجبهة حاني الرأس ،
وفي يدي يعصف الفراغ والافلاس
لانني فرطت في امجادك العجيبه ،
اضعتها في قينة ، اتلفتها في كاس
وعندما انقشعت الغيوم والاغلاس ،
وجدتني في الساعة العصيبة :
لا جانب معزز ، لا قوة ، لا باس ،
اعلم ــ ياطعينة الاباء ــ ياعروبة !
ان روائع الاشعار لا ترد أرضنا السليبة ،
والقدس لا ترد باليراع والقرطاس
لكنني اعلم حق العلم
ان كتائبا راسخة الايمان والعقيدة
سوف تطل من عهودنا العهيدة ...
خفاقة العلم
كما تطل في الظلام الدامس الرجم ،
على هدى تكبيرة تصعد من قصيده

(٤)

اعلم ــ يامنجبة الابطال !
يا أمتي العريقة !
ان جراحنا عميقة عميقة !
لكنما ايلامها سكن .
اعلم ان نشوة القصائد الرقيقة ...
هيهات ان تزيل من اعماقنا الحزن
وتمسح الغصة من حلقوم ممتهن !
كل ضمير عربي هوة عميقة ،
يعصف فيها عاصفان : الغيظ والسجن
منذ انفصام عروة وثيقة
كانت تضم شملنا وتحفظ الوطن
اعلم ــ يا منجبة الابطال ــ
ان شعوبنا اصابها الوهن
منذ اشترت أوهامها بجوهر الحقيقة
وما درت فداحة الثمن .
شعوبنا تنكرت لواقع يموج بالمحن ،
والتفتت للامس تنشد المفاخر الغريقة...
في لجج الزمن .
شعوبنا تبحث عن افيونها في الكتب العتيقه ،
في قصه يقصها مشعوذ لسن
عن مارد من جن
ذى ضربة خاطفة رشيقه
يطلقها في دكنة القمار ومضة انيقة
من سيف (معد يكرب) ورمح (ذى يزن)
اعلم ــ يامنجبة الابطال ــ
ان شعوبنا اصابها الوهن
لكنني اعلم حق العلم ...
ان منامة الافيون مهما طولت لا بد ان تتم،
لا بد ان تنحسر الاوهام عن عزائم جديدة
تخلقها في لحظة سعيدة ..
رشة ملح تلهب الالم ،
ترشها على جراحنا قصيدة .

تونس ــ **احمد اللغماني**

من هنا نبدأ..

اذا اردنا ان نقيم مجتمعا اسلاميا حقيقيا ـ لا وهميا ـ فمن اين نبدأ ؟

ان طرح هذا السؤال يفترض توفر عنصرين بالغي الاهمية هما : اننا جادون في هذه الدعوة ، واننا متفقون على تصور المجتمع الاسلامي الذي نريده ٠

واسمحوا لي ان اقول في البداية : انني اشك في جدية اكثر المنادين بتطبيق الشريعة الاسلامية ، الآن ، خصوصا الذين في مواقع القيادة والمسئولية ، لانهم يعرفون طريق الحل ومفاتيح المشكلة ، لكنهم يشتتون اذهاننا ويصرفونها بعيدا عن جوهر القضية ، بالتركيز على جزئيات وفرعيات لا تطرح الا « الوجه العقابي » للشريعة كما قلت في مرة سابقة ٠ وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الامام ابي حامد الغزالي « ليست المشكلة في تصور الحل ولكنها في تطبيقه » ٠

واسمحوا لي ان ازعم اننا مختلفون حول تصور المجتمع الاسلامي الذي نريده٠فالبعض يرونه في صيغة « خلافة » وحكومة دينية ، والبعض الآخر يرونه في صيغة معاكسة ٠هذا فضلا عن ان الخلاف شديد حول تصورات كل من الحكومتين ٠

ومع ذلك فسوف نفترض جدلا ان هناك جدية فيما يقال ، وان هناك تصورا واضحا للهدف الذي نسعى اليه ٠ وان السؤال الذي تنقصنا الاجابة عليه هو : من أين نبدأ ؟

لقد ثارت مناقشة حول هذا الموضوع في أواخر القرن الماضي بين جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده ،في اعقاب الفشل الذي منيت به جهود الافغاني في مصر وايران وتركيا٠ عندئذ اقترح محمد عبده ان يذهبا سويا ـ هو والافغاني ـ الى مكان بعيد « غير خاضع لسلطان يعرقل سيرنا » ثم ينشئان مدرسة للزعماء يختاران لها التلاميذ ممن يتوسمان فيهم الخير ، ويربيانهم على منهج قويم يختارانه ، ويعدانهم للزعامة والاصلاح ٠

وتقول الرواية التاريخية ان الامام مضى يشرح فكرته لجمال الدين ، فاضاف : انه لا تمضى عشر سنين حتى يكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا في ترك اوطانهم والسير في الارض لنشر الاصلاح المطلوب ، فينتشر احسن انتشار ٠ لكن الافغاني تلقى هذا الرأى بغضب وثورة وقال للشيخ محمد عبده : انما انت مثبط ! ٠

كان الافغاني يريدها ثورة ، وكان محمد عبده يرى ان المجتمع الاسلامي لا بد له من

اعداد طويل • وهو الخلاف الذى يحدث دائما بين الداعين الى التغيير • هل يكون ذلك التغيير بالمنهج الثورى أو بالمنهج الاصلاحى • هل يبدأ من القمة أو من القاعدة ؟

ورغم كل ما يقال عن « حتميات » التغيير ، الا ان تجارب التاريخ اكدت انه ليس هناك قانون واحد وثابت لعملية التغيير هذه ، يصلح لكل بيئة وزمان • وان كان من المسلم به انه كلما ثبتت القاعدة واتسعت كانت امكانية التغيير افضل ، و •• « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » •

●

ولعل فى تجربة باكستان « الاسلامية » درسا يفيد فى هذه المناقشة ••

ذلك ان اكثرنا يعرف قصة قيام دولة باكستان، التي بث دعوتها وحمل لواءها الشاعر والفيلسوف محمد اقبال ، الذى كان يحلم باقامة دولة اسلامية ، تكون بمثابة « المعمل الذى يثبت فيه الاسلام صلاحيته لتكوين المجتمع الصالح ، وتنظيم الحياة الاجتماعية ،وحل المشكلات الاقتصادية ، وتوجيه المدنية توجيها صالحا ، والتطبيق بين العقيدة والعمل ، والروح والمادة ، والفرد والجماعة تطبيقا يثير العجب والاعجاب ، ويحمل قادة الاقطار الاسلامية الاخرى على التقليد ، ويحمل المفكرين فى العالم على التفكير فى اسلوبه الجديد» •

هكذا كان حلم محمد اقبال كما عبر عنه في خطبة القاها عام ١٩٣٠ • وظل الرجل يسعى لانشاء هذه الدولة ، حتى قامت فى عام ١٩٤٧ • وظل الحلم الكبير يراود زعماء باكستان ، وهو ما عبر عنه رئيس وزرائها لياقت علي خان ، فى عام ١٩٥٠ ، بقوله : لقد اردنا معملا نقيم فيه دولة مؤسسة على مبادىء اسلامية لم يعرف العالم افضل منها •

لكن الامل ظل يخبو عاما بعد عام • حتى سجل الحقيقة المؤسفة امين ندوة العلماء فى الهند ، وواحد من اكبر المفكرين المسلمين الآن ، السيد ابو الحسن الندوى ، حينما قال فى كتابه « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » (صدر فى عام ١٩٦٥) ان « المعمل الاسلامى » لم يقم ، وان اخفاق باكستان فى تحقيق هذا الوعد « سيكون مأساة ضخمة فى العصر الحديث ، وغدرا بذمة الملايين من المسلمين الذين تحملوا فى سبيلها من المصائب ما يشيب لهولها الابدان » • وان ذلك « يخمد العاطفة الدينية التى لا تزل تراود نفوس العاملين للاسلام •• ويزهد اكثرهم فى اعادة هذه التجربة والمغامرة فى سبيلها • ولا يسمح التاريخ الذى سجل التجربة المخفقة والذى لا يحابى احدا ، بتكرار هذه التجربة مرة اخرى » •

ثم ماذا كانت النتيجة ؟

عندما بنيت دولة حملت اسم الاسلام ، على غير اساس قوى ومتين • عندما قامت « الدولة » ولم يشتد بعد عود « الفكرة » • عندما فشلت التجربة ، كتب احد المفكرين الغربيين هو « ويلفرد سميث » يقول فى كتابه « الاسلام فى العصر الحديث » ان ما جرى فى باكستان يعنى للعالم شيئا واحدا « ان نظرية الدولة الاسلامية نظرية فارغة ، وان

شعارها وهتافها تضليل وخداع لا غير ، لانها لا تستطيع ان تساير مطالب الحياة المعاصرة » !!

احباط فى كل اتجاه .. هذا ما حدث فى اول دولة اسلامية يعلن قيامها بعد الغاء الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ !!

●

ما العمل اذن ؟

اذا كنا قد اتفقنا على ان الاسلام عقيدة قبل ان يكون شريعة ، واذا كنا ما زلنا نذكر ان الرسول عليه السلام قضى ١٣ عاما فى مكة مركزا كل جهده فى اعداد البشر وتثبيت الايمان فى قلوبهم ، قبل الانتقال الى المدينة واقامة الدولة .. اذا كنا واعين لذلك ، فينبغى الا يتزحزح يقيننا بضرورة البدء باعداد الانسان المسلم اولا ، بالاطمئنان الى سلامة الغرس وصحته ، ثم رعايته حتى لا نصدم ويخيب املنا فى الثمار والحصاد .

لقد اعتمد اعداء الاسلام اسلوب « فك » العقل الاسلامى واعادة تركيبه وصياغته من جديد لصالحهم وعلى هواهم ، بعد ان فشلت الحروب الصليبية فى تحقيق اهدافها فى القرون الوسطى . وكانت المدارس الاجنبية والتبشيرية هى الساحة الحقيقية التى خاضت فيها قوى الاستعمار وارساليات التبشير هذه المعركة .

ولم تعد هذه المرحلة سرا خافيا على احد . فقد سرد تفاصيلها فى مذكراته اللورد كرومر ـ مثلا ـ وهو اشهر معتمد بريطانى فى تاريخ مصر ، فضلا عن ان كتاب « غزو العالم الاسلامى » الذى هو فى حقيقته ترجمة لعدد خاص من مجلة « العالم الاسلامى » التى كانت تصدر فى فرنسا فى بداية هذا القرن ، وتنطق باسم حركة التبشير الكاثوليكى . هذا الكتاب يقول فيه مؤلفه مسيو أ . شاتليه بمنتهى الصراحة والوضوح « ان الغرض الذى نتوخاه لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق التعليم » .

وما حدث فى مصر هو ذاته الذى حدث فى سوريا ولبنان والمغرب العربى والهند وتركيا وايران .. المنهج واحد هو : غسيل المخ و النفاذ الى العقول المسلمة .

لقد كان التعليم هو وسيلة التدمير ،وينبغى ان يظل هو ذاته الطريق الاساسى للتغيير .

ولتكن قضية اعداد الجيل المسلم هى شاغلنا اذا كنا جادين فى الدعوة الى اقامة المجتمع الاسلامى وهى رحلة طويلة وشاقة ، لكنها السبيل الامثل لبلوغ هذا الهدف .

لقد ظل الاستعمار يقاتل طوال قرن كامل ليستولى على العالم الاسلامى ، وطوال قرن آخر ظل يقاتل من اجل تقويض الاسلام من الداخل ، بمختلف الحيل والالاعيب ، لكن بعضنا يزايد على جماهيرنا المسلمة ويزعم أن المجتمع الاسلامى يمكن ان يقوم فى ايام او اسابيع ، فقط اذا طبقنا الحدود الشرعية .

ان الاذكياء من اعداء الاسلام لم يحاربوه من حيث كونه حدودا تطبق وقوانين تعلن

ولافتات ورايات ترفرف فوق المؤسسات المختلفة ، ولكن سعيهم الحقيقي كان من اجل مسخه كمنهج للحياة واسلوب فى التفكير • كان هدفهم ـ ولا يزال ـ تفريغ الاسلامن مضمونه، ليبقى شكلا فقط •• قانونا على ورق او لافتة براقة او خبرا في صحيفة صباحية •

والذين يدعون الى احياء هذا الشكل والوقوف عنده ، يلتقون ـ بحسن نية وربما بغير وعى ـ مع هؤلاء الذين يريدون تفريغ الاسلام من مضمونه الحقيقى •

لتكن البداية هى هذه : اعداد الجيل المسلم •

وسوف تكون سذاجة مطلقة ان نتصور المسألة كما لو كانت دعوة الى زيادة حصص الدين فى المدارس ، او مقاطعــة مدارس « الكفرة » كمـا حدث بين مســلمى شرق افريقيا فى بداية هذا القرن !

لكن اعداد جيل مسلم هدف اسمى ينبغى ان يطرح لمناقشة عميقة ومفصلة بين المختصين والداعين الى بناء المجتمع الاسلامى فى البلاد الاسلامية المهتمة بهذه القضية ، او حتى فى بلـد اسلامى واحـد ، وسيظل التعليم ميدانـا رئيسيا لخوض هذه المعركة • ذلك ان ازدواجية التعليم (مدنى ودينى) التى ابتدعها « دنلوب » خريج مدرسة اللاهوت فى انجلترا وواضع سياسة التعليم المصرية فى أواخر القرن الماضى ، هذه الازدواجية التى انتشرت فى العالم العربى ، يجب ان يعاد النظر فيها • وتلك المناهج التى تفرز جيــلا ينتمى الى اى شىء غير عقيدته الجامعة وامته الاسلامية ، او تلك المناهج التى تحمل اسم الدين ولا تؤدى الا الى النفور من الدين وكل ما يرتبط به •• ذلك كله يحتاج ايضـا الى مراجعــة •

هل معنى ذلك ان نقف مكتوفى الايدى طوال عشرين او ثلاثين سنة حتى يتحقق لنـا امل اعداد هذا الجيل الموعود !

قد يرد هذا الخاطر فى اذهان البعض • وهو يعكس اســتنتاجا متسرعا لا مفر من تصحيحه • ذلك ان مسألة اعداد الجيل المسلم لن تتم داخل مختبرات المدارس والمعــاهد فقط ، لكنها ينبغى ان تمتد الى جوانب عديدة من حياة المجتمع ونشاطاته • وقد قلت ان التعليم ميدان رئيسى للمحاولة ، لكنه ليس الميدان الوحيد بكل تاكيد • اذ لا قيمة لكل ما يقال داخل قاعات الدرس اذا كان هناك ما يناقضه فى الشارع والبيت او فى الصحيفة وعلى شاشة التليفزيون •

اننا اذا كنا جادين فيما نقول فستفعل الكثير ونحن نتقدم فى محاولة اعداد هــذا الجيـل المسـلم •

لنبدأ الخطوة الاولى اذن ، ونصرف طاقة الهتاف والصراخ وشق الحناجر فى عمل واع ودؤوب •

حتى لا يصدم المسلمون فى انفسهم ، ولا يخيب امل الآخرين فيهم • ■■

فهمي هويـــدي

تحذير لكل البشر :

العلم يتقدم !

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ لم يعرف عن الولايات المتحدة الامريكية انها دولة تحجر على حرية البحث العلمى او تضع المعوقات فى سبيله ، ومع ذلك فقد اجتاحتها منذ الصيف الماضى مناقشة خطيرة عن البحث العلمى فى فرع معين من فروع العلم ، وهل تمول هذه الأبحاث أو لا تمول وهل تترك لعلمائها المتخصصين يقومون بها ويشرفون عليها أو أنها يجب أن تخضع لاشراف ممثلى الشعب من السياسيين مع الاعتراف بأنهم لا يفهمون الموضوع الذى هم بصدده فكيف يكون لهم الاشراف على ما يجهلون !

والغريب ان البحث موضع الاخذ والرد يندرج تحت باب « علوم الحياة » ·· تلك التى لم يكن الناس حتى قريب يحسبون الا انها خير خالص لا شبهة فيه ونفع للبشرية لايمكن ان ينطوى على خطر ·· وهى صورة بدأ التغيير يعتريها فى العقد الاخير ، وبعد ان كانت الكمائن الخطيرة والاسرار الرهيبة تقبع خلف جدران مختبرات علوم الطبيعة والكيمياء ، تصونها الدول وتحجبها وتحرسها من المتجسسين والمتلصصين ، أصبح الان نطاق السرية ورواق الحراسة ممدودين على مختبرات علم الحياة ····

وحين تمكن العلماء من شطر الذرة اعلن « أوبنهايمر » عالم الطبيعة المشهور وقد وعى احتمالاتها التدميرية الفادحة : « اليوم عرف علماء الطبيعة الخطيئة » ·· ويتساءلون اليوم ان كان الدور قد حل على علماء الحياة فى معرفة الخطيئة والوقوع فيها ·· وهو تساؤل فى موضعه على ضوء القليل الذى تكشف للناس عبر حرب فيتنام والكثير الذى يعلمون بوجوده وان لم ينكشف لهم مما يندرج تحت عنوان « الحرب البيولوجية » ·

خلفية علمية

من المعروف ان الالتحام البيولوجى اى الاخصاب لا يمكن ان يقوم الا بين افراد الجنس الواحد من الخلق ·· فالانسان لا يمكن ان يتزوج انثى الاسد فتلد مخلوقا له رأس رجل وجسم اسد كما تخيل المصريون القدماء فصنعوا ابا الهول ، او الاغريق القدماء فصوروا فى قصصهم وفنهم ما شاء لهم الخيال من تلك المخلوقات المزجية المستولدة من



اقتـران جنسين غريبين بيولوجيا ٠٠ وليس فى المكن انتحمل بويضة نعجة ومنوى صرصور على الالتحام لتكوين مخلوق جديد لم يعرف فى الطبيعة بعد ٠

ذلك ان الاجناس ممتازة بذاتها ، ويحمل افرادها تراثا مشتركا من الصفات الوراثية يميز جنسا عن جنس ، وشعوبا عن شعوب ، وقبائل عن قبائل ، وعائلات عن عائلات ٠٠ ولا تزال هذه الصفات الوراثية تدق وتتفصل حتى لتميز الفرد الواحد عن غيره من الافراد ٠

ولكن أين مناط هذا التراث ؟

تتكون اجسام الكائنات من خلايا ٠٠ وفى كل خلية نواة ٠٠ وفى كل نـواة شبكة مـن اجسام تعرف فى مجموعها بالشبكة الصباغية نظرا لشراهتها الى الاصباغ فهى تبدو اكثر الاجزاء قتامة ان تعرضت الخلية لصبغة ٠ على ان هذه الشبكة تتالف من آحاد من الاجسام يعرف كل منها بالجسم الصبغى او الكروموزوم ٠٠ وعدد هذه الكروموزومات ثابت فى كل جنس فهو فى نـواة خليـة الجنس البشرى ستة واربعون كروموزوما ٠

كل واحد من هذه الكروموزومات يحمل عـدد كبيرا يبلغ الآلاف من دقائق اخرى تعرف بالجينات كما ينتظم الخيط حبات المسبحة ٠٠ والجينات هى حوامل الوراثة ٠٠ وتركيبها الكيميائى متشابه فى الكائنات الحية جميعا وهو حمض النوويك اى الحمض المكون للنواة ٠٠ وجزىء هذا الحمض يتركب من الفوسفات ونوع من السكر واربعة اصول قاعدية ٠٠ ولكن الآية بل المعجزة هى فى ترتيب تتالى هذه المكونات على طول الجزىء ٠٠ فان هذا الترتيب يحمل لغة كاملة وشفرة كامنة من التعليمات هى التى تحدد مسار الخلية ومآلها وتصرفاتها العادية او الشاذة فى المستقبل تماما كما تستعمل علامة الشرطة والنقطة باشارات مورس المستعملة فى التلغراف فتستطيع ان تلم بابجدية شاملة لا تضيق عن تعبير ٠٠

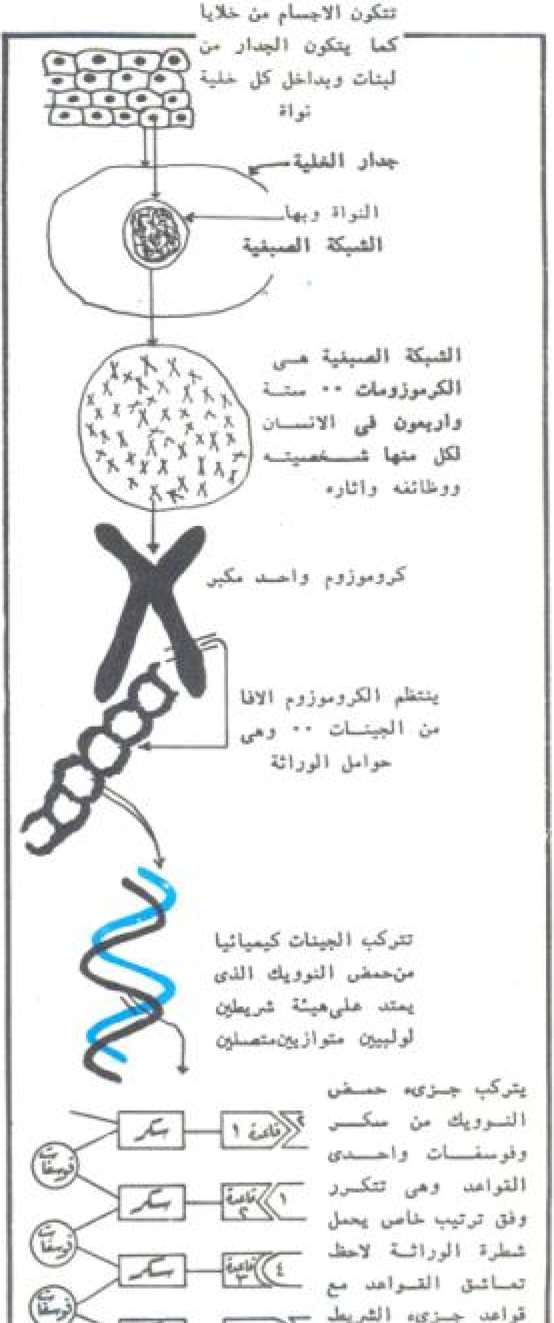
هذا الترتيب هو الذى يفضى لان يكون المآل تكوين انسان ٠٠ ثم انسانا ذا ملامح عامة فهو من الجنس الاصفر او الزنجى مثـلا ٠٠ ثم ملامح القبيلة فالوالدين ٠٠ ثم ملامحه الشخصية التى تفرقه حتى عن شقيقه او توامه ٠

فاذا التقت البويضة الانسانية الناضجة (اى التى طرحت نصف كروموزوماتها فاستبقت ثلاثة وعشرين فحسـب بخلية المنـوى الناضج (اى الذى طرح ثلاثة وعشرين واستبقى نصفها) ،كان من موجبات تلك الشفرة الكامنة ان تطمئن كـل منهما الى ان الاخرى من نفس جنسها البشرى ،قبل ان تلتحما لتكونا خلية ذات ستة واربعين كروموزوما هى أولى مراحل تكوين الجنين البشرى ٠٠ اذ انها تشرع فى الانقسام الى ملايين من الخلايا ذات الستة والاربعين كروموزوما هى بناء جسـم الانسان ٠

ولقد يحدث ان يصاب انسان بالعدوى بمكروب مرض من الامراض ، وتتكاثر هذه المكروبات فى جسمه محدثة صورة المرض من حمى او قيح او الم ٠٠ ولكن لا يمكن أن يحدث بينهما تزاوج حيوى تنتج عنه خلية كروموزوماتها خليط من كروموزومات الانسان والمكروب ٠

الحدث الكبير : حمض النوويك القابل للالتحام

أما الحدث الكبير الـذى قلب الموازين وفجر النقاش فهو ان العلماء قد توصلوا ـ واسرع مما ظنـوا ـ الى التحصل على خمـائر تستطيع أن تقص جزىء حمض النوويك كما يقص المقص شريطا



من الورق، تاركاطرفى القطع ولهماقدرة كبيرةعلى الالتصاق، بحيث لو قص جزيئان من كائنين مختلفين وتلاقى مكان القطع من هذا بمكان القطع من ذاك التصقا ، وتكون جزيء من حمض النوويك مكون منهما معا ، وينقسم الجزيء الى كائن جديد لم يحدث فيالطبيعة ابدا •• فى تزاوج تاباه الطبيعة واستطاعته الصنعة ، وكان الجديد الذى تركب مستنبتا من حمض النوويك الانسـانى ، وحمض النوويك الخاص بمكروبات الامعاء ••

واعلنت النتيجة فكانما قامت القيامة ••والعجيب ان الجدل لم يكن بين العلماء، وبين الفلاسفة او الساسة ، وانما كان علماء الحياة المتخصصون كذلك فريقين ، واحدا يؤيد المضى فى هذا المضمار من الابحاث والاخر يحذر ويخوف ويدق نواقيس الخطر •• من جراء ابحاث « حمض النوويك القابل للالتحام » ••

المؤيدون :

يرى المؤيدون ـ وبحق ـ ان العقل البشرى لا ينبغى ان يحجر عليه وهو منطلق يكتشف ما اودع الله فيالكون من اسرار وما وضع فيهمن نواميس• ولقد تكون العبارات القرآنية مثل : « ويتفكرون فى خلق السموات والارض » •• او « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم » •• او « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون »•• او « اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » صريحة الدلالة لاهل القرآنفى هذا الباب••ولكن الانسان من كل ملة وفى كل عصر لا شك قد آنس فى تكوينه هذا الشغف بالبحث عن المعرفة والسعى للاجابة على علامات الاستفهام التى تحيط بهمن كل جانب •• فهى فطرة فيه •• وبها كان الانسان انسانا •

ويشير المؤيدون ـ بل ويوافقهمالمعارضون ـالى طائفة من الاحتمالات التطبيقية المفيدة للبشرية من هذه الابحاث والتى تقع بالفعل فى نطاق الافق المرئى وعلى مرمى البصر الان ، عدا ما سيسفر عنه المستقبل من خير جديد •

هناك طائفة الامراض التى سببها ان جزءا من حمض النوويكفيه خلل يقضى بالضرورة فيالمستقبل الى ان تسلك الخلية سلوكا معينا غير سلوكها السوى الصحيح •• ويدخل فى ذلك انواع من السرطان او التشوهات الخلقية او الامراض الوراثية الاخرى •• وفى مجال اختصاص حديث

من اختصاصات علم الحياة يطلقون عليه اسم « الهندسة الوراثية » ، تتيح الطريقة الجديدة املا فيزنزع الجزء السقيم منجزيء حمض النوويك لتحل محله رقعة مماثلة سليمة التركيبخالية من هذا الانحراف الكامن .

وهناك امراض اخرى سببها نقص في بعض الخمائر او الهرمونات لابد من تحضيرها لتداوى بها المريض مهما كلف تحضيرها من مشقة او نفقة. وندلل على ذلك بمثال مشهور هو مرض السكر.. حيث لا يفرز بنكرياس المريض الكمية اللازمة من هرمون الانسولين فوجب ان يحضر في المصنع حتى يحقن في الجسم . ولو تصورنا ان في الامكان « العبث » كما اسلفنا بتركيب مكروب من المكروبات ليكون منتجا لهرمون الانسولين ـ وهو مالا يستطيعه بتركيبه الطبيعي ـ فاننا بزراعة هذه المكروبات نحصل على مصانع هائلة للانسولين تعطينا منه مددا عظيما ولا تكاد تكلفنا شيئا .. وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ثم ياتي بعد ذلك ما يمكن ان يحدث في عالم الزارعة وتربية الحيوان والطير .. ولعل فيه الامل المنشود لحل مشكلة الغذاء في عالمنا ،التى لا تزال في تفاقم ينذر بالهول مالم يتفتق عقل الانسان عن وسيلة علمية تزيد النبات والحيوان حجما وسرعة تكاثر او تستنبت اصنافا اخرى لم تعرفها الطبيعة بعد من النبات والحيوان .

المعارضون :

ولا ينسى المعارضون ـ خاصة العلماء ـ أبدا ما كان من أمر شطر الذرة الذى افضى بدوره الى القنبلة الذرية وضحاياها في هيروشيما ونجازاكي ، وما تلاها من قنابل هيدروجينية واسلحة نووية يكفى مخزونها العالى لنسف الكرة الارضية كلها عدة مرات .

ويتخوف الكثيرون من ان ولع العلماء بالعلم يجعلهم لا يعرفون حدودا يقفون عندها ، وها هم يطرقون آفاقا ومجاهل لم تكن معروفة من قبل .. ويوم يكون العلم غاية لا وسيلة لم يعد مامونا الى أين المآل .. لذلك ينادى الكثيرون ان يكون العلماء تحت اشراف الساسة ، ولكنه قول مردود عليه بأن قرار القاء القنبلة الذرية لم يكن قرار العلماء بل قرار الساسة ، اما العلماء الذين صنعوها فقد اصابهم ندم كبير .

هذه المكروبات الصناعية الجديدة التى لم تكن في الطبيعة من قبل ، والتى لا نعلم شيئا عن صفاتها الحيوية ، ماذا يحدث لو تسربت الى خارج المختبرات بسبب خطا او اهمال او اى عامل آخر غير منظور .. اليس من الجائز ان تصيب العالم بوباء مميت يقتل الملايين قبل ان نعرف له علاجا ؟

وماذا يحدث لو انضمت تلك المكروبات الجديدة الىقائمة اسلحة الحرب البيولوجية..ومن المعروف ان الترسانات العسكرية اصبحت تضم كثيرا من الاسلحة التى تستهدف حياة الانسان او صحته.. فلو انضمتاليها تلكالسلالاتالجديدة منالجراثيم لتكررت ماساة القنبلة الذرية على نطاق افدح . وما دامت الهندسة الوراثية قد دخلت حيز الممكن .. فما الذى يمنع في المستقبل ان ياتى دكتاتور فيستنبت امة فيها من صفات الخنوع والخضوع ما يحول بينها وبين معارضته .. او يستنبت طائفة فيها من الشراسة والقوة والقسوة ما يؤهلها لتكون جيشه وجنده وعدته في قهر الانسان للانسان ..

وبعد :

وبعد : فالانسان الان اضاف الىحياته منغصا جديدا هو وعيهبما يمكنان يؤدى اليهتقدمهالعلمى من كوارث ..

وينادى ناس بتقليص هذه الابحاث فيرد آخرون فماذا نصنع لو كانت روسيا او الصين قد طرقت هذا الباب وسبقتنا فيه ، تاركة امريكا مجردة من سلاح الردع البيولوجيعاجزة عن ان تقابل الشر بالشر ..

ولعل الانسان يدرك آخر الامر ان العلم وحده ليس يكفي .. وانه سلاح ذو حدين .. وانه لا امان للانسان الا ان استهدى بخالق الانسان .. فهذا هو الضمان والعصام الذى يسخر العلمللخير ويحول بينه وبين الشر .

العلم أعظم نعمة لكنه
قد يستحيل لنقمة وبلاء
والعلم ان ضل السبيل فأهله
شر على الدنيا من الجهلاء

■■

حسان حتحوت

في عدد اكتوبر الماضي نشرت العربي مقالا للاستاذ محمد فتحي عثمان بعنوان « الايمان وحده لايعصم المجتمع من المشكلات » ، وهو في هذا المقال الثاني يواصل عرض هذه القضية الدقيقة، بتقديم نماذج من المشـكلات التي واجهت المجتمع لاسلامي الاول ٠

حتى نتجنب أوهام التبسيط ٢

أزمات واجهت المجتمع الاسلامي الأول

بقلم : محمد فتحي عثمان

■ لن يكون المجتمع المسلم الملتزم اليوم خلوا من المشكلات والصعوبات ، ولا بد ان يبذل المؤمنون ضريبة بشريتهم ويعيشـوا في واقع دنيـاهم ، ولا بد ان يجدوا ويجـدوا في مختلف مجالات النشاط العقلي والعملي ، وسوف يسـتثيرهم الايمان لمزيد من الجد والكد مع طمانينة ورضا ، ويلهب حماسهم ويعينهم على الثبات حين تزل الاقدام ٠

وهكذا كان المجتمع المسلم القدوة في الالتزام، مجتمع الصحابة وسلف هذه الامة الصـالحون اجمعون ٠٠٠ لقد كابدوا وجاهدوا ، ولم تتوقف يوما متاعبهم لانهم مؤمنون ٠٠٠ وكانت لهم متاعب الضعفاء ، ثم صارت لهم مشكلات الاقوياء « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ــ التوبة / ٢٥ ، ٢٦ » ٠

فى بيت الرسـول

لقد اصابت المتاعب والهزات عقر دار الرسول الكريم نفسه « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم· لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم···» « اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ـ النور / ١١ ، ١٥ » المهم ان يواجه المجتمع الازمة ويطوتها ويخرج منها بخبرات فى الوقاية والعلاج · وقد تضمنت « سورة النور » التى عرضت لحادث الافك احكاما عقابية للزنا والقذف وحكم اللعان اذا كان الزوج هو الشاهد الوحيد على خيانة زوجته ، كما تضمنت توجيهات سلوكية للمجتمع المسلم «ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ··· » « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة · والله يعلم وانتم لا تعلمون ـ النور ١٦ ، ١٩ » وتشير السورة الى حقيقة انسانية تركز عليها ، هى ان الكمال المطلق للانسان مستحيل ، وانما هو كمال نسبى تسدده هداية الله وتجبر ثغراته رحمة الله « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ـ النور / ٢١ » كما توجه المؤمنين الى العفو والصفح حتى فيما يبدو انه الم كبير لانه شئ فى طبيعة الانسان ، كما توجه الى ان عقاب المخطئ لا ينبغى ان يهدد رزقه وقوته « ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفو وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ـ النور ٢٢ » · وهكذا تورط بعض « المهاجرين فى سبيل الله » فى مثل هذا الاثم ، لان هذه « الهجرة » لم تكن لتحيل الانسان ملكا معصوما ·

ومن المتاعب والمضايقات التى لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عقر داره نفسها ما كان من ازواجه امهات المؤمنين « يايها النبى لم تحرم ما أحل الله لكتبتغى مرضاة ازواجك ، والله غفور رحيم ·· » « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهيرا · عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن ـ التحريم / ١ ، ٤ ، ٥ » (يايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا · وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ـ الاحزاب ٢٩،٢٨)

فى صفوف المسلمين

والمجتمع المسلم القدوة فى التزامه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض للشدائد التى وصفها القرآن بانها كانت « زلزالا شديدا »، وقد تلقى هزائم عسكرية فى احد وحنين كما لقى انتصارات فى بدر وخيبر والفتح ، وتلت هزيمة حنين انتصار الفتح الاعظم ، وكادت ان تعصف بكل ما لقيت دولة الاسلام من تمكين لولا فضل الله · ومن قبل تحالفت عليها القبائل والتجمعات المعادية يوم الاحزاب ، وكاد المشركون والاعراب واليهود والمنافقون كيدا عظيما وأحاطوا بالمسلمين وقاعدتهم المدينة من كل صوب « اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا · هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ·واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا · واذ قالت طائفة منهم : يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا · ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها ، وما تلبثوا بها الا يسيرا ـ الاحزاب / ١٠ ـ ١٤ » · وتكشف السور التى تعرضت لمختلف وقائع جهاد المسلمين ان صفوف هؤلاء المجاهدين الذين فرضوا وجودهم وكيانهم العقيدى على أعدائهم وعلى الدنيا فى عصرهم ، كانت تتخللها الوان الضعف البشرى الموجودة فى كل زمان ومكان «الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ـ النساء / ١٤١» « وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الامر من شئ ··· يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا ····· » يايها الذين آمنو لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا

غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ـ آل عمران ـ ١٥٤ ، ١٥٦ » « لايستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ... انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة... لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ... ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ، الا فى الفتنة سقطوا ... ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولون قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ... ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون. ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون... ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن ، قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ... ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ـ التوبة/٤٤ ـ ٦٥ «وتتتابع الآيات تعرض صور الجبن والشح والانتهازية والتآمر المستتر » ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به .... الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم فيسخرون منهم ، سخر الله منهم .... وقالوا : لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا .... واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين... انما السبيل على الذين يستئذنوك وهم اغنياء ، رضوا بان يكونوا مع الخوالف .... ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء والله سميع عليم . ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله ... وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ... والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ـ التوبة / ٧٥ ـ ١٠٧ » .

صفوف من البشر

هكذا كانت صفوف المجاهدين الاولين مليئة بالثغرات لانها صفوف من البشر وان كانوا مؤمنين ... لكنهم عرفوا كيف يغالبون ضعف الضعفاء فى مواجهة عدوهم ،وكيف يحاصرون نقاط الضعف بقدر الامكان ... ولا يقولن احد ان الضعفاء كانوا منافقين لامؤمنين ، فالمنافقون «وصف نفسى كامن» وليس تصنيفا اجتماعيا ظاهرا،ولقد كان المنافقون يشهدون شهادة الاسلام،وكثير من افرادهم لا يمكن القطع بنفاقهم بمقتضى الظاهر مهما بدت العلامات والقرائن ، لان عدالة الاسلام تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر « ولونشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول ، والله يعلم اعمالكم . ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ـ محمد / ٣٠ ـ ٣١».

وعلى كل حال ، فوجود المنافقين بين صفوف المؤمنين فى عهد رسول الله له دلالته فى ان الشر والخير متلاحمان لا ينفك احدهما من الآخر ابدا . ولا يظن احد ان الاسلام كان يتشدد فى ادانة كل متخلف من الجهاد لانه كان يلح على المثل الاعلى اوكان يجتاز فترة دقيقة لا بد فيها من التعبئة والحشد ورفض اى نغمة ضعف ، فلقد كان الاسلام انسانيا واقعيا يقبل الاعذار الصادقة ويكتفى باخلاص المؤمن فى القول والعمل « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ـ التوبة / ٩١ ـ ٩٢ » . وليس كل من ابدى ضعفا فى لحظة ما مطرودا من عقيدة الايمان وصفوف المؤمنين الى الابد ، فلا يؤلف « المنافقون » كتلة جامدة مصمتة لا تتغير ، بل يحرص الاسلام دائما على ان يفتح ذراعيه لكل من وقف فى صفوف اعدائه الصرحاء او المقنعين « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ،ثم تاب عليهم

ليتوبوا ان الله التواب هو التواب الرحيم ـ التوبة / ١١٧ ـ ١١٨ » ولقد ارسل مسلم الى قريش ينبئهم بتحرك الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس المسلمين الى مكة يوم الفتح ، وكانت حجة الرجل وهو حاطب بن ابى بلتعة ـحين اكتشف المسلمون الامر ـ انه ضعيف بين القوم ويخشى ان انتصر المشركون ان ينكلوا بولده •

وقد كان حاطب مجاهدا يوم بدر ، وعهد اليه الرسول بكتابه الى المقوقس بمصر يدعوه للاسلام، ولكن انتابته لحظة ضعف رق فيها لولده ، فرق له رسول الله صلى عليه وسلم وعفا عنه ، وذكر له سابق جهاده وبلائه • وقدر ضعفه وعذره •ولم يقبل فيه راى عمر بن الخطاب الذى قال « دعنى يارسول الله فلاضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق » ! !

فى الاقتصاد والسياسة

والى جانب الازمات النفسية والصعوبات العسكرية ،عانى المسلمون اكثر من مرة من المتاعب الاقتصادية حتى بعد انتصار عقيدتهم وفتح مكة •

وحين نزلت سورة « براءة »تمنع المشركين من البيت الحرام بعد ان صار المسلمون اولياءه وحماته اثر فتح مكة وتطهر البيت من مكاء الحجاج المشركين وتصديتهم وسائرشعائر الوثنية ، كانت توقعات الضيق الاقتصادى لائحة نتيجة تخلف هؤلاء كبائعين ومشترين ، كتجار ومستهلكين «يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدالحرام بعد عامهم هذا ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ـ التوبة / ٢٨ » •

وواجه المسلمون طاعون عمواس بالشام وقحط الرمادة بالحجاز فى عهد خلافة عمر بن الخطاب ، وعملوا على مكافحة الوباء بتطبيق وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحجر الصحى «اذا سمعتم بالطاعون فى بلد فلا تدخلوه ، واذا كنتم فيه فلا تخرجوا منه » وقد مات فى الوباء كثيرون منهم القائد ابو عبيدة ••• ثم عملوا على مكافحة المجاعة بتقشف الاغنياء واعانة الفقراء وتعاون سائر اقطار الدولة على دفع البلاء ، واسهمت مصر فى ذلك بارسال قوافل الطعام الى الحجاز • وكان عمر يعتزم مزيدا من اجراءات التقشف والتكافل لو طالت المجاعة اكثر ـ وهى لم تكن قصيرة ، فقد قال « وربى لولا ان الله فرجها لادخلت على كل ذى سعة من المسلمين مثل عدد عياله ، وما كان لولدين ان يجوعا من طعام ولد واحد » • وكان هو نفسه قدوة فى تطبيق اجراءات التقشف، فلم يخص نفسه طوال مدة القحط بطعام ليس فى متناول عامة الناس •

وما كاد الرسول عليه الصلاة والسلام يلحق بالرفيق الاعلى حتى اهتزت بلاد العرب باحداث الردة وهى التى ما كاد يستقر فيها الاسلام الا من قريب وتضافر على الفتنة مدعو النبوة من الذين قصدوا الا تكون فى قريش وحدها او قصدوا ان يكون «لبنى حنيفة نصف الارض ولقريش نصفها » ، مع مانعى الزكاة : بدعوى « انها الاتاوة او الجزية» •واراد عمر ان يخفف العبء على دولة الاسلام الناشئة فاشار بعدم قتال مانعى الزكاة ماداموا يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، وخالفه ابو بكر فقال «والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة • والله لو منعونى عقالا ـ او عناقا ـ كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » • وقد صور عبدالله بن مسعود تلك الهزة التى احدثتها الردة واحدثتها بلبلة الاختلاف فى الراى بالنسبة لمواجهتها فقال «لقد قمنا بعد رسول الله مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بابى بكر ، اجتمع رأينا جميعا على الا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون ••• وان نعبد الله حتى ياتينا اليقين• وعزم الله لابى بكر على قتالهم •• » كما روى البلاذرى •

وما كادت تخرج دولة الاسلام وجماعة المسلمين من هذه الردة على خير بفضل عزيمة ابى بكر ، حتى ادت الفتوح الواسعة فى عهد عمر الى مشكلات اجتماعية اخرى ، فقد تفرق فى الامصار المتباعدة من المسلمين من كانوا من قبل مجتمعين فى المدينة واقبل جماعة منهم على العمل فى الموارد الاقتصادية الجديدة من زراعة اراضى الفىء او ما استطاعوا ان ينالوه من الاراضى المفتوحة اقطاعا او شراء الى جانب ما احرزوه من غنائم منقولة فتحقق لبعضهم ثراء عريض ، ثم زاد مركز هؤلاء حرجا فى امواج غير المسلمين بل غير العرب التى تلاطمت فى دولة الاسلام «المركبة» بعد الفتوح وبدات زعامات متناثرة تظهر هنا وهناك بعد الزعامة الموحدة ••• وادى تغير التركيب الاجتماعى الاقتصادى العرقى السياسى الى اضطراب رهيب • وكان لابد من تغيير الاطار السياسى للدولة حتى

يتلاءم مع تغير بنيتها الاجتماعية ·· وقد شكا عمر العملاق من بوادر التغيير،وحاول ان يواجهها باجراءات شديدة من طبيعتها الا تدوم ، وقد روى عنه الطبرى قوله «والله لقد لنت لهم حتىتخوفت الله فى ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك · وايم الله لانا اشد منهم فرقا ، منهم منى ···) وقال عمر لاناس من قريش : « بلغنى انكم تتخذون مجالس ، لا يجلس اثنان معا حتى يقال : منصحابة فلان ، من جلساء فلان··حتى تحوميت المجالس ! وايم الله ان هذا لسريع فى دينكم ، سريع فى شرفكم ، سريع فى ذات بينكم· ولكانى بمن ياتى بعدكم يقول : هذا راى فلان ، قد قسموا الاسلام اقساما !افيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معا فانه أدوم لالفتكم وأهيب لكم فى الناس · اللهم ملونى ومللتهم ، واحسست من نفسى واحسوا منى ، ولا ادرى باينا يكون الكون، وقد اعلم ان لهم قبيلا منهم ، فاقبضنى اليك غير مفتون ولا مضيع » !

هليصدق القارىء اليوم ان هذا كلام عمر من مجتمع عمر ؟

وقبض عمر ـ غير مفتون او مضيع ، لكنه مات مقتولا بيد مجوسى فارسى ··· ثم مات عثمان مقتولا بأيدى من زعموا انفسهم من العرب المسلمين الغيورين على الاسلام ومثله وحرماته ·· وغشيت «الفتنة الكبرى » او « الحرب الاهلية » جماعة المسلمين ، على رغم من تحذير رسول الاسلام انه « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » !! ··· وهيهات ان نضحك على انفسنا فنلقى تبعة كلما جرى على« ابن سبا » اليهودى!!

لقد نفذ المؤرخ ابن خلدون فى « المقدمة » الى صميم الحقيقة ، وانصرف عن « التاثيم » و « التجريم » لشخصيات تلك الفترة الدقيقة من تاريخ المسلمين واتجه الى« التحليل » و«التعليل»·

لم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ، ولم يكن لمعاوية ان يدفع ذلك عن نفسه او قومه فهو امر طبيعى ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو امية ومن لم يكن على طريقةمعاوية فى اقتفاء الحق مناتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه ، ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم فى الانفراد بالامر لوقع فى افتراق الكلمة التى كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امرليس وراءه كبير مخالفة ·

★ ★ ★

لم يكن اذن المجتمع المسلم القدوة فى التزامه باحكام الاسلام ، خلوا من المشكلات والاخطاء والاهواء ··· ولن يكون كذلك اى مجتمع مسلم لاحق يخلص فى التزام احكام الاسلام ·

ان تعاليم الاسلام لا تحوى « وصفة » جاهزة لكل داء ··· ان تعاليم الاسلام تقدم اسسا نفسية وسلوكية وتشريعية لحل مشكلات الناس ، ويبقى اولا واخيرا على المؤمنين ان يكدوا انفسهم وعقولهم وابدانهم فى الفهم والتطبيق ·

والمسلمون اذ يتفاعلون مع اصول دينهم ،ويبنون كيانهم النفسيوالسلوكي والتنظيمي علىنور هديه، لا بد ان تصيبهم هموم البشر ومتاعبهم ··· فالنفس المؤمنة لن تنسلخ منبشريتها لمجرد الايمان، وانما الفرد الصالح الذى يندرج فى عداد « المتقين » ، هو من بين من قال الله فيهم « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ـ ال عمران / ١٣٥ » ·

والمجتمع المسلم الصالح هو الذى يزيد فيه عدد الاخيار على غيرهم ، وعدد التوابين على العاصين المقيمين على معصيتهم ، وعدد المستترين على المجاهرين بالاثم ، ولكنه ليس مجتمعا بلا اخطاء او خطايا ·· انه يواجه ازمات القلق والانحراف وضغوط الخوف والجوع ، ولكن يحاول اجتيازها فى ثبات ويخرج من كل تجربة ومحنة بخبرات ثمينة فى العلاج والوقاية · وكفاح المسلمين لاحقاق الحق يتداول فيه النصر والهزيمة · والتطور والتغير من سنن الله الماضية « تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ـ ال عمران / ٢٦ » ، « وتلك الايام نداولها بين الناس ـ ال عمران / ١٤٠ » ·

فليوطن المجتمع المسلم الملتزم نفسه على مواجهة سنن الله ، وليستعن بالايمان والصبر على الجد فى العمل والثبات فى المحن ، فليس ثمة نجاح هين فى هذه الحياة ولو للمؤمنين الملتزمين · ■■

الرياض ـ محمد فتحى عثمان

■ واذا قيل لهم : « اتبعوا ما انزل الله» ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ، ولا « يهتدون » ؟

(قرآن كريم)

■ اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسـدوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » ·

(حديث شريف)

■ الطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار ـ عجز ·

(الامام علي)

■ لتكن جميلة او قبيحة ، فهي بلادى ، وليكن قريبا او غير قريب ، فهو ابن وطني ·

(مثل صيني)

■ اذا لم تجد بدا من الامر فأته رحيب الذراع، لاتضيق به صدرا

(مسكين الدرامي)

■ الافكار كثيرة ، والـكلام الذى يعبر عنها قليل ، ولهذا نرغم على تصوير ما لا نقصده ولا يفهمه الآخرون ·

(تكس مولر)

■ على المرء ان يتزوج في حيـاته مرتين : يتزوج امرأة ، وينجب منها اطفالا يخدمون البشرية ·· ، ويتزوج الحقيقة ، ويعيش معها في عرس دائم ·

(بوذا)

■ لا بد للعظماء من عيوب تماثلهم في العظمة ·

(لار شفوكو)

■ النساء يعانين آلاما شديدة عند الوضع ، ولهذا تحب كل امرأة طفلها ·

(يوريبيدس)

■ اقـول لنفسي كلما عضـها الاسى
فألما : صـبرا ، ففي الصـبر مكسب
اذا كان صـعبا حملك الهم والاذى
فحملك هم الناس ـ لاشك ـ اصعب »

(الياس فرحات ـ من شعراء المهجر)

روما

عاصمة المسلات المصرية القديمة

نصف المسلات أصيل ومهرب من مصر والنصف الآخر مزيف بالكامل

بقلم : فريد كامل

مدينة روما هى عاصمة المسلات المصرية ـ بها أكبر عدد من المسلات الفرعونية فى العالم· وبها أيضا أكبر وأصغر المسلات المصرية المعروفة حجما، وأقدمها وأحدثها سنا ···· كما أن بها أكبر عدد من المسلات الفرعونية المزيفة باتقان شديد ، بما عليها من كتابات هيروغليفية وخراطيش ملكية ·

توجد فى مدينة روما ست عشرة مسلة «مصرية» ثمان منها اصلية وثمان مقلدة (بخلاف مسلة موسولينى أمام مبنى وزارة الخارجية الايطالية)·· وتوجد أربع مسلات فرعونية أخرى فى ايطاليا اثنتان فى مدينة فلورنسة والثالثة فى مدينة فللترى قرب روما والرابعة فى مدينة بنفنتو قرب نابولى ·· كذلك توجد أربع مسلات مصرية فى فرنسا (فى ميدان الكونكورد وفونتانى بلو وغابة فنسن وفى مدينة آرل) ومسلتان فى أسطنبول بتركيا وواحدة فى كل من لندن (أمام كوبرى ووترلو) ونيويورك (فى حديقة سنترال بارك أمام نصب لينكولن) ·· أما فى مصر فالمسلات الفرعونية تعد على أصابع يد واحدة !!

رغم الهزيمة

من سخرية التاريخ أن الشعوب المهزومة تغزو عادة بثقافاتها ومعتقداتها وعلومها ـ الشعوب التى هزمتها وغزتها وتغير حياتها · هكذا بعد أن غزا الرومان مصر ، غزت الديانة المصرية (الاسكندرية) الامبراطورية الرومانية حتى أقيم معبدان هائلان لالهى الاسكندرية ايزيس وسيرابيس فى منطقتى كامبومازريو واسكويلينيو بروما (بخلاف معبد جيوفى هليوبوليتانو ـ آله مدينة هليوبوليس ـ الذى بناه الامبراطور ماركوادريللو فى ١٧٦ م فوق تل جيانيكولو فى روما) وحلق الامبراطور كومودو رأسه تشبها

بالفراعنة المصريين (وكان يحمل بنفسه تمثال أوزوريس في المواكب الرسمية والدينية) واغدق السندروسيفيرو الهدايا على كهنة الالهين المصريين حتى كاد يفلس الدولة ، وغضب تيبريو عليها فأمر بهدم معبدى ازيس والقاء تمثالها في نهر تيفرى الذى يخترق مدينة روما ونقل معبد سيرابيس الى حديقة فيلته

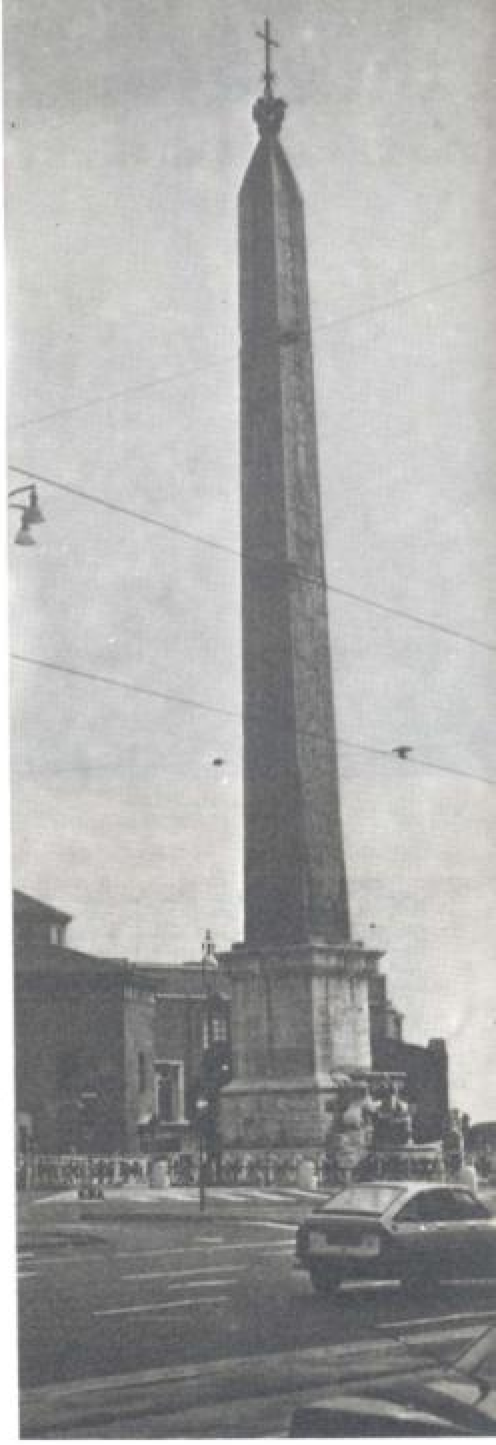
في ضاحية تيفولي ٠٠ بينما أقام الامبراطور ادريانو في حديقة فيلته بنفس الضاحية نماذج كبيرة لاهم الاعمال المعمارية في عالم حينئذ ومنها معبد ـ سيرابيوم بمدينة منف المصرية وقناة ملاحة المهندس المصرى كانابو (أبو قير) ٠٠ الخ ودفن شيستيو فى هرم ما زال بوسط روما حتى اليوم ٠٠

في سنة ٣٠ ق م هزم أوتافيانو أوجوستو الاسطول المصرى بقيادة ماركو انطونيو وأحتل الاسكندرية عاصمة البطالمة وصارت مصر مقاطعة خاصة به حتى أعلنت الامبراطورية الرومانية تحت قيادته فانتقلت مصر لتبعيتها ٠٠ وشملت الاسلاب التى عاد بها الامبراطور اوجوستو (الذى حكم من ٣٠ ق م الى ١٤ م) الى روما أول مسلات أخرجت من مصر ، اربعة نقلت على مدى عدة سنوات ٠٠

وكانت اخر مسلة مصرية نقلت الى روما هى في نفس الوقت اكبر واقدم المسلات الفرعونية المعروفة ـ وكان الامبراطور قسطنطين (٣٢٤ ـ ٣٣٧) قد نقلها من معبد آمون بطيبة الى الاسكندريه وأكمل نقلها الى روما فى ٣٥٧ ـ ابنه كوستانزو الثانى (الذى حكم مصر والاقاليم الاسيوية التابعة للامبراطورية الرومانية من ٣٥٧ ـ ٣٦١) ٠ ٠

اقيمت المسلات المصرية فى روما كرمز لانتصار الرومانيين على مصر كما استعملت كشعارات دينية أو كمزاول شمسية ٠٠ ثم سقطت المسلات المصرية بفعل الزمن وبسقوط الامبراطوريه الرومانيه ، مع ما حطم وانهار من مبانيها ٠٠ وعثر عليها ٠ وأعيد اقامتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، رمزا لعظمة روما البابويه ٠

اقيمت للزينة وكعلامات للطريق بعد أن نفى عنها مضمونها الدينى الوثنى باضافة الصليب الى قمتها (والمسلات المصرية فى روما هى الوحيدة



مسلة ميدان جيوفاني اكبر واقدم المسلات المصرية

فى العالم التى أضيف الى قمتها شيء)

وكان من السهل لمن يقف فى اى من ميادين روما او عند تقاطعات شوارعها فى القرن السابع عشر أن يرى قمم المسلات المصرية تعلو عن باقى مبانى المدينة المنخفضة ، تحدد له موقع جميع الميادين والتقاطعات الاخرى الهامة بالمدينة ...

وينسب تخطيط روما المعمارى الحديث ، بما اشتمل عليه من اعادة اقامة المسلات المصرية فى التقاطعات والميادين للبابا سيستو الخامس ومهندسه المعمارى دومنيكو فونتانا (وقد اقام البابا احدى المسلات امام منزله فى الميدان الصغير خلف كنيسة القديسة مريم الكبرى ـ سانتاماريا رياماجورى ـ بدلا من وضعها فى الميدان الواسع امام الكنيسة) .. ومن الغريب حقا أن تنسب كل هذه الاعمال وعشرات من المنشآت المدنية والمعمارية فى روما لهذا البابا الذى بقى بالسلطة مدة خمس سنوات فقط (١٥٨٥ ـ ١٥٩٠) وهى لا تكفى لأى من هذه الاعمال على الاخص بوسائل عمل ذلك الوقت ...

ويجدر أن نذكر هنا أن عددا من أكثر مسلات روما شهرة مزيفة وغير أصلية ومنها مثلا المسلة التى تظهر بين برجى كنيسة ترينيتادى مونتى بأعلى سلالم ميدان أسبانيا الشهيرة والمسلة التى تعلو النافورة الوسطى بميدان نافونا ـ أرشق ميادين روما ـ وهى نافورة الانهار الاربعة (واحدها نهر النيل) اهم أعمال مثال عصر النهضة الشهير برنيني .

عن المسلات الاصلية

وهذه كلمة وجيزة عن كل من المسلات الاصلية فى مدينة روما :

★ مسلة بيازارل بوبولو (ميدان الشعب) نقلها اوجوستو من معبد الشمس بهليوبوليس قرب القاهرة الآن الى روما لزخرفة الملعب الرياضى الكبير (شيركوماسيمو) واعاد سيستو الخامس اقامتها فى موقعها الحالى . وهى المسلة الوحيدة الآن التى توجد وسط تفرع عدة شوارع بحيث ترى عن بعد من أى منها ـ ويبلغ ارتفاعها بقاعدتها ٣٦م مترا .



مسلة ميدان ول بوبولو

★ مسلة بيازاسان جيوفانى (ميدان القديس يوحنا) أقدم المسلات المصرية المعروفة (ترجع الى تحتمس الرابع فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد) ـ وهى أيضا أكبرها حجما ـ طولها ٤٧ مترا (مقابل أكبر مسلة فى مصر ـ المسلة الناقصة باسوان وطولها ٤٢ مترا) واخر مسلة نقلت لايطاليا، بدأ قسطنطين بنقلها من معبد آمون بمدينة طيبة المصرية الى الاسكندرية ، ثم نقلها ابنه كوستانزو الثانى الى ايطاليا ولكنها لم تصل الى روما لان الحروب المحلية اوقفت عملية نقلها فى منطقة سيرشيو حيث اهملت وردمت حتى أعاد الكشف عنها سيستو الخامس واقامها فى موقعها الحالى ..

★ مسلة بيازا مونت شيتوريو (أو المسلة الشمسية) ترجع الى عصر بسماتيك الاول (القرن السابع ق.م) نقلها من سايس الى روما



مسلة الفاتيكان



مسلة مونت شيتوريو « الشمسية »

اوجوستو حيث اقامها بميدان سان لورنزو على قاعدة من الرخام يعلوها لوح مربع من النحاس لتصبح ساعة شمسية) مزولة (وكانت « الساعة الرسمية » لمدينة روما ، ثم سقطت واهملت حتى اعاد اقامتها البابا بيوس السادس (فى ١٧٨٩) فى ميدان مونت شيتوريو — أمام مبنى البرلمان الايطالى وقد عثر أخيرا فى حديقة كنيسة سان لورنزو على قاعدة الساعة الشمسية وقد حفر عليها « من اوجوستو قربانا للشمس ،بعد أن أخضع مصر للشعب الرومانى » •

★ مسلتى ميدانى لامينوفا وديلاروتوندا التوامتين ، وهما احدث المسلات المصرية سنا (تعودا للملك أبريس القرن السادس ق٠م) واصغرها حجما نقلتا من معبد الشمس فى هليوبوليس حيث كانتا متواجهتين الى معبدى ايزيس وسيرابيس بروما ، وعثر على أولاهما البابا السندرو السابع (فى ١٦٦٠) فكلف المثال — برنيني بعمل قاعدة لها لاقامتها فى ميدان لامينرفا ، فصنع برنيني قاعدتها على شكل فيل صغير من المرمر (يطلق عليه سكان الحى « برغوث المسلة ») ويبلغ ارتفاع المسلة بالفيل حوالى خمسة امتار ••• أما المسلة الثانية فقد عثر عليها البابا كليمنت الحادى عشر (فى ١٧١١) فامر باستخدامها لزخرفة نافورة صغيرة كان قد تم انشاؤها قبل قليل بميدان ديلاريتوردا ، فاقيمت بين تمثالى وحشين بحريين يزينان النافورة ••• والميدانان أمام وخلف معبد البانثيون ••

★ مسلة الفاتيكان ، ثانى مسلات روما فى



مسلة ميدان ترينيتادى مونتى بقمة السلالم الاسبانية احدى اشهر المسلات فى روما .. ولكنها مزيفة .

الطول (٤١ مترا) ولكنها ـ وان كانت مصرية اصيلة ـ الا انها ملساء تماما بلا كتابات محفورة عليها .. نقلها الى روما الامبراطور كاليجولا فى سنة ٣٩ لزخرفة ملعب نيرون ، الرياضى (شيركو نيرونى) ويسمى ايضا ملعب الفاتيكان، وقيل انها اقيمت فى المكان الذى انذر فيه جوليو شيزارى (يوليوس قيصر) مرتين بانه سيقتل (فى ١٥ مارس ٤٤) وان سان بيترو (القديس بطرس الرسول) صلب بجوارها ـ وتوجد الان كنيسة صغيرة باسم القديس امام ذلك الموقع كما توجد لوحة من الرخام تشير الى مكان المسلة الاصلى.. وقد نقلت المسلة (فى ١٥٨٦) بامر البابا سيستو الخامس الى موقعها الحالى امام كاتدرائية سان بيترو فى وسط ميدان الفاتيكان .. وقسم المربع الذى تقف وسطه الى اثنى عشر قسما لتستعمل المسلة كمزولة ..

★ مسلتى سانتا ماريا ماجورى والكويرنيالى التوامتين (وارتفاع كل منها ١٤،٨ مترا) احضرهما أوجوستو الى روما ليقيمهما على جانبى مدخل ضريحه ، وعثر على أولاهما مكسورة قطعتين فى عصر سيستو الخامس فاقامها (كما ذكرنا من قبل) امام مدخل فيلته فى الميدان الصغير خلف كنيسة القديسة مريم الكبرى ... وعثر على الثانية فى عصر البابا بيوس السادس الذى اقامها فى ميدان كويرينالى (القصر الجمهورى الحالى) بين تمثالين لمخلوقين اسطوريين كان قد وضعهما بالميدان قبل قرنين .. البابا سيستو الخامس ■■

روما ـ فريد كامل

رسالة من يوغوسلافيا :

مرة أخرى :

مواجهة وليس حوار

مع عناصر الجمود في الفقه الإسلامي

بقلم : حسين جوزو

« الدعوة الى مواجهة عناصر الجمود فى الفكر الاسلامى ،التى اثارها الدكتور كمال ابو المجد على صفحات « العربى » ، ونشرنا تعقيبا عليها يدعو الى « الحوار » وليس « المواجهة » فى عدد سبتمبر الماضى ــ هذ الدعوة يسهم فى مناقشتها هذه المرة واحد من اكبر علماء المسلمين اليوجوسلاف هو الاستاذ حسين جوزو ، الذى بعث بهذه الرسالة من سيراييفو » •

■ ربما كان من المفيد ان يطلع قراء مجلة العربى القراء على رأى مسلم اوروبى فى هذا الموضوع الذى يشكل قضية من اهم القضايا التى يواجهها المسلمون فى هذه اللحظة التاريخية ، وفى مفترق الطرق الذى وصل اليه المسلمون ، بعد استيقاظهم من نوم طويل وانتباههم من غفلة دامت قرونا عديدة•

اقول فى البداية بانى اؤيد ما ذهب اليه الدكتور احمد كمال ابو المجد كل تاييد وبدون اى تحفظ ، وقد دعوت فى بحوثى الى ما يدعو اليه من افكار وآراء •فمنذ تتلمذت والتقيت بالائمة الثلاثة الكبار فضيلة الشيخ مصطفى المراغى والشيخ محمود شلتوت والشيخ رشيد رضا ، ومنذ اتصلت بكتب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وكتب الاستاذ جمال الدين الافغانى ، اخذت افكر فى ضرورة البعث الاسلامى واحياء الفكر الاسلامى من جديد• وقمت بما كان فى وسعى من بذل المساعى والجهود

في هذا السبيل • ولم تزدني بحوثي وتحليلاتي في الموضوع الا ايمانا وتاكيدا بوجود فرصة عظيمة تمكن الاسلام من القيام بدوره ورسالته من جديد•

وهذه الفرصة واضحة كل الوضوح • وتتجلى في كون الانسان المعاصر الذى تصدى باسم العلم والتكنولوجيا لانكار وجود الخالق المبدع سبحانه وتعالى وانكار القيم الروحية ـ هذا الانسان اضحى اليوم يعيش في اضطراب وقلق ، يعيش خائفا على نفسه وماله واولاده ومستقبله ، يعيش يائسا تعسا شقيا في داره ، وفي مجتمعه ، وفي عمله ، وفي آماله • وما ذلك الا لان الافكار الجديدة والاراء المبتدعة والمخترعات الحديثة اشبعت الناحية المادية من نفس الانسان،ولم تشبع الناحية الروحية • انه لا يشكو من الامتلاء ، بل يشكو من الفراغ •

وزيادة على الانحلال الخلقي وانكار القيم الروحية ، فان حياة الانسان وكيانه المادى أصبحا مهددين وفي خطر الابادة التامة • ان السلاح النيتروني الجديد خير دليل على ما وصل اليه الانسان من خطر ومن نزول قيمته • ان القنبلة النيترونية تدمر سكان مدينة باسرها دون ان تهدم بيتا واحدا ، وتقتل شعبا بكامله دون ان تترك حفرة في شارع او تنسف جسرا على نهر ، وتقتل جنديا في دبابة دون ان تصيبها باية خسارة• فالبيت والجسر والدبابة صارت اعظم قيمة من الانسان •

ان الجيل الجديد من الشباب المسلم يرى كل ذلك ويدرك ان النظريات التى تعتمد على المادة والعلم فحسب عجزت وفشلت تماما في اسعاد البشر وتحقيق رفاهيته وطمانينته ، وحل قضاياه، واخذ هذا الجيل يتطلع الى من يقدم اليه الاسلام الصحيح وحلوله لمشاكل العصر،تلك الحلول التى تقيم التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية ، وتاخذ بعين الاعتبار على السواء حاجات الجسم وحاجات الروح ، وتحسب حسابا لكل من العقل والشعور ، ومن العلم والفضيلة ، كل له دوره ومهمته في حياة الانسان بحيث لا يجوز اهمال احد من هذه العوامل •

عالة على السلف

ولكن مشكلة تقديم الاسلام الصحيح وحلوله ليست بامر يسير • هنالك عقبات في هذا السبيل، ذكر العديد منها الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد في مقاله • ويودى ان اتناولهنا بشيء من التعقيب على عقبة اعتبرها من اهم العقبات وهي عقبة التيار المحافظ الذى يوجب اصحابه ويحتم على المسلمين التزام ما انتهى اليه الاولون من السلف الصالح والاخذ بدون تحفظ بكلما وردمنهم من آراء ومواقف واحكام ، لاينكر جواز الاختيار بينها،ولكنه يرى في تجاوزها تجاوزا للاسلام وابتداعا فيه ، وفتحا لابواب الهوى وتحكيما للعقول في الشريعة •

وهذا التيار قد جنى على الفكر الاسلامي واوقف حركته وتطوره ، وجمده في اشكاله الاولى• وبهذا تحجرت عقلية العلماء فلم تعد تنتج وتبدع وتبتكر شيئا جديدا ، وعاش المتاخرون من العلماء والمقلدين حوالى عشرة قرون عالة على غيرهم من علماء السلف •

وقد كررت مرارا وما زلت اكرر القول بان الفكر الاسلامي لم يطبق عمليا الا مرة واحدة ، وذلك قبل اكثر من الف سنة ، اذ قام المجتهدون الاولون واستخرجوا منه احكاما ، واستنبطوا من النصوص حلولا لمشاكل واجهها المجتمع الاسلامي الاول في ظروفه وملابساته المعينة • والذى قام به ابو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل وغيرهم من المجتهدين من اجتهادهم في استخراج الاحكام في الاحوال الشخصية والجنائية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لم يكن سوى البحث عن الحلول الاسلامية لقضايا ومشاكل وجدت في حياة عصرهم ، انهم ادركوا واجبهم وقاموا به وادوه بكل امانة • جزاهم الله عنا كل خير • وكان من الواجب على كل جيل ان يؤدى مهمته ويواصل حيث انتهى اليه الجيل السابق ، ويبحث في اطار الفكر الاسلامي عن حلول لقضاياهم لان لكل جيل مشاكل تتجدد في الحياة العامة • والفكر الاسلامي بشموله يصلح لكل زمان ومكان بحيث يجد فيه كل جيل ما يستطيع ان ياخذ منه حسب مستوى تقدمه

ورقيه وحسب ما يستشعره من حاجاته ويدركه من مشاكله•وهذا ماشار اليه الرسول في حديثه الذى قال فيه«بان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد هذا الدين» •وليس للتجديد معنى غير البحث عن الحلول الاسلامية لمشاكل تتجدد •

ولكن مع الاسف الشديد ـ لم يقع شيء من هذا• فان اهل التقليد والجمود والاستكانة حالوا دون ذلك • فانهم اوقفوا تطور الفكر الاسلامي وقيدوه بقيود حديدية وحبسوه في اجتهادات المجتهدين الاولين وفي استخراجاتهم التي كانت حسب مقدرتهم وحاجات عصرهم • وهذا ما لا ينكره احد •

واذا كان اهل الجمود والركود والتقليد استطاعوا ان يحبسوا الفكر الاسلامي ويوقفوا تطوره حتى يومنا ، فان عصرنا قد فك القيود على اختلاف انواعها لان الجماهير الاسلامية تحركت ونفد صبرها وخاب املها في التواكل وانتظار ظهور المهدى الموعود ونزول عيسى اللذين سوف يعيدان مجد الاسلام ويملآن الارض عدلا كما ملئت جورا وفسادا •

صورة غير مقبولة

وانا على يقين تام بان صورتنا للاسلام التى نشات في العصور الاولى في ظروف معينة،ثم دخل فيها خلال عصور الانحطاط والتخلف ما دخل من الخرافات والانحرافات عن طرق مختلفة،وعلى وجه الخصوص عن طريق التصوف الذى يدعو على حد قول الدكتور ابوالمجد الى الايغال في العبادة والى الزهد في الدنيا كلها ، ويهون كثيرا من قيمة العقل وينقل كثيرا من اتباعه من هذا العالم الذى تحكمه السنن وتضبط حركته النواميس الى عالم غامض تختلط فيه ـ ولو بحسن نية ـ الحدود الفاصلة بين آداب السلوك واخلاقيات الايمان ، وبين المنهج الغيبى الخالص الذى يضع اقدام اصحابه على طريق لا يسلم من الخرافة وتلبيس الحقيقة بالوهم ـ ان هذه الصورة لا تصلح لتقديمها الى الجيل المعاصر ، انها صورة مشوهة لا يقبلها الشباب المعاصر ولا يطمئن اليها •

ان المسلمين اليوم ، بعد تحركهم ودخولهم في التاريخ من جديد ،امامهم طرق مختلفة ونظم متعددة وفلسفات متباينة وافكار متناقضة يقدمها اصحابها ويدعونهم اليها • ان الجيل المعاصر من المسلمين في حيرة شديدة ، انه يرغب قبل كل شيء في ان يتخلص من رواسب التاخر والجمود • وان يتحرك ويتقدم ، ولكن الى اين والى اى اتجاه • الى الشيوعية الى الوجودية الى العلمانية والى غيرها من النظم والافكار السائدة في عصرنا •

ماذا اعددناه نحن لنقدمه الى جيلنا المعاصر واكثر من ذلك ، هل المسلمون على بينة فيما يجب عليهم ان يسيروا عليه في حياتهم ؟

ان في الفكر الاسلامي ـ كما لاحظ الدكتور احمد كمال ابو المجد بكل دقة وصواب ـ تيارات عديدة متداخلة احيانا ومتناقضة احيانا اخرى ، تتوزع فكر المسلمين ومشاعرهم وولاءهم وتشد كثيرين منهم الى معارك جانبية تشتد ضراوتها احيانا اكثر مما تشتد ضراوة الصراع بين التيار الاسلامي بروافده المختلفة ، وبين تيارات اخرى تنازعه وتناقضه في اسسه الكبرى وقيمه العليا•

وبعد هذا ، ماذا نطلبه من شبابنا ، وعلى وجه الخصوص ماذا يطلبه منهم علماؤنا من رجال الدين ؟

هذا سؤال له ـ في رايي ـ اهميته وخطورته ! ومن الثابت عندى اننا نعرف جيدا ما لانريده ولا نعرف ما نريده،نعرف ان ننتقد ولا نعرف ان نعمل ونجيد العمل ، نحن كثيرو القول وقليلو العمل •

وخير ما نختتم به هذا التعليق كلمات من بحث الاستاذ الدكتور ابو المجد وقعت في نفسي موقع اعجاب شديد : ان الاسلام الذى ينبغي ان نقدمه للاجيال من شبابنا هو اسلام الحركة والقوة والصحو والاخذ بالاسباب ، الاسلام الحى الذى جسده النبى بسيرته واقواله ••• وباطل القول من قال ان الاول لم يترك للاخر شيئا •• فقد ترك له عالما كاملا غير عالمه ، ودنيا غير دنياه ، وتجربة جديدة لا تغنى عنها تجربة قديمة • ف « تلك امة خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم •• ولا تسالون عما كانوا يفعلون » •

■■

حسين جوزو

سراييفو ـ يوغوسلافيا

مذكرات جرّاح



بقلم : نجلة فتحى صفوة

زاوربروخ ، طبيب هتلر الخاص ،واشهر جراحي المانيا ، يروى ذكريات طريفة عنه وعن مرضـاه الآخرين منالشخصيات التاريخية .

■ تمتاز كتب المذكرات عادة بطرافتها وبمـا تحفل به من نواح انسانية وصور من الحياة حقيقية تجعلها مادة ممتعة للقراءة ومصدرا مهما للتاريخ. وعلى الرغم من أن الكثرة الغالبة من المذكرات هى تلك التى يكتبها السياسيون والدبلوماسيون فهنالك كثير من الكتب التى وضعها أشخاص بعيدون فى حياتهم وعملهم اليومى عن السياسة وكذلك عن الكتابة والتاليف ، بينهم المهندس والطبيب والضابط وغير أولئك من ذوى المهـن التى لا تمت الى السياسـة ولا الى الكتابـة بنسـب ، ولكن مذكراتهم تحتوى على نصيب وافر مما أسـماه سومرست موم « مـادة الحيـاة » ، فتجعلها من الكتب الناجحة ، وتضعها فى مصاف الآثار الخالدة .

وقد لا تكون تلك المؤلفات ، من ناحية الصياغة الفنية والاسلوب الكتابي بالغة مبلغ ما يكتبه الكتاب المحترفون ، ولكنها فى كثير من الحالات تحتوى على ناحية أو نواح لا توجد لدى غيرهم ممن اتخذوا الكتابةعملا ، أو ادركتهم حرفةالادب.

فقد كتب جندى الماني ــ لم يعرف له اهتمام أدبي سابق ــ فى أعقاب الحرب العالمية الاولى قصة استلهم مادتها من مشاهداته وذكرياته خلال تلك الحرب ، ونشرها بعنوان « كل شيء هادىء فىالميدان الغربى » ، فنالت نجاحا منقطعالنظير ، وترجمت الى معظم لغات العالم ، وطبعت منهـا ملايين النسخ ، واخرجت فى فلم سينمائى . ودر الكتاب على مؤلفه ثروة طائلة ، واصبح عنوان الكتاب من الاسماء المشهورة الخالدة . وقد حفز هذا النجاح مؤلف الكتاب « أريك ماريا ريمارك » على احتراف الكتابة ، فاصدر بعد ذلك عديدا من الكتب ، ولكنه لم يبلغ فيها ما بلغه فى كتابه الاول من نجـاح . ومع ذلك فان النـاس كانوا يشترونها بسبب اسم مؤلفها ، وما حققه لـه كتابه الاول من شهرة . والواقع انه لم ينجح من مؤلفات « أريك ماريا ريمارك » ــ منذ « كل شيء هادىء فى الميـدان الغربى » ــ سوى كتاب واحد صدر بعده باكثر من ربع قرن بعنوان « وقت للحب ووقت للموت » ، وموضوعه الحرب العالمية



لندبرغ



تشرشل



هندنبورغ

الثانية • وهو كتاب جيد ، ولكنه لا يمكن ان يقارن بكتابه الاول ، ولم ينل مثل شهرته •

نماذج من تجاربهم

وفي سنة ١٩١٦ التحق شاب انجليزي يدرس الآثار القديمة بالثورة العربية في الحجاز ، وسار مع الجيش الشمالي حتى دخوله دمشق ، وأسهم في عملياته العربية • فاذا انتهت الثورة ووضعت الحرب أوزارها ، عاد الى بلاده ، وكتب ذكرياته عن تلك الحملة وعن بلاد العرب بمدنها وصحرائها ، في كتاب أسماه «أعمدة الحكمة السبعة» وسرعان ما وضع هذا الكتاب مؤلفه الشاب «تي • ئي لورنس» بين الخالدين ، واصبح كتابه من المؤلفات العظيمة ، لا لما فيه من حقائق تاريخية ،وحوادث حربية ، بل لما احتواه من صدق العاطفة وبراعة الوصف وروعة الاسلوب • وقد قتل لورنس بعد صدور كتابه بسنوات ، ولكنه أصبح أسطورة من الاساطير ، وتوالت عنه الكتب والدراسات ، وصورت حياته في فلم سينمائي ، ولم تقم هذه الشهرة كلها ، في الواقع ، الا على كتابه الفريد •

وفي سنة ١٩٢٧ طار طيار امريكي شاب ، عمره اربع وعشرون سنة ، من نيويورك الى باريس منفردا بطائرة اسمها « روح سنت لويس » ، وقضى ٣٣ ساعة ونصف الساعة فوق المحيط في محاولة اقدم عليها الكثيرون قبله ، فكان نصيبهم الموت جميعا • وقد وصف « لندبرغ » محاولته هذه في كتاب صدر سنة ١٩٥٣ عنوانه « روح سنت لويس » جاء آية في التعبير عن المشاعر الانسانية في ساعات الحرج والالم والشجاعة ، فكان من اكثر الكتب نجاحا واعيد طبعه عشرات المرات • وهو كتاب لو حاول كتابته « برناردشو » او كاتب من طبقته ، لعله ما استطاع أن يوفق فيه توفيق مؤلفه ، وهو طيار وليس كاتبا • اذ قد لا يأتي كتابه الا متكلفا مصطنع العواطف • ولا شك أن عبارته تكون أبلغ واسلوبه اجود ، ولكن سينقصه حتما صدق التجربة فيسلبه كل حرارة وحيوية •

ومن الكتب التي وضعها مؤلفون بعيدون عن الكتابة الادبية او التاريخية فبلغوا فيها من النجاح مبلغا عظيما ، مذكرات الجراح الالماني الشهير « زاور بروخ » التي صدرت سنة ١٩٥١ ، ونشرت ترجمتها الانكليزية سنة ١٩٥٤ •

ومؤلف هذا الكتاب « فرديناند زاور بروخ » من أعاظم الجراحين في التاريخ ، وكان يدعى لمعالجة الملوك والرؤساء ، وينتقل من عاصمة الى عاصمة بطائرات خاصة ترسل اليه • وقد أتيح له بحكم مهنته أن يطلع من حياة عظماء التاريخ ومشاهيره على نواح لا يمكن لغيره أن يطلع عليها قط ، وشهد من شؤونهم الخاصة وعواطفهم الحقيقية واخلاقهم الشخصية ما لا يظهرون به امام جمهور

الناس،ولا يعرفه عنهم سوى أقرب المقربين اليهم•

ويقول مثل ايطالي :« ليس هنالك رجل عظيم امام خادمه» •والمقصود به أن الخادم يعرفمن حياة سيده واحواله الخاصة ما يجعله بنظره انسانا عاديا كغيره من سواد الناس ، مهما كان عظيما في مقامه أو منصبه او شهرته • وقد يصح أن يقال على هذا القياس :« ليس هنالك رجل عظيم أمام طبيبه» • فالطبيب يدخل على الرجل في مخدعه ، ويراه في مباذله ، ويقابله كانسان من لحم ودم في ساعات ضعفه ، وهو يتلوى من الالم ، ويشهد خوفه من الموت أو شجاعته أمامه ، حين يكون السياسي الخطير ، والقائد البطل ، والدكتاتور الصارم ، وقد رفعوا عن وجوههم النقاب الرسمي واستووا امام طبيبهم كغيرهم من افراد البشر •

أسرار ليست مقدسة !

ولا شك أن من المبادئ الرئيسية في مهنة الطب وآدابها : أن اسرار المرضى مقدسة لا يجوز للطبيب ان يفشيها أو يتحدث عنها • ولكن حياة العظماء والمشاهير ، ولا سيما بعد وفاتهم ، ملك للتاريخ لا لانفسهم • والاخلاص للحقيقة والتاريخ اولى من الاخلاص للافراد ودفن الحقائق التي قد تلقي اضواء مفيدة على خفايا التاريخ وسير مشاهير الرجال • وقد أثار اللورد موران ، طبيب تشرشل الخاص ، ضجة كبيرة في انكلترا وخارجها بسبب كتابه الذي نشره قبيل وفاته ووصف فيه تشرشل في حالات ضعفه ومرضه • فقد استاء كثير من البريطانيين لافشاء تلك الاسرار عن حياة الرجل الذي تعده بريطانية أعظم رجالها في القرن العشرين • وشنت الصحف حملات شعواء على اللورد موران ، ولكن الكتاب بقي مصدرا مهما لكتابة الفصل الاخير من سيرة الرجل الذي تعددت الكتب عن سيرته •

وقد دون «زاور بروخ» في كتابه « مذكراته » بابدع أسلوب وانصع بيان ، وكأنه كان يكتب بمبضع الجراح لا بقلم الاديب ، فضمن كتابه قصصا طريفة ومعلوماتواوصافا للعظماء والمشاهير الذين عالجهم قلما تجدها في كتاب آخر •

فهو يتحدث ، مثلا ، عن معالجته للرئيس الالماني السابق « هندنبورغ » في سنة ١٩٣٤ حتى وفاته، ويسجل عنه قصصا وصورا هي غاية في الطرافة ، فيروي أنه استدعي مرة ليحمل الرئيس المريض على توقيع مرسوم بتعيين « فون بابن » سفيرا لالمانيا في فينا ، فحمل زاور بروخ الوثيقة الى سرير الماريشال العجوز بيمينه ، والقلم بيساره، ولكن هندنبورغ هز رأسه قائلا :

« أيها الاستاذ • كيف أستطيع توقيع وثيقة كهذه في السرير ؟ »

فاجابه الطبيب :

« ولكن لا يجوز لفخامتكم أن تنهضوا من السرير مهما كانت الاسباب »

فتمتم هندنبورغ :

« ولكن يجب أن أوقع الوثيقة »

ومضى يناقش ، ويلح ، حتى لم تنفع معه حيلة ، فاضطر الطبيب في النهاية الى الرضوخ لطلب الرئيس ، فالبسه ملابسه الرسمية وأوسمته كاملة ، وجلس وراء منضدةصغيرة جلبت الىجوار سريره • وقال بعد ان وقع الوثيقة :

« لم يكن بمقدري أن أوقع هذه بملابس النوم»•

على سرير الموت

ويروي زاوربروخ حادثة أخرى عن هندنبورغ تظهر مدى تمسكه بالتقاليد والشكليات • فقد الح على الرئيس أن يرتدي فوق قميص نومه معطفا سميكا مما يلبس في غرفة النوم (روب دي شامبر) ، فاحتج هندنبورغ قائلا :

« انني لم البس ذلك في حياتي قط • فانا جندي والجندي لا يرتدي شيئا فوق قميص النوم ، ولا يليق به مثل هذا الترف » •

فاقترحت ابنته الصغرى أن يضع على كتفيه أحد معاطفه ، وحملت اليه معطفا فاخرا أهداه اليه « أمان الله خان » ملك الافغان السابق ، فرفض هندنبورغ أيضا ، وقال :

« ان هذا المعطف هدية • ولا يصح ارتداؤه في السرير »

ولم تجد مع هندنبورغ دموع ابنته ولا توسلها، فاعيد المعطف الى مكانه •

ويقدم زاوربروخ صورة مؤثرة للرئيس الالماني المتهدم وهو على سرير الموت ، اذ يروي انه ساله ، وهو جالس الى جواره :

« أيها الاستاذ ، لقد صدقتني القول دائما • فقل لي هل العجوز ذو المنجل بانتظاري ؟ » (وهو يرمز بذلك الى الموت او عزرائيل) •



هتلر

فاجابه الطبيب :

« كلا يا صاحب الفخامة ، ولكنه يحوم حول الدار »

★★★

وكان زاوربروخ نازيا متطرفا ، ولكنه اختلف مع هتلر في آخريات أيامه · لذلك جاءت في مذكراته بعض الصور التي رسمها لدكتاتور المانيا ، وهي أشبه ما تكون بالصور الكاريكاتورية التي طالما نشرت له في صحف بلاد الحلفاء ، او عرضت في الافلام السينمائية · ومنها الحادثة التي قد تكون من اكثرها طرافة · فقد كان زاوربروخ يقوم بجولة لتفتيش المستشفيات في منطقة القرم في سنة ١٩٤٢ بصفته جراحا عاما للقوات المسلحة · فاستدعى الى مقر هتلر في فينيتسا على الفور ، ولكن عطبا أصاب السيارة التي أرسلت لنقله ، فوصل متأخرا ، وادخل غرفة كبيرة أنيقة الاثاث لم يكن فيها أحد · ولم تمض برهة حتى فتح أحد الابواب فجأة واندفع منه كلب ضخم كشر عن انيابه وتقدم نحوه وكأنه يريد أن يقفز الى رقبته · فوقف زاوربروخ بلا حراك ، وقد أخذ الخوف منه كل مأخذ ، وفاء

بكلمات لطيفة وأخذ يربت عليه برفق · فاذا بالكلب الهائج يهدأ ويستلقي الى جانبه بهدوء · فجلس زاوربروخ على كرسي ووضع الكلب الضخم ساقيه الاماميتين على ركبتيه ، وفي عينيه نظرات وادعة ، كأنه يطلب منه المداعبة·وفي هذه اللحظة دخل هتلر الغرفة·ويقول زاوربروخ انه رأى مشهدا من اقسى وانحس ما مر به : فقد وقف هتلر صامتا برهة من الزمن ، مشدوها لمنظر الكلب ، وعيناه تقدحان شررا ، ثم تقدم نحوه وهو يضغط على قبضته بقوة ، وقال صائحا :

« ماذا فعلت بكلبي ؟ »

فلم يحر زاوربروخ جوابا ، وكان الكلب لا يزال يداعبه ويمسح وجهه بيده ، فقال هتلر في هياج ظاهر :

« انه المخلوق الوحيد الذي يخلص لي اخلاصا تاما ، وها أنت تسرقه مني الان · انني ساقتله ، فأنا الشخص الوحيد الذي يقبل عليه ويطيعه · انه المخلوق الوحيد الذي يحبني في العالم ، وأنت الان تسلبني اياه »

وليس من المعقول ، بطبيعة الحال ، أن يقول هتلر كل ذلك عن نفسه ، ولكنها صورة كاريكاتورية رسمها زاوربروخ · وقد أضاف ان صوت هتلر ارتفع الى حد الصراخ ، وانه مضى في حديثه متنقلا من موضوع الى موضوع ، ثم هدد باعتقاله ، واخيرا هدأ فجأة وأخذ يبين له سبب استدعائه اياه ، فقال ان وزير خارجية تركية « منئمنجي اوغلو » مريض ، واذ سبق لزاوربروخ أن أجرى له عملية جراحية ، فانه يريد أن يراه في انقرة ليسعفه · ولما كانت العلاقات السياسية مع تركية في تلك الفترة بالغة الاهمية،فانه أمر باحضار طائرته الخاصة الجديدة لنقل زاوربروخ الى انقرة حالا ·

والكتاب يزخر باقاصيص مماثلة ، وكلها مليئة بالمتعة والطرافة والمعلومات النادرة عن المشاهير الذين عالجهم المؤلف ، وكأنها حواش فنية لسجل طبي · والطبيب اذا تحدث ، وكان يجيد الحديث، فلا عداد للامور الطريفة والغريبة التي يستطيع ان يكشف عنها من طبائع البشر وهوامش التاريخ·

■■

بغداد — نجدة فتحي صفوة

تعقيب على مقال :

الاجتهاد .. وعصا الشيخ عليش

بقلم : محمد عبد الله السمان

كان الشيخ عليش المغربي الاصل من أعيان المالكية في الازهر ، وولي مشيختهم فيه ، حتى توفي عام ١٨٨٢ م ، ولم يكن مجرد عالم مقلد ، بل متعصبا اشد التعصب للتقليد ، كان يحمل في عقله منهب الامام مالك ، ويحمل في يده عصا غليظة يطارد بها حلقات الامام محمد عبده في صحن الازهر ، الامام المجدد الذي حاول جهد استطاعته ان يهتك حجب الجمود الفكري الذي تسلل الى الاسلام في غفلة من الزمن ، واستسلم له بعض علماء الدين رهبة وتقصيرا ، كما استسلم له البعض الاخر عجزا وقصورا ..

مرت بذهني قصة الشيخ عليش وعصاه التي كان يطارد بها فكر الامام محمد عبده المتجدد ، وانا اقرأ بامعان فكرة فهمي هويدي التي عرضها للمناقشة على صفحات «العربي» . والحق انني اشفقت كثيرا على الكاتب وهو يعلم كما نعلم انه بالرغم من ان الشيخ عليش قد توفي الى رحمة الله منذ زهاء قرن من الزمان ، الا ان عصاه لا تزال حية تسعى ، تتوعد كل من يحاول اثارة قضية الاجتهاد بالويل والثبور .

ان ما ساقه الاستاذ هويدي من الادلة الناصعة التي تؤيد قضية الاجتهاد كضرورة في عصرنا هذا ، لا يحتاج الى مزيد ، لكن المشكلة ليست الادلة وما كثرها ، وانما وجود العقليات التي تهضم الادلة تقبلها ، وقد كان الامام الغزالي رحمه الله يقول: ليست المشكلة في حلها ، وانما المشكلة في قبول الحل .. والمشكلة ايضا وجود القلوب المؤمنة الشجاعة في علمائنا ، التي لا تتهيب الغوغائية ولا تحسب لها حسابا ..

امام مشكلة التراث

ومما لا جدال فيه ان الاجتهاد اصل من اصول الاسلام المقررة والمسلمة ، فاذا حاولنا اليوم جادين ان يحتل الفكر الاسلامي مكانه اللائق به ، وان نرد للفقه الاسلامي الاصيل اعتباره الذي اصبح في خبر كان ، فاننا نصطدم بتساؤل يلح علينا في الاجابة عنه : من الذي يبدأ الخطوة الاولى ؟ قد يتبادر الى الاذهان لاول وهلة : انه الازهر الشريف ، وننسى ان الازهر الشريف قد اصبح في الآونة الاخيرة كالذي فقد ظله ، ففي الازهر لايزال طلابه في كلية الشريعة يدرسون المذاهب الاربعة التقليدية منقسمين عليها ، ثم ان الفتاوى لاتزال تصدر من لجنة الفتوى بالازهر متشبثة بتلك المذاهب الاربعة .. فاذا بدأ الازهر الخطوة الاولى وهو على هذه الحالة من الجمود ، انطبق عليه المثل القائل : فاقد الشيء لا يعطيه . وقبل ان نفكر جديا في هذه المحاولة الخطيرة، يجب ان نجسد امام اعيننا السدود التي تتربص بالمحاولة وتترصد لها بكل ما أوتيت من حصانة وقوة . واعني بهذه السدود مشكلة القداسة التي نضفيها على تراثنا وعلى اصحابه معا ، ولكي نبدأ من فوق ارض صلبة يجب ان نصفي اولا عقبة هذه القداسة ..

ونحن حين نطالب ـ وبالحاح شديد ـ بتصفية مشكلة التراث ، لا نفكر على الاطلاق في ان نغمطه حقه ، ولا في ان نسقط من الحساب الجهد الطيب الذي بذله علماء السلف وفقهاؤه ، لان هؤلاء حين دونوا ما دونوه لم يمر باذهانهم ان لما دونوه قداسة ، وقد كان الامام ابو حنيفة يقول : « كل انسان يؤخذ من كلامه ويرد ، الا صاحب الروضة الشريفة » كان يسلم بالحديث النبوي اذا صح . ويعمل الصحابة اذا ثبت ، لكنه كان يتوقف ازاء عمل التابعين واقوالهم ، ويقول : « هم رجال ونحن رجال » هذا وقد اختلف على الامام ابي حنيفة صاحباه : ابو يوسف ومحمد ، وتنوعت مذاهب

الائمة الاربعة ، بل ثبت اختلاف الصحابة والتابعين في المسائل الاجتهادية ، وكانت في العراق مدرسة الرأى وعلى رأسها صحابي جليل هو عبد الله بن مسعود ، كما كانت في المدينة مدرسة الحديث وعلى رأسها امثال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر وبعض التابعين من امثال سعيد بن المسيب.. وكل هذا الاختلاف في الرأى لمرة من ثمرات العقول الواعية لا العقول المتحجرة ، ولم يحدث ان سفه صاحب رأى ، رأى من يخالفه ، بل كان احترام الرأى رائد الجميع ...

يضاف الى ذلك كله ان مدونات الفقهاء الاربعة نفسها مشحونة بآراء غيرهم واقوالهم من السابقين عليهم ، وهنا سؤال يفرض نفسه ، موجه الى هؤلاء العلماء الذين يريدون فرض القداسة على المذاهب الاربعة التقليدية :« اليس في قولكم بالتزام اقوال الائمة الاربعة لانهم سابقون ، ما يوجب عليكم ان تتركوا اقوال هؤلاء الائمة لاقوال من هم اسبق منهم كاصحاب رسول الله والتابعين ؟ » .

لقد طرح الاستاذ هويدى سؤالا ، ليس فحسب جديرا بالاجابة عنه بل بالوقوف عنده طويلا : «كيف تكون هناك ممارسة حقيقية ضمن ذلك الاطار الموضوع ؟ كيف ينتقل العقل العربي من دور الاستقبال العاجز الى دور الارسال الايجابي والفعال ؟ صحيح — كما يقول الاستاذ هويدى — ان الامر يحتاج الى رواد ، وربما شهداء ، لان هؤلاء الذين يخوضون تلك المعركة سوف يسبحون ضد التيار ، لكني اعتقد ان الخطوة التي يجب ان يخطوها هؤلاء الرواد ، هي اجراء تصفية لتراثنا من كل ما شابه من دخل ودخن،وان يرسو في الاذهان ، ان مسالة القداسة لعالم او فقيه او كتاب محض خرافة يرفضها الاسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا .. وهذه بداية المعركة ، ويجب ان يكون الرواد مستعدين لها ، لانه سوف يتصدى لهم اهل الجمود في كل بلد وصقع ، وقد يجدون من عواطف السذج والغوغائية ما يشد ازرهم ، بل قد يوجد من يطالب برؤوس هؤلاء الرواد ، او على الاقل بتجريدهم من مناصبهم ومؤهلاتهم العلمية ، فنحن لا نزال نشهد في الصحافة المتحجرة ، والكتب المتزمتة حملات موتورة على فكر الامام محمد عبده ، لا تقل ضراوة عن عصا الشيخ عليش ، ولعلنا لم ننس بعد ما حدث للمغفور له الشيخ محمود شلتوت حين نشر على صفحات « الرسالة » القديمة والتي انكر فيها نزول عيسى عليه السلام ، والمسيح الدجال، والمهدى المنتظر ، لقد طالب بعض علماء الازهر بتجريده من « العالمية »ولهذه القصة ماساة سمعتها باذني من الشيخ شلتوت في منزله ، وهو الان في جوار ربه ، قال : « ان قصة هذه الفتوى اصلها ورود سؤال من الهند الى الشيخ المراغي يوم ان كان شيخا للازهر ، عن حقيقة مسالة نزول عيسى وظهور المسيح الدجال وانتظار المهدى المنتظر ، فحول الشيخ المراغي الفتوى اليّ واجبت عنها ، ورايت نشرها على صفحات « الرسالة » اتماما للفائدة ، وما ان نشرت ، حتى قامت قائمة بعض مشايخ الازهر عليّ ، وظل هؤلاء المشايخ يردون عليّ شهورا ، ولما هدات ثورتهم قليلا كتبت ردا مجملا على ردودهم ، ثم ذكرت في نهاية المقال : ان الفتوى حولت اليّ من شيخ الازهر ، فهالني ما رايت وما سمعت ، رايت هؤلاء المشايخ الذين اقاموا الدنيا واقعدوها بسبب فتواى ، يعتذرون الى شيخ الازهر ، لانهم لم يكن لديهم علم بأن فضيلته قد اقر الفتوى ووافق عليها » .

يجب ان نقدر ان في مجتمعاتنا المسلمة غوغائية تتعصب للدين بلا عقل وبلا فقه ، وهي مستعدة لعمل اى شيء من اجل اثبات وجودها لانها تعيش في فراغ،هذه الغوغائية التيتلتحف بثوبشفافمن التدين العاجز ، هي التي تحافظ على مقام الوثنية والجاهلية . فبقوة الدفع من هذه الغوغائية ، تنفق من اموال الاوقاف الاسلامية الوف الجنيهات على القباب والاضرحة والمزارات ، في الوقت الذى تعيش فيه الملايين من البشر في هذه الدول الحرمان نفسه ، والعدم ذاته ، وهذه الغوغائية هي التي تتصدى لكل من يحاول نبش التراث العفن الذى الصق بالفكر الاسلامي الاصيل زورا .

ان القضية التي اثارها فهمي هويدى علىصفحات « العربي » ليست قضية عادية حسبها القليل من الجهد ، وما لم يوفق لها رواد يتمتعون بالكثير من الفقه المستنير والكثير من الايمان الشجاع ، فان اخشى ما نخشاه ان تصاب الحركة بالدوار ..لا قدر الله .. ■■

القاهرة — محمد عبد الله السمان

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

التسميد ليس السبيل الوحيد لزيادة محصول النبات

● يبدو ان الفائدةالتي يجنيها النبات من سماد الفسفات .. يمكن مضاعفتها دون الاضطرار الى اعطاء النبات مزيدا من ذلك السماد .. ويكون ذلك بحقن جذور النبات بمادة فطرية نافعة .. ولا يخفى ان الاسراف فى استعمال سماد الفسفات قد يزيد من احتمالات التلوث..

تلك هى نتيجة التجارب التى قام بها العالمان الدكتور ب . بلاك والدكتور ب. تنكر .. والتى ابرزاها فى تقرير نشرته لهما مجلة نتشر Nature العلمية المعروفة. وقد اختارا البطاطس موضوعا لتجاربهما تلك .. وذلك بالنظرلحاجتها الكبيرة الى الفسفات ولحسن تجاوب جذورها وقدرتها على صنع الفطور الجذرية ..

اما مصدر الفطريات الذى اعتمداه فى تلك التجارب فكان تربة حقل تكرر زرعه بالحبوب سنة بعد سنة .

وقد تبين للعالمين ان الفطور الجذرية Mycarrhizas تكونت فىجذور البطاطس وان محصولها قد زاد بنسبة ٢٠٪ هذا فى الحالات التى كانت كمية الفسفات التى سمدت بها التربة عادية .. اما فى الحالات التى ضوعفت فيها كمية الفسفات فان نسبة الزيادة فى المحصول قفزت حتى تجاوزت ٥٠ ٪ .

حملة واسعة فى لندن لمكافحة قمل الرأس

● نشطت دوائر الصحة فى العاصمة البريطانية وراحت تقوم بحملات مكافحة عارمة فى مطلع شهر ايلول الماضى ..ولم يكن الباعث على تلك الحملات التى شملت مئات الآلاف من الناس .. لاسيما طلاب المدارس .. لم يكن الباعث على عليها وباء الكوليرا او الجدرى .. وانما القمل .. نعم قمل شعر الرأس .. وقد تفشى بين الصغار والكبار حتىزاد مجموع المصابين به على مليون نسمة ، وبلغ عدد طلاب المدارس بينهم ٢٠٠ر٠٠٠ .

وتعتبر حملة القمل هذه من اضخم ما عرف العالم حتى الآن من حملات المكافحة او الابادة .. ابادة الطفيليات . فقد ضمت الاطباء والممرضات والمرشدين الصحيين واساتذة المدارس وموظفى الخدمات الاجتماعية ، فضلا عن مفتشى صحة البيئة والحلاقين والصيادلة .. ولا عجب وقد استهدفت اجتثاث الحشرة الخبيثة ، حشرة القمل ، التى تتخذ من جسم الانسانومن شعر رأسه بالذاتموطنا تعيش عليه فتصبح فى عداد الطفيليات .

ولا يخفى ان السبب الرئيسى فىتفشى آفة القمل هو عدم النظافة .. ومعنىهذا ان مستوى النظافة فى لندن قد انخفض فى المدة الاخيرة .. وقد اكد ذلكمجلس التثقيف الصحى البريطانى.. ومنطريف ما يذكر هنا ان هذا المجلس حذر المواطنين من استعمال شتى مستحضرات الشامبو ، مؤكدا أنها لا تقتل القمل ولا بيضه ، وانها قد تسبب بعضالالتهابات التىتفوق الاصابة بالقمل خطورة .

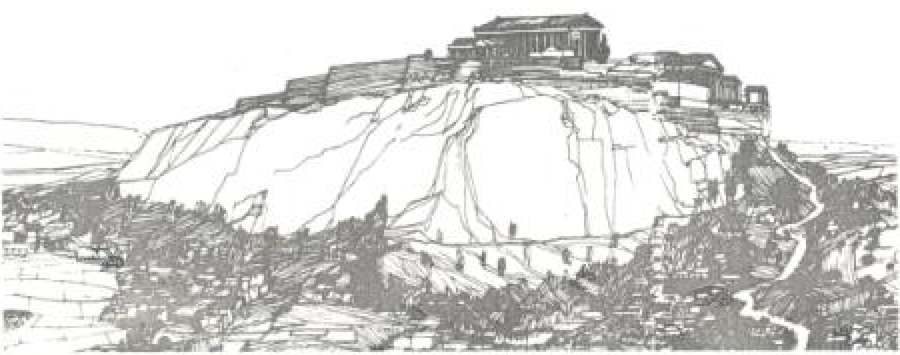
الاكروبوليس فى خطر

● الحضارة الصناعية الحديثة تبدو للكثيرين من العلماء مصدر نقمة على حياة الانسان بقدر ما هى مصدر نعمة ... فهى ماضية فى استنفاد مصادر الطاقة وخامات الصناعة والمياه العذبة .. وهى ماضية ايضا فى تلويث البيئة ... والتسبب باختلال التوازن الطبيعي القائم فيها ... وهذا اختلال مشحون بالاخطار على شتى الاحياء وفى مقدمتها الانسان ..

على ان التلوث يحدث ضررا آخر قلما يخطر بالبال ... فهو يفتك بتراث الانسان الفني ويهدد باتلاف التماثيل والمباني وسائر الاثار التى خلفتها الحضارت الانسانية الاغريقية والرومانية وغيرها .. والتي كانت موضع فخر واعتزاز في كل زمان ومكان .

ويأتي الاكروبوليس فى طليعة تلك الاثارة المهددة .. فهذا المجمع الحضارى الذى يضم طائفة من خيرة الثمرات التى جادت بها فنون الاغريق ... هذا التل الذى يشرف على اثينا ، عاصمة اليونان .. والذى اختاره قدامى الاغريق ليكون مركزا لعباداتهم وشعائرهم ومأوى للهياكل التي يقيمون فيها هذه وتلك .. وللتماثيل التي صنعوها من رخام وجسدوا فيها اعز مقدساتهم .. هذا الاكروبوليس الذى طالما صمد لنوائب الدهر واحداث الزمن طيلة ٢٤٠٠ سنة .. عجز عن الصمود في وجه التلوث .. وبات مهددا بالفناء ... ويصدق هذا اكثر ما يصدق على هيكل البارثنون .. آية الاكروبوليس المعمارية ... فقد بنى الاغريق هذا الهيكل فى القرن الخامس قبل الميلاد .. فى عهد بركليس . بنوه من رخام ليليق بالالهة (اثينا) ، وقد بنوه من اجلها ، وزينوه بتمثالها الذى اختفى منذ زمن بعيد لا لسبب الا لانهم صنعوه من ذهب خالص وجعلوه بحجم كبير . ومما يذكر عن البارثنون .. ان الرومان حولوه فى ايامهم الى ناد لملذاتهم ومجونهم ، ثم جاء المسيحيون الاوائل فحولوه الى كنيسة تنتمي للمذهب الارثوكسى ، ثم جاء الاتراك فحولوه الى مسجد .. ثم ما لبثوا ان استعملوا جانبا منه مستودعا لذخيرتهم .. وبارودهم .. الذى ما لبث ان انفجر حين اصابته مدفعية البندقية سنة ١٦٨٧ ، فى احدى المعارك التى نشبت بين الاتراك وبين دولة البندقية المدينة ..

على ان الخراب الذى لحق البارثنون طيلة القرون الاربع والعشرين التى انقضت على بنائه ليتضاءل لو انت قارنته بالدمار الذى حل به بسبب التلوث خلال نصف القرن الاخير .. فقد امتلأ الجو بالمادة الملوثة الفتاكة Sulfur dioxide تلك المادة التى اطلقتها مصانع اثينا وسياراتها فى المدة الاخيرة بلا حساب .. فأخذ رخام البارثنون بالتآكل والتقلص ان لم نقل بالذوبان .. وانطمست معالم التماثيل وتلاشت دقائقها .. وتشققت الحجارة هنا وهناك .. والتلوث كفيل بذلك كله .. لا سيما اذا جاءه العون من عوامل الطبيعة .. كالرطوبة والضباب بخاصة .. ومن عوامل اخرى من صنع الانسان كمحاولات الصيانة التى قاموا بها



فيما بين ١٩١٣ ـ ١٩٣١ وقد استهدفت انقاذ البارثنون والاكروبوليس٠٠واذا بها تؤدى الى مزيد من دماره ٠٠ ذلك انهم عمدوا الى دق قضبان حديدية داخل الحجارة ٠٠ وغفلوا عن ان الحديد قابل للصدأ ٠

والامر متروك الان لليونسكو وحكومة اليونان ٠٠٠ وقد وضعت الاولى مشروعا لانقاذ ما يمكن انقاذه من ذلك التراث الضخم ، وهى تحاول الان جمع ١٥ مليون دولار ٠٠ وتعهدت حكومة اثينا برصد ٥ ملايين دولار للاسهام فى تلك العملية ، عملية الانقاذ ٠٠ لا سيما وان الاكروبوليس فى طليعة المعالم السياحية العالمية وقد بلغ عدد السواح الذين يؤمونه سنويا ثلاثة ملايين سائح ٠٠٠

وتستهدف عملية الانقاذ فيما تستهدف انتزاع القضبان الحديدية الصدئة واجراء عمليات تجميل للتماثيل والاستفادة فى ذلك من الالياف الزجاجية Fibreglass ما امكن ٠ وترمى تلك العملية ـ على ما يبدو ـ الى نقل منحوتات الاكروبوليس جميعا من مكانها الى داخل متحف موجود عند قاعدة التل ، تل الاكروبوليس ٠

آثار ومتحجرات مثيرة اكتشفوها فى تركيا

● منذ سنة ١٩٦٩ واعمال الحفريات والتنقيب عن المستحثات قائم على قدم وساق فى (بازلار) فى تركيا ٠٠ حيث اتفق لعمال الطرق ان عثروا صدفة على مجموعة من المتحجرات بلغت من الكثرة ما يجعل البلدة التركية فى الطليعة بين المواقع الاثرية الشهيرة فى العالم اجمع ٠٠ ولم يكن علماء الآثار والحفريات بحاجة للابتعاد كثيرا عن ذلك المكان ، ولا للحفر اكثر من بضعة امتار تحت سطح الارض ، ولا لمواصلة العمل مدة طويلة ، للحصول على الثروة الهائلة من المتحجرات التى حصلوا عليها ٠٠

والخطورة ليست فى الكثرة فحسب ٠٠ فالمتحجرات اكثرها عظام واسنان مخلوقات عاشت قبل ١٥ مليون سنة ٠٠ وقد تفاوتت احجامها حتى بلغ بعضها حجم الحشرات وجاوز بعضها الآخر حجم الافيال ٠٠ وشملت هذه البقايا فيما شملت اسنان عدد من القردة ذات الشبه الكبير بالانسان ٠٠ ومن فصيلتين منها بالذات هما Ramapithecus, Sivapithecus

وقد نشرت مجلة تنشر Nature فى عددها الصادر فى ١٩٧٧/٨/٢٥ مقالا اشترك فى وضعه الدكتور ب٠ج٠ اندروز ، احد كبار المسؤولين فى المتحف البريطانى (قسم التاريخ الطبيعى) والدكتور هـ ٠ طوبين ، احد اساتذة جامعة جوهانز جوتنجن فى ماينز فى المانيا ٠ ومن اهم ما تضمنه مقال هذين العالمين الملاحظات التالية :

١ ـ ان المستحثات التركية لا تحدثنا عن فصيلتى القردة اللتين ذكرنا بالذات وانما عن حلقتين بدائيتين من تينك الفصيلتين ٠٠ اى عن Sivapithecus darwini وعن Ramapithecus wickeri وهاتان الحلقتان موغلتان فى القدم وتعتبران من الحلقات المبكرة جدا فى سجل النشوء والارتقاء ٠

٢ ـ كان المعتقد ان افريقيا هى الموطن الاصلى للفصيلتين السالفتى الذكر وانهما انتقلتا منها الى آسيا فى زمن متأخر نسبيا ٠٠ اما الآن فالمرجح ان هجرتهما تلك قد وقعت فى زمن قديم بالغ القدم وانهما عادتا الى افريقيا ثانية بعد ان قطعتا شوطا لا يستهان به على سلم التطور ٠

لكي تحتفظ بشبابك بعد الستين ..!

بقلم : د • عبد الرحمن حميده *

■ كثيرا ما نلاحظ وجود نوع من استسلام للهرم ، وبالتالي للموت ، قبل الاوان ، وذلك لدى الكثرة من المتقاعدين ، اي المحالين الى المعاش ، ناسين انهم لا يزالون في فترة خصيبة من عمرهم، قادرين على أن يفيدوا مجتمعهمبخبراتهم المتراكمة عبر السنين العديدة ، وهكذا نسمعهم يرددون عبارة « الكبر عبر » أو « لم يبق بالكرم سوى الحطب » وسواهما من العبارات والامثال الدارجة الباعثة على القنوط ، اي كانهم يتوقعون زيارة الموت بين لحظة واخرى • وفي مثل هذه الحالة النفسية تبدو الحياة ثقيلة على صاحبها وعلى ذويه واصحابه • وربما كان في سلوكهم هذا نوع من استدرار لعطف الاخرين ، هذا علما بانه خير للانسان الف مرة أن يكون موضع غبطة الاخرين او حتى حسدهم من أن يكونموضع شفقتهم التي لا فائدة واقعية ترجى منها •

ومجتمع اليوم هو مجتمع المتقدمين في السن ، وذلك نظرا لارتفاع متوسط الاعمار ، اذ أصبح الاجل المرتقب للمواليد في البلاد المتقدمة ، كالاقطار الاسكندينافية وهولندا واليابان ، في حدود ٧٢ سنة للاناث ، و ٧١ سنة للذكور ، وفي عالمنا العربي ٥٥ سنة وسيطا ، في حين لا يتجاوز الاربعين سنة في معظم اقطار افريقية السوداء ، وقد يتدنى الى سبعة وثلاثين عاما في دولة النيجر او غانا او نصف اعمار الناس في البلاد الراقية تقريبا •

ولكن هذه الارقام المجردة هي عبارة عن متوسطات حسابية، فانخفاض متوسط العمر عندنا يعود لشدة نسبة وفيات الاطفال في السنة الاولى من أعمارهم ، اذ تبلغ حوالي تسعة أضعاف ما هي عليه في البلاد المتقدمة اذ يختطف الموت عندنا ١٥٠ وليدا من كل ١٠٠٠ مولود في السنة

* استاذ في كلية الدراسات الاجتماعية فيجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية • رئيس قسم الجغرافية في جامعة دمشق سابقا

الاولى مقابل ١٦ فقط في البلدان التي سبقتنا ، اذ سرعان ما تنقلب الجهود اليائسة الى قبور كالحة ، ويعود هذا لعوامل لا مجال هنا لذكرها .

واذا كان الواحد منا لا يعرف ما تخبئه له الايام بعد احالته على المعاش ، ويتوجس خيفة من البطالة القسرية التي سيخضع لها التي قد تجعله مصدر مضايقة في البيت ، يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، وقد تتوتر العلاقات بينه وبين اولاده ، وحتى مع رفيقة حياته ، ويصبح كائنا لا ضرورة له، طفيليا ، وهذا مما سيزيد في شعور العزلة لديه ، على خلاف الكهل الاوروبي او الامريكي الشمالي الذي يخطط لمستقبله بعد سن التقاعد وكانه امام حياة سعيدة اخرى ، لا تقل بهجة وروعة واشراقا عن الماضي ، فتراه يقول : « ساعمد الى زرع الملفوف » وهي عبارة يقصد بها الاعمال التي تنتظره بعد سن المعاش .

العمر والذكاء

اذكر انه في عام ١٩٥٦ كان يشاركني احيانا في مقعد المدرج في جامعة باريس (السوربون) محافظ مقاطعة سابق محال للمعاش بسبب بلوغه الستين ، وقد دفعني فضولي في يوم من الايام أن أطرح عليه السؤال التالي : ما هو الهدف الذي تسعى اليه من وراء التحصيل والدراسة وانت في مثل هذه السن المتقدمة ؟ فكان جوابه : لكي اشعر بانني لا ازال حيا وكي اساهم بعد تخرجي في عمل يفيد المجتمع الذي أعيش فيه قدر استطاعتي » .وكان ممتلئا حيوية ونشاطا وابتسامته لا تفارق شفتيه ، وكان مندمجا مع زملائه من الطلبة كانه واحد منهم .

ان دماغ الانسان ، الذي يتألف من ١٥ مليار (بليون) خلية عصبية ، يحتفظ بكل قدراته على الفهم والتفكير حتى أعمار متقدمة جدا ، كما استطاع العلماء أن يبرهنوا على أن الملكات الذهنية لدى الاشخاص الذين يتمتعون بذكاء حاد جدا تزيد مع تقدم العمر .

ويقول الدكتور بريل الامريكي أن المستوى الذهني لدى الانسان في سن الثمانين لا يقل عن مستواه في سن الخامسة والثلاثين . واذا كانت حيوية العقل قد تصاب احيانا ببعض الوهن فان الانتباه والمحاكمة يستفيدان من تحسن ملحوظ .

وحتى عهد قريب منا كنا نرى الكثيرين ممن تجاوزوا الثمانين يتصرفون كالرجال الذين هم في عنفوان شبابهم . فقد ظل ونستون تشرشل حريصا على دعابته حتى وفاته مثلما ظل المستشار الالماني اديناور محتفظا بكل وميض نفسيته وتفكيره، كما استمر الرسام الشهير بيكاسو حتى قبيل موته يساهم في تطوير فن الرسم وقلب مفاهيمه السابقة رأسا على عقب . ويمكن قول نفس الشيء بالنسبة للجنرال مونتغمري بطل العلمين ، والجنرال ويغان الفرنسي .

ومن المعلوم ان خلايا الدماغ العصبية لا تتجدد مطلقا ، لهذا كان لا بد من تشغيلها باستمرار كي تبقى محتفظة بفعاليتها . فالدماغ الذي لا يتوقف عن العمل هو مثل آلة الكترونية تزيد في عدد ارتباطاتها باستمرار ، وهكذا يكون هذا الدماغ قادرا على حل عدد اكبر من المسائل .

هذا وينعكس شباب الدماغ النشيط على الجسم بكامله ، فما دام الذهن نشيطا فان الجهاز العضوي بكامله يظل نشيطا . وقد لاحظ الاخصائيون أن رجال الفكر هم الذين يظلون متمتعين بالشباب لاطول فترة . ويأتي في الطليعة الباحثون ، والعلماء ، والمهندسون ، والكيماويون ، والبيولوجيون ، ويليهم اساتذة التعليم الجامعي والمحامون ورجال السياسة والشعراء ، واخيرا الموسيقيون .

الحل : الهوايات

ولكن لا تتصور مطلقا انه قد أصبح من المحتم عليك أن تخضع لهرم ذهني وعضوي مبكر لانك موظف أو مستخدم أو مزارع . والحقيقة فانه باستطاعتك دوما أن تقوم بتمرين ذهنك مهما كان وضعك او مهنتك . حاول بعد تناول وجبة العشاء ان تقوم ببعض القراءات ، ولتكن قراءة سريعة وواعية قدر الامكان لان القراءة تحسن الانتباه . أو قم بحل تمارين الكلمات المتقاطعة ، أو العب الشطرنج مع احد الاصدقاء، ناقش اخوانك في احدث الاكتشافات العلمية ، او في الاحداث السياسية العالمية الاخيرة او الاعمال الفنية . ناقش بشغف وحماس ، لان الحماس ينشط العقل.

ابحث عن هوايات تساعد على تمرين ذهنك وتشغيله ، كهواية جمع الطوابع. تعلم لغة أجنبية

او تحول الى جماعة للامثال الشعبية ، او هاوية لانواع العصافير النادرة او تربية الاسماك .

واذا داهمك سن الاحالة على التقاعد فتابع اهتمامك بالشؤون المالية والعقارية ، والسياسية، او فى حساب ميزانية الاسرة .

ثابر على أن تحيا حياة عصرك،فلا تلتفت كثيرا للماضي الذى قد يتحول الى عبء يثقل كاهلك ، وكن على مستوى قضايا زمانك ، تردد مثلا على دور السينما لمشاهدة الافلام الرصينة والعلمية والتاريخية بروح نقادة ، ففيها الكثير من البواعث على التفكير العميق ، وشاهد برامج التلفزيون ، وسترى الكثير من الاشياء التى تحرض ذهنك الذى سيبقى فتيا .

ان الاسفار لا تساعد على صيانة الشباب الجسمي والعقلى فحسب بل تعمل على الاحتفاظ به واطالة امده . اذن سافر كلما سنحت لك الفرصة . وفر بعض الدراهم كي يكون بمقدورك قضاء اسبوع او اثنين فى البلاد الاجنبية ، ولو كان السفر فى السيارات العمومية،فلا شيء كالاسفار يثير الفضول ويحرض ملكة الانتباه ويحث على التفكير مثلما يدفع على حب التغيير ، وكلها طرائق ممتازة لتمرين الملكات الذهنية .

ومن المؤسف أن نقول أن الكثيرين من كهولنا ، وحتى من شبابنا ، لا يزالون يرون فى الرياضة البدنية عملا يتنافى مع الوقار والرزانة . ولكن اصبح من المؤكد الان انه اذا كانت النفس تؤثر على الجسم ، فان الجسم يؤثر بدوره ايضا على النفس ، اى هناك علاقة متبادلة وحميمة بينهما . فاذا كنت تمشى مائل الرأس للامام، محنى الظهر ، وبطنك مندفع للامام ، وانت تجر ساقيك جرا ، فانك ستعجز حتما عن التفكير كشاب .

اذن دافع عن نفسك وسر منتصف القوام ، رافع الرأس ، وانظر الى الناس والاشياء وجها لوجه وعندئذ ستشعر انك اصبحت رشيقا ، خفيفا ، مليئا بحرارة النشاط والبشاشة .

لا تسمح للشيخوخة بان تنشب اظفارها فى فى جسمك او فى ذهنك لانك اذا ما تراجعت امامها فمن العسير عليك أن تسترد مواقعك الضائعة . حافظ اذن على اعتدال قوامك واتبع نظاما غذائيا موائما لعمرك ، وابتعد عن التدخين الذى يتلف ذاكرتك وجهازك التنفسى ، وكذلك الخمر التى تستنزف قواك العقلية . مارس الرياضة المعتدلة، ولا سيما السير على الاقدام مسافة خمسة كيلو مترات يوميا على الاقل ، دون أن تتعب جسمك لان الانهاك الفيزيولوجي يرهق الذهن مثلما يتعب الجسم . حاول أن تقلد عظماء الرجال من امثال الرئيس الامريكي السابق أيزنهاور الذى ظل حتى اواخر ايامه يمارس رياضة الرجبى ، أو الوزير الفرنسى بول رينو الذى بقى حتى ما بعد الحادية والثمانين من عمره مواظبا على رياضة لعبة السيف والحركات السويدية .

وتردد على الرياضيين فصحبتهم تبعث على النشاط ، وشاهد حفلات المصارعة الحرة أو الرجبى وكرة القدم وستسترد فى كل مرة حماسك الذى كنت عليه فى سن العشرين .

احتفظ بقلبك دافئا

لا تقل مطلقا « كان فى ايامنا » وتجنب الثرثرة التذيرة بالغرف ،ولا تكثر من ذكر خبراتك الماضية، وانس عمرك ، وفكر فى التجارب التى ستعترضك فى المستقبل . خطط مشاريع الايام المقبلة مع النية الصادقة الجازمة على تحقيقها ، ولا تحسب الربح والخسارة الى مالا نهاية ، ولا تكن مفرطا فى الحذر واحتفظ بقدر معقول من حب المخاطرة .

واخيرا لا تسمح لقلبك بان يهرم بسهولة كان تحرم نفسك من كل العواطف التى تستشعرها كالحنان والمحبة كالانتساب للجمعيات الخيرية التى ترعى الايتام ، او ذات النشاط الاجتماعي وساهم فى اعمالها بصورة فعالة . فهذه العواطف تعيد النشاط لجسمك كما تمنحه لعقلك . فالحياة العاطفية التى تعمل على تنشيط غددنا تقوم فى نفس الوقت بشحن خلايانا الدماغية وتجدد شباب افكارنا .

والخلاصة : ان حياة الانسان ، على قصرها ، يجب أن تكون مليئة بالنشاط وقادرة على العطاء، فلا تستسلم للمرض او للهرم بسهولة ، وقد قال رسولنا الكريم : لا تتمارضوا فتمرضوا فتموتوا » بل يجب أن نظل رافعي الرأس موفوري العافية فى الروح والبدن ، اذ المؤمن القوى خير عند الله واحب من المؤمن الضعيف . ■■

الرياض — عبد الرحمن حميله



من أجل أبنائنا

.. حتى نحميهم من "الغزو" والضياع!

بقلم : منير نصيف

● لماذا يتزوج الشاب من فتاة غريبة عليه لا تشترك معه في دين او جنس او لغة ؟ ما السبب او الاسباب التي تدفع العديد من الشبان العرب الى الاقبال على هذه الزيجات المختلطة ؟

هل هي ظاهرة ؟ هل هي مجرد نزوه تصيب الشاب في هذا المجتمع الجديد الغريب ؟ ام انها مشكلة اجتماعية ولدت نتيجة لمجموعه من العوامل النفسية التي ما تزال تؤثر في مجتمعنا المحافظ ؟

وقبل ان نحاول ان نبحث عن اجابة للاسئلة التي طرحناها هنا ، نسوق قصة واقعية ، بطلها شاب عربي سافر لاستكمال دراساته العليا في الخارج ٠ بعد ان تخرج في كلية الطب في جامعات بلاده ، وحصل على الماجستير ، ومضى يكمل رحلة العلم ، وهدفه الا يعود قبل أن يصبح أستاذا في الجراحة التي اختارها مجالا لتخصصه !

ثم حدثت المفاجأة. هكذاوصفها لى محدثى وهو دبلوماسي مسئول في احدى السفارات العربية في لندن ، عندما فوجيء بهذا الشاب اللامع في صباح احد الايام وهو يطرق باب مكتبه ، ولم يكن وحده ، كانت ترافقه فتاة شقراء تتعلق بذراعه ، وتتقدمه في جراة ، واكتفى الشاب بالقاء تحية الصباح ، ثم وقف حائرا لا يدرى ماذا يقول ، ولا من اين يبدأ ٠

نضوج ٠٠ ولكن

« وكانت مفاجأة ، كما ذكرت لك ، فانا اعرف هذا الشاب ، واعرف اسرته ،وهي اسرة كريمة ، واعرف بعد هذا انه رجل ناضج ، كرس حياته ووقته كله للدرس والتحصيل ،وكنت القاه كثيرا في شقته الصغيرة التي كان يمضي فيها معظم وقته مع الكتب ، وفي الكلية التي يدرس فيها وفي مكتبي عندما كان يجيء الي ليحدثني عن العمليات الجراحية الخطيرة التي شارك في اجرائها مع اساتذته ٠٠ ولكنني لم اره ابدا مع فتاة، حتى زميلاته في الكلية، فقد كان يحرص دائما على ان يعيش حياته وحده، لا لأنه يخشى ان يضعف امام المرأه ، ولكن لانه كان يؤمن بان وقته لن يتسع للاثنين معا ٠٠ الدراسة وهي هدفه الاول الذى لابد له ان يصل اليه،والبحث عن فتاة تشاركة حياته في هذه المرحلة الصعبة التي لم يكن فيها مكان لهذه المشاركه ٠٠ فقد كانت حياته كلها ملكا له وحده ! »

اقدم لك خطيبتي !

ويمضي الدبلوماسي يكمل القصة : « وتوقعت ان يقول صاحبي اى شيء وهو يقدم لى الفتاة التي كانت تصاحبه ، بعد وقفة تامل وتفكير طويلة، الا هذا الذى قاله ٠٠٠ قال وهو يتفرس في وجهي، وكانه يحاول ان يقرأ رد الفعل الذى سيحدثه الخبر الذى جاء يحمله معه في صدره وفي ذراعه الممدودة وهو يشير اليها في خجل وحياء شديدين : «اقدم لك خطيبتي ! انني لا اعرف كيف ولا متى احببتها ولكنها كانت دائما معي وبجانبي ، في كل مرة ذهبت فيها الى المطعم الصغير كلما احسست بالجوع



كانت تقدم لى اشهى ما عندها من اطباق ، وكانت تجلس هنالك فى ركن قصى ، ترقبنى وانا آكل ، فاذا انتهيت وجدتها تقف امامى تودعنى بابتسامة رقيقة ٠٠ كانت فى البداية ترفض دعوتى لها بمشاركتى الطعام ٠٠ ولكنها مالبثت ان استجابت فى النهاية بعد تردد ٠٠ ولم تكن تاكل ٠٠ وانما كانت تقتنع بمجرد النظر الى" وتلبية طلباتى حتى اذا جاء زبون جديد ، تركت مقعدها لتؤدى واجبها نحوه ، ثم تعود مرة اخرى للجلوس امامى ٠٠

ـ هل تريدنى ان امضى فى سرد بقية قصتى معها ؟

ـ بل انا مصمم ان اعرف كل شىء عنها ٠٠ لماذا هى ، وقد كان فى وسعك مثلا ان تختار واحدة من زميلاتك فى الكلية ٠٠ مضيفة فى مطعم ؟ ما اظن ان اسرتك سوف ترضى عن هذا الزواج !

دائما ٠٠ نفس القصة !

وقال الشاب فى عصبية ظاهرة ، عكست رد الفعل الذى احدثه كلامى فى نفسه :«لا، أنت لا تعرفها ، انها ليست كبقية الفتيات ٠٠ لقد روت لى كل شىء عن نفسها وحكايتها مع الزمن ٠٠لقد اضطرتها ظروف الحياة القاسية الى قبول هذه الوظيفة المتواضعة ٠٠ انها ابنة محام معروف رحل دون ان يترك لاسرته شيئا ، فقطعت دراستها حتى تستطيع ان تعول امها واخوتها الثلاثة الصغار٠٠ ثم اننى احبها ، واريدها زوجة لى ، واما لاطفالى ٠٠ لقد عرفتها ودرست طباعها واخلاقها ، قد لاتعرف أن صداقتنا بدأت منذ اكثر من عشرة اشهر ، كنا نلتقى فى عطلة نهاية الاسبوع ، ونقضى اليوم معا من الصباح حتى المساء ، لقد ملأت حياتى فى الفترة الاخيرة بعد خمس سنوات كاملة قضيتها وحدى فى الغربة بعيدا عن الاهل والوطن ٠٠ »

« وتزوجا ٠٠ وانهى الشاب دراساته العليا ، وحقق هدفه ، وحمل شهادته وعروسه وعاد بهما الى بلده !

« ومرت ثلاث سنوات ، لم اسمع خلالها شيئا عنه أو منه ثم كانت المفاجأة عندما قصدت يوما المطعم الصغير الذى كان صديقى الطبيب يتناول فيه وجباته٠٠هنالك التقيت بها، نفس الفتاة التى تركت اهلها وبلدها وذهبت لتبدأ حياتها الجديدة مع الرجل الذى احبها واعطاها كل شىء !

وفشل الزواج !

وحيتنى ، وهى تدعونى الى الجلوس امام احدى الموائد الشاغرة ، ونظرت اليها فرأيت فى عينيها لهفةغريبة وكانها تنتظرمنىان ادعوها الىالجلوس وفعلت ٠ ولم تنتظر ٠٠ كانت تعرف ماذا يدور فى رأسى ، وماذا اريد ان اعرف ، وانطلقت تحكى لى كل ما كانت تحمله فى صدرها منذ عادت الى بلدها وحدها بعد ان تركت طفليها اللذين رزقت بهما من زوجها فى رعايته ، قالت « لقد جئت منذ ثلاثة اسابيع ٠٠ ولم يكنممكنا انافعل غير ما فعلت ٠٠ اننى لا الومه ، فقد كان كريما معى ، سخيا فى عطائه ٠٠ ولكننى لم اعد قادرة على الاحتمال ٠٠ لقد حاولت ٠٠ وحاولت كثيرا ان اكيف حياتى مع البيئة الجديدة التى وجدت نفسى اعيش فيها من اجله هو٠٠ولكننى فشلت٠٠ كان كل شىء من حولى يذكرنى باننى لا انتمى لهذا المجتمع ٠٠ كل شىء فى داخلى يقول لى:هذا ليس مكانك ! » كل شىء اصنعه ٠٠ كل عمل اقوم به يثير دهشة الناس واستنكارهم احيانا ٠٠

« تجربة لايمكن ان اصورها لك ، ولايمكن ان يتصورها الا من عاشها مثلى ! ولم اجدفى النهاية «رى حل واحد لمشكلتى ٠٠ وكان الحل بيدى ٠٠ طلبت الى زوجى ان يطلقنى ! وافزعته الفكرة ، ولكنه مالبث ان اقتنع بها عندما احس باننى اتعذب ، وانه هو وحده الذى يستطيع ان يضع حدا لهذا العذاب ٠٠

« وافترقنا كما التقينا ، كأحسن ما يكون الاصدقاء ٠٠ بعد ان وعدنى بان يتيح لى فرصة

زيارة الطفلين كلما شعرت بالحنين اليهما .. ان اصغرهما لم يكمل شهره التاسع .. بالامس حمل لي البريد رسالة منه ، ومع الرسالة صورة له مع زوجته الجديدة .. الفتاة التى اختارها له والداه .. قال وهو يودعنى فى نهايتها : « انها تعرف كل شيء عنك .. وستكون اما لطفليك اننا نرحب بك ضيفة علينا فى اى وقت .. فبيتنا مفتوح لك .. وهو بيتك ايضا فقد تركت فيه اجمل واعظم هدية تقدمها امرأة لزوجها »

وقمت اودعها بعد ان انتهيت من تناول طعامى، وسألتها :

« وهل تعودين ؟ »

قالت : لا اظن انني ساعود مرة اخرى مهما بلغ بى الحنين ! »

وانتهت القصة .. وهى واحدة من عشرات القصص التى نسمعها وان اختلفت ظروف ابطالها .. لماذا يتزوجون فى هذه المجتمعات الغريبة عليهم ؟

عطف ، وليس حبا !

حالة هذا الشاب ، بطل هذه القصة قد تختلف ظروفها ، كما يراها بعض الباحثين فى هذه المشكلة الاجتماعية .. فقد كان واضحا من أحداثها أن الشاب يعانى من الوحدة ..لان فكرة الزواج اصلا لم تكن فى ذهنه ، وهو يمضى فى طريق العلم نحو هدفه المرسوم .. والذى حدث بينه وبين هذه الفتاة لم يكن حبا بقدر ما كان عطفا على فتاة فقيرة مكافحة ، استطاعت بحديثها ان تستدر شفقته ، وان تملأ جانبا من الفراغ الذى كان يحس به ، كلما جلس وحده أمام مائدة الغداء أو العشاء ..

هل كان من الممكن ان ننقذ هذا الشاب من المشكلة التى عاشها وهو يعود بزوجته الاجنبية الى ذلك المجتمع الذى لا تنتمى هى اليه والتى فشلت تماما فى ان تذوب فيه وتعوّد نفسها عليه ؟

رأى .. وحل !

« لو كان لى ابن فى مثل ظروف هذا الشاب ،لما تركته يسافر وحده .. انني الوم والديه اللذين لم يحاولا اقناعه بالزواج بمن يختار من بنات بلده قبل ان يبدأ رحلته الى هذا العالم المجهول ..فليس فى الغربة شعور اقسى وأمر من الشعور بالوحدة ، والحنين الى الوطن والاهل والاصدقاء .. وعندما يجد الرجل انسانا عزيزا عليه يتحدث لغته ،وينتظر عودته ويقلق لغيبته ، يشعر انه لم يبتعد يوما واحدا عن الارض التى نبت فيها والاهل الذين احبهم واحبوه ، وعلقوا كل آمالهم به ! »

هكذا حل لنا احد كبار الاخصائيين الاجتماعيين مشكلة هذا الشاب ، وكل شاب يستعد للسفر للخارج لاتمام دراساته العليا .

ولكن هناك اسبابا اخرى تجعل بعض شبابنا يفضل الزواج من فتاة اجنبية ! ماذا يجد فيها ولا يجده فى الفتاة التى نشأت وتربت فى بلده وبيئته؟

والجواب على هذا ببساطة أن الأولى «الغريبة» عرفها ، والثانية « القريبة » لا يعرفها ! كيف ؟

مشاعر .. واحاسيس

يقول استاذ فى علم النفس : « الحب الذى ينشأ بين قلبين هو شعور لا يعرف احد حتى الآن كيف يفسر أسبابه ودوافعه الكامنة ! ولكن الذى يمكن ان نقوله هو انه عندما نجد شابا وفتاة تعاهدا على الزواج ، نكتشف ان هناك اشياء كثيرة يجدان متعة فى القيام بتاديتها معا .. وهناك اهداف يشتركان فى رغبتهما فى الوصول اليها وتحقيقها خلال رحلتهما فى الحياة ..وان كلا منهما ينظر الى الاخر نظرته الى اعظم مخلوق فى الدنيا .. وان اجمل اللحظات التى يقضيانها هى تلك التى يجلسان فيها ويحلمان بالمستقبل المشرق الذى ينتظرهما وما سوف يحققانه فى مسيرتهما معا نحو الغد القريب والبعيد !

هذه المشاعر والاحاسيس هى الشيء الظاهر الواضح الذى يمكن ان نستند اليه فى تعريفنا للحب الحلال الذى يسبق رباط الزواج ونحن نرى ابناءنا يتعاهدون على الوفاء بعد اتمام رحلتهما مع الدرس والتحصيل وبداية رحلة العمل من اجل الرزق والعيش ،فقد انتهى عهد الوالدين اللذين يختاران لابنهما شريكة حياته !

هذه المشاعر هى قمة النضج .. ولكن كم من الشباب والفتيات عندنا اتيحت لهم فرصة التعارف الذى لا بد ان يسبق رباط الزواج !

« الحرية » التى نأباها

لا نريد ان نخوض فيما يحدث عندهم خارج حدود بلادنا .. لاننا ما نزال نعيش فى ظل عاداتنا

وتقاليدنا التي تفرضها علينا تعاليمنا الدينية.. ثم ،وهذا هو المهم ، اننا لا نقر ما عرفناه عنهم وعن « الحرية » التي يمنحونها لبناتهم ، والتي تصور لابنائنا انهم ما يزالون يعيشون في مجتمع متخلف ، او غير متحضر ، كما يصفه بعض الشباب العربي — للاسف الشديد — في الندوات التي تقيمها نوادي وجمعيات الصداقة بين العرب وغير العرب من شعوب اوروبا .

هذه « الحرية » هي التي اتاحت للشاب العربي فرصة التعرف على الفتاة التي غالبا ما تنتهي علاقته معها بالزواج ، ونحن نرفضها ولا نقرها ، ونحمد الله على ان اخلاقنا ما تزال بخير .

دعوة للتعارف البريء

ولكن اليس هناك من وسيلة اخرى لمنح الشباب فرصة للتعارف .. هنا في بلدهم وداخل حدود ارضهم؟ان التعارف قائم وموجود فعلا في الادارات والهيئات والمؤسسات الحكومية والاهلية على السواء بعد ان نفضت المرأة عن نفسها تراب العزلة وانتزعت حقها في التعليم والعمل واثبتت وجودها كقوة مؤثرة في المجتمع .. وانها دعوة الى اتاحة الفرصة للشباب المتعلم المثقف الواعي الى معرفة الفتاة القريبة منه البعيدة عنه .. تلك التي ستصبح له زوجة وأما لاطفاله ، وعونا له في بناء المجتمع وتقدمه ورفاهيته .. انها دعوة لمعرفة تتيح للطرفين على السواء دراسة بعضهما البعض وقراءة افكارهما وتصورهما للحياة ومعناها وفلسفتها .. وهي دراسة لا تتم بعيدا عن عيون الرقباء .. وانما هي تجري تحت اشرافهم وبتشجيع من الاخصائيين الاجتماعيين من الجنسين في النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية التي يمكن ان تشارك فيها الجامعات والاتحادات النسائية بصفة خاصة ..

انهار الحائط .. ولكن

ان الحائط الذي اقمناه ليفصل بين الشاب والفتاة قد تهاوى منذ زمن بعيد شئنا ام لم نشأ .. فهذا هو الواقع ، والحجاب الذي طالما اخفت المرأة وجهها وراءه حتى لا يراها الرجل . قد اختفى بدوره او هو في سبيله الى الاختفاء .. فلم نر طبيبة تمارس مهنتها من وراء نقاب .. ولم نسمع عن مدرسة تلتقي بطالباتها وهي تخفي وجهها ، فكلهن سافرات .. او محامية تقف امام القضاء تترافع عن موكلها من وراء الستار .. يقول الاخصائيون الباحثون ، ان الامر بايدينا ، ولا بد لنا ان نساعدهم .. نساعد ابناءنا على السير في الطريق الجديد .. وهو طريق يختلف تماما عن هذا الذي سار فيه اباؤنا واجدادنا من قبلنا انه الطريق الذي يمسك فيه الرجل بيد المرأة التي تشاركه حياته ويسيران فيه معا جنبا الى جنب ليضعا اسس الحياة لمستقبل افضل واكثر اشراقا .. فلنحم ابناءنا من « الغزو » الخارجي الذي يحمل معه المساوىء والمآسي (١) اننا بهذا وحده نساعد فتياتنا على استعادة ثقتهن بانفسهن ، ونرسم لهن صورة جديدة في اذهان شبابنا الواعي الناضج .. صورة لا تغيب عن اذهانهم ابدا مهما بعدت الشقة وطال غيابهم عن ارضهم وبلدهم .. صورة يبحثون عنها ويعودون اليها عندما يشعر احدهم بحاجته الى البحث عن نصفه الحلو واكمال دينه بالزواج .. تماما كما يفعل الكثيرون من ابنائنا الذين عاشوا جانبا طويلا من حياتهم في الغربة بعيدا عن اوطانهم .. وكما فعل المليوني الامريكي جولبنكيان ، وهو من اصل ارمني ، وكانت المعجبات به وباموالهم وثروته كثيرات .. ثم فوجئوا به يوما يستقل الطائرة الى جهة غير معروفة ويختفي تماما عن العيون والاضواء التي لم تبهره يوما !

اين ذهب ؟ لقد سافر الى سوريا ليبحث بنفسه عن زوجة من بنات جنسه ارمنية مثله تتحدث لغته وتدين بدينه .. ثم عاد اليهم حاملا عروسه التي اعطاها اسمه وثروته .. واعطته كل ما كان يحمله قلبها من حب ووفاء . ■■

منير نصيف

---

(١) القاعدة ان الزواج بين الشاب العربي من اجنبية مآله الفشل .. ولكن كم من هذه الزيجات كانت موفقة وناجحة . عاشت فيها الزوجة العربية رحلة العمر كله مع زوجها في مجتمعه بكل عاداته وتقاليده واخلاقه ومثله .

في بلاد الموريسك

المسلمون
مروا
من هنا

كامبيلرا وبانيترا من قرى البشرات التي تتناثر فوق الجبال كأعشاش النسور وترى على البعد قمة



غرباء الاندلس

بقلم : فهمي هويدى
تصوير : أوسكار مترى

جبال نيفادا المغطاة بالثلوج .





من احفاد الموريسيكيين ، لم يبق من الاجداد الا الملامح والاسامي .



عاشوا ١٢٥ عاماً مسلمين في السر

مسيحيين في العلن !!

■ هذه القصة تاريخ محض ، ذهب ابطاله وطويت صفحته منذ حوالي خمسة قرون • وكل ما فعلناه أننا ذهبنا الى المسرح الرئيسي لاحداث تلك الملحمة الرائعة التي سجلها مسلمو الأندلس البواسل ، الذين اضطروا الى اعلان التنصير في ظل ظروف تعسة ، وصفها أحد معاصريها ـ الكاردينال ريشيلو ـ في مذكراته بقوله : انها اكثر صفحات التاريخ الانساني فظاعة ووحشية •

لكنهم ظلوا مسلمين سرا طوال قرن وربع ، يقاومون الرعب والارهاب والموت • ظلوا قابضين على « الجمر » كما يقول الحديث الشريف ، حتى طردوا جميعا من الاندلس •

ذهبنا الى معقلهم المنيع فوق جبال البشرات الشاهقة جنوبي أسبانيا ، حيث تتناثر قراهم كاعشاش النسور على ارتفاع ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر • وهناك استرجعنا احداث الملحمة وتتابع فصولها الدامية والمثيرة •

اذا اضافت القصة شيئا الى معرفة القارىء ومعلوماته ، فقد حققت بعض أهدافها • واذا استثارت فيه مشاعر الرفض لمختلف صور التعصب الاسود ، فقد حققت كل أهدافها • أما اذا حركت بأي قدر ، أي حس طائفي أو عنصري ، فقد فشلت فشلا ذريعا بكل المقاييس •• كقصة وكتاريخ وكعمل صحفي •

دخلوا التاريخ باسم الموريسيكيين ••

وكلمة « موريسيك » تعني شيئا واحدا فقط هو : المسلم • والاسبان هم اصحاب هذه التسمية منذ كان اول عبور للاسلام الى اوروبا عن طريق المغرب العربي ، الذي كان يعرف في اللغة اللاتينية القديمة باسم موتيانا تنغوانيا (موريتانيا وطنجة) • وقد ربطوا في اسبانيا بين الدين والمكان ، بين الاسلام وموريتانيا • واصبح المسلمون في نظرهم ـ اينما وجدوا ـ موروس • واصبحت اسماء المسلمين تعرف باسم « موريريا » • ومن هنا جاءت كلمة الموريسيك او الموريسكوس كما يقول البعض •

وقد حمل الاسبان هذه التسمية معهم الى الفلبين ، عندما احتلوا جزرها في القرن السادس عشر ، فاطلقوا على المسلمين وصف المورو • وعاشت التسمية الى الان • ومنها اشتقت عبارة « جبهة تحرير مورو » ، التي تحارب باسم المسلمين في الفلبين •

وعلى كثرة ما كتب عن الاندلس في العالم العربي والاسلامي ، من سرد للتاريخ ومراثي دموع سكبت على صفحاته • فان قصة الموريسيكيين ظلت بعيدا عن متناول الكثيرين • كانما كتب على هؤلاء الرجال البواسل ان يظلوا مسلمين في السر تحت حكم ملوك قشتالة ، وان يظل أمرهم سرا ايضا في سجلات التاريخ العربي !

اذ انه ليس في الكتابات التاريخية العربية القديمة غير مؤلف واحد لشخص مجهول عاصر ملحمة الموريسكيين ـ كان من اشراف غرناطة فيما يبدو ـ وسجل بعض صفحات حياتهم في كتاب يحمل اسم « اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » • وفي العصر الحديث لم يصدر عنهم بالعربية غير كتاب واحد فقط ـ ايضا ـ لاحد العلماء العرب

الذين كرسوا حياتهم لدراسة تاريخ المسلمين فى الاندلس ، هو الاستاذ محمد عبد الله عنان •وقد صدر هذا الكتاب منذ ثلاثين عاما باسم « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » •

لكن الباحثين الغربيين تنبهوا منذ القرن الثامن عشر الى هذه المرحلة المثيرة فى تاريخ مسلمى الاندلس ، فصدرت عنهم كتابات عديدة ـ وما زالت ـ باللغات الاسبانية والفرنسية والانجليزية•

على طريق البشرات

واثناء التنقيب عن هذه التسمية الهائلة ـ كما يصفها بعض الباحثين الغربيين كانت كلمة « البشرات » تتردد باستمرار (والبشرات) هى الارض الجبلية الوعرة ، فى اللغة العربية • الثورات التى لا تخمد تتوالى فى منطقة البشرات• المتمردون يعتصمون بها ، حملات التاديب والردع ترجه اليها• المساعدات للمحاصرين فى غرناطه كانت تتسرب عن طريقها • ابو عبد الله اخر ملوك غرناطة عندما وقع وثيقة تسليم قصور الحمراء الى فرناندو الخامس ملك قشتالة ، لم يجد غير منطقة البشرات لكى يقيم فيها •

على اول طريق البشرات وقفنا • خرجنا من مدينة غرناطة يصحبنا مستشرق اسبانى هـو الدكتور اماديو ، الذى تخصص فى دراسة تاريخ الموريسيك ويعمل استاذا فى كلية الاداب بجامعة غرناطة •

قال لنا الدكتور اماديو بلغة عربية سـليمة كان يستحضر بعض مفرداتها بعد شرود وتفكر : قبل ان نبدأ الرحلة ، ثمة اشياء تحتاج الـى تصحيح وايضاح • كلمة البشرات ـ مثلا ـ ليست متداولة هنا • فهم فى اسبانيا يعرفون تلـك المنطقة الجبلية بـ «البوخاراس»• ولعلمكم هكذا قال ـ فان الاسبانية هى اللغة الوحيدة التـى ينطق فيها حرف خ كاملا ، كما هو فى العربية • ايضا نحن ننطق حرف الثاء مثلكم • وذلك من تاثيرات الوجود العربى والاسلامى فى اسبانيا • وبالمناسبة ـ اضاف ـ فلدينا ٨ الاف كلمة اسبانية من اصل عربى •

والمنطقة التى نحن متجهون اليها ـ البشرات او البوخاراس ـ مليئة بالقرى والاماكن التى تحمل اسماء عربية • فقرية « اتابيطى » هى فى الاصل حارة ابن البيطار الطبيب العربى الشهير •و«ميتنيا الفمار » هى مدينة الفخار،و « تلاراب » هى قرية او



خريطة شبه جزيرة أيبريا (أسبانيا والبرتغال) تحدد موقع غرناطة ومنطقة البشرات •

تل العرب ،وقرية « تشيت » هى الشط او الشاطئ• و « جبل لعور » هو جبل الثغور ، وجبل « مولاثن » ينسب الى مولاى الحسن من مشاهير ملوك غرناطة •• وهكذا •

واستطرد يقول : ومما يحتاج الى ايضاح ايضا ان الموريسكيين لم يكونوا فى منطقة البشرات وحدها • لقد كانوا منتشرين فى ارجون وقشتالة وبلنسيه • (اسماء هذه الممالك لم يعد لها وجود الان الا فى كتب التاريخ) لكن وجودهم فى غرناطه اثار الانتباه بشكل خاص لانها تحولت الى مملكة بعد انهيار المقاطعات الاسلامية فى الاندلس • بل ظلت مملكة غرناطة تحمل وحدها راية الاسلام على مدى قرنين تقريبا • ولانها كانت حصن الاسـلام الاخير فى الاندلس ، فقد احتمى بها كل مـن استطاع الوصول اليها من المسلمين •

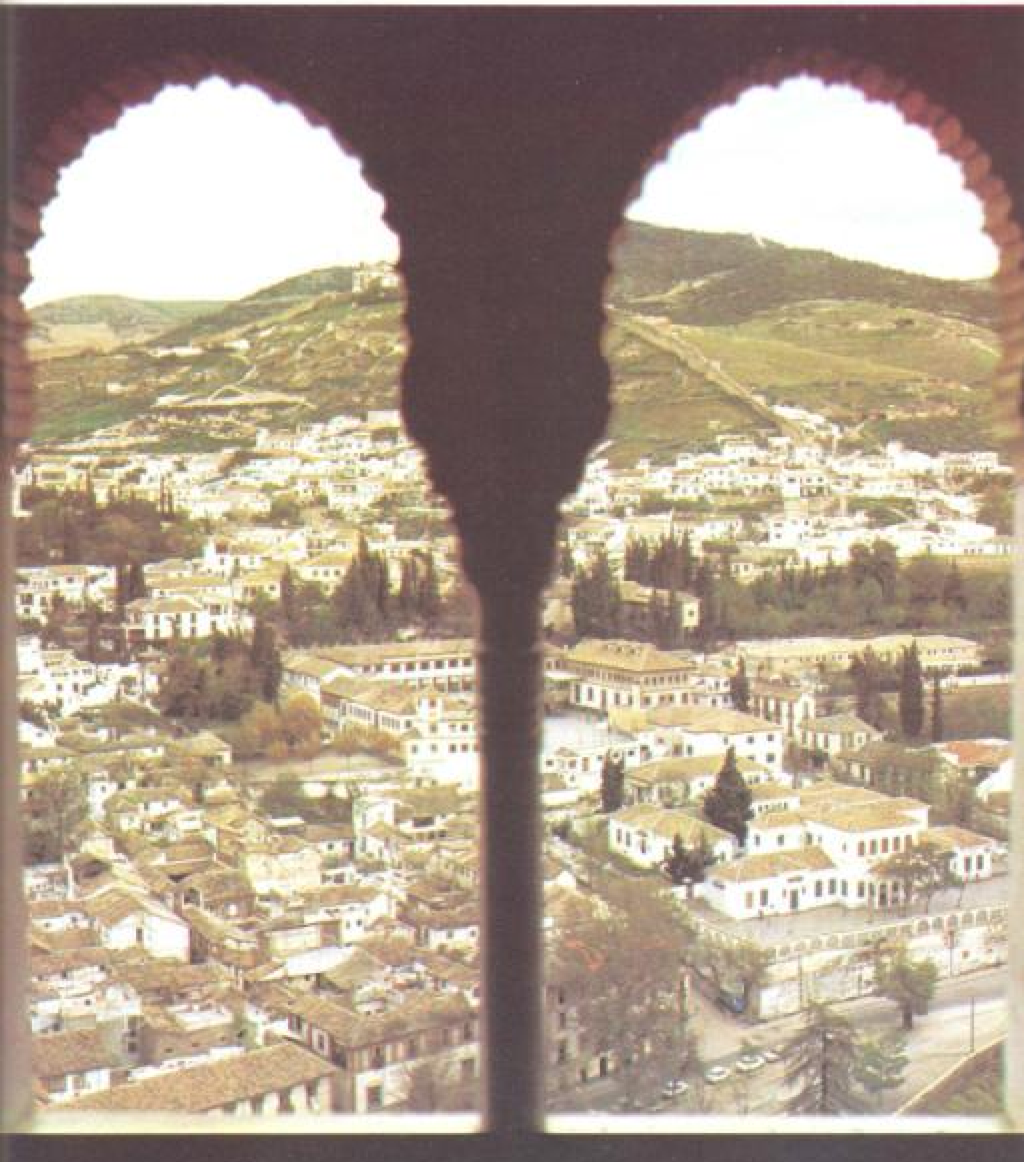
داء التقاطع !

وانطلقت بنا السيارة •

قصور الحمراء وراء ظهورنا ، تطل على الارض الشاسعة فى جلال وكبرياء من فوق جبل اخضر • وتحكى فى صمت مهيب قصة مجد غابر ، ومحنة المسلمين فى الاندلس،بل وفى كل عصر • وغرناطة ذاتها تحولت الى مزار سياحى • ثروته الوحيدة هى بقايا تلك الحضارة الاسلامية العظيمة•والمشهد الاخير فى تسليم غرناطة ـ الذى لايزال يدمى قلوب المسلمين فى كل مكان ـ تحول الى صورة فوق بطاقة ملونة يعبث بها الصغار • ويشتريها السياح بدراهم قليلة ليكتبوا فوق ظهرها كلمات كسولة تتطاير فى انحاء العالم •فى الصورة نجد فرناندو



لقطة من شرفة قصر الحمراء الشهير في غرناطة ، والشرفة تطل على حي البيازين الذي تمركز فيه المسلمون حتى بعد سقوط الاندلس





تربية الدواجن فى المنازل عادة منتشرة بينهم . والدواجن تطل على المارة فى الشارع .

فى غرناطة يعمل اكثرهم بالتجارة ، يفترشون الميادين ويبيعون كل شيء .



الوجه عربى واللسان اسبانى والمكان جبال البشرات .

وايزابيلا ملكا الكاثوليك بثياب حمراء منتفخة فوق جوادين، يتسلمان مفاتيح قصور الحمراء من ملك المسلمين ابي عبد الله ، الذى ظهر منكسرا وعلى كتفيه عباءة سوداء •

تركنا غرناطه المدينة وما زلنا في رحاب غرناطة المملكة القديمة •

هذه الارض التى تنهبها السيارة شهدت الفصل الاخير من قصة المسلمين بالاندلس • وفوقها ايضا بدات ملحمة الموريسيكيين العظيمة بعد السقوط•

الارض التى شهدت ختام «الدراما» • هى ذاتها التى عاشت فوقها التراجيديا •

هل يمكن انضغط ثمانية قرون حافلة فيهذه الكلمات القليلة ؟

لا مفر • فلكي نصل الى البشرات ونروى قصة الموريسيكيين لا بد انطوى ـ مرغمين ـ هذه القرون ونقف عند نقطة محددة ، فى الزمان والمكان •نقفز فوق احداث التاريخ بسرعة • من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) حيث فتحت الاندلس الى الخامس الهجرى ، بداية تاكل الدولة الاسلامية بسبب ما اسماه ابن حيان مؤرخ الاندلس الكبير وقتئذ داء التقاطع •• الذى يؤدى الـى الهلكة لا محالة • نقفز فوق الصراعات المحزنة التـى عاشتها الاندلس فى ظـل دول الطوائف ثـم المرابطين والموحدين ، ونقف عند تسليم مملكـة غرناطة ، آخر القلاع الاسلامية فى الاندلس مـع اواخر القرن التاسع الهجرى (بالتحديد يوم ٢ ربيع الاول عام ٨٩٧ هـ ـ ٢ يناير عام ١٤٩٢م)•

فى صبيحة ذلك اليوم تسلم ملكا الكاثوليك مفاتيح قصور الحمراء ، على النحو الذى تسجله الصورة التى تحدثنا عنها •

لتكن هذه نقطة انطلاقنا ، من حيث الزمان •• ٢ يناير عام ١٤٩٢ م •

فى المكان ننطلق من موقع ليس بعيدا عـن مدينة الحمراء • من شعب تل البذول (بادول) الذى يتودك اليه الناس هناك ، ويشيرون الى ارض تغطيها الاعشاب الخضراء وبعض المبانـى القديمة ، ثم يقولون : ان هذه هى « السوسبيروول مورو » • لم نفهم ، فسارع مرافقنا الدكتور اماديو الى الايضاح قائلا : انها تعنى حسرة العربى ، او زفرة العربى الاخيرة

هنا اذن وقف ابو عبدالله ملك الاندلـس المهزوم ، والقى نظرةاخيرة على قصـور الحمراء ثم اجهش بالبكاء •وحسبما تقول الرواية التاريخية فان امه عائشة صاحت به قائلة : « لتبك كالنساء ملكا لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال » •

ثم انطلق الركب الى « اندرش » بالبشارت،حيث اقام بو عبد الله هناك بعض الوقت ، وابعد بعد ذلك الى المغرب •

منيوم تسليم مفاتيح الحمراء نروى القصة ••

ومن موقع « حسرة العربى » نواصل الرحلة ••

حوار حول المدجنين

حتى ذلك اليوم الثانى من يناير او ربيع الاول لم تكن مشكلة الموريسيكيين قد ظهرت بشكلها الحاد الذىاسفرت عنه الاحداث فيما بعد • كان المسلمون يطلق عليهم وصف آخر فى الممالك التى سقطت بايدى الكاثوليك ، هو : « المدجنون »(١) • وصار معروفا فى كتب التاريخ ان هولاء المدجنين هـم المسلمون الذين بقوا فى الاندلس تحت الحكم الكاثوليكى ، وظلوا على دينهم •• من اهل السنة وعلى مذهب الامام مالك • وقـد شاع استخدام هذا اللفظ منذ اوائل القرن السابـع الهجرى (الثالث عشر المـيلادى) اى منذ «كثرة استيـلاء النصـارى على اراضى المسلمـين ، وكثرة عـدد الرعايا المسلمينالذين تضمهم اسبانيا النصرانية»• كان فريق من المسلمين ينزح الى الجنوب ثم يهجر الاندلس كلها الى المغرب ، لكـن كثيريـن بقوا وتركزوا اساسا فى شرق الاندلس • وكانت لهم احياؤهم الخاصة « موريريا » •

وقد اثارت قضية المدجنين جدلا بين فقهاء المغرب، وقتئذ هل يبقون او يهاجرون،وما حكم الذينهاجروا الى المغرب ثم ارادوا العودة مرة اخرى الى وطنهم فى الاندلس•ولمة وثيقة طريفةتناقش هذه القضية عنوانها : « اسنى المتاجر ، فى بيان احكام من غلبه على وطنه النصارى ولم يهاجر ، وما يترتب على ذلكمن العقوبات والزواجر»•وهى رسالة تضمنت

(١) من دجن أو تدجن بمعنى أقام • والمصدرهو الدجن والتدجين ، ومنه دواجن البيوت ، أى الطيور والحيوانات الاليفة المقيمة بهذه البيوت

فتوى لاحد فقهاء المغرب العربي هو الشيخ احمد بن يحيى التلمساني الونشريني •

وكان من رأيهذا الفقيه ان : « الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فريضة الىيوم القيامة »• وان «المشرك» الذي يعلناسلامه ينبغي ان يتركدار الحرب » • ويلحق بدار المسلمين حيث تجرى عليه احكامهم • واذا كان ذلك هو حكم من يدخل الاسلام حديثا ، فمن الاولى ان ينطبق على المسلم ذاته ، اذ تجب عليه الهجرة •

لكن الفتوى لم تكن كافية لدفع المسلمين الى ترك الاندلس كلها والهجرة الى بلاد الاسلام ، خصوصا وان اجراءات اضطهاد المسلمين وقهرهم لم تكن قد برزت بعد •

وكان الملوك الكاثوليك حريصين على الابقاء على هؤلاء المسلمين المدجنين ، لاسباب اقتصادية بحتة • فقد كانوا افضل العناصر وانشطها ، واوفرها تادية للضرائب • وكانوا ساعد النبلاء الايمن فى زراعة اراضيهم واستغلالها • وكانوا يستاثرونبالتفوق فى العلوم والفنون والمهن ، وحتى الحرف اليدوية • وهناك سبب آخر سياسى، هو ان الملوك الكاثوليك كانوا يخشون من سياسة الانتقام من النصارى المقيمين فى غرناطة ، او الممالك الاسلامية الاخرى مثل مصر وتركيا •

لكن الكنيسة كانت تضغط بعنف للتخلص من المسلمين ، معتبرة ان مجرد وجودهم فى ممالك الاندلس تحديا لها • ومنذ اوائل القرن الثالث عشر توالت اوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين، والحض على استرقاقهم وتنصيرهم• وقد امر البابا القرسان الرابع فى سنة ١٢٤٨ م خايمى الاول ، ملك اراجون ، بضرورة استرقاق المسلمين فى الجزائر الشرقية • ولم يستجب خايمى لهذا التحريض •

لكن صمود السلطة المدنية لضغوط الكنيسة لم يستمر طويلا •

ذلك انه بمضى بعض الوقت صدرت القوانين والاجراءات التى كانت تطالب بها الكنيسة • ففى بعض المناطق منع المسلمون من الاكل او الاستحمام مع النصارى وحرم على المسيحى ان يعالج مسلما مريضا ومنع المسلمون منأداء شعائر الدينعلنا(٢)•

ولهذا السبب اضطر كثيرون من المدجنين الى الهجرة الى مملكة غرناطة حصن الاسلام الاخير على مدى قرنين ونصف • وثمة تقدير يقول انه بسبب هذه الهجرات وصل عدد سكان مملكةغرناطة الى خمسة او ستة ملايين شخص بينما اصبحت غرناطة المدينة تضم اكثر من نصف مليون •

لكن غرناطة سقطت وسلمت مفاتيحها الى السادة الجدد فى صبيحة ذلك اليوم المشهود ٢يناير ١٤٩٢ •

حتى ذلك اليوم ـ ورغم كل شئ ـ كان مسموحا للمسلمين ان يحتفظوا بدينهموكان مجتمعهممعترفا به ولو على مضض ، وكانوا معروفين باسم المدجنين ، وكان التنصير مطلبا ملحا للكنيسة ولم يتحول بعد الى سياسة ثابتة للدولة الجديدة••

عند حسرة العربي

نواصل الرحلة اذن من حيث وقفنا فوق تل البذول ، عند « حسرة العربى » !

اختفت غرناطة من اعيننا • ومضت بنا السيارة فوق طريق طويل يتناثر على جانبيه باعة البرتقال والتفاح والفراولة • ثمار حدائق غرناطة اليانعة ، التى كان يطلق العرب عليها اسم الجنات لكثرة خيراتها •

وصلنا الى مدخل البشرات ••

اجتزنا قنطرة صغيرة وواجهتنا كتلة هائلة من الجبال الصخرية تعطى انطباعا لاول وهلة بان الطريق مسدود • وانه لا منفذ الى هذا العالم الصخرى • قال الدكتور أماديو : وسط هذه الجبال كان هناك مدخل واحد ضيق لا بد ان يمر به كل عابر الى منطقة البشرات • وبوسع القابعين فوق الجبال ان يقطعوا الطريق بسهولة بالغة • وعندما يتم التحكم فى المدخل تصبح جبال البشرات آمنة تماما • ومن هنا كانت البشرات انسب حصن يعتصم به المسلمون •

هذا المدخل الضيق تحول الان الى طريق ممهد، يشق جبال الصخر عند منحنى تتعذر رؤيته عن بعد • قال مرافقنا : ان شق هذا الطريق تم فى القرن التاسع عشر لاسباب عسكرية •

عبرنا المضيق الى منطقة البشرات ••

---

(٢) فى كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان عرض مقارن لموقف الحكومات الاسلامية فى الاندلس من النصارى وغيرهم • من ذلك مثلا انه أنشىء فى ظل حكومة قرطبة منذ عهد الحكم بن هشام ديوان خاص للنظر فى شئون اهل الذمة «النصارى واليهود» يتولاه احد كبار الرهبان المسيحيين يطلق عليه قومس اهل الذمة •



خوسيه وخوسيفه ، كل ما يعرفانه عن العرب ان التليفزيون يربط بينهم وبين البترول !



تراهم هي صورة طبق الاصل
من قرى المغرب و « الحمار »
او « البغل » هو وسيلة
الانتقال الوحيدة في الجبل ·





فوجئنا بان وراء هذا الحاجز الصخري المتجهم، سهل منبسط على مدى الرؤية تتربع فوقه تلال وراء تلال ، تتدرج ارتفاعا حتى تكاد تلتصق بالسحاب • وبين هذه التلال تتمدد قرى البشرات ببيوتها البيضاء وسط زراعات كثيفة احيانا ومساحات جرداء في جوانب اخرى •

كل انواع الزراعات في البشرات • زراعات المناطق الحارة والباردة • من قصب السكر الى الصنوبر مرورا بالزيتون والقمح واكثر انواع الفاكهة • ذلك ان كل مستويات الطقس تتوفر للمنطقة • من الجو شديد الحرارة قرب البحر الى القمم الثلجية التي تعد امتدادا لجبال سيرانيفادا الشهيرة وترتفع ٣٥٠٠ متر فوق سطح البحر •

وبسبب هذه المناطق الثلجية عند القمم فان المياه تتوفر طوال العام بل هي ثروة رئيسية ، اعتمادا عليها تقوم كل الزراعات •

الصمت يخيم على المنطقة التي تطوقها جدران عالية من الجبال في كل اتجاه ، واي صوت يتردد صداه بسرعة • لا يمزق هذا الصمت سوى خرير المياه التي تنساب من قمم الجبال،وزقزقة العصافير ولهو الصغار وصياح النسوة بين الحين والآخر • ثم صوت حوافر البغال التي هي وسيلة الانتقال الشائعة بين سكان القرى •

الطريق الى قلب البشرات رفيع ووعر يتلوى كالثعبان • تكاد تصاب بالدوار وانت تصعد من جبل الى جبل ، ويخيل اليك ان السيارة تدورحول نفسها •

يمزح مرافقنا الدكتور اماديو مع فتاتين تحملان سلال البرتقال بينما تقودان في الوقت ذاته بغالا تحمل الزيتون • ثم يقول : برغم كل ماترونه الان فان منطقة البشرات كانت اكثر رخاء على ايام المسلمين • كانوا يعتنون عناية فائقة بالزراعة وكانت هنا صناعة مزدهرة للحرير نشات في ظل اشجار التوت وبسببها • واذا كنتم قد سمعتم عن الحرير الاندلسي ، فان هذه المناطق هي مواطن ذلك الحرير •

اما الان ـ يمط أماديو شفتيه ليواصل الكلام ـ فقد اهمل الناس أمر الزراعة • بعدما مدوا ابصارهم الى المدن ونزحوا اليها للعمل •

مشاهد قصة التنصير

ويحكي اماديو • • •

يشير الى القرى المتناثرة حولنا قائلا ان عددها ٦٥ قرية تحيط بها حوالي الفي مزرعة صغيرة • وسكانها الان ١٤٠ الفا • يتناقصون عاما بعدعام بسبب تزايد الهجرة الى المدن •

اشار الدكتور اماديو الى مبنى بعيد يشبه القلعة ثم قال : اسمه «لامنجيديا» اى المسجد • لقدكان في كل قرية مسجد وبعد سقوط الدولة الاسلامية صار المبنى مسجدا في جانب وكنيستفي جانب آخر • وبعد عدة سنوات تحول المكان الى كنيسة فقط وظل يحمل نفس الاسم «لامنجيديا»!

وتحت لافتة كتبت عليها كلمة «اثاقيه» وقفنا • اكتشفنا انها تعنى « الساقية » • دخلنا الى مقهى صغير لنستريح من دوار الطريق ••

تفرست الوجوه جيدا • لم اجد شيئا مما جئت ابحث عنه • لاحظ اماديو ذلك وقال ضاحكا هؤلاء ليسوا من افاريك • لكن « أثاقية » هذه واحدة من القرى الاولى التي تركزت فيها حركة التنصير وسالني : أتعرف القصة ؟ ••

وقبل ان ارد عليه كان قد واصل الكلام • ظل يروى مشاهد قصة التنصير الدامية •

الملاينة والتريث في البداية • الابقاء على المسلمين المتهورين لاسباب اقتصادية •

ضغوط الكنيسة للتخلص من المسلمين تتزايد • يلح الكردينال خمنيس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الاسبانية ، والدون ديجو ديسا « المحقق العام » لمحاكم التفتيش (يعتبر الاستاذ عبدالله عنان ان التسمية الصحيحة هي ديوان التحقيق)• تفلح الجهود أخيرا ويستدعى الكردينال خمنيس الى غرناطة ليبدأ مهمة تنصير المسلمين في شهر يوليو ١٤٩٩ (٩٠٥ هـ) • يبدأ الرجل بمن بقي من الوزراء والقادة المسلمين ، ويستخدم معهم مختلف وسائل الترغيب والترهيب •

عند أضعف الحلقات

بدأ الرجل الماكر باضعف الحلقات ، لانه يعلم كيف يتصارع هؤلاء من اجل الجاه والسلطان • كيف كان يطعن الابن أباه ، ويتآمر الصغير على الكبير ويتطاحن الأشقاء مناجل الجاه والسلطان• كيف بلغ الاستخذاء والتهالك ببعضهم حتى انهم كانوا يلجاون الى الملوك الكاثوليك يتنصرون ويبيعون دينهم ، حتى يؤيدهم هؤلاء الملوك على منافسيهم منالمسلمين الاخرين • نماذج من هؤلاء

هي التي استجابت للدعوة الى التنصير فـــي البداية •

تنصر الاميران سعد ونصر • ولدا السلطان ابوالحسن مـــن زوجـــة كاثوليكية • صـــار الاول الدون فرناندودي جرانادا • وصار الثاني دون خوان دي جرانادا•وتنصر سيدي يحيى القيار قائد منطقة المرية واصبح ابنه علي :« الدون الونسو (علي تحولت الي الونسو) دي جرانادا فينجاس» وعميد ال الثغرى الذين اشتهروا في الدفاع عن غرناطة اصبح اسمه «جونثالفو فرنانديه ثجرى» ••وهكذا •

استمرت خطة التنصير بالاغراء والاكراه ••• حولت المساجد الـــى كنـــائس • ولـــم يعترف للمسلمين بحق او حتى مظهر • وامر الكاردينال خمنيس بجمع كل ما استطاع الحصول عليه من الكتب العربية والمصاحف البديعة من اهالـــي غرناطة ورصدت اكداسا هائلة في ميدان باب الرملة اكبر ساحات المدينة ، واحرقت الكتب عن اخرها • ولم يستثن منهـــا غير ٣٠٠ مـــن كتب العلوم والطب ، حملت الى جامعة اثشاهـــا خمنيس • وترجح التقديرات انه راح ضحية هذا الحريق ، الذى قضى على خلاصة ما بقي من تراث الفكر الاسلامي بالاندلس ، حوالي ١٠٠ الـــف كتاب نفيس •

في الوقت نفسه صدرت القوانين التي تعفى المسلمين الذين يتنصرون من الضرائب والغرامات• وتغفر لهم الذنوب التي ارتكبوها قبل تسليـــم غرناطة !

بعد حديقة غرناطة انتقلت جهود التنصيـــر الى بقية انحاء المملكة ، الى البشرات والمريـــة وبسطة ووادى آش • وارسل خمنيس مبعوثا له الى بلدة الساقية التي نجلس فيها ، جمع اهـــل القرى المحيطة بها ، واعلن امامهم القرارات التى تمنع المسلمين من اقامة اى شعائر،وتعطي امتيازات عديدة للمتنصرين ، بينما هدد من بقي على اسلامه بمختلف صور الوعيد •

عند هذا المشهد تروى كتب التاريخ الكثير • فهذا المقرى ينشر في كتابه «نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب» ، انه•• تعرفنا من غير طريق وعلى لسان غير فريق ان قطر الاندلس طرق اهله خطب لم يجد في سالف الذكر • وذلك انهـــم اكرهوا بالقتل ان لم يقع منهم النطق بمـــا



مدخل منطقة البشرات •• كتلة هائلة من الصخر كان يتعذر اجتيازها •

يقتضي في الظاهر الكفر،ولم يقبل منهم الاسر•»

ورسالة اخرى تقول « لو رأيتم ما صنع الكفر بالاسلام بالاندلس واهليه ، لكـــان كـــل مسلم يندبـــه ويبكيه • فقـــد عبث البـــلاء برسومه وعفى على اقماره ونجومه • ولو حضرتم من جبر بالقتل على الاسلام ، وتوعد بالنـــكال والمهالك العظام • ومن كان يعذب في الله بانواع العذاب، ويدخل به من الشدة في بـــاب وخرج من بـــاب ، لانساكم مصرعه وساءكم مقطعه » •

عنـــد خنـــدق الـــدم

ونحن في المقهى ، تقدم منا رجل ريفي يحمل تحت ابطه صحيفة مطوية ، وسالنا : ارابو ؟ •• هززنا رؤوسنا علامة الايجاب ، وقال له اماديو : نعم عرب •

قال لنا : لا بد اذن ان تذهبوا الى خندق الدم•

لم نضيع وقتا • بعد دقائق كنا هناك • وقفنا عند حافة واد عميق • في الجزء العلوى منه كان بعض الفلاحين يحرثـــون الارض المائلة تمهيـــدا لزراعتها ، وبالقرب منهم صبي صغير يلهث وراء قطيع من الغنم •

تجمع حولنا بعض عجائز (الساقية) ، وروووا لنا قصة خندق الدم •

بعد سقوط غرناطة بسنـــوات قليلة • وبـــدء اجراءات التنصير ، التي ووجهت بالمقاومة والثورة، في المناطق الجبلية بوجه خـــاص ، قـــرر مجلس



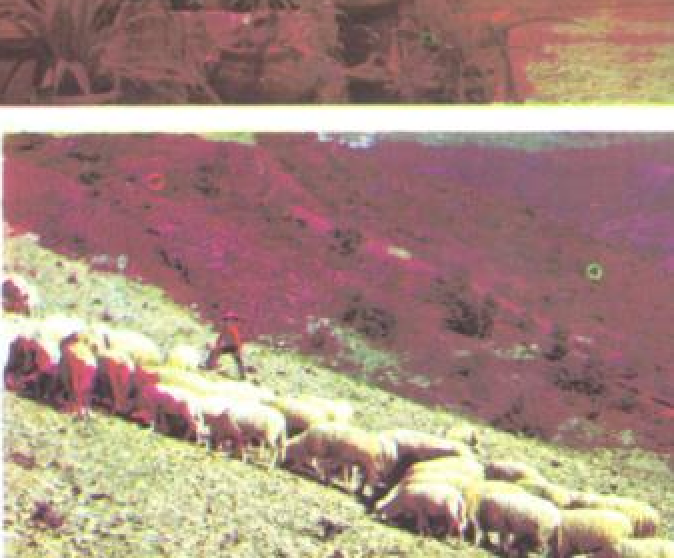
على واجهة المحل نقشت بحروف عربية العبارة : وبارك الله في هذه الداره · لكن احدا لا يفهم معناها



ثرثرة النساء كل صباح ، يجذبن المقاعد الى الشارع وتتقارب الرؤوس ويستمر الحديث ·



صورة من بقايا الماضي الذي ذهب .. الزهور تجمل مداخل البيوت ، والبهجة تشع من كل ركن والذوق الرفيع لا يحتاج الى بيان.



« وادي الدم » في البشرات صار مرعى ترتع فيه الاغنام ويتناقل الناس قصته .

الدولة في الحكومة الاسبانية ان المسلمين اصبحوا خطرا على الدين والدولة، بعدما لجأوا الى الثورة، وتبين ان اتصالات جرت بينهم وبين اخوانهم في المغرب ومصر وقسطنطينية • ثم قضي بوجوب اعتناق المسلمين للمسيحية ، ونفي المخالفين الى خارج اسبانيا •

صعق المسلمون عندما سمعوا بالقرار • فالاجراءات التي كانت تتخذ تحايلا على معاهدات تسليم الممالك الاسلامية ، صارت الان سياسة ثابتة للدولة ، واصبح التنصير اجراء قانونيا يجب تنفيذه •

لم يملك المسلمون سوى ان يثوروا • خصوصا وان احد الحكام الجدد نسف مسجد بلدة اندرشي بالبارود في البشرات • انفجرت ثورتهم في كل مكان،وتصدوا للحاميات الاسبانية وحاولوا الفتك بها ، لكنهم كانوا عزلا ، وكان القمع اقسى مما تصوروا •

انطلق الجنود الاسبان يحصدون المسلمين الثائرين • قتلوا اكثرهم • وسبي النساء •وقضي بالموت على مناطق باكملها ، ما عدا الاطفال دون سن الحادية عشرة ، فهؤلاء احتجزوا وحولوا الى نصارى •

وسالت دماء المسلمين غزيرة في انحاء غرناطة، وغرقت البشرات في بحر الدم ذاته • وكان هذا الخندق هو مقبرة المسلمين في تلك المنطقة •

القصة حقيقية وثابتة في كتب التاريخ • فقد كانت هناك ثورة بالفعل في ذلك الوقت ، وحدث قتل وسبي لا مثيل له ، كما تحولت اكثر مناطق المسلمين الى خنادق للدم اذا جاز التعبير • ولكن هل صحيح ان هذا المكان بالذات كان « خندق دم » البشرات ؟ ليس بعيدا لكنه ليس ثابتا ايضا •

المهم انه ازاء هذا القمع الصارم لم يجد المسلمون مفرا من اعلان التنصير • لان البديل الذي كان مطروحا امامهم هو اما النفي او الموت•

وقتذاك اختفت كلمة «المسلمين» وكلمة «المدجنين» واصبحوا يعرفون في كتب التاريخ «بالموريسيك»• وقتذاك ايضا تقدم « ديسا » المحقق العام الى الملك فرناندو يطلب انشاء ديوان للتحقيق أو « محكمة تفتيش » لمطاردة الزيغ في العقيدة • والفت لجنة ملكية للتحقيق في حوادث ثورة المسلمين في غرناطة •

وفي ٢٠ يوليو من عام ١٥٠١ بعد تسليم غرناطة بحوالي٩سنوات اصدر فرناندو وايسابيلا امرا ملكيا خلاصته :« انه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة • فانه يحظر وجود المسلمين فيها • واذا وجد بعضهم ، فيمنع عليهم الاتصال فيما بينهم ، حتى لا تتاخر عملية التنصير، كما يمنع عليهم الاتصال بالذين تم تنصيرهم •

العرب = البترول

وصلنا الى قرية كابيليرا عند اعلى نقطة في جبال البشرات (٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر)حيث يوجد مثلث يضم ثلاث قرى هي كابيليرا وباتيتيرا وبوبيون •

بيوت كابيليرا مثل كل مباني البشرات ، بيضاء اللون ، جدرانها مشيدة بطريقة غريبة • قطع الحجارة التي يسمونها هناك « لاحة » اي اللوح، ترص فوق بعضها البعض ، دون ان تكون متماثلة بالشكل الذي نعرفه • سقف البيت يغطونه بطبقة من التراب الملون الذي يسمونه الان «لونا» والسطح في لغتهم هو « اتوطيا » •

القرية صورة طبق الاصل من قرى المغرب العربي • البيوت البيضاء ذات السقوف المنخفضة والطابق الواحد • والشوارع الضيقة ، والدواجن التي يربونها مع الارانب في كل بيت ، والنسوة اللاتي يعملن في الحقول الصغيرة اغلب النهار •

طفنا بالقرية ومررنا بحقولها القريبة•استوقفنا مشهد رجل وامراة يعملان معا في اقتلاع الكرنب من التربة • هو خوسيه (يوسف) وهي خوسيفه (يوسفه) •

عند العم خوسيه ، العرب الان يرتبطون في ذهنه بكلمة واحدة هي البترول • ومسلمو الاندلس لا يعرف من قصتهم غير خندق الدم ، وقلعة في قرية قريبة ، وعين عند السفح تنبعث منها مياه غريبة، تقول الاسطورة انها«بول»المسلمين» (قال اماديو انها مياه معدنية) !

وسمعنا حكايات اخرى كثيرة من شيوخ كابيليرا• لكن احدهم تطوع ليروي لنا قصة محاكم التفتيش مع الموريسيك • الرجل اسمه انطونيوبيري ، وهو محام متقاعد عمره ٧٠ سنة •

قال ان الجميع يعرفون الكثير عن الاساليب الوحشية التي كانت تتبعها محاكم التفتيش في نزع الاعترافات ومحاكمة المتهمين ، وتوقيع العقوبة

عليهم . يكفى ان هذه الفترة كانت مرتبطة باقامة المحارق للبشر . ولما كانت مهمة المحاكم اساسا محاربة الزيغ في العقيدة ، فقد وجد رجالها فى الموريسيكين حقلاخصبا لممارسة التصفية والابادة.

ومنذ اكره المسلمون على التنصير في غرناطة ـ عام١٤٩٩ ـ بدأت المحاكم نشاطها الرهيب المروع. وقد نصحنا المحامى انطونيو بيرى بالرجوع الى كتاب الدون لورنتى مؤرخ ديوان التحقيق الاسبانى للوقوف على تفصيلات ماكان يجرى وقتئذ .

اللحم يوم الجمعة جريمة !

وهذا الجانب يحتاج الىوقفة ، لان الكتبالتى تؤرخ لتلك المرحلة تسجل تفاصيل تعكس قدر البطولة الفذة الذى تميز به الموريسيكيون .

فقد نشر الاستاذ محمد عبد الله عنان فيكتابه ترجمة لوثيقة غاية فى الغرابة . اصدرها ديوان التحقيق ، تحدد القواعد والاصول التى رأى الديوان المقدس الذى كان بمثابة الهيئة العليا لمحاكم التفتيش ان يحاسب عليها الموريسيك ، فى تهمة الكفر والمروق . تقول الوثيقة :

« يعتبر الموريسيكى او العربى المتنصر قد عاد الى الاسلام ، اذا امتدح دين محمد ، او قال ان يسوع المسيح ليس الها ، وليس الا رسولا ، او ان صفات العذراء او اسمها لاتناسب امه . ويجب على كل نصرانى ان يبلغ عن ذلك ، ويجب عليه ايضا ان يبلغ عما اذا كان قد رأى او سمع،بان احدا من الموريسيكيين يباشر بعض العادات الاسلامية ، ومنها ان ياكل اللحم فى يوم الجمعة وهو يعتقد انذلك مباح ـ وان يحتفل بيومالجمعةبان يرتدى ثيابا انظف من ثيابه العادية ، او يستقبل المشرق قائلا بسم الله ، او يوثق ارجل الماشيةقبل ذبحها ، او يرفض اكل تلك التى لم تذبح او ذبحتها امرأة ، او يختن اولاده او يسميهم باسماء عربية ، او يعرب عن رغبته فى اتباع العادة او يقول انهيجب الا يعتقد الا فى الله وفىرسوله محمد ، او يقسم بايمان القرآن، او يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، ولا ياكل ولا يشرب الا عند الغروب ، او يتناول الطعام قبلالفجر (السحور)، او يمتنع عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، او يقوم بالوضوء والصلاة ، بان يوجه وجهه نحو المشرق ويركع ويسجد ويتلو سورا من القرآن، او ان يتزوج طبقا لرسوم الشريعة الاسلامية ، او ينشد الاغانى العربية ، او يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية ، او ان يستعمل النساء الخضاب فى ايديهن او شعورهن ، او يتبع قواعد محمد الخمس ، او يلمس بيديه على رؤوس اولاده او غيرهم تنفيذا لهذهالقواعد او يغسل الموتىويكفنهم فى اثواب جديدة ، او يدفنهم فى ارض بكر ، او يغطى قبورهم بالاغصان الخضراء ، او ان يستغيث بمحمد وقت الحاجة .. الخ » .

بهذه القائمة الطويلة من الشبهات ، كان يساق الموريسكيون قسرا الى ديوان التحقيق . ولنا ان نتصور الرعب الهائل الذى كانوا يعيشون فيه ، اذ كل واحد منهم معرض فى كل لحظة لان يدفع به الى المحرقة .

وهذا ما حدث بالفعل ، وتجمع كتب التاريخ على ان الوف المسلمين المتنصرين انتهت حياتهم ـ رجالا ونساء ـ فى المحارق .

ومع ذلك ، فقد ظلوا متمسكين بدينهم .

ضبطوا متلبسين بالصيام

والمؤرخ الاسبانى مارمول الذى عاصر فترة قريبة من هذه الصفحة الفريدة فى التاريخ ، كتب يقول : « كانوا اذا ذهبوا الى القدس ايام الاحاد ـ يقصد الموريسيكيين ـ فذلك فقط من باب اتباع التقاليد . ولم يحدث ان قال احدهم الحقيقة خلال الاعتراف . وفى يوم الجمعة ، كانوا يحتجبون ويغتسلون ،ويقيمون الصلاة فى منازلهم المغلقة . وفى أيام الاحاد يحتجبون ويعملون ، واذا عمد اطفالهم ، عادوا فغسلوهم سرا بالماء الحار . ويطلقون على ابنائهم اسماء عربية . وفىحفلات الزواج متى عادت العروس من الكنيسة بعد تلقى البركة تنزع ثيابها النصرانية وترتدى الثياب العربية ،ويقيمون حفلاتهموفقا للتقاليدالعربية».

والمدهش انهم فى ظل تلك الظروف الرهيبة كانوا يحتفلون بالعيد الصغير « الاغيث اصاغير » ـ كما يسمونه ـ والعيد الكبير « اهيف الكبير » ، وعاشوراء (للاعشورة) ..

وتشير سجلات محاكم التفتيش انه فى عام ١٥٣٨ قدم الموريسكى خواى دوى بورقوص الى ديوان طليطلة لانه كان يقيم فى بيته لقاءات ليلية ، تعزف أثناءها الموسيقى ويقام رقص « الزمبرا » ، ويؤكل الكسكسى ـ الوجبة الشهيرة فى المغرب ـ واخذ عليه وعلى رفاقه انهم كانوا يغنون آغانى



بيوت البشرات تبنى بطريقة غريبة ، قطع من الحجارة ترص فوق بعضها بتهذيب طفيف •

عربيـة ويتنـادون باسمائهـم الاسلامية ! كمـا عثر على سجلات لمحاكم التفتيش ترجع الى عام ١٥٩٨ ، تروى قصة محاكمة ٤٠ اسرة فى قرية كارليت بتهمة صيام شهر رمضان •

وحتى يتحايلوا على عمليات التفتيش والمحاكمة، بعدما منعوا من استخدام اللغة العربيه ،فقد كانت الكتب الدينية تكتب بلغـة ابتكروهـا هـم عرفت باسم « الا لخيمادور » ـ اى الاعجمية ـ وهى عبارة عن كتابة اللغة القشتالية المحرفة ، بحروف عربية مشكلة •

لقد ابتكـر هـؤلاء المسلمـون البواسـل لغة وسجلوا بها كل ثقافتهم الدينية العامة ، وكانوا يخفون ما يكتبونه ويتداولونه سرا على مدى١٢٥ عاما تقريبا •

وفى عام١٥٦٤ عندما عثر على بعض هذه الكتب لدى احـد الموريسكيين ، قضى ديـوان التحقيق بمصادرة كل ما يملك ، ثم بالاشغال الشاقة فى البحر لمدة خمس سنوات ، فضلا عن جلده بالسوط ٢٠٠ جلدة •

وبعد طرد الموريسكيين ، عثر فى « اراجون »على مكتبة اسلامية كاملة • وفى احد بيوت مسلمى قشتالة عثر على ١٤ حزمة من الاوراق المكتوبة مخفاة فى جدار ، وبعد ترجمتها تبين انها تحتوى على : سور من القرآن ، واحاديث نبوية وادعية وكتابات فى النظام الاجتماعى للمسلمين ،وكتابات علمية اخرى مثل وسائل العلاج وتركيب الادوية !

وكانت الاسرة تعد مجلدا بالآيات والاحاديث يزداد حجمه عبر السنوات ، بعد ان تتناقله الايدى من جيل الى جيل •

والاعجب من هذا كله انه « ضبط » فى وقت متاخـر لاحق (عـام ١٧٦٩) مسجد صغير فـى قرطاجنه ، انشاه احفاد الموريسكيين خفية ، ويبدو انه كان حجرة فى بيت بعيد عن الاعين •

ويروى واحد من ابناء الموريسيكيين كيف لقنه ابوه تعاليم الاسلام ، فى كتاب نادر عنوانه «الانوار النبوية فى انباء خير البرية » ، وكاتبه هو محمد ابن عبد الرفيع الجعفرى الاندلسى ، الذى يقول: لقد اطلعنى الله تعالى على دين الاسلام بواسطة والدى رحمةالله عليه وانا ابن ستة اعوام •مع انى كنت اذذاك اروح الى مكتب النصارى لاقرأ دينهم ، ثم ارجع الى بيتى فيعلمنى والدى دين الاسلام • فكنت اتعلم فيهما معا ، وسنـى حين حملت الى مكتبهم اربعة اعوام • فاخذ والدى لوحا من عود الجوز ، كانى انظر الان اليه مملسا، فكتب لى فيه حروف الهجاء ، وهو يسالنى حرفا حرفا عن حروف النصارى تدريبا وسريبا • فاذا سميت له حرفا اعجميا كتب لى حرفا عربيـا • فيقول حينئذ هكذا حروفنا ، حتى استوفى لى جميع حروف الهجاء فى كرتين • فلما فـرغ مـن الكرة الاولى ، اوصانى ان اكتم ذلك حتى عن والدتى وعمى واخى ، وجميع قرابتنا (لاحظ شدة الحرص والتكتم) وامرنى ان لا اخبر احدا من الخلق ، وشدد على الوصية وصار يرسل والدتى التـى تسالنى ما الذى يعلمك والدك ، فاقول لاشيء(!) وكذا كان يفعل عمى وانا انكر اشد الانكار • ثم اروح الى مكتب النصارى واتى الى الدار فيعلمنى والدى الى ان مضت مدة !

ويواصل الكاتب روايته المثيرة فيقول : وقد كان والدى رحمه الله يلقننـى حينئذ مـا كنت اقوله حين رؤيتى للاصنام •• ولمـا تحقق والدى انى اكتم امور دين الاسلام عن الاقارب فضلا عن الاجانب امرنى ان .تكلم بافشائه لوالدتى وعمى ، وبعض اصحابه الاصدقاء فقط • وكانوا ياتونالى بيتنا فيتحدثون فى امر الدين ، وانا اسمع • فلما رأى حزمى مع صغر سنى ، فرح كثيرا !

كـل ذلـك والمحـارق مصيرهـم اذا ضبطـوا « متلبسين » باسلامهم !

فتوى للتحايل على الأوامر

ويبدو ان علاقات المسلمين المتنصرين بالمغرب

العربي ظلت قائمة طوال المحنة الرهيبة اذ انه من الثابت ان حركة الهجرة الى المغرب والعودة منه كانت مستمرة بصفة سرية ، وان جبال البشرات القريبة من الساحل ، كانت هي جسر الاتصال بين الطرفين .

وفي كتاب الاستاذ عبد الله عنان ايضا وثيقة هامة ، هي عبارة عن فتوى لاحد فقهاء المغرب ـ احمد بن بو جمعه ـ موجهة الى الموريسيك (الذين يسميهم الغرباء) ، توجه اليهم بعض النصائح والارشادات التي تساعدهم على تنفيذ احكام الاسلام خفية ، والتحايل على الضغوط والاوامر التي يتعرضون لها . وتاريخ الرسالة هو اول رجب سنة ٩١٠هـ (٢٨ نوفمبر سنة١٥٠٤) ومن بين ما تقوله رسالة الفقيه المغربي :

.. فاعبدوه ، واصطبروا لعبادته،فالصلاة ولو بالايماء ، والزكاة ولو كانها هدية لفقيركم او رياء، لان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الىقلوبكم ، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور ، وان منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، وتسقط في الحكم طهارة الماء ، وعليكم بالتيمم ولومسحا بالايدي للحيطان ، ... وان اكرهوكم في وقت الصلاة الى السجود للاصنام او حضور صلاتهم فاحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة ،واشيروا لما يشيرون اليه من صنم ، ومقصودكم الله ، وان كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام .

وان اجبروكم على شرب خمر ، فاشربوه لا بنية استعماله ، وان كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين اياه بقلوبكم ، ومعتقدين تحريمه ، وكذا ان اكرهوكم على محرم ، وان زوجوكم بناتهم ، فجائز لكونهم أهل امكتاب ، وان اكرهوكم على انكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريمه لولا الاكراه ،وانكم ناكرون لذلك بقلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه. وكذا ان اكرهوكم على ربا او حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم،ثم ليس عليكم الا رؤوس اموالكم وتتصدقون بالباقي ، ان تبتم لله تعالى . وان اكرهوكم على كلمة الكفر ، فان امكنكم ، التورية والالغاز فافعلوا ، والا فكونوا مطمئني القلوب بالايمان ان نطقتم بها ناكرين لذلك .

وان قالوا اشتموا محمدا فانهم يقولون له ممد (!) ناوين انه الشيطان او ممد اليهود فكثير بهم اسمه وان قالوا عيسى بن الله ،فقولوها ان اكرهوكم وانووا اسقاط مضاف اى عبد الله ابن مريم .. الخ » .

لقد كانوا اذن يعيشون حياة اسلامية كاملة في السر ، وحياة مسيحية كاملة في العلن . وهنا تكمن عبقريتهم . لكنهم دفعوا ثمنا باهظا لموقفهم هذا ، سجلوا به صفحات خالدة في التاريخ،تشكل في مجموعها عناصر الملحمة التي نسجوها بسلوكهم ومواقفهم .

اللغة العربية محظورة

يحفظ المحامي العجوز انطونيو بيرى بقية فصول القصة .

قال انه بعد التنصير ، كانت الخطوة التالية ، بل الضربة القاضية ، هي منع الموريسيكيين من استخدام اللغة العربية ، واعطاؤهم مهله ثلاثة اعوام ليتعلموا اللغة القشتالية،ويعطى الموريسيكيون مهلة أخرى لاستهلاك ملابسهم التي كانوا يرتدونها أيام الوجود الاسلامي ، بحيث لا يسمح لهم بعد ذلك الا بارتداء ملابس النصارى . وقد سمح لهم بارتداء الثياب الحريرية لمدة عام ، والصوفية لمدة عامين (!) ويحظر التحجب على النساء الموريسيكيات ، وعليهن أن يكشفن وجوههن، وان يرتدين المعاطف والقبعات كما تفعل نساء النصارى . ويجب أن يترك الموريسيكيون أبواب بيوتهم مفتوحة في أيام الجمع والاعياد الاسلامية، ليستطيع القس ورجال السلطة أن يتحققوا مما يجرى داخلها في تلك المناسبات . واكثر من ذلك فقد منع الرقص العربي ، وحرم التخضب بالحناء ومنع الموريسيكيون من الاستحمام في الحمامات العامة .

وقد صدر هذا القانون المروع في غرناطة يوم اول يناير سنة ١٥٦٧ اى في ذكرى سقوط مملكة غرناطة ، واريد به كما هو واضح تجريد الموريسيكين من كل علاقة لهم بالعروبة والاسلام . خصوصا وان عقوبات قاسية كانت تنتظر المخالفين وهي تتراوح بين النفي والاعدام .

هنا تقول كتب التاريخ ان القرار كان بمثابة الفتيل الذي اشعل نار الثورة في مجتمع الموريسيكيين المقهورين والعزل .

أخيرا : مرحبا بالموت

تدخل في الحديث الدكتور اماديو قائلا ، لماذ

لا نذهب الى قرية برذنار لتعيش هناك الفصل المثير من احداث ثورة الموريسيك في ذلك الوقت؟

قلت : ولماذا برذنار بالذات وكتب التاريخ تقول ان الثورة تحركت في انحاء غرناطة ، وتحصنت بالبشرات بعد ذلك .

قال : عندما اندلعت الثورة ، وطالب الموريسيكيون باستقلالهم ، وشرعوا في البحث عن امير لهم ، توجه الى البشرات احد الاشراف من سلالة الملوك والخلفاء من بني امية . كان اسمه القشتالي هو : الدون فرناندو دي كوردوبا وفالور (قرطبه وفالور) ، واقام هذا الشاب في برذنار ، حيث كان اهله هناك . ولما علم قادة الثورة بوجوده اتجهوا اليه ، وتوجوه ملكا عليهم في احتفال بسيط مؤثر تم في التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٥٦٨ . في هذا الاحتفال فرشت الارض باعلام اسلامية ذات أهلة ، فصلى عليها الامير متجها صوب مكة . وقبل احد اتباعه الارض رمزا للخضوع والطاعة . وأقسم الامير ان يموت في سبيل دينه وأمته . وتسمى باسم عربي هو محمد بن امية صاحب الاندلس وغرناطة . وبدأ يعمل لاستقلال الموريسيكيين وعودتهم الى دينهم الحقيقي .

كان اماديو يحكي والسيارة في طريقها الى برذنار . حقول البرتقال والليمون تحيط بالبلدة فيما يشبه الحصار ، وباعة الفواكه يجلسون في صف طويل عند مدخلها ، وليس فيها ما يوحي بانها كانت يوما ما مقرا لقيادة ثورة المسلمين .

قال اماديو : تذكر ان احداث هذه الثورة مضى عليها اكثر من ٤٠٠ عام ، وان البلدة هدمت عن اخرها عندما قمعت الثورة .

وجلسنا نقلب أوراق القصة . لقد كانت النهاية معروفة ، لان الثوار المسلمين كانوا يواجهون جيش امبراطورية ما زالت تعيش نشوة انتصارها على الممالك الاسلامية . ولكن الثوار كانوا قد اختاروا الموت على هذه الحياة الذليلة.

حشدت الحشود ، واتجهت صوب البشرات ، وكسب الموريسيكيون جولات رائعة ، وانتقموا من الحاميات الاسبانية . وقتل محمد بن أمية بسبب خيانة احد ضباطه . فاختار زعماء الثورة مكانه ابن عمه الموريسيكي ديجو لوبليت الذي تسمى بمولاى عبد الله محمد وقاد نضال الموريسيكيين الذين واصلوا الحرب ببسالة نادرة رجالا ونساء.لكنه قتل بالخيانة أيضا في البشرات، وحملت جثته فوق بغل الى غرناطة ، وانتقاما منه أحرقت جثته بعد ان طافوا بها في شوارع المدينة ، ووضع الراس في قفص من الحديد ، ثم رفع فوق سارية باحدى ضواحي المدينة ، بحيث يطل على البشرات .. درسا وعبرة للمسلمين الثائرين !

واستمر الانتقام من الموريسيكيين عبر محاكم التفتيش ، ووسيلته هي المشانق والمحارق .

لكنهم جميعا ظلوا على اسلامهم . الذين ذهبوا الى ربهم شهداء ، والذين عاشوا بقيت الشهادة في انتظارهم .

الحل الأخير

وقفنا امام بقايا قلعة قديمة منهارة في برذنار. وليس بعيدا عنها محل تجارى يبيع احتياجات السياح ، من القبعات الاسبانية الى العباءات المغربية ، الى العلب المطعمة بالصدف والتي تكسوها صور لقصور الحمراء في غرناطة .

قال اماديو : هذا ما بقي . لان الحكم الاسباني الجديد لم يحتمل استمرار وجود الموريسيكيين ، كانت موجة التعصب والانتقام من المسلمين قد اجتاحت اوروبا كلها وتصاعدت بعد الانتصار الذى تحقق في الاندلس . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد صدمت عندما سقطت القسطنطينية ـ بوابة اوروبا الشرقية ـ في ايدى المسلمين الاتراك . وكان الموريسيكيون يبعثون برسائل تستغيث وتطلب العون من حكام المغرب العربي ومصر وتركيا . وظهرت فئة من البحارة الاتراك كانوا يغيرون على الثغور الاسبانية ، وينقلون المسلمين سرا الى شواطىء المغرب ثم كان الموريسيكيون انفسهم مصدر قلق دائم للحكم الاسباني ، خصوصا بعد ثورتهم العارمة الاخيرة..

وكان لابد ـ من وجهة نظر الكنيسة ـ ان تعالج هؤلاء الموريسيكيين بصورة جذرية وحاسمة خصوصا وان سجلات محاكم التفتيش كانت تشير حتى القرن السادس عشر الى اصرار هؤلاء المسلمين على البقاء على التمسك بدينهم سرا .

وهذا المعنى يؤكده المطران جويرو في سنة ١٥٦٥ في قوله : انهم خضعوا للتنصير لكنهمبقوا كفرة في سرائرهم .

ازاء هذا كلهبرزتفكرة التخلصمنالموريسيكيين جميعا . نوقش الامر في اوساط الكنيسة فكان من رأى المطران ريبرا ان يقضى عليهم بالرق ، وان

يرسل من بينهم الوف كل عام للعمل في السفن ومناجم الفحم ، حتى يتم افناؤهم عن آخرهم ٠ وذهب رأى آخر الى وجوب قتل الموريسيكيين دفعة واحدة ، او قتل البالغين منهم واسترقاق الباقين وبيعهم عبيدا ٠ ورأى بعض وزراء فيليب الثاني ان يجمع الموريسيكيون ، ويحملوا على السفن ثم يغرقوا في عرض البحر ٠ واقترح الدوق دي‌ليرما ان يعدم الموريسيكيون ، من بلغ ١٥ ــ ٦٠ سنة ٠ اما من هم فوق الستين فينفوا الى المغرب٠ ومن هم دون ١٥ سنة يؤخذون ويربون في المعاهد الدينية ٠

وفي عام ١٦٠١ قدم المطران ريبرا تقريرا الى الملك يقول فيه : ان الموريسكيين لا يعترفون ولا يقبلون البركة ، ولا الواجبات الدينية الاخرى ولا ياكلون لحم الخنزير ولا يشربون النبيذ ولا يفعلون شيئا مما يعمله النصارى ثم يضيف ان هذا المروق العام لا يرجع الى مسالة العقيدة ولكنه يرجع الى العزم الراسخ في ان يبقوا مسلمين ٠ كماكان اباؤهم واجدادهم ٠ ويعرف المحققون العامون ان الموريسكيون بعد ان يسجنوا عامين وثلاثة ، ونشرح لهم العقيدة في كل مناسبة يخرجون دون ان يعرفوا كلمة منها ٠ وبعد هذه الحيثيات ، دعا المطرن ريبرا الى نفي الموريسكيين الى بلاد البربر والمغرب ، وهذا في رأيه اخف وارفق ما يجب عمله ٠

النفي الى الأبد

وظل الامر محل دراسة أمام مجلس الدولة الاسباني ، حتى‌اعلن مرسوم النفي في ٢٢سبتمبر سنة ١٦٠٩ ٠ وطالب القرار كل الموريسكيين بمغادرة الثغور الاسبانية خلال ثلاثة ايام على سفن اعدت لهم ٠ وان هذا القرار سينفذ تباعا في المدن الاسبانية الكبرى ٠

لقد كان قرار النفي يسمح بالابقاء على ستة في المائة من الموريسيكيين في كل مدينة اندلسية للانتفاع بهم كعمال وخدم وهؤلاء يختارهم السادة من‌بين الراحلين٠ولكن زعماء الموريسيكيين وفقهاؤهم اجتمعوا في مدينة بلنسية ، وقرروا ان يرحل الجميع والا يبقى احد ، وان من بقى بعد ذلك يعتبر مرتدا ومارقا ٠

ولنا ان نتصور ما جرى لجموع الموريسكيين المعذبة والمنهكة القوى ، وهي تقتلع من وطنها بجرة قلم ٠ ولنا ان نتصور ما عانته طوابيرهم



جالسون في أحد ميادين غرناطة ٠٠ بضاعتهم واطفالهم على الارصفة !

الذاهلة من عمليات النهب والايذاء ،بينما هم يجرجرون اقدامهم الى الموانيء الاسبانية حاملين اطفالهم وامتعتهم ٠

بعد ثمانية قرون طرد المسلمون من اسبانيا٠٠ كان قد بقى منهم بعد كل الذى جرى ، حوالى ٦٠٠ الف موريسيكى حملتهم السفن تباعا الى شواطىء المغرب العربى (بعضهم تسلل وعاد سرا الى جبال البشرات فيما بعد لكنهم ذابوا في المجتمع الاسبانى) ٠

يقول العلامة الانجليزى سكوت لقد كان من نتائج هذه الجريمة التى ارتكبت ضد الحضارة ضربة لاسبانيا ٠ فقد عصفت بموارد عيشها ، ودفع بها القحط الى الخراب ٠٠٠

ولين بول ، باحث انجليزى آخر كتب يقول : لقد انهارت الفنون والصناعات وسحقت المعاهد وخربت المدن الكبيرة ، وذوت نضرة الوديان الخصبة ٠ فحل البؤساء والدهماء واللصوص محل الطلاب والتجار والفرسان ٠

عندما عدت الى الفندق في غرناطة ، سجلت هذه الملاحظة : مر المسلمون من هنا منذ خمسة قرون ٠ طردوا وما زالوا يطاردون٠ في فلسطين وزنجبار والفلبين وارتيريا ٠ واذا قدر لجهود التبشير المكثفة التى تمضى الان في اندونيسيا ان تنجح ، فسوف يذهب صحفى آخر بعد سنوات ليكتب‌ايضا « المسلمون مروا من هنا»!!

الاستبداد والتربية

عبد الرحمن الكواكبي

ولد في حلب عام ١٨٥٤
ومات في مصر عام ١٩٠٢

■ التربية ملكة تحصل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس ، فأهم اصولها وجود المربين واهم فروعها وجود الدين · جعلت الدين فرعا لا اصلا، لان الدين علم لا يفيد العمل اذا لم يكن مقرونا بالتمرين · وهذا هو سبب اختلاف الاخلاف من علماء الدين عند الاسلام عن امثالهم من البراهمة والنصارى ، وهو سبب اقبال المسلمين في القرن الخامس فيما بعده ، على قبول اصول الطرائق التي كانت لبا محضا لما كانت تعليما وتمرينا اى تربية للمريدين ، ثم خالطها القشر ، ثم صارت قشرا محضا ، ثم صار اكثرها لهوا أو كفرا ·

والاستبداد ريح صرصر فيه اعصار يجعل الانسان كل ساعة في شأن، وهو مفسد للدين في اهم قسميه اى الاخلاق ، واما العبادات منه فلا يمسها لانها تلائمه في الاكثر · ولهذا تبقى الاديان في الامم المأسورة ، عبارة عن عبادات مجردة صارت عادات فلا تفيد في تطهير النفوس شيئا ، ولا تنهى عن فحشاء ولا منكر لفقد الاخلاص فيها تبعا لفقده في النفوس ، التي الفت ان تلجأ وتتلوى بين يدى سطوة الاستبداد في زوايا الكذب والرياء والخداع والنفاق ، ولهذا لا يستغرب في الاسير الاليف تلك الحال ، اى الرياء ، ان يستعمله ايضا مع ربه ، ومع ابيه وامه ومع قومه وجنسه ، حتى ومع نفسه·

والحكومات المنتظمة هي تتولى ملاحظة تسهيل تربية الامة من حين تكون في ظهور الآباء ، وذلك بـان تسن قوانين النكاح، ثم تعتني بوجود القابلات والملقحين والاطباء ، ثم تفتح بيوت الايتـام اللقطـاء ، ثم تعد المكاتب والمدارس للتعليم من الابتدائي الجبرى الى اعلى المراتب ، ثم تسهل الاجتماعات وتمهد المسارح ، وتحمي المنتديات ، وتجمع المكتبات والآثار ، وتقيم النصب المذكرات ، وتضع القوانين المحافظة على الآداب والحقوق ، وتسهر على حفظ العادات القومية ، وانماء الاحسـاسات المالية ، وتقوى الامال ، وتيسر الاعمال ، وتؤمن العاجزين فعلا عن الكسب من الموت جوعا ، وتدفع سليمي الاجسام الى الكسب ولو في اقصى الارض، وتحمي الفضل وتقدر الفضيلة وهكذا تلاحظ كل شؤون المرء ولكن من بعيد ، كي لا تخل بحريته واستقلاله الشخصي ، فلا تقرب منه الا اذا جني جرما لتعاقبه ، أو مات لتواريه ·

اما المعيشة الفوضى في الادارات المستبدة فهي غنية عن التربية ، لانها

محض نماء يشبه نماء الاشجار الطبيعية فى الغابات والاحراش ، يسطو عليها الحرق والغرق وتحطمها العواصف والايدى القواصف ، ويتصرف فى فسائلها وفروعها الفأس الاعمى ، فتعيش ما شاءت رحمة الحطابين ان تعيش ،والخيار للصدفة تعوج او تستقيم ، تثمر او تعقم .

يعيش الانسان فى ظل العدالة والحرية نشيطا على العمل بياض نهاره، وعلى الفكر سواد ليله ، ان طعم تلذذ ، وان تلهى تروح وتريض ، لانه هكذا رأى ابويه واقرباءه ،وهكذا يرىقومهالذين يعيش بينهم . يراهم رجالا ونساء ، اغنياء وفقراء ، ملوكا وصعاليك ، كلهم دائبين على الاعمال يفتخر منهم كاسب الدينار بكده وجده ،على مالك المليار ارثا عن ابيه وجده .

أما أسير الاستبداد ، فيعيش خاملا خامدا ضائع القصد ، حائرا لا يدرى كيف يميت ساعاته وأوقاته ويدرج ايامه واعوامه ، كانه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب . ويخطىء والله من يظن ان اكثر الاسراء لاسيما منهم الفقراء لا يشعرون بآلام الاسر ، مستدلا بأنهم لو كانوا يشعرون لبادروا الى ازالته ، والحقيقة فى ذلك أنهم يشعرون باكثر الآلام ولكنهم لا يدركون ما هو سببها ومن اين جاءتهم ، فيرى احدهم نفسه منقبضا عن العمل لانه غير امين على اختصاصه بالثمرة ، وربما ظن السلب حقا طبيعيا للاقوياء فيتمنى ان لو كان منهم . ثم يعمل تارة ولكن بدون نشاط ولا اتقان فيفشل ضرورة ، ولا يدرى ايضا ما السبب ، فيغضب على ما يسميه سعدا او حظا او طالعا او قدرا .

الاسير المعذب المنتسب الى دين يسلى نفسه بالسعادة الاخروية ،فيعدها بجنان ذات افنان ونعيم مقيم اعده له الرحمن ، ويبعد عن فكره ان الدنيا عنوان الآخرة ، وانه ربما كان خاسر الصفقتين ، بل ذلك هو الكائن غالبا ولبسطاء الاسلام مسليات اظنهاخاصةبهم يعطفون مصائبهم عليها وهى نحو قولهم : الدنيا سجن المؤمن ، المؤمن مصاب ، اذا احب الله عبدا ابتلاه ، هذا شأن آخر الزمان ، حسب المرء لقيمات يقمن صلبه . ويتناسون حديث « ان الله يكره العبد البطال » والحديث المفيد معنى « اذا قامت الساعة وفى يد احدكم غرسة فليغرسها » ، ويتغافلون عن النص القاطع المؤجل قيام الساعة الى ما بعد استكمال الارض زخرفتها وزينتها . واين ذلك بعد ؟

وكل هذه المسليات المثبطاتتهونعند ذلك السم القاتل ، الذى يحول الاذهان عن التماس معرفة سبب الشقاء ، فيرفع المسؤولية عن المستبدين ويلقيها على عاتق القضاء والقدر ، بل على عاتق الاسراء المساكين انفسهم . واعتى بهذا السهم سوء فهم العوام ، وبله الخواص ، لما ورد فى التوراة من نحو : « اخضعوا للسلطان ولا سلطة الا من الله » و « الحاكم لا يتقلد السيف جزافا ، انه مقام للانتقام من اهل الشر » ، ولما ورد فى الرسائل من نحو : « فلتخضع كل نسمة للسلطة المقامة من الله » ، وقد صاغ وعاظ المسلمين ومحدثوهم من ذلك قولهم : « السلطان ظل الله فى الارض » . و « الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه » . و « الملوك ملهمون » . هذا وكل ما ورد فى هذا المعنى ان صح فهو مقيد بالعدالة او محتمل للتأويل بما يعقل ، وبما ينطبق على حكم الآية الكريمة التى فيها فصل الخطاب وهى « ألا لعنة الله على الظالمين » . وآية « ولا عدوان الا على الظالمين » . ■■

«اذا كانت الحيوانات تمقت الظلم وتحقق العدل ، فاولي بذلك الانسان. واذا كان الولاة والزعماء تاخذهم العزة بالاثم ويستعظمون ان يصرح لهم بنصح أو نقد ، فلا أقل من وضع النصيحة على لسان البهائم » .

عندما تكلمت الحيوانات

فى التراث العربى

بقلم : يوسف الشارونى

كلمة خرافة Fable يمكن ان يكون لها معنيان: معنى واسع هو القصة الخيالية ، ومعنى اكثر تحديدا يدل على القصة القصيرة ـ شعرا كانت أو نثرا ـ ذات الطابع الدرامى ـ شخصياتها حيوانية لكن طبيعة الانسان تشف من خلف هذه الشخصيات . فالخرافة بهذا المعنى يميزها اذن طابعان خاصان :

١ ـ عالم الحيوان الذى اخذت منه شخصياتها ويجب ان يحتفظ بطبيعته ، ولا يسمح لكائن رمزى او خيالى ان يتدخل .

٢ ـ ومن جهة اخرى فان هذه الكائنات الحيوانية ـ ابطال القصة الخرافية ـ تتصف بالعقل والمنطق الانسانى ، فهى من الحيوان لكنها انصاف اناس .

فالمعنى الادبى الاصطلاحى الذى يكاد يجمع عليه مؤرخو الادب والنقاد ودوائر المعارف هو ان الخرافة : قصة يتكلم الحيوان فيها ويمثل مع احتفاظه بحيوانيته ، ولها مغزى .

جاء فى القاموس المحيط ان الخرافة : حديث مستملح كذب . وربما كان ماخوذا من اسم رجل من عذرة استهوته الجن ، فكان يحدث بما رأى فكذبوه .

وقد استخدم ابن النديم فى كتابه الفهرست كلمة خرافة لتدل على قصة الحيوان اذ يقول ان محمد بن اسحق قال ان الفرس الاول هم « اول من صنف الخرافات وجعلوا لها كتبا واودعوها الخزائن وجعلوا بعض ذلك على ألسنة الحيوان ».

وبعد ان يتكلم عن ابن عبدوس الجهشيارى وما حاوله من تاليف كتاب فى اسمار العرب والعجم والروم قال « وكان قبل ذلك ممن يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل ابن هرون ،وعلى بن داود كاتب زبيدة، وغيرهم».

ويرى بعض الباحثين ان هذا النوع من القصص ينشأ فى عهود الظلم والاستبداد عندما يكون التصريح بالحقيقة جالبا لغضب الملوك والرؤساء، ويستدلون على ذلك بان من اشهر كتاب الخرافات قوم من الارقاء او العبيد . والموالى ، وهؤلاء



بصفتهم هذه لم يستطيعوا ان ينصحوا سادتهم خوفا من بطشهم فاثروا الرمز لما فيه من بعد عن صفات الحقيقة ، واثارة غضب الرؤساء « فايسوب » اليوناني كان عبدا ، كذلك كان « فيدر » الروماني ، وكان « لقمان » الحكيم عبدا حبشيا ، و « ابن المقفع » مولى فارسيا ،وهؤلاء اشهر من نسبت الخرافات اليهم •

وقد جاء في الوسيط عن الامثال الفرضية انها تكثر « في الايام التي يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون اليها للوصول الى اغراضهم ، مع الامن على حياتهم ، على ما فيها من ترويح الخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المنطوية في تضاعيفها النصيحة ، وذلك اعمل في النفس وادعى الى الاتعاظ » •

ويقول احمد امين في ضحى الاسلام « وتبينت الحاجة الشديدة الى هذا النوع في عصور الاستبداد ، يوم كان الملوك والحكام يضيقون على الناس انفاسهم ، فلا يستطيع ناقد ان ينقد اعمالهم ولا واعظ ان يومىء بالموعظة الحسنة اليهم فنشأ هذا الضرب من القول والقصص ، يقصدون فيه الى نصح الحكام بالعدل ، وكأنهم يقولون : اذا كانت الحيوانات تمقت الظلم وتحقق العدل فاولى بذلك الانسان • واذا كان الولاة والزعماء تاخذهم العزة بالاثم ويستعظمون ان يصرح لهم بنصح او نقد ، فلا اقل من وضع النصيحة على لسان البهائم • واذا كان في التصريح تعريض الحياة للخطر ، ففي التلميح نجاة من الضرر » •

ولكن بعض قصص الحيوان لا صلة له بالملوك ولا سياسة الحكم ولا ينقد ذوى السلطان ، ويظهر من تاريخ هذه القصص ومن مؤلفيها ومن انواعها عامة انها توضع اما للتسلية ، واما ان تكون شكلا من اشكال الادب يراد به التنويع في تقديم الدروس الاخلاقية ، مع البعد عن جفاف « الموعظة الصريحة » • وهذا يحدث عادة في قصص الحيوان المكتوبة للاطفال •

في كليلة ودمنة

وقد تعرضت مقدمة كليلة ودمنة لشد وجذب بين انصار الرايين • فالاستاذ عبد الرازق حميده يرى في كتابه «قصص الحيوان في الادب العربي»

ان ما جاء فى المقدمة حجة على من يقولون ان الرمز يراد به نصح المستبدين خوفا من بطشهم ، فالملك دبشليم هو الذى طلب بنفسه من بيدبا قائلا: وقد احببت ان تضع لى كتابا بليغاتستفرغ فيه عقلك ، يكون ظاهره سياسة العامة وتاديبها، وباطنه اخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمته • ثم قال له عن الكتاب وليكن مشتملا على الجد والهزل ، واللهو والحكمة والفلسفة (مكتبة الانجلو ، ١٩٥٢ ، ص ٤١) • ثم ان ابن المقفع حدد للكتاب اربعة اغراض لم يذكر بينها نصح المستبدين بطريقة رمزية خوفا من بطشهم •

وعلى الطرف الآخر نجد فاروق خورشيد يرى فى هذه المقدمة نفسها ما يؤيد الرأى القائل بان ابن المقفع انما وضع هذا الكتاب ـ وهو يرى ان ما فيه من ترجمة يساوى ما فى مسرحيات شكسبير من ترجمة لكتاب عظماء العالم للمؤرخ الرومانى « بلوتا رخوس » ـ ووضع تفصيل أغراضه فى المقدمة لابعاد ادراك من يعنيه الا يدركوا حقيقة ما أخفى ، وفهم حقيقة ما أبطن • (جريدة الجمهورية، القاهرة ، ١٩٧٤/١٢/٢٩ ، ص١٢)• فهو يقول فى نهاية اغراض الكتاب « والغرض الرابع وهو الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة » دون تصريح • وقد فطن الاستاذ أحمد أمين لهذا الغرض الذى ذكر انه النصح للخلفاء حتى لا يحيدوا عن طريق الصواب ، وتفتيح اعين الرعية حتى يعرفوا الظلم من العدل •• ولم يوضحه ابن المقفع لان فى ايضاحه خطرا عليه من المنصور • ويذهب فاروق خورشيد فى مقالة المذكور الى آن وضع هذا الكتاب كان الدافع الحقيقى وراء مصرع ابن المقفع •

وفى رأينا ان قصص الحيوان نشأت حين كان الانسان فى طفولته الفكرية يسقط انسانيته على الوجود فيعتقد ان الحيوان ـ وهو يسمعه يصدر أصواتا ـ لا بد وان تكون له لغة يتفاهم بها بين أفراده كما يتفاهم الانسان مع أخيه الانسان ، فلما تطور العقل الانسانى أدرك ان ما يمتلكه من قدرات ليس من الضرورى ان يمتلكها الحيوان ، ولكن الخيال الانسانى احتفظ بما سبق ان حصل عليه من أشكال التفكير واستغله لتحقيق اغراض أخرى منها المتعة الفنية ومنها الرمز فى حالة عدم القدرة على الافصاح •• الخ •

ولقد عرف العرب قصص الحيوان فى الجاهلية فروى الاعراب قصصا عن تشكل الجن بأشكال الحيوان واتخاذ الجن من الحيوان مطايا ولقائها للناس وخدمتها لهم جزاء معروفهم او اصابتهم بالشر اذا أساء الناس •

ومن عقائدهم ان القتيل اذا قتل خرجت من راسه هامه تقول : « اسقونى فانى صدية » ، وتظل كذلك حتى يؤخذ بثاره • قال بعضهم ان الهامة هى النفس ، وانها طائر ينبسط فى الجسم فاذا مات الانسان او قتل لم يزل يطيف به مستوحشا يصدح على قبره • ويزعمون ان هذا الطائر يكون صغيرا حتى يكبر فيصبح كضرب من البوم ، وهو ابدا مستوحش ويوجد فى الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وانها تظل عند ابن الميت او من خلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره• وقيل الهامة انثى الصيدى وهو ذكر البوم • ومفهوم من أسطورة الهامة انها نشأت لتفسير أو تبرير تمسكهم بالثار ، وأخذهم به حتى ترضى هذه الهامات من أهل الميت وحتى يستريح وهو فى قبره •

ومن آثار اتصال العرب بالحيوان ان ربطوا بين أحداث المستقبل والغائب، وبين ظهور الحيوان أو تعرضه لهم بشكل خاص ومن ذلك الرجز ،وهو الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر أحوالها على الحوادث واستعلام الغيب •

موقف واضح للاسلام

وقد جاء الاسلام فابطل هذه الخرافات • أما ما جاء فى القرآن من آيات عن الحيوان فقد كان بعضها لبيان منافعه أو العبرة منه أو لضرب المثل ، وكانت بعضها أحكاما تتعلق بالحيوان كتحريم أكله وبعضها لابطال عقائد وعادات قديمة تتعلق بالحيوان لا يقرها الاسلام كما جاء بعضها بيانا لمعجزات بعض الرسل • فمن قصص الحيوان التى وردت فى القرآن الكريم قصة بقرة بنى اسرائيل وناقة صالح وقصة الفيل والطير الابابيل والنحلة والهدهد وغراب بنى آدم • ولقد نزل القرآن بلسان عربى مبين ليبين للناس اصول دينهم ويبصرهم بما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وكانت القصة بعض ما اشتمل عليه وقصص الحيوان بعضا من هذا البعض •

وبعد الاسلام وردت فى كتب الادب العربى طائفة من قصص الحيوان متفرقة فى مواضع

مختلفة بعضها مع الامثال لتفسيرها ، وبعضها مستقل وله مغزى او لا مغزى له • بعضها عربي وبعضها منقول لكنها قليلة لا يجمعها كتاب واحد مثل المجموع في « كليلة ودمنة » أو « الصادح والباغم » • من هذه القصص قصة « الذئب والشاه » و « الثعلب والعنقود » • « ومثلما يحكى عند ذكر المثل « كمجير أم عامر » ، فقد جاء في امثال الميداني ان قوما خرجوا الى الصيد في يوم حار •فانهم لكذلك اذ عرضت لهم أم عامر، وهي الضبع ، فطردوها • واتعبتهم حتى الجاوها الى خباء اعرابي فاقتحمته • فخرج اليهم الاعرابي وقال : ما شانكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا • فقال : كلا ، والذى نفسى بيده لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفي بيدى • قال ، فرجعوا وتركوه• وقام الى لقحة فحلبها ، وماء فقرب منها ، فاقبلت تلغ مرة في هذا ، ومرة في هذا ، حتى عاشت واستراحت • فبينما الاعرابي نائم في جوف بيته اذ وثبت عليهفبقرت بطنه ، وشربت دمه ،وتركته• فجاء ابن عم له يطلبه ، فاذا هو بقير في بيته ، فالتفت الى موضع الضبع فلم يرها ، فقال : صاحبتي والله • فاخذ قوسه وكنانته واتبعها • فلم يزل حتى ادركها فقتلها ، وانشا يقول :

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي الذى لاقى مجير أم عامر

خرافات لقمان الحكيم

وفي امثال لقمان قصص حيوانية ذات مغزى • وقد جاءت في القرآن الكريم سورة باسم «لقمان» وتحدث المفسرون عنه كما تحدثت كتب الامثال ايضا• وقد طبعت الامثال المنسوبة اليه في باريس في القرن الماضي باللغة العربية ، وجاء في المقدمة انها كتبت لغرض تعليمي وانه ليس لها قيمة ادبيةكبيرة ، وتعد كتابا ابتدائيا لتعليم الفرنسيين لغة العرب •

وهي احدى واربعون خرافة قصيرة جدا • والمغزى في آخرها،وبعضها ضعيف • ومن قصصها قصة « أسد وثعلب » ونصها : أسد مرة ، اشتد عليه حر الشمس ، فدخل الى بعض المغائر يتظلل ، فلما ربض آتى اليه جرذ يمشي على ظهره ، فوثب قائما ، فنظر يمينا ويسارا وهو خائف مرعوب • فنظره الثعلب فضحك عليه•فقال له الاسد : ليس من الجرذ خوفي وانما كبر على احتقاري •

ومعنى هذه القصة ان الهوان على العاقل اشد من الموت •

وتعتبر خرافات لقمان الحكيم مصدرا من مصادر لافونتين صاحب الخرافات الفرنسية •

كذلك هناك نوع من الشعر القصصي يظن الكثيرون ان العرب لم يقولوا فيه هو محاورة الحيوان ومساءلته في نظم قائم بنفسه او متضمن في قصة،مثال ذلك قصة أبي العنبس احد شعراء المتنبى التى رواها المسعودى في مروج الذهب وكان شاعرا يضحك الخليفة ورجال الدولة • وقد سأله المتوكل ذات يوم ان يخبره عن حماره ووفاته وما كان من شعره والرؤيا التى رآها ، فقال : نعم يا امير المؤمنين ، كان حمارى أعقل من القضاة ،ولم يكن له جريرة ولا زلة ، فاعتل على غفلة فمات، فرايته في النوم فقلت له : يا حمارى ، ألم ابرد لك الماء ، وانق لك الشعير ، واحسن اليك جهدى ؟ فلم مت على غفلة ؟ وما خبرك ؟ قال : لما كان في اليوم الذى وقفت فيه على فلان الصيدلانى تكلمه في كذا وكذا ، مرت بى اتان حسناء فرايتها ، فاخذت بمجامع قلبى فعشقتها واشتد وجدى بها ، فمت كمدا متاسفا • فقلت له : يا حمارى ، فهل قلت في ذلك شعرا ؟ قال نعم ، وانشدني :

هام قلبى بأتان
عند باب الصيدلانى
تيمتنى يوم رضنا
بثناياها الحسان
وبخد ذى دلال
مثل خد الشنفرانى
فيها مت ولو عشـ
ـت اذا طال هوانى

فقلت : يا حمارى ، ما الشنفرانى ؟ قال : هذا : من غريب الحمير •

فطرب المتوكل ، وامر الملهين والمغنين ان يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار •

ويعتبر ابن المقفع اشهر كتاب القصص الحيوانية في الشرق وقد ولد في بداية القرن الثانى الهجرى بالبصرة من أسرة فارسية ، وتدلنا كتبه على انه كان حريصا على الجهر بارائه في اصلاح احوال الناس جميعا ، تجد ذلك في كتبه « الادب الصغير » و « الادب الكبير » و « رسالة

الصحابة » وكتابه « كليله ودمنة » الذى قيل انه كان سببا فى قتله وهو فى السادسة والثلاثين من عمره لما أوضحه فيه من حقوق الرعية على الحاكمين . فرأى المنصور فى هذا تنبيها للناس الى المطالبة بحقوقهم ففاظه ذلك ، كما غاظه ان يضع ابن المقفع نفسه موضع المرشد للخلفاء الى ما يجب ان يفعلوه • فلما اتهم بالزندقة وقتله عامل البصرة ، لم يعبأ الخليفة بالقصاص من قاتله ، ولا بالتحقيق فى امر قتله •

شهر زاد وبيدبا

ويشترك كتابا « كليلة ودمنه » و « الف ليلة وليلة » من حيث الشكل الفنى فى القصص المتداخلة ، أى القصة التى تروى من داخل قصة حتى يجتمع من ذلك عدد من القصص قد لا يرتبط بالمتوان منها الا القليل ، كما فى باب « الحمامة المطوقة » وهذا واضح فى الابواب الاولى من الكتاب،ثم تاخذ الابواب فى الايجاز بسبب قلة التداخل•

كذلك يشترك كتاب « كليلة ودمنة » مع « الف ليلة وليلة » فى ان كلا منهما يبدأ بما يعرف القصة الاطار ، أى القصة التى تبرر جمع ما يتلوها من قصص معا • فكما ان كتاب « الف ليلة وليلة » يبدا بقصة الملك شهريار الذى اكتشف خيانة زوجته له فقتلها ثم جعل يتزوج كل ليلة بامرأة وفى الصباح يقتلها حتى زفت له شهرزاد فجعلت تقص عليه قصصها التى استغرقت الف ليلة وليلة مما جعله يؤجل قتلها وبذلك نجت وانقذت معها بنات جنسها ، كذلك نجد فى اول كتاب « كليلة ودمنة » قصة بيدبا الفيلسوف مع دبشليم الملك الذى ما ان استقر له الملك حتى طغى وتجبر وعبث بالرعية واستصغر امرهم ، فلما رأى بيدبا ذلك قصد الملك وصارحه بطغيانه وبغيه ونصحه بان يسوس الملك بالمداراة والرفق مما أوغر عليه صدر الملك فسجنه ، غير انه عاد وجعله وزير مملكته . فلما استقر الملك لدبشليم نظر فى الكتب التى وضعتها فلاسفة الهند لآبائه واجداده ، فتمنى ان يكون له ايضا كتاب ينسب اليه وتذكر فيه ايامه . فعهد الى بيدبا بذلك فكان هذا الكتاب الذى جعله على ألسنة البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام ، وباطنه رياضة لعقول الخاصة •

وهنا لا بد من الاشارة الى ما ثار من خلاف حول ما اذا كانت هذه المقدمة حقيقة تاريخية أم انها مقدمة فنية شأنها فى ذلك شأن قصة شهريار الملك مع شهر زاد • فقد حاول البعض ان يعثر على اصل هندى أو فارسى لبعض قصص « كليلة ودمنة » معترفا ان بعضها الاخر من تاليف ابن المقفع وعلى رأس هؤلاء محمد غفرانى الخوسانى الذى قدم اصلا هنديا « لكليلة ودمنة » هو كتاب يسمى « بنجاتنترا » أو « خمسه اسفار » • بينما يجزم البعض الاخر ان الكتاب كله من تاليف ابن المقفع بعد أن ضمنه بعض ما سمعه من قصص حيوان هندية الاصل لا بد انها كانت شائعة فى عصره • ومن اكبر انصار هذا الرأى فاروق خورشيد فى مقاله المشار اليه سابقا ،والدكتور محمود ذهنى فى بحثه القيم عن « كليلة ودمنة » والمتضمن فى كتابه « القصة فى الادب العربى القديم » (مكتبة الانجلو ، ١٩٧٣) • فقد انتهى منه الى ان ابن المقفع اراد ان يقول فى هذا الكتاب ما يريد قوله دون ان يفصح عنه ليغرى الخليفة بالصلاح والعودة الى جادة الحق • وهو يستدل على ذلك بأدلة ذكية من تحليله لمقدمة الكتاب وتنبيه الى ما يبدو فيها من اخطاء هى فى حقيقتها اخطاء مقصودة لتنبه القارىء الى ان باطنها غير ظاهرها • مثال ذلك انه ينص على ان بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة وان برزويه فارسى ومع ذلك فكل منهما ينطق بلفظ الجلالة الذى لا ينطق به الا من يدينون بديانة توحيدية • وهكذا يمضى فى حججه حتى يذهب الى اقصى الطرف الاخر حين يعلن فى نهاية دراسته قائلا « وهكذا نستطيع ان نطمئن اطمئنانا كاملا الى ان دراسة كتاب كلية ودمنة شكلا وموضوعا تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الكتاب من تاليف ابن المقفع ، وليس ترجمة او نقلا او حتى اقتباسا عن كتب اجنبية سابقة عليه » (المرجع السابق ، صفحة ٢٠١) •

وقد ترجم كتاب « كليلة ودمنة » الى كثير من اللغات ، كما نظمه كثير من العرب مثل سهل بن نوبخت وابان بن عبد الحميد اللاحقى وابن الهبارية وأسعد بن مماتى المصرى • بل ان ابن الهبارية الف كتابا يقلد فيه « كليلة ودمنة » وهو كتاب « الصادح والباغم » •

عندما سكن بنو آدم

بل هناك اكثر من كتاب فى ادبنا العربى الف فى نفس موضوع ما الف فيه كتاب «كليلة ودمنة»

مثل « شعلة وعفراء » لسهل بن هارون ، « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » لابن ظفر • ويلاحظ الاستاذ عبد الرازق حميده فى كتابه « قصص الحيوان فى الادب العربى » ان هذه الكتب جميعها مهداة الى حكام كانوا يحكمون فى عهود هؤلاء المؤلفين ، الا ترجمة عبد الله بن المقفع « لكليلة ودمنة » • بل ان من هؤلاء السادة من دعا الى التاليف والترجمة فى هذا الشكل الادبى • وينتهى الى القول بان فى هذا ردا على من يقول ان قصص الحيوان تؤلف فى عهود الظلم والاستبداد فقط •

وفى القرن الرابع الهجرى الفت جماعة اخوان الصفا رسالة عنوانها « تداعى الحيوانات على الانسان » وخلاصتها ان بنى ادم لما سكنوا الارض وامنوا فيها سخروا الحيوان لخدمتهم وحبسوه فى ديارهم ، ففر الى البرارى كثير من الحيوانات فطاردوها فيها واحتالوا لصيدها وهم يعتقدون انها عبيد لهم هربت من خدمتهم • وبعث محمد صلى الله عليه وسلم فاسلمت طائفة من الجن ، وطرحت العاصفة يوما ما مركبا على جزيرة فى مملكتهم ، فخرج ركابها واستطاعوا الحياة فيها واخذوا يتعرضون لحيوانها فهرب منهم وشكا امرهم الى ملك الجن ، فدعا بنى الانسان الذين دافعوا عن تصرفاتهم بدلائل شرعية وحجج عقلية• ثم دعا الملك البهائم والانعام لترد فردوا على ما جاء به بنو الانسان من آيات • وقد جمع الملك مجلس القضاء اكثر من مرة تحدث فيه كل من الحيوان والناس حتى قال خطيب من الحجاز ان الناس يمتازون على غيرهم بالخلود والبقاء • وعندئذ سلم الجن والحيوان بالفضل للناس وامر الملك ان تكون الحيوانات جميعها تحت اوامرهم فقبلوا حكمه •

ولعل كتابى «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» و « مرزبان نامه » لمؤلفهما ابن عربشاه من ادباء القرن التاسع الهجرى آخر كتابين ظهرا فى الادب العربى على نمط « كليلة ودمنة » (وقد الف ابن عربشاه الكتاب الثانى بالتركية ثم نقله الى العربية) •

وفى كتاب « الف ليلة وليلة » نجد للحيوان فيه قصصا هامة منها ما هو شبيه بقصص « كليلة ودمنة » ، والقصاص الشعبى لا شك متأثر فيها بما ورد فى هذا الكتاب من قصص ، ومنها قصص يخترع فيها قصاصنا الشعبى الحيوان والطير ارضاء لخيال الانسان ورغبته فى ان يصعد الى طبقات الجو كحصان الابنوس فى حكاية اصحاب الطاووس والبومه والفرس وحكاية طائر الرخ فى احدى قصص السندباد ، ومنها حكايات عن عجائب المخلوقات من الحيوان ، هذا عدا ما اشتملت عليه من قصص السحر التى تحول الانسان فيها الى حيوان •

واذا كان لافونتين الفرنسى قد استفاد من قصص الحيوان المترجمة عن العربية فقد ردت الينا بضاعتنا فى العصر الحديث حين قام محمد عثمان جلال فى القرن الماضى بترجمة امثال لافونتين نظما بعنوان « العيون اليوافظ فى الحكم والامثال والمواعظ » ثم تبعه كثيرون فى مقدمتهم امير الشعراء احمد شوقى حتى ازدحمت كتب الاطفال فى عصرنا بقصص الحيوان المقتبسة من تاريخنا الادبى حينا والمؤلفة حينا اخر والمترجمة عن اللغات الاجنبية حينا ثالثة •

ولعل خير ما نختم به كلماتنا أبيات من قصة شعرية مما نظمه احمد شوقى ، هى قصة الثعلب الذى اراد ان يمكر بالديك لياكله :

فمضى فى الارض يهدى
ويسب الماكرينا
ويقول : الحمد لله
اله العالمينا
يا عباد الله توبوا
فهو كهف التائبينا

غير ان الديك قال لرسول الثعلب :

بلغ الثعلب عنى
عن جدودى الصالحينا
عن ذوى التيجان ممن
دخل البطن اللعينا
انهم قالوا ، وخير القو
ل رأى العارفينا
مخطىء من ظن يوما
ان للثعلب دينا

■■

يوسف الشارونى



هذا الموقف المفاجع

الاغماء

بقلم : الدكتور محمد محمد ابوشوك

■ ليس المقصود بالاغماء هو فقدان الوعي لفترة طويلة كما هو معروف بين الناس ـ ففقدان الوعي لفترة طويلة ربما امتدت الى شهور ـ يعرف بالغيبوبة ، ولكن المقصود بالاغماء هو فقدان الوعي لفترة قصيرة لا تزيد عن ثوان او دقائق وربما نصف ساعة • مع الشعور بدوار ، وتحرك الارض ، وتمايل كل الاشياء التي تحيط بالانسان ويختلط الحس، مع الشعور بغثيان وقيء وسواد امام العينين وشحوب الوجه وعرق غزير •

والسبب المباشر لحدوث نوبة الاغماء هو نقص الدم الذاهب الى المخ ولو انه في بعض الحالات يحدث الاغماء دون ما نقص في كمية الدم الذاهب الى المخ ولكن لتغير في كيمائية الدم واثر ذلك على المخ •

والاغماء كذلك عرض لامراض عدة ، فهو في حد ذاته ليس مرضا ، لذا كان من الواجب البحث عن السبب المباشر للاغماء وعلاجه حتى يمكن التغلب على مثل هذه النوبات •

الاسباب النفسية للاغماء :

ولعل هذه الاسباب تشكل نسبة كبيرة في حدوث الاغماء ، فالكثير الكثير يغمى عليهم عندما يرون منظرا مثيرا ، او مؤثرا ، فهذا يفقد وعيه عندما يرى دما ينزف من انسان ، او حتى من حيوان ، وذاك يتاثر بمشاهدة حادثة • او عندما يسمع خبرا يهز كيانه سواء كان ذلك مفرحا او محزنا• يتوقف كل ذلك على مدى تحمل الشخص للصدمات والانفعالات التي تمر في حياته •

ولعل ذلك يرجع الى انه في مثل هذه الحالات النفسية تقل سرعة القلب وينخفض ضغط الدم وبالتالي تقل كمية الدم الذاهبة الى المخ فتحدث النوبة •

الاصابات البدنية :

واكثرها حدوثا عندما يصاب الانسان بالم شديد في اى عضو من اعضاء الجسم ـ كمايحدث احيانا في حالات المغص الكلوى الشديد ، او قرحة الاثنى عشرى ، او المغص المعوى او انسداد شريان تاجي القلب • وتتكرر نوبة الاغماء من آن الى آخر عندما يشتد الالم على المريض • على انه في بعض الحالات البسيطة نرى ان بعض الناس لا يتحملون الالم ويغمى عليهم ،امثال ذلك عند وخز المريض بالابرة اثناء اعطائه حقنة ، او وضع ابرة في الصدر او في العمود الفقرى ، او اجراء اية عملية بسيطة دون تخدير • ومن منا لم يسمع او يشاهد مريضا مصابا بربو مزمن او التهاب شعبي مزمن عندما تعتريه نوبات سعال شديد، وما يصحبها من اغماءات يظن الجالس بجوار المريض انه قد قضي عليه ولكنه سرعان ما يفيق ويعود الى رشده •

وفى حالات الدوار الشديد المصحوب بطنين فى الاذن مع قىء فى بعض الاحيان والمعروف بمرض « مانيير Meniere » نرى ان هؤلاء المرضى يعانون من نوبات اغماء شديدة تعتريهم من آن الى آخر .

وفى حالات الهزال الشديد ، والضعف العام نرى ظاهرة الاغماء كثيرة الانتشار الى ان يستعيد المريض صحته ، وقوة بنيانه . وتستعد اجهزة الجسم المختلفة للحفاظ على بقاء ضغط الدم فى حالته الطبيعية ليحافظ على كمية الدم الذاهبة الى المخ .

الاغماء الناتج من تأثر الشريان فى الرقبة والنتوء الموجود عليه .

ففى بعض الحالات يكون هذا حساسا وبمجرد الضغط البسيط عليه بواسطة ياقة القميص او ربطة العنق مع حركة الرقبة — وبما ادى ذلك الى نوبات اغماء .

وهناك من الاسباب الاخرى علاوة على الضغط على الشريان ما يسبب اضطرابا فى هذا النتوء مثل وجود تليف من جرح بالرقبة بالقرب من الشريان ، او وجود التهاب بالغدد الليمفاوية المجاورة له ، او تورمات بسيطة او خبيثة او وجود تصلب فى الشريان .. ويمكن التاكد من ان ذلك هو السبب فى نوبات الاغماء ، وذلك بالضغطعلى شريان الرقبة خصوصا فى هذا النتوء او التوسع الموجود فيه فتحدث النوبة بمجرد الضغط .

الاغماء الناتج من تعاطى الادوية :

واهمها الادوية التى يدخل فى تركيبها الكوكايين والادوية التى تساعد على هبوط ضغط الدم — فبعض الذين يتعاطون مثل هذه الادوية لا يذهبون لمراجعة طبيبهم ، مما يجعل كمية الدواء فى بعض الحالات زائدة عن حاجتهم فيكونالهبوط الشديد فى ضغط الدم وما يصحب ذلك من دوار شديد ونوبة اغماء يفيق بعدها المريض بعد استلقائه على الارض ، والتحسن فى ضغطالدم وذهاب الدم الى المخ . وهناك ادوية مختلفة — وخصوصا المهدئات ، والتى تعطى للمصابين بالحساسية ، لذا كان من الواجب الرجوع دائما الى الطبيب المعالج واطلاعه على ما يتعاطون من دواء نوعا وكما .

الاغماء الناتج من تغير وضع الجسم :

ويلاحظ ذلك عند القيام فجأة من الوضع الافقى الى الوضع الراسى، او عندما يقفالانسان لفترة طويلة دون حراك ويلاحظذلك فى بعض الاشخاص العاديين الذين تقل فيهم قدرة الجهاز العصبى الدورى على تكيف الوضع والحفاظ على ضغط الدم ، او بعد مرض طويل اضطر معه المريض الى البقاء فى الفراش فترة طويلة ، خصوصا اذا تسبب هذا الرقاد فى ضعف عضلات الجسم . وفى مرض البول السكرى المصحوب بالتهاب فى الاعصاب ، وفى مرض الجهاز العصبى الذى يؤثر على اعصاب الشرايين وكذلك المرضى المصابين بدوال كبيرة فى الساقين السفليين . فى كل هؤلاء يلاحظ ان ضغط الدم سرعان ما يهبط عندما يهب المريض واقفا لان ذلك يؤدى الىنقص شديد فى كمية الدم الذاهبة الى المخ وبالتالى يكون الاغماء .

❋ والاغماء الذى يحدث لكبار السن عندما يستيقظون من نومهم للتبول — هو نوع من الاغماء الذى يحدث بسبب تغير وضع الجسم . ويعتقد كذلك ان هناك منعكسا عصبيا ينبع من المثانة ويذهب الى العصب الحائر — ثم هذا بدوره يؤثر على القلب ، فيسبب نقصا فى دقاته وبالتالى تقل نسبة الدم الذاهبة الى المخ ويكون الاغماء.

الاغماء الذى يحدث لمرض فى القلب والجهاز الدورى

لقد وجد ان كمية الدم الذاهبة الى المخ تبقى فى حالتها الطبيعية اذا قلت دقات القلب الى حوالى ٤٠ دقة فى الدقيقة او اذا زادت عن ١٢٠ — ١٧٥ دقة فى الدقيقة بحيث تكون عضلات القلب سليمة ويكون الجهاز الدورى سليما ولا يعانى الشخص من فقر فى الدم او مرض بصمامات القلب .

والامراض التي تصيب القلب وتسبب الاغماء عديدة اهمها : اضطراب او تليف بالجهاز الذى يوصل التيار فى حجرات القلب ، وينتج عن ذلك نقص شديد فى دقات القلب او اضطراب بسبب زيادة دقات القلب ، وكذلك مرض صمامات القلب واهمها ضيق صمام الابهر او وجود جلطة فى الشريان التاجي ، وما يسببه مرض السدة القلبية • وكذلك وجود امراض خلقية فى القلب ، او ارتفاع الضغط داخل الشريان الرئوى وما يسببه من نقص فى ضخ الدم من البطين الايمن ، ونقص فى الدم الذاهب الى الرئتين ، وبالتالى نقص فى الدم العائد الى القلب والذاهب الى المخ •

الاغماء الذى يصاحب أمراض الجهاز الدورى للمخ :

وسبب هذا الاغماء هو حدوث ضيق أو انسداد فى احد شرايين المخ ـ او ضيق او انسداد فى شرايين الرقبة الذاهبة الى المخ ـ وفى هذا المجال لا بد وان نشير الى الضيق او الضغط الذى يحدث بشريان يسير فى فقرات الرقبة وحدوث الاغماء عندما تضغط غضاريف الرقبة على هذا الشريان وحدوث نوبات اغماء فى المسنين الذين يعانون من هذا المرض فالملاحظ فى هؤلاء انهم عندما يحركون رقبتهم يصحب هذه الحركة الم غثيان وقيء ـ فى بعض الاحيان ـ دوار ، ثم ظهور سواد امام العينين وبعد ذلك يفقدون وعيهم لفترة وجيزة •

الاغماء الذى يحدث لمرضى البول السكرى

عندما يتعاطون كمية من الانسولين اكثر من اللازم ـ او انهم يتعاطون الانسولين ولايتناولون اى طعام ـ فتقل نسبة سكر الدم الى حد لا يقوى على اداء وظائفه فيكون الاغماء ، ويفيق هؤلاء باعطائهم كمية من السكر سواء بالفم او بالحقن فى الوريد • وفى بعض الحالات النادرة التى تعلو فيها نسبة انسولين الدم وبالتالى تقل نسبة السكر يكون ذلك راجعا الى وجود تورم فى الغدد التى تفرز الانسولين الموجودة بالبنكرياس •

الاغماء الذى يحدث عند فقدان كمية كبيرة من الدم :

ويحدث ذلك فى الحوادث والاصابات الشديدة او من نزيف فى الجهاز الهضمى كما هو الحال فى نزف قرحة المعدة والاثنى عشرى • فيشحب لون المصاب ، ويغطى جسمه العرق البارد ، ويضعف النبض ويحس بدوار شديد ثم يفقد الوعى وربما يسقط على الارض ، وعندما يستلقى على ظهره يفيق بعض الوقت لذهاب بعض الدم الى المخ • وتعاوده النوبة اذا حاول الوقوف او حتى الجلوس اذا كان النزف شديدا •

الاغماء الهستيرى

وما اكثره فى ايامنا هذه ـ فما اسهل على البنت او المراة او الشاب ـ أو حتى العجوز الذى لا يرى اهتماما ممن حوله أن يتظاهر بالاغماء وفقدان الوعى ـ فتقوم الدنيا وتقعد ويبحث عن الاطباء فى كل مكان وفى اى ساعة من ليل او نهار واذا لم يوفقوا فى ايجاد الطبيب فلينقل الى اقرب عيادة او مستشفى ـ وتتكرر الازمات والاهل لا يقتنعون ، ومدعى او مدعية الاغماء متماد فى غيه وفى ظلمه لنفسه ومن حوله خصوصا اذا كان من حوله ضعفاء ـ لا شخصية لهم ويرجون من مدعى الاغماء الرضاء ، الى أن ياتى الوقت فيمل الاوفياء والاصدقاء ، ويكتشفون الامر ـ ويمل الاطباء فيهملون ولا يبالون لانهم يعرفون حقيقة أمر المدعى للاغماء ويدفع هؤلاء الثمن غاليا عندما يصابون بمرض ـ فى هذه المرة بحق ـ فلا يجدون من يمد لهم يد المساعدة ـ لان كل من حولهم ـ قد أيقنوا أن ما يقومون به لا يعدو سبيل الخداع • ونصيحتى لمن يدعون الاغماء أن يقلعوا عن هذا قبل أن تحين ساعة الندم ووقتها لا ينفع الندم •

العلاج :

ويتلخص العلاج فى البحث عن سبب الاغماء ، وذلك بالكشف الدقيق عن المريض وعمل الفحوصات

المخبرية والاشعاعية وغيرها التى توصل الى هذا السبب وعلاجه حتى لا تعاود المريضهذه النوبات.

فاذا كان الشخص شاحب اللون ـ ضعيف النبض ـ ويعاني من قرحة بالمعدة مثلا وجب فحصه جيدا للتاكد مما اذا كان قد نزف داخل امعائه فيكون علاجه باسرع وقت ممكن واعطائه الدم اللازم لتعويضه ما فقد من دم .

واذا كان الشخص مسنا يجب التاكد من سلامة القلب وانه غير مصاب بجلطة فى شريان القلب ـ وهكذا ولعلنى فى هذا المجال اسدى نصحا لمن يحضرون شخصا مغمى عليه فبدلا من ان يتكدسوا من حوله للتفرج ـ وبذلك لا يفيدونه بل حتى يضرونه لانهم بذلك يمنعون منه حتى الهواء الذى يتنفسه ولا بد لاى شخص حاضر اثناء الاغماء ان يكون عنده دراية عما يفعل ـ فليعمل عملا ايجابيا يساعد به المصاب فيجب أن يوضع المصاب فى مكان هاو ـ وينام افقيا ـ او اذا كان جالسا يضع رأسه بين ركبتيه وبذلك يصل دم بكميات اكثر الى المخ فيساعد على افاقة المصاب ثم انه يجب ان يزال كل شيء ضاغط على الرقبة وكذلك توسع الملابس حول الصدر حتى لا يعوق ذلك عملية التنفس . واذا استلقى المصاب على ظهره لابد ان ان تكون رقبته على جهة : يمنة أو يسرة حتى لا يقف اللسان حائلا فى مجرى تنفسه فيختنق .

ثم يستعمل المنبهات للافاقة . فرش الوجه بماء بارد او وضع منديل مبلل بماء بارد على الوجه والرقبة ـ أوان تقرب « الكولونيا » الى انفه ـ ولا يعطى شيئا بالفم طالما يكون الشخص فاقدا لوعيه ـ وكثيرا ما يرى الانسان الناس من حول فاقد الوعي وهم يصرون على ان يقف ـ ليحسوا بانه بحالة جيدة ، وهذا من الخطورة بمكان اذ ان عضلات المصاب تكونمرتخية ولا يمكنه الوقوف. ثم انه اذا وقف عاوده الاغماء بسرعة ، لذا يجب ان يترك ذلك للمصاب حين يرى انه بامكانه الوقوف اى عندما تعود الدورة الدموية الى حالتها الطبيعية .

بل انه لا بد ان يراقب بعض الوقت اذا قام وانتصب من تلقاء نفسه لانه عرضة لان تعاوده الحالة من جديد . ومن الواضح انه فى حالة الشباب الذين يعانون من نوبات اغماء عندما يتعرضون للجوع ، أو الاضطرابات النفسية أو الارهاق ان يتفادوا مثل هذه الاوضاع التى تؤهلهم لنوبات الاغماء ، ومن الواجب كذلك ان يحترسوا عند النهوض من الفراش أو الوقوف ـ فيكون ذلك ببطء ـ وليبدأو بتمرين عضلات الساقين ثم الجلوس لبعض الوقت على حافة السرير ومن ثم يبدأون فى النهوض ، واذا وجد الواحد منهم انه ما يزال فى حالة دوار فليسترخ قليلا ثم يبدأ فى النهوض .

ولقد وجد انه من العوامل المساعدة للحفاظ على ضغط الدم وبالتالى نهايه الى المخ هو ان يلبس الشخص جوارب من المطاط خفيفة لتساعد على سير الدم فى الساقين ، وان يتعاطى كمية اكبر من الملح ويلبس حزاما خفيفا على البطن .

اما فى حالة المسنين ـ فيجب ان يعرف السبب فى حالة الاغماء التى تنتابهم من ان الى اخر لان الذى يهم فى هذه الحالة هو تعرضهم للوقوع على الارض وتعرضهم لكسور فى الساقين وربما ادت الى عواقب خطيرة قد تتركهم مقعدين فى الفراش وما يحمل ذلك من مخاطر على قلوبهم وصدورهم.وتفاديا لذلك لابد أن يغطى المكان الموصل بين دورة المياه والسرير بسجاد أو بمطاط يقيهم اذا تعرضوا لنوبات الاغماء ولتكن كذلك أرض دورة المياه مغطاة بطبقة سميكة من المطاط . والملاحظ كذلك أن هؤلاء المسنين يتعرضون لنوبات الاغماء اذا ما طال وقوفهم لذا كان من الواجب ان لا يتركوا كذلك لفترة طويلة ـ بل يجب حثهم على السير او الجلوس .

وفى حالات امراض القلب او الشرايين الموصلة الى المخ يجب أن يترك أمرها الى الطبيب المعالج ليقرر ما يفعل سواء بالعلاج الدوائى او التدخل الجراحى اذا لزم الامر .

من هنا يتضح جليا ان نوبات الاغماء تستدعى الكثير من العناية والحكمة لا من جانب الطبيب فحسب بل من جانب المريض كذلك ، حتى يمكن تفاديها والتوصل الى انجع السبل فى علاجها .

■■

الكويت ـ د . محمد محمد أبو شوك

هذه هى هموم

يتحدث الدكتور على الراعى فى هذا المقال عن محنة النص المسرحى العربى ،ويشير باصبعه الى اربعة هموم محددة تعكس هذه المحنة ٠

الهم الاول :

البعد عن ارث الجماهير

■ حينما كثر الحديث عن الدراما الجديدةفى بريطانيا فى تسعينات القرن الماضى ، عقب تعرف المثقفين من الفنانين والنقاد المسرحيين الى مسرح هنريك ابسن ، تلفت برنارد شو حوله فلم يجد نماذج من المسرح الجديد يؤيد بها قضيته ، فقام الى قلمه واخذ يسطر به مسرحيات توافق الفكر الجديد فى المسرح ٠

قال وهو يضحك كعادته :

« كنت قد اندفعت فى حمق الى تاييد قضية المسرح الجديد ٠ فلكى اتجنب ان تنهار القضية من اساسها ، قررت أن اصنع بيدى الدليل »٠

اى ان برنارد شو كتب مسرحياته الفكرية المتالقة متحديا زعمـا كان يتردد انذاك هو : ان المسرح مكان للمتعة والفرجة وحسب ، وليس مكانا للفكر والتغيير ٠ ومن ثم ، غلب الفكر والدعوة للتغيير على مسرحيات الايرلندى الكبير، تحديا لما أسماه هو : مسرح الكلام الفارغ !

وشبيه بهذا الموقف : موقف الكتابة تحت ضغط خاص ، ماوجـد كتاب المسرح العربى الاوائل انفسهم فيه ، حين تقدموا للامة العربية بعطائهم٠

كتب مارون النقاش وابو خليل القبانى ويعقوب صنوع مسرحيـاتهم تحت ضغط فـكرة أذتهم وحفزتهم فى وقت واحد وهى :ان العرب الاقدمين لم يعرفـوا المسرح ، عنوا بهذا المسرح الغربى الذى اعتمد الصيغة الاغريقية ٠ ومن ثم اخذ هؤلاء الابطـال الاوائل على عواتقهم سد هذا النقص الرهيب فى حياة بلادهم الفنية والثقافية٠ اتجه كل من النقاش وصنوع والقبانى الى فن اوروبا المسرحى واتخـذوا من كتابات موليير وجولدونى وراسين نماذج تحتذى ، ووضعوا نصب اعينهم ان ينشئوا فى بلادهم صورة للمسرح تمحو من اذهان المثقفين ما علق بها من احتقار لنماذج المسرح الشعبى التى كان يتسلى بها الناس حتى ذلك التاريخ : خيـال الظـل ، والقراقوز ، ومسرحيات الشارع ٠٠ والسوق ، وعروض الموالد والمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة ٠

وبهذا وضعت الصيغة الغربية للمسرح موضع التضاد مع الصيغة الشعبية الموروثة والعميقة الاثر فى وجدان الناس ٠ وأصبح الموقف تماما كما جسده سعد الله ونوس فى مسرحية : (سهرة مع ابى خليل القبانى) ٠ : المسرح الجديد فى مواجهة خيمة القراقوز ٠ الاول اتخذ رمزا للتقدم والثانى جعل علما على التخلف ٠ وبهذا اقام الرواد الاوائل ومن جاء بعدهم هوة كبيرة بين فنهم

النص المسرحى العربى

بقلم :
الدكتور
على الراعى



المسرحي المجلوب وبين ماتخلص للناس عبر عشرات القرون من تجربة مسرحية كان ينبغي البناء عليها، بدلا من احتقارها ولعنها ، فى كل مناسبة ، من منتصف القرن الماضى حتى الآن •

النظرة المتعالية للتراث

ان هذه النظرة المتعالية الى التراث مسئولة الى حد كبير عن عقم المحاولات العديدة التى بذلت لزرع المسرح فى صفوف الشعب • وهى ايضا مسئولة عن رواج ما يسمى بالمسرح التجارى ، الذى ترك ـ وحده ـ يعيش ويبنى على ماترسب فى وجدان الناس عبر عشرات القرون من صيغ مسرحية وشخصيات ونكات ومواقف، فضمن لنفسه النجاح المادى وكسب الى جواره الجماهير الغفيرة•

بوحى من هذه النظرة المتعالية قتل توفيق الحكيم فى نفسه المهرج الشعبى ووضع مكانه المفكر البارد الفكر والحس معا • وبوحى منها يدخل نعمان عاشور فى حروب خاسرة مع من يسميهم المضحكين والاراجوزات ومورّدى مواد التسلية ،ويمنع عن نفسهوعن مسرحه مدد التراث برفضه رفضا تعسفيا لفكرة وجود مسرح ، عربيا كان او فرعونيا او رومانيا او اسلاميا او تركيا، قبل مسرح النقاش المستورد من اوروبا • يفعل هذا دون تلبث ، ودون بحث او استقصاء •

والطريف ان موقفا مشابها لموقف كتاب المسرح عندنا حين اداروا ظهورهم للتراث ، يقدم فى تاريخ المسرح العالمى ، ويستتبع النتائج ذاتها التى استتبعها موقف الكتاب العرب : اى ضمور الاهتمام الشعبى بالمسرح ، وتحوله من فن قومى، بالفعل او بالامكانية ، الى فن طبقى ، يصدر عن نظرة طبقية لمشاكل المجتمع •

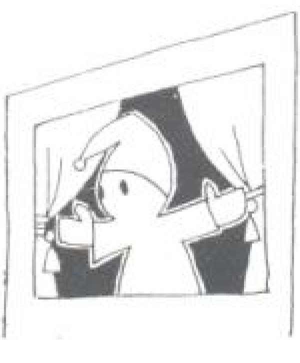
والموقف العالمى الذى اعنيه هو موقف المسرحيين الغربيين على عهد النهضة من الدور الذى كان يلعبه المهرج فى مسرحيات العصور الوسطى •ففى مسرحيات الاسرار الفرنسية وفى مسرحيات الكرنفالات الالمانية ، نجد ان المهرج ليس واحدا من شخصيات المسرحية وانما هو شخصية المهرج التقليدية بدمها ولحمها ، تقف على مسافة منهذه الشخصيات ، تعلق على مجرى الاحداث ، وتقوم بدور الواسطة والرابطة بين خشبة المسرح وبين القاعة • فهو اذ ذاك قريب الشبه بافراد الكورس فى الدراما الاغريقية •

وقد كان فى الامكان ان يستغل دور هذا المهرج فى خلق صيغة مسرحية ممتازة تبث الحيوية فى نصوص عصر النهضة ، وتربط ما فيها من فكر وعاطفة بتقاليد النظارة من افراد الشعب ، على نحو ما فعل شكسبير بالفعل ، حين طور شخصية المهرج حتى انتهى به الى ان اصبح فى « الملك لير » شخصية اساسية تجمع بين الدور القديم ـ دور المهرج ـ ودور الشخصية الانسانية الحية، التى يتفطر قلبها اسى لما يحدث فى عالم لير من كوارث مادية وروحية •

غير ان كتاب المسرح على عهد النهضة ـ عدا شكسبير العظيم ـ قارنوا بين ما تخلص اليهم من نصوص اغريقية قديمة ، بارعة الخلق ، فى الشكل والمضمون معا ، وبين بدائيات نصوص العصور الوسطى ، فاختاروا اليونان القديمة وفضلوها على تراث الشعب فى المسرح •

والنتيجة هى ان شكسبير ظل علما قائما بمفرده ، فلما مات ، طال نوم المسرح البريطانى خلال القرون : السابع عشر والثامن عشر ، والتاسع عشر ، حتى ايقظه برنارد شو فى الحقبة الاخيرة من القرن الماضى •

والطريف ، ان برنارد شو ، الذى دخل الى المسرح كي يخلصه من الفكر الفارغ ، قد فطن منذ البداية الى اهمية وجود العناصر الذاتيةفى مسرحه الفكرى • فنجده يقول فى مقدمة مجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » : « من وجهة نظر الصنعة المسرحية اجدنى غير قادر على ان افعل غير ما فعله من سبقونى من الكتاب ••• ان قصصى هى القصص القديمة وشخصياتى هى شخصيات المهرج والمهرجة • وحيلى المسرحية





وتشويقاتي واثاراتي ونكاتي هي ذاتها التيكانت سائدة حين كنت صبيا . كل ما فعله شو هو -على حد تعبيره- انه استغنى عن الاخلاقيات التقليدية والمنطق الرومانسي لشخصياته ، ووضع مكانها نظرة التاريخ الطبيعي للاشياء ، فبدت الدمى القديمة وكانها شيء جديد حقا .. !

ذهب افرنكي زائف

اتجه كتاب المسرح العرب اذن الى المسرح الغربي ، احتضنوا صيغته اليونانية ، وفضلوها على ما كان لديهم من صيغ مسرحية متوارثة . واستتبع هذا الاتجاه اعتمادا زائدا على نصوص المسرح الغربي ، اعمل فيها الكتاب المسرحيون اقلامهم ، ترجمة ، واختصارا واقتباسا ، وتعريبا وتشويها ، وقدموا لمتفرجيهم ذهبا افرنكيا زائفا في صياغة عربية سطحية - اذا شئنا ان نعكس عبارة النقاش المشهورة : وزاد المسرح العربي بهذا ابتعادا عن نبض الجماهير .

فلما ظهر المسرح العربي الشعبي في شكل جديد ، وقدمه للناس في مصر كل من نجيب الريحاني وعلي الكسار تدفقت الجماهير بالالوف لمشاهدة مسرحيات تتحدث اليهم بلغتهم الفنية ، وتستخدم شخصيات المهرج والاراجوز البشري ، وتفيد من بعض ما تخلص الى الزمن الحديثمن نوادر المهرجين الاقدمين . اذ ذاك سخر محمد تيمور من المسرح الهزلي ، فلم تقلل سخرياته من نجاح هذا المسرح ، وما لبث هو ذاته ان استخدم بعضا من مخزون الكوميديا الشعبية في مسرحياته خاصة مسرحيته : « عبد الستار افندي » .كذلك فعل الشيء ذاته ابراهيم رمزي في مسرحية «دخول الحمام » .

ولما قامت في اواسط الثلاثينات في مصر فرقة قومية ترعاها الدولة واصرت على ان تقدم روائع المسرح العالمي ، والحت على نفسها في ان تمتنع تماما عن تقديم مسرحية واحدة بالعربية الدارجة في مصر ، لم يطل بها الزمن حتى واجهت الفشل الحتمي ، بينما ظل الريحاني والكسار يقدمان مسرحهما الشعبي ، وطال عمر مسرحيات الريحاني لما طور مسرحياته الشعبية ، وبنى على اساس منها الكوميديا الانتقادية ممصرة عن اصول فرنسية .

الى بعض من هذه الحقائق فطن فريق من الكتاب المسرحيين المعاصرين ، فاخذوا منذ اوائل الستينات يلتفتون الى اهمية استخدام التراث في مسرحياتهم . تقدم يوسف ادريس بمسرحيته الهامة : «الفرافير» مستوحيا فن السيرك وقدم الفريد فرج : « حلاق بغداد » ، ومن بعد : « علي جناح » مستلهما الف ليلة ووضع محمود دياب « ليالي الحصاد » في قالب درامي لطيف هو هجين بين السامر والمرتجل ، وكتب سعد الله ونوس في قالب المرتجل : « حفلة سمر » وفي قالب الحكواتي : « مغامرة راس المملوك جابر » ، وغاص الطيب الصديقي حتى وصل الى مسرح الحلقة ، ومسرح الراوية - المقلد في « ديوان سيدي عبد الرحمن » . واعتمد المقامات شكلا مسرحيا في : مقامات بديع الزمان . وتعددت المحاولات من بعد ، وانتشرت الى عواصم عربية اخرى : قدمت بغداد مسرحية « بغداد الازل » بين الجد والهزل وقدمت تونس مسرحيات تراثية كثيرة دفعت بعض الباحثين الى القول بأن الاتجاه الاعمق والاقوى في المسرح التونسي هو اعتماد التراث .

غير ان هذه المحاولات جميعا يعوزها ان تضرب اكثر واكثر في التربة العربية المسرحية تمد فيها جذورا اقوى ، وتتقدم بمحاولات اشجع لربط ارث الجماهير القصصي والدرامي بفن المسرح . وفي اليوم الذي يتحول فيه الممثل الراوي - المقلد الى شخصية درامية قوية الاثر ، وفي اليوم الذيبصبح فيه الاراجوز او القراقوز في سمت وعمق شخصية المهرج في مسرحية لير ، وفي اليوم الذي تتخذ كوميديا السيرك ، وحلقة الحاوي ، ومسرحية

الشارع اسسا فنية لاعمال شعبية حقا في الشكل والمضمون ، سيصل النص المسرحي العربي الى قلوب الناس وعقولهم من اوسع سبيل •

الهم الثاني :

قلة رجال المسرح بين الكتاب وحيرة النص بين اقطاب ثلاثة

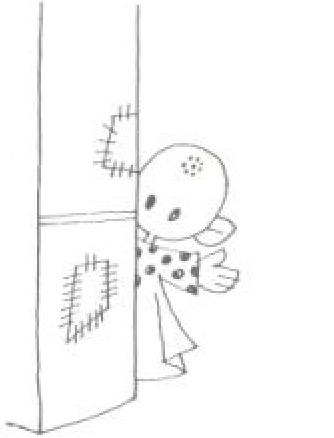
الغالبية الكبرى من كتاب المسرح العرب ، لم يتمرسوا بفن المسرح تمرسا عمليا • لم يعرفوا المسرح من جانبي الخشبة : ـ فنانين وجماهير ـ ، ومن خلفها ومنجناحيها طواقم فنية ومشاكل تنفيذ، واعباء ادارة •

وبعض هؤلاء الكتاب كتب المسرحيات لانه وجد حركة مسرحية قائمة ورائجة فقرر الانضواء تحت لوائها ، على غير استعداد منه ولا موهبة •

وفريقثان ينظر الىالمسرحية ـ وما يزال ينظر ـ على انها كتاب ، وادب ، فكتب من وحي الكتب وفي جو المكتبة ، ولم يكتب من وحي الباب الخلفي للمسرح ومن هموم العرض ، ومن الحاجة الى الفرجة • وهذا الفريق يظن المسرح يبدأ وينتهي ادبا مسرحيا • ولا يفطن الى ان المسرح يبدأ فرجة اولا ، فاذا كان مقدم الفرجة عميق الوجدان ،كبير القلب ، واسع المعرفة باحوال البشر ، استحالت الفرجة بين يديه ادبا مسرحيا ايضا •

ان الادب المسرحي هو تراكم للقيم المسرحية المختلفة ، وتكثيف لهذه القيم ياتي مع الزمن ، وابدا لا يبدأ المسرح ادبا • والذين اصروا على ان يدخلوا المسرح من باب المكتبة ، لا تزال « مسرحياتهم » قابعة على الارفف، تستعصى على الاخراج • والامثلة كثيرة • ناخذ بعضها من الغرب فقط ، تجنبا لاى حرج : هناك مسرحيتا شيللى المسميتان : « بروميثوس طليقا » و « تشينشي »• ومسرحيتا بايرون : « مانفرد » و « قابيل » • والمسرحية الملحمية الطول التي كتبها توماس هاردي : « الاسرات » ، ومسرحية المنفيون للروائي الايرلندي جيمز جويس • ومسرحيات كتبها د•هـ• لورنس ، واخرى حاول ديكنز وهنري جيمز كتابتها دون اى نجاح •

وقد كان من نتائج قلة رجال المسرح بين الكتاب المسرحيين العرب ان ندر النص الجيد ،



وكثر الاعتماد على التعريب والاقتباس ، بدرجة فاقت ما يحدث عادة من ظواهر مماثلة في المسرح الغربي ، حيث الاقتباس والاعداد وتغيير البيئة المسرحية ظواهر معروفة ايضا •

وساعد ضعف النص العربي على المبالغة في حجم مشكلة معروفة في الحياة المسرحية وهي : قضية النزاع بين المؤلف والمخرج : ايهما اهم ؟ فالمؤلف يرى انه مبتكر المسرحية وهو وحده صاحبها ، وله فيها القول الفصل • والمخرج لا يعترف بهذه الميزة للمؤلف الا في حدود شكل النص المكتوب ، ويرى ان هذا النص ما ان يصل الى الخشبة حتى يصبح المخرج هو «مؤلف» العرض المسرحي ! وقد دفع هذا النزاع المؤلف والمخرج خاصة الى اتخاذ المواقف المتصلبة بشان النص ، فهو عند المؤلف شيء مقدس لا يجوز المساس به باية طريقة كانت وهو عند المخرج مجرد اقتراح بعرض مسرحي ، يتقدم به المؤلف ، وينبغي ان يعرف مقدما ان شيئا كثيرا او قليلا من التعديل سوف يطرأ عليه ، استجابة لمقتضيات التجسيد ، واستخداما لما يراه المخرج في نفسه من طاقات ابداعية تتخذ النص اساسا لها ، سعيا وراء تحقيق الذات •

كذلك دفع ضعف النصوص المسرحية الممثلين الى التدخل في النص ، وفتح شهيتهم الى سد ما يرونه من ثغرات ، وابتكار ما من شانه كسب النظارة الى صفوفهم ، ولفت انتباههم الى فنونهم التمثيلية •

وساعد على المضي في هذا الاتجاه نشوء فريق من الممثلين الكوميديين الموهوبين ـ اى ذوى الرؤية

الكوميدية الواضحة ، التى تتجاوز النص الكوميدى وتضفى عليه قوة ، الى جانب تمتعهم بالقـدرة على الخلق المتغير من حقل الى حقل • وهؤلاء خلقوا حاجة الى نوع من النصوص يكون مطاطا وقابلا للاضافة اليه بين الحين والحين • وقـد نجح هؤلاء الفنانون فى كسب جماهير غفيرة ، وامتدوا بالعرض المسرحى الى ما يزيد عن حدود العام ، واصبحوا على مضى الزمن ، هـم السادة الحقيقيون للقصص التى يقومون بالتمثيل فيها •

وهكذا اصبح النص المسرحى فى ايدى هؤلاء مجرد اقتراح تقدم به المؤلف واخرجه المخرج بصورة هى فى رأيهم قابلة ، بل واجبة التعديل•

وكل هذا اضفى على النص المسرحى العربى نواحى قوة وضعف معا •

ففى جانب القوة ، اصبح النص العربى كائنا حيا بالفعل ، بدلا من ان يصبح ـ حسب تعبير فنانة الارتجال البريطانية ـ جوون ليتلوود ـ نصوصا مغمى عليها ، لا تصحوا الا اذا اجرينا لها عملية تنفس صناعى فى كل مرة نقدمها على المسرح » •

ومن جهة اخرى ، أصبح النص المسرحى مضغة فى افواه الممثلين ، يمضغونه ، ويتفلونه ثم يعيدون مضغه او هو كرة انبعجت من طول الاستعمال ـ يتقاذفونها فيما بينهم • وانتهى به الحال فى بعض المسرحيات الى ان اصبح شيئا ممطوطا كحلوى العصا الشعبية ، التى كان البائع الشعبى يخايل بها اعيننا ونحن صغار ، فيلفها على عصاه الطويلة ، تارة ، ثم يرفعها ويمطها فى الهواء تارة اخرى ، يبيع منها قطعة ثم يعيد مطها ولفها على العصى • ونحن من حوله شهود تتلمظ !



الهم الثالث :

ازدواجية اللغة العربية وقلة انتشارها

يعانى النص العربى ايضا من مشكلته المزمنة وهى : الاضطراب بين اللغة الفصحى واللهجات الدارجة • وهذه المشكلة تزداد حدة على الايام ، وهى اليوم اكثر الحاحا مما كانت عليه يوم كتب توفيق الحكيم عن اللغة الثالثة فى اوائـل الستينات •

هى اكثر الحاحا لان التزاور بين الفرق المسرحية العربية قد نشط ، واخذ يزداد كما ، ويقطع مسافات اطول • ومن ثم جعلت مشكلة لغة التعبير فى المسرحية العربية تطرح نفسها بمزيد من القوة •

ورغم ان حل هذه المشكلة قد اخذ يلوح فى الافق ، بازدياد حركة التواصل المسرحى بين اقطار الوطن العربى ، وتبادل الاعمال الفنية المختلفة عبر السينما والاذاعة والتلفزيون ، ومن خلال المشاركة فى المهرجانات والتجمعات المسرحية المختلفة ، فان بعضا من كتاب المسرح قد اضطر الى ترجمة مسرحياته الدارجة الى اللغة الفصحى ، وبعضهم كتبها بالفصحى مباشرة ، اخذا بالاحوط ، وان كان فعل هذا عن غير كبير اقتناع •

ويلحق بهذه المشكلة ان النص العربى ، سواء كان فصيحا او دارجا انما يخرج للعالم فى لغة قليلة الانتشار ويأتى وليد ثقافة محدودة ، مضيق عليها داخليا وخارجيا •

ومعنى هذا ان النص العربى محكوم عليه فى الوقت الحاضر ان يقبع داخل جدران الجزء الواحد من الوطن العربى ، وان يسعى جاهدا كى يمتد الى باقى اجزاء ذلك الوطن ، دون ان يكون امامه كبير أمل فى ان ينتشر خارج حدود العرب •

وقد تترجم مسرحية لتوفيق الحكيم هنا وهناك، وقد تعرض بعض مسرحيات الفريد فرج وسعد الله ونوس عروضا محدودة فى عواصم عالمية • ولكن عصفورا واحدا لا يصنع الربيع كما يقول الانجليز • هذا بالاضافة الى اننا نحن الذين نسجن انفسنا بانفسنا ، قبل ان يفكر غيرنا فى ان يضع فى ايدينا القيود •

الحقيقة في النص

ذلك ان النص العربي لا يقول الحقيقة • او يقولها وفمه محشو بالخرق المسكتة • او يقولها مخلوطا بماء كثير • او يحاول قولها ويداه مكبلتان وعين السلطة ترقبه ، وقلم الرقيب لا يكتفي بالحذف بل يتجه ايضا بالاضافة ـ ربما على سبيل دفع التهمة عن الرقابة بانها تبتر ولا تخلق ••

ان الرقيب يشارك الكاتب العربي كتابة نصوصه ، يقترح لها خواتيم ويغير فيها شخصيات، ويلوى عنق الاحداث ، ويزيف من كلمات الرسالة•

وقد نتج عن استفحال امر الرقيب في المسرح العربي ان زود بعض الكتاب انفسهم برقيب داخلي من صنع انفسهم ، وجعلوا يكتبون بوحي من هذه الرقابة الذاتية ، واتقن بعضهم هذا الفن الرقابي الذاتي ، الذى يسميه الانجليز : الكتابة للرقيب ، وامتازوا فيه •

وغيرهم قرر قطع العقدة ، واختار الطريق الاسهل،وهو مماشاة السلطة وترديد الاراء المطروحة في السوق ، ضمانا لاتصال انتاجه ، واستمرار عرض هذا الانتاج • وهذا الفريق من الكتاب المسرحيين أغدقت السلطة على انتاجه الاموال ، وفتحت له المسارح ، وضمنت له طول العرض ، بصرف النظر عن قيمة انتاجه المسرحي •

والبعض الثالث قرر أن يتحدى السلطة بنصوص يعلم مسبقا انها لن تجاز ـ فعل هذا جريا وراء اكتساب بطولات شعبية لا تؤهلها له قيمة فنه المسرحي •

وهكذا تراوحت صورة المؤلف المسرحي بإزاء السلطة بين السجين المقيد ، والانتهازي المماشي والانتهازي المزايد ، ونتج عنهذا كله ضعف لا سبيل الى انكاره،في النص المسرحي العربي،خاصة النص الذى يتعرض للقضايا السياسية ، القومية والقطرية•

والى جانب موقف الاديب من السلطة الدنيوية، هناك موقفه من السلطة الدينية او بالاحرى موقف السلطة الدينية منه • وهذه تقف موقفا متصلبا من كل فن مسرحي يسعى الى استخدام الموضوعات الدينية وما تخلق حولها من قصص وبطولات ومواقف ، مادة له ، بدعوى الحفاظ على قدسية الدين ، وخشية ان تمتد اليه أيد غير مطهرة تسيء الى موضوعاته وشخصياته معا •

والنتيجة النهائية لهذا الموقف المتصلب هو حرمان الدعوة الدينية ذاتها من وسائل قوية وعصرية تطرح بها قضاياها على الناس • وحرمان الفنون جميعا ، والفن المسرحي خاصة من مصدر حيوية وقوة كان جديرا ان يمده بالازدهار ، ويدفع بجذوره الى اغوار التربة واعماق النفس العربيةمعا،مما كانخليقا بانيزيد جماهير المسرحية الحالية ، ويجلب للمسرح نوعيات كثيرة مختلفة لا تتعامل الان مع هذا الفن الجميل •

والى جوار ما تقدم من اسباب ضعف النص المسرحي العربي ، عمد بعض الكتاب الى الجرى وراء الموضوعات والاشكال المسرحية السائدة في الغرب ، وتبنى هذه الاشكال والموضوعات تبنيا اليا ، لا يفحص مدى الحاجة الى تلك الاشكال ، ولا يحدد قدرة الموضوعات على التلاؤم مع البيئة العربية • ولعل اوضح مثل على هذا التبني الالى ما حدث في الستينات من اهتمام بالغ بمسرح العبث ، حيث حاول بعض الكتاب ان يستوردوا الضياع الذى يعبر عنه هذا المسرح الى بلادنا وان يقنعونا باننا ـ مثل الغرب تماما ـ ضائعون ، تائهون •

واقل من هذا تورطا في خطأ النقل الآلي ،موقف الكاتب العربي من طريقتي بريشت وبيتر فايس في التعبير المسرحي • لقد أعتبر فن بريشت جديدا تماما على البيئة العربية رغم ان اسسه موجودة في كل الاشكال الشعبية للمسرح ومن بينها مسارح الشرق الاقصى ، وطبعا المسرح الشعبي العربي •

فالتوجه مباشرة للجمهور ، وكسر الايهام والتبعيد ، والتمثيل على المكشوف كلها عناصر موجودة في الاشكال الشعبية العربية كالحلقة والسامر والحاكي ـ المقلد وهي العناصر التي اهملها،واحتقرها،الكتاب العرب منذ بداية المسرح المستورد حتى الان •

أما في حالة مسرح بيتر فايس التسجيلي فان الجديد فيه على البيئة العربية قد كان اقل عناصر ذلك المسرح جذبا للجمهور ، واعني به الاعتماد على الاحصائيات والارقام ولوحات المؤخرة وشعارات الاحزاب وعناوين الصحف •

أما ما يبشر به هذا المسرح من مشاركة بين الجمهور وبين الممثلين فقد كان دائما عنصرا رئيسيا في المسرح الشعبي العربي ، يتطلع اليه الناس ويحصلون عليه في المناسبات التي كان



يقوم فيها مسرح قومي او شعبي بالمعنى الحق •

وقد عالج النص المسرحي العربي جوانب كثيرة من مشكلات المجتمع العربي وقضاياه • عالج القضايا الاجتماعية ، وتعامل مع القضايا السياسية ،وكتب عن الكفاح الوطني والتطلع القومي • عالج هذه النواحي جميعا بدرجات متفاوتة من الاجادة والاقناع •

واظن انه من الحق والعدل معا ان نسجل هنا ان نجاح الكاتب المسرحي العربي قد كان اوضح واشد اقناعا في ميدان القضايا الاجتماعية ، حيث الموضوع قريب الى نفس الكاتب ، وحيث محظورات السلطة وتدخلاتها قليلة الى درجة واضحة •

اما القضايا السياسية فان ما تقدم ذكره من تدخلات سلطوية ، وما تحفل به القضايا السياسية من تعقيدات ، وما تمتاز به من حرارة وحرق ودنو خطر من نفس الكاتب ، قد جعلت المسرحيات السياسية اقل عمقا واقناعا من نظيراتها الاجتماعية •

والشيء ذاته يمكن ان يقال عن المسرحيات القومية ، خاصة تلك التي تدعو دعوات مباشرة في هذا السبيل •

الهم الاخير ، والافدح :

الهم الاخير ، والافدح غياب الناقد المسرحي الحق ، وامتلاء ساحة الكتابة بادعياء النقد •

وليس هذا الحال ـ بالطبع ـ وقفا على المسرح، بل هو هم يمتد الى باقي الالوان الادبية • غير انه في حالة المسرح اشد تفاقما ، لسببين : اولهما ان الذين يغشون المسارح ، قلة ، وان كثرة الناس تعتمد ما يقول لها كاتب ما عن مسرحية ، وتصدقه، وتصدر حكما على العمل المسرحي بناء على رأي ذلك الكاتب •

وليس هذا هو حال باقي الوان الادب ، فالرواية والقصة وديوان الشعر منشورة كلها،يستطيع من يشاء ان يقرأها ويراجع بشأنها احكام ادعياء النقد•

اما السبب الثاني والاهم ، فهو ندرة الناقد المسرحي الحق •

والناقد المسرحي الذي يستاهل هذا الاسم ينبغي ان يكون فنانا مسرحيا بالامكانية ـ ينبغي ان يكون ممثلا ، وكاتبا مسرحيا ومخرجا ، و ـ طبعا ـ متفرجا واعيا • يتبغى عليه ان يفهم المسرح ومشكلاته من كلا جانبي الخشبة ، اي من وجهة نظر الطاقم الفني المسرحي ووجهة نظر الجمهور•

وعليه ايضا ان يتسلح بثقافة واسعة تمتد في حقل تخصصه وحده ، الى اكثر من ثلاثة آلاف سنة متصلة من الانتاج المسرحي ـ دع عنك باقي فروع المعرفة البشرية •

وندرة هذا الناقد ـ بل كونه غير موجود اصلا في الحقل العربي ـ يفسح الطريق امام ادعياء النقد ليضللوا الجماهير والفنانين والكتاب معا •

وبعد •••

فقد اكون افضت في ذكر المتاعب التي يعاني منها النص المسرحي العربي ، وربما تكون هذه المقالة قد رسمت صورة قاتمة للمسرح العربي المعاصر •

غير ان من الواجب القول ، انه الى جانب السلبيات الكثيرة التي استعرضها هذا المقال ، توجد ناحية ايجابية فيها يكمن الامل في مستقبل مشرق للمسرح العربي •

اما هذه الايجابية المنيرة فهي : ان المسرح يزدرع الان بنجاح في كثير من اجزاء الوطن العربي ،من خليجه الى محيطه ، وان ثمة اهتماما جماهيريا ملحوظا بالمسرح • وان كلمة « مسرح » ذاتها قد اصبحت لفظة دارجة على السنتنا واقلامنا في الجامعة والمدرسة والصحيفة والبيت والشارع •

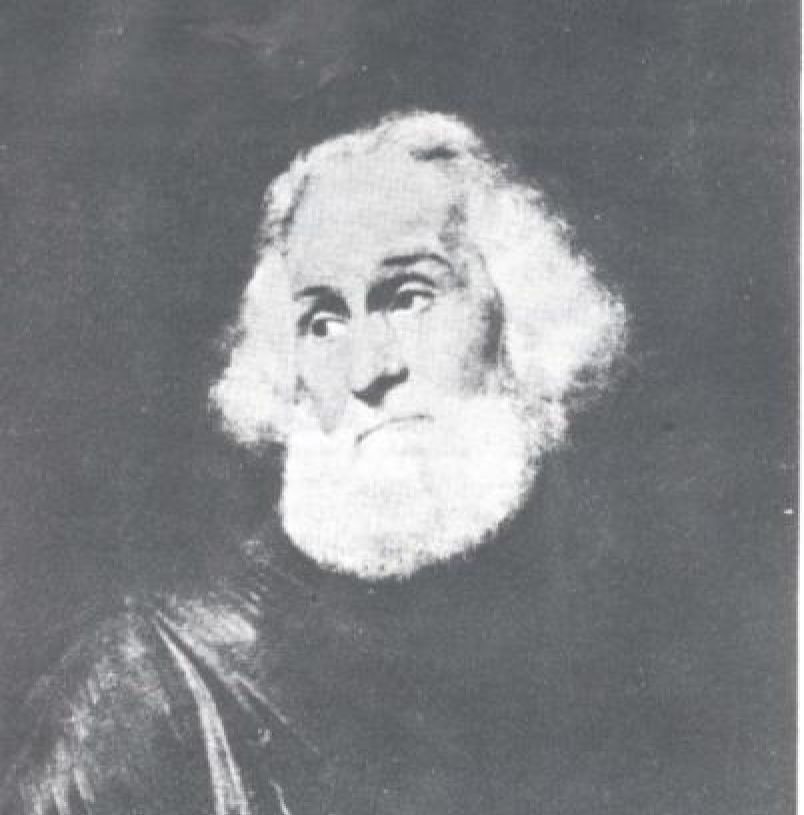
ومعنى هذا ان فكرة المسرح قد اخذت تشق لنفسها طريقا الى نفوس الناس ووجدانهم •

وفي هذا ضمان معقول للمستقبل : فليس هناك مسرح بلا ناس • وما دام الناس قد اخذوا يتوافدون ، فحتم ان يقوم بيننا مسرح ■■

د • علي الراعي

• شخصية

لها تاريخ :



ماركو بولو



بقلم :

أمين سلامة

١٠٨

■ (فى سنة ١٢٦٨ ، عندما كان هنرى الثالث ملكا على انجلترا ، وكان سانت لويس يحكم فرنسا ، ووقت انتخاب حاكم عام جديد لمدينة البندقية وسط مظاهر الابهة والعظمة البالغة ، كان الصبى ماركوبولو Marco Polo البالغ من العمر اربعة عشر ربيعا يتطلع فى شوق زائد الى عودة والده وعمه من رحلتهما الطويلة فى بلاد الشرق. كان هذان الاخوان من تجار المجوهرات ، وغابا عن وطنهما سنين طويلة حتى ظن اصدقاؤهما انهما لقيا حتفهما فى تلك الاصقاع النائية • فقد غادروا مدينة البندقية قبل مولد ماركو بوقت قصير ، ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنهما اى خبر • بيد ان ماركو كان يحس فى قرارة نفسه بانه لا بد أن ياتى يوم يعودان فيه) •

لما كان ماركو مولعا بحب الاستطلاع ورؤية البلاد الاجنبية والاقوام الغرباء كان يتجول دائما على ارصفة ميناء البندقية ويصغى الى مايقصه البحارة والتجار من حكايات عسى أن يسمع ابه انباء عن والده وعمه ••• ما من مدينة اخرى فى العالم كله كانت اكثر متعة لصبى مغامر من مدينة البندقية ، اذ كانت تصل الى مينائها السفن من كل ميناء فى العالم المعروف وقتذاك ، تقريبا • فكانت السفن تدخل البحر الادرياتيكى ، آتية من القسطنطينية الواقعة على البوسفور ، ومن انطاكية ، ومن تورى (Tyre) على شاطىء سوريا ، ومن الاسكندرية عند مصب النيل ، ومن فرنسا واسبانيا • وحتى من انجلترا والمانيا البعيدتين• وذات يوم ، كان من المؤكد ان تحمل احدى تلك السفن انباء عن والد ماركو وعمه ، اذ اقبل على ظهر كثير من هذه المراكب تجار جلبوا معهم من الشرق الاقصى متاجر لا تقوم بأموال : فاتوا بالمنسوجات الحريرية الفاخرة من الصين ، وبالطنافس الجميلة وبالمنسوجات الرقيقة (الموسلين) من فارس ، واحضروا من الهند العاج واللؤلؤ وخشب الموجانو وجوز الطيب والفلفل والزنجبيل والقرفة والمسك والياقوت والماس والخمور النادرة • كانت صفوف طويلة من قوافل البغال والابل المحملة بالبضائع تنقل هذه النفائس عبر مصر وخلال الصحراء السورية ، او عن طريق فارس وأرمينيا الى طرابيزون الواقعة على البحر الاسود • ثم تنقل من طرابيزون الى البندقية بطريق البحر •

كان التجار يفدون الى البندقية من جميع البلاد الاوروبية لشراء هذه النفائس • فكان بعضهم يركب البحر من موانىء انجلترا والفلاندرز (بلجيكا القديمة) ، والمانيا بمحاذاة الشاطىء الغربى لفرنسا واسبانيا ، ثم يمرون من بوغاز جبل طارق بينما يحضر اخرون بضائعهم على ظهور الخيل عبر جبال الالب خلال ممرات سان جوتار St. Gothard وبرينر Brenner الى ايطاليا•فكانوا يجيئون بالصوف الجميل من انجلترا، وبالمعادن والاخشاب من المانيا ،وبالاقمشة والمخرمات (الدنتلا) من مدن الفلاندرز ، وبالفراء من النرويج ، وبالنبيذ من فرنسا وحوض نهر الراين• اذن • فلا غرو ان كانت البندقية اغنى واجمل مدن العالم • ولما كانت هذه المدينة مشيدة على عدة جزر صغيرة فى خلجان الشاطىء الشمالى الشرقى لايطاليا ، فقد كانت فى مأمن من الهجوم البرى والبحرى ، ولم تقع قط فى يد أى عدو حتى ذلك الوقت • كما انها تقع ، كما رأينا ، على الطرق الرئيسية للتجارة بين اوروبا والشرق • لقد منحها موقعها قوة وثروة • ولم تنافسها اية مدينة اخرى غير جنوة الواقعة على شاطىء ايطاليا المقابل لها• وقد ظلت الحروب بين البندقية وجنوة طويلة وعنيفة •وفى سنتى ١٢٥٨ ، ١٢٨٤ ، دمرت قوات البندقية اسطول جنوة تدميرا تاما • وبذا كانت السيادة للبندقية فى ذلك الوقت ، وقد كانت جزر كريت ورودوس وقبرص من ممتلكات البندقية • وطردت اساطيلها القراصنة السوريين والفلسطينيين من البحر المتوسط ، كما ان سلطانها امتد على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية الشرقية ، وكل مابقى من الامبراطورية الرومانية العظيمة التى حكمت العالم فى وقت ما •

فى مثل هذه المدينة العظيمة ، لابد ان يكون ماركوبولو قد سمع كثيرا من القصص العجيبة عن البلاد القصية • بيد ان اكثر القصص اثارة له هى قصص التتار ، اولئك الاقوام العظام الذين بسطوا سلطانهم على آسيا كلها تقريبا • فقبل ذلك الوقت بخمسين عاما تقريبا ، أخذ الفاتح التتارى العظيم جنكيز خان يخضع قبيلة بعد قبيلة فى آسيا حتى امتدت امبراطوريته من الصين الى نهر الدانوب ، ولعدة سنين كثيرة ظل فرسان التتار

يلقون الرعب في قلوب الاوروبيين • فاجتاحوا بولنده وهنغاريا ونهبوهما، وبدا للجميع كأنما اوروبا كلها سوف تقع في ايديهم • غير ان جنكيزخان مات في سنة ١٢٢٧ ، فكف التتار عن تهديد اوروبا • ولم يقتصر الامر على هذا فحسب، بل اخذ سكان اوروبا يأملون في ان يصير التتار مسيحيين ويساعدوهم في استعادة الاراضي المقدسة من أيدي الاتراك • فشرع التجار واعضاء ارساليات التبشير يتوجهون الى بلاد امبراطورية التتار • وكان من بين التجار والد ماركو وعمه • وبعد موت جنكيزخان ، قسمت ممتلكاته الى اربعة اجزاء : امبراطورية « الاقوام الذهبيين» (Golden Horde) وتضم ممتلكاتهم القوقاز (Caucasus) وجزءا كبيرا من روسيا وسيبيريا • كما كان خان فارس يحكم جورجيا وارمينيا وجزءا كبيرا من آسيا الصغرى • واستولى خان آسيا الوسطى على التركستان وافغانستان • اما الخان العظيم الذي كان سيد جميع التتار فاتخذ مدينة بيكين حاضرة له وامتد سلطانه على شمال الصين وكوريا ومنغوليا ومنشوريا والتيبت • لم تكن هناك قط امبراطورية اقوى ولا اعظم من امبراطوريته •

واخيرا ، عاد والد ماركو وعمه الى البندقية في سنة ١٢٦٩ • فبينما كانا يجوبان شبه جزيرة القرم حيث كان لهما مصرف مالي، رحلا على ظهور الخيل لزيارة خان الاقوام الذهبيين ، على شواطيء نهر الفولجا العظيم • وابان اقامتهما هناك هزم الخان في حرب نشبت بينه وبين خان فارس ، فانقطع طريق العودة امام الاخوين بولو، فقررا زيارة بلاط خان آسيا الوسطى في مدينة بخارى العظيمة ، الواقعة على طريق الصين ، املا في العودة الى وطنهما بالطريق الدائري الاطول . ولكنهما التقيا في بخارى بسفراء خان فارس ، الذين كانوا في طريقهم الى الخان العظيم ، فحثوهما على الذهاب معهم الى بيكين • وبعد ترحال سنة خلال آسيا الوسطى ، رحب بهما الخان العظيم • الذي كان يسمى كوبلاي خان (Kublai Khan) اروع ترحيب وسالهما عدة اسئلة عن ممالك اوروبا ومدنها وملوكها وامرائها وشعبها ، وكيف يحافظون على الامن والنظام في بلادهم • كما استفسر منهم عن الديانة الكاثولوكية وعن البابا الموجود في روما ، فاعجب الخان العظيم ايما اعجاب باجاباتهما الدقيقة الرقيقة المنطوية على الادب الجم والتي تنم عن ذكاء مفرط ، لدرجة انه ارسلهما الى وطنهما كسفيرين له ليطلبا من البابا ان يبعث اليه بمائة رجل ليعلموا شعبه •

ولما عاد الاخوان بولو الى البندقية ـ ولاشك في سرور ماركو وفرحه العظيمين بعودتهما ـ وجدا ان البابا قد مات عند وصولهما • فاضطرا الى الانتظار ريثما ينتخب بابا جديد كي يسلما اليه رسالة كوبلاي خان • وبعد انتظار سنتين ، كانا على أهبة العودة الى آسيا • ولكنهما لم يستطيعا ان يصحبا معهما سوى راهبين اثنين بدلا من المائة معلم الذين طلبهم الخان العظيم • وفي هذه المرة كان بصحبتهما ماركو الصغير • فأبحروا اولا الى عكا، وزاروا أورشليم كي يحصلوا على شيء من زيت قناديل الضريح المقدس ليأخذوه هدية الى الخان العظيم • ثم سافروا من اورشليم الى ارمينيا حيث افزعت اشاعة الحرب الراهبين ، فهربا عائدين الى وطنهما •

اما افراد اسرة بولو الثلاثة فلم يتطرق الخوف الى قلوبهم ، بل استمروا في رحلتهم من ارمينيا حيث سمع ماركو الصغير لاول مرة ، عن بحر قزوين الداخلي العظيم • واتجهوا جنوبا الى الموصل حيث يصنع المنسوج الرقيق الموصلي المعروف باسم « الموسلين » • ثم سافروا منها الى اورموز Ormuz الواقعة على الخليج الفارسي • ذلك الميناء الذي كان يلتقي فيه التجار القادمون من الهند بالتجار القادمين من اوروبا • فازمع هؤلاء الثلاثة ركوب البحر من هذا الميناء الى الصين • بيد انهم وجدوا ان السفن العربية الخفيفة لاتستطيع ان تمخر عباب المحيط ، فقرروا ان يسافروا بطريق البر •

ظل الرحالون الثلاثة في اتجاههم صوب الشمال الشرقي ، مجتازين فارس وصحراء كرمان الملحة • الا أن ماركو مرض في السهول الحارة بشمال فارس حتى اضطروا الى البقاء مدة تقترب من السنة ، عندما وصلوا الى اراضي التلال الجميلة بعد نهر اوكسوس (Oxus) العظيم وراء بالخ (Balkh) ، حتى يتمكن الصغير من استرداد صحته، وبعد هذا اخذوا يصعدون في مرتفعات بامير Pamir ، القاسية البرودة

والشاهقة الارتفاع بدرجة كبيرة حتى ليطلق عليها دائما « سقف العالم » • كانوا وقتئذ فى ارض لم يزرها أحد من الاوروبيين بعد ذلك حتى القرن التاسع عشر ، أى بعدهم بحوالى ستمائة عام • ثم تركوا الجبال وساروا فى طريق كشجار Kashgar ويرقند Yarkand وخوطان Khotan الى بحيرة لوب Lob الى ان توقفوا عن المسير ليحملوا ابلهم وحميرهم بالمؤونة الجديدة قبل أن يجتازوا صحراء جوبى المخيفة • فظلوا يناضلون فى طريقهم مدة ثلاثين يوما • وكثيرا ما كانت تمزعهم الاصوات الغريبة والموسيقى التى كان يخيل اليهم انها تنبعث من طريقهم • وكثيرا ما ضللهم السراب حتى وصلوا اخيرا الى تانجوت Tangut فى اقصى شمال غرب الصين حيث التقوا برسل كوبلاى خان ، الذين جاءوا بأمر منه ليرافقهم الى بلاطه فى بيكين • لقد استغرقوا فى سفرهم هذا ثلاث سنوات ونصف سنة •

استقبلهم الخان العظيم احسن استقبال ، واثنى على جهودهم البالغة فى تنفيذ طلبه • واذ رأى ماركو عندئذ شابا انيقا ، سألهم عنه فاجابه والد ماركو بقوله :

« انه خادمك ياسيدى ، وابنى ! »

فقال كوبلاى خان : « اهلا به وسهلا • وانه ليسرنى ابلغ سرور ان لك ابنا بهذا الشكل » • وفى الحال عينه فى خدمته ليكون احد اتباعه الشخصيين •

قضى البنادقة الثلاثة عدة سنوات سارة فى خدمة الخان العظيم • وسرعان ما تعلم ماركو اللغة التتارية وبرهن على ذكائه وقوة ملاحظته ، حتى نال ثقة واعجاب كوبلاى خان ، الذى جعله احد عماله، وارسله فى كثير من الشئون البالغة الاهمية • واذ علم ماركو ان الخان مولع بالوقوف على عادات واخلاق رعاياه ، كان يدون مذكرات بكل ما يراه ويسمعه خلال تجواله فى ممتلكات الخان، ثم يكتب تقريرا بكل ذلك الى سيده ، فرغم عظمة كوبلاى خان وحكمته ، كان يعلم يقينا انه لن يستطيع ان يحكم شعبه بنجاح الا اذا كان على علم تام بطبيعة من يحكمهم •

شاهد ماركو كثيرا من الاشياء العجيبة فى الصين • وربما كان اعجبها مدينة كينساى Kinsai العظيمة ، او كما تسمى الان هانج تشاو Hang-chow انها عاصمة اباطرة السونج Sung الذين كانوا يحكمون فى الصين الجنوبية • كانت تلك المدينة اعظم بكثير من البندقية ، واروع جمالا • كانت مبنية ، كمدينة البندقية وسط الخلجان والقنوات، وكانت تضم اثنى عشر قسما يحوطها سور به اثنى عشر بابا • يزيد كل قسم فى اتساعه على اتساع مدينة البندقية برمتها • ويبلغ عرض الطريق الرئيسى فيها مائتى قدم • ويؤمه اعظم النبلاء ثراء ، والتجار ، واروع سيدات الصين فتنة « واغراء » • وتعلو مجارى المياه العديدة بتلك المدينة اثنا عشر الف قنطرة مبنية بالحجر • وتدخل فرضتها الواسعة كثير من كبريات السفن الاتية من الهند وبورما وسيلان البعيدة التى تحمل شحنات ضخمة من البهارات والعطور والجواهر والعقاقير الطبية ، وخشب الصندل والابنوس ، وبالطبع بالات من الحرير واردة من جميع انحاء الصين ، لم تكن كينساى ، ذات المنازل الجميلة ، والحدائق الغناء ، والبحيرات الهادئة ، والبساتين الفيحاء ، والقصور والمعابد والاكشاك المزخرفة ببديع الالوان ، اغنى مدينة فحسب ، بل وكانت فى نظر ماركوبولو ، اجمل مدينة فى العالم بأسره • ومع هذا فلم تكن كينساى سوى واحدة من عدة مدن بهذه الصفات التى يتغنى بها ماركو بولو وهو يخبرنا عنها • فقد كانت هناك ايضا مدينة سوجاى Sugai ، التى تسمى «وتشاو Su-chow وهى مدينة يبلغ محيطها عشرين ميلا تنتج كميات عظيمة من الحرير حتى ان جميع سكانها يلبسون الديباج • كما كانت هناك مدينة يانج تشاو Yang-chow العظيمة ، التى تخضع لسلطانها أربع وعشرون مدينة اصغر منها، ظل ماركوبولو يحكمها مدة ثلاث سنوات واليا من قبل الخان العظيم •

كان كوبلاى خان ، ذو النفوذ البالغ على تلك الامبراطورية العظيمة الآمنة ، من احكم وانبل جميع الحكام • وقد اعجب بماركو بولو اعجاباً اى اعجاب • وان ماركو ليخبرنا بالشىء الكثير عن عظمة وابهة ذلك الخان •

كان كوبلاى خان على علم دائما بما يجرى فى ممتلكاته بواسطة نظام بريدى تستخدم فيه الخيول

التي تستبدل بغيرها في فترات منتظمة على طول جميع الطرق الرئيسية لامبراطوريته ، كما انه ربط بين جميع الانهار بقنوات ، واستخدم النقود الورقية كما استخدم النقود المعدنية ، كان بلاط هذا الخان في بيكين ، غير انه كان يحتفظ بقصر صيفي في شاندو Shandu ، مبني بالرخام وتحيط به الغابات الجميلة الزاهرة ،وبهذه الحدائق كشك عجيب من الخيزران،على طريقة اسرة رجال البحر فوق مائتي حبل من الحرير .

عمل ماركو في خدمة الخان العظيم ، وكان يسافر الى بلاد نائية ومناطق شاسعة ، والى جميع ارجاء العالم التي لم يزرها اى اوروبي على الاطلاق ، وعلاوة على رحلاته الى اقليمى شانسى Shansi وشينسى Shensi في كاثاى Cathay او الصين الشمالية ، كان يسافر الى مسافات بعيدة في الشمال الى منغوليا . فزار كاراكوروم Kara — Korum عاصمة التتار القديمة . وذات مرة ارتاد جبال التبت الموحشة واقليم اليون نان Yun-Nan الجنوبي ، ومن ثم دخل بورما الشمالية ثم زار الصين الكوشينية Cochin China كما سافر بطريق البحر الى الهند ، وشاهد المدن التجارية العظيمة الواقعة على ساحل مالابار .. ما من رجل سافر الى بلاد كثيرة مثلما فعل ماركو بولو .

بعد ان قضى هؤلاء الثلاثة سبعة عشر عاما في الصين ، ارادوا العودة ثانية الى وطنهم . غير ان كوبلاى خان لم يرغب في ان يفقد اعزاءه ، فرفض سماع اى حديث عن رحيلهم .واخيرا ، عندما طلب منهم ، بصفتهم من الرحالين المدربين ،ان يرافقوا عروس خان فارس المنغولية من بيكين الى بلاط زوجها ، سمح لهم بالرحيل ، بعد تردد . ولكى يسلكوا طريقا اكثر امنا ، سافروا بطريق البحر فاستغرقت رحلتهم سنتين.فنزلوا في اموى Am ميناء كينساى ، وابحروا عبر بحر الصين وبوغاز ملقا . وبعد ان زاروا سيلان ، ركبوا البحر بطول ساحل مالابار الهندى ، ومنه الى الخليج الفارسى حتى بلغوا مدينة اورموز .فتركوا الاميرة في فارس وسافروا عن طريق تبريز وطرابيزون الى القسطنطينية حيث ركبوا سفينة اقلتهم الى البندقية . لقد ظلوا غائبين عن وطنهم ، في هذه السفرة ، اكثر من عشرين سنة . وبينما هم في فارس بلغهم نبأ وفاة كوبلاى خان وهو في سن الثمانين .. اذن ، فلم يعد لهم امل في الرجوع الى هناك بعد موت ذلك الخان .

تقول احدى الاساطير انه لما عاد هؤلاء الثلاثة الى البندقية ، كان منظرهم غريبا في ملابسهم التتارية العجيبة،وقد غابوا عنها مدة طويلة حتى ان احدا لم يصدق انهم حقيقة افراد اسرة بولو الذين غادروها منذ عدة سنين . لم يعرفهم اى فرد هناك الى ان اقاموا وليمة كبرى عرضوا فيها جميع الاحجار الكريمة والملابس الفاخرة التى احضروها من الصين ، وعندئذ تعرف عليهم اصدقاؤهم واقاربهم .

بعد عودتهم بثلاثة اعوام ، تسلم ماركو بولو قيادة سفينة حربية ، واشترك في معركة كبرى مع قوات جنوة ، هزم فيها البنادقة . واخذ ماركو بولو نفسه اسيرا الى جنوة حيث بقي في السجن مدة سنة . فقص على زملائه في السجن قصص رحلاته درجة بالغة ، حتى ان احدهم جمعها في كتاب . الى بلاد الصين العجيبة التى ادهشتهم جميعا الى وبهذا وصلتنا قصة واحد من اعاظم الرحالين . وعلى الرغم من ان كثيرين لم يصدقوا كل ما اخبرهم به ماركو ، فانه يصر ويؤكد انه لم يخبرهم « بنصف ما رآه حقيقة » . كان صادقا في حديثه، اذ بعد ذلك بستة قرون ، عندما اخذ الناس يرتادون آسيا الوسطى والصين ، وجدوا ان كل ما قاله صحيح.واستطاعوا استخدام قصته مرشدا لهم في رحلاتهم .

عندما مات ماركو بولو في سنة ١٣٢٤ ، كان التجار وارباب المهن يجوسون الطرق الى الصين . غير انه لم يمض وقت طويل حتى انتهى حكم التتار، فاقفل الاتراك الطرق الموصلة الى الشرق.وصارت قصة رحلات ماركو بولو اسطورة ليس غير . بيد ان هناك رجلا عظيما واحدا وجدها بالغة القيمة. فبينما كان خريستوف كولومب يقرأ عن ثراء مدن الصين العجيب ، طرأت في مخيلته فكرة امكان الوصول الى الاراضى التى زارها ماركو بولو ، عن طريق الابحار غربا . ■■

امين سلامه



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة
نخبة من الاطباء

الحساسية الموسمية عند الاطفال

● لى قريب يعانى من مرض جلدى بدأ عندما كان عمره سنة ونصفا ،وهو الآن فى السادسة • هذا المرض يظهر صيفا على هيئة بثور تمتلىء بالصديد وتتركز فى الاطراف والوجه وهى تقل ولكنها لاتختفى فى الشتاء • ما تفسيركم ؟

ــ هذا النوع من الحساسية يظهر كثيرا فى الاطفال من كلا الجنسين وتزداد نسبة حدوثه اذا ما كان الوالدان من أسرة واحدة فهنالك تأثير اذ يصبح الطفل مهيأ للحساسية ، وكثيرا ما نجد الطفل الذى ولد فى مكان أو بلدة ما ــ لايعانى من هذه الحساسية واذا ما انتقل الى بلدة أخرى بدأت فى الظهور حبيبات صغيرة حمراء وخاصة فى الزراعين والساقين ــ مثيرة بذلك رغبة شديدة فى حك الجلد مما ينتج عنه حدوث خدوش وتسلخات فى هذه البثور التى سرعان ما تتقيح وتتحول الى بثور صفراء مغطاة بقشور صديدية وقد تفرز الصديد واضحا على سطحها ــ وتستمر هذه الاعراض فى الظهور حتى يعود الطفل الى المكان الذى ولد فيه • وتتكرر هذه الظاهرة من عام لآخر حتى يكبر الطفل فيقل الاستعداد لذلك حتى تختفى •

هنالك الكثير من العوامل التى قد تسبب ظهور هذه الحالات ــ فهنالك أختلاف نوع الاتربة العالقة بالجو وكذلك حبوب اللقاح التى تنشرها الرياح من الزهور ونوعية المراعى التى تتغذى عليها الابقار التى نأخذ منها الحليب ومشتقاته واكثير الكثير ولكن وجد بالتجارب أن أهم هذه العوامل هو الباعوض والهوام المختلفة التى تختلف أنواعا وأشكالا ، فلقد وجد أنه اذا عرضنا الطفل الذى لديه الاستعداد لهذه الحساسية لهذه الحشرات فان قرصة واحدة من هذه الحشرات كافية لاثارة الحساسية وظهور هذه البثور فى مختلف أجزاء الجسم وخاصة الاطراف اذ يكون الطفل حساسا للمادة التى تفرزها هذه الحشرات فى داخل الجلد لكى تمنع تجلط الدم ويمكنها بذلك أمتصاص ما تريد من دماء الانسان ولقد أمكن احداث ذلك تجريبيا فى المختبرات •

لذلك لايملك الطب سوى اعطاء مضادات الحساسية موضعيا وعاما سواء بالاقراص او الشراب ، وذلك لتهدئة الحالة مؤقتا فالحساسية لا تزول الا بزوال المسبب ولكن كما ذكرت سابقا تختفى هذه الحساسية عند تقدم العمر •



تحديد جنس الجنين

● **هل يمكن تحديد جنس الجنين قبل الولادة ؟**

سيدة سلوى عبد الجبار ـ طرطوس ـ سوريا

ـ التقدم العلمي اثبت ان ذلك صار ممكننا • فنحن لو رأينا خلية من الغشاء المبطن للفم تحت الميكروسكوب لامكننا ان تحدد ان كانت هذه الخلية من فم امراةأو منفم رجل• ذلكان خلية الانثى تحتوىفى طرف منها على جسم كروى صغير لايوجد فى خلية الرجل ولقد اطلق عليهء جسم بار » • وبار هو اول من اكتشف هذه الخاصية فى خلايا جدار الفم لكل انثى ثم بدأ البحث فى كل الخلايا فى الدم والكبد والقلب والامعاء وباقى الانسجة فثبتت الحقيقة ان خلايا الانثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروى وأضيفت صفة اخرى للانوثة غير الصفات العضويةوالوظيفية المعروفة •

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس فى كل الخلايا المذكرة والمؤنثة • تحتوى خلية الذكر على كروموزم X واخر Y بينما تحتوى خلية المرأة على زوج من كروموزم X • ويصبح علامة الذكر YX وعلامة الانثى XX•

ويقول بار ان الجسم الكروى الذى اكتشفههو احد الكروموزومين × الموجودين فى الخليةالانثوية ولقد اكد ذلكان الذكور الذين يعانون من تشويه خلقى وراثى يحملون كروموزمات جنسية اكثرمن المعدل كأن يحمل احدهم YXX أو YXXX • وخلايا فم هؤلاء المشوهين وجد انها تحتوى على اجسام بار الكروية بعدد كروموزومات X الزائدة عن الاول • فمثلا فى حالة الرجل المشوة YXX كانت خلية فمه تحمل جسما واحدا بينما الرجل المشوه YXXX تحمل خليته جسمين من اجسام بار رغم أنهما رجلين عضويا ووظيفيا مع بعض التشوهات الخلقية وربما الوظيفية•

وهكذا اصبح المفهوم العلمى للفرق بين الذكر والانثى اكثر تحديدا وتعقيدا فلن يكفى ابدا الصوت الناعم والشعر الطويل والوصف العضوى للجسم ولاحتى المعاملة الرقيقة حتى تتأكد أننا نتعاملمع واحدة من بنات الجنس اللطيف فكل هذه الصفات يمكن ان تتواجد فى الجنس الاخر والعكس صحيح•ولكن لابد من وجود جسم بارحتى نقرر اننا نتعامل مع انثىبالمفهوم العلمى •

رقعة خالية فى الرأس

● **ظهرت فى ولدى رقعة خاليةمن الشعر فى رأسه الا أن بها بعض الشعر المتقصف مع قشور خفيفة ثم تبعتها رقعات اخرى واخبرتنى طبيب المدرسه بان ذلك قراع ومنع الولد من المدرسة حتى يشفى ، فما هو ذلك المرض وهل هو معد ؟**

ـ القرع أو سعفة الرأس هو مرض فطرى يحدث نتيجة أصابة شعر الرأس بالفطريات كما ان الرموش والحواجب يمكن أن تتأثر بالمرض وهو مرض معد بدليل انتشاره فىرأس الولد ولهذا منعه الطبيب عن المدرسة حتى يشفى وحتى لايعدى بقية التلاميذ •

وهذا المرض عادة يحدث قبل سنالبلوغ وينتشر فىالذكور أكثر من الأناث ويشفى

ان المجهول هو ضالة الانسان دائما ٠ وقد ظل جنس الجنين فى الرحم امرا مجهولا يستقطب الاهتمام من قديم الازل ٠ ولذلك فلقد كان التنبؤ به ميدانا فسيحا للدجالين ولايزال ممكنا ان ترى امرأة عجوزا تقف على قارعة الطريق تحمل عظمة معينة من سمكة معينة تنتظر اول قادم عليها فان كان ذكرا كان مولود من تعنى ذكرا٠ وان كان القادم انثى كان المولود كذلك ٠وتسرى خرافات اخرى فمنها من يقول ان الحامل قد يصيبها قيء الحمل بعنف اشد اذا كان الجنين انثى او ان الانثى كثيرة الحركة فى بطن امها او تكون ولادتها اكثر عسرا من ولادة الولد ٠ والحقيقة انه لا اصل علمى لهذه الاوهام ولم يستطع البحث ان يحقق صدق أى منها ويبقى للعلماء ان يستثمروا اكتشاف بار٠ ولكن الوصول لخلايا الجنين كان صعبا ٠ حتى امكنهم وبدون اضرار امتصاص جزء من السائل المحيط بالجنين ولقد وجدوا فيه خلايا من جلد الجنين واصبح البحث عن اجسام بار فى هذه الخلايا امرا سهلا ٠ بل وأمكن زرعها ومعرفة عدد ونوع الكروموزمات التى تحملها فان كان × × فهى انثى أو XX فهو ذكر وان حملت جسم بار الكروى فهى انثى والافهى ذكر٠

هكذا اصبح تحديد جنس الجنين ممكنا٠ ولقد قدمت التكنولوجيا الحديثة وسائل عديدة جعلت الحصول على السائل المحيط بالجنين وزرعه وفحصه امرا ميسرا وعمليا٠ حتى انه اصبح من الطرق العديدة التى يستخدمها اطباء الولادة والوراثة ليس لمعرفة جنس الجنين فى حد ذاته ولكن لما فى هذه المعرفة من اهمية فى تحسين نوعية النسل وتجنب كثير من الامراض ٠ورغم ان هذا العمل لايزال فى بدايته ، الا ان الشواهد تؤكد ان المستقبل القريب سيشهد ثورة علمية فى هذا الميدان ٠

تلقائيا بعد البلوغ نتيجة التغيرات التى تحدث نظرا لزيادة افراز الهرمونات التى تجعل الجلد يقاوم هذا الفطر ٠

وتحدث العدوى مباشرة من شخص لآخر باستعمال الفرش أو الامشاط المشتركة كذلك لباس الرأس والمناشف والمخدات وعدواه سريعة الانتقال ٠

ويبدأ نمو الفطر فى الطبقة القرنية للبشرة ثم يهاجم القشرة وينمو فيها وكلما زاد نمو الشعر امتد الفطر داخلها ويظهر فوق سطح الجلد بعد أسبوعين من العدوى ، ويظهر الشعر المتقصف فى الرقع المصابة فى الاسبوع الثالث من الاصابة ، حيث يمكن اكتشافها وتمتد العدوى فى الشعر المجاور وبهذا تزداد الرقع تدريجيا٠

ويظهر المرض على الرأس على شكل رقعات بيضاوية او مستديرة رمادية اللون بها احمرار مع قشور ضعيفة والشعر المصاب يتقصف عند اتصاله بسطح الجلد٠

وطبيعى أن الوقاية مهمة جدا خاصة فى المدارس وفى هذه الحالة طالما اكتشفت حالة فانه يجب الكشف على جميع الطلبة بواسطة مصباح أشعة فوق البنفسجية خاص لهذا الغرض للكشف على اعداد كبيرة فى وقت قصير لاكتشاف المرض فى بدايته كذلك يجب فحص المخالطين فى المنزل ويجب أن تكون له أدواته الخاصة به من مناشف وفرش وأمواس حلاقة وفراش وغيره ٠

وقد أصبح من السهل علاج هذا الفطر حاليا باستعمال أدوية الجريزفين عن طريق الفم جنبا الى جنب مع استعمال الدهانات الادوية المضادة للفطر موضعيا على الرأس مثل الاسترول والكستلانى والجاديت ٠

مع نهاية الصيف

النوادي البحرية

أول سنة في حياة

قارب لاحد اعضاء النادي وهو يستعد للقيام برحلة بحرية .



استطلاع الكويت :

بقلم
صادق يلى

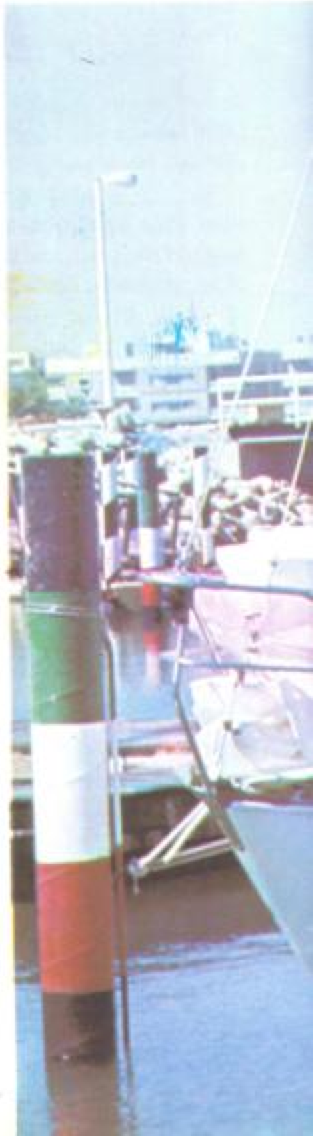
(تصوير : اوسكار مترى)



النوادى البحرية جعلت من صيف الكويت ربيعا دائما



شرفة تطل على حوض السباحة فى نادى يتيد القار البحرى والجميع مستمتع بهذه الجلسة ٠



مع بداية هذا الشهر تبدأ جحافل حر الصيف في الرحيل • الا أن رياضة البحر تظل رياضة الصيف والشتاء ••• فالنوادي البحرية لايقتصر عملها على فترة الصيف فقط فاستمرارية العمل هو طابع هذه النوادي التى أخذت على عاتقها رعاية السباحة والعاب البحر صيفا وشتاء •

شيئان فى حياة اهل الكويت بقيا وسيبقيان دوما فى الاعماق ••• البر والبحر ••• الى البر الذى عاشوا فوق رماله الساخنة وتحت الخيام وفي بيوت بسيطة متواضعة ••• الى هذا البر يعودون فى ربيع كل عام يتذكرون ••• انه حنين البدوى الى الصحراء ••• والى البحر الذى غاصوا فى مياهه باحثين عن رزقهم وابحروا فوق صفحته بمراكبهم الشراعية يحملون السلع الى بلاد الله القريبة والبعيدة الى البحر عادوا ويعودون ليتذكروا وليملأوا انوفهم برائحة مياهه ، ويلقون باجسامهم على شواطئه الهادئة ، على هذه الشواطىء اقاموا النوادى والكازينوهات وعادوا الى ذلك العناق الابدى بين الشاطىء والبحر وبينهم وبين مياه البحر •• من هنا كان لا بد لنا ان نبرز صورة هذا الجانب المشرق من جوانب مسيرتنا الحضارية ، لقد اتجه الانسان الكويتى الى استثمار هذا البحر والاستفادة من شواطئه ومياهه الزرقاء الصافية لتعود عليه بالفائدة فكانت النوادى البحرية هى احدى انجازات شركة المشروعات السياحية التى تاسست فى سنة ١٩٧٦ فهى بذلك رائدة الشركات السياحية حيث يبلغ رأس مال الشركة عشرة ملايين دينار كويتى ساهمت الحكومة الكويتية فيه بتسعة ملايين دينار اما باقى رأس المال فقد ساهمت فيه شركة الفنادق الكويتية والشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والشركة الكويتية للاستثمار وشركة المواصلات الكويتية •

النوادى البحرية

وقمنا بجولة سريعة لمنشآت الناديين البحريين اللذين يعملان الآن ، اولهما ويقع فى منطقة الراس قرب السالمية ، اما الثانى فيقع بمنطقة بنيد القار امام فندق هيلتون الكويت •

وبدأنا جولة على منشآت النادى فبدأنا بصالة الالعاب المغلقة وتضم هذه القاعة طاولات للعبة تنس الطاولة والعاب تسلية للاطفال ثم حجرات لموظفى النادى والمستخدمين ثم صالة للاستقبال ، اما الطابق الثانى من المبنى فيحتوى على مطعم كبير يقدم الوجبات لرواد النادى وضيوفهم ثم صالة كبيرة خصصت لتكون مكتبة يقضى فيها اعضاء النادى وقتا للمطالعة ، وبالطبع فان معظم



دقت الشمسى على ساحل البحر واستعد الكل للنزول الى الماء •



موظفة الاستقبال ترد على بعض استفسارات احدى العضوات فى النادى



الشيخ مبارك الجابر الاحمد نائب رئيس شركة المشروعات السياحية قال : ان لدى الشركة عدة مشاريع ترفيهية سوف تكون مفاجأة للمواطنين ٠

كتب المكتبة تختص بالبحر وكتب التسلية الفكرية٠

ويضم النادى مرسى كبيرا يتسع ل٢٠٧ من القوارب البخارية لهواة الرحلات البحرية وصيد السمك ، والمرسى مزود بمضخة بنزين ومياه لتنظيف القوارب وللاستعمال ايضا ٠

وتجولنا حول حوض السباحة وهو حوض كبير مساحته حوالى ٣٥٠ متر مربع ثم شرفة واسعة تطل على الحوض وقد رصت حوله الطاولات وكراسى البحر والشماسى بالوانها الزاهية ، وبالقرب من هذا الحوض الرئيسى هناك حوض اصغر منه مساحة وهو عميق يستخدم لرياضة الغطس من السلم المتحرك ، ولم ينس النادى الاطفال فقد قام بانشاء حوض دائرى قليل العمق يستخدم للاطفال دون الخامسة ، ويضم النادى بالاضافة الى ذلك ساحلا رمليا جميلا بطول كيلو متر واحد ، وقد اعد اعدادا كاملا لاستقبال الاعضاء وقضاء وقت ممتع على شاطىء الخليج والتمتع بالسباحة لمسافات طويلة ٠

وقد بدأ نشاط هذين الناديين منذ بداية شهر مايو وبلغ عدد الاعضاء المنتسبين له ما يقرب من اربعة الاف عضو ، وكل هؤلاء الاعضاء يحق لهم الدخول فى جميع الاندية البحرية التابعة لشركة المشروعات السياحية ٠ وسألنا الاستاذ فيصل القضيبى مسئول نادى بنيد القار عن شروط العضوية ، فاجابنا قائلا : ان الباب مفتوح لكل من يريد الانضمام للنادى من المواطنين وان المشترك فى احد هذه النوادى له الحق فى الدخول الى اى ناد يتبع نوادى شركة المشروعات السياحية ٠ اما عن رسوم الاشتراك للعائلة الواحدة والمكونة من الزوج والزوجة وولدين فتبلغ ٧٥ دينارا سنويا ، وكل طفل يضاف بعد ذلك عليه ان يدفع عشرة دنانير ، اما الاعزب او الفردى فانه يدفع ٥٠ دينارا رسوم الاشتراك واما بالنسبة للطلبة فيدفع الطالب ٢٥ دينارا ٠

ومن الجدير بالذكر ان هناك ثلاث نواد اخرى لم تستكمل مبانيها بعد ، ومن المحتمل انجازها فى الاشهر القليلة القادمة احدها يقع امام مبنى وزارة الاسكان فى منطقة الشعب والاخر يقع فى الفحيحيل ٠ اما الثالث فيقع فى منطقة البدع ٠

آراء الاعضاء

ولقد قمنا بجولة بين اعضاء النادى لمعرفة آرائهم ومدى اقبالهم على الانشطة المختلفة للنادى خلال هذه الفترة القصيرة من عمر النادى فقابلنا السيد مهدى الكاظمى وهو يعمل موظفا فى احد البنوك فبادرنا قائلا : لا يخفى ان النادى لا يزال فى مرحلة التكوين ويحتاج الى بعض الوقت لاستكمال ملاعب كرة السلة والتنس الارضى،والامل كبير ان تكون هذه النوادى خطوة موفقة لجذب اكبر عدد ممكن من اهالى الكويت والمقيمين ٠

اما الانسة ريما ياسين فاجابت قائلة اننى منذ طفولتى اهوى السباحة ورياضة البحر وكذلك يشترك معى اخوتى فى هذه الهواية لذلك كنت من اوائل الاعضاء الذين تقدموا للاشتراك فى النادى ٠

والنادى كبداية رائع واستعداداته لا بأس بها، وبودى أن تكتمل ملاعب التنس ، كما اتمنى أن تستحدث صالات لالعاب اخرى مثل الاسكواش والبولنج وان تقام سباقات للقوارب الشراعية وفرق لرياضة التجديف ومسابقات لهواة صيد السمك ٠

ولا يفوتنا ان نذكر ان مجلس ادارة النوادى البحرية والمشروعات السياحية يتكون من السادة





تفتح الاندية البحرية ابوابها للرواد من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة الحادية عشرة ليلا وفي الصورة بعض الاعضاء يتناولون وجبة الغداء في مطعم النادي .

الى اللقاء في جزيرة فيلكا مع مراكب شركة المشروعات السياحية .



يكون الزحام على أشده
أيام الخميس والجمعة
من كل أسبوع حيث
تقوم مراكب شركة
المشروعات السياحية
بنقل المواطنين من ميناء
الرأس بالسالمية الى
جزيرة فيلكا .



يحتوي كل ناد بحري
على حوض واسع
للسباحة وفي الصورة
أم وأولادها ومحاولات
أولى لتعلم السباحة .

غازي مسعود الفليج رئيسا والشيخ مبارك الجابر الاحمد نائبا للرئيس ثم الاعضاء السيد عبد الله القطامي وسامي الابراهيم ومصطفى الشمالي وكذلك مدير شركة المشروعات السياحية السيد علي الحمود ونائبه السيد فيصل القضيبي ، هذه المجموعة من الشباب الكويتي تعمل بجد ونشاط للقضاء على اية مشكلة قد تعترض هذه النوادي.

الى فيلكا بالمراكب

وكان لنا لقاء مع الاستاذ محمد الدخيل رئيس الشئون الادارية في شركة المشروعات السياحية ليحدثنا عن المراكب التي تعمل الان بين منطقة الراس بالسالمية وجزيرة فيلكا فاجابنا بان هناك ثلاثة مراكب تستوعب كل منها ٦١ راكبا تعمل الان بنقل المواطنين من والى جزيرة فيلكا وهذه المراكب هي (العبدلي) (وربة) (وادعمي) وتستغرق الرحلة من والى جزيرة فيلكا ساعتين ونصف الساعة وجميع هذه البواخر مجهزة بجميع اسباب الراحة من مقاعد ولبرة واجهزة موسيقى بالصوت المجسم وكافتيريا صغيرة تقدم المرطبات اما اشد ايام الاسبوع ازدحاما بالمسافرين فهي ايام الخميس والجمعة من كل اسبوع ثم الاعياد والعطلات الرسمية اما قيمة التذكرة فتبلغ نصف دينار فقط ثم قال الاستاذ الدخيل : واود ان اذكر هنا ان بواخرنا لا تعمل الان بكامل طاقتها لعدم اكتمال بناء ميناء فيلكا ، فبواخرنا الآن مرتبطة بظاهرة المد والجزر وفي حالة الانتهاء من ميناء فيلكا فسوف تعمل بواخرنا بكامل طاقتها .

ماذا أعددتم لهذا الصيف

وكان لا بد لنا من لقاء مع الشيخ مبارك الجابر الاحمد نائب رئيس شركة المشروعات السياحية ليحدثنا عن مشاريع الشركة ، وما اعدته لهذا الصيف فاجابنا قائلا : لا شك ان هناك امكانية لان تكون الكويت من المراكز السياحية على المستوى الداخلي فموقع الكويت الاستراتيجي وسهولة الاتصال بها برا وبحرا وجوا ، وما وهبها الله من شاطيء رملي جميل يعتبر من اجمل الشواطيء



اسرة تستمتع بالسباحة في مياه الخليج

يؤكد لنا ان الكويت تنظر الان الى السياحة الداخلية باهتمام وجدية ثم الدور الذي سوف تقوم به شركة المشروعات السياحية في هذا الجانب لتطوير المشاريع السياحية في كويتنا الحبيبة .

واضاف الشيخ مبارك ان شركة المشروعات السياحية سوف تتولى ادارة المنشآت السياحية والترفيهية التي تقوم الدولة بانجازها بالاضافة الى المشروعات السياحية التي تقوم الشركة بانشائها وادارتها ، فالغرض الذي انشئت من اجله الشركة هو القيام بمثل تلك النشاطات وهو الترفيه عن سكان الكويت والمواطنين .

ونسأل الشيخ مبارك ماذا اعددتم من مشروعات



باخرتان من بواخر شركة المشروعات السياحية هذه البواخر تنقل المسافرين من رأس الارض بالسالمية الى جزيرة فيلكا وتستغرق الرحلة ذهابا وايابا ساعتين ونصف الساعة .

فاجابنا هناك العديد من المشاريع سوف تسعد المواطنين وترفه عنهم وتعيد لهم الحيوية والنشاط فلدينا الآن النوادي البحرية في بنيد القار ورأس الارض وهذان الناديان تم تجهيزهما لاستقبال المواطنين ، اما المشروع الاخر فهو مشروع ابراج الكويت والتي تعتبر بحق رمزا لحضارة ومستقبل الكويت فستتولى شركة المشروعات السياحية ادارته ولا شك ان المشروع كبير وضخم وقد احتفل في العيد الوطني من هذا العام بانتهاء العمل فيه ، ومنذ مدة قصيرة افتتح باب الزيارة لصالة المشاهدة في ابراج الكويت للمواطنين وذلك ليتمكن المواطنون من مشاهدة معالم الكويت نهارا وليلا ويبدا العمل في ابراج الكويت من الساعة الرابعة مساء حتى العاشرة مساء ٠ ومنذ فترة قصيرة قامت السفينة مسجان برحلات بحرية لمشاهدة معالم مدينة الكويت وواجهاتها البحرية ، وتقوم هذه السفينة والتي تتسع لـ ٢٢٤ راكبا ومجهزة بقاعة للسينما ومطعم وهي مكيفة مركزيا وقد جهز سطح الباخرة لجلوس الرواد والاستمتاع بالهواء الطلق ، وتقوم هذه السفينة بجولتين في اليوم الاولى رحلة نهارية اما الثانية فهي رحلة ليلية ٠

مشاريع مرتقبة

ونسال الشيخ مبارك عن المشروعات الاخرى التي تنوي الشركة اقامتها ، فاجابنا : هناك مشروع سياحي كبير هو الان قيد التنفيذ وهو مشروع اقامة شاليهات في جزيرة فيلكا وسوف يكون على مساحة مليون متر مربع ويتكون من ٤٥٠ شاليها مختلفة الاحجام كبيرة وصغيرة ومتوسطة وموتيل يتكون من ٢٥ غرفة وسوق مركزي وبلاج عام واماكن لتغيير الملابس ومطعم وحوض سباحة كبير ومجاري ومحطة لتنقية مياه المجاري لاستخدامها في الزراعة ، واود ان اذكر بالنسبة لهذا المشروع اننا سوف لن نسمح بدخول السيارات الى هذه المنطقة لنوفر اكبر قدر ممكن من الراحة والهدوء للنزلاء والسياح ٠ وسوف ينتهي العمل بهذا المشروع في نهاية عام ١٩٧٧ ٠

اما المشروع الاخر والذي نحن الان بصدد دراسته فهو مشروع انشاء ثلاث مدن ملاهي صغيرة احداها يقع بالقرب من مدينة الكويت قرب الطريق الدائري السادس والاخر بالقرب من مدينة الاحمدي اما المدينة الثالثة فسوف تكون في جزيرة فيلكا وتقوم اكبر البيوتات الاستشارية الاوروبية والامريكية بدراسة المخططات المطلوبة لهذه المدن ٠ هذا بالاضافة الى مدينة الملاهي الكبرى التي تنوي الحكومة القيام بها ٠

وهناك عدة مشروعات اخرى تنوي الشركة اقامتها في السنوات القليلة القادمة منها مشروع انشاء شاليهات في ميناء عبد الله ويعتبر هذا المشروع من اكبر المشاريع السياحية ٠ ويبدا المشروع من ميناء عبد الله شمالا الى قصر طروب جنوبا حيث سيكون تنفيذه على مراحل وسوف يمتد حوالي ٦ كيلومترات ويضم ٦٥٠ شاليها وبلاجا عاما يشتمل على مراكز انقاذ وحوض سباحة وغطس واماكن تبديل ملابس ومرسى كبير وورشة لتصليح القوارب وحمامات ومرافق اخرى ، بالاضافة الى شبكة طرق وكازينوهات وسوق مركزي وملاعب وحدائق ومسجد ومحطة وقود للسيارات ومخازن ٠ وسوف يتم طرح هذا المشروع في مناقصة عالمية في القريب العاجل ٠

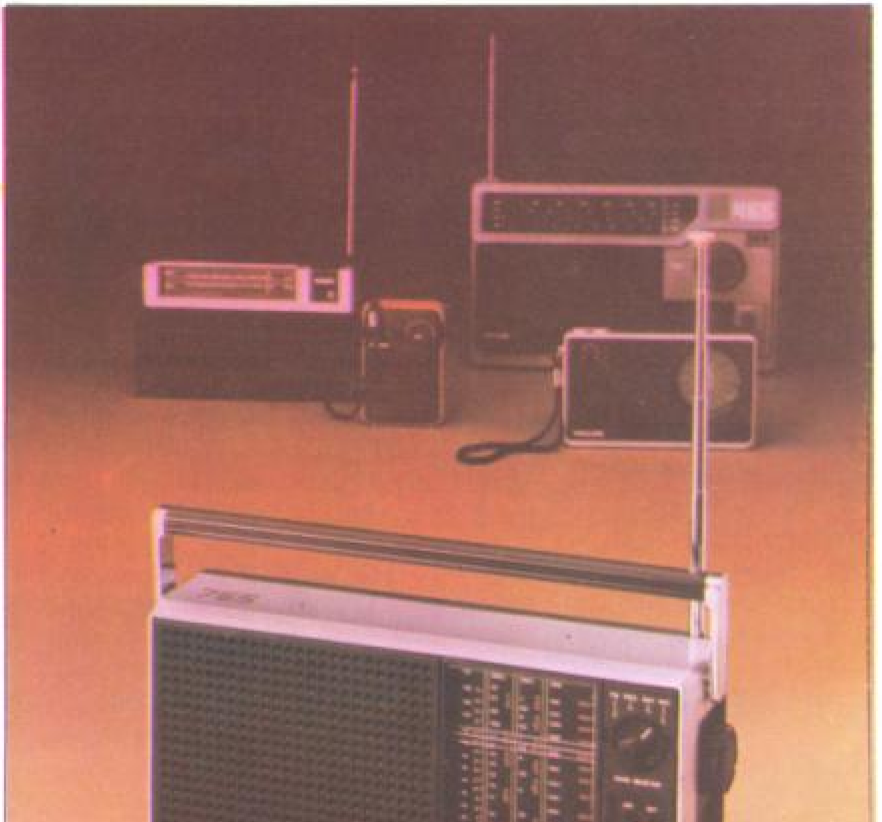
واخيرا فانني احب ان اقول للاخوة المواطنين انهم في القريب العاجل سوف يلمسون النتائج بانفسهم لهذه المشاريع التي سوف تقوم بها شركة المشروعات السياحية والدولة ايضا ٠ من منطلق الاهتمام وتشجيع السياحة الداخلية في الكويت وايجاد اماكن للترفيه والمتعة للمواطن والمقيم على السواء ، واننا سوف نجني ثمار هذه الجهود في القريب العاجل وسوف يعمل لنا كل عام الجديد من مشاريع سياحية تدعم تقدم نهضتنا المباركة ٠ ■■

صادق يلي

لعبة اخرى من ألعاب التسلية في النوادي البحرية




نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS–McCANN
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به


PHILIPS
راديوات ترانزيستور
التي تسمعك الأفضل
والأكثر : من فيليبس
عندما تقدم على شراء راديو ترانزيستور
تأكد من وجود كافة الميزات التي ترغبها فيه : كالصوت النقي وقوته
فيليبس
الأفضل لكم دوماً
PHILIPS



طرائف عربية

رجل حكيم

● قدم قيس بن زهير ـ وكان من فرسان العرب واجوادها ـ قدم على النمر ابن قاسط فقال : « يا معشر النمر نزلت اليكم غريبا فانظروا الى امرأة اتزوجها، قد اذلها الفقر ، وادبها الغنى لها حسب وجمال » . فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : اني غيور فخور ضجور ، ولكن لا أغار حتى ارى ، ولا افخر حتى افعل ولا آنف حتى اظلم .

فاقام فيهم حتى ولد له غلام ، ثم بداله ان يرتحل عنهم ، فجمعهم ، ثم قال : « يا معشر النمر ، ان لكم علي حقا . وانا اريد ان اوصيكم ، فامركم بخصال ، وانهاكم عن خصال : آمركم بالابل فانها تنال الفرص ، وسودوا من لا تعابون بسؤدده وعليكم بالوفاء فان به عيش الناس . واعطاء ما تريدون اعطاءه قبل المسألة ، واجارة الجار على الدهر .

وانهاكم عن الرهان : وعن السرف في الدماء ، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الاكفاء عن النساء فتحوجوهن الى البلاء » .

حبه لا يتجاوز معدته

● حكي ان ابا القماقم عشق قينة (مغنية) فبعث اليها : « حضر عندي البارحة صديق عزيز علي ، فابعثي الي بدجاجة سمينة آكلها معه على ذكرك » ، فبعثت القينة اليه ما طلب ، ولما كان من الغد بعث اليها يطلب منها ان ترسل له بطبق من اللوزينج يأكله على ذكراها ، فقالت : « جعلت فداك ذكروا ان منبع الحب من القلب ، فاذا تناهى بلغ الى الكبد وانا ارى حبك لا يتجاوز معدتك » فقال : « انما فعلت هذا لاقوى على محبتك الم تسمعي قول الشاعر :

اذا كان في قلبي طعام ذكرتها
وان جعت لم تخطر ببالي ولا فكري
ويزداد حبي ان شبعت تجددا
وان جعت يوما لم تكوني على ذكري

ثماني خصال

● **قال لقمان لابنه : « يا بني خذ عني هذه الخصال الثماني : الاولى اذا كنت بين الصلاة فاحفظ قلبك ، والثانية اذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك ، والثالثة اذا كنت بين النعمة فاحفظ خلقك ، والرابعة اذا كنت في دار الغير فاحفظ عينك .**

واما الاربعة الاخيرة : فكن ذاكرا ابدا لشيئين: الخالق والموت، وكن ناسيا ابدا لشيئين: احسانك في حق الغير ، واساءة الغير في حقك ..

لا ازوجه

● سأل الخليفة هارون الرشيد الامام موسى بن جعفر رضى الله عنه كيف زعمتم انكم اقرب الى رسول الله منا ؟ قال : « لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نشر ، فخطب اليك كريمتك ،هل كنت تجيبه، فتزوجه؟ » فقال‌هارون الرشيد: « سبحان الله !كنت افتخر بذلك على العرب‌والعجم » فقال الامام موسى بن جعفر : « لكنه لا يخطب الى ولا أزوجه » . (لان موسى من سلالة النبى عليه السلام) .

جارية

● كتب بعض الولاة الى صديق له فى بغداد ، ليشترى له جارية ، وكان هذا الوالى من المعروفين بالذوق الرفيع ، فكتب الى صديقه يقول : « أحبها فرعام فانه يقال : اذا اتخذت الجارية فاستجد شعرها فان الشعر أحد الوجهين ، وان تكون رائقة البياض تامة القوام ، فان البياض والطول نصف الحسن ، وان تكون سليمة المضحك ، فانه اول ما يجلب المحبة ويكسب الحظوة . واننى اكره صاحبة العجيزة العظيمة ، واريدها وسطا لان خير الامور اوسطها ، واريدها ان يكون لها طرف ادعج ، وحاجب ازج ، وكفل مرتج وما وافق هذه الصفة وان تكون رخيمة الكلام شهية النفحة والسلام » .

يحسده على موته

● قيل انه كان بالمدينة امرأة شديدةالاصابة بالعين ، وكانت لا تنظر الى شىء الا دمرته ، فدخلت على اشعب تعوده ،وهو يحتضر ، ويكلم ابنته بصوت ضعيف منهوك» وهو يقول لها : « يا بنية ناشدتك‌اذا أنا مت أن لا تنوحى على ولا تندبينى والناس يسمعونك تقولين : « وأبتاه ،اندبك للصلاة والصيام ، والفقه والقرآن، وأعمال الخير ، فيكذبونك ويلعوننى » .ثم بعد ذلك التفت أشعب الى الحضور فرأى المرأة فغطى وجهه بكمه ، وقال :« يا فلانة ، ناشدتك الله ان كنت استحسنت شيئا مما انا فيه فصلى على‌النبى » فقالت المرأة : « قبحك الله وأى شىء فيك حتى استحسنه ، انما انت‌فى آخر رمق » فقال لها أشعب : « ربما تكونين قد استحسنت خفة الموت على ،وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه » فخرجت المرأة من عنده وهى تسبه وتشتمه ،وضحك من كان حوله حتى نساؤه .

فيك بذاء

● قال الصولى حدثنى ابو العيناءقال: دخلت على الخليفة المتوكل ،فدعوت له وكلمته فاستحسن كلامى ثم قال :« يا ابا العيناء بلغنى ان فيك بذاء » فقلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر الذى‌بلغك عنى ذكر المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فى‌القرآن الكريم ، فقال : « نعم العبد انه اواب » وقال : « هماز مشاء بنميم مناع‌للخير معتد اثيم » .



فنان من الاردن

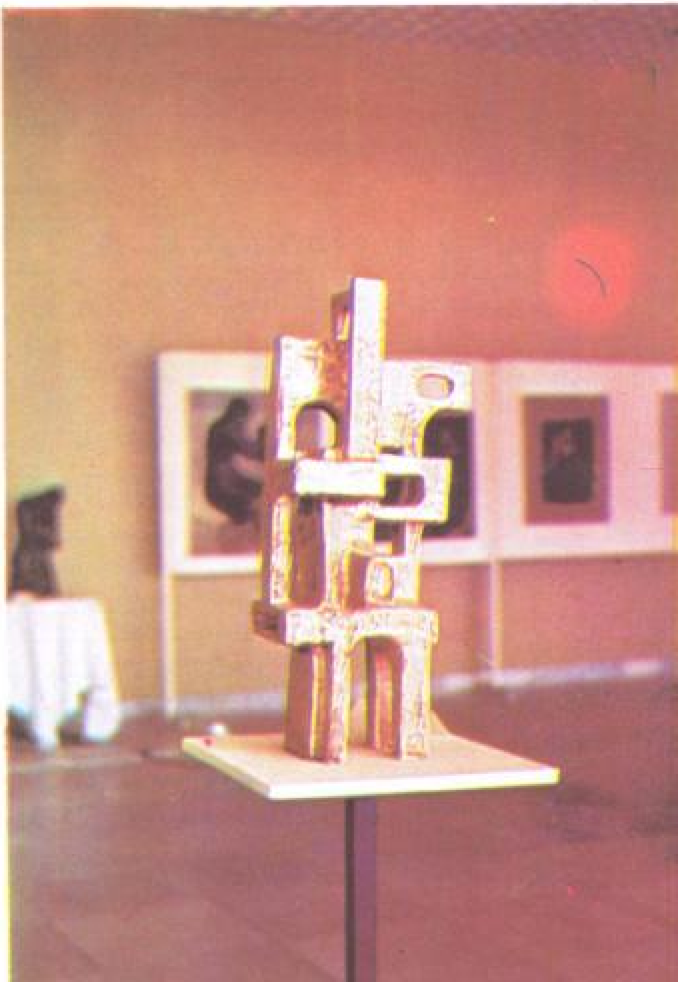
محمود طه

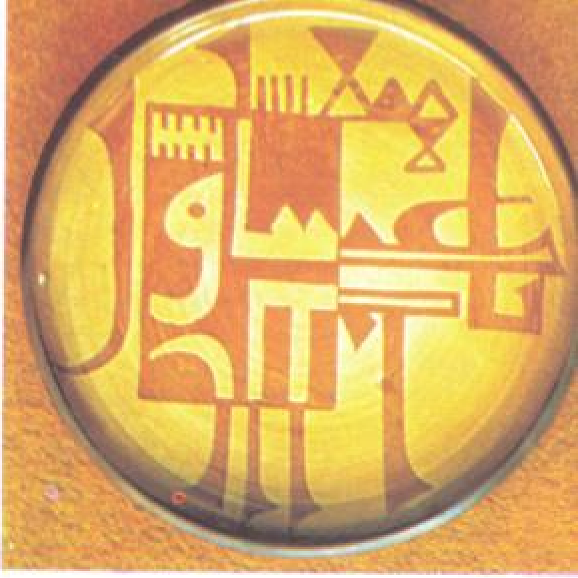
عندما يتحول الفنان ذاته الى قطعة من خزف



تشكيل فخاري ارتفاع ٢٢٠سم .
مستوحى من المآذن الاسلامية .

نحت فخاري تجريدي (ستون وير) .

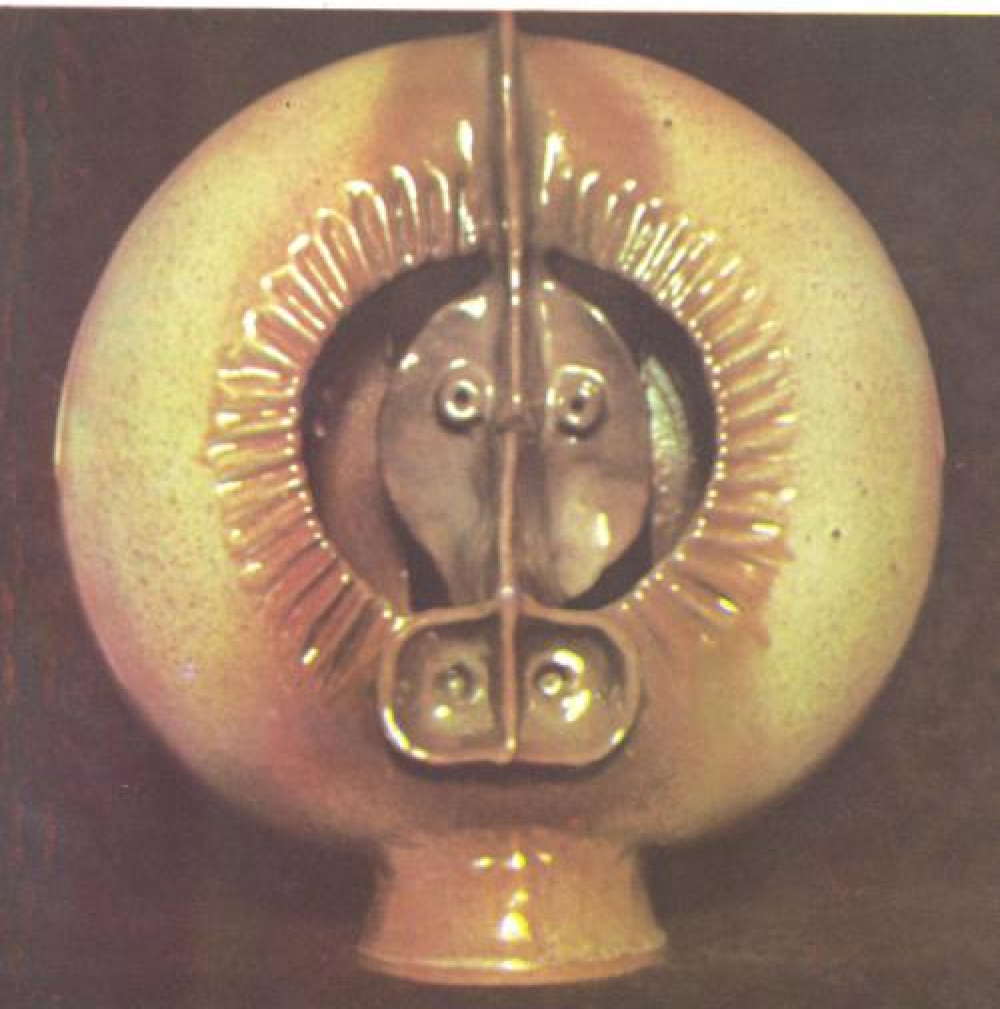




خزف (ستون وير) ارتفاع ١٢٠سم ، دراسة من المنائر والمآذن الاسلامية (الى اقصى اليمين)

طبق (ستون وير) قطر ٤٨سم ، دراسة من حروف الخط العربي معتمدة على خط كوفي من القرن الاول الهجري .

تجريد مأخوذ من أشكال الاقنعة الافريقية . ارتفاع ٥٤سم .



●● بداية التشكيل في طين المخيمات بعد سقوط الامطار •

●● صحبة الخزف والخط العربي على مدى تاريخ الفن الاسلامي •

●● الخزف •• هو الوعاء الذي تصب فيه كل الفنون •

بقلم : راجي عنايت

■ على جبل اللويبدة في عمان •• على قمة احد الجبال العديدة التي تقوم عليها العاصمة الاردنية ، عبرت الباب الحديدي الضيق ،لاجد نفسي وسط المرسم الواسع للفنان محمود طه•• الواسع رغم مايشغل فراغه من اوعية الطين المصفى وغير المصفى •• ودواليب الفخار ، وفرن حرق الفخار الضخم الذي يحتل جانبا كبيرا من المكان •• واخيرا رغم وجود الفنان محمود طه ، الذي رغم قامته الوسط ، يشغل اغلب فراغ المكان بحيويته، ودفقة الحماس التي لا تغيب عنه •

وانطباعي الاول عنالفنان محمود طه ،أنه منطول المعاشرة ، اصبح هو ذاته امتدادا للفخار الصلب الذي تبدعه يداه •• استواء لا يخلو من خشونة ، وصلابة لا تخلو من رقة ورنين ناعم •• وسخونة تؤجج حماسه وتنضج افكاره الفنية بعد ان تصهر ما يلحقها من شوائب •

البداية ، طين المخيمات

ولد محمود طه في يازور ،من الريف الفلسطيني، بالقرب من يافا عام ١٩٤٢ •• وعرفت يداه الطين اول ماعرفت ، بعد هطول الامطار على المخيمات . حيث يندفع الصبي الصغير ، لتفترق يداه من الطين الذي صنعته الامطار ، يشكل منه الدمى والعرائس والسيارات الصغيرة •

وعندما بلغ الصبي سن الدخول الى المدارس التحق بمدرسة ابتدائية في عمان عام ١٩٤٨ • الغريب ان ما استهوى الصبي في سنوات الدراسة الابتدائية ، ليس دروس الرسم او النحت ••ولكن دروس الخط العربي • والغريب ايضا ان ما استهوى الصبي في الخط العربي هو الشكل •• شكل الحرف أكثر من مضمونه او وظيفته ••

ينهي محمود طه دراسته الابتدائية ، ويلتحق باحدى المدارس الاعدادية ، فتتأسس هوايته للخط العربي ، يزداد كل يوم أعجابا بجماليات المشق العربي • وبدأ محاولاته لتجويد الخط العربي في المرحلة الثانوية ، يستغل خبرته هذه في كتابة الاعلانات المدرسية ، والكلمات المناسبة للرسوم التوضيحية كل هذا بدون الاعتماد على توجيه اي من اساتذته •

كان يتسلل الى مكتبة المدرسة كلما وجد فسحة من الوقت ، يقلب صفحات الكتب والمجلات العربية كالهلال والمقتطف ، يتأمل مابها من خطوط مختلفة الطرز والاساليب •

بعد ان انتهت دراسته الثانوية ، التحق الفنان



زهرية (ستون وير) عليها نقوش من الاسماك • باعتبار ان السمكة من اوائل العناصر الزخرفية الحية في الفن الاسلامي •

محمود طه بمدرسة تجارية بعمان ، ثم افتتح محلا للخط والتصميم في عام ١٩٦٢ . حاول محمود طه في هذه الفترة ان يجمع بين هدفين ، الانشغال بعمل يحصل منه على قوته ، وفي نفس الوقت ممارسة هواية الخط العربي المحببة الى نفسه .

تصور محمود طه انه قد استقر اخيرا ، على شكل النشاط الذي سيمارسه حتى نهاية حياته ، حفر اللوحات النحاسية واعداد (الكليشيهات) ، وكتابة اللافتات . وقد شجعه على هذا التصور ، نجاحه المادي في عمله ، وما كان يحققه من ارباح نتيجة الاقبال والرواج اللذين لمسهما في عمله الجديد .

الى الاكاديمية

بعد قليل ، وفي عام ١٩٦٤ ، اكتشف الفنان محمود طه ان العمل الذي اختاره لنفسه لم يعد يشبع طاقة الخلق الفني التي تعتمل داخله . واحس ان اي ممارسة فنية يقوم بها ستكون ناقصة لانها غير مبنية على اساس من الدراسة السليمة .

وبتشجيع من الاهل والاصدقاء ، قويت لدى محمود طه فكرة السفر الى بغداد للالتحاق باكاديمية الفنون الجميلة بها . وبالفعل اغلق محل الخط والتصميم في عمان ، وسافر الى العراق ملتحقا باكاديمية الفنون الجميلة .

في السنة التحضيرية من دراسته ، تفتحت امام محمود طه كل اشكال الانتاج الفني وانماطه .. التصوير ، النحت ، الحفر ، السراميك .. وراح محمود يعمل باجتهاد لفهم طبيعة كل فن من هذه الفنون .. والاهم من هذا ليكتشف اي فروع الفنون هذه يجد نفسه ، وتتالق موهبته .

وما ان انتهت السنة التحضيرية ، حتى كان الفنان محمود طه قد تيقن من التخصص الذي سيختاره .. انه فرع الخزف (او السراميك) . واسال الفنان عن هذا اليقين وكيف توصل اليه ، فيقول : لايمان عميق بالعلاقة بين الخزف والخط العربي على مدى تاريخ الفن الاسلامي

ومنذ ان بدأ الفنان محمود طه دراسة الخزف في اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد ، حرص ان يعرف كل شي عن هذا الفرع وما يتصل بهذا الفرع من فنون او معلومات حرفية . فواصل دراسة الخط العربي على اساس علمي ، وواصل دراسته



الفنان محمود طه
اثناء عملية تشكيل خزف على الدولاب .

وممارسته للنحت الجداري او ما يطلق عليه (الباريليف) ، وبرع في محاولاته للتصميم الخزفي ، بعد ان استوعب كيمياء الالوان المستخدمة في هذا الفن .

قبرصي في بغداد

وقد تلقى الفنان محمود طه الدفعة الاولى من التشجيع التي غرست في نفسه الثقة في موهبته ، من استاذ قبرصي يوناني كان يدرس مادة الخزف في الاكاديمية ، هو الاستاذ فالتينوس كرالامبوس . وكان ذلك الاستاذ هو مؤسس قسم الخزف بالكلية .

توسم الاستاذ اليوناني موهبة واضحة عند الفنان محمود طه ، فدعاه الى التردد على محترفه ، واخذ يمده بكل اسرار وحرفيات فن الخزف ، واتخذه مساعدا له في تنفيذ الاعمال الخزفية التي توكل الى الاستاذ . واحسن الفنان محمود طه استثمار هذه الفرصة المتاحة ، فكان يقضي يومه بين الاكاديمية يدرس فيها ويقوم بتجاربه ، وبين محترف الاستاذ يساعده في انجاز اعماله الفنية .. وعشق الخزف ..

يقول محمود طه لقد وجدت في الخزف كل شيء

كنت احبه في حياتي .. بل وجدته امام الفنون جميعا والوعاء الذى تصب فيه كل هذه الفنون من تصوير وزخرفة وخط . بل وجدت ان الخزف ،هو الجمال الفني المجرد الذي يصل بنا الى جوهر الحقيقة الفنية دون الدخول فى تفاصيل او اضافات تحرف نظرنا عن القيمة المجردة للعمل الفنى . كنت ادرس الاعمال الخزفية في كل حضارة من الحضارات العليا . وكنت اجد للخزف مكانة عالية في هذه الحضارات ، باعتباره الشكل الفنى المعبر عنها خير تعبير وابلغ تعبير .

مضت سنوات الدراسة فى اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد . يستوعب دروسه ويعمل فى محترف استاذه ويستغل ما بقى له من وقت فى الاتصال باساتذة الخط العربى فى العاصمة العراقية . ويستفيد من الطقس الفنى الذى تنتجه اكاديمية الفنون . يدخل فى منافشات لا تنتهى مع اساتذته ومع زملائه من الطلبة فى اقسام الاكاديمية المختلفة . وهم الصفوة التى صنعت النهضة التشكيلية المعاصرة فى العراق .

وفى عام ١٩٦٨ ينتهى الفنان محمود طه بتفوق من دراسته فى الاكاديمية ، ويعود الى عمان كاول متخصص فى فن الخزف بالاردن .

الخزف والخط العربي

بعد عودة الفنان الى عمان ، قرر ان يتفرغ للانتاج الفنى ، مهما كلفه هذا كله من جهد او عناء .. رفض الارتباط بوظيفة ثابتة ، وصمم على ان يحترف انتاج الفن الخزفى . ورغم تخوف الكثيرين من هذا الاختيار .. رغم قلقهم على مصير فنان ينتج فنا جديدا على مجتمع الاردن . رغم هذا كله فقد نجح محمود طه فى ان يلفت اليه انظار الجميع ، وان يسعى الجمهور الى اقتناء اعماله الخزفية ، بحيث لا تجد فى موسمه عملا واحدا من الاعمال الفنية العديدة التى ينتجها .. فلا تحظى على احسن الظروف ، سوى على بعض لقطات لذلك العمل .

وسر نجاح اعمال الخزف التى ينتجها الفنان محمود طه ، انها لا تسعى الى تقليد الاشكال التقليدية لهذا الفن ، ولكنها نمط فى حد ذاتها، يستوحى عناصر الفن الاسلامى .. والمتتبع لاعمال الفنان يسهل عليه ان يقتفى اثار التراث العربي . فهنا جانب من تشكيل معمارى اسلامى متميز ، وهناك ترديد للمعمار الصفوى فى ايران .. وهذا تطوير للقباب الاسلامية فى شكل آنية .. وتلك عناصر من الفن الفاطمى المصرى ..أو المعمار العباسى العراقى ..

وفى جميع الاحوال ، لا ينسى محمود طه ان يمارس هوايته القديمة .. هواية الخط العربى. فنرى تمثيلا للخط العربي بشكل مباشر على هيئة زخارف من الحروف العربية ، او نجد استيحاء ضمنيا لاشكال الخط العربى ، فى نوع المنحنيات والتجاويف التى تعكسها اوانيه الخزفية .

وهو فى سبيل فهم أعمق لخفايا الخط العربى ، ينهمك الفنان محمود طه في دراسة تتصل على مدى اربعة اعوام للبحث عن العلاقة بين الخط الكوفى والعمارة الاسلامية . فى هذه الدراسة يبحث الفنان عن اصول الخط الكوفى منذ زمن الرسول ، وحتى العصر الفاطمى والشركسى والمملوكى .

ومنذ عام ١٩٦٨ ، وحتى عام ١٩٧١ ، يعطى الفنان محمود طه جانبا من وقته لتدريس الخط والفن فى المدارس الثانوية ، والقاء المحاضرات حول نفس الموضوع فى الدورات التعليمية الصيفية التى تنظمها وزارة التربية الاردنية للمعلمين .

ماذا يأخذ من بريطانيا ؟

فى عام ١٩٧٥ يوفد الفنان فى بعثة دراسية الى كلية الفنون الجميلة فى كاردف ببريطانيا لمدة عام .

ويجدها الفنان فرصة مواتية لمزيد من الدراسة الفنية . وما ان يصل الى كاردف حتى تتيح له الكلية العمل فى داخلها كفنان محترف ،وليس كطالب فن . ويقرر محمود طه ان فترة وجوده فى بريطانيا اقتصرت على الاستفادة من الانجازات التقنية التى وصلت اليها بريطانيا من حيث الخامات والاجهزة واساليباعداد الخزف وتلوينه. ورغم ان الفنان محمود طه قد انشغل طوال هذه السنة فياعداد دراستهعن حركةالخزف البريطانية، قابل خلالها كبار الخزافين الانجليز .. رغم هذا، لم يتجاوز تأثر محمود طه بحياته فى بريطانيا حد

الاستفادة التكنيكية الى التاثر بالشكل او المضمون الذى يتميز به الخزف الانجليزى .

وعاد الفنان الى عمان ليواصل نشاطه الفنى ومشاركته فى المعارض الفنية التى تقام خارج الاردن وداخله . وكان محمود قد ساهم منذ عام ١٩٦٨ فى اغلب النشاطات الفنية التى جرت بالاردن ، كما قام بتنظيم عدد من المعارض الخاصة التى قدم فيها انتاجه الى الجمهور. اقام معرضا بعمان فى عام ١٩٦٨ ، ثم فى عام ١٩٧٠ ، ثم اقام عام ١٩٧٢ فى مرسمه ، وفى عام ١٩٧٣ اقام معرضه الرابع بالمركز الثقافى البريطانى . وفى عام ١٩٧٥ خرج من عمان ليقيم معرضا خاصا فى كونتاكت جاليرى ببيروت حظى باحتفاء الصحافة اللبنانية . اما معرضه السادس ، فقد اقامه بالمتحف الوطنى بويلز فى بريطانيا . هذا بالاضافة الى تمثيله الاردن فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٧٠ .

وتنتشر اعمال الفنان الخزفية كمقتنيات فى كثير من الدول .. الاردن ولبنان والعراق وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية .

وعندما تم انشاء معهد الكلية العربية فى عمان ، عمل فيه الفنان محمود طه ، كمدرس للثقافة الفنية ، بالاضافة الى نشاطه الفنى .

خلال هذا كله ، لم ينس محمود طه هوايته القديمة للخط العربى ، فتجول فى عدد من الاقطار الاسلامية يتصل بكبار الخطاطين . التقى فى طهران بصاحب دار التعليم حسن زرين ، وفى تركيا التقى بموسى عزمى حامد الاموى .. كما سافر الى سوريا والعراق للقاء كبار البارزين فى هذا الفن .

ازدواج فن الخزف

يقول الفنان محمود طه ، انه ولو ان الخزف ظاهرة فنية قديمة فى حضارات الشرق ، الا انه كفن معاصر ، مازال غريبا عن مجتمعنا العربى. ويقول ان مرجع ذلك الى قلة عدد المتخصصين فى هذا الفن ، والى قلة الامكانيات المتاحة لهذا التخصص فى كليات الفنون الجميلة بالبلاد العربية ، الامر الذى يجعل الاقبال على هذا الفرع من فروع الانتاج الفنى محدودا .

وعن علاقة الفنان الخزاف بالجمهور يقول محمود طه ان الفخار يتميز عن باقى اشكال الانتاج الفنى التشكيلى بقيمته الوظيفية الى جانب قيمته الفنية . وهنا يجب على الفنان ان يكون واعيا بهذه الازدواجية حتى لا ينحدر الى ارضاء الجانب النفعى الوظيفى على حساب الجانب الفنى . ثم عليه ايضا ان يستثمر هذه الحقيقة فى اشاعة الروح الجمالية والوجدان الفنى لدى الجماهير ، حتى لو كان طلبها للخزف على اساس وظيفى او نفعى .

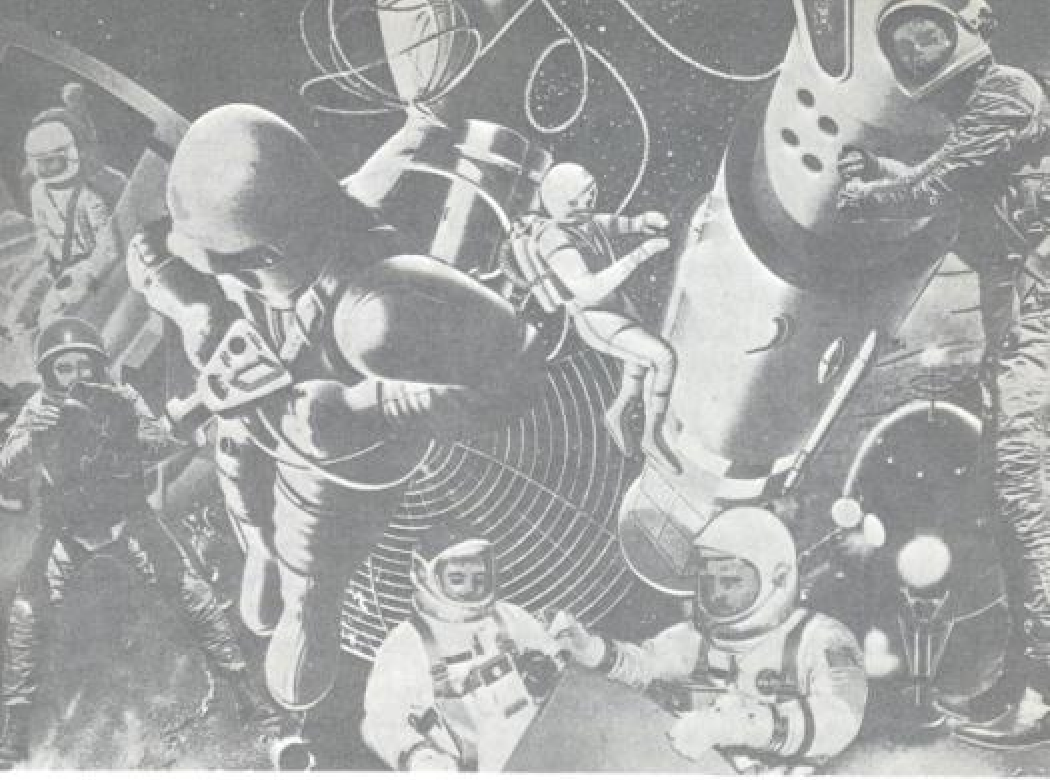
وعندما تسأل الفنان محمود طه عن مدى اقبال الجمهور على اقتناء اعماله الخزفية ، يقول انه قد باع انتاجه كله على مدى ثلاث سنوات .. كل ما انتجه باعه .. ويضحك الفنان وهو يقول، كنت اتصور فى البداية ان هذا الاقبال يرجع اولا واساسا الى المستوى الفنى ، لكننى الآن استطيع ان اعترف باسباب اخرى ، مثل عدم وجود منافس لى فى هذا النوع من التخصص فى الاردن ، ومثل حداثة وطرافة الخزف كانتاج فنى عندنا ، ومثل سهولة تصور الخزف كوسيلة لتجميل البيوت .

ويقول الفنان محمود طه انه ليس سعيدا بهذا التفرد كخزاف الاردن الوحيد ، وانه يفتح ابواب محترفه فى العطلة الصيفية للراغبين فى التتلمذ على يديه ، لكن فن الخزف من الفنون الصعبة التى تحتاج الى جانب الاستعداد الفنى الفطرى، الى الكثير من المهارات الحرفية والمعلومات الكيميائية ، والقدرة العضلية والكثير من الصبر والتحمل .

ومع الاقبال الشديد على محترفه من الطلبة الراغبين فى الدراسة ، الا ان القلة هى التى تستمر فى دراستها حتى النهاية .

والفنان محمود طه لا يقتصر فى محترفه على تدريس الخزف ، بل يجمع حوله عددا من هواة الخط العربى ، يدرسهم ويشرف على انتاجهم ، ويطلعهم على مكتبته الكبيرة التى تضم نماذج نادرة من الخط العربى على مدى تاريخه . فما يزال الفنان محمود طه يعتقد ان الخط العربى ، هو الذى قاده الى طريق الخزف . ■■

راجي عنايت



من قصص
الخيال العلمي

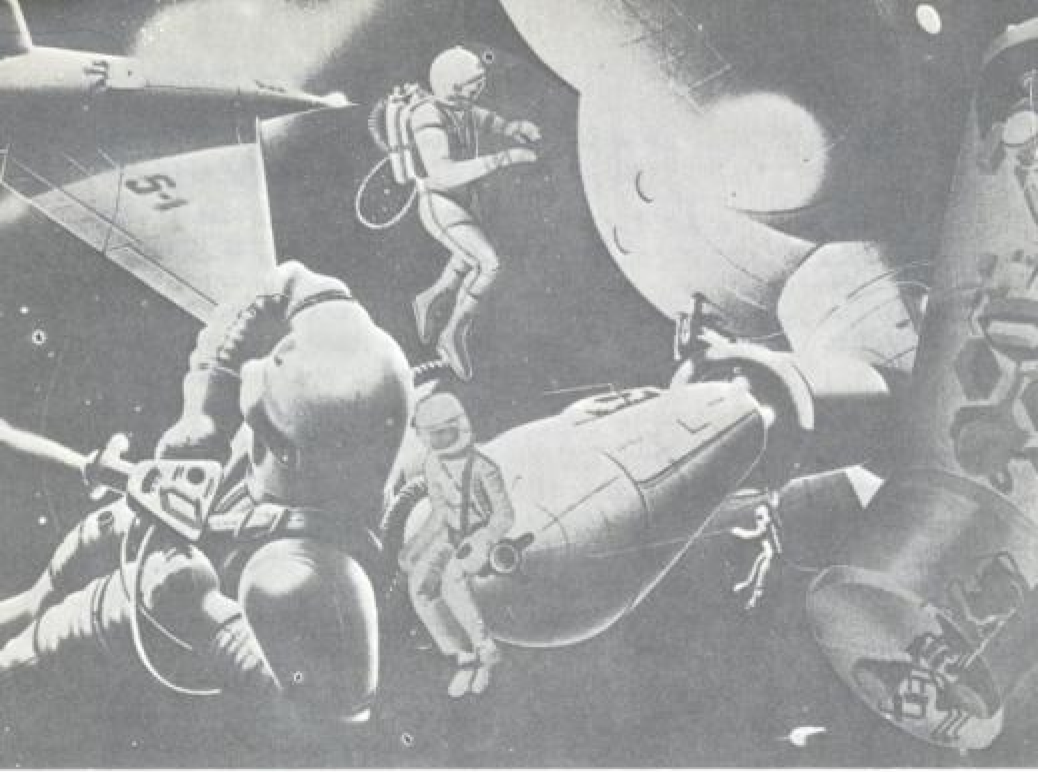
محنة الن

■ سيدى الرئيس .. السادة اعضاء الوفود الفضائية ، انه لمن دواعى فخرى ، وفى نفس الوقت من اسباب احساسى العميق بالمسئولية ، ان اتوجه اليكم فى هذه اللحظات الحرجة من تاريخنا ..

وانا على يقين ، من ان اغلبكم قد صدمته الاقوال التى تناثرت حول الازمة التى نجتازها هذه الايام .. بل واجدنى متفهما لدوافع هذه الصدمة . ولكننى اناشدكم جميعا ، ان تتجاوزوا كل حساسيات ما قبل او تردد ، فى هذا الوقت الذى يتعرض فيه جنسنا البشرى للفناء .. بل وتنتظر الارض التى نعيش عليها مصيرها المخيف .

لقد صادفتنى منذ أيام عبارة شاعت منذ قرن من الزمان .. عبارة تتحدث عن التفكير فى غير المعقول ، ايها السادة هذا هو بالضبط ما نحتاجه فى محنتنا الحالية ، علينا ان نواجه الحقائق بشجاعة وبلا مواربة .. علينا ان نمنع عواطفنا من أن تجتاح منطقتنا . وفى واقع الامر علينا ان نحرص على العكس .. يجب ان نتيح للمنطق أن يزيح جانبا كل ما تسوقنا اليه عواطفنا .

قد يبدو الموقف باعثا على اليأس ، غير ان بصيصا من الامل يتراءى لى ، والفضل فى هذا يعود الى الاكتشافات المدهشة التى وصل اليها زملائى من الباحثين فى محطة انتيجين للابحاث. تحت يدى ايها السادة مجموعة من التقارير الثابتة ، تؤكد قدرتنا على الاتصال بالعضارات العليا عند مركز مجرتنا . يمكننا على الاقل ان نشعرها بوجودنا ، فاذا وصلنا الى هذا ،



جم الأسود

عن قصة : آرثر كلارك

امكننا ان نسعى الى طلب النجدة السريعة ٠

وتاكدوا ، ايها السادة ، من عجزنا الكامل المطبق عن اتخاذ خطوات لانقاذ الموقف نعتمد فيها على انفسنا ٠ فلقد مضت عشر سنوات فقط منذ ان توصلنا الى اكتشاف مجموعة الكواكب عبر البلدتونية ، والذى اوصلنا الى تحديد موقع ومسار النجم الاسود ٠

وحساباتنا تقول أنه بعد تسعين سنة من الان ، يصل النجم الاسود الى حظيرة الشمس ، او اقرب وضع له بالنسبة للشمس ، فيدور حولها وهو فى طريقه الى اعماق الفضاء ، تاركا خلفه اشلاء نظام شمسي : ٠٠ نظامنا الشمسى !! ٠٠٠

جميع مواردنا ، أبعد احلامنا تبجحا حول قدرتنا للتحكم فى القوى الطبيعية ، لن تسمح لنا بتغيير مسار النجم الاسود لمجرد جزء من السنتيمتر ٠

ومع هذا منذ ان اكتشفنا ما يسمى بمجموعة النجوم الهادية فى نهاية القرن العشرين ، تاكدنا ان وجود حضارات تمتلك فائضا من منابع الطاقة لا يمكن ان يقارن بما لدينا ٠ ولا شك ان بعضكم يذكر شكوك رجال الفلك ـ ومن خلفهم الجنس

البشري باكمله ـ عندما تم كشف المقال الاول للهندسة الكونية في السحب المجلانية ٠

عندما اكتشفت الانشاءات النجمية التي لا تخضع لاى قانون طبيعي ٠٠ والتي لم نعرف حتى الان هدفها ٠٠ لكننا ندرك جيدا ما تعنيه ٠٠ اننا ايها السادة ، نعايش في كوننا هذا ، مخلوقات قادرة على التحكم في مسار النجوم ٠ فاذا استقر رأيها على مساعدتنا ، ستكون مهمة تغيير مسار النجم الاسود بالنسبة لهم مجرد لهو اطفال وعبث صغار ! هذا مع العلم بان النجم الاسود يتجاوز حجمه الاف المرات حجم ارضنا ٠٠

واني على ثقة من انكم تذكرون ذلك الجدل الذي أثير في اعقاب اكتشاف الحضارات العليا ٠ هل يحسن ان نتصل بها ، ام انه من الافضل ان نختفي من وجهها ؟ فقد كان هناك بلا ريب احتمال انهم يعرفون كل شيء عنا بالفعل ، انهم قد تستفزهم اية خطوة من جانبنا ، او انهم قد يستجيبون بعدد من الاستجابات غير السارة بالنسبة لنا ٠ وقد توقفنا عن محاولة الاتصال بهذه الحضارات ، بالرغم من المكاسب التي لا يمكن تصورها والتي سنجنيها من ذلك الاتصال ، فالمخاطرة كانت كبيرة ومخيفة ٠ أما الان ٠٠ فلم يعد لدينا ما نخسره ٠٠ وبقيت لدينا احتمالات الكسب الواسعة ٠

وحتى الان ، كانت تواجهنا حقيقة اخرى تجعل من المسالة مجرد اهتمام فلسفي بعيد التحقيق ٠ فبالرغم من اننا نستطيع بتكاليف باهظة جدا ـ ان نبني جهاز ارسال لاسلكي قادر على توصيل اشاراتنا الى تلك المخلوقات ، الا ان اقرب حضارة عليا منا ، تبعد عنا بحوالي سبعة الاف سنة ضوئية ، فاذا اهتمت تلك المخلوقات بالاجابة على اشاراتنا ، فستصلنا هذه الاجابة بعد ١٤ سنة ضوئية ٠ ومن الواضح ان مثل هذه الاستجابة من المخلوقات الراقية لن تكون بعد هذا الزمن الطويل ذات نفع او ضرر لنا ٠

الا ان هذه الصورة قد تغيرت الان ٠ لقد اصبح في استطاعتنا ان نرسل اشاراتنا الى النجوم بسرعة لايمكن قياسها ، سرعة يمكن ان نصفها بانها لا نهائية ٠ ونحن نعلم بالفعل ان تلك المخلوقات الراقية تستعمل مثل هذه الاساليب في الاتصال ٠ لقد توصلنا الى استقبال نبضاتهم ، وان كنا لم نصل بعد الى طريقة التعامل مع هذه النبضات ٠

المهم في الموضوع ، ان تلك النبضات ليست ذات طبيعة كهرومغناطيسية ٠ ونحن حتى الان لم نستطع الوصول الى كنه هذه النبضات ، بنا لم نصل بعد حتى الى الاتفاق على اسم نطلقه عليها ٠٠ او ربما ، على العكس ، اطلقنا العديد من الاسماء على تلك النبضات ٠

نعم ، ايها السادة ، ودعونا نعترف بهذا ٠٠ ان احاديث العجائز من النساء حول التخاطر او الاتصال المباشر بين البشر الذين لا يجمعهم مكان واحد ٠٠ هذه الاحاديث التي كنا ننظر اليها باعتبارها خرافات واباطيل ، اصبح علينا ان ننظر اليها اليوم بكل جدية واحترام ٠٠ علينا ان نفتح اعيننا على الظواهر الحسية غير العادية والتي اعتدنا ان نطلق عليها ظواهر ما وراء الطبيعة ٠

وليس غريبا ان يحظى مثل هذا الموضوع باقل اهتمام من الدارسين والباحثين على سطح ارضنا ، كما انه ليس غريبا ان نحظى باقل قدر من النتائج حول هذا الموضوع ، وسط ضجيج وصخب بلايين العقول التي تشوش على هذه الاشارات وتطمس معالمها ٠ والمعلومات الشديدة الضآلة التي امكننا ان نصل اليها قبيلعصر الفضاء حول هذه الظواهر تصل في قيمتها الى مستوى المعجزة ٠٠ تماما كما لو كنا نعمل على اكتشاف قوانين الموسيقى في ورشة لصناعة الاوعية المعدنية ! ٠٠ لم يكن ممكنا ان نامل في الوصول الى مبادىء راسخة لعلم الباراسيكلوجي ، قبل ان نتمكن من الابتعاد عن كوكبنا بكل ما يسوده من تشويش عقلي ٠

بل اننا لم نستطع البدء في دراسة هذه الظواهر الا بعد ان تحركنا الى الجانب الاخر من مسار الارض ، حيث اختفى ضجيج الارض ، ليس فقط بحكم المسافة التي تبلغ ٨٠ مليون ميل ، ولكن بسبب حماية الشمس التي تحجب بجرمها الكبير كل ما يصل من الارض ٠ هناك فقط ، فوق كوكبنا الصناعي (انتيجوس) ، امكننا ان نقيس ونحدد اشعاعاتنا العقلية الضعيفة ، ونكتشف القوانين التي تحكم هذه الاشعاعات ٠

ومع هذا ٠٠ فما زالت هذه القوانين غامضة محيرة ، رغم اننا وصلنا الى حقائقها الاولى ٠ واهم ما وصلنا اليه ، وهو ما كانت تقول به القلة

التي آمنت بهذه الظواهر ، أن الحالات الشعورية الخاصة هي التي تستثير تلك الظواهر وتدفع الى حدوثها ، وليست قوة الارادة الخالصة ، أو الافكار الواعية المركزة • ولعل في هذا تفسير لما كنا نلاحظه من حدوث هذه الظواهر مرتبطة بالموت او المآسي العنيفة • الخوف ، هو من أقوى مولدات هذه الظواهر ، وفي بعض الاحوال النادرة ، استطاع صوت الخوف أن يرتفع على الضوضاء العقلية التي تسود العالم •

اذا اتفقنا على هذه الحقيقة ، يمكننا أن نتقدم خطوة أخرى الى الامام • وهذا هو ما حدث فعلا ، لقد توصلنا الى خلق حالة شعورية صناعية عند بعض الافراد في بداية الامر ، ثم عند مجموعة من البشر بعد ذلك وقد أمكننا أن نقيس مدى تأثر قوة الاشارات ببعد المسافة بين عنصري الاتصال • واصبح لدينا الآن نظرية كمية يمكن الاعتماد عليها في حدود المسافة بيننا وبين المريخ • كما يمكن أن نستنتج منها بعض الحسابات التي تفيد في اتصالنا بالنجوم •

اذا صدقت استنتاجاتنا ايها السادة ، يمكننا ان نطلق •• صرخة عالية ! •• تسمع في كل مكان أن مجرتنا في نفس لحظة اطلاقها •• ولا بد أننا واجدون من يجيب علينا •

والآن ليس أمامنا سوى طريق واحد لاطلاق الاشارة بالكثافة والقوة المطلوبة • لقد سبق أن أشرت الى الخوف كمولد قوى لمثل هذه الاشارات الا أن قوة الاشارات الصادرة عن الخوف لا تكفى في حاجتنا هذه • فعلى فرض اننا نجحنا في اصابة البشرية كلها بلحظة رعب واحدة ، فان النبض الناتج لن يصل اثره الى ابعد من مسافة الفي سنة ضوئية • ونحن في حاجة الى اربعة اضعاف هذه القوة •• ولايمكننا ان نصل الى هذه القوة الا باستخدام العاطفة الوحيدة التي يتجاوز أثرها في قوته ، اثر الخوف•

وفي كل الاحوال ، نحتاج الى تعاون مالايقل عن بليون انسان ، في لحظة زمنية واحدة تحسب باجزاء الثانية •

وقد استطاع زملائي ان يحلوا كافة المشاكل التكنيكية المتصلة بهذه العملية ، وهي هينة اذا قيست بغيرها من المهام التي تنتظرنا • فجهاز الاثارة الكهربائي المطلوب ، جرى استخدامه بنجاح في الابحاث الطبية منذ بدايات القرن العشرين •• واشارة توقيت النبضة يمكن ارسالها خلال اجهزة الاتصال الفضائية وجميع وحدات الاجهزة المطلوبة لاصدار الصرخة التي تكلمت عنها يمكن تصنيعها خلال شهر واحد • اما طريقة استخدام هذه الاجهزة فلن يتجاوز زمن التدريب عليها اكثر من عدة دقائق •• انما تكمن المشكلة في الاعداد السيكلوجي لما يمكن أن نطلق عليه « يوم الصفر» •• فهو الذى سيقتضى الكثير من الجهد والوقت •

وهذه ، ايها السادة ، هي مشكلتكم •• ولاشك اننا ـ نحن العلماء ـ سنقدم كل معونة ممكنة • ونحن نعلم من الآن اننا سنواجه بصيحات الاحتجاج والغضب ورفض التعاون • ولكن اذا نظرنا الى الموضوع بعين المنطق •• هل تبدو فكرتي مثيرة لمثل هذا الاعتراض ؟

ان البشرية جمعاء تواجه اليوم حالة طوارئ عظمى وفي مثل هذه اللحظات لن يكون غريبا ان نلوذ بالغريزة التي حفظت لنا حياتنا على مدى تاريخنا•• لقد قالها احد الشعراء قديما ، في مواجهة احدى المحن التي صادفتها البشرية •• قالها بطريقة لا اعتقد انني استطيع التعبير بافضل منها •• قال :

علينا ان نحب بعضنا البعض ••• او نموت !

■■

■ الامس ماض ، والغد احتمال ، واليوم الآن •

« رالف والاس »

■ الناس لا يهتمون بالعواصف والاعاصير التي واجهتك وأنت تسير بقاربك في عرض البحر •• الذى يهمهم فقط ان تصل بالقارب ومن فيه الى بر الامان • « البرت بايك »



طرائف أجنبية



التزحلق على الثلوج !

● بير منديس فرانس السياسى الفرنسى وزعيم الحزب الراديكالى ، الذى تولى رئاسة الوزارة الفرنسية لمدةسنة واحدةفى عام ١٩٥٤ ، اختفى فجأةمن مكتبه يوما، واثاراختفاؤه المفاجىء حيرة الصحفيين والوزراء واعضاء الجمعيةالوطنيةالفرنسية في الجمهورية الفرنسيةالرابعة ، فقد كانوا ينتظرون ظهور رئيس الحكومة امامهم للادلاء ببيان هام عن سياسة حكومته فى الجزائر ، وحرب التحرير على اشدها فى الارض التى خضبتها دماء الشهداء الذين هبوا ينادون بالاستقلال والحرية! حتى زوجته فى بيتها الانيق الذى يشرف على مياه نهر السين حارت فى معرفة سراختفائه ، ولم تجد حرجا فى الانضمام الى مجموعة من الاصدقاء الذين خرجوا يبحثون عن رئيس الحكومة الفرنسية المختفى فى كل مكان يمكن ان يكون قد ذهب اليه !

واخيرا عثروا عليه فى مكان لم يخطر على بال احد منهم ٠٠ فوق قمة جبل غطته الثلوج فى سويسرا ، كان منديس فرانس يقف مع مدربه ويمارس رياضة التزلج فوق الجليد !

قالوا له : « ان باريس كلها تبحث عنك ! »

وقال رئيس الحكومة « وانا ايضا ابحث عن مستقبلى ٠٠ لقد اكتشفت ان افضل رياضة يجب ان يتعلمها رؤساء الحكومات الفرنسية هى « التزحلق » فوق الثلوج ، حتى اذا سقطوا ،عرفوا كيف يحمون رقابهم من الكسر ! »

ولم يكد يعود منديس فرانس الى باريس حتى كانت حكومته قد سقطت فى فبراير عام ١٩٥٥ بسبب سياستها فى الجزائر !

شكوى ٠٠ وشكوى !

● يعيش الرجل حياته يشكو ٠٠ يشكو من صعوبة الامتحانات المدرسية حتى العشرين أوما بعدها٠٠ويشكو من عدم توفيقه فى العثور على المرأة التى ستشاركه حياته ، حتى اذا وجدها ، بدأ يشكو من ارتفاع اجور السكن ونفقات الاطفال ٠٠ ويمضى به العمر وفجأة تأخذ الشكوى مسارا جديدا ٠٠ ان آلام الروماتزم قد أحنت ظهره والهبت مفاصله ؛ اما المرأة فهى تشكو حظها العاثر الذى ألقى بها فى طريق الرجل الذى اصبح زوجا لها !

درس فى السياسة !

برنارد باروخ (١٨٧٠ ـ ١٩٦٥)، الرئيس الاسبق للجنة الطاقة الذرية التابعة للامم المتحدة ، كان من بين المستشارين الذين اعتمدت الولايات المتحدة الامريكية عليهم خلال الحربين العالميتين ، الاولى والثانيه ، وكان له رأى ثابت فى القرارات التى تتخذ لمواجهة مواقف معينة ، وكيف تتخذ حتى تجىء سليمة او على الاقل غير مجانبة للحق • يقول : « اننا جميعا نبنى قراراتنا على التكهنات التى يمكن ان نصل اليها •• ولكن لكى نرى المستقبل ونعرف ما سيحمله الينا ، ونعمل قبل ان يجىء ، لا بد لنا من أن نجمع كل الحقائق المتصلة بموقف محدد او بمشكلة بعينها •

اما الخطوة الثانية فهى ان نبنى حكمنا على اساس النتائج التى ستترتب على هذا الموقف ، او تلك المشكلة ثم نبدأ فى التحرك والعمل بسرعة قبل فوات الاوان •

ثم يقول باروخ : « ان هذه القدرة فى الحكم على الامور ووزنها بميزان سليم ، هى الاساس الذى لا بد من توافره فى جميع العلاقات الانسانية ، بما فى ذلك اعلان الحرب او السلام ، اخطر قرار يواجه البشرية فى عالم اليوم •• ولقد كان الرئيس الراحل فرانكلين روزفلت يتمتع بهذه القدرة العجيبة •• وكان يفكر مع كل دورة تدفع عجلات الكرسى الذى يحمل جسده الكسيح •• فاذا توقف الكرسى انشل عقله تماما عن العمل ! »

حتى لا يقتلنا الملل !

● هل تحققت كل أحلامك ؟ ربما لا •• وربما كان فى ذلك سر سعادتك على الارض ! كيف ؟

يقول أندريه موروا كاتب فرنسا الشهير : « عندما يحقق الانسان كل ما



كان يتمناه فى شبابه أو فى شيخوخته، يحس أنه قد أصبح أتعس انسان فى الدنيا ، لانه لن يجد شيئا بعد ذلك يعمل من أجل بلوغه •• ان الاسكندر الاعظم ، قتله الملل بعد أن غزا العالم بجيوشه ! »

« ان سر سعادة الانسان على الارض يكمن فى استمراره فى العمل من أجل بلوغ هدف معين ، أو تحقيق حلم طالما راوده ، وشعور الانسان بعدم الرضا التام هو مفتاح التقدم الروحى والانطلاق الى مزيد من العمل والكفاح والنجاح ! »

اللاءات العربية واللاءات الاسرائيلية

لا اعتراف ولا صلح ولا مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

لاءات عربية ثلاث افرزتها قمة الخرطوم التي عقدت في اعقاب هزيمة حزيران ، هذه اللاءات العربية كانت تقابلها لاءات اسرائيلية وهي ان لاعودة الى حدود عام ١٩٦٧ بحسبان ان دولة اسرائيل يجب ان تكون من البحر الى النهر سعيا وراء تحقيق الهدف الاكبر المعلن على باب البرلمان الاسرائيلي المسمى بالكنيست والذي يقول : « من النيل الى الفرات ارضك يا اسرائيل » .

وباختصار فان اللاءات الاسرائيلية كانت عبارة عن شروط استسلام وضعتها اسرائيل لتفرضها على العرب فرضا .

ثم مضت السنوات ، ووجدنا ان اللاءات العربية بعد حرب رمضان سقطت واحدة تلو الاخرى . لماذا انهارت اللاءات العربية وصمدت اللاءات الاسرائيلية ؟

لقد بقيت اللاءات الاسرائيلية تصفعنا كل يوم فهاهو مناحيم بيجن يعلن ان لا انسحاب من الضفة الغربية لانها ارض اسرائيلية محررة .. وها هو شارون يقول بملء الفم ان لا انسحاب من الجولان .. ومجلس الوزراء الاسرائيلي يقول لا اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية .. وقوله هذا ينسجم مع ماسبق ان اعلنته جولدا مائير والصهيونية من قبلها من ان فلسطين ارض بلا شعب .

اسرائيل تعزف على نغمة واحدة اخذت تبدو لثباتها وكانها الحق الصداح .. اما نحن العرب فقد اخذنا نعزف نغمات متعددة حتى بدا حقنا وكانه باطل باطل تشكك الاصدقاء فيه وبدانا نحن نتشكك فيه .

العقل في قفص الاتهام

● تعقيبا على قضية « العقل في قفص الاتهام » التي نشرت في زاوية « للمناقشة » احب ان اضيف الملاحظات التالية :

■ ان العقل له دور كبير في الايمان بالله ، ولهذا عرف بانه « ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان » .

■ ان الاحكام التي تتعلق بالفروع يختلف فيها دور العقل . فثمة قسم ليس للعقل دور فيه مثال الفرائض والعبادات . وهو القسم الذي يعنيه الحديث الشريف « دين الله لايصاب بالعقول » .

وثمة قسم آخر للعقل فيه دور اكبر ، وهـذا ايضا يمكن التمييز فيه بين دائرتين .

دائرة يطلق على محتوياتها في اصول الفقه « المستقلات العقلية » اي ان هذه الاحكام يكون العقل وحده هو الحاكم فيها ويطلق الفقهاء قاعدة في هذا الباب وهي : « ماحكم به العقل حكم به الشرع » مثل حرمة الظلم .

والدائرة الثانية تضم القواعد العامة الكلية التي لم يفصلها المشرع الحكيم وانما ترك تحديد تفصيلاتها وتطبيقاتها الى الفقهاء ليعملوا رايهم . وهذا النوع من الاحكام تكون عادة في الاحكام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فمثلا الاعداد الحربي ، ان الله جل وعلى اعطى قاعدة كلية وهي وجوب الاعداد الحربي « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ما هي نوعية هذه القوة كيفيتها كميتها ؟ ارجع كل ذلك الى الفقهاء انفسهم ليجتهدوا فيها وتكون النتيجة تغير بعض الاحكام تبعا للزمان والمكان . فان مثل هذه القواعد العامة تتكيف مع الزمان والمكان وتتطور مع تطور الزمان . والى هذا النوع من الاحكام تنظر القاعدة « تغير الاحكام بتغير الزمان والمكان » .

أحمد محمد محمد — العراق بغداد

لماذا ؟

لان اسرائيل منذ المؤتمر الصهيوني الاول وحتى اليوم اعتمدت القوة سبيلا لتحقيق اهدافها فالحق والعدل والانصاف ٠٠ تعابير لا معنى لها مع الضعف ٠٠ الضعيف لا يملك الا الصراخ فيمل العالم صراخه ويعترف بباطل يجسده الواقع المدعوم بالقوة ٠٠وتحقيقا لذلك فقد اقامت اسرائيل ٤٣ مستوطنة في الضفةالغربيةوحدها وما تزال تخطط لمزيد من المستعمرات ٠

فهل آن للعرب ان يعرفوا طريق الخلاص ؟ هذا الطريق اصبح اليوم ـ وبعد عشر سنوات من عدوان ١٩٦٧ واضحا لا لبس فيه٠٠ وليس أمام العرب الا رص الصفوف ٠٠ وتناسي الخلافات ٠٠ واعداد القوة واعتمادها منطلقا وحيدا لاسترجاع حقهم ٠

ناهي بكر محمد عبد اسماعيل

زيدوا المطبوع من العربي

● الحصول على مجلة العربي كل شهر من الاسواق يكلفني جهدا وعناء يصل حد الارهاق حاولت ان اسلك طريق الاشتراك ولكني وجدته اكثر مشقة وعناء ٠٠ اناشدكم الله ان تجدوا لنا ـ نحن قراء العربي ـ حلا لهذه المشكلة بأن تزيدوا الكمية المطبوعة من العربي فتشبعوا السوق ٠٠ ويشبع القراء ٠

حلب ـ سوريا سمير نحاس

المبذرون

● انه لمن المخجل حقا ان نرى الرياء العرب يبذرون المال العربي في انجلترا ليصب بالتالي في شرايين الدولة الصهيونية التي نكلت بنا وما تزال ٠٠ علما بان الله سبحانه وتعالى يقول : ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » ٠

العراق ٠ عبد الحكيم توفيق

تصحيح

● ورد في الصفحة ٥٣ من عدد العربي رقم ٢٢٤ بيت شعر لابي تمام حول الاغتراب خطأ والصواب هو التالي :

وطول مقام المرء في الحي مخلق

لديباجتــه فاغترب تتجـدد

لذا وجب التصحيح ٠

محمد فؤاد خربوطلي
نقابة المهندسين / دمشق

نعم لعودة اليهود

● اؤيد بقوة الدعوة التي طرحها احد قراء العربي في باب حوار القراء حول عود اليهود الذين تدفقوا على فلسطين المحتلة من البلاد العربية والذين يعاملون في (اسرائيل) كمواطنين من الدرجة الثانية ويتعرضون لاضطهاد اليهود الغربيين وظلمهم ٠

وعودة هؤلاء اليهود الى الدول العربية التى اتوا منها لاتشكل خطرا علينا نحن العرب ٠

واخيرا أود ان اذكركم ان بعض الدول العربية استجابت لهذه الدعوة وتم عودة مايزيد على ثلاثة الاف يهودي الى المغرب عن طريق فرنسا ٠

عبد الكريم عويمر
فلسطين ٠

جمانة الحسيني

● نشر في عدد اول سبتمبر الماضي ان الفنان جمانه الحسيني هي ابنة مفتي فلسطين الراحل الحاج امين الحسيني ، وهذا خطا نشا عن لبس نعتذر عنه ، ذلك ان جمانه الحسيني هي ابنة المجاهد الفلسطيني جمال الحسيني ، اطال الله في عمره ٠

عالم فلكى شهير

● نشرتم فى ص ١٥٣ العدد ٢٢٢ وفى باب نزهة العقل الذكى سؤالا عن النجمة والسهم بعنوان (عالم فلكى شهير) وقلتم ان العالم الذى اكتشف كوكب زحل هو (وليم هرشل)

والذى أعرفه ويعرفه الجميع ان الانسان عرف الشمس والقمر والكواكب عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل منذ امد بعيد .

وكوكب زحل هو الكوكب السادس وآخر كوكب يمكن رؤيته بالعين المجردة . وقد اختلف فى اصل حلقاته الثلاث التى تحيط به ، حتى أتى عالم الفيزياء الانجليزى ماكسويل فقال : أن الحلقات من جسيمات متعددة وبرهن رياضيا على ان الحلقة المتصلة الصلبة نظام غير مستقر ، اما الجسيمات التى تدور منفردة وفى افلاك مختلفة يمكن ان تكون نظام حلقات دائمة مستقرة .

اما العالم الالمانى (وليم هرشل) ١٧٨١ ــ ١٨٢٢ فقد طور المنظار المقرب ، وهو الذى اكتشف كوكب أورانوس URANUS سنة ١٧٨١ بعد أن تحسنت وسائل الرصد ، وتم اكتشافه هذا عندما كان رصد كوكبة التوامين « الجوزاء » ، وقد ظن هرشل فى بادىء الامر ان اورانوس مذنبا ولكن اتضح للفلكيين ان ما ظنه هرشل مذنبا هو كوكب جديد اطلق عليه اسم اورانوس .

السودان

با بكر محمد حمد با بكر

عن ضرورة العربى

● انا قارىء من تنزانيا تعذر على الحصول على نسختى من العربى شهريا فلجأت الى الاشتراك عن طريق الشركة العربية للتوزيع فى بيروت فرجعت بخفى حنين وزاد الطين بلة ان الجهات المختصة عندنا منعت تحويل عملات الى الخارج .

وانا الان امام ضرورة .. ضرورة قراءة هذه المجلة التى اعتبرها من احسن المجلات الناطقة بالضاد فهل من حل لهذه المشكلة ؟

السيد عبد القادر الجنيد

دار السلام ــ تنزانيا

شجعوا التعليم الفنى

● تنحو السياسة التعليمية فى معظم دول الوطن العربى لتخريج طوابير من الموظفين الذين يجلسون على مكاتب فى وقت نحن احوج فيه الى طوابير من الفنيين حتى نستطيع ان نلحق بالركب ونساير التطور التكنولوجى الذى أصبح سمة عصرنا ..

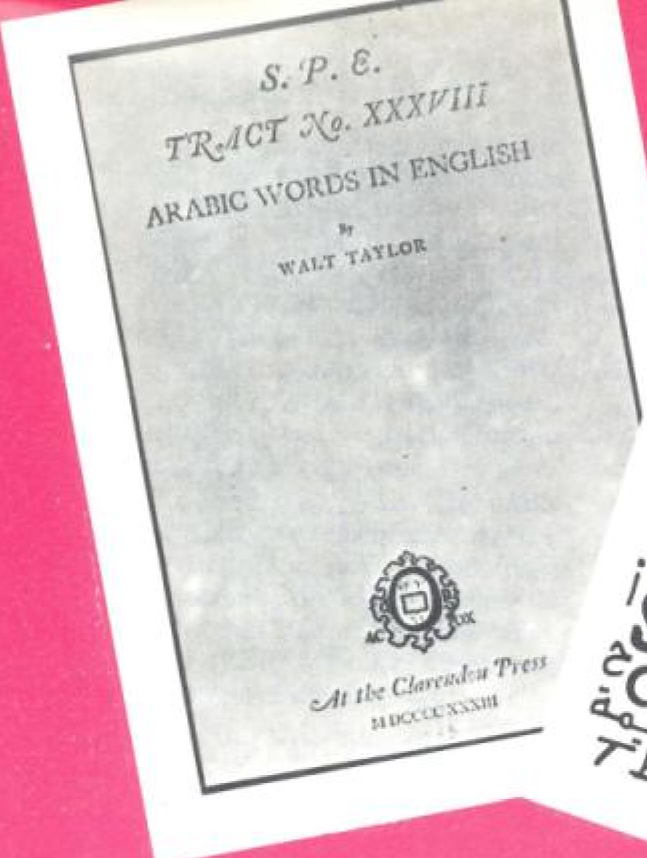
مجدى وليم ابراهيم

مصر ــ قنا

اعتراض ليس فى محله

● رغم انتقاد فهمى هويدى لرأى العلامة الهندى أبو الاعلى المودودى الذى يقول فيه ان طالب الحجة العقلية لايكون مؤمنا . رغم ذلك اقول ان رأى الاستاذ المودودى سليم لان الذى لا تراد له الحجة العقلية هو المؤمن بوصفه استسلم الى امر الله واعتقد به وملائكته وكتبه ورسله فلا حاجة للادلة له أما الذى يراد له الحجة والادلة العقلية هو الكافر وهذا صحيح لانه لايؤمن بوجود الله . فلا بد عنده من دلائل وحجج وبراهين علمية تثبت له بان لهذا الكون خالقا وصدق الله . حيث يقول هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

سوريا / القامشلى — محمد عثمان عثمان



S. P. E.

TRACT No. XXXVIII

ARABIC WORDS IN ENGLISH

By

WALT TAYLOR

At the Clarendon Press

MDCCCCXXXIII



الكلمات العربية في اللغة الانكليزية

٢٨٣ كلمة عربية تدور على السنة الانكليز واسلة أقلامهم يوميا ، والف كلمة من اصل عربي في معجم اكسفورد الانجليزي الكبير ·

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

■ امامي بحث طريف للاستاذ المستشرق وولت تايلور Walt Taylor ، عنوانه « الكلمات العربية في اللغة الانكليزية » Arabic Words in English ، قامت بطبعه مطبعة جامعة اكسفورد ، ورأيت من المفيد استعراضه لقراء مجلة « العربي » الزاهرة ، ليعلم العرب في مشارق الارض ، ومغاربها انهم لا يملكون البترول فحسب، بل يملكون لغة وحضارة وثقافة ايضا ، وانه لن ينبلج فجر القرن الحادي والعشرين الا ولغتهم هي الاولى في العالم ، ان احسنوا استغلال ما لديهم من ثروات وجهود وطاقات .

يقول المستشرق تايلور : هناك حوالي الف كلمة ذات اصل عربي في اللغة الانكليزية والاف اخرى مشتقة من هذه الكلمات ، وثلثا الكلمات الاساسية اما ان يكون قد بطل استعمالها او انها نادرة ، وثلث الثلث الباقي كلمات تقنية . فهناك اذن حوالي ٢٩٠ كلمة من اصل الالف الذي ذكرناه في الاستعمال الدارج اليومي .

ولكن تقدير «وولت تايلور» هذا هو دون الواقع ، فمعجم اكسفورد الوجيز The Concise Oxford Dictionary (١) يضم ٤٠٥ من هذه الكلمات، ومن بينها ٢٨٣ تعد من الاهمية بحيث انها قد ادرجت في قاموس اكسفورد للجيب The Oxford Poket Dictionary ، وقد وضع «تايلور» قوائم للكلمات الانكليزية ذات الاصل العربي مع تواريخ ملحقة بها تدل على بدء استعمالها المدون في معجم اكسفورد الضخم ذي الثلاثة عشر مجلدا الذي صور تصويرا دقيقا في مجلدين يقرآن عادة بمعونة عدسة مكبرة ملحقة بهما .

وقد تتخذ الالفاظ العربية اشكالا متنوعة في الانكليزية من حيث تعدد طرق تهجئتها ،وكانت الالفاظ العربية التي دخلت الانكليزية قبل عودة الملكية (على عهد شارل الثاني) قد اتخذت شكلا انكليزيا نهائيا من حيث التلفظ والنبرة ، على نحو ما حصل مع جميع الكلمات الاجنبية التي استعارتها الانكليزية من اللغات الاخرى قبل هذه الفترة .

بيد انني استغرب ما قاله « تايلور » من ان هذه الكلمات لا يمكن ان تعد عربية قحة لانها تعتبر من صلب الانكليزية فاي منطق في هذا الكلام ؟ ان اي لفظة عربية مهما تطور شكلها في اللغة المنقول اليها تحتفظ تاريخيا ولغويا ومنطقيا « بجنسيتها » العربية، اذا صح التعبير!

واليك نماذج من هذه الكلمات التي يحاول « تايلور » تجريدها من « الجنسية العربية » وبينها لفظة « عربي » Arab بالذات :

دار الصناعة ١٥٠٦	Arsenal
عربي ١٦٤٣ (٢)	Arab
البنزوين (اللبان الجاوي) ١٥٥٨	Benzoin
الحشاشين ١٢٥٩	Assassin
البورق ١٣٨٦	Borax
بولايتي (يقصد بها انكلترة) وقيل : بلدي ١٩١٥	Blighty
القيراط ١٥٥٢	Carat
القند (سكر مبلور) ١٤٢٠	Candy
امير البحر ١٢٠٥	Admiral
الكرويا (نبات) ١٤٤٠	Caraway
الكيمياء القديمة (كان غرضها تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب) ١٣٦٢	Alchemy
الكوة (ويستعملها الانكليز بمعنى فجوة او مختلى) ١٦٢٣	Alcove
الكحول ١٥٤٣	Alcohol
القلي ، القلوي	Alkali
الجبر ١٤٥١	Algebra
الله (واللفظة اقدم استعمالا بكثير من التاريخ الذي اورده تايلور) ١٦١٠	Allah
المناخ (وقد وردت اللفظة في معجم اسباني ـ عربي على انها ١٣٩١	Almanac

عربية الاصل ، غير ان تايلور يزعم ان ليس ثمة مصدر عربي اصيل يقدم لها معنى ملائما .

---

(١) وقد ظهرت طبعته السادسة مؤخرا (سنة١٩٧٦) باشرافجون سايكس John Sykes فيرعت الصحافة الانكليزية في تقريظه والثناءعليه .

(٢) اشك في صحة هذا التاريخ لان لفظة Arab استعملت قبل هذا التاريخ بامد طويل يصل حتى القرن الثاني عشر ويرجع الى ايام الحروب الصليبية حيث اصبح الانكليز وعلى راسهم ملكهم ريكاردوس قلب الاسد على اتصالوثيق بالعرب . ولو فكر « تايلور » ان شكسبير الذي توفي سنة ١٦١٦ قد ذكر اللفظة فيمسرحياته لما وقع في هذا التاريخ المغلوط !

ونحن نستغرب هذا الكلام منه ونحيله على امهات المعجمات العربية ومنها « اللسان » لابن منظور).

البرقوق (٣) (ولكنها تستعمل في الانكليزية بمعنى المشمش)	Apricot
شطرنج (وهي لفظة معربة) ١٤٠٦	Chess
صك ١٣١٤	Cheque (Check)
القهوة ١٥٩٨	Coffee
الصفر ١٣٩٩	Cipher
قرمزي ١٤٠٠	Crimson
قطن ١٢٩٠	Cotton
الاكسير ١٢٦٦	Elixir
ترجمان (حوالي ١٣٠٠)	Dragoman
زرافة ١٥٩٤	Giraff
غزال ١٥٨٢	Gazelle
ياسمين ١٥٦٢	Jasmine
جرة ١٥٩٢	Jar
العود ١٣٦١	Lute
ليمون ١٤٠٠	Lemon
مسخرة ١٥٩٧	Masquerade
مجلة ١٥٨٣	Magazine
مسجد ١٤٠٠	Mosque
مطرح ٥٠'	Mattress
مسك ٣٩٨	Musk
مومياء ١٤٠٠	Mummy
صندل (خشب) ١٤٠٠	Sandal
زعفران ١٢٠٠	Saffron
سمسم ١٤٤٠	Sesame
شاش ١٥٩٩	Sash
سكر ١٢٨٩	Sugar
صفة ١٦٢٥	Sofa
طلسم ١٦٣٨	Talisman
شروب ١٣٩٢	Syrup
طنبور ١٥٧٩	Tambourine
تمر الهند ١٥٣٣	Tamarind
طاس ١٤٨٣	Tass
تعريفة ١٥٩١	Tariff

هذا قليل من كثير من الالفاظ التي استعيرت قبل نهاية حكم كرومويل ، وما ظهر بعد ذلك ليس له مثل هذا الرسوخ فالطابع الاجنبي واضح فيها من حيث التهجئة واللفظة ، والمحاكاة للاصل العربي اقوى من ذي قبل ، نحو :

قميص ١٨١٢	Camise
عطار ١٧٩٨	Attar
تنوين ١٧٧٦	Nunnation
ليفة ١٨٨٧	Loofa
سواحلي ١٨١٤	Swaihili
سموم ١٧٩٠	Simoon

وعندما ترجمت الكتب العربية لاول مرة الى اللاتينية في القرن الثاني عشر كان الاوروبيون يحاولون ان يستمدوا معلومات من العرب في الكيمياء والطب والرياضيات والفلك فبدأت الكلمات التقنية العربية تغزو العقول الاوروبية. وقد قسم « تايلور » الالفاظ العربية المستعارة الى مجاميع (٤)

(١) مجموعة الحيوانات والطيور والاسماك ، وقد ادرج فيها :

البراق ١٦٣٥	Alborak
القاروس (او القطرس) ٧٢	Albatross
الغول ١٧٨٦	Ghoul
بلبل ١٧٨٤	Bulbul
الرخ ١٥٧٩	Roc
اليربوع ١٦٦٢	Jerboa
زيراء (مؤنث ازير بمعنى عظيم الجسم ، مؤذ ، أسد) ١٦٠٠	Zebra
باز ١٣٠٠	Buzzar

(٢) مجموعة علم الفلك والتنجيم الكثيرة هي النجوم والابراج السماوية التي تحمل اسماء عربية غير أن الكثير منها قد اهمل استعماله ، وابرز ما في هذه المجموعة لفظة Regulus ، التي حاول الاوروبيون عبثا ارجاعها الى لفظة Rex ، ثم تبين انه النجم المعروف « برجل الاسد » وقد اختصر وحور بعض الشيء .

---

(٣) يزعم جون سايكس انها من اصل اغريقي وتعني ما ينضج قبل اوانه ولها صلة بلفظة Precocious . اى الناضج مبكرا .

(٤) لم يذكر تايلور الاصل العربي للالفاظ الانكليزية المستعارة فاضطررنا الى مراجعة معجم اكسفورد الكبير ومصادر اخرى لهذا الغرض ، وقدلاحظنا أن طائفة من الكلمات العربية التي استعملت في الانكليزية في العصور السابقة لم تعد مستعملة اليوم .

(٣) مجموعة النباتات . ومن بين ما ورد فيها الالفاظ التالية :

الخروبة (نوع من النبات يكثر في اميركا الجنوبية) ١٨٤٥ Algarroba
العلفاء (بلا تاريخ) Alfalfa
الحناء (بلا تاريخ) Alhenna
الحنظل ١٩٨٣ Alhandal
ارضي شوكي او الخرشوف (بالمعجن وقد ترد بالمهملة) ١٥٣١ Artichoke
الباذنجان او الباذنجان (بالذال المعجن او المهملة) ١٧٩٤ Aubergine
فستق ١٥٤٨ Pistachio
الكافور ١٥٧٠ Camphor
حشيش ١٥٩٨ Hasheesh
حرمل ١٠٠٠ Harmala
ليمون ١٦٢٢ Lime
ليلاق ١٦٢٥ Lilac
مر ٨٢٥ Myrrh
المن ٨٩٧ Manna
نارنج (واخذت في الاصل بشكل Norange فلما وضعت Orange اداة التنكير An قبلها اضطر الانكليز الى اسقاط الحرف N من لفظة Norange فاصبحت Orange)
سبانخ ١٥٣٠ Spinach
عصفر ١٥٦٢ Safflower
الطرفاء ١٨٥٨ Tarfa
سماق (حوالي ١٣٠٠) Sumach

(٤) مجموعة علم الكيمياء :

الانبيق ١٣٧٤ Alembic
الملغم ١٤٧١ Amalgam
المجسطي ١٣٨٦ Almagest
الزرنيخ ١٣٨٦ Arsenic
المد ١٤٧٧ Antimony
غرد ١٧٦٩ Jargon
وسمة ١٦٦٨ Bismuth
لازوردي ١٣٩٨ (Lapis) Lazuli
كبريت ١٩١٠ Kibrit
النطرون ١٤٠٠ Nitre
نفط ١٣٨٢ Naphtha

الطلق Talc (ذكره الجاحظ سنة ٨٦٩م) ١٦٠١
طباشير ١٥٩٨ Tabasheer
زرنيخ ١٦١٠ Zarnich
الطرطرون ١٣٨٦ Tartar

(٥) مجموعة الملابس (وعلى الاخص الشرقية)

عباية ١٨٣٦ Abaya
عباء (بلا تاريخ) Aba
اطلس ١٦٧٣ Atla
عقال ١٩٢٠ Agal
بردة ١٧١٠ Burdet
بابوج ١٩٩٥ Baboosh
علم لمدينة هندية يلفظها العرب «قاليقوت» ١٥١٥ Calico
برنس ١٦٩٥ Burnous
فستان ١٢٠٠ Fustian
شف ١٨٧٦ Chiffon
احرام ١٧٠٤ Ihram
غزل ١٥٦١ Gauze
جبه ١٨٣٦ Jibbah
ازار ١٨٣٩ Izar
كفية ١٨١٧ Kefia
جبة ١٢٩٠ Jupe
مخير (قماش مصنوع من شعر الماعز) ١٥٧٠ Mohair
منديل ١٦٦٢ Mandil
موصل (المدينة التي كان يصنع فيها النسيج) ١٦٠٩ Muslin
موصلي ١٦٩٦ Mousseline
شروال ١٨٤٤ Sherwal
فوطة ١٦١٦ Phota (Foota)
عتابي (علم لمحلة ببغداد ، تصنع فيها الانسجة العتابية على اسم احد احفاد بني امية) ١٦٣٨ Tabby
طربوش ١٧٠٢ Tarboosh
تافته ١٣٧٣ Taffeta

(٦) مجموعة الاصباغ والتلوين :

كانت مقادير هائلة من الاصباغ تستورد من الشرق قبل ان تتطور كيمياء الالوان بالشكل الحديث . وقد ورد ذكر عدد من الفاظ الاصباغ والالوان تحت عناوين اخرى فنكتفي بها مضيفين لفظة واحدة لم ترد سابقا وهي :

ازرق ١٣٧٤ Azure

(٧) مجموعة الاطعمة والمشروبات والاوانى :

عرق (وقد كتب اللفظ الانكليزى بتهجئات مختلفة عبر العصور) ١٦٠٢ Arrak

كباب (وقد وردت باكثر من تهجئة فى الانكليزية)١٦٩٠ Cabob

(هذه لفظة حيرت المعجميين واكبر الظن انها من عبارة «كالرماد» لانه محروق السكر) ١٧٢٥ Caramel

كبب (قد تكون جمعا لكبة او شكلا اخر للفظة « كباب ») ١٣٠٠ Cubeb

جلباب (باكثر من تهجئة انكليزية)١٨٧٠ Jelaubee

حلاوة ١٦٧٣	Halawa
مرزبان (فارسية معربة) ٤٩٤	Marzipan
لبن ١٦٩٨	Leben
شربت ١٦٠٣	Sherbet
مصرى ١٨١٠	Misree
شراب ١٦٦٢	Shrab

شريش (بلدة عربية فى الاندلس) ١٦٠٨ Sherry

(٨) مجموعة الجغرافية والرحلات :

قافلة ١٥٩٤	Cafila
بخشيش ١٦٢٥	Baksheesh
فدان ١٨١٧	Feddan
فندق ١٧٠٤	Fonduk
فلاح ١٧٤٣	Fellah
جبل (بلا تاريخ)	Gebal
حكيم ١٦١٥	Hakin
هودج ١٧٧٤	Howda (٦)
حمام ١٦٢٥	Hammam
كافر ١٨٠١	Kaffir
جزية ١٦٨٣	Jizia
خراج ١٨٦٠	Kheraj
خمسين ١٦٨٥	Khamseen
سرداب ١٨٤٢	Serdab
صحارى ١٨٦٢	Sahara
شادوف ١٨٣٦	Shadoof
سراى ١٦٧٢	Serai
وادى ١٨٣٩	Wadi
طوفان ١٥٨٨	Typhoon

(٩) مجموعة الرياضيات :

وقد شرحت المصطلحات العربيةالرياضية ولم تؤخذ حرفيا ، باستثناء الارقام التى اخذت كما هى ولا تزال تعرف فى اوروبا بالارقام العربية وترتيبها عربى صرف حيث أن مرتبة الاحاد على اليمين وتليها العشرات فالمئات والالاف ، ولو لم تكن عربية لجاءت الاحاد على اليسار والى يمينها المراتب العليا المتدرجة الاخرى ،وقد سبق ان ذكرنا بعض المصطلحات الرياضية ونضيف واحدة مهمة فاتنا ذكرها هى : تحريف لاسم الرياضى العربى « الخوارزمى » (٥) ١٢٣٠ Algorism

(١٠) مجموعة الطب والجراحة ، وتكاد اليوم تكون كلها مهملة لا تستعمل باستثناء ما سبق ان اوردناه ونضيف اليه لفظة

صداع ١٥٤٠	Soda

(١١) مجموعة الموسيقى :

قيثارة ١٦٢١	Guitar
الطبل ١٦٧٢	Atabal
سنطور ١٨٥٣	Santir
رباب ١٥٠٩	Rebeck
طنبورة ١٥٨٥	Tamboora
طنبور ١٤٨٤	Tanbour
طنبور ١٧٥٩	Tambourine
قانون ١٧١٤	Kanoon

(١٢) مجموعة اسماء البلدان والاعلام والالقاب:

تصحيف لعبارة : « بزر النيل » (نبات تستخرج منه صبغة) ١٥٥٥ Brazil

الحبشة ١٥٩٨	Abyssinia
السيد ١٦٨٧	Cid
الحمراء ١٢٧٣	Alhambra
فارس الفال (بلا تاريخ)	Percival
جبل طارق ١٥٩٢	Gibraltar
طرف الغار	Trafalgar
صحارى (بلا تاريخ)	Sierra

١٣ ـ مجموعة المصطلحات الدينية (ولا سيما الاسلامية) :

منارة ١٦٨٢	Minaret
جن ١٦٥٥	Genie
قرمطى ١٨١٩	Carmathian
صوفى ١٦٥٣	Sufi

---

(٥) اقتبس الاوروبيون الارقام العربية بعد ترجمة كتبه فى الرياضيات الى مختلف اللغات الافرنجية

١٤ ـ مجموعة الملاحة والسفن :

حبل ١٢٠٥	Cable
الركزة ١٥٧٧	Argosy
داو ١٧٩٩	Dhow
الكرخ ١٣٨٦	Carrack
فلكة ١٦٢٨	Felluca

١٥ ـ مجموعة التجارة :

دينار ١٦٣٤	Dinar
اردب ١٧٤٣	Ardeb
رطل ١٦١٥	Rotl
درهم ١٧٨٨	Dirhem
فلوس ١٥٩٩	Fluce

١٦ ـ مجموعة متنوعة :

الشيخ ، او الشاه مات ١٣٤٦	Checkmate
حمالة ١٤٤٧	Amulet
مقبر ١٨٦٩	Macabre
حزر (او الزار) ١٣٠٠	Hazard
راحة اليد ١٥٠٠	Racket
اوج ١٤٢٨	Ogee
رزق ١٦٦١	Risk
رزمة ١٣٩٢	Ream
من (سرنديب) التسمية العربية لجزيرة سيلان ١٧٥٤	Serendipity

١٧ ـ مجموعة المصطلحات العربية :

قالب ١٥٦٧	Calibre
القطن (رداء محشو بالقطن ويعرف بالمقطنة) ١٣٠٠	Action
بربخ ١٣٠٠	Barbican
رزية ١٢٨١	Razzia

وباستعراض هذه المجموعات المختلفة نجد أن الالفاظ المقتبسة قبل سنة ١٦٦٠ ذات مظهر انكليزي واضح وكثيرا ما تكتب (الكاف) و (القاف) و (الغاء) بالحرف (C) في حين أن هذه الحروف الثلاثة اصبحت فيما بعد ترسم بالحرف (K) مما يدل على أن هذا الحرف الاخير دخيل على الانكليزية ويستعان به في رسم الاصوات الدخيلة ، ولذلك نجد أن القسم الخاص بالحرف (K) في المعجم الانكليزي قصير وفي أكثر الفاظه دخيل ، وعلى هذا الاساس عومل الحرف (K) في الانكليزية القديمة .

ومع أن البحاثة تايلور قد استقصى الكثير من الالفاظ ذات الاصل العربي الا أننا نلاحظ أن فقداته عدد غير يسير من ذلك مثلا Coal ، فهي على اكبر ظن من « الكحل » Kohl وكلمة Cossip مشتقة من لفظة « قشبة » العربية ، فضلا عن أن Influenza هي من « أنف المنزه » .

وقد لاحظ أن أكثر الالفاظ العربية المستهلة بلام التعريف قد اخذت عن طريق الفرنسية والايطالية والاسبانية واللاتينية ـ باستثناء لفظة (البراق) Alborak (١٦٣٥) التي اخذت من العربية مباشرة ومن المحتمل أن الكتاب الانكليز لاحظوها قبل ذلك في اللاتينية والفرنسية .

واليك الان نسبة اقتباس الانكليز للالفاظ العربية عبر العصور

١ ـ قبل سنة ١٠٥٠ م ١٪

٢ ـ ١٠٥٠ ـ ١١٥٠ م (لا شيء اطلاقا)

٣ ـ ١١٥٠ ـ ١٢٥٠ م ٢٪

٤ ـ ١٢٥٠ ـ ١٣٠٠ م ٢٪

٥ ـ ١٣٠٠ ـ ١٣٥٠ م ٢٪

٦ ـ ١٣٥٠ ـ ١٤٠٠ م ٨٪

٧ ـ ١٤٠٠ ـ ١٤٥٠ م ٢٪

٨ ـ ١٤٥٠ ـ ١٥٠٠ م ٣٪

٩ ـ ١٥٠٠ ـ ١٥٥٠ م ٥٪

١٠ ـ ١٥٥٠ ـ ١٦٠٠ م ١٤٪

١١ ـ ١٦٠٠ ـ ١٦٥٠ م ١٣٪

١٢ ـ ١٦٥٠ ـ ١٧٠٠ م ١٠٪

١٣ ـ ١٧٠٠ ـ ١٧٥٠ م ٥٪

١٤ ـ ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠ م ١٠٪

١٥ ـ ١٨٠٠ ـ ١٨٥٠ م ١١٪

١٦ ـ ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠ م ٩٪

١٧ ـ بعد ١٩٠٠ ٣٪

المجموع : ١٠٠ ٪

وهكذا نجد أن نسبة الاقتباس في عصر الانكليزية القديمة المنتهي سنة ١٢٥٠ م (اي قبيل سقوط الدولة العباسية) هي ٣٪ على اننا لا نطمئن الى هذه النسبة لسبب بسيط هو ان معظم الكتابات الانكليزية القديمة لم تكن قد دونت بعد ولا احتواها معجم او قاموس ، اما النسبة للانكليزية الوسيطة (١٢٥٠ ـ ١٤٥٠ م) فهي ١٤ ٪ وهي فترة تحتضن الحروب الصليبية و تصال الشرق بالغرب ،وترتفع النسبة للانكليزية

الحديثة ، وهي الفترة التي اعقبت سنة ١٤٥٠م والى يوم الناس هذا ، فتصبح ٨٣٪ وغنى عن البيان ان الالفاظ جاءت بكثرة وفيرة بعد اختراع الطباعة وانتشار العلم وبلغت ذروتها ايام توسع اوروبا التجارى فى العالم .

ونظرة واحدة الى النسب التى اوردناها اعلاه توضح ان الغط البيانى يبلغ ذروته فى عصر شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) فلا غرو ان تجد مسرحيات الشاعر الاليزابيثى متلألئة بالالفاظ والافكار العربية النيرة ، بل ان احدى مسرحياته تتضمن اطول كلمة فى الانكليزية - Honorificabilitudinitatibus وهى تتالف من ٢٧ حرفا وقد حير لغزها عقول كبار المختصين بالدراسات الشكسبيرية وكنا فى سنة ١٩٦١ قد اقترحنا فى بحث نشرناه بالانكليزية ان هذه الكلمه العجيبة الغريبة انما هى ست كلمات عربية ادمجت بعضها البعض بلهجة اجنبية اذ يصعب رسم الالفاظ العربية بحروف انكليزية ، واقرب الكلمات العربية الى هذه اللفظة الافعوانية هى : « انظرى فى قلبى لتودينى (و) تعطى بوسة » وهو ينطبق على مجرى الاحداث فى المسرحية تمام الانطباق .

وعلى ذلك لا يمكن للانكليز ان يدرسوا ادبهم ولا سيما ادب شكسبير من دون الاستعانة بالعربية وادابها .

اما كيف وجدت الالفاظ العربية سبيلها الى الانكليزية فان الاحصائيات تنبئنا بان المصادر المباشرة للالفاظ هى حسب الترتيب الاتى : اللاتينية والفرنسية واللغات الرومانسية الاخرى والعربية ذاتها (اى بصورة مباشرة) وكان الاقتباس بطريق اللاتينية فى فترة الانكليزية القديمة وما بعدها واستمرت فى مجال المصطلحات النباتية والالفاظ التقنية (ويلاحظ ان لفظة التقنية ذاتها استعارها الانكليز من العرب بصورة Technical) .

اما الاستعارة عن طريق الفرنسية فتبلغ ٢٥٪ من المجموع العام وذلك فى فترة الانكليزية الوسيطة فما بعد ، وقد دون الشاعر الانكليزى تشوسر Chaucer ، عددا لا يستهان به من الالفاظ العربية فى شعره لاول مرة عندما تحدث عن الكيمياء القديمة Alchemy او الاصطرلاب Astrolabe وعن طريق الاسبانية مباشرة او مرورا بالفرنسية فى اغلب الاحيان ، وكذلك عن طريق البرتغالية والايطالية مباشرة استعارت الانكليزية كلمات عربية بنسبة ٢٢٪ من المجموع العام وذلك من القرن السادس عشر فما بعد ، بمعونة مترجمات من هذه اللغات وكنتيجة للتوسع الاستعمارى والتجارى ايضا ، غير ان اوسع وآخر مجموعة من الالفاظ التى تسربت الى الانكليزية هى بنسبة ٣٤٪ من العربية مباشرة ، وقد استعيرت من اواخر القرن السادس عشر فما بعد ، عندما اخذ السياح والتجار الانكليز يتصلون اتصالا شخصيا مباشرا مع الناطقين بالضاد ، وعندما غدت العربية تدرس فى الجامعات البريطانية ، ويعتبر وليم بيدويل William Bedwell (١٥٦١ ـ ١٦٣٢) ابا الدراسات العربية فى انكلترة ، وكان معاصرا لشكسبير ولا يستبعد أن يكون هو وتلميذه ادوارد بوكوك Edward Pococke (١٦٠٤ ـ ١٦٩١) قد اثرا عليه فاسبغا طابعا عربيا على كثير من مسرحياته ،وكان بوكوك اول من درّس العربية فى اكسفورد ، وكان يلقى محاضراته فى الثامنة من صباح كل اربعاء فى الفصل الدراسى الثانى Lent Term وخلال العطلات،وكان الحضور الزاميا على جميع طلاب درجة الليسانس فى الاداب .

ومن الغريب ان « تايلور » يزعم ان لا اساس من الصحة للرأى الشائع الذى يقول ان الكلمات العربية دخلت فى الانكليزية ايام الحروب الصليبية، ويؤكد ان ليس ثمة نموذج واحد لمثل هذا التغلغل اللغوى ، وعندما يجابه بعبارة : Tally-Ho (تعلب هنا !) التى اعتاد صيادو الثعالب ان يتنادوا بها فى اوقات الصيد ، يقول : ان معجم اكسفورد يرجعها الى سنة ١٧٥٦ وهى فترة جد متاخرة عن ايام الحروب الصليبية التى زعم ان العبارة شاعت اثنائها ويذهب فى مغالاته هذه حدا ابعد ليقول : « ولم تدخل كلمات عربية عديدة فى اى لغة اوروبية عن هذا الطريق » ، ثم يمضى ليؤكد انه لم تدخل الفرنسية ايام الحروب الصليبية اكثر من عشر كلمات منها Barde ، بردعة ، و Pedoɪn بدوى و Hazart خطر ، وهى من لفظة (حزر) العربية. وعلى راى اخر : « الزار » .

وكانت معظم الكلمات المستعارة المتداولة فى اوربا مستعملة قبل ذلك التاريخ فى اسبانية

الثنائية اللغة بعد الفتح الاسلامي ، وفي صقلية ومن ثم تقلبت على أيدي العلماء ، والسياح والتجار والموسيقيين المتجولين في اوروبا اللاتينية حتى جاءت الى انكلترة كجزء من المفردات الفرنسية:

ورغم ذلك كله فان « تايلور » لا يسعه أن ينكر ما أفاده الصليبيون من المسلمين في تعلم الاساليب الجديدة في بناء الحصون واقامة الاستحكامات والدروع والحلل للفرسان وافراسهم الا انهم كانوا جميعا يتكلمون لغة لاتينية مشتركة وجاءوا بمترجمين من اسبانيا وصقلية للتفاهم مع اعدائهم .

ونحن نستغرب من هذا الادعاء ولا سيما عندما يتحدث السير ولتر سكوت في روايته ايفانهو Ivanhoe عن فرسان انكليز يتكلمون بالعربية فيرد « تايلور » على ذلك قائلا بانه محض خيال!

ثم لا يتمالك المؤلف نفسه من أن يناقض ما اورده فيقول ان المعاهدات التجارية التي عقدت بين الصليبيين وخصومهم ساعدت على شيوع المصطلحات العربية التجارية فضلا عن التعابير الخاصة بالسفن والملاحة ومختلف السلع والبضائع!

ولكن دعواه أن اسبانيا كانت وطنا للاسلام مدة خمسة قرون يشوبها خطأ في الحساب فظيع لان العرب حكموا اسبانيا من ٧١١ الى ١٤٩٢ اى مدة ٧٨١ سنة وليس خمسة قرون ، وتعلم علماء العرب اللاتينية ، واثروا فيها وعلى الاخص في الاسبانية التي كانت يومذاك في حداثتها في حين أن العربية لم تتأثر باللاتينية لانها كانت تمثل لغة الطبقة الحاكمة من جهة ، ولغة حضارة ارقى بكثير من الحضارة الاوروبية يومذاك، ومن الطبيعي عندما تكون هناك لغة حاكمة واخرى محكومة فالاولى تبقى نقية في حين أن الثانية تختلط بلغة الحاكمين . لهذا لا نجد اللغة العربية الفصحى قد تأثرت باللاتينية في اسبانيا وحتى عندما كان العرب الاندلسيون يستعيرون الفاظا لاتينية ويتداولونها شفاها ما كانوا يدونونها في كتاباتهم .

وما ينطبق على العربية في اسبانيا ينطبق على الانكليزية ابان الغزو النورماندي ، فقد تمثلت الانكليزية القديمة فرنسية النورمانديين وحضارتهم وتغلبت عليهم في النهاية .

ويتبنى « تايلور » نظرية ابن خلدون التي ابدها نيفيل باربر Neville Barber ، من أن اسبانيا والمغرب شيء واحد فهما بلد العدوتين (اي الشاطئين) ويمثلان حضارة واحدة ، وان طرد العرب من اسبانيا لم يكن نتيجة حرب بين شعبين متعادين بل نتيجة حرب أهلية فاز بها فريق على فريق واجلاه عن مواقع الحكم سنة ١٤٩٢ م واخرجه من شاطيء الى شاطيء سنة ١٦١٠ ، وكما انتصر الحزب العربي في الجولة الاولى سنة ٧١١ م وطرد الحزب الاسباني الى جبال البيرنة فان الحزب الاسباني انتصر في الجولة الثانية وطرد العرب الى الشمال الافريقي، ولو لم يكن الامر كذلك لما استطاع العرب أن يحكموا اسبانيا اكثر من سنتين ! ... ويتصف انتصار كلا الحزبين بالسرعة الخاطفة !

ومع أن العربية لم تغير في قواعد اللغة الاسبانية فانها اغنتها بالمفردات وضاعفت من استعمال اداة التعريف ، وكانت اللغة الاسبانية هي العامل الاول في نقل التأثير العربي الى اللغات الاوروبية الاخرى ، بل وحتى الى امريكا اللاتينية والولايات المتحدة حيث نجد مائتي كلمة عربية في لغة الهنود الحمر في امريكا .

وقد بدأت الاستعارة من العربية في مستهل القرون الوسطى واستمرت لقرون بعد ذلك ، وتكاد جميع الالفاظ المستعارة في الاسبانية تكون موجودة في البرتغالية مع خصائص محلية اتسمت بها الاخيرة .

وجدير بالملاحظة ان الاسبانية والبرتغالية لم تستعيرا افعالا من العربية وانما اقتصرتا على الاسماء وبعض الصفات .

اما الايطاليون فقد أخذوا العربية من صقلية وعلى الاخص جامعة ساليرنو Salerno العربية.

وما دخل الانكليزية من الاسبانية مرورا بالفرنسية كان اكثر بقاء مما جاء عن الاسبانية او الايطالية مباشرة فقد غدت الاخيرة نادرة او مجرد الفاظ تقنية .

ومن الضروري أن نذكر أن هناك مجموعة من الكلمات العربية معنى لا لفظا وهي على الاكثر رياضية من نحو : « جيب » العربية وفي اللاتينية Sinus = (١٥٩٣) Sine (1) .

« أصم » العربية ، كما في الجذر الاصم وفي اللاتينية Surdus = (١٥٥١) Surd (2)

Causa اللاتينية وفي الايطالية Cosa وفي الفرنسية

(3) Rule of Coss (١٥٧٠) = Cosse وهي بمعنى (الشيء) او الكمية المجهولة ، وقد عبر عنها في الاسبانية بالحرف X لانه كان اقرب الحروف الى الحرف (ش) العربي وهو الحرف الاول من لفظة (شيء) والارقام العربية هي الاخرى من هذا القبيل، وكذلك بعض التعابير الطبية من مثل :

(1) Pia Mater ام رقيقة (١٤٠٠)

(2) Dura Mater ام صلبة (حوالى ١٤٠٠)

مرض يصيب العين وتسميه العرب « ماء » في اللاتينية 3) Cataract = Aqua وليست اللفظة من الاغريقية كما كان يظن سابقا.

ترجمة للفظة (مقولات) التي استعملها ابن سينا (١٥٥٠ (4)The Philosopher's Intention

ترجمة لعبارة (المحرك الاول) التي استعملها ابن سينا سنة١٠٣٧ (١٢٥٦) (5)Primum Mobile

لفظة (بيت) العربية في الشعر وقد انتقلت عن طريق صقلية = .(6) Stanza

ومجمل القول فيما جاءنا به (تايلور) انه فتح طريقا لبحوث جديدة في فقه اللغة المقارن وتبيان فضل حضار على اخرى وان كان ما ذكره عن الاندلس وطرف من تاريخ العرب هنا مما لا يأتلف وعنوان البحث مطلقا بل هو استطراد جاحظي طريف ، ثم انه لم يذكر في بحثه اصل الكلمات العربية التي اشتقت منها الالفاظ الانكليزية لنرى مدى التحريف والتشويه الذي اصاب هذه الالفاظ بعد عبورها بحر المانش فاضطررنا الى ادراجها ،وثمة الفاظ كان ينبغي ان تذكر ولم تذكر فالبحث من هذه الناحية بحاجة الى توسيع ،وهناك الفاظ اخرى يصعب اعتبارها عربية او انها ذات اصل تركي او فارسي وهي جد قليلة لا يمكن ان تتخذ حجة للتقليل من شأن البحث الذي هو على العموم مما يثير المزيد من التفكير عند المعجميين وارباب دراسة ظاهرة تعانق الحضارات لميلاد حضارة انسانية جديدة .

■■

اكسفورد ـ **صفاء خلوصي**

كتب وصلتنا

متزيني

تأليف : علي ادهم

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت

● هذه طبعة جديدة لهذا الكتاب في ٢٦٠ صفحة ، في سيرة « متزيني » اعظم زعيم وطني انجبته ايطاليا في القرن ١٩ ، وهو كما قال المؤلف « داعية وحدتها واستقلالها ، وباعث وطنيتها الحديثة ، بل كان داعية الاستقلال الوطني الكل لشعوب في ظل الديمقراطية الحقة، والانسانية المتضامنة،والنظام العالمي العادل .»

والكتاب مقدمة وسبعة عشر فصلا ، وفي المقدمة اجمل المؤلف رأيه في مكانة « متزيني » بين عظماء العالم في عصره ، فقال في تقديره له « انه بينهم جميعا انبلهم منزعا ، وانقاهم صفحة ، واسماهم مثالية ، واخلصهم نية ، واطهرهم نفسا ، وامضاهم عزما ، واصبرهم على احتمال التضحية ، وممارسة الشدائد » .

ثم انه « لم يكتف بالدفاع عن قضية بلاده وحدها بل دافع كذلك عن قضايا الامم المسلوبة الحرية مثلها ، وعن كل امة في دور استكمال استقلالها واستيفاء وحدتها ، .. وكانها قضية انسانية شاملة » .

وقد تناولت بقية الفصول سيرة « متزيني » في اطار من احوال ايطاليا في عصره ،فوضح نشأته وجهاده الوطني منذ شبابه ، وما تعرض له من شدائد النفي والتشريد ، واستمداده عزما جديدا كلما اصابته خيبة ، حتى نالت ايطاليا وحدتها واستقلالها . ولم يترك المؤلف جانبا من جوانب النشاط العلمي والفكري لمتزيني الا احسن توضيحه في اجمال ، ومن ذلك نشاطه في مجال الفلسفة والشعر ، والنقد الادبي ، كما وضح علاقاته بكثير من مشاهير عصره ومشهوراته ، ومنهم توماس كارليل وزوجته ، وكانا يقدرانه ويتعاطفان معه،وفي الكتاب ترجمة رسالتين ارسلهما متزيني الى زوجة كارليل من اجمل الرسائل العالمية .

■■

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ،فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحـــدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يناير (كانون ٢) ١٩٧٨ .

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من الخلفاء الراشدين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم صحابي من أقدم المؤمنين .

الكلمات الافقية :

(١) عاصمة افريقية ـ مصارعون من روما القديمة .

(٢) ذكرى سنوية ـ مسارات .

(٣) فرعون نادى بوحدة المعبود ـ تلين .

(٤) توقي ـ حرفان متشابهان ـ تقف في وجهه .

(٥) عملة آسيوية ـ الملاذ ـ الكسر .

(٦) مضى فيمــا هو فيه ـ حشرة ـ من الاقارب .

(٧) حرف جر ـ حيوان ـ طابور ـ قريب .

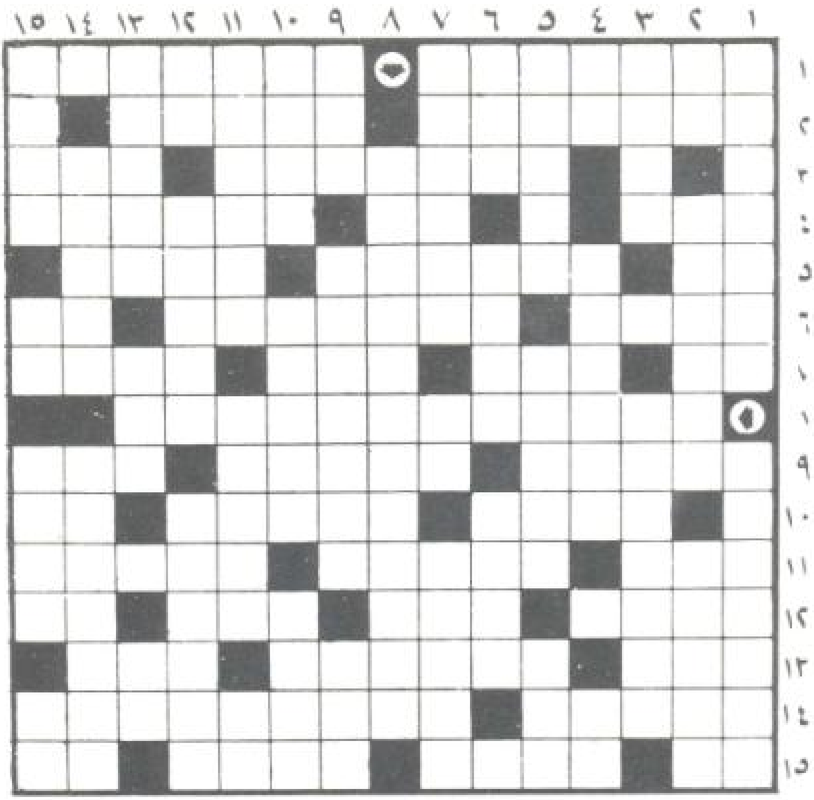
(٨) من الخلفاء الراشدين .

(٩) خطاب ـ في الجهاز الهضمي ـ لعب .

(١٠) قاطع ـ خاطـرت ـ نصف كلمـة (ناقة) .

(١١) يبسط ـ فاسد ـ موســيقي عالمي شهير .

(١٢) مكدسة ـ ضمير ـ انسكب ـ رغب .



(١٣) صفة للصوت ــ اماشيه ــ مسار •

(١٤) حامية ــ من جمهوريات امريكا الوسطى •

(١٥) حرف نفي ــ اسم الجلالة ــ وحدة قياس مساحات ــ من الحواس •

الكلمات الرأسية :

(١) من المعادن ــ شهر هجري •

(٢) نصف كلمة (ثقيل) ــ من الفواكه ــ من الاحجار الكريمة •

(٣) مقاصد مضمرة ــ من الآثار العربية في القدس •

(٤) نصف كلمة (شوكة) ــ وحدة قياس كهرباء ــ للنداء •

(٥) اقايض ــ في الكف ــ اقارب •

(٦) طائفة من الهنود ــ عملة اوربية ــ على الباب •

(٧) اسلحة قديمة ــ معبود ــ قيادة •

(٨) صحابي من اقدم المؤمنين •

(٩) قضى ــ يزدردان ــ يتوقف •

(١٠) فوق العيون ــ من الفرائض ــ ارق•

(١١) تتعجب به المرأة ــ حطمها ــ نصف كلمة (راية) •

(١٢) مقام موسيقي ــ الرشاد ــ تعتادان•

(١٣) لقب علمي ــ انقص ــ نصف كلمة (عالج) •

(١٤) شهر هجري ــ أشد جبال افغانستان ارتفاعا •

(١٥) حيوان ــ مقام موسيقي ــ من الاقارب ــ من الوالدين •



شاعر فرنسى

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة . بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر وكاتب فرنسى من أعلام الرومانتيكية وصاحب قصة البؤساء • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الشاعر •

الكلمات الافقية :

(١) الاسم القديم لسكان شبه الجزيرة الاسكندنافية •

(٢) مذهب اسلامى ينتشر فى الجزيرة العربية •

(٣) قاد ـ نصف كلمة (بقول) •

(٤) غير ناضج ـ خطر •

(٥) التماع •

(٦) مرفه •

الكلمات الرأسية :

(١) من المعادن •

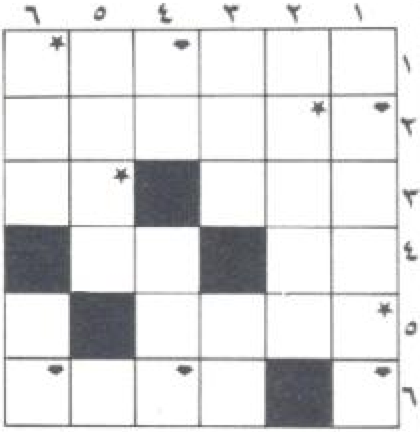
(٢) أكسر •

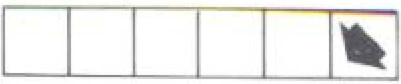
(٣) قنوط ـ بحر •

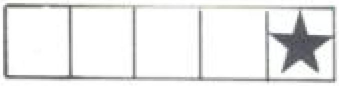
(٤) رمز كيميائى ـ فضمت •

(٥) من الغازات •

(٦) أمية ـ لفظة ضيق •







حلول مسابقات

استاذ نبيه يسأل :

١ ـ طالما ان تولا وهامى أجابا نفس السؤال بنفس الاجابة ، فلا بد انهما من جنس واحد •

٢ ـ ويكون ديسو كاذبا ، عندما قال انهما ليسا من جنس واحد ، فهو من السلالة المتعبة •

٣ ـ وطالما أن تولا وهامى قالا أن ديسو من الجنس الطيب ، فيكونا كاذبين ، ويكون الثلاثة من السلالة المتعبة •

الاشارات الناقصة :

٢٢١ + ٣٢٢٣ − ٣٤٤٤ = صفر

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب رقم ٥

انظر صفحة ١٥٦

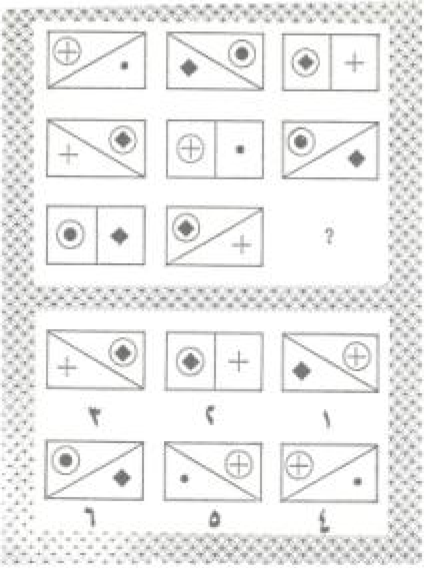
عبد العظيم يصل الى الخزينة



عندما عاد الاستاذ عبد العظيم الى منزله،وجد ابنه مريضا ، فسال زوجته ، لماذا لم تذهب به الى الطبيب ، نظرت اليه حزينة،دون أن تتكلم ،ففهم أن المنزل ليس به نقود• تذكر انه قد سجل اغنية فى الاذاعة فى اليوم السابق ، فاسرع الى الخزينة ، فاكتشف أن الاوراق تنقصها سبعة امضاءات ، فماذا يفعل ؟ •• اليوم الخميس وقد انصرف الموظفون ، وغدا الجمعة عطلة •

عم مدبولي موظف الخزينة الطيب ، وعدبان يبقى فى مكتبه ، حتى يحصل عبد العظيم على التوقيعات المطلوبة • ثم أعطاه اسماء المطلوب توقيعهم وهم : نبيل ، ولبيب ، وزاهر ، وهمام ، وخالد • وأمين • ويسرى•كما أعطاه خريطة توضح الطريق الى منازلهم• ولكن بشرط أن يمر عليهم مرة واحدة فقط،ولا يمر فى الطريق الواحد مرتين •

فما هو الطريق الذى سلكه عبد العظيم••



● حاول أن تعرف ●

المستطيل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى المستطيلات ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام ·

الاشارات الناقصة

هل تستطيع ان تضع بين الارقام المختلفة اقل عدد من اشارات الجمع والطرح ، حتى يساوى الرقم فى النهاية صفرا ·

١ ٢ ٢ ٣ ٢ ٢ ٢ ٣ ٤ ٤ ٤ ٣ = صفر

● بالعقــل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

ما جنس كل واحد منهم ؟

فى جزيرة هوكوا ،المعزولة فى الباسيفيكى، يتشابه أهل الجزيرة فى أشـكالهم وأزيائهم وحركاتهم ، ومع هذا فهم ينقســمون الى سلالتين ، سلالة طيبة ، وسلالة متعبة · ولا يمكن التفريق بينهما الا بوسيلة واحدة : اذا سألت أحد أفراد السلالة الطيبة سؤالا اجاب دائما صادقا · وعلى العكس من ذلك يجيب أفراد السلالة المتعبة بالكذب دائما ·

عندما هبط عالم الاجناس الى هذه الجزيرة، التقى بثلاثة من السكان · كانت اسماؤهم : تولا ، وديسو ، وهامى · اراد العـالم ان يتعرف على سلالة كل منهم ، فسأل كل منهم سؤالا ·

س : قل لى يا تولا ، هل ديسو من السلالة الطيبة ؟

ج : نعم ·

س : وأنت يا ديسو ، هل ينتسـب تولا وهامى الى نفس السلالة ؟

ج : لا ·

س : قل لى يا هـامى ، ما رأيك ، هل ديسو من السلالة الطيبة ؟

ج : نعم ·

ابتسم العالم ، فقد استطاع من هـذه الاسئلة أن يعرف سلالة كل منهم ··· فهل تستطيع أن تتوصل الى نفس النتيجة ؟

النجمة والسـهم :

فكتـور هوجـو ·

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب رقم ٥

الاشارات الناقصة :

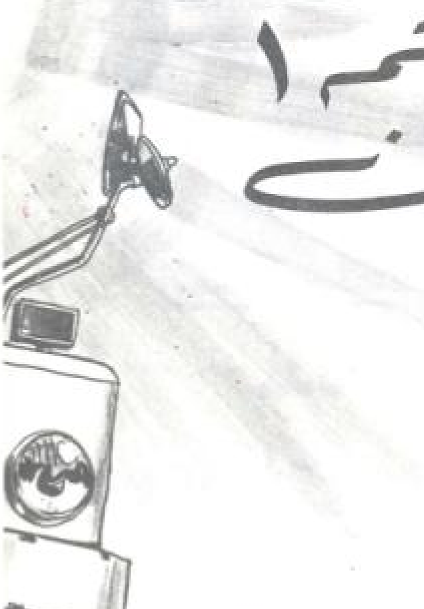
٢٢١ + ٣٢٢٣ - ٣٤٤٤ = صفر

عبد العظيم يصل الى الغزينة :

الحروف الاولى من اسماء الموظفين تصنع كلمة « الغزينة » ، والطـريـق ـ ـ هو الذى يتبع ترتيب الحروف فى الكلمة : أمين ـ لبيب ـ خالد ـ زاهر ـ يسرى ـ نبيل ـ همام ·

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان



هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان ، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعًا. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة . إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط . ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع .



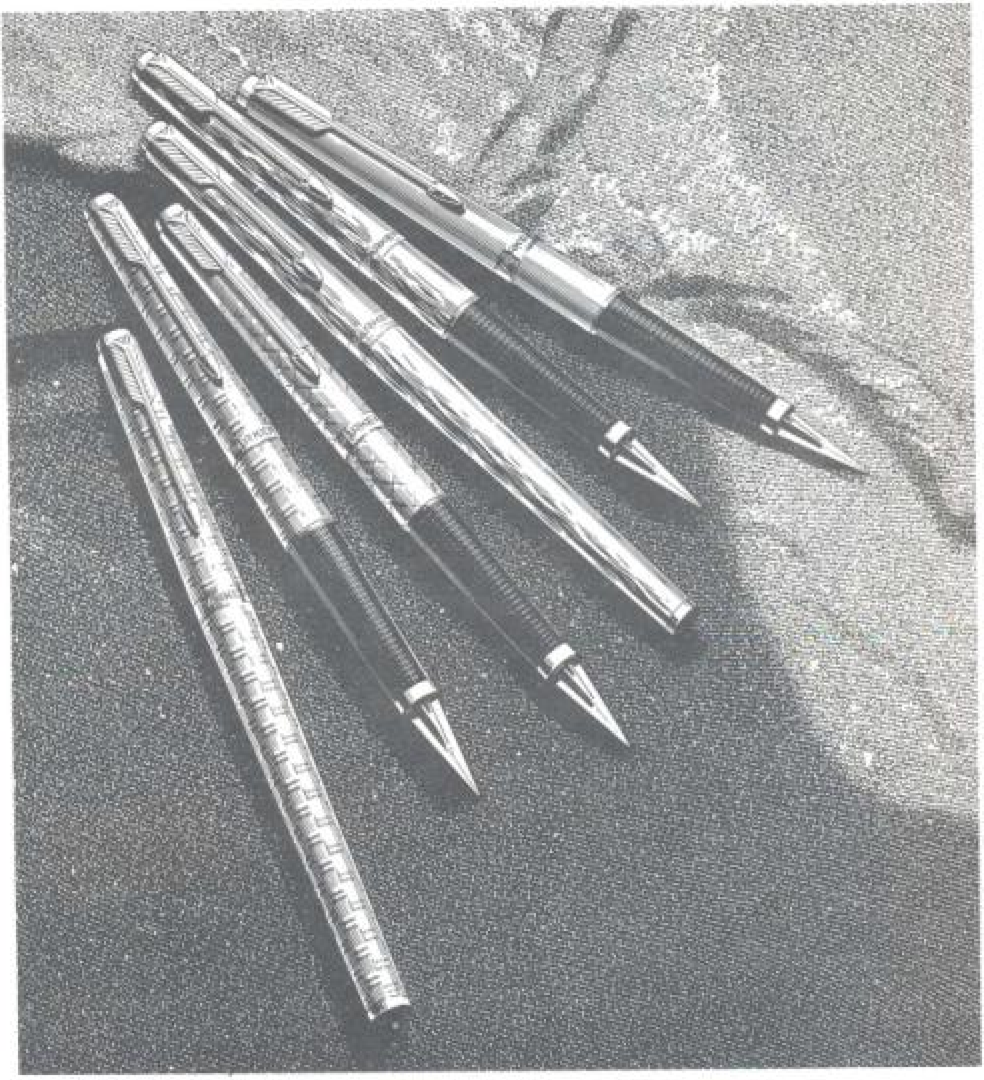
في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية ذ.م.م.
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN



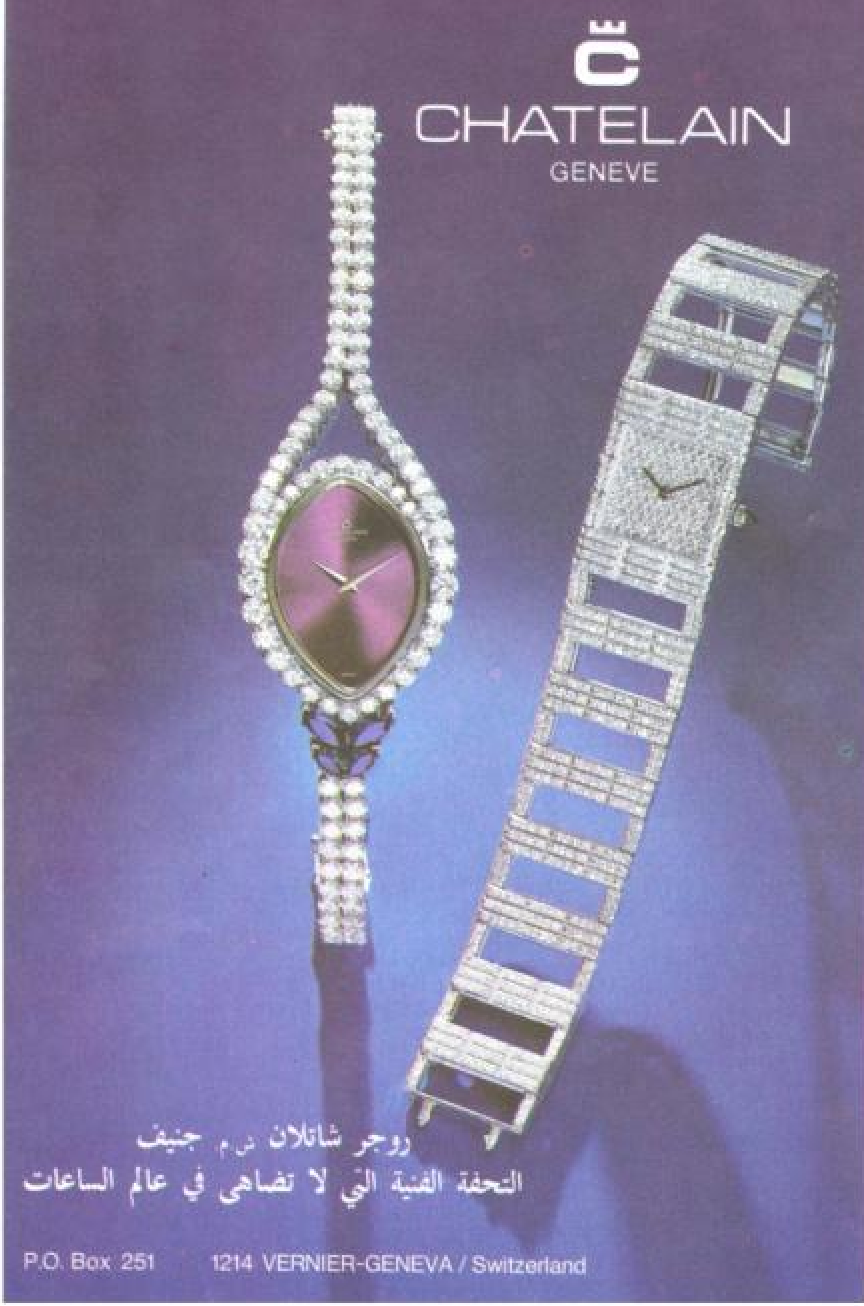
باركر ١٨٠ الجديد في تصاميم من الذهب والفضة



باركر ١٨٠ المدهش بأدائه الفريد في نوعه كتصميمه تماماً. مجهز بريشة واحدة تكتب بالخطين الرفيع والعريض بمجرّد إدارة القلم. هذا الابتكار المصمّم في فرنسا مصنوع من الذهب أو من صفائح الفضة الخالصة.
يتوفر أيضاً في أقلام للحبر الجاف.
انها حقاً هدية فاخرة.

PARKER
أكثر الأقلام رواجاً في العالم


وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH C°
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥



CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
P.O. Box 251
1214 VERNIER-GENEVA / Switzerland


تمتّع بمشاهد ملوّنة
مُختلفة دون مُغادرة مقعدك
CTP 6451
تلفزيون مُلوّن پال/سيكام
٢٠ بوصة مع ريموت
كونترول وتشغيل باللمس
REMOTE CONTROL
SANYO
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٢٩
ذو الحجة ١٣٩٧
ديسمبر
(كانون ١) ١٩٧٧

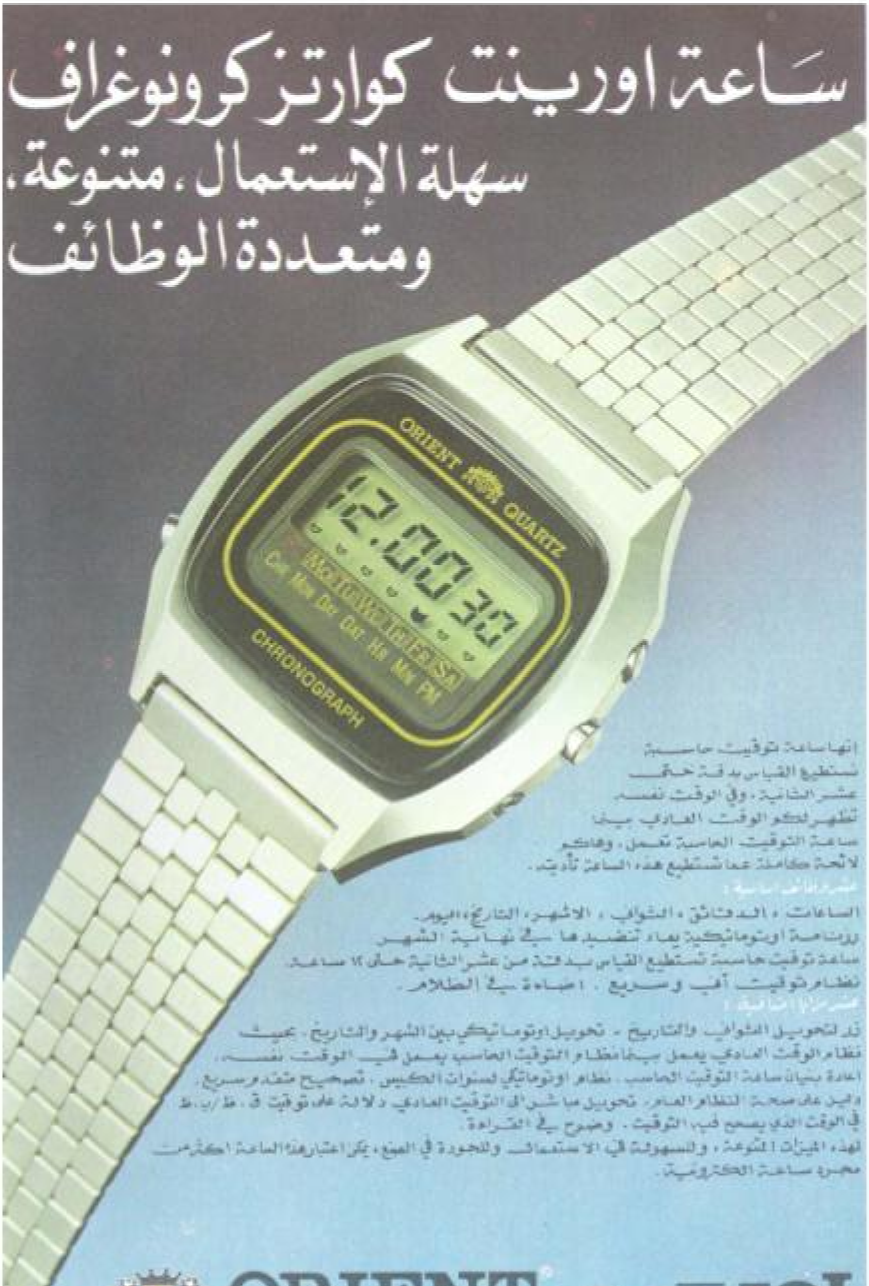
في تونس ٠٠ انتقل أهل المدن الى الريف



في استراليا
بقلاوة شامية

الانتخاب
والمعارضة
في الاسلام




ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة،
ومتعددة الوظائف
ORIENT QUARTZ
CHRONOGRAPH
إنها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل. وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
الساعات، الدقائق، الثواني، الأشهر، التاريخ، اليوم.
روزنامة أوتوماتيكية يعاد تنضيدها في نهاية الشهر
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آلي وسريع. اضاءة في الظلام.
تحويل الثواني والتاريخ - تحويل أوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ، بحيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بناء ساعة التوقيت الحاسب. نظام أوتوماتيكي لسنوات الكبيس. تصحيح متقد وسريع.
والبرهان على صحة النظام العام. تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق. ظ / ب. ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت. وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة، والسهولة في الاستعمال والجودة في الصنع، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزى القارىء

الكتاب العربى يمر بمحنة حقيقية • هذا ما يؤكده معرض الكتاب العربى الثالث الذى افتتح فى الكويت منذ اسابيع قليلة• فقد كان المعرض مليئا بالكتب فى كل فرع، لكن اغلب هذه الكتب من القديم الذى أعيدت طباعته واخراجه •

ان القراءةالسريعة لعناوين الكتب تعطي انطباعا لا يخطىء بان حركة الطباعة والنشر فى العالم العربى انشط مـن حركة التاليف • وأن الجديد فى التاليف محدود للغاية ، الامر الذى يشير الى حالة من الفقر والجدب جديرة بالبحث والعلاج السريع•

ومع ذلك فان الاقبال شديد على الكتاب العربى ، والنهم شديد لدى المواطن العـربى للقراءة والمعرفة • وازدحام قـاعة معرض الكتاب الثالث بصفة دائمة ولمدة عشرة ايام متصلة ،دليل على ذلك •

اى أن المعارض تقام بين الحين والاخر بغير تردد ولا تقصير، والناشر العربى متوفر برغم كل ما يقال عن الظروف التى مرت بها بيروت ، والقارىء العربى جاهز ينتظر فى كل وقت • والشيء الوحيد الذى نفتقده هو المؤلف العربى الذى يضيف جديدا •

وعند هذه النقطة تقفز علامات استفهام كثيرة حول الاسباب والمسئولية والحل . وستظل الثقافة العربية فى ازمة طالمـا ان الكتاب العربى فى محنة •

ان استمرار هذا الوضع يعنى أن تتزايد رقعة صحـراء العقل العربى ، وأن المستقبل سيدفع الثمن باهظا !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

عروبة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABI — No. 229 December 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغـلاف

● **غلاف هذا العدد من صورتين ، الاولى للفتاة الجميلة التى احتلت** صورتها مساحة أكبر من الغلاف لحسناء من تونس .. جاءت الى الريف بعدما اصبح ملجأ للهاربين من زحام المدن وصخبها اقرأ (تونس من أجل هذا هى خضراء، ص ٦٨) أما الصورة الاخرى فقد حملها اليك العربى من استراليا حيث يعيش ٢٠٠ ألف مهاجر عربى ، والبقلاوة الشامية من أحلى الاطباق التى يصنعونها ويقدمونها لضيوفهم اقرأ استطلاع (العرب فى استراليا ص ١١٦)

تربية وعلم نفس :

ادب ولغة :

شخصيات :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

لمــــاذا..*

لم تنجح سياسات التكام

.. وأين الحـوار بين.. رجالـ الدين والاقتصـــاد

■ هناك دائما تميز بين اصحاب المهنة الواحدة، والاقتصاديون لا يخرجون عن القاعدة العامة في هذا الخصوص • ولكني اعتقد ايضا ان هناك ما هو اكثر من هذا الميل الطبيعي لابناء المهنة الواحدة للتحاور والجدل فيما بينهم •

هناك احساس عام باننا نعيش في عالم تحكم مساراته المشاكل الاقتصادية • فاذا كان لكل حقبة في التاريخ مذاق خاص ، فهناك فترات غلبت عليها الروح الدينية ، واخرى سيرتها الدوافـع السياسية للتحرر • ، فاننا ولا شك نعيش الان الحقبة الاقتصادية •

لقد ظل « التكامل الاقتصادي العربي » الموضوع الاثير للاقتصاديين العرب خلال الربع قرن الاخير ، والتكامل الاقتصادي ليس صيغة علمية مضمونة النتائج تطبق في امريكا اللاتينية او في اوروبا فتحقق نفس الاثار ، وما علينا في الوطن العربي سوى انتقاء اخر نموذج وصلت اليه الدول الاخرى حتى نحقق التكامل الاقتصادي ، تمامـا كما نفعل عندما نقتبس الاساليب الفنية للانتاج•

اقول لا •• لان التكامل الاقتصادي ليس شيئا من هذا القبيل ، انه تجربة تاريخية اصيلة ، تنجح بقدر ما تستجيب للواقع الذي نعيشه • ولذلك فلا بد من التعمق في واقعنا العربي ومواجهــة مشكلاته وطبيعتها ، اذا اردنا للتكامل الاقتصادي العربي ان يكون حقيقة • وليس يهم بعد ذلك ان تكون بعض مشكلاتنا مما لم تعرفه الــــدول الاخرى ، أو نعطي لنفس المشاكل حلولا اخـرى مختلفة •

ولا تخلو ندوة اقتصادية عربية من الحديث عما يسمى « بالفوائض البترولية » وضـرورة استثمار هذه الفوائض في الدول العربية •واننا نعتقد ان هذه الاموال ، وهي مقابل استنفاد مواردنا المحدودة والمؤقتة ــ وبثمن بخس في الحقيقة ــ يجب ان تستثمر في المنطقة العربية لتحويلها الى قدرات انتاجية تغير من وجه الارض وبحيث تصبح الضمان الحقيقي لمستقبلنا • هذه قناعتنا • ولكن للانفاق المفيد والمثمر شروطا لابد من توافرها • ولا بد من العمل بكافة الجهود على تواجدها •

★ هذه محاضرة افتتحت بها الجامعة العربية اول موسم لها من نوعه • وقد اشارت بعض الصحف اليها ولكن (العربي) رأى نشرها كاملة تعميما لاثرها على قرائنا في كل انحاء العالم العربي

ل الاقتصادى العربى..؟

بقلم : عبدالرحمن سالم العتيقى

وزير مالية الكويت

لقد بدأ الحديث فى الخمسينات عن اهمية تحرير التجارة فيما بين الدول العربية كوسيلة لتحقيق التكامل الاقتصادى. ووقعت اتفاقية تبادل التسهيل التجارى والترانزيت . ثم اتفاقية انشاء مجلس الوحدة الاقتصادية ، والسوق العربية المشتركة التى من اهم بنودها ازلة القيود على التجارة .

ولكن سرعان ما تبين عدم كفاية اجراءات ازالة القيود على التبادل التجارى ، وان ـ المطلوب ليس فقط تسهيل التجارة وانما « خلقها » عن طريق انشاء طاقة انتاجية عربية مشتركة . ولذلك فقد بدأت فى الستينات الدعوة الى انشاء المشروعات العربية المشتركة كاسلوب اساسى للتكامل الاقتصادى العربى . وبدأت تتبلور هذه الدعوة فى مشروعات عربية مشتركة وخاصة فى السبعينات .

وهنا اود ان اعلق بملاحظتين . اما الملاحظة الاولى ، فهى ان هناك دورة كاملة تمر بها الافكار قبل ان تصبح حقيقة وتتبلور فى واقع ملموس . فالافكار التى طرحت فى الخمسينات بدأت فى التنفيذ فى الستينات ، وما ظهر من افكار فى الستينات تبلور عملا فى السبعينات ، وهكذا .. وهذا ما يؤكد اهمية عنصر الزمن فى الدورة التى تقطعها الفكرة من بداية ظهورها الى دراستها واكتسابها القبول العام ثم تنفيذها وبداية المشاكل العملية .

واما الملاحظة الثانية فهى انه مالم تمحص الفكرة جيدا وتدرس فى ظروف الواقع الذى نعيشه ، فان نتائج التنفيذ تكون هزيلة غير مشبعة . وظهر ذلك من تجربة تحرير التجارة وانشاء سوق عربية مشتركة. فهذه الافكار كانت شائعة فى اوروبا لتحقيق الاندماج الاقتصادى الاوروبى ، وانتقلت الى الفكر العربى الذى رددها دون دراسة تمحيصية لمعرفة اختلاف الظروف العربية عن الظروف الاوروبية . وفى غمرة الحماس للتكامل الاقتصادى العربى، انشئت السوق العربية المشتركة قبل ان تتوافر مقوماتها الاساسية



ولذلك جاءت الى حد كبير بناء خاويا له من الشكل أكثر مما له من المضمون ، ويحاول ان يزيل عقبات التجارة العربية قبل ان ينشيء هذه التجارة .

ومن هنا ايضا نعتقد ان فكرة المشروعات المشتركة تستجيب بشكل اكبر لظروف الواقع العربي وهي ان كانت مكملة وغير متناقضة مع تحرير التجارة وانشاء السوق المشتركة ، الا انها ـ في ظروف الوطن العربي ـ تسبقها وتمهد لها ..

ومع ذلك فاننا نلاحظ ان صيغة المشروعات العربية المشتركة على اهميتها القصوى لم تحظ حتى الان بالدعم الكافي . ويكفي في هذا ان ننظر الى التراخي الشديد في تنفيذ هذه المشروعات . ففي الوقت الذي تزداد فيه المطالبات باستثمار الاموال العربية داخل الوطن العربي ، نجد اجراءات التصديق على هذه الاتفاقات وايداع الحصص يستغرق اوقاتا طويلة غير مبررة ، بالرغم مما تمثله هذه المشروعات من امكانيات ضخمة للاستثمار المكثف في الدول العربية في ميادين شديدة الحيوية مثل التعدين والثروة المعدنية ، والانتاج الزراعي والادوية ، والانتاج الحيواني ، والصناعة .

كذلك اكاد اشعر بان هناك نوعا من عدم الفهم لطبيعة هذه المشروعات فهذه مشروعات عربية مجالها الاقتصادي هو الوطن العربي ، كل منها في قطاع محدد . ومع ذلك فاننا نلاحظ ان اهتمام الدول بالشركة يتناسب مع اختيار مقرها ، فاذا اختير المقر خارجها كان هذا اشارة الى تناقص اهتمام الدولة بها . هذا على الرغم من ان هذه الشركات شركات قابضة تهدف الى تطوير الاستثمار في مجموع الدول العربية الشركاء .

كذلك يبدو لنا ان الفلسفة العامة التي قامت عليها هذه الشركات لم تستوعب بالشكل الكافي . فالمشروعات العربية المشتركة ليست فقط مشروعات مشتركة، ولكنها في نفس الوقت مشروعات مختلطة. فالتكامل الاقتصادي العربي ليس فقط مسئولية الحكومات بل هو مسئولية الجميع . ومن غير المقبول ان يهدر في مجهودات التكامل الاقتصادي العربي عنصر اساسي وجوهري في النشاط الاقتصادي ،وهو القطاع الخاص والمبادرة الفردية . ولذلك فقد روعي في النظم الاساسية للمشروعات العربية المشتركة فتح المجال للمواطنين العرب للحصول على اسهم هذه الشركات . ومع ذلك فانه يبدو لنا حتى الان انه لم يتم استيعاب هذه الحقيقة بشكل كامل . فسلوك الحكومات في هذه المشروعات سواء من حيث اختيار ممثليها أو من حيث الدعوة الاعلامية لهذه الشركات لا تنبئ بأن هناك تصورا لدور القطاع الخاص .

بحثا عن قانون عربي للمعاملات

ولكن هناك جانبا هاما آخر في تشجيع القطاع الخاص ، وهو الاستقرار القانوني .

نحن لا نعتقد انه يكفي لتشجيع القطاع الخاص ان يتم الاتفاق في صدد كل شركة او مشروع مشترك على حدة على نوع المعاملة التفضيلية والمزايا والضمانات ، وانما لا بد من قيام نظام قانوني واضح المعالم يبين امكانيات النشاط الاقتصادي العربي وحدوده .

نحن نعرف ان الدول العربية المختلفة تصدر قوانين لتشجيع الاستثمارات الاجنبية والعربية في كل منها . وهذه القوانين تختلف من دولة لاخرى .كل منها يصدر عن تصور اساسي ، وهو ان الشركة الاجنبية او العربية سوف يقتصر عملها في الدولة المضيفة . اما ان تنشا مشروعات عربية تعمل في الوطن العربي في مجموعه في ظل نظام قانوني واحد وواضح . فهذا ما لا تستطيعه هذه القوانين المحلية لتشجيع الاستثمارات .

هناك ولا شك جهود متعددة قد بذلت في هذه الميادين . فمركز الدراسات والبحوث العربية يتضمن قسما قويا للدراسات القانونية التي قامت بدور هام في التعريف بالقوانين العربية وبمصادر الفقه الاسلامي . كذلك فان المؤسسات العربية الاقتصادية مثل المجلس الاقتصادي ومجلس الوحدة الاقتصادية قد اولت بعض جوانب هذا الموضوع اهتماما بوضع قواعد نموذجية لعقود الشركات المشتركة او وضع مشروع اتفاقية لبعض جوانب الاستثمار العربي .

ولكني اعتقد ان ما بذل في هذا الصدد غير كاف ويحتاج الى المزيد ، يحتاج الى دراسات كاملة عن بعض التصورات لنظم قانونية عربية للاستثمارات . وانطلاقا من هذه القناعة فقد اقترحت

على مجلس محافظي الصندوق العربي في اجتماعه الاخير في ابريل ١٩٧٧ ، النظر في تطوير نموذج عام عربي للاستثمار يصلح اساسا لتشريعات الاستثمار في الدول الاعضاء ويؤدي الى تيسير تدفق رؤوس الاموال العربية داخل المنطقة العربية. وقد وافق مجلس محافظي الصندوق على الاخذ بهذا الاقتراح على ان يتم تنفيذه بالتعاون مع امانة المجلس الاقتصادي العربي .

احمد بهاء الدين

منعه طارىء مرضي عن كتابة مقاله المعتاد ، ويستأنف تقديم « حديثه الشهرى » من العدد القادم .

ومن المتصور ان يتم توحيد قوانين المعاملات في الدول العربية سواء من حيث القوانين المدنية او التجارية او العقارية او التقاضي او الاجراءات.... الخ وربما مما يسهل هذه الجهود ان الاصول التي استقيت منها هذه القوانين اصول واحدة .

ولا شك ان التوحيد الكامل بين قوانين المعاملات امر قد يستغرق وقتا طويلا ، ولا بد من ثم التفكير في وسائل بديلة ، رغم انه لا ينبغي ان نتخلى عنه كهدف بعيد الامد .

ولننظر حولنا ونرى تجارب الاخرين . ورغم اني لست من انصار التقليد ، فاني ايضا لست ضده، طالما احتفظ الانسان بقدرته على النقد والمواءمة بل والمجاوزة .

لننظر الى ما فعلته السوق الاوروبية المشتركة ـ الى جانب القانون الفرنسي والقانون الالماني والقانون الايطالي ـ ومع المحاولات المستمرة للتوحيد (هناك محاولات لتوحيد القانونين الفرنسي والايطالي منذ عشرات السنين) الى جانب ذلك ، هناك اتجاه لبلورة قانون اوروبي يضاف الى هذه القوانين المحلية ويعلو عليها . وبذلك يتجه التفكير الى انشاء شركات اوروبية تخضع لهذا القانون الاوروبي، فلماذا لا نفكر في ايجاد مثل هذا النظام القانوني العربي للمعاملات والذى يحكم نشاط المشروعات العربية في كل الدول العربية ، وذلك بالاضافة الى المشروعات الوطنية او المشتركة التى تنشاط وفقا لاحد القوانين المحلية او حتى باتفاق مشترك .

وبطبيعة الاحوال فان المسألة الجوهرية هنا ليست البحث عن القواعد الموضوعية لمثل هذا القانون العربي للمعاملات ، وانما في الضمانات التي تجعل تكوين المشروعات العربية وفقا لهذا النظام القانوني العربي وسيلة للتكامل الاقتصادي العربي ودعمه، وليست مجرد اسلوب للتهرب من القوانين المحلية وثغرة للخروج عليها. اننا لا نريد شيئا مثل سوق العملات الاوروبية (اليوروماركت) حيث تحاول بعض الشركات الامريكية التهرب من قواعد الرقابة والضرائب الامريكية الى هذه السوق غير المنظمة.

ولعل الخيال يذهب بعيدا عندما اتصور ان تتسع دائرة هذا المجال الاقتصادي العربي العام وبحيث تتداول فيه الاموال بلا قيود او عقبات من منطقة لاخرى ـ وان ظل في تنظيم موحد تجاه العالم الخارجي . وبطبيعة الحال فان انشاء بورصة عربية موحدة تتداول فيها الاصول المالية بهذه المشروعات العربية وسوق نقدية وبنوك عربية تخصم الاوراق التجارية العربية الصادرة بمناسبة هذا النشاط العربي العام ، كل هذا يعتبر من النتائج الطبيعية لذلك .

بل ان اذهب خطوة ابعد . لماذا لا يخضع هذا النشاط الاقتصادي العربي لضريبة عربية . تخصص مثلا لدعم الامكانيات المالية للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي الذى نعلم مدى حاجته المستمرة للبناء في العالم العربي .وبذلك يشارك القطاع الخاص في تحمل مسؤوليته في تحقيق التكامل الاقتصادي العربي ، وفي تحمل جزء من تكاليف واعباء الحاجات العربية المشتركة.

عن النظام الاقتصادي الاسلامي

وهناك قطاع عريض من الافراد في عالمنا الاسلامي والعربي يشعرون ان هناك اعتبارات دينية تحول بينهم وبين استخدام بعض وسائل التمويل المتاحة في الاقتصاد الحديث . وانا اشير بذلك الى ما يثار حول الربا والفائدة ونظام الاقراض بصفة عامة ومدى اتفاقه او تعارضه مع الشريعة الاسلامية .

ورأيي الثابت في هذه القضية اننا نحن دول العالم الثالث. وعلى وجه الخصوص العالم العربي،

قد وقعنا من النظام العالمي موقع المتخلف وتحملنا العبء الاكبر من مساوئه • فكم حري بنا ان نفكر من جانبنا في اساليب جديدة نسعى اليها في نهضتنا، ولا نكتفي بموقف المتفرج والمقلد • واود ان اشير هنا الى نظام ربما أهملناه بأكثر مما ينبغي وقد بهرتنا انجازات الغرب، وأقصد نظامنا الاقتصادي الاسلامي •

ان من حق المسلم ان يجد وسائل متاحة امامه لاستثمار امواله بما يضعه في سكينة مع عقيدته وضميره ، ولا بد من ايجاد قنوات تحقق مصلحة الاقتصاد من ناحية ، وترضى ضمائر الافراد من ناحية اخرى • وكل عجز في الوصول الى حلول لهذه المشاكل انما هو اهدار لامكانيات كبيرة للادخار •

لقد عودنا الاقتصاديون في السنوات الاخيرة على اقامة الجسور بين التخصصات المختلفة لمناقشة المشاكل الاقتصادية • فرأينا حوارا بين الاقتصاديين والزراعيين لدراسة المشروعات الزراعية ، وكثر العمل المشترك بين الاقتصاديين والمهندسين ، وقل مثل ذلك مع رجال علم النفس والاجتماع وغيرهم من التخصصات • فهل حدث مثل ذلك بين الاقتصاديين وعلماء الدين الاجلاء لمناقشة هذا الموضوع الشائك المتعلق بالفوائد الربوية ونظم التمويل الاسلامية •••؟ وهل الوصول الى رأى قاطع في هذه المسالة الخطيرة مما يؤثر على سلوك قطاع كبير من الافراد ، هل هذا يقل خطورة من الناحية الاقتصادية عن العديد من الامور التى يتعاون فيها الاقتصاديون مع غيرهم من اصحاب التخصصات الاخرى •• ؟

اعرف انه كثرت في الاونة الاخيرة الندوات للبحث في الاقتصاد الاسلامي ، وبدأت المؤتمرات تعقد لهذا الغرض • ولكنى الاحظ في نفس الوقت قطيعة وانفصالا بين مؤسساتنا الاقتصادية العاملة فى ميدان الاستثمار وبين هذه الجهود ، كما لو كانت هذه قضية فلسفية فكرية تهم بعض الاوساط الدينية والعلمية ولا شان لها بالنشاط الاقتصادي اليومي • انني اقرأ واسمع عن مشروعات متعددة للدراسة من مؤسساتنا الاقتصادية تستغرق معظم اهتماماتنا اليومية ، ولكنى لم أسمع عن مشروع واحد لدراسة هذا الامر الحيوى لقطاع كبير من افرادامتنا • وهو جزء من واقعنا العربي ، لا بد وان نجد له الحلول •

ان حوارا حقيقيا بين رجال الاقتصاد وعلماء الدين في هذه المسائل لهو من اهم واجبات الباحثين في هذه الفترة التي نستعيد فيها مقدراتنا الاقتصادية وانه لما يؤسف له ان الهوة بين الفئتين في اتساع مستمر • فمعظم الاقتصاديين في تعال غير مبرر ودون معرفة كاملة بأحكام الشرع ومسالكه الدقيقة، يعلنون ان الفائدة امر حيوى للاقتصاد الحديث • وكانهم بهذا الاعلان قد حلوا المشكلة وهم بذلك يتجاهلون الاسلام والمسلمين الذين ينشدون حلولا لا تتعارض مع عقيدتهم • وعلى الطرف الاخر ، نجد علماء الدين يعيشون مع النصوص ، ومع تعقد الحياة الاقتصادية وتداخل علاقاتها وصعوبة النفاذ اليها حتى على المتخصصين ، نجدهم غير قادرين على القطع باحكام مطمئنة • وكانت النتيجة ان عددا هائلا من جمهور المسلمين وجد نفسه مزعزع الثقة لا يعرف وجه الحقيقة •

ولذلك فانى ادعو بالحاح الى ان يجتمع علماء الدين ورجال الاقتصاد ويخرجوا معا بحلول لايستطيع اى منهم على حدة القطع فيها • وارى ان يتنظم هذا الجهد عن طريق المجلس الاقتصادى حتى ياخذ طابعا رسميا على مستوى الجامعة العربية • وعندما نقول الجامعة العربية لا اعتقد انه يفهم من اسمها منسوبا الى العروبة بعدها عن الاسلام ، حيث ان العرب هم حملة رسالة الاسلام والمسئولون عن رفع رايته ورسولنا الكريم يقول « اذا ذل العرب ذل الاسلام » صلعم •

انى اذ ادعو الى البحث والدرس هنا ، فليس من حقى ان ابدى رأيا فى هذا الموضوع الهام الشائك • ولكنى لا اجد غضاضة فى طرح بعض التساؤلات والتفكير بصوت مرتفع معكم •

تساؤلات حول سعر الفائدة

وتثور فى ذهنى تساؤلات ، فسعر الفائدة يستخدم فى الحياة الحديثة استخدامات متعددة • فهو ثمن يدفع مقابل القرض لاجل ، ولكنه ايضا يستخدم كوسيلة فنية للحساب عند اختيار المشروعات ـ فهنا لا نكون بصدد قرض وله ثمن ، وانما بصدد اجراء مقارنات لترشيد قرارات الاستثمار • فهل الحكم على الامرين واحد لا يختلف ، ام ان هناك محلا للتمييز •؟

فقرارات الاستثمار ـ كما هو معروف ـ قرارات ترتبط بالمستقبل وتتطلب اجراء اختيارات بين

بدائل تختلف من حيث التوقيت الزمنى للتدفقات النقدية المتوقعة ، مما يستدعى استخدام اساليب للتفضيل الزمنى • ولسنا فى حاجة هنا للتأكيد بان الحاضر افضل اقتصاديا من المستقبل ، ولذلك فالعادة ان يستخدم سعر للتفضيل الزمنى لترشيد قرارات الاستثمار • وفى اغلب الاحيان ـ ليس دائما ـ يكون سعر التفضيل الزمنى هو سعر الفائدة السائد فى السوق • ولكن من الواضح هنا اننا لسنا بصدد عملية اقراض بربا ، وانما بصدد اتخاذ قرارات استثمارية تختلف من حيث التوقيت الزمنى لمنافعها وتكاليفها ويقصد اجراء المقارنة فى ضوء التفضيل الزمنى للحاضر ••• فهل تخضع هذه العملية الذهنية والتى لا تنطوى على اى قروض ودفع فوائد لنفس الحكم • الموضوع يحتاج الى دراسة ووضوح •

كذلك فان اى مشروع اقتصادى يتضمن قدرا من المخاطر لارتباطه بالمستقبل ، والتجارة ربح وخسارة، ولذلك فمن الطبيعى ان توزع هذه المخاطر على كافة الشركاء • ولكن ما الوضع فى ظروفنا الاقتصادية المعاصرة وحيث تغطى اسعار الفائدة ـ فى معظم الاحوال ـ التضخم بالكاد • فنحن هنا لسنا بصدد مخاطر تجارية ، وانما فى مواجهة اتجاه عام ومستمر لظاهرة ارتفاع الاسعار • وهو امر ليس وليد صدفة او ظروف غير متوقعة وانما هو نتيجة لسياسات الدول فى العصر الحديث •

ففى الماضى كانت الظروف الاقتصادية راكدة او مستقرة الى حد بعيد والتغيير محدودا ، وعلى اى الاحوال فان النقود كانت تظل محتفظة بقيمتها ثابتة من فترة لاخرى ولا تكاد تخضع لسيطرة الحكومات• فاذا شارك احد فى مشروع فعليه ان يتحمل المخاطر: ربحا او خسارة • واذا فضل عدم المشاركة فى اى مشروع فان قيمة نقوده تظل ثابتة وثروته مستقرة•

ونحن الان فى عصر آخر تماما ،النقود لم تعد حقيقة مستقلة عن ارادة الدولة تحتفظ بقيمتها،وانما على العكس اصبحت اداة من ادوات السياسة الاقتصادية• وقد اسرفت الدول الحديثة فى استغلال هذه الاداة حتى عدت النقود اسوأ الاصول المالية،لقد اصبح الحديث عن النقود نوعا من المجاز ، فهى دائما تفقد من قيمتها ومن ثم طبيعتها ،فدولار سنة ١٩٧٠ غير دولار سنة ١٩٧٧ • فهل من وسيلة يحفظ الافراد بها قيمة ثروتهم •

اننا اذا ما نظرنا الى الفوائد المصرفية التى تتقاضاها البنوك حاليا، او الفوائد التى تتقاضاها شركات الاستثمار مقابل السندات التى تصدرها لصالح بعض الحكومات او المؤسسات لوجدناها مبالغ لا تساوى فى واقع الحال ما يعادل اندثار قيمة العملة نتيجة التضخم المستمر ، ونتيجة تلاعب الدول الرأسمالية فى التخفيضات المستمرة فى قيمة عملاتها التى تتداولها • وعليه ، فالمكاسب التى يتحصل عليها اصحاب الاموال النقدية ما هى فى الواقع الا مكاسب صورية ولا تمثل مكسبا حقيقيا ملموسا ، اذا ما قورنت باندثار القيمة الشرائية لهذه الاموال النقدية • ولكن ما هو البديل ••؟ هل نترك اموالنا للمؤسسات المصرفية تستفيد منها بلا مقابل ، وهذا فيه اجحاف غير مبرر بان يثرى اصحاب هذه المؤسسات وهم افراد معدودون على حساب المجموع العام •

هذه وغيرها امور جدت تحتاج الى مواجهة صريحة وشجاعة ، ولا بد من ايجاد حلول وتصورات لهذه المشاكل تتفق مع الشرع ولا تتجاهل التطورات الاقتصادية المعاصرة •

وهنا بدلا من الوقوف بلا تصرف ، فلا بد من التفكير الخلاق والبحث فى انشاء قنوات جديدة صالحة لاستثمار هذه الاموال على نحو يتفق مع احكام الشريعة الاسلامية ويوفر للافراد المرونة الكافية • الى ان تستكمل الدراسات التى توضح لنا السبيل السوى •

وارجو الا يتبادر الى الاذهان انى ادعو الى تخريب نظام قائم ، على ما فيه من علل ، قبل ان يقوم نظام بديل تتوفر فيه عناصر الشرعية الى جانب التنظيم الادارى الذى يخدم العملاء ويخدم الحركة التجارية حتى لا نكون كمن يهدم بيته على راسه •

ومن هذا المنطلق ادعو وبسرعة الى تعميم فكرة بيوت التمويل الاسلامية على مختلف البلاد العربية اولا ، ونعطيها كل الدعم لتثبيت وجودها ونتأكد من انها وقفت على قدميها واصبحت تعطى الدليل القاطع للمواطن المسلم بانه فى حالة افضل فى تعامله على هذه الاسس •

وقد بدأت بعض بيوت التمويل الاسلامية فى المملكة العربية السعودية وفى الكويت ، وربما فى

غيرهما . وهذه عبارة عن مؤسسات مالية تتمشى مع احكام الشريعة في استثمار موجودات الافراد عن طريق المشاركة ، وهي خطوة اولى على درب طريق طويل في العمل الاقتصادي .

ومن الضروري العمل على تشجيع انتشار هذه البيوت وتدعيمها وتوثيق الصلات فيما بينها بحيث تكون شبكة متكاملة للتعاون في خلق مجالات للاستثمار على اساس المشاركة في العالم العربي .

كذلك من الضروري اعطاء مزيد من التامل لتحسين عملياتها ووضع القواعد والضمانات لسلامة امورها وبحيث تنشأ مجموعة من القواعد المالية والمصرفية الاسلامية .

واخيرا احب ان اشير الى امر غاية في الاهمية والخطورة ، وهو اننا بدأنا نعتقد ان الحلول السهلة هي دائما افضل الحلول . وليس ذلك بالضرورة صحيحا . فقد يرى البعض ان ما يضعه الاسلام من قيود على بعض انواع الفوائد الربوية هو من قبيل القيود التى تعرقل مسيرة الاقتصاد ويكادون يصرحون بضرورة التساهل والتجاوز عن ذلك . والحق ان هذا مسلك خطير ويمكن ان يؤدي الى اسوأ النتائج . فاختيار السهولة دائما قد يعني ان نضحي بمعاقدنا لدى اول مشكلة تقابلنا، وبلغتنا لدى اول صعوبة نصادفها ، بل وبارضنا واوطاننا لدى اول معركة ندخلها . ليس هكذا تبنى الحضارات وليس كل قيد بعقبة ، وقد يكون له من الجوانب الايجابية ما يخفى على عقولنا .

ولست هنا في صدد بيان الحكمة من تحريم الربا وان كنت اعلم مغبته وسلبية اثاره على الدائن والمدين معا الا انى اتركه لعلمائنا الاجلاء . ولكنى اتساءل احيانا اليس من الممكن ان يؤدي مزيد من المشاركة في الاستثمار ، الى اعادة اثارة اهتمام الافراد بالمشروعات في عصر غلب عليه التواكل وعدم المبالاة وترك الامر لادارة العديد من المشروعات للانحراف والبعد عن السلوك المسئول ، لانصراف المقرضين عن متابعة نشاطهم . لست ادري ...

هناك امور كثيرة في الحياة كانت القيود فيها مصدر قوتها وانطلاقها . ولنخرج عن الاقتصاد لحظة ونفكر في الادب والفن .. هل يجادل احد في أن الوزن والقافية هما من قيود الشعر ، ولكنهما ايضا مصدر قوته وثرائه .. وفي مجال آخر عندما كان المسلمون يتمسكون خلال فترة من تاريخهم بأن التصوير مناف للاسلام .. ؟ ماذا كانت النتيجة ... هل توقف الفن .. ؟ على العكس قدم الاسلام الزخارف الاسلامية اضافة جديدة للفن العالمي ، كما اصبح استخدام حروف اللغة وكلمات القرآن من اجمل ما تركه الاسلام للفن الاسلامي .

اننا لسنا في حاجة للتخلي عن قيمنا وتراثنا عند كل قيد نقابله ، وانما نحن مطالبون بتحويله الى قدرة خلاقة ومصدر قوة .

وأنا لا أريد ان اكون واعظا فهذه مهمة قدرها جليل ومثلي اقل من ان يتصدى لها ولكني أتمثل بالحكمة التي تقول (اذا وجدت الرغبة وجد الطريق) .

والله سبحانه وتعالى انبأنا في محكم كتابه (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)

ولا أريد ان اضرب امثالا كثيرة من بطون التاريخ والامجاد التي عملها الرجال ولكن الموقف يحتم عليّ أن أشيد ولو بموقف واحد للعبرة ، ولادلل على انه من كان مع الله كان الله معه .. وهو القائل جل وعلا « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

الخليفة الفذ عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ورضي عنه وارضاه تولى امبراطورية قد ترهلت وساد ارجاءها الفساد وعمتها الفوضى ، وفي سنتين ونصف عاشها لله وفي سبيل الله على رأس هذه الدولة ، وعمل فيها باسم الله وكل ما يرضى الله ، احالها الى فردوس من العدل والرخاء يضرب به الامثال الى يومنا هذا ..وليس عمر بن عبد العزيز الا معجزة من السماء ضرب الله لنا بها مثلا لنعرف من خلاله ما يفعله الحق في دحض زيف الباطل . أليست خصال عمر بن عبدالعزيز التي هي من صميم تعاليم ربنا ، الا تنبيها لنا من الله . ان نور الله الكاشف يبدد ظلمة الكفر والجهل والالحاد وذلك باقل من لمح البصر والا فما هي قيمة ثلاثين شهرا من حيث المدة الزمنية في اصلاح امبراطورية واسعة الارجاء .

اننا نريد ابطالا في الفكر الاسلامي يقودون حملة الدعوة الى الطريق السوي .

ولن يستطيع حاكم ان يتنكب عن الحق في وجود شعوب واعية ، ومصلحين لا تأخذهم بالحق لومة لائم .

■■

عبد الرحمن سالم العتيقي

حتى لا نخدع أنفسنا

المفاوضات والقوة



برنادوت قتلوه .. لانه اراد وضع حل عادل للعرب واليهود في فلسطين

بقلم : الدكتور يوسف هيكل ★

كيف يمكن أن يفاوض العرب من موقع القوة ؟؟

■ انني اعود بمخيلتي الى سنين مضت عندما كنت طالبا في فرنسا . واراني جالسا بين الطلبة وامامنا البرفسور « موى » ، ذلك الاستاذ القدير الذى جاوز الخامسة والستين من عمره ، يحاضر في القانون الدولى . وكان من أبلغ الاساتذة واقدرهم على جعل الموضوع مبسطا مشوقا . وكان يضمن محاضراته غير المكتوبة ، قصصا سياسية وملاحظات شخصية له ، تجعل الطالب يتذكرها ويتذكر موضوع المحاضرة ، التي تخللتها تلك القصص والملاحظات . والاستاذ البليغ القدير هو الذى يبسط المحاضرة ولا يعقدها ، اما الاستاذ الذى يصعب محاضرته فهو الاستاذ غير الواثق من نفسه ...

واذكر ان استاذ القانون الادارى ذكر يوما في احدى محاضراته عن الاستاذ « موى » ، انه الوحيد في المعاهد العلمية في العالم الذى جمع بين اربع شهادات دكتوراه الكليات الاربع الرئيسية في الجامعات : كلية الطب ، وكلية العلوم ، وكلية الحقوق ، وكلية الاداب ، ثم تفرغ للقانون واجتاز امتحان الاكربكاسيون الذى يمكن مجتازه من ان يصبح استاذا في الجامعة ، وهكذا اصبح « موى » استاذ القانون الدولي .

وفي احدى محاضراته ، وكان موضوعها « المفاوضات الدولية » قال :

★ الدكتور يوسف هيكل حائز على دكتوراه الدولة في الحقوق الدولي والاقتصاد من جامعة باريس ، وعلى دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة لندن ، وعلى ميدالية التفوق من هذه الجامعة . وكان سفيرا للاردن في الولايات المتحدة الامريكية ثلاث مرات مدة عشر سنوات ، ورئيسا للوفد الاردني ومندوبا دائما في الامم المتحدة لمدة سنتين، وسفيرا في بريطانيا لمدة سنتين، وسفيرا في فرنسا وبلجيكا مرتين لمدة ثلاث سنوات، ورئيس بلدية يافا .

اسمعوا يا ابنائي : ان منكم من سيصبح دبلوماسيا او سياسيا يتطلب منه عمله ان يكون في مؤتمرات دولية ، وان يتفاوض باسم بلاده ، هناك مسالة مهمة ينبغي ان تعوها جيدا وان تضعوها نصب اعينكم ، ان المفاوض في المؤتمرات الدولية له مطالب ممن يتفاوض معهم من بلاد اخرى ، وهذا المفاوض ، مهما اوتي من سهولة في الكلام ، وبلاغة وفصاحة في الخطابة لا يمكنه ان ينال ما يريد في المؤتمر بذلك وحده ، والمعول الاساسي في المؤتمرات الدولية هو ما وراء المفاوض من قوة ، والقوة تتضمن عناصر متعددة ، منها: القوة الروحية للامة ، وقوة الارادة والنضال ، والقوة العسكرية ، والقوة الاقتصادية ، وقوة الاصدقاء او الحلفاء من دول اخرى ، وبعبارة ثانية ان الذي يتكلم في المؤتمرات هو ما وراء المفاوض من قوة ، تستطيع ان تنال ، ما لم يستطع المفاوض نيله بالمفاوضة ...

دروس الماضي وتجربته

كلما جلست افكر في وضع العالم العربي تذكرت ذلك الاستاذ ونصائحه الثمينة غير المعمول بها في هذا العالم العربي القوي الضعيف ،الكبير الصغير ، الثري الفقير ...

انني ارى ممثلي الدول العربية في الامم المتحدة خلال السنين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، عندما كانوا يقاومون التقسيم وايجاد دولة اسرائيل بقرار من الامم المتحدة ، غير المشروع ، كلهم اعتمد في موقفه على البلاغة والفصاحة وادلاء الحجج القانونية في اكبر مؤتمر دولي فيه يتقرر مصير بلاد وشعب ، فلم يفدهم ذلك كله شيئا ، ولما تقدم اليهم ، من كان في امكانه انقاذ الموقف ، طالبا منهم التفاهم معه والتعاون دون معاداتهم لاصدقائهم من الغرب ، مقابل ان يستعمل حق « الفيتو » في قرار التقسيم ، وفي قرار خلق دولة اسرائيل ، تهربوا منه ولم يعيروا اقواله اي اهتمام ... فصوت الاتحاد السوفياتي مع قرار التقسيم ، ومع قرار ايجاد اسرائيل ، وكان ذلك منه لا حبا بالصهيونية والصهيونيين ، وانما ليضع العرب ، الذين تهربوا حتى من بحث ذلك الموضوع الحيوي معه ، امام احتياجهم له يوما ما ...



كارتر



رالف بانش

وجاء مؤتمر « رودس » ، وقد سبقه ان قتل الارهابيون الصهيونيون الذين كان يتزعمهم يومئذ مناحيم بيجن ، رئيس وزراء اسرائيل اليوم ، الكونت برنادوت ، مندوب الامم المتحدة السويدي الجنسية ، لانه اراد وضع حل عادل للعرب واليهود في فلسطين حسب اجتهاده ، وخلفه الدكتور رالف بانش الامريكي الجنسية ومساعد السكرتير العام للامم المتحدة ... فقام هذا بمشاورات بين الدول العربية واسرائيل ، وحمل العرب على الذهاب الى مؤتمر رودس ، كل دولة على انفراد، والتوقيع على هدنة بين الدول العربية المجاورة والدولة اليهودية ، تتضمن ما تريده اسرائيل من التوسع في فلسطين يومئذ ... فكافأ الصهيونيون الدكتور بانش على ذلك بالتوسط لدى مؤسسة نوبل التي منحته جائزة نوبل للسلام ...

وقام الصهيونيون في ٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ بالاعتداء على مصر والاردن وسوريا ، واحتلال سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ... وكانوا يهدفون من وراء ذلك ارغام العرب على توقيع صلح معهم يؤمن لهم مطالبهم التوسعية والاقتصادية والسياسية ... غير ان قادة العرب يومئذ رفضوا ذلك ، وضحت مصر كثيرا في حرب الاستنزاف ، وكانت في الوقت نفسه تعد جيشها لخوض حرب تعيد ما فقدت سنة ١٩٦٧ ... وادى ذلك الى ان اسرائيل كسبت العرب تلك السنة ولكنها لم تكسب السلام الذي كانت تريد املاءه على الدول العربية ...

حقائق مرة

ثم خاضت مصر وسوريا حرب تشرين الاول

(اكتوبر) المجيدة سنة ١٩٧٣ ، فعبرت الجيوش المصرية القناة ••• واعاد الجيش السوري ، الذى عاونته قوات اردنية وعراقية وفلسطينية ، قسما من الجولان ••• وهذا الانتصار العربي والانكسار الاسرائيلي غير الموازين العسكرية ، ورفع رؤوس العرب عاليا ، وازال الخرافة ، التى نشرتها الدعاية الاسرائيلية فى الاوساط العالمية ، بان الجيش الاسرائيلي لا يقهر •••

ومضى على ذلك الان اربع سنوات ، والدول العربية تسعى بواسطة الولايات المتحدة الامريكية لايجاد سلام مع اسرائيل فى مؤتمر جنيف ••• واخذ الاسرائيليون يماطلون والامريكان لا يبدون الجدية فى الموضوع ، والهدف من ذلك اعادة القوة الاسرائيلية الضاربة الى اقوى مما كانت عليه بالامدادات العسكرية والمالية الامريكية •••

وجرت فى اسرائيل الانتخابات البرلمانية ،ونجح فيها حزب ليكود المتعصب وزعيمه مناحيم بيجن رئيس عصابة الاركون الارهابية السابقة ، واصبح رئيسا للوزراء ، وديان وزير خارجيته •

واخذ بيجن وديان وغيرهما من المسؤولين فى الحكومة الاسرائيلية يدلون بالتصاريح الشديدة المتعصبة وموجزها :

ان اسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية وقطاع غزة وهى ، بالنسبة لبيجن ارض اسرائيلية محررة ••• ولكن للحصول على السلام فى الشرق الاوسط تتنازل اسرائيل عن قسم من سيناء التى تحتلها ، وعن قسم من الجولان الذى فى حوزتها ••• وان اسرائيل لا تعترف مطلقا بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا تقبل ابدا بان تكون عضوا فى مؤتمر جنيف ••• واسرائيل عينت ١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ موعدا لعقد مؤتمر جنيف ، وان لم يعقد فهى تريد التفاوض مع مصر والاردن وسورية ، كل على حدة ، فى اجتماعات غير مؤتمر جنيف ، تؤدى الى التوقيع على معاهدة السلام••• والسلام فى نظر الحكومة الاسرائيلية ، حسب تاكيدات المسؤولين فيها ، هو عقد صلح دولى يوجب تبادل التمثيل الديبلوماسى ، وفتح جميع ابواب البلاد العربية للاسرائيليين ••• والتعاون الاقتصادى والمالى والثقافى على مختلف انواعه بين اسرائيل والبلاد العربية ••• هذا بالاضافة الى احتفاظ اسرائيل باراض عربية واسعة •••

وقال بيجن ، واكد قوله ديان وغيره من المسؤولين الاسرائيليين : اننا سنذهب الى جنيف ونحن اقوى من البلاد العربية ••• والاراضى فى ايدينا ••• وسنقول فى اى مؤتمر مع العرب ، هذا ما نعطيه من الاراضى ، وهذا ما لا يمكن الجدل فيه ولا البحث !

وصرح الرئيس كارتر وكرر اقواله مساعدوه بان الحكومة الامريكية ، لا تضغط على اى فريق من الفريقين : اسرائيل أو العرب ، ومهمتها المساعدة فقط للجمع بينهما للتفاوض وللوصول الى اتفاق ، وما يتفقان عليه تؤيده امريكا ان هذا الموقف الامريكي ، موقف الحياد السلبى هو ما تطلبه اسرائيل ، وهو فى صميم صالحها ••• والاسرائيليون والامريكان يخططون الى مدى طويل للوصول الى الاهداف المرسومة •

اما الدول العربية فقد تغير وضعها بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) المجيد : دب الخصام بين بعض دولها ••• والروح المعنوية فيها والنضالية قد ضعفت ••• والقوات العسكرية لم يستمر تقويتها ورفع مستواها مع تطور التيكنولوجيا الحديثة ••• ومصادر السلاح قد قلت لما بين بعض الدول العربية والاتحاد السوفياتى من خصام او فتور ، وكان مصدر السلاح الرئيسى الذى حاربت به القوات العربية وانتصرت فى حرب تشرين الاول (اكتوبر) المجيدة ••• وانقطع السلاح السوفياتى بعد ذلك عن مصر ••• وخف ارساله الى سوريا •• وامريكا لن تورد سلاحا الى مصر او سوريا ••• وامريكا مع اسرائيل ، ولا تستطيع ان تضغط عليها لتامين حقوق العرب • فى الوضع العربى الحاضر ••• هذه حقائق مرة •••

رودس ثانية ؟

اما والحالة هذه ، فهل الدول العربية مقبلة على رودس ثانية ؟ رودس الاولى لم تكن معاهدة صلح او معاهدة سلام ، بل كانت اتفاقا فيه عينت خطوط وقف اطلاق النار ، فى الاراضى الفلسطينية تفصل بين اسرائيل والبلاد العربية المجاورة ، ولم يعترف العرب فيها بدولة اسرائيل ولا بالحدود النهائية لها ، املين ان يعيدوا اسرائيل الى حدود

التقسيم ... اى ان العرب فى رودس لم يتنازلوا شرعا عن اراض عربية فلسطينية او غير فلسطينية لاسرائيل .

وفى مؤتمر جنيف ، او اى مؤتمر آخر بديل عنه، حسب رغبة اسرائيل ، تكون نتائجه احد ثلاثة احتمالات ، بالنسبة الى الاوضاع العربية والاسرائيلية والامريكية اليوم . .

١ ـ ان حالفالحظ العرب ونالوا ما يطالبونبه وهو العودة الى خطوط سنة ١٩٦٧ ، فانهم بذلك يعترفون اولا بشرعية اسرائيل ، وثانيا يوافقون على ما منحته لها الامم المتحدة من فلسطين حسب قرار تقسيم ١٩٤٧ وقدره نحو ٥٦٪ من مساحة فلسطين ، ويزيدون عليه نحو ٢٥٪ من مساحة فلسطين . وهذه المساحة تقع بين حدود التقسيم وخطوط سنة ١٩٦٧ . الشيء الذى لم تعترف به اى دولة فى العالم حتى التى وافقت على التقسيم وايجاد دولة اسرائيل ...

٢ ـ ان رضخ العرب للضغط الاسرائيلي الامريكي ووقعوا على اتفاق سلام مع اسرائيل يعطيها ما تطالب به او بعضه ،وهو الضفة الغربية وقطاع غزة وقسم من سيناء ، وآخر من الجولان ، فانهم بذلك يتنازلون عن أراض فلسطينيةوعربية، ويحققون لاسرائيل شرعية وجودها والاعتراف السياسى بها وبتوسيعها ... وهذا يكون نواة اسرائيل الكبرى ... اذ سيشجعها على الاستمرار باستعمال القوة للتوسع وتحقيق خطتها الرامية الى اقامة دوله اسرائيل ما بين النيل والفرات.. واسرائيل ليس لها حدود وان عينت بمعاهدة... وحدودها الحقيقية هى الحدود التى لا تستطيع ان تخترقها . وعلى العرب ان يعينوا اين تكون تلك الحدود ...

٣ ـ وان عرقلت اسرائيل مؤتمر جنيفاو افشلته برفضها قبول منظمة التحرير فيه ، او بصلفها وقحة مطالبها من الدول العربية فى المؤتمر ،ورفض الدول العربية لتلك المطالب ، ينفض المؤتمر دون نتيجة ... بل لعل الدول العربية تخرج من المؤتمر بنتيجة مهمة ملموسة وهى ان لا فائدة من اى مفاوضة معاسرائيل والعرب فى موقف الضعف ، ولعلهم بعد ذلك يعملون ليصبحوا فى موقف القوة.

أمور لا بد منها

ان جميع وسائل القوة متوفرة لدى الدول العربية غير انها لا تستعملها فى نضالها مع اسرائيل . ولتكون الدول العربية فى موقع القوة، فهناك امور لا بد من تحقيقها :

١ ـ التهادن السياسى بين الدول العربية ، وعلىالاقل فيما يتعلقبالنضال العربى الاسرائيلى، والتعاون والتخطيط على المدى الطويل للخروج من هذا النضال منتصرين .

٢ ـ القيام بحملة دبلوماسية قوية تطلع العالم على موقف اسرائيلالتوسعي الحقيقي ،ومعارضتها، بوسائل متنوعة ، تحقيق السلام العادل .

٣ ـ مصادقة جميع الدول التى لا تؤيد اسرائيل فى عدوانها ومطامعها التوسعية ... وتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفياتى كاحدى الدولتين الكبريين ، المؤيد للقضايا العربية ، والذى قطع علاقاته مع اسرائيل اثر عدوانها سنة ١٩٦٧ ... والاتحاد السوفياتى قوة لا يستغنى عنها فى النضال العربى الاسرائيلى .

٤ ـ اقناع الولايات المتحدة الامريكية انمصالحها هى مع الدول العربية ، وان هذه الدول لا يمكنها التفريط فى حقوقها فى اراضيها ولا فيحقوق الشعب الفلسطينى فى وطنه فلسطين ... وانها ستقوم بكل ما يتطلبه منها من اجراءات سياسية واقتصادية وعسكرية لتامين الوصول لتلك الحقوق ...

٥ ـ ايجاد قوة عسكرية موحدة ، تعدادها لايقل عن مليون مقاتل ، على غرار قوة حلف الاطلنطى، تكون خاصة هيئة قيادة موحدة ، وميزانية خاصة ترصدها الدولالعربية كل حسب امكاناتها.ووجود هذه القوة يؤدى الى عدم الحاجة لاستعمالها ...

وبتحقيق ذلك تستطيع الدول العربية ايجاد سلام عادل ودائم ... وعندئذ يستطيع المفاوض العربى ان يجعل كلمته مسموعة فى المؤتمرات الدولية ، وان ينال مطالبه دون استعمال القوة ... اذ القوة القادرة مستعدة وراءه . ■■

عمان ـ د . **يوسف هيكل**

في أعماق كل انسان .. فكر وفن وايمان

حوار في المرآة

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

■ تعودت مع اعتدال الجو في الكويت ، أن أسير بعد الغروب في شارع الخليج • ويزداد جمال الطريق ، عندما تنعكس أشعة القمر على سطح الماء كأنها حفل من الابتسامات السعيدة •

وكنت أحس صداقة ما حولي •• الرمال القريبة • النجوم البعيدة كأنها زهور مضيئة • هبات النسيم • أصوات الاطفال في جريهم المرح حول آبائهم • جلوس التأمل لأزواج تقدمت بهم السن • نافورة الماء عند رأس السالمية • الرابية الخضراء المجاورة •

وما كنت أضيق الا باندفاع بعض السيارات ، اندفاعا لا يستوى مع همس الطبيعة وحديث الموج للرمال •

وألفت عيني معالم الطريق الصامتة والناطقة، مناطق الضوء ومناطق العتمة • الاجزاء المتسعة بمصابيحها العالية وأضوائها القوية ، والاجزاء الضيقة وقد تزاحمت السيارات على جوانبها ، وقل الضوء ، وتقاربت خطوات السائرين •

وفي جزء هادىء من الطريق كنت أرى ، «رمضان» في محله • مربع مضيء وسط الظلمة ، جالسا يقرأ أو واقفا في وداعة وفي يده مشط ومقص ، ويصلح من شعر أحد الزبائن •

كان الكتاب لا يفارق يده عندما يخلو الى نفسه ، وعن طريق الكتاب أحسست أنه قريب من نفسي •• فصرنا نتبادل التحية اذا تلاقت الاعين••

ومضت شهور •• وزرته مرة في محله ••

وجلست أمام المرآة وتأملت ملامحه عن قرب ، وأطال النظر الي ••

دار رمضان من حولي ، كما يدور الفنان حول

تمثال . اقترب قليلا ثم ابتعد ، أمال رأسه ثم اعتدل وحدق بعينيه .. ثم قال :

ـ أقص الشعر بطريقتي أم بطريقتك ؟

قلت : ما الفرق ؟

قال : طريقتك هذه ـ واشار الى راسي ـ وطريقتي مبتكرة ـ واشار الى داخل رأسه .

قلت : فلنجرب الابتكار .

وحمدا لله فالشعر ينمو ويتحمل التجارب . ما الفرق بين الشعر والرسم ، تمحوه ثم تعيد خطوطه ؟ .

وتحسس شعري بأطراف أصابعه ثم قال :

ـ فيه آثر مادة دهنية . كيف اعرف شعرك على حقيقته ؟ وكيف أتعامل معه ؟ في المرة المقبلة تغسل رأسك جيدا ثم تأتي الي مباشرة .

واستعنت بالصبر ، وذكرت الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان عندما كان يحج بيت الله ، وتوجه الى حلاق على جبل المروة ليقص شعره ، فساله عن الاجر ؟ فرد قائلا : لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج . وأدنى أبو حنيفة رأسه، فقال الرجل : استقبل الكعبة . فلما استقبلها قال له الرجل : نبدأ باليمين . فلما أدنى اليمين : قال الرجل : كبر . فكبر الامام .. وكان يقول بعدها: تعلمت من ذلك الحلاق أربعة من مناسك الحج ..

وبدأ رمضان يشرح :

ـ كما خلق الله الانسان وفيه تناسب بين الراس والرقبة وبقية الجسم ، فلا بد من تناسب بين الشعر والرأس. مثلا : الرقبة الطويلة تحتاج الى غطاء من الشعر يستر طولها . الراس اذا كان مرتفعا احتاج الى موازنة من امام يطول بها الشعر ليعتدل الشكل . هناك ايضا العلاقة بين طول الوجه وعرضه وامتلائه ونحافته ، وبين الاطار الشعري الذي يضعه الحلاق حوله . المسالة عملية فنية وذوق واحساس . كل راس له طبيعة خاصة. وعلى الحلاق أن يتخيل الوضع الامثل ، والصورة الافضل ، بقدر ما تسمح بذلك طبيعة الشعر من خشونة او استرسال او ...

وتخيلت نفسي مع الجاحظ(١) رحمه الله وهو يفيض في رسائله عن الناس من أصحاب الحرف..

ليتك يا رمضان عاصرت الجاحظ ، أو ليت الجاحظ معنا في « رأس السالمية » اذن لوجد عندك مادة طيبة يضيفها الى روائعه عن اصحاب الحرف في بغداد ..

لقد كان رحمه الله جهاز تصوير ملون،وتسجيل حي . كان في عينيه ألف عدسة .. ولكل حرفة في ذهنه سجل خاص ، وقلمه تربطه آلاف الاسلاك غير المرئية بهذه السجلات ، وانتاجه حديقة ـ ادبية وارفة الظل وافرة الزهر والثمر .

رحم الله آباءنا : جعلوا من أبسط مشاهد الحياة فنا حيا ، وجعلونا نعيش معهم كأننا نذب بأقدامنا على أرض بغداد العباسيين ، ودمشق الامويين ، ونسمع أغاني الملاحين في النيل ، وحداة الابل في الصحراء ، وأفراح الرعاة على جبال المغرب .. وأهازيج التجار في رحلاتهم عبر وسط آسيا ..

وأعادتني الى رمضان حركة المقص الرتيبة في يده ، كأنها ريشة فنان تتحرك في ثقة وسعادة . وقلت لنفسي : ارسم يا رمضان . لا عليك . حتى لو حدث شيء في اللوحة. فالشعر ينبت من جديد . وأمامك تجربة أخرى وأخرى . . خذ راحتك ..

●

صمت رمضان قليلا ثم قال :

ـ أحيانا أشعر بشيء من الحزن . ولكني لا اقوله لكل من اعرف . أنا اعرفك جيدا . وأسمع عنك وأشاهد برامجك . لا أهتم كثيرا بمنصب كنت فيه او انت فيه . ولكن أهتم فيك بالانسان .. وكنت أود أن تتحدث يوما . هل تتصور انني احس أحيانا انني سجين ؟ سجين في بيت من زجاج ؟ الناس كلهم يمرون أمامي ، يرونني ولا أراهم . الشارع في الليل مظلم كما ترى ، والمحل مضيء ، كأني في صالة عرض . يأتي الزبون فأقص شعره ويخرج وأبقى مكاني . يتحدث معي ويخرج وأبقى صامتا . مهمتي أن أصلح من شكل رأسه وشعره . وابتسم في وجهه ، وأخفف عنه اذا استطعت ، وأجامله . ثم يخرج وأبقى وحدي . لا يفارقني شعوري بأني سجين في هذا المكان . رغم أنه محلي . ومفتاحه معي . هل رأيت سجينا يحتفظ بمفتاح سجنه ؟

وتذكرت ما يقوله بعض أصدقائي عن رمضان : الحلاق الفيلسوف . وتذكرت صديقا طبيبا أراد

---

(١) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ـ ٢٥٥ هجرية)



مرة ان يقترح عليه شيئا فى أمر شعره فكان من قوله :

ـ وهل أستطيع أن أدخل معك حجرة العمليات فى المستشفى وأتدخل فى عملك ؟ التخصص فى الحياة أساس • الجراحة تخصصك ، والشعر تخصصى • وصمت الجراح وان كان تعامله بالمشرط ، أمام الحلاق وان كان تعامله بالمشط •• هذا يجرح ومن وراء الجرح حياة وشفاء ، وهذا يحاذر أن يجرح • ولكل منهما تخصص • واسعاد الناس غايتهما ••

وغشت وجه رمضان مسحة من حزن ، وانتظر صامتا يسمع اجابتى :

والتقت انظارنا عبر المرآة :

قلت : سأقص عليك قصة عن رجل صالح مر يوما على رجال يقطعون أحجارا فسألهم عما يعملون :

قال الاول : أقطع أحجارا كما ترى

وقال الثانى : أسعى على رزق اولادى

وقال الثالث : أبنى لله بيتا

وقف الاول عند حدود الجهد المبذول . وانتقل الثانى الى الهدف القريب • ونظر الثالث الى الهدف البعيد ، وعلى طريقه جهد مبذول وجزاء قريب •

وعادت أنظارنا الى التلاقى عبر المرآة •• وابتسم قائلا :

ـ الحمد لله •• العمل فى ذاته عبادة • وكفالة رزق الاهل عبادة ، ولكنى اتحدث عن الحرية والحركة • قلت : هى نسبية • انت ترى الطائر فى السماء صورة حية للحرية • ولكن لا بد له من عش ياوى اليه ، يريح أجنحته من التحليق • وترى الطائرة كذلك • ولكن تذكر ان قائد الطائرة وركابها عليهم أن يربطوا الاحزمة عند الاقلاع والهبوط • والحركة محسوبة فى داخل الطائرة • والاقمار الصناعية ـ احدث صيحة فى حرية الانسان فى التجول فى الفضاء ـ انظر فيها الى ملابس رواد الفضاء وطعامهم وشرابهم وجلوسهم ونومهم •• كلها اسلاك فى اسلاك • كبسولة الفضاء حرية وقيد • وكل انسان منا يعيش فى كبسولة ، حركته فيها بحساب مهما تخيل الحركة واسعة • حرية موزع البريد أن يقضى يوما فى بيته دون حركة بعد رحلة اليوم الطويلة • حريتك أن تقضى يوما فى السوق متجولا أو فى حديقة عامة او على الشاطىء مع أولادك • الحرية هى القدرة على التغيير • وكل

تغيير محسوب • واذا ضاع فيه الحساب أصبح أمره فرطا ••

قال : هناك سؤال آخر قد يبدو بعيدا وهذا : انني أخشى حساب الله والاخرة • واقف كثيرا عند بعض الاحاديث الشريفة في هذا الموضوع ••

وتلاقت أنظارنا عبر المراة مرة اخرى وتابع حديثه عندما رأى تعجبي من سرعة انتقال الحوار بين حرية الدنيا وحساب الاخرة •

ـ انا من اسرة كلها من رجال الدين • أبي وجدي من العلماء • عندنا مكتبة كبيرة في بيت الاسرة في بلدنا وعندي هنا مكتبة صغيرة • اقرأ صباحا ورد القرآن الكريم • وفي وقت الفراغ اقرأ الكتب •• وهناك حديث شريف اقف عنده هو : تفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة • فقيل يارسول الله : من الناجية ، فقال : ما عليه وأصحابي » « وفي رواية أخرى انه قال الجماعة » (٢)

فتصور ؟! واحد ينجو من كل ثلاثة وسبعين ••ثم ماذا يحدث داخل الفرقة الناجية ، والبعض يصيب والبعض يخطيء ؟ تصبح النسبة اقل • واين مكاني بين كل هؤلاء ؟

وطال صمتنا هذه المرة ••

وقلت لنفسي : حتى انت يا رمضان ادركتك مشكلة الفرقة الناجية ؟ وكل فرقة أو جماعة تظن لها وحدها سعادة الدنيا والاخرة ؟ لماذا يضيقون على الناس ما فتح لهم ربهم من ابواب الرحمة ؟ نعم •• لماذا ؟

هذه الآلاف المؤلفة من العاملين البسطاء في ايمانهم ، يعبدون الله بالكلمة الطيبة على السنتهم ، والامل في قلوبهم ، وبالعمل والانتاج في ايديهم ، وحب الاتقان فيما يصنعون ••

وطال صمتي وانا انظر اليه ، وافكر معه • وفي وجهه نظرة ترقب ••

وقلت له : نحن الان في راس السالمية ، ونريد ـ مثلا ـ ان نذهب الى المباركية في قلب الكويت • فكم عدد الطرق التي نستطيع ان نسلكها ؟

قال : كثير •

قلت : وهي كلها في اتساع واحد ؟

قال : لا •

قلت : فلنفرض اننا تبعنا طريق الخليج ، واردنا ان نقارن بين عدد السيارات التي تمر فيه ، وما يمر في الطرق الفرعية •

قال : شارع الخليج اكثر •

قلت : مشكلتنا اننا ننظر الى هذه الطرق التي جاءت في الحديث الشريف نظرة حسابية •

ما داموا ثلاثا وسبعين فلنقسم المسلمين الى ثلاثة وسبعين قسما متساوية العدد ، وبهذا ينجو من كل المجموع واحد •• ورحمة الله اوسع من ذلك بكثير • ان العدد هنا للطرق ، لا للذين يسيرون فيها •• ومن الممكن ان يكون في طريق واحد كبير ، اضعاف ما في الطرق الصغيرة مجتمعة• الحق طريق مستقيم واضح • والطرق المقصودة في الحديث جانبية تصرفك عن الطريق الرئيسي وعن هدفك • وتامل في قول الله تعالى:«وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » ـ (الانعام : ١٥٣)• هو صراط مستقيم واضح هو الطريق الرئيسي •

وظهر على وجهه اشراق لحظته في المراة • وعدنا الى الصمت وكان صمتا مشرقا • ثم قلت له :

ـ هذا المحل الجميل لماذا تراه احيانا سجنا ؟ ورحمة الله الواسعة ، لماذا تخشى الا تدركك ؟•• تذكر دائما قول الله تعالى مخاطبا نبيه : « واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » (سورة الانعام ٥٤)

●

كانت يده لا تزال تتحرك بالمقص والمشط وادوات اخرى يدوية وكهربائية •• وتوقف وابتعد قليلا ونظر الي وقال مبتسما :

ـ ما رايك في الشعر الان ؟

الان عدنا الى الرأس من الخارج ، بعد ان كنا فيه من الداخل ••

عدنا الى منطقة نفوذك يارمضان • كان في يده مقص مسنن يقطع به من نهايات الشعر ومن

---

١ ـ جزء من حديث ، اخرجه ابو داود والحاكم وله اكثر من رواية في بعض كتب السنن ، وبعضها يقف عند ذكر العدد دون النص على الفرقة الناجية •

اواسطه احيانا مستعينا بمشط رقيق • وهويقول:

ـ هذه طريقتي المبتكرة • ما تعلمتها من احد • قل : انها اجتهاد • قل : انها هداية • ولكن زبائني استراحوا اليها • جربتها في اكثر من رأس فحازت الاعجاب ، ما رأيك انت ؟ •

ثم ابتعد قليلا وقال :

ـ لطفا • هذه شعرات طويلة بعض الشيء اود ان اقصرها •• وقصرت الشعرات ••

ـ الان ترى الشعر طويلا وهو قصير • المهم انه تداخل وانتظم • ولكن في المرآة المقبلة اغسله جيدا قبل حضورك مباشرة حتى اعرف طبيعته بالضبط واستطيع ان اتعامل معه بطريقة افضل • يجب ان تكون اليد حساسة وهي تقترب من الشعر • انظر •••

ونظرت فادار وجهه وقال :

ـ استطيع الان ان اتعامل مع الشعرات واتحسس طولها باللمس دون النظر • هكذا •• وتحركت يده في خفة فوق رأسي ، ووجهه في الناحية الاخرى • واشفقت على ما في رأسي من بقية شعر ، فاسرعت قائلا :

ـ تسلم يدك يارمضان •• عظيم ••

ومرت يده بقطعة من القطن المعطر على كل مكان لمسته يده أو احدى ادواته • وأتي بمرآة ذات اطار معدني براق وعلى حوافها زخرفة من زهور رقيقة • ووضعها مقابل مرآته الكبرى لارى اية فنه في الحلاقة •• ورأيت مرآتين •• او قل لوحتين :

في الاولى الصغيرة صورة الرأس بعد ان اعادت تخطيطها يد رمضان وحولها اطار معدني تزينه ورود •

والثانية صورة رمضان نفسه في المرآة الكبيرة باطارها الخشبي يحمل المرآة الصغيرة وقد علت وجهه بسمة سعادة •• لوحتان في لوحة واحدة •• ابرز ما فيها ابتسامة رمضان •

وبادلته ابتساما بابتسام « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها » (النساء ٨٦) وامتلأوجهه بابتسامة اكبر وهو يدير مرآته الصغيرة يمينا ويسارا ، ويرفعها الى اعلى ، ويخفضها ، ويشير باصبعه الى مواطن الفن في صناعته ، سعيدا بما صنع •• واحسست لحظتها اننا تبادلنا شيئا •• من نفسي اعطيته بعض ما اعلم•ومن نفسه اعطاني بعض ما يصنع • ووضع رمضان المرآة : وهو يقول :

ـ هناك اسئلة كثيرة نحتاج الى مناقشتها •• اسئلة كثيرة • ولكن لا تنس ان تغسل رأسك جيدا في المرة القادمة قبل الحضور مباشرة •• مع السلامة •

●

وعدت الى البيت واصداء هذا الحوار في ذهني ••

راجعت حديث افتراق الامة ، واستعنت ببعض الزملاء ممن تحت يدهم مراجع اوفى •• فلم تكن كلها تنص على الفرقة الناجية ، وانما يكتفي بعضها بالافتراق وحده • وكان يستوقفني رهبة المسلم من افتراق امته ، كما افترقت الامم من قبل ، وضيق الامل امامه •• الا تحتاج هذه الهموم الى شيء من التوضيح لاخوة لنا يعيشون الايمان والسماحة والانتاج دون دخول في تيه الملل والنحل؟

الا يحتاج هؤلاء العاملون الى زهرات من الامل يشمونها فيما يسمعون من الاحاديث الدينية أو عندما يغشون بيت الله عابدين ؟

ولقد كان الرسول الاعظم (ص) يقف في الطريق للطفل والمرأة والجارية والضعيف •• ويعلمنا الاسلام « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما » •(المجادلة ١)

ومن قبل كان عيسى عليه السلام يجالس الصيادين والفقراء ، ويمر بيده الاسية على المرضى فيبرئهم باذن الله ، ويمد يده للعصاة والمذنبين ليقودهم الى طريق التوبة والمحبة •

بسيطة كانت امثلتهم التي يضربونها للناس •• سمحة كانت لغتهم التي يتعاملون بها •• مشرقة بالامل كانت احاديثهم ومعاملاتهم • رحبة كانت صدورهم ، تسع هموم الناس ، وتحاول ان ترسم على الوجوه بسمة تعين على السير خطوة جديدة اكثر اشراقا واغنى بالحياة ••••

وتذكرت رمضان وهمومه واشواقه ورغبته في اجادة العمل وصلته بالله ••

وذكرت هذه الخيوط النورانية والفكرية التي تربط بين افراد المجتمع وقلت لنفسي :

نعم •• في اعماق كل انسان ، فكرة وفن وايمان •

■■

الكويت : د • عبد العزيز كامل



« ما دام هناك فقر ، فلن يكون هناك نظافة ،
وحيث تختـفي النظافـة تولد الكـوليرا » •

من أوبئة عالم الفقراء

الكوليرا.

بقلم : الدكتور ابراهيم عبدالحميد

■ قديما قالوا : ان شر ما يصيب البشرية بالدمار هو الحرب والمجاعة والوباء • وما زال ذكر الوباء مقترنا بالرعب والرهبة فى اعماق الانسان • فموجات الطاعون او الموت الاسود التى فتكت بربع سكان اوروبا فى القرون الوسطى لا يمكن نسيانها على مر التاريخ ، والان لنا ان نتساءل : هل نجح التقدم العلمى فى السنوات الاخيرة فى تخليص العالم من شرور الاوبئة ؟

صحيح ان دول العالم المختلفة قد وصلت الى صيغة مرضية للتعاون فيما بينها فى مجال الوقاية من الاوبئة • وهناك امراض مثل الكوليرا والجدرى والحمى الصفراء والطاعون يتم ابلاغ منظمة الصحة العالمية برقيا بمجرد ظهور حالة واحدة منها ، لتتخذ باقى الدول احتياطاتها • وصحيح أن هناك خط اتصال مباشرا لتبادل المعلومات الطبية عن الفيروسات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وقد بدأ اول اتصال على هذا (الخط الساخن) بين البلدين فى سبتمبر ١٩٧٣ •

ورغم هذا كله فان الانجازات التى تحققت فى مقاومة الامراض السارية لا ترضى طموح الناس ، بل ولا توقعات العلماء انفسهم • ومن الملحوظ فى السنوات الاخيرة عودة انتشار كثير من الامراض التى كان يتوقع التخلص منها الى غير رجعة مثل الامراض التناسلية والتهاب الكبد الوبائى والحميات المخية النزفية والكوليرا وبعض بؤر الطاعون • حتى مرض الجدرى الذى حدد العلماء عام ١٩٧٥ تاريخا لخلاص العالم منه ما زال متوطنا فى شبه القارة الهندية ووسط افريقيا وقد سجلت ٩٥٣ اصابة جديدة فى غضون عام ١٩٧٦ • ويسجل الجدول رقم واحد مدى انتشار

اجمع خبراء الصحة العالمية الذين اجتمعوا في الكويت خلال شهر اكتوبر الماضي على أن الكوليرا لن تختفي من العالم العربي في وقت قريب ، وكان هناك رأى متشائم يذهب الى أبعد من ذلك ويقرر أن الكوليرا سوف تتوطن في عالمنا العربي ، وبالذات في الدول التي تتخللها الانهار ، وعلى راسها مصر وسوريا والعراق .

والناس

بعض الامراض الوبائية الهامة عام ١٩٧٥ حسب تقارير منظمة الصحة العالمية .

وجدير بالذكر هنا ان المسلمين كانوا هم أول من استعمل التلقيح كوسيلة للوقاية من الامراض الوبائية . وقد سجلت ذلك الليدى مونتاجا زوجة السفير البريطاني لدى الدولة العثمانية في بداية القرن الثامن عشر والتي كان الجدرى قد شوه وجهها . ذلك انها بعد وصولها الى الآستانة ارسلت الى صديقاتها في لندن تقول ان السيدات المسلمات يقمن بتلقيح الاصحاء بصديد من بثور مرضى الجدرى مما يؤدى الى الاصابة بالمرض بصورة أخف وطأة تكسب الانسان المناعة دون ان تترك تشوها شديدا . وكان ذلك قبل أن يكتشف « جنز » لقاح الجدرى باكثر من ثمانين عاما !

ومن بين الامراض الوبائية الشهيرة نجد ان الكوليرا وثيقة الصلة بالانسان . فالحمى الصفراء تصيب حيوانات الغابة ومنها تنتقل للانسان . والطاعون ينتشر بين الفئران ثم ينتقل الى الانسان عن طريق لدغه ببراغيث الفئران . وفيروس الجدرى يصيب الانسان ، ولكن فيروس جدرى البقر يصيب الماشية ومنها يؤخذ اللقاح الذى يقى الانسان من الجدرى الحقيقى . اما الكوليرا فلا تصيب الا الانسان وليس هناك حيوان يقوم بدور الحضانة او الحامل الوسيط لهذا المرض .

٦ أوبئة عالمية

وقد عرفت البشرية مرض الكوليرا منذ الاف السنين . وموطنه الاصلى فى دلتا نهر الجانج في الهند وفي وادى اليانج تسى في الصين . وكل الاوبئة التي اجتاحت العالم خرجت من هذه المناطق . وأول وباء للكوليرا يمكن ان نسميه عالميا فى التاريخ الحديث كان في عام ١٨١٧ ، حيث انتشر في كل انحاء الهند وانتقل منها الى روسيا واوربا الغربية . وعندما وصل الوباء الى بريطانيا عام ١٨٣١ أدى الى وفاة خمسين ألف مواطن . وقد شهدت الفترة من ١٨٧١ حتى ١٩٢٣ ستة اوبئة كوليرا عالمية منها أربعة في القرن التاسع عشر .

وأثناء احدى الاوبئة التي اجتاحت بريطانيا عام ١٨٩٤ اعتقد الطبيب البريطاني جون سنو ان المرض ينتقل عن طريق مياه الشرب ، فعمد الى افساد المضخة اليدوية التي ترفع الماء من احدى الابار ليمنع الناس من شرب الماء الملوث . وفعلا نجح في تقليل الاصابات في هذه المنطقة .

وفي عام ١٨٨٣ اكتشف العلامة الالماني كوخ ميكروب الكوليرا أثناء عمله في أحد مستشفيات مدينة الاسكندرية . وتأكد اكتشافه عندما شاهد نفس الميكروب في الهند عام ١٨٨٤ في براز المصابين بالمرض . وبذلك أضاف كوخ الى العلم حقيقة لا تقل اهمية عن اكتشافه لميكروب السل الرئوى .

- وبدراسة الخصائص البكترويولوجية للميكروب أمكن تميزه الى فصيلتين أطلق عليهما « أوجاوا » و « اينابا » . كما امكن تفرقته من الميكروبات الاخرى التي تشبهه في شكله الملتوى كيد العصا .

وباكتشاف سبب المرض بدأت الدول تتخذ اجراءات الحجر الصحي للوقاية من انتشاره عن طريق المسافرين ومن اشهرها تلك الاجراءات التي كانت تتخذها مصر للحجاج ، حيث كانوا يحتجزون في محجر الطور في شبه جزيرة سيناء • حيث تجرى لهم تحليلات لضمان خلو امعائهم من المرض • واثناء تلك التحليلات تم اكتشاف فصيلة متميزة لميكروب الكوليرا عام ١٩٠٥ سميت ميكروب الطور ، ولكن اهميته الوبائية وخطورته لم تعرفا الا فيما بعد •

ومع تكرار الاوبئة العالمية لم يستطع ميكروب الكوليرا ان يستوطن خارج المناطق التقليدية في شبه القارة الهندية وجنوب شرقي اسيا • واذا استثنينا الوباء الذى ظهر في مصر عام ١٩٤٧ واصاب ١٧٧٤٨ شخصا ، فان الفترة ما بين ١٩٢٣ ــ ١٩٦٠ لم تشهد اوبئة عالمية خطيرة •

ولكن بعد ذلك حدث تطور بالغ الاهمية في سير المرض •

كوليرا (الطور) تزحف

ففي عام ١٩٦١ اصيبت الجزر الاندونيسية بوباء « كوليرا الطور » • ومن جزيرة جاوا وجزر الفلبين انتشر في آسيا حيث وصل ايران والاتحاد السوفيتي • واعتبرت الموجة التي حدثت منذ ١٩٦١ ــ ١٩٧٠ هي فترة الوباء العالمي السابع • وعندما وصل ميكروب الطور الى الهند عام ١٩٦٤ بدأ يحل محل الميكروب التقليدى القديم •

ومن خصائص ميكروب الطور انه اكثر صلابة واقوى على تحمل الظروف الجوية المختلفة ، واقدر على البقاء مدة أطول داخل الجسم وخارجه• ولذلك فان انتشاره يعتبر نقطة تحول في وبائية مرض الكوليرا سيظل العالم يعاني من اثرها لامد لا يمكن التنبؤ بمداه أو نهايته •

ولهذا السبب فان موجات الوباء لم تنقطع في اماكن متفرقة بعد مرحلة الوباء العالمي السابع• وبدأ حاملو ميكروب الطور ينقلونه الى اماكن لم تشهد المرض من قبل • وكانت هذه بداية العهد الجديد في سير الكوليرا •

فالمعروف ان افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى كانت خالية من المرض ولكنه بدأ في الظهور في غينيا عام ١٩٧٠ ، ثم انتشر منها الى الاقطار المجاورة حيث قفز عدد الحالات الى ستة اضعاف في العام التالي • وفي عام ١٩٧١ تأثرت بالوباء ٤٢ دولة منها أربع عشرة لم تعرف هذا المرض من قبل • وبلغ عدد الحالات ٦٩١٢٥ في اثنين وعشرين بلدا افريقيا بالاضافة الى ١٠٢٠٨٣ في اربعة عشر بلدا اسيويا • وساعدت ظروف الحرب الهندية الباكستانية على ظهور ٥١ ألف اصابة بين اللاجئين • ولم تسلم اوربا من المرض فقد ظهرت ٢٧٨ حالة في ايطاليا عام ١٩٧٣ وفي البرتغال ظهرت ٢٤٩٧ حالة عام ١٩٧٤ حدثت بينها ٤٨ وفاة• حتى الولايات المتحدة التي لم تشهد الكوليرا منذ ١٩١١ ظهرت فيها حالة في تكساس عام ١٩٧٣ وكما ظهرت الكوليرا في اليابان واستراليا وبريطانيا وتشيكوسلوفاكيا ولكنها لم تستوطن نظرا لنظافة البيئة •

وفي عام ١٩٧٥ توفي من الكوليرا ٦١٤٣ شخصا وكان نصيب العالم العربى ١٧٨ حالة منها ٥٨ حالة وفاة •

وفي عام ١٩٧٦ ظهرت في افريقيا ٢٥٣٠ حالة وفي آسيا ٩٠٣٣ وفي اوروبا ١٤ حالة فقط بعد القضاء على الوباء في البرتغال • وكان نصيب العالم العربى ١٠٤٤ معظمها في الجمهورية العربية السورية •

رحلة العدوى

يقول العلامة توجاد ان كل حالة كوليرا تعني ان شخصا قد ابتلع الميكروب الناتج من براز شخص آخر • وذلك يعني على الفور أن الكوليرا اولا واخيرا مرتبطة بكل ظواهر الفقر وسوء صحة البيئة • اذن فهناك ثلاثة عناصر تدخل في طريقة العدوى :

اولها : مصدر العدوى • وثانيها : مستقبل العدوى • وثالثها : وسيلة الانتقال من المصدر الى المستقبل •

وسنناقش كلا من هذه العناصر بشيء من التفصيل •

أولا : مصدر العدوى :

تأتي العدوى اما من المريض أو حامل المرض • وبراز المريض يحتوى على الميكروب أثناء المرض وخلال فترة تستمر لعدة أسابيع بعد الشفاء• وفي السنوات الاخيرة التي سادت فيها كوليرا الطور تبين ان فترة افراز الميكروبات قد تستمر لثلاث

(جدول رقم ١)

عدد حالات الامراض الوبائية عام ١٩٧٥

المرض	عدد الحالات	اكثر البلاد اصابة
الجدرى	١٩٢٦٩	بنجلادش ـ اليوبيا ـ الهند
الحمى الصفراء	٣٠٠	بوليفيا ـ سيراليون
الطاعون	٣٠٩	بورما ـ مدغشقر
التيفوس	١١٩٦٧	بورندى ـ راوندا ـ فلسطين المحتلة ـ اليطاليا
الكوليرا	٩٧٣٨١	اندونيسيا ـ الهند ـ بنجلادش ـ كينيا ـ البرتغال

سنوات • بل ان هناك حالة سجلت فى الفلبين لمريض يدعى دولارس اصيب بالمرض فى اغسطس ١٩٦٢ ثم امكن استخراج ميكروب الكوليرا من الاثنى عشر بواسطة انبوبة فى ابريل ١٩٦٨ ، اى بعد ست سنوات ! وهذا النوع يعتبر الحامل الناقه الذى يحمل المرض فى فترة النقاهة وبعد الشفاء . اما الحامل المخالط فهو الذى يتعرض للعدوى ، ولكن جسمه يتغلب على امرض فلا تبدو عليه اعراضه ، ويظل يخرج الميكروب من امعائه لسنوات طويلة • ويرى البعض أن عدد المصابين بلا اعراض يصل الى خمسة أو عشرة اضعاف عدد المرضى الذين ظهرت عليهم الاعراض• وهذا النوع هو المتسبب فى بقاء المرض وفى انتقاله من مكان الى آخر • وخلال مسح شامل للسكان فى كلكتا فى الهند تبين أن ٥ر١٪ من المواطنين يفرزون ميكروب الكوليرا •

ثانيا : مستقبل العدوى :

ليس من الضرورى ان يصاب الانسان بالكوليرا اذا ابتلع الميكروب • وفى بعض التجارب اعطيت مزارع الميكروب لاشخاص عديدين لم يتأثر معظمهم واصيب البعض باسهال بسيط ولم يظهر المرض بصورة حادة الا فى حالات قليلة • وقد يفسر ذلك بان الميكروب لم يتحمل حموضة المعدة ولا يجتازها الا اذا انخفضت الحموضة بشرب كميات كبيرة من الماء كما أن حركة الامعاء تطرده منها ، ولا يمكنه الالتصاق بجدار الامعاء الا اذا ضعفت حركتها • ويبدو ان التعرض لجرعات قليلة من الميكروب تولد مناعة ضد المرض بدليل ان الاصابة فى مناطق استيطان الوباء تتركز فى الاطفال (٤٤٪من الحالات دون العاشرة) أما فى المناطق التى يغزوها المرض لاول مرة فانه ينتشر بين البالغين وخاصة فى الرجال (يشكل الاطفال ٦٪ فقط من الحالات) •

وقد وجد العالم المصرى الدكتور أحمد كمال الذى كان مسئولا عن مواجهة وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ أن ٥ر٩١٪ من الاصابات فى ذلك الوقت فى مصر ظهرت فى فرد واحد فى الاسرة علما بان متوسط الاسرة المصرية خمسة اشخاص • وفى الريف يأكلون ويشربون فى وعاء واحد فلماذا أصيب شخص واحد دون باقى الاسرة ؟ لا بد انه اكثر قابلية للمرض من غيره • وعندما عزلت السلطات الصحية المصرية ١٤٤٧٣ شخصا من افراد أسر المرضى لم تظهر بينهم الا ١٢٣ اصابة فقط•

ثالثا : وسيلة الانتقال :

يعتبر الماء الملوث بافرازات المرضى او حاملى المرض هو الوسيلة الاساسية لانتشار الاوبئة • وهناك اجماع على أنه عندما يتوفر الماء النقى وتصرف الفضلات بطريقة صحية فى المناطق الموبوءة سيختفى المرض من العالم •

ولكن لا يمكن اغفال دور الاطعمة والذباب والايدى الملوثة فى القيام بدور هام فى نقل المرض بصورة فردية • وحين ظهر الوباء فى مصر عام ١٩٤٧ كان معدل الاصابات فى القرى ١٥٣ حالة لكل مائة الف من السكان • اما محافظة الفيوم المزودة بالماء الصالح للشرب فلم تتجاوز الاصابات فيها احدى عشرة حالة لكل مائة ألف •

ويستطيع ميكروب الكوليرا ان يعيش فى الماء لمدة اسبوعين • اما الماء المالح فانه يعطيه فرصة اكبر للحياة تصل الى ٧٤ يوما كما أثبت العلامة البكتريولوجى فنكاترامان •

والاسماك المملحة التي تؤكل بدون طهي (مثل السردين) تعتبر مصادر خطيرة لنقل المرض.وكذلك المحار والقشريات البحرية في المناطق التي تصرف فيها الفضلات في البحار . وقد ظهرت حالات للكوليرا في عام ١٩٧٤ في جزيرة جوام الامريكية بالمحيط الهادي ،كان سببها تناول الاسماك المملحة.

كما كان للمحار البحري دور هام في انتشار المرض في البرتغال عام ١٩٧٤ . وبنفس الطريقة فان اضافة الملح للسمك واللحم والارز المطبوخ يعطي فرصة اكثر لتكاثر الميكروب عليها ، اذا ما تلوثت هذه الاطعمة من يد حامل للمرض او عن طريق الذباب .

اما اللبن المحمض (الزبادي) فان الميكروب لا يستطيع ان يحيا فيه اكثر من عشر دقائق. ويستطيع ميكروب الكوليرا ان يعيش على الخضراوات والفواكه عدة ايام لا تتجاوز اسبوعا . ومع ان معظم العلماء يعتبرونها مصادر غير خطيرة لنقل المرض الا انها كانت سببا في ظهور بعض الحالات في فلسطين المحتلة منذ عدة سنوات .

والمياه المعدنية المعباة من العيون والينابيع قد تكون مصدرا للمرض . وقد اثبتت العلامة يليك عام ١٩٧٦ ان الماء كان ملوثا وهو متدفق من باطن الارض، مما ساعد على انتشار الوباء في البرتغال عام ١٩٧٤ .

ويرى العلماء ان طبقات الحجر الجيري تحدث بها فجوات تسمح بتغلغل الماء المتسرب من الانهار او مجاري القرى المجاورة .

والطريف ان سائحة بريطانية زارت البرتغال عام ١٩٧٤ ، ولخوفها من العدوى بالكوليرا تجنبت مياه الشرب واستعملت المياه المعدنية المعباة لشرابها وحتى في غسيل فمها . وكانت المياه المعدنية هي السبب في اصابتها بالمرض . وهكذا يؤتى الحذر من مامنه .

بعد هذا كله ، اذا استطاع الميكروب اجتياز حموضة المعدة والوصول الى الاثنى عشر فانه يتكاثر بكميات كبيرة في وسطها القلوي ثم يسير الى باقي اجزاء الامعاء الدقيقة حيث يلتصق ويفرز سموما حول خلايا الغشاء المخاطي للامعاء . وهذه السموم تسبب افراز البيكربونات وكلوريد الصوديوم من الخلايا الى تجويف الامعاء، اخذة معها كميات كبيرة من الماء. وبذلك ينتج الاسهال الشديد الذي يتجاوز العشرين لترا في اليوم الواحد ، وعندما ترتفع حموضة الدم نتيجة لفقد البيكربونات يبدأ القيء الذي يزيد من جفاف الجسم ولكن هذا القيء سرعان مايتوقف اذا اعطى المريض كمية من البيكربونات تعادل حموضة الدم .

ويرى الاطباء ان الاسهال وسيلة وقائية يتخذها الجسم لطرد السموم ، ولذا فان اى محاولة لوقف الاسهال عن طريق شل حركة الامعاء سواء من الكوليرا او غيرها من الامراض المعوية الحادة قد يؤدي الى تراكم السموم في الامعاء، وامتصاصها في الدم مهددة حياة المريض . ومرض الكوليرا فريد بين كل الامراض في مقدرته على احداث فقدان لسوائل الجسم ، مع ان جدار الامعاء سليم لايصيبه اى نزيف . ولذا فان الامعاء تستطيع ان تمتص الماء اذا شربه المريض. وبعد الشفاء تعود الاحشاء الى وظائفها الطبيعية دون ادنى اثر .

محنة البلاد الفقيرة

وحياة المريض تتوقف على مدى امكانية تعويضه عن السوائل والاملاح التي فقدها من القيء والاسهال. واكثر الوفيات التي حدثت خلال الاوبئة في البلاد الفقيرة كان سببها عجز السلطات الصحية عن توفير كميات كبيرة من السوائل الصالحة للحقن في الوريد لتكفي الاعداد الهائلة من المرضى .فاذا عرفنا ان المريض الذي يستغرق علاجه حوالي خمسة ايام يحتاج الى ثمانين لترا من السوائل المعقمة للحقن في الوريد ، لادركنا مدى العجز الذي يمكن ان يواجهه الاطباء في المناطق النائية في الريف .

ولقد حاول الاطباء تعويض هذا العجز بمحاولة اعطاء المريض السوائل عن طريق الفم الا ان امتصاصها كان ضئيلا ولا يتناسب مع الكميات المفقودة من الامعاء .

ولعل اهم تطور في علاج الكوليرا هو ما تم في بنجلاديش في السنوات الاخيرة ، حيث اكتشف الاطباء ان خلط الجلوكوز مع الاملاح يسهل امتصاصها عن طريق الامعاء . وبذلك يتسنى اعطاء المريض ما يلزمه من السوائل عن طريق الفم . ونتيجة لذلك انخفضت نسبة الوفيات بدرجة كبيرة، اذ انه بمجرد اكتشاف الحالة يبدأ شرب السوائل ويقتصر الحقن في الوريد على الحالات الشديدة التي ازداد فيها جفاف الجسم او حدثت في الدم درجة من الحموضة تسبب القيء الذي يمنع الشرب. وقد ساهمت منظمة اليونيسيف في تجهيز كميات

(جدول رقم ٢)

النسبة المئوية للمتمتعين بمصادر لماءالشرب النقى وتصريف الفضلات السائلة عام ١٩٧٥ وميزانية مشروعاتمياهالشرببملايين الدولارات فىالفترة ٧١ ـ ١٩٧٥ فى الوطن العربى ٠

الدولة	نسبة المستفيدين بماء الشرب	نسبة المستفيدين بتصريف الفضلات	تكاليف مشروعات مياه الشرب
البحرين	١٠٠	ـ	٧ر٦
الكويت	١٠٠	ـ	٥ر٢٠٩
قطر	٩٧	١٠٠	٦ر٢٨
مصر	٩٣	ـ	ـ
لبنان	٩٢	ـ	ـ
ليبيا	٨٧	٧٩	٤ر٤٠٥
الاردن	٧٧	ـ	ـ
الجزائر	٧٧	٦٧	٦٧٦
سوريا	٧١	ـ	ـ
العراق	٦٦	ـ	٢ر١٦٦
السعودية	٦٤	٤٧	٣ر٤٨٩
اليمن الشمالية	٥٧		ـ
عمان	٥٢	١٢	ـ
المغرب	٥١	٢٩	ـ
السودان	٥٠	٢٢	٣ر١٩٧
تونس	٤٩	٦٢	٧ر٨٢
الصومال	٣٨	٤٧	٢ر٣٥
موريتانيا	١٧	٧	ـ
اليمن الديمقراطية	٤	ـ	ـ

هذه الدول اخذت احصائيات عام ١٩٧٠ حيث انهالم تبلغ عن الوضع فى ١٩٧٥ ٠

هائلة من الاملاح المعباة فى اكياس صغيرة يذاب كلمنها فى لتر من الماء ويعطى للمصابين بالكوليرا او اى مرض معوى بسبب الاسهال الشديد ٠

ورغم ان علاج السوائل هو الوسيلة لانقاذ حياة المريض الا انه يجب اعطاؤه مضادات حيوية عن طريق الفم ٠ وهذه تقلل مدة المرض حيث تقتل ميكروب الكوليرا فتوقف انتاج كميات جديدة من السموم فى الامعاء كما ان المريض بعد شفائه لا يصبح حاملا للميكروب، وبذلك لا يكون خطرا على الصحة العامة ٠

الوقاية وفاعلية التطعيم

وتوفير الماء الصالح للشرب وتصريف فضلات الانسان بطريق صحية تضمن ابعادها عن مصادر مياه الشرب ، هما حجر الزاوية فى الوقاية من المرض. وتهتم منظمة الصحة العالمية بدراسة هاتين المشكلتين فقامت بجمع المعلومات من اثنتين وستين من الدول النامية فى عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ٠ وتفيد هذه المعلومات أنعدد المستفيدين بمشروعات مياه الشرب عام ١٩٧٥ فى تلك الدول وصل عددهم

٧٦٤ مليونا اى بنسبة ٣٨٪ من مجموع السكان • ويلاحظ ان ذلك لا يعني وجود انابيب المياه داخل البيوت وانما يشتمل هذا العدد على سكان المناطق التى اقيمت فيها مصادر جماعية لمياه الشرب • وكثيرا ما تكون هذه الصنابير بعيدة عن سكان القرى مما يدفعهم الى اخذ احتياجاتهم من الماء من مصادر غير صحية كالترع والانهار • وبالنسبة لتصريف الفضلات السائلة نجد ان المستفيدين بها لا يتجاوزون ٣٣٪ من السكان فقط • ومن المؤسف ايضا ان بعض هذه الخدمات لم يتطور مع سرعة تكاثر السكان ولذا فان النسبة المئوية للمستفيدين بتوصيلات المياه للمنازل عام ١٩٧٥ اقل منها فى عام ١٩٧٠ • اما فى العالم العربى فان الجدول رقم (٢) يوضح المعلومات التى ابلغتها السلطات المختصة الى منظمة الصحة العالمية • واذا افترضنا دقة البيانات التى تجمعها اجهزة الاحصاء الصحى فى البلاد العربية فان هناك سلبيات كثيرة يجب التعرض لها • فرغم وجود نظام الحمل المائى لصرف الفضلات السائلة من البيوت الا أن التخلص النهائى منها كثيرا ما يتم بطرق غير صحية • فقد تلقى فى مياه النهر أو فى ماء البحر فى مناطق لا تبتعد كثيرا عن مناطق صيد الاسماك او تستعمل فى رى الخضروات والفواكه ، المزروعة قريبا من المدن • وكل ذلك يتيح الفرصة لنقل الكوليرا والامراض المعوية الاخرى •

وبالنسبة للتطعيم ضد الكوليرا ، فان الكثيرين من الاخصائيين يرون ان المناعة المترتبة على عملية التطعيم لا تتجاوز خمسين بالمائة ولا تستمر اكثر من ثلاثة شهور • اما شهادة التطعيم الدولية فانها صالحة بعد ستة أيام من تعاطى الحقن وتستمر صلاحيتها لمدة ستة شهور •

وقد ثبتت فائدة التطعيم فى جمهورية مالى عندما تم تطعيم معظم سكان مدينة باماكو البالغ عددهم ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ورغم ان الكوليرا اصابت كل المدن والقرى المطلة على النهر الذى انتقل المرض عن طريقه الا أن مدينة باماكو نجت من الوباء رغم تشابه ظروفها مع باقى المدن • ويرى كينث جود تدر من فلاديلفيا ان التطعيم لا بد ان يشمل ٨٠٪ من السكان ليكون مفيدا فى منع انتشار الوباء ويعتقد البعض ان المناعة المكتسبة من التطعيم تمنع ميكروب الكوليرا من الالتصاق بجدار الامعاء •

وثمة احتياطات واجبة فى حالة انتشار الوباء • فيجب الوقاية من الذباب حتى لا يحمل الميكروب الى الطعام • وبعد غسيل الخضراوات والفواكه يجب غمرها عشرة دقائق فى محلول البرمنجنات او الخل المخفف • وفى الاماكن التى لا تتوفر فيها المياه الصالحة للشرب يجب غلي ماء الشرب او اضافة اقراص الكلور اليه قبل شربه بنصف ساعة على الاقل •

غير ان المشكلة المعقدة فى مسالة الوباء تتعلق بحاملى المرض • فهؤلاء كثيرا ما يصعب اكتشافهم حتى بالتحليل البكتريولوجى للبراز • وحامل المرض خطير عندما يوجد فى بيئة غير صحية • اما وجوده فى مجتمع يتوفر فيه الماء النقى وتصرف فيه الفضلات فليس من المحتمل فى ان يكون سببا فى انتشار الوباء • ان دخول الكوليرا الى اى بلد عن طريق حامل للمرض لا يمكن منعه • ولكن انتشارها يمكن منعه بتحسين صحة البيئة والمراقبة الصحية الجادة وهذا يستلزم أن يكون الاطباء واعين لطبيعة المرض وطرق انتشاره • واذا نظرنا الى بعض الدول التى يتمتع كل سكانها تقريبا بالماء الصالح للشرب مثل الكويت والبحرين وقطر لتبينا ان هذه المجتمعات ليست بيئة صالحة لانتشار الكوليرا بطريقة وبائية •

ونستطيع الان ان نقول عن مستقبل الكوليرا ان المرض لن يقضى عليه فى السنوات القليلة القادمة • فانتشار ميكروب كوليرا الطور يجعل المرض اقدر على البقاء فى مختلف الظروف الجوية ويولد نسبة كبيرة من حاملي المرض الذين لا يسهل اكتشافهم بين المسافرين من بلد لاخر بفحص مختبرى سهل وعملى • كما أن البؤر التقليدية للمرض التى استوطن فيها منذ امد طويل ما زالت تعانى من المشاكل الاقتصادية التى تقف فى وجه مشروعات الخدمات الصحية مثل مياه الشرب وتصريف الفضلات • ومن هذه المناطق سيظل المرض ينتشر فى اماكن متفرقة من العالم • ■■

د • ابراهيم عبد الحميد

الاستاذ المساعد بكلية طب الازهر

• نتيجة مسابقة العدد ٢٢٦ •



ابن حزم الأندلسي

•

مايكل فاراداي

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابن حزم الاندلسى ، فيلسوف وعالم لمع فى علوم الدين والشعر والادب والتاريخ ، وكان وزيرا بالاندلس فى القرن الحادى عشر الميلادى .

(٨) رأسيا : مايكل فاراداى ، عالم كهربائي وكيميائي انجليزى شهير ، ولد عام ١٧٩١ ، وتوصل الى اكتشاف حقائق هامة فى الكهرباء والكيمياء ، وكان محاضرا ممتازا يستمع الى محاضراته الكثير من المهتمين بالعلوم .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد عبده عبد الرزاق – عدن/اليمن الديمقراطى .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : كطوى بوعزه – الدار البيضاء/المغرب
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : مجد حميدان – أدلب/سوريا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ – عثمان شكاك عثمان – شندى/السودان

٢ – حنان محمد مامون عصفور – عمان/الاردن

٣ – محمد فخر الدين محمد – طرابلس/ليبيا

٤ – زكي كنعان النجار – بغداد/العراق

٥ – أحمد محمد عبادى حامد – القصيم/السعودية

٦ – منار أنور تسيم – القاهرة/مصر

٧ – رفيعة رياض زغلول – حولى/الكويت

٨ – سلمان عبد الوهاب – المنامة/البحرين

تمر ذكرى وفاة ساطع الحصرى فى ٢٤ ديسمبر

أبو خلدون .. والنضال من أجل الوحدة

« اضمنوا لى وحدة الثقافة، وانا اضمن لكم كل ما بقى من ضروب الوحدة »

ساطع الحصرى (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨)

بقلم : الدكتور نبيل احمد صبيح

■ يعد ساطع الحصرى من اوائل الذين وضعوا لبنات الوحدة الثقافية العربية باعتبارها خطوة فى سبيل تحقيق الوحدة العربية الشاملة بين البلاد العربية جميعا . وهو الهدف الذى سعى فى سبيل تحقيقه منذ العشرينات من هذا القرن متنقلا مابين سوريا والعراق ومصر ولبنان لنشر افكاره ومعتقداته فى هذا الشان ، حتى وافته المنية فى ٢٤ ديسمبر عام ١٩٦٨ ..

لقد كان لساطع الحصرى اكبر الفضل فى دراسة ومعالجة الكثير من المشكلات والقضايا التى تتصل بامور الثقافة بمعناها العام ، فضلا عن اسهامه الكبير فى نشر الكثير من الابحاث والاراء والملاحظات حول بعض المواضيع القومية ، حاول ان يساهم عن طريقها فى خدمة قضايا الثقافة والتعليم فى البلاد العربية بقصد التمهيد لتحقيق هدف القومية العربية الاكبر وهو الوحدة العربية المنشودة ..

وقد اختار الحصرى طريق الدعوة للوحدة الثقافية العربية لتحقيق حلم الامة العربية ، وذلك باحداث التقارب بين نظم الثقافة والتعليم فى البلاد العربية المختلفة منذ وقت مبكر ، وفى وقت كانت فيه البلاد العربية تعانى من التجزئة والانعزال، فى ظل الاستعمار الاجنبى .

فقد كتب فى عام ١٩٣٢ مقالا عن « المجتمع العالى والمجتمع القادم »(١) ذكر فيه ان الامم التى تكون قد وصلت الى درجة كافية من الرقى والتقدم والقوة تستطيع ان تجعل « استقرار النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الراهن » هدفا من اهدافها الاصلية فى التعليم ، فتوجه جهود

---

(١) مجلة التربية والتعليم ـ مقال « مرامى التربية ونزعات المربين لساطع الحصرى » المجلد/٥ جـ ٣١و٣٢ السنة الخامسة / سنة ١٩٣٢ (بغداد ،مطبعة الاداب ، ١٩٣٢) ص ١ ـ ١٠ .



نظمها التعليمية نحو مهمة « جعل الجيل الجديد عاملا على المحافظة على النظام الراهن من حيث الاساس مع السعي وراء انمائه على قدر الامكان» .

ويرى الحصرى ان الامة العربية لم تصل الى درجة كافية من الرقى والتقدم ولهذا لا يسوغ لمربيها ان يجعلوا « المحافظة على الوضع الراهن » هدفا من اهداف التربية الاسمى .

عن دروس التاريخ

والواجبات التي تترتب علينا في هذه الظروف ان نسعى لتوحيد البلاد العربية لتكون امة قوية عصرية تستعيد مجدها الغابر وتدخل في مصاف الامم الراقية . وسبيل الحصرى لتوحيد البلاد ياتى في المقام الاول عن طريق الوحدة الثقافية العربية ، وعن هذا الطريق وحده لا يمكن ان نستهدف في تربيتنا « المحافظة على المجتمع الحالى» بل نسعى لجعل الجيل الجديد - في الوطن العربي الكبير - عاملا لتكوين المجتمع الراقى الذى ننشده على الدوام .. ولهذا السبب ينادى الحصرى - منذ الثلاثينات - بأننا مضطرون الى حشد جهودنا في تربية الجيل الجديد نحو الغاية القصوى التي ننشدها وهي « توحيد الامة العربية وترقيتها » .

ولا يتردد الحصرى في القول - في سبيل تاكيد وحدة الثقافة العربية - بان دروس التاريخ في البلاد العربية يجب ان تستهدف « التربية القومية قبل كل شيء »فتسعى لازالة آثار الدعايات السابقة اولا ، ولتجديد وتقوية نزعة الوحدة وامل النجاح ثانيا » .

ولا يغالى ساطع عندما يؤكد ان حركات الاستيقاظ والانبعاث القومية ومجاهدات الاستقلال والاتحاد لا تبدأ الا بتذكر الماضي واستلهام التاريخ بوجه عام. هذه حقيقة ناصعة تتجلى من بين صفحات التاريخ بوضوح تام .. فان « حب الاستقلال » يتغذى بذكريات الاستقلال المفقود ، والتوقان الى السؤدد والمجد يبدأ بالتحسر على السيادة الماضية والمجد السالف . والايمان بمستقبل الامة يستمد قوة من الاعتقاد بماضيها الباهر ، والنزوع الى الوحدة يزداد شدة وحماسة لتجدد ذكريات الوحدة المضاعة .. هذه كلها حقائق ثابتة تشهد بها جميع التواريخ وخاصة تاريخ ثورة العرب ..

الادب قومي لا اقليمي

ومن ناحية اخرى ، نجد ساطعا الحصرى وهو يسعى الى تحقيق الوحدة الثقافية العربية قد ساهم بشكل جدى في احياء التفكير الادبي واللغوى في مختلف الاقطار العربية . وسجل مساهماته هذه في مجموعة من الابحاث والمقالات نشرها في اوقات مختلفة .. وكان نتيجة هذه البحوث والاراء

والملاحظات كتابا هاما هو « اللغة والادب وعلاقتهما بالقومية » • ففي بحث منه « حول الادب العربي وتاريخه » تصدى الحصري لمناقشة من نادوا بمذهب الاقليمية في الادب العربي وتاريخه ،محاولا بالرد والاقناع مناقشة آرائهم التي تدعو الى التمسك باهداف اقليمية في أدب كل دولة عربية ، مستنكرا الدعوة اليها ، محبذا التنويع والابتكار، داعيا الى الذاتية والاصالة في كل ما يصدر عن قرائح الشعراء والادباء الناطقين بالضاد فيمختلف الاقطار العربية • وقد انتهى الى القول بان معالم الوحدة في الادب العربي ليست اقل ولا اضعف ـ ان لم تكن اكثر واقوى ـ من معالم الوحدة في الاداب الغربية والشرقية ، من فرنسية وايطالية وتركية وفارسية ، وغيرها من الاداب المعروفة •• ولهذا كان تحقيق وحدة الادب العربي خطوة في سبيل تحقيق الوحدة الثقافية العربية ، وان كان هذا يستلزم التنويع في هذا الادب داخل اطار هذه الوحدة • وفي بحث آخر « حول الفصحى والعامية» تناول فيه الحصري هذه القضية مقارنا في هذا الصدد بين اللغة العربية واللغة اللاتينية مقارنة تاريخية •• وقد بين انقضية الفصحى والعامية من اهم المشاكل التي تثير الجدل والمناقشة بين رجال الفكر والثقافة والعلم في مختلف البلاد العربية منذ مدة غير يسيرة • اذ ان عرب اليوم موزعون بين لغة فصحى يتفاهم بها بعض الناس في جميع البلاد العربية ، وبين لغات عامية عديدة يتفاهم بكل منها جماعة من الناس في بعض المناطق المحدودة منبعض البلاد العربية •

واستكمالا لهذه النقطة لابد ان نشير الى موقف ساطع الحصري من المعاجم اللغوية التي خصها بالهجوم لتخلفها، والتزامها بنمط المعاجم القديمة، لانها ترتب الكلمات بحسب موادها الاصلية ولاتراعي ترتيب الحروف الهجائية الا في تلك المواد ••ويرى الحصري ان المعجم انما يقصد منه ترتيب الكلمات ترتيبا معقولا يضمن الوصول الى ايجاد الكلمة المطلوبة باعظم ما يمكن من السرعة والسهولة ، ولا شك ان هذه السرعة والسهولة لا يحصلان الا بترتيب الكلمات بحسب حروفها الهجائية ، ومن البديهي ان هذه ليست من الامور التي تختلف بين لغة واخرى بوجه من الوجوه •

ولذلك راى الحصري أن يلفت أنظار علماء العربية ومعلميها الى ضرورة ظهور معجم للغة العربية يكونعصريا بالمعنى الذييفهم منكلمةالمعجم في جميع لغات العالم، ويصنف على اساس الالفباء بوجه عام كي يستطيع كل فرد ان يجد اية كلمة من الكلمات فيه بمجرد تذكر ترتيب الحروف الهجائية في الالفباء ، بدلا من تلك المعاجم الحالية التي تصنف الكلمات تصنيفا مفعما بالالتواء والتعقيد بحيث لا يستطيع احد ان يجد كلمة من الكلمات الا اذا عرف ـ مقدما ـ مادتها الاصلية وكيفية اشتقاقها من تلك المادة بصورة تفصيلية (امثلة على ذلك من ص ٢٠٦ ـ ص ٢١٠) ••

حوليات الثقافة العربية

وهناك ميادين اخرى تصدى لها ساطع بالدراسة والتحليل لتحقيق هذا الهدف الذي وضعه نصب عينيه منذ وقت مبكر ، نعرض لها بعد ذلك ولا يسعنا ـ في هذا المقام ـ الا أن نعرض لها باختصار واف للغرض المرسوم •

فقد الف الحصري سلسلة من حوليات الثقافة العربية التي نشرتها الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية مستعرضا فيها شئون الثقافة العربية في البلاد العربية سنويا ، من حيث وصف نظم التعليم فيها ومناهجه ، واحجامه ، وغير ذلك مما يتصل بامور التربية والتعليم واتجاهات الثقافة بوجه عام •• وقد بلغ عدد هذه السلسلة من الحوليات ستة مجلدات بدات الاولى عام ١٩٥٠ واختتمها بالسادسة عام ١٩٦٣ • ويذكر الحصري في مقدمة الحولية الاولى أنه من المعروف أن الحوليات تؤلف ـ من حيث الاساس ـ لاستعراض ما يستجد من الامور الثقافية بصفة عامة ـ ومن بينها امور التربية والتعليم بالطبع ، خلال العام الواحد•• غير انه لما كان فهم الامور المستجدة حق الفهم يتوقف على معرفة الاحوال السابقة معرفة وافية ، فان مؤلفي الحوليات يضطرون الى افتتاح مباحثها بمعلومات عامة عن الاحوال الراهنة وعن العوامل التي شكلتهاعلى النحو الذي توجد عليه ••

ولذلك اصدر الحصري حولياته بنظرات تاريخية ثاقبة على نظم التعليم القائمة في البلاد العربية والاتجاهات الثقافية السائدة، والتي تفسر الفروق العظيمة التي تلاحظ عليها والتيتميز تلك الاقطار بعضها عن بعض من هذه الوجوه • وقد حاول ساطع من خلال هذه النظرات الاجابة على التساؤلاتالتي

يثيرها ادراك هذه الفروق والاختلافات بين البلاد العربية ، وتحديد العوامل السياسية التاريخية التي ادت الى احداث هذه الفروق والاختلافات ، وتحديد عمق جذور هذه العوامل ، ومدى تاثيرها في الاحوال الحاضرة ، عن طريق الالتفات الى الماضي والقاء نظرات عامة على تطور الاحوال السياسية في مختلف الاقطار العربية .

فهو يؤكد بانه لم يبد رأيا شخصيا الا في موضوع واحد ، وهذا الموضوع هو خاتمة النظرات التاريخية وقال فيها بالحرف الواحد : « يظهر من هذه النظرات السريعة التي القيناها على تاريخ المعارف في مختلف الاقطار العربية ان الفروق التي تشاهد بين هذه الاقطار من حيث نظم التعليم واتجاهات الثقافة لم تكن نتاج طبيعة البلاد الاصلية وحاجاتها الحقيقية ، انما كانت من نتائج السياسات الاجنبية التي سيطرت على مقدراتها عن طريق الانتداب أو الاحتلال .. فلا مجال للشك في أن هذه الفروق ستتضاءل كلما تخلصت الدول العربية من النظم التي ورثتها عن عهود الاحتلال والانتداب وكلما عدلت النظم والاوضاع القائمة في بلادها ، وفق ما تقتضيه مصالحها الحقيقية ، بنظرات شاخصة نحو المستقبل البعيد ، والمثل الاعلى الذي تنطوي عليه فكرة العروبة الخالدة »

ولا حاجة الى القول بان انقسام البلاد العربية بهذه الصورة الى دول عديدة تتميز كل واحدة منها عن غيرها بعلم خاص ، وحكومة خاصة ، ونقد خاص ، وانظمة خاصة ، أوجد بعض النزعات الاقليمية وهذه النزعات انضمت الى العوامل التي عاقت تقدمنا في ميدان « الوعي القومي » وجعلتنا نتاخر في الشعور باننا امة واحدة بالرغم من اختلاف أوضاعنا السياسية وتعدد دولنا القائمة .

لهذا السبب كان من الطبيعي ، ان تسترعي هذه الفروق انظار المهتمين بشئون الثقافة والتربية والتعليم في مختلف الاقطار العربية كلما توافرت أسباب التعارف بين مفكري هذه الاقطار وكلما تكاملت فيها معالم الاستقلال ، وكان من الطبيعي أن ينبري هؤلاء المفكرون الى البحث عن الوسائل التي تضمن توثيق الصلات الثقافية بين مختلف الاقطار العربية ، وكان من الطبيعي أن تتولد في نفوسهم رغبة قوية لازالة الفروق بصورة تدريجية وذلك بغية الوصول الى نظم تعليمية متقاربة ومتماثلة في جميع الاقطار العربية والانتهاء من ذلك الى تكوين ثقافة عربية موحدة .

المعاهدات الثقافية العربية

وفي راى الحصري أن « المعاهدة الثقافية » التي اقرها « مجلس جامعة الدول العربية » سنة ١٩٤٥ انما وضعت تحت تاثير هذه الرغبة القوية بغية تحقيق هذه الغاية السامية بل يرى أنه لا يجوز ان يظن أن المعاهدة الثقافية قد خرجت الى عالم الوجود بغتة ، بل يجب ان يعلم علم اليقين أن هذه المعاهدة كانت نتيجة طبيعية لسلسلة طويلة من العوامل والمقدمات التي مهدت لها السبيل ووجهت اليها النفوس . وهو يؤكد أن التفكير في امر « تكوين ثقافة عربية موحدة » كان قد بدا مع بدء النهضة العربية الواعية بعد الحرب العالمية الاولى . وكانت سورية أسبق الاقطار العربية الى هذا التفكير لانها كانت أسبقها الى « الشعور بالعروبة » شعورا واضحا ، والى التنعم بنعمة « الاستقلال التام » ولو لمدة قصيرة من الزمن . غير أن انقراض الدولة العربية السورية بعد ضربة «ميسلون » أدى الى واد هذه الحركة في مهد نشوئها .. ومع ذلك فان الفكرة الباعثة على تلك الحركة لم تتلاش بانقراض الدولة المذكورة ، بل انها حافظت على حيويتها الى ان وجدت في العراق ظروفا ملائمة لترعرعها فاخذت تنمو هناك وتنتشر شيئا فشيئا .

غير أن الحصري كان يدرك رغم ذلك أن العلاقات الثقافية بين البلاد العربية لا تزال في اول طور من أطوار التنظيم والتنسيق . فهي لا تزال بعيدة عن بلوغ حد النضج والاثمار ، ولا تزال في حاجة الى الشيء الكثير من العمل المنسق والنشاط الواعي والتدابير العازمة والجهود المتواصلة .. وهو يقول أنه لا يكون من المغالين اذا قال ان ما تم عمله في هذا المضمار لا يعدو كثيرا حدود التمهيد والتحضير ، ولا يكون من المخطئين اذا جزم بان العمل في هذا السبيل سيستمر طويلا ، وبان هذه العلاقات ستتوسع وستتوطد بسرعة متزايدة بعد أن تجتاز هذا الطور التمهيدي العام .

وهو يتساءل هل ستتعاون جميع الاقطار العربية على تكوين ثقافة موحدة بكل معنى الكلمة امستبقى هذه الاقطار مختلفة بعض الاختلاف من الوجهة الثقافية ؟

جدل في الرسالة

وعندما نشر في مجلة « الرسالة » المصرية سنة ١٩٣٨ الخطاب المفتوح الذي وجهه الى الدكتور طه حسين تحت عنوان « بين مصر والعروبة » ردا على مقال نشر في مجلة المكشوف البيروتية للدكتور طه حسين » ذكر فيه انه من المنادين بتوحيد برامج التعليم في جميع الاقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافي بينها على ان يكون من المفيد ان يكون التعاون بينها تعاونا اقتصاديا ، وحتى تحالفا عسكريا ٠٠ بينما يرفض الدكتور طه حسين في الوقت نفسه ان يكون هناك وحدة سياسية بين هذه الاقطار سواء أكانت تشكل امبراطورية جامعة ام على طراز اتحاد مشابه للاتحاد الامريكي او السويسري ٠ وعلل الدكتور طه حسين آراءه هذه بقوله ان الفرعونية متاصلة في نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك ، بل يجب ان تبقى وتقوى٠٠

وقد رد الحصري على هذه الاقوال في خطابه فقال ان مناداة الدكتور طه حسين بتوحيد برامج التعليم في جميع الاقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافي بينها دليل قاطع على انه لم يقصد منها الثقافة الفرعونية او اللغة الفرعونية ايضا » ٠٠

وفي ختام مقال الحصري ـ لاثبات صلة مصر بالعروبة وضرورة قيام الوحدة العربية وعلى رأسها مصر ـ وجه كلمة شكر الى الدكتور طه حسين من صميم فؤاده لمناداته بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية لانه يعتقد ان توحيد الثقافة من اهم العوامل التي تهييء سائر انواع التوحيد ، ولذلك يقول في آخر هذا المقال « اضمنوا لي وحدة الثقافة، وانا اضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة ٠

وفي هذه النقطة الهامة بالذات لا بد ان نذكر موقف الحصري من دعاة الانفصال السياسي ومعارضي الوحدة التي تمت بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨٠٠ ففي محاولة للرد على بعض الذين كانوا بعيدين عن تحبيذ الوحدة المصرية السورية ناقشهم الامر من وجوه عديدة فكان من بينها اعتراض وجهه اليهم قائلا بان هناك مشاكل اساسية منها مثلا الفرق الكبير بين مستوى الثقافة في كل من مصر وسورية٠٠

وقد فند الحصري ملاحظته هذه بالقول بانه لا يود مناقشته على مقدار هذا الفرق ونوعه ، ولكنه يرى ان يسأل ، ماذا يهم ذلك ؟ هل يتساوى مستوى الثقافة في المدن المختلفة ، داخل مصر نفسها ؟ مثلا الا توجد فروق كبيرة بين مستويات الثقافة في القاهرة واسوان ودمياط ؟ وهل يخطر على بال احد ان يقول ان هذه المدن لا يمكن ان تؤلف دولة واحدة ، لان مستويات الثقافة فيها غير متساوية ؟ ثم يمضي الحصري فيسأل :هل تستطيع ان تدعي ـ مثلا ـ ان الفرق بين مستوى الثقافة في كل من القاهرة ودمشق اكبر من الفرق بين مستوى الثقافة في كل من الاسكندرية واسوان ، ان اهالي سورية ومصر ابناء لغة واحدة وثقافة واحدة ٠

وكان في هذا الرد ما افحم معارضي الحصري تماما وجعلهم يحاولون تقديم ادلة اخرى على بطلان الوحدة ، انه افحمهم جميعا كذلك مما يضيق المقام هنا لسرده تفصيليا ٠

نعود مرة اخرى الى توضيح رأي الحصري الحاسم في موضوع الوحدة الثقافية العربية الذي اكده في كتابه « حول الوحدة الثقافية العربية » والذي يعلق فيه على آراء الاستاذ اسماعيل القباني وملاحظاته التي ضمنها محاضراته في معهد الدراسات العربية العالية في « الوحدة الثقافية العربية » التي نشرها المعهد سنة ١٩٥٨ ٠

وتفصيل ذلك ان القباني في هذه المحاضرات فند آراء القائلين بوجوب « توحيد نظم التعليم ومناهج الدراسة الاساسية في البلاد العربية »اذ يقول : « ان ذلك ليس ضروريا فضلا عن انه ذو محاذير عظيمة » ٠

ولما كان الحصري من دعاة « التوحيد » منذ امد بعيد ـ كما يذكر في كتابه ـ فقد رأى من واجبه ان يعلق على آراء القباني في ذلك الكتاب لاستقصاء واستجلاء الحقائق في هذه القضايا الهامة ٠٠وبعد عرض واف لهذا الموضوع ختم الحصري كتابه بالقول بانه اذا كان الاستاذ القباني في ختام محاضراته قال :« ينبغي ان يكون شعارنا التنوع في اطار من الوحدة » فان الحصري يقول : « اننا الان امام تنوع كبير جدا لا مبرر له ولا فائدة منه ابدا. فجل جهودنا يجب ان توجه نحو « التوحيد » مع التفكير فيما نحتاج اليه من « التنويع المثمر والمفيد » على اسس جديدة غير اقليمية ٠ ولذلك يقول:ان شعارنا يجب ان يكون « الوحدة في الاساس والتنوع في الفروع » ٠ ثم انه يعتقد ان « الوحدة الثقافية » تفقد مكانتها الاصلية اذا اعتبرناها بمنزلة « الاطار » الذي يحيط بلوحة اعمالنا من خارجها ، ويرى من الضروري ان نعتبرها بمنزلة الضوء الذي ينير اللوحة من جميع الجهات او

« الفكرة الموحية » التي تكسبها المعنى والحياة ٠ والواقع ان جهود الحصري في سبيل الوحدة الثقافية العربية لم تقتصر على كتابة الابحاث ونشر المقالات وانما تعداها الى العمل والمبادأة في تحقيق هذا الهدف ٠ فهو خلال توليه الوظائف العامة في وزارات التربية السورية والعراقية منذ العشرينات من هذا القرن ـ كما يقول بنفسه في مذكراته عن عمله في العراق ـ لم ينقطع عن القيام باعمال تستهدف غايات اخرى الا وهي « بث الايمان بوحدة الامة العربية ، مع اشاعة الشعور بامجادها الماضية » ٠٠ وهو في ذلك يهدف الى تحقيق الوحدة الثقافية العربية تارة بصورة مباشرة وطورا بصورة غير مباشرة ـ كما يذكر بنفسه ايضا ـ داخل نطاق الوظائف وخارج نطاق الوظائف ٠٠ داخل نطاق الوظائف الرسمية بالمناهج التي وضعها، والتعليمات والبلاغات العامة التي اصدرها ، والمعارف التي نظمها ، ومتحف الاثار العربية الذي انشاه في بغداد ، والدروس التي القاها ٠٠وخارج نطاق الوظائف الرسمية بالمحاضرات التي القاها في النوادي المختلفة مثل المعهد العلمي ، ونادي المعلمين ، ونادي التضامن ، ونادي المثنى في سورية والعراق ٠ وبذلك ، فانه انتهز كل الفرص ، وتوسل بكل الوسائل للعمل في سبيل تحقيق الوحدة الثقافية العربية للتمهيد للوحدة العربية المنشودة٠

ابو خلدون في مصر

من ذلك انه عندما تولى امور التعليم في سورية في عهد الحكومة العربية السورية سنة ١٩١٩ قدر ضرورة الاستفادة من نظام التعليم في مصر «بسبب كون مصر سبقت كثيرا ـ في ذلك الوقت ـ سائر البلاد العربية في ميدان التعليم باللغة العربية (وهي النواة التي يقوم من حولها امكانية تحقيق الوحدة الثقافية العربية)فكان لا بد لكل بلد عربي اخر يسعى في هذا الميدان ان يطلع على تفاصيل ما تم في مصر في هذا المضمار ٠٠ وقد سافر من دمشق الى القاهرة بالفعل لهذا الغرض سنة ١٩١٩، غير ان « سفريته تلك صادفت ايام احتدام الثورة في مصر » ٠٠ ولهذا السبب لم يستطع الحصول على الشيء الكثير من الفوائد التي كان يتوخاها من وراء هذه السفرة ، وان كان جنى منها فوائد معنوية اخرى ـ على حد قوله ـ « فقد شاهد اروع احداث الثورة المصرية » (٢) ٠

الى جانب هذه الزيارة قام الحصري بزيارة مصر للمرة الثانية سنة ١٩٣٦ موفدا من الحكومة العراقية ٠ وقد عمل خلال هذه الزيارة على تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين ، وعلى مبادلة الاثار العربية بين متاحفها ، كما زار ابرز النماذج من مختلف مؤسساتها التعليمية ، ودرس نظمها الادارية ومناهجها بقصد الاستفادة منها لتحقيق التقارب بين نظم التعليم واتجاهات الثقافة بين البلدين ٠

وعندما عاد الى بغداد القى محاضرة وصف فيها حالة التعليم في مصر على اساس المقارنة بين ما كان قد لاحظ خلال زيارته الاولى سنة ١٩١٩ وزيارته هذه سنة ١٩٣٦ ، ولفت الانظار الى التقدم الذي حصل خلال هذه المدة٠ ومع ذلك انصافا منه للواقع ـ لم يرد أن يكتم ما لاحظه في تلك النظم والمناهج من نقائص جوهرية ، وكتب لذلك مقالا في «نقد نظام التعليم في مصر » نشره الاستاذ احمد حسن الزيات في مجلة الرسالة في عددها ١٨٧ الصادر في سنة ١٩٣٧ ٠ ولا يعنينا ان نشير الى الملاحظات التي ابداها الحصري في هذا الموضوع وانما يعنينا ان نقول ان الحصري وهو يبسط هذه الملاحظات التي تتعلق باسس نظام التعليم في مصر امام الرأي العام المستنير ، يستدرك فيقول : « انه يرجو الا يعتبره احد متطفلا على مصر بهذه الملاحظات ، فهو عربي صميم يدين بدين العروبة بكل جوانبه ، ويهتم بمصر بقدر اهتمامه بسورية والعراق ٠٠ ولا يغالي اذا قال بانه يهتم بمصر اكثر من اهتمامه بسورية والعراق ، لانه يعرف ان مصر ـ بحسب اوضاعها العامة ـ اصبحت « القدوة المؤثرة » على العالم العربي باجمعه ٠٠ وهو بذلك يعتقد ان كل تقدم يحصل في مصر لا يخلو من النفع لسائر البلاد العربية ، كما ان كل نقص يعيش ويستمر في مصر لا يخلو من ضرر العدوى تنتقل منها الى سائر البلاد العربية » ٠٠ ■■

نبيل أحمد صبيح
كلية التربية / جامعة عين شمس

(٢) ساطع الحصري : ابحاث مختارة في القومية العربية (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٤) ص ٢٢ ـ ٢٣ ٠

هل ندرج فكرهم

« كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم، ويجبر الرعية على اتباعها ، لا يكون صالحا للملك » .

المفتى العثماني عطاء الله أفندى

الحل : ان نعلن الجهاد المقدس ضد الفكر المستورد .

هكذا يردد البعض أحيانا . وبهذا المعنى عقب بعض الذين تابعوا ما كتبته في هذا المكان ، خصوصا مناقشة الشهر الماضي التي قلت فيها أن أعداء الاسلام شرعوا منذ بداية هذا القرن في « فك » العقل المسلم وأعادوا تركيبه وصياغته مرة اخرى ، وفق هواهم .

هل مصادرة فكر الاخرين ، وادراجه في قوائم المقاطعة ، هو الحل فعلا ؟

قبل ان نجيب على السؤال ، سوف يفيدنا ان نقرا بعض صفحات تاريخنا العربي .

●

لم تكن القضية مثارة في العصر الاسلامي الاول ، رغم المواجهة التي كانت قائمة بين الحضارة الاسلامية الصاعدة ، وحضارات الفرس في الشرق ، والروم واليونان في الغرب . وقد كانت بعض فنون الحرب هي اول ما اقتبسه المسلمون الاوائل عن الحضارات الاخرى . اذ ان الرسول عليه السلام طلب من اتباعه ان يحفروا « الخندق » ، وهو نمط فارسي ، أثناء معركته مع المشركين في غزوة « الاحزاب » . وكان الصحابي سلمان الفارسي هو الذى اقترح الفكرة .

وبعد ان تخطى المسلمون حدود الجزيرة العربية ، وانتصروا على الفرس والروم في عهد عمر بن الخطاب ، كان المجتمع الاسلامي لا يزال على ثقته بنفسه ، ويعامل الحضارتين معاملة الغالب للمغلوب او الند للند . وابقى الخليفة عمر على كل النظم والدواوين التي انشاها الفرس والروم في العراق والشام ومصر ، ونقل بعضا منها الى الجزيرة العربية .

لكن التفاعل الفكرى الحقيقي حدث في العصر العباسي (اواخر القرن الثاني الهجرى او الثامن الميلادى) ، عندما امر الرشيد ان يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بانواعها . ثم جاء المامون فانشا « بيت الحكمة » في بغداد ، وفيه بدأت اول واكبر حركة لاستيراد الفكر ، بترجمة كتب الفرس والروم واليونان الى العربية . وكان من شروط صلح المامون مع « ميشيل الثالث » ان يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية ، وفيها عثر على كتاب بطليموس في الرياضة السماوية الذى ترجم على الفور الى العربية باسم « المجسطى » .

في بيت الحكمة هذا حظيت علوم اليونان باكبر قسط من الاهتمام ، ومنه خرجت ترجمات مؤلفات جالينوس ، وابوقراطس ، وامكيدس ، وارسطو وغيرهم . (لاحظ ان علماء السنة هم الذين اطلقوا على ارسطو المعلم الاول ، واعتبر ابو نصر الفارابى المعلم الثاني) وقتئذ تسلح العقل العربي بعلوم الفلسفة والمنطق وهما ابرز « الافكار المستوردة » من اليونان . وكان المتكلمون ـ والمعتزلة بوجه خاص ـ هم اول من استخدم هذا السلاح في الدفاع عن الاسلام وقيمه وعقائده وشرائعه ، في مواجهة

فى قوائم المقاطعة ؟

التيارات التى حاولت خلال العصر العباسى ان تشد عقول المسلمين الى ما قبل الاسلام، الى معتقدات زرادشت ومانى ومزدك وغيرهم ٠

●

لكن هذا الوضع لم يدم طويلا ٠ فظهر ـ أيضا ـ من يعارض «الافكار المستوردة» ★ ٠ قالوا عنها انها حكمة مشوبة بالكفر ! ٠ واخرجها المتطرفون من اهل السنة من نطاق العلوم ٠ قائلين ان « العلم » كلمة لا تنصرف الا الى معنى واحد ، هو العلم الموروث عن النبى عليه السلام ٠ وما عدا ذلك اما خارج عن مجال العلم اطلاقا ، ، واما معرفة لا تنفع ولا تستحق التحصيل ٠ واعتبروا « المنطق » نوعا من الضلال والزندقة ،وشاع تعبير « من تمنطق تزندق » ! وفرقوا بين علوم العرب ، وعلوم الاوائل أو القدماء (التى كانت تشمل علوم الرياضة والفلك والفلسفة والطب والالهيات) ٠

وسئل أبو صلاح الشهرزورى عن رأى الدين فى الاشتغال بالمنطق والفلسفة ، فقال فى فتوى شهيرة « ان الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ٠٠٠٠ واما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه مما أباحه الشارع » ـ وهاجم الامام الغزالى حجج الفلاسفة فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ، ورد عليه ابن رشد مفندا حججه فى كتابه « تهافت التهافت » ٠

لكن هذا الجدل الفكرى لم يؤثر على المسيرة ، وظل العقل العربى على حصانته ، وظل المفكر العربى ثابت الاقدام ، لم يهتز فى اعماقه شيء ٠ ويصف الاستاذ عباس العقاد فى كتابه « التفكير فريضة اسلامية » موقف الفلاسفة المسلمين فى تلك المرحلة بقوله انهم : خاضوا غمار الافكار الاجنبية بين يونانية وهندية وفارسية ، وعرضوا لكل مشكلة من مشاكل العقل والايمان ٠ وتكلموا عن وجود الله ووجود العالم ووجود النفس ، وخرجوا من سبحاتهم الطويلة فى هذه المعالم والمجاهل فلاسفة مسلمين ايضا دون ان يعنتوا اذهانهم فى التخريج والتاويل ٠

وقتئذ ـ يضيف العلامة الهندى أبو الحسن الندوى فى كتابه « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » ـ لم يكن المجتمع الاسلامى يعانى من مركب النقص ، فاخذ ما اخذ ، والذى رآه غير جدير به صاغه فى قالبه اولا ، ثم وضعه فى مكانه ٠

حقق تفاعل الحضارات اهدافه ٠ وكان المسلمون يتقدمون بثقة ، مدركين ان « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق الناس بها » ـ كما يقول الحديث الشريف ٠

★ انظر كتاب الدكتور زكى نجيب محمود « تجديد الفكر العربى » ، فصل بعنوان : صراع ثقافى قديم

وانهم مدعوون للسعي وراء العلم « من المهد الى اللحد » . وكان شعارهم هو قولهم المأثور « خذ ما صفا ودع ما كدر » .

●

حدث ذلك قبل ان يلقي المسلمون أسلحتهم واحدا تلو الآخر . وقبل ان يتحولوا من غالبين الى مغلوبين ، ومن انداد الى تابعين. ومن أصحاب حضارة متميزة الى مقلدين.
حتى كان المشهد المحزن والتعس ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) والامبراطورية العثمانية أصبحت جسدا ينخر فيه السوس ، وتسري فيه عوامل الاندثار.
وهي مفارقة تثير الانتباه ، أن تكون بعض فنون الحرب (الخندق) هي أول ما نقله المسلمون عن غيرهم وهم في ذروة ايمانهم بالدين على عهد رسول الله ، وان تكون هذه الفنون ذاتها هي ما حاول المسلمون نقلها عن الغرب وهم في قمة الضعف والوهن ، بعد ذلك باثني عشر قرنا .
ولكن شتان ما بين المواجهتين . فبينما كانت الصيغة في العصر الاسلامي الاول هي نقل الخبرة العسكرية في البداية ، ثم التفاعل الفكري والحضاري بعد ذلك ، بدأت المواجهة في القرن التاسع عشر بنقل فنون الحرب وانتهت بالتخطيط الفكري الذي ما زلنا نعاني من آثاره .
في البدء حاول السلطان العثماني سليم الثالث أن يعيد تنظيم جيشه ويدخل فيه الاسلحة الحديثة . فتصدى له دعاة رفض « الافكار المستوردة » ، واصدر المفتي العثماني عطاء الله أفندي فتوى بأن « كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم ، ويجبر الرعية على اتباعها ، لا يكون صالحا للملك » ، على اعتبار ان لباب الجندي الحديثة تعد في حكم التشبه بالنصارى ، كما ان استعمال البنادق ذات الحراب من قبيل استعمال اسلحة الكفار ، وهذا اثم عظيم . وقد عزل السلطان سليم بالفعل بسبب محاولته هذه عام ١٨٠٧ م !!
توقفت جهود السلطان سليم بعد أن استقدم خبراء من أنحاء أوروبا لبناء جيشه وانشاء بعض الصناعات الحربية ، وبعد ان كون اول فرقة نظامية في الجيش التركي عام ١٧٩٦م . ولم تستانف هذه الجهود الا بعد أن نجح خلفه السلطان محمود الثاني في القضاء على الانكشارية عام ١٨٢٦ .
كان التوجه الى الغرب هو سمة بارزة في العالم الاسلامي ، باعتباره المخرج الضروري للنهوض من الكبوة★ .وبينما كان السلطان محمود يواصل جهوده لبناء جيش حديث في تركيا ، نصب محمد علي باشا حاكما على مصر (١٨٠٥ م) وبدأ محاولة مماثلة ،وانشأت تونس جيشا نظاميا ،وافتتح احمد باشا باي الاول مدرسة للعلوم الحربية لتخريج ضباط وطنيين بهذا الجيش ، كان يديرها احد الايطاليين . وادخلت اسرة القاجار التي حكمت ايران في القرن التاسع عشر النظم العسكرية والاوروبية على جيشها، وفتحت لذلك كلية للعلوم والفنون سنة ١٨٥٢ ، كان اساتذتها من الاوروبيين .
واستلزمت الاصلاحات العسكرية الجديدة اصلاحا في نظم التعليم وبرامجه ، وتطلب الامر ترجمة كثير من الكتب الاوروبية في مختلف العلوم والفنون ، واستقدام المدرسين الاجانب وايفاد البعثات الى أوروبا . وكانت هذه التجربة هي القنطرة التي عبر فوقها الفكر الغربي الى العالم العربي والاسلامي .

★ انظر كتاب الدكتور محمد محمد حسين (الاسلام والحضارة الغربية) .

وكان العالم الاسلامي ـ وهذا هو الاهم ـ في حالة افلاس حضارى مفجع ٠ اوقفته مبهورا أمام مختلف مظاهر الحضارة الغربية ٠ وبدا كما لو كان المسلمون ـ كما يقول الاستاذ العقاد ـ يعيشون في سجن مغلق ، يخشون ان يمدوا اصبعا الى اى شيء فيه ، فينطلق منه شيطان متربص او مارد محبوس ٠

في ذلك الوقت ، كان المسلمون يسالون رجال الدين ، وزحف الحضارة الحديثة يدير رؤوسهم : هل يجوز قدح الكبريت ؟ وهل يجوز استخدام غاز الاستصباح فى انارة المساجد ؟ وهل يجوز وضع التلفون في المعاهد الدينية ؟ وهل يجوز تعليم الجغرافيا وعلوم الطبيعة في المدارس ؟ وهل يقبل شرعا استخدام المطبعة ؟ وهل يجوز لبس القبعة ؟ ٠٠ وهكذا !

وازاء حالة الافلاس هذه تفاوتت مواقف المفكرين والفقهاء والمسلمين ٠ بين رافضين لكل ما هو غربي ، كما حدث في محاولة تنظيم الجيش التركي ٠ او داعين الى الاستسلام للغرب والارتماء في احضانه ، ومن هؤلاء « السير » احمد خان مؤسس جامعة عليكرة، واحد ابرز زعماء مسلمي الهند في القرن الماضي ٠ وكان مما قاله « لا بد ان يتجه المسلمون الى قبول هذه الحضارة (الغربية) بكمالها ، حتى لا تعود الامم المتحضرة الى ازدرائهم ! (لاحظ ان تركيا اتجهت الى الارتماء على الغرب بعد الغاء الخلافة الاسلامية سنة ١٩٢٤)

وكان الموقف الثالث يدعو الى الاستفادةمن الغرب دون الاستسلام له ٠ ومن اعلامهذا الاتجاه محمد اقبال في الهند وجمال الدينالافغاني ومحمد عبده في مصر ٠ وقد عبر اقبال عن موقفه في ديوانه « أرمغان حجاز » ،بعد عودته من رحلة الدراسة العليا فيانجلترا والمانيا ، فقال :

ها انذا كسرت طلسم العصر وابطلت مكره ،
التقطت الحبة وافلت من شبكة الصياد ،
ويشهد الله انني كنت في ذلك مقلدا للنبي ابراهيم ،
فقد خضت النار مطمئنا وخرجت منها محتفظا بهويتي ٠

●

ونعود الى السؤال : هل نصادر فكر الاخرين ونعلن الجهاد المقدس ضده ؟

اننا نرتكب جرما فادحا في حق امتنا عندما نقسم الفكر الى محلي ومستورد ، ونطرح القضية كما لو كانت مفاضلة بين سلعة محليةوسلعة أخرى أجنبية ٠ بين ما صنعته أيدى المسلمين وما صنعته أيدى الكفار ٠ ولكن حقيقة الامر ان هناك فكرا نافعا وفكرا ضارا ، وان الفكر الانساني ملك للجميع ، بصرفالنظر عن اختلاف أديانهم ومذاهبهم السياسية والاجتماعية ٠ ولنتذكر أن المسلمين والعربمن الذين تنطلق بينهم اليوم دعوات مصادرة فكر الاخرين ، هم كانوا اول من ساهموا فيتنوير اوروبا ٠ وهذا فيلسوفهم جوستاف لوبون يقول : ان اوروبا لم تعرف المدنية الا بعد ان مرت على لسان اتباع محمد ٠

الفكر الانساني ليس حكرا على احد ٠وكل طرف ينهل من هذا الفكر ويستخدمه لصالح اهدافه وفلسفته ٠ هكذا يفعل الرأسماليون والشيوعيونوالاشتراكيون والفوضويون٠

لماذا لا نتعامل مع فكر الاخرين بثقة وبغيراحساس بالنقص ٠ لماذا لا نسعى الى التقاط الحبة دون أن نسقط في شبكة الصياد ، كما يقول اقبال ٠

ان المهم هو ماذا ناخذ وماذا نترك ، وماهو الهدف الذى نسعى اليه في النهاية ؟٠
المهم اننا اذا غيرنا ثيابنا ، لا نغير جلودناوعقولنا واحلامنا ٠
المهم ان ناخذ أثمن ما عندهم ، ولا نفقد اعز ما نملك !
والمناقشة مستمرة ٠٠

فهمي هويـــدى

منا صلور

من الذى فرض علينا عبارات مثل « الشرق الاوسط » و « الدول المتخلفة » ؟؟

بقلم : الدكتور جلال احمد امـين

هذه وجهة نظر « حادة »جاء بها الكاتب من مؤتمـر « للشرق الاوسط » فى رودس ·· وهى بالتالى تحتمل الجدل والنقاش ، لانها تمس قضايا اساسية للعرب فى هذه المرحلة ·

■ من بين ماأصاب العرب من بلايا ، وهى كثيرة، اجبارهم عن وعى منهم أو عن غير وعى ، على قبول مصنفات عقلية ، لا هى من اختراعهم ، ولا هى اكثر المصنفات تعبيرا عن آمالهم ومطامحهم او عن فكرتهم عن انفسهم ·

لقد اجبر العرب،مثلا، على قبول اصطلاح«الشرق الاوسط » كتعبير عن منطقة جغرافية يتكون معظمها حقا من بلاد عربية ، ولكنها لا تشمل كل البلاد العربية ، وتشمل بعض البلاد الاسلامية ، ولكن ليس كلها ، كما تشمل بلادا لا هى بالعربية ولا بالاسلامية ، ولا يجمعها كلها الا انها بلاد ذات مغزى جغرافى او استراتيجى او سياسى فى نظر الدول الغربية وحدها · فاذا كان من المفهوم ان يشير الغربيون الى بلادنا على انها من الشرق الاوسط ، فان من غير المقبول ان نصف مشكلتنا مع اسرائيل بانها « ازمة الشرق الاوسط » او ندرس لطلبتنا مقررات تحمل عناوين مثل « اقتصاديات الشرق الاوسط » ·· الخ ·

وقد يكون من المناسب هنا ان اعيد تذكير القارىء بقبولنا ببساطة وصف انفسنا بذلك الوصف المهين « البلاد المتخلفة » لمجرد ان متوسط الدخل عندنا يقـل كثـيرا عنه فى الولايات المتحـدة ، ناسين انه من خلال تكرار استعمال مثل هـذه الافكار والمصطلحات ترسخ بالتدريج فكرة العربى عـن نفسه وعـن بلاده ، ويصبح التخلص مما قبلناه فى البداية من باب الحياء او الاستسهال ، عسيرا حتى ليحتاج الى ما لا يقل عن الثورة النفسية او السياسية ·

وكم يحن المرء احيانا الى ايام فى بداية الخمسينات فى مصر ، قام فيها الشباب بمحو الكلمات الاجنبية من واجهات المحلات التجارية تعبيرا عن سخطهم على الاحتلال · قد يبتسم المراقبون الاجانب وبعض العقلاء منا اشفاقا وسخرية من سذاجة مثل هذا التصرف، فالاحتلال شىء ولغته شىء آخر ، ولكن لا يمكن ان نتجاهل ما كانت تعبر عنه هذه التصرفات من شحنـات عاطفية ثمينة يكفى لادراك أهميتها ان نتذكر ان التجار كانوا فى نفس الفترة ، واستجابة لنفس العاطفة ، يقومون بمحو عبارة « صنع فى بريطانيا » او فى غيرها من الدول الاجنبية ،واضعين مكانها عبارة « صنع فى مصر » لضمان تصريف السلع ·

مشهد من « رودس »

ومنذ اسابيع قليلة حضرت مؤتمرا عقد فـى جزيرة رودس تدشينا لمركز جديد انشاته الحكومة اليونانية « لدراسات الشرق الاوسط والبحـر المتوسط » ، ودعت اليه مجموعة مـن الاساتـذة المشتغلين بالشئون الاقتصادية والسياسية والثقافية للمنطقة فى الجامعات العربيـة وجامعات اوروبا

الغزو الثقافي!

وأمريكا • وليست هناك غضاضة بطبيعة الحال فى ان ينشا مركز او يعقد مؤتمر لمناقشة موضوعات تتعلق باية منطقة جغرافية حتى وان ضمت شعوبا وامما غير متجانسة ، ما دام الباحثون على ادراك تام بما بين دول هذه المنطقة من تفاوت واختلاف • ونحن لا نطرح جانبا كتابا يتناول العالم ككل كوحدة ، لمجرد ان العالم يتكون من امم غير متجانسة ومتفاوتة الظروف والاحوال ، ولكننا نكون على حق اذا اهملنا كتابا يحاول ان يوهمنا باننا نعيش فى عالم يسوده الانسجام ، ويدعو الى التضامن بين شعوب تتضارب مصالحها ، ويتكلم وكان الهدف واحد والامال واحدة •

لهذا راعنى ان المتحدثين فى هذا المؤتمر سواء كان الموضوع هو الاقتصاد او السياسة او الثقافة، اخذوا يتفننون واحدا بعد الاخر ، بما بين دول البحر المتوسط من تشابه وصداقات • فالمؤرخ يعود بنا الى ما قبل الميلاد ليتكلم عن العلاقات الوطيدة بين اليونان ودول شمالى افريقيا وشرقى البحر المتوسط ، وأستاذ الفلسفة يتكلم عن اوجه الالتقاء وأوجه الشبه بين الفلسفتين اليونانية والاسلامية ، بل وصل بعض المتحدثين الى حد الكلام عن وجود ثقافة واحدة لدول البحر المتوسط • وساد المؤتمر اتفاق ضمنى على عدم تعكير جو الاجتماع بذكر النزاع بين العرب واسرائيل ، مع انه نزاع اساسى بين دول البحر المتوسط ، او بذكر تاريخ العلاقات الفرنسية او الايطالية مع دول المغرب العربى او بسوريا ولبنان ، مع انه اقرب الينا بكثير من تاريخ اليونان القديم ، ولا تزال اثاره ظاهرة على سطح الحياة الاجتماعية لهذه الدول وعلى لسان سكانها•

ولا يمكن لمن يحضر مثل هذه المؤتمرات الا ان تثور بذهنه شكوك قوية حول الدور الذى يلعبه هذه الايام مثقف العالم الثالث • فهو رجل ينتسب فى العادة الى الصفوة الاجتماعية فى الدولة التى ينتمى اسما اليها وينتمى فكريا وروحيا الى غيرها• يدعى الى مؤتمر فى فندق فاخر فى جزيرة جميلة فيسرع بالقبول • فاذا كان الموضوع هو العلاقات الوثيقة بين دول البحر المتوسط اخرج من جعبته ما يناسب المقام ولا يغضب صاحب المادبة • فاذا كان مشتغلا بالفلسفة فلا بد انه واجد فى تاريخ الفلسفة ما يؤكد هذه العلاقات الوثيقة ، واذا كان اقتصاديا لم تعزه الاحصاءات عن ازدياد حجم التجارة والاستثمارات المتبادلة بين شمال البحر المتوسط وجنوبه • وليس هناك مبرر للمبالغة فى القلق حول وجود بعض الصراعات هنا وهناك ، فالسكوت هنا من ذهب ، ولن يفسر هذا السكوت على اية حال على انه قبول للوجود الاسرائيلى ، ولن يزيد سكوته من سحق الثقافة الفرنسية لثقافة اهل المغرب العربى • وهكذا يتحول مثقف العالم الثالث الى عامل أجير لدى صانعى السياسة ،يبيع المعرفة لمن يريدها بصرف النظر عما تستخدم فيه، كما يبيع صمته ، بشرط ان يثبت من حين لآخر ، ولو بعبارات لا معنى لها ، انه قادر على الكلام •

ازمة مثقفى العالم الثالث

ومثقفو العالم الثالث ، اذ تنتمى تخصصاتهم فى الغالب الى العلوم الاجتماعية والانسانية ، يجدون من السهل ان يجاروا النغمة السائدة او المطلوبة اذا شاءوا،بسبب ما تعانيه هذه التخصصات من قلة حظها من الدقة والاحكام • ففى كل قضية هناك الراى وعكسه ، وحجة هذا الراى لا تقل قوة عن حجة الراى المعاكس ، فيصبح المجال واسعا امام صاحب الهوى لان يختار من الاراء المطروحة ما يلائم هواه ويناسب مقتضى الحال •

على أن من الظلم أن نرد ميل المثقف غير الملتزم الى اتخاذ موقف مهادن فى المحافل الدولية الى مجرد

الرغبة في التمتع بمزايا مادية أو في رؤية بلاد العالم . فمثقفو العالم الثالث ليسوا مجرد افراد طبقة محظوظة اجتماعيا اصابتهم الميول الاستهلاكية لهذه الطبقة ، بل هم ايضا أصحاب حرفة يشوقهم من حين لاخر ممارستها طبقا للاصول المعترف بها في اكثر البلاد تقدما فيها. وهم في بلادهم محرومون الى حد كبير من هذه الممارسة بسبب حداثة عهد بلادهم بها ، او لعدم تأصل تقاليد هذه الحرفة وطقوسها فيها ، او لقلة الطلب على خدماتهم اصلا . والمثقف يتوق الى الكلام في علمه باللغة التي تعلم بها هذا العلم، وهي عادة غير لغة بلاده، والى ان يحظى بالاعتراف بمكانته ممن يحترم شهادته. فهو يخشى اذا جاهر علماء الغرب برفضه ان يحرم من مجالستهم ، ويختفي اسمه من دورياتهم ، والا يدعى بعد الان الى ما يعقدون من مؤتمرات . ويزيد من صعوبة المقاومة ان كثيرا من اهل بلاده قد انضموا نفسيا هم انفسهم الى معسكر الاعداء فاصبح حكمهم على علماء بلادهم مستمدا من حكم الغربيين عليهم ، فمن رفعه هؤلاء رفعوه ومن حقره الغربيون حقروه . فاذا باستمرار المثقف العربي في بلده ، يكتب بلغتها ويتحدث عن مشكلاتها هي لا عن مشكلات الدول الصناعية ، بلغة تخلو من التعالي وحب الظهور ، ويفهمها الطالب البسيط والقارىء العادي ، وعينه على ما ينفع اهله لا على ما يرضى عنه الاجنبي ، اذا بذلك يصبح ضربا من البطولة ، بينما قد لا يكون هذا في خارج هذه البلاد اكثر من الممارسة اليومية الطبيعية للكاتب أو الاستاذ الجامعي العادي .

كذلك قد يبرر المثقف غير الملتزم موقفه المتهادن بقوله ان من الخطأ الانعزال وترك الحلبة يصول فيها العدو ويجول ، لا بد من التصدي له واظهار خطئه ومحاولة كسب الرأي العام العالمي الى صفنا، وهذا يتطلب بعض الكياسة والمهادنة . من ذلك ما رايناه في الشهور الاخيرة من قبول بعض مثقفينا الدخول في حوار مع بعض المثقفين الاسرائيليين على صفحات الجرائد والكتب ، او في الندوات التلفزيونية ، حيث يدير الحوار اشخاص يتظاهرون بالحياد وبالرغبة في ان يسود السلام اطراف النزاع دون تفضيل لاحد على الاخر . ولكن الذي يحدث هو ان يتورط الطرف العربي في اجابة على اسئلة اختيرت كلها من وجهة النظر الاخرى، فلا تثار النقاط الحاسمة لان الطرف الاخر ومدير الحوار لا يرغبان في اثارتها . ويترك الحوار لدى المستمع المحايد حقا انطباعا بان السلام ممكن لو ترك الامر للمثقفين « والعقلاء » ، وبان عودة العلاقات الطبيعية ممكنة لولا عناد المتاجرين بعواطف الناس ومشاعر الغوغاء . والحقيقة ان مشاعر «الغوغاء»، في مثل قضية العرب واسرائيل ، هي اقرب الى ادراك الخطر الحقيقي من السلام ، وهو خطر غزو جديد اكثر فعالية مما سبقه لثقافة العرب وقيمهم من جانب ثقافة وقيم مغايرة ،وهو خطر العامة اقدر على ادراكه من الصفوة المستغربة .

هم أحوج الينا

وقد يقال وما ضر اهل البلاد المتقدمة من مقاطعتنا لمؤتمراتهم ورفضنا الحوار معهم وانغلاقنا على انفسنا ؟ ان الضرر لن يعود الا علينا نحن ، فنحن الاحوج اليهم وما هم بحاجة الينا .

وليس هناك ما هو ابعد عن الحقيقة من هذا القول . فدول العالم الصناعي لا تستطيع ان تستمر الى مالا نهاية في تبادل سلعها مع بعضها البعض. وقد كادت اسواقهم تتشبع بالسلع تافهة القيمة التي يحاولون بشق الانفس تصريفها . واكبر احتياطي للاستهلاك هو في بلاد العالم الثالث التي لم يتم تدريبها بعد على استهلاك الاف من البدع الجديدة . فحجم استهلاكها من السيارات مثلا ما زال منخفضا انخفاضا مزعجا ومبشرا ، في نفس الوقت، بمستقبل باهر لصناعة السيارات .وابناؤها لم يتعلموا بعد ضرورة تنظيف الاسنان بالفرشاة قبل النوم وبعده ، ومن ثم لا يزال هناك مجال فسيح لتصريف كميات هائلة من مختلف اصناف معجون الاسنان ... الخ . انهم هم المحتاجون الى حوار مهما تظاهروا بعكس ذلك . ولا عجب في ان اقسى الضربات التي وجهت الى قوى المعارضة في دول العالم الثالث كانت هي الموجهة الى القوى التي ترفض الحوار اصلا .

ان ما يسمى بالحوار العربي الاوروبي مثلا ،

ليس اختراعا عربيا ، بل هو فكرة اوروبية ، والطرف العربي فيه لا يأخذه مأخذ الجد كما يأخذه الاوروبي • ولا يجب ان نعود هنا فنصب اللوم على العربي ونتهمه بقلة الكفاءة وقلة الجدية ، ونقارن بين موقفه من الحوار وموقف الاوربي ، كما تعودنا ان نقرأ ونسمع لسنوات طويلة • فاذا كان جزء من هذا يرجع الى بعض التهاون ، فان التهاون والاستهتار كثيرا ما يكونان آخر ما في جعبة المستضعف من وسائل المقاومة • والاوربي مصمم بعناد على الاستمرار في الحوار ،شيمة البائع العنيد في مواجهة مشتر لا يرى بالضبط اين منفعته من الصفقة • فالاوربي يريد اكبر قدر ممكن من فوائض اموال النفط العربية ، واكبر قدر ممكن من الامتيازات لاستثماراته في الدول العربية ، ومن التبادل التجاري غير المتكافيء معها• والعربي لا يعرف بالضبط ماذا يطلب ، فالذي يحتاجه حقيقة ليس في حوزة الاجنبي ، وان كان في حوزته لا يقبل التخلي عنه •

تحت شعار التنمية

ومن اكثر وسائل الغزو الثقافي لبلاد العالم الثالث فعالية، وان اتخذت صورة غاية في البراءة ، اصابة مثقفي هذه البلاد بالشلل عن طريق استغراقهم في اعمال لا تساهم اية مساهمة في التطور الفكري المستقل لهذه البلاد ، وتربط مثقفيها بعجلة الفكر الغربي تحت شعار التنمية•

وتقوم المؤسسات الدولية في هذا المجال باكبر دور ، وانضم اليها في السنوات الاخيرة ، وبنشاط ملحوظ ، مكاتب الاستشارة والخبرة الاجنبية وبعض الجامعاتوالمؤسسات الامريكية والاوروبية • اذ تشترى هذه المؤسسات خدمات اخصائي العالم الثالث ، خاصة في العلوم الاجتماعية ، بمرتبات خيالية ، ويمتعون من المزايا المادية والعينية مايزيد من انفصالهم النفسي عن شعوبهم ، ويستدرجون الى رحلات حول العالم يحوطها الكثير من وسائل الراحة والاغراء المادى • ويكلفون خلال ذلك باعمال محترمة في ظاهرها ، بل وكثيرا ما يكلفون بدراسات تبدو وثيقة الصلة بمشاكل شعوبهم ، وذات اثر في تنميتها • ولكن الاطار الفكرى الذى يحدد ابتداء لهذه الدراسات ليس من اختيارهم •

وينسى الاخصائي ، في غمار جمعه للمعلومات والبيانات وتصنيفها والتعليق عليها ، التساؤل عن الجدوى الحقيقية لما يقوم به ، وعما اذا كانت اهم مشكلات بلاده قد سقطت سهوا من الحساب • ويسيطر عليه الوهم بان اى عمل علمي ، ما دام يؤديه بكفاءة ، لا بد أن يكون ذا نفع في النهاية وان طال الانتظار • فاذا ساورته الشكوك احيانا عن جدوى ما يقوم به، سرعان ما يطمئنه مايستقبل به من احترام في المؤتمرات الدولية وفي الفنادق الفاخرة على السواء ، واقبال دور النشر العالمية على نشر دراساته ما دامت تحمل اسم المنظمة الدولية او المؤسسة الامريكية ذائعة الصيت ، بل واحترام اهل بلده انفسهم لدى رؤيتهم له يحظى باحترام هذه المؤسسات •

وكم راينا من مثقفي العالم الثالث الذين بدت منهم مظاهر النبوغ والالمعية ، او بوادر المعارضة والسخط على ما يجرى في بلادهم ، تتلقفهم المؤسسات الدولية والاجنبية بترحيب بالغ، وتعرض عليهم ليس فقط أعلى المرتبات بل واحيانا اختيار نوع العمل الذى يحبون القيام به • فيصيب المثقف التمزق بين الاستسلام لعطف الاجنبي وكرمه وما يبدو من حكومة بلده من جحود (وهي اعجز من ان تكرم او تجحد) • وما اسهل ان يبرر تفضيله للهجرة امام نفسه ومعارفه : فما هو الدور الذى ينتظره في بلده وقنوات التعبير الحر مغلقة ، والاعمال التي يطلب منه القيام بها اقل من قدره، فضلا عما يقدم له من مرتب هزيل ؟ وهجرته على كل حال مؤقتة اذ سوف يقيم في الخارج فقط ريثما تنصلح الاحوال ، وحتى تكتسب بلاده القدرة على التمييز بين المجد والمهمل ، والعالم والجاهل • ولكن السنوات تمر والاحوال لا تنصلح ، ليس بالضبط لان مثقفينا قد هاجروا ، فامثالهم ومن هم افضل منهم لم يهاجروا ، ولكن لان الذى افسد من هاجر افسد ايضا من لم يهاجر • ■■

جلال احمد امين

طرائف عربية

ايمان بالله قوى

● عن أبى عبيدة قال : أتى الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقى منهم واحد ، فأقيمت الصلاة ، فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم : « ليكن عندك وتغدو به علينا » ، قال قتيبة : فخرجت والرجل معى ، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى الرجـل : « هل لك فى خير ياقتيبة ؟ فقلت : « ما هو ؟ » قال : « عندى ودائع للناس وان صاحبك الحجاج لقاتلى لا محالة ٠ فهل لك أن تخلى سبيلى لاودع أهلى وأعطى كل ذى حق حقه ، وأوصى بما على ولى والله تعالى كفيلى بأن أعود اليك غدا » ، فتعجبت من قوله وتضاحكت منه ثم أنه أعاد على القول مرة أخرى وقال : يا هذا لله على أن أعود اليك وما زال يلح الى ان قلت : « اذهب » فلما توارى عنى انتبهت الى نفسى فقلت :« ماذا صنعت بنفسك يا قتيبة ؟ » ثم أتيت الى أهلى فباتوا بأطول ليلة، فلما أصبحنا اذا برجل يقرع البـاب ، فخرجت واذا بالرجل فقلت: « رجعت ؟ » قال : « جعلت الله كفيلا ولا أرجع ؟ »

فانطلقت به فلمـا أبصرنى الحجاج قال : أين الاسير يا قتيبة ؟ قلت : « انه بالباب أصلح الله الامير » فأحضرتـه وقصصت عليه القصة ، فجعل الحجـاج يردد نظره فيه ، ثم قال : « وهبته لك » فانصرفت به فلما خرجت من الدار قلت له : اذهب أين شئت فرفع الاسير رأسه الى السماء وقال : « اللهم لك الحمد ، ثم انه لم يزد لي اية كلمة أخرى وانصرف،فلما كان فى اليوم الثانى جاءنى فقال : « يا هذا جزاك الله عنى أفضل الجزاء ،والله ما ذهب هذا عنى أمس وما صعقت ولكنى كرهت أن أشرك فى حمـد الله تعالى أحدا » ٠

مامعـى نفقة

● حكى انه كان فى زمـن الخليفة العباسى المهدى رجل ادعى النبوة ،فأحضروه الى بلاط المهدى،فلما مثل بين يديه قال له المهدى : « ما انت ؟ » قال : « نبى » قال : « والى من بعثت ؟ » فقال له : « ما اكثر فضـولك ، ايش عليك ؟ » قال : « قل ، والا امرت بقتـلك الآن » قال : « بعثت الى اهل خراسان » فقال المهدى: « ولم لم تسافر اليهم حتى الآن ؟ قال : « ما معى نفقه السفر يا امير المؤمنين » فضحك منه وأمر له بنفقه وقال : « سافر الى خراسان صحبتك السلامة » ٠

من الحب ما يؤذى

● قال رجل لسيدنا يوسف عليه السلام : « انى لاحبك» ٠ فقال :« وهل اوذيت الا من المحبة ؟ احبنى ابى ، فالقيت فى الجب ، واستعبدت واحبتنى امراة العزيز فلبثت فى السجن بضع سنين ».

أى قطـار اركب ؟

● سأل احدهم رجـلا واقفا بمحطة سكة الحديد فقال له : « أى قطار اركب ليوصلنى الى دمشق ؟ » فقال له الرجل: « اركب قطار ٣٥ » وعند المسـاء عاد الرجل ليجد السـائل ما يزال فى مكانه يترقب القطار ٠ فسأله مستغربا : « هل عدلت عن السفر يا اخى ؟ » فأجاب قائلا: « لا والله اننى مصمم على السفر ولكن الى الآن لم يمر بهذه المحطة الا ٣٤ قطارا واننى بانتظار الخامس والثلاثين الذى ذكرته » ٠

بين القوة والضعف

● قال الامام على رضى الله عنه : « احذر ان يراك الله عند معصيته ، ويفقدك عند طاعته ، فتكون من الخاسرين ، فاذا قويت فاقو على طاعة الله ، واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله ٠ »

احاديث الطعـام

● قيل ان احد الاعـراب كان يلازم سفيان بن عيينة مدة طويلة ، يستمع الى ما يرويه من الاحـاديث ، فلمـا اراد الاعرابى السفر الى بلاده سأله سفيان : « ما اعجبك من حديثى يا اعـرابى ؟ » فقال الاعرابى : « ثلاثة احاديث فقط اولها حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠ انه كان صلى الله عليه وسلم يحب الحلـوى والعسل ، وثانيها حديثه عليه الصـلاة والسلام اذا وقع العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء ، وثالثهما حديث عائشة ليس من البر الصيام فى السفر » ٠

شهيد الحـب

● حكى الاصمعى قال : بينما كنت اسير فى بادية الحجاز اذ مررت بحجر كتب عليه هذا البيت :

ايا معشر العشـاق بالله خبروا … اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع؟

فكتب الاصمعى تحت ذلك البيت :

يدارى هـواه ، ثم يـكتم سره … ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عاد فى اليوم التالى الى المكان نفسه فوجد تحت البيت الذى كتبه هذا البيت

وكيف يدارى والهوى قاتل الفتى … وفى كل يـوم قلبه يتقطع

فكتب الاصمعى تحت ذلك البيت :

اذا لم يجد صبرا لـكتمان سره … فليس له شىء سوى الموت ينفع

قال الاصمعى : « فعدت فى اليـوم الثالث الى الصخرة فوجدت شـابا ملقى تحت ذلك الحجر ، وقد فارق الحياة ، وقد كتب فى رقعة من الجلد هذين البيتين :

سمعنا اطعنا ثم متنـا فبلغوا … سلامى الى من كان للوصل يمنع

هنيئا لارباب النعيـم نعيمهم … وللعاشق المسـكين ما يتجرع »

الانتخابات والمعارضـ

التجربـــة

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

اذا استطعنا ان نتجاوز التفاصيل والجزئيات، وفككنا انفسنا من أسر مئات الاخبار (الموضوعة) بعد الواقعة التاريخية بقرن او قرنين ، فى زمن الهوى والميل والتحزب ٠٠ اذا تمكنا من الارتداد الموضوعى صوب (البيئة التاريخية)التى تخلقت فيها تجارب الانتخاب فى العصر الراشدى الاسلامى الاول ، زمانا ومكانا وعقيدة وانسانا ٠٠٠ فاننا سنلتقى ، ومن خلال موقف اكثر شمولية وعلمية فى الوقت نفسه ، مع تجربة سياسية تستحق التقدير والاعجاب ٠

التجربة الاولى

بعد وفاة الرسول عليه السلام مباشرة ، ورغم هول الحادثة التى هزت كبار الصحابة انفسهم ، يجتمع المسلمون ، انصارا ثم مهاجرين ، فى سقيفة بنى ساعدة ، ويمارسون لاول مرة فى تاريخهم ، حوارا مفتوحا يقوم على الكلمة والاقناع ، لاختيار مرشحهم الذى سيخلف رسول الله فى قيادة الامة وسياسة دولتها الناشئة ٠٠٠ ما استل سيف ، ولا اريقت قطرة واحدة من دماء ٠

يطرح الانصار مرشحهم معتقدين انهم الاحق بان يكون الخليفة منهم وهم الذين آووا الرسول (ص) ونصروه،وبارادتهم اتيح للحركة الاسلامية ان تجتاز مرحلة الدعوة التى استهدفت تكوين الانسان المسلم والجماعة المسلمة ، الى مرحلة الدولة التى تملك برنامج عمل سياسى وتشريعى لتغيير العالم بدأ من جزيرة العرب انفسهم٠ويهرع المهاجرون لاقناع الانصار بانهم الاحق بذلك ، فهم طليعة الاسلام الاولى وعلى اكتافهم شقت الدعوة طريقها فى ظروف بلغت الغاية فى عنفها وقسوتها٠٠يعود بعض الانصار فيطرح فكرة القيادة الثنائية المشتركة ، فيصر المهاجرون على ضرورة وحدة القيادة وان بمقدور رفاقهم الانصار ان يعملوا من خلالها ويعبروا عن طاقاتهم ومطامحهم فى اطارها (منا الامراء ومنكم الوزراء ٠٠) ٠

الصديق خليفة

ومن اجل الا يطول النقاش وتنفتح ثغرة قد تتسلل منها المشاكل وتنفذ منها الحساسيات ، فى وقت كانت وحدة الجماعة فيه تمثل المهمة الاكثر

« الحمد لله الذي جعل في قومي من يقومني اذا اعوججت »

عمر بن الخطاب

...ـة في الاسلام

الأولى ...

الحاحا ، تقدم عمر بن الخطاب (رضي) لكي يشير الى المرشح الذي لا بد من تحديده في مناقشات كهذه وكان ابا بكر (رضي) ولا ريب .. فثمة ماضيه العريق في خدمة الدعوة ، وصحبته لرسول الله (ص) في اشد اللحظات خطورة ، وثمة مواقفه الحاسمة في تاريخ الكفاح وشهادات الرسول القائد (ص) في رفيقه وصديقه .. وثمة – كذلك – تعاطف المسلمين انفسهم مع اول رجل في الاسلام بعد رسول الله (ص) ..

تمت البيعة الاولى (الخاصة) في السقيفة نفسها ، لكن ما تلبث جموع المسلمين ان تنهال على مسجد الرسول (ص) مبايعة خليفتها الاول البيعة العامة .. وفي الاوضاع والبيئات الحرة لانكاد نلتقي بتجربة انتخابية يجمع فيها الناس كافة على مرشح واحد .. لانلتقي بحركة ارقام صماء تتجمع بارادة مسلوبة ، أو قسرا واكراها لكي ترسم نسبة المائة بالمائة .. لابد ان تكون هنالك معارضة ، ولابد ان تتضمن هذه المعارضة

قدرا من الرفض لهذا السبب او ذاك .. ولكن الاكثرية الساحقة هي التي اختارت ابا بكر (رضي) فليتسلم الرجل – اذن – المهمة الصعبة وليتحمل المسئولية بالامانة التي عرف عنها اصحاب الرسول (ص) ..

برنامج عمل

في المسجد طرح ابو بكر (رضي) برنامج عمله السياسي وتصوره العقيدي بكلمات قلائل قال (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم. ان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني. الصدق امانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ..) .

ان الخليفة الاول يؤكد هنا على الحقائق الاساسية التي يتوجب اعلانها والالتزام بها ، اذا ما اريد للقيادة الجديدة ان تواصل السير على الطريق التي بدأها الرسول (ص) .

فالخليفة رجل من الناس ، واحد من جماهير الامة ، منحته باختيارها الولاية عليها ، وهو ، بسبب من ماضيه ومن تقييم النبي (ص) له ومن كفاءاته الخاصة ، قد نال هذا الشرف ، لكن هذا لا يعني انه رجل فوق سائر الناس ، من طينة اخرى غير طينتهم ، كما تصور الناس ، أو صور لهم ، في عصور الصنميات والوثنيات وظلال

الالهة في الارض .. ان النبي (ص) نفسه كان يريد ان ينتزع ايما ظل لهذه الشبهة في نفوس اصحابه ، كان يقول : (ايها الناس . انما انا ابن امرأة كانت تاكل القديد وتمشي في الاسواق) وكانت كلمات الله تؤكد هذه الحقيقة مرارا (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي..) (وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ؟) (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب) (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ..) .. من يدري فلعل في الامة التي اختارت ابا بكر (رضي) لقيادتها رجلا هو خير من ابي بكر في امور كثيرة ، لكنه اقل قدرة على تحمل المسئولية (اني قد وليت عليكم ولست بخيركم) .. ومن ثم خلال اول تجربة انتخابية في تاريخنا السياسي ، يحضر الخليفة الاول في اذهان الامة هذه الحقيقة الخطيرة التي تمتد انعكاستها الى سائر مساحات الحياة وفاعلياتها ..ان الرجل المنتخب هو واحد من الناس ، وليس فوق الناس..وانه ليس ثمة ظل لله في العالم !!

المعادلة المتكافئة

وهو يطلب من امته ان تعينه اذا احسن الاجتهاد والعمل ، وان تقومه اذا اساء .. وهي ضربة اخرى على نفس الطريق الذي اكده في عبارته الاولى .. فهو مجرد انسان قد يخطيء وقد يصيب، وليست معطياته جميعا قدرا منزها عن الانحراف . وهو يريد ان يكون الحكم معادلة متكافئة بين الحاكم والمحكوم .. الطرفان يتحملان مسئوليتها ويشاركان فيها بالفعل والاجتهاد والنقد والرقابة الدائمة .. وهو بالتالي يريد ان ينمي الحس النقدي ومسؤولية الرقابة في نفوس ابناء امته . فليس الا في فترات الاستلاب السياسي والطغيان امة لا تنقد حكامها او تراقبهم ولا تقول (لا) حيث يجب ان تقال .. ان الخليفة ها هنا يستبق الاحداث ويطلب من امته أن تمارس حقها من اجل ان تظل على حيويتها الحركية التي علمها اياها الرسول (ص) ورباها عليها ..

وهو (رضي) يؤكد مفهوم العدل الذي جاء به الاسلام ويعلن انه سيحميه من الانتقاص والعدوان .. العدل بمفهومه الشامل الواسع .. ابتداء من مسالة الحاجات الضرورية وانتهاء بموقف الانسان في العالم .. سيقف خليفة رسول الله بكل ما يحمل من قوة لكي يحفظ التوازن المطلوب؛ فلا اقوياء يرفعون ايديهم باكثر مما يجب ولا ضعفاء يرتجفون خوفا وجوعا .. انه سيجعل القوي يرتجف اذا ما حدثته نفسه بظلم .. ويامن عنده الجوعي والخائفون ..

وفي عبارتين اخريين يشير الخليفة الى الاهمية القصوى للالتزامات الاخلاقية في المجتمع الجديد.. الالتزامات التي تميزه عن سائر المجتمعات الجاهلية وترفعه عنها ، وهو بدونها يفقد هويته ، وسوف يتنازل باختياره عن الميزة التي منحها اياه انتماؤه للدين الجديد (الصدق امانة والكذب خيانة) و (انه لا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء) .. ان العفن والفساد اذا تسربا الى مجتمع من المجتمعات دون ان تكون هناك ارادة جادة لوقفه واستئصاله ، فسوف يتحولان الى بلاء جارف يكنس في طريقه كل شيء ، وهو سوف لن يعرف حينذاك الصالح من الطالح ، لان (البلاء) ليس عقلا يعمل في التاريخ بل عذابا ينصب على التاريخ .

الحركة الجهادية

ولم ينس ابو بكر (رضي) ان يشير الى الجهاد كالتزام اساسي للامة المسلمة ، ويحذر من تجميده لان معنى هذا ان يضربهم الله بالذل .

ان الجهاد ـ كما ورد في عدد كبير من الايات لا نجد ضرورة للاشارة اليها ـ هو حركة المسلمين الدائمة في العالم لاسقاط القيادات الجاهلية الضالة ، واتاحة حرية الاعتقاد للانسان حيثما كان هذا الانسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء . انه ـ في الحقيقة ـ مبرر وجود الجماعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، ومفتاح دورها في الارض ، وهدفها العقيدي ، ومعامل توحدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط هذا المبرر ويضيع المفتاح ، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية والبقاء .

ان الجهاد كهدف ايماني حركي دائم ، اشبه بمعامل عقائدي ـ اجتماعي يشد افراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ، ويوجههم صوب بؤرة

واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى اهداف ابعد فابعد • وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يجيء بمثابة ضمان اكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكهاواستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة •

وعلى العكس ، ما ان تفتر روح الجهاد فى نفوس المسلمين ، افرادا وجماعات ، قيادات وقواعد حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدد اهدافهم ، وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطو فالسكون، وتتساقط مواقعهم الامامية ، وبدلا من ان يسددوا ضرباتهم الى القوات الجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية فى العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ، ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية فى الخطوط الخلفية ،فهى الهزيمة اذن على كل المستويات السياسية والعسكرية والعقائدية . والحضارية فى نهاية المطاف •• واننا لننظر الى تاريخنا فنرى فى هذا الالتزام الكبير معادلة رياضية واضحة ،فحيثما سادت روح الجهاد مجتمعا اسلاميا ما ، تمكن من حماية وجوده وتعزيز وحدته وضمان ديمومته العقائدية وابداعه الحضارى واتساع ميادين نشاطه فى العالم • وحيثما افتقدت هذه الروح الجهادية وطمس عليها فى مجتمع آخر ، فقد مبرر وجوده وتمزقت وحدته وتباطات اندفاعيته العقائدية واضمحلت منجزاته الحضارية ،وتقلص دوره فى العالم،وال امره الى التدهوروالسقوط• وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الامثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة •

لقد كان ابوبكر (رضى) واضح الرؤية عندما قال مخاطبا منتخبيه (انه لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل) (١) ، وواضح الرؤية ـ ايضا ـ عندما جعل سنى خلافته جهادا دائما فى الداخل والخارج ، وعلى كل المستويات ••

ويختم (رضى) خطابه بتاكيده على ان الطاعة التى يتوجب على الامة ان تمارسها ازاءه انما هى مستمدة من طاعته هو شخصيا لله ولرسوله ، وانها تسقطبمجرد انيخالف هو عن هذه الطاعة•• فالجميع ، فى نهاية الامر ، قيادات وقواعد ،سواء امام الله ورسوله ، ولن يكسب فعلهم التاريخى قيمته الا بمدي استمداده من شريعة الله ومعطيات رسوله الكريم •

حق الانتخاب

لما الح المرض على ابى بكر ، فى وقت كانت زهرة قوات المسلمين تشق طريقها فى جبهتى العراق والشام• والدولتان الكبيرتان : الساسانية والبيزنطية تحشدان جل طاقاتهما لسحق هذا التحرك الفتى ، والمجتمع المسلم لم يتجاوزبالكلية مواقع عصبياته بعد وضغوطها القاهرة •• ادرك (رضى) ان مجمل الظروف التاريخية هذه يحتم عليه ان يحسم امر الخلافة لصالح وحدةالمسلمين واهدافهم التاريخية • وكان بمقدوره ، وهو الذى منحته الامة ثقتها المستمدة من صدقه العميق ومن شهادة الرسول (ص) له ، ومن دوره التاريخى قبل الخلافة وبعدها ، ان يرشح الرجل الذى يطمئن اليه •• لكنه لم يشا ان يصل الى هدفه من هذا الطريق القريب وان يوسع ـ بدلا من ذلك ـ نطاق مشاوراته الى اقصى مدى مستطاع ، فبين للصحابة الكبار (رضى) انه ميت لا ريب ، ودعاهم الى ان يتشاوروا ويتخذوا قرارهمالنهائى قبل وفاته من اجل حماية وحدتهم واستمرارهمفى مهماتهم الاساسية ، واوضح لهم انهم فى مشاوراتهم هذه احرار من اى التزام تجاه الخليفة السابق ، حتى من بيعته • قال لهم (انه قد نزل بى ما ترون• ولا اظننى الا ميت لمابى • وقد اطلق الله ايمانكم من بيعتى وحل عنكم عقدتى ورد عليكم امركم ••) ، وكان راى كبار الصحابة ان يتولى الصديق بنفسه مهمة الاختيار ، فكانهم خولوه حق الترشيح نيابة عن الامة بما انهم ممثلوها المعتمدون •

اعتمد الصديق (رضى) وهو يتحرك لاختيار الرجل المناسب قواعد وميزات اساسية كان ابرزها ـ ولا ريب ـ ان يكون المرشح رجلا حازما فى غير عنف لينا فى غير ضعف ،وكان يجد فى عمر بن الخطاب (رضى) ، بعد لأى البحث والمشاورة، ذلك الرجل •• الا انه رغم ذلك كله لم يشا ان

---

١ ـ (فى العدد ٢٢٣ من مجلة العربى) تحليل للجهاد فى ابعاده التاريخية خلال العصر الراشدى بعنوان (حقيقة الجهاد فى التاريخ الاسلامى)وهنا عرض موجز للبعد النظرى لمفهوم الجهاد •

يعلن كلمته النهائية قبل ان يجرى مزيدا من المشاورات ، وقبل ان يطلع على رأيه المسلمين المتواجدين في المدينة في الخليفة الجديد ٠ ومن لم خاطبهم قائلا (اترضون بمن استخلف عليكم؟ فاني ـ والله ـ ما الوت من جهد الراى ولا وليت ذا قرابة ، واني قد وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا) وكان جواب الناس ـ بما فيهم كبار الصحابة ـ (سمعنا واطعنا) ٠٠ وكان بمقدورهم ان يردوه ، فما اكثر ما قالها المسلمون : لا سمع ولا طاعة ٠ وعمر نفسه بعد ان تولى الخلافة ، كان يدفعهم ـ كما سنرى ـ الى قولها دفعا ٠ ولو قالوها فانه ليس ثمة ما يمنع ابا بكر (رضى) من ان يعود الى المشاورة وتقليب الراى من جديد للبحث عن رجل اخر يسمعون له ويطيعون ٠

الصدق فى اللحظات الاخيرة

رفع ابو بكر (رضى) يديه الى السماء وقال (اللهم انى لم ارد ـ بذلك ـ الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما انت به اعلم، فوليت عليهم خيرهم واتقاهم واحرصهم٠٠)٠

وفي كتاب عهده لعمر (رضى) نقرا هذه الكلمات التى تنبض تقوى وصدقا واحساسا بالمسئولية : (بسم الله الرحمن الرحيم ٠ هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله (ص) عند اخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة ، الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقي الفاجر، انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فان بر وعدل فذلك علمى به ورايى فيه ، وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير اردت ، ولكل امرى ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون !!) ٠

ولا اعتقد ، ولا يعتقد مسلم جاد ، ان الصديق الذى مارس الصدق مع ربه ونبيه ونفسه فى اشد الظروف حلكة وعسرا وفى اكثرها اضاءة وسهولة ويسرا ، يمكن ان يتنازل عن صدقه فى اخطر مسالة فى حياة المسلمين ، وهو ذاهب ـ بعد لحظات او ساعات او ايام ـ للقاء الله الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والارض٠٠ يتنازل عن صدقه (عند اخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة ، الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر ٠٠) ٠

الحس الشورى

واننا لنلمح الحس (الشورى) فى كافة الخطوات التى قطعها الرجل من اجل اختيار الخليفة الجديد: وهو يطلب من كبار الصحابة ان يتشاوروا فى الامر مطلقا ايمانهم من بيعته ، رادا عليهم امرهم ، وهم يخولونه الاختيار ، وهو يدرس وينقب ، واضعا اشد المقاييس عدلا وموضوعية فى المرشح الذى سيتولى الخلافة ، وهو يعرض اختياره على جمهور المسلمين وكبار الصحابة ويتلقى منهم الموافقة ٠٠ ثم وهو يؤكد حرصه وخشيته واحساسه بالمسؤولية خلال اختياره عمر بن الخطاب (رضى) طارحا تحفظه عما يمكن ان يحدث فى المستقبل مما هو فى طيات الغيب الذى لا يعلمه الا الله ٠٠٠ منددا ـ بصراحة بالغة ـ بهذا الذى يمكن ان يحدث ٠٠ واخيرا فان الرجل الذى رشحه لا يمت اليه بقرابة ولا عصبية ٠٠وفضلا عن هذا وذاك فان عمر (رضى) لم يكن بالرجل العادى الذى يكون امر اختياره مسالة غير متوقعة بالنسبة للمسلمين ٠٠ على العكس فان اختياره جاء مصداقا لمتطلبات اللحظات الراهنة ، وكانه والتاريخ كانا على ميعاد ، الامر الذى يفسر لنا ترحيب المسلمين بمجيئه الذى كان متوقعا ، بل محسوبا٠٠ويفسر لنا فى الوقت نفسه، الانجاز التاريخى الذى حققه ٠٠فان امة تطحنها الخلافات لا تستطيع أن تفعل شيئا !

كانت هنالك ـ ايضا ـ بيعتان خاصة وعامة ، وكانت هنالك ـ ايضا ـ خطب وكلمات هى اشبه بمؤشرات عمل عبر سنى المسؤولية ٠٠ قال (انما مثل العربى مثل جمل انف ـ اى حديث عهد الولادة ـ فلينظر قائده حيث يقوده ٠ اما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق) وقال (ولست ادع احدا حتى اضع خده على الارض واضع قدمى على الخد الاخر ،حتى يذعن للحق ٠ ثم انى ـ بعد شدتى تلك ـ اضع خدى على الارض لاهل العفاف واهل الكفاف) !

حرية المعارضة

والحديث عن مواقف عمر (رضى) وبرامجه

الفذة يطول، ولكنا نقف هاهنا قليلا ، ونحن نتحدث عن المسالة الانتخابية ، عند موقفه من (حرية المعارضة) التي سهر على توفير مناخها الملائم ٠ وبينما قطعتفيها الكثير منالجماعات (الديمقراطية) خطوة واحدة قطع فيها خطوتين ، اذ انه لم يكتف باتاحة المجال العريض لابناء امته ان يعترضوا ، وانما حثهم ودفعهم دفعا الى الاعتراض ٠ وكان يهمه ويشغل باله ان تفقد امته احساسها العميق بالحرية ،والا تتشرب دماؤها مواقفالنقد والرفض، حيث يتوجب ان ينقد عمل ما او يرفض اذا اقتضى الامر ٠

خطب يوما على منبر مسجد الرسول (ص)في المدينة فقال (يامعشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي الى الدنيا كذا ؟) ـ وامال براسه ـ فقام اليه رجل من المسلمين وقال (اجل كنا نقول بالسيف كذا) واشار الى القطع ـ فقال عمر (اياى تعنى بقولك ؟) قال الرجل (نعم اياك اعنى بقولى) ! فقال عمر (الحمد لله الذى جعل فى رعيتى من يقومنى اذا اعوججت) ٠ وقال حذيفة (رضى) (دخلت على عمر يوما فرايته مهموما حزينا ، فقلت له : مايهمك ياامير المؤمنين ؟ قال : انى اخاف ان اقع فى منكر فلا ينهانى احد منكم تعظيما ٠ فقلت : والله لو رايناك خرجت عن الحق لنهيناك ٠ فسر عمر وقال : الحمد لله الذى جعل لى اصحابا يقوموننى اذا اعوججت) !

وعن الحسن بن على (رضى) قال (كان بين عمر (رضى) وبين رجل كلام فى شيء ٠ فقال الرجل : اتق الله ٠ فقال احد الجالسين : اتقول لامير المؤمنين اتق الله ، فرد عمر : دعه فليقلها لى ، فلا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها) !

المطاردة الصعبة

اكثر من هذا انه كان يريد ـ كما فعل الرسول (ص) والخليفة الاول (رضى) من قبله ـ ان يقول للناس انه سيظل واحدا منهم ٠٠ سيظل معهم ٠٠ وسوف لن يفصله عنهم منصب الخلافة مهما عظم واتسع سلطانه ٠ انه يدرك كما ادرك الرسول وابو بكر من قبل ، ان فتنة الناس بزعمائها خطيئة كبيرة ، خطيئة قاتلة ، تجردهم من اكثر الاسلحة اهمية فى قدرة الامم على مواصلة نموها التاريخى وحيويتها ورشدها ٠٠ سلاح النظرة المتكافئة ، والاختيار ، والنقد والا فان الفتنة تحيلهم ادوات عمياء ٠٠ هذا هو واحد من الاسباب التيدفعت عمر (رضى) الى عزل خالد والمثنى معا وهما فى قمة انتصاراتهما ٠٠ وهذا هو الذى يدفعه ـ وهو فى قمة السلطة الى ان ينادى يوما : الصلاة جماعة٠٠

فلما اجتمع الناس صعد المنبر وقال (ايها الناس ، لقد رايتنى ارعى لخالات لى من بنى مخزوم ، فكنت استعذب لهن الماء فيقبضننى القبضة من التمر او الزبيب) ثم نزل ٠ فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما اردت بهذا ياامير المؤمنين ، اجاب الخليفة (ويحك يابن عوف ٠٠ لقد خلوت الى نفسى فقالت لى : انت امير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله احد فمنذا افضل منك ؟ فاردت ان اعرفها قدرها !) ٠

انه يطارد شبح (الفتنة) فى نفسه ، وهو الخليفة القمة ، امام جماهير الناس ، لكى تعرف من هو ابن الخطاب فلا تفتتن به ٠٠ ولكى يتحرر الطرفان ، الحاكم والمحكوم ، من كل ما من شانه ان يقيم بينهما سدا او جدارا ! ■■

الموصل ـ عماد الدين خليل

■ « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا اولو الالباب » .

(قرآن كريم)

■ « اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واياكم والفحش ، فانه لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم والشح ، فانما اهلك من كان قبلكم : امرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا » .

(حديث شريف)

■ لا خير في ود امرىء متقلب
حلو اللسان ، وقلبه يتلهف
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

(صالح بن عبد القدوس)

■ لا تعدن وعدا لا تثق من نفسك بانجازه ، ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا ، واعلم ان للاعمال جزاء ، فاتق العواقب ، وان للامور بغتات فكن على حذر .

(الامام علي)

■ لو كان ابغض قلبه فيما مضى
احد لكنت اذن لقلبي مبغضا

(ابو تمام)

■ لا تسلم بشيء لمجرد انك سمعته ، ولا للتقاليد لمجرد انها انتهت اليك من عصور بعيدة ، ولا تصدق بأي شيء لمجرد ان كثيرين يكررونه ويذيعونه، او لانك وجدته في كتبك ، او لمجرد الاستسلام لنفوذ معلميك ومن هم اكبر منك . ولكن عليك ان تبحث وتحلل ، فاذا وجدت الشيء مطابقا للعقل والمنطق ، ومتفقا مع مصلحة الفرد والجماعة فاعتصم به ، وعش من اجله .

(بوذا)

■ للذهب ثمن ، ولا ثمن للحكمة .

(مثل صيني)

■ اذا تغلب المرء على اهوائه ، فالاغلب ان ذلك لضعفها ، لا لقوته .

(لارشفوكو)



الحب والمرأة في شعر ابراهيم ناجى

بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

ترجع صلتى بشعر ابراهيم ناجى الى بواكير الشباب ، بين سن الخامسة عشرة والسابعة عشرة ٠ كان قد أصدر ديوانه الاول « وراء الغمام » فكنت من كثرة ترديدى لقصائده أحفظها جميعا عن ظهر قلب ٠ على أن ديوانه الثانى « ليالى القاهرة » ، الذى ظهر بعد الاول بسبع سنوات ، صادفنى وقد شغلت بقراءات أخرى ، فلم أفكر فى أن أقرأه الا بعد سنين طويلة ، عندما رأيت أن أستكمل قراءتى لناجى، بوصفه شاعرا من شعراء مدرسة أبولو التى كانت آخر ازهار وألمع أزهار للرومنسية العربية ٠

أين هذه القراءات الحديثة ، التى لم تخل من جهامة الدرس ، ووقار الاكاديمية ، من فتنتى الاولى بناجى ، عندما كان ترديد مقطع واحد من قصيدة له ، يبعث الرعدة فى أوصالى ويكاد يستقطر الدموع من عينى ؟ ماذا أقول ؟ اننى لا أزال كلما انشدت لطلابى هذه الابيات :

أيها النــور سلاما وخشــوعا
أيهـا المعبد صمتـا وركوعـا
ملكت قلبى ولبى رهبــة
عصفت بالقلب واللب جميعــا
رب قول كنت قد أعددته
لك اذ ألقاك يأبى أن يطيعـا
وحبيس من عتـاب فى فمى
قد عصانى فتفجرت دموعـا

احس شيئا كدبيب النمال فى أعضائى ٠ حقا ان شيئا من عالم الصبى سيظل مطويا فى جوانحنا



الى أن نموت ، وسيظل شعر ناجي قادرا على أن يبعث شيئا من الوهج فى الجذوة التى ملأها الرماد ، ولكن ناجي يبقى دائما الشاعر المفضل لدى الشباب ذوى العاطفة الجياشة التى تعصف بالقلب واللب ، وتحيل الكلمات دموعا ، والدموع كلمات .

من تجربة حقيقية

وعندما أخذت أتتبع صور الحب والمرأة عند ابراهيم ناجي ، فى تفحص الدارس استوقف نظرى هذا البيت :

أو ليس لى فى ظل حبك موضع
احبو اليه وارتمى مستنصرا ؟

فالحبو والارتماء واللجوء الى حب أمل كالظل الظليل صور لا أذكر أنى وقعت عليها مجتمعة فى شعر من شعر الحب غير هذا البيت ، وهى على أية حال صور متكاملة ، صور فردية متميزة لا يمكن أن يكون ناجي قد استقاها من محفوظه ، فهى اذن نابعة من تجربة حقيقية ، أفصحت عنها كلمات الشاعر حين غفل رقيب الوعى كما يغفل عادة عند قول الشعر . ودلالة هذا البيت واضحة كل الوضوح ، فهو يحب صاحبته كما يحب الطفل الرضيع امه ، يطلب عندها الامن والحنان ، ويتوسل اليها باظهار ضعفه .

كان هذا البيت مفتاحى الى فهم شعر ابراهيم ناجي كله ، لا أقول شعر الحب والغزل فقط ، بل شعر المدح أيضا ـ وقد نظم منه عدة قصائد فى أخريات حياته ـ ولا اكاد استثنى سوى أربع قصائد من شعر الوطنية قالها فى مناسبات مختلفة . وان شاعرا سريع التأثر مثل ابراهيم ناجي ، لقمين فى مثل هذه المناسبات ان يذوب وجدانه الفردى فى الوجدان الجماعى .

وتتفاوت صورة العاشق الطفل فىشعر ابراهيم ناجي من حيث درجة وعيه بها ، ولكنها تأتى منسجمة مع سياقها فى وحدة عضوية نابعة من أعماق شعوره ، شأن الصور الشعرية عند جميع الرومنسيين الاصلاء .

فى قصائده الاولى تأتى الصورة عفوية لا تثير تساؤلا :

ادركت عندك يومى الموعودا
ولقيت فيك مثالى المنشودا
وافرحتى بك فرحة الطفل الذى
يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وافرحتى بك فرحة الطير الذى
ملأ الروابى المصغيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق ظافرا
جذلان في عرض الفضاء سعيدا
فى موكب من قلبه وحبيبه
من راح تحسبه العيون وحيدا

ويتمنى ان يظل طفلا حتى لا تصدمه تجربة الواقع ، فهو يرتاب فى الرقة التى يبديها له الحبيب ، وكأنه يشعر ان حبيبه يعامله معاملة الأطفال ، ويتمنى فعلا ان يعود طفلا :

لم يا هاجرى اصبحت رحيما
والحنان الجم والرقة فيما ؟
لم تسقيني من شهد الرضا
وتلاقيني عطوفا وكريما ؟
كل شيء صار مرا فى فمى
بعدما اصبحت بالدنيا عليما
آه من يأخذ عمرى كله
ويعيد الطفل والجهل القديما !

طفل يتصنع الرجولة !

وربما ابتسمنا لهذه الصورة التى يرسمها لنفسه ، طفلا يتصنع الرجولة ، كما ترى الطفل الحقيقى حين يمثل شخصية الاب :

عوذتها من شر امسية
تعيا بها وتضل ابصار
وكواكب ليست بمجدبة
ظلم مكدسة واحجار
عثرت بها فرفعتها بيدى
جسما يكاد يشف فى الظلم
ويرف مثل الزهر وهو ندى
ويخف مثل عرائس الحلم

وكأنني مما يسوء خلي
وحياتي انجابت حوالكها
ارمي الطريق بناظري رجل
وانها لها طفل يضاحكها

ولكنه اذ يتقدم به العمر يشعر ان حبه كان ضلالا ، لانه كان حبا طفوليا :

كيف صدقنا اضاليل الهوى
بنهى طفل واحساس صبي ؟

والعجيب ان القلب ظل طفلا ، ولكن الكبرياء ، « غشاء الانا العليا » ، كانت كبرياء رجل :

كنت تدعوني طفلا كلما
ثار حبي وتندت مقلي
ولك الحق ، لقد عاش الهوى
فيّ طفلا ونما لم يعقل
وارى الطعنة اذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل ،
رمت الطفل فادمت قلبه
واصابت كبرياء الرجل !

هذا مقطع من مطولة ناجي « الاطلال » ، وقد سماها ملحمة ، وما كان ناجي شاعر ملاحم ولا بطولات ، وما كانت موهبته بقادرة على ان تبني كما قال « صرحا من خيال فهوى » . لقد راى مدينة احلام ، كمدن الف ليلة وليلة ، فلما افاق تبخرت كالضباب :

ضحكت لعيني المصابيح التي
تعلو رؤوس الليل كالتيجان
ورأيت انوار المدينة بعد ما
طال المسير وكلت القدمان
وحسبت ان طاب القرار لمتعب
في ظل تحنان وركن امان
فاذا المدينة كالضباب تبخرت
وتكشفت لي عن كذوب امان
قدر جرى لم يجر في الحسبان
لا انت ظالمة ولا انا جان

ان ناجي يحيل خيبته في الحب على القدر او الحظ ، ولا يجسر على ان يتهم محبوبته ، فهو دائما اضعف من المحبوبة ، يدور في فلكها ، ويقفو خطاها ، ويستمد النور منها :

وليلة فاضت بوسواسها
تعجب من الفين بين البشر
ذلك يعدو خلف انفاسها
وهذه تتبع سير القمر
تتبعه بين الربى والشعاب
تتبعه بسرى خلال السحاب
كم هللت وهو يضيء الرحاب
والتفتت محسورة حين غاب
وذلك الطفل اللهيف الغيور
في فلك من ضوء ليلى يدور
يقفو خطاها وهي بين الطيور
لها جناحان مراح ونور

بل انه ليتقبل قسوة المحبوب في استسلام يكاد يكون مازوكيا :

متى يرق الحظ يا قاسي
ويلتقي المنى والناسي !
متى ! وهل من حيلة في متى
وفي خيالات واحداس !
هدّ قراري جريها في دمي
وهمسها في كر انفاسي
وانت مثل النجم في المنتأى
وفي السنا الخاطف كالماس
يرنو له الناس ويبغونه
وما يبالي النجم بالناس
وانت كاس الحسن لكننا
مثل حباب حام بالكاس
طفا وقد قبل انوارها
ورفّ مثل الطائر الحاسي
وجف او ذاب على نورها
كما يذوب الطل بالآس

ومن هنا تأتي صورة الطائر الجريح :

وانا الطائر الذي تصطفي نفـ
ـسي السموات والذرى الشماء
راشني صائد رماني فادمـا
ني وولى الجاني وعاش الداء
مرحبا بالهوى الكبير فان يبـ
ـق وان تسلمي يطب لي البقاء

★ ★ ★

اخفي جراحك واستعز بغفتها
غريدك الشادي المحلق في الذرى

كما تأتي صورة الفراش :

وانت فراش ليل ، كل نور
تبعت وكل برق قد اضاء



كنت في برج من النـــور على
قمة شـــاهقة تغزو الســحابا
وانـــا منـــك فـــراش ذائب
في لجين من رقيق الضـوء ذابا
فرح بالنور والنـــار معـــا
طار للقمة محموما وآبـــا
آب مـن رحلتـه محترقا
وهو لا يألوك حبا وعتـابا .

عندما تتشابك الرموز

وربما استوقفتنا مقطوعة تبدو عجيبة في هذا السياق، وعنوانها « الفراشة » . تقول المقطوعة:

أجل ! يعلم الحب اني لظـاه
وتدري الفراشــة اني اللهب
واني بدوت لها في الظـلام
فـرفت باجنحة تضطــرب
وبين ذراعي سر الحيـــاة
وفي ناظـري بريق الشــهب
دنت خطـوة ثم عـادت الى
مجاهلـها من خفـي الحجب
وشتان بين السنى والظـلام
لعـابدة للسنا عن كثب
وفي صدرها لهفة للعنـاق
وفي قلبها جنـة المقتـرب
يلوح لها شبح للعـذاب
ويبـدو لها الابد المقتـرب
كأن اللظى قدح من سـلاف
لها فوقـه وثبات الحبب
فراشة روحي تعـالى وثوبا
ســتلقين قلبا اليك يثب
اذا ما امتزجنـا احترقنا معـا
ونلنا الخلـود بهذا العطب !

هنا نرى الرموز تتشابك وتتعقد . فقد انعكس الوضع فيما يبدو، فاصبح الشاعر لهبا واصبحت محبوبته فراشة . ويمكن ان يفسر ذلك بعمليتين نفسيتين : عملية الاسقاط ، فالشاعر يسقط شعوره على المحبوب او ينسبه اليه ، وعملية الادماج او التمثل ، فالشعر يمثل في نفسه صورة المحبوب ـ اللهب . وان ارتبت فيما ازعمه من انعكاس الوضع فقارن هذا البيت :

كأن اللظـى قـدح من سـلاف
لها فـوقه وثبـات الحبب

ببيت مر بنا في نص سابق :

وانت كاس الحسـن لـكننا
مثل حبـاب حـام بالـكاس

وعمليتا الاسقاط والادماج صورتان لمحاولة اللاوعي ان يتعايش مع الواقع ، ويتخلص من ضغط الانفعال . وهما اذ تتخذان هذه الصورة الرمزية لدى الشاعر تمهدان له السبيل كي يستنبط من اعماق لاوعيه رؤيا تحيل هزيمة الحب الى انتصار ، فثمة حلم الخلود وراء معاناة الشاعر الاليمة المجدبة : ثمة هذا الشعر الذي يخلده هو والمحبوب معا . على ان هناك تفسيرا آخر اعمق من هذا . وسبيلنا الى هذا التفسير هو الاضافة التي في قوله « فراشة روحي » .

فالاضافة ، كما يقول النحاة ، تدل على معنى اللام (الملكية) أو في أو من . فأقرب فهم للفراشة هنا هو أنها جزء من روحه . فالشاعر هو الفراشة كما أنه هو اللهب . بمعنى أن الحب ليس نابعا من شيء خارج عنه ، بل من نزعاته الاصيلة . وهذه النزعات تتمثل في غريزتين : غريزة الحياة ، ويرمز لها اللهب ، وغريزة الموت ، ويرمز لها الفراشة . اللهب هو « سر الحياة » ، وهو قوى ثاقب كالشهب ، والفراشة هي ساكنة الاعماق ، أخت الموت ، وعاشقة العذاب . يمكننا أن نقول ، مع فرويد ، أن غريزة الحياة غريزة ذكرية ، وغريزة الموت غريزة أنثوية . الحب ، عند غريزة الحياة ، غزو واخضاع وسيطرة . والحب ، عند غريزة الموت ، خضوع واستسلام وفناء والشاعر واقع في مأزق ، فغريزته الذكرية لا تزال تستدعي

الحياة ، يحوم حوله دائما شوقه للموت ، باب الحياة الابدية • ولا خلاص للشاعر من هذا المأزق الا بأن تتعانق الغريزتان وتفنى احداهما في الاخرى ، أي بأن يتجاوز حالة طلب المحبوب وحالة الخضوع للمحبوب الى حالة أسمى •

ان الشاعر يجرب الدواء الذي جربه المحبون قبله :

حـان الشفـاء فـودع الالـما
واستقبـل الايـام مبتسمـا
ضيف من السلوان حل بنـا
حـدب اليـدين مبـارك قدمـا
او ما ترى الضيف الـذي قدما
يطوى الغيـوب ويـذرع الظلما
في كفـه كـاس يقـدمها
تمحو العـذاب وتغسل الندما

ولكن أي شيء في هذه الكأس ؟ انه ظمأ يفضي الى عدم :

فاشرب ولا تـرحـم ثمالتها
لهفي عليك شربت اي ظمـا
فيض من النـسيان يغمرني
انـى لاحمـد سيلـه العرمـا
مستسلما للمـوج يغمـرنـى
فرحـان حين اعانـق العدمـا

أين يجد الخلود ؟

ليس النسيان اذن هو الخلاص • فالنسيان عدم، والشاعر لا يطلب العدم بل يطلب الخلود •

فأين يجد هذا الخلود ؟ انه يجده حين يغوص في أعماق لاوعيـه الجماعي فيستخرج صورا شتى للمرأة ، المرأة كما تمثلها الانسان منـذ الاف السنين أو ملايينها ، والتي ستبقى في وعى الانسـان أبدا ، سر الحياة وصانعـة السعـادة والشقاء :

كل لـه ليلـى ومن لم يلقهـا
فحياتـه عبث ومحض هبـاء
كل له ليـلى يرى في حبهـا
سر الـدني وحقيقة الاشياء
ويرى الاماني في سعير غرامهـا
ويرى السعـادة في أتم شقـاء
الكون في احسانها والعمر عنـ
ـد حنانها والخلد يـوم لقاء

ايزيس التي جمعت اشلاء زوجها اوزيريس بعدما مزقه اعداؤه •

روحي ممزقـة وانت تركتهـا
لمخـالب الدنيا وانيـاب الـورى
روحي ممزقـة ولـو ادركتهـا
جمّعت مـن اشلائها مـا بعثرا

ايزيس البانيةالتي صنعت منولدها حوريس بطلا يهزم الشر ويعيد السلام والرخاء :

لـولاك مـا فلـت لشـي
ء فـي الوجـود مرحبـا
ولـم اجـد ركنـا غنيـ
ـا بالحنـان طيبـا
أنـت التـى افعـت مـر
فـوع البنـاء من هبـا
وانتـي الصخـر الـذي
اردت الا يغلبـا
ويضـرب البحـر عليـ
ـه موجـه منتحبـا

معاناته وعواطفه

في هذه الصورة الخالدة للمرأة يجد الشاعر خلاصا من تجارب حبه الخائبة • **وان صورة المرأة** عنده لتشف حتى **تبدو طيفا الهيا لا كائنا** بشريا من لحم ودم :

اين من عيني حبيب ساحـر
فيه نبـل وجلال وحيـاء



واثق الخطوة يمشي ملكا
ظالم الحسن شهي الكبرياء

عبق السحر كانفاس الربى
ساهم الطرف كاحلام المساء

مشرق الطلعة في منطقه
لغة النور وتعبير السماء

لك حسن نوار الخميـ
ـلة طل صبحا فابتسم

لك نضرة الفجر الجميـ
ـل على الذوائب والقمم

لك طلعة البرء والرجـ
ـى بعد مستعصى السقم

لكل ما اوفى على
قدر النهاية واستتم

فباى قلب اتقى
وباى حصن اعتصم ؟

وانه ليعطي حبه ابعادا كونية حين يقول :

بي الجرح جرح الكون من قبل آدم
تغلغل في الارواح يدمي ويستشري

تولته بالاحسان كف كريمة
مقدسة الحسنى مباركة السر

لا عجب اذا جعل الشاعر حبه نوعا من العبادة :

غرامك لي معبد طاهر
دعائمه شيدت من ولوعي

تعهدت محرابه بالوفاء
واوقدت فيه الهوى من شموعي

جوانبه من دموعي قامت
واضلعه بنيت من ضلوعي

ومن ذا راى هيكلا في الوجود
يقوم على عمد من دموع ؟

لقد كان عناء ناجي بعواطفه عناء طويلا ووبيلا، ولكنه استطاع ان يستقطر من معاناته النفسية الخاصة معاني انسانية خالدة ، ويصوغها صياغة تهز قلوب قارئيه . ولعلي لا احتاج ان اشير الى انه قد يلتقي في بعض هذه المعاني مع شعراء اخرين قدامى او محدثين ، ولا الى ان جوانب المعاناة النفسية التي تتبعناها خلال صور الحب ، والمراة في شعره لا تمثل ادوارا متدرجة في حياته او فنه ، بل يمكن ان تتجاور كلها او معظمها في القصيدة الواحدة او المقطوعة الواحدة ، كما تتجاور في هذه المقطوعة القصيرة التي يمكنني ان اجعلها تلخيصا لكل ما سبق : مقطوعة من تسعة ابيات تجمع لك اصالة ناجي وانسانيته في سلم من المشاعر يمتد من لوعة الحرمان الى قناعة التصوف :

أنت

انت ان تؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالك فان

اجدب الهجر خاطري وخيالي
واجف النوى دمي ولساني

فتعالي روى الظما في عيوني
واجنوني لقطرة من حنان !

طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديار الهوان

اي روح احسه ؟ اي سر
في جناحيك كلما ظللاني ؟

اي روح احسه ؟ اي سحر
سكبت في فؤادي العينان ؟

لكان الرميم ما تبعثان !
وكان النشور ما تسكبان !

وكاني معلق في سماء
ومطل منها على الاكوان

مستعز بما منحت ، قوي
اجمع الكون كله في عناني

■■

شكري محمد عياد

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الاسراف في المهدئات

● نشرت المجلة الطبية المعروفة British medical Journal مقالا حول الآثار المترتبة على تعاطي المهدئات Tranquilizers كالفاليوم والليبريوم .. وما اليهما من عقاقير مثل موجادون Mogadon ودالمن Dalmane .. وقد اشترك في كتابة المقال ، بل قل وضع التقرير ، عالمان هما الدكتور اندرو سميث والدكتور البروفسور وولنز . وكانت النتيجة الخطيرة التي توصلا اليها هي ان استعمال هذه المستحضرات المتزايد قد يؤدي الى الاصابة بالسرطان ..

وهذه نتيجة خطيرة حقا .. فقد اشتهرت هذه العقاقير حتى الآن بانها آمنة الى حد كبير ولاتهدد من يتعاطاها بسرطان او خلافه .. واشتهرت ايضا بانها غير ادمانية Non-addictive ، ومن ثم كان رواجها واقبال الكثيرين على استعمالها بقصد التغلب على الارق فضلا عن تهدئة الاعصاب ..

ونجمل فيمايلي بعض ما تضمنه المقال:

١ ــ يؤخذ على المهدئات انها تبعث على الاكتئاب ، وتسبب النعاس Drowsiness والتشويش Confusion .. وهي لاتصلح للمتقدمين في السن، لا سيما الذين حرموا صفاء الذهن . ويذكر هنا ان المهدئات تزيد اثر الخمر تفاقما ..

٢ ــ المهدئات عقاقير لا ادمانية ، كما سبقت الاشارة .. الا انها كذلك بالمفهوم الفسيولوجي .. فحسب..ولكنها ادمانية بالمعنى السيكولوجي .. فهي تولد فيمن يتعاطاها الشعور بالحاجة اليها وعدم القدرة على الاستغناء عنها .. ولطالما عاني المرضى من القلق لدى التوقف عن استعمالها .. بالرغم من ان المدة التي تعاطوها فيها لم تزد في بعض الاحيان على اسبوعين ...

٣ ــ ومن الاثار السيكولوجية الاخرى التي تسببها المهدئات احيانا الجنوح الى السلوك العدواني Aggressive behaviour والميل الى الاختلاس .. وقد دلت البحوث على ان ٩٠٪ من الحالات التي يضرب فيها الاباء ابناءهم يكون فيها الاباء خاضعين لأثر المهدئات .

وينصح الكاتبان في ختام المقال بتجنب المهدئات في حالتين اثنتين بالذات ، حالة الحزن بسبب الثكل grief from bereavement وحالة القلق المرضي .. فقد يؤدي استعمالها في الحالة الاولى الى كآبة آجلة .. ولعل التحدث الى صديق أنفع وأجدى في الحالة الثانية .

أنت والعلم

بشرى لهواة التنس

● من المعروف ان كرة التنس تفقد شيئا من ضغطها بالاستعمال ، وتفقد بالتالي شيئا من مرونتها وتجاوبها ... لذا كان حرص هواة هذه الرياضة ومحترفيها على اللعب بكرات جديدة ، ما أمكن ...

ولكن الفارق بالضغط ليس دائما فى مصلحة الكرات الجديدة .. فكثيرا ما تكون الكرة القديمة اعلى ضغطا واصلح للعب من الجديدة ... ولو وجد جهاز لقياس ضغط كرات التنس لامكن التأكد من ذلك فى الوقت المناسب .

والظاهر ان الجهاز المذكور قد أصبح فى متناول اليد ، فى بريطانيا على الاقل .. فقد نجحت احدى الشركات البريطانية فى تصميمه وتطويره ، فى المدة الاخيرة .. وهو يعمل ببساطة .. اذ توضع كرة التنس تحت الجهاز ثم يضغط عليها به ، فيتحرك المؤشر ثم يقف عند رقم معين .. هو مقدار ضغط تلك الكرة .



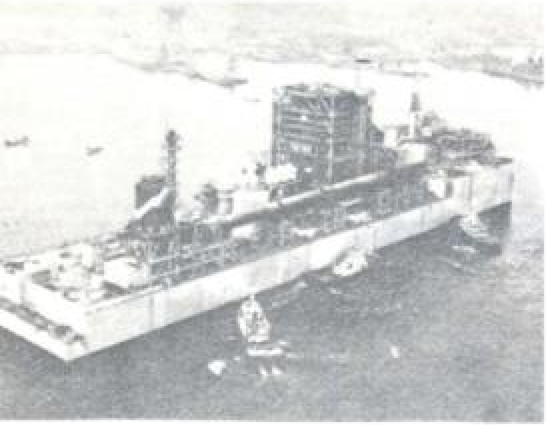
حتى المصانع ..

● ما زالت اليابان تسجل النصر تلو النصر في ميدان الصناعة والتكنولوجيا .. وكان آخر نصر لها المصنع العائم الذي انشأته احدى شركاتها ـ Ishikawajima Harima والمصنع المذكور معد لانتاج عجنة الخشب او الورق .. وهو عبارة عن سفينة بل سفينتين ، تكمل احداهما الاخرى وتبلغ زنة الواحدة منهما ٠٠٠ر١٥٠ طن تقريبا . وقد بلغت قيمة هذا المصنع بشقيه ٢٣٠ مليون دولار .

اما الجهة التى صمم المصنع العائم وانشىء بناء على طلبها فشركة برازيلية .. وهى تنوى استثماره فى غابات البرازيل ، بالتحديد فى حوض نهر

فكرة لتجميع الحرارة الشمسية

● تفيد آخر انباء الارض المحتلة ان العلماء الاسرائيليين قفزوا قفزة كبيرة فى مجال استغلال الطاقة الشمسية . فقد نجحوا ، على حد زعمهم ، فى تطوير طريقة جديدة لتجميع حرارة الشمس ، تضمن الحصول على قدر كبير من هذه الحرارة بواسطة مجمعات او سطوح ضيقة المساحة نسبيا . ويقول هؤلاء العلماء ان مقادير الطاقة الكهربائية التى امكنهم الحصول عليها بطريقتهم تلك بلغت ٣٠٠٠ ميغاواط بالمتوسط سنويا ، اى ما يعادل نحو ٢٨ مليون برميل من البترول . وهذه مقادير كبيرة جدا تزيد قيمتها على ٥٥٠



صارت عائمة

جارى ، احد روافد نهر الامزون العظيم .

ولا يخفى ان فكرة المصانع العائمة هذه تبشر بحل بعض المشاكل التى كانت تعترض سبيل مشاريع التنمية والتصنيع .. من تلك المشاكل صعوبة بناء المصانع المتطورة فى مناطق نائية مختلفة ،كحوض الامزون .. ومنها صعوبة العثور على الايدى العاملة اللائقة فى مثل تلك المناطق .. اضف الى ذلك مشاكل الطقس ...

والظاهر ان الاسواق العالمية اقتنعت بجدوى المصانع العائمة مسبقا وقبل مضى الوقت الكافى لتقييمها .. فقد كثرت التوصيات التى تلقتها الشركة التى ذكرنا وشركات يابانية اخرى والتى تطلب انشاء عدد من المصانع العائمة ، تشمل فيما تشمل ، مصنعا للاسمنت ، وآخر لتسييل الغاز وثالثا لازالة ملوحة ماء البحر .

مليون دولار ، وتقدر باكثر من ضعفى الطاقة التى يستطيع توليدها المفاعلان الذريان اللذان سبق لاسرائيل ان سعت للحصول عليهما من الولايات المتحدة .

اما طريقة التجميع الجديدة فقوامها ظاهرة علمية بسيطة ، وان كانت خافية على الكثيرين . فالمعروف ان درجة حرارة مياه السطح فى البحيرات والاحواض تزيد على درجة حرارة المياه التى تلى السطح مباشرة .. هذا اذا كانت المياه عذبة... اما اذا كانت مالحة .. فتنعكس القاعدة، كما اكتشف العلماء اليهود ، وتصبح المياه العميقة هى الاكثر من مياه السطح .

وترتفع حرارة المياه العميقة بتأثير الشمس ولكنها تبقى حيث هى ، فلا تتحرك وتصعد الى فوق لتحل محلها مياه السطح، كما هو منتظر ، وذلك لانها مثقلة بالاملاح ... وهكذا تصبح مياه السطح بمثابة طبقة عازلة تحول دون تبخر مياه الاعماق الساخنة .. وتصبح هذه المياه بمثابة مستودع لتجميع حرارة الشمس.. تتزايد فيه هذه الحرارة دون ان تتناقص. لا عجب اذن اذا أمكن الوصول بهذه الحرارة الشمسية المجمعة الى ١١٧ درجة مئوية ! كما يؤكد علماء العدو .

وتجدر الاشارة الى ان هذه التجارب اجريت فى مياه البحر الميت ، البالغ الملوحة ، والذى تقدر ملوحته بنحو ٧ اضعاف ملوحة المحيطات..وتبلغ مساحته حوالى ٤٠٠ ميل مربع . أما الغرض من اجرائها فغرض تجارى .. ذلك ان العلماء الذين يقومون بهذه التجارب انما يقومون بها لصالح شركة تجارية التزمت لدى الحكومة بتكييف وتدفئة فندق جديد كبير (١٠٠ غرفة) بواسطة الطاقة الشمسية .

حول ما يقال عن

حرفة الأديب

بقلم : عبدالرزاق البصير

■ من المعروف لدى ادبائنا الاقدمين والمالوف لديهم أن ضيق ذات اليد من صفات المثقفين،فقد اطلقوا أقوالا مأثورة لعل من أشهرها قولهم:فلان ادركته حرفة الادب ! بمعنى أنه فقير مملق،ويعود سبب فقره الى انه أديب مثقف . وانت واجد في كتب الادب أشعارا تصور لك ما كان يعانيه الكثير من الذين خدموا اللغة العربية بما أصدروه من آثار قيمة لا يستطيع أى مثقف أن يستغنى عنها بعد تاليفها وانتشارها بين الناس، من ذلك قول أبى منصور الثعالبى

يا دهر ويحك قد أطلت جفائى
وتركت مـــاء معيشتى كجفائى

أتراك تحسب أننى من جملة الـ
كتـــاب والأدبـــاء والشعـــراء

حتى تعادينى كعادتك التـــى
أنحت عواديهـــا علـــى الفضلاء

هيهات قد أحسنتنى ما كنت أحـ
ـســـه فرقا لست فـــى الأدبـــاء

وقائل هذه الابيات اديب عصامي بخل علينا التاريخ الادبى بان يوضح لنا شيوخه الذين درس عليهم . حتى اعتقد بعض الباحثين بانه لم يتعلم عند أحد من أهل عصره . وانما ثقف نفسه بنفسه ودفعه شغفه بالقراءة والاطلاع الى ان يصل الى هذه المنزلة الادبية المرموقة . وأنا اخالف الذين يذهبون الى هذا المذهب ذلك أن الموهبة مهما تكن عظيمة خصبة فانه لا بد من تغذيتها بالدراسة والتعليم ولا سيما حين يريد الفرد أن يذيع بين الناس آثاره . اذ أن للغة العربية قواعد وللشعر العربى أصولا وقوانين ومصطلحات يصعب على الانسان أن يستوعبها وأن يصطنعها فيما يصدر من آثار الا اذا درس بين يدى علماء ذوى أقدام راسخة يوضحون له تلك المصطلحات والقواعد . فعدم ذكر التاريخ الادبى لشيوخ هذا الاديب الممتاز لا يعنى بان هذا الاستاذ لم يأخذ علمه عن أحد ولا سيما اذا علمنا بان نشأته ومولده بنيسابور فى منتصف القرن الرابع للهجرة . فمن حيث المكان الذى ولد فيه نجد تلك البلدة مركزا من مراكز العلم والثقافة . قال عنها ياقوت الحموى لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها فهى معدن من معادن العلم والفضل . ونعتقد أن هذه

الشهادة لتلك المدينة لها مكانتها التى تنبئنا بما لهذه البلدة من منزلة كبيرة ، فان ياقوت الحموى سار في كثير من الآفاق وهو من الذين لا يصفون مكانا بمثل هذه الصفة الا بعد التأكد من صحتها ولست أبعد عن الصواب اذا قلت بان ابا منصور الثعالبى كان ينهل العلم من علماء زمانه ولكن التاريخ الادبى قد أهمل ذلك كما أهمل الكثير من امور علمائنا وأدبائنا ولاسيما أولئك الذين نبتوا في ساحة الفقر والحاجة ، وأديبنا الذى نتحدث عنه من تلك الطبقة الفقيرة ، فهو ليس من بيت معروف بالغنى والثروة ، بل ولا ينتمى الى أسرة مشهورة تمكن افرادها بان يتطاولوا بالانتماء اليها • وانما كان من بيت متواضع يشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب ــ فنسب اليهم ، فغلب لقب الثعالبى عليه الى حد لا يعرف اسمه الا قليل من الناس ، فاذا قيل الثعالبى عرفه المثقفون بانه عبد الملك بن محمد بن اسماعيل صاحب كتاب يتيمة الدهر ، وفقه اللغة ، وثمار القلوب ، وهي آثار غنية لا تخلو منها مكتبة أى أديب • والحق أن في هذه الكتب شهادة على سعة اطلاع مؤلفها وسلامة ذوقه فهى تتصف بالطرافة ، فأنت لاتمل من قراءتها والتأمل فيها • واذا اخذنا مثلا من كتابه (ثمار القلوب) سوف يتضح اكثر لون آثار اديبنا (الثعالبى) رحمه الله فهو يقف معك عند قول الشاعر

يا بيت عاتكة الذى أتعزل
حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصدود واننى
قسما اليك مع الصدود لأميل

ثم يفسر لك ما يعنيه بيت عاتكة فيقول انه مثل يضرب للذى تعرض عنه بوجهك وتقبل عليه بقلبك • كذلك يفسر لك ما أشرنا اليه قبل قليل ونعنى به حرفة الادب فيقول ، بانها تعنى نقص الحظ ، ويستشهد ببيت قاله ابن بسام في رثاء ابن المعتز •

ما فيه لو ولا ليت فتنقصه
لكنما ادركته حرفة الادب

ويأخذ المؤلف في الراء فكر قارئه بما يورده من مضافات مشهورة نسبت لمختلف الفئات من الناس كالانبياء والخلفاء والملوك والشعراء وما الى ذلك •

بقي علينا ان نتأمل لفظة حرفة الادب التى عليها مدار هذا المقال فنتساءل لماذا أصبحت حرفة الادب تعنى عدم التوفيق فى الحياة بحيث أصبح من المألوف أن يكون الاديب حليف الحاجة والفاقه ؟ فالحق أن الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى مجال أوسع ولكنى أوجز ذلك فأقول : ان الاديب الحق هو ذلك الذى يهتم كل الاهتمام بتغذية الفكر وهندسة الكلمة حتى يبلغ من شدة اهتمامه أنه قد ينفق مدة طويلة في دراسة لفظة لغوية ، أو معنى بيت من الشعر أو قاعدة من قواعد اللغة اختلف فيها العلماء • ومعنى ذلك ان الاديب أبعد ما يكون عن متابعة الوسائل التى تؤدى به الى كسب المال مما يجعله أقل حظا من غيره فى الناحية الاقتصادية وهذه الحالة في جميع العصور • واذا ما أضفنا الى ذلك أن الاديب في العصور السابقة لا يمكن أن يكتسب رزقه فى أغلب الاحيان الا اذا سخر فنه لذوى الجاه والسلطان وهذا هو الذى يفسر لنا ما نراه من تقديم بعض المؤلفات المشهورة لذوى النفوذ كالمخصص لابن سيده وكتاب العباب وكتاب نفح الطيب للمقرى وكتاب التحف والهدايا للخالديين وغيرهم ، وخصلة أخرى لابد من ذكرها بهذه المناسبة وهى ان بعض الادباء الموهوبين كثيرا ما ينصرفون عن التقرب الى ذوى الكلمة المسموعة بل ربما جابهوهم بآراء تخالف آراءهم مما جعلهم يتعرضون الى ما لا تحمد عقباه فى تلك العصور التى لم يكن للقانون سلطان فيها على أحد، هذا مجمل ما يمكن ان يجاب به على السؤال الذى طرحناه حول حرفة الادب-وخيرما يتعزى به الاديب هو أنه ان خسر المتعة الجسدية والجاه المادى فانه قد يكسب راحة الضمير واللذة الروحية فهو يعيش دائما فى آفاق رحيبة فيها من الجمال واللذة ما لا يقارن بما يظفر به الموسرون من لذة ونعيم • ■■

الكويت ــ عبد الرزاق البصير



إمّا أن نحبّ .. وإمّا أن نهلك

بقلم : منير نصيف

● انه لحن اجمل واشهى فاكهة • والذ غذاء للعقل والروح والجسد •• انـه الحب •• لانه الدواء لكل داء •• وهو اكسير الحياة •• قال عنه احد فلاسفة الهند •• انه الحياة ذاتها !

اما عنوان هذا الكلام ، فهو اسم الكتاب يتحدث فيه كاتبه عن الحب ومعناه وتاثيره في حياة الناس ••وهو ينتهي من كتابه بان الهـلاك هو المصير الحتمي لكل قلب لم يعد يخفق بالحب !

ولكن ما لون هذا الحب الذى عناه المؤلف في كتابه كثيرون هم هؤلاء الذين يفهمون الحب ؟ على انه فقط تلك العاطفة التي تربط بين الجنسين بين الرجل والمراة ! وهم لم يخطئوا • ولكنهـم ايضا لم يفهموا الحب بمعناه الكبير ••

فالحب هو الحياة •• وفي التعريف العميق لهذه العاطفة التي نعيش بها ومعها ومن اجلها يقول ايمرسون: « انه تلك القدرة الغريزية التي تولد مع الطفل وتبقى معه حتى نهاية رحلة الحياة••وهو القوة الخفية حينا والظاهرة حينا ، التي تدفعنا الى المضي في الحياة والاستمرار فيها •• وهي قوة تعبر عن نفسها بنفسها بفضل تلك الطاقة الهائلة التي تتجدد في القلوب والنفوس •• الحب يملا قلب الطفل وهو مازال رضيعا بين ذراعي امه •• ومع دقات قلبها يخفق قلبه هو بالحب لهذه البذور التي غرستها الام في قلب صغيرها ، ينمو الحب وتتسع دائرته فيشمل افراد الاسرة كلها ، ثم لا يلبث ان يخرج من هذا القلب الصغير مع خطوات الطفل الى العالم الواسع من حوله ، فتراه يحب اصدقاءه في المدرسة •• ويحب الارض التي انجبته •• وكل شيء يراه ويعرفه حتى لو كان جمادا بلا روح ، او حتى حيوانا طالما انه لايؤذيه••الحب بين الطيور والحيوانات وكل المخلوقات على الارض ! » •

ابحث عن الحب !

يقول الدكتور سمايلي بلانتون عالم النفس «Love or perish» يقول :

« على مدى اربعين عاما التقيت خلالها بنماذج كثيرة من الناس •• ناس من كل الاعمار •• ومن كل الطبقات ، ممن جاءوا الي يحكون لي الامهم وامالهم •• افراحهم واحزانهم •• ويكشفون لي عما في داخل نفوسهم ، وما في العالم الصغير من حولهم من مساويء ومحاسن••وخير وشر،استطعت ان اخرج بنتيجة واحدة ، او حقيقة ثابتة لم تتغير مع خاتمة كل قصة جلست انصت اليها ، وارقب انفعالات صاحبها وهو يروى لي فصولها ودقائقها انهم جميعا يبحثون عن الحب •• والعالم كله يتعطش للحب •• قد تكون كلمات هؤلاء الذين ساقتهم اقدامهم ومتاعبهم قد قالت اشياء كثيرة لا تمت الى النتيجة التي وصلت اليها بصلة •• ولكن رحلتي معهم داخل قلوبهم ورؤوسهم كانت



تؤكد لى دائما هذه الرغبة التى يحملونها وان لم يحدثونى عنها ·· كان السؤال الحائر فى عيونهم وفى صدورهم هو هو لا يتغير : « لماذا لا نجد من يحبنا ·· لماذا طال بحثنا عمن نستطيع أن نعطيه حبنا ؟ » ·

« وكنت اقول ان هذا الحب الذى يبحثون عنه، لم يفتقدوه كما تصوروا ، او صورت لهم اذهانهم ·· فهو بينهم ، ومعهم ، وفى قلوبهم ·· ولكن بسبب او لآخر لا يشعرون به ، أو لا يجدون من يشعرهم به ·· أو لانهم لا يريدون أن يتركوه يتحرك وينطلق » ·

كيف حدث هذا ؟ ولماذا افتقدوا الحب الذى جاءوا يبحثون عنه ، وكيف يجدونه ، وكيف يكون الحب ؟

كلها معان للحب !

والحب الذى حدثنا عنه الانبياء والشعراء والفلاسفة منذ مئات السنين هو نفس الحب الذى يحدثنا عنه علماء النفس المعاصرون ·· نفس التعريف وان اختلفت الكلمات والمعانى ·· فالحب كلمة حلوة ·· أو هو ايماءة · أو هو عمل طيب ·· او هو مال نقدمه لمحتاج ، او هو بسمة فى يوم عاصف ، أو ذراع قوية تساند المظلوم والضعيف أو شمعة تضىء الظلام ·· كل هذه معان للحب ، وغيرها كثير ··

ولكن المهم ان نعرف كيف ومتى نتحدث بها ؟ روى سمايلى بلانتون قصة الشاب الذى جاءه يوما يشكو آلامه ومتاعبه مع الحياة ·· وجلس الفتى أمامه يتحدث فى صوت خفيض وكانه يهمس به لنفسه ، كان حائرا لا يعرف ماذا يقول ، ولا من اين يبدأ··كانت ابتسامته التى يحاول ان يصطنعها فى بعض الاحيان تخفى وراءها شعورا دفينا بالحزن لم يشأ ان يفصح عنه فى هذه المرحلة على الاقل من لقائه مع الرجل الذى اختاره وجاء اليه حاملا معه متاعبه وآلامه ·· ويقول الدكتور بلانتون :

« وجلست استمع اليه على مدى ساعة كاملة ·· وعندما توقف الشاب عن الحديث ، لم يستطع ان يقاوم آلامه ، فقد وجدته يخرج منديله من جيبه ليمسح به آثار الالم الذى امتلأ به صدره ··

يكره والده ·· لماذا ؟

« وسادت فترة صمت بيننا ، ما لبثت ان قطعتها عندما احسست بأنها قد طالت اكثر مما يجب ، ولكننى ما كدت ابدأ حديثى معه حتى كانت المفاجأة التى لم اكن اتوقعها ·· لقد صرخ الشاب فى وجهى بصوت هستيرى :

« اننى اكرهك ·· نعم اكرهك ولا اريد ان استمع الى كلمة واحدة مما تريد ان تقول ! »

وأذهلتنى المفاجأة ·· ولكننى تمالكت نفسى وعدت اسأله فى هدوء : « اننى لا الومك ، ولكن الا ترى ان من حقى ان اسألك عن سر كراهيتك لى ، وانت بالكاد تعرفنى ؟ » ·

وقال الشاب بلا تردد : « لانك تشبه والدى ·· اننى لم افطن لهذا الشبه الغريب بينكما ، الا عندما رفعت عينى وبدأت اتأمل وجهك وانت تبدأ حديثك معى ! » ·

ـ انت اذن تكره والدك !

وانفجر الابن يبكى ويبكى : «اكرهه ، كما لم يكره ابن والده من قبل ·· اكرهه ، ولكننى لا اعرف بالضبط لماذا اكرهه ·· كل الذى اعرفه ، اننى لا اكاد اشعر بعودته الى البيت ، حتى اسرع الى غرفتى واغلق بابها على ، واغرق فى كتبى !

ـ كنت تهرب من والدك اذن ؟ !

ـ نعم ·· كنت اتحاشاه !!

لم يكمل بلانتون القصة يقول : « ولم يكن من العسير بعد هذا ان ادرك اسباب هذه الكراهية التى يحملها الشاب لوالده ·· فقد حكى لى جانبا من حياته فى هذا البيت الذى يضم والديه وثلاثة

ابناء . تزوج اكبرهم وذهب ليعيش مع اسرته الصغيرة الجديدة .. وبقي هو وشقيقته الصغرى في البيت الكبير .. غريبين لا يشعر بوجودهما احد .. ربما كانت اخته اكثر حظا منه لقربها من من الام التي تتحدث لغتها وتفهم متاعبها .. اما هو .. مسكين هو . كان أشبه ما يكون بمن تاه في الصحراء واستبد به الجوع والعطش .. ولم يعد يرى الا سرابا بعد سراب ! قال انه لايشعر بان له أبا..له أم نعم . ولو انها هي ايضا قد ابتعدت .. منذ خمس أو ست سنوات مضت كانت تعتني به وترعاه وبحس بشفتيها وهما تلثمان جبهته. وهي تتمنى له ليلة سعيدة .. اما الانفقد كبر .واصبح رجلا . وهو يستطيع ان يعتمد على نفسه .. هكذا تغيرت الصورة .. اما الاب فلم يكن يشعر به ابدا في اى مرحلة من مراحل حياته .. حتىفي طفولته .. كان دائما مشغولا عنه بعمله .. كانت لقاءاته به في نهاية كل عام دراسي عندما تظهر نتيجة الامتحان .. وكان يعود الى البيت فورا . وهو يحمل ثمرة جده وتعبه .. ولكنه ابدا لم يفز باكثر من ابتسامة باهتة تظهر فجاة على وجه الاب لم لا تلبث ان تختفي .. بعد ان يلقى نظرة سريعة على الشهادة التي تسجل نجاحه وتفوقه ! !

كان الشاب المسكين يبحث عن الحب الذي حرمه منه والداه .. فقد كان يشعر انه يفتقد شيئا كبيرا .. شيئا هاما .. يفتقد الشعور بالرابطة القوية التي تربطه بالاسرة التي ينتمي اليها .. يفتقد الحب !

صورة الحياة وطعمها

يقول مؤلف الكتاب : « مثل هذا الاب لم يعرف الحب .. او ربما كان قلبه يمتلىء بهذه العاطفة ولكنه ابدا لم يترك لها منفذا تخرج منه ، او انه لم يعرف كيف يعبر عن مشاعره تجاه احب واقرب الناس اليه .. ان الكلمة البسيطة الحلوة في الوقت المناسب ، في المكان المناسب ، يمكن ان تغير صورة الحياة وطعمها في راس وفم اى انسان وتغير صورة العالم كله من حوله ! » .

وقد يحرم القدر الانسان من الحب : ولكنه يسوق اليه في الوقت نفسه قلوبا كثيرة امتلات بالحب ... قلوبا على استعداد لان تعطي وتعطي وهي لا تنتظر اجرا على عطائها !

ويقوم بلانتون فيكتابهبرحلة داخل هذه القلوب .. القلوب التي حرمهاالله من الحب .. والقلوب التي عوضت هذا الحرمان ! وقد نجد في قصته مع الصبي الصغير الذي التقى به في احد ملاجىء الايتام حيث انتقل ليعيش فيه بعد ان مات والداه في الحرب ، المعنى الذي يستهدفه من هذه القصة!.

ولكن لماذا هذا الصبي بالذات دون غيره وقد امتلا الملجا بعشرات غيره من الاطفال اليتامى ؟

لقد كان الصبي الصغير مصابا بشلل الاطفال.. وكان هو وحده دون غيره الذي وقع عليه اختيار السيدة التي جاءت الى الملجا تبحث عن طفل تتبناه وتعطيه حبها ورعايتها .. ورق قلب السيدة ، التي كانت تربطها بالطبيب العالم علاقة صداقة، للصبي المشلول ، فهو الوحيد الذي لم يترك فراشه ، ولم يتقدم ولم يطلب اليها ان تختاره ، كما فعل باقي الاطفال في الملجا الذين التفوا حولها !

وشدتها كبرياؤه ولكنها عندما اقتربت منه اكتشفت انها لم تكن كبرياء كما تصورت ، وانما كان عجزا .. كان الصبي مشلولا !

مع الصبي المشلول !

وامسكت بيده ومدت له ذراعها يستند اليه وقصدا معا الى بيتها .. الى البيت الجديد الذي سوف يجد فيه الحب !

« كان هو في الثانية عشرة من عمره ، وكانت امه قد جاوزت الخمسين ! وانقضت عشر سنوات على هذا اللقاء بين الام التي حرمت من الزوج والاطفال وبين الصبي الذي حرمته الاقدار من الحب ، وتركته كسيحا في ملجا .. وبيني !

« وانتهت القصة فصولا عندما لقيتها .. وكانت المفاجاة .. الام التي تقدم بها العمر تجلس على كرسي متحرك .. وشاب انيق يدفع الكرسي امامه وسط الحديقة الواسعة الجميلة التي تتوسط البلدة ، » والام وابنها « يبتسمان للحياة الحلوة من حولهما .. وحيتني ، فقد كانت صداقتنا طويلة قديمة !

ـ ماذا اصابك ، من هذا الشاب ؟

ـ انه ابني الذي وجدته منذ عشر سنوات .. هل تذكر ؟

معجزة صنعها الحب

ثم نظرت الى ابنها فى حنان وطلبت اليه ان يجمع لها بعض الزهور من الحديقة ٠ وكان واضحا انها تريد ان تبعده حتى لا يسمع ما سيدور من حديث بينها وبين صديقتها الطبيب !

قالت : « لقد اصيبت بالفالج منذ عامين ٠٠ وليس هذا هو ما اريد ان اقوله ٠٠ ولكنني اريد ان احكى لك قصتي مع الصبى المشلول الذى اصبح اليوم رجلا ! لقد احببته كما تحب كل ام طفلها وصغيرها ٠٠ اعطيته عطفي وحناني ٠٠ ولكنني لم انس ايضا ان اجعله يشعر انه رجل، وانني اعتمد عليه ٠ لقد حدثت المعجزة فى يوم عاصف ممطر ٠٠ لقد عصفت الريح بالبيت ، وحطمت النافذة الصغيرة المطلة على الحديقة ٠٠ واحس الصبى بالجزع الذى اصابنى ، وكانت الام المرض قد اشتدت بى واصبحت عاجزة عن الحركة ٠٠ واشتد زئير الريح بعد ان وجدت لها منفذا داخل البيت ٠٠ والتقت عيوننا فى فزع ٠٠ ماذا نصنع ؟ وفجاة وجدته يزحف على ساقيه ، ثم يحاول ان ينصب قامته ويعتمد على المقاعد ثم يندفع بكل ثقله الى النافذة الصغيرة ويحكم اغلاقها !

ومددت ذراعى احتضنه ٠٠ وعندما ذهب الى المستشفى التى كان يعالج فيها وحده بعد ان هدات العاصفة ٠٠ قال له الطبيب المعالج ٠٠ لقد شفيت يا بنى ! »

وكان الابن قد عاد فى هذه اللحظة ، وهو يحمل فوق صدره باقة من الزهور قدمها لامه » ، وانحنى يلثم يدها بكل الحب الذى امتلأ به قلبه !

زوجتى الجميلة !

وفى لقائه مع الزوجة الرقيقة التى جاءته يوما الى عيادته ، تروى له حكايتها مع الزمن٠٠ يقول بلانتون : « لقد احسست بعد ان انهت حديثها معى اننى اريد ان اترك عيادتى وانطلق لابحث عن هذا الزوج الذى شاركته حياته لاشد على يده مهنئا ٠٠ واقول له انت اعظم من عرفت من الرجال !

قالت ودموع السعادة تملأ عينيها ٠٠ كنت اجلس امام مرآتى الصغيرة فى ذلك اليوم الذى كنت احتفل فيه بعيد ميلادى الخامس والاربعين٠٠ ولاول مرة ، طالعتنى تلك الاثار المخيفة التى يتركها الزمن ٠٠ لقد ولى الشباب ولن يعود ٠٠ وهل هناك اقسى من هذا الشعور الذى ينتاب المرأة ، عندما ترى بعينيها انها لم تعد الفتاة الجميلة الشابة التى احبها رجلها واختارها دون سائر النساء لتصبح زوجة له !

« وودعت زوجى وهو يستعد لمغادرة البيت الى عمله فى الصباح ٠٠ ولم ينس ، فقد طبع على وجهى قبلة وهو يقول : « كل سنة وانت طيبة!»

وعاد اليهـا الشباب

وفى المساء كنت اقف وسط ابنائى حول الكعكة التى اعدوها لى ، فى انتظار عودة والدهم من عمله ٠٠٠ وجاء اخيرا ٠٠ ولم يكن يحمل معه، او مع غيره شيئا كما توقعت ! كان يعرف اننى فى حاجة الى ثلاجة جديدة بدلا من الثلاجة القديمة التى مضى عليها اكثر من عشرين عاما !وانتابنى شعور بخيبة الامل !

ولكننى نسيت كل شىء عن الهدية التى كنت اتوقعها ، وانا استمع اليه والى ابنائنا وهم يتمنون لى عيد ميلاد سعيدا !

واقترب منى زوجى ، واخرج من جيبه لفافة صغيرة ، وقال : « هذه هديتك يا حبيبتى ! »

« وفضضت اللفافة ، وكانت المفاجاة ٠٠ علبة انيقة بداخلها عقد جميل من الذهب المرصع بالماس ! واسرعت الى مرآتى ، وقد امسك هو بطرفى العقد يحاول تثبيته حول عنقى ٠٠ ونظرت الى وجهى فى المرآة ٠٠ نفس الوجه الذى طالعنى هذا الصباح وافزعنى ما رايت فيه ٠٠ لقد اختفت التجاعيد ٠٠ وامتلأ وجهى الذى كان يقترب من الشيخوخة بالحب والحياة ، وعدت شابة من جديد !

ماذا حدث ؟ لقد قالت لها الهدية الصغيرة ما كانت تتوق الى سماعه ٠٠ قالت لها : « انت ما زلت شابة ما زلت جميلة ٠٠ ما زلت فتاتى الصغيرة الحلوة التى عرفتها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان ٠ ! »

اعرف وطنك
ايها العربى

تونس

من اجل هذا هى خضراء

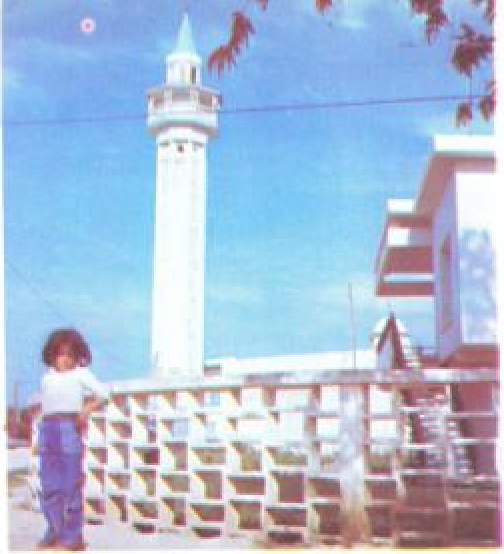
استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : حسن الصفار

(تحت) الفلاحة التونسية مع الفاس فى وادى مجردة ·· فى الارض الواقعة على جانبى النهر الذى يحمل الوادى اسمه ، وهو ينبع من منطقة جبال اوراس فى الجزائر ويجرى فى سهول تونس



مسجد الجبية فى قلب احدى قرى الوادى .. وبجوار المسجد مركز للارشاد الفلاحى ومحل تجارى وقاعة لاجتماعات الفلاحين ومستوصف وجمعية تعاونية لامداد الفلاح بالبذور والاسمدة واخيرا وحدة بيطرية علاجية .





(فوق) المحطة الجديدة لسحب المياه وضخها فى وادى مجردة ، وقد اقيمت منذ عامين بعد حصول تونس على قرض من صندوق التنمية الكويتى .. المضخات تسحب المياه وتدفع بها الى حوض كبير يرتفع عن سطح الارض بحوالى خمسين مترا ، ومنه الى الارض المستصلحة ..



● العـون الاقتصـــادى : ومســـتقبل أكثر اشراقـــا

■ ما الذى يثير اهتمامنا ببلد معين ·· بقطر بذاته ·· ببقعة من الارض دون غيرها ؟ الاقتصاديون عندهم اجابة محددة على هــذا السؤال ·· العمل ·· والعمل الجاد المثمر من اجل مستقبل افضل ·· فنحن عندما نرى السواعد تتحرك والايدى تعمل والجباة تعرق ، نتذكر على الفور ما قاله روسو : « الشعب الـكادح لا يموت ·· ! » .

وما دام الانسان يعمل ، وما دام الانسان يسعى ، فسوف يجد دائما يدا تعـاونه ، ويدا تسانده وتشد من ازره ·· وفى العمل الجماعى يكتشف العامل دائما معنى الحياة ·· فما الحياة ؟ انها تعاون ومشاركة من اجــل غاية وهدف ·· اذا بلغناهما ، حققنا معهما رسالتنا فى الحياة.

الذى يشدنا اذن الى قطر معين ، هو العمل ، وهو العزم والتصميم على استكمال هذا العمل مهما كان حجمه ، ومهما كان الجهد الذى يتطلبه، ومهما كان الثمن ··

وفى الاقطار العربية اليوم عمل كبير وكثير·· وهو عمل ما كان ليبدأ ويخرج الى النور ، الا بعد ان عادت الارض الى ابنائهــا ، وبـدأت الشعوب العربية تجد نفسها ، وتحدد معالم طريقها نحو غد اكثر رفاهية واشراقا ··

والى تونس حيث يجرى العمل منذ سنوات ما بعد الاستقلال ، وبلا توقف ، من اجل اعادة بناء هذا القطر العربى الشقيق ، ذهبنـا لنرى ماذا صنعوا ويصنعون لبلادهم ·· وعندما يكون الحديث عن تونس ، فلا بد ان تضع وراء اسمها مباشرة تلك الصفة المميزة ·· تونس « الخضراء » .

لماذا هى خضراء ؟ وهل هى وحدها التى تنفرد بهذه الصفة ؟ سـؤال خطــر لنا ونحن نقترب بالطائرة من اجوائها ·· ولكننا لم نتوقف عنده طويلا ، فقد كانت ارض تونس تقترب من تحتنا ونحن نحلق فوقها ·· وعرفنا لماذا هى خضراء ؟ فقد كانت الارض مكسوة على امتداد البصر بهذا اللون الاخضر الجميل ·· لون الزرع ·· لــون الحياة ·· مشهد تراه فى العديد من بلاد الدنيا ·· بل قل فى معظمها ·· فالعالم كله يتجه اليوم الى الارض ·· الى كل شبر فيها يفلحه ويزرعه ·· ففى ترابها قوت اليوم والغد المجهول .

وفى تونس العاصمة ، بدأت رحلتنا مع العمل الذى سمعنا وقرأنا عنه ، فجئنا نسجله ونستمع الى قصته ·· ما هى ، وكيف بدأت ؟

الاسرة ·· والبناء

قال لنا حسان بلخوجة وزير الفلاحة التونسى: كل عمل له بداية وله قصة ·· وقد كان العمل هدفنا بعد ان تحررنا ، وبعد ان نفضنا عن انفسنا تراب الاستعمار الذى ظل جاثما فوق صدورنا عشرات السنين ·· بدأنا وحدنا فى بناء تونس من جديد ·· وكانت البداية صعبة ·· كنا اشبه ما نكون باسرة صغيرة راحت تشيد بيتا ·· ثلاثة او اربعة من الابناء ، وقد انهمك كل واحد منهم يعمل معين ، وراح يعمل فى هدوء وحماس وفى حدود الامكانيات المتاحة لهم مضوا يعملون ·· ولكنهم ما لبثوا ان احسوا فى مـرحلة او فى اخرى انهم فى حاجة الى مساعدة حتى يتمكنوا من انجاز الذى بدأوه ·· ولم تطل وقفتهم ··فقد جاء الاشقاء العرب والاصدقاء من غير العرب ، ورأوا بأعينهم حجم العمل الذى يضطلع به افراد الاسرة الصغيرة من أجـل حياة افضـل ، فسارعوا يمدون اليهم يد العون ·· فى بعض الاحيان كانوا هم يجيئون وفى احيان اخرى كنا ننقل اليهم الصورة بكل تفاصيلها ودقائقها ، وفى الحالتين ، كانوا دائما عونا لنـا وسندا لجهودنا فى عملية البناء التى بدأت صغيرة ، ثم اخذت تكبر وتكبر مع الايام ··



المنصف المحتمرى المسئول من التنسيق بديوان الفلاحة ·· الزراعة أيضا هى المستقبل لا الصناعة وحدها ، وفى تونس اليوم ستة ملايين ونصف مليون هكتار صالحة للزراعة، أى بمعدل هكتار لكل فرد ··



الارض ٠٠ والزرع ٠٠ والريف ٠٠ كلها في هذه الصورة٠٠ مجموعة من راقصات الفولكلور ، الفن الشعبي التونسي ٠٠ الملابس والحركات الايقاعية، والموسيقى مستوحاة من حياة المرأة في الريف ٠

أليست هذه هي قصة العلاقة التي تربط الانسان بالمجتمع الصغير والمجتمع الكبير من حوله ؟

زراعة وصناعة وسياحة

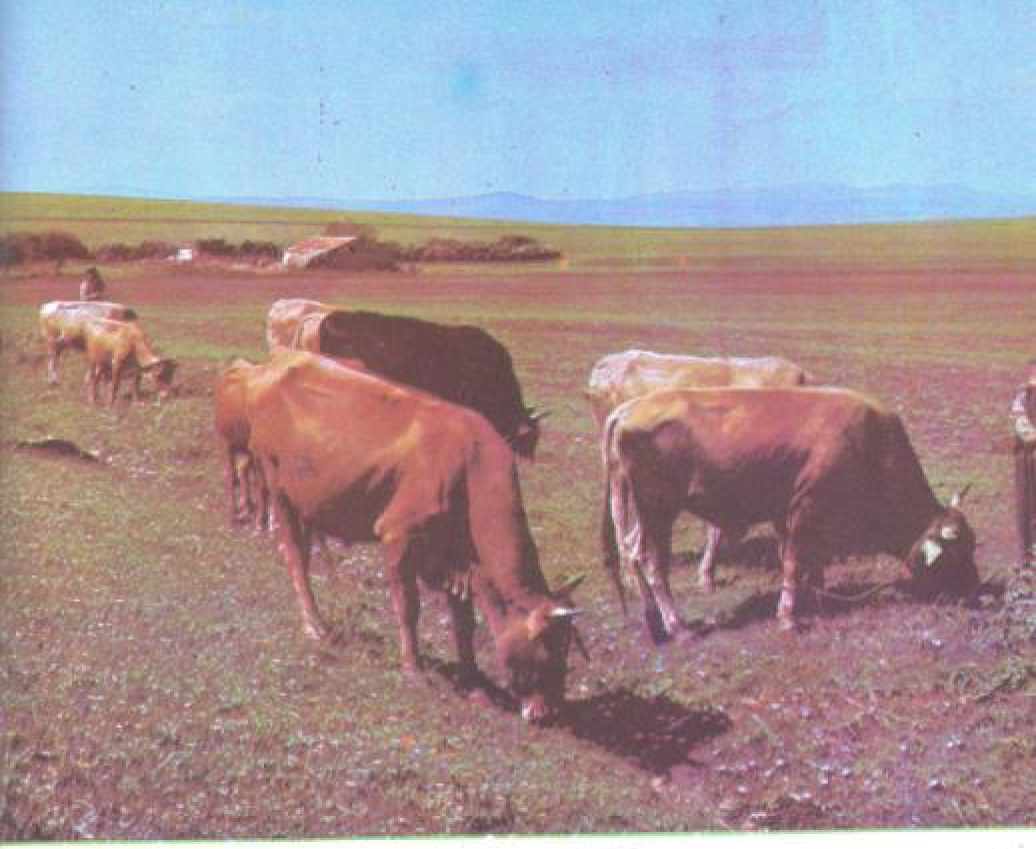
وقد تعددت ، كما رأينا ، الاتجاهات التي سار فيها العمل البناء في تونس ٠٠ زراعة وصناعة وسياحة ٠٠ ولكن بقيت الزراعة دائما ، وسوف تبقى الاصل الذي تقوم عليه عملية تطوير المجتمع، وتوفير المقومات الهيكلية لهذا المجتمع ٠٠ يكفي أن نعلم أن ٧٣ ٪ من الذكور يشكلون اكثر من نصف سكان تونس ، فالاناث عندهم اقل ، يعملون في الزراعة ٠٠ وان نصف اراضي تونس التي تبلغ مساحتها الاجمالية ١٦٤ الف كيلومتر مربع ، هي أرض منتجة ، يعيش فيها ما يقرب من ستة ملايين نسمة ، هم كل سكان هذه البلاد وفقا لآخر احصاء اجري في عام ١٩٧٦ ٠٠ وهذه المساحة المنتجة او المزروعة بمقاييس أخرى تساوي ستة ملايين ونصف مليون هكتار ٠٠ أي بمعدل هكتار لكل فرد تقريبا ٠٠

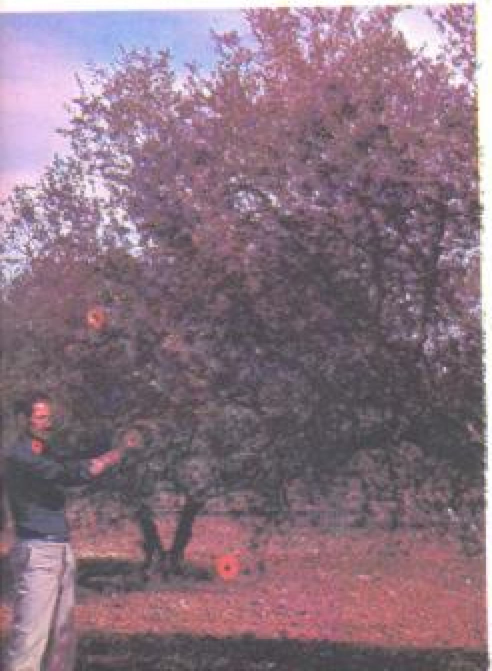
احياء وادي مجردة

ونترك الاحصائيات والارقام ، ونبحث عن المشروعات الزراعية في تونس ٠٠ ويحدثوننا عن عشرات بل مئات المشاريع التي قامت في طول البلاد وعرضها ٠٠ ولكننا ، كما يحدث دائما وجدنا انفسنا قد توقفنا عند احدثها ٠٠ فليس من الممكن عمليا ان نغطي في جولتنا القصيرة هذه كل مشروع زراعي في تونس الدولة ٠٠

والمشروع الذي تخيرناه ، هو مشروع احياء وادي مجردة في تونس العاصمة ٠٠ وانطلقنا الى الريف القريب ، الذي لا يبعد عن العاصمة باكثر من اربعين كيلومترا ٠٠ ووادي مجردة ، هو الارض الواقعة على جانبي النهر الصغير الذي يحمل الوادي اسمه ، وينبع من منطقة جبال أوراس في الجزائر ، ويجري في الاراضي التونسية حتى يصب في البحر المتوسط ٠٠ وتبلغ مساحة الوادي حوالي ٣٠٠ كيلومتر طولي ، ومساحة الارض التي تم احياؤها ٣٢ الفا و ٥٣٧ هكتارا ٠٠ وقد تمثلت عملية الاحياء في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي الذي يسمح للفلاح بامتلاك الارض بعد أدنى أربعة هكتارات ٠ حتى خمسين هكتارا ، وهو الحد الاقصى للملكية الزراعية ، على أن يقوم بتسديد قيمتها على اقساط لمدة عشرين عاما ٠

وشملت عملية احياء الوادي بطبيعة الحال





.. لقد بلغت مساحة الارض التي تم احياؤها اكثر من ٣٢ الف هكتار .. وتمثلت عملية الاحياء في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي الذي يسمح للفلاح بامتلاك الارض بحد ادنى اربعة هكتارات ، وتزيد هذه المساحة حتى تصل الى خمسين هكتارا وهو الحد الاقصى للملكية الزراعية .



نهر مجردة وهو يقع على بعد اربعين كيلو مترا من تونس العاصمة .. وهو نهر صغير ، ولكنهم استطاعوا ان يستغلوا كل قطرة مياه يحملها النهر الى الارض الطيبة .



اشجار الزيتون فى الوادى .. وتشتهر تونس بزراعة الزيتون وتبلغ مساحة الارض المزرعة اشجارا مثمرة فى مجردة حوالى ٤ الاف هكتار زيتونا ،والباقى خوخ ومشمش وتفاح وكمثرى.

بناء السدود على نهر مجردة وفروعه الصغيرة ، واقامة خزانات المياه للاستفادة من كل قطرة ماء زائدة ، وشق الترع والقنوات لتوصيل مياه الرى الى الارض الطيبة عن طريق الانحدار الطبيعي للارض حينا ، والمضخات الكهربائية احيانا ، ثم اقامة المصارف لتخليصها من المياه الزائدة والراكدة ..

ومع الزراعة وعليها ، قامت مزارع تربية المواشي والدواجن، والصناعات التى تعتمد اساسا على الزراعة .. وقبل هذا كله وبعده شيدت الوحدات السكنية الحديثة في قلب الريف . حيثيعيش الفلاحون الذين أحبوا الارض وارتبطوا بها وقضوا حياتهم ينثرون الحب والحب في ارضها ، ويجنون ثمار كدهم وعملهم .

القصة .. وكيف بدأت

رأينا العمل الان وقد بدأ صغيرا وهويكبر ويكبر في الوادى الذى اهتمت الدولة باحيائه منذ فجر الاستقلال .. فانشأت « ديوانا » في عام ١٩٥٨ يتمتع بالذاتية القانونية والاستقلال المالي، مهمته تنفيذ هذا المشروع ، وهو يتبع وزارة الفلاحة التونسية .. وامتدت صلاحيات « الديوان » فشملت الاراضى التى تم استرجاعها من المزارعين الاجانب طبقا للقانون الصادر في ١٢ مايو من عام ١٩٦٤، والذى خلص البلاد من آثار الاستعمار في الميدان الزراعي ، وكذلك الاراضى الخاصة التى ادمجت في المشروع وتم تجهيزها بنفس الطريقة التى جهزت بها الاراضى المسترجعة مع تعديل في مساحاتها وحدودها ، قبل أن تعاد الى اصحابها مرة أخرى لاستزراعها والافادة منها بعد مشاركتهم في نفقات التجهيز والاعداد .. اما الاراضى التى استرجعتها الدولة من المزارعين الاجانب ، فقد تم تقسيمها وتمليكها لصغار الفلاحين ..

ثم ماذا ؟

مع الجهود التى بدأت من أجل اتمام هذا المشروع ، أحس أبناء تونس بالحاجة الى المساعدة .. وكان طبيعيا أن يتجهوا الى اشقائهم العرب .. وفي دولة الكويت ، ومع الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، بدأت المباحثات على ضوء الآثار الاقتصادية المترتبة على تنفيذ



عبد اللطيف الحمد ، مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية .. كان انشاء الصندوق مثلا رائدا لما يمكن للدول النامية أنتفعله لتزيد اعتماد بعضها على بعض علاجا لاوضاعها ، وتخفيفا من وطأة تخلفها ، وتبعيتها لتلك الدول التى كتب لها التاريخ أن تسبق غيرها في ميدان الحضارة والصناعة الحديثة .

هذا المشروع من زيادة في مستوى الدخل القومي ، وتأثير هذا على ميزان المدفوعات وحسابات الدولة، وكذلك الآثار الاجتماعية ومن بينها زيادة العمالة ورفع مستويات المعيشة .. وهى بعض الشروط التى يجب أن تتوفر في أى مشروع يموله الصندوق الكويتي للتنمية الذى احتفل في نهاية هذا العام ١٩٧٧ بمرور خمسة عشر عاما على تأسيسه .

وليس المجال هنا ، مجال حديث عن الصندوق وعن المساعدات التى قدمها ويقدمها للدول العربية وغير العربية الآخذة باسباب التقدم والنمو ، فرسالته معروفة محمودة ، وقد حملها بأمانة خلال سنى عمره التى ارتبطت بالكويت المستقلة .. فهو قد قام في نفس اليوم الذى اعلنت فيه دولة الكويت استقلالها ، يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦١ وكان قيامه اعلانا آخر بمولد « الدولة الخيرة ».

١٥ سنة من العمل المثمر

ولعلنا نجد فيبعض ما قاله مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية ، عبد اللطيف الحمد بمناسبة الاحتفال بمرور ١٥ سنة على انشائه ، هذا المعنى الذى ذهبنا اليه : « لقد كان للصندوق خلال سنوات عمله دور ملموس .. فقد كان انشاؤه مثلا رائدا لما يمكن للدول النامية أن تفعله لتزيد اعتماد بعضها على بعض علاجا لاوضاعها وتخفيفا منوطأة تخلفها وتبعيتها الاقتصادية لتلك الدول التى كتب لها التاريخ أن تسبق غيرها في ميدان الحضارة والصناعة الحديثة .. لقد كان الصندوق عند تأسيسه ، النموذج الوحيد لجهاز تمويل أسسته دولة نامية غير صناعية للاسهام

في الجهود الانمائية المبذولة في دول غير صناعية اخرى ، ان تاسيس الصندوق ، ثم التوسع المطرد في موارده ونشاطه ، مظهر من المظاهر العديدة التي صاحبت حلول عهد النفط في شبه الجزيرة العربية .. ذلك العهد الذي بدأ بتغيير واضح في المعالم المميزة للمنطقة ثم انتهى كما هو معروف بتغيير كبير في ميزان القوى الاقتصادية منذ عام ١٩٧٤ .

« ان الاقتصاديين يتحدثون اليوم عما يسمونه » بالاعتماد الجماعي على النفس ، والمقصود به تعاون اكبر عدد ممكن من البلاد النامية في تحقيق التنمية الاقتصادية او الاجتماعية فيها باقل قدر من الاعتمادعلى موارد اخرىخارج نطاق هذه المجموعة ... وانشاء الصندوق الكويتي للتنمية منذ خمسة عشر عاما ، هو تطبيق حقيقي لهذا المبدأ الذي لم يتحدثعنه الاقتصاديون الا فيالاونة الاخيرة .. فالكويت صاحبة الصندوق ، دولة نامية ،وهدفها من خلالهذا الصندوق ، هو تقديم العون الاقتصادي للبلاد النامية الاخرى .

بين الاشـــقاء

ونعود الى موضوعنا ، قلنا : « واتجهت تونس الى شقيقتها الكويت ، وبدات المحادثات ، واتخذت كل الخطوات والاجراءات التي تسبق عادة تقديم المساعدات للدول التي تطلبها من اجل المضي في مشروعاتها الحيوية واتمامها.وكان مشروع احياء وادي مجردة على مرحلتين .. وتم توقيع الاتفاقية الخاصة بالمرحلة الاولى في يوم ٦٤/٣/٢٦ ، وقدم الصندوق بمقتضاه قرضا لتونس قيمتـه مليونا دينار كويتي بفائدة قدرها ٣٪ لمدة ٢٥ سنة .. وتم توقيع الاتفاقية الخاصة بها في ٧١/٦/١٩ ، ومضى العمل قدما ، الى ان بدات المرحلةالثانية، وقدم الصندوق قرضا ثانيا لتونس ، قيمته ثلاثة ملايين و٢٠٠ الف دينـار كـويتي ، بنفس سعر الفائدة الاول ولمدة ٢٦ سنة .

وفي نفس الوقت الذي حصلت فيه تونس على هذين القرضين من الصندوق الكويتي للتنمية ، لانجاز هذا المشروع الزراعي الكبير ، قدم البنك الافريقي للتنمية ، وكذلك البنك الدولي ، قرضين اخرين مساهمة منهما في استكمال المشروع الذي دخل مرحلة الانتاج . وستبلغ تكاليفهعند الانتهاء منه ١٢ مليونا ونصف مليون دينار تونسي (حوالي سبعة ملايين دينار كويتي) ..

مثل،للاعتماد الجماعي،على النفس، والامثلةكثيرة.

الزراعة ... الزراعة

والحديث عن الزراعة والمشروعات الزراعية في تونس ، حديث طويل متشعب ، لا يلبث المرء ان يجد نفسه عند الغوض فيه ، وقد حمله في كل الاتجاهات في شتى مجالات العمل ... فكل مشروع في تونس ، يهدف في النهاية الى خدمة الارض والعاملين فوقها .. الى مـزيد مـن استصلاح الاراضي واستزراعها وتطوير وسـائل العمل والانتاج فيها ...

وعندما سالنا السيد محمد العـريبي الرجل المسئول عن وكالةتطوير التمويلاتاو الاستثمارات عن اهم ما يشغل تونس اليوم وهي ماضية في طريقها نحو النمو الاقتصادي والاجتماعي . قال: « الزراعة .. ومزيـد مـن الزراعـة . وليس صحيحا ان الصناعة قامتفي تونسونمتعلىحساب الزراعة ، كما حدث ويحدث في بعض البلدان النامية .. فالعكس هو الصحيح .. ان الصناعة عندنا قد ساعدت على ميكنة الزراعة والانتقال بها الى مجال التطور الحديث ، وخاصة بعد ان هجر الارض العديد من الفلاحين الذين انتقلوا الى المدن للعمل في مصانعها ، وهي ظاهـرة طبيعية عانت منها كل الدول النامية المتقدمة على السواء ، لا لان الصناعة تدر ربحا اوفر ،



المهندس الصادق بحرون .. مدير عـام شركـة الكهـرباء والغـاز في تونس.. هدفنا توصيل الكهـرباء الى جميـع قرى تونس الصغيرة والكبيرة .



فلاحة تونسية بالملابس الحديثة تطعم دجاجاتهافى بيتها الريفى بوادى مجردة ٠٠ لقد دخلت الكهرباء الريف ، وأنارت القرى القريبة والبعيدة بفضل محطات توليد الكهرباء الحديثة ٠٠





شبكة نقل وتوزيع الكهرباء من مولد حلق الوادي الذي يعد ثاني اقوى المولدات الكهربائية في مختلف انحاء تونس ٠ وتبلغ قوة التوربينات الاربعة في المحطة ١١٠ ميجاوات ، وانتاجها السنوي ٧٠٠ مليون كيلو وات في الساعة ، وهو ما يوازي نصف استهلاك تونس من الكهرباء ٠

احد المولدات الاربعة التي تعمل بالبخار في المحطة الكهربائية بحلق الوادي ، وقدرة كل منها ١١٢ طنا في الساعة في درجة حرارة ٥٠٠ درجة مئوية ، و ٦٥ جرام ضغط في كل سنتيمتر مربع ٠ ويعمل في صيانة وادارة المولدات ١٥٠ عاملا وثلاثة مهندسين في الموقع، كما ان هناك مائتي مهندس ومهندسة ٠

ولكن لانها توفر دخلا ثابتا وسريعا ٠٠ بينما يمضي الفلاح عمره كله ينتظر ٠٠

٢٠٪ فقط من الدخل القومي

ثم يقول السيد العريبي : « ان تونس بلد زراعي في المقام الاول ، وبالرغم من ان اكثر من ٥٠٪ من الايدي العاملة ما زالت تعمل في الزراعة ، حتى بعد قيام حركة تصنيع ، الا ان دخل البلاد من الحاصلات الزراعية لا يشكل اكثر من ٢٠٪ من مجموع الدخل القومي ٠ ونحن لن نستطيع ان تحقق نتائج افضل الا عن طريق تصنيع الزراعة ٠٠ ونحن نقوم الان باجراء اتصالات مع بعض الدول المتقدمة لانجاز المشاريع الصناعية في الميدان الزراعي ٠٠ ان هناك ما يزيد على المائتي مشروع تقوم بها شركات اوربية وامريكية في تونس ٠٠ ولكن هل تعلمون اين يذهب انتاج هذه الشركات النابع من ارضنا العربية ؟ ان هذه الشركات تقوم بتصديره الى الدول العربية الشقيقة ٠٠ تستطيعون وحدكم ان تستخلصوا النتيجة : كم تمنينا لو ان الاشقاء العرب هم الذين نفذوا هذه المشروعات في ارضهم وبلدهم٠٠

هل معنى هذا ان الدول العربية الغنية لم تسهم في اي مشروع صناعي في تونس ؟

١٣ مليون دينار كويتي

والجواب بالارقام في تونس يقول ان دولة الكويت وحدها ممثلةفي الصندوق الكويتيللتنمية الاقتصادية العربية قد ساهمت بمبلغ ثلاثة عشر مليونا منالدنانير الكويتيةفيمجالالصناعةوالكهرباء وحدهما منذ ان تاسس الصندوق قبل ١٥ عاما ٠٠ وكانت المساهمة في صورة قروض طويلة بفائدة لا تزيد على ٤٪ سنويا ٠

في مجال الكهرباء وحده ، قدم الصندوق ثمانية ملايين ونصف مليون دينار لتنفيذ مشروع كهرباء حلق الوادي الذي يقع على بعد بضعة كيلومترات من تونس العاصمة ، قال لنا السيد الصادق بحرون المدير العام لشركة الكهرباء والغاز : « ان هذا المولد الكهربائي ، يعتبر ثاني اقوى المولدات الكهربائية العشرة المنتشرة في مختلف انحاء تونس ٠٠وهو يحوي اربعة توربينات استوردناها من فرنسا والمانيا الغربية ، وتبلغ قوتها مجتمعة ١١٠ ميجاوات وانتاج المحطة الكهربائية السنوي ٧٠٠ مليون كيلو وات في الساعة ، او ما يقارب نصف استهلاك تونس من الكهرباء ٠٠ »



المهندسة زبيدة ، اول امرأة عملت في مشروع كهرباء حلق الوادي الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٦٣ ٠٠وهي الان مديرة توزيع الطاقة الكهربائية في تونس ٠٠ المرأة التونسية اثبتت وجودها في شتى مجالات الحياة العامة ٠

حكاية حلق الوادي

ويمضي السيد بحرون يروي لنا قصة هذا المولد الكهربائي : « لقد بدأت المرحلة الاولى لبناء المحطة في عام ١٩٦٢ وانتهت في عام ١٩٦٥ اي بعد ثلاث سنوات من بدء العمل فيها ٠٠ وبلغت تكاليفها سبعة ملايين « دينار تونسي » وساهم الصندوق الكويتي للتنمية خلال هذه المرحلة بمبلغ اربعة ملايين « دينار كويتي » ، قدمها لنا قرضا يسدد بعد ١٥ سنة بفائدة قدرها ٤ ٪ ٠

وبدأت بعد ذلكالمرحلة الثانية في عام ١٩٦٥، وانتهت في عام ١٩٦٨ وتكلفت ثمانية ملايين « دينار تونسي » ، وساهم فيها الصندوق الكويتي مرة اخرى بمبلغاربعة ملايين ونصف مليون دينار وبنفس شروط القرض الاول ٠٠

ثم يقول : « انني اعتقد ان محطة توليد الكهرباء في حلق الوادي من اهم المنجزات التي حققناها ، يكفي ان تعلموا ان الطلب علىالطاقة الكهربائية يتزايد بنسبة ١٢٪ كل عام ، لتغطية استهلاك المصانع والمباني الجديدة للاسكان في الحضر ٠٠ ولكن هناك جانب اهم ٠٠ هناك الريف ٠٠ اننا نولي الريف اهتماما خاصا في هذه المرحلة من مراحل البناء والتنمية في بلادنا ٠٠ او في نطاق الخطة الخمسيةالتي بدأت هذا العام ١٩٧٧ وتنتهي في عام ١٩٨١ ٠٠

وتستهدف الخطة اول ما تستهدف توصيل الكهرباء الى جميع القرى التونسية الصغيرة والكبيرة ، وبذلك يتحقق مشروع انارة الريف التونسي كله .. »

كل مشروع جديد في النهاية يتصل ـ كما ذكرنا ـ بالزراعة من قريب او من بعيد .

هل انتهى الحديث عن تونس ، وعن المشروعات العديدة التى نفذت او التى ما زالت تحت التنفيذ ، ودور الاشقاء العرب بصفة عامة والكويت بصفة خاصة في تمويلها ومساندتها ؟

من اجل الشعب

والحديث عن هذه المشروعات لا يمكن ان ينتهى في هذه الكلمات القصيرة السريعة .. ولكن الذى يمكن ان يقال ان تونس ماضية في العمل الكبير الذى بدأته .. وهى تلقى كل تشجيع ومؤازرة من اشقائها العرب واصدقائها من غير العرب ، لان هناك عملا جادا يجرى فوق الارض التونسية من اجل خير ورفاهية شعبها .. ومن اجل الامة العربية كلها ..

هناك فوق الارض الخضراء ، تسير المشروعات الزراعية والمشروعات الصناعية والمشروعات السياحية جنبا الى جنب وفى وقت واحد ... ونتوقف قليلا عند السياحة .. وما شهدناه من جهود في هذا الميدان ، يؤكد ما سمعناه من ان هذا البلد العربى الشقيق قد اصبح اليوم اكثر المناطق التى تجذب السائحين اليها .. وبالتالى تشجع الاستثمارات التى من شانها ان تساهم في تطوير المناطق السياحية والنهوض بها وتنميتها..



محمد العربى مدير تطوير التمويلات .. ليس صحيحا أن الصناعة نمت في تونس وتطورت على حساب الزراعة ، ولكن ما حدث أن الصناعة ساعدت على ميكنة الزراعة .

نذكر حديثا للسيد احمد الدعيج رئيس مجلس ادارة المجموعة الاستثمارية العقارية في الكويت قبل ان نبدأ رحلتنا الى تونس ، قال : « اننا لا نتردد لحظة واحدة في تمويل اى مشروع سياحى في الشقيقة تونس .. ونحن نقوم الآن على سبيل المثال ببناء مدينة سياحية كاملة متكاملة في ميناء سوسة .. ان تونس بلد سياحى مائة في المائة » .

فكرة تستحق الدراسة

وبعد .. لقد بقيت كلمة تستحق التسجيل ، بعد هذه الرحلة القصيرة ..وصاحبها هو السيد محمد العربى المسئول عن وكالة تطوير التمويلات .. ماذا قال ؟ : « كنت اتمنى ان ارى مكاتب عربية للدراسات .. دراسات لاى مشروع عربى في اى بقعة عربية .. فوجود مثل هذه المكاتب يوفر على الهيئة المستثمرة وعلى البلد صاحب المشروع الكثير من الجهد والمال .

ثم يمضى في حديثه : « ان العالم العربى كله من الخليج الى المحيط ، وهو ارض شاسعة كما نعلم ، لديه امكانيات هائلة .. البعض منها تم استغلاله بالفعل ، والبعض الآخر ، وهو اكثر، لم يستغل بعد .. واكتفى بذكر مجال واحد ، هو مجال الزراعة ، فهو الاصل ، وعندما يكون الحديث عن الزراعة نجد انفسنا نربط بينها وبين الآلة مباشرة ، وخاصة في هذا العصر الذى نعيشه اليوم والذى دخلت فيه الآلة كل جوانب حياتنا ..ذلك ان المعجزة الحقيقية التى ننتظرها من الارض الطيبة لن تتحقق الا بالآلة .. او بمعنى آخر بتصنيع الزراعة .. وسوف اختار آلة واحدة ، هى الجرار الزراعى ، وليس هناك ارض زراعية يمكن ان تستغنى عن الجرار ،ونحن هنا فوق ارضنا العربية تحتاج الى عشرات الالوف من هذه الجرارات الزراعية التى نستوردها من الخارج ، وندفع الملايين ثمنا لها .. هل فكرنا في اقامة مصنع واحد في اى بلد عربى ، لانتاج هذه الجرارات ؟

مشروع تقترحه تونس ..وهو لا شك يستحق الدراسة ، ونحن نطرحه امام المهتمين بتحقيق امل الامة العربية في التكامل الاقتصادى العربى.

■■

منير نصيف



نذير نبعة

فنان من سوريا

بقلم : راجي عنايت*





صورتان من اعمال الفنان نذير في مرحلة متأخرة(عام ١٩٧٦) وبعد عودته من تجربة باريس * النضج واضح في الالوان واختيار الموضوعيعبر عن التصاق شديد بالتربة والبيئة السورية *

● ● منذ طفولته ادرك معنى ان يكون الرسم احتياجا •
● ● استطاع ان يأخذ من باريس ما يثرى اصالته •

■ منذ البداية المبكرة ، تعرف على حقيقة ، بقيت على قوتها كلما مرت به الاعوام ، وكان لها اكبر الاثر في اختياره لطريقه كفنان • عرف منذ الصغر •• حلاوة ان يكون الرسم احد الاحتياجات التى يسعى الناس الى اقتنائها ، ويدفعون فيها نقودا ••

قد تكون هذه بداية غريبة للحديث عن فنان اصيل ، كالفنان السورى نذير نبعة •• لكنها لم تكن بداية غريبة في حياته • اخته الكبرى تحيك الملابس ، للجيران والاصدقاء ، وتكسب من هذا العمل ما يساعد في الانفاق على العائلة الصغيرة •• والصبى الصغير نذير ، الذى عرف بين العائلة بحبه الشديد للرسم ، وانشغاله معظم الوقت في تخطيط الرسوم والزخارف على ما يقع تحت يده من اوراق ، تطلب منه الاخت الكبرى ان يضع رسومه على الملابس حتى تطرزها وتكسب مزيدا من المال • فيتفنن في رسم الورود والازهار والاشكال الهندسية التى كانت تحظى باعجاب الزبائن •• ويقول عن هذا احسست ساعتها ، حلاوة ان يكون الرسم عملا ممتعا لذيذا ، ثم يشكل احتياجا في نفس الوقت عند الناس •

ونذير نبعة ، الفنان السورى الاصيل ، يجنى هذه الايام ثمار تلك الحقيقة التى ادركها في وقت مبكر جدا ، عندما يتخاطف الجمهور لوحاته ويسعى الى اقتنائها •• وعندما تحتل هذه اللوحات مكان الصدارة في البيت السورى ، تنبىء باعتزاز من اقتنوها بها ، واستمتاعهم بما تحمله اليهم من فن وجمال •

محنة (البوية)

ولد نذير نبعة بدمشق عام ١٩٣٨ • ومنذ صغره كان يتطلع الى التعبير باللون •• لم يكن يعرف الطريق الى اشباع ذلك التطلع •• لكنه كان يعرف جيدا ان هذا هو طريقه الحتمى •• التعبير بالالوان •

واذا كان قد حقق بعض النجاح في هذا السبيل • عندما كان يرسم زخارفه على القماش، حتى تطرزها اخته وفقا لتوزيع الالوان الذى اختاره واذا كان لحسن حظه قد بدأ ممارسة تجربة الابداع متصلاً بجمهور ، ومن خلال سلعة يجرى فيها تقييم انتاجه • فان هذه التجربة استنفدت اغراضها بعد قليل • فسعى الى ان يخرج منها الى عالم اوسع في التعبير بالالوان ، كان يرى اللوحات الزيتية المبهرة التى يرسمها الفنانون •• بما فيها من مهرجانات الالوان ، وتمنى ان يجرب حظه في هذا المجال •

تشجع يوما ، وسأل احد هؤلاء الرسامين عن المادة التى يستعملها في انجاز هذه اللوحات الملونة الجميلة •• نظر الرسام باندهاش الى هذا الصبى الصغير الذى يريد ان يصل الى سر هذه المهنة هكذا •• وفي كلمات ، وقبل ان ينصرف عنه قال له باقتضاب « تستخدم البوية »• ومع سعادة الصبى الصغير بهذا الاكتشاف ، ما لبثت ان عادت اليه حيرته من جديد •• بوية • اى بوية انه لا يعرف بوية سوى تلك المادة التى تستخدم في تلميع الاحذية •• فلا بد ان ذلك الرسام كان يقصد الى هذا ••

لم يضيع صبينا وقتا •• واستعان بالقروش القليلة التى كان يدخرها في شراء علبة ورنيش من كل لون متاح ! وهى الوان محدودة يغلب عليها الاسود والبنى •• ليكن •• فلنحاول ••

وكانت النتيجة المؤسفة التى جعلته يتناسى ذلك الحلم مؤقتا •

فترة النضوج الشامل

لم يتح لنذير ان يتعرف على اسرار حرفة الرسم الا في المرحلة الثانوية ، فقد لاحظ مدرسه الفنان ناظم الجعفرى الموهبة المبكرة التى يكشف عنها هذا الصبى خلال دروس الرسم المدرسية ، فقرر ان يضمه الى باقى الطلبة المتفوقين الذين يدرسون في مرسمه الخاص •

● ● اللوحة فى نظره، مجال خلق متواصل لاينتهى •
● ● البحث عن نبض الجماهير فى وعاء اللاشعور الجماعى •

فى مرسم الفنان ناظم الجعفرى ، تعلم نذير اساليب الرسم بالرصاص والفحم والالــوان الزيتية • انطلق يرسم ويرسم فرحا بكل هـذه الامكانيات التي اتيحت له ، وفرحا بتوجيه استاذه، وبما يلقاه منه من تشجيع مستمر •

وما أن تنتهي مرحلة الدراسة الثانوية ، حتى يكون مستقبل الفتى قد تحدد ، وباى حال مـن الاحوال ليس خارج نطاق الانتاج الفنى التشكيلى •• فالى اين •• الى القاهرة حيث كلية الفنون الجميلة بما فيها من تخصصات متنوعة • ذلـك ان سوريا فى ذلك الوقت لم تكن بعد قد انشات معهدها الخاص بالفنون الجميلة •

فى القاهرة يختار نذير الانضمام الـى قسم التصوير • فبعد ان انهى السنة الاعدادية بكلية الفنون الجميلة ، ومارس اشكال الانتاج الفنـى المختلفة من تصوير الى نحت الى حفر الـى زخرفة •• زاد تصميم نذير على التخصص فى التصوير الزيتي •• ولعل قصته فى طفولته مـع البوية كانت ما تزال تلح عليه !

كانت فترة الدراسة في كلية الفنون الجميلة، فترة نضوج من كافة النواحى ، من الناحية الحرفية حيث عـرف كيف يستفيد من اساتذته ، كبـار الفنانين المصريين ، ومن الناحية الفنية حيث اتيحت له فرصة التعرف على اعمال الفنانـين من خلال المعارض الفردية والجماعية ، ومـن الناحية الثقافية حيث اتيح له الاحتكاك بعـدد من المثقفين مـن الفنانين التشكيليين ومن غيرهـم من الادباء والفنانين •

وكـان لقـاء الفنان نذير بعدد مـن شبـاب الشعراء •• وبخاصة شعراء العامية مثـل عبدالرحمن الابنودى وسيد حجاب ، بكل حماسهم للوصول الى جوهر فن الشعب شكلا ومضمونا •• كان ذلك اللقـاء مثارا للتساؤل الدائم فى نفس الفنان •• الا يمكن الوصول الى طريق جديد فى الفن التشكيلى ووجهة نظر جديدة ،



عازفة الناى من الاعمال الحديثة

توازى حركة هؤلاء الادباء الشبان بكل صدقهم وحماسهم !

وقبل ان ينهي الفنان نذير نبعة دراسته بالقاهرة ، كان قد شارك في بعض المعارض العامة بانتاجه ، عارضا محاولاته للرد على ذلك التساؤل الذى كان يلح عليه ٠

مرحلة التحديات

في عام ١٩٦٤ ٠ انتهت دراسته في مصر ، فعاد الى سوريا للعمل كمدرس رسم بالتعليم الثانوى في مختلف المحافظات ٠ وكانت فترة عمله في محافظة دير الزور فرصة سعيدة بالنسبة له٠ لقد سعى طوال اقامته الى دراسة وتامل العديد من الاثار الاشورية والكلدانية المتوفرة في المنطقة٠

وتميز انتاجه الفني في تلك المرحلة ، بانعكاس واضح لهذه الدراسة ، فكان يعتمد في حلول الشكل (الفورم) على الحلول الشائعة في النحت الاشورى والتدمرى ٠ وكان هذا التاثر يمتزج بتاثيرات أخرى استمدها من متابعته للانتاج الفني التشكيلي العالمي ، وتامله لاعمال كبار الفنانين العالميين ٠

انتهت مرحلة التدريس بالمدارس الثانوية في عام ١٩٦٨ ، حيث بدا الفنان نذير نبعة عمله كمدرس في كلية الفنون الجميلة بدمشق ٠ وهكذا بوجوده في العاصمة دمشق ، اصبح اكثر احتكاكا بالدوامة الفنية النامية ، واكثر اتصالا بغيره من الفنانين التشكيليين السوريين ٠

وكانت سنوات اقامته بدمشق ، سنوات انتاج فني غزير ، ومحاولات وتجارب لا تنتهي ٠٠ وكان حماسه يدفعه الى سلسلة من التحديات ، تحديات في الاسلوب ، وتحديات في الشكل ، وتحديات في الحرفة الفنية ذاتها وفي خوض تجارب عديدة في نوع الخامات التي يستخدمها في اعماله ٠٠ بل وتحديات في حجم هذه الاعمال ٠

وفي عام ١٩٧١ اختير الفنان نذير نبعة لبعثة دراسية في مدرسة البوزار بباريس (كلية الفنون الجميلة الفرنسية) ٠ واستمرت دراسته في بوزار حتى عام ١٩٧٤ ٠

تلميذ من جديد

عندما وصل نذير الى باريس ، اخذ قرارا بان ينسى كل انجازاته السابقة ، وان يتحول الى تلميذ حقيقي ٠٠ انه في باريس للدراسة ، فلا بد ان يتخذ سمة التلميذ أو الطالب الكاملة فاقبل على كل ما يخصص له من دراسات ،وواظب على المراسم والفنانين الذين عينتهم له المدرسة٠ لم يتمرد عندما مر بدراسات كان سبق له ان مر بها في القاهرة ، وكان يحاول ان يصل الى مذاق خاص للتعليم وهو في هذه السن ، وبعد ان مر بكل تجارب الانتاج الفني التي مر بها ٠

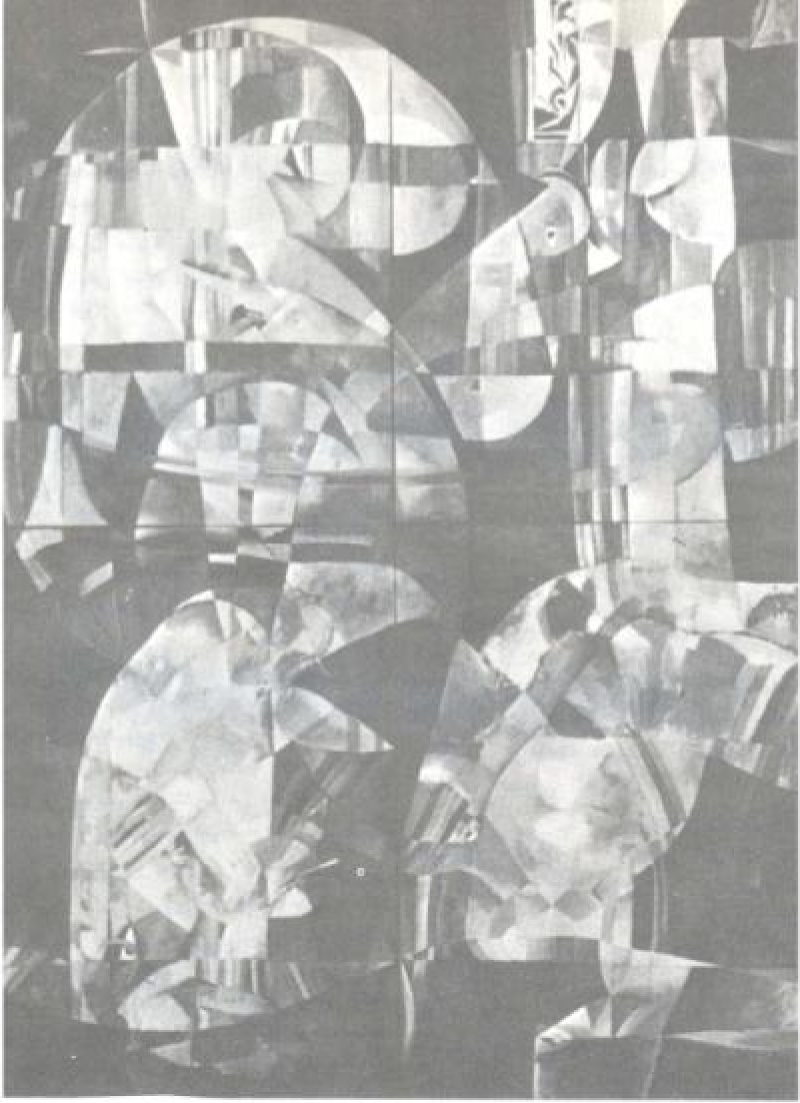
تخصص لمدة عام في فن الحفر (الليتوجراف)٠ واستفاد خلال هذه المدة من تردده على (اتيليه التكنيك) المرسم الخاص الذى تجرى فيه دراسة حرفيات العمل في فن الحفر٠٠او تكنولوجيا الحفر٠

كما استفاد من دراسته في التصوير ، التي كانت تقتضي تنفيذ نسخ من الاعمال الكلاسيكية لكبار قدامى الفنانين ٠ وكانت عملية نسخ هذه اللوحات تجرى في البداية وحتى النهاية على نفس نفس الخطوات التي كان الاستاذ القديم يخطوها ٠ ابتداء من تحضير الالوان التي ستستخدم في الرسم ، فكان على الطالب ان يدرس الطريقة التي كان يلجا اليها صاحب اللوحة القديمة ، ثم يقوم باعداد الوانه بنفس الطريقة ٠٠ كذلك تحضير وتجهيز القماش الذى سينقل عليه العمل القديم ٠٠ وبالطبع كانت عملية نقل اللوحة القديمة ، تتضمن دراسة دقيقة لاسلوب الفنان الكبير ، وطريقة تلوينه ، وطريقة استخدامه للفرشاة ٠

بعدها ، مر الفنان نذير نبعة بالعديد من الدراسات على ايدى نخبة من اساتذة مدرسة البوزار ٠ كان استاذه في مادة التصوير يعلن دائما شعار ٠٠ « الفن لا يعيش الا في الحرية »، وهكذا طلب من نذير نبعة ان يختار المرسم الذى يتفق مع رؤيته الفنية والاستاذ الذى يستجيب له ٠ واثر نذير نبعة ان ينفتح على مختلف الاتجاهات وان يتعلم على يد اكبر عدد من الاساتذة ٠

استطاع الفنان نذير ان يصل بانتاجه ، الى تمثيل مدرسة البوزار بباريس في المعرض الاسيوى لعام ١٩٧٤ ، ذلك المعرض الذى يضم اللوحات المنتقاة من انتاج الطلبة والذى يقام سنويا ، وقد حصل نذير على جائزة ذلك المعرض ٠

وانتاج الفنان في مرحلة الدراسة بباريس



لوحة من مرحلة الدراسة في باريس تظهر فيهاغلبة الاتجاه التجريدي

يختلف كل الاختلاف عن انتاجه السابق ، وعن انتاجه الحالي • كان مزيجا من الدراسةوالتجريب والانتاج وقد غلب الطابع التجريدي على ذلك الانتاج • والتجريد هنا ـ في رأيي ـ لم يكن يقصد اليه كاتجاه ، بل كان وسيلة للتجريب المركز المباشر ، واداة للتعرف والبحث •

ومن تجارب الانتاج التي مارسها الفنان نذير نبعة في باريس ، تجربة التعبير عن اغراض التصوير المتباينة من خلال عنصر محدد • فهو يركز على زهرة معينة ، يدرسها ويتاملها ثم يحاول ان يرى فيها ما يسمح له بتقديم ما يشبه فن الصورة الشخصية (بورتريه) ، او الطبيعة الصامتة او المشهد الطبيعي (بييزاج) او غير ذلك من اغراض التصوير •

مبدأ التجريب

بعد العودة من باريس في عام ١٩٧٤ ، عاش الفنان فترة تامل واجترار لكل التجارب والخواطر،

والاحلام الفنية القديمة والجديدة .. عمد الى تقليب ارشيف خبراته وتجاربه قبل ان يقدم على انتاجه الجديد .

وقد اسفرت عملية التامل هذه ، عن مرحلة جديدة تماما في انتاج الفنان ، المرحلة المعاصرة التي تجد قبولا عند النقاد والجمهور في آن واحد .

كان سعيه الاساسي للوصول الى وجدان الجمهور السوري خاصة والجماهير العربية عامة ، عن طريق وعاء اللاشعور الجماعي الذي يختزن المعالم الحضارية المتراكمة على مدى آلاف السنين . هذا اللاشعور الجماعي الذي يؤثر في ذوقنا وفي معظم اختياراتنا دون وعي منا في اغلب الاحيان .. وهو ما يخلق لدى الجماعة ذلك الاتفاق في الذوق والمشارب ، ويحقق السمات المشتركة في المزاج العام .

وبنوع من التامل الخالص ، تمثل الفنان نذير نبعه افكار لوحاته ، فجاءت هذه اللوحات حاملة لمعالم الفن الاشوري والتدمري . نابضة باحلام الف ليلة وليلة ، مختلطة بخلاصة الانجازات التي حققها في باريس ، مستفيدة من تجاربه الفنية والتكنيكية التي مارسها قبل سفره الى باريس .

وفي هذه المرحلة الحالية ، يلتزم الفنان نذير نبعه بعدة اسس ضرورية ، لايحيد عنها . اول هذه الاسس ان اللوحة في انتاجه الجديد كائن ديناميكي يتفاعل بصفة دائمة مع وجدانه . اللوحات العديدة التي تشغل حوائط مرسم الفنان وجوانب بيته لايمكن ان تجزم بانها لوحات مكتملة او منتهية ، كما لا يمكنك في نفس الوقت ان تكتشف فيها ما يجعلها ناقصة او تحتاج الى اضافة . ذلك ان العلاقة بين الفنان نذير ولوحاته علاقة مستمرة متصلة .. ليست لديه لوحة منتهية .. كل عمل من الاعمال يحتمل بعد زمن نوعا من الاضافة . فالفنان يؤمن بمبدا الخلق المتواصل .

وقد ذكرني هذا باحد المبادىء الاساسية في مسرح بريخت .. التجريب او ما يطلقون عليه (فاو برنسيب) . فالمسرحية ، اي مسرحية ، وبعد عرضها على الجمهور لاتعتبر من وجهة نظر بريخت منتهية .. بعد فترة من العرض يعود بريخت الى حذف (.) هد ، واضافة مشاهد وتقديم وتاخير مشاهد اخرى ، ثم يعرضها مرة ثانية على الجمهور . واذكر انني حضرت العرض الاول لاحدى مسرحياته « كوريولانوس » ، ثم عدت بعد سنتين وحضرت عرضا لنفس المسرحية، فلمست قدرا واسعا من التغيير والتبديل .

نفس الشيء يلتزمه الفنان نذير نبعة ، ينتهي من عمله في لوحة من اللوحات ، ويعلقها على حائط من حوائط مرسمه ، ثم يبدا في لوحة جديدة .. ما ان ينتهي منها ، حتى تراه يعود الى اللوحة القديمة يضيف اليها بعد ان تكون رؤيته لها قد زادت نضوجا ووضوحا .

صدق الوجدان

وهذا الاساس من اسس الانتاج في المرحلة الجديدة للفنان نذير نبعة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بالاساس الثاني ، وهو مبدا الصدق . والصدق هنا ، ليس هو الصدق العقلاني المتفق عليه .. لكنه نوع من الصدق الوجداني الذي يساعد في الوصول الى لحظة الكشف ، القريبة من لحظة الكشف الصوفي المعروفة .

صدق يسعى به الى استجلاء مكونات وعاء اللاشعور الجماعي ، واقتناص مكوناته لطرحها على صفحة اللوحة . وكلما توصل الفنان عن طريق التامل الصادق الى درجة اكمل من الصدق انعكس هذا على لوحته وراح يترجم وعيه الجديد، في شكل اضافات الى العمل القديم .

كان من نتيجة التزامه بهذه الاسس ان اقبل الجمهور على اعماله في حماس ، يسعى الى اقتنائها ويعتز بحوزتها ، فتتضاعف سعادته بذلك .. ويحقق رؤيته القديمة التي ادركها في بداية حياته عندما كان يبدع الرسوم والزخارف على الازياء التي كانت تحيكها اخته .. « حلاوة ان يكون الرسم احتياجا لدى الناس يسعون اليه .. ويدفعون فيه مايطيقون من مال » .

وهكذا ينجح الفنان نذير نبعة في ان يقدم فنا اصيلا صادقا ، يستجيب له الجمهور ويسعى الى اقتنائه ولايسمح لنزوة فنية ان تقف حائلا بينه وبين الجماهير الواسعة .

حتى لا نتحسر على أيام زمان
ونلغي جيل هذا الزمان

نحو سلام دائم بين الشباب الشيوخ

للدكتور علي أحمد على

■ كثرت الشكوى هذه الايام من الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التى تسود الشباب نحو الشيوخ وجيل كبار السن ، وكذلك السخط الذى يسود الكثير من كبار السن ممن وصلوا الى مرحلة الشيخوخة نحو جيل الشـــباب وعدم رضاهم عن غالبية الافعـــال والتصرفات الصـــادرة عن هذا الشباب •

ولا شك ان هذه الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتى تسود كل جيل نحو الجيل الآخر تعرض العلاقات الاجتماعية فى المجتمع للتوتر والقلق • فالمجتمع عادة ما يتكون من جيل الاطفال والشباب والراشدين والشيوخ • فاذا توترت العـــلاقة بين الشباب وكبار السن وهم يكونون قطاعا هاما من اية امة ، اضطربت العلاقات الاجتماعية فى هـــذه الامة وسادت فيها الصراعات والمنازعات والتوتر والقلق •

ولا شك أن الاتجاهات الســالبة غير المرغـــوب فيها اذا سادت قطاعا من الافراد مثل كبار السن اثر ذلك على كل تصرفاتهم وعلاقاتهم بالشباب ، نضرب مثالا لذلك ، أحـــد المديرين الذى قارب عمره الستين عاما اذا ساده اتجاه سالب نحو جيل الشباب فعادة ما يؤثر ذلك على تصرفاته فى العمل بما يضر العمل والعاملين •فتؤدى بهذه الاتجاهات السالبة الى حرمان الشباب من فرص العمل المثمر والمنتج ، والى عدم اتاحة الفرصة لهذا الشباب لتحمل المسئولية فى مجال العمل• وتؤدى الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التى تسود هذا المدير الى عدم رغبته فى تقبل رأى أو فكر الشباب الذى يعمل فى ادارته •

وقد تؤدى تصرفات المدير كبير السن هذه الى فقدان المنشأة لجهد وفكر شباب كان من الممكن ان يسهم اسهاما فعالا فى تقدم وترقى المنشأة التى يعمل فيها •

وبالمثل اذا سادت بعض الشباب اتجاهات سالبة نحو العاملين كبار السن بالمنشأة ، كان يتهموهم بالتخلف والرجعية والجمود وعدم التطور فاغلب الظن ان هذا سيوتر العلاقة بين العاملين الشبان والعاملين كبار السن • وفي هذه الحالة يخسر هؤلاء الشبان توجيه وخبرة وبصيرة هؤلاء العاملين الذين سبقوهم في العمل سنوات طويلة ، ويسود العمل نتيجة لذلك جو من عدم التعاون والمنازعات والصراعات •

ونضرب مثالا آخر لتوتر العلاقة بين الشباب والشيوخ والاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التي قد تسود كل فئة نحو الفئة الاخرى « الاب الذي يرفض دائما سلوك ابنه الشاب ، يرفض سلوكه الملبسي فنراه يسخط ويغضب اذا لبس ابنه الشاب ملابس ذات الوان زاهية لم يعتد الاب لبسها في شبابه ، ونراه يسخط ويغضب ايضا اذا أطال ابنه الشاب شعر رأسه ، او ناقشه في قضية مناقشة الند للند ، لان الاب قد اعتاد في شبابه آلا يرد قولا لابيه • وهكذا نجد ان هذه الاتجاهات السالبة التي تسود الاب نحو ابنه وغيره من شباب هذه الايام يؤدي الى توتر العلاقة دائما بينه وبين ابنه ويسبب الكثير من الصراعات والمنازعات بينهما » •

والابن الشاب قد يكون رافضا لابيه لا يعجبهمن تصرفات أبيه شيئا • فهو دائم النقد لابيه « لما يلبسه وما يقوله وما يفعله » • وحجة الشاب المتوهمة في ذلك أن أباه رجعي متخلف السلوك لا يتمشى مع مقتضيات ومتطلبات العصر ، ونتيجة هذه الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتي تسود هذا الابن نحو أبيه نجده يرفض كل تصرف وسلوك صادر عن هذا الاب ، حتى ولو كان معقولا ومقبولا ونجده لا يستمع الى اى نصح او ارشاد صادر عن هذا الاب • وكثيرا ما نطلق على هذا الابن « الابن العاق » غير البار بوالديه • وهذا يؤدي الى سيادة الاضطراب والقلق والمنازعات جو الاسرة ويحرم هذا الاسرة من الحياة الهادئة السعيدة التي تسودها المحبة والتعاون والفهم المشترك •

واذا أردنا أن نستمر في سرد امثلة لما يمكن أن يعانيه مجتمع الاسرة أو مجتمع العمل أو المجتمع الكبير الذي نعيش فيه اذا توترت وساءت العلاقة بين الشباب وكبار السن ، فسنجد آلافا من الامثلة العملية التي توضح مدى خسارة الافراد والجماعات والمجتمع من جراء ذلك •

لماذا حدثت الازمة ؟

قد يتساءل البعض عن العوامل التي خلقت وسببت الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتي تسود الشيوخ وكبار السن نحو الشباب في أيامنا الحاضرة • وفيما يلي سرد لبعض هذه العوامل :

١ ـ تنمية الاعتقاد في بعض الدول بين الشباب بانهم وحدهم صانعو المستقبل ، واغفال الدور الذي قام به كبار السن والشيوخ في صناعة هذا المستقبل• وقد أدى تجسيم دور الشباب الى غرور بعضهم واعتقادهم الخاطىء في أهميتهم دون سواهم • والحقيقة تقول أن كل تقدم حديث يسود العالم في عهدنا الحاضر كان لجيل الشيوخ وكبار السن الفضل الاول في صنعه والوصول اليه • وعلى هؤلاء الشباب أن يدركوا أنكل تعلم وصلوا اليه كان من جهد وصنع وخبرة كبار السن ،والمثل العربي الشائع يقول « من علمني حرفا صرت له عبدا » •

٢ ـ التغيير الذي يشمل كل شيء في العالم الذي نعيش فيه • فمعدلات التغيير في عصرنا الحديث فاقت كل تصور • وهذا التغيير شمل كل شيء « القيم والاتجاهات والآلات وطرق ووسائل الانتاج ونظم الحياة » ، وهذا التغيير الذي أصبح يشمل كل شيء جعل الشباب ينظر ويتطلع لكل حديث ويرفض كل قديم ، وكان ذلك من دواعي رفضهم لجيل من الناس عاشوا في الماضي •

٣ ـ جمود بعض الآباء ، وعدم تطورهم وعدم المامهم بظروف جيل الابناء من الشبان ، اسهم في زيادة شعور جيل الشباب بان جيل الاباء جيل يسوده الجمود والتخلف ، وكان أحرى بالآباء أن يدركوا أن أبناءهم قد خلقوا لزمان غير زمانهم ، وظروف جيل الابناء تختلف عن ظروف جيلهم • وقد أسهم في خلق هذه الفجوة في أسلوب التفكير وفي النظرة للحياة ، اضطرار الافراد نتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة وزيادة المطالب المادية للزواج وللاسرة الى تأجيل الزواج الى ما بعد سن الثلاثين ، وكان من نتيجة ذلك أن فارق السن أصبح كبيرا بين الآباء والابناء ـ فكثيرا ما نرى الابن في سن العشرين في حين تجد الاب مثلا قد جاوز الستين من عمره ، ولم يعد

لديه من الجهد أو الصبر أو الصحة أو المرونة ما يسمح له بالتمشي مع أفكار ومطالب واحتياجات هذا الابن الذى ما يزال يعيش سن الشباب ـ ففارق السن الكبير بين الابناء والآباء يجعلهم ينتمون الى أجيال مختلفة الفكر مختلفة التقدير لمواقف وقضايا الحياة •

٤ ـ اختلاط القيم بالنسبة للشباب • ففى ظل هذا العصر المتغير ، تغير الكثير من القيم فى الكثير من بلاد العالم ولم يجد الشباب القيم البديلة المناسبة • ففى منطقتنا العربية سادت قيم احترام الصغير للكبير لازمنة طويلة ، ولكن مع رياح التغيير التى شملت الكثير من المناطق العربية اختفت هذه القيمة او كادت تختفى ، وحلت محلها قيم ليست أصيلة وليست متضمنة فى حضارتنا وتراثنا الثقافى• وكان من المفروض أن ندعم ونرسخ فى نفس الشباب القيم الطيبة فى تاريخنا وتراثنا الثقافى •

٥ ـ عدم معرفة الكثير من الآباء وكبار السن بسيكولوجية المراهقين والشباب وظروفهم النفسية والعوامل المؤثرة فيهم ، أدت الى عدم تقدير الآباء والكبار فى المجتمع لظروف المراهقين والشباب وعدم قدرتهم على فهم سلوكهم وعلى حسن التعامل معهم فى مختلف مواقف الحياة •

وعند كبار السن

هناك عوامل كثيرة تسهم فى خلق وتنمية اتجاهات كبار السن السالبة وغير المرغوب فيها نحو جيل الشباب المحيط بهم ومن بين هذه العوامل ما يأتى :

١ ـ تبنى الشباب لأفكار واتجاهات وقيم معينة لا يرضى عنها الكبار ، لانها تختلف عما يتبنونه من أفكار واتجاهات وقيم • فالكثير من الشباب الآن يرون مثلا أن مظهرهم الخارجي وملبسهم يعتبر من الامور الخاصة بهم ، وليس لأحد أن يتدخل فيه أو فرض ارادته عليهم بالنسبة لهذه المسائل • فى حين نجد أن كبار السن فى المجتمع ـ حسب قيمهم ومعاييرهم القديمة ـ يرون أن الشباب عليه أن يخضع نفسه للمعايير والقيم بالنسبة لملبسه ومظهره الخارجي ولسلوكه الظاهر•

ومن الأمثلة الاخرى الكثيرة على النواحي التى تزعج كبار السن والشيوخ بالنسبة لسلوك الشباب ، عدم اظهار الشاب فى يومنا الحاضر الاحترام الكافي للشيخ وكبير السن عند تعامله معه ، ويبررون قولهم بما كان يحدث فى الماضى من تقبيل الصغير ليد الكبير ووقوفه عند قدومه وعدم التكلم بينما الكبير يتكلم ، ولكن جيل الشباب الآن يرى ان احترام كبار السن لا يكون بمظاهر وشكليات الاحترام ، ولكن بجوهر هذا الاحترام ولبه• وهذا ما لا يرضى عنه كبار السن والشيوخ فى وقتنا الحاضر ويرونه خروجا على المعتاد من السلوك من جانب هذا الشباب • وتمثل هذه المسالة ناحية ازعاج للكثير من الشيوخ وكبار السن فى وقتنا الحاضر وموضوعا للشكوى الدائمة من جانبهم •

٢ ـ عدم تدريب الشباب وتوعيتهم بسيكولوجية كبار السن والشيوخ وأسلوب التعامل معهم • فالسن الكبيرة لها ظروفها حيث يضعف الانسان ، ويفقد الكثير من قدراته وتسوده الامراض والاوجاع ويصبح غير قادر على المواجهة الانفعالية لمشكلات ومصاعب الحياة • وفى هذه السن يتوقع كبير السن بعد أن وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا أن يجد من يرحم شيخوخته وشيبته ويأخذ بيده • ولعل الله سبحانه وتعالى تكريما لدور الوالدين العظيم ورعاية وتقديرا لظروفهم الخاصة فى شيخوختهم أوصى بهم الابناء خيرا « اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » •

والواقع أن تعريف الشباب بأحوال وظروف الشيوخ الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية الصعبة يجعل الشباب اكثر قدرة على التعامل معهم ، مما يؤدى بالتالى الى تغيير اتجاهات كبار السن والشيوخ السالبة نحو جيل الشباب فى المجتمع الواحد •

٣ ـ النكوص Regression الذى يصيب بعض الشيوخ وكبار السن وتمسكهم بكل قديم ،يؤدى أحيانا الى رفضهم لكل حديث وجديد والى رفضهم للشباب الذين يمثلون هذا الحديث وهذا الجديد والى رفضهم كل ما يصدر عن هذا الشباب من سلوك • فكثيرا ما نسمع كبار السن يرددون عبارات مثل « الله يرحم ايام زمان » وفى المجتمعات الناطقة باللغة الانجليزية هناك عبارة معادلة للعبارة العربية السابقة The good

old days أى الايام الماضية الجميلة السعيدة التي يتمسك بها جيل كبار السن هناك • ويظهر ان حنين الانسان للماضى ـ حيث طفولته وشبابه ـ كبير عند الكثير من الافراد من مختلف البلاد • ولا شك أن حنين كبار السن الى الماضى يزيد كلما ساءت ظروف حاضرهم وصعبت معيشتهم واضطربت أحوالهم •

٤ ـ التعميم الخاطىء من جانب بعض الشيوخ• فقد يصادف أحد كبار السن سلوكا شاذا او غير انسانى صادرا من أحد الشباب ، فسرعان ما يعمم ما يراه على جميع الشباب ، ولعل هذا التعميم الخاطىء من جانب بعض الشيوخ مرجعه ما أصابهم بعد أن يبلغوا أرذل العمر من جمود فى السلوك والتفكير ، خاصة بعد ما يكون قد اصاب المخ من وهن نتيجة لتصلب الشرايين ونقص ما يصل الى المخ من دم وغذاء فى هذه السن المتأخرة من عمر الانسان •وكثيرا ما يقع الشيوخ فيأخطاء التعميم حتى قبل ان يصلوا الى ارذل العمر • نضربمثلا لذلك « مدير العمل الذى قارب سنه الستين قد يصادف فى العمل واحدا من العاملين الشبان لا يتحمل المسئولية ، فنرى هذا المدير يتسرع فى الحكم ويعمم حكمه الخاطىء على جميع العاملين من الشبان بأن يرميهم ويتهمهم بعدم تحمل المسئولية »• وهو بذلك يوقع ظلما كبيرا علىجيل باكمله ويتهمه بما ليس فيه •

الطريق الى السلام

لا شك انه هدف قومى وانسانى عظيم أن يسعى كل مجتمع لاقامة سلام دائم بين جيل الشباب وجيل الشيوخ مما ينعكس اثره الموجب على الأسرة وعلى العمل وعلى المجتمع ككل • وفيما يلى عدد من النصائح والمقترحات التى تعمل على تدعيم هذا السلام والمحبة بين الجيلين وهى مذكورة بشىء من الايجاز :

١ ـ يجب أن يدرك الشباب ان الشيوخ وكبار السن فى المجتمع هم الخير والبركة وانه لولا اسهامهم وجهدهم وعرقهم ودموعهم وكفاحهم لما تمتع الشباب بما يتمتع به فى أيامه الحاضرة من طيبات الحياة • كما يجب ان يدرك الشباب ان خبرتهم وكل تعلم وصلوا اليه صنع الكثير منه جيل الشيوخ وكبار السن • وليس اقل من أنيكون الاعتراف بفضل هؤلاء الشيوخ فى شكل رعاية وتكريم وتبجيل لهم فى أيامهم الباقية • « فمن علمنى حرفا صرت له عبدا » •

٢ ـ تزويد الشباب من خلال المناهج الدراسية والنشاط المدرسي بالمعلومات والخبرات التى تزيد من فهمهم للظروف النفسية والعقلية والجسمية المتدهورة التى يعيشها كبار السن والشيوخ فى المجتمع وندع الشباب يعلم ان هذه سنة الحياة • ونعرض عليهم وصف القرآن الكريم لما يكون عليه حال الانسان بعد ان يصل الى أرذل العمر : « ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا » •

واذا أدرك الشباب أن الشيخوخة مرحلة حتمية يصل اليها كل انسان ، وان تقديره للشيخوخة ورعايته لها سيرتد اليه فى يوم من الايام ، «وتلك الايامنداولها بين الناس» فان ذلك سيدفعه الى رعاية كبار السن والشيوخ فيمجتمعه •وعلينا انتعرض علىالشباب الصورة البليغة التىرسمها القرآن الكريم لدورة حياة الانسان على هذه الأرض :

« والله خلقكم منضعف ثمجعل منبعد ضعفقوة ثمجعل منبعد قوة ضعفا وشيبة يخلقما يشاء وهو العليم القدير » •

وعلينا ان ندرب الشباب على فن التعامل مع الشيوخوكبار السن فيحسنونلهم القول والتعامل، حتى نمكنهم أن يقضوا بقية أيام حياتهم فى رضا واستقرار بعيدين عن المشكلات والمنازعات والصراعات •

٣ ـ تأكيد روح التواضع فى نفس الشباب • فالكثير من اجهزة الاعلام تعمل على تدعيم روح الصراع بين الشباب والشيوخ فى المجتمع الواحد حين تغالى هذه الاجهزة فى ابراز دور الشبابفى بناء الاوطان وتجسيم هذا الدور بحيث يعتقد الشباب خطأ بانه وحده القادر على صنع الحياة، وهو وحده خالق التقدم على ارض وطنه• وهذا الاعتقاد الخاطىء يدعمه وينميه فئة خبرة وبصيرة بعض الشباب • وينسى هذا الشباب الدور الذى قام به الرواد الاوائل من الشيوخ فى صنع الحياة والتقدم على ارض وطنهم ويتهمونهم باطلا وظلما بالتخلف والرجعية والجمود •

وفى هذا المجال علينا وعلى اجهزة الاعلام ان نبرز الدور الكبير الذى قام به جيل الشيوخ فى

العمل الوطنى ، وان نبرز لهؤلاء الشباب فضل هؤلاء الشيوخ وكبار السن عليهم وآثارهم الباقية فى كل مجال • وعلينا ان ندعم فى نفس الشباب فكرة ان الوطن يسعد ويتقدم بكل ابنائه وان تقدم الوطن لا يقوم على اكتاف الشباب وحدهم بل ان لكل فرد دورا او ادوارا هامةيؤديها فى مختلف مراحل العمر •

وتوصيات للشيوخ

هناك بعض الاتجاهات السالبة التى يتبناها بعض كبار السن نحو الشباب التى عادة ما يكون مرجعها ما وصل اليه هؤلاء الكبار من وهن وضعف بدنى وجسدى وعقلى وارهاق نفسى،وما وصل اليه هؤلاء الكبار من سوء التكيف والتوافق معمجتمعهم المتغير وبعيدا عن هذه العوامل الفسيولوجية والنفسية المتدهورة التى يفرضها وصولالانسان الى سن متاخرة،نسوق بعض النصائح والتوصيات التى تساعد على تحسين وتغيير اتجاهات بعض كبار السن السالبة نحو جيل الشباب :

١ ـ تاكيد فكرة التقبل Acceptance بالنسبة لكبار السن ، فعلينا ان نوضح لهم ان عليهمتقبل الشباب بما فيه من نواح جيدة ونواح رديئة وبما فيه من نواح ترضيهم ونواح لا ترضيهم وعلينا ان نؤكد لآبائنا من كبار السن أنه أمر مقرر ان نجد اختلافا بين سلوك جيل الشبابوبين جيلهم • فقد خلق هؤلاء الشباب لزمان غيرزمانهم والحياة تتغير وتتطور ومعها يتغير ويتطورالانسان الذى يعيش هذه الحياة •

٢ ـ احاطة كبار السن والشيوخ بالظروف البيئية التى تناسبهم ،فقد لوحظ فى معظم بلاد العالم قيام الصراع والصدام بين سلوك وافكار الشباب وبين سلوك وافكار الشيوخ وكبار السن الذين يعيشون معهم فى مكان واحد ، لذلك كان الاتجاه قويا فى الدول المتقدمة نحو انشاء دور للضيافة يحيا فيها كبار السن والشيوخ حيث يجدون فيها الرعايةالاجتماعية والصحية والنفسية • وقد شاهد كاتب هذا المقال بنفسه كيف أنه فى بلاد كالولايات المتحدة وغيرها من البلاد الاوروبية يفضل بعض كبار السن والشيوخ الميسورين ماديا ان يعيشوا فى هذهالدور على الاقامة مع اسر ابنائهم • ففى هذه الدور يتعامل كبار السن مع افراد يتفقون معهم فى الظروف وفى الميول وفى الاتجاهات • ويمارسون النشاط الذى يتفق مع احوالهم الصحية المتدهورة ويعبرون عن مشاكلهم المشتركة ويسعدون بالتحدث الطويل عن « ايام زمان » • وفى دور الضيافةيقل اصطدام كبار السن والشيوخ بسلوك وافكار الشباب ، وهم بذلك يريحون ويستريحون •

٣ ـ تقديم كافة صور العلاج والارشاد النفسى لكبار السن والشيوخ •ولعل منٱهم صورالمساعدة النفسية ان نشعر كبار السن بان مكانتهممحفوظة فى المجتمع وان اى مجتمع لا يستغنى عنرأيهم وفكرهم وجهدهم • وان نؤكد لهم ان اى مجتمع ينكر فضلهم مجتمع متخلف ناكر للفضل والجميل، وان نؤكد لهم بالافعال لا الاقوال انهم بحق « الخير والبركة » وعلينا ان نستعين بجهد وفكر وخبرة القادرين منهم فى مختلف مجالات الحياة حتى نخلصهم من الفراغ القاتل والوحدةالمدمرة ومن الاحساس بقلة القيمة •

٤ ـ مساعدة كبار السن على التخلص من التعميمات الخاطئة • فعندما يقابل كبير السن واحدا او اكثر من الشباب يتصرف باسلوب خاطىء او يسلك سلوكا غير مناسب او يظهر بمظهر غير لائق، فسرعان مايقومون بتعميماحكامهم على كل الشباب • وفى هذا ظلم كبير للشباب • ومن الممكن ان نبرز لكبار السن آلافا من صور الشباب المتحمل للمسئولية المكافح الكادح المفكر المهذب ، وان نعرض على هؤلاء الكبار حالات من الشباب تستحق تقدير ابناء الوطن صغيره وكبيره •

كلمة أخيرة

اذا ادرك كل فرد فى المجتمع بان الشيخوخةهى نهاية مطافه على هذه الارض لقدم شبابنا كل صور الرعاية لمن يعيشون مرحلة الشيخوخة ، ولو وضع كبار السن فينا انفسهم محل شبابنا لكانوا اكثر قدرة على فهم سلوك الشباب وتقدير ظروفه •

والسعادة التى يجنيها المجتمع كبيرة اذا قام فهم مشترك وسلام بين الجيلين :

جيل الشباب الذىيتسم بالاقدام والقوة والحيوية وجيل الشيوخ الذى يتسمبالخبرةوالحكمةوالبصيرة•

●●

القاهرة ـ د • على أحمد على

خلافاً لما تقوله المصادر الغربيـة

علم التخدير

أصله عربي

بقلم : الدكتور محمد طه الجاسر

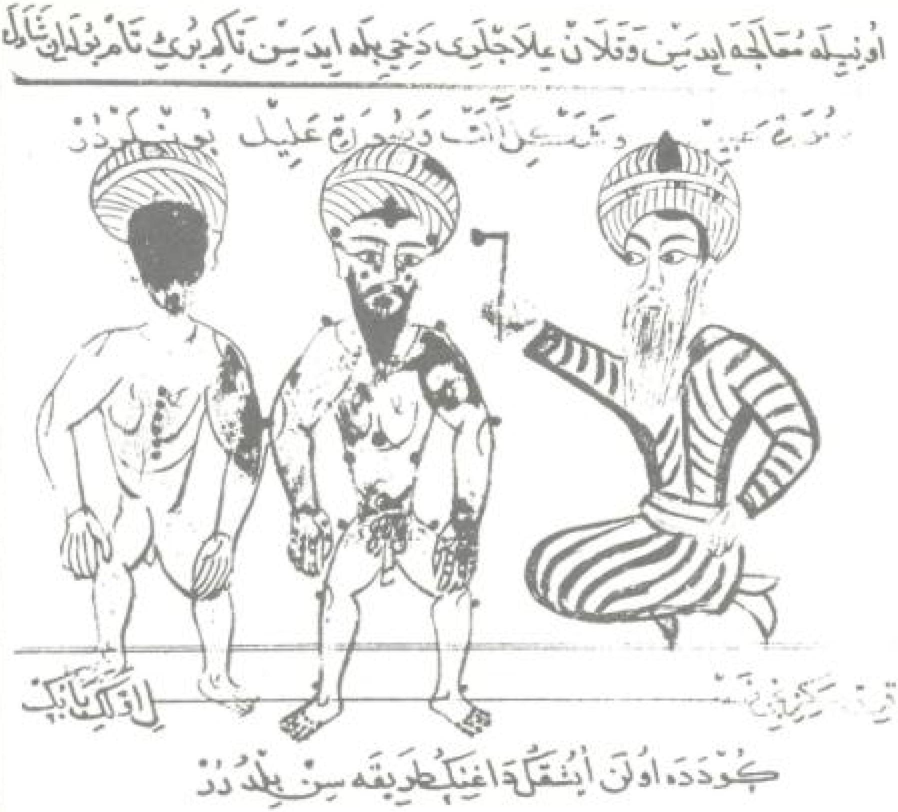
كان العرب هم اول من استخدم التخدير عن طريق الاستنشاق ، وهم اول من اكتشف الكحول العنصر الرئيسى فى كل مواد التخدير المستخدمة اليوم ، وكانوا يسمونه « الغول » !

اما الانعاش فقد عرفوا وسائلـه ايضا ، لكن المصادر الغربية تتجاهل هذا كله وتسقطه من الحسبان ، حتى كاد العرب انفسهم ان ينسوا هـذه الصفحة المشرقة من تاريخهم ..

هذه القضية يعرضها في هذا المقال الدكتور محمد طه الجاسر مدرس علم التخدير والانعاش بكلية الطب بجامعة حلب ، وزميل كلية المخدرين للمجمع الملكى للجراحين فى انجلترا .

من المؤسف ان المصادر الغربية تكاد تتفق على تجاهل ما اضـافه الشرق بصورة عامـة والعـرب بصورة خاصة الى مختلف فروع العلم عامة والعلوم الطبية خاصة من افكار ونظريات وقواعد وقوانين ومكتشفات ، ساهمت فى تقدم العلم وتطور التقنية التى ما قامت الا على اساس من التقدم فى مختلف مجالات العلوم الاساسية ، ويكفى ان نذكر هنا بعالمين جليلين هما : ابن الهيثم واضع اسس علم البصريات والخوارزمى واضع علم الجبر ، لناخذ فكرة سريعة عن مدى مساهمة العرب فى التقدم الحضارى الذى وصل اليه البشر .

والان اين يقف العرب بالنسبة لتاريخ علـم التخدير والانعاش ؟



ان ما في ايدينا من مصادر يشير الى ان التخدير العام الاستنشاق انما بدأ عام ١٨٤٤ ، حينما حاول (هوراس ويلز) استعمال غاز اول اوكسيد الازوت في تخدير شخص لخلع سنه دونما الم • وتاكدت المحاولة وبدأت حقبة جديدة للتخدير العام ب (ويليام مورتون) عام ١٨٤٦ حينما تمكن ويليام مورتون من تخدير مريض بمادة الايتر واعقبه سمبسون عام ١٨٤٧ باستعمال كلوروفورم وتوالت الاكتشافات حتى اصبحنا اليوم نملك العديد من مواد التخدير الاستنشاقية كال (هالوتان ، ايترين، فورين ، ميتوكسى فلورين) •

وتؤكد هذه المصادر ان التخدير الاستنشاق او بالحقن الوريدى لم يكن معروفا قبل ذلك ، وانما كانت هناك محاولات من عهد الرومان واليونان لا تتعدى واحدة من ثلاث طرق : السحر والشعوذة ، التبريد ، استعمال مزيج مخفف للالم عن طريق الفم •

وان الاعتقاد بان الالم ضرورى وحس يتعلق بما وراء الطبيعة وانه الثمن الذى يجب ان يدفعه الانسان ليكفر عن خطاياه اضر كثيرا بتطور التخدير •

ولقد عرف العرب الجراحة التى كانت معروفة ذلك الوقت ومارسوها كما تدل على ذلك الكتب التى بين ايدينا ، من بتر واستئصال اللوزتين والاورام كالسرطان ، الذى وصفه ابن سينا بانه الورم الصلب الذى ينتقل من عضو الى عضو وانه يصيب الاحشاء ، ووصف سرطان الكبد بانه نوعان : نوع يحدث عن ورم تقدم ونوع يحدث ابتداء •

ابن سينا يحكى

ويعطينا ابن سينا بعض التفاصيل القيمة فى كيفية استئصال اللوزتين وبعض الاورام كسرطان الثدى والخنازير وهى التى تشمل اورام العقد اللنفية فى العنق كداء هوجكين او السل وقد سمى بداء الخنازير لشبهه بمرض يصيب الخنازير او ان العنق يتضخمبحيث يصبح المرء قريب الشبه بالخنزير او اشارة الى خبث المرض ، وليس

من المعقول ان تجرى مثل هذه الجراحات بدون تخدير ، وساعد على ولوج العرب حقل التخدير والعمل على تطويره ان قصة الألم كنوع من انواع الجزاء الالهي لا اصل لها في تقاليدهم ومعتقداتهم.

ولقد جربوا اعطاء المريض المقبل على عمل جراحي بعض الادوية المخدرة او المزيلة للالم ، فقد ورد عن ابن سينا قوله : ومن اراد ان يقطع له عضو يسقى من اليبروح في شراب مسبت .

الا ان هنالك قرائن تدل على ان العرب كانوا اول من استعمل التخدير عن طريق الاستنشاق ، وذلك بواسطة الاسفنج المخدر او الاسفنجة المنومة. فقد ذكرت زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » مايلي :

« وللعرب على علم الطب فضل آخر كبير في غاية الاهمية ، ونعني به استخدام المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية وكم كان التخدير العربي فريدا في نوعه ، صادقا في مفعوله ، رحيما بمن يتناولونه ، وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها ، كلما ارادوا تخفيف آلامهم ، وليس لوضع آلام العمليات عنهم . وينسب هذا الكشف العلمي مرة اخرى الى طبيب ايطالي اولا والى بعض الاسكندريين ثانيا، في حين ان الحقيقة تقول والتاريخ يشهد ان فن استعمال الاسفنجة المخدرة فن عربي بحت لم يعرف من قبلهم ، وكانت توضع هذه الاسفنجة المخدرة في مزيج من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن ثم تجفف في الشمس . ولدى الاستعمال ترطب ثانية وتوضع على انف المريض فتمتص الانسجة المخاطية المواد المخدرة ويركض المريض الى نوم عميق يحرره من اوجاع العملية الجراحية » .

اول مخدر

ومادة الايتر كانت اول مخدر من نوع السائل الطيار ادخل الى حقل التخدير وظل يستعمل عن طريق الاستنشاق منذ عام ١٨٤٦ وما زال ، ثم انه المادة الرئيسية لمجموعة المخدرات التي تحتوي على علاقة الايتركاد (ميتوكسي فلورين وايترين وفوران)

ويختلف الباحثون حول العالم الذي ركبه . بعض المصادر ترده الى فاليروس كوردوس لانه وصف كيفية صنعه في احد كتبه الذي طبع عام ١٥٦١ وسماه زيت الزاج الحلو في حين يرد البعض الآخر اكتشافه الى باراسلوس الذي توفي عام ١٥٤١ ووصف تركيب الايتر في كتاب له ايضا طبع لاول مرة عام ١٦٠٥ . وهذا المؤلف يذكر بعض تجاربه على هذه المادة بقوله :

العرب هم الذين اكتشفوا مادة الكحول (الغول).

العرب هم الذين اكتشفوا مادة زيت الزاج (حمض الكبريت) .

هناك قرائن تدل ان العرب اجروا تفاعلا وعملية تقطير بين هاتين المادتين .

واذا علمنا ان الايتر ينتج عن تعامل الكحول بحمض الكبريت لتقطير واستخلاص قدر من الماء اذن لادركنا انه من المحتمل جدا ان يكون العرب هم اول من اكتشف هذه المادة الرئيسية في التخدير مع انه يكفيهم فضلا انهم مكتشفو مادة الكحول التي هي المادة الرئيسية لكل مواد التخدير السائلة الطيارة التي تستعمل في حقل التخدير اليوم .

انعشوه امام الرشيد

وفيما يتعلق بالانعاش ، فمنذ القديم تنبه الانسان الى ان الهواء ضروري لاستمرار الحياة وان الانسان يصاب بحالات يفقد فيها القدرة على تداركه ، فتفنن البشر في اللجوء الى مختلف الطرق لادخال الهواء الى الجسم ، سواء بالطريقة المباشرة والتي تدعى اليوم تنفس الفم للفم او باستعمال بعض الوسائل الاخرى البسيطة كالمنفاخ او ما شابهه . وهنالك شبه اجماع في المصادر الغربية على ان اول وصف لتنفس الفم للفم ورد في بعض الكتب المقدسة على انها احدى معجزات الانبياء .

فقد جاء في الفصل الرابع من الكتاب الثاني من سفر الملوك في العهد القديم وصف يسترعي الانتباه لنبي الله (اليشع) وهو يحاول انقاذ

الصبي (شوناميت) وقد بدت عليه علائم الموت (ثم تقدم وانحنى على الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه فوق عينيه ويديه على يديه وبسط نفسه من فوق الولد فانبعث الدفء في جسد الصبي وعطس سبع مرات وفتح عينيه) .

كما ان هنالك شبه اتفاق على ان جمعية انعاش الاشخاص الغرقى التي قامت في (امستردام - هولندا) عام ١٧٦٩ كانت اول من استعمل المنفاخ لدفع الهواء الى الجسم واعقبتها في انجلترا (الجمعية الملكية الانسانية) عام ١٧٧١ ومؤسسة (جون هنتر) عام ١٧٧٦ . وهذه المدرسة الثانية هي التي تبنت فكرة المنفاخ في انجلترا ، فصمم (هنتر) منفاخا ذا مجريين : واحدا للزفير والاخر للشهيق .

الا ان هنالك قرائن تثبت ان العرب قد عرفوا مبدأ الانعاش التنفسي عن طريق دفع كميات من الهواء عبر الرئتين بالضغط المتناوب وانهم في طليعة من استعمل المنفاخ لهذا الغرض ، كما تشير الى ذلك القصة الطريفة التالية وهي ماخوذة من مصادر موثوقة :

(جاء في سيرة صالح بن بهلة أن الرشيد كان لا ياكل الا بحضور جبرائيل بن بختيشوع وقد قدمت يوما الموائد بين يديه وجبرائيل غائب فبحث عنه فلم يعثر له على اثر ، مما أثار غضب الرشيد على جبرائيل ، وبينما كان الامر كذلك حضر وقال للرشيد معتذرا بانه كان يعالج ابن عمه ابراهيم وبه رمق ينقضي وقت صلاة العتمة ، وهنا تدخل جعفر بن يحيى وقال : ياامير المؤمنين ان صالح بن بهلة عالم بطريقة اهل الهند في الطب ويحسن احضاره ، فامر الرشيد باحضار صالح وتوجيهه والمصير به اليه ورده بعد منصرفه من عند ابن عمه، ففعل ذلك جعفر وقد التمس صالح بن بهلة ان يقابل الرشيد بالذات ليخبره عن حال ابن عمه ابراهيم . فقال صالح للرشيد :

انا اشهدك ياامير المؤمنين ، واشهد على نفسي من حضرك ان ابراهيم بن صالح ان توفي في هذه الليلة فان كل دابة لي فحبيس في سبيل الله ، وكل مال لي فصدقة على المساكين ولم اقل ما قلت الا بعلم . ولما كان وقت صلاة العتمة جاء نعي ابراهيم ابن عم الرشيد فاخذ يكيل اللوم لصالح ابن نهلة فلم يناطقه الى ان سطعت روائح المجامر. فصاح عند ذلك صالح : الله الله ياامير المؤمنين ان تدفن ابن عمك حيا فوالله ما مات فاطلق لي الدخول عليه وحدي ثانية ، فاذن له بذلك . قال ابو سلمة فاقبلنا تسمع صوت ضرب بدن بكف ثم سمعنا تكبيرا فخرج الينا صالح وقال : قم ياامير المؤمنين حتى اريك عجبا ، فاخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ابهام اليد اليسرى ولحم ابراهيم فجذب يده وردها الى بدنه ، فقال صالح : ياامير المؤمنين ، هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد : لا . فقال صالح : لو شئت ان يكلم امير المؤمنين الساعة لفعلت ، ولكن ياامير المؤمنين اخاف ان عافيته وافاق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط ان يتصدع عليه فيموت موتا حقيقيا ،ولكن ياامير المؤمنين تامر بتجريده من الكفن والباسه ثيابه ووضعه في فراشه . قال ابو سلمه فوكلني الرشيد بذلك ففعلت،وأتى صالح بكندس ومنفخة من الخزانة ونفخ في انف ابراهيم مقدار ثلث ساعة ، اضطرب بعدها بدنه وعطس وجلس امام الرشيد ، فساله عن قصته فذكر انه كان نائما ورأى في منامه كلبا قد اهوى عليه فتوقاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضة يحس وجعها واراه ابهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة ، وعاش ابراهيم بعد ذلك دهرا ، ثم تزوج العباسة بنت المهدي وولي مصر وفلسطين.

وبعد فان العلم لا موطن له ، ولكل انسان الحق في طلبه ، واذا توافرت المؤهلات والظروف لامرىء فتح عليه ، والعرب في طليعة تلك الامم التي حملت مشعل العلم دهرا وساهمت بقسط وافر في ارساء دعائم العلوم التي قامت عليها النهضة الحديثة وانهم اليوم مدعوون الى ان يضيفوا اليها المزيد وانهم لقادرون . ■■

حلب - محمد طه الجاسر

• من قصص الخيال العلمى •

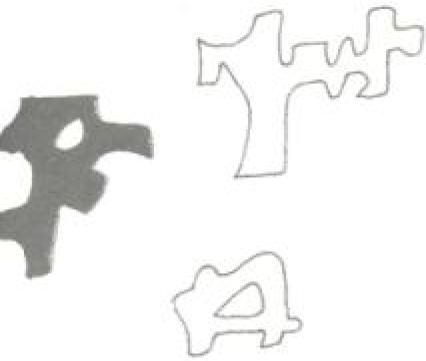
لمن الاطلال ؟

عن قصة : هـ • ب • فيف •

■ كانت الحرارة العالية للنجم الاصفر تلفح اجساد المجموعة التى احتشدت فوق الكوكب « توراتج » ، تستعرض من اعلى السد ما تم انجازه من عمل • قال جيف اوتيس « صدقنى يافنشلى •• هذا عمل عظيم » • هز فنشلى راسه دون أن يتكلم ، فعاد اوتيس ليقول « لقد انجزت عملا رائعا فى كل ما يتصل بالمحطة الهيدروكهربية •• فمتى تصحبنى الى العاصمة التى يجرى تشييدها ؟ » • قال فنشلى « بامكاننا أن نطير اليها الان •• •• لقد انتهينا من انشاء حدودها المؤقتة ، قريبا من اطلال المدينة القديمة التى شاهدناها من الطائرة العمودية » •

قال اوتيس « عندما طرنا فوقها ، بدت شبيهة بالاطلال التى رايتها على بعض الكواكب الاخرى » • ضغط فنشلى شفتيه فى صبر ، فلاحظ اوتيس هذه الحركة ، وادرك أنه يحاول أن يكون مجاملا واسع الصدر مع المشرف العام الذى جاء من الارض ، والذى سيتولى كتابة التقرير الشامل عن سير العمل •• لقد كان واضحا ان فنشلى يود أن تنتهى هذه الزيارة باسرع ما يمكن حتى يتفرغ للاعمال العديدة التى يقتضيها انشاء المستعمرة الارضية على هذا الكوكب •

لم يستطع اوتيس بينه وبين نفسه أن يلوم فنشلى على هذا الشعور ، فهذا هو الكوكب الخامس الذى يصل اليه اهل الارض فى اكتشافهم الدائب لاغوار الفضاء ، وهناك المزيد من المسئوليات ، تنتظر رجلا مثل فنشلى ، نال على اعماله السابقة اعلى تقدير من المسئولين • قال اوتيس وهو يعود الى الموضوع « يمكنك أن ترى معى هذا الشبه ، عندما اعرض عليك بعض الصور







التي التقطت لاطلال الكواكب الاخرى ·· ولكن ·· ما هذه الاصوات ؟ ! » اجاب احد المهندسين العاملين مع«فنشلي» اصطياد القرود على الاغلب »· سأل اوتيس مندهشا « قرود ؟ ·· » ، فتدارك فنشلي قائلا « ليس بالضبط ·· انها التسمية التي نطلقها على التورانجيين ، الذين يعيشون على هذا الكوكب ·· انهم اشبه بالقرود الضخمة الرمادية » · وسمع اوتيس ثلاث طلقات ثم ساد السكون ·

★★★

صعد اوتيس مع فنشلي الى الطائرة العمودية التي كانت في انتظارهما ، وعندما حلقت الطائرة فوق الموقع المختار للعاصمة الجديدة للكوكب ، شاهد اوتيس هيكل تخطيط المدينة ، وقد تميزت طرقها بعد أن مهدتها الجرافات الضخمة ، فأبدى اعجابه باختيار الموقع على امتداد الخليج العربي يطل على البحر ، حيث تصب مياه النهر الذي يجرى بناء السد لتخزين مياهه ·

قال فنشلي « يتفق معي علماء الجيولوجيا في أن هذه الصخور المنحوتة ، ترجع الى ايام الحضارة التي قامت على هذا الكوكب يوما ما ·· اما الان فيمكننا أن ننحرف بالطائرة الى هذا الاتجاه ، حتى نرى كيف قامت المدينة القديمة على شاطىء الخليج » ·

اتجه قائد الطائرة الى ناحية الصخور ، ولاحظ اوتيس انها تشكل نهاية هضبة ، تنتهي عند طرفها الاخر بهوة عميقة ، اشار اليها فنشلي وهو يقول « هنا كان يجرى النهر منذ الاف السنين » · ادركوا في طيرانهم حدود المدينة القديمة ، فسأل اوتيس : « الم تتوصلوا بعد الى جنس المخلوقات التي شيدت مثل هذه المدينة الضخمة » · اجاب فنشلي « ليس بعد ·· ولو ان بعض أفراد بعثة التنقيب قاموا بدراسات ترجح انها من صنع التورانجيين » ·

سأل اوتيس مندهشا « هذه الحيوانات التي كنتم تصيدونها منذ قليل ؟ ! » · اجاب فنشلي « هذا مجرد احتمال ·· لقد عثرت بعثة التنقيب على بعض الادلة التي تفيد ان المدينة لم تدمر نتيجة هزة ارضية او زلزال · لقد عثروا على اثار حرائق ، وبقايا صورايخ متفجرة ·· نظريتهم تقول ان التورانجي الحالي هو من سلالة منحطة لحضارة متطورة قامت على هذا الكوكب » ·

غرق اوتيس في تفكير عميق ، ثم قال « عليكم ان تتاكدوا من سلامة هذه النظرية ·· فلو انها صحيحة ، يصبح عليكم ان تتوقفوا عن قتل هذه المخلوقات ·· فايا كان مستوى تطورهم الحالي ، فقانون بعثات استعمار الكواكب به نصوص واضحة حول التصرف مع سكانها » ·

تمالك فنشلي نفسه بصعوبة وهو يقول مستنكرا « هؤلاء القرود ؟ ! ·· » هز اوتيس راسه مؤمنا وهو يقول « نعم ·· والى ان تتاكدوا من انهم لا يزيدون عن كونهم مجرد حيوانات » ، ثم استطرد بعد أن القى نظرة من نافذة الطائرة « بودي لو هبطنا هنا ، لالقي نظرة على هذه الاطلال » ·

نظر فنشلي الى ساعته في ضيق ، غير انه استسلم واعطى أمره لقائد الطائرة بالهبوط ·

★★★

أخذ اوتيس يتطلع الى المواقع التي كانت بعثة التنقيب تعمل بها ، وقد ظهرت أدواتهم واجهزتهم مبعثرة في انحاء المكان · ترك اوتيس المهندس فنشلي مع قائد الطائرة ، وابتعد ملتفا حول كوم القاذورات التي كانت اخرجت من مدخل أحد البيوت القديمة · ولاحظ اوتيس الاحجار التي بنى منها البيت ، وقطع الصلب المستخدمة في البناء ، غير أن المكان باكمله بدا كما لو كان قد تدمر نتيجة لانفجار شديد ·

تقدم اوتيس عدة خطوات الى داخل المبنى ، ولاحظ ارتفاع حوائطه الداخلية ، وقد ظهرت فيها بعض العقود التي كانت بلا ريب نهاية نوافذه ، فقال متمتما « هذه بلا شك بقايا حضارة متطورة قديمة » · أخذ يتطلع حوله في فضول ، عندما لمح فجاة حركة خلف فتحة مظلمة الى يمينه· كان متاكدا من أن فنشلي لم يتبعه ، فلا بد أنه أحد المنقبين ، فرفع صوته قائلا « الا توافقني على ذلك ؟ ·· » وادار رأسه منتظرا ، فلم يحصل على اجابة او يلمح اى حركة ·· بل وصل اليه الحديث الدائر بين فنشلي وقائد الطائرة على مسافة كبيرة منه ·· تمتم اوتيس حائرا ماذا جرى ؟ ·· هل بدأت اتخيل الاشياء ؟·· » وحتى يستعيد ثقته بنفسه واصل مسيرته داخل البيت غير ان غريزته دفعته الى التوقف فجاة في مكانه، فقال لنفسه « ماذا جرى ياجيف ؟ لا تكن غبيا ·· ما الذي سيكون بالداخل ، اشباح ؟ ! »

تقدم اوتيس متجها الى الفتحة التي تصدر حركة ما خلفها ، انحنى قليلا حتى يدخل راسه

فيها ، ونظر ناحية اليمين فلم ير شيئا ·· وادار وجهه ناحية اليسار فالتقت عيناه مباشرة بعينين سوداوين واسعتين ·

كان المخلوق التورانجي الواقف امامه ، في مثل طوله ، ذراعاه اشبه بذراعي القرد ، وجسده مغطى بفراء رمادى قصير مجعد · وظهر فم المخلوق بلا اسنان ، وكانه مخصص للمص لا للمضغ · وقد استقرت عيناه على جانبي جمجمته الضيقة اشبه بكرتي رفع الاثقال الحديديتين ، وفي المكان المفترض للاذنين ، تتحرك مقلتاهما بسرعة ملفتة ومع مزيد من التامل لاحظ اوتيس فتحتى الاذن في موضع تحت العينين ، تكادان تختفيان تحت فراء الرقبة ·

أحس أوتيس بظهره يؤلمه من طول انحنائه ، فاعتدل قليلا وهو يقول « هاللو ·· » ، ثم شعر بسخافة قوله كوسيلة للتفاهم مع هذا المخلوق ·

كان رد فعل المخلوق أن تحرك بسرعة شديدة ، مادا ذراعه الطويل الى الارض ، فتراجع اوتيس قليلا مخرجا رأسه من داخل ثغرة الجدار ، في الوقت الذى اندفعت فيه قطعة من الحجر تصفر امام انفه · صاح اوتيس محتجا « هيه !! ·· » ، فلم يسمع سوى حركة المخلوق التورانجي السريعة وهو ينتقل بين الاطلال ·

عندما افاق اوتيس من الصدمة ، انصرف في تثاقل متجها الى الطائرة ·

★★★

بعد عدة دقائق ، قال أوتيس لفنشلى وهما داخل الطائرة « لو انى بقيت في مكانى لهشم الحجر رأسى » ، علق فنشلى بلا كبير اهتمام « انهم شديدو السرعة ·· فمنذ أن قدمنا الى هنا لم يستطع رجالى أن يصطادوا أكثر من ستة »·

في صباح اليوم التالى توجه أوتيس للقاء فنشلى بمكتبه في المبنى الوحيد المقام من الاسمنت والزجاج·والذى يستخدم كقيادة عليا للمستعمرة· جلس أوتيس في المقعد المواجه لمكتب فنشلى ، واخذ يطرح عليه ما وصل من استخلاص فيما يتصل بمخلوقات تورانج · اتسعت عينا فنشلى دهشة من كلمات أوتيس ، وقال بعصبية « انا لا افهم هذا ·· لماذا تصل الى هذه النتائج الكبيرة من مجرد الملاحظات المتفرقة التى عرضت لك ؟·· » ، قال أوتيس باصرار من أين لنا أن نجزم بانهم ليسوا من بين المخلوقات الذكية ··»

لاحظ أوتيس عدم الارتياح الذى ظهر على فنشلى فقال محاولا اقناعه بوجهة نظره « اسمع ·· بعد كل البؤس الذى لمسناه في النظم الاستعمارية على الارض ، نسعى اليوم الى تلافى تلك الاخطاء القديمة في ادارتنا للمستعمرات الفضائية ·· واحتمال عثورنا على حضارات متطورة ومخلوقات ذكية فوق سطح احد الكواكب التى نرتادها ، امر وارد ومحتمل ··· الم تقرا النصوص المتصلة بهذا الموضوع في القانون الذى نشر أخيرا ؟ » · اجاب فنشلى محتدا « لحظة من فضلك ·· لن اسمح بان تصورنى في شكل البربرى الهمجى الذى يسعى الى ابادة كل شىء يتحرك فوق هذا الكوكب ·· اننا لانخرج في رحلات خاصة لاصطياد التورانجيين فقط نصدهم عندما يقتربون من مواقع مشاريعنا ·· » نظر اليه اوتيس في تعاطف ، وقد احس انه أثقل عليه بهذا الموضوع ، وسط انشغالاته العديدة في انجاز المشروعات التعميرية المسندة اليه ، فقال بصوت هادىء « كل ما اطلبه ، ان تصدر امرا بالتوقف عن قتل هذه المخلوقات ·· على الاقل الى أن نتثبت من مستوى تطورهم » ·

★★★

اتجه اوتيس مباشرة من مكتب فنشلى الى مركز الاتصال بالارض ، حيث املى تقريرا طويلا حول الموضوع بناء على الاتفاق الذى انتهى اليه مع فنشلى ، ومضت عدة ساعات قبل أن يصل رد الارض الى تورانج ·

عند مشروع مصنع التعليب المقام عند الشاطىء عثر اوتيس على فنشلى ، فاطلعه على الرد ، واخذ يقرأ له بعض فقرات التقرير « ·· وابتداء من اليوم يجرى اعتبار المخلوقات الشبيهة القرود على الكوكب تورانج رقم كذا ··وكذا ··من المخلوقات النادرة ، وبناء على التعليمات··الى آخره···الى آخره » ·

عقب فنشلى قائلا « اترك لى هذه التعليمات حتى اذيعها على العاملين فوق هذا الكوكب ، وانشرها في النشرة اليومية » ·

عاد اوتيس سعيدا الى الطائرة التى نقلته الى الموقع · ساله قائد الطائرة « الى حيث كنا يا سيدى ؟» قال اوتيس «نعم» ، ثم استدرك «لا ·· اذهب بى على سبيل التسلية ، الى اطلال المدينة القديمة التى زرناها من قبل ، حتى القى عليها نظرة أخيرة قبل أن اغادر كوكبكم » ·

عندما هبطت الطائرة ، لاحظ اوتيس وجود

رجلين من الجيولوجيين ينقبان في المنطقة ، فقال لقائد الطائرة « سأتجول قليلا ثم اعود اليك » ، وهبط من الطائرة متجها الى الرجلين .

تبادل معهما التحيات ، وسألهما عن مدى تقدم العمل في التنقيب ، فقال احدهما « اننا نحاول أن نصل الى اسلوبهم في البناء » ، فسأل اوتيس « وما هو آخر ما وصلتم اليه » . اجاب الرجل « من الواضح انهم لم يكونوا يختلفون عنا كثيرا في اساليبهم وعاداتهم .. سواء بالنسبة للحجرات او ارتفاع الابواب ، او نوع الدرج المستخدم .. وهذا يفيد انهم كانوا ايضا يقاربوننا طولا » ، ثم استدرك « بالطبع هذه تقديرات تقريبية » ..

تمعن اوتيس في كلام الرجل ، ثم سأل « هل من المحتمل انهم كانوا اسلاف التورانجيين العاليين ؟ » قال الرجل « محتمل جدا ياسيدي .. ولو اننا لم نحفر بما فيه الكفاية حتى نصل الى معالم الحضارة التي اندثرت .. حتى نعرف أشياء اساسية عن ثقافتهم .. سيكلوجيتهم .. عاداتهم الاجتماعية » .

★★★

بعد قليل كان اوتيس في نفس المكان الذي تلقى فيه القذيفة الحجرية ، وبعد أن تأكد من أن احدا لا يراه وهو يعود الى نفس المكان الذي حدثت له فيه المغامرة الصغيرة . وتقدم في المكان عدة خطوات .. لم تجمد في مكانه .

« لي الشرف أن اتعرف عليك » قالها المخلوق التورانجي بصوت رقيق، ثم استطرد « لقد توقعنا عودتك الى نفس المكان » .

قفز اوتيس في مكانه اندهاشا ، وهو يتأمل ذلك المخلوق الذي عاد ليقول « انا اعرف هنا باسم جال جايتر ، وما لم تكن معلوماتي قاصرة ، فانت تدعى جيف اوتيس .. اليس كذلك ؟ » اخذ اوتيس نفسا طويلا ، وقد اكتشف انه ما يزال يكتم انفاسه منذ أن فوجيء بوجود هذا المخلوق ، وقال « لم اكن اعلم .. نعم هذا هو .. لم اكن اعلم ان اهل تورانج يتكلمون لغة الارض .. ولكن .. كيف ؟ .. » .

هرش جال جايتر فراء صدره ، باصابع كفه الثلاثة ، وقال بصوت كالصفير « انا لست من تورانج .. انا من كوكب مايربي .. » سأل اوتيس بانفعال وفضول « قبل أن نمضي قدما في الحديث .. يهمني أن اعرف اولا .. كيف تعلمت لغتنا ؟ » قال المخلوق في هدوء « ربما اكون قد تعلمتها قبل أن تتعلمها انت .. لقد راقبناكم لزمن طويل ، لا يمكن ان تتصور مدى ذلك الزمن .. » .

قاطعه اوتيس قائلا « ولكن .. لماذا تعيشون وسط هذه الاطلال ؟ .. وما الذي جعلكم تنتظرون حتى الآن ؟ .. اذا كانت لديكم القدرة على الاتصال .. كان بامكانكم ان تطلبوا نجدتنا ومساعدتنا في اعادة بناء مدينتكم » .

ارسل جال نظره في الاطلال التي حوله يتأملها وعلى وجهه ما يشبه الابتسامة ثم قال وكأنه لم يسمع السؤال « لقد التقطنا الرسالة التي بعثت بها الى رؤسائك على الارض ، فقررنا أن الوقت قد حان للاتصال بواحد من جنسكم .. » ، ثم تذكر السؤال الذي طرحه اوتيس ، فقال «ليست لنا مصلحة في اعادة بناء هذه الاطلال .. ان لنا هنا مساكننا الخاصة التي اقمناها لانفسنا » .

اكتشف اوتيس جفاف شفتيه نتيجة لفمه المفتوح دهشة ، فرطبهما بلسانه ، واستند الى الحائط وهو يقول « هل تشير الى سعيي الى استصدار قانون يحرم قتلكم ؟! .. هل لديكم من الاجهزة ما يتيح التصنت على رسائلنا الفضائية ؟! »

اجاب جال بهدوء« نعم ..عندنا .. لقد قررنا انكم قد اوغلتم في الفضاء الى الحد الذي يقتضي الاتصال بكم » . قال اوتيس وقد ظهرت عليه الحيرة « حقا .. لقد كنا نتوقع دائما ان نصادف على احد الكواكب حضارة متطورة .. ولكن .. لماذا وقع اختياركم على شخصي بالذات؟ » . اجاب جال « رسالتك ..لقد سمعت بجهدك البسيط، الي ما نكرس له انفسنا ونرصد له أعلى امكانياتنا .. لقد اكتشفنا انك الانسان الذي يستطيع أن يفهم اعتذارنا ، وخجلنا مما حدث بين جنسينا قديما .. قديما جدا .. » .

صاح اوتيس مندهشا « بيننا ؟! .. » قال جال « نعم .. منذ زمن بعيد .. لقد تصورنا ساعتها انكم قد ذهبتم الى غير رجعة .. ونحن اليوم سعداء اذ نراكم تعودون الى واحد من كواكبكم القديمة » .

وقف اوتيس متجمدا في مكانه .. واحس جال بحيرته ، فقال « قد اكون نسيت أن اقر لك امر هذه الاطلال انها ليست لنا .. انها اطلالكم ..»

■■

للكبار فقط !

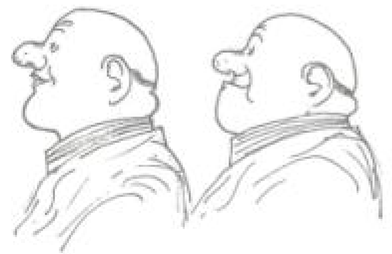


لكي تعيش سعيداً بأسنانك الصناعية

هذه مجموعة من التوجيهات والنصائح ، موجهة الى الذين شاءت الظروف ان يخلعوا كل اسنانهم الطبيعية ، ويستبدلوا بها أسنانا صناعية ،تعينهم على تناول الطعام، وتصحح بعض ما افسده الزمن !

بقلم: الدكتور ظافر أحمد العطار

■ لا تترك فمك فارغا لمدة طويلة حتى تضمر اماكن القلع فانك ـ ان فعلت ذلك ـ ستعاني التجعد المبكر ونسيان عادات المضغ وستحرك فكك تحريكا خاطئا لأن تحريك الفك السفلي بدون اسنان يختلف عن تحريكه عند وجود الاسنان وعلامات التجعد قد تصبح عندك دائمة اذا تركت فمك فارغا لمدة طويلة لذلك باشر بتركيب طقم الاسنان (الجهاز السني الكامل) مباشرة بعد الانتهاء من القلع لتخرج الى المجتمع بكامل هيئتك وتسرع بالائتلاف على الوضع الجديد . وصحيح ان الجهاز المباشر هو مؤقت وتحتاج الى جهاز آخر عند الانتهاء من مرحلة ضمور اللثة وانغلاق امكنة القلع وستدفع مقابل ذلك اجرا اضافيا ولكن المكاسب التي ستحقق بواسطته تفوق



قبل وضع الجهاز — بعد وضع الجهاز

ما ستنفق عليه كما انه لا داعي للخوف من الالم فهنالك مستحضرات طبية على شكل مراهم تزيل الالم الذى ليس من المؤكد حدوثه بشكل شديد •

دع الطبيب ينتقي لك

كلما تقدم الشخص بالعمر غمقت لون اسنانه فاذا كان المريض متقدما بالعمر فليطلب اسنانا غامقة لا بيضاء شديدة البياض • فمجاراة الطبيعة تجعل الاسنان مالوفة للناظرين• وكذلك دع اختيار حجم اسنانك لطبيبك الذى سيعطيك اسنانا تلائم وجهك وطول قامتك لان الشخص الطويل تلائمه الاسنان الطويلة والعكس بالعكس ولكل شخص شكل معين يستطيع الطبيب ان ينتقي له مايناسبه هو لا مايناسب غيره من الناس فقد يكون ذلك لا يناسبه هو بالذات •

وبعض الناس يعتقد ان تقصير الجهاز اوتغير شكله قابل (كجعله بدون سقف حلق مثلا) والحقيقة ان كل فم يختلف تركيبه عن الاخر كبصمة الاصبع (الابهام) وما يصلح لشخص ما قد لا يصلح لك فاترك ايضا الطبيب يقرر ذلك اذا كان التقصير ممكنا لك •

النظافة وقضية النوم بالجهاز أو رفعه

ان الذى ادى بك الى اللجوء للجهاز هو عادة اهمال تنظيف الاسنان ، الامر الذى يسبب نخرها ومن ثم قلعها او عدم تنظيف اللثة ودلكهـا (او مساجها Massage) وذلك يسبب تراجع اللثة واهتزاز الاسنان ومن ثم قلعها • فهل يعني ذلك ان الجهـاز لا يحتـاج الى التنظيف ؟ ـ الجواب طبعا كلا لان الجهاز يحتاج الى تنظيف بعد كل وجبة لازالة كل مايعلق به من الفضلات التي قد تتراكم كما كانت تتراكم حول الاسنان وخصوصا في قطعة الجهاز السفلية على شكل طبقة بيضاء كلسية تدعى بالقلح (الحافور) واذا كنت من الذين ينظفون الجهاز بالفرشاة بصـورة دائمة ومنتظمة فانه على الاغلب لا يترسب • واذا حدث ترسب فيكون غير قاس ويمكنك ازالته (بنكاشة اسنان خشبية) ، ولا تستعمل الة حادة كالسكين وما شابه لئلا تتلف اطراف الجهاز وعلى كل حال يمكنك ان تراجع طبيب الاسنان لازالة هذه الطبقة القلحية لئلا تؤذى لثتك وتخدشها ويستحسـن عدم تنظيف الجهاز قبل الطعام لئلا يقلل مـن ثباته اثناء الطعام لان الجهاز يرتكز على اللثة ويلتصق بواسطة اللعاب (الريق) فازالة اللعاب من ضمن الجهاز لا تساعد على الالتصاق، بل ان وجوده هو الضرورى •

واحذر اثناء تنظيف الجهاز ان ينزلق مـن يدك ويقع على الارض وينكسر • لذلك نظفه ضمن المغسلة بعد وضع قطعة قماش فى اسفل المغسلة حتى اذا انزلق من يدك لم ينكسر فـى اسفل المغسلة • وقبل النوم اترك الجهاز فى كاس ماء (ويستحسن ان يكون فاترا واياك ان يمس الماء الساخن الجهاز فانه يشوهه ولا تعـود





تستطيع استعماله) وهذا الماء الفاتر يحتوى على محلول صابون خفيف وذلك من رغوة الصابون (اثناء صوبنة اليدين) او قليل من الملح لان الملح مطهر خفيف .

والعادة ان يترك الجهاز خارج الفم اثناء النوم او الراحة اما اذا كان الشخص (يطحن) او يصر على اسنانه اثناء النوم فعليه ان يخلعه . ولكن الاشخاص الذين يكون البعد بين الفك الاسفل والاعلى كثيرا اى تكون اللثة ضامرة كثيرا ، فعليهم ان يتركوه اثناء النوم ايضا . ويضاف اليهم الاشخاص الذين بالتجربة يجدون ان خلع الجهاز اثناء النوم يسبب لهم الما فى عضلات الوجه والاذن ووضع الجهاز اثناء النوم يزيل هذا الالم عندهم .

الشعور بامتلاء الفم والقيء والعطاس :

ما ان تضع الجهاز بفمك حتى تشعر بامتلاء الفم وانتفاخه وخصوصا فى اول الامر ، بالرغم من انك لو نظرت لنفسك بالمرآة لرأيت وجهك طبيعيا ، بل اكثر من هذا ان التجاعيد الناتجة عن عدم وجوده من قبل قد زالت .

فنظرا لوجود الجهاز فى فمك وهو جسم غريب لم تتعود عليه بعد ، فانك ستشعر بان لعابك يكثر وتشعر برغبة فى البصاق فى كل وقت لذلك يستحسن ان تمص حبات السكاكر ذات النكهة المنعشة (كما فى سكاكر النعناع) وذلك فى الايام الاولى .

والشعور بالامتلاء امر طبيعي ومتوقع ، افلا تذكر كم يعانى الطفل عند ظهور اسنانه؟ ويزعج ابويه من صراخه اثناء الليل والنتيجة ظهور سن او سنين على الاكثر ، والاسرة كلها تعذره ولا تلومه على اعتبار ان الطفل (يسنن) بينما بالنسبة للجهاز فيظهر لك ثمان وعشرون سنا دفعة واحدة فهل تتأمل ان يكون الامر غير مزعج وسهلا ولطيفا ؟ ..

واعلم ان الذين فى عمر العشرين الى الثلاثين يعتادون على الجهاز فى عشرة ايام . اما بين الثلاثين الى الاربعين فيحتاجون الى ثلاثة اسابيع وبين الاربعين والخمسين فيحتاجون الى شهرين او ثلاثة اما منحرفو الصحة فيحتاجون لسنة . والمعروف ايضا ان الاسبوع الثانى احسن من الاول لجميع الاعمار . وكثير من الناس يحسبون ان الجهاز سيسبب لهم القيء والحقيقة ان هذا الشعور سيزول بعد التعود . اما اذا كان الشعور بالقيء اتى بعد التعود على الجهاز بعد سنة مثلا فيدل على ان الجهاز بحاجة الى تعديل او تبطين او تبديل فيجب مراجعة الطبيب لاجراء اللازم عوضا عن تبطينه بالقطن كما يفعل البعض . والحقيقة ان الجهاز لا يصغر ولا يكبر بل ان اللثة هى التى تقلصت وتبدل حجمها فيشعر المريض ان الجهاز هو الذى تبدل ومثل ذلك مثل النظارة فالنظارة لا تكبر ولا تصغر ولكن العين تحتاج عادة لنظارة جديدة بقياس جديد .

وقد تشعر ان الجهاز كبير عند الظهر بينما كان صغيرا فى الصباح او بالعكس وهذا الامر منشاه حسب الرأى العلمى اختلاف الضغط الدموى .

كما انك قد تشعر اثناء الكلام ان الجهاز يكاد ينفلت من فمك فما عليك الا ان تصمت هنيهة وتبلع لعابك وتعض على الاسنان فتعود الى طبيعتك ثانية .

واذا تعودت ان تحمد الله بعد العطاس ، فعليك الآن ان تتعود على وضع يدك على فمك اثناء العطاس . فقد ينفلت من فمك وخصوصا اذا كنت قد ابتليت بعادة التدخين فان العطاس والرشح يكثر عند المدخنين ولا تنس ايضا ان تنظف الجهاز من الاسوداد الحادث من التدخين .

ما يلائمك من الطعام

لا تنس ان تاكل الطعام المغذى حتى تقوم جميع الاعضاء بوظائفها على احسن وجه ومن بينها (لثتك وفمك) والطعام الجيد ليس من الضرورى ان يكون غالي الثمن (ففائدة البندورة قريبة من فائدة البرتقال والتفاح) ولكن من الضرورى ان يحتوى الطعام على كل ما يحتاجه الجسم كالحليب ومشتقاته (زبد ، جبن ، لبن) واللحوم والخضراوات والفواكه. ولا تلجأ للمعجنات والنشويات كثيرا لطراوتها ، بل اجعل الطعام الجيد طريا لانك تستطيع ان تهرس اللحم وتجعله طريا حسب الرغبة وكذلك الخضراوات والفواكه. ولا تبتلعه الا بعد مدة من بقائه في الفم لان اللعاب الممزوج بالطعام له اثر حسن في سرعة الهضم .



امضغى على الطرفين
بوقت واحد

النطق والكلام

ان نطق الكلام وكيفية تلفظه يتاثران بعض الشيء عند تركيب الجهاز ، وذلك بسبب عدم تعود الشفتين واللسان ، ولكن الامر يصبح عاديا بعد حين ، اما اذا كنت من الاشخاص (العجولين) وتريد ان تخرج الحروف كما كانت عند وجود اسنانك الطبيعية ، وخصوصا الفروق بين السين والصاد والشين والكاف والقاف فما عليك الا القراءة بصوت عال في غرفة لوحدك ، وان تحاول مرات عديدة اخراج الحروف صحيحة . والتمرين امام المرآة ذو فائدة اكبر كما ان بعض التمارين اليومية للشفتين تعطى حيوية لمنظر الوجه كان تقول كل يوم عدة مرات امام المرآة (او ـ او) (OO—OO) او (اى ـ اى) (EE—EE) وبطبيعة الحال يكون الجهاز بفمك .

والمرتلون لكتاب الله يجتازون هذه المرحلة بسهولة .

كيف تعض بصورة صحيحة ؟

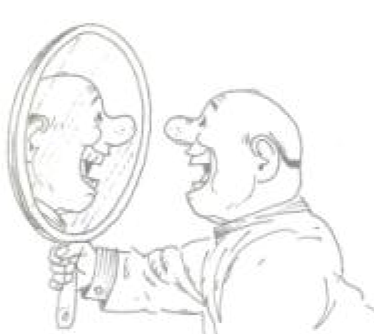
ان سرعة تعلمك الاكل بجهازك متوقفة على سرعة تآلفك مع الاشياء الجديدة ، لان الجهاز يشبه اليد الصناعية التى وضعت عوضا عن اليد المفقودة وتستطيع ان تعلم طبيعة تعودك على الاشياء الجديدة من تعودك على القميص الجديد او الحذاء الجديد. فهل تشعر انك تتعود على الملبوسات الجديدة أم لا ؟ بالنسبة لذلك تستطيع ان تقدر مدى تعودك على الجهاز مسبقا وبسهولة ، ولا يجوز ان تقول ان فلانا تعود بسهولة وخرج من عند الطبيب وهو ياكل الموالح او اى نوع آخر من الماكولات ، فالاجسام تختلف وكذلك العقليات ولكن الصبر والتمرين يذللان اكثر الصعاب ان لم يكن كلها . وعندما تبدأ بالتدريب على الطعام ضع كمية بسيطة ذات حجم بسيط في فمك وتدرب على ذلك شيئا فشيئا . واول خطوة في هذا التدرب ان تضع نصف اللقمة في طرف والنصف الاخر في الطرف الاخر ، لتوزيع الضغط على الطرفين. ولا تنس ان الاسنان الصناعية ترتكز على اللثة ولذلك تختلف عن الاسنان الطبيعية التى تكون جذورها ضمن العظم .

واعلم ان التدرب على الطعام يجب ان لا يكون على طعام ذى حجم كبير . او طعام لزج ولصوق (مدبق) لانه ينقلب في الفم ما يشبه اللبان (العلكة) وكثير من الناس يظنون ان الخبز هو احسن ما يمكن للتدريب عليه . والحقيقة ان الخبز لا يقوم بهذا الغرض لانه يصبح لزجا بعد اختلاطه بلعاب الفم . وبهذه المناسبة عليك بالامتناع عن مضغ اللبان اذا كنت من المتعودين عليه من قبل . وان لا تاكل الماكولات التى قد

تنزلق الى ما بين الجهاز واللثة كالتين ، وجرب ان تاكل لوحدك فى بداية الامر وتتمرن لوحدك حتى لا تصاب بالخجل من الحاضرين كما انه لا داعى للخجل فالمرض ليس عيبا (ليس على المريض من حرج) وعندما تعض على اسنانك الصناعية فعليك ان تدفع (التفاحة مثلا) الى داخل الفم حتى يتوازن الجهاز • وهذا يختلف عن العض بالاسنان الطبيعية لاننا نسحب التفاحة الى خارج الفم ، كما عليك ان تعلم ان استعمال الانياب فى الجهاز خير من بقية الاسنان الامامية لان منطقة الانياب اقوى منطقة فى الجهاز •

كما ان قطعة الجهاز السفلية اقل ثباتا من العلوية فى الفم والسبب اولا : لانها تستند على ساحة اقل من العلوية • وثانيا نظرا لكون اللسان يحرك السفلية فقط دون العلوية لذلك ارفع القطعة السفلية من فمك بيدك لا بواسطة اللسان لئلا تتعلم تلك العادة الضارة وتواظب عليها بصورة اعتيادية ويتعلم اللسان على رفعها بدون مبرر • وثالثا يجب ان تستفيد من اللسان بتثبيت الصحيفة او القطعة السفلية من داخلها اثناء الطعام بعد ان تغلق الشفتين فلا يجد الطعام الا مجالا واحدا هو بين الاسنان السفلية والعلوية فيطحن بسهولة •

التمرين أمام المرآة
ذو فائدة أكبر





تعال وانت متألم !!

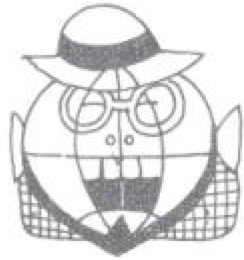
مناطق الالـــم

لا تتوقع جهازا بدون مناطق مؤلمة • ولكن هذه النقاط المؤلمة يزيلها الطبيب وذلك بان يبرد ما يقابل هذه النقاط المؤلمة على الجهاز فيذهب الضغط الذى يسبب الالم والجهاز الذى لا يؤلم ابدا نادر والنادر كما تعلم لاحكم له • لذلك عليك ان تذهب الى طبيب الاسنان لبرد الاسنان التى تعانى من الالم • وانت واضع الجهاز فى فمك لمدة يوم او خمس ساعات على الاقل قبل زيارتك حتى يرى الطبيب المناطق المؤلمة فيعرف تماما اين يجب ان يكون البرد والنحت ولا يكفي ان تعرف انت منطقة الالم فقد تخطىء عدة ملمترات الى احد جوانب منطقة الالم فلا تستفيد من البرد شيئا ، وذلك عليك ان تكابر على الالم وتاتي وانت متالم ليعرف الطبيب بالضبط اين يؤلمك ولا يكون ابدا مجال للغلط •

اخيرا ، فان الهدف من هذه النصائح كلها تستهدف حسن استفادتك من الجهاز • واحمد الله انك لم تخلق قبل مئة عام لانك تستطيع الان ان تتمتع بوسائل المدنية المعاصرة التى تساعد الناس من حيث الهيئة ومضغ الطعام ولى نصيحة احب ان اذكرك بها هى انك بالصبر وحدة ستتمرن على استعمال الجهاز بسهولة • ■■

دمشق ــ ظافر احمد العطار

طرائف أجنبية



ضحكات الشيخوخة

● روى مارك توين قصته مع المرأة التي كان يفزعها منظر التجاعيد التي كان وجهها يمتلىء بها كلما مضت السنون ٠٠ الى ان لقيها يوما تجلس وحدها تبكي في حديقة بيتها وكانت قد اشرفت على عامها الستين ، فقال يسألها: « وما الذى يبكيك ؟ » .

قالت : « الشباب الذى ولى ٠٠ الا ترى هذه التجاعيد فى وجهى ؟ » .

قال وهو يبتسم : « انها اجمل تذكار يحمله المرء معه ، وهو يقترب من نهاية رحلته ٠٠ فهى تذكره دائما بأنها مجرد آثار لابتسامات وضحكات حلوة ، لا يجب ان ننساها ابدا ! » .

قائد عظيم

● الرئيس الامريكى الاسبق ايزنهاور كان يتمتع بشعبية كبيرة داخل الولايات المتحدة الامريكية وخارج حدود بلاده ٠٠ وكانت سياسته القائمة على احترام المبادىء قبل ارضاء الاصدقاء هى السر وراء النجاح الكبير الذى حققه كرئيس لامريكا، وقائد أعلى لقوات الحلفاء فى الحرب الثانية العالمية ٠٠ فقد كان يختلف عن كل القادة العسكريين الذين عملوا معه تحت امرته ٠٠ حتى أنه استطاع أن يكسب حب ضباطه وجنوده واحترامهم له وتفانيهم فى تنفيذ تعليماته وأوامره ٠

جاءه أحد الضباط يوما يشكو جنديا من جنوده صمم على اقتحام مركز لقوات النازى فى فرنسا بعد نزول الامريكيين لتحريرها ، رغم الاوامر المشددة التى صدرت اليه بالعدول عن هذه المحاولة ٠

فقال ايزنهاور : « هذا الجندى يثق فى نفسه وفى قدرته ٠٠ دعه يفعل ما يراه مناسبا ! » .

وذهل الضابط ٠٠ وقال ايزنهاور يكمل حديثه : « ارجو الا تغضب ، وأنا أريدك فقط أن تعلم أن القائد العادى هو الذى ينجح فى أن يكسب ثقة جنوده فيه ، أما القائد العظيم ، فهو الذى ينجح فى أن يعيد الثقة لجنوده فى أنفسهم ، بعد أن يثقوا فيه » ٠





لا تظلموا المرأة !

● هل صحيح ان المرأة لا تستطيع ان تمسك لسانها عن سر ٠ وانك كما يقولون : « اذا اردت ان تذيع سرا فاروه لامرأة ؟ »

يقول الدكتور سبوك الذى تحدث فى كتبه العديدة الى الامهات ، وعاش حياة الاطفال : « ان ما يقال عن ثرثرة المرأة خرافة ! فهى لا تختلفعن الرجل فى شىء عندما يكون الحديث عن الناس واسرارهم ٠٠ وتبقى بعد هذا الحقيقة الثابتة علميا ، وهى ان افشاء الاسرار عادة تكبر مع الطفل سواءكان انثى ام ذكرا ٠٠ ولكن الثابت ايضا ان الثرثرة ليست من طباع الطفل الاكبر فى الاسرة ، فهى دائما عند شقيقه الاصغر ، لانه يبحث عن شخص ينقل اليه ما رآه وما سمعه ٠٠ وهو لا يجد غير شقيقه الذى يكبره أو شقيقته ، لانه يخاف اباه وأمه فى هذه السن المبكرة ، ويخشى ان يجدا فيما يقوله لهما او لاحدهما شيئا يستحق العقاب ٠٠ لا تظلموا المرأة ، فكم من نساء حملن اسرارهن فى صدورهن حتى القبور ! »

★★ ★★

تفاحة نيوتن !



● ما الفرق بين الرجل العادى والرجل المفكر ٠٠ الاول يعمل ليعيش ويرتزق وينظر الى الحياة من حوله كأى متفرج ٠٠ والثانى يقف ويفكر ويتأمل ، ثم ينقل لنا تأملاته فى الصور التى استوقفته وشغلت فكره ٠

ويقول سمايلى بلانتون فى كتابه « فن الحياة » :

« ان تنظر الى الصور التى تمر بنا شىء ٠٠ وان ترى ما تنظر اليه شىء آخر ٠٠ وان نفهم ما نرى شىء ثالث ٠٠ وان نتعلم مما فهمناه شىء مختلف تماما عن المواقف الثلاثة الاولى ٠٠

« ولكن ان نعمل بعد ذلك وفقا لما استخلصناه من دروس وعبر بعد كل الذى رأيناه وادركناه وتعلمناه هو سر نجاحنا فى الحياة ! ترى كم منا شاهد التفاحة وهى تسقط من الشجرة على الارض ، قبل ان يراها نيوتن ويكتشف مع سقوطها « قانون الجاذبية » ٠ لقد كنا جميعا متفرجين ثم جاء نيوتن وعرفنا لماذا يعود كل شىء الى الارض ! »

الواقدى وكتاب فتوح الشام

علامات استفهام وشبهة النسب المجهول

بقلم : احمد عادل كمال

■ ان المصادر الاساسية عن الفتح الاسلامى للشام ، بل لجميع الفتوح الاسلامية هى مصادر عربية ، ولا نكادنجد مصادر اساسية غير عربية فى الموضوع،فارسية أو رومية مثلا باعتبارأن الغزو قد شمل الدولتين الفارسية والرومية • فاذا ذهبنا نستقصى تلك المصادر العربية فيما نحن بسبيله من فتوح الشام وجدناها معلومة محصورة •

فبين ايدينا تاريخ الامم والملوك اعتمد فيه ابن جرير الطبرى فيما يتعلق بفتح الشام على مرويات سيف بن عمر الكوفى ومحمد بن اسحق وقليل عن المدائنى • ولدينا فتوح البلدان لاحمد بن يحيى البلاذرى، وتاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر جمع فيه مرويات الوليد بن مسلم ومحمد بن اسحق وسيف بن عمر ويعقوب بن سفيان والواقدى وغيرهم ، ثم لدينا تاريخ فتوح الشام لمحمد بن عبد الله الازدى ، ثم هذا الكتاب الذى نحن بسبيله « فتوح الشام » المنسوب للواقدى ، وهو اغزر هذه المصادر جميعا مادة حتى غدا منهلا يلتهم منه الجميع من دارسى التاريخ الى كتاب القصص والتمثيليات فان فيه ما يغذى هذا الصنف الاخير اكثر من اى مصدر اخر •

الواقدى من هو ؟

هو احد الاعلام وقاضى العراق وبغداد ، محمد ابن عمر بن واقد الاسلمى ، روى عن ابن عجلان وابن جريج ومالك وكثير غيرهم • كما سمع من مالك بن انس وسفيان الثورى وكان عارفا بفقههما حتى قيل لم يكن افقه منه به ، وسمع من معمر بن راشد وغيرهم • وروى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهرى صاحب « الطبقات الكبرى » وجماعة من اعيان الرواة • وقد ولد الواقدى سنة ١٣٠ هـ وتوفى عام ٢٠٧ هـ ودفن بمدافن الخيزران ببغداد•

وقد وثق بالواقدى كثيرون • وثق به الامام مالك ابن انس ومحمد بن الحسن وابو عبيد القاسم بن سلام • وقال ياقوت الرومى الحموى : « الواقدى المدنى مولى الاسلميين احد اوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة » • ونقل عن الامام الثقة ابراهيم بن اسحق الحربى قوله « الواقدى امين الناس على الاسلام » وقول محمد بن اسحق « والله لولا انه عندى ثقة ما حدثت عنه » وقول مصعب بن الزبير « والله ما راينا مثل الواقدى•• الواقدى ثقة مامون » وقول الحافظ الدراوردى « الواقدى امير المؤمنين فى الحديث » وقول محمد ابن سلام الجمحى « الواقدى عالم دهره » وقول يزيد بن هارون « الواقدى ثقة » • يقول ياقوت• «اما فىاخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون فهو ثقة باجماع » •

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد «قدم الواقدىبغداد وولى قضاء الجانب الشرقى منها ، وهو من طبق الارض شرقها وغربها ذكره ، ولم يخف على احد عرف الاخبار امره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى والسير والطبقات واخبار النبى صلى الله عليه وسلم والاحداث الكائنة فى وقته وبعد وفاته ، وكتب الفقه واختلاف الناس فى الحديث وغير ذلك • وكان جوادا مشهورا بالسخاء » • وبعد قضاء شرقى بغداد ولاه المامون القضاء بعسكر المهدى • ويقال انه حمل كتبه على مائة وعشرين بعيرا وكان له ستمائة قمطر كتب •

ثقة أم كذاب ؟

ومع ذلك فقد طعن عليه المدينى وقال « كان الواقدى يروى ثلاثين الف حديث غريب » وطعن عليه يحيى بن معين واحمد بن حنبل وابن عدى والدارقطنى • وذهب بعضهم الى ابعد من ذلك من الطعن الشديد ، قال الحافظ ابن حجر العسقلانى « الواقدى متروك مع سعة علمه » وقال زكريا بن يحيى الساجى « الواقدى متهم » وقال البخارى « الواقدى متروك الحديث » وقال معمر « ليس بثقة » وقال النسائى « الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة : ابن ابى يحيى بالمدينة والواقدى ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن السعيد بالشام » •

وقال ابن راهويه « هو عندى ممن يضع » وقال الشافعى « كانبالمدينة سبعة رجال يضعون الاسانيد احدهم الواقدى » •

ائمة اجلاء كثيرون يجرحون الواقدى ، وائمة اجلاء كثيرون يعدلونه ويوثقونه ! وقد لاحظنا ملاحظات عديدة تجعلنا من امر الواقدى فى اشد الحيرة ، فان بعض اولئك الذين يجرحونه او



يعدلونه وان كانوا يسبقونه زمنيا ومنهم من مات قبله . فقد توفي الشافعي عام ٢٠٤هـ قبل وفاة الواقدي بسنوات ثلاث ، وتوفي الامام مالك ١٧٩ قبل وفاة الواقدي بثمانية وعشرين عاما ، اما مصعب ابن الزبير فقد توفي عام ٧٢هـ قبل مولد الواقدي بثمان وخمسين عاما ! ومع ما نقل الينا عن ابن حجر انه قال « الواقدي متروك مع سعة علمه » نجده لا يتركه بل يأخذ عنه في كتبه . من هنا نرى ان جميع ما نقل الينا عن الواقدي يحتاج الى دراسة وفحص اسانيده بهدف تعديله او تجريحه. والحق نقول ، ان في النفس شيئا مما نقل عن الواقدي جرحا وتعديلا .

كتاب فتوح الشام

وذهبنا ننظر في كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقدي فوجدناه مليئا بالمبالغات الظاهرة والعبارات المسجوعة على السنة ابطال الفتوح خلافا لاسلوب عصرهم . ولكن الواقدي فيما نسب اليه في هذا الكتاب يدافع عنه بقوله « ...والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في خبر هذه الفتوح الا الصدق وما اخذته الا عن قاعدة الصدق لاثبت فضايل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لارغم اهل الرفض والخارجين عن السنة والرفض ، اذ لولاهم بمشيئة الله عز وجل لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين ، فلله درهم لقد جاهدوا وصابروا وثبتوا للقاء العدو وبذلوا جهدهم وما قصروا حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتهيا لمسيره وازالوا كسرى وقيصر والجلند بن كركي حتى علا الاسلام وظهر ، وذل الكفر وتقهقر ، لا جرم قال الله فيهم « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » .

ولقد اطلعنا على ثلاث طبعات من كتاب « فتوح الشام » ،الاولى لدار الجيل ببيروت،غير مثبت عليها سنة نشرها ، والثانية للحلبي بمصر وبهامشها كتاب تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ، نشر عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦ م . وبمضاهاة الطبعتين وجدناهما متطابقتين تماما فهما من اصل واحد لم يبين عنه اى من الناشرين ولم يقدم احد منهما منشورة باى تقديم ولا ذكر شيئا عن مصدره او انه قام بتحقيقه .

طبعات غير محققة

لم اطلعنا على نسخة من طبع كلكتا عام ١٨٥٤م تحقيق المستشرق الايرلندي وليم ناسوليس ، جاء في تقديمه باللغة الانجليزية انه اعتمد على نسختين تختلف احداهما عن الاخرى بفروق كبيرة جدا وتعني لو كانتا اكثر صحة مما هما عليه ولو انهما كانتا كتبتا بعناية اكبر . وذكر ان الاصول الخطية للكتاب قليلة وان المكتبات الشرقية في اوروبا تضم عشر نسخ،حررت خمس منها في السنوات ٧٧٣ و ٨٢٧ و ٨٦٣ و ٩٩٤ و ١٠٠٩ هـ . كما ذكر ان النسختين اللتين اعتمد عليهما احداهما تخص العقيد رولنسون حررت عام ٨١٥هـ ووصفها بانها نسخة دمشق،اما الثانية،فهي تخص مواطنا من كانبور يدعى مولدي محمد حسن وقد حررت عام ٩٥٢هـ . ولم تحرر اى من النسختين بعناية وان بهما من الاخطاء الهجائية والنحوية والصرفية والخلط بين التذكير والتأنيث كثيرا كما أن بهما من التناقضات ما جعله يفترض انه كان هناك اصداران للكتاب . واضاف انه كان احيانا لا يجد قطاعات باكملها من صفحة او اكثر في احدى النسختين وان نسخة كانبور كانت اكثر امتلاء في قسمها الاول بينما كانت نسخة دمشق تزيد في قسمها الاخير ،وان محرر نسخة العقيد رولنسون عمد الى اجراء بعض التصحيحات بها حتى تبدو غير مقلدة ولكنه لم يوفق في دقة النقل .

ويضيف المستشرق ناسوليس انه لم يستطع الترجيح بين اختلافات مؤرخي الفتوح وانه ما لم يقم احد بهذا العمل فسوف يكون من المحال الوصول الى اى نتيجة تستحق التصديق . كما ذكر ان ما يعلمه الاوروبيون بصفة عامة عن حروب المسلمين في الشام انما يستند الى هذا الكتاب . وان صح هذا فاننا نشعر تجاهه باشد الاسف اذ ان اسلوب الكتاب تعصبي استفزازي للمسيحيين خاصة ، فهو ـ على سبيل المثال ـ يكثر من ذكر استنصار الروم بالصلبان ثم تقع هذه الصلبان على الارض ويحطمها المسلمون ، كما يكثر من ذكر استعاذة

القساوسة الروم بالمسيح وبامه ثم يحرص فى شماتة على بيان أن ذلك لم يغن هؤلاء المشركين الكفرة شيئا امام المسلمين المؤمنين بالله .. نهج من شانه أن يحجب سماحة الاسلام والمسلمين التى اشتهروا بها وفرضها عليهم دينهم . ويفيض الكتاب فى مثل تلك التحديات بين المسلمين والروم بصورة لا نجدها فى اى مصدر آخر سواء السابقة او اللاحقة حتى تلك التى كتبت ايام الحروب الصليبية ، حتى اننا نرى أن هذا الكتاب من الاسرائيليات المدسوسة على المسلمين . وفى طبعة كلكتا هذه وجدنا فقرات باكملها لم نجدها فى طبعة دار الجيل او طبعة الحلبى .

أصحاب المصادر والواقدى

وفى كتاب « فتوح الشام » روايات وفيرة عن هذه الفتوح اوفر مما رواه اى مصدر آخر ، بل لعلها أوفر مما روته المصادر الاخرى مجتمعة .

اما محمد بن عبدالله الازدى فقد توفى بعد وفاة الواقدى باربعة وعشرين عاما ، وكان كتابه فى نفس الموضوع ومع ذلك فلم يتضمن كتابه « تاريخ فتوح الشام » شيئا على الاطلاق عن الواقدى ، لا بالرواية والاسناد ولا نقلا عن الكتاب . واما الطبرى فقد اقتصر ما اخذه عن الواقدى فيما يتعلق بفتوح الشام على اربعة اسطر قال « واما الواقدى فانه زعم ان فتح دمشق كان فى سنة اربع عشرة كما قال ابن اسحق ، وزعم ان حصار المسلمين لها كان ستة اشهر ، وزعم ان وقعة اليرموك كانت فى سنة خمس عشرة، وزعم ان هرقل جلا فى هذه السنة بعد وقعة اليرموك فى شعبان من انطاكية الى قسطنطينية وانه لم يكن بعد اليرموك وقعة » .

واخذ البلاذرى عن الواقدى روايات معدودة ومقتضبة عن توزيع فتح الشام على امراء جيوش المسلمين ، وعن عبور خالد بن الوليد صحراء السماوة من العراق الى الشام وعن فتح دمشق وحمص وقيسارية والثغور الشامية .

واما الحافظ ابن عساكر ـ هو شافعى المذهب ـ فبالرغم مما قاله الشافعى فى الواقدى وهو مثل ما قال مالك فى الخمر ـ ان صح هذا ـ فاننا نجده ياخذ بعض مرويات الواقدى فى كتابه تاريخ مدينة دمشق ، الا ان ما اخذه قد اقتصر على البعوث الاولى الى تخوم الشام فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذات اطلاح ومؤتة وتبوك وبعث اسامة ، ثم بعث ابى بكر الامراء الى الشام . وهى جميعا اخبار تتايد من مصادر اخرى ، كما ذكر له بعض تواريخ الفتح وتوقيتاته . ولكن ابن عساكر لم ياخذ عن كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدى شيئا من القصص الكثيرة التى ازدحم بها هذا الكتاب ، ولكنه اذ ياخذ عنه ما ياخذ انما يورده عن طريق الرواية المسلسلة وليس نقلا عن كتبه .

هل الكتاب للواقدى

كنا بصدد دراسة عن الصحابى البطل ضرار ابن الازور الاسدى ، فقادتنا هذه الدراسة الى امر جد خطير جدير بالتسجيل حيث لم يلحقه احد قبلنا علمناه ، وذلك فيما يتعلق بتحديد تاريخ وفاة هذا الصحابى الجليل .

وليس هذا التاريخ وما لابسه من خلاف بين الرواة هو ما يعنينا هنا .. ولكن ما يقودنا اليه بشان الواقدى وهذا الكتاب المنسوب اليه . ولعل اقرب الرواة الى الواقدى واوثقهم صلةبه هو كاتبه محمد بن سعد ، قال فى « الطبقات الكبرى » فى ترجمته لضرار « قال عبد الله بن جعفر : مكث ضرار بن الازور باليمامة مجروحا قبل ان يرحل خالد بيوم فمات .. قال محمد بن عمر (يعنى الواقدى) وهذا اثبت عندنا من غيره » .

كما ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان عن الواقدى قوله « المجمع عليه عند اصحابنا ان ضرارا قتل باليمامة » .

وقال الفقيه الحافظ المحدث ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبى فى الاستيعاب « وذكر الواقدى قال : قاتل ضرار بن الازور يوم اليمامة قتالا شديدا حتى قطعت ساقاه جميعا فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت، وقيل مكث ضرار باليمامة مجروحا ثم مات قبل ان يرتحل خالد بيوم ، قال وهذا اثبت عندى من غيره » .

وقال عز الدين بن الاثير فى اسد الغابة «... وشهد قتال مسيلمة باليمامة وابلى فيه بلاء عظيما حتى قطعت ساقاه جميعا فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت ، قاله الواقدى »

كذلك قال الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة عن ضرار « واختلف في وفاته فقال الواقدي استشهد باليمامة » .

ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ ، والبلاذري المتوفى ٢٧٩هـ وابو عمر المتوفى ٤٦٣ هـ وابن الاثير المتوفى ٦٣٠ هـ وابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ .. خمسة مصادر تنسب الى الواقدي تاكيده ان ضرارا استشهد باليمامة .

وقد كانت معركة اليمامة من حروب الردة ضد مسيلمة بن حبيب الكذاب وشهدها ضرار مع خالد بن الوليد عام ١١ هـ . هذا في حين امتلأت صفحات كتاب «فتوح الشام» المنسوب الى الواقدي ببطولات اسطورية لضرار بن الازور الاسدي في كل معركة من معارك فتح الشام ، بل وذهب الى ابعد من ذلك فجعل له ذكرا في معركة القادسية وفي فتح مصر وفتح الجزيرة ، وقد كانت هذه بعد حروب الردة بسنوات باجماع الرواة بما فيهم الواقدي . ولم ينسب الى الواقدي احد من هؤلاء الخمسة ولا من غيرهم ما نراه الان في في ذلك الكتاب عن ضرار . فكيف نعلل هذا التناقض فيما ينسب الى الواقدي

ان هذا يسوقنا ليس فقط الى الشك بل الى القطع ان كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدي ـ بصرف النظر عن توثيق الواقدي او تجريحه ـ لايمت الى الواقدي بصلة . وان الامر يحتاج الى بحث شامل وراء النسخ الخطية لذلك المصدر حيث كانت والتحري عن تاريخها والبحث فيما بينها عن فروق وما اشتملت عليه من مرويات تتناقض او تتفق مع المنقول عن الواقدي في المصادر الاخرى ، وعن مدى توثيق هذه او تلك . كما يحتاج الامر الى بحث صحة نسبة هذه المصنفات الى الواقدي .. انه بحث يضيق مقال ان يحتويه وانما ندعو جامعاتنا وباحثينا الى القيام به .

يقول فتحي عثمان في كتابه «اضواء على التاريخ الاسلامي » حين عرض للواقدي « .. له كتاب التاريخ الكبير وكتاب الطبقات ، ولم يبق لنا مما يصح من كتبه الا كتاب المغازي ... » لقد بحثنا فيما رجعنا اليه من مصادر عن ذكر لكتاب فتوح الشام للواقدي ، فوجدنا أن محمد بن سعد « كاتب الواقدي » في الطبقات وابن حجر في لسان الميزان وابن قتيبة الدينوري في المعارف قد ترجم له كل منهم ترجمة مختصرة دون أن يشيروا الى الكتاب ولا الى أي من مصنفاته . كذلك لم نعثر في الاصابة على اشارة للكتاب . ولقد ذكر ابن الاثير المتوفى ٦٣٠ هـ في مقدمته لكتاب أسد الغابة المصادر التي أخذ عنها ولم يذكر كتاب فتوح الشام ولا أي كتاب للواقدي ، وقد ذكر في كتابه أشياء نسبها الى الواقدي دون أن يبين عن مصدرها . وذكر صاحب الاستيعاب المتوفى ٤٦٣هـ أن تاريخ الواقدي أخبره به خلف بن القاسم عن علي بن العباس عن .. الخ ولم يذكر فتوح الشام أيضا .

اما اول ذكر عثرنا عليه لكتاب فتوح الشام للواقدي فهو ماذكره ياقوت الحموي في معجم الادباء في معرض تعداده لمصنفات الواقدي . ثم يجيء شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ فيذكر في كتابه « دول الاسلام «فيمن مات ٢٠٧ هـ » .. وقاضي بغداد محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي» ولم يذكر فتوح الشام .

ما معنى أن نعثر على أول اشارة الى هذا الكتاب فيما كتب ياقوت المتوفى ٦٢٦ هـ ثم يختفي هذا الذكر من عند ابن الاثير المتوفى ٦٣٠هـ والذهبي المتوفى ٧٤٨هـ ؟ انذهب الى انهذا الكتاب ظهر قبيل ياقوت بفترة مناسبة ولا يعقل ان يكون امره قد خفي على ابن الاثير وعلى الذهبي ولكن الاقرب الى العقل انهما لم يثقا في نسبة الكتاب الى الواقدي . وجدير بالذكر هنا أن أقدم نسخة أشار اليها ناسوليس هي تلك المحررة في ٧٧٣هـ.

وقصارى القول أننا نرى في هذا الكتاب كتابا « لقيطا » مجهول النسب حتى الان ، ينتسب ادعاء الى غير كاتبه ، تعذر الباحثين في تاريخ الفتح الاسلامي والمؤرخين من الاخذ عنه .

اما كتاب القصص والروايات الذين يجدون في هذا الكتاب مادة كما في ألف ليلة وليلة فهذا شانهم ، ولكن على القاريء والمشاهد الا ياخذ هذه المادة على انها حقائق . والله ولي التوفيق.

■■

أحمد عادل كمال



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الصداع النصفى

● **اشكو من صداع نصفي ينتابني منذ مدة قصيرة ٠٠ فهل من علاج لحالتي هذه ؟**

ـ الصداع النصفي نوعان : النوع الاول هو الذى يحدث مبكرا منذ الصغر ، أى منذ سن العاشرة ، وهذا يتميز بوجود اعراض عصبية قبل حدوث الصداع النصفي ، كالشعور بتنميل وخدر في نصف الجسم واحيانا عدم القدرة على الكلام ، او ضعف في نصف الجسم ٠٠ ويستمر هذا لفترة قصيرة جدا، ثم تتلاشى هذه الاعراض كلية، فيحس المريض بالصداع يزداد قوة تدريجيا الى ان يصل الى حد يسبب له الغثيان والقيء ٠ بعد ذلك تتحسن حالة الصداع ويذهب تدريجيا ليعود المريض بعدها الى حالته الطبيعية ، او ينام بعض الوقت ليصحو وقد اختفى الصداع نهائيا ٠٠ في هذه الحالة التي تبدأ في سن مبكرة ،ويكون هذا الصداع النصفي وراثيا ٠٠ وتكون نسبة عامل الوراثة فيه حوالي ٨٠٪ من الحالات ٠٠و ٢٠٪ الباقية يمكن ان تكون بسبب آخر مثل مرض خلقي بشرايين المخ ٠٠ لذا يجب البحث عن السبب ، لانه يمكن في بعض الحالات معرفة السبب ومعالجته ٠٠ وهذا النوع من الصداع النصفي يعالج بمركبات الارجوتامين Ergotamine ٠

اما النوع الثاني فهو الذى يحدث بعد سن العشرين ، فعامل الوراثة فيه لا يمثل نسبة كبيرة ، بل ان الاعراض في بعض الاحيان تكون مختلفة ٠٠ فنراه يكون على هيئة صداع نصفي يسببه اضطراب في الابصار ويبقى الالم في نصف الرأس،وفي حالات اخرى ينتقل بسرعة الى النصف الآخر من الرأس ، او يعم الرأس جميعها٠ او يكمن الالم خلف الرأس ٠٠ ويمكن تمييز ذلك بأخذ تفاصيل المرض من المريض، وكيف يبدأ ٠٠٠ ومما يزيد الحالة تعقيدا انه في بعض الحالات تبدأ الاعراض من اعلى البطن مع غثيان وقيء دون حدوث صداع ، ويكون هذا على فترات متفاوتة ٠٠ وهذا النوع لا يستجيب لمركبات الارجوتامين بسرعة ، كذلك لا يفيد استعمالها اذا كان الصداع قد بدأ فعلا ٠ وتلعب الحساسية دورا كبيرا في حدوث مثل هذا النوع من الصداع ، لذا كان من الواجب اعطاء الادوية ضد الحساسية، وتعطى كذلك المهدئات حتى لا يكون التوتر العصبي سببا في حدوث النوبات على فترات قصيرة ٠

والعلاج يختلف من مريض الى آخر ، وربما استجاب مريض الى علاج لا يستجيب له مريض آخر ، لذا تترك كل حالة للطبيب ليقرر العلاج اللازم بعد عمل الفحوصات اللازمة ، واستبعاد اى مرض عضوى ظاهر يسبب هذا الصداع النصفي ٠

اصابات العين

● هل نجحت محاولات تصنيع العين

ـ ننصحك أولا : ان تذهب الى الطبيب لتشخيص الحالة جيدا وذلك ان وظيفة العين هي تصوير الاشياء التي أمامها على شبكية العين وتحويلها الى اشارات خاصة يستطيع بواسطتها المخ معرفة ما هو أمام العين ، وقد لا تستطيع العين تكوين مثل هذه الصور لعدة اسباب منها

ـ اصابة العين بعتمة على القرنية (الجزء الامامي الشفاف من العين) وعلاج مثل هذه الحالة يمكن بواسطة زرع قرنية سليمة « ترقيع القرنية » مكان القرنية المعتمة وتعتبر من أنجح عمليات الزرع في جسم الانسان لان القرنية خالية من الاوعية الدموية التي تعمل غالبا على طرد الجسم المزروع بما تحمله من مضادات ، ويمكن اجراء مثل هذه العملية في بلاد عدة ، منها الكويت ، وبنجاح تام اذا ما توفرت العيون المتبرع بها .

ـ اذا كانت العين لا تستطيع الرؤية بسبب عتمة العين التي تسمى بأسماء مختلفة «الكاتركتا ، الماء الابيض الساد » يمكن استخراجها بعملية جراحية بسيطة .

ـ أما اذا كانت العين لاتستطيع تكوين صور الاشياء التي أمامها على شبكية العين لتلفها كما يحدث في بعض حالات مرض السكر أو الضغط أو الانفصال الشبكي الكامل ولم يعالج لمدة طويلة أو التهاب داخل العين أو بسبب ارتفاع ضغط العين الجلوكوما «الماء الازرق » .

او ان الشبكية لاتقدر على تحويل الصور المتكونة عليها الى الاشارات الخاصة التي يفهمها المخ كما هو الحال في العين الكسلانة المصابة بحول منذ الطفولة ولم تعالج حتى الكبر .

فعلاج مثل هذه الحالات يتطلب زرع العين كلها مكان العين التالفة ، ولقد حاول الاطباء ذلك منذ وقت طويل ولكنهم لم يتمكنوا من احراز أى تقدم في هذا المجال لعدة اسباب منها :

١ ـ أن الشبكية ـ وهي الجزء الذى تتكون عليه الصور ـ تفقد حيويتها اذا ما انقطع عنها الدم مدة بين ٢٠ و ٣٠ دقيقة ومعنى هذا ان أى تفكير في مثل هذه العملية يوجب الحصول على عيون سليمة من اشخاص أحياء وهذه مشكلة في حد ذاتها فأين تجد من يتبرع بعينه وهو حي ؟

٢ ـ يجب توصيل الدم الى العين المزروعة في مدة أقل من نصف ساعة وهذا غير مضمون لأن الشريان الذى يقوم بتغذية العين صغير جدا ولايمكن خياطته كما هو الحال عند زرع القلب والكلى التي لها أوعية دموية كبيرة يمكن خياطتها .

٣ـ الخلايا البصرية بالشبكية لها ألياف عصبية مرتبة ترتيبا خاصا داخل العصب البصرى وتسلك مسارا معقدا حتى تصل الى المركز البصرى داخل المخ فعند عملية الزرع يجب توصيل هذه الألياف العصبية من العين المزروعة بالالياف نفسها وبالنظام نفسه داخل العصب البصرى للشخص الذى سوف تزرع له العين حتى تستطيع ان ترسل الاشارات نفسها التي يستطيع المخ بواسطتها تفسير الصور المتكونة على شبكية العين وهذا غير ممكن من الناحية العملية اذ يوجد مئات الالوف من الخلايا وأليافها العصبية .

ولكن العلم والطب لم يستسلما لكل هذه الصعاب بل اتجها الى تصنيع البصر والبحث جار على النحو التالي :

وظيفة العين هي تكوين صور للاشياء التي أمامها ثم تحويل هذه الصور الى اشارات خاصة يستطيع المخ عن طريقها معرفة

هذه الاشياء • فيمكن استقبال الصور التى أمام العين بجهاز تليفزيونى صغير وهذا ممكن وسهل • واذا ما عرفت خاصية ونوع الاشارات التى ترسلها العين الى المخ ففى هذه الحالة يمكن التقاط الصور بواسطة هذا التليفزيون الصغير الذى سوف يعمل على تحويلها الى اشارات مماثلة لاشارات العين وارسالها الى المخ مباشرة وبهذه الطريقة يمكن للمكفوفين أن يستردوا بصرهم والبحث الان جار فى عدة دول من العالم منها انجلترا والولايات المتحدة لمعرفة نوع الاشارات التى ترسلها العين • وللان لم يتوصل الاطباء الى معرفة تامة لهذه الاشارات ونأمل أن يتم ذلك فى القريب العاجل حتى يسترد كل كفيف بصره •

هذا العرق

● ما هو العرق الذى يتصبب من اجسامنا بين الحين والاخر ؟

ـ العرق عبارة عن افراز تفرزه الغدد العرقية المنتشرة فى الجلد والتى يبلغ متوسط عددها حوالى ٢٠٠ ـ ٣٠٠ غدة فى السنتيمتر المربع من الجلد •ويزداد هذا العدد فى اماكن خاصة من الجلد كالجبهة والكفين ، وباطن القدمين ،وللعرق وظيفة يقوم بها ، فهو يساعد على افراز الفضلات من الجسم كالبولينا مثلا •

ومن اهم وظائف العرق تنظيم حرارة الجسم ، فنجده يزداد اذا تعرض الشخص لجو حار ، حتى اذا تبخر انخفضت حرارة الجسم وبقيت عند المستوى الطبيعى، على انه اذا فقد الجسم كمية كبيرة من العرق ، فأنه فى نفس الوقت يفقد ملحا هاما من الجسم وهو كلوريد الصوديوم والذى يلعب دورا هاما فى وظائف الاجهزة المختلفة ، لذا يجب أن يعطى ملح الطعام بكميات كبيرة ليسترد الجسم مافقده من ملح كلوريد الصوديوم •

ويزداد افراز العرق من الجبهة واليدين وفى اجزاء اخرى من الجسم عندما ينشط جهاز العصب السمبثاوى الذى يغذى الغدة العرقية ويلاحظ ذلك فى حالات الالم الشديد والخوف والغضب وغيرها من الاضطرابات النفسية • وتعالج مثل هذه الحالات بعلاج السبب مع أخذ المهدئات التى تساعد على عدم التوتر العصبى •

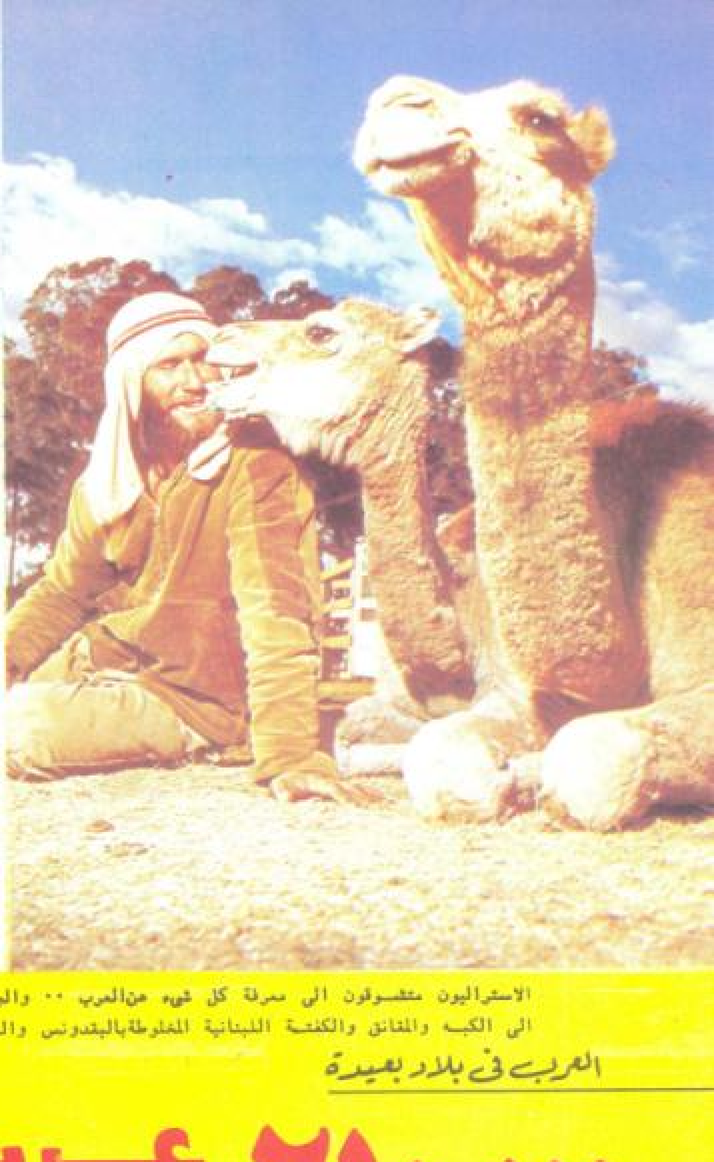
ويشكوى البعض من كثرة العرق بالابطين وفى الحالات الشديدة يمكن التغلب على ذلك باجراء عملية بسيطة ، يزال جزء بسيط من الجلد تحت الابطين فيقل بذلك افراز العرق •

اما الذين يعانون من كثرة العرق فى اليدين والقدمين مما يسبب لهم ازعاجا شديدا فهناك علاج خاص هو Ulrrasonic

وعند الاضطرار تعمل عملية قطع العصب السمبثاوى الذاهب الى اليدين والقدمين •

وفى الحالات التى يشكو منها بعض الناس من كثرة العرق فى باطن القدمين مع حدوث رائحة كريهة وتسلخ بالجلد يمكن لهؤلاء ان يلبسوا احذية لها كعب مطاط سميك ، ويستحسن لبس الاحذية المكشوفة « الصندل » خصوصا اذا كان الجو حارا وانصح بوضع القدمين فى محلول ٣٪ فورباالين كل ليلة لمده ٥ ـ ١٠ دقائق وعلى الجانب الاخر يقل العرق بسبب مرض خلقى بأن تكون الغدد العرقية بالجلد قليلة العدد فيكون الجلد جافا واذا تعرض شخص مصاب بهذه العلة لجو حار ارتفعت حرارة الجسم بسرعة وربما اصيب بضربة شمس اخرى ومايتبع ذلك من مضاعفات تكون خطرة فى بعض الاحيان لذا كان من الواجب ان لايتعرض مثل هؤلاء الاشخاص الى جو حار •





الاستراليون متشوقون الى معرفة كل شىء عن العرب .. والجمال القليلة الموجودة عندهم ، الى الكبه والمقانق والكفتة اللبنانية المخلوطة بالبقدونس والبصل الاخضر التى يبيعها لهم

العرب فى بلاد بعيدة

٢١٠,٠٠٠ عربى فى

- نقلوا اليها عاداتهم وتقاليدهم .. وخلافاتهم !
- ١٢ صحيفة ومجلة عربية تصدر فى استراليا !



يدللونها ويحافظون عليها .. ومطبخهم الذي كان اساسه السمك المقلي والبطاطس بدأ يتحول
مصطفى الدباس القادم من شمال لبنان ، الى ضاحية كمبسي باستراليا ..

استراليا

استطلاع :
سليم زبال



تعليم العربية .. محاولات فردية ضعيفة لمواجهة مشكلة ضياع كبيرة ! !

★ مساجد في كل المدن الرئيسية باستراليا .
★ لماذا يمنح الاميون العرب تأشيرات الدخول لاستراليا ؟
★ وزير البحرية ورئيس بلدية سدني من اصول لبنانية !

■ الى استراليا هاجروا .. مخلفين البلاد والارزاق ، والاهل والاحباب .. قلنا : لماذا ؟ فاختلفوا في الاجابة :

ـ اريد ان احقق هناك ما عجزت عن تحقيقه في بلدي ..

ـ اسعى وراء الكسب بعد ان شحت الاعمال في البلاد ..

ـ اهرب من مجتمعات الكراهية التي نعيشها..

ـ ابحث عن بلد يعيش فيها اولادي بعيدا عن وجع الرأس .

هجرات وراء هجرات .. كلها جاءت من مشرقنا العربي المضطرب ، حيث اللا حرب واللا سلم . لقد نقلوا معهم الى استراليا اكثر عاداتهم وتقاليدهم ومأكولاتهم وصحفهم ، لقد نقلوا اليها خلافاتهم وحزازاتهم !!

سعادة .. ولكن !

وعشنا بينهم في غربتهم .. انهم سعداء في حياتهم أو هكذا يتخيلون ، انه شعور بالراحة المصطنعة ، التي ما تكاد تزيح عنها بعض الرمال حتى تراها على حقيقتها .. كل شيء يملكه الواحد منهم جميل .. منزل تحيطه حديقة ، سيارة ، تليفون ، غسالة كهربائية ، تليفزيون .. ولكنه لم يمتلكها بعد .. انه يشتريها بالتقسيط الطويل الذي يمتد لمدة ٢٠ سنة في بعض الاحيان ، مع فوائد فاحشة مركبة ..ولكنك تجده رغم هذا سعيدا بشوشا لانه يمتلكها اليوم في منزله ويتمتع بها مع اسرته .. وهذا هو المهم عنده .. لقد تعود العيش على الاسلوب الاسترالي ، يفكر ليومه ولعائلته وكيفية صيانة منزله ... همومه تنحصر في كيفية دفع الاقساط وتعبئة استمارات ضرائب الدخل ، وجمع افادات الكسب ، وارسالها بالبريد الى مكتب الضرائب!

حياة جديدة غريبة يعيشها المغترب العربي في بلاد لا يعرف اهلها اي شيء عن العرب ، حتى اسماء الدول العربية لا يعرفونها في استراليا .. وحاولنا العثور في المكتبات على كتاب واحد عن اي بلد عربي ففشلنا ! .

ان استراليا ليست معزولة جغرافيا فقط ، وانما اعلاميا كذلك .. فمحطات التليفزيون الثمانية والعشرون المتفرقة في ارجاء استراليا، لا تبث الا المسلسلات البوليسية العنيفة ، والافلام الراقصة ، والمصارعة الدامية ، ومباريات الكرة .. كذلك صحافتهم تضخم اخبار الجرائم والاخبار الرياضية .. اما اخبار العالم الواسع الكبير فليس لها الا بضعة سطور قليلة مختصرة .

ان استراليا لم تستيقظ الا على دوي انفجارات حرب فيتنام ، فبدات تقيم الاتصالات والاتفاقات مع دول اسيا بعد ان كانت علاقاتها مقصورة على انجلترا واوروبا وامريكا .. !

في عام ١٧٨٨ نزلت ارض استراليا اول مجموعة من المهاجرين الانجليز .. كانوا كلهم من المجرمين العتاة المنفيين من بلادهم .. اما اليوم فاستراليا هي ارض الاحلام لملايين المهاجرين ..



لماذا ١٤ مليونا فقط ؟

وحتى نتعرف على وضع العرب في استراليا يجب ان نعرف استراليا نفسها .. انها الدولة القارة يمر بها ٣٠ خط طول ، عرضها ٤٠٠٠ كيلو متر من الشرق الى الغرب.. فارق التوقيت ساعتان بين مدينتي سيدني في الشرق وبيرث في الغرب !

مساحتها ثمانية ملايين كيلو متر مربع ، اى ما يوازى مجموع مساحات المغرب والجزائر وليبيا ومصر والسودان .. بينما عدد سكانها ١٤ مليون نسمة ، اى ما يزيد قليلا على سكان القاهرة !!

ان استراليا يمكنها ان تستوعب اكثر من ١٠٠ مليون نسمة ، فلماذا لا يعيش فيها سوى ١٤ مليونا فقط ؟ !

« اننا نبحث عن النوعية ، وليس الكمية .. نرغب في ان تكون غالبيتهم من اصول انجلو ساكسونية حتى يكون هناك انسجام بين افراد الشعب .. ولكننا لم نستطع المحافظة على هذه النظرية فاتت لينا هجرات من كل انحاء العالم ».

هذا ما همس به في اذاننا احد المسئولين الاستراليين الكبار .

آخر هجرة عربية

وحاولنا ان نجد بين الاحصائيات ، وفي ملفات ادارة الهجرة الاسترالية ، موقع الهجرة العربية وسط هذه الهجرات ، فلم نجد لها تفصيلا ، اذ انها تدخل تحت بند « هجرات من بلاد اخرى !! ».

والواقع ان الهجرة العربية ما زالت قليلة العدد نسبيا .. فعدد العرب في استراليا لا يتجاوز ٢١٠ آلاف نسمة ، منهم ١٦٠ الف لبناني و ٣٥الف مصري و ٧ آلاف سوري و ٥ آلاف عراقي و ٣ آلاف اردني ..

كل منهم يتجمع في منطقة معينة .. ولكن غالبيتهم يعيشون حول سدني وملبورن ..

واخر مجموعة من المهاجرين العرب كان عددهم ٧ آلاف مهاجر لبناني ، فتحت لهم استراليا ابوابها استجابة لمطالب ابناء الجالية اللبنانية .. حقيقة انها لم تفرض عليهم اية قيود ولكنها اعلنت انها لن تقدم لهم اية مساعدة مادية .. ونتيجة لهذه الهجرة العربية الجديدة اصيب اقاربهم من المهاجرين بازمات مالية حادة اذ



اسرةعربيةتتسلم اوراق الجنسية الاسترالية بعد ان قضت ثلاث سنوات في البلاد .. انها سوف تكتسب جميع الحقوق التي يتمتع بها الاسترالي الاصيل .

استدان معظمهم اموالا بفائدة ٢٠٪ لمواجهة مصاريف القادمين الجدد !!

أهم مشاكلنا ..

واردنا معرفة وضع الجاليات العربية في استراليا ، فجلسنا نستمع الى مديرة شئون الجاليات الاجنبية بمجلس الوزراء الاسترالي السيدة نادية لوتزى (استرالية اليابانية الاصل) وهي تقول لنا :

« بصراحة اعتقد ان أهم مشكلة يواجهها العرب في كل مكان ، هي الصورة السيئة المرتسمة في اذهان الاوربيين عنهم ، ان تبديل هذه الصورة هو الخطوة الاولى التي يتحتم عليكم أن تعملوها قبل اى شيء آخر ..

« ولقد لاحظت أن العربي في استراليا ينجح عندما يدير عملا بمفرده .. اما العمل الجماعي العربي فيتعثر دائما ..

« خذ مثلا لماذا لا يعمل العرب صندوقا مشتركا لمساعدة المهاجرين العرب الجدد .. ؟ الايطاليون والالمان والفرنسيون واليهود ، كلهم عندهم مثل هذه الصناديق التي تحفظ ماء الوجه ، بقروضها السهلة التي تقدمها لمساعدة القادمين الجدد من اجل ايجاد عمل او شراء منزل أو اثاث أو غيره.. كلهم عندهم مثل هذه الصناديق ما عدا العرب.. « ان العرب ليسوا فقراء ، ولكن ينقصهم التنظيم وروح التعاطف .. واذا كانت هناك نصيحة للمهاجر العربي فهي : تعلم الانجليزية وأتقن

كانبرا هي العاصمة الرسمية لاستراليا ·· وسدني هي العاصمة الاقتصادية المزدحمة ، المليئة بالحركة ، مما يجعل السكنى فيها غير مستحبة ·· ولكن حول سدني تقوم عشرات الضواحي السكنية ذات الفيلات الجميلة ·· يعيش فيها العرب متجمعين ·· عندما يولد طفل تحصل الام على « منحة الامومة » من الحكومة ، وتحصل الاسرة على « منحة العائلة » التى تدفع بصورة دائمة حتى يصبح الطفل شابا يافعا ·· وفي هذه الضواحي فتح العرب المتاجر ، كما فعل السيد كرم الذى قدم استراليا منذ ٢٠ عاما (الصورة اليمنى) ·· واقاموا حول سدني ثلاث مدارس يتعلم فيها الاولاد والبنات ثلاث لغات : عربية وانجليزية وفرنسية ·· الى جانب رقصة الدبكة التقليدية ! (الصورة السفلى) ·









في قسم اللغات السامية بجامعة سيدني يدرســـون اللغة العربية في المختبر اللغوي ٠٠ انهم على استعداد لاقامة قسم للدراسات الاسلامية فـي الجامعة اذا توفرت لهم المســـاعدات اللازمة ٠

الى اليسار : قصـــة اول جريدة عربية في استراليا هي قصة عناد وتحد للمستحيل ٠٠ لقد ولدت في جو كله عداء ٠٠ وعندما القـوا على مكاتبها جالونين من البترول المشتعل لاحراقها، سارع صاحبها حنا سمعان الذي كان في المبنى الى اطفاء الحريق ، كل هذا لان الصحيفة انتقدت الحظر الذي فرض على زيارة وفد منظمة التحرير لاستراليا عام ١٩٧٥ وفي الصورة الاخوان سمعان مع عدد جديد من صحيفتهم « صوت المغترب » ٠

مهنة ، حتى لا تصادفك متاعب جمة لا تستطيع مواجهتها بمفردك فى هذه البلاد ··» ★

نرجوك ··· خذ الجنسية !!

وفي عام ١٩٧٣ حصل ٣٤٠٥ من العرب على الجنسية الاسترالية من اصل ٤٤٥٧٦ اجنبيا حصلوا على الجنسية فى نفس السنة ·· والذين حصلوا على الجنسية فى هذه السنة كانوا ١٥٤٣ لبنانيا و ١٣٤٥ مصريا و ٢٥٨ عراقيا ، و ١٣٨ سوريا و ١٢٠ اردنيا ··

(وعملية منح الجنسية الاسترالية للمهاجر تتم باسلوب رقيق · فما يكاد يمر عامان ونصف على وجود العربي فى استراليا ، حتى يأتيه خطاب من ادارة الهجرة الاسترالية تقول له فيه :

« أصبح من حقك بعد أن قضيت هذه المدة في البلاد، أن تحصل على الجنسية الاسترالية ، فهل فكرت فى هذا ؟! تعال الينا وقدم طلبك ، واذا كان عندك أصدقاء مهتمون بالحصول على الجنسية الاسترالية ، فنرجوك أن تحضرهم معك ·· » ·

وبعدها يأتيه خطاب موقع من وزير الهجرة شخصيا يقول له فيه : « يسعدني جدا ابلاغك بأن طلبك للحصول على الجنسية الاسترالية قد ووفق عليه ·· ويسعدني بهذه المناسبة أن أهنئك بحرارة باسم الحكومة الاسترالية والشعب الاسترالي ، وأدعوك الى حضور الحفل الذى سيقام فى المبنى البلدى لتقديم شهادة راجيا لك كل سعادة وازدهار فى السنوات القادمة ··· » ·

وفى المرحلة الثالثة يقف المواطن العربي مع عائلته أمام رئيس المجلس البلدى فى المنطقة يستمع اليه وهو يقول له : « أنكم أفضل منا فنحن حصلنا على الجنسية الاسترالية بالولادة ، وهذا شيء لا دخل لنا به ، أما أنتم فقد اخترتم الجنسية الاسترالية باختياركم ورضاكم ، فنشكركم ونهنئكم ونتمنى لكم السعادة فى بلدكم الجديد··· » ·

وزير البحرية لبناني !

وفي كانبرة العاصمة جلسنا الى سفير أكبر الجاليات العربية فى استراليا ، السيد / انطوان يزبك سفير لبنان ، وعميد السلك الدبلوماسي العربي المكون من ثلاثة سفراء : لبنان ومصر والاردن ، الى جانب سفيرين معتمدين لطوكيو واستراليا هما : سفيرا العراق والكويت ··

قال السفير اللبناني : « كان اللبنانيون أول من هاجر الى استراليا من العرب قدموا اليها حوالى عام ١٨٥٤ لم تكن هجرة جماعية بل هجرة افراد ··

« وفي جاليتنا اليوم ما نسميه بالجيل الخامس المولود في استراليا، وهذا الجيل أصبح استراليا صميما ، وقد ظهرت منه شخصيات لامعة بارزة مثل روبي كيوز،وزير البحرية الاسترالية سابقا، ونائب ولاية كوينز لاند ، وهو لبناني أصله من بشرى ·· ونيقولا شحاده رئيس بلدية سدني واصله لبناني كذلك··وهناك العديد من اللبنانيين الاستراليين الذين اندمجوا فى المجتمع الاسترالي واصبح منهم المحامون والاطباء وأساتذة الجامعة ·· ومع ذلك ما زالت عواطفهم جياشة نحو لبنان رغم عدم معرفتهم للعربية » ·

وينتقل الحديث عن الجنسية الاسترالية فيقول السفير يزبك : « هنا عندهم ما يسمى بقانون الارض ، فكل شخص يولد فوق أرض استراليا يصبح فى الحال استراليا هو وأبواه ، اما بالنسبة لرعايانا فعندنا فى لبنان ما اصطلح على تسميته بقانون الدم ، وهذا يعنى ان المولود من اب لبناني يظل لبنانيا ، ولا يفقد او تسقط عنه جنسيته الا بمرسوم من رئيس الجمهورية اللبنانية ·· ·· لهذا ترانا لا نعترف رسميا بحمله لأية جنسية أخرى ،ما لم يصدر مرسوم من رئيس الجمهورية بذلك ! » ·

★ نقل العرب صورة من بلادهم الى استراليا··فى شوارع غرينفل شاهدت لبنان··ورأيت





مصر تشجع الهجرة لاستراليا

وفي لقائنا مع قنصل مصر العام في سيدني السيد محمد زغلول عبد الفتاح قال : « هجرة المصريين الى استراليا هجرة حديثة جدا .. ومصر اليوم تشجع ابناءها على الهجرة الى استراليا .. والمصري الذي يحصل على الجنسية الاسترالية تسمح له قوانيننا بالاحتفاظ بالجنسية المصرية كذلك ..

« وهناك اعداد كبيرة من المصريين المؤهلين جامعيا ومن اصحاب الحرف ينتظرون منحهم تأشيرة الهجرة لاستراليا .. » .

« واعتقد ان اهم المشاكل التي تصادف العربي في هذه البلاد هي اصطدامه بتقاليد وعادات تختلف تماما عن العادات المتبعة في بلاده .. لحرية المرأة هنا مطلقة وهذا شيء لم نتعوده في وطننا .. لهذا ارى ان القادم الى هنا يجب ان يعرف كل شيء عن استراليا حتى لا يتعرض لهزات نفسية مؤلمة » ..

طريقا السلامة والمغامرة !

ان المغتربين اللبنانيين والمصريين يكونان نحو ٩٣٪ من مجموع المغتربين العرب ولكل من افراد الجاليتين اسلوبه في الحياة .. المصري يسعى جاهدا الى اتباع طريق السلامة والامان في حياته .. يعمل موظفا في البنوك والدوائر الحكومية ، او طبيبا او صيدليا او استاذا في الجامعة او المعاهد الاخرى .. وهذا يعكس طباع المواطن اللبناني الذي يعشق المغامرة وينطلق في مبادرات فردية صعبة تكاد تكون مستحيلة النجاح، ومع ذلك يقدم عليها بثقة وايمان ..

يفتح مطعما متواضعا وتعمل معه كل اسرته ـ الام تطبخ التبولة وورق العنب والمتبل والحمص بطحينة ، والاب والاولاد يخدمون الزبائن .. وقد انتشرت المطاعم اللبنانية في اغلب انحاء استراليا ، واقبل عليها الاستراليون اكثر من العرب ..

ومن المغامرات العربية اللبنانية في استراليا، كانت فكرة اصدار صحيفة عربية .. الفكرة في حد ذاتها مستحيلة فلا توجد ماكينات جمع ولا صف ، ولا جمهور قارىء متجمع في مكان واحد .. ولكن نكسة ١٩٦٧ ترتب عليها حملة دعائية صهيونية مسعورة ضد العرب تطعن وتجرح فيهم، دون ان يدري اي عربي حقيقة الوضع في بلاده، واجتمع مجموعة من الشباب اللبناني وقرروا اصدار اول جريدة عربية لربط المهاجر العربي باخبار وطنه ، والرد على الحملات الاسرائيلية المسعورة ..

وروى لنا حنا سمعان قصة اول جريدة عربية بقوله : « كان معي ١٢ ليرة عندما بدأت في طبع ونشر « صوت المغترب » في سيدني .. كل شيء كان ينقصني وتغلبت على عدم وجود حروف طباعة باستعمال الآلة الكاتبة العادية ، والتصوير بالاوفست ، ومرت الجريدة بمرحلة صعبة يائسة، كنت اطبع ٢٠٠ نسخة واحملها وادور بها على على البقالات العربية لتوزيعها .. وشح المال وانسحب الشباب واضطررت للعمل في احد المعامل لتأمين المال اللازم للجريدة .. كنت مقتنعا ان الفكرة لا بد ان تنجح ، كنت احررها واكتب عناوينها بيدي واشارك في طبعها واحملها الى المتاجر لتوزيعها .. والحمد لله تكللت الجهود بالنجاح فقد أقبل المغتربون عليها حتى ارتفع توزيعها اليوم الى ٦٥٠٠ نسخة اسبوعيا » .

السم في الدسم !

لقد حملت « صوت المغترب » مشعل الصحافة العربية في استراليا .. وتتالت بعدها الصحف العربية حتى اصبح عددها اليوم ١٢ صحيفة :

مصر في بلاك تاون .. والعراق في فرفيلد..وسوريا في جليفورد .. لافتات عربية في كل مكان ..






نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS–McCANN
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به


مستجلات - راديو فيليبس
الكمال رفيقك
اينما كنت
مجموعات آلات تسجيل الصوت المهنية تستلزم التقيد بمعطيات علمية وتقنية دقيقة. هذا ما توصلت اليه فيليبس من مدة طويلة واوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل من أصغر آلة الى أكثرها تطورا. إنها ثمرة خبرة عالمية واسعة ناتجة عن تفوق تقني وفني تتطوره
فيليبس بنجاح منذ نصف قرن تقريبا. هذا التفوق التقني والفني ظاهر أيضا في كل مسجلة راديو فيليبس.
مع فيليبس تثق بأنك تحصل على الأفضل وهذا ما تنتظره من مبتكري الكاسيت
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوما

التلغراف .. الوطن .. الشرق الاوسط .. لرس التايم .. صدى لبنان .. الرسالة .. الثقافة .. الدبور .. صدى العروبة .

وهذا السيل من الصحف يفوق حاجة الجالية العربية الصغيرة الموجودة في استراليا .. قد يكون في هذا ربط محمود باخبار الوطن الام ، ولكن بعض هذه الصحف يخلط السم بالدسم حتى اصبحت كل جريدة تنطق باسم حزب لبناني وغير لبناني .

والمؤسف ان بعض عرب استراليا ان محبتهم لاحزابهم ، اصبحت تفوق محبتهم لاوطانهم !

انكماش الجمعيات

وللعرب في استراليا ٤٤ جمعية ونادياً .. عدد ضخم ولكنه لايعني شيئاً .. فهي جمعيات تعمل على مستويات طائفية عائلية وعشائرية وحزبية - كل ضيعة لها جمعيتها .. جمعية كفر زعاب .. جمعية كهف الملول .. جمعية ابناء الشمال ..

كل منها ترفض الانفتاح على غيرها .. فتحول العرب عنها الى الاندية الاسترالية .. وما ادراك ماهذه الاندية .. يقولون انها رياضية اجتماعية ثقافية .. ولكن الواقع غير ذلك فهي اندية قمار بالدرجة الاولى ، كل ناد يضم المئات من ماكنات البوكر ، وكانك في لاس فيجاس ، وليس في مجتمع يفترض انه عربي .

وهكذا ضاعت وحدة العرب في غربتهم وتقاذفتهم شتى التيارات الباردة والساخنة والمدمرة .. ووسط هذا الضياع ترفع الجمعية الاسلامية الشيعية صوتها قائلة « اننا نهيب بجميع المسلمين ونناشدهم العودة الى اسلامهم وكل من يعاني من مشكلة ويريد الايضاح والمعرفة فليكتب الينا .. » .

المسلمون في استراليا

وقصة دخول الاسلام الى استراليا ترجع الى حوالي عام ١٨٦٠ عندما وصلها اول مسلم هندي من كشمير ، جاء ومعه ٢٤ جملا استخدمت في اكتشاف المناطق الصحراوية القاحلة .. وبعد ٦ اعوام جاء ١٢ جمالا مع ١٢٠ جملا من كراتشي لعبوا دورا كبيرا في نقل البضائع وتوزيع الرسائل ، واقامة شبكة مواصلات محدودة ..

وحافظ القادمون الجدد على عقيدتهم فاقاموا المساجد الصغيرة في كل مكان وتدفق المسلمون على استراليا من كل صوب : من تركيا والباكستان ومصر ، وسوريا ولبنان واندونيسيا ويوغسلافيا وماليزيا وسنغافورة حتى اصبح عددهم اليوم نحو ربع مليون مسلم ، يقيمون في مدن متفرقة ويشيدون المساجد الجميلة الكبيرة ، وقد تبرع الملك فيصل قبل وفاته بمبلغ مليون و ٢٠٠ الف دولار لبناء مساجد في استراليا .. وكل جالية تبني لها مسجدا : الالبان والاتراك والقبارصة اقاموا المساجد في ملبورن .. واندونسيا وماليزيا والباكستان اقاموا مسجدا في كانبرا العاصمة وفي مدينة برث اقاموا مسجدا في داخل منزل كبير افتتحوه عام ١٩٧٦ بعد ان ضاق المسجد القديم بالمصلين .. وفي مدينة داروين التي هدمها تقريبا الاعصار الهائل في عام ١٩٧٤ يجرى بناء مسجد جديد لاول مرة .. كذلك يجرى بناء مسجد آخر في منطقة «اليس سبرنيك» السياحية ..

نريد الوفاء بالوعد

وفي مدينة سيدني توجد ثلاثة مساجد ، واحد منها كبير ضخم ، افتتح قبل ان يستكمل بناؤه ، انه مسجد لاكنبه ، اسم المنطقة ، وبعد صلاة الجمعة في هذا المسجد ، اجتمعنا الى المصلين مع امامهم الشيخ خالد زيدان الذي قال لنا : « مسجد لاكنبه يعتبر من اكبر المشاريع الاسلامية في استراليا .. وهذا الجامع سيتسع لنحو ١٥٠٠ مصل و ٥٠٠ مصلية في شرفة خاصة ، وسيضم مكتبة عربية كبيرة .. وقد تبرعت لنا المملكة العربية السعودية بمبلغ ٣٠٠ الف دولار ، وجمعنا له ٤٥ الف دولار من الاهالي هنا ، و ١٠ الاف دينار تبرع بها تجار الكويت ، ومع كل هذا ما زال المشروع في حاجة الى ربع مليون دولار لاستكمال البناء والاثاث ..

« ان الوضع المادي لابناء الجمعية الاسلامية اللبنانية سيء بسبب احداث لبنان الاليمة ، لهذا نرجو من الدول العربية ان تساعد في استكمال هذا العمل الذي يحفظ لابناء الجالية لغتهم ودينهم الحنيف .. اننا نريدكم ان تكونوا رسولنا الى ابناء الوطن الام ، وهذا أكبر خدمة تؤديها المجلة لنا - نريد كتبا .. نريد سجادا .. نريد شريات



استطعنا أن نحصى ١٢ جريدة ومجلة عربيةتصدر فى استراليا ٠٠ انها بمثابة همزة الوصل الرئيسية بين البلاد العربية واستراليا ٠٠ الا ان الخلافات العربية بدأت تنعكس اكثر واكثر على اتجاهات هذه الصحف وميولها،مما زاد البلبلةفى اوساط الجاليات العربية هناك ٠٠

نريد من الذين وعدونا بالاعانات والمساعدات ان يفوا بوعودهم ٠٠ » ٠

حقوق المغترب على وطنه

اماالمسيحيون العرب فى استراليا فقد اقاموا ٧ كنائسعربية ، قابلنا المطران عبده خليفه نسأله عن وضع ابناء الجالية والعرب فى استراليا فقال:

« امراض العرب هى فرديتهم وعدم تضامنهم ٠٠ عندما كانوا قلة كانوا يشرفون بلادهم فى استراليا وزاد عددهم فزادت انقساماتهم بما جلبوه معهم من سياسات وحزبيات مختلفة ٠٠

« وبحبوحة العيش هنا تجعل العرب ينسون الوطن الام الذى قاسوا به الامرين ، اما بسبب الاقطاع او الفقر ويزيد منهذا النسيان عدم اهتمام الوطن الاصلى بابنائه المغتربين ، الا فى ايام المحن ، عندما يدعوهم ليمدوا له يد المساعدة ٠٠

« ولكن المغتربين اليوم ، مع تطور العالم ، يفهمون ان لهم دورا فى دور مد يد المساعدة ٠٠ عليهم واجبات ولهم حقوق ، وهم يطالبون :

ـ بان يكون لهم وزير اصيل للمغتربين يعنى بامورهم ٠

٢ ـ بان يكون لهم تمثيل صحيح فى المجلس النيابى بالوطن الام ٠

٣ ـ ان يكون لهم سفراء وسفارات يعنون بامورهم على الصعيد الوطنى والاجتماعى والعائلى ٠

« اننا ننادى باعلى صوتنا بضرورة خلق وحدة المغتربين العرب فى ديار الاغراب ، حتى يزدهر دور المغتربين ويؤدى كل منهم دوره الايجابى لصالح وطنه العربى الكبير ٠٠ » ٠

الذوبان اللغوى

ان تمسك العربى القادم حديثا ، بلغته العربية امر عادى ، وهو يريد لابنه ان يتعلم هذه اللغة ٠٠ ولكن الجيل الثالث الذى يولد هنا يبدأ فى التحول ليصبح مشتتا بين استراليا والشرق ٠٠ اما الجيل الرابع فيذوب كليا فى المجتمع الاسترالى وينسى لغته العربية ٠٠

ويسعى العرب الى فتح المدارس العربية هنا وهناك ٠٠ وتوجد حاليا ثلاث مدارس عربية تديرها اربع راهبات لبنانيات ، يتعلم فيها ٤٢٠ طفلا ، من المسلمين والمسيحيين ، اللغة العربية والانجليزية والفرنسية ، وفى كل عام ترفض ادارة المدرسة اكثر من مائة تلميذ جديد لعدم توفر الاماكن ٠٠

وفى مسجد لاكنبه يبدأ تعليم العربية فى فصول مكشوفة حتى يتم بناء المسجد ٠٠

ربع مليون مسلم في استراليا .. هذا العدد الضخم في امس الحاجة الى مرشدين دينين مؤهلين للحفاظ على مبادىء الدين الحنيف والتراث القومي .. واكبر مشروع اسلامي في استراليا ، هو المركز الاسلامي الكبير في منطقة « لاكنبه » ويضم مسجداً يسمى « مسجد الامام علي » يتسع لنحو ١٥٠٠ مصل و ٥٠٠ مصلية .. وتشرف الجمعية الاسلامية اللبنانية على بنائه .. لقد افتتح هذا المشروع قبل ان يتم البناء .. ويقوم بعض ابناء الجمعية بالعمل التطوعي لاستكمال البناء .. والصورة اليمنى تمثل رئيس اللجنة المالية بالجمعية السيد «حسين جمال » وهو يقوم بخلط الاسمنت والرمال يعاونه نجله هيثم في نقل الاحجار .. انهما يساعدان العاملين منذ سنة كاملة ..





الى اليسار : الامام « خالد زيدان » .. امام مسجد لاكنبه .. مع بعض ابناء الجمعية المتطوعين للتدريس في مدرسة المسجد التي تضم ٢٥٠ تلميذا .. يأتونها مرة في الاسبوع ! لتعلم مبادىء الدين واللغة.





بعد صلاة الجمعة في « مسجد الامام علي » .. وقف بعض المصلين عند مدخل المسجد الذي ما زال في حاجة الى مبلغ ربع مليون دولار تقريبا لتستكمل اعمال البناء فيه .. « لقد حصلنا على وعود كثيرة بالتبرع من الدول العربية .. وكل ما نرجوه هو سرعة الوفاء بهذه الوعود » .. هذا ما قاله لنا الشيخ خالد زيدان امام الجامع .

(تصوير أ. باشا ـ سدني)

ترى هل يمكن المحافظة على تعليم اللغة العربية بصفة مستديمة ومستمرة في استراليا ؟

انها امنية الجميع ولكن الواقع شيء آخر ، فالذوبان اللغوي امر يصعب تداركه الا بافتتاح مدارس خاصة عربية استرالية رسمية معترف بها، لان مقررات المدارس النظامية الاسترالية الحالية وواجباتها ترهق الطفل ارهاقا كبيرا ، فما بالك لو اضفنا له لغة جديدة ، عليه ان يدرسها في اجازاته وعطلاته .. انه ارهاق كبير ..

ويقول قنصل لبنان العام السيد سهيل الفريحي:

ان الموضوع يحتاج الى دراسات مطولة ، فبلاد الاغتراب عموما ، بما فيها استراليا في حاجة الى مجلة عربية راقية ملونة باللغة الانجليزية تبتعد عن الخلافات العربية ، وتتخصص في التعريف بالوطن العربي .. لان الاسترالي متشوق جدا الى معرفة كل شيء عن العرب فهو يجهلهم تماما ..

مخترع اللغة العربية !!

وفي جامعة سيدني رأيناهم يدرسون اللغة العربية باسلوب يحتاج الى تدارك سريع حتى لا يكره الدراسون لغتنا الحلوة ..

وتحدثنا الى الدكتور جورج كارتر مدير قسم اللغات السامية بالجامعة الذي قال لنا : « في العام الماضي قدمت لنا المملكة السعودية منحة في صورة استاذين محاضرين من جامعة الرياض لتعليم طلبة القسم اللغة العربية .. وهذا اعطانا قوة دفع قوية لتنظيمه ودعمه ، ولكن للاسف رجع الاساتذة بعد سنة من عملهم هنا وتركونا معلقين بالهواء ..

وكتبنا مطالبين بارسالهما من جديد ،ولكن ما من مجيب .. اننا نحتاج الى ستة اساتذة لنقدم تعليما عربيا جادا للطلبة ، ونحن على استعداد لفتح قسم خاص للدراسات الاسلامية اذا تقدمت اي دولة عربية لمساعدتنا ، لان ميزانية الجامعة لا تسمح بفتح مثل هذا القسم حاليا ..

« ان الطلبة الذين ادرس لهم وعددهم ٣٣ طالبا يعتقدون انى اخترع لغة جديدة عندما اعلمهم العربية ، اذابن المنطقة العربية هو خير من يستطيع تعليم لغة بلاده .. ولكن اين هو ؟ .. » .

ومن ناحية اخرى ، فقد بدا الانفتاح الرسمي العربي على استراليا يلوح في الافق ، فالملك حسين زارها في مارس ١٩٧٦ ومن بعده تقاطرت الوفود العربية من السعودية ودولة الامارات والعراق .. الى جانب زيارات فردية بعضها له مردود ايجابي وبعضها له مردود سلبي ..

ولا ينسى عرب استراليا حالة الذهول التي اعترتهم عندما رأوا زائرا عربيا بزيه العربي يظهر على شاشة التلفزيون معفتاتين استراليتين ويتحدث عن حبه للاحجار الكريمة الاسترالية وكيف انه جاء الى استراليا ليشترى منها باربعة ملايين دولار هدايا لاسرته .

وعندما ساله المذيع كم عدد زوجاتك ؟ .. ضحك طويلا وقال له : واحدة فقط ..

لقد اثرت هذه المقابلة في معنويات المغتربين تاثيرا كبيرا .. انهم يعانون من ازمات اقتصادية خانقة ، واخوهم في العروبة جاء يتباهى بشراء احجار كريمة باربعة ملايين دولار لاسرته !

نرحب باستثمارات العرب

وجلسنا الى المستر رون دين السكرتير الاول في ادارة الاستثمار بوزارة المالية الاسترالية

« نعتقد انه يجب دراسة شعب لا لغة .. لهذا ندرس اللغة العربية لطلبة الجامعة حتى يستطيعوا التعرف على الشعب العربي » .
هذا ما قاله لنا الدكتور ميشيل كارتر مدير قسم اللغات السامية في جامعة سيدني ، وهو الذي تراه يكتب على السبورة .



تساله عن امكانية الاستثمار العربي في استراليا، فقال : « الحكومة الاسترالية ترحب جدا بالاستثمارات الخارجية ·· نكون سعداء برؤية استثمارات تأتينا من كل مكان ·· نرحب براس المال العربي مثلما نرحب بأى رأسمال آخر وخاصة الذى يشترك مع الاسترالى ··

« نحن مرنون فى معاملتنا ، ونحب ان نرى مشاركة ٥٠٪ فى القطاعات المنجمية والسمكية والغابات··أما اليورانيوم فنطلب ٧٥٪ لاستراليا··

« ويستطيع رأس المال الاجنبى ، عربيا او غير عربى ، ان يبدأ العمل بمفرده فى حقل الاستثمار المنجمى حتى يعثر على الشريك الاسترالى ··

« واحتمالات الاستثمارات المنجمية والسياحية فى استراليا كبيرة جدا وناجحة ومربحة·· واخراج الارباح من البلاد يخضع لمعاملات مراقبة النقد ·· وهى معاملات سهلة سريعة ليس فيها أى تعقيدات··»

والعلاقات الاقتصادية مع استراليا فى توسع مستمر ، وفى العام الماضى كانت مصر فى طليعة الدول المستوردة بما قيمته ١٦٣ مليون دولار ، تليها العراق ٥٥ مليونا والسعودية ٤٠ مليونا ، والكويت ٣٥ مليونا ، والامارات المتحدة ٣٠ مليونا ··

واهم المشاكل فى العلاقات الاقتصادية التى يشكو منها المستوردون الاستراليون هى : تأخر تفريغ السفن فى الموانىء العربية ·· ونقص عدد السفن التجارية ، وهذه المشكلة فعلى ما يبدو ان قررت شركتنا تسيير خطوط بحرية مباشرة بين استراليا والشرق الاوسط ·

والاغنام هى ثروة استراليا الحيوانية الرئيسية، وقال لنا مستر نيفل توسون مدير قسم اللحوم بوزارة الصناعة : فى العام الماضى صدرنا للبلاد العربية مليونا و ٣٥٠ الف رأس غنم حى ، كان نصيب الكويت منها اكثر من مليون رأس ·· وقد يهمكم ان تعرفوا ان الافراد والشركات فى استراليا يربون فى مزارعهم اكثر من ١٥٣ مليون رأس غنم، و ٣٣ مليون بقرة وثور ،ومجلس اللحوم الاسترالى هو المسئول عن تصدير اللحوم ··

لقد تنوع الاقتصاد الاسترالى وتغير ولم يعد « يتقدم راكبا على ظهر غنم » كما كانوا يقولون . فقد اكتشفت فى استراليا كميات هائلة من خام الحديد قدروا كمياتها بنحو ١٠٠ الف مليون طن··

وعثروا على البترول عام ١٩٦١ بكميات تكفى نصف استهلاك البلاد ·· واكتشفوا الغاز بكميات اكثر من حاجتهم ·· والبوكسيت او الصخر الذى يستخرج منه الالمنيوم اصبحت استراليا اكبر دولة مصدرة له ·· والنيكل اكتشفوه بكميات هائلة عام ١٩٦٨ اما اليورانيوم فقد اعلنوا عام ١٩٧٠ ان استراليا هى اغنى بلاد العالم بمخزونها منه ، وهو لم يستغل حتى الان الا بكميات ضئيلة جدا·· واذا تابعنا الثروات المعدنية وجدنا النحاس والفحم والمنجنيز والتيتانيوم بكميات ضخمة ··

كل هذه الثروات تجعل من استراليا تملك اغنى مخزون من الخامات والمعادن فى العالم غير الشيوعى·

وقف الهجرة

ان استراليا تحتاج الى ملايين وملايين من الناس لتستخرج ثرواتها ، ولكن انعدام وجود سياسة طويلة الاجل للهجرة يجعل عملية زيادة السكان تمر بمرحلة صعبة ·· ففى عام ١٩٦٩ بلغ عدد المهاجرين الى استراليا ١١٨ الف نسمة انخفضوا الى ٤٠ الفا فى عام ١٩٧٣ واليوم اغلقوا الباب فى وجه الهجرة لوجود حوالى ٤٠٠ الف عاطل عن العمل ··

والواقع ان التعطل عن العمل مسالة نسبية فى استراليا ، فالعاملون يتمتعون بحرية العمل فى الوقت والمكان الذى يرغبون فيه ، ويغيرون وظائفهم حسب هواهم ! !

ويمر العمال العرب القادمون حديثا بازمة نفسية فهم يشاهدون العامل الاسترالى الشاب يجلس فى منزله ويتقاضى من الحكومة « اعانة تعطل » تكاد توازى المرتب الذى يتقاضاه فى المصنع المرهق ·· وفى يوم الاحد يشترى هذا الاسترالى المتعطل الجريدة ليطالع فيها الوف الاعلانات عن الوظائف الشاغرة ، ولكنه لايتقدم بأى طلب ·· فهى لا تناسب مزاجه !!

ويصرخ اصحاب العمل ويعلن احدهم انه قد مضى عليه اكثر من عام دون ان يعثر على عامل فنى بمرتب ٢٠٠ دولار فى الاسبوع !

ومع كل هذا يقولون ان فى استراليا حالة

تعطل حتى يجدوا الذريعة الكافية لاغلاق ابواب استراليا امام اى هجرة جديدة ..

٣٠ دولارا بدلا من دولارين

ويتوقع المراقبون ان تشهد استراليا في الثمانينات نقصا هائلا في اليد الفنية ستكون نتيجته عجزا كبيرا في تنفيذ عمليات البناء بما فيها المدارس والمستشفيات ..

ان شعار «النوعية وليس الكمية» في مجال الهجرة خلق لاستراليا مشاكل عويصة ، لان الفنى المتعلم يعرف حقوقه جيدا، من هنا تجد مسلسل الاضرابات لايتوقف على مدار السنة فى استراليا وأجور العمال ارتفعت بشكل خيالى بحيث ان ميكانيكى السيارات اصبح يتقاضى ١٨ دولارا فى الساعة من عمله .. وعامل النسيج يتقاضى ١٨ دولارا يوميا ويعمل ٣٥ ساعه فى الاسبوع وهذا سبب كسادا فى انتاج النسيج ، اذ ان عامل النسيج فى الفلبين مثلا يتقاضى دولارين فى اليوم ويعمل ٦٠ ساعة فى الاسبوع ! ؟

ونتيجة لهذا الوضع هدد اصحاب مصانع النسيج الحكومة انهم سوف يغلقون مصانعهم بعد ١٣ شهرا ، فاضطرت الى وعدهم بدفع ٨٥٪ من خسارتهم ، وضمان قروضهم وفرض الضرائب الباهظة على النسيج المستورد !

ان استراليا تقف اليوم امام مفترق الطرق : زيادة السكان .. او الغرق والضياع ؟ !

ومن خلف الحدود تتطلع عشرات الملايين من العيون الصفراء بشراهة ونهم الى الشمال الاسترالى الغنى الخالى من السكان تقريبا ..

والاسترالى يخاف من الشمال دائما .. وعقدته هى موقعه النائى فى اقصى الجنوب .. وقد وجد احد اساتذة المدارس الحل ، ففى اثناء الدرس اخذ الخريطة وقلبها ، فاصبحت استراليا فى الشمال وآسيا فى الجنوب ، فارتاح التلاميذ !!

احذروا يا عرب

والعجيب فى الاستراليين انهم يخلقون المشكلة بايديهم وبعدها يصرخون من الاعباء الكبيرة التى تتحملها الدولة نتيجة لهذه المشكلة ! !

انهم يصرخون من الوف المهاجرين العرب والاتراك والاسبان واليوغسلاف الذين يحملون الدولة اكثر من الف مليون دولار كل ٥ سنوات لتعليمهم الانجليزية وتدريبهم وتاهيلهم ، ويقولون ان وجود هؤلاء المهاجرين الاميين لم يساعد على تعمير واسكان المناطق النائية الخالية ، فكلهم استقروا حول سيدنى وملبورن ..

وهذا المنطق الغريب يجعل المرء يتساءل : الحل والربط فى يدكم فلماذا لا تضعون شروطا اساسية فى قوانين الهجرة تمنع دخول اى شخص لايجيد الانجليزية ولا يتقن مهنة او لا يمتلك رأس مال ؟

ان السر فى سماحهم للاميين العرب والاتراك والاسبان واليوجوسلاف بالدخول الى استراليا يعود لاسباب اقتصادية محضة .. انهم يريدونهم ليزاولوا الاعمال الشاقة التى لايقبل عليها الاسترالى ، وخاصة فى مناجم الحديد ..

ان هذا العامل الامى سيكون طيعا ولن يطالب بحقوقه ومصالحه لان جهله بالانجليزية سيعوقه عن قراءة قوانين العمل المتشابكة .

ظلال فوق السعادة

قد تكون الصورة التى اعطيناها عن استراليا فيها الكثير من الظلال وهى لا يكترث لها المواطن العادى .. انه يعيش سعيدا ليومه لايفكر كثيرا.. ولا يتعب كثيرا..يتقاضى اعانات حكومية مختلفة.. اعانات اسبوعية للاطفال الذين هم اقل من ١٨ سنة .. تامين صحى .. تامين اجتماعى .. وعندما يصل مع زوجته الى سن التقاعد يتقاضى كل منهما معاشا سخيا ويتمتعان باعفاءات كثيرة فى جميع مجالات الحياة تسمح لهما بالتجول ومشاهدة روعة الطبيعة فى استراليا ..

ولا يعود الواحد منهم يابه كثيرا للصراع القائم بين الحزبين الرئيسين فى البلاد : الاحرار والعمال .. صراع قديم مستمر لايتوقف ، مع تحريضات على الاضرابات التى تشل حركة البلاد ..

ان التهديدات المتبادلة بين هذين الحزبين ، هى اشبه بتهديد القلب للمخ ، بانه سيقطع الشريان عنه لوقف تدفق الدم اليه !

انهما يتناحران .. بينما العالم كله يحسدهما على روعة بلادهم وجمالها الذى لا يقدرونه ولا يشعرون به ! ! .

سليم زبال

تاه ، يتيه .. ويتوه أيضاً

بقلم : محمد خليفة التونسى

١ ـ التيه : الضلال والضياع

■ تاه المسافر فى الصحراء » ، او تاه الغريب فى المدينة » اى ضل عن الطريق التى توصله الى غايته ، ومثل ذلك تاه الطفل فى الزحام ، اى ضل خلاله وضاع فلم يهتد اليه طالبه ، واسم الفاعل « تائه » .

ومن المجاز « سئل الطالب فى الامتحان فتاه فى الاجابة ، او تاه عنها اى ضل فلم يعرف الجواب. ومنه ايضا : تاه الباحث بين الاراء » اى ضل خلالها فلم يميز صوابا من خطا ، وتاه الكاتب بين افكاره، اى حار فى ترتيبها حتى تستقيم على نظام منطقى، « وتاه بين الكتب » اى لم يعرف ما ياخذ منها وما يترك ، فكانه « خراش » كما وصفه شاعرنا القديم اذ قال :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدرى خراش ما يصيد

ومن المجاز ايضا « هو تائه » اى زائغ النظر او الفكر ، او ذاهل لا يعى نفسه او ما حوله . وحين نصوغ الفعل المضارع من « تاه » لا نستعمل فى الفصيحة الا الفعل « يتيه » كما فى قوله تعالى ـ مبينا عقاب قوم موسى عليه السلام حين خرج بهم من مصر الى سيناء ، وطلب منهم قتال اعدائهم فابوا ذلك جبنا وعنادا ، فقضى الله عليهم بالتيه فترة يموت خلالها الجيل القديم الذليل وياتى جيل آخر عزيز شجاع ـ «انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض.فلا تاس على القوم الفاسقين». وكذلك لا نستعمل من المصادر الا « التيه » .

ونحن فى الدارجة لا نستعمل غالبا الا المضارع « يتوه » ولا نستعمل من المصادر الا « التوهان » وكلاهما فصيح .

يقال : تاه يتيه ، والمصدر « تيه » بفتح التاء او كسرها كما يقال تاه يتوه ، والمصدر « توه » (مثل يقول قولا) ، كما يكون المصدر تيهان وتوهان (على وزن غليان) لانه يدل على اضطراب حسى او معنوى .

وتاه ويتيه ويتوه افعال لازمة ، فاذا اردنا تعدية الفعل قلنا « توهت الصحراء المسافر » أو تيهته » فالصحراء متيهة ومتوهة(بضم الميم وتشديد الياء والواو مع كسرهما) والمسافر متيه ومتوه (بتشديد الياء والواو مع فتحهما) كما نقول : اتاهته الصحراء » فهى متيهة ، وهو « متاه » ، (بضم الميم فى اسم الفاعل واسم المفعول من هذه الافعال الثلاثة المتعدية : تيه ، وتوه ، واتاه، لانها رباعية) .

واسم الفاعل تائه ،وهو فى المبالغة تياه وتواه، وكذلك تيهان ، وتوهان (بسكون الياء ، والواو فيهما) .

واما مصدر « تاه » فهو « تيه » ، وكذلك تيهان وتوهان (بفتح الياء والواو فيهما ، لان فعله يدل على اضطراب مثل سيلان).

والتيه ايضا الصحراء ، لان المسافر فيها عرضة

للضلال ، ومثلها كل ارض يتعرض السائر فيها لذلك ، فهي تيه وتيهان ، ومتـاه ، ومتاهة ، ومتيه ، ومتيهة ٠

وجمع التيه أتياه ، واتاوه ، واتاوهه ٠

وكل كلمة من هذه الكلمات الدالة على المكان يمكن استعمالها مجازا أو تجوزا في الدلالة على المسائل الذهنية العويصة، فيقال مثلا : الرياضيات العليا تيه ، او تيهاء أو متاه ، أو متاهة ٠٠٠ » والطالب يضرب من الفلسفة في تيه او تيهاء، او ٠٠٠ » و « كل المعارف العليا عند من ليسوا من أهلها أتياه ، أو أتاويه ، أو أتاوهة » ٠

٢ ـ التيه : العجب أو التكبر أو الدلال

ويأتي التيه بمعنى العجب ، أو التـكبر أو الدلال : نقول : تاه الطالب بنجاحه فهو يتيـه ويتـوه به تيها ، اى معجب معتز به ، وكذلك نقول : تاه الرجل على الناس بثرائه او سلطانه او جاهه « اى تكبر وتصلف ، كما نقول : تاهت المرأة على زوجها ، أو تاه الصبي على أهله » أى تدلل وتعزز ، وهذه الاحاسيس لا تخلو من تداخل بعضها في بعض خلال السرائر ٠

واسم الفاعل هنا ٠ تائه وتياه ، وتيهـان ، توهان ، (مثل : غضبان) ثم تيهان (بتشديد الياء وفتحها) وهي صيغة عجيبة ، والعرب تسمى بها اولادها ، ومن ذلك والد أبي الهيثم مالك ابن التيهان أحد صحابة النبي عليه السلام ٠

والمصدر هنا أيضا : تيه، وجمعه أتياه، وأتاويه، وأتاوهة ٠

يسوى (يساوى)

نقول في الفصيحة : « كتابك يساوى نصف دينار » اى أن هذا ثمنه المعادل له او هذا ما يستحقـه ثمنا ، وكذلك نقـول : « هذا المكتب يساوى مكتب زميلك » أى يماثله أو يعادله قدرا ٠

ونقول في الدارجة بالمعنى نفسه : كتابك يسوى نصف دينار » وهذا المكتب يسوى مكتب زميلك » فهل كلمة « يسوى » (على وزن يلقى) عربية فصيحة مثل « يساوى » ؟

بعض اللغويين القـدماء ومقلديهم المحدثين ينكرونهـا بغير مسوغ ، وبعضهم يقولون انهـا قليلة ، أو نادرة ٠

ونلاحـظ اولا أن الفعل الرباعي « ساوى ، يساوى » يقوم على أساس الفعل الثلاثي «سوى، يسوى » ـ على وزن : « لقى ، يلقى » بزيـادة الف مد بعد حرفه الاول ـ وليس هو في ذلك الا ككل فعل رباعي على وزن « فاعل ، يفاعل » المأخوذ من الثلاثي « فعل ، يفعل » ٠

ونلاحظ ثانيا أن الثلاثي هنا « سوى ، يسوى » كالرباعي « ساوى ، يساوى » في دلالته على شيئـين ، ونظيره في ذلك ـ وعلى وزنه ايضـا ماضيا ومضارعا ـ « لقيه يلقاه » و « صحبه ، يصحبه » و « شركه ، يشركه » ونظيره ـ على خلاف وزنه في المـاضي ـ « عدلـه ، يعدلـه » و «مثله،يمثله» فانها تدل عليه الافعال الرباعية: « لاقـاه ، يلاقيـه » و « صاحبـه ، يصاحبـه » و « شاركه ، يشاركه » و « عـادله ، يعـادله » و « ماثله ، يماثله » ٠

ثم ان بعض اللغـويين قالوا : أن « سوى ، يسوى » لغة أهل الحجاز ٠

وهكذا استعملهـا محمد بن حازم البـاهلي (شاعر زاهد معاصر المأمون العباسي حوالي نهاية القرن الثاني الهجرى) ، فقال :

« طب عن الامـرة نفسـا
وارض بالوحشـة انسـا

ما عليهـا أحـد يسـ
ـوى على الخبرة فلسـا »

اى : « ازهـد في السلطة ، وأنس بوحدتك فليس على الارض احد ـ اذا اختبرته ـ يساوى أهون شيء » وقد ورد الفعـل الثلاثي ماضيـا ومضارعا في كثير من المعاجم ، وان أشار بعضها الى قلته أو ندرتـه ، ولكن يلاحـظ انه كثير الاستعمـال في الدارجة ، بل هو فيهـا أكثر استعمالا من الفعل الرباعي ٠ وشيوع استعمال كلمة او قلته او ندرته حظوظ ، ولكن لا وجه لمصادرتها ما دامت عربية فصيحة ٠ ■■

محمد خليفة التونسي

هل الحكم التركى نكبة للعرب ؟

● فى دراسة الدكتور على الراعى حول المسرح عند العرب ، قرات قوله «...وامتد الخيال التركى من تركيا الى البلاد العربية التى نكبت بحكم الاتراك ، مثل سوريا .. » .

لفتت نظرى هذه العبارة ، وتمنيت لو ان الدكتور الراعى لم يتسرع فى اطلاق حكم كهذا ، وقرا التاريخ العثمانى بعين منصفة . وليسمح لى الدكتور الراعى ان اسال :

ماذا كان يكون مصير الاسلام ولغة القرآن لو لم يسارع العثمانيون لتلبية صرخات الاستغاثة ، ولو لم يهبوا لنصرة اخوانهم فى الدين وعملوا معهم يدا بيد لتحرير ثغور ليبيا وتونس والجزائر من الاستعمار الاسبانى الاستيطانى الذى زحف اليها ودام عدة عقود فى القرن السادس عشر ، ولو لم يفعلوا نفس الشىء فى اريتريا والبلدان الواقعة على البحر الاحمر التى تمركز فيها البرتغاليون ، ولو لم يفعلوا نفس الشىء فى اقطار الجنوب العربى . حتى عاد العالم الاسلامى الى الظهور مرة ثانية فى شكل وحدة متماسكة ، بعد سياق توحدى استغرق العهدين الاسلاميين الزاهرين الايوبى والمملوكى ، وتقف كالبنيان المرصوص فى مواجهة الاستعمار الاوربى الذى لم ينجح من ثم فى ان ينزل بالعالم الاسلامى (وهو الاقرب والاكثر اثارة للمخاوف والحقد) ما انزله بالهنود الحمر وقبائل الانكا ، الى ان حل القرن التاسع عشر ورجحت كفة الاستعمار الغربى رجحانا كبيرا لاسباب موضوعية هيكلية تتعلق بتواجد الحديد والفحم الحجرى لديهم . فتساقطت تباعا الجزائر وتونس ومصر وليبيا والمغرب...ثم بلدان المشرق ، ودخل اللنبى القدس مرددا : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . ودخل غورو دمشق وخاطب قبر محرر القدس وبطل الاسلام الاغر قائلا : « لقد عدنا يا صلاح الدين » .

هل الحكم التركى نكبة على العرب والاسلام فعلا ؟

جاسم وزان

سوريا / قاره

● حين قرات فى العدد ٢٢٦ فى باب حوار القراء نص « دراكيولا ليس بطلا قوميا » تعجبت عجبا كبيرا . فقد وصف السيد فريد حمدان فى الفقرة الاخيرة الجيوش الوطنية التى تدافع عن ارض بلادها ضد غزاة اتوا ليستعمروها كما استعمروا بلادنا العربية بانها استبدادية ، وينحاز الى جانب العثمانيين لمجرد كونهم مسلمين . فانا لا ارى مبررا لهذا الانحياز الذى يغمض العين عن مظالم الاتراك وبطشهم فينا مع ان اغلبيتنا من المسلمين .

هل نسى السيد حمدان استبداد الاتراك العثمانيين فى سوريا ؟

هل نسى اللقب الذى كانوا ينادوننا به « بيس عرب » اى الكلب العربى ؟

هل نسى الشهداء الذين شنقوا فى ٦ أيار ؟

هل نسى ثورة الشريف حسين الوطنية ؟

باسم محمد المصرى

بيروت / لبنان

الالمانيــة لغة النمســا

● ذكر الاستاذ على ادهم فى مقالـه عـن شاتوبريان والذى نشر فى عدد سبتمبر « العربى » ان رواية اتالا ترجمت الى اللغة النمساوية » والحقيقة انه لا توجد لغة نمساوية .. بل ان الالمانية هى لغة اهل النمسا » .

جورج خورى

الرياض / السعودية

الى جيبوتي

● استجابة لنداء مجلة العربي في استطلاعها عن جمهورية جيبوتي الذي نشر في عدد سبتمبر ٧٧ عن حاجة هذه الجمهورية الفتية الى المساعدة في مجالات التنمية فيها يسرني ان اضع نفسي في خدمة هذه الجمهورية والمشاركة في مجال « استخدام الطاقة الحرارية الارضية Geothermal Energy اذ اني حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم الجيولوجية ودبلوم في استخدامات الطاقة الحرارية الارضية مع خبرة لا تقل عن ثلاثة عشر عاما في العربية او اي جهة عربية .

خبرتي هذه اضعها تحت تصرف جامعة الدول العربية او اي جهة عربية .

الدكتور محمود سمير المنهداوي

هيئة الطاقة الذرية المصرية/القاهرة

● سجلوا اسمي مع الراغبين في التطوع للعمل بجمهورية جيبوتي .

عماد الجنابي ـ مهندس معماري متخصص في تخطيط المدن . بغداد ـ مدينة اليرموك ـ ص.ب ١٥٠٤٨

الشاي وليس القهوة !

● في مقال « ازمة البن العالمية » الذي نشر في العدد ٢٢٢ ، ذكرتم ان البن صار مشروب الضيافة الاول عند العرب اجمعين . وهذه حقيقة نسبية . ذلك ان الشاي وليس البن هو مشروب الضيافة الاول عندنا في دول المغرب . ولعلمكم فان الشاي يقدم عندنا مع اطباق الحلوى او الجوز او اللوز .

وتبقى القهوة مشروب ما بعد النوم فقط ويمكن ان تكون مشروب الضيافة لكن حسب الظرف الزماني الذي تقع فيه الضيافة . فنحن نشرب الشاي بعد الغداء خصوصا في فصل الشتاء ، كما نشربه بعد القيلولة والقهوة بعد العصر .

اما الفطور فيمكن ان يكون بالشاي او بالقهوة او بالحليب او القهوة بالحليب في الغالب .

شطار ميمون

فاس المغرب

قرة العين

● كتب احد القراء في باب حوار القراء لعدد اغسطس لعدد /٧٧ يقول : ان موضوعي عن (قرة العين) المنشور في عدد مايو /٧٧ منقول عن كتاب (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) للدكتور علي الدوري .

والحقيقة انني لم انقل الموضوع كما ذكر الاخ القارئ ، ولكني اعتمدت على الكتاب كمصدر لمقالي عن قرة العين اذ ان الحقيقة التاريخية لا يمكن ان يستحوذ عليها احد أو ان يدعيها لنفسه دون غيره .

حسين علي الجبوري

كربلاء ـ العراق

قضية الزي

● في العالم العربي يرتدي اناس الازياء تقليد لم تعد تلائم ضرورات العمل اليومي . نلمس هذا الفرق بيننا وبين العالم المتقدم عندما نقضي وقتا طويلا في بلاد الغرب ثم نعود الى مسقط الراس فيصدمنا الواقع .

قد يقال ان التقدم والحضارة ليسا في الزي ، هذا صحيح ، ولكن يجب الا ننسى ان الزي هو احد مظاهر او رموز هذا التطور .

نعم يمكن استعمال اللباس التقليدي في المنزل او في مناسبات قومية او رسمية احتراما للتقاليد ، لكن العمل اليومي وعلاقتنا مع الخارج يقتضيان ان نتكيف مع زماننا حتى في المظهر . فلننظر الى اليابانيين مثلا . انهم في الشارع والعمل يرتدون الزي العصري . اما في منازلهم وحفلاتهم فان زيهم التقليدي كما هو . انها ليست قضية سطحية . بل هي مشكلة حقيقية ينظرون من خلالها الينا باستخفاف ويقولون « هؤلاء ليسوا قادرين على الاندماج في الحضارة » .

محمد البوزيدي

وجدة (المغرب الاقصى)

اموالنا في البنوك الامريكية

● جاء في تقرير لمجلس الشيوخ الامريكي نشر مؤخرا ان البنوك الامريكية يمكن ان تصاب بهزة عنيفة لو فكر العرب في سحب ودائعهم منها ‥ اصابتني الدهشة عند قراءة هذا الخبر ‥ وارتسمت امام عيني اسئلة كثيرة ‥ لماذا لا يستعمل العرب اموالهم هذه اداة ضغط على امريكا لا كي تنحاز الى جانبنا في صراعنا مع اسرائيل‥ بل من اجل اقامة توازن مع ما يسمى « اللوبي » الصهيوني الذي بدأ يثقل كاهل الرئيس الامريكي كارتر ۰ وسحب هذه الودائع لا يقتصر على كونها تشكل اداة ضغط تستطيع تمكين الرئيس الامريكي من مواجهة اداة الضغط الصهيونية ولكنها تعطي فوائد جمة لو استثمرت في البلاد العربية لتجعلها من دول العالم الثاني او الاول بدلا من الثالث ۰ وما احوجنا نحن العرب الى هذا المال العربي كي ينهض بالارض والانسان بعد ان اصبح المال عصب الحياة المعاصرة ۰

صلاح عبداللطيف/الكويت

وزارة للنظـافة

● من المعروف ان كل دولة توزع مسئولياتها على وزارات تتولى كل واحدة منهـا ميدانا مـن ميادين النشاط الذي تتطلبه الحياة للافراد ‥ فالامن عادة يناط بوزارة الداخلية ، والمواصلات تناط بوزارة المواصلات وهكذا ‥

فلماذا لا نستحدث في العالم العربي وزارة تناط بها شئون نظافة البلاد ‥ وتكون من مهام هذه الوزارة بث برامج تغرس في الشعب حب النظافة وفوائدها وتتولى استحداث مادة النظافة في المدارس كما تتولى ايضا تجميل المدن ‥وذلك بتشجيرها وبناء الارصفة واظهارها بمظهر نظيف جميل يتعوده الفرد منذ نعومة اظافره ۰

وجدير بالذكر ان وزارة الصحة تتولى علاج المرضى في مشافيها وهناك مثل شائع معروف يقول « الوقاية خير من العلاج » ‥ وهنا تتجلى حقيقة وظيفة وزارة النظافة ‥ اذ ان الاوبئة والامراض تجلبها القاذورات والاوساخ ‥ وعندما تختفي هـذه كلهـا يخـف العـبء عـن كاهـل وزارة الصحة ‥ وعندما تصبح النظافة عادة يتعودها الحاكم والمحكوم يمكن الغاء هذه الوزارة ‥ لذا ارجو ان يلاقي اقتراحي هذا مباركة السلطات الحاكمة في العالم العربي لينطبق علينا المثل الذي يقول : النظافة من الايمان ۰

يعقوب الناظر/الاردن

أم تأبط شـــرا

● نشرتم في العدد ٢٢٦ من مجلة العربي بيت الشعر التالي :

والمنـايـا رصـد
للفتـى حيث سـلـك

ونسبتموه خطـأ الـى ام سليك بـن سلكه ، والصحيح ان هذا البيت من جملة ابيات قالتها ام « تابط شرا » ۰

وقد وردت هذه الابيات بكاملها في كتاب « شرح الحماسة للخطيب التبريزي ، وفي كتـاب المـرأة العربية (جـ ١) لعبد الله عفيفي ۰

شكيب ناجي ثابت
بغداد/العراق

اهلا بكل مستثمر عربـــي

● ردا على رسالة الشهر التي تضمنها حوار قراء شهر اغسطس /٧٧ حول المال العربي الحائر اقول ، بأن الجمهورية العربية اليمنية ترحب بكل مستثمر عربي وقد اتخذت قوانين وانظمة في صالح المستثمر في كل المجالات ‥ لتشجيع استثمار رؤوس الاموال العربية في البلاد العربية ۰

اهلا برؤوس الاموال العربية فـي الجمهورية العربية اليمنية ۰

علي حسو عشيش
صنعاء ـ اليمن

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ،فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفـوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٢٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير (شباط) ١٩٧٨ .

اثنان في واحدة

■ اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ،ستجد في (٨) افقيا اسم اعظم اعلام الفكر الديني ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم فقيه ومؤرخ ونحوي وأديب عربي شهير .

الكلمات الافقية :

(١) دولة في القارة الامريكية ـ دولة من دول حوض البحر الابيض المتوسط .

(٢) مجرى مائي عراقي ـ نفاق

(٣) نصف كلمة (تاخذ) ـ تلاعبهم ـ وحدة قياس طولية .

(٤) يفرح ـ امبراطور من اباطرة الرومان القدماء .

(٥) مدينة ايطالية معروفة ـ حرفان متشابهان ـ نصف كلمة (بائس) ـ اجابة .

(٦) نصف كلمة (عكاظ) ـ العف ـ الشتت .

(٧) نظير ـ عبودية ـ يطيع ـ رقد .

(٨) أعظم أعلام الفكر الديني .

(٩) لا يملك مالا ـ دولة افريقية ـ قاطع .

(١٠) عاصمتها لواندا ـ شلالات شهيرة .

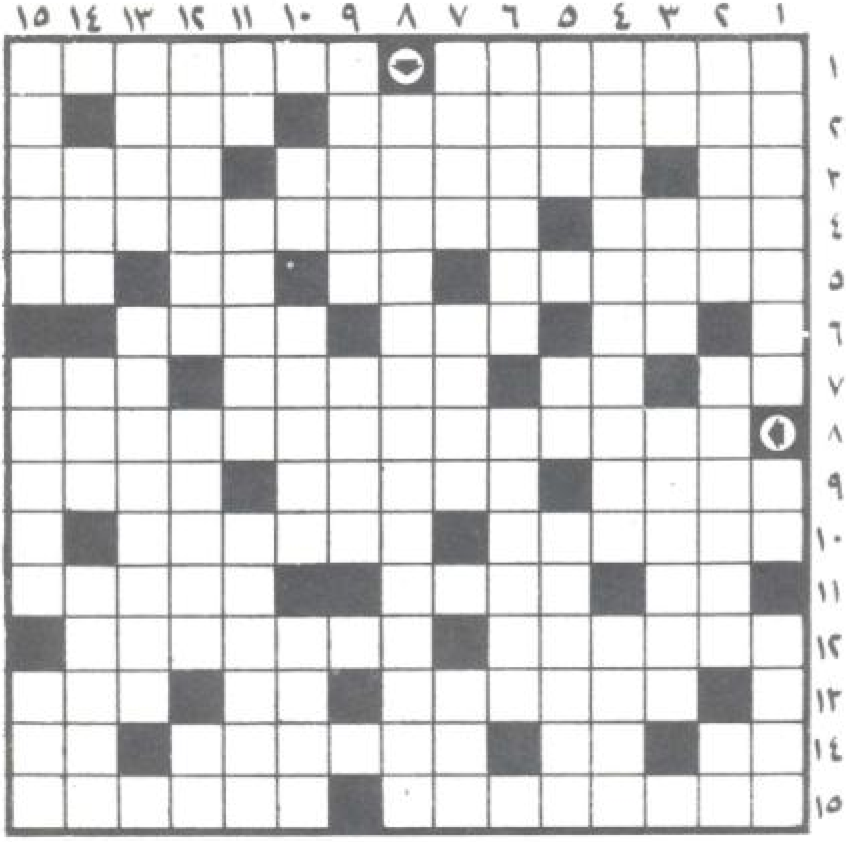
(١١) من طرق انضاج الطعام ـ أمعن النظر والفحص ـ متموج .

(١٢) امبراطور اليابان ـ من المدارس الفنية الحديثة .

(١٣) حول مجرى النهر ـ من الحبوب ـ تجاوز .

(١٤) حرفان متشابهان ـ كسر ـ من اكبر المعارك البحرية بين الاتراك والاوربيين ـ للتمني .

(١٥) اللقاء ـ من المذاهب الاسلامية .



الكلمات الرأسية :

(١) من العناصر ـ حرف استفهام ـ ميناء ·

(٢) ينتسب الى مذهب اسلامي يشيع في الجزيرة العربية ـ فنان شهير من عصر النهضة الايطالي ـ من الزهور ·

(٣) حرفان متشابهان ـ فزع ـ دولة اوربية ·

(٤) مفكر فرنسي شهير وصاحب العقد الاجتماعي ـ القطع ·

(٥) في احدى مراحل العمر ـ خالص ـ اكبر بحيرات اوروبا ·

(٦) انتفعوا ـ احسنوا ·

(٧) يتكفل بالامر ـ عاصمة بيرو ـ برهن ·

(٨) فقيه ومؤرخ ونحوي واديب عربي شهير ·

(٩) اسخر ـ تلوذ ·

(١٠) سئم ـ قام مقامنا ـ معبودنا ·

(١١) حرف استفهام ـ يجاوز الواقع ـ مرصد عالمي شهير ·

(١٢) العراك ـ من الاحجار الكريمة ـ نصف كلمة (وعيد) ·

(١٤) كسد ـ للاستثناء ـ الاقارب ·

(١٥) دولة اسيوية ـ نوع من الطائرات الحربية ـ باس ·

كوبون مسابقة

رئيس الحزب

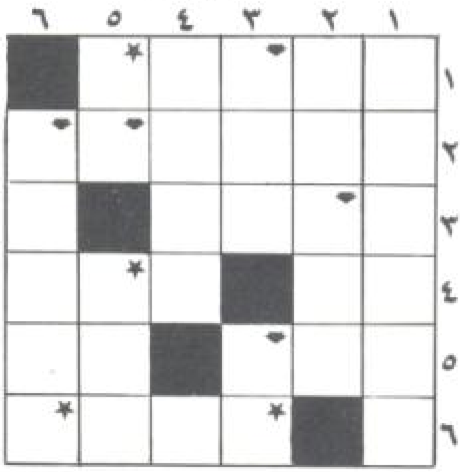
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرئيس الحزب الوطنى الاشتراكى بألمانيا الذى مات منتحرا . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبهابحيث تصنع لقب ذلك الشخص .

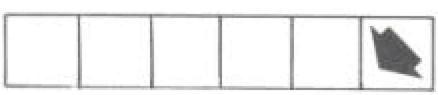
الكلمات الافقية :

(١) من الاحياء المائية .
(٢) اله الفنون عند الرومانيين القدماء .
(٣) فقر شديد .
(٤) نصف كلمة (نبيل) ـ حرف استفهام .
(٥) عسل ـ فات .
(٦) ابصرته .

الكلمات الراسية :

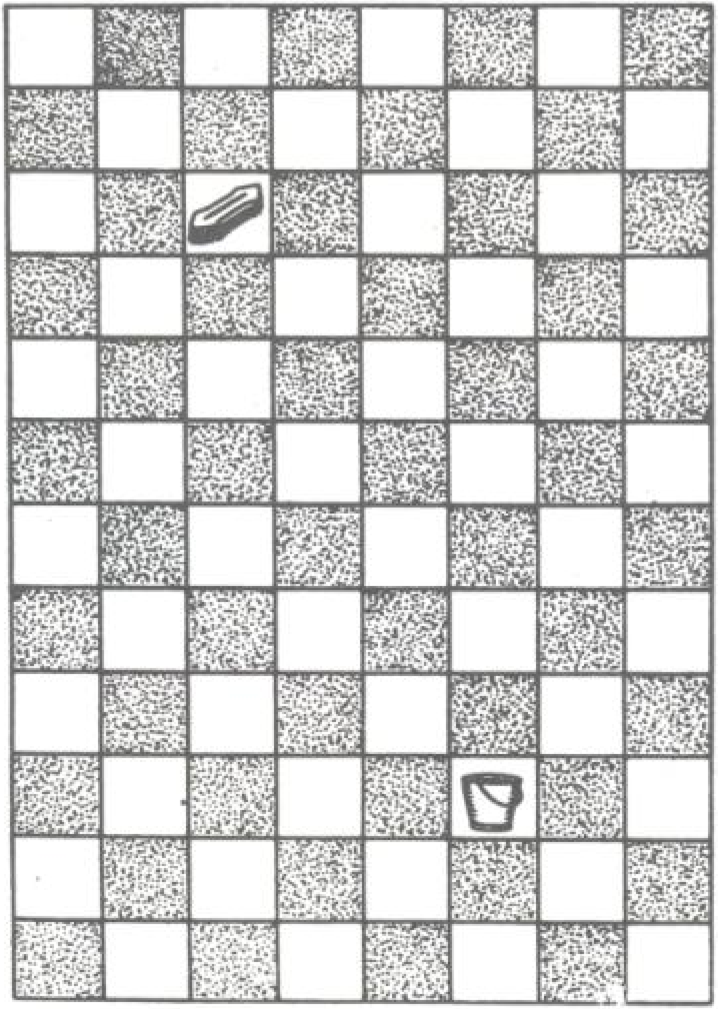
(١) فنان من عصر النهضة الايطالية .
(٢) آلة موسيقية .
(٣) الى اعلى ـ جواهر .
(٤) يوحى .
(٥) حرفان متشابهان ـ اكتملت .
(٦) نسق .







مواهب سعاد



● حتى لا تمسح بلاطة واحدة مرتين ،اعتادت سعاد أن تضع الفرشاة والدلو كلا فى مكانه الموضح ، ثم تتبع فى انتقالها من بلاطة الى اخرى ، خطوطا مستقيمة ، افقية او راسية او (قطرية) • وهكذا استطاعت أن تنتهى من تنظيف جميع البلاط فى ٢٣ حركة مستقيمة ، راسية او افقية أو مائلة •

هل تصل الى موهبة سعاد ،وترسم خط سير الفرشاة حتى تصل الى الدلو ؟

استاذ نبيه يسأل :

ما هو لون طرطور أحمد ؟

● في امتحان آخر العام ، كانت درجات احمد وعلى ومصطفى أعلى الدرجات ، الا انها كانت متساوية ، واحتار ناظر المدرسة الى من يسلم جائزة التفوق هذا العام فجمعهم في مكتبه وقال لهم :

سأجرى اختبارا لذكائكم ، والفائز هو الذى سيحصل على الجائزة • ساضع غمامة على عيونكم لن تسمح لكم بالرؤية ، وعلى راس كل واحد منكم ساضع طرطورا • الطراطير التى عندى حمراء وزرقاء • عندما اعطيكم اشارة البدء ، عليكم ان ترفعوا غطاء عيونكم • فاذا رأى أحدكم طرطورا أحمر على راس أى من زميليه ، عليه ان ينقر على المائدة نقرة واحدة ، ثم فكروا بعد ذلك ، وبمجرد أن يستنتج اى منكم لون طرطوره ، عليه أن ينقر على المائدة نقرة أخرى •

عندما تأكد الناظر من فهمهم لشروطه ، غطى عيونهم ، ثم وضع على رأس كل منهم طرطورا أحمر • أعطى اشارة البدء ،فرفعوا غطاء عيونهم وحدث التالى :

أولا : مباشرة وفى نفس الوقت ، نقر الثلاثة على المائدة •

ثانيا : دق أحمد على المائدة وصاح « طرطورى أحمر •• » •

كيف عرف أحمد لون طرطوره ؟

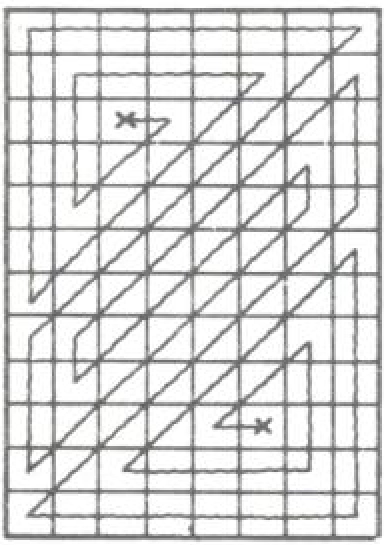
الحلول

النجمة والسهم :

أدولف هتلر •

استاذ نبيه يسأل :

حيث أن الثلاثة قد نقروا النقرة الاولى معا ، فقد استنتج أحمد أن جميعهم قد عرف أن طرطورين من الطراطير لونهما أحمر ، فلو كان هناك طرطوران أزرقان لامتنع واحد عن النقر • قال أحمد « على ومصطفى يعلمان هذه الحقيقة مثلى ، فلو كان طرطورى أزرق ، لتأكدا من أن طرطور كل منهم أحمر • لهذا استنتجت أن طرطورى أحمر » •



مواهب سعاد :

الحل كما في الرسم •

العربي

فهرس سنة ١٩٧٧

من العدد ٢١٧ الى العدد ٢٢٨

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير أحمد بهاء الدين

دين ورجال دين

للمناقشة

بقلم : فهمى هويدى

سياسة واقتصاد

عروبة

استطلاعات الكويت المصورة

الاستطلاعات العربية والاسلامية المصورة

أدب ولغة

صفحة فى اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسى

شعر .. وشعراء

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

قصص وجرائم

علوم

أمراض شائعة

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

طبيب الاسرة

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مرض الرعاش ـ دموع الرحم ـ الم العصب الخامس فى الوجه ـ الزهرى الوراثى .	٨	٧٧	٢٢٥	١٠٩
قشور على الجسم ـ حكاية الحساسية ـ يشكو من القرحة .	٩	٧٧	٢٢٦	١١١
كيف تتكون الاملاح ؟ البواسير ما علاجها ؟ المرض النفسى والقىء ـ المشروبات الكحولية والجنين .	١٠	٧٧	٢٢٧	١٠٥
الحساسية الموسمية عند الاطفال ـ تحديد جنس الجنين ـ رقعة خالية فى الرأس .	١١	٧٧	٢٢٨	١١٣

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الصين بعد ماو	مكرم محمد احمد	١٢	٧٦	٢١٧	٢٧
اين سفينة نوح ؟ وما هى حكاية الطوفان ؟	د. امين عبد الله	١	٧٧	٢١٨	٥١
النساء فى الصفحات الاولى خلال سنة ١٩٧٧	نائلة التونى	١	٧٧	٢١٨	١٣٤
البكتاشية .. انتسبوا للاسلام	د. محمد موفاكو	٣	٧٧	٢٢٠	٦٤
بين هرتزل والسلطان عبد الحميد	د. محمد أحمد خلف الله	٦	٧٧	٢٢٣	٣٤
روما عاصمة المسلات المصرية القديمة	فريد كامل	١١	٧٧	٢٢٨	٤٤

تاريخ أشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الشدياق فى اوروبا	ابراهيم عوض	١	٧٧	٢١٨	٥٨
اندرية مالرو .. بعد رحيله	د. سامية احمد اسعد	٢	٧٧	٢١٩	٣٠
الباهر فى الجبر للسموأل المغربى	د. عبد الحليم منتصر	٤	٧٧	٢٢١	١١٢
قرة العين .. داعية ومرتدة وقتيلة	حسين على الجبورى	٥	٧٧	٢٢٢	٤٧
دراكيولا بطلا قوميا	فريد كامل	٦	٧٧	٢٢٣	٩٦
خير الدين الزركلى .. علم الاعلام	د. عمر الدقاق	٧	٧٧	٢٢٤	٤٦
فى صومعة توماس كارلايل	د. صفاء خلوصى	٧	٧٧	٢٢٤	١٠٤
المنصور بن أبى عامر .. المستبد المنتصر	د. محمود على مكى	٧	٧٧	٢٢٤	١٣٢
فهمى المدرس رائد سبق عصره	د. يوسف عز الدين	٨	٧٧	٢٢٥	٥٢
جاك بريفير ، شاعر الحياة اليومية	د. سامية احمد اسعد	٨	٧٧	٢٢٥	١٠٢
صفحات مجهولة من حياة الافغانى فى روسيا القيصرية	د. نبيل عامر صبيح	٩	٧٧	٢٢٦	٢٢
المتنبى شاعر كل العرب	جمال الدين الالوسى	٩	٧٧	٢٢٦	٣٧
شاتوبريان الاديب والمقاتل والسياسى	على ادهم	٩	٧٧	٢٢٦	٨٦
هذه هى مى الادبية التى شغلت الفلاسفة والادباء	حسنين حسن مخلوف	١٠	٧٧	٢٢٧	٤٨
ابن بطلان	د. عبد الحليم منتصر	١٠	٧٧	٢٢٧	٩٥
شخصية لها تاريخ : ماركو بولو	د. أمين سلامة	١١	٧٧	٢٢٨	١٠٨

من التراث الحديث

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
التربية لا التعليم	قاسم امين	٧٦/١٢	٢١٧	٥٥
هل الخلاف قدر العرب ؟	ساطع الحصري	٧٧/ ١	٢١٨	٣٤
معاملة العربي لزوجته	الامير عبدالقادر الجزائري	٧٧/ ٢	٢١٩	٣٥
الاستعمار الثقافي	علال الفاسي	٧٧/ ٣	٢٢٠	٦٩
الاسلام والحضارة الانسانية	عباس محمود العقاد	٧٧/ ٤	٢٢١	٤٠
اثر العقائد الدينية في تقدم البشرية	جمال الدين الافغاني	٧٧/ ٥	٢٢١	٥٢
العلم الصحيح	محمد كرد علي	٧٧/ ٦	٢٢٣	٢٠
ادب الظل	مارون عبود	٧٧/ ٧	٢٢٤	٦٥
في صوم رمضان	محمد البشير الابراهيمي	٧٧/ ٩	٢٢٦	٥٠
فيم الوني ؟	خير الدين الزركلي	٧٧/١٠	٢٢٧	٤٦
الاستبداد والتربية	عبد الرحمن الكواكبي	٧٧/١١	٢٢٨	٨٨

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
قبل ان يغزو « الطب النفسي » حياتنا اليومية معاذير على طريق مسيرتنا الحضارية	د. يحيى الرخاوي	٧٦/١٢	٢١٧	٣٤
التربية لا التعليم	قاسم امين	٧٦/١٢	٢١٧	٥٥
قبل أن تتهم طفلك بالغباء والكسل	نبيه غبرة	٧٧/ ١	٢١٨	١٢٦
سؤال كل بيت : كيف نربي اطفالنا ؟	د. كمال دواني	٧٧/ ٢	٢١٩	٨٦
محنة ام امتحان ؟	د. يحيى الرخاوي	٧٧/ ٦	٢٢٣	٨٧
لماذا فشلت التربية في بناء الانسان العربي ؟	د. كمال دواني	٧٧/ ٧	٢٢٤	١١٣
هذه الاخطاء الشائعة في التربية الحديثة	محمود محمود	٧٧/ ٨	٢٢٥	٤٢
نحن نحب ونكره اشياء صغيرة جدا .. لماذا ؟	د. أنيس فهمي	٧٧/ ٩	٢٢٦	١٠٨
حتى تقطع الطريق بين الاكتئاب والانتحار	د. درى حسن عزت	٧٧/١٠	٢٢٧	١٠٠
الاستبداد والتربية	عبد الرحمن الكواكبي	٧٧/١١	٢٢٨	٨٨

فلسفة

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
ترجمة الماضي الى حاضر	د. زكي نجيب محمود	٧٧/ ٢	٢١٩	١٦
العقل البشري والعقل الالكتروني	د. فؤاد زكريا	٧٧/ ٤	٢٢١	١٨
عصرنا من فلسفته	د. زكي نجيب محمود	٧٧/ ٥	٢٢٢	٣٣

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
انافة ضرورية	د. حافظ الجمال	٣/ ٧٧	٢٢٠	١٩
حينما يصبح التلفزيون عالميا	د. على الراعى	٤/ ٧٧	٢٢١	١١
الى الذين يرفضون التغيير قائلين : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا »	د. محمد احمد خلف‌الله	٤/ ٧٧	٢٢١	١٤
رحلة الخرافة فى عالم التفاؤل والتشاؤم	د. محمد احمد خلف‌الله	٦/ ٧٧	٢٢٣	٣٤
كلمات فى الحضارة	د. احسان هندى	٧/ ٨٧	٢٢٤	٢٢
الزاحفون الى المدن مشكلة عالمية	د. عبد الاله ابو عياش	٧/ ٧٧	٢٢٤	٣٦
كلمة فى الثقافة	د. احسان هندى	١١/٧٧	٢٢٨	٢٤
العمر ونمو الذكاء . لكى تحتفظ بشبابك بعد الستين	د. عبد الرحمن حميده	١١/٧٧	٢٢٨	٦١

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
غرائب فى مملكة الحيوان	تاليف: د . صبرى القبانى عرض: د. عبد الاله ابو عياش	١٢/٧٦	٢١٧	١١٠
العرب فى امريكا	تاليف باربره اسود	٢/ ٧٧	٢١٩	١٣٥
	عرض د. اياد القزاز	٣/ ٧٧	٢٢٠	١٣٧
من الذى يحكم أمريكا ؟	سلامة أحمد سلامة			
الحنين لم يعد كما كان	تاليف : المثلة سبنوريه			
	تقديم : مصطفى درويش	٤/ ٧٧	٢٢١	١٣٧
الرق الاسود فى امريكا اللاتينية	تاليف : رولاند ميافى			
	تقديم د. محمود على مكى	٥/ ٧٧	٢٢٢	١٣١
الجذور	تاليف : اليكس هلى			
	عرض :عبد الوهاب الحكمى	٦/ ٧٧	٢٢٣	١٤٠
التمزق الاسرائيلى من الداخل « الجحيم » ...	للكاتب الاسرائيلى دان‌بين اموتز			
	عرض :د. حماده ابراهيم	٧/ ٧٧	٢٢٤	١٤٥
العالم العربى عام ٢٠٠٠	عرض : مصطفى نبيل	٩/ ٧٧	٢٢٦	١٤٢
مصرع لوركا .. كل الحقيقة	بقلم : خوسيه لويس عرض : محمود على مكى	١٠/٧٧	٢٢٧	١٤١
الكلمات العربية فى اللغة الانجليزية	د. صفاء خلوصى	١١/٧٧	٢٢٨	١٤٣

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
مهرجان قرطاج السينمائي	محمد حسني زكي	١/ ٧٧	٢١٨	١٥٠
المسرح ظاهرة متطورة في حياة الكويت	د. علي الراعي	٢/ ٧٧	٢١٩	١١٨
ابو العينين بين الصحافة والمسرح الشعبي	راجي عنايت	٤/ ٧٧	٢٢١	١١٦
عائلة «هرج السيرك» لبيكاسو رسمها عام ١٩٠٥	صبحي الشاروني	٤/ ٧٧	٢٢١	١٣٠
اسماعيل شموط وتمام الاكحل رائدا الفن الفلسطيني	صبحي الشاروني	٥/ ٧٧	٢٢٢	١٣٩
سهرة مع « ابي خليل القباني » و « الغرباء » مسرحيتان للمسرح القومي السوري في الكويت	د. علي الراعي	٦/ ٧٧	٢٢٣	١١٥
سلالة الغضب تجد الطريق .. الفنان سعد كامل رائد الاتجاه الشعبي في الفن	راجي عنايت	٦/ ٧٧	٢٢٣	١٢٤
العقل والحظ في العاب هذا الموسم	فريد كامل	٧/ ٧٧	٢٢٤	٤٩
لوحة لها قصة « في الحديقة » رسمها رينوار عام ١٨٧٥	صبحي الشاروني	٨/ ٧٧	٢٢٥	٩٨
المسرح عند العرب	د. علي الراعي	٨/ ٧٧	٢٢٥	١٤١
جمالة الحسيني رسامة الحزن العادي	فهمي هويدي	٩/ ٧٧	٢٢٦	١١٨
السينما الجزائرية .. رؤية من الداخل	عبد الحميد بن هدوقة	١٠/ ٧٧	٢٢٧	١٢٥
هذه هي هموم النص المسرحي العربي	د. علي الراعي	١١/ ٧٧	٢٢٨	١٠٠
فنان من الاردن : محمود طه	راجي عنايت	١١/ ٧٧	٢٢٨	١٢٨

ركن الاسرة المرأة

بقلم : منير نصيف

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
رحلة ندم حتى نهاية العمر	١٢/ ٧٦	٢١٧	٥٨
نحن نخاف الشيخوخة .. لماذا ؟	١/ ٧٧	٢١٨	١١٦
عاش شابا ١٧٠ عاما	٢/ ٧٧	٢١٩	٥٨
السعادة كيف نصنعها ونتمتع معها بالحياة ؟	٣/ ٧٧	٢٢٠	٨٦
هذه الشموع .. ما الذي يشعلها لتضيء لنا الطريق ؟	٤/ ٧٧	٢٢١	٥٨
.. الذين يعزفون نغم الحياة	٥/ ٧٧	٢٢٢	٥٦
كيف نزرع « الحب » في القلوب ، ونعيش بلا « فراغ » ؟	٦/ ٧٧	٢٢٣	٦٤
مسيرة الحياة .. هل تبدأ بغير كفاح ؟	٧/ ٧٧	٢٢٤	٥٨
حب وايمان وأمل	٨/ ٧٧	٢٢٥	٦٢
الاغصان الصغيرة تنوء بحملها	٩/ ٧٧	٢٢٦	٩٢
« كليمنتاين » في عرين الاسد	١٠/ ٧٧	٢٢٧	٥١
من اجل ابنائنا .. حتى نحميهم من « الغزو » والضياع	١١/ ٧٧	٢٢٨	٦٤

الأمان بالإضافة
إلى معدل جيد للفائدة

١٠ ٪ في السنة

لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٨½٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩½ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهري

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ٩½ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات . أما وديعة الدخل الشهري المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ٪ في السنة . وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومباردنورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر . لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central
Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الإسم : __________

العنوان : __________

D182

عضو في مجموعة مصارف ناشونال ويستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England



مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

اول ديسمبر ١٩٧٧

٩٩

من الأعمال المختارة

لويجي بيرندلو - ٣

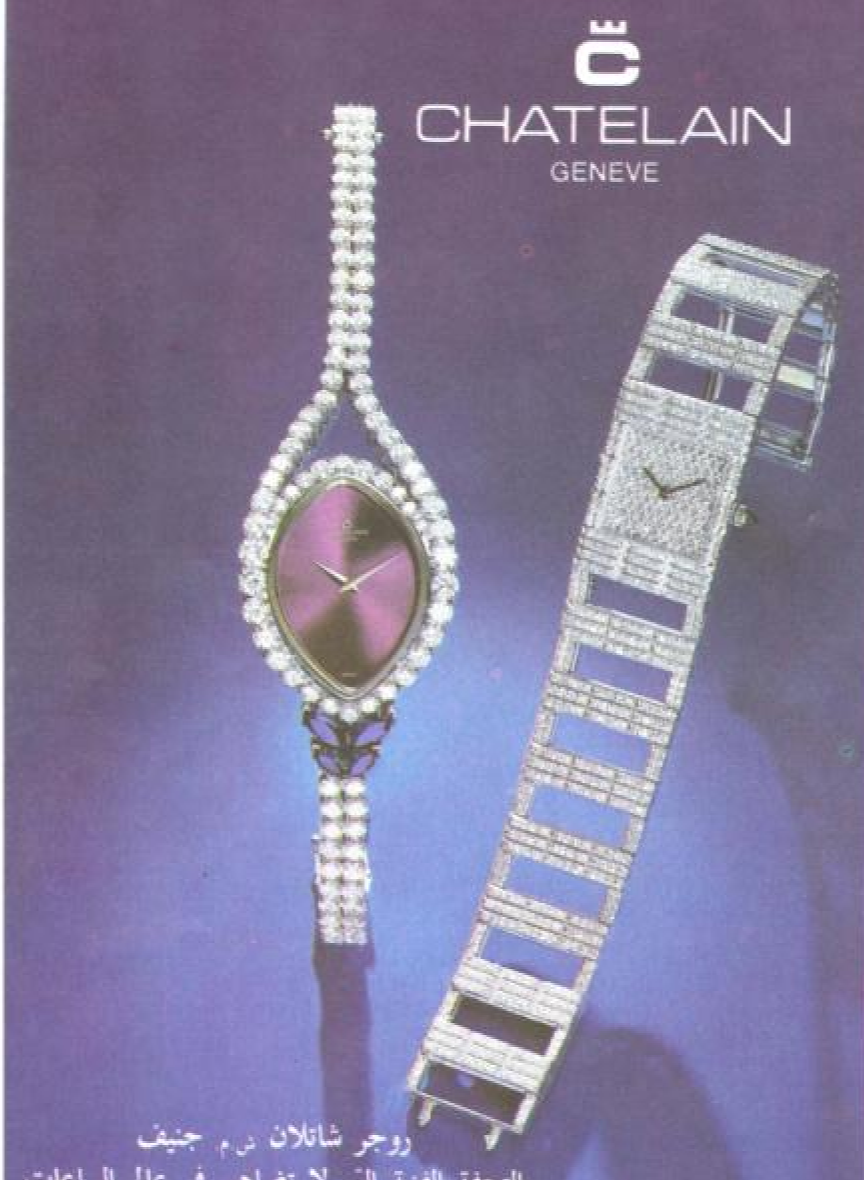
ثلاثية "المسرح داخل المسرح"

• ست شخصيات تبحث عن مؤلف • كل شيخ له طريقة

• الليلة نرتجل

ترجمة وتقديم : محمد اسماعيل محمد

مراجعة : د. حمادة ابراهيم


CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
P.O. Box 251
1214 VERNIER-GENEVA / Switzerland


ستيريو ديناميكى
راديو كاسيت ٤ موجات مع تكبير صوت كبير قياس ١٢ سم
M 4515K
M 9950K
M 9980K
للموديل M 4515K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع
آلية التوقف الأوتوماتيكي بالكامل.
الموديل M 9980K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات و ٤ مكبرات
للصوت مع جهاز التقاط الشريط.
الموديل M 9950K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع
مؤقت آلي عند النوم والتوقف الأوتوماتيكي
ومفاتيح تحويل عديدة للستيريو.
MW/SW1/SW2/FM
ALC
SANYO
سانيو